الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

العدد ٩٦٦ — ٧ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فهرس العدد

الرسالة والدعوة	للأستاذ أحمد حسن الزيات بك	١
ذكرى مولد الرسول ...	لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت	٣
من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة	لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ عبد القادر المغربي	٥
العالم الإسلامي حقيقة واقعة	للأستاذ سيد قطب	١٠
إلى السلاح يا عرب	« على طنطاوى	١٣
هجرة الرسول	« أنور المعطار	١٦
الأزهر الآن يعيش برئة واحدة	لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى	١٨
دين العزة	للأستاذ محمد أحمد الغمراوى	٢٠
الرسالة فى عامها العشرين	« محمد رجب البيومى	٢٣
منطق السيف	« محمد عبد الغنى حسن	٢٦
عيش العبيد	« إبراهيم الوائلى ...	٢٧
آيات من الفن الإسلامى	للدكتور أحمد موسى	٢٨
الشاطبى	للأستاذ أحمد أحمد بدوى ...	٣٢
حاجة الإسلام إلى زعيم	للدكتور محمد يوسف موسى	٣٥
من دموع اللاجئين ...	للأستاذ محمود حسن اسماعيل	٣٧
الكتلة الإسلامية والعالم الإسلامى	للأستاذ أبو الفتوح عطيفة	٣٨

20 me. année No 966

Le Caire 7 —1— 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٧ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والدعوة



تستقبل الرسالة بهذا العدد عامها العشرين وهى تحمد الله على أن فسح لها فى العمر حتى رأت أكثر ما دعت إليه يتحقق

رأت الوحدة بين أمم العرب فى الشعور والهوى والرأى والأمل والغرض قدتمت بفضل الصحافة والثقافة والأدب . فهم يتآلفون فى القرب ، ويتعاطفون فى البعد ، ويتناصفون فى الخلاف، ويتحالفون فى الكريهة ، ويشد بعضهم بعضاً فى مجاهدة العادى ومجالدة الباغى . والوحدة بين دولهم توشك أن تبلغ التمام لولا ما يعوقها الحين بعد الحين من وساوس يلقيها شيطان خادع من الإنجليز ، فى صدر إنسان مخدوع من العرب ! ووسوسة الشيطان ، لا تبقى مع الإيمان . وإيمان العرب بربهم وبأنفسهم قواه الوعى حتى غلب على إيمانهم بأصنام السياسة وطواغيت الحكم . فهيهات بعد اليوم أن يستكينوا لزعيم منهم ، أو يستنيموا لخصيم مخاتل !

ثم رأت الرسالة فيما رأت تباشير الجامعة الإسلامية تلوح فى أفق باكستان . ولن تلبث هذه التباشير أن تسفر فى آفاق الشرق المحمدى كله ، فيتصل نور بنور ، ويمتزج شعور بشعور ، وتتحد قوة بقوة . ولباكستان إذا تكاملت العربية خطر خطير فى مستقبل الأمة الإسلامية . إنها قبلة رجاء الإسلام كما أن مصر قبلة رجاء العروبة . وهى للمسلمين خير العوض من تركية الذاهبة !

وأجمل ما رأته الرسالة فى سنواتها القريبة انبعاث الإسلام الصحيح الخالص فى قلوب المثقفين من أهله . كان الإسلام منذ ضعف فى العالمين سلطانه ، واستعجم على أشباه المسلمين قرآنه ، قد أصبح رسماً محيلا فى قلوب بعض ، وصورة شوهاء فى أذهان بعض . فالخاصة قنعوا بمظهره ، ثم جعلوا شرعهم غير شرعه ، ودستورهم غير دستوره ، وقبلتهم غير قبلته . والعامة عبثوا

بجوهره ، فقلبوه صوفية حمقاء خرقاء لا صلة بين شعوذتها وعباداته ، ولا نسبة بين سلبيتها ومعاملاته

وكانت (الرسالة) منذ حملت أمانة الدعوة إلى السبيل التى عناها الرسول الأعظم بقوله : « تركتكم على الواضحة ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » ما فتئت تذكر المسلمين بأنهم الأمة الوسط التي نزهها الله عن مادية اليهود وصوفية الهنود ورهبانية النصارى ، « وأن دينهم مصحف وسيف ، وشرعهم دين ودنيا ، وتاريخهم فتح وحضارة ، وحربهم جهاد وشهادة ، وزعامتهم خلافة وقيادة ، وحياتهم عمل وعبادة »[1] حتى أراد الله لدينه أن يستبين ولطريقه أن يتضح ولحبله أن يتجدد ، فتألفت (الإخوان المسلمون) على موثق الدعوة الكبرى ، وأخذوا يدعون إلى الله على بصيرة . فى أيمانهم المصحف للعقل ، وفى شمائلهم السيف للهوى ؛ ويحاولون أن يبعثوا فى الهيكل الواهن المنحل روح الإسلام الفتية القوية التى نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادى الجزيرة رعاة غنم ، إلى حواضر الدنيا قادة أمم

فالإخوان المسلمون الذين يسمون أنفسهم رهبان الليل وفرسان النهار ، هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ عقيدة الإسلام الخالص ، وعقلية المسلم الحق

إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة ؛ وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق ، وأن السوق عمارة المسجد . وكيف تفترق الروح عن الجسد إلا فى الموت ، وينقطع الهادى عن الركب إلا فى الضلال ، وينفصل الدين عن الدنيا إلا فى الكفر ؟ لذلك كان للإخوان المسلمين فى الإرشاد لسان ، وفى الاقتصاد يد ، وفى الجهاد سلاح ، وفى السياسة رأى

وهم لا يؤمنون بالحدود السياسية والجغرافية فى وطن الإسلام الأكبر ! إنما يبسطون تآخيهم على كل رقعة من الأرض يذكر فيها اسم الله . فلهم فى كل بلد من البلاد العربية أتباع ، وفى كل قطر من الأقطار الإسلامية أشياع .

وبفضل هذه الروح القدسية المحمدية التى بثها الإخوان فى العالم الإسلامى بالدعاية والقدوة ، دبت فيه الحرارة ، وغلا به النشاط ، واستولى عليه القلق ، وعصفت به الحمية ؛ فهو يثور على المستعمر ، ويتمرد على المستبد ، ويتنكر للمفسد . وما يقظة الوعى العام فى مصر والسودان ، وفى العراق وسورية ، وفى اليمن والحجاز ، وفى الجزائر ومراكش ، إلا شعاع من هذه الروح سيكون له بعد حين نبأ !

أما الجماعات الدينية أو الصوفية التى لا تفهم من الإسلام إلا أنه أوراد تتلى ، وأذكار تقام ، ولحى تعفى ، وشوارب تحفى ، وعذبات ترسل ، فهى من الشوائب المخدرة السامة التى علقت بالإسلام حين صده الجهل والضعف عن سبيله ، فتراجع فيضه وسكن تياره . والماء إذا ركد تأسن وفشت فيه الجراثيم . ودعوة الإخوان عسية أن تزيل حواجز الباطل من وجه التيار ، وأن تنقى مشارع الحق من هذه الأكدار

كذلك رأت الرسالة فى عامها المنصرم مظهرا من مظاهر الوعى الإسلامى تجلى فى ثلاثة أحداث جسام روّعت الساسة وفزّعت الجيوش وشغلت المجالس : تأميم البترول فى إيران ، وإلغاء المعاهدة فى مصر ، وقيام الدولة العربية الثامنة فى ليبيا ! شئ جديد فى حياة العرب والمسلمين لم يكن لهم به فى التاريخ الحديث عهد !

من كان يظن أن إيران تصفع قذال الأسد ، وأن مصر تبصق فى وجهه ، وهما الدولتان اللتان خضعتا طويلا لنفوذه خضوع العبد لوليه ، أو القاصر لوصيه ؟ لقد مزقت الدولتان عرض (جون بول) يوم مزق (مصدق) عقد الاستغلال ، ومزق (النحاس) عهد الاحتلال . ولم يمزقهما الرجلان بقوة الجيش وسلاحه ، وإنما مزقاهما بإرادة الشعب وكفاحه ! إنه الروح الذى أرهب الموت ! وإنه الوعى الذى أذهب الغفلة !

هذه بسمة الأمل فى أول العام عبرت عنها بهذه الكلمة شكرا لله على تحقيقه ، وطلبا للمزيد من عونه وتوفيقه

احمد حسن الزيات

(1) افتتاحية الرسالة لعدد ٥ يناير سنة ١٩٤٨

ذكرى مولد الرسول

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء وعضو مجمع فؤاد الأول



فى شهر ربيع الأول من كل عام يقيم المسلمون حفلات الذكرى لميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فينصبون السرادقات ، ويرفعون الأعلام ، ويلقون الخطب ، ويذيعون الأحاديث ، ويكتبون الفصول ، يشرحون للناس فيما يخطبون ويذيعون ويكتبون سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أو ناحية من نواحي سيرته ، ويذكرون تشريعه وأحكامه وطريقته فى التأديب وإنهاض النفوس وتهذيب الأخلاق . يذكرون أطواره التي مر بها فى حياته قبل البعثة وهو طفل رضيع فى بادية بنى سعد ، وهو غلام حدث يرعى الغنم بمكة ، وهو شاب قوى جلد يسافر ويتجر ، ويحضر حرب الفجار وحلف الفضول ، ثم يذكرون دعوته وكيف بدأت سرية ثم كانت جهرية ، ويذكرون ما ناله من أذى قومه واضطهادهم له ، وتضييقهم عليه حتى أخرجوه من دياره وأمواله إلى المدينة ، فكانت الهجرة ؛ وكانت الحروب ، إلى أن نزل قوله تعالى بعد ثلاث وعشرين سنة من مبعثه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »

***

على هذا النحو يحتفل المسلمون بذكرى ميلاد الرسول فى يوم أو أيام ويقولون إنها ذكرى « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » . ولقد كان المسلمون فى عصورهم الأولى لا يعرفون احتفالا خاصا يقيمونه فى مثل هذه الأيام بقصد إحياء ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يرون أن عظمته ليست من جنس هذه العظمات التى يألفها الناس فى أفذاذهم ورجالهم ، والتى يخشى عليها من الضياع والتلاشي فى بطون التاريخ فيحتاج بقاؤها فى أذهان الناس إلى ما يذكرهم بها فى كل عام .

كانوا يؤمنون أن عظمته خالدة ، تظل دائما قارة فى النفوس ، ماثلة فى القلوب ، ممتزجة بالدماء ، مؤاخية للعقيدة ، تظهر فى أقوالهم إذا نطقوا ، وفى حركاتهم إذا تحركوا ، وسكونهم إذا سكنوا . تظهر فى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، الأسرية والملية ، الدنيوية والأخروية ، إلى يوم البعث والجزاء ، بل وفى النعيم الباقى الذى لا يفنى ولا يزول ؛ فهى عظمة قد رسمت لهم باطن الحياة وظاهرها ، وحدودها ودوائرها ، لم تقف عند ناحية من نواحى الحياة ، بل لم تقف عند حدود هذه الحياة الفانية فشملت جميع نواحى الحياة ، وامتدت إلى الحياة الآخرة فكشفت عن حجب غيبها وصورت ما يكون فيها للمحسن من نعيم ، وما يكون فيها للمسيء من شقاء

لم تكن عظمته بانتصار فى معركة ، ولا برأى فى علم ، ولا بنظرية فى أرض أو سماء ، وإنما كانت عظمته عامة شاملة

بهذا آمن المسلمون فى عصورهم الأولى يوم كان الإيمان قويا فى النفوس ، تشتعل جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، ويضحى بالدماء فى سبيل ترسم خطى تلك العظمة والجد فى معرفتها وتبينها من مصادرها ونشرها على العالم مهذبة نقية ، كى تحيا بها النفوس وتطمئن إليها القلوب ؛ وبذلك كانت جميع أيامهم ، وجميع أوقاتهم ذكرى عملية لهذه العظمة

ذكرى عملية يتمثلون فيها مبادئه وأحكامه ، وإرشاداته الحكيمة ، ويسيرون على نهجها فكانت أحوالهم مثالا صادقا ؛ ومرآة صافية ترى منها عظمة الرسول لمن أراد من غيرهم معرفة عظمة الرسول

كانوا يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم وقد كرم الله قدره ورفع ذكره أرفع قدرا وأعلى شأنا من أن يكرم كما يكرم آحاد الناس بخطبة تلقى ، أو حديث يذاع ، أو فصل يكتب . كانوا يرون أن الله قد كرمه وليس بعد تكريم الله تكريم : خلد اسمه

فى كتابه الخالد ؛ فذكره باسمه الصريح ، وذكره بوصف الرسالة، وذكره بوصف العبودية لله الواحد ، وذكره بعظمة خلقه ، وذكره برحمته المؤمنين ، وبرحمته للناس أجمعين ، وذكره بأنه المزكى للنفوس المعلم للكتاب والحكمة ؛ وذكره بكل هذا كما ذكره بأنه شهيد على أمته ، وبأنه صاحب المقام المحمود . ثم جعل محبته من محبته ، وطاعته من طاعته ، وبيعته من بيعته

لم يقف التكريم الإلهى لمحمد صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد ، بل جعل له ذكرا فى الأولين إذ كتبه فى التوراة والإنجيل، وجعل له ذكرا فى الآخرين إذ قرن بينه وبين اسمه الكريم فى كلمة التوحيد التى يكون بها المرء مسلما ، والتى هى الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، وإذ جعل المناداة باسمه جزءا من الأذان الذى يقرر فى كل يوم خمس مرات بصوت مسموع إيذانا بالصلوات المفروضة وجمعا المسلمين على عبادة الله . لم يكن بعد هذا كله ما يلتمس أن يكون تكريما لمحمد . ومتى كانت هذه العظمة تنسى حتى يذكر بها ؟ ومتى كان هذا التكريم يخفى حتى نعمل على إظهاره ؟

* * *

آمن الأوائل بهذا كله فآمنوا بأن تمجيد رسولهم وتكريمه إنما يكون عن طريق اتباعه وإحياء سنته ، والتحلى بأخلاقه، وإقامة شرعه ودينه . آمنوا بهذا وعلموا أن الإيمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة لمن تحب ، والرضا لما يرضيه ، والغضب لما يغضبه . ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بالنفس فى سبيل رضا المحبوب «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره »

ظل المسلمون كذلك حتى خف ميزان الإيمان من قلوبهم وانطفأ عنهم نور تلك العظمة وأقفرت بصائرهم من أسرارها ولم يبق لهم منها إلا صور مرسومة بحروف فى الصحف والكتب يرجعون إليها كلما عاودتهم ذكرى تلك العظمة ؛ وكلما تذكروها بشهر ربيع ، فوضعوها فى مستوى العظمات الأخرى وجاروا الناس فى تكريم عظمائهم فكرموا بأساليبهم . كرموه بالأناشيد ، بالأزجال ، بالأنغام ، وتفننوا فى المحاكاة حتى صاغوا عظمة محمد فى أسلوب روائى قصصى وقالوا : قصة المولد الشريف . وما كان لعظمة محمد أن تكون قصة وهى الحقيقة الخالدة . ولكن هكذا ابتدع هذا الأسلوب فى تكريم محمد كأثر من آثار الضعف حينما ابتلى المسلمون بالقول دون العمل ، وحينما انقطعت الصلة العملية بينهم وبين شريعته صلى الله عليه وسلم

ابتدع هذا الأسلوب من التكريم بعد أن لم يكن ، فهل بحث الناس عن سبب ابتداعه ؟ وهل تساءلوا عن السر فى أنه لم يكن فى العصور الماضية ، عصور القوة والإيمان ، ثم كان فى عصورهم ؟ هل انصرفوا إلى هذا الجانب الذى كان يرجى أن يعرفوا منه أسباب الضعف الذى انتاب المسلمين وأن يعملوا على تلافيها وإعادة الإسلام إلى مجده وقوته ؟ كلا ولكنهم انصرفوا إلى البحث فى أنه بدعة أو ليس بدعة ؟ وإذا كان بدعة فهل هى بدعة حسنة أو بدعة غير حسنة ؟ وهكذا اختلفت مذاهبهم وتعددت آراؤهم وظلوا إلى يومنا هذا بين محبذ ومنكر ، شأنهم فى كل شىء تناولوه بروح الجدل الذى صرفهم عن العمل . وما ابتليت أمة فى حياتها بشر من كثرة القول وقلة العمل . قد ابتلى المسلمون بالجدل فى كل شىء ، فصرفهم عن العمل بقدر ما جادلوا : جادلوا فى العقائد ، جادلوا فى الأحكام ، جادلوا فيما ليس من العقائد والأحكام ، جادلوا فى الكلمات والألفاظ ، جادلوا حتى فى القواعد التى وضعوها للجدل ! وهكذا صار الجدل شغلهم الشاغل فتلهوا به عن فهم الإسلام ، وعظمة الإسلام ، وسر دعوة الإسلام . تلهوا به عن إدراك مقومات الحياة ، فوقعت كل الشعوب الإسلامية فى قبضة المستعمرين وتحت راياتهم . وما من شعب إسلامى اليوم إلا وتسمع مر شكواه وصرخة أنينه

* * *

كان جديرا بالمسلمين أن يعملوا جاهدين على دوام التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتزام رسالته التى لم تترك سبيلا للسعادة إلا شرعته ودعت إليه ، ولا سبيلا للشقاء إلا منعته ونفرت منه . أصلحت العقيدة ، وكرمت بذلك عقل

من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة

لصاحب الفضيلة الأستاذ عبد القادر المغربي
عضو مجمع فواد الأول للغة العربية



ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مؤاتيا

قال هذا الشعر أحد الأنصار من أهل المدينة يذكر نعمة الله عليهم مذ جعل رسوله الأمين يهجر قومه إليهم

فهو يقول إنه (ص) لبث فى قومه قريش ثلاث عشرة سنة يذكرهم ويدعوهم إلى الإسلام وهم لا يزدادون إلا عتوا واستكبارا

فرأى أخيرا أن هذا العناد من قومه يحول بينه وبين حريته فى نشر دعوته ، وأنه إذا بقى فى مكة قريبا من المشركين سهل عليهم أمر مراقبته وإسكاته وخنق دعوته ، فلا تخلص إلى سائر العرب بيسر وسهولة

وإنه إذا أراد رفع الصوت بها ، والنجاح فى تبليغها ، واجتماع كلمة العرب عليها ، كان عليه أن يهجر مكة إلى مكان آخر يأمن فيه على نفسه ويكون حرا فى تبليغ دعوته ، وأداء رسالته

لما رأى (ص) كل هذا وجد من الحزم أن يستعين بقوة خارجية، أى بقوة من جزيرة العرب غير قومه قريش الواقفين له بالمرصاد . وساعده على الاتصال بالقوة الخارجية أن العرب يفدون كل سنة إلى موسم الحج . فاغتنم هذه الفرصة وعرض نفسه فى أحد المواسم على القبائل ، فكانوا يستهزئون به ؛ حتى اتفق له فى بعض المواسم أن اجتمع بطائفة من أهل يثرب (وهو اسم المدينة المنورة فى زمن الجاهلية) وكانوا مشركين . . يحجون إلى البيت كسائر العرب ، ويشاركهم فى سكنى يثرب قوم من اليهود نزلوها منذ القديم ، فعرض (ص) دعوته عليهم فأصغوا

الإنسان وأزالت عنه وصمة الشرك والعبودية لغير الله ، ثم أمدتها بمدد دائم روحى لا ينقطع :

أمدتها بالصلوات التى تصل بين العبد وربه ، وتذكره بخالقه ومنشئه ، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر . أمدتها بالصوم تمرينا على الصبر ، وتعويدا على الطاعة ، ومراقبة الله فى السر والعلن . أمدتها بالزكاة تمرينا على العطف والبر والرحمة والرفق بالمحتاجين . وجعل منها نظاما يحفظ الغنى من الطغيان ، والفقير من الحرمان

ثم نظرت إلى أن المجتمع الصالح إنما يقوم على العلم والمال والأسرة ونظام الدولة والصحة العامة ، والقوة ، والعدل ، وفى هذه الدوائر رسمت برنامج إصلاحها الشامل ، فحثت على العلم ووضعت نظاما للتعامل من شأنه أن يبطل النزاع ويزيل الفساد ، ويقضى على أسباب الفتن ، ووضعت نظاما للأسرة يقيها الانحلال ويربطها بميثاق المحبة والتعاون . وضعت أصول الحكم وبينت مصادر التشريع ، وحثت على اتخاذ الحيطة وإعداد القوة ، وأمرت بالرحمة والعدل فى كل شئ إلى آخر ما جاءت به هذه الرسالة التى سايرت مقتضيات الطبيعة البشرية ، واستطاعت أن ترد العالم فى فترة وجيزة عن طغيانه وأن تخرجه من الظلمات إلى النور ، واستطاعت أن توجد من رعاة الشاة والإبل عباد الأصنام والكواكب ، عباد الأهواء والشهوات ، أمة قوية تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لها الكلمة المسموعة والسلطان النافذ

أما بعد

فهذا هو مجال ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى المسلمين إذا أرادوا تصحيح نسبتهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى رسالته أن يخلعوا أنفسهم مما هم فيه من اللهو واللعب وأن يتخذوا العدة لتهيئة النفوس بالإيمان الحق والخلق الفاضل ، ثم يخلصوا أحكامها مما غشاها ، ويحصنوا بها حياتهم ، وعندئذ تكون ذكرى الرسول فيما بينهم كما كانت ذكراه فيما بين أسلافهم إيمانا وخلقا ، وعلما وحكمة ، وعزة وقوة « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين »

محمود شلتوت

إليه بحرص وانتباه . وكانوا يسمعون من اليهود أن الله سيرسل إلى العرب ومن العرب نبيا ينقذهم من الضلالة . فقبلوا الدعوة منه (مبدئيا) ، وكانوا ستة رجال ، وقالوا له إنهم لا يقدمون على قبول الإسلام ما لم يرجعوا إلى يثرب . ويراجعوا قومهم بالأمر . وكان قومهم قبيلتين : الأوس والخزرج ، وهم الذين سموا فيما بعد بالأنصار ، وإخوانهم الذين هاجروا إليها سموا المهاجرين

وفى ثانى موسم أقبل اليثربيون واجتمعوا به (ص) فى مكان اشتهر اسمه بالعقبة ، وهو المكان الذى اجتمعوا به فيه بالوسم الماضى . فالاجتماع الأول سمى (العقبة الأولى) والثانى (العقبة الثانية) . وكانوا هذه المرة اثنى عشر رجلا : اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج . فعرض عليهم (ص) الإسلام وشرح لهم الغرض من إنزاله . وبشرهم بالقرآن . فشرح الله صدورهم اليه وأسلموا ، وكتموا إسلامهم ريثما يعودوا فى الوسم المقبل ويأتوا بأهل الرأى والرياسة من قومهم . فعادوا ثالث مرة إلى المكان نفسه ، وهذه هى (العقبة الثالثة) ، وأتوا معهم بامرأتين وكانوا هم ثلاثة وسبعين رجلا : فالمرأة المسلمة ركن فى نهوض الإسلام ، ويجب أن يكون لها رأى فى معظم (حركاته) . فأسلموا كلهم على شروط شرطها النبى (ص) عليهم وهى :

١ — توحيد الله

٢ — طاعة النبى (صلى الله عليه وسلم)

٣ — قول الحق

٤ — ترك المحرمات

٥ — احترام المرأة وعدم وأدها

فرضوا بذلك ورجعوا إلى المدينة فرحين مستبشرين بالإسلام وبشروا قومهم به . وأخبروهم أن النبى (ص) قادم إليهم . وسيقيم بين ظهرانيهم

أما النبى (ص) فرجع إلى مكة مصمما على الهجرة كما وعدهم واستأذن ربه بها . فأذن له بالرحيل .

إلى أين ؟

إلى يثرب . إلى المدينة المنورة

حتى إذا جاء الميعاد : وهو اليوم الذى عينه للرحيل ، خرج من دار صاحبه أبى بكر ومعه أبو بكر وحده ، ظهر يوم الاثنين الواقع فى غرة شهر ربيع الأول

ولما صار خارج مكة التفت إليها مودعا قائلا : (ما أطيبك من بلد ! وما أحبك إلى ! ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت)

وقد وقع له صلى الله عليه وسلم وهو فى طريقه إلى المدينة حوادث عجيبة ، فى سردها روعة الأفلام السينمائية ، ولها فى نفوس سامعيها هزة تحيى الذكريات الدينية ، وتنعش الأحلام القومية . ومشاهد هذا الفلم المقدس متعددة متنوعة ليس باستطاعتى أن أعرضها كلها . فأكتفى بعرض ثلاثة مشاهد منها

(المشهد الأول) قصة أول مهاجر من مكة إلى المدينة

(المشهد الثانى) النبى (ص) فى خيمة (أم معبد)

(المشهد الثالث) مهرجان الوصول إلى المدينة

وسأورد على القراء هذه المشاهد الثلاثة بطريقة تغنينى عن التعليق عليها وغمرها بالاستنتاجات ، إذ أنها تعرب عن مغزاها وتنطق بنتائجها . بل إن بمجرد سماعها مبسوطة هذا البسط ينبه فى النفوس الشعور بخطورة الهجرة وعظم شأنها ، وجلال أثرها . وإنها أشد الأحداث تأثيرا فى ظهور أمر النبى (ص) ونقل دعوته من طور إلى طور : من طور القول إلى طور العمل ، ومن طور العرض إلى طور التنفيذ

كان خبر عزم النبى على الهجرة بلغ قريشا فأخذوا يفكرون فى أمرها وصد النبى عنها ، بينا هو كان يفكر فى إعداد وسائلها ، وتهيئة أدواتها . غير أن بعض كرام صحابته أحبوا أن يتعجلوا السفر إلى يثرب فرارا بدينهم من المشركين وأذى القساة القلوب من أهليهم وذوى قرابتهم

* * *

هاهى ذى مكة ساكنة هادئة ، وقريش وادعون فى بيوتهم فى وقت لا ينشط الناس فيه إلى حركة ولا ممارسة عمل . فاذا ترى ؟

ترى فى بعض أزقة مكة رجلا وامرأة قد أناخا بعيرا ، وأخذا يحملان على ظهره أمتعتهما وأدوات سفرهما . وكان يجول حولهما صغير لهما يطلب الركوب على البعير بدلال ولجاج

حتى إذا فرغا من عملهما أركب الرجل زوجتـه على رحل البعير ، ووضع ابنها الصغير بين يديها . ثم نهض البعير فأمسك الزوج بخطامه يريد الخروج من مكة متكلا على الله . وكان هؤلاء المسـافرون يتكلمون همسا ، وكأنهم كانوا يريدون أن يخفوا أصواتهم فلا يشعر برحيلهم أحد ، لولا أن البعير برغائه وثرثرته فضح أمرهم ، ونبه أهلهم وجيرانهم إليهم . فتـألبوا عليهم . وحاولوا منعهم من السفر . فجعل الرجل يجادلهم بالمعروف ، ويقول إنهم لا حق لهم فى معارضته . وليس لأحد منهم دين فى ذمته . فانبرى له رجل منهم قائلا :

يا أبا سلمة ، اذهب أنت وحدك ؛ أما زوجتك (أم سلمة) فهى قريبتنا ولا ندعك تسير بها فى البلاد

فصاحت أم سلمة : وأنا أيضا لا أدع زوجى يسافر وحـده وأبقى عندكم سجينة ، وأخذت فى مجادلة أهلها وتوبيخهم على صنيعهم الفضولى

وفى آخر الأمر تغلب أهلها عليها فانتزعوها من زوجهـا بالقهر عنها وعنه

عندها تقدم أهل أبى سلـمة وكانوا إلى ذلك الحين ملازمين الصمت فقالوا لأهل أم سلمة : إذا كنتم ولا بد آخذين ابنتكم فإن ابنها الصغير (سـلمة) لا نسلمـكم إياه ، ولا نسمح لكم بأخذه ؛ فإنه ابننا لا ابنكم

ثم عمدوا إلى الصبى فأمسكوا بذراعه ، وكان أخواله ممسكين باليد الأخرى ، وما زالوا يتجاذبونه حتى خلعوا كتفه . فأعولت أمه واشتدت الضوضاء . وأخيرا غلب أهل الزوج وأخذوا الطفل

كل هذا يجرى والبعير يرغو ، والصغير تارة يبكى وطورا يلغو ، وأبو سلمة المسكين ينظر إلى الفريقين أهله وأهل زوجته حائرا لا يدرى كيف يصنع . ثم صمم على الرحيـل تاركا ابنه وزوجته إلى كلاءة الله . وامتطى راحلتـه وولى وجهه شطر المدينة معتمدا على ربه ، مسلما وجهه إليه بجميع شراشر قلبه

وبقيت (أم سلمة) فى مكة عنـد أهلها . أما ابنها ففى بيت أعمامه . وكانت فى كل صبـاح تخرج إلى الأبطح حيث يجتمع الناس للنزهة والحـديث فتندب حظها ، وتبكى شجوها ، صارخة : وازوجاه ! واولداه !

ولبثت على ذلك سنة حتى مر بها رجل من بنى عمها فرحمها ورثى لحالها . وذهب إلى قومها . فقال لهم : ويحكم أما ترحمون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين ابنها وزوجها ! فخجلوا . وقالوا لها الحقى بزوجك

قالت أم سلـمة : فلم أكد أسمع هذه الـكلمة منهم حتى هرولت إلى بيت أهل زوجى فأخـذت ابنى وأركبته أمامى على البعير وانطلقت أقصد يثرب وحدى لا يرافقنى أحد . حتى بلغت التنعيم (وهو منزل على ثلاثة أميال من مكة) فصادفت هناك عثمان بن طلحة الحجبى وكان مشركا على دين قومه ، ثم أسلم رضى الله عنه ، فقـال لى إلى أين ؟ وكان بلغه خبرى ، فقلت إلى زوجى فى المدينة . قال أو ما معك أحد؟ قلت لا، إلا الله وابنى هذا . فقال والله لا أدعك تسيرين وحدك . ثم أخـذ بخطام بعيرى وسار بى . وكنا إذا أردنا النزول أناخ البعير واستـأخر عنى ، فأنزل وأنزل ابنى ، فيجئ ويأخـذ البعير فيحط عنه رحله وأداته ؛ ثم يربطه بشجرة ؛ ثم يذهب ناحية فيضطجع . وحين الرواح يقوم إلى البعير فيضع عليه رحله ويستأخر . فأتقدم وأركب . وأضع طفلى أمامى ثم نسير على بركات الله

ولم نزل هكذا حتى وافينا المدينة ، وإذا أناس ، وإذا بينهم زوجى . فقال لى عثمان: يا أم سلمة، هذا زوجك أبو سلمة . فما كان أشد فرحنا بتلاقينا !

وكانت أم سلمة بعد ذلك إذا حـدثت عن هجرتها تقول : ما رأيت قط صاحبا فى سفر أكرم من عثمان بن طلحة

• • •

ندع أم سلمة وزوجها فى المدينة قريرى العين ، بجمع الشمل بعد البين ، ثم نرجع فى الحافرة : (أى فى الطريق التى جئنا منها) ولا نزال نجد السير حتى نبلغ منتصف الطريق فماذا نرى ؟

نرى خيمة قد نصبت على قارعة الطريق . وهى خيمة (أم معبد) . وأم معبد هذه امرأة برزة جليلة (والمرأة البرزة فى لغة العرب هى التى تبرز إلى الرجال فتجالسهم وتحادثهم) وقد اتخذت أم معبد فى منتصف الطريق بين مكة والمدينـة خيمة أعدت فيها

كل ما تستطيع تقديمه لراحة المسافرين . فكان المسافرون الذين يتعبهم السير ، والطريق طويل والحر حر الحجاز ، يعرجون على خيمة (أم معبد) فيجدون فيها ماهم فى حاجة إليه من طعام وشراب واستجمام وحديث عذب نزيه تطارفهم به صاحبة الخيمة

فكانت خيمتها أشبه بمحطة من محطات سكك الحديد أو فندق من فنادق المسافرين التى تقام فى الطرقات الشاسعة ، وأم معبد هى مديرة ذلك الفندق المتواضع

ولما أشرفنا على أم معبد رأيناها منهمكة فى تهيئة ما يلزم لركب كريم نزل بها : سيدان وخادمان . وأحد السيدين يمتاز فى حسن سمته ، وجلالة قدره ، وبجمال طلعته . وكنا نرى رفاقه الثلاثة يحيطون به : يرفهون عنه ، ويبتغون راحته ، ويسارعون فى خدمته

أما (أم معبد) فكانت موزعة الفكر ، ذاهلة اللب ، كأنها مأخوذة بمهابة ذلك السيد الذى نزل بها . وما كانت تعرف من هو

ولكن نحن عرفناه : هو نبينا محمد (ص) ومعه صاحبه (أبو بكر الصديق) و(عامر بن فهيرة) خادم أبى بكر ، و(عبد الله بن أريقط) دليلهم فى طريق هجرتهم إلى المدينة

وإذا أبو بكر ينادى : يا أم معبد ، أما لديك ما نأكله وندعو لك ؟

— بلى ياسيدى : وأسرعت فقدمت إليهم لبنا . لكنه — واخجلتاه — دون كفايتهم . وأخذت تعتذر لضيوفها بأن السنة سنة جدب وقحط

وحانت من النبى (ص) التفاتة فرأى شاة رابضة فى جانب الخيمة وهى جافة الضرع مهزولة الجسم ، فقام إليها ومسح ضرعها ، وأم معبد تتعجب وتقول فى نفسها : ماذا عساه يفعل ؟!

وإذا هو يحلب الشاة ، وإذا هى تدر باللبن . فشربوا حتى إذا ارتووا واستراحوا اهبوا مجلين إلى ركائبهم فامتطوها . واستبقوا طريقهم إلى المدينة وتركوا أم معبد فى دهشة من أمرهم

وبعد هنيهة قدم عليها زوجها أبو معبد فرآها مضطربة متغيرة اللون . ورأى فى جنبات الخيمة آثار أكل وشرب . ورغد وخصب

يا أم معبد ما الخبر ؟ وما هذا الذى أراه ؟

فأخبرته بخبر المسافرين الذين نزلوا بها ، وأن واحدا منهم قام إلى نعجتها هذه العجفاء الجافة الضرع فحلبها فدرت لبنا غزيرا

يا أم معبد ، صفى لى هذا الرجل العجيب ! فقالت :

(إنه ظاهر الوضاءة ، مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه نجلة ، ولم تزر به صعلة . فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف . أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة . إذا صمت فعليه الوقار . وإذا تكلم سما وعلاه البهاء . كأن منطقه خرزات نظمن ثم تحدرن . حلو المنطق . لا نزر ولا هذر . أجهر الناس إذا تكلم وأجلهم من بعد . وأحلاهم وأحسنهم من قريب . ربعة . لا تشنؤه العين من طول ، ولا تقتحمه من قصر . غصن بين غصنين . له رفقاء يحفون به . إذا قال يستمعون لقوله ، وإذا أمر يتبادرون لأمره . محفود ، محشود ، لا هو عابس ولا مفند) (١)

فلما سمع أبو معبد هذا الوصف قال وقد ملاه الوجوم : ويحك يا أم معبد ! هذا هو صاحب قريش الذين ما زالوا يطلبونه . وقد بذلوا جعلا لمن يرده إليهم . ثم تركها وأخذ يشتد فى أثر الركب حتى أدرك النبى (ص) فأسلم ورجع إلى قبيلته يبشرهم بالإسلام

وجعل رجال القبيلة الذين بلغهم خبر مرور النبى (ص) بأم معبد يفدون على خيمتها : يستوصفونها صفة النبى ، وهى تصفه لهم . حتى قال لها بعضهم : (يا أم معبد ! ما بال وصفك للرسول أوفى وأتم من وصفنا له لو رأيناه نحن معشر الرجال ؟

فقالت : (أما علمتم أن المرأة إذا نظرت إلى الرجل كان نظرها أشفى من نظر الرجل إلى الرجل ؟) ومعنى (أشفى) أدق

---

(١) تفسير ما فى هذه القطعة من غريب اللغة : (الوضاءة) الحسن (نجلة) كبر البطن (صعلة) صغر الرأس (دعج) سواد العين مع سعتها (وطف) طول الأهداب . (أزج) رقيق الحاجبين طويلها (سطع) طول (كثاثة) كثافة أى ليس بكوسج . (لا نزر ولا هذر) لا قليل الكلام ولا كثيره . (أجهر الناس) أى أرفعهم صوتا (ربعة) مربوع القامة (لا تشنؤه العين) أى لا تكرهه ولا تنفر منه (لا تقتحمه) أى لا تحتقره ولا تزدريه (محفود) يسارعون إلى خدمته (محشود) يحتشد الناس حوله لاستماع كلامه (ولا مفند) أى لا يكثر لوم جلسائه

وأكثر استقصاء وانتباهاً

أحسنت فيما قلت يا أم معبد ! غير أن علماء الحديث اعترضوا عليك فى قولك إن النبى كان (أقرن) أى مقرون الحاجبين مع أن الذين وصفوه من الصحابة غيرك قالوا إنه كان (أفرق) أى مفروق الحاجبين متباعدهما لا مقرونهما . وقولهم هو الصحيح فى وصفه

وعندى أن (أم معبد) لم تخطئ فى الوصف كما زعموا، ولم تقل (أقرن) وإنما قالت (أفرق) لكن النساخ هم الذين حرفوا كلمتها وما أسهل وقوع التحريف بين (أفرق) و (أقرن)

* * *

ندع خيمة أم معبد وننطلق مسرعين إلى يثرب فماذا نرى ؟

نرى المدينة المشرفة قد تألقت وتأرجت حتى أصبحت تحكى باقة زهر ، أو ابتسامة ثغر ، وقد برز سكانها إلى ساحاتها وضواحيها ، وأخذوا يروحون ويغدون بينها وبين (قبا) . و (قبا) قرية تبعد نحو أربعة كيلو مترات عن المدينة

ونسمع فئات من الفتيان يتجادلون فى النبى (ص) هل يبيت فى (قبا) أو أنه بعد أن يستريح فيها يجئ المدينة ؟

وكانوا يتواصفونه ويذكرون من جماله وهيبته . فقال بعضهم اسمعوا : جئت الآن من (قبا) وقد رأيت أبا بكر واقفا على باب البيت الذى فيه النبى فحسبته النبى نفسه . وذلك لما رأيت من مهابته ، وجلال قدره ، والشيب الظاهر فى لحيته . فترامبت عليه مرحبا متبركا ، وإذا هو يمسكنى بيدى ويقودنى إلى داخل البيت ويقول لى هذا هو نبيك . فإذا لحيته الشريفة سوداء ليس فيها شيب . مع أنه أكبر من أبى بكر بثلاث سنوات . وكان النبى فى نحو الخمسين من عمره

ولما خرج النبى من قبا متهيئا للمسير إلى المدينة وقف أبو بكر يظلله بردائه وقاية له من حر الشمس . فعرفه الناس حينئذ . وجعلوا يهتفون إليه بالتحية والترحيب والإجلال والتعظيم

ثم ركب النبى ناقته وأردف أبا بكر خلفه . وأخذ طريقه إلى المدينة . وانساب الناس حواليه فرحين مستبشرين حتى دخلوها فإذا أجاجيرها (أى شرفات سطوحها) مزدحمات بالنساء فما رأين شخص النبى حتى علت أصواتهن بالزغردة والأناشيد

وكان صغار الصبيان والجوارى يمشون زرافات بين يدى النبى يضربون بالدفوف ويغنون النشيد الذى يصلح أن نسميه (نشيد الهجرة) وأوله :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وكان الرجال يتحمسون عند سماع زغردة النساء فيترامون على ناقة النبى ويتجاذبون زمامها يريد كل منهم أن يكون هو قائدها . وتفرق الغلمان والخدم فى سكك المدينة ينادون (جاء محمد رسول الله . الله أكبر . جاء محمد رسول الله) وأشباه ذلك من كلمات الغبطة والفرح والتنويه بقدره الشريف . وعلى جوانب الطريق كان جماعات الجيش يرقصون ويغنون ويلعبون بالحراب فرحا بقدوم النبى

ولما تخلل الموكب دور المدينة جعل سكانها يقفون فى وجه الناقة ويضرعون إلى النبى أن ينزل ضيفا عليهم . وكانوا أحيانا يمسكون بزمام الناقة ويميلون رأسها إلى جهة بيوتهم ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . وكانت الناقة تنظر يمينا وشمالا كأنها كانت تفتش عن دار تختارها لنزولها

وأخيرا بركت على باب (أبى أيوب النجارى (الأنصارى) وأرزمت (أى حنت الناقة حنينا طويلا) . عندها نزل النبى عنها ودخل الدار قائلا (رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) فاستقبله أهل الدار بالترحيب ، وبرز من داخل البيت جويريات بأيديهن دفوف وجعلن يغنين :

(نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار)

قال أنس خادم النبى : (إننى لم أر يوما فى عمرى أحسن ولا أضوأ من ذلك اليوم الذى دخل فيه النبى المدينة ونزل دار أبى أيوب)

* * *

رأيتم أيها السادة القراء كيف أن الإسلام نشأ فى قلة، وتكون من ضعف ؛ ثم استحال الضعف إلى قوة ما لها حد ، والقلة إلى كثرة لا يحصى لها عد

عربى فرد (صلى الله عليه وسلم) بعد عشر سنين من هجرته

العالم الاسلامى حقيقة واقعة

للاستاذ سيد قطب



الذين يتحدثون اليوم عن «العالم الإسلامى» بوصفه كتلة ثالثة عليها أن تلعب دورا أساسيا فى سياسة العالم، وعليها أن يكون لها وضع خاص متميز لا يرتبط بسياسة الكتلة الشرقية ولا بسياسة الكتلة الغربية .

هؤلاء لا يتحدثون عن مسألة تاريخية قد انقضى أوانها، ولا يتحدثون عن أمل فى ضمير الغيب البعيد يتملق به الخيال .. إنما يتحدثون عن حقيقة واقعة . حقيقة قائمة ، لا سبيل إلى إنكارها ، ولا سبيل إلى المغالطة فيها . .

إنها حقيقة تاريخية ، وحقيقة جغرافية ، وحقيقة اقتصادية ، وحقيقة فكرية وشعورية .. فلها كل مقومات الحقائق الواقعة التى لا تجدى فى دفعها المغالطة والنكران . . .

إنها حقيقة تاريخية .. فالعالم الإسلامي كان كتلة واحدة ذات ثقل واحد فى ميزان التاريخ ، وميزان الاتجاه العالمى ، وميزان السياسة الدولية ، وميزان الأحداث الإنسانية ..ولقد ظل كذلك منذ القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع عشر . أى حوالى ألف ومائتى عام على الرغم من كل ما حاق به من محن ، وكل ما أصابه من ويلات ، وكل ما دب فى كيانه من تمزق . والفترة الوحيدة التى خف فيها وزن الكتلة الإسلامية هى هذه الفترة الأخيرة التى لا تتجاوز قرنا واحدا من الزمان

وهى حقيقة جغرافية ؛ فالكتلة الإسلامية تمتد فى حدود متصلة أو شبه متصلة من مراكش إلى تونس ، إلى الجزائر ، إلى طرابلس ، إلى وادى النيل، إلى فلسطين، إلى سوريا ولبنان ، إلى شرق الأردن والعراق ، إلى نجد والحجاز ، إلى اليمن ، إلى إيران ، إلى تركيا، إلى أفغانستان، إلى باكستان ، إلى أندنيسيا. وتكون حاجزا كاملا يفصل بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، بحيث يصعب تصور أى التحام بين هاتين الكتلتين لا يمر بذلك الحاجز الطويل العريض المتصل الحدود .

وهى حقيقة اقتصادية ؛ فهذه الرقعة الفسيحة من الأرض تحوى من الخامات والموارد الطبيعية والانتاجية ما يكفى لتكوين وحدة اقتصادية متكاملة، تكاد تكفى نفسها بنفسها . فإذا احتاجت

أخضع مائة ألف عربى لحكمه ، ومائة الألف عربى بعد نحو سبعين سنة أخضعوا ملايين وملايين من البشر واستولوا على ممالك العالم المعروف فى ذلك الزمن !

قال علماؤنا رضى الله عنهم : يجب على الأب والأم أن يلقنا طفلهما الصغير حينما يعقل هذا التعليم البسيط وهو : (يا بنى إن نبينا محمدا ولد فى مكة ، وهاجر إلى المدينة فدفن فيها)

فإذا انتقل الصغير من دور الطفولة إلى دور النشوء (أو دور التعليم الابتدائى) فما هو أول ما ينبغى للمعلمين أن يلقنوه إياه ؟

أرى أن يلقنوه بيتا من الشعر قاله أبو تمام وهو :

الصين منظوم بأندلس إلى جدران رومية فملك ذمار

(وذمار) اسم قديم لليمن . يقول أبو تمام فى هذا البيت إن ممالك الإسلام فى زمنه (أى فى حدود المائتين للهجرة) كان يحدها شرقا الصين ، وغربا بلاد الأندلس ، وشمالا روما (وكان المسلمون اقتربوا منها وهددوها) ، وجنوبا بلاد اليمن الواقعة فى جنوب البحر الأحمر ! فما أعجب هذا البيت السحرى الذى جمع فيه أبو تمام دنيا الإسلام بحدودها الأربعة !

وهكذا كانت عاقبة الهجرة النبوية : وثب الإسلام بعدها من عسر إلى يسر ، ومن ضيق إلى سعة : فهو لم يكد يخرج من ضيق خيمة (أم معبد) حتى دخل من سعة بلاد الله خيمة يحدها الخافقان ، ويأوى إلى ظلها الثقلان !

دمشق

المغربى

الى شيء فهى تملك أن تقدم نظيره ، ويبقى الميزان الاقتصادى العام فى صالحها . وقد برهنت الحرب العالمية الماضية على صحة هذه الحقيقة ؛ حينما تعذر الاستيراد من أوربا أو أمريكا لمنطقة الشرق الأوسط ، وأقيم بها مركز تموين لتحقيق كفاية نفسها بنفسها .. فاذا أضيفت الى منطقة الشرق الأوسط تلك المساحات الإسلامية من الشرق الأقصى تمت الكفاية الذاتية ، وثبتت تلك الوحدة الكاملة الاقتصادية .

وهى حقيقة فكرية وشعورية ؛ فهذه الكتلة المترامية الأطراف يجمع بينها رباط فكرى واحد ورباط شعورى واحد . رباط العقيدة الإسلامية ، والتفكير المنبعث منها ، والنظام الاجتماعى المتأثر بهذه العقيدة ، حتى بعد أن طغت عليها النظم الغربية ، وبعد ما بعد الكثير من حكوماتها عن حكم الإسلام وتعاليم الإسلام . وما تزال هذه الكتلة تملك ذلك الرباط الواحد الذى تستمسك به جميعا

إن هذه المقومات المتعددة المتكاملة لا يجتمع مثلها لواحدة من الكتلتين الشرقية أو الغربية . فهذه أو تلك تملك بعض هذه المقومات ، ولكنها لا تملكها مجتمعة ، كما تملكها الكتلة الإسلامية ، أو العالم الإسلامى . . وإذن فلا مجال للتشكيك فى قوة المقومات التى تملكها هذه الكتلة ، ولا فى قيمتها ، ولا فى أنها مقومات طبيعية ، غير مصطنعة ولا متكلفة . وليست ناشئة من مجرد الرغبة فى تكوين كتلة ثالثة ؛ وإنما هى تفرض نفسها فرضا، وتحتم قيام هذه الكتلة المستوفية لكل شروطها ومقوماتها

هذه بديهية واضحة لأنها تعتمد على الواقع المشهود . . ولكن الكثيرين يحاولون التشكيك فيها بشتى الوسائل . ففريق يزعم بأن العالم اليوم ينقسم الى كتلتين اثنتين : الشيوعية فى جانب ، والرأسمالية فى جانب . ويزعم أن لا سبيل الى اختيار طريق ثالث ، فإما أن ننضم الى الكتلة الشرقية أو أن ننضم الى الكتلة الغربية . . وليس أكذب من هذا الزعم ولا أبعد منه عن الحقيقة الواقعة التى ينطق بها الواقع المجرد من وجود كتلة ثالثة لها كل مقوماتها ، ولها كل إمكانياتها .

وفريق يزعم أن الكتل لاتقوم على أساس الوحدة الجغرافية، ولا الوحدة الفكرية والشعورية .. إنما تقوم على أساس النظم الاجتماعية . والنظم الاجتماعية التى يعرفها العالم هى الشيوعية فى الشرق والرأسمالية فى الغرب . ولا سبيل الى الحديث عن أى نظام اجتماعى آخر . فالا تكن الشيوعية فهى إذن الرأسمالية ولا ثالثة لهما . . وليس أبعد من الحقيقة عن هذا الزعم القائم على الجهل ، وإن كان يلبس ثوب العلم ! فهناك نظام اجتماعى ثالث مستقل كل الاستقلال عن النظام الرأسمالى وعن النظام الشيوعى . نظام كامل شامل ، له رأيه فى الحكم ، ورأيه فى توزيع الثروة ، ورأيه فى العلاقات بين العمال وأصحاب العمل ، وبين الملاك والفلاحين ، ورأيه فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، وعلاقة الأفراد مع الدولة ، وعلاقة الدولة بالدول الأخرى . . وهو يصدر فى كل هذا عن فكرة مستقلة غير الفكرة الرأسمالية وغير الفكرة الشيوعية . وقد يلتقى بهذه أو بتلك فى بعض الجزئيات ، ولكن له فى النهاية هيكله الخاص ، وفلسفته الخاصة، وتنظيماته الخاصة .. وهو حين يقاس الى الرأسمالية أو الى الشيوعية تبدو هذه كما تبدو تلك نظما متخلفة بالقياس الى النظام الإسلامى الاجتماعى .مشحونة بالأخطاء والمظالم والتعسفات . كما تبدو أقل قدرة على التطور وعلى مسايرة نمو البشرية من النظام الإسلامى .

وفريق يزعم أن هذه الكتلة الإسلامية من الضعف اليوم بحيث لا تملك أن تصبح كتلة ثالثة تقف تجاه الكتلتين أو إحديهما . وأن العالم الإسلامى قد أدى دوره قديما ولم يعد له دور جديد . . وهذا الزعم قد يكون مفهوما حين تردده إحدى الكتلتين المتعاديتين . لأن الكتلة الغربية المستعمرة ترده لتقتل كل محاولة للتخلص من ربقة الاستعمار البغيض . والكتلة الشرقية تردده كى تفهم الشعوب الإسلامية المستعمرة أن وسيلتها الوحيدة للتخلص من الاستعمار هى الارتماء فى أحضان الشيوعية، وأنه لا أمل فى أن يكون لها هى نفسها كيان خاص مستقل.. هذا مفهوم . . فأما حين نردده نحن ، أو حين نؤمن به ، فهذا هو العجب المنافى للرغبة البشرية الطبيعية فى أن يكون للمرء كيان خاص ، ومركز خاص ، واحترام خاص . وإن هو إلا المسخ الذى يصيب الفطرة . وما يقول بهذا إلا الممسوخون الذين حولتهم دعاية هذه الكتلة أو تلك إلى فتات آدمى وحطام !

إن العالم الإسلامى حقيقة واقعة . وإن كانت هذه الحقيقة

قد خف وزنها فترة من الزمن ، أصاب الكتلة الإسلامية فيها ما أصابها من الوهن والضعف ، حتى وقعت فى قبضة الاستعمار.. فإن كل الدلائل تشير اليوم الى أن هذه الفترة قد انقضت ، وأن البعث قد آن أوانه ، وأن القوة الكامنة فى هذه العقيدة ما تزال تعمل ؛ وأن هذه القوة لم تمت ولم تنطفىء ، ولكنها كانت تجتاز فترة تكون وتجمع . وقد اجتازتها الآن . .

لقد انبعثت دول إسلامية جديدة ، ولقد نهضت أمم إسلامية وشعوب . ولقد انبعثت الشعلة المقدسة تضىء من أقصى العالم الإسلامى إلى أقصاه . ولقد تنادت شعوب العالم الإسلامى كله كتلة واحدة ، وراحت تتجمع تحت راية واحدة . . الراية التى أظلتهم أول مرة ، فاندفعوا تحتها إلى أقطار الأرض جميعا . .

ولقد خفتت أو كادت تلك الأصوات المنكرة التى كانت تدعو الى القومية الهزيلة الضيقة وراء الحدود الصغيرة المصطنعة . وتبين للغالبية الساحقة أن القومية الإسلامية هى القومية الحقيقية التى تجمع بين هذه الشعوب . وان حدود الوطن الإسلامى هى الحدود الحقيقية ، وما عداها كله نخاخ وضعها الاستعمار ليقع فيها الغافلون والمغرضون . ثم يتفرق الوطن الإسلامى الى دويلات صغيرة ضئيلة عاجزة . تحت عنوانات القومية ! ثم لا يفيد من هذا أحد كما يفيد المستعمرون الذين واجهوا العالم الإسلامى وما يزالون يواجهونه بروح صليبية وبسياسة صليبية ، يتابعهم فيها أعداء هذا العالم الإسلامى فى الشرق والغرب سواء .

إن العالم الإسلامى حقيقة واقعة . وما عاد يجدى أحد أن يقف فى طريق بروزها بعد اليوم . والكتلة الثالثة ضرورة إنسانية ، قبل أن تكون تكتلا إسلاميا . . ضرورة إنسانية لتحقيق غرضين أساسيين من أغراض البشرية فى هذا الطور من التاريخ :

الغرض الاول :

هو تحقيق استقلال جميع الشعوب المستعمرة ، والقضاء على الظل الاستعمارى البغيض فى الأرض . فلقد استطاع الاستعمار أن يتصيد الشعوب الإسلامية واحدا واحدا ، حينما تمزقت وحدتها الكبرى ، وضعفت عن حماية أنفسها فرادى . فاذا ارتدت اليوم الى نوع من الوحدة فى صورة تكتل ذى كيان جغرافى واقتصادى واجتماعى . . ثم عسكرى أمكن أن تصمد للاستعمار ، وان تتخلص من براثنه ، دون ان ترتمى فى احضان الشيوعية . . وإن كان هـــذا لا ينفي ان تمد يدها الى الكتلة الشرقية من الناحية السياسية لا الناحية الاجتماعية ، فيما تتفق فيه مصالحهما . ومصالحهما تتفق عند مكافحة الاستعمار . وفى هذا المجال تستطيع الكتلتان الشيوعية والإسلامية ان تؤديا دورا مشتركا فى هذا المجال وحده . وفيه الكفاية والخلاص من الاستعمار

الغرض الثانى :

هو تجنيب البشرية ويلات حرب ثالثة — او على الأقل تأخيرها الى اطول امد ممكن . فالكتلتان المتعاديتان اليوم إنما تتنازعان على ارض الكتلة الثالثة وخاماتها ومواردها . والذين يقولون عن إحدى الكتلتين : إنها مجموعة من الملائكة ذوات الأجنحة البيض التى لا تبغى فى الأرض إلا السلام البرىء ، بلا مصلحة ولا غاية ، إلا غايات القديسين والملائكة الأبرار . . إنما يحتقرون عقولهم أو عقول الناس . وإنما يقولون كلاما سخيفا لا يصدقه حتى الأطفال . . وحين تبرز إلى الوجود كتلة العالم الإسلامى ، ستفكر كل من الكتلتين مرتين قبل الإقدام على الحرب . لأن أرض الكتلة الثالثة ومواردها لن تكون يومئذ صيدا رخيصا سهلا ، يسيل له لعاب الشرقيين أو الغربيين . فضلا من أن هذه الكتلة الثالثة تملك إيجاد التوازن بين القوتين ، وتملك أن تهدد الفئة الباغية بأنها ستكون ضدها . ولن تقدم على الحرب كتلة تقف لها كتلة العالم الإسلامى بالمرصاد ، وتنضم إلى خصومها فترجح الكفة ترجيحا لا شك فيه .

وبعد فأحب أن أقرر فى نهاية الأمر أن الحديث اليوم عن الكتلة الثالثة ليس دعوة لقيامها ، ولكنه تقرير لوجودها . وجودها الذى لن يملك أحد ولا قوة أن تمدمــــه . لأن طبائع الأشياء ، وتطورات التاريخ ، وضرورات الإنسانيـة . . كلها تدعو إليه وتنادى به . . والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

سيد قطب

إلى السلاح .. يا عرب

للأستاذ على الطنطاوى



يا أيها القراء ! إنى ما جئت أصب فى أعصابكم قوة ليست فيها ، ولكن جئت أثير القوة التى نامت فى أعصابكم وما جئت لأجملكم خيرا مما أنتم عليه، ولكن جئت لأفهمكم أنكم خير مما أنتم عليه . جئت أضرم جمرة الحماسة التى غطاها فى نفوسكم رماد الكسل. فأعينونى على نفوسكم باستعادة الثقة بها ، وبسلائق العروبة التى ورثتها ، وبعزة الإسلام التى كانت لها . واعلموا أنكم إن فقدتم عزتكم ، وأضعتم سلائقكم ،.لم تكونوا جديرين بمحمد ، ولم يكن لكم الحق فى الاحتفال بمولد محمد !

يا سادة ! إن الأمم كالأفراد : ألا يكون الرجل منكم رائحا من عمله ، خائر الجسم ، وانى العزم ، كل أمانيه أن يصل إلى الدار فيلقى بنفسه على أول مقعد يلقاه ، قبل أن يستنفد الجهد قواه ، فيجد فى الدار بشارة بأنه رفع درجة ، أو نال جائزة ، أو هبط عليه إرث ضخم ، من قريب منسى ، فيحس بأنه انتفض كما ينتفض العصفور بلله القطر ، وانتعش كما ينتعش النبات أرواه الماء ، ونشط كما ينشط الجمل أطلق من عقال ؟

ألا يكون أحدكم مرخى الأعصاب ، خامل الجسد ، قد خدره النعاس حتى ما يقدر أن يفتح عينيه ، فيعدو عليه عاد ، أو يطرقه لص ، أو يحقره إنسان ، فيشعل الغضب فى دمه نارا ، ويشد من أعصابه أوتارا ، فيثب يريد أن يقتحم الجدار ، أو يخوض النار ؟

ألا يكون أحدكم تعبان كسلان ، يجر قدميه من الونى جرا ، يظن أنه سيسقط من كلاله على الأرض ، فيلحقه عدو فاجر ، أو يطارده وحش كاسر . فإذا هو ينطلق انطلاق القذيفة من فم المدفع ، ويعدو عدو الغزال المروع ؟

هذه أيها الناس القوة المدخرة فى أعصاب الإنسان ، يظهرها الأمل ، ويبديها الغضب ، ويبعثها الخوف . وفى الأمم قوة كهذه القوة . وما الأمة إلا الأفراد . الأمة أنا وأنت وهو وهم ونحن ، أفلا تحس إن غضبت أو فرحت أو جزعت أن نبضك يسرع ، وقلبك يخفق ، ووجهك يصفر أو يحمر ، وجسدك كله يتبدل ويتغير ؟ فكذلك الأمم ، تكون نائمة آمنة ، قد غلب عليها الخمول ، وشملها الارتخاء ؛ فما هى إلا أن يبعث الله لها القائد العبقرى ، يصرخ فيها ينذرها خطرا ، أو يحذرها عدوا ، أو يعدها نصرا مؤزرا ، حتى تثب كما يثب الجندى المستريح إلى سلاحه ، فتعمل العجائب ، وتصنع المعجزات ، وتدع التاريخ حائرا من فعلها مشدوها

وهذه هى الأمثلة تملأ العصور ، وتترع صفحات التاريخ ، الأمثلة من الشرق والغرب ، من القديم والحديث ، حيثما تلمستم وجدتم مثالا

هذه مصر ! كانت على عهد المماليك ، بلد الجهل والافتراق والضعف والتخاذل ، فما هى إلا أن بعث الله لها محمدا عليا ، حتى نهضت نهضة الأسد ، فكانت لها المدارس والصحف والصروح والمصانع ومعامل السلاح ، وكان لها الجيش الذى فتح الشام ، وقهر الأتراك سادة الجحافل ، وأبطال الميادين ، وكاد (لولا مكر انكلترا وغدرها) يهد عرش آل عثمان . وكان لها الأسطول الضخم الذى كاد (لولا تلك الجريمة التى لم يحاسب عليها بعد مجرموها) يعيد البحر المتوسط ، بحر العرب ، كما كان أيام عز العرب

وهذه جماعة الأتراك من آل عثمان ! كانت قبيلة بدوية تسكن القفار ، وترعى الأبقار ، ليست فى عير ولا نفير ؛ فلما بعث الله لها عثمان وشرفه بالإسلام ، صارت به وبخلفائه الأولين؛ مراد والفاتح وسليم وسليمان ، صاحبة القسطنطينية ، ومالكة ما بين خراسان وأسوار فينا ، وصار البحر المتوسط بحيرة فى أملاكها

وهذه فرنسا ! ماذا كانت فرنسا فى أعقاب ثورتها ؟ أمة الفوضى والانحلال ، والحيرة والضلال ، والتبدل من حال إلى حال ؛ فما هى إلا أن جاءها نابليون حتى ملكت تحت لوائه أوربة

كلها ، وصارت أمة الأمم

وهذه روسيا ! كانت بلادا أدنى إلى الهمجية والجهالة ، فا هى إلا أن جاءها بطرس حتى غدت به بلدا أوربيا من بلاد المدنية والعمران

بل هـذا هو المثل الأغر المحجل ، الذى لا تدانيه الأمثلة ، ولا تضارعه فى سمو النهضات

هذه القرية التى كانت متمددة وراء الرمال ، نائمة فى ظلمات من الجهل والفقر والجدب فوق ظلمات ، لا تدرى بهـا المدن الـكبار ، ولم يسمع بها التاريخ ، هزها بيمينه سيد العبقريين ، وأعظم العظماء ، من كان فى الأرض سفير السماء ، وكان إمام الرسل وأفضل الأنبياء : محمد

هزها ، فإذا هذه الرمال المحرقة التى لا تعيش فيها الحيـاة ، تنبت السهول الخصاب ، والرياض والجنات ! وإذا هـذه القرية الضائعة تلد المدن العظام : الـكوفة والبصرة وبغداد والقاهرة والقيروان ! وإذا هذه القبائل المتفرقة تخرج الجيش الذى فتح الشرق والغرب ، وملك ثلثى العالم المتمدن فى ثلث قرن ! وإذا هذه الأمة الجاهلية تنجب الأساتذة الذين علموا الدنيا ، وأرشدوا أهلها ، وأقاموا أعظم حضارة عرفها البشر ، حضارة خير وحق وجمال ، ليست حضارة قتل وتدمير ، ومصائب وانكليز ، ويهود وبارود، وقنبلة ذرية ...

وأمامكم من هذه الأمثلة مئات

بل إننـا نستطيع اليوم فى كل قطر عربى أن نضرب من أنفسنا الأمثال

إنه لا ينقصنا لنعز ونسود ، ونسير على سنن الجدود ، إلا حرب تنبه ، أو زعيم عبقرى يقود . إننا لا نريد إلا أن يتحمس العرب ، أو يغضب العرب ، أو يخاف العرب ، فتوقظهم الحماسة ، أو يثيرهم الغضب ، أو يحركهم الخوف ، فيرجعوا إلى مكان الصدارة بين الأمم

إن سوريا الصغيرة تستطيع أن تـكون من الدول الأوائل على وجه الأرض حضارة وعلما وقوة ومالا

لا . لا تقولوا نحن قليل ، فاليهود أقل منا

لا تقولوا : نحن قليل ، فإن أرقى دول أوربة رقيا ، وأفضلها حضارة ، هى أقلها ناسا ، وأضيقها رقعة : سويسرا وهولندا ودول الشمال . ونحن أحسن من بعضها موقعا من الأرض ، وبلادنا أوسع ، وخيراتها أكثر ، ونحن أسرع سيرا فى طريق النجاح

ألا ترون ما صنعنا من (يوم الجلاء) إلى اليوم ؟

أما عملنا فى خمس سنين ما لم نعمل مثله فى خمسين سنة ؟

أما صار لنا جيش ؟ أما غدت لنا جامعة ؟ أما أقيمت فى بلدنا (معامل الشركة الخماسية) التى شهد كل من رآها بأن الحضارة لم توجد اليوم أعظم منها ؟ أما استبدلنا بالمحاريث التى كانت تجرها البقر أضخم الآلات فزادت زراعتنا أضعافا ؟

هل لأمة مثل ما لنا من الحزم والعزم ، وركوب الفلوات ، واقتحام اللجج ، والضرب فى الأرض ؟ هل على ظهر هـذه الـكرة بلد ليس فيه رجال منا ، نزلوه فقراء فصاروا فيـه من كبار الأغنياء ؟ أليس فى الأمريكتين وفى أوربة كلها وفى السنغال وفى الـكونغو وفى الـكاب وفى شنغهاى وفى اليابان رجال من الشام يجاهدون للمال ، ويعملون للغنى ، ويدهشون أهل كل بلد نزلوه ، بتلك الهمم وهاتيك العزائم ؟

هل نزل اليهود بلدا فلم يكونوا أرباب المال فيه ، إلا الشام ، فما كان اليهودى فى الشام إلا متجرا بعتيق الثياب ، يدور بهـا على الأبواب ، أو منظفا لمجارى الـكنف تحت الأرض ؟ ذلك لأن أهل الشام أبصر بالعمل ، وأعرف بطرق جمع المـال من اليهود

وهذا والله فخر لهم ، وإن عده ناس طمنا عليهم

أفيمينا (معشر العرب) ولنـا هذى السجايا ، أن نتقلد السلاح ، ونرجع أمجاد الأجداد ؟ أتعجزنا حرب إسرائيل ؟

أهؤلاء الزعانف أوشاب الأمم ، أم دول أوربا لمـا رمتنا عن قوس واحدة أيام الصليبيين ؟

أهؤلاء أم سيول التتر ، لما قادهم إلينا هولاكو فخطوا علينا خط الجراد ؟

أهذه (الدويلة ..) بنت ثلاث سنين . أم دول الصليبيين التى شاخت فى أرضنا إذ عاشت فيها أكثر من مئة سنة ؟

أهذه الدويلة ... ونحن بالجيش والسلاح ، ولنا الاستقلال ، ومعنا المال ، أم فرنسا ذات الحول والطول ، لما حاربها رجال منا بأيديهم ، لا يملكون إلا السلاح الذى أخذوه من جنود فرنسا ؟ فوقفت فرنسا بدباباتها ومدافعها عند جسر تورا سنتين لا تستطيع أن تجتازه ، وما عرض النهر إلا خمسة أمتار ، وما يحميه إلا عشرات من الثوار

أما نصرنا الله فى أيام أشد من هذه الأيام ؟

أضاعت ثقتنا بالله ثم بأنفسنا وبماضينا وبأمجادنا ؟

ألا ترونها تتلظى فى العروق الدماء ، وتتفجر فى الرؤوس الحماسة ؟ أما ترون شباب مصر ، طلاب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، وعمال المصانع ، يزلزلون الأرض ، لا يطلبون إلا أن يفتح لهم الطريق ، ليمشوا إلى حرب انكلترا ؟

إنهم لا يحفلون جندها ، ولا يبالون سلاحها ، ولا يخشون حديدها ونارها . ولو فتح الطريق لنساء مصر ، لمشت إلى حرب انكلترا نساء مصر !

إن ها هنا شعبا يريد أن يموت ليحيا وطنه ، فهل تستطيع انكلترا أن تبيد الشعب كله ؟

فيا أيها الحاكمون فى بلاد العرب ، لا تطفئوا هذه الحماسة . لا تزهقوا هذه الروح

يا أيها الحاكمون ، اجعلوا كل ميدان فى البلد ساحة تدريب ، وكل قادر على الحركة جنديا . دربوهم وخلوا طريقهم ، فإنكم لا تدرون متى تحتاجون إليهم . (جندوا) كل يافع وكل كهل وكل عجوز ، لا أقول ألبسوهم جميعا بزة القتال ، وسوقوهم إلى المعركة ، لا ، فليس الجيش هو الذى يحارب فقط ، ولكن أقول سوقوهم إلى الأسواق وإلى المصانع وإلى الحقول ، حتى لا يبقى فى البلاد كلها عاطل ولا خامل ولا سائل ، ولا يبقى فى البلاد كلها شبر واحد مقفر أو خال . أقلوا عدد الموظفين ، وزهدوا التلاميذ فى (الوظائف) ، وربوهم على حب العمل وكراهية الكسل ، وأقيموا النهضة على أساس شامل كامل ، واجعلوا للبلاد دستورا اقتصاديا مبنيا على أساس العلم ودواعى الحاجة ، وعدلوا أسلوب الموازنة ، وقوانين الضرائب ، فإنه لا يجوز فى شريعة العصر أن يدفع تسعة أعشار الضرائب الفقراء ، ويفلت منها كبار الأغنياء . واستفيدوا من خيرات الأرض وبركات الوطن ؛ فإن هذا البترول العربى لو أنفق ثمنه فى أسباب القوة ، وفى سبيل الإصلاح ، ولم ينفق على الإثم والفسوق ومعصية الرسول ، لكانت به كل مدينة عربية ، مدينة أميركية !

ثم استنهضوا همم الرجال ، واستثيروا بذل الأغنياء ، وحرموا إنفاق المال فى وجوه السرف ، وألوان الترف ، وأنفقوا كل ما اجتمع لكم من مال فى السلاح والعتاد . دربوا الناس على القتال ، واجعلوا من الشباب جنودا مستعدين ليوم الكريهة ، وانشروا فى الشعب علم النجاة من الغارات والهجمات ، وسخروا الصحف والإذاعات لبث القوة والرجولة فى صدور الرجال

إلى السلاح — يا عرب !

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى فلسطين يهودى واحد

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى القناة انكليزى واحد

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى تونس أو مراكش أو أى قطر عربى أجنبى واحد

إلى السلاح — يا عرب

على الطنطاوى

قاضى دمشق

هجرة الرسول

للأستاذ أنور العطار

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى . وقلة حيلتى . وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى . أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم تكن ساخطا على فلا أبالى . أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له السموات والأرض ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه . أمر الدنيا والآخرة ، أن تحل على غضبك ، أو تنزل على سخطك . ولك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة الا بالله)

ـ من أدعية الرسول قبل الهجرة ـ



ياسيد الخلق يانورالوجود سرت ... بأضلعى اليوم من نجواك أصداء

رفت حياتى بها بشرا وزغردة ... فالقلب تسبيحة فى الثغر سجواء

من جود كفيك أنغامى وأخيلتى ... ومن سخائك للعافين إغناء

حببت فيك قريبضى حين قربنى ... إلى حماك فشعرى منك إدناء

وبحت بالحب فى سرى وفى علنى ... ولذ لى فى هواك السمح إفشاء

لولا هواك لما أبدعت قافية ... والكون لولا الهوى يهماء جرداء

والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما ... إن العذاب لمتلاف ومعطاء

وأنت أيقظت فى الحب فانتشرت ... على محياى أفراح وآلاء

وأنت أغنيتنى حسا وعاطفة ... كأنما أنا إلهام وإيحاء

وأنت فجرتنى حبا ومرحمة ... فليس يعلق بى حقد وبغضاء

وأنت صفيتنى كالنبع منسكبا ... والنبع مذ كان أنغام وصهباء

وأنت أزهدتنى فى الناس كلهم ... فهجر أطماعهم للنفس إبراء

والبعد عنهم نجاة من أذيتهم ... وما يطاق الأذى ، والبعد إنجاء

ما ارتاح قلبى إلى غشيان عالمهم ... كأنهم محن سود وأرزاء

ولا ارتضت مهجتى دنياهم سكنا ... وقد علتها شكايات وضوضاء

هم علموا القلب أن ينأى مطامعهم ... فما لدنياهم زهو وإغراء

كأنما هى دار لا أنيس بها ... فآدم اليوم صدت عنه حواء

خذ يا فؤادى حذرا من مفاتنها ... ولا تغرنك فالرقطاء رقطاء

من ظن فى سمها الترياق حاق به ... من جرعة السم إهلاك وإفناء

مالى وللناس لا أحيا بألفتهم ... وإنما أنت لى بعث وإحياء

مذ هام قلبى بكم ما اختار غيركم ... ولا صبا ، وقلوب الناس أهواء

أقضى ليالى فى نجواك منفطرا ... كما تفطر يوم الوحى سيناء

كأنما خاطرى شدو وهينمة ... وجنة من جنان الخلد غناء

شدت لها الورق ألحانا مسلسلة ... فصفقت فى شعاب الدوح أحناء

ظلت تنغم فى صدرى وفى خلدى ... قصيدة من دموع القلب عصماء

الكون ما الكون ؟ شطر من روائعها ... والمصطفى روحها والناس أجزاء

رنت إليها الدرارى فى مباهجها ... وفاض منها على الأيام نعماء

وبش فى الفجر إصباح بنور سنا ... وهش فى عتبات الليل إمساء

تلكم رغادة دنيا قد كلفت بها ... أولت نداها وكم للسعد إيلاء

أملت على بليغ القول محكمه ... إن البلاغة إيحاء وإملاء

كانت بصدرى أسرارا مغلقة ... ما إن يساودها بوح وإفضاء

ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها ... وكيف يفصح تلميح وإيماء

* * *

يا هجرة لك فاضت همة وعلى ... يشدها خافق بالعزم مضاء

تركت مكة والأحلام تغمرها ... وللطفولة أطياب وأشذاء

والقلب رهن الحمى ما انفك مدلها ... به وللأرض أشواق وأصباء

إن غبت عنها براها الشوق واحتدمت ... نيرانه واستفاق الجرح والداء

وعشت دهرك فى تذكارها وترا ... له الهوى نغم فى الصدر بكاء

كلا كما ذاب تهياما بصاحبه ... والأرض أم وأهل الأرض أبناء

والمرء ما زال حنانا إلى وطن ... وإنما وطن القلب الأحباء

إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا … فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت في الغار والصديق افكما … من جانب الله تثبيت وإرساء
مشت عناكب تحميه مناسجها … وتدفع البغى ، والعدوان مشاء
وأرسلت سرحة أفنانها فنمت … على مداخله فالغار أفياء
وأقبلت من بنات الدوح ساجعة … كأنما الغار عش فيه ورقاء
لا الظن حام على الغار الحبيب ولا … بدت من الشك للسارين سيماء
وكان يحميه من بغى العدا قدر … تدرع الطهر إن الطهر أباء
من كان يعلم أن الظبية انشحت … بما ينوء به العد الأشداء
ففى النهار غدت عينا مراقبة … ما حاكه فى غمار الكفر أعداء
وفى المساء استحالت رحمة وندى … على النطاقين منها الزاد والماء
بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت … جنانها من مجالى السحر أسماء
ذات النطاقين أسماها الرسول بما … أسدت يداها ، وللاحسان إسداء
باتت على الغار ترعاه وتحرسه … كأنها مقلة بالسهد كحلاء
أغفت عيون الدرارى فى مطالعها … وما لعين الهوى والحب إغفاء
حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم … يبن على الرمل فى الليل الأدلاء
نشطت للسير والصديق فى ملأ … من الملائك ، والإيمان حداء
يرعاكما الله فى حل ومرتحل … ويثرب القصد ، والأهل الأوداء
وحين أشرفت ماجت بالسرور كما … تلألأت بفريد الموج دأماء
هبت تلقاك أنجادا وأودية … وكم تشوقك أنجاد وأوداء
مشى إليك بنوها والهوى ضرم … وكل نفس من الأشواق رمضاء
يستقبلونك أرواحا وأفئدة … ويفتدونك والأجساد أنضاء
ذاب الحنين على أفواههم نغما … وفى يمينك للشادين إرواء
على الشفاه أناشيد مزغردة … وفى العيون من الأفراح لألاء
أذكى الهوى أنفسا للحب قد خلقت … وللصبابة فى العشاق إذكاء
أبكاهم الوجد فى اللقيا وأضحكهم … إن التوجد تضحاك وتبكاء
أصغت إليهم عيون الليل رانية … وكم بطيب إلى الأحباب إصغاء
وشت تسابيحهم للحب أغلة … والحب مذ كان وشاح ووشاء
طوبى ليثرب ضمت خير من سطعت … على محياه أنوار وأضواء
طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت … رسالة الله منها وهى غراء
طافت على الأرض نور اللألى فقدوا … أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء
كأن كل سبيل من ضلالتهم … صحراء كالحة الأعطاف غبراء
ضجت جفاء وعجت وحشة وبلى … كأنها القبر فاضت منه أشلاء
نامت عليها الدياجى وهى جاهمة … ومقلة الفجر فيها الدهر عمياء

* * *

لله شرعك شرعا واضحا جددا … ما فى تضاعيفه ريب وإخفاء
أنق من الزهر فى فينان نضرته … وقد جلته يد للحسن بيضاء
ما زال غضا على الأيام مؤتلقا … كالخلد ليس له ند وأكفاء
كم طهر القلب من بغى ومن دنس … وكم صفت بصفاء القلب حوباء
والدين يمن وإحسان وميسرة … وفرحة تسع الدنيا وأنداء
من ضاق بالعيش ذرعا أو جفته منى … فالدين تعزية كبرى وتأساء
من صد عن بابه لم يرتشف أملا … وعاودته من الكفران غماء
ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت … وكيف تهدأ فى الطغيان أنواء
يطوى الحياة جحيما لا نعيم بها … كأنما هى أوجاع وأدواء
ياهجرة لجرت حبا ومرحمة … فالقوم فيها الأحباء الأخلاء
تقاسموا نعميات العيش وائتلفوا … كما تآلف فى الأجساد أعضاء
كل يرى لأخيه الخير أجمعه … والخير موطنه الرهط الأعزاء
جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا … فاستعذبوه ، ودنيا الود فيحاء
كأن ألفتهم للاثنين شجا … وطعنة فى صميم الكفر نجلاء
وطيبة الخير بيت ضم شملهم … جلاله الدهر أبناء وآباء
لو أن قومى وعوا أسرار هجرته … لما تناءى بهم بغض وشحناء
إن الحياة إذا يسرتها يسرت … كأن إمرارها فى الطعم إحلاء
وإن أردت بها شؤما ومعسرة … فإنما هى أثقال وأعباء
خلت من البهجة الكبرى جوانبها … كأن إصحاكها فى العين إبكاء
كل له ما يرى فليتعظ فطن … فسرها اليسر والبأساء سراء
والحب أثمن ما امتار الفؤاد بها … وفيه للنفس إحياء وإعلاء
فقل ليعرب إما رمت مكرمة … فوثقى الحب إن الحب بناء

دمشق

أنور العطار

الأزهر الآن

يعيش برئة واحدة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى



« الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر ، والغرض منه : (١) القيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها ، واللغة العربية ، وعلى نشرهما (٢) وتخريج علماء يوكل إليهم تعليم علوم الدين واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس ، ويلون الوظائف الشرعية فى الدولة »

هذا هو نص المادة الأولى من قانون الأزهر السارى عليه الآن ، وهو التعبير الصحيح عما تفهمه الأمة الإسلامية من مهمة هذا المعهد العتيق منذ أنشأه المعز لدين الله الفاطمى إلى هذا العهد الفاروقى السعيد ، ثم إلى ما شاء الله من عهود

وأقول : « التعبير الصحيح عما تفهمه الأمة الإسلامية من مهمته » لأنى لا أريد أن أدخل فى تعرف النيات التى كان يبطنها الحكام والسلطون وتدل عليها سياساتهم وأفاعيلهم فى توجيه أهله وتصريف شأنه

ومن هذا النص الذى يفصح عما استقر فى ضمير الأمة يتبين أن المهمة الأولى للأزهر هى القيام على هذا التراث الخالد الذى أورثنا إياه بناة مجدنا الأولون ، والذى كنا به خير أمة أخرجت للناس ، وأن تخرج هذا المعهد الإسلامى الأكبر للمسلمين أو القضاة أو الموظفين هو أمر يأتى فى المرتبة الثانية . وقد تقلبت على الأزهر فى تاريخه الطويل أحوال ودول ، فاستقام على الصراط السوى أحيانا ، وانحرف عنه أحيانا ، وكان تارة قويا غلابا يعرف رسالته ، ويفرض إرادته ، ويلون الحياة بلونه ، ويحمل الحاكمين والمتسلطين على ما يرى فى حزم وصرامة . وتارة ضعيفا عاجزا مغلوبا على أمره ، يمشى فى ركاب غيره ، ويستوحى خططه وصوره ممن لا يدركون رسالته ، ولا يعبأون بأمره ، بل لقد حفظ التاريخ فيما حفظ أن الأزهر قد عطل تعطيلا تاما عشرات من السنين فى بعض العهود فلم يكن به درس ولا كتاب ، ولا علم ولا علماء

وإذا أردنا أن نفرق بين العصور الذهبية للأزهر ، والعصور التى اضمحل فيها شأنه وأقفر واديه ؛ فإننا نستطيع أن نقرر أن عصوره الذهبية هى التى كان فيها موجها للحياة مضطلعا برسالته الكبرى فى القيام على حفظ الشريعة واللغة عن طريق التفرغ لهما علما وعملا ، وأن عصور ضعفه واضمحلاله هى العصور التى تصور فيها أنه مدرسة للتعليم والتخريج فحسب

* * *

من تأمل رسالة الإسلام وعرف أنها رسالة الرحمة العامة لهذا العالم كله ، أدرك أن الأمة الإسلامية قد حملت أمانة إلهية غالية ، ليست هى مجرد أن يؤمنوا بهذا الدين ويتناسلوا نسلا مؤمنا به ، ولكن أن يبلغوا هذه الأمانة الإلهية تبليغا واضحا إلى كل ذى عقل فى كل زمان ومكان ، فإن هذه الرسالة هى أساس استقامة العالم ورشاده وعمته بالخير والسعادة ، ولم ينزلها الله للعرب فقط وإنما أنزلها رحمة للناس كافة

« يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » فإذا آمن المسلمون بذلك ، وأخذوا أنفسهم بمقتضياته ، فقد عرفوا أنفسهم ، وأدركوا قيمتهم فى هذا العالم . وإذا جهلوا ذلك أو نكصوا عنه ، فقد تخلوا عن شرف عظيم شرفهم الله به ، وخسروا دينهم ودنياهم وأنفسهم وذلك هو الخسران المبين

يقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقد بين لنا أن مرجع هذه الخيرية هو اضطلاعنا فى الناس بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أى مهمة الاصلاح العام والدعوة إلى الاستقامة على سنن الرشاد ، والإيمان بالله . ويقول عز وجل فى موضع آخر « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » والمعنى فى قوله « ولتكن منكم أمة » على التجريد ، أى : ولتكونوا أمة هذا شأنها ، وهذه رسالتها فى الحياة وغايتها ، تدعو إلى الخير الذى دعا الله إليه ويكون لها أثر فعال ، ورأى عام قوى فى إلزام الناس بالمعروف ، وصرفهم عن المنكر ، فإذا كنتم هذه الأمة ، فقد ضمن الله لكم الفلاح ، وإلا قضيتم أيام دهركم ضعفاء لا قيمة لكم بين الناس

وأول الوسائل التى تتوسل بها الأمة إلى الاحتفاظ بهذه الأمانة الإلهية الغالية وأدائها كما أمر الله إلى أهلها ، أن تعنى أكبر العناية بحملة التراث الأسلامى العظيم ، وأن تعمل جاهدة على تمكينهم من التقوى فيه ، والتفرغ له ، ونشره بين الأمم فى أحسن صورة وأقربها إلى القبول

إن الأمم الناهضة تخصص للدراسات العلمية طوائف من أبنائها المبرزين فيها ، وتجعلهم فى معاهد مستقلة لا هم لها إلا التوفر على هذه الدراسات والتفرغ لها ، معيشتهم مضمونة ، وأمورهم ميسرة ، وقد كفوا شأن التفكير فى أنفسهم وأهليهم وشئون حياتهم ، ولذلك نراهم يثمرون ثمرات طيبة فيما انقطعوا له ، ويعطون أممهم من العلم والشرف أضعاف ما تعطيهم من المادة والعناية . فهل نطمع من الدولة فى أن تعين الأزهر مثلا على إنشاء معهد للبحث والدرس بتعمق فى أصول الشريعة الغراء وفروعها ، ويدنى للناس ثمارها الطيبة ، فيقدم للمشتغلين بالقانون نظريات مستقيمة تنبههم نظرياتهم ، ويقدم لأصحاب الدراسات الفلسفية نوعا جديدا من القضايا الفكرية يغذى عقولهم وقلوبهم ، ويحيى ألوانا من العلم والتفكير فى إحيائها الخير كل الخير ؟ هل نطمع فى أن تعين الدولة الأزهر على إنشاء مثل هذا المعهد ؟

إن الأزهر الآن لا يعدو أن يكون مدرسة دينية نظامية لتخريج معلمين أو قضاة شرعيين أو وعاظ ومرشدين ، وذلك هو أدنى الشطرين من مهمته التى بينها قانونه ، ويتطلع إليه المسلمون أن يحققها . أما الشطر الأعظم فإنه معطل ، وإذا كان أهل الأزهر مسئولين عن تعطيله فإن الدولة تحمل قسطا من هذه المسئولية ، لأن الأزهر مرفق هام من مرافقها ، عليها أن تعنى به وأن تسأل السر فى عدم قيامه بأداء رسالته على الوجه الأكمل ، وأن تأخذ بيده إلى الطريق الصحيح إذا حاد عنه ، وأن تعينه على السير فيه إذا عرفه وعجز عن سلوكه

إن أزمة الأزهر فى الحقيقة ترجع إلى أمرين :

أحدهما : أن مصر قد نسيت أو أوشكت أن تنسى مكانة الأزهر فى العالم كله شرقيه وغربيه ، وأنه من أهم أسباب زعامتها الدينية والفكرية على الدول الإسلامية ، وأنها تستطيع به أن تكون فى مقام عالمى كريم ، إذ تجعله مصدرا قويا لدعوة عامة إلى مبادئ تغزو بها العقول والقلوب فى عالم كثرت فيه الشرور والمطامع وأنهكته حروب الجشع والاستعمار ، وأصبح أهله فى حاجة إلى دعوة قوية صادقة تصرفه عن الشر إلى الخير ، وعن الفساد إلى الصلاح ، وما هذه الدعوة إلا دعوة الإسلام

الثانى : أن الغرب أثر فينا تأثيرا سيئا وصل الأمر فيه إلى حد الاستخفاف بديننا ، وقياسه على غيره من الأديان ، فقد أخذنا عن أوربا فيما أخذنا أن الدين يجب أن يكون بعيدا عن ميدان السياسة والحكم ، وأن يقصر على الأخلاق والتهذيب والأمور الروحية ، وإذا صح أن يقال عن دين من الأديان ، فإنه لا يقال عن الإسلام دين العلم والعقل والعزة والقوة ، وقد تكفل بوضع منهاج صالح للحياة السعيدة بشهادة أعدائه وأصدقائه

هذان هما الأمران اللذان يرجع إليهما ما نراه من إهمال للأزهر ، واكتفاء بأدنى غايتيه ، وهو أن يكون معهدا للتعليم والتخريج ، دون أن يكون حاميا للشريعة واللغة ، مبلغا تراثهما إلى الناس أجمعين . وما مثل الأزهر على هذه الحال إلا كمثل مريض يعيش بإحدى رئتيه ، فليس العجب أن يعيش ضعيفا عاجزا ، وإنما العجب فى أن يطول على ذلك بقاؤه ، ولكل أجل كتاب

محمد محمد المدنى

من علماء الأزهر

دين العزة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



الإسلام يمكن أن يوصف بأوصاف كثيرة كلها حق . فهو – في غير حصر لأوصافه – دين الحق ودين العدل ودين الإحسان ودين الإخلاص ودين التوبة ودين العمل ودين الجهاد ودين الإخاء ودين التعاون ؛ ولكن هذا كله يتصل من ناحية أو من أخرى بصفة من صفات الإسلام البارزة هي أنه دين العزة، عزة الفرد وعزة المجموع وعزة الشرع الذي يدينان به ويستمدان عزتهما من عزته . والعزات الثلاث متصل بعضها ببعض ومتوقف بعضها في الحياة العملية على بعض .

وأول ما يبدؤك من عزة الإسلام أنه ليس دين صومعة وعزلة ، ولكن دين حكم ودولة . الحكم في دولته لله وقانونها شرع الله، ليس للانسان فيه إلا الفهم والفقه وحسن التطبيق . فالقوانين الوضعية منكرة في الإسلام ، وكل هذه القوانين المستمدة من الغرب أو من قدماء اليونان والرومان مردودة في الإسلام ما خالفت أحكام الله . وليس بالمسلمين إليها من حاجة إن وافقت . وما حاجة المسلمين بل ما حاجة الناس إلى حكم إن خالف حكم الله فهو خطأ وقى الله الناس بالشرع شره ، وإن وافق حكم الله اتفاقا كان التماسه في غير الشرع إثما المسلم وذلة . كان إثما لأنه انصراف عن شرع الله وسوء ظن به وافتراض نقص فيه يلتمس سده في غيره ؛ وكان ذلة لأن المسلم حين يحتكم إلى غير دين الله ويرضى بحكم من يعلم أنه لا يؤمن بما أنزل الله فقد خلع عن نفسه رداء العزة الذي أضفاه الله عليه حين أنزل الله له شرعا جمع له فيه وبه الخير والصواب ، وحرره به من الخضوع في قول أو عمل أو نية لغير الله .

وهذا الإستسلام لله وحده هو أصل عزة الفرد المسلم، لأنه ينزع من صدره كل خشية ورهبة لغير الله . فهو إذا أطاع الحاكم المسلم إنما يطيعه طاعة لله ، وإذا شكر المحسن إنما يشكره طاعة لله الذي أمره بشكر من يحسن إليه ، وهلم جرا في سلسلة الطاعات والالتزامات التي يلتزم فيها المسلم طاعة غيره من الناس .

والمسلم مأمور ألا يسمع لمخلوق ولا يطيعه فيما فيه معصية لله؛ فهو عبد الله وحده قد تحرر بالإسلام من العبودية والخضوع لكل ما سواه . فنفسه قد برئت من خشية غير الله أو رجائه بقدر ما أوتيت من الإسلام . وهذه البراءة تجتث من نفس المسلم الذلة من أصلها باجتثاثها الذلة التي يشعر بها في نفسه كل ذليل ولو لم يطلع عليها غيره من الناس . وكم من عزيز في رأى الناس هو في ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه بما يجد من رهبة أو رغبة عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه من عدو ينافقه ، أو رئيس يمالقه ، أو صديق يحابيه .

وهذه العزة النفسية التي يمنحها الإسلام المسلم الصادق تزداد رسوخا بالتحرر من سلطان الوهم الذي حرر الإسلام منه نفس البصير وعقله . فالإسلام حين طالب المسلم بالخضوع لله وحده قد كفاه شر الخضوع لغير الله باسم الخضوع لله بما بين له ووضح من الأوامر والنواهي، ومن سبل الطاعة وسبل المعصية ، ومن الرشد والغى ، وما هو فرض وما هو ندب ، وما هو مكروه وما هو مباح . وما هو متروك للاستنباط والقياس . كل ذلك مما بينه الكتاب الكريم والسنة المطهرة يسد الطريق على الخرافات والأوهام أن يكون لها سلطان على المسلم إذا عرف دينه كما ينبغي وتشرب حقا بروح الاسلام .

وقد صان الاسلام عزة الفرد في الجماعة الاسلامية بما قرره

من مبدأ المساواة بين الأفراد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم من غير نظر إلى نسب أو نشب أو جاه ، وبما أقامه من ميزان الحق والعدل فى الأحكام . فالقوى فى الجماعة الاسلامية ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف فيهـــا قوى حتى يؤخذ الحق له .

كذلك أكد الخليفة الأول فى أول خطبة خطبها فى خلافته الراشدة . ولم يكن ذلك مبدأ وضعه الصديق رضى الله عنه وإنما هو تعبير صادق عن أصل كبير من أصول الحكم فى الاسلام يتجلى فى آيات الكتاب المجيد وفى أعمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وفى تنفيذ هذا الأصل من أصول الاسلام فى الحكم لا يلحق أى المتقاضيين ذلة من حكم القاضى . فالمحكوم عليه إنما يخضع لحكم الله لا لحكم أحد ، ولا غضاضة على أحد فى الخضوع لحكم الله . أما المحكوم له فليس يخشى عليه إلا أن تأخذه عزة بإثم إن أساء فهم معنى الحكم ، ونظر إليه من زاوية غير التى ينبغى أن ينظر منها المسلم إلى الأحكام المبنية على الشرع سواء أكانت له أم عليه .

حتى ذلة الفقر وذلة الدين قد وقى الاسلام المسلم شرهما بما جعل له من حق الزكاة عند العجز ، وبما حرم من الربا عند التداين وفى التعامل ، وبما تكفل به ولى الأمر من سداد الدين عن المدين الذى يموت وليس فيما ترك سداد لدينه . وهذا أمر عجيب تفرد به الإسلام بين الشرائع يحفظ به لذى الحق حقه ، ويخفف به حساب الآخرة من المدين ، ويدفع به ذلة الدين حتى عن ورثته . والنص فى ذلك وارد فى أكثر من موضع من الصحاح . من ذلك ما ورد فى كتاب الفرائض من الجزء الثامن من صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه » . وهذا طبعا تشريع يلزم كل من يحكم المسلمين بسنة الرسول .

هذا كله فى البلاد العربية التى للاسلام فيها دولة وحكم نافذ . أما حيث لا سلطان للاسلام يكفل للمسلم العزة كلها فقد كفل له الإسلام العزة النفسية حين أمره بالهجرة من كل بلد يستضعف فيه إلى بلد يعز فيه ، أو يستطيع على الأقل أن يسلم فيه بدينه ولو اضطر أن ينزل بالهجرة عن بعض ماله ، لأن الأصل فى الإسلام أن الدين فوق كل شئ من نفس وولد ومال . فإن عجز عن الهجرة لأمر مانع ، كان عليه ألا يجيز لنفسه سماع ما يشعره بالذلة فى نفسه من طعن أو لمز فى دينه ، لأنه من غير شك يستطيع الخروج من مجلس يهان دينه فيه إن لم يستطع خروجا من بلد لا يملك فيه انتصارا لدينه . وهذا كان الحكم فى العهد المكى وأوائل العهد المدنى من الرسالة قبل أن يصير للاسلام دولة . وهو حكم يسرى فى عهدنا هذا فى كل بلد يقضى فيه بغير حكم الإسلام . ودليل ذلك كله قريب فى الكتاب الكريم : فى قوله تعالى من سورة الأنعام المكية :

(وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وفى قوله تعالى من سورة النساء المدنية قبل أن تشتد دولة الإسلام : (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذن مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) ، وليس بعد تشبيه المسلم المتهاون المتساهل فى ذلك بالمنافق والكافر تهديد ولا وعيد

وعزة الفرد هى أساس عزة الجماعة . لكن الاسلام قد أحاط عزة الجماعة المسلمة بسياج من الأحكام والنظم التى تضمن للمسلمين استمرار العزة وازديادها على الدهر إذا عملوا بتلك النظم والأحكام

والأصل الشامل فى ذلك مبدأ الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله . وأعجب ما فيه ، وهو أكثر ما يجهله المسلمين اليوم أن المسلمين جميعا يأثمون بترك جهاد العدو إن لم تقم به طائفة كافية لصده والتغلب عليه . وقد اكتفى المسلمون بالشطر الأول ونسوا الشطر الثانى ، اكتفوا بقيام طائفة منهم للعدو ممثلة فى الجيش ، ونسوا الشرط الأساسى ، شرط أن يكون الجيش فى

عدده وعدده، كافيا للتغلب والظهور على العدو وإلا كان الجهاد فرضا على كل مسلم يأثم بتركه حتى تتحقق للجيش تلك الكفاية وتتحقق العزة للمسلمين

لم يكن للمسلمين في أيام النبي وأيام الخلافة الراشدة ولحقبة طويلة بعدها جيش معين محدود، وإنما كان كل مسلم يحمل عبء الجهاد بالسلاح حين ينتدب له في السرية أو الجيش الذي يؤلف حسبما يقتضيه الظرف الداعي له، والمسلمون بعد ذلك من وراء الجيش مدد له. وكان المسلم القادر يقوم بنفقة نفسه وتجهيزها وقد يتحمل تجهيز غيره. فالجماعة الإسلامية كانت كلها جيشا واحدا بالفعل أو بالقوة والاستعداد. فالاستعداد الفردي كان عاما والخروج في الجيش بالفعل كان بين التطوع والإلزام، أو بالأخرى كان إلزاما في صورة تطوع، حقق الله به للجماعة العزة وللفرد فضيلة الجهاد عن رغبة واختيار تحقيقا للعزة النفسية عند الفرد حتى في العمل بذلك الأصل العظيم في الدين أصل الجهاد في سبيل الله

ولم يترك أمر الاستعداد بالسلاح للفرد وحده ولكن أمرت الجماعة كلها بالاستعداد والبلوغ به أقصى مداه. وهذا هو الأصل الثاني الذي صينت به عزة المجتمع الإسلامي أن تذهب أو تنهار. نزلت بهذا الأصل العظيم سورة الأنفال في قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم) وهذا الأمر وإن وجه إلى الجماعة موجه إلى الفرد أيضا كما يشهد الحديث الشريف. فالجماعة المسلمة والفرد المسلم كل مخاطب بتلك الآية الجامعة، وكل مأمور أن يعين على الاحتفاظ بالعزة للإسلام وأهله بأن يبلغ من القوة والاستعداد أقصى ما يستطاع

ومن عجيب مظاهر العزة في الدولة الإسلامية ما أوجبه الاسلام على المسلم من حماية الذمي يبذل في سبيل حمايته دمه من غير أن يكلفه قتالا أو معونة إلا مبلغا يسيرا يستطيعه كل سنة مقابل تلك الحماية، حتى إن بعض أمراء جيوش المسلمين في الفتوح الأولى رد على قوم جزيتهم بعد أخذها بأيام لما أراد الارتحال لأن ارتحاله سيحول بينه وبين حمايتهم من عدو إن طرقهم، فبين بذلك مبلغ إنصاف الاسلام لمن يدخلون في ذمته من غير المسلمين. فالعزة في الأرض لله والمؤمنين الخاضعين بحكم الله. أما غير المؤمنين الداخلون في ذمة الله ورسوله والمؤمنين فيحرمون من حمل الله، ويحميهم المسلمون كما يحمون أنفسهم وذراريهم، ولهم فيما عدا ذلك ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين. وهذا تشريع عجيب جمع الله به للمسلمين بين عزة أنفسهم وإنصاف غيرهم انصافا لم يسبق الاسلام إليه ولم يلحق فيه

فالعجب إذن من أمة دينها دين العزة ثم تهمله لتصير إلى ما صار إليه المسلمون اليوم !

محمد احمد الغمراوي

الرسالة في عامها العشرين

للأستاذ محمد رجب البيومي

أستاذى الزيات

هنا خطاب أوجهه على صفحات الرسالة الغراء الى زميلى الأستاذ محرز أحمد خفاجي المدرس بالمدارس الثانوية. إعترافا بما للرسالة علينا من فضل كبير فى التربية والتثقيف. وأعتقد صادقا أنه يعبر عن عواطف المئات من الأدباء الذين تمهدتهم بجلتكم العظيمة بالتوجيه والتعليم. فأدت بذلك رسالتها الخالدة فى الحياة. وأرجو ألا يحذف منه حرف واحد. فقد تعودتم أن تغفلوا كل ما يخصكم من ثناء. ونحن هنا نسجل تاريخا لا يجوز فيه الحذف والإغفال بحال وتفضلوا بقبول فائق احترامى

محمد رجب البيومى

صديقى العزيز

حين تناولت القلم لأكتب إليك، تذكرت أن الرسالة تستقبل عامها العشرين، فرأيت أن يكون حديث اليوم عن تلك المجلة الحبيبة التى عقدت أواصر الصداقة بيننا، إذ لولا الرسالة لما كنا من سبعة عشر عاما مضت إلى اليوم صديقين حميمين كأحسن ما يكون الأصدقاء.

أذكر أنى كنت أجلس معك فى حجرة واحدة بمعهد دمياط الابتدائى، وقد لمحت فى يدك مجلة تتصفحها فى سرور وبهجة، فاستأذنتك فى قراءتها، نخفت أن أكون عنها رأيا خاطئا لأول مرة، فدعوتنى إلى الجلوس جوارك، وقلت فى اهتمام: هذه أحسن مجلة أطالعها فى مصر. ويجب على جميع الطلاب أن يتابعوا قراءتها باعتناء، فهى الصحيفة التى تهذب الأسلوب، وتثقف العقل. ثم مددت يدك إلى القمطر، وأخرجت كراسة الإنشاء لتريني درجاتك العالية فى التعبير، ناسبا تفوقك الحميد إلى الرسالة فهى وحدها صاحبة الفضل فى هذه الدرجات!!

وأذكر أن درجاتك الممتازة، قد جذبت اهتمامى إليك وإلى الرسالة فخرجت من الدراسة متجها إلى بائع الجرائد، وأخذت نسخة من الرسالة، وقضيت بقية اليوم، وجزءا غير قصير من الليل أتصفحها ورقة ورقة؛ ففهمت أكثر ما تحتويه من مقالات وقصص، وقصائد، وشعرت بإكبار وإجلال نحو مالم أفهمه من البحوث العلميـة الدقيقة، متعللا بقرب اليوم الحبيب الذى ستتسع فيه ملكة الفهم لدى، فأستوعب جميع مافى الرسالة الحبيبة، من الغلاف إلى الغلاف!!

ورجعت إليك فى اليوم الثانى لحدثتك عما فهمته ومالم أفهمه، فوجدتك تشاركنى الرأى وتقف من موضوعات الرسالة موقفى منها سواء بسواء. ومن هذا اليوم بدأنا نجلس معا على قمطر واحد، ونتنزه معا إذا أردنا النزهة، ثم لا نترك الحديث يوما واحدا عن الرسالة، فنحن إذا أتى العدد الأسبوعى نطالعه بجد ويقظة، ثم نتقابل ليذكر كل منا ما علق بذهنه من الأفكار الجديدة، والأبوات الطريفة؛ وبدأنا نكون لنا آراء خاصة عن الأدباء من كتاب وشعراء. وكنا نفترق فى بعض الأحيان فأفضل كاتبا ترى غيره أحق منه، وأميل إلى شاعر تميل عنه، ولكل منا براهينه المسهبة، ودفاعه الطويل

وجاءت العطلة الصيفية فلم نحزن لشئ حزننا على انقطاع حديثنا الأدبى عن الرسالة. ثم اتفقنا على أن نتراسل أسبوعيا، فأكتب إليك وتكتب إلى، وكان الحديث لا يتجاوز الرسالة فى أكثر سطوره. وما زلت أذكر حملاتنا الصاخبة فى رسائلنا السالفة — على الأستاذ الكبير سيد قطب إذ كان يهاجم الرافعى، وقد خيل إلينا فى طور اليفاعة أن قطبا متجن أكثر التجنى، وأن الرافعى أكبر من أن يتوجه إليه النقد بشئ!! والغريب أننا الآن نرفع الأستاذ سيد قطب إلى قمة شاهقة، ونراه رائد جيل فى الإصلاح، وصاحب مذهب فى النقد والأدب، وداعية أمة إلى الإسلام!! فانظر بربك إلى المدى الشاسع بين النظرتين، نظرة اليفاعة المتسرعة، ونظرة الشباب البصير. وكان مما يبهج خاطرينا معا أن نرى المدرسين يرمقوننا دون الزملاء بعين الإعجاب والاهتمام، فإذا تقدم أحدنا برأى فى موضوع، أو ناقش فكرة لكاتب، وجد العيون مفتحة، والعقول منتبهة، وسمع الرد مشفوعا بالإطراء والتقريظ. وكنا نرجع ذلك إلى الرسالة وحدها، فهى التى دفعت بتفكيرنا إلى الأمام، وتداولته بالصقل والتهذيب!!

ولا أزال أذكر أنك قلت لى ذات عشية : يجب أن نشترى الـكتب الأدبيـة النفيسـة . فقلت لك وكيف نشترى الـكتاب قبل أن نتأكد من صلاحيته ؟ فأسرعت تقول : لنـا ميزان لا يخطئ ، فإذا كان المؤلف من كتاب الرسالة فعلينا أن نسارع إلى اقتناء كتابه . وإذا لم يكن من كتابهـا وقد نشرت عنه الرسـالة فى صحيفة الـكتب تعريفاً أو نقداً ، فعلينا أن نحدد موقفنا منه على ضوء هذا التعريف . وإذا لم يكن هـذا وذاك فلن نبعثر نقودنا فى الهواء . وكان رأيك هـذا مقبولا لدى فى ذلك الحين ، فلم أشذ عنه فى كثير أو قليل

أين الأيام السالفة ياصديقى العزيز ، وأين أحاديثها الأدبية المشتهاة ؟ ليتنا اقتنعنا بتسجيلها برغم ما تتسم به من عجلة واندفاع ، ففيها ما يعجب ويروق ، وفيها ما يضحك ويدهش !! لقد كان لنا عن كل كاتب وشاعر حديث عريض نقطع به الوقت الطويل . ولا أذكر أن كاتبا اغتصب أكثر أحاديثنا فى فترة الدراسة الثانوية كما اغتصبها الدكتور زكى مبارك ، فقد وقف فى ميدان الرسالة كما يقف الملاكم فى ميدان الرياضة ، يصارع هـذا فى عنف ، ويناقش ذاك فى حدة ، ويثير فى الأفق الأدبى عواصف شديدة عاتية . وكنا نعجب بسلاسته واندفاعه ، وكانت روحه الفتيـة تحلق بنا فى أوج شاهق . وكم يدركنا الأسف الآن إذ نشهد زكيا قد نزل عن سمائه بعد أن ترك الرسالة ، فنراه يقف الآن فى آخر الصفوف ، وكنا نرقب له الغد المشرق البهيج !

لقد قلت لك ذات مرة إن الدكتور زكى مبارك يكتب الحديث ذا شجون ببعض الصحف فاترا مضطربا ، وكان حديثه فى الرسالة بهجة العين وأنس الفؤاد ؛ فكيف يتفق ذلك مع اتحاد الكاتب والموضوع ؟ فقلت فى سرعـة بادهة : إذا اتحد الـكاتب والموضوع فلن تتحد الصحيفتـان ! وكانت إجابة موفقة أكدت ما نجله للرسالة من تقدير وإعجاب

ونحن الآن نشعر بحب طاغ للدولة العربية ، ونشيد بعظمائها من الزعماء والأدباء ، ونحس أن مصر والعراق ولبنان وسوريا وتونس والجزائر واليمن والحجاز وسائر الأمم العربية وحـدة لا تنقصم ، فمن أكد فى نفوسنا هذا الحب الأكيد ؟ إنها الرسالة ياصديقى العزيز ، فطالما طالعتنا بقضايا الدول العربية السياسية ، وعالجت أمامنا مشاكلها الاجتماعية والخلقية ، وأفسحت صدرها للنخبة المختارة من أدبائها ونقادها ، فكانت بحق ديوان العرب المشترك ، وسجلهم الحافل بأنبائهم وأخبارهم ، والقرب لأفكارهم واتجاهاتهم ، بل لم تكتف الرسالة بقضايا الدول العربية وحدها ، فتجاوزتها إلى الممالك الإسلامية قاطبة . وكم قرأنا فى صفحاتها أبحاثا هامـة عن إيران وتركيا والباكستان وأندونسيا وبلاد القوقاز ؛ وطالعنا لـكتاب من أبناء هذه البلاد كلمات خالدة فى الوحدة الإسلامية ، والإخاء المحمدى ، مما نرجو أن يكون حقيقة واقعة فى العاجل القريب . ولعلك تذكر أننا قرأنا فى الرسالة ذات أسبوع بحثا هاما عن الفقه الرومانى وعلاقته بالفقه الإسلامى لـكاتب مصرى ، ثم أعجبنا أن نجد الردود تتدفق على الرسالة من سنغافورة ودمشق وحضرموت والعراق دائرة حول هذا الموضوع ، فكأن الرسالة قد أهابت بكل باحث فى شتى الأمم الإسلامية ، أن يلقى دلوه فى الدلاء ، فتقدم هؤلاء الأفاضل مسرعين . فإذا ما رأينا اليوم أبناء الأمم الإسلامية متكاتفين متساندين ، فيجب أن نذكر الرسـالة الحبيبة وكفاحها المجيد !

ثم دارت الأيام ومضت بنا الدراسة الثانوية إلى الدراسـة العالية بكلية اللغة العربية ، وسمعنا أساتذتنا يلقون علينا الدروس العلمية فى تاريخ الأدب والنقد وفقه اللغة والنحو والعروض ، فكنا نجد من يسمو بعقولنا — فى محـاضراته وأبحاثه — إلى أفق رفيع ، ومن يعكف على مراجعه القديمة ليقدم خلاصتها دون أن يلم بما تمخضت عنه الأبحـاث الأدبية فى العصر الحديث . وكنا لا نفتأ نواجه هذا النوع من الأساتذة بما اكتسبناه من الرسالة وغيرها من نقد وتحليل ، غير عابئين بعد ذلك بما يكون من تبرم وضيق . ولعلك تذكر بالخير شيخ أسـاتذة الأدب بالـكلية ، وسيد علمائها الأستاذ الـكبير أحمد شفيع السيد فقد كان يذكر لنا الرسـالة دائما بين مصـادره العديدة فى تاريخ الأدب العربى ، وقد ينقل بعض أبحاثها الأدبيـة عن الشعراء الأقدمين معقبا بما يعن له من نقد أو توجيـه . وكنا نسمع محاضراته فى شوق وإعجاب يزيدان عن الوصف . وحين أدرك اهتمامنا بالرسـالة ، غمرنا بوده ، وذلل لنا كثيرا من العقاب فصرنا لا ندرى أنتقدم إليه بالشكر ، أم إلى مجلة الرسـالة التى تربط بين قلوب المتأدبين من أساتذة وطلاب برباط وثيق

ولن أفادتنا الرسالة فائدة تامة فى الدراسة العالية بالـكلية ، فقد كان هذا أمرا نتوقعه لمـا بين أبحاث المجلة ودروس الـكلية من ارتباط ، بل من يدرى ؟ ربما تكون الرسالة هى التى وجهتنا إلى كلية اللغة دون أن نشعر ، لمـا غرسته فى نفوسنا من حب للأدب وهيام بتاريخه ورسـائله . ولـكن الذى لم نكن نتوقعه بحال ، أن نجد الرسالة الغراء تأخذ بأيدينا فى معهد التربية العالى للمعلمين وتعيننا على استكناه مسائل التربية الحديثة ، وتفهم علم النفس بما نشرته من أبحاث فى هذين العلمين . وأذكر جيـدا أنى جعلت الرسالة بين مصادرى العلميـة حين كتبت مقالاتى فى امتحان الدبلوم فقـد اعتمدت على ما كتبه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد والدكتور فضل أبو بكر فى الذكاء والطفولة بأعـداد الرسـالة ، لأن الزيات الحصيف كان — ولا يزال — يولى الأبحاث الغربية الحديثة ، ومن بينها علم النفس والتربية ، عناية فائقة لينأى بالفـكر العربى عن جموده وقيوده ، ويطلق أمامه الباحات الرحيبة للسير ، والأجواء الفسيحة للتحليق . ونحن الآن وقد جاوزنا التعلم إلى التعليم ، وانتقلنا إلى تدريس اللغـة العربية بالمدارس الثانوية نجد تلاميـذنا فى حاجة ماسة إلى مجلة أدبية تقيم الألسنة المعوجـة ، وتشد التفكير الواهن ، وترفع الخيال الهابط ، ولن تكون هـذه المجلة غير الرسالة، فقد نجحت تجربتنا معها — ومع الآلاف من قرائها — أتم نجاح ، وكانت نعم الناصر المعين

لقـد أطلت الحديث عن أثر الرسالة فى الأدب والثقافة ، وتركت أثرها فى الأخلاق والسلوك ، وما أظنك تجهله ، فقد انتشرت المجلات الخليعة التى تتملق الغرائز ، ووقفت الرسالة أمام التيار الجارف تدعو إلى المثل العليا والأخلاق القويمة ، وتشن الحرب على التخنث والمجون ، وقد حاربت الأدب المـكشوف محاربة منتصرة ، فدحضت حجة هؤلاء الذين لا يرون فى الأدب والشعر غير الحديث عن الفضائح والمخزيات ، متشبهين بما تذيعه الصحف الملوثة عن فضائح بودلير وفلوبير وجيد ولورنس ! وكأن هؤلاء لم يرزقوا البيان الناصع إلا لشذوذهم الوضيع وإسفافهم الشائن ، فى رأى جماعة من المحررين ، وقد ساهم مع الزيات فى إيجاد أدب خلق رفيع صفوة من أصدقائه وحواربيه ، وعلت فى سماء الرسالة صيحات الرافعى وعزام والزيات وفريد وجدى والطنطاوى وخلاف وقطب وأضرابهم من حماة الفضيلة والأخلاق . ولا زلت أذكر أن الأستاذ الزيات قد كتب مقالا عن تاجر يحـاول أن يتحلل من قيود الخلق والـكرامة لينجح فى تجارته ، مدعيا أن الغش والنفاق هما طريق زملائه إلى الثراء . وما كاد الزيات يفضحه أمام القراء حتى انبرى عبـد الوهاب عزام وأمين الخولى وعلى الطنطاوى والزيات مرة أخرى ينتصرون للفضيلة فى مقالات حارة تهدى إلى طريق النجاح ، وأنا — بكل صراحة — حين أعلل اندفاعى إلى جماعة الإخوان المسلمين أجد الرسالة ذات أثر غير مباشر فى ذلك ، فقد غرست فى نفسى حب العروبة ونصرة الإسلام ، وبغض الاحتلال ، كما رسمت بأقلام كتابها صورا واضحة المسلم الأبى الغيور ، وقد وجدت أهداف الاخوان لا تخرج عن ذلك . بل أذكر أنى حضرت ذات ليلة مجلس الأستاذ الزيات فى ندوة الرسالة فسمعته يتحدث عن محاربة الاستعمار للشرق والإسلام بكل سلاح مدمر غير مشروع ، ثم انتقلت عقب ذلك إلى مجلس المغفور له الأستاذ حسن البنا ، فوجدت الحـديث متصلا يندد بفضائح الاستعمار ومحاربة الإسلام !! وكأنى لم أنتقل من مكان إلى مكان ، فرحم الله المرشد الشهيد ، وكتب للزيات عمرا فسيحا يسعد به الشرق والإسلام

أرى أن الحديث عن الرسالة يذهب بى كل مذهب ! حتى لأعجز أن ألم بأطرافه ، فهو حديث الصبا والشباب والآمال ، وحديث الخلق والعروبة والإسلام ! ولو كنت معى الآن لحدثتك بما يزدحم فى صدرى من الخواطر عن الرسالة ، ولـكن القدر الذى جمعنا أثناء الدراسة فى معهد واحد ، وأجلسنا على مقعد واحد ، قد باعد ما بيننا أثناء التدريس ، فأصبحت أدعوك من مكان بعيد ، راجيا لك السعادة والصفاء

فهيهات العقيق ! وكيف يدنو ؟
وهيهات الغداة فتى العقيق

(أبو تيج) محمد رجب البيومى

من وحى غزوة بدر

منطق السيف

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كان المسلمون يوم « بدر » قلة ، وكانوا أذلة . . . ولكن الله نصرهم لأنهم أرادوا أن ينصروه . فقلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة بعد صبر جميل ، وجهاد طويل « والله مع الصابرين » .

وكانت « بدر » أول غزوة انتصف فيها الإسلام من أعدائه « بالسيف » ، الذى كان علاج الأمر ، حين لا يغنى الكلام عن الحسام ، وحين لا يجزىء « البيان » ، عن طعن « السنان » ...



يا غزوة خلدت فى القرآن فضمنت خلدك فى مدى الأزمان

كانت على الإسلام بدء تحرر من ربقة الأصنام والأوثان

السيف فيها بالحقيقة ناطق والحق فيها ساطع البرهان

لا خير فى حق إذا لم يحمه حلق الحديد وألسن النيران..

من لم يصنه من المداوة سله صانته قوته من العدوان ...

* * *

تلك المصائب من قريش لم تزل فى الإثم غارقة وفى الطغيان

نفروا إلى حرب يضيق بيأسها صدر الكماة وأنفس الشجعان

الكفر يجمعهم على راياته والشرك يدفعهم إلى الميدان

لا الحق يجرى فى عروقهم ولا صوت الهدى ينصب فى الآذان

ألقوا أعنتهم إلى شيطانهم يا ويل من لجأوا إلى الشيطان

* * *

مهلا (أبا جهل) فإنك عائد بالخزى من مسعاك والخسران

هلا رجعت إلى مقالة « عتبة » وإلى النصيحة من « أبى سفيان »

أغرتك بالإسلام قلة أهله بين افتقار الصحب والأعوان

ماذا يضير المسلمين إذا غزوا فى قلة موفورة الإيمان ؟

إيمانكم بالله قوى بينكم لحم المرى وأواصر البنيان

كانت ملائكة السماء تعينكم وعدوكم بالله غير معان

يا قلة بالله كانت كثرة بشراكمو بنبوءة القرآن

الله ألقى الرعب بين عدوكم وأشاع فيه دلائل الخذلان

خذوا السيوف إلى الحتوف وأبشروا بالنصر موعودا من الرحمن

من كان ناصره الإله فإنه هيهات يخذل من بنى الإنسان

* *

يا رافع الأركان بين جماعة كانت بلا أس ولا أركان

الله جارك قاذفا بكتيبة والله حسبك طاعنا بسنان

المسلمون على ضآلة جمعهم خذلوا لواء الإفك والبهتان

شاهت وجوه الشرك حين قذفتها بحصى ، وزاغت أعيا زوغان

لك فى جهادك معجزات جمة يا معجز الآيات والتبيان

محمد عبد الغنى حسن

عيش العبيد

للأستاذ ابراهيم الوائلى



لا .. لا أريد   عيش العبيد
الصاغرين الخاضعين لـكل جبار عنيد
الراسفين فلا حراك لهم وقد صدئ الحديد
التائهين مع الظلام فمن شريد أو طريد
الناعين على الطوى والذل والعسف الشديد
الساكتين عن الطغاة تدوسهم دوس الحصيد
الراكعين لـكل من غنى له الزمن البليد
فإذا السياط على المتون مخضبات بالصديد
يلهو بها متنمر أقسى من القدر المبيد

* * *

من ذا يريد   عيش العبيد ؟
الحالمين يعللون النفس بالأمل البعيد !
بين الخرائب والصخور وبين أكوام الجريد
والسيد الطاغى تواكبه الحياة كما يريد
بين الـكئوس المترعات وبين ألحان وغيد
مغف على النغم المذاب يحوطه نهد وجيد !
والقصر يحفل بالرياش من القديم إلى الجديد
أما العبيد فحسبهم فى العيش أنهم عبيد
خلقوا ليشقوا فى الحياة وينعم القصر المشيد

* * *

لا .. لا أطيق   عيش الرقيق
الحائرين فمن طريق يركضون إلى طريق
بين المصانع والحقول وكل منحدر سحيق
فيد تدير النول يربطها به الخيط الدقيق
ويد مع المحراث بانت وهى فى عهد وثيق
ولمن تراهم يكدحون وعيشهم نكد وضيق !
ألـكل سكير يعب كما يشاء ولا يفيق ؟
أم للصدور الناعمات يشع منهن البريق ؟
أم للبطون ترهلت فإذا التجشؤ كالنهيق

* * *

من ذا يطيق   عيش الرقيق ؟
عيش الحفاة الجائعين فلا مغيث ولا شفيق
الـكادحون فمن مضيق يدفعون إلى مضيق
هم يغرسون وللعتاة الزرع والشجر الوريق
ودماؤهم .. إن الدماء لـكل غانية رحيق
وقلوبهم .. قطع تذوب على البنفسج والشقيق
ما للعبيد سوى الشقاء لينعم الحر الطليق
أمل يذوب مع الضباب كأنه أمل الغريق
أن يحطم القيد المجلجل ميت لا يستفيق

(العراق)   ابراهيم الوائلى

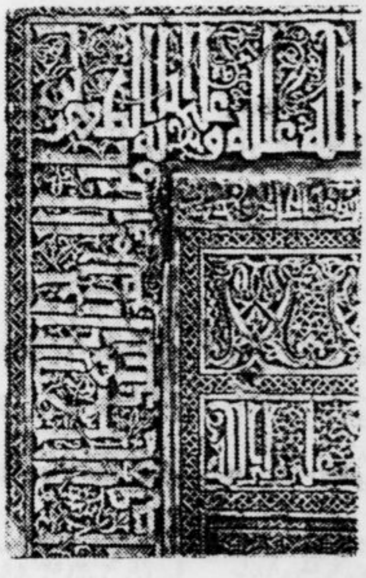
آيات من الفن الإسلامي

للدكتور احمد موسى



ظهر الإسلام في جزيرة العرب وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها بفضلهم ، وقامت الإمبراطورية الإسلامية بجهودهم وحسن بلائهم ، ولذلك فان الفن الذي انتشر في تلك الإمبراطورية كان له شأنه الخاص في كل بلد ظهر فيه

فلم يكن شرقيا ولا مغربيا ، كما أنه لم يكن إيرانيا صرفا ولا تركيا خالصا ولا هنديا بقسط ، وعلى ذلك نجد أن الفن الإسلامي فن ظهر في العصر الإسلامي في كل هذه الأرجاء حاملا طابع البلاد التي انتسب إليها



جزء من محراب جصي باسم الأفضل (العصر الفاطمي) بجامع ابن طولون

وكان لتسامح العرب وحسن استعدادهم وإقبالهم على استخدام الفنانين ورجال الصناعات الفنية في البلاد التي فتحوها فضل عظيم على ازدهار الفن ، فوجد في مصر والشام أساليب مسيحية شرقية، وفي العراق وإيران أساليبهما المتقاربة ، فكان الفن الإسلامي مزيج من هذا كله نشأ عن التقاء الفنون المسيحية الشرقية ، والإغريقية والهندية . امتزجت كلها امتزاجا عجيبا أخرج لنا منها تراثا عظيما خالدا ، هو تراث الفنون الإسلامية



صندوق من الخشب المطعم بالعاج صناعة صقلية . القرن الثاني عشر الميلادي

ولا غرابة إذن أن نجد الفن الاسلامي أكثر فنون الأرض انتشارا بالقياس إلى المساحات الشاسعة التي شغلتها الامبراطورية الاسلامية من الهند شرقا إلى الأندلس غربا ، ومن القوقاز وصقلية شمالا إلى بلاد اليمن جنوبا ، وأطولها عمرا بالقياس إلى الفنون الأخرى فيما عدا الفن المصري القديم والفن الصيني



قصر الحمراء بغرناطة . القرن الرابع عشر الميلادي



بلاط من القاشانى من آسيا الصغرى . القرن السابع عشر الميلادى



صورة أمير (تصوير إيرانى) . القرن السادس عشر الميلادى



طير وورد (جزء من لوحة خسرو وشيرين) القرن الخامس عشر الميلادى



« الضرب بالفلقة » للمصور محمد قاسم الإيرانى أوائل القرن السابع عشر

وقد بدأ الفن الاسلامى فى الظهور منذ القرن الأول الهجرى وأخذ ينمو رويدا رويدا حتى بلغ النضوج فى القرن الرابع عشر الميلادى

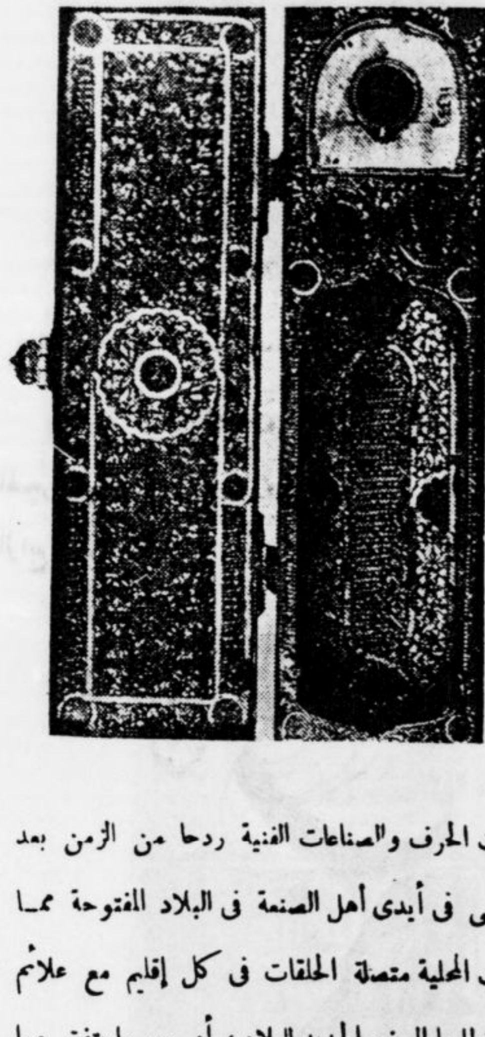


الفنان المبتدىء (تصوير فارسي) القرن السابع عشر

ويعنينا هنا أن نلم ببعض آياته الخالدة على الزمن قبل أن يتأثر المسلمون بالفنون الغربية ، ويقبلون على تقليدها

وبالنظر إلى اتساع الامبراطورية الاسلامية ، فانه كانت

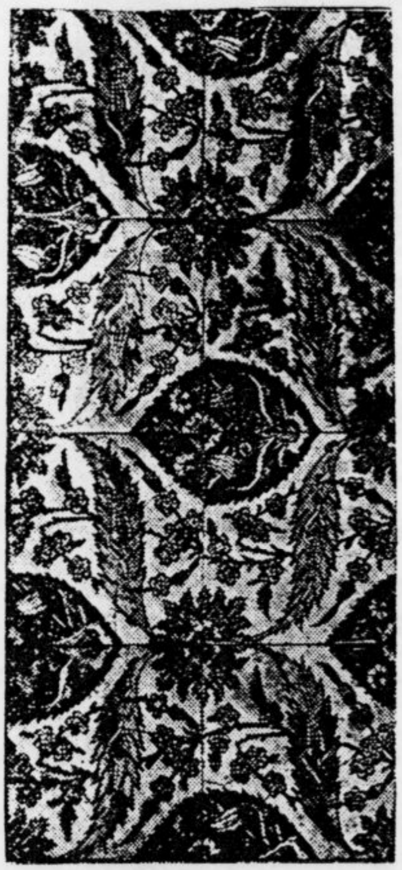
لهم فنون سميت بأسماء البلاد التى نشأت فيها كما سبق القول ، كما اختلفت طرزه بالنظر إلى طول الزمن الذى استغرقه هذا الفن



مقلمة من نحاس مطعم بالذهب والفضة مزينة بزخارف نباتية وهندسية وبكتابات لسجية دقيقة وباشرطة من الخط الكوفى المجدول تتخللها فروع نباتية وهذه هى أجمل مقلمة معروفة . عملت باسم السلطان الملك المنصور محمد النوف فى سنة ١٣٦٣ ميلادية

وقد بقيت الحرف والصناعات الفنية ردحا من الزمن بعد الفتح الاسلامى فى أيدى أهل الصنعة فى البلاد المفتوحة مما جعل الأساليب المحلية متصلة الحلقات فى كل إقليم مع علائم التجديد التى تطلبها الوضع الجديد للبلاد ، أو مع ما يتفق وما أحضره العرب من الأقاليم الأخرى الخاضعة لأمبراطوريتهم . ومن هنا نجد اتفاق الفنون الاسلامية فى الغاية ، وتشابهها فى مجملها وإن اختلفت فى أجزاء تكوينها اختلافا قد يصعب إدراكه على غير المتخصصين

وقد تطورت الفنون الاسلامية بتطور العصور وتأثرت بالأحداث الاجتماعية والسياسية شأنها فى ذلك شأن كل الفنون ولعل العمارة الاسلامية من أبرز الفنون تأييدا لما نقول ، ذلك لأن فن البناء أكثر الفنون تعبيرا عن الاقليم الذى ينشأ فيه ، فهو خاضع للموقع الجغرافى متأثر بالوسط الجيولوجى إلى جانب الحالة الجوية والمدنية ، هذا عدا ما يبدو فى تفصيل العمائر من اختلاف الأعمدة وتيجانها وعقودها ومآذنها وقبابها وزخارفها فضلا عن تغطية جدرانها بوسائل مختلفة ، على حين نجد أن تبادل الأنماط والأساليب أكثر يسرا وأسهل نقلا من الأعمال الفنية الأخرى كالمنتجات الصناعية التى انتقلت من إقليم إلى آخر على يد التجار الذين جابوا الامبراطورية شرقا وغربا



لوحة من قاشانى مزينة بفروع وأوراق نباتية وأزهار من ورد وقرنفل . القرن السادس عشر الميلادى . دار الآثار العربية

بدأ الفن الاسلامى فى عصر الخلفاء الراشدين بسيطا بعيدا عن المعنى المصطلح عليه فى عصرنا الحاضر ، ولم يكن هذا غريبا مادام المسلمون وقتئذ كانوا متفرغين للجهاد والفتح والعمل

على نشر الدين



إناء من خزف مزين بزخارف من زهور كبيرة مفتحة الأوراق ذات ألوان زاهية . القرن السابع عشر الميلادى . دار الآثار العربية

ثم تطور الحال بالفتوحات الاسلامية ، فرأينا المساجد الشاهقة والقصور الفاخرة والفنون الصغرى تظهر تباعا نتيجة الانصال بالأمم ذات الحضارات القديمة ومعاينة آثارها وما فيها من جمال الفن ، فضلا عن صادق رغبتهم فى ألا يظهر المسلمون فقراء فى عمائرهم بسطاء فى مظاهرهم وهم سادة البلاد

وظهرت الطرز حاملة اسم الدولة الحاكمة فظهر الطراز الأموى والطراز العباسى والفاطمى وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره تفصيلا

وتشتمل الفنون الإسلامية عدا العمارة فنونا أخرى لا تقل خطرا فالنحت المعمارى وإن يكن تابعا للعمارة إلا أنه لعب دورا له قيمته كعمل فنى مستقل ، وجاء الحفر فى الخشب وأشغال العاج والعظم والتحف المعدنية والزجاج والبلور والأشغال الخزفية والمنسوجات والسجاد وهذه كلها لها قيمتها الفنية العظيمة

ثم هناك فن مستقل آخر هو فن التصوير فى الكتب ويدخل ضمنه فن التذهيب والخط والزخارف الكتابية التى تتصل كثيرا بالزخارف الهندسية المعمارية والزخارف البنائية

ونحن إذ نقدم بعض النماذج لآيات الفن الإسلامى نرجو أن يلمس القارئ ناحية من نواحى الحضارة الإسلامية العظيمة جديرة بالعناية والدرس

أحمد موسى

من قراء كتاب الله

الشاطبي

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

المدرس بكلية دار العلوم



هو القاسم بن فيره (١) بن خلف الرعيني الشاطبي ، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة إحدى بلاد الأندلس ، فاقد البصر ، فحفظ ببلدته القرآن ، وقرأ بها القراءات وأتقنها ، ثم رحل إلى بلنسية بالقرب من بلده ، حيث عرض ما درسه من القراءات على بعض أساتذتها ، وأعاد درس كتاب التيسير للداني ، ودرس الحديث والنحو والأدب والفقه والتفسير ، فقرأ الكتاب لسيبويه ، والكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة . وربما قرأ بها كتاب الظمآن في تفسير القرآن ، على مؤلفه أبي الحسن بن النعمة ، كما روى تفسير عبد الحق بن عطية . وقد أوتي استعدادا خاصا ، منحه النبوغ في كل مادة درسها . وكان قوى الحافظة ، فكان عالما بكتاب الله قراءة وتفسيرا ، مبرزا في حديث رسول الله ، إذا قرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ، ويملي أمالي على الموطأ في المواضع المحتاج إليها ، إماما في النحو واللغة ورواية الأدب ، إلا أن السليقة الأدبية كانت تنقصه ، فجاء شعره معقدا صعبا ، تنقصه حرارة العاطفة وروح الفن ، ومن ذلك قوله :

يلومونني إذ ما وجدت ملائما ومالى سليم حين سمت الأكارما

وقالوا : تعلم ، للعلوم نفاقها بسحر نفاق تستخف المزاعما

وهي قصيدة طويلة . وله :

بكى الناس قبلي ، لا كمثل مصائبي بدمع مطيع كالسحاب الصوائب

وكنا جميعا ثم شتت شملنا تفرق أهواء عراض المواكب

ولكن ذلك لا ينقص من قدره عالما كبيرا

ويقول ابن خلكان وصاحب نفح الطيب : إنه قد خطب ببلده مع صغر سنه . أما أبو شامة في ذيل الروضتين فيروى أن سبب انتقاله إلى مصر أنه أريد أن يتولى الخطابة ببلده فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج وأنه عازم عليه ، فتركها ولم يرجع إليها ، تورعا مما كان الأمراء يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعا . وربما يكون قد أقيم في الخطابة ، ثم فر منها . وترك الأندلس سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، يريد الحج ، فدخل مصر في ذلك العام . ولست أدرى إن كان قد أتم فريضة الحج أو لم يتمها ، وألقى عصا التسيار في مصر عندما جاء إليها مستوفيا حظه من الثقافة التي تتصل بالقرآن ، ولكنه رأى أن يستكمل دراسته للحديث ، فسمع بالإسكندرية الحافظ السلفي . ثم جاء إلى القاهرة تسبقه إليها شهرته ، فطلبه القاضي الفاضل للاقراء بمدرسته ، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه ، على ما كان فيه من الفقر . ولست أدرى عن هذه الشروط شيئا ، ولكن القاضي الفاضل ، فضلا عن قبول هذه الشروط ، أنزله على الرحب والسعة ، وعظمه تعظيما كبيرا وجعله شيخ مدرسته . وظل الشاطبي بهذه المدرسة متصدرا لإقراء القرآن الكريم وقراءته ، والنحو واللغة ، ولم يفارق القاهرة سوى مرة واحدة ، زار فيها بيت المقدس ، فصام هناك رمضان ، واعتكف سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وهنأ صلاح الدين بفتحه ، ثم عاد إلى مدرسته التي انتهى إليه فيها رياسة الإقراء ، وكان

(١) فيره بكسر الفاء وسكون الياء وتشديد الراء وضمها معناه في لغة أعاجم الأندلس : الحديد ، والرعيني نسبة إلى ذى رعين أحد أقيال اليمن وقيل اسمه أبو القاسم ، وكنية اسمه ، ولكن في إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم ، كما رآها ابن خلكان

يعرف مذهب الشافعى ومالك ولذا نراه فى طبقات الشافعية والمالكية ؛ فضلا عن أن شروط مدرس الفاضلية أن يكون ملما بالمذهبين ؛ وثابر على الإقراء بمدرسته ، فكان يصلى فيها الصبح بغلس ، ثم يجلس للاقراء ، فكان الناس يتسابقون السرى إليه ليلا . وكان إذا قعد لا يزيد على قوله : من جاء أولا فليقرأ . وظل خادما للقرآن الكريم حتى توفى يوم الأحد بعد صلاة عصر اليوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة القاضى الفاضل ، وخلف ابنا هو محمد الذى روى قصيدة أبيه فى القراءات

أما مواهب هذا الرجل وأخلاقه فقد أكبرها معاصروه ومؤرخوه . قالوا : كان أعجوبة فى الذكاء ، يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه ، وأنه لا يبدو منه ما يدل على العمى . زاهدا عابدا ، مخلصا فيما يقول ويفعل ، منقطعا للعلم والعمل ، يتجنب فضول الكلام ، ولا ينطق إلا بما تدعو إليه الضرورة ، ولا يجلس للاقراء إلا على طهارة فى هيئة حسنة ، وخشوع واستكانة ، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوه . وما كان يرى التقرب إلى الأمراء ، ولا النفاق والزلفى إليهم . حتى أن الأمير عز الدين موسك ، الذى كان والد ابن الحاجب حاجبا له ، بعث إلى الشاطبى يدعوه إلى الحضور عنده ، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه :

قل للأمير نصيحة: لا يركنن إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

وكان من تلاميذه طائفة من المبرزين ، نذكر منهم أبا الحسن السخاوى ، وهو أجل أصحابه ، وابن الحاجب وغيرهما ، وقد بارك الله فى أصحابه ، فكلهم قد أنجب ، وكلهم كان يضمر لأستاذه أسمى آيات الحب والإجلال ، حتى أنشد أبو شامة المقدسى من نظمه فى ذلك :

رأيت جماعة فضلاء فازوا برؤية شيخ مصر الشاطبى
وكلهم يعظمه ويثنى كتعظيم الصحابة للنبى

وترك لنا القاسم أربع قصائد ، عرفت الأولى بالشاطبية ، واسمها حرز الأمانى ووجه التهانى . والثانية رائية ، والثالثة دالية . والرابعة تدعى : تتمة الحرز من قراءة أئمة الكنز

أما الأولى فأشهر ما خلف ، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا . قال عنها ابن خلكان : لقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم ؛ فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها ، وهى مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها . أما ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ فيقول : ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله فى ذلك خصوصا اللامية (الشاطبية) التى عجز البلغاء من بعده عن معارضتها ، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها ، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها . ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول مالا أعلمه لكتاب غيره فى هذا الفن ، بل أكاد أن أقول ، ولا فى غير هذا الفن ، فإننى لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه ، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به . ولقد تنافس الناس فيه ، ورغبوا فى اقتناء النسخ الصحاح منه ، حتى إنه كانت عندى نسخة اللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوى مجلدة ، فأعطيت بوزنها فضة ، فلم أقبل . ولقد بالغ الناس فى التغالى فيها ، وأخذ أقوالها مسلمة ، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما ، حتى خرجوا بذلك أن تكون لغير معصوم ، وتجاوز بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع ، وأن ما عدا ذلك شاذ ، لا تجوز القراءة به ، وقال بعضهم يصف الشاطبية :

جلا الرعينى علينا ضحى عروسه البكر ، ويا ما جلا
لو رامها مبتكر غيره قالت قوافيها له الكل : لا

ولقيت هذه القصيدة عناية كبرى من الشراح الذين حلوا رموزها ، ووضحوا مراميها . وأول من شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وقد قرأ القصيدة على أستاذه ، وسمى شرحه : فتح الوصيد ، فى شرح القصيد . وشرحها أبو شامة المقدسى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ شرحا سماه إبراز المعانى . قال فى كشف الظنون ، وهو تأليف متوسط لا بأس به ، ثم اختصره فى كتاب سماه إحراز المعانى (بدار الكتب رقم ٣٤ قراءات) وشرحها غير هذين الرجلين شروحا كثيرة تجدها فى كشف الظنون ، أفضلها وأدقها شرح برهان الدين الجعبرى المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، واسمه كنز المعانى (بدار الكتب رقم ١٤٩ قراءات)

وقام باختصار هـذه القصيدة جمال الدين بن مالك النحوى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ فى قصيدة سماها : حوز المعـانى فى اختصار حرز الأمانى ؛ والمختصرة من بحر الشاطبية وقافيتها . كما قام باكمالها أحمد بن على المحلى الضرير شيخ القراء بالقاهرة المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وكان الشاطبى نفسه قد أتمها من قبـل فى قصيدة سماها تتمة الحرز من قراء أئمة الـكنز ، وهى فى رواة القراءات السبعة

وقد ساعد الشاطبى على نجاحه فى رموزه وإشاراته ذهن يحب الإلغاز ويميل إليه ، قالوا : إنه كان كثيرا ما ينشد هـذا اللغز ، وهو للخطيب الحصكفى فى نعش الموتى :

أتعرف شيئا فى السماء نظيره ... إذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا ، وتلقاه راكبا ... وكل أمير يعتليه أسـير
يحض على التقوى، ويكره قربه ... وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة فى زيارة ... ولـكن على رغم المزور يزور

وقد ألف الشاطبى قصيدته حرز الأمانى بالقاهرة ، وعرفنا أن مصدرها كتب أبى عمرو الدانى التى درسها القاسم بن فيره . أما الرموز والإشارات التى بها فمن بنات أفكاره

ونظم فى القاهرة أيضا قصيدته الرائية فى فن الرسم ، وهى نظم لـكتاب آخر فى هذا الفن لأبى عمرو الدانى ، قال ابن خلدون : وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا ، وهى أوضاع حروف القرآن فى المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ، كزيادة الياء فى (بأييد) ، وزيادة الألف فى (لا أذبحنه) و (لأاوضعوا) والواو فى (جزاؤ الظالمين) وحذف الألفـات فى مواضع دون أخرى ، وما رسم فيه من التاءات ممدودا ، والأصل فيه مربوط على شكل الهاء ، وغير ذلك . فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها ، فكتب الناس فيها أيضا ، وانتهت بالمغرب إلى أبى عمرو الدانى ، فكتب فيها كتبا من أشهرها كتاب المقنع ، وأخـذ به الناس ، وعولوا عليه ، ونظمه القـاسم الشاطبى فى قصيدته المشهورة على روى الراء ، وولع الناس بحفظها ، وسمى الشـاطبى قصيدته الرائية : عقيلة أتراب القصائد ؛ فى أسنى المقـاصد (بدار الـكتب رقم ب ٢١٤٤٦) وشرحهـا كذلك شارح حرز الأمانى إبراهيم الجعبرى وغيره

أما القصيدة الرابعة فدالية تبلغ خمسمائة بيت ، أحاطت بما فى كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد للحافظ ابن عبد البر ، وضمه فى الفقه والحديث

وللشاطبى كذلك كتـاب الاعتصـام وهو فى الفقـه على ما يبدو مما نقله عنه الأستاذ محمد كرد على فى كتابه : الإسلام والحضارة العربية (ج ٢ ص ٣٣) ، ومنظومة رائيـة فى بيان المدنى والمـكى من الآيات والسور ، عدد أبياتها مائتان وسبعة وتسعون بيتا . (بدار الـكتب رقم ب ٢٣٥٣٥)

وبعد فإنه لا يضير الشاطبى أنه استقى مؤلفـاته من كتب غيره ، فإنه انفرد بنظمها ، ووضع رموزها وإشاراتها ، وتقريب العلم بها لطلبة العلم وحفاظه ، وقد أصبحت كتبه ملاذ طلاب هذه الفنون ، أكثر من الأصول التى أخذت عنها

أحمد أحمد بدوى

حاجة الإسلام إلى زعيم

للدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول



نعم ! الإسلام بحاجة اليوم إلى زعيم يلم شعثه ، ويجمع متفرقه ، ويوجهه نحو الخير ، ويجعله حقا قوة من قوى العالم الحي الذي يسير قدما إلى الأمام ، ويسهم بذلك في سعادة البشرية

في الإسلام ، باعتباره دينا له عقائده وتشاريعه ومثله العليا ، قوى مذخورة لابد من الإفادة منها في قيادة العالم ، وكل ما علينا هو أن نستخلصها منه . وفي الأمم الإسلامية ، إن وجدت الزعيم الموجه القادر المخلص ، قوى مادية ومعنوية لا غناء عنها للبشرية . هذا كله بدهي لا يحتاج إلى بيان ، وهذا كله يحسه كل منا ويملأ به فمه حين يتحدث إلى أخيه في الدين أو الوطن

لو لم يكن العالم في ماضيه وحاضره ومستقبله بحاجة إلى الإسلام ، ما اتصلت السماء بالأرض لتوحي به وبرسالته ؛ فإن هذا الاتصال ، وهو خرق لقوانين الطبيعة ، لا يكون إلا حين تدعو الحاجة الملحة والضرورة المطلقة . وكذلك كان الأمر حين نزل وحي السماء بدين جديد يوائم الإنسانية وقد بلغت رشدها ، بعد أن استنفدت كل من اليهودية فالمسيحية أغراضها ، ويوائم أيضا الإنسانية في جميع ما تمر به من مراحل وأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها

ولكن هذا الدين على حاجة العالم له ، ومع قيام نهضة أوربا على كثير مما جاء به ومما خلد على الزمن من تفكير أعلامه ، صار الآن مهملا من أصحابه ، وصارت دوله نهب الطامعين ، وصاروا لا شأن لهم في كثير من أمورهم بله أمور العالم عامة ! لماذا ؟ لأن الأمة الإسلامية لا تجد منذ زمن طويل الزعيم المؤمن حقا بإسلامه ورسالته ، فيأخذ بيدها إلى الأمام لتقتعد مقاعد العز والمجد بين الأمم المختلفة

نحن لا نشكو القلة في العلماء والمفكرين ؛ فعندنا بحمد الله علماء مبرزون في التشريع ، والتاريخ ، والآداب ، والفنون ، وعندنا كذلك كتاب مشاهير ، وخطباء مصاقع ، وأطباء نطاسيون ، ومهندسون بارعون ، ودهاقنة في أمور المال والاقتصاد ، إلى أمثال هؤلاء وأولئك ممن يقوم عليهم بناء الأمة ولا تستغني عنهم الدولة

ولكن ، مع هذا كله ، نرى البلاد الإسلامية لا تسير على الجادة المستقيمة ، ولا تكاد تسير برأيها الخاص وفق تقاليدها الخاصة في موكب العالم . ذلك ، ونكررها مرة أخرى ، بأن العالم الإسلامي فقد منذ زمن طويل « الزعيم » المؤمن بدينه وشريعته ، الفاهم لرسالته ، المخلص لدينه وقوميته ؛ الزعيم الذي يجعل همه من حياته بيان طريق الخير وحمل أمته عليه ، والأخذ بيدها للسير فيه ، سر ذلك الغرب أو ساءه

نحن بحاجة إلى زعيم يفكر في الغاية التي يجب أن نصل إليها ، ويقدر الوسائل التي يجب اصطناعها ، ولو قلب في هذا السبيل نظم التعليم مثلا رأسا على عقب لتستطيع المدرسة خلق الشباب المسلم ، ويعمل على حمل قومه على الإسلام الصحيح عقيدة وقولا وعملا قبل محاولة حمل الآخرين عليه

إن نظام التعليم الحديث ، في الأزهر والجامعة على السواء ، قد فشل في أداء رسالته ، وهي تخريج جيل يحسن الإفادة بما تلقن من علم وحاز من ثقافة صالحة ، جامعا إلى هذا الاعتزاز بدينه وقوميته ووطنه وضميره وكرامته . إن هذا النظام قد أخرج ، ولا يزال ، لنا من الشباب من يقول ولا يفعل ، ويدعي ولا يحقق ، ويتمنى ولا يريد ، أو يريد ولا يصمم على بلوغ ما يريد ، ومن يعرف الدين دون أن يخالط الإيمان الحق

قلبه فينزل دائما عليه فى حكمه ، ومن يعتز بأوربا ويفتتن بكل ما رأى فيها دون تفرقة بين الحق والباطل والنافع والضار !

إن ممن تخرجوا على نظام هـذا التعليم — حتى من الأوربيين — يفهم كيف تسخر الكهرباء والبخار وسائر قوى الطبيعة ، للطيران فى الهواء والسباحة فى الماء ، ولـكنه مع هذا كله لا يحسن أن يمشى على الأرض !

ونظام هذا قصاراه ، وتلك نتائجه ، يجب التغيير منه ، إن لم تقل تغييره كله من أساسه ، ليقوم على أسس جديدة تجعله يخلق الشاب المؤمن الكامل فى طباعه وخلقه ، الفاهم حقا لرسالته التى تجمع بين عز الدنيا وسعادة الآخرة

نحن بحاجة إلى زعيم يعتقد مع شاعر الإسلام السيد « محمد إقبال » أن مقام المسلم فى هـذا العالم[1] مقام كبير خطير ؛ مقام الإمامة والتوجيه ، لا مقام التقليد والاتباع ، فإنه لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب البشرى حيث يتجه ويسير ؛ بل خلق ليوجه المجتمع البشرى والعالم والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ويملى عليها إرادته ، لأنه صاحب الرسالة والعلم اليقين ، ولأنه المسئول عن هـذا العالم وسيره واتجاهاته . إن هذا المسلم ليس له ، إذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة ، أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسالم الدهر ، بل عليـه أن يثور عليه وينازله ويظل فى صراع معه حتى يقضى الله فى أمره . وما أحسن ما يقول السيد « محمد إقبال » حرفيا ، متمثلا فى هذا المقام : « سألنى ربى هل ناسبك هذا العصر وانسجم مع عقيدتك ورسالتك ؟ قلت : لا ، ياربى ! قال : فحطمه ولا تبال ! »

نريد زعيما يرى أيضا مع شاعر الإسلام أن الخضوع للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء والقدر ، من شأن الضعفاء والأقزام ؛ أما المؤمن القوى ، فهو بنفسه قضاء الله الغالب ، وقدره الذى لا يرد . وفى ذلك يقول « إقبال » حرفيا : « إذا أحسن المؤمن تربية شخصيته ، وعرف قيمة نفسه ، لم يقع فى العالم إلا ما يرضاه ويحبه »

نريد زعيما يرى ، مع هذا كله ، أن الدنيا لا قيمة لها لديه ، لا يهمه منها إلا ما يعينه على أداء رسالته . كما يوقن أن من تقدم كبراء وعظماء ليسوا من ذلك فى شئ إذا وزناهم بالميزان الصحيح ، وأن هذا الميزان هو مقدار ما يقدمونه للدين والوطن والإنسانية من خير ، وأن الإسلام لا يعرف احترام الرجل لنسبه أو جاهه أو ماله فحسب

ولـكن ، من لنا بهذا الزعيم وقد أكثرنا من تعداد خصائصه ؟ إنه لم يكن صاحب رسالة إلا وقد صنعه الله على عينه وأعده لأداء رسالته ، وقد ختم الله رسالاته ورسله ؛ ولـكنه ترك لنا بعد هـذا ما إن تركناه لن نضل ، وهو القرآن العظيم ، والخير — كما يقول الرسول الأعظم — لا يزال فى أمته إلى آخر الدهر ، فلماذا لا نلتمس هذا الزعيم التماسا فى البيئات الصالحة لإنباته وإعداده وهى البيئة الدينية ؟

إن النـاس لا يزالون بحمد الله ينقادون بعامل الدين واسمه ، أكثر من أى عامل آخر ، لأن الإنسان متدين بطبعه كما يقولون ، ولنـا فى « آية الله كاشانى » على ما نقول دليل أى دليل !

إن لنا إذا أن ننتظر ظهور هذا « الزعيم » من البيئة الدينية الوحيدة عندنا وهى الأزهر ، لو أحسن القائمون على الأزهر اكتشاف العناصر الصالحة من أبنائه ، وأحسنوا بعد هذا القيام عليهم ؛ ليكون منهم فيما بعـد الدعاة الأقوياء للدين ورسالته ، لا يعيشون إلا لهذا المهم الـكبير ؛ وليكونوا رجالا يسمع لهم حين يتكلمون ، وقادة تلتف حولهم الأمة حين يتحركون .

والله هو المستعان ، الموفق للصراط المستقيم

محمد يوسف موسى

أستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

---

(١) اقتباس من رسالة : « شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال » للأستاذ الهندى المجاهد أبو الحسن على الحسنى الندوى

من دموع اللاجئين

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« الى تلك الفضيحة الإنسانية التى سيخلد عارها . غدر الساسة .. ولؤم الحضارة . ووحشية الإنسان ! »



أخى .. قد مزقت ريح الدجى بيتى وأيامى
وساقتنى على الأرض بهـذا الهيكل الدامى
وهذا الشبح المطرود فى هذا الأسى الطامى
ينادى ... أين ملك الله تخبط فيه أقدامى ؟
وأين الأرض تحملنى ، وتدفن بعض آلامى ؟
وبعض خطاى فى هذا الدجى المتفجر الهامى ..

* * *

هنـا فى كبوة الأقدار بين السيل والوبل
وبين عواء شيطان طريد الجن مختـل
يقمقع للرعود السود مأخوذا من الهول
سمعت فحيح ثعبان على رأتى منسل
تدفق جسمه المقرور بين حفائر السل
وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل ..

* * *

هنا فى خيمة البهتان والطغيان والزور ..
لدى مأوى كلحد الميت ، فى النسيان محفور
رُميت كدعوة وقفت على درب المقـادير
يصب التيه فى خلدى خطا الظلمـات فى النور
فأشرب حيرتى وبكاى من كف الأعاصير
وأذرف أدمعى الخرساء فى صمت الدياجير ..

* * *

أخى .. قد غال ذئب الجوع أطفالى مع الفجر
وبعثرهم جنون السيل بين مـداخل الصخر
فلا أدرى لهم شجنا على نعش ولا قبر
كما كانوا هنا .. عادوا ، بلا سكن ولا عمر
ظللت أنوح .. ياربّاه ! بعض نداك للجمر ..
فجاء الموت يفغر فاه للظلمات والقفر !

* * *

أخى .. فى عزلة حمراء بين ستائر الحان
وتحت جناح مصباح بغى الضوء نشوان
سمعت صداك من قدح إلى الشهوات ظمآن
تدور به على جسد بسحر العار ريان ..
وحولك أمة سـكرى على رشفات طغيان
يدور بها على فلك شقى الخطو حيران ..

* * *

ضباب الذل غشانا وصوت العـار أحزانا
ولم يترك لنا الطاغون شيئا فوق دنيانا
أذاقونا عـذاب التيه ، والتشريد ألوانا
إذا صحنا من الجوع أكلنا القوت حرمانا

الكتلة الإسلامية والسلام العالمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفه



تحتل البلاد الإسلامية بقعة كبيرة من سطح الكرة الأرضية ، فهى تمتد من بلاد الصين شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا وتضم بين دفتيها ، الباكستان وأفغانستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والمملكة السعودية العربية واليمن وعدن وعمان والكويت والبحرين — ولنخرج من حسابنا تركيا لأنها قد أخرجت نفسها من مجموعة الشعوب الإسلامية وآثرت الانضمام إلى الدول الغربية — ويضاف إلى هذه المجموعة السابقة من الدول الأسيوية إندونوسيا

هذا فى آسيا أما فى أفريقيا فتوجد مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش وبلاد الصومال

وسكان العالم الاسلامى يزيد تعدادهم على أربعمائة مليون من الأنفس وهو عدد يزيد على عدد سكان القارة الأوربية بأسرها وهو عدد له خطره وقيمته

وفى العصر الحاضر انقسم العالم إلى كتلتين : إحداهما شرقية تتزعمها روسيا وتدين بالشيوعية ، والأخرى غربية وتتزعمها إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتدين بالديمقراطية والاشتراكية . وبين الكتلتين نزاع ونضال . صحيح أنه فى سنة ١٩٤١ ؛ أى فى خلال الحرب العالمية الثانية اتفقت الكتلتان وتحالفتا للقضاء على عدوتهما المشتركة ألمانيا ، فلما قضى الأمر وانتهت الحرب بانتصارهما اعتقد الناس أن العالم سينعم بفترة من السلام عقب هذه الحرب الضروس ، ولكن خاب أملهم ، فسرعان ما شب النضال وقامت الحرب الباردة بين حلفاء الأمس ، ويتجلى هذا النزاع واضحا جليا فى الخلافات المستمرة بين روسيا وبين إنجلترا وأمريكا فى هيئة الأمم المتحدة وفى مجلس الأمن وكذلك فى الحرب القائمة فى كوريا

ولعلك تسألنى مامر هذا النزاع وهذا النضال بين الكتلتين وما سببه ؟ وأنا أجيبك فى صراحة أن كلا من الكتلتين تبغى السيادة على العالم . وهذا يدفعنا إلى أن نبحث موقف العالم الإسلامى إزاء الكتلتين ، والسياسة التى يجب أن تسير عليها شعوبه ، ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نحاول معرفة سياسة الكتلتين إزاء الشرق الأوسط ، أو الوطن الاسلامى

إن كلا من الكتلتين تبغى السيادة على العالم الإسلامى ، وأكثر من هذا إن دول الكتلة الغربية تسيطر فعلا على الدول الاسلامية : ففرنسا تحتل تونس والجزائر ومراكش ، وتسوم أهلها الخسف والعذاب . وبلغ من ظلم فرنسا وقسوتها فى الجزائر أن حرمت تدريس اللغة العربية والدين بمدارسها ، بل زادت

وإن نحنا من العرى لبسنا الموت أكفانا
وإن رمنا ندى الناس وجدنا الناس ذؤبانا ...

* * *

سلوهم .. واسألوا ما شئتم الإسلام ، والعربا ..
وكيف على تراب الذل لم يتمزقوا غضبا !
وكيف غدت « فلسطين » بهم تتجرع النوبا
تنوح على سياستهم وتشكو القيد واللهبا
وهم لمذابح الشهوات ساقوا اللهو واللعبا ..
وقالوا : الشرق ! قلت : صحا على أفواهكم كذبا ..

محمود حسن اسماعيل

فاتهمكت الأعراض ، وحاولت خلق أمة جديدة تختلط فيها الأنساب وتضيع الجنسيات ، ولكن طاش سهمها وخاب رجاؤها

وقد حاولت مصر فتح معهد فاروق الأول للدراسات الاسلامية بمدينة الجزائر ، ولكن فرنسا لم توافق . وقد رد على ذلك معالى الوزير الحر والأديب العالم الدكتورطه حسين باشا فأمر بوقف نشاط الهيئات العلمية والأديرة الفرنسية فى مصر ، وهو عمل نحمده لهذا الوزير الخطير

وتحتل إنجلترا ليبيا ، وبرغم أن استقلال ليبيا قد أعلن فإن انجلترا وأمريكا وفرنسا تحاول أن تبقى قوات احتلالها فى ليبيا إلى ما لا نهاية

وفى مصر والسودان ترفض إنجلترا الجلاء وتقف حائلا أمام وحدة مصر والسودان ، وهى وحدة تبررها العوامل الدينية واللغوية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية . ولا غرابة فى هذا فإن إنجلترا التى تسعى بالوقيعة لافساد اتحاد أبناء البيت الواحد ، لا تتعفف عن الوقيعة بين أبناء الشمال وأبناء الجنوب من سكان وادى النيل

وإن انجلترا وأمريكا هما الدولتان اللتان ارتكبتا أشنع جريمة فى القرن العشرين ، إذ مكنتا لاسرائيل أن تقوم وسط العالم العربى لتهدد أمنه وسلامته . وفى سبيل ذلك شردت الدولتان مليونا من العرب ، وأخرجتاهم من ديارهم وأوطانهم ، وألقى بهم فى العراء فى بادية قفر حيث كتب عليهم أن يقيموا ليكونوا شاهدا على ظلم الانسان للانسان ، ودليلا على أن الأمة التى تتهاون فى شأنها ستلاقى نفس المصير ونفس الهوان . ولكن ليعلم الناس جميعا أن الأمم الاسلامية لن يهدأ لها بال حتى يرد العرب إلى أوطانهم

وتحتل إنجلترا شرق الأردن وعدن وعدة سلطنات على البحر العربى ، وبينها وبين سلطنة عمان وإمارة البحرين وإمارة الكويت معاهدات تحالف !

وبين إنجلترا والعراق معاهدة تبيح لانجلترا أن تنزل قواتها فى أرض العراق إذا تعرض العراق لخطر أجنبى ، وهذا الخطر لن يأتى إلا من جانب روسيا

وكانت انجلترا إلى وقت قريب تسيطر على البترول الإيرانى وتجنى من ذلك أرباحا طائلة بلغت قيمتها ١٩٥٠ ، ١١٥ مليونا من الجنيهات ، ولكن إيران أممت بترولها وطردت الإنجليز من بلادها ، ومع هذا فلم تسكت انجلترا بل عمدت إلى شن حرب اقتصادية على إيران

والباكستان تدخل فى نطاق الكومنولث أو مجموعة الشعوب البريطانية وهى بهذا الوضع مرتبطة بالسياسة البريطانية الخارجية والاقتصادية

وقد ألقت أمريكا أخيرا بدلوها فى الدلاء ، والاستعمار الأمريكى استعمار اقتصادى ؛ والاستعمار الاقتصادى من أشد أنواع الاستعمار فتكا بالشعوب . وهى لهذا تحاول أن تسيطر اقتصاديا على شعوب الشرق الأوسط . وقد أخذت من الحكومة العربية السعودية امتيازا باستخراج البترول من منطقة الظهران الواقعة على الخليج الفارسى

وهكذا نرى أن الدول الغربية تسيطر فعلا على العالم الإسلامى رغم كثرة عدد سكانه ورغم رخائه وكثرة موارده ، تدعى دول الكتلة الغربية أنها لا تريد بدول الشرق الأوسط شرا وتبرر احتلالها لكثير من بقاعه بأنها تحميه من الخطر الروسى . وتذهب انجلترا فى تبرير احتلالها لمنطقة قنال السويس إلى أن مصر قلب العالم الإسلامى وأنها ستكون هدفا للغزو الروسى

هذا هو موقف دول الكتلة الغربية من العالم الإسلامى . أما روسيا فإنها تحاول السيطرة على العالم وهى لهذا تحاول أن تزلزل الأرض تحت أقدام الكتلة الغربية وتعمد إلى إقامة روابط الود مع دول الشرق الأوسط . وتفزع الدول الغربية وتشفق على دول العالم الإسلامى من الوقوع فى براثن الشيوعية وهى إنما تخاف على نفسها وتشفق على سيادتها

وهنا يجب علينا أن نوضح حقيقة موقف الكتلة الإسلامية

إزاء الكتلتين . لقد ضاق العالم العربي ذرعا بسيادة الدول الغربية عليه وهو لا يريد منها إلا أن تذهب غير مأسوف عليها وأن تتركه حرا وهو سترغم على ذلك إرغاما بالطرق السلمية إن أمكن وبالكفاح والجلاء إن لم تجد الطرق السلمية

أما روسيا فليست خطرا على العالم الإسلامي لأن هذا العالم غني بمبادئه عن مبادئ روسيا الشيوعية ، وقد كفل له الإسلام سلامته وسعادته

فالإسلام يأمر المسلمين بأداء زكاة أموالهم وردها على فقرائهم (خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم بها) (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

وإني أحب أن أضرب للناس المثل الآتي ليتبينوا أن الشيوعية ليست خطرا مطلقا على المسلمين

كلنا يعلم أن قريشا رفضت أن تعتنق الإسلام وحاولت أن تفتن المسلمين الأوائل عن دينهم وأن تردهم إلى شركها وكفرها بالتعذيب والتهديد وغير ذلك من الوسائل ولكنهم صبروا على الأذى والعدوان واستعذبوا ما لاقوا من هوان في سبيل دينهم . واضطروا أخيرا أن يهجروا أوطانهم وأن يهاجروا إلى المدينة فرارا بدينهم وتركوا ديارهم وأموالهم

ويروي صاحب السيرة أن صهيب بن سنان حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ! فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني جعلت لكم مالي . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ! ربح صهيب !

وهكذا ذهب المهاجرون إلى المدينة وقد تركوا أموالهم وديارهم بمكة . ماذا فعل الرسول الكريم ؟ آخى بين المهاجرين والأنصار . وماذا فعل الأنصار ؟ نزل كل منهم عن نصف ما يملك لأخيه المهاجر . وما أظن أن في التاريخ الحديث بمبادئه الشيوعية والاشتراكية أروع من هذا المثل

والإسلام دين الديمقراطية : كان النبي يشاور أصحابه دائما (وأمرهم شورى بينهم) ، وكان الرسول لا يقضي أمرا دون مشورة . انظر إليه صلوات الله عليه قبيل غزوة بدر وقد اتخذ مكانا فجاءه الحباب بن المنذر وقال : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون

فقال الرسول : لقد أشرت بالرأي . ونفذ ما أشار به الحباب

والأمثلة على ديمقراطية الرسول كثيرة لا يحصيها العد

واستمع إلى قول أبي بكر الصديق حين بويع بالخلافة : أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن كنت على حق فأعينوني ، وإن كنت على باطل فقوموني . « الخليفة يطلب من الرعية أن تقومه !! أرأيت أروع من هذا مثلا في الديمقراطية ؟

والإسلام دين المساواة والحرية . (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)

والإسلام دين العمل . (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

والإسلام دين التعاطف والتواد والتراحم . استمع إلى قول رسول الله (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضائه بالسهر والحمى .)

والإسلام دين العزة يأبى على أتباعه الذلة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ، وهو لهذا يأمر أتباعه دائما بالجهاد :

(يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون) (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)

وقد أقام الإسلام فيما مضى أمة سادت الدنيا وكانت أقوى أمم الأرض جميعا ، وكانت دول الغرب جميعا ترهبها وتخشى بأسها . وقد بلغ من اتساع رقعتها وامتداد مساحتها أن كان الخليفة هرون الرشيد ينظر إلى السحابة ويقول « امطرى حيث شئت يأتنى خراجك . »

وهكذا نجد أن العالم الإسلامي غنى بمبادئه الإسلامية عن الكتلة الشرقية وعن الكتلة الغربية . وهنا حقيقة أحب أن أذكرها وهى أن العالم أجمع يجب أن يتعاون في النهضة العلمية التى تهدف إلى خير الإنسان . وعلى الشرقيين أن ينهضوا علميا حتى يلحقوا بالغرب؛ فإن الغرب لم يسد ولم يتفوق إلا بالعلم. ولذا أرى واجبا على أهل الشرق أن يدرسوا علوم الغرب وأن يحاول علماؤهم القيام بنصيبهم فى حمل أعباء النهضة العلمية . وليس فى هذا ضير فهذه الحضارة التى يفخر بها الغرب إنما هى مأخوذة فى أساسها عن حضارة العرب

و لقد كان قيام الكتلة الإسلامية حلما من أحلام الكتاب والساسة والمفكرين ؛ ولكنها قد أخذت تصبح أمرا واقعا ، فقد كان قيام الجامعة العربية فى مارس ١٩٤٤ النواة الأولى لها ، ثم زاد شأنها ووضح أمرها حين زار الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الإيرانية مصر منذ عهد قريب وأعلن قيام التعاون بين الدول الاسلامية وعلى رأسها مصر وإيران

وقد تجلى شأن الكتلة الاسلامية واضحا حين وقفت مجموعة الشعوب الاسلامية بجانب مصر فى نضالها ضد المغتصبين من البريطانيين . وقد قامت الباكستان بمجهود يذكر فيشكر

إن قيام الكتلة الاسلامية كفيل بتحقيق السلام العالمى ، فإن بلادها غنية بالمواد الخام والمواد الغذائية . وهى أغنى مناطق العالم طرا بالبترول؛ وإن كل نقطة من البترول تعادل قطرة من الدم ، وإلى هذا يرجع تسابق الدول الغربية إلى احتكار موارد البترول فى الشرق الأوسط . وسيمنع قيام هذه الكتلة اشتعال نيران الحرب بين الكتلتين ، لان قيامها سيوجد توازنا دوليا بينهما فإن انضمامها لاحدى الكتلتين سيكفل انتصارها وإذن تحجم الكتلة الأخرى عن الدخول فى صراع حربى مع الكتلتين الأخريين

وبهذا ستكون الكتلة الاسلامية هى الميزان الدولى إن شاء الله

ابو الفتوح عطيفة

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الهازلون في وقت الجد ... ... : للأستاذ أنور المعداوى ٤١

المصطلحات الطبية ... ... : « الدكتور أحمد عمار بك ٤٢

في سبيل الله ... ... : « محمد محمود زيتون ٤٦

دعوة محمد ... ... : « عبد الجليل عبد الحافظ ٥١

الشعب القلم ... ... : « أحمد قاسم أحمد ٥٦

الضمير البريطاني ... ... : « قدرى حافظ طوقان ... ٥٧

وجه المقاطعة ٥٩

رجال الثورات المصرية (قصيدة) : للأستاذ عبد اللطيف النشار ... ٦٠

بين دنكرك وكفر عبده (قصيدة) : « عبد العزيز مطر ٦١

(الأدب والفن في أسبوع) — س ، ج حول اللغة الأجنبية الأولى — مصطلح طبى ٦٢

(البريد الأدبي) — خطأ مشهور — فسح وأفسح — تخطئة — توجيهات نبوية — تصحيح بعض الآيات في مقال ٦٥

(القصص) — حادثة وجزاء — للأستاذ محمود رزق سليم ٦٧

20 me. annee No 967

Le Caire 14-1- 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٧ «القاهرة في يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ١٤ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الهازلون في وقت الجد!

للأستاذ أنور المعداوي

في ليلة السبت ٥ ينـاير عام ١٩٥٢ سهرت السويس حتى الصباح ، وكذلك سهرت القاهرة . . كانت السويس البائسة تضج بالألم وهي تستمع لصوت الرصاص ؛ وكانت القاهرة السعيدة تفيض باللذة وهي تستمع لصوت أم كلثوم ! كان هناك مأتم وكان هنا عرس . كانت هناك دماء وكان هنـا غناء . . السويس والقاهرة إن لم تـكن تعلم قطعتان أصيلتان من أرض مصر ؛ مصر التي يقال عنها إنها تنظر إلى المأساة بعين واحدة ، وتتلقى أنباءها بشعور واحد !

في تلك الليلة « ليـلة السبت ٥ يناير عام ١٩٥٢ » ، كان المجاهدون من أبناء السويس وحدهم في المعركة ، يواجهون قوى الشر والغدر والطغيان .. دماؤهم فوق أسنة الحراب ، وأجسادهم تحت أقدام اللصوص ، وعيونهم أبدا إلى الأفق البعيد ! أما القاهرة فقد تلقت الأنباء المفجعة في السـاعة الثامنة والنصف ، ومع ذلك فقد بدت في التاسعة والنصف وكأنها لم تسمع شيئا ولم تشعر بشيء . . واعذروها فقد كانت في غمرة الطرب ونشوة الأنغام ؛ كانت تنصت لأم كلثوم وتصفق لأم كلثوم !

ماذا يقول النـاس عن هـذه العاصمة السعيدة المرحة التي لا تعرف الحياء ؟ العاصمة التي لا يضيرها أن تطرب وهناك من يئن ، وأن تسعد وهناك من يشقى ، وأن تضحك وهناك من يبكي ، وأن تحيا وهناك من يموت ؟ !

شهيد واحد من شهدائنا تستقر في رأسه مائة رصاصة . . ترى هل استحالت الرءوس في نظر الأنذال إلى حصون وقلاع ؟ إن تلك الرصاصات المائة لـكفيلة بأن تشعل في النفوس نار الأسى على الشهيد الذاهب ، ونار الحقد على العدو الظالم ، ونار التطلع إلى انتقام سريع . . إنهـا لـكفيلة بأن تقض المضاجع ، وأن تؤرق الجفون ، وأن تجعلنا ساهرين حتى الصباح ! ولقد فعلنا ذلك منذ أيام . . غنت كوكب الشرق ، وصفق السكارى والمعربدون ، واشتركت في المهزلة محطة الإذاعة الحـكومية ؛ تلك المحطة التي لا يشرف عليها غير أصحاب الثقافة القاصرة والشعور البليد !

ترى هل قدر لمدن القنال أن تعيش وحدها في الجحيم ، وأن تحمل وحدها العبء الفادح ، وأن تخوض وحدها غمار المركة ، دون أن يجد أهلها من يشاركهم في الشعور إن لم يقاسمهم المصير؟ لقد كنت أنتظر حين تجرح بورسعيد أن تضمد جراحها الإسكندرية ، وحين تبكي السويس أن تـكفـكف دموعها القاهرة ، وأن تؤلف بين نفوسنا وحدة الدم وأن تربط بين قلوبنا صرخة الوطن ، في هذا الوقت الذي نواجه فيه سطو اللصوص على كل ما نملك من رصيد الشرف والـكرامة . . كنت أنتظر هـذا كله وما هو أكثر منه ، ولـكن القاهرة

الماجنة قد نقلتنى من عالم الخيال الجميل إلى عالم الواقع الدميم ، حين أرسلت ضحكاتها الصاخبة عبر الفضاء لتحيي بها أنين الضحايا على ضفاف القنال !

إن الدم ليفور فى عروق وأنا أبحث عن الرجل الذى يملك سوط الجلاد فلا أجده ؛ الرجل الذى يلهب ظهور اللاهين فى ساعة الجد ، والعابثين فى وقت الشدة ، والهازلين ورحى المعركة تدور . . أين هذا الرجل ليرد أصحاب الغفلة إلى الوعى ، وأين سوطه ليعلم أصحاب المجون معنى الوقار ؟! ما أشد حاجتنا إلى هذا الرجل ما دام الذوق قد تحجر ، وما دام الحس قد تبلد ، وما دام الضمير قد مات !!

لو وجد هذا الرجل لما امتلأت القهوات بالفارغين ، ولما ازدحمت الشوارع بالمتسكعين ، ولما ضاقت الأندية على سعتها بالرقعاء من لاعبى القمار . . لو وجد هذا الرجل لساق هؤلاء جميعا إلى هناك ، إلى تلك البقعة المجاهدة ليتلقوا فى رحابها الدروس ؛ دروس العزة والبذل والتضحية وإنكار الذات !

لو وجد هذا الرجل لساقهم سوق العبيد ليفهموا معنى الحرية ، ولأخذهم أخذ الأذلاء ليدركوا شرف الكرامة ، ولأيقظهم بصوت القوى القاهر من هذا السبات العميق !!

إنهم فى هذه المحنة القاسية وفى هذه اللحظة الحاسمة ، محتاجون حقا إلى من يقنعهم بأن زمن اللهو قد انقضى وبأن وقت الهزل قد فات ، ولن يقنعهم على التحقيق غير شىء واحد هو سوط الجلاد .. وما أشد افتقارنا إليه فى مثل هذه الأيام !!

أنور المعداوى

المصطلحات الطبية*

ونهضة العربية بصوغها فى القرن الحاضر

للأستاذ الدكتور أحمد عمار بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغات كائنات حية نامية متجددة — ما تجددت عاشت ، فإن جمدت ماتت . ولقد تعتورها من آفات الإفراط والتفريط أدواء لا منجاة لها منها إلا أن تكون بين ذلك قواما ، وتلزم بينهما قصد السبيل

وإن لكل لغة أوضاعا مأثورة ، ومطالب يقتضيها منها العصر — وعلى قدر توفيقها فى المزاوجة بين الحفاظ على تراثها ، ومسايرة زمانها يكون حظها من قوة الحياة . فان هى اشتطت فى المحافظة إلى حد الجمود ، أو نبذت قديمها تهافتا على الجديد ، دب إليها دبيب الوهن ، وتناوشتها عوامل الفناء

وللغة العربية ميزة فذة على سائر اللغات — إذ تنزلت بها آيات الهدى والفرقان ، وإذ شرفها الله تعالى بمحكم قوله : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » وبصادق وعده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

ولغة هذا شأن تراثها — بل شأوه من التقديس — لا عجب إذا هى انقادت ببديهتها ، فغلت فى المحافظة حذر التجديد . . ولكنها إن أعملت رويتها ، أدركت أنها إن تغل فى الحذر — فمن مأمنه قد يؤتى الحذر ، وأنها إن تجمد على القديم ، تند على الأيام لغة قصاراها الدين ، بعد إذ كانت فى عنفوانها لغة الدنيا والدين ، وتتنكر بذلك لتراثها ذاته ، بل لسنة الحياة لا تبديل لها ، وهى أن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض . فتلك سنة لا تند عنها اللغات ؛ فهى إنما تمكث فى الأرض بما توفره من منافع للناس فى شتى ضروب تواصلهم فى أمور معاشهم . وإنا لتعاصرنا لغات موفورة الحياة ، لا تكف عن التجدد ليل نهار ، لتلاحق فيوض القرائح وأفانين الابتكار ، فلا يلحقها من هذا التجدد ضير ، بل لا يزيدها التجدد إلا قوة ونماء

ولقد وسمت لغتنا فى ريعانها من مطالب الحضارة أعلاها مرتقى ، وأصعبها شعابا ، ومن بينها الطب ، إذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب ، وتدارسه فى كتبها حقبا طوالا . وما كان ذلك إلا لأن أسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدوى ، وهو فرط الحذر ، ولم يخشوا فى النقل عمن سبقهم من الأمم لومة لائم ، بل أقبلوا عليه إقبالا لعلهم كانوا فيه إلى العجلة والاندفاع أقرب منهم إلى التؤدة والأناة ، فما أضر بهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع . ولو أنهم أسرفوا فى الحذر — لما خلد لهم فى التاريخ ذكر ولا

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور فى حفلة افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول

بق لهم فى العلم أثر

ثم دارت الأيام بهـذا المجد العربى المؤثل ، فدالت دولته ، وطال باللغة تخلفها عن قافلة الزمان ، حتى كان مبزغ النهضة المصرية الحديثة التى تصدرها المجدد العظيم محمد على ، فأخذت اللغة تصحو من سباتها الطويل . وكان من بواكير هذا الصحو أن تعاون القائمون بالتعليم الطبى حينذاك على نقل المصطلحات الطبية إلى اللغة العربية ، وأثمر هـذا التعاون معجم التونسى المسمى « الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية » — ذلك المعجم الذى ألقت به عصا التسيار إلى متحف باريس ، ثم نقلت عنه صورتان شمسيتان إلى دار الكتب المصرية . وهـذا المعجم يشتمل على مفردات عربيـة مشروحة لا تقابلها مرادفاتها الأجنبية ، ويقع فى اثنى عشر جزءا ، لم يقدر لها أن تنشر ، فيما عدا مائة صفحة منها عنى المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك بنشر مفرداتها مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية . ومن أسف أن هذا الجهد الذى كان خليقا بالنفع لم يمض إلى غايته . وحبذا لو عنى مجمعنا الموقر بتزويد مكتبته بصورة من ذلك المعجم الحبيس ، انتفاعا بكثرة ما حوى من مفردات صالحة للاقتباس الطبى ، مستخرجة من معاجم عدة

على أن هذه النهضة العربية فى القرن الماضى ، ما لبثت أن منيت بمثل ما منيت به النهضة السياسية من عثار لم يكن منـه مقيل حتى مطلع العشرين ، حين قيض الله للمصطلحات الطبية العربية طبيبا كبيرا : هو المرحوم الدكتور محمد شرف بك ، ملك عليه حب العربية مشاعره ، فبذل لها من فـكره وجهده ، ومن ماله ووقته ، ما تنوء به العصبة أولو القوة ؛ غير مشفق من أن يحمل وحده أمانة تؤود رهطا من الأثبات إذ أخرج للنـاس معجمه الضخم الذى ينتظم سبعين ألفا من المصطلحات ، لا فى الطب بمختلف فروعه فحسب ، بل فى كل ما يمت له بصلة من سائر العلوم . وبحسب هذا المعجم أن يكون الأول من نوعه فى العربية ، وأن يقوم شاهدا على ما تستطيعه الهمة الشماء إذا ما تجشمت جلائل الأمور

ثم أذن الله للغة العربية أن تسترد مجدها التليد بإنشاء هـذا المجمع الموقر الذى يضم صفوة من أئمة اللغة وفقهائها ، وجهابذة علمائها ، الخبراء بمختلف حاجاتها ، البصراء بما يجدد شبابها ويعيدها سيرتها الأولى قوية فتية موفورة . فحقق بما أسن من قواعد ، وبما وثق من ألفاظ ، بشرى أهل العربية به ، على أتم وجه وأوفاه — لولا ما اعتاقه من قصور وسائله فى إعلان عمله للناس ، وافتقاره لطائفة من أمهات المراجع ، واحتياجه لمزيد من العاملين فى مختلف اللجان — ولولا شئ آخر ، أرى واجبا على وقد شرفنى المجمع بعضويته ، أن أهمس إليه به ، وهو حيرته التى طالت سبعة عشر عاما ، بين إشفاق على القديم ، ووجل من الجديد فما عدة النهضات إلا الإقدام

ولئن شئنا أن نشفق فلنشفق من الجمود والاندفاع على السواء . أو فلنشفق من الجمود أكثر مما نشفق من الاندفاع ، ولنتوسط بينهما السداد ما استطعنا إليـه سبيلا . فلقد جاء فى الأثر الشريف « خير هـذه الأمة النمط الأوسط : يلحق بهم التالى ويرجع إليهم الغالى » ، وإنا لهذا النمط الأوسط لمتبعون . ولنضرب لذلك الأمثال :

من قواعد صوغ المصطلحات العلمية عامة ، والطبية خاصة ، أن يحبس المصطلح على معنى بذاته منعا من التباسه بأى معنى سواه . ولذا لجأت اللغات الأجنبية إلى اللغـات القديمة كاليونانية واللاتينية فاستمدت منهما أكثر مصطلحات العلوم متوسلة إلى ذلك بأية مناسبة ، وإن كانت واهية ، من مناسبات المعنى المراد

فالمرض الجلدى المعروف بالإكزيما مثـلا — من علامات دور من أدواره ظهور نفطات أو حويصلات مليئة بما يشبه الماء على ظاهر الجلد . فمن المشابهة البعيدة بين هذه النفطات وما يظهر من فقاعات على سطح الماء عند غليانه : استمدت لتسمية المرض كلمة « إكزيما » وهى كلـة لاتينية تفيد معنى الغليان ، وحبست على المرض فأصبحت علما عليـه لا تنصرف إلى شئ سواه

فما عسى أن نترجم به هـذا المصطلح إلى العربية ؟ إن أول ما ينبغى أن نتوخاه هو أن يكون لفظنا مفردا كنظيره الأجنبى . ذلك لأن من ضرورات استعماله أن نسوقه فى صيغة صفة أو مصدر أو إضافة أو نسبة — فى نحو قولنا : جلد متأكزم ، أو أكزيما الوجه ، أو التغيرات الاكزيمية

فها نحن أولاء قد استخدمنا المصطلح الأجنبى على جهة التعريب فأوفى بالغاية . أفنوثق هـذا التعريب من فورنا غير متحرجين ، أم نتمهل لعلنا نظفر ببغيتنا من سبيل الاشتقاق ؟ لقد سبق أن ترجم هذا المصطلح اشتقاقا « بالغليان » على المقابلة بأصل المعنى اللاتينى . فهل تفى هذه الـكلمة بالمراد ؟ إذا قلنا « الغليان » أمكن أن ينصرف المعنى فى ذهن السامع إلى ذلك المرض الجلدى ؟ فإن قلنا « داء الغليان » — ففضلا عن أننا تجاوزنا عن مقابلة اللفظ المفرد بمفرد مثله مما هو مستحب — فقد أوجبنا التساؤل : أداء اجتماعى هو أم فردى ؟ أو نفسانى هو أم جثمانى ؟ وأى الأعضاء يصيب ؟ فإن قلنا « غليان الجلد » فقد أوقعنا القول فى الذهن موقع حيرة وغرابة : إذ كيف يغلى الجلد ؟ وأى جلد ذاك الذى يغلى ؟

وإنما الذى أوجب كل هذه الحيرة : هو أننا استخدمنا لفظا شائعا لمعنى علمى ، فلا نحن تركناه لمعناه الشائع ، ولا نحن استطعنا أن نحبسه على المعنى العلمى المراد بعـد أن انتزعناه من استعماله العام . ومن ثم فقد سلبنا اللغة لفظا من رصيدها المتداول دون أن ننتفع به فتيلا . وهـذا ما نتفاداه الاصطلاح الأجنبى باستمداد الـكلمة من لغة دارسة ، مما لا سبيل لنا إليـه إلا أن نستمد من لفظ عربى مهجور

فإذا لم نوفق إلى مقابل لـكلمة « إكزيما » عن طريق الاشتقاق على النحو الذى أوضحناه ، فلم لا نلبى من فورنا حاجة الاستعمال العاجلة باللجوء إلى التعريب ، بأن نمهد فى غير تردد بكلمة « الاكزيما » لذوى الملكات المطبوعة من رجال اللغة ، ليوثقوها كما هى أو ليصقلوها بما يتسق مع الذوق العربى ، كأن يقولوا « الأقزيم » أو « الأكزيم » حسبما يرون ، فى غير إغراب أو ابتعاد بالنطق عن اللفظ الأجنبى

وهبنا بعد إذ وثقنا الـكلمة بالتعريب ، جاءنا من يقول إنه وجد فى مادة « كزم » كلمة « التكزيم » بمعنى التقفيع ، وفى مادة « قفع » كلمة « القفعاء » بمعنى الأذن التى كأنها أصابتها نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها ، ثم كلمة « القفاعى » بمعنى الأحمر ينقشر أنفه لشدة حمرته ، وأحمر قفاعى لغية فى قفاعى مقدمة الفاء ، وهو قفاع لماله : لا ينفقه

وذكر القائل بعد ذلك أنه زعيم بأن القفاعة إنما سميت لذلك لأنها تحتجن ماءها كما يحتجن القفاع ماله فلا ينفقه ، وأن ما تشبه القفاعات فى الإكزيما إن هو إلا دور من أدوارها يسبقه دور احمرار لك أن تصف حمرته بالأحمر القفاعى ، وأن الانقشار دور من أدوار الإكزيما كذلك ، وأن الأذن التى أصابتهـا نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها لتوحى بالأذن التى أصابتها الأكزيما بالتهاب كلذعة النار وتورم تتزوى منه أى تموج . وخلص القائل من تفسيره هذا الذى أدهشنا أشد الدهش إلى أن من حق لغتنا علينا ألا نستعير لهـا الألفاظ ، وإنما لتحويها .

فهل من ضير يضيرنا إذا نحن عدنا إلى الاشتقاق بعـد التعريب ؟ ولمـاذا لا نترخص فى الاشتقاق من مناداة « كزم » هذه ، فنقول « كزعة » مثلا لاسم المرض ، « ونكزم » للفعل ، « ومكزما » للصفة ، و « تكزعا » للمصدر . ولم لا يحق لنا أن نكمل تصريفها قياسا على مادة تشبهها ، لغير قيود لا موجب لها فى لفظ مهجور رآه مدونو المعاجم أنفسهم غير جدير باستيفاء التعريب .

وأيهما أحفظ لتراث اللغة : ألأن ندخل عليها لفظا أعجميا مهما صقلناه بدا فى لغتنا كالرقعة المختلفة عن نسيج الثوب — أم أن نرقع ثوبنا من نسيجه نفسه فتتسق رقعتنا مع الثوب ؟

وما بالنا إذا ما تأبت علينا قواعد الاشتقاق لا تقبل الكلمة المقترحة على أى جهة من جهات القبول ؟ بلما بالنا إذا مااختلفنا فى المفاضلة بين إكزيما وكزعة ، لا نوثق الكلمتين معا ، تاركين للذوق العام أن يستقر على تخير إحـداهما بمقتضي مزاياها فى الاستعمال . وهاهنا تتضح أمامنا معالم الطريق ؛ فان أول مايجب أن نتجه اليه فى صوغ المصطلح العلمى ، هو البحث عما إذا كان لمعناه فى لغتنا لفظ يقابله ويؤدى معناه فى غير لبس ولا ثقل ؛ فان وجدناه فذاك ، والا بحثنا فى مهجور الالفاظ عن لفظ يمت معناه للمعنى المراد بصلة دالة مميزة ، فان استيسرت لنا بضعة ألفاظ تمت للمعنى بمختلف الصلات ، كان أولاها بالاختيار أقربها معنى وأنسبها لفظا للمصطلح الأجنبى . وليس حتما أن يكون اللفظ خفيفا وجيزا إن كان مقابله الاجنبى ثقيلا طويلا . على أنه من التوفيق أن يخف اللفظ ويقصر ، ومن غاية التوفيق

أن تكون بينه وبين مقابله مناسبة شبه فى نطق ، أو وزن ، أو مخرج ، أو حرف غالب ، مما يزيده مواءمة للأصل ، وسهولة فى الحفظ ، وطلاوة فى الاستعمال — ومن ثم جدارة بالتداول .

والآن فلنَدع مثلنا الأول — وهو الا كزِما -- بعد إذ أفضنا فيه توضيحا لبداية الطريق ، ولنضرب مزيدا من الأمثال الموجزة للاشتقاق ، فالتعريب ، فالنحت — توضيحا لسائر الطريق .

فكلمة « الأوذِما » التى عربها الرئيس ابن سينا لمقابلة الكلمة الأجنبية التى تنطق « إدِما » — والتى تعنى ارتشاح الماء تحت الجلد لم لم يعربها « إدِما » كما هى بدلا من « أوذِما » التى لا تطابق فى نطقها الذوق العربى ؟ .

وماالذى يفيدنا بتعريب الأولين إن لم نجد مايوجبه؟ بل لماذا لا نشتق لهذا المعنى كلمة مثل « دئيمة » من مادة « دأم » — وقد تضمنت : تدأم الماء الشيء : غمره ، بل لماذا لا نقلب هذه الكلمة فنقول « إدءة » والقلب جائز فى الاشتقاق ؟ لعل ابن سينا نفسه ، لولا تعجله بالتعريب ، ملاحقة للعلم ، لوجد فى مثلنا هذا مندوحة عن التعريب بالاشتقاق !

ومـــا يؤخذ على بعض الأقدمين فى تعريبهم — ولعلهم بالأغراب الشديدفيما عربوادون ماحكمة فيه . فكلمة Taráxacum مثلا ، وهو نبات يشبه نبات اليمضيد ، التى يمكن أن تعرب بكلمة « طرقساق » قد عربها الاقدمون — ومن بينهم ابن سينا وابن البيطار وداود الأنطاكى والطبرى — بما ينيف على الثلاثين تعريبا ، تشترك جميعا بل تتبارى فى الثقل والأغراب على تفاوت ذلك مابين « طرخشقون » و « تلخشكوك » و « تلحسكوك » و « طليخم » و « تلخ » !

لقد أسرف قدماؤنا فى التعريب حتى كادوا يهملون ما هو أحفظ منه للغة وأدل منه على محاسنها وهو الاشتقاق ، فمربوا — مغربين فى التعريب — حيث كان يسهل بل يجزل الاشتقاق . فعلم الحساب مثلا عربوه : « أرثماطيقا » ، والتحليل : « أنا لوطيقا » وما وراء الطبيعة : « ميتا فيزيقا » .

ولعل مرد إسرافهم هذا فى التعريب إلى ثلاثة أمور : أولها جهلهم بما لأصول المصطلحات من المعانى فى قديم اللغات التى ما كانوا ليعنوا بدراستها . وثانيها مراعاتهم مقتضى الدقة العلمية بحبس المصطلح العلمى على معناه الخصيص لكى يحتفظوا بالصلة العلمية بين لغتهم وسائر اللغات . وثالثها إيثارهم سهولة التعريب وسرعته على صعوبة الاشتقاق وبطئه ، تلهفا منهم على ملاحقة عصرهم فيما نقلوه إلى لغتهم من مختلف العلوم .

ووجه العجب فى الأمر أن يكون هذا منزع قدمائنا إلى التجديد ، بينما نقف نحن حيارى نتردد ما بين المحافظة والتجديد فيلاحقوا هم عصرهم البطىء واثبين، ونخلد نحن فى عصرنا الوثاب إلى الهوينى !

فلقد ترجمنا الفزيولوجيا مثلا بالوظائف ، وسمينا المشتغل بها « الوظائفى » . فأية وظائف هى ؟ أهى وظائف الحكومة وغيرها بالمعنى المتعارف الآن ، أم هي المرتبات على المعنى اللغوى الصحيح ؟ أإذا أردنا أن نمد ميزانية لقسم الفزيولوجيا بكلية الطب مثلا قلنا : الوظائف لقسم الوظائف تنقسم إلى وظائف وظائفيين ، ووظائف موظفين غير وظائفيين ؟ ولنقس على هذه الأمثلة ماشئنا فى سائر العلوم .

أية مفارقة هذه بين موقفنا وموقف الغابرين : إذ نتأبى نحن على التعريب حيثما يكاد يستوجب ، بينما ترخصوا هم فيه حيث لهم مندوحة عنه . ولماذا لانعرب غـــير هيا بين حيثما يستعصى علينا ، أو ربما ينقاد لنا ، الاشتقاق ؟ وأية غضاضة فى أن نعرب الفزيولوجيا وما جرى مجراها بأسمائها كاملة أومحورة أو موجزة ، كأن نقول « فزلفة » للفزيولوجى ، و « بثلفة » للباثولوجى ، كما قلنا فلسفة وجغرافيا وغيرهما ؟ أليست هـــذه التسمية أحبس فى الدلالة على المعنى المراد من أية تسمية أخرى يمكن أن نهتدى اليها اشتقاقا ؟

ولقد أقر المجمع الموقر لكل نوع من أنواع الآلات صيغة من صيغها الثلاث ، تقصر عليه ليتميز بها من النوعين الآخرين ، فلم لا نقتاس بذلك فى صيغ الأمراض : وهي فعال وفعيل وفعل نل لم لانضيف اليها بالاستعارة غيرها من الصيغ كفعلان ، فنقابل بكل من هذه الصيغ ما يناسبها من صيغ الأمراض فى الأجنبية مثل « Algia » و « Rrhea » و « Osis » و « Itis » وسائر ما جرى مجراها ؟ ولم لا نتوخى طريقة منظمة فى صوغ المصطلحات ، بأن نبدأ أولا بترجمة أدوات التصدير والألحاق

فى سبيـــــل الله !

للأستاذ محمد محمود زيتون

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ؛ وتجارة تخشون كسادها ومسا كن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . والله لا يهدى القوم الفاسقين » قرآن كريم

القتال غريزة فى البشر ، لا معدى عنها ، ولا مفر منها ، ولو تركت الغرائز وشأنها انهدم سلم التربية ، وارتكست الإنسانية فى مهاوى الضلال من غير أن تقوم لها قائمة ، ولكن الإسلام الحنيف كفل للنفس منافذ الطموح إلى العزة والشرف ، فهذب الغرائز ، وارتفع بها على خير وجه مسنون

وليس أدل على ذلك من علاجه لغريزة القتال ، وتوجيهها نحو المثل الأعلى لصالح الفرد والجماعة ، فلم يترك أمامها باب شر إلا أوصده ، ولا منفذ خير إلا سلكه ، وصدق الله العظيم :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم »

ومن هنا كان القتال الإسلامى ذا صبغة خاصة لم تعهد لها شبيها فى الأمم قديما وحديثا ، وذلك لأنه لا ينتهج سبيل الفتك والطغيان ، ولا يتذرع بالعصبية والحزبية ، بل يمضى فى خط مستقيم لا عوج فيه ، سليما فى بدايته ونهايته ، شريفا فى مبرراته وغاياته ، سديدا فى خطواته ومشكلاته ، فلا عجب أن يكون « الجهاد » معهدا عاليا للتربية المثلى ، تبذل فيها النفس جهودا شاقة بكل ما لديها من جوارح ، وتمتحن فيها الغرائز الأخرى مجتمعة ومفترقة : من تملك للدنيا ، وتمسك بزخرفها ، إلى الحرص على صلة الدم من عصابة وقرابة وجوار

وذلك السبيل لن يكون فريدا إلا إذا تناسقت هذه القوى سالبها وموجبها على سواء بحيث تنأى عن النقص والهون ، وتنهض على أساس من التضحية والتملية والفداء والصبر . وهذا هو الجهاد فى سبيل الله ، وهو شريعة لها خصائصها وميزاتها ، ودعوة لها فلسفتها ومنهاجها ، تقوم الأجيال وتقعد

منتقلين إلى ترجمة طائفة فطائفة من المصطلحات التى تشترك فى أصل الاشتقاق وتختلف فى المضافات ، عامدين بعد ذلك إلى النحت فيما لا يترجم إلا بوسيلة من المصطلحـــات الأجنبية المنحوتة ؟ كأن نترجم مثلا كاسمة « Ology » التى تنتهى بها أسماء أكثر العلوم فى اللغات الأجنبية باستعارة الأصل العربى لكلمة لغة ، وهو لغو أو لغى . أو باستعارة لغة نفسها متذرعين لذلك بأن اللغة قوام العلم ، إذ ما من علم إلا بلغة .

ثم نترجم أداة التذييل الدالة على مشتغل بعلم أو ما فى حكمه فى مثل « Botanist » و « Zoologist » بحرفى الياء والتاء المنتهية بهما كلمتا عفريت ونفريت ، مبالغة من عفر ونفر ، فنقول مثلا « نباتيت » و « حيوانيت » بدلا من عالم بعلم النبات أو عالم بعلم الحيوان ، الذى لا نستطيع بداهة أن نسميه « حيوانيا » وإن لنا إن شئنا أن ننسج على هذا المنوال عند الاقتضاء لمجالا فسيحا .

أيها السادة :

لنضع نصب أعيننا فى اضطلاعنا بما نحمل من أمانة اللغة أقوالا ثلاثة حكيمة : أولها قول الجاحظ : ما على الناس شىء أضر من قولهم : ماترك الأول للآخر شيئا . وثانيها قول أبى عثمان المازنى : إذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج بخلافه إذا وجد إلى ذلك سبيلا ، وثالثها ما جاء فى كتاب نقد النثر : كل من استخرج علما أو استنبط شيئا وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطىء عليه من يخرجه اليه ، فله أن يفعل ذلك .

وبالله مهتدانا إلى قصد السبيل .

أحمد عمار

وما تزال للجهاد الإسلامي روعته وقوته ، ومهما ترتد الأذهان الـكليلة الهزيلة إلى القصد والرشاد

ولوحشدنا أمام الإسلام جيشا جرارا قوامه كل مافى اللغات من كلمات استفهامية تدور بالخلد سرا وجهرا للتزود من ذخيرة هذا الجهاد ، ولتثبيت الإنسان الـكريم على قواعد العزة لـكان للاسلام الـكانة التى لا يتطاول إليها رأى أو مبدأ أو فلسفة أو زعامة ولو كان أصحابها بعضهم لبعض ظهيرا

متى نجاهد ؟ وكيف ؟ وعمن ؟ ومن . . وبكم ؟ وفيم ؟ وبم ؟ ولم ؟ وأى فى سبيل الله ؟ . . هذه كلها يستجيب لها الإسلام فى هدوء ومضاء ومن غير تمتر

والاسلام يتمشى مع طبيعة الأشياء حين يفترض فى الجهاد أن يتصل ولا ينفصل ، وأن يدوم مع الحياة الفردية والجماعية من المهد إلى اللحد . وهذا ما يؤ كده منطوق الآية الـكريمة فى حكمها المطلق « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقوله تعالى « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال »

والارهاب هنا أمر مفروض ، وصفة لازمة لا تبرح المسلم أبدا ، ولا ينبغى له أن يتخلى عنها يوما دون آخر ، ولا يأتيها لظرف طارئ ويدعها من بعده ، وتصدق فى هذا أحاديث النبى الـكريم «الجهاد ماض إلى يوم القيامة » والجهاد هنا على العكس من الهجرة ، إذ يقول الرسول الأعظم . « لا هجرة بعد الفتح ولـكن نية وجهاد » ولقد حسب المسلمون — بعد تبوك — أن الجهاد قد انقطع فأخذوا يبيعون أسلحتهم لأهل الغنى والفضل ، فنهاهم عن ذلك رسول الله وقال « لا تزال عصابة من أمتى ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال » ولن يخرج الدجال إلا فى آخر هذا الزمان ، يوم يرث الله الأرض ومن عليهـــا

ذلك بأن الجهاد من أشد مظاهر الايمان لصوقا بهذا الدين المتين ، وهو — على التحديد — أقرب ما يكون إلى دستوره ومصدر تشريعه ، فالنبى يقول « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس منى » وكذلك يقول « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله . فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » ويقول « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل »

هذا الجهاد إذن لا مقطوع ولا ممنوع ، بل هو موصول غير مفصول ، وذلك ما تقتضيه قوانين علم النفس فيما يتعلق بخصائص الغريزة ، وهى التى لا سبيل مطلقا إلى هدمهـا أو تعطيلها لأنها قوة محركة للسلوك ، ولن يظفر الانسان بنعمة « العافية الاجتماعية » إذا تخلى عن قوة الدفاع عن النفس ، وهذا ما يجرى فى دمه ، وهو يدفع جيوش الميكروبات الوافدة ، ويصدها عن كيانه الحصين

والمجتمع كالفرد كلاهما لا غنى له عن الدفاع ضمانا للبقاء ، ويوم يتخلى الـكائن الحى عن مقومات صراعه مع الفناء ، تنمحى مظاهر وجوده وتنهدم أسباب حقيقته ، فلا عجب إذا كان الجهاد من ألزم ما يلزم المجتمع السليم الذى دعائمه الراسخة حقائق دين الله

والجهاد يستجيب لدواعى الخلود حين يستخف المجاهدين إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فيها الثواب المدخر ، والجزاء المنتظر ، لـكل من خلص نفسه من مثقلاتها وموبقاتها ، ولن تستقيم دعوة إلى خير وحق إلا إذا اقترنت بالترضية والجزاء الوفاق ، والتخويف من المرتع الوخم الذى تتردى فيه الشهوات بأصحاب الرذيلة ، وهذا الإعلاء فى غريزة القتال هو ما يسميه رسول الله بالجهاد الأ كبر ، وما أشقه على النفس

وتحرير الوطن من الغاصبين من صميم رسالة الجهاد فى الاسلام « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف » والتمـكين فى الأرض مقرون بالعقيدة العلمية والعملية ، الدافعة الرافعة معا « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم : ابعث لنا ملـكا نقاتل فى سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا : ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »

ولقد أعد الله تعالى للشهداء فى سبيل الله الجزاء الأوفى .

بعد أن اتجروا مع الله وباعوا له أنفسهم وأنفقوا فى سبيله أموالهم « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى ما بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »

والحرص على الحياة لا ينتفع بها عما تردت فيه ، ولهذا قيل « احرص على الموت توهب لك الحياة » من غير مبالاة بشئ من هذا الحطام الفانى . كما يقول الشاعر المجاهد فى سبيل الله :

ولست أبالى حين أقتل مسلما　　على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله ، وإن يشأ　　يبارك على أجزاء شلو ممزع

وهذا عبد الله بن الزبير يتلقى الدرس من أمه أسماء بنت الصديق ، وهو فى طريقه إلى قتال الحجاج بن يوسف ، فرعون زمانه ، إذ دخل ابن الزبير على أمه يوم مقتله ، وقد رأى خذلان الناس له فقال لها :

يا أمه ، خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ؛ والقوم يعطوننى من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت ذات النطاقين لابنها :

يا بنى ، أنت والله أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية . وإن كنت أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ! أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك . وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابه ضعفت ، فليس هذا من فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ .. القتل أحسن

قال عبد الله : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى .

فقالت : يابنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها

فدنا منها وقبل رأسها وقال :

هذا والله رأيى والذى قمت به داعيا إلى يومى هذا ، ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة مع بصيرتى ، فانظرى يا أمه ، إنى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى . اللهم إنى لا أقول هذا تزكية منى لنفسى . أنت أعلم بى ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى .

فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى ؛ وإن تقدمتك فى نفسى حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك .

فقال ابن الزبير : جزاك الله خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد

فقالت : لا أدعه أبدا ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق . اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

وقاتل عبد الله بن الزبير حتى قتل ومعه صفوة من أصحابه ، قطعت رؤوسهم جميعا ، وبعث بها إلى الحجاج فى المدينة ، ونصبت للناس وعبثت بها الأيدى الملوثة

وفى الجهاد الإسلامى تنطلق النفس من عقال الحياة لتسبح فى ملكوت حر فسيح ، كما أنها تنبثق من طاقة خصبة هى الحق ولا شئ سواه

هذا ما يستمسك به الزبير بن العوام وهو فى موقعة صفين إذ يقول :

« والله لو هزمونا حتى أوصلونا سعفات هجر ، لعرفنا أننا على الحق وأنهم على الباطل » وهذا عمر بن الخطاب ، وهو ما يزال حديث عهد بالإسلام ، والنبى ما يبرح مستخفيا بدعوته فى دار الأرقم فيقول :

يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ فيقول النبى : « بلى ، والذى نفسى بيده ، إنكم على الحق إن متم وإن

حبيبهم » فيقول عمر : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق ، ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف . والذى بعثك بالحق لنخرجن . يا رسول الله . لا ينبغى أن نكتم هذا الدين ، أظهر دينك ، والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم

وخرج الرعيل الأول من المسلمين وعدتهم أربعون فى صفين يتقدمهما حمزة وعمر ، كلاهما متوشح سيفه ، والغبار يثور حولهما ، وللجمع كديد ككديد الطحين ، وهم يطوفون بالكعبة ، يرهبون عدو الله وعدوهم ، وقد أخزاه الله بعد أن رأى ما رأى ، وأصبحت القلة التى على الحق تقرأ القرآن جهرة ، وتصلى بالمسجد علنا ، وأنف الكثرة فى الرغام

سأل أعرابى رسول الله : إن الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأيهم فى سبيل الله؟ فيقول عليه السلام : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

الحق إذن هو الباعث على الجهاد وهو بالتالى غايته ومرماه ؛ أى أنه يدفع بأصحاب الدين إلى أعلى ، ويجذب أصحاب الدنيا من أسفل، لهذا فهو وحدة تامة لا تتوزع ولا تتعدد ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، وليس من الجهاد أن نقاتل عن حسب أو نسب أو عصبية ، بل ما ارتضاه هذا الدين لأهله من الاتحاد « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »

من أجل هذا الصف المتسق الملتصق . . حكم رسول الله على « قزمان » بأنه من أهل النار ؛ وهو عديد بنى ظفر وقد حرضته نساؤهم على القتال مع المسلمين يوم أحد ، فأخذ سلاحه ، وجاء من خلف الصفوف حتى كان فى الطليعة وظفر بعشرة من أصحاب الألوية المشركة صرعهم جميعا واحدا بعد الآخر ، وأخذ يقول « دافعوا عن الأحساب والأنساب » ولما أثبتته الجراحة بشره المجاهدون بالجنة فسخر منهم وقال « والله ما قاتلت على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا حتى تطأ سعفنا . ويقول : يا للأوس ، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثلما أصنع ، وأخيرا انتحر منافقا ، فلما ذكر للنبى قال « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »

ومن أجل هذا الصف المتساند المتعاضد . . يصمد مصعب ابن عمير أمام الفئة الباغية يوم أحد وقد تفرق شمل المسلمين وأشاع ابن قميئة أن محمدا قد قتل ، وانفض عنه من كان معه ، فيدعوهم مصعب فيتذرعون بقتل محمد للفرار فيقول لهم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » ويتنزل بذلك القرآن الكريم

ومن أجل هذا الصف الواحد المتحد « يأبى النبى كتيبة خشناء لابن أبى بن سلول قوامها أمثاله من المنافقين وأحلافه من يهود ، فيردها النبى قائلا : « لا نستعين بأهل الشرك على أهل الشرك » والله تعالى يؤيده « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »

ومن أجل هذا الصف المنتظم المنسجم . . يرد النبى يوم بدر خبيب بن يساف ، وقيس بن الحارث عن القتال فى صفوف المسلمين ، لأنهما على غير دين الله ، ولا يبغيان غير الغنيمة ، وهما فى القتال أعظم غناء وأشد نكاية ، ولكن النبى يقول لهما « لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا » ويأبى عليهما القتال حتى يسلما . فلما أسلم خبيب قال له النبى : امض ، أما قيس فقد تأخر إسلامه إلى أحد »

ومن أجل هذا الصف المتشابك المتماسك . . يؤخر النبى — يوم بدر — الأنصار ليقدم المهاجرين السابقين إلى الإسلام وهم عشيرته ، ويقول لهم « يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا عن دينكم الذى بعث الله به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا به نور الله » فوثبوا إلى الجنة سراعا ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

ومن أجل هذا الصف المرابط المترابط .. يسابق المسلم أخاه وأباه وابنه وخاله إلى الجنة . . فينافس سعد بن خيثمة أباه ، ومعوذ بن الحارث أخاه عوف وهما غلامان على جانبى عبد الرحمن ابن عوف يوم بدر يتربصان لأبى جهل فرعون العرب . ويركض عمرو بن الجموح بعرجته وعبثا يحاول أولاده الأربعة أن يثنوه عن عزمه وقد عذره الله ، ولكنه يتوق إلى الجنة ويسأل الله أن

يرزقه الشهادة وألا يرده إلى أهله خائبا . ويستأذن أبو بكر قائده في أن يقتل ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله ابن رأس النفاق يسأل النبي أن يسمح له بقتل أبيه ، وسعيد بن العاص يتجلد إذ يرى أباه صريع الشرك ، وعمر بن الخطاب يصرع خاله العاص بن هشام ، ومصعب بن عمير يأمر بالتشديد في فداء أخيه الأسير في يد المسلمين ، وسعد بن أبي وقاص تراوده أمه عن إسلامه وتمتنع عن الطعام والشراب حتى يكفر ، فلا يعبأ بها وهو لها الابن البار « وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما »

ومن أجل هذا الصف المتكامل غير المتفاضل .. يقف أصغر المجاهدين علي بن أبي طالب إلى جانب أكبرهم سنا أبي عبيدة ابن الحارث ، ولا فارق بين حمزة القرشي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ، ولا بين المهاجري والأنصاري ، كل وبلاؤه « إن كان في الساقة كان في الساقة ، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة » والأنفال تقسم بما أمر الله بين الضعفاء والأقوياء على السواء ، لكل منها نصيب حسب جهاده ، فالمشاة والرماة والسقاة ، والقادة والسادة ، والركبان والعبدان جميعا في درجات مرتبة في الحياة والموت ، فقد كان النبي يقدم في دفن الشهداء أعلمهم بدين الله وأقرأهم للقرآن

ومن أجل هذا الصف الزاحف الجارف .. كانت المرأة تسقي الجرحى ، وتضمدهم وتعوضهم بالذخيرة ، وتترى عن رسول الله ، وتحمي الظهور ، وتدفع بأفلاذ كبدها إلى الفردوس الأعلى ، وتحتسبهم جميعا عند الله ، ولا يهمها إلا أن تسأل عن سلامة رسول الله ، وجيش حزب الله

ويدعو النبي إلى الجهاد بينما عمير بن الحمام بيده تمرات يأكلها ، فيخشى أن تعوقه عن الجنة ، فيرميها ويقول : ويحكن ، والله إن بقيت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، ويرتجز :

ركضا إلى الله بغير زاد إلى التقى وعمل المعاد
وكل زاد عرضة النفاد غير التقى والبر والرشاد

وفي سبيل الله . . يتعطل ركن من أركان الدين ، كما أمر النبي بالإفطار في رمضان وهو في غزوة بدر ، وأمر بتأخير العصر حتى يدرك بني قريظة في غزوة الأحزاب

وفي سبيل الله . . تتحرك القلة المؤمنة لتقاتل الكثرة المشركة ، « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ويقاتل المسلم بما معه والله ناصره ، فقد رمى سعد بن أبي وقاص بعرجون فارتد سيفا؛ وكذلك عبد الله بن جحش وعكاشة بن محصن ، والعبرة بالإيمان لا بالسلاح ، إذ تعجب المسلمون من سيف الزبير بن العوام يوم الخندق وقد ضرب بسيفه نوفل بن عبد الله بن المغيرة فشقه نصفين ووصلت الضربة إلى كاهل فرسه فقال : والله ما هو السيف ولكنها الساعد

وثبت الله المجاهدين في سبيله بالملائكة والريح والمطر والنعاس أمنة منه وظلوا على الحق ظاهرين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، إذ يقول نبي الجهاد « لا يبقين دينان بأرض العرب » ومن أجل هذا يكون الجهاد في سبيل الله

محمد محمود زيتون

دعوة محمد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

العرب :

كان العرب أمة جاهلية عزيزة الجانب تعيش فى بلاد كريمة ، وكأنما الله قد خلق البلاد وأهلها على وفاق بينهما ، فهناك شبه غريب بين صلابة أخلاق هؤلاء العرب ووعورتها ، وبين صلابة البلاد ووعورة مسالكها ، وبين أقفار البلاد وجفاء طباع أهلها . ولكن كان يخفف من حدة صلابة البلاد ووعورتها ، قيعان ذات أمواه ورياض فيحاء ، وكلأ أخضر نضير ، كما كان يلطف من صلابة نفوس العرب وقسوة قلوبهم ، مزاج من اللين والدماثة ورقة الطبع .

كان العرب يعيشون فى بلاد خرساء ، تحيط بهم صحراء قفراء ، تمتد إلى مدى البصر ، فتخالها بحرا من الرمل . يصطلى العربى حره طول النهار ويكافح قره طول الليل ، وقد ترك فيه هذا الجو أثرا ظاهرا ، فكنت تراه يؤثر الصمت فلا يتكلم إلا فيما له صلة به ومساس بقومه .

وإن قوما هذا شأنهم ينفردون وسط البيد ، ويتنقلون بين الرمال والجبال ، يناجون الطبيعة أسرارها ، ويشاركونها أعاصيرها وجمالها ، لا بد أنهم يكونون خفاف الحركة ، ثاقبى النظر ، حداد الخواطر ، أذكياء القلوب . وفوق ذلك فهم أقوياء النفوس متينو الأخلاق ؛ لهم من شدة حزمهم وقوة إرادتهم ، حصن منيع وحاجز يقيهم تقلبات الأخلاق عند غيرهم من الأمم ، وهذا ولا شك منتهى الشرف وذروة الفضائل ، وما بالك بقوم يضيف أحدهم ألد أعدائه ، فيكرم مثواه ، وينحر له ويقدم له أطايب الطعام ، ويؤثره بأفضل ما عنده ، فاذا أزمع الضيف الرحيل ، شيعه وخلع عليه مما تملك يداه ، وحمله ما يستطيع أن يجود به . فاذا لقيه فى مكان بعيد عن داره وقومه ، لا يحجم عن مقاتلته أخذا بثأره ، رغم ما قضياه من صحبة .

* * *

يزعم البعض أن العرب من عنصر اليهود ، ولكن هذا زعم باطل ، لا يقيمه دليل ولا ينهضه برهان ، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود فى بعض الصفات ، وامتازوا عليهم ببعضها . فقد شاركوهم مرارة الحد ، وامتازوا عليهم ، برقة الطبع وحلاوة الشمائل والوفاء بالعهد ونصرة الضعيف ، وأريحية القلب والمعية القريحة ، فان العربى رغم أنه طول وقته يظل صامتا كما قلت ، إلا أنه إذا تكلم تدفق فصاحة وقوة ؛ وكان ذلك يظهر جليا فى منافساتهم الشعرية التى كانوا يعقدونها فى جنوب البلاد ، حيث تقام أسواق التجارة ، فاذا انفضت الأسواق اجتمع العرب بسوق عكاظ وتناشدوا الشعر طلبا للجوائز التى كانت تعطى لمن جاد قوله وحسن قريضه . وكان هؤلاء الأعراب غلاظ الأكباد جفاة الطباع ؛ ينصتون المنشد فيجدون لرناته أثرا قويا فى نفوسهم ؛ ويرتاحون لنغماته التى تأخذ طريقها الى شغاف قلوبهم .

وأرى لهؤلاء العرب فضيلة تفوق كل الفضائل ، وتجمع المحامد كلها ، ألا وهى فضيلة التدين ، فالعرب شديدو التمسك بدينهم ، مهما كان لا يقبلون فيه طعنا ولا يسكتون على تجريحه ، ولأنهم كانوا يعيشون فى الصحراء يشاهدون مظاهر الكون ، فكان أكثرهم يعبدون الكواكب وغيرها من كائنات الكون ويرون فيها مظاهر الخالق ودلائل عظمته .

وقد كان لهؤلاء العرب أنبياء سابقون جاءوهم من عند الله ، كما كان لهم أساتذة ومرشدون فى كل قبيلة ، يلتف حوله أهلها يقدرونه حسبما يبلغ من العلم والدراية وحصافة الرأى .

وكان مما اتصف به العرب المفكرون ، الحكمة البليغة والرأى السديد ؛ فقد اتفق النقاد على أن « سفر أيوب » أحد أجزاء التوراة ، كتب فى بلادهم ، والدليل على هذا ما يمتاز به من فضل وشرف وحكمة . فهو أبرع ما سطر وأبلغ ما كتب ، وبما فيه من عمومية الأفكار التى تخالف التعصب البغيض الذى يمتاز به العبرانيون . وسموها وشرف مقاصدها ، ويكفى أنك تجد بهذا

الكتاب اتصالا بكل نفس وأنه يمت إلى كل قلب ، وأنه كالبيت العريق والمجد الأثيل ، يفضى إليه منتهى السبل ، ويتجمع فيه الأرج الضائع ، وتحاول الانتساب إليه جميع الأنوق ، فيه من الحزن الشريف آيات بينات ، ومن التوكل الحسن الجميل دلائل ناصعة على قدرة الله وتدبيره الكون . وما بالك بكتاب يكون أول ما جاءنا عن مسألة المسائل . حياة الانسان وما يكون له من نصيب فى هذه الدار وفى الدار الآخرة ، وما يكافىء الله به الإنسان على عمله ، كل ذلك فى يسر وسهولة ونصاعة بيان ، إنه الحق من حيث أتيته ، والنظر الثاقب والعلم الراسب فى قرارة كل شىء وصميم كل أمر ، مادى روحانى . وإن دل كل هذا على شىء فانما يدل على فهم غزير وبصيرة نافذة .

ما قرأت فيه يوما إلا امتلأت نفسى سموا ورفعة ، وأحس كأن قلب الإنسانية يترنم شجى ووجدا ، ودمعها يفيض حرقة وكدا . إنها الرقة فى شدة والرأفة فى قوة ، وما أشبهها إلا بسحر الليلة الصائفة ، نسيم عليل والوجود فى جلال مشهد جليل عظيم . بل ما أشبهه بالكون وكل ما فيه من ليل ونهار وأنجم وبحار وحيوان وأطيار ، ولن أكون مغاليا إذا قلت : إنه ليس فى جميع أجزاء التوراة جزء يعادله قيمة وفضلا وقوة وبلاغة .

محمد النبى :

فى هذه البلاد وبين هؤلاء العرب الذين ذكرت لك بعض صفاتهم . ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٥٧١ ميلادية من قبيلة قريش ، أعز القبائل جانبا وأرفعها شأنا ، ومن أعرق أسرها نسبا وهى أسرة بنى هاشم . واشتهر محمد بالجمال والعقل والفضل على صغر سنه ، وقد أبصرت عين جده الهرمة ابنه عبد الله الذى كان حبيبا الى قلبه فى صورة حفيده محمد فأحبه بملء قلبه ، وكان يقول : بحسن العناية بهذا الصبى فانى أرى أنه سيفوق كل أفراد الأسرة والقبيلة فضلا وحسنا ؛ وعندما أحس الشيخ بدنو أجله عهد إلى ابنه أبى طالب الذى يعتبر أكبر الأسرة ، والذى سيتولى مكان عبد المطلب ، وكان رجلا عاقلا ، بالعناية بمحمد ، والقيام على تربيته أحسن القيام ، فكان أبو طالب عند حسن ظن أبيه ، فقد أولى الغلام عناية فائقة .

فلما اشتد عود محمد وترعرع ، صار يرافق عمه فى أسفاره فى التجارة ، وكان لهذه الأسفار أثر كبير فى نفسه وفى حياته ، فقد حدث فى إحدى رحلاته إلى بلاد الشام ، عندما بلغ حوال الخامسة عشر ، أن وجد نفسه فى عالم ذاخر ، إزاء مسألة عظيمة الأهمية جليلة الخطر فى نظره ، وهى المسيحية التى تحدث عنها أمامه الراهب سرجاس (بحيرا) يوم سكن معه محمد هو وعمه

كان محمد لا يعرف إلا لغته ، فلم يكن ما يراه من أحوال الشام ومشاهدها إلا مزيجا من أمور لا يفهم لها معنى ، غير أنه كان يرى بعينه الثاقبة النافذة ، ومكس نظره على لوح فؤاده أمورا وأشياء كثيرة ، رسبت فى أعماق ضميره ، وإن يكن لم يفهم منها شيئا ، ولكنها بقيت ريثما يفسرها له الزمن وتجلوها الأيام ، لتخرج آراء ونظرات نافذة وعقائد راسخة ، فكانت هذه الرحلة لمحمد بمثابة فاتحة خير كثير وفوائد عظيمة فى عالم الرسالة التى أمر بتبليغها

لم يكن حظ بلاد العرب من العلم فى ذلك العصر موفورا فقد كانوا حديثى عهد بصناعة الخط ، فنشأ محمد كغيره من أبناء البلاد لا يعرف القراءة ولا الكتابة وبالتالى لم يتلق دروسا عن أستاذ أو معلم ، بل تلقى علومه من الصحراء وأحوالها ووديانها وهضابها ، واستطاع بقلبه أن يتلقى من هذا الكون اللانهائى درسا من أعظم الدروس فائدة وأكثرها عمقا ، دفعه إلى تدقيق النظر فى معبودات قومه ، فوجدها أحجارا لا تنفع ولا تضر ولا تدفع شرا ولا تجلب خيرا

لا ضير على محمد أنه لم يكن يعرف علوم الأرض كلها وما يضطرب فيه العالم . فقد كان فى غنى عن ذلك كله بنفسه ونظره الثاقب وقلبه الكبير . إنه لم يقتبس من نور أى إنسان غيره ، ولم ينهل من منهل أحد ، فلم يكن كغيره من الأنبياء والعظماء الذين سبقوه ، والذين استعانوا بغيرهم يتلقون عنهم ويتعلمون منهم ، وإنما نشأ وعاش فى كبد الصحراء بين الوهاد والجبال والاعاصير والرياح ، بعيدا عن كل شىء إلا عن الطبيعة الفياضة وأفكاره الدافقة . والذى يعرف تاريخ محمد منذ نشأته يرى أنه منذ صباه كان دائم التفكير ، يتجه ببصره نحو الكون العجيب ، فلما

بلغ مبلغ الشباب أخذ يعتزل الناس شهرا كل سنة — وهو شهر رمضان الذى يصومه المسلمون الآن — فينقطع عن الناس مؤتنساً بالوحدة والسكون. متأملا فى هذا العالم الواسع الذى لا نهاية له، كان يخلو إلى نفسه يناجى ضميره بين الجبال الصماء، متجها بقلبه وعقله لأصوات الكون الغامضة الخفية يستطلعها أسرار الكون، ويستجليها ماغمض عليه. حتى إذا بلغ الأربعين من عمره وأقبل شهر رمضان، خلا إلى نفسه بجبل حراء قرب مكة، وقد استصحب معه هذه المرة زوجته خديجة وأنزلها فى مكان قريب من الغار.

وبينما هو يتعبد ذات يوم، نزل عليه الملك الأعظم وأخبره بما كان يحير فكره وجلا له غامض الأسرار، وأرشده إلى ما يبحث عنه، فخرج إلى خديجة يخبرها أن الله تفضل عليه فأنار له الشبهة وجلا الشك، ثم أخبرها أن جميع هذه الأصنام التى يعبدها قومه ليست إلا أخشابا وأحجارا حقيرة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، وأن الحقيق بالعبادة هو الله الذى لا إله إلا هو، وأن سائر الكائنات ليست إلا ظلا له ودليلا على عظمته وقدرته، إنه النور الأبدى والسر السرمدى. الله أكبر ولله الحمد

أصغت إليه زوجته فى دهشة واستغراب، ولكنها مالبثت أن آمنت به وصدقته وقالت « إى وربى إنه الحق » وقد رأى محمد فى ايمانها بكلمته، جميلا يفوق كل جميل، فشكرها على هذا الصنيع وعرف لها هذا الجميل طوال حياتها، فكان يذكرها دائما بالخير والثناء، حتى أن زوجته عائشة التى اشتهرت بالفضائل بين المسلمين طول حياتها، وبما لها عند محمد من مكانة، سألته مرة: « ألست الآن أفضل من خديجة؟ هل كانت إلا أرملة قد ذهب جمالها، وأرى أنك تخصها بالحب أكثر » فرد عليها محمد فى شيء من الغضب « لا! والله لست أفضل منها وكيف تكونين آثر منها عندى وهى التى آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء ».

لقد عرف محمد لخديجة صنيعها، فليس أروح لنفس المرء وأثلج لصدره من أن يجد له شريكا ينضم إليه فى اعتقاده ويقف بجانبه وقت المحنة والشدة، ولقد قال نوفاليس: « ما رأيت شيئا قط أوثق لاعتقادى وآكد ليقينى من أن ينضم إلى إنسان آخر يوافقنى رأيى ويعتقد عقيدتى ».

جهاد محمد:

خرج محمد إلى قومه يذكر لهم رسالته ويدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، فكان يصادف جمودا من قومه وسخرية لاذعة، كفيلة بأن ترد أى إنسان عن أعز شىء عنده وأن تحطم أقوى الأعصاب صلابة وقوة، فقد قضى أعواما ثلاثة فى جهاد متواصل فلم يؤمن بدعوته إلا ثلاثة عشر رجلا، فهل هذا يعد تشجيعا؟ إن كان يعتبر هذا تشجيعا، فبئس هذا التشجيع، ولكنه المنتظر فى كل دعوة كدعوة محمد، فى قوم لهم عقائد وعبادات يعتزون بها ويتمسكون.

وبعد هذه الأعوام الثلاثة جمع أربعين رجلا من ذوى قرابته، وقام فيهم خطيبا، ذكر لهم دعوته، وما أوحى الله به إليه وأنه يريد أن ينشرها بين الناس وفى أنحاء الكون، فمن منهم على استعداد لأن يمد له يده ويأخذ بناصره وهم أهله وعشيرته. فدهش القوم وعلاهم العجب وسادهم صمت رهيب، وبينما هم فى صمتهم، هب من بينهم شاب فى السادسة عشرة من عمره وقد غاظه سكوتهم، فصاح بصوت كأنه الرعد، إنه ذاك النصير والظهير، هذا الشاب هو على بن أبى طالب. فسخر القوم منه وانفضوا ضوا ضاحكين، ولكن الأمر لم يكن مما يسخر منه بل كان فى غاية الجد والخطر.

لقد كان فى عمل محمد، إساءة لقريش، سدنة الكعبة وخدمة الأصنام، فسرى أمره ببطء شديد لا يشجع أحد ولكنه كان سريانا على كل حال

ودأب محمد يؤدى رسالته إلى كل من يصغى إليه، فكان ينتهز مواسم الحج فيذكر دعوته بين الحجيج مدة إقامتهم بمكة ويستميل الاتباع هنا وهناك، وهو فى أثناء ذلك يلقى مجاهرة بالشر، ومناصبة بالعداء ومنابذة ومناوءة فى كل مكان، فاستقر رأيه هو وأصحابه على الهجرة إلى الحبشة. فلما علمت قريش بذلك ساءها الأمر وتضاعف غيظها من محمد وحنقها عليه فاقسمت بآلهتها لتقتلنه بأيديها، وشددوا عليه النكير فلم يستطع تنفيذ

خطته ، وصار موقفه حرجا فى غاية الحرج وخصوصا بعد موت زوجته خديجة وعمه أبو طالب اللذان كانا له نعم المعين ونعم النصير ، فجعل يختبئ فى الكهوف وقومه يطاردونه من مكان إلى مكان ، تتوعد المهالك وتتهدده الحتوف ، وتفغر له المنايا أفواهها ، ويقف محمد يتلفت فلا يجد ناصرا ولا مجيرا ، ولكن الأمر الذى جاء به ذلك الأمر العظيم ، لم يكن لينتهى على مثل تلك الحال ، ومحمد ذلك الصابر القوى الإرادة الثابت العزيمة ، لم يكن ليوهن من عزمه كل ذلك الاضطهاد والمطاردة ، ليتوقف عن أداء رسالته

فلما اشتد أذى الكفار له وحنقهم عليه وكان قد انقضى ثلاث عشرة سنة على دعوته لقومه ووجد أعداءه يتربصون به جميعا ، وقد تجمع منهم أربعون رجلا يمثلون جميع القبائل ، ليقتلوه ، عرف أن مقامه بمكة أصبح مستحيلا ، لا يستطيع معه أداء مهمته ، هاجر إلى يثرب حيث استجاب لدعوته أهلها الذين سموا بالأنصار وسميت البلدة بالمدينة . أى مدينة محمد

وكان محمد إذ ذاك قد صار شيخا كبيرا فقد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولكن أهل مكة ما إن علموا بمكانه حتى أخذوا يلاحقونه برسائلهم وغاراتهم وكيدهم وعدائهم ، فرأى أنه لا سبيل إلى الحياة ونشر الدعوة إلا إذا امتشق الحسام ، الذى يزيل حدة كالحات المحن ، فقد كان أمامه سبيل وعر وخطة نكراء وقوم يملأ العناد قلوبهم ، فإذا لم يجد من نفسه قوة على مجالدتهم ، كان مصير دعوته الزوال ، وهكذا شأن كل إنسان فى مثل هذه الأحوال . والحق أقول ، لقد كان محمد يريد أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكن ما حيلته إزاء هذه الصعاب ، فعزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه وعن دينه دفاع رجل ثم دفاع عربى حر كريم . وكأنى أسمعه يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب ، فلينظروا أى فتيان هيجاء نحن

وحقا رأى وحسنا فعل فإن أولئك القوم الذين صموا آذانهم عن سماع كلمة الحق وغلفوا قلوبهم عن شريعة الصدق ، وأبوا إلا الاستمرار فى ضلالاتهم ، يسلبون وينهبون ويقتلون النفس التى حرم الله قتلها ، ويستبيحون المحرمات وينتهكون الحرمات، ويفاخرون بإتيان الأثم والمنكر ، قد جاءهم نور من الله وكتاب مبين يدعوهم بالرفق والأناة ، فأبوا إلا عتوا وطغيانا . فما على محمد إلا أن يجعل الفاصل بينه وبينهم المهند والوشيج والمقوم ، وإلى كل سابحة جرداء ومسرودة حصداء ، حتى تلين قناتهم مزين

وهكذا امتشق محمد وأصحابه الذين باعوا أنفسهم فى سبيله وفى سبيل دعوته ، سيوفهم عشر سنوات فى حرب وجهاد لم يهدأوا لحظة ولم يستريحوا غمضة عين وهو يقودهم من نصر إلى نصر كأعظم ما يكون القائد العبقرى وكأشجع ما يكون المقاتل ، فقد كان يقف وسط المعركة لا يهاب ولا يخشى ، بل كان أصحابه يلوذون به فى كثير من الأحيان ، وبذلك استطاع أن ينشر دينه بين أبناء الصحراء وأن يفتح مكة التى خرج منها خائفا يترقب

الطبيعة تنصر الحق :

تحدث كثيرون عن نشر محمد دينه بحد السيف ، واتخذوا هذا دليلا على كذبه وأنه واحد من أولئك الطغاة المتجبرين الذين يريدون المجد والحياة ونشر مبادئهم بالقوة سواءا كانت صالحة أم ضارة ، ولكنهم مخطئون كل الخطأ وشد ما يتعسفون فى هذا القول . فهم يقولون : (إنه لولا السيف والحرب لما انتشر دين محمد ولما وجد أنصارا) ولكن غاتهم أن قوة هذا الدين هى التى أوجدت السيف ، هذا الدين الذى نشأ فى رأس واحد فقط وهو محمد ، الذى وقف ضد العالم أجمع ، فإذا تناول هذا الإنسان سيفه وقام فى وجه الدنيا ليسمع العالم صوته القوى وحجته الدامغة ودعوته الصادقة ، نعتناه بالكذب ووصفناه بالطغيان والجبروت وانتقصنا منه ومن دعوته ، إنه وربكم أيها المتكبون ما انتصر هذا الدين إلا أنه الحق ، فقلما يضيع إنسان يدعو دعوة الحق والصدق ، إذ أن الحق ينشر نفسه بأنه طريقة مهما كان نوعها

لقد كانت النصرانية لا تتوانى فى استخدام السيف فى كثير من الأحيان ، وحسب هؤلاء الطاغين ما فعله شرلمان بقبائل السكسون ، فلا ضير على الحق أن ينتشر سواء كان باللسان أم

بالسيف أم بأى نوع من الأنواع ، لأن الحقائق يجب أن تنتشر ويظلل سلطانها كل مكان سواء كان ذلك بالخطابة والكتابة أم بالحديد والنار

لندع الحق يكافح ويجاهد بالأظافر والأيدى والأرجل ، وسنرى بعد ذلك أنه سيخرج من المعركة منتصرا مهما كانت شدتها ومهما طال مداها . وأنه سيفنى كل ما هو أحط وأدنأ ، إن الحرب بين الحق والباطل حرب لا حكم فيها إلا للطبيعة ، ونعم الحكم ما أعدله وما أقسطه . ونحن لا نخشى على الحق الانهزام لأنه أعمق جذورا وأكثر إعراقا فى الطبيعة ، أو الهريج والجلبة والضوضاء فلا حياة لها ولا مقام أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

لقد قلت إن الحكم بين الحق والباطل للطبيعة وما أقسط وأعدل هذا الحكم بل ما أرأف وأرحم . ألستم ترون أننا نأخذ الحبوب فنجعلها فى جوف الأرض وكثيرا ما تكون هذه الحبوب مختلطة بالتبن والقمامة والتراب وغير ذلك من الأقذار ، إننا نلق الحبوب بجميع ما يخالطها من القذى والأوشاب فى بطن الأرض العادلة الرحيمة ، فلا تلبث أن تخرج لنا نباتا نقيا خالصا ، أما القذى والأوشاب فإنها تفنيه فى باطنها وتطوى كشحا عنه ولا تذكر عنه شيئا . وهذا هو عمل الطبيعة فى جميع أحوالها وشئونها فهى حق لا باطل فيه ، وهى عادلة رحيمة حنون عظيمة ، وهى مع ذلك لا تتطلب من الشيء إلا أن يكون حر المعدن صادق اللباب ، وهى كفيلة بحمايته وحراسته .

أما إذا كان دخيلا عليها ردىء المعدن فإنها تلفظه وتلقى به إلى الأنواء والأعاصير فلا يلبث أن يندثر ويذهب هباء .

إننا نرى أن لكل شيء تحتضنه الطبيعة وتحميه روحا من الحق والصدق ، فإن شأن الطبيعة مع كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا العالم أو يقدر لها المجيء إليه ، شأنها شأن الأرض مع بذور الحبوب ، فالحقائق خليط من نور وظلام وحق وباطل وصدق وكذب ، وهى تأتينا فى صور قضايا منطقية ونظريات عملية ، ثم لا تلبث أن يختفى خطؤها ويتغلب النور على الظلام ويظهر الحق على الباطل ، فتموت الحقيقة ويفنى جسمها لأنها كائن ، ولكن روحها يبقى أبد الدهر ، ويتخذ ثوبا أنقى وبدنا أطهر ، ولا يزال ينتقل من جيد إلى أجود ومن حسن إلى أحسن ، سنة الطبيعة التى لا تتبدل ، ولن تجد لسنة الطبيعة تبديلا .

إن جوهر الحقيقة وروحها لا يدركه الفناء ولا يعدو عليه الزمن ، ولكن الشيء العام والأمر الوحيد هو هل روح الحقيقة وجوهرها حق وصوت من أعماق الطبيعة ؟

إن ما نسميه ببقاء الشيء أو عدم بقائه ، ليس بذى أهمية عند الطبيعة ، إنما الأمر المهم عندها ، هو هل هذا الشيء فيه جوهر حق وروح صدق أم لا .

فإذا تقدمت أنت مثلا أيها الإنسان إلى الطبيعة لتصدر حكمها فيك فإنها لا تسألك أفيك أكدار وشوائب أم فيك صفاء ونقاء ، وإنما تسألك أفيك روح وجوهر ، أفيك حق وصدق ؟

فإن كان فيك حق وروح ، فإنها تصدر الحكم لك ، واعلم أنك خالد أبد الدهر باق رغم تقلب الأعاصير والأنواء .

إن كثيرين من الناس يقولون لك إنك تقى نظيف ، وربما تقول لك الطبيعة ، نعم إنك تقى ولكنك قشر ، وباطل وكذب وزور وجسم بلا جوهر ولا روح ، وإنك مجرد اصطلاح وليس بينك وبين الحق صلة ولا سبب وإنها منك براء . وعند ذلك فقد كتب عليك الفناء مهما امتد بك الزمن ، لأن الطبيعة تقول إن البقاء للجوهر والروح .

« أسيوط » عبد الحافظ عبد الموجود

الشعب المقلم

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

لا أعتقد أن هناك شعباً وهب الحيوية الدافقة ، والاستعداد الشره للتطور والرقي ، والعقلية الساعية للتجديد والابتكار ، ومسايرة ركب الحضارة والتمدن ، مثل ما وهب ذلك الشعب المكروب ... شعب مصر ... !

ولا أعتقد أن هناك ظلما وقع على هذه القوى الحية الدافقة عند أى شعب من شعوب الأرض ، مثل الظلم الذى وقع عليها عند هذا الشعب المنكوب .. شعب مصر ... !

ذهب قصار النظر فى ميادين الاجتماع ، ودراسة نفسيات الشعوب ، إلى اتهامه بما يشين ولا يشرف . قالوا إنه شعب ألف الخنوع والمذلة ، واستنام إلى الضعة والمهانة ، وآثر حلاوة اللقمة مع لذعات السوط ، على مرارة الكفاح مع عقبى الحرية ... وهذه هى الفرية التى ظنها الاستعمار حقيقة ، فراح يستهين به أى استهانة ، ويلهو بأفراده أى لهو .

فهم القطيع العامل إن احتاج إلى العاملين ...

وهم الطعام السائغ لرصاص أعدائه إن اشتدت به الكربة فى الميادين ، وهم الملهاة السائغة إن رغب فى التفريج عن جنوده المكدودين . ومن هنا قال قائلهم : إن ثورة المصريين جذوة تطفئها بصقة ... ! ولكن الحقيقة الهائلة كانت تكمن وراء ذلك . كانت تستقر فى أعماق كل فرد من أبناء هذا الشعب ... كان الشعور بالحرية والسيادة ليس عنصرا دخيلا على نفسه ، بل كان تراثا ممجونا فيما ورثه عن آبائه وأسلافه ، وعن طريقه نهض يدفع ويدافع ، ويبذل ويضحى فى كل ثورة ثارها ، حمل لواءها وأوقد نارها ، واستدارت عينا الدخيل دهشة وعجبا ، وتراءت له الحقيقة سافرة ، تصرخ فى وجهه فى قوة وجبروت ، أو تهزأ من ظنه فى سخرية واحتقار ... وبانت له الهوة العميقة التى عاش فى قرارها ردحا من الزمن ، يألف أن يحس الخماد ، ولا ينفى أن يشتمل الرماد ، ولكن لا يسمح اطفاءه وخياله أن يسبغا على الحملان الوديعة يوما صفة الثورة للكرامة ، والمزعة للسيادة .

وذهب يتحسس طريقه بعيون عاشية ، وأبصار فاغرة ، ونفوس هائمة ، فأقبل بالحيلة والمكر ، يقدم الاستقلال فى طبق المعاهدة ، فيحيله من غذاء نافع إلى سم ناقع ، ومن حقيقة زاهية إلى أكذوبة واهية ، ينخدع لها السذج الأغرار ... وجازت الحيلة على الزعماء فأقبلوا على الوجبة المسمومة بشهية مفتوحة ... ! وطفق الإنجليز يستمدون لملاقاة الشعب من جديد .

أشرفوا على الجيش فنكبوه وأماتوه ... وساعدهم المتزعمون بالرضا والتشجيع ، فتركوا قوانينهم الزرق توثق الشعب باليمين والشمال : فالإعفاء من الجندية للدافع والحافظ ...

وحمل السلاح محظور ... والاجتماعات لها عندهم نصوص وعقوبات ... ! وهكذا التفت الشعب فوجد أن ما بذل من دم وعرق ، عاد عليه قيدا يغل ، وسيفا يرهب ، وتشريعا يجور ... !

وهكذا نشأ الجيل الحاضر : جيلا لا يعرف كيف يمسك سكينا ، ولا يصوب بندقية ، ولا يرى قنبلة ...

نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر ، له الفم وليس له الناب ، له القوة ولكن لها ما يحطمها ، لها الحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين . تخدر الأعصاب فلا تحس بواعد النذر تدوى كل يوم حول آذان لا تسمع ، وتبرق كل آن أمام نواظر لا ترى ... ورضى — هذا الجيل — لنفسه أن تسمح لغيرها — فى الحرب الثانية — بالدفاع عن أرضه ... ناسيا أنها سبة لا تغسلها إلا هبة ، وعار لا تمحوه إلا نار ... !

واستنام الإنجليز للمرة الثانية ؛ فقد استطاعوا أن يمدوا أيديهم إلى مواطن القوة فى الشعب فخنقوها ، وإلى الشدة التى تنزو بالعزة والأباء فى النفوس فجففوها ... وباتوا وأصبحوا ... فاذا قطيع يضرب ولا ثغاء ، ويحلب ولا استعصاء ، ويستحث ولا إبطاء ... ورقصت الفرحة فى عيونهم رقصة النصر ... !

ولكن الجفاف الذى أصاب الشدة كان طارئا فزال ، ومؤقتا فانقشع ، وعادت تنزو من جديد ... ! وعربدت فى الصدور نوازع الشمم ، عنيفة كأقسى ما يكون العنف ، قوية كأعنف ما تكون القوة ، وآثر — القطيع — هذه المرة أن يكون حذرا

الضمير البريطاني

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أعلنت مصر في ٨ تشرين الأول سنة ١٩٥١ إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقيتي سنة ١٨٩٩ على لسان رفعة رئيس وزرائها في بيانه الحاسم الجامع في مجلس النواب المصري . ولقد استقبل الناس هذا النبأ بالدهشة والوجوم في انكلترا . وبالسرور والتقدير في الأقطار الشرقية وبعض الأقطار الأوربية والأمريكية المحبة للسلام والديمقراطية ، ففي هذا الإلغاء معنى رائع من معاني الوعي واليقظة ، كما أن لهـذا الإلغاء نتائج خطيرة ذات أثر بعيد في حياة الشعوب التي لا تزال تقاسي من المستعمرين والاستعمار ألوانا من الضغط والإرهاق وأنواعا من الظلم والعذاب

في هذا الإلغاء دليل قاطع على رغبـة الشعوب الشرقية في التحرر والانطلاق وعلى أنها لم تعد تصبر على الأساليب التي كانت تسير عليهـا دول الاستعمار في القرن التـاسع عشر من ادعاء مسؤولية المحافظة على الأمن والنظام في البـلاد المتأخرة ومن انتحال التبعات في تمدين الشرق وترقيته ، وعلى أسـاس هذه التعليلات كان المستعمرون (وفي مقدمتهم بريطانيا) يقـاومون الحقوق الوطنية والنهضات القومية

لقد أقدمت مصر على الإلغاء والتخلص من قيود الاستعمار بعد أن صبرت طويلا ، وبعد أن قامت بمـداولات واتصالات متعددة ومفاوضات متكررة ، ولـكن الجانب البريطاني — وقد سار بعقلية القرن التاسع عشر — أبى أن يخضع للحق الصراح والحجج الدامغات ؛ كما أبى أن يدرك أن حق الشعوب في الحياة الحرة الـكريمة حق مقدس قامت على أساسه مبادئ هيئة الأمم المتحدة ، أقول : لقد أبى الجـانب البريطاني أن يخضع وأبى أن يدرك أن الشعوب في القرن العشرين لا تحكم بعقليـة القرن التاسع عشر ، ولا بالأساليب الرجعيـة ، فكان هذا التمرد على الاستعمار وقيوده في الهند وإيران والملايو ومصر ، وكانت هذه الثورات على الظلم والطغيان

لقد استهترت بريطانيا بحقوق الشعوب واستهانت بكراماتهم ولم تقيد نفسها بما توجبه عليها المعاهدات من التزامات وواجبات بل راحت تسير في معاملة مصر على أساس الاستغلال والاستعباد والاستخفاف بالعقول والحقوق

وقد يسأل أحد الناس : ألم يدرك الشعب البريطاني ـ وقد بلغ شـأواً بعيدا في التقدم المادي والثقافي ـ أن الأسـاليب

واعيا ، وأن يجتث الشر من أصوله . لقـد رأى المعاهدة تفرض على كل يد قيدا ، وعلى كل عين غطاء ، وعلى كل كتف نيرا ، فألغاها . ورأى الاحتلال يسيمه خسفا ، ويقتـله جوعا ، ويرفع على ظهره سوطا ، وأيقن أنه لا يدفع بيد عارية ، وأفواه خاوية ، فهب يدفع كل ذلك عنـه ، ثم بدا وفي كفه المخلب ، وفي فـمه الناب ، وفي قلبه العزم .

بدا وفي يده المدفع ، وفي جيبه القنبلة ، وفي منطقته الرصاص ، وتحت إبطه اللغم ... !

وزحف إلى هناك .. إلى القتال ... وفي هدوء وسكينة ، راح يشعل اللغم تلو اللغم ، ويستقبل الفزعين من أعدائه بالمدفع ويطارد فلولهم بالقنبـلة ... ! يقتحم الشوك ويجتـاز الترع ، ويلاقيهم وجها لوجه ، قوة لقوة ، وسلاحا لسلاح ، وعنـده فوق ذلك الإيمان بالحق ... والإيمان بالنصر ...

وعندهم دون ذلك الإحساس بالتطفـل ، والشعور بالحرج والحجة التي سقطت من بين أيديهم ، والفزع الذي وقع في قلوبهم ... !

لم يكن ما يأتيه هذا الشعب اليوم المعجب أو ضريبه ، قدر ما كان استجابة صادقة لتلك النوازع الأصـيلة الموروثة في أعماقه ... ألا فليشهد العـالم وليسمع إن رغب عن أن يشهد ، وليعلم إن رغب عن كلا الأمرين ، أن كل مصري يقول اليوم : أنا مصر ... ومصر أنا ... لا ذلة ولا هوان ، ومرحبا بالقوة التي تحاول إرغامي على إنـكار هذه الحقيقة ... مرحبا بها ... فالمدفع في يدي ... والقنبـلة في جيبي ... والذخيرة في جعبتي ، واللغم تحت إبطي ... والله معي ... والفداء ... أنا ... !

أحمد قاسم أحمد

الاستعمارية لم يعد يحتملها أو يصبر عليها أحد ؟ وما هو التعليل لعدم يقظة الضمير البريطاني ولوقوفه جامدا أمام الأساليب التحكمية والاستعمارية التى سارت عليها الحكومات الانكليزية؟ وهل ما يجرى فى المستعمرات وفى البلاد التى ابتليت بالانتداب يتماشى مع روح العصر وتقدم الأفكار ويقظة الضمائر ؟

إن الشعب الذى يستسيغ مأساة فلسطين وإقامة دولة إسرائيل بعد أن مهدت حكومته لتشريد مليون عربي وسلب أموالهم وحقهم فى الحياة فى بلادهم ، ويستسيغ المظالم التى صبها الاستعمار البريطانى فى الهند وإيران والتى لا يزال يصبها فى بلاد العرب والملايو — أقول إن هذا الشعب الذى يستسيغ كل ذلك ، ولا يوقف الأساليب الباغية التى تلجأ إليها حكوماته لهو شعب ناقص التربية جامد الضمير

ذلك لأن التربية التى لا تنمي فى الشعب روح العدل الشامل وروح الخير العام وروح النفور من الظلم والاعتداء لهى تربية ناقصة قد طغت عليها المادية والنفعية فأعمت (الشعب) عن الحق والحقائق فضاق أفقه وأصبح لا ينظر إلى القضايا والمشاكل إلا من زاوية مصالحه الخاصة

ومن يدرس مذاهب بعض الفلاسفة الانكليز يتبين له السر فى جمود الضمير البريطاني ؛ فمذاهب الفلاسفة الاخلاقية توضح لنا المثل الأعلى الذى كان لهذا الشعب أو ذاك ، ويمكن اتخاذها مقياساً لتقدم الضمير الإنسانى لقد برز فى انكلترا فى القرن التاسع عشر الفيلسوف (جون ستيوارت مل) وهو صاحب مذهب خاص فى الأخلاق يطلق عليه مذهب النفعية (يوتيليتريا نزم) ويقوم هذا المذهب (أو هذه النظرية الأخلاقية) على اعتبار المنفعة أساسا للأخلاق . وقد أتى (مل) فى شرح ذلك على بيان بتحليل غريزة حب المنفعة وإرجاع الفضائل إليها مستعينا فى هذا بعلم النفس والاجتماع . وليس المجال الآن مجال تفصيل هذا البيان ، ولكن يمكن القول أن مذهب (مل) فى النفعية لم ينته إلى الغاية التى أرادها له بعض الفلاسفة ، بل جنى على الأخلاق ونزل بها عن مستواها العالى بجعله (المنفعة) أساس كل عمل وإرجاعه الأعمال الأخلاقية إلى بعض الغرائز والقوى النفسية . وعلى هذا تسير الأخلاق على ضوء الغرائز والميول بدلا من أن تضبط الأخلاق وما فى الإنسان من غرائز جامحة وميول عنيفة

لقد تأثر الانكليز بهذا المذهب فساروا فى أخلاقهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم على أساس (النفعية) وسايروا ميولهم وغرائزهم وكيفوا أخلاقهم عليها ، فكان هذا الطابع الذى يميز به الانكليز على سواهم وهو (مصلحة بريطانيا فوق جميع المصالح) حتى ولو كان فى ذلك الاضرار بالناس والاستهتار بحقوق الشعوب والاستهانة بالمكرمات

ولهذا لم يعد مجال للدهشة أو العجب من الخلق الإنكليزى ومن تسييره فى الطرق المؤدية إلى المصلحة الذاتية أو الخاصة ، ولا من عدم تقدم الضمير البريطانى على الرغم من التقدم الكبير الذى أصابه الانكليز فى سائر ميادين الحياة . فسياسة الانكليز الخارجيه واتجاهاتهم الخلقية تتحرك كلها فى دائرة النفعية والاستغلال . وهم ينظرون إلى حقوق الشعوب الأخرى ومصالحها وإلى الإنسانية من زوايا مصالحهم ومنافعهم . وقد نجحت هذه السياسة وهذا السلوك بعض الوقت فى القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، ولكن بعد أن تقدم العلم هذا التقدم العجيب وبعد أن استيقظت الشعوب فهبت من غفلتها أصبح من المستحيل على بريطانيا أن تنجح فى أساليبها وخططها الاستغلالية

وهذا ما يجب أن يدركه الانكليز حكومة وشعبا

ويقولون إن العقلية البريطانية تمتاز (بالمرونة) ، ولكنها (كما يبدو لى) مرونة بطيئة جامدة لا تساير روح العصر ولا تتحرك فى إطار التقدمية . وعلى ذلك فقد فشلت السياسة البريطانية فى الشرق فى هذه الأيام ، فتتابعت عليها النكسات مما يهدد مصالحها ويؤدى إلى القضاء على نفوذها وهيبتها

قدرى حافظ طوقان

وجـــه للمقاطعة

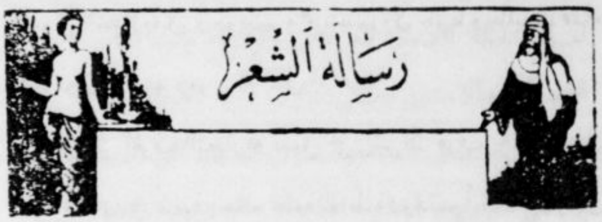
لتاجر أديب

لنترك الفدائيين الذين وهبوا حياتهم لله والوطن يصولون فى ميادين الجهـاد ويجولون . ولنترك الحكومة تعمل أعمـال التؤدة والتربص حسبما تقتضيه ظروف الحال وتقلبات السياسة . ولنترك الغرف التجارية فى سـيرها السلحفائى تتـدارس أمر مقاطعة التجار الإنجليز والتحول عنهم إلى أسواق أمم تجـارها أقل ضررا علينا من أعدائنا . ولندع الأمة جانبا فان الهبة التى تهبها بين فترة من الزمان وفترة ، إنمـا مردها الآن الى عدوان جديد يقترفه الجيش البريطانى ضـد البلاد وأهلهـا فى القنال ، والى انتقام يقوم به أبناؤنا البررة فيذيقون أجناد الإنجليز مرارة الموت ، ويعلمونهم معنى القتال بين مؤمن بالله وبوطنه وبالرغبة فى الحياة ، وبين مؤمن آخر إيمانا وثيقا بأن مصير إمبراطوريته الى الانكسار والزوال لأنهـا أدركت سن الشيخوخة وهى آيلة الى الموت القريب ، سنة الله فى الشيوخ الفانين .

أيقنت بعد أن أهبت بغرفتنا التجارية أن تحرض التجار المستوردين أن يلغوا الطلبات التى طلبوها من التجار الانجليز . وأن يقفوا التعامل معهم ، وأن يفعلوا ذلك دفعة واحدة وفى يوم واحد حتى تكون مظاهرة التجار أبعد أثرا وأكثر نفعاً من يوم اشتركت فيه جميع طبقات الأمة فى التظاهر والاحتجاج على عدوان الإنجليز . أقول أيقنت أن الحـكومة ستظاهر الغرف التجارية وتعضدها فى إبراز فـكرة المقاطعة إلى حيز الوجود ؛ لـكنها — سامحها الله — سلـكت سبيل الدبلوماسية أو سبيل المواربة فى عمل كان يجب أن يكون عاجلا ، لأن إجماع تجار مصر المستوردين على رفض جميع الطلبات من انجلترا لا يساوى فقط حبس ستين مليون جنيه تدفعهـــا مصر إلى انجلترا ثمنا لسلع تشتريها من أسواقها التجارية ، بل هى تدفع مئات من التجار الإنجليز إلى الوقوف فى وجه حكومتهم يسألون عن معنى إقفال هذه السوق التجارية فى وجوههم وهم يتضورون جوعا ويطلبون غذاء يستردون عافيتهم ومركزهم المالى المزعزع

لنترك الغرف التجارية تعمل على إشراك غرف تجارة الدول العربية معها فى كيفية إحكام حلقة المقاطعة ، ولنقنع أنفسنا بأن رجال الغرفة التجارية حسنو النية ، وأنهم لا يقلون وطنية فى ميدان المال عن وطنية أبنائنا الذين يجودون بارواحهم ، ومن أبناء الاسماعيلية والسويس الذين يحملون العبء بجلد المؤمن وصبر المجاهد . لنترك هؤلاء جانبا لنطالب — استغفر الله العظيم — فأنى كدت أطاوع قلمى فيسطر مطـالبة لأغنياء بأن يمدوا يد المعونة إلى عائلات الشهداء أو إلى مساندة رجال الـكتائب أو الفدائيين ، ولـكنى أستدرك هذا الأمر العظيم لعلمى بأن أغنياءنا — حفظهم الله — قد استنفدت مصايف أوربا وموائدها الخضراء والحمراء فى صيف هذا العام أكثر ما ربحوه من بيع أقطانهم ، وأن ما تبقى لهم من أثمان محاصيلهم الأخرى قد تسدد مطالبهم الضرورية من اشباع المعد وإمتاع الجسد وسواهما ، ولـكنى أطالب طبقة متوسطى الحال من موظفين وتجار وأطباء ومن يضارعهم ومن السيدات والآنسات من الطبقة الوسطى أيضا ، إنى أطالبهم بل أطلب منهم أن يلقوا نظرة على صوان ملابسهم فيجدون فيه أكثر من بدلة واحدة لفصل الشتاء وأكثر منها لفصل الصيف ؛ أما السيدات فإن لديهم فساتين لكل فصل وكل صبح وكل مساء وحفلات . فما ضر هؤلاء السادة والسيدات لو عقدوا العزم على الاكتفاء بما لديهم من ملابس ؟ ما ضرهم لو صمموا فيما بينهم وبين نفوسهم على الاستغناء عن الكماليات فضلا عن الضروريات؟ ماضرهم لو يعلنون هذا التصميم على الاكتفاء بما لديهم من لباس بين إخوانهم ومعارفهم وأندادهم فتسرى عدوى حب مقاطعة الأجنبى بين الجميع ؟

ليس عارا أن أظهر أمام الناس ببدلة واحدة ألبسها طوال العام ، ولـكن من الحقارة لنفسى أن لا أعمل عملا واحدا يشعرها بأنى أشارك جميع طبقات الشعب فى إظهار العـــداء لمغتصبى بلادنا ، وسارقى خيرات أرضنا ، وقاتلى أولادنا



صور وتماثيل لرجال الجيل :

رجال الثورات المصرية

١ — محمد بك الألفى فى دمنهور

للأستاذ عبد اللطيف النشار

فى دمنهور أمة تكره البغى وكانت ولم تزل مستقله

إن قرشا واحدا أضن به على الإنجليزى إنما هو لقمة انتزعها من حلقه ، فما بالك بستين مليونا من الجنيهات تدفعها مصر عنا لبضائع تشتريها من مصانع الإنجليز ؟

ليس فى الطبقة الوسطى والحمد لله من مستوزر أو طامع بكرسى الوزارة حتى يجن جنون ذلك الرجل الذى قيل لنا أنه لما نزلت به نازلة الوزارة وتبوأ أريكة الحكم ذهب إلى أحد مشاهير الخياطين فأمره أن يخيط له ستين « بدلة »

أى والله ستون بدلة اشتراها صاحب المعالى لأن مقام الوزير لا يبرز فى العظمة إلا ببدلات تستبدل فى ساعات الصباح والمساء مرة ومرات ! !

• • •

لى كلمة أخرى أوجهها إلى الأطباء والصيادلة وتجار المستحضرات الطبية والكيميائية وتجار الآلات الزراعية والبخارية وأدوات الرى على أنواعها أرجئها إلى فرصة قريبة

ناجر

أقصت الأجنبى عنها فولى — مستعيدا منها يسابق ظله

سابحا فى الوجود يطلب مثله — كل شكل منهم يوائم شكله

حيث نلقاه فالنقائص طرا — لم تمر بعده ولم تمش قبله

والمخازى مصائد وضمتها — لبنى الشرق أمة محتله

قبل إدراكها وبعد ومن عهد بعيد والبغى دين ومله

ارجعوا من مجالفنا مائة الأعوام نبصر برهانهم والأدله

فى المماليك واحد يطلب الملك نوات هذى المدينة خذله

ما أفاد الألفى مما جناه — فى دمنهور غير بؤس وذله

راسل الإنكليز يطلب عونا — ولدى القوم دونه ألف عله

ولدى القوم منذ كانوا وعود — كاذبات لمن يريدون ختله

ولمن لا يحاولون أذاه — غمروا بالمواعد الكون كله

عبثا أن نعدها حسنات — فيه داعى المدى ليخذل أهله

كان أهلا لولا الوثوق بخصم — ظاهر الغدر أن يناهض دوله

الكفايات كلها مجتواة — فى نفوس بغيرها مستظله

وصديق للانكليز عدو — لبنى مصر بل وللشرق جمله

لو أرادوا أن يصدقوا ما استطاعوا — خلق الكذب عندهم فى الجبله

وعدوه من قبل أن ينصروه — وغبين مستنجز الوغد بذله

ليس من دأب باسط الكف يستجدى نوالا أن يلمس الناس فضله

أمة لا تكف تطلب شيئا — طلبا تنكر الفضيلة شكله

إن تنله غصبا فغصبا وإن لم — تستطعه خفت تحاول نشله

أمة لا تعف عن أى شئ — تنكر الأنفس الشريفة فعله

والبغى الألفى يبغى نداها — واقفا خيله هناك ورجله

العيون الزرقاء فى الأوجه السود — مثال لمن تشبه مطله

والعيون الزرقاء فى الأوجه السود — مثال للأمة المعتله

زعمت أن للخليفة عهدا — ووفاء العهود للحر خله

ثم قالوا نعم سنبعث جيشا — فانتظر حيث أنت تسعين ليله

صدق الكاذبين وانتظر الجيش ومستمرئ الأكاذيب أبله

ودمنهور فى نطاق من الجند — وفى حالتى جفاف وقله

لم يمنها ولا الذى ناصرته — وأبت فى الشقاء أن تستذله

هجمت هجمة الأسود على الألفى — تبغى فى ساحة الحرب قتله

مزقت جيشه فلولا ولم تبق لداعى الطغاة إلا أقله
فى ثلاثين ليلة شردوه خيبوا فى عوالم الوهم فأله
مستعز بالإنكليز جدير بالذى نال من عواقب غفله
أنقذ الهارب الفرار ولولا لعانى المغرور أقبح قتله
ودمنهور لا تزال كما كانت تحيوا نجومها والأهله
راية النيل لم تكن من قماش راية النيل تشمل النيل كله
كل معنى يلقى على الجو ضوءا كل جسم يلقى على الأرض ظله
راية النيل فى دمنهور روح تلمس الأجنبى فيها ورحله

٢ — محمد شريف باشا

ما أصدق اسما على مسمى يا رجل الجيل يا شريف
مدبر قادر نبيل مسالم حازم عفيف
والمجد أن تكمل الزايا لم تغن عن جذعها القطوف
حولك ذو صولة وجاه لكن بنيانه ضعيف
ينهار إما بدا رجاء أو لاح فى جوه مخوف
وذو طموح بغير وعى نصيبه فى الحجى ضعيف
وصادق العزم لم يمحص آراءه ناصح حصيف
وماكر همه هواه ضميره شارد يطوف
يا رجل الجيل يا شريف ضحى بنا ذلك اللفيف
وأنت ما بينهم سراج يحمله مرشد كفيف
قد ضل فى التيه قوم موسى حتى عفا الراحم الرؤوف
إن يعبد العجل قوم موسى فبيننا يعبد الحليف
وأصلح القوم نصح موسى ونحن نبراسنا شريف
إن ساد دستورنا نجونا ووحدت بيننا الصفوف
لكنه الصدق فى النوايا والجد والقصد والسيوف
أخوة فى ظلال حكم يحب حبا ولا يخيف
برنامج لم تزده حرفا يا بطل الجيل يا شريف

عبد اللطيف النشار

بين «دنكرك» وكفر عبده

للأستاذ عبد العزيز مطر

سلوا «دنكرك» عن جبن الجبان تنبئكم بألوان الهوان
تنبئكم بأن «الحمر» فروا من الميدان مسلوبى الجنان
سلوا «دنكرك» ثم سلوا بلادا يرفرف فوقها علم الأمان
لعل جوابها يشفى غليلى ويكشف عن فؤادى ما دهانى

• • •

سلوا السبعين بيتا قد غزوها بآلاف من الجيش الجبان
فهل حسبوا البيوت قلاع حرب وخالوا فى يد العزل اليمانى ؟
ألا مرحى .. ألا مرحى لجيش أجاد رجاله نسف المبانى
ولو برز الكماة لهم لفروا وخافوا من بريق الهندوانى
همو شبه الرجال ولا رجال هم الجبناء فى الحرب العوان
لهم فى السلم جعجعة تدوى ولا تلقاهمو يوم الطعان
على المستضعفين أسود غاب نعام فى عجاج المعمعان
ألا فافخر تشرشل أى فخر وسق لرجال جيشكم التهانى
وشد على يد الأبطال واهنأ فقد خاضوا معارك ذات شان
ألا تعسا «أرسكين» وسحقا «تشرشل» من عجوز ثعلبان
كفاكم أيها الفرسان بغيا كفى وطنى مساوئكم كفانى

• • •

شباب النيل هبوا من رقاد فماء النيل لم يخلق لوانى
شباب النيل هيا للمعالى وروموا المجد فى أسمى مكان
دم الشهداء نادا كم فلبوا وذودوا عن حماكم ما يعانى
«وصبرا فى مجال الموت صبرا» فتلك سبيل تحقيق الأمانى

عبد العزيز مطر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سؤ وج حول اللغة الأجنبية الأولى :

قرأت باهتمام كلمتكم المنشورة فى الرسالة الغراء تحت عنوان (أصبح الشعب حرا فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى) وقد بدا لى واستبد بلفيف من المعجبين بكم أن نتقدم إليكم بالأسئلة الآتية راجين التفضل بالأجابة مشكورين

(١) إن قرار حضرة صاحب المعالى وزير المعارف فرض على الشعب أن يختار الفرنسية أو الانكليزية لغة أصلية . وأن يختار إحدى اللغات الثلاث الباقيات لغة إضافية . فهل اتاح هذا القرار فرصة للشعب فى أن يكون حرا فى اختيار اللغة التى يرضاها أصلية واللغة التى يريدها إضافيـــة من غير فرض ولا تحديد ؟

(٢) إن القرار وضع اللغة الانكليزية فى الدرجة الأولى بين اللغات . وبحكم هذا الوضع يتعين بلا جدال أن اللغة الانجليزية إن لم تكن أصلية فهى بلا مراء إضافية — فهل هذا ما قصد إليه القرار ؟

(٣) تقول حضرتكم بأن هذا القرار أتاح الفرصة للشعب نفسه أن يكون حرا فى اختيار ما يريد . فماذا تقصدون بالشعب ؟

أهو الـكلية ، أم أولياء أمورهم ، أم الشعب ممثلا فى لجنة تشكل لهذ الغرض ، أم الشعب ممثلا فى البرلمان ؟

(٤) إن اللغة الأصلية يلاحظ فيها مدى مصلحة الشعب منها ثقافيا وماليا وتجاريا وسياسيا . فأى لغة من هذه اللغات الأربع أحق بالتقدمة وأنفع للشعب في معترك الحياة ؟

(٥) إذا تركنا الشعب حرا فى اختيار ما يشاء من اللغات فهل وزارة المعارف مستعدة لأن تفى كل المدارس حاجتها من المدرسين فى كل لغة ، أم أنها ستخصص مدارس لكل لغة .

وإذا كان ذلك كذلك فكيف يلتقى الشعب فى ثقافة تربطه بنفسه وتحدد أغراضه فى حياته . هذا ولحضرتكم منا أطيب تحية وأروح سلام

البمالى أحمد السكرى

بكفر الشيخ فؤادية

ج ١ — قصدت بحرية الشعب فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى ، أن اللغة الانجليزية أصبحت غير مفروضة عليه ، وبهذا تخلص من وضع من الأوضاع الاستعمارية التى يعمل للتحرر منها ، فالحقيقة التى لا شك فيها أننا ما كنا نحل اللغة الانجليزية المحل الذى أخذته عندنا لولا أن الانجليز احتلوا بلادنا . وذلك ما رميت إليه بما كتبت فى هذا الموضوع ، وحسبنا أن بلغناه ، وليكن بعد ذلك ما يكون من تحديد أو إطلاق

ج ٢ — القرار وضع الإنجليزية فى الدرجة الأولى حقا ، ولكنه أتاح الفرصة لتركها أصلية أو إضافية ، فإن الطالب عند ما يختار الفرنسية أصلية تصبح الانجليزية بالنسبة إليه كالألمانية والإيطالية يختار من الثلاث ما يشاء

ج ٣ — الشعب المقصود هو الطلبة بالاشتراك مع أولياء أمورهم

ج ٤ — جواب هذا السؤال موضح فى كلمتى الأولى (الرسالة عدد ٩٥٧)

ج ٥ — الشطر الأول من السؤال يتعلق بإجراءات التطبيق والتنفيذ . والمفروض أن تدبر الوزارة الأمر بما يتفق والغرض من القرار . أما التقاء الشعب فهو فى مجرى ثقافتنا الأصيل — الواقع أو المنشود — وما اللغات الأجنبية وثقافاتها إلا روافد

انا فى مرآة قارئ :

تلقيت رسالة بتوقيع « سعد أبو سالم — قليوب البلد » تشتمل على مسألتين ، الأولى خاصة باستعمالى كلمة « مثل » إذ طلبت من الأستاذ بربرى فى موضوع «اللحن الفصيح» أن يأتى بمثل للطلب قبل فاء السببية المغاير للأمر والنهى وبقية الأشياء

التى ذكرها . فقد أخذ على كاتب الرسالة استعمال لفظة « مثل » فى هذا المعنى مفرقا بينها وبين كلمة « مثال » وردى على ذلك أن مما يدل عليه لفظ « مثل » الوصف ، وكذلك « مثال » فيقال مثل الشىء ومثاله ، أى وصفه وصورته . والمقصود — على ذلك — من « مثل للطلب » جملة تبين حقيقته وهل هو شىء آخر غير الأشياء التى ذكرها

أما المسألة الثانية فهى أنه وصفنى بصفات لست أدرى هل هى حقيقية أو هى مما يدل عليه وصف نفسه فى ختام الرسالة بقوله : « وختاما إليك منى تحية تلميذ أحمق .. »

قال السيد أبو سالم الذى أعتقد أنه « عاقل » على الرغم مما وصف به نفسه : « واود أن أحدث الأستاذ عما أفهمه وأستسيغه حول كلتى مثل ومثال ، وله بعد ذلك أن يعدنى غبيا أو جاهلا كما هى عادته مع عشاق الأدب واللغة . . وإلا فما كان يقول ردا على الأستاذ البربرى « ولكن ما حيلتى » والحق أنها ياسيدى طريقة طريقة لم نعهدها فى النقاد من الأدباء ، ولو كانت طريقة النقد هى الردع والزجر لأصبح الأدباء فى صراع جاف خاف خال من روح الأدب ... الخ

والحق أننى سررت من هذه العبارات وغيرها مما تضمنته رسالة السيد سعد أبو سالم .. سررت منها ، لأنى ألفيتها مرآة تعكس صورة .. إن تكن تطابق منهجى فى الكتابة فإنى أقومه . لأنى لا أرضى لقلمى أن يخط صراعا خاليا من روح الأدب ! وإن لم تكن الصورة مطابقة فلا شك أن المرآة من تلك المرايا التى كنا نراها فى « لونا بارك » تشوه الصفحات وتبعث الضحكات ...

مصطلح طبى :

أشرت فى الأسبوع الأسبق إلى محاضرة الدكتور أحمد عمار بمؤتمر المجمع اللغوى عن اللغة العربية والمصطلحات الطبية ، وأوردت نبذا منها تتضمن رأيه فى وضع تلك المصطلحات وهو التوسط بين المحافظة والأقدام . وكنت أريد أن أورد نبذا أخرى تتضمن آراء له أخرى، ولكن الرسالة أحسنت صنعا فنشرتها كلها فى موضع آخر من هذا العدد

عباس خضر

بيان رابطة الكتاب السوريين :

نشر فريق من شباب الكتاب فى سورية بيانا بتأليف رابطة لهم نقتطف منه هذه الفقرة التى تشرح الغاية من هذه الرابطة والطريق التى يسلكها المرتبطون لبلوغ هذه الغاية

... كان يجب أن توجد هذه الرابطة للكتاب السوريين منذ أمد طويل ، ولكننا لسنا هنا فى مجال اللوم والندم ، وإنما نحن فى ميدان الإنشاء والعمل . إن هذه الرابطة لم توجد من قبل وكان يجب أن توجد ، وها نحن أولاء نفعل

(رابطة الكتاب السوريين) اسم بسيط

كشكول الأسبوع

◘ تلقى معالى الدكتور طه حسين باشا كتابا من المستشرق الانجليزى « جيب » عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، يعتذر فيه من عدم الحضور إلى مصر للاشتراك فى دورة مؤتمر المجمع الحالية ، لأمرين : الأول زواج ابنه واضطراره إلى حضور حفلات الزواج ، والثانى الحالة الحاضرة بين مصر وانجلترا ، ويقول الأستاذ جيب فى كتابه هذا أنه يقدر موقف مصر وطالما سعى لأن يغير الساسة البريطانيون موقفهم فلم يجد سعيه

◘ قال معالى وزير المعارف فى جلسة مجلس التعليم الأعلى عند مناقشة حصص القرآن فى المدارس . إن حفظ القرآن الكريم يعتبر من وسائل تنمية المواهب وتربية الملكات لأنه يصقل اللسان ويقوى الذاكرة

◘ أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجزء السادس من مجلته

◘ أنشأت المفوضية السورية فى الأرجنتين معهدا لتعليم اللغة العربية هناك

◘ قرر معالى وزير المعارف ترقية الأديب المعروف الأستاذ مفيد الشوباشى مدير إدارة التأليف إلى مراقب للتشريع والشؤون القانونية بالوزارة . وهذا من مظاهر عناية العميد بالأدباء وحياطتهم بحدبه ورعايته . والأستاذ مفيد جدير بالتقدير لأدبه الحى وثقافته الممتازة

◘ سئل أحدهم : ما أصلب الأشياء ؟ فقال : ثلاثة : قرن الثور وحافر الفرس ووجه الانجليزى ! وأردف قائلا : لأن هذا الوجه وقح .. وفى اللغة . وقح حافر الدابة أى صلب

يتألف من ثلاث كلمات، ولكنه ضخم كالقومية الكبيرة ، لم نحاول فيه أن نفتش عن الرمز البراق بقدر ما أردنا أن نضع اللفظة نفسها

نحن لا نمثل الكتاب السوريين أجمعين . هذه حقيقة لا ننكرها ، ولكن لا يضير الإسم ألا يجمع الكل إذا استطاع أن يجمع البعض ، فاتحا الباب لمن يشاء من المنتجين المحسنين . نحن جماعة لنا فى العيش مهن مختلفة ، ولكن شيئا واحدا يجمعنا، هو أننا نحمل قلما لا نستطيع حبسه عن الورق ، أو كما قال جبران : من هؤلاء الذين إذا لم يكتبوا ماتوا . كذلك نحن . مهما تنوعت أعمالنا فى الحياة ، فإن عملا واحدا لا نستطيع التخلى عنه ، يجمعنا ويقرب أيدينا بعضها إلى بعض . ولسنا نزعم أننا إذ نطلق على أنفسنا لفظة كتاب ، أن الكتابة — شعرا كانت أم نثرا — قد أصبحت فى أيدينا ناضجة كاملة كعناقيد العنب فى أيلول . إن اتحادنا مدرسة بقدر ما هو رابطة، نتكاتف فيه ونتعلم فى وقت واحد . وليس بعيدا أن يصبح الحصرم عنبا إذا ظل على أمه ، ينمو فى ضوء الشمس ويبهر العيون بجماله

هؤلاء نحن . أما ماذا نريد ، وكيف سنعمل ؟ فتلك أشياء يجب أن نصوب نحوها الأشعة قليلا ، تاركين للعمل ذاته ، فيما بعد ، أن يشرح ويتكلم . .

أدخل ذات يوم مكتبة ، فى أي بلد سورى ، واسأل صاحبها ، أو استقرىء فهارسها عن بضاعة الدكان ، تجد أن سورية أفقر البلاد العربية انتاجا فى ميادين الفكر والفن . ثم حاول أن تمد فى ذهنك أسماء لشعراء أو لقصاصين أو لكتاب آخرين ، تجد أن رأسك كالصحراء الخاوية ، إلا من بضع واحات ، وقبضة من أشجار النخيل ، بينما فى لبنان ، تتبادر لذهنك الاسماء على الفور كثيرة منتجة ، وفى العراق بهمة مباركة ، أما فى مصر فإن إنتاجها يغمر أسواقنا ، ترى ما هو السبب ؟ ولكنه حديث طويل ذو شجون ، فلنطو بساطه فى هذه العجالة ولنحاول أن نكون عمليين ، فنصل إلى المشكلة فورا ونبدأ حلها ... ...

نحن كتاب تقدميون بكل ما فى الكلمة من خصب ، تقدميون لأننا نستهدف أبدا أن نمشي إلى الأمام حيث يتلامح هدفنا أننا نؤمن بأمتنا ، ونؤمن بأننا نستطيع خدمتها ، وأننا لن نكون كتابا إذا لم نحى حياة أمتنا . إن هدفنا هو أن نعمل للشعب لأننا منه ، ولأن الفن الصحيح هو الفن الذى ينبع من حياة المجموعة . إن الآثار العظيمة الباقية هى الآثار التى غيرت وجه الحياة فأغنتها وأكسبتها أشياء صالحة جديدة . لم يعد هناك — كما يقول بعضهم — من فن للفن ولا من زهر للزهر . إن الفن هو للناس ، كما أن الزهر هو للعيون التى تراه والأنوف التي تشمه . والزهرة لا تكون جميلة إلا إذا استطاعت أن تؤدى إلى شيئا يتصل بذاتى وخدمة تحسن حياتى . نحن مع القائلين بأن الفن هو تعبير جميل عن الحياة ، ولكن التعبير لا يكون جميلا إذا لم يعبر عن الحياة الحقة ، حياة المجموعة . نحن لا نطالب أن يذوب الفرد فى الجماعة ، لأن مجموعة الأصفار لا تساوى أكثر من صفر ، وإنما نطالبه أن يعيش مجتمعه ، ويشارك فيه ، وينطلق بعد ذلك كما يشاء ، فهو لن يضل ولن يبتعد عنا كثيرا . الفرد الواحد المستقل عن الجماعة غير موجود . كذلك العاطفة الواحدة المفردة غير موجودة ، فاذا استطعت أن توجدها وأن تعبر عنها فأنت تصطنع الحياة ، وبالتالى فانت تصنع الفن ... .

تلك هى طريقتنا ، أما وسائلنا فهى إنتاجنا الخاص ككتاب تقدميين ، وعنايتنا بالنتاج الفكرى العربى القديم الذى يتصل بقضايا الحرية والسلام ، ونشره على الناس ، كما نبرهن لهم أن هذه القضايا كانت تهم الإنسان من قبلنا بكثير من العهود . كما أننا سوف نعمل على أن نخرج من القوقعة التى نعيش فيها هنا ، فلا نقرأ إلا نوعا معينا من الأدب ، ولا نطلع إلا على زاوية واحدة من الثقافة . إن قضايا العالم الآن أصبحت قضية واحدة ، ولن يستقر السلام فى دولة واحدة إذا كانت الدول الأخرى يهددها غول الحرب . لذلك صارت كل محاولة لعزلنا عن التيارات الفكرية الحديثة فى العالم محاولة دنيئة ، يريدون بها أن يربطوا عيوننا بعصابة كى ندور فى مكان واحد ، والسوق الفكرية العربية أحوج ما تكون لأن تصبح ملتقى هذه التيارات ، كى ندركها جميعا ، والبقاء بعدئذ للأصلح

أما إنتاجنا فلن يظل بعد الآن مبعثرا فى كل واد ، إننا سنكتب ، ولكن فى الموضوعات التى نرغب ، وبالأسلوب الذى نحبه ، وفى الصحف المخلصة الحرة

ليان ديرانى ، مواهب الكيالى ، شحاده الخورى ، حنا مينه ، سعيد حرانية ، غسان رفاعي ، نبيه عاقل ، أنطون حمصي ، ممدوح فاخورى حسيب الكيالى ، شوقى بغدادى ، صلاح ذهنى — دمشق



١ — خطأ مشهور

نشرت جريدة الأهرام كلمة للأستاذ الشاعر عبد الغنى سلامة بمناسبة ذكرى مولد الرسول ، تحت عنوان « ضاقت يارسول الله جاء فيها : « ضاقت الصحف ... من أن تفى ذكراك العطرة حقها بسبب أزمة الورق » فمدى ، الفعل « تفى » إلى مفعولين ، وهذا تعبير شائع لا يرى مستعملوه حرجا فى استعماله ، ولا يخالج نفوسهم شك فى صحته فى اللغة العربية وهو مجانب لما جرى عليه الإستعمال العربى ، مخالف له ؛ لأن « يفى » مضارع « وفى » المجرد وقد جرى العرب على لزوم هذا الفعل ، فقالوا : وفى الشىء أى تم . ووفى بعهده ووعده وفاء فهو وفى . وهذا الشىء لا يفى بذلك ؛ أى يقصر عنه ولا يوازيه

أما الفعل المتعدى فهو « وفى » بالتضعيف ؛ ففى « أقرب الموارد » : « وفى فلاناً حقه أعطاه إياه وافيا تاما » ، وفى التنزيل « ووجد الله عنده فوفاه حسابه » ومضارعه « يوفى » قال تعالى : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم » .

فينبغى إذن تصحيحا للعبارة أن يقال : « ضاقت الصحف عن أن توفى ذكراك العطرة حقها ... »

٢ — فسح وأفسح

خطأ الأستاذ محمد محمد الأبشيهى بالعدد (٩٦٤) من الرسالة الأستاذ محمد رجب البيومى فى قوله : (وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل) ، وذكر أن الصواب : (وفسح لنا ..) ، واستدل بقوله تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم)

فهو يدعى دعوين ، إحداهما : أن الفعل (فسح) قد ورد عن العرب مستعمديا ، والثانية أن (أفسح) لم يصح فى اللغة العربية ، وكلتا الدعويين باطلة قام الدليل على عكسهما . أما الأولى فلأن (فسح) لم يأت فى الأسلوب العربى إلا لازما[1] ؛ فى محيط المحيط : (يقال فسح له فى المجلس يفسح فسحا وسع وخرج له عن مكان يسعه) ، وفى (المصباح المنير) : (فسحت له فى المجلس فسحا ... وفسح المكان -- بالضم — فهو فسيح .. ويتعدى بالتضعيف فيقال فسحته) ، وفى التنزيل : (فافسحوا يفسح الله لكم) . وأما الثانية فلأن (فسح) يتعدى بالتضعيف — كما سبق — ويتعدى أيضا بالهمزة ، وهذا مقيس فى كل ثلاثى لازم ، فلك أن تأتى فى أوله بالهمزة فيصير متعديا لواحد بعد أن كان لازما . ولم يفعل الأستاذ « البيومى » أكثر من ذلك فهو قد أتى بالفعل (فسح) ثم أدخل عليه الهمزة فصار (أفسح) . وهذا ما تجيزه قواعد اللغة ، وأقره المجمع اللغوى

احمد مختار عمر

« تخطئة » :

نقل إلينا البريد الأدبى لرسالة الغراء فى العدد ٩٦٠ كلاما للأستاذ محمد سعيد الجنيدى العلوى ملخصه : أن كلمة « سائر » لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » وأورد لذلك ما ذكره القاموس المحيط وغيره من كتب الفقه . وبالرجوع إلى القاموس المحيط وجدنا أن الأستاذ لم ينقل إلينا ماجاء فيه نقلا أمينا ولذا رأيت أن أذكر هنا ماقاله لنتبين وجه الخطأ والصواب فى كلام الاستاذ ، قال القاموس المحيط فى مادة « السؤر » . « وفيه سورة أى بقية شباب . وسورة من القرآن لغة فى سورة والسائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ومنه قول الأحوص .

حملتها لنا لبابة لمـــا وقذ النوم سائر الحراس

وضاف اعرابى قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال : بطنى عطرى ، وسائرى ذرى . وأغير على قوم فاستصرخوا بنى عمهم

---

(١) أعنى باللازم ما لا يتعدى إلى المفعول بنفسه ، أعم من أن يكون قد تعدى بحرف الجر أو لم يتعد أصلا

فأبطؤا عنهم حتى أمسوا وذهب بهم ثم جؤا يسألون عنهم فقال لهم المسئول : أسائر اليوم وقد زال الظهر؟ أى أتطمعون فيما تفتقر وقد تبين لكم اليأس لأن من كانت حاجته اليوم بأسره وقد زال الظهر وجب أن ييأس كما ييأس منها « بالغروب » ومن هنا نعلم أن كلمة « سائر » تستعمل بمعنى « البعض والبقيه » كثيرا وبمعنى « كل وجميع » قليلا ؛ وإنما حملنى على نقل هذه العبارات ما رأيته من تخطئة الأستاذ للكتاب فى استعمالهم لها بالمعنى الثانى وادعاؤه أنها لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » وللأستاذ منى تحية عطرة

أبوه محمد حسب الله

توجيهات نبوية :

نشرت مكتبة الآداب بدرب الجماميز هذا الكتاب الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وهو كغيره من كتبه جديد فى موضوعه ، فقد اختار فيه أربعين حديثا نبوية مناسبة لعصرنا ، ثم قام بشرحها وبيان ما فيها من التوجيهات النبوية فى الدين والعلم والاجتماع والأدب والأخلاق ، وما أحوج المسلمين فى عصرنا إلى الاستفادة من هذه التوجيهات فى دينهم ودنياهم ، لأنها تنير لهم الطريق فى حوالك هذه الظلم ، وتبين لهم السبيل الصحيح لاستعادة مجدهم وعظمتهم ، وتطلعهم على الأسرار التى كان بها الإسلام حقيقة خير الأديان ، وهى الأسرار التى كان المسلمون الأولون يفهمونها على حقيقتها ، وكانت آثارها تظهر فى أفعالهم قبل أقوالهم ، حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا بأفعالهم وأقوالهم حجة الاسلام على غيرهم ، فدخل الناس بها فى دين الله أفواجا ، لأنهم لم يروا من أقوالهم وأفعالهم ما يزهدهم فى دينهم

وها نحن أولاء قد انحرفنا عن ديننا فى أفعالنا وأقوالنا ، حتى صرنا حجة على ديننا ، فنحن فى أشد حاجة إلى أمثال ذلك الكتاب ، ليبصرنا بأسرار هذا الدين الحنيف ، ويوجهنا فيه التوجيه الصحيح

على حسن

تصحيح بعض الآيات فى مقال :

استشهد الأستاذ كامل السوافيرى فى مقاله « القوة فى نظر الإسلام » المنشور فى العدد ٩٦٥ من الرسالة بآيات من الكتاب الكريم مستدلا بها على وجوب الجهاد وفرضيته على المسلمين فذكر آية من سورة البقرة وصورها بقوله تعالى فى آية أخرى « يأيها الذين آمنوا ذكر بعدها مباشرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. الخ » الآية ٢١٥ بقرة وصحة الآية « كتب عليكم .. الخ » بدون يأيها الذين آمنوا . واستشهد بآية ثانية من سورة محمد فقال « محمد والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الآية ٢٨ من سورة محمد وصحتها « محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ »

ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا فخانته ملكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها محرفة !! وإذا كان الأستاذ لا يحفظ القرءان جيدا فلماذا لا يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت فى كتاب الله

صلاح الدين حسن على



قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

حادثة وجزاء

للاستاذ محمود رزق سليم

جلس الشاعر « شهاب الدين » في إحدى الليالي القريبة يقص على أصدقائه تفاصيل حادثة « المشالي » وأسرارها ، فقال :

يالها من حادثة ! كانت خافية مستورة ، فأصبحت بلهاء مشهورة ، وكانت فردية شخصية ، فأضحت مسألة اجتماعية ..! حادثة اتحد على وقوعها ، عقلة ضاربة ، وحب جارف ، وخيانة دنيئة ، وغيرة قاتلة . وخوف مستقر ، وصداقة عمياء .. ولم يستطع العلم — أو قل العلماء — أن يشخصوا لعلاجها دواء شافيا ، حتى تقدمت القوة ، فحسمت داءها وعجلت شفاءها ... حادثة يتضح منها أن جلالا و كبرياءا قد يستخذيان حينا ، ويخور عزمهما حينما يتكشف ما يدخران في أطوائهما من سيء الأخلاق وأن الرذيلة إذا تحكمت في النفوس فلن يجتث جذورها حرمة علم أو رفعة منزلة . . .

تلك هي حادثة « المشالي » التي ارتج لها ضمير السلطان الغوري ، واضطرب لها علماء الدولة ، وسخرت منها القوة ، وعزل بسببها قضاة الشرع الأربعة ، وحرمت البلاد قضاتها فعطلت الأحكام بضعة أيام

تعلمون أنه منذ عهد الملك الظاهر بيبرس ، رسم بأن يكون للبلاد أربعة قضاة شرعيين . لكل مذهب قاض ، وهو يعين من قبله قضاة ينوبون عنه في الحكم . وكان « نور الدين علي المشالي » أحد نواب الشافعية . وكان يسكن إحدى نواحي القاهرة . وله صديق من نواب الحنفية يدعى « غرس الدين خليلا » جمعت بينهما جامعة العلم ، وربطت قلبيهما رابطة الزمالة . وعقدت بينهما أواصر الصداقة

كانا يتزاوران بغير ريبة . ويتسامران في جو من الثقة والطمأنينة . . وفي هذا الجو وقعت الحادثة . :

كان لغرس الدين زوجة حسناء فاتنة . ممتزة بما لها من جمال ومحاسن ، مدلة بما لها من رقة ومفاتن .. وكانت حينما تغادر منزلها تتبرج وتزدان ، وتبالغ في التعطرية ، فتلفت بذلك الأنظار وتسترعي العيون وتثير الرغبات فتمشي وتخلف في كل قلب لوعة ، وفي كل فؤاد جذوة

وكان أشد الناس ولعاً بها والتفاتا إليها ومراقبة لها واجتراء عليها ، شاب يدعى « شميسا » وهو ابن أخت القاضي نور الدين الدمياطي . وكان « شميس » قاطنا على مقربة من دارها ، فكان يرقب أحوالها ويتفقد أعمالها بدافع من حبه لها ورغبته فيها وغيرته عليها . فعرض لها مرارا ، وتودد إليها تكرارا ، فتأبت عليه ، وصعرت له خدها ، ومشت في طريقها من دونه مرحا . والدل ملء إهابها ، والزهو في جلبابها . .

التهبت نفس « شميس » حنقا عليها ، وثارت سعيا في سبيل الانتقام منها . وأيقن بغريزته أن امرأة لعوبا على غرارها ، لا تصفو لزوجها ، وبخاصة لأن زوجها فيه طيبة قلب يأباها الرجل اليقظ . . . ولا بد أن يكون وراء الأكمة ما وراءها . ولا بد أن يكون لها خليل ملك عليها قلبها وأسر لبها واختصته بصادق حبها . .

ورأى أن « المشالي » أكثر الزوار ورودا إلى دارها ، وأنه حينما يفد إلى الدار تتبدى بها حركة غير عادية . كأنما هو ضيف لا كالضيوف ، وزائر لا كالزوار . . فوقع في نفس « شميس » أنه لا بد من وجود صلة لا تطيب لها النفس الكريمة ، ولا تطمئن إليها الضمائر الحية . فشدد عليهما في الرقابة حتى صدق حدسه ، وحانت له فيهما فرصة . .

في يوم صفت جواؤه وتكشف سماؤه ، عنت « لغرس الدين خليل » زوج هذه الحسناء ، حاجة ، اضطر في سبيلها إلى أن يخرج من القاهرة إلى جهة الإمام الليث — رضي الله عنه — فامتطى دابة وأخبر امرأته أنه سيقضي ليلته هناك . ويبدو أن شميسا قد علم بخروج غرس الدين وبالناحية التي خرج إليها . فأثارته الغيرة إلى أن يقعد للعاشقين بالمرصاد

أرسلت الحسناء خلف عشيقها فأسرع إلى اللقاء ، ومعه

ما لذ وطاب من طعام وشراب . وجاء وفى حركته توجس وفى وجهه خيفة ، وفى تلفته ريب ، ويكاد يقول : خذونى . . . واندفع إلى الدار وغلق من خلفه أبوابها . .

اعتلى شميس من فوره ، راحلة عجل بها إلى مكان الزوج ، واعلمه الخبر ، فصمق وامتقع لونه ، وعاد إلى داره فى وحى وعجلة فرأى الجريمة رأى العين .

خار الرجل واضطرب وحار بين زوجة عابثة وصديق غادر . وثار ثورة الانتقام ، وتنبهت فى نفسه حينذاك قسوة جارفة كادت تقضى على المجرمين . . لولا مسكة من طيبة ، وبقية من ضعف . فرأى أن يسلمهما لولاة الأمور ليعاقباهما العقاب المشروع

خجل « المشالى » من صديقه ، وأكب على قدميه يقبلهما ، ويسأله العفو والمغفرة ، وعرض عليه بعض المال يشترى به رضاه وينقذ نفسه من عقوبة لا ريب فيها ، وفضيحة لا فرار منها . . وتقدمت المرأة بنفس محتالة ودموع سيالة وألفاظ ختالة وضعف يستدر العطف ، إلى زوجها تستجديه أن يسترها . . ووهبت له جميع ما فى البيت من المتاع . فأبت نفسه أن تلين لزلتها . وأشهد عليهما ، وأقفل الباب وذهب إلى حاجب الحجاب . .

كان هناك رجل يكاد يطفر قلبه ويثب شماتة واشتفاء . ذلك هو « شميس » كان يرقب القصة وفصولها عن كثب . فلما ذهب الزوج . حرس هو الباب ومعه عصابة من إخوانه ، حتى وفدت جنود الحاجب فساقوا الجانيين إلى داره . وهناك أمام الحاجب لم يجدا مفرا من الإقرار بجريمتهما . واستقدم الحاجب القاضى « شمس الدين بن وحيش » أحد نواب الشافعية ومن زملاء « نور الدين » فسمع إقرار زميله على نفسه ، وكتب بذلك محضرا موقعا عليه منه

أخذت النخوة حاجب الحجاب ، ورأى أن يعاقب الجانى المعترف ، عقابا ما ، فنزع عنه ثيابه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد يهلك . أما المرأة فقد حملت على أكتاف المشاعلية وضربت ضربا موجعا حتى كادت تموت . ثم أركب كل منهما حمارا ، ركوبا معكوسا . وطيف بهما فى شوارع القاهرة وأزقة الصليبة وحارات قناطر السباع . فلأ فضيحتهما أفواه الناس . وأصبحا عبرة للمعتبين ثم أعيدا إلى سجن حاجب الحجاب

إلى هنا كاد الستار يسدل على هذه القصة ، لولا أن حاجب الحجاب فرض على المرأة غرما ماليا مقداره مائة جنيه ليطلق سراحها ، فأنكرت أنها تملك مالا . فطلب الغرم من « غرس الدين » فأبى أن يدفعه . فاقتيدا إلى السجن حتى تؤدى الغرامة. وهنا بدأ الستار يرتفع المرة الثانية . .

كان لخليل — الزوج — ولد صغير يقرأ بأبواب السلطان فى الدهيشة ، وهو من الصغار المقربين إلى السلطان . . فهاله أن يقبض على أبيه بغير جريرة ، فأنهى الخبر إلى السلطان فى سذاجة . .

هنا اتسع الخرق على الراقع ، وخرجت المسألة إلى نطاقها الواسع . وضخم أمر الجرم فى نظر السلطان ، وهاله الأمر ، وهز فى نفسه أن يجترىء أحد نواب الحكم على اقتراف هذا الجرم . .

جمع السلطان قضاة الشرع الأربعة ، وقرعهم تقريعا جارحا . وهو يقول : هنيئا لكم ياقضاة الشرع ، تعاليتم فى البناء وأغرتكم زخارف الدنيا . وأصبحتم وديدنكم الزهو والفخار . ونوابكم منهم من يشرب الخمر ، ومن يقترف الزنا ، ومن يبيع الوقف ، ولا يخشى الله . .

ثم عرض المحضر الذى كتبه القاضى «شمس الدين بن وحيش» وطلب إلى هذا القاضى إبداء رأيه فى الموضوع . فحكم بالرجم ... فوقع هذا الحكم من نفس السلطان موقع الرضا والقبول . وطلب من (ابن وحيش) أن يصدق على هذا الحكم حتى يأمر بتنفيذه . فتوقف (ابن وحيش) عن التصديق ، منتظرا أن يجيزه به قاضى قضاة الشافعية . فأجازه القاضى — وهو كال الدين ابن الطويل — وهيىء الحكم للتنفيذ

شغل السلطان بعد ذلك بأمر الحجاج وخروج المحمل ، فأمر بايداع المجرمين فى السجن حتى يتفرغ لهما ، ويعذبهما بجرمهما عذابا يكتب فى تاريخ عدالته . . وهنا بدأ الفصل الثالث من فصول هذه الرواية

كان (المشالى) صديق حميم وخل وفى كريم ، من نواب الشافعية ، دفعته الصداقة ومقتضياتها ، والزمالة ودواعيها إلى إنقاذ زميله من موت محقق وعقاب منكر ، واخذ يستجدى ذكاءه وحيلته ، حتى ابتكر مخرجا شرعيا بارعا ، يرجم به هذا الأثيم .. ذلك الصديق هو القاضى شمس الدين الزنكلونى

ذلك أن الزانى المعترف على نفسه يحد ويرجم . فإذا رجع عن اعترافه قبل الرجم ، لا يرجم لقيام شبهة فى الجريمة وهي جريمة زنا ، والحدود تدرأ بالشبهات

أوعز (الزنكلونى) إلى صديقه (المشالى) أن يرجع عن اعترافه، فرجع .. وسطر الزنكلونى سؤالا بهذا المعنى يستفتى فيه العلماء فى حق الزانى فى الرجوع عن اعترافه، وسقوط حده تبعا لذلك ودار بهذا السؤال على أبوابهم، فأفتى له برهان الدين أبي شريف المقدسى — وهو قاضى قضاة الشافعية السابق — بجواز ذلك. ثم أفتى له جماعة من العلماء آخرون

وبلغ أمر الفتوى مسامع السلطان، فاهتاج وركبه الغيظ والحنق، وثار مرجل غضبه. وجمع توا مجلسا علميا حاشدا، فيه قضاة الشرع الأربعة والقضاة المنفصلون من القضاء، وعدد من جلة علماء العصر وبينهم القاضى الأجل الشيخ زكريا الأنصارى، والقاضى ابن أبي شريف

عرض السلطان عليهم تفاصيل المسألة. وأنكر عليهم إنكارا شديدا أن يضبط نائب من نوابهم فى فراش زميله ثم يعترف ويقر بالجريمة، ويكتب اعترافه بخطه ويحكم عليه، ثم يقال بعد ذلك إن له حق الرجوع عن الاعتراف .. فلا يحد. وقال: هذا أمر عجيب وحكم جائر وسبة لا يرضاها رجل عادل

فقال له برهان الدين ابن أبي شريف. (إن هذا حكم الله وشرعه. واليك يامولانا ما قاله السلف فى هذا الموضوع. وطفق يطلعه على المراجع والنقول. فلم يلتفت إليه السلطان، وقال له: أنا ولى الأمر، ولى النظر العام فى ذلك. وأكيف المسألة حسبما أراه مطابقا للعدل، فقال ابن أبي شريف: نعم! ولكن بم يوافق الشرع الشريف. وإن قتلتهما تلزمك ديتان عنهما. فحنق عليه السلطان وكاد يبطش به

ثم التفت إلى الشيخ زكريا الأنصارى وهو رأس الشافعية فى ذلك الوقت، فقال له: ما تقول فى هذه المسألة؟ فقال الشيخ زكريا: له حق الرجوع بعد الاعتراف. وإذا رجع سقط عنه الحد. فقال له السلطان وهو مغيظ: أتتحمل جريرة هذه الفتوى؟ فرد عليه قائلا: ومن أنا حتى أتحملها، فليتحملها الإمام الشافعى صاحب المذهب. فقال له السلطان: إنك رجل قد كبرت وشاخ عقلك، وأصبحت لا تصلح للفتوى

ثم التفت السلطان إلى الشيخ نور الدين المحلى يسأله عن رأيه فرد عليه قائلا: إن ما يقوله لك يا مولانا مشايخ الإسلام، هو نص ما قاله الإمام الشافعى وغيره من علماء الأمة

فقال السلطان نرجو أن نرزأ بمثل هذه الحادثة فى بيتك . .

فوجم الشيخ وقال: عافانا الله من ذلك

وأخذ السلطان يتفرس وجوه قضاته وعلمائه واحدا واحدا، لعله يجد فى وجه واحد منهم من الاشارات ما يريحه ويرضيه . . ولكنه وجدهم جميعا على قلب رجل واحد؛ فصاح فيهم حانقا، وتنور غيظه يفور، وطردهم من مجلسه شر طردة؛ وهنا يبدأ الدور الرابع من هذه الرواية

لم يستجب السلطان الغورى لغير ضميره، وغير صوت العدالة التى رآها. فبدأ بعزل الدميرى قاضى قضاة المالكية. وحرم ابن أبي شريف من مشيخة مدرسة السلطان ونفاه إلى القدس. أما قاضى قضاة الحنفية عبد البر بن الشحنه، الذى كان من السلطان بمنزلة جعفر البرمكى من هرون الرشيد، فقد كاد يبطش به، ولفظه من صحبته . . ثم أقال القضاة جميعا من مناصبهم. وقبض على القاضى شمس الدين الزنكلونى، مبتدع الفتوى، وقال له: «فليبطل حكمى، وليقض بحكمك» وأمر ببطحه بين يديه أرضا فضرب نحو ألف عصا. وضرب ولداه كذلك نحو ستمائة عصا، إذ كانا يسميان فيما يسمى إليه أبوهما. ونفاهم السلطان، فخرجوا هائمين على دوابهم، والدماء تسيل من أبدانهم . . ثم أشيع أن الزنكلونى مات من هول ما أصيب به

واشتد حنق السلطان على الفقهاء، حتى أمر والى القاهرة بأن يقبض على كل من رآه منهم سكران، ورصد له خلعة سنية وفرسا مسرجا جائزة له إذا قبض على واحد منهم. وحرم على المباشرين المتعممين أن يدخلوا عليه فكانوا يحتالون على ذلك، بلبس مخافيف الجراكسة

أما المذنبان فقد أمر السلطان بشنقهما على باب بيت القاضى ابن أبي شريف مبالغة فى النكاية به. فلما نصبت المشنقة على بابه — وكان منفيا — ظن أبناؤه وأسرته أنه هو الذى سيشنق فأعولوا واشتد بكاؤهم عليه

اجتمع الناس فى ذلك الصباح الباكر، وجئ بالرجل والمرأة ووضعا معا وجها لوجه، وشنقا بحبل واحد.. وارخى الستار

انتهى شهاب الدين الشاعر من قصته، وإخوانه بين معجب به ومعجب بالسلطان، وبين ناقم عليه أومتحير فى أمره. وكانت هذه القصة محورا لأحاديث طريفة دارت كئوسها بينهم حوارا وجدلا، حتى أعوا سمرهم، وحان موعد انصرافهم، فانصرفوا — كعادتهم — على ميعاد

محمود رزق سليم

مطبعة الرسالة

العدد ٩٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نار ... ودم ... ... : للأستاذ سيد قطب ٦٩

يا مصر ... ... : « محمد البشير الإبراهيمي ٧١

دعوة محمد لكارليل ... ... : « عبد الجليل عبد الحافظ ٧٤

فدوى طوقان ... ... : للسيدة وداد سكاكيني ٧٧

مسيو بتلان ... ... : للأستاذ عبد الغني الأنباري ٨٠

تطور البديعيات في مدح الرسول : « حامد حفني داود الجرجاوي ٨٢

الجبابرة .. .. (قصيدة) : « حسن كامل الصيرفي ... ٨٤

قصة الحرية ... ... (قصيدة) : « محمد فوزي المنتيل ... ٨٥

(المسرح والسنما) — المسرح استثارة الواقع وليس الواقع — للأستاذ زكي طليمات ٨٧

— المسرح المصري في خدمة العقيدة الوطنية — للأستاذ على متولي صلاح ... ...

(رسالة النقد) — أرض الخطايا — تأليف الأستاذ أمين يوسف غراب — للأستاذ ثروت أباظة ٩٣

(البريد الأدبي) — لغويات: قيد — جف الماء — قناة وقنال — الغث والسمين نقد ونقد ٩٥

(القصص) — البائعة الصغيرة — هانز أندرسون ٩٦

20 me. année No 968

Le Caire 21-1-1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٨ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢١ يناير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

نار .. ودم

للاستاذ سيد قطب

الحمد لله الذي بدل قضية هذا الوادي من قضية محادثات ومفاوضات ذليلة مهينة .. إلى قضية نار ودم وكفاح أبي عزيز..

الحمد لله الذي بدل هذه القضية من قضية معاهدة أو محالفة أو دفاع مشترك .. إلى قضية عداء صريح جاهر للاستعمار وقراصنة الاستعمار..

الحمد لله الذي أخرج هذه القضية من أيدي نفر قليل من السياسيين والدبلوماسيين والمستوزرين والرأسماليين .. إلى أيدي الملايين من شعب الوادي ، أصحاب البلاد الحقيقيين !

الحمد لله ، الذي سخر روبرتسون وإرسكين وأكسهام ، لكي يحرقوا مراكبهم مع هذا الشعب ، ويركبوا رءوسهم على هذا النحو ، ويرتكبوا الحماقة التي أخرجتهم من أمريكا ، وأخرجتهم من الهند ، وستخرجهم بإذن الله قريبا من كل شبر من الأرض ، دنسته أقدام القراصنة النجسة ..

اليوم قد قضي الأمر ، وتأرثت الثارات والأحقاد بين هذا الشعب وبين القراصنة ، فاللهم لا سلم بعد اليوم مع هؤلاء السفاكين : ولا معاهدة بعد اليوم مع الفجار ، ولا تحالف بعد اليوم مع الأعداء .. ولا شيء إلا الكفاح الدامي ، وإلا الدماء والنار ، بيننا وبين الأوغاد

اليوم قد قضي الأمر ، وقطع الدم المهراق كل قنطرة وكل جسر ، يمكن أن تقام عليه صلة ما ، بين الوادي وجلاديه .. فاللهم لا همسة ولا نأمة بعد اليوم تتحدث عن الصداقة ، أو تتحدث عن التحالف . اللهم لا رجل ولا شبه رجل من أهل هذا الوادي يلوك شدقاه كلمة واحدة عن الجبهة الغربية ، إلا أن تكون كلمة من نار ودم ، وإلا أن تكون رصاصة موجهة إلى معسكر القرصان

إن الذي يلوك شدقاه بعد تلك المجازر الهمجية التي يقيمها الأوغاد لأهل البلاد .. الذي يلوك شدقاه كلمة واحدة عن أية صلة ، من أي نوع ، تربطنا بمعسكر الهمج الغربيين ، لهو رجل لا عرض له ، ورجل لا كرامة له ، ورجل لا نخوة له .. وحاشا أن يستمع هذا الشعب النبيل لمن لا أعراض لهم ولا نخوة ولا كرامة

لقد دارت عجلة الزمن — وإنها لتدور سريعة عنيفة في هذه الأيام — دارت فطوت كل فرصة كانت متاحة لعباد الإنجليز أو لعباد الغرب على العموم . لقد ذهبت إلى الأبد كل محاولة لربطنا بمعسكر الغرب المتبربر . لقد انتهى كل شيء ، فلا مجال لغير الرصاص والدماء . لا مجال لغير الثأر المقدس ، لا مجال لغير الجهاد والكفاح

أما من شاء أن يرتد إلى عهود المفاوضة والمسالمة والمهادنة والمحالفة .. من شاء أن يرتد إلى تلك العهود التي طوتها عجلة الزمن السيارة . وفاتتها عجلة الحوادث التي لا تتوقف .. من شاء شيئا من هذا ، فليبحث له عن بلد غير هذا البلد ، وعن شعب غير هذا الشعب ، وعن وطن غير هذا الوطن .. فما عاد من هذا الوادي وأهله ، من يملك شدقاء الدوران ، ليتحدث عن شيء طواه الزمن وغشاه النسيان !

لا صداقة بعد اليوم للانجليز .. فليسمع أصدقاء الانجليز .. ولا مهادنة بعد اليوم للاستعمار .. فليسمع من يربطون وجودهم بوجود الاستعمار .. مجرد الحديث عن الهدنة بيننا وبين الانجليز جريمة . مجرد التفكير في أن يضمنا ويضمهم معسكر واحد خيانة . مجرد المحاولة لإطفاء النار المؤججة بيننا وبينهم طعنة من الخلف للفدائيين والشهداء الأبرار

فليخرج الانجليز من بلادنا ، وليخرج معهم كل من لا تعجبه هذه الحالة . ليرحل عن هذا الوطن كل من يفكر في عقد صلة بيننا وبين الانجليز من جديد .. إن الشعب سيسقط اعتبار كل من يرفع رأسه ويحرك شدقه ليقول في هذا كلمة واحدة . ان الشعب سيسحق هذه المخلوقات الشائهة الذليلة ، والتي لا يثير نخوتها عرض يهتك ، أو دم يهرق ، أو جريمة شنعاء ، مما يرتكبه القراصنة كل يوم في ضفة القنال .

ولا يحسبن أحد أنه أقوى من هذا الشعب ، ولا أكبر من هذا الشعب ، ولا أرفع من هذا الشعب ، ولا أعلى من هذا الشعب . ولا يحسبن أحد أنه من الدهاء بحيث يخدع هذا الشعب عن أهدافه الواضحة المرسومة ، ولا أنه من الحيلة بحيث يصرف هذا الشعب عن ثاراته المقدسة ، ولا من القوى بحيث يقف في وجه التيار .

إن الغرور وحده هو الذي يصور لفرد أو عشرات من الأفراد أو مئات .. أنهم قادرون على أن يحولوا الدماء ماء ، والنار بردا وسلاما ، وعلى أن يصلوا مرة أخرى بين الشعب وجلاديه ، وعلى أن ينسوا هذا الشعب دماء أبنائه الأطهار ، وقد كاد أن يكون في كل بيت ثأر ، وفي كل قلب جرح .. هيهات هيهات ! لقد فات الأوان !

لقد سخر الله روبرتسون ، وأرسكين ، وأكسهام .. ومن إليهم .. سخرهم ليحطموا ما بقي من بناء الإمبراطورية التي حطمتها الشيخوخة . . سخرهم ليوقدوا نار الأحقاد المقدسة في قلوب الشعوب حول ذلك الحطام الفاني . . سخرهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . ولن يقوم بناء سخر الله أهله ليهدموه . ولن يعمر بيت ساخط الله سكانه ليخربوه

ولقد كان الخوف أن يتروى القراصنة في معسكراتهم على ضفة القنال ؛ وأن تهبط حرارة الشعب حين لا تجد لها وقودا يغذيها ؛ ولكن الله غالب على أمره . وها هي ذي الأحداث تجبرهم إجبارا على الخروج من صياصيهم المحصنة . وها هم أولاء يوسعون نطاق القرصنة ، ويوسعون دائرة الجريمة . ها هم أولاء يصلون إلى التل الكبير . وغدا يسوقهم الله بأقدامهم إلى الجزرة حين ينتشرون في أراضي الشرقية الواسعة ، ويقعون في فخاخ الفدائيين على مساحات واسعة .. فاللهم سقهم إلينا بأقدامهم . اللهم زدهم حماقة على حماقة ! اللهم هيئ للفخاخ المنصوبة صيدا من أعدائك وأعداء الإنسانية ، وأعداء هذا الوادي .. !

• • •

وبعد فهنالك كلمة أخرى .. ومن كان له أذنان للسمع فليسمع . لقد خاض الشعب معركة التحرير وحده حتى اليوم . خاضها بالدماء والأرواح . وإن زهرة أبنائه ليتساقطون في ميدان الشرف غير هيابين . . فما هو دور السادة يا ترى ؟ أجل ما هو دور السادة الذين يكدح هذا الشعب كله لهم ، وينفق عصارة قلبه ودمه ليخرج لهم من الأرض ذهبا وفضة !

إن الشعب لا يطلب من أولئك المترفين المترهلين السادرين في لذائذهم أن يؤدوا ضريبة الدم لهذا الوادي كما يؤديها الكادحون الذين لا يملكون في هذا الوادي شيئا ! إنه لا يطلب إليهم أن يضحوا بدمائهم الغالية ! ولا أن يموتوا كما يموت الشهداء !

كلا ! كلا ! إن الأمر لأهون من هذا بكثير . إن هذا الشعب الطيب القلب ، المتواضع القانع .. لا يطلب إلى السادة إلا ضريبة المال . لا يطلب إلا أن يساهموا بتزويد الفدائيين

يا مصـــــر !..

للأستاذ محمد البشير الابراهيمي

أصدرت البصائر الغراء لسان حال العلماء المسلمين الجزائريين عددا خاصا بمصر افتتحه الأستاذ الجليل رئيس تحريرها بهذا المقال

نسميك يامصر بما سماك الله به فى كتابه، فكفاك فخرا أنه سماك بهـذا الاسم الخالد الذى تبدلت أوضاع الـكون ولم يتبـدل ، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير ؛ وحسبك تيهـــا على أقطار الأرض أنه سماك ووصفها ، فقال فى فلسطين : « الأرض المقدسة » و « القرى التى باركنا فيها » وقال فى أرض سبأ : « بلدة طيبة » ولم يسم إلا الطور وهوجبل ، ومكة وهى مدينة ، ويثرب وهى قرية . فتيهى وافخرى بهذه الملاءة التى كساكيها الله، وخذى منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام ، وبذمة رعاية لا تخفر ، وبجوار أمن لا يخزى جاره .

* * *

نأسى لك — يا مصر — أن أنزلتك الأقدار بهـذه المنزلة التى جلبت لك البلاء ، وجرت عليك الشقاء ؛ وأن حبتك هذا الجمال الذى جذب إليك خطـاب السوء من الأقوياء الطامحين ، والقواد الفاتحين ؛ وأن أجرى فيك هـذا الوادى العذب الذى كان فتنة الخيال البشرى ، فلم يقنع لمائه إلا بأن ينبطه من الجنة، وكان ون القـدماء من وراده فتقربوا إليه بالنـذور والقرابين ؛ وكان طغوى فرعون ذى الأوتاد ، فحرك فيه نزعة الألوهيـة ، فتوهم أن شـاطئيه الأخضرين هما نهـاية الـكون ، وأنه كفاء لملك الله الطويل العريض ؛ وأن وضعك من هـذا الـكوكب الأرضى فى موضع الواسطة من القلادة ، فتعلقت بك الأبصار حتى « كأن عليك من حـدق نطاقا » ؛ وأن جعلك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب ، فكنت — على الدهر — مجـال احتراب بين الشرق والغرب . فصبرا يا مصر ، فهـذا الذى تعانينه هو مغارم الجمال والشرف والسـلطة

* * *

سموك « عروس الشرق » فكأنما أغروا بك الخطـاب ، وهجهجوا فيك لآسـاد الفلاب . وسموك « بمنارة الشرق » فلفتوا إليك الأعـين الخزر ، ولووا نحوك الأعناق الغلاب ؛ ولو دعوك « لبؤة الشرق » لأثاروا — بهذا الاسم — فى النفوس معانى رهيبة ، منها دق الأعناق وقصم الظهور وتزييل الأعضاء . وقديما سموا بغداد « دار السلام » فجنوا عليها وكأنما دلوا عليها المغيرين ؛ ولو سموها دار الحرب لأوحى الاسم وحده ما تنخلع منه قلوب الطامعين ، وتخنس له عزائمهم ، وتنكسر لتصوره الجيوش اللجبة . فغفرا — يامصر — فما هذه الأسماء إلا من هيام الشعراء

* * *

وما زلت — منذ كنت — مهوى أفئدة العظماء الفاتحين ، فأخذوك اقتســارا وصلحا ، وحازوك طوعا وكرها ، وما منهم إلا من مهرك المهر الغالى ، وساق إليك الثمين المدخر ، بما خلد فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من سمات قومـه ومعانيهم : حازك الاسكندر فخـلد فيك الاسكندرية ، وملـكك قمبيز فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها ، وحل فيك بطليموس فخلف فيك أثارة من حكمة يونان ؛ وداعبك قياصرة الرومان فخلفوا فيك أثرا من عظمـة الرومان ؛ وفتحك عمرو فمهرك بيان العرب كله ، وهداية الإسلام كلها . ففخرا — يا مصر — فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هى بقايا مهورك الغالية . وإن أغلاها قيمة — وحقك — وأثبتها أثرا ، وأبقاها بقاء ، وأشبهها

بالسلاح والمال . لا يطلب إلا قسطا ممـا ينفق على موائد الخمر وسهرات الليل ، وما يراق على أقدام الغوانى من ثراء !

وما يمكن أن يمضى الشعب فى كفاحه ، وأن يريق فى كل يوم دماءه وأرواحه ، وهؤلاء السادة سادرون فيما هم فيه !

إن لـكل شيئا حدا . ومحال أن تسير الأمور على هذا النحو بلا نهاية . . فهى النصيحة الخالصة إذن نزجيها ، قبل فوات الأوان !

إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

سيد قطب

بشمائلك ــ لمهر عمرو ... فما زلت منذ تفيأت ظل الإسلام الظليل ، تجدين منه فى كل داجية نجما ، ووراء كل داجية فجرا . وما زلت كلما شكوت ضرا فى دينك يخف إليك من يكشفه ؛ وكلما شكوت شرا فى دنياك يخف إليك من يدفعه

خف إليك « جوهر » حين لحقتك علامة التأنث ، وتقلب على فراشك المبيد . وخف إليك « صلاح الدين » حين امتهن فيك الدين . وخف إليك « سليم » حين لعبت بك أهواء المماليك . وخف إليك « على » حين تحكم فيك الصمانيك : تأخروا بركبك عن زمانك ، فألحقك بزمنك ، وبالقوافل السائرة من بنى زمنك ، وأرادلك أن يكون محلك من الغرب أماما ، وأن تكونى من الشرق أما وأمة وإماما ، فما عابوك ، ولكنهم هابوك ، فنصبوا لك فى كل حفرة عاثورا ، ووضعوا لك فى كل فج فخا ، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية فى بحر ، ولا سارية فى بر ، فمن بعض ذلك كل ما تعانين

لئن كانت أزماتك فى التاريخ كثيرة ، فكلها إلى انفراج عاجل . ومن المؤلم أن تطول بك المحنة فى هذه الدورة من أدوار الفلك ، وأن تبتلى بخصم لئيم الخصومة والكيد ، يمدهما زمنه بالقوة والأيد ، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا تجمعك به نسبة الشرق ، ولا يلتقى منكما — إلى آدم — عرق بعرق ، فيجعل منك أداة لكيده ، وجارحة لصيده ، ومطية للصوصيته ، وطريقا لظالمه وظلامه ... فلو أن السالك ، تشترك فى الاجرام مع السالك — لكان لك شرك فى كل ما حمل الانجليز من أوزار ، ولحملك العدل كفلا من مآثمهم فى الشرقيين ... إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم . فليتك تمامرت بالأمس فى حفر هذه القناة ! أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بمناة ، فتوسعين هذه ردما ، كما أوسعوا تلك هدما ... حتى إذا ملكت أمرك حفرت ما يرويك ، لا مالا يرديك . وما فضل ماء استنبطته يداك ، لينتفع به عداك ؟ وما ذاد الأباة عن الحياض إلا لتكون لهم وردا

* * *

لا توحشنك غربة ... إن مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك ، حائمة على مواردك ، هائمة بحبك ، تقطع الآنات فى التفكير فيك . ولا تقطع الآنات من الامتعاض لك . وإن مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك ، متحركة بمدحك ، ناطقة بفضلك ، متغنية بمحاسنك . وإن هذا لرأس مال عظيم ، لم تظفر به قبلك يدان ...

أنت اليوم مثابة العروبة ، فى ثراك حيى بيانها ، وبسقت أفنانها ؛ وفى رياضك تفتحت أزهارها ، وغردت بلابلها . ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء

وأنت اليوم قبلة المسلمين، يولون وجوههم إليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة ، وينفرون إلى معاهدك ، يمتارون العلم منها ، وإلى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها ، وإلى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة بين الدين والدنيا عنهم . فلك — بذلك — على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة إليه

وأنت اليوم مأزر الإسلام ، فكلما سيم الهوان فى قطر ، أو رماه زنديق بنقيصة ، فزع إليك واستجاربك ، يلتمس الغوث ، ويستمد الدفاع . فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل

وكيف بك — مع هذا — لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام ؟ — إذن لكنت قدوة فى إحياء سنته التى أماتتها البدع ، وفى إقامة أعلامه التى طمستها الجهالات ، وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب ، وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات ؛ وإذن لحييت وأحييت . ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من عهد الأدران ثم لم تفسلى ؛ وأنك قادرة على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى ثم لم تفعلى . ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل . ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ، ولكنت — بهم — للعالم كله إماما أى إمام

وسبحان من قسم الحظوظ بين الجماعات فأعطى كل جماعة حظا لا تعدوه ، وفرق الخصائص على البقاع فخص كل بقعة بسر لا يعدوها ، فما زلنا نستجلى من صنع الله لك وللاسلام لطيفة سماوية ، وهى أنه كلما رثت جدة الإسلام ، وخالطته المحدثات ، سطع فى أفق من آفاقه نجم يهدى السارين إلى سوائه ، وارتفع صوت بالدعوة إلى أصول هدايته ، ثم لا يلبث ذلك النجم أن

يخبو ، وذلك الصوت أن يخفت ؛ إلا نجما سطع فى أفقك، وصوتا ارتفع فى أرجائك . وقد ارتفعت أصوات بالإصلاح الدينى فى أقطار الإسلام ، وفى حقب معروفة من تاريخه ، فضاعت بين ضجيج المبطلين ، وعجيج الضالين ، إلا صوت « محمد عبده » فانه اخترق الحدود وكسر السدود

عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تتكسر عليها أمواج الباطل ، فكونى أصلب مما كنت ، وأرسخ قواعد مما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت

أقدمت فصممى .. وبدأت فتممى ... وحذار من التراجع ، فان أسمه الصحيح «هزيمة» . وحذار من التردد، فإنه سوس الهزيمة

إنك فائزة هذه المرة بأقصى المطلوب، لأنك أردت فصممت ، وانما يمين الله من مخلوقاته المصممين . وإذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأكبر الأعوان على نيله التصميم ، فصممى ثم صممى

إن قلبى يحدثنى حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ؛ وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة فى هذه المعركة ، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه ، وهو الإرادة يحدوها التصميم ، يعدها الإيمان بالحق ، يربط ثلاثتهما الاجماع على الحق

إنك فائزة فى هذا اليوم بالأمنية التى حملت لها قرونا ، وإن فوزك فوز للعرب وللاسلام وللشرق . فيا ويح دعاة الوطنيات الضعيفة المحدودة ، إذا أقدم الأبطال نكصوا ، وإذا زاد الناس نقصوا . ويحهم ، إن المستعمر سارق ، وإن السارق الحاذق لا يسرق إلا فى الظلمة أو فى الغفلة ، فإذا انحسر الظلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والخسارة ، وإن مصر لفى فجر صادق ، وإنها لفى يقظة صاحية ، فأى موضع يسع السارق فيها ؟

صممى ، وأقدمى ؛ ولا يخدعنك وعد، ولا يزعجنك وعيد ، ولا تلهينك المفاوضات والمخابرات ، فكلها تضييع الوقت ، وإطالة للذل . ولقد جربت ولدغت من حجر واحد مرارا

ان الخصوم — كما علمت — لئام ، فاقطعى عنهم الماء والطعام . وإن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع ، فحركى فى وجوههم تلك القوى الكامنة فى بنيك يرتدعوا

صممى وقولى للمتثاقلين الذين يعذلونك على الإقدام : «وأضيع شىء ما تقول العواذل»

انثرى كنانتك — يا كنانة الله — فإن لم تجدى فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعى . واحرصى على أن تجدى فيها السلاح الذى يفل الحديد وهو العزائم ، والمادة التى تطفئ النار وهى اتحاد الصفوف ، والمسن الذى يشحذ هذين وهو العفة والصبر . فلعمرك — يا مصر — إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار ، إلا ساعة من نهار ؛ ولكنهم قاتلوك فى الزمن كله بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكتاب الذى يزرع الشك ، وبالعلم الذى يمرض اليقين ، وبالصحيفة التى تنشر الرذيلة ، وبالقلم الذى يزين الفاحشة ، وبالبغى التى تخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالهازل التى تقتل الجد والشهامة ، وبالخمر التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب . فإن شئت أن تذيبى هذه الأسلحة كلها فى أيدى أصحابها فما أمرك إلا واحدة ، وهى أن تقولى : إنى مسلمة ... ثم تصومى عن هذه المطاعم الخبيثة كلها ... إن القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصرى عليهم ... وقابلى أسلحتهم كلها بسلاح واحد وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها ... فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا ... وماذا يصنع « المرابى » فى بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ؟

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت فى مفترق الطرق . ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكى أضل السبل

فرصة من فرص الدهر ، هيأها لك القدر للرجوع إلى هدى محمد ، ومحامد العرب ، وروحانية الشرق . فإن انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة

ويا مصر ، نحن وأنت سواء فى طلب الحق ومطاردة غاصبه . ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة فى ظلام دامس ؛ ولكنك أصبحت ، فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن فى قطع من الليل ، نرقب الفجر أن يتبلج نوره ، وما الفجر منا ببعيد

محمد البشير الإبراهيمى

٢ـ دعوة محمـــد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الكعبة :

إنها أقدم المعبودات وأشرفهـا ، فقد ذكر المؤرخ الرومانى (سيسلانى) أنها كانت فى مدته أشرف المعابد فى العالم وأقدمها طرا ، وذلك كان قبل ميـلاد السيد المسيح بأكثر من خمسين عاما . وتتكون الـكعبة من البناء الذى رفع قواعده ابراهيم واسماعيل ليحج إليه الناس ذاكرين ربهم ، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمـاعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

والحجر الأسود الذى يعتقد بعض المؤرخين أنه ربما كان من رجوم السماء ، فإذا صح هذا الاعتقاد ، فلا بد أن يكون قد بصر به أحد وهو نازل من الجو . والبئر زمزم التى تنبع من بين الصخر . وأى منظر ؛ منظر الماء ينبجس من بين الحجر الصخرى الأصم كأنه الحيـاة من الموت ! وقد اشتق لها اسمها (زمزم) من صوت تفجرها وهدير مياههـا . ويتفق أكثر المؤرخين على أنها قد تفجرت من تحت أقدام هاجر زوجة إبراهيم وابنها اسماعيل بعد أن أشرفا على الهـلاك ، فكانت لهم حيـاة وشفاء من الله

وقد عظم العرب الـكعبة وقدسوا البئر والحجر الأسود منذ آلاف السنين ، إذ كانوا يحجون إليها تقربا إلى الله وعبادة له . وكان من حج القبائل أن انشئت مدينة مكة وسط هضاب مقفرة وتلال من الرمال مجدبة وعلى مسافة من البحر بعيدة ، إذ كان كثير من الحجـاج يطلبون المأوى فلا يجدونه ، فأنشأوا هذه المدينة ليأووا إليها زمن الحج ، فكانت تلتقى فيها التجارة من أول يوم يلتقى فيه الحجاج . وعلى مر الأيام وجد جماعة من العرب أنفسهم مجتمعين لأغراض كثيرة تتركز كلهـا حول الـكعبة ، فأنشأوا لهم مساكن حولها وأقاموا مقيمين بيركتها محتمين بحرمتها ، ومن هـذا الوقت أصبحت مكة أهم أسواق البلاد العربية بأجمعها والمركز التجارى المهم بين الشـام ومصر وبين الهند ، بل بين الشرق والغرب . ولأهميتها فى ذلك الوقت بلغ عدد سكانها فى بعض الأحيـان أكثر من مائة ألف ، بين تجار ومشترين وموردين للبضائع وسكان أصليين . وكان يتولى أمرها جمهورية ارستقراطية عليها مسحة (دينية) فقد كان سكانها يختارون لها جماعة من عشرة رجال ، من إحدى القبائل ليكونوا حكامها وحراسا للـكعبة وسدنتها ، وكانت هذه لاشك طريقة غير سليمة . وقد انتهى هـذا الأمر فى أواخر الأيام السابقة لظهور النبى إلى قبيلة قريش التى منها أسرة محمد إذ أنها كانت هى التى تسكن مكة . أما بقية القبـائل الأخرى ، فكانت متفرقة فى أنحاء الصحراء تفصلها الواحدة عن الأخرى مسافات بعيدة من البيد والقفار ، وكانت كل قبيلة تختار لها أميرا وربما كان هذا الأمـير راعيا ، بل وكثيرا ما يكون لا عمل له إلا قطع الطريق والإغارة على القبائل الأخرى المجاورة . وكثيرا ما كانت الحرب تستمر سجالا بين القبائل عدة سنوات ، ولـكنهم على رغم تباعدهم وشتات شملهم ومابينهم من عداوة وبغضاء ، كانوا يلتقون حول الـكعبة فيجتمعون رغم اختلاف عقائدهم ، على مذهب واحد ، وهو تقديس الـكعبة وتعظيمها . على أنه كان هنـاك شئ يجب علينا ألا ننساه وهو أنه كان بين العرب رابطة قوية ، ألا وهى رابطة الدم واللغة التى تفوق كل الروابط والتى توحد الشـاعر وتسهل التفاهم وتشعر بالتقارب

* * *

على هـذا المنوال عاش العرب قرونا عديدة خاملى الشأن لا أثر لهم فى الحيـــاة ولا ذكر لهم فى العالم ؛ فقد وصل بهم الاضمحلال والسقوط ، أن كان يستخدمهم الفرس والرومان فى محاربة بعضهم البعض فى الدفاع عن مصالح تلك الأمم . غير أنه فى أواخر أيامهم حدثت بينهم دواعى اختلاط ، أخذت تربطهم وتقرب بينهم ، ثم أخذت تتسرب إليهم أنباء من أكبر حادثة

وقعت فى ذلك الوقت على وجه البسيطة — وأقصد بها حياة المسيح ودعوته — فأحدثت هذه الدعوة تأثيرا ملموسا فى الأمة العربية وجمعت بين كثير من قبائلها ، وكأنما أراد الله أن يكون هذا العمل إرهاصا للدعوة الكبرى واليوم المشهود الذى ينتظره هؤلاء العرب ليعلو ذكرهم ويرتفع فى الآفاق شأنهم

* * *

ما أعجب أمر الكعبة وأعظم شأنها ! فهى التى جمعت بين شتات العرب ووحدت بين مشاربهم ، وكما هى فى هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة الشريفة التى يرسلها لها السلطان كل عام والتى توقد فيها المصابيح فى ليلة الهجرة لتشرف تحت النجوم المشرقة ، هى أجل أثر من آثار الماضى وخير ميراث من الغابر

هذه هى الكعبة التى يولى شطرها ملايين عديدة من المسلمين وجوههم من أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب من دلهى إلى مراكش ، كل يوم خمس مرات . تهفو إليها قلوبهم وتشخص أبصارهم . إنها والله لمن أجل مراكز المعمورة وأشرف أركانها

الإسلام :

ما هو الإسلام ؟ كثيرون هم الذين لا يعرفون ما هو الإسلام ، أو يتساءلون مستهزئين هذا السؤال . أما الأولون فهم معذورون وأما الآخرون فهم حاقدون . ولهؤلاء وأولئك أقول

الإسلام هو أن نذعن لأمر الله ونسلم الأمر له ونتوكل عليه ، ونعلم أن القوة كل القوة هى فى الخضوع لحكمه والاستنامة لحكمته والرضا بما قسمه لنا فى الدنيا والآخرة . ومهما يصيبنا من شئ ، فلنعلم أنه من الله ويجب علينا أن نتقبله بنفس راضية ووجه باش ونعلم أنه الخير ولولا ذلك لما اختاره الله لنا . (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقد قال شاعر ألمانيا « جوته » عندما عرف أن هذا هو الإسلام : « إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعاليمه فكلنا إذن مسلمون » نعم هذا قول حق لأن كل من كان شريفا فاضلا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم . وقد قيل : « إن منتهى العقل والحكمة ليس فى مجرد الاذعان للضرورة ، لأن الضرورة تجعل المرء يخضع لها رغم أنفه ، فلا يكون له فضل فيما يأتيه ، وكيف يكون للانسان فضل فيما يفعله مكرها ؟ ولكن منتهى العقل وعين الحكمة هى اليقين بأن ما ينزل بالإنسان من حوادث الزمن هى الخير له ، وأن لله فى ذلك حكمة تلطف عن أفهامنا نحن البشر وتدق عن عقولنا ، وأنه من الخطل والسخف أن يعتقد الإنسان فى نفسه القوة ويجعل من عقله الضئيل ميزانا للعالم وما يجرى فيه من أعمال ، فيضع الأشياء فى غير مواضعها الحقيقية ، بل يجب عليه أن يعتقد أن للكون قانونا عادلا وإن غاب عن إدراكه وعجز عن فهمه ، وأن الخير هو أساس الكون ، والنفع هو روح الوجود ، والصلاح لباب الحياة ، عليه أن يعرف هذا ويعتقده ويتبعه فى سكون وتقوى حتى لا يضل الطريق إلى الله . وهذا هو الإسلام

* * *

إن الإنسان يكون مصيبا وظافرا ، سائرا على الطريق الأقوم والخطة المثلى والمذهب الأشرف الأطهر ، مادام معتصما بحبل الله متمسكا بقانون الطبيعة الأكبر ، غير مبال بالقوانين الوضعية السطحية والظاهرات الوقتية . إن المؤمن هو الذى يتبع القانون الجوهرى الكبير ، ذلك القانون السماوى الذى يعتبر قطب الرحى ومحور النظام فى الكون

وأول وسيلة يجب على من يريد أن يسير على نهج القانون الأعظم إتباعها ، الاعتقاد بوجوده وبأنه أصلح القوانين للحياة ولا قانون غيره يصلح لتنظيم الكون وقيادة العالم إلى الأمن والسلام مما يضعه البشر لأنهم قاصرون عاجزون . هذا هو جوهر الإسلام وروحه . وهو أيضا كان روح النصرانية من قبل ، يوم أن كان أهلها يعتقدون هذا الاعتقاد

الإسلام والنصرانية دينان سماويان . ويجب علينا أن نفهم أن الأديان السماوية تأمرنا بالتوكل على الله قبل كل شئ وأن نعظمه بقدر عظمة الكون الذى خلقه ، وتبعا لذلك يجب أن نزجر النفس عن الشهوات ونهى القلب عن الهوى والزيغ ، وأن نتعود الصبر على الأذى والأسى وأن نرضى بما قسم الله لنا وكل

ما يأتينا به الله إن هو إلا يد بيضاء من الله علينا ونعمة غراء من نعمه على الكون التي يجب أن نحمدها ونخر له ساجدين شكرا ، نحمده على كل حال ولو كان ضررا يلحق بنا فقد يكون فيه شفاء لنفوسنا وتطهير لقلوبنا مما بها من الشوائب والأدران (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

علينا أن نعرف موقنين أن عقولنا قاصرة عن معرفة شيء من أسرار هذا الكون الواسع ، وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، وما أحرانا أن نقول دائما : « إننا بقسمة الله راضون ولو كان ما قسم لنا المنون »

* * *

لو تأملنا سرعة انتشار الإسلام ودخوله إلى القلوب وشده امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق ، وتجردنا من عصبيتنا البغيضة ، لتحققنا من أنه خير من النصرانية وأفضل تلك التي كانت منتشرة وقت ظهور الإسلام في كثير من بلاد العالم كالشام واليونان وغيرها ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس ويحول بطلانها بين القلوب وبين الحياة الصحيحة ، فقد كانت قلوب معتنقيها قفرا يبابا من المعاني السامية والروحية القوية التي يمتاز بها الإسلام . لقد كان في النصرانية عنصر من الحق ، غير أنه كان ضئيلا جدا وهذا هو السبب الذي جعل الناس يؤمنون بها ، لأن الناس مهما كانوا فهم يريدون الحق ويسمون إليه ، ولكن ما إن وجد الإسلام حتى أصبحت النصرانية على حالها هذا كالدعي بجانب الأصيل

فقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق الجدال ، يخطئ كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين المصطنعة الباطلة . فكانوا بهذا يطعنون دينهم بأنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون حبا في شهوة النصر كمن يقال فيهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) جاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل الكاذبة والعبادات الضالة فسحقها ، وحق له أن يسحقها لأنها باطل وهو حقيقة خارجة من قلب الطبيعة الصادقة . إن الإسلام ما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود

واحترقت جدليات النصرانية وذهب كل ما لم يكن حقا ، وصار حطبا التهمته نار الإسلام فحولته رمادا ذهب والنار لم تذهب على مر العصور

* * *

نظر محمد ببصره النافذ إلى ما وراء معبودات العرب الكاذبة ومذاهبهم التي لا تقوم على أساس صحيح ، ونظر إلى اليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم وإلى النصرانية وجدلياتها . نظر إلى هذا وغيره بعينه الثاقبة وقلبه البصير الصادق وفكره المتوقد إلى جوهر الأمر وصميمه ، فقال في نفسه : ما هذه الأصنام التي تصقل بالزيت وتدهن فيقع عليها الذباب فلا تستطيع رده ، إنها خشب مسندة لا تضر ولا تنفع ، إنها باطل ومنكر فظيع وإغراق في الكفر بالله خالق الكون ومسيره ، ولكن الحق هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الذي خلقنا وهو الذي يحيينا ويميتنا ثم يحيينا ، ويطعمنا ويسقينا ، وهو أرأف بنا منا إنه هو الرءوف الرحيم ، الذي خلق لنا ما في الأرض جميعا لننتفع به ونشهد على أنه هو الواحد القادر الذي يجب أن يعبد ، لا إله غيره

لقد آمن العرب بالإسلام ودخلوا فيه أفواجا راغبين غير مكرهين ، وإن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم وعضوا عليه بنواجذهم لجدير بأن يكون حقا وأن يصدق به لأنه حق لا مراء فيه

لقد اشتمل الإسلام على مبادئ عظيمة وقواعد جليلة ، وإن الشيء الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يلحظه في الإسلام ، هو اشتماله على روح الأديان جميعا ، هذه الروح التي تلبس أثوابا مختلفة وتتشكل بأشكال متعددة ، ولكنها في الحقيقة شيء واحد

وباتباع قواعد الإسلام والتمسك بروحه يصبح الإنسان إماما كبيرا لهذا المعبد الأكبر (الكون)

على الإنسان إذا أراد الهداية ، أن يسير على قواعد الخالق تابعا لقوانينه لا يحاول أن يقاومها أو يدافعها أو يعبث بها لأنه سيبوء بالفشل لا محالة لأن الله هو الذي يحفظها « إنا نحن

فدوي طوقان

شاعرة الوجد والحنين

للسيدة وداد سكاكيني

عند كلامي على شاعراتنا المعاصرات تطوف بالخواطر ترانيم شاعرة الإغريق سافو التي أنبتتها لسيبوس بلدة الفن والأدب . ولقد كانت حياتها وآثارها نغما شرودا ولحنا غريبا . ويقتحم الفكر بعدها اسم الخنساء الذي شاع في دنيا العرب قديما ، فقد ظهرت هذه النابغة الكريمة شاعرة عز مثلها في الرجال . ولما فجعها الموت في أخيها صخر، وكان يبرها ويؤثرها بحنانه وإحسانه سكبت دمعها رثاء له وحزنا عليه حتى تركت ديوانها مثل عين فياضة بالدموع

ولست أدري حين أقرأ الشاعرة المعاصرة فدوى طوقان كيف آخذ لها الوصف من هاتين الشاعرتين المختلفتين طبيعة ومزاجا ، ففي شعرها من الأولى ألحان وتناغيم ، ومن الثانية صور اللوعة والفجيعة ، فأعجب لتشابه النصيب والمصيبة

لقد فجر الحزن قريحة الخنساء وحسها فبكت أخاها بشعر يموج فيه النوح والعويل ، وطال وجدها وأساها ، فهي تبكي أخاها وترثيه لطلوع الشمس وغروبها . وكأنما تحرق شعورها واستبدت بها الحرقة فراحت تنفس عنها هذه المراثي الندابة التي طبعت شعرها بطابع عرفت به ودل عليها

أما فدوى طوقان الفتاة الحضرية الأصيلة التي تثقفت في بيت عريق المجد والجاه في مدينة نابلس بفلسطين حيث يشرف جبل النار على هذا الحمى المنكوب فقد تعهد أدبها وثقافتها أخوها « إبراهيم » ، وإبراهيم كان حلما من أحلام عبقر ، وعلما من أعلام الشباب الوطني رف طيفه وطاف شعره منذ عشرين عاما في آفاق الشام والعراق ، وكان بشرى التجديد والإبداع في الشعر العربي المعاصر ، ولكن سرعان ما غيب الموت هذا الشاعر فأسفت أشد الأسف شقيقته فدوى ، وكانت قد أوتيت مثل أخيها موهبة

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولم أجد قط تعريفا للواجب خيرا من هذا

ولا يكون الإنسان مصيبا إلا إذا سار على منهاج الإسلام ، وهو الدين القويم ، لأن الفلاح في اتباعه (إذا كان منهاج الدنيا طريق الفلاح)

* * *

إن من فضائل الإسلام التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ، وهذا لا شك أعظم وأشرف ما نزل من السماء على بني البشر في الأرض . إن الإسلام نور الله قد ظهر في روح محمد ذلك الرجل العظيم ، فأنار الدنيا وبدد ظلماتها ، تلك الظلمات التي كانت تنذر بالهلاك والخسران المبين

وقد جاء به من عند الله ملك عظيم سماه (محمد) وحيا ، وقد صدق إذ سماه هذا الإسم ، فمن منا يستطيع أن يسميه اسما آخر ، ألم يجئ في الإنجيل (أن وحي الله يهبنا الفهم والإدراك) ولا شك أن العلم ببواطن الأمور والنفاذ إلى جوهر الأشياء لسر غامض وأمر خطير لا يكاد المنطقيون يلمسون منه إلا قشوره ، وقد قال نوفاليس : أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله به . »

إن شعور النبي محمد الذي ضاءت روحه بنور الحقيقة الساطعة ، بأن هذه الحقيقة أهم ما يجب على الناس أن يعلموه ويؤمنوا به ، لم يكن إلا أمرا بديهيا . وما دام الله تعالى قد اختصه بها وكشفها له ونجاه من الضلال والتردي في الباطل فهو مضطر إلى نشرها بين الناس وإظهارها للعالم أجمع ، وهذا كله معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الحق الجلي والصدق المبين وهو روح الإسلام وجوهره

فهل بعد هذا يستطيع المكابرون أن ينكروا فضله ويجحدون مزاياه ثم يقولون ما هو الإسلام

عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر فراحت تبكيه وترثيه بقصيد أعاد إلى الخواطر ذكرى الخنساء. وما أكثر ماقالت فدوى فى وجدها ولوعتها وكأنما كان فيه عندليب يبكى عندليبا، فمنه قولها :

واشقيقاه ما أجل مصابى   كيف أودى الردى بزين الشباب
واشقيقاه مات فى عمر الورد غضير الصبى نضير الإهاب
أين منى أخى ؟ فلى الله ما خلاه عنى ما عاقه عن جوابى
حر قلبى « لجعفر وغريب »   وهما يرقبان يوم الإياب
كلما استشعرا إليك حنينا   هاج فى الصدر من طويل الغياب
هتفا باسمك الحبيب وباتا   رهن هم ووحشة واغتراب

ويدعو الشاعرة فقد أخيها إلى أن تسأل القدر عما وراء الغيب وعن عالم صار إليه أخوها . وقد سأل قبلها الشعراء عن هذا المصير فما أجابهم إلا صدى يرن فى ظلمات العدم فتقول :

ليت شعرى ما عالم صرت فيه   عن عيون الأحياء خلف حجاب
أهو شط الأمان للنفس بعد الخوض فى مزبدات طامى العباب

ويمر عام تزداد فيه هواجس الشاعرة وتستبد بها شجونها فتقول :

لا كان عام ظللت يا سكنى   فيه وراء الحياة والزمن
مستوحشا فى الضريح منفردا   مرتهنا بالتراب والكفن
لو أننى قمت بالوفاء أخى   ما ظل روحى يجول فى بدنى

لقد بكر الحزن على فدوى وطغى ، فقالت فيه أكثر شعرها قبل أن يكون منها شعر من ضرب آخر ، بل كان هذا الحزن مثيرا لآلامها وهمومها التى لونت حسها وخيالها بتلاوين الوحشة والكآبة وجعلتها تقول الشعر تعبيرا عن نفسها وتصويرا لهواجسها ، فكانت مراثيها شجوا ودمعا ، ثم ظهرت قصيدتها « خريف ومساء » مواجهة بالحيرة والزهادة

ويمسح الزمن بعد حين بيده السحرية على وجوم فدوى ووجدها وتتصدى لها رسالة الشعر فتناغيها وتناجيها ، وتهدهد مواجعها بالرجاء والعزاء ، وتستجيب لها الشاعرة فتحاول الخروج من هيكلها القاتم الذى طال وقوفها فيه بين الحسرات والزفرات

(١) هما ولدا الشاعر إبراهيم طوقان

كان صنع الشاعرة الطوقانية وهى تنفلت من شجوها كصنع الناسك القديس الذى يترك محرابه للطواف فى حديقة أو رحبة ناسيا ركعاته الطوال أمام المذبح ، أو كما فعل الناسك الذى صوره أندريه جيد فى السمفونية الرعائية . والشاعرة السادرة فى تفلتها حينا بعد حين من حزنها تتخفف من السواد الذى كان عالقا بألفاظها ومعانيها ، فتؤثر التأمل وتلتمس الفلسفة فى الشعر الذى سارت به على غرار الأوائل. وكنت أتمنى لو انفردت فدوى بلمسات خاصة كالتى ظهرت فى شعرها الأخير حين رمت بطرفها على شاطئ الوجود

أما أنوثة الشاعرة فأمر لا ينبغى أن يغيب فى دراسة الأدب المعاصر ، وفى هذه المرحلة من التحليل النفسى الحديث ، التى يتناوله نقاد الأدب فى الغرب على نحو من التصريح لا التلميح ، ولم يتهيب الكلام نقادنا القدامى حين حللوا شعر النساء وأولوا لفظه ومعناه . فكأى من شاعرة أو مغنية فى المصرين العباسى والأندلسى كانت تعرب عن شكواها وجواها ولا ترى حرجا فى أن تتدله أو تتغزل . ولا أدرى ما يحول بين ناقد الأدب المعاصر وبين تحليله شعر المرأة والمضى وراء مراميها إلى حيث ترف أجنحتها الشعرية فى آفاقها البعيدة ؟

على أن السائد من تقاليدنا ما يزال يجعلنا متحفظين متحرزين فى التعبير عن حقيقة إحساسنا ومنازعنا ، فلا الشاعرة ولا الأديبة تستطيع مع هذا التحرج أن تصور هواجسها وخلجات قلبها ، ولا الناقد يستطيع النفوذ إلى ماوراء الكلام ، ولهذا فإنى حين نظرت إلى طائفة من شعر فدوى قلت أكثره فى التعبير العاطفى والشوق المقيد والقلق المستبد عزوته إلى هذا التحفظ النسوى. غير أن فدوى إذا قيست بشاعراتنا المعاصرات كانت أصدقهن تمثيلا للعاطفة الصحيحة والشعور الذى يخامر الأنثى . وليس معنى هذا أن شعرها مقصور على الوجد والحنين فإن لها تأملات روحية وصورا حسية منوعة دالة على تتبعها وتمعنها فى فهم الكون والحياة والمضى مع تيارات الفكر الحديث . والشعر عند فدوى فن يرفده حس مرهف وقريحة متثقفة لم تقنع من الفطرة بالوحى والإلهام . وقارئ قصيدتها أبة كانت يشعر أن وراء هذا الشعر من تقوله وقد ملكت

مواهبه وأسبابه

ولعل الشاعرة الطوقانية قد تأثرت بتعاليم المعرى والخيام ، فتوقانها إلى الانعتاق من الحياة ولا سيما انطلاق الروح من الجسم فكرة علائية أكثر المعرى من ذكرها فى لزومياته ، وحنينها إلى الينبوع الإلهى نزعة صوفية . أما أملها فى أن تبعث من تربتها زيتونة مثمرة فهذه لمة خيامية تلوح فى قولها :

يا رب إما حان حين الردى وانعتقت روحى من هيكلى

وأعنقت نحوك مشتاقة تهفو إلى ينبوعها الأول

وبات هذا الجسم رهن الثرى لقى على أيدى البلى الجائره

فلتبعث القدرة من تربتى زيتونة ملهمة شاعره

حتى إذا يا خالقى أضمت عناصرى أعصابها والجذور

انتفضت تهتز أوراقها من وقدة الحس ووهج الشعور

ويطغى على فدوى حس مبهم مجنح يعاود مثله الشعراء الذين ينطلقون وراء المثل العليا أو يلوبون على حقائق يتوهمونهـــا وينشدونها ، إنهم فى عالمهم الخاص يبدعون شخوصا وأشياء ثم يضفون عليها من ألوان الوجود ، فاذا هم يناجون ويهتفون وليس بين أيديهم إلا هذه المثل الهائمة المدومة فى آفاقها البعيدة . وهذا سر تفوقهم فى متع الخيال وتهاويل الباطن ! والشاعرة الطوقانية لم تنحرف عن سنة هؤلاء؛ فنى شعرها الذى قالته بعد الرثاء لمحات ظمأ وحنين، ونفحات فن وإحساس عنيف، فيها حل لها على الانفلات من قيود عزلتها ووحشتها، وقد عبرت عنها بالشوق إلى المجهول .

ولا يحسبن بعض الملمين بشعر فدوى أن هذا المجهول الذى تمضى وراءه متلهفة حيرى هو المحبوب أو الزوج أو الولد ، إن هذا لمن أتفه ما يصبو إليه الشعر. وإنما تنفذ الشاعرة تأملاتهـــا وشطحات شوقها وراء الغيوب ، فى السديم المثالى لعالم الشعر الذى لا يفنى . وقد أحس هـــذا الاحساس كثير من الشعراء والشاعرات وكانوا متزوجين ولهم أولاد وحفدة ، وما نسينا تحليق شيخ الشعراء بفرنسا « فيكتور هوغو » حين نشر جناحيه فى سموات هذا المجهول الشارد بأكثر قصائده التى وضمها بديوانه المسمى « كيف يصير المرء جدا » ومرد ذلك عندى إلى الألم العميق، فإن هوغو فقد بنته وزوجها غرقا فبق محزونا عليهما ، وقال ذلك الشعر الذى يهفو إلى المجهول بسائق من هذا الأسى المقيم . وكذلك أرد شعر فدوى فى هذا الصدد ، فلولا موت أخيها الذى ضعضعها ، وهذه الهواجس التى ألمت بنفسها لما سمت روحها نحو هذه المثل البعيدة .

وإذا كان لقولى هذا ختام على إيجازه فى الشاعرة الطوقانية فأجل ما ينبغى أن يكون الكلام فيه على شعرها الوطنى . وهل ذهب ذاهب إلى أن فدوى التى هزها الأسى على أخيها إبراهيم لم تكن ذات شعر وطنى ؟ هيهات هيهات ! فان جبل النار الذى يغلى حمية وحرية هو الذى تحدرت من قممه فدوى ، وطبعها على هذا الشعر الذى رددته وكأنه أغاريد بطولة وجرس سلاح .

إن لفدوى طوقان فى فلسطين المنكوبة المغصوبة شعرا لم يقل مثله الرجال . وسيظهر هذا الشعر فى ديوانها ملتهبا بالدم مشبوبا بالشمم ، فمن قولها فيه :

ياهذه الأقدار لا ترحمى فرائس الضعف بقايا الرمم

ستنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم

وإذا كانت تلوح اليوم فى الآفاق العربيـــة بشائر الشعر النسوى الحديث كما كانت تلوح فى هبات التألق الأدبى الذى كان فى العصرين الأموى والعباسى ، وفى الاندلس ، فان طائفا من الالهام الإلهى والفن المطبوع قد تخير فدوى طوقان لتحمل رسالة هذا الشعر فى جيلنا المعاصر ، يمكنها من ذلك تضلعها من الفصحى وتمرسها بالبيان. وإنها لتجود بالشعر من نفسها وحسها غير منسحبة على التكلف والتقليد، ولامرددة لشعر مصنوع تفوح منه الترجمة والاقتباس ، وإن لها لأمداً بعيداً هى منطلقة نحوه وقد انشق أمامها الطريق .

القاهرة وداد سكاكينى

مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنبارى

مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت فى القرن الخامس عشر ، وقد لاقت نجاحا منقطع النظير ، ولا زالت تلاقى إقبالا عند تمثيلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء فى معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحيه محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذى يوجه ذكاءه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والعرض الذى أقدمه للمسرحية هو عن اللغة الإنجليزية

نحن الآن فى الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آنسه إنسان مغرور يظاهر على سيماه الخبث والمخادعة ، وهو كسول فى نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزعجت حالته هـذه زوجته « جيميت » — ولعلها أخبث منه — فآلمها ما يبدو من زوجها من التراخى والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول العيد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ فى انتهاره وإيذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريعاً قائلةله : ما الفائدة فى أن يكون محاميا عظيما كما يدعى، بينما هو يعجز عن تدبير المـال الكافى لشراء ملابس العيد ؟ وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه ... محاميا عظيما — قد مست فيـه الوتر الحساس من نفسه المغرورة . فهتف بهـا أنه نعم لا زال ذلك القانونى والداهى ذو الاسم اللامع فى عالم القضاء ، وسيريها الى أى حد سيوفق فى يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشـدة فيلبس ملابسه ويخرج . الى أين ؟ لا يدرى . وأخذ يقدح فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين السبيل الى ذلك ؟ أين يجد ذلك المخلوق الأبله الذى يرضى أن يوكله فى قضيتـه ، وهو ذلك الداهى الذى عرف بالخسة وضعة النفس فضلا عن أنه محام فاشل .

وما زال بأفـكاره هذه حتى بلغ السوق . وانتهى بتفـكيره الى أن رغبة زوجته تنحصر فى الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محاميا عظيما أو فاشلا ، كما لا يهمها مطلقا المصـدر الذى يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هينـة الى حد بعيـد . هداه تفكيره الى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل الى حانوت بائع للاقمشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هـذا فقد عرف عنـه أنه رجل حريص شـديد البخل . فاقترب منـه بتلان وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ملؤها الثقة بخبثه ، فسلم على جيوم وحياه وأخذ يصافحه بشـدة وإخلاص ، متظاهرا بأنه صـديق مخلص له عزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه المفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هـذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبعد جيوم قليـلا من حذره الذى عوده إياه بخـله الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويدا لهذا الإخلاص العميق الذى يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفا هاشا باشا حتى يضطر جيوم الى دعوته إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والمزاج والأحوال ثم ينتقل الى الحديث عن العائلة وعن المرحوم الوالد العزيز الذى كان صديقا مخلصا له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيرا عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكدا كيف أنه — أى جيوم — يشـبه أباه فى حركاته وفى ملامحه وفى رقة أخلاقه أيضا . ومايزال كذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلا : ياله من قماش بديع وجميل! ولكنه فى هذا لا يظهر أنه جاد فى حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلا عن عائلة جيوم ويقول : إن زوجتى يسرها جدا أن تزورنا بل أن تتفضل بالغداء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيـه نفسية التاجر فيعود بالحديث عن القماش مطنبا ومادحا لهذا القماش الثمين فيؤيـده بتلان فى ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فانه يقول إنه سيرى نفسـه مضطرا أن ينزل عن عشرين جنيها ثمنا لمـا سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التى ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفى هذه الأثناء يمد يده الى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجتذب الزبائن اجتـذابا ، وكيف يستولى على النقود فيسلبها من

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول بالأسف لقد نسيت محفظة النقود فى البيت . ولكن هـذا لا يهم وإن كان الخير فى ذلك ، لأن جيوم سيستلم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يساود جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتى هو بالقماش معـه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ ومايزال به حتى يرضخ جيوم للأمر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

ونرى بتـلان فى الفصل الثـانى وقد عاد الى بيتـه متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقى فقـد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمن القماش عند الغداء . وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هى أبرع من زوجها وكأنهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهر بتـلان بالمرض وتدعى هى أنه مريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدآن بتنفيذ الخطة فيخلع بتلان ملابسه ويستلقى على السرير . وعندها يطرق الباب فيعلمان أنه جيوم بائع الأقشة والضيف الـكريم ، فتـذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهى تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدعها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قماشا وأنه مدعو للغداء، فتصرخ فيه جيميت : أى قماش وأى غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشـترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولـكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان فى دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يمتنع عن هذا الهذيان وعن هذا الاتهام وليلزم الصمت لـكى لا يقلق راحة المريض ، ثم يصلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألمـا . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم أن يتذكره ويتوسل اليـه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسـه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتـلان ويدخل مؤكدا صدق مطلبه وملحا أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتأوهات ، وعندها تعود جيميت إلى انتهاره واتهامه باقلاق راحة المريض ، فيخرج جيوم متوعدا أنه سيشكوهم الى القضاء .

وفى الفصل الثـالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوعدا ، ويتفق أن يلاقى الراعى توما . أما توما هذا فانه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويعرف توما بالأبله ولـكنه خبيث أيضـا وماكر ، استغل أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بثمنها فشكاه جيوم الى القضاء ، ونرى توما الراعى قادما الى دار المحامى بتلان لـكى يوكله عنه .

وهنا يظهر خبث المحامى بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعى توما أن يدعى أنه أخرس ولا يجيب على أسئلة القاضى إلا بـ « آآآ » أى مثل أصوات الغنم

والمنظر الآن فى المحـكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضى والتاجر جيوم . وعندها ينادى الحاجب الراعى توما فيتقدم هذا إلى القاضى فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (آآآ) فيتملك جيوم الغيظ والغضب ويستنكر أن يكون توما الراعى أخرس . وعندها يطلب القاضى بمناداة وكيله ومحاميه فينادى الحاجب (المحامى بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منـذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متمارضا على الأصح . ولـكنه يفاجأ بل يكاد يصعق عند ما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان، فيثور ويترك مسألة الغنم والراعى توما ويشكو بتلان إلى القاضى متهما إياه بالسرقة فيدهش القاضى ؛ ولـكن جيوم يقول إن المحامى بتلان محتال ومخادع وماكر كان قد أخذ منـه قماشا عند الصباح وعند ما جاء ليأخذ ثمنه فى البيت أنـكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعى توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعى توما إلى القاضى وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؛ ثم ينتقل

بمناسبة المولد النبوى :

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفنى داود الجرجاوى

كان للقرآن فى صدر الإسلام معجزته الكبرى حين نشأت علوم اللغة والأدب لتفسر وجوه إعجازه وتوضح بلاغه آياته وسوره . وبسبب هـذه الأجواء العلمية — التى حاكها حولها ونسج خيوطها بين يديه فى بلاغته الساخرة وآياته الباهرة — كان الغاية الكبرى التى تنتهى إليها هذه العلوم وتدرس من أجلها هذه الفنون ؛ وقد كانت الوسائل القوية والوشائج المتينة التى تصل بالدارس إلى معانى القرآن وفهم أسراره وكشف مقاصده ، فاللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم الأدب — مضافا إليها علوم الشريعة وعلوم الحقيقة — وجدت من هذه الغاية الكبرى مبدأ لتكوينها وسببا قويا لنشأتها ، كما أنها جميعا وجدت من تطور الدراسات القرآنية خطوطا أولية تمثل تطور حياتها وترسم طريق مستقبلها

ولم يكد القرآن ينتهى من أداء هذه الرسالة الإعجازية حتى تضافرت معه قوة جديدة تصور نفس الغاية هى (المدائح النبوية) فقد كان لهذه الأخيرة صداها منذ القرن الأول حين نظم كعب ابن زهير (٢٦ هـ) قصيدة « البردة » بين يدى الرسول الأعظم ، فكانت قصيدته أول قصيدة كلاسيكية تقليدية فى مدح الرسول . ثم جاءت على إثرها قصائد الشعراء فى القرون المتعاقبة

وفى القرن الثامن اشتقت المدائح النبوية طريقا خاصا بهـا حيث اصطبغت بالصناعة اللفظية وعنى واضعوها بوجوه المحسنات البديعية . ومن هنا حلت المدائح النبوية الرسالة العلمية التى حمل مثلها القرآن فى علوم الأدب منذ سبعة قرون مضت . وبينما كانت « رسالة القرآن » رسالة عامة انتفعنا من ورائها فى إحياء علوم الدين وعلوم الأدب كانت « رسالة المدائح النبوية » رسالة خاصة انتفعنا بها فى تطور علوم البلاغة وفيما أحدثه الشعراء من ضروب البديع التى اصطنعوها فى مدائحهم

* * *

فى هـذه الحقبة من القرن الثامن أخذ القوم يخرجون مدائحهم النبوية فى قالب خاص من علوم البديع حتى سميت « البديعيات » . وكانت هـذه البديعيات أشبه بكتب مفردة سجلت فيها فنون البديع وأنواعه ومصطلحاته ، وظلت هـذه البديعيات دستور البديع وديوان فنونه وسجل مصطلحاته فى سائر القرون التى تلت القرن الثامن حتى وصلت إلى عصرنا هذا

وأول بديعية وصل إليها تحقيقنا فى القرن الثـامن هى التى نظمها صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، شرحها صاحبها فى كتاب خاص سمـاه « النتائج الإلهية فى شرح الكافية البديعية » . قال ابن حجر العسقلانى : « . . . وبديعيته مشهورة وكذا شرحها ، وذكر فيه أنه استمدها من مائة وأربعين

إلى الكلام عن بتلان وما زال ينتقل من بتلان إلى توما ومن الأغنام إلى القماش حتى ضجر القاضى وطلب إليـه السكوت . وهنا تظهر براعة المحامى بتلان ويظهر خبثه ومكره ويستند إلى حالة جيوم النفسية وما ظهر عليـه من اضطراب ويتأسف بأن تسمع المحـكمة الموقرة إلى مثل هذا المجنون الذى يخلط فى كلامه ويتهم النـاس الأشراف . فيحتد جيوم ويصرخ مطالبا بقماشه ومطالبا بأغنامه ويظهر اضطرابه فى كلامه ، فينتهره القاضى ويطلب إليـه بل يأمر بإخراجه من قاعة المحـكمة فقد سقطت دعواه لسخافته

وهنا ينتصر المحامى بتلان وتبرئ المحـكمة ساحة الراعى توما ويخرج الظافران . ثم يأخذ المحامى بتلان الراعى توما ناحية ويطلب إليه أن يسلمه ثمن أتعابه ، فيقهقه الراعى توما ويجيبه كما أجاب القاضى مقلدا صوت الأغنام « ااا » فيجن بتلان من الغيظ ويحتد مزمجرا ويطلب ثمن الأتعاب فلا يجاوبه الراعى الخبيث إلا (ااا) »

عبد الغنى الأنبارى
جامعة فؤاد الأول كلية الآداب

كتابا » (١) ويبدأ الحلى بديعيته مستهلها ما جاء ببردة « البوصيرى » من ذكر الأماكن الحجازية كذى سلم وسلع والعلم فقال :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ... واقر السلام على عرب بذى سلم

وذلك تقليد قديم احتذاه الشعراء من قبل صفى الدين الحلى ثم أصبح نظاما تقليديا استنه الشعراء لأنفسهم من بعده . وفى هذا البيت يشير الشاعر إلى براعة المطلع والتجنيس المركب والمطلق . ثم ينتقل بك إلى تجنيس التلفيق فى البيت الثانى :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم ... لهم ولم أستطع من ذاك منع دم

ويستمر صفى الدين فى هـذا النحو حتى ينتهى من بديعيته فى مائة وخمسة وأربعين بيتا ، يذكر فيها سائر فنون البديع التى عرفت فى زمنه : كالمذيل واللاحق ، والمتام والمطرف ، والمصحف والمحرف ، واللفظى والمقلوب ، والمعنوى ، والطباق ، والاستطراد ، والتوشيح ، والمقابلة ، واللف والنشر ، والتبديل ، والالتفات ، والهزل الذى يراد به الجد ، وعتاب المرء نفسه ، ورد العجز على الصدر . . . وهكذا يسير فى بديعيته المشهورة حتى يذكر لنا مائة وخمسة وأربعين فنا من فنون البديع ، فيخص كل بيت منها بفن من هذه الفنون . ويختم بديعيته ببراعة الختام فيقول فى البيت الأخير منها :

فان سعدت فمدحى فيك موجبه ... وإن شقيت فذنبى موجب النقم (٢)

ومن ذلك نعلم أن المدائح النبوية خدمت علوم البلاغة فكانت حافزاً قوياً على نمائها وتطورها فوصلت إلى هذا العدد الذى ذكره الحلى فى بديعيته . وقد كانت للحلى مدرسة تبعه فيها تلاميذه فى تدبيج البديعيات كالصلاح الصفدى (٧٦٤ هـ) وابن جابر الأندلسى (٧٨٠ هـ) الذى وضع بديعيته فى مائة وسبعة وسبعين بيتا (٣) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) الذى وضع بديعية فى مائة وخمسة وثلاثين بيتا . (٤)

* * *

وفى القرن التاسع كان لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ من الشأن ما كان لسلفه الحلى فى القرن الثامن ، فكلاهما كان زعيم حلبة الشعراء الناهلين من بحور البديع ، وكلاهما كان ذا خطوة فى الأدب واطلاع واسع فى فنون البلاغة ؛ إلا أن ابن حجة كان كما يحدثنا : ابن العماد الحنبلى والأستاذ بروكلمان — مزريا بغيره من الشعراء ، ينظر إلى شعراء عصره كأحد تلامذته. (١) ولقد ولقد كان لديوانه « ثمرات وثمار الأوراق » شأن كبير . (٢) وتسمى بديعيته « بديعية ابن حجة الحموى أو تقديم أبى بكر » سار فيها على طريقة الحلى ، وتقع فى مائة وعشرين بيتا . ثم شرحها فى كتاب آخر سماه « خزانة الأدب وغاية الأدب » .

ونحا هـذا النحو شرف الدين ابن المقرى (٨٣٧هـ) الذى وضع بديعية أخرى تقع فى مائة واثنين وأربعين بيتاً ، شرحها فى كتاب سماه « شرح الفريدة الجامعة للمعانى الرائعة » (٣)

* * *

ثم كان من نتيجة دراسة المدائح الدينية فى هذه الصورة التى لمسناها خلال القرنين الثامن والتاسع أن تعمق القوم فى دراسة البديع دراسة تحليلية خاصة . وبذلك كانت دراسة البديع فى القرن العاشر خطوة واسعة تمثل تطور البديعيات فى ذلك القرن. فظهرت « الطريقة التحليلية » فى دراستها فى شخصية عظيمة عرفت بالأبحاث الخاصة والمؤلفات المفردة بالفنون المختلفة — هى شخصية جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

وقد بدأ السيوطى بديعيته على عادة الشعراء ببراعة الاستهلال فقال :

من العقيق ومن تذكار ذى سلم ... براعة العين فى استهلالها بدم (٤)

واختتمها بقوله :

واكتب مدا الدهر فى الدنيا لنا حسنا ... حتى أرى عند موتى حسن مختتمى

هى بديعية رصينة تقع فى مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً عارض فيها بديعية ابن حجة الحموى المسماة « تقديم أبى بكر » . ويلمس

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ س ١٣

(٢) بديعية الحلى (انظر ١٢٨ بلاغة — مخطوط قديم بدار الكتب)

(٣) بديعية ابن جابر (انظر ٦٨٥ بلاغية)

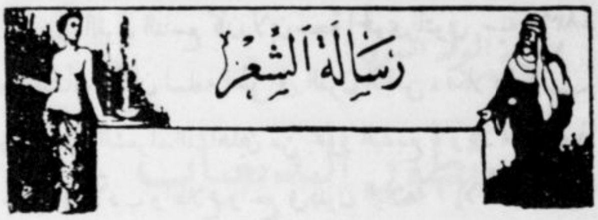
(٤) لآلىء الترصيع فى علم البديع ص ٢٤٦

(١) شذرات الذهب ٧ / ٢١٩

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١٣٥

(٣) الفريدة الجامعة (انظر ٣٠٠ بلاغة — مخطوط قديم بدار الكتب)

(٤) بديعية السيوطى ص ٢ س ٩



الجبابرة

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

أسد القناة اليوم ! مر   حى بالبطولة عن قريب !
أسد القناة ! وإنهـــا   سخرية القـدر العجيب
تتربصون بكل أعـ   زل مطمئن فى الدروب
تتشـجعون على الطفو   لة وهى فى الحـلم الرطيب
وعلى النســـاء الهانئا   ت المحصنات عن الغريب
وعلى الشيوخ المرهقيـــن الوادعين مع المشيب !
هذى البطولة أين كا   نت فى الشدائد والخطوب !؟
كنتم جبـــابرة الهرو   ب أمام جبـار الحروب
كنتم نعـاجا سائميـــن أمام راعية غضوب
متنقلين من الدا   ئن ، للصحارى ، للسهوب
مستقبلين مع الشرو   ق هزيمة ، ومع الغروب
مستسلمين إلى الـكهو   ف ليالى الذعر العصيب
مستنجدين بكل مفـ   تول الذراع فتى صليب
ومحـــاربون مدرعيـ   ن وراء أحرار الشعوب !

• • •

أنسيتم عهـد الدمو   ع أمام محراب الصليب
وصياح ذلـكم العجو   ز بكل ميثاق خلوب ؟
أنسيتم « دنكرك » ذا   ت الهول فى اليوم القطوب
ونسيتم الرعب المجســـم فوق ظلكم الـكئيب
سابقتم الأمواج فيـ   ها فى التقهقر والهروب
فى « طبرق » الحمراء كنـ   تم شر منهزم سليب
تتراجعون إلى الورا   ء على نشيدكم الحبيب :
« فى خطة مرسـومة »   بأنامل البطل النجيب
وتركتمو فيهـا الجنو   د لـكل منطلق مصيب
لولا الـكتائب من شعو   ب الأرض خافقة القلوب
تتقـدم المتأخريـــن الى الخطوب بلا لغوب
ما كنتم إلا روا   ية : « كان فى الزمن القريب .. » !

• • •

قارنها صوراً من طريقته التحليلية . وأنت تحس كثيرا من إعجابه بنفسه حين تقرأ له شرح البيت الأول . قال : « وما أحسن التورية الواقعة فى التسمية حيث جعلت براعة المين فى استهلالها البكاء بالدم بدل الدمع مع إكثار ذكرها للعقيق وبكائها حتى غلبت الحمرة على الدمع مجانسة للعقيق -- ثم قال : وانظر بذوقك ما الفرق بينه وبين قول ابن حجة ... (٥)

وجاء بعد السيوطى جماعة كثيرون تأثروا بروحه التحليلية وأشربوا طريقته فعكفوا على التأليف وأحيوا صناعة التصنيف فى علوم البلاغة . فعائشة الباعونية (٩٢٣ هـ) وشيخ الاسـلام زكريا الأنصارى (٩٢٧ هـ) وابن كمال باشا الحنفى (٩٤٠ هـ) يعدون جميعا فى نظر « المنهج العلمى » تلاميذ السيوطى -- حكما -- وإن لم يحظوا بالجلوس فى حلقته والحضور عليه . ولكنهم تأثروا بالأصداء العلمية التى تركها السيوطى فى عصره ولحناها فى شخصيته

وليس أدل على ذلك من أن عائشة الباعونية التى كانت معاصرة للسيوطى سافرت من دمشق إلى القاهرة لتغترف من بحار العلوم والمعارف حتى أجيزت بالافتاء والتدريس . (١) ووضعت على الطريقة التحليلية التى استنها أستاذها السيوطى بديعيتها التى تسمى « الباعونية » فى مائة وثلاثين بيتا سارت فيها على طريقة السيوطى . كما وضعت أخرى تسمى « الفتح المبين فى مدح الأمين » فى مائة وسبعة وأربعين بيتا ، منتهجة طريقة السيوطى فى الإكثار من البديعيات والعناية بتحليلها وشرحها . وهكذا كان السيوطى وتلاميذه يعنون فى بديعياتهم بالتكثر والمقـارنة وضرب الشواهد والشرح لكل ما يذكرونه من فنون البديع .

البقية فى العـدد القادم   حامد حفنى داود الجرجاوى

---

(٥) بديعية السيوطى ص ٢

حمر الوجوه المضرما ت من امتصاص دم الشعوب!
سود الصحائف ـ منذ كا ن لكم صحائف ـ من ذنوب!
كانت شكاوا كم تجو ب الأرض مشجية النحيب
صورتمو فيها العـدو بكل تصوير معيب
والله يعلم أن ما صورتمو دعوى كذوب
لم يخطف الألمان والا طليان ساعات الجيوب..!
لطختمو شرف الجيو ش بكل ألوان العيوب!..

. . .

مهلا « أرسكين » العظيـ م ، وقائد الظبي الربيب
الغار بات أقل ما يهدى إلى البطل الطروب
المنتشى يوم الشهيـد بكف رعديد نخيب
ومزلزل « الكفر » العتيـد بجيشه اللجب الرهيب
المستبـد بأمره فى غفلة الزمن الجديب
أنت المظفر فى السلا م رفلت فى الثوب القشيب!
لم ندر موضعك العظيـ م زمان كنتم فى الكروب
قل لى بربك ، والحديـ ث يطيب فى المجد الحسيب:
من أى ميدان جمعـ ت كتائب الجيش الوثوب
الهاجمين على الخضا ر، الساقطين على الحليب!
بدائم الأسد الهصو ر على شواربكم الخضيب
ذئبا يغير مع الظلا م على النيام أحط ذيب!

. . .

مهـلا « أرسكين » العظيـ م ، وما لفنك من ضريب
هذى الشجاعة نلتها من أى داهية أريب
ترغى وتزبد فى القنا ة كعاصف اليم الغضوب
قل للجنود الدارعيـ ن الكاشفى زرق النيوب
يترقبون خطى الطريـ ق ويجزعون من الدبيب
ويفاجئون الآمنيـ ن بطعنة اللص المريب:
هلا انتقلتم بالعتا د الضخم فى وسط اللهيب!
هـلا دفعتم للحليـ فة بعض دينكم القريب!
ميدان « كوريا » فيه متسـ ع لأبطال الحروب!...

كامل الصيرفي

« قصة الحرية »

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور
فى انتفاض الغصون .. فى عاصف الريح ، فى فورة اللظى المسجور
رن لحن مخضب يتنزى .. فى جنون مستكبر .. مقهور ..
فى صدور الأمواج يطفر .. مشبوبا .. ويرتج كالصدى المذعور..

. . .

حملته الرياح للأفق الغاضب ، للبحر ، للذرى ، للنسور
فكأنى أحس دمدمة الماضى وصوت الأجيال تحت الصخور
تحطم القيد فى جنون وتمضى خافقات الجناح فوق الأثير
إنها قصة الحياة لشعب أبدى الخلود مثل الدهور..

قصة الدمع والدم .. قصة البعث والخلود
قصة الأمة التى حطمت صخرة القيود
طلع الفجر فاروها للربا واعزف النشيد

. . .

أنفس حرة .. تصفق للموت .. وتنهار فى اللظى المجتاح
وقلوب تدق .. فى موكب النصر .. وتحنو على الدم النضاح
حطمت هيكل الظلام .. وطارت .. مطلقات جناحها للصباح
حطمت قيدها العتى .. وهبت .. تنشر الهول فى الربى والبطاح
فإذا البحر مارج من دماء .. ظامئات إلى اللقاء المتاح
وعلى الأفق روضه من ورود ... قانيات ... ترف فوق الجراح
وكأن السحاب شب حريقا .. يتهاوى على عزيف الرياح
إنها قصة الكفاح لشعب ... باركته السماء يوم الكفاح

عاصف جن فارتمى فى شعاب الردى الكئيب
أشعل الحق روحه فتأبى على الخطوب
ومضى ينسج اللظى وانثنى يغزل اللهيب

. . .

... ومضى الركب ... والحتوف حواليه ... جحيم يطير فى أجوائه
وهتاف الأحرار فى مسمع الكون ... نشيد مخضب بدمائه

ولهيب المنون يزحف فى الشاطئ ··· ظمآن كالحريق التائه ···

. . .

وقف الدهر ضارعا لأسى طفل شهيد ملفع بنقائه
فى اللظى المشرئب ··· عانقه الصبح ··· فذابت أشواقه فى ضيائه
هجر الروض ··· والعصافير ··· والنهر ··· وحلما يرف فى أحنائه
ومضى والنهار ··· وهم بعينيه ··· كطيف الغروب عند انطفائه
ظامئ القلب المنى ··· لأغاريده ··· لعرسه
حن للزهر ··· والربى ··· فسقاه الردى بكأسه
أطلق الموت أسره ··· وغدا يومه كأمسه

. . .

لست طفلا . . فأنت طيف جميل . . عبر الأفق عازفا أنغامه
لست طفلا . . فأنت روح نبى . . غادر الأرض . . حاملا آلامه
صفقت روحه الطروبة للموت ··· وضجت أفراحه المستهامة
وبعينيه للصباح ··· حنين ··· كرفيف الأزاهر البسامة
وربيع الخلود فى قلبه الضاحك ··· روض ··· وجدول ··· وغمامه ···
فى ظلال الغصون . . نامت لياليه . . وغطت أوراقها أيامه . .
صافح الشاطئ الحبيب . . وأغفى . . وعلى ثغره خيال ابتسامه
وغدا ... قصة الدموع ستروى : للإله العظيم ··· يوم القيامه

. . .

ومضى الركب طاويا ... شاطئ الدمع ... والنواح ...
بين قلب ممزق ... ذاب فى ثورة الرماح ...
ويد تحجب الردى .. ويد تغسل الجراح ...

. . .

عبر الشاطئ الجريح فرنت ... صدحات البلابل المحزونه
وتعطى النسيم فى مئزر الروض ... وهبت عطوره المفتوحه
واستطار النشيد ، كالتفت النهر ... وثارت أشواقه المجنونه
وانحنى فوق زهرة عانقته ... وتهاوت أوراقها مستكينه
إنها الزهرة الشهيدة تروى ... قصة الروض للضفاف الحزينه
نسجت عطرها الخفى جناحا ... أطلقته على ضباب السكينه

. . .

أيها النهر بين جنبيك قلب ... مستهام الرؤى يذيب أنينه
إنها الزهرة الشهيدة فانضح قلبها بالندى ... وأطفئ شجونه
ذاب فى عطرها الأسى ... مات فى روحها الأنين
عبرت شاطئ الردى ... بجناح ... من الظنون
هى رمز مقدس ... سوف يبقى على السنين

. . .

سمها ما تشاء لست أراها ··· فى فنون الأسماء ··· والأوصاف
هى معنى فى خاطرى للبطولات ... وللمجد ··· والخلود الضافى
هى إن شئت ابنة النيل . . شبت . . فى الرياض العذراء فوق الضفاف
فى رفيف الضياء ··· أنبتها الفجر ··· على شاطئ الغدير الصافى
وسقاها النبع الإلهى ... خمرا ··· من عبير الخمائل الرفاف
فسرى لحنها المعطر ··· روحا ··· ذاب فى خفقة النسيم الغافى

. . .

زهرة النيل ··· وابنة الشاطئين ··· ونجوى الحمام للصفصاف
وهبت عمرها ··· لمجدك يا مصر ... لمجد الأجيال ··· والأسلاف

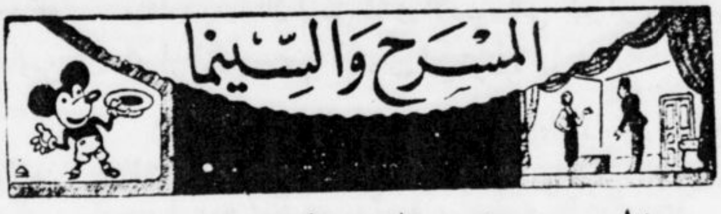
. . .

ودنا الفجر فاحتمى ··· شبح الليل بالغصون
وسرت نفحة الربا ... تنشر العطر ... والفتون
ومضى الركب سابحا ··· فى رؤى الشاطئ الحزين

. . .

أشرق الفجر بالضياء ··· وطيف الليل يحبو على الضفاف الحبيبه
وتهادى النشيد ... فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى ··· الرهيبه
عانق النهر ··· والخمائل ··· وهنا فتغنت به المروج القشيبه
ودنا موكب الصباح ··· وهبت نسمات ··· مرنحات ··· رطيبه
بعد أن ذابت النفوس حنينا واستبدت بها الظنون المريبه
أيها الحائر الحموم ··· صفق بجناحيك ··· للدماء السكيبه ···
حان يوم الخلاص فابسط ذراعيك للأفق ··· للسماء الرحيبه
إن هذى الدماء ··· معبر شعب ··· يسترد الحرية المغصوبه

محمد فوزى العنتيل



المسرح استثارة الواقع..

وليس الواقع..

للأستاذ زكي طليمات

إنه موضع نظر ، ماذكره الأستاذ الدوياتى وتفضل بالتعقيب عليه محبذا الأستاذ أنور المداوى ، وذلك بشأن مرسم من مراسم العرض التمثيلي ، وهو رفع الستار بعد هبوطه فى نهاية كل فصل من فصول المسرحية ، إذ يقف الممثلون يحيون الجمهور المصفق ويردون تحية إعجابه بما يناسبها من إبداء علامات الشكر والامتنان ، هـذا المرسم الذى وصفه كل من الأسـتاذين بأنه خروج على الواقع وأنه يعمل على هدم التجاوب الشعورى الذى يسود الممثل والمشاهد

حق أن هذا لموضع نظر ، بل إنها لمسألة شائكة يتجدد فيها القول ويطول ، كلما حلا لنا أن نغلو فى مهمة المسرح من حيث النقلة التى ينتقل اليها الجمهور المشاهد بوسـاطته ، فنأبى إلا أن نطالب المسرح بأن يقدم لنا صورة من الواقع تتجسد فى الاطار المادى للمسرحية وفى شخوصها

تقليد مسرحي سائر :

أما عن هذا المرسم ، وإن شئت فقل هذه الحالة الشكلية التى يتخذها ممثلو المسرحية استجابة لتصفيق الجمهور ، فأقول إنه لا حيلة للمسرح المصرى فى الأخذ بها ، لأنها وليدة تقليد مسرحى صاحب العرض التمثيلي منذ أن أقام الرومان — وليس الأغريق — ذلك الستار الذى يفصـل بين المسرح ومكان النظـارة ، والذى يهبط بانتهاء كل فصل من فصول المسرحية ، وقد ساير هذا التقليد العرض التمثيلي فى جميع مراحل نموه وتطوره حتى اليوم

فإذا صح أن نطلق على هذا التقليد اسم (تقليمة) لنبوه عن المعقول ، كما يذهب الأستاذ المداوى — والمعقول مسألة نسبية تتفاوت درجاته وتتباين مقاديره بتباين وجهات النظر إلى الشيء الواحد — إذا صح هذا لدى بعض النقاد الذين ينشدون الكمال المطلق ولا يبالون بتحميل الأشياء أكثر مما قدر لهـا أن تحمل ، وهذا جميـل على كل حال لأنه وجهة نظر مثالية — فإن بجمل بنا — نحن رجال المسرح — أن نراه كذلك . لأننا أدرى الناس بأن المسرح ليس الواقع بحذافيره وإنما هو استثارة للواقع

أقول إن هذا التقليد ، جاء الينا من الغرب ، إذ أننا فى مسرحنا ... ولا سيما فى هذه المرحلة ، مرحلة النقل والاستـاغة واستخلاص الـكيان الذاتى لمسرحنا الناشىء — مازلنـا نتبع المسرح الغربى ، وخاصة المسرح اللاتيني . وما أظن أن الأستاذ المداوى ينكر أن هذا (للتقليد) أو (التقليمة) يجرى كل ليلة بأكثر مسارح العالم ، وفى دار الأوبرا الملـكية حيث تقدم الفرق الغربية الـكبرى أعيان المسرحيات فى أبرع عرض تمثيلي

بيد أن واجب إنزال الأمور منازلهـا الصحيحة يقضى بأن نقرر أن هذا التقليد ، قد تختلف مظاهر تطبيقه تبعا للمزاج العام الذى عليه كل أمة ، وإن كان لا مفر من الأخذ به

فأكثر الفرق الانجليزية والالمانية والدانيمركية مثلا تباشر هذا التقليد على وجه آخر ... فبدلا من أن يحيى الممثلون الجمهور عقب كل فصل من فصول المسرحية ، يكتفى باتيان هذا الأمر مرة واحدة ، وذلك فى نهاية المسرحية ، فنرى جميع ممثلى الرواية كبيرهم وصغيرهم ، وقد انتظموا صفا واحدا ، يحيون الجمهور بما يتناسب وحرارة إعجابه وتأثره

هذا لدى الشعوب الشمالية وهي شعوب تتسم بالمستوى الذهنى الرفيع ، وبالرزانة العـاطفية وبالاعتدال فى التعبير ... ولا أقول (بالبرود)

وإنى أميل إلى الأخذ بهـــذا لأنه أجدر بالممثلين وأكرم للجمهور وأحفظ لرواء الفن وليس لأى سبب آخر مما يتصل بهدم الواقع أو سـواه ، بل لقد أخذت به فعـلا فى النادر من المسرحيات التى قدمتها فى أول عهدى بالاخراج المسرحى ، ولكننى لم أوفق إلى إرضـاء الجمهور والممثلين ، فأقلعت عمـا أخذت به والأسباب معلومة معروفة ... ولاعجب .. فنحن شعب يستخفنا الطرب أيما استخفاف ، وتطير بلبنا الهزة لأننا فطرنا على الاستجابة السريعة للبادرة التى يبطنها طبع صاحب حاد

هذا ما يحضرنى قوله فى هذا التقليد ، وهو تقليد أراه يرتفع إلى مرتبة الراسم ، لأنه مستمد من طبيعة فن الممثل نفسه ومن مزاج الجمهور الشاهد

فالممثل ، وهو عراض ماهر لمختلف المشاعر الانسانية عن طريق المحاكاة ومحاولة الفناء فى شخصية الدور الذى يؤديه يستهويه أن يرى أثر مايعرضه على الجمهور الجالس أمامه والشاخص اليه بكل جوارحه، بل إن الممثل ليستهدى فى أكثر مواقف دوره بهذا الأثر الذى يبديه الجمهور ليتابع أسلوبه فى الأداء ، أوليبدل فيه أو ليطرق أسلوبا آخر

والجمهور بدوره ، وقد حضر التمثيل ، مغرى بأن يستجيب إلى الأثر ينسجه الممثلون عليه ، مدفوع إلى أن يبدى اعجابه وعجبه بمن يرى ، فكأننا والحالة هذه أمام استجابة حارة متبادلة بين الممثلين والنظارة، فلا حيلة — والأمر ههنا وههنا ماقررنا — أن تغير من طبيعة الممثل والجمهور . وإن صح لنا أن نضع لهذا ولذاك معالم وحدودا بحيث لا يجفوها منطق العرض التمثيلى ولا (معقوليته) المرنة السمحة . وقد وضع الأقدمون من فقهاء المسرح هذه المعالم والحدود ، فجاء هذا التقليد الذى أسلفنا ذكره وأوضحنا مظاهره المختلفة لدى (اللاتينيين) ولدى أهل الشمال

وإنه ليطيب لى بعد هذا أن أسأل الأستاذ المداوى ، وأن أسأله مخلصا — لأننى أحب دائما أن أتعلم — أسأله ماالذى يقترحه فى هذا الصدد . هذا مع اعترافى بأننى لم أر ولم أسمع ان هناك تقليدا مسرحيا يقضى بأن لا يرفع الستار عقب انتهاء أحد فصول المسرحية أو فى نهاية فصولها ليستجيب فيه الممثلون إلى تصفيق الجمهور وهتافه فيظهرون أمامه وقد محوا عنهم مسوح الأدوار التى كانوا يتقمصونها وأخذوا يردون التحية بما يناسبها

المسرح استثارة الواقع :

قلت إنه يحلو لنا أحيانا أن نرى فيما يقدمه المسرح أحياء كاملة من الواقع ... ولا سيما فى مصر ، وذلك لأن العرض التمثيلى فيها ، جاءها فى العقد الثامن من القرن الماضى ،متأثرا بالمدرسة الرومانسية وهى واقعية التاريخ ، وهى أيضا غلبة العاطفة على العقل ، وهى المدرسة التى كانت تسود عالم الأدب والفن فى فرنسا. ثم تلا ذلك تأثير المدرسة الواقعية التى اشتط اصحابها فى مهمة المسرح فحاولوا أن يجعلوا منه (قطعة من الحياة) ، ولكن هذه وتلك ، مدرستان لم يبق لهما فى الأدب والفن كبير أثر ، ولا سيما بعد أن أخذت مكانهما اتجاهات أدبية وفنية جديدة

هل المسرح هو الواقع ؟ هل المسرح هو الحياة؟ ولكن أى واقع وأية حياة ؟ ومتى كان الفن لهذا قادرا ومقدرا ! هذا مالا يعلمه أكثر الجمهور ، ولكن الذى أعلمه أن النقد المسرحى فى مصر يجرى حسابه تبعا لهذا الشعار ... ومن هنا يأتى نقد الأستاذ الدويانى ، وهو نقد يتلخص فى أن رفع الستار مرة أخرى بعد اسداله عقب انتهاء كل فصل يؤدى إلى (اللاانفعالية المفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج فى اللحظة التى أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج)

فالأستاذ الدويانى قد اقتعد مكانه فى الصالة وهو موقن بأنه سيرى الحياة منقولة فوق المسرح نقلا كاملا ، فاذا تأثر بما يرى فلا يصح أن يقطع عليه تأثره تصفيق من الجمهور ولا ستار يرفع بعد أن يسدل ليظهر الممثلون بمعزلك يحيون الجمهور . فاذا وقع هذا جاءت نقلته منغصة عليه مزاجه ... وكان له أن يحتج ، وفى الحق أنه غير ملوم فى شعوره هذا

غير أننى أعتقد أنه كان يرى هذا شيئا عاديا لو أنه اتخذ مكانه فى الصالة وهو موقن أنه سيشاهد (تمثيلا) أى مظهرا من مظاهر فن التمثيل ، وعرف أن فن التمثيل ، وشأنه شأن سائر الفنون ، لا يقدم (الطبيعة) وإنما يقدم مظاهر (الوجود) ، وأن كل فن جميل يتخذ من الحياة ركازا ، ولكنه لايعطى حقيقة الحياة كما هى ... وأن الفن إذا أحيا الواقع على المسرح ، فإنما يكون هذا بطاريق الاستثارة لا النقل ، ولو أراد الفنان أن ينسخ الواقع نسخا دقيقا لأعجزته الوسائل . وإذا افترضنا أن واتته تلك الوسائل فإن نتاجه يكون غير رفيع لأن كل عمل فنى إنما يقوم على التركيز (synthése) والتركيز ليس من الواقع ، وكل عمل فنى يخضع لقيم ومعايير ، إن استلهمت من الطبيعة فإنها ليست الطبيعة منقولة منسوخة بعينها . ومما لا شك فيه أن العمل الفنى لو جاء صورة فوتغرافية من الواقع ، لزهد الناس فى مطالعته ، ولاستغنوا عنه بالواقع المبذول أمامهم

وواقعية المسرح ، وهى مناط القول فى هذا ، خاضعة بدورها لما تقدم ذكره ، ويزيد عليها أن إمكانيات المسرح فى نقل الواقع قاصرة محدودة ، فالمسرح مناظره من القماش أو

الورق المصور، وهذا غير الواقع، وهذا غير حقيقة الأشياء كما هى فى الحياة

ويمثل دور (هملت) قد يكون مصريا أو انجليزيا ، ويلعب دوره باللغة التى يتكلمها ، هـذا فى حين أن (هملت) داعركى المولد والنشأة ولا يتكلم غير اللغة الداعركية

وفوق هذا ، فإن المسرحية نفسها لا يتتابع فيها الحوار ولا ينعقد كما يتتابع فى الحياة ، إذ ليس من الحياة الواقعية أن تنتظم مشاهد الرواية كما أوردها مؤلفها بعد أن أخذ بالتركيز والإجمال ، والتقديم والتأخير، والحذف والإثبات ، ابتغاء الوصول إلى هدفه فى الحدود التى ترسمها شروط فن كتابة المسرحية

وعليه يمكننا أن نقرر أن كل ما فوق المسرح إنما هو مظاهر لعناصر مستلهمة من الحيـاة والواقع تشابكت لإحياء صورة من الوجود (exsitauce) وتعاونت لاستثارة الواقع وليس لنقله ونسخه ، وهى فى كل هـذا تفسح تأثيرها علينا بطريق التمويه أو الإيهام (illusion)

والتمويه يشعرك بوجود الشئ ولكن بطريق عرض مظاهر وجوده ، وليس بعرضه على حقيقته وواقعيته فى الحياة

وما دمنا أمام المسرح ، نعيش فى عالم الاستثارة والتمويه ، فلن يعمل ارتفاع الستار بعد سدله فى نهاية كل فصل من فصول الرواية وظهور الممثلين يحيون الشاهدين ، لن يعمل هذا على قطع التعاطف والاندماج بيننا وبين الممثلين ، لأن هذا وذاك قائم فينا منذ بداية الرواية

ولو صح هذا فى المسرح ، وأردنا تطبيقه على فن التصوير ، لكان علينا أن نعلق اللوحات المصورة فى الهواء وبلا إطار ، بدعوى أن رؤية الحائط الذى علقت عليه الصورة ، وأن مطالعة الإطار الخشبى الذى يحوطها ، يقطعان علينا تيار الانفعال الذى يكون قد سرى فينا ، إذا اندمجنا بكليتنا فيما أجرته ريشة المصور

وأعود إلى المسرح فأتساءل من الذى جعل الستار يرتفع بعد هبوطه ودفع بالممثلين إلى مقدمة المسرح يحيون الجمهور ؟

أليس هو الجمهور نفسه وقد أخذ يصفق ويهتف مطالبا رؤيتهم ؟ ولماذا فعل هذا ؟

فعل هـذا لأن الممثلين استطاعوا أن يموهوا عليه بتسجيل مظاهر الحياة والوجود للشخصيات التى يلعبونها ، لأنهم قدروا أن يؤثروا فيه بأدائهم المتقن ، فأعجب بمقدرتهم بعـد أن سرت إليه الهزة التى أحسوها وهم متقمصون شخصيات أدوارهم . فعل هذا لأنه ، على تأثره بما رأى ، يعلم أنه يشاهد تمثيلا ، لا واقع حياة ، وإلا لما ألهب يديه بالتصفيق ، لأننا فى الحيـاة الواقعية لا نصفق لما ننفعل به

ويسعدنى أن أزيد على ما تقدم ، أن المسرح فى تطوره الأخير ، ولا سيما بعد أن قامت السينما تنازعه البقاء وتم لها الفوز فى أن تنقل الحياة نقلا فوتغرافيا فى أشرطتها ، أصبح المسرح يلوذ بمصادره الأولى القائمة على الرمز والإيحاء والتركيز المبالغ فيه ، ثم إشعار المشاهد بأن ما يشاهده إنما هو مسرح وليس (الواقع) حتى ينفرد المسرح بطابع لا يستطيع أن ينتزعه منـه الفن السينمائي

ففى روسيا — ومنها تأتى أحدث الاتجاهات فى الإخراج المسرحى — تجد أعيان المخرجين أمثال (تايروف) و (فاجتنجوف) يعمدون إلى وسائل جديدة فى سبيل هذا وإلى القارئ صورة من العرض التمثيلى فى (المسرح الأكاديمى بموسكو) وهو المسرح الرسمى

المسرح عار من الستار ... أى الستار الذى فى المقدمة كما هو الحال عندنا ، والظلام يغمر هذا المسرح بحيث لا يرى المشاهد شيئا مما يحتويه ، فإذا جاء ميعاد التمثيل أضئ المسرح تدريجيا فإذا بنا نرى عمال المسرح يقيمون المنظر ، وينظمون الأثاث الخ ، فإذا انتهوا ، ظهر جميع ممثلى الرواية وهم ينظمون ثيابهم ويثبتون شعورهم المستعارة ، وقد يوجهون إلى الجمهور حديثا عن الرواية ، ثم يسود الظلام المسرح مرة ثانية ، وبمعاودة إضاءته يبـدأ تمثيل الرواية

قد نعجب من هـذا لأننا أرقاء الواقع ، إذ خفيت عنا مصادر العرض التمثيلى فى مراحله السابقة ، قبل أن تأتى هـذه المدرسة الواقعية التى أصبحت الآن لا تتحكم بمؤثراتها القاصرة إلا فى البلاد التى عرفت التمثيل فى أواخر القرن الماضى

وبعد ، فأرجو أن أكون وفقت بعض الشىء فى أن أجلت ما يحتاج الاسهاب فيه إلى مقالات طويلة

وشكرى مزدوج للأستاذ المداوى إذ أتاح لى فرصة الحديث فى هذا ، وإذخصنى بشارة من ثقته التى سأعتز بها دائما . وارجو أن يكون المسرح المصرى نصيب من قلمه المنصف ومن لفتاته البارعة

زكى طليمات

المسرح المصرى
فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للاستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا : أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح . وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأه المؤاخذ نفسه من نسج خياله !

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من « الرسالة » أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى « مسمار جحا » و « دنشواى الحديثة » فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرمانى به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فسأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على ، وللأستاذ الفاضل أن يرمى منه فى كلأ مباح !

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشاً به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية ، وفى مدى قيام مذهب « الفن للفن » l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم ، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز :

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب « الفن للفن » ما زال موجودا فى الحياة ، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب « الفن للحياة » ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب « الفن للفن » بانقضاء القرن التاسع عشر ، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن « الخالص » مرادف تماما للفن « الفارغ » ! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها ، وانتهى تماما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية ، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار ! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته المادية النابضة بالحياة . ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل؟ أين هم ؟ وما آثارهم تلك ؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحدا فردا له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين ! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير ، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة ، بل إنه لاعلاقة لهما بتاتا بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والموضوع : فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة ، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل مافى الحياة من نقص وظلم وفساد ، وأن عليهم تقع — أول ما تقع — تبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا ؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عداوة لها ؟ ولماذا يرميها بأنها « نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية » ... وهى ليست من

كل ذلك فى شىء ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بعناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه علينا وقلبه معنا ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية العريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والضعف ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسعى جاهدا لتكون الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يسعدون بالعيش فيه . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجودية » شذوذا وانحرافا كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم ؛

وإن شرح ما فى هذا المذهب من المزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلمتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من «الرسالة» لعدل من رأيه كثيرا ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « السوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريبا ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط همم الرجال عن القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوما إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلا قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أننى كنت ذا هوى لكان هواى مع هذه الفرقة لا عليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضوا فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يعمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليعلم الأستاذ الجليل أننى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم، ولست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتبا لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أقطع فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو الماضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من المريخ » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه : —

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة من فوق منبر « الرسالة » وننوه بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بوا كير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس اشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور . وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى نكران الذات، فما رأينا واحدا منهم حاول فى موقف له أن يسطع على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجدا يراه حقا له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما لقنوه من ثقافة ومعرفة حرمها الكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية الندم أو الذباب لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـــذا الـكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بى ويغمزنى غمزة يحسبها تنال منى إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لى كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول فى الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولـكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الـكلام الذى قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أنى أمقت أن أتحدث عن نفسى لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التى كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما، ولـكن هذا انحدار بقدرى لا أرضاه لنفسى

ويزيد الأستاذ فيأخذ على أننى لم أحاسب الفرقة الأخرى التى لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعنى بها فرقة الأستاذ يوسف وهبى • وهذا كلام له خبىء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أننى لا تربطنى بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشىء فى سبيل خدمة العقيدة الوطنية لـكان حسابنا لها عسيرا، ولـكنها لم تفعل ، وليس فى وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها فى ذلك مقصرة مسرفة فى التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذى يدق فى قلب كل مصرى فجاءت كل مسرحية منهما تمكس فى مشاهدها صورا ورؤى مما يمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » ولست أعيد هنا ما قلته فى كلمتى الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما عن هذه المعانى؛ ولـكنى أزيد فأقرر بأننى عندما أعلنت رأيى هـــذا للصديق الـكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لى أنه لم يؤلف مسرحيته فى هذه الأيام ولـكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدى الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجرى فى مصر على هذا النحو الذى جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيى هذا فى رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدى الفرقة فى هذا الوقت الذى يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يمر برءوسنا فى هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرنى مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولـكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب اليه الأستاذ الجليل زكى طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجعله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لى الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعانى لشهودها فى « اللوج » الخاص به فى أول ليلة قدمت فيها ، قال لى على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لترانى فى أسوأ حالاتى ! فهل كنت متجنيا ظالما فى هذا الرأى الهادىء الذى أعلنته عن المسرحيتين فى لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدى الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تـكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك فى كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضـــه صديقنـــا الأستاذ عبد الفتاح البارودى ، ولـكن الأستاذ الجليل زكى طليمات يرمينى بأننى أعتسف النقد اعتسافا وذلك فى الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح مايقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذى يعرف الناس أبهاله

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا فى المعنى الذى قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعنى بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعنى دنشواى الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافى » كما وصفها بحق صديقنا البارودى

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى فى بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيـــدا وللاستاذ عذره فى هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح

رسالة النقد

في ميزان النقد:

أرض الخطايا

تأليف الأستاذ أمين يوسف غراب

الأستاذ ثروت أباظة

هى مجموعة أقاصيص للقصاص الفنان الأستاذ أمين يوسف غراب. والأستاذ أمين عريق فى فن الأقصوصة خبير بأهدافها ذو قلم قوى ... قادر دائما على أن يظهر الملامح الرئيسية التى يريد لها الأستاذ أن تظهر . وتمتاز المجموعة أن أغلب أقاصيصها تهدف كل منها إلى فكرة احتماعية معينة ، والقصاص ذو الفكرة الاجتماعية جرىء ، والقصاص الذى يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته دون أن يعلن هذا الهدف بالتصريح بل هو يعلنه بالقصة نفسها وبحوادثها وبالحوار فيها، هذا القصاص قدير ... والأستاذ أمين صاحب فكرة اجتماعية، والأستاذ أمين يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته حيث يديرها غير مقيم من نفسه خطيبا اجتماعيا

ياسيدى الأستاذ الجليل :

أرجو أن أخلص من هذه الكلمة وقد استقر لديك أننى لا أنطوى إلا على الحب لك ، وأننى أصلب عودا من أن أستتر وأستخفى وأهرب من تبعة ما أقول ، وأننى لست من هؤلاء الذين يستذلهم الغرض فيكتبون بيمين وينظرون بالعين الأخرى إلى بريقه الوهاج .

والسلام عليك ورحمة الله .

على متولى صلاح

هو قصاص ذو فكرة إذن .

ان أستطيع أن ألم بأقاصيصه جميعا فهى كثيرة لا تستطيع هذه الكلمات الإحاطة بها ، ولكننى سأتناول بعضا من الاقاصيص الهادفة إلى فكرة . وقبل هذا التناول لا بد لى أن أذكر أن الأستاذ أمين من الذين يضعون القدر فوق كل شىء ، ويلقون اليه بكل مسئولية ؛ وهو بعد هذا يهاجمه أشد هجوم . ولقد ساق لنا من الأقاصيص ما يجعلنا نجزع من هول ما يصنع هذا القدر . فلقد قتل الأستاذ أمين أمامنا أرواحا بريئة، نعلم براءتها . وقتل دون أن يهدف بقتلها إلى فكرة إجتماعية ، إلا أن القدر غلاب . وأعتقد أن الإصرار على هذا يقعد بنا قعودا كاملا عن محاولة الاصلاح ، فاذا بيدنا نحن المخلوقات الضعيفة أمام القدر الباطش السفاك ؟ ما الاصلاح الذى يريده الأستاذ أمين بأقصوصته «الدم الأبيض» مثلا ... وما الإصلاح الذى يريده « براعى الغنم »؟ أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه كلها هادفة إلى غرض إجتماعى معين ، ولكننى أطلب اليه وأصر أن لا يعرض علينا هذه الصور الموغلة فى السواد ، فالقصاص على أتم حرية أن لا يهدف إلى إصلاح إجتماعى ، ولكنه لا يملك مطلقا الحرية فى أن يلقى على أيامنا السواد . وليس على شىء من الحرية فى أن يهتف بنا كلما رام أحدنا إصلاحا : أن قفوا فالقدر من ورائكم هادم ما تريدون إقامته ، مذل منكم الأعناق . أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه ذات هدف اجتماعى اصلاحى ولكننى أطلب اليه ألا يذكرنا بهذا القدر فتقعد همة تحاول أن تهب ، وتحوز عزيمة نوشك أن تثب

وللأستاذ أمين أقاصيص بلغت من الكمال مكانا وهى مع ذلك لم تهدف إلى إصلاح إلا أن تطمئن النفس العاملة أن لها أجرها ، وإلا أن تبشر من بلاه الله بتشويه فى خلقته ، أن جمال الروح أثمن من جمال الوجه كما فى أقصوصة « حكمة القدر » التى لا بد لقارئها حينما ينتهى منها أن يشعر بأن القدر القاسى الصلب قد يكون رءوفا كريما . . هى أقصوصة قدرية ولكنها لا تشوه أمامنا القدر ولا تقعد بذى الهمة ولا تخير صاحب العزيمة :

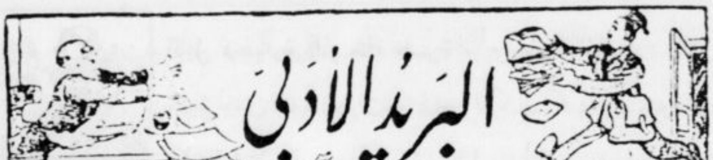
لا بد لى بعد هذا أن أتناول بعضا من تلك الأقاصيص التى هدف فيها الأستاذ أمين إلى فكرة معينة . وإنى لأشايعه فى بعض من هذه الأفكار وأعارضه فى بعض منها آخر ؛ ولكننى عجبت من أربعة مواضع تعارض فيها مع نفسه تعارضا واضحا ؛ فهو فى أقصوصة « وفار التنور » يذكر مقدار الحاجة الملحة للمال وكيف دفعت هذه الحاجة الخباز حارس الفرن أن يلتهم ديكا كان يعد لأحد الباشوات ثم حرق نفسه بعد أكلته . . هو فى هذه الأقصوصة جعل الرجل يدفع حياته كلها فى سبيل أكلة . . الفكرة غريبة بعض الشىء لأن الجوع كان من نفسه سيؤدى بالرجل إلى الموت ، كما أننى أعتقد أن سرقة ديك لا يعاقب عليها بالاعدام الذى حكم به الرجل على نفسه . على أية حال كان الرجل معدما فى أشد الحاجة إلى المال ليأكل ، فسرق وأكل وانتحر . . فى هذه الأقصوصة أظهر لنا عظمة المال وجبروته . ولكنه فى قصة أخرى هى « آفة السعادة » جعل آفة السعادة هى المال نفسه . والحياة بين اثنتين ، إما وجود المال أو عدمه ، فإن كان وجوده تعاسة وإعدامه موتا . فماذا يرى الأستاذ ؟

أما الوضعان الآخران فهما أشد غرابة فى تعارضهما ؛ فهو فى أغلب أقاصيصه كان يهدف — كما قلت — إلى فكرة اجتماعية جليلة ، ومعنى هذا أنه يرى أن الفن أداة للاصلاح الاجتماعى ؛ بل هو يذهب إلى أبعد من هذا فيعمل بفنه فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ولا يمكن أن يكون مصلحا اجتماعيا إلا إذا كان إنسانا يأكل ويشرب ويتزوج . . هو إذن من أنصار النظرية السائدة اليوم أن الفن للمجتمع وليس للفن ، وأن الفنان من المجتمع وإلى المجتمع ، ولكننا بعد هذا نراه فى أقصوصة « ثورة الآلهة » وهى أقصوصة رمزية عن فنانة إنسانة . نرى الأستاذ يوسف يحرمها الزواج ويرفعها إلى مصاف الآلهة ، ويريدها فنانة للفن ، وللفن فقط ممثلا فى المجتمع . وهكذا التوت القصة على نفسها فهى إن كانت تعيش للمجتمع فلا بد أن تحس به لتنقل ؛ وإن كانت تعيش للفن فلا بد أن تنقطع عن المجتمع وتستلهم الوحى وحده — إن وجد — وهكذا أيضا تتعارض الأقصوصة مع روح الأستاذ أمين

وقد يقول الأستاذ أمين إنه قصاص ينقل ولا شأن له بالمجتمع وهذا الكلام معقول لولم تتجه أغلب أقاصيصه إلى ناحية اجتماعية معينة . وهذا القول بطبيعة الحال لا ينطبق مطلقا على الأقصوصة الرمزية ، لأن القصة الرمزية فى أصلها فكرة مجردة فى ذهن القصاص ، وأراد أن يعبر فعبر عنها بقصة فهو يرمز ، وهى بخلاف الأقصوصة الواقعية التى هى فى الأصل صورة من الحياة تنقل نقلا ، أو صورة ترسم رسما لتشابه صور الحياة

وبعد فالمجموعة تضم أقاصيص بلغت غاية الروعة . ولا ينقص المجموعة هذه المآخذ الهينة التى أحاول أن آخذها على الأستاذ أمين غراب ، فأقصوصة « المذياع الحكيم » و « مائة دجاجة وديك » و « الفناجين الحمر » وغيرها ، كلها أقاصيص تؤكد أن الاسم الذى يتمتع به الأستاذ أمين يوسف غراب إنما يدل على أن صاحبه يستحقه ، ويستحق معه كل إكبار وتجلة

ثروت أباظة



البريد الأدبي

لغويات :

كثيرا ما يجرى عن الأقلام ، ويتردد على الألسن ، ويقع فى الأسماع والأبصار كلمات لا تنهج نهج أصول اللغة ، ويلهج بها اللاهجون ، وينقلها الخلف عن السلف فى غير ما تحقيق وهو منهم قاب قوسين أو أدنى :

١ — قيد :

جاء فى كتاب (نشوء اللغة العربية) تأليف الأب أنستاس مارى الكرملى ص ٢ قوله « وممن قال به ولم يحد عنه (قيد) شمرة » بالفتح وصوابه الكسر تقول(قيد)شمرة —بالكسر — أى قدر شمرة ، كما تقول « غلوة رمح (أى مقدار رمح ، وهى كلها من ألفاظ القياس المكانى . وأما « القيد » بالفتح فبمعنى « رهن » . قال الشاعر . (.. قيد الأوابد هيكل) وهى أيضا واحد القيود من تقييد الدابة أى عقلها ؛ وفى الحديث « اعقلها وتوكل »

٢ — جف الماء :

تعبير خاطىء يقع فيه فطاحل الكتاب ولا يلتفتون إلى موضع الخطأ فيه ؛ يقال « جف العود أو الغصن » أى صار من الليونة والمرونة إلى الخشونة والصلابة والجفاف . واستعمال « جف الماء » بمعنى نشف أو تبخر وزال بلله استعمال خاطىء لا تسمح به اللغة ، وإنما يجوز أن يفهم على معنى صيرورته من المائية إلى الصلابة بصورة « جليد » لأن هذا الأخير هو الماء جف —أى صلب — فصار جليدا متماسكا

والصواب فى استعمال « الجفاف » أن يقال (جف الثوب أو الإناء) أى ذهبت نداوته وأثر الماء فيه . ويقال (جف النهر) إذا زال عن قاعه وجانبيه البلل و(غاض) فيه الماء أى نقص أو زال

٣ — قناة وقنال :

هذان اللفظان يستعمل كل فى معناه المقصود منه ، فأحيانا يقولون ويكتبون (قناة السويس) وأحيانا أخرى (قنال السويس) (١) . والأصوب لغة (قنال) باللام وهى لام التعريف فى المضاف إليه فى قولهم (قنا البحر أو قنا الماء) أى مجراه ، ومن لفظ المضاف ولام المضاف إليه نحتت لفظة (قنال)

أما « القناة » فقد تستعمل بمعنى القنال وإن كانت هذه أصح منها . وهى بمعنى الغصن أو الرمح . قال المتنبى وما أصدق ما قال:

وإذا أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

٤ — الغث والسمين :

هذان اللفظان توأمان إذا قيل الأول تبعه الثانى فى أغلب الأحيان كأنه له الظل . والغث لغة الردىء والمهزول وضده السمين من السمن وهو الاكتناز لحما والتطبيق شحما .. ويخطىء المخطئون فيقولون (الغث والثمين) بالثاء فى الثانية ، وهذا قد يصح استعماله على وجه ويجوز ، ولكن الاستعمال الأول « السمين » بالسين أصح وأصوب لرجحان الضدية والتوأمية فيه وهو المستعمل من قديم

قال تعالى فى كتابه العزيز « فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين » وهو ضد الغث وهو المهزول الضاوى

وقال الشاعر العربى :

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثي من سميني

أى الردىء من الحسن ..

٥ — نفد ونفذ :

يخطىء الكبير والصغير فى استعمال هذين اللفظين ويخلطون بينهما الخلط الذريع وتشاركهم المطبعة العربية — تصحيفا — فى هذا الخلط . فالفعل بالمهملة بمعنى انتهى وفنى . قال تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

(١) شد الله أزر إخوان الفداء ورحم الله الشهداء .



البائعة الصغيرة

للكاتب الداغركي هانز أندرسون

كان البرد يشتد ، والثلج يهطل ، والظلام يحلولك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد . وكانت تضرب فى بهمة

يعد هانز كرستيان عميد الأدب الدانمركي بغير منازع . وقد ذهب صيته فيما وراء وطنه . واشتهر بين كتاب الغرب قصصيا له مذهب خاص فى القصة . وكثير من النقاد يحذف « الخرافة » من القصة . إلا ما كتب أندرسون ، وقليلون غيره ، فى هذا الباب . « والبائعة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأديب .

الليل وصبارة القر فتاة حاسرة الرأس عارية القدمين : كانت تنتعل خفين عندما غادرت منزلها ، ولكنهما كانا واسعتين فقد كانتا قبل لأمها . وبينا هى تعبر الطريق أمام عربتين مسرعتين أضاعت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثرا ، وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجرى . فراحت الطفلة تجوب الطرقات وقد تعرت قدماها ، واحمرتا من برد وازرقتا . وكانت تحمل فى جيب ثوبها العتيق حزما من الثقاب ، وفى يسراها حزما ، وقد أدبر النهار وما باعت منها شيئا ، ولا حصلت ليومها فلسا

كانت تقضقض من البرد وترتعد من الجوع ، وتسير متحاملة على نفسها تجر قدميها جرا ... كانت صورة من التعاسة تلك الفتاة المسكينة ! وقد تغطى بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتدلت منه خصلات ناست على جيدها الأبيض الناصع . ولكن تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك ؛ فقد كان النور يشع من النوافذ ، ورائحة الأوز المشوى تفوح فى الفضاء مؤذنة بميلاد

كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . وقال الشاعر :

أرى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

ومنه قولهم « فلان خصم منافد » وهو الذى يستفرغ جهده فى الخصومة واللدد . وفى الحديث « إن نافدتهم نافدوك(٢) »

أما الفعل بالمعجمة فبمعنى شق « لج من هنا ليخرج من هناك كقولهم « نفذ السهم من الرمية » . قال تعالى « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »

وقال الشاعر العربى :

حتى استكانوا وهم منى على مضض والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر

وكذلك يخلط الكتاب بين (الشذر والشزر) وبين (النذر والنزر) وبين كل متشابهين متجانسين يجوز فيهما التصحيف ولا أقول التحريف

وبعد : فتلكم هنوات لغوية عرضت لها عابرا رغبة فى التذكير — والدهر ينسى — وذكر فإن الذكرى تنفع اللغويين كما تنفع المؤمنين وهم مؤمنون . والسلام

(الزيتون) عدنان

(٢) وتروى أيضا بالقاف .

سهو

نحن طلبة الأرتريين نأسف كل الأسف لعدم ذكر إرتريا المسلمة فى المقال المنشور بعنوان « الكتلة الاسلامية والسلام العالمى » بقلم الأستاذ القدير أبو الفتوح عطيفة فى العدد الخاص بمناسبة العام الجديد لمجلة الرسالة الغراء

كيف ينسى هذا القطر المسلم الذى يتطلع إلى الحرية والاستقلال ، لقد أرسل مندوبين عنه ليمثلاه فى المؤتمر الاسلامى فى إحدى جلساته بكراتشى

فالرجاء منكم إخطار الأستاذ بذلك مشكورين

عن الطلبة الأرتريين

عبد الله خيار

عام جديد . فانتبذت ركنا منزويا لجثت على ركبتيها ، وتقبضت في مكانها ، والبرد يسري في أعضائها قارسا لذاعا . ولكنها لم تكن لتجرؤ على الذهاب إلى منزلها ، وما باعت من ثقابها شيئا ، فعصا الأب تترقب ، وسقف البيت مهدم خاو تعبث به الريح ، ويصفر فيه الهواء

كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر في عود من الثقاب تأخذه من الحزمة ، فتشعله في الحائط ، فتدفئ يديها على لهبه وما عالكت أن فعلت فأضاء العود بلهب ساطع كنور الشمعة ، تخيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذي ألوان ، له قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجمل النار تبعث الدفء في الأطراف، والطمأنينة في النفس ! ولكن اللهب الضئيل لم يلبث إلا قليلا حتى خبا ، فتبخر في الهوى موقدها النحاسي اللامع ، ولم يبق بيدها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت عودا ثانيا ، فالتهب موقع نوره على الحائط ، فصيره كقناع شف استطاعت أن ترى الحجرة من خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت عليه آنية العشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح منها بخار له نكهة وطيب ، ويملأ جوفها تفاح وبرقوق مجفف . ثم يا للعجب! لقد قفزت الأوزة من الطبق وتهادت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي صدرها شوكة وسكين ! ثم انطفأ العود فلم تبصر الفتاة إلا حائطا رطبا سميكا باردا ، فأشعلت عودا ثالثا فإذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد الميلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتغمر بنورها صورا ملونة جذابة كتلك التي كانت تراها في المكتبات ، فمدت الفتاة يديها نحوها فانطفأ العود ، وارتفعت أنوار عيد العام ، فرأتها الفتاة نجوما في السماء ، سقط أحدها فرسم خطا طويلا من النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن يموت أحد . فكذلك علمتها جدتها العجوز التي درجت إلى القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت الفتاة عودا رابعا ، فسطع النور مرة أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نورا وحنانا. فصاحت الطفلة : « جدتاه ، خذيني معك ، سوف تذهبين إذا ما خبا نور الثقاب ، ويزول طيفك الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة، والأوزة الشهية ، وشجرة عيد الميلاد » ، وأقبلت على الثقاب تشعله كيلا تذهب جدتها ، فتلتهب بنور أسطع من الشمس وضحاها ، وتتمثل لها جدتها أبهى مما كانت وأجل . ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ، وطارت بها في عالم من البهاء والسرور ، وحلقت بها في السموات العلى ، وحملتها من الأرض حيث لا برد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت شفتاها عن ابتسامة سعيدة . هناك كانت ترقد أيبسها القر ، وقد احترقت علبة من ثقابها ، فقال الناس : « لقد أرادت أن تدفئ نفسها » وما علم الناس أي جمال رأت ، ولا بأي احتفال حملت إلى السماء ليلة العيد ...

ش . ع

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

فدائيون وأنانيون ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ٩٧
جمال الدين الأفغاني ... ... : « حمدي الحسيني ٩٨
عالم الذباب ... ... : بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ١٠٠
الإسلام في أوربا الشرقية ... : للأستاذ علي محمد سرطاوي ... ١٠٤
عمر بن عبد العزيز ... ... : « عبد الباسط محمد حسن ١٠٨
تطور البديعيات في مدح الرسول : « حامد حفني داود الجرجاوي ١١١
الثورة المصرية ١٩١٩ ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ١١٣
من وحي النار والدخان (قصيدة) : « علي الصياد ١١٦
من ليبيا إلى مصر (قصيدة) : « أحمد رفيق المهداوي ... ١١٧
(الأدب والفن في أسبوع) — حول اللغة الأجنبية الأولى — شعر المناسبات الشعبية الحديثة ١١٨
(البريد الأدبي) — رحم الله الدكتور زكي مبارك — في كتاب الديارات للشابشتي — هنات عروضية — من عيوب القافية — يصمد ليست بمعنى يثبت — هل التلاشي بمعنى الضياع — التصحيف والتحريف — خطأ قديم — خطأ نحوي ١٢٠
(القصص) — خاتمة المطاف — للأستاذ محمد رشدي ١٢٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 969

Le Caire 28-1-1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليماً

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فدائيون وأنانيون . . .

ما أشبه بنى آدم بنبات الأرض ! يتفق فى التربة والغذاء والجو ، ويختلف فى اللون والطعم والمزية . فى الحقل الواحد تجد الطيب والخبيث ، والحلو والمر ، والنافع والضار ، والصاب والهش ، والمستقيم والمعوج ، والمثمر والعقيم . وهذا الاتفاق وذلك الاختلاف تجدهما فى بنى الإنسان على أوضح صورة . ها نحن أولاء ، طينتنا من ثرى الوادى ، وغذاؤنا من خير النيل ، وهواؤنا من جو مصر ؛ ولكن فينا من يؤلم ولا يلذ كالعوسج ، ومن يروق ولا يثمر كالصفصاف ، ومن يضر ولا ينفع كالهالوك ، ومن يرتفع ولا يستحق كالعليق . أما المصطفون الأخيار فهم كالفواكه والرياحين قلة قليلة . . منا العيون التى تتجسس للعدو ، والأيدى التى تعمل مع العدو ، والألسن التى تدعو إلى العدو . ومنا الأوغاد الذين يقضون أيامهم اللاهية عكفاً على الفحش ينفقون أموالهم التى استقطروها من عرق الفلاح ودمه ، فى الخمر والقمر والنساء ، وأبناؤنا الشباب يقاتلون العدو وجها لوجه وهم جياع ! ومنا الأنذال الذين كسبوا المال وخسروا الشرف ، وشروا الجاه وباعوا الضمير ، فظلوا بيننا عائيل للؤم والبلادة ، يسمعون عن فظائع الإنجليز فى القنال ، وعن فجائع الفدائيين فى القتال ، وكأن القنال ليس من أرض الوطن ، وكأن الفدائيين ليسوا من شباب الأمة ! أما البررة الأطهار فهم صفوة الخير المغلوب بين هذا الشر الغالب ! هم أولئك الشباب الجامعيون الذين نذروا دماءهم الزكية لله ولمصر . يَقتلون مستبسلين ، ويُقتلون مستشهدين ، لا يبتغون عَرض الحياة لأنهم يستقبلون وجه الموت ، ولا يطمعون فى جزاء الدنيا لأنهم يقنعون بثواب الآخرة

هم أولئك الفدائيون المترفون الذين ربأوا بوطنهم أن يُحتل ، وبشعبهم أن يُذل ، فزهدوا فى نعيم العيش ، ورغبوا عن سلام الأمن ، وعاشوا مع الفلاحين فى قرى القنال ، يطعمون أغلظ الطعام ، ويشربون أكدر الشراب ، ويفرشون أخشن الفراش ، ويستعيضون عن العطور والدهن بالشحم يطلون به أجسادهم المرهفة ليقيها برد الماء وقر الشتاء ، ثم يكمنون للعدو الباغى عراة فى قنوات الحقول وأخاديد الأرض ؛ حتى إذا شاء القدر أن يسخر من الامبراطورية العجوز ، ساق قطيعا من أغنامها الحمر إلى الجزرة الفدائية الجائعة ، فيلتقى الإيمان والكفر ، والشجاعة والجبن ، والفداء والأثرة ؛ وتغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله ، فيفزع (أرسكين) ، ويجزع (تشرشل) ، وتسيل شوارع المدن ومسالك القرى بالدبابات والمصفحات والجنود ؛ ثم تكون عاقبة هذا الجيش العرمرم والعتاد الضخم هزيمة مخزية تشبه الصفعة على القفا العريض ، أو البصقة على الوجه الصفيق !

هؤلاء المجاهدون الأبطال الذين أقضوا مضجع انجلترا وأبدوا حق مصر ، لا يرجون من قومهم غير السلاح ! فهل يستجيب أغنياؤنا الطاحنون لهذا الرجاء ؟ إنك لا تحيى الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء !

احمد حسن الزيات

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغانى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ١ —

كنت فى مجلس من أصحابى الشباب وكنت أتحدث إليهم عن السيد جمال الدين الأفغانى فأعجبوا بروحه القوية المتدفقة نحو الحياة والحرية . وكيف لا يعجب شباب العرب بروح جمال الدين وهم يتحفزون للوثبة الكبرى وراء الحياة والحرية ؟ وكيف لا يتخذون من روحه القوية المتدفقة الوثابة حافزا لهم فى جهادهم المظيم للحرية والاستقلال والوحدة . فطلب منى بعض أولئك الشباب أن أكتب كلة عن هذا الرجل العظيم فى مجلة الرسالة الغراء ليتعرف عليه أكبر عدد ممكن من شباب العرب. وهأنذا أحقق رغبتهم راجيا أن أوفق إلى تصوير روح جمال الدين تصويرا يجعل منها نورا يستضئ به الشباب العربى فى جهادهم القومى ، ونارا تأكل هذا الاستعمار الغاشم فتقوض دعائمه وتذهب بكيانه وعيانه

يقسم علماء النفس الشعور الإنسانى إلى ثلاثة أقسام ، المعرفة والوجدان والنزوع . وهذه الأقسام الثلاثة للشعور الإنسانى مترابطة متداخلة كتيار الماء الذى يدور على نفسه . ترى الوردة الجميلة مثلا متفتحة الوجنات على غصنها الرطيب (هذه هى المعرفة) فتروقك تلك الوردة الجميلة ويلذك منظرها ورائحتها (وهذا هو الوجدان) فتقبل عليها فتقطفها لتستمتع بها لمسا وشما (وهذا هو النزوع) . تلمس يدك النار وهذه معرفة؛ فتتألم من حرها وهذا وجدان فتزيح يدك عنها أو تزيحها عن يدك وهذا نزوع . تعرف الشئ فتلتذ به أو تتألم منه فتنزع نحوه أو عنه جلبا للذة أو دفعا للألم ؛ وهذا هو الشعور الإنسانى نوعا ، وأما كما فليس الشعور الإنسانى بمتساو فى أقسامه . وهذا الاختلاف فى الكم هو الفارق بين أفراد البشر خيرا وشرا ، كمالا ونقصا ، قوة وضعفا . والبشر بهذا الاختلاف فى كمية أجزاء الشعور ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، قسم قويت فيهم المعرفة وضعف الوجدان والنزوع كالعلماء . وقسم قوى فيهم الوجدان وقلت المعرفة وضعف النزوع كالفنانين . وقسم قوى فيهم النزوع وقلت المعرفة وضعف الوجدان كالقادة والطغاة .

والعجيب فى أمر السيد جمال الدين الأفغانى أنه مكتمل جوانب الشعور كيفية وكمية ؛ فبينما نراه من ناحية المعرفة نابغة عصره وباقعة زمانه نراه قوى الوجدان مرهف العواطف يحس بالألم مع الإنسانية كافة أفرادا وجماعات ، ويشمل السرور جوارحه إذا ما رأى الخير شاملا لبنى الإنسان . وبينما نراه كذلك من كثرة المعرفة وقوة الوجدان نراه فى النزوع إلى العمل والتوجه إلى الهدف كالصاعقة المنقضة والشهاب الثاقب والسهم المنطلق والأسد الكرار ، ينصب على هدفه انصبابا قويا عنيفا حازما لا يعوقه كل ما فى الحياة من صعوبات ومتاعب ، يقتحم ولا يبالى ما يعترضه من صعوبات وأخطار ، أجبال حديد أم جبال نار

أما تفاعل جمال الدين مع بيئته وأثر ذلك التفاعل مع تلك البيئة فهو ما أتحدث عنه الآن

اختلف مؤرخو حياة جمال الدين فى تعيين موطنه الأصلى هل هو إيران أو أفغانستان؛ فبعضهم قال أنه إيرنى الأصل أفغانى النشأة ، وبعضهم جزم بأنه أفغانى الأصل والنشأة ، ولكنهم اتفقوا اتفاقا تاما على أنه ولد فى مدينة أسد آباد أو أسعد آباد من أعمال كنر فى الأفغان وذلك سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية أى فى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر . وأن أباه يدعى السيد صفتر أو صفدر ومعناه بالفارسية الشجاع المقتحم ، وأن عائلته ذات حول وطول ونفوذ وسلطان فى مقاطعة كنر خصوصا وبلاد الأفغان عموما لانتسابها إلى السيد على الترمذى المحدث المشهور الذى يتصل نسبه بالحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ولد السيد جمال الدين الحسينى الأفغانى وأهله وعشيرته فى ذروة العز وسامت المجد فقضى ثمانى سنين يتقلب بين أعطاف العز والمجد ويرتع فى أحضان العظمة والسلطان . حتى امتدت إليها يد الأمير دست محمد خان الذى آل إليه الأمر فى الأفغان

بعد انقسامات وحروب طويلة وعريضة، فسلب من تلك العائلة الكريمة ملكها وسلطانها وأجلاها عن أرضها وموضع عزها ونقلها إلى مدينة كابول عاصمة الملك لتظل تحت سمعه وبصره فيأمن انتقاضها ويضمن خروجها عليه ومزاحمتها له. قضى جمال الدين الطفل في مدينة كابل عشر سنين تلقى فيها العلوم العربية: التاريخ والشريعة والتفسير والحديث والمنطق والتصوف والرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم النظرية العملية. ثم عرض له أن يذهب إلى الهند لاستكمال علومه على الطريقة العصرية فذهب إليها وقضى فيها ردحا من الزمن عب فيه من العلم ما وسعه عقله الكبير وهمته العالية. وكان حينذاك مشرفا على العشرين من عمره. فهل يرجع إلى كابول وفي نفسه منها حزازات وجروح:

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام

أم يذهب لأداء فريضة الحج، يؤدي فرضا لله عليه ويسرى عن نفسه الكبيرة ما تحس من الألم لما أصاب عائلته من تغريب، ووطنه من فوضى واضطراب؟ ذهب إلى الحج ولكن بعد أن رسم لنفسه خطة سفر تمكنه من زيارة أنحاء الجزيرة العربية لدراسة بلاد العرب دراسة علم ودراسة سياسة. درس جزيرة العرب وأدى فريضة الحج فهفت به نفسه قائلة: لا بد مما ليس منه بد. لا بد من العودة إلى الأفغان. عاد إلى الأفغان وشاء الله له أن يصبح في سلك رجال حكومة دوست محمد خان، وما لبث أن نال إعجاب الأمير واحترامه وأصبح أشد لزوما له من الهواء والماء، فصحبه في حروبه وغزواته كما صحب شاعر القوة أبو الطيب المتنبي سيف الدولة في حروبه وغزواته مع الفرق بين صحبة الرجلين لصاحبيهما، فأبو الطيب صحب سيف الدولة لأوقات الفراغ وساعات التسلية. وأما جمال الدين فصحب دوست محمد لأوقات الشدة وساعات الخطر. سار دوست محمد إلى مدينة هراة ليفتحها وسار معه جمال الدين لحصر المدينة وضيق عليها ابتغاء فتحها، وكان جمال الدين العقل المدبر لدوست محمد واليد الحازمة له في عمله الحربي؛ ولكن شاء الله أن يموت الأمير قبل فتح المدينة ففتحت على يد جمال الدين. وهناك ولي الامارة بشير على خان أصغر أولاد دوست محمد فأشار عليه وزير من وزراء السوء أن يقبض على إخوته ويعتقلهم خوفا من مزاحمتهم له، وكان من أولئك الإخوان في جيش هراة الفاتح ثلاثة وهم محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين. فانتصر جمال الدين لمحمد أعظم ودافع عنه عند الأمير فلم يفلح، فعلم الأخوة بما يبيته لهم أخوهم فذهب كل واحد منهم إلى ولايته التي كان يليها من قبل واعتصم بها فاندلعت نار الفتنة في البلاد واشتدت وطأة الحروب بين الأخوة المتقاتلين حتى آل الأمر إلى محمد أعظم فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الأول وعظمت ثقة الأمير به حتى أصبح لا يورد ولا يصدر إلا عن رأيه. ولكن هيهات أن يستتب أمن في بلاد يجاورها الإنكليز. فقد أخذ الإنكليز يمدون أصابعهم إلى هذه البلاد فاتفقوا مع (بشير على) ضد أخيه محمد أعظم لقاء منافع لهم فنثروا الذهب في البلاد يمنة ويسرة شأنهم في كل حال تشبه هذه الحال، فبيعت أمانات، ونقضت عهود، وتجددت خيانات. وبعد حروب هائلة تغلب بشير على بذهب الإنكليز ودسائسهم على محمد أعظم، ففر محمد أعظم إلى بلاد إيران ضحية من ضحايا الاستعمار الإنكليزي الغاشم

للكلام بقية **حمدي الحسيني**

عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

في سنة ١٩٤٣ أصدر الدكتور العراقى فائق شاكر كتابا عنوانه (عالم الذباب) تعرض فيه لحديث الذباب بالشرح والتأييد، وانبرى له المرحوم الأستاذ معروف الرصافى شاعر العراق بالجرح والتفنيد. وقد تجدد اليوم هذا الخلاف بين مجلة لواء الاسلام ومجلة الدكتور فرأينا من المفيد أن ننشر مقال الأستاذ الرصافى وقد أرسله إلينا فى حينه فلم ينشر لبعض الأسباب

الحديث النبوى

نذكر لك أولا نص عبارة الحديث الذى ذكره الدكتور فى رسالته عن أبى هريرة « إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فان فى أحد جناحيه داء ، وفى الآخر شفاء وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء »

وفى روايتى النسائى وابن ماجه . « إن أحد جناحى الذباب سم ، والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء »

هذا ما ذكره الدكتور فى رسالته . ونذكر نحن الروايات الآتية نقلا عن شرح البخارى للعينى »

« إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ، فان فى إحدى جناحيه داء ، والأخرى شفاء » الجزء السابع الصفحة ٣٠٢

ونقلا عن شرح البخارى أيضا للعينى :

« إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فان فى إحدى جناحيه شفاء وفى الآخر داء » . الجزء العاشر الصفحة ٢١٧

ونقلا عن الجامع الصغير للسيوطى هكذا .

إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى إحدى جناحيه داء وفى الأخرى شفاء » . رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة

وقبل كل شىء نطلب إنتباه القارىء إلى اختلاف هذه الروايات فى عبارة الحديث اختلافا لفظيا ناشئا على ما نرى من أنهم كانوا فى الأكثر يروون الأحاديث بالمعنى فيتصرفون فى ألفاظها كل بحسب رأيه فى معناها كما تراه فى رواية هذا الحديث ، فبعضهم قال إذا وقع فى الشراب ، وبعضهم فى الطعام وبعضهم فى الإناء ، ومنهم من عبر بالغمس ، وبعضهم بالمقل وهو بمعنى الغمس ، وبعضهم عبر بالنزع والآخر بالطرح والمراد من كليهما واحد ، ومنهم من اقتصر على الغمس ولم يذكر النزع ولا الطرح ، ومنهم من قال فليغمسه كله ومنهم من أسقط كلمة كله ، ومنهم من قال فى أحد جناحيه داء ومنهم من قال سم ، وبعضهم قال يتقى والآخر قال يقدم

ولكن الروايات كلها اتفقت فى أن الداء أو السم هو فى أحد الجناحين وأن الشفاء فى الجناح الآخر ، وكذلك اتفقت أيضا فى بيان سبب الأمر بالغمس ، وهو أن الذباب عند وقوعه فى الشراب يتقى بالجناح الذى فيه الداء ، أو يقدم الجناح الذى فيه السم ويؤخر الآخر كما جاء فى الرواية الأخرى

فالأمر بالغمس إنما جاء لكى يدخل فى الشراب الجناح الآخر الذى فيه الشفاء . إن هذا الإختلاف اللفظى الذى جاء فى هذه الروايات لا يقدح فى صحة الحديث إن كان صحيحا ما دام المعنى المراد فيها كلها واحدا . ولكن على فرض صحة الحديث يستبعد أن يكون رسول الله تكلم بهذه الألفاظ المختلفة كلها ، وإنما عبر بواحدة منها ، والرواة التزموا جانب المعنى فعبروا عنها بما يوافقها أو يقاربها ، سواء كان ذلك منهم عن قصد لمراعاة المعنى ، أم عن نسيانهم وذهولهم عن الألفاظ ، فإن المعنى قد يرسخ فى ذهن الراوى وتشذ عنه الألفاظ . فإذا أراد بيانه عبر عنه بألفاظ من عنده . وكل من قرأ فى كتب التاريخ شيئا عن حياة الواقدى أحد مشاهير الرواة فى القرن الثانى عرف كيف تكون الرواية بالمعنى ، فإن هذا الرجل كان من أعجز الناس عن حفظ الألفاظ حتى إن المأمون الخليفة العباسى أراد مرة أن يحفظه سورة الجمعة من القرآن فما استطاع . ثم وكل به من يحفظه إياها فما استطاع ، وكان الموكل به إذا حفظه آية ثم انتقل به إلى ثانية نسى الأولى ؛ وإذا عاد إلى تحفيظه الأولى نسى الثانية . وكان يقرأ ما نسيه بالمعنى فيبدل الألفاظ . وأمثاله فى الرواة كثيرون

لا يتسع المقام هنا لنقد الرواية بالمعنى ، وبيان ما ينتج عنها

من مضار ، فنترك ذلك لفرصة أخرى . غير أنا نقول إن لجوهر المعنى ارتباطا كليا بجوهر اللفظ ؛ فكل تغيير فى اللفظ لا يخلو من تغيير فى المعنى ، قل أو كثر ، حتى أننا لو وزنا الألفاظ المترادفة بقسطاس مستقيم من الفهم والإدراك لما قلنا بأنها مترادفة ؛ فتبديل الألفاظ بما يرادفها أو يقاربها فى المعنى فيه خطر عظيم على المعنى خصوصا فى النصوص التى لا مستند لفهمها فهما صحيحا سوى الألفاظ . ولا مرية فى أن تبديل الكلمات بما يرادفها أو يقاربها فى النصوص قد يغير وجه الحكم المستنبط منها ، كما أنه قد يبعد بها عن المعنى المراد بعدا شاسعا ، لأن المترجم مهما برع وأجاد فى نقل المعنى بوضع ألفاظ من اللغة التى يترجم إليها ، تؤدى معنى الألفاظ من اللغة التى يترجم منها فإنه لن يستطيع أن يوفى المعنى حقه بتمامه ، بل لا بد أن يخون المعنى ببعض الشىء فى ناحية من نواحيه . فالمترجم لا يتخلص من الخيانة وإن كانت خيانته اضطرارية غير اختيارية

ولهذا امتنعت الإصابة والإجادة فى ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى؛ لأن محاسن الشعر لا تقوم بالمعنى وحده بل بانتقاء ألفاظه وحسن سبكه وانسجام تراكيبه أيضا ، ولا ريب أن محاسن الكلام فى كل لغة تختلف كل الاختلاف ؛ فالذى يترجم الشعر لا بد له أن يتصرف فيه مراعاة لمحاسن الكلام فى اللغة التى يترجم إليها وإلا جاءت الترجمة تافهة وخرج الشعر عن كونه شعرا ، وبهذا التصرف الذى لا بد منه يقع البعد بين المترجم منه وبين المترجم إليه

ولهذا أيضا امتنعت ترجمة القرآن من العربية إلى غيرها من اللغات ، فإن ترجمته مع المحافظة على ما فيه من روعة وطلاوة تكاد تكون مستحيلة . وقد ترجمه الترك فى أيامهم الأخيرة عدة ترجمات فلم يفلحوا ، بل جاءت ترجماتهم شيئا مضحكا . وقد ترجم إلى لغاتهم أهل أوربا أيضا ؛ وقد ذكر لى أحد معارفى ممن يحسنون اللغات الغربية أنه قرأ فى إحدى ترجماتهم قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » مترجما بما معناه إن كل إنسان يوم القيامة يكون فى رقبته عصفور معلق ، وهذا شىء مضحك أيضا . إن الكلام عن الرواية بالمعنى قد أخرجنا عن الصدد فلنعد إلى ما نحن فيه فنقول :

لا كلام لنا على اختلاف الرواة فى عبارة الحديث ، لأن المعنى المراد فيها كلها واحد ، وإنما نريد أن نتكلم عن المعنى المقصود من الحديث فنثبته للقارىء واضحا صريحا ، ثم نرى هل ينطبق على ما يقوله الدكتور فائق شاكر وبدعيه

إن المفهوم بصراحة من الروايات كلها ، هو أن الداء أو السم ، لا يكون إلا فى أحد جناحى الذباب لا فى كليهما ؛ وإن الذباب عند وقوعه فى الشراب أو فى الطعام يتقى صدمة الوقوع بالجناح الذى فيه الداء ، فيغمس ذلك الجناح فى الشراب ، ويبقى الجناح الآخر فوق غير منغمس ، وكأن عبارة إحدى الروايات القائلة بأنه « يقدم السم ويؤخر الشفاء » قد جاءت تفسيرا لعبارة الرواية الأخرى القائلة بأنه « يتقى بجناحه الذى فيه الداء »

وإذا علمنا هذا فقد علمنا لماذا جاء الحديث يأمر بالغمس ، ذلك لأن الجناح الذى فيه الداء قد انغمس فى الشراب فتلوث الشراب بدائه فإذا انغمس الجناح الآخر بطل حكم الداء الذى حصل من الجناح الأول وسلم الشراب

هذا هو المعنى الواضح الصريح الذى تؤديه عبارة الحديث فى جميع الروايات على اختلافها فى التعبير . وبعد هذا فلننظر فيما يقوله الدكتور حفظه الله ، ليتبين لنا أين وجه الصواب

أين محل البكتريوفاج من الذباب ؟

نستخلص الجواب على هذا السؤال من كلام الدكتور نفسه فنقول : يدعى الدكتور بأن المراد من الشفاء المذكور فى الحديث هو ما اكتشفه العلم فى هذا العصر من « البكتريوفاج » التى فسرها بمفترسات الجراثيم ، وإذا كان المراد بالشفاء هو هذا فلننظر أين يوجد البكتريوفاج من الذباب؛ أهو فى أحد الجناحين أم فى كليهما ، أم فى جسم الذبابة كلها ، أم فى قناتها الهضمية ، أم فى ذراعيها ورجليها ؟

قال حفظه الله فى الفصل التاسع والصفحة (٥٢) « إن الذباب المعروف بذباب البيوت ، يقع على البراز ، والمواد القذرة ، وكل هذه مملوءة بالجراثيم المولدة للأمراض، فاختيار الذباب لها ، يدل على أنه يأكل الجراثيم والبكتريوفاج معا؛ فبأكله الجراثيم اجتمع

فيه الداء ، وبحصول البكتريوفاج اجتمع فيه الشفاء »

إن المفهوم بصراحة من عبارة الدكتور هذه أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة ، ولم يخص به عضوا دون آخر ، ولما كان الجسم يشمل الجناحين ، جاز أن يقال بأنه موجود فى الجناحين أيضا . (ولا تنس أن عبارة الحديث تخص به أحد الجناحين دون الآخر)

ويفهم أيضا ضمنا من عبارة الدكتور أن البكتريوفاج يوجد فى القناة الهضمية من الذبابة لأنه قال بأنها تأكل مع الجراثيم المضرة أيضا . وتتضمن عبارته أيضا أن البكتريوفاج يوجد فى رجلى الذبابة وفى يديها لأنه قال تقع على البراز

ولا شك أن يديها ورجليها ترتطمان فى البراز فتعلق بها الجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا . فمن هذه العبارة نفهم صراحة وضمنا أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة كله حتى الجناحين

ولنا على هذا اعتراض ، وهو أن الذبابة بوقوعها على البراز قد تلوثت به يداها ورجلاها ، أى تلوثت بالجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا ، وأنها بأكلها البراز قد حصل البكتريوفاج فى قناتها الهضمية أيضا . ونتوسع أكثر من هذا فنقول إن البكتريوفاج يوجد فى صدرها أيضا وفى بطنها ، لأنهما يليان البراز الذى وقعت عليه ، ولكن كيف تلوث جناحاها بالبراز فوجد فيهما البكتريوفاج وهما فى القسم الأعلى من جسمها ، لا مساس لهما بالبراز (سنذكر كلاما للدكتور يكون جوابا لهذا ثم نجيب عليه) وقال أيضا فى الصفحة (٥٣) « وبنقله (أى الذباب) الجراثيم والبكتريوفاج المهيأ فى براز الناقهين مباشرة ، اجتمع فى الذباب الداء والشفاء » . قال « فهذا هو معنى ماورد فى عجز الحديث الشريف (قال فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء)

إن الدكتور يرمى الكلام على عواهنه رمياً ، وإلا فكيف يكون هذا هو معنى ماورد فى الحديث . لاشك أن الذباب بوقوعه على براز الناقهين وأخذه منه الجراثيم ، يكون قد اجتمع فيه كلا النوعين من الجراثيم المضرة والنافعة بلا ريب . فاجتماع كلا النوعين فى الذباب أى فى جسمه أمر لا مرية فيه ، ولكن كيف يكون ذلك هو المعنى المقصود مما ورد فى الحديث الذى يخص كل واحد من النوعين بواحد من الجناحين ، ولولا وجود المضر فى جناح والنافع فى جناح آخر لبطلت حكمة الأمر بغمس الذباب فى الشراب ، إذ لا شك أن الأمر بالغمس مسبب عن وجود الشفاء فى جناح واحد ، وعن كون الذباب يتقى عند وقوعه بالجناح الذى فيه الداء ، فالجناح الذى يتقى به ينغمس فى الشراب ويبقى الجناح الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس ، فلذا امر بغمس الجناح الثانى أو بغمس الذبابة كلها كما جاء فى بعض الروايات ، لكى ينغمس الجناح الآخر الذى فيه الشفاء ، فيبطل حكم الداء

ولو كانت الجراثيم النافعة موجودة فى كلا الجناحين أو فى جسم الذبابة كله لما أمر بالغمس ، بل كان الأمر بالغمس عبثا لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد ارتطمت فيه أرجلها وأيديها وبطنها وصدرها وأحد جناحيها ، وفى هذه الأعضاء يوجد النافع والضار كما يقول الدكتور . وقد حصل البكتريوفاج فى الشراب وبطل حكم الجراثيم المضرة . أفليس من العبث بعد هذا أن نغمس الذبابة فى الشراب ؟ وخلاصة القول أن الحديث إن صح فإنما ورد لبيان أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما غمس الذباب عند وقوعه فى الشراب ؛ والثانى بيان سبب الغمس وحكمته . وعليه فالجدال بيننا وبين الدكتور ينحصر فى نقطة واحدة هى الغمس لا غير . ولذا نقول إن كان الشفاء لا يوجد إلاَّ فى أحد الجناحين كما يقول الحديث ، وكان الذباب يتقى بالجناح الذى فيه الداء كما يقول الحديث أيضا كان الغمس واجبا ، وكان الأمر به معقولا ومقبولا ، لكى يتم دخول الشفاء فى الشراب مع الداء . وإن كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا فى جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور كان الغمس عبثا وكان الأمر به غير معقول ولا مقبول ، لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد انغمس فيه أكثر جسمها ، ولم يبق منها إلا جناح واحد ، وقد دخل منها فى الشراب كلا النوعين النافع والمضر من الجراثيم فأى حاجة تبقى إلى الغمس ؟

ثم أن الدكتور بعد ما فسر عجز الحديث على هذا الوجه وأخذ يتكلم عن صدره فقال : « وأما ماورد فى صدر الحديث الشريف : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم

ليتزعه) فالغمس هو لأجل أن يدخل البكتريوفاج للشراب »

أما نحن فنقول : أما أن الغمس هو لأجل أن يدخل الشفاء والبكتريوفاج فى الشراب فصحيح لامرية ولكن ذلك لا يتجه إلا بأن يكون البكتريوفاج فى أحد الجناحين دون الآخر كما بيناه آنفا ، وإلا لم تبق حاجة إلى الغمس لأن البكتريوفاج موجود فى ذراعى الذبابة وفى رجليها وقد انغمستا فى الشراب ، كما أنه موجود فى الجناح الآخر (على ما يقول الدكتور) وقد انغمس فى الشراب ، ودخل البكتريوفاج فيه ، فلماذا يأمر بالغمس والبكتريوفاج داخل قبل الغمس ؟

وقال أيضا فى الصفحة (٥٣) « فالفن قد أثبت وجود البكتريوفاج فى جسم الذبابة ، سواء بحصوله من بلعها الجراثيم المرضية فى أنبوبتها الهضمية أو بنقلها من براز الناقهين »

وقال أيضا فى الصفحة نفسها : « وحيث ورد فى نص الحديث فليغمسه أى فليغمس الذبابة كلها فقد دخل فى الغمس جسمها مع جناحيها . ولم يرد فى الحديث غمس الجناحين فقط ، مما دل على أن الداء والشفاء فى الجناحين امر اعتيادى لا يفيد التخصيص ، والأمر بغمسها يؤيد ذلك . وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم بإدخال البكتريوفاج للشراب من جسم الذبابة »

هذه هى عبارته بعينها وميزها وقد جاءت بالأعاجيب فلننظر فيها بشئ من التحليل والتمحيص ليظهر ما يرى إليه الدكتور فيها

يقول « قد دخل فى الغمس جسمها مع جناحيها » فنقول : إذا وقعت الذبابة فى الشراب ، فقد انغمس فيه جسمها لا محالة ، أما الجناحان فيجوز أن يكونا منغمسين أيضا تبعا للجسم ، ويجوز أن يكونا غير منغمسين لرقتهما ، ولكونهما من الفروع العليا فى جسم الذبابة ، وبناء على هذا كان ينبغى للدكتور أن يقول فقد دخل فى الغمس جناحا الذبابة مع جسمها ، ولكنه عكس العبارة لكى يجر الحديث إلى ما يريده هو . ولما كان من الجائز انغماس الجسم دون الجناحين ، أو دون أحدهما ورد الأمر فى الحديث بغمس الذبابة كلها لكى ينغمس جناحاها أيضا مع جسمها ، لا جسمها مع جناحيها كما يقول الدكتور ، وهنا نعود فنقول إن حكمة الأمر بالغمس تبطل إذا كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا فى جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور ، لا فى أحد جناحيها كما يقول الحديث

ويقول فى عبارته هذه أيضا : « ولم يرد فى الحديث غمس الجناحين فقط » ، أى أراد غمس الجسم أيضا مع الجناحين ، هذا هو تفسير مراده من هذه العبارة ، فنقول ياسبحان الله ! إن عبارة الحديث بمنطوقها وبمفهومها تدل على أن جسم الذبابة عند وقوعها فى الشراب يكون منغمسا فيه وكذلك احد جناحيها فلذلك أمر بغمسها كلها لكى ينغمس الجناح الآخر الذى فيه الشفاء ، وعليه كيف يريد غمس الجناحين فقط حتى يحتاج الدكتور إلى نفيه ؟ وقال فى الصفحة (٥٣) ولو كان للاجنحة فقط خصوصية الداء والشفاء لأمر عليه الصلاة والسلام بغمسها وحدها »

البقية فى العدد القادم

معروف الرصافى

الاسلام فى أوروبا الشرقية
فى أمسية الغزو المنغولى
(١٠١٦ م — ١٢٢٣ م)

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانووكز (*)

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

« يعرف التاريخ أن كثيراً من البوذيين أو المسيحيين قد اعتنقوا الدين الإسلامى ، ولكن هذا التاريخ لايعرف أن المسلمين قد اعتنقوا البوذية أو النصرانية »
الأستاذ و . بارتولد — جامعة بطرس برج

الذين يعنون بدراسة تاريخ أوربا الشرقية يعرفون أن الدين الإسلامى قد بدأ يتغلغل فى مملكة الخزر (وهى المنطقة الواقعة بين مصب نهر الفولجا والدون) من القرن الثامن الميلادى ؛ وفى بداية القرن الحادى عشر أصبح له أتباع كثيرون ، ولعله أصبح — وإن لم يكن صاحب النفوذ السياسى — الدين الذى يعتنقه أكبر عدد من الناس . ويعرفون أيضاً أن الإسلام فى مملكة الفولجا البلغارية (جمهورية التتار السوفيانية فى الوقت الحاضر) ، قد أخذ ينتشر فى نهاية القرن التاسع ، وفى النصف الأول من القرن العاشر ، حتى أصبح وطيد الأركان ، شامخ البنيان .

وعلى ضوء ما تقدم ، ويطيب لنا أن ندرس مصير الإسلام فى هذين البلدين أثناء القرنين السابقين للغزو المنغولى ، وذلك بين سنة ١٠١٦ م ، وهى السنة التى انهارت فيها مملكة الخزر بصورة نهائية ، وسنة ١٢٢٣ م ، وهى السنة التى ابتدأ بها الغزو المنغولى الأول .

(*) سبق أن قدمنا الأستاذ المؤرخ المسلم لقراء فى عدد الرسالة ٩٢٩ وهذا مقال رائع آخر نشره فى مجلة (اسلامك ريفيو عدد مايو ١٩٥١) نترجه لقراء الرسالة لبراعة العرض ودقة التحليل وعمق الفكرة ، التى يمتاز بها أسلوب هذا المؤرخ المسلم النابه فى كل ما يكتب فى موضوع اختصاصه من تاريخ المسلمين . المترجم

زالت مملكة الخزر من سجل الوجود عام ١٠١٦ ، حين هاجمتها القوات البيزنطية والروسية المتحالفة ، فهزمت تلك القوات مجتمعة ، آخر ملوك الخزر ، ووقع أسيراً فى أيديها . ومصير الإسلام فى أراضى مملكة الخزر السابقة ، بعد سقوطها والأمر على جانب عظيم من الخطورة ؛ ذلك لأن أراضى هاتين المملكتين قد أصبحت المركز الرئيسى للدين والسياسة لحياة عصر هؤلاء البرابرة الذهبى ؛ هذا القسم من الأمبراطورية المنغولية الذى أخضع لحكمه روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر ، والذى غدا فيه الإسلام — فى وقت قصير — الدين العام لهذه الأمبراطورية .

مصير الإسلام فى المملكة البلغارية على الفولجا

لا توجد صعوبة تتعلق بمصير المملكة البلغارية على نهر الفولجا أثناء الفترة التى نتحدث عنها ؛ إذ بقيت هذه المملكة حتى الغزو المنغولى ، والدين الإسلامى غير منتشر بين الطبقة الحاكمة من الأتراك والبلغاريين فحسب ، وإنما بين القبائل الفينية (Finuish) التى يتألف من أفرادها السواد الأعظم من السكان . وعلى الرغم من ذلك ، فإننا لا نعرف بالضبط المستوى الذى وصلت اليه الثقافة الإسلامية بين بلغارى الفولجا فى الفترة نفسها .

وغنى عن البيان أن نشير إلى أن تضعضع المملكة الكيفيانية (Kievant State) ، التى كانت تقع إلى الشمال الشرقى من روسيا الحديثة ، والتى كانت تعرف باسم سوزادلى (Suzadly) ، فى محاذاة المملكة البلغارية ، قد جعل الأخيرة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، المركز الرئيسى للحياة الروسية السياسية . وفى بداية أمسية الغزو المنغولى ، أخذت روسيا تمد سلطانها على حساب المملكة البلغارية ، حتى استولت عام ١٢٢١ م على مصب نهر أوكا (أحد الروافد الرئيسية لنهر الفولجا) ، وفى السنة نفسها بنيت مدينة نجنى نفجورد (Nijni Novgord) .

وتنحصر المشكلة ، تحت وطأة هذه الظروف ، فى تتبع مصير الإسلام فى أوربا الشرقية ، فى أمسية الغزو المنغولى ، فى مملكة الخزر .

فى أيدى أعدائها ، لم يدرس الدراسة التى يستحقها ، ولم يعن به أحد ، كما أعرف ، حتى اليوم .

ومرد ذلك إلى قلة المصادر ، ليست المكتوبة منها فحسب . وإنما الآثار الإسلامية نفسها ، فإنها مشوهة وقليلة جدا . ولكى نفهم هذا الأمر فهما دقيقاً ، علينا أن نذكر أن أراضى مملكة الخزر السابقة قد صارت مسرحا لحروب دامية ومدمرة ، كانت تمحو من الوجود مدنا بأسرها ، وتتركها أنقاضا ، تنشأ فوقها فى كثير من الأحيان ، مدن حديثة .

ومن المحقق أن هذه الأنقاض تؤلف مصدراً خصبا للآثار الإسلامية ، وأن عمليات التنقيب ، لأسباب لا يتسع المجال لذكرها ، لم تتجاوز فى أحسن أوقاتها ، المراحل الأولى ، وفى كثير من الأماكن المهمة لم تبدأ أبدا . ونذكر على سبيل المثال أن موقع عاصمة مملكة الخزر أتيل لما يكتشف

ولما كانت المدن التى بناها هؤلاء البرابرة فى عهدهم الذهبى ، قد قامت على أنقاض مدن مملكة الخزر التى هدموها ، لذلك كثيرا ما كانت نتيجة التنقيب ، لا تتجاوز الطبقات التى تتصل بعهد أولئك البرابرة الذهبى . أما الطبقات التى تحتها ، والتى تقص حكاية مصير الإسلام فى ثناياها ، فى الفترة التى نتحدث عنها (١٠١٦ — ١٢٢٣ م) فقلما تصل إليها أيدى المنقبين .

غير أن هذا النقص فى هذه المقدمات التى تعين على دراسة هذه المشكلة التاريخية ، ينبغى أن لا يبقى عقبة تبرر إهمال هذه الدراسة . وعلى النقيض من ذلك يجب أن تحفز هذه الحقيقة رغبتنا ، وتبعث فينا حب الكشف عن المجهول ، وتدفعنا الى التفتيش عن مصادر لم نفتش عنها قبل اليوم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنه ينبغى ، بادىء ذى بدء ، قبل الحصول على معلومات وافية عن طريق التنقيب ، أن نلخص ما هو معروف من حقائق التاريخ ، لنستطيع رؤية النتائج التى يمكن أن تنشأ عن مقدمات من هذا النوع . وهذا ماحفزنى إلى محاولة الكشف من هذه الحقائق الغامضة ، التى ليس فى استطاعتى قول الكلمة الفاصلة فى شأنها ، ولكن إذا قدر لى أن أوضح خطوط المشكلة الرئيسية ببعض التوضيح ، فقد يصيب محاولتى ما أرجوه لها من توفيق .

وسأستعين ، بكل ما يتصل بالمصير السياسى لسكان مملكة الخزر السابقة ، بنظرية المستشرق الروسى العظيم ف جريجوريف (V: Grigoriev) ، الذى يعتقد أن أولئك السكان قد اندمجوا بالقبشاك (Kipchaks) ، وهم قوم رحل من دم تركى ، تطلق عليهم المصادر الأوربية اسم كومانز (Cumans) ، والمصادر الروسية اسم بولوفرسيس (Polovrsuis) (١) . ولسوء الحظ ، لم يحاول البروفسور جريجوريف ، كما أعرف ، دعم آرائه بمصادر يمكن الرجوع اليها ، ولذلك لا معدى لنا من إيضاح بعض الغموض الذى يكتنف هذا الموضوع .

أما مصير الإسلام فى مملكة الخزر السابقة ، فسأحاول أن أوضح أن خضوع هذه المملكة للقبشاك ، قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من بداوتها ، عن هؤلاء الناس ، الدين الإسلامى الحنيف .

وتحت هذه الظروف ، سأحاول تقسيم هذا المقال إلى قسمين: (١) اندماج الخزر فى القبشاك . (٢) اعتناق العناصر التى تحضرت من القبشاك الإسلام فى مملكة الخزر السابقة

١ — اندماج الخزر فى القبشاك :

نظرا للدور المهم الذى مثله القبشاك فى القسم الشرقى من أوربا ، والقسم الغربى من آسيا ، نرى قبل المضى فى الحديث عن هذا القسم ، أن نشير إشارة عابرة إلى أهميتهم السياسية فى التاريخ .

إن القبشاك هم آخر الجماعات الرحل التى وصلت إلى أوربا من أواسط آسيا ، قبل المغول ، بأعداد كبيرة جدا . وحين نتحدث عن أهميتهم السياسية يكفى أن نعرف أن هجرتهم قد شملت مساحات هائلة ، امتدت من منابع الأرتشى (Irtush) فى سيبريا عبر سهوب الكازاخستان (Kazakhstan) إلى جنوب روسيا حتى مصب نهر الدانوب ، وعلى الرغم من أن القبشاك لم يتمكنوا من تكوين وحدة اجتماعية ، وعاشوا حتى الغزو المغولى، قبائل متفرقة ، بسبب عددهم الهائل ، والمساحة المتسعة التى شملتها

(١) تبحث الأوبرا المشهورة التى كتبها بوردون Borpdin وعنوانها (الأمير أجور) عن حملة هذا الأمير ضد هؤلاء الناس .

هجرتهم ، إلا أنهم لعبوا دورا عظيما فى تاريخ البلدان المجاورة ، وبصورة خاصة فى خوريزم ، وجورجيا ، وروسيا ، وهنغاريا ، وبزنطيا . ومن الضرورى أن نشير إلى أن مصر كانت تستمد مماليكها من منتصف القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر من هؤلاء القبشاك بصورة رئيسية ؛ ذلك لأن تجار الرقيق من الإيطاليين ، كانوا يجلبون من موانىء شبه جزيرة القرم ، الرقيق من القبشاك ، ويبيعونه بعد ذلك فى ميناء الإسكندرية . وكما هو معروف فى التاريخ ، أن السلطان بيبرس (توفى سنة ١٢٧٧م) أحد أعاظم المماليك كان من القبشاك ، وأخيرا أصبح القبشاك يؤلفون الكثرة المطلقة من سكان عصر المغول الذهبى .

أما المستوى الثقافى لأولئك القبشاك فقد كان يتباين كثيرا ؛ إذ كان يعتمد ، إلى حد بعيد ، على قدر اتصالهم بالبلدان المتمدينة من قريب أو من بعيد ومن المحقق أن أولئك الذين عاشوا مجاورين للخورزم ، وعددهم كبير جدا ، قد تأثروا بالإسلام تأثرا قويا عميقا . والسؤال الذى بقى يدور فى خواطرنا فى هذه المرحلة ، أن نبين المصير الذى آل إليه الخزر بعد سقوط دولتهم .

لقد اجتاح القبشاك أراضى مملكة الخزر السابقة ، فتلاشى بالتدريج اسمهم من التاريخ ، ولم يعد لهم إلا بعض الذكر فى المدن . وقلما نمر بدراستنا بفترة تتصل بأراضى مملكة الخزر السابقة ؛ ولا نجد ذكر القبشاك يملأها ، وإلى جانبهم ، بصورة محدودة ذكر الآلان Alains ، وهم شعب من أصل إيرانى كونوا أقلية كان لها خطرها فى مملكة الخزر السابقة . والذين لا يزال أحفادهم ، حتى اليوم ، يعيشون فى شمال القفقاس ويعرفون بالأساتسة (Ossetes) . ولهذا السبب نجد أن رشيد الدين ، مؤرخ امبراطورية المغول المشهور ، حين يتحدث عن وصول المغول فى الهجرة الأولى ، للامبراطورية الشرقية عام ١٢٢٣ م يصف كيف أتوا من إيران عن طريق القسم الشرقى من القفقاس ، واضطروا فى الشمال إلى كسر شوكة المقاومة القبشاكية والآلانية : ومن البديهى أنه لو بقى للخزر سلطان سياسى ، للعبوا دورا مهما فى مقاومة المغول ، ولكان لهم ذكر فى تاريخ رشيد الدين . ونجد الحقيقة نفسها ، فى استيلاء المغول بصورة نهائية على أراضى مملكة الخزر السابقة فى ابتداء السنة الثلاثين فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فلقد كان القبشاك الذين قاوموا المغول والشعوب الأخرى لا ذكر لها ، ومن بينهم الخزر

والمصادر الفارسية تتحدث من جهة أخرى عن استيلاء القبشاك على شبه جزيرة كرش Kerch فى أمسية الغزو المغولى ، والتى كانت تحت حكم الخزر

ومن غير المعقول أن أمة قوية كالفستاف ، يمكن أن تترك وراءها أمة محاربة كالخزر دون أن تخضعها أولا

وأحسب أننا فى غير حاجة إلى الدخول فى تفاصيل أخرى بعد ما تقدم لتؤكد أن القبشاك ، قلموا الخزر فى المنطقة حتى مصب الفولجا ، تلك المنطقة التى كانت المركز السياسى لدولة الخزر ، التى ذابت فيهم بالتدريج ، والتى ازدهر فيها الإسلام قبل وصول هؤلاء الغزاة الذين سارعوا لاعتناقه

وسنحاول الآن تبيان أن اندماج الخزر بالقبشاك قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من هؤلاء الغزاة ، مبادىء الدين الإسلامى الحنيف بالتدريج

٢ — إعتناق القبائل القبشاكيه التى استقرت فى مملكة الخزر الإسلام : —

يعتبر المستشرف الروسى العظيم ف . بارنولد الذى توفى عام ١٩٣٠ حجة فى سعة الاطلاع على مصادر التاريخ الإسلامى فى مملكة الخزر السابقة . والذى أعرفه أنه لم يحاول مطلقا ، دراسة مصير الإسلام فى هذه المملكة دراسة جدية ، وكثيرا ما يجد الإنسان بعض الأحيان تناقضا فيما كتبه عن هذا الموضوع ولكن ما ذكره بصورة عامة عن جبروت الاسلام ، وسحره ، وما اسهب فيه من الدعاية لذلك الدين بين العناصر التركية ، يسند إلى حد بعيد الرأى الذى بسطناه فى هذا الموضوع عن اعتناق هؤلاء القبشاك الدين الاسلامى ولا يتناقض معه أبدا وقد رأيت أن أقتبس بالحرف الواحد ما ذكره المستشرق العظيم بارنولد عن هذا الموضوع :

قال بارنولد : « إن المعجزة العظيمة للاسلام ، إذا ما قورن بالديانات الأخرى ، تتركز فى أن العالم الاسلامى كان فى تلك

الفترة ، في مستوى رفيع من الطاقة الثقافية ، والرخاء الاقتصادى بين الشعوب المتمدنة . وكان هؤلاء الرحل فى حاجة مستمرة إلى البضائع المصنوعة فى تلك الأقطار المتمدنة ، وبصورة خاصة إلى الاقمشة . وكان الاتجار مع هؤلاء الرحل ، فى الوقت نفسه ، عظيم النفع لتلك الشعوب المتحضرة . لكن هذه التجارة كانت ضرورية لهؤلاء الرحل الذين كانوا يطلبونها من الأقطار الغربية المتمدنة ، ولما أصبحت البضائع التى يشترونها من البلدان الإسلامية من ضروريات حياتهم تأثروا بالإسلام ، لا عن طريق الدين فحسب بل عن طريق الحضارة الرائعة التى كان يتسم بها ذلك الدين . ولم يكن أمامهم غير اعتناق الإسلام ليجعل صلاتهم الروحية والمادية متينة مع تلك البلدان والشعوب الإسلامية

« ولقد أظهر الإسلام صفة أخرى يمتاز بها عن سائر الديانات المعروفة ، أثناء الدعاية له بين الترك ؛ ذلك أنه على الرغم من قلة عدد اتباعه بالقياس إلى الديانة البوذية والمسيحية ، فأنه يمكن لنفسه فى قلوب البشر كدين عام للانسانية ، بأوسع ما تحويه هذه الكلمة من معنى ، لأنه لا يقصر نفسه على جماعة أو جنس من بنى الإنسان . إن النجاح الذى صادفته الديانات الأخرى كان فى بعض الأحيان أكثر مما وصل إليه الإسلام ؛ غير أن ذلك النجاح لم يعمر طويلا . فلقد عرف تاريخ الديانات فيما عرف الديانة المانيكية (١) Manicheism التى امتد ظلها فوق الأرض وكان لها أتباع ينتشرون من جنوب فرنسا إلى بلاد الصين ، غير أن هذا الانتشار لم يكفل لها الحياة فذهبت إلى غير رجعة ، ومحيت من سجل الوجود . والديانة البوذيه ابتدأت بنشاط عالمى ، وراحت تنتشر فى بلاد الغرب محمولة على أجنحة دعاية قوية ، ولكنها انكمشت على نفسها لتصبح ديانة البلدان الراقدة فى شرق آسيا . وقبل انتشار الإسلام كان للنصرانية أتباع بين الترك أنفسهم ؛ وفى الوقت الذى أوصدت الأبواب فى منغوليا أمام الدعاية الإسلامية ، اعتنق الديانة المسيحية عدد كبير من الناس الذين كانوا يعيشون فى الأجزاء الجنوبية والشرقية والغربية من هذه البلاد ؛ غير أن هذا النجاح

لم يكن غير سحابة صيف . وفى الوقت الحاضر يبدو أن النصرانية هى ديانة العالم الأوربى ؛ غير أن المسيحيين وراء حدود هذا العالم الأوربى ، من الناحية العددية والسمو العقلى ليست لهم قيمة فى الأمرين بالقياس إلى المسيحين فى أوربا . أما الإسلام فلقد أصبح عن طريق ما فيه من صدق ، دين الشعوب المتمدنة فى أوساط آسيا وشرقها ، ويزيد عدد اتباعه وخاصة فى الهند ، وفى الأرخبيل الأندنوسى عن عددهم فى غرب آسيا . ويؤلف المسلمون فى الصين عنصرا مستقلا بثقافته الدينية التى تقوم بالتعبير عنها لغتهم الأصلية دون الشعور بالحاجة إلى مساعدات خارجية ، على حين أن محاولة الديانة المسيحية التمكين لنفسها فى الصين قد باءت بفشل ذريع وخيبة مخجلة . وفى أفريقيا صادفت النصرانية نجاحا ضئيلا بالقياس إلى الدين الإسلامى وبين الأحباش ، الشعب الأفريقى الوحيد الذى استطاعت الكنيسة أن تجد لها مكانا فيه . امتدت الدعاية الإسلامية إلى المكان نفسه ، وصادفت نجاحا حتى فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر . وخلاصة القول أن التاريخ يعرف أن كثيرا من الشعوب البوذية أو المسيحية قد اعتنقت الإسلام ، ولكنه لا يعرف أية جماعة إسلامية اعتنقت البوذية أو المسيحية »

للكلام صلة

على محمد سرطاوى

١ ــ ديانة انتشرت فى القرن الثالث إلى الخامس الميلادى ، وانبعثت فى فارس ، وهى تضع إبليس مع الخالق فى درجة واحدة

من وحي التاريخ

عمر بن عبد العزيز

للاستاذ عبد الباسط محمد حسن

سأل الاسكندر حكيما (١) : من يصلح للملك ؟ فقال له .. إما ملك حكيم أو ملك ملتمس للحكمة .. والحكمة فى هذا المقام معناها الفلسفة .. وقد قرن هذا الحكيم السياسة بالفلسفة واعتبرها أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل العدل .. واشترط على الحاكم أن يكون فيلسوفا أو ملتمسا للفلسفة ليعم الأمن وينتشر السلام وتستقيم الأمور وتصلح الأحوال ، وكثيرا ما كتب الحكماء فى نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم وزعموها توفر على الناس فى هذه الدنيا اللذة والسعادة وتنفى عنهم الألم والشقاوة . فعل ذلك أفلاطون فى الجمهورية والفارابى فى أهل المدينة الفاضلة وتوماس مور فى أوطوبيا كما فعله كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله . . ومن كتاب هذا العصر الذين تناولوا هذه الناحية كاتب اسمه « موروا » وله كتاب اسمه فن الحياة . . من فصول هذا الكتاب فصل فى فن الحكم يتكلم فيه المؤلف على أخلاق الرؤساء الذين يسوسون أمور الناس . والرئيس الكبير فى نظره هو صاحب الخلق الكبير . . ومهما قال الحكماء أو تحدث الكتاب ، ومهما اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر . . فإن (٣) السياسة تعتمد اعتمادا كبيرا على الأخلاق . . لأن السياسة التى لا خلق لها إنما هى سياسة لا تلبث أن تتلاشى كما يتلاشى الدخان فى الفضاء وما نجحت سياسة بعض رجال العرب فى الماضى إلا لأن أصحابها كانوا على خلق عظيم .. من بين هؤلاء الخليفة العربى المسلم عمر بن عبد العزيز الذى ألقت إليه المقادير بزمام الحكم بعد موت سليمان بن عبد الملك دون أن يكون له طمع فى خلافة أو رغبة فى حكم .. وقد نهج فى حكمه نهج جده العظيم عمر الفاروق واحتذى مثاله وسار بالناس فى طريق الخير حتى كان عهده من أحسن عهود التاريخ وأعظمها مكانة وأوفرها خيرا وبركة . . وستظل سيرة عمر بن عبد العزيز قصيدة شعرية رائعة يقرأها الناس فى كل مكان وزمان ليتمتعوا بما فيها من روعة وجمال ، وعظمة وجلال ؛ فالأثر العميق (٤) الذى تركه عهد عمر فى تاريخ الإسلام برغم أن مدة حكمه لم تزد على العامين يدل على أن الخليفة كان ذا صفات عالية .. دقيق الحس فى إدراك الحقائق الواقعة

* * *

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة سنة ٦١ هـ . . وقيل سنة ٦٣ هـ ولا يغيب عن بال أحد أن المدينة كان لها أعظم الفضل فى تاريخ الإسلام والمسلمين . . فإليها هاجر النبي عليه الصلاة والسلام .. وبها كان أكثر (٥) التشريع الإسلامى ؛ وكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية فى صدر الإسلام ؛ وبها حدث النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه . وكانت مركز الخلافة فى أهم عصر من عصور الإسلام أيام أبى بكر وعمر وعثمان وبها كان كثير من أكابر الصحابة قد شاهدوا ما فعل النبى وسمعوا ما قال وكانوا شركاء فى بعض ما وقع من غزوات وفتوح ؛ فهم يحدثون بما سمعوا وشاهدوا . . وكانت مكة والمدينة من أهم مراكز الحياة العلمية فى ذلك العصر يقصدهما طلاب الحديث وطلاب التاريخ وقد فاقت المدينة مكة فى ذلك ؛ لأن أشهر من أسلم من أهل مكة هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وكان من يسلم بعد الهجرة من أهل مكة يهاجر كذلك خصوصا إذا كان من رجالات قريش وعقلائها .. وكان طلبة العلم يبعثون إلى المدينة ويرسلون إليها لينهلوا من علومها ويغترفوا من آدابها ويأخذوا عن علمائها. وقد نشأ عمر وشب وترعرع فى هذه البيئة العلمية الزاكية . . وتثقف على أساتذتها وروى الحديث وتلقى الفقه عن جماعة من الصحابة ـ فشغف بالعلم وعلمائه

(١) سلوك المالك فى تدبير الممالك . لصاحبه شهاب الدين بن أبى ربيع
(٢) صور من التاريخ الإسلامى للاستاذ عبد الحميد بك العبادى ص ١٥٥
(٣) العناصر النفسية فى سياسة العرب .. شفيق جبرى ص ١٤٣ ، ١٤٤
(٤) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى ص ٦٧٦
(٥) فجر الإسلام .. الجزء الأول للاستاذ أحمد أمين بك ص ٢١١

وبالحديث ومحدثيه ونشأت بينه وبينهم صلة طيبة وعلاقة قوية متينة حتى إنه كان يقول (لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا وما فيها) والمقصود بذلك هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المتوفى سنة ٩٩ هـ والذي يقول فيه أيضا (ما رويت عن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس). كما كانت المدينة تزخرف تلك الحقبة بالحياة الأدبية فأخذ عمر بحظه من الثقافة الأدبية. وقد قال عن نفسه (لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلاما من الغلمان ثم تاقت نفسي إلى العلم بالعربية والشعر فأصبت منه حاجتي).. وقد أثرت هذه البيئة العلمية في تكوين شخصية عمر.. فحذق العلوم حتى صار فيها إماما ضليعا.. ولذلك يقول فيه ميمون بن مهران المتوفى سنة ١١٧ هـ (ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلاميذ)..

وهناك عامل آخر أثر في تكوين شخصية عمر، غير عامل البيئة.. ذلك هو عامل الوراثة.. فأبوه عبد العزيز بن مروان كان واليا على مصر وأقام بها عشرين عاما منذ سنة ٦٥ هـ إلى أن مات سنة ٨٥ هـ وجده مروان بن الحكم الذي ولي الخلافة من سنة ٦٤ — ٦٥ هـ. وأما نسبه لأمه فأمه ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وقد ورث كثيرا من صفات عمر وأخلاقه كما كان يحاول التشبه بخاله.. يروى أنه وهو غلام صغير كان يأتي عبد الله بن عمر لمكان أمه منه ثم يرجع إلى أمه فيقول.. يا أمة أنا أحب أن أكون مثل خالي)!

يقول فيه جرير عندما كان واليا على المدينة

إليك رحلت يا عمر بن ليلى ... على ثقة أزورك واعتمادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ... ومروان الذي رفع العمادا
تزود مثل زاد أبيك فينا ... فنعم الزاد زاد أبيك زادا
وأنت ابن الخضارم من قريش ... هم نصروا النبوة والجهادا

وكان [٦] يقال له «أشج بني أمية» وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام فدخل على أمه فضمته إليها وعذلت أباه ولامته؛ إذ لم يجعل معه حاضنا؛ فقال لها عبد العزيز «اسكتي يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بني أمية» [٧]

(٦) تاريخ الكامل لابن الأثير ٥، ٦ ص ٢٧
(٧) المصدر نفسه ص ٢٥

وقيل كان ابن عمر يقول «يا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا»؟

ولي المدينة سنة ٨٧ هـ.. ثم إن الخليفة الوليد بن عبد الملك ضم إليه بعد ذلك مكة والطائف فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله.. وولي الخلافة سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠١ هـ —

على [٨] أن عمر في عنفوان شبابه لم ينس نصيبه من حياة الترف في حدود الاستمتاع الحلال المشروع حتى إذا حمل أعباء الخلافة نفض يده من الدنيا جملة.. تقول كتب التاريخ في هذا الصدد (ذكروا أن عمر كان أعظم أموي ترفها. فلا يمر في طريق ولا يجلس في مكان إلا عرف برائحته. وكان يمشي مشية تسمى العمرية كان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها. وقد ترك كل شيء كان فيه لما استخلف غير مشيته فإنه لم يستطع تركها.. قال [٩] مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر أعوده فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة «اغسلوا ثياب أمير المسلمين، فقالت نفعل؛ ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت ألم آمركم أن تغسلوا قميصه؟ فقالت: والله ما له غيره!

كل هذا يصور لنا بجلاء أنه لم ينس نصيبه من الدنيا في شرخ صباه فلما أن ولي الخلافة خرج عن جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع

وناحية أخرى تميز بها عمر عن باقي خلفاء بني أمية.. فما إن تولى خلافة [١٠] المسلمين حتى جد في تنفيذ برنامجه الإصلاحي.. ولقد كان له من زهده ومناصرة العلماء له وموافاة أهل بيته: زوجه فاطمة وابنه عبد الملك وأخيه سهل ومولاه مزاحم أقوى عون على ما أراد.. بدأ بمنصب الخلافة ممثلا فيه فجرده من كل مظاهر الأبهة ورده إلى بساطته القديمة.. ثم إنه أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها.. فجعل لا يدع شيئا مما كان في يد سليمان وفي يد أهل بيته من المظالم إلا

(٨) عمر بن عبد العزيز: أحمد زكي صفوت ص ١٣
(٩) ابن الأثير ص ٢٩
(١٠) صور من التاريخ الإسلامي. للأستاذ عبد الحميد بك العبادي ص ١٤٦

ردها مظلمة مظلمة . . وكان يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة ؛ وكان يكتفى باليسير فإذا عرف وجه مظلمة ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من ظلم الولاة قبله للناس . . فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل . يقول ابن(١١) الأثير : ولما رجع عمر من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتما فسأله : فقال . ليس أحد من أمة محمد فى شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أؤدى إليه حقه من غير طلب منه . . وقالت فاطمة امرأته : دخلت عليه وهو فى مصلاه ودموعه تجرى على لحيته فقلت أحدث شئ ؟ فقال : إنى تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى (١٢) والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذوى العيال الكثير والمال القليل وأشباههم فى أقطار الأرض فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله ، فخشيت أن لا تثبت حجتى عند الخصومة فرحمت نفسى فبكيت . . وقال عبد الملك (١٣) لأبيه عمر : يا أمير المؤمنين ما تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقا لم تحيه وباطلا لم تمته ؟ فقال يا بنى : إن أجدادك قد دعوا الناس عن الحق . . فانتهت الأمور إلى وقد أقبل شرها وأدبر خيرها . . ولكن أليس حسنا وجميلا أن لا تطلع الشمس على فى يوم إلا أحييت فيه حقا وأمت فيه باطلا حتى يأتينى الموت وأنا على ذلك ؟ لهذا كله (١٤) أغنى عمر الناس جميعا إلا نفسه وأهله ، فلم ير ولى قوم أعف عن مالهم منه ، ولم ير أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل بيته . ولقد أراح عمر الناس ولكنه أتعب نفسه ، فكان حركة دائبة يعمل ليل نهار حتى ذهبت نضرته واحترق جسمه . . توفى عمر بعد ذلك فى رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت حياة قصيرة حافلة بجلائل الأعمال وعظائم الأمور . . ولما مرض (١٥) قيل له لو تداويت ! قال لو كان دوائى فى مسح أذنى ما مسحتها . نعم المذهوب إليه ربى ! قال ميمون (١٦) بن مهران قال عمر بن عبد العزيز . . لما وضعت الوليد فى حفرته نظرت فإذا وجهه قد اسود ؛ فإذا مت ودفنت فاكشف عن وجهى . ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه . .

رحم الله عمر ! ورحم فيه صفاته النبيلة التى ستظل ساطعة على جبين الدهر . . محفوظة فى سجل الزمن . .

رحم الله عمر . . ورحم فيه ورعه وتقواه . . وعدله وهداه . . لقد عاش عمر . . ومات عمر . . ولكن اسمه سيظل حيا فى مماته كما كان حيا فى حياته

عبد الباسط محمد حسن

---

(١١) ابن الأثير ج ٦ ، ص ٢٩ (١٢) المصدر نفسه ص ٣١
(١٣) المصدر نفسه ص ٣١
(١٤) صور من التاريخ الإسلامى . . عبد الحميد بك العبادى ص ١٧٣
(١٥) ابن الأثير ص ٢٧
(١٦) المصدر نفسه ص ٢٨

تطور البديعيات في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفني داود الجرجاوى

بقية مانشر فى العدد الماضى

وفى القرن الحادى عشر نرى « البديعيات تحتضن التراث الأدبى » وذلك حين أخذت تسلك دورا خطيرا فى حياة الدراسة الأدبية عامة وحياة البلاغة بصفة خاصة . وهنا نرى أن المدائح النبوية التى حملت مشمل علوم البلاغة وأسهمت فى تطور فنون البديع وأخذت فى صورة أخرى تحتضن آثار المدرسة الأدبية حتى أصبحت هذه المدائح صناعة المتأدبين وطريقة السالكين لمذاهب الشعر . ومن هنا صارت تلك المدائح موضوعا للأدب ومحطا للأدباء وميدانا فسيحا لجولاتهم وطريقا ممهدا لمنافساتهم فى العصر التركى الذى ضاع فيه ثلثا التراث الأدبى . فكانت المدائح النبوية فى القرن الحادى عشر أشبه تماما بالقيم الذى حافظ على تراثنا الأدبى والحصن الذى وجد فيه الأدب العربى حمى لزماره وموئلا لآثاره . كما قامت بدورها الخطير فى المحافظة على الذوق الأدبى : حافظت عليه حين كادت اللغة العربية تترك ، وحافظت عليه من التصنيع والتصنع اللذين ظهرا فى كثير من أغراض الشعر والنثر ؛ حتى كادا يودبان بقيمهما الفنية ولا سيما فى عصر ركدت فيه سوق الأدب وضعفت فيه عناية القوم بالفن والقريض ... ولولا هذه المدائح النبوية لتفاقم الخطب فى التراث الأدبى أكثر مما كان ، ولما وصل إلينا من أدب ذلك العصر التركى إلا كل مرذول ممجوج

ولقد عاون على تنافس القوم فيها وتفننهم فى نظمها – إذ ذاك – زهدهم الشديد فى التقرب إلى الحكام والأمراء الذين كانوا لا يحسنون فهم الشعر ولا يجيدون قيمة المديح أو يكافئون عليه بشىء ، فانقلب الشعراء يمدحون النبى الأعظم وقصروا مدحهم عليه فعالجوا ضروب البديعيات وضاعفوا اهتمامهم بتحبيرها وتدبيجها . ومن ثم كانت هذه المحاولة مظهرا من مظاهر نضوج البديع فى ذلك العصر . فوضع شهاب الدين الحميدى المتوفى سنة ١٠٠٥هـ بديعية « تمليح البديع بمدح الشفيع » فى مائة وسبعة وعشرين بيتا كما وضع أبو الوفا العرضى المتوفى سنة ١٠٣٤هـ بديعية « الطراز البديع فى مدح الشفيع » فى مائة وثلاثة وثلاثين بيتا

* * *

ولما كان للبديعيات أثرها الخطير ومكانتها الأدبية الملحوظة فى المدرسة الأدبية كان من البديهى أن يتناولها القوم بالتعليق والشرح ، فظهرت فكرة « شروح البديعيات » فى القرن الثانى عشر ، كما ظهرت فكرة التشطير والتربيع والتخميس والتسبيع وغير ذلك من أنواع التشطير . فوضع صدر الدين الحسينى (١١٢٠هـ) بديعية « أنوار البديع فى أنواع البديع » فى مائة وثمانية وأربعين بيتا . وكان الناظم كلما وضع بيتا من أبيات بديعيته أتبعه بما قاله السلف قبله مبتدئا بصفى الدين . (١)

وعلى هذا المنوال نسج الشيخ عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٣٤هـ فى بديعيته المسماة « نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، فى مدح النبى المختار » وهى بديعية طويلة تقع فى مائة وخمسين بيتا . كما وضع أخرى تقع فى مائة وواحد وخمسين بيتا تسمى « مليح البديع فى مدح الشفيع » . (٢)

وتلاهما قاسم البكرجى (١١٤٨هـ) فى بديعية تقع فى مائة وثلاثة وخمسين بيتا تسمى « حلية العقد البديع فى مدح النبى الشفيع » (٣) ، وعلى بن محمد القلعى (١١٥٨هـ) فى بديعيته المسماة « مفتاح الفرج فى مدح عالى الدرج » . (٤)

* * *

وفى القرن الثالث عشر ظهرت « بوادر التحول » والانتقال فى حياة البديع ، وقد كان للنشاط السياسى فى مستهل ذلك القرن – وهو فجر النهضة – أثره القوى فى الحياة الفكرية ... (٥) فظهر جماعة من شعراء النهضة عالجوا البديعيات فى دواوينهم علاجات تجلت فيها روح إنسان يحاول أن يميز بين

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ س ١٤ (بتصرف)
(٢) بديعية الحسينى (انظر ٣٢٣ بلاغة)
(٣) انظر ٣٠٤ بلاغة ، ٢٠٤ بلاغة .
(٤) بديعية البكرجى ... ٢٢٣ بلاغة مخطوط .
(٥) بديعية القلعى ... ٧٢٨ بلاغة مخطوط .

يومه وأمسه ... ونجح بعض الشعراء الذين آمنوا بما كان يخالجهم من ضرورة إلى التجديد ، منهم محمود صفوت الساعاتى (١٢٩٨ هـ) إذ نظم بديعيته سنة ١٢٧٥ هـ فى مائة واثنين وأربعين بيتا معارضا بها بديعية ابن حجة الحموى ، وعنى بشرحها المرحوم عبد الله باشا فكرى ناظر المعارف العمومية فى ذلك الوقت . (٦)

وفى أوائل القرن الرابع عشر تبلبلت ألسنة المتسادين بين « التقليد والتحرر » : بين المذهب التقليدى الذى ورثوه ومذهب التحرر الذى نودى به فى عصر النهضة

فن البديعيين جماعة غلبت على أنفسهم الروح التقليدية فنظموا البديعيات على الطريقة التى نظم عليها من سبقوهم وذكروا كل ما وصل إليه توليد القدماء والتأخرين والمحدثين من فنون البديع . ومن هؤلاء محمد أمين العمرى المتوفى سنة ١٣١١هـ ومحمد بدر الدين الرافعى المتوفى سنة ١٣١٢هـ . وقد انتهى تطور البديعيات عند هذا الأخير فبلغ مجموع ما أورده من فنون البديع مائتين وستة ذكرها فى مثلها من الأبيات

ومنهم من تخلص من ربقة التقليد ومضى فى ركاب المتحررين ، فظهرت آثار التجديد فيما نظمه من بديعيات ، ومن هؤلاء حسن حسنى الطويرانى التركى (١٣١٥ هـ) وطه الجزائرى (٣١٤١ هـ) وأمير الشعراء أحمد شوقى بك المصرى (١٣٥١هـ)

وقد كان طريق هؤلاء الشعراء وعرا محاطا بالصعاب ؛ ذلك لأن التحرر من التقليد الموروث لم يكن بالشىء اليسير فى الحياة الأدبية ، فيصعب على النفس زواله سريعا . لذلك كان علاجه أمرا صعبا ، وكان شأن المتحررين شأن من يسلك طريقا لا يعرف كنهه أو يحيط بمعالمه ؛ فهو يهتدى تارة ويضل أخرى . ولعلك حين تقرأ قصيدة « نهج البردة » لشوقى بك — وهو آخر هؤلاء المتحررين — تلمس عن كثب مبلغ ما وصل إليه شعراء النهضة من تبلبل بين « المذهب التقليدى القديم » و « المذهب التحررى الحديث » . ولعلك وقد أوتيت حظا من نفاذ الفكر وبسطة من الذوق تلمس — وأنت تقرأ قصيدة نهج البردة — معالم ما وصلت إليه البديعيات من تطور ، تلمس كل ذلك فى ثنايا هذه القصيدة :

« ١ » فهو حين يلتزم بحر البسيط وقافية الميم — وهما قدر مشترك فى سائر البديعيات — ترى فيه شخصية المقلد الذى لم يستطع أن يتخلص من ربقة التقليد

« ٢ » وهو حين يرسل الفنون البديعية بغير قصد ملموس أو تكلف ممقوت يستند عليه فى إيرادها ويزمع فيه إلى سردها — تلمس فيه شخصية المتحرر الصادق فى تحرره

هكذا كان ناظمو البديعيات فى القرن الرابع عشر ، ما كانوا يسيرون على قدمين من التقليد والتحرر . وقد يبدو لك فى ذلك بعض التناقض . وليس ذلك من التناقض فى شىء . وإنما هو مرحلة التطور والانتقال من القديم إلى الحديث . كان لا بد للبديعيات من أن تمر بها فى عصرنا هذا ، حين تم فيه امتزاج العنصر القديم بالعنصر الحديث . فلم يستطع الناظمون بعد أن يتخلصوا من القديم كله ، كما لم يستطيعوا أن ينهضوا بكل ما ينبغى عليهم من تحرر . لذلك بقيت معالم التقليد فى بحر البسيط وقافية الميم كما هى — وهى الحدود التى لم يستطع أحد من الشعراء أن يخرج منها — وظهرت معالم التحرر فى طريقة العرض والاختيار وعدم التقيد بسرد فنون معينة من البديع

وقد أدرك المويلحى شيئا من هذا الذى ذكرناه حيث قال : « ولقد وفق بحمد الله شاعرنا أحمد شوقى إلى سلوك هذا السبيل فى شعره فلم يقتصر على قرض القريض فيما تجرى عليه الأحوال فى عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتحى مناحيهم فى فنون الشعر واقتدى بهم هذه فى هذه القصيدة بما يسمونه بالبديعيات فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

وبعد فهذه مراحل تطور البديعيات النبوية التى تحدثت عن نشأتها فى العام الماضى أوضحت لك فيها ما أفدناه من تطور فنون البديع حتى أصبحت مائتين وستة من الفنون . ولكننا لم نجد بعد أمير الشعراء شاعرا آخر يعود بنا إلى هذا التقليد الكريم فى شعره . وإنا لمنتظرون ما يعز بعد ذلك من تطور *

حامد حفنى داود الجرجاوى

---

(٦) تاريخ البديع لصاحب هذا المقال ص ١٤٨ ، ١٤٩ مخطوط

(٧) ديوان الساعاتى ... ومقدمته للمنفلوطى ص : ٤ ، ٩٦

(١) نهج البردة ومقدمة المويلحى ص : دس : ٨

* أرجىء حديثى عن « بلاغة البديعيات » إلى العام القادم .

١١ – الثورة المصرية ١٩١٩

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

من ١٥ — ٢٩ ديسمبر ١٩٥١ :

لا تزال معركة التحرير على أشدها وما تزال الحرب سجالا بين المصريين والانجليز ، وقد أقضت أعمال الفدائيين الباسلة مضاجع الانجليز ، وأصبحت قواتهم خائفة تترقب الموت فى كل حين وفى كل لحظة

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥١ اجتمع محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر بمستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى باريس لحل المسألة المصرية ولكن الاجتماع لم يسفر عن أى نجاح . وقد طلب إيدن إلى صلاح الدين باشا أن تتخذ الحكومة المصرية فورا إجراءات لوقف حوادث القتال وتهيئة الجو للدخول فى مفاوضات، فأجابه وزير الخارجية المصرية قائلا إن جلاء القوات الإنجليزية هو الاجراء الوحيد الذى يكفل الهدوء والسلام فى منطقة القنال والطريقة الوحيدة لتحسين العلاقات بين البلدين

وسأل إيدن صلاح الدين باشا : هل لدى الحكومة المصرية مقترحات جديدة ، فقال له الوزير المصرى « إن مطالب مصر تتركز فى الجلاء الشامل الناجز ووحدة وادى النيل تحت التاج المصرى . » وأعلن أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء . »

ولم يوافق إيدن صلاح الدين وهكذا فشل الاجتماع وعاد إيدن أدراجه إلى لندن

وقد واصل الانجليز عدوانهم فى منطقة القنال ، وقد واصلت قوات الفدائيين نضالها ضدهم فنسفوا قطارا حربيا بريطانيا قرب السويس وآخر عند أبى سلطان وقد دمروا الخط الحديدى من ميناء الأدبية إلى المعسكرات أكثر من مرة وكذلك نسفوا أنابيب المياه فى كفر عبده وهى التى خرب الانجليز هذا الحى من أجلها

أسوأ عيد ميلاد :

أقبل عيد الميلاد عيد السلام كما هو مفروض ، ولكنه أقبل فى هذا العام على الجنود الانجليز فى منطقة القنال وهم يقتلون ويقتلون . وقد أفزع نشاط الفدائيين المصريين الانجليز مما اضطر قائدهم أرسكين إلى أن يذيع على القوات البريطانية نداء بمناسبة عيد الميلاد استحثهم فيه ألا يشغلهم العيد عن مباشرة أعمالهم والقيام بما يضطلعون به من أعباء والمحافظة على سمعة بريطانيا (؟؟) والحذر من أعمال الفدائيين

وجاء فى النداء أن بريطانيا تجتاز الآن أزمة عصيبة غير أنها ترجو أن تمر بسلام وأن تصل إلى حل سليم لتسوية الخلافات بين الحكومتين المصرية والبريطانية

وجاء عيد الميلاد فكان أسود عيد فى حياة الجند الانجليز فى منطقة القنال ، فقد اشتد نشاط الفدائيين فى جميع أنحاء تلك المنطقة ونسفوا محطة الكهرباء فى الفردان وأنابيب المياه فى البلاح وقطعوا خطوط التليفون فى أكثر من موضع وهاجموا الانجليز فى أكثر من مكان . وهكذا كان عيد السلام فى هذا العام أسوأ عيد على المغتصبين البريطانيين

كلمة اللسان :

فى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ استقبل معالى عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية سعادة عبد السلام الشاذلى باشا وجرت بينهما مناقشة حول استيلاء الحكومة على نادى الجزيرة ودافع الوزير عن وجهة نظر الحكومة

قال عبد السلام باشا للوزير : كان يجب عليك أن ترجع لوزراء الشئون السابقين لتستشيرهم قبل أن تقدم مثل هذا الاقتراح فإننا نعرف هذا النادى (الانجليزى) ويظهر أنك لا تعرفه ولعلك لم تزره

فقال عبد الفتاح باشا : لقد استشرت ضميرى وراعيت فى الاقتراح ما يقتضيه صالح بلادى دون أى اعتبار

واحتدت المناقشة وقال الشاذلى باشا : إن قرار مجلس الوزراء بتخصيص أراضى نادى الجزيرة للمنفعة العامة هو جريمة

وهكذا سقط الرجل : ورد عبد الفتاح باشا على الشاذلى باشا قائلا : « أنا لا أسمح لك بهذا الكلام فإن إلغاء نادى انجليزى ليس الجريمة وإنما الجريمة ما ترتكبه أنت الآن من دفاع عن هذا النادى الانجليزى »

دولة جديدة :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال ليبيا واعتلاء الملك إدريس السنوسى عرش الدولة الاتحادية الجديدة التى تتألف من برقة وطرابلس وفزان

ونحن نهنئ الدولة الجديدة باستقلالها ونهنئ العالم الإسلامى بها ، ونرجو أن تتمكن فى القريب العاجل من تحطيم قيود استقلالها والانضمام إلى الكتلة الإسلامية الحرة لأن هذه الكتلة هى التى ستبعث الأمن والسلام إلى هذا العالم المضطرب

٢٦ ديسمبر :

قام الفدائيون بأعنف هجوم على المعسكرات البريطانية ، فدمروا شبكة الخطوط البريطانية بلغم زنته ٧٢ كيلو جراما ونسفوا أنابيب محطة المياه والطريق الحربى الممتد من ميناء الأدبية إلى المعسكرات . وقد انتابت أرسكين موجات من الفزع والهلع فهدد بحشد جميع القوات التى تحت إمرته لسحق كتائب الفدائيين فى القنال

وقد شاهدت القاهرة والاسكندرية مظاهرات قام بها الطلبة واستخدم البوليس فى قمعها الرش والقنابل المسيلة للدموع وأغلقت الجامعات الثلاث والمدارس الثانوية

وقبل أن أختتم كلمتى هذه عن معركة التحرير الحالية أحب أن أقول لمواطنى : احذروا الفرقة والانقسام فإن عدونا يتربص بنا ، وما دامت كلمتنا متحدة متفقة فسيضطر العدو إلى الاستجابة لمطالبنا . أما إن تفرقنا فستذهب ريحنا ونضيع جهودنا . والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير بلادنا

أبريل ١٩١٩

فى ٧ أبريل أعلن المندوب السامى الإفراج عن سعد وصحبه فامتلأت قلوب المصريين فرحا وعمتهم الغبطة وقامت المظاهرات فى القاهرة والأقاليم تعلن ابتهاج مصر وفرحها . واشترك فى هذه المظاهرات ألوف من المصريين من جميع الطبقات ، وكانت دار سعد وجهة الجميع

وقد شارك النشالون الأمة فى شعورها فأعلنوا تأمينا للناس على جيوبهم امتناعهم عن العمل ثلاثة أيام سويا !!

وقد قامت فى ٨ إبريل مظاهرة كبرى اشترك فيها العلماء والقسس والطلبة والضباط المصريون وأعضاء الجمعية التشريعية ومشايخ العربان والتجار والأعيان والقضاة والأطباء والموظفون والعمال ، وكان يعقب مواكب هذه الطوائف مركبات تحمل سيدات من أرقى العائلات

ولكن الانجليز لم يتركوا الأمة فى فرحها بل تحرش الجند بالمتظاهرين وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط منهم أربعة شهداء

وقد اعترف المندوب السامى بخروج الانجليز عن حدهم وأعلن أسفه لما حدث منهم

وفى ٩ إبريل أقيم احتفالا عظيم بتشييع جنازات الشهداء اشترك فيه ألوف من جميع الطبقات وكان هتافهم « لتحيى ضحايا الحرية »

واستمر عدوان الانجليز قائما وكان لهم فى كل يوم ضحايا وشهداء

وزارة رشدى باشا

ظلت مصر بلا وزارة منذ ديسمبر ١٩١٨ وفى ٩ إبريل ١٩١٩ شكلت وزارة رشدى باشا الثانية واشترك فيها عدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا ويوسف وهبه باشا

وقد طلب ضباط البوليس والجيش المصرى أن يعهد إليهم بالمحافظة على الأمن والنظام ولكن لم يلب الطلب

تأليف الوفد الرسمى

فى ١٠ إبريل اعتز الوفد ماليا إذ تبرع له بدراوى عاشور باشا بمبلغ عشرة آلاف جنيه والأمير يوسف كمال بألفين وانهالت

عليه التبرعات من جميع الطبقات والطوائف وجمعت له الأموال الطائلة

وفى ١١ إبريل تألف الوفد الرسمى من : سعد زغلول . على شعراوى . اسماعيل صدقى . حمد الباسل . محمد محمود . عبد العزيز فهمى . أحمد لطفى السيد . مصطفى النحاس حافظ عفيفى . حسين واصف . محمود أبو النصر . محمد عبد الخالق مدكور

وفى ١١ إبريل سافر باقى أعضاء الوفد وهم الذين كانوا بمصر إلى باريس لينضموا إلى سعد وزملائه الذين كانوا فى المنفى ، ومرة أخرى خرجت مصر بأسرها لتودع أبناءها المسافرين للدفاع عن قضيتها ، نعم خرجت مصر لتعبر عن شعورها وعن آمالها فكان أروع توديع

وفى ١٢ إبريل ألفت اللجنة المركزية للوفد بمصر ، وكان لهذه اللجنة شأنها وخطرها فقد تولت قيادة الثورة بمصر وكانت تمد أعضاء الوفد بباريس بما يحتاجون إليه من معلومات

استمر الانجليز فى طغيانهم ومن أمثلة ذلك ما حدث فى صفط الملوك بمديرية البحيرة فى مساء ١٢ إبريل . وكانت دورية بريطانية تمر بالقرية فزعمت أنها سمعت طلقا ناريا أطلق عليها . وكان رد الانجليز محاصرة القرية وإخراج جميع رجالها ثم اقتادوهم تحت جنح الظلام إلى المحطة . وهناك جردوا من ملابسهم إلا ما يستر العورة وأخذوا واحدا بعد الآخر إلى كشك المحطة . كان الواحد يؤمر بإدخال رأسه فى شباك صرف التذاكر ، ويقبض بعض الجند على رأس الرجل من الداخل بينما يلهب آخرون ظهر الرجل بالكرباج من الخارج

وفى قنا ألقى قائد الجيش أمرا يقضى بإلزام جميع المصريين بتحية كل ضابط بريطانى يمر بالشوارع وقوفا والتسليم عليه سلاما عسكريا ، ولكن رفض القضاة وأعضاء النيابة الأمر وأبلغوا وزير العدل أنهم سيلزمون منازلهم حتى لا يؤدوا مثل هذه التحية إلى الضباط الانجليز . وقد كان موقفهم مدعاة لإلغاء هذا الأمر

وفى ١٠ إبريل شكل الموظفون لجنة للنظر فى الموقف وقررت الاضراب حتى تجاب المطالب الآتية :

١ : أن تصرح الوزارة بصفة الوفد الرسمية

٢ : أن تشكيل الوزارة لا يفيد الاعتراف بالحماية

٣ : إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود الانجليز من الشارع ، وقد قبلت الحكومة أكثر الطلبات ولكن المندوب السامى لم يوافق

ولما لم تجب المطالب أضرب الموظفون ، وقد حاول رشدى باشا تسكين ثائرة الأمة فأصدر منشورا يدعوها إلى الهدوء والسكينة ويطلب إلى الموظفين العودة إلى أعمالهم حتى تسير دفة الحكم

ولكن المنشور لم يشر بتاتا إلى مطالب الأمة ولذلك لم ينفذه الموظفون وواصلوا إضرابهم . وقد هددهم رشدى باشا فى منشور آخر بتاريخ ١٥ إبريل ولكنهم لم يأبهوا لتهديده

وقد أدعت الصحف الأجنبية أن هذه الحركة تقوم بها قلة من المصريين هم طائفة الموظفين وكان الرد على ذلك اجتماع أكثر من ٨٠ ألفا من جميع طبقات الأمة فى الأزهر برياسة الشيخ الأكبر محمد بخيت وفيه تقررت مشاركة جميع الطوائف للموظفين فى الامتناع عن العمل حتى تجاب المطالب

وقد أضربت جميع الطوائف فى اليوم التالى فأصبحت المدينة وكأن ليس بها أحد . وقد اشترك الكناسون فى الإضراب فامتلأت القاهرة بالقاذورات

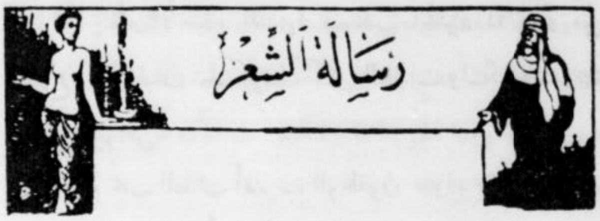
وقد قرر الطلبة تأليف بوليس وطنى ولكن الحكومة قررت منعه ، وكانت لجنة الوفد المركزية تواصل أعمالها بهمة ونشاط وتجمع التبرعات التى أقبل الناس عليها إقبالا عظيما ولكن هذا العمل لم يرق فى عين الانجليز فأصدر المندوب السامى أمرا حظر فيه جمع هذه التبرعات

وفى ٢٠ ابريل جاء عيد الفصح فتجلت الوحدة المصرية قوية رائعة فقد توجه المسلمون إلى دور أخوانهم الاقباط مهنئين بالعيد ورد الأقباط الزيارة لإخوانهم فى المساجد

ولم تستطع وزارة رشدى تسيير دفة الأمور فى مصر وظلت الأحوال مضطربة والأمة ثائرة . واضطر رشدى باشا إزاء ذلك إلى الاستقالة فى ٢١ ابريل

وكان عمر وزارته تلك إثنى عشر يوما

أبو الفتوح عطيفة



من وحى النار والدخان

للأستاذ على الصياد

أشعلوها جهنما تسحق الما دى وتصليه فى لظاها النارا
أشعلوها وحطموا صنم الظلم وعيشوا فى أرضكم أحرارا
واغسلوا بالدماء أرض الفراعين من العار وامتطوا الأخطارا
إنما أنتمو زبانية الحق فمن رامكم يلاقى الدمارا
يا ذئاب التاميز إنا أباة قد سحجونا نبيد الاستعمارا
ومشينا على جناح المنايا وبليل الخطوب صرنا نهارا
مصر حواؤنا الرءوم فمن يرضى لحوائه الأذى والعارا
نحن فى حومة الكفاح سعير يتحدى المستعمر الغدارا
كل قلب دماؤه ثورة ألهمها الله بطشه القهارا
حسبنا أننا إذا ما طغى الأعداء كنا أمامهم أقدارا
يا خفافيش الغرب مهلا ففجر النيل أضحى يفجر الأنوارا
إنه فجرنا الطليق أبى قيد الليالى فشع يطوى الإسارا
ومضى فى الوجود يجتاح آفاق الدياجى مظفرا جبارا
أينما طرتمو رأيتم له بين الورى برقا يخطف الأبصارا

* * *

أيها المستبد فى أوطانى مصر مهما طغيت للسودان
وحد الله بيننا وسقانا سلسل الود والهوى والحنان
وعلى قمة الزمان بنى أوج علانا موطد الأركان
وإذا شيد الإله بناء عجزت دونه قوى الإنسان
أيها المستبد نحن لدات لم تحل بيننا يد الحدثان
سائل المشرقين عنا فإنا أمة لن تلين للطغيان
جدفت بالأرواح فى لجج الموت وصارت مجنونة الإيمان
تتخطى اللجات باطشة بطش المقادير بين عصف الهوان
همها فى مجازر الدم أن تفتات بالخلد فى حمى الرحمن
هذه ثورة القنال أذاقتك المآسى كثيبة الألوان
قد مشينا فيها على النار نختال وكنا كالماء فى النيران
وعلى صفحة الزمان رسمنا باللهيب الفخار رغم الزمان
كيف ننسى الطفل النبيل الذى جن فأسقاك علقم الخسران
حين شق الدجى وبين يديه فجر آماله العذاب الحسان
إن يكن مات فهو بين سموات العلا خالد خلود المعانى

* * *

إنما مصر جنة العلياء قد سقاها الأسلاف أغلى الدماء
فنما المجد فى رباها وريفا تنتهى مداه شهب السماء
وعلى أرضها الندية أدواح المعالى فواحة الأشذاء
نحن رعيانها المعاليق لن نرتشف النوم فى جناز الضياء
سنبيع الأرواح بالذود عنها ونرويها من دم الشهداء
أنت يا مصر فى دجى الخطب محراب نصلى فيه صلاة الفداء
نشترى بالفناء فى ساحة الحرب خلود الخلود فى كبرياء
النهايات فى الفخار بدايات لنا فى معارك الهيجاء
والبطولات كلها فى دمانا عزمات مسعرات المضاء
كيف نخشى العدا ونحن قوى الحق وما الحق غير سيف القضاء
قوة الحق قوة الله فى الأرض فبشر أعداءنا بالفناء
شعراء الكفاح يا أمل النيل ويا مشرق المنى والرجاء
اطلقوا فى الوغى شياطينكم تلهب بالشعر أنفس البسلاء
إن ما فى بلادكم من جحيم الجور يذكى مشاعر الشعراء
رب جيش يقوده شاعر يبنى صروح العلا على الأشلاء

على الصياد

من ليبيا إلى مصر

لشاعر ليبيا الأستاذ أحمد رفيق المهدوى

يا مصر هذا أوان الجد فاتحدى … وجاهدى فى سبيل الحق واجتهدى

يا مصر ما ظهر الإسلام منتصرا … إلا بما كان فى بدر وفى أحد

الحق ينصره صبر وتضحية … لا خوف من قلة الأعداد والعدد

والله لو صدقت فى الذود عزمتكم … لما افتقرتم إلى عون ولا مدد

إن صح عزمكم فالكون يقهره … فرد، ولم يعتمد يوما على أحد

أما لكم أسوة فى نهج قائدكم … (محمـــد) حينما جاوره بالفند

إذ قال للقوم لا والله لو هلكت … فى مطلب الحق روحى عنه لم أحد

وليس عنكم بخاف إن ذكرت لكم … (غندى) وتصميمه تصميم معتقد

وعندكم بين أيديكم (مصدق) إذ … امضى إرادته فى جرأة الأسد

ولست أحتاج للأمثال أضربها … فإنكم فوق من يدعى إلى رشد

أنتم بنو العرب الأمجاد ينصركم … بنو الفراعين فاشتدوا يدا بيد

أنتم بنو مصر والسودان ضمكما … جسم وأنتم له كالقلب والكبد

ذودوا عن النيل والتجر (القناة) دما … كالسيل يدفع بالغثاء والزبد

(لكم عزائم رأى لو رميت بها … عند الهياج نجوم الليل لم تقد)

يا أهل مصر وأنتم أهلنا ولنا … عن القرابة ما للأم والولد

نحن الفداء لكم، والله يشهد ما … بتنا بما نابكم إلا على كمد

وحبنا مصر كالإيمان موضعه … من القلوب مكان النبض والورد

قلب العروبة يشكو ما ألم به … فكيف لا يتأذى سائر الجسد

عار على دول فى الشرق يجمعها … دين، وتشقى برأى غير متحد

أما كفى ما لقينا من تخاذلنا … أمام شرذمة من سفلة فسد

ألم تمطنا فلسطين التى ذهبت … ضحية الخلف والتسويف واللدد

ألم نزل من خداع (الحيزبون) على … جهل نؤمل فى إنصافها لغد

عدوة الشرق والإسلام ما فتئت … تفت بالدس والتفريق فى العضد

كم من مفاوضة أفضت إلى فشل … وكم معاهدة خابت ولم تفد

ما خلفهم غير خلف للوعود ولا … ميثاقهم غير نفث الغش فى العقد

لا تؤمنوا بدفاع قيل مشترك … فإنه شرك (من ينخدع يصد)

يا أمة الشرق إن الغرب ليس له … هم سوى وضعنا بالقهر فى رمد

وما لنا عندهم فى (الكتلتين) سوى … شر على أبد الأيام مطرد

شر (الشيوعية) الحمراء إن حكمت … كشر حكم (الدمقراطية) النكد

مذاهب محدثات كلها بدع … فيها من الضعف أهداف لمنتقد

كل المذاهب (والإسلام يكسفها) … لم تخل نظرتها للحق من رمد

فما لنا من صديق غير أنفسنا … ولا اعتماد لنا منهم على أحد

ولا معاهدة إلا إذا كتبت … بنودها بمداد الصارم الفرد

فأرثوها على الباغى مسعرة … بكل أروع فى ساح الوغى نجد

كنانة الله من أشبالها نثلت … سهما أصاب عدو الله فى الكبد

تقوضت دولة المستعمرين وقد … (أخنى عليها الذى أخنى على لبد)

قد صورت أسدا رمزا لسطوتها … فعاد رمزا على جدى من النقد

فلا يهولنكم من شحمه ورم … (فإنه الهر يحكى صولة الأسد)

الشك فى النصر كفر سوف يتبعه … يأس هو الموت من جبن إلى الأبد

لا شك فى النصر إن صح التآزر من … شعب على الحق بعد الله معتمد

بنغازى — ليبيا

أحمد رفيق المهدوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول اللغة الأجنبية الأولى:

أجبت الأستاذ التهامى أحمد السكرى الذى سألنى فى العدد لأسبق من « الرسالة » عن قرار معالى الدكتور طه حسين باشا الخاص بتعليم اللغات الأجنبية فى المدارس المصرية والذى ينص على أن تختار اللغة الأولى من اثنتين : الفرنسية والانجليزية : هل يكفل للشعب الحرية المطلقة فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى التى يريد أن يتعلمها ؟ — أجبت عن ذلك بأننا نجنى من هذا القرار زحزحة اللغة الإنجليزية عن مكانها الذى اتخذته لدينا بقوة أهلها الاستعمارية، وهذا كسب كبير لأنه تحرر من أثر استعمارى من هذه الآثار التى يكافح الشعب فى هذه الآونة للتخلص منها

ولم يخف على أن السؤال يلف فى طياته أمرا آخر أو سؤالا آخر وجه إلى فعلا من آخرين ، وهو لماذا قصر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على الفرنسية والانجليزية ولم يشمل اللغتين الأخريين اللتين تقرر تعليمهما وهما الألمانية والإيطالية ؟

ويراعى إلى جانب ذلك أن رأى معالى الدكتور طه حسين باشا فى تعليم اللغات الأجنبية يتلخص فى عدم التقيد بلغة أو لغتين ووجوب التنويع فى ذلك بين المثقفين لتستمد ثقافتنا العربية الحديثة من المنابع المختلفة ، وقد بسط ذلك فى كتابه « مستقبل الثقافة »

إذن لماذا قصر معاليه أمر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على لغتين فقط ؟

الجواب عن ذلك أن وزارة المعارف ليس لديها الآن مدرسون مصريون تستطيع أن تواجه بهم الحاجة إلى تدريس الألمانية أو الإيطالية أو غيرهما من اللغات الجديدة على التعليم المصرى إذا ما اتخذت لغة أصلية ، فلا بد من التدرج ومراعاة الإمكان حتى نبلغ الأمر الذى تتوافر وسائله

وقد أعد معالى الوزير للأمر عدته فبعث مشروع « مدرسة الألسن » الذى يهدف إلى إعداد مدرسين مصريين لتدريس اللغات الأجنبية ، وقد افتتحت المدرسة فعلا هذا العام وبدأت تستقبل الطلبة الذين تقدموا إليها من قسم اللغة الإنجليزية وقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب . وعند ما يوجد طلبة يعرفون لغات أخرى تفتح لهم المدرسة أبواب التعليم فيها ، حتى تستكمل ما يهيؤها لتأدية رسالتها على الوجه الأكمل

فالوزير يبدأ بإنشاء مجالات جديدة ، ويعمل على سد نقص ناشئ من التقصير فى الماضى . ولا شك أن الغايات تحتاج إلى وسائل لا بد من توافرها . ولو أخذ برأيه من وقت أن نادى به لأصبح لدينا الآن متعلمون يعرفون مختلف اللغات الحية ولأمكن الآن مواجهة التوسع المطلوب وإتاحة الحرية الكاملة المنشودة

رسالة الشعر فى الكفاح الشعبى

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الأستاذ عزيز أباظة باشا يوم السبت الماضى بجمعية الشبان المسلمين بدأها بمقدمة عن كفاح الشعوب قائلا إن هذا الكفاح يهدف إلى أمرين ، الأول الحضارة وهى الرقى الفكرى والعلمى والاجتماعى ، والثانى الحرية ومقاومة المعتدين عليها من أبناء الشعب نفسه أو من المقتحمين المحتلين . ثم قال إن أهم وسائل الكفاح ما يبعث الشعور ويتصل بالعاطفة ، وهو الفنون عامة والشعر خاصة . وقال إن شعر الحماسة هو أقوى أبواب الشعر ، ولذلك غلبه أبو تمام على سائر الأبواب إذ سمى كتابه « الحماسة » وساق عدة أمثلة من الشعر العربى مبينا أثرها فى بعث الهمم وإثارة المشاعر

ثم انتقل الأستاذ بعد ذلك إلى التفات بارع إذ قال إن الشعر أخلد حينا إلى الارستقراطية واعتزل الشعوب والجماعات، ولكن لم يكن كذلك الشعر وحده ، بل كان الناس أيضا متخلفين عن أهدافهم ضالين فى حياتهم ، فكما ساروا فى ركاب الملوك والأمراء سار الشعر مثلهم وتخلف تخلفهم . ثم أحس الشعراء بحاجتهم إلى التعبير الصادق فاستحدثوا الابتداعية « الرومانسية »

ولكن هذه كان عيبها أنها تعبر عن الفرد ولا تهتم بالجماعة . ثم اهتدى الشعراء الى الابتداعية الحديثة وهى مشاركة الشعر للناس فى حياتهم والتعبير عن آلامهم وآمالهم ، ووصف الأستاذ المحاضر هذه الابتداعية الحديثة بأنها هى الفن الصحيح

ومما قاله عزيز باشا فى هذه المحاضرة القيمة أن الشعر اكتملت أداته الوطنية فى العصر الحديث ، فكان الشعراء هم الداعين إلى كل إصلاح والسابقين إلى كل دعوة ، فقد مهدوا لثورات الشعوب فى فرنسا وروسيا وبولندا ، ولم يقصر شعراء العرب فى هذا المضمار ، فكان فى العراق الزهاوى والرصافى ولم يزل فيه الجواهرى والشبيبى . وجال شعراء الشام فى ميادين أوسع لغربتهم فى المهجر فاكتسب شعرهم ألوانا جديدة وسرى فيه روح قوى . وكان فى المغرب أبو القاسم الشابى شاعر الحرية الخالد ، أما فى مصر فقد ابتدأ كفاح الشعر بالبارودى فى الثورة العرابية ثم زكا بشوقى وصاحبيه حافظ ومطران

ولما وصل عزيز باشا إلى الحال الحاضرة ارتفع جرسه وحمى صوته وراح يتحدث عن عدوان جيش الاحتلال على المواطنين وعن كفاح الشباب المجاهد فى سبيل الحرية . وكان رفيقا بالشعراء بل محابيا لهم حين ذكر أنهم يبعثون حركة الكفاح الوطنى الراهن ويذكون أوارها بأشعارهم ، فالواقع أن الشعر يحاول اللحاق بالركب فى وناء وإعياء ولم يكن له أى فضل فى إشعال قشة . .

وقد ألقى الأستاذ محمود جبر قصيدة وطنية تناول فيها بعض الأحداث الجارية تناولا أثار الحماسة والإعجاب ، فكانت هذه القصيدة بمثابة تطبيق المحاضرة

ثم وقف الأستاذ محمد سعيد العريان وعقب على المحاضرة فوصف عزيز باشا بأنه شاعر نزل إلى المعركة ليقود الشعراء وسماه « قائد الشعراء » وقال إننا نتطلع بعد ذلك إلى أن يخرج الشعراء من مرحلة « التسجيل » إلى طور القوة الدافعة . نريد أن يدعوا « كان وكان » ويقولوا افعلوا واعملوا ... وخلص من ذلك إلى دعوة الشعراء إلى التطبيق العملى ، وأعرب عن انتظار الجامعة الشعبية التى تنظم هذه المحاضرة ، ما يقول الشعراء ليقدمه إلى الناس فى القريب إنتاجا عمليا . وأذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ العريان يتولى الآن منصب المدير العام المساعد للجامعة الشعبية

شعر المناسبات الشعبية الحديثة :

كدت أنسى القسم الثانى من رسالة الأخ الشاعر العراقى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى التى نشرت قسمها الأول وعلقت عليه تحت عنوان « الشعر الفنانى » فى عدد مضى من « الرسالة » وقد ذكرتنيه محاضرة الأستاذ عزيز أباظة باشا التى سبقت خلاصتها . يقول الأستاذ الناصرى فى رسالته إلى :

« ... ثم تقول إن الشعبية هى أن نجارى المجتمع فى آلامه كما فعل على طه حين نزل إلى الشعب وتغنى بإحساسه فى أروع قصائده كالقصيدة التى خلد بها أبطال الفالوجة وقصيدة (أخى أيها العربى) التى غناها عبد الوهاب . وأنا أقول لك : هذا شعر يسمى شعر المناسبات ؛ فإذا كان المرحوم نظم فى مأساة فلسطين قصيدة أو قصيدتين فأنا — ولا فخر — قد ألهمتنى تلك المأساة المؤلمة ديوانا أسميته « صوت فلسطين » ورغم ذلك فأنا لا أعتبر هذا الشعر فنا خالدا لأنه شعر مناسبات وأنا من ألد أعداء المناسبات مهما كان نوع المناسبة ، لأننى أعرف أن الحياة عندما تمر وأن التاريخ عندما يطوى صفحاته يأتى ما قيل فى المناسبات السياسية بمؤخرة القول ، لذا أقرر أن شعر الوجدان والعاطفة يخلد أكثر من خلود باقى الشعر ، بدليل أن حوادث كثيرة مرت بانجلترا وفرنسا وألمانيا ولكن لم يخلد ما قيل فيها بقدر ما خلد شعر بيرون وشلى وكيتس ولامرتين وهوجو ودى موسيه . ولو فتشنا فى تاريخ العرب الأدبى لوجدنا أن كثيرا من الأحداث السياسية قد مرت ومر ما قيل فيها ولم يخلد إلا شعر أمثال الأعشى والأخطل وابن أبى ربيعة وأبى نواس وابن الأحنف والبحترى وابن الرومى وصريع الغوانى ، وحتى فى العصر الحديث نجد جل الشعراء كشوقى وحافظ والبارودى ومطران لم يعرفوا بشعر السياسة والمناسبة بقدر ما عرفوا بشعر الوجدان . فهل بعد هذا نقيم وزنا لشعر المناسبات الذى لا يصدر إلا عن دافع رسمى أو واجب وليس بدافع عاطفى صرف ؟ »

وأنا حقا لا أقيم وزنا لشعر للمناسبات الذى يصدر عن دافع من خارج النفس ، ولكن ليس هذا الشعر هو الذى ندعو إليه ،



رحم الله الدكتور زكي مبارك

في مساء يوم الأربعاء الماضي انتقل إلى رحمة الله الدكتور زكي مبارك . أدركته المنية على أثر كبوة شديدة شجت رأسه ورجت مخه . ففقد الأدب بفقده كاتبا من كتاب الطليعة له جهاده الطويل وأسلوبه الجميل وأثره الباقي . كان رحمه الله من الأدباء القلال الذين شقوا طريقهم في الصخر بالعمل الدائب والدرس المتصل والتحصيل المستمر . ثم قضى زهرة عمره في التعليم والتأليف والكتابة على خير ما يكون العامل الصادق من المثابرة والجد . فلو أنه انتهى كما ابتدأ لكان له في تاريخ الأدب والفكر شأن غير هذا الشأن . ولكن عوائق من طبيعته اعترضت طريقه الوعر فلم يبلغ الغاية التي هيأه لها اجتهاده واستعداده . هذه العوائق نفسها هي التي جعلته آخر الأمر يعفي طبعه ويوفر جهده ، فلا يكتب إلا عفو الساعة وفيض الذاكرة . على أن له من المؤلفات القيمة والمقالات الممتعة ما يثبت اسمه في سجل الخالدين

وكان رحمه الله من المخضرمين المخلصين الذين ربطوا الجديد بالقديم ، ووصلوا الشرق بالغرب . وكان لهذه الطبقة الفضل العظيم على النهضة الأدبية بما وطدوا من أساس وأقاموا من قواعد وحققوا من توازن . وبهذه الميزة كان للفقيد الكريم نصيب في بناء مجد الرسالة حينا من الدهر

جزاه الله على ما قدم أحسن الجزاء ، وعزى عنه أهله وصحبه خير العزاء

في كتاب الديارات للشابشتي

نشر الأستاذ كوركيس عواد كتاب الديارات للشابشتي وطبع أخيرا في سنة ١٩٥١ ميلادية ببغداد . والكتاب في غنى عن التعريف ، وكذلك ناشره الفاضل الذي طالما أمتعنا ببحوثه الأدبية على صفحات الرسالة . ولكن على الرغم من الجهد الذي بذله في التحقيق وقع في أوهام كنت أود تنزيهه عنها ، وهذه بعض الأمثلة :

وما أظن ما قاله الناصري في « صوت فلسطين » من هذا القبيل وأعتقد أن قصائد المرحوم علي طه ليست منه أيضا . فإذا كان المقصود بشعر المناسبات ما يقال للمجاملة أو الملق وما يتخذ أحبولة لصيد المنافع أو للاستجداء فإننا لا نعد هذا من الأدب « المحترم » في شيء . أما ما تنفعل به نفس الشاعر إزاء أحداث الجماعة ومسائلها ويفيض به خاطره شعرا أو نثرا فهو أدب خالد ما في ذلك شك . وهو لا يخرج عن نطاق العاطفة والوجدان بل إن العاطفة هنا أرق من العاطفة الفردية . وليس الخلود مقصورا على العواطف الفردية ، بل إن التعبير الصادق عن عواطف الجماعة أحق بالخلود وأجدر بالاعتبار لما فيه من اندماج الشاعر أو الكاتب في بيئته وإحساسه بها . وليس ما قاله الأستاذ الناصري عن الشعراء الذين سماهم مسلما به ، فكثير منهم قال في أحداث الجماعة أروع شعره وأخلده . على أنني أعتقد أن مدار الأمر على صدق الانفعال ، فالأدب الصادق لا ينظر هل هذا اللون من القول خالد فيقول فيه وهذا غير خالد فيتجنبه ، وإنما هو يقول ما يمليه عليه خاطره ، وليسلكه من شاء فيما يشاء

على أن الأدب الصادق الأصيل هو الذي يصور روح العصر . وعصرنا الحالي هو عصر الشعوب والجماعات التي تكافح الطغيان الفردي لتأخذ حقها في الحياة ، والأدب من أسلحة هذه المكافحة أو هو أهمها ، ولست أوافق الأستاذ الناصري على ما ختم به رسالته إلى من ازدراء الشعب ، أي شعب ، لأنه ذليل خانع ، وقد ضربت صفحا عن العبارات إبقاء على ما بين الشاعر ومواطنيه

إن الشعوب التي ران عليها الظلم والاستعباد والإهمال أحقابا طوالا فتركت بها آثارا أفسدتها — هذه الشعوب أحق بخدمات الأدباء من أبنائها للدعوة إلى تنظيفها وترقيتها ، وإلى هذا المجال يدعى الأدب الجديد

عباس خضر

١ — فى ص ٥٧ جعل قافيـة البيت الأول من بيتى أبى العيناء (فأدنا) بالدال المهملة وشرح الـكلمة بأنها (أد الأمر أثقله وعظم عليه) وهـذا من أعجب ما رأيت من الأوهام ، فالـكلمة بالذال المعجمة من الأذان ، وذلك كما جاء فى ص ١٣٧ من ديوان على بن الجهم طبع المجمع العلمى بدمشق سنة ١٣٦٩ إذ قال من قصيدة (الله أكبر الخ ..) وفى الهامش أن مروان بن أبى الجنوب قال لما ابتدأ على قصيدته بهذا المطلع ـ ثم ذكر البيتين اللذين نسبهما الشابشتى إلى أبى العنيـاء . ولو تأمل الأستاذ كوركيس لرأى البيت الثانى يذكر الإقامة والطهر وهما من مستلزمات الأذان . ومطلع الأذان الله أكبر وهو مطلع قصيـدة على بن الجهم ؛ فالـكلمة إذن (فأذنا) بتشديد الذال المعجمة وليست بالمهملة كما وهم الأستـاذ الناشر

٢ — ذكر فى ص ٣٩ الحـاشية ١٠ أن يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شعبان إذا غم الهـلال بعد تسعة وعشرين يوما من شعبان ولو كان اليوم المذكور أول يوم من رمضان لما كان هناك أدنى شك ولوجب صومه

٣ — فى ص ٢٤ الحاشية — ٢ ذكر أن الحد تأديب المذنب، وذلك عند الكلام على معنى (فجلدها حدا) مع أن المراد هو حد القذف وهو أحد الحدود الستة التى نص القرآن الـكريم على بيان عقوبتها وأنها ثمانون جلدة . وهناك فرق كبير بين الحد فى القذف وبين التعزير الذى يقصد منه تأديب المذنب

هذا بعض قليل مما فى الـكتاب — وإذا انسمت لنا صفحات الرسالة نقدناه إن شاء الله نقدا وافيا يستوعب أوهامه وأخطاءه المطبعية مع الإشارة إلى كثير من الأبيـات التى وردت مختـلة الوزن وغير ذلك — على أن كل هذا لا يمنع من تقدير الأستاذ النـاشر على مجهوده الرائع الذى بذله فى تحقيق هذا الـكتاب وطبعه لأول مرة وإضافة هذه الدرة إلى عقد المطبوعات العربية الخالدة

عبد السلام النجار

هنات عروضية

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور فى انتفـاض الغصون فى عاصف الريح ، فى فورة الظلى المسجور زهرة النيل . . وابنة الشاطئين . . ونجوى الحمام للصفصاف وتهـادى النشيد . . فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى الرهيبة حان يوم الخـلاص فابسـط ذراعيك للأفق . . للسماء الرحيبة فى الأبيات السـالفة من قصيدة « قصة الحرية » للاستاذ محمد فوزى العنتيل هنات عروضية تحتاج إلى تصويب طفيف ، كيما تحسن مبنى كما حسنت معنى

صارو

من عيوب القافية :

حتى إذا بلغت به أقصى المدى وانجـاب عنه ركامها المتلبد

.. هذا بيت ورد فى قصيدة الأسـتاذ عثمان حلمى بالعدد (٩٥٥) من الرسالة ، وحركة رويه الضمة مخالفا بذلك سائر أبيات القصيدة إذ هى مكسورة الروى ، واختـلاف (المجرى) بالضم والـكسر — كما هنا — عيب من عيوب القـافية يسمى « الإقواء » ... فهل يجد الأستاذ حلمى مقيلا من هذا العيب فى البيت ؟ وهل له أن يصلح هذا الشطر :

..(يجرى وما تدرى النهى المقصد) . فى القصيدة نفسها !

يصمد ليست بمعنى يثبت

شاع التعبير بهذه الـكلمة « يصمد » فى الدلالة على معنى الثبات . وهذا هو الأسـتاذ لبيب فى العـدد (٩٦٦) يقول : « أمكن أن تصمد للاستمرار » وسياق حديثه يشعر بإرادته المعنى المذكور ، ولـكننى أقرر أن (يصمد) بمعنى يقصد والصمد بسكون الميم القصد ، ومن معانيه الضرب والنصب كما فى القـاموس المحيط ، والصمد والصمد بفتح الميم السيد لأنه يقصد ، وفى تفسير الـكشاف الزمخشرى : « الصمد » فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده ، هو المصمود إليه فى الحوائج..

هل التلاشى بمعنى الضياع ؟ :

إننى أسائل فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ محمود شلتوت ،

هل وردت كلمة (التلاشي) في اللغة العربية بمعنى الضياع ، إذ قد وردت في مقاله بالعدد (٩٦٦) مرادا بهـا هذا المعنى ! وهي كثيرة الذيوع على ألسنة المعبرين ، وأقلام الـكاتبين ، وقد رأيت في القـاموس المحيط : (اشا) خس بعد رفعة ، فهل يمكن صوغها من هذا الفعل ؟ وهل لها وجود في بعض الأحاديث النبوية ، والشواهد العربية ؟.

محمد محمد الأبشيهي

(الرسالة) فعل لا شيء صاغه المولدون من (لا شيء) وهي صياغة لا تقرها أصول اللغة

التصحيف والتحريف :

سألني سائل في رسالة خاصة : « لقد جاء في كلمتك الأخيرة في رسالة الزاهدة قولك (التصحيف ولا أقول التحريف). (١) فهل ثم فرق بين التصحيف والتحريف » ؟

وإني إذ أشكر للسائل الفاضل سؤاله واهتمامه بلسان العرب ولغة القرآن أرجو أن يتفضل فيعلم أن (التصحيف غير التحريف)وإن كان بعض الـكاتبين يجمع بينهما على معنى.. فالتصحيف مصدر صحف أي أخطأ في الـكلمة — كتابة أو قراءة أو رواية — لتشابه وتجانس في صورة كلمتين واختلاف في النقط · ولقد وقع التصحيف منذ قديم في كلام بلغاء العرب ورجال الأدب وأشعار القدامى وسائر الأمثال حتى أن أبا عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني وضع في ذلك كتاباً سماه « التنبيه على حدوث التصحيف »

وأمثـلة التصحيف بالنقـط أكـثر من أن تحصى ، ومن أطرف التصحيفات التي تذكرها التواليف ما قيل من أن جماعة من المخنثين كانوا في المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي فأراد أن ينفيهم منها فكتب إلى عامله فيها — وكان وقتذاك أبا بكر عمر بن حزم — أن (احص) من عندك من المخنثين . وصادف أن نقطة من السـطر الأعلى من كتاب الخليفة وقفت أو وقعت فوق الحـاء من لفظة (إحص) المهملة فصارت (إخص) بالمعجمة ، فما كان من أبي بكر إلا أن خصاهم أجمعين

وكذلك يقع التصحيف من تشابه رسم الحروف وهو من آفات العربية . وفي ذلك يقول البيروني في كتابه « الصيدنة » : « والـكتابة العربية آفة عظيمة هي تشابه صـور الحروف المزدوجة فيها ! واضطرارها في التمايز إلى نقط المعجم ، وعلامات الإعراب التي إذا تركت استبهم المفهوم منها .. » الخ

جاء في لسـان ابن منظور في مادة « سـوف » · السواف بفتح السين : الفناء · وفي القاموس السواف كسحاب : القثاة فأين الفناء من القثاء ؟ ولـكنه التصحيف يقع فيه القـاموس ويسلم منه اللسان لينقلب الفناء قثاء كما انقلب المخنثون خصيانا !

ومما أذكر في هذا الباب ما جاء في تعقيب لي (٢) على كلمة لإمام العربية المحقق المدقق المرحوم اسعاف النشاشيبي في تحقيقه لـكتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وتصحيحه لفظة (الأدب) من (والأدب من ذي الغيبة) (٣) إلى (الغنم) ثم تعقيبي (والأوب من ذي الغيبة) بالواو وهو الأصل الذي صحف عنه (الأدب) واستحسانه — رحمه الله — التعقيب والتصويب شاكرا ومقدرا في قوله (٤) : « لا ريب في أن أصل « والأدب من ذي الغيبة » هو « والأوب من ذي الغيبة » والدليـل على ما ذهبت إليه أنت قريب وإن تباعد مني ، فإن الناسخ القديم البـارع (سامحه الله) استبدل بالواو دالا ثم جاء الطابع فطبع »

وأما التحريف فهو وقوع اختلاف في الحركة أو السـكون مع تشابه أحرف الـكلمة في النوع والشكل والعدد والترتيب

فلفظة (الحب) مثلا تأتي بالـكسر على معنى المحبوب والمحب ، وبالفتح البزر المعروف ، وبالضم الجرة الضخمة . فاختـلاف الحركة — كما ترى — نتج عنه اختلاف المعنى اختلافا واضحا ووقوع القارىء أو الـكاتب أو الراوي في مثل هذا الاختلاف هو المقصود بالتحريف حركة أو سكونا ..

وقد يجتمع التصحيف والتحريف معا في الـكلمة الواحدة

١ ـ بريد الرسالة العدد (٩٦٨)

(٢) بريد الرسالة العدد (٦٩٥) السنة الرابعة عشرة .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ص ج ٩

(٤) بريد الرسالة العدد (٦٩٨) السنة الرابعة عشرة

فيزيد الحشف (٥) سوء كيلة، والطين بلة، والداء علة. مثال ذلك ما ورد في القاموس في مادة (برقش) « أبو براقش طائر صغير بري (كالقنفذ) . والخطأ بالتصحيف ظاهر في لفظة التشبيه لا يحتاج إلى تنبيه . والصواب « كالقنبر » ذلك لأن القنفذ ليس بطائر يطير بأثنين حتى يشبه طائر به ، وإنما هو دابة تدب على أربع . (راجع المقتطف ٣٩ : ٤٨٨ في أبي براقش)

وبعد : فمجمل القول في التصحيف والتحريف أن التصحيف يكون أكثر ما يكون باختلاف الحرف واختلاط النقط إهمالا وإعجاما ، وأن التحريف يكون باختلاف الحركة أو السكون في الكلمة قراءة أو كتابة أو رواية . وقى الله لسان العرب وأصحاب القلم من الخلط مصحفا ومحرفا والسلام

• الحشف أردأ التمر .

الزيتون **عدنان**

١ — خطأ قديم

كتب الكاتب القدير الأستاذ أحمد محمد بريري مقالا قيما (١) بجريدة الأساس تحت عنوان « خطأ مشهور » ، أجرى فيه الحوار بينه وبين شيخه على طريقته المعهودة . وقد جاء على لسانه : « ويأتي بهذا النص الذي نقول إنه منعدم » ؛ فأتي باسم الفاعل من « انعدم » الذي أقول إنه معدوم . وهذا خطأ قديم وقع في كلام كثير من الكتاب والفقهاء والمتكلمين

وأغلب الظن أن هذه هفوة من الأستاذ بريري ، وإلا فكيف غاب عن شيخه وعنه أن صيغة « انفعل » لا تؤخذ من « العدم » ، لأنها مختصة بما هو علاجي محس ، وواضح أن العدم لا يلمس ولا يحس . وزيادة في الإيضاح ولأن الأستاذ بريري لا يؤمن إلا بما نقل عن العرب وورد فيه نص صريح فإني أحيله إلى قول « المنجد » : « ولا يبنى انفعل إلا مما فيه علاج وتأثير ، ولهذا لا يقال علمت المسألة فانعلمت ، ولا ظننت الأمر فانظن لأن العلم والظن مما يتعلق بالباطن وأثرها ليس محسوسا » ، وإلى « محيط المحيط » ففيه : « يقول المتكلمون والفقهاء وجد فانعدم والصواب وجد فعدم لأن الانفعال للعلاج والتأثير ، وليس العدم والإعدام في شيء من ذلك كما لا يقال علم فانعلم »

فكان الواجب عليه أن يقول : « ويأتي بهذا النص الذي نقول إنه معدوم »

(١) أقر المجمع اللغوي هذا التعبير

٢ — خطأ نحوي

جاء في مقال بالهلال (عدد يناير) للدكتورة الفاضلة « بنت الشاطئ » تحت عنوان « الثائرة » : « ولم تك التميمة سوى رصاصة .. » ، وفي هذا التعبير مجال للقول والنقد ؛ لأن من القواعد المتقررة أنه لا يصح حذف النون من « يكن » إذا وقع بعدها ساكن ؛ ولهذا ثبتت في قوله تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم » ، وقوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » . وأما قول الشاعر :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

فضرورة

أحمد مختار عمر



خاتمة المطاف ..!!

للأستاذ محمد رشدى

— كثيرة حقا ياصديقى أطايب الحياة وملذاتها .. ولكنى لن أرسم خطوك بعد الآن ، فاستمتع أنت بأطايبها كيف تشاء ، واقتنص من لذائذها كما يحلو لك ، وثق أنك ستدفع الثمن فى يوم ما ..

— سحقا لك ولتفكيرك السقيم .. ماذا ترى فى صيد ساقه لنا الشيطان ، هل ترانا نرتكب جريمة بذهابنا إليها .. لقد رأيتها بعينى رأسك ، أنوثة مبكرة ، وجسدا ناضجا غضا ، وجمالا آسرا خلابا .. تخيل أنك تعصرها عصرا بين ذراعيك ، وتضغط صدرها الناهد .. لتتحطم مقاومتك التى لا أجد مبررا لها ويستقيم تفكيرك ، فتجد أنك مخطئ فى مخاوفك التى ذهبت إليها .. هيا بنا ، ولا تكن جبانا رعديدا تخاف اشياء لا وجود لها . إنها تقطن وحدها.. وهى التى دعتنى إلى منزلها .. وأنا بدورى أدعوك لمرافقتى .. إن الساعة المرتقبة توشك أن تحين ، فهيا .. فالشوق يكاد يقتلنى ...

— وفر عليك مشقة إغرائى .. فلم يعد معسول قولك ، وتشويق ، ليفيدا معى .. فاليك عنى ، واذهب وحدك ، فقد عاد إلى صوابى ، وثبت إلى رشدى .. فدعنى أكفر عن آثامى التى اقترفتها بسببك .. ليتنى دققت عنقك منذ عرفتك ..

— ها .. ها .. ها ... إنك وايم الحق تدهشنى كثيرا .. فقد أصبحت عنيدا صعب المراس .. ثق أنك لن تجد الفرصة التى تكفر فيها عن آثامك . سأذهب إذن وحدى ، وأتركك لأفكارك ، وهى كفيلة بالقضاء على عنادك وإصرارك .. إن إقتناص اللذة أصبح من مستلزمات حياتنا ، أنا، وأنت ..فلا تحاول الاستنجاد بإرادة حطمتها عشرون عاما ، قضيتها غارقا لأذنك فى الأثم والرذيلة ...

— وأنت ... ألا تذكر ؟

فتمهل قليلا كأنما يستجمع شوارد ذهنه .. ثم قال ..

— أجل ... أذكر .. إن صورة باهتة لها مازالت عالقة بذهنى .. لم تكن كهؤلاء اللآتى عرفتهن .. قد باعت جسدها لمن سبقنى ودفع الثمن .. كانت نقية طاهرة الذيل إلى أن عرفتنى ...

— إنك معدوم الضمير .. لقد دفعتها إلى التخلص من ثمرة فعلتك المنكرة ثم قضيت عليها بقسوتك وإعراضك .. !!

— نعم . أخبرتنى بذلك . ولكن ما شأنى بذكريات أدرجها تعاقب السنين فى لفائف العدم ، وتراكم عليها غبار تسعة عشر عاما انقضت . لقد مات الماضى ياصديقى ، فدعنا منه.. وإلى اللقاء عند « سلوى » الراقصة الحسناء ..

— لتذهب إلى الشيطان ، فلن نلتقيا ثانية .. لقد عقدت العزم على الرحيل بعيدا عنك ..

— كما يحلو لك ... آه . . نسيت أن أترك لك العنوان . وانتزع من مفكرته ورقة قذف بها إلى صديقه وهو يتابع فى برود وعدم اكتراث :

— هاك العنوان . . وحذار أن تتأخر كثيرا ، فستكون فى انتظارك ...

وغادره وصدى ضحكاته الساخرة يرن فى أذنيه ...

وصاح « جلال » به يستمهله .. ولكن صوته لم يصل إلى سمعه .. فاختطف معطفه وغادر المنزل بدوره

... وهناك على الفراش ..كانت الفتاة مستلقية فى استرخاء ، وقد ارتدت غلالة رقيقة ، يشع من تحتها بريق الفتنة الطاغية ، وسحر الجسد البديع التكوين ، وعبق جو الحجرة برائحة عطر نفاذة تدير الرؤوس ، وتخدر الأعصاب .. وعلى قيد خطوة من

الفراش ، وقف « كمال » بقوامه الفارع ، وجسمه الرشيق الفتى.. برغم أنه يحمل على كاهله عبء أربعين عاما سلخها من حياته ..

ونهضت الفتاة فى استرخاء محبب ، ولم تلبث أن قفزت من الفراش فى رشاقة وخفة ، وطبعت على شفتيه قبلة خاطفة ، وأسرعت بالابتعاد قبل أن تنطبق عليها ذراعاه ، وبهصر عودها الرطب بين أحضانه .. وراحت تتثنى وتتفرد أشبه بحية تتلوى وهى تدور فى الحجرة راقصة منتشية ، وقد لمت عيناها ببريق عجيب ...

وفارق « كمال » ثباته ، وثارت مشاعره، واستيقظت غرائزه البهيمية فراح يضيق عليها الخناق حتى تمكن من الإمساك بها.. وجذبها إليه فى عنف ، ورغبة جامحة . . فكاد يحطم عظامها . ولكنه ما عتم أن تراخت ذراعيه ، وتخلى عن الجسد الغض الطرى الذى كان يدفئ أحضانه . . . واستقرت نظراته الملتهبة على تلك الدمية الجميلة التى ابتعدت على عجل ، ولاذت بالحائط ترتعد كريشة فى مهب ريح صرصر عاتية . وتمالك واستجمع أشتات أنفاسه . . واقترب منها مترنحا أشبه بسكير شرب حتى طفح وقد امتدت ذراعاه المتخاذلتان ، محاولا أن ينال عنقها ، فيزهق روحها الخبيثة . ولكن قواه خانته ، وتخلت عنه ، فهوى يتلوى من الألم وقد ندت عنه صرخة قهر وكمد .

ودبت الحركة فى جسد الفتاة الجامدة .. فاندفعت إلى الأمام تصرخ فى صوت مختنق متحشرج ، وقد أذهلتها رؤية الدماء . . فتلقفتها ذراعان خارج الحجرة ، وعادت بها إلى الداخل . . وارتفع صوت « جلال » يسأل فى عجب : ماذا حدث يا ... ؟! بيد أن الكلمات ماتت على شفتيه ، واتسعت حدقتاه فزعا وهو يرى صديقه منكفئا على وجهه وقد غاص بين كتفيه خنجر حتى مقبضه . .

وتهافتت « سلوى » على الفراش مضعضعة الحواس ، خائرة القوى ودفنت وجهها بين راحتيها ، وقد شملت بدنها رعدة عنيفة .. وراحت تهذى كالمحمومة :

-- لقد قتلته .. أجل قتلته يا أماه .. فلعلك الآن راضية فى مثواك الأخير .. كانت رغبتك أن أنتقم لك، وها قد انتقمت.. فانهضي لترى أى منقلب انقلب ذلك الفاسق ... لقد غرر بك ، وتركك تنوئين بعبء العار والفضيحة تسعة عشر عاما ، قضيتها فى عذاب مر أليم ... لقد ظلت صورته منطبعة فى ذاكرتى من خمس سنين مضت منذ آخر لقاء كان بينكما ، حين انهال عليك ضربا فى قسوة ووحشية وغادرك ، مقسما أنك لو عدت إليه ليقتلنك شر قتلة ، ولكنك لم تكونى فى حاجة إلى العودة إليه ، فقد فاضت روحك فى تلك الليلة ، وتركتنى فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر بعد . . لا يعرف ذلك العربيد عنها شيئا ، ولا يعلم بوجودها ... فأقسمت أن أنتقم لك منه ، ولو كرست حياتى كلها لذلك ... ولقد فعلت ... فليرحمنى الله ... !!

وزاد ارتعاد جسدها ، وعلا صوت نحيبها المؤلم ، ونشيجها المكتوم . وانبعث صوت ضعيف واهن ، كأنه آت من أغوار سحيقة ، فيه مرارة وفيه تساؤل وعجب :

— سلوى ... إبنتى

ولكن القضاء لم يمهله ، ولم يتريث به ليقول شيئا آخر ... فسكنت حركته إلى الأبد

ورددت جنبات الحجرة دقات حزينة منتظمة ، كانت أشبه بأجراس قوية تدق فى ذلك المكان الرهيب . . تعلن بأن الليل قد انتصف

واقترب « جلال » من الجثة المسجاة .. وانحنى على الجسد العانى فحمله بين ذراعيه ، وتريث قليلا ينظر إلى الفتاة ، وقد انحدرت على خده دمعة كبيرة .. وقال فى صوت متهدج برح به التأثر :

— لقد انتهى .. مات صديقى .. ولكنه منحنى الفرصة التى أكفر فيها عن آثامى .. فأنا ذاهب ، أجل ذاهب لأنال الجزاء .. فما أحقنى به منك

وتنفس عميقا ، وكأنما أزيح عن صدره عبء ثقيل .. ثم دار على عقبيه وغادر الحجرة بحمله الثمين .. !!

دمنهور **محمد رشدى**

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٠ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

بداية النهاية ... ... : للاستاذ سيد قطب ١٢٥

بين الفصحى ولهجاتها ... ... : لمعالى الدكتور السيد محمد رضا الشبيبى ١٢٧

إلى الشعب المصرى ... ... : للاستاذ على الطنطاوى ١٣١

جلاء وجلاء ... ... : « محمد محمود زيتون ١٣٣

جمال الدين الأفغانى ... ... : « حمدى الحسينى ١٣٧

الإسلام فى أوربا الشرقية ... : للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانوو كز ١٣٩

: بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى ...

عالم الذباب ... ... : بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى ١٤٢

صلاة جنازة ... ... (قصيدة) : « عبد اللطيف النشار ... ١٤٤

فى موكب الشهداء (قصيدة) : « محمد على جمعة الشايب ... ١٤٤

الينابيع الجديدة ... (قصيدة) : للشاعر محمد مفتاح الفيتورى ... ١٤٥

جارتى ... ... (قصيدة) : للأستاذ عثمان حلمى ١٤٥

(المسرح والسينما) — مسرحية (٧٠ سنة) — للأستاذ على متولى صلاح ١٤٦

(البريد الأدبى) — أخوة الأم لا يرثون — ان كتاب الاعتصام — ١٤٨

تصحيح رواية حديث نبوى — جمع ظفر — آداب

النقد — عزل بضم فسكون — رسالة ... ...

(القصص) — الجنية العاشقة — للكاتب الفرنسى أميل زولا ... ١٥١

20 me. année No 970

Le Caire 4 - 2 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

بداية النهاية

للأستاذ سيد قطب

أيا كانت الظروف والأحوال ، فإن الاستعمار الغربى قد بدأ نهايته . بدأها فى كل مكان ، وبخاصة فى العالم العربى الإسلامى الذى يصطدم بالاستعمار اليوم فى جبهات متفرقة ، ولكنها كلها متصلة .. يصطدم به اصطداما ظاهرا واضحا فى مصر، وفى تونس، وفى مراكش ، وفى إيران ، كما يصطدم به اصطداما خفيا فى العراق وفى سورية . وحركة الجزائر ما تزال مستمرة ، وفى هذه الأيام يقع اصطدام جديد على حدود اليمن . . وكلها حركة واحدة للخلاص . وكلها تشير إلى النهاية المحتومة رغم جميع الظروف والأحوال

ولقد كانت فرنسا تصطدم بالشعب التونسى وتسلط عليه الحديد والنار ، فى الوقت الذى تصطدم فيه انجلترا بشعب الوادى وتسلط عليه الحديد والنار .. نفس الوسائل ، ونفس الأهداف ، ونفس العقلية : عقلية الاستعمار ، وعقلية الكافحين ضد الاستعمار

إنها لم تعد حركات وقتية متقطعة محلية ، تخمدها هجمة هنا وهجمة هناك . . إن الشعوب بأسرها تندمج فى هذه الحركات التحريرية . وبذلك تصبح هذه الحركات قوة تمثل اتجاه الزمن ، وتشير إلى إرادة الله فى الأرض ، وتستمد الوقود من الشعوب لا من الأفراد .. وهيهات هيهات أن تقف القوة ضد اتجاه الزمن ، وضد إرادة الله !

ولقد كان الاستعمار يلجأ دائما إلى الهيئات الحاكمة فى كل بلد مستعمر ، فيستعين بها على الشعوب ؛ ولكن الهيئات الحاكمة لم تعد تملك أن تقف فى معزل عن حركة الشعوب . . وها نحن أولاء نرى مصداق هذا القول فى مصر وفى تونس على السواء

ففى مصر كانت حركة إلغاء المعاهدة تلبية مباشرة لضغط الشعب . . ولقد تغيرت الوزارة وجاءت وزارة سواها ، فكان أول تصريح لرئيس الوزارة الجديدة هو السير فى نفس الطريق التى رسمها الشعب ، وإعلان الأهداف ذاتها بلا تلعثم ولا تردد ؟ لأن إرادة الشعب الواضحة لا يمكن أن يتجاهلها متجاهل ، مهما تغيرت الوزارات

وكان الحال كذلك فى تونس . فالوزارة هى التى تصطدم بالاستعمار هناك ، مع الشعب خطوة بخطوة . ورئيس الدولة الأعلى هو الذى يقف فى وجه العاصفة ، فيعرض قصره للحصار ، ويعرض عرشه للزوال ، ويعرض نفسه للهلاك .. ولكنها إرادة الشعب القاهرة ، التى تمثل حركة الزمن ، والتى تمثل إرادة الله

والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وما من شك أن النصر فى معركة الحرية لطلاب الحرية سواء وقفت الهيئات الحاكمة مع الاستعمار أو ضد الاستعمار . ولكن وقوف هذه الهيئات الحاكمة فى كل مكان بجانب الأهداف الشعبية سواء أكان ذلك اختيارا أم اضطرارا ، هو أمر له دلالته وله معناه .. ومعناه الواضح الصريح : أن حركة التحرير . وأن قوة الشعوب ، قد بلغت المرحلة التى تجرف معها خصومها وأنصارها على السواء ، والتى تتحكم فى الموقف ، وتملى على الهيئات الحاكمة ما تشاء

ولو لم يكن إلا هذه الظاهرة وحدها لكفى بها دليلا على قرب النهاية ، لتقلص ظل الاستعمار البغيض ، الذى دام أكثر مما ينبغى ، وعاش أكثر مما تقتضى طبيعته أن يعيش .. ولكن هذه ليست الظاهرة الوحيدة فى معركة التحرير .. فالظاهرة الأخرى فى المعسكر الآخر هى ظاهرة الضيق والتبرم العنيف بالحركات التحريرية ، ظاهرة هياج الأعصاب ، وفقدان الصبر ، والفزع والقلق والاضطراب .. ولهذه الظاهرة دلالتها على الضعف الذى ينشأ عنه الذعر والهلع . فدولتا الاستعمار الغربى : انجلترا وفرنسا كلتاهما تعانى حالة من الإفلاس المالى والضعف العسكرى ، تشير إلى بداية النهاية كذلك . وليست واحدة منهما أو كلتاهما بقادرة على خوض معركة طويلة الأمد مع الشعوب التى لا تفنى . لا مواردهما المالية ولا مواردهما العسكرية تسمح لهما بخوض مثل هذه المعركة ، فى أرض خارجية تفصلها عنهما مئات الأميال ؛ لذلك تريدان أن تضربا حركات التحرير ضربة قاضية ، سريعة ، قبل أن ينكشف ضعفهما ، لعل هذه الضربة أن تخلصهما من التكتل الشعبى الذى تصطدمان به فى كل مكان

ولكن هيهات هيهات ! لقد مضى الزمن الذى كانت الحركات الشعبية فيه لا تزيد على أن تكون فورات وقتية ، تطفئها ضربة قوية ، أو انقلاب سياسى ، أو مناورة دبلوماسية .. لقد استحالت الحركات الشعبية تصميما شعبيا لا يتزحزح — مهما تغيرت الأحوال — وإرادة واعية تستمد وقودها من رجل الشارع ، لا من المفكرين والمتحمسين والزعماء

ولا أحسب أن انجلترا أو فرنسا تشك لحظة فى النهاية المحتومة ؛ فإن تجارب البشرية كلها معروضة أمامهما ؛ وهذه التجارب كلها تؤكد أنه ما من فكرة اعتنقها جمهور الشعب ، حتى صارت فكرته الخاصة ، أمكن أن تقف فى طريقها قوة من القوى ، فى أى زمان أو مكان .. ولكن الاستعمار إنما يتشبث بمواقع أقدامه ليحصل على بعض الامتيازات الأخيرة فى مقابل الجلاء . وحتى هذه الامتيازات قد أدركها الوعى الشعبى ، واحتاط لها ، وما عاد يسمح بشىء منها على أى شكل من الأشكال

لقد حرق الاستعمار مراكبه مع الشعوب ، بما ارتكب معها من حماقات . وبخاصة فى هذه الحركات الأخيرة . ولقد استحال الصراع بينه وبين الشعوب . ثارات مقدسة ، وأحقادا عميقة . فما عاد يمكن أن تستجيب الشعوب لأى صوت يدعوها إلى الارتباط بعجلة الاستعمار على أى وضع من الأوضاع

وكل من يتصور أن الشعوب سترجع القهقرى عن موقفها الذى انتهت إليه ، تحت أى ظرف ، وتحت أية مناورة .. إنما يخطئ فى فهم طبيعة الحركات الشعبية ، وينسى عبر التاريخ وشواهده . . إن كل خطوة يكسبها الشعب لا يمكن أن يتخلى عنها ، لأن حركة الشعب هى حركة الزمن . والزمن لا يرجع القهقرى ، ولا يتحرك مرة إلى الوراء

ولقد يخفت صوت الشعوب أحيانا ، وتتوارى حركاتها . . ولكن هذا ليس إلا ستارا ظاهريا لحركات خفية إلى الأمام . حركات تتم فى ضمير الشعب ، وتنضج فى أعماقه ، ثم تبدو فى صورة فورة جديدة ، وقفزة واسعة ، يخيل إلى بعض الناس أنها مفاجئة . وليست فى حقيقتها إلا امتدادا طبيعيا لم تظهر خطواته ، لأنها كانت تتم فى صمت ، فى أثناء فترة السكون

إنها بداية النهاية ، فعلى بركة الله فلتسر مصر ، ولتسر تونس ، وليسر كل بلد يشتبك اليوم فى معركة التحرير الخالدة التى أوقدها الله ...

سيد قطب

بين الفصحى ولهجاتها

لمعالى الدكتور السيد محمد رضا الشبيبي
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اجتاز الشرق القريب فى الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية مرحلة حافلة بالأحداث ، اتسمت بنمو الحركة الفكرية ؛ ويصح أن تدعى فترة الوعى واليقظة

امتازت هذه المرحلة بإثارة كثير من الموضوعات حمى فيها الوطيس ، وتعددت فيها المعارك ، ومنها معركة القديم والجديد فى مختلف نواحى الحياة ، من سياسية إلى اجتماعية واقتصادية ، ثارت بين المجددين والمحافظين أينما وجدوا ، وفى مقدمتها معركة اللغة والكتابة العربية واللهجات ، إذ ظهرت دعوة ترمى إلى اصطناع هذه اللهجات الاقليمية المحرفة عن الفصحى فى بعض أقطار الشرق القريب . وحاول المحاولون أن يثيروا حربا عوانا على اللغة ، ووضعوا فى هذا الباب ما وضعوه من كتب ورسائل ومقالات .

يهول بعض المعنيين فى هذا الشأن بعنف الصراع القائم بين الفصحى واللهجات المحلية ، ويشيرون إلى قيام ضرب من تنازع البقاء بين الجانبين ، ويضربون الأمثال من اللغة اللاتينية ولهجاتها ، بل من اللغة العربية وأخواتها الساميات على اعتبار أنها لهجات تفرعت من أصل سامى بائد ، ثم يسرفون فى التكهنات والاحتمالات

ظن فريق من هؤلاء الباحثين أنهم أول من طرق باب البحث عن اللهجات على هذا الشكل الحديث ، وأنه لم يحم حول هذا الموضوع أحد من قبل ، مع أن غير واحد من أعلام الأدب واللغة وأئمة القراءات أشاروا إلى فساد اللسان ، وإلى اضطراب اللهجات اللغوية المحكية ، وشذوذها فى عصورهم . ولهؤلاء اللغويين القدماء عناية فائقة بالبحث عن اللهجات ، ومن هذا القبيل تلك الرسائل والكتب التى جردت فيما تلحن فيه العامة أو الخاصة . وكم من معركة أثيرت بين اللغويين فى هذا الباب مرماها انتقاد اللهجات وإصلاح ما اعتراها من فساد ، وهى كتب كثيرة ، وجلها متداول معروف . ولما استفحل شأن اللهجات فى العصور الأخيرة ، وطغى على اللغة سيل جارف من الكلمات الدخيلة ، وفطن المعنيون بذلك إلى الخطر الذى يهدد العربية من هذه الناحية ، بادر اللغويون المحدثون إلى العناية بالبحث عن أصول الكلمات العامية وردها إلى الفصحى ، وأوجدوا أوضاعا لغوية ، ومصطلحات عربية ، تقابل الأوضاع والمصطلحات الدخيلة ، واختاروا أسماء لمسميات هجمت بها علينا هذه الحضارة الحديثة ، وقد وضعت فى ذلك معجمات ورسائل لغوية كثيرة

من ذلك يتضح لنا أن البحث عن اللهجات قد اتخذ أطوارا شتى يعرفها من ألم بتاريخ آداب اللغة العربية فى مختلف العصور . وهذا ابن خلدون عالج موضوع اللهجات المتفرعة عن لغة مضر على وجه يفهم منه أنها كانت متميزة فى عصره وهو يسميها « لغة الجيل » ، ويقارن بينها وبين « اللغة المضرية » وقد أفرد فى مقدمته المشهورة فصولا للبحث فى هذا الشأن . منها فصل عنوانه « لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير » ، وآخر عنوانه « لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر » إلى فصول أخرى ، يشير ابن خلدون فى بعضها إلى مميزات لهجة عصره أو لغة جيله كما يقول ، ومن تلك المميزات زوال الإعراب ، وظهور الوقف فى آخر الكلمات

من ذلك نعلم أن اللهجات بمعنى من المعانى قديمة قدم اللغة . ومن هذا القبيل لهجات القبائل اللغوية فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وهى لهجات استند إليها القراء فى تخريج القراءات ، وأشار إليها المؤلفون فى هذا الفن . وتعتبر هذه اللهجات كلها فصيحة مع أن بعضها شاذ مهجور . ثم تفرع عن الفصحى نوع آخر من هذه اللهجات المحلية نشأ فيه التحريف وفسد النطق ، فأصبح للكتابة لغتها ، وللكلام لهجته ، وذلك فى الأقطار التى استقر بها العرب والمسلمون الفاتحون فى أولى عصور الدول الإسلامية بعد عصر الراشدين

ما من شك فى أن الشقة تباعدت ، ولم تزل ، بين اللغة

(٥) نص المحاضرة التى ألقاها معالى الدكتور الشبيبى فى مؤتمر المجمع، وقد أثارت هذه المحاضرة فى الأعضاء اهتماما شديدا بموضوعها فناقشوه نقاشا مستفيضا يدور على التأييد والشكر

الأصلية وفروعها ، وأن الجفاء والشذوذ تفاقم بمرور الأيام حتى زعم من زعم أن بين هذه اللهجات المتعددة من جهة ، وبين أمها الفصحى من جهة أخرى ، صراعا مريرا ، وأن نتيجة هذا الصراع تغلب إحدى هـذه اللهجات واندماج سائرها في لهجة بعينها ، ثم تصبح لغة مستقلة نصطنعها في الكتابة والكلام سواء بسواء . ومن المحال في زعم هؤلاء الزاعمين أن تبقى الفصحى محتفظة بوحدتها الأولى زمنا طويلا مع هـذه الفوارق . وهم يتوقعون أن تتحول هـذه اللهجات يوما ما إلى لغات مستقلة قائمة بنفسها ، غير مفهومة إلا للمتكلمين بها ، كما أن الفصحى ستكون لغة غير مفهومة للمتكلمين بهذه اللهجات بالمرة ، وهو فيما نرى — إسراف في التكهن والرجم بالغيب . ويزيد بعضهم على ذلك قائلا : إن لهجة القاهرة الشائعة هي لغة المصريين في المستقبل . ولماذا لا يقال في لغة المجتمع المصري هـذه أنها هي لغة الطبقة المثقفة المتعلمة بعينها ، وهي هـذه الفصحى السليمة الموحدة من حيث النطق ، ومخارج الحروف ، وإن كانت عارية من الإعراب ، لا تلك اللهجات الشاذة

يغالي أنصار اللهجات بآرائهم قائلين : إن هناك صراعا بين الأم وفروعها ، أو بين الفصحى ولهجاتها ، ونحن نقول لهم : لماذا لا يسفر هذا الصراع أو تنازع البقاء عن نتيجة حاسمة يصح فيها الصحيح ، ويبقى الأصلح نزولا على حكم مذهب النشوء والارتقاء

أو يدوم صراع لغوي مدة تشارف الألف والثلاثمائة سنة ؟ والحق أنه ليس هناك صراع بل هناك شذوذ وجفاء ، وهناك ازورار وانحراف في هذه اللهجات المحلية ، من مصرية وعراقية وشامية ومغربية ، فـما هذه اللهجات سوى اللغة العربية محرفة عن أصلها . كانت الفصحى معربة تحل الوقف محل الإعراب ، وكان التلفظ والنطق موحدا فطرأ ما طرأ عليهما من الاضطراب والفساد والتحريف والتشويه بسبب هجرة المسلمين والعرب الفاتحين إلى شتى الأقطار البعيدة عن الجزيرة العربية

ليس من الإنصاف ولا من الصواب أن ندعو ما نحن بصدده صراعا بين الأصول والفروع ، بل هو ضرب من الشذوذ والانحراف لا بد أن ينتهي إلى صلح ووئام . ومن الخطأ قياس من يقيس ما حدث للفصحى بما حدث اللاتينية ، أو السامية البائدة ، ثم يسرفون في التكهن ، والاحتمالات البعيدة ، ويتوقعون أن تتخلى الفصحى عن مكانتها لتدخل في ذمة التاريخ في بلد كالعراق ومصر والشام والمغرب ، كما دخلت اللاتينية في ذمة التاريخ في الأقطار المأهولة بالشعوب اللاتينية . وقد تكفلت بحفظ الفصحى وحياطتها وخلودها معجزة القرآن ؛ فلولا إعجاز القرآن لجاز أن يحدث لهذه اللغة ما حدث من قبل ذلك للغة اللاتينية

تجتاز هذه الأقطار المأهولة بالناطقين بالضاد مرحلة عصيبة ، وهـذه الشعوب الآن أحوج ما تكون إلى التفاهم والتعاون ، ووحدة اللغة . ولو اصطنعنا هـذه اللهجات الفاسدة لاستحال تحقيق الوحدة اللغوية ، ولتعسر التفـاهم أو التخاطب بين الشعوب المذكورة

ما أكثر عيوب هـذه اللهجات ومساوئها ، وفي مقدمتها أنها عاجزة عن تكوين تلك الوحدة ؛ فلكل قطر لهجته ومميزاتها التي تجعل منها أداة غير صالحة للتفاهم في أمة تسعى لتحقيق وحدتها اللغوية

ولنا أن نقول في مساوئ اللهجات أكثر من ذلك ، فإنها في القطر الواحد يسرع إليها الانحلال ، فهي عرضة للاضطراب والفساد . فها نحن أولاء نجد لكل إقليم عندنا في العراق ، بل لكثير من الحواضر أحيانا لهجة خاصة ؛ فأهل الموصل في الشمال لهم لهجتهم ، وهي لهجة لا يستسيغها أهل بغداد وأواسط العراق لاختلافها عن لهجتهم المألوفة . وأهل البصرة في الجنوب ، يعرفون بلهجة تختلف بعض الاختلاف عن لهجة بغداد . وعلى كل فإن لهجة أهل الريف عندنا تختلف عن لهجة أهل الحواضر اختلافا ظاهرا . ومثل ذلك الاختلاف بين لهجات الريفيين القاطنين في البطائح والبحيرات ولهجات القبائل الرحل في العراق . وفي وسعك أن تعرف بلد المتكلم أو قطره من لهجته . وليس هذا الأمر فيما نرى خاصا بالعراق ؛ فمصر وسورية وأقطار المغرب لا تختلف عن العراق من هـذه الناحية . والمعروف هنا أن لأهل الصعيد لهجة خاصة ، وتشبهها فيما قيل لي لهجة أهل الشرقية والبحيرة . ويبدو لي على ما أكد لي غير

واحد من أدباء مصر أن لهجة أهل الصعيد أقرب إلى لهجات أهل البادية فى بعض أقطار الشرق العربى كالعراق والشام ، فإن الحروف التى أصبحت أثراً بعد عين فى منطق أهل القاهرة والاسكندرية وما إلى هـذه الجهات مثل القاف والثاء المثلثة ، والجيم الفصيحة، لاتزال باقية على حالها فى منطق أهل الصعيد ، وهى كذلك فى لهجة أهل العراق . فنحن بأمس الحاجة والحالة هذه إلى لهجة موحدة . ولا غنى لنا إذا أردنا التفاهم عن تكوين هـذه الوحدة . وقد اعترف غير واحد من الأساتذة المصريين الذين زاولوا مهنة التدريس فى مدارس العراق بأثر الفصحى فى تكوين الوحدة اللغوية المنشودة

لماذا يعنى أبناء الشرق العربى ، بل شعوب الشرق الإسلامى باقتناء المؤلفات المصرية الحديثة ، بل باقتناء المطبوعات المصرية مهما كانت ؟ ولماذا هذا الإقبال العجيب على مؤلفات أعلام المصريين المعاصرين ؟ ولماذا يعجب من يعجب بترسلهم ؟ ولماذا يؤخذ من يؤخذ بسحر بيانهم فى أقطار الشرق والغرب المأهولة بمن ينطق الضاد .

قد تعجبون إذا قلت لكم إن مرد ذلك لا إلى معالجة الأبحاث العلمية أو الموضوعات الأدبية فى حد ذاتها ، وإنما لسبك تلك الموضوعات وأدائها بأساليب لغوية أصيلة البيان مشرقة الديباجة . فهذه الطبقة من الكتاب والمؤلفين المصريين طرست على آثار الطبقة الأولى من المترسلين فى الفصحى ، وحذت حذو الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والصابئ، وغيرهم من أئمة المترسلين ، ونهجت منهجهم فى البيان والبلاغة . فشعوب العرب والاسلام وقد أصبحت شعوباً واعية يقظة فى عصرنا هـذا تعنى العناية كلها ببعث الأساليب العربية الأصيلة ، وتعتز بإقالة الفصحى من عثرتها بعد كبوة طويلة . فعصرنا هذا يمتاز بنمو العاطفة القومية ، والشعور الصادق ، والاعتزاز بالأدب القيم ، والتطلع إلى بعث تراثه القديم

ولو أن هؤلاء الأعلام المصريين استجابوا لدعوة الدعاة إلى اصطناع اللهجات فيما يكتبون وينشئون لأعرض الناس فى الشرق كله من عرب ومسلمين عن اقتناء ما يصدر إليهم من مطبوعات هذه البلاد . ولا نبالغ إذا قلت لكم إننا نعتبر هذه الدعوة خطراً على اطراد الوعى ونمو الشعور . ونحن واثقون أنها دعوة ضعيفة لا تستطيع الصمود فى طريق هذا الوعى المطرد إلا كما يصمد الهشيم فى سبيل السيول الجارفة . فهذا الوقوف فى طريق اليقظة الراهنة مخالف لطبيعة الأشياء ، وهو إذا جاء من طريق التساهل فى الوحدة اللغوية أدهى وأمر

لا غنى لشعوب الشرق العربى وفى طليعتها العراق والشام ، ولا غنى لشعوب الغرب العربى وفى طليعتها مصر وأفريقية ، عن هذه الوحدة اللغوية والرابطة المعنوية التى تتجلى فى الفصحى دون غيرها من اللهجات

نعم إن الصعوبة فى الفصحى تأتى من ناحية الإعراب ، وقد زال هذا الإعراب لأنه لم يعد عملياً فى عصرنا الحاضر على الأقل ، فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها ، وتقويم النطق بهـا ، ولو بالتخلى عن الاعراب إلى حين إلا فى التلاوة وما إليها ، على أن ينظر فى حل مشكلة الاعراب ، وأن يعهد بذلك إلى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا شبهة أن الكتاب المجيد تكفل بحفظ الاعراب . وقد يعلل زوال الحركات أو الاعراب عن أواخر الكلمات بأن العرب كانوا فى الجاهلية ، وفى صدر الإسلام مطبوعين على الحركة واحتمال المشاق فى حلهم وترحالهم وفى مغازيهم، فما كانوا يجدون جهداً أو كلفة فى تحريك أواخر الكلمات . فلما أخلدوا إلى الترف ، وسكنوا إلى النعيم فى المدن الزاخرة مالوا إلى الوقف والسكون . ولا يخفى أن الإعراب أو تحريك أواخر الكلمات يقتضى جهداً لا يقتضيه الوقف والاسكان ، وبمثل ذلك يعلل تسهيل بعض الحروف أو زوالها من النطق بتاتاً فى هـذه اللهجات حيث يتطلب النطق بها بذل بعض الجهد والطاقة

يجب أن تنتظم هذه الأقطار رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية أو الوحدة الأدبية ، ولا يمنع ذلك قطراً من هـذه الأقطار أن يستقل سياسياً عن سواه . وهكذا نحن نرى رابطة الشعوب البريطانية تعززها رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية . وكم نوه قادة هذه الشعوب ، وكم أشادوا بذكر هذه الرابطة ، لأن فى تعزيز هذا النوع من الوحدة ضماناً أكيداً لكثير من مصالح الشعوب المذكورة معنوية ومادية ، ومدعاة لتعاونها

وتضافرها ، واتحادها فى الملمات

يروى فيما يروى عن بسمارك بطل لوحدة الألمانية أنه قال : أهم حقيقة يمكن تسجيلها فى القرن التاسع عشر هى الوحدة اللغوية بين بريطانيا وأمريكا . والظاهر أن هذا الداهية الألمانى كان يحسب حساب هذه الوحدة ، وخطرها البالغ على الشعوب الألمانية . وقد قال تشرشل منذ أسبوع فقط أى فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر ، وهو يخطب الأمريكيين بواشنطون ما هـذا نصه : يجب أن نعمل فى القرن العشرين على تحقيق ما قاله بسمارك فى القرن التاسع عشر ؛ هذا ما قاله تشرشل وهو يعنى تعزيز رابطة اللغة الانجليزية فى بريطانيا وأمريكا . وقد حملت الأمتان — والحق يقال — كل شئ فى سبيل تعزيز هذه الرابطة حتى قادهما ذلك إلى الظفر الحاسم فى الحروب الأخيرة

إذا أرادت مصر أن يدوى صوتها فى المجامع الدولية ، بل إذا أرادت أن تـكون مرهوبة الجانب فعليها أن تستند إلى تعزيز رابطتها معنويا وماديا بشعوب الشرق ، غير عابئة بهذه النعرات الاقليمية الهدامة ، واللهجات المضرة بتلك الجامعة اللغوية

أدى تشعب اللهجات واضطرابها من ناحيـة الاختلاف البعيد فى النطق ، وفى إخراج الحروف وما يترتب على فساد النطق بها من الاستعجام إلى تكون مشكلة من المشكلات الاجتماعية ، بيد أن حلها ليس بمتعذر ، وهو يتوقف على إزالة هـذه الفوارق بين لهجاتنا ، وتوحيد النطق والتلفظ ، وضبط الكتابة بموجب قواعد عامة توضع لهـذا الغرض . وليس ذلك بمستحيـل على العاملين المجتهدين . ولنأخذ مثلا كلـة (يصفق) إذ نجـدها فى اللهجة المصرية : (يسأف) ، وهى كلـة مستحيلة اجتمع فيها القلب والابدال، وما اجتمع الداءان إلا ليقتـلا . وفى سوريا يقولون (يصفأ) بقلب القاف همزة ، وفى العراق يقولون (يصفج) تنطق القاف كافا فارسية فى العراق . ومثل ذلك فى كلة (أول) التى تلفظ بفتح الواو فى العراق ، بينما يقال فى اللهجة المصرية : (أول) بكسر الواو . وفى كلـة (اضرب) كما تلفظ فى العراق بكسر الراء ، أما فى اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا ، إلى ضروب أخرى من اضطراب النطق وفساده فى هذه اللهجات المختلفة باختلاف الأقطار . وعلى هذا لا مناص لنا من إصلاح النطق ، وتقويم الألسنة ، وهو الحل الوحيد لهذه المشكلة، وفيه المخرج من هذا المأزق .

إنا نقرهم على أن الاعراب فى اللغة المحلية لم يعد عمليا، وليس من السهل الالتزام به ، ولـكن التخلى عن الاعراب فى المنطق شئ ، والتخلى عن سلامة المنطق وتقويم اللسان وفتح الباب على مصراعيه للكلمات الدخيلة أو العامية الفاسـدة شئ آخر . وفى وسع الدول التى تعـتز الآن بالفصحى وتنص فى دساتيرها الأساسـية على ذلك ، وهى الدول العربيـة ، وفى وسع الهيئات المعنية بشئون الثقافة فى الدول المذكورة أن تعمل كثيرا فى هذا الشأن

فما المانع الذى يمنعها من العنـاية بتوحيد المصطلحات فى معاهد العلم وفى غيرها من سائر مصالح الدولة ؟ وما المانع الذى يمنعها من السعى الى إصلاح النطق وتوحيد اللفظ فى اللهجات المختلفة على وجه يسـهل التفاهم بها فى المجتمع وبين الطبقات ؟ وما المانع الذى يمنعها من توحيد مناهجها فى تعليم اللغة العربية ؟

لا نبالغ إذا قلنا إن المصرى لا يفهم عن العراقى فى لهجته الشائعة الآن إلا بمشقـة . وكذلك العراقى لا يكاد يفهم من المصرى فى لهجته إلا بعناء . ولا يعد تغاير الكلمات ، والتعابير المولدة خطرا كبيرا فى حـد ذاته على اللغـة ، فان أ كثر تلك الكلمات عربى الأصل والمـادة ، ولـكن الخطر الذى يتهـدد الفصحى كامن فى اضطراب المنطق واختلاف النبرات وتبـاين اللفظ ، فهذا الفساد هو الخطر الذى يوسع الشقة بين لهجاتنا ، حتى ليخشى أن تصطنع اللهجة الفاسدة المولدة فى بعض الأقطار مع الأيام ، وتنسى الأم التى ولدت منها . ولولا الثقافة الاسلامية التى تقوم على أساس متين من مدارسة الكتاب وتفسيره ، ورواية الحديث وحفظه ، لوقع ما كنا نخشاه

لقـد آن للمجامع اللغوية ، وفى طليعتها هـذا المجمع المعنى بشئون الفصحى ، وجعلها وافية بمطالب الحياة والحضارة فى هذا العصر ، أن تعنى بهـذه الناحية ، وبالبحث عن طريقـة لضبط النطق واللفظ فى الأقطار ، وتخليص لهجاتها من هذا الاضطراب. ولا يستحيل ذلك فى عصر تعددت فيه وسائل التفهيم والتلقين . والمجمع بحكم وظيفتـه مطالب بالكف من غلواء دعاة اللهجات

وتغليبها ، خصوصا إذا علمنا بأن هـذا الجفاء القديم بين الأم وبناتها الناشزات يسير إلى نهاية غير تلك النهاية التى انتهت اليها اللغة اللاتينية مع فروعها ، إذ سينتهى الخلاف فيما نحن فيه إلى وئام ، وهو وئام عهد له الآن صحافتنا العاملة فى سائر الأقطار العربية ، ولهذه الصحافة الراقية ، ولدور النشر أثرها المحمود فى هذا الشأن . ولا ينكر أثر الصحافة المصرية فى لهجة المجتمع أو الشعب ، وفى ترقية الذوق اللغوى فى مصر ، فان لهجة الشعب المصرى الآن أدنى إلى الفصحى مما كانت عليه قبل جيل . ومرد ذلك إلى انتشار الصحافة المصرية الراقيـة ، وتكاثر قرائها يوما بعد آخر ، وازدياد عدد المتعلمين . وكلما تقلصت الأمية ، وكوفحت فى مصر ، وفى أقطار الشرق العربى — وهى تتقاص وتكافح الآن فى كل مكان — تضاءل خطر اللهجات على الوحـدة اللغوية ، ومرنت الألسـن على المنطق السليم .

محمد رضا الشبيبي

إلي الشعب المصرى

الأستاذ علي الطنطاوي

يا أهل مصر ، اثبتوا على جهادكم ، فإنا جميعا معكم . قضيتكم قضيتنا ، وعدوكم عدونا . ما ضرنا أن تفرق بيننا الحدود على الأرض ، والألوان على الصور ، ما دام يجمعنا الإسلام ، وتوحد بيننا العروبة ، وتربطنا الآلام والآمال ، وذكر الماضى ، وأمانى المستقبل . فنحن الإخوة ، تعددت بيننا المنازل ؛ ولـكن الدم يجمع الإخوة جميعا ، والحب والمنشأ والمصير . ومصر أختنا الـكبرى ، فلئن خذلنا مصر ، إنا إذن لشر إخوة فى الدنيا

وما نسينا ، والله يا أهل مصر ، موقفكم منا يوم عدا العادون من بنى السين ، دعاة الحرية . . . وأحفاد من نادوا بحقوق الإنسان .. على جمهوريتنا وبرلماننا ، وحريتنا فى أوطاننا ، أفترونا نقعد عن نصرتـكم وقد عدا عليكم العادون من أبنـاء التايمس ، أدعياء الديمقراطية . . وأبناء من (ابتدعوا) البرلمان ! فأين إذن ، حقوق الأخوة ، وأين واجبات الوفاء ؟

أننام على فرش الأمن ، وننعم بالدعة والخفض ، ونشرب العذب من بردى ، ونؤم الضاحى من سفوح قاسيون ، نلهو ونتمتع ، وإخواننا على حفافى النيل ، وجوانب القناة ، يخوضون اللهب ، ويقتحمون الحديد ؟ وإخواننا هناك تهد بيوتهم ، ويصرع فتيانهم ، ويعتدى عليهم فى أوطانهم ؟

لا والله ، ولـكن نألم إن ألموا ، ونجزع إن جزعوا ، ونخوضها حمراء عابسة الوجه ، يرقص فيها الموت ، إن دعتنا إلى خوضها الأخوة ، ونادانا الجذم والدين واللسان ، ولا منة لنا ولا فضل

ولن نعيد مأساة فلسطين !

لن نعيدها . حلفنا وأيدينا مغموسة بدماء شهدائنا الذين أردتهم المعركة مع اليهود ، ونسائنا اللائى بقرت بطونهن أكف يهود ، وأطفالنا الذين ذبحتهم أيدى يهود !

حلفنا لنثأرن لهم ، ولن ندع مأساة كمأساة فلسطين تمثل فى ديارنا ، بتخاذلنا وانقسامنا ، واستسلامنا لخدع أعدائنا : الإنـكليز وأحلاف الإنـكليز

نهضنا لنصر مصر على قدم واحدة ، اجتمعنا على ذلك على اختلاف الأحزاب والمذاهب والآراء . وتعالوا انظروا ، تروا الشباب فى الطرق ، والشيوخ فى الأسواق ، والـطلاب فى المدارس ، والنساء فى البيوت ، وحول كل راد (١) ، وأمام كل بائع جريدة ، على ألسنتهم جميعا حديث مصر ، وفى قلوبهم جميعا حب مصر ، وفى عروقهم تغلى الدماء حماسة لمصر ، وشوقا إلى السفر لمصر ، للجهاد مع أهل مصر

الشعب هنا كله معكم ، والحـكومة معكم ، كلهم مع الحق الذى هو معكم ، وعلى الباطل الذى هو مع عدوكم

وسيكون الظفر والله معكم

---

(١) المذياع : محطة الإذاعة ، والراد : الراديو لأنه يرد علينا الصوت المنتشر فى الفضاء

إن هذه المصائب امتحان للشعوب ، لصبرها ولرجولتها .

وإن هـذا الشعب العربى قد جاز آلاف المحن ، وخرج منهـا فائزا مجليا

أى أرض فوق الأرض ، وأى مكان تحت النجم ، لم يوار فيه هذا الشعب شهيدا من شهدائه ، ولم يبلغه رائد من رواده ، ولم يرفع علمه يوما عليه ، ولم يشهد ظفرا له ، ولم يسمع نشيده العسكرى ، يهتف به الجندى المسلم ، فيرنح منه كل واد ، ويرجف كل جبل ، ويميد كل فلاة : (الله أكبر)

(الله أكبر) هذا هو نشيدنا فى حربنا ، وهتافنا لصلاتنا ، ودعاؤنا بين يدى ربنا . فـكونوا مع الله ، ولا تخشوا الإنـكليز ، لأن (الله أكبر) من انـكلترا ، ومن يشد أزرها . (الله أكبر) من مدافع الإنـكليز ، ودباباتهم ، وطياراتهم ، وأسطولهم

فلا تخـافوا سلاحهم فإن أجدادنا ما حاربوا الأبيض والأسود ، ولا فتحوا الشرق والغرب ، ولا ملـكوا ثلثى العـالم المتمدن فى ثلث قرن ، لأن سلاحهم أمضى ، أو لأن عددهم أكثر . ما انتصروا إلا بالإيمان

الإيمان مكن للفئة القليلة منهم أن تغلب الجيش الـكبير من أعدائهم . الإيمـان جعل السيوف الملفوفة بالخرق ، أمضى فى أيديهم من المهندات المذهبات فى أيدى خصومهم . الإيمان أظفر الأمة البدوية الجاهلة المتفرقة ، بدولتى الأرض ، وأمبراطوريتى الزمان : فارس والروم ، ففتحت بلادهما ، وورثت أرضهما ، ثم أنشأت حضارة خيرا من حضارتهما ، ومدنية أزهى وأنفع من مدنيتهما

الإيمان بالله ، والإيمان بالظفر ، والإيمان بأن الحق معهم

فإذا كنتم مؤمنين بأنـكم تدافعون عن حقكم ، فلن يغلبكم أحد ، لا الانـكليز ولا حلفاء الانـكليز

ولقد حاربت جمـاعات من أهل الشام فرنسا ، يوم كانت فرنسا أقوى دول أوربة فى البر ، فى أعقاب الحرب العـالمية الأولى وما كان لهم سلاح إلا الذى يأخذونه من جنود فرنسا ؛ ومع ذلك فقد وقفت فرنسا بدباباتها ومدافعها سنتين أمام مئات من الثوار ، يقودهم خفير عامى من دمشق اسمه حسن الخراط

فـكيف ومصر الدولة العربية الـكبرى ، وفى مصر العدد والمدد والمال ، ومع مصر كل قطر عربى ، وكل بلد مسلم ؟

* * *

إنه ليس على ظهر الأرض شعب كهذا الشعب الذى صب محمد البطولة فى أعصابه ، حتى لا يكون المرء عربيا ولا يكون مسلما حتى يكون بطلا

أما ترون العربى إذا دعى باسم العرض ، أو دعى باسم الأرض ، أو دعى باسم الدين ، كيف تغلى دماؤه فى عروقه فيحس حرها فى قحف رأسه ؟ وكيف تشتد أعصابه ، وتفور عزيمته ، حتى ليقحم النار ، ويركب الأخطار ؟

أما ضرب هذا الشعب ، على بطولته ونخوته آلاف الأمثلة فى الماضى وفى هذه الأيام ؟

أما حارب عبـد القادر فرنسا سبع عشرة سنة ؟ أما نازل عبد الـكريم فرنسا وأسبانيا معا ؟ أما قاتل العراقيون الانـكليز فى الرميثة ؟ أما فعل الفلسـطينيون سنة ١٩٣٦ الأفاعيل ؟

أما كان لمصر سنـة ١٩١٩ الأيام الغر المحجلات فى مواكب الزمان ؟

فإن مضى سعد ، فـكلـكم يا أهل مصر سعد تسعد به مصر

فإلى السلاح جميعا ، وإلى الحرب . وإن فقدتم السلاح فحاربوا بالعصى ، وحاربوا بأيديكم ، واطلبوا الموت يعجزوا عنكم ، لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا عشرين مليونا تريد الموت

وقبـل حرب الميدان ، حاربوهم بالعلم ، وبالأخلاق ، وبالدستور الاقتصادى الصحيح ، وأعدوا لهم كل أنواع القوى : قوة الجسم وقوة العقل وقوة القلب وقوة المال وقوة الجيش

ونحن جميعا معكم :

هذى يدى عن بنى (قومى) تصافحـكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

دمشق

على الطنطاوى
قاضى دمشق

جلاء . . . وجلاء

صفحة من الكفاح المصرى منذ ١٥٠

للأستاذ محمد محمود زيتون

ابتليت كنانة الله فى أرضه بالاحتلال الفرنسى ، والأمراء المماليك يسومون أهلها سوء العذاب ، وسلطان العثمانيين يتقلص ظله من حيث لا يشعرون . ثم إن هذه الفترة قد سجلت صراعا محتدما بين إنجلترا وفرنسا من جانب ، وبين تركيا والمماليك من جانب آخر

زعم نابليون أن مصر ستنقاد له بمجرد إذاعة المنشورات التى أعدها وهو لا يزال يمخر عباب البحر ، ولم يكن يدرى أن المصريين يستعدون للمقاومة الشعبية منذ ترامت إليهم أنباء تحرك سفن الحملة من جزيرة مالطة فى طريقها إلى الإسكندرية

وفى الحق أن الحملة كان مقضيا عليها بالفشل ، منذ ألقت مراسيها بالاسكندرية فى ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٨ لأن المتاعب التى ستواجهها ستزيد على الحصر . وإذا كان فى الإمكان ضرب عدو بآخر للتخلص منهما معا مما لا يحتاج فى العرف السياسى إلى غير الحنكة والدهاء ، فإن اليقظة الشعبية كانت بمثابة الصخرة الغليظة فى حلق الاحتلال

ومنذ الساعة الأولى بدأت قوات الاحتلال تطارد المماليك حتى تشتت شملهم فى أقاصى الصعيد ، وخذلوا الشعب الذى لم ير بدا من الدفاع عن شرفه ولو لم يكن لديه من سلاح إلا الحجارة والمقلاع وأبواب الحارات والسلاسل والمتاريس

وبينما كان الفرنسيون يتوغلون فى البلاد كانت الأنباء تترامى شرقا وغربا . أما تركيا فكانت مشغولة ببلواها عن بلوى غيرها ؛ وحسبها قلاقلها الداخلية ومشاكلها الخارجية . وعز على إنجلترا — وهى سيدة البحار وأم الاستعمار — أن تنافسها فرنسا فى مصر وهى مفتاحها إذا هى أرادت الإبقاء على أكبر جوهرة فى تاجها الامبراطورى الذى لا تغيب عنه الشمس

ولم يكد شهر يمضى على المحتلين حتى كانوا مضرب المثل فى الإجرام : سفكوا دماء الأبرياء ، وأعدموا زعماء الوطن رميا بالرصاص ، وملأوا السجون والمعتقلات بعلماء الدين ، فما وقروا شيبتهم ، ولا رحموا ضعفهم ، ومضوا بعد ذلك إلى المدن والقرى ينهبون ويسلبون ، وهتكوا الأعراض فى غير رحمة ، وانتهكوا حرمات بيوت الله والناس ، وتجردوا تماما من العاطفة الإنسانية أو ما يشبهها ، وتفننوا فى التنكيل بالشعب من كل لون . فأحرقوا الدور بعد انتهاب ما فيها ، وأشعلوا النيران فى محاصيل الفلاحين ، وبعثروا أقواتهم واستاقوا مواشيهم ، وأثقلوا كواهلهم بالضرائب والغرامات والفروض ، فلم ير المواطنون بدا من الهجرة على غير هدى تاركين ديارهم خرابا يبابا ليس بها ديار ولا نافخ نار . وأما الذين لم يهاجروا فقد أرغمتهم السلطة الغاشمة على دفع الغرامة عنهم وعن جيرانهم المهاجرين

وفى أول أغسطس أوقع الأسطول الإنجليزى بالأسطول الفرنسى هزيمة منكرة فى مياه أبو قير ، وعلى أثرها غير نابليون سياسته العنيفة فأقام الحفلات بمناسبة المولد النبوى تملقا للعاطفة الدينية عند المسلمين وهم السواد الأعظم ، ومع ذلك فإنه ما وجد منهم غير الإعراض التام . حتى إذا جاء يوم ٢٢ سبتمبر وحلت الذكرى الأولى لعيد الجمهورية الفرنسية ، دعا نابليون علماء مصر وأعيانها إلى حفل كبير بالأزبكية توسطه عمود ضخم يرمز إلى شجرة الحرية التى يزعمون أن الثورة الفرنسية قد تمخضت عنها ، وما رأى المصريون فيها إلا رمزا على الاستعباد فسموها « خازوق الاحتلال »

اغتاظ نابليون من هذا الموقف السلبى ، وأسرها فى نفسه وعاودته غريزة الذئب الغادر ، فقسا ليزدجروا ، وزاد تنكيلا ليرجعوا ، وأصدر بذلك أوامره المشددة إلى حكام الأقاليم ، كتب إلى قومندان المنوفية يقول « يجب أن تعاملوا الترك (الأهالى) بمنتهى القسوة ، وإنى هنا (فى القاهرة) أقتل كل يوم ثلاثة وآمر بأن يطاف برءوسهم فى شوارع القاهرة . وهذه هى الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء الناس ، وعليكم أن توجهوا عنايتكم لتجريد الشعب قاطبة من السلاح »

وكتب إلى الجنرال مينو قومندان رشيد بأنه يأمر بقتل

خمسة أو ستة يوميا ثم يقول له « لقد كنا نتفادى التعرض لهم حتى نزيل عن سمعتنا وصمة الإرهاب تلك التهمة التى كانت تسبقنا إلى أذهان الناس » وصدق المثل : رمتنى بدائها وانسلت، ولكن هيهات هيهات أن ينفذ شعاع من رحمة إلى قلوب المتوحشين الذين جاءوا من أوربا الجائعة ليشبعوا جوعهم من دماء الوادعين فى بلادهم

وإذ ذاك كانت « لجنة الثورة » تنعقد بالجامع الأزهر ، وقد استنفد العلماء والحكماء كل السبل لحقن الدماء واستتباب الأمن ؛ فكان لابد أن تنفجر مراجل الصدور بهذه المظالم الفادحة والمجازر البشرية

وفى ٢١ أكتوبر انطلقت الأنفاس المحبوسة ، واندفعت القاهرة اندفاع الصاعقة ، ولم يعد بالديار داع أو مجيب . وتجسمت ثورة القاهرة سخطا وحنقا على الغاصبين ، واغتيل القائد الفرنسى (ديبوى) واحتمى الثوار بالأزهر بعد أن أقاموا جميع الاستحكامات على المنافذ المؤدية إليه

وذهل الفرنسيون أمام هذه اللعنة المنصبة عليهم من كل جانب ، فأصدر الجنرال بون Bon أمره فى ٢٣ أكتوبر « بهدم الجامع الأزهر ليلا إذا أمكن ، وترفع الحواجز والبوابات التى كانت تسد الشوارع »

وأطلق الفرنسيون مدافعهم الثقيلة على الثوار ، فكانت ضحايا المصريين أكثر من أربعة آلاف حسب تقدير الجنرال (بليار) . ولنترك للجبرتي مؤرخ العصر يصف لنا هذا المشهد الأليم إذ يقول « ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر ، وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها .. »

وفى هذه الغمرة يفتح نابليون صدره المريض لإحدى نوافذ قصر الألفى وما يلبث أن يعود إلى مكتبه فيصدر الأمر الكريم « بقطع رءوس جميع المسجونين الذين أخذوا ومعهم الأسلحة ، وعليكم إرسال الجثث فى هذه الليلة إلى شاطىء النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة وإغراقها فى النهر »

ولم يكن خافيا على فطنة العلماء أن المماليك يدا فى تحريض الأهالى ضد الفرنسيين مما زاد النار اشتعالا ، فأذاعوا البيانات فى الناس بغية التزام السكينة والتذرع بالصبر « فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد، وارجعوا إلى مالك الملك وخالق العباد؛ وذهب وفد العلماء إلى نابليون يتشفعون فى جلاء خيوله عن الأزهر ، فأجابهم إلى طلبهم . ثم أحصى المحرضين على الثورة من العلماء فسرعان ما ألقى القبض عليهم ، وعجلان ما حوكموا سرا وأعدموا رميا بالرصاص . وضاعف الفرنسيون من تحصين القاهرة وإقامة المعاقل فى أهم شوارعها استمدادا لكل ما عساه يجد من أحداث

ومن وسائل الاحتياطات التى اتخذها نابليون أن أرسل المحصلين لجباية الغرامات من الأهلين ، وهم الذين كادوا يهلكون جوعا وعريا بعد أن هام أكثرهم على وجوههم فى القرى ، وبعد أن أصبحت البيوت لا عائل لها يدبر أمرها ، تلك البيوت التى اقتلع المهندسون الفرنسيون أبوابها وأبواب الحارات التى تضمها ونبشوا القبور ونقضوا البيوت ليتخذوا من الحجارة والأخشاب تحصينات للقلعة ، مما كان سببا قويا لاستفزاز الأهالى ، وانقضاضهم على كل من يلقونه فى وجوههم فكانت الضحايا من المهندسين فوق الحصر

وسرت الثورة فى كل مكان سريان النار فى الهشيم حتى عمت الدلتا والصعيد . فاتسع الخرق على الراقع ، وضاق بونابرت ذرعا بهذا العدو الذى ما من صداقته بد ، والذى استعصى على الترويض ، والذى أنزل برجاله هذه الخسائر وهو الذى لا مدفع معه ولا رصاص

واعتزم نابليون أن يخضد شوكة المصريين ويزعزع يقينهم بالكفاح المرير فى سبيل الحرية والاستقلال ، فأنفذ حملة الشام التى لم تأت بالثمرة المشتهاة ، فلا هو فتح الشام ولا هو أذل مصر

فاشتعلت الثورة من جديد فى الشرقية بينما كان جيشه يرتد مهزوما أمام عكا الحصينة ومعه الجرحى والقتلى ممن لا اعداد لهم

واضطربت الأحوال فى فرنسا حينذاك ، فاستدعت حكومة الدير كتوار قائد الحملة على مصر ، ولكن الأسطول الإنجليزى المتربص للفرنسيين فى البحر حال دون وصول الرسالة إلى مصر . ومع ذلك تمكن الماكر الداهية من الإفلات ففادر الإسكندرية فى ليلة ٢٣ أغسطس بعد أن أناب عنه كليبر وزوده بالتعليمات الكافية ، ومن أهمها « إن من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يضمن ثقة الشعب المصرى » ورأى نابليون قبل مغادرته مصر أن تركيا قد بدأت تحالف الإنجليز ضد فرنسا على حساب مصر ، ففوض كليبر فى عقد الصلح مع تركيا ولو كان ثمن ذلك جلاء الفرنسيين عن مصر نهائيا

أحاطت المشاكل بكليبر من كل جانب ، فالفرنسيون قد انهارت روحهم المعنوية ، وتفشت الأمراض فيهم ، وقضت الثورات على مهندسيهم ، ونهب الثوار آلاتهم الفنية النادرة ، ولم يسلم القواد أنفسهم من الإصابات والجروح حتى نابليون نفسه ، ونقص الإيراد وضعف الإنتاج وتراكمت الإتاوات والغرامات وتربص الإنجليز والترك للفرنسيين على الشواطئ ، وقطع الحصار البحرى على الحملة الإرهابية كل سبيل ، وكتب المسيو بوسليج فى تقريره إلى حكومة الدير كتوار يقول « . . إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التى لا يمكن تذليلها والتى تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين . إنهم يمقتون حكم المماليك ، ويرهبون نير الآستانة ، ولا يحبون حكمها ، ولكنهم لا يطيقون حكمنا ولا يصبرون عليه إلا بأمل التخلص منه »

وظل كليبر يماطل فى الجلاء كلما تغلب على المحاولات البحرية العثمانية التى دأبت على مناوشته على شواطئ مصر ، فلما تمت معاهدة العريش المعروفة فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ بين فرنسا وتركيا قبل القائد الفرنسى الجلاء عن مصر رغبة منه على حد قوله فى « وضع حد لسفك الدماء ، وإنهاء النزاع القائم بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى »

وفى غضون الأشهر الثلاثة المقررة للجلاء نزلت القوات التركية تدريجيا بالأراضى المصرية وأمعنت فى تصرفات غاشمة من النهب والسلب والإرهاب وابتزاز الأموال بحجة الحاجة إلى مصاريف إمداد الفرنسيين ، فجمعوا الغلال ، واحتكروا المؤونة وشاركوا المواطنين فى الحرف ونافسوهم فى أرزاقهم مما أثار السخط العام على الأتراك والفرنسيين من قبلهم

وتأججت نيران الثورة من جديد لعدم اعتراف انجلترا بمعاهدة العريش تلك ، وألبت المصريين على كليبر ، فلم يجد بدا من التفريق بين فلول المماليك وبين المصريين من جهة وبين هؤلاء وبين العثمانيين من جهة أخرى ، فاتفق مع مراد بك على أن يطلق يده فى الصعيد نظير شروط دفاعية وأموال وغلال . فلما شبت ثورة القاهرة فى ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ أشار مراد بك على كليبر باضرام النار فى العاصمة

وبعد شهر من هذا التاريخ استطاع كليبر أن يخمد الثورة ، ويطرد العثمانيين ، فوطد مركزه ، وأبعد من حسابه فكرة الجلاء . فلما فاوضه الانجليز والعثمانيون فى تنفيذ معاهدة العريش أبى ولج فى الطغيان ، حتى لقى حتفه بطعنة من خنجر سليمان الحلبى فى ١٤ يونيو وخلفه مينو الذى ورث عن سلفه أفدح الأعباء التى ينوء بحملها قائد متخاذل مثل مينو

أتقن مينو دوره الاستعمارى أيما إتقان ، فأعلن إسلامه وتزوج أرملة مسلمة من رشيد ، وخالط الناس فى المساجد والمحافل ، وأظهر الورع حتى صلى معهم التراويح ، وتظاهر بمقته لكليبر حتى لقد سمى ابنه باسم قاتل خصمه ، ولكنه ما لبث أن قلب للمصريين ظهر المجن ، وبرح خفاؤه ، حين اتهم الأزهر بتدبير اغتيال سلفه فأمر بتفتيشه وإرهاب علمائه ، وحاول أن يقف على شئ يدل على ما للأزهر من يد فى مؤامرة اغتيال كليبر ، ولكن دون طائل ، واقترح العلماء غلق الأزهر بدلا من أن تشن عليه الحملات الارهابية وحقنا لدماء المواطنين ، وإبراء لذمتهم من دم كليبر

ومع ذلك ظل مينو سادرا فى غلوائه وغطرسته ، فلم يكف عن سياسة سابقه . ومما زاد فى تعزيز مركزه تلك المدة التى

أنفذها إليه نابليون من فرنسا ، واستطاع أن يهربها فأفلتت من الرقابة الانجليزية المنبثة فى أرجاء البحر . غير أن الأمل لم يطل مداه حينما ترادفت قوات الانجليز والأتراك على مصر عند كانوب فى الأسبوع الأخير من مارس ، وسقطت المدن المصرية صرعى احتلال جديد بينما كان الطاعون لا يزال يفتك بالمواطنين والأجانب فتكا ذريعا

نكص الفرنسيون على أعقابهم إلى القاهرة وطلبوا المدد من حليفهم مراد بك فعاجله الطاعون فى سوهاج وهو فى الطريق إليهم ، فأدركوا حرج موقفهم ، واضطروا لمفاوضة أصحاب هذه الغارة — وهم على أبواب القاهرة — فى جلاء الفرنسيين أنفسهم، ولق ذلك هوى . وفعلا عقد بليار اتفاقيـة الجلاء فى ٢٧ يونيو دون علم مينو ، وأفرج عن المعتقلين فى القلعـة من العثمانيين والمصريين . ولم تستطع المـدات الجديدة أن تصل إلى مصر فمادت أدراجها إلى طولون . وكادت تنتهي الخمسون يوما المحددة للجلاء برا وبحرا ، ولـكن الفرنسيين أخـذوا يماطلون حتى حاصرهم الانجليز حصارا كاد يودى بهم ، فعقد مينو مجلسا عسكريا من رجاله ، فأجمعوا الرأى على الجلاء

وهنـا أملى الانجليز شروطا أقسى من ذى قبل حتى لقد أوجبت على العلمـاء الفرنسيين أن يسلموا بحوثهم وأدواتهم وحتمت عليهم هذه الشروط أن يتم الجلاء فى مدى عشرة أيام، وأن يسلموا سفنهم بمـا عليها من عتاد ، وبمن عليها من جنود . وبدأ الفرنسيون يسلمون القلاع والذخائر فى ٢ سبتمبر ، غير أن العلماء تذمروا لحرمانهم من ثمرات قرائحهم ، وفاوضوا هتشنسون فى ذلك فأبى عليهم حمل الآثار المصرية معهم ، وسمح لهم بما دون ذلك

وفى هذه الأثناء كان نابليون قد انتهى من مفاوضاته مع انجلترا بما يسمى « مقدمات لندن » فى أول أكتوبر سنة ١٨٠١ وبمقتضاها يكون الاتفاق على جلاء الطرفين معا عن مصر

ولم تكد شمس يوم ١٨ أكتوبر تغرب حتى كانت قوات الاحتلال الفرنسى — وعدتها وقتئذ ثلاثة عشر ألفـا — قد أخذت طريقها فى البحر تجرر أذيال الخيبـة ، وفى مؤخرتها عبد الله جاك مينو . وبذلك اليوم انطوت صفحة ثقيلة من تاريخ مصر لطخها الاستعمار والاستغـلال بالظلم والارهاب . وأثقل المحتلون فيها كاهل مصر بالسخط والتذمر على أوربا الغادرة

وظن الانجليز أن الجو قد خلا لهم فأفسحوا صدرهم للماليك ليضربوا بهم الأتراك عن يمين والمصريين عن شمـال . وظلوا يتلكأون فى الجلاء حتى استعجلهم نابليون فتركوا البلاد لأهلها فى ١٦ مارس سنـة ١٨٠٣ ، ومعهم صنيعتهم محمد بك الألفى ، وبين يديه البقية الباقية مما نهبه من الصعيد، وقدطوى جوانحه على أمل أن يعيده السادة الانجليز قريبا وقريبا جدا ليكون ملك مصر المنتظر

وهكذا قضت مصر هذه الحقبة من تاريخها تحت كابوس الاحتلال الفرنسى ذاقت فى خلالها مرارة ما بعدها من مرارة . وحسبها أنها اعتمـدت على إرادة شعبها الأبى الحر فواجهت الظلم المسلح وهى عزلاء من كل سلاح ، اللهم إلا الايمان بالحق المغتصب ، والـكفاح فى سبيل الشرف الرفيع . ولم يعرف التاريخ أمة غير مصر تداعت عليها القوة الغاشمة مجتمعة فكافحتها جميعا فى آن واحد غير معتمدة إلا على الايمان والوحدة والمصابرة ، وبذلك قضت على إنجلترا وفرنسا وتركيا والماليك والطاعون جميعا

وما كان المصريون لينسوا منذ اللحظة الأولى للاحتـلال الفرنسى مبلغ ما تنطوى عليه عبارة نابليون فى منشوره الأول من مغالطة وقحة إذ يقول إن « الديوان » المشكل إنما يقصد به « تدبير الأمور والنظر فى راحة الرعية وإجراء الشريعة »

كما أنهم لم ينسوا كيف أن نابليون حرم العمال المصريين من العمل فى المصانع التى شيدها فى مصر فى ظل الاحتلال حتى لا يطمعوا لذة العيش ، وحتى لا يتعلموا صناعـة جديدة تعود اقتصاديا على البلاد بالنفع العميم ، ولـكنه الاحتلال وكفى

وحسب المصريين أنهم تعلموا منذ ١٥٠ سنة أن كفاح الشعوب إنما هو سبيل حريتها واستقلالها ، وأن « الطرق السلمية المشروعة » أصبحت غير ذات موضوع . وصدق نبى الجهاد « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا »

محمد محمود زيتون

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغاني

للأستاذ حمدي الحسيني

— ٢ —

أما جمال الدين فظل في كابل لم يمسه الأمير بسوء احتراما لشخصيته الكبيرة وعشيرته القوية مؤجلا الفتك به إلى فرصة مناسبة . فرأى جمال الدين أن يغادر البلاد، وللحر عن دار القلى متحول . فعزم على الذهاب إلى الهند والنزول فيها على أحد أصدقائه التجار البسطاء . وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى على الحدود استقبالا فخما رسميا تستقبله به حكومة الهند وليس له من الصفة الرسمية ما يستوجب هذا الاستقبال العظيم فقال : مأرب والله لا حفاوة كريم . وأول سؤال ألقي على جمال الدين من الحكومة الهندية ما هو الزمن الذي تريد أن تقضيه في الهند ؟ قال لا أكثر من شهرين . قبلت الحكومة ذلك منه ولكنها أحاطته بجيش جرار من الجواسيس والعيون تحصي عليه أنفاسه وتعد عليه حركاته وسكناته؛ ولكن هذه المراقبة الشديدة الدقيقة لم تمنع الهنود من الاقبال عليه والاجماع به والاستماع له فأصبح كعبة يحج إليها الهنود على اختلاف طبقاتهم وتباعد ديارهم، فضاقت الحكومة الهندية ذرعا و كشفت نقاب الحياء عن وجهها وأرسلت لجمال الدين وهو في مجلس حافل برجالات الهند أحد رجالها ليبلغه بأن حالة البلاد لا تساعد على بقائه في الهند أكثر من المدة التي قضاها . فتأثر الهنود الحاضرون من هذا الأمر وأرادوا أن يحتجوا فكفهم جمال الدين عن هذا والتفت إلى رجل الحكومة فقال له : إن تخوف حكومة بريطانيا من زائر أعزل مثلي يسجل عليها وهن عزمها وضعف شوكتها وقلة عدلها وعدم أمنها في حكمها، وأنها في حقيقة حكمها لهذه الأقطار أضعف بكثير من شعوبها . ثم التفت إلى زائريه من الهنود وقال : يا أهل الهند وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين ذبابا لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى، ولو كنتم وأنتم مئات الملايين وقد مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخضتم البحر وأحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى لجررتموها إلى القعر وعدتم إلى وطنكم أحررا . فما كاد يتم جمال الدين كلامه حتى أذرف الحاضرون الدموع فقال لهم حينذاك بصوت داو كالرعد : اعلموا أن البكاء للنساء . والسلطان محمود الغزنوي ما أتى إلى الهند باكيا بل أتى شاكيا للسلاح . ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت في سبيل الاستقلال بثغر باسم : ثم نهض مسرعا إلى رجل الحكومة لكي يذهب معه حيث شاء فقال له : مهلا فالسفر غدا . فقال جمال الدين : إلى أين تريدون أن أذهب ؟ قال الرجل: إلى حيث تشاء بعد أن تبرح الهند . وفي الصباح سيرته الحكومة إلى السويس ومنها إلى مصر فمكث فيها نحوا من أربعين يوما تردد خلالها على الأزهر وتعرف إلى الصفوة المختارة من رجال العلم والثقافة ، فأحبهم وأحبوه وطلبوا منه أن يقرأ لهم شرح الأظهار فقرأ لهم جانبا منه في بيته . ثم سافر إلى الآستانة فالتقى بالصدر الأعظم علي باشا فعرف له الصدر فضله وأحله محلا لم يسبق لمثله أن حل فيه . وبعد ستة شهور من إقامته في الآستانة عين عضوا في مجلس المعارف فأدى حق النصح لتعميم التعليم بطرق لم يوافقه عليها رفقاؤه في المجلس ومنها ما أحفظ عليه قلب شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي لأنها كانت تمس شيئا من رزقه فأضمر له الشر حتى كلفه مدير كلية دار الفنون أن يلقي خطابا يحث به على الصناعات . فألقى خطابا ضافيا في هذا الموضوع فشبه المعيشة الإنسانية بالبدن وأن كل صناعة منزلة العضو من ذلك البدن ، أما روح ذلك البدن فهي إما النبوة أو الحكمة فاصطنع شيخ الإسلام الحاقد من هذا القول وسيلة للنيل من جمال الدين بحجة أن جمال الدين يزعم أن النبوة حرفة من الحرف ، فدافع جمال الدين عن نفسه وطلب محاكمة شيخ الإسلام على هذه الفرية ، ولكن الصدر الأعظم المعجب بجمال الدين من جهة والمسئول عن الحكومة من الجهة الأخرى رأى أن يغادر جمال

الدين الآستانة كحل لهذه الشكاة، فغادرها إلى مصر . فكانت فرصة سعيدة لمصر والعالم العربي والإسلامي فقضى جمال الدين فيها ثماني سنين كان خلالها قطب رحا الحركة العلمية والأدبية ومحور دائرة السياسة العربية والإسلامية، ليس فى مصر فحسب بل فى العالمين العربي والإسلامي قاطبة . هبط جمال الدين مصر فى عهد اسماعيل وعهد اسماعيل عهد التقى فيه النقيضان ، أفراح الأمارة وأتراح الشعب . واختلطت فيه رنات الضحك فى قصور الأمراء بأنات الأسى والحزن فى كل بيت من بيوت الشعب المصرى وذلك بسبب ما كان عليه اسماعيل من التبذير فى النفقات مما اضطره أن يغلو فى فرض الضرائب على الشعب ويستدين فوق ذلك من الأجانب ما أثقل به كاهل الحكومة ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كان الجمود شاملا جميع نواحى الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، حكم مطلق فى يد ضعيفة مرتعشة، وقوانين ضائع معها العدل ،وأنظمة مفقود فى ظلها الخير . هال جمال الدين ما رأى وما سمع وهو الذى وقف حياته على محاربة الظلم والجهل ، وشق عليه أن تكون مصر وهى قلب العروبة والإسلام النابض مباءة لكل هذه الشرور التى تبيض وتفرخ فتطاير إلى جميع البلاد العربية والإسلامية فتهددها بالخراب والدمار . فصمم وهو القوى الحازم على خوض المعركة ضد ذينك العدوين اللدودين الظلم والجهل . فجرد عليهما لسانا ذربا فى مجالسه الخاصة وحلقات تدريسه العامة فالتف حوله شباب العرب من المصريين والسوريين والعراقيين والحجازيين وغيرهم ممن كانوا فى مصر لطلب العلم ، فأفرغ السيد جمال الدين فى نفوسهم ما فى نفسه الكبيرة من قوة ، ومس أرواحهم بما فى روحه العظيمة من حرارة وحماسة ، فداروا حوله مستمدين القوة والعون بعد الله منه ، وأخذوا يعملون فى محاربة الظلم والجهل مع استاذهم الأكبر وأمامهم الأعظم فجردوا ألسنتهم وأقلامهم فى حرب طاحنة تجاوبت أصداؤها أجواء الشرق والغرب وامتد لهيبها إلى أيدى الظالمين فأحرقتها وإلى عقول الجاهلين فصهرت عنها الجمود والخمود . ولكن كيف يكون كل هذا ولا يتحرك فى القلوب المريضة حسد له ولا يتململ فى النفوس الصغيرة حقد عليه؟ فاتخذ الحاسدون الحاقدون سبيلهم للطعن عليه والنيل منه . وبينما كان الرجل فى هذه المعركة من البناء والهدم إذ بالخديو توفيق يتولى الحكم فيسر جمال الدين به لأنه كان من مؤيديه ومن الساعين لتأليف القلوب عليه ، وأنه شعر بأنه قد أصبح فى هذا العهد أكثر قدرة على خدمة مصر من ذى قبل ، فاندفع فى مقاومة الاستعمار الانكليزى وما يحوكه هذا الاستعمار من دسائس لمصر ، وأطلق ما فى نفسه الكبيرة من قوة تأثيره على الأفراد والجماعات لدفعها فى مقاومة الاستعمار ودسائسه وتحريك الشعب المصرى للمطالبة بحقه فى حكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . وقد جره هذا النشاط السياسى الجبار إلى الاصطدام بالمحفل الماسونى الاسكتلندى الذى كان منتسبا إليه وعازما على اتخاذه وسيلة لتحقيق أغراضه السياسية النبيلة ، فحمل على هذا المحفل حملة شعواء ندد فيها بما ينطوى عليه المحفل من الضعف والخور فى خدمة الشعب المصرى الخدمة التى تأخذ بيده إلى الحرية والسعادة . وعندما اعتقد بأن لا فائدة ترجى من اصلاح هذا المحفل انسحب منه وأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنسى ، فأقبل على هذا المحفل مئات من أصدقائه وتلامذته وهم النخبة الطيبة والفئة القوية المؤمنة فى مصر . وأول ما صمم على عمله فى محفله الجديد الدعوة لاصلاح جهاز الحكم كوسيلة لاعداد الشعب المصرى ليحكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . فألف داخل المحفل عدة لجان لتحقيق هذه الاغراض والاتصال برجال الحكومة (النظار) ومطالبتهم بالاصلاح على اختلاف أنواعه بأسلوب حازم ولهجة قوية ترددت أصداؤها فى قصر عابدين ، فاستزار الخديو جمال الدين ليراه بعينيه ويسمع عنه بأذنيه ، فكانت الزيارة . ورأى الخديو من شخصية جمال الدين الكبيرة ما بهره ومن دفاعه عن الشعب المصرى وحقوقه ما أخافه ؛ فأمر باخراجه من القطر المصرى فذهب جمال الدين إلى السويس ليسافر منها إلى الهند فأتاه بعض مريديه من التجار يحملون مبلغا من المال عرضوه عليه فرفضه فى اباء وشمم وقال لهم : أنتم إلى هذا المال أحوج ، والليث لا يعدم فريسة حيث ذهب

للكلام بقية

محمدى الحسينى

٢ـ الاسلام فى أووبا الشرقية
فى أمسية الغزو المنغولى

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانووكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

ويثنى بارتولد ثناء عاطرا على الدور المهم الذى قامت به الصوفية الاسلامية فى الدعاية لمبادىء الاسلام العظيمة بين الأتراك فيقول: « إن الصوفيين الذين ذهبوا لنشر مبادىء الدين الاسلامى بين الأتراك فى سهول الاستبس، قد لاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه أولئك الذين ذهبوا للمكان نفسه يبشرون بالأرثوذكسية المسيحية. ومع أن دعاة من الديانات الأخرى، كالبوذية، والمانكية، والمسيحية، قد جربوا القيام بدعايات واسعة قبل مجىء المسلمين، إلا أن الدعاية الاسلامية قد لاقت نجاحا واسعا، وخاصة بين الشعوب التى كانت قد عرفت الشىء الكثير عن الديانات الأخرى » (١).

ويضيف المستشرق العظيم إلى ما سبق فى موضوع آخر من كتابه قوله: « وبسبب سيطرة الثقافة الاسلامية على تاريخ هذه الفترة، فإن كل اتصال بين تعاليم الاسلام، وتعاليم الديانات الأخرى؛ لم تنشأ عنه غير نتيجة واحدة، هى امتداد ظل الاسلام والتمكين لنفسه فى آفاق جديدة. حتى فى الزمن الذى تسلط فيه القراقتيون (Qara-Qitäys)، أولئك المتعصبون الذين كانت الثقافة الصينية عميقة الجذور وبعيدة الغور فى نفوسهم، والذين حاربوا الاسلام ولم يعتنقوه، أخذت المناعة التى لديهم ضد هذا الدين تضعف كلما امتد ظلمهم على المسلمين، وراح الاسلام يمكن لنفسه فى سلطانهم ونفوسهم؛

(1) W, Bartold, Historie des Turcs d, Asie Centrale, Collcetion Imitation d, l' Islam, Paris, 194 s ,pp 57, 56

وهو وإن لم يكن انتشاره على نطاق واسع، كما كان فى الفترة المنغولية، إلا أن مجرد الانتشار بين أولئك المتعصبين، يعتبر من معجزات هذا الدين (٢) »

رأى بارتولد حول إسلام الكبشاك:

يبدو لنا أن النتيجة المنطقية لآراء بارتولد عن قوة الأغراء العجيبة الكامنة فى مبادىء الدين الإسلامى، والتى لعبت دورا هاما فى إسلام الأتراك، يمكن أن تكون كما يأتى: إن اعتناق عدد لا يستهان به من الخزر لمبادىء الإسلام، قد أبعد بالتدريج كل صلة لهم بالديانات الأخرى بعد خضوعهم للكبشاك، ثم اندماج هؤلاء المسلمين مع الغزاة بعد ذلك قد كانت نتيجته المباشرة عزل المنطقة التى حول مصب الفولجا عن جميع الديانات الأخرى كالمسيحية والبوذية، ماعدا الديانة الإسلامية. ووجد الإسلام نفسه فى هذه المنطقة دون منافس من ديانات أخرى مدة قرنين، فكان هذا الوقت كافيا لصنع المعجزة فى نفوس هؤلاء الكبشاك الوثنيين (٣) الذين عرفوا بعض الشىء عن هذا الدين عن طريق صلاتهم السابقة مع الخورزيين (Khoresm). ومن تحصيل الحاصل أن يعتنق الكبشاك الإسلام فى مثل ظروف من هذا النوع. والتاريخ يعرف أمثلة كثيرة لشعوب رحل، أخضعت لسلطانها شعوبا مستقرة أكثر حضارة منها، ثم اعتنقت بعد ذلك ديانة المغلوبين

فنرى من ذلك أن بارتولد لا ينكر الدور المهم الذى لعبه الإسلام بين الخزر، وهو يرى أنه لم يصبح الدين الذى يعتنقه معظم الناس (٤)

أما مصير الإسلام بعد سقوط هذه الدولة، فقد مر عليه فى ذلك الكتاب مر الكرام، ولم يفكر فيه. أما ما يتعلق بإسلام الكبشاك بصورة عامة، فيجد الإنسان فى كتابه المذكور الشىء الكثير من التناقض

(٢) المصدر نفسه من وجه ١٠٢ ـ ١٠٣

(٣) لعل بارتولد قصد بقوله الشامانيين Shamanists. والشامانية ديانة قبائل سيبريا، وهى ديانة وثنية تقوم على تعدد الألهة وعلى الاعتقاد بأن الكهنة يمثلون ما عند هذه الألهة من جبروت وسلطان. والكلمة منقولة

(٤) كتاب بارتولد السابق وجه ٥٣

وأول ذلك التناقض قوله : « إن قسما من الأوغاز (Oghuzes) (وهم أقوام من الترك سبقوا الكبشاك إلى أوربا الشرقيــة) الذين استقروا فى مجرى نهر الفولجا الأسفل ، قد اعتنقوا الإسلام أثناء القرن العاشر (٥) » . وأكثر من ذلك ذهابه إلى أن الأتراك الذين استقروا ما بين خورزم والفولجا فى هذه المــدة قد اعتنقوا الإسلام أيضا ، ولكن ذلك الإسلام لم ينفذ إلى قلوبهم وإنما كان طلاء وزيفا ، وبقى عــدد كبير منهم يمارس المعتقدات الشامانية (٦) . ولا شئ يثير الدهشة فيما ذهب إليه من سطحية إسلام هؤلاء الكبشاك ، لأن الشعوب التى تعتنق ديانة جديدة ولا سيما الرحل منها ، تظل بحكم العادة أقرب فى معتقداتها إلى الديانة القديمة منها إلى الديانة الجديدة . وعلى سبيل المثال ، فقد كان ذلك ، كما هو معروف فى التــاريخ ، شأن قسم من القبائل الروسية حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، وربما بعد هــذا التــاريخ . ولكن الذى يثير الدهشة ، أن يجد المرء فى نفس الوجه من كتاب بارتولد الذى نتحدث عنه زعمين متناقضين ؛ فهو يزعم من جهة « أن المنطقة الواسعــــة التى استقر فيها الكبشاك ، كانت فى ذلك الوقت ، خارج منطقة النفوذ الاسلامى ، وفى القفقاس اشترك الكبشاك فى القرن الثالث عشر الميلادى ، فى الهجوم على البلاد الاسلامية » وبعد اسطر غير قليلة يقول : « والمصادر الاسلاميــة تدلنا بصورة لا تقبل الشك ، أن الكبشاك والقانجــلوس Qangluis (من الشعوب التركية ولعلهم من أبناء عمومة الكبشاك) قد اعتنقوا الاسلام فى القرن الثانى عشر عن طريق صلاتهم مع الخورزبين (٧) »

وفى صفحات ســابقة من الكتاب نفسه يقول البروفسور بارتولد : « كان لا يزال فى الشمال الغربى من آسيا عدد كبير من القبائل التركية الرحل ، الذين على الرغم من اتصالهم بالحضارة الاسلامية ، كانوا يحملون العداء للدين الاســلامى . ونجح الكبشاك فى القرن الحادى عشر فى توسيع مدى هجرتهم حتى وصلوا فى تلك الهجرة إلى تخوم البلدان الاسلامية فى الجنوب ، وأصبحوا جيران الخورزبين (٨)

كيف يمكن تعليل هذا التناقض ؟ :

ليس من اليسير على ، ولا من المبهج لنفسى ، أن أخالف فى الرأى علامة من طراز بارتولد النــادر ، وأشعر وأنا أفعل ذلك بالشئ الكثير من عــــدم السرور . والذى يشفع لى فى تلك المخالفة ويجرؤنى على انتقــاد آرائه ، أن النتائج التى يصل إليها علامة عظيم ، إذا لم تدعمها المصادر التى لا مفر من الاستناد إليها (كالتى نحن بصددها) ، فأن فقدان تلك المصــادر ، يولد حالة تنحرف بالحقائق من مجراها الصحيح ، وندفع الآخرين إلى ذلك الطريق الممهد ، مهملين التعمق فى دراسة المشاكل التى لا يعرف عنها إلا القليل

والذى أراه أن رأى بارتولد فى هذا الأمر ، ينبغى أن يفسر كما يأتى : وقبل كل شئ ينبغى أن نعرف أولا ، أنه كان معنيا أشد العناية بتاريخ أواسط آسيا ، وحينما امتدت الحوادث إلى القسم الغربى من الفولجا ، لم يكن دقيقا فى الإحاطة بها . وثانيا فيما يتصل بالقبائل الكبشاكيــة التى احتلت مملكة الخزر القديمة ، فيجب أن نفرق بين الجماعات الرحل وغير الرحل منهم . فإن أولئك الذين امتزجوا بالخزر واستقروا إلى جانبهم ، راحوا يعتنقون الإسلام بالتدريج . وأولئك الذين بقوا على عهدهم الأول من البداوة ، استمروا على وثنيتهم الأولى ، أو كان الإسلام عند الذين اعتنقوه منهم ، ليس غير طلاء خارجى لم ينفذ إلى مواطن الإيمان من نفوسهم

ومما يجعل طريقة إسلام الكبشاك غامضة نوعا ما ، أن المؤرخين من الروس لم يهتموا بهم كثيرا ولا قليلا . وبهــذه المناسبة يجدر بنا أن نذكر أن الأستاذ (ن . بارسوف N.Barsov) صاحب المؤلف الرائع « الجغرافيا التاريخية لروسيا القديمة » كان قد أشار منــذ مدة طويلة إلى أن مؤرخى الروس كانوا يكرهون التحدث عن الإسلام أشد الكره ، وأنهم كثيرا ما كانوا — بدافع من بغضهم المتأصل للاسلام — يخلطون بين المسلمين والوثنيين (٩) . ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل الكبشاكية

(٥) بارتولد المصــدر السابق وجه ٦٣

(٦) بارتولد المصدر السابق وجه ٦٥

(٧) كتاب بارتولد السابق صفحة ٩١

٨ ـ الكتاب نفسه الصفحات ٨٨ ٨٩

(9) N. Barsov, Sketches on the Russian historical Geography The Geography of the primary nestor's chronicle, 2nd edition Warsaw, 1885 pp. 6-7

التى اتصلت بالروس غالبا ما كانت تعتنق المذهب الأرتوذكسى .

وهذا الكلام يصدق فقط على الكبشاك الرحل ، أما أولئك الذين سكنوا المجارى السفلى لنهر الفلجا فلا أعتقد أنهم اتصلوا أدنى اتصال بالروس

ومن حسن الحظ أن أجد تأييدا لما ذهبت إليه من مؤرخ رومى آخر يدعى ا . ياكوبوفسكى A. Yakubovsky فى كتابه من عصر هؤلاء البرابرة الذهبى نقتطف منه ما يأتى : « إن الغالبية العظمى من الكبشاك عاشت معيشة ارتحالية ، غير أن قسما منهم أخذ يستبدل بهذه الحياة الحياة الزراعية المستقرة تدريجيا (١٠) . » واستولى الكبشاك على الممتلكات الواسعة التى خلفتها المملكة السابقة ، وكان الخزر إذ ذاك يحيون على ضفاف الفولجا حياة زراعية بحتة ، واعتاد هؤلاء الغزاة هذه الحياة ، ولكنهم راحوا يفقدون لغتهم ومميزاتهم العنصرية . أما الكبشاك الذين استقروا فى مجرى الفولجا الأسفل ، فقد احتفظوا بلغتهم ومميزاتهم العنصرية ، على الرغم من احترافهم الزراعة ، وتحضرهم » (١١)

ويذكر ياكوبوفسكى أن غزو الكبشاك ، لم يوقف التجارة بين حوض الفولجا الأسفل والأقطار الإسلامية ، تلك التجارة التى كانت منتعشة قبل مجيئهم . وبعد ذلك يمضى فى تأييد ماذهبت إليه عن كيفية إسلام الكبشاك حين يقول : « وفى نفس الوقت الذى كانت التجارة آتية من الشرق ، كان الإسلام يسير معها ، مخترقا مدن الفولجا شيئا فشيئا (١٢) . » وأن اعتناق سكان مدن الفولجا الإسلام ، وخاصة المراكز المهمة ، مثل بلغار Bulgar وإتل Itil (عاصمة مملكة الخزر السابقة) ، كان نتيجة للأعمال التبشيرية التى قام بها التجار والصناع » (١٣)

وما أشرت إليه فى هذا المقال من إسلام كبشاك حوض نهر الفولجا الأسفل ، يتفق وما جاء فى كتاب بارتولد عن إسلام برابرة العصر الذهبى . يقول بارتولد : « لقد كان لثقافة العالم الإسلامى العالمية فى ذلك الوقت أثر كبير على إسلام رؤساء الأقوام الذين كانت العقائد المسيحية متغلغلة بينهم ، أكثر من تغلغل الديانة الإسلامية بين الكبشاك . أما الأليانيين Alians (أو الأوسيتيين اليوم Ossetes) فقد كان يصفهم المؤرخون بأنهم مسيحيون . إلا أن ابن بطوطة الرحالة الإسلامى الشهير قابل فى سراى Saray (وهى عاصمة مملكة البرابرة) ، وتقع فى مجرى الفولجا الأسفل ، قسما من الأليانيين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى »

ويصف بعد ذلك بارتولد إسلام بيرك خان Berke شقيق باتوخان Batukhan (مؤسس عصر البرابرة الذهبى) . والذى حكم من ١٢٥٤ — ١٢٦٦ ، واشتهر بتعلقه الشديد بالدين الإسلامى ، يقول بارتولد : « ولم يكن الخان مسلما فحسب ، بل كانت زوجاته وأتباعه مسلمين أيضا . لقد كان لكل أمير ، ولكل زوجة من زوجاته مؤذن وإمام خاص ، وكانت هنالك مدارس لتعليم الصبيان القرآن الكريم » (١٤)

ولقد تم عمل من هذا النوع فى مدى عشرين سنة من استيلاء المغول على حوض نهر الفولجا الأسفل . ولم يكن مثل هذا العمل ممكنا ، لو لم يكن الإسلام منتشرا فى تلك الأماكن قبل مجىء هؤلاء الغزاة الوثنيين

على محمد سرطاوى
غرفة التجارة : بغداد

10 — A: Yakubovsky, la horde d' or, Pairs. 1939, P, 22
11 — Ib, p 24
12 — A YakuboVsky p.24
13 — « « p 31

14 - V Bartold pp 137-138

٢ ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

يريد الدكتور بهذا الكلام أن الأمر بغمس الذبابة كلها يدل على أن الداء والشفاء موجودان فى الجسم كله لا فى الجناحين فقط ، وإلا لزم أن يأمر بغمس الجناحين فقط ، فنقول إن الأمر بغمس الذبابة كلها صحيح، ولكنه لم يأمر بذلك إلا لأجل أن يغمس الجناح الذى فيه الشفاء لأن الجناح الثانى والجسم منغمسان فى الشراب وهل من المعقول أن يأمر بغمس المغموس ؟ كيف يمكن غمس الأجنحة وحدها حتى يأمر به الرسول ؟ إن غمس الجناحين فقط لا يمكن إلا بصورة واحدة ، وهى أن نلقى الذبابة على ظهرها ، ونمسكها بالمنقاش من يديها ورجليها ، ثم نضمها بدقة وتأن على الشراب حتى ينغمس فيه جناحاها فقط دون سائر جسمها ، ولا ريب أن هذا متعذر بالنسبة إلى سائر الناس ، فكيف يأمر بغمس الأجنحة وحدهما كما يقول الدكتور؟

ويقول فى عبارته المتقدمة : « ربما يدل على أن الداء والشفاء فى الجناحين أمر اعتيادى لا يفيد التخصيص والأمر بغمسها يؤيد ذلك ، وهل لأجل تطهير الشراب من الجراثيم وذلك بادخال البكتريوفاج من جسم الذبابة »

يريد الدكتور بعبارته هذه المضطربة أن يفهمنا أن الجناحين إنما ذكرا فى الحديث جريا على العادة ، لأن المادة تقضى بوجود الجراثيم المضرة والنافعة فى الجناحين أيضا كما توجد فى جسم الذبابة ؛ فعبارة الحديث لا تفيد تخصيص الجناحين بالجراثيم ، بل جاء ذكرهما اعتياديا . هذا هو مراد الدكتور من عبارته هذه فنقول :

قد تقدم مايفيد بطلان هذا ، ولكنا نكرره لمزيد الايضاح .
إن عبارة الحديث تنص على تخصيص أحد الجناحين بالداء ، والآخر بالشفاء . وبيان ذلك أن الحديث أمر أولا بغمس الذبابة كلها ثم بين سبب الغمس وحكمته بقوله أن فى أحد الجناحين داء وفى الآخر شفاء ، وبين أيضا أن الذباب عند وقوعه يتقى بالجناح الذى فيه الداء أى يقدم الجناح الذى فيه الداء فيكون منغمسا فى الشراب ويبقى الجناح الثانى الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس. فاذا غمس الذبابة كلها ، انغمس الجناح الثانى الذى فيه الشفاء أيضا، وبذلك تندفع المضرة الحاصلة من انغماس الجناح الأول ولولا تخصيص أحد الجناحين بالشفاء والآخر بالداء لكان الأمر بغمس الذبابة عبثا لأن جسم الذبابة مع أحد جناحيها قد انغمس فى الشراب فلو كان الشفاء فى الجسم كله لم تبق حاجة إلى الأمر بالغمس

إن هذا المعنى فى عبارة الحديث واضح جلى يفهمه كل من سمع الحديث ولو كان أعجميا ، ولكن الدكتور حفظه الله يقول إن عبارة الحديث لا تفيد التخصيص إنما جاء ذكر الجناحين اعتياديا أى جريا على العادة التى تقضى بوجود الجراثيم فى الجناحين كوجودها فى الجسم ، مع أن المادة تقضى خلاف ذلك، لأن الجناحين يكونان بحكم العادة وبحكم الضرورة أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم لأنهما لا يباشران المواد التى تقع عليها الذبابة بل يكونان فى أعلى الذبابة بعيدين عنها

ولا شك أن أول شيء من الذبابة يباشر المواد التى تقع عليها هو يداها ورجلاها ، ثم بطنها وصدرها ، ثم سائر جسمها ، ثم جناحاها إذا كانت المادة التى تقع عليها من السوائل ، ولكن الحديث يقول إن طبيعة الذباب إذا وقع فى السوائل أن يقدم الجناح الذى فيه الداء ويؤخر الجناح الذى فيه الشفاء ، فينغمس الأول ويبقى الآخر غير منغمس ، فلذا أمر بغمس الذبابة كلها لكى ينغمس الجناح الذى فيه الشفاء أيضا

إن عبارة الحديث لا يغرب معناها عن فطانة الدكتور ، ولكنه أخذ يتمحل فى التوجيه ويتعسف فى التفسير لكى يقربها من المعنى الذى يريده هو . إلا أنه رغم هذه التمحلات ، بقى قلق الخاطر ، غير مطمئن الضمير ، لأنه يعلم أن الجناحين أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم ، فاذا يعمل حتى يجعلها مقرا للجراثيم أكثر من سائر الأعضاء ؟

والظاهر أنه فكر طويلا حتى وجد طريقا إلى حل هذا المشكل فقال : « وبما أن الذبابة تمسح دائما رجليها باجنحتها ، كانت الأجنحة لذلك مقرا للبكتريوفاج وللجراثيم أكثر من غيرها من أعضاء الذبابة . فلله دره ما اقدره على قلب الحقيقة

بالكلام المجرد . يقول إن الذبابة تمسح رجليها بأجنحتها ، إن الباء في هذه العبارة مثلها في قولهم كتبت بالقلم أي هي للاستعانة ، فالممسوح الرجل . والماسح الذبابة ، والجناح هو آلة ، المسح والظاهر أن المسح يكون بظهر الجناح لا ببطنه ، لأن الذبابة إذا خفضت جناحيها وأنزلتهما إلى ما تحت رجليها ، كان ظهر الجناح تحت الرجل بالطبع ، إذ لا تستطيع الذبابة في هذه الحالة أن تقلب جناحيها إلى حيث يكون باطنهما إلى الأعلى ، وظاهرهما إلى الأسفل . ومهما يكن فجناح الذبابة على هذا أصبح منديلا لها تمسح به رجلها

إن الدكتور قد أثبت للذبابة بهذا القول طبيعة لا يعرفها الناس ، ولم يستند في اثباتها إلى قول علمي من أقوال علماء الحشرات الذين درسوا حياتها وعرفوا طبائعها وأحوالها ، وقد تكلم هو في الفصل الخامس من رسالته عن خواص الذباب وطباعه ، فلم يذكر فيه شيئا من ذلك

لا يقال إن في عبارة الدكتور قلبا ، وإن أصلها هكذا : إن الذباب يمسح دائما أجنحته بأرجله ، لانا نقول إن رجلي الذبابة وهما في اتجاههما إلى الأسفل معقوفتان إلى الأمام ، وليس في استطاعتها أن ترفع رجلها إلى ما فوق جناحها فتمسحه بها ، ولا أن تخفض جناحيها إلى ما تحت رجلها فتمسحها به إذ ليس ذلك من طبيعة الذباب، فن المحال عادة وطبعا أن يمسح الذباب أجنحته بأرجله أو أرجله بأجنحته ، وإنما المعروف من طبيعة الذباب من قديم الزمان هو أنه يحك إحدى ذراعيه بالأخرى كما ذكره عنترة في معلقته ، ولم يشاهده أحد يحك إحدى رجليه بالأخرى ؛ ولا يحك بجناحيه رجليه ، وقد شاهدته أنا في بعض الأحيان يمسح وجهه بذراعيه ويمر بهما على رأسه . فمن اين أخذ الدكتور هذا القول عن طبيعة الذباب وكيف تكون أجنحته مقرا للجراثيم أكثر من الأرجل والأيدي التي هي متصلة مباشرة بالمواد التي يقع عليها الذباب

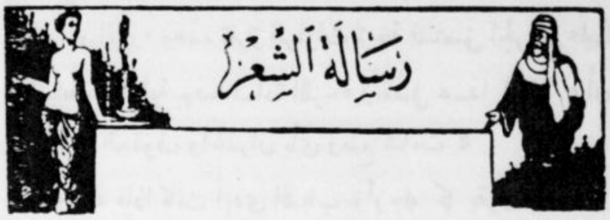
والمشهور عن الذباب أنه ينقل الجراثيم بأرجله وبأيديه ، لا بأجنحته ، والدكتور نفسه قد ذكر ذلك في رسالته فقال في الصفحة (٤٤) : « وعلاوة على ذلك تنقل الذبابة الجراثيم برجليها ويديها المكسوة بالشعر » ثم قال « ومما يجدر بيانه هو أن قدمي الذبابة وكفيها تشبهان خف البعير ، عليهما شيء يشبه الشعر أو الوبر ، وهذه تفرز افرازات لزجة فتلتصق الجراثيم عليها وتستطيع الذبابة بهذه المادة اللزجة وبفضل هذا الخف ، أن تقف على السقوف والجدران بأي وضع شاءت »

وعليه فإذا كانت أيدي الذباب وأرجله كما يقول الدكتور تفرز مادة لزجة ؛ وعليها شيء يشبه الشعر أو الوبر ، كانت بلاريب مقرا للجراثيم أكثر من سائر أعضائها ، لذلك ، ولأنها أول ما يباشر الأقذار التي عليها الذباب فكيف تكون الأجنحة مقرا للجراثيم أكثر من أيديها وأرجلها ؟ — والان ، هل البكتريوفاج موجود في الذباب دائما وأبدا ؟ وهل هو شاف لجميع الأمراض ؟

نريد أن نجيب على هذين السؤالين بما علمناه وفهمناه من كلام الدكتور في رسالته ، لأننا لسنا من أهل هذا الفن ، ورحم الله أمرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فلذا نرجو من القارىء أن يقرأ أولا ما كتبه الدكتور في هذا الباب خاصة في الفصل الحادي عشر من رسالته ثم ينظر فيما نقوله هنا ، ويحكم بما شاء

للكلام بقية

معروف الرصافي



صلاة جنازة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

هذى صلاة جنازة : الله أكبر فتياننا قتلوا وهل يبقى العمر
سبق المقدم منهمو والله أكبر ومشى على آثار من سبق المؤخر
الله أكبر

الله أكبر ما الطغاة بعدركى قتل الجميع . وهبهمو فالله أكبر
لن يخضع المصرى بعد لبغيهم فليأخذوها بلقعا والله أكبر
الله أكبر

وعزاؤنا أن العدى نكبوا بأكثر ورجاؤنا أنا بإذن الله نثأر
شهداؤنا سنوا لنا ما ينبغى لمجاهد والعمر فى قدر مقدر
الله أكبر

جيش من الأعداء دبر ثم قدر واختار خطته التى تخزى المدبر
فرى العدو جنازة تسعى إلى قبر ولولا أمنه منها تقهقر
والله أكبر

أمن العواقب فانبرى يعوى ويزأر فانسل منا كل قسورة غضنفر
جعلوا العدو على الفرار مغادرا قتلى ولكن بين ضباط وعسكر
والله أكبر

لم يدفنوا من شيعوه ميتا : من قبله دفن العدى حيا تنمر
والموت يخفى نفسه حينا ويظهر والموت يعلن نفسه وسط المعسكر
والله أكبر

بين الضحايا من بنى مصر فتى دون البلوغ فعمره تسع وأشهر
شق الصفوف إلى العدو مقاتلا فأصاب ضمن طوله فيهم وأكثر
والله أكبر

ترك النعوش حماتها وتدفعوا كالسيل فى ثغرات جيشهم المظفر

فإذا جنود المعتدين تفرقوا ومشيعو الموتى على النكبات أصبر
والله أكبر

وعجلب طفل رمى جلبابه بالنفط وحى التو لا أمرا مدبر
ماذا تحاول يا (نبيل) فلم يجب أيجيبنى من جسمه لهب تسعر؟
الله أكبر

وتلقفت منـه خيام عدونا مثل الشرارة فى لظى نار تزمجر
لحما غدا أعداؤنا متضرما وغدت خيامهمو بعقبلهم تذكر
والله أكبر

يا رب لا تغفر ولا ترحم ولا ترسل على الدنيا سوى اللهب المدمر
كاد الحليف حليفه فى عالم معروفه هذا وفى المعروف منكر
الله أكبر

عبد اللطيف النشار

في موكب الشهداء ...

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

قلوب دهاها الحزن فهى تذوب ودمع ، ولـكن جمرة ولهيب
أرى النيل يسعى باكيا ملء جفنه وللموج لطم موجع ونحيب
وتلك المروج الخضر تبدو كأنها مواكب موتى فى البلاد تجوب
فلا الزهر بسام يميل صبابة ولا الطير نشوان الجناح طروب
أعهى مالى أبصر الطير شاديا ولـكنه فى مسمعى نعيب
طوى الروض من أحزانه ثوب عرسه
وران على وجه النهار شحوب
سل الوادى الولهان ماذا أصابه يرد أسيفا والدموع تجيب :
بواكير من زهر الشباب تساقطت وصوح دوح للبلاد رطيب
أسود سعوا نحو الخلود بهمة لها بين أنياب الحتوف وثوب
مضوا شهبا تحيى الأمانى بنورها وتهوى إلى قلب العدا فتصيب
بأى ذنوب قد أراقوا دماءهم وليس لهم إلا الفداء ذنوب
لئن كان حب النيل ذنبا يرونه فلسنا ورب النيل منه نتوب
ألا إن شعبا قد أناموه قد صحا ولا بد من بعد المنام هبوب

محمد على جمعة الشايب

الينابيع الجديدة

للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

أنخمت قيثارى بهذا الحب ، هذا الضعف ، هذى اللعنة السوداء
والليوم يوم الحرقين دماءهم   فى مذبح الحرية الحمراء
لا تلهمينيه غناء .. مائما   متناوحا متاوت الأصداء
لكن أعاصيرا ممردة الذرى   وحرائقا ممتدة الأرجاء
فالويل كل الويل للشادين بين   مآتم الأموات والأحياء
الراقصين على الطريق ، مشيدا   بجماجم التعساء والبؤساء
والويل للمتوشحين بنورهم   وربيعهم فى ظلمة الفقراء
الباسمين إلى الحيـاة وحولهم   أمواج نهر الأدمع الخرساء
والويل للمتوسدين صباحهم   ومساءهم فى حيرة الضعفاء
الراقدين على الحرير وغيرهم   متوسدون سواعد الظلماء
لا تلهمينيه غنـاء مائما   متناوحا متاوت الأصداء
فالويل للفن الذى لم يستجب   لمواجع البشرية الصفراء
والويل للنسم الذى لم يحترق   ليعود عاصفة من الأنواء
والويل للنهر الوديع المستحم   بضعفه من قوة الدأماء
والويل للسفح المجلل بالدجى   من سخريات القمة الشماء
والويل للميت الذى لم ينتفض .   . فى قبره ليعود فى الأحياء

* * *

يا أيهـا الشعب العظيم وإنما   أدعو ألوهة روحك المتمرد
القيد قيدك أنت نار حديده   لاصنع جبار ولا مستعبد
فإذا تشاء سحقته فتلقفت   ذراته ريح المعاد الأسود
وإذا تشاء غصصت أفواه الردى   برمائم المعبود والمتعبد
فاهتف بأشواق الحياة تجبك   أصوات الحياة بقلبها المتوقد
وازحف على ظلمات يومك ينبثق   نور الغد القدسى من قبل الغد
تلك النباتات المدنسة التى   كم مانقتك بشوكها المتجرد
لست الذى يثنيه شوك جذوعها   لا كنت إن لم تقتلعها باليد
أنا لن أنوح عليك لن أبكى على   نيرانك المستغرقات الهمد
لا زات ألمح فى رمادك قوة   إن تنطلق تطو صباح المعتدى
وأحس فى معنى سكونك رعدة   يا ويح أحلامى إذا لم ترعد

* * *

يا رعشة الأشواق أشواق إلى   جيشان أرضك بالدم المتسعر
ولوائك المخضوب يخفق شامخا   كجناح نسر فى الأصائل مبحر
والأوجه السمراء فى جبهاتها   وعيونها إعاضة المتجبر
والأذرع المتجمدات وقد نمرقها   انتقام المـارد المتحرر
حقل من النيران والدم صارخ   بزوال مجد الغاصب المستعمر
وبنـاء إنسانية لم تحتقر   ضعف الضعيف ولا أنين المعسر
لم تبن جنتها الجميلة بين   آلام الأجير وضحكة المستأجر
لم تبتدع يوما رسوم سقوفها   فرشاة مصدور ولا متكدر
لم تجر أنهرها وخلف سياجها   تفنى الألوف من الهجير الأكبر
لم تزه كرمتها ويحن نخيلها   والجوع يعصف بالجسوم الضمر
فهناك يا شمس ستنبت فرحتى   فى مهجتى وتعود رقة مزهرى
ويعود بلبلك الجميل معطرا   بغنائه قلب الربيع الأخضر

محمد مفتاح الفيتورى

جـــــــارتى

للأستاذ عثمان حلمى

كان لى جارة بلوت أذاها   ساءنى صبحها وساء مساها
تسبق الطير فى الصباح بصوت   صاخب يسلب العيون كراها
صخب ماله حدود فقد قصـ   ـر فيه أضرابها عن مداها
كل يوم لها عراك جديد   ورضاء وما يطول رضاها
وإذا ما انتهى العراك فـا تسـ   ـمع إلا عويلها وبكاها
وعلا صوتها على كل مذيا   ع ودوى فما سمعت سواها
كلبها وابنها إذا هى صاحت   صيحة الشر يحكيان صداها
ولها طفلة أجارك منها الله   إن أعملت على الصبح فاها
ولهـا خادم لهـا كل يوم   وقعة بالجوار من جراها
وكأنى بديكها حينما يصـ   ـرخ يحكى من النداء نداها
كل تلك الأصوات مجتمعات   توقر النفس أو تزيد شقاها



مسرحية (٧٠ سنة)

للأستاذ علي متولى صلاح

بدأ السباق يدب بين الفرقتين اللتين تنهضان بفن التمثيل فى مصر، وأعنى بهما (فرقة المسرح المصرى الحديث) و (الفرقة المصرية) فى تقديم المسرحيات التى تتجاوب مع الموقف الوطنى الجليل الرائع الذى تقفه البلاد هذه الأيام. وتتفق مع مايجرى فى النفوس ويسرى فى العروق من لهفة حارة تستبد بالمصريين إلى التحرير والجلاء الناجز ووحدة الوادى بلا إبطال ولا إمهال

أخذت الفرقتان تتسابقان فى هذا، وأغلب الظن أن ذلك التسابق سيستمر سجالا بينهما حتى تنجلى الغمة ويتحقق الرجاء، فلن تستطيع النفوس التى تتقد بالوطنية وتمتلىء بها أن تجد فضلة منها لقبول شىء دون ذلك! ... وكان فضل السبق فى هذا الضمار للفرقة الأولى دون شك، فقد تركت ما كانت أعدته للموسم من مسرحيات أخرى وأسرعت تلتمس ما يؤدى المعانى الوطنية التى فارت بها مشاعر الناس وملكت عليهم أمرهم وسواء أوفقت فى ذلك أم جانبها التوفيق فلن يسلبها هذا فضل السابقين الأولين من المجاهدين! ... قدمت — فيما قدمته — مسرحية تصور حادثة من حوادث التاريخ المصرى الحديث، فقدمت الفرقة الثانية تصويرا للتاريخ المصرى الحديث كله، وكأنها فى ذلك تقول للفرقة الأولى: إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا!!

ونسيت الفرقة المصرية أن الأمر فى المسرح ليس أمر زحمة فى الحوادث، وليس أمر قدرة على حشد أكبر عدد منها، فذلك مطلب يسير هين، وهو — فوق ذلك — ليس من الفن المسرحى فى شىء! فرب لمحة خاطفة يصورها المسرح فيحسن تصويرها، أدل على المعنى وأبعد فى النفوس أثرا من احتشاد الحوادث وتعاقبها وكثرتها!

قدمت هذه الفرقة مسرحيه (٧٠ سنة) فسردت فيهـــا تاريخ الحركة الوطنية المصرية منذ سنة ١٨٨٢ من التاريخ الميلادى حتى يومنا هذا سردا متصلا متلاحقا انبهرت معه أنفاس المؤلف وتكاثرت عليه الحوادث وتزاحمت من حوله الشخصيات، وكان هو حريصا على أن يعرض الحوادث والأشخاص جميعا دون سهو أو نسيان — كما يقولون فى عالم التجارة — فأصبح لايدرى ماذا يأخذ وماذا يدع. واستعان الله على هذا كله، ومزج المسرح بالسينما وبالكلام الطويل فى الميكروفون، فجـــاءت المسرحية مسخا شائها عجيبا. وأنا أستغفر الله من تسميتها باسم (مسرحية) فلا أجد ما أسميها به غير ذلك مع علمى بأن ليس لها من هذا الاسم نصيب

نعم. إنه ليس من الفن المسرحى فى شىء أن تساق الحوادث سوقا كأنها مطى تحث بالسياط فلا يربط بينها رابط، ولا توحدها حادثة أساسية متصلة تجذب انتباه المشاهد، وتؤجج شوقه إلى نهايتها وفك عقدتهـــا، مما تحتمه شرائط المسرحية الصحيحة كما عرفت منذ التاريخ القديم ... وليس من الفن المسرحى فى شىء أن يرى المشاهد حوادث التاريخ تترى كأنها

ولقد حرت مثلما حار جيرا ... نى فيها وكلهم من عداها

إن ضحكنا من حادث أزعجتنا ... بطريف فى أى كرب تناهى

وظللنا ندعو الذى خلق الخلـ ... ـق جميعا أن لا يطيل بقاها

بيديه الخلاص إن شاء منها ... وإذا شاء ردها لهداها

وتفقدت جارتى ذات يوم ... وسألت الجيران ماذا عراها

فاصطخابات جارتى لا تدوى ... لا ولا رجع الفضاء صداها

وتساءلت ما دهاها فلم ألـ ... ـق مجيبا يجيبنى ما دهاها

غير أنى أسفت لما رأت عيـ ... ـنى فى دارها عجوزا سواها

فهى قد سافرت إلى غير رجعى ... غير ما يستعاد من ذكراها

وأكيد فراقها وأكيد ... أننى قد حرمت من ضوضاها

وكذا ساءنى نواها كأن الـ ... ـنفس من بعدها يعز عزاها

عادة المرء فى الحقيقة جزء ... منه حتى فى الشر لا ينساها

عثمان حلمى

موكب من مواكب الاستعراض لا أكثر ولا أقل ! ويراها الشاهد مرة على صورة مسرحية متحركة ينهض بها ممثلون يتحركون على الخشبة ويلعبون أدوارهم أمام الناس ، ثم مرة ثانية على شريط سينمائي يعرض أمام أنظارهم لتكمل به الحوادث، ثم مرة ثالثة يسمع الميكرفون وهو يتمم ما عجز التمثيل والسينما معا عن أن ينهضا به من الحوادث التي ينوء بها العصبة أولو القوة ، فيصل ما يوشك أن ينقطع على الشاهد من الحوادث المتلاحقة !!

ونسى المؤلف الفاضل أن لكل واحد من هذه العناصر الثلاثة غرضا خاصا به واتجاها يتفرد به دون العنصرين الآخرين، ويختلف فيه عنهما اختلافا بينا ، وأن الجمع بين هذه العناصر الثلاثة في صعيد واحد إنما هو استغاثة واستعانة من المسرحية الضعيفة التي عجزت عن القيام بمهمتها منفردة مستقلة معتمدة على نفسها فأخذت تطلب النجدة من هنا وهناك !!

ولعل المؤلف الفاضل يعلم أن محاولات قامت في أوربا للجمع بين الفن المسرحي والفن السينمائي معا على خشبة المسرح تمكينا له من إيراد عدد أكبر وأضخم من المناظر ، وتقريبا له من القدرة الكبيرة التي تتمتع بها السينما دونه ، وأن تحويرات وتعديلات أدخلت على تركيب المسارح لتمكينها من ذلك أيضا ، ولكن ذلك جميعه باء بالفشل وخلص المسرح للتركيز في الأسلوب والحوار ، وللإيحاء والخيال البديع ، وللإشــارة دون الإفصاح الواضح. وخلص المسرح إلى قيم ومعالم ليس للسينما — وهي واقعية النزعة — أن تجاريه فيهـا . وتفرد المسرح بالإجمـال وترك الحواشي وما إلى ذلك مما يجعل كلا من الفن المسرحي والفن السينمائي يختلفان فيما بينهما تمام الاختلاف ، وأصبح الرأي السائد الآن في أحدث المذاهب أن الجمع بينهما إنما هو جمع بين الأضداد والمتناقضات ..

ولا أدري ما الذي تهدف إليه هذه المسرحية وهي لم تزد على سرد التاريخ سردا خاليا من أي أثر للفن أو أي تجنيح للواقع ؟؟ اللهم إن كانت تهدف إلى مجرد ذكر التاريخ الواقع المبذول بين أيدي الناس في الكتب المدرسية التي يقرؤها التلاميذ ما يربى عليهـا وما يفوقها دقة وأمانة وتفصيلا ! وإن كانت تهدف إلى استثارة الناس بعرض التاريخ الذي يعرفونه عليهم فإن ملاك الأمر في ذلك للفن الذي قدمنا أنها خلت منه خلوا تاما ! وإن كانت تهدف إلى أن تشـارك في تقديم ما يتفق والشعور الوطني الحاضر على أية صورة — فيجب أن تعلم أن عليها أن تفعل ذلك في حدود الراسم المسرحية والفن المسرحي الذي تتسم به وتقوم عليه ..

هذا — وأحب أن أهمس في أذن المؤلف الفـاضل بهذه الملاحظات اليسيرة ابتغاء أن يتدبرها : —

١ — لماذا أغرم المؤلف بإبراز وفاة الكثير من أبطـال المسرحية أمام الناس حتى جعل من المسرحية جنازات متلاحقة مع أن وفاتهم جميعا لم تكن تحمل معنى خاصا ، فكلهم مات على فراشه وكان في حياتهم الكثيرة من المواقف الوطنية ، اللهم إلا إذا كان المؤلف قد أراد بإبرازموت السابق ترشيحا للحياة اللاحق، وهكذا دواليك ! فالموت إذن — في نظر المؤلف — هو الخيط وهو الرابطة التي تربط أجزاء المسرحية ! ؟

٢ — كيف يستسيغ المؤلف أن يبعث الوطنية في نفس ابنة الباشا المقيمة معه في منفاه بإهدائها كتابا عن (جاك درك) ثم يزيد فيشرح قصتها ، وهي — كما يرى القارىء — استعارة غير مستحسنة من البطولة الأجنبية ؟ وهل خلا التاريخ المصري أو التاريخ العربي من كل صور البطولة في النساء والرجال جميعا حتى يضطر المؤلف إلى استيراد بطولة من الخارج ؟؟

٣ — كيف يتفق أن يخطىء محمود سامي البارودي — وهو أحد علام — في نطق أبيات قام هو بتأليفها ! فيقول مثـــلا (أجنى وأجتنب) ببناء الفعل الثاني للمعلوم والصواب أن ينطقه مبنيا للمجهول ؟ ويقول (النشب) بكسر الشين والصواب بفتحها وتلك أخطاء لا تجوز على التـــلاميذ المبتدئين بله محمود سامي البارودي !!

٤ — كيف يتفق أن يرشح مصطفى كامل — وهو يحتضر — محمد فريد للزعامة بعده ويوصي إخوانه وزملاءه بذلك علانية ، ثم يستدعيه ويجلسه أمامه مجلس التلميذ ويلقي عليه سيلا من الأسئلة عن وطنيته وهدفه ومبدئه وشعاره وعما هو الاحتلال ! وما هو الاستقلال ! وغير ذلك من الأسئلة التي لا نراها تلقى إلا على تلاميذ المدارس حتى حسبناه سيستطرد إلى سؤاله عن اسمه



أخوة الأم لا يرثون :

نشرت منبر الشرق بالعدد ٦٧٥ فى باب الافتاء فتوى لصاحب الفضيلة المفتى السابق رداً على سؤال تضمنته « أن متوفاة تركت بعدها أما وبنتا وأختا لأب وأخوة لأم ذكورا وأناثا فما نصيب كل واحد منهم » فأجاب فضيلته

« إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال فللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث، وكذا جمع من الأخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب السدس تكملة للثلثين ، وللأخوة للأم الثلث يشتركون فيه بالسوية . فالمسألة من ستة وعالت إلى سبعة. فتقسم التركة سبعة أسهم للأم سهم وللبنت ثلاثة وللاخت لأب سهم وللأخوة للأم سهمان »

وهذا خطأ فى التوريث وصحته فى هذه المسألة على النحو الآتى للأم السدس وللبنت النصف وللأخت للأب الباقى تعصيبا وهو الثلث، ولا شئ للاخوة من الأم لأنهم لا يرثون مع الفرع الوارث مطلقا ؛ فقد جاء فى كتاب الفرائض من الجزء الخامس لابن عابدين « ويسقط بنو الأخياف وهم الإخوة والأخوات لأم بالولد وولد الابن وإن سفل ، وبالأب والجد بالاجماع » وزاد صاحب ـ والمحتار عند قول المصنف بالولد وولد الابن : «ولو أنثى فيسقطون بستة بالابن والبنت وابن الابن وبنت الابن والأب والجد ، ويجمعهم كذلك الفرع الوارث والأصول الذكور» وفى شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧ « وأما لأولاد الأم فأحوال ثلاث : السدس للواحد والثلث للاثنين فصاعدا ، ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل ، والأب والجد بالاتفاق» وإذا كان أولاد الأم لا يرثون مطلقا مع الفرع الوارث فتقسم تركة المتوفاة المشار إليها آنفا على النحو الآتى

للأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وعدد من الإخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب الباقى تعصيبا؛ لأن الأخوات مع البنات عصبة ، وتكون المسألة من ستة : للأم سهم وللبنت ثلاثة وللأخت لأب سهمان ولا شئ من التركة للأخوة من الأم . ولا داعى للعول وزيادة السهام لأنه لا موجب لذلك إذ أن الأخوة لأم لا يرثون مطلقا . وأرجو ألا يضيق رحب الرسالة عن نشر هذه الكلمة لوجه الحق

الاقصر **على ابراهيم القنديلى**

واسم أبيه وسنه وعنوانه وما إلى ذلك ! وهى إلى ذلك أسئلة وأجوبة لا تنطوى على معنى غير مفهوم لعامة الناس ولا تزيد على معلوماتهم العادية ، وهى إلى ذلك أيضا تلقى على زعيم أعلن ترشيحه للزعامة !

٥ — لماذا — وقد كان كل غرض المسرحية استيعاب الحوادث جميعها — أقول لماذا أغفلت الكثير من الحوادث الكبيرة كيوم ١٣ نوفمبر مثلا وهو الشرارة الكبرى التى انبعثت عنها نيران الجهاد والكفاح ؟ وأغفلت الكثير من الزعماء الذين كان لهم تأثير كبير فى مجرى الحوادث بعصر مثل : عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومحمد محمود واسماعيل صدقى وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى وسواهم ؟ اللهم إلا إذا أريد بذلك ممالأة الحكومة القائمة وهو أمر إن جاز فى عالم السياسة فلا يجوز فى عالم الفن

٦ — يعلم المؤلف أن المسرح للناس جميعا فكيف يجيز استعمال اللغة الإنجليزية فى بعض المواقف وهو يدرى أن بعض الناس يجهلها ؟ وإذا كنا نعيب اللغة العربية نفسها على المسرح إذا جنحت إلى المبالغة فى الفصاحة والجزالة لأن المشاهد العادى يعيا بفهمها فكيف نسمح للغة الانجليزية بالظهور فوق المسرح ؟ إلا إذا كان ذلك تمشيا مع الواقعية المسرفة التى التزمها المؤلف فى المسرحية جميعها ، ناسيا أن المسرح ليس « الواقع » ولكنه كما قال الأستاذ زكى طليمات بحق فى كلمته الجامعة « استثارة الواقع » !!

على متولى صلاح

لمن كتاب الاعتصام ؟

جاء فى مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوى الذى نشر فى عدد الرسالة الممتاز عن الشاطبى القراء هذه الفقرة « وللشاطبى كذلك

كتاب الاعتصام ، وهو فى الفقه » وبهذا خلط الأستاذ الفاضل بين عالمين جليلين لقب كلاهما بالشاطبى . أحدهما الشاطبى القراء الذى كتب عنه الأستاذ بدوى . والثانى هو الإمام ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى أبو إسحاق الشهير بالشاطبى . والمتوفى فى القرن الثامن من الهجرة ، وهو صاحب كتاب الاعتصام الذى نسبه الأستاذ الفاضل إلى الشاطبى القراء المتوفى فى القرن السادس من الهجرة

ثم إن كتاب الاعتصام ليس فى الفقه ، بل فى الحوادث والبدع الدخيلة على الإسلام ، وهو كتاب جليل فى بابه ، وقد طبع فى مصر مرتين

عبد الرحمن الوكيل

تصحيح رواية حديث نبوى :

بدأ الأستاذ محرر « شموع تحترق » كلمته فى جريدة المصرى بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٥٢ بقوله :

« قرأت فى كتب الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه بمعلم يقسو على تلاميذه فقال له : رفقا أنجشة بالقوارير » أو شيئا حول هذا

والقوارير هم فلذات أكبادنا من صغار النشء رقاق النفس دقاق العظم صغار الأحلام لا يحسنون التقدير ولا يجيدون التدبير ... »

وحرصا على قداسة الحديث النبوى الشريف يطيب لى أن أذكر أصل الحديث ليظهر المعنى واضحا كما أراده الرسول الكريم

روى البخارى عن أنس قال : كانت أم سليم فى الثقل وأنجشة غلام النبى عليه السلام يسوق بهن ، فقال النبى عليه السلام : يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير »

وكنى الرسول الطاهر عن النساء بالقوارير من الزجاج لضعف بنيتهن ورقتهن . والمراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت فأزعجت الراكب ولم يؤمن على النساء من السقوط ، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بهن ما لم تفده الحقيقة لو قال ارفق بالنساء يا أنجشة . فانظر يا أخى إلى بلاغة الرسول الأديب الأعظم عليه أفضل الصلاة !

ومن ذلك يتضح أن أنجشة ليس بمعلم يقسو على تلاميذه كما قال الأستاذ المحرر ، وإنما كان حاديا وراء الإبل وهى من عادات العرب تؤدى بأصوات طيبة وألحان رائعة !

ولعل الأستاذ رأى فى رحلاته أو فى قريته حاديا من الجمالين يحدو وراء إبله بغنوة جميلة متى كان فى صوته رخامة ليقطع الطريق فى راحة ويسر !

شطانوف محمد منصور خضر

جمع ظفر

جاء فى المقال القيم الذى دبجته يراعة الأستاذ الفاضل أحمد قاسم أحمد فى عدد الرسالة الماضى بعنوان « الشعب المقلم » هذا التعبير « نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر » وقد لفت نظرى جمعه لكلمة « ظفر » على « أظافر » مع أن الذى أعلمه من كتب اللغة أن الجمع الصحيح هو أظفار جمع ظفر وأظافير جمع أظفور ولا شىء سواهما ، وهذان الجمعان وحدهما هما اللذان وردا فى الصحاح للجوهرى وفى القاموس المحيط للفيروزابادى ، فهل لدى الأستاذ الفاضل دليل آخر من كتب اللغة يثبت صحة هذا الجمع أم أنه سها عن الجمع الصحيح واطمأن إلى الخطأ الشائع ؟ إن كانت الأولى فإننى أرجوه — شاكرا له الفضل — أن يتكرم فيدلنا على المرجع الذى منه استقاه ؛ وإن كانت الثانية فلا ضير عليه ، فإنها كبوة الجواد ، وله الفضل على كل حال

عبد المؤمن محمد النقاش

آداب النفر

فى البريد الأدبى بالعدد ٩٦٧ من الرسالة الغراء تعقيب للأديب الفاضل صلاح الدين حسن على ما ورد فى مقال « القوة فى نظر الإسلام » للأستاذ كامل السوافيرى ، المنشور فى

العدد ٩٦٥ من الرسالة .. تحمل عليه لأنه حرف الآيات الكريمة التي استشهد بها .

١ — قال الأديب الفاضل : إن آية البقرة هي .. كتب عليكم القتال .. الخ » بدون « يا أيها الذين آمنوا . وهذا صحيح .. ومع ذلك فالكاتب لا يستحق كل هذا اللوم «المؤدب» الذي ختم به الأديب تعقيبه ؛ لأنه من المعلوم أن سورة البقرة مدنية ، وتوجيه الخطاب للذين آمنوا من سمات السور المدنية . وشيء آخر هو أن هذه السورة ورد فيها ما يدعو إلى التشابه والتداعي من مثل : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص . الآية ، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام.. الخ والقرآن غالب لا يغلب

٢ — ذكر الأديب أن الكاتب « استشهد بالآية ٢٨ من سورة محمد . وصحتها محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ » .

وإذا كان الكاتب قد أخطأ مرة واحدة ،فقد أخطأ المعقب.. الحصيف مرتين .

أولا : — أن الصواب هو :. « محمد رسول الله والذين معه أشداء .. الخ »

ثانيا :— أن الآية ليست من سورة « محمد » وإنما هي خاتمة سورة الفتح !

ويبقى بعد ذلك الفرق بين من لم يستعن بالمصحف فأخطأ ، وبين من استعان بالمصحف وخطأ ، فأخطأ .. !

وأما اللوم والتأنيب الذي أفاض فيه المصحح فنتركه ، آملين أن يحاسب نفسه ، قبل أن يحاسب الناس ، وأن يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت في كتاب الله » .. كما يقول .. !

محمد فوزي العنتيل

عزل بضم فسكون :

تتردد على الألسنة في هذه الأيام ، وحتى من رجال الإذاعة المثقفين ثقافة عالية عبارة « اعتدى البريطانيون على العزل الآمنين » فينطقون العزل بتشديد الزاي ؛ وهو مخالف للصواب وللأساليب العربية الصحيحة . وبالرجوع إلى قواعد اللغة نراها تقول :

إن أفعل فعلاء ومؤنثه يجمع على فعل بضم الفاء وتسكين العين ، مثل حمر — بضم فسكون — جمع أحمر حمراء ، ونقول رجل أعزل ، ومرأة عزلاء ، وهؤلاء الرجال عزل بتسكين الزاي — والنساء عزل كذلك . فالواجب إذن أن ننطق العبارة نطقا سليما صحيحا هكذا .. اعتدى البريطانيون على العزل — بإسكان الزاي — الآمنين »

محمد عبد المنعم أبو سيف

رسالة

أستاذنا محرر الرساله
أرجوك نشر هذه المقاله
لمجد شعب يأخذ استقلاله
بالعزم والقوة والبساله
مناضل مستعذب نضاله
وثائر محطم أغلاله
مستضحك الموت إن بداله
والموت في الحق هو النباله

يا حبذا

(مهداة إلى الكاتب الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي)

يا حبذا هذا الجها د ، وقل معي يا حبذا
قد قالها شعب إذا ما قال قولا نفذا
شعب عليه كل شعـ ب في الوجود تتلمذا
شعب سمت آثاره وعلى الخلود استحوذا
يحمى الحقيقة كلما لج الزمان وشموذا
ويرى الكرامة أن يمو ت مناضلا مستنقذا
فشعاره : لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

الزقازيق **توفيق عوضي**



الجنية العاشقة

للكاتب الفرنسي اميل زولا

أرهفي أذنك يا نينون ! إن مطر ديسمبر يلطم الزجاج ، والهواء يرسل أنينه ، ويردد شكواه .. إنها أمسية من الأماسي الباردة ، التي يقضقض البائس فيها من القر ، أمام قصر الغني الغــارق في اللذائذ تحت توهج الذهب ! ... إخلعي حذاءك هناك ... وضعي حليتك الثمينة هنا .. وتعالي إلى أحضاني ، فسأروي لك قصة من أروع قصص الجان

نينون ! هناك على ذروة الجبل قصر عتيق ساد الظلام فيه وجثم الحزن فوقه .. ما ترين إلا أبراجا صاعدة نحــو السماء ، وأسـوارا منيعة شماء ، وجسورا متحركة جهزت بالسلاسـل ؛ وملئت برجال أولي بأس شديد ، لبوسهم الحديد ، يسهرون الليل والنهار على الشرفات ، ولا يجدون راحة أو سلوة إلا بجانب سيد الحصن الجبار ، الـكونت أنكيران

لو كنت رأيت ذلك الـكونت يا نينون ، وهـو يتنزه في مماشي القصر الضيقة ، وسمعت قرقعة صوته ينذر بالوعيد ، إذن لأصابك الجزع ، واضطربت كما تضطرب أوديت ابنة أخيه ، تلك الحسناء الرعيبب التي تفتحت أنوثتها بين فرسان قساة ، كما تتفتح زهرة الأقاح ، إذا تنفس الصبح ، تحت قبلات الشمس الضحوك بين أشواك الجبال

كانت وهي طفلة، إذا أبصرت عمها الشيخ ، وقد ضمت إلى صدرها الدمى زرت(١) عيناهــا وهبت مذعورة . تذرف الدمع . أما الآن فهي في ربيع الحياة . إن تدبيها يافتاتي يشان الشكوى ويرسلان الآهات . وما يزال الخوف يستولي على نفسها كلما طلع أمامها هذا المحارب القديم ...

وكانت تأوي إلى برج بعيد، تتلهى فيه بحياكة أعلام ورايات فإذا أعياها هذا العمل المونس لجأت إلى الله تبثه حزنها وتدعوه، أو قلبت طرفها في السماء الضاحكة وسرحت بصرها في الروج الحادرة ... وكم من المرات ، يانينون ، كانت تقوم من مهجعها وقد سجا الليـل وهف النسيم لتنظر إلى النجوم ... وكم من المرات كان قلبها يخفق لهـذا المشهد الساحر ، ويحن إلى تلك المروج المتواثبة نحو الأفق البعيـد ، ثم تسائل الـكواكب عن ذاك الشيء الذي يتلاعب بروحها ويثير شجونها ...

ودت بعد تلك الليالي التي سـاهرت فيها النجم وبعد ذلك الحنين اللاهف للحب لو أنها ضربت يوما عنق هـذا الفارس الهرم فوقصتها (٢) ولـكن ، وا أسفـاه ! ما كان لها حول ولا قوة ... إن كلامه جاف يرعب ، وإن نظراته جامدة تفزع ... فكانت تأخذ الإبرة مضطربة الحواس واجفة القلب وتعود إلى وشيها الشاق !

إنك تأسفين ، يانينون ، لتلك الحسناء ، إنها كالزهرة الريانة ذات العبير الطيب والأريج الشذي التي يصدف النـاس عن رائحتها ويلهون عن جمالها ... !

كانت ترنو يوما بعينين حالمتين إلى قريتين تريدان الهرب من الحصن ، فسمعت صوتا عذبا يتعالى عنـد باب القصر ، فانحنت من الـكوة ، وإذا شـاب حلو القسمات وسيم المنظر ، تأنس العين لمرآه ، يطلب المبيت ، مرسلا أنشودة بصوت رخيم ما فهمت لها معنى ولـكن خفق لهــا قلبها . ورأرأ الدمع في عينيها ، ثم فاض ... فـساقطت دراً من نرجس ، وبللت غصنا من المارجولين (٣) كان بين يديها ..

(١) يقال رزت عينه إذا توقدت من خوف أوغيره

(٢) وقصتها أي كسرتها يقال وقص الرجل إذا دقت عنقه

(٣) السمسق ، وهو نبات طيب الرائحة له أزهار كأزهار الياسمين ..

في سنة ١٨٦٤ كتب أميل زولا أقاصيص رائعة صدرت تحت عنوان « أقاصيص إلى نينون » صور الـكاتب فيها صفحة من صحائف صباه ، إذ كان في البروفانس إل جانب فتاته نينون ينشد السعادة ويتـذوق اللذة ، وذكر كيف كان يقص عليها ، كل يوم ، فوق الهضاب ، وبالقرب من الينبوع ، وبجانب الموقد ، أقاصيص طريفة : وهي ذكرى لشباب ذابل وحب خالد

وزولا من أكبر الـكتاب الذين عرفتهم فرنسا في القرن الماضي ، وكان مفنا ، إذا قرأت كتاباته وجدتها تفيض بالحياة وتتدفق بالشعر ، وقد كان يميل إلى الابداعيين ، ويحذو حذوهم ؛ وألف قصصا كثيرة ، يظهر لك من خلالها أسلوبه المشرق ، الذي جمع بين سحر الفن وجمال التصوير

وساد سكون عميق، وبقيت الأبواب مغلقة . ونادى فارس من أعلى الأبراج قائلا :

إذهب وشأنك أيها الغريب ، فليس هنا سوى فرسان محاربين ..

وهم الطارق أن يذهب . ولكن أوديت ، التى علق بصرها به ، فما يطرف أو يتحول ، تركت الغصن رطبا بالدمع ، يفلت منها ، ليقع تحت أقدامه ورفع الشاب رأسه ، فإذا وجه صبوح يطل عليه ... والتقط الغصن ليشبعه لثما وتقبيلا . ثم ابتعد عن القصر ، وهو ينظر كل لحظة إلى الفتاة

فلما غيبه الطريق المنحدر قامت أوديت تدعو الله وتصلى له ؛ ثم شكرت للسماء وأحست السعادة فرقصت فرحا ، وهى لا تدرى لكل ذلك سببا .. !

فلما كان الغسق جلست إلى رابة تصلحها ، وهى تفكر فى ذلك الفتى ، ثم داعب النعاس أجفانها فأذبلها وارتمت على فراشها ... واستسلمت لنوم غرق مضطرب ، ورأت حلما ...

إنه حلم ساحر يا نينون ! خيل إليها أنها ترى غصن المارجولين الذى أفلت من يديها ، وإذا بجنية ، ما رأت العين أجمل منها تخرج من زهرة تتفتح بين أوراق الغصن المرتعشة . ولها أجنحة من اللهب ، وتاج من الأزهار ، تتدثر برداء أزرق ، لونه رمز الأمل ، وتناديها بصوت حلو النبرات :

أوديت ! أنا الجنية العاشقة ! أنا التى أرسلت إليك لويس هذا الصباح ذاك الفتى ذا الصوت الحنون ... أنا التى ، وقد رأيتك تذرفين الدمع ، جئت لأجففه .. أضرب فى الأرض ، وأؤلف بين قلوب العاشقين . ! ... أزور الكوخ ، كما أزور القصر ، وأجمع عصا الراعى إلى صولجان الملك . أنا التى أزرع الورد تحت أقدام المحبين .. ! ثم أربط بينهم ببنين تختلج القلوب لهم فرحا . أعيش بين الأعشاب ، وفى جذوة الوقد المتأكلة ، وتحت رفارف أسرة الأزواج .. ! وحيث أضع قدمى فهناك يقوم حديث الغزل ، ويكون همس القبل ! لا تبكى أوديت ، فقد أتيت لأجفف دموعك ...

وعادت الجنية إلى الزهرة التى خرجت منها، واختفت هناك .. أنت تعرفين يا نينون أن جنيتنا فى الوجود .. انظرى إليها ترقص فى الموقد ، وتأبى إلا أن لا يفكر بها

واستيقظت أوديت وأشعة الشمس تنير غرفتها والعصافير تصدح بالأغانى والنسيم الصافى يداعب شعرها المنضود الأشقر ، وقد حمل عبير القبلة الأولى التى سرقها من الأزهار على عجل . فنهضت والنفس مفعمة بالفرح ، وقضت يومها تغنى تارة وتنفض[٤] الحقول أخرى ، وترسل ابتسامة رقيقة لكل عصفور يحلق ، والأمانى تغريها فتقفز هنا وترقص هناك ، ثم تضرب كفيها الصغيرتين بعضهما إلى بعض بقوة وسرور ...

فلما كان الطفل تركت مخدعها ، وهبطت إلى ردهة القصر الكبرى فوجدت فارسا يصغى إلى حديث عمها الكونت ، فعمدت إلى مغزلها وانتبذت مكانا إلى جانب الموقد تسمع إلى صر صر يغنى

ونظرت إلى الشاب ، فإذا غصن المارجولين بين يديه ، يا لله ! إنه لوئيس ... وعلت وجنتيها حمرة ونضرة ، وكادت ترسل صرخة تدوى فى فضاء الردهة ، ولكنها انحنت على الموقد تورث النار فيسمع لها حسيس كأنه بث الأحزان ، ويتمايل اللهب ، ويفور الموقد ، وتهيج النار . وفجأة ينبجس من الموقد نور شديد وتظهر الجنية العاشقة ، وقد افتر منها الثغر ، ومال منها الجيد ... فتجمع ثوبها الأزرق بين يديها ، وتنطلق فى الغرفة دون أن يراها أحد إلا أوديت ...

أما الكونت فكان مسترسلا فى حديثه يقص نبأ معركة هائلة وقعت مع الكفار ، ويقول :

— ... فتحابوا يا أولادى .. ودعوا أشباح الشيخوخة الزاهدة . أبقوا لها الأقاصيص بجانب النار المشتعلة ، ولا تجمعوا الآن إلى زفير النار سوى وسوسة القبل ..! سيكون لكم يا أولادى من ذكرى هذه الساعات التى ذقتم بها اللذة ما يخفف أحزانكم وهمومكم فيما بعد ... والمرء عندما يحب وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فالكلام لا يجديه آنئذ نفعا . إن نظرة واحدة خير من خطاب طويل . تحابوا يا أولادى واتركوا الشيخوخة تشكم ...

وأظلت الجنية العاشقين بأجنحتها ، فغدا الكونت لا يرى لويس الحبيب ، وهو يطبع قبلته الأولى على جبين أوديت الحبيبة

(٤) نفض الرجل المكان : إذا نظر اليه ليرى كل ما فيه

المرتعشة !

نينون ! يجب أن أتكلم لك على أجنحة جنيتى .. لقد كانت شفافة كالبلور ، دقيقة كأجنحة الذباب ، ولكنها أيضا كانت تنقلب إلى ظلام دامس كثيف فلا يتجاوزها عندئذ رنين القبلات ووجيب الأفئدة ... ليكون العاشقان بنجوة من العيون ! وهكذا ... وبينما الشيخ غارق فى حديثه عن معركة المؤمنين والكفار ، كانت معركة القبل قائمة بين لوثيس وأوديت ... !

لقد حضن الجسم الريان ، وقبل الخد الأسيل ، ودغدغ النهد الناعم ، وتمتع بالطرف الوسنان ... والشيخ فى حديثه غارق مسترسل ... !

ليت شعرى ما تلك الأجنحة ... ؟ إن الفتيات ليجدنهن أحيانا — كما قيل — فيأمن شر الأبوين ويتمتعن بالحبيب ، أحقا ما يقال يانينون ... !

واختفت الجنية العاشقة ، وقد أنهى الكونت قصته ، وذهب لوثيس شاكرا لمضيفة الكونت... ونامت الفتاة تحفها السعادة ، والأمانى حولها حوم ترفرف ، والعين قريرة والبال هادئ

أما هذه الليلة ، فقد رأت جبالا كلها أزاهير ، زينت بألوف من الكواكب المصابيح نور كل منها أشد وضاءة من نور الشمس ....

وأصبح الغد ، فلما متع النهار نزلت إلى حديقة القصر والتقت ثم بفارس حياها فردت له التحية، ولما ابتعد عنها نظرت إليه ، فإذا غصن المارجولين معه رطب بالدمع . وها هى ذى أوديت تلتقى بالحبيب مرة أخرى ... لقد عاد إلى القصر بعد أن تنكر بزى فارس . أواه يانينون ! اشد ما يكون السرور عظيما عندما تلتقى الحبيبة بفتاها فى وضح النهار ... !

وأجلسها على مقعد مخضوضر من العشب تحت ظلال السنديان ، واللسان صامت والعقل شارد ، وراحت العيون تتناجى ... والأفئدة تصغى ...

لن أقول لك يافتاتى ما تحدثت به شجرات السنديان عندما رأت الحبيبين . إن فى سماع الحبيبة وهى بين يدى الحبيب لذة ، لقد جاءت الطير كلها تستمع إلى لحن الحب ، وتبنى أعشاشها فوق تلك الشجرات ...

وسمعت الفتاة على حين بغتة وقع أقدام الكونت وهو يمشى فى الممر الطويل . . فأصابتها الرجفة وانتظرت شرا مستطيرا . . . ولكن .. إن الينبوع لايزال يرسل خريره الحلو الشجى ، وها هى ذى جنيتنا الحسناء تأتى فتظلل العاشقين بأجنحتها والهواء رخى ، ويختفيان عن الأبصار ، ويعاودان حديث القبلات . . ويقترب الكونت ، فيأخذه العجب ! إنه ليسمع أصواتا ولا يرى أناسا !

وانبرت الجنية الحسناء تقول :

— أنا حامية الحب ، أضرب على بصر من لا يحب غشاوة فما يسمع أو يرى ! لا تخافا بعد اليوم أمرا ، أيها العاشقان الجميلان .. بل أجيبا داعى الحب فى وضح النهار ، والجو صاف وفى الليل والنسيم يرف ، وبجانب الينابيع والأوراق تحف . أرسلنى الرب لأصرف عنكم أذى الرجال ، هؤلاء الساخرين من كل فضيلة ، وحبانى بأجنحة من الحب وقال : «اذهبى ولتتحاب القلوب ! فيا بشركم .. إنى هنا أحمى الحب وأرعاه ...

ثم ذهبت تلتقط الندى غذاءها الوحيد تاركة وراءها الحبيبين ، وقد علق فم بفم ، واشتبكت كف بكف ..

وبقيا حتى الليل ؛ فلما دنت ساعة الفراق ظهر الأسى فى نظراتهما، فأمرت الجنية اليهما بقول يخيل أنه راقهما، فانبسطت أسارير وجهيهما إذ سمعاه . ثم رجواها شيئا . فأخرجت قضيبا معها ، ولمست به جبينى العاشقين

وفجأة ... أوه ! يا نينون . ما لك دهشت

هكذا . انتظرى سأتم قصتى . . وفجأة انقلب لوثيس مع أوديت إلى غصنين من أغصان المارجولين ! نعم من المارجولين الغض الزاهى . نبتا جنبا إلى جنب ، ولامست أوراق الأول أوراق الثانى ، واشتبكا . هنا يا فتاتى . تتفتح أزهار لن يمد الذبول اليها يده ، بل تبق .. ويبقى أريجها متضوعا إلى الأبد

والآن يا نينون ، عندما نعود عند المروج الخضراء سنبحث عن أغصان المارجولين وسنسألها فى أية الزهرات تختبئ الجنية الحسناء . إن لقصتى يا صديقتى مغزى ، وما كنت لأقصها عليك إلا لأنسيك مطر ديسمبر الذى يلطم الزجاج وأبعث فيك هذا المساء شيئا من الحب ... نحوى ... أنا !

ص . م

الرسالة والرواية

فهرس العدد

بين سبت وسبت ... ... : للاستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ١٥٣

اللغة الإنجليزية فى مصر ... .. : « محمد محمود زيتون ١٥٤

الجمل اليهودى وسم الخياط ... : « على حيدر الركابى ١٥٧

الخوف ... ... : الأديب محمود البكرى محمد ... ١٥٩

جمال الدين الأفغانى .. .. : للاستاذ حمدى الحسينى ١٦٠

ثورة الشرق ... ... : « أبو الفتوح عطيفه ... ١٦٢

دعوة محمد .. .. : « عبد الموجود عبد الحافظ ١٦٤

عالم الذباب ... ... : بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى ١٤٢

عدى بن زيد العبادى ... ... : الأستاذ محمود عبد العزيز محرم ١٦٩

بين محمد وأصحابه ... ... : « أحمد الشرباصى ١٧١

إلى الميدان ... ... (قصيدة) : بقلم شـــاعر ١٧٢

ترنيمة الشهيد ... (قصيدة) : الأستاذ كامل أمين أيوب ١٧٣

ذكرى حبيب ... (قصيدة) : « محمد فوزى العنتيل ١٧٤

(الأدب والفن فى أسبوع) — الدكتور زكى مبارك — لغة المجتمع ١٧٥

(البريد الأدبى) — الوسيق العراقية — إلى المقبين — تصويب أخطاء ١٧٧

(القصص) — الصقر — للكاتب الإطالى بوكاتشو ١٧٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

Le Caire 11-2- 1952 | 20 me. année No 971

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧١ «القاهرة في يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ١١ فبراير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

بين سبت وسبت

قال بعضنا لبعض بعد يوم السبت الذى خرّب العامر وقوض السامر وأطفأ المضئ: ليس لنا من سبيل إلا أن نلوذ بالريف ريثما تعيد الوزارة الجديدة الأمن إلى النفوس والأنس إلى العاصمة

وفى صباح يوم السبت الذى وليه كنا فى الطريق إلى القرية؛ وكان الجو سافرا والنسيم فاترا والحقول بهيجة؛ ولكننا لم نكد نقطع بعض الطريق حتى برد الهواء وأضبّت السماء وانهمل المطر. وظل انهمال المطر أربع ساعات متواليات تركت بعدها الطريق ترعة متصلة الماء بالسماء تجرى فيها السيارة كما يجرى الزورق البخارى فى النهر. ثم كانت عاقبة هذا الغيث المتون أن تخلص الجو من الغبار، وتطهر الشجر من الأقذار، وتألقت القرى والحقول بالجمال والنضرة. فقلنا: يا لله! ما أبعد الفرق بين سبت وسبت! ذلك سبت كان فيه النار والدمار واليأس نهاية مرحلة، وهذا سبت كان فيه الماء والنماء والأمل بداية مرحلة!

ودخلنا القرية والتأم شمل الأهل وانتظم عقد المجلس، وأقبل شيوخ الفلاحين ممن يقرأون الصحف أو يسمعون الإذاعة يتناقلون أحاديث القنال وأحداث القاهرة وتغيير الوزارة. وقد لاحظت من مناقلة الرأى أن القرويين لم يعودوا يزنون أعمال الحاكمين بميزان المواد الحسية كتخفيض (المال) وإسقاط (الخفر) ورفع (السخرة)؛ وإنما أصبحوا يزنونها بميزان المعانى الكريمة كالدراية الواسعة، والكفاية الممتازة، والسياسة الرشيدة، والإرادة القوية، والإدارة النزيهة، والنابة الشريفة. وهذا الفضل كله إنما كانوا يتفقدونه فى وزيرين اثنين كانت صلتهما بالجمهور صلة معنوية تتمثل فى تعليم الشعب واستقلال الوطن، هما طه حسين وصلاح الدين! فإذا أسف الناس على أحد من أعضاء الوزارة المقالة من الحكم فإنما يأسفون على هذين الرجلين اللذين سموا بالمنصب على الشهوات، وربأ بالحكم عن الشبهات، وكانا للأمة بين ذوى الآراء المرتجلة والأهواء العابثة، العوض من الخسارة والعزاء عن المصيبة. فلو أنهما خرجا على نظام الحزبية ودخلا فى الوزارة الماهرية لكانت الوزارة الجديدة فوزا كاملا وفرحة خالصة

أما رأيهم فى على ماهر فهو رأى الفريق فى منطقة النجاة! لم يعرفوا عنه إلا أنه عدو الإنجليز وعدو الفوضى وعدو المحاباة وعدو الروتين وعدو التلكؤ، فهو رجل الساعة وبطل الموقف. هو رجل الساعة لأن الحرج الخارجى الذى دُفعنا إليه يحتاج إلى حزمه. وهو بطل الموقف لأن الهرج الداخلى الذى وقعنا فيه يفتقر إلى عزمه. وهو فوق أولئك كله صديق العامل وصديق الصانع وصديق الفلاح وصديق الفقير ورئيس (جبهة مصر)

ذلك مجمل الرأى القروى فى سياسة الوقت وساسته؛ وهو رأيى، ولعله رأى جميع الناس

ريف المنصورة

احمد حسن الزيات

اللغة الأنجليزية فى مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الإنجليزية فى مصر — أو على حد تعبير وزارة المعارف — « اللغة الأوربية الأولى » — قد أصبحت غير ذات موضوع لأنها استنفدت جميع أغراضها ، وفقدت صلاحيتها ، فلا مناص من إلغائها ، لأنها أول معقل للاستعمار فى بلادنا سبق إلى الانهيار

وإذا كانت الظروف اليوم قد أتاحت لقادة الرأى فى مصر أن تعمل جاهدة على المطالبة بإلغاء وتحرير العقلية المصرية منها على أثر إلغاء معاهدة الذل والاحتلال ، واتفاقيتى القهر والاستعمار ، فإن لصاحب هذا القلم شرف السبق إلى الكتابة فى هذا الموضوع فى وقت كان الجهر فيه بهذا يعد ضربا من المجازفة

وكان ذلك فى ٣ يوليو سنة ١٩٤٨ يوم كانت جريدة « الإخوان المسلمون » اليومية ترفع لواء الحرية ، فى هذا المعترك الصاخب من الأفكار ، قلت يومئذ بالحرف الواحد :

« إن هذه اللغة قد دخلت مصر وستخرج منها وكأن لم تكن ، لأنها لم تهدف إلى التثقيف وتبادل روائع الأفكار وبدائع العرفان وإنما كان هدفها الحقيقى هو إشاعة الذعر والخوف والفزع والهلع والذل والانكسار إلى غير ذلك من مترادفات « تحطيم الأعصاب » فى بلد لا يزال بخير وعافية كمصر

ونظرا لما حق لدينا من دراسة العلوم الاجتماعية ومن بينها « علم اللغة » وما لكل من تطورات وانحرافات ولهجات تبنت قوانينها الصارمة ، فإننا بالقياس إلى هذه القوانين نرى أن اللغة الإنجليزية قد أريد بها أن تشذ شذوذ أهلها عن قوانين اللغة فلبست مسوح العلماء وقفافيز الساسة ، « إمعانا فى إحكام القيود والأغلال على الشعوب المستضعفة جميعا وفى آن واحد ، وتسويدا للهمجية فى بعضها على المدنية فى البعض الآخر » ، فقد ظلت هذه اللغة تدرس فى مصر أكثر من نصف قرن منذ بدء الاحتلال وكانت لغة التدريس فى جميع المواد ماعدا اللغة العربية وما يتصل بها . »

ولقد فطنت الجمعية العمومية إلى أساليب الاستعمار الإنجليزى منذ فجر الحركة القومية ، فطالبت الحكومة فى مارس سنة ١٩٠٧ بجعل التعليم فى المدارس بالعربية ، وعلى ذلك الرأى اجتمعت الأمة الناهضة؛ ولكن مما يؤسف له أن قام أحد أذناب الاستعمار فقال فيما قال :

« إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعا لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة .. » (١)

واستطرد يقول — وهو سامحه الله ممن وكل إليه زعامة هذه الأمة — « وإذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى الجمارك والبوسطة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة »

على أن الأمة الممثلة يومئذ فى الجمعية العمومية قد خذلت هذا الاعتراض بإجماع رائع هز أركان التاريخ وتبوأ مكانة من الحركة القومية

وعلى الرغم من هذا فإن هذه اللغة الاستعمارية قد مضت فى طريقها فى غفلة من سدنة القومية فاعتبروها « اللغة الأجنبية الأساسية » حتى كانت سنة ١٩٣٥ حيث ابتدع « ميخائيل وست » طريقته الأمريكية اليهودية التى بها وحد النطق على أسس خاصة . وذلك لتتحقق المساواة فى الاستعباد والاستذلال والاستغلال ولتكون العدالة شاملة فى الظلم عملا بالقاعدة المشهورة « إذا عم الظلم كان عدلا »

وما لبث الإنجليز — بفضل هذه البدعة الأمريكية — أن تدفقوا بملايين الكتب المدرسية الإنجليزية إلى مصر والسودان وفلسطين والحبشة وجنوب أفريقية وأوغندة وكنيا وأستراليا والهند، وبذلك ألغيت كل الحواجز الجمركية أمام هذه البضاعة الإنجليزية الموحدة فى هذه الأقطار ، فإذا نحن منذ ذلك التاريخ أمام تيار جارف من خرافات وأساطير وخزعبلات فرضوا علينا

(١) من عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه « مصطفى كامل »

أن نحشرها حشراً فى أدمغة الناشئين الأبرياء

يسأل التلميذ أستاذه : هل من المعقول أن (جاك) إذا قتل الدب وأخذ قلبه ورمى به فى النار تخرج حبيبته منها ! .. وهل صحيح أن (كاليبان) و (آريل) عفريتان من عفاريت (الجزيرة المسحورة) كما جاء فى رواية (العاصفة) التى دبجتها براعة (شكسبير) ؟ ..

يابنى .. هذا كلام إنجليز ؛ وليس عليك إلا أن تتعلم اللغة ودعك من خرافاتهم . وهنا يريد المدرس الفيلسوف أن يشرح لتلميذ السنة الأولى « فلسفة التناسخ والحلول » الشائعة فى عقائد البرهمانيين والبوذيين . ولكن كيف يستطيع مدرس أن يشرح هذا اللغز الغامض لذلك الناشئ البرئ ! .. وهنا يفضى كلاهما على حسرة ملحة ، وألم صارخ ، والأمر بينهما لله وحده

وهكذا أراد الإنجليز أن يغلفوا قلوبنا بطبقة من القطران الأسود المصنوع من خرافات الهمجية الأولى ، وبذلك تموت الروح الدينية . وعقيدة التوحيد فى جوانح أبناء الأمة فيشب الواحد منهم كافراً بالله والرسل والأنبياء والملائكة واليوم الآخر ، كافراً بالمروءات والمثل العليا ومكارم الأخلاق متأثراً بدروس الكفر البواح التى يتلقاها فى مدارس الدولة

وليت هذا الناشئ المسكين يتعلم هذا الكفر فى كتاب واحد أو اثنين ، ولكن الدولة القيمة على العقل والروح والبدن تأبى إلا أن تغمر تلميذ السنة الأولى الإبتدائية بفيض من الكتب الأنجليزية بعضها رئيسى والبعض الآخر إضافى

وأذكر أن الوزارة كانت توزع على تلاميذ السنة الثانية سبعة كتب إنجليزية منها ثلاثة للعمل بها فى المدرسة ، والباقى للاطلاع الخارجى بالمنزل ، ويعلم الله أن هذا الاطلاع المزعوم ماكان له من وجود إلا فى خيال « ميخائيل وست » ومن يدورون فى فلكه من صنائع الاستعمار الثقافى

والنتيجة الطبيعية أن التلميذ لم يفتح كتب (العفاريت) إلى آخر العام حتى إذا بدأت العطلة صفى حسابه مع هذه الكتب وباعها مقابل عدة أقراص من النعناع والحلوى . وأما الدولة فهى التى دفعت لتجار الكفر وسماسرة الاستعمار دماء الفلاحين ثمناً لبضاعة كلها غش وزيف

وأساليب الاستعمار - على العهد - بها أعقد من حبل الشمال وأضيق من شراك الصيد على فريستها ، فهى تصيد العقول والقلوب ؛ وتمتص الدماء وتستنزف الأموال ، وتقتل الأرواح وتشل النشاط وتخدر الأعصاب ، وتستأصل الحمية من الأنوف إلى غير ذلك من ضروب النصب والاحتيال

وليس أدل على ذلك من طريقة الامتحانات المتبعة فى مراحل التعليم : ففى المرحلة الابتدائية يسهل على التلميذ اجتياز الامتحان لأن طرق وضع الأسئلة مرسومة محدودة ، ويكفى أن يحفظ التلميذ مفرداته المقررة عليه ، وأن يعرف كلمات الاستفهام وقواعد الزمن ليكون من الناجحين

وهذا التسهيل المفتعل ليس إلا خطة موضوعة تتبعها فى المرحلة الثانوية أسلاك شائكة وألغام فاتكة : ففى بدئها يرغم التلميذ على كتابة موضوعات إنشائية - ولم يتعلم قبلاً تكوين جملة - ويرغم أيضاً على الإجابة على أسئلة الأجرومية المعقدة - وكان محظوراً عليه أن يعلم شيئاً مطلقاً من المصطلحات . فهو يتجرعها فى مدى أشهر . معدودات وتكثر ضحايا الامتحان فى بداية هذه المعركة ، وتعود أساليب الاستعمار إلى قواعدها سالمة حسب الخطة المرسومة

وإذا جاز هذه المرحلة والتحق بالجامعة ، فإن صدمة عنيفة تجبهه عندما يحاول متابعة أستاذه فى شرحه بهذه اللغة فيسقط فى يده ولا يجد ما يستعين به على الدراسة التى تخصص لها إلا بعد مشقة وعناء

مراحل كلها صخور وأشواك ملقاة فى الطريق وعلى الجانبين لتوهم الناشئ بالضعف والغباء ، وتقذف فى نفسه الرعب والذل والانكسار فتتحطم أعصابه ، ويتبلد ذهنه

وتعمد الوزارة كل سنة إلى تغيير الكتب الانجليزية التى تدرس فيها طلبة الثقافة والتوجيهية . فما الحكمة من ذلك ؟ اللهم إنه ابتزاز أموال الدولة سنوياً باسم العلم . وإلا فأى ضرر عقلى أو تربوى إذا استمر تدريس كتاب واحد بعينه لمدة سنوات ؟ وهل كتب المطالعة العربية المقررة أساءت إلى عقلية

التلميذ لمجرد استمرار تدريسها لسنوات عديدة ؟

أراد المستعمرون أن يؤخروا مصر إلى عصر ما قبل التاريخ حيث الهمجية الروحية والفكرية ، وهذا هو الوضع الذى جاز على مصر ولم تتنبه إلى خطورته ، ولولا بقية من إيمان ، وشعاع من عقل « لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »

وفى إبان الحرب الماضية كان الأساتذة الانجليز أنفسهم رسل دعاية للاستعمار فى مصر ، فهذا مستر سكيف رئيس قسم الأدب الانجليزى يبشر تلامذته من طلبة الآداب بأحسن وأروع ما كتب فى هذا الأدب قديمه وحديثه ، ذلك هو « خطاب من طيار لأمه » وقد تطوع بترجمته إلى العربية سعادة هيكل باشا ونشره الاتحاد الانجليزى المصرى

وكان مقررا على طلبة التوجيهية منذ سنوات مقالات عن « مشروع بيفردج » و « والتأمين الاجتماعى » و « الخدمات العامة » ولم يتكلف أحد من قادة الفكر وسادة الرأى عناء الاطلاع على ما يدرس للشباب وتبيان مدى ما ترمى إليه هذه الأفكار الوافدة ، ولم يعن أحدهم يوما بنقد ما يراد منه فتنتنا عما لدينا من تراث اجتماعى نستطيع به أن نجابه هذه الأفكار السطحية وندفعها بالحق . وهل الزكاة التى افترضها الإسلام عاجزة — إذا أحسن أداؤها — عن تعديل الأوضاع الاقتصادية وكفالة الأمن والسلام

وليس غلوا منا إذ نقول إن اللغة الإنجليزية وآدابها لا تصلح لأن تكون عاملا من عوامل التثقيف أو التهذيب فى مصر لأنها تقوم على مبادئ هدامة نذكر منها : فرق تسد — عسكنت فتمكنت — المصلحة أولا — اعمل بما أقول لا كما أفعل — حتى أنت يابروتس —

كل ذلك وما إليه إنما ينطوى على الدس والخبث والنفاق والمادية والأنانية والاولبية الأفعوانية ، وقد سبق لى أن قلت فى مقال « عصابة روتشيلد » (٢) بأن الانجليز هم الورثة الذين تبنوا اليهودية التى فككت أوصال أوربا فى القرن الثامن عشر كما سبق أن قلت إن هذه اليهودية تتمثل فى النزعة المادية وهى

(٢) الرسالة فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠

خاصية من خصائص لغة الانجليز كما وضحنا ذلك فى مقالنا عن « اللغة والفكر (٣) » حيث يقول الانجليز : pay attention أى ادفع انتباهـا ويقولون pay a visit أى ادفع زيارة ، كأن الانتباه والزيارة نقود تدفع

ولو قدر لهذه اللغة البقاء فى بلادنا أكثر من ذلك بهذا الوضع وبتلك المكانة فإنها تسىء إلى نفسها أكثر مما تحسن إليها ، لأنها لغة أشاعت الذعر فى النفوس ، وسدت مسالك التفكير ، وضيقت من آفاق العقيدة ، وزعزعت من أركان الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ، واستعبدت المدرسين حتى صاروا كالآلات الصماء حتى لقد استحاضت عنهم بالفونوغراف

وليس أمامنا الآن إلا خطوة عملية واحدة لرد اعتبارنا وحفظ كرامتنا كأمة ذات سيادة ، وهذه الخطوة هى ألا نجعل لهذه اللغة فى بلادنا أكثر من الوضع الذى صارت إليه بلادها ، فقد أصبحت انجلترا أفقر الدول بعد أن كانت أغناها ، وأصبحت ذيلا بعد رأس ، وصار لها فى بلادنا « سفير » بعد أن كان لها « مندوب سام » وأصبحت فى نظر العالم كله وباء وبلاء ، فلا أقل من أن تكون لغتها فى بلادنا كذلك شر بلاء وأخبث وباء

ومن العار أن يكون عدد حصص هذه اللغة أكثر من عدد حصص اللغة القومية . ومن العار أيضا أن نطالب بجلاء الجيوش الاستعمارية بينما أكبر أصنام الاستعمار فى مصر لا يزال حيا يعبد . ومن العار أن يتعطش شبابنا إلى معرفة مواطن البطولة فى تاريخنا المجيد ، فلا يجدون ما يروى غليلهم بينما نجرعهم غصص لغة لا يستسيغون لها طعما ولا لونا ولا رائحة

ومن موجبات حمد الله وشكره أن هذه اللغة لم تتمكن من جوهر حياتنا ولم تنجح فى أن تكون لغة تخاطب ولا لغة كتابة ... »(٤)

هذا ما قلناه بالحرف الواحد منذ شرعنا هذا القلم لهدم هذا الصنم الغليظ ، ولعل الحكومة المجاهدة تستطيع اليوم أن ترفع

(٣) الرسالة فى ٥ زائد ١٢ يونية سنة ١٩٥٠

(٤) الإخوان المسلمون : التاريخ المذكور

معولها وتهوى به دفعة واحدة للقضاء على هـذا الخبث بعد أن فتح الله علينا وهـدانا إلى الصراط القويم بإلغائنا روابط الذل وحبائل الاحتلال . ولتكن بعد ذلك مادة اختيارية من بدئها إلى ختامها ، فمن شاء دراستها فعليه أن يتخذ لنفسه الوسيلة ، ومع ذلك فالدين النصيحة ، فليعلم من لا يعلم أن هذه اللغة إنما هى لغة الأنانية بكل مافى هذه الصفة من أوضار . ألا يرى معى القارئ كيف يجعلون ضمير أنا « I » هو الضمير الوحيد الذى يكتبونه بحرف كبير ؟ فما هو السر فى هذا إن لم تكن الأنانية

ونقولها صريحة لأبناء العراق الشقيق : إننا كما يقول أمير الشعراء « كلنا فى الهم شرق » ولـكننا كما نحصى على أنفسنـا أخطاءنا ، لا نضن عليهم بالنصح لوجه الله والعروبة ، فليعملوا فورا على تخلص لهجتهم ولا فتـاتهم ومكتوباتهم من الألفاظ الانجليزية الدخيلة واستبدال الألفاظ العربية بها مثل « السائق » و « الـكوب » و « القنينـة » ولا داعى مطلقا لأن نقول driver و glass و bottle التى شـاعت فى العراق وتسئ إلى القومية العربية التى نعمل على تدعيمها وأنف المستعمرين فى الرغام

محمد محمود زيتونه

بين مجزرة (دير ياسين) ومشنقة (الباب المعظم) :

الجمل اليهودى وسم الخياط

للأستاذ على حيدر الركابى

عثرت البشرية خلال تاريخها الطويل على مبادئ خلقية سامية اتفقت عليها وجعلتها معالم بارزة فى مجرى حياتها فإذا ما اقتربت منهـا أمة من الأمم وتمسكت بعراها كانت فى أوج تقدمها وإذا ما أهملتها وابتعدت عنها كانت فى أسفل دركات انحطاطها لا فرق فى ذلك بين أمة شرقية أو غربية ولا بين أمة حديثة أو قديمة

وتشذ أمة يهود عن ركب البشرية فى ذلك فتقرر لنفسها مقاييس خلقية خاصة وتبالغ فى هذا التخصص حتى تحتكر الخالق ، وبهذه الطريقة اليهودية الفذة تصبح العدالة شيئا نسبيا ومثلها الصدق والشرف إلى آخر ما تضمه الأخلاق من صفات معروفة وغير محصورة

وبالاستناد إلى هـذا المذهب اليهودى الخاص فى الأخلاق ينقلب الـكذب اليهودى صدقا والنذالة اليهودية شرفا والظلم اليهودى عدلا رائعا ! . . بينما ينقلب صدق غير اليهود كذبا وشرفهم نذالة وعدلهم ظلما إذا كان فى ذلك ما يمس مصلحة يهودية كبرت أو صغرت

لقد طالبوا بتقسيم فلسطين وأصروا عليه وجندوا الدنيـا لإقراره . فلما حققوه أعلنت أبواقهم فى كل مكان أنه الحل العادل الوحيد للمشكلة الفلسطينية لأنه يستند إلى حق اليهود التاريخى فى أرض الميعاد . أما أن تـكون فلسطين مأهولة بأكثرية ساحقة عربية ، أما أن تـكون هذه الأكثرية مالـكة لمعظم أراضى فلسطين منذ قرون ، فأمر لا يؤبه له وحق العرب المستند إلى تلك الأكثرية ليس بحق . لماذا ؟ لأنه ليس حقا يعود ليهودى !

وطالب العرب بتدويل القدس على الأقل ، فقامت قيامة اليهود وأرغوا وأزبدوا . لمـاذا ؟ لأن أكثرية سكان القدس يهودية ، وهذه الأكثرية لا تريد تدويل القدس فيجب احترام رأى الأكثرية . .

عجيب والله أمر يهود ! تفرض إسرائيل فرضا ضد رغبة الأكثرية من السكان ثم ترفض تدويل القدس احتراما لرأى الأكثرية . . مثال رائع للعدالة النسبية التى تتعشقها يهود !

وينظم اليهود مذابح وحشية لـكى يحملوا العرب على ترك ديارهم ويعترف بذلك كبير زعمائهم الإرهابيين ـ مناحيم بيكن ـ ويسجل اعترافه فى منشورات لانكليزية أشار فيها إلى مذبحة دير ياسين وأنه تولى بنفسه تنظيمها والإشراف عليها لـكى يضمن تحقيق التنكيل المتقن بالعرب ، ثم يزور بيكن أمريكة فيستقبل فى نيويورك ومدنها اليهودية الأخرى استقبال الأبطال الفاتحين . ويمعن اليهود فى اضطهاد العرب ومصادرة أملاكهم

حتى بعد قيام إسرائيل . يفعلون ذلك دون تردد وبضمير هادئ لأنهم يهود وأعمالهم الوحشية موجهة ضد غير اليهود ؛ وإذن فهى فى نظرهم أعمال تمثل منتهى العدالة ، وإذن فهى تمثل منتهى الأخلاق !

وينظم اليهود إرهابا يهوديا منقطع النظير خارج حدود إسرائيل : فى دولة عربية ؛ ويصبون فى هذه الدولة سيلا متدفقا من الجواسيس يتآمرون على سلامتها . وهذا عمل صالح لا غبار عليه لمجرد أنه عمل يهودى موجه ضد غير اليهود ! أما أن تفطن تلك الدولة العربية إلى نوايا اليهود نحوها ، وأما أن تقوم بإلقاء القبض على أولئك الجواسيس والإرهابيين من يهود ، وأما أن تحيلهم إلى المحاكمة العلنية ، وأما أن تصدر الهيئة القضائية المختصة حكمها بإعدام بعض وسجن بعض فهى جرأة عجيبة لا تغتفر وهى الظلم بعينه ! لماذا ؟ لأن الدولة غير يهودية والمحكمة غير يهودية والمتهمين يهود . . . وتحب أمة يهود أن تتجاهل أن التحقيق كان أصوليا وشاملا وأن المحاكمات كانت علنية وأن محامين من غير اليهود تولوا الدفاع عن المتهمين وأن الحكم صدر ببراءة بعضهم . تتجاهل أمة يهود ذلك كله وتكذب لأن كذب اليهود لمصلحة يهودية هو الصدق بعينه

هذه هى المقاييس الخلقية المقلوبة عند اليهود ! . .

من حق (موشى شاريت) أن يعلن حزنه العميق أمام زملائه أعضاء (الكنيسيت) اليهودى ، ومن حق هؤلاء أن يوقفوا الجلسة حدادا ، ومن حق (أوبرى إيبان) أن يمتنع عن حضور جلسات هيئة الأمم لشدة حزنه ، ومن حق (راديو إسرائيل) أن يبدل براجه ليذيع الكئيب من موسيقاه اليهودية البغيضة : من حق أمة يهود أن تفعل هذا وأكثر لتعرب عن شعورها لإعدام يهوديين فى بغداد وسجن آخرين . ولكن ليس من حقها مطلقا أن تختلق وتتغالط وتكذب وتحتال لكى تتهجم على الشرطة العراقية والقضاء العراقى والعدالة العراقية بأسرها وتوجه لها الشنيع من التهم بالبذئ من الألفاظ

عفوا ! قلت ليس من حقها ونسيت أن الحق اليهودى فى عرفها له مفهوم يهودى خاص وهو حق ثابت لأنه حق يهودى . ولهذا أعود فأقول : إن من حقها اليهودى أن تفعل ذلك وأكثر ، ومن حقها اليهودى أن تستجير بالضمير الإنسانى ليثور على حكم قانونى قضى بإعدام يهوديين ، بعد أن سخرت كل ما تملك من وسائل جهنمية لتحول دون ثورة ذلك الضمير الإنسانى بعينه ضد فظائع فلسطين ومذبحة دير ياسين !

ولا أحب أن أعتقد أن الضمير الإنسانى قد ماع إلى هذا الحد الذى يصبح معه أداة طيعة فى أيدى اليهود : يثيرونه أو يخمدونه حسب مقتضيات المصلحة اليهودية وإن كان حقا أن الضمير الإنسانى قد تدنى إلى هذا الحد فى يوم الناس هذا فلا حول لنا ولا طول إلا أن نستجير بالله من يهود !

ولكن الضمير الإنسانى فى حقيقته السامية لا يمكن أن يصبح يهوديا لأن هناك تناقضا ثابتا بين الإنسانية فى معانيها السامية وبين اليهودية . وعليه فلا بد للضمير الإنسانى من يوم قريب بإذن الله يثور فيه على اليهودية العالمية وعلى طغيانها فى هذا العصر

وما ذلك على الله بعزيز . . .

بغداد علي حيدر الركابي

الخـــوف

للكاتب الفرنسى جان جاك روسو

أحد زعماء الثورة الفرنسية

للأديب محمود البكرى محمد

... كنت فى الريف ملقيا رحلى عند راهب بروتستانتى اسمه السيد « لامبيرسيه » ، واصطنعت من ابن عمى « برنار » صديقا لى . ولكنه كان جبانا إلى حد يثير الدهشة ، ولاسيما حين يجن الليل ! وكنت أسخر من خوفه دائما حتى ضاق « لامبيرسيه » ذرعا فأراد أن يضع شجاعتى تحت التجربة ...

وفى ليلة داجية من ليالى الخريف دفع إلى بمفتاح المعبد .. ودعانى إلى أن أذهب إلى المنبر ، لأبحث عن الإنجيل الذى كان قد تركه هناك . وحتى يثير فى حب الذات أضاف كلمات لم أستطع معها أن أتراجع ...

وانطلقت بلا ضوء .. وربما كان شرا أن يكون معى .. وكان لزاما أن أمر بالمقبرة ، فعبرتها فى تسرع ، لأنى حين أجدنى فى الهواء الطلق تنطلق تهاويل الدياجى من مشاعرى ...

.. وعندما كنت أعالج فتح الباب سمعت أصداء تنبعث من القبة خيل إلى أنها أصوات . . وبدأ ثباتى « الرومانى » يتزعزع وانفتح الباب ، وهممت بالدخول ، ولكنى لم أكد أخطو بضع خطوات حتى توقفت ، أخذت أتأمل الظلام المطبق فى هذا المكان الفسيح ... ورأيتنى مشدودا برعب قف منه شعرى ، فعدت أدراجى ، وخرجت ألتف فى خوف . وفى الردهة بصرت بكلب صغير كان يسمى « سيلتان » . لاطفنى ، فرد إلى بعض الطمأنينة ...

واستحييت من رعبى .. فعدت من جديد . . وتمنيت لو صحبنى « سيلتان » .. ولكنه أبى أن يتبعنى !

اجتزت الباب مسرعا .. ودخلت الكنيسة . . ولم أكد أدخل حتى ملأنى الفزع ، وطار صوابى ! ومع أن المنبر كان على يمينى وكنت أعرف ذلك حق المعرفة ، فكنت أدور بلا وعى ، وأبحث عنه كثيرا فى الشمال ، وأتخبط حائرا بين المقاعد ، وما عدت أعرف أين أنا ، وما عاد فى مقدورى أن أعثر لا على المنبر ولا على الباب ، ووقعت فى قلق حائر لا يصفه تعبير !

وفى النهاية لمحت الباب ، فاندفعت اليه ، ومرقت منه — كما دخلته — فى سرعة ، مصمما على ألا أدخله إلا فى ضوء النهـار ...

ورجعت على عقبى إلى المنزل .. وهممت بالدخول ، ولكن صوت السيد « لامبيرسييه » رن فى عاصفة من الضحك . . وحسبت أن هذه الضحكات منى ، وخشية أن يفتضح أمرى ترددت فى فتح البـاب . . . وفى هـذه اللحظة سمعت ابنـة « لامبيرسييه » تبدى قلقها على . . وتأمر الخادمة أن تأخذ المصباح — بينما يمارض الراهب — وتصحب معها ابن عمى الشجاع ، الذى لن يقصر أحد فى تهنئته بهذا الشرف ! وفى تلك اللحظة ، تلاشت كل مخاوفى ، إلا خوفى من أن أصبح مثار الدهشة من رعبى ، فجريت وطرت إلى المعبد ، لا خائفا ولا ضالا .. ووصلت إلى المنبر ، وصعدته ، وتناولت الانجيل .. ثم هبطت فى سرعة ، وفى قفزات ثلاث كنت خارج المعبد الذى نسيت حتى أن أقفل بابه ، ودخلت مثواى لاهثا ، ورميت بالانجيل على المنضدة مكدودا ، إلا أننى كنت مفعم القلب بالسرور لأننى سبقت النجدة التى كانت قد أعدت للبحث عنى

محمود البكرى محمد

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغانى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ٣ —

أقام السيد جمال الدين فى الهند فترة من الزمن وضع خلالها رسالته فى الرد على الدهريين . وما أن حدثت ثورة عرابى فى مصر حتى أسرعت حكومة الهند فوضعته فى نطاق من الرقابة الشديدة خشية أن تهب نسمة من روحه القوية على تلك الحركة الثورية فتزيد فى اشتعالها وتؤجج من نيرانها فتقطع على الاستعمار الانكليزى طريقه إلى مصر واحتلال مصر . ومذ اطمأن الانكليز على خطتهم فى مصر سمحوا له بمغادرة الهند فغادرها إلى باريس حيث التقى بصديقه الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فأصدرا جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين إلى الوحدة الإسلامية تحت لواء الخلافة العظمى حتى اشتدت مقاومة الاستعمار الانكليزى لها فأغلق دونها أبواب الهند ومصر فتوقفت عن الصدور ، وكان قد وصل فى ذلك الوقت صدى تلك المقالات القوية التى نشرتها العروة الوثقى عن الاستعمار الانكليزى فى البلاد العربية والإسلامية إلى لندن ، وكانت حركة المهدى لا تزال فى السودان مندلعة النار فيتخذ الاستعمار الانكليزى من الحجة فى إخمادها وسيلة للسيطرة على مصر والتدخل فى شئونها . فاستدعى سالسبرى رئيس وزراء انكلترا فى ذلك الوقت السيد جمال الدين بحجة استطلاع رأيه فى المهدى وظهوره وقصده الحقيق أن يحك هذه النفس الكبيرة بما عنده من جاه وسلطان ظنا منه أن مثل هذه النفس تلين بمثل هذا الإغراء الرخيص الذى كان الاستعمار يستعين به على كم أفواه الرجال فذهب جمال الدين إلى لندن واجتمع بسالسبرى اجتماعا عرض سالسبرى فيه على السيد جمال الدين أن يمينه سلطانا على السودان ليستأصل جذور فتنة المهدى ويمهد السبيل لإصلاحات بريطانيا فيه : « تكليف غريب وصفه فى السياسة مابعده سفه » بهذا أجاب السيد جمال الدين رئيس وزراء بريطانيا العظمى ثم قال له : هل تملكون السودان حتى تريدون أن تبعثوا إليه بسلطان ؟ مصر للمصريين والسودان جزء متم لها . وصاحب الحق الخليفة الأعظم حى يرزق ولديه من الجيش المادى والمعنوى ما يتذلل معهما كل صعب وفتنة فى الكون الإسلامى وأجزاء ممالكه . قال هذا وخرج ثم عاد إلى باريز فالتقى بالفيلسوف الفرنسى — رينان — وجرى بينهما حديث فى العلم والإسلام وحقيقة القرآن والعمران (فشهد له رينان بصحة العلم وقوة الحجة ورجع عن كثير من آرائه في أن الإسلام والقرآن مانعان للحضارة والعمران

قضى السيد جمال الدين ما يزيد على الثلاث سنوات فى باريز بذل خلالها من الجهود العظيمة الموفقة فى مكافحة الاستعمار الاوربى الطامع فى البلاد العربية والإسلامية ما جعل هذا الاستعمار يشعر بالقلق والاضطراب فى حركاته وسكناته والخوف والذعر على آماله وغاياته . وبينما كان هذا النسر المحلق فى سماء مجده يهم برحلة واسعة شاملة فى البلاد العربية إذ بشاه إيران يستقدمه إلى طهران فآثر تلبية الدعوة وذهب إلى طهران فاستقبله الشاه بالإكرام والاعظام واسند إليه وزارة الحربية فى حكومته وجعله فوق مستشاره الخاص ، فحمل أعباء عمليه العظيمين فى الدولة وراح يرشد الشعب الفارسى إلى ما له من حقوق وما عليه من واجبات فالتفت حوله أمراء البلاد وعلماؤها وأقسموا له بأن يصدعوا بما يأمرهم به فأوجس الشاه خيفة فتنكر له ، فرأى أن يستأذن الشاه بمغادرة البلاد فغادرها إلى روسيا وكانت شهرته قد سبقته إليها فاستقبل فيها بالاجلال والاحترام . ودعاه القيصر واجتمع به وسمع حديثه عن أسباب الخلاف بينه وبين شاه ايران ، فقال له القيصر إنى أرى الحق فى

جانب الشاه إذ كيف يرضى ملك أن يحكم فيه فلاحو مملكته . فقال له جمال الدين أعتقد بإجلالة القيصر إن عرش الملك إذا كانت ملايين الرعية أصدقاء له خيرا من أن تكون أعداء يترقبون الفرص ويكنون فى الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام . فغضب القيصر وأوعز إلى رجال بلاطه بأن يخرجوه من بلاده بأقصى حدود السرعة . فخرج منها إلى أوروبا وأخذ يتنقل فى عواصمها حتى التقى فى ميونيخ بصاحبه شاه ايران ثانية فاعتذر له الشاه عما فرظ منه نحوه ، ودعاه لمرافقته إلى طهران فقبل جمال الدين الدعوة وسار معه إلى بلاد فارس . ولم تكد رجلاه تطاءان أرض فارس حتى عاد الناس فالتفوا حوله كما فعلوا فى المرة الماضية وقد كلفه الشاه هذه المرة أن يضع ما يراه مناسبا للمصلحة العامة من القوانين ، فسن قانونا أساسيا للمملكة يقضى بأن تكون الحكومة ملكية شورية (دستورية) ولكن ما كاد الشاه يطلع على ذلك حتى طار صوابه . فقال للسيد جمال الدين : أيصح ياحضرة السيد أن أكون وأنا ملك ملوك الفرس كأحد أفراد الفلاحين ؟ فقال له جمال الدين اعلم ياحضرة الشاه أن تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستورى أعظم وأنفذ وأثبت مما هى الآن . فنفر منه الشاه وأعرض عنه فأحس بهذا النفور فاستأذن بالذهاب إلى بلدة (شاه عبد العظيم) فأذن له . فذهب إليها وتبعه عدد كبير من الزعماء وقادة الرأى فى البلاد فخاف الشاه عاقبة ذلك فأمر بالقبض عليه فانتزع من فراشه وهو محموم وأوصل إلى حدود العراق ، فذهب إلى البصرة وأقام فيها حتى عادت إليه صحته فغادرها إلى لندن . وهناك جاءته من عبد الحميد دعوة إلى الآستانة فذهب إليها وكان فى استقباله ياور السلطان فسأله أين الصناديق أيها السيد ؟ فقال له : ليس معى غير صناديق للثياب وصناديق للكتب . فقال للياور أين هى ؟ فقال جمال الدين أما صناديق الكتب فها هى ، وأشار إلى صدره ، وأما صناديق الثياب فهذه وأشار إلى جبته . ذهب السيد جمال الدين لمقابلة السلطان فاستقبله أحسن استقبال وأرسله إلى قصر كان قد أمر باعداده له . وما أن خرج من حضرة السلطان حتى قال له كبير الياوران فى شئ من الاستغراب والعتاب : ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل . واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة وأنت تلعب بالمسبحة فى حضرته . فقال له جمال الدين : سبحان الله ! أن جلالة السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة على هواه ولا يعترضه منهم أحد؛ أفلا يكون لجمال الدين حق أن يلعب بمسبحته كيف يشاء ؟ !

أما إكرام السلطان لجمال الدين واحتفاؤه به وإقباله عليه فكان عظيما جدا . وأما إعجاب جمال الدين بالسلطان فكان إعجابا آخذا عليه جوانب نفسه ؛ ولكن إعجابه هذا بالسلطان لم يمنعه من أن يقول له فى صراحة ووضوح وفى شجاعة وعزم : خذ بعزم جدك محمود ، وأقص الخائنين من خاصتك ، واظهر للملأ ظهورا يقطع من الخائنين الظهور ، واعتقد أن نعم الحارس الأجل . مما جعل السلطان يتنفس الصعداء ويعتذر له عما دعاه إليه بما فى بيئته من الفساد ، ويعده أن يفعل ما دعاه إليه فى المستقبل

قد عرض السلطان على جمال الدين مشيخة الإسلام ليصلحها فأبى ذلك وطلب من السلطان أن يعمل عملا يتغير معه شكل الحكم تغيرا أساسيا وهو يعنى بهذا الرجوع إلى الشورى فى الحكم ، كما عرض عليه أضخم الوظائف وأعلى الرتب وأسمى النياشين فرفضها كلها قائلا : إن وظيفة العالم ليست بمنصب ذى راتب بل بصحيح الإرشاد والتعليم ، ورتبته ما يحسن من العلوم مع حسن العمل بالعلم

قضى جمال الدين فى الآستانة أربع سنين ضيفا على السلطان كان خلالها حركة خير دائمة ، بوعظه وإرشاده حتى دهمه داء السرطان فمات رحمه الله سنة ١٨٩٧ ميلادية (١)

رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات

(١) اعتمدنا فى كتابة هذا المقال على كتاب : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى . تأليف محمد باشا المخزومى طبعة بيروت سنة ١٩٣١

حمدى الحسينى

ثـــورة الشرق

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

فى مصر ثورة

وفى إيران ثورة

وفى تونس ثورة

وفى مرا كش ثورة

جميع هذه الثورات تهدف إلى غرض واحد هو تحرير الشرق من سيطرة الغرب وسيادته

فمصر قد قامت تناضل وتكافح من أجل حريتها واستقلالها ووحدة واديها ، وقد أقسم أبناؤها ألا يهدأ لهم بال ، أو يغمض لهم جفن ، إلا إذا حققوا لوطنهم أهدافه المشروعة ولن يعبأوا عا يبذلون من تضحيات ودماء

ولكن إنجلترا ترفض أن تسلم بحق مصر المشروع ويمعن جنودها فى تحديهم لمصر وأبنائها ، بل أ كثر من هذا لقد خرج الانجليز على كل المبادىء الإنسانية والقوانين الأخلاقية فارتكبوا من الجرائم الوحشية ما يخجل من ارتكابه أحط الشعوب وأقلها حظا من المدنية . لقد اعتدوا على الشيوخ الضعفاء فى صلواتهم وهاجوا الأطفال والنساء وانتهكوا حرمات المنازل فطردوا أهلها منهم ، وشردوا عائلاتهم فى الطرقات والشوارع تحت وابل من رصاص مدافعهم ودباباتهم وطائراتهم ، وارتكبوا ما لا يحصى ولا يعد من حوادث السلب والنهب . ثم عمدوا أخيرا إلى نسيان جميع القوانين الدولية ، فعذبوا الأسرى وأطلقوا عليهم الوحوش الضارية فنهشت لحومهم وهم أحياء ثم أعدموهم رميا برصاص دمدم . حتى بيوت الله من مساجد وكنائس بل والمقابر لم تسلم من عدوانهم وإجرامهم . ويدعى الانجليز بعد ذلك أنهم متحضرون على أ كبر جانب من الحضارة والمدنية !

ولسنا نعرف بعد أى قانون أباح لانجلترا وأبنائها أن ينزلوا فى بلاد غير بلادهم على غير إرادة أهلها وأن يقيموا كرها بغير رضى أصحاب البلاد ثم يقترفوا فى هذه البلاد أشنع الإثم وأفظع الجرم إذا ما طولبوا بمغادرتها ! أهو قانون عصبة الأمم البائدة ، أم قانون هيئة الأمم المحتضرة ؟

فليمعن الانجليز فى ضلالهم فإن هذا يقرب نهايتهم ويدنى أجلهم

وفى إيران ثورة على القراصنة الانجليز . لقد هال الايرانيين ما تربحه شركة البترول الانجليزية من أموال طائلة فقد بلغت أرباح الشركة عام ١٩٥٠ ما يزيد على مائة مليون من الجنيهات ، ومن ثم قررت إيران تأميم البترول فى بلادها ، وطردت الانجليز من ديارها . وطأطأت انجلترا رأسها وانسحب أبناؤها الشجعان تحت جنح الظلام من إيران . لماذا ؟ لأن انجلترا خافت أن تصبح إيران « كوريا » أخرى تأ كل الانجليز الشجعان . والسر فى ذلك أن روسيا جارة لإيران ، وأن إيران تستطيع فى سهولة ويسر استيراد الأسلحة من روسيا ، ومن هنا جبنت إنجلترا « الشجاعة » فى إيران واستأسدت فى مصر . لكن أبناء النيل سيذيقون أبناء التاميز أشد ألوان العذاب والهوان

وفى الأسبوع الماضى أمرت إيران إنجلترا بإغلاق قنصلياتها فى ديارها . ومرة أخرى طأطأت إنجلترا رأسها ورفعت إيران هامتها. وهكذا تقلص النفوذ البريطانى من إيران وذهب إلى غير رجعة

الضمير الأمريكى

فى ١٩ يناير الماضى انتابت إنجلترا وجنودها نوبة من الجنون ، فأخذ الجنود الإنجليز يصلون مدينة الاسماعيلية نارا حامية وكانوا يطلقون نيرانهم على غير هدى وفى وحشية منقطعة النظير . وقد أصابت إحدى رصاصاتهم قلب راهبة أمريكية فخرت صريعة . وبرغم هذه الحقيقة راحت إنجلترا أ كذب

أهل الأرض جميعا تذيع أن الراهبة قتلت برصاص أطلقه الفدائيون المصريون ، وكانت ترمى بهذا إلى كسب عطف الرأى العام الأمريكى وإثارته ضد مصر . وإنجلترا كما عرفناها دائما لا تتعفف فى الوصول إلى غايتها عن استخدام أحط الطرق وأدنى الوسائل من كذب ونفاق وغدر وخيانة

وقد ثارت أمريكا وكلف السفير الأمريكى فى القاهرة ببحث الحقيقة ، وقد قام القنصل الأمريكى ببور سعيد بعمل التحقيق وأعلن السفير أن التحقيق لم يثبت إدانة المصريين

إلى هنا انتهت مسألة الراهبة ، ولكنى أحب أن أتساءل :

لقد ثار الأمريكان لمقتل راهبة واحدة فلم لا يثورون ضد انجلترا وهى تقتل وتشرد كل يوم آلاف الأبرياء من المصريين لاذنب جنوه ولكن لأنهم آمنوا بوطنهم وطالبوا انجلترا بالخروج منه ؟ أين الضمير الأمريكى ؟

ولكنا قد عرفنا الأمريكان وغيرهم من أهل الغرب . ألم يشردوا مليونا من العرب وطردوهم خارج ديارهم ! واليوم تشرد انجلترا سكان منطقة القنال ! ولكن مهلا ! إن نصر الله قريب

وتونس

فى ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر، وفى ١٨٨١ ادعت فرنسا أن القبائل التونسية تهدد سلام الحدود الجزائرية ، ثم ارسلت قواتها فاحتلت تونس بعد نضال مرير ، وأرغمت « الباى » على توقيع معاهدة تعهد فيها أن تسير حكومته وفقا لرغبات فرنسا ، وكان معنى هذا انتقال إدارة تونس إلى يد الفرنسيين

وقد قام التونسيون منذ قليل يعلنون أنهم قد بلغوا سن الرشد وأن من حقهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم » . ولكن فرنسا لم تقبل هذا وانطلق أبناؤها يقتلون إخواننا الأبرياء من التونسيين ، وفى كل يوم يسقط منهم جرحى وشهداء

وهكذا يتآمر أهل الغرب ضد الشرق وحرياته وتقف دوله وخاصة انجلترا وفرنسا فى وجه الأمانى المشروعة لأهل الشرق ، وترتكب الدولتان فى سبيل إبقاء سيادتهما أشنع الإثم وأفظع الجرم ، ولكن الحركات القومية فى الشرق لن يخمد أوارها حتى يعود للشرق مجده وكرامته وحريته واستقلاله

يا بغاة الغرب

أكثروا من ظلمكم وبغيكم فإن فيهما مصرعكم ، واعلموا أنكم كلما أمعنتم فى الطغيان وسفك الدماء قربتا من حرياتنا وأهدافنا

أبو الفتوح عطيفه

---

٣ - دعوة محمد

لتوماس كارليل

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

دين القوة والعمل

لقد اتهم كثيرون الدين الإسلامي بالشهوانية والدعوة إلى الاستكانة والخلود إلى الكسل، ولكني أرى أن كل ما كتب في هذا الموضوع وكل ما قيل فيه إنما هو جور وظلم لا يقبلها منصف ولا يقرهما عاقل، فإن ما أباحه الإسلام مما تحرمه النصرانية، لم يكن من عند محمد وإنما كان متبعا لدى العرب جاريا عندهم من قديم الزمان. وكل ما عمله الإسلام أنه أراد أن يقلل من عادات العرب المستهجنة جهد استطاعته، وجمل عليها من الحدود والأحكام مما جعل الدين الإسلامي ليس سهلا هينا كما يدعي أولئك الحاقدون

وكيف يكون الإسلام دينا هينا وفيه من القواعد الصعبة التي تربي المسلمين على الطاعة والنظام والنظافة والأخذ بأسباب القوة والمتعة؟ إن ديننا فيه الوضوء وإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والصوم شهرا كاملا كل سنة، وتحريم الخمر والميسر والزنا وأكل أموال اليتامى وغير ذلك، لا يكون إلا دينا يعمل لخير البشرية جمعاء. وإن دخول الناس في الإسلام أفواجا، وإقبالهم عليه، لم يكن كما يدعون، لسهولته ويسره وقلة تكاليفه، لأنه من أخش الطعن على بني البشر والقدح في عقولهم وذم أعمالهم، أن يتهموا بأن السبب في محاولتهم القيام بجلائل الأعمال والاتيان بعظائم الأمور، هو الراحة والدعة والإخلاد إلى الهدوء، والتماس الجانب اللذيذ من الحياة الدنيا والتمتع بها في الآخرة بأيسر السبل، فإن أي آدمي لا يخلو من العظمة ومحاولة الوصول إلى جلائل الأعمال

فنحن نجد الرجل القاتل الذي يؤجر روحه ويمينه بأبخس الأجر، يتمسك بالشرف والرفعة ولا ينفك يقول: لأفعلن ذلك وشرفي. ولن نجد آدميا مهما كان وضيعا يقبل أن يكون كل همه من الحياة ملء جوفه بالطعام، ولكنا نجده يحاول دائما أن يأتي بأعمال شريفة يذكر بها ليثبت للناس أنه يستحق الحياة، وأنه ليس أقل من سواه من بني البشر. وما أشد تعس الذين يرمون الإنسان بأنه ميال بفطرته إلى الراحة والدعة وأنه يحب الترف ويستكين إلى اللذة، وفاتهم أن الذي يجذب الإنسان ويستهويه إنما هي الأهوال والصعاب والقتل والاستشهاد. ومن أراد دليلا على قولي هذا، فليعمد إلى أبلد إنسان ويرشده إلى سبيل المكرمات والمحامد، فإنه لا يلبث أن يراه وقد اتقدت نفسه غيرة وتأجج قلبه حماسة، بل وإنه سيصبح بطلا عظيما. وما علينا إلا أن نقدح ما بنفس المرء من زناد الفضل فإنه لابد وأن تشتعل نفسه نارا تحرق ما فيه من أوشاب ونقائص

فمن الخطأ الفاحش أن نعتقد أن اعتناق الناس لدين من الأديان، عما يجدون فيه من يسر ودعة ومتاع ولذة، ولكنهم يدخلونه لما يثير في قلوبهم من عوامل الشرف والعظمة، ولما يبعث في نفوسهم من دواعي المجد والبطولة، والإسلام على الخصوص، ليس كما يتهمه خصومه دين راحة ودعة واستكانة ورضى بأي الحياة تكون، ولكنه دين عزة ومتعة ودين تربية وقوة، ودين شرف وفضيلة. وليس أدل على ذلك من سرعة انتشاره في أكثر بقاع الأرض في أقل من قرن من الزمان، صار العرب فيه سادة العالم وأساتذته

وهذا لما للإسلام من مزايا وخلال عظيمة لا توجد — كما قلت — في دين غيره. وإن أشرف هذه المزايا وأجلها هي مساواته بين الناس، وهذه أكبر دليل على صواب الرأي وصدق النظر فالناس في الإسلام سواء لا يفضل أحدهم غيره إلا بالتقوى والعمل النافع «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»، «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل»

ومن خلاله الحميدة، أنه لا يقتصر على جعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم، وأنها إحدى قواعد الإسلام

الخمس وقرنها بالصلاة « وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » وجعلها جزءا مقدرا من مال المسلم الذى يستطيع إخراجها ، توزع على الفقراء والمساكين وغيرهم ممن هم فى حاجة إلى العون والمساعدة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »

ما هذا ؟ إنه صوت الإنسانية الطاهرة الكبيرة . إنه نداء الرحمة والأخاء والمساواة يخرج من ذلك القلب الكبير قلب ابن الصحراء ، يحث الناس أن يواسى أغنياؤهم فقراءهم ويقول لهم إن ما ستنفقونه سيرد إليكم أضعافا مضاعفة . « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » ، « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل » ثم يحذرهم ويخوفهم عاقبة شحهم وكنزهم المال وعدم إنفاقه على من يستحقونه « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »

٭٭٭

وأى دليل أقوى على تبرئة الإسلام من الميل إلى الملاذ والشهوات ، من صيام شهر كامل كل سنة تزجر فيه النفس عن مطالبها وتحبس عن غاياتها ، وتلجم فيه الشهوات ، ويحال بينها وبين مآربها ؟ وليس بالمهم أن يباشر المرء اللذات ، وإنما المنكر هو أن تذل النفس وتخضع ضارعة لجبار الشهوات وتنقاد ذليلة خانعة لرغبات الشيطان ، فإذا استطاع المرء أن يكون له على نفسه سلطان يكبح جماحها ويسلس قيادها فإنه بذلك يكون قد بلغ أشرف المكارم وأمجد الخصال . وبهذا يستطيع أن يجعل من نفسه هاديا إلى الرشاد والخير ، ومن لذائذه بدل أن تكون سلاسل وأغلالا تعييه وترهقه ، يجعلها حليا وزخارف تزينه وتشرفه . وهذا هو المقصود من صوم شهر رمضان كل عام . وسواء أكان مقصودا من محمد لمسايرة ما كان عليه العرب قبل الإسلام أو كان من وحى الله له فهو والله نعم الأمر « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

القرآن

أما القرآن فهو الكتاب الذى جاء به محمد من عند ربه . وضمنه تعاليم الإسلام وقواعده التى يجب على المسلمين اتباعها ، وقد ضم بين دفتيه أحكاما لو اتبعها العالم لكان خيرا مما هو عليه الآن . وقد أعجب المسلمون به وحفظه أكثرهم عن ظهر قلب وإن . أعجابهم به وقولهم بإعجازه لأقوى دليل على اختلاف الأذواق فى الأمم

وقد ادعى كثير من الأوربيين أنه كتاب خال من الجمال والروعة ، وفاتهم أن الترجمة هى التى تفقده روعته وتذهب بكثير من حسن صياغته وجمال صنعته . فإذا وجد الرجل غير العربى عناء ومشقة فى فهمه ومعرفة أسراره وأنه يخيل إليه وهو يقرأه أنه يقرأ صحيفة لا شىء فيها ويحمل نفسه المشاق والتعب ويحمل على ذهنه جبالا وهضابا من الكلام لا يجد بينها كلمة لها معنى فى نفسه ؛ ذلك لأنه قد ذهبت روعة المعانى وجمال الألفاظ بالترجمة التى لايمكن أن تكون كالأصل

أما العربى فإنه يرى القرآن على عكس ما يراه غيره؛ لأن هناك صلة قوية بين لغة القرآن وبين لغة العربى ، بل أنه نزل بها وهى اللغة الفصيحة المحببة إليه (إنا أنزلناه قرآنا عربيا غير ذى عوج) (بلسان عربى مبين) ولما بينه وبين ذوق العربى من الملاءمة والاتصال ، ولذلك عرف العرب قدره وعظموه وأعطوه من التبجيل والإحترام ، مالم ينل بعضه الانجيل من أتقى النصارى ، بل إنهم عدوه معجزة خارقة . وكيف لا يكون كذلك وقد عجزوا وهم البلغاء والفصحاء على أن يأتوا بسورة من مثله « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين »

إنه الوحى المنزل من عند الله هدى للناس وتبصرة وسراجا منيرا يوضح لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومنذ أن نزل القرآن وهو قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلها ، وما برح فى كل زمان ومكان . مصدر أحكام القضاة ومرشدهم يستنيرون به ويهتدون بهديه ، ومن

تنظيم العرب له أنهم جعلوه درسا واجبا على كل مسلم حفظه ودرسه والاسترشاد به فى أمور الحياة ومشكلاتها . وفى البلاد الإسلامية مساجد يرتل فيها القرآن صباح مساء وفى بعضها يتلى القرآن جميعه كل يوم مرة، يقوم بهذا العمل نحو ثلاثين قارئا

إن هذا الكتاب ما يزال رغم انقضاء إثنى عشر قرنا على نزوله ، يرن صوته فى آذان آلاف من المسلمين وفى قلوبهم تتجاوب أصداؤه جنبات كثير من بقاع الأرض فى كل يوم وساعة ولحظة . وقد قيل إن بعض الفقهاء قد قرأه أكثر من سبعين مرة

وما أبعد الفرق بين القرآن والكتب الأخرى إذ أن تلك الكتب قد أصبحت كلمات لا صلة لها بالله الذى نزلها ، بعد أن شوهها أهلها بالتحريف والتزوير لتناسب أغراضهم وتقضى حوائجهم . أما القرآن الذى بقى كما هو فإنه لا يزال يتخذ المكان الأول من قلوب المسلمين ، بل إنه كثيرا ما يستولى على أفئدة السامعين من غير المسلمين ، فإن الكلام إذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان أما إذ خرج من القلب فإنه ينفذ إلى قلب سامعه ، وهذا هو حال المسلمين مع القرآن إذ أنهم يخرجونه من قلوبهم بعد أن طهرها من كل رجس ونقاها من كل غل وبغض لقد اتهم بعض الحاقدين محمدا، بأنه هو الذى وضع القرآن، وأن القرآن ليس إلا بعض الخدع والحيل البلاغية لفقها محمد ليشغل بها الناس عما يرتكب وبلهيهم عما يقترف ولتكون له أعذاراً وذرائع ليبلغ بها ما تصبو إليه نفسه من مطامع وأهواء وغايات . وهؤلاء قد أعماهم التعصب البغيض عن التمييز بين الحق والباطل . وقد آن لنا أن نرد لهؤلاء أقوالهم فى نحورهم ، ليعلموا أنهم قصيرو النظر وأن الحق لا بد منتصر يوما وواجد أعوانا ومدافعين . إن هؤلاء شديدو البغض للحق بعيدون عن الصراحة . ولولا ما استولى على نفوس هؤلاء من حقد على محمد والإسلام لوضعوا الحق فى نصابه ولكانت الصراحة رائدهم ، فإن من كان صادق الحس ثاقب النظر ، لن يرى فى القرآن ذلك الرأى الباطل الذى لا يصدر عن عاقل يقدر الأمور ويضعها فى مواضعها

إنى والله لأمقت كل من يحاول أن ينال من محمد ويرميه بمثل هذه الاتهامات والأكاذيب . فالقرآن لو تدبرتموه وعرفتموه لوجدتموه جمرات ذاكيات من الحق والصدق والخير والهدى والرشاد ... التى يحتاجها العالم وبغيرها يهوى إلى قرار سحيق . إنها جمرات قذفت بها فى نفس محمد الكبير ، القوة القاهرة ، بعد أن أذكت هذه النفس وأوقدتها الأفكار الطوال فى الخلوات الصامتات . إننا لو عرفنا سيرة محمد لوجدنا أن تدفق الحوادث وتدافع الخطوب يحول بينه وبين تنسيق الكلام والروية فى القول . ويالها من خطوب كانت تحدق به من كل جانب وتحيط به من كل مكان ، فقد قضى الثلاث والعشرين سنة التى أخذ يدعو الناس فيها إلى الإسلام قطبا لرحى حوادث ومصادمات وحروب طاحنة مع قريش ومن ألبتهم عليه من العرب ، ومصادمات مع أطراف الدول الأخرى المتاخمة لجزيرة العرب ، وغير ذلك من عالم كله هرج وفتن ومحن قاسية ، كل ذلك جعله فى عناء دائم ونصب مستمر بعد تكافيه بتبليغ الرسالة التى أوحيت إليه ، فلم تذق نفسه الراحة والهدوء من ذلك الوقت، فمن الخطل أن نقول: إنه هو الذى وضع هذا الكتاب البليغ الأسلوب المنمق العبارة ، الشامل لمسائل الحياة ، الدنيا والآخرة والذى أعجز بلغاء العرب عن الاتيان بمثله . إن من أكبر العار على العالم أن يتهم محمدا بهذا الاتهام الباطل الجائر

وإنى لأتخيل محمدا ذا الروح الوثابة والقلب الكبير وهو يتململ ليله ساهراً ، فاذا ظهرت له بارقة نور استبشر وفرح بنزول الخير من عند الله

إن هذا القلب الكبير ، محال أن يكون قلب محتال أفاك . وإن هذه النفس الصافية التى تفور بالوجد وتتأجج بالخير لا يمكن أن تكون نفس مشعوذ دجال ، كما يزعم الجهلة الأفاكون . كلا ثم كلا، فلقد كانت الحياة فى نظره حقا، وكذلك الكون فى نظره حقيقة كبرى تدل على قدر صانعها الذى أحسن كل شئ خلقه

عبد الموجود عبد الحافظ

٣ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

(تتمة)

تكلم الدكتور فى الفصل المذكور عن دوريل مكتشف البكتريوفاج . وقال إنه أثبت أن البكتريوفاج هو العامل الوحيد على إطفاء جائحات الهيضة المسماة بالهواء الأصفر أو الكوليرا ، وإنه موجود فى براز من هم فى دور النقاهة من المرض المذكور ، وإن الذباب يأخذه وينقله من براز هؤلاء ، وإنه متى ظهر وانتشر الذباب الحامل للبكتريوفاج بكثرة فى البلاد انطفأت جذوة الهواء الأصفر ، وانقطع داره بسرعة

فيفهم من هذا ، أن البكتريوفاج لا يوجد إلا فى أيام الهيضة ، لأن الذباب إنما يأخذه من براز الناقهين من هذا المرض ، فاذا انقطعت الهيضة لم يبق للبكتريوفاج وجود . ولم يذكرلنا الدكتور فى كتابه لا صراحة ولاضمنا أن البكتريوفاج موجود فى كل براز من براز الإنسان والحيوان لأنه إذا كان موجودا فى كل براز لزم أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا فأينما وجد الذباب وجد معه البكتريوفاج وإلا فلا

ثم تكلم الدكتور فى الفصل المذكور ، فبين كيف كان دوريل يعمل على تكثير البكتريوفاج بازدراعه ، وكيف كان يداوى به المريض بمرض الهيضة ، وقال ثم أخرجت تجارب عديدة فى الهند فأتت بنتائج باهرة فيما يختص بباسيل الدوزنطاريا الحادة، إلى أن قال فحصلوا على نتائج باهرة . وكان البكتريوفاج العامل فى شفاء الكوليرا والدوزنطاريا الحادة. وقال ثم جاءت مجلة التجارب الطبية فى عددها (٥٤) الصادر فى عام ١٩٢٧ بمقال عنوانه البكتريوفاج فى ذباب البيوت ، قالت فيه لقد أطعم الذباب الذى يألف البيوت زرع الجراثيم المرضية ، وبعد حين اختفى أثر هذه الجراثيم فى الذباب فاتت كلها وتولد فى الذباب مادة قاتلة تسمى البكتريوفاج . ويدعى الكاتب أنها خلاصة من الذباب ، ومن محلول ملحى فسيولوجى ، وأن هذه الخلاصة تحتوى على مادة البكتريوفاجين القوية المضادة لأربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ، أو أنها تحتوى على مادة نافعة أخرى ليست من نوع البكتريوفاج ، ولكنها من حيث الجوهر تفيد الدفاع العضوى عند مقاومته أربعة أنواع من الجراثيم المرضية . هذا آخر ما قاله الدكتور فى الفصل المذكور

فيفهم من هذا فهما جليا ، أن البكتريوفاج لا يشفى من جميع الأمراض وإنما يشفى من مرض الهيضة والدوزنطاريا لأن هذين المرضين يشتركان فى أنهما اختلال فى الأمعاء . ويفهم أيضا أن البكتريوفاج لا يضاد جميع الجراثيم المضادة التى ينقل الذباب بواسطتها الأمراض إلى الناس ، وتكلم الدكتور عنها وعددها فى الفصل الثانى من رسالته ، فذكر منها السل والدراخوما والتيفوئيد والزحار والطاعون والحمرة والجمرة الخبيثة والكوليرا والجذام والتيفوس والرمد بأنواعه

وبهذا يتضح أن الذباب لا يأخذ البكتريوفاج إلا من براز الناقهين من مرض الهيضة ، وهذا لا يوجد فى كل زمان ومكان . وأما الخلاصة التى ذكرها عن مجلة التجارب الطبية والتى تحتوى على المادة البكتريوفاجية ، فالبكتريوفاج فيها حاصل بالتطعيم ولم يأخذه الذباب من الخارج ، إلا أنها تدل على أن الذباب فيه خاصية توليد المادة البكتريوفاجية المضادة لأربعة أنواع من الأمراض لا للأمراض كلها، وهذا لا يلزم منه أن يكون الذباب مطهرا بالبكتريوفاج من جميع الأدواء ، ولا شافيا من جميع الأمراض ، كما أنه لا يستوجب غمس الذباب فى الشراب على الإطلاق . أما الحديث فانه يطلق الأمر بغمس الذباب ولم يقيده بشئ

هذا ما نستخلصه من كلام الدكتور للجواب على السؤالين المذكورين فى صدر المقال ثم نقول

إن البكتريوفاج لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا وشافيا من جميع الأمراض ، وإما أن لايكون كذلك . فعلى التقدير الأول يلزم أن نتخذ الذباب فى حياتنا واقيا لنا من جميع الأمراض ، وأن ننمى كل

كل العناية به وبتنميته وبتكثيره فى بيوتنا وألا نتحاشاه ، بل نضعه فى أطعمتنا وأشربتنا لنأمن به من عاديات الأسقام وجائحات الأمراض

وإذا كان هذا حقا فلماذا نرى الدكتور فى رسالته يصيح بالناس صيحة النذير العريان ، فيحذرهم من أخطاره وينذرهم بإضراره، ويستحثهم إلى محوه واستئصاله، كما أطال الكلام بذلك فى الباب السادس والسابع والثامن من رسالته

وأما على التقدير الثانى ، وهو أن البكتريوفاج لا يوجد فى الذباب دائما وأبدا ، وإنما يوجد فيه عند حدوث أحوال وظروف خاصة ، وأنه لا يشفى من جميع الأمراض ولا يضاد جميع الجراثيم ، وإنما يشفى من أمراض خاصة ، ويضاد أربعة من الجراثيم المضرة ، فنقول فيه إنه يلزم حينئذ أن يكون الأمر بغمس الذباب فى الشراب مقيدا بتلك الظروف والأحوال ، لا مطلقا . ولا يخفى أن الحديث الذى جعله الدكتور من معجزات الرسول يطلق الأمر بالغمس ولم يقيده بشىء ، كما أنه يخص بالشفاء أحد الجناحين دون الآخر

أما أنا فلا أشك أن الحديث موضوع لا أصل له كما ذكرت ذلك وبينته فى كتابى (الشخصية المحمدية) عند الكلام على الرواية عند العرب . ومن العبث أن نفتش عن معجزات رسول الله فى مثل هذه الأمور التى يكتشفها الناس ويصلون إلى معرفتها بالطرق العلمية والوسائط الفنية ، ولو كانت معجزة لما قدروا على اكتشافها . ولو جاز أن نثبت معجزة من هذا النوع لجاز أن نثبتها للمتنبي شاعر العرب فانه قبل عشرة قرون قال :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

انتقد المتنبى على هذا وقيل له هذا من قول الطبيب أو الحكيم كما فى رسالة الحاتمى أو غيره ، فانظر اليها فقد قال هذا فى الأيام التى كان التطعيم فيها بجراثيم الأمراض غير معلوم ، وفن البكتريولوجيا غير موجود ، فأين هذا وأين المعجزات ؟

إن الله لم يرسل رسوله إلى الناس لتعليمهم العلم وإنما أرسله إليهم ليصلحهم ويأخذهم بالطاعة وبالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، ذلك لأن السعادة الانسانية لا تتحقق إلا فى مجتمع ، وإن المجتمع لا يتم بناؤه إلا بالتعاون المخلص ، والخلق المستقيم الصادق وبالعمل الصالح كما ذهب إليه ابن رشد وغيره من فلاسفة الإسلام ، فليس غرض الشارع تلقين العلم ، بل غرضه كما قلنا أخذ الناس بالطاعة وبالأعمال الصالحة

أما المعجزة فهى كل ماخرج عن مقدور البشر عادة ، فلابد للمعجزة من خرق العادة ، ولذلك قالوا « لله خرق العادات » وأما هذه الأمور المجهولة فهى داخلة فى مقدور الناس عادة . لأنهم يتوصلون إلى اكتشافها ومعرفتها بالتجريب أو بالبحث والتنقيب أو بغير ذلك من الطرق العلمية

ونحن إذا أردنا أن نعرف معجزة المعجزات فلننظر إلى رسول الله محمد بن عبد الله يتيم مكة وفقيرها كيف قام بالدعوة إلى الاسلام فى أيام كان العرب فيها محتربين متعادين متناكرين ، يأكل بعضهم بعضا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، وكيف قاومته العرب حتى عشيرته الأقربون ، وكيف استمر على الدعوة بنفسه الكبيرة وعزمه العظيم الجبار متحملا فى سبيل ذلك من المصائب والمتاعب ما فوق طاقة كل إنسان ، حتى جمع أشتات العرب ووحد كلمتهم وأحدث بهم نهضة كبرى ، عربية المبدأ ، عالمية المنتهى ، فسارت بهم أعلامهم إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب خافقة بالنصر ومرفرفة بالعدل والإحسان ، وكان كل ذلك فى مدة لا تزيد على عشرين سنة بعد وفاته

ولو أن سائحا فى ذلك الزمان الذى لا واسطة فيه أسرع من البعير ، أراد أن يسيح سياحة متفرج لا فاتح فى البلاد التى نشروا فيها لواء العدل والتوحيد لما استطاع أن يتم سياحته فى أقل من هذه المدة . فهذه معجزة المعجزات التى أظهرها الله على يد محمد ، والتى لم يسبق ولن يكون لها نظير فى تاريخ البشر

بغداد ١٩٤٣ **معروف الرصافي**

شعراء من شعرائهم

عدى بن زيد العبادي

— ١ —

نشأته ... ثقافته ... دخوله فى خدمة كسرى ... سفارته بين كسرى وقيصر ... أبوه زيد وملك الحيرة ... الصلة بين زيد والمنذر أبى النعمان ... إجلال المنذر لعدى، تربية وعدى النعمان الأصغر ... الملاقات بين بنى عدى والنعمان الأصغر .

تزوج حماد بن زيد بن أيوب بن محروف من امرأة من طئ، فأولدها ولدا أسماه زيدا . وكان حماد هذا كاتبا للملك النعمان الأكبر . وكان له صديق من الدهاقين (١) المرازبة العظماء يقال له « فروخ ماهان » وكان الدهقان محبا إلى حماد ؛ فلما حضرت حماد الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، فضمه الدهقان إليه مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة العربية قبل أن يضمه الدهقان إليه، ثم علمه الدهقان الفارسية فلقنها ، ثم أشار الدهقان على كسرى أن يجعل زيدا على البريد فى حوائجه ومهامه ، فمكث زيد يتولى ذلك لكسرى زمانا

ثم ان النعمان الأكبر ، وهو والى كسرى على الحيرة ، هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه عليهم حتى يختار كسرى الملك الذى يريد أن يعقد له . فأشار عليهم الدهقان أن يختاروا زيد بن حماد . فكان ملكهم إلى أن عقد كسرى للمنذر بن ماء السماء : المنذر بن النعمان

وقد تزوج زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية ، فولدت له عديا . وولد للدهقان ولد سماه « شاهان مرد » فلما تحرك عدى وأيفع ، طرحه أبوه زيد فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله الدهقان مع ابنه إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف إليه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فكان من الأساورة (٢) الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصولجان وغيرهان

وحين ألحق الدهقان ابنه « شاهان مرد » بالخدمة لدى كسرى ، سعى ليلحق عديا بخدمة كسرى أيضا ، ووصفه بأنه « أفصح الناس ، وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله » فرغب كسرى فيه ، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا ، فأثبته مع ولد الدهقان

وعدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . وقد كان كسرى يأذن له فى الخاصة ، وكان معجبا به قريبا منه . وكان عدى إذا دخل على المنذر ، والى كسرى على الحيرة ، قام جميع من عنده حتى يقعد عدى ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، ورغب إليه أهل الحيرة ورهبوه

وقد سفر عدى لكسرى بعض السفارات ، فأرسله إلى ملك الروم بهدية من أطرف ما عنده ، فلما أتى عدى ملك الروم أكرمه ، وطاف به فى أطراف بلاده ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه . ومن البلاد التى طاف بها بلاد الشام . ويبدو أنه مكث بدمشق زمانا . وقد قال وهو فى الشام يتشوق إلى الحيرة ، ويذكر أيامه فيها ، ويفضلها على دمشق :

رب دار بأسفل الجزع من دو	مة أشهى إلى من جيرون
وندامى لا يفرحون بما نا	لوا، ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى دار بشر	قهوة مزة بماء سخين

ودومة هذه هى دومة الحيرة — وجيرون بناء عند باب دمشق وقال قوم هى دمشق نفسها

ولما كان عدى بدمشق فسد أمر الحيرة ، لأن أهلها أرادوا قتل المنذر ، لأنه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه . ولما علم بذلك المنذر بعث إلى زيد بن حماد ، أبى عدى، وكان قبله على الحيرة كما سبق ، وحدثه فيما بلغه من أنباء تبرم أهل الحيرة به وعزمهم قتله ، فمحضه النصح وأخلص له ، وأرضى أهل الحيرة ، وأصلح بينهم وبين ملكهم المنذر ، وجعل له اسم الملك والغزو والقتال ، وما دون ذلك فهو لزيد . وقد شكر المنذر

---

(١) ... الدهاقنة جمع دهقان وهو التاجر فارسى معرب . المرازبة جمع مرزبان وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك

(٢) الأساورة جمع إسوار أو أسوار وهو الفارس السيد الشجاع .

هذه النعمة وأقسم أن يحفظها له

وبعد مدة قدم عدى المدائن على كسرى بهدية قيصر، فصادف أباه زيدا والدالدهقان المرزبان قد هلكا جميعا، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحيرة فأذن له، فتوجه اليها. وبلغ المنذر أن عديا قادم إلى الحيرة. فخرج وتلقاه فى الناس. ورجع معه

ولثقة المنذر بعدى، ولما عليه عدى من خلق أعجب به المنذر، ولتطواف عدى فى بلاد كثيرة، ولخلطته الدانية به وبالكبراء فى معية و كسرى، ولمنزلته الرفيعة بين الناس، ولمعرفته بالفارسية والعربية، لكل هذا جعل المنذر عديا مربيا ومؤدبا لابنه النعمان الأصغر، هذا الذى سيكون ملك الحيرة بعد أبيه المنذر، وهذا الذى ستشتد الخصومة بينه وبين عدى حتى يتنا كرا؛ ولا يتعارفا، إلى آخر الزمان

وقد كان لعدى مكانة عالية ومنزلة رفيعة فى أنفس أهل الحيرة؛ إذ هو كاتب كسرى، وهو سفيره إلى قيصر، وهو ابن زيد ملكهم من قبل؛ وهو المكرم لدى المنذر، ثم هو الرجل العارف بلسان العرب ولسان الفرس والطائف ببلاد الروم — وقد أهل هذا كله عديا ليكون أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم، ولو أراد ان يملكوه لملكوه، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك، وكان يؤثر فراغ البال والارتحال

ولعلك قد علمت بهذا أن عديا قد تربى فى أحضان النعمة، وأنه لم يكن باديا جافيا، وأنه قد استنار بما اطلع عليه من أحوال فى ديوانى كسرى وقيصر، وأنه قد ثقف وتهذب وسمع بكثير من الأخبار والأحداث، ورأى مالم يره غيره، وعرف عن الروم كثيرا وعن الفرس أكثر. ولعلك قد عرفت أيضا أنه لم يكن رجلا كالناس، بل كان أنبل وأعرق من كثير منهم، وكان له فضل منزلة عندهم. وإن كان عدى قد سعى إلى مثل هذه المنزلة العارفة الكريمة، فانه يجب ألا نغفل فضل أبيه عليه، وتمهيده لهذه المنزلة التى سما إليها ابنه؛ فقد كان الأب ملكا على الحيرة حتى يعقد كسرى لمن أراد، وكان مرجع أهلها فيما ينوبهم من حدث وحال؛ فكأنه كان رجلا نزيها عفا، يلجأ إليه حين تتحرك الشهوات من عقالها فلا يتشهى ولا يسعى لخير نفسه، ولكنه يسعى لعامة الناس وجدواهم. وهذه خلة تضفى على الرجل كرامة، وتضفى على من يتصلون به كرامة، فما بالك لو كان المتصلون به أهلا وأولادا كما هى شاعرنا. ولعلك بهذا قد عرفت العلاقات الوثيقة التى توثق بين بيتى عدى والنعمان الأصغر؛ فقد تعارف أبواهما من قبل، وتصادقا، وتعاونا، وكاد يكون ملك الحيرة مراوحا بينهما، وكان أهل البيتين جميعا من المقربين إلى كسرى، وكان عدى أستاذ النعمان ومربيه ومؤدبه ومقومه — هو وأهل بيته

وهذه منزلة تؤهل الناس لحسد الناس. وهى إن جملت من الأصدقاء كثيرين فهى تجمل من الأعداء الشانئين كثيرين أيضا. ويجب هنا أن نعرف شيئا، وهو أن أصدقاء الرجل النبيل المخدوم إنما يكونون من العامة وأمثالهم — هؤلاء الذين يرجع عليهم فضله ويهب لهم قواه، أما الرؤساء أمثاله والسادة أمثاله، فهم يشنأونه لمنزلته ومكانته وكرامته، ويسعون جاهدين كائدين حتى يخلو لهم الجو وتمهد السبيل

وقد كان لعدى بن زيد أخوان، أحدهما اسمه عمار ولقبه أبى، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمى. وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدى بن حنظلة من طيئ. وقد كان لهؤلاء الإخوة منزلة عند الأكاسرة، وكان لهم معهم أكل وناحية، يقطعونهم القطائع، ويجزلون صلاتهم، ويقربونهم ويعطفون عليهم

فكأن الأكاسرة قد رعتهم جميعا: رعت حمادا وابنه زيدا وحفيده عديا وإخوته، ورعت المنذر والنعمان. وكأن الأكاسرة كانوا يستعينون بهم جميعا فى وظائف شتى، وقد قدم هؤلاء من ناحيتهم ما استطاعوا أن يقدموه لمن رعوهم وأحسنوا إليهم؛ فلقد كان ملك الحيرة فى بيت النعمان، ومعروف أن ملك الحيرة كان فى معناه إخضاعا لطائفة من العرب لحكم الفرس. وأما حماد فكان كاتب النعمان الأكبر وكان زيد كاتبا لكسرى زمانا، وملكا على الحيرة زمانا، ومعينا للمنذر زمانا. وكان عدى كاتبا لكسرى وسفيرا له لدى قيصر، ومؤدبا ومربيا للنعمان الأصغر

البحث صلة

محمود عبد العزيز محرم

بين محمد وأصحابه

للأستاذ أحمد الشرباصي

حينما ندرس شخصية محمد صلوات الله عليه من جوانبها المختلفة، نعلم أنه المثل الأعلى الذي يتجلى لكل طامح إلى المفاخر، أو طامع في معالي الأمور؛ وما نريد حين نجلي ملامح هذه العظمة المحمدية أن نضيف إلى صاحبها شرفاً جديداً، فليس بعد تكريم الله تكريم، ولكنها أنفسنا نحن التي نبحث لها عن الخير، ونطلب لها المزيد من التربية والتهذيب. وليس كالقدوة الحسنة في الإغراء على التشبه والمضاء... وما نريد أن نغلو في شأن رسولنا كما غلا سوانا، فإننا لنعلم أولا أن الله أعلى وأكبر، وأن محمداً البشر، قيل له من قبل: «إنك ميت وإنهم ميتون». وقيل عنه: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين»

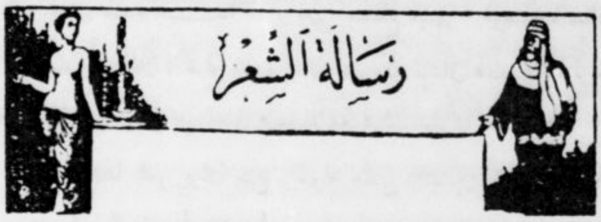
ولو أن هذه العظمة اقتصرت على شخص صاحبها، فلم يستفض نورها هنا وهناك، ولم تلق ظلالهـــا الطيبة على هذا وذاك، لما شغلت التاريخ بهذه الصورة، ولما بقيت لها هذه الروعة الدائمة وذلك البهـاء الموصول، ولقال القائل: وما نفع كنز عظيم لا ينال الناس منه خيراً؟ وما قيمة محيط واسع لا يجد الراغبون إليه سبيلا؟... ولكن محمداً هو الذي هتف: «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط». ولذلك كانت عظمته لغيره قبل أن تكون لنفسه. وكأنما خلق الله رسوله على عينه، وجمع له أطراف المحامد والمكارم، ليظهر فيه سر النبوة وسمو الرسالة، ثم أتاح لصفيه وحبيبه بعد ذلك أن يفيض من هذا النبع الذي لا يغيض، على من حوله ومن يأخذون عنه، والرسول حينئذ لا يستطيع أن يخلق من هؤلاء الأتباع صوراً مطابقة كل المطابقة لشخصه وذاته، وإلا لصار هؤلاء الأتباع رسلا مثله؛ فليس له إلا أن يهيئ لكل واحد منهم ما يناسـبه ويلائمه، فيغترف من حوض الرسول ما استطاع. ومن هنا رأينا العظمة المتجمعة في شخص محمد صلوات الله عليه تتفرق في أشخاص أصحابه، وفي خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بوجه خاص؛ فهذا أبو بكر مثلا يرث عن رسوله نور اليقين والإيمان، ويقوى عنده هـــذا النور حتى يسطع فيبهر، فيصفه بالصادق المصدوق قائلا: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي أبكر على إيمان هذه الأمة»!...

وهذا عمر يرث عن رسوله حسن التدبير وعمق التفكير وصواب النظر وأصالة الرأي، حتى ليقول فيه المصطفى: «إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه». وحتى يستطيع عمر إبان خلافته أن يسوس دولة ما ساسها قيصر من قبل أو شاه، وأن يجتهد في أمور الدين والدنيا، فيهديه ربه إلى فض مشكلات وحل معضلات ما كان يقتدر عليها لولا أنه تخرج من مدرسة النبوة التي تفيض بالهدى والرشاد...

وهذا عثمان يرث من رسوله رقة الطباع ودماثة الاخلاق وشدة الحياء، حتى يستحي من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله، وحتى يقول فيه الرسول: «أصدق أمتي حياء عثمان». وإنه ليدخل على الرسول فيستحي الرسول منه، فتسأله عائشة عن سبب ذلك، فيقول: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»؟

وهذا علي يرث عن رسوله زهده وتقشفه، حتى تهون في نظره أعراض الحياة وأغراض العيش ولذائذ الدنيا، فيصرخ في وجه الدنيا قائلا: «يادنيا غري غيري، إلى تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن. آه من طول الطريق، وقلة الزاد ووحشة السفر»

وهناك ناحية أخرى... إن القائد يجب ألا ينفرد بالسلطان والمجد، وألا يستأثر بالرأي يستحوذ عليه، أو الثناء يستبد به. وكم من أناس هيأت لهم الاقدار أن يبلغوا مناصب القيادة والرياسة، فخيل اليهم أنهم قد صاروا في الكون آلهة، وما من إله إلا إله واحد، فلا يقضى أمر إلا بكلمتهم، ولا يوجه مدح إلا الى ذاتهم، ولا يسبح مسبح إلا بحمدهم وشكرانهم، وإن قلوبهم الحاقدة الحاسدة لتتميز من الغيظ وتتقطع من الغل إذا رأوا شخصاً غيرهم فعل مكرمة أو استحق تمجيداً، أو بدأ نجمه في الظهور والسطوع. وإنهم ليبذلون كل شيء لكي يقضوا على كل نابغ أو ناهض، ليضمنوا البقاء لأنفسهم، وليرضوا شهوة الأنانية المتعمقة في جذور طباعهم. وأف لزمان تفنى الجماعة فيه ليعيش القائد، وتذل الامة ليعز فرد على أنقاض أبنائها!.



إلى الميـــدان

أرى الميدان — يا أماه — نحو المجد يدعونى
فلا تبـكى إذا أسرعت . . فى كفى سكينى
لأقتل كل صعلوك وأذبح كل ملعون
وأغسل بالدم المسفوح كل جراحى الجون
وألق فى مياه النيل — ذنب الذل والهون
فترفع مصر رايتها . . وترجع عهد آمون
ونحيا حرة أبدا . . فلا تعنو لمجنون

* * *

أرى الميدان — يا أماه — يزخر فيه إخوانى
فكل فتى سليل النيل منى بعض أركانى
وأمى مصر — يا أماه — من دلتا السودان
سقتنى من رحيق النيل أعذب من طلى الحان
سقتنى الحب فى مهدى وقالت : لست تنسانى
إذا أليفيتنى يوما أطارد أى ثعبان
لحطم رأسه المسموم فى صبر وإيمان

* * *

وهاهو ذلك الثعبان فوق قنالها الأسمى
يحرك رأسه الملعون — أخشى ينفث السما
فيقتل مصر — يا أمى — أخاف يقسم الأما

وعلى العكس من ذلك كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام . لقد بعث محمـد عظمته فى صحابته ، وشاركهم فيما منحه الله من صفات وبركات ، فحفظ للصغير حقه قبل الكبير ، وشاور قومه فى الجليـل والقليل ، وأعطى كلا منهم نصيبه فى التحية والإكرام ، وأظهر تقدير كل عامل ، وأعلن شكران كل فاضل ، وما من مكرمة جرت على يد صحابى إلا فرح لهـا الرسول ، كأنها جرت على يديه ، وهكذا يكون القائد الرحيب الأفق المتفتح القلب النقى الضمير الطاهر الشعور ...

وها هو ذا يمجد أصحابه عامة فيقول : الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فبيغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخـذه » . ويقول أيضاً : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ثم ها هو ذا يمجد أصحابه فرادى ، فيصف كل واحد منهم بوصف له جلاله وبهاؤه ، فأبو بكر هو الصديق ، وعمر هو الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلى باب مدينة العـلم ، وابن الزبير حمامة المسجد ، وسعد بن أبى وقاص مجاب الدعوات ، وطلحة بن عبيد الله الشهيد الذى يمشى على الأرض ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هـذه الأمة ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وحنظلة غسيل الملائكة ، وجعفر بن أبى طالب هو الطيار فى الجنة ذو الجناحين ؛ إلى غير ذلك من جميل الصفات وروائع النعوت .

نستفيد من هـذا أن الأمة يجب أن تهتدى بهدى قائدها ورائدها ، حتى تتجلى مواهبه فى أفرادها ونواحيها ، فيصبح كل إنسان عظيما فى ناحية أو عدة نواح ، فتكثر الأيدى القوية العاملة ؛ وأن القائد يجب ألا يكون أنانياً يستحوذ على الفضل والخير كله ، بل يقدر العاملين ، ويهيىء فرص النبوغ للنابغين ، حتى تتبارى الكفايات وتظهر العبقريات « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » !

وليس بعد أمة محمد أمة ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، وليس مثل محمد قائد أو زعيم ، لأنه رحمة الله للعاملين ، فلم يبق إلا المسير ، فمتى يكون ؟ ...

أحمد الشرباصى

ويفعل كل ما يصبو اليه ، وينفذ السهما
أراه . . أراه . . يا أمى . . على ضفاتنا . . يرمى
وها هم نسل فرعون أحاطوا حوله جهما
وفى أجفانهم قلق يكاد يمزق الظلما

* * *

دعينى أقطع الخطوات نحو المجد لهفانا
وفى كفى سكين تصب الموت ألوانا
توشى الأرض من دمهم وتروى منه ظمآنا
فصبر تصيح أنقذنى ، فإن لدى ثعبانا
يسمم عذب أمواهى ، فأدرك كيده الآنا
فماء النيل لا يروى على الأيام كسلانا
وحاشا مصر ، ما ولدت من الأبناء خوانا

* * *

دعينى إننى غاد أشق السهل والوعرا
وأمشى حافيا عريان ، لا أستصحب الحرا
أبيع ثيابى اللاتى تقينى البرد والقرا
وكتب العلم أدفعها لشار يدفع الأجرا
لأحمل بعد سكينا ، وأذهب أقطع القفرا
إلى الميدان أحملها ، وأحمل بينها الذعرا
لأدفع كيد مغتصب ، وأصرع ذلك الشرا

* * *

إذا ما مت فى الميدان لا تبكى ولا تهنى
فبنت النيل ما خلقت لسفح الدمع والشجن
وروحى واسألى الجيران يا أماه عن وطنى
وماذا فيه يفرحنا عن الأعداء من محن
فإن أخبرت ما يسلى فؤاد الميت الحزن
فعودى وانثرى زهرا على المطمور من بدنى
وغنى غنوة التحرير أو أنشودة الزمن

شاعر

ترنيمة الشهيد

للأستاذ كامل أمين أيوب

« إنه الصوت الأخير الذى يردده قلب الشهيد فى لحظاته الأخيرة . . .
إنه صوتى عندما أحظى بشرف الاستشهاد بعد أن أقف أمام الأعداء
موقف المصرى الجرىء الحر . . »

الآن باسم كرامتى وإبائى   أفنى لتخلد أمتى بفنائى
الآن أثبت للكنانة مجدها   وأخط صفحة عزها بدمائى
الآن أصعد للسماء بجوهرى   فليفرح الأوغاد بالأشلاء
والله ما قتلوا القتيل وإنما   أحيوا عليهم ثورة الأحياء
فليرقبوا نار القلوب تشب فى   نير الطغاة سريعة الإفضاء
وليعلموا أن الكنانة قد أبت   ضيم اللئام وخسة الدخلاء
قد بيتوا الداء العياء لرمينا   فلينظروا فيمن سموم الداء
ما راح منا واحد إلا وقد   ثأرت ظباه لذاهب ولجانى
الموت مفخرة الكرام لدى الوغى   ومن الردى فى الحرب خير رداء
إن مت قبل النصر لست بنادم   فلقد تركت لنيله زملائى
مادام صوت الحق ملء صدورهم   فالله ناصرهم على الأعداء

* * *

أماه لا تبكى على ويا أبى   جفف دموعك وابتهج بقضائى
ما مت وحدى بل مع الأحرار فى   يوم الجهاد وساحة الشهداء
جند بقية إخوتى فلعلهم   يبلون فى الميدان خير بلاء
لابد فى سبل العلا من فدية   لم لا ننال مكانة الفداء
ما مات من عرف الجهاد، ونافق   من حى فى الأغلال دون حياء
يامصر فيك من الأسود كواشر   تمضى لبغيتها بكل مضاء
أسد إذا ما أنشبت أظفارها   ظفرت بكل محالة غدقاء
لا ترهب النيران أو ضوضاءها   وتسير فى النيران والضوضاء
يا مصر أفضى الآن غير مخوف   ما دمت خلفت الأسود ورائى
الله أكبر . . منك كنت وما أنا   إلا صنيعة أرضك الخضراء
واليوم ألقى الموت باسمك فاخلدى   يا مصر . . عالية على الجوزاء

كامل امين أيوب

ذكري حبيب

للاستاذ محمد فوزى العنتيل

... ذكريات محترقة بذلك اللهيب المقدس ، الذى يضيء أرواحنا ، « ذكرى حب بغير أمل .. كما كانت تقول ..!! »

تهب على واديك أنسام حبنا ..
تذكرك العهد الذى كنت ناسيا
تذكرك الماضى ، وقد كان جنة
وشفنا مع اللذات فيها الأمانيا
ونشرق فى دنياك أيامنا التى
تولت وأبقت نارها فى دمائيا

***

سمت بك روحى للسماء ، وقادنى
إليك حنينى فى هواك ، وماليا .!
عشقتك روحا خالدا ، وحقيقة
تمالت على وصفى ؛ فأعيت لسانيا
وقدست فيك الحزن ، والحسن ، والهوى
واحببت منك الحب كأسا ، وساقيا
وخلدتنى روحا ، وإن كنت سائرا
إلى الشاطئ المجهول أنفى بقائيا
وألهمتنى معنى الجمال فسبحت
بحسنك أشواق ، وقلبى ، وذاتيا ..!!

...

ذكرتك والليل البهيم مطوف ..
إلى روحك المحبوب حن فؤاديا
ذكرتك والأزهار تبسم للندى
فيشبهها أنها ، ويرتد باكيا ..!!
ذكرتك والأمواج ينساب لحنها
يفسر للشطآن سر عذابيا ..!!
جثوت وأرسلت الدموع سواخنا ..
وغمغمت بالنجوى ، وطال دعائيا ..
تضرعت والأكوان حولى خشع ..
وهزتنى الشكوى ؛ وألقت ردائيا

...

أغاريد من ذكراك فى الفجر رفرفت
على الشاطئ المحبوب أحيت رجائيا ..!
تنسمت منها العطر ، والشوق ، والمنى ..
وعدت إلى الماضى ، وكان ورائيا ..!
وهاجت شجونى ؛ فانطلقت مغردا
على غصنك المياد أزجى الأغانيا
وراح نسيم الفجر - والنهر خاشع -
يقبل أزهار الربى ، والروابيا .!!

...

عطفت على روح حزين معذب ..
ورويت قلباً كان قبلك صاديا ..
وفجرت لى نبعا من الشوق دافقا
رشفت به من سلسل الحب صافيا .!!

...

أيا ليتنا كنا مزجنا فلم نعد
حبيبين ذابا لوعة .. وتنائيا
وكنت أنا الجسم الذى يحمل الهوى ..
وكنت حياتى ، ثم كنت فنائيا ..!
ونؤخذ فى ذنب ، وإن كنت جئته
وننعم فى قرب ، وإن كنت عاصيا
بلى ! .. إننى أرضى ، وإن كنت طائعا
أعذب وحدى كى تنعم راضيا
فإن أك قد أخطأت فاغفر خطيئتى
وإلا فأدركنى .. فأنت رجائيا ..!!

محمد فوزى العنتيل

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

الدكتور زكي مبارك :

... وأخيراً مات زكي مبارك ... مات بعد حياة طويلة بعض الطول ولكنها عريضة كل العرض ، حياة تتلخص في كلمة واحدة جامعة هي « الصراع » ... كان يصارع في معترك العيش ، وكان يصارع في ميدان الأدب ، وقد ظل يصارع حتى نال منه الجهد في السنوات الأخيرة من حياته الحافلة فأدمته أشواك كان يبدى لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضي في كفاحه ، ولكن كان يغلبه الترنح الذي أسلمه إلى التفكك. وكان الناس ينظرون إليه في هذه الحقبة الأخيرة على خلاف في الرأي والمزاج ، كان بعضهم يأسف لانهياره قبل وفاته ، وكان قراؤه يلقفون ما يكتب على علاته ويتناولون ثمرات قلمه غير عابئين بما عليها من غبار وما يختلط بها من حشف . وكان أشد ما يجذب القراء إليه ما ظل يشمشع كتابته من روح نابض وظل خفيف.

كان زكي مبارك يمثل في صراعه الفلاح المصري أتم تمثيل ، كان فلاحاً خارج القرية ، شق بقلمه طريقه إلى الجامعة المصرية وإلى السربون وإلى الصدارة في عالم الأدب العربي الحديث ، كما يشق الفلاح بفأسه الأرض لاستنباط رزقه . وكان زكي مبارك يحرث حقله في الأدب ليقيم خطوطه، والويل لمن يعترض طريقه، فاذا استوى زرعه وآتى أكله تولى حراسته ووقف بالمرصاد لمن يقترب منه . ولم يفته طبع الفلاح في الجور على حـدود جاره وقتاله إذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا في صياله مع الأدباء ، ذلك الصيال الذي كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت »

نشأ زكي مبارك في الأزهر ، ولكنه لم يكن كسائر الأزهريين ، فلم يكن من المقبلين على « علم » الأزهر العاكفين على طرائقه المأثورة ، بل كان من الفئة القليلة التي خرجت من بين تلك الجدران تتلمس الأدب هنا وهناك ، وجده أولا في الأزهر على يد أستاذه وأستاذ غيره من تلك الفئة القليلة الشيخ سيد المرصفي الذي كان يقرأ لهم كتب الأدب القديمـة ويبدى كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة .

ولم يكن زكي مبارك في الأزهر بالطالب الخامل ، فإن فاته الظهور في الدراسة الأزهرية المأثورة فلن يفوته مجال الشعر والأدب فكان خطيب المحافل وشاعر الجامع ، وقد خاض غمار الثورة في فجر النهضة الوطنية وقذف نفسه في أتونهـا المستعر وعانى الأهوال في السجون والمعاقل .

واتجه صوب الجامعة المصرية القديمة فوجد فيها أفقاً أرحب وموردا أعذب ، فجال فيها ونهل . وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل إلى طلب العلم في باريس ، فقد كان يعيش هناك على النذر اليسير الذي يظفر به أجرا لمقالاته في بعض الصحف المصرية . ثم عاد إلى مصر بعد أن حصل على درجة «الدكتوراه» فتلقفته الجامعة وضمته إلى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحا من الزمن . على أنه كان متشعب الجهود يعمل في كثير من النواحي ويتنقل بين التـدريس والصحافة والتأليف أو يجمع بينهما جميعا .

كان زكي مبارك واضح الشخصية متميز السمات في حياتنا الأدبية ، كان فياضا في ثقافته وفي كتابته ، حرا في ابداء رأيه ، عنيفا في معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثني عليه غيره ، فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده الجحود في الناس فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم . وكان يلطف عنفه ويسوغ استملاءه روح خفيف ودعابة مستملحة

كان زكي مبارك – من غير شك – علما من أعلام الأدب في عصرنا هذا ، وقد أكسب الحياة الأدبية أضعاف ما كسب هو إن كان قد كسب شيئا . . وقد قضى بعد أن ترك للأدب ثروة كبيرة من مؤلفاته ومن آثاره في عقول تلاميذه وقرائه . وقد كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيما يكتب ، فإن كان فاته ما أدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تغنى به حياته من الخلود .

لغة المجتمع :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة موضوعها « لغة المجتمع » فى الدورة الحالية لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، تحدث فيها عن النزاع بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات من حيث وقوف الأولين بالقياس عند الحدود التى رسمها أئمة اللغة فى العصور الأولى وبالسماع عند العهد الذى اختلط فيه العرب الخلص بغيرهم من الأمم ، واتجاه الآخرين إلى الخروج عن هذا الجمود الذى يسلم اللغة إلى موت محتوم .

وقد فند الأستاذ تيمور بك ما يتمسك به اللغويون المحافظون فقال إن اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة وقانون من قوانين المجتمع ، وهذه الظواهر والقوانين تتبدل وتتطور وفقا لما تقضى به ضرورات الاجتماع . والصواب فى اللغة مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة فى الأفواه فقد ظفرت بحجتها فى الاعتداد بها وأصبح لها فى الحياة حق معلوم ، وان غلبة اللفظ فى الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه ، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية فى بنية اللغة خليقة بالتقدير والاعتبار

ثم عرض للمثل القائل « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » فقال : ما أصدق انطباقه على اللغة لولا أنه يسمى المشهور خطأ ويسمى المهجور صوابا ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح ، فليت شعرى — أى خطأ فى لفظ شهر ، وأى صواب فى لفظ هجر ؟ سواء على القارىء أو السامع أن تروعه بلفظ عربى نافر لا يجد له فى نفسه مدلوله الذى نبغيه منه وأن نفجأه بلفظ أجنبى مغلق ليس بعربى الأصل ، فاللفظان عنده سواء فى الابهام .

ولكن على من نعول فى توثيق الجديد من الألفاظ ؟ يجيب الأستاذ عن هذا قائلا : لسنا بمستطيعين أن نعول فى ذلك على جمهورنا الأمى العام خشية أن تذوب الفصحى فى محيط اللهجات العامية التى لا ضابط لها ولا نظام ، ولكنا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص الذى تعلم الفصحى وأشرب ذوقها ، فهذا الجمهور الضارب فى كل علم وفن هو مرآة اللغة المجلوة وقوامها الركين ، والويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها الذين لا يبيحون لها السير مع الزمن والتجدد مع الأيام . على أن ذلك الجمهور المثقف يتجلى فى هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر معتزا بالعربية جانحا إلى الافصاح ، مما يدل على أن هنالك وعيا لغويا قويا يجرى تياره بين المثقفين جميعا ويبدو أثره فى المرافق الاجتماعية على وجه عام

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على مشروع اتفاق ثقافى بين مصر والباكستان ينص على التبادل الثقافي بين البلدين والتعاون على إحياء التراث الفكرى ونشر آثاره ، وعلى الوصول بتدريس اللغة العربية فى الباكستان إلى مستوى يتيح لأبنائها المشاركة فى مجال الإنتاج الفكرى العربى ، والعمل على توثيق الروابط بين رجال العلم والأدب والفن والصحافة هنا وهناك بمختلف الوسائل

□ أصدرت أخيرا دار إحياء الكتب العربية مسرحية جديدة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « فداء » ، وتتخذ هذه المسرحية أشخاصها من تاريخ مصر القديمة ، وترمى وقائعها إلى تصوير الجهاد الوطنى والصراع بين نزعة الاصلاح والتجديد وبين المحافظة على الأوضاع المتوارثة

□ وأخرجت تلك الدار أيضا كتابا عنوانه « قصة محمود تيمور » للأستاذ أنور الجندى ، تناول فيه بالدراسة والتحليل شخصية « محمود تيمور » من نواحيها المختلفة وما يلابس ذلك من الاتجاهات الأدبية فى مصر

□ أقيم أخيرا فى بودابست عاصمة المجر احتفال أطلق عليه « يوم الكتاب » كان شعاره : الثقافة كالخبز سواء بسواء ، وتدل الإحصاءات المجرية على أنه قد تم نشر ٦٤٠٠ كتاب طبع منها ٦٣ مليون نسخة سنة ١٩٥٠ مع ملاحظة أن عدد السكان تسعة ملايين نسمة

□ يمثل جامعة فؤاد الأول فى العيد الألفى لابن سينا الذى يقام فى طهران وفى بغداد ، الأستاذ ابراهيم اللبان ومصطفى عمر بك وعثمان أمين وفؤاد الأهوانى



الموسيقى العراقية

فى العراق رجال كرسوا حياتهم لخدمــة العلم والأدب ، وضحوا فى سبيل هــذه الخدمات كل رخيص وغال ، فدرسوا وحققوا ودققوا ونشروا ما كتبوه ، وألفوا الرسائل والـكتب وطبعوها على نفقتهم الخاصــة ، ولـكن وبا للأسف لم يجدوا تشجيعا يكفل لهم ولو جزءا قليلا مما يبذلونه بسخاء فى هــذا السبيل ، وأن من أولئك الأفذاذ الأستاذ المحامى عباس العزاوى الذى أخرج لنــا مؤخرا من نتاج عمله المضنى المستمر كتابا فى الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان ١٢٥٨ﻫ ١٥٣٤م تناول فيها التطورات التى طرأت على الموسيقا العراقية خــلال هذه القرون الثــلاثة ، وما دخل عليها من تغييرات وتبديل . وقد تطرق إلى الموسيقى فى العراق والموسيقى العربية قبل الإسلام ، والموسيقى العربية فى عهد المغول والتركمان ، ثم تطرق من هــذه الرسـالة إلى من اشتهر فى الموسيقى من نوابغ وترجم لهم وذكر ما صنفوه فى هذا الفن من رسائل وكتب ، وذكر الموسيقاريين والمغنين ، وتناول الالآت الموسيقية واسماءها وأسباب تسميتها ، وما اندثر منها وما بقى حتى الآن ، وفصل المصطلحات الموسيقية سابقا وقارنها فى العهد الحـاضر ، وختم رسالته هذه بأن نشر للأمة رسائل منها كتاب الملاهى واسماءها لمؤلفه أبى طالب المفضل بن مسلمة النحوى ، اللغوى ، المتوفى سنة ٢٩٠ﻫ . والذى تناول فيــه إثبات معرفة العرب « للعود » والالآت الموسيقية الأخرى وساق الأدلة القوية والبراهين الثابتة على ذلك . والرسالة الثانية نبذة من اللهو والملاهى لأبن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ﻫ نقلهــا من تاريخ مروج الذهب المسعودى تناول فيها أيضا إثبات كون العرب تعرف العود وبقية الآلات الموسيقية

والرسالة الثالثة ، أرجوزة الأنغام لبدر الدين محمد بن على الخطيب الأربلى ، المتوفى سنة ٧٦٨ﻫ وقد نظمها سنة ١٣٢٨ م وفيها ذكر معرفة أصول الأنغام ، والمناسبــة بين الأصول والأركان والاخلاط ، وأبحر الأنغــام الأصولية الأربعة والأبحر الثمانية المتفرعة عن الأصول الأربعة وكيفية ترتيب الأنغام الأثنى عشر ، وذكر الأوزان الستة والشواذ ، والأنغام الزوائد وتأثير الأنغام فى الأمزجة من الأخلاق ، وبيان الضروب السبعة

ثم قال الأستاذ المحاضر : إن أهل صناعة الـكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص ومن أثقـال التنازع بين الأصيل والدخيل من الـكلام ، فالكتابة هى فن الأدب ، والأدب هو أرفع مقامات التعبير فى اللغة ، وهو المعرض الجميـل لنقاء الألفـاظ وجودة الأسلوب . والـكاتب إذا عرضت المسميات التى لا يجد لهــا فصيحا شائعا من الأسماء استشعر الحرج والضيق وتعذر على قلمه أن يجرى الـكلمات العامية أو الدخيلة فى تضاعيف بيانه . وبعد أن أشـار إلى الصعوبات التى يلاقيها الـكاتب من جراء غلبة الألفاظ الأجنبية والعامية على الشئون العامة وحيرته بين هذه الألفاظ وبين ما تيسر له من الـكلمات العربية المهجورة — وقال : لـكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما فى البيت وما فى السوق وأن يتناول ما يدور من أسباب العيش ، فهو يبذل جهده ويعالج أمره ، حينا يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر ، وآنا يقبل من الـكلمات العامية ما ليس منه بد ، وساعة يتخذ له اصطلاحا يرشحه للاستعمال

ثم عرض لما صنعه المجمع فى ذلك من أوضاع وما وضعه من أسماء عربية لمسميات فى الشئون العامة وما قوبلت به من سخرية الأقوام والأقلام قائلا بأن مهمة المجمع تقتضيه أن يمضى فى طريقه ، والحـكم الأول والأخير فى ذلك هو الجمهـور المثقف فما يرتضيه يكتب له الشيوع والبقاء ، وما لا يستسيغه يسحب عليه ذيل العفاء

عباس خضر

ووجوب مراعاتها

والحاصل أن الأستاذ المراوى — وفقه الله — قد قام بهذه الخدمة الجليلة للأمة العربية ، اضافة إلى خدماته الـكثيرة التى سبقت له فى التحقيق والتنقيب والتأليف والنشر . وسنفرد لترجمة الأستاذ المزاوى بحثا مستفيضا نقدمه للقراء فى فرصة أخرى

ابراهيم الواعظ

الى المعقبين :

لعل من أخص ما تمتاز به « الرســـالة » على زميلاتها الأخريات وأوضح مظاهر قوتها هو هـذه الـكتيبة المسلحة الرعبة المؤلفة من حضرات المعقبين على شتى مذاهبهم وألوانهم ، وإن إعجابى بهذه الـكتيبة المسلحة المتيقظة لبالغ حد التعصب لها؛ ولـكن هـذا الإعجاب لا يمنعنى من التصريح بما يدور فى خاطرى وما يتردد فى ذهنى من حين إلى آخر بشأنها . فمثلا ألاحظ أن بعض حضراتهم يجهد نفسه فى تحقيق بعض كلمات لغوية قد شاعت وأصبح إحـلال الـكلمة القياسية محلها عسير الهضم على أفكار الأدباء والـكتاب ؛ لأن الـكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين بيد أن تصحيحها لا يضفى عليها معنى جديدا أو زيادة مستحدثة ، ولأن عملهم هذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم لا يقرؤن للفهم والاستفادة بل للبحث عن هفوة لغوية أو سقطة نحوية وبذلك يضيعون على أنفسهم — كما قال الأستاذ عبد الحميد جودة السحار — زبدة البحث وعصارة المقال . ومما يدل على صحة هذه النتيجة أنهم إنما يقرؤون لا لوجه الـكاتب أو الشاعر بل للقنص والصيد ، أن بعض التراكيب قد يكتبها الـكاتب لتؤدى معنى بعينه فإذا بها تؤدى عكس الذى قصده الـكاتب ثم تمر على أفهامهم فلا تحرك لهم ذهنا أو تثير لهم خاطرا؛ فمثلا جاء فى مقـال للدكتور محمد يوسف موسى فى عدد الرسالة الممتاز — وكنت أنتظر أن يعقب على ما كتبه أحـد منهم فلم يحصل — .. وقد ختم الله رسالاته ورسله ولـكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تركناه لن نضل وهو القرآن العظيم .. ولـكي يكون المعنى الذى قصده الدكتور مستقيما يجب أن يقال ولكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تمسكنا به لن نضل » ولـكن هذا ذهب فى غمار فسح وأفسح ومهيب ومهاب . بقى شئ آخر أحب أن ألفت نظر حضرات المعقبين إليه ألا وهو أدب الخطاب فى التعقيب ، فقد قرأت فى العدد ٩٦٤ تعقيبا للأستاذ الأبشيهى ختمه بقوله .. فإن كان قد ألقى الحديث على عواهنه فقد علم القاعدة منذ اليوم » فهل فى هذه الجملة ما يشعر بالاحترام ؟ وإلا فأى كاتب هذا الذى يلقى الحديث على عواهنه ؟ وقرأت فى العدد ٩٦٧ تصحيحا لبعض الآيات بصدد الاستشهاد بهـا فى مقالة للأستاذ السوافيرى .. ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا فخانته ملـكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها محرفة الخ » إن دل هذا على شئ فإنما يدل على تحامل لا موجب له وتعصب لا خير منه . والأعجب من هذا أن حضرة الحافظ المتثبت جاء ليصحح فأخطأ؛ فليست الآية « محمد رسول الله والذين آمنوا معه » من سورة « محمد » بل هى من سورة « الفتح » فتح الله علينا وهدانا سواء السبيل

هارون المنيفى

تصويب أخطاء

جاء فى مقال « دعوة محمد » بالعدد ٩٦٧ من الرسالة ، بعض الأخطاء نتيجـة لتحريف بعض الحروف أو لسقوط بعض الـكلمات فرأيت أن أصحح الخطأ ليستقيم المعنى

فقد جاء فى ص ٥١ س ٣ من العمود الأول (فهناك شبه غريب) والصواب (فهناك شبه قريب)

وجاء فى ص ٥١ س ٦ من العمود الثانى (فقد شـاركوهم مرارة الحد) والصواب (مرارة الجد)

وجاء فى ص ٥٣ س ٢٥ من العمود الأول (وأرى أنك تخصهـا بالحب أكثر) والصواب (وأرى أنك تخصنى بالحب



الصقر

للقصصي الإيطالي بوكاتشو

كان بفلورنسا شاب من النبلاء الأغنياء يدعى فريديريك البيريني من أسرة عريقة في المجد ، قد هذبه الفن والطبيعة وجعلا منه فتى كاملا كيسا لا نظير له بين أبناء النبلاء التوسكانيين . وقد وقع في حبائل الحب كما جرت العادة بين أترابه ممن هم في سنه من السراة ، فهام بسيدة من الأعيان تدعى جان كانت تعتبر من أجمل وأحب نساء فلورنسا، ولم يدع وسيلة لاستمالتها إلا نفذها، من ولائم فاخرة، وألعاب فروسية باهرة ، وهدايا عظيمة . كانت هذه السيدة متمسكة بالتقوى والفضيلة ولم تحفل كثيرا بهذه النفقات الجنونية ، ولكنها لم تحتقر قط هذا الشاب الظريف . ولم يتطرق اليأس ولا الملل إلى فريديريك واستمر في طريقه وإسرافه حتى أضاع ثروته ولم يبق لديه إلا شيء قليل يعيش به في حالة بؤس لم يدخر من ماضيه الفخم غير بازى مدرب على الصيد . ولقد أصبح أشد تعلقا بحبيبته رغم فقره المدقع الذى أوقعه فيه ، ورأى أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة تليق به في المدينة ، فصمم على الاعتكاف في البقية الصغيرة الباقية من أملاكه في الريف ، فكان يصطاد في أغلب الأحيان بصقره ليسرى عن همومه وليكفيه مؤونة السؤال . واستمر على ذلك الحال ردحا من الزمن مرض في أثنائه زوج حبيبته ثم مات ، وقد أوصى بثروته العظيمة إلى الصغير ، وبموته دون أن يعقب ينتقل الميراث إلى أمه التى كان يحبها زوجها حبا يقرب من العبادة

أقبل الصيف فذهبت الأرملة كعادتها لتصطاف في أملاكها في الريف وكان بيتها قريبا من بيت فريديريك . وبمناسبة هذا الجوار تعرف ابنها بفريديريك وكان يتردد عليه ويلهو بكلاب صيده وطيوره ، وشاهد البازى الذى تحدث الناس عن مهارته ففتن به ، ولم يستطع أن يطالبه منه لأنه كان يعرف شدة تعلق فريديريك به . ولما علم أنه يستحيل عليه أن يحوزه ساوره الهم والقلق حتى مرض ، ثم عرف والدته بسبب مصابه قائلا : « أماه ، لو كنت تتمكنين من الحصول على بازى فريديريك لعاجلني الشفاء وعاودتني الصحة » وصمتت الأم هنيهة وسبحت في أحلامها وتأملاتها ؛ فماذا تعمل مع من أحبها طويلا وبدد ثروته لإسعادها وهنائها، فكانت تقابل منه هذا العطف بالفتور؟ وكيف تستطيع أن تطالب منه أعز شيء لديه وما به يعيش ويحصل على قوته من الصيد به، وهل يحسن أن تحرم نبيلا من أنفس شيء

أكثر مما كنت تخصها)

وجاء في ص ٥٤ س ٤ من العمود الأول (وتهدده الخلوف) والصواب (وتهدده الحتوف)

وجاء في ص ٥٤ س ١٩ من العمود الأول (امتشق الحسام الذى يزيل ...) والصواب (امتشق الحسام ليفل به عوابس الخطوب ويزيل بحده)

وجاء في ص ٥٤ س ٣ من العمود الثانى (بينه وبينهم المهند) والصواب (بينه وبينهم الحسام المهند والوشيج المقوم)

وجاء في نفس الصفحة ونفس العمود س ٥ (حتى تلين قناتهم عزين) والصواب (حتى تلين قناتهم ويأتوا صاغرين)

كما جاء في نفس الصفحة ونفس العمود س ٣١ (وحسب هؤلاء الطاغين) والصوات (وحسب هؤلاء الطاعنين)

هذه هي الكلمات التى رأيت أن أردها إلى صوابها وإن كان هناك شيء فإنه لا يخفى على فطنة القارئ الكريم والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الموجود عبد الحافظ

لديه ؟ احتارت فى أمرها ولم تدر ماذا تجيب ابنها والتزمت الصمت ، ولكن الطفل ما فتئ مهموما ملحا فى طلبه ، وفى نهاية الأمر تغلب الحب البنوى على كل اعتبار وعزمت على إرضاء ولدها بأى ثمن كان وصممت أن تعرفه بأنه سينال البازى وستذهب فى طلبه، قالت له : « لا تحزن يابنى وفكر فى شفائك وصحتك ، وأول شئ سأعمله فى الصباح هو الذهاب لإحضار الصقر . فسر الولد لهذا الوعد وتحسنت صحته فى المساء

وفى الصباح ذهبت أمه مع إحدى السيدات إلى فريديريك، ولما دخلت وجدته فى الحديقة ينظمها لأن هذا اليوم لم يكن مناسبا للصيد بالبازى، وقالت للخادم أن يعلمه بمجيئها لتحدثه فى شأن من الشئون . تصور أيها القارئ دهش فريديريك ومفاجأته بهذا الخبر السار ، فطار من الفرح عدوا لاستقبالها ، وسلم عليها بكل احترام من بعيد ، فتقدمت إليه مدام جان وحيته بكل لطف وأدب . وبعد تبادل التحية قالت له : « لقد أقبلت ياسيد فريديريك لأكافئك على العناية التى بذلتها حينما أحببتنى حبا يزيد على المعقول ، والمكافأة هى حضورى أنا والسيدة لنتناول الغداء معك» فأجابها بكل لطف وتواضع «إننى لم أخسر شيئا قط لأجلك ، بل بالعكس فإنك أعددتنى لكثير من المزايا . ولئن عرفت بشيء منها فالفضل راجع إلى العواطف التى نفحتنى بها . وهذه المكرمة التى نفحتنيها اليوم لجليلة جدا، وقد أثلجت صدرى وشرحت فؤادى . ومع إنى فقير فإننى لا أريد أن أبيع هذه المنة بثروتى التى فقدتها » وبعد هذه المجاملة اللطيفة صحبها إلى الحديقة وترك بصحبتها البستانية وصاحبتها التى أقبلت معها ، وذهب ليهيئ الطعام . وهذا النبيل الشريف لم يشعر فى حياته بقسوة وطأة الفقر مثل ما شعر بها فى هذا اليوم الذى أقبلت فيه أعز الناس لديه ، وكان يوده أن يهيئ لها وليمة فاخرة ؛ فما باله إذا لم يجد شيئا لديه فى هذه اللحظة الحرجة ؟ فاستشاط غضبا ولعن ثروته الضائعة وأخذ يهرول فى أنحاء البيت . والأدهى أنه لم يكن عنده درهم ولا شئ يقوم بقيمة حتى يرهنه . ولما اقتربت ساعة الغداء حار فى أمره فوقع نظره بغتة على البازى الذى كان مطمئنا فى قفصه فصمم على تضحيته ليقدم شيئا مناسبا للأيم التى شرفته بزيارته . ثم لوى عنقه ونتف ريشه ثم وضعه فى النار ولما نضج الطعام ذهب إلى الحديقة ليدعو السيدة وصاحبتها للطعام ؛ وبعد انتهاء الغداء دار حديث لطيف ثم رأت مدام جان أن تطلع فريديريك على سر زيارتها قائلة : « أتذكر أيها السيد كل ما صنعته من صنوف العناية وحيائى الشديد الذى جعلك تظن أننى متوحشة . ولا شك فى أنك تدهش حينما تعلم السبب الحقيقى الذى قادنى إليك ، ولو كان لك أولاد لكنت تعرف قوة الحنو الأمى ، وإنى واثقة أنك ستعذرنى ، ولكنك لا أولاد لك ، ولى ولد واحد، ولا أستطيع أن أهرب من القوانين العامة للأمهات . وهذا الذى يضطرنى أن أتعدى المعقول وأخالف إرادتى وأطلب منك شيئا أعلم أنك تعزه كثيرا ، لأنه أصبح لك العزاء الوحيد لضياع ثروتك ، وما هو إلا بازيك الذى أطلبه . إن ابنى مريض وهو تواق للحصول على الصقر وأخشى إن لم أحضره له أن يقتله الحزن ؛ ولذلك أتوسل إليك لا بحق الصداقة فلست مدينا لى فيها بشئ ، بل أتوسل إليك بطيبة قلبك وحبك للخير العام الذى لم يكذب فيه الظن قط ، والذى يميزك عن جميع الناس . وسيكون لك ابنى مدينا بصحته وربما بحياته ، وستتملك بهذا الصنيع قلبه وقلبى مدى الحياة »

ولما رأى فريديريك أنه لا يستطيع إرضاء هذه السيدة لأنه أطعمها ما تطلبه خنقته العبرات قبل أن يفوه برد ، فظنت السيدة أنه يبكى حزنا على فقد بازيه وكادت تغير رأيها فيه وفضلت أن تسكت إلى أن يجيب فقال لها : « إننى منذ فتنت للمرة الأولى بمحاسنك تيقنت أن الثروة كانت تناوئنى فى كثير من الأمور ، وكنت أشكو من شدة ما تفرضه على ، ولكن كل ما مر على من بؤس وآلام لم يك شيئا بجانب بلية اليوم ، وستترك فى قرارة نفسى مرارة لاتفارقنى . هل تستطيع المصائب أن تمتد إلى طعنة أفظع من صدمة اليوم حينما أرى أنك تفضلت بزيارتى فى هذا

البيت الحقير مع أنك لم تتنازلى بزيارتى حينما كنت غنيا ثم تطلبين منى شيئا لا أستطيع أن أحضره لك . ما أقساك أيها الحظ العاثر الذى ما فتئ يضطهدنى ! لقد تحملت بصبر جميل أصناف الرزايا والمحن، ولكننى رزحت تحت هذه الصدمة إذ ليس عندى الآن بازى ، وبمجرد ما شرفتنى وأظهرت رغبتك فى تشريفى بالغداء معى فكرت أن أحضر غداء أرقى مما اعتاده الناس فذبحت الصقر دون تردد لمهارته العظيمة فى الصيد ؛ ومن سوء حظى لم أوفق لأن أقدمه إليك حيا . وبعد هذا الحديث رأى أن يقنعها بأن أحضر الرأس والريش والمخالب

دهشت مدام جان ولامته لوما شديدا لذبحه صقرا ثمينا ولكنها ارتاحت لهذا المثال العظيم فى الكرم الحاتمى الذى لم يؤثر فيه الفقر والبؤس وقالت له : « إننى لا أنسى مدى حياتى هذه التضحية مهما كان تصرف الآلهة فى ولدى » . ثم استأذنت من فريديريك وانصرفت شاكرة له شرفه وحسن نواياه ، وذهبت إلى ابنها حيرى حزينة لاتدرى بماذا تجيبه ، وقد اشتدت وطأة المرض عليه ومات بعد بضعة أيام وهى لا تدرى إن كان الموت نشأ من شدة حزنه على البازى أو كان المرض بطبيعته قاتلا

وقد آلمها مرض ابنها ووفاته وطفقت تبكيه عدة أيام . ثم توسل إليها إخوتها أن تتزوج لأنها فتية وغنية جدا. فلم تجد عندها رغبة فى الزواج ، ولكن أقاربها وأصدقاءها طفقوا يلحون عليها ويحثونها ، فعاودتها الذكرى وفكرت فى مكارم أخلاق فريديريك من شرف وثبات و كرم ، وكيف قدم لها صقرا ثمينا للغداء . ثم قالت لأقاربها : إنى أستطيع أن أبقى أيما سعيدة إن كان هذا يرضيكم ، ولكن احتراما لرغبتكم لا أقبل زوجا غير فريديريك البيريبنى . فصاح إخوتها بلهجة التهكم . « هل أنت جادة فى قولك ؟ إننا لا نستطيع أن نتصور ذلك . هل تجهلين أن هذا النبيل أصبح فى فقر مدقع ؟ »

— إنى أعلم ذلك ولكنى أفضل رجلا محتاجا إلى المال على ثروة محتاجة إلى رجل . ولما رأى إخوتها أنها مصممة ألا تتزوج غير فريديريك وأنهم لا يستطيعون أن يغالطوا أنفسهم أنه شريف كيس صادقوا على زواجهما ، أقاموا عرسا فى منتهى الفخامة

لقد صير البؤس الزوج الجديد حكيما بصيرا بعواقب الأمور فأصبح مقتصدا يدبر شؤون الثروة الحديثة بحكمة وفطنة وعاش مع زوجته التى أحبها عيشة سعيدة هنيئة متمتعا بعطفها وحنانها

م . ح

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

طريق واحد ... ... : للاستاذ سيد قطب ١٨١
بنات العرب فى إسرائيل ... : « على الطنطاوى ١٨٣
الشيخ مصطفى عبد الرازق ... : « محمود الشرقاوى ١٨٨
زكى مبارك ... ... : « محمد رجب البيومى ١٩٠
صور إسلامية رائعة ... ... : « عيسى متولى ١٩٥
دفاع عن العباسة بنت المهدى : « عبد الواحد باش أعيان ... ١٩٦
بنى مصر ! ... ... : « أحمد محمود ٢٠٠
وداع الريف ... ... (قصيدة) : « أحمد أحمد العجمى ... ٢٠٠
الصخرة ... ... (قصيدة) : للآنسة فدوى طوقان ١٩٩
(الكتب) — محمد رسول الله — تأليف مولانا محمد على — للأستاذ ٢٠١
محمد محمود زيتون — القطر الجزائرى — للأستاذ كمال دسوقى
(البريد الأدبى) — تحية للرسالة من العراق وأخرى من الحجاز — ٢٠٤
وعزل أيضا ... ...
(القصص) — ماريوتو — للقصصى الإيطالى ماسوشيو سالرنيتانو ٢٠٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

جامعة فؤاد الأول

كلية دار العلوم

تعلن كلية دار العلوم عن خلو وظيفة أستاذ (جـ) لكرسى تاريخ الأدب العربى بها ويشترط فيمن يرشح نفسه لشغل هـذا الكرسى أن يكون مستوفيا للشروط الجامعية وعلى من يرغب فى الترشيح لهذه الوظيفة أن يقدم طلبا باسم حضرة صاحب العزة عميد كليـة دار العلوم فى ميعاد لا يتجاوز أسبوعا من نشر هذا الإعلان ٧٥٥

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغـاية ظهر يوم ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ عن عمليـة توريد أدوات احتياطية لمـا كينات أوتود بنس طراز ١٥٨ VM قوة ٢٣٠ حصانا بمحطة كهرباء أبو تيج وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٥٠ مليم خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه ٨١٢

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بإدارة مخازنهـا بالعباسية لغاية الساعة الثانيـة عشرة ظهرا يوم ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ لتوريد مراكب وصنادل لعام ٥١ ـ ١٩٥٢

ويمكن الحصول على قوائم هذه المناقصة من الإدارة المذكورة بموجب طلب على ورقة دمغة فئة خمسين مليما وثمن القـائمة مائة مليم ٧٧٠

20 me. année No 972

Le Caire 18-2- 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٢ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ١٨ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

طريق وحيـــد

للأستاذ سيد قطب

يوماً بعد يوم يتبين أن هنالك طريقاً معيناً للشعوب الإسلامية كلها في هذه الأرض، يمكن أن يؤدي بها إلى العزة القومية، وإلى العدالة الاجتماعية، وإلى التخلص من عقابيل الاستعمار والطغيان والفساد.. طريقاً وحيداً لا ثاني له، ولاشك فيه، ولا مناص منه.. طريق الإسلام، وطريق التكتل على أساسه.

إن أحداث العالم، وملابسات الظروف، وموقف الشعوب الإسلامية.. كلها تشير إلى هذا الطريق الوحيد، الذي لا تمليه عاطفة دينية، ولا تحتمه نزعة وجدانية. إنما تمليه الحقائق والوقائع، وتمليه الموقف الدولي، وتمليه حب البقاء، وتلتقي عليه العاطفة والمصلحة، ويتصل فيه الماضي بالحاضر، وتشير إليه خطوات الزمن، ومقتضيات الحياة.

لقد أكلنا الاستعمار الغربي فرادى، ومزقنا قطعاً ومزقاً يسهل ازدرادها، وأرث بيننا الأحقاد والمنافسات لحسابه لا لحسابنا، وجعل له في كل بلد إسلامي طابوراً خامساً، ممن ترتبط مصالحهم بمصالحه، وممن يرون أنفسهم أقرب إلى هذا الاستعمار منهم إلى شعوبهم وأوطانهم؛ وأقام أوضاعاً معينة في كل بلد إسلامي تسمح له بالتدخل، وتملي له في البقاء، وتضمن له أنصاراً وأذناباً في كل مكان.

فإلى أين نتجه لنكافح الاستعمار وأذنابه وأوضاعه؟ إن أناساً من المخدوعين والمغرضين، يدعوننا أن نتجه إلى الكتلة الشرقية. الكتلة الشرقية التي تمحو الإسلام والمسلمين محواً منظماً ثابتاً في أرضها، منذ أن استقرت فيها الشيوعية، والتي تتخذ مع المسلمين في أرضها من وسائل الإفناء المنظم ما لم يعرفه التتار ولا الصليبيون في أشد عصورهم قسوة وفظاعة.

لقد كان عدد السكان المسلمين في الأرض الروسية اثنين وأربعين مليوناً عند ابتداء الحركة الشيوعية، فتناقص عددهم تحت مطارق الإفناء المنظم، والقتل والتجويع والنفي إلى سيبريا حتى وصلوا في خلال ثلاثين عاماً فقط إلى ستة وعشرين مليوناً.. ستة عشر مليوناً من المسلمين في الأرض الروسية وحدها قد أبيدوا.. أما في الصين الشيوعية فالمأساة تتكرر الآن في تركستان الشرقية، بنفس الوسائل ونفس الشناعة.. وفي يوغسلافيا تتم حركة التطهير من العنصر الإسلامي.. وفي ألبانيا كذلك.. كل أرض مستها الشيوعية قد نزلت فيها النقمة على رؤوس المسلمين بشكل وحشي يروي القارئون منه أخباره وتفصيلاته، كما تروى أساطير الهمجية الأولى.

ولقد ذاق المسلمون من قبل على يد القيصرية الروسية

ما ذاقوا باسم العصبية الدينيـة . . فأما اليوم فهم يذوقون الويل نفسه ، بل أشـد وأشنع ولكن باسم العصبية الشيوعية . . وهي في حقيقتهـا روح واحدة : الروح الصليبية التي لا تنساها أوربا أبداً ، مهما تبدلت فيها النظم . . الروح الصليبية التي نطق باسمها الماريشال « ألنبي » وهو يدخل بيت المقدس في الحرب العظمى الماضية فيقول : « الآن انتهت الحروب الصليبية » والتي ينطق باسمها الجنرال كاترو في دمشق سنة ١٩٤١ فيقول : « نحن أحفاد الصليبيين ، فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل ! » وينطق باسمها زميل له في الجزائر سنة ١٩٤٥ بنفس الألفاظ والمعاني . . إنهـا هي هي في أوربا كما هي في أمريكا ، وكما هي في البـلاد الشيوعية . . كلها تنضح من إناء واحد : إناء الحقـد على الإسلام ، والتعصب الصليبي الذميم . يضاف إليه تعصب الشيوعية ضد الأديان جميعاً . وضد الإسلام على وجه الخصوص .

ويتشدق أقوام هنا بالحرية الدينية في الكتلة الغربيـة . كما يعوه أقوام بالحرية الدينية في الكتلة الشرقية . . وكلهم خادع أو مخدوع ، والحوادث والوقائع تنطق بأن المسلمين غير مرحومين عند الغرب أو عند الشرق . . فكلاهما عدو غير راحم ! إن الغرب الذي يمتص دماء المسلمين بالاستعمار القـذر اللئيم . وإن الشرق لهو الذي يبيدهم إبادة منظمة تتولاها الدولة تحت شتى العناوين !

ويعرض علينـا المخدوعون أو الخادعون أحيـاناً نصوص الدستور السوفييتي ، ومادة فيه تنص على حرية الاعتقاد . . نعم لك حرية الاعتقاد في الاتحاد السوفييتي ، على ألا تسلم لك بطاقة للتموين — وليس هنالك وسيلة غير هـذه البطاقة لتحصل على الطعام والشراب والكسـاء — ولك أن تعبد الله إذن كما تحب ، ولكن ليس لك أن تأكل من مخازن الدولة ! وأنت وما تشاء : الموت جوعاً مع الله ! أو الحياة الحيوانية مع ستالين !

إنه ليس الطريق أن ننضم إلى كتلة الغرب أو كتلة الشرق كلتاهما لنـا عدو ، وكلتاهما كارثة على البشرية ، وعلى الروح الإنسانية . . لقـد تكون الشيوعية في أرضها نعمة على أهلها ، ولقد تكون الديمقراطية في أرضها نعمة على أهلها . . ولكن هذه وتلك بلاء ونقمة على الشعوب الإسلامية . الاستعمار بلاء واقع يجب كفاحه وإجلاؤه . والشيوعية بلاء واقع كذلك على ملايين المسلمين الواقعين في براثنه . والوطن الإسلامي كله وحدة ، ومن اعتدى على مسلم واحد ، فقد اعتدى على المسلمين أجمعين .

إنه ليس الطريق أن نلق بأنفسنا إلى التهلكة هنا أو هناك ؛ فلقد حارب الاستعمار الغربي كل مقوم حقيق من مقومات الإسلام ، وإن تظاهر بالإبقاء على المظاهر المموهة التي لا تقاومه ولا تكافحه . . وحينما اجتمع مؤتمر جميع المبشرين في جبل الزيتونة بفلسطين عام ١٩٠٩ وقف مقرر المؤتمر ليقول : إن جهود التبشير الغربية في خلال مائة عام قد فشلت فشلا ذريعاً في العالم الإسلامي لأنه لم ينتقل من الإسلام إلى المسيحية إلا واحد من اثنين : إما قاصر خضع بوسائل الإغراء بالإكراه ، وإما معـدم تقطعت به أسباب الرزق فجاءنا مكرهاً ليعيش . وهنا وقف القس زويمر المعروف للمصريين ليقول : كلا ! إن هـذا الكلام يدل على أن المبشرين لا يعرفون حقيقة مهمتهم في العالم الإسلامي . إنه ليس من مهمتنا أن نخرج المسلمين من الإسلام إلى المسيحية . كلا ! إنمـا كل مهمتنا أن نخرجهم من الإسلام فحسب ، وأن نجعلهم ذوالين لتعاليمنا ونفوذنا وأفكارنا . ولقد نجحنا في هـذا نجاحا كاملا ؛ فكل من تخرج في مدارسنا ، لا مدارس الإرساليات فحسب ، ولكن المدارس الحكومية والأهليـة التي تتبع المناهج التي وضعناها بأيدينا وأيدي من ربيناهم من رجال التعليم . . كل من تخرج في هذه المدارس خرج من الإسلام بالفعل وإن لم يخرج بالاسم . وأصبح عوناً لنا في سياستنا دون أن يشعر ، أو أصبح مأموناً علينا ولا خطر علينا منه ! . . لقـد نجحنا نجاحا منقطع النظـــير . .

هذا موقف الكتلة الغربيـة . فأما الكتلة الشرقية ، فقـد اختارت الإفنـاء المنظم ، والإبادة الوحشية بمعرفة الدولة ، وما تزال ماضية في طريقها لمحو الإسلام والمسلمين !

إن طريقنا واضح . طريقنا الوحيد أن نمضي في تكتل إسلامي ، هو وحده الذي يضمن لنا البقاء ، ويضمن لنا الكرامة ، ويضمن لنا الخلاص من الاستعمار وأذنابه وأوضاعه ، كما يضمن لنا أن نقف سدا في وجه التيار الشيوعي المهلك المبيد .

بنات العرب فى إسرائيل

للاستاذ على الطنطاوى

هذه قصة واقعية قرأتها ملخصة فى سطور فى كتاب (من أثر النكبة) للاستاذ نمر الخطيب ، بطلها رجل من فلسطين يحسن الانكليزية كان له صديق من أعضاء اللجنة الدولية، سأله أن يأخذه إلى تل أبيب ليجدد ببلاده عهدا، فأجابه إلى ما سأل وألبسه لباس أعضاء اللجنة حتى غدا كأنه واحد منها

ووصلوا تل أبيب ، فأنزلهم اليهود فى فندق عظيم ، وأولوهم أجل العناية وأكبر الرعاية ، حتى لقد أخبروهم أن إدارة الفندق ستبعث إلى غرفة كل واحد منهم فتاة بارعة الجمال ، لتكون رفيقته تلك الليلة

قال :

ولما أويت إلى غرفتى، عثلت لى الفتاة التى وعدت بها ، فملأت صورتها نفسى وهاجت فيها أدنأ غرائزها ، وأحط شهواتها ، ونسيت أنى فى بلد العدو ، وأن على التوقى والحذر ، وارتقبت ليلة (كما يقولون) حمراء ، تلتهب فيها الأعصاب بنار الشهوة الجامحة ، وخيل إلى منطق الغريزة أنى إن نلت امرأة من يهود فقد غزوت يهود فى ديارها . وثقلت على الساعات الباقية دون الليل ، وطالت دقائقها ، وجثم وقت الانتظار على صدرى فتقارب نفسى ، وازداد خفقان قلبى ، وأحسست ركبتى تصطكان ، وكنت أقعد فلا أطيق القعود ، فأقوم فلا أرتاح إلى القيام .

وحاولت القراءة فكانت الكلمات تتراقص أمام بصرى ، ثم تستحيل إلى صور صبايا عاريات ، وتضيع المعانى فلا أدرك إلا المعنى الواحد الذى هو فى ذهنى

وكذلك تصرمت ساعات ، ما أظن أنه مر على فى عمرى أثقل منها . وما أظن لذائذ الوصال لو جمع لى ما يلقاه الناس كلهم منها ، تعدل آلام هذه الساعات

... وجاء النادل (الكارسون) يقدم إلى فتاة ، جرفتها ببصرى فى لمحة واحدة ، وجردتها بخيالى من ثيابها فى ثانية ، فرأيتها عارية أمامى ، وجمحت بى الغريزة حتى لا أقدر على الصبر عن عناقها دقيقة ، وعن ضمها إلى، وعن أن أشد يدى عليها، ثم آكلها عضا

وكانت شقراء لها شعر ما علمت قبل اليوم كيف يكون الشعر كأسلاك الذهب ، يتموج ويسترسل على كتفين مستديرتين كأنهما ... ولكن مالى ولهذا الولع بالتشبيهات ، وبماذا أشبه كتفى فتاة عبلة فى السابعة عشرة ؟

وكان يبدو من جيب ثوبها الفاضح خط ما بين نهديها ، كأنه خيط يسحب القلب من صدر رائيه ، وأنف أشم كأنف صبى من ولد الإغريق الأولين ، وفم كأنه زر ورد أحمر

وكان ثوبها ينحسر عن ساقين ممتلئتين مستديرتين ، يقطر الصبا منهما والجمال ، ولم تكن فتاة ولكنها كانت فتنة فى ثوب امرأة . وكان الحب الذى غنى له الشعراء ، وسبحوا بحمده ، مصورا فتاة . كذلك كنت لما ثبت النظر أخيرا على عينيها

لقد كانت لها عينان ، لا يستطيع السمو إلى وصفهما البيان؛ عينان فيهما شىء لا أدرى ما هو ، ولكنى أحلف أنى ما

والتكتل الإسلامى لايعنى التعصب فى أى معنى من معانيه ..

إن الإسلام هو الضمانة الوحيدة فى هذا العالم اليوم لوقف حركة التعصب ضد المخالفين له فى العقيدة . فهو وحده الذى يعترف بحرية العقيدة ويرعاها ، فى عالم الواقع لا فى عالم النصوص . وهو وحده الذى يمكنه أن يضمن السلام للبشرية كلها فى ظلاله ، سواء من يعتنقونه ومن لا يعتنقونه .. إنه لا يستعمر استعمار الغرب الآثم الفاجر ، ولا يبيد مخالفيه إبادة الشيوعية الكافرة الجاحدة . . إنه النظام العالمى الوحيد ، الذى تستطيع جميع الأجناس ، وجميع العقائد ، أن تعيش فى ظله فى أمن وسلام .

وطريقنا إذن أن نرفض كل ارتباط يشدنا إلى عجلة الاستعمار — تحت أى اسم وأى عنوان — وأن نرفض فى الوقت ذاته كل دعاية تدفعنا إلى فكى ذلك الغول الشرقى ، الذى يبيد العنصر الإسلامى فى أرضه بقسوة وشناعة ، لا يقرها الهمج فى أحلك عصور التاريخ .

إنه طريق وحيد . طريق الكرامة . وطريق المصلحة . وطريق الدنيا . وطريق الآخرة . . إنه الطريق إلى الله فى السماء وإلى الخير فى الأرض . وإلى النصر والعزة والاستعلاء .. إنه هو الطريق !

سيد قطب

مكنت بصرى منهما حتى أحسست بأن أعصابي المشدودة قد استرخت ، وأن دمى الفائر بالشهوة قد برد ، وأن قد طارت من رأسى كل فكرة جنسية ، وامتلأ قلبي عطفا وحنانا ، كأن أمامى قطة صغيرة وديعة حلوة الوجه ، ناعمة الشعر . هذا ما شعرت به وأنا أعتذر من غرابة هذا الشعور ، وتوهمتها من طهر عينيها زنبقة من زنابق الجبل ، بيضاء كالثلج ، نقية كالندى ، لم يمسسها إلا نسيم الأصيل ، ولم تقبلها إلا أشعة الشمس، ولم تبصر عريها إلا عين الشتاء

وعجبت أنا من نفسي ، مما عرانى ، قبل أن يعجب القارئ مما أروى

عجبت كيف تكون لى هذه العاطفة على بغى !

أو ليست بغيا هذه التى يقدم جسدها اليهود قرى لضيوفهم كما يقدمون لحوم الخراف وشحوم الخنازير ؟ وعدت أنعم النظر إليها ، فأرى صبية فى ثياب الغوانى ، ولكن فى عينيها حياء العذارى ، وأرى فيها ملامح رقة وتهذيب كأنها ملامح طالبة من طالبات المدرسة ، لا فتاة من فتيات الليل ، فرحت أحاول أن أوحى إلى نفسى أنه دل البغايا حين يسرقن نظرات الأبكار

ووقفت ووقفت وساد الصمت والسكون ، فلا حركة ولا كلام

وعجبت هى منى أكثر من عجبى من نفسى ، كأنها ما تعودت من قبل إلا لقاء وحوش فى ثياب بشر ، لا يرون فيها إلا ما يراه الذئب فى جسم النعجة ، لا يعنيه منه لونه فى نظره ، ولا ريحه فى أنفه ، ولا لينه فى كفه، ولكن طعمه تحت أنيابه ، وإن كان جسد النعجة ينال مرة فتموت وتستريح ، وهذه (نعجة) يتعاورها الذئاب كل يوم ، فهى تموت كل يوم ميتة جديدة

وقفت متململة تحاول الابتسام فلا يلوح على شفتيها إلا بقايا ابتسامة ماتت من زمن طويل . وثقل الموقف ولم يفتح على بكلمة، فأرادت الخلاص فأشارت إشارة المحكوم عليه إلى الجلاد ليعجل عليه بالإنفاذ ويخلصه من الانتظار الذى هو شر من الإنفاذ

أشارت بيد إلى الفراش . كأنها تقول : تريد ؟ وبالأخرى إلى ثيابها كأنها تقول : أنزع ؟ وعاودت أعصابى هياجها ، ولكنى نظرت إلى عينيها فرأيتهما تقولان لقلبى شيئا غير ما تقول اليدان ، فأجبت برأسى أن لا !

ودعوتها فقعدت إلى جنبى ، وهمت بأن تلق بذراعها على كتفى ، وبصرها تائه فى الأفق البعيد ، كأنها تتحرك وهى منومة ، فمنعتها برفق ، وكلمتها بالإنكليزية ، فأومأت بأنها لا تفهمها ، فكلمتها الكلمات القليلة التى أحفظها من العبرية ، فعلت وجهها سحابة سوداء من الألم ، وغامت عيناها لحظة ، ثم أومأت بأنها لا تفهمها ، فكلمتها بالفرنسية فلم تفهم

ففكرت هل أخاطر وأكلمها بالعربية ، وكنت أعلم ما فى ذلك من الأذى لى والضر بى ، ولكنى أقدمت وقلت لها :

هل أنت عربية ؟

فانتفضت انتفاضة لو كانت بصخرة لصبت فيها الروح ، ولانبجست فيها الحياة . وأضاء ذلك الوجه الجميل ، الذى كان عليه نقابان : نقاب من التبذل الظاهر ، ونقاب من الألم الخفى ، وأشرق بنور سماوى وحدقت فى بعينيها العجيبتين ، وفيهما لمعة الفرح ، وفيهما حلقة الذعر ، وقالت :

— هل أنت عربى ؟

فترددت ما بين خوفى منها ، وبين عطفى عليها ، خفت أن تكون يهودية فتشى بى، وأشفقت أن تكون عربية تحتاج إلى ، ثم غلبت ثقتى بها ، فقلت لها :

— نعم

— قالت : وأنا عربية ، من أسرة (كذا) من بلدة (كذا) وممى خمس وثمانون من بنات العرب . . . فأحسست كأن خنجراً مسموما قد أوقد عليه وغرز فى قلبى ، وكأن الأرض تدور بى ، ولكنى ثبت ولم أحب أن أفجع المسكينة بهذا الحلم البهى الذى رأيت ظلاله على وجهها ، لقد حسبت من خلال الفرحة الطارئة أنها من يافا العربية ، وأنها قد عادت إلى طفولتها المدللة ، وعادت لها طهارة تلك الطفولة ، وأنها لا تزال العذراء البكر تعيش بين أهليها وذويها فى حمى الأبطال العرب الذين كانوا يحرسون أرض الوطن ، وعرض بنات الوطن ، وحمى الجيوش العربية التى كانت أعلامها تلوح على الآفاق الأربعة البعيدة ، من وادى النيل ، وجنبات الأردن ، وخمائل الغوطة ، وسهول العراق ، وبطاح نجد ، فتبعث فى نفوس عذارى فلسطين الدعة والأمن ، وفى قلوب شبابه الزهو والكبر ، وعنهما أن

تطيف بها رهبة من يهود

ولكن هذه الإشراقة ما ابثت أن بدت حتى اختفت . إن الصبح الذى حسبته قد انبلج بعد ما طال منها ارتقابه لا يزال بعيدا ، والشاطىء الذى ظننته دنا بعد ما اشتد إليه حنينها لايزال ضائعا فى الضباب، ولا يزال مكتوبا عليها أن تقاسى الذل آماداً أخرى - لا يزال فى الكأس المريرة بقايا عليها أن تتجرعها

خبت إشراقة النور التى وقدت على جبينها ، وانطفأ البريق الذى لمع فى عينيها ، وهيض الجناح فهبطت من سماء الأحلام إلى أرض الحقيقة التى قيدتها بها قيود اليهود . وصحت من سكرة الفرح فإذا هى حيث كانت ، لا الحرية عادت ولا الأهل ، ولا الليالى الماضيات تعود

وفاضت النفس رحمـــة بها وحنانا عليها ، فطوقتها بيدى فانكمشت والتصقت بى ، كما تفعل القطة الوديعة، وأخفت وجهها فى صدرى ، وهى تنشج نشيجا خافتا ، تمنيت معه لو أستطيع أن أشترى سعادتها التى فقدتها بحياتى لأردها عليها ، وأحسست أنى أحبها منذ الأزل ، وأنى لم أعش يوما منفردا عنها ، ولا أعيش يوما بعد فراقها ، وأن قد امتزج منا الجسمان ، واتحد الروحان ، واختصر الزمان حتى كان هذه اللحظة وحدها ، كما يختصر شعاع الشمس فى عدسة الزجاج فى نقطة واحدة ، وفى هذه النقطة الأشعة كلها ، فلا ماض مضى ولا آت يجىء ...

وهتفت بى ووجهها خلال ثيابى ، وأنا أحس خفق قلبها فوق صدرى ، كأنه حديث من قلبها إلى قلبي :

— لن أعود إلى حمأة الرذيلة . لن أعود . خذنى معك ، إلى الشام ، إلى الأردن ، إلى الصحراء ، إلى أى بلد عربى لا حكم فيه لليهود . خذنى أكن خادما لك ، أكن أمة ، أو فاعنى على الموت ، فإنى لا أجرؤ وحدى عليه ، حتى لا أهين بجسدى الملوث الأرض التى احتوت رفات الجدود

* * *

لقد رأت فى المسكينة شماعة تخلفت من نهارها ، وزهرة بقيت من روضها ، فحسبت أن النهار الذى ولى وغربت شمسه يعود ، وأن الروض الذى جف وصوح نبته يرجع . وهيهات هيهات ! لقد فقد العرب كبرياء العرب ، وأضاعوا عزة العرب ، وشهامة العرب

لقد هتفت أسيرة عربية فى قديم الدهر ، باسم ملك العرب المعتصم فنحى الكأس وقد دعا بها ليشربها ، ووثب من فوره يجيبها

(أجابها) معلنا بالسيف منصلتا ولو (أجاب) بغير السيف لم يجب

حتى اقتحم من أجلها جيش هرقل صاحب البرين والبحرين ونازل الروم من كانوا يوما سادة الأرض ، وعاد بالمرأة وعاد بالنصر الذى طبق خبره الأرض ، وطاول مجده السماء

فهل من ينقذ اليوم آلاف النساء ، نساء العرب ، من سبى أذل الأمم : اليهود ؟ هيهات ! لقد فقد العرب كبرياء العرب ، وعزة العرب !

* * *

وعادت تقول وهى مخفية وجهها خجلا :

إن ترنى اليوم ماشية فى طريق الفجور ، فلقد كنت يوما بعيدة عنه ، جاهلة به ، وكان لى أبوان شريفان وكانت لى أخت ، وكانت . . .

وشهقت شهقة ألمة

... فهل يعلم أحد أين هى أختى ؟

لقد أراد لى والدى الحياة الماجدة الكريمة — فربيانى على الدين والخلق — وعلمانى حتى نلت الشهادة المتوسطة ، وتهيأت للبكالوريا ، وأطلعنى أبى على روائع الأدب ، وكنوز المعرفة ، وكان يرجو لى مستقبلا فكان مستقبلى .. كان ... كان ...

وشرقت بدمعها

لقدقتلوا أمى يوم الواقعة ، أفتدرى كيف قتلوها ؟ إنهم وضعوا البندقية فى ... كيف أقول ؟ فى مكان العفاف منها ، فوقعت أمامى تتخبط بدمها ، أما أبى فهرب بى وبأختى وانطلق يعدو حتى لحقوه ، فجعلوا يضربونه بأعقاب البنادق وبأيديهم وبأرجلهم حتى سقط . واستاقونا ...

ورحت أتلفت وأنا أكاد أجن من الذعر ، أنادى: أبى ! أبى ! أحسب أن أبى يسمع ندائى بعد الذى نزل به أو يقدر على حراك . ولكن أبى قد سمع وشدت روح الأبوة ، وسلائق العروبة من عزمه ، فنهض يسعى لينقذنى وكلما ولى ذكر أن ابنته

التي رباها بدمه وغذاها من روحه ورجا لها المستقبل البارع ستفدو أمة لليهود ، فتعاوده القوة حتى استنفد آخر قطرة من قواه ، فسقط مرة ثانية قبل أن يدركنا

تمر على الإنسان المصائب الثقال تباعا . يمرض حتى يتمنى الموت ثم يدركه الشفاء فينسى أيام المرض . ويموت أليفه فيألم حتى يعاف العيش ثم ينسى موت الحبيب ، ولكن مصيبة الفتاة بعفافها لا تنسى حتى ترد ذكراها معها الموت

لقد كانت هذه الساعة بداية آلامى التى سأحملها معى إلى القبر . فقدت الأب والأم ، ثم فقدت العفاف وغدوت مثل البغايا ، فأين عينا أبى ترياني ؟ أين أبى ؟ هل هو حى معذب مثلى أم قد مات واستراح ؟

إنى لأرجو أن يكون قد مات . أفرأيت ابنة تتمنى الموت لأبيها ؟ نعم . حتى لا يرى ما حل بينته فيجد ما هو أشد عليه من الموت

ولما غدوت وحيدة فى أيديهم ، وعرفت أنه لا معين لى بعد أن فقدت أبى ، تنبهت فى القوى الكامنة ، وأمدنى اليأس بالعزم ، وشعرت بأنى كبرت فجأة حتى أصبحت بجنب أختى الصغيرة أما لها بعد أمها ، وأبا بعد أبيها ، وأن على أن أحميها . وقلت لنفسى : إذا كانت الدجاجة تدفع عن فراخها هجمة النسر ، والقطة إن ضويقت واستيأست تقاتل الذئب ؟ فلم أعجز عن حماية هذه الطفلة؟ وقد كانت طفلة حقا ، كانت فى الثالثة عشرة تبكى بكاء ما رأيت قط مثله ، وترتجف كل عضلة من جسمها كما ترتجف كل ورقة فى الشجرة هبت عليها رياح الخريف

وتنمرت واستبسلت دونها ولكنهم غلبونى وأخذوها منى ثم وضعونى فى سيارة جيب مع ثلاثة من جنود يهود

وطفقت أدافع بيدى ورجلى ، وأعض بأسنانى حتى عجز عنى أنا البنت الضعيفة ثلاثة الرجال . فلو أن كل عربى من أهل فلسطين وكل امرأة وكل ولد ، كان قاتل بسلاحه وقاتل بعصاه إن لم يجد السلاح ، وبحجارة أرض الوطن وبيديه وأسنانه لما استطاع اليهود ...

ولما ذكرت اليهود ارتجفت من الخوف . وتلفتت حولها تخشى أن تسترق همسها آذان خفية فى الجدار فتنقله إلى جلاديها

قالت :

وصب فى الخوف على أختى قوة لم أكن أتصور أنها تكون لأحد ، فاغتنمت لحظة غفلة ممن معى ووثبت من السيارة فوقعت على ركبتى

وكشفت عن ركبتيها وقالت : أنظر ، ثم عاودها حياء العذراء التى كانتها يوما والتى تقص قصتها فأسرعت فسترتهما

قالت :

وجعلت أعدو حافية وقد سقط الحذاء من رجلى على التراب والشوك حتى لحقوا بى وأعادونى

ورجعت أدافع ، فأحسست غرز إبرة فى يدى ، ثم لم أعد أشعر بشىء

وسكتت لحظة وكادت من الحياء يدخل بعضها فى بعض . وصار وجهها بلون الجمرة ثم تكلمت بصوت خافت كأنه آهات مكتومة لم أتبينها حتى دنوت منها ولفحت أنفاسها الحرى وجهى

قالت :

ولما صحوت وجدتنى ملقاة على أرض السيارة ، مكشوفة ... وعلى فخذى آثار دم ! !

وعادت تنشج ذلك النشيج الذى يفتت القلب

لقد أراقت دم عفافها لأن رجال قومها لم يريقوا دماء أجسادهم فى سبيل الأرض وفى سبيل العرض . لقد خدروها بهذه الإبرة كما خدروا زعماء العرب بالوعود وبالخدع وبحطام من الدنيا قليل

* * *

قالت :

وصرنا ننتقل من يد إلى يد أنا وبنات قومى العرب ، كالإماء فى سوق الرقيق لم تهدر كرامتنا وحدها ولم تضع أعراضنا فقط ، بل لقد فقدنا صفات الإنسانية . غدونا (أشياء) تباع وتشرى ، ويساوم عليها ، صارت لحومنا قرى لضيوف اليهود !

إن البائس ليلاقى فى مغارات اللصوص ، وفى سراديب السحرة قلبا طيبا يحنو عليه ، ويخفف بؤسه .. ولكننا لم نلق هنا رحمة من أحد

لقد قرأت مرة فى قصة كان دفعها إلى أبى مترجمة عن الكاتبة

الأمريكية أ . بيشرستو ، أنه كان من أحلى أمانى الرقيق أن يباع معه قريبه وألا يفصل الرق الأم عن بنتها والولد عن أخته ، فكنت أعجب من تلك العصور وهوان الإنسانية فيها ، فأى حقيقة مروعة مرعبة رأيت ؟ بنات العرب صرن رقيقا لليهود لا للعمل ولا للخدمة بل للخزى والفجور ... وهأنذى مثل ذلك الرقيق : كل ما أعناه أن يجمع الرق الأبيض بينى وبين أختى!

هذا ما تتمناه بنت الأسرة العربية الشريفة بعد نكبة فلسطين. أما حنان الأب، أما حب الأم، أما عزة العفاف وكرامة العروبة ، وتلك الأيام التى كانت ترتع فيها فى روض الطفولة فلم يبق من ذلك كله إلا صور باهتة فى أعماق الذاكرة ، لا تجرؤ هى أن تحدق فيها.. كلا إنها لا تستطيع أن تسمو إلى بعث هذه الذكريات .. إن الرأس الذى أحنته وصمة العار لا يقدر أن يرتفع بنظاره إلى السماء

ولكن الوصمة ياأختى — يا أختى على ما أنت عليه ، الوصمة ليست على جبينك أنت ، إنها على جبين كل عربى يرضى لك هذا الذى أنت عليه

وكانت ليلة ليلاء ، ما عرفت فيها إلا لذع الآلام

لقد كان من المستحيل أن نفكر بالغاية التى بعثوا بها من أجلها ، ذلك لأن الشهوة لاتنام على فراش حشى بأشواك الذعر، وغريزة الجنس لا تسكن قلبا ملأته بالآلام نكبات الوطن

لقد صيرتها جوامع الأحزان ، أختى . ولا يستطيع الشيطان أن يدخل بين أختين جمعتهما فى ظلمة الليل أوجاع القلب الجريح

وانتهت الليلة وجاء النادل فى الصباح ليقدم الفطور قوت الصباح ، ويحمل الفتاة قوت الليل، فاضطرمت فى رأسى نار النخوة لما أبصرته ، ولكنها كانت (يا للعار) نار القش لا تضطرم فلا تجد الحطب الجزل فتنطفىء

وودعتنى بنظرة . . . بنظرة لا يمكن أن يعبر عن وصفها ومعناها لسان بشرى

وجاءت السيارات تحملنا لنعود من حيث أتينا ، نعود ونترك بناتنا يفتك بأعراضهن اليهود؛ ومررنا بيافا ، ونظرت إلى هذه المنازل التى كانت بالأمس لنا فصارت لغيرنا ، خرجنا منها فى ساعة واحدة انحطت علينا فيها النكبة كما تنحط الصاعقة ، الأثاث الذى نضدناه قعد عليه غيرنا، والطعام الذى طبخناه أكله غيرنا ، والفراش الذى مهدناه ، آه . هل أستطيع أن أنطق بالحقيقة المرعبة ؟

ولكنها حقيقة ، إن الفرش التى مهدناها ، هتك اليهود عليه عفاف بناتنا !

ويبق على ظهر الأرض عربى لا يقنع وجهه حياء ، ولا يوارى وجهه خجلا ، خجلا من أمجاد الأجداد، خجلا من سلائق العروبة ، خجلا من عزة الإسلام !

يارجال العرب إن لم تحموا أعراض نسائكم فلستم برجال

يا جنود العرب ، إن لم تدفعوا الأذى عن وطن العروبة وعن أعراض بناتها ، فاخلعوا عنكم ثياب الجنود يامن أضاعوا فلسطين ، عليكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

واختفت يافا ، وغابت وراء الأفق وأنا لا أزال أرى تلك النظرة التى ودعتنى بها . لن أنساها أبداً ، ولن أنسى أنى تركتهم يأخذونها وأنا حى ، وأنى كنت جبانا ، وكنت نذلا كالآخرين !

على الطنطاوى

ذكرى وفاة

الشيخ مصطفى عبد الرازق

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى ١٥ فبراير الحالى تتم سنوات خمس على وفاة المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد أحببت ، فى هذه المناسبة ، أن أبعث « للرسالة » بهذه الكلمة ، لا عن مصطفى عبد الرازق الأستاذ فى الجامعة ، أو الوزير ، أو السياسى ، أو شيخ الأزهر . وإنما عن مصطفى عبد الرازق . فمصطفى عبد الرازق ، بصفاته ، وخصائصه ، ومميزاته ، هو الذى أريد أن أكتب فيه هذه الكلمة

* *

كانت أبرز صفات مصطفى عبد الرازق : رقة العاطفة ، والتواضع ، وحب الخير ، والاعتداد بالنفس

يحدث بعض تلاميذه — وقد تولى منصبا جليلا فى القضاء — فقال : كان الشيخ مصطفى يدرس لنا فى الأزهر مادة « الإنشاء » فوجد واحدا من طلبته زرى الهندام ، ولاحظ بعض إخوانه يكاد يعيره بذلك . وظن طلبة الشيخ أنه غير منتبه لما يجرى بين هذا الطالب وإخوانه . ولكنه فى أثناء الدرس ، تطرق إلى موضوع القيمة الذاتية للفرد ، وأنها لا تخضع لمقياس الثروة والجاه ، وأن المال والثياب لا تجعل الرجل عظيما ، وإنما قيمة الرجل وعظمته فى فضائله وعلمه وآدابه

وكان ليقظة الشيخ ، ولطف توجيهه لأبنائه ، وعدم إشارته أى إشارة للطالب الفقير ، أكبر الأثر فى تقويم تلاميذه وإدراكهم لما يقصد ، واستقامة نفوسهم بعد ذلك ، وصدق مودتهم بعضهم لبعض

وقص تلميذ الشيخ فقال : وشكا واحد من طلبة الشيخ مصطفى إلى صديق له قلة ماله ، وأنه يخشى أن تقطعه الحاجة عن طلب العلم ، واستشاره ، فقال له صاحبه ، بعد تفكير ، ليس لك إلا أستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق . فقصد الطالب المحتاج ، بعد تردد ، بيت شيخه ، وكان لا يزوره ، فلما أقبل على الشيخ ، وفى مجلسه جمع كبير من العظماء وأهل المكانة ، قام الشيخ لاستقباله مرحبا ، وقدمه لضيوفه مادحا له ، ذاكرا نبوغه فى الطلب وحسن استعداده وذكاءه ، ثم أدرك الشيخ بعد قليل ، من حياء تلميذه وتهيبه ، أنه يعالج فى نفسه شيئا ، فاستأذن ضيوفه واختلى بتلميذه ، فلما سمع منه قصته قال له : أمهلنى أسبوعا ولا تجزع ، وعد إلى بعده

وبعد أسبوع عاد الطالب على شيخه فوجده قد وفق لتعيينه فى وظيفة أعانته على مداومة الطلب . وأبلغه ذلك وكأنه يعتذر عن تقصيره

وكثيرون من أبناء الشيخ وخاصته يعرفون عشرات من مثل هذه الحادثة

* *

وعندما عاد الشيخ مصطفى عبد الرازق من فرنسا فى سنة ١٩١٤ وكان شقيقه المرحوم حسن باشا وكيلا للديوان الخديوى اختير سكرتيرا لمجلس الأزهر الأعلى . وحدث فى إحدى الجلسات أن اشترك فى مناقشة المسائل المعروضة ، وتأثر بعض أعضاء المجلس من مناقشته ، أو من أسلوبها ، فقال له المرحوم حسن باشا جلال ، وكان عضوا بالمجلس : ياشيخ مصطفى ، أنت سكرتير ، ولست عضوا معنا . أنت تكتب ما نقول ولكنك لا تشترك فى المناقشة . فسكت الشيخ قليلا ، ثم قام ، ولم يتكلم فأخذ ورقة ، وأقفل درج مكتبه ، وذهب إلى بيته ولم يعد للازهر . فلما عرف شقيقه حسن باشا ما حدث ، اتصل بحسن باشا جلال معاتبا ، فقال له : إن مصطفى ابنى ، وقد أردت توجيهه وإفادته؛ ومع ذلك سأجيء إليكم لأسترضيه ، وأزيد فى توجيهه وإفادته . وزار جلال باشا بيت عبد الرازق ، ثم عاد الشيخ مصطفى سكرتيرا للمجلس

وقد قص على هذه القصة من كان يحضر مجلس الأزهر الأعلى في ذلك الوقت

* * *

وقص على الشيخ ، يرحمه الله ، هذه الواقعة ، قال

كان أبي رحمه الله ، وأنا أطلب العلم في فرنسا ، يرسل إلى في أول كل شهر نفقاتي وكانت تصلني في موعد لا يتخلف . وفي شهر من الشهور ترقبتها في موعدها ولم ترد ، وبقيت أنتظر يوما بعد يوم ، حتى قل ما بيدي من المال قلة شديدة . وكنت شديد الحرص ألا يعلم إنسان ما أنا فيه . فلما خشيت أن يعلم أمري قصدت متسللا إلى السوق أبحث عن أرخص طعام في ذلك الوقت أشتريه بما بقي معي من فضلة مال ، فكان أرخص الأشياء الموز ، فابتعت منه كمية كبيرة بمال قليل ، ووضعتها في حجرتي ، وجعلت أنفرد فيها وقت الطعام لآكل منه ثم أدركت بعد ذلك أني تركت مسكني إلى آخر ولم أبلغ البنك ذلك . فلما ذهبت إلى البنك وجدت نفقاتي فيه من موعدها، ولكنه لا يستطيع إبلاغي وحمدت الله أن سترني ولم يعرف أحد كيف قضيت أيامي تلك

وفي سنة ١٩٣٦ — على ما أرجح — اختير رحمه الله ممثلا لمصر في مؤتمر المستشرقين . وقبل سفره بأيام ، قصدت إليه من جريدة « البلاغ » أتحدث إليه في سفره ومهمته ، وموضوع بحثه . فلما تحدث إلى في ذلك بما كفاني طلبت منه صورته لأنشرها مع حديثه ، فعند ذلك رأيت وجهه قد كسته حمرة وقال : وهل أنا رجل كبير حتى تنشر صورتي في الصحف ... ؟ ومع أني حاورته في ذلك محاورة شديدة وألححت عليه إلحاحا شديدا فإنه غلبني بقوله : أرجوك أن تقدر رغبتي وتعفيني من هذا الطلب . فأعفيته وقد زاد إعجابي به وحبي له

• • •

ولكن هذه الصفات نفسها ، من الحياء ، والتواضع ، ورقة العاطفة ، وحب الخير ، وهي كلها فضائل ، كانت سببا في متاعب عاتية وقع فيها وهو شيخ للأزهر . وتعبيري بكلمة « متاعب » فيه كثير من التساهل ، وعندما يكتب تاريخ هذه الفترة ، التي قضاها الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر ، سيعرف الناس أي ظلم ، وأي مضض ، لقيه الشيخ في مشيخة الأزهر ، لبعد ، أو تناقض ما بين طبيعته وبيئته إذ ذاك

ذهبت إليه ، بعد عودته من الحجاز ، وكان أمير الحج في سنة ١٩٤٦ وقبل أن يؤوب إلى مكتبه ، وكان في نفسي كثير من الضيق ، بسبب أشياء ظالمة كتبها عنه رجال من شيوخ الأزهر ، فأخبرته بها وقلت له : إن هذا الذي أحدثك به ، كتبه القوم بأسمائهم وأعلنوه على الناس ، وهو متداول بينهم مشهور . ولولا ذلك ما حدثتك به . فغضب رحمه الله حتى اضطرب ، وفارقه أنسه ، وظهر عليه الضيق حتى أشفقت عليه . ثم قال بإصرار وحزم : لن أسكت على ذلك

وبعد أيام رجع إلى مكتبه ، وجاء إليه الشيوخ الذين كتبوا فيه ما كتبوا ، وكان قد قرأه ، فاستقبلهم مرحبا ، وآنسهم ، واستبقاهم ، وودعهم إلى باب حجرته شاكرا ، مكررا شكره

* * *

وقد عرفني الشيخ ، وعرفته دهرا طويلا ، وأحببته ، وكيف لا أحبه ؟ ثم وقعت في نفسه نحوي جفوة لم أدرك أسبابها إلا بعد موته . فعسى أن يغفرها الله لي ، وأن يغفرها لي الشيخ أيضا ؛ فقد كان يغفر ، حتى لظالميه

* * *

هكذا كان الشيخ مصطفى عبد الرازق في شبابه ، وهكذا كان في كهولته وشيخوخته

رجل وهبه الله أجل هباته من الجاه ، والمال ، والمجد . ووهبه أجل هباته من الخلق الطيب والحياء الجميل ، الذي يزيد صاحبه رفعة ، ومهابة ، ومحبة . وجعل حياته كلها مثلا كريما للعمل الخير الدؤوب الذي يصدق أن يقال في صاحبه إن يسراه لا تعرف ما تقدمه يمينه

من أجل ذلك كان فقده موجعا أليما ، ومحبته باقية في قلوب الذين عرفوه فأحبوه ، وأيقنوا أنه من طراز قل أن يوجد في الرجال

محمود الشرقاوي

النجم الذى هوى

زكي مبارك

بقلم تلميذه وصديقه

الأستاذ محمد رجب البيومى



قابل المتأدبون فى العالم العربى نعى الدكتور زكى مبارك بحرارة لاذعة، فقد سمعوا قلمه البليغ منذ أربعين عاما يرن فى مختلف الصحف، فيثير العواصف الهوج ناقدا مصاولا، ويرسل النغم العذب شاعراً ملهما، ويتابع الأحداث الأدبية والاجتماعية مؤرخاً فاحصاً، ويدبج الأبحاث العلمية والفكرية مؤلفا باحثا، ثم شاءت طبيعته أن يترك جهاده الدائب فى دنيا الأدب والفكر، ويستريح بعض السنوات مما كابده فى نضاله الذهنى، حتى أدركه الموت فى زلة قدم شجت رأسه ومزقت أعصابه، فطارت روحه إلى السماء تاركة وراءها عبرات تترقرق فى محاجر الأدباء، وزفرات تتصاعد من صدور تلاميذه وزملائه على السواء.

ولقد بدأ الدكتور حياته – كأكثر أدباء عصره – طالبا بالأزهر الشريف، وكانت لديه حافظة قوية ساعدته على استيعاب كثير من روائع الشعر العربى فى سن مبكرة، ووجد الأستاذ المرصفى مولعا بالأدب والشعر بين أساتذة الأزهر فلازمه دروسه، ونقل أبحاثه فى أوراقه، وصاحبه فى سمره ولهوه وجده وشغله، وجعل يعرض عليه ما يجود به قريحته الناشئة من نظم ساذج فيفسح له مجال التجويد والإبداع بما يلقنه من توجيه وتثقيف، وقد بدأ الطالب الأزهرى يتصل بالصحف، وينشر إلى جانب قصائده التقليدية فصولا إنشائية يبذل فى تسطيرها ما يملك من جهد وإتقان، ودفعه طموحه إلى دراسة اللغة الفرنسية فى فترات يختلسها من حياته الأزهرية، ثم دفعته عزيمته إلى الجامعة المصرية سنة ١٩١٦ فأصبح طالبا يتميز بين طلابها بالنشاط والكفاح، ووجد بين أساتذتها شيخا يشبه أستاذه المرصفى فى تعلقه بالأدب وكلفه بالنقد، فأخذ يستمع إلى محاضراته، ويدون فى صحائفه جميع ما يصله من أستاذه الكبير محمد المهدى، وقد عكف فى هذا الطور من حياته على مختارات البارودى، فحفظ أكثر ما بها من قصائد؛ ومالت به عواطفه إلى الغزل والنسيب فاستظهر رقائق العباس بن الأحنف، وحجازيات الشريف، وروائع مهيار وجميع ما نقله البارودى من الشريف وابن سنان والتهامي، وقد خرج من ذلك كله بثروة طائلة فى الذوق والشاعرية والأسلوب، وأخذ يجد الغذاء الدسم الذى يوجهه إلى عشاق الأدب فى صحيفة الأفكار، فتطلعت الأنظار إلى الأديب الناشئ وعرفت فيه بوادر الألمعية والإبداع

وحين اشتعلت الثورة المصرية الأولى سنة ١٩١٩ جرفت فى تيارها زكيا مباركا، فساهم بقلمه فى إذكاء العاطفة الوطنية، وخطب مع الأستاذ القاياتى فى أول احتفال وطنى بعيد الجهاد، ومضى إلى الأزهر الشريف، فجعل من منبره مذياعا قويا ينشر على الملأ حماسته واندفاعه، وكان الأستاذ أبو العيون ينتدبه للخطابة بالفرنسية حين يحضر إلى الأزهر بعض الأجانب من الفرنسيين، وقد أدى ذلك إلى غضب السلطة الإنجليزية فزجت به فى غياهب الاعتقال، وقالت عنه جريدة الأهرام بعد أن نشرت نبأ اعتقاله بتاريخ ١٩٢٠/١/١ «إنه شيخ معروف بذلاقة اللسان والنظم الرشيق وله فى كل مجتمع كلمة يلقيها أو قصيدة يتلوها، وأصبح فى معتقله بالإسكندرية زميلا للقاياتى ودراز وأبى العيون وغيرهم من خطباء الثورة الأحرار»

وقد تقدم إلى نيل إجازة الدكتوراه فى الآداب سنة ١٩٢٤

بعد أن نال إجازة الليسانس ، فكتب رسالة عن أخلاق الغزالى ، وكان الشاب الجامعى ممتزا بمواهبه فهاجم حجة الإسلام مهاجمة قاسية ، وتكشفت أثناء المناقشة جوانب خطيرة أثارت كثيرا من الحاضرين عليه ، فتقدم الأستاذ اللبان لمناقشته ، واحتدم الحوار احتداما أثار الضجة واللجاج ، وأعلن رئيس اللجنة الدكتور منصور فهمى أن الرسالة الجامعية محاولة عقلية يخطئ فيها الطالب ويصيب ، وذلك لا يمنع من نجاحه بدرجة مشرفة. ثم انتقل صدى الرسالة إلى الصحف ، فاندفع الدكتور مبارك يناظر الأستاذين الشيخ يوسف الدجوى والشيخ أحمد مكى وغيرهما من كبار العلماء مناظرة حادة ، مهدت له طريق الشهرة والذيوع ، وإن عادت على عقيدته ببعض الأوهام

والحق أن الدكتور مبارك كان يحرص على مخاصمة الجمهور فيما يكتب ويذيع ، فهو يتعمد مزالق الزيغ تعمدا ، كأن له حظا فى الثورة والضجيج . ألف فى هذا الدور كتابيه « حب ابن أبى ربيعة » « ومدامع العشاق » فقذف بنفسه فى مطارح مخيفة ، إذ أسهب فى الحديث عن النبوة والعشق ، ومنزلة الهيام من الدين ، مما يثير عليه النوازع ، وإن جذب بذلك كثيرا من الشباب إلى رياض الأدب العربى ، فهاموا بالشعر الجيد ، والنظم البليغ ، وعرفوا الكثير عن عمر و كثير وجميل ! ! وقد انتفع الدكتور بمختارات البارودى فى فصول كتابه «مدامع العشاق» فنقل باقات عبقة من زهورها اليانعة وقدم إلى القراء كثيرا من رقائق ابن رزيق والطغرائى وابن نباتة السعدى وابن الخياط ، بعد أن كانت الكثرة الغالبة من الشباب لا يتجاوزون البحترى والمتنبى وأبا تمام ! !

وقد عين سنة ١٩٢٥ معيدا بكلية الآداب ، وكان يشرح لطلابه كتاب « مغنى اللبيب » فى النحو بتكليف من الدكتور طه حسين . وأكد صلته فى هذه الفترة بجريدة البلاغ فكان يكتب الصحيفة الأدبية بها دون انقطاع . ولم يعش فى ماضى الأدب القديم ، بل أخذ يتابع الحركة الفكرية فى مصر ويتعهدها بالنقد والجدل المنيف . وقد كتب فصولا طويلة عن شوقى ومعارضاته للشعراء ، وهى مجموعة فى كتابه « الموازنة بين الشعراء » مع أخوات لها تشابهها فى التحليل والاستنتاج ، وقد لاحظت وأنا أطالع هذه الموازنات تعصبا ملحوظا لشوقى من زكى ، فهو يفضله دائما على من يزنه به ، وكنت أعجب حين أجد المبارك لا يستر ميوله الشخصية عن القراء ، وأحار فى تعليل ذلك ، حتى عرفت من بعض ما كتبه الدكتور ، أنه أخذ مبلغا كبيرا من ذهب أمير الشعراء ، فرفعه إلى السماء . ولست أريد أن أخفض من قيمة المعارضات الشوقية ، فهى تحتل مكانها فى التاريخ الأدبى دون نزاع ، ولكنى أعلن أن الدكتور قد خلع عليها من الإطراء ذيولا ضافيات

ولم يقنع مبارك بدرجته العلمية التى نالها من الجامعة المصرية ، فسافر إلى باريس ، واتفق مع جريدة البلاغ أن يمدها بمقالاته وأبحاثه نظير ما تمنحه من أجر يذلل به صعوبة الاغتراب ، وأخذ يوالى البلاغ بآثاره العلمية تارة ، وبمشاهداته وخطراته عن باريس تارة أخرى ، فوق ما يضطلع به من تحضير رسالة علمية لنيل الدكتوراه من السوربون ، وتجمع له من ذلك كتابه المعروف عن ذكريات باريس ! ! ثم وفقه الله فوضع رسالته عن النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، وهو كما يعلم القراء أخصب عهود العصر العباسى وأحفلها بالإنتاج الفكرى ، والشخصيات اللامعة من ذوى النقد والصيال . وقد نال برسالته القيمة إجازة الدكتوراه فى الآداب من السوربون . وأقيمت له ثلاث حفلات تكريمية بباريس والقاهرة والإسكندرية . ويخيل إلى أن كتاب زهر الآداب للحصرى قد أوحى إليه باختيار موضوع رسالته ، فهو سجل حافل بالآثار الفنية لأعيان البيان ، وقد شرحه الدكتور وحققه ، ووضع فهارسه وعرف بأعلامه ، فأتاح له ذخيرة ثمينة تستحق العرض والتحليل ، فاندفع إلى تسطير رسالته العظيمة ، التى يعدها الأستاذ أحمد أمين أعظم آثار الدكتور وأجدرها بالاهتمام

ولكتاب النثر الفنى — على رغم مكانته المحترمة — نقدات توجه إليه ، وقد اعترف بها المؤلف ، ولعل أبرزها ما نلاحظه فى أسلوب الدكتور عامة من سيطرة عواطفه وأخيلته على براعه ، فى الأبحاث الفكرية الدقيقة ، فقد ارتضى لنفسه أن يكون شاعرا فى تحقيقاته العلمية أو يستمد وقودها من القلب والعقل والخيال . وقد قال زكى عن ذلك «وهذا عيب فى التأليف ولكنه

عيب جميل يقع من المؤلفات العلمية موقع الخال من خد الحسناء؟

وحين عاد الدكتور من باريس لم يركن إلى الدعة والراحة ، بل واصل حملاته الأدبية فى مختلف الصحف ، وكان له مع أكثر أدباء العصر الحاضر صيال وملاحاة ، فهو يقرأ القصيدة أو المقالة أو الكتاب لغيره من الأدباء ، فتنفسح أمامه طرق واسعة للاختلاف والنقاش ويثيرها معركة عنيفة ، ينتشر غبارها فى الأفق ويكثر حولها الضجيج والخصام . وقد حاولت أن أحصر جميع من ساجلهم الدكتور مبارك فأدركنى العجز الذريع !! ومرت أمامى أسماء كثيرة لهؤلاء المتحاورين مع الدكتور فى حومة النقاش ، وفى طليعتهم أحمد زكى باشا وعبد الله عفيفى ويوسف الدجوى وسلامة موسى ، وحسن القاياتى ومحمد عبد المطلب ، والسباعى بيومى ، ومحمد مسعود ، وغيرهم ... ومع هؤلاء أناس ناقشهم الدكتور وآثروا الراحة فلم يعتركوا معه فى ميدان كطه حسين وعبد العزيز البشرى وأحمد أمين وفريق من أعلام الأدب فى الشام والعراق

ولقد كان زكى فخورا بمعاركه الأدبية ، وطالما تحدث عنها فى كثير من التيه والإعجاب ، وقد قال عن نفسه « أنا لا أرى الحياة إلا فى حومة القتال ، وليس الأدب عندى مزاحا أتلهى به فى الأسمار والأحاديث وإنما هو عراك فى ميادين الفكر والخيال » كما نقل فى آخر الموازنة بين الشعراء قول بعض أصدقائه عنه « إن مباركا رجل ثائر لا تروقه الحياة ، ولا يستطيب العيش إلا بالغزوات العلمية ، ولو جاز وصف المساجلة كمعركة حربية ، وتشبيه الأدباء بالجيش لتمثلت مباركا ضابطا من الضباط يزدان صدره بالأوسمة والنياشين لكثرة ما نازل من الأقران »

وقد كان مبارك يعتقد أنه طالب علم مدى الحياة ، فهو لا يعرف للاجازات العلمية حدا تقف عنده ، بل يحب أن يجلس دائما أمام الأساتذة ، مهما امتدت به السن ، ونال الدرجات ، ليجد أمامه فرصة متاحة للصيال والنقاش . وقد تقدم بكتاب ضخم عن التصوف الإسلامى وأثره فى الأدب والأخلاق لينال الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة فؤاد ، وتألفت لجنة من كبار أساتذة الجامعة لمناقشته وحسابه ، فمنحته إجازة الدكتوراه فى الفلسفة بمرتبة الشرف ، وكتاب التصوف مشهور متداول ، ومزيته الصحيحة — كما قال المرحوم جاد المولى بك « أنه لم يؤلف للدعوة إلى التصوف أو الهجوم عليه ، وإنما ألفه مبارك فى نقد التصوف فبين ما فيه من محاسن وعيوب ، وكشف عما يتضمنه من قوة وضعف ، فى صراحة رائعة وأسلوب متين » وأجدنى مضطرا إلى أن أذكر أن الروح الأدبية قد جمحت بالدكتور فى بعض مواضيع الكتاب ، فلم تحدد بعض حقائقه العلمية تحديدا يتكشف للقارئ من أقرب طريق . وقد أجهدت نفسى كثيرا لأفهم ما قاله الدكتور عن وحدة الوجود ، فلم أخرج بطائل مع أنه ملأ الدنيا تشدقا بما كتبه عنها فى التصوف. وقد أكون ذا عقل واهن لم يستطع السير فى هذا المنعرج الدقيق

وكان الدكتور قد خصص جانبا من كتابه للبحث عن المدائح النبوية ، وأطال القول فى صلتها بالتشيع ، كما تعرض إلى الكميت ودعبل والشريف وغيرهم من شعراء البيت الهاشمى ، واتجه إلى البردة ومعارضاتها ، وما تمخضت عنه البديعيات النبوية من مباحث أدبية هامة ، ولكن اللجنه المؤلفة لبحث الكتاب، قد أشارت بحذف هذا الجانب من القول لبعده عن مدلول التصوف ؛ فظهرت المدائح النبوية بعد ذلك فى كتاب خاص ، ولعله أول بحث مفصل يعنى بتاريخ هذا الباب ، وقد مزج فيه المؤلف بين العرض والتحليل والتاريخ والاستنتاج فى طراز موفق شفاف

وقد كان انتداب زكى مبارك إلى التدريس بدار المعلمين العالية فى بغداد ذا أثر هام فى حياته الأدبية ، إذ أن الفترة القصيرة التى مكثها بالعراق قد ألهبت قريحته وأذكت نشاطه فسطر مئات الصحف فى الدعوة إلى العروبة ، وتوثيق الصلات بين القاهرة وبغداد ، واتصل برجال الفكر والسياسة فى القطر الشقيق فنزل بينهم نزلا كريما ، وقد وصف الآثار العربية ، بحاضرة العراق وصفا بديعا ، كما نقل للقراء فى شتى بقاع العربية، صورا خلابة عن غابات النخيل فى البصرة ، وسجع الحمائم فى الموصل ، وبقايا السحر فى بابل ، ورسم تألق القباب العلوية فى النجف والكرخ ، وألقى عدة محاضرات بنادى القلم العراقى ، وقاعة كلية الحقوق ، ونادى المثنى ، والإذاعة العراقية ، حول الثقافة العربية ، وجمع كتاب ليلى المريضة بأجزائه الثلاثة كثيرا

من آرائه التى تحدد صلة مصر بالأمم العربية ، كما شرح معضلات الشباب فى مصر والعراق موضحا ما يراه من الحلول والأدواء.. ونحن نحمد للدكتور هيامه بالوحـــدة العربية ، وكفاحه من أجلها أطيب كفاح ، وللقارئ أن يستعرض عناوين مقالاته فى كتاب وحى بغداد ليعلم أى جهد قام به الدكتور فى توثيق الصلة بين القطرين ، فقد تكلم عن العروبة فى مصر تارة ، وعن المذاهب الأدبية المصرية طورا ، وعن الجامعة العراقية وما يجب أن يبذل فى سبيل إنشائها من مشاق ، ... وحين رجع إلى مصر ، تحدث عن الفن المصرى فى العراق ، وعن الأندية الأدبيـة فى حاضرة الرشيد ، وعن نهضة التعليم فى دار المأمون ، وأطنب فى ذكرياته عن دجلة والفرات والرصافة والجسر وليلى وظمياء ، وفى كتابه « ملامح المجتمع العراقى » أحاديث طيبة عن رجال العراق وقد نشرت أكثر فصوله وفصول ليلى المريضة بمجلة الرسالة الغراء...

وقد رجع الدكتور إلى مصر، ومعه فوق ما تقدم من كتبه، مؤلفه عن عبقرية الشريف الرضى ، وهو مجموعـة محاضرات أدبية ألقاها المؤلف فى قاعـة كلية الحقوق ببغداد ، فكان أول باحث خص الشريف بجزءين كبيرين ، وقد استمع إليها كثير من الأساتذة والطلاب ، وصرح الدكتور أنه وقف من الشاعر موقف الصديق ، فتحدث كثيرا عن محاسنه وأشـار إلى عيوبه برفق ولين ، وقد قسم مواضيع الـكتاب تقسيما نسبيا لم تتضح معـــالمه ورسومه ، إذ لاحظت أن ما كتبه عن غراميات الشريف يصلح أن يكون بين ما كتبه عن حجازيات الشاعر ، وما كتبه عن غرائب الوفاء يصلح أن يندرج فيما يليه من الأبواب دون التباس ، وقد أدت سرعة المؤلف وعجلته إلى ذلك ، ولست أجد ما أقوله غير أنه سـطر أبحاثه بروح الشاعر الذى لا ينسى التحليق والطيران هذا وقد عين الدكتور مبارك بعد عودته من العراق مفتشا للغة العربية بالمدارس الأجنبية ، وكان عمله الرسمى لا يكلفه جهدا كبيرا ، فتفرغ للنشاط الأدبى ، واتخـذ من مجلة الرسالة الغراء ميدانا للصيال والحوار ، وكانت هذه الفترة من حياته ألمع عهوده الزاهرة ، حيث اعتبره المتأدبون فى العالم العربى قائدا يتولى توجيه الشباب فى صحيفة ممتازة ، وأخـذوا يتابعون أبحاثه وقصائده ومعاركه فى اهتمام ، وكان يسأل فيجيب ، ويرشد فيطاع

وقد حال على صفحات الرسالة كثيراً من الكتب الأدبيـة التى تقررها الوزارة لأعلام الأدباء فى مسابقة التوجيهية ، كفيض الخاطر ، ووحى الرسالة ، ومطالعات فى الكتب ، والمختـار ، وإبراهيم الـكاتب ، وحـديث عيسى بن هشام ، والمنتخبات ، وتحرير المرأة ، والشوقيات ، وديوان صبرى وحافظ ، وغيرها من أشهر المؤلفات . وكان يبـدأ مقاله بمقدمة عن الكاتب ، مشيراً إلى طريقته فى التصوير والعرض ، ثم يحلل أبواب الكتاب موجهاً الأنظار إلى نقطه الرئيسية وعناصره الهامة ، ويختم بحثه بإرشادات للطلاب تهديهم إلى طريقة الانتفاع بالكتاب ، وهو بذلك يفتح أمام الناشـئة طرق البحث والاستيعاب ، وقد كثرت خواطره الطريفة التى كتبها تحت عنوان « الحديث ذو شجون » ورأى فيها الناس فنـا صادقاً يعرض خوالج الكاتب ونوازعه فى صور مشرقة أخاذة ، وينتقل بالمقول من موضوع إلى موضوع كما ينتقل الطائر من غصن إلى غصن ، دون أن يجـد القراء أثراً للسآمة والتكلف ، بل كانوا ينتشون بنسيم هادئ يحمل عبير الرياض ، ولو استمر الـكاتب بموضعه فى الرسالة لأسـعد القراء بلطائفه الرقاق ، ولكنه هجرها بعـد سبعة أعوام ، وكنت أسأل عن سبب هذه القطيعة بإلحاح، حتى وجدت الإجابة فى ديوان « ألحان الخلود » إذ أعلن الدكتور أنه تضايق كثيراً حين سمح الأستاذ الزيات للأستاذ الغمراوى بنقـد الدكتور فى بعض أبحاثه بالنثر الفنى !! فكان ذلك مدعاة القطيعة والحرمان !! وليت شعرى كيف يضيق المبارك بالنقد وقد شب فى ميدانه ، وصال فى حلبته راكباً جواده ، وشاهراً سـيفه ؟ ثم هل يستطيع صاحب الرسالة أن يمنع إنساناً ما من النقد فى حدود المنهج العلمى الصريح ؟ إنى لأذكر أن الأستاذ الزيات قد كتب مقـالا عن إصلاح الأزهر بالرسالة فرد عليـه أستاذنا المغفور له الشيخ محمود الغمراوى ردا صاخباً ، وأبى الزيات أن يحذف حرفاً واحداً مما كتب الناقد

المنيف ، فكيف يجزع الدكتور من نقد علمي برىء ؟!

هذا ما كان !!

وقد التحق الدكتور بتحرير البلاغ بعد الرسالة ، وواصل نشر أحاديثه ذوات الشجون ، ويؤسفني أن أذكر أنه حاد كثيراً عن النهج الذى سلكه بالرسالة ، فبعد أن كان يذكر طرائف الأدباء وينقد آثارهم الأدبية وحدها ، أخذ ينقد السلوك الشخصي ويتتبع ما يصله من الهنات صدقاً وكذباً ، وقد يختلق — غفر الله له — المثالب اختلاقاً ويلصقها بالناس . وقد هاجم وزير المعارف إذ ذاك مهاجمة أدت إلى فصله من الوزارة ، فتعرض للبؤس تعرضاً مؤلماً . . . ثم تداركه الأستاذ على أيوب فألحقه بالقسم الأدبي فى دار الكتب المصرية ، ومكث عدة أشهر لا يقبض مليما واحداً ، فتشعبت همومه ، وعيل صبره ، واستسلم إلى السكر والتبذل والاستخفاف !! وكأنه حن إلى الإنتاج الأدبي فجمع أشعاره الكثيرة فى ديوان شامل أسماه « ألحان الخلود »

ولن أتعرض إلى منزلته الشعرية الآن ففى نيتى أن أكتب عنها بحثا مستقلا بعد حين ، ولكن أذكر أن الدكتور قدمهد لأكثر قصائده بمقدمات مؤلمة كان الأفضل ألا يكتب منها حرفا واحدا ، فهى — فى أكثرها — تجريح شنيع لأناس أفاضل يحتلون منازل كريمة فى عوالم السياسة والأدب والاجتماع . والعجيب أن مؤلفات الدكتور السالفة تحفل بالثناء عليهم وتعدد مآثرهم البيض فى شتى ميادين الحياة !! كما لم يدخر وسعا فى التحدث عن نزواته ولحظات ضعفه ، كأنه مولع بفضيحته والتشهير بنفسه على رءوس الأشهاد. وأنا حين أعلل ما انحدر إليه الدكتور فى خريف حياته من إسفاف ، أحيل ذلك إلى ما وقر فى ذهنه من أن الأدب لا يبلغ ذروته إلا إذا كشف عن النزوات البشرية وجلا للقراء ما يكمن فى أعماق الكاتب من رواسب هابطة ، وشهوات مسفة !! وذلك مذهب محرج لاحت بوادره — بصورة خافتة — قبل ذلك فى بعض مؤلفات الدكتور ، ثم اشتملت على صفحات البلاغ وفى ديوانه ألحان الخلود بنوع خاص !!

وقد كان الدكتور ذا صلات كبيرة بأعلام عصره فى الأزهر والجامعة ودار العلوم والصحافة والجمعيات العلمية ، فسجل عن تاريخهم الشئ الكثير فى مؤلفاته ، حتى لتصلح أن تكون مرجعا للحركة الفكرية فى العصر الحديث! وفى كتاب الأسمار والأحاديث تشريح هام لآراء المفكرين من أدباء وشعراء ، وقد أجرى الدكتور على ألسنتهم كثيرا من المعاني التى يحتمل أن تصدر عنهم، إن لم يكن بعضها صورة حقيقية لما قالوه . وقد اختص المدرسة الاتباعية فى الشعر بحوار كبير ، ونقل كثيرا من آراء الهراوى والأسمر والجارم والزين وعبد الجواد رمضان والقاياتى وعبد الله عفيفى ، وكلها تدور حول الشعر والشعراء فى نسق مؤتلق وضئ . ومهما يكن من شئ فسيظل القراء يذكرون لمبارك أسلوبه الجميل الرقراق ، ويشهدون أنه قد نقل الغزل الرقيق من ميدان الشعر إلى ميدان النثر ، فوصف فى مقالاته العواطف الثائرة ، وشرح الأحاسيس الملتهبة ، ونقل للقراء زفرات مبثوثة من الوجد الصارخ ، إذ تحدث عن مسارح لهوه وملاعب صباه فى سنتريس وأسيوط وباريس ومصر الجديدة وبغداد وحلوان ، وأحسن القول فى صدود الحسان ، ومعاقرة الكؤوس ، ونزق الصبا ، ومفاتن الشباب ، فى طراز فاتن يأخذ بالألباب

لقد كان الدكتور مبارك — رحمه الله — حركة دائبة مؤثرة فى الأفق الأدبي ، ولو قدر له أن يجتاز الأعوام الثمانية التى مرت عليه فى خريفه كما اجتاز عمره السالف بين الصحف والأوراق لكان ذا شأن عظيم ، ولكن القدر شاء أن يأسف عليه الأدباء مرتين ، فهم يأسفون لما غمره فى أخريات أيامه من القلق والاضطراب ، كما يأسفون لرحيله الصامت الساكن بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس ، فجف الغدير المترقرق ، وصوح الزهر الناضر ، وطار البلبل الصداح

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أبو تيج — **محمد رجب البيومى**

صور إسلامية رائعة ...

للاستاذ عيسى متولى

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يتأهب لإحدى الغزوات ، وأخذ يعبئ الشباب الميدان ، فإذا بغلام — هو رافع بن خديج — يندس بين الصفوف ، ويتطاول على أطراف قدميه ، ليبدو للرسول الكريم فى طول من هم أكبر منه سنا .. فيضمه إلى من يختارهم للميدان !..

فأين من هـذا الغلام أولئك الشبان ، الذين يتهربون من الجندية ، ولو كلفهم ذلك بتر أيديهم ، ليظهروا بمظهر العجزة .. وأولئك الذين يشيعهم أهلهم بالبكاء والنحيب .. كأنما يساقون إلى الموت !..

...

لما علم عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بعشرة آلاف درهم أمر بمصادرته .. وأنبـه بقوله : هلا بعته وأطعمت بثمنه عشرة آلاف جائع !..

ونحن لا نطالب من آتاهم الله بسطة فى المـال بأكثر من أداء الزكاة .. التى فرضها الله عليهم . فيكون فى أمـوالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم !..

...

أصيب أحد الصحابة بعلة استدعت بتر جزء من جسمه ، فسألوه عن الوقت الذى يراه مناسبا لهذه العملية ، فاقترح البعض أن تجرى له عمليـة البتر أثناء نومه ، فلا يشعر بألم .. ولـكن الرجل المؤمن قال : لا ... ابتروا ما تشاءون من جسمى .. وأنا أصلى بين يدى الله ؟!.. ومعنى ذلك أنه فى صلاته ينصرف بكل حواسه ومشاعره إلى الله !..

فأين من هـذا الصحابى هؤلاء الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى .. وإذا صلوا ملأت صدورهم الوساوس .. ومشاغل الحياة ... لاهية قلوبهم !..

...

ويروى لنا القرآن الـكريم قصة « سليمان » عليه السلام ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب .. ففاتته صلاة العصر وهو يستعرض الجياد ... فأمر أن يردوها إليه ، هذه الجياد التى شغلته عن الصـلاة ، وطفق مسحا بالسوق والأعناق ... حتى قضى عليها .. تكفيرا لذنبه !..

فأين من هذا العبد الأواب ، أولئك الذين تصرفهم مشاغل الحياة عن المحراب .. ويشرون الحيـاة الدنيا بالآخرة .. فتمتلئ بهم المقاهى ، ودور اللهو ، وهم عن ذكر ربهم غافلون !..

...

هـذه صور رائعة ، مما يزخر به تاريخنا الإسلامى ، أسلط عليها أنوار « الرسالة » الوضاءة .. ليتدبرها من كان له قلب .. أو ألقى السمع وهو شهيد ..

والسلام على من اتبع الهدى !..

عيسى متولى

دفاع عن العباسة بنت المهدى

للأستاذ عبد الواحد باش أعيان العباسى

— ١ —

كلما كشف الكتاب والباحثون النقاب عن وجوه العصر الذهبي للدولة العباسية ، وخاصة فى عهد الخليفة هرون الرشيد ، تقودهم تتمة البحث أن يتطرقوا إلى البرامكة وأعمالهم ومآثرهم فى الدولة ، ثم استئصال نفوذهم والتنكيل بهم على يد الخليفة الرشيد . ولقد أضحى هؤلاء الكتاب مرغمين أن يذكروا العباسة بنت الخليفة المهدى وأخت الخليفة الرشيد كلما بحثوا فى تلك النكبة وعواملها ، لأن بعض كتب التاريخ العربى ، ذكرت فى اقتضاب ، وبعضها قد أسهب فى وصف العلاقة بين العباسة وجعفر البرمكى وزير الرشيد وعضده فى إدارة أمور الدولة العباسية

وتلك الروايات وإن تباينت فى السرد ، تتفق فى هذا المعنى : وهو أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ومنادمته فى مجالسه الخاصة ، وكذلك ما كان يصبر عن أخته العباسة فى الوقت نفسه ، لذلك ابتدع أمرا فريدا ، وهو أن عقد لجعفر على العباسة ليحل له النظر اليها ، واشترط — عليها طبعا — أن لا يكون اجتماعهما إلا بحضرته ، وأن لا يتعدى — هذا الزواج — الحديث والنظر ... وبعد هذا كانت العباسة تحضر مجالس الرشيد مع جعفر فتقضى ساعات فى هذا السمر البرىء ...

ثم يستمر الرواة فى تنظيم خيوط الرواية ونسجها لتظهر النتيجة المتوقعة من اجتماع شباب جميل ، بفتاة رائعة الحسن وضاءة المحيا

فقد ذكروا أن قد حدث اتصال سرى (وتفنن بعض الرواة فى كيفية هذا الاتصال) بين جعفر والعباسة ، فأنتج (أطفالا)

ولما كانت قصور الخلفاء والملوك لا تخلو من عيون ودسائس لذلك انكشف للرشيد أمر هذه العلاقة (الآثمة) بين جعفر البرمكى وأخته العباسة ، فثار غيظا ، وانفجر غضبه بنكبة مروعة فقتل جعفر ، وحبس أباه وبقية إخوته وصادر أموالهم ، واشتط فى الفتك بمن كان يمدحهم ، أو يقف باكيا على قبورهم ، أو يومئ إلى رزيئتهم ...

افترق المؤرخون والكتاب — قديما وحديثا — عند هذه الرواية التاريخية بين منكر لحدوثها ، مشمئز من هذه الفرية الباطلة والتشنيع المدبر للحط من مروءة الرشيد وغيرته ، وبين مصدق لها ، وغير مستبعد أن تكون واقعة لا محالة ، وقد اقتنع البعض بأنها كانت السبب الأول فى نكبة البرامكة ، وتساهل البعض الآخر فجعل تلك العلاقة من أسباب نكبتهم ... وقد جاهر بهذا الرأى الأخير الدكتور أحمد أمين بك فى كتاب الهلال الذى أصدره من هرون الرشيد . فقد عدد ثلاثة أسباب للنكبة : (أولها) غيرة الرشيد من سلطانهم و (ثانيا) عطفهم على العلويين و (ثالثا) علاقة جعفر بالعباسة . ولتوطيد صحة السبب الثالث أبدى الدكتور رأيا فريدا لم يسبقه إليه باحث إذ قال :

على أنه ما يدرينا ، لعل الرشيد نشر فى الناس علاقة جعفر البرمكي بأخته ، ليستثير كره الناس ويستخرج غضبهم ومقتهم ...

وقد استغربت مع كثيرين أن يطرح الدكتور هذا الرأى بعد أن اعترف للرشيد (بكبر العقل ، وعلو الهمة ، وكرم النفس ... وحدة المزاج) فكيف يتفق من كان فى هذه السجايا أن يذيع فى الناس خبرا يمس عرضه ويحط من كرامة بنى هاشم ! وما الذى يهم سواد الناس من تلك الرواية سوى التشنيع بها على الخليفة وأهله . وإن كان ما قال الدكتور حقا فليس فى الأمر حكمة أو بعد نظر من الرشيد إن يحط من شأن أخته لدعاية لا تثير نقمة ، وإنما تبعث على الاشمئزاز والتندر

ثم نظرة أخرى فى أمر — هذه الدعاية — فإنها لو كانت أذيعت فى الناس قبل نكبة البرامكة فما من أحد كان يستطيع أن يجهر بالكره والعداء مادام الخليفة يظهر مودته لهم وحدبه عليهم حتى اللحظة الأخيرة

لذلك فإننا نستبعد أن يكون لهذا الرأى صلة بالسبب الذى صهرت تلك الرواية من أجله . ونعتقد اعتقادا جازما بأن هذا الخبر عن علاقة جعفر بالعباسة ، كان فرية مفرضة ، ليس لها ظل من الحقيقة ولا أساس من الواقع ، ونرجح أن يكون قد أذيع

قبل أيام النكبة ، ومصدره آل برمك أنفسهم إن لم يكن جعفر البرمكى ذاته ؛ لغرضين اثنين :

أولا — كسب عطف الناس وتمكين سلطة جعفر من نفوسهم ، وليرسخ تمثال الهيبة لوزير الدولة وصهر الخليفة فى القلوب

الثانى — أن تجعل الخليفة العباسى ، أمام مأزق ضيق فالأمر يمس عرضه وشرف أسرته ، فإن فعل ما يضر بجعفر لا يدرك الناس سببا سوى تلك العلاقة بين جعفر وأخت الخليفة عندئذ يهان الخليفة فى عرضه ومروءته . وقد تحقق هذا الغرض بعد قتل جعفر ، وما زال حتى اليوم من صدق تلك الفرية الدنيئة

وفى ثنايا كتب التاريخ ما يشير إلى أن ذلك الخبر كان فاشيا فى الناس آنذاك وكان عامتهم ترجح وقوعه ، فقد ذكر الجهشيارى فى كتابه الوزراء والكتاب فى الصفحة (٢٠٤)

«قال عبد الله بن يحيى بن خاقان : سألت مسرورا الكبير — فى أيام المتوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها — عن سبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة فقال . — كأنك تريد ما يقوله العامة ، فيما ادعوه من أمر المرأة وأمر المجامر التى اتخذها للبخور فى الكعبة ؟ فقلت له ما أردت غيره ، فقال : لا والله ما لشيء من هذا أصل . ! ولكنه من ملل موالينا وحسدهم»

إن صحت هذه الرواية للجهشيارى — وهى كذلك — فيكون تأكيد مسرور القول الفصل فى تفنيد تلك المزاعم وهدمها ، لأنه كان أقرب الناس من الرشيد وأعلمهم بخفايا القصر ودسائس الحاشية المقربين ! ولتحدثبها (إن كانت حقا) غير هياب ولا وجل

— ٢ —

لقد بحث بعض المؤرخين الأقدمين والمحدثين الذين تبصروا فى ظروف وقعة البرامكة والعوامل الجوهرية التى دفعت بالخليفة الرشيد للقضاء عليهم وتعرضوا الخبر علاقة العباسة بجعفر فأنكرته نفوسهم ، ولما لم تستسغه عقولهم أن يكون سببا من أسباب نكبة البرامكة هدموا الخبر وانكروا أن يكون له ظل فى الواقع ، كما توصل لذلك ابن خلدون — من الأقدمين — فقد لخص فى مقدمته صفحة ١٥ رواية النكاح والاتصال أولا ثم فندها من ناحية الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية التى تتمتع بها العباسة عن مواليها آل برمك حيث قال : (.. وهيهات ذلك من منصب العباسة فى دينها ، وأبويها ، وجلالها ، وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال ، هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده . والعباسة بنت محمد المهدى بن عبد الله أبى جعفر المنصور بن محمد السجاد بن على أبى الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم النبى (ص) . ابنة خليفة أخت خليفه ، محفوفة بالملك العزيز ، والخلافة النبوية ، وصحبة الرسول وعمومته ، وإقامة الملة ونور الوحى ومهبط الملائكة ، من سائر جهاتها ، قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين ، البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بيتها .. (حتى يقول) وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالى الأعاجم على بعد همته وعظم إبائه ؟)

ومن مؤرخى العصر الحديث الذين لم يقتنعوا بذلك الخبر المختلق ولم يعتبروه أساساً لنكبة البرامكة أو طرفا منها . المرحوم جورجى بك زيدان ، فى كتابه تاريخ التمدن الإسلامى فقد ذكر أن : (الرشيد فتك بالبرامكة لأنه خافهم على سلطانه .) وهو الوجه الصحيح لتفسير سبب النكبة

وكذلك توصل الأستاذ محمد فريد وجدى بنتيجة البحث الدقيق والتحليل المنطقى أن علاقة العباسة بجعفر البرمكى ، إنما كان خبراً مختلقا للحط من كرامة الرشيد ومروءته ، فقد ذكر فى بحثه عن (جعفر بن يحيى البرمكى ، لماذا قتله هرون الرشيد) بالعدد العاشر من مجلة الهلال التى صدرت فى أول أغسطس سنة ١٩٤٠ ؛ أن من جملة الروايات فى سبب النكبة :

أولا — أن الرشيد كان له أخت تدعى (ميمونة) يحب أن تكون فى مجلسه مع جعفر ، فرأى أن يعقد لهما زواجا صوريا ليحل لجعفر أن يراها دون أن تكون له زوجة فبلغ الرشيد أنها ولدت منه ثلاثة أولاد وهى حبلى فى الرابع ، فاستشاط من ذلك غيظا ، وأمر بقتل جعفر والتنكيل بأسرته

ثم فنـد الأستاذ فريد وجدى هذه الرواية بلباقة ودقة تفنيداً يقرب من وجهـة نظر ابن خلدون فى الأمر — فقال: (ليس بمعقول ، فإن الرشيـد لم يصل من قلة التبصر وعدم النخوة إلى حد أن يعرض أخته لأجنبى فى مجـالس لهو وشرب وغناء وهما فى ميعة الصبا . لو كان السبب هو هذا لما كان هنالك من حاجة إلى إحاطته بهـذه الأسوار من الـكتمان ، بل ولعرف ولم يحصل فيه خلاف ، فإن مجرد قتل ميمونة أخته وأولادها ، كان يفضح الخبر إلى حد بعيد ، ولما كانت تضطر (علية) أخته أن تقول — كما حكاه ابن بدرون :

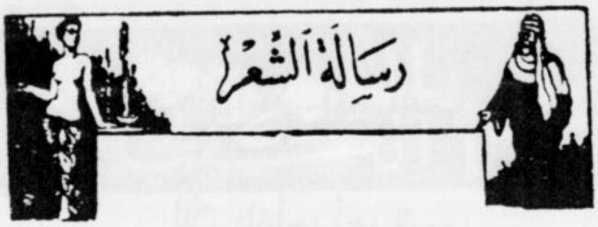
« يا سيدى ... ما رأيت لك يوم سرور تام منـذ قتلت جعفر . فلأى شئ قتلته ؟ » فأجابها هرون بقوله : « ياحياتى لو علمت أن قميصى يعلم السبب فى ذلك لمزقته . » فهل كان يخفى على مثل (علية) وهى من أعظم نساء الأسرة المالـكة ما حل بأختها ميمونة وأولادها ؟ الناس مغرمون بسماع الغرائب ورواياتها ، وهذا مجال يجد فيه الخراصون مكانا رحبا لإشباع نهمهم فى الاختلاف ، فأفرغوا مافى جعابهم حول هذه المسألة وانتهبه الناس انتهابا وزادوا عليه ما شاءوا)

دحض هؤلاء المؤرخون الثقات تلك الرواية التاريخية المدسوسة عن علاقة العباسة بجعفر بقياس للعاطفة فيه نصيب وافر ، وإننا نجد ، بالإضافة لذلك أن فى استقراء الحوادث والاستنتاج من الوقائع والروايات التاريخيـــة ما يكشف عن بطلان تلك العلاقة ويؤيد الرأى الذى ألمعنا إليه فى صدر هذا المقال بأن هذا الخبر قد خلق وأذيع لغرض مقصود

فلو تعقبنا الخبر فى صفحات كتب التاريخ القديم نصطدم لأول وهلة فى اضطراب وتبـاين فى تعيين اسم الأميرة العباسية التى كانت لها علاقة أو (زواج صورى) مع جعفر البرمكى ، فبعض المؤرخين ذكر اسمها (العباســـة) وغيرهم ذكر أنها (ميمونة) وهذا الاختلاف فى تعيين اسم بطلة حادثة مروعة — فى حينها — هزت الدولة العباسية من شرقيها إلى غربيها لا يصح أن يختلف فى معرفة اسمها سواد الناس بل خاصتهم ، لذلك فلا حرج أن يرتاب ذوو الرأى بصحة وقوع تلك الرواية

ومما تزيد فينا الريبة والشك بتلك الوصمـة التى ألصقت بالعباسة أن كتب التاريخ والأدب لم تتحدث عن مزايا خاصة للعباسة ترفعها مقاما عن سائر نساء القصر والأسرة المالـكة لا فى الرأى ولا فى الأدب والشعر أو أى شئ آخر ، فلم كان الخليفة يصبر عن زوجته زبيد ، أو أخته (عليـة) التى كانت تجيد أكثر من فن من فنون الشعر والأدب والغناء ، أو عن جواريه وإمائه مثل ذات الخـال ودنانير ، وخاصة فى ذلك المجلس الذى كان يعقده للشرب واللهو والسمر مع وزيره جعفر . فإن كان ذلك المجلس — كما ذكر — للشرب واللهو ففى جواريه وإمائه غنى عن حضور أخته العباسة ، وإن كان للرأى والمشورة ، فالدليل واضح بأن الرشيد قد أبعد النساء عن التدخل فى أمور السياسة وشؤون الدولة

وقد يتبادر هذا السؤال للذهن بأنه : لم كانت العباسة ، ولم تكن أختها علية ضحيـة تلك الدسيسة ؟ بلا ريب أن الخبر كان يقبر فى مهده آنذاك لشهرة عليـة ومنزلتها ، ولأن العباسة لم تتمتع بشهرة واسعة أو ميزة نادرة بين نساء القصر . فالخبر بوصم العباسة يكون أضمن انتشارا بين العامة وسواد الناس . وآخر ما نستطيع تقديمه لنقض ذلك الخبر المختلق ما ذكره البستانى فى دائرة المعارف المجلد ١١ صفحة ٤٨٨ حيث قال : (وعاشت العباسة خمسين سنة ، وتوفيت سنة ٢١٠ وقيل ٢٠٩ هجرية ، وصلى عليها المـأمون ابن أخيها ، وقيل كان سبب وفاتها ، أن المـأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها وكان وجهها مغطى ، فشرقت من ذلك وسعلت ، ثم حمت أياما يسيرة وماتت .) إن صحة هذا الخبر هدم تلك الرواية التراجيدية — الخيـالية — التى ابتدعها الأقدمون — لغرض خاص — وتفنن فيها كتاب العصر الحاضر فنظموا فصولا رائعة لقلبين عاشقين وحب وارف جميل ، واستخرجوا هذا الخيال الجذاب بالسياسة والتفاخر للسيادة



الصخرة

للآنسة فدوى طوقان

انظر هنا ! الصخرة السوداء شدت فوق صدرى

بسلاسل القدر العتى

بسلاسل الدنيا البغى

أنظر إليها كيف تطحن تحتها ثمرى وزهرى

محقت مع الأيام ذاتى

سحقت مع الدنيا حياتى

دعنى فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى

سأظل وحدى فى انطواء

ما دام سجانى القضاء

دعنى سأبقى هكذا ، لا نور ، لا غد ، لا رجاء

الصخرة السوداء ، ما من مهرب ، ما من مفر

* * *

عبثا أزحزح ثقلها عنى بنسياني لنفسى

كم خضت فى قلب الحياه

وضربت فى كل اتجاه

ألهو ، أغنى ، فى ينابيع الشباب أغط كأسى

وأعب فى نهم شديد

حتى أغيب من الوجود

دنيا المباهج كم خدعت بحضنها ألمى وبؤسى

فهربت من دنيا شعورى

ورقصت فى نزق الطيور

وأنا أقهقه فى جنون ، ثم من أعماق يأسى

يرنّ فى روحى نداء

ويظل يرعد فى الخفاء :

لن تهربى . إنى هنا . لن تهربى . ما من مفر

ويهب طيف الصخرة السوداء ممسوخ الصور

عبثا أزحزحها ، سدى أبغى الهروب فلا مفر

كم جست فى أرض الشقاء

أنشد إكسير العزاء

من شقوة السجناء أمثالى ومن أسرى القدر

فولجت ما بين الجموع

حيث المآسى والدموع

حيث السياط تؤز ، تهوى فوق قطعان البشر

فوق الظهور العاريه

فوق الرقاب العانيه

حيث العبيد مسخرون تداعوا زمرا زمر

من كل منسحق غرق

بالدمع ، بالدم ، بالعرق

وبغيت التمس العزاء من الشقاء .. ولا مفر

فالصخرة السوداء لعنه

والدت معى لتظل محنه

بكاء ، تلحقنى ، بتابع ظلها خطوات عمرى

أنظر هنا كيف استقرت فى عتو فوق صـــدرى

دعنى . فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى

ستظل روحى فى انفعال

سأظل وحدى فى نضال

وحدى مع الألم الكبير . مع الزمان . مع القدر

وحدى وهذى الصخرة البكماء تطحن .. لا مفر ا

فدوى طوقان

والسلطة والنفوذ ، وابتدعوا لها نهاية مروعة من بكاء ودماء..

وبعد هذا كله لو محت تلك الملاقة (الآثمة) بين العباسة وجعفر لكان الرشيد قد أوردها حتفها — كما استنتجت كتب التاريخ القديمة — ولما تركها تعيش أمام سمعه وبصره رمزا للعار والفضيحة والنكبة

ولكن العباسة عاشت إلى ما بعد حياته ، لأنها كانت عفيفة نقية طاهرة

البصرة — عشار عبد الواحد باشى اعيان العباسى

١٥ ٣٨٠ ٥

بني مصر

للأستاذ أحمد محمود

بنى مصر خلوا القول للسيف والقنا   فليس بغير السيف يكتسب الحق
ولا تخدعنكم فى الكفاح وساطة   ظواهرها نصح بواطنها رق
وكونوا تجاه الغرب صفا موحدا   متين الحواشى جلمدا ليس ينشق
وثوروا على جونبول ثورة عارف   بما سيبت للسكون أنيابه الزرق
هم الإنجليز الجرمون نفوسهم   رذائلها لم يحص تعدادها خلق
زنادقة سادوا العباد بظلمهم   قراصنة يأباهم الأصل والعرق
يظنون أن الشرق ما زال غافلا   وما علموا أن سوف يفنيهم الشرق
بنوا اليهود اللؤم فى عقر دارنا   كيان ضلال أسه الفحش والفسق
يريدون أن يحموه خزيا أصابهم   بإيران لكن سوف يبقى ولن يبقوا
كما شردونا من فلسطين شردوا
ورغم اتساع الأرض ضاقت بهم طرق
لقد خرقوا الميثاق والعهد وادعوا   بأن بلاد العرب شيمتها الخرق
فلا عجب أن يرفض العرب كلهم   دفاعا ذميا ليس فى متنه صدق
خبرناهمو أيام ثارت جحافل   من العرب ضد الترك يدفعها عتق
فما نالنا منهم سوى الغدر سافرا   فكيف نجاريهم وليس بنا حمق
بنى مصر هذا اليوم يوم تحرر   فلا يأخذنكم فى عدو الملا رفق
قفوا وقفة شعب البوير سما بها   وقد منعت عنه الموارد والرزق
ولا تيأسوا فالله جل جلاله   سينصركم والليل يعقبه فرق
كتائب تحرير البلاد تقدموا   فمن خلفكم شعب تحفزه صعق
فدى مصر والسودان كل حشاشة   لها بهما من بعد رب السما عشق
ويارب أهلك كل مستعمر بغى   فينتصر الإخلاص والأمن والخلق

أحمد محمود

وداع الريف

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

يا ظلال النخيل يا نفحات النـ   ـهر يا شاطئ الغدير وداعا !
يا خدود الورود تحت شفاه الطـ   ـل ما للندى يذوب التياعا ؟!
يا عشاش الطيور فى كل روض   يا نسيم الأصيل هب وضاعا
لم أكن أحسب الفراق جحيما   والنوى حرقة وحظا مضاعا
أين منى ظلال صفو رطيب   يغمر القلب بهجة ومتاعا ؟
وحيـاة تمتد فى كنف الريـ   ـف امتداداً ترى به الدهر ساعا
كحياة الخلود فى جنة الفر   دوس تمضى بها الليالى سراعا
فى سبيل الغد الجميل المرجى   شاب رأسى وضاع أمسى ضياعا
أعلى النازحين للمجد والعلـ   ـياء أن يقطعوا الحياة صراعا ؟!
وعلى الخانعين فى قبضة الرا   حة أن ينعموا بها استمتاعا ؟
فكأن العزيز يحيا ذليـــلا   وكأن الجبان يحيا شجاعا !
وبرغمى فارقت أهلى وأحبا   بى وأرسلت زورق والشراعا
يا قلوبا تحنو على وترعا   نى وتهوى قياثرى واليراعا
لك فى القلب ذكريات وضاء   سطعت كالسنا وأصفى شعاعا
لم أزل بالخمائل الخضر مغرى   مولعا بالظلال أطوى البقاعا
إن نسيت الصفصاف ذكرنى الزيـ   ـتون صفو الحياة ظلا مشاعا !
وإذا عقنى الصديق فما زا   ت وفيا وسره لن يذاعا
حينما تمزج الضغينة بالحقـ   ـد يطول اللسان بالعيب باعا !
والذى يحسب الصديق عدوا   كالذى يحسب النقاء خداعا
أيها المفترى بشر حنانيـ   ـك ترى الشر حولك الآن شاعا
لن تجوع الأشبال فى كنف الليـ   ـث وتحيا الكلاب ظمأى جياعا
وأنا النازح المقيم على العهـ   ـد ولن تصبح الطيور سباعا
النفس بهجة الحياة من الدهـ   ـر فإن ضن فانتزعها انتزاعا

أحمد أحمد العجمى

الكتب

محمد رسول الله

تأليف مولاى محمد على

تعريب مصطفى فهمى وعبد الحميد جودة السحار

للأستاذ محمد محمود زيتون

الكاتبون فى السيرة النبوية فى العصر الحديث على ثلاث فرق : فريق خصوم الإسلام من الغربيين ، وفريقان من المسلمين أحدهما مقلد والآخر مجدد

أما الخصوم فقد أخذتهم روعة السيرة فعكفوا على دراستها يبتغون إحصاء المآخذ على الإسلام وترويجها فى أوساطهم ، وقلما يعترف أحدهم بمواطن العزة والفخار فى تراثنا ، لأنهم يخشون انهيار ما يستمسكون به من مبادئ واهية ، إذا هى قيست بالصروح العالية التى أقامها الإسلام

وهؤلاء – على خصومتهم الظاهرة – لم يكن بمكنة بعضهم أن يغمط الحق – لأنهم وهم المبشرون بحرية البحث ، والمنهج الوضوعى ، يخشون أن يتناقضوا مع أنفسهم حين تزل أقلامهم إلى مزالق التعصب الوخيم ، ومع ذلك فهم طالما يلبسون الحق بالباطل ابتغاء الفتنة

وهذا الفريق كان – ولا يزال – خطراً على الدعوة للاسلام فى الغرب . حتى لقد وقع فلاسفة القانون ومنهم منتسكيو فى أخطاء جسيمة ، نتيجة للاستقراء العاجز ، الذى قدمه لهم شركاؤهم فى الإفك والتضليل

والفريق الثانى من كتاب السيرة هم أصحاب المدرسة التقليدية أو بتعبير آخر هم الذين يؤمنون إيمان العجائز يصدقون كل ما ورد فى السير ، فلا يفرقون بين الغث والسمين ، أو بين الأصيل والدخيل ، فجاءوا بموجزات لا يكلفون أنفسهم فيها عناء التمييز ، ولا يعمدون إلى البحث وفق منهج خاص ، وهؤلاء لا قيامة لهم فى موازين النقد، ولا سيما فى انحدارهم وراء التواتر من الأنباء غير ملتفتين إلى الإسرائيليات المدسوسة فى السير ، والإسلام منها برئ

والفريق الأخير هو المدرسة التجديدية التى أصحابها من المسلمين المثقفين الآخذين من الطريف والتليد على السواء ، وهؤلاء هم طلائع الأغيار على تراثنا المجيد الذين سارعوا إلى رد المضللين إلى جادة الصواب فى رفق المؤمن وتؤدة العالم . وهذا الفريق هو الذى يعوز كتيبة الثقافة الإسلامية التى جندت رجالا يحجزون الفتنة فى أقماع السمسم كلما أطلت بقرنيها

وهم – لاختلاف مشاربهم الثقافية – يختلفون منهاجا وأسلوبا ، ومن هنا تكون الطاقة الثقافية مميزة للواحد منهم عن الآخر ، ومن وراء ذلك كله تتوفر لدى القارئ ذخيرة قيمة من المعلومات فضلا عن الأثر الموصول بين المؤلف والمطلع

وفى الرعيل الأول من هذا الفريق مولاى محمد على رئيس الرابطة الأحمدية لإشاعة الإسلام بلاهور مؤلف كتاب « محمد رسول الله » الذى اضطلع بنقله عن الإنجليزية الأستاذان مصطفى فهمى وعبد الحميد السحار

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب القيم إلى القراء على صفحات الرسالة الغراء يلزمنا التنويه بفضل المؤلف والمترجمين جميعا

وليس من شك فى أن علماء الباكستان يعلون علوا كبيرا فى مباحثهم الإسلامية التى يطلعون بها على العالم بين الفينة والفينة ، وهذا مولاى محمد على يسير فى كتابه هذا فى فلك فريد سواء فى طاقته العلمية أو المنهجية ، فهو – على خلاف المؤلفين فى السيرة – يصدر عن ذخيرة وفيرة من الاطلاعات والبراهين ، فجاء كتابه هذا ثمرة طيبة لمجهود عميق دقيق على سعة فى الأفق ، وتسلسل فى الاستدلال ، واعتزاز فى الرأى فى غير اغترار ، وبشخصية عاملة ناقدة

ويبلغ به الحرص أحيانا على دفع فرية إلى حد الاستباق إلى تكذيب واقعة تاريخية أجمع عليها المؤلفون الأولون فى السيرة ، فيتهجم على الواقعة ، ويمضى فى الإلحاح على زحزحتها بكافة البراهين المنطقية والأسانيد الصحيحة حتى يخرج من المعركة ظافرا ، فيشعر القارئ البرئ بأنه قد نجا من فتنة ووهم وضلال ،

ما كان لينجو منها لولا هذا الصراع الفكرى المنيف الذى قام به المؤلف البطل

تابعت المؤلف فى جميع فصول الكتاب ، فوجدته قد نأى بقلمه عن الاستدراكات والاستطرادات التى تعوق من الهدف ، وتشتت الذهن ؛ وبذلك لم يكن من طائفة المقلدين الذين يقعون فى أخطاء المؤلفين القدامى

ومما حرص عليه مولاى محمد على تجنب كثرة الردود على الخصوم فى ثنايا الفصول ، ولكنه اضطر فى أكثر من مناسبة إلى إزهاق باطل شائع فى أذهان الأوروبيين وهو أن الإسلام لم ينتصر إلا بالسيف ، فكان لا بد من تحيين كل فرصة لدحض هذه الدعوى وإبطالها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويمتاز أيضا بسعة اطلاع جملته يعقد مقارنات بين ما ورد فى التوراة والإنجيل وبين ما تحقق منهما من نبوءات بمحمد الرسول الغازى ، ولذا فهو يعمل على تجميع الخطوط الرئيسية حول حادث ما

ولقد نجحت مزاياه الثقافية ، وحججه البارعة فى (غزوات النبى) و (دعوى المثلة الكاذبة) و (ومميزات النبى الصالح). ففى هذه الفصول بنوع خاص ، ارتفع مولاى محمد على عن المستوى العادى فى تحليل الجهاد فى الإسلام ، ونفى نفيا حاسما حوادث اغتيال قيل إن النبى هو الآمر بها ، وأجمعت عليها روايات الثقات ، كما استبعد فكرة (العزل) من نساء السبى ، وفى هذا كله يصدر عن « ذوق إسلامى » مرهف مؤيد بالمنطق الثابت والسند الصحيح ؛ تبرئة للنبى مما قد يعلق بالوهم من شبهة ، لو تركت قد تنقلب مع التبرير إلى شريعة

وفى الحق أن الأستاذ السحار وزميله قد خدما الثقافة الإسلامية أجل خدمة بترجمتهما هذا الكتاب القيم الذى سد نقصا كبيرا فى المكتبة العربية المعاصرة ، وذلك لاختيارهما فى هذه الترجمة أسلوبا سهلا يتمشى مع سهولة الأداء التى حالفت المؤلف فى هذا الكتاب

ومن دواعى التوفيق إلى هذه الترجمة الدقيقة الرشيقة أن الأستاذ السحار أديب إسلامى مطبوع ؛ فهو مؤلف ومترجم ومؤرخ وناقد وقاص . وله فى كل مجال من ذلك مكان مرموق وهو — بالاشتراك مع محمد فرج — مترجم كتاب « الرسول » لمؤلفه بودلى الذى بعد من القريق الأول ، ثم إن الأستاذ السحار هو مؤلف هذا الكتاب القيم (المسيح عيسى ابن مريم) الذى نأمل أن نقدمه للقراء قريبا

لقد أفاد السحار حقا من اطلاعه على أمهات كتب السيرة فكان تعاونه مع زميله صادقا ودقيقا فى ترجمتهما كتاب (محمد رسول الله) ومما يجدر بنا التنويه عنه قول النبى يعاتب الأنصار بعد غزوة حنين « أوجدتم يامعشر الأنصار فى الملاة من الدنيا ... ص ١٦٦ وصححتها لعاعة (بفتح اللام والمهملتين) وذلك كما ورد فى سيرة ابن هشام وسيرة السهيلى ، وهو يفسرها بأنها بقلة خضراء ناعمة . وقد شبه بها زهرة الدنيا وزينتها

على كل حال فإن الاطلاع على الأصول العربية قد مكن من تفادى مواطن الإعراب والتورط فجاءت الترجمة سهلة مستساغة تستحق التهنئة الصادقة ، أما لجنة النشر للجامعيين فقد استفتحت بهذا الكتاب عهدا جديدا من دارها الجديدة (دار مصر للطباعة) فجاء الكتاب فى حجم مقبول اجتمعت فيه عوامل الذوق من طبع وبساطة وإتقان مع هنات مطبعية لا تذكر

محمد محمود زيتون

القطر الجزائرى

للاستاذ كمال دسوقى

لا أعرف كتابا مصورا ظهر فى العصر الحديث للدعاية لقضية وطنية أجل ولا أبلغ فى الدلالة على هذه الدعاية الطيبة من كتاب « القطر الجزائرى Algérie » الذى أصدره مكتب الاستعلامات والوثائق بديوان الحاكم العام الجزائرى ؛ والذى أطرف ما فيه صدوره من دار بابا على الجزائرية وطبعه بالمطابع البا كونية الجزائرية أيضا

فهذا الكتاب صور حية ناطقة بل هاتفة وصارخة بجمال هذه البلاد وروعة معالمها وآثارها الطبيعية والفنية عما لا يحتاج معه القارئ فى غمرة إعجابه ودهشته إلى بيان من البيانات

المكتوبة معها باللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية ؛ لحيوية الصور ودقة اختيارها وعرضها تغنى عن بيانها وتسترعى النظر والانتباه قبل أن تثير اللغات المكتوبة فضول القراءة

أقول ذلك وقد سبق لى أن زرت أقطارا أوربية كثيرة فطوفت بأشهر مدنها وألمت بصور دعاياتها التى توزعها متفرقة أو فى كتالوجات ونشرات ؛ مجانا وبالثمن ... حتى فرنسا ذاتها — التى هى أكثر الدول الأوربية اهتماما باستخراج صور جذابة لمعالم القرى والربوع المختلفة فيها لا أستطيع أن أقول إنى عثرت فيها على مجلد كهذا . . على أنه لا غرو أن تبز الجزائر هذه الدولة فى إتقان الدعاية لنفسها ! فإنها تحتاج من هذه الناحية لما قد لا تحتاجه تلك الدول التى لا تدعو لقضية استقلال بل تدعو للسياحة ! وإليك البيان :

الكتاب مقسم إلى فصول تتصدرها عنواناتها بالفرنسية ، وتعلو هذه العنوانات رسوم تخطيطية بارعة ترمز لمدلول محتوياتها ، وهذه الفصول مرتبة ترتيبا منطقيا بحيث تتناول أولا : البلاد بمعالمها الجغرافية : شواطئها وصخورها ، وسهولها ووديانها ، جبالها ووهادها وكثبانها ، وجنانها الزراعية وحيوانها ...

ثم يأتى القسم الثانى فى أهل البلاد وسكانها ؛ وهنا تدرس بالصور كثرة سكان مدينة الجزائر البالغين ٤٥٠ ألف نسمة كما تدرس أزياءهم شيوخا وشبانا — أطفالا ونساء ؛ وموظفين وأجانب ، أعرابا ورعاة وغير ذلك من جنود وراقصين وموسيقيين وحراس ورجال دين ... لوحات رائعة معظمها من المتحف الوطنى للفنون الجميلة بالجزائر .

أما حياة السكان فلها قسم خاص بعد ذلك . وهنا مقارنة طريفة بين الجزائر القديمة والجزائر الحديثة بمبانيها الشاهقة وشوارعها الكبيرة وأحيائها الجديدة وفيلاتها الحديثة والعربية الطرز والميناء والمحطة التجارية ... ومدن قسطنطينة وسكيكدة وغرداية ... فأهم منشآت المدينة الجزائرية من مساكن العمال إلى مستشفيات ودور إسعاف ومراكز نقل الدم — إلى مدارس ومراكز للحياة الإدارية (دار الحكومة) والنيابة (المجلس الجزائرى) فمساجد وكنائس وأضرحة ومقاهى ...

مظاهر تدعو للإعجاب بحضارة هذه البلاد المادية ورقيها وتقدمها .

وتقوم اقتصاديات هذه البلاد وأعمال أهلها فى المقام الأول على الزراعة ؛ زراعة الحبوب فالكروم والموالح والتمر (النخيل) والتين (الذى هو ثالث صادرات البلاد فى الأهمية) والزيتون ... التى يتقدم إنتاجها بفضل الآلات الحديثة وتقوم عليها صناعات العصير والتجفيف لما يتبقى من الاستهلاك والتصدير .

وفى البلاد جهود للتحسين القروى والتدريب الزراعى واختزان الحبوب للاحتياط بواسطة هيئات وجمعيات ومصالح تعمل على مغالبة الطبيعة والانتفاع بمواردها من تربة وخزانات ومساقط (متحدرات) ومصبات وآبار لرى النخيل حيث لا يوجد الماء . كما تقوم بها مشروعات للطاقة الكهربائية وتوليدها والطاقة الذرية مما يضاعف فى تقدم البلاد الصناعى — إذ توجد فعلا مصانع هائلة للخزف والسيلولوز والزجاج ومصانع النسيج اليدوية والميكانيكية وعصير البرتقال والفواكه المجففة ... كما أن من الثروات الاقتصادية الهامة عدا صيد الأسماك الحديد والفحم والفوسفات التى يتقدم استخراجها تقدما كبيرا ... عدا صناعات محلية وبدوية مختلفة يحترفها الأهلون

وميناء الجزائر أهم مرافئ التبادل التجارى الجزائرى . وإلى جانبه يوجد موانى وهران وعنابة (بوك) وسكيكدة (فيليبفل) وأرزيو بأرصفتها ومراسيها واستعدادات التفريغ والشحن والتصدير والاستيراد الهائلة . أما فى الداخل فتوجد شبكة من الطرق الزراعية والصحراوية المعبدة التى تجتازها السيارات العامة الحديثة وسيارات النقل و (التاكسيات) ، وشبكة من السكك الحديدية للقطارات السريعة ذات القاطرات الكهربائية التى تشق البلاد بين المدن والقرى وعبر الجسور الحديثة الفولاذية فوق الوديان ؛ كما توجد مطارات أهمها الميزون بلانش والمطار الصحراوى بورقلة Ouargla

والبلاد غنية بآثارها الرومانية والفينيقية والإسلامية فى مختلف القرى القائمة أو المهجورة ، ولذا نجد متحف الإثنوجرافيا وما قبل التاريخ يعرض فى روعته ومحتوياته نماذج كثيرة من هذه الفنون إلى جانب ما يعرضه المتحف الوطنى للفنون الجميلة من



تحية للرسالة من العراق

إلى صاحب الرسالة

واكبتك منـــذ خمسة عشر عاماً أو تزيد . وأنا في ركب رســالتك ، أرشف من أدبك ، وفيض خواطرك ، وبي ظمأ أدبي . لا يبله غير رشيح قلمك . ووحي رسالتك . لذا جئت منتهزاً فرصة التسعة عشر عاماً التي اجتازتها الرسالة ، لأرفع بين الإعجاب والاكبار تحية أدبية هي منك وإليك . فتقبل شيخ أدباء الجيل تحيتي ، أكن ممتنا وشاكراً هذا القبول :

حديث الرسالة :

لاشك أن الحديث عن الرسالة متعب ، ومتعب جدا . ولا شك وأن المتحدث عن صاحب الرسالة متعب مكدود . قد يجهد هذا المتحدث فكره ، ويكد ذهنه ، بقضاء ساعات طوال . بين صفحات الرسالة ، متصفحاً ما تركته من أدب حي خالد خلال رواسب هذه السنين المواضي . يخرج وقد عقد الاعجاب لسانه . لا يدرى ما يقول ، فيضطره هذا الاعجاب ، إلى التقهقر والتراجع ، أمام هذا الصرح الأدبي الجبار . الذي سيطاول الزمن ولا شك ، ويقارع الجهل أنى كان ، وحيثما وجد ، بأقلام عرفت بطيب المغرس والمنبت . تستق الوحي من أفكار خصبة وقادة ، وقرائح لا تعرف الجدب والمحول ؟ فهي دائماً وأبداً ، تطالعنا بكل طريف جديد ، ولاذ ظريف . وفي الطليعة صاحبهـــا . يقودها قيادة مدبر حكيم ، بسهر متواصل . وحراسة حدب عليها ، رفيق بها . بعزيمة أشد صلابة من الصلابة نفسها ، وهمة لا تعرف الخور والتراجع فيما هي سائرة نحوه وإليه له قلم طيع يسيره أنى أراد وحيث شاء . هو قاس شديد حين يريد منه القسوة والشـدة . ولين مرن حين يريد منه المرونة واللين ، وساخر هازل إن أراد منه السخرية والهزل . وجاد

اللوحات الحديثة لرسامين عالميين وفرنسيين ورد كثير منها في الكتاب بلونه شاهداً على عظمة الفن الجزائري لدى المواطنين والأجانب الذين يفدون إليها مصورين ورســامين ونحاتين وسينمائيين في ضيافة آل عبداللطيف مثلا أو لتصوير أفلامهم في هذه الطبيعة الجميلة .

والنهضة التعليمية سائرة في طريق التقدم . فثمة مدارس قروية وبدوية بسيطة إلى جانب مدارس الأطفال والابتدائي والزراعي والصناعي والليسيه الثانوية داخلية وخارجية للبنين والبنات — كما توجـد جامعة الجزائر التي تستقبل خمسة آلاف طالب موزعين على مختلف الكليات بين صــالات ومعامل وحدائق ومكتبات . .

وبعد هذا لا يلزمك أن أحدثك عن الفصل الأخير من هذا المجلد القيم عن (السياحة) فإن بعض ما ذكرت كفيل بتشويقك وتشويقك لزيارة هذه البلاد

وعليك بعد هـذا الإعجاب أن تقف وتفكر غير طويل لتدرك أن الفرنسيين حكام هذه البـلاد قد تفننوا في إخراج هذا المجلد ليثبتوا به أمام الأمم المتحدة وقبل أن تتقدم الجزائر بدورها بطلب الاستقلال والتحرر — يثبتون به نهضتهم بهذه البلاد — التي قد تكون نهضة حقيقية ولكنها لا تعفيهم من أنهم محتلون غاصبون ... فهي تقدم هذا الدليل المادي لعصابة الأمم المتحدة حتى لا يؤخذ عليها ما أخذ على غيرها في استعمارها لدول أخرى من أنها لا تعمل على النهوض بها ورفاهية شعبها

هذه هي الفكرة التي يجب ألا تغيب عن ذهن أي معجب بهذا الكتاب

كمال دسوقي

حين يريد منه الجد :

هو قاس عنيف . حين يصخب من الحياة ومآسيها . ومن الوضع وشذوذه . فإذا رعف بمأساة من مآسى الحياة تجده جذوة ملتهبة وبركاناً يقذف حمماً وشواظاً من نار . وإذا هدأت نفسه واستقرت يعطيك صوراً من الحيـــــاة باسمة ينتزعهـــــا قطعاً من قلبه ، فينفثها قلمه سحراً حلالا . وفاكهة طيبة ناضجة

وإذا سخر من الحياة وهزئ بالوضع فتجدك أمام المرى . فى سخريته اللاذعة وتهكمه المرير . وإن جد ففى جـده العبر والعظات . والحكم والأمثال . هو ذو قلم سحرى عجيب ، يعطيك ألوانا من الحياة . وصورا من الواقع . لمختلف الأوضاع والصور فمرة تراه ساخرا هازلا . ومرة جادا ، ومرة قاسياً بمنتهى العنف والقسوة . ومرة طيعا لينا بأجمل ما تكون فيه الرقة واللين . وهذه هبة قلما أوتيها أديب

فإلى ركب الحضارة وموكب المدنية وقافلة الأدب ومنهل الثقافة أزف تحية أديب متواضع طالما ارتشف معين الرسالة ، رسالة الجيل الجديد . ومنبر الفكر الحر ، ومشعل الثقافة . ومنار الأدب ، ومثال الاستقامة والخلق العربى الكريم

إليك صاحب الرسالة ، وإلى محبيك الكرام ، أزف هذه التحية المتواضعة ، وقديما قيل : الهدية على قدر مهديها

الجهرة — العراق **خليل رشيد**

ومن الحجاز

تحية ولا كتحية ، ولكنها الحب الخالص يتغلغل فى النفس والود الصادق الذى لم تستطع الأيام أن تحد من سـورته أو أن يهد البعد من أركانه . حب لم يزل ولن يزال ناميا مع الأيام

أستاذى ! يكتب إليك ابن تربى فى أحضان البلاد المقدسة ، البلاد التى شعت فى آفاقها أنوار الرسالة الاسلامية ، ورددت جبالها أصداء القرآن الكريم ، وشهدت رمالها الصامتة مذابح الوثنية وتحطيم الرجعية البالية ومحق الأنانية الصارخة

يكتب إلى أستاذه ابن الكنانة وربيب قاهرة العصور وآية الزمن مصر المحبوبة

يكتب إلى أستاذه وهو يصغى إلى قول الحق وجمجمة الباطل ، يعلو فى الفضاء لينتهى

يكتب إلى أستاذه : ونداء الحق يسرى فى نبضات القلوب بعد أن طوى الأعصار واخترق حواجز السنين : صوت مصر وهى تحطم القيـود الفولاذية بأيد فولاذية أقوى ، وتصوب إلى الأحمق الغاصب نظرات المؤمن بحقه الصادق فى جهاده المستميت فى سبيل حريته واستقلاله

نظرات فيها القوة المتناهية والشعور بالعظمة الحقيقية قوة الحرية والشعور بالحرية

يكتب إلى أستاذه : معترفا بحقوق الأبوة الروحية مترجما فى هذه الأسطر كلمات مقتضبة — عن خلجات النفس الإنسـانية عندما يزاح عنها كابوس الظلام وتغيب فى قراراتها أشعة الرحمة ، ويسطع فى أفقها شفق الهداية . فترى الطريق القويم والصراط المستقيم عندما تستجيب لنداء الحق . يوم يقف الحق وحده فى صحراء الحياة

وعندما يرتفع صوت الباطل محاولا عكس الأوضاع وإضاعة القواعد . تلك ياوالدى — قصة مشعل النور : وأعنى به الرسـالة الغراء التى فتحت صدرها للحق وأنصاره فكانت منبراً رفيعا يعلوه قواد مشعل الثقافة الإسلامية مرددين هتافات الحق بين غابات الباطل وتحت سراديب الغطرسة الاستعمارية

لقد كانت الرسالة حقلا طيب البذرة طيب الرعاية فأثمر

ولقد كنت تترك لقلمك « المعجز » وبيانك « الساحر » حق الدفاع عن الحق والحقيقة عن الحر والحرية

لقد وقفت منذ عشرين عاما على مفترق الطرق تشير بيد الإيمان الصادقة إلى تلك الأمم الحائرة ، والشعوب المحتشدة على ضفاف الحياة لترشدها إلى طريق السعادة والسيادة .. إلى طريق الحرية . وإن أريق فى سبيل اقتحامه أطهر الدماء وأزهقت أنفس الأرواح

ولأن من مبدئك ومبدأ رسالتك أن لا ترى الحيـاة جديرة



ماريوتـــــو

للكاتب الإيطالى ماسوشيو سالرنيتانو

أحبها ماريوتو ماجنانللى من أعماق قلبه ، وجعلها أغنية روحه ، ومزج غرامها بدمه ، وجعل اسمها الحبيب إنجيله المقدس الذى يردده ويهتف به فى يقظته وفى منامه . ثم راح ينشدها فى أنفاس الصباح ونسمات الأصيل ، ويتخيلها فى لألاء النجوم وصفحة البدر .. وكلما لقيها فوق سيف البحر أرسل عليها حبه وآلامه تتوسل له تحت قدميها الجميلتين وتطلب له الشفاعة حتى عرفت أنه يحبها

وآنست فيه الفتاة طهارة ونقاء وصدقا فرقت له ومالت إليه وجزته على دموعه وحرقه بابتسامة بريئة ماد لها قلبه ، وازلزل من هدة أمرها كيانه ، وفتحت له أبواب السماء يطالع منها على عالم من الحب سرمدى ، لأنه من صنع الأطايف البارى .. سبحانه وباركت قلبيهما يدالله ، وأخذا يلتقيان خفية ليتعاهدا على الحب وليروياه بدموعهما ، وليقطفا من ثمره إذا أينع . . قبلة أو قبلتين .. ثم ليأخذا فى حديث ألذ من قطع الروض ، وأبهى من وشيه يرف على شفاههما رفيف النسيم ، ويتدهدى من أعينهما الظامئة كأنه رقى السحر

وكان ماريوتو من أسرة متوسطة من أهل سينا وكانت الفتاة من أسرة ساراسينى التى هى فى الذؤابة من أهل المدينة فكان هذا التفاوت بين الأسرتين سبب عذابهما ونبع مأساتهما والهوة السحيقة التى تحول بين أطماعهما فى الصلة المقدسة التى تقرب ما بين الجسمين كما قرب الحب بين الروحين

ولا ريب أن القبلة هى أشهى ثمار الحب وأطيب جناه ، لكنها كما يقول الشعراء تلهبه ولا تطفئه . . ومن الشعراء من يدعوها رسول الأبالسة ، لأنها أول الغيث . .

من أجل ذلك لم يستطع الحبيبان على هذا الهوى المنرى اصطبارا ، ومن أجل ذلك صمما أن يكونا زوجين برغم ما بين

بالشراء والبقاء إلا إذا قارنتها الحرية الكاملة .. حرية الرأى والقول والفعل العقلى والمادى

والآن وبعد أن طوى التاريخ تلك الصفحات السود من حياة مصر والمصريين بل ومن حياة الشرق العربى الكريم . وعاد الشرق يبتسم للحياة ابتسامة العز بعد أن قوى فيه الوعى القوى . وثارت فيه روح الدفاع وتربت فيه ملكة الجهر بالحق ولو غضب المستعمرون

يستقبل الشرق والشرقيون والعرب والإسلام لحظات الكفاح مشاركين مصر العربية فى شعورها .. مؤمنين على صوتها حين ينبعث من « بوق » العدل والكرامة ، مبتهلين إلى الله بقلوب ملؤها الإيمان أن يشد عضدها وأن يحقق لها آمالها حتى نرى المعركة الدامية التى يخوضها أبناء مصر وأحفاد بناة الهرم . وقد تجلت عن حرية كاملة واستقلال غير منقوص

المخلص لكم وللرسالة

دار التوحيد ـ الحجاز ـ الطائف عبد الله الحصين

وعزل أيضا

كتب الأستاذ محمد عبد المنعم أبو سيف فى البريد الأدبى للعدد ٩٧٠ يقول : إن أعزل لا يجمع على عزل بتشديد الزاى وإنما يجمع على عزل بتسكينها كما هو القياس فى جمع أفعل وفعلاء ولكن القاموس أورد هذا الجمع فقال : « والأعزل من لا سلاح له كالعزل بضمتين وجمعهما عزل بضم فسكون وأعزال وعزل كركع » وإذن فقد سمع عن العرب ذلك الجمع ، ولا تثريب على المثقفين وغيرهم لو استعملوه ما دامت العرب قد نطقت به . وللأستاذ تحية خالصة

أبوه محمد حسب الله

الأسرتين

وكان لهما صديق راهب أو غـطى ، ما كادا يشكوان له حالهما حتى انبجست الرحمة فى قلبه والدموع فى عينيه ، وانطلق بهما إلى الـكنيسة فعقد لهما واستعان على إنجاز ذلك بالـكتمان ، وهكذا ظل ما بينهما سرهما وسر الراهب . وهكذا تم لهما ما أبته التقاليد والطبقات . فقطفا من ثمار الجنة على غفلة من الأفعى حتى استيقظت ، فذهبت تسعى بينهما وبين الناس لتخرجهما من فردوسها الجميل

ذلك أنه كان بين ماريوتو وبين أحد النبلاء من سادة سينا عداوة ، فاستطاع الشيطان المغيظ أن يؤجج جذوتها بالوقيعة بين الخصمين .. ولم يلبث الجدال أن صار نضالا .. ثم تماسكا .. ثم وكزه ماريوتو فقضى عليه

وكان عليه بعد هذا أن يفر من الدولة أو يدفع رأسه ثمنا لجريمته ، فلبث حيناً مستخفيا عن أعين الناس ، فلـما ضاعت جهود رجال الشرطة سدى فى البحث عنه صدر الحـكم عليه بالنفى المؤبد

وقد تكلمت الدموع ساعة الوداع ، وضم الحبيب حبيبته يتنفس فى صدره ، ويتزود لفراق طويل لاتنتهى مرارته ، وليس معروفا مداه !

يا لقسوة المقادير توقظ المحبين من سبات عميق كله أحلام !

لقد راح كل منهما يرنو فى عينى صاحبه المغرورقتين بالدموع ، وكلما هما بالفراق انجذب بعضهما إلى بعض فى لوعة وفى شجن فترف الشفاة المعذبة على الخدود المحترقة ، هائمة حائرة تلتمس العزاء ولا عزاء ، وتنشد الـسلوان ولا سلوان

ولقد كان صدر أحدهما يكلم صدر صاحبه بدقات القلب وخطرات النفس ووجيب الروح ، حتى سكتت القبل ، لأنهـا لا تغنى فى ذلك الحال شيئاً ، وصمتت الأعين . . لأن الفراق الذى لم يكن منه بد قد حم

وطمأنها ماريوتو ، فذكر لها أنه نازح إلى الاسكندرية ليقيم عند عمه المثرى الغنى ، وأنه سيكتب إليها من هناك ليتصل القلبان على ذلك البعد ، ثم أكد لها أنه لابد عائد إلى إيطاليا الجميلة رواصل وإياها حبه ، ولو كلفه ذلك حياته

وفى غمرة من الحزن ، وثورة من الأسى والفجيعة ، افترق الحبيبان ، وفى نفسيهما مرارة ، وفى حشاهما هم ووجد وألم

وانطلق ماريوتو إلى شقيق له فكشف له عن سره ، وبثه شكواه ، وتوسل إليه أن ينشر ظل حمايته على زوجته ، وأن يكتب له عن أحوالها ، وأن يكون حارسهـا بالنيابة عنه ... حتى يعود

وركب البحر إلى الاسكندرية، فتلقاه عمه بالبشر والبشاشة ووجد فيه مؤنسا له فى دار الغربة .. ولما باح له ماريوتو بسره ، لم يشأ الرجل النبيل أن يثرب عليه أو أن يعزله ، بل أذهب عنه الحزن بكلمات طيبات ، وغلا فمناه بصلاح الحال وتلافى ما وقع بينه وبين أسرة القتيل من خصومة وعداء .. ولم يكن ذلك من الجد فى شئ ، لـكنه كان مبالغة فى إكرام مثوى الفتى ، الذى استطاع أن يخلب لب عمه بأسلوبه الغرامى الحزين الحنون

وعهد إليه عمه ببعض مهـامه التجارية لتشغله قليلا عن أحزانه، ثم أشركه معه فى منزله الجميل على شاطئ البحر الأبيض فكان ماريوتو كلما فرغ من عمل النهار ، خلا إلى نفسه فى الليل ففتح النافذة المطـلة على البحر المتيـد ، وراح يتنسم أنفاسه ويستروح صبـاه ، ويقرأ من حبيبته أو يكتب إليهـا ، ويغسل ذلك كله بدموعه الحرار الطاهرات ، فكانت هذه اللحظات على ما فيها من ألم وما بطنت به من عذاب وهم ، أسعد لحظات حياته ، لأنها شعر الماضى وأحلامه ، تطفو على سطح الحاضر وتملل بالآمال ظلام المستقبل

وتحالفت الهموم على جيانوزا فزادتها جمالا ، وهام بهـا شباب المدينة هياماً جملهم يترامون على قدميها فى كل طريق كما يترامى الفراش فى اللهب . وذهب كثير منهم إلى أبيهـا يخطبونها على أنفسهم ، ويمهرونهـا بكل ما يملـكون ، وكان الوالد كلما فى أحدهم تملات وانتحلت المعـاذير ، فـكان الأب الحائر يترفق بها ويتلطف ، ثم ينزل عند مشيئتها بغير ماحجة ولا برهان مبين ، ثم يصرف شباب المدينة فى حدب وفى استحياء

وهكذا ظل السر الرهيب دفيناً فى صدر الفتاة يعذبهـا ولـكنه مع ذلك كان مصـدر سعادتهـا الباكية ، ولذتهـا الحزينة ، والنبع ذا الخرير الذى تختلط فيه آلام الماضى وآلام الحاضر لتثمر مخاوف المستقبل

وضاقت بها أفانين المعاذير فلم تعد تدرى ماذا تلفق منها وماذا تدع ، فلما أحست أن الشكوك أخذت تساور أباها من جراء هذا التمنع ، وأنه يلح فى معرفة سرها ، قلق قلبها الخفاق ، وسدرت نفسها المستهامة . . ثم ذكرت الراهب الصغير الذى فى وسعه أن يصنع كل شئ . . فانسرقت إليه وذكرت له ما كان من فرار ماريوتو إلى الاسكندرية وما كان من إلحاح أبيها عليها بالزواج ، وما حرصت عليه من كتمان زواجها على أبويها ، وكرهها أن تبوح به خشية ما يجر إليه من عواقب .. ثم سكبت عبراتها بين يدى القس ونثرتها على قدميه ، وتوسلت إليه أن يخلصها مما هى فيه بجرعة من السم القدس يريحها من هموم الحيـاة ، ويحول بين الفضيحة وبين سرها وحبها

وقد تردد الراهب أول الأمر ، لكنه سرعان أن رق للفتاة ، ولان قلبه للحبيب النازح ، فتناول كأسا روية من الخمر وجرع ما فيها . . وكأنما شرب منها شجاعة ، وعب حماسة وإقداما .. فتهلل وجهه ، وربت على كتف جيانوزا ، ثم وعدها عدة جميلة ، وأمرها أن تنطلق إلى ذويها فتسلس لهم القياد وترضى بمن يختاره أبوها بعلاً لها . .

وسجدت الفتاة وشكرت له ، وانطلقت إلى دارها فتلقاها أبوها بمثل ما كان يتلقاها به كل يوم وكل ساعة ، وما كاد يكرر عرضه عليها حتى قبلته ، فطفر قلبه من الفرح ، وطبع على رأسها قبلة العطف والحنان

وذهبت فى الموعد الذى حدده لها القس ، فأعطاها زجاجة صغيرة تحوى الجرعة السحرية الهائلة ، ثم ذكر لها أنه لم يصنع لها السم الذى رغبت فيه ، بل صنع منوماً يدع شاربه فى حالة تشبه الموت لمدة ثلاثة أيام . . «فإذا حسوت هذه الجرعة وتغشاك النعاس ، وظن أهلوك أنك ميتة ، حملوك إلى قبونا لتدفنى فيه ، وسأزورك فى اليوم الثالث وأتولى إيقاظك بنفسى ، وبهذا يكون ما بينك وبينهم قد انقطع ، فتستطيعين السفر إلى الإسكندرية حيث تلقين زوجك ، وحيث تكلأكما عين السعادة . . »

واغرورقت عينا جيانوزا بدموع علوية ، ثم قبلت يد القس وانطلقت إلى بيتها تحلم أحلاماً رائعة جميلة

وجلست تكتب كل ذلك إلى حبيبها ماريوتو . فلما فرغت أهوت على الخطاب تلثم اسمه الحبيب فى كل سطر ، وخرجت لتدفع بالخطاب إلى من يوصله إلى السفينة الشرقية ، فلما عادت ، فتحت النافذة ، وصلت صلاة قصيرة ، وغمغمت باسم ماريوتو ، ثم شربت الجرعة الثمينة ، وانطرحت فى سريرها وأغمضت عينيها

ودخل الخدم فى الصباح بالورد والبنفسج ، ورياحين الربيع لمولاتهن، فلشد ماذعرت قلوبهن وجفلت نفوسهن لأن سيدتهن لا تستيقظ

وأهرع أبوها وبعض ضيفه فوقفوا فوقها مسبوهين مأخوذين ، ثم استدعوا أطباء سينا فما نفع طبهم ولا أفلحت حيلهم ، بل ذهبت جميعاً أدراج الرياح

وقر رأيهم على أن يتركوها حتى اليوم التالى ، « فقد تكون نائمة بتأثير شلل فى المعدة لا يزول إلا فى هذا الميعاد ! » لكن الميعاد فات ولم تستيقظ جيانوزا ، فلم يعد بد من دفنها ، لأنها ميتة ما فى ذلك شك

وخرجت جميع عذارى سينا يتهادين وراء الأران ، ويحملن أفنان الزهر إلى مقابر سانت أوجستين . . ثم عاد الجميع وكل قلوبهم حرق ، وملء نفوسهم أشجان وأحزان

وخشى الراهب أن تستيقظ جيانوزا فى ظلام الليـل البهيم فتذعر ، ولا يكون لموتها من هذا السبب من بد ، فمضى إلى القبو هو ورفيق له ، ونقلا التابوت الحى إلى غرفته الخاصة

وحانت الساعة الموعودة ، واستيقظت جيانوزا من سباتها العميق بين أيدى الراهب المفزوع ، وأخذت فى الاستعداد للرحلة ، الرحلة المنشودة إلى فردوسها المفقود .. إلى ماريوتو .. إلى الزوج العزيز الذى اقتحمت فى سبيله أصرم العقبات

وقد دبر لها القس ثياب راهبة . وبعد أن دعا لهـا بخير ، انطلقت إلى ميناء بيزا ، حيث ركبت فى سفينة متجهة إلى الاسكندرية مع كثير غيرها

وقد لعب البحر بهذه الحفنة من السفن شهورا طويـلة ، وكأنما كان ذلك لتمام المأساة . وذلك أنه لما علم جارجانو — شقيق ماريوتو — بما كان من وفاة الفتاة ، فإنه أرسل إلى أخيه كتاباً طويلاً ينعيها إليه ، ويطلب له الصبر والسلوان . وقد وصل الخطاب

قبل أن تصل جيانوزا ، وقبل أن يصل خطابها الذى سطرته إليه قبيل تجرعها الجرعة .. فواهاً للمحبين إذا عثر بهم الحظ .. وإذا لج بهم العثار ..

مسكين ماريوتو ! لقد فض خطاب أخيه بيدين مرتجفتين ومتمناه أن يتلو فيه خبراً يسره .. فماذا قرأ ؟

« جيانوزا .. لقد ماتت جيانوزا يا أخى .. فتجلد ، وهذه غاية كل حى

«لقد كنت أوثر ألاأبعث إليك بهذا النبأ، لكنى اضطررت أن أفجأك بالحق ليهدأ قلبك ، وتستريح نفسك»

ولم تنحدر عبرة واحدة من عينى ماريوتو، وأنى له أن يبكى، وليس أعصى من الدمع فى هذه المآسى التى تزلزل النفس ، ولا تنبجس لها العين

وشاع فى نفسه الحزن الصامت الذى ليس أنكى منه مرارة ولا أحر وجدا

وعبثا حاول عمه أن يواسيه .. وصمم الزوج الحزين أن يبحر من فوره إلى إيطاليا ، ليقف على ثرى حبيبته ، وليسقيه بدموعه ولينشق هذا الهواء الربض الذى نشقته قبيل موتها من أجله ، وفنائها بسبيله .. ولأنه لايليق به أن يخشى شيئا فى سينا بعد أن قضت حبيبته ، وتحملت الأذى والهوان من أجله

وأرست السفينة فى نابلى ، وانطلق ماريوتو فى ثياب حاج إلى سينا ، واشترى آلات رأى أنها لابد منها لينقب بها حائط القبو ، حتى يتيسر له الدخول إلى حيث تقر رفات معبودته ، فيجزيها حزنا بحزن ووفاء بوفاء ، ثم ليئام جنبها إلى الأبد، لأنه لا يطيق البقاء بعدها

واختبأ فى الكنيسة إلى أن جنه الليل ، حتى إذا نام الجميع وأمن أن يمثر به أحد ، أخذ فى نقب جدار القبو ، وقبل أن يفرغ من هذا شعر به حارس المقابر ، فنفخ فى صوره ، وظل ينفخ فيه حتى استيقظ الرهبان ، واجتمعوا عليه ، لكنه كان قد فرغ من عمله ، وانفتل داخل القبو ، وفى ظل شمعتين صفراوين شاحبتين ، وقف على رمس ظنه رمس حبيبته

وكانت التقارير السرية قد انتشرت فى أيدى الجواسيس تملن وصوله ، فلما قبض عليه وسيق إلى قضاته؛ باح لهم باعتراف جامع ناجع وساعدته دموعه التى كان ينضح بها كلماته ، فهاج شجون النظارة وفجر فى قلوبهم شآبيب الحنان ، حتى إن كثيراً من النساء وبعض أصدقائه ، عرضوا على المحكمة أن تسمح لهم بمشاركته فى جريرته ، أو إلقائها كلها على كواهلهم ، إذا كان ذلك شافعا لإطلاق سراحه ، ولكن هيهات ! لقد زجر كبير القضاة ، وتهدد الحضور إن تدخلوا فى إجراءات العدالة ، أو اعترضوا سبيلها ، فصمتوا . وانتهت المحاكمة ، وصدر حكم الظالمين القساة بالإعدام

ووصلت جيانوزا بعد لأى إلى الإسكندرية ، وانطلقت من فورها إلى بيت العم العزيز الذى تلقاها كابنته، وأعز الناس عليه ولم يشأ أول الأمر أن يفجأها بسفر ماريوتو ، بل تركها تسرد عليه قصة موتها المدعى ، حتى إذا فرغت منها تبسم الرجل الخير ، ثم ذكر لها أن ماريوتو قد تسلم رسالة من شقيقه ينعيها له فيها وأنه منذ ذلك اليوم لم يعد إلى البيت ، وأن أكبر ظنه أنه رحل إلى الوطن

يا آخر الأنباء السود ما أشأمك ! أبعد طول النضال فى البر والبحر ، وبدلا من أن تضم إلى صدرها المعذب حبيبها المشوق تحضر إلى الاسكندرية فيبدهها هذا النبأ

وأخذ الشيخ يواسى جيانوزا ، ثم عرض عليها أن يرحل معها إلى نابولى ثم إلى سينا ليلقيا ماريوتو حيا أوميتا، فاستخرطت جيانوزا فى البكاء وشكرت للعم ما غمرها به من عطف ولطف

وتنكرت جيانوزا من جديد فى مسوح الرهبان وعمت شطر الشاطئ لتركب البحر فى كنف الرجل الطيب ، وهمت بهما الفلك إلى الشاطئ التوسكانى ، حيث أرست عند بيومبينو ، وحلت الفتاة ضيفة عزيزة على السر نيقولا ، نيقولا الغنى صاحب فيلا نيقولا ... عم ماريوتو ، التاجر الاسكندرى ، وهى فيلا جميلة قريبة من سينا

وكانت نهاية الفجيعة أن ماريوتو المسكين قد نفذ فيه حكم الاعدام قبل وصول زوجته وعمه بثلاثة أيام

أوه لقد سكب العم الطيب مواساته فى دموعه بين يدى جيانوزا ، فماذا صنعت هيه

وقبلت أن تقضى البقية الباقية من حياتها فى كسر دير ! ولم تستطع أخواتها الراهبات أن يواسينها فذبلت جيانوزا ولم تزل تذبل وتذوى كل يوم، ولم تفتأ تصهرقلبها ودموعها بالبكاء على ماريوتو حتى لفظت نفسها الأخير !

د . سعه

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٣ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

رسالة وصورة ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ٢٠٩

امرأتان عظيمتان من دولة المغول : للدكتور محمد بهجت ٢١٠

اللغة الفرنسية فى مصر ... : الأستاذ محمد محمود زيتون ٢١٤

نصيب السودان فى ثقافتنا المدرسية : « أحمد أبو بكر إبراهيم ... ٢١٨

الحسن البصرى ... ... : « حسين على الداقوقى ... ٢٢٠

لا تسبوا أصحابى ... ... : « محمد رجب البيومى ٢٢٣

اللحن الثائر ... ... (قصيدة) : للشاعر السودانى محى الدين فارس ٢٢٦

(الأدب والفن فى أسبوع) — عميد الأدباء فى الهواء الطلق — الثقافة تنتقل إلى المتخلفين — الإعداد المؤتمر الثقافى الثالث ٢٢٧

(الكتب) — السنوسية دين ودولة — تأليف الدكتور محمد فؤاد شكرى — الأستاذ محمد محمود زيتون — توجيهات نبوية — تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى — للسيدة وداد سكا كينى ٢٣٠

(البريد الأدبى) — بريد الرسالة الأدبى — اعتذار وشكر — لمن هذا الشعر — استفهام ٢٣٣

(القصص) — انتقام الأميرال — للقصصى الفرنسى أرنست دوديه ٢٣٥

20 me. année No 973 — Le Caire 25-2-1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ٩٧٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

من مذكراتى اليومية

رسالة وصورة ...

يحلو لى أن أهرب أحياناً من زمنى الحاضر لإثقاله أو إملاله ، فأرجع إلى ذكرياتى أجترُّ منها ما ألذ ، أو إلى مذكراتى أقرأ منها ما أحب .

وفى هذه الساعة التى أكتب فيها للرسالة شعرت بضيق فى الصدر والفكر ، فألقيت بالقلم وقلت لنفسى : دعى الكتابة اليوم وتعالى نتفرج من هذا الهم برجعة إلى دنيا الماضى ، فلعل فى أصدائها الباقية ما يؤنس هذه الوحشة . وتذكرت أن شهر يناير قد عوّدنى الجميل فيما مضى من عمرى ؛ فقد سجلت فيه أكثر ضحكات القلب ، وحسبى منها ميلاد ولدىّ : رجاء والرسالة . فتحت مذكراتى عن صفحات هذا الشهر ، فوجدتنى قد كتبت فى يومه العاشر من عام ١٩٥٠ هذه السطور :

« ألقى البريد الجوى إلىّ فى صباح هذا اليوم غلافاً من العراق على ورقه طابع الذوق ، وعلى خطه سمة الظرف . فلما فضضته وجدت فيه رسالة وصورة . قرأت الرسالة والإمضاء ، ثم تأملت الصورة والإهداء ، فإذا هما لآنسة من أوانس بغداد المثقفات ، قد أولعت بالأدب وأغرمت بأهله . ثم عدت أقرأ ، وعدت أتأمل . وطال تردد البصر والفؤاد بين الصورة وهى رسالة الجسم الجميل ، وبين الرسالة وهى صورة الروح النبيل ، حتى غاب حسى فى سكرة من سكرات الأحلام ، تراءت لى فى خلالها أطياف من تعاجيب الهوى والشباب ، تتراقص نشوى فى أزقة (الوزيرية) و (رأس القرية) من مغانى بغداد العزيزة وكلما عاد الحس أو كاد ، نظرت إلى الفم الحلو الذى يريد أن يبتسم ، وإلى الطرف الأحور الذى يهم بأن يقول ، وإلى الشعر المغدودن الفاحم الذى يسيل على الأذنين وأطراف الخدين فيجمل الوجه كله صورة من الفتنة ، فتعود إلىّ النشوة ، وأعود أنا إلى الحلم !

وأخيراً تخلصت قليلا من سحر الصورة لأرى صاحبتها الأديبة تقول أول ماتقول : « أعتذر إليك من الكتابة والاهداء على غير تعارف .. » ولم يخل اعتذارها الصريح من احتجاج ضمنى على العرف الذى يفرق فى مثل هذا الصنيع بين الرجل والمرأة . فلو أنها كانت فتى كما تقول لما وجدت فى الكتابة إلى مثلى ما يُعتذر منه . ثم تحدثت طويلا عن صلتها بالرسالة وحرصها على أن تقرأ كل ما أكتب ؛ وخصت بالذكر رثائى المرحوم على محمود طه ، وخرجت من ذلك إلى الكلام عن شاعريته وعبقريته . ثم طلبت إلىّ آخر الأمر أن أخصص لتأبينه عدداً من (الرسالة) أكتب أكثره ! كل أولئك فى أسلوب رقيق دقيق يوحى أكثر مما يعبر ، ويمتع أكثر مما يقنع . ولم أكد أستوعب الرسالة بفكرى ، وأناقش موضوعها فى سرى ، حتى تناولت القلم وفتحت الألبوم وأجبت عن الرسالة برسالة ، ورددت على الصورة بصورة ! ولكن هيهات وا أسفاه ! لن تجيب رسالة عقل من رسالة قلب ،

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول

للدكتور محمد بهجت

عندما يطوف السائح بمدن لاهور وأكرا ودلهي بشمال الهند تتفتح أمامه صحف عديدة من تاريخ المغول العظيم ، حافلة بجلائل الأعمال وضروب البطولة ، ويلمح في ثنايا تلك الصحف بعض السطور البارزة التي خطتها أنامل بعض نساء المغول في تاريخ تلك البلاد المجيدة . ومن أبرز نساء تلك الدولة سيدتان عظيمتا الخطر ، ربطتهما وشيجة رحم وعاشتا في عصر واحد . كانت كلتاهما زوجة لامبراطور ، رائعتي الجمال ، راجحتي العقل تانكم المرأتان هما « نور جاهان » « وممتاز محل »

أما نور جاهان فمن أصل فارسي ، ضاقت سبل العيش في وجه أبيها — « مرزا غياث » — فأزمع الهجرة من طهران إلى الهند ، عسى الحظ يبسم له هناك . وفي الطريق ولدت له ابنة سماها « مهر النساء » . وكان مسافراً معه في القافلة تاجر ثرى رقيق القلب اسمه « مالك مسعود » أخذته به وبعائلته البائسة شفقة فتولاهم بعنايته ومعونته طول الطريق حتى بلغوا دلهي بسلام . وهناك أراد « مسعود » أن يسدى يدا أخرى لصديقه المسكين فقدمه للإمبراطور « أكبر » العظيم الذي ألحقه بخدمته كما ألحق زوجه وبناته بالقصر مع حريمه . وبعد ما أبدى كفاءة وإخلاصا في عمله أحبه الامبراطور وأدناه ورقاه

وفي أثناء ذلك نشأت « مهر النساء » وترعرعت بين نعيم القصر وأبهته ، وألفت حياة البذخ والترف . وما إن بلغت السابعة عشرة حتى زوجت من ضابط باسل بجيش الامبراطور اسمه « على كولي » . وكان هو الآخر فارسيا وسيم الطلعة ، قوى البنية ، خدم في أول الأمر الشاه إسماعيل الثاني — شاه الفرس — بأن كان نادلا يقدم له صحائف الطعام . وسرعان ما جذبته الهند واستهوته مغامراتها فهاجر إليها والتحق بخدمة أكبر . وهناك برزت مواهبه فألحقه بأركان حرب ابنه الأمير « سليم » عندما خرج على رأس جيش كبير لإخضاع ولاية « ميوار » فأبدى من ضروب البسالة والشجاعة ما حبب فيه الأمير وقربه إليه ، وأجزل له العطايا والمنح ، وسماه « شر أفغان » أى قاتل النمر لأنه أردى نمراً متوحشا أمامه ، وأصبح علما له فيما بعد . وبعد انتهاء الحملة ، ولأمر ما ، شق الأمير عصا الطاعة على أبيه ومليكه فانفض أكثر الضباط المخلصين من حوله ومن بينهم «شرأفغان» ولما كان من عادة جنود المغول استصحاب نسائهم في الحروب فربما عرضت للأمير فرصة لمح فيها زوجة صديقه الشابة الفاتنة . ويقول بعض الكتاب إنه رآها عدة مرات ترتع في حدائق القصر وردهاته فأسرت فؤاده وسكن طيفها قلبه حتى آخر عمره

وسارت الأحداث سيرها إلى أن توفى « أكبر » واعتلى « سليم » عرش أبيه بعد حوادث دامية في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٠٥ وصار يعرف باسم نور الدين محمد وبكنيته « جاهان جير » أى القابض على ناصية العالم . وفي يوم ما تذكر صديقه القديم فاستدعاه وصفح عنه وأسند إليه منصبا كبيرا بعيداً ببنغالة . وهنا تختلف رواية المؤرخين ، فبعضهم يقول إن حب « مهر النساء » استبد به وعصف بقلبه فأرسل إليها رسولا خاصا يغريها بهجر زوجها والالتحاق بالامبراطور المتيم بها ، فأبت كل الإباء ، وغضبت لهذه المساومة الدنيئة ، وكذلك ثار زوجها لشرفه ، فأوعز الرسول إلى الحاكم أن يغتاله ، فاغتيل مدافعا عن كرامته وعرضه ، ثم حملت زوجه وابنتها الطفلة إلى العاصمة والحقتا بجناح الملكة « سليمة » . والبعض الآخر من المؤرخين ينفى هذه الرواية بل يستنكرها بقوة قائلا ببراءة الامبراطور من هذه التهمة القذرة ، ويفسر ما حدث بأن الأخبار ترامت إلى الامبراطور بأن « شر أفغان » ثائر عليه باستدعائه إلى العاصمة ليشرح موقفه منه ، وليمتحن إخلاصه له ، فأبى . وعند ذلك أراد « قطب الدين كولا » حاكم بنغالة أن يقبض عليه فملاه « شر أفغان » بسيفه وأصابه بجراح بالغة ، وعند ذلك

ولن ترد صورة قبيحة على صورة (مليحة) »

ما أيسر السعادة على ابن آدم لو يدرى أو لو يريد ! إن كلمة من قلب مفتوح ، أو بسمة من شفة بريئة ، أو نظرة من عين حبيبة ، أو فقرة من رسالة شاعرة ، أو قسمة من صورة فاتنة ، لتستطيع أن تنير ما أظلم من قلبه ، وأن تفرج ما اشتد من كربه ! إن السعادة فتات وفترات ، فلا تكون في واحد صحيح ، ولا تدوم في زمن متصل ! احمد حسن الزيات

لنقض عليه حرسه وقطعوه بسيوفهم إربا . وهكذا فصل الموت بين ذينك القلبين المتحابين بعد ستة عشر عاما من زواج سعيد موفق

وفي شهر مايو من عام ١٦١١ أي بعد ست سنوات من اعتلاء « جاهان جير » العرش وبعد أربع سنوات من مقتل « شير أفغان » أعلن الامبراطور زواجه من « مهر النساء » بالغا من العمر اثنتين وأربعين سنة ، أما هي فكانت تصغره بتسع سنوات . وهكذا أصبحت الطفلة التي ولدت في الطريق من أب رقيق الحال ، والفتاة التي أوردها الحظ موارد النعيم ، والأرملة الشابة الفاتنة التي بكت زوجها الحبيب أربع سنوات ، إمبراطورة لدولة عظيمة ، وهكذا بدأت هذه المرأة الفذة تملي والتاريخ يكتب

نحن لا نعلم على وجه التحقيق كيف رضيت أن تتزوج من الامبراطور بعد طول إباء ، وأغلب الظن أنها توسمت فيه أداة المجد والشهرة ، ووسيلة لتحقيق مطامعها الواسعة . ولكن دلت كل الدلائل فيما بعد أنها أحبته وأخلصت له مثلما أحبت زوجها الأول وأخلصت له . أما هو فقد هام بها هياما شديدا وأخذ يغمرها بأجزل العطايا الثمينة ، ويغدق عليها أكثر مايمكن أن يغدقه امبراطور عظيم على آسرة روحه ، ومصدر سعادته ، ثم إنه اشتط فأمر بنقش اسمها بجوار اسمه على النقود ، الشيء الذي ليس له نظير في التاريخ الإسلامي . وكان يدللها بأعذب الألفاظ وأرقها فسماها أولا « نور محل » غير أنه استقل ذلك فعدله إلى « نور جاهان » أي نور العالم ، وهو الاسم الذي عرفت به حتى الآن . وإذا علمنا أن « جاهان جير » كان رجلا فظا غليظ القلب ، سريع البادرة ، صريع الخمر ، لدهشنا كيف استطاعت هذه المرأة القديرة أن تسيطر عليه وتجعله طوع بنانها. فإذا ما انتابته نوبة من نوبات الغضب الجارف لم يجرؤ أحد أن يدنو منه سوى زوجته الحبيبة ، فتطفىء تلك النار الخبيثة التي تأكل روحه بلمسة رقيقة أو بسمة مشرقة أو كلمة عذبة ، فينقلب وادعا مستسلما ، فكانت بحق مروضته الوحيدة

ومن أهم مزاياها التي أسرت بها القلوب واستعبدت الرعية ، الكرم الحاتمي والعطف على الفقير الذي كانت له بمثابة الغيث ينزل على الأرض الجديبة فيحييها . لم ترد طالب رفد ، أو تخيب أمل قاصد . وكانت راعية الفتيات الفقيرات تزوجهن وتمهرهن وتيسر لهن العيش الكريم . وكم من ضعيف حمته ، ومن مظلوم أنصفته وانتصفت وانتصرت له . ثم إنها شملت أقاربها بسامي رعايتها ، فجمعتهم حولها وأسندت إليهم المناصب العالية ، فأصبح والدها رئيسا للوزراء مع لقب اعتماد الدولة ، وأخوها آصف خان رئيسا لتشريفات الإمبراطور مع لقب اعتماد الدولة أيضا ، كما أصبح من أعظم رجال الدولة مالا وجاها .

وفضلا عن جمالها الساحر وأنوثتها الجارفة كانت « نورجاهان » شاعرة مجيدة ، رهيفة الحس ، واسعة الأفق والخيال ، مصقولة الذوق ، عالية الثقافة ، ملمة بالآداب الفارسية والعربية ، فكانت تهدهد الإمبراطور بشعرها العاطفي الرقيق ، وبمقطوعاتها العذبة المسكرة . وكانت تضع جميل الرسوم للمنسوجات ، وتبتكر الأزياء في الملابس والحلي بذوق رفيع نادر لم يعهد من قبل في بلاط الإمبراطور .

ومن عجب أن امرأة هذه بعض صفاتها تكون قوية البنية ، صلبة الخيزرانة ، مولعة بالألعاب الرياضية ، بل وفارسة من الطراز الأول ، تمتطي صهوات الجياد ، وتخوض المعارك بشجاعة نادرة وثبات عجيب ، فلا يطرف لها جفن ، أو يتزلزل لها جنان في أخطر المواقف وأحلك الملمات . وكثيرا ما رافقت زوجها في حفلات صيده ، وقتلت بعض النمور المفترسة أمام الامبراطور المعجب ، الذي لم يسعه إلا أن يهدي إليها سوارين من الماس النادر ، وأن يأمر بتوزيع ألف كساء على الفقراء ، إعرابا عن فرط سروره ببطولة زوجته . وسوف نقف على المزيد من ضروب شجاعتها بعد قليل

وبجانب هذا كله استطاعت « نور جاهان » أن تدير شؤون الملك بيد حازمة ، وعقل راجح ، وعين يقظة ثاقبة ، تنفذ بها إلى بواطن الأمور ، وأعماق السرائر ، فلم تفتها شاردة ولا واردة من شؤون الدولة ، وأحاطت بجميع المسائل السياسية والعسكرية إحاطة تامة ، حتى تهيبها رجال السيف والقلم ، الذين لم يكونوا أندادا لمناقشتها ، فكانوا يأتمرون بأمرها راكعين . أما أكابر البلاد وسراتها ، فكانوا يقدمون لها فروض الطاعة ، ويبتغون

مرضاتها ، علماً منهم بأن سعادتهم أو شقاءهم رهن بكلمة تخرج من بين شفتيها ، أو بإشارة عابرة من يدها ، حتى لقد قال عنها بعض المؤرخين : « إنها قوة من وراء العرش »

ولو أن الأمور اقتصرت على ذلك لختمت هذه المرأة حياتها خاتمة سعيدة ، ولتمت لها حياة راضية هنيئة لم تتم لامرأة أخرى . فقد كان إيثارها لأفراد أسرتها ومحاسيبها ، وخصهم بأرفع المناصب عاملا من العوامل التي أوغرت عليها بعض الصدور ، وباباً تسربت منه عوامل الفساد ، بما فيها الرشوة واستغلال النفوذ .

ثم إن مطامعها أملت عليها أن تضمن العرش لابنتها من زوجها الأول ، فكيف دبرت ذلك .

كان للامبراطور أربعة أبناء هم خسرو وكرام وبارفز وشهريار . فأيهم تختار ؟ كان خسرو ثائرا على أبيه ، واشتبك في عدة معارك دموية مع جيوش الامبراطورية ، ولكنه هزم في آخر الأمر ، وأسر ، وسملت عيناه ، وأودع السجن . ومع ذلك فقد كان محبوبا وله أنصار كثر . وأما كرام فقد فكرت فيه كثيرا ، وراقبته طويلا ، وأيدته إلى حين ، غير أنها عدلت عنه لما تبين لها من قوة شكيمته ، وشدة مراسه ، فضلا عن أن أخاها « آصف خان » سبقها إليه ، وزوجه من ابنته . وأما بارفز ، الوارث الشرعي للعرش ، فكان تافه الشخصية ، احتضنه « مهابت خان » ، القائد الكبير الذي ناصب « نور جاهان » العداء ، وأخذ ينصب حولها شباك المؤامرات . إذاً لم يبق أمامها سوى « شهريار » الذي زوجته من ابنتها في عام ١٦٢٢ وسندته بقوة ، وأخذت تدفعه قدما نحو العرش . ولننظر الآن كيف انتهى ذلك الصراع بين تلك المعسكرات الثلاثة

رق قلب الامبراطور لابنه السجين « خسرو » فأطلق سراحه ، ولما خافت « نور جاهان » مغبة ذلك أفسدت العلاقة بينه وبين أبيه الذي أمر بوضعه تحت يد قائده « مهابت خان » ليرى فيه رأيا ، ولكن الأخير سلمه بدوره إلى أخيه الأمير « كرام » الذي أمر بقتله فوضع بذلك حدا لآلامه ، ولتاريخه الحزن ، وتخلص من مزاحم له على العرش

ثم حدث أن استولى شاه الفرس « عباس » على قندهار ، فأمر الامبراطور ابنه البطل « كرام » (شاه جاهان) بالتوجه إليها واستردادها . ولكنه تردد بعد أن أبصر يد « نور جاهان » تقصيه عن طريق العرش وتمهدها « لشهريار » الذي طلبت من الامبراطور إسناد القيادة إليه ، كما طلبت منه أن يأمر « شاه جاهان » بإعادة القوات التي تحت إمرته إلى العاصمة . وبعد ما حاول عبثا أن يصلح ما بينه وبين أبيه ، وأن يخلصه من نفوذ زوجته الذي يوشك أن يقوض أركان الامبراطورية ، ثار عليه وهاجم أكرا عام١٦٢٣ م ولكن هزمته جيوش أبيه تحت إشراف « نور جاهان » وبمساعدة أنصارها من الضباط القدماء ففر جنوبا إلى الدكن . وبعد محاولات عديدة فاشلة لاستثارة حكام الولايات ضد والده ، وبعد عدة مغامرات تبادله فيها الحظ والنحس ، وبعد معارك شديدة مع جيوش الامبراطورية التي كانت تطارده حيثما ذهب ، هزم في معركة فاصلة على يد أخيه الأمير « بارفز » « ومهابت خان » واستسلم لهما بعد أن هجره كثير من ضباطه وانحازوا إلى جانب قوات أبيه ، ونزل عن كل ما كان في قبضته من أراض وقلاع وحصون ، واضطر إلى كتابة خطاب لأبيه يعتذر عما فرط منه ، ويستعطفه ، ويطلب منه الصفح والغفران . وتأكيدا لحسن نواياه أرسل ابنيه « دارا » « وأورانك زيب » إلى دلهي رهينة ، كما أرسل لوالده هدايا ثمينة تقدر بنحو مائة ألف روبية . فصفح عنه والده بناء على نصيحة « نور جاهان » التي أوجست خيفة من تحالف الأمير « بارفز » « ومهابت خان » ثم اعتكف مع زوجه وابن له يسمى « مراد » في بلدة ناسك الصغيرة ، مرتقبا الفرص

بعد ذلك وقفت « نور جاهان » وجها لوجه أمام « مهابت خان » فاتهمته بالاختلاس واستغلال النفوذ ونشر الفساد وجرد صهره من ثروته ، ووجها بالسؤال : من أين لك هذا ؟ ثم صدر أمر الامبراطور له بالتخلي عن القيادة العليا للجيش ، وبتولي حكومة ولاية بنغالة . فأبدى الأمير « بارفز » استياءه العظيم واحتج عبثا على سوء معاملة القائد الأكبر الذي عيل صبره واشتم رائحة الغدر ، فاعتزم أمرا خطيرا وهرب في خمسة آلاف مقاتل من الراجبوت الأشداء ، وأخذ يقتفي أثر الامبراطور

فشاهده يعبر قنطرة على نهر « جهيلم » بعيدا عن حرسه ، فأطبق عليه وأسره . وكانت مفاجأة مؤلمة لمسكر « جاهان جير » ووقع فيه اضطراب عظيم ، وهربت « نور جاهان » مع أخيها « آصف خان » الذي كان معها . ولكن عز عليها أن تتخلى عن زوجها في محنته ، فدبت فيها النخوة والحمية والنجدة فكرت راجعة وحضت قائد الجيش « فدائي خان » الذي قام بهجوم عنيف لم يكتب له النجاح لفرار الضباط والجند ، ولحالة الفوضى التي كانت سائدة . وعندئذ تجلت شجاعة هذه المرأة العظيمة ، فامتطت ظهر فيلها الهائل ، وتقدمت به على رأس من تبعها من الجند الذين دهشوا لجرأتها ، فهجمت على الأعداء هجمة صادقة وهي تمطرهم بوابل من السهام ، وحاولت في تقدمها عبور النهر ، ولكن أسرع جنود « مهابت خان » إلى إشعال النار في القنطرة ، فلم يثن ذلك عزمها واستطاعت أن تصل إلى الشاطئ في وجه مقاومة عنيفة ، تتطاير السهام من حولها ، وتتفجر الكرات النارية حول هودجها . وهنا بلغ الروع أشده والفزع غايته ، وأخذت الخيل والأفيال والفرسان تساقط في النهر وتداس وتمرك . ثم قتل سائق فيلها فجمح بها الفيل وخاض في ماء النهر ، ولكنه بلغ بها الشاطئ مرة أخرى ، فاندفع نحوها النسوة يعولن ، والمخلصين من الجند والحاشية يدرأون عنها السهام والرماح بأجسامهم ، ويفدونها بأرواحهم . أما هي فجلست هادئة ، مخضوبة بالدم ، تنزع سهما أصيبت به حفيدتها من شهريار ، وتضمد جراحها هي . ولما رأت أن لا جدوى من المقاومة ، رضيت بالأسر مع زوجها ، عساها تستطيع إنقاذه . أما أخوها فارتد بالثلاثة آلاف مقاتل الذين كانوا معهم واعتصموا بحصن قريب . وفي الأسر استخدمت أسلحة أخرى فعلت مالم تفعله أسلحة الحرب . استعانت بذكائها ودهائها وجمالها ... فاستمالت إليها ضباط « مهابت خان » ثم استولت على كنوزه ... ولما رأى ذلك نجا بنفسه وبنفر قليل من أنصاره وفر إلى الدكن حيث وافى « شاه جاهان » وتحالف معه على « نور جاهان » واستعجل القدر خاتمة الرواية فات الأمير « بلرفز » عام ١٦٣٦ م . أما الإمبراطور المسن فقد تابع سيره إلى كابل ثم عاد منها إلى كشمير لقضاء فصل الصيف . وفي أواخر عام ١٦٢٧ م . حينما كان عائدا من مصيفه بكشمير مرض مرضا شديدا ومات في الطريق ببلدة « بهمبار » ومنها نقل جثمانه إلى حديقة « نور جاهان » المعروفة باسم حديقة « دلكوشا » بشاه دارا إحدى ضواحي مدينة لاهور . وهناك كانت « نور جاهان » بجانب نعش زوجها تبكيه بدموع غزار إلى أن ووري التراب ، وأمرت بإقامة ضريح فخم له . وبعد أن تمت مراسم الدفن أعلن الأمير « شهريار » نفسه إمبراطورا في لاهور ، تؤيده حماته ، وفي نفس الوقت طير « آصف خان » نبأ موت الامبراطور إلى صهره « شاه جهان » الذي كان بالدكن فأسرع نحو الشمال برفقة « مهابت خان » على رأس جيش كبير ليفوز بالعرش . وشغلا للعرش الشاغر بأكرا نصب « آصف خان » ابن خسرو (دوار بخش) إمبراطورا إلى حين وصول « شاه جاهان » ثم تقدم على رأس جيش قوي إلى لاهور . وهناك حاولت « نور جاهان » أن تتصل بأخيها لتستميله إلى جانبها ولكنه أعرض عنها وانقض على جيش شهريار وهزمه هزيمة منكرة وأسر « شهريار » وسملت عيناه ثم قتل بعد ذلك . ولما وصل « شاه جاهان » أعان آصف خان الامبراطور المؤقت على الهرب ؛ أما أتباعه وأتباع شهريار ونور جاهان فقتلوا شر قتلة ، وكان الإسراف في القتل شديدا لدرجة ألجأت بعض نساء القصر إلى الانتحار . وهكذا سار « شاه جاهان » إلى العرش في طريق مخضب بالدم مرصوف بالجماجم . وكان ذلك في السادس من شهر فبراير عام ١٦٢٨ م

أما « نور جاهان » فلم تمس بسوء ، أو تمتهن كرامتها ، بل لقيت كريم الصفح ، وعظيم الاحترام والعطف ، وأجرى عليها الإمبراطور الحليم معاشاً سنوياً ضخما يضمن لها حياة كريمة. ولما رأت يديها خالية من زوجها الحبيب ، وصرح آمالها منهاراً أمامها ، والدنيا عنها مدبرة ، لبست الثياب البيضاء حداداً على زوجها ، واعتزلت الحياة العامة ، وزهدت في مظاهر البذخ والأبهة ، وعاشت مع حفيدتها أرملة « شهريار » عيشة بسيطة إلى جانب قبر زوجها في لاهور إلى أن ماتت في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥ .

طافت برأسي قصة هذه المرأة العظيمة وأنا واقف بحديقتها

اللغة الفرنسية فى مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الفرنسية — أو اللغة الأوربية الإضافية فى مصر هى العامل المساعد للاستعمار الإنجليزى فى الشرق! فمنذ داعبت نابليون أحلام الامبراطورية الفرنسية، شرع فى احتلال مصر وهى «تاج العلاء فى مفرق الشرق» كما يقول شاعر النيل

وتعاقدت إنجلترا وفرنسا سنة ١٨٩٠ ثم سنة ١٨٩٩ على اقتسام مناطق الاستعمار فيما بينهما بحيث تطلق إحداهما يد الأخرى فى الأمم المستضعفة تفعل بها ما تشاء، فلما أعلنت إنجلترا الحماية على مصر سنة ١٩١٤ لم تشأ إلا أن تترك لفرنسا دوراً ثانويا فى مصر، إذ جعلت لغتها إضافية إلى جانب الانجليزية المتعيدة بينما خلا لفرنسا الجو فى سوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش والمستعمرات الإفريقية

ومنذ يومئذ واللغة الفرنسية تؤدى دورها فى الحدود المرسومة، حتى تمكنت من جعل الزعماء أداة طيعة للاستعمار يستسيغونه فى يسر ويجترونه فى غير عناء، وما كان ذلك ليكون لو أن الزعامة قائمة على رصيد شعبى

ومن الألاعيب الإنجليزية الفاجرة توزيع الاستعمار الثقافى بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية بقية الفتنة، ورجاء تحويل الأنظار عن التراث العربى والمجد الإسلامى، وكأنما كتب على المصريين أن يتملوا هاتين اللغتين ولا مفر من ذلك؟ كما لا مفر من القضاء والقدر

غير أن القومية المصرية كانت قد تبلورت تماما؟ فلما اصطرعت مع الاستعمار الفرنسى صمدت له، وردته فى قوة وإباء. وكان نابليون أول من فطن إلى هذه الحقيقة؛ إذ كتب فى تعليماته للقائد كليبر «إن من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يضمن ثقة الشعب المصرى» وكذلك بوسليج فى تقريره إلى الحكومة الفرنسية إذ يقول فيه «إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التى لا يمكن تذليلها والتى تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين ..»

فالدين واللغة والعادات فى مصر هى الأثافى الثلاث التى لم يستقر عليها قدر الاستعمار الفرنسى، فانهار ولم يعد له قرار، ولا سيما بعد إفلاس الحملة من كسب ثقة الشعب ممثلا فى «كبار المشايخ» وهم حماة الدين، ودعاة اللغة، ورعاة العادات، وسدنة المقدرات القومية

وسجل التاريخ للشعب المصرى كفاحه ضد الاستعمار الإنجليزى فى المحافل الأوربية التى هزها الشاب المجاهد مصطفى كامل، خطابة وكتابة، فكان له «اللواء» الأعلى فى الدفاع عن القومية المصرية

أما «السعى بكافة الطرق السلمية المشروعة فى سبيل الاستقلال — كما أراد سعد زغلول — فإنه لم يدفع بالقضية إلى الأمام كما كان منتظرا بعد مصطفى كامل، بل أصيبت بنكسة مزمنة باضت جراثيمها وأفرخت فى أدمغة أذهلها الفراغ الفكرى عن حدود (الوكالة) التى أجمعت عليها الأمة (الطيبة القلب) من أصحاب الجلاليب الزرقاء»

وفى سنة ١٩١٩ نهض زغلول فرفع مذكرة الوفد المصرى إلى المسيو فربسنييه رئيس مجلس الشيوخ الفرنسى يستصرخه فى

بشاهدارا بعد أن متعت نفسى بمشاهدة ضريح زوجها الرائع الذى قست عليه يد الإهمال، وشوهت الكثير من محاسنه، وسألت رائدنا عن ضريحها الذى توقعت أن يكون فى عظمة باقى آثار المغول. فأشار بيده إلى مكان قريب وقال إنه لا يستحق الزيارة لأنه من البساطة بحيث لا يلفت النظر أو يثير الاهتمام. وقد أوصت بأن يكتب على قبرها شعر بالفارسية من نظمها معناه:

لا يكون على قبرى مصابيح أو أزهار، حتى لا تحرق الفراشات أجنحتها، وحتى لا تأتى البلابل لتغنى على الأزهار

(للكلام بقية)

محمد بهجت

التحرر من الحماية الإنجليزية وجاء فى هذه المذكرة المعروفة :

« .. هل مصلحة فرنسا العامة يمكن أن تلزم حكومة الجمهورية بأن تتخلى كلية عن شعب مدنيته الحديثة ظاهرا عليها الروح الفرنسية ، عن شعب تربيته ونظامه الإدارى والقضائى يحمل الطابع الفرنسى ، عن شعب تشغل الآداب الفرنسية عنده المحل الأول كما يظهر ذلك لكل من يلاحظ ذوق الخاصة ، ومن يطالع على الآداب الوطنية

مهما يكن من أمر تلك المصالح التى تدفع حكومة الجمهورية للتنازل عما لفرنسا من السيادة الأدبية فى مصر ، يستحيل معها — حتى ولو كان ذلك من مصلحة الديمقراطية الفرنسية — أن تنكر فرنسا تعهداتها التى ارتبطت بها نحو الأمم الصغيرة.. »(١)

ماذا ؟ .. أهو دفاع عن استقلال أم اعتراف بإحلال ؟ .. وهل فى سبيل المجاملة المرجاة ، تزل قدم المحامى حتى يوقع موكله فى ورطة مزرية ، ؟ .. ومن أين لفرنسا هذه « السيادة الأدبية فى مصر » وذئابها الفاتكة قد يئست منها فعادت إلى بلادها جائعة تتلوى ؟

وليس أمعن فى الانحلال من الشعور بصعوبة التخلص منه والندم على الاستعمار كلما تقاص ظله ، فليتأمل كل مواطن بصير هذا الخطاب الذى وجهه زغلول مصر إلى المسيو موريس لونج مقرر اللجنة البرلمانية الفرنسية ، ومقرر المسألة المصرية لدى لجنة الصلح :

« .. إنه ليشق علينا أن نصدق أن الفرنسويين يقبلون عن طيبة خاطر أن ذلك الطابع المطبوعة به تربيتنا المدنية والعسكرية من قرن مضى تعفو آثاره عفاء تاما ، يشق علينا أن نصدق أنهم يقبلون أن القوانين الفرنسوية التى استمدت قوانيننا نصوصها منها ، وبانت متأصلة فى نفوس المصريين وعوائدهم حتى أصبحت اليوم جزءا من رأس مالنا الاجتماعى ، ولا يكون لها أثر فى الأساس الذى تستند عليه مدنيتنا المصرية — وأن اللغة الفرنسوية الجميلة المنتشرة فى مصر أكثر من أى بلد أجنبى آخر ، والتى بات لزومها فى طبقاتنا المستنيرة لزوم لغتنا الخاصة نستعملها فى معيشتنا العائلية اليومية بالسهولة التى نستعملها فى حياتنا الأدبية يكون مصيرها إلى الزوال ، وإن دور التعليم المتنوعة الأشكال والتى أنشأتها فرنسا فى مصر والتى استوجبت منها بسببها عظيم الحمد وجزيل الشكر توصد أبوابها ، وإن الإرساليات التى نبعث بها إلى فرنسا ليرشف أبناؤها من منابعها الفياضة لبان المعارف والعلوم والفنون ينصرم حبلها

وصفوة القول أنه يعز علينا أن يرضى الفرنسويون بأن يوقف تيار النمو وهو بالغ منتهى سرعته فى الشركات الفرنسوية والبيوت التجارية والبنوك وغيرها بين ظهرانى أمة تحب فرنسا وتفضل كل ما هو فرنسى على جميع ما عداه

لا شك أن الشعب الفرنسى — وهو أشد الشعوب تمسكا بالكماليات وأحرصهم على صون مهمته التاريخية فى العالم — لا يمكن أن يغض الطرف بسهولة عن الامتيازات التى يضمنها له فى وادى النيل ماض مفعم بأحسن العلاقات ودا ، وأكثر المصالح انتشارا .. » (٢)

هذه هى الجناية على القومية المصرية باسم المطالبة برفع الحماية ، وإن المواطن اليقظان ليعجب كل العجب كيف أفلتت هذه الصفقة السياسية من الحراسة الشعبية ، وكيف جازت على المصريين حتى أسلمتهم « اليد الأمينة » إلى تجار الرقيق ، وسماسرة الاستعمار ، ولم يعد لهم من الحرية ما يمكنهم من نزع هذا النير الغليظ من أعناقهم الكليلة

وإن هذا الاستجداء هو الذى أطمع فرنسا فى استعمار مصر ثقافيا ، بعد أن عجزت عن احتلالها ، فلا أقل من أن تسير وفق الخطة الإنجليزية وهى استفراغ العقلية المصرية من مواهبها ومآثرها ، فتوسلت إلى ذلك باللغة الفرنسية ، التى بلغ بها التواضع إلى أن قبلت السير فى الركاب الاستعمارى الأعزل ، وتظاهرت بالتساهل والتقرب إلى الناشئة فى الوقت الذى يشيع فيه الذعر والهلع من (البعبع) الأسامى ، وجعل

---

(١) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى

(٢) مع الوفد المصرى : ١٩٧ — ١٩٨

للغة باريس ثلاثون درجة بحد أدنى قدره تسع درجات ، بينما جعل للغة التاميز خمسون بحد أدنى قدره عشرون

وبين يدى مجموعة وافية من امتحانات الثقافة العامة فى مدى عشر سنوات ، وإلى القارئ أسوق هذه الملاحظات عليها :

١ — خلو الامتحان فى بعض السنين خلوا تاما من دروس القواعد ، مما أدى إلى الاستهانة بها أثناء الدراسة باعتبار أن التلميذ — كما هو الواقع — لا يدرس إلا من أجل الامتحان فقط

٢ — تحول الامتحان من اختبار فى المعلومات إلى اختبار فى الأرقام ، فقد جاء فى أحد الامتحانات سؤال : ما ارتفاع برج إيفل ؟ ومعنى ذلك أنه يجب حفظ رقم ثم التعبير عنه كتابة فهو امتحان لامتحان

٣ — الإيحاء بالبلادة الذهنية : وذلك بابتداع (الأرتوجراف) وخصم درجة عن كل ثلاثة أخطاء ، فى حين يخصص للانشاء ١٥ درجة ، ويحرص التلميذ عادة على حفظ نموذج له فينجح من غير تعب

٤ — تجاهل حدود المنهج أحيانا ووضع أسئلة خارجة مقررة على السنوات الأعلى ، وعدم مراعاة ذلك عند التصحيح

٥ — عدم تنويع الأسئلة ، والاكتفاء بجزء من المقرر ، للخط فى اجتيازه دور كبير ، وكان الأولى أن يستوعب الامتحان معظم الدروس المعطاة

وبالجملة فإن طريقة الامتحانات فى اللغة الفرنسية على هذا الوجه تعمل على احتقار عقلية الناشئ ، وإهمال قواعد التربية ، وتحويل الامتحان إلى (ورقة يانصيب)

ودعائم التربية ثلاث : المعلم والمتعلم والعلم . أما المعلم فهو الوسيط بين طرفين ، وليس فى الإمكان إهمال مهمته أو التغاضى من خطرها ، فلنتساءل : ما مؤهلات مدرسي هذه اللغة ؟

الواقع أن مدرس الفرنسية فى مصر لا يخلو أن يكون أحد ثلاثة : أجنبى — أو مصرى متخصص أو عضو بعثة — أو غير متخصص أو غير مؤهل . وهذا الصنف الأخير هو الغالبية الساحقة ، فإن الأجانب والمصريين الفنيين قلة لا تكفى ، فاستعين بالجامعيين من دارسى الفلسفة غالبا ، والكثرة كلها ممن لا يحملون مؤهلات دراسية ، ولا سبق لهم التدريس ، مما اضطر وزارة المعارف — إزاء نقص عدد المدرسين وكثرة عدد الفصول — إلى تعيين كتبة فى المحاكم المختلطة ، وصيادلة ، وعمال شيكوريل وهانو وعمر أفندى ، وكثيرا ما حدث صدام بين طالب ومدرس لمجرد الشعور بالفارق فى الشخصية والطريقة

ولست أخشى هذه الخطورة على اللغة الفرنسية بقدر خشيتى على الكرامة الفكرية للتلميذ وهو وديعة لدى الدولة ، فلماذا نفرض تدريس لغة ليس عندنا من يحسن أداءها ولا من يكفى لأدائها ؟ ولماذا نصر على تدريسها ووزارة المعارف وفى مدارس الأقاليم فصل بحصتين اثنتين فلا تجد مدرسا فيحال تدريسهما على أحد مدرسى اللغة الإنجليزية بالمدرسة أو ينتدب لهما مدرس من أقصى المدينة ؟

وقامت الوزارة باستفتاء أولياء أمور التلاميذ فى اختيار الإنجليزية أو الفرنسية فى بدء الثالثة الابتدائية . ولكن الوزارة لم تستجب للرغبات . وتمثرت بين سياستين متضاربتين بين الإلغاء والإبقاء ، فألغيت اللغة الفرنسية من الأولى الثانوية ثم من الثانية ثم أعيدت ثم ألغيت ثم تقررت على الثانية الثانوية والزراعية وخصص لها حصتان بعد أربع ، وزيدت فى الثالثة إلى خمس ، وألغيت نهائيا بعد الثانية زراعة

وقد أبيح فى سنة ما دخول امتحان الدور الثانى ثم عدل عنه واعتبر الراسب فى الفرنسية ناجحا ، ولم يعمل بذلك فى الامتحانات الرسمية عند النزول بالمنهج إلى المستوى الأدنى ، فكانت الضحايا بالمئات حيث أعيدت الدراسة بسبب الرسوب فى الفرنسية فقط فاضطر الطالب إلى اجترار كل المواد التى نجح فيها وإذا بالمنهج الفرنسى الجديد كان قد نجح فيه منذ عامين

وأدهى من ذلك أن بعض الفصول بمدارس البنات تشتمل على فريقين فى دراسة اللغة الفرنسية : أحدهما يدرسها أساسيا

والآخر إضافيا . وقد يكون عدد طالبات الأساسية تلميذة واحدة تستنفد من وقت المدرسة سبع ساعات فى الأسبوع لها وحدها ، وقد ننتدب لهذه التلميذة معلمة فرنسية عاهية مضاعفة فى حين نشكو من قلة المدرسين والمدرسات للكثرة المتزايدة من التلاميذ والتلميذات

ونحن إذن نبنى البيت (بالباع والذراع) ، وندعى أن البيت قائم فى حين أن البناء الذى سيقيمه لم يوجد بعد ، ولم نحضر المواد اللازمة له يوم يوجد ، والسكان الذين سيشغلون البيت ، لم نرسم لهم خط المستقبل حتى نضمن رغبتهم فى سكنى البيت أو التحول إلى غيره

وليس يخفى على أحد هذا الفارق الشاسع بين الدراسة الثانوية والدراسة الجامعية عند الشعور بالضعف الشديد فى اللغة الفرنسية وهى من ألزم ما يلزم الطالب فى الآداب والحقوق والتجارة مع الاستغناء عنها تماما فى العلوم والطب والزراعة

وللغة الفرنسية — حقا وصدقا — مكانتها الرفيعة فى الثقافة العامة ، دليل ذلك أثرها الواضح فى نفوس المثقفين ، ولكن هذا التشتت الذى نضحى الناشئ بسببه وهو حائر بين الإنجليزية والفرنسية أدى إلى نتيجة لازمة حاتمة وهى ضياع الوقت سدى فى دراستهما معا ، وعدم جدوى هذه الدراسة عليه فى مستقبل ثقافته وتكوين شخصيته . وما ذلك إلا لأنه ليس للتعليم سياسة واضحة الأهداف ، مرسومة الوسائل ، مصطلح على وضعها ، وهذا ما سبق لنا القول فيه فى مقال « سياسة التعليم » (٣)

أما وقد مضينا بخطوات سريعة نحو الوعى القومى ، أرى الاقتصار على لغة أوروبية واحدة بترك حق اختيارها للمدرسة وولى أمر التلميذ ، وسيترتب على ذلك أولا إتقان هذه اللغة والاستزادة من آدابها وفنونها وعلومها فى أقرب وقت ممكن ، ولن يجدى ذلك إلا إذا سرحت الوزارة هذا الجيش العرمرم من غير الفنيين ، وإلا إذا رجعت إلى أصول التربية فى التدريس والامتحانات ، وعندئذ فقط يكتمل شعور المواطن الناشئ بكرامته القومية والفكرية ، ويتحقق لديه أمل التزود من ثقافة الغرب . حتى إذا طلب المزيد ، فالوسائل الخاصة لاتعوزه ولا تعجزه

محمد محمود زيتون

(٣) الرسالة : ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٠

نصيب السودان

فى ثقافتنا المدرسية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

لا أود أن أعتب فى هذه الكلمة على الماضى ؛ فقد انقضى بخيره وشره ، ولكنى أنبه إلى حاضر يختلف فى طبيعته واتجاهاته ، وأشير إلى مستقبل قريب يتطلب منا العمل الحاسم السريع . أما الحاضر الذى اختلف ، فرد اختلافه إلى أننا قد نظرنا الآن إلى السودان نظرة جد وحزم ، أوضحت أمامنا المسالك ، بعد أن التوت علينا أزماناً . وأما المستقبل القريب ففيه الأمانة التى ارتهنت بها مصر لشباب الوادى جميعاً ، وهى تهدف من ورائها أن يرتبط الشعبان ، وأن يلتقيا معاً على الفهم الواضح الصحيح ، والمعرفة الوثيقة ؛ ليعيشا معاً فى ظل الإخاء والوئام . ولا أحسبنا واصلين إلى ما نبتغى ، إلا إذا سعينا إلى هذا المستقبل على علم صحيح بما فى الجنوب من معالم وأحداث ، وثقافة وعادات ؛ ولهذا فقد رأيت عند أوبتى من السودان فى ديسمبر الماضى ، أن أذكر وزارة المعارف بهذه الحقيقة؛ لتأخذ الأهبة ، وتتحفز للعمل ، فبعثت إليها بتقرير ، أوضحت فيه ما يجب أن تعمل حيال الاتجاه الجديد ، ولكنى عدت تخشيت أن تطوى الوزارة هذا التقرير فلا تفيد منه ، فيظل شباب الوادى فى حيرة لا تنتهى ، ونظل كذلك بعيدين عن واقع الحياة الحاضرة وبوادر الحياة المستقبلة ؛ فرأيت أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء بعضاً من هذا التقرير ؛ لأنه — على ما أعتقد — ضرورة يجب الأخذ بها فى سرعة واهتمام :

أولا :

لا يزال الطلبة فى مدارسنا المصرية يجهلون الضرورى من أحوال السودان ؛ فهم لا يعرفون من تاريخه إلا القليل ، ولا يدركون عن طبيعته وتياراته السياسية وحياته الاجتماعية ، إلا صوراً ضئيلة باهتة لا تغنى ولا تفيد .

هذا هو منهج الجغرافيا ، لا يلقى على بلاد السودان ضوءاً واضحاً ، يبصر التلاميذ بما فيها ، وإنما هو إيجاز مخل ، لا يكاد الزمن يمضى عليه ، حتى يذهب من الأذهان ، لضآلة أثره وقلة غنائه . وهذا هو التاريخ ، وهو مصدرهم لتفهم الشعب وإدراك نزعاته ، لا يتناول من أحداث السودان إلا القليل مما يأتى عرضاً ، على حين يعنى المنهج بدراسة الحوادث فى بعض الممالك الأجنبية دراسة تفصيلية . وهذه هى النصوص الأدبية لا تلم فى أية مرحلة من مراحلها بأبيات لشاعر سودانى ، وفى هذا ما فيه من غمط لحقوق شعراء طالما رددوا صوتهم عالياً بحب مصر والمصريين .

لقد حان إذاً أن تحقق المعارف رغبة كريمة ، طالما جاشت فى صدور الكثير من المصريين والسودانيين ، فتولى الدراسات السودانية بالمدارس المصرية العناية اللائقة بها ؛ حتى يعرف الطالب المصرى عن جنوب الوادى ما يدركه عن شماله ، وعندئذ فقط تتأكد الروابط ، وتشتد الصلات ، ونبلغ الغاية التى نصبو إليها من التئام الشعب ، وتوثيق العرى .

من الخير أن ننظر الآن فى مناهج الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية نظرة جديدة ، قوامها العناية بما فى الجنوب من تراث وثقافة ونظم وشؤون . ومن الخير كذلك أن تنتظم النصوص الأدبية طرفاً من شعر التيجانى يوسف بشير ، والعباسى ، وأحمد صالح ، وعبد الله عبد الرحمن وغيرهم ؛ فقد جاهد الكثير منهم بإنتاجهم القيم فى سبيل الإنسانية والعروبة والوطنية ، وأصبح من حقهم علينا أن نعنى بأشعارهم اعترافاً منا بهذا الجميل .

ثانياً :

مما لا شك فيه أن الصحف مرآة تنعكس عليها صور الحياة الحاضرة ؛ فهى التى تحمل للقراء الآراء والاتجاهات ، وتوضح ما يجرى فى البلاد من أحداث . ومن المؤسف حقا أن القراء فى الشمال قد تجاهلوا الصحف التى تصدر فى الجنوب ، فخفى عليهم بعض أحواله الراهنة ، وكان من الطبيعى أن يجهل الشبان المتعلمون بعض أخبار الجنوب وأحداثه . أقول ذلك وأنا أعلم أن صحف السودان لم تكتمل بعد نهضتها ، ولا تزال تجاهد فى سبيل الرقى المنشود ، ولكنها على أى حال تلقى الكثير من الأضواء على

الحياة السودانية الحاضرة . ومن الواجب — إذا أردنا أن نبصر التلاميذ بما يجرى فى الجنوب — أن تشترك كل مدرسة ثانوية فى صحيفتين على الأقل من صحف السودان ؛ إحداهما معتدلة ، والأخرى من الجرائد الاتحادية ؛ ليطلع عليهما الطلبة ، أو تقوم الجماعة الأدبية فى المدرسة بتلخيص الأخبار المهمة فيهما ، وتسجيلها فى مجلة حائط ؛ لتكون قراءتها فى متناول الجميع .

ثالثاً :

لا يجهل السودانيون أن طائفة من علماء مصر وأدبائها ، قد عنوا بشؤون السودان؛ فألفوا فى بعض نواحيه كتباً قيمة ، ولا يجهلون كذلك أن بعض السودانيين قد طرقوا هذا الباب ؛ فأصدروا بعض الكتب فى السياسة ، واللغة السودانية العامية ، والتاريخ والأدب . ومن الواجب فى وقتنا الحاضر أن تتولى إحدى اللجان دراسة هذه الكتب جميعاً ؛ لتزود بالصالح منها مكتبات المدارس ، وستجد — ولا شك — من كتب إخواننا السودانيين طائفة تصلح للاطلاع الحر فى المدارس الثانوية ؛ ستجد كفاح جيل ، وديوان إشراقة، وديوان العباسى، والعربية فى السودان ، وتاريخ مكى شبيكة ، وشعراء السودان ، والطريق إلى البرلمان ، وغيرها من الكتب

رابعاً :

لست أريد الانتهاء من هذه الكلمة الموجزة قبل الإشارة إلى ناحية مهمة تتصل بالروابط الثقافية بين الشمال والجنوب ؛ فقد درجت المعارف فى العهد الأخير على إيفاد طائفة صالحة من العلماء والأدباء يلقون المحاضرات فى جنوب الوادى ، وهى سنة محمودة ، وخطة حكيمة تستحق التقدير ؛ فقد شهد الناس هناك ألواناً ممتازة من معالجة الموضوعات على اختلاف أنواعها فقابلوها بالشكران والتقدير ، وتأكدت بينهم وبين إخوانهم المحاضرين الصلات الثقافية والروحية

حدث هذا فعلا فى الخرطوم وأم درمان ، فأفاد منه أهل هاتين المدينتين ، ولكن سكان المدن الأخرى لم يسمعوا إلا تلخيصاً لعدد ضئيل من المحاضرات فى الإذاعة ، فكان لسماعهم لهذا التلخيص جانبان : جانب أسف ؛ لأنهم لم يجدوا من العناية ما وجده سكان المدينتين الكبيرتين ، ففاتهم الكثير من الفوائد . وجانب استبشار ؛ لأنهم أدركوا فى هذا التلخيص من الفوائد ما لم يدركوه من قبل ، وودوا جميعاً لو طوف هؤلاء المحاضرون فى المدن الكبيرة الأخرى كدنقلا وكسلا والأبيض وعطبرة ، يحملون إلى الناس هذه الثقافة العالية الممتازة . ودوا ذلك ويودون مستقبلا أن تتحقق رغبتهم ؛ لتعم الفائدة ويصيب منها القريب والبعيد

وبعد ؛ فهذا رأيى أدلى به ، موقناً أن الحاجة ماسة إليه فى وقت آمنا فيه وآمن الناس أن الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل من منبعه إلى مصبه شعب واحد يجب أن يلتقى تحت تاجه، ويتحد فى سياسته وثقافته ، وأرجو أن تبذل المعارف جهدها لتسهم — كما أسهمت من قبل — فى تحقيق ما تبقى لها نحو غايتها الكريمة

أحمد أبو بكر إبراهيم

الحسن البصري

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى في الإسلام

للأستاذ حسين على الداقوقي

لم تمض على تأسيس مدينة البصرة حقبة طويلة من الزمن حتى تسنى لها مناهضة مدينة الأبلة (١) القديمة والتغلب عليها من جميع النواحي المدنية حين نسي الكتاب ذكر ما في تلك المدينة من أحوال الحضارة ومعالم العمران . كما حدث على نفس الشاكلة تغلب الكوفة على الحاضرة طيسفون والسيطرة عليها

غدت البصرة ثغر العراق المزدهر ، وميناءه المتطور الزاخر بصناعاتها وزراعتها ونشاط تجارتها . وبضروب فعالياتها الفكرية . فقد أنجبت المشاهير من رجال الفكر الإسلامي ، وقامت فيها المدارس العلمية والأدبية التي ضمت إليها هؤلاء المشاهير . نشأت فيها مدرسة النحو بوجهها الخليل بن أحمد ، وظهرت فيها ألوان من الأدب تمثلت في كتابات ابن المقفع والجاحظ . وفي بيئة البصرة تثقف ابن الهيثم ، وبشر واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام بمذهب الاعتزال . وألف إخوان الصفا جمعيتهم الفلسفية . وفي هذه البيئة أيضا وضع أسس الصوفية كبار أعلامها مثل رابعة العدوية والحسن البصري وغيرهما ممن نبغوا في مختلف مجالات الفكر . ليست لدينا — ويا للأسف — وثائق تاريخية وصفية جمعها أنصار الحسن البصري وطلابه لنتبين منها تفاصيل سيرة الرجل ، سوى نتف من ملاحظات ،أو شتيت من المذكرات دونها عنه أعوانه أمثال قتادة وابن عون ويونس وأيوب ، ومنتثرات من المعلومات تلقاها في كتب المحدثين مثل ابن سعد ، وفي مصنفات المؤرخين

(١) احتلها عتبة بن غزوان . وكان موقعها على رأس الخليج الفارسي. ولو صحت رواية البستاني صاحب دائرة المعارف بأن عتبة بن غزوان بنى البصرة على بعد أربعة فراسخ من مدينة الأبلة ، ولو أخذنا المسافة التي قطعها الخليج الفارسي بالانسحاب نحو الوراء من زمن بناء البصرة حتى الوقت الحاضر لاستطعنا الحكم على أن موقع الأبلة كان في منطقة (الحورة) الحالية راجع عنها مراصد الاطلاع لابن عبد الحق طبعة إيران ، والطبري ٤ ج ص ١٥٠ ... ١٥١ ؛ وابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٧٤ وابن حوقل في كتاب صورة الأرض ص ٢٣٧

والمفسرين كابن قتيبة والطبري ، وفي كتابات المتكلمين كأبي عمرو الجاحظ (٢) وفي كتب المترجين كأبي نعيم وغيرهما من المصنفات

نشأته

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصري بالمدينة عام ٥٢١ (٣) وكان أبوه يسار في الأصل من سكان مدينة ميسان (٤) قرب البصرة . وقد سبي خلال عام ١٢ هـ إبان حملة خالد على العراق (٥) فنقل مع من نقل من ميسان إلى المدينة حاضرة العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، وغدا هناك مولى لزيد بن ثابت الصحابي (٦) وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي (ص) (٧) نشأ الحسن بوادي القرى (٨) وشب في كنف علي بن أبي طالب (٩) ، وعمر (١٠) (؟) وتتلمذ على أنس بن مالك ، ولقي سبعين من البدريين (١١) ، كما أخذ عن حذيفة بن اليمان (١٢) وعمران بن حصين الخزاعي (١٣) وعاصر عددا كبيرا من الصحابة فأرسل الحديث عن بعضهم وسمع من بعضهم (١٤) ، وكان قد أظهر ذكاء لامعا منذ صغره ، فقد حفظ القرآن وهو دون سن الأربع عشرة سنة ثم كبر ولازم الجهاد ولازم العلم والعمل (١٥)

h Ziya Ulfken islam Dusuncesi p 110

(٣) ... ابن سعد ٧ ج ص ١١٤

(٤) اسم كورة واسعة كبيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان (راجع معجم ياقوت وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري . المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٥٧ هـ .) وراجع

Le strange the lands of the Eastern Caliphate p, 43

وهناك صعوبة كبيرة في تثبيت موقع كل من (ميسان) (ومنار) لما في المراجع التي بين أيدينا من الاضطراب ، ولكن يرجح أن موقع مدينة ميسان هو قرية (المزير) الحالية

(٥) انسكلوبديا الدين والأخلاق مادة الحسن البصري

(٦) انسكلوبيديا الاسلامية . مادة الحسن البصري

(٧) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ٢ ج . طبعة الهند ١٣٢٥ هـ

(٨) ابن سعد ص ١١٤

(٩) الزركلي : الأعلام مادة الحسن البصري

(١٠) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٣ ج ص ١٥٣

(١١) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٣ طبعة Flugel

(١٢) المكي : قوت القلوب ٢ ج ص ٨٨

(١٣) جواشون : فلسفة ابن سينا ص ٩ ترجمة رمضان لاوند (دار العلم للملايين)

(١٤) ابن الجوزي: المرجع السابق ص ١٥٩

(١٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ ج ص ٦٧ الطبعة الثانية

استقر الحسن فى الأبلة [١٦] ، فالبصرة حيث كان المركز الثقافى الإسلامى خلال العهد الأموى [١٧] . وفى عام ٣٥ هـ شد الرحال إلى المدينة ، وعنـد ما عاد إلى البصرة فى غضون سـنى ٣٧ — ٤١ هـ تعقب المناقشـات التى احتدمت بين أصحـاب الرسول واحتكم فيها . واشترك فى الجهاد لحارب فى جبهة كابل ، وبعـد ما رجع من الجهـاد عارض خلافة يزيد ، واجتلب نحوه الأنظار [١٨] بما أوتى من حدة الذكاء وحسن البيان ، ومهابة وجـال فى خلقه وخلقه ، فوقم من أنفسـهم أسنى مقـام وأجل موقع

اشتغل الحسن موظفا عند الأمويين؛ فكتب للربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية [١٩] . وتقـلد منصب القضاء فى البصرة مدة من الزمن إبان خـلافة عمر الثانى ، ثم اسـتقال منها [٢٠] ولم يأخذ على قضائه أجرا [٢١] . واعتـكف فى أحد مساجد البصرة يقوم بالوعظ والإرشـاد والتدريس والتوجيه ، ويشارك غيره فى كثير من الفعاليات الأخرى كما سوف نرى

حياته السياسية :

يبدو للانسان أن القدرية كانت أول مدرسـة فلسفية فى الإسلام ، وأنها كانت قد اقترنت (أكثر مما انطبعت) بفلسـفة سياسية فى ذلك العصر . بحيث أنهـا بدأت تعدو عن كونهـا فلسفة مجردة ، مطلقة ، غاية لنفسها ، وأخذت تهدف إلى ارتياد العقل ، وتحرر الفكر وإعطائه قيمته الحقة ، وبالتـالى مقاومة السلطة الحـكومية آنذاك . لحمل ذلك الأمويين على التنكيل بأنصارها والفتك بمروجيها ، فذهب عدد غير يسـير من نوابغ ذلك العصر ضحايا هـذا الاضطهاد السياسى . أذكر منهم عمر المقصوص أستاذ الخليفة معاوية الثانى حين وثب عليه بنو أمية وقالوا : أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حيـا [٢٢] »

كذلك انصبت نقمة الاضطهاد على نابغة آخر من معاصرى الحسن البصرى وهو معبد الجهنى ، على أنه جاهر بالقدر فى مدينة البصرة ، فأذاقه الحجـاج الوالى الأموى مر العذاب ثم قتـله بطلب من عبد الملك بن مروان [٢٣] . وكان معبد من السابقين فى القول بالقـدر ، يذكر عنه الذهبى بأنه كان قدريا وتابعيـا صدوقا [٢٤] قتله الحجاج عندما اشترك فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث . وقد كان كذلك غيلان الدمشقى قدريا وخطيبا مصقعا فأمر هشـام بن عبد الملك بقطع يديه ورجليه [٢٥] ومثـل به وصلب على باب دمشق [٢٦]

وهنـــاك نصوص تاريخية كثيرة تثبت قدرية الحسن .. فيقول المقريزى : إن معبد الجهنى وعطاء بن يسار سألا الحسن البصرى « إن هؤلاء — يريدان الأمويين — يسفكون الدماء ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدر الله » فقال الحسن « كذب أعداء الله » فاتهم الحسن بهذا ومثله [٢٧] لم يكن الحسن يحمل العقيدة مجردة عن العمـل ، ولم يأل جهدا فى الدفاع عن مبدئه والإفصاح عن آرائه بشجاعة، وقد أمضى حياته يصارع مشاكل شتى دون أن يكترث لها مع أنه كان بمقدوره، أن ينال العزوالجاه والرغد والرفاه . فالمتصفح لكتاب أبى نعيم (حلية الأولياء ٢ج) يجد أنه قد ترفع عن هبات الأمويين ، وأبدى شجاعة منقطعة النظير فى رد المظالم ، تارة بتبيان وخامة العـاقبة وطورا بالتنديد بالروادع الدينية ، ولم يستهدف من ذلك غير الإصلاح الاجتماعى العام ، فرفعه ذلك إلى موضع التقدير والإجلال لدى أغلبية الجماهير

ذكر الشهرستانى [٢٨] وكثير غـيره بأن الحسن اتهم بالقول فى القدر، والحقيقة أنه كان كذلك ، بل إنه كان رئيس القدرية [٢٩] ، ورأس حرية الارادة ، والأكثر من ذلك أنه

---

(١٦) ابن سعد : نفس المصدر

Nicholson A literary history of the Arabs p 222

h Ziya op Cit pp — —

(١٩) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ٢٦٣

h,Ziya Mid

(٢١) راجع ابن سعد فى الطبقات ٧ ج وحلية الأولياء لأبى نعيم

(٢٢) ابن المعيرى : نفس المصدر ص ١٩١ وكتاب المعتزلة لزهدى حسن جاد الله القاهرة ١٩٤٧ ص ٣٤ ... ٣٥

(٢٣) المقريزى : الخطط ٤ج ص ١٨

(٢٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ٣ ج ص ١٨٣

(٢٥) ابن نباتة : سرح العيون ص ١٥٧ ... ١٥٨

(٢٦) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٦

(٢٧) المقريزى : الخطط ٤ ج ص ١٨١ ... ١٨٢

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٢ طبع ليدن

(٢٩) القمى : الكنى والالقاب ٢ ج ص ٧٥ مطبعة العرفان رصيدا ١٣٥٨ هـ

جهر بمخالفته استخلاف يزيد بن معاوية (٣٠) من دون أن يتخوف عاقبة الأمر، على حين أن الشعبي وابن سيرين لم يجرءوا على إبداء رأيهما بصراحة (٣١). وكان من أهم أسس عقيدته السياسية اتباع الأصول الإسلامية الأولى، ومعارضته الخلافة الأموية الوراثية، والاعتقاد بمبدأ الانتخاب للخلافة (٣٢)، بيد أنه لأسباب لم نتحقق منها تماماً، رفض الاشتراك بثورة ابن الأشعث عام ٨١ — ٨٢ هـ، بالرغم من المظالم التى كان يقترفها الحجاج، وبالرغم من اشتراك زملائه بها كعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، ولعل ذلك كان بسبب اعتقاده الجازم بعدم نجاح الثورة، أو أنه ما كان يسوغ الحرب وسفك الدماء بين الإسلام مهما كانت أسبابها الموجبة، وذلك للصلة الوثيقة بين تصوفه وآرائه السياسية، إذ لم تكن أية حركة من حركاته أو فعالية من فعالياته من قبيل الصدفة والمرض. ومع العلم أنه كان ضد سياسة الحجاج إلا أنه لم يقم بأية حركة ثورية أو عصيان مسلح ضده؛ لأن الإسلام عند الحسن واحد ووحدة، وأن هذه الوحدة لتستند إلى وحدة الحق والإيمان، وإن كل حركة ينجم عنها التصدع فى هذه الوحدة، وإن كان مبعثها الحق فهى ليست بأسلوب صحيح يركن إليه ويتوسل به

والمعروف عن الحسن البصرى أنه غدا بين ٨٦ — ٩٥ هـ موضع ريبة موظفي الحجاج الذين صاروا يتحرون دقائق أعماله ويترقبون تصرفاته؛ حتى اضطر إلى الاختفاء والتوارى من الأنظار. وفى عام ٩٩ هـ تقلد منصب القضاء فى عهد عمر الثانى ثم استقال منه. وفى ١٠١ هـ انتقد بلهجة لاذعة فى إحدى مواعظه الشهيرة حركة ابن المهلب التى قامت ضد الأمويين (٣٣) غير أنه لم يسلم فى سلوكه هذا من التهجم عليه خلال حياته، فذكر عنه أنه كان يلقى الناس بما يهوون ويتصنع الرياسة. وروى عن تلميذه ابن أبى العرجاء أنه لما قيل له لم تركت صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة؟ قال إن صاحبى كان مخلطاً، كان يقول طوراً بالقدر وطورا بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه (٣٤) ويقول عنه تلميذه أيوب السختيانى أن انفصال الحسن من القدرية كان خوفاً من السلطة الحاكمة، وأن عدم اشتراكه مع ابن الأشعث فى الثورة كان خوفا من أن تذهب عنه وظيفته الموجهة إليه. كذلك انتقده ابن سيرين لأنه يرد الكبيرة ولا يرى الخلود فى النار أبدا (٣٥)

هذا ولم يكن الحسن فى عقيدته السياسية مكافحا من نوع صاحب الزنج فى الثورة على النظام الاجتماعى، ولا مثل جان دارك فى الدفاع عن استقلال الوطن، إنما كان أقرب مثيل إلى البابا بيوس التاسع فى بعض جوانب تصرفاته، وبأبى العلاء المعرى فى جوانب أخرى. وكان فى عصره من هذه الناحية نسيج وحده. ويرجح أن كفاحه كان محددا بحدود صوفية معينة، وباعتبارات دينية واجتماعية أخرى تمسك بأهدابها، وجهد فى السير على مقتضاها. وقد أوصى ابنه عبد الله أن يحرق كتبه ففعل ما أوصاه به والده (٣٦)، لذلك لم يرد لنا منه إلا النزر اليسير الذى ذكرناه فأشكل على الباحث تحقيق أمره؛ ولم يوف فى التدقيق عنه حقه، فنستميح القارئ الكريم عما يبدو من المقال من سطحية وضآلة مادة، فعسى أن نكون به حافزين. وداعين إلى دراسة طرف من أطراف التراث الإسلامى أو شخصية من شخصياته، لم تتكشف حقائقه مفصلة سافرة على ضوء المباحث القائمة على المنهج التاريخى العلمى الحديث

البحث صلة — حسين علي الداقوقي

---

(٣٠) دائرة المعارف الإسلامية مادة الحسن البصرى وفجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٢٢٨

(٣١) أحمد أمين: نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣٢) انسكلوبيديا البريطانية مادة الحسن البصرى

h ZiYa Uliken op cit

(٣٤) القمى: الكنى والالقاب ٢ ح ص ٧٥

h, ZiYa Uliken op cit

(٣٦) ابن سعد فى الطبقات

بين شاكر وقطب :

لا تسبوا أصحابي

للأستاذ محمد رجب البيومي

للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لدى ، فأنا أعهـده كاتبا قوى الأسلوب ، رصين العبارة ، وأعرفه أبيا مخلصا يتدفق غيرة على الإسـلام ، وتعصبا لأفذاذه الأبطال ، لذلك أقبل على قراءة ما يدبجه يراعه المؤمن فى شوق واهتمام . وقد طالعت أخيرا ما كتبه بمجلة (المسلمون — العدد الثالث ص ٣٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧١) تحت عنوان لا تسبوا أصحابى ، فوجدت المجال واسعا للخلاف بينى وبينه ، ولم أشأ أن أطوى ما دار بخلدى عن القراء ، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطره راجيا أن يحق الله الحق بكلمته ، فالحق وحـده هدف الكرام الكاتبين ، وفى طليعتهم الأستاذ الجليل

ولعل من الأوفق أن أبدأ بتلخيص الفـكرة التى يدور حولها مقال الأستاذ شاكر ، فأعلن أن الكاتب الفاضل ينحي باللائمة على المجاهد الداعية الأستاذ سيد قطب — وإن لم يصرح باسمه — إذ تعرض فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » إلى أناس عدهم الأستاذ شاكر من أفاضل الصحابة ، وقد خصهم صاحب الكتاب بما لا يليق فى مذهب الأستاذ شـاكر من النقد والتجريح ، وهو بذلك يخالف ما اجتمع عليه الرأى السائد من تقديس أصحاب الرسول « إذ لا سبيل لأحـد من أهل الأرض ماضيهم وحاضرهم أن يلحق أقل أصحـاب محمد ، مهما جهد فى عبـادته ومهما تورع فى دينه ، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء فى سره وعلانيته ، كما قال الأستاذ الجليل

وقد بدأ الأستاذ شاكر مقاله بحديث الرسول « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده ، لو أن أحـدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » واندفع فى سياق منبرى يسرد الأدلة الخطابية ، ويستثير النوازع العاطفيـة ، ويستشهد بقول الرسول « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينـه ، ويمينه شهادته » كما ذكر حديثاً يدور حول هـذا المعنى ، محاولا أن يؤيد بذلك كله دعواه الخطيرة إلى تقديس أناس بعدوا عن الحق فيما سجله عليهم التاريخ من أعمال . ومما نحمد الله عليه أن الحق — فى هـذه الناحية — واضح أبلج لا يحتاج إلى برهان

وقبل أن نعرض ما ذكره الأسـتاذ قطب فى شأن معاوية وأصحابه ، نذكر أن الأستاذ شاكر قد أثار هذه العاصفة وحجته الوحيدة ، أن كل صحابى رأى الرسول وسمع عنه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينقـد أخطاءه أو يظهر أغلاطه ، « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد ممن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعـة إلى الطعن عليهم » ... كما ذكر الكاتب

وحسما للنزاع من أقرب طرقه ، نبدأ بتحديد معنى الصحابى ، وهو — فى أبسط حـدوده — يطلق على كل إنسان حصلت له رؤية الرسول أو مجالسته ، فجميع من سعدوا بمشاهدته صلى الله عليه وسلم فى حياته بعـد الإسلام صحابة يشرفون بهـذه الصفة المباركة ، حتى عبـد الله بن أبى رأس النفاق بالمدينة ، فقـد قال الرسول لمن هم بقتـله : « معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمـداً يقتل أصحابه » ، فعبد الله من أصحاب محمد كما ينطق الحديث ، فليت شعرى أينطبق الحديث القائل لا تسبوا أصحابى على جميع من سعد بالصحبة ، أم يخص من باعوا أرواحهم وأموالهم لله من المؤمنين الصادقين ؟ لابد أن تكون الطائفة الأخيرة هى المقصودة دون أدنى تردد أو نزاع ، فكل من تمسك بأخلاق الإسلام من أصحاب الرسول وشهد تاريخه بمروءته وصدقه فهو موضع التجلة والتبجيل ، ولا يجوز لمسـلم يدين بالإسلام أن ينتقصه فى شىء ، وكل من حامت الشبهات فوق تاريخه فهو موضع الملامة والنقد لأن الناس سواسية أمام الإسلام ، ولا فضـل لعربى على أعجمى بغير تقواه ، والإسلام لا يقدس غير البررة المخلصين

ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا من الدين والجهاد بمنزلة واحدة ، ففيهم من أسلم فى فجر الدعوة منذ أعلنها الرسول وقطع السنوات المتتابعة فى الجهاد والجلاد ، وفيهم من أسلم قبيل الفتح أو بعده والسيف مصلت على رأسه ، وفيهم من بذل الكثير من الدم والمـال وادخر القليل ، وفيهم من تقاعس ولم يبذل شيئاً من دمه وماله ، ومن الظلم البين أن نرتفع بهؤلاء

جميعاً إلى منزلة واحدة ، بل على التاريخ أن يهيء لكل إنسان منزلته وفق ما أسلف من أعمال « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » ٩٥ النساء

وإذا كان الأستاذ شاكر يرى أنه لا يجوز لأحد من الناس أو من الصحابة أن يجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن فى المخطئين ، فماذا يفعل فى الصحابة إذ أحلوا لأنفسهم ما حرمه عليهم الآن ، فخطأ بعضهم بعضاً ، وطعن فريق منهم على فريق آخر يناوئه ، أفيكونون بذلك قد خالفوا الحديث النبوى كما فهمه الأستاذ شاكر .. أم عرفوا أن الصحبة وحدها لا تعصم من النقد والملام ؟

لقد اتضح بجلاء أن الحديث الذى عنون به الأستاذ مقاله لا يندرج على جميع من سعد بالصحبة ، بل يختص الطائفة الفاضلة التى لم تترك أخلاق القرآن فى موقف ، أو تنبذ روح النبوة فى صنيع ، وجميع من سار على النهج القويم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود موضع القدوة والاحتذاء من المسلمين ، وحرام على كل مؤمن أن يحوم على أحد منهم بطعن أو تجريح ، أما الذين تأخر بهم الركب عن اللحاق بالإسلام فى مشرق شمسه ، فيجب أن ننظر إلى صحف أعمالهم ومواقفهم فى الحياة ثم نحكم عليها فى ضوء القرآن والنبوة ، وهذا ما فعله الأستاذ سيد قطب ، فقد نظر إلى أعمال معاوية وطائفة من بنى أمية نظرة إسلامية صادقة ، فوجد خليفة المسلمين قد بعد عن روح الإسلام فى أكثر أعماله ، وساعده فى هذا السبيل فريق باع آخرته بدنياه ، فرأى أن يقول كلمة الحق فى أناس تجاوزوا حدود الله فى أعمالهم ، والأستاذ قطب لم يرد بكتابه أن يكون مؤرخاً راوياً ، فالرسالة التى يضطلع بها الآن أعظم من أن تنحصر فى حدود التاريخ ، ولكنه ينادى بالرجوع إلى أحكام القرآن ، وهدى النبوة ، وتعاليم الإسلام ، وقد عرف أن الخلافة الإسلامية قد فقدت معناها الدينى بعد مصرع على ، وجاء من الخلفاء من أحالها إلى ملك عضوض ، تبعد عنه روح الإسلام فى أكثر نواحيه ، وقد ظن كثير من الناس أن هؤلاء الخلفاء الرسميين من لدن معاوية يمثلون الخلافة الدينية التى تتقيد بالقرآن وتهتدى بالسماء ، ورأوا من جرائرهم الخلقية ، وترفهم المقيت ، ولهوهم الماجن ما يبغضهم فى الخلافة والإسلام ، فقام الأستاذ سيد قطب يدافع عن دينه ، ويبين أن الإسلام لا يعترف بخلافة بعد على ، وقد نطق بالحق المؤيد بالتاريخ حين أعلن أن معاوية أول خليفة تحلل من قيود الإسلام ، أفنقول له بعد ذلك لقد تهجمت على أصحاب الرسول وخالفت هدى النبوة ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يفهم الناس أن معاوية وأشياعه يمثلون الإسلام بما ارتكبوه من رشوة وخداع ومالأة ؟ لو أن الأمر كذلك لبعد الناس عن الإسلام ، ولبرىء المسلمون من دين يبيح لخلفائه الخديعة والمكر والإرهاب وإقامة القصور واحتكار الأموال والضياع ؟

ولقد كان الأحرى بالأستاذ شاكر أن ينقد ما ذكره الأستاذ قطب عن معاوية نقداً تاريخيا فيبين أن الوقائع التى ذكرها فى كتابه الخالد غير صحيحة ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، إذ أن الأستاذ قطب قد نقل وقائعه عن كتب التاريخ ولم يخترعها من عنده اختراعاً ، وهى — رغم ثورة الأستاذ شاكر — معروفة لدى الكبير والصغير

فمن ذا الذى ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكاً عضوضاً فى بنى أمية لم يكن ذلك من وحى الإسلام، إنما كان من وحى الجاهلية

ومن الذى ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها ! وما كان الإسلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح والملابسات ! ! وهذا باستثناء عمر بن عبد العزيز الذى أحاطه الأستاذ قطب فى كتابه بسياج من المحبة والإجلال ، وجعل عهده بقية من عهود الخلافة الراشدة ، وإشعاعة مضيئة تنير الطريق ، وقد بسط الكلام عن هذا الخليفة العظيم فى أربع صفحات طوال ! !

ومن الذى ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعا إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

ومن الذى ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاقى فى صراعه مع على وفى سيرته فى الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا ، لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، وقد سار فى سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر فى البيعة ليزيد

بجانب مطالب الدولة والفتوح بطبيعة الحال

هذه وأمثالها أمور مسلمة فى التاريخ لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيرا حين نجده فى مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد فيقول : يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم . يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . أفبهذه الآيات وأمثالها يستطيع الأستاذ شاكر أن يسكت لسان التاريخ

كنا ننتظر من الأستاذ أن ينقد هذه الحوادث التاريخية نقداً موضوعيا يحدد على ضوئه موقف معاوية من تعاليم الإسلام! ولكن الأستاذ لا يستطيع أن يأتى لمعاوية بتاريخ جديد فذهب يدافع عنه من باب آخر ، فنقل عدة روايات تدل على أنه حسن الصلاة ! ! وأنه أوتر بواحدة ! فقال ابن عباس إنه فقيه ! ! وأن الرسـول قد قال : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب !! وسارفى هذا المضمار خطوات أتعبته كثيرا . والعجيب أنه يجمل ما ذكره الأستاذ قطب عن تاريخ معاوية روايات متلقفة من أطراف الكتب ! وهى ما تنطق به جميع كتب التاريخ ، أما ما ذكره الآن من فضائل معاوية فليس من قبيل الروايات المصنوعة ، وإن اصطيد من مجمع الزوائد وأمثاله من مراجع الأستاذ ، أفهذا منطق يقنع الباحثين !

وقد تعجبت كثيرا وأنا أقرأ قول الأستاذ شاكر عن قطب « إن كان يعلم أنه أحسن نظرا ومعرفة بقريش من أبى بكر حين ولى يزيد بن أبى سفيان وهو من بنى أمية ، وأنه أنفذ بصرا من عمر حين ولى معاوية فهو ما علم ! » كأن تولية عمر لمعاوية كافية لأن تمحو أخطاءه فلا يأخذه مؤرخ بملام ! ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان فلم تنفعه تزكية الفاروق فى شئ ، وعمر رضى الله عنه لا يعلم الغيب حتى تكون تزكيته لإنسان ما فى عهده ممتدة إلى جميع أعماله مدى الحياة !

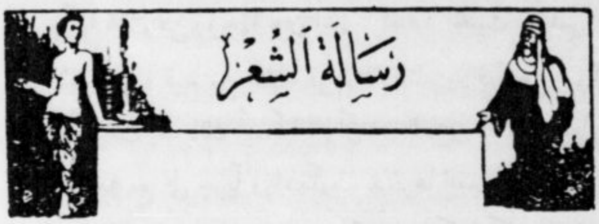
هذا هو معاوية ، أما أبو سفيان وهند زوجه وعمرو ابن العاص فلا أعلم أن الأستاذ قطب قد تجاوز الحق فيما كتب عنهم من تاريخ !! فجميع المسلمين يعرفون أن أبا سفيان حارب الإسلام حربا لا هوادة فيها ، ولم يدخل فى حظيرته إلا بعد أن تقررت غلبة الإسلام ! وأن زوجه هند قد ولغت فى الدم حين أخذت كبد حمزة بين فكيها ، ولا كتها لتأ كلها فلم تستطع ، وأنها قالت عن زوجها حين أسلم : اقتلوا الخبيث الدنس الذى لاخير فيه ، قبح من طليعة قوم ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أموالكم؟ ثم أسلمت بعد ذلك أيضاً ! ! وأن ابن العاص قد عاون معاوية فى خصامه مع على جريا وراء مآرب يدخرها لنفسه دون نظر إلى صالح الإسلام والمسلمين !! هذا كله ما ذكرته كتب التاريخ ، أفيلام الأستاذ قطب إذا ذكره فى معرض الدفاع عن الإسلام وتبرئته من آثام المذنبين ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يؤخذ الإسلام بجرم أبنائه ومدعيه ، حين يحتضن أناساً لم يتمسكوا بأهدابه وقواعده ، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا فى ذلك الشأن

ولقد تعمدت أن أكون واضحاً صريحاً حين تكلمت عن المراد « بالصحابى » فتحدثت عما يفهم من مادة الكلمة دون نظر إلى ما دار حولها من اختلاف لدى الأصوليين ، إذ هم يذكرون عدة تعاريف تتقارب وتتباعد دون أن تلتقى فى ناحية واحدة ، ولو تمسك كل إنسان بتعريف معين لتضارب القول ، واتسعت شقة الخلاف ! على أن الصحبة بمدلولها اللغوى تدل على الملازمة ، فصاحبك هو الذى يطيل المكث معك أكثر من سواه ، وصحابة الرسول بالمعنى الشرعى واللغوى معاً هم أكثر الناس ملازمة له ، وليس منهم معاوية وأبوه وأمه ونجله على أى حال ، ولن أطيل هنا القول فيما ذكره المحدثون فى قول الرسول خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم — وقد سبق فى صدر هذا المقال — إذ أن مفسرى الحديث قد أجمعوا على أن العبرة بالمجموع لا بالجميع ، فقد يوجد فى القرن العشرين من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول العظيم وإذن فليس للأستاذ شاكر أن يتمسك — بهذا وأمثاله — كدليل يستند إليه فى دعواه ، وهو من البداهة بمكان لا يحتمل الترديد والإسهاب

إن من القسوة المنيفة أن يقول قائل عن الأستاذ سيد قطب إنه قد بعد فى كتابه عن منهج الإسلام ، وهو الداعية البصير الذى تشرب روح الإسلام ، وفهم دقائق التشريع ، ورسم خطوطاً واضحة يترسمها الشباب المتوثب للنهوض والعزة فى ظلال الدين الحنيف ، وكان بجهاده الميمون رائد جيل ، ومنقذ نفوس ، وداعية إصلاح

أعلمت أشرف أو أجل من الذى يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

محمد رجب البيومى



اللحن الثائر

للشاعر السودانى محيي الدين فارس

إلى أخى فى الشمال .. !

إلى أخى فى الجنوب .. !

إلى كل وطنى حر آمن بالنور .. وكفر بالظلام .. !

إلى موكب الحرية الحمراء أزجى هذا اللحن الثائر .

يا شرق . يا محراب آمالى ، وأحلامى وفنى ..

فى ليلك الباكى نسجت ملاحمى وملأت دنى ..

وسكبت خمرى للظماء هناك فى الليل الدجى

النازلين من الدموع غلائل القصر الأغن !

* * *

الكادحين هناك فى الليل المحجب بالغيوم

الشاربين مرارة الأيام فى السجن المقيم

الفأس فى يدهم نشيد هز أسماع النجوم

غرسوا النعيم .. وما جنوا منه سوى خمر الجحيم !

* * *

يا شرق يا مهد الحضارة والثقافة والفنون

يا حانة الأرواح تجرى كوثر الخلد الرزين

عبرتك شتى الفلسفات وأنت مثواها الأمين

تسمو على مر الدهور فتسال تاجك لا يهون

* * *

إن فاخروا بشريعة الغابات فى جنح الليال

وهناك فى السودان . فى الوادى المقدس فى القتال

سنعب من دمهم ونحملهم على نعش الزوال

ونطهر الوادى من الأصنام ، من عبث الضلال

سنظل نشدو محاريب الهوى لحن الإخاء

سنظل نعلى بالكفاح الحر ألوية السماء

سنظل نعصف كالرياح الهوج فى ركب الفداء

حتى يؤوب إلى دجى الأدغال فى ذل الإماء

* * *

يا أمس يا دنيا المواجع والشقاوة والسأم

يا مسرح الزمن الخؤون المنتشى بدم الرمم !

وليت ملعون الخطى وغفوت فى حضن السدم

وغدت تهيل عليك ليل الموت أجنحة العدم

* * *

الوعى يقظان وقافلة الحياة على الدروب

هتكت حجاب الليل بالنور المجنح فى القلوب

فبدا لها الهدف البعيد يرف كالشط القريب

فهفت إليه .. كالفراش .. إلى ينابيع الطيوب

* * *

قد آن للفجر المجنح أن يضوئ للنسور

قد آن للفجر الموشح بالوضاءة والزهور

أن يملأ الوادى بألحان الخلود وبالحبور

بموا كب البشرى تهز مسامع الأبد الكبير

محيي الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

عميد الأدباء في الهواء الطلق

قضى فى الوزارة عامين قدم فيهما العلم إلى جيل بأ كمله من الناشئين ، ويسر مصاعب الحياة لجمع كبير من خيـار المواطنين هم الأساتذة والمربون ، ولقى هو فى سبيل ذلك من المتاعب والعناء ما لا ثمن له عند مثله إلا انتعاش النفس لما ينال المجموع من خير

كان طه حسين قبل أن يلى الوزارة كاتبا يبدى الرأى ويدعو إلى العمل ، ثم ولى الوزارة فأشـفقنا عليه مما كتب ، إذ خشينا أن يكون من العوامين على البر ، وإذا هو فى البحر يضرب أمواجـه بذراعى جبار . . كان طه حسين الكاتب الناقد رقيبا على طه حسين الوزير العامل . . ويخيل إلى أن الوزير كان يخشى فى نفسه الكاتب ويفرق منه أشـد الفرق حين أوغل فى القسوة على نفسه ومنع تقرير كتبه فى المدارس وكان كثير منها مقررا من قبل

يكتب طه حسين ويحـاضر فينفع الناس ، ويتولى المناصب فينفع الناس ، حتى حـين يقصد إلى شئ من الترويح عن نفسه بالسفر إلى الخارج نراه وراء العالم سفير مصر الأدبى ونديد الأساطين فى إشباع الفكر فينفع الناس

قال لى مرة وقـد أقبلت عليه لأتزود منه بحـديث لقراء « الرسالة » : أتريد حديثا يطرف القراء أم تريد كلام جد ؟ قلت له : أريد حديثا يطرف القراء ! فابتسم ، ثم تحدث إلى فلم يكن فى حديثه غير الصدق وغير الإمتاع . . فحين قلت له ماقلت كنت أعلم أن كل ما يقوله طه حسين طريف لا يخرج عن الجد والصدق، وكل ما يجد فيه من القول لا يتجرد من الطرفة والإمتاع

إن من خصائص عميدنا الاندماج الـكلى فيما يتعرض له ، وقد اندمج هذين العامين فى التيسير على المتعلمين والمعلمين، ولم يعبأ بقلة « الإكسوجين » فى هواء الوزارة ، ثم ترك الوزارة فأحس بهبوب الهواء الطلق على نفسه ، وسندعه يشبع رئتيه من هذا الهواء ، ندعه قليلا لنتوقع منه بعد ذلك الكثير ...

الثقافة تنتقل إلى المتخلفين :

أنشئت الجـامعة الشعبية كى تتيح الفرص لمن تخلفـوا عن قطار التعليم فى إحدى المحطات .. ومدت يدها إليهم تعينهم على السير واللحاق بالركب . ومضت بهم قليلا وهم فرحون بانتسابهم إلى الجامعة ، ثم هب عليهم غبار من نوع معوقاتهم الأولى . إذ قيل : جامعة ! وما الفرق إذن بين الجامعيين وبين الشعبيين ؟ حتى الاسم استكثروه عليهم .. فليكن اسمها « مؤسسة الثقافة الشعبية » كما أطلق عليها منذ سنوات

لا يهم الاسم ما دامت القافلة تسير ، وقطعت القافلة أشواطا وأخيرا تلفتت .. قطعت أشواطا بمن جاءوا إليها ، ولـكن هل هؤلاء كل من فاتهم القطار ؟ تلفتت تنظر فإذا محطات التخلف لاتزال عامرة ، فما كل من فيها يستطيع أن يقصد إلى المراكز الثقافية ، وقد يستطيع ولكنه يتكاسل

فكرت المؤسسة فى أمر هذه الآلاف المتخلفة القاعدة ، فرأت أن تنتقل هى إليهم فى قراهم بالأقاليم وفى أحيائهم بالمدن . فوضعت مشروعا لذلك يعتمد على وسيلتين :

الأولى مكتبات متنقلة تحملها سيارات تعد إعدادا خاصا بحيث تصبح — بفتح بابها حيثما وقفت — مكتبة مفتوحة ، فيستعير منها من يشاء لقاء « تأمين » زهيد لا يبلغ نصف ثمن الـكتاب ، وقد تغرى المستعير قلة ما يدفعه ويروق فى عينيه الـكتاب .. وليكن ، وتحتمل المؤسسة الفرق بين الثمن والتأمين فى سبيل تأدية الرسالة الثقافية ..

وتستمد المكتبات الطوافة من مكتبات مركزية تقام فى قواعد تختار لها ، وتؤدى هى أيضا رسالتها كمكتبة عامة فى مكانها ، وتحمل المكتبات الطوافة إلى كل جهة ما يناسبها من الـكتب ، وتصحبها آلات للعرض السينمائى الثقافى لتـكون وسيلة إلى اجتذاب الجمهور ، إلى جانب الغرض الأساسى من موضوعها

أما الوسيلة الثانية فهي كتب دورية (شهرية أو أسبوعية أو غير ذلك على قدر الإمكان) تعهد المؤسسة في تأليفها الى مؤلفين من غير موظفيها تكلفهم بتأليفها في موضوعات حيوية على أن يقصد بهذه الموضوعات إما تنمية المعلومات الثقافية العامة ، أو الإرشاد والتوجيه في ناحية من نواحي الحياة العملية ، وتوزع هذه الكتب على من يطلبها بثمن إسمي يغري بطلبها

ذلك هو مشروع مؤسسة الثقافة الشعبية التي تريد أن تنقل به الثقافة إلى الناس في بيوتهم وفي مقار أعمالهم والذي يشتغل الآن بوضع خططه الأستاذ علي عزت الأنصاري بك المدير العام للمؤسسة

الى رفعة علي ماهر باشا

وأريد أن أسوق الحديث بعد ذلك عن الموضوع السابق إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس الوزراء :

قرأنا ما أدليتم به إلى الصحف في الماضي من أنكم توجهون اهتماماً كبيراً إلى مسألة التربية الشعبية ، التي هي القاعدة الرئيسية للعمل المنتج والصالح لخير البلاد وأهله ، والتي تبعث في كل شخص روح الكبرياء القومي ... إلى أن قلتم إنكم أصدرتم إلى محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية تعليمات مشددة بأن تساهم بنصيب كبير في تربية الذوق السليم وإنماء الروح المعنوية القوية

كشكول الأسبوع

أوشكت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية على الفراغ من فحص الإنتاج الأدبي المقدم لمسابقة سنة ١٩٥١ـ١٩٥٢ وهو سبعة دواوين واثنتا عشرة قصة وبحثان وكتابان محققان ، وينتظر أن تعلن نتيجة هذه المسابقة قريبا .

◻ في الوزارة الماهرية القائمة أربعة وزراء أولاد مشايخ ، اثنان منهم ولدا شيخين سابقين للازهر وهما محمد عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف وأحمد مرتضى المراغي بك وزير الداخلية ، والآخران ولدا شيخين من كبار العلماء وهما سعد اللبان بك وزير الأوقاف وزكي بك عبد المتعال وزير المالية

◻ قال الأستاذ « ماسينيون » في مؤتمر المجمع اللغوي « إن أعمال المجمع تدرس في معهد تخريج مدرسي اللغة العربية في فرنسا » ، ومما يؤسف له أن هذه الأعمال لا تظفر بمثل هذا الاهتمام في أي معهد بمصر .. ولعل للمجمع يدا في هذا التقصير ، لأنه لم يقم إلى الآن بطبع هذه الأعمال ونشرها لتكون في متناول الجميع . وقد وصلت إلى فرنسا عن طريق الأستاذ ماسينيون الذي طلبها من المجمع فأمده بها

◻ أصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية كتابا جديدا من آثار المغفور له أحمد تيمور باشا ، عنوانه «الآثار النبوية» ويتناول فيه المؤلف العلامة ــ بالدرس والتحقيق ــ آثارا اشتهرت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتداولها الناس دون أن يميز أكثرهم صحيحها من زائفها ، مثل القضيب والبردة والمنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف وغير ذلك

◻ وافقت لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب على مشروع القانون الخاص بحماية حق المؤلف

ليس هذا جديداً علينا منكم يا رفعة الباشا ، فنحن نذكر جهودكم في إعلاء الثقافة في مختلف العهود التي توليتم فيها الوزارة ، نذكر من تلك الجهود ماقمتم به في سنة ٩٣٧ — على ما أذكر — من تنظيم المسابقات للنشيد القومي ، وللكتابة في موضوعات أدبية فكرية كرسالة الجامعة والأزهر وغيرهما في القرن العشرين

فنحن إذن نعلم أنكم مؤمنون كل الإيمان بأثر الثقافة في التربية الشعبية ، ولعلكم ترون الموضوع الذي عرضته قبل هذا ، وخاصة ما تقترحه مؤسسة الثقافة الشعبية من إصدار كتب دورية يمكن اتخاذه وسيلة إلى التربية الشعبية التي توجهون إليها عنايتكم ، فلا تكون المسألة قاصرة على الإذاعة ، بل تتناول هذه المؤلفات التي تفكر المؤسسة في موضوعها ، فتولونها عنايتكم وإرشادكم لكي تقوم بنصيبها في تحقيق هذا الغرض

الإعداد للمؤتمر الثقافي الثالث

كان المؤتمر الثقافي العربي الثاني الذي انعقد بالإسكندرية في صيف سنة ٩٥٠ – قد قرر ان تؤلف لجنة برئاسة معالي الدكتور طه حسين باشا ... بصفته الشخصية ... للاعداد للمؤتمر الثقافي العربي الثالث ، وكان معاليه قد تحدث في ختام ذلك المؤتمر إلى الوفود العربية محيياً لهم معتذراً من تقصير مصر في إكرامهم ، معرباً

عن رغبته فى أن يكون اجتماع المؤتمر الثالث بمصر أيضاً كى تستطيع أن تقوم بما ينبغى عليها نحو أبناء الشقيقات

ومنذ أسابيع أخذ معالى الدكتور طه حسين باشا فى العمل وإعداد ماينبغى لتنظيم المؤتمر الثالث ، ثم استقالت الوزارة السالفة وجاءت الوزارة الحالية التى ولى فيها وزارة المعارف معالى الأستاذ محمد عبد الخالق حسونة باشا ، فكتب إلى معالى الدكتور طه حسين باشا ليمضى فى الإعداد للمؤتمر

واستأنف العميد العمل فى هذا السبيل ، فدعا اللجنة التى ألفت للإعداد للمؤتمر إلى الاجتماع ، فاجتمعت يوم السبت بدار مجمع فؤاد الأول للغة العربية برياسة معاليه ، وحضرها مندوبو مصر وباقى الدول العربية ، وهم الأستاذ محمد سعيد العريان والدكتور سليمان حزين بك (عن مصر) والدكتور بديع شريف (عن العراق) والدكتور مدحت جمعة بك (عن المملكة الأردنية) والأستاذ مدحت فتفت (عن لبنان) والدكتور زكى المحاسنى (عن سوريا) والسيد على الآنسى (عن اليمن) ، ولم يحضر مندوب المملكة السعودية ، ومثل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الأستاذان سعيد فهيم وعلى عبده

ونظرت اللجنة فى الزمان والمكان اللذين يجتمع فيهما المؤتمر ، وتناول البحث الوقت الصالح لمجئ الوفود إلى مصر من حيث ملاءمة الجو ، فتقرر أن ينعقد المؤتمر بدار الجمعية الجغرافية فى القاهرة فى الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو وقت ملائم من عدة وجوه ، منها أنه أوان العمل والنشاط فى المعاهد والهيئات الثقافية وغيرها ، ويستطيع الضيوف أن يطلعوا على مختلف النواحى وتنظم لهم الرحلات إلى هنا وهناك فيطالعوا أوجه النشاط المختلفة فى أحسن أحوالها

ونظرت اللجنة بعد ذلك فى الموضوعات التى قرر المؤتمر الثانى أن تكون موضع دراسة المؤتمر الثالث ، وهى — بعد أن نظمتها وصفتها اللجنة الثقافية التى عقدت فى الصيف الماضى بالاسكندرية : —

١ — طبع التعليم فى مختلف البلاد العربية بالطابع القومى الذى يقوم على خصائص الثقافة العربية وخير ما فى الثقافات الغربية . وقد تقرر تكوين لجنة من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف ومدحت فتفت والملحق الثقافى بمفوضية المملكة الأردنية — لبحث مناهج التعليم والكتب الدراسية المقررة فى الدول الأعضاء لمواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية لبيان مدى ملاءمتها لتحقيق الغرض من هذا الموضوع وهو طبع التعليم بالطابع القومى .. الخ ، وبيان صلة ذلك بما قرر المؤتمر الثقافى العربي الأول من القدر المشترك الواجب تدريسه لكل تلميذ من تلاميذ البلاد العربية فى هذه المواد . ولوحظ فى أثناء بحث هذا الموضوع أن مصر فى الوقت الحاضر بصدد وضع مناهج جديدة تطبيقا لقوانين التعليم الأخيرة ، وفى ضوء ما يسفر عنه تقرير اللجنة بعد استيفاء وسائل الاتصال بوزارات المعارف يكون بحث المؤتمر فى هذه المسألة

٢ — تحقيق الوحدة اللغوية فى المجتمع العربى حتى تصبح اللغة الفصحى لغة العلم والحياة معاً ، ورؤى أن هذا الموضوع يستحق أن يلقى فيه بعض الأعضاء بحثاً يتتبع فيه مدى رقى الفصحى فى البلاد العربية وتطورها تبعاً لانتشار التعليم ، مع القصد إلى بحث موضوع تيسير تعليم العربية فى ضوء المشروع الذى أعده مجمع فؤاد الأول للغة العربية من نحو عشر سنوات لتيسير تعليم قواعد العربية

٣ — نشر الثقافة بين الكبار . تألفت لجنة لهذا الموضوع من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف وزكى المحاسنى ، واقترح معالى الرئيس أن ينضم إليها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك باعتبار تخصصه وتجربته فى هذا الموضوع

٤ — تعميم التعليم الأساسى كوسيلة من وسائل مكافحة الأمية ، وقد رؤى إرجاء النظر فى هذا الموضوع إلى أن تتبين نتائج التجارب المختلفة التى تجريها فيه « اليونسكو » بمصر

٥ — بحث موضوع الكتاب المدرسى : يدخل بعض هذا الموضوع فى نطاق البحث الذى تقوم به اللجنة المؤلفة للموضوع الأول

٦ — النظر فى مدى تنفيذ ما اتخذ فى المؤتمرين السابقين من قرارات ، وسيدلى كل وفد من وفود الدول الأعضاء بموقف وزارة المعارف فى بلاده من هذه القرارات

وستوالى اللجان التى ألفت لبحث بعض موضوعات المؤتمر اجتماعاتها على أن تفرغ من عملها قبل أول مايو القادم ، ثم تجتمع اللجنة الإعدادية للنظر فى أعمال اللجان الفرعية

عباس خضر



السنوسية دين ودولة

تأليف : الدكتور محمد فؤاد شكرى

للاستاذ محمد محمود زيتون

«درج الكتاب من الإفرنج على اعتبار السنوسية إحدى الطرائق الصوفية فحسب ، وانبرى الطليان من سنوات مضت يعملون لتعزيز هذا الاعتقاد بكل الوسائل ، يحدوهم إلى ذلك الأمل فى صرف أذهان سواد الناس عن التفكير فى أصول السنوسية الحقة والتسليم بأنه ما دامت السنوسية طريقة من الطرق الصوفية فهى بعيدة كل البعد عن العناية بغير شؤون الدين ، بل ولا يحق لها أن تعمل لمطالب الحياة والدنيا ، ووجه الخطر فى هذا الاعتقاد — إذا رسخ فى الأذهان — ظاهر واضح ، ذلك بأنه يحرم السنوسية — كنتيجة منطقية فى النهاية — من التطلع إلى الحكم وتشييد صرح الدولة الإسلامية العتيدة ، تلك الدولة التى جاهد الليبيون سنوات طويلة من أجل إرساء قواعدها فى ليبيا ، ومع ذلك فقد فات الطليان ومن حذا حذوهم أن الاسلام لا يعرف تفرقة بين شؤون الدين والدنيا ، ولا يفصل بين العقيدة والدولة . وما كانت السنوسية فى أدوار تاريخها الحافل (طريقة) تقصر اهتمامها على شؤون العبادة من غير نظر فى أحوال الشعوب التى أخذ (الإخوان) السنوسيون على عاتقهم إرشادها حتى تتحرر من قيود الجهالة وتنعم بهدى المعرفة »

بهذه الفقرة يفتتح المؤلف تصديره لكتابه الذى نقدمه للقراء فى هذه الفترة التى تلفت الأنظـــار إلى المملكة الليبية الناهضة كثمرة للدعوة السنوسية فى هذا القطر الشقيق

وتقديم هذا الكتاب إنما هو تعريف بتاريخ النضال الذى اضطلع به هذا الشعب المسلم المجاهد الذى طرح عن كاهله نير العبودية فى قوة وجلد ، فما أوهنت عزائمه تقلبات العثمانيين ، ولا فتت من أعضاده فظائع الطليان ودسائس الألمان ومخازى الفرنسيين والإنجليز

وثمة ميزة أخرى لتقديم هذا السفر للقارئين فى هذا الوقت: ألا وهى التنويه بحلقة من سلسلة الجهاد فى سبيل « الجامعة الإسلامية » التى شغلت ولا تزال تشغل قادة الفكر الاسلامى فى العصر الحديث ، وانطوت صحائف ، وما يزال هؤلاء القادة فى مكان الصدارة من التاريخ المجيد ، فضلا عن اعتزاز بلادهم بمآثرهم الاسلامية التى لا تنسى

أما ليبيا التى تعتز اليوم بنهضتها فإنها خضبت تراب بلادها بدماء الشهداء لا من أهلها فحسب ؛ بل من المتطوعين من شتى الأقطار الاسلامية ، كما أن كثيراً من المصريين بصفة خاصة كان لهم سهم وافر فى هذا الجهاد الصادق ، وما يزال الليبيون على ذكر من الأعمال التى قام بها عبد الرحمن عزام ، وصالح حرب ، وعزيز المصرى ، وعبد المنصف محمود ، والمرحوم محمود لبيب ، الذين خاضوا غمار المعارك الدموية ، مؤمنين باليقظة الإسلامية ، والوحدة العربية ، والحرية والاستقلال ، تحت ظلال السيوف ، كما أن الأمير عمر طوسون — عليه رحمة الله — كان جم النشاط فى جمع المـال اللازم لحركة الجيران المناضلين عن دينهم وشرف الوطن

والدعوة السنوسية امتداد مستقيم للدعوة المحمـــدية التى جوهرها تنوير الأذهان وتحرير الأوطان، وقد اقتضت الظروف التى حاقت بالدول الإســلامية فى القرن الماضى يقظة فكرية شاملة ، ترسم أصحابها خطى النبى المصلح ، فلما صدق العزم ، تبين الرشد من الغى ، واتضحت السبل والأســـاليب ، ذلك بأن الاسلام مصحف ومنبر ، سيف وكتاب ، عبادة وقيادة ، عقيدة وشريعة ، رهبانية وإرهاب ، وبالجملة دين ودولة ، لهذا كانت السنوسية طريقة ودعوة وغزوة ، وما زالت تمضى فى سبيلها المرسوم من نظام اجتماعى إلى جمهورية فإمارة ثم ملكية

ولد زعيم السنوســـية الأول السيد محمد بن على السنوسى بالجزائر فى سنة ١٧٨٧ ونشأ فى بيئة علم وفضل ، وتنقل فى الأقطار الاسلامية مقتبسا من مناهل العلماء مناقشا وفاحصا ، وقد صقل التصوف من عنفوان شبابه ولكنه لم يحد من نزعته

الصادقة إلى « إحياء الملة الإسلامية وتوحيد الصفوف فى العالم الإسلامي للنهوض بالدين الحنيف نهضة صحيحة قوية » وأخذ يتزود من العلم ويمنحه للطالبين فى يسر ومضاء حتى ذاع صيته وأوجست منه خيفة شتى العناصر الجامدة فى فاس والقاهرة وصار « خطراً على الأمن العام » وألصقت به التهمة المأثورة « محاولة قلب نظام الحكم » فأصابه أذى كبير من الولاة والمشايخ ، وبانتقال الداعية الإسلامى الكبير إلى برقة بدأ « الإخوان » ينشئون الزوايا كنقط ارتكاز للدعوة السنوسية ، وكانت « البيضاء » أم الزوايا بمثابة المركز العام لهذا النشاط الذى دوخ الاستعمار

على أن السنوسية لم تكن دعوة لتطهير الدين من البدع والخرافات فحسب ، بل تعدت هذا النطاق إلى تحرير الرقيق من أهل (واداى) فكان سلطانها محمد شريف يشترى هؤلاء الأرقاء ويعلمهم فى الزوايا ثم يعتقهم ويبعث بهم إلى أهليهم لينشروا الإسلام فى الزنوج والوثنيين .

وليبيا الواقعة حينذاك فى نطاق الخلافة العثمانية لم تنس حقيقة هذا الدين المتين فتمسكت بأهدابه ، وعندئذ رأى العثمانيون فى السنوسية عاملا من عوامل الدعاية لهم ، فاستعانوا بالسنوسى الكبير على بث روح الألفة بين الناس ، ونشر السلام بين ربوع البلاد ، وسار ولاتهم فى ركابه كما انتقل فى البلاد إلا أنهم مالبثوا أن قلبوا له ظهر المجن عندما بدأت السلطات العثمانية « تخشى من سلطان السيد فى الجهات التى أنشئت فيها الزوايا وكثر بها الاخوان والأتباع والمريدون » وعملوا على زعزعة مكانته فى نظر المسلمين حتى ناهضته العناصر الرجعية بالأزهر ، فلم يثنها ذلك عن المضى قدما

ولما توفى السنوسى الكبير سنة ١٨٥٩ انتقلت الإمارة إلى ولده المهدى الذى أخذ على عاتقه إتمام ما بدأه أبوه فزاد عدد الزوايا وتوغل فى الصحراء الكبرى ، وأوجد بها مراكز لتعليم الرماية ، فاتهمته فرنسا وتركيا وإيطاليا بتعطيل مصالح الاستعمار والتعصب ضد المسيحية واغتيال المكتشفين للصحارى . وتوفى المهدى فى أول يونيو سنة ١٩٠٢ وخلفه الشاب السيد أحمد الشريف حفيد السنوسى الكبير فواصل الجهاد ضد الفرنسيين وصمد لهم على الرغم من تخلى العثمانيين عنه حتى أسلم القيادة إلى ابن أخيه الراشد إدريس

وفى سبتمبر سنة ١٩١١ قطعت إيطاليا علاقتها بتركيا ، فأغار الطليان على برقة وطرابلس . فبدأت السنوسية صفحة مريضة من نضالها الشعبي الذى دام ثلاثين عاماً ، وتحققت الجامعة الاسلامية بصفة عملية فى تدفق المؤن والذخائر والمال والرجال على ليبيا من مصر والسودان والعراق والشام وتركيا ، وقام صالح حرب بدور جرىء إذ انقلب على الانجليز ودافع عن مقدسات الشعب الليبي ، كما أبلى البطل الشهيد عمر المختار أحسن البلاء حتى وقع أسيرا فى أيدى الطليان الذين حاكموه صوريا وأعدموه رمياً بالرصاص

وما إن اندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية حتى تقدم الجيش (الأنجلونومى) لطرد الألمان والطليان من ليبيا وتأمين الجناح الأيسر لمصر ، وقد سجل الأمير إدريس السنوسى فى هذه الخطوة لنفسه ولبلاده شرف المجاهد والسياسى العامل على تحقيق استقلال بلاده

وإذ وضعت الحرب أوزارها دأب السنوسى على ضم الصفوف فبويع بالإمارة على الأقطار الليبية: برقة وطرابلس وفزان ، حتى نودى به ملكا على مملكة مستقلة لم يكف عزام عن سرد قضيتها على الرأى العام والسعى فى انضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة وبالتالى إلى جاراتها أعضاء جامعة الدول العربية

هذه هى قصة السنوسية كما عرضها الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه القيم « السنوسية دين ودولة » الذى بذل فيه جهوداً جبارة فى سبيل التحقيق العلمى ، فجاء عمله مثلا طيبا للمنهج التاريخى الذى وضع دعائمه الأولى ابن خلدون . فقد تجنب السرد المضل . وعمد إلى التحليل والاستقراء ، وليس أدل على ذلك من فصل « الإمارة السنوسية » الذى خصصه لتفصيل دعائم هذه الدعوة وهى أصول دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية

ومما يجدر بنا الإشارة إليه — كآخر أصل سياسى للامارة السنوسية — « تلك الوصية التى تركها السيد رحمه الله بإسناد رئاسة الطريقة السنوسية إلى الأكبر الأرشد من الأسرة

السنوسية . ثم نظام البيعة » وما نعلم مطلقاً أن البيعة في الاسلام كتلك المراسيم التي ننكرها على الطقوسيين ، فهل من الاسلام أن البيعة تستتبع تقليد المبايع سيفاً ومنحه كتابا وإلباسه جردا ، وإعطاءه مسبحة ، وإقامة صلاة ومصافحة « فكانت هذه الصلاة وهذه المصافحة بمثابة المبايعة له بالإمارة من بعده ؛ وأجمع الإخوان وكبار السنوسية وشيوخها على قبول هـذه الإمارة في حياة والده ثم بعد وفاته ، وعلى ذلك فكأنما جمعت السنوسية في نظام الحكم بين مبدإ الوراثة والصلاحية والعمل بمبدإ الشورى وحققت في هذا النظام بعض شروط الإمارة » . وينزع المؤلف إلى منطق التبرير الذي نراه يباعد بينه وبين منطقه المنهجي إذ يقول « ومن المعروف أن الشورى كانت ركناً من أركانها ، والواقع أنه لم يكن هناك مناص من هذه (البيعة) الاسلامية باعتبارها أصلا من الأصول التي قام عليها (بيت) شريف ينتهي في نسبه القرشي إلى الرسول الكريم » ... كذا ..

هذا ولا ننكر على المؤلف هذه الطاقة العلمية التي جملته — في سبيل التحقيق والتحليل — يعتمد على أوثق المصادر ، ولا سيما الإيطالية بعد أن ترجمها له أصدقاؤه من الليبيين أنفسهم فذللوا أمامه كل عسير ، ثم هو يعتمد على رواية المعاصرين ممن أسهموا في النهضـة الليبية بأوفر سهم ، وصـدق الشاعر « فما راء كمن سمعا » . والكتاب من منشورات دار الفكر العربي ، تلك الدار التي لا تفتأ تزود المكتبة العربية بالمؤلفات القيمة ، وترمي دواماً إلى هدف رفيع ، وغاية نبيلة ، خدمة للقضايا العربية والإسلامية متخيرة لذلك العقول الكبيرة والأقلام الرفيعة ، فصدر الكتاب في ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير والطبع الأنيق وثمنه خمسون قرشا

وإنه ليحق لكل دارس قومي أن يفخر باقتناء هذا السفر ، وإلى مثل هذا الجهاد التأليفي ندعو الباحثين في قومياتنا ونهضاتنا آملين الظفر — في آخر الأمر — بمؤلفات عريقة ، ودراسات دقيقة كهذا الكتاب

محمد محمود زيتون

توجيهات نبوية

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

للسيدة وداد سكاكيني

كانت هذه التوجيهات آخر ما نشر الأستـاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي من علماء الأزهر المجددين وقد ضمنها أربعين حديثاً محمـدياً صحيحة السند موثوقة المتن والنقل ، اختارها المؤلف ملائمة لروح العصر وتوجيه أهله في الدين والعلم والاجتماع. ولعلنا أحوج ما نكون في هـذه الأيام إلى هذا التوجيه المحمدي الذي دعا إليه الرسول أو قام به ليكون قدوة تحتذى وسنـة تتبع ، ففي كل عصر من العصور غمرة فساد وموجة طغيـان ينهض لصد شرها ودرء عواقبها أهل الصلاح والإصلاح ممن آتاهم الله علما وفضلا

وهل كان شيء أجدى على الإنسانيـة الحيرى وأهدى في ردها إلى سواء السبيل من أحاديث الرسول وتوجيهاته التي كان يبصر بها الناس ويقيهم الانحراف والعثار ، وقد جعلها لهم دستورا رافدا لتعاليم القرآن ومنيرا للأمم في حياتها الاجتماعية

ولقد قسم المؤلف هذه الأحاديث الأربعين إلى فصول صغار شرح فيها الكلمات شرحاً لغويا وإعرابيا ، ثم بسط الغاية منها بسطا وافيا ، فكأنه يلقيها من على منبره في كلية الأزهر التي أسندت إليه تدريس الحديث في جملة عمله الجامعي

والأستاذ الصعيدي ذو دأب وتجديد في التأليف بالأدب والدين ، لا لطلابه فحسب ، بل للجمهور المثقفين بمصر وبلاد العرب ، فهو إذا عرض دراساته الأدبية لم نجد كفايته وإتقانه مقصورين على هذه الدراسة ، إذ نراهما يتناولان جذور البحوث الدينية فتجيء مشبعة بالتحليل والاستقراء

ففي كتابه توجيهـات نبوية أو محمدية يبلغ المدى في فهم الحديث على الوجه الذي فهمه الصحابة فيه ، ويقرر خلال الدرس والبحث نواحي المقارنة والمطابقة دون استطراد ينحرف بالقارىء أوتفصيل يضيق به كما اتفق لكثير من الشروح الدينية في زماننا.



بريد الرسالة الأدبي :

تنظر طائفة من الناس إلى (البريد الأدبي) للرسالة على أنه هامش لا يجدر بهذا الاحتفال الذى يتمثل فى التعقيبات المختلفة ما بين نحوية وصرفية ولغوية إلى تصحيح رأى ، ونقد فكرة ، والواقع الذى لا مرية فيه أنه باب حافل خليق بكل عناية ، فأقل مايقال عنه أنه حرب على الأخطاء الشائعة التى يخشى منها ومن مثيلاتها على اللغة العربية الفصحى التى نسمى جاهدين فى صيانتها والحفاظ عليها ، ولا أعتقد أن واحدا من المعقبين يقصد إلى التشهير بالمخطئ ، أو الزراية باللاحن ، ولا تعنيه (زبدة البحث وعصارة المقـال) بمقدار ما يستهويه تسقط اللحن ، وتعقب الأخطاء

الرسالة مدرسة خالدة رصدت نفسهـــا منذ نشأتها إلى الذود عن لغتنا الحبيبة ، والدفاع عنها فى شتى النواحى والأبحاث. واللغة العربية فى محيطها مجموعة من الألفاظ السليمة القوية ، ونحن نريد أن نقيم الحواجز بينها وبين الدخيل الذى يحسب منها وهو شوكة فى جنبها ، لا يفتأ يخزها فى مقال الكاتب ، وخطبة الخطيب ، وعلى لسان المتحدث . وإن تعجب فعجب أن نرى الأستاذ المنيفى فى العدد (٩٧١) من الرسالة يخذل عن هذه المهمة ، لأن تصويب الأخطاء الشائعة الشائهة (كما يقول) « عسير الهضم على أفكار الأدباء والكتاب ؛ لأن الكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين ، بيد أن تصحيحها لا يضفى عليها معنى جديدا ، أو زيادة مستحدثة » . وأعتقد أن عسر الهضم ، ومشقة الإساغة وضيق الصدر ، كل أولئك يهون فى سبيل الحرص على سلامة اللغة وصونها من العبث . كان أولى أن يحمد للباحثين فى المعاجم صنعهم ، فهم يقدمون له ولغيره البيان الشافى فيما يرتاب فيه ، وليس ضئيلا أن يضيف إلى معلوماته فى كل عدد طائفة أخرى من الألفاظ المنخولة المنقاة . . إننا نخشى أن تفتح الثغرة للدعى من الكلمات ، فلا يحجزه إلا أن يبارك الله (البريد الأدبى) وينسأ فى أجل « الرسالة » الحبيبة ، ويزايل الغضب من النقد البرئ صدور الناس ، فلا يضيق كاتب بتوجيه ، ولا ينكل قارئ عن بيان ، ولا يستنكف أستاذ عن تعلم ، وتلك هى أهداف الرسالة التى تجمع على الحق قلوب الأدباء ، وتشيد على المحبة صرح المجتمع ، وتدفع فى صراحة وقوة عن مجد العروبة

محمد محمد الأبشيهي

وأطرف ما وجدت فى هذه الأحاديث تحليل المؤلف لحديث النهى عن سب الدهر ، ولعل الدهر لم يتحمل سبابا مثلما تحمل فى زماننا ، فالأفراد يلومونه ويرمونه بالجور والعدوان ، والجماعات تعزو إليه أسباب الفشل فى الحياة ، ولو جمعنا شعر العرب من امرئ القيس إلى شوقى لأتينا على شعر لا يحصى فى سب الدهر وملامته ، ناهيك ما عند المعرى من ذلك

والنادرة الجميلة فى هذا الحديث — إن صح أن يكون فى الأحاديث نوادر — ما أورده المؤلف حفظه الله من تعليل لهذا الحديث وهو حث الإنسان على الرضى بما يصيبه فى الدهر وعلى عدم الشكوى فيه من الدهر

وقد علل وجود الشكوى باعثا على اليأس ، نعم إننا قد نيأس لأن اليأس مخلوق فى غرائزنا وشعورنا ، فالطفل الرضيع يمارس اليأس دون فكر ، والكبير يمارسه بفكر أو بفلسفة ، ولا مناص منه للانسان ليجد الرجاء ويفتح باب الأمل بمحاربة القنوط ، غير أن العلة فى النهى عن سب الدهر كالعلة فى النهى عن اليأس . ولليـــأس درجات أنكرها وأقصاها ما نهى عنه القرآن

كذلك نجد فى هذه التوجيهات المحمدية ضروبا من الأحاديث الملائمة لعصرنا وأهله ، فيها أدب وثقافة ، وفيها هداية ووقاية ، وقد وفق المؤلف باختيارها وشرحها إذ وضعها فى قنديله ، فشعت بنورها الجميل

ودار سطكيني

اعتذار وشكر :

نشر بالعدد الماضى تحيتان للرسالة بمناسبة عامها الجديد حداهما من الحجاز والأخرى من العراق وقد اشتملتا على قدر عظيم من جميل الرأى وحسن الظن فى الرسالة وصاحبها . وقد تعودنا فى الماضى الطويل ألا ننشر شيئا مما يشبه ذلك . ولو أننا سفناه لكان من موجبات الذوق أن ننشر عشرات الرسائل التى تفضل بها علينا كرام القراء فى هذا الموضوع . لذلك نعتذر من نشر مانشر ومن طى مالم ينشر ، شاكرين للسادة الكتاب والشعراء حسن تقديرهم وفضل تشجيعهم

لمن هذا الشعر

جاء فى « نديم الخلفاء » من سلسلة اقرأ الصادر فى فبراير سنة ١٩٥٢ للأستاذ عبد الستار أحمد فراج قوله : شرب الحسين ابن الضحاك يوما عند إبراهيم بن المهدى فجرت بينهما ملاحاة فى أمر الدين والمذهب فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر ويسأله أن يجيئه فكتب إليه الحسن : —

نديمى غير منسوب إلى شىء من الحيف

سقانى مثل ما يشر ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الخمر مع التنين فى الصيف

وأقول : قد قرأت كثيرا فى كتب التصوف وفيها هذه الأبيات بنصها منسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج الصوفى الشهير ، وفى ترجمته فى الطبقات الكبرى للامام الشعرانى : —

قال أبو العباس الرازى كان أخى خادما للحسين بن منصور قال فسمعته يقول لما كان الليلة التى وعد من الغد بقتله قلت ياسيدى أوصنى قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك .. فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال: حسب الواحد إفراد الواحد له ثم خرج يتبختر فى قيده يقول :

نديمى غير منسوب إلى شىء من الحيف

ثم قال : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق » ثم ما نطق بعد ذلك بشىء حتى فعل به ما فعل !

تباين عجيب وفرق شاسع بين صاحب خمرية فى وصف الخمر وهذا العالم الربانى الفريد

وإلى أن يبين لنا الأستاذ عبد الستار فراج مرجع روايته رجىء الكلام فى هذا الموضوع

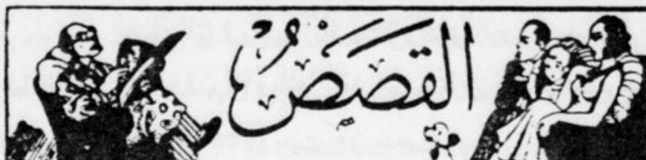
محمد منصور خضر

استفهام

فى العدد الممتاز من الرسالة (٩٦٦) لسنتها العشرين ، وفى مقال الأستاذ عبد القادر المغربى « من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة » وفى الصفحة التاسعة ، وفى السطر الخامس والعشرين من العمود الأول . يذكر لنا فضيلة الأستاذ الجليل أن سن الرسول كان عند دخوله المدينة المنورة نحو الخمسين . إذ يقول « فإذا لحيته الشريفة سوداء ليس فيها شيب . مع أنه أكبر من أبى بكر بثلاث سنوات وكان النبى فى نحو الخمسين من عمره »

وأنا أعلم أن الكثرة الساحقة من الروايات تنص على أن الوحى تنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وسنه أربعون ، وأنه أسر بالدعوة ثلاثا ، وجهر بها فى مكة عشرا ثم هاجر بعد ذلك ، فما الحكمة فى أن يذهب الأستاذ الجليل فى مقاله الرائع القيم هذا المذهب ؟

عبد الحافظ عبد المجيد كسبه



انتقام الاميرال

للقصصي الفرنسي أرنست دوديه

كان القصر العتيق يجثم كالحصن الجبار فوق صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس حينذاك تضيف للغروب وتنحدر رويداً من شارف السماء ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها أباطح الدم ، وارتسم على جبينها الكلال والأين. ويشرف القصر أيضاً على الطريق الممتد إلى « برست » وعلى قارعة هذا الطريق تقم الميناء وقد أطلت من ورائها سوارى السفن ومداخنها مصبوغة بألوان الشفق الزاهى الجميل ... ومن نوافذ القصر الضيقة بان البحر كأنه بساط من سندس وإستبرق تجرى عليه السفن بقلاعها التى يهدهدها نسيم الأصيل فتتموج، وتداعبها الرياح الخفيفة فتترجرج ... وتعلو من القصر المنيف قباب وأبراج شامخة فى الفضاء تتحدى الزوابع العاتية والمواصف الهوجاء .. وتحف أغصان الأشجار اللفاء الوارقة بجدران تحركها الرياح الموانى فتبدو كضفائر جافة خشنة لطيف امرأة تضرب فزعا فى الليل المدلهم ... وعندما غسق الليل وأجن السكون فى مسوحه الطاخى الأسحم ، أترعت السماء سحاب ثقال منشئات تحركها المواصف الهوج فى شدة وعنف . وعب عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة المزبدة فراحت تصطدم بصخرة القصر الهائلة وتنحسر عنها فيسمع لها زئير كزئير الأسد وهزيم كهزيم الرعد

فى تلك الأثناء كان الأميرال المركيز « دى بلك هيلوين » جالساً إلى نضد صغير وضع عليه بضع رسائل عفى على لونها الزمن فاصفر وحال ، وبضع زهور ذاوية ونوط قلادة وشريط من الحرير الأزرق ، وبجوار هذه الأشياء صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس المطعم بالعاج ، كان ولا ريب يضم تلك الآثار الغرامية المتناثرة على النضد. وتجلت أمارات الحزن العميق على وجه الأميرال بينما لمعت عيناه فجأة ببريق الغضب المسعور

وكان الأميرال رجلا رقيق البدن واهن العظم له وجه مغضن بارز العظام ، وعينان غائرتان قد انطفأ فيهما التألق والبريق ، ويدان معروقتان عاريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان بدنه المنهوك قد ذبل بفعل المرض الذى يفتك به فتكا ذريعاً . ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة العزم التى كانت تسبح ثائرة فى دمه وتشع من عينيه ، وخفت فيه ذلك الصوت الجهورى الملىء الذى كان يمزق المواصف ويطغى عليها . ولم تبق فيه ذرة من القوة التى طالما أعجب بها رجال أسطوله وبحارته من قبل . وأبت الجرأة والبسالة أن تسكنا ذلك الجسم المهدم الفانى ففارقتاه بعد إذ كانتا تفوران فيه فوراناً حينما كان يزخر بقوة الشباب ويموج بفتوة الرجولة . واشتد به السقام حتى صيره هزيلا ناحلا . ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا ليعالج هذه الجريمة النكراء التى اكتشف الآن فقط دليلها الحاسم ، وليرى مدى قدرته على الثأر وهو من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث اعتاد أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة ، يقول فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك ممعنة فى خيانتك ، دائبة على العبث بشرفك ؛ ولعلك وحدك الشخص الذى لا يعلم شيئاً عن علاقتها الآثمة بمساعدك السابق الكابتن « فوشيرون » . وإذا أردت على ما أقول شاهداً ودليلا فاذهب إلى مخدع المركيزة ، فهناك من ناحية رأس السرير ترى تحت إحدى الصور المعلقة خزانة فى الحائط ، بها صندوق صغير . افتح هذا الصندوق واقرأ ما فيه ، فستنقشع الغشاوة عن عينيك ، وتتبين بوضوح ما غاب عن بصيرتك كل تلك السنين الواضى »

وعزا المركيز هذه السعاية إلى خادم مطرود . لذلك قضى سريعاً على ما أثاره الخطاب فى نفسه من شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة فى يمناه وهم بتمزيقها لولا أن حاك الشك فى صدره فأرجع الكتاب يتلوه مرة أخرى ... وللمرة الأولى فى كل حياته مع زوجته تساوره الظنون والريب . وتحامل على نفسه وغادر مضجعه ، ثم راح يجر نفسه جرا ، وفى الحرز الأمين فى الكتاب

ألقى أدلة الاتهام السود

وراح يتمثل ويعجب كيف مرت عليه هذه السنون الطوال وهو غارق فى لجج هـذا الوحل دون أن يدرى ... ها هـو ذا يمضى إلى مثواه الأخـير تكتنفه قرائن الجريمة الدنسة التى اكتشفها اليوم فقط هازئة سـاخرة ... فكيف إذن يتسنى له الثـأر لنفسـه من هذين المجرمين قبل أن ينطفئ سراج حياته الخافت الضئيل

ياللخيانة والغدر ! أزوجه التى شملها بحبه ووهب لها كل قلبه ؟ ! ومرؤوسه الذى أمطره بوابل من عنايته ، وغمره بفيض من صداقته . . ياللعار وياللدرن ! أنسى هـذا السافل الخؤون ، هذا الجـاحد الكنود ... أنسى كيف كان يرعاه كابنه وزيادة ؟ وهـذه الشقية زوجه ؟ لا نكران أنه اقترن بهـا والفرق بين عمريهما جد كبير . إذ كانت فى العشرين وهـو فى الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من ينكر أيضـا أنه انتشلها من وهدات اليتم والمسغبة ، وأضفى عليها لقبه المجيد التالد وقلبها فى تراثه الواسع وضمن لها الحماية والرعاية فى حياته ، وسيخلع عليهـا من تراثه درعا يقيهـا من بعده عدوان النـاس وغدرات الزمن . أبدا . . ما أرغمها امرؤ على الزواج منه ، بل كان هذا على اختيار منهـا ورغبة ... ولم يكن يوما ليني عن تلبية رغبة لهـا مهما صعبت وشقت . فالصيف فى الريف الجميـل الساحر ، والشتاء فى أرفع فنـادق باريس الفواخر . أو إذا شـاءت فى قصره المظلم فى « نيس » . فى كل حفل كانت تبدو زينة الأتراب والصواحب ، وفى كل جمع كان يعلو بهـا اسم زوجها إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سـائر الفتيات والعقائل . وبينا كان يثق فى وفائهـا وإخلاصها ويعجب بجمالها وفتنتها ويتيه لسحرها وأنوثتها ، إذا هى تخونه وهو لا يدرى

لقد خدم بلاده أربعين سنة سويا . حارب فى أفريقيا وفى المكسيك ، وحاز أرفع القـلائد والأوسمة ، وجلب المجد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك الحيـاه الحافلة بجلائل الأعمـال وطيب المـآثر ؟ عار تجلبه عليه هذه المخلوقة الشقية وهو من الموت على شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا فحسب ، بل جرته إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله فيمضى إلى رمسه مخبولا . ابنه « باتريك » زهرة آماله وعمره الثانى ... ابنه هو ، أم ابن غريمه فوشيرون ؟ باتريك . لقد شب ونما فى قصره المتيد حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو ليعانقه ويتملى من رؤيته . إنه يبدو قويا كغصن شامخ فتى ، ويتجلى الزهو والكبرياء فى نظراته ، ويبدو الصلف والخيـلاء فى لفتاته ، وتنطق ملامح وجهه بقوة العزم وشدة المراس . ياله من إله صغير من آلهة القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف . ومما زاد الرجل تعلقا بابنه وحبا له أنه ورث عنه قوة العزم وصلابة الرأى وثبات الجنان

والآن تقضى هذه الجريمة التى اقترفتها زوجه على كل تلك الذكريات السامية حول ابنه وذلك الإعجاب الذى يجنه الرجل لوحيده

وأمسك الرجل التعس رأسه الثائر بين كفيه كأنه يمنعه من الانفجار ، وسرت حمى الغضب فى دمه فغمغم وهو فى تلك الحال من اليأس والضعف والمرض

— سأنتقم لنفسى ... سوف آثأر لشرفى ...

ولـكن كيف ؟ أيقتل ذينك اللذين لوثا اسمه ولطخا شرفه وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ المديدة تفصلهما عنه . فلا هـو بمستطيع أن يبلغهما ، ولا هما ببالغيه قبـل أن يموت ... وأوغل فى سبل الانتقام الكثيرة المتشعبة ... وأغطش الليل ولما يهتد فكره إلى سـبيل يبلغه طيته فيشفى غليله ... واستلقى على الفراش بقلب ممزق وأضلع تكتنز نارا تكاد تأتى على بقايا جسمه المحطم

وعندما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب الطوافة « المتيد » التى اعتلاها علم الأميرال طويلا، ليعود رئيسه العليل؛ وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه الشاحب الممتقع، ودهش لتقدم المرض السريع فى يوم وليلة ... ونم وجهه عن ذعره ودهشته فقال الأميرال :

— قل إنى انتهيت يا دكتور

لم يضع الأمل بعد يا سيدى ... إنك فى حال سيئة ولكن ...

— لا تراوغنى : لقد صمدت للموت مراراً ، ولا أود أن يأخذنى هذه المرة على حين غرة . قل الحق إنى آمرك ...

فظل الطبيب صامتاً لا ينبس دقيقتين قال بعدهما :

— سيختارك الله هـذا المساء على الأكثر ياسـيدى إن لم تحدث معجزة

وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال :

— حسن ... وستعودنى طبعاً مرة أخرى ... أليس كذلك؟

— بالتأكيد ياسيدى الأميرال . ألا تحب أن نخطر سيدتى المركيزة؟

— وأى جدوى فى ذلك وهى فى نيس . ثم إنى لا أود أن أحملها الحزن فجأة . إنها تعلم أنى مريض ، وستعرف على كل حال أنها ترملت ، ولكن يجب أن يكون هذا بعد أن أموت

فانسحب الطبيب

وقابله باتريك لدى الباب فقال له :

كيف أبى ؟

فلم ينبس الطبيب بل أجابت عنه عيناه ، فأسرع الصبى نحو أبيه بقلب جزوع . فنهض الأميرال بجهد جهيد على مرفقه وقال :

— ادن منى يا بنى . إن لى حديثاً معك ... إنك فى الثانية عشرة من عمرك ياباتريك ، ولكنى مضطر أن أحدثك كأحدث رجلا

ولم يأخذ منهما الحديث طويلا . ولكن حينما انتهى ومضت عينا الصبى ببريق من نار ، وتثلج بدنه حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه إلى بدنه . وفى أثناء هذا الوقت القصير انتقل فجأة من طور الطفولة إلى طور الرجولة ، وما تحمل من متاعب وأعباء

وفى السنة التى تلت ذلك ، أى بعد موت الأميرال بعشرة أشهر أو نقل راح الناس يلغطون بقرب زواج أرملته من الشاب الوسيم القسيم فوشيرون . تناقلوا ذلك فيما بينهم فى غمز ولمز كأنما كان ذلك عين ما يتوقعون . ويبدو أن العاشقين قد آثرا بعد علاقتهما الدنسة الآثمة أن يرتبطا بعلاقة يقرها العرف والدين

ووصل الكابتن فوشيرون ذات صباح إلى القصر المتيد حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد إذ قضى زوجها نحبه

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل باتريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره الصغير . قال لها :

— أحقا أنك تعدين العدة للزواج من الكابتن فوشيرون يا أماه ؟

فأجابته بصوت مضطرب

— من أبلغك هذا ؟

لم ينبس الغلام . فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه

— إنى لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل الكابتن فوشيرون مكان أبى

لا تقبل ! ماذا تقصد بهذا الهراء ؟ ثم أشارت إلى الباب ماضية واستأنفت

— أخرج من هنا حالا ياسيدى

فانصرف من لدنها إلى غرفته ، ثم غادرها بعد بضع دقائق إلى غرفة فوشيرون واقتحمها دون استئذان واضعاً إحدى يديه فى جيب بنطلونه

وكان فوشيرون يحلق لحيته أمام مرآة ، فاستدار نحو باتريك وقال !

— إن اللياقة تقضى بدق الباب قبل الدخول

إنه بيتى يا سيدى ، ومن حق أن أدخل أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان ، ثم إن لى حديثاً معك

— لك حديث معى ؟ تكلم

— إنى أعلم سبب وجودك هنا . وإن ما تبغيه لا يمكن أن يتم . ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود أبدا . إننى أمنعك من الزواج بأمى

— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل

— من الخير لك أن تطيعنى

— فشحب وجه فوشيرون من شدة الغضب . وومضت عيناه من فرط الغيظ . وقال :

— أخرج أيها الغرير وإلا عركت أذنيك . واتجه نحو باتريك رافعاً يده فتراجع الغلام عنه ثمة وأخرج من جيبه شيئاً كان يخفيه ، مسدساً ورفع به يده . ضغط الزناد ، فانطلق

فانشق صدر فوشيرون عن صرخة هائلة دوت فى سكون القصر العميق . وترنح ثم سقط جثة هامدة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت الماركيزة على عجل ورأت كل شىء ... ثم صرخت تقول بعد أن ألقت بنفسها على ابنها وجردته من سلاحه

— ماذا فعلت أيها الشقى ؟

وتركها باتريك تأخذ منه السلاح ثم قال : وقد رآها ترتمى على الجثة تبكيها وتندبها !

— لقد أنبأنى أبى قبيل وفاته أن هذا الرجل عدو لى وعدو لك ، وأوصانى بمحاربتك من شره وغدره حتى ولو أدت الحال إلى قتله . وقد نفذت وصية أبى

ثم أشيع بين الناس أن الكابتن فوشيرون مات منتحراً

م ٠ ع

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٤ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

فقاقيع ... ... : الأستاذ سيد قطب ٢٣٧

المرأة المسلمة ... ... : « على الطنطاوي ٢٣٩

ذو العقل يشقى ... ... : « محمود محمد شاكر ٢٤٢

عدى بن زيد العبادى ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ... ٢٤٧

الفوضوية الفردية أو الوجودية : « شاكر السكرى ٢٤٩

امرأتان عظيمتان من دولة المغول : للدكتور محمد بهجت ٢٥٠

دعوة محمد — لتوماس كارليل : الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ ٢٥٣

التعليم فى مصر ... ... : « عبد الحميد فهمى مطر ... ٢٥٦

تكريم صيدح بدمشق ... ... : « أنور العطار ٢٥٨

(الكتب) — الأفق الأعلى فى دراسة الهواء الجوى — تأليف ٢٦٠
الأستاذ عمر كامل الوكيل بك — الأستاذ عبد القادر حميدة

(البريد الأدبى) — كلمة سائر وما يحيط فيها — خطآن لا يغتفران — ٢٦٢
لمن هـــذا الشعر ... ...

(القصص) — انتحار — للقصصى الفرنسى جورج مورفير ... ٢٦٤

28 me. année No 974 — Le Caire 3-3-

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

فقاقيع

للأستاذ سيد قطب

الذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم القومية الضيقة التى تحد بالبحر الأبيض شمالا ، وبالبحر الأحمر شرقا ، وبصحراء ليبيا غربا ، وبخط الاستواء جنوبا .. أو دون ذلك

والذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم الشيوعية أو غير الشيوعية من المذاهب المادية التى نشأت وعاشت فى بيئات غريبة عنا ، لا تربطنا بها صلة روحية ولا تاريخية ...

هؤلاء وهؤلاء يخطئون فهم طبيعة هذا الشعب ، وقوة العوامل الكامنة فى ضميره ، والرواسب الشعورية التى تحركه ، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة ..

لهذا تفشل هؤلاء وهؤلاء فشلا ذريعا ، وتبدو حركاتهم كالفقاقيع التى تعلو وجه الماء فترة ، ثم تفثأ وتتوارى !

هذا الفشل منشؤه كما قلت : جهل هؤلاء وهؤلاء بطبيعة هذا الشعب ، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة . يضاف إليه عدم فهمهم لحقيقة موقف هذا الشعب فى العالم ، وللعوامل الدولية التى تجعل الشعوب تختار طريقا دون طريق ..

إن دعوة القومية الضيقة ، التى تنزوى داخل حدود صناعية أو تخوم جغرافية .. دعوة تنافى الاتجاه العالمى إلى الاندماج فى وحدات ضخمة ، تمهيدا للحلم البشرى الكبير .. حلم الوحدة العالمية الكبرى .. وهى تخالف كذلك فكرة الإسلام الذى تدين به غالبية هذا الشعب .. فالوطن الإسلامى هو كل أرض يظللها لواء الإسلام ، ومن ثم فهو يزيح الحواجز الصناعية والتخوم الجغرافية ، ويحل محلها فكرة ، تندمج فى ظلها كتلة بشرية ضخمة ، تحاول دائما أن تضم إليها بقية البشر ، تحقيقا للهدف الإسلامى الأكبر ، هدف الوحدة العالمية الكبرى

ومن هذا الاستعراض السريع للاتجاه العالمى اليوم ، والاتجاه الإسلامى منذ مولد الإسلام ، يتبين مدى نظرة الإسلام التقدمية فى الماضى وفى الحاضر على السواء . ويتكشف أن الفكرة الإسلامية كانت سابقة لتطورات الفكر البشرى قرونا وقرونا . وما تزال فكرة قائدة هادية ، ذات مجال فسيح فى بناء مستقبل البشرية .. كما يتكشف مدى الضيق والانعزال والتأخر فى دعوات القومية الضيقة التى عمت أوربا فى القرون الماضية ، وسرت إلينا عدواها فى غيبة الروح الإسلامية الراقية السمحة التقدمية ، وفتنت بما فيها من تعصب ضيق ، بعض صغار العقول والنفوس ، ملبية دسيسة الاستعمار فى تمزيق أوصال المجتمع الإسلامى الضخم ، والوطن الإسلامى الكبير ، ليسهل على الاستعمار ازدراد أشلائه الممزقة باسم القوميات الضيقة الهزيلة ، وتحت العنوانات الشتى المتفرقة !

ومن هنا كانت تلك الفقاقيع التى تحمل شتى العنوانات فى شتى أنحاء العالم الإسلامى . وكانت تلك الزعامات الصغيرة التى تهتف باسم القومية ، وتدعو إلى العزلة عن مشكلات العالم الإسلامى ، وتسخر ممن يدعون إلى وطنية الإسلام الضخمة ،

وإلى التكتل الإسلامي الكبير

ولقد كانت تلك الزعامة البائسة التي قادت ثورة سنة ١٩١٩ في مصر مثلا من أمثلة ضيق الأفق ، والانعزال عن الفكرة الإسلامية والهدى الاسلامي ، والانعزال تبعا لذلك عن الاتجاه العالمي في التكتل ، والنظرة التقدمية لمستقبل البشرية

ومن هذا الضيق والانعزال عن الهدى الاسلامي ، جاءت الكوارث كلها ، وطال أمد الصراع مع الاستعمار ، ووقع ذلك الانحلال الخلقي ، والانهيار الاجتماعي ، وذلك الفساد الذي تعانيه البلاد ، ويفقت كيانها تفتيتا ..

لقد كانت تلك الزعامة فقاعة صغيرة ، في زبد الوثبة المصرية الكبرى . ولكنها مع الأسف حولت تلك الوثبة كلها إلى زبد ذهب كله جفاء ...

وما تزال مصر ، وما تزال الشعوب الاسلامية تصارع ذلك الخبث الذي دسه الاستعمار في تفكيرها . خبث القومية الضيقة الهزيلة ، التي تخدم الاستعمار ولا تخدم الشعوب .. ما تزال تصارع ذلك التمزق في جسم الوطن الاسلامي الكبير ، في ضوء الفكرة الاسلامية التي انبثقت هنا وهناك ، وتتجمع تحت الراية الاسلامية الخالدة ، أو تتنادى إلى هذه الراية الكلية الواحدة . التي تحول الوطن الاسلامي كله وحدة تتفق مع الاتجاه العالمي السائر إلى التكتل والاندماج ، وحدات كبرى تجمع بينها نظم وأفكار ، لا حدود جغرافية ، ولا قوميات جنسية أو لغوية

إنهم يفيئون شيئا فشيئا إلى النور الذي انبثق منذ أربعة عشر قرنا ، سابقا لتفكير البشرية كله ، فلم تدركه إلا في القرن العشرين . وما يزال هذا النور سابقا لما وصلت إليه البشرية في التفكير

فأما دعوة الشعوب الإسلامية إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب المادية الأخرى ، فهي دعوة مضحكة تثير الهزء والاستخفاف بتلك الفقاقيع الآدمية التي تدعونا إليها ؟

إذن ما الذي يدعو شعوبا بأسرها ، يتجاوز تعدادها ثلثمائة مليون مسلم ، في شعاب هذه الأرض ، إلى التخلي عن فكرة أو عقيدة عاشت في ظلها أربعة عشر قرنا ؟ ..

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا في التفكير الإنساني المنظم لقيام وحدة عالمية ، مقوماتها فكرة ونظام ، لا حدود جغرافية ، ولا أجناس بشرية ، ولا ألوان ولا لغات . وبذلك كانت وما تزال فكرة تقدمية سابقة لقيادة البشرية كلها في طريق المستقبل ؛ حافلة بالإمكانيات العملية المنظمة لتحقيق هذه القيادة الرشيدة ؟

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا — لا من ناحية الزمن وحده ولكن من ناحية طبيعة الفكرة وإمكانياتها — في تحقيق أساس صالح للوحدة العالمية ، بريء من التعصب والقهر والكبت لأنها تسمح لكل عقيدة دينية أخرى أن تعيش في ظل هذه الوحدة ، متمتعة بالحماية والرعاية والمشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، فلا تفرض نفسها على الناس ، ولا تحرم مخالفيها حق الحياة والنشاط ، كما تحرمهم الشيوعية ؛ ولا تفرض عليهم دكتاتورية رجل ولا دكتاتورية نظام كما تفرض الشيوعية في القرن العشرين !

وأخيرا فهي فكرة سابقة في تحقيق عدالة اجتماعية كاملة ، لا تصطدم بالفطرة البشرية .. ولا تقيد النشاط الفردي . في ذات الوقت الذي تقف كل نشاط فردي دون المساس بالمصلحة العامة . وتجعل نتاجه كله ملكا للجماعة التي تعيش فيها

إن دعوة شعوب تملك مثل هذه الفكرة إلى نبذها لاعتناق الشيوعية أو سواها تبدو دعوة مضحكة ، لا يحاولها إنسان يحترم نفسه ، إنما تصلح فقاعة هزيلة ، ينادي بها بعض الشواذ ، الذين يعانون عقدا نفسية مرضية ، يجدون في الدعوة إلى الشيوعية تنفيسا عنها وراحة !

إن الدعوة الإسلامية تكتسح وتجرف كل هذه الفقاقيع في هذه الأيام . تكتسح فقاقيع القومية الضيقة الهزيلة في العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه . وتكتسح فقاقيع المبادئ المادية على اختلاف مسمياتها .. وهذا الاكتساح هو الذي يتفق مع طبائع الأشياء . ويتفق مع طبيعة هذا الشعب وتفكيره . ويتفق في ذات الوقت مع الاتجاه العالمي المقبل : الاتجاه إلى تأليف كتل ضخمة تخضع لنظام وفكرة . في الطريق إلى تحقيق الحلم البشري الكبير .. حلم الوحدة الإنسانية الكبرى ...

فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

سيد قطب

المرأة المسلمة

للاستاذ علي الطنطاوي

أنا أغتاظ وأتألم كلما سمعت الناس يضربون الأمثال بنساء اليهود : بقتالهن فى الحروب وعملهن فى المعامل والحقول ، لأنى أجد فى ذلك جهـــالة بتاريخنا ، وبسلائقنا ، وبما كانت عليه المرأة منا

إنكم تحسبون أن نساء العرب كن — مذ كن — كأكثر من نرى من النساء ، جاهلات خاملات ، يثرن المشكلات ، وينغصن عيش الرجال ، أو مترفات مدللات همهن صبغ الوجوه ، وتلوين الأظفار ، وإنفاق الأموال ، فتعالوا أخبركم كيف كانت المرأة على عهد الرسول ، صلوات الله عليه ، كيف عملت فى بناء هذا الصرح العظيم ، وشاركت فى إقامة الدولة الإسلامية ، وكيف سعى نساء من النساء فى كل مجـال كان يسعى فيه الرجال ، فى مجال الدين والتقوى ، ومجال العلم والأدب ، ومجال المعارك والحروب

وكيف كان منهن (المرأة العاقلة) الحكيمة كخديجة التى وضعت ثانى حجر فى صرح الدعوة ، وكانت ركنا قويا للاسلام فى فجر الإسـلام ، والتى أخذت بيد النبى صلى الله عليه وأيدته بمالها الكثير ، وقلبها الكبير

و (المرأة العالمة) المعلمة كعائشة التى كانت أستاذة عصرها ، وكان فحول العلماء تلاميذ لها ، وكانت أعجوبة فى سعة روايتها ، وحدة تفكيرها ، وبلاغة لسانها ، وقوة جنانها ، حتى دفع بها نشاطها إلى ما ليس من شأنها ، فاقتحمت ميدان السياسة وما خلقت له وما خلق لها ، لا باللسان والرأى بل بالنار والحـديد ، فكان من ذلك ما كان

و (المرأة الأديبة) التى خدمت بالدعاية اللسانية ، وبالشعر يوم كان الشعر هو الصحافة وهو الإذاعة وهو سبيل الدعاية (١) لا سبيل غيرها ، كصفية ، ونعم بنت سعيد ، وهند بنت أثاثة لما انتهت معركة أحد على غير ما يبغى المسلمون ، بمخالفة من خالف منهم عهد الرسول ، وقامت هند بنت عتبة على صخرة تقول

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

انبرت لها بنت أثاثة ترد عليها . تقول لها :

خزيت فى بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الـكفر
صبحك الله غداة الفجر ملهاشميين الطوال الزهر

و (العاملة فى المصالح العامـة) كأسماء بنت الصديق ، يوم الهجرة ، حين كانت تحرس منافذ الأخبار إلى قريش ، وتحمل الطعام إلى المهاجرين العظيمين وتصبر على عدوان قريش عليها . ولطم الخاسر أبي جهل خدها لتخبره أين رسول الله ، فلا تخبره ، وحين قدت نطاقهـا ، فربطت بشقه السفرة وانتطقت بالآخر ، فدعيت من ذاك بذات النطاقين

وأنتم تعرفون موقفها العظيم ، العظيم ، يوم قتل ابنها أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، ذلك الموقف الذى لم يكد يروى التاريخ موقفا مثله لأخرى من بنات حواء

و (المرأة فى الدفاع السلبي) بل الدفاع الحربى ، كما صنعت صفية لما كانت فى الحصن مع النساء وكان الصبيان والرجال فى الجبهة ، فرأت يهوديا يطيف بالحصن مخافته على النساء والصبيان أن يؤذيهم أو يدل العدو عليهم ، فشدت وسطها ونزلت إليه بالعمود ، فضربته حتى قتلته

كان نسانا يقتلن أبطالا . . فيهود ، فصار نساء اليهود ، بفضل سادتنا وأمرائنا ... يقتلن رجالنا !

* * *

وكان منهن (الممرضة المواسـية) كرفيدة التى جعلت من خيمتهـا مستشفى سياراً ، تداوى فيه الجرحى ، وتحبس نفسها على خـدمتهم ، والترفيه عنهم ، ترفيه الحق لا ترفيه الفسوق والفجور ... ولـما أصاب البطل الخالد سعد بن معاذ السهم يوم الخندق قال رسول الله : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب

وكان النساء يخرجن مع الرسول ، وشهد خيبر منهن جماعة أعطاهن من الفئ ، لا يخرجن للجهاد بأعراضهن وفتنة المجاهدين بجمالهن ، بل للعمل فى (الوحدات الصحية) والحراسة والتحميس

(١) الدعاية صحيحة وإن كره المتحذلقون أصحاب (الدعاوة) !

والاشتراك فى القتال إن دعت الضرورة إلى القتال

والقائمات بمثل أعمال (السكندس) فى هذه الحرب ...

أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله صلى الله عليه فى (الغابة) فاستاقها، وكان فيها رجل من بنى عقار وامرأته فقتلوا الرجل، وسبوا المرأة، فلم تجزع ولم تفزع، ولم تبك ولم تولول، بل قاومتهم مقاومة اللبؤة [1] حتى أفلتت منهم على ناقة من إبل الرسول فوردت بها عليه، فقالت: يا رسول الله، إنى نذرت أن أنحرها إن نجانى الله عليها، فتبسم رسول الله وقال: (ليعلم المسلمين): بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها، ونجاك بها، إنه لا نذر فى معصية الله، ولا فيما لا تملكين

* * *

وكان منهن (المرأة الصابرة) على ما يعجز عنه الصبر، ويضيق عن احتماله الصدر. لقد أصيبت حمنة بنت جحش يوم أحد بأخيها عبد الله، وخالها حمزة سيد الشهداء، وزوجها مصعب رائد الإسلام، فثبتت كيلا يرى وهنها المشركون، وفى قلبها مثل حز المواسى.

وهذه امرأة من بنى دينار، قتل زوجها وأخوها وأبوها فى الوقعة، فلما خبرت بهم، بلغ بها عظم الإيمان أن سألت: ما حال رسول الله؟ فلما قالوا لها: هو حى، قالت: كل مصيبة بعده هينة

ومنهن (المرأة المقاتلة) التى تأتى بالبطولات

هذه أم عمارة — نسيبة المازنية — خرجت لترى ما يصنع الناس، ومعها سقاء ماء لتسق العطاش من الجند، وكانت الدولة والصولة للمسلمين أول النهار، فلما انهزم المسلمون، وداخلتهم الدهشة لما كان من هبوط الرماة عن أحد، وكرة فرسان المشركين، كانت هذه المرأة أثبت من الرجال قلباً، وأجرأ يداً، فلم تنهزم ولم يجرفها التيار، بل أخذت سيفاً من ساحة المعركة، وجعلت تدافع مع الرسول، حتى أثخنتها جراحها

قالت أم سعد راوية الخبر: وكشفت لى (أى أم عمارة) عن عاتقها بعد سنين طويلة، وإذا جرح غائر أجوف، قلت: من أصابك بهذا يا خالة؟ قالت: ابن قمئة أقماه الله. لما ولى الناس، أقبل يقول: دلونى على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له

يا أيها القراء، أرجو أن تقفوا لتتصوروا الموقف: الجيش منهزم، وهذا الفارس يهجم بسلاحه وجبروته كالثور الهائج، والرجال تتنحى عن طريقه، وهذه المرأة العربية المسلمة، تعترض له، وتثب فى وجهه تسد طريقه إلى محمد، فيضربها فلا تريم بل تضربه بسيفها، فلا ينجيه إلا أنه بدرعين!

قالت: فضربنى هذه الضربة، ولقد ضربته مع ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان!

وهذه أم سليم تثبت فى هوازن فى الموقف المهول الذى انصدعت فيه أفئدة عشرة آلاف بطل، فانهزموا إلا رسول الله وصحابته الأدنين، فالتفت فرأى أم سليم، مع زوجها أبى طلحة، وهى حازمة وسطها ببردها، وإنها الحامل! وعمك جملها وقد أدخلت يدها فى خزامه، قال:

— أم سليم؟

— قالت، نعم، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك، كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل

قال: أو يكفى الله يا أم سليم؟

ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة:

— ما هذا الخنجر معك؟

— قالت: خنجر أخذته، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به

قال أبو طلحة، مفتخراً بها، مداعباً إياها:

— ألا تسمع يا رسول الله، ما تقول أم سليم الرميصاء؟ وهى حامل يا ناس! وهى حامل!!

* * *

أما معاملته صلى الله عليه النساء، فكانت أروع مثل يضرب به السيد المهذب، والبطل النبيل، والأب الحانى، والصديق الوفى، ولا يتصور الوهم أرق منها معاملة ولا أعطف، ولا أنبل

(١) من أعجب العجب أن يكون لكلمة اللبؤة عند عامة مصر ذلك المعنى القبيح، وهى أم الأسود

ولا أشرف ، ولا أحب أن ألخص لكم هـذا النص التاريخى ، فاسمعوه بالحرف، من فم فتاة صـغيرة من آل غفار ، متطوعة فى الجيش ، قالت :

أتيت رسول الله فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يارسول الله! قد أردنا أن نسير معك إلى وجهك هذا (وكان متوجهاً إلى خيبر) فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بمـا استطعنا ، فقال : على بركة الله

فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة (أى صبية صغيرة) ولم يكن لى ما أركبه ، فأردفنى رسول الله وراءه على حقيبة رحله ، فوالله لنزل رسول الله لصـلاة الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبـة رحله وإذا بهـا دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول ما بى ورأى الدم قال :

— مالك ؟ لعلك نفست ؟

— قلت : نعم

— قال : أصلحي من نفسك ، ثم خـذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحاً فاغسلى به ما أصاب الحقيبة ، ثم عودى لمركبك

...

وأمر رسول الله بعد هوازن بالقبض على مجرم يقال له بجاد من بنى سعد بن بكر فساقوه وأهـله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث فعنفوا عليها فى السياق ، فقالت :

— تعلموا (أى اعلموا) أنى أخت صاحبكم من الرضاع

فلم يصدقوها ، فلما انتهوا إلى رسول الله قالت :

— يارسول الله . إنى أختك من الرضاع

قال : ما علامة ذلك ؟

— قالت : عضة ، عضضتنيها فى ظهرى وأنا متورِّكتك

فعرف العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وقال :

— إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك

فاختارت الرجوع إلى قومها

...

ولعلكم تقولون : كيف كان هـذا الاختلاط ؟ كان على العصون والحجاب الشرعى ، وعلى غض البصر ، وامتلاء القلوب بالخوف من الله ، وبالغاية التى تشـغل عن شهوات النفس ، ومع ذلك فإن الله علمهم درساً عظيما فى ضرر خلوة رجل بامرأة ليس معهما ثالث ، اتهمت فيـه أشرف امرأة فى الناس ، وكاد الناس يصدقون التهمة ، حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات

هكذا كانت المرأة العربية المسلمة ، جمعت أطراف الفضائل ، وحازت خلال الخـير ، وكانت للدين والدنيا ، للعـلم وللأدب ، للدار وللحياة ، كان هديهـا القرآن ، ودليلها الشرع ، وغايتها رضا الله ، والنجاة فى الآخرة

فأين نساؤنا اليوم ؟

على الطنطاوى

ذو العقل يشقى ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

لولا أنى أكره خلائق السوء، لما حملت هذا القلم لأرد به على هذا الذى تكلف مؤونة الجدال عن صاحبه، ولولا أنه كتب ما كتب فى الرسالة، وهى مألف قديم يحن إليه هذا القلم، لما غلبنى على ما أدبت به نفسى من هجر صغائر الأمور. ومن خلائق السوء عندى أن يجهد كاتب قلمه فى نقد ما أكتب، ثم أغفل رده إلى الحق إن أخطأ، أو متابعته على الصواب إذا أصاب. ومهما يكن رأيى فيما كتب الأستاذ، فإنى أجد الحق يلزمنى أن أعود إليه بالتذكير والإبانة، غير متلجلج فى استنقاذه مما تورط فيه، ولا مستنكف أن يكون فى بعض كلامي هذا تكرار لما قلت، مما أرجو أن يكون إنما غفل عنه غير متعمد إن شاء الله.

وأنا أقدم بين يدى الأستاذ الفاضل، معذرتى فى أن أسامحه فيما وصف به ما كتبت، وما وقر فى نفسه وأبان عنه بقوله إنى اندفعت فى سياق منبرى، أسرد الأدلة الخطابية، وأستثير النوازع العاطفية. وكان خليقاً به قبل أن يقول ما قال، أن يعرف أسلوبى فيما أكتب، ثم ينظر إلى بعينى مبصر يتحقق: أصحيح أنى ألجأ إلى الخطب المنبرية، والأدلة الخطابية، والنوازع العاطفية، أم الحق أنى أتحرى أمراً أنا مسئول عنه بين يدى رب، أو على الأقل: أعتقد أنا أنى مسئول عنه بين يديه سبحانه؟! وإذا كان كثير من الناس قد نسوا أنهم محاسبون يوم القيامة، فإنى لم أنس بعد، وأسأل الله أن يعيننى على أن لا أنسى، وإن عد الأستاذ الفاضل هذا الكلام أيضاً خطبة منبرية، أو استثارة عاطفية!

ولعل قراء الرسالة، لم يقرأوا ما كتبت فى مجلة «المسلمون» ولست أحب أن أعيد عليهم ما كتبت هناك، ولكنى أحب أن أبين لهم عن أصل هذا النزاع الذى نازعنيه الأستاذ الفاضل. وذلك أنى رأيت كاتباً بسط لسانه بسطاً مريضاً فى دين جماعة صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم: معاوية بن أبى سفيان، وأبوه أبو سفيان، وأمه هند بنت عتبة، وعمرو بن العاص. ثم أدخل معهم سائر بني أمية. وزعمت فى هذه المقالة أيضاً أنى لن أناقش منهجه التاريخى: «لأن كل مدع يستطيع أن يقول: هذا منهجى، وهذه دراستى» وقلت: «وأيضاً فإنى لن أحقق فى هذه الكلمة فساد ما بنى عليه الحكم التاريخي العجيب، الذى استحدثه لنا هذا الكاتب، بل أدعه إلى حينه» وقلت: «بل غاية ما أنا فاعل: أن أنظر كيف كان أهل هذا الدين، ينظرون إلى هؤلاء الأربعة بأعيانهم، وكيف كانوا — هؤلاء الأربعة — عند من عاصرهم ومن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم».

وأظن أنى بهذه الكلمات قد حددت كل التحديد غايتى فيما أكتب. أظن ذلك، وأظن أيضاً أن لكل كاتب بعض الحرية!! فى أن يحدد ما يريد لنفسه فى سياق ما يريد أن يكتب. وبخاصة إذا كان يريد أن يعرف الناس بشىء هم قد غفلوا عنه، وبخاصة فى زمن أصبح العلم فيه لجاجات تكتب كما تكتب مقالات الصحف اليومية فى المنازعات الحزبية! وبخاصة فى أمر فيه نذير شديد من الله سبحانه! وبخاصة إذا كان هذا الكاتب يؤمن بأن الإنسان مسئول بين يدى ربه عن كل ما يقول وكل ما يكتب وكل ما يفعل!

بيد أن الأستاذ الفاضل ظن أنه كان يجب على أولا غير هذا. إذ ظن أن صاحبه نقد معاوية نقداً تاريخياً، فطالبنى أن أبين أن الوقائع التى ذكرها فى كتابه غير صحيحة، ثم زاد شيئاً آخر عجل إليه فزعم أنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً من ذلك، لأن صاحبه نقلها من كتب التاريخ ولم يخترعها اختراعاً، ولأنها معروفة لدى الصغير والكبير؟! فأظن أنا أيضاً أنى بينت عن طريقى فى الكلمات التى نقلتها آنفاً، وأنى سوف أترك هذا إلى حينه، فلست أدرى لم يعجل الأستاذ الفاضل كل هذه العجلة على امرئ مثلى، فيضربه بالعجز عن ذلك قبل أن يبين عن حجته؟ فهذه العجلة هى هى التى أنكرها على صاحبه، وأنكر أن تكون أدباً يتأدب به العالم أو المتعلم، ومن الحق على كل عاقل أن ينهى نفسه عنها، وأن ينهى من يرتكبها، لأنها مخالفة لكل أصل من أصول العلم والتعلم، ولأنها تورث مرتكبها نفس الداء الذى أتى منه صاحبه الذى تهجم على ضمائر خلق الله، فكاد يقطع

قطعاً جازماً بنفاق معاوية وأبى سفيان وهند وعمرو بن العاص وسائر بنى أمية ! من أين يعلم أنى عجزت أو أنى سوف أعجز ؟ لا أدرى !

ومثل هذا فى الجراءة ما أتبعه من أسئلة إذ يقول :

« من الذى ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكا عضوضاً لم يكن ذلك من وحى الإسلام ، إنما كان من وحى الجاهلية ؟

« ومن الذى ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها ، وما كان الإسلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح والملابسات ؟ ...

« ومن الذى ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

« ومن الذى ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاق فى صراعه مع على ، وفى سيرته فى الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، وقد سار فى سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر فى البيعة ليزيد؟

« هذه وأمثالها أمور مسلمة فى التاريخ ، لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيراً حين نجده فى مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد ... »

نعم ياسيدى الشيخ ! نعم ! فإنى لمحدثك عمن ينكرها : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلى . وإذا كنت أنت وصاحبك تسلمان بها ، فأنا لا أستطيع أن أسلم بها . وتقول : هذه دعوى ليس عليها بينة ! فأقول : نعم ، هى فى هذا السياق ليس عليها بينة ، إلا أن آتيك بالدليل على بطلان ما ذهب إليه صاحبك الذى توليت الدفاع عنه . بيد أنك أسأت حين عجلت إلى شئ لم تعرف ماذا أقول فيه ، وكيف أستطيع أن أتناوله بالنقد والتمحيص . ولو أنت صبرت حتى تعرف لأتاك البيان عما أنكرت وما عرفت من أخبار صاحبك ، التى وصفتها بأنها متلقفة من أطراف الكتب ، لاأقول بلا تمحيص وحسب ، بل أقول أيضا بالحرص الشديد على تتبع المثالب القبيحة ، وبالحرص المتلهف على اجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن فى سياق المثالب وفى تفسيرها ، وفى تحليلها ، وفى استخراج النتائج من مقدمات لا تنتجها ، كما يقول أصحاب المنطق

وأنا أحب أن أخلع ممك مسوح الوعظ والإرشاد خلعها لا رجعة بعده ! فتعال أيها الشيخ إلى غير واعظ ولا مرشد ! تعال حدثنى وأحدثك ، ودعنى ودعك من : « قال الله تعالى » و « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإنها فى زماننا هذا من مسوح المتدينين بلا دين ! دعنا نعرف الكتب التى بين أيدينا لا نرفع بعضاً ولا نضع بعضاً ، لأن هذه كتب تاريخ لا يوثق بها ، ولأن هذه كتب أصحاب دين ووعظ وإرشاد يوثق بها ! ثم ننظر بعدئذ بالعقل المجرد ماذا يكون ؟ !

ودعنى أيها السيد أعيد عليك ما قلت فى مقالك : « ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر ، فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان ... » ولا أسألك من أين علمت أنه كان حسن السيرة على عهد عمر ؟ ولكنى أسألك : ألست تعلم أنه قد نشب الخلاف بينه وبين على ؟ فتقول : نعم ولا بد . ثم أسألك : ألست تعلم أنه كان لهذا شيعة ولذاك شيعة ؟ فتقول : نعم ، ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن كل شيعة قد غلت فى صاحبها وتعصبت له ؟ فتقول نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر حين انتهى إلى معاوية واجتمع عليه الناس فى عام الجماعة إذ أسلم إليه الحسن أمر الخلافة — لم تزل شيعة على باقية فى الناس كشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الخلاف بين الشيعتين ظل مستمراً مدة بقاء معاوية ومن بعده ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الحسين بن على قتل فى عهد يزيد بن معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن مقتل الحسين وما تبعه من الحوادث فى عهد يزيد بن معاوية قد أوقد نار العداوة بين شيعة على وشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن شيعة كل منهما قد انتشرت فى الناس بما بينهما من العداوة ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن من هاتين الشيعتين العالم والجاهل ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن كل عالم أو جاهل كان يحدث من خبر شيعته وخبر شيعة عدوه ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك ألست تعلم أن هذه الأخبار ربما كان فيها الصحيح والسقيم والصادق والمكذوب كما يكون فى كل شيعتين متنابزتين ؟ فتقول : نعم

ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر سار على ذلك إلى ما بعد انقضاء دولة بنى أمية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنها استمرت إذن على ذلك منذ سنة ٤٠ من الهجرة إلى وقت تدوين الكتب ، أى فى أواخر القرن الأول ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ليس فى أيدى الناس كتاب مكتوب قبل ذلك العهد ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن طريق القوم كان هو الرواية فحسب ؟ فتقول: نعم ولا بد. فأسألك : ألست تعلم عندئذ أن العقل يوجب أن تعرف راوى كل خبر حتى تتبين من أى الشيعتين هو ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ظلم قبيح أن تأخذ الخبر لا تدرى من رواه ، فتطمئن به فى أحد الرجلين ، معاوية أو على ، وأنت لا تأمن أن يكون كذبا صرفا ؟ فتقول : نعم ولا بد

فإذا صح كل هذا عندك ولم تشغب على فيه ، فإنى أراك رجلا صالحا ، فهل تظن ، ولا أقول هل تحقق عندك ، أن هذا الطعان فى معاوية وأهله ، قد ميز هذا كله قبل أن يكتب ما كتب ؟ فإن كان قد صح لك ، فأنا أحب أن أعلم كيف صح لك ، حتى أتبعك على الحق . وإن لم يكن صح عندك ، وهو لم يصح عندى بعد ، فدعنى عند قولى لك : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلى ، واذكرنى دائما بأنى لا أعد أمثال هذه الروايات المجردة من رواتها ، وفى مثل هذا الموضع المشتبه من العداوات ، شيئا يمكن أن أسلم به . فإنى لا أحب أن أستهلك عقلى فى العبث والجهالات. واعلم أنى لا أنقاد لما لا بينة عليه ، وأن للعقل شرفا لا يرضى معه بالتدهور فى مواطئ الغفلة وسوء الأدب . ولو أنت لم تتعجل لكان البيان آتيك بعد قليل من الذى أستطيعه من ذلك وما لا أستطيعه، غفر الله لك . أقولها خالصة من قلبى ، بلا مسوح وعظ أو إرشاد !

وأنا أخذتك من أهون المآخذ فى طريق العقل ، فهناك طرق أخرى أشق وأصعب فى تمييز هذا العبث لم أدفعك إليها ، وأرجو أن تصبر حتى تعرفها يوما ، أو أن تحاول أنت أن تصل إليها بما أوتيت من حسن العقل ، فإن المحاولة خليقة أن تفضى بك إليها . ولكن شرطها أن تدع العصبية لآراء الرجال ، وبخاصة إذا كان هؤلاء الرجال ممن يبنون أقوالهم على الغلو والتسرع وسوء الفهم ، وقبح القصد ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله وحده ، ولكن يدل مطلعه على أنه هوى . فإذا فملت استطعت أن توفر على نفسك مطالبتى بنقد الحوادث التاريخية التى رواها صاحبك « نقداً موضوعيا » ! ومع ذلك فسأفعل حيث كتبت كلامى ما يرضيك . ولكن على شرط أن أجد عندك ما أحب لك من حسن الظن فيك : أن تعرف أن النقد الموضوعى الذى زعمت ، ينبغى أن يسبقه التحقق من صحة هذه الحوادث تحققاً ينفى كل ظنة. وأستطيع أن أظن أنى قدمت لك فى هذه الكلمة ما يجملك تقف من هذه الروايات التاريخية ! موقف المتردد على الأقل، أنفة لعقلك وأدبك أن يزلا حيث زل من دافعت عنه

أما الموضوع الذى نصبت له كلامى فى مجلة « المسلمون » فهو سب الصحابة ، وأظن أن الأستاذ يوافقنى على أن كلام صاحبك خرج أولا عن أن يكون مخافة لمعاوية ، ثم خرج عن أن يكون طعناً فيه ، ثم خرج عن أن يكون سبا . خرج من هذه المراتب الثلاث إلى مرتبة رابعة ، هى أن معاوية برئ من الإسلام ، والإسلام برئ منه . فأدنى مراتب هذا القول أن يكون منافقاً ، وآخرها أن يكون كافراً بما جاء به الرجل الذى آمن به المسلمون وأمروا أن يسموه « رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ومن العسير أن أكتب فى هذا الموضوع الآن دون أن أتوشح بذيل من ذيول « مسوح الوعظ والإرشاد » ، فليأذن لى الأستاذ قليلا أن أرد فضلة من الثوب الذى خلعت حتى أستطيع أن أوضح له :

زعمت ياسيدى أن لى رأيا ، فقلت إنى أثرت هذه العاصفة وحجتى الوحيدة : « أن كل صحابى رأى الرسول وسمع عنه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينتقد أخطاءه أو يظهر أغلاطه » . ويلك ! نسبت إلى شيئاً لم أقله قط كما ستعلم بعد . فلا تنس إذن أن مثل هذا جائز أيضا أن يكون وقع من مثلك قديما ، فنسب إلى معاوية شيئا لم يقله كما نسبت أنت إلى شيئا لم

أهله . ولكنى كنت أحسن حظا من معاوية رضى الله عنه ، فإن كلامى مكتوب منشور ، أما معاوية ، فقد روى الناس عنه شيئا ذهب أصله ، لأنه لم يكتبه كما كتبت . صدقنى ، فلست أدرى من أين فهمت هذا الكلام الذى ترجمته ؟ ولكن عذرك باد ظاهر ، فإن دفاعك عن صاحبك دليل على أنك على الأقل تفكر كما يفكر ، وهذه الطريقة هى نفسها طريقته التى أدعوك إلى فراقها حتى لا تهلك عقلك فيما لا يجدى. والذى قلته بعد الخطبة المنبرية التى زعمتها ، والتى بدأتها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابى ... » هذا نصه : « وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله معصومون عصمة الأنبياء ، ولا أنهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا ، فهم لم يدعوا هذا ، وليس يدعيه أحد لهم . فهم يخطئون ويصيبون ، ولكن الله فضلهم بصحبة رسوله ، فتأدبوا بما أدبهم به ، وحرصوا على أن يأتوا من الحق ما استطاعوا ، وذلك حسبهم ، وهو الذى أمروا به ، وكانوا بعد توابين أوابين كما وصفهم فى محكم كتابه . فإذا أخطأ أحدهم ، فليس يحل لهم ، ولا لأحد ممن بعدهم ، أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم . هذا مجمل ما أدبنا به الله ورسوله . بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولا مطروحا عند أكثر من يتصدى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا ، فإذا قرأ أحدهم شيئا فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله سارع إلى التوغل فى الطعن والسب بلا تقوى ولا ورع . كلا بل تراهم ينسون ما تقضى به الفطرة من التثبت من الأخبار المروية ، على كثرة ما يحيط بها من الريب والشكوك ، ومن الأسباب الداعية إلى الكذب فى الأخبار ، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة (مجلة المسلمون عدد ٣ ص ٢٤٧)

وأنا أكره أن أنقل كلاما لى من مكان إلى مكان ، ولكنك استكرهتنى على نقله ، حتى لا يقع فى عقل أحد من قراء الرسالة ، أنى مستطيع أن أقول هذه المقالة المنكرة القبيحة بكل مسلم : أن للصحابة مكانة تحرم على كل إنسان أن ينقد أخطاءهم أو يظهر أغلاطهم . هذه ياسيدى كلمة قبيحة جدا ، وأقبح منها أن تحملها ترجمة الكلام مكتوب باللغة العربية التى تكتب بها وتقرأ فيما أظن ، ثم تنسبها إلى امرئ يعرف حق الكلام ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وما يوجبه اللفظ من المعانى ، وما يتناوله من دقيق الاستنباط . وأنا أشهد كل قارئ أنى لم أقل ماقولتنيه ، وأدع له حق الحكم بينى وبينك أن يكون فى كلامى حرف واحد يدل على أنى أردت بعض هذا المعنى الذى ترجمته كما ترجم صاحبك تاريخ معاوية ومن معه من الصحابة وتاريخ سائر بنى أمية . أفتظن أن قولى إنه لا يحل لأحد أن يجعل « خطأهم » ذريعة إلى سبهم والطعن فيهم معناه أنهم لا يخطئون ، أو أن أخطاءهم لا تنقد ؟ وأين ذهب عمرى إذن ، إذا كنت لا أعلم أن الصحابة أخطأوا ، وأن علماءنا رضى الله عنهم ، قد بينوا أخطاءهم حتى فيما هو من أمور دينهم ؟ ولكن فرق كبير بين أن تذكر عمل الصحابى أو قوله ، وتأتى بالبرهان على أنه مما أخطأ فيه ، وبين أن تجاوز ذلك إلى الطعن فيه ، ثم إلى سبه ، ثم إلى إخراجه عن الدين ، كما فعل صاحبك . وهذا فرق ليس بالخفى فيما أظن ؛ ولا أظنك إلا تورطت فيه من شدة أثر صاحبك عليك ، حتى خدعك عما أنت خليق أن تكون من أهله . هذه واحدة أرجو أن تكون راجعا عنها منتفيا من سوء أثر صاحبك عليك فيها

وأخرى تبين فيها سوء أثر صاحبك عليك : وهى تحديدك ، فيما تزعم ، لمعنى « الصحابى » واستدلالك بالكلمة التى جاءت فى الخبر عن عبد الله بن أبى « معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . فهذه كلمة ذكرها ، يخشى أن تدور على ألسنة المشركين الذين لايميزون مؤمناً عن منافق، وكلهم عندهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لا أن رسول الله يسمى المنافقين أصحاباً له !! وكيف وقد نزل عليه من ربه نفاقهم وكفرهم ، ونهاه أن يصلى عليهم ، وبينهم له بأعيانهم ، فمعاذ الله أن يسمى رسول الله أحداً من المنافقين الذين يعلمهم « صاحباً » . فمن سوء الأدب أن يقول مسلم : « فعبد الله بن أبى من أصحاب محمد كما ينطق الحديث » ؟ ومن قلة المعرفة بالعربية أن يقولها

قائل ، ومن التسرع البغيض أن يلجأ إليها باحث ، ومن ضعف المنطق والفهم أن يحتج بها محتج . فهى حكاية قول يخشى أن يقولوه ، لا تسمية له باسم الصحبة . أعوذ بالله من الخطل ! ورحم الله العرب ولسانهم !

أما ما حاول الأستاذ أن يجعله تحديداً لمعنى الصحابى ، وهو ثلاثة أرباع مقاله ، فأظننى لم أفهمه ، ولم أدر ماذا كان يريد أن يقول ثم أخطأه . وأظن أنه أراد أن يقول فى كل ما كتب : أن الصحابى هو الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه وآمن به ولازمه ومات على إيمانه ، ولم يرتد . ولم يشهد له رسول الله بنفاق أو لم يذكر فيه حكم خاص من رسول الله . وهذا حق ، إلا أن الأستاذ أدخل شرط الملازمة ، وهو باطل من وجوه كثيرة ، لا أطيل بذكرها . ومع ذلك فإنى أؤكد أن معاوية ممن صاحب رسول الله منذ رمضان سنة ثمان من الهجرة إلى أن توفى بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من السنة الثانية عشرة من مهاجره إلى المدينة . وأما أبوه أبو سفيان فقد ولاه صلى الله عليه وسلم نجران وصدقات الطائف ، ورسول الله لا يولى منافقاً !! وأما عمرو بن العاص ، فلا أظن الأستاذ يستطيع أن ينكر هجرته ومصاحبته وبلاءه فى الإسلام ، وأما هند فأسلمت يوم أسلم زوجها أو بعده بيوم فى سنة ثمان من الهجرة . وهجران الأستاذ لمعرفة تاريخ هؤلاء الأربعة ، عادة اكتسبها من الكتب التى يقرؤها ، كتب تكتب بلا بينة ولا حذر ولا معرفة

ولا أظن أنى قرأت كلاما لم أفهمه ، كالذى قرأته فى مسألة الصحابة ، وإن كان الأستاذ بالطبع يظن بكلامه غير ما أظن ، ولكنى أنصحه مرة أخرى أن يلتمس العلم فى كتب من يلتمس عندهم العلم . وإذا كان يخشى على دينه — ومعذرة ارتداء مسوح الوعظ والإرشاد — فليأخذ أمر دينه عن ثقة فى تمييز الصحيح من الزيف ، والحق من الباطل ، وليدع أصحاب الأهواء حيث رضوا لأنفسهم منازلهم من مزالق الهوى . وليستغفر ربه من الكلمة الكبيرة التى قالها حمية لصاحبه وغضباً أنه « قد يوجد فى القرن العشرين من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول العظيم » . والظاهر أن الأستاذ لا يعيش فى هذا القرن العشرين عيشة العارف البصير . والظاهر أيضاً أنه يحتاج إلى معرفة كثير مما خفى عليه من شؤون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أمر دين الله الذى أكمله للمؤمنين ، وأتم عليهم نعمته ، ورضيه لهم ولنا ديناً . ونصيحة أخرى إلى الأستاذ أن يضع عن يده عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل . ولولا الحياء من أن أترك كلامه ومنطقه فى الكتابة ، بلا مجيب ، لخففت عنه ثقل الكتابة ، وثقل الفكر ، وثقل القلم جميعا ، بالصمت عما جاء به ودهوره فى أمور قلت معرفته بها ، ويعجز فكره عن معاناتها والسلام

محمود محمد شاكر

شعراء من أشعارهم :

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٢ —

حين مات المنذر كان عدى رجلا شديدا ثقة يستعان به فى جلائل الأمور وعظائمها ، وكان يعمل فى ديوان كسرى ، وكان على صلة بالحيرة وما يجرى فيها . وقد خلف المنـذر أبناء يرفعهم بعض الرواة إلى عشرة ، ويرفعهم آخرون إلى ثلاثة عشر ، ولـكن السيدين المنظور إليهما فيهم جميعا هما : النعمان والأسود. وقد قدمت لك أن المنذر دفع بالنعمان إلى حجر عـدى بن زيد وأهل بيته لتربيته وتقويمه . وأما الأسود فقد تولاه ، وأرضعه ، ورباه ، قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ، كانوا أشرافا . وكان أولاد المنذر جميعـا يقال لهم الأشاهب من جمالهم وبياض وجوههم . وقد قال فيهم أعشى قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الأشاهب[1] فى الحـ ـيرة يمشون غدوة كالسيوف

ولما احتضر المنذر وخلف أولاده حار كسرى فيمن يعقد له أمر الحيرة ، وأراد أن يختبر أبناء المنذر ليرى أيهم أحق بهـذا الفضل ، فبعث فى طلبهم بمشورة عدى . ولما خلا بهم عدى — كما تروى كتب الأدب — أوصى كلا منهم بوصيـة مغشوشة مدخولة ، إلا النعمان فقد محضه القول وأخلص له النصح . ولما دخلوا جميعا على كسرى يأكلون ، كان النعمان فى ثيـاب السفر ومتقلدا سيفه ، وعظم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ، وزاد فى الأكل ، تبعا لوصية عدى ، على غير ما فعل إخوته ؛ فقد تباطأوا فى الأكل ، وصغروا اللقم ، ونزروا . فأعجب كسرى بمـا فعل النعمان وولاه الحيرة

وأنت ترى من هذا ، ومما سبق ، أن فضل عدى بن زيد على النعمان بن المنذر سابغ . ولذلك لم يكن من العجيب أن كان صديق الملك النعمان ، وجليسه ، ونديمه ، فى كل يوم لقيـة وخطاب ، يخرجان للصيد معا ، ويرجعان معا . وارتفعت أسهم عدى ؛ فقد احتال للنعمان وولاه ، وغـدا النعمان ملك الحيرة ، ورثها بعد أبيه المنذر . ولم يكن بنو مرينا ليرضوا عن النعمان ، فإنهم أرادوا ربيبهم ورضيعهم الأسود ملـكا للحيرة ، ولـكن تدبير عدى قرب النعمان من كسرى وأبعد الأسود

ويذكر الرواة أن النعمان كان قد خرج يتنزه بظهر الحـيرة ومعه عدى بن زيد ، فمرا على المقابر من ظهر الحـيرة ونهرها ؛ فقال له عدى بن زيد : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا . ما تقول ؟ فأخبره عدى أنها تقول :

أيها الركب المخبو ن[2] على الأرض المجدون
كما أنتمو كنا وكما نحن تكونون

فانصرف النعمان وقد دخلته رقة ، فمـكث بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خرجة أخرى فمر على تلك المقـابر ومعه عدى ، فقال عدى : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ إنها تقول :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم[3]
وجياد الخيل تردى[4] فى الجلال[5]
عمروا دهرا بعيش حسن آمنى دهرهمو غـير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى فى طلاب العيش حالا بعد حال

فرجع النعمان وتنصر وكان من قبل يعبـد الأوثان . وليس بعيدا أن يؤثر عدى فى النعمان هـذا التأثير ؛ فقد مضى بيان ما بينهما من صـلات وثيقة ، وما قدم عدى للملك من جميل ؛ وكان عدى أكبر سنـا وأعلم ، وكان له فى نفس النعمان منزلة الوالد ، ولذا فليس من البعيـد أن يتنصر على يد عدى . وقد تنصر أبناء بيته أيضا ، وبنوا البيع والصوامع ، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر ديرا بظهر الـكوفة ، يقال له دير هند

وقد أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان على فرق ما بينهما فى

(١) الأشاهب جمع أشهب وهو من غلب بياضه سواده

(٢) المخبون : المسرعون . والخبب ضرب من السير ، وهو عـدو بخطو فسيح نوعا

(٣) جمع فدام أو فدام ، وهو ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب

(٤) تسرع وترجم الأرض بحوافرها

(٥) جمع جل وهو للحيوان (كالثوب للانسان يقيه البرد

السن ؛ فقد كان عدى أكبر من أبيها النعمان ، ومن شعره فيها

علق الأحشاء من هند علق(٦) مستسر فيه نصب(٧) وأرق

وفيها أيضا يقول :

يا خليلي يسرا التعسيرا ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا(٨) بي على ديار لهند ليس أن عجتما المطي كبيرا

ويقول .

من لقلب دنف(٩) أو معتمد(١٠)
قد عصى كل نصيح ومفد(١١)
ليس إن سلمى نأتني دارها سامعا فيها إلى قول أحد

ويذكر أنه يصبي ظباء مترفات ، يرفلن في الدمقس، ويكفين شؤونهن ، وهن بنات كرام ، مطيبات بالعبير :

بنات كرام لم يرن(١٢) بضرة
دمى(١٣) شرقات(١٤) بالعبير روادعا(١٥)
يسارقن م الأستار طرفا مفترا ويبرزن من فتق الخدور الأصابعا

ومن المقبول أن يكون قد سار حب عدى هند ، وعرفه الناس ، وتحدثوا به ، وبلغ النعمان شيء من هذا . ويحدثنا عدى أن سلمى (هند) مهما نأت دارها ، ومهما نهاه عن التعلق بها الناصحون أو اللاءمون ، فهو لن يسمع إلى قول أحد . ثم هو كان يدخل بيت النعمان ، فكان يرى بنات كرام ممتلئات مطيبات بالعبير، وحين يدخل كن يسارقن النظر بطرف مفتر ، ويبرزن أصابعهن من فتق الخدور — ذلك لأنه كان يصبي الظباء النواعم المنشآت في الدمقس والحرير

والنعمان رجل عربي ، يحفظه أن يتعرض أحد لفتاته بذكر، أو أن يقول فيها شعرا . وعدى قد تعرض وقد قال الشعر . ولا يبعد أن يكون النعمان قد عرف هوبةعدى، وسمع شعره ، بطريقة أو بأخرى

وقد أجمعت الروايات على أن عديا صاهر النعمان . وأكثرها على أنه تزوج بنته هند . وقد دفع عديا حبه هند أن يلتمس الزواج بها . وقد تزوج بها ، وهي يومئذ جارية ، حين بلغت أو كادت . وقد طلبها إلى النعمان بطريقة خادعة ، وهي أنه صنع طعاما واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ، ففعـل ، وسقاه عدى ، فلما أخذ منه الشراب خطبها إليه ، فأجابه النعمان وزوجه، وضمها إليه بعد ثلاثة أيام

ولم يكن هذا الزواج موفقـا فيما يظهر ؛ إذ كان فارق السن بين الزوجين كبيرا ، فقد كان عدى أكبر من النعمان ، وهو قد قومه ورباه ، ومعنى هـذا أنه كان في سن تجوز له أن يكون أستاذا كاملا جديرا بتهذيب وتقويم أولاد الملوك — ثم كبر النعمان ، وتزوج ، وأنجب . وبعد هذا كله جاء عدى يخطب إلى النعمان ابنته هند ، وهي جارية ، حين بلغت أو كادت . وجاء يخطبها بطريقة لا تليق بخطبة بنات الملوك ، فقد أسكر النعمان حتى أخـذ منه الشراب ، وحتى أصبح لا يستطيع الاختيار ولا التصرف بمحض رغبته وملء إرادته ، ثم طلب إليه ابنته

وقد كان عدى شبب بهند ، وقال فيها الشعر ، وأعلن حبه، وعصى الناصحين فيها ، فكأن الناس علموا بهذا الحب ، فمنهم الناصح ، ومنهم اللائم ، ومنهم الدساس المتربص

فكل الظروف التي أحاطت بهـذا الزواج لا تهدى إلى التوفيق ، فالتشبيب بالفتاة في العرف العربي — والنعمان عربي — سبب يمنع زواجها ممن شبب بها وتغزل فيها ، ثم الطريقة لا تسوغ في عرف الملوك ولا غيرهم ، ثم فارق السن لا يستهان به وبأثره في الزواج الموفق

وقد يكون النعمان حين صحا من سكرته بداله غير الذي عقد ، وبداله أن الزواج غير متكافئ وغير جائز ، ولكنه قد ألزم نفسه بما قطعه عليها من قبول عدى زوجا لابنته هند، وهو قبول خير منه الرفض ، وبشاشة خير منها العبوسة والاكتئاب

وفي مثل هذه الظروف القائمة صحت الفتنة،أو هي تحركت، فقد كانت متيقظة من بعيد ، يوم انحاز عدى في ديوان كسرى إلى النعمان ، وفضله على سائر إخوته وبخاصة الأسود ، وعمل على أن يكون ملك الحيرة بعد المنذر ، ونجح فيما أراد واختار ، وأصبح النعمان ملكا ، وأصبح هو صديق الملك ورفيقه في التنزه بظهر الحيرة في طريقهما المقابر ، غاديين رائحين

للبحث صلة

محمود عبد العزيز محرم

(٦) عشق وهوى (٧) داء وبلاء وشر (٨) إعطافا وميلا
(٩) مريض حبا (١٠) مقصود إصابته (١١) من يفدى
(١٢) لم يسأن (١٣) جمع دمية وهي الصورة (١٤) ممتلئات
(١٥) فيهن أثر الطيب والعطر

الفوضوية الفردية أو الوجودية!

للأستاذ شاكر السكرى

الفردية مفهوم من المفاهيم الرجعية ، ومخالفة من المخالفات الانحلال ، وعامل من عوامل الهدم ، وهدف من أهداف التفسخ للشعوب ، وفوضوية مجنونة ترعاها عقليات (هستيرية) !

كل ذلك مضمون واحد تجمعه تلك الفردية الانعزالية التى من شأنها أن تقوض الأسس التى تبنى عليها المجتمعات وتقوم عليها قوى الشعوب ..

إن الأهواء الذاتية التى تدفع هذه الزمرة البشرية (الشرهة) لكى تتخذ من هذه المذاهب الجنسية مبرراً يتيح لها بمقتضاه العمل على التخلص من المسؤوليات الأدبية ، والتحلل من الأهداف الأساسية للتكوين العام الذى يلم شعث العالم وينظمه كأسرة واحدة تجمعها روابط الأخوة والإنسانية ويسترعى انتباهها الاتحاد التام والعمل الوثيق من أجل بناء كيان يحفظ للشعوب المتحررة الواعية حرياتها وحقوقها وينمى قابلياتها ، ويحترم سيادتها ، ويصون اقتصادياتها ، كل ذلك والفردية الانهزامية تتجاهل العناصر التى قومت فرديتها الهزيلة وجعلتها ذات (صفات خاصة).. إن استخدام الأساليب الإباحية لضمان العواطف الفردية على حساب المجتمعات الجماهيرية تدفعنا للتفكير فى الواقع الذى يرى أن هذه المذاهب ليست إلا غرضاً من الأغراض التى بدأت تستخدمها السياسة وتسخرها فى كثير من الشعوب المسيطرة عليها .. والتى تخضع لنفوذ استعمارها لكى تشغل بها الأفكار ، مستغلة بذلك إعطاء المجال للعواطف الجنسية الجامحة ! أن تأخذ كامل حريتها فى تمثيل ماتهواه من التفكك والانحلال ! لتفقد بذلك السيطرة على نفسها والتفكير فى مصيرها وشؤون بلادها ، كما أنها تدعو لانعدام المسؤولية فى مختلف تطوراتها ، وهذا ما فطن إليه الاستعمار أخيراً وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . وبصورة خاصة فى البلدان الأوربية.. التى بدأت أذهان مواطنيها تتفتح للتفكير فى مصيرها ومستقبلها وضمان حرياتها ودعم كيانها واقتصادياتها ، فى الأسس التى تكفل لها الرخاء والتقدم ..

وقد وجد الاستعمار الأمريكى والإنكليزى المجال الواسع فى كثير من دول أوربا الغربية ، تلك الدول التى أخذت تتجه اتجاهاً معاكساً للسياسة الاستعمارية . ولهذا الغرض وحده بذل الاستعمار الإنكليزى والأمريكى نشاطه لمعاكسة ذلك الاتجاه ومعاونة المذاهب الانحلالية والعمل على ازدهارها ... ومثال ذلك المذهب الوجودى الذى تبناه الاستعمار فى فرنسا لشل الحركة الوطنية ، ليتمكن من تفريق القوى الجماهيرية . . وصرفها عن التكاتف والاتحاد للتعاون على توحيد الجهود والعمل الحثيث على رفع مستوى البلاد للمحافظة على استقلالها السياسى والاقتصادى ، ولغرض طعن الحركات الشعبية . إن الاستعمار يرقص طرباً عندما يشاهد الأكثرية المهوسة مدفوعة بمثل هذه (العقائد الفاسدة !) ليخلو له الجو لبث شباكه وربط البلاد بواسطة حكومات رجعية ضعيفة لتعمل بوحيه لتحقيق أمنيته ، كما هو الحال الآن فى فرنسا وكثير من الدول الشرقية خاصة منها البلاد العربية !

ولو نظرنا بإمعان إلى هاتيك المذاهب وأخص بالذكر المذهب الوجودى ، لرأينا أن الغاية المنشودة ، لا تعدو انعدام المسؤولية فى كل ناحية من نواحى المجتمع ! وجعل ذلك المجتمع أو تلك المجتمعات تتخبط بفوضى غاية فى الفظاعة والبشاعة ! لقتل النشاط الفكرى ووأد القابليات الإنسانية ، ومحو الذهنية الواعية وتوجيهها توجيهاً منافياً للقواعد الاجتماعية السليمة !

هذا هو المذهب الوجودى ، وتلك هى الغايات الخبيثة من ورائه ، أما أن هناك مذاهب فلسفية تعنى بفلسفة خاصة وتهدف إلى التعمق لمعرفة ما لا يمكن معرفته ، فهذا أمر بات غير ميسور فى جو مثل هذا الجو العالمى الذى لوثت السياسة آدابه ومعارفه ، وأضحت حتى الفلسفات فيه غاية تسخر فى خدمة السياسة وما تنشده من مطامع خسيسة !

ولست أعدو الحق إذا قلت إننا فى عالم انعدم فيه الضمير وأصبح لا يعرف غير كسب مغانمه مهما كلف ذلك من ثمن ! على حساب الشعوب وملايين من البشر ...

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول

للدكتور محمد بهجت

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وأما « ممتاز الزمان » أو « ممتــاز محل » ، واسمها الأصلى أرجومان بانو بيجم ففارسية الأصل أيضا . ولدت عام ١٥٩٤ م أبوها عبـد الحسن بن اعتماد الدولة الذى عرف فيما بعد باسم « آصف خان » . التحق فى صباه بخدمة « أكبر » وبلغ مركزا فى عهد ابنه « جاهان جير » ثم أرفع مركز وهو رئيس وزراء الإمبراطورية ، ومستشار الإمبراطور ، ومندوبه فى مفاوضاته الدبلوماتية ، وحامل لقب يمين الدولة — فى عهد «شاه جاهان» وقد رأينا فيما سبق كيف ساعد هذا الرجل « شاه جاهان » على اعتلاء العرش ، وكيف أصبحت ابنته « ممتاز محل » إمبراطورة من بعد عمتها « نور جاهان »

زوجت ممتـاز الأمير « كرام » عام ١٦١٢ م وعمرها إذ ذاك ثمانيـة عشر عاما . أما هو فكان يكبرها بأربع سنوات . فأحب كل منهما الآخر حبا عميقا ، صادقا قويا لم يرو التاريخ مثله رافقته فى جميع غزواته ، وقاسمته التشريد والحرمان ، وذاقت معه حلاوة النصر ومرارة الهزيمة ولاسيما فى أواخر عهد أبيه ، فكانت بحق الزوجة المثالية ، وكانت نعم الصديق والمرشد

كانت ملكة جمال عصرها حتى لقد سماها بعض المؤرخين فينوس الشرق . ويظهر أن جمالها كان ينطوى على رقة متناهية وأنوثة جارفة ، وروح عذبة وادعة ، وسريرة صافية نقية ، وطبع هادئ وخلق رزين ، وبذلك بزت عمتهـا التى اتسمت بالمكر والدهاء ، وبالفروسية وغيرها مما يغلب فى طبائع الرجال . ومع هذا الجمال الهادئ الوادع حباها الله عقلا راجحا ، ورأيا صائبا ، وقريحة وقادة ، وذكاء نادرا فى غير خبث أو دهاء . وما كان زوجها الامبراطور يبت فى شأن من شؤون الدولة الهامة إلا بعد أن يستشيرها ، ولا يقدم على أمر جسيم إلا بعد الاستئناس برأيها وظلت حاملة لخاتم الملك مدة طويلة إلى أن نزلت عن تلك الوظيفة لأبيها . ومع ذلك فإن الدور الذى لعبته فى سياسـة ومصاير الامبراطور لم يكن بارزا قويا ضخما مثل دور « نور جهان »

وكانت مثل عمتها سخيـة كريمة إلى أبعد حدود السخاء والـكرم ، لم تبغ من وراء ذلك شهرة أو كسب أنصار وأعوان ، بل فاقتها فى الحدب على الفقير ، والأخذ بناصر المسكين والضعيف ، حتى لسكان قلبهـا الرقيق يتقطع حزنا وأسى لمجرد مشاهدة الفقراء والبؤساء ، وتبادر لتوها بمسح جراحات نفوسهم ببلسم رحمتها ، وندى كفها ، ورفيع إنسانيتها ، مما جعلها سيدة عصرها . وكم من مرة أنقذت أرواحا أمر الامبراطور بإزهاقها فى ساعة غضبه ، وردتها على أصحابها سعيدة شاكرة

ولا غرو إذا أحبهـا الامبراطور ذلك الحب الجارف الفذ ، وعندما اعتلى العرش زادت مظاهر حبه لها بما كان يغدقه عليها من الأموال والجواهر ، وما كان يبديه لهـا من وافر المحبة والاحترام فى الحفلات الخاصة والعامة . ويظهر أن شدة رغبته فى إسعادها جعلته ينفق بسخاء . بل ويبذر تبذيرا شنيعا أثر فى

ولسنا ممن يروم نصب العداء وعرقلة أعمال العقل البشرى ما دام يسعى لتحقيق غرض أمثل وعمل أسمى

أما أن هــذا العقل يسعى لأغراض لا تمت إلى الإنسانية والخير بصلة فمعناه أن العقـل مجرم أو أنه مريض غارق فى شذوذه وأفكاره الكسيحة التى كتب لها الموت قبل أن تكون الحياة رائدها ..

كما أننا لا نتهاون فى أى وقت من الأوقات لمحاسبة (الأنا) الهاربة من الميدان ، أمام تأثير النزعة المكبوتة التى لم تجـد لها طريقاً فى الحيـاة الشعورية ، والحقيقة أن علم التحليل النفسى الحديث قد أثبت مبلغ ما تؤثره هـذه التصرفات وتخلفه من أمراض خطيرة تدفع المصابين بهـا إلى نهاية غاية فى التعاسة والشقاء !

وقبل أن أختتم هذه الـكلمة أود أن ألفت نظر قراء (الرسـالة) الغراء إلى كلمتى القادمة بعنوان (الوجودية فى نظر التحليل النفسى !)

بغداد شاكر السكرى

خزينة الامبراطورية أسوأ تأثير . فنى احتفاله الأول بعيد النيروز (عام ١٦٢٨ م) أمر بعرشه الثمين فنصب فى حديقة القصر اليانعة التى غصت بالزينة والتهاويل ، وحفت به زوجته وأولاده والأمراء والأميرات وكبار الحاشية وسط مظاهر الترف والعظمة التى لم تشهد مثلها دولة المغول ، والتى كان يحرص عليها «شاه جاهان» كل الحرص ، وأراد أن يبلغ بها النهاية . وعندئذ تعطف وأطلق يده بالعطاء فخص زوجه بنصف مليون ربية ، وكل ابن من أبنائه الأربعة بمائتى ألف ، وابنته الكبرى «جاهان آرا» بمثلها ، وابنته الصغرى «روشان آرا» بخمسين ألف ربية ، هذا عدا ما أغدقه على حميه «آصف خان» وعلى بقية الحاشية

ثم إنه اندفع فى إنشاء عدد وافر من الأبنية العظيمة التى تعد من أجمل وأروع ما بنى بالهند ، بل وفى العالم أجمع . ويظهر أنه حاول بذوقه الرفيع وموارد الامبراطورية الواسعة أن يأتى بما لم تأته الأوائل ، وأن تكون له قصور فخمة تتفق وعيشة الترف التى انتهجها وحرص على التوسع فيها لأبعد حدود التوسع . وكان من نتيجة ذلك أنه أخلد إلى الدعة وللذاذات العيش والرفاهية ، ولم يعد يفكر فى الغزوات وفى خوض غمار الحروب وإخضاع الثورات كما كان فى صدر شبابه . أحب للسلم والبناء وكرس لها كل وقته وجهوده وترك شؤون الامبراطورية لوزرائه وأبنائه . ويظهر أن بعض المؤرخين ظلمه بقوله إنه كانت له القاجارية لم يكتف بهن بل راح يبحث عن خليلات أخر بين نساء أمرائه وحاشيته . ولكن يصعب تصديق مثل هذه الرواية إذا عرفنا مقدار حبه لزوجته الجميلة المخلصة الوفية التى لم يقو على فراقها يوما واحدا ، والتى لم يتزوج غيرها من بعد وفاتها . ثم إنه لم تشب سعادتهما الزوجية شائبة فكانا زوجين مثاليين

وفى عهده تطلع البرتغاليون إلى اقتطاع بعض أملاك الامبراطورية المغولية فى شئ من القحة والجرأة ، وقامت سفنهم بأعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية ، فضاق الامبراطور بهم ذرعا . ازداد سخطه عليهم عندما احتجزوا جاريتين من جوارى «ممتاز محل» ، فأمر بطردهم من جميع أنحاء البلاد وتم له ذلك فى وقت قصير بعد معارك طاحنة دمرت فيها جميع ممتلكاتهم

ومع أن حياتهما الزوجية لم تزد على ثمانية عشر عاما فقد أنجبت منه «ممتاز» أربعة عشر ابنا وابنة . وفى عام ١٦٣٠ م بينما كان «شاه جاهان» منشغلا بإخضاع حاكم قوى يسمى «خان جاهان لودى» خرج عليه ، ماتت «ممتاز محل» فى مدينة برهان بور فى ريعان شبابها وهى تضع مولودها الرابع عشر . وبموتها ماتت أحلام الامبراطور العظيم ، وتحطم صرح هنائه ، وبدأت نقطة تحول خطيرة فى حياته فلم يعد يعبأ بنعيم الحياة ولذاذاتها ، حتى ولا بشؤون الامبراطورية ، وأصابه ذهول ووجوم لازماه إلى آخر أيام حياته . كان لا يفكر إلا فى شريكة روحه ، ومنية فؤاده يذكره طلوع الشمس «ممتازاً» ويذكرها لكل غروب شمس ، على حد قول الخنساء . وأخيرا فكر فى أن يبنى لها ضريحا يضم رفاتها المقدسة ، ويعبر عن مقدار وفائه لها ، بل كعبة يتجه إليها بقلبه وبصره ، يطوف بها وهو يناجى بعض نفسه التى دفنت تحت أطباق الثرى ، فحمل رفاتها بعد ستة أشهر من موتها إلى مدينة أكبراباد حيث أقام لها جنازة ملكية فخمة ومأتما عظيما حافلا ، وبعد ذلك نقلت إلى أكرا حيث دفنت فى «تاج محل» . ألهم الحزن والحب والوفاء الامبراطور أن يخرج إلى الوجود تلك التحفة الفنية الرائعة التى تقص على العالم قصة حبه . اختار لها الرخام الأبيض الصافى صفاء قلبها وروحها ، وأضفى عليه من جمال الهندسة والزخرفة ما يتناسب مع جمال وجهها وجسدها . ثم بث فى كل ذرة من ذراته كل ما أراد أن يقوله لو يعبر عنه ، أو أحس به . ولذا لم يظهر ذلك البناء بديعا فحسب.. بل كأنه يهمس بشتى المعانى السامية ، ويعزج من الأحاسيس الدقيقة العميقة . ومما زاده روعة قيامه وسط تلك الحديقة البديعة الرشيقة التى ما زالت على شكلها ورسمها الأصلى . لو اطلعت عليه فى الضحى أو فى ضوء القمر لخلت أنك ترى ممتازا نفسها ، بجمال جسمها وروحها مغلفة فى غلالة من نور ، باسمة حزينة . إنه تمجيد لجمال المرأة ، ولكل ما فيها من صفات سامية

اختار له الشاه موقعا جميلا على نهر جمنة الذى يخترق مدينة أكرا ، وحشد له الصفوة من المهندسين والخطاطين والنحاتين والزخرفين والصياغ ، وكان أكثر هؤلاء من الأتراك والفرس ،

بل ومن الإيطاليين أيضا . وبعد دراسات واسعة أمر بالبدء فى العمل عام ١٦٣١ م . ثم فتح باب خزانته على مصراعيها وأخذ ينفق على إخراجه ببذخ عظيم . اشتغل فيه عشرون ألف عامل لمدة سبعة عشر عاما على حد قول بعض المؤرخين ، ولكن يظهر أن الانتهاء من بعض الزخارف والمحسنات كان بعد ذلك التاريخ بدليل العبارة التالية التى نقرؤها على أحد أبوابه « كتبه الفقير الحقير أمانت خان الشيرازى عام ١٦٣١ — ١٦٥٣ حيث انتهى منه »

لا يمكن لإنسان أن يدرك جمال هذا الضريح على حقيقته إلا إذا رآه عيانا ووقع تحت سحره المتجدد ، وحين أن أذكر هنا أن الامبراطور أصر على أن يكون أنفس تحفة ، وأثمن أثر .. فكان باب المقصورة من الفضة ، والستار الذى بداخلها من الذهب الخالص ، تحليها أبدع النقوش ، كما كان باب المقبرة نفسها من الفضة أيضا . وكان على القبر ستر من الحرير المرصع بصحائف اللؤلؤ ، كما كانت تعلوه الماسة اليتيمة المعروفة باسم « كوهينور » وكل ذلك نهبه « الجات » عندما فتحوا أكرا

جاء هذا الضريح أبدع ما أخرجه « شاه جاهان » من أبنية عظيمة لا نظير لها فى العالم ، وبعد ما أتمه كان يجلس على الضفة الأخرى من النهر ساعات طويلة يتأمله فى خشوع وحزن . ثم إنه فكر فى أن يقيم لنفسه ضريحا فى نفس المكان الذى اعتاد أن يجلس فيه ، وشرع فعلا فى البناء ، وبرى أساسه قائما على ضفة النهر تماما ، وكان يزمع أن يبنيه من الرخام الأسود . وليته عاش حتى أتم هذا العمل الفنى الجميل الذى لا يستطيعه إلا « شاه جاهان » وفيما هو منصرف إلى البناء ثار عليه ابنه « علم جير » المعروف باسم « اورنك ذائب » الذى استولى على أكرا وأسر أباه الشيخ الوقور الحزين وحبسه فى قصره الفاخر لا يخرج منه لمدة ثماني سنوات مات بعدها (١٦٦٦ م) والمعتقد أن الابن هاله ما رآه من إسراف والده ، وانصرافه من شؤون الامبراطورية التى كانت على شفا جرف هار ففعل ما فعل ولكنه كان يعامل أباه بكل ماهو جدير به من عطف واحترام . ولم يضن عليه بكل ما كانت تصبو إليه نفسه

وقفت طويلا أتأمل فى أسى ذلك المكان البديع من القصر الذى قضى فيه الامبراطور المعظم ثمانية أعوام فى الأسر ، تشرف عليه وترعاه ابنته المخلصة « روشان آرا » ثم خرجنا إلى شرفة تطل على النهر يرى منها التاج بعيدا إلى اليمين ، ويتوسطها برج من الرخام الجميل ، رائع الصنع ككل شئ فى القصر ، بل وكل شئ بناه « شاه جاهان » وبينما أنا ذاهل من روعة البناء والذكرى أشار الدليل بإصبعه إلى قطعة صغيرة من حجر كريم لونها أحمر داكن ، لا يتجاوز طولها ثلاثة سنتيمترات وعرضها سنتيمترا واحدا ، مطعمة فى جدار البرج ، وطلب منى أن أنظر فيها ففعلت ، وإذا بى أرى صورة التاج منعكسة عليها كاملة من ذلك البعد العظيم !!! وفى تلك اللحظة شعرت بقلبى ينقبض شفقة على ذلك الملك البائس الحزين الذى قضى ثمانى سنوات يتطلع إلى قبر محبوبته من الشرفة ومن تلك القطعة الصغيرة !! بعد أن باعدوا بينه وبينها.. فياله من حب عظيم ، ووفاء نادر !! ومن يدرى ؟ فربما كان يتزود المسكين بآخر نظرة منه وهو يسلم روحه إلى بارئها

دفنوه فى قبر فخم إلى جانب قبرها تحت قبة التاج .. مع أنه لم يرد ذلك بدليل الضريح الذى وضع أساسه قبالة ضريحها على الضفة الأخرى للنهر . وكأنه لم يشأ أن يدنس هذا الهيكل المقدس جثمان آخر ، حتى ولو كان جثمانه هو

أثرت « ممتاز محل » بعقلها فى تسيير دفة الامبراطورية وأشرق جمال جسمها وروحها على العالم فترة قصيرة إشراقة الورد النضير ، فكانت المثل الأعلى للمرأة والزوجة . وأخيرا أثر موتها الباكر فى زوجها فخلد ذكرها بتحفة قلما يجود الزمان بمثلها ، وأهدى إلى العالم أعظم وأجمل رمز للحب والوفاء والإخلاص

محمد بهجت

مصلحة البساتين

مراجع البحث

١ — « حضارات الهند » تأليف غوستان لوبون وترجمة الأستاذ عادل زعيتر

٢ — « الإسلام والدول الإسلامية فى الهند » تأليف محمد عبد المجيد العبد

٣ — الامبراطورية المغولية تأليف س.م جعفر (بالانجليزية)

٤ — تاريخ مختصر لشعوب الهند تأليف تارا شاند (بالانجليزية)

٢ – دعوة محمد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إعجاز القرآن :

إن الذى حبب القرآن إلى قلب العربى ، وجعله يترك دينه وما وجد عليه آباءه ، وما ورثه من قديم الزمان من تقاليد وعادات ، هى فضائله وأولاها فضيلة الإخلاص المحض الصراح ، فهذه الفضيلة تعتبر منشأ كثير غيرها من الفضائل ، لأن الإخلاص هو أساس النجاح فى كل شئ . كما أن فيه نظرات نافذات إلى شؤون الحياة . وإنى أرى فى القرآن ميزة خاصة وهى قدرته العظيمة على أن يوقع فى أذهاننا كل ما جاء فيه ويجعلنا نؤخذ به ، وهذا لاشك مرجعه إلى أن ما جاء به لا يقصد منه إلا إصلاح أمورنا والأخذ بأيدينا إلى الصراط السوى

أنا لا أهتم كثيرا بما جاء به القرآن من الصلوات والتمجيد والتحميد ، لأنى أرى ما يقاربها فى الإنجيل ، ولكنى لا أملك نفسى من شدة الإعجاب بما جاء به من نظر ينفذ إلى أسرار الكون وبواطن الأمور التى تهمنا جميعا ، وخاصة فيما يحيط بنا من أسرار الكون العجيب الذى لا نهاية له . ذلك الكون الذى كان محمد إذا سئل أن يأتى بمعجزة قال . حسبكم بالكون معجزة عظمى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » أنظروا إلى السموات وكيف بناها وزينها بالنجوم والكواكب وما لها من فروج.. وإلى الأرض التى خلقها لكم وبسطها وجعل لكم فيها سبلا تسلكون فى مناكبها وتأكلون من نباتها وتتمتعون بخيراتها « والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى » « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد. وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

وهذا السحاب المسخر بين السماء والأرض يسير فى الآفاق ثم ينزل مطرا فيحيى الأرض بعد موتها ويخرج منها أعنابا ونخيلا ونباتا مختلفا أكله.. أليس كل هذا آية دالة على وجود الله وقدرته. وأن القرآن من الله لا من صنع البشر. « الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون » « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها »

وهذه السفن وكثيرا ما يذكر السفن كأنها الجبال العظيمة المتحركة تمخر عباب البحار وتسير فى موج كالجبال تنشر أجنحتها وتنتقل من مكان إلى مكان بما ينفع الناس « والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس » « والفلك تجرى فى البحر بأمره » « وسخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه » وهذه الأنعام المختلفة الأصناف خلقها لكم ترعى الكلأ ، ثم تخرج لكم من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين . « وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين » « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون »

وأنتم يا أبناء آدم يامن تدلون بقوتكم وتفاخرون بقدرتكم ماذا كنتم ؟ إنكم لم تكونوا شيئا مذكورا ، ثم خلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق، ثم جعل لكم جمالا وقوة وعقلا، ثم تهرمون وتضعفون وتهن عظامكم وتموتون ، فإذا جاء يوم القيامة عدتم إلى حياة أخرى ، أعادكم الرحمن الذى وهبكم الحياة الأولى . « ... فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا» « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » أليست كل هذه وغيرها آيات ناصعات دالة على قدرة الله وعلى أن هذا الكتاب من عند إله قوى قدير مدبر للكون ، يعلم السر والظاهر ويدبر شؤون المخلوقات ؟ إنه لا ينكر هذا إلا جاهل متعصب

الجنة والنار فى القرآن :

الجنة والنار من الموضوعات التى كثر ذكرها فى القرآن وهما رمز لحقيقة أبدية ، لم تصادف من حسن الذكر والعناية بالشأن كما صادفت فى القرآن . لقد ذكر القرآن الجنة وملاذها ونعيمها ، ومن هم الذين سيدخلونها « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » « إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ... وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » « فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين » « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »

وذكر النار وشدة بأسها وعذابها تنكيلا بأهلها ، ثم ذكر من هم الذين سيدخلونها . جهنم المتغيظة التى لا تشبع أبداً التى وقودها الناس والحجارة . « إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ » « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا » « إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »

وأما أصحابها فهم الأخسرون أعمالا « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا »

وأنت ترى فى أماكن كثيرة مقارنة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار وما يلقاه كل منهما جزاء ما عمل « هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم . إن هذا ما كنت به تمترون » ، « إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون

من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم »

ثم يصور قيام الساعة ويوم الحشر إذ يجتمع الناس ليأخذ كل منهم كتابه الذى أحصيت فيه أعماله « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول — فرحاً مغتبطاً بما نال من حسن الجزاء على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا — هاؤم اقرأوا كتابيه »
« وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول — حزيناً مهموماً قد فقد أمله فى النجاة وعلم أنه حقت عليه كلمة العذاب — يا ليتنى لم أوت كتابيه »

هذا اليوم الذى فيه تذهل الأم عن رضيعها والأب عن ابنه والزوج عن زوجته ، بل يتمنى الإنسان الذى أخذ كتابه بشماله أن يفتدى نفسه بأمه وأبيه وصاحبته وأخيه وكل من له صلة به « يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه » « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »

ما ذا نرى من هذه الصور الواضحة والتصويرات القوية ؟ وما المقصود من هذا الإسهاب فى ذكر هذه الأشياء ؟ إن شيئاً واحداً هو المقصود بكل هذا التصوير المظلم للحقيقة الروحانية الكبرى أم الحقائق التى بنى عليها نظام المجتمع وحياة العالم . أعنى بها الواجب وجسامة أمره ، لأنه أمر خطير جسيم والحياة بغير واجب شىء لا قيمة له ولا شأن . إن كل هذه الأشياء التى ذكرت تبين لنا قيمة الإنسان فى هذه الحياة وأنه لم يخلق هملا حقيراً — وهذه القيمة نأخذها من جسامة ما ألقى على عاتقه من واجبات هو مطالب بها محاسب عليها — بل إن لكل مهما حقر ، عمل إنسانى له خطره وقيمته ، وله على هذا الجزاء والأجر « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما » « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » ويتجلى لنا هذا القول ظاهراً قويا فى بعض أقوال محمد التى منها « إنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى » . فمن كان عمله سيئاً فله من السوء نتيجة أبدية — ألا وهى جهنم التى وصفت — ومن كان عمله صالحاً فله ثمرة صلاحه السرمدية — وهى الجنة التى وعد المتقون ..

إن الإنسان قد يصل بأعماله إلى أعلى عليين فيصبح رفيقاً للملائكة والصديقين والشهداء والصالحين . وقد يهبط بأعماله إلى الدرك الأسفل من الحياة ، فيصير ممن طردهم الله من رحمته وحرم عليه نعيم جنته التى وعد بها أصحاب الأعمال الصالحة

لقد كانت روح محمد ذلك الرجل الذى عاش فى الصحراء ، تلتهب بكل هذه الخواطر التى أوحى بها إليه ربه ، بل إنها نقشت على قلبه هى وبقية أجزاء القرآن الأخرى بأحرف من نور فصهرت نفسه الآدمية وأحالتها إلى روحانية صافية سمت إلى درجات العلى ... لم يكن محمد بالأنانى ولا بالمستأثر بالخير دون سواه ، فقد حاول أن يجعل من أصحابه صورة منه ، ومن تابعيه قوماً صالحين ليضمن لهم التلذذ فى الدنيا والآخرة . فحاول مخلصاً كل الإخلاص جادا كل الجد أن يصور ما يجول فى نفسه من خير للناس ويوضح لهم حقائقه ، فقدمه لهم فى تلك الصور الباهرة التى منها صورة الجنة والنار ، بل واستطاع أن يبين لهم أى ثوب لبسته تلك الصور من الحقيقة ، وأى قالب صبت فيه حتى جعل هذه الصور كلها مقدسة عند المسلمين مصدقة عند عامتهم وخاصتهم لا يقبلون فيها جدلا ولا يرغبون فى غيرها بديـــلا

يأخذ البعض على الصورة التى رسمها القرآن للجنة والنار ، تغلب الحسية والمادية ويقولون إن هذه الحسية قد أفقدت هذه الصور بهجتها وحدت من خيال السامع لأوصافها . ولكن فات هؤلاء أن الصور التى رسمها القرآن ليست حسية مادية — كما يقولون — ولكن القرآن روحانى سماوى فقد أقل جدا من إسناد الماديات والحسيات إلى ما صوره من صور وأن كل ما جاء فيه خاصا بهذه الصور وخاصة الجنة والنار إنما هو إيحاء وتلميح

لكن العيب على هذا كله يقع على الشراح والمفسرين الذين قاموا بتفسير ماجاء فى الكتاب المبين ، فهم الذين لم يتركوا متعة

التعليم فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

لابد للباحث فى حالة الإصلاح فى بلدنا هذا من أن يقف بين آن وآن برهة من الزمن ليراجع فيهـا الماضى وليدقق النظر فى الحاضر تعرفا لمـا كان، وتلمسا لما يكون، لعـله يتمكن بذكريات الماضى وعبر الحـاضر من رسم خطة سليمة للمستقبل . والتعليم فى مصر وهو من أهم أسباب نهضتها وأعظم عوامل الإصلاح فيها من الأمور التى يجب على المسئولين أن يراجعوا أنفسهم فيه بين فترة وأخرى حتى يتبينوا عيوبه فى الماضى ليتخلصوا منهـا فى الحاضر وفى المستقبل فى سبيل تنشئة جيـل جديد يستطيع النهوض بالبلاد النهوض المأمول

إن السياسة العامة التى سارت عليها الحكومات المتعاقبة من زمن بعيد تعنى عنايتها الكبرى بنشر التعليم والإكثار من المدارس والمعاهد أكثر من عنايتها بأى شئ آخر ، حتى لقد تضاعف فى السنوات العشر الأخيرة عدد المدارس ، كما أصبحت لنا فعلا ثلاث جامعات تضم الآلاف من الطلاب . وهناك جامعة رابعة ينتظر أن تنهض بالعمل فى العام القادم بعد أن كانت لدينا جامعة واحدة . ولا شك أن نشر العلم بين النـاس عمل جليل مشكور بشرط أن يكون ذلك على أساس سـليم مثمر ، فى نظام يؤدى إلى التكوين الصحيح الذى يعرف به كل متعلم واجبه نحو نفسه ونحو معهده ونحـو مواطنيه ونحو بلاده . فهـل عرف متعلمونا اليوم واجبهم الحق وأدوه بعض الأداء ؟ الرد على ذلك فيما أذاعه معالى وزير المعارف السابق فى بيانه عن حالة المدارس الراهنة مما ملأ قلبه وقلب المصريين حسرة على ما أصاب معاهد التعليم من انتكاس وتدهور وفوضى يؤسف لها كل الأسـف . وعندى أن الأمر فى ذلك راجع إلى شئ واحد طالما نبهنا إليه فى مقالاتنا فى مجلة الرسالة الغراء التى لا تدخر وسـعا فى العمل للنهوض بأبنـاء هذه الأمة .. وفى تقاريرنا التى شرفنا برفعها إلى وزير المعـارف منذ أكثر من ربع قرن من الزمان من سـنة ١٩٢٣ إلى اليوم.. بل وفى مؤلفنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى سبق أن أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاما والذى ذكرنا فيه فى صراحة وجلاء فى صفحات متعددة منه أن المدرسـة المصرية أهملت واجبها فى تربية تلاميذها وتكوينهم تكوينا خلقيا صحيحا.. وأن واجبهـا يقتضيها أن توجه عنايتها الخـاصة إلى ذلك ، لأن التكوين الخلق هـو الدعامة الحقيقية للتنشئة ، وهو الذى ترعاه رعاية تامة كل الأمم فى تكوين أبنائها ، وهـو الذى وجهنا إليه الله تبارك وتعـالى فى وصف نبيه الكريم بقوله « وإنك لعلى خلق عظيم » وهو الذى عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

نبهت مرارا وتكررا فى أكثر من ربع قرن من الزمان إلى ضرورة العناية بالتكوين الخلق فى المدارس ، ورفعت التقرير

شهوية ولا لذة حسية إلا حاولوا أن يلحقوها بالجنة ظنا منهم أن هذا يجذب الناس إلى الأعمال الصالحة التى تؤدى إليها . كما لم يتركوا عذابا بدنيا ولا ألما حسيا إلا حاولوا إسناده إلى النار ظنا منهم أن هذا هو أشد رادع لهم عن إتيان المنكرات

إن القرآن جعل أكبر متع الجنة روحانيا إذ قال : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فأى شئ أحب إلى نفس الإنسان من الأمن والسلام ، إنهما فى نظر كل عاقل غاية ما يتمنى وأقصى مايسعى إليه ، وهما الشئ الذى يحاول الإنسان فى حيـاته أن يلتمسه ويصل إليه . ثم يقـول فى مكان آخر « ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » فأى رذيلة وأى عمل أشد خبثا من الغل والحسد اللذين هما مصدر المصائب والمحن والآفات والنقم . إنهما أساس ما يصيب العـالم من الكوارث والمهلكات والحروب الطاحنة . فإذا نزع مافى الصدور من الغل والحسد ، صارت [illegible] كأنما هى الجنة التى أرادها الله بل إن الجنة لا تفضلها فى شئ

إن السلام والأمن والتصافى كل هذه أشياء حفل بها هذا الكتاب الذى جاء من لدن حكيم خبير

عبد الموجود عبد الحافظ

تلو التقرير إلى المسئولين ناصحا ومنبها ومنذرا، ولكن الجميع كانوا يبحثون مندفعين وراء المناهج ووراء العلم فقط دون الأخلاق. ولقد جاء في تقريري المرفوع سنة ٢٨ إلى وزير المعارف لما بعث يسأل كبار رجال التعليم عن المناهج ما يأتي:

ياصاحب المعالي: مشكلة التعليم في مصر مشكلة معقدة يهتم لها الشعب وتهتم لها الحكومة اهتمامها بأهم أمور الدولة؛ لأنها أساس من الأسس العامة في بناء النهضة، وفي نظري أن مسألة المناهج ليست أهم شعب تلك المشكلة؛ فهناك نظم التعليم وما فيها من عيوب، وهناك المدرسون وكفاياتهم، وهناك التعليم في مجالس المديريات، وهناك الارتباط بين التعليمين الأولي والابتدائي، وهناك مسألة تشجيع الكفاءات الخ الخ». وجاء في هذا التقرير «لا أراني مغاليا إذا قلت إن روح المنهج الجديد هي هي بعينها روح المنهج القديم، فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماما عن البيئة المحيطة بها.. ونظرية حشد الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة لازالت متجسمة في منهجها الجديد، ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها، ولم يعمل المنهج الجديد شيئا في سبيل تحويل وجهة نظر التلاميذ والأهلين عن الوظائف والتوظف الخ الخ»

وجاء في مؤلفي سابق الذكر صفحة ١٩٣ تحت عنوان عيوب التعليم الحاضر ما يأتي:

«هذا والمعلم القديم الذي باشر العمل في المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق أيضا؛ إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل، حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعا واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين، وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه — وأن الفوضى التي تنتاب المدارس أحيانا من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها لمما تحزن له النفس ويهلع له القلب، وهذه حالة ستؤدي حتما إلى تدهور خلقي أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التي تضع الأمور في نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها وتجعل أساس المعاملة بين التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيق المشوب بالعطف الأبوي.. يقابله في الوقت نفسه حب بنوي» هذا إنذار قدمته منذ ثلاثة عشر عاما المسئولين فلم يستمع له أحد، وقد تحقق اليوم مع الأسف الشديد ما تنبأت به. وعلاوة على ذلك فقد أفردت الباب الرابع كله في مؤلفي السابق الذكر لموضوع تكوين الأخلاق بالذات، وأبنت فيه كثيرا مالتربية الأخلاق من قيم ونتائج، كما رسمت فيه خطة للاصلاح الخلقي

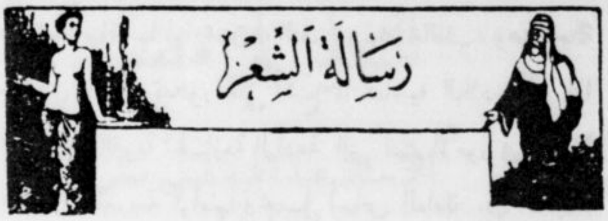
وإني لازلت أقرر — والحزن الذي ملأ قلب معالي وزير المعارف السابق وقلوبنا اليوم يملأ قلبي من سنين عديدة — أن الحالة المحزنة التي وصلت إليها المدرسة المصرية اليوم ترجع إلى إهمال العوامل النفسية والخلقية التي تؤثر أعظم التأثير في تكوين الناشئين. تلك العوامل التي نبهت إليها من زمن بعيد فلم يأبه لنصيحتي أحد فأصبحنا نقاسي اليوم نتائجها السيئة المريرة حائرين منزعجين مستفسرين متسائلين

أمرتهمو أمري بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

لقد أصبحنا اليوم على أبواب بحث جديد في حالة التعليم تجريه معالي حسونه باشا وزير المعارف وهو الرجل الذي يقدر الأخلاق الفاضلة حق قدرها، ويشرف عليه ذلك الرجل النابغة الذي كرس حياته لبناء مجد الوطن رفعة علي ماهر باشا الذي تفخر به مصر كلها والذي أفخر شخصيا بأنه من بين مئات الكبراء المفكرين الذين أهديت إليهم مؤلفي سابق الذكر «التعليم والمتعطلون في مصر» كان الرجل الوحيد الذي تكرم فقرأه بعناية وأثنى عليه الثناء الجميل فكان ذلك مما شجعني على أن أعاود الكرة في الكتابة اليوم في هذا الموضوع الجليل. وفقه الله ووفق جميع العاملين لما فيه خير هذه الأمة إنه سميع مجيب

للبحث صلة

عبد الحميد فهمي مطر



تكريم صيدح بدمشق

« زار دمشق فى خريف عام ١٩٥١ شاعر المهجر الكبير الأستاذ جورج صيدح فأقام له — النادى العربى بدمشق — حفلة « تكريمية » كبرى جمت العدد الأكبر من شعراء دمشق وأدبائها وشبابها المثقف ، وها هي إذى قصيدة الأستاذ أنور العطار التى حيا بها صديقه الشاعر الأستاذ جورج صيدح باسم دمشق ، تلوها قصيدة المحتفى به فى حفلة تكريمه »

دارة العرب*

فلسطين ! يا دنيا المجادة والحب   ويا مهبط الإلهام والحلم العذب

عليك سلام العرب يندى مواجما   ويشرب دمع العين غربا إلى غرب

تطوف بك الذكرى ويهفو لك الهوى

كأنى فيك الجسم خلواً من القلب

بنفسى وأهلى أرضها وسماءها   ويا لهفى للسهل منها وللهضب

حننا إليها وهى ملء ضلوعنا   كأن رؤاها حائمات على قرب

فديتك لم أمعنت فى الهجر والقلى   وعشت على صد وأسرفت فى العتب

ولم رحت لا تلوين إلا على النوى   أمن أمل رحب إلى أمل نهب !

ديار الهوى لا زلت مخضرة المنى   ترف على مغناك فينانة العشب

أراك بعين الحب طيفا مجسدا   يقاسمنى كربى ويغفر لى ذنبى

فهل لفنا الماضى خيالا على المدى   وألفنا كالهدب يعلق بالهدب

أيا روضة الأحباب لولاك ما ارتوت

جفونى ، ولا روتك بالهاطل الصب

ولا طاف بى التذكار حلوا كأنما   أعيش به فى عالم مونق رحب

خيالك فى عينى وذكراك فى فمى   وبى منك ما يغرى المحب وما يصبى

لأنت هوى قلبى الذى مضه الهوى   وعلله بالوصل كالعاشق الصب

وما غبت عن طرفى وإن بعد المدى   ولكننا فى الحب جنبا إلى جنب

وما ذكرتك النفس إلا تولهت   وهيمها برح فباتت بلا لب

وإن بتذكار الديار علالة   تروح عنها ما تعانى من اللهب

يهيج جواها الشوق والشوق عاصف

كأن على أنفاسه زفرة النحب

فيالك ذكرى ملؤها الوجد والأسى

مضرجة الأعطاف بالنوح والندب

دهتك من الدنيا كوارث جمة   وألقت بك الويلات فى مزلق صعب

وما غير الأيام مهما تفاقمت   بأعظم مما ذقت من فادح الخطب

أيغدو مطاف المجد نهبا مقسما   ولا تغضب العرباء للنهب والسلب

وكانت إذا نابت ديارا أذلة   تفجرت الأرواح بالسمر والقضب

حنانيك ربى ما ليعرب لم تفق   وما خلقت إلا من الشب والهب

فما بالها إن هاجها البغى لم تهج   وإن قرعت بالسب نامت على السب

أحقا توانت عن منازلة العدا

أصدقا ، وليت الصدق ضرب من الكذب

وهل غصب العادى ديار أحبتى

وقرت نفوس العرب طوعا على الغصب

فصبراً على البلوى وإن جل أمرها   وصبراً على الآلام والنوب الغلب

فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا   وتزدهر الأعواد فى المهمه الجدب

ويمرع قفر عمه المحل والبلى   كأنك منه فى نماء وفى خصب

ويرجع وجه السلم جذلان ناضرا

بحرب تلف الأرض بالطعن والضرب

إذا لم يكن فى السلم خير ونعمة   فما الخير إلا فى ممارسة الحرب

فبعدا لمن قد عاش فى الضعف والونى

وتبا لمان لا يفيق من الرعب

إذا دهمته الداهمات تلجلجت   به النفس وانهارت تقول له حسبى

ويا فوز من أسقى العدا أكؤس الردى

ولم يعى بالأيام نكبا على نكب

يظل شديد البأس بالحق جاهراً   ويختال فى وشى المخيلة والعجب

• • •

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

يا حاديا إما تيممت أرضها … فعرج عليها وانثر الزهر فى الدرب

امل أصيحابي إذا مر ركبهم … يرون بنثر الزهر ما يزدهى صحبى

وطوف رباع الخلد تطواف عاشق … حسير الأمانى وابك بالدمع المسكب

وغن الحمى حتى يرق لك الحمى … وينصت مشتاقا إلى نغم الركب

أطل وقفة فى الدار والثم ترابها … فمن حقها أن تلصق الخد بالترب

وناج دماء أهرقت فى رحابها … وسلسل لها وجدى وصور لها حبي

وقل يادارا مضها لاعج الأسى … وأسلمها الباغى إلى الهم والكرب

أيا طول شجوى إن خلصت إلى المدا … ولم ترجعى يادارة العرب للعرب

. . .

ويا «صيدحا» أهدى فلسطين قلبه … ورد الأذى عنها بعرقه العضب

وقدم أغلى الشعر مهرا لنصرها … وما شعره إلا من اللؤلؤ الرطب

إليك أؤدى بعض ما تستحقه … رفيفا من التحنان والنغم العذب

وأنت جدير بالدرارى فليتنى … أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب

ألست الذى ناجى الخلود بشعره … ورفرف صداحا على الشرق والغرب

وعيتك فى أذنى نشيدا محببا … تغلغل حلوا فى السويداء من قلبى

أنور العطار

يامهد الصبا أين الصدى

أم النسور ، تفرسى وتأملى … أعرفت وجه القادم المتهلل ؟

هذا فتاك إلى متى نكرانه … أو ليس فى لبد سمات الأجدل

ما عابه الجسم المهيض تبدلت … قسماته والقلب لم يتبدل

هو من بزاة العرب جشمه السرى … وأحاله صرف الزمان الحول

شرع القوادم للجهاد أسنة … عشرا ، فإن يجهل عليه يجهل

ولوى الجناح على الخوافى عله … يخفى ضآلة ريشه المتهدل

الله يامهد الصبا ، أين الصدى … يحكى متى أعيت لهاة البلبل ؟

غيرى ذكرت وقوفه وبكاءه … ياليتنى بين الدخول فحومل !

أغشى الحدائق أستميل غصونها … فتميل عنى كالرعيل الجفل

وأخالس الأزهار بعض طيورها … فتصدنى وتبثها فى الشمأل

ذهلت عن الصب الذى رضع الهوى … من ثديها ، والصب لما يذهل

أعرضت عنها ثم جئت فأعرضت … حاشاك ياوطنى ترد السهم لى !

وأنا الذى قربت روحى للحمى … وسجدت فى محرابه والهيكل

بدم الشباب خضبت ورد رياضه … ورجعت أغسلها بدمعى المسبل

ما زلت أستجديه حتى رق لى … «يردى» ومد ذراعه فى الجدول

غنى وثنى شاديا ومرحبا … أيكون من خطباء هذا المحفل

. . .

لولاك يا نادى العروبة لم أقم … من عثرة الآمال جد مؤمل

حييت فيك أحبتى فأجازنى … نثر «المقفع» بعد شعر «الأخطل»

فكأننى أبصرت وجه (أمية) … وسمعت (معبد) منشدا و(الموصلى)

لامست فى الأدب المخدر يقظة … فتحت نواظره على المستقبل

بشرى لعشاق البيان أزفها … نفض التراب عن التراث المهمل

وتحفزت (لغة الكتاب) لوثبة … هدفت إلى النهج الجديد الأفضل

قد يصلح (العطار[1]) من شعرائكم … ما أفسدته سياسة المستعمل

ويقوم من علمائكم من يلتقى … وهو الأخير زمانه بالأول

إنى دخلت على عكاظ تطفلا … لولا قيام العذر لم أتطفل

شق التغرب فى الفصاحة شقة … بينى وبين الناطقين المثل

فإذا أردت الشعر يجمع بيننا … أرسلته عيا فلم أسترسل

أمضى وقلبى فى دمشق رهينة … أودعتها قلب الثرى والجندل

لغفرت للأيام الجراح لوانها … شفعت بأختى من قضاء منزل[2]

فى جيرة الشهداء حلت منزلا … وأظنها أخذت تهيئ منزلى

جورج صيدح

---

(١) أنور العطار

(٢) توفيت فى دمشق أخت الشاعر عقب رجوعه من المهجر بأيام عديدة وقد قطع فى غيبته عن دمشق ثلاثين عاما

الكتب

الافق الاعلى فى دراسة الهواء الجوى

تأليف الأستاذ عمر كامل الوكيل بك

ناظر مدرسة التعاون الإنسانى الثانوية بدمنهور
٢٠٦ صفحة من القطع الكبير .. الثمن ٥٠ قرشا

للأستاذ عبد القادر حميدة

قبل أن أتناول الحديث عن هذا المؤلف الذى بين يدى .. يجدر بى أن أتحدث قليلا عن البلد الذى لا ينى يقدم بين الفينة والفينة شاعرا عبقريا .. أو ناثرا فذا .. أو عالما جليلا .. أو رساما راسخا .. أو زجالا بارعا .. منهم من أتيحت له الفرصة فخرج بفنه على الناس .. ومنهم من تصدت له يد القدر فحجبت إنتاجه عن أعين الناظرين ..

وذلك البلد أعنى به دمنهور . . دمنهور التى أهدت إلى دولة الشعر — بالأمس القريب — زعيما من أقدر زعمائه .. وقائدا من أبر قادته .. أهدت المرحوم أحمد محرم .. إلى قراء العربية عامة . . ومتذوقى الشعر خاصة .. فوثب وثبته .. وصال صولته .. فاتجهت نحوه الأبصار .. وكانت بمثابة الأشعة النفاذة .. كشفت خبايا نفسه .. وأظهرت معالم أعماقه .. فبدت إنسانيته الرائعة تتحلى بها فرائد نظمه .. وليس لدى ما أقوله عنه أبلغ مما قاله هو فى نفسه من قصيدة يخاطب فيها أمه التى كانت تحاول أن تصرفه عن النظم

أماه لولا الشعر أنظم دره ... ما كان لى هذا الثناء الطيب
سارت قصائده فأشرق مشرق ... بسنا كواكبه وأغرب مغرب
هذا لسانى ما يفل حسامه ... إن فل فى الروع الحسام الأشطب
كم شاعر ذرب المقالة غالب ... غادرته فى القوم وهو مغلب

تلك هى سطور فى أحمد محرم .. أو أحمد محرم فى سطور ..

وسأتناول البحث والاستقصاء عنه فى مقال خاص منفرد — فى القريب — على صفحات الرسالة الزاهرة .. رحمه الله وحيا دمنهور التى أنجبته .. وأهدت غيره من الشعراء أمثال: محمد محمود زيتون ، إبراهيم محمد نجا — أبو النصر عبد الرحمن « شاعر الزعيم » — على قضيب

دمنهور التى أقحمت فى ميدان القصة الفنية القصيرة المركزة حشدا من الأقلام .. فملأت بطون الصحف اليومية والأسبوعية بالنادر من الأفكار .. وبالسلس من الأسلوب .. أذكر من أصحاب هذه الأقلام على سبيل المثال لا الحصر : محمد محمود زيتون ، إسماعيل الحبروك — محمد محمود دوارة — أمين يوسف غراب — عبد المعطى المسيرى — محمد على الليثى .. ودونهم كثير

دمنهور التى قدمت فى العام الماضى رسامها العبقرى .. بهاء الدين الصاوى .. بلوحاته الرائعة .. ومعرضه الفريد .. الذى يشهد بروعته وإبداعه كل من شاهده فى دار الأوبرا الملكية .. وتشهد عليه المداليات التى نالها

دمنهور التى قدمت كل هؤلاء — والتى تحفل بكثيرين دونهم ضربوا فى شتى نواحى الفن .. وساهموا بنصيب وافر فى نهضته — تقدم لنا اليوم . . الأستاذ عمر كامل الوكيل بك تقدمه لنا فى كتابه « الأفق الأعلى فى دراسة الهوى الجوى » والكتاب كما ينم عنه عنوانه .. مؤلف علمى يبحث فى الكون .. بيد أن القارئ لهذا السفر يمكنه أن يأتى بتعبير آخر فيقول « إنه مؤلف علمى أدبى » ذلك لأنه جمع بين غزارة المادة .. ورقة الأسلوب .. على غير ما تعودناه من مؤلفى الكتب العلمية حيث يتقيدون بأمانة النقل والاصطلاحات الموروثة . . فتغدو مؤلفاتهم وقد افتقرت إلى أهم العناصر أثرا فى إرغام الطالب المطلع على المتابعة والتقصى .. ذلك لأنها خلت من عنصر التشويق .. وهو القوة الممغنطة المتبادلة بين القارئ والمقروء .. والتى ما من شك فى أنه — أى القارئ — سيقع تحت تأثيرها فيجذب إليه قسرا — والتأثير سابق للجذب — ليأتى على محتوياته . ويلتهم كل ما يحويه بين دفتيه دراسة وتمحيصا .. !!

ومؤلف هذا الكتاب — كما بدا لى خلال مناقشة أرناها مما حول هذا المؤلف — ممن شمروا بهذا النقص فجاء كتابه فقيرا منه .. متخما باللفتات السريعة المشوقة .. غنيا بالعبارة الرصينة الدسمة .. وقد حرص على أن يمهد للشئ قبل أن يقدمه .. فاستطاع بذلك أن يشق به الطريق ممهدا إلى العقول والأفهام .!

إقرأ له « ص » (٥) حين أراد أن يقدم دراسة عن السماء :

« تلك هى السماء قبلة الدعاء . وباب الرجاء .. وملهمة الفلاسفة والشعراء.. ومستقر الملائكة ومعراج الأنبياء.. هبط منها الوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وهو فى حالة بالغة حد الحيرة والقلق ليقول له مطمئنا ومعلما « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق » ويقول فى فقرة أخرى . « وللسماء يتطلع المظلوم شاكيا .. والمريض راجيا .. والظالم مستغفرا تائبا .. فاذا أنت أيتها السماء ؟ القوى والعاجز والصحيح والعليل .. والشاعر والعاشق .. والعابد الزاهد والمجرم الأثيم .. كلهم يحنون إليك ويتقسمون فى رحابك .. ويلتمسون العطف والرحمة عند بابك .. ولعمرى إن لهم فيك جميل التسلية والعزاء .. حيث وجدوا لديك كنزا من المعرفة ومتسعا من الرحمة والحنان.. وخلاصا من الشدة والبلاء .. فليس بعجيب أن يولى الناس وجوههم صوب السماء ابتغاء الدعاء.. أو طالبين النعمة الروحية أو المزيد من العلم والعرفان. ولكن العجيب أن يسير بعض الناس مكبا على وجهه مغمض العينين « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

هذا أيها القارئ من ناحية الأسلوب والتمهيد .. وهما كما ترى عاملان أساسيان شيد على قاعدتيهما صرح ذلك البناء الكامل .. وإنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنهما الحافزان القويان على إيقاظ الشعور فى نفس القارئ .. ودفعه دفعا إلى الاستزادة من تلك المتعة الفكرية ليحلق فى عالم فسيح أطباقه وأغواره أدب ... !!

أما فيما يتعلق بموضوعات الكتاب فيكفيك أن تعرف أن مؤلفه صرف وقتا طويلا يدرس ويبحث ثم يستقرئ ويستنتج.. وقلما أغفل شاردة أو واردة إلا وتناولها بالفحص على ضوء معلوماته ودراساته .. وبهذا جاء الكتاب ناضجا من كل وجه .

وقد استعان فى تأليفه بشذرات قليلة من أقوال ونظريات واقتراحات كتبها بعض علماء الطبيعة وفلاسفتها من أمثال : نيبولا Nepulau — كانت Kaut — لابلاس laplace سير جيمس جينز Sir jeams jeaus صاحب كتاب « الكون الغامض » — هـ.ن رسل h,n Russel — ليفلتون lyttleton — ج . ملار G-Miller — ب . م . بك B,M peek — ملتون Melton — تشامبرلين Chamberlain .. وقد عقب على نظرياتهم واقتراحاتهم بآراء زادتها وضوحا وجلاء وقربتها إلى المدارك سهلة مستساغة . وفى الكتاب فصول كثيرة ممتعة طرقها المؤلف خليقة بأن يجد القارئ فيها لذة وفكرا ومعرفة .. وحسبى أن أذكر منها : الكون — السماء — المجموعة الشمسية — الأرض — الشمس — القمر — المادة وتركيبها — الهواء — مولد الهواء — مكونات الهواء — ارتياد مناطق الجو — مناطق الجو — الحركة الوجية — النيازك أو الشهب — اللاسلكى — الصواريخ .. الخ ... وقد وفق الكاتب فى تناولها توفيقا يدعو إلى الإعجاب .. أما بعد : فهذا كتاب يعتبر فى مجموعه موسوعة علمية .. وقد كان بودى أن أوفيه حقه من الثناء لولا حرصى على ألا تخرج كلمتى من حيز « التقديم » إلى نطاق « الدعاية » .. وإنى لأدعو كل قارئ يدفعه النهم العلمى إلى التنقيب عن الجديد من الكتب .. أدعوه إلى مطالعته لما فى محتوياته أ كثر من سبب يدعو إلى ذلك .. وإنى لأشعر بكثير من الفخر والغبطة إذ أقدم هذا المؤلف إلى من يريد أن يقرأه .. وإذ أعرفهم بعالم من دمنهور ينبغى أن يعرفوه ويقرأوا له .. كما أناشد الأستاذ الكبير عمر بك . أن يعجل بمولد « الجزء الثانى » من تلك السلسلة الطبيعية ليتسنى لكثير من الناس الإفادة منه فى فهم المسائل التى فاتهم تفهمها فى موسوعات العلوم الكثيرة ما استغلق على القارئين فهمه من مسائلها ..

دمنهور — عبد القادر حميدة



كلمة — سائر — وما يحيط فيها

اطلعت على ما نشر فى العددين ٩٦٠ و٩٦٧ من مجلة الرسالة الغراء حول كلمة سائر فأقول :

١ — جاء فى الصفحة ٦٤ من كتاب (فروق حق) أن (السائر بمعنى الباقى. قال الشيخ تقى الدين لفظ سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود من غلط العامة وأشباههم من الخاصة .. والالتفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه لا يقبل ما ينفرد به . والحق أن كلا من المعنيين أى الجميع والباقى ثابت لغة كما ذهب إليه الجم الغفير من الأذكياء . والجمع الكثير من الفضلاء هو السؤر بالهمز وهى بقية الشراب وغيره)

٢ — وورد فى الصفحة ٢٣ من كتاب البحاثة اللغوى — محمد عبد الجواد ما نصه: سائر (أطالت درة الغواص وشرحها فى هذه الكلمة ولم يخرجا نتيجة واضحة . وقد وقفت على كلمة موجزة للبغدادى فى ذيل الفصيح ص ٤ أثبتها هنا لوضوحها وجليل فائدتها وهى: جاء سائر القوم أى بقيتهم مأخوذ من سؤر الإناء وقال الجوهرى سائر القوم معناه جميعهم وذكره فى باب الياء . أقول إن الصحيح أن سائر بمعنى جميع ولا يبعد أن يستعمل بمعنى جميع البقية ويكون من ذوات الواو مأخوذا من السور لإحاطته. اه والثمرة أن سائرا يستعمل أحيانا بمعنى الجميع وأحيانا بمعنى البقية كلها.. والمقام كفيل بإظهار المراد فتخطئة أحد الاستعمالين خطأ)

٣ — وذكر فى هامش الصفحة ١٦٠ من شرح السيد الشريف على السراجية مع حاشية العلامة محمد شاه الفنارى نقلا عن تهذيب اللغات للإمام النووى وتهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى وشرح أدب الكتاب لأبى منصور الجواليقى ما أعيد نقله بالحرف الواحد (قال الإمام النووى فى تهذيب اللغات قال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى: استعمال سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود فى غلط العامة وأشباههم من الخاصة. قال أبو منصور الأزهرى فى تهذيب اللغة: أهل اللغة اتفقوا على أن معنى سائر الباقى قال الشيخ ولا التفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط فى هذا من وجهين : أحدهما فى تفسير ذلك بالجميع، والثانى فى أنه ذكره فى فصل (سير) وحقه أن يذكر فى فصل (سأر) لأنه من السؤر بالهمزة وهو بقية الشرب وغيره — إلى هنا كلامه . فعلى هذا التقرير لا يناسب أن يقول عن سائر ما عداه بهذا المقام لأن المتبادر منه على تقدير كون السائر بمعنى الباقى نفس الشئ بل المناسب أن يقول عما عداه كما لا يخفى لكن استعمال السائر بمعنى الجميع سائغ ذائع ، والغزالى استعمل السائر بمعنى الجميع فى مواضع كثيرة ولم ينفرد بها الجوهرى بل وافقه عليه الإمام أبو منصور الجواليقى فى أول كتاب شرح أدب الكتاب والشارح المحقق قدس سره تبعهما واستعمل السائر بمعنى الجميع ههنا ومعنى قوله عن سائر ما عداه عن جميع ما عداه)

هذا ولا أريد الآن أن أستقصى أكثر من ذلك

أحمد الظاهر

خطآن لا يغتفران

وقعت الأهرام فى خطأين اثنين لا يحسن السكوت عليهما وإن كان بعض كبار الكتاب ينساق انسياقا إليهما :

فأما الخطأ الأول فقد وقع فى عنوان مقالها المنشور فى ١٢ — ٢ — ١٩٥٢ وهو « معنى الكبرياء القومى » أى بتذكير كلمة « الكبرياء » مع أنها مؤنثة . وبما أنه لم يشر إلى تصحيح هذا الخطأ أحد من حضرات من نصبوا أنفسهم لهذا الغرض النبيل فإنى أستأذنهم فى التنبيه إليه مشيرا إلى قول التنزيل الحكيم « وتكون لكما الكبرياء فى الأرض » فقد أنث الكبرياء حتى مع وجود فاصل

وأما الخطأ الآخر الذى كان حافزا لى على تصحيح الخطأ الأول فقد وقع فى مقال الأهرام المنشور فى يوم ٢٣ـ٢ـ١٩٥٢ إذ وردت به هذه العبارة « إن حكومة المحافظين لا تكاد تنقل

قدما إلا وتؤخر قدما » . وهذا التعبير خاطئ لا يفيد معنى التردد الذى تمنيه الأهرام بل هو يفيد العكس تماما فتقديم قدم وتأخير القدم الأخرى يفيد الإقدام لا التردد .. لأن السير الطبيعى يقتضى حتما تقديم رجل وتأخير الرجل الأخرى ، فكيف يستعمار هذا السير الطبيعى للتردد ؟ لعل الأهرام ظنت أن كلة « أخرى » الواردة بالمثل المعروف « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » نعت لكلمة « رجلا » المحذوفة ، وهذا الظن أيضا يجانب الصواب ، والصحيح أن كلة « أخرى » نعت لكلمة « تارة » المحذوفة ، والتقدير « أراك تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى » . وكان حريا بالأهرام إذن أن تقول « لا تكاد تنقل قدما إلا وتؤخرها » وأذكر أنى نبهت إلى هذا الخطأ الذى وقع فى كلة نشرتها الأهرام لكاتب ألمعى بها منذ أكثر من عام . وإنى وإن كنت من أنصار التيسير لا يمكن أن أستسيغ هذا الخطأ الكبير

عبد الحميد عمر

لمن هذا الشعر ؟

كتب الأستاذ محمد منصور خضر فى الرسالة الغراء فى العدد ٩٧٣ يسأل من قائل هذا الشعر

نديمى غير منسوب إلى شئ من الحيف

ويذكر أنه وجده فى كتب التصوف ومنها طبقات الشعرانى منسوبا إلى الحلاج فى حين أنى نسبته إلى الحسين الضحاك فى كتابى « نديم الخلفاء » سلسلة اقرأ عدد فبراير سنة ١٩٥٢ ويطالبنى بأن أذكر روايتى له

وإنى أشكر للأستاذ محمد منصور هذا الاهتمام وتلك العناية بالبحث والاستقصاء ، وقبل أن أشير إلى المصادر التى اعتمدت عليها أذكر أننى قلت فى أحد فصول الكتاب عن مجموع شعره أن كثيرا من شعر الحسين بن الضحاك نسب إلى غيره

وليس هذا الشعر الذى ذكره الأستاذ محمد منصور هو وحده المتنازع فيه ففى الكتاب أيضا شعر وقع فيه التنازع

وأول مصدر رويت فيه الأبيات — التى يسأل عنها — للحسين بن الضحاك هو كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى ترجمته فى الجزء السادس طبعة دار الكتب . والمصدر الثانى محاضرات الراغب الأصفهانى ج١ ص ٣٣٣ . والمصدر الثالث ديوان أبى نواس رواية حمزة بن الحسين الأصفهانى المطبوع فى ص ٧ ولم يذكر إلا البيت الأول وقال عنه : مما أضيف إلى أبى نواس من شعر العراقيين قول الحسين بن الضحاك الخليع ... الخ والمصدر الرابع هو كتاب أخبار أبى نواس لابن منظور ج ١ ص ٢١٨ وفيه نسب الأبيات لأبى نواس ثم قال : وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليع

هذا من ناحية الرواية والمصادر — أما من ناحية التحقيق فابن الحسين بن الضحاك توفى سنة ٢٥٠ هـ وأبا الفرج صاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ هـ والحلاج قتل سنه ٣٠٩ فأبو الفرج إذن كانت سنه خمسة وعشرين عاما يوم مقتل الحلاج فهو معاصر له . وما يسمونها فتنة الحلاج كانت مشهورة لا تخفى على أبى الفرج لأنه كان متصلا برجال الدولة ومولعا برواية الشعر والأخبار

وللتوفيق بين ما ذكره الشعرانى فى طبقاته وكتب التصوف وبين ما ذكرته كتب الأدب أقول إن الحلاج كان يحفظ هذه الأبيات فتمثل بها حينما خرج يتبختر فى قيده ، وذلك منه ومن غيره كان كثير الحدوث . وظاهر أن الأبيات وقصتها هى لصاحب الهمزية فى وصف الخمر ألصق وبنسبتها إليه أولى وعلى كل حال هناك جملة لا تحصى من الشعر العربى متنازعة .. وعندى من أمثلتها مئات النماذج . ويجد الأستاذ محمد خضر مثلها مئات

عبد الستار أحمد فراج



انتحـــار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جيل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذي تنطوى عليه كلمات فلوبير : هناك بقاع في العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضا غرة لذة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذي يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب النــاس ... ففي جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفي كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتني وضعت على رقم ١٧ ! ... آه من هـذا الأحمر الملعون ، لقـد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن في البـلد كله من يلقى أدنى التفاتة إلى المنــاظر الساحرة الأخاذة التي تنبث فيه . كانت الأرض عندهم «روليت» ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغاً لم يكن جد كبير، غـير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نومي ذات صباح كيلا أجد معي سوى اثنى عشر فرنكا مع أني مدين لصاحب المنزل الذي أقيم فيه بخمسة عشر فرنكا ؛ ولذلك اختبرت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت في ظني كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسي

وفتحت نافذتي . كان « صباحي الأخـير » رائعا جميلا .. فالسماء زرقاء صافية، والأمواج خضراء هادئة ، والنسيم يعبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطئ لأملأ صدري المنفعل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أني كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا . وفي أثناء عودتي ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية ، وهي صحيفة مثيرة، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها أثناء الطعام فاسترعى نظري عنوان « انتحارات الأسبوع » فجـال بخاطري دون أدنى انفعـال : « هنا سيعلن خـبر موتي أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذي سيعلن نعيي في هذه الصحيفة

وعلقت عيناي بخبر انفرد بعلامة الصليب في صدره فقرأت فيه « وجـدت بالأمس جثة جوسو جاكوبسن — أمريكي الجنس معلقة في إحدى شجرات النخيل الذي ينمو على الشرفة وقد وجد في جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك طبعاً »

جوسو جاكوبسن ؟ إني أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معـه رأيته يتنهد في عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدي وهزها بحرارة ونظر إلى بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعاً ياصديقي» ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه إذن ؟ كيف أمكن أن يعثروا في جيبه على ثلاثة آلاف فرنك وماذا تعني بحق الشيطان هذه الـكلمة « طبعاً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق.. يالي من غبي! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الـكازينو هذا المال في جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسبـاب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحت أفكر ! كم ترى يدسون في جيبي إذا حزمت أمري وانتحرت على مقربة من الـكازينو ؟ لقد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسربت إلى رأسي فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتاً ؛ وذهبت بعدئذ إلى صـــاحب الفنـدق وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

هذا إذا بقيت حيا ..

— إنا نثق فيك كل الثقة ياسيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ... إني أنتظر

وصول مال من باريس

— بكل سرور ياسيدى

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير فى انتحار يعود على بربح وفير

وفى مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابى وقد أبنت للملا أنى جئت أجازف بآخر ما بقى لى ... وأنى سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج فى بادئ الأمر.. ثم انقلبت أتململ غاضبا حنقا ... وأخيراً بدوت كالذاهل المأخوذ

ورثى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ، وسألنى ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أنى أفلست، فأخذ يواسينى ويخفف عنى ثم قال :

— لا تيأس فما زالت عملك نفقات السفر إلى وطنك . إن الكازينو — فى هذه الحال — يتطوع ب... فقاطعته بيأس قائلا :

إن السفر الذى أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة » فنظر إلى مشدوها وقال :

لا أحسبك جادا فى هذا القول ... آمل ألا تكون قد جننت

فظللت صامتاً ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق .. وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى .وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلق بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كان حنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجعلت وجهتى — وقد أجمعت أمرى — حرجا قريباً من الكازينو، بقمة هادئة تعد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال المقبلين

— يا إلهى ! إنه هو ...

— يالمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين معاً

وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يرانا أحد . تبا له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى

هنالك ارتعدت قليلا ... وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظراً فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولى . وفى عدم اكتراث محنق أخذت قبعتى والمسدس الذى كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفاً

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ... وقلت فى غضب:

— عجباً لكم ياقوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل ... أرجو ... هل ... إذا ... ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت المجمع ظهرى واتخذت سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال، ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته إذ اعتبرت أن هذا المال من حق ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لانتحارى

وقد عمدت إلى إغاظتهم ببقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس

وقد سمعت أن المبلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

م ٠ ع

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٥ — ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

لا تخافوا الإخوان لأنهم يخافون الله : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٢٦٥

الفكر واللغة ... ... : « الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك ٢٦٦

التعليم في مصر ... ... : « عبد الحميد فهمي مطر ... ٢٦٩

المسلمون بين الشرق والغرب : « عبد المتعال الصعيدي ... ٢٧١

أجل ذو العقل يشقى ... : « محمد رجب البيومي ٢٧٢

دفاع عن العباسة ... ... : « ثروت أباظة ٢٧٥

دعوة محمد — لتوماس كارليل : « عبد الموجود عبد الحافظ ٢٧٧

النهر الملول ... ... (قصيدة) : « أنور العطار ٢٨١

من وحي الكأس (قصيدة) : « محمود غنيم ٢٨١

أخي ... ... (قصيدة) : « محمود البكري محمد ٢٨٢

(الأدب والفن في أسبوع) — حملة إنجليزية على الدكتور طه حسين باشا — فساد الإذاعة — حق القارئ على الكاتب ٢٨٣

(الكتب) — رياح وشموع — شعر كمال نشأت — للأستاذ محمد محمود ربتون ٢٨٦

(البريد الأدبي) — تحية إلى مؤلف « محاضرات الثلاثاء » — مدافن الأدب في وزارة المعارف — ملاحظات أسبوعية — ميراث الإخوة لأم — يصمد بمعنى يثبت ٢٨٧

(القصص) — الابن — للكاتب الفرنسي بول بورجيه ٢٩٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 975

Le Caire 10 - 3 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٥ «القاهرة في يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ١٠ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

الفكر واللغة

للأستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغة ابتكار من أبدع ماوصل إليه الإنسان، وأداة تمتاز بكثير من الإتقان والإحكام، ووسيلة ناجحة من وسائل الترابط والتفاهم بين الأفراد والجماعات . وهى ظاهرة متشعبة النواحى والأطراف قد أثارت ألواناً شتى من البحث والدراسة . وإذا تركنا جانباً ما يتصل بها من دراسات أدبية ونحوية وصرفية ، فانها وجهت إلى بحوث أخرى متعددة

فعرض لها علماء وظائف الأعضاء ليعرفوا كيف تؤدى ، ويبينوا أعضاء النطق والصوت، ويوسموا فى اختصار الجهاز العضوى للغة . وعالجها علماء النفس لما رأوا من صلة وثيقة بين العمل الذهنى والدلالات اللغوية . وعنى بها علماء الاجتماع مبينين نشأتها وتطورها ، ومقارنين بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة ، ومعلنين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات ، ونظر إلى اللغة أخيراً على أنها جزء من التاريخ يسجل الماضى ، ويحكى الأحداث، بل هى نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها وبحث معالمها

ودون أن نعرض لهذه النواحى المتعددة ، نود فقط أن نوجه النظر إلى ما بين الفكر واللغة من صلة . وفى هذه الصلة ما يلقى

محاضرة ألقيت فى مؤتمر المجمع بجلسة من جلسات يناير سنة ١٩٥٢

كثيراً من الضوء على مناقشاتنا وعملنا الجمعى ، وخاصة فيما يتصل بالمصطلحات ووضعها ، والمترادفات وقيمتها ، وألفاظ الحضارة وتجددها ، والتعبيرات المبتكرة ومدى الحاجة إليها

ولا شك فى أن المعنى وثيق الصلة باللفظ الذى يؤديه ، لأنه ثوبه ووعاؤه ، وبدونه يضل ويصبح كأن لا وجود له . فلا يمكن تبادله بين الأفراد ، بل ولا استحضاره فى ذهن الفرد الواحد . وقديما قالوا : التفكير حديث نفسى . ومن هنا ارتبط التفكير باللغة ، وبالأخص فى صوره السامية كالحكم والاستدلال

* * *

وإذا تأملنا الفكر واللغة وجدنا أن كل واحد منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به . فاللغة فى نشأتها تخضع إلى مدى بعيد للنشاط الذهنى والميول والاتجاهات النفسية . وما لغة الأطفال إلا حركات وإشارات تبعث عليها غرائز واستعدادات ، يدفع الطفل يده إلى الأمام مشيراً إلى التقدم إلى الخلف ، أو مشيراً إلى التراجع، وكل تلك حركات تعبر عن انفعالات داخلية. ولاتلبث هذه الحركات أن تتحول إلى إشارات ، والإشارات إلى أصوات، والأصوات إلى ألفاظ وجمل . وبذا تنشأ اللغة فى تدرجها الطبيعى، وتقوم على أساس سيكلوجى

لم يؤثر الفكر فى نشأة اللغة فحسب ، بل ساهم أيضاً بنصيب ملحوظ فى حفظها والإبقاء عليها. ذلك لأن تعلم اللغة بين أبناء الجيل الواحد يعتمد على السماع والحفظ، وتبادلها بين الأجيال المتلاحقة لا سبيل إليه إلا بالنقل والرواية . ودعامة ذلك كله الذاكرة والحافظة ، ولولا الذاكرة ما كانت لغة كما يقولون . وقديكون فى الكتابة ما يرفع عن كاهلنا اليوم بعض عبء الاحتفاظ باللغة ، ولكن كم من جماعات عرفت لها لغات تداولتها وتوارثتها دون أن يكون للكتابة فيها أثر ملحوظ، وإنما عولت على الذاكرة وحدها . وكلنا يعلم أن قوة التذكر أوضح فى حياة البداوة منها فى حياة الحضر ، لأن المتحضرين فى اعتمادهم على القلم والقرطاس يضعفون الذاكرة ويقللون استخدامها . على أن الكتابة نفسها لايمكن أن تتعلم وتكتسب إلا بقسط ضرورى من الحفظ والتذكر .

وللحياة الفكرية أثر آخر فى نهضة اللغة ونموها ، إذ لولا تجدد المعانى وتباينها ما تجددت الألفاظ ، ولا تنوعت التراكيب . ولولا عمق الفكرة وتحددها ما كانت دقة اللفظ وتخيره . وكم

احمد حسن الزيات

يشعر المتكلم أو الكاتب أن اللفظ أو التعبير الذى استعمله لا يؤدى تماماً المعنى الذى يريده، فيحاول البحث عن غيره ليكون أكثر ملاءمة . وثروة اللغات تتفاوت فيما بينها تبعاً لنشاط الحياة الفكرية وتقدم العلوم والفنون . ولسنا فى حاجة إلى أن نشير إلى أن عصر ازدهار اليونانية قد اقترن بتلك النهضة الفلسفية والفنية التى عرفها أثينا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. وقد لوحظ أيضاً أن أسماء الذوات تغلب أسماء المعانى فى اللغات البدائية ، لأن البدائيين لا يلجئون كثيراً إلى التعميم والتجريد . وتساهم فكرة الزمن بنصيب أوضح فى لغة المتحضرين منها فى لغة الشعوب الهمجية . وتبادل العلوم والفنون بين الأمم لا يقتصر على تبادل الأفكار، بل يصاحبه أيضاً تبادل بعض الألفاظ والأساليب الدالة عليها ، وكثيراً ما كشفت هذه عن أصل تلك

وللغة بدورها أثر قوى فى التفكير ، فهى إلى مدى بعيد مادته ودعامته ؛ ذلك لأن الدال والمدلول متلازمان ، وقل أن يستحضر أحدهما فى الذهن بدون الآخر . وقد سبق لأرسطو أن قال تلك الجملة المشهورة التى قدر لها أن تحيا مع الزمن ، وهى : ليس ثمة تفكير بدون صور ذهنية . وفى مقدمة هذه الصور تجىء طبعا الرموز اللغوية . ولم يحاول أحد نقض هذه القضية إلا فى القرن التاسع عشر ، يوم أن جاءت مدرسة فورتسبورج ، وذهبت إلى أن هناك ضرباً من التفكير مجرداً من تلك الصور الذهنية ، كتفكير الأطفال الذى تمليه طائفة من الميول والغرائز ، أو كتلك اللمحات والخواطر التى تمر بالذهن عابرة وكأنها معنى مجرد من كل كساء

ودون أن نقف طويلا إزاء هذين الرأيين المتقابلين، نود أن نلاحظ فقط أن الحدس ليس إلا ضرباً من التفكير . وهناك ضروب أخرى ذات حلقات لا يمكن ربط بعضها ببعض إلا بواسطة الرموز اللغوية

على أن الحدس نفسه قد يستصحب لفظاً أو ألفاظاً ، ولذا قالوا إن المرء يفكر فى كلامه قبل أن يتكلم عن تفكيره

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالتفكير السامى أو التفكير المنطقى الذى هو سلسلة من الحكم والاستدلال لا غنى له عن اللفظ والعبارة

والألفاظ فوق هذا هى الوسيلة لتحديد الأفكار وتمييز بعضها من بعض . وإذا كانت المدلولات متنوعة ، فإن اللازم أن تتنوع الدوال تبعاً لها . ولا شك فى أن الأفكار متفاوتة معنى ومدلولا، عموماً وخصوصاً ، جنساً ونوعاً . ولولا الألفاظ ما أمكن تقسيمها وتصنيفها ، ولا تحليلها وتركيبها . وآية الفكر الدقيق تعبير دقيق يؤديه . والعبارة المحكمة تؤدى عادة إلى تفكير محكم ، وبذا تنوعت العلوم ، وتحددت موضوعاتها ، وامتاز كل منهـــا بمصطلحاته . وما العلم إلا لغة أحكم وضعها

واللغة أخيراً سبيل تداول الأفكار وتبادلها ، فهى التى تنقلها من فرد إلى فرد ، ومن جماعة إلى جماعة ، وإلا بقيت وقفاً على أصحابها ومحبوسة فى أذهانهم . وإذا كان التفكير الفردى يخضع للمجتمع ويتأثر به، فإن للغة دخلا كبيراً فى هذا الخضوع والتأثير. ومن أهم مزايا اللغة قدرتها على أداء المعانى وتيسير تبادلها ، وفضل لغة على أخرى يرجع فى قسط كبير إلى اتساع تداولها وكثرة المتخاطبين بها

* * *

فى وسعنا أن نقرر إذن أنه إذا كانت اللغة ثمرة للتفكير، فإنها هى أيضاً شرط أساسى لوجوده وتحققه على وجه كامل . هذه هى صلة الفكر باللغة ، وهى فيما يبدو صلة تفاعل وتلازم ، وقد ترتبت عليها آثار عدة ، يعنينا أن نشير إلى اثنين منها فقط . أولهما أنه يمكن أن تدرس الحياة العقلية فى ضوء الحياة اللغوية . فمثلا ضعف النطق أو بطؤه يؤذن بضعف ذهنى . والأطفال لا يعبرون عن أحكامهم عادة بجملة ، وإنما يكتفون بكلمة أو ببعض كلمة . ومن هنا نشأ علم النفس اللغوى الذى يرمى إلى تفسير بعض الظواهر النفسية فى ضوء الدراسات اللغوية . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حاوله « دى سوسير » بالنسبة للغة الكبار ، و « بياجيه » بالنسبة للغة الأطفال ، و « ليفى بريل » بالنسبة للجماعات البدائية . وإذا كانت الدراسات السيكلوجية قد أفادت كثيراً فى الخمسين سنة الأخيرة من تقدم البيولوجيا والفسيولوجيا والباثولوجيا ، فإنها استمدت أيضاً فى هذه الفترة مادة لا بأس بها من الدراسات اللغوية

وفى تاريخ الأدب ظواهر لها دلالتها السيكلوجية ، فيلاحظ أن ازدهار الآداب يقترن دائماً بازدهار العلم والحياة العقلية ، وأنه حين يعتدى على الحرية الفكرية ويعم الظلم والطغيان ينتشر

الغموض والرمز فى الألفاظ والأســاليب . ولتلك الحرية الفكرية التى نعم بها الأثينيون القدامى شأن فى وضوح لغتهم وصفائها . وإذا كانت المترادفات تمد ثروة لغوية فى بعض العصور ، فإنها فى عصور أخرى تعتبر سرفاً لا محل له ولا داعى إليه

ومن جهة أخرى شغلت علاقة الفكر باللغة الناطقة منذ أن وضع علم المنطق إلى اليوم . ونحن نعرف أن منطق أرسطو نبت فى جو البيان والجدل السفسطائى ، وكان ذاصلة بالنحو اليونانى، بل والعربى . ولأمر ما نطلق كلة « لوجوس » اليونانية على العقل واللغة على السواء . وقد درج المناطقة منذ أرسطو على أن يعتبروا دراسة الألفاظ والقضايا مقدمة ضرورية لدراسة البرهنة والاستدلال . ولم يقنع المناطقة المحدثون بهذا ، بل شاءوا أن يحصروا المعانى كلها ، ويجمعوا «ألفوباء» الفكر الإنسانى ، ويضعوا لكل معنى رمزاً خاصاً به ، وبذا تتكون اللغة العلمية العالمية

قال بذلك « ليبنتز » ، فتنبأ بالمنطق الرياضى ، وسبق عصره بنحو قرنين ، وأثار لأول مرة فكرة اللغة العــالمية . ولا غرابة فقد كانت اللاتينية لغة العلم والعلماء لعهده . هــذا إلى أنه كان عالمى النزعة إن فى العلم أو فى السياسة . وفى هذه اللغة المنشودة ما يقرب المسافة بين بنى الإنسان، وما يحول دون أخطاء كثيرة ؛ لأن الخطأ فى الحكم والاستدلال كثيرا ما ينشأ عن خــلاف لفظي أو غموض فى التعبير ؛ ويوم يتوفر لكل معنى رمز خاص به نستطيع أن نقول : لنحسب ، بدل أن نقول : لنبرهن

وقد عادت فكرة اللغة العالمية إلى الظهور مرة أخرى قوية متحفزة فى أول هذا القرن ؛ وكان من أكبر مناصريها رياضى وفيلسوف فرنسى بارع انتزع فجأة فى الحرب الكبرى الأولى ، وهو « كونورا » الذى كان يرمى إلى تهذيب الاسبرنتو وتكوين «الإيدو» ، تلك اللغة الدولية التى تفرض نفسها على جميع العقول وجميع الشعوب . وقد وضع فى ذلك معجما خاصا، أخذ عنه كثيرا الأستاذ لالاند فى معجمه الفلسفى المشهور

والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب ، لأنها أبعدها مدى فى العموم والتجريد . فإذا ما حصرت حقائقها ، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة . وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالميــة . وقد كان كونورا فوق تخصصه فى المنطق والرياضة ملما بأطراف الدراسات اللغوية المقارنة ، فأخذ يبحث عن أصول عامة يمكن أن تتخذ أساسا للغة الدولية ، وحاول فعلا أن يكون هذه اللغة ويعد لها نحوها الخاص

ولم تلبث محاولته هذه أن تثير ثائرة علماء الاجتماع الفرنسيين، وعلى رأسهم دركايم . فلم يرتضوا ذلك المنطق الإنسانى الذى يقود إلى لغة عالية ، وقرروا أن هناك أسرا لغوية بقــدر ما هناك من مجتمعات إنسانية . وسواء أصحت الأسس التى بنى عليها كونورا مقترحه أم لم تصح ، فإن فكرة اللغة الدولية قد ازدادت فى ربع القرن الأخير قوة ووضوحا . وأمل فى سرعة الاتصال العالمى اليوم ما ييسر سبلهــا . ويتيح لها الفرصـــة لتخرج من دائرة الرغبة والأمل إلى عالم الحقيقة والوجود

فى هذا العرض السريع مايلقى بعض الضوء على عملنا المجمعى ومنه نستخلص دروسا نافعة. وفى مقدمتها أن الأصل فى المصطلح العلمى أن يؤدى بلفظ واحد ، كى يتوفر لــكل معنى رمزه اللغوى الخاص به . فلنتحاش إذن الدوال المتعددة للمدلول الواحد منعا لتكرار لاداعى إليه، وربما أدى إلى شىء من اللبس. والمصطلح المجمع عليه وإن لم يؤد المعنى المراد تماما سينتهى بأن يستقر ويستحضر مدلوله كلما ذكر

ونحن أحرص ما نكون على أن نؤدى المعنى العلمى الجديد بلفظ عربى ، فإن تعــذر ذلك فلا ضير فى التعريب ، لاسيما إذا كانت الكلمة المعربة ذات صبغة عالية ، وهذا هو المنحى العلمى فى مختلف اللغات . ومن ذا الذى يذكر مذهب ليبنتز مثلا ولا يذكر معه كلة مناد (Monade) ؟ إنا نراها فى اللغات الأوربية على اختلافها دون تغيير أو تبديل

وما يقال عن الألفاظ يمكن أن يقال عن الأساليب . فإذا كانت المعانى المفردة تجدد فإن المعانى المركبة التى تعتمد على الرابطة والاسناد تتجدد أيضا . وإذا كنا نحس بحاجة إلى ألفاظ جديدة، فأنا فى حاجة أيضا إلى أساليب جديدة. وقد نصادف هذه الأساليب من الرفض والمعارضة مانصادفه الألفاظ المبتكرة ، فتستنكر حينا وترد حينا آخر . بيد أنا إذا كنا فى حل من ابتكار اللفظ فلا غضاضة علينا فى ابتكار الأسلوب ، مادام يلتقى مع الأوضاع العربية. والفكر ، فى خلقه وابتكاره ، فى حركته وتنوعه ، يتطلب دون انقطاع من الألفاظ والأساليب مايؤدى المعانى المختلفة والمتنوعة

٢ ـ التعليم فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

من المسلم به أن المجتمع لا يستقيم أمره ولا يحيا الحيـاة الهادئة المطمئنة ولا يرقى الرقى المنشود إلا إذا سادت بين أفراده فضائل معينـة ؛ حددتها الأديان السماوية واجتمع عليها علماء الأخلاق .. كفضائل الصدق والأمانة والشجـاعة والاستقامة ورعاية حقوق الغير والإيثار والتضحية الخ . وفى مثل هذا المجتمع الفاضل يقدر الأشخاص بأعمـالهم ، فيعرف لـكل ذى فضل فضله وينـال المعتدى جزاء عدوانه ، وتتجلى فيه الرحمة فيعطف القوى على الضعيف ويبر الغنى الفقـير ويرحم الـكبير الصغير ويوقر الصغير الـكبير . وكلما ازداد الناس إيمانا بهذه النواحى ازدادت المودة بينهم وازداد التعاون وقلت البغضاء وزال التشاحن ، وبذا تشيع المحبة والأخوة العامة بين الناس وتسود بينهم الطمأنينة وينتشر الأمن والسلام وهو أشرف ما تصبو إليه البشرية جميعها

ولقد أصبح هذا المجتمع الفاضل حلما من الأحلام فى هـذه الأيام ؛ إذ لم يعد النـاس فى مجتمعنا الحالى يقدرون تلك الفضائل بعد أن غمرتهم موجة المـادية الجامحة المصحوبة بالأثرة وحب الذات والمتعة التى رمتنا بها المدنية الغربية ، فاستوى فى الأنانية والحرص على المادة ومجافاة الخير الـكبير والصغير والغنى والفقير، وأصبحنا نسمع أموراً كثيرة مستهجنة عن متعلمينا وخريجى جامعاتنا ومدارسنا لم يكن لنا بها عهد فى الماضى ، ولم يعرفها آباؤنا ولا أجدادنا منذ نصف قرن من الزمان . فلـكم سمعنا فى السنين الأخيرة عن طبيب يعمل جادا لاستنزاف أموال مرضاه فقراء أو أغنيـاء قبل أن يعمل على استئصال أمراضهم ، والمريض المسكين الذى يرتمى فى أحضان طبيبه لينقذه مما يعانيه لا بد له أن يثق بهذا الطبيب وأن يصدق كل ما يقرره له ؛ باذلا كل مافى وسعـه لإرضائه علّه ينـال الشفاء على يديه ، وكم تكون الصدمة قوية مدمرة إذا عرف أن طبيبه يطب لجيبه قبل أن يطب لإراحة هذا المسـكين من علته ! وكم سمعنا عن محام احتال للحصول على المال بمختلف الحيل الشيطانية التى لا تقع تحت طائلة عقوبات قوانيننا الوضعية الناقصة . ناهيك بمـا يعمله لإغراء المتقاضين بعضهم ببعض ، وبث الفتنة خصوصا بين المتشـاحنين من أفراد الأسرة الواحدة للدخول بهم فى قضايا يبتز فيها أموالهم . وكم سمعنا عن مهندس أو موظف كبير يأخذ الرشوة جهاراً نهارا ليغلب عطاء شركة على أخرى أو ليعمل عمـلا فى تغليب باطل على حق . وكم قرأنا فى الصحف والمجلات عن نكبات نزلت بالناس أو خسارات فادحة أصابت موارد الحـكومة بسبب التزوير والاختلاسات ! ثم إن هـذه النكبات الكثيرة التى تقع على رأس الشعب والحـكومة نفسها لم تعد تقع من أفراد معدودين غير متعلمين كما كان الحـال منذ نصف قرن من الزمان قبل تغلغل روح الفساد الغربى فى صفوفنا .. ولـكنها مع الأسف تعددت وتكررت من كثيرين من متعلمى مدارسنا وجامعاتنا حتى أصبحت لا تطاق ولا تحتمل وأصبح العلاج عسيرا . ثم هو يزداد كل يوم عسرا على عسر كلما تراخينا فى وضع الخطة السليمة لإيقاف هذا التيار المزعج المدمر لحياة الأمة وكيانها . فبالله عليك كيف يطمئن الشعب على حقوقه وهذه حال متعلميه أو حاكميه ! وبالله عليك هل تجدى القوانين التى تقننها الدولة وتنشرها حبرا على ورق كل يوم لحفظ الحقوق بين الناس وصون العهود واحترام العقود مادام الـكثيرون من المشرفين على تنفيذ تلك القوانين لا يأبهون بها .

وأخيرا إنانميش فى عصر من أخص خصائصه محاولة الاقتصاد فى المجهود الجسمى والذهنى وذلك لتزاحم الأعمال وضيق الوقت ، وكلنا يود أن ينتج أكبر كمية ممكنة فى أقصر وقت ممكن . وأنفع الحقائق ما يمكن توصيله عن أيسر السبل وأقربها . وإذا كان العلم قد اتسع صـدره قديما للدراسات الطويلة والمجلدات الضخمة ، فإنه يعنى اليوم بإحكام المعنى والمبنى . وإذا كان الأدب يباهى فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز ، فإنه أضحى يحرص الحرص كله على السهولة والجزالة والدقة والوضوح

هذه هى روح العصر ، وتلك هى مقتضياته ، ولا سبيل للخروج عليها

ابراهيم بيومى مدكور

ولا يرعونها إلا بقدر ما يملأون به بطونهم ويحشون به جيوبهم؟ وكيف يستطيع والحالة هذه معلم مهما كان قديرا أن يؤدى واجبه فى هذا المجتمع الفاسد؟ سيضطره مثل هذا المجتمع إلى أن يجاريه ليعيش فيصبح مثلا سيئا لتلاميذه مخالفة أعماله لأقواله، ومهما ألقى على تلاميذه من تعاليم ونصائح ومهما ذكر لهم من عظات وأمثال ومهما ذكرهم بقول العرب «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» فإنهم سيتشككون فى تلك الأقوال والأمثال ولا يؤمنون بها ويستحلون لأنفسهم ما ينافيها، وسيضطر مثل هذا المجتمع المعلم إلى أن ينسى أو يتناسى كل ما حفظه فى كتبه وتلقاه على أساتذته عن نبذ الرذائل والتحلى بالفضائل، وسيعمل كما يعمل غيره مكرها أو راضيا وسط زوابع الغلاء المرير للحصول على المال الذى يقوم بأوده هو وأسرته من غير وجهه المشروع. وستكون تعاليمه لتلاميذه تعاليم فارغة تافهة لا روح فيها ولا جدية لأنها تصدر منه عن قلب غير مؤمن بها؛ فإذا طالبهم بالصدق فى القول والأمانة فى العمل شعر فى صميم قلبه بالرياء الذى قد يحز فى قلبه بادئ ذى بدء؛ ثم يصيره التكرار مع الأسف عادة فيه. وإذا طالبهم بالصراحة والشجاعة والمثابرة على العمل وإتقانه فى سبيل النجاح ناقض نفسه لأنه لم يعد يؤمن بأن هذه الفضائل توصل إلى النجاح، لأنه يرى بعينى رأسه ويسمع بأذنه كل يوم أن للنجاح فى الحياة سبيلا آخر غير سبيل التحلى بهذه الفضائل، ويحس التلاميذ الأبناء وهم مرهفو الحس أن أستاذهم رجل متناقض ويملأ الشك فيه نفوسهم، وهم إذ يحسون بذلك لا يفيدون منه ولا يجدون جدوى فى الاستماع إليه. ثم هم بعد ذلك يدخلون إلى الامتحان جهلاء خالى الوفاض من كل شئ إلا من سلاح واحد مرن عليه الكثيرون وهو سلاح الغش الذى استشرى الآن بعد أن بدأ منذ سنين همسا فى الامتحانات العامة والخاصة فلم يعد يقاومه الآن من الممتحنين إلا القليلون الذين يعرضون أنفسهم من جراء ذلك للنكبات. وكيف يبقى للأساتذة فى نفوس تلاميذهم بعد ذلك أية مكانة وقد عرفوا أنهم من جهة لا يفيدون منهم فى تلقى العلم إلا قليلا، وأن لديهم من جهة أخرى طرقا غير مشروعة تقودهم إلى النجاح المطلوب فى الامتحانات وسائر أمور الحياة! إنهم بعد هذا كله لا يستشعرون احتراما لمعاهدهم ولا لأساتذتهم. أليس هذا هو الحال فى معظم مدارسنا اليوم؟ أليس هذا هو الحال الذى يشكوه كل أستاذ وكل ناظر وكل عميد! يالها من غمرة ترجف لها الأبدان وتنفطر لها القلوب؟ إنها غمرة الصلف والأنانية والمادية التى رمانا بها الغرب فكسحت أمامها كل فضيلة وأماتت الضمائر وأبادت كل خير! ثم ماذا يجدى تغيير نظم الامتحانات وجعل نقل التلاميذ من فرقة إلى فرقة أخرى فى ذمة المعلم بعد أن وضح أمامنا ما آل إليه المجتمع من فساد فى الذمم حتى كاد يكون من المستحيل على المعلم أن يجعل الذمة أساسا لحكمه على هؤلاء الأبناء المساكين! لقد دعونا إلى هذا التغيير فى نظم الامتحانات من زمن بعيد وفى مؤلفنا «التعليم والمتعطلون فى مصر» الذى صدر منذ ثلاثة عشر عاما؛ ولكن الحال الخلقية وقتذاك لم تكن تدهورت هذا التدهور، وكان هناك نوع من الحياء ومحاسبة الضمير. أما اليوم والحال أصبح كما وصفنا فإن الأمر لا يصح أن يقتصر على قوانين فقط تكتب على الورق ليكون تنفيذها هباء بل ليكون ضارا.. ولكن الأمر يتطلب علاجا حاسما ذا وجهين: وجه سريع يتعلق بالتلاميذ فيحال بينهم وبين الحزبية والمخربين وموظفى الدولة والرجال العاملين فيها فتنظف أداة الحكم ويحاسب كل منهم حسابا دقيقا على ما ارتكبوا وعلى ما جنوا على الأخلاق وبخاصة أولئك الذين مصوا دم الشعب وأثروا طفرة على حسابه. وفى تطبيق قانون الكسب غير المشروع الجزاء الأوفى إذا طبق تطبيقا عادلا نزيها — أما الوجه الثانى من العلاج فهو الذى تعتمد عليه الأمم فى تكوينها لأبنائها وناشئتها، وهو علاوة على ما يتطلبه من خطة حازمة وطيدة يتطلب كذلك أن يؤمن به الجميع وأن يتعاون عليه الجميع خصوصا بعد أن رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما حل بنا.. وأن تتذرع به الحكومة وجميع الأحزاب والجماعات فى الإصلاح، وأن يراعى فيه وجه الله والوطن والمصلحة الآجلة قبل المصلحة العاجلة. ذلك هو تربية الناشئة تربية يجعلها تؤمن بالله وتخافه وتراقبه فى كل عمل من الأعمال، فيحاسب كل نفسه دائما واضعا نصب عينيه إرضاء وجه الحق والعدل والقانون دون أن يكون عليه رقيب غير الضمير الحى. هذه الخطة تحتاج إلى اقتناع وإيمان

المسلمون بين الشرق والغرب
عند ظهور الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ١ —

ظهر الإسلام والعالم منقسم إلى كتلتين كما ينقسم الآن ، كتلة شرقية تقودها دولة الفرس من الأكاسرة ، وكتلة غربية تقودها دولة الروم من القياصرة ، والتاريخ يعيد نفسه ، وقد وقع العرب بين هاتين الكتلتين فيما يقع فيه الآن أهل الشرق الأدنى بين الكتلة الشرقية بقيادة روسيا الشيوعية ، والكتلة الغربية بقيادة أمريكا وإنجلترا ، وكان كل من الكتلتين يقود فريقا من العرب إلى ما بينهما من حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، بل كانوا هم الذين يغرمون دائما من أنفسهم وبلادهم ، وكان الغنم لصاحب النصر من الفرس أو الروم

وكانت السياسة الخادعة المفرقة قد قسمت العرب إلى قسمين وأقامت فيهم دولتين : تقوم إحداهما بجانب الفرس ، وهى دولة المناذرة بالعراق ، وتقوم الثانية بجانب الروم ، وهى دولة الغساسنة بالشام ، وكان الفرس هم الذين يوجهون سياسة الدولة الأولى ، كما كان الروم يوجهون سياسة الدولة الثانية ، فإذا قامت حرب بين الفرس والروم كان المناذرة بجانب الفرس ، وكان الغساسنة بجانب الروم ، وقام فريق من القبائل العربية بجانب المناذرة ، وقام فريق آخر منها بجانب الغساسنة ، وقد انقسم العرب بهذا على أنفسهم ، وقامت به حروب كثيرة بين المناذرة والغساسنة ، وبين القبائل العربية بعضها وبعض ، حتى ضعف شأن العرب بهذه الحروب ، وكانت بلادهم تقع فريسة فى أيدى الطامعين فيها بلدا بعد آخر

وكانت ببلاد العرب دولة كبيرة يلتف العرب جميعا حولها ، وهى الدولة الحميرية باليمن ، وكان كل من دولتى الفرس والروم لا يرتاح إلى وجودها ببلاد العرب ، لأنها كانت تأبى أن تقف منهما موقف دولتى المناذرة والغساسنة ، فيعمل كل من الروم والفرس على إضعافها والاستيلاء على بلادها ، وكان أن سلط الروم دولة الحبشة على هذه الدولة ، فاستولت عليها قبيل ظهور الإسلام . وحكمتها نحوا من سبعين سنة ، حاولت خلالها أن تستولى على بلاد الحجاز وغيرها من بلاد العرب ، ولما رأت أن الكعبة هى الرمز الدينى الذى يجمعهم ، قصدت مكة لتخريبها فى وقعة الفيل المعروفة ، وقد انتهت هذه الوقعة بهزيمتها على ما هو معروف فى التاريخ ، ثم كان أن قام سيف بن ذى يزن من بقايا الحميريين يحاول استعادة دولتهم ، ولم ير وسيلة إلى هذا إلا أن يستعين بالفرس أعداء الحبشة والروم ، فأمدوه بجيش أمكنه أن يخرج الحبشة من اليمن ، وأن يقيم سيف بن ذى يزن ملكا على دولة آبائه ، وكان لذلك رنة فرح فى الحجاز وغيره من بلاد العرب، فأتت الوفود من هنا وهناك لتهنئته باستعادة ملك الحميريين وكان منها وفد الحجاز وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بين رجاله أمية بن أبى الصلت الثقفى الشاعر ، فهنأه بقوله :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن
فى البحر خيم للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته
فلم يجد عنده النصر الذى سالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة
من السنين يهين النفس والمالا

وإلى فترة طويلة من الزمن وإلى انتحاء القادة والزعماء ناحية جديدة مستمدة من علوم الأخلاق ؛ بل من وحى السماء بل من رب السموات والأرض الذى يعلم ما يصلح المجتمع وما يفسده « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . هذه الخطة التى تربى القلوب تربية تؤمن بربها وتخشاه كفيلة بأن تكون من ناشئتنا الأخلاق الفاضلة التى تسمو بنا عن كل الصغائر ، وتدفع بنا سريعا نحو السمو ونحو المجد ونحو العزة ؛ وهى لا شك ترضى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا — ألا هل بلغت اللهم فاشهد

عبد الحميد فهمى مطر

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم
تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

إلى أن قال :

فالقط من المسك إذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولكن كسرى الفرس لم يقدم هذه المساعدة لسيف بن ذى يزن خالصة لوجه الله تعالى ، بل كانت فى نظير خراج من اليمن يؤدى إليه كل سنة ، فكان سيف بن ذى يزن يؤديه إليه ، وكان جيش كسرى الذى أعاد إليه ملك اليمن يشاركه فى حكمه ، فلما توفى ضم الفرس إليهم ملك اليمن ، وصار الذى يتولى أمره واحد منهم ، ولم يستفد أهله من حركة سيف بن ذى يزن إلا أن استبدلوا ملك الفرس بملك الحبشة

فلما أتى الإسلام لم يرض أن يقف كما وقف العرب ذلك الموقف المعيب من تينك الكتلتين ، لأنه لا يليق أولا بالعرب كأمة يجب أن ترعى كرامتها ومصلحتها قبل غيرها ، ولا يصح أن تجعل فريقا منها ذيلا لدولة الروم ، وفريقا آخر ذيلا لدولة الفرس فينقسم بعضهم على بعض فى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ثم لا يليق ثانيا بدين أتى للسلام والتعارف وهداية الناس كافة أن يشترك فى هذه الحروب المفرقة الآثمة ، لأنها لم تكن قائمة لغرض شريف ، وإنما كان يقصد منها توسيع السلطان ، وبسط سيادة الأقوياء على الضعفاء ، ليعظم الخراج الذى يجبونه منهم ، ويتوسعوا فى الترف الذى ينفق فيه ذلك الخراج ، فيزداد الأقوياء غنى وطغيانا ، ويزداد الفقراء فقرا ومذلة

فآثر الإسلام أن يقف موقف الحياد من تينك الكتلتين ، لا يهمه إلا غايته الشريفة التى يسمى إليها ، ولا ينظر إليهما إلا فى حدود هذه الغاية ، وفى حدودها كان حياده فيه شىء من العطف نحو دولة الروم ، لأنها لم تكن حينئذ تملك إلا قليلا من بلاد العرب ، وكانت بلاد الشام التى تقوم فيها دولة الغساسنة لا تعد من بلاد العرب فى ذلك الوقت إلا على نحو التجوز ، أما دولة الفرس فإنها كانت متسلطة على كثير من بلاد العرب ، ولم يكن خالصا من سلطتها إلا بلاد الحجاز ونجد ، وكان الإسلام يرى أنه سيقوم أولا على أكتاف العرب ، لنشأته بينهم ، فلم يرح لاستيلاء الفرس على هذه البلاد التى يعدها وطنه الأول ، وهذا إلى أن الروم كانوا أهل كتاب ، فكانوا أقرب فى العقيدة إلى الإسلام من الفرس

وكان من مظاهر عطف الإسلام على دولة الروم أن حزن المسلمون وهم بمكة قبل الهجرة على غلبة الفرس لهم ، حتى نزل فى هذا قرآن يعدهم بنصر الروم على الفرس ، وذلك قوله تعالى فى أول سورة الروم

« الم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

وقد مكن ذلك موقف الإسلام من تينك الكتلتين إلى أن صار له شىء من القوة بالمدينة ، ورأى أن يدعو رؤساء تينك الكتلتين إلى أمر تجتمع عليه كلمتهم ، وتبطل به هذه الحروب بينهم ، فيسود السلام بين الشعوب البشرية ، وتقوم بينهم علائق الصفاء والمودة ، ولا يكون هناك أقوياء يتحكمون فى الضعفاء ، ولا أغنياء مترفون ، وفقراء مدقعون ، بل يعيش الضعفاء بجانب الأقوياء ولهم مثل حقوقهم ، ويعيش الفقراء بجانب الأغنياء قريبا من عيشهم ، حتى لا يكون هناك فارق كبير بين هذه الطبقات ، ولا يعيش الأقوياء والأغنياء فى نعيم وترف ، والضعفاء والفقراء فى حرمان وبؤس

وقد وقف الإسلام بهذا موقفا كريما بين تينك الكتلتين ، ولكنه لم ينل منهما ما يليق به من التقدير ، فأغضبت كسرى الدعوة التى وجهت إليه ، وبعث إلى عامله باليمن يأمره بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان شأن الدعوة التى أرسلت إلى رؤساء الكتلة الرومية ، ثم كان أن جر كل من الكتلتين الإسلام إلى حروب لم يكن يريدها مع أن الظفر كان فيها له ؛ وكان من خير الإنسانية أن يجيباه إلى إبطال هذه الحروب ، ولو أنهما أجاباه إلى هذا لكان للعالم اليوم شأن عظيم غير هذا الشأن

للكلام صلة

عبد المتعال الصعيدى

رد على رد :

أجل .. ذو العقل يشقى !

للاستاذ محمد رجب البيومى

حين يكتب القارئ نقداً لمقال قرأه ، يود من أعماق نفسه أن يصل إلى الحقيقة على ضوء ما يعقب المقال من حوار وحديث ، وواجب المنقود أن يواجه الحقائق سافرة واضحة ، ثم يجيب عنها واحدة واحدة ، إذ أن القراء يتتبعون النقاش فقرة فقرة ، ويوازنون بين الطيب والخبيث فى دقة بالغة ، ويصدرون الرأى عن ثقة واقتناع

وقد ناقشت الأستاذ شاكر بما لا أستطيع أن أحيد عنه من الأدب والذوق ، راجياً أن أجد لديه الإجابة الشافية المقنعة ، فماذا وجدت ؟ ! وجدت أن الأستاذ المهذب قد خصنى بكثير من الزراية والجهل ، وقلة المعرفة ، وضعف المنطق ، وسوء الأدب ، وليته وقف عندى بشتائمه وسبابه ، بل انتقل إلى الأستاذ الكبير سيد قطب ، فرماه ظالماً بسوء الفهم ، وولج إلى ضميره ، فاتهمه بقبح المقصد ، وخبث الطوية ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله ، وبالحرص على تتبع المثالب القبيحة ، واجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن فى سياق المثالب وتفسيرها ، ثم ينضح إناؤه بهذه التهم الجاحدة ملقياً بها فى عنف وحدة ، إلى قراء الرسالة ، وهم جميعاً يعرفون فضائل قطب فأين ذهبت عنه الحصافة والاتزان ؟

وقد حاولت أن أجد لدى الأستاذ فى رده الطويل العريض شيئاً يقنع المنصفين ، فما وجدت غير التنقص والسباب ! ! وقد دعوته فى مقالى السالف إلى هجر الوعظ والإرشاد فى الجدل العلمى ، فصاح يقول على رؤوس الأشهاد « من العسير ان أكتب فى هذا الموضوع دون أن أتوشح بذيل من ذيول الوعظ والإرشاد » ، واندفع مع ذيوله الضافية إلى أبعد مدى وأقصاه ، وهكذا ضاعت الحقائق التاريخية لدى كاتب يزهى بنفسه ، فيقول إنه (يعرف حق الكلام ، ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وإن للعقل شرفاً لا يرضى معه بالتدهور فى مواطىء الغفلة وسوء الأدب والخوض فى العبث والجهالات)

ولا أريد أن أكيل للأستاذ صاعاً بصاع ، ضناً بكرامتى ، ولكنى أحاول أن أجمع من مقاله المريض فقرات مبعثرة مضطربة فى أنحائه ، ساقها مساقاً مهلهلا لا يعرف الدقة والحدود ! لأستطيع دحضها بالرأى الموجز الصريح ، جزعاً على الحقيقة العلمية من الغرق فى إطناب المنابر وإسهاب الخطباء

لقد سطر الكاتب خمسين سطراً من مقاله تبدأ من قوله « دعنى أيها السيد أعيد عليك ، إلى قوله خالصة من قلبي بلا مسوح وعظ وإرشاد » ! سطر هذه السطور ليقول « إن أخبار معاوية وعلى جاءت عن طريق الرواية فحسب ، ولكلا الرجلين شيعته التى تنسج الحوادث وتلفق الأخبار » وقد كنت أقرأ سطوره الطويلة وأنا أسأل نفسى أذلك نقاش أم مجرد كلام ؟ ولو كانت النتيجة التى وصل إليها الكاتب صحيحة لعذرناه وسكتنا عنه ، ولكنها باطلة كل البطلان ، ولو جاز لإنسان أن يأخذ بها فى شىء لمزقنا جميع صحف التاريخ الإسلامى من أول عام فى حياته إلى مائة عام أتت عليه ، فلا نتكلم عن أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ويزيد والحسين وعمر بن عبد العزيز ! ! حتى يعرف الأستاذ شاكر ، اسم الراوى وأباه وأمه ، ولحسن الحظ أن كتاب التاريخ ورواته لم يستمعوا لهذه الضجة ، وقدموا إلينا مدداً وفيراً من الأحداث التاريخية ! ! لم تسجل حوادث معاوية وأضرابه عند مؤرخ واحد حتى يتهمه الأستاذ بالافتراء والهوى ، ولكنها أنباء متواترة ، رواها جميع المؤرخين دون استثناء ، ولو أن شيعة على وحدهم الذين اختلقوا مثالب معاوية ، لسكت عنها بعض المؤرخين ؛ ولكن هيهات هيهات!

فهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد أحال الخلافة إلى ملك عضوض مخالفاً بذلك تعاليم الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد جعل جزءا من بيت المال للرشوة وشراء

الضمائر فى بيعة يزيد »

لم يوجد من أنكر ذلك من المؤرخين ، ولكن الأستاذ شاكر ينكره ويدعى أن المؤمنين قبله قد أنكروه ، وهو محمد الله لم يكن مؤرخا ، ولا نعلم أنه خط كتابا فى التاريخ ، فلم ينسب نفسه إلى قوم ليس منهم ؟

ويدعى الأستاذ أنه لم يفهم شيئا مما كتبته فى تحديد معنى الصحابى ، فإذا وجدنى أستدل بحديث الرسول من عبد الله بن أبى لجأ إلى مخرج ينقذه مما واجهته به فذكر أن الرسول قال معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، خشية أن تدور على ألسنة المشركين الذين لا يميزون مؤمنا عن منافق ، وكلهم عندهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم !! وأنا أقول للأستاذ إن المشركين كانوا يميزون المؤمن عن المنافق ، ويعرفون نفاق ابن أبى كما يعرفه المؤمنون سواء بسواء ، بل إنه تماهد معهم على التنكيل بالدعوة المحمدية ولمسوا من نفاقه ما شجعهم على التعاون معه ، وكان إذا خلا إليهم يقول « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » فليس هناك مشركون لا يميزون مؤمنا عن منافق ، وعلى الأستاذ أن يبحث له عن مخرج آخر ، لو يستطيع !!

وإذا كان الأستاذ يصمنى بالجهل وسوء الفهم وقلة المعرفة ، ثم ينقل فقرات طويلة من مقاله ليبين لقراء الرسالة حقيقة ما قال ، ومن هذه الفقرات قوله « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد من بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم » إذا كان الأستاذ ينقل ذلك ، فلم لم يجب عما وجهته إليه بشأن هذه الفقرة ، فقد قلت إن الصحابة قد طعن بعضهم بعضا واستباحوا ما حرمه عليهم ، أفيكونون بذلك قد خرجوا عن منهج الإسلام ، أم أن الأستاذ شاكر يرسل كلامه فى الهواء فإذا ناقشه كاتب متواضع مثلى لجأ إلى الشتائم والسباب !!

ولقد دعوت الأستاذ إلى النقد الموضوعى فقال فى الرد على ذلك « إن النقد الموضوعى ينبغى أن يسبقه التحقق من صحة هذه الحوادث تحققا ينفى كل ظنة » وأنا أقول له مادمت تنكر هذه الأحداث المتواترة لدى المؤرخين ، فلن تقدم للقارئ ما يقنعه ويشفيه ، وأنا أعلم أن الطعن فى رواية الآثار الفردية سائغ ومقبول ، أما الوقوف فى وجه التاريخ وتفنيد ما أجمع عليه المؤرخون بلا دليل ، فلم يجد من يصغى إليه فى كثير أو قليل

ولقد نصحنى الأستاذ شاكر أن أضع من يدى عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل ، وذكر أن الحياء يمنعه أن يترك كلامى بلا مجيب !! وأنا أعجب للحياء الذى يمنع صاحبه من الصمت المريح ، ثم يدفعه إلى السب المقذع والطعن الجارح فى كاتب كبير كالأستاذ سيد قطب !! فضلا عما وجهه إلى من قذائف ظالمة ، ثم ما الفرق بينى وبينه حتى يطلب إلى أن أكف عن الكتابة ، وما هى مؤلفاته التى تبيح له أن يتقدم إلى بمثل هذا الأمر ، لأحفظ له حقه فى الإرشاد والتوجيه ؟ ! أخشى أن يكون استيلاؤه الفزع من نشاط الأستاذ قطب وإنتاجه قد دفعه إلى الهجوم على بألفاظه الحداد !! وإنى لأستغفر الله له رغم ما أصابنى من كلوم !!

(أبو تيج) **محمد رجب البيومى**

دفاع عن العباسة

للأستاذ ثروت أباظة

كتب الأستاذ باش أعيان مقالا قيما فى الدفاع عن العباسـة بنت المهدى ، ولقد أثار مقاله هذا فى نفسى فكرة كانت ما تزال تردد بها ، وكنت ما أزال أفكر فى الكتابة عنها حتى قرأت هذا المقال ، فوجدت الفرصة قد دعتنى إلى الكتابة . فالأسـتاذ باش أعيان نقل إلينا مجملا من أقوال المؤرخين عن سبب نكبة البرامكة ، ونقل إلينـا أيضاً مجمـلا من آرائهـم فى مسألة زواج جعفر من العباسة ، وهناك أمران فى هذا الشأن لا بد من تقريرهما .

فإن المؤرخين قد أجمعوا على اختلاف فى أسباب نكبة البرامكة والاختلاف بينهم دليل قاطع على الجهل بحقيقة نكبة البرامكة ، والذى نستطيع أن نخلص به من هـذا الاختلاف هو أن نكبة البرامكة التى حدثت إنمـا هى الحركة الظاهرة مما كان يعتمل فى نفس الرشيد ...فكل حركة تحدث من الإنسان كبيرة كانت أو صغيرة تشتمل فى الواقع على عاملين : العـامل الظاهر وهو الذى يظهر إلى النور ، ويكون الواقعـة ، والعامل النفسى وهو المختفى فى أغوار النفس لا يظهر . ولقد أراح الأستاذ باش أعيان نفسه وأراحنا حينما ذكر لنا ذلك الحديث بين الرشيد وأخته علية وهو يقول لها إن قميصه الذى يرتديه لو علم السبب فى قتل جعفر لمزقه

فليكن جعفر إذاً أخا الرشيد فى الرضاعة ، وليكن رفيقه فى اللعب ، وليكن صـديقه فى الشباب ، وليكن وزيره فى الملك . ليكن أيا من هذه الصفات ، أو ليكن جميعها ؛ إنمـا الواقع من الأمر أنه قتله ... لماذا قتله ..؟! لا يستطيع أحد أن يعرف ، بل إننى لأشك كثيراً فيما إذا كان الرشيد نفسه يعرف .. فلكم تخادع نفسها نفسه ، ولعل الرشيد أوجد سبباً فى نفسه يطمئنها به إلى عدله إن هو قتل جعفر .. لعله أوجد هذا السبب فى ظاهر نفسـه ، بينما أوغل السبب الحقيق فى الاستخفاء بين أطواء النفس بعيداً عن كل مظنة . . بعيداً عن تفكير الرشـيد ذاته ، فلو أن الله جل وعلا بعث الحيـاة اليوم فى الرشيد ، ونفض عنـه غبار القبر والسنين ، واستطعنا نحن أن نسأله السبب فقاله .. لو حدث هذا فإننا نستطيع على رغم كل ما حدث أن نتشكك فيما يقول .

وإن هـذا الاختلاف بين المؤرخين أمر عجيب فى ذاته ، فإن أسبابهم جميعاً لا تعارض بينها ، فإذا وجـد واحد منهم ، فهو لا يمنع وجود الأسباب الأخرى .. فما ضر لو كانت هذه الأسباب مجتمعة هى الأصـل فى نكبة البرامكة بجانب السبب الحقيقى فى نفس الرشيد .. وما ضر أيضاً لو كانت هى مجتمعة سبب النكبة ، وليس هناك سبب آخر إلى جانبها .

من هـذه الأسباب فى قول بعض المؤرخين أن الرشيد أبى على جعفر أن يتزوج العباسة زواجاً كاملا ، وأحل له بعقد الزواج النظر وحده ، دون ما يستتبع العقد من صلات .. ويقول هؤلاء المؤرخون إن العباسة لم تعبأ بما نص عليه عقد الرشيد وأكلت مقتضيات العقد مع زوجها ، فكان ثمرة هـذا الإكال هو بضع بنين لهم .

وقد رأى الأستاذ باش أعيان أن فى هذه الرواية تعدياً على مقام العباسـة بنت المهدى ، المتصـلة بأسباب غاية فى القوة إلى العباس عم النبى عليه الصلاة والسلام ، وأنا لا أدرى علام بدافع؟ وما الذى فعلتـه حتى تتهم ؟ إن العقـد الذى أراد أخوها أن يكون عقـد نظر فحسب غير موجود بين عقود الشريعة الغراء ، وإنما هو عقد زواج ، ومعروف شرعاً أن الشرط الفاسد فى عقد الزواج لا يفسد العقـد ، بمعنى أن الشرط يبطل ويصح العقـد ، فإذا تزوجت إحـداهن واشترطت فى عقـد الزواج ألا تقيم مع زوجها إلا إذا أقام ببغداد مثـلا أو البصرة ، فإن عقـد الزواج صحيح والشرط باطل ، فإذا انتقـل الزوج إلى القـاهرة أمين على الزوجة أن ترافقه إليها ، وتعيش معه فيها . وتعاشره زوجة بعقد

صحيح، ولا قيمة للشرط الذي اشترطته بل هو باطل غير موجود، فإذا اشترط الرشيد على جعفر في عقد النكاح ألا يدخل بزوجه العباسة بطل الشرط وصح العقد . والعباسة لا بد تعلم هذه الحقيقة ، وهي على الأقل لن تعدم من يخبرها بها . فإن هي أبطلت الشرط فإنما تسير على خطى الدين الحنيف ، غير مجانبة الخلق القويم الذي يجب أن تكون عليه بنت قريش ، ولا ضير عليها إن هي أغضبت الرشيد لترضى الله

وبعد فالعباسة غير متهمة لتحتاج إلى دفاع ، بل لقد كانت في موقف لا بأس بها فيه ، وهي تأبى على أخيها الرشيد أن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرمه

تلك هي العباسة على رواية المؤرخين الذين يقولون بوجود العقد ، أما هؤلاء القلة الذين يقولون بعدم وجود العقد فقولهم مردود هزيل ، فما كان أيسر انعقاد العقد في هاته الأيام بحيث يصبح عدم العقد ضرباً من الجنون الذي لم يعرفه أحد عن جعفر أو العباسة ، ما كان أيسر على العباسة أن تشهد اثنين من المخلصين لها أو لجعفر على أنها زوجته نفسها ، فترتفع بذلك عما يريد هؤلاء المؤرخون أن يرموها به

فإذا كانت المسألة كلها مختلقة ، ولا صلة للعباسة بنكبة البرامكة فهي — من باب أولى — في غنى عن كل هذا الكلام

بقي أمر أحب أن أتحدث عنه قليلا في هذه المناسبة . فقد ذكر الأستاذ باش أعيان أن بعض المؤلفين المعاصرين قد أنشأوا الفصول الرائعة عن حب جعفر للعباسة ، واتخذوه موضوعاً لرواياتهم ، وإنني لست أرى بأساً من ذلك أبداً ، فإن المؤلف الفنان غير مقيد مطلقاً بالتاريخ ، وإنما شأنه وشأن التاريخ شأن المهندس والمولد الكهربائي ، فالمهندس يستنبط القوة الكهربائية ثم هو بعد ذلك على أتم الحرية .. يضيء بها أو يحرك الآلات ، أو يفعل ما شاء له هواه دون أن يقطعها

والفنان إزاء التاريخ مستلهم منه الوحي ، كأنه الشرارة من المولد الكهربائي ، ثم هو يحور قصته أو روايته ، ويوجهها إلى حيث يرضى فنه ، دون أن يخل بالحوادث الجوهرية ، التي تقوى على الإهمال أو التحريف

فلتكن رواية العقد بين جعفر والعباسة مختلقة ، أو لتكن منحرفة ، أو لتكن كما تشاء ، فالفنان قد رأى فيها موضوعاً يصلح لأن ينشئ منه فناً فأنشأ ولا جناح عليه

وإذا أراد المتزمتون من المؤرخين ألا يعترفوا بهذا فعليهم أن ينظروا إلى العمل الفني على أنه عمل فني فحسب ، اختير لأسماء أبطاله أسماء كان لهم في التاريخ شأن

وبعد فإلى الأستاذ باش أعيان خالص الشكر أن أتاح لي هذه الفرصة ، وإليه في حاضرة الإسلام المزدهر خالص التحية

ثروت أباظة

دعوة محمـــــد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الإخلاص والصدق في دعوة محمد

إن البغض والحسد والحقد والموجدة طبيعة من طبائع البشر ، وخاصة إذا غزاها التعصب الأعمى ، فإذا قام إنسان ما بعمل جليل ، عمت فائدته على بعض الناس وشملت من حوله ، كثر حساده وشانئوه ، فتراهم يهبون والحقد يملأ نفوسهم والبغض يكاد يمزق صدورهم ، محاولين الانتقاص من قدر عمل هذا العظيم ، هذا بالنسبة لمن يقوم بعمل نافع في حدود بيئته ، فما بالك برجل ، كمحمد جاء بما فيه خير البشرية جمعاء وصلاح الكون كله، وقد بلغ من الرتبة والرفعة في نفوس مئات الملايين من الناس ما لم يبلغه أي إنسان مهما كانت أعماله . فليس عجيباً أن نرى الكثيرين ممن أعماهم التعصب وملأهم الحقد ، يحاولون النيل من محمد ومما جاء به ، ولو عقلوا لأراحوا أنفسهم وأراحوا غيرهم من جعجعتهم وصخبهم ، لأنهم كالرجل الذي ينطح الصخرة محاولا تحطيمها فإنه سيرتد وقد أدميت قرونه

فالمتعصبون من النصارى والملحدون . يسيئهم أن يعرف الناس حقيقة دعوة محمد . فيذيعون أن محمداً لم يكن يبغى من قيامه بهذه الدعوة إلا الشهرة والمنفعة الشخصية والمفاخرة بالجاه والسلطان وإشباع نزعة حب السيطرة الذي يملأ نفسه ، وقد وغلوا في عرض هذا الرجل ودعوته بما لا يصدقه عقل ، ويستحى أحط الناس قدراً أن يذكروه على ألسنتهم . وهم يعلمون أنهم كاذبون مدعون .

إن محمداً لم يكن يريد مفاخر الجاه والسلطان والشهرة والسيطرة ، كلا وايم الله ، فلقد كان في قلب ذلك الرجل العظيم ذي النفس الممتلئة خيراً ورحمة وبرا وحنانا ، ذي العقل المتميز بالحكمة والإربة والنهى والحجى ، أفكار أسمى من الطمع الدنيوي الذي يستوى بنو البشر الآخرين في الدرجة سعياً له ، ونوايا أشرف من السعى في طلب السلطة والجاه ... ، لم يفكر يوماً أن يكون كما يتمنى كل إنسان ، ولو أنه أراد الملك لناله، ولو سعى وراء المال لملأ منه خزائن كثيرة، ولو ابتغى السيادة لكان ما أسهلها عليه ، ولو أراد أن يجمع بين كل هؤلاء جميعاً لما استعصى عليه الأمر . ولكن كيف يكون ذلك وهو ذو النفس الكبيرة التي كان كل همها إسعاد البشرية وإنقاذها مما هي فيه ، إننا لا يمكن أن نتهمه بعدم الإخلاص لدعوته ، لأنه من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين فيما يعملون ، ولولا ذلك لما نجحت دعوته ، لأن الإخلاص هو أساس كل نجاح . فبينما نرى الآخرين الذين يبتغون عرض الحياة الدنيا يرضون بالإصلاحات الكاذبة ويسيرون خلف الاعتبارات الباطلة ، نرى محمداً يأبى أن يستعين بمألوف الأكاذيب ويتوشح بما كان متبعاً في زمانه من الخرافات والأباطيل ، فقد كان منفرداً بنفسه العظيمة مقتنعاً بحقائق الأمور ، متفكراً في أسرار الكائنات ، بل كان سر الوجود يسطع لعينيه -- كما قلت -- بمخاوفه وأهواله ومباهجه وزخارفه ، فلم يستطع شيء من الأباطيل أن يحجب عنه كل ذلك، وكأني بلسان ذلك السر الهائل يناجيه في خلواته « ها أنذا » . إن هذا الإخلاص في الدعوة والتفاني في القيام بها لا يخلو من معنى إلهي مقدس ، وما كلمات محمد التي كان ينطق بها ، إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة وصميم الواقع، كان إذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية، وكل القلوب خاشعة واعية، وكل كلام بعد ذلك غير كلامه هباء ، وكل قول سوى قوله جفاء .

لقد ظل منذ أيام أسفاره ورحلاته إلى بلاد الشام ، تجول بخاطره آلاف من الأفكار التي لا يمكن أن تأتي إلا لكل ذي عقل راجح ونظر ثاقب . من أنا ؟ وماذا أكون ؟ ما هي الحياة وما قيمتها ؟ وما هو الموت وماذا سيكون بعده ؟ وماذا أعتقد وماذا أفعل ؟ وهل أعبد ما يعبد هؤلاء القوم من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر ؟ . كل هذه الأسئلة والخواطر كانت تجول بفكره في خلواته ، فهل أجابته عنها صخور جبل حراء أو ما يحيط به من الفلوات والقفار ، أو ما كان يمر به من شماريخ

طود الطور . كلا لم يجبه شيء من ذلك حتى ولا قبة الفلك الدوار ، أو تعاقب الليل والنهار ، ولا النجوم الزاهرة ، ولا الكواكب الظاهرة، ولا الأنواء الماطرة . لم يتلق جواباً من كل هذه الأشياء ولا من واحد منها . ولكن سرعان ماجاءه الجواب شافياً مبيناً منقذاً له من حيرته واضطرابه ، فى خطاب الله العلى القدير لنبيه موسى : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » . إنه جواب لا لبس فيه ولا غموض ، وإنه السر الذى أودعه الله روح محمد ، فنزل برداً وسلاماً على روحه

والذى يجب على كل إنسان أن يسأل نفسه عنه هو ما كان يجول بخاطر محمد ، وما أحسه فى نفسه ذلك الرجل القفرى . إن هذه هى المسألة الكبرى والأمر الأهم — الذى يجب على كل إنسان أن يضعه فى الرتبة الأولى من تفكيره إذ أن كل شيء بجانبها عديم الأهمية

إن هذه المسألة لو بحثنا عنها فى فرق اليونان الجدلية أو نقبنا عنها فى روايات اليهود المبهمة أو فتشنا عنها فى نظام وثنية العرب الفاسدة فإننا لن نجد لها جواباً شافياً . وأما فيما جاء به محمد فإن الجواب يطالعنا فى كل مكان سواء فى القرآن أو فى أقوال محمد نفسه الذى لا ينطق عن الهوى ، وهذا دليل على أهميتها وخطرها

لقد سبق لى أن قلت إن أهم ما يميز الباطل وأولى خصائصه ، هى نظره خلال ظواهر الأمور إلى بواطنها ، وأنه يقيس الباطن على الظاهر . أما الاعتبارات والإصلاحات والعادات والاستعمالات فإنه لا ينظر إليها سواء أكانت جيدة أم رديئة ، حقة كانت أم باطلة . لقد كان محمد ينظر إلى الأوثان التى يعبدها قومه ويقول فى نفسه : إن هذه المعبودات لا بد أن يكون وراءها شيء . وما هى إلا رمز وإشارة لمعبود أعظم ، ولكن القوم ضلوا السبيل إليه ، وإلا كانت زوراً وباطلا وقطعاً من الخشب لا تضر ولا تنفع ، وهذا أكبر شاهد على إخلاص محمد لقومه فهو يريد أن ينقذهم مما هم فيه من ظلمة واضطراب ، ولكنهم لجوا فى بادئ أمرهم وعتوا عتواً كبيراً

* * *

لو كان محمد يريد الجاه والسلطان لما استطاع أن ينقذ هؤلاء العرب الجفاة ولا قدر على تحطيم معبوداتهم . لقد اتهموه بأبشع التهم ولصقوا به أحط الصفات . فقالوا إنه ساحر كذاب « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا الشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » وقالوا إنه شاعر مجنون « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » ثم دعوه إلى عبادتها وترك دعوته مرغبين ، ثم مغرين ، ثم حرموه وأهله وعشيرته مصاهرتهم والعمل معهم ، وحرموا على العرب التقرب منهم حتى كادوا يهملون، ثم هددوه بالقتل إن هو لم يثب إلى رشده ويرجع عما هو فيه من تحقير آلهتهم والنيل من معبوداتهم ...

ولكن ما لمحمد وهذه المعبودات ، وأنى تؤثر فى نفسه هذه الأوثان ولو أنها رصعت بالشهب لا بالذهب ، وكيف يسيغ له عقله أن يعبد هذه الأصنام ولو عبدها الحجاج من عدنان والأقيال من حمير ، وأى خير يرجوه منها ولو عبدها الناس جميعا ؟

لقد عاش محمد حياته الأولى بين قومه رائحاً غادياً ولكنه كان فى الحقيقة يعيش فى واد من التفكير المنظم والنظر الثاقب ، وقومه كلهم فى واديهم يعمهون وفى ضلالاتهم سادرون وعن الحق مبتعدون ، عاش ماثلا بين يدى ربه ، سابحة أفكاره فى ملكوت السموات والأرض ، فلما سطعت لعينه الحقيقة الكبرى وجاءه الناموس الأعظم وانشرح صدره وزالت كربة نفسه . ما كان له إلا أن يجيبها ، وإلا فقد حبط سعيه وضاع جهده وأصبح هو وقومه سواء بسواء

فقال لنفسه : فلتجبها يا محمد ، أجب وإلا كنت من الخاسرين .. أجب فقد وجدت الجواب الذى حيرك طوال هذه الأعوام . .

أفبعد هـذا يزعم الـكاذبون الحاسدون أن الذى أقام محمداً وأثاره هو الطمع وحب الدنيا والرغبة فى الجاه والسلطان ، حمق وايم الله وهوس وسخافة ، وظلم بين وإجحاف للحق وتضليل للحقائق . ليقل لى هؤلاء الطاعنون ، أى فائدة لرجل مثل محمد فى جميع بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها ، وأى خير له فى تاج كسرى وصولجان قيصر . بل أى قيمة عنده لجميع ما بالأرض من تيجان وعروش ؟! لأنه يعرف المصير الأخير لجميع الممالك والتيجان .. وأين تصير الدول جميعها بعد حين من الزمان « كل من عليها فان » . أيطمع فى مشيخة مكة وقضيبها ذا الطرف المفضض .. أم فى ملك كسرى وتاجه ذى الذؤابة الذهبية .. أم فى صولجان قيصر وعزة ملكه ؟ وهل فى كل هـذا منجاة للمرء من هول يوم الحساب إن لم يكن له من عمله منجاة ومـظفرة . كلا . إذن ما علينـا إلا أن نضرب برأى هؤلاء الجائرين القائلـين إن محمداً كاذب لا يبغى من دعوته إلا السلطان والجاه ، عرض الحائط ، فإن مذهبهم عار وسبة على البشرية فلقد أصبح من أكبر العار على أى إنسان متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يشاع من أقوال مفتراة وأكاذيب ملفقة عن دين الإسلام وأنه كذب ، وأن محمداً رجل خداع مزور شهوانى فاسـد . بل أصبح من أوجب الواجبات علينا أن نحارب كل من يحاول أن يلصق هـذه التهم وأمثالها بمحمد ودعوته إن كنا نريد للحق أن ينتصر وللعـالم أن يسير نحو سلام دائم وحياة لا اضطراب فيها ولا فتن ، لقد آن لنا أن نقول لهؤلاء الذين يشيعون مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، إنكم أنتم الكاذبون الخداعون . إنكم أنتم الذين تريدون أن تشيعوا فى العالم الفوضى والاضطراب وتحاولوا الوصول إلى الجاه والسلطان عن طريق الطعن فى الحق وأصحابه والجور فى القصد ، لا عن طريق هداية العالم إلى الخير والسلام كما فعل محمد ، ولكن ما أبعد الفرق بينه وبينكم فإن الرسالة التى جاء بها محمد ما زالت السراج الوهـاج والطـريق السوى لمـن أراد أن يصل إلى نعيم الحياة ويفوز بجنات عرضها السموات والأرض ، وما زالت قبلة الأنظار مدة اثنى عشر قرناً لأكثر من مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا وجعل لهم عقولا كما جعل لنـا ، وفيهم من بلغ أسمى درجات الرقى الفكرى الذى تدعون أنكم وصلتم إليه ، فلا تستحون من قولكم ، إن هذه الرسالة التى آمن بها ومات عليها كل هؤلاء الملايين الفائتة الحصر ، خدعة وكذب . فوا أسفاه ما أحقر هذا الزعم الباطل وأسوأ هـذا القول السخيف ، وما أضعف عقول أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة ، لأنهم ظنوا أن جميع الناس مجانين مثلهم . أما أنا فلا أستطيع أن أرى هـذا الرأى أبداً ولا أسكت عن قائليه ، ولو أنى أرى أن الغش والكذب ينتشران بشكل مريع بين النـاس ويروجان رواجاً كبـيراً ويصادفان كثيراً من التصديق والقبول

إن الحق إذا لم يجد له نصيرا يدفع عنه سخف القول ويذود عن حوضه المفتريات لضاع بين أمثال هؤلاء الذين لا يرعون فيه إلا ولا ذمة . ولو أن الحق عدم أنصـاره لأصبحت الحيـاة سخفا وعبثا ، وكان الأولى بهـا ألا تخلق . وأى حق أحق منا بالذود والدفاع عنه من دعوة محمد التى تدعو إلى السـلام والمحبة . وهما اللذان جاء بهما جميع الأنبياء لأنهما ظل الله فى الأرض وما الله إلا محبة وسلام

* * *

إن من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات ، يجب عليه ألا ينظر إلى شئ مما يقوله أولئك السفهاء ، وألا يصـدق كلمة واحدة من أقوالهم ، لأنها أفكار سقيمة وأقوال جيل كفر بالله .. ونتاج عصر جحد بالإنسانية وقيمتها ، وهى أبلغ دليل على خبث قلوب هؤلاء وموت أرواحهم وفسـاد ضمائرهم . وإذا فسـدت الضمائر وخبثت القلوب وماتت الأرواح فى الأبدان ، فإن اصاحبها أن يفعل ما يشاء لأنه أصبح كالأنعام بل أضل

ولعل العالم لم ير قط رأيا آلأم من هذا الرأى ولم يسمع قولا أكفر من هذا القول ، فهل يعقل أن رجلا كاذبا خداعا يستطيع أن ينشر دينا بين النـاس وأن يوجد المعجب من القـوانين والأحكام التى كانت مدار الأحكام والتى أصبحت محور القوانين جميعا رغم كل ما يقال . والله إن الرجل الكاذب لا يستطيع إن يقيم بيتا من الطوب ، لأنه يدعى أنه عليم بخصائص الجير

والجص ومواد البناء وهو لا يعرف منها شيئا . فإن الذى يبنيه إنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد ، لا يستطيع أن يثبت اثنتى عشرة ساعة إذا هبت عليه ريح عاصف ، لا أن يقف كالطود الشامخ أمام مختلف الأعاصير والأنواء اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، لا يمر عليهم وقت إلا وهم فى ازدياد مستمر ونمو مطرد . أفبعد هذا يقال إن محمدا كاذب خداع

وليعلم من لم يكن يعلم أن على المرء أن يسير فى جميع أمره طبق قوانين الطبيعة لا يخالفها ، وإلا استعصى عليه الأمر وأبت هى أن تجيب طلبته وتعطيه ما يشاء ويبتغى

كذب وافتراء والله ما يذيعه أولئك الكفار ، ولا بد أنهم سيعودون فى النهاية مهزومين وإن زخرفوا أقوالهم حتى تخيلها بعض الناس حقا

باطل وزور والله ما يدعون إليه وإن زينوه حتى أوهموا السذج أنه صدق . ومحنة والله ومصاب ما بعده مصاب أن ينخدع الناس بهذه الأباطيل ، ويجد الكذب له بين الأمم والشعوب آذانا صاغية

ولكن مهما كان الأمر فإن الناس سيأتى عليهم اليوم الذى يدركون فيه كذب هؤلاء ؛ إنه كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزيفة ، يبذل لها صاحبها غاية الجهد ، ليتخلص منها ويخرجها من كفه القذرة الأثيمة ، ليقع فى ضررها غيره ويحيق مصابها بسواه ، ولكن لا يلبث زيفها أن يظهر للناس ، فيلقون بها فى سلات المهملات وهم يصيحون بملء أفواههم « هذه أوراق مزيفة »

* * *

إننا لو قارنا بين دعوة محمد وصدقه فيما أتى به ، وبين دعوة زعماء الثورة الفرنسوية — لا على سبيل المساواة فى القيمة الروحية ولكن على سبيل المثل فقط ؛ إذ من الظلم البين أن نقرن الثانية بالأولى — وما حاول أولئك الزعماء نشره ، لوجدنا أن الأولى قد جاءت من قبل مجىء الثورة الفرنسوية بعدة قرون وبقيت بعدها وستظل ثابتة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

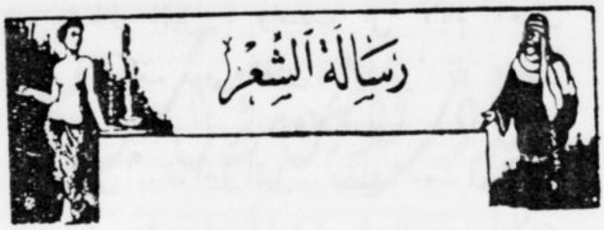
أما الثانية فقد ذهبت بذهاب دعاتها ، بل إنهم هم أنفسهم لم يأخذوا بها ولم يسيروا على ما كانوا يدعون إليه ، وهذا أكبر شاهد على أن محمدا لم يكن أخا شهوة كما يتهمه أولئك الضالون ، ظلما وعدوانا

والله لشد ما نتعدى حدود الجور والخطأ ، إذا اتهمنا محمدا بأنه رجل شهوانى لا هم له إلا إشباع نفسه من الملاذ وقضاء مآربه من الشهوات . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ والشهوات ، بل لقد كان زاهدا فى حياته كلها متقشفا فى مأكله وملبسه ومسكنه ، وجميع أحواله ، فقد كان طعامه عادة لا يزيد على الخبز والماء ، وكثيرا ما كانت الشهور تمضى ولا يوقد بداره نارا تحت قدر ، وإنهم ليذكرون ... ونعم ما يذكرون — أنه كان يقوم بأعماله بنفسه ، يرفو ثوبه ويخصف نعليه بيديه ، فهل بعد هذا تواضع ومفخرة ؟ وهل هذه هى صفات الرجل الذى يسعى إلى الجاه والسلطان والملك والصولجان!

حبذا محمدا من رجل خشن الطعام مرقع الثياب مجتهد فى الله ساهر ليله يذكر ربه وينصت لوحيه جاهدا فى نشر دينه ، لا يطلب رتبة ولا يطمع فى دولة أو سلطان أو غير ذلك مما يتطلع إليه أصاغر الرجال

والله لو لم يكن محمد صادقا فى دعوته مخلصا فى تأدية رسالته لما لقى من أولئك العرب الغلاظ الأكباد توقيرا ولا احتراما ولا تعظيما ولا إكبارا ، وما كان مستطيعا معاشرتهم أكثر أوقاته بعد أن قام بدعوته ثلاثا وعشرين حجة . وما كان فى مقدوره أن يقودهم إلى ميادين القتال لا يهابون الموت ، يلتفون حوله ويقاتلون بين يديه ويجاهدون فى سبيل دعوته ، يلقون مصارعهم آمنين مطمئنين إلى المصير الذى وعدهم الله إياه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

لقد كان فى هؤلاء العرب غلظة وجفاء وكبر وعجرفة ، وكانوا حماة الأنوف أباة الضيم صعاب الشكيمة وعر القيادة ليسوا



النهر الملول !...

عن أندريه موروا

للأستاذ أنور العطار

« يرى « موروا » حياة الإنسان نهرا ملولا ، ويرى الموت بحراً ، ولقد تضجره الحياة والأحياء ، وتسئمه الأماني والآمال فيهيب بنهر حياته الملول أن انسكب في خضم الردى وغب في بحر الفناء »

قد نجونا من الحيـاة   ومن سحرها المعجب

ومن المأمل الشهى   ومن كالح الرهب

خالق الموت والحيـاة   ويا خـير من وهب

لك شكراننا العميم   على الدهر قد وجب

ولك الحمد أن قطع   ت من العيشة السبب

أنت أوردتنا الردى   والردى السؤل والطلب

فسلمنا من الأذى   واسترحنا من النصب

لو ملـكنا عرا البقـاء   لمـا شاقنا أرب

ولأودى بنـا الحنين   إلى الملك والمطب

كل من ذاقه استراح   من الهم والتعب

ماله الدهر رجعـة   أو معـاد ومنقلب

فلقد تسـأم الحيـاة   وقد يجتوى الرغب

. . .

رب نهر معـذب   مل من طول ما سرب

وتناهى به المطـاف   إلى البحر فاحتجب

أنور العطار

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

عن الشعر الفكاهى

من وحى الكأس

الأستاذ محمود غنيم

على بك شخصية لا تكاد تفارق الكأس شفتيه ، كان موظفا كبيرا ثم أحيل إلى التقاعد من سنوات ، وقد أقام له الشيخ المحترم سعد بك اللبان بقصد الدعابة حفلة تكريم ألقى فيها الشاعر هذه القصيدة

صاغوا لك الشعر من زهر ونوار   وصغته لك من حانوت خمار

ما « الروم » إن قلت شعرا ياعلى وما

زبيب « زوتس » أو « كونياك أو تار »

حطم كؤوسك واشرب ياأباحسن   سلافة عصرت من كرم أشعاري

لله درك شيخا ليس يشبهه   نهر من الخمر فى أحشائه جار

حمراء سحنته بيضـاء لحيته   لكن صفحته سوداء كالقار

إن الشيوخ تقوم الليل فى حرم   لكن على يقوم الليل فى « بار »

. . .

يمشى على فلا يدرى إلى جبل   تقوده قدماه أم إلى الدار ؟

يضل عن بيته والشمس طالعة   وليس يبعد عنه غير أشبار

وربما دق باب الجار من خبل   وربما ضربته زوجة الجار

يعد « يني » عليه الكأس أربعة   أو خمسة وهو لا واع ولا دار

ويحسب الفار إذ يبدو له جملا   يعدو عليه فيجرى خشية الفار

بالمتسابقين وراء كل ناعب ، فمن استطاع تذليل جانبهم وقدر على رياضتهم ، حتى رضخوا له وساروا وراءه مسلمين له القياد ، فلولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل والصدق والإخلاص ، لما خضعوا له ولا أذعنوا لأمره. وإنى أعتقد أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد ، قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه ، لما لقى من طاعتهم واحترامهم بعض ما لقيه محمد فى ثوبه المرقع بيده . وهذا أكبر دليل على عظم محمد وصدقه فى دعوته وإخلاصه لربه

عبد الموجود عبد الحافظ

ويطلب اللحم من دكان فاكهة — ويشترى الموز من حانوت جزار
وربما خدعته العين فى رجل — يمشى فقال : مساء الفل ياماري
وربما قابل « المترو » فقبله — فى وجنتيه وحياه « بسيجار »
وربما أطلق السكين « قنبلة » — وراح يحسبها رنات أوتار

. . .

على عذرا إذا أسرفت فى هذرى — فأنت ذو منزل عندى ومقدار
حييت يا صاح فيك النبل أجمعه — حييت فيك لسانا غير معثار
حييت فيك حديثا خف مسمعه — وكم حديث يحاكى رجم أحجار
ظل خفيف وأخلاق معطرة — لو نسقت أصبحت باقات أزهار
يكفيك نجلان يزدان الحمى بهما — كلاهما لامع كالكوكب السارى
وندوة الشيخ « سعد » أنت بهجتها — لله درك بدرا بين أقمار

. . .

لاعيب فيك سوى كأس تضاجعها — فى النوم تغنيك عن زوج وأصهار
وكل ما أنجبت مصر وما ولدت — « باريس » من خرد عون وأبكار
الدهر أفسد شيئا أنت تعرفه — ما عاد ينفعه إصلاح عطار
بالأقدمية عش فى البيت منزويا — وأخف نفسك فيه خلف أستار
لا تغضبن على فول ولا عدس — ولو أتوك بسم ناقع هار
عش يا على مليا واقض عمرك فى — كاس وكاس وفى لهو وأسمار
وخل من شاء يبكى الحظ منتحبا — ويقطع العمر فى هم وأفكار
أترع كؤوسك واشرب كيف شئت وقل
يا نفس لا تقنطى من رحمة البارى
ما العار إلا الأذى بالناس تلحقه — ما فى المدام ولا فى الكاس من عار
قد يغفر الله للسكير من كرم — ويخلد الراهب الذكير فى النار

. . .

على هذا قريض كنت تطلبه — فأد فى كل بيت ألف دينار
الشعر غال ولكنى أجود به — عليك . إنك مثلى جائع عار

محمود غنيم

أخـــى

للاستاذ محمود البكرى محمد

أخى ا .. قد غالنى الجوع ، وهد الفقر بنيانى
ودب الضعف فى جسدى ، وهز الشر إيمانى
وطال الليل . وامتدت على الأيام أحزانى
فكفكف دمعى الهامى ، وأطفئ نار حرمانى

* * *

أخى ا .. قد أقبل الليل .. وشاع الصمت فى الوادى
وفى عشى قد ارتعشت بنيانى .. وأولادى
يهيج أنينهم قلبى .. ، ويذكى نار أحقادى
وما فى العش من دفء ، وما فى العش من زاد

* * *

أخى ا قد عربد الشر ، وما جت بالأسى نفسى
ونام الخير ، وانبعثت دواعى الثأر فى رأسى
وجن البؤس فانتفضت بكفى بغتة فأسى
أرونى الظالم العاتى ليلقى المر من بأسى

* * *

أخى احفر لى — على عجل — بفأسى هذه قبرى
والحدنى ا .. فما بقيت سوى الأوهام من عمرى
سئمت مآسى الدنيا ، وضقت بقسوة الدهر
سقانى الكاس حنظلة ، وقلبنى على الجمر ا ..

السكيان — **محمود البكرى محمد**

الأدب والفن في أسبوع

حملة انجليزية على الدكتور طه حسين باشا :

شن بعض المدرسين الإنجليز الذين فصلوا من المدارس المصرية حملة هوجاء فى جريدة « الإجبشيان جازيت » ضد سعادة الدكتور طه حسين باشا ، تحت عنوان « الصنم الذى هوى » وهو عنوان يدل على مقدار « أدب المربين » الإنجليز :

وقد ادعى أولئك الكاتبون « المهذبون » أن وزير المعارف السابق عاملهم معاملة غير كريمة وغير عادلة لأنه فصلهم من وظائفهم .. ويظهر أنهم لم يجدوا فى قضيتهم الأساسية ما يناقشون فيه على أساس المنطق المعقول ، فلجأوا إلى الهجوم الشخصى . ومن أعجب ما جاء فى كتاباتهم أن الدكتور طه حسين باشا سقطت مكانته بعد الخروج من الوزارة !!

وأنا أسأل هؤلاء الأساتذة الذين يفترض فيهم أنهم من المثقفين .. هل هم يعيشون فى مصر أو فى انجلترا ؟ إذا كانوا قد عاشوا فى مصر بعقولهم كما عاشوا فيها بأجسامهم فكيف يخفى عنهم أن طه حسين رجل له مكانته فى هذه البلاد باعتباره أستاذ النهضة الفكرية المعاصرة ، وباعتباره كاتبا أجمع المواطنون على سبقه من الناحيتين الفنية والإصلاحية ؟ فالوزارة لم تضف إليه شيئا من مجد أو مال حتى يهوى بالخروج منها ، ومثل طه حسين هو هو فى الوزارة أو فى خارجها

وإذا كانوا يعيشون فى انجلترا فهل جاءتهم أنباء الحفاوة التى قوبل بها الدكتور طه حسين باشا من نحو عامين فى الجامعات الإنجليزية حيث أشار الأساتذة هناك بعبقريته وآثاره فى ميادين الفكر والثقافة والتعليم ، ومنحته الجامعات « دكتوراه » فخرية ؟

ففى أى مكان هوى ذلك النجم ؟ أفى مصر أم فى انجلترا أم فى عقول أولئك المدرسين الخاوية ..؟

وقد تصدى للرد على تلك المقالات الأستاذ إسماعيل كامل فى نفس الصحيفة « الإجبشيان جازيت » وفند أقوالهم تفنيدا أقى ارتياح العقلاء من قراء هذه الجريدة

ثم كتب العميد نفسه مقالا فى الصحيفة ذاتها رد به على تلك الغارة الشعواء ، قال فيه : أود قبل كل شئ أن أسأل لماذا انتظر هؤلاء هذه المدة الطويلة ليشكوا مما حدث منذ أكثر من شهرين بل فى التاسع من ديسمبر بالذات ؟ ولماذا آثروا الصمت حينما كنت عضوا فى الحكومة المصرية ؟ إنه ليسرى عنى أن أتبين أن الشجاعة كانت تنقصهم ، مع أنه لم تكن هناك أية رقابة إذ ذاك

ثم قال سعادته : على أن مسئولية فصل أولئك المدرسين لا تقع على وزير المعارف ، أو على مجلس الوزراء المصرى ، ولكنها تقع على العسكريين البريطانيين فى منطقة القنال ، الذين سلكوا سلوكا لا يمكن قبوله فى القرن العشرين

وأوضح فى المقال ما صنعه معهم إذ أراد أن يحميهم من الهجوم الذى قد يتعرضون له فى المدارس وفى الجامعات ، فطلب إليهم أن يبقوا فى منازلهم ليدفع عنهم غضب أبناء الشعب من طلبة المدارس والجامعات

وقال سعادة العميد : وإذا ما رغب هؤلاء الأساتذة فى الشكوى فإنى أنصح لهم ، عندما يعودون إلى انجلترا ، أن يرسلوا احتجاجات إلى مستر تشرشل مثلا أو إلى أى شخص آخر مسئول عما حدث ، لا لهم فحسب ، ولكن وقبل كل شئ عما حدث للشعب المصرى كله منذ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وذلك مادام إحساسهم بالعدالة عظيما إلى هذا الحد !

وقد قرر مجلس الدولة أنه ليس لهؤلاء المدرسين حق فى الحصول على أى تعويض ، ولكن الحكومة قررت — بناء على طلب وزارة المعارف — منحهم مرتب ثلاثة شهور ونفقات سفرهم

فأية عدالة يطلبونها بعد ذلك ؟ وأيهما يعد أكرم : موقف الوزير منهم ، أو موقفهم منه وهم يتطاولون ويتقولون عليه بعد خروجه من الوزارة ..؟

حقيقة المسألة — على ما هو طبيعى — أن الدكتور طه حسين باشا كان مصريا فغضب الإنجليز ...

قسار الوزارة:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا للخادم يحتاج إلى أن ينبه فى كل أمر ولا يستخلص مما يؤمر به خطة يلزمها ونهجا يسير عليه. قال بيدبا: مثل ذلك — أيها الملك السعيد — الإذاعة المصرية.

شكا الناس منذ سنوات من أغنية « حمودة ياى » إذ استنكرها ذوو الحياء والغيرة وألحوا فى استنكارها، فلم يسع الإذاعة إلا منعها. وشكوا من أمثال لها وحملوا عليها فرضخت وامتنعت عن المنكر. وكان حريا بها أن تدرك أن المسألة مسألة خطة يجب أن تكون مرسومة، وأن ما استنكر ليس إلا مثلا يجب القياس عليه.. ولكن ظهر أنها تحتاج فى كل مرة إلى استنكار جديد من مخدومها الشعب.. فقد لاحظ هذا السيد (الشعب) أن خادمه (الإذاعة) تذيع فى هذه الآونة التى تتطلب العمل الجد مثل أغنية « الدنيا سجارة وكاس » وأن هذا لا يتفق مع التبعات الجسام التى يعد لها جيل الشباب، فهناك أشياء أهم من السجارة والكاس.. ومثل الأغنية التى يقول فيها المغنى « تعالى بين أحضانى » — لاحظ السيد ذلك من خادمه العجيب الذى كان يجب أن يدرك من تلقاء نفسه أن ذلك لا يليق، فغضب عليه و« شخط فيه » فاضطر إلى أن يقول « حاضر يا سيدى ! »

قال دبشليم الملك: حسن ماجئت به من مثل ! ولكن كيف تستعمل الدولة المصرية هذا الخادم الساذج فى عصر التقدم الذى يوجد به خدم مدربون أذكياء ؟

قال الفيلسوف: أيها الملك السعيد، ليست المسألة بهذه المثابة، ولكن « إذا حسنت أخلاق المخدوم ساءت أخلاق الخادم »

قال دبشليم الملك: زدنى إيضاحا.

قال بيدبا الفيلسوف: إن من فى الإذاعة قد لا ينقصهم الذكاء، وربما كان لبعضهم دربة. ولكنهم « محاسيب » لذوى النفوذ، جئ بهم ليغدق عليهم ثم لا بد من الإغضاء عنهم..

قال دبشليم الملك: وما رأيك فى قولة رئيس الوزارة الجديد أحمد نجيب الهلالى باشا: « إن نوادع الفساد »

قال الفيلسوف: إنا لمنتظرون..

كشكول الأسبوع

□ أجرى بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى الانتخاب لشغل الكراسى الثلاثة الخالية به، فأسفرت النتيجة عن انتخاب واصف غالى باشا والدكتور محمد كامل حسين بك مدير جامعة إبراهيم، أما الكرسى الثالث فاكتنفه التوفيقان: توفيق الحكيم وتوفيق دياب.. إذ لم يبلغ أحدهما نصاب التوفيق.. فأجل الانتخاب لهذا الكرسى إلى جلسة تحدد فيما بعد

□ لوحظ أن الكتاب الذى رفعه إلى جلالة الملك أحمد نجيب الهلالى باشا بالإجابة إلى تأليف الوزارة — مكتوب بأسلوب أدبى يذكر برسائل البلغاء من الوزراء الكتاب الأول، ولا غرابة فى ذلك فالهلالى باشا كاتب أديب ممتاز

□ وفى الوزارة الهلالية الجديدة كذلك أديب متمكن يقرض الشعر أحيانا وإن لم يعرفه الجمهور بذلك، وهو معالى الأستاذ محمد على الجزائرلى باشا وزير الأوقاف

□ عقدت لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية أول جلسة لها فى هذا العام يوم الأربعاء الماضى. ومما يذكر أن معالى عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف السابق كان قد أصدر قرارا باستمرار تأليف اللجنة كما هى، وكان الدكتور طه حسين باشا أول من استن هذه السنة وأقر هذا الوضع، فاللجنة مستمرة بهيئتها منذ ألفها السنهورى باشا إبان توليه الوزارة، وهى برياسة الأستاذ على عبد الرازق باشا

□ كان السجل الثقافى الذى تصدره الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف، مما ترجع إليه لجنة جوائز فؤاد الأول لتتبع ما صدر من المؤلفات. ولكن سجل سنة ١٩٥٠ لم يصدر إلى الآن وقد مضى على موعده ستتان !

من القارئ على الكاتب :

تلقيت الرسالة الآتية من الأديب عبد اللطيف الطالب بمعهد القاهرة الثانوى ، وقد حرص على أن يبعث بها إلى — كما قال فى هامشها — ليجنبها على أستاذنا الكبير الزيات بك. وقد رأيت أن أنشرها فى هذا الباب لأنى أشارك صاحبها ما تضمنته من رأى ورجاء، وأعلم أن «شعب الرسالة» يرى ذلك ويرجوه ، ونحن الآن فى عصر الشعوب واحترام إرادتها ، وهذا هو نص الرسالة :

« أما بعد التحية : فللأستاذ الزيات فى قلوب القارئين مكانة تجل من الوصف وتنبو عن مواطن الشبهات، وذلك لما اتصف به من العمق العميق فى البحث . والإحاطة الشاملة فى الدراسة، والأمانة الدقيقة فى الترجمة والأخلاق العالية فى التجميل والتزين، مما حدا بأساتذتنا أن يقولوا لنا فى فصول الدراسة « اقرءوا الزيات من خلال كلماته فإن كلماته تشف عن الرفعة والنبل والجمال

وبيننا — معشر قراء الرسالة — وبين أستاذنا الزيات مشكلة نرجو لها حلا، أستغفر الله بل لنا رجاء — حتى أكون مؤدبا — نضعه بين يديه إن الأستاذ الزيات يضن علينا بمقال كامل يشغل صحيفة وبعض الصحيفة فى كل أسبوع يتوج به مجلتنا الحبيبة التى تتلقفها أيدينا فى نهم كما تتلقف أفواه الجياع أرغفة الخبز

أفلا يتفضل ويغمرنا بهذا المقال كلما خرج إلى الوجود عدد جديد من الرسالة الغراء ؟!

وهذا رجاء يعتمل فى نفس كل قارئ للرسالة ، وأعتقد أن هذا من حق القارئ على الكاتب الذى ينزله من قلبه منزلة رفيعة . وعلينا لأستاذنا الزيات أن نفهم ما يكتب وأن نتدبر ما يقول ..

وقد عبرت عن بعض ذلك الآنسة العراقية صاحبة « رسالة الجسم الجميل وصورة الروح النبيل » لكنها غلب عليها حياء العذارى حين طلبت من أستاذنا الزيات أن يخصص عددا من الرسالة لتأبين المرحوم « على محمود طه » يكتب هو أكثره ، ولم تطلب منه أن يضع لنا كتابا يتناول فيه بالتحليل والدراسة شخصية وشعر « شاعر الحب والجمال » الخالد

إن حقق رجاءنا أستاذنا فقد أضاف إلى فضائله الكثيرة فضلا وإن لم ... فسأضع هذا الأمر بين يدى قراء الرسالة على صورة استفتاء !

وحينئذ لا مفر من النزول على رغبة القراء وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

عباس خضر

□ من الكتب القيمة التى ظهرت أخيرا كتاب « الإنسان بين المادية والاسلام » للاستاذ محمد قطب ، وتدور موضوعاته حول النفس الانسانية من حيث نظرة الشرائع والمذاهب المختلفة إليها . والفكرة التى يرمى إليها المؤلف هى أن الاسلام يقف فى طريق وسط بين المسيحية التى تفرض الكبت على الطاقة الحيوية للانسان وبين « فرويد » الذى يطلق النفس من عقالها ويعتبر الانسان حيوانا أرضيا . والأستاذ محمد قطب كاتب شاب ولكنه يبدو بهذا الكتاب فى نضج الشيوخ من حيث اتزان الفكر وعمقه ، إلى ما فيه من سلامة المنطق وجمال العرض وصحة الاستنتاج

□ ومن أحسن ما صدر أيضا فى هذا الشهر كتاب « نديم الخلفاء » للأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، وهو آخر حلقة فى سلسلة « اقرأ » يعرض فيه حياة الشاعر الخليع الحسين بن الضحاك ، وقد تعمد أن يكثر من إيراد شعره وأخباره لاستكمال تصوير الشاعر وتصوير بيئته ، وقد وفى ذلك حقه مما يدل على شمول إلمامه بمراجع الموضوع . وأبرز ما يلاحظ فى الكتاب غير ذلك أن المؤلف تحدث عن العبث والمجون والخمريات فى تلك البيئة بأسلوب لبق ناصع جذاب .

□ تقرر نقل الأساتذة هارون الحلو وسليمان النحلى وعبد الغنى سعيد من إدارة الإذاعة إلى وزارة التموين .. وقد كانوا يشرفون على الشؤون الثقافية بالاذاعة ، وهم من أساتذة اللغة والأدب ، ولذا لا يدرى أحد ماذا سيصنعون بوزارة التموين ..

ويقترح أحد الظرفاء أن يشتغل الأستاذ « الحلو » بتوزيع بطاقات « السكر » !

□ وافقت الحكومة المصرية على ما اقترحته « اليونسكو » من إلغاء الرسوم الجمركية المقررة على المواد اللازمة لشؤون التربية والتعليم والثقافة ، وتشمل هذه المواد الكتب والصحف والدوريات والأفلام الدراسية والأعمال الفنية وغيرها

الكتب

رياح وشموع

شعر : كمال نشأت

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذه مجوعة رقيقة من شعر الشباب ، ضمت أصدق الأحاسيس ، التى اهتزت لها مشاعر الأستاذ الشاعر كمال نشأت ، وقد ملك الربيع عليه سمعه وبصره ، فنفقا عن صخب الناس ، ومضى إلى الطبيعة يستجليها ، فواتاه الإلهام وساعفه النغم

ولا عجب ، فهو من شباب الإسكندرية ، أمسى وأضحى بين عينيها ، فافتتن بالأنسام ، واحتفل بالأمواج ، واختلى بالأسحار والأصائل ، فتصيد لقيثارته الشادية أوتار الربيع ، فامتزج النغم الناعم بالموج العتى ، وخفقت « الشموع » فى رعونة « الرياح » العواصف ؛ والربيع فى حناياه درى لا يبلى مع الخريف الحائل ، والهجران الموحش

يستهل الشاعر مجوعة « رياح وشموع » بالقطعة الجميلة التى عنوانها « ربيعى » ، وهنا نضع بين يدى القارئ مفتاح الشاعرية الذى يهدى إلى أسرار نفسه : فليس الربيع خضرة وزهرة . أو جدولا وبلبلا .. أو بعضاً من تلك المفاتن التى تجتمع عليها الحواس المشتركة لناس هذه الدنيا ، ولكن الربيع عند الشاعر معان مجردة له أن يمنحها ما يشاء من الأصباغ ، وله أن ينغمها بحيث ينفرد هو بتوقيعها على قيثارته فى محاريب الفن

لهذا ، كان ربيع شاعرنا معنى جديداً له معالمه ومعارفه ، فالحياة في تقلباتها « ربيع خالد لا ينتهى » بحيث لا يعفو مع الخريف ، ولا يعسو مع الظلام ، فليتأمل القارئ هذين البيتين وبينهما سبعة أبيات رقاق :

وبمهجتى أجد الربيع مجدداً ابداً نضيراً فى الشعور الناضر
أنا فى الخريف أرى ربيعاً غافيا وأكاد ألمسه صنيعة ساحر

ويسبح بمدذلك فى الآفاق الفساح ، د فها بجناحه الذهبى هذا السحاب ، متنقلا على بساط سليمان من الروض إلى الميناء إلى محطة الرمل إلى الترام إلى تريانون إلى العيون النواعس إلى الشاطىء ، والربيع من حوله : هالة مشعة أو بسمة دافقة ، يقول :

هو فى دمى خلد وبين أضالعى فخر أوائله بها كأواخر
لى خافق يجد الربيع منوعا فى كل مرأى يستبين لناظرى
لى خافق يجد الربيع بكل ما يلقاه من ماض لدى وحاضر
فى البحر ، فى القفر الجديب ، وفى لظى
بين الجوانح ، فى ظلام مغاور
فى بسمة الطفل الصغير تكشفت
عن طهره فى روعة لعباقر
فى غنوة العصفور فى ألق الضحى
فى ضجة الموج العتى الهادر .

وإذا عاد ربيع الناس ، ترنم شاعرنا بهذا النشيد العذب « نداء الربيع » فيقول :

عاد الربيع ومهجتى فيها ربيع ناضر
شعر ، وأحلام ، وأنغام ، وشوق زاخر
عاد الربيع فعدت أسمع بين أحنائى خطاه
همس يدب مجدداً فى القلب أفراح الحياه

ولئن تملك الربيع شاعرنا الملهم ، فلا أقل من أن يمتزج بتهاويله فتراه — وهو على ضفاف « بحيرة البجع » — يتمنى أن يكون عطراً أو ريشة أو ظلاما أو صباحاً أو سكوناً أو ظلاما ، ولكنه قلب أسير فى يد الحقيقة ، فيناجي البجعات السابحات الفاتنات :

آه لو كنت فى رحابك عطراً فى زهور على غصون وريقه
آه لو كنت ريشة فى جناح لطيور منعمات رشيقه
آه لو كنت فى مياهك ظلا غائصاً يرتقى الزهور العريقه
كم تمنيت أن أكون صباحاً ناعماً حالماً رغيباً شروقه
كم تمنيت أن أكون سكوناً فى كهوف بين الجبال سحيقه
كم تمنيت أن أكون ظلاماً ناشراً ستره محبا سموقه
كم تمنيت أن أكون ، وما كنت سوى مهجة بأسر الحقيقة

البريد الأدبي

تحية الى مؤلف « محاضرات الثلاثاء » :

أرسل حضرة صاحب العزة الأستاذ محمود تيمور بك إلى الأستاذ أحمد الشرباصي الخطاب التالي ، بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ م .

« عزيزي الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي

أبعث لفضيلتكم بأسمى التحية شاكرا لكم هديتكم الطريفة (محاضرات الثلاثاء) وإني إذ أكتب لكم عن رأيي في هذا الكتاب . فإنما أكتبه عن يقين وإخلاص ...

ولا أكتمكم سروري الكبير الذي شملني على إثر مطالعتي لهذا السفر الطريف ، الذي دل على روحكم العالية ، ونزعتكم في الإصلاح ، متخذين الدين كأساس لهذا الغرض ، في مرونة تساير روح المجتمع ، دون خروج على مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة الغراء

كل ذلك يجرى في معالجة طريفة أخاذة ، وعرض رفيع رائع ، وأسلوب سام رصين . فأهنئ فضيلتكم تهنئة صادقة ، وأؤمل أن تواصلوا هذا النشاط الاجتماعي الديني المشكور في هديكم المرونة ، ويهتدي بها ويستضئ

وتحياتي الخالصة إليكم مشفوعة بتقديري واحترامي »

المخلص

محمود تيمور

مدافن الأدب في وزارة المعارف :

ما أضيع الأدب في وزارة المعارف ، وما أسرع النسيان إلينا حين يمضي النهار بالأدباء الراحلين ممن خدموا الثقافة القومية ، ودعموا أركانها . أقول هذا حين أذكر تلك النهضة التأليفية التي بزغت عندنا سنة ١٩٣٨ ، فنظمت الوزارة مسابقات أدبية رفيعة أكرمت فيها الفائزين ماليا ، ووعدت بطبع مؤلفاتهم التي فازوا بها : ولكن مضت الأيام والسنون ، وتقلبت العهود ، وما تزال هذه الكتب كالأطياف الباهتة في بقايا ذاكرة وفية

حقا ، لقد مضى أصحابها إلى دار البقاء ، وخجل أهلوهم من الانتصاف للأموات من الأحياء ، وقد طوتهم الأيام بأرزائها ، ولكنا نتساءل : إلى متى تسير الوزارة ، وزارة العلم والأدب ،

وراء يزف « نسمة الفجر » إلى دنيا الناس فيقول :

هي على القفر الجديب ، على السهول ، على البحور
روحا تعانق كل ما تلقاه ، طاهرة الضمير
وتوحد السكون الكبير ، يحبها العف الكبير
وتثير في القلب المعذب فرحة الطفل الغرير
دوري بأحلام الربيع ، وعطره بالأفق دوري
وتناثري فرحا ، وأحلاما على الروض الشجير

إنه لا شك شاعر هيمان ، له قلب أخذ يرق ويرق حتى صار فلذة من الطبيعة الحافلة بالجمال . فهو يقول :

فوق هذي الظلال مرنا ظلالا
ضاحكات على الطريق الوديع

ويبدو هذا المزاج الشاعري في نفثاته الموزعة بين « الليل الربيعي » و « البرعم الشفق » و « همسة الصبح الخجول » ولا يعبأ بعد ذلك بالعواصف الهوج و « الضياء المقرور » والشموع الخوافق ، فالأمل يحدو له بنشيد « الصباح المطوف »

إن قسا الليل ظلمة ورياحا فالصباح المطوف في أحنائي
والسكون العميق بين ذراعينا ودفء الدماء في الأعضاء
أطفئي خافق الشموع ، وخلينا ظلاما إلى مجيء الضياء

هذه بعض الرؤى الباسمة ، والظلال الخفاف ، التي تسابقت إلى خيال الشاعر كما نشأت ، فاهتزت لها ريشته الصناع ، ما كدت أفرغ من ترتيلها حتى رأيتني صادق الرغبة في إشراك قراء الرسالة معي في الإعجاب بها ، والتقدير له ، فله مني أخلص التهنئة على براعته في التقاط الهمسات والبسمات والنسمات التي صاغها مع الربيع في « رياح وشموع »

محمد محمود زيتون

على ظهر سلحفاة ، كلما اتصل الموضوع بالشؤون العلمية والأدبية ؟ ولماذا يجازى المرحوم فخرى أبو السعود بوأد كتابيه القيمين عن « الخلافة » « والبارودى » ؟ وما جريرة الأدب المعاصر إذا حرم من ثمرة رجاله السابقين ؟

فلتحمل الرسالة الغراء هذه الصرخة إلى وزارة المعارف ، لعلها تعمل على إحياء ذكرى النابغين الراحلين ، وتفى بما وعدت من طبع تراثهم الممتاز ، فهذا حقهم الشرعى عليها ، تؤاخذ على التفريط فيه أمام محكمة التاريخ ، وتنال الحمد والثناء على أدائه ، وذلك لا سواه هو التقدير الباقى ، والتخليد الكريم لأهل الأدب أحياء وأمواتا ، أما إذا تذرعت بمعاذير رسمية ، فلن يعفيها من التبعة الأدبية عيون يواقظ ، ولا أقل من تسليم هذه الكتب إلى إحدى دور النشر لإذاعتها والانتفاع بها ، وهذا هو العمل الإيجابى الحاسم الذى نطالب به وزارة المعارف اليوم بعد الذى مضى ، وإلا فإنه يحق لأهل الثقافة أن يتقدموا باستجواب محرج بشأن هذه الكتب التى لا ندرى إن كانت موجودة فنبعثها أو موءودة فنحتسبها

ونرجو مخلصين ألا يكون قد أهيل عليها تراب النسيان فى زحمة الأحداث فذهبت مع الريح ، ورحم الله فخرى أبو السعود : نعوا إليه فى حياته فلذتين من كبده ، حين ابتلع البحر المحيط ولديه الصغيرين وهما فى الباخرة الهاوية بأطفال الإنجليز إلى أمريكا ، فمن ينعى إليه فى مماته فلذتين من عقله ؛ وقد شيع الجحود والإهمال كتابيه الكريمين إلى مقابر الأدب فى وزارة المعارف .. عظم الله أجركم أيها الأدباء

محمد محمود زيتونه

ملاحظات أسبوعية :

١ — قرأت رباعيات الخيام مترجمة إلى العربية بقلم الشاعر : محمد السباعى . والمقطع الأول منها هو :

غرد الطير فنبه من نعس ... وأدر كأسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من غمد الفلس ... وابرى بالشرق رام أرسلا

أسهم الأضواء فى هام القلاع

واستوقفنى ص ١٥٤ فى الجزء الثانى من « معاهد التنصيص » لعبد الرحيم العباسى ما أذكر « وبديع أيضا قول ابن وكيع من الرمل … »

غرد الطير فنبه من نعس ... وأدر كأسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من غمد الدجى ... وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وانجلى عن حلل فضية ... نالها من ظلم الليل دنس

وأترك لكل قارئ التعليق على الشاعر السباعى

٢ — وقرأت ص ٩٥ من العدد الثالث من مجلة « المسلمون » قصيدة بعنوان « الفدائيون » مهداة إلى أرواح الشهداء الخالدين مطلعها . والقصيدة للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نفخ الصور فانتبه من سباتك ... أيها الشعب تلك أولى حياتك

ووقفت عند البيت ٣٤

كل هذا وأنت فى دورة الأيا ... م مستغشيا فى سباتك

القصيدة من بحر الخفيف . واستوقفنى البيت لكسر فيه حيث إن التفعيلة الثانية من العجز ناقصة وتدا مجموعا . ولست أدرى لمن أعزو السبب فى غيبة هذا الوتد ألقلم الشاعر ، أم لجهاز المطبعة ؟

وإلى اللقاء معشر القراء والسلام

محمد محمد أحمد الناجى

ميراث الإخوة لأم

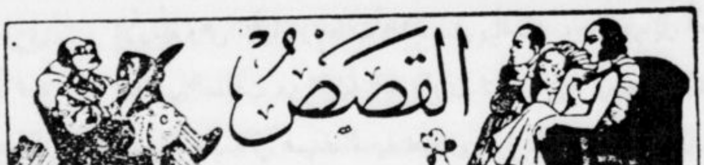
قرأت فى العدد ٩٧٠ من الرسالة الغراء فى البريد الأدبى تعليقا للأستاذ على إبراهيم القنديلى على فتوى صاحب الفضيلة المفتى السابق بخصوص ميراث الإخوة لأم

وقد كتب الأستاذ المعلق أن الإخوة لأم لا يرثون لوجود الفرع الوارث.. وقد استشهد على ذلك بما جاء فى كتاب الفرائض من الجزء الخامس لابن عابدين وكذلك بما ورد فى شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧

وأنا أضيف إلى هذين الدليلين دليلين آخرين :—

الأول :— هو قوله تعالى بخصوص ميراث أولاد الأم

وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » والكلالة من لم يخلف والدا وولدا ، فمعنى يورث كلالة أى يورث من جهة القرابة الكليلة أى الضعيفة وهى قرابة غير الأصول والفروع



الابن

للكاتب الفرنسي بول بورجيه

إستيقظت مدام « ليجيه » فى صبيحة هذا اليوم قلقة بادية الهموم والتفكير . فقد كان عليها أن تضع حداً لحياتها كأرملة فى مقتبل العمر ، ولحياتها كأم ذات بنين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها وهى إذ ذاك فى الثالثة والثلاثين عامان كاملان . وكانت وفاته بعلة ذات الجنب التى غالته وشيكا من دائرة عمله كمحام له شهرة مستفيضة ومحل من قلوب الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هذا الصباح الذى تستفيق فيه مدام « ليجيه » حائرة مفكرة ، اجترأ « جورج فوكوات » صديق بعلها المرحوم ومحام مثله أمضى معه سنى الجامعة ثم لزم زوجها فى دائرته لزوم الشريك وفى بيته لزوم الصاحب ، اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ ستة أسابيع :

— إنى لأحمل لك أيتها السيدة منذ طويل عاطفة لم أستطع استكناهها ولا فهم طبيعتها إلا منذ اليوم الذى غادرنا فيه صديق العزيز زوجك ، فأصبحت بوفاته حرة التصرف مالكة لزمام أمرك . وأظنك كنت تستشعرين منى هذا الصمت الناطق وتحسين احترامى الراحل الفقيد وتقدرين رعايتى لك . فبسببك يا سيدتى « ومعذرة من اعترافى بهذه الحقيقة » قطعت كل صلة تربطنى بامرأة أخرى فى هذه الحياة ، وأنت كامرأة فى ريق شبابها واكتمال أنوثتها ، لك الحق بل يجب عليك أن تستأنفى حياة الزوجية السعيدة من جديد . وإذن فهل أستطيع ان آمل يا سيدتى أن تعتبرينى الزوج المخلص الذى سيكون من أشهى أحلامه أن يضحى راحته وحياته لأجلك ... إنى أحبك ... يا سيدتى ، ولعلها المرة الأولى التى أسمح فيها لنفسى بنطق هذه الكلمة الجريئة على مسمع منك ... أما أنت يا سيدتى فليس عندك إلا كلمة واحدة تقوليها لى فى هذه اللحظة ستكون هى

الثانى : — هو نص المادة ٣٦ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ وهى تنص على ما يأتى : — « يحجب أولاد الأم كل من الأب والجد الصحيح وإن علا، والولد وولد الإبن وإن نزل» والمقصود بالولد هنا الإبن أو البنت على السواء

محمد كامل عزب

يصمد بمعنى يثبت صحيح

جاء فى العدد الأخير من مجلة الرسالة القراء تعقيب ينكر فيه كاتبه على الأستاذ الكبير سيد قطب استعماله يصمد بمعنى يثبت ، مستدلا على ذلك بما جاء فى القاموس من أن الصمد بمعنى القصد والصمد بمعنى السيد وليس من معنى المادة الثبوت

ولو أن الكاتب الفاضل تدبر قليلا فى هذه المادة لوجدها تدل أصالة على معنى الثبوت ثم تدل بعد ذلك على معنى القصد والسيد وغيرهما تبعا، يدل على ذلك ما جاء فى القاموس نفسه من أن من معانى الصمد الدوام: والصماد الجلاد والصمدة الصخرة الراسية، والمصمد الشئ الصلب مافيه خور، وناقة مصماد باقية على القر والجدب دائمة الرسل. ولا يخفى ما فى هذا كله من معنى الثبوت والدوام ثم تفرع عن هذا المعنى الأصلى فى المادة الصمد بمعنى القصد للثبوت عليه والصمد بمعنى السيد لكونه لا يحول عن المكارم

ولعل ما ذكرته هو الذى يتسق مع المنهج الحديث فى دراسات علم اللغة العام . وأما تفسير الكشاف للفظة الصمد من قوله تعالى « الله الصمد » بالمقصود فليس بمستقيم ، والأحق أن يكون معناها الدائم الباقى لأن السورة قد جاءت لتثبت لله صفتى الوحدانية والبقاء، ولا يخفى اتساق هذا المعنى الأخير مع قوله تعالى « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » والله أعلم

وللكاتب تحيات المخلص

عبد البصير عبد الله حسين

الأولى والأخيرة . ولكن بحقك لا تلفظيها إلا بعد تأمل في عاقبتها ، فإن ما أبين لك من هوى دفين لأمر من الأهمية والخطورة بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استعجال واقتضاب . قالت مدام « ليجيه » وصوتها راجف وطرفها خاشع :

— أتطلب مني استئنافاً لحياتي الزوجية معك ؟ ثم جمد لسانها عند هذه الكلمة فلم تأت « بلا » أو « بنعم » ؛ وأخيراً جسرت فقالت :

ولكن حياتي لا يمكن ترميمها ولا استئنافها . إنك تتكلم عن الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقاً واحداً : هو السهر على أولادي ، ولا أفهم إلا واجباً فـرداً : هو واجبي نحو أبنائي الثلاثة .. قال الصديق الخاطب :

— أو لا تشعرين أني أحبهم هم أيضاً وأعزهم وأحنو عليهم كأبيهم صديقي الراحل ... ؟! ومن لعمري سيحل محل الأب الراحل إن لم يحله صديق أبيهم وصفيه ؟ وهل غيري يعرف ميول صديقه وذوقه ومشربه في التربية والمسلك ؟ وإذن فهل تسمحين يا سيدتي أن أشغل مكان الأب الراحل ؟ أترضين أن تكوني امرأتي أمام الله والناس

قالت الأرملة في حسرة وتلدد :

خلني الآن لشأني ... هلا جنبتني الكلام في هذا الموضوع . ؟! إنه ليؤلمني البحث فيه ويسبب لي كثيراً من الشجن والشجو

لا أعرف شيئاً . لا أفهم شيئاً . لست بمستطيعة أن ألمح في قرارة نفسي المظلمة عاطفة أستطيع منها إجابتك على سؤالك لأني أجهل نفسي ... ولكني أعدك أن جوابي سيكون بعد قليل من الزمن ... أما الآن فلا أستطيع ، أجل لا أستطيع .. فأجاب جورج فوكوات :

— سأنتظر كلمتك كما تشائين وأنى تشائين . إنك إلا تقولي « لا » هذه اللحظة فبحسبي ، لأن ذلك معناه أنك قد تتبصرين خلال سجوف المستقبل الكلمة الحبيبة إلى قلبي وهي « نعم » .

إن التردد والتحير مؤلمان للقلب مزهقان للروح إذا لم يكن القلب المنتظر في شرخ شبابه . قال ذلك وأبان لها عن طرف لمته وقد طرزتها سنوه الأربعون بأسلاك الشيب البيضاء . فأحست المرأة الأرملة وهي تتأمل وخطات الشيب في رأسه ، وتنظر إلى أثر التأنيب الصامت من عينيه السوداوين : أن موسيو جورج إنما يقيس سعادته في هذه الدنيا بمقياس ما بقي له من سنين فيها ، وكأن نظرته كانت تقول لها ، إن ما يطويه الشباب اللاهي من متع ومباهج لا ينشرها كفن الشيب مهما يمتد ويضف ثوبه . ثم يستأنف حديثه ويقول :

— إنه إحسان منك على أي حال أن تحددي لقلبي الشهيد موعداً للجواب كي أغادرك وأنا أقول لنفسي من يوم لآخر ستوافيني نعمة جوابها في يوم كذا .. « كارين » ، أيتها العزيزة ، إختاري بنفسك اليوم الموعود وعيني تاريخه ، وليكن القرب والبعد على ما يوافق رغبتك وهواك ... أما أنا فسأعاهدك الآن عهداً لا أحنث فيه ولا أنحرف ألا أخوض في ذكر هذا الموضوع الذي سيكون برغم هذا هو شغلي الشاغل وهمي الناصب .. فحددي بعيشك موعد جوابك . وهنا تمتمت مدام « ليجيه » بصوت محتبس ولهجة ضارعة : سيكون ذلك حين ينتهي أجل حدادي على زوجي الراحل . وبما أنك ندعى حبي فأرجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أتمسك بوعدي أنا . والآن أرجو ألا تلح علي في هذا الشأن فقد كفاني ما كفاني ...

ثم يقول لها ، وهو يود أن يوضح بالوقت المعين كل شك وغموض يمكن أن يعتور موعده المرجى : وإذن فسيكون جوابك بعد أسابيع في الرابع عشر من نيسان ؟! فأجابت على هذا بإيماءة من رأسها ثم انعقد بينهما جو من الصمت ...

لقد غالت يد الموت زوجها الحبيب في الرابع عشر من أبريل أي منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت قبل هذا اليوم الذي يجالس فيه مدام « ليجيه » خطيبها المسيو جورج . كل ذلك جال بذهن (مدام ليجيه) وظن الخاطب الصديق الذي شعر بثقل كلماته على نفس الزوجة بعد أن عين لها الموعد المضروب . . . أن يستأنف المرء حياته دون أن يعوج بذكرى أحبته الراحلين عن الدنيا ففي ذلك ويا للحسرة إساءة إلى ذكراهم الغابرة وعهودهم الماضية ، وإذن فمن يغب عن الوجود تمت معه ذكراه وتنعدم ثم تبتلعه هوة العدم إلى غير رجعة ، والعفناء

ومرت على هذا اليوم ستة الأسابيع المضروبة دون أن يلم خلالها طيف الزوج الراحل ودون أن تتردد ذكراه على رأس الخاطب ومدام « ليجيه » فتفسد عليهما خلوتهما اللذيذة وجلساتهما اليومية المتعاقبة ...

ويجد المسيو جورج من اللطف والأدب ألا يعرض لذكر الموعد المرتقب خلال هذه الأسابيع الستة . ثم يرى من الظرف والكياسة أن يغادر (باريس) حين اقترب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام « ليجيه » فقد أخذت تتهيأ لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحيت هذه الذكرى فى ذلك اليوم فى شئ من البرود وعدم المبالاة لم تمتزج بهما أثارة من حنان ولا بقية من لجيمة وحسرة . وفى اليوم الثالث عشر من نيسان تسلمت من جورج خاطبها خطاباً ينبئها فيه بزيارته من الغد عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها مرة ومرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها هى نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى فمها وقبلت سطورها وفى ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسعادة واللذة خلال هذه السطور .. وأخذت تردد : نعم .. نعم :. سيكون جوابى .. نعم . وإذن ففيم استيقاظها صبيحة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أسلفنا ؟ .. ما الذى حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نشوى وبين الساعة التى ترتفق فيها وسادة سريرها الوثير يبدو عليها سهوم وتفكير ؟ ما الذى طرأ عليها يا ترى فبدل عزمها ؟!.. وأقبلت الخادم فى هذه اللحظة فهصرت أستار الغرفة عن النوافذ والشبابيك فطغت على جوها موجة من نور لألاء ضاحك غمر المكان كله؛ وكان المكان فى شارع « فانو » تشرف نوافذه وشرفاته على بستان القنصلية النمسوية الظليل ، ولمعت زرقة السماء من خلال النوافذ ونفذ تغريد العصافير إلى المسامع شجيا موسيقيا شعرت معه مدام « ليجيه » أن ثوب الجدة الذى تضفيه الطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذى تقفه هي من حياتها الجديدة هذا اليوم .. حتى أن الثوب المزركش الذى حملته الخادم منذ لحظة كان يغريها بأخيلة وخطرات حافلة باللذة والسعادة..

ومع ذلك فلم يتقطب جبينها ويربد وجهها كلما نظرت إلى عقرب الساعة ينتقل من مكانه . مالها تقف حائرة ساهمة بدل أن تنشط وتفرح ؟ .. أتراها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟

* * *

حين تكلمت مدام ليجيه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شئ للصديق الخاطب ، لم تعترف له أن ولدها البكر « شارل » ما فتئ منذ شهور مدعاة تخوفها . أبداً لم يتبادل الابن مع أمه كلمة عن « جورج فوكولت » خاطبها الرغيب ، وكان هذا الأخير لا يعز هذا الغلام اليافع فى المخاطبة والحوار عن أخيه الصغير « رنيه » وأخته الصغيرة « هيلين » اللذين كان يكلمهما بصيغة الإفراد دون كلفة . ولكن إذا شفعت سنو الطفل « رنيه » الخمس وأعوام الطفلة « هيلين » العشرة — لهذه الصيغة الافرادية يبدى فيها صديق أبيهما حبه وتدلهه لهما ، فان الستة عشر عاما التى يجتازها الغلام المراهق « شارل » كانت تقيم بينه وبين « جورج » الخاطب جوا مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل الألفة والعطف وعدم الكلفة الانقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان الخاطب الواغل يغضى عن هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ فى الآونة الأخيرة يضاعف عطفه على الغلام ويبتغى الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه العابس الصامت

وتلاحظ مدام « ليجيه » ذلك السلوك المحبب الجذاب الذى يعامل به الخاطب ولدها البكر فتغتبط به وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تترقب من ابنها رفضاً وثورة أخذت تحسب حسابهما وتتهيأ لهما منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها فى هذه الصبيحة الباسمة من نيسان التى كان عليها فيها أن تقول كلمتها الأخيرة فى رفض يد « جورج » أو قبولها . ولهذا وحده هى تدير فى ذهنها الصورة المستحبة الملائمة التى يمكنها بها أن تفجأ ولدها دون أن تؤذيه أو تسوءه فى عزة نفسه ، فكانت تردد :

— كان على أن أنبئه بذلك وأسبر غور رضاه أو رفضه منذ

ستة أسابيع . . . غير أنى لم أستطع ذلك لأنى أجدنى أمامه مرتبكة مشلولة الإرادة كأنى بحضرة أبيه الراحل . فيا لله كم يشبهه حتى كأنه صورته الثانية ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن فى تحببه إليه وترضيه ... وذكر اسم جورج هكذا مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوى له على حب وميل ..

نعم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من العواطف والميول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك ويا للأسف كان يزيد ألمها ويضاعف شجوها .. أجل إن جورج محق فى قوله . فواجب على معاودة حياتى الزوجية ، وأنا بهذا لا أنال شيئاً من روحى الميت ولا أسوءه فى كرامته . كذلك لا أفتات على أولادى الأحبة الذين تركنى لهم ، لأن جورج سيحبهم وسيحنو عليهم . والصغيران يحسان بهذا ويقدرانه فى سذاجة وطهارة . أما شارل ولدى الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر . آه لشد ما يحب أباه هذا الصغير ! إنه لينمو ويتفتح للحياة يوما بعد يوم كأنما تتعهد عاده معجزة من السماء .

هو الأول فى فصله فى مدرسة « سان لويس » وإنه يترق بين رفقائه وزملائه بصورة غريبة سريعة كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذى تركه أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام فى نفسه أكثر من هذا : أن يكون خليفة أبيه فى البيت ورب الأسرة التى كان يحلم أن يكون حاميها وراعيها . فيا للقسوة والنكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلم أمور البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟!

ومضى الوقت وكادت الساعة تبلغ العاشرة وأفكار المرأة مازالت تضطرب فى ساحة ذهنها جيئة وذهوبا . وفيما هى منصرفة إلى زينتها وترجيل شعرها وتعليق حليها وأقراطها ، إذا طرقات على باب الغرفة تنفذ إلى أذنيها فيجب لها قلبها وترتعش نفسها أمامه كمجرم أمام قاضيه . وفى الحق لقد كان الداخل « شارل » الذى توقف على الباب لحظة كالمأخوذ بدل أن يدخل عليها لتوه . قالت له الأم مضطربة قلقة وقد شاهدت تأثرا فجائيا يطبع وجهه بطابع الألم : مالك يابنى ؟ فأجابها الغلام :

لا شئ لا شئ ، إنى مشدوه متعجب فقط ... لقد ألفت أن أراك دائما فى ثياب الحداد . ولكن ولكن ... أصحيح أن حدادنا على أبى قد انتهى ؟ فألقت « مدام ليجيه » على المرآة الكبيرة أمامها نظرة غير عامدة فإذا بها تبصر ملامح وجهها الرائق تنسجم أبدع انسجام مع خصلات شعرها الذهبى ، ولكن يناقض ذلك كل المناقضة زى ولدها المدرسى الأسود الغارق كله فى حلة من حداد ، ويرتجف صوت الأم حين تهم بإجابة ولدها ثم تنجدها لباقتها فتغير مجرى الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لى ... لعلك مسرور من أستاذك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك فى الانشاء ، أظنها أعجبته ؟! ثم ناجت نفسها :

— سألبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة خصوصا وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت متسع للغداء وللافضاء إليه بالأمر ...

* * *

على رغم من أن المحامى المتوفى موسيو « ليجيه » قد خلف لعائلته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير ثروة لا بأس بها ، فان مدام « ليجيه » لم تخالف شيئا مما ألفته سابقا من تدبير واقتصاد فى الانفاق على المنزل . ولما كانت مدام ليجيه لا تستقبل فى مفتتح عهدها بالترمل إلا أقرباء يمتون إلى الزوج بصلات القربى والمودة ، فان الإعداد لذكرى الميت لم يكن يحملهم جهدا أو مشقة . ولكن أنى لها بمل ء كرسى زوجها بشخص خاطبها جورج فى حفلة الغد ؟ أى عذر ستعتذر به لولدها ؟ كيف تخل بهذه العادة التى يقدسها ابنها ويمجدها ، والتى باتت تبهظ روحها وتثقل على قلبها لأن صورة الخاطب أخذت تحتل مكانها يوما بعد يوم من قلبها

وفى صباح هذا اليوم فى وثبة طافرة من وثبات الإرادة الغريزية أمرت مدام ليجيه الخادم فقالت :

— لويس ، لا تضعى فى هذا الغداء مقعد المرحوم زوجى على المائدة ، بل عليك أن تضعى مكانه مقعدا لجورج دو كرات ...

وحان وقت الغداء واتخذت العائلة أمكنتها حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كاد يرى المائدة والكرسى الجديد بدل كرسى أبيه المتوفى حتى حملق فى وجه أمه وقد امتقع وجهه وانخسف لونه أولا ثم احمر واشتعل بالدم الملتهب . ونظرت إليه الأم برعب وهيبة ، ثم صبغ وجهها الاحمرار هى أيضا . ولكن فى تلك اللحظة الرهيبة الحرجة جرى أمر زاد فى اضطراب مدام ليجيه وارتباكها ثم حيرها ، ولكنه فى الوقت نفسه أجرى المسألة فى مجرى حسن لم تكن تتوقعه مدام « ليجيه » . فبينما كانت تتناول بيدها مسند مقعد كى تجلس إلى المائدة إذا « بشارل » ولدها يلقى عليها نظرة تفيض بالحنان والشكر ثم تخضل عيناه بالدمع الذى لم يكن منبعه الحنق عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان منها والشكر لها ... ولكن من أى شىء صدر هذا الامتنان ؟! نجم مما صوره له وهمه دون أن يتفطن بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة والدهشة التى بدت على وجه أمه ، ولا نظرات الارتباك المتبادلة بينها وبين الخادم ، فقر فى ذهنه أن أمه قد تبرعت له بمكان أبيه مراعاة له وتبديدا لظنونه السابقة فى وفائها لأبيه ، لهذا احتل مقعد أبيه أو الكرسى الذى وضع للخاطب « جورج فوكوات » محل كرسى أبيه ، وقلبه يخفق من الفرح والشكر وحلقه غاص من الذكرى والحنين ... وانتهى الغداء وخلا المكان « بشارل » وبأمه فضم « شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح يقول لها وقد أرخى لعبراته العنان حتى بللت وجه الأم المسكينة الحائرة .

— آه ، شكرا لك ألف مرة يا أماه . فقالت أمه فى حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بنى ؟! فقاطعها دون أن يترك لها الفرصة لمتابعة حديثها :

— أشكرك لأنك أحللتنى محل أبى على مائدة الطعام فى اليوم الذى تخلعين عنك فيه ثوب الحداد . إنك لا تدرين أى جميل أسديته إلى وملأت به قلبى الحزين ... آه ... ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة . لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من تصرفاتك فاغفرى لى الآن هذه الشكوك والظنون ... نعم كنت أخشى أن تسنح لك فى يوم ما فكرة الزواج لأنك ما تزالين صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات من أمهات رفقائى فى المدرسة يتزوجن ويسلمن أبناءهن لأب ثان غريب عنهم . ولكنك أجلستنى تجاهك منذ لحظة على مقعد أبى المرحوم فأدركت أنك تريدين أن تقولى لى : املأ محل أبيك يا بنى فقد آن لك أن تشغله وتواجه أختك وأخاك العزيزين وأمك التى تحبك ، ولكن إن شغل مكان أبى ذلك الأب الذكى الطيب ، فذلك ما ليس فى وسعى ولكن أعاهدك أن أبذل له جهدى . وهنا تمثل لمدام « ليجيه » إنها كانت ستحطم قلب ابنها النبيل لو أنها انقادت لهواها الذى بدأت تشعر به نحو « شارل »

وفى هذه اللحظة وبينما « مدام ليجيه » تضطرب بين الماضى والحاضر ، وتترجح بين تيارين طاغيين . تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية حسناء ، وآخر هادئ عميق من عطف أم رؤوم ، إذا برنين الجرس ينتزعها من ذراعى ابنها الذى كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بحرارة وشوق ...

لم تكن مخدوعة فقد جاءها الخادم بعد ثوان يطلب الإذن لموسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدى ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه الحركة فقالت فى كبرياء ممزوجة بألم :

إبق مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى الخادم وتقول :

— قل لموسيو « جورج فوكوات » إنه من المستحيل على مواجهته هذه الساعة وسأكتب له جوابى كتابة ...

، حين انفردت بابنها راحت تعانقه فى لهفة وابتهاج ثم قالت : أبدا لن أتزوج يا شارل العزيز . أبدا لن أثقل عليك بأب يؤلم نفسك ويجرح قلبك . لن أرضى أن تتألم أنت كى أسعد أنا . إنك حسبى من دنياى يا بنى وأظن أنى حسبك أيضا

ك . م

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الطريق إلى الكتلة الثالثة : للأستاذ سيد قطب ٢٩٣

عمر الخيام ... ... : « السيد أحمد مصطفى الخطيب ٢٩٦

حضارة عربية ... ... : « وندل فيلبس ٢٩٨

المسلمون بين الشرق والغرب : « عبد المتعال الصعيدى ... ٣٠٢

أعتذر إليك ... ... : « محمود محمد شاكر ٣٠٤

هل من سبيل إلى عودة العرب إلى مثل الإسلام العليا ... ... : « خليل الخورى ٣٠٥

عدى بن زيد العبادى ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ... ٣٠٨

مهنة الصداقة ... ... : « أحمد عبد اللطيف بدر ... ٣١٠

ربيع بلا أحبة ... (قصيدة) : « أنور المطار ٣١٢

انتظار ... ... (قصيدة) : « كمال نشأت ٣١٢

(الكتب) — فى المحراب « ديوان » — تأليف الأستاذ محمد عثمان الصمدى — للأستاذ محمد رجب البيومى ٣١٣

(البريد الأدبى) — النطق بالضاد — هل يخطئون عامدين — إلى الأستاذ أبو الفتوح عطيفة — مجلة الناشر المصرى ٣١٦

(القصص) — من الشارع — للأستاذ أحمد عبد القادر الصاوى ٣١٨

[illegible]

20 me. année No 976

Le Caire 17 — 3 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ١٧ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الطريق إلى الكتلة الثالثة

للاستاذ سيد قطب

يسألني الكثيرون منذ دعوت إلى قيام الكتلة الثالثة : ما الطريق إلى قيام الكتلة الثالثة ؟ وحينما كنت أحاضر عن هذا الموضوع فى دار اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى منذ أسبوعين ، استوقفنى بعض الشباب بعد نهاية المحاضرة ليبدى لى مخاوفه أن تكون العقبات التى فى الطريق أكبر من الإمكانيات .. ثم أرسل إلى بعضهم يسألنى تفصيل ما أجملت فى هذه المحاضرة

من بين هذه الرسائل رسالة للشاب الأديب « أحمد محمد أبو بكر الطالب السودانى بمعهد القاهرة » وقد جاء فيها :

« ... إنه لمن حسن الطالع أن نستمع إلى محاضرتك القيمة بنادى اللجنة العليا للحزب الوطنى وقد استطعنا أن نقف على أسباب تفرقة العالم الإسلامى ، وأن نقف كذلك على حقيقة ما تضمره لنا كل من الكتلتين الشرقية والغربية من سوء . ولكننا مع ذلك كله لا نزال نطلب منك أن تبين لنا على صفحات الرسالة الغراء ما يستطيع المسلمون على ضوئه أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم لكى يكونوا كتلة ثالثة ... الخ »

هذه الرسالة وأمثالها كثير تدل على استعداد معين عند الكثيرين من الشبان للاستماع إلى مثل هذه الفكرة والاقتناع بها ، بل تدل على أكثر من هذا .. تدل على اللهفة الحقيقية لتحقيق هذا التكتل الإسلامى الذى آن له الأوان

ولقد كنت أعرف عندما دعوت هذه الدعوة أن العقبات فى طريقها شتى . ولكننى كنت أومن كذلك أنها دعوة طبيعية ، تنبع قوتها من تلبيتها لطبائع الأشياء، ولحاجة العصر، ولاتجاه المستقبل . وأن دوافعها أكبر من معوقاتها ، مهما بدت هذه المعوقات من الضخامة والمناعة .. إن كل دعوة تتفق مع طبائع الأشياء ، وتنبع من حاجة العصر ، وتسير مع اتجاه المستقبل ، هى دعوة ناجحة غالبة مهما يقم فى طريقها من عقبات

هذا المعنى أحب أن أؤكده أولا لشبابنا المتلهف على تحقيق هذه الفكرة ، المشفق فى الوقت ذاته من ضخامة العقبات ، ومن موحيات اليأس ، ومن عقابيل الماضى . ومتى ثبت فى الضمائر إيمان معين بالفكرة ، فكل شىء بعد ذلك هين ، وكل عقدة حلها ميسور

والذين عاشوا مثلى فى ربع القرن الأخير ، قد تلوح لهم بشائر الأمل أقوى وأضخم من الشباب اليافع الذى لم يشهد ذلك الماضى .. إن هذا الشباب بطبيعته عجول لأن الطاقة الكامنة فى كيانه تريد لها متصرفا سريعا . وهو ينظر فيرى

عقبات جمة ، ولكنه لا يعرف أن العقبات فى الماضى كانت أضعاف ما هى اليوم ، فتداويت شيئا فشيئا ، بحيث لا تقاس اليوم إلى ما كانت عليه منذ ربع قرن فقط . أما الذين عاصروا تلك الفترة الماضية مثلى ، فيعلمون أننا قطعنا شوطا بعيدا جدا فى ذلك الزمن الوجيز

إن أقصى ما تلاقيه فكرة التكتل الإسلامى اليوم من سوء استقبال ، هو أن يتشكك بعض الناس فى إمكان تحقيقها فى فترة قصيرة ، ويروا الكثير من العقبات فى طريقها ، ويشفقوا من ضخامة هذه العقبات .. أما قبل ربع قرن فقط فقد كان التفكير — لا فى قيام كتلة إسلامية ضخمة بل فى قيام كتلة عربية صغيرة — مدعاة للسخرية ، بل مدعاة للتشكك فى عقول من ينادون بها ، واعتبارهم جماعة ممن فى عقولهم مس ، فهم يعيشون فى الماضى ، ولا أمل فيهم لأنهم مخرفون !

لا بل إن قيام « رابطة شرقية » لا إسلامية كان يلاقى مثل هذا الهزء ومثل هذه السخرية إلى عهد قريب جد قريب .. فها هو ذا رجل واسع الأفق مثل الدكتور طه حسين باشا يؤلف كتابه : « مستقبل الثقافة » فى سنة ١٩٣٦ فيسخر فيه من تلك الفكرة سخرية مريرة ، ولا يكاد عجبه ينقضى من تلك الجماعة التى كانت تسمى نفسها « الرابطة الشرقية » لأن مصر قطعة من حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولا علاقة لها بذلك الشرق البعيد مسلما كان أو غير مسلم .. فالإسلام وغير الإسلام لا يملك أن يقيم رابطة بين مصر وهذه الشعوب !

كان هذا منذ خمسة عشر عاما فقط .. فإذا نحن قسنا تلك الوثبة الفكرية والشعورية الهائلة التى تملى علينا اليوم أن نتحدث عن الكتلة الإسلامية ، أو عن الكتلة الشرقية ، فلا يسخر بنا أحد ، ولا يضحك منا أحد . بل تنبعث ملايين القلوب تخفق للفكرة ، وتنبعث عشرات الأقلام تكتب عنها فى كل مكان . وتنبعث مئات الأكف وألوفها تصفق للخطباء .. ولا يتحدث متحدث إلا بالسؤال عن الطريق .. إذا تم هذا فى خلال خمسة عشر عاما فقط فهو النصر إذن وهو التوفيق

ولماذا ؟ إن هذا النصر لا ينبع من بلاغة الأقلام التى تكتب ، ولا من فصاحة الألسنة التى تخطب .. إنما ينبع أولا وقبل كل شىء من تلبية الفكرة لطبائع الأشياء ، ومن مسايرتها لحاجة العصر ، ومن تمشيها مع إرادة المستقبل .. وذلك هو الضمان الأكيد ..

ستسير الفكرة إذن فى طريق التحقيق منذ اليوم ، حتى ولو لم يدع إليها قلم متحمس أو لسان متدفق . ستسير لأن الشعوب الإسلامية مضطرة اضطرارا لأن تعمل على تحقيقها كوسيلة من وسائل الخلاص من الاستعمار ، ولإنقاذ العالم من حرب ثالثة قريبة فى ذات الأوان

وستسير الفكرة لأنها تلبية للاتجاه العالمى للتكتل . لا باسم القوميات والجنسيات ، بل باسم المبادئ والعقائد . والعالم كله يسير فى هذا الاتجاه الآن شرقا وغربا . فاتجاه المسلمين إذن إلى التكتل تحت عنوان فكرة ومبدأ هو الاتجاه الطبيعى للعالم كله ، ومن ثم فهو الاتجاه الطبيعى فى هذه الظروف

إننى أعرف : أن الاستعمار سيقف فى الطريق . وأعرف أن الكتلة الشرقية ستقف لنا فى الطريق . وأعرف أن الحكام فى كثير من أمم العالم الإسلامى سيقفون فى الطريق . ولكننى أعلم كذلك أن هذه القوى كلها مصطنعة ، فهى لا تملك أن تقف طويلا أمام فكرة طبيعية ، تستمد قوتها من طبائع الأشياء ، ومن حاجة العصر ، ومن نداء المستقبل فى العالم كله ، لا فى بقعة منه محدودة

ومن الظواهر العجيبة أن الفكرة التى تنبع من حاجة العصر واتجاه المستقبل يضطر خصومها — بحكم مصالحهم القريبة وتحت ضغط الضرورات الذاتية — إلى مساعدتها وتقويتها ، كالذى يربى أسدا يعرف أنه سيفترسه فى النهاية ، ولكنه يضطر مع هذا إلى تربيته لأنه يتقى به نمرا فاغرا فاه !

لقد كان الحلفاء هم الذين هزموا ألمانيا فى الحرب العظمى الأولى . وكانوا هم الذين ساعدوها على النهوض ، وساعدوا معها إيطاليا ، وساعدوا معها اليابان أيضا .. لم يكن شىء من هذا حبا فى عيون أحد من هؤلاء . ولكنها كانت ضرورات المصلحة العاجلة لوقف التيار الشيوعى فى العالم

ثم حطموا هذه الدول الثلاث فى الحرب العظمى الثانية .

وفى سبيل تحطيمها اضطروا اضطرارا لتقوية روسيا ومساعدتها على الصمود فى وجه الغول الجرمانى .. وهم على يقين أن عدوهم الأول هو روسيا . ولـكنهم ما كادوا يملـكون أن يفعلوا غير هذا .. ثم هاهم أولاء مرة أخرى . وبعد التجربة العالمية الأولى . يمدون أيديهم مرغمين لإنهاض ألمانيا واليابان . وهم على يقين أن الطاقة الكامنة فى هذين الشعبين لن تتركهم فى راحة ، ولكنهم لا يملكون أن يفعلوا غير هذا .. إن خط سير الحياة ليس فى يد أحد من البشر مهما تمكن قوته . فالحيـاة تسير ، وطبـائع الأشياء تملى خط سيرها . والقوى الـكامنة الناهضة لا سبيل للقضاء عليها . لأنها قوة من قوى الحياة ، وقوة الحياة من الله . «والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون»

إن فكرة الـكتلة الإسلاميه تسير فى طريقها . وإنى لأكاد أراها رأى العين حقيقة واقعة . فليؤمن شباب العالم الإسلامى بهذا .. والزمن كفيل باكتساح العقبات التى تبدو لهم ضخمة فى الطريق

ليؤمن شباب العالم الإسلامى كله أن الاتجاه إلى راية الإسلام هو العمل الوحيد الذى يخلصهم من براثن الاستعمار ، ويخلصهم من كيد الشيوعية التى لا تكاد تطيق مسلما يدب على الأرض

فإذا آمن الشباب بهذه الفـكرة اندفع يضغط على ساسة بلاده ، الذين يسيرهم الاستـعمار فى ركابه ، ويملى عليهم رغبته فى التكتل الإسلامى . ولتكن كلمة الشباب دائما : لا ارتباط بكتلة شرقية أو كتلة غربية . فهذه الأرض أرضنا . ونحن نريد أن نقف تحت راية الإسـلام وحدها ، محايدين ، نجـاهد فقط من يعتدى علينا ، ونمد يدينـا حينئذ إلى الـكتلة التى تنصرنا على المعتدين

وواجب على كل شـاب واع أن ينشر هذه الفـكرة حيثما وجد . الطالب فى معهده ، والموظف فى مكتبه . والسياسى فى محيطه . والعامل فى مصنعه . والرجل فى بيته وأولاده .. وعندما تصبح هذه الفكرة هي فكرة الشعب . فإن قوة ما على ظهر هذه الأرض لن تقف له فى طريق ..

لن أقول لهذا الشاب الأديب صاحب تلك الرسـالة ، ولا لأحد من إخوانه الذين كتبوا إلى كثيرا فى هذا الموضوع شيئا عن الوسـائل السياسية أو الدبلوماسية أو العسـكرية .. إننى لا أومن بشئ من هذا كله . لست أومن إلا بالقلب الإنسـانى والعزيمة البشرية . إننى أومن بالعقيدة التى تزلزل الجبال ، وتجرف الصخور . أومن بالوعى الشعبى الذى يفرض إرادته . أومن بتلك الملايين بعد الملايين فى الرقعة الإسلامية الفسيحة .. وأومن بالغد وإشـاراته . وأومن بمقرب الساعة الذى يشير إلى هذا الاتجـاه وحده . . وأومن قبل كل شئ بالله الذى نفخ الروح مرة أخرى فى هذا العالم الإسلامي الذى حسب الكثيرون أنه قد مات . فإذا هو يتمطى وينبعث ، ليؤدى دوره فى الأرض من جديد

سيد قطب

عمر الخيـــــام

بين الحقيقة والاسطورة

للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

صحبتى للخيام طويلة مديدة ، وقد عرفتـه ضمن من عرفتهم من شعراء الفرس الكبار وأدبائهم العظام منذ عشرين سنـة تقريباً ... أما هو فقد كان على الدوام أقرب إلى نفسى وأحب إلى قلبى ... أما هم فقد كانوا أشغل لفكرى وأدنى إلى إثارة اهتمامى بشعرهم منه . والخيـام عاطفة وروح ، وللعاطفة والروح سحرهما الذى لا يدفع ، وسلطانهما الذى لا يقهر على العواطف والأرواح ، فلهـذا إن كنت قد عرفت الفردوسى عن طريق الشاهنامة ، والسعدى عن طريق كلستان وبوستان ، وحافظاً الشيرازى عن طريق ديوانه الرائع ، ومولانا جـلال الدين الرومى عن طريق المثنوى ، والنظامى عن طريق هفت بيكر ، وعرفت غير هؤلاء أيضا عن طريق بعض ما كتبوا أو بعض ما كتب عنهم ، فقد عرفت الخيـام عن طريق رباعياته نفسها ثم عن طريق وديع البستانى ، وحسين دانش ، وعبد الله جودت ، وحسين رفعت ، ومحمد السباعى ، وأحمد حامد الصراف ، وأحمـد الصافى النجفى ، والزهاوى ، وفيتز جرالد وغير فيتز جرالد من الغربيين ، وأخيراً الفيلسوف رضا توفيق

لهذا ، عندما استقر رأيى على إعداد هذه الكلمة تملكتنى الحـيرة فى بادئ الأمر أى الجوانب أفصح عنها ؟ وأى النواحى أهملها ؟ وكل جانب من جوانب حياة الخيام لذيذ شائق ، وكل ناحية من نواحى أدبه الرفيع فاتنـة مغرية ، تستمرئها النفوس وتشتاقها الأرواح ، حتى انتهيت بعد لأى إلى أن يقتصر كلامى على ناحية واحدة فقط من حياته ، وهى ناحية عدد من الأساطير والخرافات التى تحيط بسيرة هذا الشاعر الإنسانى العظيم ...

الأسطورة الاولى

أعتقد أنه ليس بين الذين لفتت مكانة الخيام العلمية أنظارهم ، أو أثارت رباعياته اهتمامهم ؛ من لم يسمع شيئا قليلا أو كثيرا عن تلك القصة الشائقة التى ذاعت وشاعت وتناقلتها الألسن فى كل مكان عن نشأة الخيـام ، وعن حياة تلمذته الأولى فى نيسابور المدينة التى فتح فيها شاعرنا عينيه للحياة لأول مرة فى هـذا الوجود ، وهى قصة شيقة لذيذة يغلب عليها عنصر الخيال الجامح ، فيجعلها ضوءاً للروايات السينمائية التى تمثل أدوارها على الشاشة اليوم

نحن فى مدرسة نيسابور الشهيرة ... الزمن القرن الخامس الهجرى ؛ .. نستمع إلى العـلامة الجليل الأستاذ الإمام الشيخ موفق النيسابورى رحمة الله عليه وهو يلقى درسه على طلابه الذين أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وهنـاك فى ركن قصى من الأركان جلس ثلاثة من هؤلاء التلاميـذ واتجهوا بكليتهم نحو أستاذهم الأكبر ، يشع من عيونهم بريق الذكاء الحاد ، وتبدو على سيماهم علائم الجد والعزم ، هؤلاء هم الأصدقاء الثلاثة الأوفياء : عمر الخيام ، نظام الملك ، حسن الصباح زعيم الحشاشين فيما بعد..

قال حسن الصباح ذات يوم لصديقيه إنه لأمر مستحيل أن نخيب نحن الثلاثة تلامذة الإمام المبارك فى الحياة ، قد يلاحق أحدنا ، أو حتى كلينا الإخفاق ، أما أن يلاحقنا هو كلنا.. فلا ! فلنعاهد أنفسنا منذ الآن أمام الله على أن يهرع أى منا لنجدة زميليه إن قدر له الفوز ولم يكتب لهما النجاح ، فيوافقه الآخران على رأيه فتوقع بذلك الوثيقة التاريخية بين الثلاثة جميعا

تدور عجلة الزمان ، وإذا بنظام الملك وزير لألب أرسلان السلجوقى ، ورجل الدولة الأوحد لابنه ملكشاه من بعده ، ثم إذا به أيضا لا ينسى ما قطعه على نفسه من وعد فى صباه فيبعث فى طلب كل من حسن الصباح والخيام ويعرض عليهما أن يشاركاه فيما فاز به من نعمة وحصل عليه من سلطان . أما الخيام فيختار إيراداً سنويا ثابتاً والتدريس فى مدرسة نيسابور والانصراف إلى رياضياته وفلكياته ، أما حسن الصباح فيؤثر منصبا مهما فى البلاط

وهـكذا تستمر القصة حتى تبلغ نهايتها المحتومة ، بمؤامرة دنيئة ينسج خيوطهـا حسن الصبــاح الماكر لاغتيال صديقه الوفى الكريم نظام الملك ظلما وعـدوانا لكى يستخلفه فى جاهه وسلطانه ، فيفتضح أمرها فى اللحظة الأخيرة ، ويضطر حسن الصباح إلى الهرب واللجوء إلى جبل قلعة الموت ، وهنالك يؤسس لأول مرة فى التاريخ المذهب الإسماعيلى المعروف حتى اليوم ، وينظم فرقة الفـدائيين الذين يبعث بهم من هناك

لافتيال عظماء الإسلام آنذاك . ويشاء القدر الساخر أن يكون بين هؤلاء الذين عتد إليهم يد الغدر والخيانة نظام الملك نفسه ! ذلك الشيخ الوقور والداهية العظيم الذى يذهب ضحية بباردة الخنجر مسموم يغمده فى صدره أحد هؤلاء الجانين وهو فى طريقه إلى نهاوند بمعية الملك ملكشاه

هذه هى الأسطورة الأولى الذائعة الشائعة المستقرة فى الأذهان عن منشأ الخيام وعن أيام حداثته ، وهى قصة أثبت المستشرقون استنادا إلى تحقيقاتهم الدقيقة التى لا مجال لذكرها هنا إثباتا قاطعا أنها مختلقة من أساسها، ملفقة فى جملتها وتفصيلها، ولا ظل لها من الحقيقة أبداً ، وأن مخترعها مؤرخ يدعى ميرخوند من مؤرخي القرن التاسع الهجرى

الأسطورة الثانية

يوم مشرق جميل ، جو عابق بأنفاس الرياحين والورود ؛ هدوء شامل وصمت مطبق لا يتخللها سوى خرير الماء وتغريد البلابل.. والخيام قرير العين جذلان ، جالس فى دعة وسكون وأمامه ديوان شعر مفتوح وبجانبه زجاجة و كؤوس تأتلق بين جنباتها الأضواء وتتراقص على حواشيها الظلال

ومقامى غصن مظل بقفر
ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادى والأهل ديوان شعر
وحبيب يهواه قلبى المعنى
بشجى يذيبنى يتغنى
هكذا أسكن القفار نعيما
وأرى هذه القصور خرابا ...

(السباعية للبستانى)

وعلى حين فجأة تنكشف الطبيعة الوادعة الهانئة عن ثورة جامحة ، وغضب مكتوم ، فتزمجر الرعود ، وتنقض الصواعق ، وتكتسح الرياح الهوج كل شئ أمامها فتتحطم الزجاجة وتتناثر قطع الكؤوس هنا وهناك وتصبغ الخمرة وجه الأديم بلونها اللازوردى ، فتثور نفس الخيام ، وتهيجه النازلة ، ويلهبه اليأس فينشد وهو فى شبه غيبوبة من أثر الصدمة الغير المرتقبة، ويقول:

ابرين مى مراشكستى ربى
كسرت زجاجة خمرى يا ربى
برمن ورعيش رابيستى ربى
أوصدت فى وجهى باب الطرب يارب
برخاك فكندى من كلكون مرا
سكبت خمرى الوردية على الثرى
خاكم بدهن مكر تومستى ربى
التراب بفمى ! فهل أنت سكران يارب

° ° °

وهنا تحدث المعجزة التى لم يكن يتوقعها أحد حتى الشاعر نفسه ، فيحل غضب البارى سبحانه وتعالى وتنصب نقمته على هذا العبد المارق الملحد فيسود وجهه بغتة وكأنه فحمة الليل ، وتتشنج عضلاته وتتقلص أطرافه حتى ليكاد الموت يختطفه من بين يدى الحياة

فيدرك الشاعر عندئذ الإثم الكبير الذى ارتكبه فيسرع إلى التوبة ويعجل بالاستغفار فينشد ويقول :

نا كرده كناه درجهان كيست بكو
بى جرم كناه جون توان زيست بكو
من بد كنم توبد مكافات كنى
بس فرق ميان من توجيست بكو

— الترجمة للزهاوى —

من الذى لم يجن قط ذنبا
كيف عاش الذى زكا وتوقى
إن تكافئ سوئى بسوء فقل لى
أى فرق بينى وبينك يبقى

وعلى أثر ذلك تدركه العناية الإلهية ، وتقبل توبته ، فيعود إلى وجهه إشراقه السابق وإلى سائر أعضائه حالتها الطبيعية ، فيسجد الخيام آنذاك سجدة الشكر والامتنان

هذه ثانية الأساطير التى تنسب إلى الخيام وعمر بن إبراهيم منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وإذا كانت التحقيقات العلمية لم تكشف لنا بعد عن اسم المختلق الكذاب واضع هذه الفرية الشائنة، إلا أننا لا نحتاج كما أعتقد إلى كبير جهد لندرك أن الأفاك الأشر كان ولا بد على حظ موفور من الوقاحة وسعة الخيال

البقية فى العدد القادم

السيد أحمد مصطفى الخطيب
مفتش معارف أربيل بالعراق

بعد عشرين قرنا

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

للأستاذ وندل فيلبس

رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كانت ليلتنا الأولى بين عرب وادي بيحان في عدن تبدو في ظاهرها كأنما انتزعت مباشرة من دنيا ألف ليلة وليلة . فما كانت هوليود ذاتها مستطيعة أن تفعل خيرا مما فعله مضيفنا الشريف حسين بن أحمد حاكم بيحان . لقد جلسنا متربعين في باحة القصر نشاهد الراقصات الغجريات اللواتي خلبن ألبابنا بحركاتهن الرتيبة المثيرة في أضواء الشموع المرتعشة ، بينما كانت الطبول تملأ الظلمة بأصدائها الخافتة ، وأنغام الناي تنساب حلوة ناعمة

وكان يهيمن علينا جو من أجواء الأساطير . فأنت تحس فيه بنكهة الخيال ، وطعم الخطر ، فقد قام على مقربة منا مئتان من الحرس القبليين اليقظين ، كالحي الوجوه ، يحملون جنبياتهم « خناجرهم » الكبيرة في مناطقهم المنتفخة بالرصاص ، ويتنكبون بنادقهم المهشمة تسندها سواعدهم المعروقة التي كانت تبدو واضحة من بين أسمالهم الصحراوية الممزقة

كنا نعرف ما يتصف به بدو الجنوب في الجزيرة العربية من الخطر ، وما هم عليه من كره شديد ، يذكيه ما في الإسلام من حماسة وحمية ، لكل من يتطاول على بلادهم من الأجانب . كما كنا نعرف عن المحاولات التي سبق وقوعها على حياة الشريف حسين . ولكن هؤلاء الحراس ، مع استعدادهم لكل ما قد تنشق عنه الصحراء من الأخطار ، كانوا يتابعون الراقصات بأبصارهم . وقد استطعت وأنا أتطلع حولي دهشا لذلك المنظر ، أن أشاهد أسنانهم البراقة وهم يبتسمون لبعضهم ، ويلكز بعضهم بعضا ، عندما تمر إحداهن على مقربة منهم

وكان الشريف حسين ، وهو من أطول وأجمل من رأيت من العرب ، يبتسم هو أيضا ، ويلوح لي بيده ، إشارة على أنه يود الحديث معي بوصفي قائدا للبعثة ، كان يجلس في مقابلي موليا ظهره للفتيات اللواتي ماملا رقصن من قبل لقبيلته ، وكان الدكتور و . أولبرايت W. Albright رئيس أثري البعثة ومترجمها بجانبي ، وهو يتكلم خمسا وعشرين لغة ، فوكزته ، فأومأ إلى الشريف حسين ، فرد هذا مرحبا بقوله : « أهلا وسهلا » وكأنما لم يقلها لنا من قبل ، مع أني أصبحت أعرف بأن معناها : « مرحبا بكم وطاب مرعاكم » فرد عليه العلامة أولبرايت تحيته

كان الشريف حسين ، الأريحي المرح ، الذي بهرته قافلتنا الميكانيكية ، قد أبدى لنا منتهى الكرم ، كأنما كنا الرئيس ترومان ووزراءه . إن وصولنا ذات مساء إلى وادي بيحان ، بعد رحلة طويلة مضنية ، من خليج عدن ، حدث من الأحداث الكبرى في تاريخ وادي بيحان الحديث . فقد كنا أول جماعة من الأميركان تقع عليهم أعين البيحانيين . لقد جئنا ، نحن الخمسة عشر ، لإزاحة الغطاء عن حضارة تعرف بالقطبان ، قامت على عبادة القمر ، ثم انقرضت قبل ٢٠٠٠ سنة ، بعد كارثة لا بد وأن تكون قد هزت العالم العربي القديم من أساسه

تلك الكارثة هي خراب « تمنا » ، عاصمة القطبان القديمة . فمنذ ذلك الحين أسدل الصمت ستارا كثيفا من النسيان على تاريخ الوادي ، حتى أن سكانه المعاصرين ، ليست لديهم أية فكرة عن أسلافهم المدهشين ، الذين عملوا على إشادة طريق البهارات في أيام التوراة ، وعلى تحويل هذه الأراضي القاحلة إلى ما يشبه الدوربدو (١) El Dorado في الأعصر الغابرة

لم أتأثر قط في سني التسع والعشرين ، كما تأثرت هذه المرة ، فإن زيارة وادي بيحان النائي الذي يكاد يكون مجهولا جهلا تاما ، كانت هدفي منذ سنين . ولكني كنت وأنا أقابل ابتسامة

---

(١) بلاد أسطورية ، كان طلاب الثروة يتهافتون على البحث عنها في أمريكا الجنوبية . ويعود أصل الأسطورة إلى ما كان يروى عن أحد زعماء الهنود الحمر من أنه كان يعفر جسمه بمسحوق الذهب في الاحتفالات السنوية . وقد تمخضت هذه الأسطورة فأدت إلى الاعتقاد بوجود مدينة واسعة الثراء في أمريكا الجنوبية ، مما كان باعثا على إرسال عدد عظيم من البعثات الاستكشافية للبحث عنها . وتطلق كلمة « الدوربدو » الآن لوصف بقعة من البقاع بالرخاء والازدهار والغنى

الشريف حسين بمثلها ، أحس بالسعادة تغمر كيانى لوجودى فى أدى بيحان ، كما أحس بالألم للحالة السيئة التى تدهور إليها بيحانيون. لقد عاشت ملكة سبأ على مقربة من هذا المكان يوماما، لا بد وأنها مرت بهذه الرمال مرارا عند ما كانت حقولا نضرة غنية بالمياه

لقد أعادنى التفكير فى الملكة التى أمطرت الملك سليمان بالهدايا — كما تقول التوراة — والتى يشك بعض العلماء فى وجودها ، إلى حاضرى أمام الراقصات الغجريات . لابد أنها كانت تبدو مثلهن ، فقد جاءت كما جئن من مكان يسمى سبأ ، وهو جزء يقع اليوم فى اليمن . إن هؤلاء الغجريات، سمر البشرة، متناسقات الأعضاء ، مشجرات المآزر والقمصان ، وإن يكن تفصيلها غير متقن فى أذواقنا

كانت كل منهن تتحلى بـ ٥٠ رطلا من الحلى الفضية حول رقبتها ، ومعصميها ، وساقيها . ولا أدرى كيف استطعن تحمل ذلك كله ، ولكن رقصهن استمر متزنا زهاء ساعتين

كان الرقص فى بادئ الأمر رائعا ، فأيديهن رشيقة ، وحركات أردافهن تستلفت الأنظار ، وقد صفقنا لهن مرارا . ثم أخذن فى الاقتراب منا شيئا فشيئا . أثناء انسيابهن فى باحة القصر . وإنى لأتذكر كيف مال جورج فرير مساعدى ، البالغ من العمر التاسعة عشرة بجسمه نحوى ثم أخذ يصفر فى هدوء

ثم بدأ اهتمامى يزول . ولعل مرد ذلك عائد لاطراد الرقص على نسق واحد رتيب ، أو للاعياء الذى انتابنى ، ولكن السبب الرئيسى هو أن إحدى الفتيات انحنت أمامى حتى شممت شعرها . إن البدويات يستعملن بول الإبل لتجعيد غدائرهن ، فتأكدت أن هؤلاء الغجريات لا يخرجن على تلك القاعدة . لذلك تلاشى تأثيرهن ، وما انتهى العرض حتى لم يبق مما يثير الإعجاب سوى جلد الراقصات — وجلدنا

كانت أعمار الراقصات الأربع تتراوح ما بين الثانية عشرة والثلاثين تقريبا . وقد قال لى الشريف حسين إنهن غادرن اليمن لأن الحكومة تأبى عليهن الرقص مع الرجال ، وتعارض فى ممارستهن بعض المهن الأخرى التى يقمن بها بغية الكسب .

إن مثلهن كمثل الومضات فى الصحراء فى تهافتهن على المال — قل أم كثر

إن البون شاسع بين بول الإبل ، وبين اللبان والمر اللذين كانا يبثان فى سماء بيحان جوا من السحر . لقد سجل ديونيسيوس Dionysius الكاتب اليونانى ، ثناءه على البلاد حوالى عام ٩٠ بعد الميلاد ، فى الوقت الذى كان يكتب فيه إنجيل يوحنا . فقال

« إنك لا تتنفس فى « العربية السعيدة » غير أريج اللبان أو المر من البهارات العطرة . وإن لأهلها قطعانا عظيمة من الضأن تتغذى بما فى مراعيها من العشب والكلأ ، وإن الطير تهوى إليها من الجزائر النائية تحمل إليها أوراق القرفة . »

قامت اقتصاديات أربع من الممالك الهامة على ما كانت تدره قوافل البخور فى جنوب الجزيرة العربية من الثراء زهاء ألفين من السنين فقد كانت القوافل تنساب فى مهل من غابة البخور فى حضر موت ، متجهة نحو الشمال على طول الجزيرة ، وهى تقدم فى طريقها الأتاوة ، والحماية ، لعدد لا يحصى من القبائل ، ثم تعود محملة بالذهب ، والفضة ، من مصر واليونان وروما ، كما ذهبت محملة بالبخور والبهارات . فقد كانت هذه البلدان تتبوأ المكان الأسمى بين بلدان سواحل البحر الأبيض المتوسط

لقد أقلق تدفق الأموال من الإمبراطورية الرومانية رجال الاقتصاد فيها ، فجأروا بالشكوى من أن « العربية السعيدة » لسوء الحظ ، هى السبب فى ارتفاع أسعار الذهب . وفى تدهور قيمة العملة المتداولة . وكانت قصص المدن الخرافية والأضرحة المليئة بالذهب فى « العربية السعيدة » تدور على الألسنة . ولكن أحدا لم يجد فى نفسه الجرأة الكافية على إثارة العرب وإغضابهم

وقد حاول الإمبراطور أغسطس قيصر أن يتحقق من صدق القصص التى كانت تروى عن رعاة الإبل من العرب ، فبعث إيليوس غالوس Aelius Gallus أحد قواده إلى « العربية السعيدة » فسار حتى مأرب ، ولكن ضريبة الحر ، والمرض ، ومعارك الصحراء ، كلفته جيشا تعداده ١٠،٠٠٠ جندى ، لم ينج من الهلاك منهم إلا قليلون

كانت مأرب عاصمة سبأ ، أو شـبأ ، كما تسميهـا التوراة . وكانت سبأ إحدى ممالك البهار الأربع ، أما الثلاث الأخرى فهى معين ، وحضر موت ، وقطبان. وكان هدف بعثتنا جغرافيا، هو الوصول إلى وادى بحيان ، قلب القطبان وعاصمتها تمنا

كانت سبأ ومعين تحتلان بقعة من الأرض هى الآن اليمن ، وجزء من البـلاد السعودية ، والجزء الغربى من محمية عدن — وبوجه التقريب ، وادى حضر موت المظلم . وعلينا للوصول إلى بحيان الذى يقع خلف أشـد جبال الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة العرب وعورة ، أن نجتاز الجزء الشرقى والغربى من وادى حضر موت — وسرعان ما عرفنا لمـاذا يسميه سفر التكوين فى التوراة « بدار الموت . »

كنا نستمع ، من حين إلى حين ، إلى قصص الفتك بين العرب بينما كانت سياراتنا تقعقع فوق ما يسمى تجوزا بالطريق ، وسط الحرارة المتقدة . لا أدرى ما الذى حدا بى إلى مغادرة أرصفة نيويورك ، والمجئ إلى هذه الدنيا

لقد جمعت فى نيويورك . أمام مكاتب رجال الأعمال الضخمة ، والمجالس المالية ، القسم الأكبر من نفقات البعثة . وعن طريق التليفون والمراسلة جمعت رجالى وأرسلتهم بالبـاخرة أو الطائرة . كانت البعثة مؤلفة من علمـاء أميركيين وأوربيين ومن بعض الطلاب ، وكانوا جميعا مستعدين للعمل لقاء أجر زهيد ، أو لقاء لا شئ بالمرة . وكان من ضمن أفرادها العلامة أولبرايت ، رئيس مدرسة اللاهوت فى جامعة هوبكنز . وهو فى الستين من عمره . ويتميز بجرأة تـكاد تبلغ حد التهور . ولاسمه بين البدو تأثير كبير ، حتى أنه ليقطع وحده أميالا وأميالا فى الصحراء كل يوم لمراقبة أعمـاله التى تتألف ، بالإضافة إلى العمل المتواصـل دون كلل ، من القفز فوق الجدران المتداعية ، رغم الأفاعى والعناكب الخطرة . ومن أعضـائها أيضا وليم ترى ، الذى اشتهر بصوره الفوتغرافية أثنـاء الحرب العالمية الثـانية . وشارلس إنج ، رئيس الحفريات عند بدء البعثة بأعمالها ورئيس الآثار فى عدن ، الذى اقتنع وأقنع العلامة أولبرايت بالشروع فى الحفر فى تمنا ، بدلا من أماكن أخرى كان من المحتمل مبـاشرة الحفر فيهـا .

والدكتور إسكندر هانيمان ، أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة سان أندروز الاسـكتلندية ، والدكتور ألبرت جامى ، أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة تونس . والدكتور فريزوهيبرويك الجيولوجى الهولندى ، والدكتور رشارد لى بارون بوون ، العالم الأثرى من أهالى جزيرة رود ، وكنيث براون من طلاب جامعة كاليفورنيـا . والسيدة وليم ترى ، المكتشفة العالمية الشـهيرة . والدكتور لويس كراوس ، والدكتور جيمس ماكنتيش ، وكلاهما من جامعة ماريلاند ، وقد قاما فى بيحان بالإشراف على صيدليتنا التى نتألف بها قلوب الأهالى . وشارلس ماكلوم من كاليفورنيا ، وهو رئيس مواصلاتنا . وجورج فاربر من كاليفورنيا وهو مسـاعدى . وأوكتاف رومانى ، من نيويورك ، وهـو مصورنا الفوتغرافى

يعود الفضل فى إرسال هذه البعثة فى الربيع الماضى إلى بيحان ، ورحلتها التى تزمع القيام بها هذه السنة إلى مؤسـسة جديدة ، هى المؤسسة الأميركية لدراسة الإنسان ، التى تم تأسيسها فى العام الماضى بعد تفكير دقيق . لقد أسندت رئاستها إلى بينما تولى نيابة الرئاسة فى أول الأمر العلامة أولبرايت. وتولى إدارتها كل من الأميرال شستر نيمتز ، وصموئيل برابور ، ولاول توماس ، وأمير اللواء ماكيزى ، وبايارد كولجيت ، وشارلس ناجر من أهالى نيويورك ، وجيمس موفيت من سان فرانسسكو

وكانت بعثتنا من غير شك مجهزة بالسيارات والمبردات والمحركات الـكهربائية والسلاح وما أشبه تجهيزاً لم تنله أى بعثة أخرى . وقد قطعنا نصف الكرة الأرضية حتى ضربنا خيامنا فى بيحان ، واسـتأجرنا ٢٠٠ عربى للقيام بأعمـال الحفر وإزالة الرمال . وهنا وبينما كانت القطبان تترقب من يزيح عنها الستار ، جاءنى شارلس ماكلوم ، رئيس مواصلاتنا مسرعا يلقى الى بالحقيقة المرة :

— لقد بحثت فى كل مكان ، باوندل ، فلم أجد شيئا .

فصرخت وقد أخذ الدم يتجمد فى عروق : لم تجد ماذا ؟

فأجاب : لم أجد سخاخين . لم أجد فؤوسا. لم أجد مقاطف.

ولكننا استطعنا الحصول على حاجاتنا من ذلك من مدينة عدن ومن القرى العربية المختلفة. وكان الحصول على القاطف أعوص ما واجهنا من المشاكل. فقد تحتم عملها.

وكان الحصول على بقية ما نحتاج إليه من المال أصعب من الحصول على حاجتنا من الأجهزة. لقد كانت سفينتنا في عرض البحر وعلى ظهرها جميع أفراد البعثة حينما خف إلى نجدتي والاس رشارد، رئيس أحد المتاحف في بتسبورغ Pittsburgh، فبفضل جهوده وافق المتحف على منحنا معونة مالية، وعلى القيام بعرض مكتشفاتنا من الآثار العربية. وكذلك فإن رونالد هاريمان، وألن وسارة سكيف، و هـ. ج. هاينز الثاني، ولجنة الوصاية على وقف ا. و. ويلون الخيري والثقافي، وكثير غيرهم، قد منحونا مساعدات مالية جزيلة

وأخيرا تسنى لي السفر جوا إلى عدن أنا وجلادس ترى مديرة أعمالنا. ولما وصلنا إلى لندن في طريقنا إلى عدن زارنا مندوبو الصحف، فانتزعت جلادس، الشقراء الفاتنة، الإعجاب. فقد نشرت لها الدبلي ميل صورة كبيرة، كتبت تحتها: «أربعة عشر رجلا وفتاة واحدة يبحثون عن ملكة سبأ» ثم استطردت تقول: «فتاة أميركية في هيئة عارضات الأزياء «المانيكان»، وعزيمة المصارعين، تطير إلى دنيا سبأ الضائعة» ثم أردفت تنقل قولي: «لا يدري أحد ما الذي سنعثر عليه، فإننا لا نتوقع أن نكتشف بقايا ملكة سبأ وهي جالسة في حمامها ممسكة بيد الملك سليمان، ولكننا نأمل أن نجد بقايا جثمانها»

لم يكن لدينا ما يدفعنا على الشك، كما يشك الكثيرون، في حقيقة وجودها. بل يجب أن يثبت البحث الأثري وجودها عاجلا، ونأمل أن نكون من البادئين بذلك. فلقد سبق لعلم الآثار أن أثبت أن الملك سليمان تولى الحكم من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد

ما أكثر ما حيك من الخرافات والأوهام حول هذه الملكة التي جاء ذكرها في سفر الملوك الأول من التوراة: لقد وردت على الملك سليمان، كما تقول التوراة، «وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة. لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ الملك سليمان.»

إن رحلة ملكة سبأ إلى القدس حوالي سنة ٩٥٠ قبل الميلاد تتفق والتوسع العظيم في تجارة القوافل في التاريخ القديم وأغلب الظن أنها قامت بتلك الزيارة بوصفها رئيسة لأغنى وأقوى دولة في جنوب الجزيرة العربية للعمل على تعزيز طريق التجارات، كما قامت بها لرؤية الملك سليمان

إن أغلب أشجار الطيب تنمو في الجنوب الشرقي من حضرموت والعصارات التي تتساقط من جذوع المر واللبان على هيئة دموع متجمدة، تجمع وتحمل على ظهور الإبل إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط على بعد ٢٠٠٠ ميل تقريبا. كان طريق القوافل يتجه في العادة غربا عبر الأراضي الحضرمية، ثم ينحرف نحو الشمال متاخما للساحل الشرقي من البحر الأحمر. وعلينا أن نسلك جانبا من ذلك الطريق، في طريقنا إلى وادي بيحان

طرنا من لندن، أنا وجلادس، إلى عدن عاصمة المحمية. حيث منيت بموقف عصيب مع حاكمها السر ريجينالد شامبيون. لقد سبق لي القيام بزيارة تمهيدية إلى عدن قبل بضعة أشهر، عندما كنت أفتش عن موقع من المواقع الأثرية، فتحصلت في ذلك الحين من القائم بأعمال الحاكم، لغياب السر ريجينالد في إنكلترا، على إجازة بالذهاب إلى وادي بيحان. لقد كانت كلمات السر ريجينالد الأولى حينما رآني:

«لو كنت في عدن حينما جئتها مؤخراً أيها الشاب، لما سمحت للبعثة بالدخول إليها قطعاً. فهناك كثير من مشاكل السياسة والأمن تكتنف المنطقة التي تود اكتشافها» وتوقف عن الحديث. فتهيأت للكلام، ولكنه أردف مبتسما:

«وعلى كل، فما دمت وجماعتك قد وصلتم فعلى الرحب والسعة»

لم يكن السر ريجينالد متصلبا. فقد تعاون البريطانيون معنا جهد استطاعتهم فأمدونا بخمسة وعشرين عربيا من جنود الحكومة يقودهم أحد الأشداء في عدن، وجهزونا بكتاب لشيوخ العرب جميعهم في الداخل، يفيد بأن بعثتنا، ليست عسكرية ولا تجارية، ولكنها علمية بحتة

للكلام بقية (صوت البحرين) ع. ث

المسلمون بين الشرق والغرب

عند ظهور الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

لقد حل الإسلام عند ظهوره ما كان بين الشرق والغرب من حروب أكرم حل ، فلم يرض أن يكون ذيلا لكتلة من الكتلتين المتخاصمتين عند ظهوره ، بل وقف منهما موقفا كريما ، ودعا كلا منهما إلى ألفة جامعة ، وسلام شامل ، ليحل الوئام محل الخصام ، وتهنأ البشرية بعهد صفاء وسلام ، وما كان له أن ينضم إلى إحدى الكتلتين ، لأن كلا منهما كان آثما فى حربه ، لأنه لم يكن يبغى به خيرا لبنى الإنسان ، وإنما كان يبغى به التحكم والسيادة على العالم ، فلم يكن الفرس يبغون من حربهم إلا أن يسود الشعب الفارسى على غيره من الشعوب ، ولم يكون الروم يبغون إلا أن يسودوا أيضا على غيرهم ، ولم تكن هذه الغاية فى شئ مما يدعو إليه الإسلام ، لأنه أتى لخير الإنسانية عامة ، ولم يكن يسعى فى بسط سيادة العرب الذين ظهر أولا بينهم ، وكان لهم فضل السبق إلى الإيمان به ، وشرف الجهاد فى سبيله

وها هو ذا التاريخ يعيد الآن نفسه ، وتقوم فيه كتلتان تتنافسان فى السيادة على العالم : كتلة شعوب أوربا الشرقية بزعامة روسيا ، وكتلة أوربا الغربية بزعامة أمريكا وإنجلترا

وقد كانت ألمانيا قبل هذا تنازع إنجلترا وفرنسا سيادتهما على العالم ، وكانت روسيا على عهد قياصرتها تحالف إنجلترا وفرنسا على ألمانيا ، وقد قامت فى هذا حربان عالميتان كانت ألمانيا تظهر فيهما على هذه الكتلة المتجمعة عليها ، وكانت أمريكا حين ترى إنجلترا توشك أن تنهار تتعصب لها بحكم اتفاقهما فى الجنسية ، فتحارب ألمانيا بجانبها ، وتنصرها عليها بما تملك من مال ورجال

فلما ذهبت ألمانيا من الطريق انتقل الخلاف على السيادة على العالم بين الكتلتين السابقتين ، وإذ كان خلافا على هذه السيادة فهو خلاف لا يراد منه خير الإنسانية فى مجموعها ، وإنما تنظر الكتلة التى تتزعمها روسيا فترى أن أمريكا وإنجلترا وفرنسا قد بسطت سيادتها على العالم ، واستولت على كل شئ فيه بسلطانها ورؤوس أموالها ، فأخذت تعمل على زعزعة ذلك السلطان القوى ، ليحل سلطانها محله ، ويكون لها السيادة على العالم بدل أمريكا وإنجلترا وفرنسا ، ولما نظرت الكتلة التى تتزعمها أمريكا وإنجلترا إلى ما تحاوله روسيا ، قابلتها عداء بعداء ، وصارت كل منهما تستعد لحرب الأخرى ، وتحاول جر العالم إلى حرب لا يعلم عاقبتها إلا الله تعالى

وكما يعيد التاريخ نفسه مع تينك الكتلتين يعيده أيضا مع المسلمين ، فإنهم يقعون الآن فيما وقع فيه العرب بين كتلتى الفرس والروم ، تتنازعهم كل من تينك الكتلتين المتنازعتين ، وتحاول استخدامهم فى تلك الحروب التى لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، ولا يعود عليهم منها فائدة من الفوائد ، وقد وقف المسلمون فى الحربين العالميتين السابقتين موقف العرب بين كتلتى الفرس الروم ، فحارب فريق منهم بجانب إنجلترا وحلفائها ، وحارب فريق منهم بجانب ألمانيا وحلفائها ، ولم يكن لهم مصلحة فى تينك الحربين ، بل كانوا فيها ذيولا لغيرهم ، فلم يستفيدوا منهما شيئا لأنفسهم ، بل صارت حالهم بعدهما إلى أسوأ مما كانوا عليه قبلها

ولم يجن عليهم هذا إلا تفرقهم واختلاف كلمتهم ، وإلا انقسامهم إلى فريقين يقف كل منهما موقف التابع الذى لا رأى له فى الكتلة التى انضم إليها ، فكانوا يساقون فى كل من تينك الحربين سوق الأنعام ، وكانت الحرب تأكل ما تأكل من أنفسهم وأموالهم ، فإذا جاء وقت الصلح لم يدع أحد منهم ليجلس مع المصطلحين جنبا لجنب ، كما كان يقف بينهم فى الحرب جنبا لجنب ، بل يتم الصلح على حسابهم ، ويتفق المتحاربان على تقسيم بلادهم بينهم ، ومن هان على نفسه هان على غيره ، كما قال بعض الشعراء :

وأكرم نفسى إننى إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فيجب أن ينظر المسلمون الآن إلى موقف الإسلام عند ظهوره بين كتلتي الفرس والروم ، فيقفوا موقفاً كريماً بين كتلتي أوربا الغربية والشرقية ، ويعيدوا موقفه النزيه بين الدولة الفارسية والدولة الرومية ، ويعملوا على تجنيب العالم ويلات الحروب بعد تفاقمها بكل ما فى وسعهم ، فيكون موقفهم بين الكتلتين موقف الداعى إلى السلام ، والوسيط الذى يسعى فى خير الفريقين ، لينهى ما بينهما من نزاع بالوسائل السلمية ، ويجمع كلتيهما على ما فيه الخير للانسانية ، فإن أمكنه ذلك رفع من شأن نفسه بين الفريقين ، وكسب لبلاده مالا يكسبه بوقوفه ذيلا لهما ، وبانقسامه إلى فريق يؤيد إحدى الكتلتين فيما تريده لنفسها ، وفريق يؤيد الكتلة الثانية فيما تريده أيضا ، وينسى كل منهما فى هذا مصلحة نفسه ، ولا ما يجره هذا الموقف الزرى من هوانه على غيره

لقد جنى المسلمون من تفرقهم فى عصرنا على أنفسهم جنايات لا حصر لها ، وقد استفاد كل خصم لهم من تفرقهم مالم يكن ليستفيده لو استعانوا عليه باتحادهم ، وكان آخر ما جنوه بتفرقهم وأقساه ما حصل لهم فى حرب فلسطين ، فقد مكن تفرقهم لفئة قليلة من اليهود أن تنتصر وقد كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى ، فانقلب النصر إلى هزيمة وصارت فلسطين لليهود دون من اختلف عليها من فريقى المسلمين ، ولو أنها كانت لواحد منهم لكان هذا أكرم للاسلام ، وأنفع للمسلمين ، ولكن أين من ينظر إلى هذا منهم وما سيترتب على هذه الشوكة التى وضعت فى جنبهم ، ولا يدرى إلا الله عواقبها على دولهم

وأين هم من معاوية بن أبى سفيان ، وقد طمع فيه قيصر الروم ، وأراد أن يستغل فرصة الحرب التى وقعت بينه وبين على ابن أبى طالب ، فأرسل إليه يطلب منه أن يدفع جزية له ، فلم يكن من معاوية إلا أن أرسل إليه أن يكف عنه ، وإلا اتفق هو وابن عمه عليه ، واجتمعا على حربه ، فكف قيصر عنه ، وكان لهذا الجواب الحازم أثره فى نفسه

فقد رأى معاوية فى هذا أن عليا أقرب إليه من قيصر ، فإذا طمع قيصر فيه كان عليا على ما بينهما من العداوة أولى بأن يسلم الأمر إليه ، وأحق من قيصر بأن يدخل فى حكمه ، لأن قيصر أجنبى : وعلى ابن عمه ، ومن قريش قومه

ولكن معاوية كان معاوية ، ومن لنا اليوم بمثله فى عقله وحصافته ؟ ولقد وضع الأمر فى نصابه حين وازن بين على وقيصر ، فأتى به على حقيقته ، ولم يتمسح فيه بما نتمسح به الآن من نزعة دينية ، مع أنه كان أقرب إلى الدين منا ، ولكنه رأى أن الأمر بينه وبين على لا يعدو أن يكون نزاعاً على الحكم ، ولا علاقة له بأمر الدين

أما نحن فنتخبط اليوم فى أمورنا خبط عشواء ، فتحاربنا إنجلترا وفرنسا وغيرهما من أمم أوربا حرباً عنصرية لا دينية ، يراد منها فرض سيادة الغرب على الشرق ، ويجتمع أبناء الشرق من مسلمين ومسيحيين على مقابلة هذه الحرب العنصرية بمثلها ، فيأبى بعضنا إلا أن يجعلها حرباً صليبية ، ولا يبالى بما يحدث هذا فى نفوس من يشاركنا فى هذه الحرب من إخواننا المسيحيين ، وهم الذين فهموها على حقيقتها ، لأن أوربا طلقت المسيحية من يوم أن نهضت نهضتها ، ففصلت بين السياسة والدين ، وتوجهت إلى الشرق تستعمر أهله على اختلاف مللهم استعماراً سياسيا اقتصاديا ، لا يهمها فيه مسيحية ولا غيرها من الديانات

ومن مصلحة المسلمين أن نفهم حرب أوربا لنا على هذه الحقيقة ، حتى يتفق على مقاومتها أهل الشرق من مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، ولا نفتح باباً لأوربا تفرق فيه بيننا تفريقاً دينياً ، وتحاول ضم المسيحيين منا إليها ، لأن حربها لنا حرب صليبية ، وبهذا نكيد لأنفسنا مالا تكيده أوربا لنا

فليكن المسلمين الآن قدوة فى سلفهم حين وقعوا فى مثل مشا كلهم ، فوقفوا فيها كراماً ، وكان لموقفهم الكريم أثره فى نجاحهم .

عبد المتعال الصعيدى

أعتـــــذر إليك ..!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هـذه الكلمة محزون النفس لشيء اجترمته ، كان أولى بي أن أصبر حتى لا أزل عليه . وذلك أني قرأت كلمة في بعض المجلات يقول فيها كاتبها : « فإذا منع الفقير حقه ، فله أن يقاتل عليه ، لأن الله يأمر بقتال الباغين « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » . ولا شك أن مانع الحق باغ » فاحتملتني العجلة وسوء الظن ، أن أرى الكاتب قد استدل بالآية في غير مكان الاستدلال بها . فساء قولي في الرجل بين جماعات من النـاس ، إذ لم يقع لي إلا أن الآية في اقتتال طائفتين من المؤمنين ثم بغي إحدى الطائفتين على الأخرى . ولما سكن بي الليل أمس (السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١) حاك في قلبي شيء لم أدر ماهو ، وألح علي أني اكتسبت في أيامي هذه إثما أخشى أن لا أفلت من عقابه . وارتفعت لعيني هـذه الآية بختامها « إن الله يحب المقسطين » ، فرأيت من العـدل والقسط أن أرجع إلى تفسيرها، وإلى أقوال الأئمة في قتال أهل البغي ، فعرفت مالم أكن أعرف ، أن بعضهم قد استدل بها في مثل ما استدل عليه الكاتب الفاضل ، وإن كان لطريقة الاستدلال عندهم نهج غير نهجه ، وقيد فيما أطلقه . وإذا أنا قد ظلمته ظلما لا ينبغي . فلم أزل منـذ تلك الساعة أستغفر الله لـما فرط مني وما جرى من لساني من الكلم السيء ، واستغفرت له بما أسأت إليه بظهر الغيب

فلما قرأت الرسالة في صباح ليلتي (الأحـد ١٢ جمادى الآخرة) ، كنت أوشك أن لا أحمـل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب الفاضل في مقاله : « أجل..ذو العقل يشقى » . ولكني وجـدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر من سيئة اكتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب ، لنفس الداء الذي نهيت الأستاذ منه ، وهو العجلة . وأنا لم أقصد نهيته إلا لما فيه خـير له ولي إن شاء الله

وقد تبين لي بعد قراءة كلمتـه أني أخطأت أيضا في الذي كتبت به إليه ، فوقعت بمـا كتبت في نفس ما نهيته عنه . وما كان أغناني عن هـذه الخصلة السيئة التي تجلب على غضب أستاذ فاضل ، لم أسمع به ولم أعرفه ، ولا أظنه يعرفني . والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندي أكبر مما ظن في نفسه ، وإذا كان هو قادراً على أن يضن بكرامته ، فالواجب علي أنا من قبـله أن أضن بكرامته . وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منزلة بوجـه إليه من أجلها شيء يقدح فيها ، فأنا أيضـا أنزهه عما ظن في كلامي من « الشتائم والتنقص والسباب » . وإذا كان كلامي الطويل العريض ، كما وصف ، ليس فيـه شيء يقنع المنصفين ، وليس هو إلا فقرات مبعثرة مضطربة أسوقها مسـاقاً مهلهلا لا يعرف الدقة ولا الحدود ، وإذا كان كل ما أقوله لا أبغي منه إلا إرسال الكلام في الهواء ، وإذا كنت عنده لست مؤرخا ، ولم أخط كتابا في التاريخ ، وأني أدخلت نفسي في قوم لست منهم ، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغي كل ما أقول بمرة ، فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه

وأنا لا أستطيع صادقا أن أفهم الأستـاذ الفاضل شيئا مما أقول، فقد عرفت هذا بالتجربة . وإذا كان مما يرضيه أن أقول له إني مخطئ في كل ما قلت قديما ، وما أقوله الآن ، وما سوف أقوله إلى أن يكف لساني وقلمي عن اللجاجة وإرسال الكلام ، فأنا أقول له : إني أخطأت ، وسوف أخطئ ، ولن يسمع مني إلا ما أنا مقر على نفسي بأنه خطأ محض . وأزيده أني عاجز كل العجز عن مقاومة حجته ، وعن دفع براهينه ، وعن التصدي لما يحسنه من العلم . بيد أني أعود فأسأله أن يتغمد سوء أدبي بفضله ، وإذا كان قد استخرج من كلامي سبابا وشتائم ، فأنا أعيذه أن يكون غرضا لها ، وأعتذر إليه ، وأستغفر الله مما أزلفت إليه من إساءة ، وله أحسن الأسوة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بعض السفهاء لم يتورعوا قط عن سبهم والطعن فيهم ، بأقبح اللفظ . فأين يقع مثلي من هؤلاء ! فإني مهما ملكت من السباب والشتائم والبذاءة وسوء الأدب ، فلن أبلغ بعض ما بلغوا من هؤلاء الصحابة ، فلا عليه مني ومن

سبابى وشتائمى . وليعلم الأستاذ الفاضل ، إن كان لا يعلم ، أن هؤلاء السفهاء فى الدنيا كثير ، فإذا كان يغضب لكل سفاهة من سفيه ، فإن شقاءه سيطول بغضبه ، فدع السفهاء وليقولوا ما شاؤا ، وكن أنت ضنينا بكرامتك ، فإنها أعز وأغلى من أن تبذل على الألسنة . وتقبل إن تفضلت عذرى وشكرى واحترامى وتقديرى ، وعجزى عن مخالفتك ، وحبى لرضاك ، وقد بلغت منى فى مقالك ما شئت ، وناصيتى بيدك ، وفى المثل : « ملكت فأسجح » . فافعل مؤيدا منصورا ، والسلام

محمود محمد شاكر

هل من سبيل الى عودة العرب الى مثل الاسلام العليا ؟

للأستاذ خليل الخورى

قرأت جميع المقالات التى نشرت فى العدد الممتاز من مجلة « الرسالة » الغراء ، الصادر فى ٧ يناير . وأعدت قراءتها المرة بعد المرة ، فخرجت من دراستها والتأمل فيها بأمرين خطيرين : الأول : أن الإسلام هو الذى أضرم فى قلوب العرب الجذوة المؤججة من نار الحماسة القومية والروحية ، فبعثهم من صحرائهم واندفعوا فى جميع الجهات وتمكنوا — وهم فئة قليلة — بما كان لهم من الإيمان الوطيد من تدويخ الأقطار والأمصار ، ومن القضاء على الإمبراطوريتين العظيمتين الفارسية والرومانية اللتين كانتا تسيطران على دنيا ذلك الزمان . ولما استكملوا الفتوحات واستتب لهم الأمر ، ساروا فى سبيل الحضارة والعلوم ، فقطعوا فى مضمارها أشواطاً ، بزوا فيها جميع الأولين . والثانى : أن العرب ما تخلفوا عن قافلة الحضارة إلا لما تخلوا — بل لما تخلى زعماؤهم — عن المثل العليا التى فرضها لهم دينهم العظيم مبعث كل حق ومصدر كل عدل ، فتكالبوا على الدنيا وحطامها .

ذانك الأمران حقيقتان لا ريب فيهما : الحقيقة الأولى : تبعث فى نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا الغطاريف ، والأمل بأن نعود سيرتهم الأولى فنرد شيئاً من مجدنا الضائع . والحقيقة الثانية : تحدث لنا شجناً وحزناً بليغاً ، بل يأساً من هذا التخاذل والوهن الذى صرنا إليه بسبب هجرتنا لمبادئنا العليا ، بل بسبب مروق زعمائنا وحكامنا من مهيع الهدى ، وسيرهم فى سبيل الضلال والأنانية والأثرة . هذا هو داؤنا الوبيل ، وكلنا نعرفه ونشكو منه ، وكلنا العلماء والجهلاء يعرفون هذا الداء ويصفون الدواء أيضاً ، فيناشدون الزعماء والحكام بأن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ، ويقتدوا ولو اليسير بأجدادنا العظام فى صدر الإسلام — كأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب — ويروى التاريخ أن أبا بكر دعا ابنته عائشة وهو على فراش الموت وقال لها : « اعلمى يا بنيتى أنى لم آخذ من أموال المسلمين وأفيائهم شيئاً ، وإنما أكلت من جريش طعامهم وارتديت من خشن ثيابهم ، وليس لى من أموالهم سوى هذه القطيفة وهذه البغلة وهذا العبد ، فإذا مت فخذى هذا كله وسلميه إلى عمر » . ثم توفى أبو بكر فأخذت ما أوصى به وسلمته إلى عمر ، فأعتق عمر العبد وأرسل القطيفة إلى بيت المال ، أما البغلة فقال : « إن ركبتيك يا عمر ينبغى أن تحملاك من بيتك إلى دار الحكم » وردها إلى بيت المال ، هكذا كان يفعل حكامنا الأولون

ما السبيل للعود إلى مثل الإسلام العليا ؟ إن السبيل الوحيد هو تولى الصالحين الذين يتقون الله ، المناصب العليا والصغرى فى الدولة ، وتمكينهم من الجلوس على مقاعد النيابة ، فيكون ولاة الأمور وأصحاب البسط والقبض من العلماء والكتاب والفضلاء المعروفين بالتقوى والصلاح والزهد ، والرغبة عن حشد المال وعن الإثراء باستغلال الوظائف

إننا نعلم أن الأمة العربية لا تخلو من الأبرار الصالحين ، والفضلاء المتدينين ، على أن أمثال هؤلاء الأتقياء الشرفاء بعيدون عن الحكم ، وإذا شاؤوا الوصول إليه وحاولوه لفشلوا يقيناً لأنهم لا يملكون وسائله ، وإنما يملك تلك الوسائل أهل السياسة وأهل المال ، وفى معظم الأقطار العربية لا يمكن أن يكون نائباً سوى الغنى

المثرى الذى يستطيع أن يشترى مقعداً فى البرلمان من الزعيم الذى يملك القرى وسكانها ، فيأمرهم بإعطاء أصواتهم لذلك الغنى المثرى الذى دفع له الثمن الفادح

من أجل هذا نرى أن الرجل الشريف التقى النقى مقصى عن دوائر الحكم ، لا يستطيع إلا البكاء والتفجع لما يشهد فى تلك الدوائر — فى مقالات يدبجها وفى قصائد ينظمها — يناشد فيها أولئك الحكام أن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ويسلكوا فى أعمالهم المحجة ويحملوا بأيديهم مصباح « ديوجنس » يبحثون بضوئه عن الصالحين المختبئين المنكمشين فى الزوايا ، وينتقوهم لولاية مصالح العباد . ومن سخرية الأقدار أننا نرى أولئك الحكام يشاركونه فى دعوته وفى بكائه وفى شجب الشر والإثم وفى استنكار الخروج على الفضيلة ، وهم ممعنون فى اجتراح الحرب ، لماذا لا يكون المثاليون المتحلون بمكارم الأخلاق من رجال الحكم ، ولماذا لا نرى فى الغالب الحاكمين وكبار أصحاب المناصب ، حتى الصغار إلا من طغمات الانتهازيين والوصوليين ، وإن وجد فى دور الحكم المتنزهون عن المطامع ، فهم نفر قليل

يقول دعاة الشر والخبث إن هذا الجيل جيل فاسد ، وأنه ينبغى لنا أن ننتظر الأجيال القادمة التى يؤمل منها الخير — ألا فقولوا إن هذا الكلام يراد منه التخدير وإلهاء الأمة عن الشرور التى ترتكب — فإن هذا الجيل كغيره من الأجيال ، فيه الصالح وفيه الطالح ، ومن الواجب أن نسعى ونبذل الجهود فى منع الطالحين من تولى مقاليد الأمور ، وفى تمكين الصالحين من الوصول إلى الحكم

ويخيل إلى ولا أرانى بعيداً عن الخطل فيما أتخيل ، أنه لو أتيح لأصحاب المثل العليا من الأتقياء الأنقياء أن يلوا الحكم فى البلدان العربية ، لكانوا نجوماً يقتدى بهم ويهتدى ، ولكانوا ينتقون ذوى الصلاح والتقوى لتقلد الوظائف والمناصب فى الدولة ، ولكانوا اتفقوا على وحدة الأمة ولو اقتضت الوحدة خسران مناصبهم ، ولما كانوا رضوا ببقاء هذه الدويلات المهزيلة السقيمة التى لا وزن لها بين الدول ، والتى هى أقوى الحجج على انحطاط العرب وتخاذلهم فى وجه الأخطار التى تحيق بهم من جميع الجوانب ، ولكانوا انتزعوا السخائم من قلوب العرب ، ولموا شعثهم وجعلوا منهم دولة واحدة موحدة ، فتزول الحواجز والحدود المصطنعة ، وتعطى الحرية لتنقل الأشخاص والأشياء فى جميع أراضى الناطقين بالضاد

ولكن كيف يكون ذلك وما السبيل إلى تمكين الأنقياء الحقيقيين من ولاية الأمر فى الدولة ؟ وتمن لى ثلاثة تدابير ينبغى أن تتخذ لمحاولة الوصول إلى تلك الأمنية التى ننشدها :

التدبير الأول : إن معظم الناس يجهلون ما فى الإسلام من المثل العليا ، ويزدرون الدين ويستهترون — ولعل السبب الأكبر فى ذلك هو أنهم لم يربوا التربية الدينية فى طفولتهم ، ولم يتعلموا تعليما دينيا صحيحاً فى المدارس — ويا حبذا لو جعل التعليم الدينى فرضاً فى جميع المدارس العربية وفى جميع مراحل الدراسة حتى الجامعية ، وينتقى لهذا التدريس كبار العلماء المثقفين الشرفاء ، وبهذه الطريقة ترسخ مبادئ الدين العليا فى قلوب الناشئة من البنات والبنين ، وتظل راسخة إذا ظلوا يتلقنون الدراسة فى المعاهد العليا ، وإلا محيت من النفوس ، وينشأون على احترام دينهم وما فيه من أدب للدنيا والدين . ومثل هذه التربية قمينة على العموم أن تجعل الخير غالباً على الشر ، وتخلق فتياناً ذوى تقى ينشرون الفضيلة والحق أينما عملوا ، أفى الحكومة أم فى غيرها

التدبير الثانى : هو تدبير ذو أثر عاجل ، ومؤداه أن يعنى كبار أصحاب المناصب فى الدولة الذين هم من أصحاب المثل العليا ، ووجدوا فى دور الحكم من قبل القضاء والقدر الميمون ، أقصى العناية لاستخدام الذين يخافون الله ، والذين هم شجعان صناديد على الباطل ، جبناء رعاديد على الحق ، فإذا فعلوا ذلك خففوا من وطأة الشر المستفحل

التدبير الثالث : يكون فى جعل الانتخابات للبرلمان حرة إلى أقصى الحدود . إن النظام البرلمانى إنما هو بدعة غربية استوردناها كما استوردنا غيرها من كثير البدع

التي نشأت في أوربا منذ بضعة قرون ، أخذناها بجميع عجرها وبجرها . وعندي إن صح أن يكون لي « عند » أنه يجب تعديل القوانين الانتخابية في الأقطار العربية ، بحيث تشمل القواعد الآتيـة :

القاعدة الأولى : أن تقسم الدولة إلى دوائر انتخابية مستقلة ولا يرشح للانتخاب في الدائرة إلا أحد أبنائها ، لأنه لا يعرف أدواءها وظلاماتها سوى أبنائها

القاعدة الثانية : أن يلغى نظام القائمة المعمول به في بعض البلدان العربية ، فإنه نظام فاسد ، ومحصله أن المرشح الذي يفوز في الانتخاب لا يمثل الدائرة أو الدوائر التي يشملها نفوذ زعيم القائمة ، وإنما هو يمثل الزعيم نفسه ، ويخدم في المجلس متى وصل إليه مصالح الزعيم ومطامعه ، لا مصالح الأمة

القاعدة الثالثة : أن يرشح الشخص مستقلا منفصلا عن الأحزاب والهيئات والحكومات

القاعدة الرابعة : أن تلغى الدعاوات بشكلها الحاضر المخزي الفاضح ، لأنها تجرد الناخبين من حريتهم في انتخاب من تلهمهم لانتخابه ضمائرهم ، ولأنه لا يستطيعها سوى أصحاب الأموال الذين ينفقون عليها فاحش المبالغ من الأموال ، فيحرم الشرفاء المخلصون الأنقياء الوصول إلى مقاعد النيابة ، لأن ضآلة أموالهم وأنفتهم وعزتهم تربأ بهم عن القيام بمثل تلك الدعاوات ، وبذلك تحرم الأمة الانتفاع من أبنائها الأبرار ، ويحكمها بهذه الطريقة الأغنياء التجار ، ويسود نظام « البلوتارخية » . تأمل أن في الدائرة الانتخابية مرشحين ، أحدهما مثر والآخر لا مال له . الأول يقيم الحفلات والمهرجانات يوماً بعد يوم ، يحشد إليها الناس ويغدق عليهم العطايا وأطايب الطعام والشراب والدخان ، والثاني لا يستطيع من ذلك شيئاً (أولا) لقلة ماله و (ثانياً) لأنه يراه شناراً وخزياً . وبمثل هذه الأساليب تصبح مؤهلات النائب الواقعية المال والثراء ، لا العلم والإخلاص ومكارم الأخلاق ، فيا ويلنا مما نحن فيه من الأوصاب التي لن تفضي بنا إلا إلى شر المآب

القاعدة الخامسة : أن يكون عدد النواب أقل ما يمكن ، ويجب أن ينقص النواب في كل قطر إلى نصف عددهم الحاضر ، ولا يزاد ولو زاد السكان

ويا حبذا لو أنعم كتاب « الرسالة » الغراء الروية في هذه الشجون التي يعانيها العرب أجمعون ، لعلهم يهتدون إلى سبل قويمة لإصلاح النظام القائم إصلاحاً ، يمكن أصحاب المثل العليا من أهل العلم ومكارم الأخلاق من تولي مقاليد الأمور ، ومن الوصول إلى مقاعد النيابة التي هي مصدر السلطات كلها

طرابلس الغرب

خليل الخوري

القاضي في طرابلس الغرب

شعراء مهد أشعارهم

عدي بن زيد العبادي – ٣

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا – الأسباب التى أدت إلى وقيعة النعمان بعدى – شعر عدى بن زيد فيا قدم للنعمان من خير ، والصلة بينهما ، وأعدائه

وثمة شخص آخر لم أقدمه إليك، وهو عدى بن مرينا ، من أشراف الحيرة ، وأظنك تذكر أننى حدثتك أن المنذر قد دفع بابنه النعمان إلى عدى بن زيد ، ودفع بابنه الأسود إلى بنى مرينا . وبنو مرينا هؤلاء منهم عدى . وعدى بن مرينا لم يعجبه ما فعل عدى بن زيد ؛ فقد كان يرى الأسود أفضل وأوفق لأن يكون ملك الحيرة خلفاً لأبيه المنذر ، ولكن عدى بن زيد كبته وغلبه على أمره وتدبيره ؛ فاختار كسرى النعمان ولم يختر الأسود .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً فى بيعة ، وأرسل إلى عدى ابن مرينا أن ائتنى بمن أحببت فإن لى حاجة ، فأتى فى ناس فتغدوا فى البيعة ؛ فقال عدى بن زيد لابن مرينا : يا عدى ، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك ، وإنى قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبى النعمان ، فلا تلمنى على شىء كنت على مثله ، وأنا لا أحب أن تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطينى من نفسك ما أعطيك من نفسى ، فإن نصيبى فى هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك . وقام إلى البيعة ، لحلف ألا يهجوه أبدا ، ولا يبغيه غائلة ، ولا يزوى عنه خيراً أبدا . فلما فرغ عدى بن زيد ، قام عدى بن مرينا ، لحلف مثل يمينه : ألا يزال يهجوه أبدا ، ويبغيه الغوائل ما بقى . ثم قال :

ألا أبلغ عديا عن عدى ... فلا تجزع وإن رثت (١) قواكا
هياكلنا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم بها غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد (٢) سواكا
ندمت ندامة الكسعى (٣) لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

وتقرب عدى بن مرينا من النعمان بالهدايا وغيرها ، حتى أصبح من خاصته ، وأصبح له بطانة يثق فيهم ويتشيعون له ، وكلما عرض ذكر عدى بن زيد دسوا له قليلا أو كثيراً لدى الملك النعمان ، وبلغ بهم أن يدسوا على عدى بن زيد أنه يقول إن الملك عامله وأنه هو الذى ولاه ما ولاه .

وحقيق بدسيسة كهذه أن تؤتى أكلها ؛ فالنعمان ربيب عدى لا شك ، وهو صنيعته لا شك ، وبيت عدى مناوح لبيت النعمان لا شك ؛ إذاً فعدى رجل يخاف ويخشى ، وقد يقول مثل ما قال ، وهى كلمة ثقيلة على أذن الملوك وإن كانوا يعرفون أنها حق لا مرية فيه

وقد ذكر أن عديا صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمان إليه ، فاعترضه عدى بن مرينا ، فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه ، وشربوا حتى ثملوا . ثم ركب النعمان إلى عدى بن زيد ولا فضل فيه ، فأحفظ هذا عديا ، وظهرت الكراهة فى وجهه ، فقام النعمان فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عدى بن زيد فى ذلك :

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى (٤) بمالك
فالمال والأهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك فى يمينك أو شمالك (٥)

وعلى هذا فعدى بن زيد هو الذى شبب بهند وتغزل فيها ، وهو الذى تزوجها على غير رغبة أبيها ، وهو يزعم أن الملك عامله وأنه ولاه ما ولاه ، ثم أخيراً يعتب على الملك ولا يرضى أن احتبسه أحد رعيته وأخره عنه ، حتى يرجع الملك من لدنه غاضبا

وفى يوم شرب النعمان ، فأرسل إلى عدى بن زيد فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، فغضب وأمر بعدى فسحب من منزله حتى انتهى به إليه ، فحبسه فى الصنين (٦) ، ولج فى حبسه

(١) ضعفت (٢) فلا يهلك

(٣) الكسعى رجل من كسع ، حى من قيس عيلان ، وهو رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه ، فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل فعله

(٤) يذهب به ويفنيه (٥) أنت تحكم فينا كما تحكم فى إحدى يديك أو كلتيهما (٦) بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر

وقد مكث عدى فى السجن مدة طويلة . وارسل أشعاراً تصف ما يلاقيه فى سجنه من أذى وضر ، وأنه ما كان يليق مجازاته بمثل هذا ، وأنه عومل معاملة الأعداء ، مع إخلاصه للملك وتفانيه فى خدمته ، ومع أنه رمى عن الملك ونافح عنه . وذكر فيها مصاهرته الملك وزواجه من أهل بيته . وذكر فيها أنه دبر له حتى فاز بالتاج وملك الحيرة . ولكن الأعداء قد قلبوه ، ومحلوا محالهم ، وصرعوه

ليت شعرى عن الهمام ويأتيك بخبر (٧) الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا (٨) المال والأنفس إذ ناهدوك يوم (١٠) المحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمو ن وأرمى وكلنا غير (١١) آلى
فأصيب الذى تريد بلا غش وأربى (١٢) عليهمو وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم ألق ميتة الأقتال (١٣)
محلوا محلهم (١٤) لصرعتنا العا م فقد أوقعوا الرحا (١٥) بالثفال

فهو فى هذه الأبيات يذكر الملك بما قدمه له ، وأنه عرض نفسه وماله للمخاطر حين نهض لرد كيد الأعداء ، وأنه كان يناضل أعداء أقوياء ، وأنه كان ظافراً بهم ظاهراً عليهم ، ثم يتمنى أن لو كان أخذ حتفه بكفه بدل أن يموت ميتة الأعداء ، ولكن هؤلاء الأعداء كادوا كيدهم ونجحوا فيه

ثم ها هو ذا عدى يذكر للملك النعمان دخوله على كسرى يوم أراد أن يختبرهم ويعقد لأحدهم على الحيرة ، وكيف أنه كان يمالئ إخوته بقول ويبطن غيره ، وكيف أنه كان لا يدع خصمه يخالف ويعاند ، وكيف أنه لم ينكل ولم يحجم حين دخل النعمان على كسرى فى هذا اليوم العصيب :

وكنت لزاز (١٦) خصمك لم أعرد (١٧)
وقد سلكوك (١٨) فى يوم عصيب
أعالنهم وأبطن كل سر
كما بين اللحاء (١٩) إلى العسيب (٢٠)
ففزت عليهمو لما التقينا
بتاجك فوزة القدح (٢١) الأريب

وهذه أبيات يذكر فيها عدى النعمان بسعيه له وجهاده من أجله ، ويحذره أن يكون كالذى يداوى نفسه ، وبعد أن برئ ، عاد فأوهن نفسه وأمرضها . ومعنى هذا أن للنعمان بعدى قوة ، فلا يضعفن نفسه بحبس عدى أو قتله :

لا تكونن كآسى (٢٢) عظمه
بأسى (٢٣) ، حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغى (٢٤) وهنه
ينحون (٢٥) المشى منه ، فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها
لك فى السعى ، إذا العبد كفر

وما كان عدى يتوقع الشر من النعمان ، صهره ، وصديقه ، وشريكه فى السراء والضراء . وإذا كان الشر منه ، فإنه لا يجد له دفعا ، كالشرق بالماء ، فإنه لا يجد ما يعتصر به ، لأن الاعتصار يكون بالماء ، فإذا شرق الإنسان به ، فإنه يكون قد أتى من حيث يأمن ويرجو السلامة . وعدى صهر النعمان ، وقد كان حماد كاتباً للنعمان الأكبر ، وكان زيد ملكا على الحيرة قبل المنذر :

أبلغ النعمان عنى مألكا (٢٦)
أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى (٢٧)
ليت شعرى عن دخيل (٢٨) يفترى
حيثما أدرك ليلى ونهارى

---

(٧) بحقيقة الأنباء (٨) بذلنا للمال والأنفس (٩) نهضوا (١٠) يوم الكيد (١١) غير مقصر (١٢) أربى : زاد وفاق (١٣) جمع قتل وهو العدو (١٤) كادوا كيدهم

(١٥) الرحا معروفة . الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا

(١٦) فلان لزاز فلان : لم يدعه يخالف ويعاند فهو قرنه وقاهره (١٧) أنكل وأحجم وأفر (١٨) أدخلوه

(١٩) قشر العود (٢٠) جريد النخل اذا جرد من خوصه (يقول إنه يبطن السر ولا يبوح به كأنه بين العود وقشره) (٢١) القدح يسهم به ، الأريب: الفائز (٢٢) الآسى : المداوى (٢٣) بدواء (٢٤) ضعفه (٢٥) يطلبن (٢٦) رسالة (٢٧) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا (٢٨) عدو

قاعداً يكرب نفسى بثها (٢٩)
وحراماً كان سجنى واحتصارى (٣٠)

أجل نعمى ربها أولكم (٣١)
ودنوى كان منكم واصطهارى (٣٢)

نحن كنا — قد علمتم — قبلكم
عمد البيت وأوتاد الإصار (٣٣)

وأنت قد عرفت ما بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا من شنآن وبغضاء ، وأن ابن مرينا ناصب ابن زيد العداوة وعالنه بها ، وظل كذلك حتى أفلح فى كيده وشيع خصمه إلى السجن ، وعاش هو فى رغد من العيش وعز وبحبوحة :

ألا من مبلغ النعمان عنى
فبينا المرء أغرب (٣٤) إذ أراحا (٣٥)

أطعت بنى بقيلة فى وثاق (٣٠)
وكنا فى حلوقهم ذباحا (٣٨)

منحتهم الفرات وجانبيه
وتسقينا الأواجن (٣٨) والملاحا (٣٩)

---

(٢٩) يشتد عليها حزنها (٣٠) حبسى (٣١) أحسن الى من أجل نعمى نماها أولكم ورعاها (٣٢) المصاهرة (٣٣) الطنب (الحبل) تشد به الخيمة الى الوتد (٣٤) كثر ماله وحسن حاله (٣٥) مات (٣٦) حبسى واعتقالى (٣٧) وجع فى الحلق (٣٨) جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون (٣٩) جمع ملح وهو الماء المالح

للبحث بقية **محمود عبد العزيز محرم**

شذرات فى الحياة

«مهنة» الصداقة..

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

إن انتفاء صاحبى منصرف إلى ضرورة تصوير حقائق الحياة فى ألفاظ ، ومعان ، وعبارات ؛ فقد وقر فى نفسه توقير البيان ، وحمى على وقدة ثورته غيث الغوث مما يعانى من ضيق بشغل باله ، وحزون مضايقات تعقد حزنه !

جاءنى هذه المرة فى تأفيف الضجر ، وهو ينفخ فى موقد غيظه ؛ فحسبت أن أمرا عقيما التاث عليه عقمه ، أو حادثا مفاجئا أذهب بانئاد صبره ، ورأيت التثقيل عليه فى المساءلة قد يدعوه إلى البرم بى ؛ فخففت ولم أستخف ، وما زحته من دون أن أسف. ثم قلت : ماذا دار فى فلك دولتك هذا اليوم ؟

قال وقد لمعت فى عينيه بوارق غضب : يحسبك الناس على انطوائك غير بصير لكنك تحب المشاغبة الساكنة ، والإفاضة الساهية ، وترسل القولة معربدة فى حيائها ، وهذا ما يجعلك معقدا فى اعتقادى

قلت : لا يعقد نفسه إلا « البسيط » وأحسبك تعلم أن حر النار قد يكون تحت رمادها ، ولست على ما ترى ، غير أن كثرة التعرف على الطبائع يعطى المرء حاسة الخبرة ، ويوقفه على دقائق النفوس ؛ فالبله أو التباله فيه شئ من الفطنة ، كما أن مدعى الصمم يعرف رأى الناس فيه حينما يهمس الجبن فى أذن النفاق ، ويتكشف الواقع من بين صفاقة الإبهام !

قال : كأنك تقر اعتقادى فى أنك داه بدهائك . ؟

قلت : قبح ذو الدهاء المسخر عقله لسخرية من الناس !. وجل ذو الفطنة الذى يفطن إلى الأمور من دون أن يفطن إليه أحد

قال : أما قلت لك : إن تلاعبك باللفظ يستر ألاعيب نفسك ؟

قلت : إن الحياة فى عرف الحكماء ألعوبة ، وعند اللاهين أرجوحة ، ولدى القانعين دمية ، وفى مرأى المخدوعين امرأة حسناء ، وعند الشعراء رجاء مضيع ، ولدى البخيل صديق ودود لا يخون عهده ، ولا يمنع رفده ، ولا يقطع وده !

قال فى سرور ساذج : لقد أتيت بما أردت ؛ فقد دار فى فلك دولتى كما تقول خاطر نحو الصديق ، وقد قالوا : إنه مشتق من الصدق ، وذهب الطيبون من الناس يستطيبون الحديث فى شأنه ويصورونه صورا تخلب اللب ، وتسترق القلب ، حتى يحسب الإنسان أنه حقيقة من الحقائق التى يجب الإيمان بها ، غير أنى لست بمصدق شيئا من ذلك ؛ فالحياة لا تقرنا على ما ندعى ، ووقائع الأمور تنافى دعوانا فى وجود هذا الشئ الذى أطلقوا عليه

أربعة حروف يمكن الاستعاضة عنها بأربعة آخرها حرف القاف أيضا ... !

قلت : ماذا ؟ .. ماذا .. ؟ ، إنك تضرب في واد بعيد ؛ فإن الرأى وليد المعرفة المستفادة من طبيعة الأمور ؛ فما هي الألفاظ التي تريد استعاضتها حتى تصور حقيقة كلمة « صديق » !!

قال : لن يفلت زمام القول مني ؛ لأعلمك مدى تعلق بالحقائق ، وعدم تحلق بالأوهام

قلت : قد يكون الوهم في بعض الأمور تصويرا لحقيقة غائبة لكني لا أريدك على ملازمة عقيدتي في تقدير طبائع الأشياء ...

قال : على أية حال ؛ سأعلمك أن الأحرف الأربعة لن تترك مدلولها في ذاتها لكنها لا تتعدى تركيبها إلى إنسان من لحم ودم ؛ فلنقر بأن هناك صورة « لفظية » اسمها « صديق » لكن اللحم والدم مصوران في تصوير لشيء آخر مخيف ، مفظع كئيب لا تود العين أن تقع عليه ...

قلت : أعترف بأن بحثك مشوق، لكني لا أعلم قدر تسميتك لمن نطلق عليه اسم الصديق وهو موضع الأنس ، وأصل الرجاء، وهتفة القلب !

قال — مستضحكا — : كلام شعر ! ، وكم جنى الشعراء على أمثالك ؟

قلت : إنك لعنيف اليوم ؛ فرفق وترفق !

قال : لعلك بدعوتك إلى رفقي وترفقي تريد إنزالي منزلة ما تتوهم أنه « صديق » ؟

قلت : ومن ذا أنت إذن ؟

قال : أنا رجل أستطيب الحديث معك ؛ فأحادثك لأضيع وقتي في أمر ذي بال لأني لست عاشق لعبة النرد أو الورق أو « الشطرنج » !

قلت — معجبا — : تريد القول بأن تعرفك على مصدره « رغبة » في نفسك تريد الإفضاء إلى إحساس مشترك ؟

قال . لقد قاربتني ، وأدنيت شعورك مني ؛ فلولا رغبتي في قضاء وقت معك ما أريتك وجهي

قلت : أو تجابهني بهذا القول ؟ ، أما تعلم أنه موضع إعجابي ؟

قال : قلته لأني لست في منزلة « صديق » !

قلت : وما الذي كنت تسوغه إذا أنزلت نفسك منزلته ؟

قال — في تهكم — : أقول : جئت لأطالع طلعتك البهية !!

قلت : وبماذا تطلق على نفسك إذ ذاك ؟

قال : أطلق أربعة أحرف كما قلت ، وسيكون آخرها « القاف » !

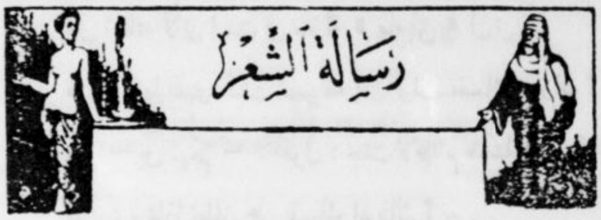
قلت — معجلا — : قل ؟ .. جعلت فداءك ..

قال : « نفاق » !!

أليست كلمة أنيقة ، رشيقة ، دقيقة ؟ ، أليس فيها وقع موسيقى على السمع ؟ لكن ما أقسى وقعها على قلوب الأطهار !

قلت : لقد كان اليوم دورك في هذا البحث الشائق ، لكني أزيد عليه بأن الصداقة غدت « مهنة » ، تسير في ركاب المنافع ، وتنصرف إلى النفاق لتستقر في الأعماق !!

بور سعيد — **أحمد عبد اللطيف بدر**



ربيع بلا أحبة (*)..!

للأستاذ أنور العطار

عاد الربيع وما عاد الأحباء   لا الزهر زهر ولا الأنداء أنداء
يظل يسألنى عنهم بلا سأم   قلب يعيش بهم، والقلب أصباء
كانوا به أمس أشواقا مبرحة   واليوم هم فيه أحلام وأصداء
مات الهوى فيه إلا همس هامسة   لها الأضالع ساحات وأبهاء
فيا ربيع الهوى لا زلت مؤتلقا   يرف فيك الشذا والزهر والماء
لقيت فيك أحبائى وظللنى   من سرحة الحب أطلال وأفياء
أبيت أرفل فى بشر وفى دعة   ليست تزول، ودنيا الحب فيحاء
إذا الصباح ترآءى فى محفته   أغنى صباحى من مرآك أضواء
وإن أطل مسائى واجما فرقا   جلته منك يد للحسن بيضاء
فأنت لى فرحة الدنيا وزينتها   ما عاود العين إصباح وإمساء
وأنت أنت أناشيدى وأخيلتى   وذكرياتى، وأنت البرء والداء

* * *

أطوف بالروض لا عطر ولا نغم   ولا فتون ولا حسن وإغراء
وأنثنى وفؤادى ما يفيق أسى   كأننى دمعة فى الخد حمراء
أطوى جواى وتطوينى لوافحه   ويقتل النفس أوجاع وأدواء
دنياى بعدك أسر مرهق ونوى   ليست تطاق، ودنيا الصد جرداء
ما فى جوانبها سحر ولا عبق   وإنما هى أوصاف وأسماء
خلت من البشر لا الأرواح تؤنسها   كأنها رمم غبر وأشلاء
يظل آدم فى أرجائها قلقا   يبكى سرابا توارت فيه حواء
أغص بالدمع إما طاف طائفها   كأننى حسرة فى الصدر خرساء

* * *

يا أيها الشعر خلد ذكر من رحلوا   فهم ربيع وأفراح وأشذاء
وناجهم وارعهم فى الترب مارقدوا   ما غير الحب تفريق وإقصاء
لولاهم ما صبت نفس، ولا صدحت   على أماليدها فى الدوح ورقاء
هم علموا القلب أن يحيا بذكرهم   وماله يوم غابوا عنه أهواء

* * *

يا بؤس للقلب إن عاد الربيع ولم   يعد من الغربة الكبرى الأحباء

أنور العطار

(*) من ديوان « وادى الأحلام » المائل للطبع

انتظـــار

للأستاذ كمال نشأت

نام المساء .. وها أنا وجدى أسامر لهفتى
مترقبا فى غرفتى أصـــداء خطو حبيبتى
ومشـــاعرى نبع يقيده جمود الصخرة
وخواطرى أرجوحة حيرى .. تعذب يقظتى
نهب الظنون فينطفى نجم ينور مهجتى
ويلفنى ليـل .. وتغمرنى ثلوج كـآبتى
وتعود من كهف الشعور .. من المهاوى .. غيرتى
تروى ملاحم حبنا المخضوب .. تروى قصتى
لليل .. للجدران .. للباب السئوم .. لقطتى
لدامعى الخرساء .. للصمت الـكئيب .. لوحدتى
أنا فى دجى الأمل المعذب فى انتظار الجنة
كاب تشردنى الظنون ... ملفع بالحسرة
مترقب .. متوفز الأعصاب .. أشرب لوعتى
وأود لو كانت هنا .. فى ساعدى .. وغرفتى
أشكو لها فتهش حانيـــة لتمسح دمعتى
أشكو لهـا فتجيل كفا محسنا فى جبهتى
أشكو فراغا جاثما بفتات حـــلم شبيبتى
ودجى يجـــر على دمى أفراح فجر ميت
ورؤى — كأحزان العبيد — تهدت بسريرتى
وتوثبـا يحبو بقلبى باردا كالدميـــة
ونملة كم صاغها قلب .. أســـير نملة
فتفرهى عنها وساد من أفاعى وحشتى
يا أخت إحساسى .. ويا جرحى السعيد .. تلفتى
أنا فى انتظارك مهجة تهتز فوق الهوة ..!

كمال نشأت

الكتب

في المحـــراب «ديوان»

تأليف الأستاذ محمد عبد الصمدى

للأستاذ محمد رجب البيومى

منذ أكثر من خمس سنوات قرأت فى مجـــلة «الكاتب المصرى» قصيدة طـــويلة تحت عنوان «بين المثالية والطبائع البشرية» وقد راقنى منها وضوح الفكرة، وقوة النسج، ودقة التحليل، فاضطررت إلى تكرارها مرات عـــديدة حتى علق بذهنى كثير من أبياتها، واخذت أفتش فى مجلاتنا الأدبية، عن شعر آخر لكاتبها المبدع فلم أوفق إلى شىء، حتى وقع فى يدى منذ أسبوع ديوان «فى المحراب» مبدوءاً بهذه القصيدة الفريدة فأخذت أطالعه فى كثير من الشغف والإعجاب، وشاهدت بين قصائده نظائر عديدة للقصيدة الأولى، فعلمت أن الينبوع الذى ينحدر منه هذا الشعر الجيد، دافق جياش لا ينضب له معين، وأسفت حين علمت أن ديوان «فى المحراب» قد صدر منذ عامين، وسكتت عنه المجلات الأدبية، فلم نقرأ له نقداً فى صحيفة، أو تقريظاً فى مجـــلة، مع أننا نطالع فى كل يوم كلمات كثيرة تدور حول دواوين ميتة لا تشبع عقلاء ولاتحيى عاطفة، وهكذا يرسب الدر فى قاع المحيط، بينما يتناثر على سطحه الأشلاء والعظام

ومن الخير أن نكشف عن المميزات التى تظهر فى شعر الأستاذ الصمدى واضحة بارزة، وقد يكون أهمها ما نلمسه لدى الشاعر من عمق فى التحليل، وقوة فى التحليق، وجزالة محكمة رصينة، !! وتلك هى الأركان الثلاثة التى ارتقت بديوانه إلى منزلة سامقة تشرفه وتعليه، ومما يزيد في قيمتها الأدبية أنها تطرد فى سياق واحد، فلا تتخلف ميزة عن أختيها، فى قصيدة من قصائد الديوان، بل تظهر ثلاثتها متجاورات متآخيات !!

وإذا كان الشاعر فى جميع قصائده متشائماً متضايقا، برماً بما حوله من الناس والأحياء، فهذا مما لا يؤخذ عليه فى شىء، لأن لكل إنسان آماله وأحلامه. ومهما أحث السير نحو أهدافه فلن يقرب من مثله وأشواقه، وهنا تكون الحسرة الوحية بالتشاؤم والقلق لدى أكثر الشعراء، وقد يكون الحظ التعس مولعاً ببعضهم فيقف له بالمرصاد، ينغص عيشه، ويكدر حياته، وينقله من الخفض الناعم، إلى الجدب الموحش ويجسم له أشجانه فتصبح أشباحاً قاتمة، تطوف أمامه موترة بالسواد، وتظل طيلة ليله عابرة أمام عينيه، تشرد نومه، وتهيج بلابله، !! وصاحب الديوان أحـد هؤلاء الرازحين فى ليل من البلابل والشجون، وتظهر ميزته الأولى فى دقة التحليل وعمق الاستقصاء، حين يتحدث عن أشجانه ورزاياه !! فيصف لك البوم الذى ينعب فى صدره مولولا، ويسمعك الصخب المائج بين الضلوع فى ظلمة الليل وقد سكنت حركة الأحياء والأشـياء، ويريك الأشباح المتواكبة أمامه، وقـد ملأت مسامعه بالزمازم والرعود، وأسـلمته إلى الذكريات البعيدة والقريبة فبعيدها ضعيف الجرس، حار الأنة، وقريبها صاخب ملحاح شديد اللوعة والغرام، والشاعر فى حيرة مقلقة بين القريب والبعيد، ولن تقف هذه الحيرة أمام شـاعريته، بل أفسحت له مجال الوصف والتحليل فاندفع يقول

يلف الدجى منى مراح بلابل ومثوى شجون لا تريم جثوم
لها صخب خلف الضلوع مبعثر فمن ناعب يذكى الأسى وبغوم
كأنى ناى فى يد الليل جائش بما فى الورى من رائم ودميم
إذا أذهب الليل الحياة أعادها قيامى على أعبائهـــا ولزومى
ألا شد ما أوقرت نفسى بفادح أنوء به تحت الظـلام جسيم
وأشباح ليل ما تنى فى هتافها أذنت لهـا من بعد طول وجوم
فى الشرق منها هاتف بزمازم وفى الغرب منها هاتف بهزيم
وطورا يشق الليل داع مرزأ بصوت من البعد السحيق سقيم
له أنة حرى على ضـعف جرمها كأنة مصدوع الفؤاد كليم
وتصخب طورا حين أصغى لهامها فأمسى كأنى فى مناحـة بوم
من الطارق الملحاح بابى، وللكرى يد فى الدجى ألوت بكل نؤوم

وكثير من الناس يسهرون الليل ساهمين محزونين يفـكرون فى حظوظهم العاثرة، وسيجدون صورة ما يعتادهم من الشجن والرعب فى هـذه الأبيات، ونظائرها من الديوان، وكم للنفس

من خلوة رهيبة ، تكتنفها الوحشة ، وترتعد لهـا الفرائص الصلاب ، ولا فرق بين المسير فى غابة رهيبة نائيـة ، وبين التسرب فى أعماق الشجون ، وتذكر المصائب والويلات ، والحزين من هواجسه فى مأسدة عالية الزئير ، مرتفعة الصياح ، فليس عجبا أن يسمع الشاعر فى وحدته الساكنة ، مناحة البوم ، ورنين الأنات ، ويرى نوائب الأشباح أسرابا خلف أسراب !

وقد استعان الأستاذ الصمدى بخياله الجنح الطائر ، فنظم ملحمة طويلة يصف بها يوم البعث كما ينطبع فى مخيلته ، ولم يشأ أن يصور حلقات سريعة لما يتخيله من الحوادث والوقائع فحسب ، بل أراد أن يبرز فلسفته فى الحيـاة والناس فى جو من الإيحاء والإبهام ، ولم يفارقه تشاؤمه المرير قيد لحظة ، بل ظل يظفر بين سطوره من بيت إلى بيت دون أن يخلد إلى الراحة والاطمئنان ، بل إن الملحمة تدور حوله رائحة غادية !! فحين نفخ إسرافيل فى الصور ، ونهضت الرمم البالية من الأجداث ، وهبت هبوب الدبا فوق المروج والأعشاب ، ودبت الحياة على الأرض من جديد ، حين كان ذلك ، فزعت الملائكة فى السماء ، وجعلوا يتساءلون عن هـذا البعث فى قلق وإشفاق ؟ كيف حان على غير أهبة ؟ وما مصيره وعقباه ؟ ولأى غاية كان ؟!! ولجأوا إلى إسرافيل يستفسرون عما صنع من جليل الخطوب حين نقر فى الناقور ، وقد توجسوا الشر إذ أنذرهم ببعث الآدميين من جديد ، وظنوا الأظانين بأبناء حواء ، واندفعوا يقولون فى حسرة وإشفاق

رويدا ملاك الصور ماذا تقوله ... أهبوا على الطبع القديم المدابر
إذن سوف ينضون السلاح كمهدهم ... غلابا على الأخرى غلاب المغاور
فلن يجنحوا للسلم والطبع قائد ... يجاذبهم حرص النفوس الغرائر
غرائز غشت تحتها مشرق الحجى ... ورانت على الأبصار فوق البصائر
وليس الحجى كالطبائع فيهم مؤصلا ... ولـكنه للمرء إحدى المفاخر
مضى الناس طرا ما ألموا بقدسه ... سوى نفر منهم قلال عباقر
وسائرهم أسرى الغرائز خطهم ... عليهن من مأثوره ـ حظ تاجر

وهذه النظرة الجاحدة للانسان نجد ما يبررها لدى الشاعر من واقع عيشه ، وظروف حيـاته ، فقد نازعه بعض الموسرين منازعة قضائية ، واغتصبوا منه ظلمـا مالا يجوز أن يقربوه فى شئ ، والتبس الأمر على القضاء فأيدهم بسلطان القانون ، ولم يجد الشاعر غير القريض ينفس به عن ذات صدره ، ويبثه تباريحه ومواجعه ، فامتلأ ديوانه بهذه القذائف الصائبات

وقد وفق الأستاذ الصمدى فى ملحمته هذه توفيقا حميدا ، فبرزت ميزته الثانية فى التحليق مع الخيال إلى القمم والأجواز ، فلم يبرز يوم البعث ، دون مقدمة تمهد له وتؤذن به ، فالأثير يدوى بأصداء خفاف عوابر ، والأفق موحش يتجاوب فيه الصدى مجاوبا مرهوبا ، والسـكون الشامل يدفع الأحشـاء إلى حركة تؤذن بالانفجار ، والأثير يتجاوز الخفق — بعد قليل — إلى الزمجرة والقصف ، والضبـاب يتدجى على الثرى فى تكاثف والتحـام ، والدخان ينتقل مع الريح كالدخان المتصاعد من المباخر العاليات ... والسحاب والسديم والبحار تأخذ فى مرآة الشاعر صورا مهتـاجة فزعة ... تجد هذا كله حين تنصت إلى قوله فى مقدمة ملحمته الجيدة

أذنت إلى خفق الأثير وقد هفا ... يدوى بأصداء خفـاف عوابر
وللأفق حولى وحشة أولت الصدى ... وضوح شـهاب عابر فى الدياجر
سكون تكاد النفس توجس خلفه ... حشـا مستفزا بانفجار مخامر
على صفحتيه ما يقى نبض منذر ... كنبض سراج فى السموات ساهر
لآنست إرهاصا لأمر مروع ... وراء أسـارير الأثير المواثر
فلو أن مذياعا يبين ما انطوى ... عليه لأجلى موجه عن زماجر
وما هى إلا أن تدجى على الثرى ... ضباب إلى غيم على الأفق سائر
وصعدت الأرض الغبـار كأنه ... على الريح مذرورا دخان المباخر
هنا السدم قد ذرت ، هنا السحب بعثرت ... هنا طافر ينزو إلى جنب طافر

وتمضى القصيدة إلى نهايتها فى هذا السياق الرصين !!

والقارئ يغتبط كثيرا لتآخى الجزالة الرصينة مع الخيـال السابح المحلق ، فى شعر الأستاذ الصمدى ، إذ أن التزام الجزالة يصرف الشاعر غالبا عن سبحاته النائية ، ومهامهه الشاسعة ، ونحن نرى عشاق التحليق والطيران من الشعراء يسرعون إلى مطارحهم النائية ، ويرتقون إلى أجوازهم العالية فى أسلوب لا يرضى عشاق الرصانة والأسر ، فالتعبير مفكك غير متماسك ، والتركيب مضطرب فاتر ، واقرأ ما لدينا من الشـعر الحديث فى الملاحم والأساطير ، فلن تجد للرصانة أثرا يرضيك ، بل إنها فى مذهب أصحاب الملاحم ضرب عتيق من التقليد المظلم الذى يتعذر

أن يجد سوقه الرائجة فى هذا الأفق الطليق ، وقد دفعهم إلى هذا الاتهام القاسى ما يجدونه – غالبا ... لدى أنصار الجزالة من ضيق فى الثقافة والخيال والتحليل ، إذ أن قصائدهم – فى الأكثر – تضطرب فى نطاق ضئيل من المعانى المتوارثة الشائعة – وإذا جنحوا إلى الابتكار الشائق فلا يتجاوزون حدود الاستعارة والتشبيه ، مما يتعلق بالبيت أو البيتين ، لا أن يعم الابتكار فكرة القصيدة ، وأغراضها وأوزانها ، فتكون له الدقة والطرافة والتوثب ، وقصيدة الشاعر عن يوم البعث محاولة طيبة لتقريب الشقة بين المذهبين المختلفين ، وإن كنا ندعو الأستاذ الصمدى إلى التخلص قليلا من بهارجه اللغوية ، التى تبرز بوضوح فى صفحات ديوانه .

فقارئ الشعر لا يصبر على مراجعة الهوامش كقارئ المنطق والفلسفة ، ولكنه يريد فاكهة عذبة مريحة ، يلمس فى يديه نعومتها الشفافة ، ويرى بعينيه صورتها الخلابة ، ويذوق بفمه حلاوتها المشتهاة ، وهذا ما تحول دونه ألفاظ المعاجم ، فى بعض الأحايين ، ومعاذ الأدب أن يفهم القارئ من هذا الرأى أننا نتنكر للجزالة والأسر ، بل نسير معهما إلى أبعد شوط وأقصاه ، ولكننا لا نراهما فى حاجة إلى الألفاظ الغريبة عن السمع والعين والفؤاد ، وأكثر ما لدينا من شعر الديوان سائغ رائق ، قد خلص من الغرابة والإيحاش

وقد لاحظت أن الشاعر – أقر أم لم يقر – متأثر فى بعض قصائده بشاعرية الأستاذ العقاد ، فقد أخذ عنه حبه للتعليل والتدقيق ، ورغبته فى جدله العقلى المترف الذى يندس إلى أغوار الحياة ، فيجد فيها مادة للتفلسف والمقارنة ، وهذا لا يعيب الشعر فى شئ – كما يرى السطحيون – ما دام ملموسا واضحا أمام الذهن البصير ، بل يرفعه إلى مستوى شامخ تتواثب فيه العواطف والعقول ، وقد ظهر فى هذا التأثر فى كثير من قصائد الديوان ، كنجوى الأمل ، وعلى رفات البشرية ، والله والوجود ، وإن لم يلحق الصمدى بأستاذه العقاد فى الدقة والصدق والإقناع ، بل وقف منه عن كثب يطارحه ويحاكيه ، واقرأ دعوة الشاعر إلى خداع النفس ، والهروب من الحقائق ، وتناسى الواقع ، لتلمس الشواهد الدالة على ما ندعيه فى مثل قوله

قد ضقت بالحق الصراح   فمن لنفسى بالمراء

والعيش عبء فادح   إن لم يموه بالطلاء

أحبب بآلك لامعا   عندى وإن لم ألق ماء

إن كنت لم تنقع صدى   فسواك يغرى بالظماء

حسبى بأنك مالئ   عينى سحرا بالرواء

يا أيها الأمل المنمق   من أفانين الغباء

إنى لقيت بك السعا   دة وهى حظ الأغبياء

لو أن لى لبا لما   آنست فى أفق هباء

أنا لو وثقت بظلمها   فعليك يا عقل العفاء

هذا ، وقد عاش الشاعر فى الريف تخصه بكثير من خواطره ، فهو يصف طبيعته الفاتنة وسحبه وبروقه وغمائمه ، ويشارك أهله ما يجدون من عواطف وأحاسيس ، فيرثى أقطابه وذوى الوجاهة فيه ، ويرسم ألواحا بديعة للجمال المشترك الموزع بين الروج والحسان والغدران ، مما يزين جوانب الريف ويجلو حنادسه المتراكمات ، وتعجبنى نظراته الاجتماعية الصادقة ، وخلجاته الإنسانية التى التمعت متوهجة فى آخر قصيدة « من صور الريف » فهو يحدثك عن تعس العقل وشقائه ، حين لا يجد بدا من الخضوع للأوهام والأضاليل ، بعد أن كابد الداء العضال وأعوزه الشفاء من طريقه الطبيعى للعلاج ، فيلجأ إلى التمائم والرقى والتعاويذ ، على يد أناس جهلة مماسيخ !! راميا بآخر سهم فى كنانته ، وذلك قصارى ما يستطيع !!

وجاء شيوخ الحى والكل ناهض   بأبلاله من دائه المتفاقم

وقالوا عليه باللحى لكأنها   لبود ليوث ساء طب الضراغم

ومسوا بأيديهم يديه وأقبلوا   يلوكون بالأفواه رجع الهماهم

وقال كبير القوم خذ هذه الرقى   فنطها على اسم الله فوق الجماجم

ونطت بأعلاه ، التمائم والرقى   على سوء ظنى فى الرقى والتمائم

ورب فتى لم يعصم العلم نفسه   فيلقى بها ضعفا إلى غير عاصم

ولهذه الوثبات الرائعة نظائر متناثرة فى صفحات الديوان ، وقد يجمح بنا اليراع إذا تناولناها ببعض التشخيص فى هذا النطاق الضيق المحدود !!

ولعل بهذا العرض السريع ، لأبرز عناصر الديوان ، ألفت كثيرا من القراء إلى الاطلاع عليه وتقديره ، وقد يكون إعجابى به دافعا إلى التغاضى عن بعض هناته الطفيفة ، فعين الرضا عن كل



النطق بالضاد

قرأت مقال معالي الدكتور محمد رضا الشبيبي بعنوان (بين الفصحى ولهجاتها) المنشور في العدد ٩٧٠ من الرسالة ، فلفت نظري ما ذكره عن حرف الضاد . فقد قال في نقده للهجات العامية ، وكيف أنها لا تتبع النطق الفصيح ما نصه : —

« أما في اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا » . وذكر معاليه أن هذا نوع من اضطراب النطق وفساده (ص ١٣٠ . الأسطر الأخيرة من الحقل الأول)

والذي أعرفه أن اللفظ الفصيح لحرف الضاد هو كما يلفظه المصريون وليس كما ننطق به نحن العراقيين . أي أنه يلفظ مثل حرف الدال مضخماً . فقد جاء في محيط المحيط ما نصه : —

(الضاد هي الحرف الخامس عشر من حروف المباني ومخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس . ولا أخت لها عند سيبويه . وقال صاحب العين هي أحد الأحرف الشجرية . والظاء مخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أخت الذال والثاء بالاتفاق ، وتسمى هذه الثلاثة الأحرف اللثوية لأن مبدأها من اللثة . وإتقان الفصل بينها واجب لأن الأئمة المتقنين على أن وضع إحداها موضع الأخرى مفسد للصلاة . قيل الضاد للعرب خاصة وليس له حرف يقابله في باقي لغات الساميين ، ويقابله عند الأفرنج حرف الدال في بعض

عيب كليلة غضيضة ، وحسبي أن أوجه القارىء إلى ديوان لم يسمع عنه ؛ وقد حفل بكثير مما يلذ ويستطاب ، راجيا أن يجد فيه ما وجدت من البراعة والطرافة ، فيستشعر الأنس والمتعة والارتياح ، وذلك شيء له حسابه الدقيق ، وقدره الراجح الوزون !!

أبو تيج **محمود رجب البيومي**

الأحوال فيلافظ كالفظه)

هذا ما جاء في محيط المحيط، ولولا ضيق المجال لذكرت شواهد أخرى من كتب اللغة تؤيد ما قلت

بغداد **المحامي يوسف عجاج**

هل يخطئون عامدين ؟ !

إذا كنا نسكت على مضض عن بعض الأخطاء التي ينزلق إليها المتحدثون المفروض فيهم أنهم غير متخصصين — ولا أقول إخصائيين — في اللغة العربية ، فقل لي بربك كيف نستطيع السكوت عن أغاليط بعض الأدباء النابهين ؟!

إن أحد الكتاب الأفاضل يكتب تعليقاً على الأنباء ويذيعه قبيل الساعة التاسعة مساء مرة أو مرتين في كل أسبوع ، وقد سمعته في المرة الأولى فكذبت سمعي ، وفي المرة الثانية قلت لعل له عذراً وأنت تلوم ، وفي المرة الثالثة ظننت أنه يخطيء عامداً لكثرة ما أذهلني من أخطاء ، فهممت بالكتابة إلى الرسالة الغراء مستفتياً بها ، ولكن حبي لشخص الكاتب الكبير كان يحملني أقدم رجلا وأؤخر أخرى (١) ، حتى إذا نفد صبري وامتلأت الكأس استخرت الله وبعثت بهذه الصرخة محملا إياها ما علق بذهني من أخطاء وقعت في حديث قصير أذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر :

فالخطأ الأول هو أنه نطق بكلمة « يكسب » بفتح السين والصحيح الكسر « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه » . والثاني أنه نطق كلمة « نضجت » بفتح الضاد مع أن كسرها هو الصحيح « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » . ولي أن أستطرد فأقول إن استعمال كلمة « نضوج » هو استعمال خاطيء ، والصحيح أن يقال نضج نضجاً على وزن تعب تعبا والاسم النضج على وزن قفل . والثالث أنه قال « في صبر أبعد ما يكون .. » برفع كلمة « أبعد » والصحيح جرها . والرابع أنه قال « وما أصدق قول ماهر باشا » برفع كلمة قول مع أنها منصوبة

ألست معذوراً — وهذه هي بعض الأخطاء — إذا ظننت أن هذا الأديب الكبير وأمثاله الأكرمين إنما يخطئون

عامدين ؟!

إن مثل هـذه الأخطاء لا يظهر في المكتوب ، ولهذا فقلما كان يقع نظري على خطأ فيما كان يكتبه الأديب الكبير بالأهرام وفيما يكتبه الآن بصحيفة أخرى أسبوعية ، أما وقـد سمعته فأزعجتني كثرة أخطائه، ولا أميل — على الرغم من هذا — إلى وقف المذياع كما أفعل ذلك مضطرا في بعض الأحيان — فإن من حق أن أطالب حضرته بقراءة حديثه قبل إذاعته مثنى وثلاث ورباع ؛ إذ لولا ظرف خاص يفرض على فرضا أن أحب شخصه الكريم حبا جما لتأثر حبي له وإعجابي ؛ إلى حد كبير

عبدالحميد عمر

إلى الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مما لا ريب فيه أن الفترة الدقيقة التي تمر بدول العالم الإسلامي وشعوبه ، تحتم على هذه الدول أن تتجه نحو التكتل ، بعد أن فشلت المنظمات الدولية جميعها في رفع كابوس الاستعمار الجاثم عليها

فقد فشلت عصبة الأمم من قبل . كما نلمس اليوم فشل هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، في أن تضع حدا لهذا الاستعمار الغاشم الذي يأبى إلا التهام الشعوب الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة ..

الكتلة الإسلامية القوية بجيشها المعد إعدادا كاملا هي التي تستطيع اليوم أن تصون كيان الدول الإسلامية المستضعفة، ولن تكون كتلتنا ضعيفة وفيها أمثال الباكستان .أندنوسيا وإيران ومصر وأفغانستان وتركيا ، بشرط أن تكون لها هيبة الكتلتين : الغربية الديمقراطية . والشرقية الشيوعية . وألا تكون ذيلا لإحداهما ..

ومجلة الرسالة الغراء هي مجلة الأدب في العالم الإسلامي لاالعربي ، والأدب لا يكون بخير في دول لا عزة لها لا حرية ولا استقلال ...

فلتحمل زعيمة الأدب رسالة الكتلة الإسلامية إلى العالم الإسلامي ، ولتبدأ رسالتها بتعريف القراء بالدول الإسلامية دولة دولة : حالتها السياسية والاقتصادية وحالة الأدب فيها..

فهي أجدر بالاهتمام من بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة، ولا أعتقد أن زعيمة الأدب ستتوانى في تبليغ هذه الرسالة ، لأنها جزء مهم من رسالتها . وها نحن أولاء منتظرون

بهجة المنشاوي

سكرتيرة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات

مجلة الناشر المصري

كان الكتاب العربي ينزل في سوق الأدب حائراً لا يجد من يعرفـه تعريفاً موضوعيا منصفا ، إلا بين الحين والحين في مثل مجلات « الثقافة » و « الهلال » و « المقتطف » و « الكتاب » و « الأديب » البيروتية ، و « المجمع العلمي بدمشق » و « الرسالة » . ولم يكن في العالم العربي كله مجلة خاصة بالكتب وحدها ، تنقدها وتعرضها عرضاً غير ذي غرض ؛ وتقدمها إلى القارىء العربي أصدق تقديم . وقد لمس « الاتحاد المصري العام لدور النشر والمكتبات » حاجة القارىء العربي في كل قطر عربي إلى مجلة خاصة بعرض الكتب والتعريف بها والتقديم لها ، فأصدر مجلة « الناشر المصري » وأسند رياسة تحريرها إلى الأستاذ محمد عبدالغني حسن . وقد ظهر العدد الأول من هـذه المجلة التي ستصدر كل ثلاثة أشهر محتوياً على مقالات حول الكتب ودوائر المعارف والمخطوطات العربية ، ومشتملا على تعريف دقيق لأكثر من ١٢٠ كتاباً في أبواب مختلفة من العلم والأدب والتاريخ والتراجم والقصة والفلسفة والاجتماع وغيرها . كما أن فيه إحصاء دقيقاً شاملا للكتب العربية التي ظهرت خلال عام ١٩٥١ المنصرم مع بيان أسماء المؤلفين والناشرين وأثمان الكتب وعدد صفحاتها وقطعها

فنرحب بالزميلة الجديدة ، ونرجو لها التوفيق في رسالتها الجليلة لخدمة الكتاب العربي والقارىء العربي



من الشارع

للاستاذ أحمد عبد القادر الصاوى

المواكب تمتد . الجماعات تتشابك. الطبول تدق . الغناء يعلو

وأنا وحيد .. تتراقص فى ذهنه أخيلة قاتمة ، ورأيت أن أمضى إلى الجموع الحافلة أتصيد اللهو والمتعة ...

وفى مدى دقيقتين توسطت حقل السلوى . وسافرت بين جوانحى تنهدة طويلة . وسال فى وجدانى شعور بالرضى . .

وسارت بى الخطا فى زقاق غير بعيد ، شاهدت كومة مهملة من الخرق ملقاة على الأرض غافلة عما حولها من الضجيج

ومر الشرطى فركلها ليفحصها . وبلغت دهشتى غايتها ، إذ تجمعت الكومة وتحركت — رويدا . وارتفعت ، وشاهدت هلاهيل داخلها إنسان .. أحد أبناء الطريق ممن ينتشرون فيها حاثرين كاسدين . وسأله

— اين أبوك ؟

— لا أبَ لى

— وأمك ؟

— لا أم لى

— اين تبيت ؟

— هنا ! !

ونحاه ، وانطلق متكبرا

وتراجع الغلام إلى مكانه . وتراخى ، وشمله نوم عميق . ووقفت حياله . وثورة من العواطف تجتاحنى

وعبست السماء ، وتلبدت السحب ، وأظلت غمامة ، ودمعت ثم برحت . وأسرعت أوقظه ، فلم يسمع لى . صحت فيه

— قم !

— ليس هذا مكان أحد . لن أقوم

— المطر ينهمر !

— لينهمر ! ليست هذه أول مرة

— قم !

— لا شان لك بى

اختطفته . فانزعج . فطمأنته

— لا بأس عليك

رمقنى بطرف ساج ثم تبعنى

وخرجت معه عن دائرة الفوضى . وطلبت منه أن يصحبنى فأطاع ..

وكنت أسكن وحدى . فأعددت له فرشا . ونام كما تنام الهرة مستكينة مستسلمة

وأصبح الصباح واكتشفت أنه أليف وديع . وودعته وغدوت إلى عملى

وعدت ظهرا . وتلألأت فرحة بين جنبى .. الحجرات تبتسم ، والأثاث يشرق ، وزجاج النوافذ يضئ . كان الأثاث قد رتب ترتيبا ساذجا ، أقرب إلى التنسيق والنظام

وفركت عينى . وعادتا تتصفحان مرة ثانية قطع الدار . لقد أصبحت قشيبة

وسرت البهجة إلى قلبى باردة ناعمة . . سأدخل حياة جديدة ، جميع نواحيها هدوء واستقرار

وواجهته والضحك يتزاحم على فمه . واستحالت الضحكات كلمات بليغة راقية

ومدحت تصرفه ، وسطعت على فمه ابتسامة ردا على كلمات الإطراء التى امطرته بها

وتناولنا غداءنا وخرجت إلى بعض صحبى . وحملت إليه عند أوبتى ملابس من النوع الرخيص . وتهلل وذهب يستحم

ألف الحياة التى تحيطه . وعامل أشخاصا من الحى تربطنا بهم الحاجة . وأثنوا عليه

وأرسلته إلى المكواه . وعاد عابسا . وأظهر أكثر من العبوس ، حين قدمت إليه أتعاب العامل ليؤديها إليه فقال :

— هذا كثير

فهززت كتفى وقلت :

— وما الحيلة ؟

— أستطيع أن أحتال لك

— وكيف ؟

— اشتر لى مكواة وسترى

— لا خبرة لك

— خبرتها هناك

— تهزل ؟

— أجد

وأعجبت كثيرا حين وجدت الأقمصة والبدل، كأنما صقلتها يد الكواء

ستون قرشا أو تزيد استقرت فى جيبى آخر كل شهر. وعالج الغسيل، ورتق الجوارب، وطهو الطعام ونجح. وبلغ فى نجاحه مدى بعيدا

ولقيته مرة حزينا فاستفسرت فقال :

— احسب معى !

أربعة قروش ومليمان صابون. وقرش وخمسة مليمات خبز. وقرش وثلاثة مليمات شاى. وقرش وسبعة مليمات زهرة وملح ...

كم مجموعها ؟

— ثمانية قروش وسبعة مليمات

— فإذا كان معى عشرة قروش، فكم يتبقى ؟

— قرش وثلاثة مليمات

— معى قرش

— لا عليك !

ونلعثم وا كفهر

— سأتعلم الحساب

— من يعلمك ؟

— أنت

وتبدو الوثبة الثانية، وأجد أن أحب شىء لدى حين أجلس لألقنه، وتشربت الاسفنجة الجافة ما ألقيته إليها. وعت ووعت، ولم تتشبع ولم تمتلىء

وفى غضون عام أصبح فى مستوى طالب الشهادة الابتدائية بكتب بطلاقة وخط أسبانى

وضبط الحساب وضغطه، فلم يفلت منه مليم، وتطلعت إلى المسكث فى بيتى. وارتاح صديقى الصغير إلى، واتخذنى أخا ومرشدا. واستوى الحول، ووجدت يدى تتحكم فى ثلاثين جنيها. مبلغ ضخم ! يا لله !

وازددت حدبا عليه، وازداد كلفا بى، والأيام تمدو وتنطلق وفتاى ينمو نموا مطردا، ووجهه يتدفق جمالا، وقوامه يتناسق ويرشق. ولم ألتفت إليه

وحرك فضولى أن صوته كان يرق، وخشونته كانت ترهف، والأنوثة كانت تطل من أعضائه وملامحه. وبلاه ! وأخذت المفاجأة طريقها فى سرعة

ومضى شهر. وفى خلال الشهر الذى يليه كان يعلو صدره. وفى الشهر الثالث برز له صدر فتاة ؛ وهو إذ ذاك فى الرابعة عشرة ولكنه يحث خطاه إلى النضوج الباكر العاجل. وينتقل من حال إلى نقيضه !

وأثار فى كثرة ترددها على الحلاق ليقص لها كالفتيان. وأثارنى أكثر إصرارها على ما هى عليه، وتمردها على أنوثتها وتساقط الأيام، وتفر الأشهر، فإذا أنثى كاملة تخرج من ثناياها. ويدور الزمن فيصقلها دورانه ويهذبها. ولا يزال الصقل والتهذيب حتى يخلص إلى تمثال تتوهج الأنوثة الكامنة فيه. ويكاد الحسن يضطرم على صفحة الوجه الناصع الصغير

يا رحمة الله ساعدينى !

واحتاجت إلى ملابس، فانتقيت لها مجموعة منمقة. إحدى التشكيلات التى تسر الفتيات وتبهجهن

وجاءت فرحة لنفضها. وحدقت فى الألوان الزاهية عينها وفقدت مقاومتها، وانطلقت إلى الحجرة الأخرى.. تطمن بأظافرها الحشايا وتولول. وذهبت إليها وما دريت أن الكتمان الطويل الذى لفت نفسها به، سيهتك سريعا. ولكنها أنثى !

ومرت الليالى. وخضعت لرغبة الطبيعة، فظلت الساعات أمام المرآة تتعطر وتتزين. لمن ؟

وكرهت مسكنى، فقضيت أكثر وقتى خارجه إن وجودى فيه كان إحدى أمانى الشيطان

وتنتظرنى بقلب واجف .. تتلقانى بالحساب العسير . وأنتحل الأسباب فلا تصدق . وتولى وهى تبكى . وتظارفت وتلطفت . واقبلت .. تقول :

— كرهتنى !

— أبدا

— ليتنى فتى !

وضحك خلال دموعها وتستأنف

— كنت أحببتنى

— أحببتك فى حالتيك

وتسوق بعض طرائفها فى أسلوب هين رفيق

وعدت إلى المنزل يوما عقب عمل شاق. فوجدتها ارتدت ثوبى واحتذت حذائى ، وعقصت شعرها تحت طربوشى . واختطت شاربا ، وواجهتنى . ولم أتمالك أن تضاحكت. ورددت ضحكاتها ترف على وجهها ، فتصبغه لونا زاهيا .. لون المرح والشباب

— أحببتنى الساعة ؟

— وكل ساعة

— ابق معى !

— أبق ؟

— أجل

— أنت فى حجرة ، وأنا فى حجرة

وتعبس بعض الوقت

— ستكون أبعد منك خارجا

— هذا شرطى — وتهمس

— خففه !

— قد خففت !

وأتأفف . وتهز رأسها

— رضيت

وتعبث بأذنى وأصابعى وتهمس

— ألا زلت على قسوتك ؟

وأضحك بعد العبوس

وكان دلالها الفطرى ، وحركاتها الغريزية ، وسهولتها الطاقة، أمورا جديدة على . فمن حولى كلهم قد أخفتهم الصناعة خلف قناع كثيف

وأنا أقدس الحياة لا كلفة فيها

وانتهى الأمر بأن أحببتها !

وخرجنا معا إلى عرض الطريق

وعلت الدهشة وجوه القوم . وتقولت جمهرتهم . ووشاعت الشائعات . ولم يكن هناك بد من قطع ألسنتها .. سأعقد عليها حالا

وأسررت إليها برغبتى . واستخفها الطرب . وطارت إلى المرآة . وأقبلت ، وكل جارحة فى وجهها تبتسم

— أتراني لك أهلا ؟

واحتواها ذراعاى

واستدعيت المأذون . فأقبل وتساءل

— أين العروس ؟

وأقبلت ترتدى ثوبا بسيطا . وخيل إلى وهى فى بساطتها أنها أبهى فتاة . وسبح قلبى فى بحيرة من السرور

— كم سنك ؟

— لا أعرف !

ودارت بى الدنيا

— ما اسمك ؟

وتعثرت كلماتها . ووقف قلم الشيخ

— أين شهادة ميلادك ؟

— ماذا تقول ؟ لا أفهم !

والتفت إلى الشيخ وقال :

— لا تعرف اسمها ، ولا تعرف سنها . أمر خطير ..

وقام مهرولا لا يلوى على شئ

وظل التمثال الرشيق مبهوتا ، يرى فتتسع عيناه ، وتتهدل شفتاه ، ويحول لونه ، ويتصلب وجهه

ودنوت منها لأواسيها ، لا تنتبه . وأتوسل إليها ، فلا تتكلم .. لا تتكلم مطلقا

وانحدرت إلى صدرى نقمة شديدة على نفسى . فلو أحسنت تصرفى قليلا لتم لى سعادة الروح والجسد . وقد أنشأت بجهلى فراقا هائلا بينى وبين من أحب !

وسارت الأمور سيرا كسيحا

وأخذت الفتاة تذبل وتذوى ، والفتنة تخبو وتنطفىء .

وأحزان الملاك الجميل تتجمع عليه فتثقله . ويهبط قليلا قليلا . يقترب جدا من الأرض

وتراءت فى أحزانها كالبنفسجة الغافية ، بيد أنها فقدت الإغراء والغواية ، لا الشذا ولا العطر

وأنا بشر ! ولى عين ترى ، وأنف تشم

وحدثتنى نفسى بها ، وتجلدت ، ولكن رغبات الجسد تكتسحنى ، مرة أغلبها ، ومرارا لا أستطيع

وتمنعت فى إباء وشمخت فى كبرياء

وضقت بنفسى وبها

واهتديت أخيرا إلى حل ، دعوت الطبيب ليقدر سنها ثم سنستوفى الشكل فيما بعد ليتم قرانى بها

وعدت معه إلى المنزل

وطرقت غرفتها ، ولم أنتظر الإذن ودخلت

رباه !

ليست هناك . وبحثت وتقصيت ولا جدوى

وأحسست أن صدرى لا يستطيع أن يحتفظ بقلبى ، فيتهاوى ، وصرخت والألم يتلقفنى ، والأسنة المسمومة تراشقنى

وتأكدت أننى فقدت فتاة لها مميزات لن تتوفر فى سواها

وهبطت على أحداث عصيبة . وسجل قلبى فترات دونها ملاءة سوداء . واشتمل الزمان حولى . وتطايرت الدقائق تتناثر كالشرر

وكان كل ما فى المنزل يتسم بطابعها ، فيوقظ فى أعماق أحداثا تومض وتبتسم ثم تتلاق : كيف أنسى ؟

وهجرت المنزل إلى غيره ولكن ذكراها كانت تلاحقنى . إليها وتمايلت

وما زال الزمن يسير بها حتى بعدت .. واختفت وراء الزمان . وما زالت توغل بين طياته حتى ذابت فيه . وانتهى الحلم وصحوت !

وتتابعت السنوات

* * *

وفى ليلة ذهبت إلى المسرح لقضاء السهرة . واحتشدت حول واجهته الأضواء . وأرسلت عينى تقرآن الصور الموزعة على الجدران ، وبينما كنت أقرأ استيقظت على صوت يستجدى . واستدرت رأيت فتاة رثة تستعطفنى

وشعرت أن تماسا خفيا يتصل بين الفتاة وذاكرتى فحدقت فيها . وما برحت أزيل أكوام الماضى حتى بدت لى فى أقصى الذاكرة صورة واضحة جلية .. بدت لى فى قرارتها صورة وديعة مزينة

تلك ضالتى !

وفوجئت الفتاة . وهمت بالهرب . وأسرعت إليها .. وقبضت بيدى على ساعدها . فنزعته بقحة ورعونة وقالت

-- ماذا تريد ؟

— أريدك . بحثت كثيرا عنك

— الفارق بيننا كبير

— متقارب

— بل كبير

— تعالى . لا حساب لهذا عندى

— سلبت ما ترجوه منى !

وبدت تشنجات وحشية على شفتيها . وأخذت تتقلص وتنفرج ، فتكتنسى هيئة ذئبة ضارية

— دعنى . فأنا نشأت هنا . وسأبقى هنا !

وتراخت يدى . وفجأة نزعت ساعدها منى . وشردت

وانطلقت عيناى وراءها تتبعانها . . شاهدت بقايا حى ، وهى تتأرجح فى الظلام ، وتمضى طائشة بلا وجهة ، ثم تحول وتتضاءل ثم تختفى

وكان درسا علمتنيه فتاة من الشارع . وكانت عظة ، وكم عظات ملقاة على جانبيه !

مر هناك وتأمل .. ستراها مجسدة أينما سلكت ، فى الأزقة والمنعطفات . . فى الطريق العام والميادين . فى كل مكان

أحمد عبد القادر الصاوى

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٧ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

تحية للشيخ الرئيس ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٣٢١

ملوك وأمراء ... ... : « محمد عبد الغنى حسن ... ٣٢٣

واحة سيوة ... ... : « صبرى حسن علوان ٣٢٥

عمر الخيام ... ... : « السيد أحمد مصطفى الخطيب ٣٢٨

الحسن البصرى ... ... : « حسين على الداقوق ٣٥٣

حضارة عربية ... ... : « وندل فيليبس ٣٣٦

خطوط .. .. (قصيدة) : للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى ٣٤٠

العودة ... ... (قصيدة) : للأستاذ أحمد أحمد العجمى ٣١٤

(الأدب والفن فى أسبوع) — الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا ٣٤٢

(البريد الأدبى) — إلى أخى الأستاذ رجب البيومى — كمال الدين جودت — تحقيق لغوى ٣٤٥

(القصص) — المارد الذى يحب نفسه — للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد ٣٤٧

٩٧٧ الرسالة العدد

اعلان

تعلن كليـــة طب قصر العيني — جامعة فؤاد الأول — عن وجود وظيفتين لمعيدين اكلينيكيين خاليتين بقسم الأطفال بهـا ويشترط فيمن يتقدم لها الشروط الآتية :

أن يكون حاصـلا على درجة بكالوريوس الطب والجـراحة بدرجة جيد على الأقل

أن يكون قد أمضى سنة الامتياز ثم سنتين طبيباً مقيما بالمستشفيـات الجامعية

أن يكون قد أشر له على بطاقات أعماله فى هاتين الوظيفتين بأعلا الدرجات

ومن يقع عليه الاختيار يعين فى وظيفة معيد ب بعقد لمدة سنة يفصل فى آخرها إذا لم ينل درجة دكتوراه فى أمراض الوضع والأطفال ولايكسب شغل هذه الوظيفة أى حق فى الالتحاق بهيئة التدريس قبل أو بعـد الحصول على درجة الدكتوراه وتقدم الطلبات باسم سعادة عميـد الكلية فى ميعاد غايته عشرة أيام من تاريخ النشر ويوضح بالطلب تاريخ حيـاة الطالب العملية وينص فيـه على قبول شروط الإعلان ١٠٨٨

20e année No 977 — Le Caire 24 - 3 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تحية للشيخ الرئيس

بمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية



ابن سينا كما يتخيله الفرنج

فى هذا الأسبوع ، وفى بغداد عاصمة العلم القديمة ، يحتفل العالم الإسلامى بالذكرى الألفية لمولد الطبيب الرياضى العالم الفيلسوف أبى على الحسن بن سينا واحد فنه فى الشرق والغرب ، ونادرة عصره فى الطب والحكمة ، وأحد العباقرة العالميين الذين رفعوا قواعد العلم ، ونهجوا سبل المعرفة ، ووصلوا ما انقطع من تسلسل الفكر الإنسانى بين الفلسفة الإغريقية القديمة ، والفلسفة الأوربية الحديثة

ولد أبو على سنة ٣٧٠ هـ فى قرية من قرى بخارى كان أبوه عاملا عليها للأمير نوح بن منصور الساماني ، ثم توفى سنة ٤٢٨ بهمذان إحدى مدن إيران كان قد وفد إليها على الأمير علاء الدولة البويهى ، فكان ظمء حياته على هذه الأرض ثمانية وخمسين عاما قضى أكثرها فى الاضطراب والاغتراب والنفى والسجن والخوف والشهوة والمرض ، ومع كل أولئك استطاع أن يكون بحر العلم الزاخر فى وقته ، وبدر العلماء الزاهر فى جيله ، فقرأ كل كتاب وانتفع منه ، وحذق كل علم وزاد فيه ، وألف مائة سفر فى الطب والفلسفة والمنطق واللغة والموسيقى والرياضيات والطبيعيات والإلهيات والأساطير ؛ وكان أول عالم ظهرت فى علمه الفلسفة الكلامية على أتم ما كانت من الدقة والسعة والوضوح . ثم كان هو والبيرونى الغاية التى لم يكن وراءها مذهب للفكر فى القرون الوسطى : هو بدقة نظامه وبراعة فهمه ، والبيرونى بقوة ملاحظته وسعة علمه

رُبى ابن سينا منذ الخامسة من عمره تربية علمية منظمة ، فحفظ القرآن وثقف الأدب وشدا شيئا من الحساب والفقه . ثم سمع فى محاورة أبيه لأخيه وهما شيعيان كلاما فى النفس والعقل ، وإشارة إلى الفلسفة والهندسة ، فصبت نفسه إلى علم ذلك . وورد يومئذ بخارى أبو عبد الله النائلى فأقرأه فى المنطق إيساغوجى ، وفى الرياضة المجسطى ، فكان الأستاذ يقف عند المبادئ والظواهر ، والتلميذ يغوص على المسائل فيستخرج الدقائق ، ويمحص الحقائق ، ويبصر المعلم عالم يبصر . ثم رغب

فى علم الطب فتلقى أصوله على أبى سهل المسيحى ، واستقصى فروعه وحده حتى انتهت إليه الزعامة فيه . كل ذلك وسنه على ما قال هو نفسه لم تتجاوز السادسة عشرة . ثم أبرأ الأمير نوح ابن منصور من مرض برّح به ، فقربه إليه وأذن له فى الدخول إلى دار كتبه ، وكانت عامرة بنوادر الأسفار فى كل علم وفن ، فوعى ما فيها من كتب الطب والفلسفة وما بعد الطبيعة على ظهر قلبه . ثم أصابتها النار عمداً أو خطأ فلم تبق منها على ورقة ! فانفرد الشيخ بكنوزها المخبوءة فى صدره ، وكانت هذه النكبة العلمية من مزاياه على غيره !

ثم توفى أبوه وضعف شأن أميره فاضطربت به الأحوال ، وتدفقت عليه الأهوال ، فخرج وهو فى الثانية والعشرين من عمره إلى قصبة خوارزم فأقام بها يسيرا فى كنف أميرها على بن مأمون، ثم غادرها إلى جرجان فثقف بعض الناس، وألف بعض الكتب. ثم انقلب إلى همذان فوزر لشمس الدولة بن بويه . فلما توفى هذا الأمير وخلفه ابنه تاج الدولة صرفه عن عمله ، ففرغ للبحث والتأليف ، وصنف فى هذه الفترة أعظم كتبه . ثم نشب الصراع بين أمير همذان وأمير أصبهان فاتهم بالدعاية إلى علاء الدولة ، وطلبه تاج الدولة فاختبأ فى حانوت صيدلى حتى وقعت العيون عليه فسجنه فى إحدى القلاع . فأنشأ فى ذلك قصيدة منها هذا البيت :

دخولى باليقين كما تراه   وكل الشك فى أمر الخروج

وظل فى السجن أربعة أشهر حتى استطاع أن يفر متنكرا فى زى الصوفية إلى علاء الدولة بأصبهان فأقام فى حماه وادع النفس ، يؤلف ويختصر ، ويحاضر ويناظر ، ويعترض ويجيب . واتفق ذات ليلة أن جرى فى مجلس الأمير حديث فى اللغة شارك فيه ابن سينا ، وكان أبو منصور الجبان حاضرا ، فأنكر عليه أن يتكلم فى غير علمه ، فأنف الشيخ من هذا الإنكار وعكف على دراسة اللغة ثلاث سنين حتى بلغ منها موضعا جليلا أهله لأن يؤلف فيها كتابا سماه لسان العرب لم يؤلف مثله قبله أحد ! وهكذا انقضت تلك السنين الأربع والخمسون فى عمل لا يفتر ، وسعى لا ينى ، وعذاب لا يرحم ، وصراع لا يهادن ، وحظ لا يساعد ، وولوع بالنساء لا يهدأ ، ونزوع إلى الشراب لا يكف ، حتى وهن الجسم القوى ، ووهى العزم الشديد ، ونزلت بالنطاسى العظيم علة ذكل عنها تدبيره وطبه !

° ° °

كان الشيخ الرئيس برد الله ثراه آية من آيات الله فى لقانة الذهن وأصالة العقل وقوة الحافظة ونفاذ الهمة . أكثر علمه من اجتهاده ، وأنجع طبه من تجاربه ، وأجل كتبه من حفظه . وكان على استبداد عقله بفكره ، وطغيان علمه على فنه ، صاغى القلب للدين ، صافى النفس للشعر ، سامى الخيال للقصص . كان إذا أعيت عليه مسألة ذهب إلى المسجد فتوضأ وصلى وابتهل إلى الله أن يجلو عليه ما غمض ويفك له ما أشكل . ثم كان له فى الشعر العينية ومقطوعات أخرى من النمط الرفيع والنسق الفريد، وفى الأساطير (سلامان) و (حى بن يقظان) و (الطير) ، وهى رموز لمعان سامية من الحكمة العالية والروحية الجميلة . وكان فى الشيخ رحمه الله صوفية لا تجرى على منهاج المتصوفة : صوفية هؤلاء وجدانية تقوم على الزهد والتقشف ، وتقصد إلى تصفية القلب وتطهيره ؛ وصوفيته هو عقلية تبيح النعيم واللهو وترمى إلى تقوية العقل وتنويره . وكان أعظم ما يعز الشيخ اليقين فيما يرى ، والثقة فيما يقول ، والإبانة فيما يكتب . كان لا يشك إذا علم ، ولا يتردد إذا فهم ، ولا يتحسس إذا استبان . وتلك طبيعة العالم لا الفيلسوف ، والدارس لا الباحث ، والمتبع لا المبتدع ، والمؤلف لا المنشىء

هذه أثارة من حياة حافلة ، وإشارة إلى مجد باذخ ، وعبارة من تاريخ ضخم . ذكرناها على هذا الإيجاز القاصر اكتفاء بما سيلقيه ذوو الاختصاص فى حفلات مهرجانه من البحوث المفصلة فى طبه، والخطب المطولة فى فلسفته . وإنا لنحيى خاشعين من وراء الستر ذكرى الشيخ الرئيس ، ونسأل الله ضارعين أن ينعم روحه فى الخلد ، وأن يطيب ذكره فى الخلود

احمد حسن الزيات

مع ابن سينا في عيده الألفي

ملوك وأمراء

فى حياة الرئيس ابن سينا

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لعل أوثق المصادر عن ابن سينا وحيـاته هو الشـيخ الرئيس ابن سينا نفسه فى الترجمة التى كتبها مجيبا بها عن سؤال أحد تلاميذه إياه . وقد أكمل هذه الترجمة تلميذه وتابعه وصاحبه منذ أن اتصل به فى إقليم جورجان إلى حين وفاته . وهذه الترجمة محفوظة بالمتحف البريطانى (١) فى نسـخة لا تزال خطية . وقد استفاد منها ابن أبى أصيبعة فنقلها فى كتابه « عيون الأنباء » (٢) كما نقل أكثرها المؤرخ القفطى المصرى فى كتابه « إخبار العلماء بأخبار الحـكماء » (٣)

ولقد عاش ابن سـينا فى النصف الثـانى من القرن الرابع الهجرى والثلث الأول من القرن الخـامس ، لأنه توفى فى سـنة ٤٢٨ هـ وهو عصر كثر فيه تقسيم الدولة العباسيـة إلى دويلات صغيرة ، فهنـاك الدولة البويهية التى وقع تحت سلطانها خلفـاء بغداد ، وخاصة الطائع والقادر والقائم الذين عاش ابن سـينا فى مدة خلافتهم (٤) . وهنـاك الدولة السامانية ببخارى فى إقليم خراسان وما وراء النهر . وكان الأمير نوح بن منصور بن سامان هو الأمير الثامن (٥) من ملوك هذه الدولة ، وهو الأمير الذى دعى ابن سينا لمداواته كما سـيأتى بعد (٦) . وكان هنـاك دولة المأمونيين ولاة خوارزم الذين سميت دولتهم بالدولة الخوارزمشاهية. وهى دولة لا يعرف على وجه التحقيق اسم مؤسسها . ولكن اسمها يبدأ فى الظهور منذ سنة ٣٨٠ هـ – أى بعد ميلاد ابن سـينا بعشر سنين – وفى عهد أميرها الثـانى على بن مأمون بن محمد بن خوارز مشاه جاء ابن سـينا من بخـارى إلى جرجانية « كركانج » فأكرم الأمير وفادته ، وأمر له بمشاهرة دارة تقوم بكفاية مثله (٧) . وهناك كانت دولة جرجان وكان ملـكها الأمير قابوس بن وشمكير الكاتب المترسـل الأمير الذى قصده ابن سينا بعد خروجه من خراسـان ، ولكن اتفق فى تلك الأثنـاء أن قبض على الأمير قابوس وحبس فى بعض القـلاع ومات هناك (٨) . وكان هنـاك من ملوك الديلم مجد الدولة بن فخر الدولة الديلمى . ومجد الدولة هـذا هو أخو شمس الدولة من ملوك همذان . وكانت الأميرة « سيدة » والدة مجد الدولة الديلمى هى المرجع فى تدبير الملك ، وعن رأيها يصدر الأمراء والولاة فى مبـاشرة الأعمال (٩) : وكان هناك دولة أصفهان وأميرها علاء الدولة بن كاكويه ، وكان ملكا على أصفهان وملحقاتها ، وحكم من سنة ٣٩٨ إلى سـنة ٤٣٣ وكان أبوه خال الأميرة « سيدة » والدة مجد الدولة بن بويه الديلمى ، ولهذا سمى « كاكويه » لأن الخال فى لغة الديلم يسمى « كاكو » أو « كاكويه » (١٠) وعلاء الدولة هذا هو الذى اتصل به الشيخ الرئيس ابن سـينا ، وصار من أصحاب الحظوة عنده ، وبقى فى خدمته إلى آخر عمره ، ولكنه لم يكن له وزيرا فى يوم من الأيام (١١) . أما الوزارة فكانت من ابن سينا لشمس الدولة أخى مجد الدولة ؛ فقد وزر له مرتين ما بين سنتى ٤٠٥ هـ ، ٤١٢ هـ .

وكان هناك – فوق ذلك – فى عصر ابن سينا الدولة الغزنوية التى كان أول ملوكها « سبكتكين » سنة ٣٦٦ هـ . كما كان محمود الغزنوى – المعروف بيمين الدولة محمود بن سـبكتكين – هو ثالث ملوكهـا . وهذا الفـاتح المظيم قد أثار حروبا كثيرة فى حياته وفى عصر ابن سينا بالذات . فهو فوق غزوه لبلاد الهند

(١) جهار مقالة للسمرقندى . ص ١٧٦ تعليقات العلامة القزوينى
(٢) عيون الأنباء ح ٢ ص ٣
(٣) طبعة الخانجى ص ٢٦٩ – ٢٧٨ هـ
(٤) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى بك ح ٣ ص ٤٤٠
(٥) المصدر السابق ص ٣٤٨
(٦) عيون الأنباء ح ٢ ص ٤ والقفطى ص ٢٧١ طبع مطبعة السعادة
(٧) جهار مقالة – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٦٩ ، وعيون الأنباء . والقفطى ص ٢٧١
(٨) عيون الأنباء ح ٢ ص ٤ ، والقفطى ص ٢٧١
(٩) الكامل لابن الأثير ح ٧ ص ١٨٦
(١٠) العروضى السمرقندى ص ١٧٤ ؛
(١١) المصدر السابق ١٧٤

وفتحه لما قد حارب دولة خوارزمشاه (١٢) وملك خوارزم سنة ٤٠٧ هـ . وهي دولة اتصل ابن سينا بها وبأميرها علي بن المأمون كما أسلفنا . ولم يكتف محمود الغزنوي بهذا ، بل استغل ما بين الأمراء والملوك حوله من خصومات ونزاع ، فدخل بينهم لمصلحة دولته الناشئة القوية . كما فعل في الحرب التي قامت بين سلطان الدولة البويهي وأخيه أبي الفوارس بن بهاء الدولة . وكان محمود الغزنوي كان يستعد لافتراس هذه الدويلات المتقاطعة المتناحرة دولة بعد دولة . وكان همه بالذات متجها إلى إمارات بني بويه ، ففي سنة ٤٢٠ هـ اتجه إلى إقليم الري ، وكان عليه الأمير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه فملكه محمود الغزنوي . كما ملك إقليم الجبل . وفي سنة ٤٢١ هـ وجه مسعود ابن يمين الدولة الغزنوي جيشا إلى إقليم همذان . أما علاء الدولة بن كاكويه — وهو الأمير الذي اتصل به ابن سينا في أصفهان — فلم يسلم من غارات الدولة الغزنوية التي دخلت جيوشها « الري » فانهزم علاء الدولة وجرح في رأسه وكتفه وهرب تاركا إقليمه في يد السلطان مسعود الغزنوي بن محمود الغزنوي (١٣)

على أن هذه لم تكن آخر حروب السلطان مسعود الغزنوي ابن محمود الغزنوي ضد علاء الدولة بن كاكويه : ففي سنة ٤٢٥ هـ — أي قبل وفاة ابن سينا بثلاث سنوات — اتفق علاء الدولة مع فرهاذ بن مرداويج على قتال عسكر السلطان مسعود الغزنوي . ولكن الحظ خان علاء الدولة حتى بعد احتمائه بالجبال الشاهقة بين أصبهان وجرباذقان . فتقدم أبو سهل الحمدوني قائد جيش الغزنوي إلى أصبهان وملكها . وفي هذه المعركة نهبت خزائن علاء الدولة بن كاكويه وأخذت أمواله الطائلة . وفي هذه المعركة بالذات كان الشيخ الرئيس ابن سينا في خدمة علاء الدولة — ولم يكن وزيرا له — فأخذت كتب الشيخ وحملت إلى غزنة — عاصمة الدولة الغزنوية — وجعلت في خزائن كتبها إلى أن أحرقت على يد عساكر الحسين الغوري (١٤)

لقد عاش ابن سينا في هذا العصر الزاخر بأحداث كبار ، ورأى بعينيه كيف كان يتقاتل الإخوة وأبناء العم على الملك والسلطان ، كما حدث بين أفراد أسرة بني بويه في الري وأصفهان وهمذان وجرجان ؛ بل اتصل من قرب بالأمير شمس الدولة بن فخر الدولة أمير همذان ، وشاهد الأحداث التي جرت له مع أقاربه بني بويه من ناحية ، ومع ملك الغزنويين من ناحية أخرى . واتصل ابن سينا أكثر من ذلك بالأمير علاء الدولة بن كاكويه ؛ وهو يتصل ببني بويه أيضاً — لأن والده « دشمنزيار » هو خال الأميرة « سيدة » والدة مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي . وشاهد ابن سينا في أثناء اتصاله بابن كاكويه كثيراً من الأمور الجسام ، فلم تسلم مدينة من مدن العراق وفارس من ثورة أو غارة للعيارين النهابين ، بل لم تسلم أصبهان نفسها من حوادث النهب والسلب على أثر استيلاء جند السلطان مسعود الغزنوي عليها . وفي غمار هذه المعركة نهبت كتب الشيخ الرئيس ونقلت إلى غزنة ، إلى أن كتب عليها أن تحرق على يد محارب آخر من رجال الدولة الغورية

وقد لقي ابن سينا من ملوك الدول القائمة في عصره الأمير نوح بن منصور الساماني ، والأمير علي بن المأمون الخوارزمشاهي ، والأمير شمس الدولة بن فخر الدولة البويهي الديلمي ، ووزر له مرتين ، والأمير علاء الدولة بن كاكويه أمير أصبهان ، واتصل به وألف باسمه كتبا كثيرة ، ونكب معه في غارة السلطان مسعود الغزنوي على أصبهان . أما الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ملك جرجان فيظهر من كلام الشيخ ابن سينا نفسه أنه لم يقابله ، وأنه كان يقصده ، فاتفق القبض على قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته . وهو نص لا يدل على لقاء الشيخ الرئيس لهذا الملك الأديب العظيم ... إلا أن العروضي السمرقندي صاحب كتاب « جهار مقالة » يذكر حادثة طريفة بارعة عن ابن سينا واستخباره أحوال بعض العاشقين واسم

(١٢) ابن الأثير جـ ٧ ص ٢٨٢
(١٣) الكامل لابن الأثير جـ ٧ ص ٣٤٨
(١٤) الكامل لابن الأثير جـ ٨ ص ٦

واحة سيـــوة

للأستاذ صبري حسن علوان

كانت الساعة السادسة صباحا حين أخذنا عدتنا فى « مرسى مطروح » مولين وجوهنا شطر سيوة ؛ تلك الجنة المخصبة وسط الصحراء المجدبة ، وكلنا أمل أن ندركها قبل أن نبيت ليلة أو أكثر فى جوف الصحراء الغربية . ذلك أن الرمال قد جادها الغيث الهتون وقد احتفلت نواحيه، وأسفت أعجازه وهواديه ، فشربت الصحراء بعد عطش ، وامتلأت الآبار بعد خواء ، وكونت التلاع الحادرة بحيرات كبيرة فى المجتمع المنبسط الذى يصلح كطريق للسيارات !

وسرنا باسم الله ، ونحن على وجل من أن يغوص أحد إطارات السيارة فى الرمال الدقيقة المشبعة بماء المطر فتضطرنا الأحوال أن نبيت فى العراء كما فعل قوم من قبلنا ظلوا فى الطريق سبع عشرة ساعة . والمسافة بين «مرسى مطروح» وبين « واحة سيوة » ثلاثمائة كيلو مترا ، منها خمسة عشر كيلومترا بعد المائة ممهدة تمهيدا صالحا ، وما يتبقى فليس له معالم متميزة فهو يختلط إلا على السائق الماهر الذى جاب الطريق أكثر من مرة ، هذا عدا ما يلاقيه المسافر من صعوبات جمة لكثرة المرتفعات والمنخفضات فى عرض الصحراء التى تجعل المسافر بالسيارة لا يستقر على حال ، مرة إلى أعلى وثانية يقع على جنبه الأيمن وأخرى يميل إلى يساره، وهو فى ذلك يجد من الرهق مالا يحسه إلا المسافرون . إن السيارة تقطع المسافة الممهدة فى ساعتين وتقطع الباقي فى عشر ساعات . هنا يطيب أن نسأل لماذا لا تنشط الحكومة فى تمهيد هذا الطريق الهام فتتمه فى سنة أو سنتين أو ثلاث بدلا من أن تمهد كل عام ثمانية كيلومترات فقط ، أى أنها تريد أن تتمه بعد أكثر من عشرين عاما . . إن شاء الله !

إن واحة سيوة جزء من مصر؛ بل هى من الأجزاء المهمة من مصر كما سنرى ، أم تريد أهل هذه الواحة أن يظلوا على اعتقادهم أنهم « سيويون » قبل أن يكونوا « مصريين » . إن رصف الطريق إلى سيوة هو من أول الواجبات التى يجب على الحكومة والتى يتحتم عليها الإسراع فى أدائها

وبعد ثلاثة عشر ساعة لاقينا فيها من المصاعب ما لاقينا وصلنا إلى سيوة ، وبتنا ليلتنا وأصبحنا فوجدناها جنة خضراء يرتفع فى جوها النخيل نشوان ، ويسكن فى جنباتها الزيتون ، لا يشربان من ماء النيل وإنما من ماء العيون . وبالواحة ما يقرب من مائة عين ، كل عين تسيل فى قنوات يخضر من مائها الحجر ، ويينع الزهر ويستوى الثمر ؛ ماء عذب صاف لا تخرجه آلة ولا يجود به سحاب وإنما ينبعث من جوف الحصى . . ينضح وجه الصحراء العبوس فيبتسم ، وجبهتها المتقطبة فتنبسط ، وطبيعتها القاسية فتلين . . يرزقها الظل وهى بنت الهجير ، ويمنحها النسيم وهى أخت العواصف، ويسمها الجمال ومن سماتها التجهم

وتنخفض سيوة عن مستوى سطح البحر بستة عشر مترا ، ويقترب منسوب الماء من سطح الأرض ؛ فقد حفرت حفرة صغيرة عمقها خمسون سنتيمترا فى الجهة البحرية من الاستراحة الحكومية فتجمع الماء فى قاع الحفرة ، على حين ظهر الماء فى أرض المطار الحربى الجديد على بعد أكثر من مترين . ويمكن الاستفادة بقرب مستوى منسوب الماء فى زراعة بعض الفواكه

معشوقته ومحلتها من نبض المريض . ويروى العروضى السمرقندى أن ابن سينا دعى إلى مداواة هذا العاشق المضنو بأمر من الملك قابوس الذى دعا الشيخ الرئيس إليه ليعالج مريضه القريب . وعلى الرغم من طرافة هذه الحكاية فإن الأستاذ محمد ابن عبد الوهاب القزوينى يستنبط أن ابن سينا لم يخدم الملك قابوس بن وشمكير لأنه حبس قبل بلوغ ابن سينا جرجان

محمد عبدالغني حسن

مثل البطيخ حيث لا يحتاج الأمر إلى كثير جهد . ويغطى التربة فى كثير من الأماكن طبقة قشرية ترتفع فيها نسبة الأملاح مما قد يحتاج إلى بعض الجهد فى استصلاحها ، إلا أن وجود العيون ومائها المنساب ييسران إلى حد كبير هذه المهمة

وهناك عين جديدة يوجد حولها أكثر من مائتى فدان لا ينقصها إلا اليد العاملة والبذرة التى توضع فى الأرض ، ولكنك لو سألت ، أتاك الخبر المحزن : كسل الأهالى وقلة الأيدى العاملة . إن الأهالى هناك تراهم بنية لا تستقيم . . وبدا لا تشتد . وهمة لا تطمح ، فهم يعتمدون على ما يدره النخيل والزيتون . . أما النخيل فيبيعون تمره على أنواعه ويصنعون من بعضه «العجوة» ، وأما الزيتون فهم يخللونه أو يعصرونه فى معمل الوزارة الموجود هناك ليستخرجوا منه زيت الزيتون ، أما بقية العام فهم يقعدون . . اللهم إلا قلة قليلة تزرع الشعير وهو يجود . وإنك لتلاحظ الكسل من غير ما صعوبة لو أنك طفت مرة واحدة بالكميات الضخمة من النخيل فى الحدائق المختلفة ، فلا تجد نخلة مشذبة منظمة ، بل يتكاثف سعفها من عام إلى عام، ويحيط بها نجلها سنة بعد سنة ، وهم يحجمون عن أن ينموا النجل بحجة تستند إلى خرافة

ما السبب إذن فى ذلك الكسل المخيم ؟ إن لأسبابه جذورا عميقة تمتد إلى أكثر من التواكل . يقولون إن الشذوذ الجنسى فى الرجال شائع إلى درجة كبيرة جدا ... ونحن لا يهمنا أن نصدق ما يقولون أو نكذبه .. وإن كان ما يقولون ينافى الفطرة ، وخاصة وأنه — كما يزعمون — أصبح من (المألوفات) فإنه أيضا لا يهمنا أن نصدق هذا الزعم أو نكذبه ؛ إنما الذى يهمنا هوهاتان الظاهرتان المخيفتان : انقراض النسل فى خطوات ليست بالبطيئة ، وانتشار الأمراض السرية إلى حوالى سبعين فى المائة كما صرح بذلك بعض المسؤولين . إن عدد السكان كان منذ عشرين عاما خمسة آلاف نسمة وهو اليوم دون ذلك بكثير!

قد يكون التزاوج المحلى هو السبب ، وقد يكون ما «يقولون» .. وما «يزعمون» هو السبب . . وقد يكون انتشار الأمراض السرية هو السبب ، وقد يكون — أخيرا — هجرة الأهالى — على قلتها — هى السبب ؛ إلا أن الذى لاشك فيه أن عدد السكان فى تناقص مستمر . . وهذا شئ كفيل بأن يتدارك المسؤولون ، أن يتتبعوا الوشائج ، وأن يتعلقوا بالأسباب ، وأن يعرفوا مركز الدائرة ثم أن يطبوا للداء ! وعندى رأى لا أشك فى فائدته : لماذا لا تعمل الحكومة — أيا كانت هذه الحكومة — على ترحيل عدد كبير من المعدمين والعاطلين إلى هذه الواحة ، وهى لن تمدهم إلا بالضئيل من المعونة ، حتى تندى الكف الجافة ، وتشتغل اليد العاطلة ، ولعله أن يكون فى نشاط الوافدين إذكاء لهمة الأهالى القاعدين . وإنك لتعجب إذا علمت أن المستشفى الذى يريد أن يعالج قوما نسبة المرض بهم ما رأيت ليس به دواء ولا طبيب ! ذلك أن أنوار القاهرة تغرى .. وتغنى .. وأن الحكومة المصرية لم تستطع إلى الآن أن تجند الأطباء — وهم أساة البشرية — تجنيدا دوريا فى الممتلكات المصرية التى لها فى عنق مصر حق الرعاية . إنه يجب على كل طبيب موظف بالحكومة أن يقضى عاما أو نصف عام فى الواحات وما شابهها حتى لا يحرم الناس اليد التى تأسو جراح المصابين

ورسالة التعليم من أهم ما يرتقى بهذه الواحة الجميلة البائسة . إن هناك مدرسة ابتدائية واحدة بها ثلاثة فصول وثلاثة مدرسين ، والصعوبة التى تواجه التعليم هناك هى اللغة ، إذ أن للأهالى لغة محلية خاصة غريبة لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد ، وهناك مدرسان خاصان بالمدرسة الأولية من اهالى الواحة ويعرفان العربية يتوليان هذه المهمة . . وهى جليلة ، إلا أنهما يشكوان من معاملة الوزارة لهما لأنهما ليسا من حاملى « الشهادات » . . فتعطى أحدهما منذ سبعة عشر عاما ثلاثة جنيهات فى الشهر ! ما هكذا يكون التعليم ولا تشجيعه ! والذى لاحظته عندما زرت

المدرسة هو فصاحة اللسان العربي بعد ما يتعلمونه

ولـكسل الأهالى وعدم طموحهم ، تقل الجرائم ، وإن طائرة خاصة تطير بالقاضى مرة كل شهر أو شهرين ليجلس فى منصة القضاء ساعة أو ساعتين يفصل فيها بين الناس فى قضايا معظمها جنح وغرامات مالية ضئيلة ، وعلى ما يكلف القاضى الحـكومة من الناحية المالية فإن هذه الزيارات المتباعدة قد تقلل من هيبة الفصل القضائى فى نفوس الأهلين . أحد أمرين : إما أن يعين وكيل للنيابة فى سيوة يشعر الناس بهيبة القضاء ، وإما أن يترك تصريف هذه الجنح والغرامات إلى مأمور القسم وهو رجل عسكرى من رجال الجيش ، يتصرف فيها محليا حتى يشعر الناس بسطوة القانون

ولسيوة ، فضلا عن الناحية الاقتصادية التى يجب أن تستغل وتستثمر ، والناحية الاجتماعية التى يجب أن يهتم بهـا وتستصلح ، ناحية ثالثة لا تقل أهمية عن الناحيتين السابقتين : تلك هى الناحية «الاستراتيجية» .. فهى بمائها العذب وتمرها الوافر تعد مركزا عسكريا تموينيا هاما للجيوش مدافعة كانت أو مهاجمة ، إن قربهـا من الحـدود المصرية الغربية يحتم على المسؤولين إما أن يدربوا رجالها تدريبا عسكريا حياً أو أن يزيدوا حاميتها زيادة تليق بموقعها الهام لا أن تظل على ما هى عليه : ستة عشر جنديا ورئيسهم . ولن أكون كناقل التمر إلى هجر ، فإنما يحدثك عن استراتيجيتها رجل عسكرى له فى الجهاد سابقات؛ ذلكم هو اللواء محمد صالح حرب باشا ، فقد زرنا معه منطقة قريبة من سيوة اسمها « جربة » وقد استحضر الرجل العسكرى ذكريات عزيزة كريمة عن المناوشات والمعـارك الحربية التى قام بها الثوار الوطنيون فى سنة ١٩١٤ وكان معـه فى ثورة الحرية السيد الشريف السنوسى « صاحب الجـلالة ملك ليبيا الآن » وكيف أنه لمـا نفد ماؤه وزادهم وقلت ناقلاتهم وركائبهم لم ينقذهم إلا الجمال والبلح والمـاء من واحة سيوة فانتصروا على الإنجليز يومها انتصارا استراتيجيا

وأظننا لا ننسى أنها كانت هدفا للألمان والطليان فى الحرب الأخيرة أثناء زحفهم فى الصحراء الغربية . نعم ! إن الصحراء الغربية بجفافها واتساعها تعتبر حاجزاً طبيعيا ضد إغارة المغيرين على الوطن العزيز ، ولـكن هـذا لا يكفى مطلقا فإنه يجب أن نحصن حدودنا الغربية تحصينا كاملا قويا ، وخاصة وأن عدونا يعسكر فى « كابتزو » بالقرب من حدودنا فى دولة ليبيا الجديدة

من هذا تتضح أهمية « واحة سيوة » كمنطقة هامة يجب أن لا تنسى أو تهمل ، وإنه لو صحت العزائم ، لأمكن أن نستثمر الـكثير وأن نستصلح الـكثير . ولعلنى أكون قد وفقت أن أنقل ما أثارته فى نفسى زيارة هذه الواحة التى لاح لى فى صفحة جمالها أثارات من الأسى ، وفى سماء صفائها ألوان من السحاب .. وفى عيونها الجميلة ، فنون من العتاب !

صبرى حسن علوان

عمر الخيام
بين الحقيقة والأسطورة

للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الأسطورة الثالثة

لو قال لنا أحد الذين يؤثرون جانب الجدل العقيم واللجاجة الممقوتة ، ما بالكم قد ملأتم الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بتحدثكم عن الخيام ورباعياته ؛ إنى لأتحداكم جميعا . هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . إننى أنكر أن تكون للخيام رباعية واحدة لا رباعيات تبلغ الألف والمائتين عدداً، وأرى كل ماتدعونه فى هذا الخصوص ليس إلا محض وهم باطل لا يجاوز نطاق الحدس والتخمين ، فالخيام لم يترك وراءه ديوانا بخط يده ، ولم يشر إلى شعره فى تآليفه المديدة ، ولم يمل على أحد من تلامذته ما يسمى اليوم بالرباعيات ، كما أن (جهار مقاله) أقدم سفر تاريخى عثر عليه لمصنفه (نظامي عروضي سمر قندى) تلميذ الخيام المخلص لم يذكر ولا كلمة واحدة عن رباعيات أستاذه ، برغم أنه زار قبره بعد وفاته ببضع سنوات فقط، وذكر أموراً فى مؤلفه أقل أهمية وأضال شأنا بكثير من الرباعيات ..

إن جميع ما يدعى ويقال بهذا الصدد إن هو إلا أسطورة جميلة وتفكير شعرى بديع نسجها الوهم وزينها الخيال ، فنزلتها منزلة غيرها من الأساطير المصطنعة التى لم تقم لها قائمة إلا بعد أن مرت على موت الشاعر عدة قرون

أجل ! ماذا يكون جوابنا إن جابهنا هذا الجدلى اللجوج بمثل هذا المنطق الساخر العابث ، ثم ألح علينا فى عناد وإصرار أن نثبت له إثباتاً لا يتطرق إليه أى شك أن للخيام رباعيات حقيقية ترضى عن نسبتها إليه أساليب التحقيق العلمى الدقيق فى عصرنا الحديث هذا ..

فى الحق أننا عاجزون تمام العجز عن أن نكيل لهذا المكابر الخبيث الصاع صاعين وعن توفيته حقه الكيل كيلين ، وأن نسخر منه بنفس الطريقة التى سخر بها هو منا ، وإن كنا نملك فى الوقت نفسه أدلة وبراهين لا تقبل الدحض ، نستطيع بعرضنا إياها عليه أن نجعله يخفف من غلوائه ويقلل من خيلائه ويرتد شيئا فشيئا إلى هدوء العقل واتزانه ..

فالثابت المؤكد حتى الآن — كما يدعى صاحبنا الجدلى — أن الخيام أهمل فى حياته أن يكتب سيرة نفسه بقلمه ، أو أنه كتبها ولم تصل إلينا لامتداد يد الضياع إليها ، أو أنها لم تضع ولكنها فى جهة مجهولة لم تتناولها يد المحققين بعد ، غير أنه ثابت ثبوتاً قاطعا أيضا أن الخيام لم يكتب فى الفارسية من الشعر سوى الرباعيات وحدها ؛ أما هل جمع كل ما كتبه من هذه الرباعيات وضمها بين دفتى كتاب خاص بنفسه ، أو أملاها على أحد من طلابه ؛ فذلك ما نحن منه فى ظلام دامس حتى الآن ، وأظن الأمر سيبقى كذلك إلى الأبد إلا إذا عثر على دليل مادى يقلب المسألة رأسا على عقب ويغير مجرى البحث تغييراً تاما فى يوم من الأيام ..

إن أقدم نسخة للرباعيات بين أيدينا اليوم وهى الموسومة بـ (رسالة الرباعيات) يرجع تاريخ كتابتها إلى نحو ثلاثمائة عام تقريبا بعد موت الشاعر ، وقد عثر عليها فى مكتبة بودلين بأكسفورد وتسمى بنسخة السر أوسلى ، وهى نسخة منقولة عن غيرها من النسخ وليست أصلا . أما من هو النساخ الذى نقلها؟ وعن أية نسخة نقلها ؟ وهل أن الرباعيات الواردة فيها والبالغ عددها ١٥٨ رباعية ؛ كلها للخيام ذاته أم أن هناك بينها الدخيلات والمنحولات ؟ ثم كم عدد أولئك فى حالة افتراضنا اندساسها بين الرباعيات الأصيلة .. كل هذه أسئلة وعلامات استفهام تدور فى أذهان الباحثين والمدققين منذ أن عرف الغرب شاعر الشرق ولكن بدون جدوى ، وبغير أن يعثر لها على جواب شاف يقطع الشك باليقين والحيرة بالاطمئنان ..

على أننا رغم كل هذا يجب أن نعلم فى الوقت نفسه أن المعلومات السلبية الآنفة الذكر علمها علينا طبيعة المنطق المجرد فحسب ، وأن ثمة أموراً كثيرة نعلمها عن حياة هذا الشاعر

وشخصيته وأخلاقه وبيئته وآثاره ومؤلفاته، كما أن هناك مؤرخين معروفين، وعلماء مشهورين، وفقهاء ومتصوفين ذائعي الصيت مرموقي المقام تناولوا عدداً غير قليل من رباعيات الخيام في كتبهم ومصنفاتهم وهم معاصروه بالتعليقات المتنوعة، وناقشوها مناقشة فيها اللين والهوادة تارة، والعنف والقسوة تارة أخرى، فإذا جاز لنا أن نتشكك في صحة إسناد كل الرباعيات المتداولة إلى الخيام فإنه لا يجوز لنا إطلاقاً أن نتشكك في صحة نسبة بعضها إليه على الأقل.. ذلك البعض الذي يمثل آراء وأخلاق وشخصية وظروف بيئة الخيام التي نعرفها والتي يمكن اعتبارها في عداد الحقائق التاريخية التي لا تقبل أي جدل أو نقاش

إذن يظهر أن الألف والمائتين رباعية التي تطارد الخيام اليوم هنا وهناك في الشرق والغرب وتثير حوله طوفاناً من الضجيج والصخب، وتجمع له الأنصار والأصدقاء، وتؤلب عليه الأعداء والناقمين؛ ليست سوى أسطورة ضخمة كغيرها من الأساطير، تقابلها حقيقة متواضعة تتمثل في عدد متواضع من الرباعيات معترف بها اعترافاً كاملا ويبلغ الأربع والثمانين رباعية فقط، وذلك استناداً إلى أصدق وأحدث البحوث العلمية في هذا الشأن حتى يومنا هذا

الأسطورة الرابعة

لم نسمع أن شاعرا أوذي في سمعته بعد موته كما أوذي الخيام أو أصابه من الاتهامات الكاذبة والافتراءات المدبرة ما أصاب هذا العبقري العظيم والأديب الفحل والنابغة الأوحد

ولو سألنا أي واحد من هؤلاء الذين سمعوا عن الخيام ولم يحققوا، وقرأوا عنه ولم يتتبعوا، أن يصف لنا شاعر الرباعيات كما يتصوره هو أو كما يصوره له الوهم بالأحرى، لما تعدى نطاق وصفه إياه عن أن الخيام كان شاعرا عابثاً لاهيا، خليعا فاجراً، يقضي وقته متنقلا من حانة إلى أخرى، نديمه الكأس ليل نهار، لا يفيق من سكرة إلا ليستسلم إلى أخرى؛ ثم هو على ذلك ملحد جاحد أعلن حربا شعواء على الأديان كلها، وهاجم المتعبدين والزهاد، ورسالته في الحياة: لا نفارق الخمرة حتى نموت

هذه هي الصورة الشوهاء المزيفة التي يتخيلها عدد كبير من الناس ويرسمونها على أنها صورة حقيقية للخيام

لقد كان الخيام قبل كل شيء فيلسوفا نزيها وأديبا عفيفا، يزينه الوقار ويسمو به جلال العلم على أقرانه من أهل زمانه.. وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد متوقد القريحة، صاحب رأي؛ يجهر بالحق ويحارب الشعوذة أينما وجدت.. فلهذا جاهره بالخصومة فريق من دعاة الصوفية في زمانه، كانوا يتخذون الدين وسيلة لا غاية، فأطلقوا ألسنتهم عليه ودأبوا على نشر كل باطل عنه وإلصاق كل تهمة كاذبة به حتى لقد رموه بالكفر والإلحاد أيضا، وكل ذلك لأنه كان يكشف عن ريائهم ونفاقهم، ويعلن عن جهلهم وتعصبهم دون خوف ولا حذر

قال عنه شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري في كتابه الموسوم بـ (نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين) الذي ألفه في القرن السادس الهجري ما يلي بحروفه:

(كان الخيام عالما بالفقه واللغة والتواريخ.. دخل ذات يوم على الوزير عبد الرازق وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية.. فقال الوزير: على الخبير سقطنا. ثم سأل الخيام فذكر اختلاف القراء وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحدا. فقال الغزالي: كثر الله أمثالك في العلماء فإني ما ظننت أن أحدا يحفظ ذلك من القراء فضلا من واحد من الحكماء.

ودخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوماً وسأله مسألة فلكية فأطال عمر الخيام الإيضاح حتى أذن الظهر.. انتهى كلام الشهرزوري)

ومن بين مصنفات الخيام العديدة كتابه (رسالة في الجبر والمقابلة) كتبها في العربية وترجمت إلى الفرنسية وطبعت في باريس سنة ١٨٥١

٢ — كان الخيام ينزل في المرتبة الأولى من أهل زمانه، يتسابق إلى خطب وده الوزراء؛ وكان الملك سينجر يجلسه على العرش بجانبه توقيرا له، وكان متعبدا زاهدا منصرفا إلى العلوم والتدريس، نافضا يده من الأمور الدنيوية التي تتكالب

عليها الأطماع وتصطرع دونها الأحقاد ، وكان يلقب بحجة الحق الإمام عمر

٣ — لم يثبت إطلاقاً وعلى أى وجه أن الخيام قد ذاق الخمرة طوال حياته ولو مرة واحدة

٤ — كان الخيام طبيباً بارعاً معروفاً له المحل الأول بين أطباء عصره المشهورين

٥ — كان مدرساً جليل القدر فى نيسابور التى أنجبت عدداً كبيراً من عظماء الإسلام فى العلم والأدب

٦ — كان يكتب رباعياته من حين إلى حين فى مجالس سمره وحديثه وبين خاصته، وكانت هذه الرباعيات تنتقل من يد إلى يد كباقة من الزهر تفوح بالعطر وتعبق بالشذاء، فيدونها هذا وذاك من أصدقائه وتلامذته كتذكار أو كهدية نادرة من العالم الأكبر، فى حواشى كتبهم وفى بطون كراريسهم

٧ — كان وصف الخمرة والإغراق فى التغنى بمزاياها (عادة) ذلك العصر بالنسبة للأدباء الفرس كما كان التغنى بـ (ليلى) و (ديار ليلى) التقليد المصرى السائد فى العهد الأموى بالنسبة لشعراء العرب

وكفى الخيام دليلا على علو منزلته وسامى مقامه ، وجليل قدره هذه الأبيات التى وجهها إليه فى مستهل إحدى رسائله الإمام أبو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوى قاضى الديار الفارسية آنذاك وتلميذ الشيخ الرئيس أبى على بن سيناء

قال الإمام أبو نصر :

إن كنت ترعين ياريح الصبا ذممى ... فاقرى السلام على العلامة الخيمى

بوسى لديه تراب الأرض خاضعة ... خضوع من يجتدى جدوى من الحكم

فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه ... ماء الحياة رفات الأعظم الرمم

هذا هو الخيام الحقيق لا الأسطورى ، الخيام المجرد عن تزاويق الباطل وبهارجه ، العارى من ثوب البهتان وأصباغه

نماذج من شعر الخيام

ليس شعر الخيام كله مقصوراً على الرباعيات وحدها ، بل الثابت أنه كان يقرض الشعر فى اللغة العربية أيضاً ، وله فى هذا المجال أبيات فريدة وصلت إلينا تدل على علو كعبه ، وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى العربية وفنون بلاغتها ، حتى ليستحق أن يعد بحق قرناً لأعظم الشعراء العرب فى جميع العصور

فلنستمع إليه الآن فى هذه القطعة التى نظمها فى الفخر على طريقة أبى العلاء المعرى فى قصيدته المشهورة (ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل)

قال الخيام :

إذا قنعت نفسى بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفى وساعدى

أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازمانى موعدى أو مواعدى

ولى فوق هام النيرين منازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدى

أليس قضى الأفلاك فى دورها بأن ... تعيد إلى نحس جميع المساعد

متى مادنت دنياك كانت مصيبة ... فوا عجبا من ذا القريب المباعد

إذا كان محصول الحياة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعد

ويقول فى قطعة أخرى :

سبقت العالمين إلى المعالى ... بصائب فكرة وعلو همه

فلاح بحكمتى نور الهدى فى ... ليال فى الضلالة مدلهمه

يريد الجاحدون ليطفئوها ... ويأبى الله إلا أن يتمه

نكتفى بهذا القدر الآن من شعره العربى وننتقل إلى رباعياته نفسها لنضع أمامك بعضاً منها تمثل الخيام أصدق تمثيل كما نعتقد فى تفكيره وآرائه، وتعبر أدق تعبير عن نظراته التى كان ينظر بها إلى الحيـــاة

فهاهو ذا الآن يتحسر على فوات الشباب وذهاب ربيع العمر فى رباعية هى الدرة اللامعة والجوهرة الثمينة فى تاج الرباعيات الخيامية :

افسوس كه نامه : جوانى طى شد

وين تازه بهار شادمانى طى شد

أن مرغ طرب كه نام أو بود شباب

فرياد ندانم كه كى أمد كى شد

الترجمة للمازنى عن الإنكليزية

طوت يد الأقدار سفر الشباب ... وصوحت تلك الغصون الرطاب

وقد شدا طير الصبا واختفى ... متى أتى ؟ يالهفى ! أين غاب ؟

وهنا نراه يطالب البارى سبحانه وتعالى بحقه فى دخول الجنة:

من بنده عاصم رضاى تو كجاست قاريك دلم نور صفاى تو كجاست

مارا تو بهشت اكر بطاعت بخشى

آن بيع بود لطف عطاى تو كجاست

الترجمة للزهاوى عن الفارسية

أنا عاص فأين منك الرضاء أنا داج فأين منك الضياء

إنما وقفك الجنان على الطاعة بيع فأين منك العطاء

وهنا يقف حائراً مشدوهاً أمام لغز الحياة وأسرارها السرمدية

قومى متفكر ند در مذهب دين جمعى متحيرند درشك يقين

ناكاه منادى درآيد زكمين كى بيخبرمه داه نه آنت نه اين

الترجمة للزهاوى :

فئة فى اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لواذا

وإذا صائح يقول مشيراً ليس ذاكم هو الطريق ولا ذا

الترجمة للبستانى عن الفرنسية والإنكليزية .

وهنا تقلقه فكرة العذاب فى يوم القيامة فيقول :

حين يارب كنت تجبل طينى عالما كنت أنت علم اليقين

كل امرئ وكنه سرى الدفين

كل ما جئته فنك بحكم منك روحى ومنك لحمى وعظمى

فلماذا يوم القيامة فى النار أعانى الآلام والأهوالا

وهنا تتمثل ثورته على الظلم واحتقاره المادة :

وأجبنى ووافنى لاعتزال وابتعاد عن محض قيل وقال

رب قفر من المظالم خال ليس فيه عبد ولا سلطان

هو عندى المكان نعم المكان

رب كهف تأويه نفس أبى فاق قصراً طالت ذراه السحابا

وهنا : نحن من التراب وإلى التراب :

وثغور الأزهار بإزاء الحبيب من ثغور سناؤها محجوب

لك قلب وفى الأديم قلوب

ضجعة اللطف فوق هذا النبات فهو نام من أكبد الناعمات

فى مهود فيها السبات عميق لا مفيق منه بهن أهابا

وهنا يخاطب جاره الخزاف

أمس أبصرت جارنا الخزافا يجبل الطين كيف شاء اعتسافا

ويكيل المقدار منه جزافا

وكأنى أسمعت بين يديه صوت ذات مظلومة تشتكيه

آه رفقا فأنت طين وماء أيها المرء لا تسمنى العذابا

وهنا يودع الحياة بقلب دام ونفس تذوب حسرات :

يا نديمى قد آن موت النديم

فاذكرنى ذكرى الصديق القديم

وابكينى بدمع بنت الكروم

وبكأس الرحيق قف فوق قبرى واسكب الخمر فوق عشب وزهر

فرفاتى إذ ذاك زهر وعشب وأنا الشئ كان كوناً وحالا

وأخيراً نراه يقنت لربه ويستغفر ويقول :

رب رحماك ما كسبت ثوابا لا ولا كنت مستحقا عقابا

إنما قلت ما رأيت صوابا وعزائى الجميل كان الحبابا

وكفانى التوحيد ذخراً فإنى لم أعدد فى دينى الأربابا

السيد أحمد مصطفى الخطيب

٢ – الحسن البصرى

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى فى الإسلام

للأستاذ حسين على الداقوقى

تصوفه :

عرك الحسن البصرى أزمات فكرية متعددة ، فيقول عنه الأستاذ حلمى ضياء « أنه وافق القدريين ، فغدا مثلهم قدريا ورأى حرية الإرادة والاختيار ، ثم عدل من هؤلاء بعد نقاش وجدل طويلين ، وشرع يتبع عبد الله بن عمر ويقفو أثره معارضاً الجبرية والقدرية معاً ، فتكونت له شخصية متميزة خاصة به فأوجد مذهباً وسطاً بين المذهبين ذلك هو مذهب الحرية الصوفية » إلا أن هذا الرأى ينبغى ألا يجرنا إلى القول بأنه لما عدل عن زمرة القدريين معناه ترك مذهب الاختيار ، لأنه فى الواقع ظل ينزع إلى المذهب نفسه ويفصح عنه بمناسبات عديدة ، وذلك مما دعا المعتزلة أن يعتبروه منهم (١)

لم يبق من آثار الحسن البصرى غير نصوص متفرقة فى طيات الكتب ، ورسائل تحملها كتب الآخرين ، مع العلم أن مواعظه العامة كانت قد جمعها طلابه أيام حياته ، ونشرت بعد وفاته من قبل حميد الطويل ، وهو الأثر الذى تطرق إلى ذكره الجاحظ فى عهده . كما نشرت من آثاره تعليقاته حول القرآن ، ورتبت من قبل عمرو بن عبيد المعتزلى بشكل تفسير وأن محاضراته المتعلقة بالأسس الأخلاقية فى القرآن جمعت باسم (مسائل) جمعها صاحبه الأشعث الحرانى . أما محاضراته غير المدونة فقد رواها تلاميذه على شكل (روايات) تروى عنه

كان الحسن ورعاً تقيا يعده الصوفية من أقطابهم ويتمثلون بحكمه وبجمله ، وإذا حللنا التصوف الإسلامى إلى عناصره التى تكون منها وجدنا الحسن خير مثال لعنصر الزهد والتقوى بصفتهما الإسلامية ، وكذلك إن جاز لنا أن نقول إن الصوفية الإسلامية اتخذت لها مدارس مختلفة فى البلاد الإسلامية المختلفة كالبصرة وبغداد وخراسان وتركستان ، لأصبح الحسن البصرى دعامة مدرسة البصرة وداعية الزهد والتقوى فيها

يقول ابن تيمية بصدد البحث عن نسبة الصوفية :

« وقيل وهو المعروف ، إنه نسبة إلى لبس الصوف . فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن . وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر الأمصار ، ولهذا كان يقال فقه كوفى وعبادة بصرية » « وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ما له فيه اجتهاد ، كما كان فى الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، فهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهى لباس الصوف فقيل فى أحدهم صوفى ، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال » (٢)

وللمستشرق المشهور دوزى رأى آخر حول نشأة الصوفية وعلاقة الحسن البصرى بها . فيقول « كانت فى البصرة امرأة زاهدة ورعة تقية تسمى (رابعة) ، وهى التى اعتاد حجاج العصور الوسطى زيارة قبرها الكائن على رابية تشارف القدس ، فكانت على رأى الصوفية الأوائل ، تعتريها حالات الوجد والشعور الإشراق ، وكانت أعلى مقاماً من الحسن البصرى . ولو جاز لنا الشك فى اعتبار الحسن البصرى من أهل السنة ، لا ينكر أنه كان يحوز نقطة بدء غير التى عند المتصوفة . ففى الوقت الذى يعتبر الحسن البصرى الشعور بالخوف جوهر التقوى ، يرى الصوفية عكس ذلك ، فيبدأون من نقطة المحبة ويخاصمون الذين يتخذون الخوف مستنداً لهم . وقد حدث أن سئل أحد الصوفية « من الذى يجب أن يعتبر لئيما ؟ » فأجاب « الشخص الذى يتعبد خوفاً من العقاب ورجاء الثواب » فسئل « لماذا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة الحسن البصرى

(٢) ابن تيمية : الصوفية والفقراء ص ٣ – ٤ ، الطبعة الثانية ١٣٤٨ مطبعة المنار

تعبد أنت ؟ » فقال « المحبة فحسب » (٢)

بيد أن الظاهر — ولعله الحقيقة — يدل على أن التصوف الإسلامى أيام الحسن كان متمثلا فى الزهد والتقوى فقط ، وهما العنصران الأساسيان فى التصوف ، أو بالأحرى هما الأساس له ، إذ لم تكن العناصر الأخرى كالأفلاطونيه الحديثة وغيرها قد دخلت فيه بعد . فالتصوف فى هذا العهد كان فى بداية نشأته وأوائل تأسيسه بشكل بسيط غير مشوب بالشوائب الأخرى التى اختلطت به فيما بعد . أما فيما يتعلق برابعة العدوية فلا يزال الشك يحوم حول صحة نسبة جميع الأقوال والأبيات الشعرية المنسوبة إليها (٤) فإن هذه الأقوال بحد ذاتها من حيث مبناها ومعناها تثير ريبة كل باحث ملم بثقافة ذلك العصر

إن هذا الرأى هو الآخر ليتضح للقارئ الكريم بكل جلاء فى استعراضنا وتحليلنا مبادئ الحسن البصرى الصوفية ، فى الفقرات التالية :

إن نقطة البداية عند الحسن فى هذا الباب هى استصغار هذه الدنيا الفانية الزائلة التى استصغرها الله ورسوله . ونجد فى رسالته التى بعثها إلى عمر بن عبدالعزيز يقول : « أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل (٥) » وكذلك يرى أن الله كلف المنزوين (أهل الانقطاع) أن ينتهجوا ثلاثة مسالك : الأمل ، والأجل ، والسحر . ومعنى ذلك أن يكونوا فى حالة الأمل ، وأن يدور فى خلدهم الأجل فى كل آن ، وأن يقضوا السحر أو الليل بالفكر ، تلك الخصال الحميدة التى تميزهم عن سواهم من الناس الذين يضيعون آمالهم ، ويعتقدون بالأجل عند موافاة المنية لهم ، والليالى التى يقتضى قضاؤها بالتفكير فهم يقضونها من غير تفكير . إن قاعدة الحياة عند الحسن البصرى ليست بمجرد الحمية والتجنب ، ولا بمجرد الورع والتقوى والابتعاد عن المنكرات الحقوقية وماشاكلها ، إنما هى قبل كل شئ عبارة عن الزهد والخشوع لله ، والتفرغ التام عن كل العالم ، وعن كل ما هو فان ، وهذا معناه أن يكون الإنسان تجاه نفسه فى حالة حزن دائم . وروى أنه لم يضحك أربعين سنة ، وكان فى حزنه كما قال يونس بن عبيد الله الحسن : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه . كان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له (٦)

ومن أقواله التى يستشف منها اتجاهه فى تصوفه : قال : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون . ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون (٧) . قال عيسى بن عمر : سمعنا الحسن يقول : اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم إلى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور (٨)

وكان يقول : ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقى من المسلمين فهو مغموم ويقول : ما من وسواس نبذ فهو من إبليس ، وما كان فيه إلحاح فهو من النفس . فيستعان عليه بالصوم والصلاة والرياضة ، وإذا أراد الله بعبد خيرا فى الدنيا لم يشغله بعيد ولا ولد ... ومن لبس الصوف تواضعا لله عز وجل زاده نورا فى بصره وقلبه (٩)

إن أساس الدين عند الحسن هو التقوى والحزن ، ويليهما فى ذلك الخوف . وقد لعبت فكرة الخوف دوراً هاما فى تصوف الحسن ، فهى التى تيسر الفناء إزاء المطلق ، والذوبان فيه ، ولاشئ يطهر الإيمان كما يطهره الخوف . وقد ذكر فى سياق رسالته إلى عمر بن عبد العزيز : أدمن الجوع ، وشعارى الخوف . ولباسى الصوف ، ودابتى رجلى ، ومراجى بالليل القمر ، وصلايتى فى الشتاء الشمس ، وفاكهتى وريحانى ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام (١٠)

وكان يردد ما مفهومه : إن الخوف والرجاء دعامتان يستند اليهما المؤمن على أن يكون الخوف عنده أقوى من الرجاء ، لأن

(٣) راجع مبحث نشأة التصوف والاعتزال فى كتابه عن تاريخ الاسلام

(٤) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى ص ٧٠ من الترجمة العربية

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٤ طبعة السندوبى

(٦) قوت القلوب ج ٤ ص ١٨٣ ، وكتاب التصوف وفريد الدين العطار لعزام ص ٢١

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠٨

(٨) نفس المرجع ص ٢٤٠

(٩) الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٢٥ مطبعة عبد الحميد حنى بمصر

(١٠) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ص ١٣٧

الرجاء عند ما يغلب الخوف يفضى إلى إفساد القلب ، وبواسطة الخوف ذاته نستطيع أن نتبين عجز المتناهى ، والفناء فى داخل اللامتناهى . ذلك أن الشعور بالعجز يكشف بتضاد جدلى (ديالكتيكى) عن ماهية القدرة ، وبهذه الطريقة نفسها يمكن الإصغاء إلى كلام الله ، وهذا هو ما يدعى بـ (الاستماع) وبعد ما يمر الإنسان بهذه الحالات الروحية يفهم القرآن . ومن هذه الناحية يكون الحسن البصرى واضع أساس علم النفس الصوفى أى (علم القلوب) . ومن ثم يدخل فى تحليل الحالات الداخلية للانسان ، وإن التعاريف التى أوردها بصدد محاسبة الطوية والضمير Examen de conscience ، كأنها قد أعدت مفاهيم الحارث المحاسبى فى هذا المجال . وقد دعا الإنسان إلى أن يوجه نظراته إلى داخل نفسه ، ويتأمل ، لأن التأمل هو مرآة تتجلى فيها للمرء ما فى الإنسان من محاسن ومساوئ ، وهو يسيطر على نفسه بالتأمل ، وأن سمة روحه هى سمة تأمله — وهى عبارات يتذكرها الإنسان عند ما يلاحظ علم النفس عند Emerson

إن آثار هذه المواعظ لم تبق مقصورة على النطاق الأخلاق والأدبي فحسب ، إنما عملت على توسيع المفهوم الإسلامى والفلسفة فى وقت واحد . فأصبحت شخصية الإنسان لا تفهم كمجرد شئ قائم على الأعضاء والملكات الروحية فقط — أى أن شخصية الإنسان تبعا لهذا المفهوم ليست من أثر التركيب وحده ، بل إنها تظهر قلبا كليا ناميا متطورا ، وهذه هى بداية المذهب الروحى الإسلامى Spiritualism الذى توسع فيما بعد على أيدى المتصوفة الروحيين

تطرق الحسن البصرى إلى مسألة خلق الأفعال البشرية ، ورأى أن الله فوض للانسان أفعاله الحرة ، وهذا يعنى أن الله وهب الإنسان الفيض والاستعداد لاستطاعته القيام بهذه الأفعال ، وهذا هو منشأ مذهب الانفاقية Occasionalisme بينما يرى المعتزلة مقابل ذلك نظرية التولد ، أى أنهم يأخذون بالنظرية القائلة : إن الله يوجد الأفعال فى الإنسان ، ولكنه يوجد كل فعل على حده . لذلك كانت نظرية الحسن مغايرة لمفهوم الإرادة الجزئية عند المعتزلة ، وهى فى الوقت نفسه مغايرة للمذهب الجبرى Fatalism عند الجبريين ، فنظرية الحسن والحالة هذه تقول بالحرية على أن تكون مرتبطة بيقين إلهى

وختاما لتصوف الحسن البصرى ينبغى ألا يغرب عن البال أن أول اتصال بين الصوفية ونظام الفتوة تم فى دائرة الحسن البصرى ، حيث كان الحسن نفسه يعرف بـ (الفتى) أحيانا و بـ (سيد الفتيان) أحيانا أخرى (١١)

ثقافته العامة ومكانته الاجتماعية

كان الحسن أستاذ أهل البصرة ، وبدرهم الطالع ، يقول عنه ابن سعد : كان الحسن « جامعاً عالماً عالياً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابدا ناسكا كبير العلم ، فصيحاً جميلا وسيما (١٢) » قال ثابت بن قرة الصابئ « ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب فى سياسته ، والحسن البصرى فى علمه وورعه ، والجاحظ فى فصاحته وبيانه (١٣) » ويروى عن الربيع ابن أنس بأنه اختلف إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ما من يوم إلا يسمع منه ما لم يسمعه قبله (١٤)

لم يكن الحسن مختصا بعلم من العلوم أو بفن من الفنون؛ إنما كان متضلعا بثقافة عصره ، تطرق إلى المعارف المختلفة التى آذنت بالازدهار فى محيط الإسلام . فقد وجه تعاليمه إلى عقول سامعيه لا إلى خيالهم ، وبذلك أسس فى الإسلام طريقة للتفكير تتعلق مباشرة بأوليات الفلسفة (١٥) بحيث يمكننا أن نقول إن أول مدرسة فلسفية نشأت فى الإسلام كانت فى البصرة برئاسة الحسن البصرى . كذلك كانت مواعظه رائعة تعمل فى تكوين العقيدة وعلم أصول الدين واللاهوت (١٦) ويذكر له ابن النديم مصنفاً فى التفسير ، وله أيضاً كتابات فى الشروح القرآنية ، وقراءاته القرآنية مشهورة (١٧) وله مكانته فى تطور النحو وعلم

---

(١١) أبو العلا عفيفى : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة
(١٢) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥ طبع ليدن
(١٣) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ٩٥ — ٩٦
(١٤) تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ١٦٢ طبعة مصر
(١٥) جواشون : نفس المرجع ص ٩٠
(١٦) : نفس المرجع ونفس الصفحة
(١٧) الانبارى : الانصاف فى مسائل الخلاف ج ١ ، ج ٢ أشار إليها عدة مرات ، اطلب الفهرست

الكلام وخاصة في الفقه . فقد دعا إلى التفقه بالدين (١٨) ، وفي له مصنف ، لعله كان في الفقه باسم (الإخلاص) ورد ذكره في أخبار الحلاج المفكر الصوفي المشهور (١٩) ولا نكون مغالين إذا قلنا إن له فضلا عظيما في تقدم الفقه الإسلامي وتوسيع نطاقه، فقد سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن (٢٠) وذكر عنه قتادة وقال : ما جالست فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ، وقال أيضاً : ما رأت عيناي أفقه من الحسن (٢١) وقال بكر بن عبد الله : الحسن أفقه من رأينا ومناقبه كثيرة مشهورة (٢٢) ودرج أبو إسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء عددا يسيرا من تراجم أصحاب الحسن وطلابه الفقهاء . فلا عجب والحالة هذه إذا ما وصفه المستشرق المعروف براون في بحثه عن نشأة الاعتزال بالفقيه المشهور . أما في مجال البيان فكان يشبه برؤبة بن العجاج (٢٣) فقد كان الحسن حقا أحد فضلاء الإسلام وبلغائه ، وكان طلقا لبقا ، يحذق الحديث وفن الخطاب ، حسن البديهة والارتجال. وقيل للحجاج من أخطب الناس قال: صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة يعني الحسن (٢٤) وقال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة (٢٥) وكان قصاصا يعد من أفاضل القصاص وأصدقهم ، يستخرج العظة مما يقع حوله من حوادث (٢٦) يجلس في آخر المسجد وحوله حلقته ، حيث كان نظام التدريس العالي آنذاك يجري على شكل حلقات المحاضرة والمناظرة

لم يسلم الحسن البصري – كما مر بنا – من انتقادات وجهت إليه في أيام حياته ، فقد تهجم عليه الشيعة الإماميون والخوارج لأنه وقف على الحياد من موقعة صفين، إلا أنه مع ذلك ظل يعتبر بين الناس رئيس الصوفية الكلاسيكية ، ومربيا لعدد من المتزلة المائلين إلى التصوف ، كما تبعه بعض المحدثين من أهل السنة، وانتهت كل الحملات عليه بموته ، وأثنى عليه الشيعة في بعض الأحيان وذكروا مآثره (٢٧) ومن ثم لا نستغرب من رواية ابن خلكان بأن أهل البصرة كلهم تبعوا جنازته بحيث لم يبق في المسجد من يصلي صلاة العصر . وكانت وفاته ١١٠ هـ (٢٨) ودفن في البصرة القديمة ، وقبره الآن بجانب قبر ابن سيرين مزار لمختلف الفرق الإسلامية

حسين على الداقوقي

---

(١٨) الطوسي : كتاب اللمع في التصوف ص ١٤٢ في سلسلة ليدن ١٩١٤

(١٩) راجع:
(ا) الخوانساري : روضات الجنات ص ٣٠٩ طبعة إيران في مادة الحسن البصري . وحسين الحلاج
(ب) أحمد بن الخياط الموصلي : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء . مخطوط في مكتبة مديرية الآثار القديمة العراقية . وترجم فيه أولياء الموصل وأهداه إلى الوزير نجيب باشا

(٢٠) الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٦٨ طبعة بغداد سنة ١٣٥٦ هـ

(٢١) ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ مطبعة السعادة

(٢٢) الشيرازي : نفس الصفحة من نفس المرجع

(٢٣) المعارف لابن قتيبة ص ٩٤ ؛

(٢٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٢٦

(٢٥) الأعلام للزركلي مادة الحسن

(٢٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ١٩٨

(٢٧) أمالي الشريف المرتضى جـ ١ ص ١٠٦ — ١١٣

(٢٨) ابن خلكان جـ ١ ص ١٢٩ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ

بعد عشرين قرنا

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

للأستاذ وندل فيلبس
رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كان الأمر على جانب من الخطورة ، فالعربي في جنوب الجزيرة لا يتردد عن قتل من يسوق سيارة من سيارات النقل ، إذا تصور أن تلك السيارة ستنتزع منه ومن بعيره رزقهما من نقل البضائع . لقد حذرونا قبل السفر بأن نكون يقظين لأولئك الذين قد يتربصون لنا خلف الصخور

إن اكتشاف الزيت في شمال الجزيرة العربية قد أزاح الإبل عن العمل في نقل البضائع إزاحة تامة . وهي بالنسبة لأصحاب الإبل نكبة اقتصادية فادحة . فليس في وسع القسم الأكبر من عرب جنوب الجزيرة شراء سيارات لنقل البضائع نظراً لفداحة أثمانها ، دع عنك تكاليف صيانتها وحفظها ، فالسيارات لا تستطيع العيش كما تعيش الإبل على الكلإ والأشواك، والسير يوماً بعد يوم من غير ماء . ولا أن تغدو طعاماً ووبراً للحياكة عندما ينتهي أمرها كحيوانات للنقل . ولذلك فإن النظام الجديد في عدن لا يستفيد منه سوى المقتدرين . أما أصحاب الإبل الذين لم يتأثروا بعد تأثراً يذكر بمزاحمة السيارات لهم فما زالوا مستعدين للكفاح في سبيل البقاء

ولكن الخطر الأكبر في طريقنا كامن في الخلاف بين اليمن والإنجليز على الحدود ، فقد جاءني كتاب من المصادر اليمنية الرسمية قبل حين جاء فيه :

« يجب الالتفات إلى أن حوادث « العنف » التي تقع في المناطق الجنوبية من اليمن ، قد أثارت الأهالي في تلك الناحية . بحيث قد يصبح السفر خطراً في بعض الأجزاء النائية منها »

وسرنا من عدن التي جئتها من لندن طائراً خلف سفينتنا ، نفذ السير بمحاذاة ساحل حضرموت اليمني . وحضرموت ميناء بحري ممعن في القدم تبدو — كشأن الصحراويات — جميلة على البعد . أما وقد اقتربنا منها ، فإن الأبنية التي كانت تشرق في أشعة الشمس على حافة البحر الأزرق من بعيد ، أخذت تبدو لنا الآن قائمة على القرب ، والأبخرة العفنة المتصاعدة من أرجاء المدينة تزحم هواء البحر النقي بروائحها الكريهة

وانسابت نحونا ، في كسل ، بعض السفن العربية الهبيطة تدفعها مجاديف نوتيها من العرب . فابتدأت من تلك الساعة مهمتنا الشاقة في الاحتفاظ بسياراتنا على ظهرها حتى نصل بها إلى الساحل . إن ثبات هذه السفن الشراعية على وجه الماء كثبات الزوارق المصنوعة من لحاء الشجر ، حتى لقد كدنا نفقد إحدى سياراتنا ، فقد اندفعت على حين غرة من جانب من السفينة إلى الجانب الآخر فقطعت الأمراس التي كانت تشدها ، وبدأت تميل بالسفينة لو لم يتداركها أحدهم بحبل ثم رفعناها بالآلة الرافعة

وكانت الحواجز التي تحتم على ذلك النهار إزالتها من الطريق في الجمرك أبلغ خطراً . فقد كانت السلطات المدنية تدرس مشروعاً لشق الطرق في البلاد ، فطلبوا منا المساهمة في تمويل المشروع لقاء السماح لنا بالدخول

قلت موجهاً حديثي لجيهان خان الهندي ، سكرتير المالية لحكومة المكلا : « لا بأس ! فكم تريدون ؟ »

فأجاب بلغة إنجليزية فصيحة : « أعتقد أن ١٦،٢٠٠ جنيهاً إنجليزية كافية »

فنظرت إلى رفيقي شارلس انجبى وقلت : «معنى ذلك ٥٠،٠٠٠ دولار أمريكي إننا لا نملك هذا المبلغ ، فما يريد أن يفعل به ؟ أيريد أن يوفد بعثة أخرى من قبله بذلك المبلغ كله ؟ »

فضحك انجبى ، وتوصلنا بعد صعوبات إلى حل مرض ، فإن حكومة المكلا يرضيها أن نقدم لها حراسة بحارية أو ممهدة للطرق . ومع ذلك فلم يكن لدى أي واحدة منها في ذلك الحين . فقنع جيهان خان بتعهد كتابي مني . ويسعدني القول أنني استطعت تحقيق ما جاء في هذا الفصل بفضل هذا التعهد . ثم تشرفنا بعد

الظهر من ذلك اليوم ، وكان يوم الأحد ، زيارة صاحب السمو السير صالح صالح بن غالب القعيطى . سلطان الشحر والمكلا ، وأكبر زعماء الجانب الشرقى من المحمية ، فدعانا للعشاء على مائدته تلك الليلة . ولن أنسى ما حييت ، وقوفى إلى جانب سموه أقدم له أفراد البعثة . إن السلطان شديد الاهتمام بالشؤون العالمية ، وهو يتكلم الانجليزية ويؤلف فى الفلسفة ، والعلم ، والدين ، ويحب الأدوات الحديثة ، وقد جهز قصره بالنور الفلوريسينى . وبمسجل للأصوات . ولما كنت جالساً بجانب سموه على مائدة الطعام ، كان سؤاله الأول موجهاً إلى ، وقد نزل على رأسى ، فقد أراد أن يعرف ، من بين الأشياء جميعها ، الثقل النوعى لأحدث معدن تصنع منه الطائرات النفاثة . فهتفت : « بترى » محيلا عليه السؤال ، فهو وحده من بيننا على علم بمثل هذه الأمور

وابتدأنا بالسفر غداة يوم الإثنين ٢٠ فبراير مبكرين ، وعند الظهر اندفعت قافلتنا من بوابة المدينة وبدأت تتسلق المرتفعات متغلغلة فى داخل البلاد

كان طريقنا يتجه نحو الشمال إلى وادى حضرموت فوق سلسلة من النجود العالية تسمى « الجول » ومن هناك نسير محاذين لطرف الصحراء الجنوبى حتى رملة الصباطين ثم نتجه غرباً حتى نصل إلى الطرف الجنوبى من وادى بيحان

مدن تحت رمال الصحراء

إن رملة الصباطين بحر مثلث مترامى الأطراف من الرمال الصريحة ، ترعرعت على سواحله الصخرية يوماً ما ، ثلاث من ممالك جنوب الجزيرة العربية الأربع — معين فى الشمال ، وحضرموت فى الشرق ، وسبأ وقطبان فى الجنوب . وقد قامت مدينة مأرب عاصمة سبأ فى الزاوية الشمالية الغربية من هذه الأرض التى ليس لأحد سلطان عليها ، كما قامت « تمنـــا » فى الزاوية الجنوبية الغربية منها . وكلتا المدينتين الآن تحت الرمال التى تذروها الرياح فى كل ناحية وصوب فى الجزيرة العربية المعاصرة القليلة المياه

منذ نهـاية العصور الرومانية حوالى عام ٥٠٠ قبل الميلاد عندما جاء الأحباش المسيحيون إلى حضر موت ، ثم تلاهم المسلمون المتحمسون للقضاء على الوثنية ، حتى عام ١٩٢٠ ، لم يتعد عدد من زار حضر موت من الأوربيين ستة أشخاص ، ولم يقدر لبعثة أمريكية منظمة قبلنا أن ترى حضر موت أو وادى بيحان النائى

تبلغ مساحة حضرموت حوالى ٤٠٠ ميل طولا ، ويحدها عدد من النجود المكونة من الحجارة الكلسية التى تعلو فى السماء البيضاء الصافية آلافا من الأقدام . إن حضر موت شحيحة الأمطار ، وعندما تمطر السماء فيها ، فإنهـا تفرغ نعمها فوق الجبال ، فتتجمع المياه هناك أولا على هيئة غدران لجداول ثم تصبح فى النهاية سيولا جارفة ، تتدفق من أعلى الهضـاب مدوية فى الوديان ، كاسحة أمامها ما يقع فى طريقها

وكنا خلال اجتيازنا الجول المرتفع القارس فى منتهى الحذر خوفا من أولئك العرب الذين يكرهون سيارات النقل أشـد الكره ..فكان مبارك عبدالله ضابط حرس القافلة .. يرتب سياراتنا كل ليلة على هيئة مربع مجوف كما تفعل طلائع الجيوش بسياراتها ومدافعها الرشاشة المتحركة

لقد حسبنا فى اليوم الثالث أننـا مشرفون على الوقوع فى المشـاكل ، فطريق السـيارات فى الجول لا يتسع لأكثر من سـيارة واحدة ، وكانا جانبـا الطريق مليئين بالصخور الصـلدة العظيمة . كنت أسوق سيارة القيادة ، وهى من نوع السيارات التى تستعمل فى الاستكشافات الحربية ، فشاهدت أمامى سحابة من الغبار ثم انجلت بعد حين عن سيارتين من سـيارات مكافحة الجراد الذى يكثر فى الجزيرة العربية . إنه يتدلى من الشجيرات كالعناقيد فيلتقطه العرب منها كالتوت، ويدسونه فى أفواههم وهو لا يزال حيا يرفس برجله

ووقفت السيارتان أمامى ، وقفز منهما أربعة من العرب يتنكبون بنادقهم . كان الأستاذ (أولبرايت) معى فأمرونا بواسـطته أن نخلى الطريق لهم من سـياراتنا . فقلت لهم إنى لا أرى ما يبرر إخراج ١٦ سيارة من الطريق من أجل سيارتين . فرفع أحدهم بندقيته ، ومرت لحظة من الزمن كنت أسائل نفسى فيها : « أهذه هى النهـاية ؟ » ثم سمعت مبارك عبد الله يقول

بصوت مرتفع ، وهو يقفز من سيارته وكانت قد توقفت فى تلك اللحظة خلف سيارتنا .

« نح تلك البندقية جانبا » فأنزل الرجل بندقيته ، وقال : « من أنتم ؟ »

فأجابه مبارك : « أنا الضابط مبارك عبد الله . وإذا لم تتنحوا عن الطريق ألهبت رؤوسكم بالرصاص » . فأطاع الرجال وتنحوا لنا عن الطريق بخفة

عندما قتل ضيفه

إن لمبارك شهرة واسعة فى حضر موت . فقد أرسل ذات مرة ضيفا إلى إحدى حفلات الزواج فى حى عمه ، فقتل الضيف . فلما بلغ النبأ مباركا ، اشترى بندقية جديدة ، ومقدارا من الرصاص ، وتوجه ليثأر لشرفه طبقا لما تخوله التقاليد القبلية من الحقوق . وبعد سنة كاملة استطاع أن يريح ضميره مرة أخرى بعد أن قتل ثلاثة من أفراد عائلته كانوا مسئولين عن إراقة دم ضيفه

كان مبارك يركب دائما بجانب « جلادس » ، ومع أنها كانت رائدتنا فطالما توارت عن أنظارنا عند منعطفات الطرق أو فوق التلاع . ولكنى ما كنت أقلق عليها لوثوقى من سلامتها ما دام مبارك بجانبها على قيد الحياة . فقد كان شديد الإعجاب بقيادتها للسيارة . فالعربى ينظر لمن يسوق سيارة أو يطير طيارة بالإعجاب والإكبار . و« جلادس » كانت هائلة سواء أمام عجلة السيارة أو قيادة الطائرة

فنى غضون الرحلة التى قمت بها قبل سنتين منتدبا من جامعة كاليفورنيا كانت جلادس تقود سيارة من سيارات الحمل من القاهرة إلى مدينة الكاب وهى مسافة تقرب من ٥٠٠٠ ميل . وفى العام المنصرم سجلت رقما قياسيا فى الشرق الأوسط بقيامها بست رحلات فى غضون ١٠ أيام من القاهرة إلى جبل سينا . وقد رافقها « جيفرس كافرى » السفير الأميركى فى القاهرة فى إحدى تلك الرحلات، فلم يستطع احتمالها ، فإنها لتمرسها بالأسفار فى الصحراء كانت تتغلب على ما يعترض سبيلها من العقبات ، ومع ذلك فقد كانت عنايتها عظيمة بحيث لم ينفجر ولا إطار

واحد من أطر السيارات أو ينكسر محور واحد فى الطريق الصخرية إلى بيحان . وهى مهارة لم أكن أتوقعها

كانت سيارتها تتقدم القافلة دائما ، بينما كنت أتنقل فى سيارة من سيارات الاستكشاف بين أضلاع الوديان ومتون الصخور ، فقد كان تخصصى العلمى الأول هو الإحاثة فكانت تستهوينى التشكيلات الجيولوجية الظاهرة العجيبة ، وبعضها يعود إلى الزمن الذى لم تكن فيه الأرض سوى كرة صخرية جرداء تلفحها الرياح

كنت فى المقدمة عندما تراءت لنا « شيبام » مدينة الأبنية العالية والخصومات . فحينما بلغت بسيارتى قمة إحدى الهضاب ، وبدا منظر المدينة منبسطا أمامى على حين غرة ، كان الوقت ظهرا والحرارة محرقة ، حتى أن الإعياء كان قد أخذ مأخذه من حراسنا فلاظ الأجسام . كانت الصحراء ترقص أمام أنظارنا فى بهر الشمس ، وأبراج المدينة تبدو كأنها معلقة فى الهواء العائم تشدها خيوط من الفضة فوق الرمال

تسمى شيبام شيكاغو حضر موت ، لا لسبب سوى أن أبنيتها أعلى ما فى البلاد . فبعضها يعلو الأسوار التى تحيط بالمدينة وتحميها من هجمات قبائل الصحراء بـ ٩ أو ١٠ طبقات . والبلد قسمان : سكان المدن المستقرون ، وسكان الصحراء المتنقلون

وليس ما يمنع تلك الأبنية من المضى فى الارتفاع سوى عدم سلامة الطين الذى يخلط بالقش « التبن » وبعر الإبل ، ويسلح بدعائم من الخشب . فإن العلو زيادة فى الاحتراس وليس من الضرورى لرخص مواد البناء فى شيبان . فكلما عشت مرتفعا بالمعنى المادى ، سبقت فى رؤية اقتراب الأعداء

لقد سمعت قصصا عن شيبام وهى من أفظع ما شهدته بلاد العرب من الميادين الحربية الدامية ، فقد كانت ميدانا للكفاح من أجل السيطرة استمر قرنا كاملا بين قبيلتين عربيتين كبيرتين هما القعيطيون الذين انتصروا فى النهاية ، والكثيريون الذين فقدوا السلطة هناك . وهذا طرف من تلك القصص :

لسبب لا نعرفه الآن أجاز السلطان منصور حاكم شيبام الكثيرى سنة ١٨٣٠ للقعيطيين شراء قسم كبير من أملاك

المدينة، فلما استقر بهم المقام ساءت نية منصور وأخذ ينظر إلى الطارئين الجدد كمعتدين ، وبدأ يعمل فيهم السيف . هذه هي البداية . ثم ارتحل قسم من الكثيريين وعادوا بجيش اضطر معه منصور فى النهاية إلى تقسيم شيبام بينه وبين الكثيريين

واستمر الهدوء حيناً من الزمان حتى بدأ منصور ، الحول القلب الذى لا يستقر على حال يتطلع للقتال ، فسولت له نفسه أن يمكر بالقعيطيين فيدعو ثلاثمائة من كبارهم إلى العشاء . وكان البارود من ضمن الطعام . ولكن الخدعة لم تنطل على أحد . فإن الثلاثمائة قعيطى الذين كان يرمى إلى استئصالهم ، جاءوا مع عدد كبير من الأتباع أكبر مما كان يقدر . فعاد الكفاح سيرته الأولى من جديد . ودارت الدائرة فى النهاية عليه ، فشق حلقه من الأذن إلى الأذن ، وابتدأ من ذلك الحين استئصال ما بقى من الكثيريين فى القاطمة فى تصميم وروية ، من غير رحمة أو شفقة ، حتى كادوا يفنون على بكرة أبيهم ، إلى أن جاء ما يسمى بصلح أنغرام قبل بضع سنين فوضع الإنجليز به حداً للقتل المنظم . لم يكن المرء ليأمن على نفسه بأن يمشى أو يركب منفرداً فى شيبام نهاراً . وكان بيت كل إنسان حصنه . وإذا كنت فقيراً فإنك تقتل أعداءك بنفسك . أما إذا كنت غنيا فإنك تستأجر من يتولى قتلهم عنك . وكان القتلة دائماً ينالون جزاءهم إما مالا أو قتلا ، وأحياناً مالا وقتلا . وعند ما يصل إفناء عائلة من العائلات حداً بعيداً ، فإن المغلوبين يحاولون عادة حسم الأمور بينهم وبين المنتصرين ، فيهيئون وليمة كبيرة ، وكجزء من الوليمة يحاولون الاتفاق على تأدية ديات القتلى ، وبذلك تذوب فى بعض الأحيان ثروات بعض العائلات قبل أن يتم تسديد الديات

وبالرغم من وجود مبارك الذى يتولى حمايتنا أثناء رحلتنا إلى بيحان، فقد انتابنى فزع شديد ذات يوم مرتين. الأولى بسبب جلادس، وبعد ذلك مباشرة بسبب البعثة كلها . كنا قد تجاوزنا شيبام ، ووصلنا إلى قلعة منفردة فى بئر عسكر . وكان علينا أن نقضى الليل هناك

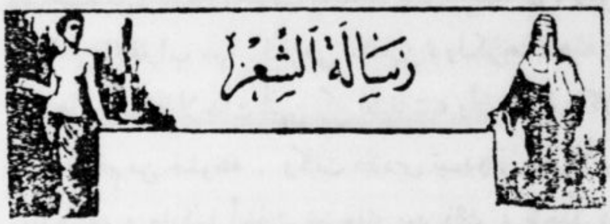
وبينما كنا نغادر سيارتنا ، التف حول جلادس ما يقارب عشرين امرأة كن قد جئن بإبل القبيلة إلى بئر عسكر . فأخذن

فى شد مئزر غلادس الغريب الهيئة الأبيض الفضفاض ، وهن يتدافعن للاقتراب منها . فأفزعنى تدافعهن ، ولكنى عندما هرعت نحوها ارتحت لما لاحظت أنهن كن لطيفات ، وأن فضولهن كان وديا بالرغم من خشونته . وكانت غلادس تبدو فى أول الأمر مندهشة ، ولكنها أخذت تضحك بعد ذلك ، فأخذن فى الابتعاد عنها نوعاً ما ، وهن يؤلفن حلقة متراصة حولها ، وتتكز إحداهن الأخرى ويتطلعن إليها ويتهافتن على ذات الشعر الذهبي

ثم ارتفع على حين غرة صوت إطلاق الرصاص ناحية وادى حضرموت الرملى . إنه العلامة المتوقعة للخطر الذى كنا فى انتظاره منذ أن غادرنا المكلا ، فتطلعت مجلا نحو مصدر الصوت ثم أسرعت إلى بندقيتى لأنى استطعت أن أشاهد على البعد سحابة من الغبار وفى وسطها دون شك بعض الرجال الأشداء على ظهور إبلهم

ع . ث

(الرسالة) نقلت شركات البرق أن الأستاذ وندل فيلبس كاتب هذا المقال قد فرهو وبعثته من اليمن إلى عدن . وظل فرار هذه البعثة حديث الناس فى كل مكان، يظنون فيه الظنون، ويتلمسون له الأسباب. وقد قال مكاتب (المصرى) فى عدن من رسالة بعث بها إلى جريدته فى الخامس عشر من هذا الشهر: «قمت بتحرى الأسباب التى حملت حكومة جلالة ملك اليمن على إبعاد هذه البعثة فعلمت أن ذلك يرجع إلى أن الحكومة اليمنية كانت قد سمحت لهذه البعثة الأمريكية بالتنقيب عن الآثار فى منطقة مأرب وغيرها من البلاد اليمنية بموجب اتفاقية عقدت بين الطرفين أهم بنودها أن تكون جميع الآثار التى تعثر عليها البعثة ملكا لحكومة اليمن التى ساهمت بمبالغ كبيرة فى هذا المشروع العلمى الجليل . وقد بدأت البعثة عملها بعد أن وقعت على الاتفاقية بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٥١ ونجحت فى العثور على آثار عظيمة . ولما أوشكت مدة الاتفاقية أن تنتهى طلب رئيس البعثة من الحكومة اليمنية أن يستمر فى العمل واعدا بتلافى الأخطاء التى ارتكبها أعضاء



خطـــوط

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

فقير، أجـــل .. ودميم دميم ... بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منـه الوجوه ... وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل آلامه فى جمود ... ويشرب أحزانه فى وجـوم
وكم تبعته أكف الصغـار ... قاذفة بالحصى والرجـوم
ولـــكنه أبدا حالم . ... وفى قلبـه يقظات النجوم

* * *

فقـــير .. وسادته ثوبه ... إذا ما غفا .. والفراش الحصير
حصـير تقادم حتى يكاد ... يخضر .. يرجع عشبا نضير
وغرفته حفرة تتعـالى ... بجدران قبر .. وباب قصير
ومائدة وقفت كالعجوز ... سيقانها خالدات الصرير
ومصبـاحه ميت .. ميت ... كقلب الغنى .. ووجه الفقير

* * *

دميم .. فوجه كأنى به ... دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين ... مثقلتين بريح الألم ..
وأنف تحـــدر ثم ارتمى ... فبـان كقبرة لم تتم ..
ومن تحتها شفة ضخمة ... بدائية .. قلمـــا تبتسم
وقامته لصقت بالتراب ... وإن هزئت روحه بالقمم

* * *

وقالوا: أحب .. ورددت الألسن الساخرات .. أحب أحب !
وما ذكروا أنه مثلهم ... له بين جنبيه قلب يحب
وهل عرفوا الحب؟ هل عرفوه ... سوى أنه جسد يضطرب
وفاكهة تشتهيها العيون ... وكف تجوع .. وكف تهب
ولو سألوا قبحه .. لأجابت ... كآبة عينيه إن لم يجب !

* * *

أحب التى شربت كأسه ... وأبصر فى نفسها نفسه
وكم ظل يسأل عنها الوجوه ... ويطرق محتضنا يأســه
ويهرق معـوله فى تراب ... لياليه .. محتفراً رمسه
إلى أن رآها .. رآها فغنى ... لحاضره .. وبكى أمسه
وعانق فى مقلتيها أساه ... وقدس فى طهرها رجسه

* * *

وكان يخاف لقـاء المنيـة ... قبل لقائهما .. قبلهـا
فأمسى يود خـلود الحيـاة ... لتحيا له .. وليحيا لهـا
وما شهد الفجر أحلام عينيه ... إلا مصليـة حولهـا
وما سمع الليل أشواق جنبيه ... إلا منـــورة ظلها
فلا تحسبوه يغنى لـكم ... ولـــكنه يتغنى لهـا

محمد مفتاح الفيتورى

بعثته لجهلهم بتقاليـد أهل البلاد وعاداتهم . وفى الوقت الذى كان يفاوض فيه الحكومة اليمنية اعتقل البوليس اليمنى عددا من أفراد البعثة بعد منتصف الليل وهم يهمون بمغادرة اليمـن حاملين معهم كثيرا من التحف الأثرية والتماثيل ، فقررت حكومة الإمام على أثر ذلك عدم تجديد الاتفاقية وابعدت البعثة عن اليمن

وقد اكتشف أخيرا أن بعض أفراد البعثة قد نجحوا فى سرقة تمثال بلقيس ملكة سبأ وهو يعتبر من التحف الأثرية النادرة

وقد علمت أن الدوائر الرسمية فى اليمن تعد تقريرا شاملا لترفعه إلى حكومة الولايات المتحدة لإعادة هـذا الأثر العظيم إلى موطنه الأصلى »

العودة ...

للاستاذ أحمد أحمد العجمى

عدت للحب والطلى والأغانى   والليالى والفاتنات الحسان

عدت كالطير للرياض وكالأنـ   ـسام للدوح فى الربيع الحانى

عدت للحب والجمال المفدى   ناعماً بالخلود فى الحانى

محياً للزمان يفنى وللأ كـ   وان تفنى والحب ليس بفانى !

كيف يفنى حبى وتخمد أشوا   ق وأنت الحياة ملء كيانى ؟!

• • •

زعموا أننى سلوت هواك   ونسيت العهود بعد نواك

لا وعينيك والورود النضيرا   ت على وجنتيك لا أنساك

إن يكن صمتى الطويل شجاك   فبروحى أعيش فى نجواك

أين صوت اللسان من شغف القلـ   ـب وصمت النسيان من ذكراك

يا فتاة الأحلام عودى فإنى   كنت فى الصمت ناطقاً بهواك

• • •

عودة عودة إلى القبـلات   والعناق الشهى والصبوات

واللقاء النشوان بالصفو والبهـ   ـجة والأغنيات والأمنيات

كلما أشرقت نجوم الدياجى   طالعتنا بأوجه اللذات !

ومتى صفقت كؤوس الحميا   رفعتنا الأحلام فوق الحياة !

مضت المعجزات إلا محيا   ك فما زال أحلا المعجزات !!

• • •

أى سر يلوح فى مقلتيك ؟   أى سحر ينساب فى عطفيك ؟

أى بشر وروعة وجمال   للنهى والقلوب فى وجنتيك

زعمونى سلوت عينيك أوهمـ   ـت بنبع ألذ من شفتيك

فسلى مقلتى عن سهر الليـ   ـل وعن لهفة الحنين إليك !

واسمعى أدمعى وبث أنينى   ونجوم الدجى شهوداً لديك !

• • •

أنت يادرة الجمال الفريد   أنت ياواحة الشريد الطريد

يا ابتسام الحياة يافرحة المحـ   ـزون يا طلعة المنى والسعود

يا ملاكا تغلغل الحسن فيه   هاتفاً : ها هنا يطيب خلودى

استمر الجمال فيك إلى أن   فضحته العهود بعد الخدود !

فا كتسى حسنك الأنيق حياء   ونهادى فى غصنك الأملود !!

• • •

أين منك الرياض والأنداء ؟   أين منك الأضواء والأفياء ؟

أين منك الشموس والأنجم الزهـ   ـر جميعا وأين منك السماء ؟

بت أحصى محاسن الكون طرا   فإذا أنت وحدك الحسناء !!

فيك حرية الجمال وفى قلـ   ـبى قيود الهوى فنحن سواء .!

فلم الهجر والقسوى وجزاء الـ   ـحب ذاك الجمال والإغراء ؟!

• • •

آه لو تعلمين هول شحوبى   وعذابى ولوعتى ونحيبى

وحنينى إليك فى النأى كالأم   إلى طفلها الوحيد الغريب

وحنوى عليك كالديمة الوطـ   ـفاء تحبو الربى بأوفى نصيب

وأغانى فيك كالجدول الرقـ   ـراق يجرى مضمخا بالطيوب

ياحبيبى متى تعود الليالى   مثلما عدت للهوى ياحبيبى !

• • •

سمع الطير غنوتى وهيامى   فتغنى بصبوتى وغرامى

ورأى الشاعرون حمتى فأغرا   هم بشعرى فرددوا أنغامى

يالصوص القريض عدت فعودوا   لانتهابى وشمروا لاغتنامى !

يا شداة الألحان هاكم أناشـ   ـيدى ففنوا بها وديسوا حطامى

هل على الجدبين ينتجعون الـ   ـخصب لوم ، سعيا على الأقدام

• • •

إننى أملك الكنوز جميعا   فى فؤادى صبابة وولوعا

وهياما بالحسن فى كل وجه   وانطلاقا مع الأمانى سريعا

وطموحا وثورة وإباء   وحياء وحيرة ودموعا

أنت رقرقتها ينابيع فى قلـ   ـبى وأطلقتها خيالا رفيعا

أنت مادمت أنت ملء فؤادى   فمن العجز أن أخر صريعا !!

• • •

حسدونى على أمانى فيك   هل رأوا فتنة ابتسامة فيك !؟

ظلمونى وأمعنوا فى عذابى   أنا راض بالظلم لو يرضيك ؟

حبسونى فى ظلمة الريف وحدى   لينالوا المنى بغير شريك !

تشرق الشمس وحدها والمصابيـ   ـح دياجير فى النهار الضحوك

عقد النصر للسلاحف والشا   ذر خلف القطيع كالصعلوك !

أحمد أحمد العجمى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا



صورة متخيلة لابن سينا وضع تصميمها الأستاذ أكرم شكرى بالعراق وأقرتها لجنة ابن سينا

كان مقرراً أن يقام هذا الاحتفـــال فى أكتوبر سنة ١٩٥١ ، فى بغداد أولا ، ثم فى طهران ، ولكن الحكومة الإيرانية طلبت أن يؤجل ريثما يتم بناء ضريح تقيمه لصاحب الذكرى فى مدينة «همدان» ، فقررت اللجنة المؤلفة فى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الاحتفال بهذه الذكرى — بالاتفاق مع ممثـل إيران — أن يقام الاحتفـال ببغداد فى النصف الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥٢ ، وبطهران فى النصف الأول من أبريل

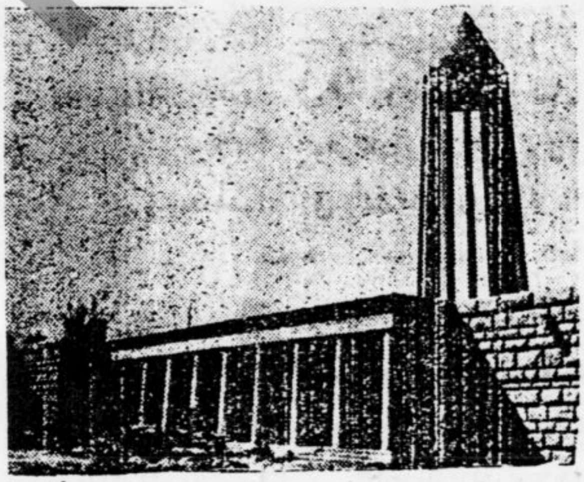
وجاء شهر مارس «الحالى» فأنبأت الحكومة الإيرانية أن الضريح لم يتم بناؤه حتى الآن ، وأنها قررت تأجيل احتفالها إلى موعد قريب سيعلن عنه وسيدعى إليه وفود من الدول العربية وعلماء ومستشرقون من مختلف أنحاء العالم

ومضت العراق فى إعداد العدة لاحتفالها فى الموعد المقرر ، وقد عين يوم ٢٠ مارس الحالى لبدئه ، ويستمر حتى اليوم الثامن والعشرين منه

الوفود المصرية :

وعينت الدول العربية وفودها إلى الاحتفال ، ونذكر فيما يلى الوفود التى تقرر إيفادها من مصر :

يمثل جامعة الدول العربية فى الاحتفـال بهذه الذكرى ، الأستاذ سعيد فهيم وكيل الإدارة الثقافية والدكتور أحمد فؤاد الأهوانى والأب قنواتى والدكتور مختار الوكيل ، وقد اعتذر الدكتور أحمد أمين بك وأعد كلمة فى هـذه المناسبة يلقيها الدكتور مختار الوكيل فى حفل الافتتاح



صورة لضريح ابن سينا فى همدان

ويمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الدكتور إبراهيم بيومى مدكور «وهو رئيس وفد مصر» ، ويمثل وزارة المعارف المصرية الأستاذ محمود الخضيرى ، ويمثل جامعة فؤاد الأول الدكتور مصطفى عمر بك الأستاذ بكلية الطب ، ويمثل جامعة إبراهيم الدكتور عبد الرحمن بدوى الأستاذ بكلية الآداب ، ويمثل جامعة فاروق الأول الدكتور محمد ثابت الفندى ، ويمثل الأزهر الدكتور محمد البهى

ويمثل المعهد الفرنسى بالقاهرة البروفسير شاؤل كوينز ويحضر الاحتفـال الأستاذ عادل الغضبان مندوبا من مجلة «الكتاب» ، ويحضره أيضا من رجال الآثار المصريين الأستاذان عباس بدر وحسن عبد الوهاب والدكتور محمد مصطفى

المدعوون الشخصيون

وقد وجهت الحكومة العراقية دعوات خاصة إلى طائفة من العلماء فى مختلف البلاد الشرقية والغربية ليشاركوا فى الاحتفال وينزلوا فى ضيافتها ، وهم — بطبيعة الحال — غير المندوبين الرسميين ، وإنما دعوا بصفاتهم الشخصية

فدعت أربعة من إنجلترا ، وأربعة من أمريكا ، واثنين من فرنسا ، وواحداً من كل من كندا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا والسويد والدانمرك وهولندا وكوبنهاجن والهند والباكستان وإيران وأندونسيا وتونس والجزائر ومراكش . وقد عرفت أسماء المدعوين الإنجليز والفرنسيين ، فالإنجليز هم الأساتذة جيب ومينورسكي وآربري وسيدني سميث ، والفرنسيون هم الأستاذان ماسينيون وبلاشير

دعي مصري واحد واعتذر :

ودعت من المصريين واحداً هو معالي الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا وقد اعتذر . كما دعت ثلاثة يقيمون بمصر أحدهم إنجليزي وهو المستر كريزول أستاذ الآثار الإسلامية بمعهد الآثار بجامعة فؤاد الأول ، والآخران هما الأستاذ العلامة ساطع الحصري بك والبروفسير شارل كوينز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة وهو عضو في لجنة الاحتفال بالإدارة الثقافية ، ومما يذكر أن الأستاذ كوينز بذل جهوداً قيمة في معاونة اللجنة ، وقد نشر المعهد الفرنسي بعض الأبحاث التي كتبها بعض أعضاء اللجنة في ذكرى ابن سينا

كشكول الأسبوع

□ فرغت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية من فحص ما تقدم به الأدباء من إنتاج في الشعر والقصة والبحث لمسابقة تشجيع الإنتاج الأدبي ، وقد استقر رأيها على الفائزين في هذه المسابقة ووافق مجلس المجمع في جلسته الأخيرة على النتيجة التي قررتها ، وعلى أن يقام حفل علني لإعلان هذه النتيجة وتقديم الفائزين يوم ٣٠ مارس الحالي بدار المجمع . وقد فاز أربعة ، واحد في القصة وواحد في البحث واثنان في الشعر منح أحدهما الجائزة الأولى وهو من شعراء (الرسالة) ومنح الآخر الجائزة الثانية

□ تلقى الدكتور طه حسين باشا من المجمع العلمي الإيطالي أنه اختير عضواً به . ومما يذكر بهذه المناسبة أن سعادته عضو منذ سنين بالمجمع العلمي الفرنسي والمجمع العلمي الاسباني

□ من « الصور الكاريكاتيرية » في الأدب العربي التي تحدث عنها الأستاذ كامل كيلاني في ندوة بالاتحاد الثقافي المصري ، ما صور به ابن الرومي أنف كنيزة المغنية في البيت الآتي :

عوضت من ذوائب وقرون
حل أنف فيه لفرخين عش

□ قرأت في العدد الأسبق من (الرسالة) قصيدة « من وحي الكأس » للأستاذ محمود غنيم ، التي جمعت بين الدعابة المستملحة والالتفاتات الجيدة والموسيقية العذبة وقد استرعى انتباهي قوله فيها :

قد يغفر الله للسكير من كرم
ويخلد الراهب الذكير في النار

وذلك لتوارد خاطره مع المعري في قوله:

ولم آمن على الفقهاء حبساً
إذا ما قيل للأمناء جوزوا

□ من أنباء عدن أن الهيئات والجمعيات والصحافة هناك ، طالبت باتخاذ العربية لغة رسمية مع اللغة الانجليزية في عدن وفي جنوب الجزيرة العربية المحتلة بالقوات الانجليزية . والغريب في هذا النبأ أنه يطلعنا على واقع يدعو إلى الدهشة والأسف وهو أن جزءاً من « الجزيرة العربية » لا تستعمل فيه العربية لغة رسمية ! وما أشد تواضع المطالبين .. إذ يطلبون فقط مشاركتها اللغة الانجليزية

بلاد « الدمنيون » في الاحتفال :

ويلاحظ أن الدعوات الشخصية وجه أكثرها إلى إنجلترا وأمريكا وبلاد « الدمنيون » ، فقد ظفر « الإنجلو أمريكان » وحدهم بثماني دعوات، وثمة بلاد حافلة بكبار المستشرقين كألمانيا وهولندا ولم يدع إلا واحد من كل منهما .

وإذا كان لنا أن نتغاضى عن مصر ومن فيها من الأعلام وأساتذة الأدب والفكر ، وأن ندع الحديث في إهمال دعواتهم لأننا مصريون ، فلا أظن أنه يحسن السكوت عن عدم توجيه مثل تلك الدعوات إلى أحد من سائر البلاد العربية ؟ أفلم تجد الحكومة العراقية في سوريا أو لبنان مثلا من هو أهل لكرمها الذي كان « حاتميا » في الغرب و « مادريا » في الشرق .. إن صح أن ينسب الكرم إلى « مادر » .. ؟!

لجنة الاحتفال وأعمالها :

وتتكون لجنة الاحتفال المؤلفة بالإدارة الثقافية ، من الدكتور أحمد أمين بك « رئيسا » والدكاترة والأساتذة إبراهيم بيومي مدكور ومحمد البهي ومحمد يوسف موسى وأحمد فؤاد الأهواني ومحمود الخضيري والسيد محمد تقي القمي وشارل كونز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة والمستشرق ماسينيون عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

والأب جورج شحاتة قنواتى

وقد عملت هذه اللجنة فى الإعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا منذ سنتين ونصف سنة. عقدت فى خلالها اثنتين وعشرين جلسة. وأهم ما أنجزته فى هذا السبيل تحقيق جزء المنطق من كتاب « الشفاء » للرئيس ابن سينا ، قامت به لجنة فرعية برياسة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، وطبعت الكتاب وزارة المعارف المصرية ؛ وكلفت اللجنة الأب قنواتى بالكتابة عن مؤلفات الشيخ الرئيس ، فقام بذلك فى مؤلف صدر فى العام الماضى عنوانه « مؤلفات ابن سينا » . وقام أعضاء اللجنة ، كل منهم فى مجال اختصاصه ، بعمل بحث سيلقى فى الاحتفال . وقد نشر المعهد الفرنسى عدة أبحاث فى ذكرى ابن سينا لبعض أعضاء اللجنة، منها بحث للدكتور محمد يوسف موسى فى الناحية الاجتماعية والسياسية من فلسفة ابن سينا، وبحث للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى الناحية النفسية من هذه الفلسفة. كما قام المعهد بنشر بحث آخر للأستاذ لوى جارديه المستشرق الفرنسى فى المقدمات الفلسفية للتصوف السينوى

واستكتبت اللجنة بعض العلماء والكتاب والمستشرقين مقالات وأبحاثا تتناول مختلف الموضوعات التى كانت ميادين لإنتاج ابن سينا . وقد وصلها طائفة من الموضوعات أعدها بعض المستشرقين ستلقى فى الاحتفال



صورة غلاف مجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة مهداة من الادارة الثقافية إلى الدول العربية

معرض المخطوطات والصور

وسيقام فى أثناء الاحتفالات معرض تعرض فيه المخطوطات النادرة لابن سينا ، وقد قام بتصويرها قسم التصوير بمعهد المخطوطات فى الإدارة الثقافية ، كما يعرض فيه معظم الكتب المطبوعة من مؤلفات الشيخ الرئيس والكتب المؤلفة فيه ، قديما وحديثا ، باللغة العربية وبغيرها من اللغات الحية

وتعرض فى هذا المعرض أيضا صور متخيلة لابن سينا صورت فى العراق وفى إيران أو جلبت من دور الكتب العامة والخاصة فى استنبول وفى أوربا ، وصور لتوقيعه وبعض خطه ، وطوابع بريد تذكارية وضعت فى إيران ، ومجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة ستهديها الإدارة الثقافية إلى الدول العربية

عباس خضر

البريد الأدبي

إلى أخي الأستاذ رجب البيومي

السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإنني لم أرد أن أدخل بينك وبين الأستاذ شاكر فيما شجر بينكما من خلاف، حتى ينتهي إلى غايته كما انتهى .. ذلك أنني كنت حريصاً على أن أدعك ورأيك، وألا أبدأ تعارفي بك في زحمة الجدل . وإن ظن أخونا شاكر أن بيننا صحبة وثيقة هي التي تدفعك إلى رد تهجمه أو تقحمه، حتى لقد أنذرنا مما عداوة يوم القيامة: « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو » ، لأن مألوف الناس قد جرى في هذا الزمن الصغير، على أن الحق وحده، أو الرأي وحده، لا يكفي لأن يدفع كاتباً فيكتب، دون هوى من صداقة أو علاقة!

ولو كانت بيننا معرفة سابقة، ولو استشرتني قبل أن تدخل مع صاحبنا في جدل، حول ما أثاره من صخب، وما نفضه من غبار، لأشرت عليك ألا تدخل، ولآثرت لك ما آثرته لنفسي من إغضاء وإغفال .. ذلك أنني لم أستشعر في هذا الصخب الصاخب أثراً من صفاء نية ولا رغبة في تجلية حقيقة . ولو استشعرت شيئاً من هذا ما تركت صاحبي دون أن أجيبه — على الأقل من باب الأدب واللياقة — ولكنني اطلعت على أشياء، ما كان يسرني والله أن أطلع عليها في نفس رجل ربطتني به مودة أصفيتها له في نفسي، بعد ما كان بيننا من جدل قديم يعرفه قراء الرسالة عام ١٩٣٨، وما أزال أرجو أن أكون مخطئاً فيما أحسست به، وأن تبقى لي عقيدتي في ضمائر الناس، وفي الخير الذي تحتويه فطرتهم

ولو كانت الحقائق هي المقصودة، لما احتاج الكاتب الفاضل إلى اصطناع مثل هذا الأسلوب الصاخب المفرقع؛ ولما جاء منذ مقاله الأول في « المسلمون » إلى الشتم والسب والاتهام بسوء النية وسوء الخلق والنفاق والافتراء والسفاهة والرعونة .. إلى آخر ما خاضه — ويغفر الله له فيه — فدون هذا وتماحك أمور النقد العلمي، وبغير هذا الأسلوب يمكن تمحيص الحقائق

إنه لا لمعاوية، ولا يزيد، ولا أحد من ملوك بني أمية قد اغتصب مال أبي أو جدي، أو قدم إلى شخصي مساءة ولا إلى أحد من عشيرتي الأقربين أو الأبعدين .. فإذا أنا سلكت في بيان خطة معاوية في سياسة الحكم وسياسة المال، وخطة الملوك من بعده (فيما عدا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) مسلكا غير الذي سلكته في بيان خطة أبي بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم جميعا — فليس أول ما يتبادر إلى الذهن المستقيم، والنية السليمة، أن ما بي هو سب صحابة الرسول — صلى الله عليه وسلم — لا عن خطأ ولكن عن رغبة قاصدة في إفساد الإسلام، وسوء نية في تدنيس المسلمين !!!

وكتاب العدالة الاجتماعية مطبوع متداول منذ أربع سنوات، وطبعته الثالثة في المطبعة، والصخب حوله الآن فقط، قد يشي بشيء لا أرضاه للصديق . وقد قرأه الناس في أنحاء العالم الإسلامي، فلم يستشعر أحد من موضوعه ولا من سياقه، أن النية السيئة المبيتة لهذا الإسلام وأهله هي التي تعمر سطوره !

إنما أحس الألوف الذين قرأوه — أو على الأقل المئات الذين أبدوا رأيهم فيه — أن كل ما كان يعنيني هو أن أبرئ الإسلام من تهمة يلصقها به أعداؤه، وشبهة تحيك في نفوس أصدقائه . إذ يحسبون أن سياسة بني أمية في الحكم وسياستهم في المال، تحسب على الإسلام . والإسلام بريء من هذا الاتهام

روى سعيد بن جهمان عن سفينة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك . ثم قال سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى .. فوجدناها ثلاثين سنة .. قال سعيد: قلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم . قال: كذبوا بنو الزرقاء ! بل هم ملوك من شر الملوك — رواه أصحاب السنن بسند حسن

وأحسب لقد كان بنفسي — وأنا أعرض النظام الاجتماعي في الإسلام — أن أقول شيئاً كالذي قاله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لا عداء شخصها لبني أمية، ولكن تبرئة للإسلام

من أن تحسب عليه سياسة لا يعرفها ، لا فى الحكم ولا فى المال . والإسلام منها برىء ، فيجب أن يعرف الناس براءته ، وأن يعرض عليهم فى صورته التى عرفتها الخلافة السمحة ، وأن ينفى عنه ما لحقه فى عهود الظلام والاستبداد

وما كان لى بعد هذا ، وأنا مالك زمام أعصابى ، مطمئن إلى الحق الذى أحاوله ، أن ألقى بالا إلى صخب مفتعل ، وتشنج مصطنع .. وما كان لى إلا أن أدعو الله لصديقنا شاكر بالشفاء والعافية ، والراحة مما يعانى ، والله لطيف بعباده الأشقياء

أما أنا فما أحب أن يكون لى مع قوم خرجوا على خليفة رسول الله ، وقتلوا ابن بنت رسول الله ، ورموا وحرقوا بيت الله ، وساءوا فى سياسة الحكم وفى سياسة المال على غير هدى الله .. أدب أرفع من أدب مولى رسول الله ، الذى أدبه ورباه !!!

سيد قطب

كمال الدين جودت

نعت الصحف منذ أيام المغفور له الأستاذ كمال الدين جودت المهندس ، والد صديقنا الأستاذ الشاعر صالح جودت ، وشقيق الأستاذ القانونى صالح جودت بك المحامى ، والذى يعنى « الرسالة » الكشف عنه ناحية أدبية فى حياة الفقيد لا نحسب أن أحداً يقف عليها أو يذكرها اليوم

فقد كان المرحوم كمال الدين جودت مهندساً بحكم تعليمه وثقافته ، ولكنه كان إلى جانب هذا أديباً فناناً بدافع طبيعته ومواهبه ، فقد عنى فى مطلع حياته بالكتابة على أسلوب المقامات ، ثم انصرف عن ذلك إلى الزجل أو الشعر المصرى كما كان يسميه ، وكانت له فى هذا السبيل محاولة طيبة ، إذ أراد أن يستخدم الزجل فى تقريب العلم وتحبيبه إلى النفوس بين الناشئين والعامة ، فمن ذلك أنه نظم جغرافيــة القطر المصرى بالزجل فى كتاب سماه « قلائد الدر فى جغرافية مصر » طبعه عام ١٩٠٣ م وهو بهذا الصنيع يقابل صنيع العلماء فى نظم العلوم شعراً كما صنعوا فى النحو والقراءات والفقه والمنطق والحساب وتقويم البلدان ، ولا شك أن أسلوب الزجل فى هذا يكون أقرب وأحب إلى نفوس الناشئة والعامة لقرب مأخذه وقلة المعاناة فى فهمه

وأسلوب المرحوم كمال جودت فى الزجل لطيف خفيف ، فهو يفتتح كتابه فى جغرافية مصر قائلا :

باسم الكريم أفتح زجلى   فى علم تقويم البلدان
إياك على الله ابلغ أملى   وانفع به أبناء الأوطان
العلم ده اسمه جغرافيه   كان وتقويم البلدان
كله فوائد عال كافيه   طبعاً لتثقيف الأذهان

وهو بهذا الأسلوب يأخذ فى الحديث عن هذا العلم وتقسيماته ووصف هيئة الأرض وأقسامها ، ثم يأخذ فى وصف القطر المصرى ومدنه وأقاليمه ، فنجده يتحدث مثلا عن مديرية الشرقية وتقسيمها الإدارى فيقول :

عندى مديريه سنيه   بحثت عنها بالتدقيق
حلوه تسمى الشرقيه   خص به وبندرها الزقازيق
عدد مراكز الشرقيه   ستة بدت بالمنجمات
فاقوس وبلبيس مع ههيا   وكفر صقر مع القنيات
وكانى مركز منيا القمح   مركز لطيف خالص وجيل
وفى وصفهم يحتاجوا شرح   وقصدنا عدم التطويل

أما وقد وصف — رضوان الله عليه — بلدتى منيا القمح بأنها « مركز لطيف خالص وجيل » فإن الوفاء ليقتضينى وقد انتقل إلى جوار ربه أن أرد له هذا الجميل

محمد فهمى عبد اللطيف

تحقيق لغوى

يذهب بعض الباحثين إلى وجوب تجريد الفعل الماضى التالى للنفى والاستثناء من الواو ، ولست معهم فيما ذهبوا إليه ، والسماع خير شاهد ، وإليك الأدلة :

١ — قال الأصمعى : « يستحب من المهارى أن نقصر أذنابها ، وقل ما ترى مهريا إلا — ورأيت — ذنبه المصل كأنه أفعى » أوهام شعراء العرب لأحمد تيمور باشا ص ٤٣ نقلا عن التبريزى فى شرح المعلقات

٢ — قال دعبل : « مضى على ستون عاما ما تصرم منها يوم إلا — وقلت فيه شعراً — » من مجلة الرسالة الغراء السنة



المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الانجليزي أوسكار وايلد

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد واللعب فيه حين يعودون من المدرسة عصر كل يوم . وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست أرضه بالعشب الأخضر الطرى ، وانتثرت فى أرجائه الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ التى تتفتق فى الربيع عن أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلى ، تتحول فى الصيف إلى ثمار يانعة سائغة . وكانت الأطيار فيه تعتلى غصون الشجر وتغرد فى عذوبة تصرف الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذين ، فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول:

— الا ما أسعدنا فى هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه الغيلان ، بعد أن لبث معه سبع سنين ، أنهى فى خلالها كل ما أراد أن يحدثه به — فإن محادثته كانت محدودة تنتهى ولا شك — عاد العملاق إلى قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون فى البستان ! فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلا :

— ماذا تصنعون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هاربين ! ثم استأنف المارد صراخه قائلا :

— إنما هذا البستان ملكى ، وذلك ما يستطيع إدراكه كل إنسان ، ولست أسمح لأحد غيرى باللعب فيه أبداً !

ثم قام فصنع جداراً رفيعاً سور به بستانه ، ورفع لوحة كتب عليها هذا الإعلان :

سيجزى المخالفون شر الجزاء

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بالحب سواه !

الخامسة ص ١٥٨٧ ، وفى الصفحة التالية من المرجع نفسه يقول لأحد أصدقائه . « ما كانت لامرىء عندى من منة إلا — وعنيت موته — »

٣ — وقال البديع فى المقامة الناجية : « وما سكنت حرب إلا — وكنت فيها سفيراً — »

٤ — ومن أبيات الشواهد :

نعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا ـ وكان ـ لمرتاع بها وزرا

٥ — وقال عنترة :

أنا الشجاع الذى ما رمت منزلة إلا ـ وأدركها ـ سعدى وإقبالى

٦ — وقال أبو فراس :

وما اشتورت إلا ـ وأصبح ـ شيخها

ولا احتزبت إلا — وكان — فتاها

٧ — وقال المبرد يشرح بيت الفرزدق :

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم
ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى ، وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى : أى لم يغمدوا سيوفهم إلا — وقد كثرت — القتلى حين سلت . اهـ بلفظه نقلا عن تهذيب الكامل للأستاذ السباعى ج ١ ص ٣١٢

فقد أتى مع الواو بقد وورد مثل هذا شعراً ونثراً

أقول : والذى هدانى إليه البحث وتتبع الأساليب العربية ، أن تجريد الفعل من الواو فى مثل هذا أكثر ، وهو مع كثرته لغة القرآن الكريم ، ودخول الواو على الفعل وحدها أو مع قد مسموع فى الفصيح شعراً ونثراً ، ولسنا فى حاجة إلى صرف هذه الشواهد إلى الضرورة أو الشذوذ أو لأن بعضها لا يحتج بقائله ، وليسع أدباؤنا المعاصرون الذين يشيع على ألسنتهم ، وفى كتاباتهم هذا التعبير ما وسع هؤلاء الأفاضل ، فليس من الخطأ على كل حال ، وإن كان التجرد أكثر على ما يظهر

رياض عباسى

ولم يبق حينذاك للأطفال المساكين ملعب يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأتربة والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر الرفيعة — حين ينتهون من دروسهم — لاهجين بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، وبأيام سعادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع وانتشرت بمقدمه الأزهار والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا المارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار لم يهمها أن تغرد فيه حين غاب عنه الأطفال؛ وإن الأشجار قد نسيت أن تورق أو تزهر ... ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من بين الأعشاب فهالها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان تمنع الصغار من غشيان البستان ، وانسلت هاربة لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه . ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير « الثلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد نسي هذا البستان ، ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !

وكذلك طغى « الثلج » على الأعشاب وأسبل عليها طرف ردائه السابغ ، وانتشر « الجليد » على الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ، ثم إنهما أمرا ريح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرها ، وجاءت ملتفة بالفراء تصفر طوال النهار خلال البستان والمداخن ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول البستان يطوف بأقصى ما أوتيه من سرعة ! لقد كان برداً عجيباً أغبر ، وكانت أنفاسه بيضاء كالثلج !

وقد جلس المارد اللئيم ذات يوم في الشباك المطل على البستان الأجرد الشاتي ، وقال يحاور نفسه .

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى الآن ! وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .

ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذي كان يعرفه الخريف لئيما لا يحب أحداً غير نفسه !

وإن المارد لمضطجع ذات صباح في فراشه فسمع أنغاماً شجية تطرق أذنيه خيل إليه لعذوبتها أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام الشجية غير صدح طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته . لأنه ما سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهتانه من حوله ، وريح الشمال قطعت صفيرها ، وهبت على المارد من النافذة نفحة من أريج عبق جميل . فقال المارد في نفسه :

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً . وقفز من فراشه ، فماذا أرى !

إنه لمنظر جد جميل !

أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان من خلال نقب صغير وجدوه في أحد الجدر واعتلوا الأغصان وبقوا هنالك جالسين . وقد ابتهج الشجر بمقدمهم فأورق ، وماس على رؤوسهم في حب وحنان ، وكانت الطير تشدو حيناً وتطير حيناً في جذل وابتهاج ، والزهر يرنو إلى ذلك بسام الثغور من بين الأعشاب

— إنه حقاً لمنظر بهيج !

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي وقف فيها أصغر الأطفال يجول طوراً ، ويطوف بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكينة التي بقربه ما تزال شاتية . . إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول إلى الغصن لصغره ؛ وكانت الريح الشمالية تعصف حوله ، والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها الطفل الصغير ... ولكنه لن يقدر على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إيثاري لنفسي ! لقد عرفت الآن سبب انقطاع الربيع من المجيء إلى هنا ... سأذهب إلى ذلك الطفل

فأضمه على الشجرة ، ثم انثنى على الجدار فأهدمه وأجعل من بستانى هذا ملعباً وقفاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على ما كان بدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح بابه فى هدوء وسار فى بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى هربوا ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ! ولكن صبيا واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذى ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه

وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه على الشجرة فما كان أسرعها حين أورقت وازدهرت ، وما كان أسرع الأطيار حين تساقطت عليها مغردة حائمة حول الصبى الصغير الذى كان يحولها عنه إلى عنق المارد مسروراً ، ثم انحنى الطفل على المارد فقبله ، فلما رأى أصحابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم الربيع ، فقال المارد يخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول معولا كبيراً فهدم به الجدر القائمة حول البستان . فكان الناس إذا مروا به فى طريقهم إلى السوق فى منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال فى أجمل بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، جاءوا إلى المارد فحيوه وانصرفوا

وقد سألهم المارد مرة عن صديقهم الصغير الذى كان قدرفعه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... إنهم لم يروه من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين يسكن . اشد ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير الذى قبله !

* * *

بقى الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان المتخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو رآه

ومضت على ذلك السنون تتبعها السنون ، فشاخ المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب . فكان يجلس على مقعد وثير ليتفرج عليهم هانئاً مغتبطاً . وكان يقول فى نفسه :

— إن فى هذا البستان لكثيراً من الأزهار الجميلة . ولكن أجمل منها فى نظرى هؤلاء الصغار

وفى صباح يوم شات — وقد أصبح الشتاء الآن لا يفزع المارد ، وإنما هو إغفاءة قصيرة لايلبث الربيع بعدها أن ينهض بأزهاره وتهاويله — فى صباح ذلك اليوم ، بينما كان المارد يرتدى ثيابه إذ بصر بشىء هاله . فكذب نظره و كذب نفسه ... إنه منظر مدهش عجيب ! أفى الإمكان هذا ؟ شجرة حالية بالنوار الجميل فى تلك الزاوية القصية وتحتها طفله الصغير الذى أحبه واقفاً ؟

هرول المارد نازلا يستخفه الفرح ، وجاز أرجاء الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ، وما كاد يقترب منه ويراه حتى طما غضبه واربد وجهه ، وسأله قائلا حين بصر بآثار مسمارين على يديه ومثلهما على رجليه :

— من ذا الذى تجرأ فجرحك ؟ قل من ذا الذى تجرأ عليك ففعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا ... ما هذه جروح حقيقية ، إنها جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع فخر ساجداً أمام قدمى طفله وسأله قائلا :

— من أنت إذاً ؟

فأجابه الطفل باسماً : أنا الصبى الذى سمحت لى مرة باللعب فى بستانك هذا ؛ جئت لآخذك معى إلى بستانى الذى هو الفردوس

* * *

وحينما عاد الأطفال عصر ذلك اليوم كعادتهم ، وجدوا المارد ميتاً فى مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد نثرت على جثمانه الأزهار والنور الأبيض الجميل

ف . س

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٨ — ٣١ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

لا تخافوا الإخوان لأنهم يخافون الله	للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ...	٣٤٩
فى تاريخ الأدب التركى ... :	« عطا الله ترزى باشى المحامى	٣٥٠
التعليم فى مصر ... ... :	« عبد الحميد فهمى مطر ...	٣٥٣
على مشرفة باشا ... ... :	« أحمد على الشحات	٣٥٥
الباكستان ... ... :	« أبو الفتوح عطيفة	٣٥٧
الطبيعية والصنعة فى الفن ... :	« أحمد مصطفى حافظ	٣٦٠
عدى بن زيد العبادى ... :	« محمود عبد العزيز محرم ...	٣٦٢
صديق ... ... :	« محمد محمد الأبشيهى	٣٦٤
الصمت البليغ ... ... :	« عبد الحفيظ أبو السعود	٣٦٥
مصير الإنسانية فى أيدى الشيوخ	مجلة العلم والحياة الفرنسية ...	٣٦٦
على ضفاف الليالى (قصيدة) :	للأستاذ محمود محمد سالم	٣٦٨
حين ينظم الشاعر (قصيدة) :	« محمد محمود الزبيرى	٣٦٩
(الكتب) — عهد جديد — تأليف الأستاذ شاكر خصباك — للأستاذ سليم عبد الجبار		٣٦٩
(البريد الأدبى) — أنا مع سيد قطب — إبراهيم الواعظ — الأسوة الحسنة — ليس هذا تجديدا		٣٧٢
(القصص) — البعث — للكاتب الفرنسى جى دى موباسان ...		٣٧٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 978

Le Caire 31 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٨ «القاهرة في يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٣٧١ — ٣١ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

قال لي صديق من أدباء الأقباط أعرف فيه وزانة العقل ورزانة الطبع، وقد جرنا الحديث إلى مايكابده هذا البلد المسكين من شهوات أبطال الحق، ونزغات قلقات الأمن، ونزعات بلبلت العقيدة: «ألم يكن من الخير لمصر ألا يكون فيها إلا إخوان مصريون لامسيحيون ولامسلمون لتدوم الوحدة وتزيد الألفة؟ لقد نقمنا من المبشرين أنهم أنبتوا في القاهرة فرعا (لجمعية الشبان المسيحيين) وكنا نود ألا يجاريهم في مثل ذلك الذين أنشأوا (جمعية الشبان المسلمين) فإن الأمر لابد أن يجرى في الجمعيتين على حكم العصبية الدينية، وفي هذه العصبية توهين للصلات الطبيعية التي تصل المواطن بالمواطن، وإن كان هذا التوهين لا يزال ضعيف الأثر لغلبة العوامل الرياضية والثقافية على نفوس الأعضاء في هاتين الجماعتين. ولكني أصارحك ولا أداجيك أن ما نخشاه من (الإخوان المسلمين) أبعد في الأثر وأقرب إلى الخطر مما نخشاه من أي حزب ومن أية جماعة. ذلك لأن الإخوان ميدانهم أوسع ودعوتهم أسرع ووسائلهم أنفذ وغايتهم أبعد. إنهم يريدون حكما غير الحكم، ودستورا غير الدستور، ونظاما غير النظام. ولا أدري كيف نكون نحن إذا غلب دين واحد على دنيا مشتركة، وطبق دستور معين على حياة مختلفة؟»

فقلت له وقد وافقته على ما رأى من قوة الإخوان ونفاذ دعايتهم وبعد غايتهم: أنا أدري كيف تكونون. تكونون إذا ما أراد الله لحزبه أن يغلب، ولشرعه أن يحكم، ولنوره أن يتم، كما كنتم في عهد الخليفة عمر: لكم ما للمسلمين من حق، وعليكم ما عليهم من واجب. أما إذا كان قد وقع في عهود بعض الواغلين على الوادي حماقات أورثتكم هذه الوساوس، فإنما كان وقوعها ضلالا في العقل لغيبة الهادي، وشططا في الحكم لعطلة الدستور. وما كان الهادي الذي أغفلوه غير دين الله، ولا كان الدستور الذي عطلوه غير كتابه. والعقيدة يومئذ كانت في أكثر الناس إيمانا بالاسم وكفرانا بالفعل. وأنتم اليوم أقرب إلينا وأعز علينا مما كنتم أيام الوالي عمرو؛ لأن العلاقة بينكم وبين المسلمين كانت في القرن السابع علاقة فتح وجزية، فأصبحت في القرن العشرين علائق وطن وجنس ولغة وأدب وثقافة وتاريخ. وما أظنك تماري في أن أكثر المصريين أقباط أسلموا. وأنت لا تخشى صاحب الدين مادام يستشعره ويستظهره ويعمل به؛ فإن الأديان جميعا تتفرع من أصل إلهي واحد، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إنما تخشى من يعتقد أن إلهه في السماء وليس معه على الأرض، ومن يحسب أن غاية دينه كلمات وحركات تؤدى في كل فرض! والإخوان المسلمون قوم تآخوا في الله وتواصوا بالحق وتوافوا على المحبة وتعاونوا على البر واستبطنوا حقيقة الدين. دستورهم القرآن وهو بيِّن؛ وحكمهم الشريعة وهي سمحة، ونظامهم المحبة وهي أجمع، وغايتهم الإنسانية

فى تاريخ الادب التركى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى المحامى

فى وسعنا أن نقسم تاريخ الأدب التركى إلى عصرين أساسيين: جاهلى وإسلامى ، وأن نقسم كذلك كلا من هذين العصرين إلى أدوار مختلفة ..

ورأينا أن نتحدث فى هذا المقال عن تاريخ الأدب التركى منذ نشأته حتى تأسيس الدولة العثمانية بإيجاز

يتكون العصر الجاهلى من دورين هامين :

(أولا) دور الأدب المظلم ، ولا نعرف عنه أكثر مما يرويه لنا المؤرخون من « مناقب الترك » المعروفة بـ (الدساتين) (١) . وهى تتضمن بعض القصص والروايات التاريخية عن نشأة الأتراك وقيامهم بتأسيس الدويلات . وتحتوى كذلك على تراجم بعض الملوك والأمراء والقواد . وأشهر هذه الدساتين دستان « أوغوز خان » (٢) ودستان « بوزقورت » ودستان « شو » وغيرها(٣) .. ولم يعرف الترك فى هذا الدور الكتابة وإنما انتقلت إلينا هذه الدساتين من بعض الآثار التاريخية القديمة

(ثانيا) دور الأدب المكتوب : وشاع فى هذا الدور استعمال الكتابة بين الترك . والكتابات الأولى التى عثرت عليها فى التاريخ هى التى اكتشفها العلماء بالقرب من مدينة (طورفان) فى الشمال الشرق من (منغوليا) على ضفة نهر (أورخون) . فقد وجدت فى هذه النواحى ألواح من الرخام مثبتة فى الأرض نقشت عليها بعض الكتابات . وكان أهمها ثلاث كتابات تعرف بـ « تونيو قوق » و « كول تكين » و « بيلكه قاغا » . ويرجع تاريخ الكتابة الأولى إلى سنة ٧٢٠ م والثانية إلى سنة ٧٣٢ م والثالثة إلى سنة ٧٣٥ . وقد ثبتت هذه الألواح التى تبحث عن حروب الترك مع الصينيين فى جانب زعماء تولوا عرش الدولة التركية المسماة بـ « كوك تورك »

ويعتبر « بيلكه تونيوقوق » أول أديب عرف فى تاريخ الأدب التركى على الإطلاق

ولقد أشار إلى وجود هذه الكتابات فى أول الأمر المؤرخ الإيلخانى المعروف (جوينى) وذلك فى القرن الميلادى الثالث عشر . وذكرها أيضا الدكتور الألمانى دانيل مسرشميد « Daneil Messershmidt » حين رآها (سنة ١٧٢١م) أثناء قيامه برحلات فى هذه الأنحاء وسماها بالكتابات الطلسمية

ويعود الفضل فى أمر اكتشافها إلى العالم الدانياركى طومسن « Thomsen » فقد وفق لأول مرة فى ٢٥ / ١١ / ١٨٩٣ إلى قراءة كلمات (ترك ، تنكرى ، كول تكين) . وتمكن هذا المستشرق بعد ذلك من حل رموز الكتابة وقراءتها بكاملها . وكذلك استطاع من بعده العالم الألمانى الشهير رودلف « Rodolf »

(١) جمع دستان بمعنى الملحمة

(٢) وقد روى لنا هذا الدستان الوزير رشيد الدين فى كتابه « جامع التواريخ » عن نسخة قديمة من كتاب كانت لديه . انظر لهذا الدستان البروفيسور فؤاد كوبريلى عن نسخة قديمة فى كتابه تاريخ الأدب التركى (المجلد الأول)

(٣) أنظر الأستاذ نهاد سامى : تاريخ الأدب التركى المصور ص ١١ـ٢٠

وهى أشمل . والإسلام أنزله اللطيف الخبير الذى يعلم من خلق ، ليكون سلاما لكل نفس ، وقواما لكل عمل ، ونظاما لكل جماعة . ودنياه العامة التى يحكمها وينظمها لابد أن يكون فيها العربى والأعجمى والذمى والوثنى ، فلا جرم أن الله يدبر بحكمته الأمر على أن يعيش هؤلاء جميعا سعداء فى ظله . وماذا نخاف من (الإخوان) وهم يتلون كل يوم قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ؟

فقال صديق وقد نقع ما قلت نفسه :

إذا كان رأى الإسلام فى المخالفين هذا الرأى ، وكان (الاخوان) مسلمين بهذا المعنى ، فإنا لنرجو أن يكون أساس المصريين جميعا فى البناء هذا الأساس : إيمان خالص بالله وعمل صالح للناس !

احمد حسن الزيات

أن يترجمها ترجمة صحيحة (٤)

وفى القرن التاسع من الميلاد أراد الأتراك ، وقد هجروا استعمال هذه الكتابة ، أن يتعلموا لونا جديدا من الكتابة تسمى بالكتابة الأويغورية . وقد انتقل إلينا كثير من الكتب التركية القديمة المدونة بهذه الكتابة ، كانت موضع دراسة العلماء والباحثين ، منها كتاب « Turrkische turfan,tuxt » وقد حققه العالمان بنج (Bang) وفون جربيان (Von Garbian). ومنها كتاب (المتون المانية التركية) نشره فون لكك (Von Le Coq) كتاب جمع بين دفتيه كثيرا من العقائد والأدعية فى المذهب وهو المانى(٥) الذى انتشر بين الترك فى ذلك العصر . ومنها كتب نشرت من قبل أكاديمية العلوم النمساوية بعنوان (Vygurica) وأخرى ذات قيمة أدبية كبرى عثرت عليها فى مدينة «طورفان»

وهنا ينتهى العصر الجاهلى من الأدب التركى وبانتهائه تضمحل الكتابات القديمة شيئا فشيئا حتى تنقرض وتحل محلها الكتابة الإسلامية بالتدريج

العصر الإسلامى :

إن هذا العصر فى الأدب التركى يتكون من أداور مختلفة تتبع فى تقسيمها ما يلى :

صدر الإسلام : وجد الأتراك ، حين احتكوا بالمسلمين فى القرن الميلادى الثامن ، أن هذا الدين يقوم على نظام اجتماعى متين ، ويستند على أسس أخلاقية تتشابه مع قواعد العرف والعادات السائدة بينهم . فاعتنقوه على عجل . وقد انتشر الدين الإسلامى بين الأتراك انتشارا عظيما حتى أسلمت الأقوام التركية الساكنة فى البلاد المتاخمة لحدود الصين جماعات ووحدانا . ولم يبق منهم غير أفراد قلائل لم يسعدهم الحظ فى الاتصال بالمسلمين

ولقد أفاد الترك من الإسلام إفادة جلى . فنظموا حياتهم الاجتماعية وفقا لاعتبارات هذا الدين الجديد . فانتقلوا من طور البداوة إلى طور الحضارة ، فبدأوا يسكنون المدن وقد اعتزلوا الحياة القبلية إذ رحلوا بعد الإسلام إلى الديار القريبة من مراكز الخلافة الإسلامية

ولم يؤثر فى الحياة الأدبية عند الأتراك دين من الأديان التى اعتنقوها قبلا بقدر ماأثر فيها الدين الإسلامى الحنيف . ويتطلب دراسة هذا التأثير بنوعيه الإيجابى والسلبى تفصيلا وتمحيصا ، وقد أوجزناها الآن فى سطور عسى أن نجد فرصة أخرى نعالج فيها هذا الموضوع بالشرح والتمحيص

لقد كان أثر الإسلام فى الأدب التركى أعظم من أثره فى الأدب العربى كما يتبين ذلك من الآتى :

غير الإسلام من غير شك مجرى الحياة الأدبية عند الأتراك تغييرا عظيما . فأخرج الأدب التركى من عزلته الجاهلية وأدخله فى قائمة الآداب الشرقية الحية . فنرى منذ ذلك اليوم ازدهارا كبيرا ونموا متزايدا فى الانتاج الأدبى عند الترك . ويندر أن نجد آثارا خلفها الترك من عصر جاهليتهم ، إذ أن غالب الآثار التى أنتجها رجال الفكر التركى منشؤها هذا الدين القيم الذى مهد السبيل أمام المفكرين وأنار لهم الطريق، طريق الرقى فى مدارج العلم والثقافة

وقد كان من آثار هذا الدين اقتباس الترك الأفكار الأدبية من خزائن الآداب الإسلامية الأخرى وإضافتها إلى ثروتهم

وكان الأدب التركى فى الجاهلية أدبا فرديا غير متسم بطابع الأدب الجماعى، ونعنى بالأول ذلك اللون من الأدب المشتت شمله والمجهول عوالمه، الصادر عن عقلية ضعيفة غير متكاملة . فما كان من الإسلام إلا أن وحد اتجاه الأدباء فى أساسه توحيدا كاملا

ولا ينكر ما لهذا الدين من تأثير سلبى فى الأدب التركى من بعض الوجوه ، كاللغة . فقد كانت اللغة التركية خالصة فى أصلها، خالية من الألفاظ الأجنبية . وبعد نشوء العلاقة الدينية بين الأتراك وبين غيرهم من الأقوام بدأت الألفاظ الغريبة من فارسية وعربية تتسرب إلى هذه اللغة بالتدريج حتى شاع بين الأتراك استعمال بعض القواعد الأجنبية فى الكتابة استعمالا أذهب من اللغة التركية رونقها

وقد تأثر الكتاب الأتراك بلغة القرآن تأثرا بليغا حتى حدا

(٤) راجع لدراسة هذه الكتابات الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات الشرقية فى الآستانة سابقا فى كتابه «تماثيل الأورخون» باللغة التركية

(٥) وبالأحرى الديانة المانيكية « Manicheism » التى نشأت بين الفرس قديما وهى تجعل إبليس فى مستوى الخالق

ببعضهم إلى استعمال اللغة العربية فى الكتابة عوضا عن لغته الأصلية . وقد أنتجوا كثيرا من المؤلفات القيمة فى هذه اللغة من بينهم فلاسفة عظام ومفكرون مشهورون . أمثـال الفارابى وابن سينا والزمخشرى — صاحب الكشاف ومؤلف كتاب مقدمة الأدب — كما وأن آخرين منهم انساقوا بسبب الملابسـات والظروف إلى استعمال الكتابة الفارسية بدلا من التركية أمثال جلال الدين الرومى صاحب المثنوى المعروف وغيره من المفكرين

التصوف فى الأدب التركى :

ليس من شأننا الآن أن نتحدث عن تاريخ التصوف الإسلامى فى عصوره المختلفة، وإنما وددنا أن نتطرق بإيجاز إلى النواحى الأدبية منه بقدر ما يتعلق بالموضوع

إن آثار التصوف بدأت تظهر شيئا فشيئا فى الأدب التركى منذ القرن الثالث عشر الميـلادى ، وذلك حينما استخدم العـالم المعروف الشيـخ محى الدين بن العربى نظريته المعروفة « وحدة الوجود » التى كان لها الأثر البالغ فى الأدب التركى طوال العصور

وقد تأثر شعراء الترك كذلك بفلسفة الجاذبية الإلهية التى كان أصحابها يؤمنون بتمثل القدرة الإلهية فى النفس البشرية عن طريق الإيمان بذاته إيمانا يطرد الشرور الـــكامنة فى النفس ، فيتجسم النور الإلهى فى القلوب تجسما يكاد يحسه المؤمن فى كل حين .. وكان هؤلاء الرجال يعشقون جمال الله عشقا خالصـا لا يخامرهم فيه شك ولا يأخذهم منه ريب . ولم يكن هذا العشق الإلهى فى نظرهم كالحب المجـازى الذى يشعر به الإنسان تجـاه الآخرين ، بل كانوا يعتبرونه مودة صافية ناشئة من فرط ميلهم للوجود المطلق

ومن استطاع فى رأيهم أن يتغلب على النفس الأمارة بالسوء بدافع غلاب لا يحمله إلا القليلون، واندمج فى الوجود المطلق ، فقد بلغ الغاية القصوى ونال الدرجة العليا فى ســلك التصوف فحاز رتبة (الفناء فى الله)

ولقد تظاهر كثير من شعراء الترك بهذه الفلسفة زمنا غير قليل، نذكر منهم الشاعر المعروف (نسيمى)(٦) من شعراء القرن الرابع عشر الميلادى الذى ألف ديوانا ضخما فى الشعر التصوفى ، وقد اشتمل هذا الديوان على قصائد جياد فى تحبيذ ما ذهب إليه الصوفى الإسلامى الكبير (الحلاج المنصور) . وكان نسيمى قد سلك مسلك الحلاج فى قوله « أنا الحق » مما أثار ضجيج العلماء فى عصره ، فاغتاظ منه رجال الدين وأمروا بقتله فكشطوا جلده حيا فهلك

ومنهم الشاعر الإنسانى العظيم (يونس أمره) وهو أحق أن نفرد له مقالا خاصا فى الرسـالة ليتبين القارئ مدى قيمته الأدبية ومنزلته الممتازة بين الشعراء الصوفيين . ونكتفى اليوم بإيراد منظومة مترجمة له من قصيدة مطلعها :

برساقيدن ايجدم شراب عرشدن بوجه ميخانه مى

يقول :

تناولنا الخمر من ســـاق كانت خمـارته فوق العرش

فأصبنا بالحمارة السكر ، ففدينا الأرواح (٧)

حبذا هذا المجلس الذى تشوى فيه الأكباد على نار شمع وهاج تدور حوله الشمس كما تطير الفراشـة حول النار

وفى هذا المجلس تنطلق صيحات « أنا الحق » من أفواه المخمورين الذين يعد أفقرهم فى التصوف، فى مستوى الحلاج المنصور

ثم ينهى الشاعر منظومته بخطاب يوجه إلى نفسه قائلا :

حذار من مخاطبة الجاهلين بهذا الكلام الفياض

فإنك تعلم كيف يقضى هؤلاء الوقت ..

ويلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر كنى عن الإله بالساقى . وعبر بالخمر عن العشق الإلهى . كما أنه ورى حرقة كبده فى حب الإله بشي الكباب فى مجلس الشراب

وقد انتشرت هذه الألوان من المصطلحات الصوفية بين الشعراء حتى شاع استعمال كثير من تعابير اللهو والطرب فى موضع التغنى بذكر الله ...

---

(٦) ونسيمى من السادة الكرام ولد ببغداد واعدم فى مدينة حلب واسمه الحقيقى (عماد الدين)

(٧) ولغيره من الشعراء انظر : فؤاد كوبريلى فى مجلة يكى تورك عدد ٤ ، ج ١

البقية فى العدد القادم

عطا الله رزى باشى المحامى

بغداد

٣ ـ التعليم فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

كل من استمع إلى بيان سعادة الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف الأسبق فى الإذاعة ، أو اطلع عليه فى الصحف ، من عبث الطلبة بالمدارس ، واستخفافهم بجميع القيم الخلقية والآداب المرعية ، وما تبع ذلك من إغلاق جميع المعاهد التعليمية فى البلاد ، مما لم يمهد له مثيل من قبل ، يعتقد بأن المدرسة المصرية أصبحت فى مسيس الحاجة إلى إصلاح شامل ، لايقتصر على مناهجها ، بل يتجاوز ذلك إلى نظمها بل إلى روحها ، حتى لا تنتهى إلى الفشل فى مهمتها . ولقد أصبح واجباً وطنيا على جميع كبار المربين ، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير معالى رفعت باشا وزير المعارف العمومية ، بل وعلى جميع القادة والمفكرين أن يبحثوا وأن يفكروا تفكيراً عميقاً فى علاج هذه الحال الأسيفة المؤلمة ، التى تهدد الأخلاق بالبوار ، وحياة الأمة كلها — لاقدر الله — بالدمار ، والتى أتينا على وصف الكثير منها فى مقالينا السابقين بمجلة الرسالة الغراء ، ذات الأثر الفعال فى العمل على إنهاض هذه الأمة

إن الواجب يقضى علينا أن نذكر زعماءنا وقادتنا بما نحسه من عيوب وعقبات فى طريق نهضتنا ، لنتعاون جميعاً على إصلاح أنفسنا ، وواجبنا أن لا نستصغر ما فى هذا الأمر الجلل من خطورة ، وأن نكون صرحاء فلا نداري ولا نماري لنأخذ الأمر بما يستحقه من جد ، وأن لا يكون مثلنا مثل النعامة تغمض عينيها وتخفى رأسها فى الرمال ، ظنا منها أنها ستفلت بذلك من الصياد ، فإذا به يدهمها ويقضى عليها

لقد كان حال مدارسنا قبل ثورة ١٩١٩ ، أى منذ ثلث قرن من الزمان غير حالها اليوم . كان حالها يملأ نفوس طلابها احتراماً لها وتقديساً ، وكانت نفوس أبنائها الفتية تمتلئ تقديراً للأساتذة وتقديراً للمسئوليات الملقاة عليهم ، ولكن تلك النفوس الفتية كانت كذلك تمتلئ رهباً من النظار وكثير من الأساتذة ، فكنا نأخذ على المدرسة ما فيها من شدة وقسوة ورهبة ، كما كنا نأخذ عليها ما فيها من بعد عن الحياة الطبيعية فى روحها وفى نظامها ، ولكن الجد والاحترام والتقديس كانت أسساً تقوم عليها الحياة المدرسية كما هو الحال اليوم فى حياة المدارس الأجنبية التى بين ظهرانينا . فماذا جد فى مدارسنا فى السنين الأخيرة ، حتى بعد أبناؤها عن الجد والوقار ، وركنوا إلى العنت والاستهتار ، مما اضطر الكثيرين من الزعماء والكبراء إلى إبعاد أبنائهم عنها ، والإلقاء بهم فى أحضان المدارس الأجنبية ، التى لا شك فى أنها تضعف القومية ، وبوهن بعضها فى نفوس أبنائنا العقيدة الوطنية والدينية ، فكيف نغفل طوال السنين عن الفارق الكبير بين مدارسنا وبين تلك المدارس الأجنبية ، ذلك الفارق الذى جعل منها مدارس ممتازة يفضلها الآباء الموسرون ، ويحبها ويؤثرها على غيرها الأبناء المدللون . إن هذا الفارق واضح فى نظمها وبين فى روحها التى تشيع المحبة والتعاطف والتعاون بين أساتذتها وطلابها ، فهلا درسنا ذلك وتأملناه وعملنا له فى مدارسنا وكلياتنا ؟

إن المدارس الأجنبية تستخدم العصى أحياناً فى تأديب التلاميذ الذين عز عليها علاجهم ، ومدارسنا منعت فيها عصى التأديب من زمن بعيد ، ومع ذلك ترى الناشئ فى المدرسة الأجنبية التى تهوى بعصاها عليه أحياناً يحترمها ويقدسها ، أما عندنا ف . . . . ، ولم يبق لدينا اليوم غير كلية واحدة أو كليتين ، ومدرسة ثانوية أو مدرستين هى التى حافظت على كيانها ولم تتأثر كثيراً بما يجرى فى مختلف الكليات والمدارس ، فحفظت توازنها واحترام طلابها لها . أعتقد أن كلية الطب هى من بين الكليات؛ والمدرسة الثانوية النموذجية هى من بين المدارس الثانوية التى لا زال الجد والوقار يحف بهما فى عملهما ، ولما يتسرب إليهما الفساد الذى سرى فى غيرهما ، وأسأل الله أن يحفظهما من هذا العبث . فهلا تعرفنا الأسباب الحقيقية لذلك علنا نرسم الخطة المثلى للعودة بالمدرسة المصرية إلى جدها ووقارها !

إن الجفوة بين الطالب وكتابه وبين التلميذ ومدرسته ، كما وأن الجفوة بين المدرسة المصرية والبيئة المحيطة بها ، هاتان الجفوتان اللتان تميزت بهما مدارسنا جفوتان قديمتان ، نبهنا إلى علاجهما من زمن بعيد فى تقاريرنا وفى مقالاتنا وفى كتابنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاماً ، وقد جاء فى مقدمته : « عملت بين جدران المدارس زماناً طويلا ، كنت أحس فيه أن المدرسة التى عملت فيها تلميذاً ، والتى عملت فيها مدرساً ، والتى عملت فيها ناظراً ، لم ينلها شىء محسوس من التغيير ، ولم يتطرق إلى روحها شىء من التجديد ، فهى لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة ، مليئة بنفس الروح القديمة ، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه ، إلى شبه سجن غير محبوب إذا لم يوصف بأنه مكروه ، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها ، لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهادتها ، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعى إليها »

وجاء فى تقرير رفعته إلى معالى وزير المعارف فى مارس سنة ١٩٣٨ ما يأتى : « فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماماً عن البيئة المحيطة بها ، يدخلها التلميذ فيتصور أنه فى عالم آخر غير عالمه الذى يعيش فيه ، ونظرية حشو الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة العملية لا زالت متجسمة فى المنهج الجديد تجسمها فى القديم ، ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها »

وجاء فى صفحة ١٨ من مؤلفى السابق الذكر فى الكلام عن المستر دنلوب الذى ظل مستشاراً للمعارف أكثر من ربع قرن من الزمان فى بدء الاحتلال ما يأتى : « بهذه الطريقة أوجد دنلوب بين جدران المدارس نظاماً عسكريا جافا شديداً ، إذ أصبح خير نظار المدارس ذلك الذى يقلده فى كبريائه وشدته ، فاجتهد كل ناظر أن يقسو القسوة كلها على مرؤوسيه وتلاميذه ، وحاول المدرس بدوره أن يعامل أبناءه بمنتهى الشدة والجفاء ، وأن يبتعد عنهم ويتكبر عليهم ما أمكنه الابتعاد والكبرياء ، حتى أصبحت العلاقة بين المدرس وتلميذه علاقة عداوة وشحناء ، لا عطف فيها ولا مودة ولا هوادة ، كل يتربص بصاحبه الدوائر ويحاول إيذاءه بمختلف الوسائل ... الخ »

ولقد ظل الحال كذلك والمستعمر ينفث سمومه فى التعليم ، حتى أفسد جوه ونجح فى تبغيض الأبناء فى المدرسة وكل ما فيها ، لكن هذا الشعور ظل مكبوتاً زمناً حتى ثارت البلاد ثورتها سنة ١٩١٩ تطلب حريتها ، فبدأ التلاميذ يتمردون على المدرسة ، وبدأ شعور الكراهية يظهر شيئاً فشيئاً ويزداد ظهوراً كلما ضغط المستعمر على البلاد ، وحاول إخضاعها للحديد والنار ، وجاء دور الحزبية التى شجعها المستعمر فلعبت بعقول التلاميذ والطلاب ، وزادت نار الحقد والكراهية أوارا حتى صاروا فى شبه ثورة جامحة على المدرسة ونظمها وتقاليدها وكل ما فيها ، وفقد الأساتذة سلطانهم الروحى والعلمى عليهم ، خصوصاً بعد أن اضطرتنا ظروف نشر التعليم المفاجئة السريعة أخيراً إلى الالتجاء إلى كثير من المدرسين الحديثين ، الضعاف فى مادتهم والضعاف فى أساليبهم وسلطانهم الروحى والعلمى .

ولو أن المدرسة كانت محببة إلى أبنائها ، ولو أنها كانت متصلة اتصالا وثيقاً ببيئتها متفاعلة معها ، وكان أساتذتها ذوى سلطان علمى قوى على تلاميذها ، ووجد فيها التلاميذ الغذاء العلمى والروحى الذى يطمئنهم ويرضى نفوسهم كما هو الحال فى المدارس الأجنبية وفى كلية الطب وفى المدارس الثانوية النموذجية لما فعل الطلبة بمدارسهم هذه الأفاعيل ، ولما استباحوا لأنفسهم حرماتها وعبثوا بمقدساتها ، ولو أن المدارس الأجنبية فى مصر والمدارس الثانوية النموذجية وكليات الطب كانت غير محببة لدى أبنائها ، غير عابئة كغيرها بالاتصال بالحياة المحيطة بها ، ذلك الاتصال الذى يجعل منها قطعة من الحياة ، لما حرص عليها طلابها ، ولفعلوا بها كما فعل غيرهم من الأبناء ، فالكل مصريون والكل شعورهم واحد وبيئتهم واحدة

لهذا كله أدعو مجالس الكليات كما أدعو كبار المسئولين عن التعليم إلى دراسة أحوال الكليات والمدارس دراسة عميقة لجعل

الحب والتشويق والاتصال المباشر بالحياة العاملة ، والتعاون بين الأساتذة والطلاب أسساً حقيقية فى حياة المعاهد التعليمية جميعها، وإلى العناية بالغذاء الروحى المقوم للنفوس والقلوب ، والكفيل بتقويم الضمائر ، ودفعها لحماية جميع المقدسات والحرمات ، مع الحيلولة بين الطلاب والحزبية المقوتة فى سبيل القضاء على الفوضى والفساد والترهات ، كما أدعو كبار المسئولين من رجال المعارف إلى البحث والتمحيص فى انتقاء نظار المدارس والناظرات ممن حسنت سمعتهم وترفعوا عن الدنايا والموبقات ، بل ممن ارتفعت شخصياتهم عن كل الشبهات ، فبهؤلاء وبهؤلاء خاصة يمكن أن يوجه الأساتذة التوجيه الصحيح ، الكفيل بصلاح حال الأبناء . والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يوفقنا إلى استقامة حياتنا واستعادة مجدنا إنه نعم المولى ونعم النصير

عبد الحميد فهمى مطر

على مشرفة باشا

(بمناسبة ذكرى وفاته)

للأستاذ أحمد على الشحات

عالم من خيرة علماء مصر ، ونابغة من النوابغ الذين ظهروا فى هذا العصر ، وأول عميد مصرى لكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول — ظهر نبوغه مبكرا منذ فجر الشباب ، فنراه يتخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧ وهو إذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمره ، وتوفده الحكومة للخارج ، فيحصل على درجة البكالوريوس فى العلوم عام ١٩٢٠، وعلى درجة دكتوراه الفلسفة عام ١٩٢٣ ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ويرجع إلى بلده العزيز مصر ليعين أستاذا للرياضيات فى المعهد الذى تخرج فيه وهو المعلمين العليا . ولكن نفسه التواقة للعلم تشغف بالتطلع إلى أعلى درجة جامعية فى العالم ويرى أن بلده لم ينل فخر الحصول عليها بعد وهى دكتوراه العلوم ؛ فيتصدى مشرفة لهـا ويطلب من وزارة المعارف أن تعطيه الفرصة ليحصل عليها من أجل مصر ، لأنه كان يؤمن أن مجد البلاد إنما يقوم على العلم ، وأن الأمم العظيمة هى التى اهتمت بالعلم وبالعلماء فأخرجوا لها الاكتشافات والاختراعات ، ولقد صدق شوقى رحمه الله حين قال

كل يوم آية دلت على   أن للعلم القوى والغلبا
لو بنوا فوق السها مملكة   لوجدت العلم فيها الطنبا
سلم الناس إلى المجد إذا   طلبوا سـلمه والسببا

ولكن أنى لمشرفة أن يعطى الفرصة لهذا المجد والذين بيدهم السلطة فى ذلك الوقت كانوا الإنجليز ، وأنه ليس مما يسر خاطرهم أن يظهر النبوغ المصرى أمام العلماء فى الخارج ، فيعقدوا الأمور له . وأخيرا يتحدونه بشكل مستتر فيوافقون على سفره على شرط أن يحصل على هذه الدرجة التى لا يتطلع إليها فى العالم إلا القلائل ممن وهبهم الله ملكة عالية فى الرياضيات أن يحصل عليها فى فترة الإجازة الصيفية . ويقبل مشرفة التحدى ، وينصره الله نصرا عزيزا ، ويتحدوه المعجزة ، ويمنح هذه الدرجة العليا من بلاد الإنجليز ومن جامعة لندن وهو فى السادسة والعشرين

ويرجع مشرفة إلى مصر ليجد أن عاهل مصر العظيم المغفور له الملك فؤاد الأول ينشئ الجامعة المصرية من كليات الآداب والطب والحقوق وكلية رابعة لم يكن لمصر بها عهد من قبل وهى كليـة العلوم ، ويطلب مشرفة أن يعين أستاذا فى هذه الكلية فترفض الجامعة مع اعترافها بأنه حائز لأرقى درجة جامعية فى العالم ، ولـكن هناك مانع قانونى يقف فى سبيله ؛ هـذا المانع هـو أن سنه صغيرة ويجب فى نظر الجامعة ألا يقـل سن الأستاذ عن الثـلاثين عاما ، وترضى الجامعة أن تعينه أستاذا مساعداً فقط . وتثار هذه المسألة — الأولى من نوعها — فى البرلمان ويتدخل الزعيم الراحل سـعد زغلول باشا ليقنع الجامعـة بأن صغر سن مشرفة يجب أن يقابل بالتقدير ، وأنه هو دليل النبوغ . وأخذت الجامعة بوجهة نظر الزعيم ورق

مشرفة إلى درجة أستاذ بالجامعة عام ١٩٢٦ وتمضى سنوات عشر فإذا به ينتخب عميداً لهذه الكلية وهو دون الأربعين من عمره إذ كان فى الثامنة والثلاثين آنئذ . وقد حصل على رتبة البكوية فى هذا الوقت . ويتابع مشرفة نشاطه العلمى وبحوثه الرياضية ، وتنشر فى الخارج فى أمهات المجلات العلمية

ويزداد تقدير العلماء له فيدعوه أينشتين ذو الشهرة العالمية فى الرياضيات وصاحب نظرية النسبية وأحد أقطاب القنبلة الذرية أن يحاضر كأستاذ زائر بأمريكا فى جامعة برنستون عام ١٩٤٧ ، وأن ينزل ضيفاً على الحكومة الأمريكية ؛ وتوافق الجامعة على طلب العلامة الأمريكى ، ولكن تجد ظروف خاصة تمنع مشرفة من الذهاب ويبقى فى مصر

وكان مشرفة من المؤمنين بأن العالم يجب ألا يبقى فى برجه بين جدران معامله ، بل يجب أن يساهم فى بناء المجتمع وفى نشاطه وفى تبسيط العلم لجمهرة الناس ، فنراه يلبى دعوة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ويلقى سلسلة من الأحاديث عن الذرة والقنبلة الذرية وعن (العلم والدين) (والعلم والمال) (والعلم والسياسة) (والعلم والصناعة) (والعلم والأخلاق) وغيرها . كما لم تخل صحيفة يومية أو مجلة ثقافية من مقالاته وآرائه ، وفى مقدمتها مجلة الرسالة الغراء

واتسع نشاطه فنراه يخرج للناس عدة كتب علمية منها النظرية النسبية الخاصة — ومطالعات علمية — والذرة والقنبلة الذرية — ونحن والعلم — والعلم والحياة — ويهتم بدراسة علماء العرب فيساهم فى إخراج كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمى ، ويؤلف عدة كتب فى الميكانيكا والهندسة والرياضيات لوزارة المعارف العمومية ، كما عهدت إليه الوزارة فى ترجمة بعض المؤلفات العلمية الأجنبية

ويساهم فى إنشاء الهيئات المختلفة من علمية أو اجتماعية ، فنراه بالمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وبالأكاديمية المصرية للعلوم وباللجنة الأهلية للرياضة البدنية ، وبمجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث ، وبالجمعية المصرية للثقافة العلمية ، وبالجمعية المصرية لهواة الموسيقى ، وبجمعية القرش للصناعات المصرية ، وجماعة إنقاذ الطفولة المشردة ، وبالمجلس الأعلى لشؤون الموسيقى بوزارة المعارف

وفى عام ١٩٤٦ انتخب وكيلا لجامعة فؤاد الأول وحظى بعطف المليك وتقديره فأنعم عليه برتبة الباشوية ، وأخيراً كان على مشرفة أن يسير فى الطريق التى لا بد أن يسير فيها كل كائن حى حين يستوفى أجله

جاء إلى هذه الدنيا فى يونيه ١٨٦٨ وتركها فى يناير سنة ١٩٥٠ وبين هذين التاريخين أظهر من آيات النبوغ ورجحان العقل ما يجعل ذكراه تخلد على الدهر

أحمد على الشحات

الباكستان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة طاهرة نقية (١) أنقذها الله من براثن الرجس والوثنية، أولى الدول الإسلامية إذ أنها أكثرها سكانا وأوسعها مساحة ولعلها أكثرها رقيا وتقدما

وخامسة دول العالم كله ؛ فترتيبها من حيث تعداد السكان كما يلي : الصين ، الهندستان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا ، الباكستان

دولة الغد المأمول والأمل المشرق ، ولدت فكان ميلادها أمنا وسلاما لإخواننا المسلمين من أبناء القارة الهندية . دولة خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله

تلك هي دولة الباكستان ، وقد كان من الطبيعي أن أبدأ بالكتابة عنها تحقيقا للرغبة الكريمة التي أبدتها الأديبة الفاضلة بهيجة المنشاوي والتي نشرت في العدد ٩٧٦ من مجلة الرسالة الغراء حاملة لواء الفكرة الإسلامية

وقد كان من جميل المصادفات أنني حين أردت الكتابة عن الباكستان تناولت كتابا (٢) من أحدث ما كتب عنها وكانت صيغة الإهداء فيه هي ما يلي :

إلى الفتاة العربيـــة

التي ينتظر الغد منها أن تحمل التبعة في سبيل تنشئة جيل جديد قوي

يتذكر مجد الماضي فيمحو عار الحاضر ويحسن بناء المستقبل

فالمؤلف يهدي كتابه إلى الفتاة العربية وأنا أكتب تحقيقا لرغبة الأديبة الفاضلة ، وهدفنا جميعا إقامة كتلة إسلامية قوية ينعم أبناؤها في ظلها بالكرامة والحرية، وتكون الميزان الدولي للسلام العالمي

الموقع :

الباكستان ثانيه دولتين تقومان في شبه القارة الهندية التي تقع في جنوب آسيا وتطل على البحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب ، وفي شمالها تقع جبال الهملايا والمرتفعات الوسطى بآسيا

وفي غرب الباكستان تقع أفغانستان وإيران . وتضم الباكستان الولايات الإسلامية من شبه القارة الهندية ولكنها لم تستطع أن تضم جميع مسلمي الهند إليها فما زال كثير منهم يقيم في أرض الهندستان . وتبلغ مساحتها ٢٠٦٠ مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالى مائة مليون نسمة

وهي تنقسم إلى قسمين : الباكستان الشرقية وتتكون من إقليم البنغال الذي يتكون من المنطقة الواقعة عند مصب نهر الكنج

والباكستان الغربية وتتكون من حوض السند وبلوخستان ويفصل بين القسمين مسافة لا تقل عن ألف ميل . وهناك منطقتان ما يزال النزاع قائما بين الباكستان والهندستان عليهما : الأولى مقاطعة حيدرآباد ومساحتها حوالى ٨٢ مليون كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة ، والثانية مقاطعة جمو وكشمير

وسنتحدث عن مشكلة المقاطعتين بالتفصيل فيما بعد

قصة الباكستان

وأحب قبل أن أتحدث عن الباكستان من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية أن أحدث القراء عن قصة قيام الباكستان تلك الدولة التي نشأت منذ خمس سنوات فقط

دخلت بلاد السند وبلوخستان في دائرة العالم الإسلامي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان . وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي كانت جميع بلاد الهند في يد المسلمين وكان يحكمها المغول

ولكن منذ عصر النهضة الحديثة وعصر الاستكشافات بدأت تنتاب الشعوب الأوربية حمى الاستعمار وبدأت إنجلترا تنسج شباكها حول الهند فأنشأت معها علاقات تجارية، ثم كان

١ : باك = طاهر ستان = أرض أو دولة
٢ : «باكستان دولة ستعيش» للدكتور عمر فروخ

من الطبيعى أن يقوم النزاع بين شركات التجارة وبين حكومة الهند وانتهى الأمر باستيلاء إنجلترا على الهند . وفى ١٧٦٣ طردت إنجلترا الفرنسيين من معظم المراكز التجارية التى كانت لهم بالهند وأصبحت الهند الدرة اليتيمة فى التاج البريطانى . ومنذ ذلك التاريخ والسياسة الانجليزية تحرص تماما على سلامة الهند ، والمقصود بسلامة الهند معناه قطعا عدم خروج الهند من يد بريطانيا إلى يد دولة أخرى ، ومعناه أيضا الوقوف فى وجه الهند ومنعها من تحقيق استقلالها . وأكثر من هذا لقد كان الحرص على سلامة الهند محور السياسة الانجليزية . استمع إلى قول وارن هستنجس حاكم الهند ١٨٠٠ « منذ نزول الفرنسيين بأرض مصر (١٧٩٨) لم يغمض لى جفن » ، وانظر إليه وهو يدفع حكومته دفعا حتى ترسل عدة حملات ١٨٠١ ساهمت فى طرد الفرنسيين من أرض مصر وساعدت الأتراك والمصريين على إجلائهم عنها

لماذا كل هذا الاهتمام بالهند ؟ يرجع السر فى ذلك إلى عاملين خطيرين : ١ : إن الهند مورد عظيم من موارد المواد الخام والمواد الغذائية اللازمة للشعب الانجليزى وللصناعة الانجليزية

٢ : إن الهند سوق كبيرة لتصريف المصنوعات الانجليزية . هذا من ناحية انجلترا، أما من ناحية الهنود فقد حاولوا التخلص من نير الاستعمار الانجليزى وقامت ثورة كبيرة ١٨٥٨ ولكنها لم تنجح . وبرغم هذا فقد تكون حزب المؤتمر ١٨٨٥ وكان ينادى بأن تنال الهند استقلالا ذاتيا وتبقى ضمن دائرة مجموعة الشعوب البريطانية . وقد اشترك كثير من المسلمين البارزين فى هذا الحزب الذى كان يرمى إلى تحرير الهند نوعا من الاستعباد البريطانى

ولكن المسلمين بدأوا يشعرون بأن انجلترا والهندوكيين يأتمرون بهم ويبيتون لهم الغدر والشر ، ولذلك قاموا فى ١٩٠٦ بتأسيس الرابطة الإسلامية

ومضى الزمن والهنود يجاهدون فى سبيل حريتهم ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فوقفوا مسلمين وهندوكيين بجانب بريطانيا وحلفائها حتى تحقق لهم النصر ، ومات كثير من أبناء الهند فى مختلف ميادين القتال . وانتهت الحرب واعتقد الهنود أن حريتهم ستكون مكافأتهم على تضحياتهم ، ولكن انجلترا خيبت آمالهم ، واكتفت بالقيام ببعض إصلاحات لا قيمة لها

أدى موقف انجلترا هذا من قضية الهند إلى قيام الثورة الهندية المعروفة بحركة العصيان المدنى والتى تزعمها المهاتما غاندى سنة ١٩٢١ . وقد وقف المسلمون وكان يقودهم مولانا شوكت على ومولانا محمد على بجانب غاندى ، وقاموا بنصيب موفور من الجهاد مما أغضب الانجليز فأخذوا يسلطون عليهم سياط التعذيب من قتل وسجن ، إلى سلب ونهب ، فامتلأت بهم السجون والمعتقلات ، وتحملوا فى سبيل الكفاح الكثير من الخسائر . ومع هذا تحمل المسلمون صابرين ، وبدأ مركز انجلترا يتزعزع

لجأت انجلترا إلى سياستها التقليدية وهى إيقاع الفرقة فى صفوف الأمة ، فبدأت تتقرب من الهندوس وتتآمر معهم ضد المسلمين ، وأخذ بعضهم يعلن ما بيتوا على رؤوس الأشهاد . قال سافاركان أحد قادتهم : إن الهند لن تستطيع أن تكون بلدا موحداً ولا أمة موحدة ، إن فيها أمتين : الهندوس والمسلمين

وفى عام ١٩٢٥ نشر هار ديال أحد كبار الصحافيين مقالا جاء فيه : « إننى أعلن أن مستقبل الجنس الهندوكى فى الهندستان والبنجاب (إسلامية) يجب أن يقوم على أربعة أسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكى ، تجنيس المسلمين ثم احتلال الأفغان ومناطق الحدود الجبلية ، وإلا كان مستقبل الأمة الهندوكية كلها فى خطر »

وهكذا وضح للعيان أنه لا يمكن أن تقوم فى الهند دولة موحدة ، والواقع أن الخلاف بين المسلمين والهندوكيين كان كبيراً جدا : إن المسلمين يعبدون الله ولا يشركون به ، وقد أحل لهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وأن ينحروا البقر ، والبقرة حيوان مقدس لدى الهندوس بل هى إحدى معبوداتهم

من أجل هذا كنا نتوقع دائماً عند قدوم عيد الأضحى أن نسمع عن مذابح الهند ، فقد كان المسلمون ينحرون البقر وسرعان ما تقوم المعارك بينهم وبين الهندوس ويسقط فيها آلاف القتلى

ورب قائل يقول : لماذا عمد الهندوس إلى اقتراف تلك الجرائم

فى عهـد الاستعمار ؟ وأنا أذكره بأن المسلمين كانوا سادة الهـند وحكامها قبل هـذا العصر ، فمن الطبيعى أن تكفل لهم سيادتهم وأمنهم وسلامتهم . أما وقد زال سلطانهم على يد الإنجليز وبدأت الهند تتحرر ، فقد أخذ الهندوكيون بتحريض إنجلترا يرتكبون تلك الفظائع ويعملون على (تجنيس المسلمين) أو إهلاكهم

وقد أدى كل ذلك إلى اعتقاد مسلمى الهنـد بأنه لا نجاة لهم إلا إذا قامت لهم دولة مستقلة ، وقد تزعم هـذه الحركة المباركة القائد المخلص محمد على جناح

وقد كان أول مؤتمر رسمى اشترك فيه المسلمون بصفتهم الرسمية هو مؤتمر المائدة المستديرة الذى انعقد فى لندن ١٩٣٢

وفى ١٩٣٧ أعلن البـاندبت جواهر لال نهرو — رئيس وزراء الهنـد الحالى — أن هنالك من الهنـد حزبين : الحكومة الانجليزية وحزب المؤتمر . حينئذ اضطر محمد على جناح أن يقول: بل إن ثمة حزباً ثالثاً هو الأمة الإسلامية

فى هـذا الوقت كان قيام دولة إسلامية مستقلة طيفاً يداعب خيال المسلمين ، ولكن الله جلت قدرته قد حقق هذا الحلم بأسرع مما كانوا يظنون

ففى ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية وتحرج مركز انجلترا وطلبت من الهنود الإخلاد إلى السكينة وترك قضية التقسيم جانباً حتى تنتهى الحرب ، ولكن القائد الأعظم محمـد على جناح قال : إننا نوافق على الهـدنة فى كفاحنا السياسى إذا رضيت بريطانيا بشرطين :

١ — أن تعلن الحكومة البريطانيـة إعلاناً صريحاً بأنهـا لا تتبنى دستوراً لحـكم الهند فى زمن الحرب أو بعـد الحرب من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين

٢ — أن يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من السيادة وفى مراقبة أمور الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية

وقد رضيت انجلترا بذلك ووافقت عليـه وأعلنت فى ١٩٤٠ أنها لن توجد فى الهند شكلا من أشكال الحكم لا ترضى عنه عناصر كثيرة العدد قوية الأثر

قبل المسلمون هذا التصريح ولكن الهندوس رفضوه وقاموا بحركة عصيان ضد إنجلترا ولكنها فشلت لعدم اشتراك المسلمين فيها

وفى ١٩٤٤ اجتمع غاندى بمحمد على جناح فى بمباى وحاول أن يتفق معه على عدم تقسيم الهند ، ولكن محمد على جناح رفض رأى غاندى لأنه كان ضد رغبة المسلمين . وربما يبدو هذا الموقف غير سـليم أمام من ينتصرون للقومية ، ولـكن أمام هؤلاء أضع الحادث التالى على سبيل المثال : فى عام ١٩٤٧ كان يسكن بلدة أمتسار خمسمائة ألف نسمة منهم مائتا ألف مسلم. وفى يومين اثنين قضى الهندوس على هذا العدد الضخم بالقتل والذبح والتشريد . كيف يمكن مع مثل هذا أن يطمئن المسلمون على أنفسهم ؟ إن السبيل الوحيد هو إقامة دولة إسلامية مستقلة

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وبدأت إنجلترا تعالج مشكلة الهند. وفى أوائل ١٩٤٦ أجريت الانتخابات فى الهند وقد نجح أعضاء حزب الرابطة الإسلامية فى إحراز المقاعد الثلاثين المخصصة المسـلمين فى المجلس التشريعى المركزى ، وهؤلاء هم أنصار قضية الباكستان . وأصبح واضحا تماما أنه لا يمكن إغفال رغبات مائة مليون من السكان

واعترافا بالأمر الواقع قرر البرلـمان البريطانى فى ١٩٤٧ ما يأتى :

« ابتـداء من الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ يقوم فى الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان »

وهكذا تحقق حلم إخواننا المسلمين وقامت دولة الباكستان أكبر دولة إسلاميـة ، تلك الدولة التى خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله .

باكستان زنده باد ! (١)

أبو الفتوح عطيفة

البحث صلة

---

(١) تحيا الباكستان

الطبيعة والصنعة فى الفن

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

الفنانون : الشاعر ، والأديب المترسل ، والموسيقار ، والمصور ، والمطرب ، والمثال ، والرسام .. أفراد فى مجموع قبل كل شئ .

والفرد فى المجتمع يعطى ويأخذ ويؤثر ويتأثر ...

وعلى قدر استعداد الفرد لتلقى تأثير المجتمع — من غير أن يشل هذا التأثير حيوية نزعة من نزعاته — يكون نجاحه المتكامل فى الحياة الاجتماعية . والطراز الانطوائى من الناس إذا وجد فى الفن متنفسا لطاقته المكنونة ، كسائر « الرومانسيين » ، قد يصل تعبيره إلى أقصى ما يوصل إليه الأداء الفنى من الروعة والإبداع ... وهذا يتفق كثيراً لشاعرة كفدوى طوقان ، التى تقول فى قصيدتها الأخيرة « الصخرة » بالعدد ٩٧٢ من الرسالة :

أنظر هنا ! الصخرة السوداء شدت فوق صدرى

بسلاسل القدر العتى

بسلاسل الدنيا البغى

أنظر إليها كيف تطحن تحتهـا نمرى وزهرى

محقت مع الأيام ذاتى

سحقت مع الدنيا حياتى

دعنى فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى

سأظل وحدى فى انطواء

مادام سجانى القضاء

إلى أن تقول :

ستظل روحى فى انقفال

سأظل وحدى فى نضال

وحدى مع الألم الكبير . مع الزمان . مع القدر

وحدى وهذى الصخرة البكماء تطحن .. لامفر !

كما اتفق كثيرا لشاعر كالمرحوم فخرى أبو السعود الذى يقول مناجيا الموت :

لأنت بلاغ النفس حيرى مروعة   بوادى شكوك جمة وهموم

وفيك انجاد عن جهالة جاهل   وعن قول مأفون وفعل لئيم

وعندك نسيان وطول زهادة   لكل مراد فى الحيـاة عقيم

لعمرى ما حى بأروح منزلا   على الأرض من بال بها ورميم

ولو علم الجانى لمـا جاد عامداً   على خصمه بالموت جود كريم

وتمحو بداك الحقد والخوف والأسى   وكل بلاء فى النفوس قديم

وأنت تريح الفكر من كل معضل   يظل له فى حيرة ووجوم

وتطوى عن الأجفان صفحة عالم   ملىء بأنواع الشرور ذميم

وتطوى كتاب الأمس طيا وما مضى   به من بغيض ذكره وأليم

... عزاء لبعض الناس أنك قادم   وأن شقاء العيش غير مقيم

وهذان الشاهدان اللذان سقناهما فيهما صدق وعمق فنيان ، نتجا عن شعور صحيح ، أجنحته أحزان الوحدة وصروف القدر ... ولكن آفة الانطواء أن ينفعل الشاعر تحت تأثير القيم الاجتماعية انفعالا فنيا مصنوعا لا مطبوعا ، فيكون تعبيره الفنى واجبا ملتزما به ، أو تقليدا منساقا إليه .. لا أداء حرا صادرا عن فاعلية فائضة من النفس ... فشاعر كبشار الضرير ، حين يقول متغزلا :

يا منظرا حسنا رأيته   من وجه جارية فديته

بعثت إلى تسـومنى   ثوب الشباب وقد طويته

لا يخفى ما يقوله هذا من بعد عن الصدق والواقعية ، علاوة على ركاكة النسج وتكلف المعنى والقافية تكلفا ظاهرا .. وإلا فمن (هو) فى ميدان الوسامة والغرام ، حتى .. تسأله هى أن ينازلهـا ؟ وإذا أردت دليلا قريبا على ذلك فلاحظ معى ، إن شئت ، الظروف الاجتماعية فى عصر المرحوم أحمد شوقى بك ، التى كانت تزين له أن يتصدر دولة الشعر ، تجد أن دولة الشعر

كان عليها فى هذا العصر واجبات ، تقتضيها الضرورات السياسية ومن هنا كان نجاح شوقى غير متكامل فى الحياة الاجتماعية .. فجاء شعره الوطنى والاجتماعى دون وطنيات واجتماعيات شاعر النيل الاجتماعى النزعة ... ذلك لأن شوقيا لم يكن اجتماعى النزعة كحافظ وليس هذا عيبا ؛ وقد قدر أن يكون لكل فرد نوازعه النفسية .. فشوقى كان من الطراز الانطوائى ...

ولو ترك العنان لشاعرية شوقى لفاضت فيضا ذاتيا لا أثر للاحداث السياسية والاجتماعية فيه ، ولأخلص لناموس الطبيعة وحرية الفن ؛ وإن كان هذا لا يمنعنا من الإقرار بروعة شعره الذى صدر — فى غير الأغراض التى أشرت إليها — عن فاعلية فائضة من أعماق وجدانه ...

وما أرق خمريات أبي نواس ، الذى نراه يبلغ الذروة فيها لطبيعية انفعاله ، اضطرم نتيجة هيام بالخمر معروف عنه ، بلغ حد الهوس ! فجمله يقول :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء ... وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة ، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم ... فما يصيبهمو إلا بما شاءوا
لتلك أبكى ولا أبكى لمنزلة ... كانت تحل بها هند وأسماء

وجمله يقول :

إثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها
لا تجعل الماء لها قاهرا ... ولا تسلطها على مائها
كرخية قد عتقت حقبة ... حتى مضى أكثر أجزائها !
فلم يكد يدرك خمارها ... منها سوى آخر حوبائها
دارت فأحيت غير مذمومة ... نفوس حراها وأنضائها
والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها !

ويقول :

قم يا غلام فقد بدا الفجر ... واسق النديم فما به سكر
من قهوة ما كنت أحسبها ... فى الكأس .. لولا اللون والنشر
رقت .. فما تدرى أبارقها ... أبها هواء ، أم بها خمر !

وأخير ، وليس آخرا ، ليت أدباءنا — الذين يصرون على أن يكونوا شعراء على الرغم من افتعالهم وتمحلهم وإمحالهم وضعف أداتهم الشعرية — يتأسون ويعتبرون بصدق ابن المقفع وصراحته ، حين أجاب من سأله عن السبب فى عدم قوله الشعر ، بقوله : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيء لا أرضاه » ومن رأيى أن ابن المقفع أسوة حسنة ، وقدوة صالحة ...

فهل تنفع شيئا ليت ؟ هل حقا يستجيب هؤلاء ويتفضلون بإراحة أنفسهم وإراحة الناس وإراحة الفن جميعا ؟

إنا لمنتظرون ؛ ونخشى أن يطول انتظارنا إلى يوم يبعثون !!

السويس — أحمد مصطفى حافظ

شعراء من أشعارهم

٤ – عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

ولا تنس أننى حدثتك عن إخوة عدى ، وأنهم لدى كسرى ناعمون ، وأنه أقطعهم الضياع وأجزل لهم الصلات . وهذا هو عدى يحدثنا عنهم وعن أهله ، ويأسى لأساهم ، ويستعين بهم ، ويصف لهم حاله وما هو فيه من قيد ، ومن حديد مضاعف ، ومن غلول ، ومن ثياب أخلاق مرقعات . وهو مع ذلك لا يفوته أن يبرئ ذمته مما اتهم به ، ويؤكد إخلاصه للملك :

ليس شئ على المنون بباق غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين ، فاجأنا شر مصيب ذا الود والإشفاق
فبرئ صدرى من الظلم للسرب وحنث بمعقد الميثاق
ولقد ساءنى زيارة ذى قر بى حبيب لو دنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين فى الأيدى وإشناقها (١) إلى الأعناق
فاذهبى يا أميم غير بعيد لا يؤاتى (٢) العناق من فى الوثاق
واذهبى يا أميم إن يشأ الله ينفس من أزم (٣) هذا الخناق
أو تكن وجهة ، فتلك سبيل الناس لا يمنع الحتوف الرواق
وتقول العداة أودى (٤) عدى وبنوه قد أيقنوا بغلاق (٥)
يا أبا مسهر فأبلغ رسولا إخوتى إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامرا ، وأبلغ وثاق
فى حديد القسطاس ، يرقبنى الحا رس ، والمرء كل شئ يلاق
فى حديد مضاعف ، وغلول (٦) وثياب منضحات (٧) خلاق (٨)
فاركبوا فى الحرام (٩) فكوا أخاكم إن عيرا قد جهزت لانطلاق

ثم هو يتحدث عن أهله مرة ويصف ما يلاقيه ، وما يختلج فى نفوسهن من نوازع الحذر والإشفاق ، فيقول :

وبيتى مقفر إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدى كشن خانه خرز (١٠) الربيب
يحاذرن الوشاة على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب

وقد أرسل عدى رسالة من سجنه إلى أخيه أبى وهو مع كسرى ، يستعطفه ، ويستنجده ، ويصف حاله :

أبلغ أبيا على نأيه (١١) وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا د كنت به واثقاً ما سلم
لدى ملك ، موثق فى الحديد ، إما بحق وإما ظلم
فلا أعرفنك كذات الغلا م ما لم تجد عارماً تعترم (١٢)
فأرضك ، أرضك ، إن تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم (١٣)

وإن كان عدى قد أخطأ فقد يخطىء الصديق ! وإن كان ظلم فهذا نصيبه ! وهلا تستطيع أيها الملك أن تتدارك الأمر وتجنح إلى الرأى المصيب ! وعلى كل ، فقد وكل عدى أمره لله . وهو رب قريب مستجيب :

فإن أخطأت ، أو أوهمت أمرا فقد يهم المصافى بالحبيب
وإن أظلم ، فقد عاقبتمونى وإن أظلم ، فذلك من نصيبى
وإن أهلك (١٤) تجد فقدى وتخذل إذا التقت العوالى (١٥) فى الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأى المصيب
فإنى قد وكلت اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

هذا عدى : عدى البائس المحزون . الحبيس فى سجن صديقه ومليكه النعمان . لم يكن يتوقع يوماً أن يكون فى مثل حاله هذه ، وإن ماضيه مع الملك ، وماضى بيتيهما معا ، لم يكن يوحى – لحظة من اللحظات – أن هذه المصافاة والإخلاص والود قد تنقلب أسى ما بعده أسى ، وشر تصغر دونه الشرور ،

وقد استطاع عدى بكل ما أوتى من قدرة على البيان والتعبير ، قدرة الفنان البائس المذكور ، أن يرسم لنا صورة له فى

(١) الإشناق أن تغل اليد إلى العنق (٢) المناق لا يسعف الموثوق (٣) شدة (٤) هلك (٥) بهلاك وضياع ، من غلق الرهن إذا استوثق (٦) جمع غل (٧) مرقعات أو ظهر أثر العرق فيها (٨) جمع خلق (٩) فى الشهر الحرام

(١٠) الشن : الخلق من كل آنية من جلد . الربيب : من يرب الشن ويصلحه (دموعهن غزيرة كالماء المتساقط من الشن البالى الذى لم يفلح فيه الخرز) (١١) بعده (١٢) ذات الغلام : الأم المرضع . عارما : راضعا . يقال : عرم الصبي أمه عرما : رضعها . تعترم : إن لم تجد من ترضعه درت فحلبت ثديها ، وربما رضعته ثم مجته من فيها ، وقد تطلب من يرضعها . ويقال هذا البيت لمن يعمل على ذم نفسه (١٣) يحذره من المجىء إليه وإلا يهلك ، فإن كان باذلا عونا فهو لدى كسرى ، كما ستعرف بعد (١٤) تحس (١٥) الرماح

السجن . ولأهله ، وأن يحدثنا عما كان بينه وبين النعمان من مودة وصفاء ، وأن يذكر النعمان بأياديه عليه ، وأن يذكره بما كان لزيد أبى عدى من ملك الحيرة قبل المنذر أبى النعمان ، ويذكره الصهر ، ويضرع إليه الا يشمت به الأعداء

وقد أكره النعمان عـدياً على طلاق هند . وما كان ينتظر لهذا الزواج غير هذا ، ففارق السن ، والطريقة التى تم بها ، وعدم مواءمة الزوجين كفاءة كما يرى النعمان ، كل هذا كان يشير إلى أن الزواج قـد لا يطول أجله ، وأن الفراق ينتظر الزوجين بعد حين طويل أو قصير . ثم جاءت الأحداث تتابع ، واضحى هـــذا الزواج من أسباب النفرة بين عدى والنعمان ، ودخل الأعداء ، وخشى النعمان عديا ؛ فكان الحبس ، وكان الطلاق

وقـد ترهبت هند بعد ذلك فى ديرها المعروف بدير هند ، وقد بنته حين تنصرت بعد تنصر أبيها على يد عدى ، وحبست نفسها فيه ، وأعرضت عن الحياة الدنيا بزخارفها ومفاتنها ، إلى حياة نبيلة طهور تطمح إليها آمال النصارى المخلصين

واختلفت الرواة ، فمن قائل إنها ترهبت بعد طلاقها ، ومن قائل ترهبت أسى على زرقاء اليمامة ، ومن قائل ترهبت حين قتل كسرى أباها النعمان

وأنا لا أميل إلى القولين الأولين ؛ لأنها ما كانت تحزن على زوجها عـــدى حزناً يفقدها الرغبة فى الحياة ، ويدعوها إلى الرهبانية ، وأنت تعرف ما أحاط بهذا الزواج مما يجعله غير مرجو النجاح ، ولأن قصة زرقاء اليمامة ، وصلتها بهند ، غير واضحة ولا مفهومة . وأما ترهبها لفقدها أباها ، فقد يبـــدو مقبولا ومعقولا ؛ لأنه عزها وفخرها ؛ ولأنه يصعب على أبناء الملوك أن يعيشوا كالناس بعد جلال الملك وأبهة الملوك ، فينزووا فى ناحية من نواحي الأرض يعيشون فيها فى تستر وخفاء . وكانت هند قريبة عهد بالنصرانية ، والمثل السامق الأعلى لها هو الترهب ، فلعل نشوة دينية بعد قتل أبيها ألجأتها إلى ديرها المعروف . فهى قـد تكون ترهبت حين ألمت بالنعمان الخطوب فوق تأثرها بالمثل الأعلى للنصرانية

وكانت هند تعتز بأبيها ، وتحفظ اسمه ، وتغار عليه ، حتى بعد أن أزالها الدهر عن مكانتها . ويحدثنا الرواة أن المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الـكوفة مر بدير هند ، فنزله ودخل عليها ، بعد أن استأذن عليها ، فأذنت له وبسطت مسحاً فجلس عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئت خاطبـاً ؛ قالت والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول فى المواسم : ملكت مملـكة النعمان بن المنذر ، ونكحت ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ؛ قالت : فلا سبيل إليـــه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها :

لله درك يا ابنـــة النعـمان ... أدركت ما منيت نفسى خالياً
إن الملوك نقية الأذهان ... فلقد رددت على المغيرة ذهنه

وقد أيأس إخوة عدى ، وهم عند كسرى ، مازل بأخيهم ، فسموا له ، وعملوا على كسر قيده ، وراسلوه فى سجنه ، فلقد كتب إليه أخوه أبى :

إن يكن قد خانك الزمان ، فلا عاجز باع(16) ولا ألف(17) ضعيف
ويمين الإله — لو أن جأواء(18) طحوناً تضيء(19) فيها السيوف
ذات رز(20) ، مجتابة غمرة الموت ، صحيح(21) سربالها تلفوف(22)
كنت فى حميها — لجئتك أسعى فاعلمن ، لو سمعت ، إذ تستضيف(23)
أو بمـال سألت دونك لم يمنع تلاد لحاجة أو طريف(24)
أو بأرض أسطيع آتيك فيها ... لم يهلنى بعد بهـا أو مخوف
إن تفتنى والله إلفاً فجـوعاً ... لا يعقبك مايصوب الخريف
فى الأعادى ، وأنت منى بعيد ... عز هذا الزمان والتعنيف
ولعمرى لئن جزعت عليـه ... لجزوع على الصديق أسوف
ولعمرى لن ملـكت عزائى ... لقليل شرواك(25) فيما أطوف

ثم احتال للدخول على كسرى فأخـبره ، فكتب كسرى للنعمان يأمره بإطلاق عدى . غير أن الوشاة أسرعوا قبل فوات الفرصة ، وحرضوا النعمان وخوفوه وأنذروه إن أبقى على عدى ، فبعث إليه أعداءه ، فغموه حتى مات

(16) كناية عن القوة (17) الثقيل البطيء (18) كتيبة جأواء : بينة الجأى : يعلو لونها السواد لكثرة الدروع (19) تطحن ما لقيت (20) الرز : الصوت يسمع من بعيد (21) السربال : القميص (22) من كففت الثوب إذا خطت حاشيته (23) تستجير (24) التلاد ضد الطريف ، وهو القديم (25) مثلك

للبحث بقية

محمود عبد العزيز محرم

بين الحقيقة والخيال :

صديق . !

الأستاذ محمد محمد الأبشيهي

خلوت إلى نفسي يوما أسائلها : « أين هو الصديق الذي يسكن إليه قلبي ، وتهدأ حياله نفسي ، فيصفيني وده ، ويمنعني مما يمنع منه نفسه ؟ فقد بلوت من خير الناس وشرهم ، ما يوشك أن يزهدني في عشرتهم ، ويجنح بي إلى العزلة عن هذا المجتمع الصاخب ، وحاولت أن أصطفي من الأصحاب من يفرج أمري ، ويكشف لي وجه الصواب في هذه المشكلة العاصية ، فإذا يداي تصفران ، وإذا أنا أخلد إلى الراحة في ظلال اليأس ، وإلى الهدوء على بساط الشوك .. وساءلت نفسي .. ربما كانت النفعية الجامحة والمادية اللاهية ، هما أس العناء ، وأصل البلاء ، حين ينظر الصديق من زاويتها إلى الصديق ، فكلما تحدر إليه خيره هش له وبش ، ولقيه باسم الثغر ، مشرق المحيا ، فهو صديق العمر ، وشقيق الروح ، وإلا أنكره ، فغاضت الابتسامة ، وفتر اللقاء وتقطع بينهما ، وحال الأمر إلى عداوة ، وأشباه هذا هم الكثرة الكاثرة فيمن يلاقونني ، حتى الذين ينالهم رفدي ، لا أحس لما يبدونه نحوي بحرارة ، ولا لما ينسجونه حولي بصدق ، وأنظر يوما فإذا بي أنشد :

« إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا »

وأتناول بيدي مصباح (ديوجين) أفتش به في ثنايا الزمن ، عن بغيتي من هذه الحياة ، ولكن .. هيهات ! ... ولبثت كذلك حينا من الدهر ، يمر بي في طوافي أشتات من الناس ، تباينت طباعهم ، وتلونت مذاهبهم ، لا يحسون بي ، ولا أحس بهم ، لبعد ما بيني وبينهم ، فما جامعة تجمعنا ، في الرأي والفكر والذوق ، أراهم من غير جنس وإن كانوا بشرا ، وألمح على معارفهم لؤم الطباع في ثنايا الإشراق ، وسعار الطمع في مخايل الرضى ، فلويت عنقي ، وأشحت بطرفي ، وطويت عنهم كشحا ، وفزت من الغنيمة بالإياب ، بعد رحلة لاغبة ، وجهاد واصب ، و .. وشعرت بيد ربت على كتفي . وأنفاس حانية ، ترف على قلبي ، فأحسست برد الراحة يسري في أوصالي ، وتمثلت النعيم يغمر جوانحي . قال — وقد مثل حيالي قائما — أنا إذا ضالتك المنشودة . وأملك المفقود ، وأملك أن تجد العوض في شخصي من أحلامك الذاهبة ، فأقضي حاجتك ، وأنكأ جرحك ، فتنأى بنفسك عن مواطن اليأس ، وتعلم أنه ما زال في الدنيا صديق ترتاح له ، وتبلو من سجاياه ما تقر به عينك ، ويثلج به صدرك . ستقودني إلى حيث تريد ، وستلقاني مطواعا ذلولا ، لا أبعثك على غضب ، أو أشرف بك على بأس ... فصدقته حين لمحت في حديثه دلائل الصدق ، وشممت من لهجته علائم الجد ، وأنست به وسكنت إليه ، وجلت به في ميادين الحياة جولات موفقة ، وعشت به زمنا ليس بالكثير ، حدثت نفسي في خلاله أن أعفي كل أثر لحكمي السابق على الصديق ما دام في الناس أمثال هذا الذي فني في شخصي ، وكان لي أطوع من بناني ، وألزم من ظلي ، إذاً فلقد تجنيت على الإنسانية ، وأجرمت في حق الإخاء ، فهذا صديق يهفو إلى الخير لوجه الخير ، ويطرب بالوفاء لأجل الوفاء ، وإذاً فلتهدأ بلابلي ، ولتمض الحياة قدما في كنف الصداقة الصادقة ، وظلال العيش الرغيد ! .. ورأيته يوما — على غير عادة — عابس الوجه ، ترمي عيناه بالشرر ، منتفخ الأوداج ، يكاد يتميز من الغيظ ، فابتدرته : « ما بالك » . فأجاب — في غير تحفظ ولا استحياء — لقد خاب أملي فيك ، وصوح عود الصلة بيني وبينك ، فما أنا بالذي يستمسك بك ، وقد نهشت عرضي ، وجحدت فضلي ، وأذعت في الناس بأحاديث السوء عن خدنك الذي غره فيك حسن السمت ، واصطناع الوقار ، فقاطعته قائلا : « على رسلك يا صديق ، فلعلها أن تكون سعاية حاسد ، أو زراية جاهل . وما حسن أن تجبهني بالثورة ، وتطلع علي بالعنف ، قبل أن تتبين » فأصم أذنيه ، وولى مدبرا ولم يعقب ، وحمدت لنفسي أنني لم أتزحزح قيد أنملة عما رسب في أغوار نفسي عن الصداقة والأصدقاء . وإذاً فالمشكلة ما زالت قائمة ، ولا أبرح ألتمس الصديق الصدوق بين الحقيقة والخيال ، فياليت شعري من يدلني عليه ، فينقذني من ألم مرمض ، وأسى لا يريم ، إن بين اليأس والأمل صراعا ، وفي النفس من هذا المجتمع المريض لوعة وحيرة

محمد محمد الأبشيهي

منه وهي المقالة الصامتة

الصمت البليغ

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

روى أن لقمان الحكيم جلس ذات يوم إلى نبي الله داود عليه السلام ، وهو يعمل درعاً من حديدة ، فعجب من ذلك لقمان ، واعتملت في نفسه عواطف مختلفة ، وأحاسيس متباينة ، لأنه لم ير درعاً قبل الآن يصنعها صانع ملهم ، في براعة وإتقان ، وحذق وافتنان . بيد أنه آثر الصمت ، لأنه وجده أنسب من الكلام للمقام ، إذ لم تبد على داود عليه السلام علائم إجابته عن حقيقة ما يصنع إذا سأله ، وكنه ما يعمل إذا طلب منه بيان شيء من أمره ، وظل لقمان على هذه الحال سنة كاملة ، تمت فيها الدرع ، وقاسها داود على نفسه ، وقال : درع حصينة ليوم قتال !

فقال لقمان : الصمت حكم ، وقليل فاعله .. !

وهكذا يأخذ حديث الصمت بمجامع القلوب ، كما يأخذ حديث القول بمجامع القلوب ، حتى ليكاد يراجع الإنسان نفسه فيما علم من بلاغة الكلام ، وأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأن ذلك إن جاز حيث يستباح القول ، فلا يجوز الاقتصار على ذلك حيث يمتنع على الإنسان الكلام ، أو بمعنى أدق حيث يمنع من الإبانة والإفصاح ..

والصمت في بعض الأحايين أبلغ من الكلام . ولا يضير القارئ أن يجد مقالا نالت منه يد بالاختصار أو الحذف والبتر ، وحكمت عليه دون روية بالوأد والقتل ، وقضت على جمهرة القارئين بالحرمان من أصفى مورد ، في عصر التاثت فيه الضمائر ، واشتركت الألباب .. أجل لا يضير القارئ المخلص الذي تعود أن ينال غذاءه الفكري الكامل من كاتب بعينه ، وأديب بذاته — ليكفيه أن يقرأ العنوان فحسب ، ليستخلص منه الفكرة ، وأن ينظر إلى الصحيفة البيضاء ، فتتحول إلى نور يضيء معالم النفس ، ويملأ شغاف القلب ، ثم ينطبع في ذهنه كل ما كان يجب أن يسطر عليها ، ويسجل فيها ، ويراد بها .. !!

ولقد يسهب الخطيب ويتشدق ، ويطنب الكاتب ويتدفق ، ويتلاعب القاص أو الباحث بالألفاظ ويشقق ، ثم لا يعرف السامع أو القارئ ما يريد أن يرمي إليه أحد هؤلاء من غرض ، أو يهدف إليه من غاية ، ويظل حائراً بين آفاق من الفكر الشتيت ، وركام من القضايا والآراء لا تنعقد بينها صلة ، ولا تجمع بين أطرافها آصرة ..

وقد يشير الأديب أو يصمت ، فيفهم الناس عنه ما يريد أن يقول ، ويتجلى لهم رأيه على أحسن ما تكون الآراء عرضاً وتحليلا ، ويكون لهم من صمته أبلغ بيان ، وأوضح مقال ، وأفصح كلام .. !

إلا أنه إذا جاز أن يكم فم خطيب ناشىء ، أو يعقل لسان كاتب أو شاعر شاد ممن يتصدون للاصلاح وقد سلمت نياتهم — لأن ما يقوله أحدهم ربما يخطئه التوفيق فيبعد به عن مغزاه ، ويجانب الغرض مبناه ، فيثير الفوضى والشغب ، ويورث العناء والنصب — إذا جاز ذلك مع واحد من هؤلاء ، فلا ينبغي أن يتبع مع من يترقب الشعب بأسره ، بل العالم العربي والإسلامي جميعاً نتاج قرائحهم ، وثمار أفكارهم ، ليحظى الناس هنا وهناك بالفكرة الواضحة ، والقولة الناصحة ، والرأي السديد ، يشرق على الناس إشراق الشمس الضاحية ، فيبدد غياهب الجهالة ، ويزيل غاشية الغواية ، ويخرج بالقلوب الضالة إلى واضح النهج ، وبالأفئدة الحيرى إلى لاحب الطريق وسواء السبيل ، ويقع من التهم الباطلة موقع الماء يغسل الأوساخ ، ويزيل الأدران ، والعدل يمحق الزور والبهتان ، والحزم يقضي على الظلم والطغيان

يجب على الألسنة أن تنطلق لتفصح عما يكنه الجنان ، ولا يفصح عنه غير البيان .. وعلى الأقلام أن تتحرر لتعبر عن خلجات العواطف . وومضات الأذهان ، فإن قلم الكاتب الكبير قبس من نور الإيمان . وسلاح من أسلحة الديان ، وجدول رقراق من فيض النبوة لا يغيض ..

لا تكمموا الأفواه الطاهرة ، فذلك يورث الكبتة الدامية ، ويؤدي إلى النكسة القاضية ، فتتهامس الشفاه ، وينبعث دعاة الشر بالفساد في كل مكان ، وتتسابق شائعات السوء على كل

مصير الانسانية
فى أيدى الشيوخ

عن مجلة (العلم والحياة) الفرنسية

كانوا قديما يتساءلون : ماذا نفعل بالشيوخ ؟ أما اليوم فيجب أن نتساءل : ماذا عسى أن يفعل بنا الشيوخ ؟

يؤخذ من الإحصاءات الرسمية أن متوسط الحياة البشرية فى عصرنا أصبح يتراوح بين الخمسين والستين من الأعوام ، وقد كان لبضعة عقود خلت نحو الخمسة والثلاثين . وهذه الزيادة ترجع إلى تقدم الطب وانتشار الوسائل الصحية وتحسين طرق المعيشة ونحوها . وقد لوحظ أيضا للعوامل ذاتها نقص كبير فى وفيات الأطفال بجميع أنحاء العالم حتى فى أكثر البلدان انحطاطا

والواقع أن مصير العـالم هو اليوم فى أيدى هؤلاء الشيوخ الذين يفرضون على الشعوب إرادتهم ويلبسونها الأثواب التى يفصلون . وهم ولا جدال أوليـاء الأمر يأمرون وينهون فى الشؤون السياسية والحربية والفنية والأدبية والعلمية وغـيرها . إنهم جاوزوا الستين من العمر فبلغوا حد الشيخوخة ؛ غير أن هذا الحد سيمتد كلما ارتفع متوسط العمر البشرى . فالمرأة فى أوائل هـذا القرن كانت تدعى عجوزا وهى بعد فى الثلاثين أو الخامسة والثلاثين ؛ والرجل الخمسينى كان يعد شيخا ، أما اليوم فلو دعونا امرأة خمسينية عجوزا ورجلا ستينيا شيخاً لغضبا وحقهما أن يغضبا؛ لأنهما لا يزالان يحتفظان برواء الشباب ونشاطه . أما القول بأن الحياة تبتدىء فى الأربعين فسيخلفه بعد وقت قريب تحديد آخر فيقال إنها تبتدئ فى الستين أو السبعين

إن هذا العصر الذى يدعى بحق العصر الذرى لا بأس أن ندعوه أيضـا عصر الشيوخ . وما الشيوخ إلا رجال يجمعون إلى الحزم والحنـكة النشاط وصفاء الذهن . ولنا أمثـلة عديدة فى الذين يملـكون زمام الأمر ويديرون شؤون الشعب ، فالملك هاكون السابع ، كان عمره فوق السبعين ، وابن السعود هو اليوم فى العقد السابع ، والمرحوم عبد الله ملك شرق الأردن كان عمره حين قتل ٨٩ سنة ، وستالين الذى يبسط سلطانه على بضع مئات من الملايين يحمل على كتفيه ٧٢ حولا ، ومستشـاره للشؤون الخارجية أندره ويشنسكى بلغ الثامنة والستين ، وتشرشل الذى قاد الحلفاء إلى النصر فى الحرب الأخيرة دخل فى السابعة والسبعين ، ولـكل من ويزمن رئيس إسرائيـل وهربرت هـوفر رئيس الولايات المتحدة سابقا سبعة وسبعون عاما ، وكارلوس سفورزا وزير خارجية إيطاليا فى الثامنة والسبعين ، وإدوار هريو رئيس المجلس الفرنسى فى التاسـعة والسبعين ، و كونراد أدنور مستشار ألمانيا الغربية فى الخامسة والسبعين ، وماك آرثر ومرشال القائدان الأمريكيان فى الواحـدة والسبعين ، ودى جسبارى رئيس وزارة إيطاليا فى السبعين ، وكلامنت أتلى رئيس الوزارة السابق البريطانية أتم الثامنة والستين ، ورئيس جمهورية فرنسا فنسان أوريول وهارى ترومان رئيس الولايات المتحدة وروبرت

لسـان ، فيتكهرب الجو وتختنق الأنفـاس . ثم لا يجد صواب الرأى بين كل أولئك طريقه إلى الوجود ، وسـبيله إلى النور ، ويجد أعوان الباطل سانح الفرصة إلى الظهور ، وأيسر المناسبات إلى إذاعة الفجور ، فيضيع الحق الواضـح ، ويقبر الخير بأيدى أعدائه وأحبابه على السواء ..

لا تعقلوا الألسنة المبينة ، ولا تقيدوا الأقلام الفصحة ، فذلك تحطيم لمصابيح الهدى ، ومحو لصوى الرشاد ، وتشجيع للخيال الشريد أن يذهب فى تعليل ذلك مذاهب شتى ، فقد لا تثير مقالة تنشر اهتمام جميع القـارئين ، فلا يقرأ الجميع لأديب ، ولـكنهم يقرءون بلا استثناء — بل ويقرأ معهم كذلك غير القارئ — المقالة المحذوفة ، والرسالة المبتورة ، وقد يفهمون منها أكثر مما تفهم ، ويحملونها من المعانى والأغراض ، والآراء والأهداف ، أكثر مما تحمل ، وهذا حق لا ريب فيه ...

إن هذا الإجراء الجديد ، يثير فى النفوس عوامل شتى ، ويراد منا — والحوادث جارية ، ونحن وسط الخضم الزاخر بين مختلف الأمواج العاتية — أن نصمت صابرين ، ولـكن من لنا بصمت الصابرين ؟!

من لنا بصمت لقمان الحكيم ؟!

عبد الحفيظ أبو السعود

شومان فى السادسة والستين، وبين قادة البشر يعد شان كاى شك أحدثهم سنا فعمره اليوم ٦٤ سنة

فمن الشواهد المتقدمة يتضح لنا أن مقاليد الناس هى ولا جدال فى أيدى شيوخهم

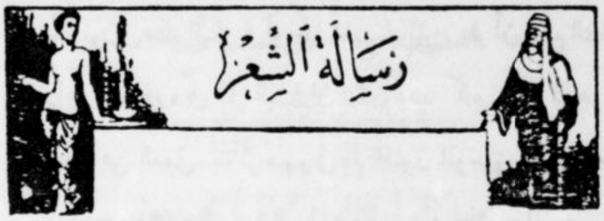
وفى الميدان العلمي نجد أبرز الوجوه وجوه الذين ندعوهم مسنين مما يبرهن على أن للعمل العقلى علاقة بطول العمر. ففى الأكاديمية الفرنسية عشرة أعضاء جاوزوا الثمانين منهم الأميرال لاكاز الذى تعدى حدود التسعين. وفى أكاديمية الفنون نذكر جان روى الذى بلغ الواحدة والتسعين . وفى أكاديمية العلوم والآداب والسياسة سبعة أعضاء قطعوا الثمانين أكبرهم الأستاذ تروشى وعمره ٨٨ . وللأستاذ هرتمن من جامعة الطب ٩٢ سنة، ولجوستاف شربانتيه من مجمع الفنون الجميلة ٩١ سنة

وبين العلماء الطاعنين فى السن نذكر مخترع السينما أوغست لمييار وهو الآن فى التاسعة والثمانين ، وأستاذ التشريح فلورنس سابان فى الثمانين ، والطبيعى شارل ابول فى التاسعة والسبعين ، والفلكى هنرى روسل فى الرابعة والسبعين ، وألبير أنشتين صاحب نظرية النسبية فى الثانية والسبعين ، والتوأمان بيكار وجان أوغست الطبيعيان المشهوران فى السابعة والستين . ويحسن أن نذكر فى هذا المجال بطل الصحة الأستاذ أميل مال من الأكاديمية الفرنسية الذى بلغ الثمانية والثمانين دون أن يعرض فى كل حياته إلا مرة واحدة بالحمى التيفوئيدية وهو فى سن الواحدة والعشرين . وفى رأى هذا الأستاذ أن العمل هو وحده الذى يحفظ الصحة ويطيل الحياة .

وقد يظهر هذا الرأى لأول وهلة غريبا. أما الحقيقة فهى أن العمل ينشط القوى ويوقظ قبل كل شيء الرغبة فى الحياة . ومن الطبيعى أن القوى الجسدية تنهدم كلما تقدم الإنسان فى العمر ؛ غير أن القوى العقلية تزداد نشاطا وصفاء بفضل التمرين والاختبارات الماضية . وعلى هذا فالإنسان الذى يزاول الأعمال اليدوية تنحط قواه العضلية عند بلوغه حدا من العمر بخلاف من يزاول الأعمال العقلية فإنه يشعر فى ذلك الحد نفسه أنه أشد نشاطا وأصفى فكرا. وقد فرض نظام التقاعد على البالغين الثامنة والستين مع أنهم يكونون فى هذه السن فى أوج نشاطهم العقلى . ولو أن نظام التقاعد يراعى بحذافيره فى كل البلدان لكان عدد كبير من الموهوبين مقعدا عن العمل. نذكر منهم فى عالم الفنون الموسيقى المشهور جان سيبليوس وعمره اليوم ٨٦ سنة، والمصور فرانك برانغوين ٨٤ وتوسكانينى ٨٤ وبول كاودل ٨٢ والمصور هنرى ماتيس ٨٢ واوغدن بترى ٨٠ وبيكاسو ٨٠ وكوربيزيه المهندس الشهير ٧٤ والموسيقية راندا لندوسكا ٧٤

وفى فن التمثيل السينمائى نقتصر على ذكر اتيل باريمور وعمره ٧٤ وساشا غيترى ٦٦ وبوريس كارلون ٦٤ وموريس شفالييه ٦٣ وشارل شابلين ٦٢ وكلودريفس ٦٢

ومن هذه الأمثلة التى سردناها لا يجرؤ أحد أن يسأل : ماذا نفعل بالشيوخ ؟



على ضفاف الليالى

للاستاذ محمود محمد سالم

وقفت على الشاطئ أرقب عودة الملاح التائه فى غياهب الحياة . وأترقب الزورق السارى فى أنهار الأبدية .. يحدوه الأمل .. فى الوصول .. ولكن : ؟!!

على ضفاف الليالى   وقفت حيران أشدو
ولا بن جنبي خفق   وملء بردى وجد
وأدمعى حائرات   واليأس بى مستبد
وحولى الليل بحر   به من الصمت مد
كأنما أنا فيه   طيف إلى الموت يغدو
أجرى وراء الأمانى   والموت خلفى بعدو
حتى مضى بى قبل   وسوف يلحق بعد
وسوف أفنى وتفنى   مشاعر لا تحد
ويصبح الناس عندى   سيان مولى وعبد
فلست أبغض خصمى   ولا الحبيب أود
إذ سوف أغدو خيالا   فى الوهم أولا أعد .!

* * *

فياضفاف الليالى   أما لبحرك حد !
وما لقلبى حزينا   على ضفافك يشدو !

* * *

على ضفاف الليالى   رأيت طفلا صغيرا
يلهو ويلعب حتى   يملأ السكون نورا
حياته سلسبيل   جرى وفاض غديرا
لا الشوك يدمى يديه   إذا أراد الزهورا
بل الزهور الحوانى   إليه تهدى العبيرا ..!

فى أمه وأبيه   يرى الفضاء الكبيرا
فما يحاول شيئا   إلا أتاه يسيرا
جرى الزمان سريعا   به وحث المسيرا
فأظلم الدهر منه   ما كان بالأمس نورا
وحول النور نارا   وأصبح الطهر زورا
والضحك عاد بكاء   والسهل أمسى عسيرا
واليوم يشكو ويبكى   مستعبرا مستجيرا
على ضفاف الليالى   يبكى بكاء مريرا

* *

فيا ضفاف الليالى   أما لبحرك حد ؟!
وما لقلبى حزينا   على ضفافك يشدو ..!

* * *

على ضفاف الليالى   هتفت : أين شبابى ..؟
وأين منى حبيبى   وأين عهد صحابى ..!
وأين مسرح حبى   أبثه اليوم ما بى ..!
وأين أين دموعى   ولهفتى واغترابى ..!
إنى أحب دموعى   إنى أحب عذابى
والهفتى قد تولى   من كان ضوء شهاب ..!
وعاد حلما بعيدا   لمحته فى الضباب
وصار أمسى ذكرى   تلوح لى كالسراب ..!
فكيف ولى حبيبى   وكيف غاب صحابى
وكيف بالله ولوا   وأسرفوا فى الغياب
كانوا هنا فتولت   سعادتى فى الركاب ..!

* * *

فيا ضفاف الليالى   أما لبحرك حد
وما لقلبى حزينا   على ضفافك يشدو

* * *

على ضفاف الليالى   بزورقي قد سريت
لمحت طيفا جميلا   من المنى فجريت
ما زلت أزجى شراعى   فى اليم حتى مضيت

الكتب

عهد جديد

تأليف الأستاذ شاكر خصباك

منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

للأستاذ سليم عبد الجبار

على الرغم من أن الأستاذ شاكر خصباك لا يزال فى مطلع حياته الأدبية ، فالقارئ المدمن ، يدرك أثناء قراءته لـ (عهد جديد) أن الأستاذ شاكر ، قد أشرف على الطريق القديم فى كتابه الأقصوصة الفنية

فالشخصيات التى تترادف فى هذا الكتاب ، تتخذ مادتها من الحياة الواقعية المألوفة ، ومن الطبقة الوسطى على الأخص ، ولكننا نلمس خلال قراءتنا ، أن تلك الشخصيات ، ليست بالشخصيات التى تتراءى لكل عابر سبيل ، يرمقها بعينيه ، فلا يتجاوز ، بنظراته ، هذه الأجسام المادية المحدودة الصور ، بل نراها ، أثناء حركاتها وسكناتها ، وأثناء هدوئها واضطرابها ، تتجاوز هذه الحدود ، لتكشف لنا ما وراءها ، ما وراء هذه الأجسام ، من نفوس إنسانية متغايرة ، متشابكة ، تتجه كل منها ، فى سبيلها التى أريد لها ، أو — على الأصح — نحو سبيل اختارته طبيعة نفسيتها ، وما ابتغته تلك الطبيعة من انبثاقات خاصة

فغضب الأب فى (عهد جديد) وهى الأقصوصة الأولى ، يرينا بكل وضوح تلك النفسية القلقة الحمقاء (الطيبة رغم ذلك) التى تغضب للاشئ ، وسرعان ما تفئ من غضبها ، فإذا هى نادمة ، واجمة ، يتراءى لنا من خلال دموع (زينب)

فما بلغت بعيداً فى اليم حتى انثنيت
ولاح فجر الأمانى لخاطرى فانتشيت
وقلت قر شراعى من رحلتى ونجوت
وأترع الحب كأسى من خمره فاحتسيت
حتى أفقت عليلا من نشوتى وصحوت !
واحزنا قد طوانى ليل الأسى فانطويت
على ضفاف الليالى بكيت ثم بكيت
فما أفاد بكائى وما شفتنى « ليت »

* * *

فيا ضفاف الليالى أما لبحرك حد !
وما لقلبى حزيناً على ضفافك يشدو !

محمد محمود سالم

حين ينظم الشاعر

لشاعر اليمن الأستاذ محمد محمود الزبيرى

أحس بريح كريح الجنان ... تهب بأعماق روحى هبوبا
وأشعر أن القوافى تدب ... كالنمل ملء دماغى دبيبا
فهذا يروغ وهذا يروغ ... وذلك يذعن لى مستجيبا
وذاك يفارقنى يائساً ... وهذا يواعدنى أن يئوبا
ومنها أوزع للعالمين ... طهوراً وأنشر فى الأرض طيبا
أخلف منها لقاح النهى ... وأنجب للأرض منها شعوبا
حروف الروى بها نطفة ... ترعرع بيتا عريقا نسيبا
أسلم نفسى لها ذاهلا ... حريصا عليها بشوشا طروبا
وأصغى لها هادئا تارة ... وأصرخ حيناً عبوساً غضوبا
ولولا اهتدائى لسر النبو ... غ وأعراضه لطلبت الطبيبا

محمد محمود الزبيرى

ووجوم (فطيمة) ذلك الحنان الهادى العميق، الذى جبلت عليه أخواتنا

وغضب نجم ، وتركه لأهله ، هو الآخر ، احتجاج ، أكيد ، صارخ ، لما ينتاب النفوس الحساسة الأبية ، من ظلم محيط ، متراكم ، ليس لدفعه من سبيل ، إلا بمثل هذا الاحتجاج

كما تصور لنا أقصوصة (الرهان) تلك التضحية ، التى يقدم عليها الآباء ، فى سبيل مستقبل أبنائهم ، فى مجتمع يقوم كل مافيه على الاستغلال ، والعبث بمصائر البشر

فالتضحية التى قام بها (حمود) لكى يتيح لابنته مستقبلا آمناً ، والتى كلفته حياته ، كانت بالنسبة للآخرين مجرد لهو يلهون به

ومثلما صورت لنا هذه الأقصوصة ، هذا الجو المظلم ، التعس، صورت لنا أقصوصتا (المنزل رقم ½) و (أعوام الرعب) جوانب مظلمة ، قاسية ، من جوانب هذا المجتمع المنهار

فأقصوصة (المنزل رقم ½) أبرزت لنا من زاوية خاصة ، أثر المال فى تثمين الحياة الإنسانية ، فأعطانها قيمتها الآنية . فتحكم صاحب الدار ، وعدم اكتراثه بحالة ساكنى داره رغم ابتزازه منهم ، الضريبة الشهرية ، وخضوع هؤلاء لسطوته ، وتلون حياتهم البائسة ، وفق ما تضطرهم إليه هذه الحالة ، من جهة ، وموقف الشاب من ابنتهم ، ومن أهله ، من جهة أخرى ، يحيطان بأتعس ما يمر على الإنسان ، من ذل مقيت ، وخضوع ظالم ، تتحول بهما الحياة الإنسانية إلى ما يقارب الحياة الحيوانية ، يزيدها مرارة ، وألماً ، شعور الإنسان بكرامته ، وحقه فى عيش أصلح

وما إن نصل إلى نهايتها حتى يدركنا جود فكرى صارم، مرده إلى تلك النهاية الأليمة التى تحدرت إليها (العائلة) نتيجة لتهدم دارها ، فإذا ما تعلق مصير الإنسان ببضع قطرات تسقط من السماء ، فتكفى لانهياره ، تحت التراب . فأى قيمة لمثل هذا الإنسان ، وأى معنى للحياة التى يحياها ؟ !

أما (أعوام الرعب) فقد صورت لنا ، بطريق حاد ، شائك ما يعانيه الشعب العراقى اليوم ، من مآس دامية ، وما يجتاز من أهوال شداد ، فى سبيل تحقيق حريته ، وإنسانيته، ومايلاقيه فى سبيل هذا التحقيق من انتقامات ظالم ، كما صورت التباين الشاسع بين عقليتين ، تلتفتان لأمور واحدة ، عقلية مؤمنة صاعدة (الإبن) وعقلية ، أشرفت على المشيب والتدهور (الأب) لخضوع الأب ، واستسلامه ، الناجمان عن الجهل والأساطير ، يقابلهما الوعى العلمى الذى يتحسسه الإبن ، وكفاحه الجبار ، الأوحد المؤدى إلى النهاية التى لا ريب فيها . فهى تعطينا فى فلتة نادرة ، أعمق العواطف الإنسانية المحتشدة فى الينبوع الأسفى

ومثلما صورت لنا (أعوام الرعب) الوعى الإيجابى المتغلغل فى دماء (الإبن) صورت لنا أقصوصة (صديق عبد على) الوعى السلبى الذى يراود القلوب الجاهلة ، والذى تمثل فى العطار (عبد على) . فاهتمامه بالانتصارات الألمانية ، وتهليله لها ، وتتبعه للانتكاسات البريطانية ، وتشفيه منها يلفتان نظر القارئ المخلص ، إلى تلك الناحية الخفية (فعبد على) مثال لتلك الشخصيات المتعصبة ، التى رأيناها فى فترة الحرب ، ولم نفهمها يومذاك . فهى فى تحسسها الخاطئ ، باعتمادها على أجنبى آخر ، لا تقصد إلا إنقاذ بلادها ، مما هى عليه ، من جوع واضطهاد ، فظنها الخاطىء وعقليتها المحدودة الثقافة ، توحيان لها أن الألمان ما داموا أعداءاً للانكليز ، فهم أصدقاء للشعوب المبتلاة بسطوة (البارون) ومحرريها

وأقصوصة (بدور بنت عمى) هى الأخرى تعطينا ، جانبا مظلما ، من جوانب هذا المجتمع ، بما فيها من تحجر وعبودية ، فحب العذراء لشخص غريب عنها ، واغتنامها لبعض الأمسيات الوادعة ؛ تقضيها فى التطلع — على بعد — إلى حبيبها ؛ جريمة لها جزاءها الرادع ، عند ابن العم الغيور . وهل غير القتل من جزاء

على أننا نلاحظ أن (الخاتم الماسى) أقل نجاحا من الأقاصيص السابقة ، وسرها أنها فاقدة الحركة ، وعقدتها — كما يعبر الاصطلاحيون — ساذجة . فقد حاول الأستاذ شاكر أن يسرد لنا فى أقصوصته هذه (الأفكار) التى راودت بطل القصة ، عندما عرض عليه (أحدهم) أن يشترى خاتما ماسيا ، ومهما تكن أحقية هذه الأفكار ، من تطرقها للعدالة المطلقة ، وصلاحية

العقاب الاجتماعي ، فهى تظل كما قلنا ، وما ذاك إلا لأن (الفكرة) يجب أن تتوارى ، فى الأقصوصة وسائر الأعمال الفنية — بحيث تدرك أهدافها وانية ، بطيئة ، فشخصيات الأقصوصة إذا ماأصبحت رموزا يلتقطها الكاتب لادارة أفكاره، تفقد قيمتها ، وبهت الاطار

وكذلك (الأغـــلال) فهى إلى الخيال أقرب ، ولعدم واقعيتها ، نستبعدها ، فما فى كل يوم نلحظ حمالا (صبيا) يكترى بخبزه اليومى ، دراجة ليتعقب خطوات حبيبته الأرستقراطية ، المترفة ، وما فى كل ليلة نلحظ وقوف مثل هذا الحمال تحت شرفة حبيبته . على أننا نستثنى نهايتها فهى مما يتفق والواقع

ولم يبق لدينا إلا أقصوصتان ، الأولى (الدخيل) ونراها ذات صبغة علمية بحت (تستند إلى مفاهيم عـــلم النفس) فمن المستبعد أن يبلغ الإدراك فى طفلة لم تتجاوز السادسة لمثل هـذا الحد ، فالغيرة لا تتبلور إلا فى سن المراهقة !

والثانية (قلب كبير) فهى مريحة القراءة ، موفقة فى تحليل نفسية الفتاة الغربية المراهقة ، ولعل أعمق ما فيهـا تصويرها لفتات الفتاة ، ونظرتها إلى صاحبها أثناء التقائه (مصادفة) بصويحباته ، العابرات

ونظرة موحدة إلى أسلوب الأستاذ شاكر تعطينا ما نريد ، فقد سار بطريق عرض موحد ، إذ ألقى فى كافة الأقاصيص ، مهمة (العرض) إلى أبطال الأقاصيص نفسها ، فكل واحد منهم يقص (قصته) وهذه الطريقة لها ميزتها الخاصة، وموفقة فى التحليل النفسى ، إذ توهم القارىء أن البطل (المتكلم) قريباً منه كأنه يسر إليـــه خاصة بهمومه ، ولو حاول الكاتب أن (يتملص) فى بعض أقاصيصه من هـذه الطريقة لكان عندى أحسن ، فللتنويع أهميته ، لئلا يتداخل الملل فى نفس القارىء ، ولئلا يلمس الرتابة فى العرض

وجمل الأستاذ واضحة العبارة ، مألوفة المفردات ، فلا التواء فى التعبير ولا تعقيد فى المعنى ، ومحاولة الأستاذ فى تفصيح العبارات العامية العراقية وإدخالها فى أقاصيصه محاولة ناجحة ، بارزة الإيحاء ، إذ خلعت على الأقاصيص جوا واقعيا ، نابضا ، والحق أن أهم مشكلة تواجه القصاص ، هو هذا التباين الصارم بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ، فإذا ما أراد الكاتب إدارة (حواره) باللغة العامية ، تقلصت دائرة قرائها ، وأصبحت محلية ، وإن أداره باللغة الفصحى ثارت بوجهه صعوبات ، هادرة ، إذ يفقد بذلك أعز ما يتاح الأديب ، أعنى إبراز الروح الكامنة وراء الألفاظ ، وفق ما يتداولها الناس ، وإزاء ذلك ، فمحاولة الأستاذ محاولة تنعش أدبنا المتكامل وتزيده كمالا

ونود أن نشير إلى تلك اللوازم التى يلتزمهـا بعض أبطال الأقاصيص ، ففى حياتنا كثيراً ما نشاهد مثل تلك اللوازم ، تتكرر ، بصورة لا إرادية أثناء الأحاديث ، وقد تبلغ مرحلة من السيطرة بحيث يعجز صاحبها أن يسترسل فى كلامه ، إذا ما حاول إســـقاط تلك اللوازم ، وهى وإن وردت فى بعض الأعمال الفنية العظيمة (مثل الشىء الصغير) ، فهى جديدة على أقاصيصنا العربية ، ولها دلالتها الخاصة فى خلق جو حيوى ملائم

هذا وعهد جديد يمثل مرحلة انتقال فى الأقاصيص العراقية، فللمؤلف شكرنا

بغداد سليم عبد الجبار



أنا مع سيد قطب

لما كانت المعركة الأولى (سنة ١٩٣٨) كنت مع الأستاذ شاكر على الأستاذ قطب ، فكيف أكون الآن مع قطب على شاكر ؟ ذلك لأني دائماً مع ما أرى أنه الحق . والأستاذ شاكر صديق من ربع قرن ، والأستاذ قطب رفيق على مقاعد الدرس في دار العلوم من ربع قرن . وليس بي الآن مدح ولا هجاء ، ولا إغضاب ولا إرضاء . ولكن بيان الحق الذي أراه ، ولعلي مخطيء فيما أرى

وأنا أعلم أن للصحابة منزلة لا يدنو منها أحد منا ، وإننا مهما سعى الصالحون منا فإنهم لا يلحقون غبار أحدهم ، فضلا عن أن يحاذوه أو يسبقوه . وإن لبني أمية في نشر الإسلام وفي فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد ، وأنه كان منهم عظماء حقا إن عد عظماء الرجال ، ولكن هل كانت دولة بني أمية دولة إسلامية؟

لقد هدم معاوية أكبر ركن في صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح ، وجعله انتخاباً شكليا مزيفاً ، وترك الشورى ، وعطل الكفايات . ومن هذه السنة السيئة ، بل هذه الجناية التي جرت أكثر البلايا ، والطامات التي ملأت تاريخنا السياسي ، فهل نقول لمعاوية : أحسنت في هذا ؟ بل إني لأسأل ، هل يقول هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيا ؟ إن معاوية صحابي جليل ، وله مناقبه وفضائله ، ولكن حكم الدين على الجميع ، ومقاييس الإسلام يقاس بها كل كبير ، فهل كان معاوية في عمله هذا متبعاً أحكام الإسلام ؟

هذه واحدة وإن كانت بألف

وهذا الاستبداد ، والحكم الفردي ، الذي سار عليه ملوك بني أمية ، وتحكيم آرائهم وشهواتهم في مصلحة الأمة ، ودماء أفرادها وأموالهم ، دون تقيد بكتاب أو سنة ، أو رجوع إلى علم أو فقه ، هل هو من الإسلام ؟

واختيارهم شر الولاة ، من الطغاة الظالمين ، وتحكيمهم في رقاب الناس ، هل هو من الإسلام؟ هل يقر الإسلام تولية مثل الحجاج على رجولته وعظمة نفسه ، وخالد القسري ، وأمثالهما من الجبارين ؟

وإثارتهم العصبيات والخلافات ، بين القبائل وبين الشعراء وتمهيدهم سبيل اللهو والاستهتار ، لأنفسهم وللناس ، ولا سيما جيران بيت الله ، وأهل مدينة رسول الله ؟

وعدوانهم على الحريات ، وعلى المقدسات ، وقتلهم العلماء من أمثال الحسين وسعيد بن جبير ، وإيذاؤهم سعيد بن المسيب ، وضربهم الكعبة بالحجارة وبالنار ، هل هو من الإسلام ؟

إن هذه كلها أشياء ثابتة ، لم يفترها عدو ، ولم يضعها خصم ، وهذه كلها تناقض الإسلام أشد التناقض ، بل إن بعضها لم تأت بمثله الجاهلية الأولى

وما كان عليه العباسيون ، ومن جاء بعدهم ، من الطغيان والعدوان على الأنفس والأموال ، واتباع غير سبيل الهدى ، كل ذلك يسأل عنه بنو أمية ، لأن من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة

وأنا أكبر بني أمية . وأمجد آثارهم ، وأرفع أقدارهم ، ولكن لا أستطيع أن أقول إن دولتهم كانت دولة إسلامية ، لأني أكون قد مدحتهم بذم الإسلام ، والإسلام أحب إلي ، وأعز علي من بني أمية ، وبني هاشم ، وأهل الأرض جميعاً

دمشق **علي الطنطاوي**

إبراهيم الواعظ

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم الواعظ في الرسالة بالعدد ٩٧١ ، فتذكرت ماله عندي من يد بيضاء يوم كنت أعمل بمدارس العراق الشقيق سنة ١٩٤٢ ، وحق علي بهذه

المناسبة أن أقدم لقراء الرسالة شخصية فذة في مجال الفكرة الإسلامية

تعرفت عليه ببغداد ، وكان من صفوة القلة الذين أنست إليهم في مختلف الأحاديث التي كنا نطرقها في ندوة كانت تضم حسن بك سامي وزير العدل السابق ، فنتحدث فيما يهمنا من شؤون الثقافة

وعرفت الأستاذ الواعظ محاميا له بين قومه مكانة مرموقة بما تميز به من اطلاع واسع على التراث الإسلامي ، وعناية فائقة بالقضية العربية

واختير أخيراً ليكون مستشاراً للجامعة العربية وهو اليوم مقيم بالقاهرة ، ولقد صادف هذا الاختيار أهله

وفي الحق أن الجامعة العربية قد ضمت إلى كتيبتها العاملة رجلا له قدم راسخة في شتى الميادين : فهو المحامي الشهير ، والمحاضر الممتاز في الإذاعة العراقية وقاعة الملك فيصل ، ثم هو شاعر ، ومؤرخ ولغوي ، وكاتب مسرحي ، وله في عالم التأليف أثر محمود

قرأت له « مدرسة محمد » وهو سلسلة من إذاعاته عن أعلام الإسلام ، وأذكر أنه قد أعلن عن مجموعة طيبة من المؤلفات تحت الطبع منها « معاوية » و « قصة الغرانيق » و « سورة الفيل » و « حديث القرطاس » و « المقتني » كما أعلن عن مسرحيتين شعريتين هما « فتح مصر » و « الزباء » ، وما أدري إن كان بعضها قد نشر أم لا

وعسى أن تحظى دور النشر في مصر بهذه النفائس لتقديمها في الناس لتعم فائدتها ، لما عرف عن الأستاذ الواعظ من اقتنائه لأثمن الكتب العريقة ، وصبره على التحليل والتدقيق ، وبراعته في التبسيط والعرض ، وأرجو أن تسعى إليه الإذاعة المصرية ، والجامعة الشعبية ، والنوادي الثقافية ، والجمعيات الدينية ، والمجلات الأدبية لتنال حظها من علمه الغزير وأدبه الأصيل

محمد محمود زيتون

الأسوة الحسنة ...

قال دولة رئيس مجلس الوزراء لبعض الصحفيين إنه سيعمل على تحقيق العدالة ، وأنه لن يحابي أحدا ، ولو أن ابنه خالف القانون لذبحه ! ...

وهو بهذا يتأسى بالرسول الكريم ، صلوات الله عليه وسلامه ، يوم جاءه أسامة بن زيد « يتشفع المخزومية ، فقال له عليه الصلاة والسلام :

— أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ . . والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها ! ...

وبهذا وضع محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، اللبنة الأولى في أساس العدالة الاجتماعية ، ومبادىء الديمقراطية الإسلامية الصحيحة

عيسى متولي

ليس هذا تجديدا

يحلو لكثير من أفذاذ الكتاب أن يستعملوا كلمة « آونة » على أنها لفظ مفرد ظانين أن هذا نوع من التجديد في اللغة العربية وما هو من التجديد في شيء . والواقع أنه خطأ كبير انزلقت إليه براعة الكاتبة الفضلى الدكتورة بنت الشاطىء في أحد تعليقاتها على الكتب الجديدة ولم أشأ أن أتعرض له في حينه ، ولكن تكرر هذا الخطأ من الأستاذ الكبير الصاوي بك في أهرام ١٩ مارس سنة ١٩٥٢ ؛ فلم أجد مناصاً عن التنبيه إليه ، أو على الأصح من تكرير التنبيه إليه ، لأني كنت قد نشرت تصحيحاً لهذا الخطأ منذ أكثر من عامين وقلت فيه إن كلمة « آونة » جمع والمفرد أوان مثل أزمنة وزمان لفظاً ومعنى . وإني أكرر هذا التصحيح ما دام التكرير في مثل هذا المقام يحلو



البعث

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

— ١ —

لم يكن هناك فى قرية « فيكامب » من يجهل تاريخ الأم « باتان » الحافل بألوان الشقاء ... كما لم يكن يختلف اثنان فى الحكم على قسوة معاملة زوجها لها طيلة حياته

اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين كانت فى نضارة الصبا وقد حباها القدر بقسط وافر من الجمال والجاذبية ... فى حين كان هو بحاراً ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة العجوز « أوبان » لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول . ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لملء فراغ معدته ... بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثمانى أو عشر كؤوس ... وربما زادت على ذلك قليلا إذا ما كانت صفقة صيده رابحـــة . وكانت ابنة أوبان هى التى تشرف بنفسها على خـــدمة رواد الحانة الذين أسرتهم عيناها الحالكتا السواد ، وامتلكت أفئدتهم بقوامها الرائع المشوق

ويوم جاء باتان إلى تلك الحـانة للمرة الأولى ... اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة فى شوق وحنين وهو يشير إليها من طرف خفى . وازدادت فتنتها فى عينيه حين ارتشف كأسه الأولى . .. فما كاد يأتى على الثانية حتى كان يلتهمها بعينيه فى نشوة وشراهة .. واستقرت محتويات القدح الثالث فى جوفه فتمتم قائلا دون أن يتم جملته : « لو كان فى إمكانك فقط أيتها الآنسة ديزيريه ... »

ومع فراغ القــدح الرابع كان باتان ممسكا بثوب الفتاة وهو يحاول تقبيلها

وتعددت الـكؤوس ... وا كتملت عشراً ... وحينئـذ أرسل أوبان العجوز ابنته إلى الخارج وراح هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه الساهرين . كان أوبان رجلاً حاذقاً لا تخفى عليه خافية ... فكان يترك ابنته تتنقل برشاقتها لاغراء الزبائن حتى يستزيدوا من خمره؛ تاركا لها مطلق الحرية فى توزيع ابتساماتها الرائعة وإرسال سهام عينيها إلى أفئدة المخمورين، وهو واثق منها كل الثقة دون أى محاولة من جانبـه لا كتشاف سر ذلك البريق الذى كان يشع من عينيها ... البريق الغامض الذى كان ينعكس فى أغوارهما كلما حاولت امتحان عواطفها إزاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزيريه مألوفاً لدى باتان من طول تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو فى موكب صيده ناشراً شباكه فى الميـاه الهادئة أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يتخيلها تومىء إليه فى حلكة الليل الساجى ، أو تحت ضوء القمر الفضى الساهر ... فكان يطيل التفكير فيهـا ... وكم كان يهنأ بذلك التفكير وهو فى جلسته عند مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم وقد راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادىء لذيذ بعد إجهادهم اليومي المرهق ... وفى كل تلك الحالات التى كان يتخيلها فيها ... كان يراها تبتسم إليه وهى ترفع يدها لتملأ كأسه بالرحيق الملون هامسة وهى تتأهب للابتعاد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبـة التى كانت تلح عليـه فى أن يتخذها حليلة له ، وطلب يدها من أبيها

وأجيب باتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً وشباكا ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ... فى حين كان أوبان العجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت معدات الزفاف دون تأخير

وانقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها باتان من الحلم الذى كان يعيش فيــه ، وهو يعجب كيف أنه اعتقد يوماً أن تلك الفتــاة ديزيريه مختلف فى شىء عن غيرها من النساء . وابتدأ ينعت نفسه بالجنون ، ويعيب عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذى

قيدت نفسها به ... القيد الأبدى الذى استسلم إليه تحت تأثير الخمر ... نعم ! لقد كانت الخمر هى السبب فى ذلك الزواج ... الخمر التى كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفتاة قد مزجتها ببعض العقاقير السحرية للايقاع به

ولم يكف بانان عن سب نفسه طوال ذلك الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير حتى ألقى فضلات التبغ المتبقية فى غليونه ؛ وراح ينقل أسماكه الواحدة إثر الأخرى ، وهو يدمدم غاضباً

وعندما بلغ منزله وجد زوجته - ابنة أوبان العجوز - قابعة هناك كعادتها . فلم يحيها بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ... فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد فى غضب زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة إلا فى تلك الليلة التى اعتدى عليها فيها بالضرب

وخلال السنوات العشر التى تعاقبت بعدئذ .. لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن تلك المعاملة القاسية التى كان يتبعها بانان مع زوجته ، لا لشئ إلا لأنه كان موهوبا بالسليقة بلهجة فى سبابه لم يكن هناك فى فيكامب من يضارعه فيها

وعاشت المرأة المسكينة فى جو من الخوف والرعب عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ، عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجعل منها هيكلا هزيلا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين الرياح وهمهمة رياح البحر .. فجلست على فراشها وراحت أفكارها تتجمع فى نقطة واحدة حتى تركزت فى ذكرى زوجها الغائب فى مركبه وسط ذلك البحر الثائر ، وسكن الصوت . . فاستلقت على فراشها ولكنها لم تكد تغمض عينيها حتى هبت فزعة وقد روعها صوت العاصفة ، وقفزت من الفراش ثم هرولت نحو الميناء التى كانت قد امتلأت بجموع النساء وقد حملن فى أيديهن المصابيح ينرن بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين . . وظلوا محدقين فى المياه السوداء الممتدة أمامهم فى جلال وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة وهى ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ، ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة

وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر صائدا قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم أبدا . . وكان بانان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة بانان « أميلى الصفراء » إلى أحضان شاطئ « سان فاليرى » ولكنها لم تظهر اى أثر لجسد بانان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاما للأسماك . . . كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل من المياه وأبحر مع منقذيه إلى حيث يقصدون

وعودت المرأة نفسها أن تحيا حياة الأرملة . . ولكنها إلى جانب ذلك لم تكن تمتنع من استقبال سائل أو مسافر أو بحار داخل مخدعها

وانقضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها

ومالت الشمس إلى المغيب . . وهبت نسمات باردة تنذر باقتراب الليل . . وفزعت الأطيار إلى أوكارها . . فى حين كانت المرأة تسير فى شارع « اليهود » وقد لفت نظرها منزل قبطان عجوز .. كان يقف ببابه « دلال » ينادى على أثاث المنزل لبيعه .. وفى تلك اللحظة كان الرجل ممسكا بقفص قد استقر فيه ببغاء وهو يهتف :

— ثلاثة فرنكات .. طائر يتكلم كرجل القانون . . فقط ثلاثة فرنكات

وغمغمت دزيريه لصديق كان يتأبط ذراعها :

— يجب عليك شراؤه فسيكون لك نعم السمير . إننى واثقة من أن ذلك الطائر يساوى ثلاثين فرنكا ثقى من أنك تستطيع بيعه ثانية بعشرين أو خمسة وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلا :

هيا .. أربعة فرنكات أيها السادة . . أربعة فرنكات . . إنه يستطيع الترتيل ، فياله من أعجوبة نادرة . وأخيرا . . انتقلت ملكية الببغاء وقفصه لدزيريه بعد أن رفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتيما

وغمغمت المرأة قائلة بغضب لما رأت نقطة من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهي تضع له شيئاً من الطعام في حجرتها

— يالله .. لم أكن أعلم أنه جريح

وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر شيئاً من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء

ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد ، حين تعالى إلى أذني مدام باتان صوت واضح جلي يقول :

— ألم تستيقظي بعد أيتها المنكودة ؟

لقد رجع زوجها أخيراً . . فذلك الصوت صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في الصباح . وأحست برعشة تسري في عروقها فدفنت وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف ارتجافاً واضحاً وهي تتمتم قائلة لنفسها :

— يا إله السموات . . لقد رجع ثانية وها هو ذا . . يالله

ومرت بضع دقائق دون أن يعكر صفو السكون الشامل صوت .. فأخرجت رأسها من تحت الوسادة ، كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها يرقبها وهو على أتم استعداد للانهيال عليها بالضرب كما كان في الماضي البعيد .. ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التي ابتدأت تخترق زجاج النافذة ، فهمست قائلة لنفسها :

— لا بد أن يكون مختفياً في مكان ما

وظلت تنتظر .. وطال انتظارها فعاودها بعض هدوئها وغمغمت :

— إنني لم أره ... إذاً ... لا بد أنني كنت أهيم في وادي الأحلام

وأغمضت عينيها مرة أخرى في اللحظة التي ارتفع فيها صوت باتان كالرعد قائلا :

الا زلت نائمة أيتها الملعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فزع المرأة المطيعة التي ظلت أربعة أعوام كاملة وهي ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة..ذكرى العذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه ... وهتفت :

— ها أنا ذي يا باتان .. ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها في دهشة .. ثم أخذت تبحث في كل مكان .. ولكنها لم تجد أحداً . . وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح باتان ترفرف فوق رأسها . . وأخيراً تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام .. لا بد أن يكون مختبئاً هناك في انتظار مفاجأتها . . ثم . . ثم العودة إلى إلى نفس الحياة القاسية التي كانت تحياها من قبل .. ونظرت إلى سقف الغرفة وهي تقول متسائلة

— هل أنت فوق يا باتان ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت في الحجرة الصغيرة لترى . . لتراه . . ولكنها لم تعثر عليه . . فجلست على الأرض وابتدأت تبكي وهي تتمتم . ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول :

— أي جو وأي رياح ..؟ إنني لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إنني هنا يا باتان .. ها أنا ذي في طريقي إليك لإعداد طعامك فلا تغضب .. ها أنا ذي آتية . وهبطت السلم بسرعة فائقة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها

وأحست بضعف مميت يغمرها من رأسها لأخمص قدميها . وفكرت في أن تهرع إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت باتان قائلا :

— إنني لم أتناول طعامي بعد أيتها ال...

كان الببغاء في قفصه يتابع كلماته ، وهو يحدق فيها بعينين كجمرتين

ونظرت إليه والدهشة تغمرها ثم تمتمت :

— إذا ... إنه أنت . وتكلم الببغاء ثانية وهو يحرك رأسه انتظري .. انتظري قليلا .. فسألقي عليك درساً لتكوني أشد كسلا منك الآن

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بعث مرة أخرى . . بعث حياً في هيئة ذلك الببغاء

إذا... سيعود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان فى الماضى.. وسوف لا يمر يوم بهدوء . . وجيرانها ... سيعودون حتما للهزء بها والسخرية منها

وأسرعت المرأة نحو القفص ففتحته وأخرجت الطائر الذى راح بدافع عن نفسه بمخالبه فيدمى يديها . . ولكنها لم تعبأ به . . وتهالكت فوقه على أرض الغرفة . . وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته

لم يعد يتحرك ، لم يعد يتكلم . ولكنه كان مستكينا استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرتجفة ووضعتها مع الجسد المسجي على الأرض فى لفافة صغيرة ... ثم هرولت إلى الخارج عارية القدمين . . وقذفت بالحزمة الحاوية لا . . . لاشئ الميت فى مياه البحر الهادئة . . . فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء

وعادت إلى حجرتها فركعت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت . . وراحت تبكى

كانت تشعر أنها ارتكبت إثما . . إثما هائلا كأكبر الجنايات وحشية . . فابتدأت تدعو الله أن يغفر لها !

ع . ج

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

ليسكن في علم الجمهور أنه طبقاً لنصوص عقد الاشتراك لا يجوز استعمال التليفون لغير المشترك ومستخدميه وعائلته إلا إذا حصل على تصريح كتابي من المصلحة وعليه أن يلصق في مكان ظاهر صورة من هذا التصريح بجوار العدة التليفونية لاطلاع من يهمه الاطلاع عليه من الجمهور ومندوبي المصلحة

فالرجاء ممن يرغبون من حضرات المشتركين الحصول على التصريح المشار إليه أن يتقدم للمصلحة بطلب كتابي للنظر في أمر أعطائه التصريح الخاص باستعمال التليفون للجمهور حتى لا تضطر المصلحة لتطبيق نص البندين ١٦ و ١٩ من عقد الاشتراك

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٩ — ٢ ابريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الشعوب الإسلامية تزحف	: للأستاذ سيد قطب	٣٧٧
فى تاريخ الأدب التركى ...	: « عطا الله ترزى باشى	٣٧٩
كلمة تقال	: « محمود محمد شاكر	٣٨٣
الكونيات والعلوم الحديثة فى شعر الرصافى	« خالص عزمى	٣٨٤
الباكستان	: « أبو الفتوح عطيفة	٣٨٦
السرطان والعلم	: عن (مجلة باريس متش الفرنسية)	٣٨٩
موكب آذار ... (قصيدة)	: للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى	٣٩٣
الشاعر ... ... (قصيدة)	: « أحمد أحمد العجمى	٣٩٣
نداء بعيد ... (قصيدة)	: « شفيق معلوف	٣٩٤

(الأدب والفن فى أسبوع) — احتفال المجمع باعلان نتيجة المسابقة الأدبية — الكوميديا الإلهية — مظاهر أبهة وحقوق مضيعة ٣٩٥

(رسالة النقد) — بطلة كربلاء — للدكتورة بنت الشاطىء — للأستاذ محمد رجب البيومى ٣٩٨

(المسرح والسينما) — (كسبنا البريمو) و (طبيب رغم أنفه) — ٤٠١

(القصص) — الشيطان والعجوز — عن الكاتب التشكوسلوفاكى جى . راب — للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان ... ٤٠٣

(البريد الأدبى) — آن للأزهر أن ينهض — الوتد الثاقب — رأسا ٤٠٥

20 me. année No 979
Le Caire 7 — 4 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٣٧١ — ٧ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الشعوب الاسلامية تزحف...

للاستاذ سيد قطب

أشد ما أفلح فيه الاستعمار فى بلاد العالم الإسلامى ، هو خلق تلك الطائفة من « الببغاوات » التى تردد أسطورة فصل الدولة عن الدين ، وإبعاد الدين عن الوطنية !

لقد أمن الاستعمار واطمأن منذ أن أطلق هذه الأسطورة فى أوساط المسلمين ، وتركها تمزق وحدتهم ، وتفرق كتلتهم ، وتفقدهم الراية التى يفيئون إليها ، فيحسون بتذاوب المنصريات وانمحاء الفوارق ، والاندماج بعضهم فى بعض ، قوة واحدة تقف متكتلة فى وجه الاستعمار

ولكن إفلاح الاستعمار فى هذه الدسيسة لم يكن ليستمر طويلا ؛ فلقد انبعثت روح الإسلام من جديد فى كل مكان ، تتفاوت قوة وضعفا حسب العوامل المحلية المختلفة فى كل قطر من أقطار المسلمين . ومتى ما انبعثت روح الإسلام الحقيقية ، فلابد أن تصاحبها الدعوة إلى التكتل الإسلامى ، فهذا التكتل جزء أصيل من العقيدة الإسلامية ، ودفعة طبيعية من دفعات الإسلام ، ولامحيص إن عاجلا أو آجلا من أن تزحف الدعوات المتواكبة المتجاوبة ، ليلتقى بعضها ببعض فى صورة من الصور ؛

ولا مفر من أن تنتهى إلى غايتها الطبيعية ، فتبرز الكتلة الإسلامية ، برغم المعوقات والصعاب ، وبرغم الببغاوات التى خلقها الاستعمار فى كل قطر ، لتهتف بأسطورة الدولة والدين ، والسياسة والدين ، والوطنية والدين

وما يقلق بال الاستعمار دعوة على ظهر الأرض كما تقلقه مثل هذه الدعوة . وما تقض مضجعه صيحة كهذه الصيحة . فالاستعمار لا يعيش اليوم إلا فى الوطن الإسلامى . لقد تقلص ظله فى كل مكان ، فلم يبق إلا فى عالم الإسلام . والدعوة إلى التكتل الإسلامى معناها الدعوة إلى طرد الاستعمار من الركن الباقى له فى هذه الأرض . والهتاف باسم الإسلام معناه الصراخ فى وجه الاستعمار والطغيان . ومعناه التهديد المطلق للاستعمار والطغيان .

ودون هذا ويحرك الاستعمار أبواقه وببغاواته ، ودون هذا ويبذر الاستعمار دسائسه ومؤامراته . ودون هذا وتنطلق صيحات الخطر فى كل مكان ، من خلط الدين بالسياسة ، وخلط الوطنية بالدين !

نشرت جريدة المصرى منذ أسبوعين تعقيبا لجريدة بومباى كرونكل الهندية جاء فيه :

« بومباى فى ١٤ — لمراسل المصرى — عقبت جريدة « بومباى كرونكل » على الدعوة التى تأتى من باكستان بضم جميع الدول الإسلامية فى الشرقين الأدنى والأوسط بما فيها

أفغانستان وباكستان فى نوع من الاتحاد الإسلامى العام، فقالت: إن هذه الحركة فشلت لأن الدول التى يهمها الأمر تشعر بإحساس عميق ورغبة أكيدة فى الاحتفاظ بذاتها، مفضلة ذلك على الموافقة على السير فى طريق ثانوى تابعة لغيرها

ومضت الجريدة تقول: وإن هذه الدول جميعا تحس بالخطر من خلط الوطنية بالدين، ولهذا السبب تتضح لنا الحقيقة البارزة فى سياسات الشرق الأوسط من أن دولة رفضت، فرادى وجماعات أن تسمح لرياستها الكائنة فى القاهرة بأن تصطبغ بصبغة دينية، وأصرت على تسميتها بجامعة الدول العربية، كما أنها كانت حكيمة برفضها فكرة الجامعة الإسلامية لأن نتائجها فى غاية الخطورة حقا، فكل تكتل على أساس دينى كفيل بإثارة الحزازات الداخلية لاختلاف المشاعر الوطنية والعنصرية، وتنوع المصالح والآمال، أما فى الخارج فسوف تخلق رد فعل مفعما بالشك والعداء مع بقية أنحاء العالم، قد يفضى إلى نتائج ضارة بالجامعة الإسلامية ذاتها

وقد أثنت الجريدة على سياسة تركيا العلمانية قائلة: إنها ذات قيمة كبرى لأنها تقدم دليلا لا ينقض على حكمة زعماء الهند الذين جعلوا بلادهم دولة علمانية، ومن جهة أخرى نرى أن تمسك تركيا بمثلها العليا العلمانية التى ارتضتها لنفسها، يعد ذا فائدة كبرى لدول الشرق الأوسط »

وما كان تعليق جريدة بومباى كرونكل وان يكون إلا نموذجا من نماذج حركة التخويف التى يزاولها كل صاحب مصلحة فى استعمار بضعة من الوطن الإسلامى والهند تزاول لونا من الاعتداء على كشمير، فتلتقى مصلحتها مع مصلحة الاستعمار فى عزل باكستان عن العالم الاسلامى، وفى تخويف العالم الاسلامى من نتائج الدعوة الباكستانية إلى التكتل الاسلامى

إن أسطورة أن الدين شئ والوطنية أو السياسة شئ آخر، هى أسطورة نشأت فى عوالم أخرى غير العالم الاسلامى. وإلا فالاسلام لا يعرف هذه التفرقة المصطنعة. الاسلام يعرف أنه عقيدة فى الضمير وشريعة للحياة. شريعة للحياة بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية. ليس هنالك شئ يقال له الدين وشئ آخر يقال له السياسة، وشئ ثالث يقال له الحكم، وشئ رابع يقال له الاقتصاد، وشئ خامس يقال له الاجتماع

إن هذه التفرقة مضحكة فى نظر الاسلام، ومضحكة فى نظر المسلمين الذين يعرفون أبسط قواعد الدين

إما أن يكون الانسان مسلما أو غير مسلم. فأما إن يكون مسلما فشريعة الاسلام هى التى تحكم حياته إذا تفرد فى عباداته ومعاملاته، وتحكم حياة الجماعة التى يعيش فيها من ناحية الحكم وناحية الاقتصاد وناحية الاجتماع، وتحكم حياة الدولة التى يخضع لها من ناحية علاقاتها الدولية، وصلاتها بالعالم الخارجى كله.. وإما أن يكون غير مسلم فيدع لأى قانون آخر غير الشريعة الاسلامية أن تصرف حياته فى كل هذه النواحى..

وليس هنالك حل وسط، فالاسلام لا يعرف أنصاف الحلول

ولجريدة بومباى كرونكل أن تتحدث عن الخطر من خلط الوطنية بالدين؛ فالدين يكون خطرا حقا على الحياة حينما يكون كالهندوكية التى تسترق الملايين من البشر فى مرتبة أقل من مرتبة الحيوان فى صورة منبوذين، أو حينما يكون كاليهودية التى يعتقد أتباعها أنهم شعب الله المختار، وأن كل من عداهم من البشر لا حرمة له ولا حق فى رعاية، وقالوا: « ليس علينا فى الأميين سبيل » فلهم أن يسرقوا مال البشرية كلها، ولهم أن ينكلوا بالبشرية كلها، وضميرهم الدينى مستريح!

فأما حين يكون الدين هو الاسلام، فلاشئ من الخطر بل هو الخير للبشرية جميعا، خير العدالة الاجتماعية التى يكفلها هذا الدين كما لم يكفلها نظام آخر من النظم التى تعرفها البشرية. وخير التضامن العالمى، والسلام الدولى، كما لم يكفله قانون دولى ولا منظمة جماعية

لقد سبق الاسلام هيئة الأمم المتحدة بأربعة عشر قرنا فى إيجاد معاهدات دولية للسلام يجتمع إليها أصحاب الديانات جميعا فى عهده، بل تنضم إليها بعض المشركين!

ولقد سبق الاسلام الشيوعية بأربعة عشر قرنا فى دعوته إلى الوطن الواحد الذى يقوم على نظام اجتماعى معين، وعلى فكرة إنسانية معينة، تذوب فيها القوميات والجنسيات جميعا ولكن الاستعمار يفزع ويرجف من هذا التكتل الاسلامى،

في تاريخ الأدب التركي

للأستاذ عطا الله ترزي باشي المحامي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

قلنا في سياق الكلام عن التصوف أن القرن الثالث عشر الميلادي يعدمطلع نبوغ المتصوفة الأتراك، وذلك لسببين: أحدهما الرغبة الشديدة التي كان السلاجقة الأتراك يبدونها للمتصوفين ورجال الدين، وثانيهما هجرة المتصوفين إلى بلادالأناضول، وذلك من جراء الغزوات التي كانت تشنها المغول في الشرق. فسكن هؤلاء في الأناضول، وشرعوا يؤسسون الطرائق الدينية.

وكان مؤسس الطريقة يدعى (بير) أو الشيخ، وهو يعد زعيم طريقته وحامل لوائها. ويخلفه من بعده شيخ آخر بإجازته. وأما الذين كانوا يسلكون تلك الطرائق ويتبعون الشيوخ فكانوا يُدعون بـ(الدراويش). والمكان الذي فيه يقيمون الشعائر الدينية والطقوس والعبادات المختلفة، يسمى (التكية)، وتوسعت هذه التكايا بمر الأيام وكر الأعوام فتأسست لها فروع واجتمع حولها أهل التصوف ينقرون الدفوف ويضربون الطبول وينفخون في الزمار. فيطربهم النغمات المنطلقة من قلوب ملؤها الحب والهوى، فيرقصون برقصات الدروشة المعروفة ويتغنون بالأشعار الصوفية التي ينظمها شعراؤهم البارزون. ولهذا كنا نرى الشعراء يتبارون في نظم المقطعات الشعرية التي تلائم هذه الحياة الموسيقية، تلك المنظومات الموزونة بأوزان تركية خاصة(١) وإن كان قد شاع بينهم العروض.

ويلاحظ في هذا العصر أن الأدب التركي تأثر كثيراً بالأدب الفارسي، كما أن هذا الأخير تأثر بالأول من بعض الوجوه، وذلك بسبب الاختلاط الذي حدث حينذاك بين العناصر الإسلامية المختلفة. فنرى كثيراً من شعراء الترك، وبالأخص المتصوفه منهم، ينظمون الشعر باللغة الفارسية أو أنهم يقتبسون القواعد الشعرية الفارسية وأساليبها، أو يستعملون ألفاظاً فارسية في أشعارهم. ولا ننس بعض الشعراء ممن نسوا لغتهم الأصلية أو هجروها في الأدب. وكذلك نجد شعراء كثيرين من الفرس برعوا في التفنن بالأدب التركي. وهكذا فإن الحياة الاجتماعية في ذلك العصر كانت حياة متداخلة امتزجت بها الشعوب الشرقية تحت لواء الدين، فنتج من اتحاد هذه العناصر عنصر أدبي متماسك في الروح والجوهر، وإن كان متبايناً في اللون والمظهر.

دور الأدب التركي فيما قبل العهد العثماني :

ويشمل هذا الدور عهد الدولة الغزنوية (سنة ٩٦٢ م —

(١) وهي التي تعتمد على المقاطع الصوتية فيتكون كل بيت في الشعر من عدد من المقاطع المتشابهة. ولها أنواع مختلفة مثل ٤ + ٤ و ٥ + ٣ و ٤ + ٤ + ٣ و ٦ + ٥ والخ ...

كذلك تخشاه الكتلة الشيوعية بدورها، لأنه يقف في وجهها سدا

فأما تركيا التي ضربتها جريدة بومباي كرونكل مثلا، فما أقدمت دولة على حماقة مؤذية كالتي أقدمت عليها تركيا.. لقد كانت في أضعف أيام الخلافة الوهمية الاسمية يحسب لها حساب. فأما اليوم فقد انتهت إلى أن تصبح ذيلا صغيرا حقيرا للكتلة الغربية، ترتجف فرقا وفزعا من الكتلة الشرقية، فلا هي كسبت الكرامة، ولا هي كسبت السلامة !

إن عجلة الزمن تسير، ولابد أن تطحن تلك العقبات التي يقيمها الاستعمار أو تقيمها الشيوعية في وجه الكتلة الاسلامية. وستذوب الأفكار المضادة، والشخصيات المضادة، والحكومات المضادة. وسيلتقي المسلمون يوما تحت راية الاسلام، لا مصري ولا سوري ولا لبناني ولا عراقي ولا حجازي ولا نجدي، ولا أردني ولا يمني ولا مراكشي ولا جزائري، ولا طرابلسي ولا إيراني، ولا تركي، ولا أفغانستاني ولا باكستاني ولا أندونيسي.. ولكن مسلمون، ومسلمون فقط.. إن الشعوب الاسلامية تزحف، ولن تقف عقبة واحدة في الطريق، يوم يلتقي زحف هذه الشعوب

سيد قطب

١١٨٣م) والدولة القاراخانية (٩٣٢ — ١٢١٢ م) والدولة السلجوقية (من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادى) وعهد المغول (من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادى) (١)

وتميزت هذه العهود بتحسن الوضع الاجتماعى للأتراك تحسناً كبيراً ؛ فبسطوا سلطانهم فى داخل البلاد الإسلامية وكونوا لهم مركزاً ممتازاً بين المسلمين . وقد زاد اتصالهم بالعرب فى هذه العهود ، وقويت العلائق بينهم وبين الفرس والهنود ، فنشأت علاقات ثقافية وثيقة كان لها من الأثر ما كان

إن الآثار الأدبية التى انتشرت فى هذه العهود ، والتى انتقلت إلينا على علاتها إنما مصدرها عهد الدولة الغزنوية . وقد تأسست هذه الدولة فى بلاد الأفغان ومناطق البنجاب من الهند . وتوسعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوج عظمتها فى عهد السلطان محمود الغزنوى الذى كان يعطف على الشعراء والأدباء ويشجع الثقافة فى البلاد

فقد ظهر فى هذا العهد كتاب وعلماء مشهورون ، وكان جل اهتمامهم بالفارسية . وظهر كذلك فى هذا العصر بعض الآثار العربية . أما الآثار التركية التى عنى بها رجال الفكر التركى فهى قليلة جدا . ولقد انتقلت إلينا من عهد القاراخانيين مؤلفات أدبية قيمة ، وكذلك آثار نفيسة من عهد السلاجقة ، يستدل منها على أن الأدب التركى فى هذا الدور كان فى عنفوان تكامله

ومن الآثار التى يصادف تاريخها هذه العهود كتاب « قورانفو بيليك » الذى كتبه الأديب التركى (يوسف خاص حاجب) (٢) فى سنة ٤٦٢ هـ بمدينة كاشغر ، وقدمه إلى الأمير القاراخانى (تابغاج قره بغراخان) فنصبه هذا حاجباً خاصا فى قصره ، ومن هنا سمى بهذا اللقب . ويتضمن كتابه أشعاراً أخلاقية نظمها بلغة تركية خالصة يندر فيها العثور على ألفاظ أعجمية . فهى بهذا الاعتبار أشعار لها قيمتها العظيمة فى الأدب واللغة التركية من حيث الإفادة فى استعمال كثير من الكلمات التركية المهجورة فى الكتابة الحديثة

ويوجد من هذا الأثر ثلاث نسخ خطية ، وجد إحداها المؤرخ المعروف (هامر) فى استانبول ، وكانت مكتوبة بالخط التركى القديم (الأويغورى) فأرسلها إلى مكتبة فيانة حيث حققها المستشرقون هناك ونشروها مراراً . ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى سنة ١٤٣٩ م . أما الثانية فوجدت فى مدينة (فرغانة) وكانت مدونة بالحروف التركية العربية . أما النسخة الثالثة فإنها محفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة

وكتاب « عيبة الحقائق » الذى ألفه الشاعر أحمد بن محمود فى القرن الثالث عشر الميلادى باللهجة التركية الكاشغرية . وهو مجموعة منظومات فى النصح والإرشاد . وقد وجد النسخة الخطية الأولى منها الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات الشرقية فى دار الفنون باستانبول ، فى مكتبة أيا صوفيا . وكانت مكتوبة بالحروف التركية القديمة (الأويغورية) وبالحروف التركية العثمانية (العربية) . فتمكن من تحقيقهما ونشرها فى سنه ١٩١٨ (٣)

وكتاب « ديوان لغات الترك » وهو يعد بمثابة معجم ، كتبه محمود حسين الكاشغرى سنة ٤٧٠ هـ ببغداد ليكون مرشدا للمتعلمين ، وكان هذا المؤلف يحذق اللغة العربية بقدر ما يجيد لغته التركية ، وقد سكن فى بغداد مدة خمس سنوات (بين سنة ١٠٧٢ م وسنة ١٠٧٧ م) فى الوقت الذى كانت البلاد العراقية تحت حكم السلاجقة ، فأهدى كتابه هذا إلى الخليفة العباسى المقتدى بالله (٤) وهو أثر قيم يماثل دوائر المعارف فى هذا العصر ، فقد اشتمل على خمسمائة وسبعة آلاف مادة فى اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية ، وهو يصور الحياة الاجتماعية والأدبية فى ذلك العصر خير تصوير ، وقد استفاد منه الأتراك فى الوقت الحاضر استفادة كلية فى استنباط الحقائق التاريخية

---

(١) ولتاريخ هذه الدول راجع الدكتور رضا نور فى كتابه (تاريخ الترك)

(٢) لا نعرف من حياة هذا العالم إلا شيئاً قليلا . وقد قيل إنه كان من طلاب الفيلسوف ابن سينا وذلك لتشابه أفكارهما فى الإنتاج العقلى .

(٣) أنظر الأستاذ حسن عالى وجماعته فى كتاب (نماذج من الأدب التركى) ص ٢٧

(٤) نهاد سامى : المرجع السالف الذكر ص ٧٦

والأدبية ، واستخراج المواد اللغوية التي استعاضوا بها من الألفاظ العربية والفارسية

وقد وجدت نسخته الخطية في استانبول فحققها العلم رفعت الكليسي ونشرتها وزارة المعارف التركية في ثلاث مجلدات، ثم قام بطبعها ثانية مؤتمر اللغة التركية بإشراف الأستاذ بسيم آتالاى

مشاهير الشعراء في هذا الدور :

وأول من يتبادر إلى الذهن الشاعر الصوفي الشهير « أحمد يسوى » مؤسس الطريقة اليسوية في تركستان ، ولد في مدينة « سايرام » من بلاد تركستان ، ودرس العلوم على الشيخ يوسف الهمداني في مدينة بخارى ، ثم عاد إلى مدينة « يسة » حيث أسس أول تكية تركية في التاريخ هناك ، وتوفي سنة ٥٦٢ هـ أما تاريخ مولده فغير معروف ، ويذهب « مليورانسكي » إلى أنه توفي بالغاً من العمر ستة وثلاثين سنة، مستدلا على ذلك من بعض أشعاره(٥)

لقد كان هذا الشاعر من عظماء المتصوفة في وقته، واشتهر كزعيم ديني كبير ومرشد وولي كامل ، فكانت الجماعات الغفيرة تلتف حوله يأملون منه الالطاف وينالون الدعاء .. وكان لأدبه أثر عميق في النفوس . وعرف ديوانه الشعري بين الناس بديوان الحكمة لما كان يتضمن من الحكم البالغة والمواعظ الحسنة والأمثال

الخوجه دهاني

وقد عرفه إلى عالم الأدب لأول مرة الأستاذ فؤاد كوبريلي، إذ كان هذا الشاعر غير معروف في الأوساط الأدبية حتى تمكن الأستاذ كوبريلي من العثور على بعض الوثائق التاريخية في جوامع المكتبات . وتمكن بعد ذلك من التعمق في البحث حتى حصل على كثير من المعلومات حوله ، فنشرها في بعض المجلات

(٥) دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١ مادة (أحمد يسوى)

التركية (٦) ويتضح من تلك الدراسات أنه كان خراساني المولد وأناضولي النشأة ، حيث أدرك عصر الأمير علاء الدين كيقباد ، وعاشر هذا الأمير مدة من الزمن ، مدحه في بعض قصائده. وهو يعد أول شاعر تركي جمع ديواناً مرتباً على الحروف الهجائية، إذ لا نعرف شاعراً تركيا آخر سبقه في هذا الخصوص

جلال الدين الرومي :

ولد في ٣٠ / ايلول / ١٢٠٧ م (٦٠٤هـ) في مدينة (بلخ) وتوفي سنة ٦٧٢ هـ في ولاية (قونية) التركية . وكان والده (بهاء الدين ولد) الملقب بسلطان العلماء ؛ من خيرة رجال العلم والأدب ، وزعيم الطبقة المنورة في زمانه . رحل هذا العالم ومعه ابنه جلال الدين إلى الديار الحجازية.. ومن ثم رجع إلى مدينة (قونية) حيث استقر فيها . ولقي أثناء إقامته هناك حظوة عند الأمير السلجوقي علاء الدين كيقباد

توفي الشيخ بهاء الدين سنة ٦٢٨ هـ وكان قد لقن ولده العلوم الظاهرية . ورأى جلال الدين بعد وفاة أبيه أن يسعى لإكمال دراسته وإتمام ثقافته ، فاتصل بالسيد برهان الدين الترمذي — من تلامذة والده — فدرس عليه العلوم الباطنية ، وقد نال إعجابه . فما كان من السيد الترمذي إلا أن جعله (مريداً) له

وتعد سنة ١٢٤٤ م بداية عهد جديد في حياة جلال الدين الرومي ، فقد التقى بالشيخ شمس الدين التبريزي المتصوف المعروف، فانصرف معه إلى الحياة التصوفية . وبدأ منذ ذلك اليوم . ينظم القصائد الجياد في الشعر التصوفي حتى غدا شاعرا يشار إليه بالبنان، وقد خلف مؤلفات قيمة ترجمت إلى لغات كثيرة، نذكر منها « الديوان الكبير » الذي اشتمل على منظومات رباعية بديعة وأشعار رقيقة في الغزل . و « المثنوي » وقد حاز إعجاب الجمهور، ونال استحسان الأندية الثقافية. فأقدم العلماء على درسه وترجمته إلى لغات مختلفة . ويتضمن هذا الكتاب قصصاً وروايات رمزية ، ونصائح وإرشادات دينية قيمة . ويحتوي كذلك على شرح المذهب الصوفي في محبة الله ...

وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي بديع تجلى فيه الأدب

(٦) منها مجلة « حياة » العدد ١ و١٠٣

الرفيع بأبهى جماله . وكان جلال الدين قد نظم أشعاره باللغة الفارسية باستثناء بعض المقطعات التركية (٧) وهو مع ذلك لاينفي كونه تركيا خالصاً إذ يقول :

« أصلم تورك‌ست ا كرجه هندو كويم »

بمعنى : أنني من الأصل التركي وإن اخترت الفارسية لغة

وهو يعد بحق مؤسس الطريقة الجلالية التي سميت فيما بعد بالطريقة المولوية . وتوسعت هذه الطريقة على يد ولده النجيب الموسوم بـ (سلطان ولد) (٨) الذي تمكن من نشر لوائها فوق سماء البلاد النائية ، فتفرعت الطريقـــة إلى فروع تغلغلت جذورها في داخل الأقطار العراقية والسورية والمصرية، وانتشرت مبادئها كذلك في بلاد آذربيجان الشمالية

ولهذه الطريقة أثر عظيم في سير الأدب التركي . فقد أخذ الشعراء الأتراك يتقربون إلى شيوخها ويعتنقون تقاليد الطريقة وشعائرها المعروفة، فظهر لون من الأدب ينبغي تسميتـه بالأدب المولوي الذي أصبح فيما بعد يسمى بأدب التكايا ، وذلك نتيجة تنوع الطرائق الصوفية وانتشارها في طول البلاد وعرضها

هذه نبذة مختصرة عن حياة الشاعر جلال الدين الرومي وعن أثره في الأدب التركي . وهنـاك شعراء كثيرون ممن عاشوا في هذه العهود أمثال الخوارزمي والخجندي وسليمان باقر ومير حيدر ولطفي وأميري وحسين بايقرا وعلي شيرنوائي والقاضي برهان الدين وضرير الأرضرومي وحبيبي وخطائي وغيرهم من شـــعراء الترك (٩) ، إن أردنا الاستفاضة في دراستهم في هذا المقام لطال بنا المقال ، وخرج عما سميناه بالنظرات ولذا راعينا جانب الاختصار وتجانبنا التفصيل...

وهنا نـكون قد أعطينا للقارئ صورة مختصرة للأدوار التاريخية التي مر بها الأدب التركي منذ نشأته حتى أوائل العهـد العثماني . وقد رأينا فيها أن الأدب التركي في هذه الفترات كان يكتنفه شيء من الغموض، بحيث يتعذر معه الوصول إلى كشف خفاياه وإظهار مجاهله ، وذلك لافتقارنا الشـديد إلى المصادر التاريخية القديمة التي ترشدنا إلى معالم هذا الأدب في عصوره المظلمة .

ورأينا في هذا المقال أننا كلما تدرجنا في الموضوع تدرجاً زمنيا وجدنا أن الأدب التركي يزداد وضوحاً في العصور الأخيرة وسنرى في دراساتنا القادمة ، إن سمح لنا الوقت، أن الأدب التركي أصبح موضوعه أمرا ملموساً له حدود ثابتة وأدوار تاريخية معينة . .

كركوك (العراق) **عطاالله رزي باشي**

(٧) وقد جمع هذه المقطعات البروفيسور التركي محمد شرف الدين ونشرها في مجلة « توركيات »

(٨) وهو شاعر كوالده مطبوع له أشعار رائعة في اللغتين الفارسية والتركية

(٩) انظر فؤاد كوبريلي في مجلة « يكي تورك » العدد ٤ ص ٢٧٦

كلمة تقال ...!!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أخي الأستاذ علي الطنطاوي

سلام عليك . يقال في المثل : « كرها تركب الإبل السفر » وقد استطعت أنت أن تكره القلم إلى ما أردت أن أنزهه عنه . فلولا ما أضمرت من قديم المودة لك، ولولا ما عرفت من صدقك، ولولا أنني أجلك عن أن تكون مجولا إلى غير صواب ، ولولا أني أكره أن تأخذ عني شيئاً لم أقله بلساني ، لولا ذلك كله ، لكان أبغض شيء إلى أن أستكره نفسي على غير ما رأيت أنه أجل بي وأصون . وإنك لتعلم ، أيها الصديق القديم ، أني أكره أن أزداد من الشر ، أو أن أتزود من لجاجة الباطل ، والكتابة في زماننا هذا شر مستحكم ، وباطل لجوج متوقح . وقد اقتحم وعرها من لا يحسن المشي في سهولها ، وتشهاها من لو أنصف نفسه لحال بينها وبين ما تشتهي ، واتخذها صناعة من لو عقل لأعفى نفسه من مزاولتها . ولكن هكذا كان ، ورحم الله الطائي إذ يقول لمحمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر ، إن الجهالة أمها	ولود ، وأم العلم جذاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم	شعوب تلاقت دوننا وقبائل
غدوا ، وكأن الجهل يجمعهم به	أب ، وذوو الآداب فيهم نواقل

وأنت تعلم أن من أنصب النصب ، أن تتصدى لإفهام من لا يفهم عنك ، فإذا بلغ الأمر أن تراه يتعصب لجهالك ، فاذكر قول من قال : إذا أردت أن تفحم عالماً فأحضره جاهلا . وقد لقيت أنا من شر ذلك ما لقيت ، فآثرت أن أسلك سبيلي لا يشغلني عنه متعلق بأذيالي ، إرادة أن يصرفني عن الوجه الذي أردت

ولقد قرأت كلمتك في الرسالة ، فأسفت أشد الأسف ، لأني عرفت منها أنك لم تقرأ ما كتبته في مجلة « المسلمون » في أربعة أعداد منها . ولو كنت قرأتها لما كتبت ما كتبت، لأني لا أشك في ذكائك وحسن فهمك . فأنا لم أتعرض في شيء منها لبني أمية أو بني العباس ، ولا لحكمهم ، ولا لسياستهم ؛ فعجبت أشد العجب كيف يمكن أن تكون معي أو علي في أمر لم أقل فيه كلمة، ولا يعلم أحد ممن كتب رأيي فيه ، ولا كيف أقول إذا أنا تعرضت للبيان عنه ؟ فمن أجل ذلك عجبت ، لأنك لم تنصف على عادتك من الإنصاف

وأنا محدثك باختصار عن هذا الذي كتبته . أصل ذلك كله أني رأيت من كتب من المحدثين في شأن تاريخ الماضين من أسلافنا ، يكتب أو يتحدث بأسلوب أقل ما يقال فيه أنه مشوب بالحماقة الشديدة ، مختلط بالجهالة المتراكبة ، في معرفة أصول التاريخ ، مغموس في حمأة من الافتراء والتطاول ، مستنقع في أهواء سيئة رديئة . وزعمت أن للناس أدبا وأسلوبا في كتابة التاريخ ، وأن للمسلمين خاصة أدب وأسلوب في التاريخ ينبع من أصل دينهم ، في العدل ، وفي حسن النظر ، وفي الأناة في طلب الحق ، وفي كف اللسان عن التهجم بالقول السيء على عباد الله بلا بينة ، وفي التناهي عن اقتفاء المرء ما ليس له به علم ، وفي التثبت من الأخبار قبل تصديقها . وهو أدب كما تعلم كان قديما في كتبنا ، ولكن حضارة هذا القرن قد نشرت وباء شديد الفتك ، ذهب بأكثر هذا الأدب ، وأخذت في طريق أضرب المثل على هذا بكاتب رأيته لم يتورع عن سلب الناس دينهم ، ولم يخش الله في نفي الإسلام عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي تصوير أعمالهم بصورة أعمال المنافقين، وفي أخذ الروايات الباطلة وجعلها دليلا على الغميزة في إيمانهم ، وفي رد الروايات الثابتة الصادقة بروايات كاذبة ادعاها مدع من الرافضة، إلى غير ذلك مما سأبينه فيما أكتب في مجلة «المسلمون» وزعمت أن هذا ليس ديدن هذا الكاتب وحده ، بل صار ديدنا لأكثر من يكتب الآن في شيء من تاريخ هذه الأمة المسلمة ، حتى صار الطعن في صحابة رسول الله أمراً مرتكبا بلا حذر

وما دمت لم أزد في كلامي على هذا ، فلست أدري بعد ما الذي يحملك على أن تخذلني أو تنصرني في أمر لم أنطق بعد فيه بكلمة! نعم ! قد يكون رأيي فيما أبديت أنت فيه رأيك ، مخالفا لك ، ولكني لم أتكلم بعد فتعرف حجتي فيه . بل لعلي إذا كنت لك

مخالفا ، ثم عرضت عليك خـلافى لك ، أن تكون أسرع إلى موافقتى منك إلى الخلاف على، حين ترى فيما أقول صوابا يرضيك. أليس هذا جائزا ، وممكنا أيضا ؟ فإذا رأيتنى بلغت فى سياق مقالاتى فى « المسلمون » إلى ذكر دول الإسلام ، فعندئذ فقل، فأنا أقبل منك ما تقول . واعلم أنى لا آنف أن أصير إلى الحق إذا عرفته . ولقد عشت على هذه الأرض زمانا طويلا ، واعتقدت منذ عقلت آراء كثيرة ، ثم تبين لى أن الحق فى خلافها ، فرجعت عنها جملة ، ولم أبال بما كنت أرى . ولعلك أنت خاصة تعلم من ذلك مالا يعلمه غيرك

وأنا أحب أن ترجع إلى ما كتبته فى مجـلة « المسلمون » ولا تأخذ كلام أهل اللجاجة، فإنهم أوهموك، فيما أظن، أنى قلت شيئا ، والحقيقة أنى لم أقل بعد فيما تناولته أنت شيئا ، وأنا أعيذك أن تتورط فى هذا الشر الذى نجاهد جميعا فى دفع الناس عنه ؛ وهو أخذ الأقوال بلا بينة ، وبلا حجة ، وبلا برهان . ولك منى تحية كنت أحب أن تبلغك ، على غير هذه الراحلة المـكرهة على ارتكاب طريق دنسته الأقدام ، والسلام

محمود محمد شاكر

الكونيات والعلوم الحديثة في شعر الرصافي

بمناسبة الذكرى السابعة على وفاته

للاستاذ خالص عزمى

الرصافى — الذى نحيى ذكراه — ثورة من ثورات الفكر المجدد ، وداعية من دعاة النهضة العلمية الحديثة ، فضلا عن كونه أميراً من أمراء الشعر ، أطلق لفكره العنان فى مواضع التفكير الصائب ، ذلك التفـكير الذى تنطلق منه حينا تأملات الذهن الباحثة عن شتى العلوم والفنون

كان الرصافى — رحمه الله — يبعث بصره (فى كثير من الأحيان) جوالا فى السماء ، فى ذلك الـكون الشاسع ، فى ضياء الشمس نهـارا ، وإلى كواكب السماء ، إلى البدر المنير ليـلا ، فيصور بريشة الإحساس المرهف ، ريشة الفنان الملهم ، صورا رفيعة المغزى ، تقترب من الحقائق شـيئا كثيرا ، معتمدة ، على فكر ثاقب ، وتطلع متزن ، ثم على إجهاد فى البحث ، والتتبع المستمر لآراء كبار الـكتاب والمفكرين ، فيصل بكل ذلك إلى كبد الحقيقة، ولا ينتهى منها شيئا حتى يبدأ بسلسلة من الأفكار الجديدة، شأن كل شاعر حر ومفكر مبدع

يجلس الرصافى ليلته بأفكار مجنحة ، ونفس هادئة ، وفكر مستقر ، يرسـل بصره فى تلك الصفحة التى تضيئها أنوار النجوم الزواهر ، والمجموعات النورية ، فتحولهـا قطعة كبيرة لا تدركها الأبصار ، شـاعرية التكوين والتشـكيل ، لا يمكن وصفها على حقيقتها إلا من شاعر ملهم ، كالرصافى ... قلنا يجلس ليلته ، فلا يكاد يستقر بصره حينا حتى تثور شـاعريته فيقول ويستمر فى القول حتى ينتهى به المطاف إلى تكوين قصيدة مسبوكة الحواشى يحار لتكوينها الفكر ، كما حدث فى قصيدته الرائعة (تجاه اللانهاية) حيث يقول : —

فى فضاء لو سـافر البرق فيه   ألف قرن لما أتى مستقره
ولو الشمس ضوعفت ألف ضعف   لم تكن فى أثيره غـير ذره
ولو الفكر خاض فيه مسفذا   لم يكن بالغـا يد الدهر قعره
سعة تحسب المجرة فيهـا   حلقة ألقيت بصحراء قفره
إن تكن هذه المجرة نـهرا   مستفيضا فشمسنا منه قطره
إن تسائل عنا فنحن هباء   ذر من صنعة القوى بجذره

ثم إنك (يا قارئى الكريم) — لو ألقيت نظرة على قصيدته المشهورة — من أين وإلى أين — لرأيته يفند فى مواضع كثيرة قول العلماء المشهور ونظريتهم المعروفة التى تتلخص فى « أن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير فيقول : —

من أين من أين يا ابتدائى   ثم إلى أين يا انتهـائى
أمن فناء إلى وجود   ومن وجود إلى فناء
أمن وجود له اختفـاء   إلى وجود بلا اختفاء

لأى أمر ذه الليالى نأتى وتمضى على الولاء

أرى ضياء يروق عينى ولست أدرى كنهه الضياء

وما اهتزاز الأثير إلا علالة نزرة الجـــلاء

وهنـا يرى (القارئ) أن الشاعر الـكبير قال فى البيت الأخير ما معناه « أن العلماء فسروا ذلك التفسـير المبهم لأنهم لا يدركون الحقيقة بل وجدوا ذلك الحل مخلصا فى حلقة مفرغة لا يتصلون إلى نهايتها بتاتا »

ثم يصف تزاحم الذرات فى الجسم وهو ما يسمى (عرك الأالـكترونات) . فيقول :

فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقـــاء

وفى دقاق الجماد عرك يتهم الحس بالخطــــاء

وينتقل بعد ذلك فيخاطب تلك القوة الخارقة المعروفة بقوة الجذب فيقول : —

ياقوة الجذب أطلقينى من ثقلة أوجبت عنائى

ثم يتابع القول فيتجه نحو الكهرباء السماوى الذى ينبعث من النجوم والكواكب والأقمار فيقول

وأنت يا كهرباء سر بدا وما زال فى غشاء

عجائب الـكون وهى شتى فيك انطوت أيما انطواء

أضأت إن شئت كل داج لنـــا وأدنيت كل ناء

فى هذه القصيدة لاحـظ — القارئ الكريم — أن المرحوم الرصـافى قال فى أهم النظريات العلمية الحديثة ، فقد قال فى (تزاحم الإلكترونات) وجزئيات الجسم ثم فى قانون الجذب العام ، ونظرية دارون فى النشوء والارتقاء وفى الإشعاع الضوئى ، هذه المواضيع كلها تصور لنا مدى تتبع الشاعر الكبير للنظريات العلمية ، تفنيدها فى مواضع ومجاراتها فى مواضع أخرى

وتتبلور الفـكرة التى نتحدث عنها فى وضوح شـامل فى قصيدته ال (كن يا ضياء) ومعناهـا (كن إلى ذلك الشىء يا ضيـاء ... أو توجه إليه) وبها ينتقد أكبر العلمـاء وأرقاهم مدارك فى علوم الفلك والطبيعة : حيث يقول

أينفى ما وراءك يا درارى فنحن نخاله بعدا شطونا

قد اتسع الفضاء لك اتساعا فهل أبعـاده بك ينتهينا

وترصدك الأنام وما أتانا بعلم كيانك المترصدونا

(فهدشل) ما شفا منا غليلا ولا (غاليل) أنبأنا اليقينا

و(كبلر) قدهدى أو كادلا أبانك يانجوم تجاذبينا

ومن كل ما تقدم يتبين للقارىء الكريم أن للرصافى عقلية اســتوعبت كثيرا من العلوم ، وأدركت من الحقائق والمحسوسات ما جعلها ترتفع شيئا كبيرا عن المستوى الفكرى السطحى لأكثر الشعراء

ونحن بهذه الـكلمة البسيطة لايمكننـا تبيان ما نريده فى مجال هذا الموضوع المتشعب ، إذلو أردنا تحقيق ذلك وإدراكه لاحتجنا إلى كثير من الصفحات ، وكثير من الساعات بل الأيام لكى نسجل بها أو نشرح ما قاله شاعرنا الكبير فى هذا الصدد

ولكن لا بأس من أن ننهى حديثنا هذا بما قاله العلامة الكبير (المغربى) فى مقدمته للطبعة الثانية من ديوان (الرصافى) حيث كتب يقول فى هذا البـاب — باب الكونيات — مايلى « ... وقصائده (تجاه اللانهاية) و (من أين إلى أين)و (نحن على منطاد) و (الأرض) و (الكن يا ضياء) و (معترك الحياة) وغيرها لو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التى وصفت بها الكائنات وصفا منطبقا على آخر نظريات العلم الحديث.. ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية ، والأثير والكهربائية وأشـعة (رنجتن) وآراء دارون فى النشوء والارتقاء ، ومذهب ديكارت فى التوصل إلى اليقين عن طريق الشك ، ومبـادئ الاشتراكيين فى أن تكون للعامل حصة من إنتاجه »

تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعية عاله

بأكاون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله

يتجلى النعيم فيهم فتبـكى أعين السعى من نعيم البطاله

ليس هذا فى مذهب الاشـتراكية إلا من الأمور المحاله

بغداد خالص عزمى

٢ - الباكستان

السياسة الخارجية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إن وحدة العالم الإسلامي هى أحد الأركان الأساسية التى تقوم عليها سياسة باكستان . » محمد ظفر الله خان وزير الخارجية

كراتشى — القاهرة

فى هاتين المدينتين تتركز السياسة الخارجية للدول الإسلامية، ففى القاهرة تقوم الجامعة العربية وفى كراجى (كراتشى) تقوم حركة الجامعة الإسلامية

وقد كان من المفهوم أنه لا يوجد تضارب بين الفكرتين ، بل كان مفروضا أن تحول الجامعة العربية إلى وحدة إسلامية أمر سهل ميسور ولا غبار عليه ، ولكن بعض التصريحات التى صدرت فى القاهرة أخيرا أشعرتنا بأن هناك خلافا فى وجهات النظر حول الفكرتين . فالجامعة العربية تقوم على أساس العنصرية وعلى أساس من المصالح المتبادلة بين الدول العربية ، لا على أساس طائفى أو دينى ، بهذا صرح سعادة الأمين العام وقال إنه يعارض فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية لأنها تكون مؤسسة دينية طائفية تقف فى سبيلها كل الهيئات غير الإسلامية ، كما أنها تغضب الهند والفلبين وهما تتعاونان مع الجامعة العربية

وأنا أرى أنه إن كان المقصود بالهيئات غير الإسلامية اليهود المقيمين بإسرائيل فإن هؤلاء سيغضبون حقا لقيام الوحدة الإسلامية ، أما إن كان المقصود المسيحيين واليهود المقيمين بسائر الدول الإسلامية فهؤلاء لن يغضبوا لأنهم عاشوا آلاف السنين مع إخوانهم المسلمين جنبا إلى جنب ، تظلهم راية الإسلام ويتمتعون فى كنفه بالأمن والحرية والسلام . تلك الحقوق التى كفلها لهم الإسلام

وأعترف بأننى قد حاولت جاهدا أن أفهم سر ما نزل بعرب فلسطين من بلاء وتشريد وقتل ونهب وسفك دماء وهتك أعراض ، وقد تمخضت هذه الجرائم عن قيام دولة إسرائيل . فلم أجد سببا لكل هذا إلا تعصب الصهيونيين الدينى

وإننى أضع أمام القراء صورة لما نزل بالمسلمين فى القارة الهندية من أذى وبلاء مما دفعهم إلى الاستماتة فى سبيل إقامة دولة ينعمون فى ظلها بالأمن والطمأنينة والحرية، وقد كلل الله جهودهم بالنجاح . فأقاموا دولة الباكستان فكانت لهم دار أمن وسلام . ألم يكن الهندوكيون يعملون على تعجيس المسلمين أو إفنائهم ؟

وها أنذا أقص على حضرات القراء بعض ما وقع فى الهند عند تنفيذ مشروع التقسيم :

فى ١٩٤٧ أعلن تقسيم الهند إلى دولتين : الهندستان والباكستان . فماذا فعل الهندوس ؟ انطلقوا يقتلون الأبرياء من المسلمين، وكانت دلهى عاصمة الهند نفسها مسرحا لآلاف من الجرائم المروعة ذهب ضحيتها آلاف من المسلمين الأبرياء

واشهد معى وقارن : لقد هاجر من الباكستان كثيرون من الهندوس والسيخ آمنين مطمئنين يحملون معهم أموالهم وأثاثهم ومتاعهم وكان عدد المهاجرين منهم ما يلى :

٤٢٧٫٠٠٠	بالسيارات
١٫٣٦٢٫٠٠٠	بالسكك الحديدية
٨٤٩٫٠٠٠	بالعجلات التى تجرها الحيوانات
١٣٣٫٠٠٠	بالبواخر
٢٧٫٥٠٠	بالطائرات

أما المهاجرون المسلمون فكانت قصة هجرتهم إلى الباكستان مأساة : لقد أخرجوا من أرضهم وبيوتهم وأموالهم تحت وابل من الرصاص والنيران . وقد هاجر معظمهم سيرا على الأقدام فلم يصل إلا أقلهم، أما معظمهم فقد مات فى أثناء الطريق من البرد والحر والجوع والإعياء وكثيرون اغتيلوا أو ماتوا غرقا فى الأنهار

وقد ظن بعضهم أنهم محظوظون حينما أتيح لهم الانتقال بالسيارات والقطر الحديدية ولكن خاب ظنهم . لقد كانوا معرضين فى كل محطة وقف بها القطار إلى هجمات السيخ والهندوس، ولقد كانت السيارات أو القطر تصل فعلا إلى حدود

الباكستان ولكنها كانت تصل فارغة أو مملوءة بالجثث وبالمشوهين فقط !!!

واستمر المسلمون يهجرون الهندستان بالملايين ، تاركين وراءهم أموالهم وأملاكهم هاربين بإيمانهم لا يبالون بما ينتظرهم فى الطريق من المخاطر والعدوان وزادهم الله هدى وإيمانا . لقد كان أحدهم إذا بلغ حدود الدولة الإسلامية فقيرا مشوها عاجزا فما هو إلا أن تطأ قدماه أرض الوطن حتى يسجد لله شكرا . لقد أصبح للمسلمين دار أمان فى أرض الهند !

لماذا نزل هذا البلاء بالباكستانيين ؟ ألم يكن كل ذنبهم أنهم مسلمون ؟

الجامعة الإسلامية قائمة سواء أراد الأعداء أم لم يريدوا .

قال محمد ظفرالله خان « ونحن المسلمين لا نحمل أى نيات عدائية ضد أى أمة أو أمم ، ولسنا نرغب إلا أن نحيا حياة حرة كريمة ، وأن ننهض فى الاتجاه الذى نعتقد أنه الحق ، وأن نستغل مواردنا الأدبية والمادية لخدمة شعوبنا ولخدمة الإنسانية بحيث نسهم بنصيبنا فى إقرار السلام وإشاعة حسن النية فى جميع ربوع العالم ! »

المؤتمر الإسلامى

انعقد هذا المؤتمر وهو يمثل الشعوب الإسلامية فى كراتشى وكان برأسه سماحة السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين وقد اتخذ المؤتمر القرارات الآتية - وهى خاصة بفلسطين :

بما أن قضية فلسطين هى قضية إسلامية عامة لصلتها الوثيقة بمصالح المسلمين فإن مجلس المؤتمر يقرر ما يلى :

١ : مطالبة جميع الدول والشعوب الإسلامية بتأييد قضية فلسطين ودفع الخطر المحدق بالمسجد الأقصى والعمل على إنقاذ هذه البلاد المقدسة من أيدى المعتدين

٢ : إعادة اللاجئين إلى أراضيهم وأملاكهم وفقا لقرار هيئة الأمم المتحدة

٣ : استعادة مئات من المساجد والمعابد التى استولى عليها اليهود والأوقاف الإسلامية والمقابر وسائر الأملاك ، واحترام الملكية الشخصية وحفظها لأصحابها كما ينص على ذلك القانون الدولى

٤ : معارضة كل صلح أو تسوية مع اليهود

٥ : يدعو المؤتمر جميع المسلمين حكومات وشعوبا إلى مقاطعة ما يسمى (دولة اسرائيل) مقاطعة عامة شاملة فى كل النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما يدعو إلى مقاطعة اليهود حيث كانوا فى أقطار العالم ، وتجنب التعامل معهم إلى أن يتحقق زوال خطرهم على فلسطين والبلاد الإسلامية كافة ، وتكليف اللجنة التنفيذية بتشكيل مكتب خاص لتحقيق ذلك بالوسائل العملية

ونحن نرجو أن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ فإن العبرة بذلك لا بكتابتها على الورق

مؤتمر كراتشى :

وجهت الباكستان الدعوة إلى الدول الإسلامية للاشتراك فى هذا المؤتمر الذى ينتظر عقده فى النصف الثانى من شهر أبريل ، ومهمته بحث المسائل الهامة المشتركة وإقامة نظام استشارى بين الدول الإسلامية مما يساعد على إقامة تعاون أوثق بينها الأمر الذى فيه مصلحتها

يتضح من كل ما سبق أن الباكستان تتجه فى سياستها الخارجية إلى إقامة تعاون وثيق بينها وبين الدول العربية ، وإلى هذا يشير معالى ظفر الله خان بقوله : إن وحدة العالم الإسلامى هى أحد الأركان الأساسية التى تقوم عليها سياسة الباكستان

وفى الوقت ذاته تقوم روابط الصداقة بين الباكستان وبريطانيا . والواقع أن ظروف الباكستان الجغرافية هى التى أملت عليها هذه السياسة . فالباكستان تجاور الهند من ناحية ، وهى قريبة من روسيا وأملاكها الآسيوية من ناحية أخرى . فقد كان عداء الهندوس للمسلمين من أبناء الباكستان مما دفع الباكستانيين إلى محاولة إيجاد الجامعة الإسلامية « والمؤمنون إخوة » بنص القرآن الكريم . كما أن الخطر الروسى أدى إلى

قيام روابط الصداقة بينهم وبين بريطانيا ، ولا ننس أن بريطانيا كانت تحكم الهند إلى وقت حد قريب ، وأنها تزعم استقلال القارة الهندية ما تزال تسيطر على أسواقها التجارية، فإن بريطانيا حريصة تماما على تجارة الهند

حيدر آباد — كشمير :

ولايتان من ولايات القارة الهندية قامت بسببهما مشكلتان بين الهندوستان والباكستان

وحيدر آباد مقاطعة فى هضبة الركن ؛ وهى أكبر إمارات الهند وأغناها، إذ تبلغ مساحتها ٣٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها نحو سبعة عشر مليونا من الأنفس منهم نحو مليونين من المسلمين وهم أقلية . وكان يحكمها نظام حيدر آباد، وكان من أغنى أغنياء العالم

ولما قامت دولتا الهندستان والباكستان اختار نظام حيدر آباد وهو مسلم أن تظل بلاده مستقلة ، ولكن الهندستان لم تقنع بذلك. وفى ١٩٤٨ ساقت جيوشها إلى الولاية واحتلتها بدعوى أن أغلبية السكان من الهندوس ! !

وأما كشمير فهى مقاطعة جبلية فى شمال الباكستان الغربية، وفيها توجد منابع السند ، ومن ثم كانت أهميتها بالنسبة للباكستان كأهمية السودان بالنسبة إلى مصر . يضاف إلى ذلك ٩٣ ٪ من سكان مسلمون . وتجاورها من الشرق مقاطعة جمو، وهى كذلك مقاطعة إسلامية ؛ إذ أن ٦٢ ٪ من سكانها مسلمون أيضا

وكان يحكم كشمير منذ ١٨٤٦ أمير هندوسى اشتراها من شركة الهند الشرقية البريطانية . وتبلغ مساحتها نحو ٨٤٫٠٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها أربعة ملايين

وفى ١٩٤٧ تم تقسيم القارة الهندية إلى دولتين : الهندستان والباكستان، وكان من الضرورى أن تنضم كشمير إلى الباكستان لأن معظم سكانها من المسلمين (وقد رأينا أن الهندستان ضمت حيدر آباد بحجة أن أغلبية السكان من الهندوس) ، ولكن الهندستان لجأت إلى سياسة العسف فعملت على دفع حاكم كشمير الهندوسى إلى إقامة حكم إرهابى عنيف مما يؤدى إلى إفناء المسلمين أو هجرتهم، وشجعت هجرة الهندوس إليها حتى تصبح الأغلبية ، لهم وبدأت الحركة فى جمو، ففى مقاطعة دوقرا(١) قتل ٢٣٧٫٠٠٠ من المسلمين على يد قوات المهراجا نفسه، وكان يساعدها جماعات منظمة من السيخ والهندوس . وقد أدت هذه الحوادث فعلا إلى إفناء ثلثى المسلمين فى مقاطعة جمو مما بدل نسبة السكان والهندوس فيها

إزاء هذه الحوادث قام رجال القبائل فى كشمير لنجدة إخوانهم وانتصروا على جيوش المهراجا ، وأقاموا حكومة وطنية هى حكومة « كشمير الحرة » أو « آزاد كشمير »

استنجد المهراجا بالهندستان فبعثت إليه بجنودها ودباباتها وطياراتها، وتقدمت الباكستان تدافع عن أهل كشمير المسلمين، وبدأت مشكلة كشمير تهدد السلام العالمى، وتدخلت هيئة الأمم المتحدة لتحل القضية حلا « عادلا » فوقف القتال عند احتفاظ القوات الهندية بجزء كبير من مقاطعة جمو وسيطرة حكومة « كشمير الحرة » على سائر المقاطعة . وهكذا انتصر رجال القبائل الشجعان على جيشى المهراجا والهندستان . وما تزال القضية منظورة أمام هيئة الأمم المتحدة

وموقف الهندستان فى هذه القضية عجيب . لقد ضمت حيدر آباد لأن معظم سكانها من الهندوس، وهى تعارض فى ضم كشمير إلى الباكستان مع أن أغلب السكان من المسلمين . إن غايتها واضحة . إن استيلاءها على كشمير خطر دائم يهدد الباكستان

(١) لعلها أكرا — المصحح

سهو

جاء فى المقال الأول عن الباكستان أن مساحتها ٣٦٠ مليون كيلو متر مربع ، وصحتها ٣٦٠٫٠٠٠ ميلا مربعا ولذا لزم التنويه

أبو الفتوح عطيفة

ماذا قال العلماء فى مؤتمر السرطان

السرطان والعلم

خلاصة وافية لآراء العلماء

عن مجلة (باريس متش) الفرنسية

السرطان فى طليعة الأمراض التى لم يستطع العلم أن يتغلب عليها حتى اليوم

ففى سنة ١٩٠٠ كان معدل الوفيات بالسرطان فى الولايات المتحدة نحو أربعة فى المائة من مجموع الوفيات ، فبلغ فى سنة ١٩٤٦ نحو ١٤ فى المائة . ويقول الخبراء إن هذه الزيادة ترجع إلى ارتفاع مستوى عمر الإنسان لأن السرطان مرض يصيب عامة الأشخاص الذين جاوزوا الأربعين ، وعلى هذا فازدياد عدد الذين يجاوزون الأربعين بفضل تقدم الطب واكتشافاته يؤدى إلى ازدياد عدد مرضى السرطان

ومع أن السرطان يصيب الشبان والأطفال أحياناً فهو فى شرع الطب من أمراض المسنين . فى كل سنة يموت فى الولايات المتحدة بالسرطان نحو ١٨٠ ألفاً وفى فرنسا نحو ٧٥ ألفاً ، ومع ذلك ففى كل يوم يشفى عدد كبير من حاملى هذا الداء بكل سهولة وبدون ألم، لأن تقدم الطب فى السنوات الأخيرة والوسائل التى اكتشفها لتشخيص السرطان جعلت هذا الداء من الأمراض السهلة الشفاء متى عولج فى أول أمره ، ولكنه يتحول إلى آفة مهلكة إذا أهمل وتفاقم

ماذا أدرك الطب من حقيقة السرطان ؟ نجيب بكل أسف : لا شئ تقريباً . فكيف يرجى إذن شفاؤه وهو ما يزال سرا مغلقاً ؟ نقول بالطريقة ذاتها التى تشفى ذات الرئة بالبنسلين ، أى دون أن نعرف كيف يتم هذا الشفاء ، وبالطريقة نفسها التى يعالج داء السكر بالأنسولين دون أن نعرف حتى الآن العوامل السرية التى ينجم عنها الداء . وهكذا يعالجون فقر الدم المرهق بخلاصة الكبد مع أنهم يجهلون حقيقة هذا المرض

فالأمر لا يدعو إلى اليأس كما يظهر لأول وهلة . وإذا كان العلماء يتعقبون اليوم السرطان فى ظلام حالك ، فهـذا لا يعنى أنهم لن يتغلبوا عليه ، فشفاء السرطان غير بعيد والعلم ماض فى هذا السبيل بخطى واسعة

إن سر السرطان كسر النمو بل هو سر الحياة نفسها ، وإلى الآن لم يتمكن أحد من معرفة سر التفاعل الذى يحدث فى قلب الخلية الحية . والمعروف من وظائف الخلية ١ : أن تمثل المواد الغذائية غير الحية وتحولها إلى مواد حية . وهـذه العملية تدعى بالاصطلاح العلمى « أنا بوليسم » وهى مأخوذة عن اليونانية ومعناها « التركيب » . ٢ : أن تحلل المواد المركبة الطبيعية الحية وتحولها إلى فضلات بسيطة ، وهذه العملية تدعى « كاتابوليسم » من لفظة يونانية معناها « التحليل » . وهاتان الوظيفتان تؤلفان ما يدعونه « ميتا بوليسم » ، وما الميتابوليسم سوى تفاعل الحياة نفسه ، محولا إلى شكله البسيط كما يراه الكيميائى

لا ينكر أن العـلم قد تقـدم فى درس الميتابوليسم ، غير أن تقدمه ما يزال محدوداً . لقـد عرف كيف تحلل الخلية بعض العناصر المركبة وتحولها إلى عناصر بسيطة ، ولكنه لا يعرف إلا شيئاً ضئيلا عن الطريقة التى تحول بهـا الخليه العناصر البسيطة إلى عناصر مركبة ضرورية لنموها . ثم إن لدى العلماء اليوم معلومات عن الطريقة التى تحول بهـا الخلية العناصر الحيـه إلى عناصر ميتة، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن كيفية تحويل العناصر الميتة إلى عناصر حية . إن مشكلة السرطان منوطة بهـذا النوع الثانى من الميتابوليسم ، فهى إذن ومشكلة الحياة سواء

والسرطان ليس داء مختصا بالإنسان ، بل يتنـاول الحيوان والنبات أيضاً ، فهو يصيب الفئران والقطط والكلاب وخنازير الهند والأرانب والخيل والغنم والمعز والضفادع والسمك والطيور وغيرها ، كما يصيب أنواعاً شتى من النبات . وهو يختلف شكلا ونوعاً ، فـا يسببه من الأعراض فى حيوان لا يسببه فى غيره ، فإذا لقح أرنب من هاظانا مثـلا بنوع من الأورام ، فقد ينمو كالسرطان ، ولكن إذا لقح أرنب من خـلايا بالنوع ذاته فإنه ينمو بعض الوقت ثم يضؤل . وقد لاحظوا أن معالجـة كيمائية قـد تنفع فى بعض الأورام السرطانية ولا تنفع فى غيرها ، وهذا مما يدل على وجود أنواع مختلفة من السرطان ،

أو أن هذا الذى يدعونه سرطاناً ليس داء واحداً بل هو أنواع متباينة وإن يكن تشخيصها الظاهرى واحداً . ولهذا يجب إيجاد معالجات تختلف باختلاف أنواع السرطان . أما والأمر ما ذكرنا فمن الحماقة أن يرتجى اكتشاف دواء واحد للسرطان كما يقال عن دواء وحيد لذات الرئة . والسرطان كغيره من الأمراض يفرض على الطبيب قضايا ثلاثاً: السبب، والتشخيص، والمعالجة. وعلى هذه القضايا الثلاث مدار بحثنا التالى

فسبب السرطان هو أعقد المشاكل التى تعترض الطب فى بحوثه السرطانية ، وقد تشعبت فيه الآراء ، وكلها نظريات لا يؤيدها إثبات مقنع . وفى مذهب الكيمائيين اليوم أن المباحث السرطانية يجب أن تبنى على درس الحوامض الخلوية ، فقد لاحظوا أن تجزؤ الخلية ينتج عن وجود بعض تلك الحوامض فيها ، فإذا تمكن رجال العلم من تشخيص العوامل التى تنظم وظائف انقسام الخلية ، فعندئذ نستطيع أن نقول إنهم حلوا معضلة السرطان

إن التجارب التى أجريت فى الحوامض الخلوية الموجودة فى الكروموزوم (الكروموزوم مادة توجد فى نوايا الخلايا التى تتمركز فيها الصفات التناسلية) قد أسفرت عن نتائج مدهشة، فإن نفرا من الخبراء فى معهد روكفلر توصل إلى تحويل نوع من الأعضاء الميكروسكوبية فى بقة إلى نوع آخر . وهذا أمر لم يحلم به البيولوجيون من قبل . وقد دلت النتائج على أن من الممكن ، على الأقل من البقة ، تغيير أو تعديل نمو الأعضاء الميكروسكوبية . وليس بدعا أن تتم هذه العملية فى الإنسان . ومتى تمت جاز لنا أن نعتقد أن فى بعض الحالات غير الطبيعية كالسرطان مثلا يستطاع بوسائل اصطناعية — أى باستخدام عناصر كيمائية أو طبيعية — توقيف النمو غير الطبيعى وتوجيه الخلايا الفوضوية إلى المجرى الطبيعى . غير أن كل هذا لا يخرج الآن عن فرض وأمل ، وقبل أن يبلغ العلم هذه الأمنية يقتضى له جهوداً كبيرة وتجارب عديدة ومحاولات لا تحصى

وتتجه أنظار البيولوجيين اليوم إلى العوامل التى تسبب الفوضى فى الخلايا السرطانية فتنمو بكثرة وبغير نظام . والمعروف من الخلايا السرطانية أنها أشد نشاطا وأكبر حيوية من الخلايا العادية السليمة . والمبدأ الذى يعتمدونه فى أبحاثهم قائم على حكمهم بوجود اختلاف كبير فى كيفية التغذية بين الخلايا السليمة والخلايا السرطانية ولا سيما الأغذية السكربوهيدراتية . ويرون أن للخلايا السرطانية طريقة خاصة فى التغذية، ولكنهم حتى اليوم لم يهتدوا إليها أو بالأحرى لم يهتدوا إلى معالجة فعالة

وهناك نظرية أخرى تقول إن السرطان مسبب عن فيروس فيجب إذن أن يعد فى جملة الأمراض الميكروبية . وما برحت هذه النظرية منذ خمسين سنة موضع اختلاف العلماء . وهى تبنى اليوم على واقع أثبته الاختبار؛ وهو أن الفيروس سبب سرطان الدجاج وبعض الحيوانات الأخرى مما يحمل على الظن بأن هذا الفيروس نفسه سيكتشف يوما فى سرطان الإنسان . وللعلماء فى هذه القضية رأيان : إما أن الفيروس نظرية وهمية ، وإما أنه لشدة صغره لم يهتد إليه حتى الآن فى الأورام السرطانية . والحقيقة أن الفيروس متناه فى الصغر حتى لا يدركه التصور ، فلو صففنا ١٧ مليونا من هذا الميكروب لما جاوز طول الخط السنتيمترين ونصف السنتيمتر . والأمل معقود على الميكروسكوب الألكترونى الذى يكبر الشئ مئات الألوف من المرات أن يرينا الفيروس ، على فرض وجوده ، داخل الخلية المريضة ، وفى أثناء المؤتمر الأخير عرض عدة من الأطباء الاختصاصيين بالسرطان صورا لهيئات ميكروسكوبية شبيهة بالفيروس، ولكنها لم تثبت نهائيا

وبحثت فى المؤتمر مسألة الغذاء، فقال الدكتور ألبرتا تنبوم من شيكاغو: لو أن عدد السمان فى العالم أقل مما هو لكان السرطان أخف وطأة . وتؤيد قوله إحصاءات شركات التأمين التى تدل على أن السمان هم أكثر تعرضا للسرطان من سواهم . ولكن هذا لا يعنى أن كل سمين مقدر له أن يكون فريسة للسرطان، بل ينبهنا إلى المحافظة على وزننا العادى . إن لغذائنا علاقة كبيرة بوزننا ، فنحن نأكل كثيرا ونتغذى قليلا، أى أننا نستهلك كثيرا من الأصناف التى لا تتفق قيمتها الغذائية وكميتها . أما المواد الغذائية الصالحة فيجب أن تكون مؤلفة على الأكثر من البروتين الذى يوجد فى اللحم والبيض واللبن والسمك والجبن والخضار. وعلى الأقل من النشويات كالبطاطس والحبوب والدهن وما إليها . وإذا كان

العلماء لم يتمكنوا حتى اليوم من نسبة السرطان إلى أسباب معينة فالبحوث الكيمائية فى خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة استطاعت أن تنسب إلى عدد من المواد الغذائية بعض أسباب الداء

ومتى وجد لداء واحد علاجات عديدة فليس لأحد منها نفع أكيد . وهذا ما يقال فى السرطان الذى يحارب بعدة من الأسلحة . لقد عدد الدكتور وكولم من كولومبيا بين العلاجات التى استعملها الإنسان منذ القدم : حساء السراطين[1] المهول، اللازوق ، الفضة ، الذهب ، الزئبق ، النحاس ، الكبريت ، الزرنيخ ، البرد ، ورق البنفسج ، الكهرباء ، الضفادع السامة، سم الحيات . وفى يومنا لا يقل عدد العلاجات التى تستعمل عن تلك، ولكن ليس بينها واحد يمكننا أن نعزو إليه الأفضلية . وبين العلاجات التى تعتمد اليوم نذكر بعض العناصر المشعة . والهرمونات أى خلاصة إفرازات الغدد الصماء ، ومركبات مختلفة من الحامض الفوليك ، وكلوريدات الميثيلامين . وكلها لا تضمن الشفاء فهى قد تلجم الداء مدة لكنها لا توقفه نهائيا . وهذا شأن « الخردل الأزوتى » الذى اكتشفه الفرنسيون قبل الحرب ثم اتخذ منه الألمان والأميركان مركبا فى خلالها

كان الأميركان قبل الحرب الأخيرة ينظرون نظرة الواجف إلى بحوث الألمان فى الغازات السامة لا سيما فى نوع جديد منها يدعى « ايبريت » فعمدوا إلى درس عناصرها على أمل أن يكتشفوا، على الأقل ، مما كسا لها يقيهم شرها . وقد استدرجتهم دروسهم إلى اكتشاف « الخردل النيتروجينى » وهو مادة ذات شأن كبير فى مكافحة السرطان، غير أنه وإن يكن فى رأس الأدوية التى تعتمد اليوم فى معالجة السرطان فليس هو الدواء المنشود

أما الذى أجمع عليه علماء السرطان فهو أنه لا يوجد حتى الآن لمعالجة هذا الداء فى أول أمره معالجة فعالة سوى طريقتين: مبضع الجراح ، وأشعة الراديوم أو أشعة اكس (أو الاثنين معا) والحقيقة الراهنة أنهم يتمكنون اليوم بكل سهولة من قطع دابر السرطان ولكن فى بدايته . وإن لم يكن فى قدرة العلم اليوم أن يكتشف الدواء الذى يقضى على هذه الآفة ، ففى مكنته أن يكتشف طريقة تشخصها قبل استفحالها . وقد أدرك العلماء أن مشكلة السرطان لا تتوقف على إيجاد الدواء الناجع ، بل على التشخيص الراهن ، والتشخيص يؤلف أيضاً مشكلة أخرى لأن السرطان هو أحد تلك الأمراض التى تكمن طويلا فى الجسم ، ولا تظهر أعراضها إلا بعد استفحالها ، فضلا عن أن أعراض السرطان تلتبس أحياناً كثيرة بأعراض غيره من الأمراض ، غير أن الدلائل التى يمكننا أن نعزوها إلى عوارض سرطانية هى :

١ — كل مرض يطول شفاؤه وخصوصاً فى اللسان

٢ — كل ورم لا يؤلم أو يزداد حجمه خصوصاً فى الصدر أو فى الشفتين أو فى اللسان

٣ — كل نزيف دموى غير عادى من منافذ الجسم

٤ — كل ثؤلول أو شامة يتغير لونها أو يزداد حجمها

٥ — كل عسر هضم مستديم

٦ — كل بحة مستديمة ، أو سعال لا يعرف سببه ، أو صعوبة فى البلع

٧ — كل تغيير فى البراز

ولكن هذه العوارض لا تظهر لسوء الحظ إلا بعد أن يكون الداء قد تمكن من ضحيته ، ولهذا يعنى العلماء باكتشاف طريقة تمكنهم من تشخيص المرض قبل ظهور أعراضه

إن المعدة هى أكثر أعضاء الجسم تعرضا للسرطان ، وتدل الإحصاءات على أن نصف الإصابات السرطانية يتناول المعدة ، والنصف الآخر بقية الأعضاء . وأعراض هذا السرطان أقل ظهوراً وتشخيصها أكثر صعوبة ، ولذلك يدعونه « السرطان الصامت » .

وكان الأطباء وما يزالون يبنون تشخيصهم فى الأورام السرطانية الداخلية على الصور التى تلتقطها الأشعة ، غير أن تلك الصور قد تضلل الطبيب أحياناً لغموضها فلا يمكنه الجزم فى أمرها . وقد حل هذه المشكلة أخيراً العالم دجون كولتمان من مختبرات وستنهوس فى بتسبورغ بصنعه جهازاً يوضح الصور خمسمائة مرة أكثر من الأشعة المجهولة

(١) السرطان باللغة اللاتينية يدعى « كنسر » ، وهذه اللفظة تعنى السرطان الحيوان المائى المعروف

ومن المعلوم الآن أن الكهرباء موجودة فى كل حى ، وأن التيارات التى يصدرها أحد الأعضاء كالقلب أو المخ مثلا تختلف من تيارات الأعضاء الأخرى . وقد عنى الدكتور بر بهذه القضية فعهد إلى الطبيعى سيسيل لاين فى صنع جهاز يسجل التيارات الكهربائية الضعيفة . وما كاد يجربه بر حتى أدهشته النتيجة؛ إذ ظهر له أن تيارات الخلية المريضة تختلف بشكلها من تيارات الخلية السليمة . وفى أثناء تجاربه المديدة خامره الشك فى صحة آلته، إذ رسمت شكلا واحدا للتيارات المنبعثة من الفئران المصابة بالسرطان ولغيرها من التى كان يحسبها سليمة . بيد أن آلته لم تخطىء وإنما كان هو الواهم ، وكم كانت دهشته عظيمة يوم رأى بعد بضعة أسابيع أن تلك الفئران — التى خرجت فى اعتقاده على القاعدة — قد ظهرت فيها نوامى سرطانية . فتحقق عندئذ أن آلته لم تكذب، بل أنبأت بوجود البؤر السرطانية فى الفئران قبل ظهورها . وعندئذ بدأ بر يجرب جهازه فى الأحياء البشرية، وقد اقتصر أولا فى تجاربه على النساء فعمد إلى ٧٥ امرأة لا شبهة فى أنهن مصابات بالسرطان فلم تسجل الآلة نتيجة سلبية إلا لواحدة فقط . وفحص ٦١٦ امرأة فحكم الجهاز بسلامتهن ثم فحصهن بطرق أخرى فلم يشتبه إلا بخمس منهن

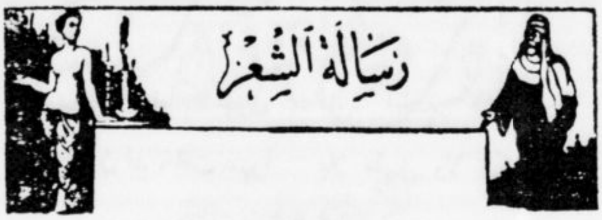
وقد يكون اكتشاف الدكتور شارلس هيفنس الجراح المشهور الكلمة الفاصلة فى تشخيص السرطان قبل ظهور أعراضه، وقد قوبل فى أميركا « كأمضى سلاح عرف حتى الآن لمحاربة السرطان »

كان الدكتور هيفنس رئيس الجمعية الأميركية للأبحاث السرطانية وقد طالما جال فى خاطره أن وجود ورم سرطانى فى أى موضع من الجسم يجب أن يحدث تأثيرا فى الدم . فأخذ يوما نقطتين من الدم: إحداهما من جسم سليم، والأخرى من جسم مصاب بالسرطان ، فوجدهما بعد التحليل والفحص الميكرسكوبى متشابهتين لا شىء يفرق بينهما . ولكنه لم يقتنع بهذه النتيجة فواصل تجاربه حتى اكتشف أن دم المصاب إذا أسخن ومزج بالحامض اليودوأسيتيك لا يتخثر بسرعة دم السليم، فإذا استغرق هذا لتخثره عشر دقائق مثلاً استغرق ذاك عشرين . وقد امتحن اكتشافه فى ثلاثمائة شخص فما أخطأت التجربة قط فى أحد منهم . لذلك يمكننا أن نعلن للمرة الأولى دون تردد وحذر أن تشخيص السرطان أصبح حقيقة ثابتة وأمراً واقعاً ، ونستطيع أن نصرح أيضا بأن العلم قد أحرز انتصاره الأول فى معركة السرطان . على أن هيفنس نفسه ، وهو العالم المدقق ، لا يسرع فى إذاعة انتصاره وتقديم رأسه لإكليل المجد قبل أن يدعم اكتشافه بالامتحانات الطويلة والاختبارات المديدة التى يواصلها اليوم

وقد أعلنت الجمعية الأميركية للأبحاث السرطانية بعد أن تحققت اكتشاف رئيسها السابق أن اتقاء السرطان أصبح ميسورا، وأن على كل شخص أن يفحص نفسه مرة فى السنة عند طبيبه الخاص أو فى مختبر اختصاصى ، حتى إذا دل الفحص على نمو سرطانى عالجه قبل فوات الوقت ونجا من شره القتال

إن العلم لم يهتد حتى الآن إلى الدواء الحقيقى الذى يتقى به غائلة السرطان، ولكنه ما وقف قط ولم يقف مكتوف اليدين أمام هذه الآفة الكبرى

ولسنا اليوم تجاه السرطان كالفريسة المقضى عليها التى تنتظر ساعتها الأخيرة ، أو المحكوم عليه بالإعدام الذى يتوقع الموت بين دقيقة وأخرى . وإذا كان من عادة السرطان أن يدخل فجأة دون أن يقرع الباب فلدينا الآن جرس الإنذار. وما علينا إلا أن نعتمده لكى ننجو من سالب الأرواح



من أغاني الربيع

موكب آذار

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

حبيبي آب آذار إلى الروضة هيانا
فحيا موكبا للزهر قد صفق جذلانا
وراح مع الشذى السارى يذيع الحب ألوانا
يغنى فيغنى البلبل المسحور جذلانا
وتحت الكرم نبع ماج بالأنغام سكرانا
جرى كالقيد رقراقا وكالأضواء فتانا

وحيا موكبا للحور مفتونا بأنغامى
طروبا بأغاريدى ومسحورا بأوهامى

ربيع الحب نشوان
وفجر الحب سهمان
وعطر الحب أشجان
تضوع فهو ألحان

فهيا ننهب الأفراح بافردوس أحلامى

* * *

تعالى وحى أشعارى ويا نغمة قيثارى
وعودى مثلما عادت لنا أطياف آذار
فوشت كفه السمحة متن الربوة العارى
أما يغريك مرأى الدوح محفوفا بأزهار ؟
أما يسبيك سحر الحسن فى أجفان آذار ؟
أما تغريك بالمودة يا شقراء أشعارى

تعالى.. قبلما تغفى على ثغرى الأناشيد
تعالى.. قبلما تذبل فى الكرم العناقيد

ربيع الحب نشوان
وفجر الحب سهمان
وعطر الحب أشجان
تضوع فهو ألحان

وهيا ننغم اللذة ما عمرك مردود

بغداد

الشاعر

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

خفيف خفة الظل إذا رف على الماء
كهمس الزهر للطل بأسرار الأحباء

* * *

رقيق رقة الفجر طروب كالأغاريد
مزيج من شذى العطر ومن خمر العناقيد

* * *

عجيب فى سجاياه له كالزهر ألوان
كأن الله سواه ملاكا وهو شيطان

* * *

ملاك صيغ من نار وشيطان من النور
يضيء الليل للسارى ويحيا فى دياجير !

* * *

له قلبان لا قلب هما وقف على الحب
بقلب منهما يصبو وبالآخر كم يصبى !

* * *

إذا جال بعينيـــه رأى آماله العليا
فإن هم بكفيـــه فمحروم من الدنيا

* * *

وحيد نافذ الهمه كجيش همـه الذود
بعيد النور والقمه كبحر شطه طود !

* * *

يعيش العمر ظمآنا يرى دنياه أنهـارا
ويحبو الكون أكوانا ولا يملك دينارا

* * *

فحينا هو موهوب وحيناً هـو وهاب
وإن غنى فمحبوب وإن أن فصخاب

* * *

إذا وفق واستعلى رأى في الحسن إحسانا
فإن أخفق أو ضلا رأى في الله شيطانا !

* * *

يحار الناس في فهمه فيهديهم إلى شعره
ونور الشمس في وهمه جمال شع من فكره

* * *

إذا ما عاش في السفح فبالأشعار في القمه
وإن لم يسع للنجح ينـله خامد الهمه

* * *

فإن شمر للجـــد فلا شيء سوى الـكد
وإن حاد عن القصد أتاه الحظ بالجــد

* * *

عجيب أنت يا شاعر غريب كالقـادير
قضيت العمر كالطائر بلا عقـل وتفكير

* * *

وإن تجنح إلى العقل تمش كالناس مجنونا
وإن عشت بلا مثل رآك الناس ملعونا

* * *

هي الدنيا كما تهوى لديها الخير كالشر
كأن قد خلقت سهوا بلا عقـل ولا فكر

* * *

فما جدوى لياليها ؟ وماذا يربح الخاسر ؟
سيفنى كل ما فيها ويحيا الشعر والشاعر

سيد شعر المهجر

نداء بعيد

للأستاذ شفيق معلوف

نداء تردد عبر الحقب فكان له في الأضالع رجع
ومن ثلج صنين شب لهب وفي الأرز حن إلى الصوت جذع
نداء لحيرام أيام كان يسوق الأعاصير بالصولجان

* * *

نداء بعيد يهز السفوح فينزاح عن طلعة الفجر ليل
وتشهر صيدون سيف الفتوح وتنقل في البحر رجلا جبيل
ويزرع ملكار من قلب صور لجاج البحار وكور نسور

* * *

تلوى على الضفتين القصب يجوس المدى حالما بالطروس
وشد مفارزه في الترب وقرب هامته للشموس
وقد لفظ البحر بعض نتف من الفجر ملء شفاه الصدف

* * *

فماجت معاطف بزفير صور مصبغة باحمرار الجلد
وشع على الأفق للحرف نور من الأزل المنتهي بالأبد
وغلت جذوع بيحر الظلم تدق على كل شط علم

* * *

فبمل غداة أدار القـدح بخمر السماء انتشى القوم فخرا
وألووا بمنشار قوس قزح يعرون برا ويكسون بحرا
وما ضر لبنان أن يعرى وقد كسى الكون برا وبحرا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

احتفال المجمع باعلان نتيجة المسابقة الأدبية :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد الماضى بإعلان نتيجة المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقد افتتح جلسة الحفل معالى رئيس المجمع الأستاذ لطفى السيد باشا ، ثم وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته عن مسابقة الشعر ، وقد بدأها بالإشارة إلى أزمة الشعر فى الغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وأورد تعليلات بعض النقاد الغربيين لهذه الظاهرة ، وأهمها أن القرن التاسع عشر تزعزعت فيه الدعائم التى كانت مستقرة ، وتبلبلت فيه الأذهان التى كانت تتلاقى على أصول متفق عليها للتفاهم وتبادل الشعور ، ولا محل للشعر الفخم ، ولا للفن الرائع ، حيث يبطل التفاهم بين الناس بالشعور ، وينقطع التواصل بينهم بالذوق والخيال . وقال إن بعض النقاد يردون كساد الشعر — مع نظرتهم إلى المجتمع تلك النظرة — إلى عصر الصناعة ، وضياع أنغام القصيد ، وألحان الفن الجميل فى ضجة الآلات وغمرتها

ومضى الأستاذ فى ذلك إلى أن استشهد بما قاله الأستاذ بنتو « pinto » أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة نوتنجهام فى كتابه عن أزمة الشعر الانجليزى ، من أن الفترة التى جاءت بعد الحرب العالمية الأولى بنحو عشر سنين كانت فترة لا يؤمن فيها الإنسان بما يستحق أن يحارب من أجله أو يستحق أن يحاربه ، وسواء فيها أن تناضل فى هذا الميدان أو ذاك ، فلا محل إذن للنضال .

وخلص من ذلك إلى قيام مدارس « استفزازية » فى الشعر وسائر الفنون ، تقف موقف العاجز المتحدى المستفز ، الذى لا يكلف نفسه شيئاً ولا يسكت

ثم قال إننا لا نلاحظ فى مصر تلك النزعات لأن مجتمعاتنا تقوم على أسس غير أسس الاجتماع فى البلاد الغربية ، فنحن لم ننقطع عن الجادة ، ولم تبلغ بنا الحيرة ذلك المبلغ ، والشاهد على هذا الموقف هو الديوانان اللذان أجازهما المجمع هذا العام ، وهما: ديوان « حياتى ظلال » للأستاذ إبراهيم محمد نجا ، وديوان « اليواقيت » للأستاذ خالد الجرنوسى ، وكلاهما يشتمل على الأماثيل والقصص الذى تستفاد منه العظات ، وما دامت هناك أمثولة فهناك قدوة مطلوبة وطريق مسلوك ، وما دامت هناك عبرة فهناك معبر أو منهج معبور

وأتى الأستاذ العقاد بأمثلة من شعر الديوانين مع شىء من التحليل الموصل إلى تلك النتيجة ، ثم ختم كلمته بقوله عن الشاعرين : كان من مزاياهما أنهما يجمعان فى عملهما بين القيمة الفنية والدلالة الاجتماعية ، ومن أجل هذه المزايا خص المجمع أحدهما الأستاذ نجا بجائزة الشعر الأولى فى هذا العام ، وخص زميله الأستاذ الجرنوسى بجائزته الثانية

وأعقب ذلك الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته عن القصة ، وقد تحدث عن القصة الفائزة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمد ، حديثاً تحليليا كشف فيه عن محاسن القصة وذكر بعض المآخذ فيها ، ثم قال : ولعلى لا أذيع سرا مجمعيا حين أصارح بأن مجمعنا اللغوى تتردد فيه نزعتان : إحداهما تبغى تسجيل ما اشتهر من الألفاظ وذاع ، والأخرى تريد أن ترشح للاستعمال جديداً من الألفاظ الفصيحة فيه غناء ، وهاتان النزعتان تمثلتا دون قصد فى عناية المجمع بالإنتاج الأدبى ؛ فلقد أجاز من قبل أدباء ذوى أسماء معروفة ، فكرم إنتاجهم وسجل اشتهارهم ، وإنه اليوم ليزكى اسماً جديداً ينتظره الاشتهار ويستقبله الذيوع

وبعد ذلك تحدث الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف بك عن « الحسين بن أحمد المرصفى » موضوع البحث الفائز — وهو للأستاذ محمد عبد الجواد — فقال إنه أحد الأساتذة الذى كان لهم فضل فى الدراسة الأدبية منذ بضع وثمانين سنة ، ثم ماتوا وتركوا آثارهم فى الصدور ، وقد أراد المجمع إحياء تاريخه عن طريق باحث من معاصريه قبل أن يعفى الزمن على سيرته ، وقال إن الأستاذ محمد عبد الجواد صورهذه الشخصية وجلاها ، وأبرز

ما فعله بيان منهج الشيخ حسين المرصفى فى الدراسة ، إذ جمع بين العلم والأدب فكان يدرس الشواهد النحوية والبلاغية دراسة أدبية ، قال الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك ذلك ثم اقترح على صاحب البحث أن يهتم بهـذه الناحية فى دراسة الشيخ حسين المرصفى .. وهى منهجه العلمى الأدبى الذى قال إنه أبرز ما فى البحث .. فإذا كان هذا الاهتمام واقعاً فكيف يقترحه ، وإذا لم يكن واقعاً فلم أشاد به .. ؟

نتيجة المسابقات

ثم وقف الأستاذ عبد الفتاح الصـعيدى المراقب الإدارى للمجمع ، فأعلن نتيجة المسابقات ، وهى كما يلى :

١ — القصة : لم تجد اللجنة بين القصص المقدمة قصـة تستحق الجائزة الأولى ، ورأت أن خير القصص المقدمة قصـة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمـد ، فمنحتها الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه

٢ — الشعر : قررت اللجنة أن يمنح الأستاذ إبراهيم محمد نجا الجائزة الأولى للشعر وقدرها ١٥٠ جنيها على ديوانه « حياتى ظلال » وأن يمنح الأستاذ خالد الجرنوسى الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على ديوانه « اليواقيت »

٣ — البحوث الأدبية : لم تجد اللجنة بين البحثين المقدمين ما يستحق الجائزة الأولى ، وقررت أن يمنح الأستاذ محمـد عبد الجواد الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على بحثه « الحسين ابن أحمد المرصفى »

٤ — الكتب المحققـة : رأت اللجنة أن الكتب المقدمة لم تستوف شروط منح الجائزة

بقية الجوائز لوزارة المالية

كان المقرر لجميع الجوائز ألف جنيـه ، منح منهـا الفائزون ٥٤٠ جنيها، وذهب البـاقى — وقدره ٥٥٠ جنيها — إلى بيت المال « وزارة المالية » إذ منعت الجائزة الأولى فى كل من القصة والبحوث الأدبية ، ومنعت كذلك جائزة الكتب المحققة كما سبق. وفى رأيى أن أصحاب الإنتاج المقدم كانوا أولى من وزارة الماليـة التى لا تنتج أدبا تستحق التشجيع عليه !

الكوميديا الإلهية

كان الأستاذ كامل كيلانى قد لخص « الـكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى « دنتى اليجييرى » وألحقها بالطبعـة الثالثة من شرحه لرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، قاصدا بذلك أن يقرن بين العملين الأدبيين اللذين تشابها و كتبت البحوث المستفيضة فى مدى ما بينهما من تمـاثل أو تخالف ، وما قيل من تأثر دنتى بالمعرى فى الخيال الذى طاف بأرواح الخالدين فى العالم الآخر

وقد رأى الأستاذ أخيرا أن يعد هذه القصة « الـكوميـديا الإلهية » إعدادا يناسب الشباب ، فأفردها فى طبعة جديدة ، وتناولها بالدرس والشرح والتحليل فى خلال السياق نفسه

ولهذا العمل الذى يقوم به المربى الأدبى الـكبير الأستاذ كامل كيلانى ، ناحيتان لهما أكبر الأثر فى التثقيف الأدبى وبخاصة فى تنشئة الجيل وتخريجه وإعداده لتذوق الأدب الرفيع

الناحية الأولى هى قطف الثمرات الأدبية التى أخذت مكانها البارز على فروع شجرة الآداب العالية ، ومعالجتها بما يدنيها من أفهام الشباب وأذواق المـاصرين على العموم . وقد اختار من الأدب الغربى أربع قصص ذات صيت ، أولاها « الـكوميديا الإلهية » لشاعر الطليان ، والثانية « جلفر » لسويفت الانجليزى، والثالثة « روبنسون كروزو » لدانييل ديفو الانجليزى أيضا ، وقد ظهرت هذه القصص الثلاث ، وبقيت القصة الرابعة التى لا تزال تحت الطبع وهى « دون كيشوت » لسرفنتيس الإسبانى

ومما يذكر أن ثمت شبهـــا بين قصتى « روبنسون كروزو » و « حى بن يقظان » لابن طفيل ، كما بين « الكوميديا الإلهية » و « رسـالة الغفران » ويؤيد القول بأن صـاحب « ربنسون كروزو » استلهم « حى بن يقظان » أن هذه القصة العربية ترجمت إلى الانجـليزية سنة ١٦١٦ م ثم ترجمت من الانجليزية إلى عدة لغات ، وألفت « روبنسون كروزو » بعد ذلك بعشرات من السنين

الناحية الثانية ، أو الثمرة الثانية ، لذلك العمل الخصب ، هى الصياغة العربية الجميلة التى يصوغ بها الأستاذ الـكبير تلك الآثار الخالدة ، هذه الصياغة التى يعطى فيها الناشئ محصولا

فهيا من اللغة اللائقة له ، وعمل الأستاذ كيلانى فى هذا الحقل يشمل إنتاجه الوافر من بدئه مع الطفل فى روضته حتى يبلغ بالشاب مستوى النضج . وتراه هنا فى « الكوميديا الإلهية » يرتفع بفتاه إلى أسلوب يدنيه من أساليب البلغاء ، ويسيغ له ما يراه جديدا عليه من الكلمات بوضعها فى سياق مبين أو بشرحها بين الأقواس ، وهو يأتى بالكلمات المشروحة سائغة عذبة فى تركيبها ، ولم أجد فيها ما شذ عن ذلك إلا كلمتين ارتطمتا بذوق وهما « حبيه » و « وديه » فى العبارة التالية : « إن اسمى بيتريس وقد جئت إليك من دار النعيم ، يدفعنى حبيه (محبتى له) ويحفزنى وديه (مودتى له) ... » وأنا لا أميل إلى اختيار الكلمات لمجرد إضافتها إلى المحصول اللغوى دون أن تكون خيرا من غيرها

وإنى أورد هذه « الملاحظة » كرقية تقى سائر ما يتصف به أسلوب الكتاب من جمال — شر عين الحاسد ...

مظاهر أبهة وحقوق مضيعة :

قرأت فى الأسبوع الماضى كلة بتوقيع « أحمد محمد مرزوق » فى جريدة « اللواء الجديد » الأسبوعية ، قارن فيها الكاتب بين مقابلتين وقعتا له : الأولى مع وكيل وزارة المعارف المصرية (وكان إذ ذاك حسن فائق باشا) والثانية مع وكيل وزارة المعارف بألمانيا . لاحظ فى المقابلة الأولى فخامة المظهر من مكتب فاخر ومقاعد وثيرة ... الخ وما يصحب ذلك من حجب وانتظار ، وقارنه بما رأى فى وزارة المعارف الألمانية من بساطة وسرعة استقبال، متمنيا أن نأخذ بمثل هذا ونوفر للدولة ماينفق على تلك المظاهر وما تجر إليه من تعطيل مصالح الناس

الحقيقة التى لا شك فيها أن الواقع فى الدواوين عندنا ينطبق على ما ذكره الكاتب الفاضل ، بل هو أكثر منه ، وكثير من الكتاب يعقدون أمثال هذه المقارنات بين ما هنا وما هنالك . وفى الموضوع زوايا قد تخفى على بعض الأنظار ؛ وهى تتمثل فى اختلاف الحال بيننا وبين من نتطلع إلى واقعهم الجميل .. وأود قبل الإلمام فى هذه الزوايا ، أن أسأل : لم خص الكاتب حسن فايق باشا بالذكر ؟ ويدعونى إلى هذا السؤال أن فائق باشا بالذات من أقل كبرائنا المصريين ميلا إلى هذه الأبهة والعزة بالسلطان ، إلى ما عرف عنه من نظافة السيرة والتشبث بإحقاق الحق ، ولا يذكره بغير الثناء إلا الذين منعهم بالحق ما أرادوه بالباطل .. فمثل هذا الرجل لا ينبغى أن يذكر مثلا لأمر عام هو أقل الناس انطباقا عليه

أما الموضوع عينه فأحب أن يكون فى الاعتبار ، عند النظر فيه، إمكانيات واقعنا . إنه لا يكفى أن نطالب ولاة الأمور بفتح أبوابهم للشاكين وأصحاب الحاجات دون أن ينظر فى العوامل التى تكثر من أجلها الشكاوى والمطالب ، فإنهم لو فعلوا لأضاعوا وقتهم ولم يستطيعوا أن ينجزوا أعمالهم . والذين يقصدونهم إما صاحب حق مضيع من جراء الفوضى وإهمال الموظفين ، أو وصولى يسابق للظفر بما يرضى طمعه ، أو جاهل أحمق جاء يطلب مالا ينبغى أن يطلب ، ومن أمثلة هذا النوع الأخير رجل ذهب إلى مكتب وزير المعارف يقول إن ابنه المتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية سيسافر معه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ويطلب أن يؤجل امتحانه حتى يرجع فيعقد له امتحان خاص ..

وكل هؤلاء الطالبين والمطالبين قد استقر فى أذهانهم أن « كل شئ بالواسطة » فهم يريدون أن ينالوا بالوساطة كل شئ .. والتبعة فى كل ذلك تقع على ولاة الأمور الكبار فى مجموعهم ، فإهمال سواد الموظفين مصالح الناس لا يقع إلا من إغضائهم ، وتسابق المتسابقين لنيل ما يبغون بالحق أو بالباطل ناشئ مما يصنعه أولئك الكبار لـ « المحسوبين » مما يعرفه الناس ويذكرونه محتجين به عندما ترد مطالبهم

فلو عولج كل ذلك لما اضطر الجمهور ولا تسابق الطالبون إلى الهجوم والضغط على ولاة الأمور ، ولوجد هؤلاء الأولياء أنفسهم فى غير حاجة إلى الحجاب ومن يدفعون عنهم الملحفين، بل لوجدوا أنفسهم فى غير حاجة أيضا إلى الحجرات الفسيحة والأثاث المنضود ، لقلة القصاد ، وانحسار ما يضفيه عليهم المتوددون والمتزلفون . وإن أكثر ما نراه من الاعتزاز بالمناصب إنما هو من الحقوق المضيعة ...

عباس خضر

رسالة النقد

بطلة كربلاء

للدكتورة بنت الشاطىء

للأستاذ محمد رجب البيومى

حين علمت أن الدكتورة الفاضلة بنت الشاطىء قد أخرجت كتاباً عن بطلة كربلاء زينب بنت على، أخذت أسأل نفسى عما يمكن أن يحويه الكتاب من مواد، وجملت أتخيل ما يجوز أن تسطره الكاتبة القديرة، فلا يطوف بذهنى غير الدور المحدود الذى مثلته البطلة الهاشمية على مسرح كربلاء!! وقد سارعت بقراءة الكتاب وفى ظنى أن الدكتورة الفاضلة تعلم عن صاحبتها الكريمة مالا أعلم، وستتيح لنا قراءة كتابها الجديد أنباء طريفة لم تجد من يهتم بتسطيرها للقراء، ولكن هذا الظن تبدد حين طالعت الكتاب من ألفه إلى يائه، دون أن أجد ما يغيب عنى من أنباء السيدة الهاشمية، وبقيت منفردة بدورها الفريد الذى قامت به يوم كربلاء

فبأى حديث شغلت المؤلفة الفاضلة قراءها بضع ساعات؟! لقد بدئ الكتاب بحديث عن زينب بنت الرسول، وكيف تزوجت العاص بن وائل بمكة، ثم تركته إلى المدينة مهاجرة لدى والدها العظيم، وكيف وقع الزوج أسيرا يوم بدر ثم افتدته زوجته الحبيبة وكيف أسلم بعد ذلك ثم تزوجها ثانية بعد أن زال المانع الدينى!! كل ذلك قد شغل فراغا من الكتاب لتوافق السيدتين الهاشميتين فى الاسم فقط! ولإيضاح السبب فى تسمية زينب باسمها الكريم!! وكنا نتجاوز عن السيدة المؤلفة لو أسهبت فى حديثها — بلا مناسبة ملحة — مرة أو مرتين أو ثلاثا، ولكنها تمضى فى الكتاب على هذه الوتيرة فما تكاد تلم بموقعة أو حادثة حتى تسهب فى تسجيلها وتسطيرها، لأهون سبب وأضعف داع، مما جعلنى أعتقد أن الدكتورة الجامعية قد ظلمت كتابها ظلما عنيفاً، حين أسمته بطلة كربلاء، وماذا عليها لو استبدلت به عنواناً ينطبق على مدلوله فلا يصطدم القارئ بأنباء يعدها غريبة دخيلة!! أم أن السيدة الكاتبة تحب أن تتحدث فى غير موضوع كما يقال

ولقد كان للمؤلفة الفاضلة عذرها فى الاستطراد والإسهاب لو تحدثت عن بطل عاصر جميع الحوادث المسطورة فى الكتاب كعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه مثلا، فهى بإسهابها ترسم صورة صادقة للجو الذى يحيط بعلى، والحوادث التى تقع من حوله، وتتناقل إليه فيستجيب لها، وتحول سلوكه، وتفسر أعماله، ولكنها تتحدث عن أمور لا صلة لها بسيدة جاء دورها التاريخى بعد ذلك بعشرات السنوات فى كربلاء! فلم تكلف نفسها هذا العناء؟ وإذا كانت المؤلفة وهى أديبة ناقدة لا تجيز لكاتب يضع مؤلفا عن شوقى مثلا أن يكتب ثلاثة أرباع صحائفه عمن سبق أمير الشعراء من زمن محمد على إلى البارودى. فيتحدث عن العطار والخشاب وشهاب واليازجى والليثى وأبى النصر والساعاتى ثم يخص شوقى بعد ذلك بفصل أو فصلين لا يشغلان غير اليسير الهين من الكتاب!! إذا كانت المؤلفة لا تجيز لمؤلف أن يفعل ذلك، فلم تصنع هذا الصنيع فى كتاب تاريخى يكشف عن بطلة واحدة، ويوحى عنوانه بشىء واحد لا ينتظر القارئ سواه، هذا مالا أدركه بحال

وقد فطنت المؤلفة الفاضلة إلى ما يجره استطرادها المتواصل فى الحديث من شطط وجوح، فاندفعت تقول فى تبرير هذا الإسهاب

«وقد تمر فترة طويلة تغيب زينب خلالها فى غمرة الأحداث؛ بل قد نفقد أثرها أحيانا فى ضجة الدوى الراعد الذى كان يصم الآذان، ويدير الرءوس، لكننا سنجدها أخيرا بعد أن تكون الأحداث المنيفة قد هيأت المسرح لظهور كربلاء!

«ومن هنا يبدو عذرنا إذ نطيل الحديث عن معارك سياسية قد يظن ظان أنها لا تمس زينب من حيث صلتها بالقادة والأقطاب؛ على حين نرى فى كل هذه المعارك مقدمات لها خطرها فى توجيه حياة زينب وأثرها فى إعدادها لدورها الرهيب!!»

ونحن نرى الدكتورة بعد ذلك تختار حوادث خاصة تسهب فى تسطيرها وتدوينها ، ونترك حوادث أخرى لا تقل عنها أهمية وتأثيرا ونتيجة ، دون أن نلحظ فائدة حقيقية لهذا الاختيار ، فهى مثلا تطنب فى وصف معركة الجمل فتتحدث فى لجب من عائشة وقد قدحت فى عثمان أولا ، ثم خرجت تطالب بثاره ثانياً ، وتذكر النقاش الذى دار بين أم المؤمنين وفريق من المسلمين ، بشأن موقفها من على ، وتملل هذا الموقف بما يمكن أن يكون بين على وعائشة قبل ذلك من خصام ، والقارئ يلم من ذلك كله بحديث الجمل وأسبابه ونتائجه ، ثم ينتظر بعد ذلك فلا يجد سطراً واحدا عن موقعة صفين أو النهروان ، وهنا يسأل نفسه أ كانت موقعة الجمل ذات أثر فى نفس زينب يعظم عن أثر صفين ؟ وهل لا تستحق الموقعة الأخيرة أن يكتب عنها سطر واحد ،بجوار ما كتب عن الأولى من صفحات !! أم أن الكاتبة الجامعية تختار ما تتحدث عنه كما يتهيأ لها دون أن ترتبط بخطة ومنهاج !!

وندع الحديث عن الاستطراد الحائر فى سطور الكتاب وفصوله لنتحدث عن ظاهرة أخرى تلوح فى مؤلف السيدة ، وهى تتجه بنا إلى صميم بنائه وتجعلنا نتساءل عن حقيقته أهو تاريخى علمى صيغ فى أسلوب سلس مشرق ، أم قصة أدبية اتخذت أبطالها وحوادثها من التاريخ ؟ إن المؤلفة تجيب عن هذا السؤال فى أول سطر من المقدمة فتقول « هذا الكتاب ليس تاريخاً بحتاً ، وإن أخذ مادته كلها من مراجع تاريخية أصيلة ، كما أنه ليس قصة خالصة ، وان اصطنع الأسلوب القصصى — غالباً فى العرض والأداء » ثم تقول المؤلفة فى نهاية المقدمة « وهذا الكتاب لا يعدو أن يكون صورة لحياة تلك السيدة رسمها المؤرخون الثقات قبلى ، ثم جاء المنقبون، فأضافوا إليها ظلالا شبه أسطورية ،لها روعتها وعميق إيحائها ، وقوة دلالتها ، وقد حرصت ما استطعت على أصالة الألوان التاريخية دون أن أهدر هذه الظلال أو أهون من شأنها ، لأنها — مهما يكن رأى العلم والتاريخ فيها — عنصر فى صورة السيدة ، كما تمثلها السابقون وكما رأوها ، ولا أرى من حقى أن أسخر بأى ظل منها إلا إذا كان من حق الدارس النفسى أن يسخر بالأوهام والأحلام »

والقارئ حين يطالع هذه السطور يلمس تناقضا تاما ينكره ويأباه ، فالدكتورة الفاضلة تعلن من جهة أنها حرصت على أصالة الألوان التاريخية كما رسمها المؤرخون الثقات ، وتعلن من جهة ثانية أنها لم تستطع أن تغفل الظلال الأسطورية أو تهون من شأنها ، لما لها من الروعة والإيحاء ، وأن الذى يحرص على آراء المؤرخين الثقات لا ينبغى أن يلتفت إلى الأساطير والخرافات !! فإن فعل ذلك فقد ودع التاريخ والبحث العلمى ، وانتقل إلى الفن الأدبى ، يحلق فى أخيلته ، ويهيم بأوديته ، فلا ينتظر من القارئ بعد ذلك أن يعتمد على نتائجه وأحكامه ، بل ينتظر منه أن يعجب ببراعة اللوحة ، ودقة التحليل ، وأناقة التصوير . وهذا ما ينبغى أن يتوجه إليه ذهنه دون سواه !! لذلك كان من العجب أن تحدثك المؤلفة عن الأسطورة البلقاء ، ثم تعقبها بذكر مصدرها التاريخى القديم ، لتوهم القارئ أنها تتقيد بنصوص المؤرخين الثقاة !! ومن الصعب أن تجد من يؤمن بمصادرها الأسطورية من الناس !! وربما يتضح ما نعنيه من هذا المثال

لقد أرادت الدكتورة أن ترسم صورة للمهد الحزين الذى تقلبت فيه الوليدة الجديدة زينب حين استقبلت الحياة ، فوفقت الكاتبة فى شئ وخانها التوفيق فى شئ آخر .. وفقت حين ذكرت أن الزهراء رضى الله عنها لم تكن أثناء الحمل مشرقة مطمئنة ، فقد كانت تعتادها نوبات من القلق والاكتئاب ، أخذت تزداد بعد موت والدتها خديجة ، ثم اشتدت حين حلت عائشة مكان الراحلة العزيزة ، وهو المكان الذى ترك بضع سنين لفاطمة ، ثم كان بين الابنة وزوجة الأب ، ما يشبه الذى يكون بين مثيلاتهما من الناس ، وفى هذا القلق المضطرب ، والنزاع الحائر ، ولدت الطفلة العلوية ، فتأثرت بما يحيط بها من حيرة ونزاع ، وأظل مهدها الوديع سحاب من الحزن والاكتئاب !!

هنا ندرك التوفيق لأن الكاتبة تنتزع فروضها ونتائجها من الواقع المشاهد ، أو المحتمل أن يكون ، ولكننا نتلمسه بعد ذلك فى بقية الفصل فلا نجد ما يدل عليه ، إذ أن المؤلفة تنزع إلى

الأسطورة المكشوفة ، لتكمل بهـا صورة رهيبة للمهد الحزين ، فوالد الطفلة ، ووالدتها خائفان متحسران إذ سمعا من الرسـول ما ينبئ بمصرع الحسين فى كربلاء ، فقد أعطى النبى زوجته أم سلمة زجاجة بهـا تراب حمله إليه أمين الوحي ، وقال لهـا : إذا صار التراب دما فى القارورة فقد مات الحسين !! وهنا تحول بيت الزهراء جمرة موقدة من الحزن والهلع ، وجاءت الوليدة لتتـأثر بما يغمر البيت من لوعة واكتئاب

والدكتورة الفاضلة تضيف إلى خبر أم سلمة خبرا مثله عن زهير بن القين البجلي ، ليتم لهـا صورة قاتمة للمهد الحزين ، ثم تنقل شكوك المستشرقين فى صحة هذين الخبرين ، وما يجرى معهما فى مضمار واحد ، وتعقب على ذلك بأنها — بنت الشاطئ — لا تحيل أن يكون شيئا من هذه الشائعة قد شاع !! وأن المؤرخين المسلمين لا يشك أكثرهم فى أن هذه الروايات صادقة كلها !!! وليس الأقدمون وحدهم هم الذين زهوا مثـل هذه الروايات عن الشك ، بل إن من كتاب العصر من لا يقل عنهم إيمانا بتلك الظـلال !! كل ذلك ليكتمل للمؤلفة موضوعهـا الطريف الذى اختارت لعنوانه هذه العبارة الأنيقة « ظلال على المهد » ولا أدرى لم جنحت المؤلفة إلى تسطيره وهو وحده يميل بالقراء إلى الشك فى جميع فصول الكتاب !!

إن هذه الأساطير — كما تقول الدكتورة — تصور زينب رضى الله عنها كما تمثلها السابقون من الرواة ، ولكنها لن تجعل وحدها المهد المستقر الوادع حزينا قلقا يغشاه الاكتئاب ، فإذا أرادت المؤلفة أن ترسم صورة لمكانة السيدة فى النفوس ، فلتعمد إلى هذه الأساطير مستمدة منها الظلال والأضواء ، ولن يعارضها فى ذلك ناقد يجهر برأيه للقراء ، أما إن اتخذت منها الكاتبة مادة لإيقاد الحزن والكآبة فى مهد الوليدة المسكينة فهذا ما لا تقبله العقول مهما امتلأت به الصفحات !!

ونحن نسخر بهذه الأساطير دون أن نبيح للدارس النفسى أن يسخر بالأوهام والأحلام ، كما تقول الكاتبة الفاضلة . لأن المحلل النفسى يتخذ مادة أبحاثه من أحلام المريض وأوهامه ، فهو لم يخرج عن النطاق فى شيء ، وهنا يجب ألا نسخر به ، أما إذا لجأ إلى أحلام مريض آخر ليصل بهـا إلى تشخيص علاج حاسم لمريضه الأول ، فهنا يجب أن نوجه إليه النقد الخاص ، وهذا ما فعلته الدكتورة المؤلفة ، حيث استدلت بأساطير ملفقة وضعها القصـاصون حول سيدة كريمة لا نتصور مكانتهـا لدى هؤلاء القصاص ، بل لنتخذ منها دليـلا على ما صادف المهد من لوعة واكتئاب ، وكأن الكاتبة بذلك تمحو الشقة الواسعة بين الواقع والخيال ، ودونهما المطارح النازحة والمهامه الشاسعات

هذا وقد كانت المؤلفة تخط كتابها عن بطلة كربلاء ، وفى ذهنها أنه سيكون من بين كتب الشهر التى تصدر عن دار الهلال ، ونحن لا نشير إلى ذلك عبثا ، بل نعنى أن الدكتورة كانت مقيدة بعدد معين من الصفحات يتحتم ألا تنقص عنه ليخرج الكتاب فى حجمه المعتاد ، ولعل هذا الوضع الحتمى قد قذف بها مضطرة إلى ما أخذناه عليها من الاستطراد الحائر المتذبذب ، كما دفع بها إلى نوع من التحليل يقوم على الفرض البعيد ، والتـأويل المتكلف ، وللقارئ أن يطالع حديث الكاتبة عن الصبا الحزين ، فسيجدها تتحدث عن زينب وهى فى الخـامسة من عمرها ، كما لو كانت تناهز العشرين ، فتفرض أنهـا انعطفت إلى أبيها بعد موت الرسول ، فسمعته يتحدث عن الحق المغتصب للأسرة فى الخلافة ، ويتألم للمكانة المجحودة ، وللقـربى المهدرة ، كما لم تنس الصغيرة ذات الخمس منظر عمر وقد اقتحم بيت الزهراء ليحمل عليا إلى البيعة !! وما تبع ذلك من نقاش بين الزهراء والصاحبين الراشـدين ، فليت شـعرى أيمكن أن تكون هـذه الأحداث ذات علاقة ماسة بالصغيرة الطفـلة ! ! إننا نعلم ما يقرره علمـاء النفس من أن أحداث الطفولة ذات آثار هام يصحب المرء طيلة حياته ، فلا يستطيع أن يتخلص من تأثيرها الساحر ، مهما امتد الزمن وتطاولت الحياة !! ومن هنا كانت العناية بتنشئة الطفل مقدسة محتومة . ولكن أى الأحداث تنفرد بالتأثير والبقاء طيلة الحياة ؟؟ من المؤكد أن ما يتعقله الطفل ، ويلمسه بيده ، ويخالط شعوره وإحساسه ، هو ما ينطبع فى مخيلته ، ويصاحبه فى مراحل عيشه ، أما ما يحيط به دون أن يدرك مراميه واتجاهاته ، فلا يأخذ مكانه من الشعور والإحساس ، بل يمر مرا سريعا طائرا دون أن يخلد إلى ركون واستقرار ، وما أرى أن بيعة المسلمين لأبى بكر دون

على قد خالطت شعور الطفلة الناشئة ، أو جالت بخاطرها بضع لحظات ، فلم نتخذ منها مقدمة لنتيجة لا تؤدى إليها بحال ، وقد يكون ما ذكرته السيدة عن وفاء الزهراء ، وزواج على بأخريات بعد فاطمة ، قد ترك أثره المحزن فى نفس الطفلة ، لأنها تحسه تمام الإحساس ، أما حديث البيعة والنقاش بين فاطمة والصاحبين فما لا يقام له حساب فى هذا الموضع بالذات ، إلا أن يكون الغرض تسويد الصفحات

هذه بعض ملاحظات عابرة لا تغض من قيمة الكتاب ، وقد تحاشيت أن أناقش كثيرا من الجزئيات التاريخية ، فأعرض لها بتأييد أو تفنيد ، مكتفيا بالملاحظات الرئيسية التى تشمل الأساس والتصميم دون أن أخص أحجار البناء المتراصة ، حيث كان الحشو اللين منها محاطا بأعمدة صلبة تعوقه من التداعى السريع ، ولا ننكر فى النهاية ما بالكتاب من سلاسة مترقرقة تجذب القارئ إلى مطالعته فى شوق وارتياح ، وتحمل آلافا من الكسالى الخاملين على القراءة المثمرة والاطلاع المفيد ؛ بدل أن يعكفوا على الروايات البوليسية ، والقصص العاطفية ، وما تزخر به الصحافة الماجنة من تبذل واستخفاف

(أبو تيج) محمد رجب البيومى



فرقة المسرح المصرى الحديث

فى روايتى

(كسبنا البريمو) و (طبيب رغم أنفه)

للاستاذ على متولى صلاح

بدأت فرقة (المسرح المصرى الحديث) موسمها الثانى بدار الأوبرا الملكية بتقديم مسرحيتين معاً فى ليلة واحدة، لأن واحدة منهما منفردة تقصر عن الوفاء بالليلة كلها، أولاهما (كسبنا البريمو) للسيدة الفاضلة صوفى عبدالله، وأخراهما (طبيب رغم أنفه) لموليير

ونستطيع أن نلخص الأولى — فى كلمات قصار — بأن عاملا أصيب بكسر فى ذراعه اليمنى وهو يقوم بعمل إنسانى نبيل، فأقعده ذلك عن العمل ، وضاقت به الحال حتى اضطر إلى أن يبيع أوراق (اليانصيب) فى الطرقات ، وهو عمل لا يكاد يخلف عليه من الرزق ما يمسك أوده وأود زوجته وابنته .. وأخذت حياتهم تنحدر من سيئ إلى أسوأ ، وكانت الزوجة حاملا فى شهرها السادس فراودت نفسها — تحت تأثير ضرورات العيش الملحة القاسية — أن تجهض نفسها (كذا !!) وتتخلص من هذا العبء الجديد! ولكن الأمر لم ينته إلى ذلك ، بل تحول إلى بيع الزوجة جنينها لقوم أثرياء ابتلاهم الله بالعقم ، وهم يلتمسون الولد التماساً ليورثوه ما يملكون من مال وعقار .. ولكن ظرفاً لم يكن منتظراً غير مجرى هذا التحول وأنقذ الوالدة والجنين وجلب لهم كذلك مبلغاً طيباً من المال من حيث لا يحتسبون ! وهكذا انتهت المسرحية..

والموضوع — كما يرى القارئ — ضحل قريب المتناول ، والافتعال يسرى فى جميع الحوادث ، ولولاه ما نهضت حادثة واحدة من حوادث المسرحية كلها ، ولانهارت عند أول مواقفها ! وليس فى الأمر موضوع ولا عقدة ، وأغلب الظن أن المؤلفة الفاضلة لا تهدف إلا إلى أن تخاطب أعنف الغرائز فى الإنسان ، وأن تعرض عليه مجموعة من البشاعات التى يرتاح بعض ذوى العقول البسيطة لرؤيتها ، وأن تمتع نظره — لا عقله وقلبه — بمشاهد متتابعة من الفاقة والحرمان وضيق الحال وما إليها . وأنا أقول (المشاهد) وأنا أعنى ما أقول ، فليست هذه المسرحية — فى الحق — إلا مجموعة من هذه المشاهد العنيفة الصارخة (ميلودرام) لا تحمل فى طياتها شيئاً غير صورها الظاهرية ، فإذا انتهت هذه الصور انتهت معها كل عاطفة ، وسكنت فى المشاهدين

كل ثائرة ، وأصبحت المسرحية — بعد دقائق معدودة من شهودها — فى ذمة التاريخ

هذا — إلى أن الرواية ملأى بعيوب يحسن بالمؤلفة الفاضلة أن تعنى بتلافيها ، وأن تأخذ نفسها بكثير من الجد والصرامة حتى تخلص منها ، فهى لم تستطع أن تبث الحياة النابضة فى شخصية واحدة من شخصياتها ، اللهم إلا شخصية (الداية) ، ولم نر فى العواطف المبذولة أمامنا تحولا أو تغيراً ، وإنما هى صور متكررة متماثلة تقريباً ، واضحة التفكك والتفرق ، وبعض النكات التى أوردتها فيها انحراف ونبو عن الذوق يجمل ألا يعرض على الناس ، كقولها للضابط الذى يسأل عن دورة المياه إنها (فى وش حضرتك) ! فهذا كلام لا يقال على خشبة المسرح التى يجب أن تكرم وتصان عن هذا الدرك الأسفل من المزاح .. أما الافتعال فقد سبق أن قلت إنه أساس هذه المسرحية ، ويبدو هذا بأجلى صورة فى الخاتمة فهى افتعالات يجر بعضها بعضاً ، كاستدعاء البوليس لمجرد تأوه الزوجة الحامل ! وتصادف حضور الطبيب بعد ذلك بدعوة من هذا البوليس ! ثم تصادف حضور المرأة الثرية التى اشترت الجنين والطبيب موجود ، فإذا به ابن أخى زوجها وأحد الذين تريد أن تحجب الميراث عنهم !! وهكذا نجد سلسلة عجيبة من الافتعالات التى تزهق روح المشاهد !!

ونصيحتى للسيدة الفاضلة أن تؤجل الكتابة للمسرح بضع سنوات تدرس فيها هذا الفن ، وأن تعلم أن الأمر فى المسرح ليس كالأمر فى الأقصوصة القصيرة التى تنشر الكثير منها على الناس ، وأن المسرح عسر لا يدر

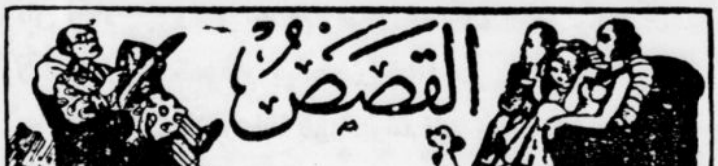
وأما الرواية الثانية فهى رواية ذلك الرجل الذى أكرهته الظروف على أن يكون طبيباً رغم أنفه فكان ! وعرضت عليه فتاة اعتقد أهلوها أنها أصيبت بالبكم ليحل عقدة لسانها ، فعرف السر الخفى فى هذا البكم ، وأدرك أن الفتاة تدعيه تخلصاً من زيجة يريد أهلوها أن يكرهوها عليها وهى تعشق فتى آخر ! فانحلت العقدة من لسانها ونهض الرجل قاطع الأخشاب بما لم ينهض به نطس الأطباء ، وانتهى الأمر بانطلاق لسانها وزواجها من عشيقها معا !!

وهى رواية ذات فصل واحد ، إلا أنها فى الذروة من كمال التأليف وحسن العرض وحبكة الموضوع وجمال النكات وعفتها وعدم ابتذالها ، إلا أنهم أرادوا أن يصبغوا بعض هذه النكات بالصبغة المحلية فأوردوا الكلمة المشهورة (موت يا حمار لما يجيلك العليق) فكانت وسط نكات موليير كالرقعة فى الثوب الجميل الصقيل ! ! وأنا أسوق هذه على سبيل المثال ، فقد ورد سواها ولكنه كان أخف وقعاً من هذه الصخرة العاتية !

هذا — وقد نهض بإخراج هاتين الروايتين شاب مرموق كان باكورة ما قدمت لنا فرقة المسرح المصرى الحديث من المخرجين ، بعد أن غمرتنا بالممثلين والممثلات ممن ثبتوا على خشبة المسرح ثباتاً لا يرجى بعد اليوم له تزعزع أوانهيار ، وقام بالإخراج قياماً نحمده له كثيراً ، وإن كنت آخذ عليه أنه لم يحسن اختيار الأثاث فى (طبيب رغم أنفه) فقد جاءنا بما لم يكن فى هذا العصر من أثاث ، وأورد من الكراسى والستائر مالا يتفق مع ما كان قائماً فى عصر لويس الرابع عشر ، وعلى كل فأنا أرجو لهذا المخرج الشاب أن يمضى قدماً فى فنه ، وأهنئ الفرقة بهذه الباكورة الطيبة من شبابها المتوثب الناهض

أما الممثلون فقد بلغ بعضهم منزلة لم يبلغها — بعد — السابقون الأولون من رجال المسرح ، فقد كان عبد الغنى قمر (الطبيب) — مثلا — يمضى على المسرح فى خفة ورشاقة ، ويؤدى دوره فى صورة طبيعية حاذقة فاهمة ، كأنما هو يقرأ من كتاب مفتوح داخل جدران أربعة لا يراه فيها إنسان !! الحق أن الأستاذ عبد الغنى قمر جدير فى قيامه بدور هذا الطبيب بالإعجاب الذى لا حد له ، وقد أغفلت الثناء على الآخرين لأنى سأختار من كل رواية ممثلها الأكثر براعة وخفة وفهماً لدوره ، على أن يكون واحداً فرداً فى كل رواية دون نظر إلى نفس الدور الذى يقوم به كبر أم صغر ، وقل أم كثر .. وقد نظرت إلى ذلك الواحد فى هاتين الروايتين فكان « عبد الغنى قمر » ...

على متولى صلاح



الشيطان والعجوز

عن الكاتب التشكوسلوفاكي جي راب

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

جلست عجوز شمطاء إلى مائدة بين الأشجار ، في حديقة الحانة ، بعيدة عن البقعة التي يتحلق فيها الراقصون من فتيات وفتيان ، يدورون وينقرون بأقدامهم على ألواح الخشب التي رصت على أرض الحديقة فغدت صالحة للرقص

ظلت العجوز تتأمل ما يجرى أمامها دون أن يبدو عليها أنها تهتم بها ، وقد كانت هي الوحيدة التي تجلس وحدها منزوية في تلك الحانة ! فبذلك لفتت انتباه إحدى الفتيات ، فقالت لفتاها ساخرة :

— انظر ، تلك عجوز تقتصي ، ما أمكر نظراتها .. ما لها لا ترقص وإيانا ؟!

فتمتمت العجوز :

— أين الذي يراقصني ..؟ إنني مستعدة ، حتى لو طلب إلى الشيطان أن أراقصه لما رفضت

عندئذ تقدم رجل غريب ، أسمر اللون ؟ يلبس قبعة خضراء واسعة ، قامت عليها ريشة طويلة ، فانحنى أمام العجوز قائلا :

— أتمنحينني شرف هذه الرقصة ؟

.. فرقصا .. وبالرغم من برودة الجو ورطوبة المناخ استمرا يرقصان بنشاط غريب وبشكل عجيب ! وكلما تلكأت الموسيقى وفترت قليلا رمى ذلك الرجل الغريب قطعا من النقود الذهبية إلى أفراد الفرقة الموسيقية وأمرهم بالاستمرار ..

استمر الرقص حتى منتصف الليل ! فتوقف الرجل الغريب ثم سحب زميلته العجوز مبتعدا بها عن ذلك المكان ! بعدئذ صمتت الموسيقى فسح العازفون جباههم . ولم يلبثوا أن فتحوا عيونهم دهشين ينظرون إلى الرجل الغريب والعجوز وهما يبتعدان متوغلين في الغابة القريبة !

.. وحين هم الرجل بمفارقة زميلته العجوز تشبثت به قائلة :

— اسمح لي بمرافقتك حتى مسكنك

فقال لها — إن مسكني بعيد ، بعيد جدا

فقالت — سأرافقك . لن أتركك ولو كان مسكنك في القطب الشمالي !

فقال — كما تريدين . ألقى نفسك على ظهري . وتعلق برقبتي جيدا

فلما فعل ضرب الرجل بقدمه اليسرى فانشقت الأرض ، ولمع ضوء كضوء البرق ، كما دوى صوت كصوت الرعد ! فهبط الاثنان إلى أعماق الأرض ! كان ذلك الرجل الغريب شيطانا رجيما !

فلما وصل بالعجوز إلى الجحيم ، أراد أن ينزلها من ظهره فأبت ! فحاول ثانية فمصت ! كانت تطوق عنقه بقوة حتى ظهرت عروق وجهه وجبهته زرقاء نافرة ! لم تنجح محاولاته الكثيرة .. فطفق يتجول بحمله الثقيل في أشد محلات الجحيم سعيرا وأكثرها أهوالا ! لكنها بقيت تطوق عنقه بشدة ! حتى ضاق ذرعا فتوجه إلى ملك الجحيم يسأله حيلة يتخلص بها من حمله . فضحك ملك الجحيم من حاله وقال له :

— الطريقة الوحيدة للنجاة — أيها المجنون — هي أن تعود بها إلى الأرض ، فتتركها حيثما وجدتها

رجع الشيطان إلى الأرض يصب كل اللعنات الجهنمية على عجوزه وعلى الساعة التي عرفها فيها . فسار في البرية يلهث من التعب ، فصادف راعيا شابا يغطي جسده بجلد من جلود الأغنام وما إن رأى الشيطان لاهثا حتى قال له هازئا :

— يا لها من طريقة لحمل النساء الفاتنات !

فقال الشيطان كاتما حنقه — هذه هي الطريقة التي نرتاح إليها عند السفر

أجاب الراعي قائلا — لم أقصد هذا ، إن حملك الجميل ثقيل جدا ، بحيث جملك تلهث تعبا ، هل أستطيع مساعدتك ؟

فلم يكد يسمع الشيطان هذا القول حتى تنفس الصعداء ، وأسرع يجيب متوسلا وقد تقاطرت من عينيه الدموع :

— بربك أيهـا الصديق ارحمنى ، اشـفق على ، فإنى أكاد أختنق ، أكاد أموت نعبا ، إنى بحاجة إلى الراحة ، ولا أستطيع السير خطوة أخرى ..

حينئذ قرب الراعى رأسه إلى عنق الشيطان ، فرأت العجوز فى الراعى شابا قويا ، له رداء فاخر ، فوجدته خيرا من الشيطان ، فأسرعت وتركت عنق الشيطان وطوقت عنق الراعى الشاب بقوة شديدة !

فلم يصدق الشيطان ذلك ، لم يصدق أنه أصبح حرا ، وأنه تخلص من تلك العجوز إلا بعد مرور وقت طويل .. ! فشكر للراعى صنيعه ، وتناول عصاه وأنشأ يقود القطيع تاركا إياه مع حمله .. خلفه

وبعد قليل رأى الشيطان صديقه الراعى يلحق به راكضا .. وحده ! دون أن يرى للعجوز أثرا على ظهره .. ففرك الشيطان عينيه وأعاد النظر ! فلم يصـدق ما يرى ..! حتى اقترب الراعى وقال :

— لا تدهش فقد تخلصت منهـا ببساطة . قصدت بحيرة قريبة فنزعت ردائى وكانت العجوز متعلقة بطوقه ، فألقيته فى أعمق مكان من البحيرة . ولم يلبث الرداء أن طفا على سطح البحيرة تاركا العجوز تحت الماء .. فأخذته وأسرعت إليك ، إذ يجب أن أسرع فى إعادة القطيع إلى الحظيرة

أجاب الشيطان مسرورا — إنى عاجز عن شكرك ، وأرى من الواجب على أن أرد لك مثـل هذا الجميل الذى قدمته لى .. سأتوجه إلى مدينة (براغ) فأحل فى جسد ابنة الملك وسيحاول الملك طردى ، مستعينا بكافة الوسائل ، لكننى لن أترك الفتاة . فسيضطر إلى جعل مكافأة كبيرة لمن يخلص ابنته الوحيدة منى ، وما عليك عندئذ إلا أن تأتى أنت ، فتهمس فى أذن الفتاة قائلا لى « أنا صاحبك الراعى » فأخرج بسرعة فتشفى الفتاة ، وبذلك تنال أنت جزاء إحسانك إلى

وما أن انتهى الشيطان من كلامه حتى واجه الريح ، ناشرا ذراعيه ، ثم انطلق طائرا فى الجو ، وتوارى بعد لحظات

فقطع الراعى مسافات كبيرة متوجهـا إلى (براغ) حتى وصلها بعد أيام . فوجد السـكان محتشدين فى كل ركن من الشوارع يتهامسون ويتناقشون ا فى تلك المصيبة التى حلت بالأميرة ابنة الملك . وبعد قليل توسط الساحة العـامة المنادى الرسمى وتلا البيان التالى الصادر من الملك :

« بما أن ابنتنا الأميرة المحبوبة مريضة ، قد داخلها شيطان خبيث ، فنحن نتألم لأجلها أشـد الألم . ونتوقع أن يأتى من يخلصها من ذلك الشيطان . فليسمع جميع أفراد الرعية وليـكن معلوما أن من يستطيع ذلك سيتزوج الأميرة فى الحال ، وسيكون وزيرى الأول فى إدارة المملكة »

فمضى الراعى ودخل القصر الملكى ، فرأى هنـاك رجلين يضربان بالسياط ، جزاء لهما على فشلهما فى طرد الشيطان! فأدخل الراعى على الملك . فنظر إليه هذا كأنه يرتاب فى صدق زعمه ، بيد أنه أدخله حجرة ابنته ، إذ كان مستعدا لتجربة كل علاج واتباع كل طريقة . فوجد الراعى الأميرة شاحبة الوجه ، مستلقية فى فراشها ناظرة إلى الأعلى بعيون شاردة كأنها لا ترى شـيئا ! فاستدار إلى الملك وطلب إليه أن يترك وحده ، فأجيب إلى طلبه . وعندما اختـلى الراعى بالأميرة تقدم وهمس فى أذنها بمـا لقنه الشيطان . فأجابه الشيطان « وداعا ، أنا راحل ، لكن اعلم أنها المرة الأولى والأخيرة التى أطيع فيها أمرك » وهنا لم يرق خاطف صاحبه دوى عنيف ، أحدثهما انطلاق الشـيطان ومروقه من النافذة

فأصبح الراعى زوج الأميرة ، كما أصبح الوزير الأول فى المملكة ، فقضى أياما مريحة هانئا

بعد أن غادر الشيطان جسد الأميرة حن ثانية إلى .. أميرة أخرى .. كأنه وجد لذة فى أجساد الأميرات افقد جاء إلى مدينة (براغ) رسول من المملكة المجاورة يلتمس من الوزير «الراعى» أن يتفضل لإشفاء ابنة الملك التى سقطت طريحة الفراش بعد أن داخلها الشيطان ! فتذكر الوزير الراعى ماقال له الشيطان فاعتذر عن إجابة طلب الملك المجاور، فأرسل هذا وفودا كثيرة، وألح فى الطلب ، بيد أن الوزير كان يقول : إنه غير قادر على ذلك « حتى لم يطق الملك الجار صبرا فأرسل يهدد الوزير بالحرب إذا هو رفض معالجة ابنته

فلم يسمع الوزير الراعي إلا أن ينزل عن رأيه ، فودع زوجه وركب فرسه قاصدا المملكة المجاورة

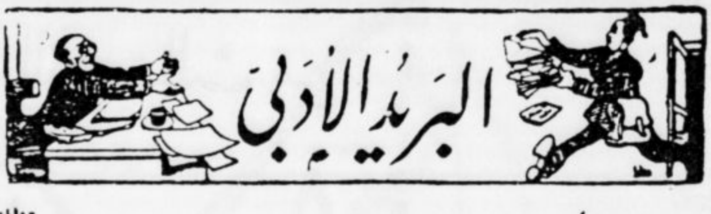
وعندما أدخل على ابنة الملك سمع صوت الشيطان يصيح به من خلال جسد الفتاة « ماذا تريد ؟ إني لن أطيعك هذه المرة . أنسيت قولي : إنك فاشل ، فأنا سأبقى هنا ولن أفارق هذه الفتاة ، فمن الخير لك أن تنسحب » . لكن الوزير لم ينسحب ، بل صمت مفكرا ثم تقدم وهمس في أذن المريضة مخاطبا الشيطان

— إنني آسف ، فلا غاية لي من ذلك أبدا ، إني أريد أن أخدمك أنت . ولك أن تبقى حيث أنت ، لقد جئت لأخبرك — أيها الصديق — أن تلك العجوز لم تغرق في البحيرة ، لقد نجت وقد رأيتها تجد السير في طريقها إلى هذا المكان !

وهنا رأى الوزير ستائر النافذة تتمزق شر تمزيق ؟ كما رأى المليكة تستوى جالسة ، فقد غادرها الشيطان .. وغادر الغرفة بسرعة غريبة ، بحيث لم تحدث صوتا ولا ضوءا ولا حركة .. إلا أن الستائر تمزقت عند مروقه منها

ومنذ ذلك اليوم لم تعرف تلك البقعة من الأرض مصيبة أخرى من مصائب الشيطان ؟

نزيل البحرين **كارنيك جورج ميناسيان**



آن للأزهر أن ينهض

نشرت الصحف المحلية أخيرا أن إدارة الأزهر قررت عمل مسابقة علمية بين مختلف طلاب الأزهر وكلياته وأنها رصدت ألفي جنيه مكافأة للفائزين ؛ وهذه خطوة مباركة جديرة بالإكبار والتمجيد طالما تمنيناها ودعونا لها وطالما تمناها المخلصون للأزهر ودعوا لها لأنها ذات أثر فعال لشحذ همم الطلاب واستغلال جهودهم وحيويتهم للاستزادة من العلم والتنافس في حلبته خصوصا ونحن الآن في زمن طغت المادة فيه على كل شيء وأصبحت هي الحافز الأول والأخير لصقل العزائم وتسخير القوى ، وليس من الكياسة في شيء إغفال هذه النزعات أو الاستهانة بها والتهوين من قيمتها ، وسيرى الناس كافة الأثر الواضح لتلك الخطوة المباركة ، وسيرون جميعا توثب طلاب الأزهر لنهضة علمية نافعة تظلل هاماتهم بالمجد والفخار وتملي من شأن جامعتهم العتيقة التي نرجو أن تظل فتية مثمرة . وآمل بإذن الله تعالى أن تحافظ إدارة الأزهر على هذه السنة الميمونة ، ويا حبذا لو ضوعفت قيمة المكافأة ليجعل نصفها للفائزين من بين الطلاب ويخصص نصفها الآخر للأساتذة والخريجين الذين ينتجون أحسن مؤلفات علمية في الدين والأدب واللغة والاجتماع ، وأرجو للأزهر المزيد من هذه الخطوات النافعة لينفض عن نفسه غبار الكسل وسبة التقاعد حتى يشع ضوءه ويلمع سناه في جميع الآفاق

علي ابراهيم القنديلي

الوتد الغائب

وقف الملاحظ الأسبوعي في العدد ٩٧٥ من الرسالة عند بيت من الشعر في قصيدتي « الفدائيون » المنشورة في مجلة « المسلمون » وهذا هو نص البيت من أصل القصيدة (في خطاب الشعب) : —

كل هذا .. وأنت في دورة الأيام تمشي مستغشيا في سباتك !

فلعله يطمئن الآن إلى أن « الوتد المجموع . . » مازال حاضرا في التفعيلة الثانية من عجز البيت ، وأن أختها الأولى هي التي ظلمها جهاز المطبعة بالعجلة التي وقانا الله شرها في هذا الزمان

محمود حسن إسماعيل

رأسا ...

لاحظت أن شركة مصر الجديدة كتبت على وجهة مركباتها التي تقوم رأسا من مصر الجديدة إلى القاهرة كلمة « طوالي » بالخط العريض ... فيا حبذا لو اختارت الشركة كلمة « رأسا » بدلا من كلمة « طوالي » فهي أصح لغة ، وأرق تعبيرا .. وتؤدي نفس المعنى المقصود !

عيسى متولي

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

السكتلة الإسلامية ... ... : الأستاذ أحمد حسن الزيات بك .. ٤٠٥
كلمات ... ... : « علي الطنطاوي ٤٠٦
قرية الأدباء ... ... : « أحمد أحمد العجمي ٤٠٩
لغة المستقبل ... ... : « محمد محمود زيتون ٤١١
دعوة محمد — لتوماس كارليل : « عبد الوجود عبد الحافظ ... ٤١٣
لا يا حضرة القاضي ... ... : « عبد الجواد رمضان ٤١٧
عدى بن زيد العبادي ... : « محمود عبد العزيز محرم ... ٤١٩
الوجودية في نظر التحليل النفسي ... ... « شاكر السكري ٤٢٢
حريق القاهرة (قصيدة) : « عثمان حلمي ٤٢٣
(المسرح والسينما) — كذب في كذب — مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك — للأستاذ علي متولي صلاح ٤٢٤
(الكتب) — الصعلكة والفتوة في الإسلام — تأليف الدكتور أحمد أمين بك — للأستاذ محمود عبد العزيز محرم ... ٤٢٦
(البريد الأدبي) — من أين لك هذا — عبد المنصف محمود باشا ٤٢٩
(القصص) — جندي قبل الإعدام — عن الإنجليزية ٤٣١

20 me. année No 980

Le Caire 14 – 4 – 1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٠ «القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ١٣٧١ — ١٤ أبريل سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

الكتلة الإسلامية

كتب إلى كثير من قراء الرسالة يسألونني عن رأيي في الكتلة الإسلامية التي تدعو إليها باكستان و (الإخوان) ، ويستوحش من ناحيتها لبنان و (الشبان) ، فلم أجد جوابا عما يسألون خيرا من كلمة كتبتها منذ خمس سنين في الرسالة جاء فيها :

إن الجامعة الإسلامية هي الغاية المحتومة التي ستتوافى عندها الأمم الإسلامية في يوم قريب أو بعيد . ذلك لأنها النظام السياسي الذي وضعه الله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ؛ ثم شرع له الحج مؤتمرا سنويا ليقوى ، وجعل له الخلافة رباطا أبديا ليبقى . وهذا النظام الإلهي أجدر النظم بكرامة الإنسان ؛ لأنه يقوم على الإخاء في الروح ، والمساواة في الحق ، والتعاون على الخير ، فلا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين طبقة وطبقة

وظلت الجامعة الإسلامية في ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج قوية شاملة حتى خلافة المتوكل . ثم وهى السمط فانفرط العقد ، واضطرب اللسان فتفرقت الكلمة . فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يبرموا الخيط ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب . فبقي المسلمون عباديد لا يجمعهم نظام ولا تؤلف بينهم وحدة . ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين في أواخر القرن التاسع عشر فتعاوت على جسدها المنحل ذئاب الغرب ، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذيادا عن ملكه فهروا هرير الكلاب المذعورة . وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هي التعصب وسفك الدماء ، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع . وكان الاستعمار قد توقح وفجر ، فنشأت العصبية الوطنية في الأقطار الإسلامية لدرء خطره أو تخفيف ضرره . والوطنية لا تعارض الجامعة ، ولكنها تفارقها في الطريق لتلاقيها عند الغاية .

إن أوربا التي مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية ، لأنها وحدها تملك غرس الوئام في النفوس وإقرار السلام في العالم . إنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل في خير مكان من الأرض ، وتشمل مئات الملايين من الناس ، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد ، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها في الصفحات العظمى من التاريخ . فمن المحال أن تظل نهبا مقسما بين فرنسا الحمقاء ، وإنجلترة المتطفلة ، وهولندة الأنثى !

أما الشبهات التي تطير هنا وهناك حول الكتلة الإسلامية فقد طار أمثالها من قبل حول جامعة الدول العربية لأن (إيدن) أوحى بها ، وحول الدولة الباكستانية لأن (مونتباتن) سمى لها ؛ ثم جلا الزمن الشكوك ، ومحص الوعي الحقائق ، فذهب إيدن وبقيت جامعة العرب ، واختفى مونتباتن وسطعت دولة الإسلام

احمد حسن الزيات

كلمات

للاستاذ على الطنطاوى

١ — طفلان

حدثنى صديق لى أديب قال :

رأيت البارحة موهناً (١) وراء ديوان المحاسبات وقهوة الشارع وهاتيك القصور الشم والمنازل العوالى — رأيت مشهداً أقر بأنى عاجز عن وصفه لكم ، فإن كان باقياً لا يزال ، وكانت رحمة الإنسان باقية — لا زال — فيكم ، فاذهبوا لتروه بعيونكم .

اذهبوا ، وخذوا معكم قلوبكم فإنكم ستحتاجون إليها ، واحملوا دموعكم لتريقوها أمام هـذا المشهد الذى يرقق قلب الصخر ، ويفجر بالدمع عيون الجلمود ، ويملأ بالشفقة والحنان أقسى القلوب : قلوب الشياطين والجلادين والمحتكرين

مشهد طفلين أحـدهما فى نحو التاسعة والآخر فى الرابعة ، ما عليهما إلا خرق ومزق وأسمال ، نائمين على الأرض عند باب القهوة ، متداخلين متعانقين ، قد التصق الصغير بأخيه ، وألقى برأسه على صدره العارى من اللحم ، يحتمى به من البرد والخوف ، وقسوة الحياة ، وظلم الناس ، ولفه الآخر بذراعه يريد أن يدفع عنه بهـذه الذراع الهزيلة ، شر هـذا البشر ، ويكون له أماً ، ويكون له أباً . وكان وجه الصغير واضحاً فى شعاع القمر الشاحب ، فيـه الطهر ، وفيه الألم ، وعلى شفتيه المزمومتين بقايا كلام حسبتها من بعيد بقايا لعنة حامية رمى بها هذا المجتمع ، فلما دنوت لم أجد إلا آثار شكاة خافتة مبهمة، رفعها هذا الفم الصغير الذى ما تعلم البيان ، إلى الله المنتقم الجبار !

طفـلان ينـامان فى الطريق ، ما تحتهمـا إلا الأرض العارية ، وما فوقهما إلا السماء العالية ، والناس الخارجون من القهوة بعد السهرة الممتعة ، والعائدون من الوليمة بعد الأكلة المتخمة ، والرائحون إلى بيوتهم من التجار ، بعد خلوة طويلة أعـدوا فيها العدة لجناية جديدة قذرة على هذا الشعب المسكين ، والغادون إلى النوادى والملاهى ليبدأوا سهرة أخرى ، يصبون فيها مالهم على الموائد الخضر ، ويذوبون صحتهم فى كؤوس الخمر ، ويضيعون دينهم فى تلك الليالى الحمر ، فى الفسق والعهر ، كل أولئك كانوا يمرون بالطفلين ولـكن لا يلتفتون إليهما ، ولا يحفلون بهما ، وهل يحفل أحد بالـكلاب النائمة فى الطريق ؟

من أين جاء هذان الطفلان ؟ أين أبوهما ؟ أين أمهما ؟ كيف يعيشان ؟ هل ابتسم لهمـا الحظ فوجـدا (تنـكة زبالة) لأحد الأكابر لينبشاها ، فيستخرجا منها عشاءهما أم باتا على الطوى ؟

لم يسأل أحد ولم يعلم أحد ؟

ولا أنا ... وهل أنا إلا واحد من (هؤلاء) الناس ؟!

قال الراوى :

وأسرعت إلى أولادى ، أحمل إليهم الحلويات الغالية ، أعدها لهم بجنب السرير ، حتى إذا أصبحوا وجدوها ، وأغطيهم كيلا تصيبهم لفحة هواء فى هذه الليلة العاصفة ، حتى إذا أمنت عليهم وأرحت ضميرى . . قمدت أكتب مقالة فى محاربة الشيوعية ، ومكافحة الإجرام ، وتمجيد النظام الديمقراطى الذى يملأ الأرض حرية ومساواة وعدلا وأمنا

***

وخلا شارع بغداد إلا من الرياح العاتية ، والكلاب الشاردة ، وهذين الطفلين اللذين ينامان على الأرض بلا وطاء ولا غطاء ؛ ليس معهما إلا أشباح الظلام ، وتهاويل الرعب ، وآلام الجوع والبرد والحرمان !

٢ — عواقب اللذات :

كنت أطالع إضبارة فى محكمة الجنايات فوجدت صفحات فى الفسوق تثير الشيخ ، وتصبى الحليم ، وتشعل النار فى أعصاب الشاب القوى ، حتى ما أظن أن فى الدنيا قصة من قصص الأدب المكشوف ، تفعل فى إثارة الشهوة فعلها فتركت الإضبارة ، وفـكرت ...

وقلت . . .

— هل تريد يا على الطنطاوى أن تكون مكان هذا الرجل

---

(١) الوهن والموهن نصف الليل

تعيش هذا العيش اللذ بين الغيد الأوانس ، والعذارى الفاتنات ؟ قل ، وخل عنك هذا « الكذب الاجتماعى » الذى تعارفه الناس

فسكت على الطنطاوى ، وتكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تكون مكانه فى السجن ؟

— قالت : لا قلت : ولمَ ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت ، وبقى عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان إلى لذة محرمة فلت إليها ، وتقول لنفسك إنها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضيات ، ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل إلى خير فتكاسلت عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك إنها ستذهب هذه المشقة ويبقى الثواب ؟

فكر فيما عملت من حسنات وخير ؛ بذلت فيها من جهدك ومالك ، وخالفت فيها هواك ، ماذا بقى من الصعوبة التى وجدتها عند الحسنات ؟ وماذا بقى من اللذة التى أصبتها عند المعاصى ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة وبقى ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقى عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان إن كان قد جد وجد النجاح ونسى تعب المطالعة ونصب السهر ، وإن كان قد لها ولعب فقد متعة اللهو وأنس اللعب ؛ ولقى (السقوط) .

فقس الآتى على الماضى ، ولاتبع آجلا خالداً بعاجل فان ، ولا تغتر بحلاوة العسل إن كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء إن كان فيه الشفاء ..

وتصور أنك على فراش الموت ، وقد باد الأمل وجاء الأجل .. ما الذى تحسه فى تلك الساعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذى بقى لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقى لك شىء منها ؟ هيهات ! لقد نسى الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ؛ وضاع المال فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت ، والصحف وقد نشرت ، والحساب وقد أعلن ؛ وكل ذرة من خير قد قيدت لك ؛ وكل ذرة من شر قد سجلت عليك ؛ أحصاه الله ونسيته ، وعده وأغفلته ، أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذاذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟ ما الذى استفدته منها ؟ ما أفدت إلا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟ ما استبقيت إلا الألم !

***

فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد إلى عملك ، وكل مساء وأنت مضطجع لمنامك ، وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...

جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تكون بعدها .

٣ — المعلم الأديب

فتحت اليوم درجا لى فيه أوراق لم أفتحه من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة كنت شرعت فيها ونفسى مترعة عاطفة ، وقلبى متفتح للالهام ، ثم قطعتنى عنها شواغل التعليم (وقد كنت يومئذ معلماً) وصرفتها من ذهنى ؛ حتى أنى لأجدها الآن غريبة عنى ، كأنها لم تكن لى ، ولم أكن كاتبها . . فجعلت أتلوها وجعلت صور أيامى الماضية تمر أمام عينى .. فأرى تلك الأيام التى أضعتها فى التعليم ، وتلك الأفكار والصور التى خسرتها ونكبت بها . . وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من نكل أفكاره ؛ وأضاع ذكاءه ؛ وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منكراً ؛ وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ؛ ويخلد ميتا بآثاره

إن المنكوب هو المعلم الأديب ؛ الذى وهب له الأدب ؛ وكتب عليه التعليم : إنه يسكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ؛ الليالى الطوال التى أحياها ساهراً ، عاكفاً على كتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدى طلاب لا يكاد أكثرهم يحفظ لمعلم عهدا ، ولا يذكر له ودا ، يصبح المعلم الأديب وفى نفسه موضوع المقالة ، وفيها صورها وأفكارها ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها ، إنه مشغول عنها بتصحيح وظائف التلاميذ ، هذه الوظائف التى تحرمه لذة المنام ، وأنس السمر ، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم إذا انتهى منها

الوجودية فى نظر التحليل النفسى

للأستاذ شاكر السكرى

أثبت التحليل النفسى وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم بزهو نحو المكانة اللائقة به فى عالم الطب النفسى ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التى حققها هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التى تجلت فيها المعرفة الخارقة فى كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوى عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكا ذريعاً فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التى كانت تغزو البشرية فى معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التى خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنسانى فى مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها فى بحثى هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الوضوع الذى سأتناوله

سبق لى وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء فى بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلقى بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل فى تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم مميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تعدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التى لعبتهـا فى إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر فى إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودى) مذهب لحمته التفسخ وسداه الاضمحلال الخلقى ، لأنه نشأ فى وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التى خلفتها وتخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير سيئ على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشى الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه فى هذا الوجود المجنون ، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد فى ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعي الذى جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه فى جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحى الأخرى التى أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسى الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة فى ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة فى هذه العزلة الكئيبة التى تخلف فى نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسى بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من الجماعات العظيمة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التى يصاب بها المجتمع البشرى والتى أوردت بملايين من العوائل إلى البغى والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل فى أوربا وخاصة فى الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،

قرية الأدباء

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

في كل بلد من بلاد العالم بيئة أدبية تختلف قوة وضعفا ورقيا وانحطاطا تبعا للعوامل المؤثرة في الاتجاهات الفنية حينا بعد حين. ولا تكاد تخلو مدينة أو قرية في كل قطر من فرد أو أفراد شاركوا في الحياة الأدبية بنصيب، وأثروا في النهضة الفنية أو تأثروا بها على أقل تقدير

من هذه البلاد المصرية التي لها بعض الفضل في إيقاظ الحركة الأدبية في العصر الحديث، بلد ريفي جميل، يجمع بين مزايا المدن وسمات الريف الوريف، لحسن موقعه شرق نهر النيل، ولكثرة مدارسه وذيوع أسماء كثير من أبنائه الأدباء، هذا البلد، أو هذه المدينة هي «كوم النور» إحدى بلاد إقليم الدقهلية الخصيب

أول من أذكره من علمائها وأدبائها وشعرائها الأفذاذ المرحوم الشيخ سيد خليل؛ ولقد كان لهذا العالم المتصوف والأديب الشاعر الكبير الفضل الأول على أبناء كوم النور في نهضتها الأخيرة. كان يميل إلى طريقة عمر بن الفارض في الشعر، وإلى طريقة محيي الدين بن عربي في التصوف وعلوم الدين، وله أشعار كثيرة مطبوعة وكتب دينية وأدبية مخطوطة أشهرها تفسيره القيم للقرآن الكريم. وكانت له مجلة شهرية اسمها «التذكرة» يصدرها ويحررها بمقالات عظيمة في الأدب والدين والاجتماع

وقد كان للشيخ سيد «زاوية» يذكر فيها مع أتباعه ومريديه وما تزال إلى الآن؛ وقد آلت رئاستها إلى الأستاذ محمد محمد عبده من فضلاء أدباء كوم النور بعد وفاة رئيسها السابق الأستاذ محمد المتولي هاشم رحمه الله. هذه الزاوية هي الركن الركين لتلاميذ الشيخ سيد، تخرج عليه فيها، وعلى كتبه ودواوينه من بعده جم غفير، منهم ابنه الأستاذ فؤاد السيد خليل، وهو معروف للقراء بشعره ونثره الرصين. ومن شعراء هذه المدرسة الأستاذ عبد العزيز محمد خليل، أحد أفذاذ شعراء دار العلوم ورائد الرعيل الأول من أدباء كوم النور، وفي شعره المذب مزيج من تأثيره بطريقة الشيخ سيد خليل وميل إلى التجديد والتحرر من قيود القديم؛ وشعره يجمع بين الرقة والجزالة في أسلوب عربي متين

ومنهم الأستاذ محمود عبد المعطي خليل تأثر بالشيخ سيد في الناحية الصوفية حتى غلبت عليه، وغطت النزعة الأدبية فيه، فترك الشعر بعد أن قطع فيه مرحلة واسعة والأستاذ محمد عبد الباري البدري خليفة الشيخ في الورع والتصوف والتبحر في علوم الدين

ومن أعلام كوم النور وعلمائها البارزين المرحوم الشيخ محمد سليمان عذارة نائب المحكمة العليا الشرعية السابق، وهو كاتب عذب الأسلوب رقيق الحاشية، كتب وخطب وألف وصنف كثيرا من الكتب الأدبية والدينية. ولا ينسى الناس معارضته الشديدة الموفقة لترجمة القرآن الكريم، حتى ألف فيها كتابه القيم «حدث الأحداث ترجمة القرآن الكريم» وكانت

السائق بقوته وبطشه على هذا الغلام، فضربه حتى كاد يحطمه، ورمى خبزه ودعسه بقدميه، وتم ذلك في لحظات، فما وصلت حتى كان كل شيء قد انتهى، والسيارة قد مرت كالعاصفة، لم تخلف وراءها إلا الغلام يبكي صامتاً، لا يرفع صوته ولا يستنصر أحداً، لأنه يئس من أن يجد في هؤلاء المفترقين إنساناً يصغي إليه

وأسدل الستار على المأساة، وعاد الموكب الحالم يتابع طريقه يستمرئ حلمه الذهبي المترع بالنشوة والشهوة والفتون...

وكأن شيئاً لم يقع، لم نقتل العدل، ولم نظلم الطفل، ولم نملأ هذا القلب الصغير حقداً على الحياة، حتى إذا كبر استحال هذا الحقد إجراماً فاتكا مدمراً

دمشق علي الطنطاوي

له ندوة أدبية فى منزله يغشاها الزعماء والوزراء وقادة الرأى بملك الشيخ فيها ناصية الحديث

ومن علماء كوم النور الراسخين فى العلم المرحوم الشيخ عبد العزيز عبد الفتاح خليل المدرس السابق بدار العلوم ، كان أحد المتبحرين فى علوم الدين ، وكان متصوفا يجنح إلى العزلة ويميل إلى الخشوع

وفى طليعة علماء اللغة بكوم النور ، المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر بك . كان حجة فى النحو والصرف ، ضليعا بالدقائق والمشكلات والبحوث اللغوية ، تولى تدريس اللغة العربية بكثير من المعاهد العالية

ومن الأعلام البارزة فى كوم النور الأستاذ الكبير عبد الحميد السيد أحد كبار رجال التربية والتعليم فى وزارة المعارف ، وإلى ثقافته الواسعة وأياديه الجليلة على العلم والتعليم يرجع الفضل فى شؤون اللغة العربية بالتعليم الثانوى والتعليم الابتدائى

وإذا كان الشعر هو العنصر الأول فى كل بيئة أدبية ، فقد عرف به عدد كبير من أبناء كوم النور ، منهم هؤلاء الشعراء الأساتذة : محمد سلامة مصطفى وهلال شتا وأحمد البدرى وإبراهيم الزين وعباس مصطفى ومحمد هلال ومحمد عبد الخالق ندى وإبراهيم البدرى والسيد يوسف جودة وعبد العزيز العجمى ومحمد زيادة ومحمد عمر هاشم وهلال الفيشاوى ومحمد شحاتة أبو رجيلة وسليمان العزب ومحمود سعيد ندى

ومن الطرائف اللطيفة أن الشاعر محمد سلامة مصطفى ـ وهو معروف للقراء ـ كأنما ورث الشعر وراثة عجيبة عن أبيه وجده لأمه ، فهم جميعا شعراء ، وقد قلت فى ذلك :

وراثة الفن الرفيع الباهر
معجزة محققت للناظر
على يدى « سلامة » المثابر
الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعر

ويمتاز الشاعر هلال شتا بكتابة القصص الطريفة ، وله مجموعة قصصية مطبوعة منذ سنوات

ومن الزجالين المعروفين بكوم النور ، الأستاذ عبد الحى حمام ، وهو ينشر أزجاله السياسية والاجتماعية فى مجلة « الشباب » التى يصدرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ محمد مصطفى حمام ، ومنهم الأستاذ عبد الفتاح العجمى والأستاذ المرضى جودة

ومن الخطباء الممتازين بكوم النور الأستاذ محمد عبد الله أبو عيسى ، وله قدرة عجيبة على الارتجال البليغ تستحق الثناء والإعجاب ، والأستاذ محمد يوسف جودة وهو ينفذ إلى أعماق القلوب ، والأستاذ مصطفى داود من كبار المربين

ومن الصحفيين المعروفين بكوم النور الأستاذ على عامر رحمه الله ، اشتغل بالتحرير فى كثير من الصحف والمجلات الراقية ، وكانت له شهرة واسعة بالإجادة فى كل ما يتصل بالأزهر والأزهريين ؛ وقد أقيم له حفل تأبين كبير بدار الشبان المسلمين

ومن الصحفيين النابهين الأستاذ أمين سلامة عضو نقابة الصحفيين ، والأستاذ أحمد فتحى عبد العزيز خليل وهو يصدر صحيفة لطيفة صيفية بكوم النور

وفى كوم النور عدد ضخم من المثقفين ثقافة ممتازة ، كالدكتور الشاذلى محمد الشاذلى المتخرج فى أرقى جامعات لندن ، ويلقبه إخوانه الظرفاء : « Made in England » والدكتور إبراهيم عبد الشافى الشربينى والأساتذة محمد عبد المنعم سلامة المدرس بكلية التجارة وعصام محمد سليمان وهو كاتب ومؤلف معروف ومحمد المتوكل عبد الله وحامد عبد الحميد عويس وعبد المنعم شعيب أحمد المبحرين فى الأدب والدين والقانون وعلى خليل وحامد السيد خليل وتوفيق أحمد على وعلى البندارى جابر « مؤرخ كوم النور وحافظ شجرة الأنساب » !!

وقد تفضل بزيارة كوم النور كثير من الشعراء والأدباء منهم الأساتذة أحمد مخيمر وتوفيق عوضى أباظة ومحمد الصادق مسعود وعبد العزيز السمدنى ومحمد رجب البيومى وأحمد نار ومحمد أحمد السنهوتى . وزارها من قبل الخديو عباس حلمى الثانى وقال فيها كلمته المشهورة « زرت قرى أوربا قرية قرية ، فلم أجد فيها مثل قرية كوم النور »

ومن أبناء كوم النور ، كاتب هذه السطور :

أحمد أحمد العجمى

لغة المستقبل ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقاً ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

قرأت بمزيد من الإعجاب المحاضرة القيمة التي ألقاها أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك بمجمع فؤاد الأول للغة العربية وجعل موضوعها « الفكر واللغة » والتي نشرتها الرسالة في العدد ٩٧٥

ومما زادني إعجاباً بهذا البحث العميق ما انطوى عليه من سعة الأفق وعمق الطاقة ، ولا سيما إذا قارنته ببحثي المتواضع الذي نشرته بالرسالة من قبل بعنوان « اللغة والفكر » (١)

لقد وقفت متأملاً قول أستاذي الدكتور في محاضرته الجامعة « والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب ، لأنها أبعدها مدى في العموم والتجريد ، فإذا حصرت حقائقها ، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة ، وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالمية »

ولعل هذه العبارة المركزة أن تكون بعيدة عن مدارك العامة من المثقفين ، وقد يستغلق على بعضهم فهم المكانة الفلسفية للعلوم الرياضية من المجموعة العلمية ، لهذا نرى من حق الرسالة علينا أن نستسمح أستاذنا فنحاول في هذا المقال أن نبين للقارئ ما يجب علينا بيانه وتبيينه فيما يتعلق بالرياضيات

يقول « نافيل Naville » في كتابه (تصنيف العلوم) — « إن العلوم روابط خلقها العقل بينه وبين الأشياء ». وإذا نحن طالعنا هذه العلوم اعترتنا حيرة : فبأيها نبدأ وبأيها ننتهي ، ونخشى حين نصنف هذه العلوم أن تقع فريسة في أيدي المصنفين ، ومهما يكن من خلاف بينهم . فالجميع متفقون على البدء من البسيط غاية التبسيط إلى المركب غاية التركيب

(١) في ٥ ، ١٢ يونيو سنة ١٩٥٠

والحق أن العقل الإنساني لا يطيق الفوضى ، وإنما هو نزاع أبداً إلى أبسط « عملة فكرية » يتعامل بها وهي « المعاني » حين تتجرد أقصى مايكون التجريد . فلابد من علم يجمع قوانين الفكر الأساسية هو « علم النواميس Nomologie » كما يسميه « نافيل » وهو « المنطق » عند المدرسيين

وسواء كان هذا المنطق علماً أو فناً أو مدخلاً أو أداة لسائر العلوم ، فإنه أول مصدر لكل معرفة إنسانية مشروعة وأساس لكل تفكير ، لأنه يتناول المقولات الخالصة

ويلي المنطق مباشرة « الرياضة » إذ تتناول المقولات الكمية (كالنقطة الحسابية والنقطة الهندسية) وما بين هذه المقولات من نسب (كالزيادة والنقصان والتساوي)

ويتلو الرياضة في بساطتها : الميكانيكا والفيزيقا والكيمياء ، والبيولوجيا والسيكولوجيا ثم علم الاجتماع

ولم يكن من اليسير أن يطفر الفكر إلى المعاني . وذلك لأن « طبيعة الأشياء تأبى الطفرة » ، فالحواس التي عرفتنا بما نحس ، وحلل العقل ما أوتي منها ، واستخلص من بين عناصرها البسيطة ما هو مشترك بينها وهو « الكلي » . وبهذا الانتقال الذهني الخالص نصل من الأفراد إلى « الكلي المجرد » ومنه إلى « العام » . وصدقت الحاجة إلى تثبيت المعاني المجردة والعامة واستحضارها وترتيبها ، وإقامة صلات بينها دون اللجوء في كل مرة ، إلى ما بدأنا به أول مرة ، ولا يتم هذا إلا باستعمال الرموز التي تغني عن الجزئيات ، إذ « الرمز إشارة إلى ماله صلة بغائب محجوب أو يستحيل إدراكه » (٢)

ولما كان العلم بالكلي — كما يقول أرسطو — فلابد من أن تتسابق العلوم إلى هذه « الرمزية » النهائية ، فكانت الرياضة منها في الطليعة

وإذا كانت المعاني هي العملة الفكرية ، وكانت اللغات إنما هي المعاني تحملها الألفاظ ، فإن الرياضة هي أسمى لغة للتفاهم العقلي في أسمى درجاته ، لذلك قال (كوندياك Condillac) « كل علم ليس لغة مصنوعة بإتقان » أو كما يقول (فولتير) « إن العقل سينتهي إلى يعقل » أي ينتهي إلى قانون يعقل الوجود

2 — Lalande, Lectures, P.18

وبحكمه

وعلوم الكون — على اختلاف مناحيها — تنزع إلى أن تكون كالرياضة ، فعلم الفلك مداره الجاذبية ، لهذا لم يعتبره (أوجست كونت) من الرياضة بل اعتبره من الفيزيقا البحتة ، غير أن (أمبير) رأى في الفلك علما رياضيا بسبب تقدمه العلمي ، وبذا جعل الرياضيات علوما للطبيعة المادية أي علوما كونية Sciences cosmologiques وعرفها بأنها « العلوم التي لا تعتبر في الظواهر الطبيعية غير نسب الكمية » (٣)

كل هذه المحاولات للتقرب من الرياضة لم تقض على ما بينها وما بين سائر العلوم من فوارق : فالرياضة لا تعنى بما هو كائن ، وإن كانت تضع مبدئيا شروط إمكانية الأشياء المادية ، غير أنها تدع للفيزيقا العناية بإقامة الوقائع التي أعطيت لنا في هذا العالم

والرياضة قبل كل شيء ذات موضوع متميز ، ولها منهجها وروحها ، وهذا ما نود أن نعرضه للقارئ في هذه العجالة بحيث تتأدى المقدمات إلى نتائجها من غير تعقيد

والمعروف أن الرياضة فرعان هما : علم العدد ، وعلم الهندسة

وعلم العدد هو الذي ينظر في معاني الكمية والعدد والنسبة دون أن يفترض فيها موضوعا خاصا ، ودون حاجة إلى نظريات الشكل والمقدار اللذين في الواقع؛ فهو كما يقول ابن خلدون « المعرفة بخواص الأعداد من حيث التأليف ، إما على التوالي أو بالتضعيف » (٤) وهو كما يقول أيضا « أول فروع الرياضة (التعاليم) وأثبتها في البراهين الحسابية ، عنى به بعض العلماء فاستخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعل ابن البناء في كتابه (رفع الحجاب) »

وتنحصر فائدته في عدم تعينه في الأشياء المحسوسة التي يطابقها (٥) . فالعدد ٥ يطابق ٥ رجال و ٥ خيول و ٥ حواس. و ٥ فضائل

ومن فروع علم العدد (صناعة الحساب) . وهي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق

ولما كان لعلم العدد صلة بالكميات المجردة ، فقد وجب إنشاء فرع له هو (الجبر) لأننا بدلا من اعتبار القيمة الفردية للأعداد نضع حروفا تدل على عدد ما بدون أي تفرقة

وقد اصطلح العرب على أن يسموا هذا العلم « الجبر والمقابلة » وهو « صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك » كما يقول ابن خلدون

ودراسة الدوال Fonctions هي الفرع الأعلى للرياضة البحتة لأنها تعنى بالنسبة بين متغيرين دون الاشتغال بتقدير هذه النسبة ؛ وهذا يؤدي إلى الرياضة العليا من حيث صلتها بالحساب والجبر وهما « الرياضة الأولى »

ولعلم العدد أيضاً فرعان آخران هما : (المعاملات) وهو تصريف الحساب في معاملات المدن ، و (الفرائض) وهو صناعة حسابية في تصحيح السهام (الأنصبة) لذوي الفروض في الوراثات وهو يعتمد على الفقه والحساب معاً ، وهكذا يكون علم العدد بحتاً وتطبيقاً أي علماً وصناعة

أما الهندسة فهي علم النظر في المقادير ، إما المتصلة كالخط والسطح والجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد ، وما يعرض لها من العوارض الذاتية . وموضوعها الامتداد كجزء من الفراغ ، فهي تدرس خواص الامتداد وتسمى الهندسة الفراغية

ومن فروع الهندسة : هندسة الأشكال ، وهندسة المسافة ، وعلم المناظر ، ويجب ألا نغفل هندسة الوضع Géom de position التي ظهرت في القرن السابع عشر على يد (ليبنتز) وأغفلها (كونت) .

وللهندسة — كعلم العدد — جانبان : العلمي البحت ، والتطبيق العملي . وهذا الجانب الأخير لا يقلل من قيمتها التجريدية ، بل يؤكد وثاقتها بطريق عملي ، يصبح أشبه (بالحدس الحسي) ، وكما يقول (فافر Favre) : (يجب أن نعرف لنقدر ، ويجب أن نقدر على إعداد العمل النافع)

وسيرى القارئ — إن شاء الله — في العدد القادم كيف انفردت الرياضة بمنهج خاص ، وما يستتبع ذلك من تكوين « الروح الرياضي » وأثر ذلك كله في شتى العلوم

محمد محمود زيتون

---

3 — Philos des sciences T. 1

٤) مقدمة ابن خلدون

5 — Lalande. Lectures P. 71

٦ ـ دعوة محمد

لتوماس كارليل

تتمة البحث

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

هيئة محمد :

إني لأحب محمداً — وليس في مقدور أي إنسان منصف لعقله إلا أن يحب هذا الرجل — وذلك لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . فلقد كان محمد هذا رجلا مستقل الرأى ، لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه ، لم يكن متكبراً ولكنه لم يكن خانعاً ذليلا ، فهو قائم في جلبابه المرقع كما أوجده ربه وكما أراد له أن يكون ، يخاطب بقوله الحر المبين ، أكاسر الفرس وأباطرة الروم ، يدعوهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، ويرشدهم إلى ما يجب عليهم في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى . وكان يعرف لنفسه قدرها ويضعها في موضعها اللائق بها . فلا يتقدم حيث يجب التأخر ، ولا يتأخر حيث يجب التقدم ، ولا يقسو حيث تستحب الرحمة ، ولا يرحم حيث تفيد الشدة ، ولقد وقعت بينه وبين الأعراب حروب متعددة ، لم تخل من مشاهد القسوة ، ولكنها مع ذلك لم تخل من دلائل الرحمة وسعة الصدر وكرم الغفران . ومع ذلك فقد كان لا يعتذر من الأولى ولا يفخر بالثانية ، فقد كان يراها من أوامر شعوره ووحي وجدانه . ولم يكن شعوره لديه بالظنين ولا وجدانه عنده بالمتهم

وكان محمد رجلا ماضي العزم قوي الشكيمة لا يؤخر عمل اليوم إلى غده ، فقد حدث في غزوة تبوك أن امتنع المسلمون عن السير إلى ساحات القتال ، متذرعين بأن الوقت وقت الحصيد ، وبأن الحر شديد لافح ، فنظر إليهم نظرة نفذت إلى قلوبهم ثم قال لهم : الحصيد ؟ إنه لا يلبث إلا يوما أو يومين ، فـــاذا تتزودون لحصيد الآخرة ، وأما الحر فإنه نعم حر شديد ولكن جهنم أشد حرا ، فماذا أنتم فاعلون هناك

وقد كان في بعض الأحايين يخرج كلامه سخرية لاذعة وتهكما مرا ؛ من ذلك قوله للكفار ، إنكم ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم وأنه سيوزن لكم الجزاء ، ثم لا تبخسون عن أعمالكم مثقال ذرة

وما كان محمد عابثاً قط ولا شابت أقواله شائبة لهو أو لعب ، بل إنه كان ينظر إلى الأمور نظرة جد ثاقبة ، ممزوجة بالإخلاص الشديد والجد المر ، فلقد كان الأمر إما أمر فلاح وإما أمر خسران ، والحياة إما حياة بقاء أو حياة فناء . أما التلاعب بالأقوال والاستشهاد بالقضايا المنطقية والعبث بالحقائق ، فلم يكن من شأنه قط ولا عرف عنه شيء من هذا أبدا ، فإن ذلك التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ... عندي لمن أفظع الجرائم وأكبر الدلائل على كذب المرء وعبثه . إذ أن هذه الأشياء ليست إلا رقدة القلب ووسن المين عن الحق ، وبرهان على عيشة المرء في مظاهر كاذبة ، وليس يستنكر من إنسان يتخذ التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ، هو أن جميع أقواله وأفعاله أكاذيب وأضاليل ؛ بل إنه هو نفسه أكذوبة ، إنه إنسان كاذب ولكنه مصقول اللسان مهذب القول ، باق احتراما في بعض الأزمان وبعض الأمكنة ، لا تؤذيك بادرته ، لأنه لين الملمس رفيق المس ، لكنه كحمض الكربون تراه على لطفه سما نقيما وموتا ذريعا ، والأدهى من ذلك أن خصلة المروءة والشرف — شعاع الله في مخلوقاته — نجدها متضائلة في ذلك الإنسان كما أنه يكون مضطربا بين عوامل الحياة والموت

أما محمد ذلك الرجل العظيم فإنه من المحال أن يكون كهؤلاء الموتى القلوب الذين لا يعرفون الطريق إلى الله . إنه من المحال أن يكون كاذبا مثل هذا الرجل الكبير ؛ فإني أرى الصدق أساسه وأساس كل ما جاء به من فضل ومحمدة . وعندي أنه ما من أحد من الرجال الذين يسمونهم العظماء أمثال — نابليون أو بارنزا أو كرمويل أو ميرابو وغيرهم — ، ينال النجاح والفوز في عمل يقوم به إلا إذا كان الصدق والإخلاص وحب الخير أول بواعثه على محاولاته فيما يحاول ، أي أن صدق النية والجد في الإخلاص ، بل أقول إن الإخلاص — الحر العميق الكبير — هو أول خواص الرجل العظيم وأهم صفاته . وأنا إذا قلت الرجل العظيم ، لا أريد

به ذلك الرجل الذى لا يني يفتخر أمام الناس بإخلاصه ، كلا فإن ذلك الرجل ليس عظيما بل هو حقير جدا ، وإخلاصه إخلاص سطحى لا يقصد به نفع الآخرين ، إنما يبتغى به منفعة نفسه ، وهذا الإخلاص فى الغالب ، إنما هو غرور وفتنة

أما إخلاص محمد ذلك الرجل العظيم ، فقد كان لا يتحدث عنه ولا يفتخر به ، بل ربما كان فى بعض الأحيان يشعر من نفسه بعدم الإخلاص إذا كان يرى غيره لا يستطيع أن يلتزم منهج الإخلاص يوما واحداً فكان يلجأ إلى ربه الذى لا ملجأ منه إلا إليه يطلب منه أن يرزقه الإخلاص

* * *

لقد كان إخلاص محمد غير متوقف على إرادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، وكيف لا يكون مخلصاً إخلاصاً حقيقيا ، وهو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله ، ولا يستطيع أن يغمض عينيه عن جلالها الباهر ، وهو يرى الكون مدهشاً ومخيفاً وحقا كالموت وحقا كالحياة ، وهذه هى الحقيقة التى لم تفارقه أبداً وإن فارقت أكثر الناس ، فساروا على غير هدى ، وخبطوا فى دياجير الظلام وغياهب العماية والضلال ، وهكذا خلق الله محمداً ذا عقل راجح ونظر ثاقب ، وإخلاص فى غير تفاخر ، وهذه هى أهم أسباب العظمة

كانت الحقيقة الكبرى ماثلة دائماً نصب عينيه ، حاضرة أبداً فى ذهنه كأنها منقوشة بحروف من اللهب ، وهذه هى أولى صفات العظيم ، وبها يمتاز ويعرف . وهى ما امتاز بها محمد ، ولا أنكر أنها قد تكون موجودة فى الرجل الصغير ، لأن كل إنسان خلقه الله جدير أن توجد صفة الإخلاص فى نفسه ، ولكنها قد تكون وقد لا تكون . أما الرجل العظيم فإنها من لوازمه؛ بل إن الرجل العظيم لا يكون عظيما إلا بها ، وإنى أرى أن من أسباب عظمة محمد أنه كان نافذ النظر إلى لباب الحقيقة ، يمتاز بنفس شاعرية كبيرة ، وآيات تدل على أكرم الخصال وأشرف المحامد، وإنى كلما قرأت عنه تبين لى فيه عقل راجح وفؤاد صادق وعين بصيرة ، ورجل عبقرى لو أنه أراد أن يكون شاعراً لكان من فحول الشعراء ، ولوشاء أن يكون فارساً لكان من أشد الفرسان شكيمة ، ولو ابتغى ملكا لكان ملكا جليلا مهيباً ، ولو أحب أن يكون أى شيء من كل هذا لكانه بغير أن يكلفه أى مشقة أو عناء

وأى دليل على عظمته وصدق نبوته أقوى من نظرته إلى الكون ، فلقد كان العالم فى نظره معجزة كبرى تدل على خالق الكون العظيم . كان ينظر إلى الكون فيرى فيه غير ما كان يراه أعاظم المفكرين من الذين كانوا يقولون إن العالم فى الحقيقة لاشىء . أما محمد فقد كان يرى العالم آية منظورة ملموسة على وجود الله ، بل إنه ظل الله علقه على صدر الفضاء ، وكان يقول : إن هذه الجبال ، هى أوتاد الأرض ، وهى رغم عظمتها وشموخها ستذوب وتصير كالعهن المنفوش فى يوم القيامة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) فى يوم القيامة ستتصدع الأرض وتتفتت وتذهب فى الفضاء هباء منثورا

وكان سلطان الله وعظمته لا يزال واضحا امينه على كل شىء ، وأن كل مكان مملوء بقوة مجهولة ورونق باهر وهول عظيم ، إن هذا الكون هو الحقيقة الصادقة ، والجوهر القوى ، هكذا كان محمد ينظر فى الكون ، وهذا ما يسميه علماء العصر الحديث القوى والمادة . ولكنهم لا يرونه شيئا مقدسا ، بل إنهم لا يرونه واحدا ، بل أشياء متعددة تباع وتشترى بالدرهم والدينار ، وتستخدم فى أغراض الناس وإصلاح حالهم أو إفساده ، فهم لا ينظرون إليها على أنها سر من أسرار الله فى الكون

إن العلوم الحديثة من كيماويات وحسابيات ؛ قد أنستنا ما يكمن فى الكائنات من سر إلهى وعظمة تدل على الخالق القوى القدير . فما أفحش ذلك النسيان عارا وما أشد هذه الغفلة إثما ، فإذا نسينا قوى الله فى العالم فأى الأمور يستحق أن يذكر ، إن العالم اليوم يسير فى مجاهل الغرور والضلال ، وصار الناس يفتخرون بما بلغوا من علوم ومخترعات ، ولو كان لهم نظرات صادقة لرأوا أن معظم علومهم أشياء ميتة بالية، وأن مخترعاتهم بقلة ذابلة ، وأن هذه العلوم التى يفتخرون بها لولا سر الله لما كانت إلا خشبا يابسا ميتا، ليست بالشجرة النامية التى تعطى الثمر اللذيذ المفيد، ولا بالغابة الكثيفة الملتفة التى لا تبرح تعطينا الخشب الذى نستفيد به ، ووالله لن يجد المرء — إذا ابتعد من طريق الله — السبيل إلى العلم إلا شقشقة كاذبة ، وبقلة كما قلت ذابلة

محمد رسول الله :

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصيلا كريم العنصر صافي الجوهر ، وهو رسول مبعوث من لدن القوة العلية أرسلته إلينا برسالة قدسية فيها لنا هدى وتبصرة ، وقد نحار في تسميته فنسميه شاعرا أو نبيا أو إلها ... وسواء كان هذا أو ذاك ، فالذى يجب أن نعلمه أن ما جاء به هو من عند الله، وأن قوله ليس مأخوذا من رجل غيره ؛ وإنما هو صادر عن الأبدية السرمدية وأنه من لباب الحقائق

ولن أكون مغاليا إذا قلت إن مثل هذا الرجل يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك اصطلاحات كاذبة ولا اعتبارات باطلة ولا معتقدات وعادات سخيفة، فتنزه نفسه عن النظر إلى هذه الأشياء كلها . وكيف ينظر إنسان إلى هذه السخافات وهو يرى الحقيقة تسطع أمام عينيه قوية باهرة حتى ليكاد نورها يعشى عينيه ، وفى رأيى أن محمدا مخلوق عظيم من فؤاد الكون وأحشاء الدنيا وأنه جزء من الحقائق الجوهرية ، وقد دل الله على أنه رسوله إلى هذا العالم بعدة آيات ، أهمها أنه علمه العلم والحكمة وأمره أن يدعو الناس إليهما ، ثم أوجب علينا الإصغاء إليه قبل كل شيء ، لأن الرسالة التى بعث بها هى الحق الصراح ، وليست كلماته إلا أصواتا صادقة صادرة من مصدر على لا ندركه نحن ، فإذا عرفنا هذا استحال علينا أن نعد محمدا هذا أبدا رجلا كاذبا أفاقا يتصنع الحيل ويتذرع بالوسائل طمعا فى ملك أو سلطان أو غير ذلك من صغائر الأمور وحقائر الأشياء . كلا ليس محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة الأبدية قد تفتح عنها قلب الطبيعة ، وإنما هو قبس من النور القدس يشع من الأبدية فإذا هو شهاب قد أضاء سناه العالم أجمع (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدفع حجة الدجالين وتدحض افتراء الكاذبين المفترين

* * *

إن قوما قد اعترفوا بنبوة محمد ولكنهم قالوا إنه وقع فى بعض الأخطاء ، وليس فى مقدور أى إنسان أن يثبت على محمد هفوات وأخطاء تذرى بتلك الحقيقة الكبرى الظاهرة لكل عين بصيرة . وهى أن محمدا رجل صادق ونبى مرسل من رب العالمين. ولا نكلف أنفسنا شططا فنجسم الهفوات ونجعل من الجزيئيات حجبا تحجب عنا نور الحقيقة الباهرة

إن أخطر الذنوب وأكبر الآثام ليهون أمرها إذا كان لباب النفس حرا كريما وسرها شريفا ، إذ أنها لابد تائبة عما ارتكبت، وفى التوبة النصوح والندم الصادق ولذع الذاكرة ووخز الضمير المكفر الأكبر للسيئات ، والمطهر للروح من أدران الشوائب والموبقات . إن التوبة الصادقة فى نظرى أكرم أعمال المرء جميعها وأقدس أعماله كلها

أما إذا حسب المرء نفسه بريئا من كل ذنب ، بعيدا عن كل خطأ، فإنه يكون فى نظرى خاليا من الوفاء والمروءة ، بعيدا عن الحق والتقى والخير، وإن نفسه لتكون ميتة — وإن شئت فقل إن نفسه تكون نقية نقاء الرمل الجاف

والذى يعرف سيرة نبى الله داود وتاريخه كما هو مدون فى مزاميره ، يرى أنه أكبر دليل وأصدق شاهد على ارتقاء النفس البشرية فى مدارج المكرمات ، وأن الحرب بين العقل والهوى إن هى إلا حرب طالما ينهزم فيها العقل هزيمة تضعضع جانبه وتتركه على شفا الانقراض وحافة الزلزال . ولكنها حرب تكون مشفوعة دائما بالتوبة والندم ، إنها حرب تستنهض العزم الصادق وتجدد قوى الإيمان بوجوب انتصار العقل وهزيمة الهوى ، هذا إذا كان جوهر النفس نقيا ولبا بها حرا ، فإن الخير فيها سينتصر على الشر لا محالة

ياويل النفس الإنسانية بين ضعفها وقوة شهواتها ، وما أشد خطبها بين قوى الخير والشر ، أليست حياة الإنسان سلسلة من العثرات ؟ وهل فى مقدور الإنسان أن يتفادى كل العثرات وينجو منها . إن المرء لا ينهض من عثرة إلا إلى أخرى . . وبين هذه وتلك عبرات ونحيب وبكاء وشهيق وزفرات ونشيج . فإن استطاع بعد طول المجاهدة أن يغلب على هواه كان ذلك فوزا عظيما، وكان دليلا على أن لباب نفسه حقا وجوهرها صحيحا . . وفى هذه الحالة يمكننا أن نتجاوز عن الجزيئيات ، لأنها وحدها لا تستطيع أن تجلو لنا الحقيقة وتعرفنا معدن النفس

إن حياة المرء العادية هى التى تكشف لنا عن جوهر نفسه وحر معدنه ؛ لأنه سيكون فيها سائرا على سجيته بغير كلفة ولا تصنع

ونحن إذا تتبعنا محمدا فى حياته اليومية خرجنا بما يثبت صحة ما نقول ، من أنه مبعوث الأبدية ورسول العناية القدسية

فقد كان محمد صوت فؤاد يهيم بين الرجاء والخوف ، الرجاء والأمل فى سعة رحمة ربه . . والخوف من ارتكاب الذنوب وهول يوم الحساب رغم أنه كان متدينا شديد التمسك بدينه . . موعودا من ربه بالمثوبة وحسن الجزاء . وقد تروى عنه مكرمات عالية وتذكر له صفات هى فى الذروة من الصفات الإنسانية ، فعندما مات ابنه إبراهيم قال : إن العين لتدمع والقلب ليوجع والنفس لتجزع ولانقول مايغضب الله . . ولما استشهد مولاه زيد بن حارثة فى غزوة (مؤنة) قال محمد : لقد جاهد زيد فى الله حق جهاده ، وقد لقى الآن ربه خالصا فلا بأس عليه . غير أن ابنة زيد رأت محمدا بعد ذلك يبكى على جثة أبيها ، رأت الرجل الذى دب المشيب فى مفرقيه تسيل عينه دمعا ويذوب قلبه حزنا ، فنظرت إليه متعجبة ، ثم قالت : ماذا أرى ؟ فقال لها : صديقا يبكى صديقه . إن مثل هذه الأقوال وهاتيك الأفعال لتوضح لنا شخصية محمد وترينا أنه كان أخا الإنسانية الرحيم الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، إن مثل هذه الصفات التى امتاز بها محمد والأحكام التى جاء بها القرآن والتعاليم التى اختص بها الإسلام ، كل هذه جميعا هى التى أخرجت العرب من الظلمات إلى النور ، وأحيت بهم أمة كانت همَلا بين الأمم ، فجعلتها تمسك بزمام العالم تقوده إلى بر الأمان

وهل كان العرب إلا فئة من الرعاة الجوالين خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ أن خلق الله العالم ، لا يسمع لها صوت ولا تحس لها حركة ولا يقام لها وزن

فلما جاءهم محمد من عند الله وبرسالة من قبله ، بدل أمرهم فإذا الضعة قد استحالت رفعة ومجدا ، والخمول شهرة والضعف قوة ، وإذا الظلام نور شع سناه فى جميع الأنحاء وعم نوره الأرجاء ، ووصل شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالمغرب ، ولم يمض غير قرن من الزمان على بعثة محمد حتى بلغ العرب الذروة فى المجد ، وأصبح لهم رجل فى الهند ورجل فى الأندلس ، وأضاء نور الإسلام دهورا عديدة نصف الكرة الأرضية ، وتمتع الرعايا الذين كانوا تحت حكم الإسلام بفضل الإسلام ورونق الحق ونبل المسلمين ومروءتهم وشجاعتهم وبأسهم ونجدتهم ، وهدى الله الكثير منهم فشرح صدرهم للاسلام فدخلوا فيه طائعين مختارين بعد أن عاشروا أهله ورأوا ما فى الإسلام من تعاليم تكفل العدل وحر الحياة لكل أفراد الرعية ، وهذا حال الحكم الإسلامى ما دام الإيمان القوى — الذى هو مبعث الحياة ومنبع القوة — يملأ نفوس المسلمين ويرسم لهم مناهج الحكم وسبل الحياة

إن فى استطاعة المسلمين فى أى عصر من العصور أن يصلوا إلى أرقى مدارج الفضل وأن يبلغوا ذرى المجد إذا اتخذوا اليقين مذهبهم والإيمان الصحيح منهجهم ، وما دام الإسلام وتعاليمه رائدهم . فالإسلام نور ونار ، نور يهدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) ونار تحرق كل شوائب النفوس وأقذارها فتصفى معدنها وتمحى ميتها

ألستم ترون فى حالة محمد مع أولئك الأعراب الوثنيين عندما جاءهم بدعوته ، كأنما وقعت من السماء شرارة على تلك الفيافى الواسعة التى لا يرحى فيها خير ويبصر بها فضل ، فإذا هى بانفجار سريع قوى يبدل حالها ويفنى ظلامها ويحيى مواتها ، وإذا الرمال الميتة قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهى ، وهذا أكبر دليل على صدق محمد وعظمته ، ولطالما قلت إن محمدا شهاب أرسلته السماء وكان الناس جميعا فى انتظاره كأنهم حطب يابس ، فما هو إلا أن سقط عليهم حتى

تأججوا والتهبوا وصاروا خير أمة أخرجت للناس

خاتمة :

وعلى كل حال فالدين الذى جاء به محمد دين عالى فيه للمبصرين أشرف معانى الروحانية وأعلاها، فاعرفوا له فضله ولا تبخسوه حقه ، فقد مضى على ظهور محمد ودعوته مئتان وألف عام ولا يزال هو الدين القويم والصراط المستقيم لأكثر من خمس العالم ، يؤمن به أهله من أعماق أفئدتهم ، ولا أحسب أن أى أمة حتى أمة النصارى قد اعتصمت بدينها اعتصام المسلمين بالإسلام ، لأنهم يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد، وكيف لا وهو أصلح دستور للحكم وأقوم طريق لقيادة الشعوب إلى السلام الدائم والعدل المقيم . وإن فى استطاعة المسلمين ذوى الغيرة فى الله والتفانى فى حبه ، أن يأتوا شعوب الوثنية بالهند والصين والملايو ، فيهدمون أضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الإسلام . ونعم ما يفعلون

إن العالم اليوم فى حاجة إلى قيادة حكيمة وحكم قوى يؤمن بالمثل العليا لينقذه مما هو فيه . ولن يكون له ذلك إلا فى الإسلام الصحيح واتباع دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

تم البحث **عبد الموجود عبد الحافظ**

لا يا حضرة القاضى

أنا مستأنف

للأستاذ عبد الجواد رمضان

قرأت ما كتب القاضى الفاضل الأستاذ على الطنطاوى فى العدد الأخير من الرسالة ، تحت عنوان : « أنا مع سيد قطب » ولا كلام لى مع سيد قطب ، ذلك الأستاذ الذى أحبه ، وأجله — على غير رابطة ولا اتصال — وأشهد الإخلاص فى كل ما يكتب ، وإن خالف وجهة نظرى أحيانا ؛ ولا مع تلميذى وصديقى الأستاذ رجب البيومى ، الذى آلمنى — علم الله — أن يتورط فى موقف لا خير فيه

وإنما دفعنى دفعا إلى كتابة هذه الكلمة ، حديث ذلك الكاتب الرائع ، المؤمن حق المؤمن ، الذى تطير بى كتاباته إلى آفاق من الروحية ، يعيينى التطلع إليها عند غيره من كرام الكاتبين: الأستاذ على الطنطاوى، وما أصدره من أحكام تعوزها « الحيثيات » ويخونها التعليل

وقد حاولت أن أهزمه بضربة قاضية من أول جولة ، حتى لا أدع له فرصة مساجلتى أو الرد على ، فبحثت فى أعداد الرسالة التى تملأ البيت عن مقال له فى بنى أمية نشرته منذ سنتين أو ثلاث على ما أذكر ، طار بهم فيه إلى عنان السماء ؛ ثم أنسخه وأبعث به إلى الرسالة لتعيد نشره من جديد ، فأظفر بالفلج من أيسر طريق ؛ ولكن الحظ كان معه على ، فقد ذهب بحثى أدراج الرياح ، بعد عناء طويل

وإنى أختصر الطريق إلى فضيلة القاضى ، فألقاه وجاها ، دون مداورة ولا مجاملة ، ولا احتيال ؛ وأقرر — فى صراحة — ١ — أنه أحال ، فى اعترافه « بأن لبنى أمية فى نشر الإسلام ، وفى فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد ، ثم انكاره أن تكون دولتهم دولة إسلامية — ٢ — وأنه أخطأ فى أن معاوية هدم أكبر ركن فى صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح وجعله انتخابا شكليا مزيفا ، وترك الشورى الخ الخ

ومعاوية رضى الله تعالى عنه من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كتاب وحيه ؛ والخلافة مسألة اجتهادية لم ينص فيها الشرع على وضع معين ، اتكالا على الاجتهاد فيها لمصلحة المسلمين ؛ فقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى دون أن يقرر فيها رأيا خاصا ، واستخلف أبو بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ؛ ووضعها عمر فى أهل الشورى . روى الطبرى أن عمر رضى الله عنه لما طعن ، قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ قال من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى ، قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ، استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : إن سالما شديد الحب لله . فقال له رجل : أنا أدلك عليه : عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز

عن طلاق امرأته ؟ وأنظر ، فإن استخلفت ، فقد استخلف من هو خير مني ، وأن أترك ، فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه ، وما أريد أن أتحملها حيا وميتا . عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم من أهل الجنة الخ

وقد ولى معاوية بعد صراع ، رجحت فيه كفته سياسيا، ثم حربيا بعد اختلاف جند على عليه ، ثم صالحه الحسن ، وسلم له الأمر ، بعد استشهاد الإمام فاجتمع عليه أمر الأمة ، ولا تجتمع أمة محمد على ضلالة

عن الزهرى ، أن الحسن بن على لما استخلف ، كان عنده شرطة الخميس التي ابتدعها العرب ، وكانوا أربعين ألفا بايعوا عليا على الموت ، وعلى مقدمتهم قيس بن سعد ؛ ولكن الحسن كان لا يريد القتال ، وإنما يريد الدخول في الجماعة ؛ وكان قيس يخالفه في هذا الرأى ، فشغب الجند بالحسن ، ونهبوا سرادقه ، حتى نازعوه بساطا كان يجلس عليه ، وطعنه أحدهم ؛ فلما رأى الحسن تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وخطب أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياى ، وانتهابكم متاعى

وقال للحسين وعبد الله بن جعفر : إنى قد كتبت إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان ، فقال له الحسين :نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية ، وتكذب أحدوثة على ! فقال له الحسن : اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك . ولما علم بذلك عبد الله بن عباس ، كتب إلى معاوية يسأله الأمان . ودخل الناس في طاعة معاوية . (١)

ومعاوية مجتهد ، ما في ذلك شك ، وقد أقره على اجتهاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وناهيك !

قال الطبرى بسنده (٢) : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه ، وراح إليه في موكب ؛ فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله ؟! وبلغنى أنك تصبح في منزلك ، وذوو الحاجات ببابك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا

فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، أو خدعة رجل أريب !

فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مرنى بما شئت ، أصره إليه . قال ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه ، إلا تركتنى ما أدرى : آمرك أم أنهاك

وإذن فما فعله معاوية من صميم الإسلام ، ولو كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبى الإسلام حيا لأقره عليه ، وقبله منه

فالواحدة التي بألف ليست عند معاوية — وحاشاه — ولكنها عند من تجنى عليه !

° ° °

فأما ما أخذه فضيلة القاضى على بنى أمية — بالجملة — من تحكم الشهوات في مصلحة الأمة ، واختيار شر الولاة ، وعدوانهم على الحريات ، وقتلهم العلماء كالحسين وابن جبير الخ الخ الخ

فلعمرى ، دولة يعد منها : عبد الملك بن مروان، الذى كان الإمام مالك إمام دار الهجرة يحتج برأيه ، والذى حمله على تأليف « الموطأ » . وسليمان بن عبد الملك الذى يعد الإمام عمر بن عبد العزيز حسنة من حسناته ؛ والوليدبن عبد الله الذى خفقت في أيامه راية الإسلام على ثلاث أرباع العالم المعمور وقتئذ، وهشام بن عبد الملك الذى أتم تعريب الدولة ؛ أقول : إن دولة منها من ذكرت ، لدولة لم تغلبها الشهوات ، ولا مال بها الهوى عن الاجتهاد للأمة وللإسلام ، ولا يضيرها أن كان منها بعض الأعضاء الفاسدين ، فالكمال المطلق لله !

والقاضى خير من يعرف أنه لولا الحجاج وأمثاله لانتهى الإسلام بانقضاء عهد الخلفاء الراشدين . ولقد تمرد الخوارج على على الإمام الراشد ، ولم يفرقوا في اتهامهم المعروف بينه وبين صاحبيه معاوية وعمرو ؛ والله يعلم أى كارثة كانت تصيب الإسلام لو تم ائتمارهم على الوجه الذى أرادوه . فالحجاج والقسرى وبنو المهلب من هؤلاء الجبارين حقا ليسوا شرا ممن سلطوا

(١) طبرى جـ ٢ ص ٤٠
(٢) طبرى جـ ٦ ص ١٨٤

شعراء مهد أشعارهم

عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٥ —

وعلى شعر عدى بن زيد مسحة من حزن دفين . وقد يحار المرء فى تعليل هـذا الحزن والبحث من أسبابه . ولا يجوز أن نقول إن هذا الحزن قد ألم بعدى بعد أن فسدت عليه الأيام وأوقع به النعمان وحبسه ، لأنا نراه فى شعره من قبل هذا ، من يوم أن كان حرا طليقا ، صديقا للملك ومحبوبا منه ، فهو كان من قبل الوقيعة ومن بعد . وأظنك تذكر الأبيات التى أنشدها عدى النعمان حين خرجا بظاهر الحيرة يستربضان ، والتى وعظه بها ، وتنصر النعمان بسببها ، وتنصر أبناؤه وأهل بيته وبنوا البيع والأديار . إن أكثر شعر عدى موسوم بالأشجان والأحزان ، ولا تجد غير القليل منه طليقا من إسارها . ومن هذا القليل الأبيات التى ذكرتها لك يتغزل فيها عدى بهند ويشبب بها . ومنه أيضا :

بالبيني أوقدى النـارا إن من تهوين قد حارا (١)

رب نار بت أرمقهـا تقضم الهندى والغـارا (٢)

عندها ظبى يؤرثها (٣) عاقد فى الجيد تقصارا (٤)

ويقول فى بعض أخلاق نفسه

ألا يا ربمـا عز خليلى فتهاونت

ولو شئت على مقد رة منى لعاقبت

ولـكن سرنى أن به لموا قدرى فأقلعت

ألا . لا فاسألوا الفتيـ ـة ما قالوا وقد قلت

ولعل من بواعث هذا الحزن أن عديا قد نشأ فى غير بلاده ،

---

(١) ضل (٢) الغار : شجر طيب الرائحة

(٣) يوقدها ويكثر حطبها (٤) التقصار : المخنقة

عليهم ، ولا يفل الحديد إلا الحديد

وإن قلبى ليبـكى قبل جفنى ، حينما أذكر مصارع آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وأولهم الحسين ، ولـكنى أشرك شقيقه الحسن فى دمه ؛ على أن زمام الجيوش كثيرا ما يفلت من إدارة الولاة ، خصوصـا فى الدول التى يعظم حظ أفرادها من الحرية كالدولة العربية . وعلى الجمـلة فما اجتمع النـاس على إمام ، فإن الخروج عليه جريمة فى نظر الشرع

وليس مما يقبل من فضيلة القاضى أن العباسيين قـلدوا الأمويين فى شرورهم ، فإن العباسيين أعظم فى أنفسهم من أن يتأثروا أحدا ، وهم — فى نظرهم على الأقل — بيضة الإسلام وذووه . والدليـل على ذلك تمثيلهم ببنى عمومتهم الطالبيين إلى تمثيلهم بالأمويين

* * *

أما بعد ، فإننى أختتم كلمتى هذه ، التى طالت رغم أنفى — بما قاله ابن السـبكى صاحب جمع الجوامع فى أصـول الفقه — باب العقائد — ص ٣٤٧ ج ٢ :

« ونمسك عما جرى بين الصحابة من المنازعات والمحاربات التى قتل بسببها كثير منهم ؛ فتلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا . ونرى الكل مأجورين فى ذلك ، لأنه مبنى على الاجتهاد فى مسألة ظنية ، المصيب فيها أجران على اجتهاده وإصابته ، والمخطئ أجر على اجتهـاده ؛ كما يثبت فى حديث الصحيحين أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر . اهـ بنصه

فهل لى أن أطلب من حضرات الباحثين فى هذه الموضوعات أن يعملوا بهذه « العقيدة الإسلامية » وفى شؤوننا الحـاضرة ما يغنينا ، عن تبديد تراثنا الخالد على وجه الزمان ؟

عبد الجواد رمضان

فقد كان منزل جده أيوب بن محروف باليمامة فى بنى امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دما فى قومه ، فهرب ولحق بالحيرة

ولعل من بواعثه أن زيد بن أيوب قتل فى هذا الدم الذى أصابه أبوه فى بنى امرئ القيس ، فقد قتله رجل منهم بعد أن تعرف عليه واقتص نسبه ومنزله

ولعل من بواعثه ما كان يراه لدى الملوك — وأنت تعلم أنه عمل لكسرى ، وأنه زار قيصر ، وأنه صديق الملك النعمان — من مآثم وجرائم ودس ومكائد ، اطلع على بعضها وسمع ببعض آخر

ولعل من بواعثه أنه كان رجلا مثقفا أديبا . ومثل هذا يتدبر فى أحوال الناس وحوادث الأيام ، ويتبصر فيها ، ويفكر فيمن نزلت بهم . ومثل هذا يكون ذكى القلب مرهف الحس رقيق العاطفة . وأنت تعلم أن الارتحال يكسب الإنسان خبرة ، وتعلم أنه يصقله ويهذبه ، وتعلم أنه يفسح مجال تفكيره ويزيد فى معرفته . وأنت تعلم أن عديا كان عالما بالفارسية ، وعالما بالعربية ، فهو قارئ كاتب مطلع على أخبار من تقدموه

ولعل من بواعثه أن ملك الحيرة كان فى أيديهم — فى بدء زيد أبى عدى — قبل المنذر أبى النعمان ، ثم تولاه منهم المنذر . وعلاوة على هذا فإن أهل الحيرة ولوا زيدا أبا عدى على الحيرة وأبقوا اسم الملك للمنذر بعد أن غضبوا عليه وثاروا به . فهم كانوا ملوكا حينا . ثم كانوا شركاء فى الملك حينا آخر . ولا يبعد أن يطمح شاب كعدى إلى مثل هذا ، فإذا ما غلب على أمره ، وإذا لم يظفر بما يريد ، وإذا كان ملك الحيرة خالصا للنعمان ، فإن هذا قد يخلف أثرا سيئا فى نفس عدى ، يدعه يجتر أفكاره وآماله ، ويجعله ينظر إلى الحياة بمنظار قاتم

يبدو أن حياة عدى لم تكن سهلة ، بل كانت معقدة ، وكانت لا تسير على ما يهوى . ويبدو أنه كان يبذل نشاطا كبيرا ولكن هذا النشاط كانت تعترضه مشقات كثيرة . لقد كان يكافح غير أنه لم يكتب له الظفر ولم تدنه الأيام مما يريد . وتأمل هذه الأبيات :

وعاذلة هبت بليل تلومنى
فلما غلت فى اللوم ، قلت لها اقصدى (٥)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد (٦)

أعاذل من تكتب له النار يلقها كفاحا. ومن يكتب له الفوز يسعد

أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى
وطابقت فى الحجلين مشى المقيد (٧)

أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

بليت وأبليت الرجال وأصبحت
سنون طوال قد أتت قبل مولدى (٨)

فلا أنا بدع من حوادث تعترى
رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد (٩)

تأمل هذه الأبيات فستجد فى نفس هذا الشاعر شيئا يريد أن يفصح عنه ، شيئا تعجز الأبيات عن احتماله والإبلاغ عنه ، معنى مخنوقا من طول ما توارت عليه الأيام بالطمس والتنكيل . ثم تأمل هذه الكلمات « الرشاد — النار — الكفاح — الفوز — بليت وأبليت الرجال — فلا أنا بدع من حوادث تعترى » هذه الكلمات القصار دالة على كفاح هذا الرجل فى حياته ، وسعيه للفوز والنجح ، ولكنه لقى من الحوادث العنت والقسوة ، وثنته الأيام عما يريد ويأمل

لقد تربى عدى فى أحضان النعمة ، وخالط الأغنياء والموسرين والملوك ، وكتب للملوك وسفر لهم . وكان بعيد مطارح الآمال ، لأنه رأى أباه شريكا فى الملك ، بعد أن كان الملك له خالصا . وكان قارئا كاتبا ملما بكثير من الأخبار والأحداث . وكان رقيق الحاشية وذا طبع مهذب أنيق . وكل هذا لم يكن من وسائل الترفيه عنه بل كان من العوامل والبواعث التى تبتعث أشجانه وأحزانه ، والتى أضفت على شعره لونا قاتما بائسا

وإذا عرفت أنه فيما بعد قد أصهر إلى النعمان بزواجه من هند ، وأن هذا الزواج لم يكن موفقا للأسباب التى أسلفناها لك ،

---

(٥) عاذلة : لائمة ، غلت : بالغت ، اقصدى : أقلى (٦) يسدد : يوفق
(٧) يزع : يرد عن الغى ، الحجل : القيد ، المطابقة : مشى المقيد
(٨) طال عمره وقد أتت السنون بعد مولده كثيرة حتى بلى وتهدم
(٩) بدع : عجيب وغريب ، بؤسى : ج بؤس ، أسعد : جمع سعد

تعيش هذا العيش اللذ بين الغيد الأوانس ، والعذارى الفاتنات ؟ قل ، وخل عنك هذا « الكذب الاجتماعى » الذى تعارفه الناس

فسكت على الطنطاوى ، وتكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تكون مكانه فى السجن ؟

— قالت : لا   قلت : ولمَ ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت ، وبقى عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان إلى لذة محرمة فملت إليها ، وتقول لنفسك إنها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضيات ، ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل إلى خير فتكاسلت عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك إنها ستذهب هذه المشقة ويبقى الثواب ؟

فكر فيما عملت من حسنات وخير ؛ بذلت فيها من جهدك ومالك ، وخالفت فيها هواك ، ماذا بقى من الصعوبة التى وجدتها عند الحسنات ؟ وماذا بقى من اللذة التى أصبتها عند المعاصى ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة وبقى ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقى عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان إن كان قد جد وجد النجاح ونسى تعب المطالعة ونصب السهر ، وإن كان قد لها ولعب فقد متعة اللهو وأنس اللعب ؛ ولقى (السقوط) .

فقس الآتى على الماضى ، ولاتبع آجلا خالداً بعاجل فان ، ولا تغتر بحلاوة العسل إن كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء إن كان فيه الشفاء ..

وتصور أنك على فراش الموت، وقد باد الأمل وجاء الأجل.. ما الذى تحسه فى تلك الساعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذى بقى لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقى لك شىء منها ؟ هيهات ! لقد نسى الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ؛ وضاع المال فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت ، والصحف وقد نشرت ، والحساب وقد أعلن ؛ وكلّ ذرة من خير قد قيدت لك ؛ وكل ذرة من شر قد سجلت عليك ؛ أحصاه الله ونسيته ، وعده وأغفلته ، أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذاذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟ ما الذى استفدته منها ؟ ما أفدت إلا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟ ما استبقيت إلا الألم !

***

فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد إلى عملك ، وكل مساء وأنت مضطجع لمنامك ، وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...

جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تكون بعدها .

٣ — المعلم الأديب

فتحت اليوم درجا لى فيه أوراق لم أفتحه من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة كنت شرعت فيها ونفسى مترعة عاطفة ، وقلبى متفتح للالهام ، ثم قطعتنى عنها شواغل التعليم (وقد كنت يومئذ معلماً) وصرفتها من ذهنى ، حتى أنى لأجدها الآن غريبة عنى ، كأنها لم تكن لى ، ولم أكن كاتبها . . فجعلت أتلوها وجعلت صور أيامى الماضية تمر أمام عينى .. فأرى تلك الأيام التى أضعتها فى التعليم ، وتلك الأفكار والصور التى خسرتها ونكبت بها . . وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ؛ وأضاع ذكاءه ؛ وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منكراً ؛ وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ؛ ويخلد ميتا بآثاره

إن المنكوب هو المعلم الأديب ؛ الذى وهب له الأدب ؛ وكتب عليه التعليم : إنه يسكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ؛ الليالى الطوال التى أحياها ساهراً ، ما كفاً على كتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدى طلاب لا يكاد أكثرهم يحفظ لمعلم عهدا ، ولا يذكر له ودا ، يصبح المعلم الأديب وفى نفسه موضوع المقالة ، وفيها صورها وأفكارها ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها ، إنه مشغول عنها بتصحيح وظائف التلاميذ ، هذه الوظائف التى تحرمه لذة المنام ، وأنس السمر ، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم إذا انتهى منها

الوجودية فى نظر التحليل النفسى

للأستاذ شاكر السكرى

أثبت التحليل النفسى وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم يزهو نحو المكانة اللائقة به فى عالم الطب النفسى ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التى حققها هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التى تجلت فيها المعرفة الخارقة فى كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوى عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكا ذريعا فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التى كانت تغزو البشرية فى معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التى خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنسانى فى مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها فى بحثى هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الموضوع الذى سأتناوله

سبق لى وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء فى بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلق بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل فى تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم مميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تعدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التى لعبتها فى إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر فى إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

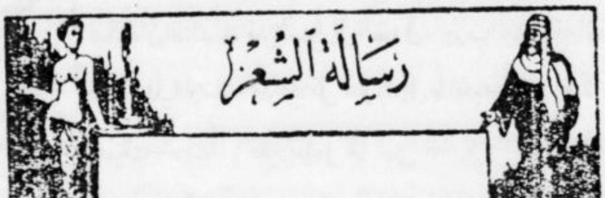
ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودى) مذهب لحمته التفسخ وسداه الاضمحلال الخلقى ، لأنه نشأ فى وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التى خلفتها وتخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير سيئ على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشى الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه فى هذا الوجود المجنون ، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد فى ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعي الذى جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه فى جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحى الأخرى التى أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسى الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة فى ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة فى هذه العزلة الكئيبة التى تخلف فى نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسى بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من الجماعات العظيمة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التى يصاب بها المجتمع البشرى والتى أوردت بملايين من العوائل إلى البغى والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل فى أوربا وخاصة فى الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،



حريق القاهرة

للاستاذ عثمان حلمى

هذى بلادك ذاكر أم ناسى ؟ أم حرت مابين الرجا والياس ؟!
زعتك فيها الحادثات ولم تدع لك غير محض الخوف والوسواس
فوقفت مشدوه الفؤاد كأنما تجرى مقادرها بغير قياس

وكأنما الدنيا سوى الدنيا التى عاهدتها والناس غير الناس
ماذا رأيت ؟ ـ وما لأمرك حائرا ومن الدموع على المصاب مواسى
أسألت ما تلك الطلول فلم يجب من ناطق فيها سوى أدراس
وعرفت كيف جنى عليها من جنى من كل جبار الحفيظة قاسى
فإذا المغانى الغاليات كأنها لم تغن قبل خرابها بأناس
وإذا الديار الشامخات كأنها فى العين مهجور من الأرماس
من كل منهار الجدار كأنما قامت جوانبه بغير أساس
دكت بما فيها وأصبح أهلها نهب البلى وتصرف الأحراس
وكأنما أيدى المغول تظاهرت فيها بغير هدى ولا نبراس
فرأيت من بغداد صورة كربها فى مصر ـ بل فى قلبها الحساس
فى كل منعرج مكان خانق أو موحش خال من الإيناس
وبكل ناحية دمار شامل ومدامع مهراقة ومآس
يا للنفوس ويا لها من فتنة جنت جنون جوامح الأفراس
إبليس أوقدها وأشعل نارها وأثارها هذا اللعين الخاسى
وكأنه قد كان أودع سره من قبل صدر موسوس خناس
وكأنه والنار تزأر صارخ أو نافخ فى قسوة وحماس
فإذا بأبواب الجحيم تفتحت وطغى ركام دخانها الجواس
وتشققت سحب الدخان بلامع كالبرق نور ظلمة الأغلاس
مابين محمر ومصفر جلا منها اربداد سحابها المساس
وإذا القلوب لدى الحناجر جاوبت فى الجوف خفق تقطع الأنفاس
من كل من لم يدر أية حيلة لنجاته إلا الرضى باليأس
أو كل مفتقد صريع قضائه يبكيه مسكوب المدامع آسى
بطشت به النيران بطشة غادر كالوحش بالأنياب والأضراس
والقوم إلا الأشقياء لهولها غشيتهمو سنة من الإبلاس
وقفوا حيارى لا يرون بأعين أجفانها نعست بغير نعاس
وتيقنوا أن لا نجاة لهول ما وقعت عليه العين من أرجاس
حتى تداركها المليك بحكمة محمودة العقبى وعزم راسى
فانجاب عن قلب الكنانة رعبها وانزاح ما أضنى النهى من باس

عثمان حلمى

وكيف أن الجنود الأمريكيين والإنكليز كانوا يحصلون على بغيتهم من الفتيات العذارى بقطعة من (الشكولاته) أو غيرها

هذه صورة مصغرة لما حدث ويحدث من جراء هذه الحروب الوحشية !

فلا غرابة إذاً من ظهور مذاهب انحلالية تدعو جهدها لإقامة (الدهاليز الأرضية) وهى ملاجئ تمثل فيها أبشع ما تصوره الغريزة من همجية !

كما أنها تدعو ضحاياها للمعيشة الهمجية كما يصوره لها عقلها الباطن (اللاشعور) وكما ترتضيه غرائزها الجنسية !

ولا يخفى أن العقد النفسية الكامنة فى نفوس معتنق هذه المذاهب تكاد تسيطر سيطرة تامة على العقل الواعى (الأنا) وتشل حركته لكى يبدأ (اللاشعور) عمله المبعثر ليجمع شتات الأفكار والذكريات القديمة المكبوتة فيه ، ليخرجها على شكل (أفعال منقوصة) و (عقائد فاسدة) أما الشعور بالنقص الذى يغمر نفوس هؤلاء لم يكن إلا وليد البيئة

بلبيس شاكر السكرى



كدب فى كدب

مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك

للأستاذ على متولى صلاح

للأسرة التيمورية فضل على الأدب عريق ، فهم منذ أزمان بعيدة سدنة الأدب فى هـذه البلاد، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، ولا يفتأون يضيفون إلى المكتبة العربية الذخائر والكنوز، ويقدمون لها الآثار الجليلة النافعة ... ونحن اليوم بصدد الحديث عن أثر من هذه الآثار التى تغمر الأدب العربى الحديث، وهو تمثيلية (كدب فى كدب) التى تعـرض الآن بدار الأوبرا الملكية ، وتنهض بها فرقة المسرح المصرى الحديث

والذى يبدو من وراء سطور هـذه المسرحية ، أن الأستاذ الجليل محمود تيمور بك ألفها من جراء أزمة قامت بنفسه بفعل قوم أنكروا ما أسدى إليهم من أياد بيضاء ، وجزوه عليها جزاء سنمار ! ! وأغلب الظن أنه لم يكن يعنى بشخصية (فواز بك) فى هـذه المسرحية سوى نفسه ، وإن تعمد إخفاء بعض الملامح وتغيير بعض السمات ! فإن (فواز بك) رجل سمح كريم طيب الخلق ، وتلك خلال نعرفها ويعرفها النـاس جميعاً عن الأستاذ محمود تيمور بك ، نهض بما توجبه المروءة وما يقتضيـه الخلق القويم الكريم ، فـكان جزاؤه العقوق والجحود والنكران ، ولكن الأستاذ محمود تيمور بك — خشى فيما بينه وبين نفسه — أن يحس الناس ذلك ، وغلبه حياؤه المعروف ، فأسرع إلى طمس بعض المعالم لـكى ينصرف الناس عنه ! ولهذا فإن الفطن اللبيب يستشعر شيئاً من التناقض فى شخصية (فواز بك) ، ولكن إذا ظهر السبب بطل العجب !

ولا تقوم فكرة المسرحية على هذا المعنى ، ولكنها تقوم على فكرة أن الكذب قد ينتهى إلى الصدق، ورب جد ساقه اللعب ! فهما شاب وشابة تعرف كل منهما إلى صاحبه فى صورة لا تمثل حقيقته، فالشاب فقير يظهر لها الغنى الطائل والثروة العريضة ، وهى كذلك تماماً ! واستمرت العـلاقة بينهما على أساس هاتين الصورتين الزائفتين ، ولكن كل خاف سيعلم ! وحبل الكذب قصير ! وإذا بالحقيقة تنكشف لهما ، ولكن الحب كان قد سبق هذه الحقيقة إلى قلبيهما ، وصار هو الحقيقة الواقعة ! فلم يضعف هذا التكاشف شيئاً منه ولم يطفئ سعيره ، بل استمر الشابان على ما بهما من حب قام أول ما قام على الكذب والبهتان !!

هـذه هى فكرة المسرحية ، وهى فكرة كما يرى القـارىء حسنة ذات قيمة كبرى عند علمـاء النفس ، ولكنها عند رجال المسرح لا تفى للنهوض بتمثيلية كبرى تعرض على الناس فى نحو ثلاث ساعات ، ولهـذا كثرت من حولها الحوادث التى لا تكاد تتصل بها ، وازدحم فيها الأشخاص الذين تستغنى هذه الفكرة عنهم ، ولا تريد منهم عوناً ولا مساعدة ! وانطلقت الألسن بكلام لا تراه هذه الفكرة لها ولا عليها ، ونكنها ترى بينها وبينه (كمال الانقطاع) كما يقول علماء البلاغة !

والمسرحية مكتوبة باللغـة العامية ، وقد أخبرنا الأستاذ الكبير مؤلفها أنهـا ستطبع بالعامية وبالفصحى ، ولكننا نسارع فنشير على الأستاذ الكبير أن يكتفى بالفصحى ... إننـا نريد من الأستاذ محمود تيمور بك العضو فى المجمع اللغوى أن يؤدى إلى المسرح المصرى خدمة طالما تمنيناها له ، وهى تطويع اللغة العربية وتقريبها إلى العاميـة ، مع المحافظة على سلامتها وصحتهـا ، ومع عدم الانحدار بها إلى هذه العامية الكريهة البغيضة الشائهة ... هذا مطلب نرجو أن يحمـل مؤونته الأستاذ محمود تيمور بك ، ولقد تحقق الكثير منه على يدى صديقنا الأديب الكبير الأستاذ على أحمـد باكثير فلانت لغتـه كثيراً فى مسرحياته الأخيرة ، وصارت سهلة رقراقة ربئة من التفاصح ، بريئة كذلك من الإسفاف إلى مستوى العامية ... نرجو جاهدين أن يتم الأستاذ الكبير محـمود تيمور بك تحقيق هـذا المطلب العزيز ، ونرجو جاهدين أن ينأى بجانبه عن استعمال اللغـة العامية ، وليس ذلك عليه بعزيز

وكنت أود ألا يكون في المسرحية مثل هذا الشذوذ الذي وقع فيه الزوج (كريم بك) مع ابنة زوجته (كريمة) فإنه شيء ليس في طباع الناس إلا من ابتلاهم الله بالشذوذ والانحراف ، إذ ليس مألوفاً أن نرى الرجل يهيم بابنة زوجته كما فعل كريم بك إلا إذا كانت به لوثة أو كان به انحراف عارم ، ومثل هذا الانحراف العارم لا يجوز عرضه على المسرح على أنه شيء طبيعي عادي !!

وكان يجمل أن يلقي كثير من الضوء على علاقة (فوازبك) بمن يحيطون به ، فإن هذه العلاقة غامضة كثيراً . .

أما من التمثيل والإخراج فالحق أن أعضاء هذه الفرقة قد شبوا عن الطوق كثيراً ، وثبتوا على خشبة المسرح ثباتاً حميداً ، فأذكر منهم — على سبيل المثال — الأستاذ عبد الرحيم الزرقاني إذ يقوم بدور (فواز بك) في دقة وإلمام تام وتؤدة ، وإن كان يبدو أصغر مما ينبغي ، والأستاذ عدلي كاسب فقد اتسم بيانه النفسي حتى استطاع أن يلعب أدواراً عديدة يبلغ في كل منها شأواً بعيداً ، فقد رأيناه في (مريض الوهم) ورأيناه في (مسمار جحا) ثم رأيناه اليوم في دور (العمدة) عمدة حقا ولكني أرجو ألا يسرف في المبالغة ! وأن يحد قليلا من حركاته الجسمية ، وأن يمضي إلى التليفون سريعا بل واثبا عندما يدعوه لحادثة قتل ، وألا يبطئ ويتثاقل كما رأيناه !!

ولست أستطيع أن أذكر الممثلين واحدا واحدا وهم ثمانية عشر ممثلا وممثلة وإلا ضاقت صفحات الرسالة دون هذا الغرض ! ولكني أنوه بصفة خاصة بالآنسات زهرة العلى بكير ، وسناء جميل ، وبالأساتذة نور الدمرداش وأحمد الجزيري

أما الإخراج فلي عليه ملاحظة أرجو أن يشفي الأستاذ الكبير زكي طليمات ما بنفسي منها ، وإني لأتوجه إليه متسائلا مستفيدا :

كيف يتفق أن يقع في (البار) — وهو محل عام يغشاه الناس جميعا — أقول كيف يتفق أن يقع فيه العناق والقبلات أمام الخدم وفي عرضة للداخلين والخارجين ؟ ولماذا لا يكون هذا (البار) جانبيا ليمكن أن تقع هذه الأشياء بعيدة عنه ؟؟ وهل عجزت الحيل المسرحية عن إيراد ما يصح معه هذا العمل ؟؟

هذا — ومما يقتضيه الحق أن أذكر أن الأستاذ ينفخ في مسرحياته حياة زاخرة فياضة ، ويملؤها بالصور والحركات والإشارات التي تجعلها تموج بالحياة النابضة ، وعندي أنه يتمم أعمال المؤلفين بهذا الذي يفعله ، وليس المخرج الحق من ينقل التأليف نقلا آليا فوتوغرافيا ، ولكنه من يضيف إليه ثروة فوق ثروته ، ويمده بقوة فوق قوته ، وهذا ما يفعله مخلصا الأستاذ زكي طليمات

علي متولي صلاح

الكتب

الصعلكة والفتوة فى الاسلام

تأليف الدكتور أحمد أمين بك

للاستاذ عبد العزيز محرم

نحن فى حاجة إلى مثل هذه الكتب أو الكتيبات التى ترسل أضواء كاشفة على بعض المعانى التى ورثناها عن القرون الماضية ، فهذه المعانى هى الميراث الذائب فى دمائنا ، يوجهنا ويرشدنا ويوحى إلينا . وكل أمة تعرف ما اختلج فى ضميرها ، وما استسر فى أعماقها ، وما يبتعثها دائماً إلى أنواع معينة من السلوك ، تسترشد فى طرائق الحياة الصحيحة ، لأنها بتجربتها على مدرجة الزمن وانصرام الأعوام ، قد عرفت الشىء الكثير عن عوامل الرقى وأسباب الانهيار

ونحن الآن فى زمن نتلفت فيه كثيراً إلى الماضى نسترشده ونستلهمه ، ونسأله العون والتوفيق . وإذا عرفنا معانينا الموروثة، وأخلاقنا الكريمة ، ومثلنا الرفيعة ، وما طرأ على كل ذلك من عوامل تقدم أو من عوامل نكوص ، استطعنا أن نتبصر فى موقفنا الراهن وحياتنا الحاضرة

وليس على وجه التاريخ أمة عاشت منقطعة عن ماضيها ، بل الحياة دائماً مستمدة من ميراث الماضى ، ومن ضرورات الحاضر ، ومن آمال المستقبل . والأمم والأفراد فى هذا المجال سواء . واليوم وليد الأمس . والغد وليد اليوم وحفيد الأمس . والأمة التى تتنكر لماضيها لا تتمكن من السير ولا تتمكن من الرقى . وقد تندفع إلى مهاوى الضلال والدمار

على هذا الأساس نرحب بكتاب « الصعلكة والفتوة فى الإسلام » لأنه يكشف لنا عن بعض تقاليدنا وآدابنا ومعانينا التى ورثناها عن أجدادنا السالفين ، ولأنه يضع أيدينا على مواضع الرشاد ومواضع الخيبة فى حياة هؤلاء الأجداد ، ولأننا بهذا نستطيع أن نرسم لأنفسنا طريقاً لاحباً . يوصلنا إلى أهدافنا ، ويدفعنا إلى غاياتنا ، ويستشرف بنا إلى حياة رفيعة مأمولة ، ويخلصنا من إصر ما نحن فيه الآن من انحلال وضعف وتخاذل وذلة

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك معانى الفتوة . فقال إنها الشباب . وقال إنها القوة . وقد تلونت الكلمة بلون البيئة ، فإن إنساناً قد يرى فى الفتوة أنها كرم وشجاعة كطرفة ابن العبد ، وقد يرى غيره أنها العقل والفصاحة والرزانة كزهير ، وقد يرى ثالث أنها كتمان السر وعدم البوح به كمسكين الدارمى

ويرى الدكتور أن الفتوة أثر الغنى ، وأن الصعلكة أثر الفقر ، ومن فتيان الجاهلية طرفة بن العبد وامرؤ القيس . ومن صعاليكها السليك بن السلكة ، وعروة بن الورد ، والشنفرى ، وتأبط شرا . وهؤلاء كانوا فقراء صعاليك . وطرفة وامرؤ القيس كانا غنيين من الفتيان

واستعرض الدكتور مثل الصعاليك ومثل الفتيان استعراضا تاريخيا تحليليا من العصر الجاهلى ، إلى عهد الخلافة الرشيدة ، إلى العهد الأموى ، إلى العهد العباسى ، إلى أزمنة المماليك ، إلى العصر الحاضر فى مصر . وبين الآداب الرفيعة والتقاليد الرائعة للفتوة والصعلكة . وبين كذلك ما لحقهما من ضمور وهزال وشوائب أضعفت من أثرهما ، وقللت من شأنهما فى بعض الأوقات

وقد استشهد بكثير من الأشعار فى العصر الجاهلى على ما يقول . أو هو قد استخلص كثيراً من معلوماته فى هذا الموضوع من أشعار الجاهليين . فذكر شعراً لطرفة . وذكر شعراً لتأبط شرا . وذكر شعراً للشنفرى . وذكر شعراً لعروة ابن الورد

وعروة بن الورد هو المثال الرفيع للصعلكة الجديرة بالتقدير والاحترام . إذ كان اشتراكيا بكل ما تحمل الكلمة من معنى . وكان يغير على الأغنياء البخلاء ليرد أموالهم على الفقراء المحاويج.

فهو لم يكن يغير لغرض ذاتى ؛ بل لغرض تهذيبى. وآخر اجتماعى. الغرض التهذيبى أن يؤدب هؤلاء الأغنياء الذين يضنون بأموالهم ورفدهم على المحتاجين والمساكين . والغرض الاجتماعى أن يعول كثيرا من الذين يعجزون عن الكسب لمرض أو شيخوخة أو عجز . أما هو نفسه فلم يكن يظفر من غنائمه ولا من نهبه بأكثر مما كان يظفر به شيخ قعيد أو عاجز ضرير

« فهو فقير يتحسس أخبار الأغنياء، فمن وجده كريما سخيا خلاه ، ومن وجده شحيحا بخيلا غزاه ، وفرق ما جمعه على زملائه بالعدالة لا يرضى بشئ لنفسه إلا برضاهم . فشله مثل برناردشو فى إحدى رواياته إذ هاجم قوم سيارة فخمة يركبها أغنياء مرابون . فقال الهاجون، نحن سراق الأغنياء ، وأنتم سراق الفقراء . وكما فعل تولستوى إذ كان غنيا واسع الغنى ، فوزع ثروته على فلاحيه وعاش فقيرا . غاية الأمر أن عروة هذا سبقهما فى النبل بنحو ألفى سنة

« والخلاصة أننا نرى فى الحياة الجاهلية البدوية نوعين متميزين من الشبان : (أبناء الذوات) ، قد يجتمعون ويتخذون لهم محلا مختارا ، ويعيشون عيشة إباحية ، فيها خمر ، وفيها غناء ، وفيها نساء . وهم مع ذلك كرام ، يضيفون من نزل بهم ، ويغدقون عليهم من خيرهم . وتقابلهم طائفة أخرى من أبناء الفقراء يسمون الصعاليك ، يشاركونهم فى الكرم والاشتراكية ، ويخالفونهم فى أن حياتهم ليست حياة دعة واستمتاع ، ولكن حياة غزو وسلب ونهب ، وتوزيع المال على أمثالهم . يضاف إلى ذلك فرق آخر وهو أن الفتيان يعطون ما يعطون وهم مترفعون ، والصعاليك يعطون ما يعطون وهم يعتقدون أنهم مع زملائهم متساوون . وإن شئت فقل إن الفتيان يعطون ما يعطون عطفا وتفضلا ، والصعاليك يعطون ما يعطون أداء لما يرونه واجبا »

وفى عهد الخلافة الرشيدة ارتفع الدين بمعنى الفتوة . ورفع الإماء والعبيد إلى مقام الأحرار ، فسيدنا إبراهيم فى حجاجه قومه فتى ، وأهل الكهف فتية آمنوا بربهم ، والعبد والأمة ليسا عبدا ولا أمة ، إذ (لا يقول أحدكم عبدى وأمتى ولكن ليقل فتاى وفتاتى) ولا يجوز أن تكرهوا (فتياتكم على البغاء)

وعلى العهد الأموى نجد نكوصا إلى فتوة امرئ القيس وطرفة بن العبد . وهى فتوة الخمر واللهو والعكوف على الغناء . وقد يكون فيها إكرام للناس وقرى للضيف وإيواء للغريب . وقد يكون من هؤلاء الفتيان اللاهين من يخرج للصيد والطرد بعدده وآلاته ، وهذه الفتوة الموروثة جاهليا ، المهمونة أمويا ، تأثرت بما أخذه الفتيان عن الفرس من اللعب بالبندق، وهو كرات صغيرة من طين أو حجر أو رصاص يرمى بها عن قوس لصيد طير أو نحوه . ثم حشيت بالبارود . ومن هنا سميت البندقية

وكما كانت الفتوة فى العهد الأموى متأثرة بفتوة طرفة وفتوة الفرس ، كذلك كان بعض ألوان الفتوة فى العهد العباسى . ونجد لونا آخر وهو فتوة المتصوفة ؛ وفى هذا يقول محيى الدين بن العربى :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها ... مقدما عند رب الناس والناس

إن الفتى من له الإيثار تحلية ... فحيث كان فمحمول على الراس

ما إن تزلزله الأهوال قوتها ... لكونه ثابتا كالراس فى الراس

لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله ... عن المكارم حال الحرب والباس

انظر إلى كسره الأصنام منفردا ... بلا معين . فذاك اللين القاسى

وفى البيت الأخير إشارة إلى فتوة إبراهيم عليه السلام

وكذلك نجد فى العهد العباسى لونا ثالثا من الفتوة وهو فتوة العيارين والشطار ، وكانت تستخدم فى السلب والنهب. وثمة لون رابع من الفتوة ، وهو الفتوة المنعقدة بين جماعة لسبب ما كغربة ، وكما حدث من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى عهد النبوة الكريم. وهناك فتوة الإسماعيلية كالحسن الصباح وفتيانه ، وأيضا فتوة الحروب الصليبية كصلاح الدين الأيوبى ، وأسامة بن منقذ ، ونور الدين محمود بن زنكى

وقد تأثرت الفتوة فى العصر العباسى بفتوة الفرس وفتوة الترك ، علاوة على تأثرها بالفتوة العربية ، وعلاوة على تأثرها بالعناصر الدينية

ومن ميزات الفتوة أنها « تتضمن الشجاعة ، والاتيان بأعمال البطولة ، والكرم والسماحة والعفو عند المقدرة ، واحترام المرأة ، ووفاء العهد وحماية الضعفاء » ، وكذلك يكون الفتى

معروفاً بالسخاء، والشجاعة، والزهد والعبادة، وإطعام الطعام للمساكين، وإكرام العلماء والفقهاء، وحسن السيرة وصدق الحديث. قليل الكلام، لا يسمع منه أحد كلمة كذب ولا غيبة. لا يخوض فى كلام لا طائل تحته، آمر بالمعروف ناه عن المنكر»

وأنت ترى أن هذه الصفات الكريمة والأهداف النبيلة لم تتحقق فى كل ألوان الفتوة التى ساقها الدكتور أحمد أمين بك، وهى إن تحققت فى الفتوة الدينية، أو الفتوة الصوفية، أو فتوة صلاح الدين وأسامة بن منقذ، فهى قطعاً لم تتحقق فى فتوة العيارين والشطار، ولا فى فتوة العابثين اللاهين

ولما كان من الأجل أن تعدد ألوان الفتوة بالنظر إلى أهدافها، فقد يهدينا هذا إلى معرفة الفتيان حقيقة هؤلاء الذين يجمل بهم وبنا أن نذكرهم دواماً ليكونوا أمثلة للهداية والنور والحق الطهور. وبهذا نحفظ مقاماتهم، ونذكرهم عند الاقتران بهذا الخليط العجيب من الفوضى والإباحة الذى انساق إليه كل لاه عابث مغلوب. وبهذا نضع كل إنسان فى مكانه من الفتوة الصادقة حتى نربأ بصلاح الدين وأسامة بن منقذ ومحى الدين بن العربى عن دنس قرنهم بالعيارين والشطار فى إطار الفتوة. وحتى نحفظ لهذا الاسم الجميل معناه الجدير بالاحترام والتقدير

ولم يذكر المؤلف فتوة المسلمين الأولين فى العهد الرشيد التى تمثلت فى فروسية الفاتحين كأسامة بن زيد، وخالد بن الوليد، وعلى بن أبى طالب

ويبدو أنه لم يكن من اللازم، فى هذا العصر الرشيد على الأقل، أن يكون الفتى فى سن الشباب. والمثال على ذلك قصة إبراهيم التى كسر فيها الأصنام، والتى أحرقوه بسببها، والتى سموه فتى فيها. ومن سياق هذه القصة — كما وردت فى سورة الأنبياء — نعرف أنها بعد بعثته ونبوته، أى بعد الأربعين، وهي السن التى يرسل فيها الرسول إلى قومه. وليس من السائغ أن نقول إن الإنسان نبياً أو غيره، فى هذه السن، يكون فى شبابه. بل هذه فاتحة الكهولة التى يستحصف فيها العقل وتصفو النفس

وحين ننتقل إلى العهد الأموى نجد مؤلفنا الجليل لم يذكر الخوارج. وقد كانوا من الفتيان حقاً وصدقاً. وقد وهبوا كل ما يملكون لمبدئهم الذى رأوه حقاً وصواباً

ولم يذكر أيضاً فتوة أشياع على والحسين، مع أنهم خرجوا على ملك بنى أمية المضوض راجين رد الحق إلى نصابه ومصادره، ولقوا فى سبيل ذلك القتل والتمثيل والتشريد

وذكر الدكتور المؤلف فتوة المماليك؛ ولكن يهمنا نحن المصريين هذه الفتوة التى تجلت فى موقفين رائعين: الموقف الأول هو انهزام الصليبيين أمام المماليك والمصريين فى المنصورة. والموقف الثانى هو تفرق التتار فى عين جالوت أمام المماليك والمصريين أيضاً. وهاتان الموقعتان حفظتا العالم الإسلامى من الضياع بفضل فتوة المماليك الرائعة

وعرض المؤلف للإخوان المسلمين، وهم جماعة أكثر أتباعها من الشبان المسلمين. بدءوا أمرهم بتعليم الشبان الفضائل عن طريق الدين. والحق أن الناظر إليهم كان يراهم أميز من زملائهم من حيث القوة والرجولة والتخلق بالأخلاق الحسنة. ثم دعتهم الظروف المحيطة بهم أن يتحزبوا. فتظاهروا. وأيدوا الحكومات أحياناً وعارضوها أحياناً تبعاً للتعليمات. ثم تطوروا تطوراً آخر، فكان منهم محاربون، وكان منهم فدائيون

ومن رأى الدكتور أن الإخوان ضعفوا عما كانوا عليه. وفى رأيه أن قتل الشهيد حسن البنا كان جزاء وفاقاً لما فعل الإخوان من قتل المرحوم النقراشى. وقد تكون للتاريخ كلمة غير هذه الكلمة حين تنجاب الحجب عن الألغاز الاستعمارية والأحاجى السياسية، وحين يعرف لماذا شرد وعذب واعتقل شباب مسلمون لاهم لهم إلا نصرة دينهم على المستعمر الغاشم، وإلا نصرة دينهم على الانحلال والرأسمالية البغيضة

لقد كانت رحلة شائقة من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث أفدت منها كثيراً، واستمتعت كثيراً، وعرفت مالم أكن أعرف من وجوه الكرامة والرجولة والفتوة لدى هؤلاء الأماجد الأبطال الذين تنطق الدنيا ولا تنطق مصابيحهم. فشكراً المؤلف الفاضل. وشكراً للفرص المواتية

محمود عبد العزيز محرم



من أين لك هذا ؟

قد يكون من المفيد — بعد ما تبين لأولى الأمر منا أى ضرورة ملجئة ، وأى مصلحة عامة تحمل حتما سن مثل هذا القانون — أن نذكر أن الحكومة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا ، فطنت إلى هذا القانون ، فنادى به محمد صلى الله عليه وسلم زعيم الإصلاح ، ومعلم الإنسانية الأول ، وآمن به من بعده إيمانا لا يتسرب إليه الشك . والتاريخ يحدثنا عن غير واحد من علية القوم ووجهائهم ممن حوكموا بمقتضى هذا القانون ، فهذا خالد بن الوليد الذى اقتعد غارب المجد ، وتسنم ذروة الشرف ، وأبلى فى الدفاع عن الإسلام أحسن البلاء ، لم يغن عنه كل أولئك أمام الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحين أحس أنه أثرى فجأة — وكان عاملا له — عزله من الولاية ثم استجوبه وحقق معه ، ورد إلى بيت المال بعض أمواله

روى الطبرى أن خالد بن الوليد إثر عودته من «قنسرين»، بعد أن أظفره الله عليها ، وأفاء خيرا كثيرا عليه ، وفدت عليه الوفود ، وكان ممن وفد عليه الأشعث بن قيس ، فأجازه خالد بعشرة آلاف . وسرعان ما أنهى إلى الخليفة العادل الساهر هذا النائل الغمر ، فأبرد إلى أبى عبيدة (أن يقيم خالدا ، ويعقله بعمامته ، وينزع عنه قلنسوته ، حتى يعلمهم من أين إجازة ابن الأشعث ؟ أمن إصابة أصابها ؟ أم من ماله ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، واعزله على كل حال ، واضمم إليك عمله) فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ، ثم جمع الناس ، فقام البريد . فقال : يا خالد ! أمن مالك أجزت بعشرة آلاف ؟ أم من إصابة؟ فلم يجبه، حتى أكثر عليه — وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا — فقام بلال إليه فقال : إن أمير المؤمنين أمر بكذا وبكذا فيك ، ثم تناول قلنسوته ، فعقله بعمامته وقال : ما تقول ؟ أمن مالك ؟ أم من إصابة ؟ فقال : لا ! بل من مالى، فأطلقه، وأعاد إليه قلنسوته ، وعممه بيده ، ثم قال : نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخم ونخدم موالينا . وعندما قدم خالد على عمر المدينة، بعد عزله، شكاه إلى المسلمين وقال له : لقد شكونك إلى المسلمين ، وبالله إنك غير مجمل فى أمرى يا عمر.

فقال عمر : من أين هذا الثراء ؟ قال خالد : من الأنفال والسهمان ، وما زاد على الستين ألفا فلك . فقوم عمر عروضه ، فخرجت إليه عشرون ألفا ، فأدخلها بيت المال ، ثم قال : يا خالد! والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شىء

وكذلك وقف عمر بن الخطاب موقفا مشابها من والى مصر عمرو بن العاص ، فقد كتب إليه : « أما بعد ، فقد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك ولا مال لك ، فاكتب إلى من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه »

فأجابه عمرو « . . وإنى أعلم أمير المؤمنين أننى ببلد السعر فيه رخيص ، وإنى أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله ، وفى رزق أمير المؤمنين سعة، ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك، فأقصر أيها الرجل ، فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك ، إن رجعتنا إليها عشنا بها »

على أن عمر لم يجد فى هذا مقنعا ، فأرسل إلى عمرو محمد بن سلمة ليشاطره ماله . وعندما قدم رسول عمر إلى عمرو قدم إليه أصنافا كثيرة من الأطعمة ، فرفض أن ينال منها شيئا ، فقال له عمرو : أتحرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف لأكلته ، ولكنك قدمت إلى طعاما هو تقدمة للشر . نح عنى (أكلك) طعامك ، واحضر إلى مالك ، واكتب إلى كل شىء هو لك ، ولا تكتمه . فشاطره ماله أجمعه ، حتى بقيت نعلاه ، فأخذ إحداهما وترك له الأخرى . هذا وغيره كثير وفى هذا بلاغ

وصنيع عمر هذا يعد من قبيل الاحتياط والتورع ، ولم يكن عن خيانة من خالد أو عمرو ، فإنهما أعز وأكرم من التماس الغنى والثراء مما لا يحل ، يدل لهذا كتاب عمر إلى عمرو بن العاص « والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة ، وآنست من نفسى ضعفا ، وانتشرت رعيتى ، ورق عظمى ، فأسأل الله أن يقبضنى إليه غير مفرط ، والله إنى لأخشى لو مات جمل ناقص

عملك ضياعا أن أسأل عنه »

وورد فى كتاب من عمر إلى عمرو « معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنيئة ، والرغبة فيها »

أما موقف سيدنا خالد فيشهد لما أشرت إليه ما جاء على لسان أمير المؤمنين نفسه : على ما مر بك ، والله ولى التوفيق

رياض عباس

عبد المنصف محمود باشا

كان لتعيين عبد المنصف محمود باشا وكيلا لوزارة الداخلية وقعه الجميل فى نفوس أصدقائه ومحبيه . وإنى وإن كنت ممن لم يتشرفوا بتلك الصداقة الشخصية ، إلا أن للرجل فى نفسى مكانة أدبية من حق الرسالة على أن أنوه بها ، على سبيل التهنئة الخالصة لوجه الثقافة والأدب

ولقد أشرت فى تقريظى لكتاب « السنوسية دين ودولة » للدكتور فؤاد شكرى إلى رجالات مصر الذين أسهموا فى الجهاد الليبى ، وذكرت من بينهم عبد المنصف محمود الذى كان ضابطا فى ذلك الوقت

وعسى ألا يغيب عن الأذهان أن عبد المنصف محمود — الذى كان من قبل مديراً لمصلحة خفر السواحل ومصائد الأسماك — من أدباء الإسكندرية المعدودين ، ومكانه فى ثقافة عروس البحر لا يزال كالدر اللامع فى جيد الأدب الرفيع

ولم تكن مشاغل الوظيفة لتصرفه عن التأليف والبحث ، فوضع سلسلة من الكتب القيمة عن بحيرات مصر ، ضمنها دراسات تاريخية واجتماعية وأدبية ، وجمع فيها بين التقرير والتقدير ، ولما كنت قد وضعت سنة ١٩٣٦ كتاب « إدكو » ودرست فيه كل ما يتعلق ببلدة إدكو ، فإن كل دراسة تتصل بها مما يدفعنى إلى التلهف عليها ، لهذا كنت أتابع عبد المنصف محمود باشا فى كتابه « على ضفاف بحيرة إدكو » كما أنى اشتركت فى المعركة الفكرية بين الرأى القائل بتجفيف تلك البحيرة أو الإبقاء عليها ، وأدليت برأبى على صفحات الأهرام

أما عبد المنصف محمود ، وهو الشاعر الحريص على الجمال ، فقد كان يرى عدم التجفيف لتظل البحيرة كغيرها من البحيرات « ترصع جيد مصر » ، ومما جعلنى أخالفه فى هذا الرأى ما انتهت إليه الحالة الاقتصادية فى إدكو من تدهور أدى إلى انهيار اجتماعى عام ، ولولا ذلك لحرصت أكثر منه على بقاء هذه البحيرة الجميلة وهى أول ملهم لى فى حياتى الأدبية ، حتى لقد كانت قصيدتى « البحيرة الناعسة » أول ما نشر لى فى الأهرام وأنا طالب بالسنة الثالثة الثانوية سنة ١٩٣٣

وعسى ألا يكون المنصب الجديد بمعوق شاعر البحيرات من المضى فى بحوثه وأشعاره ، وأمل الرسالة فى الباشا كبير ألا يحرمها من نفحاته ، وكيف لا يفعل وهو تلميذ صاحب الرسالة ؟ ولعلى بهذا أن أكون قد اشتركت بتقديم هذه التحية مع المهنئين

محمد محمود زيتون



جندى قبل الاعدام

عن الانجليزية

جلس مستر أوين فى غرفته الخاصة بداره الكبيرة فى جرين مونتن بالولايات المتحدة ، وكان كاسف البال ، شديد الكآبة ؛ وإلى جانبه قسيس القرية يواسيه ويخفف عنه

بينما مكثت لومى الصغيرة فى ركن الغرفة تنصت إلى حديث الرجلين دون أن تلفظ ببنت شفة

وتكلم مستر أوين قال : كنت أحسب حين وهبت ابنى لهذا الوطن أنى فعلت من أجل بلادى ما لم يفعله أى رجل آخر فى أمريكا على سعتها ، إذ ليس لى ولد غيره ؛ ولكن هبتى لم تعش طويلا ، لأن ولدى المحبوب غلبه النعاس فنام دقيقة واحدة فى نوبة حراسته بالمعسكر ، وهو الذى لم يغفل لحظة عن أداء واجبه وكان مثالا للنشاط الموفور والهمة العالية ...

صحيح أنه استسلم للكرى دقيقة ، واستحق حكم الإعدام الذى صدر عليه . لكن ليتهم رحموا شبابه، وراعوا حداثة سنه، فانه لم يجاوز الثامنة عشرة ... من يصدق هذا

إنهم يتهيئون لرميه بالرصاص ؛ لأن هذا التعس نام بضع ثوان ، ولم يظل ساهرا الليل بطوله يراقب قدوم جيوش الأعداء المهاجين . إنه الآن فى السجن ينتظر تنفيذ العقوبة . فيا ترى كيف يقضى الوقت إلى أن تحين ساعته ؟

وأثرت لهجة الرجل فى نفس القس . فقال يروح عنه : دعنا نأمل رحمة الله ... لماذا تيأس !

قال : نعم . نعم . فلنبتهل إلى الله ولنضرع إليه إنه غفور رحيم .

كان « بنى » قبل التحاقه بالجندية يقول لى : سأعيش يا أبى خجولا أمام نفسى وأمام الناس إذا أنا لم أستعمل ذراعى القويتين المفتولتين من أجل بلادى عندما تقع الحرب ويدعونى الوطن . وكنت أقول له : إذهب ياولدى، إذهب فى حراسة ربك ، وها قد حرسه الله !

ونطق مستر أوين بالعبارة الأخيرة فى بطء، كما لو كان على رغم إيمانه قد ساوره الشك فى رحمة الله !

فقال القس : تشجع ياصديقى تشجع ، ولا تقنط من رحمة الله !

وأصغت لومى لهذا الحوار، وهى فى موضعها منكسة الرأس، بالغة الأسى ، ممتقعة اللون ، لما أصاب أخاها « بنى » ؛ لكن لم ترسل عيناها دمعاً ولم تسمح لهمها وكدرها أن يشيعا على محياها؛ وكانت على حداثة سنها تقوم بنصيب موفور فى إدارة شؤون البيت ؛ ولذلك هبت واقفة حين سمعت طرقاً خفيفاً على باب « المطبخ » ؛ وأسرعت وفتحت الباب ووجدت رجلا يقدم إليها خطابا .

وحملت الخطاب إلى أبيها وهى تقول :

— إنه منه ... من أخى ...

وكأن الخطاب وصية ميت أو رسالة من القبر ! فقد تطلع فيه مستر أوين دون أن يجسر على فض غلافه . وارتجفت أصابعه وهو يدفعه إلى القس كما لو كان طفلا لا حول له ولا قوة

وفض القس الغلاف وقرأ ما يلى :

أبى العزيز :

— عندما تصلك هذه الرسالة أكون فى عالم الأبدية ! فالموت ينتظرنى عند باب السجن . ما أشد ما أخافنى هذا الخاطر وروعنى! على أنى فكرت كثيراً وقلبت الأمر على كل الوجوه حتى لم يعد الإعدام مخيماً فى نظرى ... لقد احترموا آخر رغباتى فى الحياة وسوف لا يضعون الأغلال فى يدى ولا العصابة على عينى ، وعلى ذلك سألقى الموت كما يلقاه الرجل الشجاع الباسل ، وفى هذا تعزية كبرى

غير أنى كنت أرجو أن تقضى الأقدار بغير ما قضت ، وأن تكون ميتتى أشرف من هذه الميتة . كنت أود لو أموت شهيدا فى ساحة الوغى وحومة النضال مدافعا عن بلادى وفى

سبيل الحد ، أما أن أعدم رميا بالرصاص كالكلاب وبتهمة إهمال الواجب العسكرى وهو شئ يقارب الخيانة ، فذلك ما يؤلمنى أشد الألم . ولا أدرى كيف لم تقتلنى هذه الفكرة قبل أن تقتلنى بنادقهم ؟

أبى : سوف لا يكون فى حادثتى ما يخدش اسمك أو يصم شرف أسرتك . ساعترف هاهنا بكل شئ ، وعندما أفارق الحياة آمل أن تشرح للدانى وأصدقائى ما وقع . أما أنا فرجل ميت والموتى لا يتكلمون

تذكر أنى كنت قد وعدت أم صاحبى « جمى كار » أن أعنى بولدها الذى هو زميلى فى الفرقة ، فلما سقط « جمى كار » مريضا بذلت كل جهودى من أجل راحته والأخذ بيده حتى عاثل للشفاء . على أنه قبل أن يجتمع له قواه وترد إليه صحته صدرت الأوامر لفرقتنا بالتقدم إلى خطوط النار . وناء « جمى » بحمله لحملته عنه فضلا عن حقائبى وقطعنا شوطا بعيداً ، وانقضى النهار وأخذ الرجال يشعرون بالتعب وخارت قوانا جميعا . أما « جمى » فقد عجز عن مواصلة السير ولم يمش إلا بعد أن مددت إليه يد المساعدة

وحين شارفنا المعسكر كنت فى أشد حالات التعب وأحوج الرجال إلى الراحة . لكن شاءت الصدف أن تكون نوبة الحراسة تلك الليلة لزميلى « جمى كار » ، ورأيته محطما يكاد يقتله الضعف والتعب ، فتقدمت للحراسة عنه ونسيت أنى فى تلك اللحظة كنت أشد منه ضعفاً وإعياء ، وصدقنى ياأبى أنى كنت عندما غالبنى النوم على حال من التعب والإعياء بحيث لو أطلقت على رأسى رصاصة لما فتحت عينى ولا حركت ساكنا

على أنى مخطئ وخطئى أنى لم أفطن لحالتى إلا متأخرا جدا .. وعندما وصل القس إلى هذا الحد من القراءة قاطعه مستر أوين بهذه العبارة :

شكرا لله . إن ابنى يموت شهيدا وليس خائنا ، وعاد القس يقرأ هكذا :

قيل لى اليوم إن إعدامى تأجل يوما واحدا بسبب ظروف طارئة ، وهذه فرصة لكى أكتب إليك كما يقول رئيسى الطيب القلب . اصفح عنه يا أبى فإنه لم يفعل سوى أن قام بواجبه ، وقد كان يود بإخلاص أن ينقذنى لكن القوانين العسكرية صارمة ولا حيلة فيها . كذلك أرجو ألا تضع مسئولية إعدامى على رأس « جيمى كار » فإن المسكين منكسر القلب شديد الأسف لما حل بى . وقد ألح عليهم أن يأخذوه فدية عنى ولكن أحدا لم يعر طلبه التفاتا بطبيعة الحال

أبى ، لا أجسر أن أفكر فى أمى ولا فى أختى لومى فياليتك تواسيهما وتجفف دمعهما . وليتك تقول لهما إنى أموت شجاعا باسلا وإنه عندما تنتهى الحرب سينسيان العار الذى سيلحق بى الآن

فى هذا المساء عندما تغرب الشمس سوف تمر بخاطرى صورة من صور السعادة الضائعة فأرى قطعان الماشية تمشى الهوينا من المرعى إلى الحظيرة ، وأرى بعين الخيال شقيقتى لومى فى الشرفة واقفة تنتظرنى وتلوح لى حين ترانى ؛ على أنها لن ترانى ولن أعود !

« بنى »

* * *

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة فتح باب الشرفة الخلفية بمنزل مستر أوين وانسابت من بين مصراعيه صبية صغيرة وهبطت الدرج الذى يؤدى إلى الطريق

وكان المشاهد يحسبها لسرعتها طائرة لاماشية ، وكانت تهرول إلى جهة معينة لا تلتفت إلى يمين أو شمال ، لكنها ترفع رأسها بين حين وحين شطر السماء ويداها منقبضتان كأنها تضرع إلى ربها وتبتهل .

وبعد ساعتين طويلتين قضتهما هذه الصغيرة تسير وحدها فى ظلمة الليل ووحشته وصلت إلى محطة ميل . وقبل أن تشرق الشمس كانت لومى فى العاصمة تسرع الخطى إلى البيت الأبيض الذى يقيم فيه رئيس الجمهورية .

وكان مستر لنكولان (رئيس الجمهورية العظيم) قد دخل غرفته توا وبدأ يلقى نظرة على الأوراق المكدسة على مكتبه وأقبل يفحصها وينظر فى شؤون دولته . وبدون جلبة فتح الباب

بهدوء وانسابت لوسى إلى الداخل وخطت نحوه ثم وقفت قبالته بخشوع ورهبة : عيناها إلى الأرض ويداها منقبضتان

ووقع نظر الرئيس عليها ولم يبد عليه أنه غضب أو تململ حين فوجئ بدخولها ، بل ابتسم لها مترفقاً وخاطبها بصوت مشجع ، قال :

— نعم يا صغيرتى ؛ ماذا تريدين فى هذا الوقت المتأخر ؟

— أريد حياة « بنى » يا سيدى

— بنى ؟ من هو بنى ؟

— أخى . إنهم يرمونه بالرصاص بسبب نومه فى نوبة حراسته

فعاد مستر لنكولن إلى الأوراق التى أمامه ينظر فيها وهو يقول :

— آه ، لقد تذكرت الآن . إنه نام فى أحرج الأوقات وأخطرها ، واعلمى يا صديقتى الصغيرة أنه اختار لنومه ساعة تتوقف عليها مصائر بلاده وحياة ألوف من الجنود . وهذا استهتار شنيع

قالت :

— وهكذا يقول أبى لكن « بنى » المسكين كان متعبا جدا يا سيدى ، وكذلك كان « جمى » وقد قام أخى بعمل رجلين ولم تكن تلك الحراسة حراسته . كانت النوبة على « جمى » ولكن « جمى » كان مريضا وعندما حل أخى محله لم يكن يفكر فى نفسه ولا فى تعبه ونسى أنه خائر القوى

ورفع الرجل العظيم رأسه من بين الأوراق وعاد ينظر إلى اثرته الصغيرة وقال :

ما هذا الكلام يا طفلتى ؟ أنا أكاد لا أفهم شيئا . تعالى إلى جانبى وقصى قصتك

وبمثل العناية التى يبذلها دائما فى مختلف شؤون الدولة أقبل الرئيس لنكولن يفحص هذه الدعوى ، ومشت لوسى إليه فربت على منكبها وحول بيده وجهها إليه ، وأحست بعطفه عليها فرددت قصتها وقدمت إليه خطاب أخيها لأبيها فأخذه منها وألقى عليه نظرة ثم قرأه بعناية ، وحالما انتهى منه أمسك قلمه وخط بسرعة بضعة أسطر على ورقة ودق جرسا أمامه فأقبل أحد الحجاب ، وسمعت لوسى الرئيس وهو يقول للحاجب : ابعث بهذه الرسالة فى الحال !

وبعد يومين من هذه المقابلة وفد إلى دار الرياسة جندى شاب ومعه صبية صغيرة . كان الشاب « بنى » وكانت الصبية أخته « لوسى » واستقبلهما الرئيس فى غرفته الخاصة واحتفى بهما ؛ وكان يلبس حلة عسكرية جديدة تزين كتفيها شارات الترقية التى رفعته إلى درجة ملازم وخاطبه الرئيس قال :

لقد عفوت عنك ورفعت درجتك يابنى لأن الجندى الذى يحمل حقائب زميله المريض ويموت من أجل غيره دون أن يشكو أو يتبرم ، يستحق تقدير الوطن

وعاد بنى ولوسى إلى جرين موتتن ، حيث استقبلتهما الجماهير الهاتفة فى المحطة ، وبسط مستر أوين يده لولده والدموع تنهمر من مآقيه على خديه وسمعه الناس وهو يهتف بحرارة : « لله الحمد ! »

م . ص

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

غبار حول الكتلة الإسلامية : للأستاذ سيد قطب ٤٣٣

كلمات ... ... : « علي الطنطاوي ٤٣٥

المجتمع التقدمي ... ... : للدكتور قسطنطين زريق ٤٣٩

لغة المستقبل ... ... : للأستاذ محمد محمود زيتون ٤٤٣

الباكستان ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ٤٤٦

البلبل الذبيح ... ... : المغفور له الدكتور زكي مبارك ٤٤٨

في تأبين الدكتور زكي مبارك : للأستاذة زينب الحكيم ٤٤٩

البحيرة ... (قصيدة) : للشاعر الفرنسي لامرتين ٤٥١

(الأدب والفن في أسبوع) — تأبين الدكتور زكي مبارك — حول تقديم الشاعرين الفائزين في مسابقة المجمع — مسرحية « كذب في كذب » — في ذكرى ابن سينا ٤٥٢

(الكتب) — عقيدة المسلم — تأليف الأستاذ محمد الغزالي — للأستاذ محمد فياض ٤٥٥

(البريد الأدبي) — أخي الأستاذ محمود شاكر — العدالة الدولية — إلى أستاذي رئيس التحرير — خطوط ٤٥٩

(القصص) — رثاء — للقصصي الروسي أنطون تشيكوف ٤٦٠

الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية

تطرح الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية على رجال الفكر والثقافة فى العالم العربى مسابقتها العامة الجديدة فى التأليف موضوعها :

« المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق »

وذلك بالشروط الآتية :

(١) أن يقع البحث فى نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وأن يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى

(٢) أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة — الدقى) فى موعد غايته آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢

(٣) أن تكون نسخ البحث المرسلة منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح

(٤) يعطى صاحب البحث الفائز فى المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه مصرى) ، على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه فى مقابل تعهده بتسليمها ٢٠٪ من نسخ كل طبعة

20 me. année No 981 — Le Caire 21 — 4 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٧١ — ٢١ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

غبار حول الكتلة الاسلامية!

للأستاذ سيد قطب

يجب أن يتوقع الدعاة إلى الكتلة الإسلامية غبارا كثيرا يثار حولهم، وحول الفكرة ذاتها، غبارا يثار من نواحى شتى: فى الداخل وفى الخارج، بطرق مباشرة وغير مباشرة، تصريحاً وتلميحاً، من قريب ومن بعيد، عن طريق الأخبار والتعليقات والإشاعات والأراجيف، ومن طريق بعض السلطات وبعض العناصر وبعض الجماعات ...

يجب أن يتوقعوا هذا كله منذ اليوم، لأن الدعوة إلى الكتلة الإسلامية مرادفة للدعوة إلى البعث الإسلامى. والبعث الإسلامى آت لاريب فيه، بل قائم لاشك فيه؛ ولكن المعارضين والمناوئين لهذا البعث لن يستسلموا بسرعة، وان يسلموا عن طواعية. إنهم سيقاومون هذا البعث إلى آخر لحظة، وسيستخدمون جميع الوسائل، ومن بين هذه الوسائل تخويف المسلمين أنفسهم من هذا البعث! أو إثارة مخاوفهم وشكوكهم حول الدعوة وحول الدعاة!

إن البعث الإسلامى آت لا محالة، لأنه حركة طبيعية غير مصطنعة. حركة تجىء فى أوانها، ولم يكن مستطاعا أن تجىء قبل هذه الأوان .. ولقد حاولها الكثيرون من قبل منذ أيام جمال الدين الأفغاني بل قبله، ولكنها لم تتم، لأنها فى ذلك الوقت كانت دعوة رواد سابقين لزمانهم ولمقتضيات هذا الزمان. أما اليوم فهى دعوة فى أوانها بعد أن تهيأت لها معظم الأسباب

لقد انتهى العالم إلى كتلتين اثنتين قائمتين بالفعل، تتنازعان فيما بينهما على أرض الكتلة الثالثة ومواردها. كذلك انتهى عهد النوم والجمود الذى كانت تعانيه الكتلة الثالثة، وقامت شعوبها بلا استثناء تتملص من براثن الاستعمار. ومهما تكن تلك البراثن من الشراسة والقوة، فإن تملص الفريسة وحده يكفى لإثبات البعث الجديد..

ولقد آنت الحضارة الغربية أقصى ثمراتها. وبدا عليها الإفلاس. أو على الأقل أمارات الإفلاس. وبدأت البشرية تتلفت إلى منقذ — كما كانت تتلفت قبيل مولد الإسلام — والمذهب الشيوعى فى الجانب الشرقى هو بدوره مذهب مادى كالحضارة الغربية، لا يختلف فى طبيعته عن طبيعة الحضارة المادية الغربية. وهو مذهب تمضى بصدم الفطرة البشرية ويعيش على كبتها وكبحها بقوة الحديد والنار. فهو مذهب ضد الطبيعة البشرية؛ فمن المحال أن تطمئن إليه الإنسانية.. لقد تندفع إليه فرارا من نار الاستغلال الرأسمالى والطغيان الاستعمارى .. ولكنه مجرد اندفاع اضطرارى؛ كالمستجير من الرمضاء بالنار كما يقولون فى الأمثال!

ويبقى النظام الاجتماعى الإسلامى وحده ، يحمى البشرية من طغيان الاستغلال وطغيان الاستعمار ، دون أن يكبت الفطرة البشرية ، ويحكمها بالحديد والنار ..

وهذا ما يجعل البعث الإسلامى حركة كونية . حركة إنسانية . حركة طبيعية . . وهذا ما يجعله ضرورة لا لتخليص الرقعة الإسلامية وحدها من شر الاستعمار ، ووقايتها فى الوقت ذاته من شر الشيوعية ، بل لتخليص البشرية كلها من المأزق الذى صارت إليه ، ومن القلق الذى تعانيه ، ومن الخواء الذى انتهت إليه حضارة الغرب بعد ثلثمائة عام !

ولكن هذا كله ليس معناه أن حركة البعث الإسلامى ستلاقى ترحيباً من الكتلة الشرقية أو الكتلة الغربية ، أو أسنادهما وعملائهما ودعاتهما فى الوطن الإسلامى . . وإذن فسيثور غبار كثير . وقد بدت طلائعه من نواحى شتى . وفى صور شتى . وبوسائل شتى ..

أخذ بعضهم يثير الريب والشكوك ، مدعياً أن الإنجليز أو الأمريكان هم الذين يخلقون حركة التكتل الإسلامية ليقفوا بها فى وجه الشيوعية ..

وفى ذات الوقت أخذوا يثيرون المخاوف من رد الفعل فى العالم المسيحى أى الكتلة الغربية — إذا تكتل العالم الإسلامى

وهكذا فى وقت واحد ، يكون العالم المسيحى هو الذى يخلق حركة التكتل الاسلامى ، ويكون هو نفسه الذى يكره حركة التكتل الإسلامى !!!

ومرة يأتى الغبار من جهة الهند ، ومرة يجىء من ناحية لبنان ، ومرة يجىء من فرنسا ، ومرة ينبع من الأرض المصرية .. والصحافة المصرية المأجورة لأقلام المخابرات البريطانية والأمريكية تنفذ تعليمات هذه الأقلام . . وعملاء الشيوعية ينثرون الريب والشكوك فى كل مكان ..

كل هذا يجب أن يكون متوقعاً . ويجب مع ذلك أن تسير الدعوة إلى الكتلة الإسلامية فى طريقها لا تحفل هذا الغبار . وأن تسير الاستعدادات العملية فى طريقها بضغط الشعوب الإسلامية والعناصر الواعية فيها بصفة خاصة ، فلا تترك للحكومات ، كما تركت جامعة الدول العربية للأهواء !

إنه لا خطر على حركة البعث الإسلامية أن يستغلها الاستعمار — كما حدث أحياناً لجامعة الدول العربية — لأن طبيعة الجامعة الإسلامية غير طبيعة الجامعة العربية

إن الجامعة العربية حركة قومية عنصرية بعيدة عن الروح والضمير ، وحركة الجامعة الإسلامية حركة عقيدة وبعث روحى شامل .. فإذا جاز لعملاء الاستعمار أن يوجهوا الجامعة العربية أو يعرقلوها ، فإن الجامعة الإسلامية سوف تستعصى على التوجيه

إن حركة التكتل الإسلامى لن تتم لأن بضعة حكام من كل دوله سيجتمعون ويتآمرون ! بل إنها ستتم لأن حركة وعى إسلامى ستعمر القلوب والأرواح ، ومتى استيقظت الروح الإسلامية فهى بطبيعتها تأبى أن تسخر لأعدائها . إن الإسلام عقيدة استعلاء ، فمن المحال أن تخضع أو تذل . إنها تقبل الخضوع يوم تكون هامدة خامدة ، فأما حين تستيقظ فلا

وإذن فلا خوف من استغلال هذه اليقظة لحساب الاستعمار والاستعمار يدرك هذا ، ويثير الغبار حول الحركة الإسلامية ، لأن تبلورها وبروزها هو النذير الأكبر على تقلص ظله البغيض

هذه حقائق يجب أن تعرفها الشعوب الإسلامية ، وأن تنفض عنها الغبار الذى يثيره أعداؤها من الجانبين ، ويسخرون له أقلاماً وصحفاً وألسنة ، تعيش فى صميم الوطن الإسلامى !

وبعض الذين نخب الاستعمار الغربى أفئدتهم ، فأفئدتهم هواء ، يرجفون من الذعر أن تثير الدعوة الإسلامية ثائرة العالم الغربى والعالم الهندى ! .. كأن هذا العالم أو ذاك قد سالم المسلمين فى يوم من الأيام ، أو أنه يسالمهم الآن !

إن فظائع وشناعات ترتكب كل يوم ضد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . والأقليات الإسلامية فى بعض البلاد تباد إبادة منظمة ، وتضطهد بنفس الأساليب التى اتبعتها محاكم التفتيش الأسبانية أو أشد . .

وعلى ذكر الأسبان ها نحن أولاء نراهم يقومون بدور السمسار للكتلة الغربية فى العالم الإسلامى ونرى بعض رجالاتنا مع الأسف الشديد يقومون لهم بدور السماسرة كذلك !

إن أسبانيا فى هذه الأيام تخطب ود العالم الإسلامى . وهى

كلمات

للاستاذ على الطنطاوى

٥ — مشكلة وجيه

سيدى الوجيه الكبير

قرأت كتابك الذى أرسلته إلى ، وفهمت قصتك الطويلة ، أما رأيى الذى تقسم على بأن أعلنه بصراحة ، وأن أنشره فإنى أخاف أن تغضب إذا أبديته لك ، أو أن يلومنى على إبدائه القراء

لأن رأيى فيك ياسيدى المحترم أنك ... أحمق كبير ، ولا مؤاخذة ، وأنك لا تصلح أباً لهذه البنت العاقلة ، وأنك مع الأسف صورة لأ كثر الآباء ، لا تختلف عنهم إلا كاختلاف نسخ القصة المطبوعة بعضها عن بعض . فهمت من كتابك أن الخاطب الذى رغبت فيه ابنتك محام فقير ، لا يملك إلا شرفه وخلقه وعزة نفسه ، والمال الذى يأخذه بكد يمينه ، وعرق جبينه وأن الخاطب الشاب الجيل الغنى المدلل وحيد أبويه ، اسم الله عليه ، الذى يملك وزنه ذهباً ، لم تقبل به البنت لأنه ليس بصاحب علم ، ولا بذى مهنة ، وأنها أبت من تريد ، وأبيت من أرادت ، فبقيت بلا زواج

وأنك حائر فى هذه المشكلة لا تدرى ماذا تصنع ؟

ومشكلتك هذه ياسيدى مشكلة البلد كله

مشكلة سببها أنتم أيها الآباء ، الذين يحسبون البنت سلعة فهم يريدون أن يبيعوها ، لمن يدفع فيها الثمن الأكبر ، ويظنون الزواج صفقة تجارية ، فهم يتمنون أن يخرجوا منها بالربح الأوفى

أنتم سلبتم الزواج معناه الإنسانى العاطفي ، وجعلتموه معاملة مالية ، يبحث فيها عن المهر والجهاز ، والحفلات والولائم ، قبل أن يبحث عن التوافق والحب ، والسعادة الزوجية

أنتم وضعتم الأشواك فى طريق الشباب الذين يريدون بناء البيت ، وإنشاء الأسرة ، وإرضاء الله والخلق ، وأقفلتم فى وجوههم أبوابكم ، ففتحتم لهم بذلك باب الفجور والفساد ، وعبدتم لهم طريق البغاء والمرض والإفلاس

أنتم الذين يضحون بصحة بناتهم ، وبأخلاقهن وبسعادتهن فى سبيل التفاخر والتكاثر ، والعظمة الفارغة ، ويضحون بعد ذلك بمصلحة هذا الوطن ! أنتم المسئولون عن مشكلة البغاء السرى أنت وأمثالك من الآباء ! وتسألنى بعد ذلك رأيى ؟

رأيى أنك مجرم كبير ... ياسيدى الوجيه الكبير !

٦ — بترول

قرأت أن أمير إحدى المحميات العربية صار فى ذات الوقت تسوى حسابها مع أمريكا !

ربما يقول بعضهم : ألا ترى ؟ أليس هذا دليلا على أن قيام الكتلة الإسلامية هو من وحى السياسة الاستعمارية ؟

إنه حق يراد به باطل ! يجب أن نفرق بين البواعث الطبيعية لقيام الكتلة الإسلامية ، وبين محاولة الاستعمار أن يستغل هذه الحركة الطبيعية

إن قيام الكتلة الإسلامية اليوم ، على أساس النظام الاجتماعى الإسلامى ، وعلى أساس تحكيم الشريعة الإسلامية فى الحياة . . هو حركة طبيعية لابد منها كما أسلفنا . . أما محاولة الاستعمار أن يستغل لحسابه هذه الكتلة الناشئة فهى محاولة مصطنعة يمكن القضاء عليها

وإذن فلندع لقيام الكتلة الاسلامية ، على أساس النظام الاجتماعى الاسلامي ، لا على أساس اتفاقات ديبلوماسية بين بعض السياسيين — على طريقة جامعة الدول العربية ! — وليكن همنا أن ننشر حركة وعى إسلامى حقيقي بين الشعوب . وهذا هو الضمان لاستقلال هذه الكتلة عن الاستعمار ، وقيامها على أساس مكافحة الاستعمار

وحين يقوم العالم الاسلامى على أساس النظام الاجتماعى الاسلامى ؛ فإنه سيكون فى حصانة من الشيوعية ، بل سيكون بدء تحطيم الكتلة الشيوعية ، والنظام الشيوعى . .

هذه حقيقة واضحة نحب أن ننفض عنها الغبار ، ونعرضها ناصعة للأنظار والأفكار ...

سيد قطب

أغنى رجل في العالم ، وأن البترول الذي ظهر في أرضه ... سيأتيه كل سنة بـ ... بمبلغ نسيت والله مقداره من ضخامته ...

قرأت هذا الخبر فكدت من العجب أفقد عقلي

أيأخذ شيخ هذه المحمية وحده ثمن البترول ، ويتصرف فيه على هواه ولا يقول له أحد . ماذا صنعت ؟

ومن أعطاه هذا البترول ؟ ومن كتب له به سند التمليك ؟

في أي عصر نعيش أيها الناس ؟

إنه بترول هذه الأرض التي أكلت أجسادأجدادنا . وشربت دماءهم : أرض العرب . فهل ترونها ادخرته في بطنها ثلاثة ملايين سنة حتى يأتي في آخر الزمان الشيخ الفلاني فيأخذه وحده ملكا خالصاً له ، ليعطيه لأميركا أو لإنكلترا ؟

إني لأسأل مرة ثانية : في أي عصر نعيش ؟

وأين هي ديمقراطيــة أميركا وإنكلترا ؟ أمن شرع الديمقراطية إن نبع البترول في صحارى كاليفورنيا أن يكون ملكا لترومان ، ينعم بثمنه هو وأولاده وعبيده (إن كان له عبيد) ويسخر لشهواتهم ولذاذاتهم ، ويترك الشعب في بلائه وشقائه ؟

الديمقراطية كلمة يونانية الأصل ، جاءت من (ديموس) أي الشعب ، وكل شيء في الديمقراطية للشعب ، وخيرات الوطن وبترول الأرض لأصحاب الأرض .

فلماذا لا يكون بترول أرض العرب للعرب ، يسخر لمصالحهم ويشترى به لهم المجد والقوة ، والحضارة والعلاء ؟ لماذا لا نصير به أرض العرب جنات فيها من كل الثمرات ، وفيها المدن والمصــانع والقلاع والمدارس ، وفيها الطرق والجسور وكل ما أنتجت المدنية وأثمر العمران ؟ أليس ملك الشعب ؟

إني لأسأل ، فهل من مجيب ؟!

٧ — الزوجة الثانية

قابلت أمس صديقاً لي فوجدته ضيق الصدر ، لقس النفس. كأن به علة في جسده ، أو هما في قلبه ، فسألته أن يكشف لي أمره فتأبى ساعة وتردد ، ثم قال لي : أنت الصديق لا يكتم عنه ، وإني مطلعك على سري ، ومستشيرك فيه : إني أريد الزواج

— قلت : وما فعلت ربة دارك ، وأم أولادك ؟

— قال : هي على حالها .

— قلت . وهل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها ، أو من طاعتها لك ، وميلها إليك ؟

— قال : لا والله !

— قلت : فلم إذن ؟

— قال : إني رجل أحب العصمة وأكره الفجور ، وقد ألفت زوجتي حتى ما أجد فيها ما يقنع نفسي عن أن تميل إلى غيرها ، وبصري من أن يشرد إلى سواها ، وأطلت عشرتها حتى مللتها وذهبت في عيني فتنتها

قلت : ما أقبح والله ما جزيتها به عن صحبتها وإخلاصها ! وما أعجب أمرك تسمع صوت النفس ، وأنت تظنه صوت العقل ، وتتبع طريق الهوى ، وأنت تحسبه سبيل الصلاح ، وهذا من تلبيس إبليس ، ومن وساوسه ؟

وهل تحسب أن المرأة الجديدة تقنعك وتغنيك ، إن أنت لم تقهر نفسك وتزجرها ؟ إن الجديدة تمر عليها الأيام فتصير قديمة ، وتطول ألفتهـا فتصير مملولة ، وتستقرى جمالها فلا تجد فيها جمالا فتطلب ثالثة ، والثالثة تجر إلى الرابعة ، ولو أنك تزوجت مئة ، ولو أنك قضيت العمر في زواج ، لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى ...

وهذي سير الملوك الذين كانت تحمل إليهم كل جميلة من كل بلد ، وكان في قصورهم آلاف الجواري من كل بيضاء ، وسمراء وسوداء ، وعربية ، وتركية ، وكرجية ، وأفرنجية ، من كل سن وكل لون ، وكل جنس وكل شكل ، فهل أشبع ذلك هوى نفوسهم ؟ وهل عصمتهم من أن يتطلع أحدهم إلى المرأة الممنعة فيعشقها أو يهيم حبا بها ، ولا يرى لذته إلا بقربها ؟

وهل الزواج ويحك لهذا (الأمر) وحده ؟ فأين الوفاء ؟ وأين التذمم ؟ وأين حقوق المعاشرة ؟ وأين روابط الولد ؟ وهل تقوم الحياة على الحب وحده ؟

هل يمضى زوج عمره فى تقبيل وعناق ؟ إن لذلك لحظات وباقى العمر تعاون على الحياة ، وتبادل فى الرأى ، وسعى للطعام واللباس وتربية الولد ، واسترجاع الماضى والإعداد للمستقبل .

وهل تظنك تسعد بين زوجتين ، وتعرف إن جمعتهما ما طعم الراحة ؟ وهل تحسب أن ولدك يبقى معك وقد عاديت أمه ، وصادقت غريبة جئت بها تشاركها دارها ومالها وزوجها ؟ فهل يرضيك أن تثير فى أسرتك حرباً تكون أنت أول ضحاياها ؟

لا يا صاحبى ، لقد تغير الزمان ، وتبدل عرف الناس ، فعليك بزوجك . عد إليها وانظر إلى إخلاصها ، لا تنظر إلى وجهها ولا إلى جسمها ، فإنى قرأت كتباً فى تعريف الجمال كثيرة ، فلم أجد أصدق من تعريف طاغور : « أن الجمال هو الإخلاص » ولو أن (ملكة الجمال) خانتك وغدرت بك لرأيتها قبيحة فى عينك . ولو أخلصت لك زنجية سوداء ، كأن وجهها حذاء السهرة اللامع لرأيتها ملكة الجمال ...

وثق أن ما حدثتنى به سيبقى سرا بيننا لا أفشيه أبداً ، ولا أطلع عليه أحداً !!

وهل سمعت أن أديبا (أفشى) سرا ؟!

٨ — نعم . لقد هزمنا !

إلى الأستاذ الذى كتب إلى فلم أعرف اسمه ولكن نم أسلوبه على فضله :

نعم . لقد هزمنا فى فلسطين ، ولكنها لم تهزم فينا إلا الإخلاق التى قبسناها من غيرنا ، وتركنا لها أخلاقنا . ما هزم إلا التردد والاختلاف ، والثرثرة والكلام الفارغ ، وإيثار الزعماء مصالحهم على مصالح الأمة ، واتخاذ الإنكليز والأميركان أولياء ، أما سلائق العروبة ، أما خلائق الإسلام ، أما الإرث الذى تركه محمد فى عروقنا ، معشر العرب ، وصبه فى دمائنا ، فلم يهزم ولن يهزم أبداً

إن لكل أمة أياما لها ، وأياما عليها ، وليس العار أن يغلب البطل ، ولكن العار أن يجزع من الغلب ويرضاه ، ولا يعاود الكفاح ، ولقد مر علينا فى تاريخنا مصائب أشد هولا ، لقد قامت فى هذه البقعة من فلسطين دولة أقوى من هذه الدولة الكسيحة ، دولة زحفت أوربا كلها لتقيمها وتحميها ، فعاشت أكثر من مئة سنة فأين هى اليوم ؟

هدمها رجل واحد اسمه صلاح الدين ، فذهبت حتى أن أكثر القراء لم يكن يدرى بها ، قبل أن يسمع منى الآن خبرها

فلا تجزعوا كثيراً من ضياع فلسطين ، بل اجزعوا من المصيبة التى هى أكبر من ضياع فلسطين ، ومن ضياع بلاد العروبة كلها ، لا أذن الله — أتدرون ما هى ؟ هى أن تخسروا إيمانكم بأنفسكم وماضيكم ، وأن تفقدوا كبرياءكم ، وتنسوا عزتكم ، وتجهلوا مكانكم فى هذه الدنيا

تلك هى المصيبة حقا ، ولن نكون أبداً ، ولئن داخل الضعف نفوساً قد اكتهلت وشاخت فى ظلام الماضى القريب فسيكون من هؤلاء الأطفال ، شعب نشأ فى نور الاستقلال ، وستلهب دمه ذكريات عشرة آلاف معركة مظفرة ، خاضها الجدود ، وسيخرق صماخ أذنيه نداء عشرة آلاف بطل ، أنجبهم الجدود ، وستدفعه إلى ميادين التضحية والبذل ، حتى يطهر أرض الوطن من إسرائيل ، ويغسل بالدم هذه الصفحة التى كتبها فى تاريخنا التردد والتخاذل والانقسام ، وحتى يعيد مجد الماضى فيقرأ الطلاب فى المدارس بعد حين ، خبر هذه الدولة التى قامت يوما فى فلسطين باسم دولة إسرائيل ، كما نقرأ نحن اليوم خبر الدولة التى أقامها من قبل جموع الصليبيين

ومن شك فى هذا لم يكن عربيا ولم يكن مسلماً

٩ — الآن يا بنت

الآن يا بنت ؟! الآن ؟! بعد ما سفح الماء ، واحترق العود ، تكتبين إلى بدم القلب ، ودمع العين تقولين : تعالوا يا عقلاء ، ويا مصلحون ، خبرونى ماذا أصنع ؟ وهل يقدر أحد أن يرد الماء الذى اندلق ، والعود الذى احترق ، والغشاء الذى انخرق ؟

وهل رجعت لبنت عذرتها ، بعدما فقدتها ، حتى تعودى

عذراء كما كنت ؟ فلا تعالجى المحال فإن الميت لا يعود ...

وإنه قد بطل الخيار ، ولم يبق إلا طريق واحد ، فانسى كل ما ذكرت لى من شرف أسرتك وهوان عائلته ، وغنى آلك وفقر أهله، وتوسلى إليه أن يتزوج بك، فلعله قد بقى فى قلبه شئ من شرف الرجل ؛ أو عاطفة الإنسان فيصلح ما أفسد

أما أهلك فإن الأيام ستروضهم على الرضا بالواقع، فيندمل مع الزمان الجرح ، وتذهب القطيعة ، ويطول بهم الفكر ، فيعلموا أنهم هم المذنبون ، وأنهم هم الذين ساقوك إلى دكان الجزار ، وألقوا بك بين أنياب الذئاب ، عزلاء لا مخلب لك ولا ناب ، ولو أنهم نشؤوك على عادات العروبة ، وآداب الإسلام ، لما كان الذى كان . واعلمى يابنتى أن قصتك مع هذا الشاب ، زميلك فى المدرسة ، قصة كل بنت حواء مع كل ابن آدم ، يميل إليها ، وتميل إليه ، (فطرة الله التى فطر الناس عليها) لكنه يريد منها غير ماتريد منه، إنها (وهى التى تحمل وتلد) تريد أن يكون لها أبدا وحدها ، كما تكون له أبدا وحده ، تريد حبا باقيا لأن آثاره باقية فيها ، تنتقل من الرغبة إلى الأمومة ، وهو يريد أن يقطف الزهرة ويجنى الثمرة ، ثم يوليها ظهره ، يبحث عن زهرة أبهى لونا ، وثمرة أشهى طعما ، فالحب عندها استمراق ودوام ، وهو عنده لذة ساعة ، ومتعة نهار، ثم إنها إذا أخطآ معاً، غفر المجتمع له خطيئته، ولم يغفر لها خطيئتها أبدا

من هنا جاءت شكوى النساء من خيانة الرجال ، ومن هنا حرم الله ، ومنع الشرف اقتراب الرجل من المرأة ، إلا بعد أن تقيده بقيد الزواج ، لئلا يتبع فطرته وهواه ، فيقضى أربه ويهرب — إن هذه القيود إنما كانت لمصلحة المرأة ، ولكن من النساء من يحاول الخروج عليها ، والتخلص منها ، أفليس هذا عجيبا ؟

على أنك لولم تشجعيه لما أقدم ، ولو لم تضعفى عنه لما قوى ، ولو تصونت عنه بالحجاب ، وتمنعت منه بالخلق ، ولو أن كل بنت كانت تحمل عقلها دائما فى رأسها ، لاتنساه فى قصة غرام ولا ديوان غزل ، ولا على مقاعد السينما ، وكرامتها بين عينيها ، وتعرف كيف ترد عنها كل شيطان إنسى يبتغى العدوان عليها بالكلام إن كان ممن يفهم بالكلام ، وبكعب الحذاء تخلعه وتنزل به على رأسه ، إن كان سفيها خبيثا قليل الحياء ، لما نجمت بمفافها فتاة . فالأمر فى أيديكن يابنات، وإن أفسق الرجال وأجرأهم على الشر ، يخنس ويبلس ويتوارى ، إن رأى أمامه فتاة مرفوعة الهامة ، ثابتة النظر ، تمشى إلى غايتها بجد وقوة ، وحزم ، لا تتلفت تلفت الخائفة ، ولاتضطرب اضطراب الخجل، ولا عيس ميسان من يقول : هأنذا فمن يريدنى ؟

وبعد يابنتى فلا تيأسى ، فما فى الذنوب ذنب غير الشرك يضيق عنه عفو الله ، ولا فى الوجود مذنب يرد عن بابه إن جاءه تائبا نادما منيبا، وإن فى عفو الله متسعا لجميع العصاة (قل: ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

على الطنطاوى

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القومي

تدور على ألسنتنا فى هذه الأيام بضعة ألفاظ أساسية نعبر بها من عقائدنا الفكرية ومناهجنا العملية ، وعما نطمح إلى بلوغه من غايات وأهداف . من هذه الألفاظ : القومية ، والديمقراطية ، والاتحاد ، والتقدمية ، والاشتراكية ، وأمثالها . ولما كانت المعانى التى نسبغها على هذه الألفاظ لها خطورتها الكبرى فيما نصوغ من فكر وما نبنى من منشآت ، وجب علينا أن نوضح لأنفسنا حقيقتها ، ونستخرج متضمناتها ، كى نسير على هدى ، ونشيد على أساس صحيح . ولعلنا إذا تبينا الجوهر ، وكشفنا عن الأصل ، لا نضيع ما نضيعه الآن من جهد ووقت فى مناقشة الأعراض والبحث عن الفروع

ولا جدال فى أن هذه المهمة الإيضاحية تقع أولا على عاتق رجال الفكر ، فهم المسؤولون فى الدرجة الأولى — إزاء مجتمعهم وإزاء التاريخ — من تحديد المعانى ، ورسم الأهداف ، وتخطيط السبل والبهم يتطلع المجتمع لقيادته فى الكشف عن الأسس ، وتمييز الأصول من الفروع ، ووضع الأهم قبل المهم ، والمهم الباقى قبل التافه الزائل

وليس حديثى هذا سوى محاولة لإيضاح معنى لفظ من هذه الألفاظ الأساسية التى نرددها ومشتقاته المختلفة . فكثيراً ما نتحدث عن التقدم ، والتقدمية ، والمجتمع التقدمى ، وننقسم شيعاً تبعاً لما نفهمه منها . ولقد كان حريا بنا أن نقف بين آن وآخر لنتبين حقيقة ما نقصد إليه ، ونتفق على ما نعنى ، توفيراً للجهد ، وتوضيحاً لجوهر الخلاف — إذا كان ثمة خلاف — واتباعاً للأسلوب العلمى المنظم فى المناقشة الفكرية والسلوك العملى

فما هو المجتمع التقدمى ، وما هى الصفات الأساسية التى تنطوى عليها تقدميته ؟

المجتمع التقدمى هو ، أولا ، مجتمع متحرك متطور ، وإذا أردنا استعمال لفظة غريبة قلنا : « ديناميكى » . وليس من الصعب علينا أن نفرق بين مجتمع يتصف بهذه الصفات وآخر يغلب عليه الركود والجمود . فالمجتمع المتحرك الديناميكى يتميز بالقوة والتغير . أما قوته فبإنتاجه المادى والعقلى : إنتاجه فيما يستثمر من موارد الطبيعة ، ويستغل من كنوزها ، وما يبنى من منشآت ، وينظم من علاقات ، وما يصاحب ذلك كله من نظر عقلى وبحث علمى . وتركيز المفاهيم . وتجميع للحقائق . وأما تغيره فبتطور منتجاته المادية ، وأحواله المعاشية ، وأخلاقه ، وعاداته ، وسبله فى الحياة عموماً . وعلى العكس من هذا كله المجتمع الراكد « الستاتيكى » فهو ، من ناحية ، ضعيف بإنتاجه المادى والعقلى ، ومن ناحية أخرى ساكن واقف لا تتغير أحواله ونظمه إلا قليلا على ممر السنين

ولا حاجة بنا إلى القول أن الحركة فى المجتمعات المتحركة ، والركود فى المجتمعات الراكدة ، ليسا صفتين مطلقتين ، وإنما الاختلاف بينهما اختلاف نسبى يتوقف على أحوال هذه المجتمعات وعلى قوة العوامل المؤدية إلى الحركة والركود أو ضعفها . كذلك هاتان الصفتان ثابتتين لرجوعها — كما يعتقد البعض — إلى الجنس الذى يتكون منه المجتمع ، والذى إن تغير أو تبدل فإلى حد أدنى بكثير من التغير أو التبدل الراجع إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية . إن الأبحاث الحديثة ، واختبارات الإنسانية ، قد أثبتت فساد التعليل الجنسى المطلق ، وأقرت للعوامل الاقتصادية والاجتماعية بالأثر المستقبل الراجح ، فلكم من مجتمع كان راكداً فى بعض مراحل حياته ثم انتفض وتحرك ، على ثبات فى تكوينه الجنسى وإرثه العرقى . ولا ينكر أن للعرق أثره ، ولكن هذا هذا الأثر ليس مطلقاً ، ولا — بمعرفتنا — راجحا ، وإنما الراجح فى تطور المجتمعات هو العوامل الاجتماعية المتشابكة الناتجة من علاقة المجتمع بمحيطه وعلاقة عناصره بعضها ببعض

وتبعاً لهذا نقول إن مرد الحركة « الديناميسم » فى مجتمع ما إلى مقدرته على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجى ، وعلى تفاعله الداخلى فى نفسه . والمحيط الخارجى ذو وجهين : محيط

طبيعي مادي ، وآخر بشرى اجتماعي . والحركة والحياة تنشآن عندما يكون المحيط الطبيعي على درجة متوسطة بين اللين والشدة، بحيث تستدعي شدته نشاط المجتمع ، وييسر لينه ، فى الوقت ذاته ، لهذا النشاط أن يزدهر ويثمر . فإذا كان المحيط الطبيعي ليناً كل اللين ، واستطاع الإنسان فيه أن يرضى شهواته البدائية بأيسر السبل ، لم يكن هناك داع للهمة والنشاط ولتوليد الحركة وبث الحياة . وكذلك ، إذا كان المحيط فى الطرف الآخر من حيث القسوة والشدة تغلب على مقدرة الإنسان ، فى المراحل الأولى من تطوره ، وشل حركته ، ومنع تقدمه . وهذا ما نرى واضحا كل الوضوح فى المناطق القاسية المناخ ، حرارة أو برودة أو رطوبة أو جفافاً ، أو التى يغلب عليها الجليد أو الأدغال أو الصحراء أو أمثالها

إن هذه الظروف الطبيعية مؤثرة ، كما قلنا ، تأثيراً حاسما فى المراحل الأولى من نشوء المجتمعات ونموها . وهى التى ، فى الأغلب ، تبعث فى مجتمع ما الحركة والخصب والتقدم ، وتقضى على آخر بالركود والجدب والجمود ؛ إذ تستنفد جهوده كلها فى اقتناص عيشه الضئيل وتحصره فى دائرة ضيقة يصعب عليه اجتيازها . أما المجتمع الذى تتيسر له أسباب الحركة والنمو ، ويقطع فى هذه الطريق شوطاً مديداً ، فإنه يصبح قادراً على التغلب على المحيط الخارجى مهما اشتد وقسا : وها نحن نراه يستخرج المعادن من بطن الصحراء ، ويستغل الأدغال ، ويوطد مراكزه فى المناطق المتجمدة ، ويركب متون البحور والأجواء

ومثل المحيط الطبيعي المحيط البشرى . فإذا كان هذا المحيط هيناً ليناً لا يكمن فيه أى خطر استهان أهل المجتمع عيشهم ، وانصرفوا إلى ملذاتهم ، وساروا إلى الركود فالانحلال . وإذا كان العكس من ذلك خطرا كله وتغلب على المجتمع بشكل حكم أجنبي استعمارى أو استعمار مستغل منظم ، شلت حركة المجتمع وكبتت حيويته . وتاريخ البشرية فى الشرق والغرب ملء بالأدلة الواضحة على ما نقول ، فلا نحتاج إلى إيراد أدلة مفصلة ، وإنما يكفينا أن نشير إلى ما تعرضت له بلادنا العربية فى الستمائة السنة الأخيرة من غزوات خارجية جامحة وضروب فى الحكم الأجنبي المستأثر امتصت حيوية أرضها وسكانها ، وجعلتها تركد وتعجز عن الإنتاج بأى شكل من الأشكال . أما الحالة المؤدية إلى الحركة والنمو فهى وجود الخطر — الخطر الذى لم يقض على المجتمع — وإحساس المجتمع به ، وما يتبع هذا الإحساس من بعث للهمم ، وإثارة للنشاط ، وتعبئة للجهود

ولا تقتصر حيوية المجتمع المتحرك على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجى : الطبيعي والبشرى ، بل تتمثل أيضا فى تفاعله الداخلى : بين أفراده ، ومنظماته ،وطبقاته . فالعلاقات البشرية فى المجتمع الراكد علاقات بسيطة ، قليلة التغير . أما فى المجتمع المتحرك ، فهى تزداد على الأيام تطورا وتعقدا . والحيوية المنصرفة إلى الخارج لا تلبث أن تضعف وتنحل إذا لم تصحبها حيوية فى الداخل تؤدى إلى نمو فى شتى دوائر المجتمع : فى العائلة ، والمدرسة ، والدولة ، وسواها . بل نقول إن التفاعل والنمو فى داخل المجتمع هما أصدق دليل على مقدرته على مجابهة المحيط والصمود فى وجه قوى الخارج

وخلاصة القول أن المجتمع المتحرك الديناميكى هو مجتمع متطور ، متفاعل مع محيطه الطبيعي والبشرى ، ومتفاعل فى ذاته داخليا

ولكن ليست كل حركة تقدماً ، ولا كل تطور نموا وارتقاء . فما هو السبيل إلى ضمان هذه الأهداف المنشودة ؟ وإذا أردنا نحن فى البلاد العربية أن ندفع بمجتمعنا العربى إلى الأمام فكيف نأمن أن يكون انبعاثه من ركوده ، وتحركه من جموده ، مؤديين فعلا إلى نمو وتقدم ، وغير مقتصرين على مجرد الحركة والتغير ؟ وبكلمة أخرى ، ما هى المقاييس التى يقاس بها تقدم مجتمع على آخر ، أو درجة التقدم أو التأخر فى نفس المجتمع ؟

توضيحا لتفكيرنا فى الموضوع الأساسى أتقدم ببضعة مقاييس عامة ، لا بصفة نهائية حاسمة ، بل بصفة تمهيدية تجريبية ، لعلها تكون أساسا صالحاً للبحث ، وخطوطاً عامة نسترشد بها فى هذا الميدان الواسع المتشعب

أول هذه المقاييس ، فى نظرى ، هو مبلغ سيطرة المجتمع على الطبيعة وقدرته على ضبط قواها واستغلال مواردها . فالمجتمع الذى تحده قوة الطبيعة أو تتغلب عليه يكون عبداً لها خاضعاً لسلطانها ، ويظل متأخرا عن سواه من المجتمعات التى

سبقته في هذا المضمار . وتأخره عنها يكون في ناحيتين أساسيتين: الأولى سلبية والثانية إيجابية . أما في الناحية السلبية فيبقى عرضة لأحداث الطبيعة وفعل عناصرها المادية والحية ، يتحكم فيه نوع الأرض وشكلها وموقعها ، ودوران الفصول ، وتقلبات المناخ ، وتتسرب إليه الجراثيم القتالة ، والأعراض الفتاكة . فهو ، من هذا القبيل ، مغلوب على أمره ، مستعبد لمحيطه الخارجي . ثم هو محدود من الناحية الإيجابية أيضا لعجزه عن استدرار غنى الطبيعة ، واستخدامه لتحسين معاشه وترقية حياته ماديا وأدبيا . وما دام ضئيل الإنتاج ، مهدداً بالفقر والمرض ، فهو حتما متأخر عن سواه ، وغير مجهز للسير في ميادين التقدم والرقي

والمدنية الحديثة إنما تمتاز عن المدنيات السابقة في هذا المضمار ، ولا حاجة بي هنا إلى التفصيل والإيضاح ، فالأمر ظاهر بين دون دليل أو برهان . وإنما يجدر بنا أن نلاحظ أن المدنية الحديثة هي ، من هذه الجهة ، وحدة غير متجزئة . ولا يغرنا اختلافها في نواحي أخرى ، فهي في هذه الناحية متفقة كل الاتفاق . لننظر إلى القوتين الجبارتين اللتين تتنازعان العالم اليوم : القوة الغربية التي تتزعمها أميركا ، والقوة الشرقية التي تقودها روسيا ، نجد أنهما كلتيهما قائمتان على الحرص الشديد والقدرة الجبارة على استثمار الطبيعة واستغلال مواردها . في كل منهما ، في الولايات المتحدة وروسيا على السواء ، وفي الدول الأخرى بدرجات متفاوتة ، اهتمام بالآلة ، وانكباب على التكنيك ، وحرص على الاقتصاد . وما الآلة والتكنيك والاقتصاد سوى الوسائل التي يتسلح بها الإنسان لضبط الطبيعة وعلاقته بها ، وما ينتج عن ذلك من علاقات اجتماعية

وهذا الانكباب على الوسائل الإنتاجية هو سر الحركة (الديناميسم) ومصدر القوة المادية والعقلية في المجتمع الحديث على اختلاف ألوانه واتجاهاته . وهو الواجب الأول الملقى على عاتقنا نحن العرب اليوم ، لأننا لا نستطيع أن نحمي كياننا إلا من سبيله . فالعالم أصبح يضيق بغنى غير مستثمر ، وموارد غير مستغلة . والدول تكاد تسير في معاملاتها على أن المجتمع الذي لا يستثمر موارده يخسر حقه فيها . ولئن كان القانون الدولي لا يقر هذا المبدأ ، بل بالعكس يصرح بسيادة الأمة على أراضيها وإرثها الطبيعي ، ولئن كانت شرعة الأمم المتحدة قائمة على مساواة الدول في هذه السيادة ، فالواقع أن الدوافع المسيرة للدول في تصرفاتها هي غير ذلك . ولا ننكر أن الصهيونية بنت جانباً هاما من حججها لقضيتها في فلسطين على تفوقها على العرب في استغلال الأرض واستخدام وسائل الإنتاج الحديث . وكان دعاتها يجوبون أطراف العالم مرددين هذه الدعارة ويستقدمون الوفود والبعثات ليطلعوهم على سبقهم للعرب في هذا المضمار . وكان نجاحهم في هذا ، على مخالفته لأبسط قواعد الحقوق الدولية مقنعاً لكثير من الناس وموجهاً للرأي العام العالمي في مصلحتهم . وليس هذا الواقع فعالا في مثل هذا العدوان الفاضح فحسب ، بل هو مؤثر أيضا في التدخلات الأخرى الأكثر خفاء ، التي تدفعها قوى لا ترد ، من منطق المدنية الحديثة ذاته ، لاستغلال البوار ، وإحياء الموات ، أينما كان ولمن كان

فاستثمارنا لمواردنا هو إذن دعامة لحقنا فيها وإهمالنا لها هو بالعكس ، وسواء أشئنا أم أبينا منتقص لهذا الحق في مفهوم العالم الحديث . ثم إننا بهذا الاستثمار نهيئ لأنفسنا من الناحية الإيجابية وسائل الدفاع عن كياننا في الميادين الحربية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، ولا شك في أن سبق الصهيونية لنا قرونا في هذا المضمار هو الذي يسر لها سبل عدوانها علينا واستجرار القوى السياسية والاقتصادية الكبرى إلى مساندتها في هذا العدوان

وعندما نتبين هذا الواقع ونقره نخرج منه إلى نتائج حتمية لا مفر لنا منها . خلاصتها أن نهضتنا القومية ، بما تتضمن من سياسة داخلية ودولية ومن تنظيم اقتصادي واجتماعي وتعليمي ، يجب أن تبنى أولا على هذه الأركان المتسلسلة : آلة ، تكنيك ، اقتصاد ، إنشاء . فبها يتحرك مجتمعنا وتسري فيه الروح الديناميكية التي تيسر له الوسائل لحماية كيانه أولا ولتقدمه في النواحي الأخرى ثانيا

على أن هذه الوسائل الإنتاجية الاستثمارية لا تأتي عفواً ولا تهبط من علو . وإذا استمددناها من سوانا فهي لا تبقى لنا ولا تعمل في مصلحتنا إلا إذا اكتسبنا معها القوى الأصيلة التي ابتدعتها . والشعوب التي تقدمتنا في هذا المضمار لم تنلها إلا بعد

أن حققت شرطها الأساسى وباعثها الأصلى : وهو التحرى عن الحقيقة والأسلوب العلمى المنضبط الضابط والنتائج العلمية المحققة المتراكمة . هو العقل النامى المنتظم فى نفسه المنظم لسواه

ولا جدال فى أن العقل الإنسانى هو من أعظم القوى التقدمية فى الوجود ، فهو ما ينفك يبحث عن المجهول ويغتبط باقتحامه . وما اقتحام الرائد المناطق المعزولة الصعبة بأيسر من اقتحام العالم المجهول من أسرار الطبيعة والإنسان ، وما نجاحه فيها أعظم ، أو السرور الذى يبعثه فى نفسه أشد . بل العالم هو فى جوهره وكيانه رائد ممتاز لا يحقق وظيفته ولا تسعد نفسه إلا بالمغامرة والتقدم

ثم إن العقل المتمثل فى جهد العالم الرائد ملح مستمر فى تقدمه . فإن لم يطغ عليه ما يطفئ جذوته أو يبطل عمله سار من خطوة إلى خطوة وقبض على حلقة بعد حلقة من سلسلة الحقيقة المترابطة . وهو لا يقف عند حد ولا يرضى بحال ، بل يندفع دوما إلى الأمام منقبا باحثا مكتشفا . هذا هو منطقه وكيانه وهو فيه منسجم مع منطق الحقيقة وكيانها

ثم هو بعد هذا وذاك منتظم فى تقدمه . فالخطى التى يقطعها متصلة بالحلقات التى يقبض عليهـا متماسكة . ذلك أن جوهر الحقيقة التى يسعى إليها ويتقيد بها ويخدمها جوهر متماسك متحد . وليس معنى هذا أن العالم لا يخطئ ولا يخرج عن السبيل السوى ، فكثيرا ما ضل وابتعد وضاع وضيع ، ولكن الأسلوب العلمى المنبعث عن طبيعة العقل وجوهره كفيل برده إلى الصواب. والعبرة ليست فى تلك الضلالات العرضية ، بل فى السير الأساسى المتصل والسلسلة المترابطة الحلقات . إن بناء العلم بناء متماسك الأحجار! وإذا اتفق أن وضع حجر فاسد فيه فالجهد العلمى خليق بأن يكتشفه يوما فيطرحه وكل ما بنى عليه

فالعلم ، بجوهره الخالص وتقليده الإيجابى الأصيل ، تقدمى . وتقدميته تتميز بالتطلع والاستمرار والانتظام . ولذا كان مقياسا من أهم المقاييس التى نقدر بها تقدمية مجتمع من المجتمعات . وهو من الناحية العملية التطبيقية ، أساس المقياس الأول : أى قدرة المجتمع على الطبيعة ، لأنه ، كما ذكرنا ، الباعث الأقوى للعمل الانتاجى الاستثمارى . على أن له أيضا ناحيته النظرية التى يتجلى فيها مقدار الحقيقة المكتسبة والمجهول المكتشف . فإذا أردنا أن نقارن مجتمعين من حيث التقدم والتأخر، أو نقيس تقدمية مجتمع ما، أمكننا أن نركن إلى هذا المقياس : إلى درجة اكتساب المجتمع للأسلوب العلمى وخضوعه لسلطان العقل ، وإلى مقدار الحقيقة المتراكمة التى يملكها ويؤمن بها ويسير على هداها

وإذا أراد مجتمعنا العربى أن يكون تقدميا فعلا وجب عليه أن يتمسك بهذا العنصر التقدمى الحى ، ويؤمن به ، ويجعل سيره مظهرا صادقا له ، وحياته تجسدا لإيمانه به وبالحقيقة التى يؤدى إليها

ترى، أيكفى هذان المقياسان مقياس القدرة على الطبيعة ومقياس الاكتساب العلمى كيفية وكمية لقدر تقدمية المجتمعات ؟ إن النظر الدقيق ليظهر أن هذين المقياسين لا يستنفدان التقدمية الصحيحة . ذلك أن استثمار الطبيعة هو ، فى الواقع ، عامل مساعد أكثر منه عاملا أصيلا. فهو يهيئ الوسائل للتقدم ويدفع المجتمع فى بعض النواحى ، لكنه لا يضمن التقدم ولا يدفع المجتمع قدما فى جوهره وتمامه إلا إذا توفر له عامل آخر مستقل عنه . إنه يعد الأسباب ويهيئ القوى ويجهز النتائج لكنه ، بنفسه ، لا يقرر الغايات التى يجب أن توجه إليها الأسباب والقوى والنتائج ، إنه يضع بين يدى المجتمع موارد وافرة استخرجها من الطبيعة وثروات استمدها منها وقوى فجرها من بطونها ولكن ، ترى ، لأى شئ يستخدم المجتمع هذه كلها ؟ للبناء والتعمير أم للهدم والتدمير ؟ للتحكم والاستئثار أم لنشر العدل والمساواة ؟ للحرب أم للسلم ؟ للتقدم الشامل المتوازن أم للتقدم الجزئى المضطرب ؟

كذلك يقال عن العلم نفسه، وهو المقياس الثانى الذى اتخذناه. إنه يكتشف الحقيقة والحقيقة وحدها غايته ومبتغاه . ولكن من الذى يستخدم هذه الحقيقة ولماذا ؟ هو ذا أمر خارج عن سلطته، أو لعل العالم يساعد ، عن وعى أو غير وعى ، فى استخدام الحقيقة لأغراض هدامة فتؤدى إلى التأخر والهلاك فى حين أنها وجدت لتخدم التقدم والانبعاث

فلضمان التقدم الصحيح لا يكفى توفير الوسائل ؛ بل يجب تحقيق الغايات الصحيحة التى توجه إليها . لا يكفى مجتمعنا أن

٢ – لغة المستقبل..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلمانى الفيلسوف أستاذى الدكتور إبراهيم بيومى مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ذ كرت لك أيها القارئ نبذة عاجلة عن الرياضة وفرعيهـا السابقين وهما علم العدد وعلم الهندسة ، وفى هذا المقال نعرض للمنهج الرياضى وماله من أثر فى نفوس الرياضيين بحيث يكسبهم هذا الذوق الذى يسميه العلماء الروح الرياضى

ولعلك يا قارئى تسأل : إذا كان العقل فى كل ميادينه يعتمد على التحليل والتركيب — وكل فى ذاته منهج مشروع — وإذا كان العقـل يستعمل القياس والاستقراء ، وليس فى غنية عن أحدهما أو كليهما ... ففيم تخصص للرياضة منهجاً ؟ .. وما هو هذا المنهج الذى به انفردت الرياضة ؟

يتغلب على الطبيعة ويضبطها، بل عليه مع هذا ، إن لم نقل قبـل هذا ، أن يضبط نفسه ويتغلب على أهوائه . لا يكفيه أن يتبين الحقيقة التى اكتشفها بالعقـل ، بل عليه أن يولد الإرادة التى تمنع تشويهها أو استخدامها لما هو مناقض لطبيعتها ، وبالتالى هادم لأركان المجتمع

هنا تظهر العلة الأصيلة فى المدنية الحديثة وداؤها الدفين . فلقد أحرزت هذه المدنية تقدما شاسعا واسـعا فى ميدان استثمار الطبيعة ، لكنها لا تزال مقصرة تقصيرا شائنا فى معرفة الغايات التى يجب أن توجه إليها نتائج هذا الاستثمار وفى تكوين الارادة الصحيحة لهذا التوجيه . وقطعت كذلك أشـواطا طويلة فى اكتشاف الحقيقة ؛ لكنها لا تزال عاجزة عن الامتثال لها بل هى تمعن فى تحويلها عن غايتها واستخدامها للشر والفساد

قسطنطين زريق

البقية فى العدد القادم

ألا إن التجارب التى نقوم بها لا نعدو أن تكون إحدى اثنتين :

١ — تجربة خارجية أو مادية تبنى قرارتها على موضوعات مادية

٢ — تجربة داخلية أو ذهنية وهى التى قد تكون فى الفكر عن طريق العالم الداخلى الذى توجد صورته فى مخيلتنا ، وبمقتضاها نتمكن من تمثل الأعداد فى نقط وأشكال

فهل نحن نتلمس بالحدس — فى هـذه الأعداد وتلك الأشكال — النسب المجردة أو المثالية التى هى قوام الحقـائق الرياضية ؟ وهل تلك البداهة (١) هى المنهج الرياضى ؟

الحق أن دور البداهة فى الهندسة غير منـكر ، ولـكنه فى نظر « رابييه Rabier » ليس إلا عاملا مساعداً ، ومحبة فى ذلك لها وجاهتها : فهو يرى أن البداهة تغلو فى تقدير الحقيقة المراد إثباتها ، وإن كانت البداهة تلقى الضوء على طريق الاستدلال إلا أنه لا يستطيع أن يتخذ منها سنداً متيناً ، لأن الخطأ قد يتسرب منها إليه لإمكان تسرب الخطأ إليها

وعلى ذلك ، لا يمكن أن تعتمد العـــلوم الرياضية جماء على البداهة ، مادمنا قد افترضنا للفـكر قيمة موضوعية ، وإلا كانت العلوم التى تعتمد على البداهة فنوناً ، وهنا تتوقف قيمة الفكر وموضوعه عـلى « لحظات التجلى » حيث يكون العقل فى حالة تصوف أو تأمل

والرياضة — من ناحية أخرى — ليست فى منهجها — تجريبية — لأن الاستقرار — ولا سيما العلمى — لا يضمن لنا الحقيقة ثابتة ، كما أنها لن تـكون قياسية ، لأن القياس يضع مقدمات يفترض صحتهـا ثم يستخرج منهـا نتائج عـلى الوجه المسنون

لم يبق بعد ذلك إلا (البرهان Demonstration) ليكون هو المنهج الذى تنشده الرياضة ، ذلك لأن البرهان — كما يعرفه أرسطو — هو (قياس الضرورى) وغايته : إقامة الحقائق الضرورية بأن يثبت أنها نتائج منطقية لغيرها من الحقائق

(١) البداهة أو الحدس مترادفان لـكلمة : Intuition

الواضحة ، أو التي سبق البرهنة عليها — غير مهتم بالضروب والأشكال التي ينتهجها المنطق الصوري . لذا يقول أرسطو « ليس كل قياس برهاناً ، وإنما كل برهان قياس » كما أن البرهان — كما يقول ليار Liard » يقاوم قواعد القياس المنطقي ، وفي الوقت نفسه له مبادئه التي لا يجدها في القياس ، وهذه المبادئ ضرورية ضرورة الحقائق التي يقيمها »(١)

والبرهان الرياضي لا يستغني عن التحليل والتركيب ، والتحليل قد يكون مباشرا ، وقد يكون غير مباشر

فالتحليل المباشر يستلزم معرفة بعناصر الموضوع ، والسير بالقضايا تدريجاً مما تم إثباته إلى ما يراد إثباته ، أما التحليل غير المباشر فهو البرهان بالخلف ، وهو ليس برهانا بالمعنى الصحيح ، وإنما هو إحراج ، وفيه خطورة ، وقد يجمح المنهج الرياضي في تلافيها . ونقصد بهـذه الخطورة ذلك العناد الحقيقي في القضية الشرطية المنفصلة . فالزاوية س إما أن تـكون حادة أو منفرجة أو قائمة ، فإذا لم تـكن الأولى ولا الثانية كانت الثالثة حتما ، اعتماداً على بدهية الزوايا . ومثل هذا البرهان لا يليق بالمنهج الرياضي المتفرد بهاتين الصفتين : العمومية والمعقولية ، وكم يتيه العلم إذا ظفر بإحدى هاتين الحسنيين ، وقد اجتمعتا معا للرياضة وحدها

لهـذا ، احتدم الجـدل حول هاتين الميزتين بين الفلسفة والرياضة . يرى فيثاغورس أن العالم أشبه بعالم الأعداد ، وأن العالم عدد ونغم ، وأن الأعداد نماذج تحا كيها الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها

وانحدرت هذه الأنظار الفيثاغورية إلى أفلاطون الذي ظل — بالجدل الصاعد — يرق من المحسوس المتـكثر إلى المعقول الواحد وهو (المثال) ، ومنه انتقلت هذه الأنظار إلى الأكاديمية الجديدة ، حتى لقد غالى أحد رجالها سبيزيب — في ربط الرياضة بالفلسفة ؛ أي ربط الكائنات الرياضية وهي الأعـداد والمثلثات بالصور إلى حـد الخلط بينهما ، وفسر الوجود على ضوء هذه الكائنات الرياضية

واعتبر (باسكال) المنهج الهندسي المثل الأعلى للمناهج ، وعلى ذلك عالج الأمور الفلسفية العليا كما لو كانت مسائل هندسية أو معادلات جبرية

وأعطى (اسبينوزا) للفلسفة الأولى جفاف البراهين الهندسية وصورتها ، وأخذ يتحدث عن الله ، والحرية ، كما لو كان يتحدث عن أعداد

هؤلاء جميعا إنما يطمحون بأنظارهم إلى العمومية والمعقولية حتى يصلا إلى الحق والخير معا ، وهما هدف الرياضة البحت التي لا تتوسل بغير العقل إلى غايتها

وإذا كان المنهج الرياضي هو مجموع الوسائل والقواعد التي تمكن من بلوغ القوانين الرياضية الحقيقية الموثوق بهـــا ، فإن « الروح الرياضي » نوع من العقل يمكن من بلوغ الغاية ، وهما في الحق متلازمان أو هما وجهان لشيء واحد : هذا موضوعي وذاك شخصي . فإذا نظرنا إلى مجموع الوسائل العقليـة بالنسبة إلى الموضوع المدروس فذلك « المنهج » أما بالنسبة إلى الشخص الدارس فهي « الروح »

يقول (فافر) « هنالك صفير ينعش العالم ، ويحفز الباحث إلى متابعة الحقيقة ، ولئن تعذر سماع هذا الصفير إلا أنه يباعد المرء عن الخطأ ، هذا الصفير هو الروح العلمي »(١)

ومن الناس من أوتي مواهب تجعله قادراً على متابعة الحقيقة ، وتجعله ماهراً ، وتمكنه من التزام الوضوح ، واجتناب غواشي الحق ، ومثل هذا الموهوب لديه روح علمي . فما مظاهر ذلك في الرياضة ؟

رسم أفلاطون في خياله تخاطيط المدينة الفاضلة ، وكان ينشد في « الحاكم » شيئين هما : الجندية والفلسفة ، فأنطق سقراط بهذه الـكلمات البارعة « إن لنا نشيداً عمليا غايته التعقل المنطقي ، ويقع في منطقة النفوذ العقلي ، وهو يجاهد لينظر نظراً قويا في الحيوان والنجم ثم في الشمس ذاتها . وهكذا يبدأ المرء يبحث بالمنطق ناشدا كل أنواع اليقين بفضـل الذهن البسيط مستقلا عن أي معونة حسية ، ولا يكف حتى يدرك بفضل الذهن النقي طبيعـة الخير الحقيقية ، وهنا يبلغ آخر مدى العالم العقلي »(٢)

---

(١) Logique

(١) l'esprit p.8

(٢) الجمهورية : ك ٧

في أي فرع من فروع العلم تستقر قوة الحاكم المنشود ؟ بحث أفلاطون فلم يجدها في الرياضة البدنية ولا في الموسيقى، وإنما وجدها في «علم الحساب» الذي «كل علم وكل فن مفتقر إلى الاشتراك فيه» وبعد أن بين فائدته في الحرب قال «إنه يلزم الفيلسوف في درسه لأنه ملزم بأن يسمو فوق التغيير، ويلوذ بالثابت وإلا فلا يكون مفكراً ذكياً» . . وذلك «لسهولة انتقال النفس من المتغير إلى الحقيقي الثابت» ولأنه . . «قد يرفع النفس إلى فوق، ويحملها على البحث في الأعداد المجردة !»

. . «وإن الحاسبين على الحساب — إلا النادر منهم — سريعو الخاطر في كل العلوم، وإن الذين فهمهم بطيء إذا تثقفوا به وتمرنوا عليه ولو لم يحصلوا منه على فائدة أخرى يصيرون أسرع فهماً مما كانوا . .» ، «والهندسة علم الوجود الدائم يجب أن تجتذب النفس نحو الحقيقة، وتضرب الضربة الحاسمة في ميدان الروح الفلسفي» . . .

«وإذن يجب أن نلقن تلاميذنا منذ الحداثة : الحساب والهندسة وكل فروع العلوم الابتدائية الممهدة لفن المنطق»

هذه أقباس من (جمهورية أفلاطون) حبذا لو عرضنا معها لوامع من (مقدمة ابن خلدون) ليرى القارئ إلى أي مدى من التخبط يتمرغ أولئك الأدعياء الذين لا يدرون من أين نبدأ حينما يستأثرون بالعلم اللدني الذي هبط عليهم به وحي مزعوم

يقول ابن خلدون محبذا تعليم الحساب «فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد يحتاج فيه الى استدلال فيبقى معقودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل»

ويعلل الابتداء بصناعة الحساب بأنها «معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء مدرب على الصواب، وقد يقال : من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنما يغلب الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً»

ويقول عن فائدة الهندسة ! إنها «تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بينة الانتظام، جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على هذا المهيع (أي الطريق الواضح)، وقيل إنه كان مكتوبا على باب أفلاطون «لا يدخلن مدرستنا من لم يكن مهندسا» وكان شيوخنا يقولون : «ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الأقذار، وينقيه من الأوضار»

وابتدع أفلاطون (مقياس السجية المنطقية) ليعرف به ما إذا كان يستطيع المرء أن يدرك الموضوع إدراكا إجماليا أولا يستطيع

إلى أي مدى نجح التفكير الإنساني في استخدام المنهج الرياضي في ضروب العرفان ؟ وما مقدار استنباطه من الروح الرياضي في ميادين الأعمال ؟ وماذا تحقق من هذا وذاك في بناء «الحضارة الفكرية» . . ؟

هذا ما سنحاول الاستجابة له في العدد القادم، إن شاء الله

محمد محمود زيتون

٤ ــ الباكستان

دولة إسلامية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دين ودولة :

إذا أردت أيها القارئ الكريم أن ترى دولة إسلامية بالمعنى الإسلامي الدقيق فلا تحاول أن تبحث عنها في الشرق الأدنى، وإنما تعال معي إلى الباكستان فهناك سوف ترى تلك الدولة الإسلامية

ففي الباكستان ترى أن الإسلام هو محور الحياة وأساسها ، فالحياة السياسية والأنظمة الاقتصادية والحياة الاجتماعية تستمد أصولها جميعا من الأنظمة الإسلامية . وليس في هذا غرابة ، فقد قامت دولة الباكستان لتكون دار أمن وسلام للمسلمين من أبناء القارة الهندية الذين عذبوا واضطهدوا بسبب عقيدتهم الدينية . وإن سياسة الباكستان الإسلامية ليست فرضا من حكومة مستبدة على شعب مائع ، بل هي رغبة شعب مؤمن قوي تنفذها حكومة مخلصة عادلة (١)

وواجب قبل أن أتعرض لوصف النظام الإسلامي القائم الآن في الباكستان أن أناقش في إيجاز أنواع النظم الحكومية التي قامت في العصور الوسطى والتي تأثرت بها الأنظمة الحكومية القائمة في عصرنا الحاضر

انقسمت الأنظمة الحكومية التي قامت في العصور الوسطى إلى نوعين : أحدهما قام في الشرق والآخر قام في الغرب

فأما النظام الأول فقد وضع أساسه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حين قامت الدولة الإسلامية الأولى في المدينة . كان القرآن دستور هذه الدولة وقانونها ومحمد (ص) زعيمها . ولما توفى النبي قام خلفاؤه من بعده بإدارة شؤون هذه الدولة ، وقد تمكن الخلفاء من توسيع رقعة الدولة حتى صارت تشمل مساحات شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى الصين شرقا

(١) باكستان للدكتور عمر فروخ

كان الخليفة يرأس هذه الدولة ويجمع في يديه بين السلطتين الدينية والدنيوية : يؤم الناس في الصلاة ويقيم حدود الله ويقود الجيوش ويجبي الزكاة ويجمع الضرائب ويصرفها على إدارة الدولة وينفق منها على الفقراء والمساكين . ولكن سلطة الخليفة لم تكن مطلقة أو استبدادية بل كانت مقيدة : فقد كان إيمان الخلفاء بربهم وخوفهم من عذابه يدفعهم إلى أن يحرصوا على إقامة العدل ورفع الظلم والسهر على مصلحة الرعية . استمع إلى قول عمر ردا على من أشار عليه بترشيح ابنه عبد الله للخلافة من بعده « يكفي بني الخطاب أن يحاسب منهم عمر » واستمع إلى قوله « لو عثرت بغلة بالعراق لسئل عمر عنها يوم القيامة : لم لم يمهد لها الطريق ؟ » وهكذا كان الخلفاء يرون في الحكم مسئولية خطيرة وعبئا ثقيلا

وكان الخليفة ينفذ أحكام القرآن ويشاور أصحابه . والله تعالى يقول (وأمرهم شورى بينهم)

وقد نجح النظام الاسلامي في إقامة دولة تتمتع بالأمن والسلام والعزة والمنعة

هذا في الشرق . أما في الغرب فقد قام نظام آخر انقسمت فيه السلطة في الدولة إلى قسمين : سلطة دنيوية في يد الملك أو الإمبراطور؛ وسلطة دينية في يد البابا . وهكذا انفصلت السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية في الغرب واتصلتا في الشرق

ودار الزمن دورته وتقدم الغرب ونهض وجثم على صدر الشرق فاستعمر بلاده وعمل أن يهدم نظامه وتقاليده وعاداته . ولم يعدم المستعمرون أن يجدوا من الشرقيين أفرادا استهوتهم مبادئهم فسخروهم لتحقيق مآربهم . وعمل هؤلاء على تقليد الغرب فقامت في الشرق حكومات ضعيفة تزعم أنها تسير وفق مبادئ الغرب ، والواقع أنها لم تستطع أن تكتسب مزايا نظام الحكم الغربية أو الشرقية على حد سواء

إن أهل الغرب يؤمنون بأن قوة الشرق في عقيدته الروحية، وأن هذه العقيدة إذا ضعفت انهار الشرق . ومن ثم اتجه أهل الغرب إلى أن يباعدوا بين الشرق وبين عقيدته الروحية الخالصة ، ووجدوا لأنفسهم أبواقا تردد ما يريدون وتعمل على تحقيق

ما يرغبون . وهكذا قامت حكومات وقوانين ضعيفة فى الشرق هى التى نشاهدها اليوم وهى التى تقف متخاذلة أمام المستعمرين من أبناء الغرب

إذا أردنا إذن أن نبحث عن الدولة الإسلامية بمعناها الإسلامى فعلينا أن نولى وجوهنا شطر الباكستان

النظام الحكومى :

الحاكم العام هو رئيس دولة الباكستان . ولما كانت الباكستان مكونة من عدة مقاطعات هى البنغال والبنجاب وباثان (إقليم الحدود الشمالية الغربية) والسند وبلوخستان فإن لكل مقاطعة مجلس وزراء وبرلمانا . ويشرف على المقاطعات جميعا مجلس وزراء مسئول أمام مجلس نيابى يمثل سائر المقاطعات . وتشترك جميع المقاطعات في السياسة الخارجية والشؤون الحربية

ولم يتم بعد وضع دستور الباكستان الجديد ، وما تزال الجمعية التأسيسية تشتغل بوضعه. وجدير بالذكر أن نقول : إن المغفور له لياقت على خان قدم فى ٧ مارس ١٩٤٧ إقتراحه التاريخى إلى الجمعية التأسيسية ، ويقضى هذا الاقتراح بأن يكون القرآن والسنة أساس دستور الباكستان الجديد. وقد وافقت الجمعية التأسيسية على ذلك الاقتراح بالإجماع

وقد قدم الأستاذ أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى الباكستان مقترحات لتكون أساس الدستور الإسلامى فيها نلخصها فيما يلى :

١ — الحاكمية فى الدولة لله وحده

٢ — الشريعة الإسلامية هى القانون الأساسى للدولة

٣ — وظيفة الدولة تنحصر فى أن تحقق مرضاة الله تعالى بالعمل فى هذه الدنيا وفقا لهدايته المنزلة وفى ضمن الحدود التى عينها المولى سبحانه وتعالى

٤ — يجب أن تعمل الحكومة على إقامة العدالة الاجتماعية والمحافظة على حقوق أهل البلاد وصيانة الدولة من هجمات الأعداء

٥ — يجب أن تكون الحكومة شورية ينتخب أفرادها لصلاحيتهم و كفايتهم لإدارة شؤون الدولة

٦ — كل تأويل للدستور يخالف مضمون القرآن والسنة لا ينفذ شرعا

٧ — لا يجوز التفرقة بين الناس فى الحقوق والواجبات بسبب لونهم أو جنسهم أو لغتهم

٨ — يكون رئيس الدولة فيما يتعلق بالحقوق المدنية مساويا لكل مسلم آخر ولا يجوز له أن يتخطى القوانين

٩ — إذا خرج رئيس الدولة على الدستور يجب عزله

وقد عرضت هذه المقترحات على المؤتمر الإسلامى فى العام الماضى فوافق عليها باعتبارها « مبادئ أساسية لإقامة دولة إسلامية »

وهكذا يتضح لنا أن الباكستانى لا يستطيع أن يجعل نطاق الدين ضيقا بل يراه شاملا لكل شئ . وتتجلى تلك الروح الإسلامية فى كل شئ . فالباكستان لا تسمح لدور السينما أن تعرض أفلاما فيها خروج على الدين والفضيلة ، بل إنها تعمل دائما على تطبيق المبادئ الإسلامية فى جميع مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية

فى ١٢ فبراير ١٩٥٢ افتتح حاكم عام الباكستان المؤتمر الاقتصادى الثالث فعدد المسائل الاقتصادية التى تواجه الباكستان وطلب معالجتها ، وهذه المسائل هى (١) تطبيق المبادئ الإسلامية على النظم الحديثة (٢) الإصلاحات الزراعية (٣) زيادة الادخار ووسائل الاستثمار (٤) توزيع الإنتاج بالعدل

وختم الحاكم العام بيانه قائلا : إن الباكستان قامت لتكون مجالا لمجتمع إسلامى داخل حدودها ، فعلينا والحالة هذه ألا نتقاعس عن تحقيق هذا الذى جاهدنا من أجله

وخطب وزير التجارة والاقتصاد فقال : إن عظمة الدولة الاقتصادية لا تنهض إلا إذا توفر لها عاملان : الأيدى العاملة ووفرة الموارد الطبيعية ، وقال إن القرآن يتضمن أحسن المبادئ الاقتصادية التى يمكن أن تطبق فى الظروف الحاضرة وهى كفيلة بالتغلب على كل الصعاب التى يثيرها الرأسماليون والشيوعيون

ومن كل ما سبق يتجلى لنا أن الباكستان تحاول جاهدة أن تقيم دولة إسلامية بالمعنى الإسلامى الدقيق . وفقها الله

أبو الفتوح عطيفة

البلبـــل الذبيح

المغفور له الدكتور زكى مبارك

بعث إلى المجلة بهذه الكلمة المرحوم الدكتور زكى مبارك قبيل وفاته بأيام يرثى المرحوم الأستاذ على محمود طه ، وقد أخرناها انتظارا لأى مناسبة تدعو إلى نشرها والمناسبة اليوم هى حفلة تأبينه التى أقامتها نقابة الصحفيين فى هذا الأسبوع وقد وصفناها فى غير هذا المكان

أخى الأستاذ الزيات :

أرجو أن تكون بخير وعافية ، وأن تجد فى المنصورة الفيناء ظلا لا أجده فى مصر الجديدة . وأرجو أن تكون تناسيت حزنك على البلبل الذبيح وهو الشاعر على محمود طه

آخر العهد به يوم كان وكيلا لدار الكتب المصرية وكنت زميله هناك ، وكنت أفرح بلقائه فرح الحبيب بلقاء المحبوب

أظلمت الدار من بعده ، فنقلنى معالى الدكتور طه حسين إلى منصبى الأول وهو تفتيش المدارس الأجنبية فاسترحت من رؤية مكتب على محمود طه خاليا ، فقد ذوى الورد الذى كان يضمه فى مكتبه كل صباح

ومع أن الأعمار بيد الله فأنا أذكر أن الشاعر مات بالمرض الذى مات به أبى وهو ضغط الدم ، فقد كان أبى لحيما لا يسيغ الطعام بدون لحم ، وكذلك كان الشاعر على محمود طه فقد كان لحيما بصورة تفوق الوصف

دخلت دار الكتب فوجدت قنديل بك يبكى ، وسألت عن السبب فعرفت أن شقيق الفقيد حضر ليخبر مدير الدار أن الشاعر مات ، فبكيت أنا أيضاً حتى شرقت بدموعى

أعطانا المدير إجازة لنشهد جنازته ، ولكن أخاه نقله بسيارة إلى المنصورة وطنه الأول

بين الكفر والإيمان

من حق الشاعر أن يكفر بالله ، وإن كان من واجبه أن يؤمن بالله ، ولا أدرى كيف كنت حين نظمت القصيدة الآتية وأنا أخاطب البلبل الذبيح :

يا ماضياً لبلاد ليس يشهدها   من يرتئيها وجفن العين وسنان
جميع من يرتئيها كلهم نفر   حجوا إليها وهم بالموت عميان
إن الحياة وهذا الموت يطلبها   فى شرعة الصدق تزوير وبهتان
قالوا ستلقى غداً ماسوف يفرحنا   فى جنة عندها البواب «رضوان»
فيها الفواكه من تين ومن عنب   وفى جوانبها حور وولدان
هذا جميل ، ولكنى بلا أمل   ففى حياتى ضلالات وكفران
إن الذى أسكت الفريد أسكته   وفى مشيئته جور وطغيان
أنى إلى النار ماض خالد أبداً   ففى مسالكها للشعر ميدان
قالوا سينصب فى يوم الحساب لنا   عند المهيمن قسطاس وميزان
الموت نوم فلا صوت ولا خبر   خلوا فؤادى فإن النوم سلطان
هذا «على» مضى لم يبكه أحد   ولا أفاض عليه الحزن فنان
أوحى إلى الشعر ما أوحى ومن عجب   أن يصدر الشعر وحياً وهو شيطان

***

أما بعد فهذه قصيدتى فى رثاء البلبل الذبيح الذى لم يرثه أحد من الشعراء ، وكان يجب أن يرثيه زميله أحمد رامى

كان البلبل يمر بالقهوة مرور الطيف ليتحدث معى ، وكان يأنس بلقائى ، وكنت أتحداه أن يساجلنى فلا يستطيع ، لأنه لا يقوى على الارتجال ، فقد كان يتأنق فى شعره كما يتأنق فى هندامه ، والشعر فى ذاته تأنق

فى سهرة بمنزل توحيد بك السلحدار ومعنا الأستاذ الزيات أخذ البلبل ينشد أشعاره ، وكان قوى الذاكرة ، فقلت : أنا أخذت راية الشعر من أيديكم ، فيقول : لن تستطيع يا دكتور

أخرجت من جيبى ورقة وقرأت الأبيات الآتية :

عجب الناس من بقاء أديب   رغم بغى الخطوب والأيام
أنا أيضاً عجبت من طول عيشى   فى زمان مجنح بالظلام
إن يوماً يمر من غير غم   هو طيف يمر فى الأحلام
لا صديق يرد دينى عليه   لا حبيب يفى بعهد الغرام
قد سئمت الحياة أو سئمتنى   فرمتنى بكيدها للصدام
قال لى صاحبى : تواضع قليلا   تجد الرزق صافياً كالمدام
قلت : رزق من الرياء يوافى   هو عندى من الطعام الحرام

قال البلبل : هذا شعر نفيس

وزارنى الأستاذ مرة ثانية فى القهوة فرآنى مكروباً فسأل عن حالى فأنشدته قول زكى مبارك

يا سائلا ما الحال   الحال أنت الحال

وسألنى عن أسباب كربى فقلت : كان لى موعد غرام فى مشرب تريومف بمصر الجديدة وهو يطل على الصحراء فانتظرنى المحبوب دقائق وانصرف فصرخت بهذه الأبيات :

دقائق أضجرتك فطرت عنى   وغادرت المكان بلا انتظار

فما حالى وقد مرت شهور   شربن الصبر من طول اصطبارى

جلست أمام الصحراء وحدى   وأشرب لوعة مزجت بنار

قال البلبل : وهذا أيضاً شعر نفيس

كان الشاعر على محمود طه يكره الشاعر محمد الهراوى ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمى ، وهما شاعرا الإسكندرية ، وكان البلبل مغرماً بمكايدة الهراوى ، فأمضى معه إلى القهوة فيقول الهراوى : أشمارك يا سيد على من فتات موائد الشعراء الأجانب !

فيقول البلبل : وأنت يا سيد محمد لا تدخل السينما ولا تشرب الخمر ، فكيف تكون شاعراً ؟

فيقول الهراوى أنا قلت :

هم أحلوا دم الأنام شراباً   كيف لا نستحل ماء الكروم

فيقول البلبل : هذا بيت جميل

ديوان الهراوى

الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك يشهد بأن لجنة التأليف والترجمة والنشر قامت على قدميها بما جنت من أرباح « سمير الأطفال » وكان مقرراً على جميع المدارس الأولية ، ومع ذلك بخلت اللجنة بطبع ديوان الهراوى

ودعوت أخاه الدكتور حسين الهراوى لطبع الديوان فوجد النفقات غالية

فهل يمكن إنقاذ هذا الديوان قبل أن يضيع ضيعة أبدية ؟

الشبيبى فى مصر

فى العدد المقبل سأنشر فى الرسالة قصيدة حييت بها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى زميل الأستاذ الزيات فى المجمع اللغوى، وقد نظمتها فى الإسكندرية والبحر يضرب أمواجاً بأمواج :

محطة الرمل جننتنى   وحيرتنى بلا صواب

بها ظباء بغير عد   ولا بيان ولا حساب

عشرون ألفاً وألف ألف   أطلت فى حبهم عذابى

زكى مبارك

فى تأبين الدكتور زكى مبارك

المجد الطموح الجرىء

للأستاذة زينب الحكيم

عرفت الدكتور زكى مبارك بالسماع به والقراءة له فى بادئ الأمر ، فقد كان له جيل من القراء والمعجبين ، كما كان له حلقة من المنافسين المحنقين

فلما رأيته .. وجدته رجلا متقشفا أشد ما يكون التقشف ، فوقعت فى حيرة شديدة ، لأنى عرفته غير هذا فى كتابه « النثر الفنى » الذى كنت سأشترك فى تقريظه بعد أيام قلائل ، وحدث أن اجتمعنا فى الندوة ، وتجلت شخصية زكى مبارك ، وفاض علمه واطلاعه فى الردود المفحمة التى واجه بها كل مادار حول كتابه وكسب المعركة . ولا غرابة فى ذلك فهو ابن الأزهر المجتهد المستوعب ، وابن الجامعات المصرية والفرنسية ، وابن جامعة الحياة العملية والصحافة. رجل نابه من الريف ينزح إلى القاهرة للتعلم ، لم يتمان عظيما ولم يستجد ثريا لينجح فى دراساته أو لينال رزقه ... إنما هو رجل نجح نجاحا عزيزا مشرفا؛ فإذا لم يكن فى حياة الدكاترة زكى مبارك إلا هذا ، وإلا أنه شق طريقه بالنحت بإرة فى صخور الحياة الصلدة لكفاه فخرا وخلودا ، فكيف بنا وزكى مبارك له فلسفة ، ولقلمه مدرسة ، ولنفسه طموح وجموح وثورة ؟! أودع كثيرا من هذا كله مؤلفاته العديدة، ومقالاته المتنوعة

في ذمة الله الكريم فتوة ... سكنت ولما تنته النهضات
في ذمة الله الرحيم فتية ... شبل يتمم درسه وفتاة
في ذمة الله العزيز فقيدنا ... وعليه من رب الملا الرحمات
يا آله لا تجزعوا إن الذي ... في الخلد ذكراه إليه حياة

أيها السادة والسيدات :

أهدى إلى المبارك مجلدات (ليلى المريضة في العراق) ومما رأيته على غلاف الجزء الأول منها لعلى الجارم بك ما يأتي : —

« لقد ابتكر زكي مبارك فنا جديدا حين نقل الغزل والتشبيب من الشعر إلى النثر » وهذه شهادة من أديب لأديب لا يستهان بها

وكنت أتمنى لو أن زكي مبارك لم يسرف في هذا ، فإن العبقرية الجامحة يجب أن تنظم وأن تلتزم قواعد وحدودا ، ولا سيما وليس عندنا معاهد للنوابغ ترعى نبوغهم . وتحرص على توجيههم

أنظر إلى نتاج تجارب زكي مبارك فيما قاله في الجزء الثاني من كتاب ليلى : —

« أنا أشرب المر من عصير الحياة لأحيله على سنان القلم إلى شراب سائغ للشاربين » إن هذا القول يدل فعلا على أن الدكتور زكي قد ضحى بنفسه في سبيل غيره

قابل قوله هذا بقول من قال :

لا أذود الطير عن شجر ... ذقت (طعم) المر من ثمره

لترى مقدار تضحية زكي ، ومبلغ أنانية غيره . لقد أوذى زكي مبارك في سبيل النقد الأدبي ... والنقد في الشرق ليس بمستساغ ، ولا يقبل على أحسن وجوهه

لهذا حمل زكي أعصابه فوق طاقتها ، وظلم وقته ونفسه ؛ فهل يئس ؟ كلا ، وإنما أفلت زمام نفسه من يده في أحد أطرافه ، ولكنه قبض عاما على باقي نواحي نفسه الذكية السامية

استمع لبعض ما قال عن النواحي الإنسانية في الرسول حيث تتجلى فلسفته، وتتجلى عبقريته في إحدى مقالاته الفريدة :

١ — « يا محمد إنك إنسان ونبي ، والنبوة عهد من عهود العظمة الإنسانية ، إنك آية من آيات التاريخ

٢ — أحبك أيها الرسول لأنك كنت إنسانا له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكيا لوحي السماء — وما أنكر وحي السماء — ولكني أومن بأن في السريرة الإنسانية ذخائر من عظيم الصدق والروحانية ، وأنت أول من أعز السريرة الإنسانية

٣ — أحبك أيها الرسول وأشتهي أن أتخلق بأخلاقك السامية ، وأحب بنوع خاص أن أفر من الشيطان كما فررت منه .. حتى أسلم بجهادي من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس

٤ — أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

وما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

٥ — لقد فكرت مرات كثيرة في الاقتراب من روحك ، فلم يمنعني عائق لأن بيني وبينك وشيجة من الإنسانية

٦ — ودعاني الشوق إلى مسامرة خيالك ، فرأيتك إنسانا كاملا لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

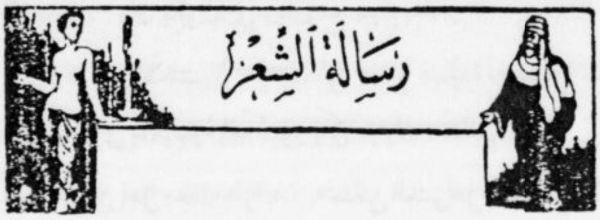
٧ — وصحبتك في إحدى غزواتك فهالني أن تكون رجلا نبيلا يصبر على الظمأ والجوع والأذى في سبيل الحق

وشهدتك يوم الموت وأنت توامي ابنتك فتقول :

« لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب في الدنيا مقصور على عظماء الرجال

أيها الناس : هذا طرف عابر من حياة وعبقرية وفلسفة زكي مبارك .. فيها عظة وعبرة ، وتدل على مبلغ ما خسرناه بموته ، ولكن الحياة حق كما أن الموت حق (والله خلقكم ثم يتوفاكم) وزكي مبارك لم يمت فهو حي في قلوبنا ومشاعرنا — والسلام

زينب الحكيم



البحيرة

(للشاعر الفرنسي لامرتين)

نظم الأستاذ عبد العزيز السيد مطر

يا إلهي ! حرت في بحر الزمن !   هام فلكي في ظلام لا نهائي !
لا أرى الشاطئ يدنو ، أو أرى   أين أمضي ، ما أمامي؟ ما ورائي؟
طالما ناديت ، أرجو مرفأ   لسفيني ، دون جدوى لندائي !

* * *

جئت وحدي ها هنا مستلهما   حدثيني ، هل توافي (١) يا بحيره؟
شارف العام تماما ، فاشهدي   ما ألاقي من تباريح وحيره !

* * *

رقص الموج ، وغنى ، واستوى   ماؤك العذب على الصخر الغريب
ومضى ينساب درا نحوها   يخطب الود ، و« جوليا » تستجيب
كان هذا أمس حلما ، وانتهى !   أيعود الأمس أم سوف يغيب ؟

* * *

اذكري ليلة كنا ها هنا   نتساقى الحب ، « جوليا » وأنا
عزف « المجداف » ألحان الأمل   فمضى « الزورق » مختالا بنا
وسرى الإيقاع في روح الزمن   فاستجابت كل نفس حولنا

* * *

شق صمت الكون صوت حالم   يجذب الأسماع بالسحر الحلال
صافح الآذان فاهتزت له   وهنا العالم يصغي للجمال :

* * *

« أبطئي الدورة يا أرض بنا   أيها الساعات لا يمض الأوان
خليانا وحدنا في حلمنا   ننهل الكأس ، فإنا عاشقان
أسرعا ما شئتما مع غيرنا   أسرعا مع كل مكروب مهان
واحملا الآلام عنه والضنى   واحميا المشتاق من غدر الزمان
هل أجاب الدهر سؤلي ؟ لم يجب؟   هكذا الدهر ضنين بالطلاب
ها هو الليل تقضى مسرعا ،   هجم الصبح عليه ، فهرب !

* * *

امزج الكأس بحبي واسقنيهـ   ـا دهاقا ، فهي سلوى الحائرين
واقض كاللمح الأماني ، واغتنم   إنما الدهر عدو الحالمين !
فهو كالسهم مروقا ، لا يشا   ء أناة أو رسوا بالسفين !

* * *

ويح نفسي من زمان حاسد   يكره الحب ، ويهوى البائسين !
جعل الليل سواء ، لو عدل   طال ليلي ، وانقضى ليل الحزين

* * *

أيها الغور أجيبي مخلصا   وتكلم أيها الماضي الدفين !
أيرد الدهر أياما مضت ؟   أم طواها في ثنايا الذاهبين ؟
ليت دهري يحفظ الذكرى لنا !   إنما الذكرى حياة العاشقين ؟

* * *

هذه الليلة كانت نشوة   يبهج النفس شذاها إن خطر
أيها التاريخ خلد ذكرها   في نسيم الفجر ، أو ضوء القمر

* * *

إنما الحب جميل دائما   في هدير الموج ، أو صفو اللجين
شاهد الكون هوانا فليقل   كل شيء فيه « كانا عاشقين »

عبد العزيز مطر

---

(١) الحبيبة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الدكتور زكي مبارك :

أقامت نقابة الصحفيين يوم الجمعة الماضي حفلا لتأبين فقيد الأدب والصحافة الدكتور زكي مبارك ، وقد توالى الخطباء والشعراء في هذا الحفل ، فوفوا الفقيد حقه من الرثاء ودراسة حياته وأدبه . ويعتبر مجموع الكلمات التي ألقيت كتابا عن « زكي مبارك » لا بأس به ، ويحسن النقابة صنعا لو أنها قامت بطبعه ونشره

كانت كلمة الأستاذ حافظ محمود — على إيجازها — وافية ، وأفاض الأستاذ محمد عبد القادر حمزة في محاضرته التي تناول فيها جوانب مختلفة من شخصية الفقيد وأدبه ، وكان الأستاذ مظهر سعيد — كعادته — مجليا في الخطابة ، وكان ختام كلمته رائعا إذ قال : كنت واحدا ممن اكتووا بنار الدكتور زكي مبارك ، وقد أشبعني شتما ، ثم مات وبيننا عداوة ، وقد سمعتم رأيي فيه ، والفضل ما شهدت به الأعداء

وتحدث الأستاذ حسين كامل عن جهاد الفقيد في القضية العربية فقال إنه كان من أوائل من نادوا بالوحدة بين الناطقين بالضاد

وتطلعت الأنظار حين وقفت الآنسة زينب الحكيم . . .

ترى ماذا تقول عن زكي مبارك الذي جعل ديدنه في كتابته النعض من شأن المرأة والدعوة إلى أخذها بالعنف . . ولكن الآنسة زينب جازت الفقيد إحسانا بإساءة ، ومما قالته أن الدكتور زكي مبارك كان خفيفا على قلوب النساء سواء في عداوته ومناصرته ... ولعل هذا من مصداق رأيه في النساء من حيث أنهن إنما يكسبن بالشدة !

أما الدكتور منصور فهمي باشا فقد كان الحاضرون يتوقعون منه — باعتباره عضوا في مجمع اللغة وعميدا سابقا للآداب — أن يكون على وفاق مع سيبويه . .

وقد ألقى الأستاذ محمد مصطفى حمام قصيدة جيدة تميزت بالانطباق على شخصية الدكتور زكي مبارك ، مطلعها :

عابد الحسن هل جفا محرابه   مدمن العشق هل سلا أحبابه ؟

ومنها :

الخطيب المبين أفحمه المو   ت وألغى بيانه وخطابه
الجريء الغاضب الصعب قد أو   دى فلن يملك العدا إغضابه
وهب الله للصدور صفاء   وتولى حسابهم وحسابه

حول تقديم الشاعرين الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي

أتيت في الأسبوع الأسبق بخلاصة الكلمة التي ألقاها الأستاذ عباس محمود العقاد في تقديم الشاعرين الفائزين بجائزتي الشعر لهذا العام في مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد عني الأستاذ في تلك الكلمة ببحث أسباب الأزمة الشعرية في الغرب وما أدت إليه من قيام « الاستفزازيين » في الشعر وفي سائر الفنون ، الذين فقدوا روح النضال ووجهوا همهم إلى تحدي المثل والمناهج والأهداف

وقد لوحظ أن ذلك البحث استغرق جل عناية الأستاذ ، فلم يظفر الفائزان منه إلا بيسير من القول تطرق إليه بقوله إن حالة الاجتماع عندنا تختلف عن حالة البلاد الغربية ، فلم تصل فنوننا إلى ما وصلت إليه الفنون في الغرب من الحيرة والانقطاع عن المثل ، واتخذ الديوانين الفائزين بالجائزتين شاهدا على ذلك . وهنا موطن الملاحظة الثانية ، وهي وهن الملافة بين الموضوع الذي ظفر بأكبر الجهد وبين الديوانين اللذين طفا عليهما ذلك الموضوع وكانا أحق بالنظر والدرس في مناسبة إجازتهما

كنا نتوقع أن يحدثنا الأستاذ عن شعر كل من الديوانين ، معرفا أو ناقدا ، ويبين لنا خصائص كل منهما على حدة ، ولم استحق الأستاذ إبراهيم نجا الجائزة الأولى ، ولم استحق الأستاذ خالد الجرنوسي الجائزة الثانية

حقا أن الأستاذ العقاد جرى على أن يكون لكلمته في مثل هذه المناسبة موضوع عام ، وأذكر كلمته في مسابقة من مسابقات

المجمع السالفة ، إذ أجرى الكلام فيها على المذهبين الشعريين : الاتباعي والابتداعي ، وطبق ذلك على الشعراء الفائزين إذ ذاك وهم الأساتذة محمود غنيم ومحمد الأسمر ومحمود عماد

ولكن الأستاذ الكبير في هذه المرة أتى بموضوع لم يطبق نتيجته على شعر الشاعرين الفائزين ؛ ويخيل إلى أنه فعل ذلك تخلصا من الحرج الذي يتمثل في عدم انطباق هذا الشعر على مذهبه المعروف الذي يجعل القيمة الأولى للشعر فيما يتضمنه من « فكرة » ولهذا اختار منه — للاستشهاد — ما يلائم هذا المذهب

وماذا يقول من يتحدث عن شعر إبراهيم نجا إن لم يكن في مقدمة ما يقول ، ما يمتاز به هذا الشاعر من الروح الشعرية الرفافة والتعبير البين عن الوجدان الصادق ؟ ومن هنا — فيما يبدو لي — يلتمس العذر لصاحب المذهب الفكري في تجنب الحديث التفصيلي في هذا المضمار

مسرحية « كدب في كدب »

قدمت فرقة المسرح المصري الحديث أخيرا على مسرح الأوبرا الملكية، مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « كدب في كدب » وقد قام بإخراجها الأستاذ زكي طليمات مدير الفرقة

تعرض المسرحية أشخاصا يعيشون في بيئة « أرستقراطية » فهذا « كريم بك » شاب وسيم يستهلك ثروته الكبيرة الموروثة في المقامرة على سباق الخيل ، ويأتي في ذلك بضروب من السفه والتبذير والإتلاف حتى ينتهي به الأمر إلى الإفلاس ، ويلتقي في خلال ذلك بالفتاة الجميلة « كريمة » التي تتبناها وتكفلها امرأة غنية هي « شفيقة هانم » ويبدى كل من الفتى والفتاة استخفافا بالآخر أول الأمر ، ثم زين لهما المحيطون بهما أن يتزوجا ، فيقال لكريم بك إنك على وشك الإفلاس وهذه فتاة غنية ، ويقال لكريمة شبه ذلك ، فيصطنعان الحب ويتزوجان

و « نصار بك » زوج شفيقة هانم رجل وضيع النفس يطمع في مال زوجته وقد تزوجها من أجل ذلك ، ومن أغراضه أن يستأثر بهذا المال دون « كريمة » ثم يتظاهر بالعطف على الفتاة طمعا فيها .. فتجاربه أولا لتكشفه ثم تصده وتزجره ، فيتمادى في خطته لحرمانها كل شيء

و « نبيه بك » عمدة إحدى القرى يغشى مجتمعات القاهرة الراقية ، يتظرف ويتأنق محاولا أن يبدو مثل أفراد هذه المجتمعات ، ويوجه اهتمامه إلى « كريمة » رغبة في زواجها ، ويحاول صديقه « نصار بك » أن يعاونه على ذلك ، ثم ينتهي الأمر بهذين الصديقين إلى السجن لتلاعب في بعض الوثائق

و « فواز بك » رجل مصري متزن حصيف خرجته تجارب العمر الطويل ، يعمل على التوفيق بين أشخاص الرواية وخاصة « كريم » و « كريمة » على أساس فلسفته التي استفادها من الحياة ، وهي أن الإنسان لا بد له من الكذب والنفاق ليساير الناس ويواكب الحياة ، وهو لذلك يهون الأمر على الزوجين المخادعين ، فحين تنكشف حقيقة كل منهما للآخر فيتبين إفلاس الغني ، وتنجلي ظروف الفتاة بذهاب الثروة التي كانت تظاهر بها ، ويعرف كل منهما أن صاحبه كان يكذبه ويخدعه — يقوم فواز بك بمهمته في إقناعهما بأن ما كان منهما لا بأس به ولا ينبغي أن يؤدي إلى القطيعة بينهما ويخلي لهما المكان لينفذاها . فينفذاها عملا بفلسفة فواز بك ، بل هما أكثر من ذلك يشعران بانتهائهما إلى تبادل شعور المودة ، فيحمدان الكذب الذي تبادلاه أول الأمر إذ كانت نتيجته الحب ... وتلتقي شفتاهما الستار وهما في جحيم من القبل ...

هل لهذه المسرحية موضوع ؟ لا أريد أن أجزم بشيء من ذلك . يخيل إلي أولا أنها « رد فعل » للفن الوعظي الصارخ الذي يشتمل على الخطب ويعتمد على التأثير بالانفعال والمفاجآت

وتيمور قصاص هادئ يرقب الحياة في سكون ونفاذ ، ويتمثل ذلك على أكمله في هذه المسرحية التي يقدم بها أشخاصا ينتزعهم من الحياة كما هم ويدفع بهم إلى المسرح ليأتوا من الأعمال والأقوال ما يأتون في الحياة ، وأحسب أن شخصية « فواز بك » تعكس بعض صفات المؤلف نفسه ..

والمسرحية ليس فيها صراع ، فلا يأتى شوق المشاهد وتنبهه لما يجرى فيها — لا يأتى ذلك من أحداث يتوق إلى أن يعرف كيف ينتهى ، وإنما يجتذب المشاهد عرض التصرفات التى يراها مطابقة لما يجرى فى المجتمع ، وطلاوة الحوار وما فيه من دعابات وإشارات إلى حقائق فى النفوس الإنسانية

وإذا كان لا بد من تلمس الموضوع فلا أجده إلا فى هذه الفلسفة الواقعية التى تنطق بها أعمال الأشخاص وأقوالهم ، وكأنهم يقولون : ها نحن أولاء ناس من الناس نفعل ما تسوق إليه دوافعنا البشرية ولا يعنينا أن توصف أعمالنا بخير أو شر

وكأنى بالمؤلف يقول : إلى متى نظل نكذب أنفسنا فنصورها فى العمل الفنى على غير حقيقتها ؟ نحن نكذب ولا نستطيع أن نعيش بغير كذب ، وليقل من يقول على المنابر ، وليكتب من يكتب على الأوراق ، فى فوائد الصدق ومضار الكذب ، مايشاء ، ولنقصد نحن إلى الواقع ، وهذه هى نتيجة الكذب ... الحب ...

ومن مظاهر التوفيق فى إخراج المسرحية ما قام به مخرجها الأستاذ زكى طليمات من أنواع التعبير عن طريق المناظر والأضواء المطابقة والموحية ، ويسترعى انتباهى دائماً فى إخراج الأستاذ زكى طليمات حسن تنسيق المجموعات الصامتة وإحكام حركاتها ليحيل صمتها إلى نطق .. ومن تلك المظاهر أيضاً حسن إعداد الممثلين والممثلات وإسناد الأدوار اللائقة إليهم واستنباط كفاياتهم الكامنة . هذا ولست أدرى لماذا جعل نور الدمرداش فى دور كريم بك يستمر فى حالة عصبية من أول الرواية إلى آخرها ، والمفروض فى هذا الدور أن يكون صاحبه الشاب المتلاف مرحاً طروباً . نعم قد يبتئس فى بعض الأحيان لما يطرأ من سوء الحال، ولكنه لم يكن على ما ينبغى فى عدة مواقف كانت يتطلب التلطف والمرح

وألاحظ فى تمثيل هذا الشاب « نور الدمرداش » أنه هو تقريباً فى أدواره بالروايات المختلفة ، فهو يكرر نفسه كما يقولون . وغاثله فى ذلك الفتاة « زهرة العلى » التى قامت بدور « كريمة » فالشابان لا تمكن وسامتهما ، بل لا بد لهما من التنويع والتجرد من السمة الواحدة

وقد قام عبد الرحيم الزرقانى بدور فواز بك فأجاد بالاندماج فى الشخصية المرسومة ، وبراعة الاندماج من مميزات الأستاذ الزرقانى

وكان أحمد الجزيرى ، الذى مثل سكرتير كريم بك ، عصب الفكاهة فى هذه الرواية ، وقد وفق فى دوره كل التوفيق ، وكذلك عدلى كاسب الذى صور شخصية « العمدة » وما لابسها من مفارقات فأجاد فى ذلك

أما سميحة أيوب فقد لاحظت أنها تقدمت تقدماً كبيراً ، فقامت بدور « أرتست الحرب » خير قيام

فى ذكرى ابن سينا :

كان الدكتور محمد يوسف موسى من أنشط أعضاء اللجنة التى ألفت فى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية للاعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا ، فقد قام بستة بحوث فى نواح مختلفة لصاحب الذكرى ، منها بحث موضوعه « الناحية الاجتماعية والسياسية فى فلسفة ابن سينا » وهو بحث قيم تناول فيه بالعرض والتحليل آراء ابن سينا فى مسائل الاجتماع والسياسة ، وعرض لما يمكن أن يطبق منها فى العصر الحاضر . وقد قام المعهد الفرنسى فى القاهرة بنشر هذا البحث باللغتين العربية والفرنسيه

وكان المفروض أن يكون الدكتور موسى بين أعضاء وفد مصر فى المهرجان الذى أقيم ببغداد ، ولذلك دهشنا عندما رأيناه بالقاهرة فى وقت انعقاد ذلك المهرجان . والذى حدث أن جميع أعضاء اللجنة سافروا إلى بغداد بصفات مختلفة ، ممثلين للجامعات والهيئات العلمية والجامعات العربية . أما الدكتور موسى فقد أهمل إهمالا لا أجد له وصفاً أخف من أنه غير لائق ، فهو من أساتذة جامعة فؤاد الأول ، ومن أبناء الأزهر وكان أستاذاً به ، فكان يمكن اختياره ممثلا للجامعة أو للازهر ، ولم يكن أقل من أن يختار فى وفد الجامعة العربية ، وقد كان بين المندوبين من هو أقل منه نشاطاً فى هذه الذكرى ، بل من لم يكن له نشاط فيها ...

عباس خضر

الكتب

عقيدة المسلم

تأليف الأستاذ الداعية محمد الغزالي

للأستاذ محمد فياض

من القواعد الاجتماعية التي نرى مع معتنقيها وجوب الأخذ بها : أن الشيء لا يوجد ، أو بعبارة أدق وأصدق في الحكم ، لن يكون له كيان إلا إذا كان المجتمع في حاجة إليه ، وبمقدار ما تكون عليه حاجة المجتمع لشيء ما ، بمقدار ما يكون وجوده بل كيانه متحققاً في عالم الواقع ، وكنا نعلم أنه قد يوجد عبقري في بيئة ما ، ولكن تلك البيئة في حالة لا تسمح له بوجود أو كيان ، أو في حالة لا تهيئ له الظروف التي ينبثق من ورائها نبوغه ؛ ومن يدري المرء لو قدر لنابليون ، أن يعيش في غير عصره أو في غير بيئته ؛ بل لم تكن بيئته على الوضع الذي كانت عليه إبان وجوده ؛ لما قدر له وجود أو كيان .. لأن استجابة مجتمعه إليه ، كان متوازناً مع حاجته إلى قدرات « نابليون » وإمكانياته الخاصة

وعندنا الآن في الشرق ، حين نقتفي الآثار العديدة في ميادين الحياة العامة ، على ما بها من تشابك واختلاط وتغلغل ؛ وهنا في مصر على وجه الخصوص ، حين نتتبع علائم الحياة في مجتمعنا العريق ؛ نجد أن كل مظهر نشهده ، وكل تقدم نحصل عليه .. إنما حدث ويحدث وفقاً لمقدار الحاجة الشعبية إليه ، ولمقدار شعورنا بتلك الحاجة ، ونعتقد أن ما يمنعنا عن التفصيل في تتبع الآثار [illegible] التي تكشف عن حاجتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية . . في الشرق وفي مصر ؛ هو أننا في غير موطن الحديث ، خاصة والأحداث الشرقية والمصرية على السواء لم تستكمل حلقاتها النهائية بعد ؛ وشيء آخر ، لعل القارئ يدريه ، واعله أن يتصل بشؤون السياسة الحاضرة أو نظام الحكم الموجودة .. من قريب أو بعيد !!

ولكننا مع ذلك ، سنتحدث في ميدان من تلك الميادين ، وعن كتاب من تلك الكتب التي خرجت إليه باعتباره أكمل كتاب وجد في حقله الخاص من ذلك الميدان ، وعن مؤلفه باعتباره أول رائد أصاب في ذلك الحقل جهد الكمال

فما سقنا تلك المقدمة المجملة إلا من أجل شيء أردنا توضيحه وأردنا الخلوص إليه ، بعد إقامة الأساس الذي تستند إليه فكرتنا عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه العالم الأديب

ونستطيع القول أنه منذ ربع قرن تقريباً ، وقد بدأت حاجة الشعوب الإسلامية إلى النهضة من جديد في الاشتداد ؛ نعني أن هذه الشعوب قد بدأت في مرحلة الإحساس بالظمأ والجوع إلى الاستقرار العام والتنظيم الشامل .. على الأساس الاسلامي ؛ ونعني أيضاً أن مشاعر الفكرة الاسلامية في نفوس هذه الشعوب قد دخلت في دور آخر دعامتاه : التكتل من جهة ، والتكوين من جهة أخرى ، ولقد كان ذلك الدور الحديث نتيجة طبيعية لأدوار الانحلال التي منيت بها القرون الاسلامية الأخيرة تحت وطأة الحكم الفردي ، بما جره من ألوان الخلافة والإمارة والإقطاع ؛ فذلك الانحلال الذي أصاب الشعوب الاسلامية ، هو نفسه الذي أشاع اليأس القاتل فيها ، وشوه معالم العقيدة والسلوك في القلوب والأذهان .. وهو نفسه أيضاً الذي أحدث الأمل كرد فعل طبيعي مباشر ، لما شاع من يأس وما استشرى من قنوط . وعلك أن نؤكد بأن ذلك الأمل قد بزغ أول ما بزغ ، وأشرق أول ما أشرق . . في أرض الحجاز بدعوة « محمد بن عبد الوهاب » السلفية .. ثم ما أعقبه من أصداء لتلك الدعوة ، في آسيا .. على يد الإمام الشوكاني ، والسيد أحمد ، وجمال الدين الأفغاني ، وفي أفريقيا . . على يد السنوسي ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني

ويجب أن نقرر أن الحكم الفردي الذي كان السبب الأول والمباشر ، لانحلال الفكرة الاسلامية وتدهور شعوبها ، هو الذي قضى على ازدهار الدعوة الوهابية وانتشارها ، وشوه حقيقتها في نفوس معتنقيها ومؤيديها إن لم يكن قد طمسها ؛ وأن الطابع الفكري المحض ، الذي اتسم به الدعاة من بعد ابن عبد الوهاب ، هو الذي باعد بين عامة تلك الشعوب ، وبين

هذه الدعوات وأربابها ، فاتجه هؤلاء الدعاة إلى الحكومات دون الشعوب ، وإلى الخاصة دون العامة .. وساعد على ذلك كله أن مرحلة الظمأ والجوع أو اليقظة الشعبية ، لم تجاوز بعد الفجر الأول للأمل ؛ وأن الروح التكوينية التربوية ، كانت شديدة البعد عن هذه الدعوات ، وبخاصة فيما أعقب دعوة ابن عبد الوهاب من دعوات . وعلى أية حال . فقد مهدت دعوة ابن عبد الوهاب وما حدث بعدها من أصداء ، لحدوث الفجر الصادق للفكرة الاسلامية ؛ لتبدأ مرحلة الظمأ والجوع فى الاشتداد ؛ ولتدخل الجموع الشعبية فى طور « التكتل » الذى تمخض حتى الآن عن « أندونيسيا والباكستان » ؛ وفى طور « التكوين » أو طور الشروق — كما يحلو لى أن أسميه — وقد قدر لذلك الطور أن يقبل فى يسر من الرأى الشعبى العام ، بغض النظر عما اعترضه من صعاب .. نتيجة للجهل الشعبى الذى يكافحه ذلك الطور ، ونتيجة للاستبداد الفردى الذى ما تزال بقاياه

ولقد بدأ هذا الطور منذ ربع قرن ، كما أسلفنا الاشارة ، نتيجة للحاجة الشعبية ، والجو المعد الملائم ، الذى سبقته الارهاصات والنذر ، فقدر لداعية الاسلام الشهيد « حسن البنا » أن يكون أول من يرتاد ذلك الطور ، فتتكون على يديه هيئة إسلامية عالية ، كل أهدافها تنحصر فى التكوين التربوى الاجتماعى ، على المنهج الاسلامى الفردى للعقيدة والسلوك ، قبل الدخول فى دور « التكتل العام » الموحد ، وأرى من التباشير ما ينبئ بالتقاء طورى « التكتل والتكوين » فى ذلك الدور المنتظر .. فى المستقبل القريب

ومن طبيعة الدعوات الناجحة أن تنمو وتتسع ، وتتمدد جوانبها ، حتى تشمل سائر مرافق الحياة . سواء منها الاجتماعى والسياسى والفكرى ... وقد كانت دعوة « الاخوان المسلمون » دعوة اجتماعية ، تمثل الحاجة الاجتماعية للشعوب الاسلامية ، وإلا لما قدر لها ذلك الصمود وهذا الانتشار . وكان لا بد لتلك الدعوة من الاتساع والامتداد ، لتشمل كل ما يتصل بحياة الانسان ؛ وليس معنى ذلك استغراق الدعوة الاجتماعية ، لكل من الميدان الفكرى والسياسى ، على تفرد فى معناها الخاص ، بل إن أى ميدان تتناوله منهما لا بد وأن يكون إلى جوار معناه الخاص وصفته المميزة ، صفة أخرى . هى الصفة الاجتماعية

فالدعوة الاجتماعية إذن .. تزاوج بين طبيعتها وطبيعة الميدان الذى تعمل فيه . والحاجة الشعبية إذن .. كما احتاجت إلى الهيئات الاجتماعية فى الميدان الشعبى الاجتماعى ، فهى أيضا تحتاج إلى الأفراد الأفذاذ ، فى الميدان الفكرى ، وفى الميدان السياسى .. وهى كلها دون شك حاجات عامة تحتاجها الفكرة الاسلامية وشعوبها . وفرق كبير بين الحاجات العامة التى تحتاجها الفكرة والشعوب ، وبين الحاجة الخاصة التى تحتاجها الهيئات الاجتماعية لتسد الحاجة الشعبية فى الميدان الاجتماعى

والجانب الذى سنعرض له ، هو الجانب الفكرى من الميدان الاجتماعى ، وهو بلا شك ، يشمل حقلين اجتماعيين فى الفكرة الاسلامية ، هما : حقل « العقيدة » وحقل « النظام » (السلوك والتشريع) . وفى هذا الجانب بحقليه ، كتب الأستاذ محمد الغزالى كتبه ، كواحد من الدعاة فى الميدان الاجتماعى ؛ وزاوج فى مؤلفاته بين النظر إلى نظم الشرق الحالية ، ونظم الاسلام التى كانت أو التى يجب أن تكون ؛ بل زاوج بين ما يصطرع فى الأفق العالمى من مبادئ ونظريات ، وبين مبادئ الفكرة الاسلامية ، بطريقة المقابلة أو التعريض .. يحدوه فى كل ذلك الطابع الاجتماعى الذى تنشده دعوته الشعبية ، والذى لا يهدف أصلا لغير الاصلاح الاجتماعى العام كمبدأ أساسى مقصود . والواقع الذى تتبعناه فى كتبه ، عن طبيعته كمؤلف وطبيعة كتبه وطريقة عرضها ، يؤيد لنا ما ننسبه إليه ، من أنه يمثل فى الميدان الاجتماعى وفى الجانب الفكرى منه ، ومن أنه يسد حاجة خاصة تحتاجها دعوة اجتماعية لتسد حاجة عامة من الحاجات الشعبية المعاصرة

فالأستاذ محمد الغزالى ؛ يفكر برأس عالم ، بما يحويه المعنى العلمى من لوازم الدقة المنطقية ؛ وينفعل بخواطر الأديب فى وضع تأملى محدود ؛ ويكتب بعد ذلك برأس هذا العالم ، وقلم ذلك الأديب . ولكنه ليس بالفرد الذى يجول فى محيط تفكيرى خالص ، فهو إذا عكس لا يضخم ، وإذا أحاط لا ينسق ، وإذا تغلغل لا يتوغل . ومع ذلك ، فهو صفحة حساسة صادقة التصوير الجزئى للفكرة والمجتمع ؛ فعدسة منظاره ، ليست بالمجمعة المكبرة ، ولا بالمفرقة الموزعة ؛ فهو إذن .. باحث محدود المجال ، لا يكتب للزمن كله ، والمكان

كله ، والفكرة نفسها ، بقدر ما يكتب لجيله وعصره ومن يعيش فيه ، ولسوف تلمس فى أسلوبه ، ليونة الانسياب ، وعقد المفاصل حين الانتقال من فكرة إلى أخرى ، وقد يفقد أسلوبه أحيانا سلاسته التعبيرية وبساطته العامة . ولكن الفكرة والمعان ، ستظل دائما موصلة لما نبا عنه . ولسوف تحس من أصداء عباراته على طولها ، لهجة الحديث ، ونغمة النقاش ، وهشيش العواطف ، وحدة الحماسة : كأنك معه فى وقفة تفاهم ، تتراوح على وجهك أنفاسه . أما أداؤه فأداء تلقـــائى يجر فى ركابه مصطلحات عديدة ، تكونت أخيرا فى الميدان الاجتماعى ، من جراء البحث المستند على علوم المنطق والاقتصاد ، والنفس والاجتماع ، وأما تصويره ، فكل ما نملك قوله فيه ، أنه لن يخرج عن خصائصه ، ولا عن طريقته الناتجة من رأس العالم المدقق ، وخواطر الأديب المتأمل

وحين نقرأ كتب الغزالى ، ورائدنا البحث عن طبيعتها وطريقة عرضها ، فسنعرف أولا أنها عامرة باللمحات ، ناطقة بقدرة المؤلف على الاستنباط والاستنتاج ، ومدللة على طرافة البحث وجدة جوانبه ومناحيه ، ولكنها لا تدلل كثيراً على أنه مفكر خالص وكاتب أصيل .. فوحدة الموضوع — وإن وجدت فى غالب كتبه — مفقودة الاستغراق والعمق .. ووحدة العرض وجودته ضائعة تحت هذه العناوين العديدة التى تموج بها كتبه ، والتى لا تجرى على أساس من التتابع المنسق والتبويب المنظم .. ودقة التقسيم فى الموضوع وفى الكتاب مفقودة العرض والطول ، ولا تشمل عادة كل الأقسام المبتغاة . وسنعرف أخيراً عن طريقة عرضه أنها طريقة هادئة متأملة .. مستطردة ، موسومة بطابع العاطفة والاخلاص وعدم التحيز ؛ وأنها طريقة ذعر منها منهج البحث الحديث . ونعلل ذلك بأن غالب كتبه قد كتب فى مقالات ، لتكون « فصولا نابضة بالايمان الحى ، والمنطق الذكى ، والعاطفة الحارة » ؛ وبأنه قد كتب بطريقة ذاتية محضة ، لا تعتمد إلا على دقتها الخاصة ، وثقافتها المختمرة ، وخواطرها الذاتية ، ولكن ذلك لا يطعن مطلقاً فى سدها لحاجة الجانب الفكرى من الميدان الاجتماعى ، وما نظنه يقلل من أهميتها ، كما لا نزعم لحظة ، أنه سينتقص قارئاً من عشرات الألوف الذين يقتنون كتبه !!

وهذا المنحى الذى ألممنا بجوانبه ، هو ما يسيطر على ما أخرج الأستاذ الداعية محمد الغزالى فى الحقل النظامى من كتب ، سواء فيها من الاسلام والأوضاع الاقتصادية ، والاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، والاسلام والمناهج الاشتراكية ، وتأملات فى الدين والحياة — ومن هنا نعلم — إلى ما سوف يخرج فى أفق « السلوك » فى كتابه المرقوب « خلق المسلم » ، ولكن هذا المنحى سوف يتغير كثير من جوانبه فى كتابه « عقيدة المسلم » الذى أخرجه فى حقل العقيدة ، ليسد به حاجة الفكرة والشعوب إليه ، غير أن هذا التغيير فى بعض الأحكام ، لن يؤثر على مكانة الغزالى ، كحاجة خاصة فى ميدانها الاجتماعى

ولست أدرى والله ، أكان يجب صدور هذا الكتاب منذ سنوات ؟ أم أنه قد جاء فى وقته الملائم ؟ فقد انتهت العقيدة الاسلامية إلينا الآن ، بل ومنذ أجيال عديدة ، موسومة بعلم « الكلام » ، مربوطة بمجلة المنطق « البيزنطى » مبتوتة الصلة بالفؤاد ، شديدة التآخى مع العقل . بقواه الذهنية الجافة ، ومقاييسه الآلية البحتة ، وموازينه النظرية الخالصة ، مما دفع بالعديد من طلاب العقيدة إلى الهرب من جفافها ، ليقفوا بجوار العامة اليائسين ، فى رحاب التصوف وشطحاته ، باحثين عن الجذوة التى تحيى فى قلوبهم جذور الايمان ، وتنعش فى نفوسهم عاطفة الحب الالهى . وكنا بين ذلك ، فى قفر مجدب من روح الايمان العقيدى ؛ لابتعاد العاطفة الوجدانية عنه ، ولصوق الجفاف الذهنى به . وكانت حاجتنا الشعبية تحتاج إلى غربلته من الحصى ، وتصفيته من الرواسب ، وتنقيته من الخلاف ، وتشذيبه من التطرف ؛ بل تحتاج إلى أن نكتب موضوعات العقيدة من جديد ، بروح الاسلام الخالد ، الموازنة بين العقل والوجدان ، والمنطق والعاطفة منذ أن عرفنا الفجر الأول للأمل ، ومنذ أن عشنا فى فجره الصادق . ولقد خرجت إلى هذا الحقل العقيدى رسائل عدة ؛ ولكنها لم تكن لتحمل روح الايمان المنساب ، وطبيعة العقيدة الصافية ، وأصالة التأليف الكامنة ، واستغراق المباحث المتعددة ؛ أما هذا الكتاب ... فقد حمل كل ذلك ، وغربل ، وصفى ، ونقى ، وشذب ، حتى أحسست وأنا أقرأه ..

أننى أعيش فى مشهد الفجر الأول للوجـــود ، وأتصل بالله وبالكون وبالحياة ، اتصالا أليفا لا تنفصم عراه ، ولسوف أعود لقراءة ذلك الكتاب كلما دبت فى أعصابى معركة ، أو تسرب إلى نفسى قلق ، وإلى روحى اضطراب

وأعتقد أنه من العبث التفكير فى تركيز الكتاب أو فكرته ، ما دامت موضوعاته الشهيرة لا تتجاوز نطاق الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وما دام المؤلف الداعية لا يسمح لأحد أن يجمع خيوط كتاب له فى يديه ليعرف هيكله العام . ولسنا نقصد أن المؤلف لم يتبع نهجا معينا فى نسج كتابه ؛ فقد خرج لنا المؤلف فى موضوعه المطروق بتقسيم جديد ، وتعديل كذلك ، وإن كانت موضوعات العقيدة ما تزال هى هى لا تزيد ، اللهم إلا فى فصول يستدعيها العصر الحاضر « كعقيدة الألوهية عند الفلاسفة والعلماء » و « بين النبوة والعبقرية » . والشئ المتبقى إذن هو فى معرفة المنارات الرئيسية ، التى وضعها المؤلف نصب عينيه ، حين طبخه لذلك الكتاب ، ومن مقدمة الكتاب ، نقتطف بضع نقاط ترشدنا إلى مناراته العامة : « هذه بحوث فى العقيدة دفعتنى إلى كتابته قلة الرسائل التى تعنى بهذا اللون من علوم الدين ، وتعرضه فى أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين »

« وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم فى نسق يخالف ما ألف الناس قراءته عن هـذه الأصول فى مظانها من ثقافتنا الدينية ، لا لأنى سآتى بجديد فى هذا الميدان : بل نزولا على منطق التجارب ، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الاسلامى من أحداث ، وتوخيا للسير فى هـدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة » . « وقد بذلت جهدى أن أتجنب أشواك الخلاف ، فإذا استطعت طيه فى السياق المطرد طويته وتجاهلته ، وإذا اضطررت إلى خوضه عالجته على كره ، وذكرت ما استبان لى أنه صواب . وقد أستجهل الطرف المقابل — ولا أكفره — لأن الجهل الفاضح كما ظهر لى ، أساس كثير من المشاكل العلمية المبهمة . وربما لحت فى أخلاق المجادلين عوجاً ، وفى أسلوبهم عنفاً ، فأوثر مغفرة هذا كله ، على مقابلة السيئة بمثلها ؛ لأننا أمة فقيرة جدا إلى التجمع والائتلاف ، فلندفع ثمن هذا من أعصابنا .. والمرجع إلى الله »

ومع أن الكتاب قد خرج ليسد حاجة المسلمين المعاصرين فى حقل العقيدة ، ويعالج مشاكل العصر ، فإن هذا الكتاب سيقبل الزمن كله والمكان كله ؛ لأن هذه الحاجة وتلك المشاكل فى حقل العقيدة ، هى دائما حاجة كل الشعوب ، ومشاكل كل العصور : يضاف إلى هذه العلة : أن النسق الذى أراد به المؤلف محو آثار الماضى السوداء عن جبين الحاضر فى هذا الحقل ، قد دفعه إلى الحذر والأناة .. فى تعبيره وتصويره وأدائه ؛ وأن طبيعة الموضوع المقســـمة المطروقة ، ووحداته ... العديدة ، قد جعلت طريقة العرض لديه فى هذا الكتاب ، حسنة التكوين مقبولة . وهذان الأمران الأخيران ، لم يعرفهما كتاب له من قبل ، وهكذا نجح فى ذلك الكتاب الواقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، وسد به حاجة خاصة لدعوة اجتماعية فى الميادين الشعبية .

وكل ما نرجوه ، هو أن نشهد ذلك الكتاب ، مطبوعا بالملايين ، شائعاً بين الشعوب كلها ! . . عسى أن تعرف عقيدة الاسلام فى وضعها الطبيعى الفطرى ! . . وعسى أن تبصر حقائق التوحيد الإلهى .. والقضاء والقدر والجبر والاختيار . . والايمان والعمل .. والخطيئة والمتاب . . والخلود ؛ فتنجاب روائح الفساد السياسى والاجتماعى والنفسى .. ، ولعل الخطوة إلى ذلك : أن ندرســـه فى المرحلة الثانية من التعليم الأزهرى ، لنخرج طائفة تبصر جيلهـا بعقيدتها ، صحيحة خالية من الشوائب ، ومع هذا .. فسنظل ننتظر البحث المكتمل الشامل المبتكر .. فى حل العقيدة من الميدان الفكرى ، مبحثا لا يتقيد بموضوعات الماضين ، التى نمت مع الجدل والزمن ، بل يستغرق مسائل العقيـدة فى الكتـاب والسنة ، وآراء لا يكون فى غير فكرة الاسلام الكلية عن « الله : والكون والحياة والانسان » وحينئذ نرجو أن نتعرف إلى لب الاسلام كاملا غير منقوص إن شاء الله

محمد فياض



أخى الأستاذ محمود شاكر

صدقت والله ؛ إنى لم أقرأ ما كتبت فى (الملون) ولقد فهمت مما قرأت فى الرسالة أن الخلاف على دولة بنى أمية ، فقلت الكلمة التى لا أزال أراها حقا ، وأنا أعتذر إن كنت قد أخطأت الفهم ، أو أسرعت فى الحكم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

على الطنطاوى

العدالة الدولية :

من العجب ما قرأناه فى الصحف أخيراً أن أمريكا قررت الامتناع عن الاقتراع أثناء عرض المشكلة التونسية أمام مجلس الأمن ؛ حتى لا تغضب فرنسا ؟ ! ومعنى هذا أن أمريكا تريد أن تجامل فرنسا على حساب شعب عربى أبى ، يريد أن يتحرر من ربقة الاستعمار

إذن ما هى المهمة الحقيقية لمجلس الأمن ، إذا كانت أمريكا تخشى أن تغضب فرنسا .. أو تخشى إنجلترا أن تغضب أمريكا .. فتمتنع دولة عن الادلاء بصوتها ، وهى تشهد بعينيها — إن كان لهم أعين يبصرون بها أو قلوب يفقهون بها — مآسى الاستعمار تنزل بساحة شعب أعزل من كل سلاح إلا من سلاح الحق

ما هى المهمة الحقيقية لمجلس الأمن .. وكيف يؤدى هذا المجلس رسالته على وجه ترضاه العدالة .. والحال كما ترون .. أمة باغية لا يردعها رادع .. وأمة تجامل أمة على حساب شعب هضم حقه ، فلجأ إلى ساحة العدل الدولى ، يحمل فى يمينه مظلمته وشكواه ؟ ...

ولسنا نجهل الباعث الذى استجابت له أمريكا حين امتنعت من الاقتراع ، خشية أن تغضب فرنسا ..

فأمريكا لا تريد أن تغضب اليوم فرنسا ، لكيلا تغضب فرنسا أمريكا فى يوم من الأيام ! ..

فهل هذه هى العدالة الدولية ، التى حققها مجلس الأمن ؟ ! ..

عيسى متولى

الى أستاذى رئيس التحرير :

لماذا . . . لماذا . . .

لماذا .. لماذا تغاضيت عنى .. أما لاحتجابك عنى مدى
أفى كل يوم تدق الرسالة كفى ولكن يموت الصدى
فما أنت تسمع هذا النداء .. وما أنت ترحم تلك اليدا
وفيها من الدق جرح عميق — يزول بعطفك إما بدا
أتتركنى — يا أمير البيان — لنفسى ، لجرحى ، هنا منشدا
وما من سميع ، وما من مجيب إلى أن يلف حياتى الردى
ويمضى خيالى مع الهالكين — وشعرى أيذهب مثلى سدى

***

بربك تفسح صدر الرسالة . حتى أخط لنفسى ، الطريق
فكم أنت عيت نبتاً ضعيفا — بفضلك أصبح روضاً وريق
ورويته فاستوى عوده ، وغنى الحياة بلحن رقيق
أفاض على الكون عذب النشيد فأسكره بالشذا والرحيق
ولولاك ما كان إلا صدى خفوتا — يواريه صمت عميق
أتتركنى فى هجير الحياة وأنت أب — من قديم — شفيق
ويهمل شعرى فمن يا ترى بصدر الرسالة غيرى خليق

° ° °

ومن يا ترى سيغنى الجراح فيسكن فيها صراخ الألم
سوى شاعر يستلذ الدموع ويقتات من همه المحتدم
أغانيه ، ألحانه .. صورة ، لدنياه .. يرسمها .. بالقلم
يود يرى شعره .. دمعه .. يردده كل قلب وفم
فيفرح قبل اقتراب الرحيل وتطوى أغانيه كف العدم
إليك أقدم شكوى الضعيف : فأنت الخصيم وأنت الحكم
فإن شئت أسبغت حولى رضاك فألفيتنى صادحا فى القمم
وإن شئت قيدتنى فى السفوح . أغنى ، أغنى ، هنا ، للرمم

كيلانى حسن سند

(الرسالة) لعل فى نشر الشكوى إشكاء للشاعر الفاضل



من روائع الأدب الروسي

رثاء!...

للقصصي الروسي أنطون تشيكوف

في صبيحة يوم صباح مشرق مات «عضو التحكيم» (كيريل أفانوف بابيلونوف) صريع الداءين اللذين كثيراً ما أوديا بحياة الروس: إدمان الخمر وفظاظة الزوج... وكان الناس في شغل بتشييع موكب جنازته الذي كان في طريقه إلى القبر... إلا أن (بولافسكي) وهو صديق حميم للفقيد، أسرع فركب عربة أدت به إلى صديق له يدعى (زابوكين). ولزابوكين هذا قدرة على ارتجال الخطب فائقة، فهو يقولها أنى كان وحيثما يدعى، فلا تعوقه سنة ولا حمى ولا سكر عن ارتجالها... سواء أكان في مأتم يرثى، أو في حفل يلهج ويشيد، كانت الكلام تتدفق من فيه كالماء غزيراً سلسالا...

وكان هذا ما حدا ببولافسكي أن يسرع إليه، ولا سيما والخطب الذي ألم يحتاج إلى خطيب يعدد مناقب الراحل الفقيد كزابوكين... وقال بولافسكي لزابوكين حينما لقيه:

– إنني آت لأدعوك... فهيا يا صاح ارتد معطفك واتبعني. لقد مات اليوم أحد زملائي، وموكب جنازته في طريقه الآن إلى القبر. وليس لنا في مثل هذه الخطوب غيرك... ليس لنا من خطيب راث مفوه سواك... ثق يا صاح أنه لو كان الميت وضيعاً مركزه لما أزعجتك. ولكنه (الأمين)... فلا يليق بنا أن نوسده التراب دون مراث تلقى أو خطب تقال...

فتثاءب زابوكين وقال:

– الأمين؟ آه. أتعني ذلك السكير؟

– إنه هو.. ولكن لاتنس يا عزيزي أن مأدبة عشاء ستؤدب. وأجر العربة سيدفع، هيا يا صاح فاعلمك إلا أن تلقى بإحدى خطبك على القبر.. وستلمس بعينيك مدى إعجاب المشيعين بك وتقديرهم لك..

فأجاب (زابوكين) طلبه دون ما تردد ولا إحجام... وتكلف الحزن العميق تأهباً لما سيلقى. ثم قال لصاحبه: إنني أعرف (الأمين).. ذلك الوغد الزنيم.. عليه رحمة الله! وأدركا الموكب وقد بلغ المقابر، وحط النعش على الأرض، ووقفت أم الفقيد وزوجه وأختها تذرفان الدمع الهتون – تبعاً للعرف – وما إن أنزل النعش في القبر حتى أعولت زوجه وصاحت باكية: دعوني أرحل معه. إلا أنها لم ترحل معه؛ مع أن أحداً ممن حولها لم يحل دون ذلك. ولعل ما حال دون أن تشاركه رمسه ذلك الراتب التقاعدي الذي ستتناوله. أما (زابوكين) فقد

خطوط

نشرت الرسالة في عددها «٩٧٧» قصيدة بعنوان (خطوط) للأستاذ محمد مفتاح الفيتوري، فدفعني جمال شعره إلى إنعام النظر فيه، والتعقيب عليه بكلمة لا تفي بما يدور في القلب؛ ومن العلامات الرئيسية على مكانة الشعر في النفوس، ووقعه الجميل في القلوب، النقد البريء له وإبداء الرأي الصحيح فيه

يقول الشاعر في وصف الحصير العتيق:

حصير تقادم حتى يكا د يخضر يرجع عشباً نضير

وكل ما نعلم أن الحصير المتقادم يسود ويعفن إن كانت هناك رطوبة، كما هو شأن حصر الفقراء، وكيف يكاد يخضر ويعود إلى عشب نضير؟ ويسند في بيت آخر الإحراق إلى «معول» فيقول:

ويحرق معوله في تراب ليالية يحتفرا رمسه

ولا أستطيع أن أتصور – في حدود طاقتي التصويرية – إحراق «المعول» في التراب، إنما الذي أستطيع تصوره هو الهدم به، وإعماله والتدمير به

وختاماً أود أن تكون هذه الكلمة بداءة صداقة متبادلة بين شاعر رقيق وقارئ معجب بشاعريته

سورية **حنيف الحسني**

سكت حتى شمل الجمع السكون ، فأدار بصره فى الحاضرين وبدأ خطبته قائلا :

يا ترى أبصرى وسمعى صادقان ؟ ! أم أننى أشهد حلماً مرعباً يبدو لى فيه هذا الرمس المظلم الرحيب وهذا الحشد الباكى الحزين وا أسفاه ... إنها الحقيقة . فليس ما أراه حلماً ، وليست أبصارنا — ويا للأسف — بخادعة .. إن من كان حتى الأمس يفيض صحة ونشاطاً .. قد مات وورى التراب وأصبح ذكرى تستدر الدمع الساخن الغزير . لقد سلبه الردى منا ، وهو لا يزال فى عنفوان قوته وبهائه . . وأوج فتوته ونشاطه وإن يك متقدما فى السن .. أية خسارة منينا بها .. من ذا الذى يستطيع أن يحتل مكانه فى قلوب عارفيه .. لدينا أيها السادة كثير من الموظفين .. إلا أن (بروكوفى أوزبتش) كان جوهرة يتيمة فيما كان يزدهى به ويفخر . وكان أيها السادة — المثل الأعلى للرجل الكامل الرفيع بخلقه ، السامى بنفسيته . لقد كان العقيد يأبى الرشوة فلم يرتضها يوما . وكثيراً ما كان يبدى مقته واحتقاره لمن كان يلح عليه فى أخذها وتقبلها . لقد كان يرفضها كل الرفض ويزدرى ضعاف النفوس ممن كانوا على نقيضه . كما لا أظنكم تجهلون أنه كان يهب راتبه القانه على مشهد منا لزملائه المعوزين وها أنتم الآن تسمعون بآذانكم نحيب الأرامل والأيامى اللائى كن يعشن من فيض إحسانه . لقد ذهب ذلك الذى وهب حياته للبر ، ونذر نفسه للخير ، وإنكم لا تعلمون بلا شك — أيها السادة — أنه كان أعزب ولم يزل كذلك حتى وسد التراب ... إننى لأتصوره الآن بوجهه المشرق الحليق وبسماته الحالمة العذاب، ويخيل إلى أننى أكاد أسمع صوته الرؤوف الذى كان يفيض حنانا ويقطر رقة وإخلاصا . فإلى رحمة الله يا (بروكوفى أوزبتش) ... إلى الجنان الخوالد أيها العزيز .. وداعاً أيها الراحل الكريم ..

وكان الخطيب مبدعا حقا فى إلقائه فأحرز بهـا إعجاب السامعين .. إلا أن العارفين منهم بالميت أدهشهم مما قاله أشياء . ذلك أنهم لم يفقهوا علة ذكر الخطيب اسم الميت على أنه (بروكوفى أوزبتش) مع أنه كان (كيريل أفانوفتش) . وثانيا أن الكل كان لا يجهل أن الميت قضى حياته فى تعكير صفو حياة زوجه ، فكيف يقول الخطيب إنه كان أعزب ؟ وأخيرا لقد كانت للميت لحية حمراء كثة ولم يك بحالقها .. فلماذا يصفه الخطيب بأنه كان حليقها ؟! .. واشتد عجب السامعين وتبادلوا الهمس والنظرات .. وهزوا أكتافهم ساخرين

وتابع الخطيب كلامه : « إى (بروكوفى أوزبتش) لقد كان وجهك شاحبا مرعبا .. إلا أننا كنا نعرف أن وراء ذلك قلبا طاهرا نبيلا ونفسا كريمة » . وما لبث السامعون أن لحظوا على الخطيب دهشة بلغت حد الذهول . فقد اتجه بصره إلى ركن من الحشد ، ثم التفت إلى بولافسكى زائغ البصر ، وقال بصوت متهدج : إنه حى !

— من تعنى ؟ !

— بروكوفى أوزبتش . إننى أراه واقفا عند القبر !

— ومن قال لك إنه الميت . ؟ إن الذى مات هو (كيريل إيفانوفتش) أيها الأبله ..

— ولكنك قلت لى إن (الأمين) قد مات

— لقد كان (كيريل أفانوفتش) أمينا أيها الأحمق .. لقد حل محل (بركوفى أوزبتش) بعد أن نقل هذا ككاتب فى مستهل العام المنصرم

— أنى لى أن أعرف هذا ولم يسبق لى به علم ؟ !

فأدار زابوكين وجهه شطر القبر وواصل رثاءه وعينا (بروكوفى أوزبتش) عالقتان به تحدقان فى حنق وغضب .. وما إن انتهى من الدفن وعاد المشيعون حتى أخذ زملاء (زابوكين) يلغطون ... لقد دفنت رجلا حيا ... وأسرع (بروكوفى أوزبتش) إلى الراثى حانقاً ساخطاً : لا بأس أيها الغبى الأحمق بخطبتك إذا كانت رثاء لميت .. أما أن ترثينى وما زلت حيا فإنها سخرية بى بليغة وتهكما بخالق فظيعا ... لقد قلت إننى لم أقبل الرشوة ولست بذى أغراض ومنافع .. ومثل هذا القول لا يقال عن موظف حى إلا بقصد إدانته واتهامه ... لم يطلب منك أحد أن تصف وجهى المخيف المرعب ... إنها إهانة فظيعة سوف ترى منى العقاب عليها »

ف . ع

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات المصلحة ومطبوعاتها

أنشروا إعلاناتكم بأسعار غاية في الاعتدال في محطات السكك الحديدية حيث أعدت بها أظهر الأماكن وأحسنها لعرض الاعلانات

وكذلك في المطبوعات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل القطر وخارجه

ولزيادة الاستعلام خابروا :—

قلم النشر والاعلان بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٩٨٢ — ٢١ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

لابد للإسلام من مؤتمر ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٤٦١

حسن البنا الرجل القرآني : « أنور الجندي ٤٦٢

كلمة أخرى ... ... : « علي الطنطاوي ٤٦٤

بحث في الموسيقى الشرقية : « نقولا الحداد ٤٦٦

المجتمع التقدمي ... ... : للدكتور قسطنطين زريق ٤٦٩

من الشعر السوداني الحديث : للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري ٤٧٣

محمد إقبال ... ... : « صلاح الدين خورشيد ... ٤٧٧

رسالة الأدب بين الاصفهاني والثعالبي ... ... « حامد حفني داود ٤٧٩

عدي بن زيد العبادي ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ... ٤٨١

في انتظار الصباح (قصيدة) : « أحمد أحمد العجمي ٤٨٤

ياشعر ... ... (قصيدة) : للأديب كيلاني حسن سند ٤٨٤

(البريد الأدبي) — مأساة عربية — تصويب أخطاء — لسان العرب بين ابن سينا وابن منظور — العيد الألفي للجامع الأزهر — لغة الشاشة — كاف التشبيه ... ٤٨٥

(القصص) — الباب المفتوح — للكاتب الانجليزي الكبير «الساقي» ٤٨٧

[illegible]

20 me. année No 982

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Le Caire 28 - 4 - 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٧١ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

لابد للاسلام من مؤتمر

ذلك عنوان مقال كتبته فى مارس من عام ١٩٤٢ ، ونار الحرب العالمية الاستعمارية تتسعر فى مواطن الإسلام وأقطار العروبة ، والمسلمون والعرب يصلونها ولارأى لهم فيها ، ولارجية لهم منها ؛ وإنما كانوا ومازالوا كعبيد الأرض ، يملكهم من يملكها ، ويستغلهم من يستغلها

أهبت فى تلك الكلمة برجال الدين — وهم المسئولون الأولون عن تنبيه المشاعر وتوجيه القلوب — أن يكون لهم ماللمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من مؤتمرات تعقد العام بعد العام فى الدولة بعد الدولة . وذكرتهم أن الله قد فرض على المسلمين مؤتمرا سنويا بمكة حين فرض عليهم الحج ؛ لأنى لا أعلم لحج البيت وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة ، حكمة أسمى من اجتماع المسلمين من فجاج الأرض وآفاقها فى وقت واحد، على صعيد واحد، ليتذاكروا فى أمور دينهم ، ويتشاوروا فى شؤون دنياهم . ولقد قلت فيما قلت : « لابد للاسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأى فى أهله ، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ماغشيه من أساطير القرون وأضاليل النحل ، ويجلوه للناس كما كان ، صالحا للحياة ، كافلا للفوز ، ضامنا للسعادة . وليس مما نطمع فيه أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ؛ فإن الزلزلة التى لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل المقبل والسدود من دونه ؛ ولكنا نطمع أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيئوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السلم وتحلق زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم ، واختيار النظام الملائم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله ، خالصا كما أوحاه ، صافيا كما أنزله . نعم لابد للاسلام من مؤتمر يقيم بين البهرج والصحيح حدا من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب الضال . ولكن ليت شعرى من الذى يفكر فى هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟ لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلعاب الشمس ؟ إن علماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم ينذروا ، أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينبهوا المخطئ ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق »

ذلك بعض ما قلناه منذ عشر سنين فى هذا المعنى فلم يستجب له اليوم غير الباكستان ! والباكستان مشرق من مشارق الشمس سيسطع فيه الإسلام من جديد ، فتعشو على أضوائه الهادية أمة السلام والتوحيد !

احمد حسن الزيات

حسن البنا

الرجل القرآني

للأستاذ أنور الجندي

« أشهد أنني لم أغير شيئا من « روح » كتابات « روبيرجا كون » — الكاتب الأمريكي لذى التقى بالمغفور له الأستاذ حسن البنا سنة ١٩٤٦ واجتمع به طويلا — ولكني أخذت (معالم) كتاباته وملاحظاته وخطوط بحثه ، كما أرسلها إلى صديق يطلب العلم في (واشنطون) ، وأضفيت عليها من الأسلوب الأدبي ما يجعلها قريبة من مستوى (الرسالة) « ا . ج »

لم أكن أظن أن الوقت قد حان بعد للكتابة عن رجل هز تاريخ مصر والشرق الحديث هزة قوية ، تركت فيه آثارا حية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها أو النض من قدرها ، هي تلاميذه وحواريوه الذين لا يزالون على درجة من القوة والفاعلية

كنت أظن أن أمر هذا الرجل سيظل إلى وقت ما مبهما ، يراه بعض الناس قديسا من القديسين ، ويراه غيرهم طاغية من الطغاة ؛ ولكن الحوادث في مصر قد أسرعت فأعادت إلى « الإخوان » مظهرهم الذي تجلى في صورة من القوة ، أعادت إلى الأذهان أثرهم المعروف في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية في مصر

وقد اختلف الناس في أمر كل « عظيم » وعبقري ونابغة ، ولم يجتمعوا على رأي فيه مادام حيا ، ولكن الموت يحسم الأمر دائما ، ويصرف عن صدور الناس أوهامها ويردها إلى شيء من الحق ، فتحكم متجردة من الهوى

وكان ضروريا أن يختلف الناس في هذا الرجل ، وكان حتما أن تفيض بعض النفوس بضروب من الحقد والحسد نحو رجل استطاع أن يجمع حوله الناس ، وأن يؤالف بين طائفة ضخمة من الأتباع ، بسحر حديثه ، وجمال منطقه ، وروعة بيانه ، فتنصرف هذه المجموعة الضخمة من حول الأحزاب ، والجماعات ، والفرق الصوفية ، وتنضوي تحت لوائه ، وتطمئن له وتثق به

كان هذا مثار حسد الناس ، ومثار حقد بعض ذوي الرأي ، وكان خليقا بهم أن ينقموا وأن يحسدوا هذا الرجل المتجرد ، الفقير ، على أنه استطاع أن يجمع الناس إليه بوسائل غاية في البساطة واليسر ، وهي لباقته وحسن حديثه .. فيرفعهم فوق المطامع المادية ، التي يجتمع عليها الناس عادة

وكان طبيعيا أن يتنكر له بعض الناس ، وأن يذيعوا عنه بعض المرجفات ، فليس أشد وقعا في نفوسهم من أن يسلبهم أحد سلطانا كان لهم . وليس أبعد أثرا في نفوسهم أن يجيء رجل من صميم الشعب ليجمع الناس حوله باسم القرآن ، ويقول لهم إن الله قد سوى بين الناس بالحق ، وجعل فضيلتهم عنده على أساس العمل والتقوى

خيل إلى بعد أن انطوت حياة الرجل على هذه الصورة العجيبة ، وثار حولها ذلك الغبار الكثيف ، أن وقتا طويلا يجب أن يمر قبل أن يقول التاريخ الحق كلمته ، ويروي المؤرخ النزيه قصته

غير أن الظروف السياسية في مصر سرعان ما تغيرت ، وأمكن أن يكشف التحقيق في بعض القضايا بطلان كثير مما وصمت به دعوة الإخوان من ادعاءات ، وأن يبرأ جانب هذا الرجل بالذات فيبدو نقيا طاهرا

وكنت قد التقيت بالرجل في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، ثم عدت إلى القاهرة مرة أخرى سنة ١٩٤٩ بعد أن قضى ، وحاولت أن أتصل ببعض الدوائر التي تعرفه فسمعت الكثير مما صدق نظرتي الأولى إليه

فقد علمت أنه كان في أيامه الأخيرة يحس بالموت ، وكان الكثير من محبيه ينصحه بالهجرة أو الفرار ، أو اللياذ بتقية أو خفية ؛ فكان يبتسم للذين يقصون عليه هذه القصة وينشد لهم شعرا قديما :

أى يومى من الموت أفر يوم لا قدر أم يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ومن المقدور لاينجو الحذر

وكان لايني لحظة عن محاولة استخلاص أنصاره من الأسر ، وكان يبلغ به الأمر مبلغه ، فيستيقظ فى الليـل ، ويضع كلتـا يديه على أذنيه ، ويقول : إننى أسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم فى المعتقلات

***

إن تاريخ جهاد « الرجل القرآنى » طويل . . ولـكن أخصب سنواته أيام الحرب . . منذ أن خرج من المعتقل عام ١٩٣٩ ، فى هذا الوقت الذى شغلت الحرب الدنيا جميعها ، عن الأحزاب ، وعن السياسة ، وعن كل شئ ، كان الرجل لاينام ، كان يسعى ويطوف ويذهب إلى كل قرية وكل نجع وكل دسكرة يفتش عن الشباب ، ويحدث الشيوخ ، ويتصل بالعظماء والعلماء ، ويوما بهر الوزراء ، وأعلن بعضهم الانضمام إلى لوائه الخفاق ، وجيشه الجرار

وحاول الإنجليز أن يقدموا عروضا سخية . . فرفضها الرجل فى إباء . ونامت الأحزاب فى انتظـار الهدنة ، وظـل الرجل الحديدى الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولا يجهد ، كأنما صيغت أعصابه من فولاذ

لقـد كان يحب فكرته حبـا يفوق الوصف ، ولم يكن فى صدره شئ يزحم هذه الدعوة . كان يعشق فكرته كأنمـا هى حسناء ! لا يجهده السهر ، ولا يتعبه السفر ، وقـد أوتى ذلك العقل العجيب ، الذى يصرف الأمور فى يسر ، ويقضى فى المشاكل بسرعة ، ويفضهـا فى بساطة ، ويذهب عنهـا التعقيد

كان لا يحتاج إلى الإسهاب ليفهم أى أمر ، كأنمـا لديه أطراف كل أمر ، فـا أن تلق إليه أوائل الـكلمات حتى يفهم ما تريد ، بل أحيانا كان يجهر بما تريد أن تقول له ، ويفتق لك فيما تريد أن تسأل عنه

كان نفاذ البصيرة ، نفادها ، يرى ما وراء الأشباح ، فيه من ذلك السر الإلهى الصادق قبس

كان يلتهـم كل شئ ، لا يجد علمـا ولا فكرا ولا نظرية جديدة فى القانون ، أو الاجتماع أو السيـاسة أو الأدب ، لم يقرأها ولم يلم بها ، ولم يحاول أن يفيد منها لدعوته وفكرته

ولم تكن هناك دعوة ولا نزعة ولا رسالة ، مما عرف العالم فى الشرق أو فى الغرب ، فى القديم أو فى الحديث . . لم يبحثهـا أو يقرأها أو يدرس أبطالها ، وحظوظهم من النجاح أو الفشل ، أو يحمل منها ما يصلح لتجاريبه وأعماله

كان يقول كل شئ ، ولا تحس أنه جرح أو أساء . . وكان يوجه النقد فى ثوب الرواية أو المثـل ، وكان يضـع الخطوط ويترك لأتباعه التفاصيل

كان قديرا على أن يحدث كلا بلغتـه وفى ميـدانه وعلى طريقته ، وفى حدود هواه ، وعلى الوتر الذى يحس به ، وعلى « الجرح » الذى يثيره

ويعرف لغات الأزهريين والجامعيين والأطباء والمهندسين والصوفية وأهل السنة ، ويعرف لهجات الأقاليم فى الدلتا وفى الصحراء وفى مصر الوسطى والعليـا ، وتقاليدها ، بـل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات ، وأهالى بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة ، وكان فى أحاديثه إليهم يروى لهم من القصص ما يتفق مع ذوقهم وفهمهم

بل كان يعرف لغة اللصوص وقاطعى الطرق والقتلة ، وقد ألقى إليهم مرة حديثا

وهو يستمد موضوع حديثه — أثناء سياحاته فى الأقاليم وفى كل بلد — من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها ، ويربطه فى لباقة مع دعوته ومعالمها الـكبرى ، فيجئ كلامه محببا . . يأخذ بالألباب

كان يقول للفلاحين فى الريف « عندنا زرعتان . . إحداهما سريعة النماء كالقثاء ، والأخرى طويلة كالقطن »

لم يعتمد يوما على الخطابة ، ولا تهويشها ولا إثارة العواطف على طريقة الصياح والهياج . . ولـكنه يعتمـد على الحقائق ،

وهو يستثير العاطفة بإقناع العقل، ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ، وبالهدوء لا بالثورة، وبالحجة لا بالتهويش.

وبعد «الحديث» عند بعض الناس آيته الكبرى، غير أني علمت من بعض المتصلين به .. أنها آخر مواهبه، فقد كان أبلغ مواهبه القدرة على الإقناع، وكسب «الفرد» بعد «الفرد» فيربطه به برباط لا ينفصم، فيراه صاحبه صديقا خاصا، وتقوم بينه وبين كل فرد يعرفه صداقة خاصة خالصة، يكون معها في بعض الأحيان مناجاة، وتنتقل بالتعرف على شؤون الوظيفة والعمل والأسرة والأطفال

وهذه أقوى مظاهر عظمته، فهو قد كسب هؤلاء الأتباع فردا فردا، وأصاب منابع أرواحهم هدفا هدفا، وإن لم يكسبها جملة ولا على صفة جماعية، وقد استطاع بحصافته وقوته وجبروته أن ينقلها من عقائدها وأفكارها، سواء أكانت سياسية أم دينية، إلى مذهبه وفكرته .. فتنسى ذلك الماضي، بل وتستغفر الله عنه، وتراه كأنما كان إثما أو خطأ

ومن أبرز أعمال هذا الرجل، أنه جعل حب الوطن جزءاً من العاطفة الروحية فأعلى قدر الوطن وأعز قيمة الحرية، وجعل ما بين الغني والفقير حقا وليس إحسانا، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاونا وليس سيادة، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطا

وتلك من توجيهات القرآن، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل

(يتبع) **أنور الجندي**

كلمة أخرى

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي الأستاذ عبد الجواد رمضان

ما تشرفت بمعرفة شخصك، ولكن تشرفت بتلاوة فضلك الذي يدل على فضلك ونبلك، وأنا أعترف يا أستاذي أني لم أقرأ مقالات أخي الأديب الضليع الأستاذ محمود شاكر في (المسلمون) ولم أطلع إلا على الجزء الأول من هذه المجلة، ولست مشتركا فيها (مع الأسف)، ولا تباع في مكتبات دمشق فأراها، ولا أقول بذم أحد من الصحابة فضلا عن القول بكفره والعياذ بالله أو نفي الإسلام عنه، ولا أنتقص بني أمية أقدارهم ولا أسلبهم فضائلهم، ولئن كنت كتبت مقالة في تمجيد بني أمية بالحق، لأكتبن مقالة في نقدهم بالحق. وما بنو أمية ولا غير بني أمية، ولا شيء في الدنيا إلا وفيه ما يمدح وما يذم، والكمال المطلق لله وحده، والعصمة للأنبياء. ولقد قال مثل مقالتي رجل فأنكرها عليه، ثم قبلها منه — من هو خير مني ومنك، ومن أهل الأرض: محمد رسول الله، حين قال له الرجل: يارسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت

فقال الرسول صلوات الله عليه: إن من البيان لسحرا

فليس يرد على ما أوردته من فضل معاوية ومناقبه، ولست أنكره، ولكن قل لي: هل تنكر أنت أن معاوية بشر يخطىء ويصيب؟ وهل تنكر أن الاسلام حجة على معاوية، ومعاوية ليس حجة على الاسلام؟

فما حكم الاسلام في البدعة التي ابتدعها معاوية؟

هذا هو موضوع الكلام

° ° °

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف، واستخلف أبو بكر، وتركها عمر لمجلس الستة، كل هذا معروف ولكن هل نال عمر الخلافة بعهد أبي بكر؟

لا يا أستاذ. وهذه الأخبار استقصيتها في كتابي (أبو بكر) وكتابي (عمر) وقد جمعت فيه ما تفرق من سيرة عمر في سبعين ومئة كتاب، وعزوت كل جملة فيه إلى مصدرها، والأخبار كلها على أن أبا بكر لما أحس الموت أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم، فتركوا ذلك إليه، فاختار لهم عمر وعرض ذلك

عليهم فقبلوا به ، فلما مات بايعوه فصار خليفة بالبيعة ، أى بالانتخاب الحر ، لا بالعهد ، وكذلك كان عثمان بن عفان خليفة من بعده بالبيعة . إن الاسلام لم يحدد أسلوب الحكم ، وترك ذلك لرأى الأمة ، ولكنه وضع أساساً لا يمكن إقامة الأمر إلا عليه ، وهو الشورى والانتخاب الحر ، فإذا انتخبت الأمة رجلا وبايعته حرم الخروج عليه ، ومنازعته الأمر ، لئلا تعم الفوضى ، والفوضى أكبر ضرراً على الأمة من الاستبداد

ومعاوية جاء ببدعتين :

الأولى : أنه انصرف عما وضع فى عنقه من أمانة الحكم ، والنظر لمصلحة الأمة ، إلى تمهيد الأمر لابنه يزيد من بعده ، جمع لذلك فكره ، وسخر لذلك ماله وسلطانه ، فصارت سنة من بعده ، أدت إلى إضاعة أمر المسلمين بانصراف الخليفة عنه إلى أمر ولده ، وإلى تولية من لا يصلح للولاية

الثانية : أنه حول الانتخاب الاسلامى الحر الصحيح إلى نوع من الترغيب والترهيب والتدخل ، ولو أن المسلمين كانوا أحراراً فى انتخاب من يخلف معاوية ما انتخبوا يزيد ، ولا يخلو من فضائل . ولكن هل كان يزيد أتقى الناس ؟ أو هل كان أعلم الناس ؟ أو هل كان أحق الناس بالخلافة ؟

وهل سار يزيد بالدولة سيرة أبى بكر وعمر ؟ أم أظهر المحرمات ، وجرأ الناس على الباطل ؟ ومن أطلق لسان الأخطل الشاعر النصرانى فى أنصار رسول الله إلا يزيد ؟ من فعل بالمدينة مالا تفعله الروم والمغول إلا يزيد ؟

إنه إذا قيل عن الأسود أبيض ، يقال عن الأبيض لا محالة أسود . فإذا كانت حكومة يزيد وأمثاله حكومة إسلامية ، فإن حكومة عمر لا تكون إسلامية ، لأنهما متناقضان مختلفان

وإذا كان عهد معاوية إلى يزيد من الإسلام ، فإن صرف عمر الأمر عن عبد الله ليس من الإسلام . هذا إن كانا متشابهين متكافئين ، فكيف وهذا يزيد ، وذاك عبد الله !

* * *

وأنت تذكر يا أستاذ أن الذى قال عن معاوية ، لقد جعل الأمر كسرويا قيصريا ليس على الطنطاوى ! وأنت تعلم يا أستاذ رأى عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين فى أهله من بنى أمية ، وفى حكمهم ، وفى الحجاج وأمثاله خاصة !

وأنا أشكر لك نصحك الناس ألا يلوثوا ألسنتهم بدماء القوم ، وأنا أول من يسمع هذا النصح ، وما بى والله عداوة الأمويين ، ولا محبة غيرهم ، ولكن المقام مقام الدفاع عن الاسلام ، ببيان حكمه فى حكم بنى أمية ، لئلا يحمل أحد سيرتهم على الدين فيقتدى بهم ، فيضل عن سبيل الحق

على الطنطاوى

بحث فى الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

الموسيقى: فلسفة وعلم وفن.. فهى إذن بنت الطبيعة والفكر والاجتماع، فلابدع أن يعنى بها الفلاسفة والعلماء وأصحاب الفن ويضعوا لها قواعد وقوانين، بل هى أولى من كل ظاهرة كونية للدرس والتقرير والاستنباط

والصوت منذ القديم من قبل التاريخ مستند الإنسان فى التعبير عن عواطفه وميوله وآماله . هو أصدق آلة للتعبير . فبالأحرى أن تكون الأنغام والألحان أداة لتفسير ما يطرأ على النفس من شعور داخلى . ولا بدع أن يتصدى علامة فى الأنغام لشرح القوانين الموسيقية من جميع نواحيها ، ويبحث البحث الفلسفى فى شؤونها ، ويدرس الدرس الفنى للأنغام والألحان والتطاريب

لابدع أن يتصدى لهذا البحث العلامة الأستاذ ميخائيل خليل الله ويردى فيؤلف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية فى أسرار الفن العربى . ولعله من قبيل التواضع لم يقل فلسفة الموسيقى الشرقية والغربية على الإطلاق وكل ما يمت للموسيقى بسبب . وقد ملأ فى هذا البحث نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وتواردت إليه رسائل من كبار العلماء وكبار الساسة وكبار الكهنوت من أمم مختلفة من الشرق والغرب مثنين على كتابه . وكان أهم هذه الرسائل رسالة من العلامة العظيم جوليان هكسلى مدير مؤسسة اليونسكو العالمية يشكر له فيها مجهوده البالغ فى إخراج هذا الكتاب الفذ ، ويعده فيها أنه متى بلغ مشروع اليونسكو أشده سيعمل على ترجمة كتابه هذا إلى اللغة الأكثر شيوعا لكى تكون فوائده واسعة النطاق

وقد رد المسيو جيم توريس جوده المدير العام لمنظمة اليونسكو على كتاب المؤلف المصحوب بنسخة من الكتاب الذى نحن بصدده وعلى نسخ من محاضراته عن الموسيقى فى بناء السلام العام يبلغه فى رده أن المؤسسة العالمية لليونسكو مهتمة الاهتمام التام الذى أثاره عمله لديها . وقد رشح الأستاذ خليل الله ويردى لجائزة نوبل ، واهتمت هذه المؤسسة بهذا العمل الجليل ، ووعدت بالالتفات الذى يستحقه عمله ، وهى ترى أن ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية يسهل عمل الحكمين . وحبذا لو تصدى أحد الأدباء للترجمة وخابر الأستاذ خليل المؤلف فى هذا الشأن واتفق معه على الترجمة . ولا ريب أن ترشيح اليونسكو للمؤلف لدى منظمة نوبل هى خطوة شريفة قد تؤدى إلى الحصول على الجائزة التى ليست مقصودة بالذات من عرض الكتاب على المؤسسة؛ بل المقصود هو الحصول على هذا الشرف الكبير الذى سيتمتع به العالم العربى كله

الموسيقى العالمية

بحث الأستاذ خليل الله ويردى فى الموسيقى عند جميع الأمم الغربية والشرقية الدنيا والشرقية القصوى . وطرق الموضوع من جميع أبوابه ولم يترك فيه شاردة ولا واردة . وأسهب جدا فى السلالم الموسيقية على اختلاف أنواعها وأوطانها ، لأن السلالم هى نوى الموسيقيات وهى ينبوع الألحان وروح التطاريب والطرب

السلم الموسيقى (أو الموسيقية) ليست غريزة طبيعية فى أصل هذا الفن البديع الجميل، بل هى نزعة وطنية أو إقليمية . وليست من حتميات الطبيعة، إلا أن للسلم طرفين : قراراً وجواباً ، وكل منهما ضدى للآخر . هذا ومن سنن الطبيعة أن يكون بين القرار والجواب تجاوب أو اتفاق فى الاهتزازات الهوائية الصوتية بحيث يكون الثانى مضاعف الأول فى عدد الاهتزازات ، وبين الطرفين سلم يتدرج فى نغمات يسميها بعض الموسيقيين مقامات . ويمكن أن يصعد السلم من جواب لجواب أعلى فيصبح الجواب الأول قراراً للجواب الأعلى وهكذا دواليك . فيترقى السلم إلى سلالم متوالية كل منها جواب لما تحته وقرار لما فوقه . وقد ينتج من هذا الارتقاء سبع سلالم على الأقل كما هو الأمر فى البيانو الاعتيادى

ويختلف النغمات أو المقامات باختلاف ذبذبات الوتر أو اهتزازاته ، أو اهتزازات عمود الهواء المنفوخ فى القصبة أو أية أنبوبة موسيقية حين تعزف أو تنقر . والشيء الطبيعى فى درجات السلالم هو أن ذبذبات أية درجة هى مضاعف ذبذبات الدرجة التى تقابلها فى السلم الذى تحته . وفى جميع الموسيقيات المعروفة فى الغرب والشرق السلم ذو السبع درجات الأصلية، وقد يتفرع منها أجزاء درجات كأنصاف وأرباع وأثمان و١/٣٢ كما سيأتى بيانه . وللغناء عند القبائل الهمجية سلالم بسيطة جداً قد لا تبلغ سبع درجات حتى ولا أربع درجات . والله أعلم

ولا أدرى إن كان تقسيم السلم إلى سبع درجات تقسيما طبيعيا . ولعله طبيعى لأن للنور سلالم موجية على مثال السلالم الموسيقية ، وكل سلم نورانى هو جواب لما تحته وقرار لما فوقه إذا شبهت هذا بذاك . لأن فى الطبيعة إشعاعا كهرطيسيا ذا تموجات مختلفة الطول والمدد فى الوقت . وهى تموجات أثيرية على حد تموجات الهواء الصوتية والموجات الكهرطيسية طبقات ؛ وكل طبقة هي مضاعف الطابقة التى تحتها فى الموجات

ولنا أن نسمى كل طبقة كهرطيسية سلما كالسلم الموسيقى . وفى الطبيعة ستون سلما كهرطيسيا . ولكننا لا نرى منها إلا سلما واحداً هو سلم النور فقط والباقية اكتشفناها بالآلات المختلفة . ولا نعرف سلم النور إلا بألوانه الرئيسية السبعة من الأحمر (وهو الأسفل) والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى (وهو الأعلى) ، وموجاته هى ضعفا موجات الأحمر ، ولكن طول موجة الأحمر هى مضاعف طول موجة البنفسج ، ولهذا يسيران معا فى وقت واحد . على أننا لا نراهما إلا لونا واحداً هو الأبيض ، ولا نراه إلا منحلا إلى ألوانه السبعة إذا نفذ فى زجاجة الوشور أو فى قطرات قوس قزح . هذه الألوان السبعة ليست فى الموجات الاثيرية بل هى فى خليات أدمغتنا البصرية ، فالخلية التى تنفعل من ذبذبة إحدى الموجات تصدر اللون المطابق لها . ولا نرى ما فوق البنفسجى وما تحت الأحمر إلا بواسطة آلات بصرية ، كالنور الذى فوق البنفسجى، والنور الذى تحت الأحمر . وكذلك الأشعة السينية (أشعة رنتجن) . فبين الصوت والكهرطيسية تشابه غريب فى عدد الدرجات السبع . فى كليهما هذا العدد ٧ هو شيء طبيعى على الرغم من أن بين الدرجات سواء فى الصوت أو فى النور أجزاء درجات أخرى لا تحصى ، وهى سر تعدد الألوان كما هى سر تعدد الألحان ، ويظهر أن الذين اتفقوا على السبع درجات فى سلم صوتى أو نورانى رأوا أن هذا الرقم مقدس ، لأن الله خلق فيه العالم واستراح فى اليوم السابع

الانصاف والارباع

المعروف فى جميع الموسيقيات الغربية والشرقية أن للسلم سبع درجات يعتبرونها أصلية ، ويتفرع منها على قولهم أنصاف ، وفى الموسيقى العربية أرباع ، وربما أثمان أيضاً . وفى اليونانية ١/٣٢ . والحقيقة أن الدرجات ليست درجات متساوية ولا أنصافها حقيقية والأرباع كذلك . وإليك البيان :

اهتزازات الأنصاف

٥١ ٥٧ لا نصف لها ٦٨ ٧٦ ٨٢ لا نصف هنا

دو ري مي فا صول لا سي دو

اهتزازات السلم الأدنى ٢٤ ٢٧ ٣٠ ٣٢ ٣٦ ٤٠ ٤٥ ٤٨

» » الأعلى ٤٨ ٥٤ ٦٠ ٦٤ ٧٢ ٨٠ ٩٠ ٩٦

الفروق بين الدرجات الأصلية والأنصاف

٦ ٦ ٨ ١٠ ٦

فى الفلسفة الطبيعية Physies ذبذبات أو اهتزازات درجات السلم الأصلية منحطة إلى أسفل سلم الاهتزازات فى الثانية ، تتراوح الفروق بينها بين ٢ و ٥ كما رأيت فيما تقدم . وهو أمر يدلك على أن الدرجات غير متساوية فى الارتفاع والانخفاض وليست هى أنصافاً كما يزعمون . هذا السلم مدون فى جميع كتب الطبيعيات لأنه هو هو بعينه فى كتابين لمؤلفين أمريكيين مختلفين فى الناحية . ولا أظن كتب الطبيعيات فى أوروبا تختلف عنهما من هذا القبيل

هذا السلم هو أوطأ سلم يمكن أن يسمع . ولا أدرى إن كان ذا وقع موسيقى فى الأذن إذا عزف . ولكى نرى نصف الدرجة عدداً صحيحاً نزلنا إلى السلم الذى هو فوقه . ومعلوم أن اهتزازات درجات السلم الأعلى مضاعف اهتزازات درجات السلم

الأوطأ كما رأيت في الجدول هكذا ترى في البيانو مثلا ليس بين « مى » و « فا » إصبع أسود ولا ترى بين « مى » و « دو » الأخرى (الجواب) إصبع أسود، وأمابين بقية الأصابع الأخرى البيضاء أصابع سوداء وهى ما يسمونه أنصاف درجات وما هى أنصاف، كما ترى أن الفروق بين الدرجات الأصلية البيضاء ليست متساوية هى ٦ و ٤ و ٨ و ٨ و ١٠ و ٦ فى السلم كله، ولا أدرى كيف يعتبرونها أنصافا . على أن الذين يشدون أوتار البيانو أو يدوزنونها يعتمدون على السماع لأن أوتار أعصابهم السمعية تدوزنت على سلم البيانو أو السلم الأفرنكى

وكذلك الذين يدوزنون الآلات الوترية العربية ، العود والكمنجة والقانون ، يعتمدون على آذانهم كما يعتمدون عليها فى العزف من غير اعتماد على علامات (نوتات) ، وهى مهارة عجيبة مدهشة لأنهم يعزفون جميع الألحان من غير الاستعانة بنوتات . وجل ما يحتاجون إليه فى الدوزنة هو إما صفارة تصدر صوت نغم واحد يعتبرونه درجة (دو) ويجرون عليه فى ضبط سائر الدرجات اعتماداً على آذانهم أو يعتمدون على أداة معدنية ذات شعبتين فينقرون الشعبتين فتصدران صوتا يحسبونه درجة دو

وأما فى ضبط أبعاد الدرجات بعضها عن بعض (وأعنى ضبط اهتزازاتها) فقد اعتمد الموسيقيون العلماء على قياس الوتر المشدود بحسب طوله، فاعتبروا الوتر الذى طوله مترإذا عزف كان صوته دو . فإذا أمسك فى وسطه تماما كان صوت الذى يصدر من نصفه دو أخرى هى جواب لدو الأولى، ثم يقسم النصف إلى درجات حسب اصطلاحهم. وكان عند اليونان آلة لقياس الصوت تسمى مونوكورد أى ذات الوتر الواحد . ولا يخفى أن لمقدار الشد حسابا لأن الوتر كلما اشتد ارتفع صوته، لذلك ترى أن السلالم غير متماثلة إلا فى أن السلم الواحد هو قرار لما فوقه وجواب لما تحته على اعتبار أن اهتزازات الوتر فى السلم الواحد مضاعف اهتزازات السلم الآخر أو أنصاف الاهتزازات التى فوق السلم الآخر كما تقدم البيان

ولاستخراج عدد الذبذبات أو الاهتزازات فى كل درجة أو نصف درجة توجد آلة تسمى صونوميتر تسجل اهتزازات كل صوت . وقد استنبط الأستاذ وديع صبره (من بيروت) وكانت حرفته العزف على البيانو فى باريس مدة طويلة صونوميترا يسجل به اهتزازات الأصوات الموسيقية فى جميع درجاتها . وقد جاء به إلى مصر يوم كان المؤتمر الموسيقى منعقدا فيها . وكان غرضه أن يسجل به اهتزازات درجات السلالم العربية بجميع أنواعها وألحانها . ولا يخفى أن لكل لحن من الألحان العربية سلما خاصا ، كالرست أو الحجاز كار أو الصبا أو النهاوند إلى آخره كما سيأتى بيانه . ولا أدرى إن كان الأستاذ صبره قد نجح فى هذا المشروع

(للكلام صلة) نقولا الحداد

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القومي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

من هنا نشأ الخلل وعدم التوازن في كيان المدنية الحديثة : عدم التوازن بين الوسائل والغايات ، بين التقدم العلمي والتقدم الأدبي ، بين السلطة على البيئة والسلطة على النفس . هنا أصل العلل التي تعانيها هذه المدنية . هنا منشأ الأزمات الاقتصادية والهزات السياسية والمنازعات والحروب والأخطار التي تهدد عالمنا الحاضر بالهلاك والدمار

وهذا كله يظهر أنه لقدر التقدم الصحيح لا بد من مقياس آخر غير القياسين اللذين ذكرناهما : مقياس أهم وأشد خطورة وأصعب من سابقيه تحديدا وتعيينا . هو المقياس الخلقي الأدبي : هو مقدرة المجتمع عامة ، ومقدرة الأفراد الذين يؤلفونه ، على التغلب على الهوى والطمع والاستئثار ، هو احترامهم لكرامة الفرد وشخصية الإنسان

هذا التقدم الأدبي يظهر بمظاهر عدة : منها توفر الحرية السياسية والاجتماعية والفكرية وضمان العدل في القضاء وتساوي الناس في الفرص وما إلى ذلك من المبادئ التي جاهدت الشعوب بالثورات حينا وبالعمل المستمر حينا آخر لتحقيقها . وكل مرحلة من مراحل تطور البشرية تتميز بالجهاد في سبيل أحد هذه المبادئ . أما المبدأ الذي يشغل مرحلتنا الحاضرة ويملأ أجواء عالمنا دويا فهو العدل الاقتصادي فالاجتماعي : أي حسن توزيع الوسائل التي يهيئها لنا استثمار الطبيعة . لم تعد مشكلة البشرية عامة مشكلة الاستثمار بل مشكلة التوزيع . ولذا أصبح هذا المقياس الأدبي الذي نتحدث عنه أهم من حيث بقاء البشرية وتقدمها من المقياس الأول الذي بدأنا به

هذا العدل الاقتصادي والاجتماعي أصبح ، من حيث المبدأ ، أمرا مثبتا ، وإن اختلفت الشعوب في مقدار العزم على تحقيقه وفي اختيار الطريق المؤدية إليه . ولذلك غدا مفروضا علينا ، في تقديرنا تقدم مجتمع ما ، أن ننظر في الوسائل المادية التي يهيئها لأفراده ، ودرجة تساويهم في هذه الوسائل ، وبالتالي في الفرص المؤدية إلى تقدمهم المادي والعقلي والروحي . ولكن هذا القياس على أهميته ، لا يصلح أن يؤخذ وحده ؛ بل يجب أن يضم إليه مقدار الحرية السياسية والفكرية التي يتمتع بها الفرد في المجتمع . والصراع القائم بين قوتي العالم الجبارتين اليوم إنما هو صراع بين أولوية هذين المبدأين : الحرية الفردية والعدل الاجتماعي . وبقاء المدنية الحديثة وازدهارها منوطان بمقدرتهما على التوفيق بينهما والمحافظة على القيم التي ينطوي عليها كل منهما

ولعلنا نستطيع أن نجمعها وسواها من المقاييس الأدبية في مقياس واحد شامل هو : مبلغ احترام الشخصية الإنسانية ، أي الإقرار بأن لكل مواطن وكل إنسان شخصية لها حرمتها وكرامتها ، وأن أي افتئات على هذه الشخصية بحرمانها من حق سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي هو إهانة لها ووصمة في جبين المجتمع

نستطيع هنا أن نفصل هذا المبدأ الأساسي فنتكلم عن مختلف الوجوه التي يتمثل بها . نتكلم عن حرية الفرد السياسية والاجتماعية والفكرية وعن استقلال القضاء وضمان العدل للجميع . نتكلم عن الفلاح وتحريره من نير المشاعية والإقطاعية ، وعن العامل وضمانه من مساوئ الرأسمالية . يمكننا أن نوضح القضية النسائية ونبين العوائق التي يجب إزالتها من طريق المرأة والفرص التي يجب أن تفسح أمامها لتلعب دورها الخطير في حياة المجتمع . بوسعنا أن نلح على أهمية التعليم وضرورة نشره وعلى حماية الصحة العامة وتوفير الإمكانيات المادية والاجتماعية للمواطنين على السواء . كل قضية من هذه القضايا وأمثالها وجه من وجوه النهضة والتقدم ، وهي إذا تحققت بمجموعها كونت المجتمع التقدمي المنشود ، ولكنها كلها تنشأ من أصل واحد ، إن لم يتكون ويثبت ويعم ، كان الجهاد في سبيلها جهادا متفرقا متلاشيا . هذا الأصل هو احترام كرامة المواطن والإنسان وقدسية كيانه ، والعزم الوطيد على محاربة كل تعد على هذه الكرامة أو أي ظلم لها ، سياسيا كان أم اقتصاديا أم اجتماعيا أم فكريا ، من خارج المجتمع أو

من داخله

إن المجتمع التقدمي مجتمع منسجم يتساوى فيه المواطنون في الفرص ولا يستأثر فيه فرد أو فريق بحكم ولادة أو إرث أو جنس أو أي فارق عرضي آخر لأنهم كلهم متساوون في الجوهر: في مواطنيتهم وفي إنسانيتهم

إلى أي حد تنتشر هذه الفكرة في مجتمع ما؟ إلى أي عمق تنزل في نفوس أفراده؟ إلى أي مدى يسمون لتحقيقها عن طريق التعليم أو الجهد السياسي أو النشاط الاجتماعي أو العمل الثوري؟ إلى أي حد يعتبر المواطن أو الإنسان وسيلة للاستثمار، أو، بالعكس، غاية في ذاته وشخصية تفرض الاحترام وتستوجب التنمية والإغناء. هذا هو جوهر المقياس الأدبي، المقياس الأعم، خاصة في هذه المرحلة الحاضرة من تطور الإنسانية، نظرا للتقدم الذي حصل في ميدان الاستثمار وفي الميدان العلمي والذي يكاد ينقلب تأخرا، بل انحلالا ودمارا، نظرا للتأخر الواقع في المضمار الأخير

إن هذا العنصر الأخير — العنصر الأدبي — يختلف عن العنصرين السابقين في أن تقدمه ليس حتميا كما هو الحال فيهما، فقد تحدث نكسات في حياة الشعوب يخف فيها احترام الشخصية الإنسانية والإرادة لتوفير نموها وازدهارها. ولذا يحتاج هذه الشعوب إلى الالتفات إلى تاريخها لتتحسس مجددا تلك الهزات النفسية التي سمت بها فجعلتها تعي هذه المبادئ وتجاهد في سبيلها. تلك الأدوار في حياتها التي كانت فيها حقا تقدمية

وهنا تتجلى أمامنا مسألة طالما شغلت المفكرين والعاملين منا، وهي العلاقة بين النظرة التقدمية وبين التمسك بالكيان التاريخي والميراث القومي. والواقع أنه ليس ثمة تناقض أساسي بين الأمرين إذا ضبطا وفهما فهما صحيحا وكانت عند المختلفين حولهما الإرادة المكينة لرؤية الحق والسير على هداه. فالكيان التاريخي الإيجابي والميراث القومي الباقي هما نتيجة لنظرة كانت عند الأسلاف تقدمية. لقد كان العرب في إبان نهضتهم تقدميين، جابوا الآفاق البعيدة، وساروا إلى غاياتهم بلا خوف ولا وجل:

اقتحموا البلاد فاتحين وتجارا ورواداً ومصلحين، نظرهم ممدود أبدا إلى الأمام، فبنوا دولة شاسعة الأطراف وأنشأوا حكما خلده التاريخ. وعندما اتصلوا بالمدنيات الأخرى وتفتحت لهم من خلالها آفاق عقلية واسعة لم يتأخروا عن ارتيادها؛ فأنتجوا في ميادين العلم والفلسفة آثارا ليس هنا مجال تبيان ضخامتها وجلالها. وأهم من هذا وذاك وأبقى ارتيادهم للآفاق الروحية، وتطلعهم إلى القيم الخلقية والأدبية، وأثر هذا كله في حياتهم العملية وإنتاجهم الحضاري؛ هذا الاقتحام للميادين الطبيعية والعقلية والروحية هو باعث إبداعهم ومصدر عزمهم ومجدهم. فلما خبت جذوتهم ضاقت آفاقهم وتخلفوا في ميادين الإنتاج فغلبوا على أمرهم. أما تراثهم الباقي فهو نتيجة تلك الروح التقدمية التي ذكرنا. وإذا ما عدنا اليوم إليه فلنقتبس تلك الروح، فنبدع كما أبدعوا، ونخلف لأنفسنا ذكرا كما خلفوا

هذا النوع من الاستيحاء التاريخي لا يتعارض والنظرة التقدمية الحاضرة خصوصا إذا حققت هذه النظرة الشرط المتعلق بها، وهو أن نفهم التقدم بمعناه الواسع الشامل فلا تقف عند عناصره المادية والعلمية فحسب؛ بل تتناول أيضا العناصر الأدبية والروحية، تلك العناصر التي قلنا إنها أساسية في تقدير التقدم الصحيح والتي كثيرا ما نهملها أو نقلل من أهميتها التقدمية الحديثة

ينتج من هذا أن المجتمع التقدمي بالمعنى الشامل الصحيح لهذه الكلمة لا يحتاج لأن يقطع صلته بتراثه الباقي ما دام هذا التراث هو نفسه نتيجة لنظرة تقدمية وجهد تقدمي. بل بالعكس إن التقدمية الصحيحة والتاريخية الصحيحة نظرتان وسبيلان تتم الواحدة منهما الأخرى وتسندها وتقويها، وإنما الخلاف والتناقض بين التاريخية المتمسكة بما لم يكن في جوهره تقدميا، والتقدمية الثائرة على الماضي بكامله المستخفة بالقيم الأدبية. وفي كليهما خلل وفساد. ولذا كان لا بد من أن يتنافرا ويتنازعا. أما الحق فمن طبيعته أن يتصل بالحق ويبتهج بلقياه والانصهار فيه

ذكرت ثلاثة مقاييس رئيسية لتقدير تقدم مجتمع ما: سلطة المجتمع على الطبيعة، شيوع الروح العلمية، احترام الشخصية الإنسانية. هذه المقاييس قد تبدو في ظاهرها عامة

بسيطة لكنها ، فيما أرى ، المقاييس الأصلية التي يفرع عنها كل مقياس آخر . ولا تخدعنا بساطتها فالحق في جوهره في غاية البساطة

هذه المقاييس الثلاثة تتحد في النهاية في مقياس واحد شامل هو : الحرية . فاستثمار الطبيعة مؤداه تحرير المجتمع من سلطة المحيط الخارجي وبالتالي من الفقر والمرض . والتقدم العلمي جوهره تحرير المجتمع من الوهم والجهل . والتقدم الأدبي لا يتم إلا بالتحرير من الخوف والذل عند بعض طبقات المجتمع ومن الهوى والطمع عند الطبقات الأخرى . ولذا فالمقياس الشامل لتقدم مجتمع ما هو مقدار ما يوفر لأفراده من حرية : حرية من المحيط الطبيعي ومن المحيط البشري: الخارجي والداخلي . ومن الأمراض الداخلية : الوهم والجهل والهوى . والتقدم إنما يكون صحيحا إذا تناول هذه الوجوه كلها لأن أي خلل أو أي فقدان للتوازن بينها مدعاة للاضطراب ومجلبة للتدهور كما هو حال عالمنا اليوم

على أن الحرية لا تكون حقيقة ولا تؤدي مفهومها مالم يصحبها عنصر متمم لها هو : الانتظام . فالجهد العلمي ، سواء أكان عمليا تطبيقيا كاستثمار الطبيعة أو نظريا مجرداً كاكتشاف الحقيقة ، هو في الواقع انتظامي . ذلك أن العلم ، كما ذكرنا ، بناء متماسك في نتائجه وأسلوبه . وكذلك التقدم الأدبي : أنه يصدر عن انتظام النفس بضبط الأهواء والشهوات

ولما كان هذان المعنيان المتكاملان : الحرية والانتظام -- شأن كل صفة عقلية أو نفسية — لا يقومان إلا في شخصية إنسانية، فإن المقياس الأخير للمجتمع التقدمي هو مقدار مايتوفر فيه من شخصيات حرة منتظمة ، شخصيات قد تحررت من محيطها ومن نفسها وانتظمت قواها ومواهبها فكان في انتظامها هذا كمال حريتها

لقد رددنا في حديثنا لفظتي : التقدم ، والتقدمية . ولعلنا لم نميزهما تمييزاً كافيا . فالتقدم شيء موضوعي يقاس بالمقاييس العامة التي ذكرناها وبمقاييس أخرى تفصيلية متفرعة عنها. أما التقدمية فهي صفة داخلية في المجتمع تدفعه إلى السعي إلى التقدم وإلى تحقيق المعاني التي تتضمنها هذه المقاييس . وهي تنطوي على عناصر الرغبة والعزم والإرادة . فإذا لخصنا مقاييس التقدم بما يتحلى به المجتمع عن طريق الشخصيات المكونة فيه ، من تحرر وانتظام ، أمكننا أن نقدر التقدمية فيه بمبلغ ما له من تحفز وعزم وإرادة لاكتساب هذه القيم وإغنائها . هذا التطلع والتحفز ، هذا العزم والتصميم ، هذه الإرادة الدافعة ، هذه الهيئة النفسية المتجهة نحو القيم الإنسانية العليا التي يلخصها التحرر والانتظام : هذه هي جوهر التقدمية المنشودة

أرجو أن لا يفهم من قولي هذا أن التقدمية صفة زائدة على التحرر والانتظام وإنما هي نتيجة ملازمة لها . فالشخصية التي حققت هذين المعنيين المتكاملين هي شخصية تقدمية حتما . وكذلك المجتمع : إذ أن صفته — كما قلنا — هي خلاصة صفة الأفراد الذين يتألف منهم . وبعبارة أخرى أن هذه المعاني الثلاثة — في الأفراد والمجتمعات — هي واحدة في جوهرها . فالتحرر إذا تحقق فعلا كان هو نفسه انتظاماً فتقدمية

ويستنتج من هذا أن الشخصيات الحرة المنتظمة ليست هي نتيجة للتقدم ومقياساً له فحسب بل هي — بمعنى أهم — العامل المؤدي إليه . ولا شك في أنه من الصعب عند تشابك العناصر الاجتماعية وتفاعلها فيما بينها فصل النتائج عن الأسباب فصلا تاما حاسماً . فكل من نتيجة كانت بذاتها أيضاً سبباً لسواها بحيث يعسر تحديد أية من هاتين الصفتين تغلب عليها . وهذا هو أصل الخلاف الذي ما زال قائماً بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع ومملي التاريخ ، والذي نجد صداه الصاخب عندنا في نظريات الباحثين وجهود العاملين

ولما كان لا بد لكل باحث في هذا الموضوع من أن يبدي رأيه الصريح في هذه القضية الأساسية ، لأن منه تتفرع آراؤه في القضايا الاجتماعية عامة ، فوقتي الخاص هو أن العوامل الشخصية الإنسانية هي العوامل الأصيلة وما سواها هو إما عامل مساعد لها أو نتيجة عنها . لقد تكلمنا مثلا عن الآلة كسبب من أسباب التقدم لفعلها في استغلال الطبيعة وضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . ولكن الآلة هي نتيجة عمل العقل المتحرر المنتظم . نعم إنها تساعد في إزالة الموانع وتحطيم الحواجز

القائمة فى وجه تحرر العقل فهى من هذا القبيل عامل مساعد . ولكن العامل الأصيل هو العقل الانسانى ذاته بل الشخصية الانسانية المكتملة بتحررها فانتظامها فتقدميتها

وفى نظرى أن ما يحرزه مجتمعنا العربى من تقدم متوقف — فى الدرجة الأولى — على ما ينشأ ويعمل فيه من شخصيات متحررة منتظمة تقدمية فى ذاتها . ولا عجب فى هذا ! ففاقد الشئ لا يعطيه . عبثاً ننتظر إشاعة الحرية ممن لم يتحرر فى ذاته أولا . عبثا نتطلع إلى من لم ينتظم عقله وتنسجم قوى نفسه لأن يكون باعث انسجام وانتظام فى المجتمع . عبثا نرجو ممن يخشى المغامرة واقتحام آفاق العمل والعقل والروح أن يدفع بمجتمعه إلى الأمام

ولذا كان أخطر واجب علينا وأجسم عبء ملقى على عاتقنا تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع . ولا نكران أن للقوة والحياة والاندفاع مصادرها الأخرى، ولكن هنا — فى الشخصيات الحية الفاعلة ، المتحررة المحررة ، المنتظمة الناظمة — المصدر الأول والمبعث الرئيسى

وفى الواقع أن هذا الاعتقاد هو أساس إيماننا بأولية التعليم والجامعى منه بصفة خاصة ؛ فإنما بذلك ننشد مداواة العلة فى جذورها وتهيئة العامل الرئيسى للانبعاث والتقدم . وعلى هذا الشكل يجب أن تفهم مهمة الجامعة الأصيلة . إن للجامعة مهمات عدة على درجات متصاعدة من الخطورة والجلال . عليها تدريب شباب الأمة وإعدادهم للمهن الحرة . وليس من يستخف بهذه المهمة خصوصاً فى مجتمع كمجتمعنا يحتاج إلى إنشاء شامل وإلى عاملين أكفاء فى شتى نواحى الإنتاج : فى استثمار الطبيعة ، فى ضمان الصحة ، فى نشر التعليم . وقد بينا أثر هذه الأعمال كلها فى تقدم المجتمع والضرورة الملحة لتدعيم تعليمنا الفنى وتوسيعه . وللجامعة فوق هذا مهمة المحافظة على التراث العلمى الإيجابى ودرسه بالبحث والتحرى ونقله إلى الأجيال الصاعدة . وبهذا أيضا تساهم فى التقدم كحامية للعلم وخادمة للعقل . لكن مهمتها الكبرى ، مهمتها الأصيلة ، هى تكوين الشخصيات التى وصفنا ؛ تلك الشخصيات التى يؤمن بها الجامعى بأنها العامل الأهم فى التقدم والارتقاء

هذا كان لب الجامعات فى التاريخ وهذا فعلها فى نهضات الأمم ؛ فاليه يجب أن نوجه جهودنا فى جامعاتنا الوطنية

من هذا السبيل — وعنه وحده — تبرر الجامعة وجودها فى الوطن . عن هذا السبيل تساهم مساهمة أصيلة فى تكوين المجتمع العربى المستثمر إمكانياته، القابض على جوهر العلم المتعلق بالقيم الأدبية والروحية، الصائن كرامة المواطن والانسان، المجتمع العربى المتحرر ، المنتظم ، المجتمع العربى التقدمى الجامع بتقدميته هذه المعانى كلها

قسطنطين زريق

نظرات خاطفة

من الشعر السوداني الحديث

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أ كثر الأدباء اليوم أو المتأدبين والمتذوقين الأدب بصورة عامة منغمرون في السياسة، وتتبع الحوادث الدولية، وما يجري خلف كواليس الأمم الكبرى التي تريد أن تقرر مصير الشعوب والإنسانية بالحق والباطل، لذلك فهم بعيدون عن تتبع النشاط الفكري والحركات الأدبية في البلدان العربية والشرقية بصورة خاصة. ولعل لهم العذر، وقد يكون العذر واضحاً لعدم اطلاعهم على الصحف الأدبية التي تمثل النتاج الأدبي في تلك الأقطار من جهة؛ وانغماسهم في المادة وتفضيلهم صرف المال في سبيل البطن والكماليات من جهة أخرى. كأنما الكتابة ضرب من الجنون لا يجب على المتمدين مزاولته، فلهذه الأسباب أقول إن أكثر الأدباء والمتأدبين — إن لم أقل كلهم — لا يعرفون من الأدب السوداني الحديث — وخصوصاً الشعر منه — شيئاً، كما أنهم لا يدرون من هم أبطال النهضة الشعرية وروادها في هذا العصر — وعلى سبيل المثال أقول إن الكثرة الغالبة من أدباء العراق لم يسمعوا بشاعر الشباب السوداني التيجاني رحمه الله وهم حتى الآن لم يعرفوا أن له ديوانا موسوماً بـ (إشراقة) طبع مرتين فكيف بالأحياء — لهذا ولما كنت من المتتبعين للنهضات الفكرية الحديثة في البلدان العربية وخصوصا السودان المصري ولي مع أدبائهم وشعرائهم صلات أخوة كريمة وثيقة — أرجو أن لا تنفصم عراها الأيام — أحببت أن أقدم في هذه المجلة الخاطفة نماذج من الشعر السوداني الحديث على أن أتبع هذه المقدمة بأحاديث أخرى في المستقبل القريب إن شاء الله. وعليه توكلنا ومنه القوة والعزم

وأولى هذه النماذج هي لزعيم الشعر الإبداعي المرحوم التيجاني يوسف بشير (١)

ولد شاعرنا في أم درمان سنة ١٩١٢ م وهو أحمد التيجاني ابن يوسف بن بشير بن محمد بن الإمام جزري الكتيابي والكتياب بيت مشهور من بيوت السودان ممتاز بين قبائل الجمليين الذين عرفوا بالإقدام والسماحة، ولقب بالتيجاني تيمنا بالطريقة المعروفة، دفع وهو صغير إلى خلوة عمه الشيخ محمد القاضي الكتيابي لحفظ القرآن ومشى بعد ذلك في طريقه المرسوم إلى المعهد العلمي في أم درمان حتى تخرج منه ثم اتصل بالصحافة بعد استيعاب كثير من كتب الأدب القديم وكتب الصوفية والفلسفة؛ فشغلته هذه الدراسات عن نفسه حتى دب إليه الوهن فتوفي سنة ١٩٣٧ م. هذا هو مختصر حياة التيجاني، ولكن الذي يقرأ شعره يدرك أن السنوات القصيرة التي عاشها الشاعر ما ذهبت عبثا — وإن كانت عمر الورد — لأنها تركت لنا أنغاما عذبة يظل صداها يرن في سمع الكون مدى الزمان. وإليكم اللحن الأول

النائم المسحور (٢)

أيها النائم في مهد أغاني ولحني
هكذا يدفق يا ناعس في حسنك حسني
هكذا ينفذ سلطاني ويستهويك حزني
هكذا يهبط في عينيك ما تدمع عيني

* * *

أنت يا واهب ألحاني ويا ملهم فني
أنت فجرت لي اللحن ففيأنك أمني
إنما أصنع من كرمك صهبائي ودني
إنما أسحر عينيك بما تسحر مني
يا أماني التي أعبدها من كل لون
وأغاني التي ألهمها ملهم جن
والتي ذوبها الشاعر في الصوت الأغن
كلما طار بها العود وقراها المغني

* * *

١ — مقدمة ديوانه (إشراقة) ص ٢
٢ — ص ٧٨ الديوان نفسه

خفقت ذات جناحين : مدو ومرن
عبرت كل فؤاد وتمشت كل أذن
هكذا يدفق ياناعس فى حسنك حسنى
وكذا ينفذ سلطانى ويستهويك حزنى

ومن هنا يدرك القارئ الكريم أن الناحية الغنائية هى التى تطغى على شعره وهى التى تقتصر على التغنى بالخوالج النفسية والإحساسات الروحية الذاتية ، وهو شعر جميل فى حد ذاته وأكثره خالد ؛ لأن النفس تميل إلى الإشادة بمن يشرح آلامها ويعبر عن انفعالاتها كما يقول الدكتور إبراهيم فى خطبته التى ألقاها فى تأبينه ، ولا نريد أن ندع التيجانى دون أن نقدم له قطعة موسيقية أخرى من شعره الغنائى الذى أعده من أخلد الشعر وإن اختلفنا أنا والأستاذ عباس خضر فى هذا الصدد (٣) . ولنسمعه فى قصيدته المنشورة ص (٢٠) من الديوان تحت عنوان :

جمال وقلوب . . .

وعبدناك يا جمال وصغنا لك أنفاسنا هياما وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر نا ينابيعها لعينيك قربى
وسمونا بكل مافيك من ضعـــف جميل حتى استفاض وأربى
وحبوناك ما يزيدك بالعز وضوحا وأنت تفتنا صعبا
وذهبنا بما يفسر معنا ك ، بعيدا وأنت أكثر قربا
من ترى وزع الفاتن يا حســـن ومن ذا أوحى لنا أن نحبا ؟
من ترى علم القلوب هوى الحسن ، وقال اعبدى من السحر ربا ؟
من ترى ألهم الجمال وقد أعطاه من جبرة الحوادث عضبا ؟
أن يبث الهوى مفاتن فى جفن بليغ ، وأن يجود ويأبى ؟
من ترى وثق العرى بين مسحورين ، أسماهما جمالا ، وقلبا ؟
إنه صانع القلوب التى تنصب فى قالب المحاسن صبا

° ° °

يا جمال الحياة فى حينما كا ن أمانا . وحينما كان رعبا
وجمال الحياة فى كل من أعمل شرقا وكل من سار غربا
أقس ياحسن ما تريد وتبغى أو فكن هينا على النفس رطبا
أنا وحدى دنياهوى لك فيها كل كنز من المشاعر قربى

أى والله هذا هو السحر الحلال الذى يجرى فى لفظ موسيقى ولكنه عربى أصيل لا حوشى فيه ولا غريب ، ورحم الله التيجانى بعد هذا حيث يهتف بلوعة المحروم وهو يناجى حبيبه البعيد من قصيدته المنشورة فى (ص ٨٩) والمرسومة بـ

نعيم الحب . . .

إن لى من وراء عينيك هاتيـ ـن مصلى وفيهما لى مخدع
فيهمـــا لوعة القلوب ونعما ها ، وكم فيهما حديث موقع
كم بجفنى من مفاتن ما تخفض عيناك من جلال وترفع
نفس هائم يصعده الحب نديا كأنمـــا هو مدمع
صابى عابرا فأوردته نفسا أصابت من سحر عينيك مشرع
فيه من لوعتى أحاديث يغلى فى حواشيهما فؤاد مفزع

° ° °

كل ركب منها رسول من القلب المعنى إلى الملاك الممنع
أيهذا الحبيب ما بى إلا أن دنيـــاى من نعيمك بلقع
أنا أشقى بالحب من حيث ما ينعم قلب وكم ألذ وأمتع
والهوى نعمة الزمان ، ونعمى الخلد أسمى من الحياة وأرفع
الجمال الذى استقاد به الله وجودا صعب القيــادة أروع

---

(٣) لاشك أن القراء اطلعوا على رأى الأستاذ عباس خضر فى الشعر الغنائى الذى نشر فى أعداد فائتة من الرسالة الزاهرة ردا على رأيى لذا أحب أن أقدم له هذا الرأى الجديد وهو مقتبس من كتاب المستشرق الدكتور ر ، بلاشير باللغة الفرنسية وترجمه صديقنا العلامة الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول باسم « ديوان المتنبي فى العالم العربى وعند المستشرقين » وتفضل فأهداه لى وأنا مع شكرى له أقدم هذا الرأى عن شعر المتنبي وشهرته إلى الأستاذ عباس خضر على أن أرجع للكتابة عن الكتاب قريباً قال المؤلف ص «١١٨» والعنصر الأخير الذى ثبت شهرة أبى الطيب هو مافى شعره من موسيقى» ويقول ص « ١٢٠ » : ــ « وإذاً فما يتبقى للمتنبي فى نظرنا ؟ يتدفق منه بكل دقة ما أكد فى نظرنا شهرة المتنبي فى الأوساط العربية فى مصر وسوريا ، وأعنى به هذه الأشعار الغنائية والفلسفية التى تزين أغلب قصائده » حتى يقول ص « ١٢٣ » : « وإذا وازناه ــ أى المتنبي ــ بغيره من فنانى لغته ، نعرف بم سحر المعجبين به من العرب ، وهو لا يبدو لنا حينئذ مجرد مغرم بالأفكار الشائعة ، ولكنه ساحر بليغ يعرف كيف يصقل عباراته بكثير من الفن ويجعلها ذا أسلوب عاطفى سام »

أليس هذا دليلا على أن الشعر الغنائى ذا الجرس الموسيقى أقرب للخلود والترديد والترتيل ؟ !

وإلى هذا نودع التيجانى شاعر الشباب لنقدم لكم شاعرا آخر وهو معروف لدى القراء ؛ فقد سبق أن طالعوا شعره فى مجلتى الرسالة والثقافة الزاهرتين وصحف السودان وخصوصا (الصراحة) و (التلغراف) وغيرها من أمهات صحف الخرطوم وهو صديقنا الشاعر المبدع الشاب الأستاذ جعفر حامد البشير الذى نترك ترجمة حياته الآن إلى مقال مفصل عنه، ولكن حسبنا أن نورد عنه هذه النبذة التى كتبها عنه الدكتور محمد النويهي أستاذ الأدب العربى بكلية الخرطوم الجامعية .. والتى نشرتها جريدة (الصراحة) (٤) القراء وها هى :

« أكون لكم جد شاكر إذا تكرمتم بإبلاغ شكرى الجزيل وامتنانى الصادق للشاعر الموهوب الأستاذ جعفر حامد البشير لقصيدته الفائقة فى تحية النهضة النسائية . وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن إعجابى الخاص بكل ما قرأت له من شعر ، ولست أغالى إذا قلت انه بين جميع الشعراء والسودانيين منذ التيجانى أحسنهم جميعا بين سلاسة التنغيم وصحة الأسلوب ؛ وبين صدق العاطفة وإخلاص المشاركة للروح السودانية .. » للشاعر البشير قصائد ممتازة مبثوثة فى خفايا الصحف والمجلات، وها نحن نورد للقراء المثال الأول منها وهى قطعة بعنوان « نفديك » قال

يا مشرقا وضياء الشمس يغمره   لا زالت تمرح إشراقا بإشراق
نفديك كيف تبيت الروح ظامئة   والنبع عندك نبع الحسن يا ساق
بل فى جمالك أنهار مطهرة   من كل عذب إلى الشطآن دفاق
يا فاتنى إن قلبى قد ظفرت به   أضحى خلايا صبابات وأشواق
قد لامنى فيك أقوام وما علموا   أنى المدل بآدابى وأخلاق
نزهت نفسى عن الفحشاء فى زمن   أهلوه معشر مجان وفساق
قالوا ، وأرجف أقوام وما علموا   أن العفاف دماء ملء أعراق
يا سامح الله منهم ، رغم ما اقترفوا   إنى عليهم لذو عطف وإشفاق

ويبدو البشير فى قطعته هذه شاعراً متزهداً غارقاً فى حلمه عاتباً على وشاته أراجيفهم، ورغم ذلك فهو سموح عطوف ، وأظنه فى شعره هذا متأثر بكتب الصوفية وطرائق شيوخها. على أن ذلك كله لم يؤثر على عاطفته فشعره سهل رقيق ، وعاطفى عذب ، وجرسه حلو فاتن ، وللدلالة أكثر على هذه الناحية منه نسوق للقراء هذه الأبيات أيضا من قصيدته « هوى يتجدد » قال :

وهوى أراه على المدى يتجدد   ما زال يهبط فى الفؤاد ويصعد
هو فى الصباحات الرطاب نسائم   نشوانة – ملء الفضاء – تعربد
ولدى الحوالك فى العشايا شعلة   ما أن تزال مشعة تتوقد
محراب قلبى .. كلما عاودته   ألفيت فيه أخا هوى يتعبد
أنا للصبابة والغرام فإن أمت   فأنا الشهيد بحبه المتعبد

ألم أقل لكم إن أخانا البشير شاعر صوفى ؟ وهل أدل على صوفيته ورهبنته « فأنا الشهيد لأننى متعبد فى محراب الحب والجمال »

قدست سرك يا جمال وأذعنت   روحى وقلبى للمفاتن يسجد
يا حسن ، يا نهر الحياة ونبعها   قلبى – فديتك – فى الهواجر فدفد
أظمأته دهراً فهل من رشفة   تشفى لواعج أقسمت لا تبرد

أو قوله من قصيدة بعنوان « جمالك » ..

جمالك لا غاضت ينابيع سحره   سيبقى لصنع الله أروع شاهد
أرى ، ما أرى ؟ دراً نضيداً . وبسمة
    لها مثل إشعاع النجوم الفراقد
وهذا الجبين الحلو زان صفاءه   وميض بهيج الضوء جم التطارد
فأنت الذى فتحت قلبى للهوى   وألهمت وجدانى، فلست بجاحد
وأنت الذى وجهت للحسن خاطرى
    وشعرى ، عمداً منك أو غير عامد
إلأهات جدد من حياتى فإننى   لأنكر من آثارها كل بائد
أعود إليك اليوم ولهان مدنفا
    فهل أنت من فعل الصبابات عائدى
أفكر فيك الليل والصبح هائما   فألقاك والتفكير بعد معاودى
وما تمحى من خاطرى لك صورة
    هى النبع فى جدبى ودنيا فدافدى

٭ ٭ ٭

ولا أحب أن أنتقل بالقراء إلى شاعر آخر دون أن أشير إلى الميزة الفذة التى يتمتع بها البشير والتى تكاد تطغى على شعره؛ هى هذه الموسيقة اللفظية الحلوة التى يزاوج بها معانيه وأخيلته

---

(٤) الصراحة جريدة يومية سياسية تصدر فى الخرطوم وهى من أوسع الصحف السودانية انتشارا ورواجا

أما الشاعر الثالث فهو من الذين يتصفون بالرقة والنزوع إلى التجديد برغم كونه غير معروف للقراء، لأنه لايميل لإذاعة شعره على الناس ولا نشره فى الصحف . وكان هذا الصديق قد أرسل إلى مجموعة من شعره لأرى رأيى فيها فطالعتها بإمعان فوجدت فيها روحاً سامياً وشاعرية فذة لو تعهدها صاحبها بالصقل والمران لخلقت منه وتراً جديداً من أوتار الشعر فى السودان؛ وهذا الشاعر هو الأستاذ جعفر عثمان مومى ، وهذه أنغامه ، قال من قصيدة له بعنوان (حياة خاوية) وسيرى القراء فيها مدى الحيرة التى تلازم الشاعر والألم الذى يعصف بحياته ؛ قال

أطل على عالم بارد كأنى أطل بوادى العدم

ظلام ويأس وصمت كئيب وكأس بها من عصير الألم

وفى كل ركن هموم ثقال ونفر يعض بنان الندم

وقلب تحطمه لوعة وخد خضيب بدمع ودم

فلا القلب نشوان من فرحة ولا الروح سابحة فى النغم

وفى النفس طاف الأسى والبكا وسار المشيب ودب الهرم

فنفسى مبعثرة حيرة وغارقة فى بحار السأم

ظلام بعينى ونفسى مشى وهم ثقيل بصدرى جثم

ولى مظهر كلما داعبته يدى بث حولى فحيح السقم

كأنى بصومعتى راهب أكب على ربه يستلم

ونام وأصبح صــبح وقد تهدم معبده والصنم

حنانك ربى سئمت الحياة وضاقت بنقلى عليها القدم

وهاك نغمة أخرى ، نغمة جديدة ثائرة متمردة على كل شىء حتى على الشاعر نفسه ، ولنتركه يصف الحياة التى يتطلبها فى قصيدته « القمم »

هنالك فى القمة العاليه فضاء وحرية للنجاح

ترامى الضياء على الرابيه وتزأر كالوحش هوج الرياح

° ° °

هنالك لا الشمس مسودة ولا البدر مستتر بالسحاب

ولا الأنجم الزهر مربدة ولا الفجر يغفو وراء الضباب

° ° °

هناك السباسب مخضرة وسفح الربى ورؤوس الهضاب (٥)

فللشاة من عيشها غدوة وللظبى حظ كما للذئاب

° ° °

أيا كتلا كقطيع الشياه تساق إلى الموت بين الحديد

إلام تسيرون حميا حفاه وتحيون كرها حياة العبيد

° ° °

إلى القمة الحرة الساحره إلى حيث شيدت قبور الجدود

إلى الشعلة الحية الباهره إلى العيش تحت ظلال الخلود

° ° °

ألم تسأموا من رقاد الثرى وإطباق هذا الظلام البغيض

ألا تبدأون صعود الذرى وتنضون عنكم هوان الحضيض

° ° °

ألم تسأم العنق أغلالها ألم يسأم الجسم لذع السياط

أما عجت الظهر أحمالها أما ملت الأنف مس البساط

° ° °

لقد آن أن تبعثوا من جديد وآن لنور الحياة الشروق

وآن لمهد طغى أن يبيد وأن تبدؤا فى اقتحام الطريق

° ° °

وأخيراً ماذا أذكر بعد ما قدمت للقراء هذه النماذج من الشعر السودانى الحديث .. أقول أنا عاتب على أدباء السودان وشعرائه لأننى رغم مرور أكثر من ستة أشهر على الدعوة التى وجهتها لهم على صفحات جرائدهم فى الخرطوم بواسطة زميلنا الأستاذ جعفر حامد البشير لم يردنى منهم شىء أستطيع أن أصنع منه دراسة أدبية مفصلة ودسمة لنشرها على الناس ، فهل أنا الملوم أم هم ؟ وهل بعد كل هذا يحق لجريدة « النيل » أن تنعتنا بالخمول وعدم الكتابة عن الأدب السودانى ؟ إن هذا العتاب نفسه أوجهه لأدباء السودان وشعرائهم وأساتذة كلياتهم ومدارسهم

(٥) جمع سبسب — القفر

العالية ، راجين منهم إرسال نماذج من أدبهم وشعرهم للاطلاع قبل أن تذهب صحفهم فتتهم البلاد العربية وخصوصا العراق بعدم التنويه بأدب السودان الحديث . أما عن الصحافة السودانية فمع الأسف أننا لا نعرف عنها شيئا ألبتة إلا ما يرسله لنا بعض الإخوان عن طريق المراسلة ، وليت الصحافة السودانية تتكرم فتزودنا بنسخ من صحفها .. هذا ولنا عودة للموضوع قريباً وكل آت قريب إن شاء الله

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصري

محمـــــد إقبال
شاعر باكستان الاكبر

للاستاذ صلاح الدين خورشيد

يحتفل أهل باكستان فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أبريل كل عام بذكرى إقبال ، الشاعر الفذ والفيلسوف الحكيم والزعيم المدره والسياسى النابغة ، الذى يرجع إليه عظيم الفضل فى إيقاظ وعى المسلمين فى شبه جزيرة الهند ، وشحذ قوامم وجمع كلمهم ، ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص ، عندما هبوا للمطالبة بحقوقهم وضمان مصالحهم

فالواقع أن إقبالا كان من أعظم رواد فكرة الباكستان ، ومن أكبر العاملين على تحقيقها ، إذ رأى — وهو ذو الرأى الصائب — أن المسلمين فى شبه جزيرة الهند ليسوا بمجرد الفئة أو الطائفة ، وإنما هم قوم لهم جميع ما للأقوام الأخرى من مقومات وخصائص ، فلهم أسلوب للحياة يختلف عن نهج الطوائف الأخرى ، لهم دينهم ولهم لغتهم ولهم تاريخهم ولهم أبطالهم . ولذلك رأى أن الحل الوحيد لمشاكل الهند الدستورية — وكانت هذه المشاكل يكاد يستعصى حلها — هو أن يستقل المسلمون فى الأقسام التى يؤلفون فيها أغلبية السكان ، يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويسيرون سيرتهم التى يؤثرون

قال فى خطاب سياسى ألقاه سنة ألف وتسعمائة وثلاثين فى اجتماع حزب العصبة المسلمة ما معناه :

« أود أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان دولة مستقلة قائمة بذاتها » ، وفسر قوله هذا بأن :

« ليس من حل يؤدى إلى تكوين نظام دستورى مكين فى الهند — حيث يتباين المناخ وتختلف العناصر وتتنوع اللغات وتتباين نظم الحياة — إلا فى إقامة حكومات مستقلة تجمع بين سكانها وحدة اللغة والعنصر والتاريخ والدين وتقارب المصالح »

ثم أوصى المسلمين فى نفس الخطاب قائلا :

« إننى لا أنصح المسلمين قط بقبول أى نظام لا يقر لهم بكيانهم السياسى المستقل »

لم يكن محمد إقبال — رحمه الله — لينطق عن الهوى عندما نصح بهذا لبنى قومه ، وإنما كان يعرب إعراباً صادقاً عما كان يخالج مشاعره — وهو الشاعر الفذ — من انفعالات ومؤثرات تلازم حياته وحياة المسلمين من حوله

فلقد ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد المشاعر بعيد البصائر ، وكان أبوه يتعهد تعليمه أيام صباه ويوصيه بتلاوة القرآن الكريم والتأمل فى معانيه ، فكان يطلب إليه أن يسترسل فى تلاوة القرآن الكريم بعد الفجر كل يوم ، وكان كلما رآه بعد الفجر سأله عما يصنع فيجيب إقبال بأنه يتلو القرآن ، ولما ألحف الأب بأسئلته وألح كل يوم قال الابن : « يا أبت إنك ترانى أتلو القرآن الكريم ... فلم تعيد هذا السؤال على وأنت عليم بما أصنع » فقال الأب : « بلى ! ولكننى يا بنى أردت أن أقول لك : أتل القرآن وكأنه أنزل عليك »

كان إقبال يروى هذا الحوار ويقول : « ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأتفقه معانيه ، فاقتبست من قبسه واستنرت بنوره »

بدأ محمد إقبال تعلمه بالقرآن الكريم شأن أكثر المسلمين ، ثم تقلب فى المدرس والمدارس حتى نال شهادته العالية من كلية الحكومة بمدينة لاهور ، وفى سنة ألف وتسعمائة وخمس قصد إنكلترا لإتمام التحصيل العالى بها ، ومنها سافر إلى ميونيخ حيث التحق بإحدى جامعاتها ونال منها شهادة الدكتوراه فى

للفلسفة ، وكان خلال إقامته فى أوربا يتلمس ما شاب الحضارة الغربية من نزعة مادية قوية ، ومن عصبيات عنصريه ولونية ، فأراد أن يفهم الغربيين ما فى الإسلام من نعم وفضل على المسلمين وعلى البشرية جمعاء ، فألقى عدة محاضرات عن الاسلام والحضارة الاسلامية ، قاصداً إزالة ما فى أذهان الغربيين من انطباعات خاطئة فى هذه الحضارة العتيدة وذلك الدين المجيد

ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد المشاعر ، بعيد البصائر ، وقد وصفه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك بأنه « أكبر شعراء المسلمين فى هذا العصر ، وأبلغهم تصويراً للحضارة الاسلامية ، وأعظمهم أثراً فى نفوس المسلمين ، وأصحهم إدراكا لمقاصد الاسلام ومعانيه »

فإقبال لم يتخذ من الشعر هواية ، فلم يتغزل أو ينظم الشعر التمثيلى أو الرومانطيقى ، وإن اتخذ من الشعر حكمة وموعظة وهداية ، فكان شعره فلسفيا موضوعيا أكثره ، ذلك لأنه لم يقل « بالفن — من أجل الفن — » بل كان يؤمن بأن الشعر فن من الفنون الرفيعة التى ينبغى استخدامها لأجل النهوض بالمجتمع إلى أعلى مراتب الرق ، حتى روى عنه أنه قال مرة :

« إن وحياً صادراً من مصدر من مصادر التدهور والانحطاط ، قد يكون أثره أشد فتكا من جميع جحافل جنكيز خان ... »

وهو يرى أيضاً : « أن سلامة النفوس فى أى شعب من الشعوب إنما تتوقف إلى حد كبير على نوع الإيحاء الذى يلقاه شعراؤه وفنانوه ... »

ولذلك اتخذ إقبال من الشعر وسيلة لتحريك المشاعر بين بنى قومه وشحذ هممهم واستثارة عزائمهم ، إذ أبان لهم أبلغ إبانة بأن لهم مجداً مؤثلا وحضارة وتاريخاً مجيداً ، واستحثهم على السعى والجهاد والتسامى بالمقاصد والغايات

واليكم بعض الأمثلة من شعر إقبال كما يترجمها إلى العربية صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر بالباكستان :

عليك السير لا ترغب مقيلا ... ومر كالشمس لا ترغب دليلا
وهب للآخرين متاع عقل ... ونار العشق فاحفظها بديلا

***

أثرت بنغمتى كل النوادى ... ومن سر الحياة جملت زادى
أضاء القلب من عقلى ولكن ... جملت عيار عقلى فى فؤادى

**

أرى رمز الحياة بكل زهر ... مجاز فيه يا قلبى الحقيقه
بترب مظلم ينمو ولكن ... له عين إلى شمس الخليقه

***

وهذه نبذة من قصيدة ممتعة للشاعر محمد إقبال عنوانها وصية الصقر لفرخه وقد ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام بك أيضا :

متاع الحياة تعلم جهاد ... وصبر على محنة واجتهاد
يقول لفرخ عقاب عتيق : ... بريق الدماء يفوق العتيق
ولا تبغ سربا كسرب الغنم ... توحد كقومك منذ القدم
سمت وصاة الصقور العتاق ... بألا نقيم بظل وساق
فليس لنا فى رياض مجال ... فسيح الفيافى لنا والجبال

صلاح الدين خورشيد

رســــالة الأدب

بين الاصفهاني والثعالبي

للاستاذ حامد حفني داود

كثيرا ما تكون ذاتية الأديب سببا في تضارب آرائه أو هدمها وخاصة حين يعمد إلى مقارنة كاتب بآخر من كتاب تاريخ الأدب العربي ، فيحمله تعصبه للواضع أن يقدم آثاره على آثار غيره ، أو يقدمه على أترابه من أجل سفر واحد من أسفاره

هذا ما لمسته حين أثار جماعة من الأدباء نقاشا حادا حول كتاب « الأغاني » للأصفهاني وكتاب « يتيمة الدهر » للثعالبي . وكانت المفاجأة عجيبه حقا حين رأى ذلك الناقد الكريم أن كتاب الأغاني أدى إلى الرسالة الأدبية القدر الذي لم يؤده كتاب اليتيمة . ولعل ذلك الناقد هاله أن يقع كتاب الأغاني في واحد وعشرين جزءا على حين يقع الآخر في أربعة أجزاء . وعلى هذا أصبح الأصفهاني — في نظره — أحق بالتقديم من صاحبه

هذه أحكام سريعة مليئة بالخطأ والعيوب . ولعله لم يحملنا على الوقوع فيها إلا في الأحكام السطحية التي نرسلها قبل الدراسة العميقة والآراء الممحصة

* * *

ولو أننا نستعرض حياة الأصفهاني في القرن الرابع والثعالبي في أوائل الخامس ، ثم أخذنا نوازن بين آثارهما ومقوماتهما الأدبية لاستطعنا أن نجيل الحديث على غير هذا النحو، وأن نرسل أحكاما دقيقة تقوم على الحجة والبرهان

كان الأصفهاني (٣٥٦ هـ) والثعالبي (٤٢٩ هـ) شيخي عصرهما في تاريخ الأدب ودراسته . وقد حملا إلينا خلاصة الآثار الأدبية التي وصلت إلى علم هذين القرنين . ولكن شتان ما بين الرجلين في طريقة الأخذ وفي طريقة علاج النص الأدبي

ولعلنا نجد في حياة الرجلين وآثارهما وأسلوبهما ما يبيننا على تلمس ما بينهما من هوة واسعة في نقل « المادة الأدبية » إلينا وفي طريقة حملها وأدائها

عاش الأصفهاني في النصف الأول من القرن الرابع وهو عربي من نسل بني أمية ، وولد بأصفهان يوم كانت موطن كثير من الأشراف النازحين والأمويين الهاربين خلال العصر العباسي الثاني . ولكنه انتقل إلى بغداد سريعا حيث نشأ وتعلم . وهنالك جمع مادة كتابه الأغاني من الأخباريين وتلقفه من أفواه المؤرخين والمغنين ورواة الشعر ، في الوقت الذي كانت فيه بغداد تموج بميادين الشعر ، وتكاد تضيق بالشعراء والأدباء على اتساعها ، وهؤلاء غير من كانوا يفدون عليها من الدول الإسلامية شرقا وغربا وخاصة دولة بني بويه عماد السياسة والحضارة الإسلامية في القرن الرابع

أما الثعالبي فإنه ولد بنيسابور ونشأ في بلاد المشرق حين كانت مسرحا للدول الفارسية الناشئة في ذلك العصر ، وفي هذه البقعة من الأرض خالف الثعالبي في نشأته أعيان عصره حيث أخذ الأدب عن رغبة ملحة وميل شديد ، فلم يحمل نفسه عليه حملا أو يكرهها على صناعته كرها ، بل كان ملهما بطبعه وفطرته . وقد وهب إلى جانب ذلك قريحة وقادة وسجية مواتية، يدلك على ذلك أنه كان في أول أمره فراء يبيع فراء الثعالب في الأسواق . ولو كان من صناع الأدب ومتكلفي الشعر الذين يكرهون أنفسهم ويحملونها على علاج هذه الصناعة لصعب عليه أن يغير مجرى حياته على هذا النحو العجيب . وهو إلى جانب هذه الطبيعة المواتية يحمل بين جنبيه نفسا محسة وقلبا نابضا يطوع له صناعة الأدب ويفتح أمامه طريقا سهلا ميسورا فيجد نفسه مشاركا لأدباء عصره في إحساسهم مرتبطا بعواطفهم حافظا لأشعارهم ورسائلهم . ثم يأبى عليه هذا الطبع السمح إلا أن يقوده إلى المكتابة الأدبية المنظمة عن بيئته التي عاش فيها ، فيجد نفسه مرة أخرى حيال نزعة ملحة إلى تأريخ الحياة الأدبية خلال القرن الرابع كله ، فيضع كتابه « يتيمة الدهر » . ويخرج الكتاب صورة صادقة لهذه النفس في سهولتها وهذه العقلية في نظامها وهذه الحافظة في وعيها وهذه الثقافة في اتساعها

أما الأصفهاني فيضع كتابه السالف في واحد وعشرين جزءا

وهو أضعاف مضاعفة لكتاب صاحبنا ، سواء فى مادته وأخباره. تراه يجمع فيه مادة وافرة من الشعر والغناء وأخبار الشعراء حتى أنه — كما يحدثنا أبو محمد المهلبى — وضعه فى خمسين سنة وأنه لم يستطع أن يكتبه إلا مرة واحدة فى عمره . ويكفيه فخرا أن الصاحب بن عباد زعيم الشيعة وعميد الأدب العربى فى النصف الثانى من القرن الرابع — يمدحه ويثنى عليه ؛ لما رآه من استقصائه للأخبار وجمعه لحكايات الشعراء حتى قال فيه : « ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره . ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب عن أسماع من قرفه بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم ، ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه . » (١)

وعلى الرغم مما امتاز به الأصفهانى فى جمع الأخبار واستقصائه إياها فإنه لم يأمن غائلة النقاد الذين جاءوا بعده: قال ياقوت. « وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مرارا وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ونقلت منه إلى كتابى الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضوع منه » (٢) وضرب الأمثال لذلك بحديثه عن أبى العتاهية وأبى نواس والأصوات المائة فى الغناء

٭٭٭

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل كان الأصفهانى فى كتابه هذا يصور نفسه ويرسم إحساسه ومشاعره التى تربطه بأدباء عصره — كما فعل الثعالبى — ؟ الجواب : لا . لم يكن كذلك فى شىء لأنه كان يؤرخ لا أكثر . كتب الأصفهانى كثيرا ولكنه لم يكتب غير التاريخ الأدبى الصامت . وملأ أسفارا ولكنها لا تعدو أن تكون أخبار الأولين والمعاصرين من الشعراء . فهو أخبارى من الطراز الأول ، ومحدث مستطرد أمين بكل ما فى كلمة المحدث من معنى . ولكنه لم يرسل نفسه على سجية الأديب ، فيذكر رأيه أو يبدى لناقده فيمن يخبرنا عنهم

ولعلك حين تستعرض طريقة العرض عند الرجلين تقف على صدق ما ندعيه — فأنت ترى الأصفهانى حين يتحدث عن الشاعر يصدر حديثه عنه بسلسلة طويلة من نسبه ، يستطرد فيها ما شاء له الاستطراد ، وقد يأتى فيها بالفريد المقبول وما كان يلذه السامعون فى ذلك العصر حين كانوا يعنون بالأنساب ويتفاخرون بها . ولكن الاستطراد لا يقف به عند هذا الحديث الذى يرسله فى حلقات النسب ، فيتجاوز النسب إلى ما وراءه وينتقل بك إلى الحديث عن شخص آخر قد لا يربطه بالسابق إلا محض الاستطراد . وهو رباط شكلى بحت — وهنا يذكر لك أشعارا وقصصا وروايات تتعلق بالشخص الجديد الذى أدار الحديث حوله . حتى إذا ما انتهى به المطاف عاد إلى صاحبه الأول الذى ترجم له ، فيحدثك عما وقع له من أحداث ، وقد تنتهى به هذه الأحداث الجزئية المتعلقة بصاحبه إلى الحديث عن تاريخ عصره وما كان فيه من عبر ومواقع ، ثم يحدثك آخر ذلك كله عن شعر صاحبه والأصوات التى غنيت من هذا الشعر وما لم يغن وما لم يعتبر من الأصوات المائة التى ذكرها فى سائر كتابه . ويذيل الترجمة بخبر وفاة صاحبه إن كان فى الاستطراد ما يناسب ذلك

فأنت ترى أن عنصر الاستطراد هو المنهج الأصيل فى كتاب الأغانى وهو عين المنهج الذى اتبعه شيوخ الأدب العربى من قبل أبى الفرج . فالجاحظ (٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (٢٧٦ هـ) وأبو على القالى (٣٥٦ هـ) وغيرهم من عيون الأدب العربى شرع واحد فى هذا المنهج . وقد أثبت المنهج العلمى الحديث أن منهج الاستطراد كان شائعا فى كتابات القوم وأساليبهم منذ فجر الحياة الأدبية فى الجاهلية والإسلام وظل حتى أواخر القرن الرابع الهجرى

٭٭٭

ثم جاء أبو منصور الثعالبى فى أواخر القرن الرابع وخرج للناس بمنهج جديد لم يسبق إليه ، حيث ترك صناعة الأدب على طريقة الاستطراد الذى شغف به القوم فى حياتهم الأدبية . وأخذ يتحدث حديثا منظما من تراجم الشعراء والكتاب ، وهو

---

١ ـ الصاحب بن عباد لصاحب هذا المقال (تحت الطبع)

٢ ـ الأغانى ـ تصدير الجزء الأول ص ٣٤

شعراء من أشعارهم

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

تتمة البحث

فأنت ترى عديا فى القصيدة السابقة قد ذكر الأكاسرة والقياصرة، وذكر قصة رب الحضر، وذكر قصة رب الخورنق، وهو يعرف أنهم جميعا قد ذهبوا، وألوت بهم الأيام كما تلوى ريح الصبا وريح الدبور بالأوراق الجافة، وقد كانت زاهية يوما، يانعة يوما، جميلة مبهجة للنفوس والقلوب يوما، وهذا هو ديدن الأيام، فمن يبقى على الدهر، ومن خلدته المنون؟

والحضر كان قصرا بين دجلة والفرات، وأخو الحضر الذى ذكره عدى هو الضيزن بن معاوية ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة حتى بلاد الشام، وقد أغار فأصاب أختا لسابور الجنود، وفتح المدن، وفتك بها. ثم إن سابور جمع له، وسار إليه، وأقام على الحضر أربع سنين لا يستفل منهم شيئا، حتى دلته النضيرة بنت الضيزن — وكانت صبيحة الوجه جميلة، وأحبت سابور حين رأته وأحبها — وأعانته، ففتح المدينة وقتل الضيزن يومئذ

والخورنق قصر النعمان بن الشقيقة. وسبب بنائه أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مرئ صحيح من الأدواء والأسقام، فدل على ظهر الحيرة. وكان عامله فى الحيرة على أرض العرب النعمان بن الشقيقة. فأمره أن يبنى الخورنق مسكنا له ولابنه بهرام جور وينزله إياه معه. وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له «سنمار»، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال لهم لو علمت أنكم توفونى أجرى وتصنعون بى ما أستحقه، لبنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فكرهوا منه تقصيره وأمروا به فطرح من أعلى الجوسق

وقد تناول الشعر قصة سنمار هذه، وضربه مثلا للرجل المجحود الفضل المنكر الجميل، فقال أبو الطمحان القينى:

جزاء سنمار جزوها، وربها … وباللات والعزى، جزاء المكفر

وقال سليط بن سعد عن أبى الفيلان وبنيه حين جحدوه فضله وجميل فعله، وقد أخذ منه الكبر:

جزى بنوه أبا الفيلان عن كبر … وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال آخر وقد جوزى بسوء، يدعو على من أساء إليه بعاقبة كعاقبة سنمار:

جزانى جزاه الله شر جزائه … جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة … يعلى عليه بالقراميد والسكب (١)

ورب الخورنق أعجبه قصره حين أشرف من أعلاه يوما وسره ماله وكثرة ما يملك، والبحر يجرى عريضا من تحته،

(١) القرميد: الآجر: يطلى به كالجص ونحوه، والسكب: النحاس أو الرصاص

لايحدثك عن شعراء هذا العصر وكتابه ككل لا يتجزأ؛ وإنما يحدثك حديث العارف بالبيئة وآثارها فى الأدب فيقسم بلاد المشرق إلى أقاليم مختلفة متباينة، ثم يحدثك عمن بهذا الإقليم من الشعراء والأدباء والكتاب

وهو حين يضع كتابه يتيمة الدهر يضرب أمامنا مثلا رائعا لم يسبق إليه فى تاريخ الأدباء؛ مثلا لا زلنا نحن معاشر المحدثين نعده متحررا طريفا فى بابه ولا سيما من الوجهة الفنية فى تاريخ الأدب، فكتابه المذكور لا يعتبر كتابا فى تاريخ الأدب فحسب بل هو تاريخ أدبى إقليمى مستقل يتحدث فيه صاحبه عن الحياة الأدبية ورجالها فى الدول الإسلامية الشرقية فى القرن الرابع

«للموضوع بقية»

حامد حفنى داود الجرجاوى
ماجستير فى الأدب
وأستاذ العربية وطرق التدريس
بالمعلمين الريفية

والفلاح ، والملك ، والنعمة ؛ حين رأى كل ذلك وتبصر فيه ارعوى قلبه ، وفكر في فنائه وفناء الإنسان . ويقال إنه نزل من الجوسق وانطلق إلى الصحراء ولم يبشر له على خبر

فعدي بن زيد كان يعرف الشيء الكثير . وكان يميل إلى أن يفلسف ما يعرفه ويستنبط منه القواعد العامة والنتائج المحتومة . فرأى الكبراء والعظماء والآثار تحور إلى وادي الفناء، ورأى أن الملك لا ينفعه ملكه ، والحصن لا يحمي سيده ، والقصر لا تدوم مسراته ونماؤه ، ورأى أن كل حي إلى الفناء يصير ، ورأى أن الخاتمة هي الهلاك والانطفاء ، ورأى أن المنون يترصد للناس ، ورأى أن الزمان لا يبلغ الإنسان ما يشتهيه ويأمله ، فانطوت نفسه على آماله ومطامعه بائسة محزونة، وعرض هذا كله في شعره

وقد أثرت حوادث الزمان في عدي بن زيد تأثيرا كبيرا . وكان هو ميالا إلى استخلاص الحقائق الدائمة من هذه الحوادث العارضة . وهو في هذه الأبيات التالية يقدم لنا عصارة حياته وخبرته المستمرة بالحياة وأبنائها :

فنفسك فاحفظها عن الغي والردى
متى تغوها يغو الذي بك يقتدي

وإن كانت النعماء عندك لامرئ
فمثلا بها فاجز الطالب وازدد

إذا ما امرؤ لم يرج منك هوادة
فلا ترجها منه ، ولا دفع مشهد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلع (٢)
وقل مثل ما قالوا ولا تتزيد

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم
فعف ولا تأت بجهد فتنكد

ستدرك من ذي الفحش حقك كله
بحلمك في رفق ولما تشدد

وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم
وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد

ولا تلح (٣) إلا من ألام ولا تلم
وبالبذل من شكوى صديقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة إن منعته
من اليوم سؤلا أن ييسر في غد

وللخلق إذلال لمن كان باخلا
ضنينا ، ومن يبخل يذل ويزهد

هذه الحكمة الرائعة إنما هي خلاصة تجارب عدي في حياته بعد أن بلا مر الناس ومر الأيام ، وبعد أن لم تحقق له الأيام ما يصبو إليه ، وبعد أن تبصر في مصير الناس — فقراء وأغنياء — بعد هذا كله ، وبعد أن كون رأيا عاما وفلسفة كاملة ، لم ير خيرا من هذا الذي قدمه لنا في أبياته السابقة . وهي فلسفة تحنو على الضعيف ، وتدعو إلى الرفق والحلم ، وتعترف بتقلبات الأيام واختلاف الحظوظ ، وترى أن أخذ الحياة بالجد والحيطة أتم وأوفق ، وترى أن تكافىء الإحسان بالإحسان ، وأن تؤدب نفسك ، وتحفظها عن الغي والضلالة . والمعنى السارب في هذه الأبيات كلها هو كف النفس وأخذها بالحكمة والحزم والحذر

وكان طواف عدي بالبلاد نعمة عليه ونقمة أيضا . نعمة عليه لأنه اتسعت مداركه ، وعرف كثيرا ، وأحاط بكثير من أحوال الملوك والدول ، وصقل نفسه وهذب عواطفه . ونقمة لأنه عرف كنه كثير من الأشياء، وعرف اختيان الناس بعضهم بعضا ، وعرف كثيرا من الأحوال المشجية والمبكية ، وهذا جعله يسيء الظن بالأيام وبالناس ، فاصطبغت نظرته إليهما باليأس والقنوط. ونقمة لأن خلاطه بالناس، واختلافه إليهم واختلافهم إليه ، وهم ذوو ألسنة متعددة ولغات متباينة وثقافات مختلفة ، أثر في عربيته إلى حد دعا إلى الاحتراس منه . لأن طول العشرة ودوام المخالطة يدعوان الانسان — رضا أو كراهة — أن يأخذ عن مخالطيه ومعاشريه كثيرا ، يأخذ من عاداتهم وآدابهم ،

٢) لا تكذب

٣) لا تلم من لحا يلحو

ويتأثر بأذواقهم ، وينحو منحاهم ، ويميل إلى ما يميلون إليه ، وقد يستعير منهم بعض ألفاظهم ، ويصوغ على أساليبهم ، فتتأثر بذلك لغته ، ويدخلها وهن لم تكن تعرفه من قبل

وهذا ما حدث لعدى بن زيد . وهـو نفسه ما دعا ناقدى العرب إلى التنبيه إليه والاحتراس منه ، فهم قد انتقصوه وحذروا من الاحتجاج بشـعره ، وذلك لخلطه بكثير من غير العرب من الفرس والروم

فعدى « كان يسكن الحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة »

وهو « شاعر فصيح من شعراء الجاهلية . وكان نصرانيا . وكذلك كان أبوه وأمه وأهـله . وليس ممن يعد فى الفحول . وهو قروى . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها . وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان . عدى بن زيد فى الشعراء ، بمنزلة سهيل فى النجوم ، يعارضها ولا يجرى معها مجراها »

ومما يعاب عليه من شعره قوله داعيا النعمان إلى الصفح عنه :

أجل نعمى ربها أوائـــلكم ودنوى كان منكم واصطهارى

يدعو النعمان إلى الصـفح عنه من أجل نعمة قد تعهدها آباء النعمان ، ومن أجل قربه منهم ، ومن أجل مصـاهرته إياهم . والمقصود من الاصطهار هنا المصاهرة . ولـكن كتب اللغة لم تذكر لاصطهر معنى سوى ما جاء فى قولهم : « اصطهره أى أذابه وأكله » ولو قال « وصهارى » لصح المعنى واتزن البيت (٤) »

وذكر بعض الفارسى فى شـعره ، وذلك حين وصف السحاب المتراكب ، فوق رأس شيب ، والبرق فى السحاب يلمع لمعان السيوف ، ويظهر صفحة الثوب المصون :

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تلوح المشرفية فى ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

والدخدار الثوب المصون وهو فارسى معرب ، وأصـله تخت دار

وهم يعدون من شعره أربع قصائد غرر :

الأولى يقول فيها :

أيهـا الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور ؟

أم لديك العهد الوثيق من الـ ـأيام ؟ بل أنت جاهل مغرور !

من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير ؟

وفى الثانية يقول :

أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

ذرينى فإنى إنمـا لى ما مضى أمامى من مالى إذا خف عودى

وحمت لميقاتى إلى منيتى وغودرت إن وسدت أو لم أوسد

وللوارث الباقى من المال فاتركى عتابى فإنى مصلح غير مفسد

ومن الثالثة :

لم أر مثل الفتيان فى غبن الـ ـأيام ينسون ما عواقبها

ومن الرابعة :

طال ليـلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصـيرا

ومن المعانى معان مجدودة ، تسير من مكان إلى مكان ، وتتناقلها الألسنة ، من هذه المعـانى المجدودة المعنى الذى أورده عدى بن زيد فى قوله :

لو بغير المـــاء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

فقد ورد على لسان الأحنف بن قيس فى قوله :

« من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء . ومن غص بالماء فلا مساغ له . ومن خانه ثقاته فقد أتى من مأمنه »

وقال العباس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضرنى داعى يكثر أحزانى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى إذا كان عدوى بين أضـلاعى

وقال آخر :

كنت من كربتى أفر إليهم فهم كربتى فأين الفرار !

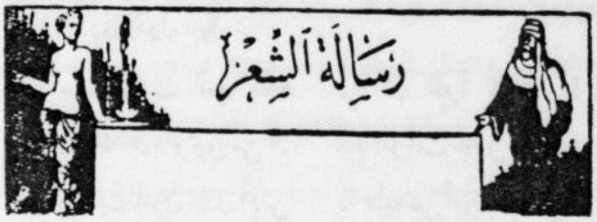
وقال غيره :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

محمود عبد العزيز محرم

---

(٤) راجع الأغانى . الجزء الثانى . طبع دار الكتب . ص ١١٤ (الحاشية)



في انتظار الصباح

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

في انتظار الصباح   الربا   والبطاح
والسهول الفساح   والندى   والأقاح
وثغور الملاح   والوجوه   الصباح
كلها في انتباه   تستحث   الحياه
هامسات الشفاه   تحسب الفجر تاه
والدياجي فلاه   أين منها النجاه ؟
والليالي جراح   نام عنها الأساه

في انتظار الصباح

• • •

ضاق ليلي وطال   بالأسى   والملال
أين طيف الخيال ؟   في ضفاف الجمال
كسنا الفجر جال   في شعاف الجبال
غردي يا طيور   واسجعي يا وكور
وارقصي يا زهور   للندى   والعبير
عند شط الغدير   صاح فيه الخرير :
ذلك الفجر لاح   من وراء الستور

في انتظار الصباح

أحمد أحمد العجمي

يا شعر

للأديب كيلاني حسن سند

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين
يا نغمة جادت بها . . قيثارة الزمن الضنين
يا غنوة ، طفحت بها . . كأس الصبابة . . والحنين
يا رعشة القلب الجريح ، ويا صدى الروح الحزين
يا موجة غسلت جراحات الفؤاد من الأنين
يا وحي ليلي ، والحياة يلفها حولي السكون
يا ابن الضلوع الحانيات على المواجع والشجون
يا دفقة الشوق الحبيس ، وصرخة الأمل السجين
يا واحة بين الضلوع تنضرت فيها الغصون
آوي إليها — في الهجير — فأستريح وأستكين
يا من عصرتك من دمي لحنا فأنت له جنين
يا مشعلا بيدي يضيء لي الطريق فيستبين
لولاك ياشعري للذت من المواجع بالمنون
ولقلت : ثوري يا رياح ، وحطمي هذا السفين
عمري سواك نفاية في الأرض تحقرها العيون
الركب يضرب في الدجى وأنا مع المتخلفين
القانعين من الربيع ، من الخمائل ، بالدرين
الناظرين إلى المواكب وهي تستبق السنين
الناهلين من السراب ، من الغواية ، والمجون
الزارعين بوهمهم زهر الوساوس والظنون
العابدين رؤى الجمال ، العازفين له اللحون
الساهرين وما غفوا . . حتى تقرحت الجفون
الراكضين مع النجوم ، وهم على السفح المهين
لكن لأجلك قد رضيت وقد قنعت بما يهون
وتركت دنياي الحبيبة للشباب . . الكادحين
وشللت كفي عن مناي وعشت في كهف الفنون
أبكي وأضحك عازفا لحن المسرة والأنين

كيلاني حسن سند



مأساة عربية :

هذه قصة من صميم الواقع أنقلهـا إلى القراء الكرام كما رواها لى صديق شاعر كان قد زار شرق الأردن وبعض الأقسام العربية من فلسطين التى ضمت إلى الأردن مؤخرا ، وليس لى فيها سوى الرواية. قال محدثى ونحن جلوس فى «مقهى الزهاوى» (١) ببغداد نتسمع إلى آخر الأنباء فى السياسة الدولية : —

عند طوافى شرق الأردن بصحبة زعيم فلسطينى زرنا مدينة نابلس . وفى الطريق مررنا باللاجئين العرب الذين شردتهم السياسة اللعينة من ديارهم وكانوا يسكنون الخيام بمجموعتهم الفقيرة ، وهم حفاة بألبستهم المهلهلة القذرة ، وقد أردت أن أستفسر عن حالهم من صديقى الفلسطينى فأخبرنى أنه يريد أن يرينى صورة صادقة ، ثم جذبنى من يدى ودفع باب إحدى الخيام المبثوثة فى طريقنا ودخل وأنا وراءه. وبعد السلام وإبداء التحية هتف صديقى ، قومى يا « فلانة » لاستقبال صديقنا هو عربى عراقى جاء يستفسر منك لينقل لإخواننا العرب فى شتى الأقطار حالتكم. وماوفرغ من كلامه حتى شرقت الفتاة بالدمع وهى تحتضن طفلا صغيرا بجانبهـا وكانت فتاة فى أوج أنوثتها وشبابها ، فلم أتمالك نفسى من التأثر، فأخرجت من جيبى بعض المال وسلمته إلى الطفل وخرجت وأنا ألعن الجامعة العربية وحكوماتنا على هذه السياسة اللعينة التى جلبت علينا العار والشنار، وفى الطريق روى صديقى الفلسطينى قصة هذه الفتاة قال :

— هذه « فلانة » بنت « فلان » وهو من كبار شخصيات فلسطين تخرجت من جامعات بريطانيا ، كانت تملك من الأرض وبيارات الفواكه مالا يحصر ، استشهد أبوها وأخوها الأكبر فى إحدى المواقع ، أما أمها فقد ماتت كمدا ، ولم يبق لها غير هذا الطفل وهو أخوها الصغير ، وعندما استولى اليهود على فلسطين أصبحت هذه الآنسة الثرية لاجئة تعيش على الصدقات! فهل من مأساة أبشع وأفظع من مأساة هذه العربية؟! فقلت وأنا أشرق بدموعى : لتحل علينا اللعنة ما دامت عجلة الحياة تدور

هذه القصة انقلها إلى القراء ، تاركا لهم التعليق وللجامعة الفخر والتبجح بالماضى المجيد

عبد القادر رشيد الناصرى

(١) مقهى الزهاوى فى بغداد أشبه ما تكون بناد يؤمه الأدباء والشعراء وسمى باسم الشاعر العراقى تخليدا لذكراه لأنه كان من رواده

تصويب أخطاء

منذ يومين قرأنا فى العدد ٩٧٣ من مجلة « الرسالة » الغراء مقالا للدكتور محمد بهجت تحت عنوان (امرأتان عظيمتان من دولة المغول) . وقد وقع فى هـذا المقال القيم أخطاء من جهة نقل الأسماء لبعض الأعلام . وغالب الظن أن منشأ هذه الأخطاء عدم معرفة الدكتور الفاضل الفارسية ، ولعله أخذ معلوماته من بعض ماقرأ من الكتب الانكليزية. بلى نذكر ماجاء فى هذا المقال من الأخطاء معقبين عليها بالتصحيح

١ — « نور جاهان » أصل الكلمة « نورجهان» ومعناها نور العالم ، فإن كلمة « جهان » معناها العالم بالفارسية

٢ — « على كولى » أصل الكلمة « على قلى »

٣ — « شر أفغـان » أصل الكلمة « شير أفكن » أى مصارع الأسد ، فإن شير معناه الأسد وأفكن معناه المصارع

٤ — « جاهان جير » أصل الكلمة « جهان كير » أى القابض على العالم ، فإن « جهان » معناه العالم « وكير » معناه القابض . وماكانت كلمة « جهان كير » هذه كنية للملك نور الدين وإنما كانت لقبـا لقب بها نفسه عند اعتلائه عرش المملكة ، شأن غيره من الملوك المغوليين فى الهند

٥ — « كرام » أصل الكلمة « خرم »

٦ — « بارفز » أصل الكلمة « برويز »

٧ — « دلكوشا » أصل الكلمة « دل كشا » أى فاتح القلب

٨ — « شاه دارا » أصل الكلمة « شاهدره »

باكستان — محمد عاصم الحداد

لسان العرب بين ابن سينا وابن منظور

جاء فى تحيتك للشيخ ابن سينا أنه ألف لسان العرب ، والذى أعلمه أن الذى ألف لسان العرب هو « ابن منظور الأفريقى »

عبد الله مرسى الطحان

(الرسالة) لسان العرب الذى ألفه ابن سينا غير لسان العرب الذى ألفه ابن منظور . نقل القفطى فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) عن عبيد الجوزجانى صاحب الشيخ الرئيس قوله : « صنف الشيخ فى اللغة كتابا سماه بلسان العرب لم يصنف فى اللغة مثله ، ولم ينقله إلى البياض حتى توفى ، فبقى على مسودته لا يهتدى أحد إلى ترتيبه »

العيد الألفى للجامع الأزهر :

تلقت مشيخة الأزهر رغبة ملكية كريمة خاصة بالاحتفال بالعيد الألفى للجامع الأزهر ، احتفالا يليق بمكانة هذه الجامعة العلمية الإسلامية التاريخية بين جامعات الأمم المتحضرة وبرسالتها الدينية الكبرى فى مختلف الأزمنة والعصور

وقد تضمنت هذه الرغبة السامية أن يكون الاحتفال بهذا العيد عالميا تشترك فيه الشعوب الإسلامية ، لأن رسالة الأزهر قد شملت هذه الشعوب جميعا؛ ولا يزال الأزهر يستقبل من أبنائها من ينتهلون من معينه ليعودوا إلى بلادهم وأممهم رسل حضارة ودعاة هداية وارشاد . وتشترك فيه كذلك الجامعات العلمية فى مختلف الأمم بوصف كونه جامعة علمية ساهمت بالنصيب الوفور فى تغذية العقل البشرى برسالة المعرفة

وقد عكف فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، تنفيذا لهذه الرغبة الكريمة ، على دراسة هذا الموضوع منذ بدايته حتى اليوم ، وأمر بإعداد مذكرة تشتمل على بيان المقترحات التى سبق أن وضعت فى صدد هذا الاحتفال فى مختلف مراحل التفكير فيه ، والإعداد له ، وبخاصة تلك المقترحات التى وضعت فى عهد المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى يوم كان شيخا للجامع الأزهر

وقد علمنا أن هناك اتجاها يرمى إلى وضع تاريخ مفصل لما درس من أمهات الكتب الاسلامية فى الأزهر ، فى مختلف العصور ، مع بيان الطريقة التى يمتاز بها كل عصر على حدة ، فى نظام الدرس والتدريس ، ومع وضع دراسة خاصة للاعلام من الفقهاء والأئمة المسلمين الذين ألفوا هذه الكتب أوساهموا فى شرحها أو التعليق عليها ، فى مناسبة هذا الاحتفال التاريخى الكبير

وكذلك يرمى هذا الاتجاه إلى وضع تاريخ شامل للمذاهب الإسلامية الأربعة ، كل مذهب منها على حدة ، مع بيان المسائل المشتركة بين هذه المذاهب والمسائل التى اختلف عليها ، وتوضيح ظروف هذا الاختلاف

والغاية التى يهدف إليها هذا الاتجاه هى أن يكون هذا المهرجان الإسلامى التاريخى مقترنا ببيان حقيقة الغاية من رسالة الإسلام فى مختلف النواحى والوجوه

وسترفع هذه المذكرة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليتخذ فضيلته على ضوء ما فيها من البيانات الخطوة التنفيذية الأولى نحو تنفيذ هذا المشروع الكبير

ويقال إن هذه الخطوة التنفيذية ستكون فى أن يؤلف فضيلة الأستاذ الأكبر لجنة عليا من بعض جماعة كبار العلماء وبعض كبار المشتغلين بالعلوم العربية والدينية فى الجامعات المصرية وغيرها من مختلف المعاهد الأخرى ، وسيكون لهذه اللجنة أن تؤلف لجانا لدراسة مختلف الموضوعات كما تشاء

لغة الشاشة :

لاحظت أثناء عرض الجريدة الأخبارية على الشاشة البيضاء أن اللغة التى تصحب العرض لا تراعى فيها القواعد النحوية ، فقد ينصب الفاعل أحيانا .. وقد يرفع المفعول أحيانا أخرى .. وهذا نقص نوجه إليه عناية المسئولين ، لأن هذه الجريدة الاخبارية تعرض فى أكثر من بلد عربى .. فماذا عساهم يقولون عنا .. ونحن نأبى إلا أن نتبوأ الصدارة من أمم الضاد ! ...



الباب المفتوح

للكاتب الإنجليزي الكبير «الساقى» (*)

— ستحضر خالتي في الحال يامستر «نتـل»، ولكن يجب في الوقت نفسه أن تجتهد في إنهاء حديثك معي

بهذه الكلمات بادرت الفتاة ضيفها عندعودتها إلى غرفة الاستقبال، حيث كانت قد تركته ريثما تذهب لإخبار خالتها بقدومه: وفتاتنا صبية رزينة لم تتجاوز الخامسة عشرة من سنيها

وحاول فرامتول نتل أن يتخير الكلمات اللائقة التي يستطيع أن يرضى بهـا ابنة الأخت الماثلة أمامه دون أن يكون في هـذه الكلمات مالا يرضى بغير مقتضى، الخالة التي ستحضر بعدقليل، وقد شك الفتى بينه وبين نفسـه أكثر ممـا شك في أي وقت مضى، فيما إذا كانت هـذه الزيارات الرسمية التي يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التي لا تربطه بها أية رابطة على الإطلاق، سيكون لهـا أثر فعال في علاج مرض الأعصاب المفروض أنه مصاب به ... فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عالمة بما ستكون عليه رحلتك! فسوف تدفن نفسـك حيث لا تتحدث إلى مخـلوق من الأحياء، وعنـدئذ تضاعف الكآبة مرض أعصابك؛ وها أنا أكتب في الحال خطابات توصية أقدمك بهـا إلى جميع الذين أعرفهم هناك. ولقد كان بعضهم، على ما أذكر، وديعاً ظريفاً

تذكره فرامتون كلمات أخته وتساءل في نفسه : ترى مسز

(*) «الساقى» أو «ساكى» كما تنطق بالإنجليزية هو الاسم المستعار الذي تخيره الكاتب الإنجليزي الكبير هكتور هيونغ مونرو لتوقيع مقالاته وقصصه العديدة التي نشرت في الصحف والمجلات الإنجليزية. وقد تخير هذا الاسم من إحدى رباعيات عمر الخيام التي يخاطب فيها (الساقى) بقوله : «إذا مررت أيها الساقي بالرفاق المنتثرين على الأعشاب انتثار النجوم الخ»

«وقد ولد مونرو في بورما سنة ١٨٧٠ وماتت أمه وهو في السنة الأولى من عمره فنقـله أبوه هو وأخويه إلى نورث ديفور ليعيشوا بين جدتهم وعمتهم. وقتـل مونرو في فرنسا سـنة ١٩١٦ في إحدى معارك الحرب الكبرى. وله كثير من القصص القصيرة والمقالات النقدية البارعة. وقصة (الباب المفتوح) التي نترجمها هنا هي إحدى قصصه القصيرة الطريفة»

كثيرا ما طرأت هذه الأخطاء اللغوية أذنى وآلمتنى .. ولا شك أن الغيورين على اللغة يشاركوننى رأيى .. ويضمون أصواتهم إلى صوتى ! ..

إن المخرجين يبذلون عنـاية كبرى في إخراج هذه الأفلام، ويولونها جانبا غير قليل من جهودهم .. فياحبذا لو ظفرت لغة العرض بمثل هذه العناية والرعاية ! ...

عيسى متولى

كاف التشبيه :

يضع كثير من الأدباء حرف الـكاف في غير موضعه فيقلب المعنى إلى النقيض وهم لا يشعرون. من ذلك مثـلا أن الأديبة بنت الشاطئ نشرت كلـمة في أهـرام ٣/٤/١٩٥٢ وردت بها هذه العبارة «تخرج الفتاة بشهادة تبيح لها احتراف التمريض والتدليك كوسيـلة للرزق» وتريد أن تنتقد اتخاذ هذا الفن وسيلة للرزق فقط، مع أن هذا التعبير لا يؤدى المعنى الذي ترمى إليه؛ إذ أن الـكاتبة تعلم كل العلم أن التشبيه يقتضى أن يكون المشبه غير المشبه به، ولا يمـكن أن يستقيم المعنى مع هذا الوضع، بل يستقيم تمام الاستقامة إذا قالت «وسيلة للرزق» أي بحذف الـكاف

إن فشو هذا الخطأ بين خاصة الأدباء اضطرنى إلى أن انبه إليه حتى وأنا بسبيل البحث في تيسير الـكتابة، فلقد أشرت إليه في تقريرى الذي رفعته منذ بضع سـنين إلى المجمع اللغوى خاصا بتيسير الكتابة العربية، حتى لا يظن ظان أن إجازة الخطأ نوع من التيسير، وإلا كنا كمن نادى بنصب جمع المؤنث السـالم بالفتحة زاعما أن فيه تيسـيرا كبيرا، والواقع — كما قلت في تقريرى هذا — أنه هدم لقواعد اللغة من أساسها ولا يمت إلى التيسير بصلة قريبة أو بعيدة

عبد الحميد عمر

سابلتون التى سيتقدم إليها بعد لحظة بأحد خطابات التوصية التى يحملها ، تدخل فى نطاق هذا البعض الوديع الظريف »

وإذ لاحظت الفتاة الرقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر الغريب سألته :

— أتعرف كثيرين من أهل هذه الناحية ؟

فأجاب :

— أكاد لا أعرف أحدا هنا . وقد كانت أختى كما تعلمين ، مقيمة هنا فى الأبرشية منذ حوالى الأربع السنوات ، وقد أعطتنى خطابات توصية لفريق من أهل هذه الناحية ...

وصاغ الفتى كلماته الأخيرة فى لهجة تنم عن الأسف

فتابعت الفتاة الرزينة حديثها قائلة :

— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئا إطلاقا من أمر خالتى ؟

فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها

فهو لا يدرى إذا كانت متزوجة أو أرملة . ولكن شيئا فى الغرفة لا يستطيع أن يتبينه على التدقيق كان يوحى إليه بأن فى البيت رجالا ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد نزلت بخالتى مأساتها الكبيرة فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ويوافق ذلك الوقت الذى غادرت فيه أختك هذه الجهات

فسأل الفتى وهو لم يكن ليتصور أن المآسى تجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ المطمئن :

— تقولين مأساتها ؟

فقالت الفتاة وهى تشير إلى أحد الأبواب المطلة على الشرفة وكان مفتوحا :

— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحا فى مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟

فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أى علاقة بالمأساة التى تشيرين إليها ؟

فشرعت الفتاة تحكى القصة الآتية :

فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتى وأخواها الأصغر منها سنا ليصيدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الميدان المفضل عندهم لصيد البكاشين ساخت أقدامهم فى بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا فى ذلك الصيف الذى كثرت أمطاره، على ما تعلم، حتى إن الأماكن التى كانت مأمونة فى السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فانهارت ، وقد اختفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثر ، وهذا هو أفظع ما فى المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التأثر ، ثم مضت تقول :

— مسكينة خالتى لا تنفك تتصور أنهم سيعودون يوماً ما ومعهم كلبهم الأسود الصغير الذى ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون البيت من هذا الباب كما تعودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو السبب فى تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط الغسق . وما أتعس خالتى العزيزة، فلكم كررت على سمعى قصة خروجهم ، إذ كان زوجها يحمل معطف المطر الأبيض على ساعده ، بينما رونى أخوها الأصغر ينشد أغنية : « لماذا تثب يا برتى » ، كما كان يفعل دائماً ليغيظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفى عليك يا سيدى ، أننى فى بعض الليالى الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسى غالباً شعور خفى بأنهم جميعاً سيعودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بعض الشىء ، وأحس فرامتون بالفرح عندما دخلت الخالة الغرفة تسوق أمامها سلسلة من المعاذير لتأخرها فى إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك بحديثها ؟

فقال فرامتون .

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون فى نشاط وخفة :

— أرجو ألا يضايقك فتح هذا البـــاب ، فإن زوجى وأخوى على وشك أن يعودوا من الصيد ، وقد تعودوا أن

يدخلوا دائما من هذا الباب ، وقد خرجوا اليوم لصيد البكاشين في البرك ، وما من شك في أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدى المسكينة آثار ما تحمل أقدامهم من أوحال ، وهذا شأنكم أيها الرجال ؛ فهل توافقنى على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث فى انشراح عن الصيد وعن ندرة الطيور ، وبخاصة البط فى فصل الشتاء ، ولقد بدا هذا الحديث لفرامتون مزعجا فظيعا ، فحاول جاهدا أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهولا ، فلم ينجح فى ذلك إلا ببعض النجاح ، وقد تبين أن مضيفته لا توليه من عنايتها إلا جزءا جد يسير ، ولكن نظراتها كانت تتخطاه إلى الباب المفتوح وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فما من شك فى أن زيارته هذه الأسرة فى مثل هذه الذكرى المؤلمة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

وصور الوهم لفرامتون أن القوم الغرباء الذين يجتمع بهم والذين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى تعرف أقل ما يمكن من التفصيل عن مرضه وعلته ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء فى أمرهم لى بأن ألزم الراحة التامة وأن أتجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد عن كل شئ يتصل بالمجهود الجسمى ، ولكنهم غير متفقين اتفاقا تاما فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقالت مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها فى هذا السؤال صوت الذى جاهد التثاؤب فى اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت فجأة وبدا عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

ها هم قد عادوا آخر الأمر فى الوقت المناسب لشرب الشاى . ألا يبدو عليهم أن الأوحال تغطيهم إلى رؤوسهم ؟

فارتجف الفتى ارتجافا خفيفا ، ثم نظر إلى ابنة الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة تحدق من خلال الباب المفتوح ، وفى عينيها معنى الرعب الخاطف : فدار فرامتون فى مقعده وقد أحس بصدمة مرعشة من جراء خوف لا يدرك معناه ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فرأى خلال الغسق الهابط ثلاثة أشخاص يجتازون الحقل إلى الباب المفتوح ، وكانوا جميعا يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم يحمل ما عدا البندقية معطفا أبيض من معاطف المطر ألقاه على كتفه ، وكان يتعقب أقدامهم كلب صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا الجمع فى سكون من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش يغنى فى الغسق :

« إنى أسألك يا برتى لماذا تثب ؟ »

لم تكد عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى أمسك فى عنف بعصاه وقبعته ، وفى أسرع من لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرصوف والباب الخارجى كأنه السهم المارق ، حتى أن رجلا مقبلا على دراجة لم يتق التصادم به إلا فى اللحظة الأخيرة منحرفا فجأة إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال حامل المعطف الأبيض :

— ها نحن يا عزيزتى قد عدنا ملوثين بالأوحال ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل الذى اختفى لمجرد ظهورنا ؟

فقالت مسز سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جدا اسمه مستر (نتل) لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكد يراكم حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يلق بكلمة وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح عفريت مخيف

فقالت ابنة الأخت فى هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرنى أن بعض الكلاب الضالة هاجمته مرة وطاردته حتى ألزمته الهرب منها إلى مقبرة فى ناحية ما على ضفة نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل فى قبر جديد لم يدفن فيه أحد بينما الكلاب من فوقه تنبح مكشرة عن أنيابها ، وفى ذلك ما يكفى لهز أعصاب أى إنسان

لقد كان من خصائص نفاثتنا الرزينة اختراع الروايات على البديهة !

ع . ح

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

هذا هو الطريق ... ... : الأستاذ سيد قطب ٤٨٩

حسن البنا الرجل القرآني : « أنور الجندي ٤٩١

الأصناف والحرف الإسلامية : للدكتور عبد العزيز الدوري ٤٩٣

زكي مبارك ... ... : الأستاذ نجدة فتحي صفوة ٤٩٦

بحث في الموسيقى الشرقية : « نقولا الحداد ٤٩٨

لغة المستقبل ... ... : « محمد محمود زيتون ٥٠١

شخصية ... ... : « حبيب الزحلاوي ٥٠٣

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٥٠٦

(الأدب والفن في أسبوع) — الأزهر قبل « بريل » — ذكرى إقبال — الطفولة في الأدباء ٥٠٨

(الكتب) — الإنسان بين المادية والإسلام — تأليف الأستاذ محمد قطب — الأستاذ حسين عبد الفتاح سويفي ٥١١

(البريد الأدبي) — فتش عن الرجل — إلى القاضي الفاضل ٥١٤

(القصص) — الشيطان — للكاتب الفرنسي جي دي موباسان ٥١٥

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب — اعلان

ترغب كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى شغل كراسى الآثار المصرية وتاريخ مصر والشرق القديم والفن الصحفى الحالية بها ويشترط فيمن يتقدم لشغل هذه الكراسى : —

(١) أن يكون حاصلا على درجة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول أو على درجة تعتبر معادلة لها من جامعة أجنبية أو معهد معترف بهما .

(٢) أن يكون قد شغل وظيفة أستاذ مساعد مدة أربع سنوات فى إحدى كليات الجامعة أو فى معهد علمى من طبقتها

(٣) أن يكون قد قضى اثنتى عشرة سنة فى خدمة الحكومة أو مدة أربع عشرة سنة على حصوله على درجة بكالوريوس أو ليسانس

(٤) أن تكون له فى مادة اختصاصه أبحاث قيمة مبتكرة

وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى ميعاد لا يتجاوز شهرا من تاريخ نشر هذا الاعلان مع بيان المؤهلات والمناصب الجامعية والأبحاث العلمية

ويكون التعيين بالنسبة للموظفين فى درجة أستاذ ج ولغيرهم بعقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبماهية ٨٤٠ جنيها فى السنة بخلاف إعانة الغلاء والمرتبات الأخرى التى تنص عليها التعليمات المالية

١٤٧٩

20 me. année No 983

Le Caire 5 — 5 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٣ «القاهرة في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٧١ — ٥ مايو سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

هذا هو الطريق ..

للاستاذ سيد قطب

« ولا تحسبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً ، بل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزقون ، فرحين بما آتاهمُ اللهُ من فضله ، ويَستبشرون بالذين لم يَلحقوا بهم مِنْ خلفِهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون ، يستبشرون بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ ، وأنّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين : الذين استجابوا للهِ والرّسولِ من بعد ما أصابهمُ القرْحُ ، للذين أحسنُوا منهم واتّقَوْا أجرٌ عظيم ، الذين قالَ لهمُ النّاسُ : إن النّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوْهم ، فزادهم إيماناً ، وقالُوا : حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ ، فانقلَبوا بنعمةٍ منَ اللهِ وفضلٍ لم يَمْسَسْهُم سوءٌ ، واتّبعُوا رضوانَ اللهِ ، واللهُ ذو فضلٍ عظيم . إنما ذلكمُ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَه ، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين »

قرآن كريم

كلما رأيت المتوجسين عن الجهر بكلمة الله ، وهم يزعمون الإيمان بالله .. كلما سمعتهم يجمجمون بهذه الكلمة ولا يصدعون خيفة أن يمسهم القرح ، وأن تسلط عليهم قوى الشر والطغيان .. كلما وجدتهم يلبسون هذا الضعف ثوب الكياسة واللباقة والمرونة والدهاء ..

كلما أبصرت هذا كله عثلت لي تلك الآيات القدسية الكريمة ترسم الطريق .. الطريق الذي لا طريق غيره إلى النصر والعزة والمنعة والتوفيق .. وهتفت من أعماق ضميري : ألا إن هذا الدين لواحد ، ألا وإنه لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله .. ألا وإن هذا هو الطريق ..!

«الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »

إنهم لم يقولوا : نحن قلة ضعيفة في كثرة باغية ، فلنصبر على الذل ، ولنرض بالهوان ، ولنجامل الشر ، ولنتق الطغيان .. حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .. فالمؤمن يوقن : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأن أمر الله إنما يتم بعباده الذين ينفذون أمره ، وأن السماء لا تمطر على الناس عزا ولا نصرا ، إنما هم يصلون قلوبهم بجبار السماء فتهون عليهم قوى الأرض ، وتهون معها حياة الأرض . وعندئذ ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . وعندئذ يمكن الله لهم في الأرض ، لأنهم صدعوا بكلمة الله ، ولم يخشوا غير الله

* * *

ذكرت هذا كله وأنا أحضر اجتماعا يقول دعاته : إنهم اجتمعوا لتجديد شباب الإسلام والعمل لنصرة الإسلام ، وإعزاز

العالم الإسلامى .. فلما أن جاء ذكر الحكم بالإسلام والعمل بشريعة الإسلام ، انتفض منهم الكثيرون مذعورين ، أن يثير عليهم هذا القول ثائرة الاستعمار وغير الاستعمار ، وأن يسبب لهم متاعب وعوائق ليس إلى اجتيازها من سبيل . وقال أوسطهم إنما نحن مؤمنون بأن الإسلام عقيدة وشريعة ، ودستور ونظام، ولكننا نؤجل هذا إلى حينه ، ونأخذ فيما هو أسلم وأحكم !

قلت فى نفسى : كيف ينتصر المهزومون فى ضميرهم منذ اللحظة الأولى ؟ وكيف يكافح قوى الشر والطغيان من يفرق أن يجهر بالحق فى كلمات على الورق ، أو كلمات على اللسان ؟

وعلم الله ما عجبت لشىء عجبى لدبلوماسية الأقزام التى يزاولها منا رجال . لا فى ميدان الدعوة الإسلامية وحدها ، بل فى ميدان الصراع القومى مع الاستعمار ، والصراع الاجتماعى ضد الطغيان ، والصراع الإنسانى ضد الشر كله وهو ألوان ..

إنهم يسترون الضعف دائما بستار « العقل » ويسترون الهزيمة دائما بستار « المناورة » ويسترون حب السلامة دائما بستار « المصلحة العامة » !

وإذا جاز لرجال السياسة المصرية الكاذبة الخادعة أن يتذرعوا بتلك المعاذير ، فإنها لكبيرة أن يستعيرها منهم دعاة الإسلام . الإسلام الذى يقول ربه لرسوله : «فاصدع بما تؤمر» ويلقنه من رضى مخالفيه عنه مهما جامل وحاسن ، لأنهم لن يرضوا عنه إلا إذا ترك دينه جملة وعقيدته : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » !

إن الذين نداورهم أمهر منا فى المداورة ، والذين نحسب أنفسنا نخدعهم ، أكثر منا يقظة وأشد خداعا . فلم يبق إلا ذلك الطريق الواضح الصريح النظيف : أن نقول كلمة الحق التى نريد ، وأن ندعها تقرع الأسماع والقلوب ، وأن نؤمن بالله الذى يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور »

* * *

وبعد فإن الإسلام الذى ندعو إليه عقيدة تنبثق منها شريعة، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعى ، ونظام دولى ، ونظام إنسانى . ولا سبيل فيه لفصل العقيدة عن الشريعة ، ولا لفصل الشريعة عن النظام الذى تنشئه وتحكمه . فهذه العقيدة لا تتم ، بل لا توجد ، إذا لم تنشئ معها آثارها الطبيعية التى لا فكاك منها . فليتحسس عقيدته وليفتقدها من يرى شريعة غير شريعة الإسلام تحكم ، ثم لا يبذل جهده فى رد الأمر إلى شريعة الإسلام ؛ ومن يرى نظاما غير النظام الإسلامى يسود ، ثم لا يعمل عملا أو يقول قولا ، يصحح به الأوضاع ، ويحقق به الصواب

إن الإسلام لا يعيش فى الظلام ، فهو نور يعيش فى النور . وإن الإسلام لا يخادع ولا يداور ، فهو كلمة الحق التى تكره المداورة والخداع . وإن الإسلام حقيقة واقعة تعيش فى الأرض، لا سرا ولا مؤامرة تتوارى عن الأنظار

نحن نريد عالما إسلاميا .. فلندع إلى هذا العالم على أسسه الواضحة الصريحة : شريعة إسلامية ، ومجتمع إسلامى .. ولقد مضى — ولله الحمد — ذلك العهد الذى كانت البيفاوات تثرثر فيه بأن الدين رجعية ، وبأن الإسلام تعصب . فقد اعترفت مؤتمرات « الخواجات » الذين تقلدهم البيفاوات بأن الشريعة الإسلامية مرجع هام للتشريع الدولى . ولقد أعجبنى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الأزهر ، وهو يقول هذه الحقيقة متهكما على أحد بيفاواتنا « المثقفين » !

فمن قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فاصطكت أسنانهم ، وارتجفت مفاصلهم ، فلينظروا : أين هم من ذلك الطريق الذى رسمه الله ، فى كتاب الله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » فلينظروا أين يتجه بهم الطريق !

إن أضواء النصر تلوح فى أفق الفكرة الإسلامية فتجذب إليها الكثيرين . منهم من يبتغى وجه الله ، ومنهم من يحسبها تجارة كاسبة . ولكن الطريق طويل ، والعقبات كثيرة ، والقرح والابتلاء والاستشهاد ينتظر المجاهدين . وسيحق على بعضهم قول الله :

٢ – حسن البنا

الرجل القرآني

للأستاذ أنور الجندي

هذه « حلقة » أخرى من تلك « المخطوط » التي دونها « روبير جاكسون » في مذكراته واطلع عليها « صديق » الذي يطلب العلم في « واشنطون » .. والتي ينوي الكاتب الأمريكي تضمينها في رسالة له عن « الرائد الأول للاخوان المسلمين » ا . ج

... انتهت الحرب ، وقد تجمعت للرجل قوة ، تجعله قادراً على أن يملي رأيه على كل حاكم .. ومن هنا بدا الخطر

خطر الرجل الفرد الأعزل ، الذي يعيش في بيت صغير ، ولا يملك إلا مرتباً ضئيلا ، والذي جرد نفسه لفكرته ، وسحق مغريات الدنيا فلم تعد تقف أمام إيمانه ، وهزأ بكل وسائل الإغراء وأسبابه ، حتى شهد المراقبون أن ليس وراء فكرته امرأة ولا هوى !

وكان مؤرخو الشرق يتنبأون للشرق برجل يتجمع حوله .. وكانوا يقولون إنه لو وجده لقامت الكتلة الإسلامية ، ولتحرر الشرق ..

وكان زعماء الغرب يخشون أن يكون قد وجد هذا الرجل فعلا .. قالوها لأول مرة ، بعد أن ثبت لهم أن « حسن البنا » لا تؤثر فيه المغريات ، وأنه لا يخضع ولا يحني رأسه ..

وجاءت حرب فلسطين ، فأعطتهم تلك الصورة المزعجة الخارقة ، صورة الفدائية الإسلامية على شكل لم يعهد بعد بدر والقادسية وأجنادين ..

وعجب الغرب كيف يمكن أن تقوم في الشرق « فئة » تقدم نفسها للموت على هذه الصورة العجيبة

وكان جهاد الإخوان فيها آية الآيات .. فقد بهروا كل من اتصل بهم .. ووقف الخصوم يقارنون ، .. ويرسمون الخطط لمستقبل الشرق على ضوء هذه القوة الخارقة

وأخذوا يتربصون الدوائر .. ولم يتأخر عنهم القدر ، فقد كان في صفهم هذه المرة .. ، وسرعان ما أعطاهم « محفظة » سيارة الجيب

وتجمعت القوى الحاقدة ، والمغلوبة ، وترابطت الأهواء بالمطامع .. في محيط الأحزاب والجماعات .. ، وأثير الغبار الكثيف .. وأعلنت الاتهامات والإرهاصات ، على أوسع نطاق .. ووقف الرجل وسط النيران .. وقد خيل إليه أنه يستطيع أن يعمل شيئاً وجرت معه اتصالات ، متعددة ، كان لها أثرها ..

وشاهد الرجل في أيامه الأخيرة ، هذا البناء الضخم ، وهو ينهار حجراً حجراً .. ينهار في عالم المادة ، ويزداد قوة في عالم الروح ..

.. وقد أمد إيمان الرجل بفكرته ، أنصاره بالقوة على احتمال كل ما أريد بهم ، أمدها لأن تحتمل التعذيب الذي لقيه بلال وخباب وعمار

أي إنسان كان هذا الرجل الذي صنع هذه النفوس المؤمنة الخالصة القوية الإيمان ، التي احتملت هذا العذاب في صبر وثبات ..

• • •

« لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة »

وسيحق على الآخرين قوله الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

وأولئك هم الفائزون

سيد قطب

لقد جاء حسن البنا إجابة طبيعية لقول « غلادستون » حينما وقف فى مجلس العموم البريطانى وهو يحمل « المصحف » ويقول : « ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلا أمل لنا فى إخضاع المسلمين »

.. ودهش الناس يومئذ ! ماذا يقصد « غلادستون » من هذا القول ، فقد كان المصحف موجوداً إذ ذاك .. ولكنه لم يكن موجوداً على الوجه الذى يخشاه « غلادستون »

.. كان الناس فى الشرق قد طوتهم ظلامات القرون . وأفسدت عقائدهم ، أقوال العلماء من صنائع السلطان ، الذين أغلقوا باب الاجتهاد ، وأفتوا لصالح الحاكم الظالم .. فلم يكونوا يفهمون من القرآن إلا أنه كتاب الله .. يقرأونه على القبور وفى الصلاة ..

.. حتى جاء حسن البنا ، على أثر نداء غلادستون ، ليقول للناس ، إن خطر هذا الكتاب الذى يخشاه المستعمرون ، ليس لأنه آيات تقرأ فى الصلاة أو ترددها الشفاه ، وإنما لأنه كتاب تشريع وقيادة ، وإمامة وحكم

وإنما يخشى الغرب روح الإسلام التى لو تبدت ، دبت اليقظة فى أوصاله فأفسد ذلك على المستعمرين أغراضهم .. وقامت فى الشرق أمة تحب الموت فى سبيل الحرية والكرامة والعزة ..

.. وكان حسن البنا هو الرجل الذى أخرجه التاريخ ليكتب هذه الصفحة الجديدة فى تاريخ الشرق الحديث

.. ولذلك نظروا إليه منذ اليوم الأول نظرة الترقب والتوجس والخوف .. وحاولوا أن يصلوا إليه ، أن يصلوا إلى قلبه ، فلما عجزوا وأخفقوا ، آمنوا بأن الأمر سيكون أخطر مما يتصورون ، وأن الشرق مقبل على فجر « صادق » يطوى الاستعمار طيا ، وأصروا على أن يطول الليل .. وأن يذهب الفجر .. ولا يعود .. ترى هل استطاعوا ؟

* * *

وقف الغرب يرقب فى لهفة ، ذلك الرجل الذى جاء ليجدد « دعوة » محمد بن عبد الله .. ومضى يسير على نهجه فى بساطة وأناة .. لا يسبق الحوادث ، ولا يصدم نواميس الكون

الرجل الذى كان يعلم أن مهمته ضخمة .. وأنها أكبر من جهد فرد .. ولكنه كان قوى العزيمة إلى الحد الذى يضفى الثقة على النفس .. فآمن بأنه سيصل

ومضى يعمل ويسهر ويكد ويجهد ... يقابل الناس ، ويتحدث إليهم .. ويخطب فيهم .. ويكتب لهم

ومضى ينفق من صحته ومن أعصابه ، حتى كان اليوم والليلة يضيقان عما يريد .. ومع هذا ظلت أعصابه قوية .. وكان يزداد مع الأيام تألقا

لم يمرض يوما ، ولم ينم فى فراش .. كأنما كان جسده محصن ضد المرض ، وكان كثير الأسفار .. وكانت الأسفار لا تجهده .. بل كان لقاؤه لأعوانه ، فى كل مكان ، يزيد روحه قوة ، ويفيض على نفسه حماسة وإشراقا

وكان موفقا لا تقف عقبة فى طريقه مهما عظمت

وكان لبقا ، فلم يلتق بإنسان مهما كان كبيرا ، إلا استطاع أن يغلبه ويقنعه ويضفى عليه شعاعا من روحه الوهاج

ولو كان فى مصر يوم بدأت الأحداث لتلافاها ، ولا استطاع أن يطفئ النار قبل أن يزداد لهيبها ..

* * *

وعندما وقعت القارعة انصرف عن الرجل بعض الذين كانوا يلقونه من قبل بالإكبار من ذوى الرأى ... ودخلوا جحورهم ، وخشى كل منهم أن يقف فى وجه الطوفان الذى كانت تدفعه يده ... بل إن بعضهم انضم إلى خصومه ووارى معرفته السابقة له ، بحرب عوان ..

... توارى بعض الذين كانوا يحرصون على أن يكسبوه أو يفيدوا منه .. وهذا شأن الشرق ، يحنى رأسه للرجل الذى يتألق ، فإذا انصرف عنه الجاه العريض ، شيعه الناس بالسخرية والاستخفاف ..

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى .. ولأم المخطئ الهبل

السلام صلة

أنور الجندى

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدورى

تقديم

إن الناحية الاقتصادية من تاريخ المسلمين ناحية جديرة بالعناية والبحث لفهم ذلك التاريخ وما خلفه لنا من تراث. وهى على خطورتها لم تلق الاهتمام الذى تستحقه، نتيجة حداثة هذا الفرع من فروع البحث التاريخى من جهة، ونتيجة اعتقاد الكثيرين – حتى فى الغرب – بأن ليس لدى المسلمين ما يدرس فى هذه الناحية

ومن طريف نواحى الحياة الاقتصادية تنظيمات العامة وتوجيه العمل فى الحرف والأصناف، فهى دليل حيوية اجتماعية، وظاهرة للشعور بالكيان مع رغبة فى التعاون وإعلاء مستوى الصناعة وشأن أصحابها

وليس لى إلا أن أقدم الخطوط الأساسية، عارضاً فيها ما توصلت إليه ببحثى – خاصة فى نشأة الأصناف والنقابات، ومستفيداً فى نفس الوقت من بحوث من سلف

وخلاصة رأيى الذى أعرضه هو أن تنظيم العمل كان نتيجة لظروف المجتمع الإسلامى، وأن أثر الحضارات القديمة هو فى التراث الاجتماعى العام، وأن أوليات تنظيم العمل جاءت فى اتجاهين: اتجاه سلمى هادئ يتمثل فى تكتل الحرف فى أسواق منفصلة ونموها تدريجاً؛ واتجاه عنيف يتمثل فى حركات العيارين والشطار التى وسمت نفسها بالفتوة. وتلى ذلك اتصال الاتجاهين بدعايات الصوفية والقرامطة وبتشكيلات الفتوة وتطور الكل فى اتجاه شامل

هذا ومن أراد التوسع أمكنه الرجوع إلى بعض البحوث خاصة تلك التى أثبتها فى آخر الحديث

إن تنظيم العمل سواء أ كان ذاتيا أم صادرا عن جهة خارجية وثيق الصلة بأهميته فى المجتمع وباتساع نطاقه وبالأوضاع العامة المحيطة به. اجتماعية واقتصادية وسياسية

ولقد كان تنظيم العمل لدى المسلمين ذاتيا قام به أصحاب الحرف ووجهوه فى مصلحتهم، فبدأوا بالتكتل ثم كونوا الأصناف والنقابات وساروا بها خطوات بعيدة. ولكن هذه الناحية من تاريخ المسلمين لا تزال فى إطار الفرضيات لغموض أولياتها، ولورود المعلومات عنها بعد أن قطعت مراحلها الأولى

ويبدأ اختلاف الرأى فى نشأتها؛ فهناك من يرى أن النقابات الإسلامية هى استمرار للنقابات البيزنطية (أو الساسانية) القديمة، فقد كانت فى الهلال الخصيب ومصر نقابات عند الفتح ولا ينتظر أن يقضى العرب عليها إذ أن سياستهم العامة كانت إبقاء التنظيمات القديمة فى البدء على الأقل

وهذا رأى يصعب البت فيه لأننا ليست لدينا إشارات تذكر عن النقابات قبل القرن الرابع الهجرى وهى فى هذه الأخبار تختلف عن النقابات القديمة

ويرى الأستاذ ماسنيون فى بحث له أن الحركة الإسماعيلية هى التى خلقت النقابات الإسلامية وأكسبتها صفاتها المميزة لها. ويعتقد أن النقابات الإسلامية كانت قبل كل شئ سلاحاً شهره الدعاة القرامطة فى كفاحهم لضم الطبقات العاملة فى العالم الإسلامى لتكوين قوة تضرب نظام الخلافة فهم إذن أوجدوا النقابات وسيطروا عليها لاستغلال أصحاب الحرف. (أنظر كتابه عن الحلاج)

ويعطى ما سنيون رأياً أقرب للقبول فى بحثه فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية، فيبين أن النقابات نشأت فى البلاد الإسلامية فى القرن التاسع الميلادى، وأنها لم تظهر نتيجة لمطالب الشريعة، بل كانت نموا طبيعيا للتطور الاقتصادى العجيب الذى حصل فى هذه الفترة فى المدن الكبيرة: بغداد أولا ثم البصرة وحلب ودمشق والإسكندرية والقاهرة والرى. ويرى أن التطور الاقتصادى يتمثل فى تمركز رأس المال نتيجة ظهور أصحاب المصارف (الذين كانوا يمدون الدولة بالنقد) وبتمركز العمل نتيجة حملات اصطياد الرقيق الاستعمارية التى كان يمولها أصحاب المصارف.

ثم يبين أن الأصناف الإسلامية كانت لها مميزاتها منذ البدء ومع أنها كانت متأثرة بالنقابات المحلية القديمة بزنطية وساسانية إلا أنها لم تكن مجرد بعث لتلك ؛ بل كانت بالأحرى مظهر رد فعل اجتماعى عنيف لجماعات العمال وأهل الحرف والفلاحين ضد الطبقة الحاكمة التى جمعتهم واستعبدتهم . وينتهى إلى أن تاريخ النقابات وثيق الصلة بالحركة القرمطية التى تمثل ثورة اجتماعية اقتصادية دينية سياسية زلزلت العالم الإسلامى بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر والتى تطورت ووسمت التنظيم النقابى

ويذهب الدكتور لويس إلى أن هيكل النقابات الإسلامية موروث من العالم اليونانى الرومانى ، مع أنه يبين أنه لا يستطيع تحديد أصول تشكيلات النقابات وفيما إذا كانت بزنطية أم لا . ثم يرى أن الحركة القرمطية لعبت دوراً كبيراً فى تطور النقابات وتركت أثراً عميقاً فى تشكيلاتها . ويذهب الدكتور لويس إلى تأييد الملاحظة الأخيرة ببعض الشواهد . فهناك اهتمام الإسماعيلية الخاص بالحرف وتخصيص فصل كامل فى رسائل إخوان الصفا التى يتمثل فيها الميل الإسماعيلى لموضوع العمل . فتقول الرسائل إن بعض الناس ، « لا يعمل ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان فى طلب معاشه كالمكدين السؤال . وأما من استولى عليه القمر فإنه لا يعمل من أجل مهانته واسترخاء طبيعته وقلة فهمه مثل النساء وأمثالهن من الرجال » وهذا تمجيد واضح للعمل

ويذكر تأييداً آخر فى رأيه وهو أن النقابات كانت مضطهدة ومقيدة بقيود لا تعد فى الخلافة العباسية وخاضعة لمراقبة المحتسب الذى كانت مهمته الأساسية (فى رأيه) قتل أية محاولة للعمل المستقل فيها فى بدئها . بينما كانت النقابات مرفهة وتتمتع برخاء عظيم ولها كيان حسن وامتيازات كبيرة عند الفاطميين

ويعتقد لويس بوجود آثار إسماعيلية فى تنظيم الأصناف مثل فكرة المهدى المنتظر وفكرة التنشئة المتدرجة وضم أفراد من طوائف مختلفة فى النقابة الواحدة

ولكن التدقيق فى بحوث من ذكرنا يشير إلى أن الأوليات لم تبحث كما يجب ولا بد من توضيح الجذور قبل بحث التنظيم

لقد كان فى المجتمع الإسلامى صنفان من العمال : الأحرار والرقيق . أما الأحرار فهم أصحاب الصناعات فى المدن ويلحق بهم أهل الحرف البسيطة كالزياتين والقصابين وهؤلاء يكونون جمهور الطبقة العاملة

وكان مورد العمال بسيطاً آنئذ ويصف عالم أبو الفضل الدمشقى «وأما الصنائع العملية وهى المهن فقد قيل قديماً : الصناعة فى الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى . وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه ولا يكاد كسبه يتسع لإقامة ضيعة أو عقد نعمة . » ويقول « وأيضاً فإنه مع ذلك إذا ميز الناس دخل فى أدون طبقاتهم »

أما طبقة العبيد فهى أوطأ طبقة وهى تشتغل فى الحقول أو البيوت وأحياناً فى الجيش

وليس قلة مورد العمال بالأمر الجديد ولكن تطورات اقتصادية حصلت ؛ فالمجتمع انتقل من طور زراعى إقطاعى فى العصر الأموى إلى طور تجارى زراعى فى العصر العباسى . وقد أدى توسع التجارة إلى تضخم رؤوس الأموال وإلى الزراعة الكثيفة وإلى توسع الصناعة وإنشاء المعامل الكبيرة

ولذا نشهد ظهور طبقة رأسمالية تضم كبار التجار وأصحاب المعامل وكبار الموظفين . وزاد فى قوة هذه الطبقة وتوسيع فعالياتها ظهور طبقة من أصحاب المصارف الذين هم تجار فى الأصل أخذوا يتاجرون بالنقود

ثم نلاحظ بسبب توسع المعامل وبسبب الزراعة الكثيفة تجمع العمال وتكتلهم أكثر من قبل حتى صرنا نرى الألوف يشتغلون فى محل واحد أو بقعة واحدة . وهذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية بقعة واحدة . وهذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية والقوة . ولا بد أن نشير هنا إلى فكرة وضع الحرف والأصناف فى أماكن معينة لكل جماعة سوقها وهذه واضحة فى تخطيط بغداد عند بنائها وفى تنظيم القيروان وفى بناء سامراء . وهذه الفكرة الطبقية هى فكرة موروثة وإن كان للمجتمع القديم قبل الإسلام من أثر فهو فى تخليد هذه الفكرة . وهناك ما يشير إلى حصول ارتفاع فى مستوى المعيشة وغلاء فى الأسعار فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث

الهجرى دون حصول ارتفاع مقابل فى الأجور . يضاف إلى ذلك الفوضى العامة التى أحدثتها سيطرة الجند التركى مما عرقل الأعمال الحرة وأضر بأصحاب الحرف قبل غيرهم . فأثر ذلك فى خلق البطالة وروح التمرد والنقمة خاصة على الطبقات الغنية والحاكمة

وبعد ملاحظة هذه الأسس نستطيع ملاحظة موقف الحرف وأصحاب المهن

وتشير البوادر الأولى إلى اتجاهين فى التنظيم الأول : تنظيم داخلى سلمى فيه حاول العمال تنظيم أنفسهم فنرى لكل حرفة سوق ورئيس تختاره الحكومة . ونلاحظ وجود تدرج فى الحرفة فنرى طبقتين : الأساتذة والصناع . وهذا واضح منذ النصف الأول للقرن الثالث الهجرى . ولا يوجد ما يشير إلى اضطهاد الحكومة للعمل فى هذه الفترة ؛ بل إن الحكومة كانت تراقب حركات الأعراب الذين يرتادون الأسواق لأسباب سياسية . ويجدر بالذكر أن وظيفة المحتسب لم تظهر إلا بعد انتهاء الفترة الأولى للفوضى التركية . إذ أن أول إشارة لوظيفة المحتسب تعود لخلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩) . وإن نظرنا إلى مناشير الحكومة فى القرن الرابع الهجرى (حتى بعد انتشار الدعاية القرمطية) نراها تجعل عمل المحتسب منع الغش فى الصناعة والإنتاج ومنع الحيلة والتدليس فى المعاملات والتأكد من صحة الموازين والمكاييل

ولكن يظهر أن الدعاية القرمطية أثرت فى قسم من العمال خلال القرن الخامس الهجرى وأواخر القرن الرابع الهجرى وتوجد بوادر تشير إلى اتهام بعض فعالياتهم

والاتجاه الثانى كان اتجاها عنيفا يدعو للثورة على أصحاب الأموال والخروج على السلطة وهذا يظهر فى تكتلات العيارين والشطار . وأول إشارة وصلتنا إلى هذا التكتل وردت فى التنوخى وتعود للقرن الثالث وفيها نلاحظ شعائر الجماعة واضحة ؛ فلهم ناد خاص سرى يجتمعون فيه وشعارهم من الملابس نشر الإزار على الكتف ولف المئزر فى الوسط ؛ كما أن الانتماء يتم بمراسيم أبرزها شد المئزر وشرب كأس من النبيذ . وكان أعضاء الجمعية يعملون ويسرقون أحيانا ويقتسمون الأرباح وعلاقتهم عدائية مع الحكومة . وكان هؤلاء يسمون أنفسهم الفتيان . ويجلب الانتباه أن العيارين والشطار كانوا يدعون أنفسهم بالفتيان

ظهر هذا التنظيم فى مجتمع مادى . ومما زاد فى قوة التكتل وشدته الدعايات الاجتماعية التى جاءت باسم الدين ولكنها ساعدت على تحسين الحال وتغيير الأوضاع الاجتماعية . وتجلت فى حركة الزنج وبصورة أقوى فى حركة الإسماعيلية والقرامطة الذين تطرفوا فى استغلال التذمر فقالوا بأن الأنبياء والسلاطين أنزلوا العامة إلى مستوى العبودية الاجتماعية والشقاء المادى ، وأعلنوا أنهم يريدون إرجاع العدل الاجتماعى وتحقيق الرفاه المادى . وهناك إخوان الصفا وهم جمعية سرية إسماعيلية الميول اشتغلت ضد الخلافة وسعت لتهذيب العامة لتجعل ذلك وسيلة لإحداث ثورة سياسية دينية عامة

ويظهر أن الطبقة العامة فى العراق على الأقل لم تبق راكدة بل حاولت تحسين كيانها وتأثرت بالدعايات ، فبعضهم انضم للحركة القرمطية ولحركة الزنج فى ثورات عسكرية دامت نصف قرن ، والبعض الآخر سعى بطرق علمية تعاونية لتحسين الوضع وكان لفوضى الجند التركى أثر مباشر فى ذلك

ويظهر أيضا أن حركة أصحاب الحرف التى ظهرت لدى العيارين والشطار والفتيان تأثرت بالاتجاهات الصوفية فى القرن الخامس الهجرى وأواخر القرن الرابع الهجرى ، فنجد القشيرى يشير إلى خلق سام للفتوة فيه إطاعة للشريعة والرأفة بالناس والعفو عن المسىء والكرم حتى مع المشركين والأمانة والصدق والتواضع ، ويفهم من القشيرى أن حركة الفتيان انتشرت فى العراق والشام وإيران ، وأن لها أتباع من الطبقة المتوسطة إضافة إلى الطبقة الفقيرة

ولا يخفى أن الصلة بالصوفية حصلت فى دور لا تزال الدعاية الإسماعيلية فيه قائمة ، وهذا يجعل من الصلابة بمكان قبول رأى لويس من أن النقابات تحرج وضعها بعد اختفاء الحركة القرمطية وأنها لذلك اتجهت نحو ميول دينية كالتصوف . فنشاط الصوفية كان موازيا للنشاط الإسماعيلى

ويظهر أن الفتوة تأكدت لديها الناحية العسكرية تدريجيا . وقد انتشرت تشكيلات الفتوة فى جميع البلاد الاسلامية خلال

زكى مبارك

الأديب الذى أحب العراق

للأستاذ نجدة فتحى صفوة

سيسأل قوم من زكى مبارك … وجسمى مدفون بصحراء صماء
فإن سألوا منى ففى مصر مرقدى … وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى

لم تكن خسارة الأدب العربى فى وفاة الدكتور زكى مبارك — رحمه الله — هينة ، ولا بالتى يمكن أن تعوض

وقد قال الأستاذ الزيات فى رثائه الرائع للمرحوم المازنى « .. فإذا أضيف إلى ذلك أن المازنى كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان ، من يحمل عنهم أمانة البيان ، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم » (١)

وهذا كاتب آخر من أولئك « العشرة البررة » فقدته اللغة العربية يوم فقدت المجاور الأزهرى ، والناقد الألمعى ، والباحث المتعمق ، والشاعر المتغزل ، ربيب سنتريس ، وحبيب باريس ، وطبيب ليلى المريضة فى العراق ، (الدكاترة) زكى مبارك !

ولا ريب أن أدب زكى مبارك سينال ما يستحقه من دراسة الباحثين وعناية المؤرخين ، ويحتل مكانه اللائق به بين أدباء جيله ، واترك لأصدقاء زكى مبارك أن يرثوا الصديق الوفى ، ولتلاميذه وعشاق أدبه أن يدرسوا الكاتب البليغ ، ولزملائه ومعاصريه أن يترجموا للفلاح الذى دفعه جده وطموحه من القرية إلى الأزهر ، ومن الأزهر إلى الجامعة ، ومن القاهرة إلى باريس ، ومن الخمول إلى الصف الأول بين أدباء هذا الجيل ..

وإنما هذه تحية من عراقى إلى الأديب المصرى الذى أحب العراق ، فأحبه العراقيون ، ومنح هذا البلد قطعة من قلبه ، وجانبا من أدبه ، فبادله أهله المحبة والإعجاب ، وقابلوه بالرعاية والإكرام ..

تحية وفاء إلى تلك الروح اللطيفة المرفرفة فوق بغداد ..

ترجع صلة الدكتور زكى مبارك بالعراق إلى عهود دراسته الأولى يوم عنى بالأدب العباسى وشغل نفسه أعواما طويلة بأدباء العراق ، فبعثت هذه الدراسة فى نفسه محبة العراق ، واسترعى تاريخه الحافل تفكيره وألهب خياله . وقد خاطب العراقيين ذات مرة فى بعض محاضراته العامة قائلا : « وأنا فى الواقع تلميذ بغداد قبل أن أكون تلميذ القاهرة أو باريس ، فإن رأيتم صراحتى فلا تلومونى ، فاللوم على أسلافكم الذين شرعوا مذاهب العقل والمنطق »

حتى إذا دعى — رحمه الله — إلى التعليم فى دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٣٧ رحب بذلك قائلا : إن من العقل أن أعرف جوانب من الشرق بعد أن عرفت جوانب من الغرب . وصح عندى أن الهجرة إلى العراق قد تشرح دقائق الأدب فى

(١) الرسالة . العدد ٨٤٥ الصادر فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٩

القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد . وصارت جمعية الفتوة وخاصة بعد أن تبناها الناصر لدين الله مجموعة فتيان يربطهم دستور دينى أخلاقى له واجبات وشعائر منظمة ، وينتظر منهم التحلى ببعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية للاسلام

وبعد الفتح المغولى زادت صلة الفتوة العسكرية بالطرائق الصوفية وبنقابات الحرف . وقد بدأ ذلك فى الأناضول وانتشر فى العالم الإسلامى حتى صارت كلمتا (نقابة) و (فتوة) تشيران إلى مدلول واحد ، وقد لعب هذا الاتجاه دوراً خاصا فى تطور التاريخ الإسلامى العام

ولابد هنا من ذكر الآراء عن نشأة الفتوة ؛ فالأستاذ تيشنر يرى ثلاثة أدوار للفتوة تمثل خطوات انحلال اجتماعى مطرد . فهو يرى أن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية ، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة فى القرن الثالث عشر الميلادى وأخيرا هبطت فى القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام ، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف

ويرى تورنبخ أن الصوفية والنقابات لم يضموا جمعيات الفتوة بل قلدوها مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها

للكلام بقية

عبد العزيز الدورى

العصر العباسى ، وليس من المقبول أن يصح لمثلى أن يصف باريس من علم ، ويصف بغداد عن جهل

وشد رحاله إلى بغداد ، فكان لمصر فيها سفيرا أدبيا ممتازا ، وأحدثت زيارته فيها حركة أدبية ونشاطا فكريا بما كان يبثه قلمه — على عادته أيان كان — فى صحافة العراق ومجتمعاته وأنديته من حيوية وحركة . « وما هى إلا أشهر قلائل » كما يقول « حتى كنت على صلات بمختلف الطبقات فى بغداد ، وحتى صححت لنفسى أخطاء كثيرة فى فهم الأدب والتاريخ »

قضى زكى مبارك فى العراق تسعة أشهر حافلة بالعمل زاخرة بالإنتاج ، ولم يقف نشاطه فى حدود عمله الرسمى ، أو دروسه فى دار المعلمين العالية ، وإنما تجاوزه إلى تأليف ستة مجلدات عن العراق (٢) وكتابة مئات المقالات ، وإلقاء عشرات المحاضرات . وقد عنى — رحمه الله — بشؤون العراق الفكرية والثقافية عناية عظيمة ، فدرس الأدب العراق عن فهم وروية ، وكتب عن المرأة العراقية ونهضتها ، وتبنى فكرة إنشاء الجامعة العراقية ، وتحمس لها أكثر من العراقيين ، ودعا إليها فى كل مناسبة — وأحيانا بدون مناسبة أيضا — ولعله كان أول من دعا لها ووجه إليها أنظار المسؤولين ، وحملهم على التفكير الجدى فيها .

وتطوع — رحمه الله — لتصحيح ما كان خاطئا من الآراء والمعلومات عن العراق فى البلاد العربية ، فكان على قوله « من صور العراق فى مصر ، ومن صور مصر فى العراق » وكان رسول الأخوة العراقية المصرية ، أدى بقلمه مالا تؤديه سفارات ولا معاهدات ، قال فى المصريين — وهو شاهد من أهلها — : « إن المصريين يفدون إلى العراق وليس فى صدورهم ثروة غير الحب ، ومن أجل هذا يحبهم العراقيون ، فإن سمعتم أن مصريا شقى فى العراق فاعلموا أنه مصرى مزيف »

كما قال فى أهل العراق — وهو الخبير العارف بهم — « إن العراقيين يحبوننا أصدق الحب ، فليعرفوا جيدا إننا نحبهم ونتمنى لهم كل خير ، وننظر إلى بلادهم نظر الأخوة الصادقة التى لا تضمر غير العطف والصدق »

وطلب إليه أن يلقى فى بغداد محاضرات أدبية عامة ، فاختار لموضوعها شاعرا عراقيا إكراما للعراق ومجاملة لأهله ، ولما رآه من شبه بين شخصية الشريف الرضى وشخصيته فى تدفق الإحساس وكآبة العاطفة وغدر الزمان ، فأدى بذلك خدمتين جليلتين ، الأولى للأدب العربى ، إذ أحيا ذكرى هذا الشاعر العظيم الذى لم ينل شعره ما يستحقه من عناية ودراسة . والثانية للعراق لما جره الحديث من ذكر العراق ووصفه وتاريخه . وكان — رحمه الله — بما عرف عنه من اندفاع الشعور وحدة العاطفة ورقة الطبع قد درس الشريف الرضى ودعا الناس إلى دراسته ودلهم على مواطن العبقرية والعظمة فى شعره . ولكنه كان أول من صدق أقواله فيه ، وزادته دراسته للشريف الرضى إعجابا به ، حتى قال عند تقديمه المحاضرات مجموعة فى كتاب ، على طريقته المعروفة : « إن الشريف الرضى فى كتابى ، أشعر من المتنبى فى أى كتاب ، ولن يكون المتنبى أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتابا مثل هذا الكتاب ! »

وفى بغداد نظم قصيدة ألقاها فى (نادى القلم العراقى) يقول إنها أعظم ما نظم فى حياته عنوانها « من جحيم الظلم فى القاهرة إلى سمير الوجد فى بغداد » ومطلعها

وفدت على بغداد والقلب موجع

فهل فرجت كربى وهل أبرأت دائى ؟

وقال — رحمه الله — فى « وحى بغداد » :

« وأخشى ألا أظفر بكلمة رثاء يوم يشيعنى الناس إلى قبرى ، فذاكرة بنى آدم ضعيفة جدا ، وهم لا يذكرون إلا من يؤذيهم ، أما الذى يخدمهم ويشقى فى سبيلهم فلا يذكره أحد منهم بالخير إلا وفى كلامه نبرة تشير إلى أنه يتصدق بكلمة المعروف »

كلا يا صديق العراق ومحبه !

فلن يفقدك العراقيون ، وهم إن ذكروك لم يحسنوا إليك ، وإنما أحسنوا إلى أنفسهم ، ولم يتصدقوا بكلمة المعروف ، بل ردوا دينا لك فى أعناقهم . وإنك لم تعد الحق يوم قلت :

« وستمر أجيال وأجيال ، ولا ينسى أهل بغداد ، أن مدينتهم عاش فيها رجل أحبها أصدق الحب ، اسمه زكى مبارك ، »

القاهرة

نجدة فتحى صفوة

---

(٢) وهى « ليلى المريضة فى العراق » فى ثلاثة مجلدات و « وحى بغداد » و « ملامح المجتمع العراقى » و « عبقرية الشريف الرضى »

بحث فى الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

السلم العربى

ذكرت آنفا أن لكل لحن من الألحان العربية سلما خاصا ولكن لها سلما عاما أصيلا تتفرع منه درجات أنصاف ودرجات أرباع . وهذه الأنصاف والأرباع تستعار من الدرجات الأصيلة بالضغط على الوتر بالإصبع ، أو باستعمال « البكلة » فى القانون التركى ، أو باستعمال ضغط الإصبع ، أو بدوزنة القانون دوزنة خاصة حسب اللحن المراد . وهذا ما يجعل الموسيقى العربية ممتازة على الموسيقى الغربية بحيث تصدر الألحان المختلفة محاكية الانفعالات النفسانية . الأمر الذى ليس له مشابه فى الموسيقى الأفرنكية . وتشترك معها فى هذه المزية الموسيقى التركية . وربما كانت الموسيقى اليونانية أميز منهما فى هذا القبيل لأن فى سلمها $\frac{1}{8}$ و $\frac{1}{32}$ من الدرجة علاوة على النصف والربع كما يقال

والموسيقى العربية اقتبست كثيرا من الموسيقى التركية وهذه من اليونانية الأصيلة المسماة « البيظنطية » وفى ألحاننا العربية كثيرا من الروح البيظنطية . ويقال إن المرحوم السيد درويش الملحن المعظم كان يختلف كثيرا إلى الكنائس الأرثوذكسية لكى يسمع البصلطيكا اليونانية أى البيظنطية لكى يقتبس منها العبارات الموسيقية الجميلة أو المؤثرة أو الحنونة . وفى أدواره التى سجلها لنفسه فى أقراص الفونغراف كثير من الروح البيظنطية

السلم العربى (والتركى أيضا) أدق السلالم الموسيقية فى كل العالم لما فيه من أنصاف الدرجات وأرباعها ، يقتبس منه العازف بدل درجاته الأصيلة حسب مقتضى اللحن الذى يعزفه

ولإيضاح ذلك نرسم السلم العربى فى درجاته وفروعهـا (الأنصاف والأرباع) كما ورد فى كتاب الأستاذ فرج الله وردى الذى نحن بصدده صفحة ١٥٣ مع مقارنته بالسلم الأفرنكى

	امتزازات	ذرات	
دو	١٢٠٠	١٢٠٠	كردان
	١١٥٠	١١٦٧	ماهور
مى	١١٠٠	١١١٠	نم ماهور
	١٠٥٠	١٠٨٦	أوج
	١٠٠٠	٩٩٦	عجم
	٩٥٠٠	٩٧٢	نم عجم
لا	٩٠٠	٩٠٦	حسينى
	٨٥٠	٨٨٢	تك حصار
	٨٠٠	٨١٦	حصار
	٧٥٠	٧٩٢	نم حصار
صول	٧٠٠	٧٠٢	نوى
	٦٥٠	٦٧٨	تك حجاز
	٦٠٠	٦١٢	حجاز
	٥٥٠	٥٨٨	نم حجاز
فا	٥٠٠	٤٩٨	جهار كاه
	٤٥٠	٤٧٤	بوسلك
مى	٤٠٠	٤٠٨	نم بوسلك
	٣٥٠	٣٨٢	سيكاه
	٣٠٠	٣١٨	كردى
	٢٥٠	٢٩٤	نم كردى
رى	٢٠٠	٢٠٤	دوكاه
	١٥٠	١٨٠	تك زركوله
	١٠٠	١١٤	زركوله
	٥٠	٩٠	نم زركوله
دو	الوتر المطلق		رست أورصد

ولا أفهم لماذا لا يكون عدد اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأعلى مضاعف اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأسفل . أعنى أن تكون اهتزازات « دو » العليا (كردان) مضاعف اهتزازات دو السفلى لأن تلك بداية السلم الأعلى . وهى فى الجدول ليست كذلك لأن العليا جواب للسفلى وهذه قرارها .

لكن الأمر على خلاف ذلك بل هو بعيد جدا من هذا الظن

وفي كتاب الأستاذ الله ويردي ستون رسما وجدولا للسلالم الموسيقية المختلفة الغربية والشرقية والقديمة والحديثة . وفيه تحقيق علمي للنسب المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالأنغام وغيرها حتى إذا طالعتها دهشت لسعة اطلاع المؤلف وسعة تفكيره ودراسته وتحار في كيفية استيعابه لها، ولا تكاد تصدق أن عقلا واحداً حذق تلك العبارات المختلفة واستخرج تلك الأرقام حتى ليخيل لك أن الموسيقى ضرب من العلوم الرياضية . وإنها لكذلك في دراسة هذا الكتاب الساحر

الجمال الموسيقي :

ربما كان القسم الرابع من الكتاب أجذب الأقسام لنفس القارئ المحب للفن لأنه تبسط واسع في الجمال الموسيقي . فأستأذن حضرة المؤلف بكلمة مختصرة أبسط بها ذلك التبسط

قلنا آنفا إن مزية الموسيقى العربية (والتركية أيضا) هي في أجزاء هذه الدرجات من أنصاف وأرباع لأن لكل لحن طريقة خاصة في استعمال هذه الأجزاء . مثال ذلك أن العازف الذي يعزف لحن النهاوند يستعمل (راجع الجدول) ثم حجاز بدل جهاركاه، ويستعمل كردي بدل سيكاه ، ثم دوكاه الأصيلة إلى أن يستقر على الرست (وقد أكون مخطئا في هذا الترتيب) وهكذا لكل لحن استعارات خاصة من الأجزاء . فإذا عزف العازف هكذا ثم عزف على الدرجات الأصيلة جهاركاه سيكاه دوكاه رست شعرت حالا بالفرق في اللحن لأنه في هذه الحالة يكون اللحن رستا لا نهاوند . وهكذا يتنوع الألحان العربية بتنوع العزف على الأرباع والأنصاف بدل الدرجات الأصيلة ، وبواسطة هذه الاستعارات يتولد عند العرب عشرات الألحان وهي التي تحكي العواطف الروحية المختلفة . وليس في الموسيقى الأفرنكية إلا القليل من هذه التنوعات لاستعمال أنصاف الدرجات (أو ما يسمونه هكذا وما هو بأنصاف) كما رأيت، ولذلك تعتبر الموسيقى العربية أرق وأجمل بكثرة التنوعات التي فيها . ولا بدع أن تكون كذلك لأن أقدميتها صقلتها وجعلت التفنن فيها بدائع فنية ككل تطور وارتقاء . والموسيقى الأفرنكية بنت الأمس ،

ويظن أصحابها أن الاقتصاد فيها على أشباه الأنصاف وتقييدها بالعلامات جعلها فنية راقية ، وعندي أن هذا التقييد جعلها سخيفة في أذن الشرق . الموسيقى روح لا مادة، فيجب أن توضع تحت أمر الأذن (العصب السمعي) كما يفعل العازفون العرب ، فتكون أوقع في النفس وأكثر اندماجا بالروح وأخلب للب

أما الذين يستحبون هذه دون تلك أو تلك دون هذه فأوتار أعصابهم السمعية قد تدوزنت على سلالم ألحانهم فصارت تهتز مع اهتزازات موسيقاهم وتنفر من اهتزازات الموسيقى الأجنبية .

فهؤلاء مخطئون في استهجان موسيقى غيرهم والعكس بالعكس . وإذا كان الشرقي أو الغربي لا يود أن يسمع إلا موسيقاه فلا تلمه إذا قال لك إن موسيقاه أطرب من تلك أو أن الموسيقى الأجنبية أطرب له من موسيقاه لأنه تعود سماع الموسيقى التي تطربه منذ صغره . فهناك أشخاص لا يتذوقون الفن ولا يفهمون أصوله ولا يطربون لأي موسيقى ، فيقولون لك إن الموسيقى الأفرنكية ذات أصول وقواعد وفنون ولذلك يحبونها، والحقيقة أنهم لا يحبون شيئا . ويقولون أيضا إن الموسيقى العربية أو الغناء العربي عار من الأصول والقواعد والأغاني لأن الأغاني كلها فوضى . هؤلاء جهلاء أغبياء جدا وإنما هم يقولون هذا القول لكي يتمسحوا بالأفرنج ويقال عنهم إنهم متمدنون .

ولما كان السلم الأفرنكي لا يطابق السلم العربي حتى في درجاته الأصيلة فيتعذر جدا على العازف أن يعزف لحنا عربيا على آلة أفرنكية مقيدة الدرجات كالبيانو والأرغن وأمثالها . فإذا عزف عازف عليها لحنا عربيا ظهر ناشزا حتى إنك لا تستطيع أن تسمعه إذا كنت قد ألفته على الآلة العربية كالعود والكمنجة والقانون . لا تستطيع أن تعزف أذان الصلاة على البيانو أو نحوه وتشمئز إذا سمعته؛ ولكن إذا سمعت الأذان من كمنجة الأستاذ سامي الشوا شعرت أنه ناطق بكلامه

وكانت فتاة لبنانية تدرس موسيقى في إيطاليا (حسب السلم الأفرنكي طبعا) فغنت مرة سوريين أغنية بسيطة لبنانية على السلم الأفرنكي فلم يطق أحد سماعها لأنها كانت تغني العربي على السلم الأفرنكي . وهناك أناس يستنكرون تكرار الكلام والتلحين بالغناء العربي . فهؤلاء محقون في استنكارهم وربما كان

هذا التكرار هو العيب الوحيد فى الغناء العربى المصرى، والذنب فيه هو ذنب المغنين أنفسهم لا ذنب الملحنين . لأن الملحن قد يكرر عبارة ولكنه لا يكرر لحنها وإنما يلحن لتكرارها لحنا آخر . ومع ذلك لا نعذره كل العذر لأن الشعر عندنا سواء كان معربا أو زجلا غنى بالكلام فلاداعى لقضاء نصف ساعة أو أكثر فى غناء أغنية كلامها معدود الألفاظ إلا إذا كان الكلام المكرر متنوع الألحان . سمعت مرة فى الإذاعة المصرية مغنيا ينشد قصيدة « نالت على يدها مالم تنله يدى » فقضى حصته فى الإذاعة فى إنشاد الأربعة الأبيات الأولى وكان يكرر كل بيت منها بكلامه ولحنه مرارا حتى زهقت وأعتقد أن جميع السامعين زهقوا أيضا . والقصيدة تشتمل على أكثر من عشرة أبيات فكان فى وسعه أن ينشدها كلها وأن يتفنن فى ألحانها أو أن يعتمد على ملحن خاص يلحنها له

الموسيقى والشعر :

وربما كان الشعر العربى يمتازعلى أشعار معظم الأمم الأخرى ولاسيما الافرنكية لأنه موزون وذومقاطع معدودة ومحدودة فى كل بحر من بحوره . ووزن الشعر العربى يتفق مع الألحان الموسيقية اتفاقا طبيعيا لأن الشعر موسيقى والموسيقى شعر . ولهذا أفرد الأستاذ الله وردى قسما من كتابه العجيب فصلا خاصا مطولا للعروض . بحث فيه بحثا فلسفيا ثم علميا مستفيضا وضبط جميع الأوزان العروضية وتفعيلاتها وشرح قواعدها شرحا علميا عجيبا . فننصح لمن يريدون درس العروض أن يطلعوا على الفصل السادس من الكتاب فى التوزين والإيقاع بل أن يدرسوه درسا

بقيت لى ملاحظه طفيلية أرجو أن يغتفرها لى حضرة الأستاذ المؤلف وهى أنه ورد فى مباحث الكتاب بعض اصطلاحات خاصة بالموسيقى . مثل ذرة وكوما وليما وبعد طبيعى وبعد طنينى وجناحان إلى غير ذلك مما هو من خصائص العلم الموسيقى وهى غير مفسرة فى الكتاب التفسير الذى يحتاج إليه الدارس . وكان جديرا بحضرة الأستاذ أن يضع لهذه الكلمات معجما فى آخر الكتاب أو فى أوله مستوفى الشرح يرجع إليه الدارس كلما وردت أمامه كلمة منها إلى أن يستوعبها تماما . وحبذا لو كان يضع للموسيقى كتابا تعليميا مدرسيا يقلل فيه جداول الأرقام للطلبة الذين يريدون أن يتعلموا الفن حسب الأصول والقواعد

وأخيرا إنى متعجب جدا من جلد الأستاذ ومقدرته على إزكان هذا الفن من الناحية العلمية ولا سيما النسب الرياضية وغيرها، ولاأظن أحداً غيره درس هذه الدراسة المستفيضة

حقا أنه يستحق جائزة نوبل إذا أمكن أعضاء لجنة نوبل الاطلاع على ترجمة هذا الكتاب

نقولا الحداد

---

٣ ـ لغة المستقبل ..

للاستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلمانى الفيلسوف أستاذى الدكتور إبراهيم بيومى مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

تبين لنا فى المقال السابق أن المنهج الرياضى لا يتناول غير موضوعات الرياضة البحتة بفرعيها : الحساب والهندسة . وإلى هنا يقف المنهج الرياضى . وتقام السدود من دونه فى سائر العلوم ، ومن ثم يحل محله الروح الرياضى

فالرياضى إذا اكتشف قانونا ، لن تزل قدماه حتى يقنعنا بالصلة التامة بين قانونه الجديد وباقى البدهيات المسلم بها ، أما الفيزيقى ، فإنا لانطالبه — فى حالة ما إذا سمح الله واكتشف قانونا — بأكثر من أن يربطه بنظرية متعارف عليها ، وإذن ما أثقل العبء الملقى على عاتق الرياضيين

والفيزيقى — من جهة أخرى — يبحث عن مسائل جديدة يحددها بآلات معمله ويربطها ويعدلها حسب الحاجة ، أما الرياضى فإنه يتحسس السبيل إلى بصيص من موهبة الإبداع ليصور مسائل جديدة يستطيع بمنهجه أن يتدخل فيها ، هذه الموهبة انفرد بها كثير من المحدثين ، وبلغت أقصاها عند « أرشميدس » كما يقول Zanther

كما أن « الرياضى والفيزيقى يستعملان القياس ، غير أن الفيزيقى تظل نتائج قياسه موضعا للنظر ويعوزها التحقيق » هكذا يقول العلامة الفيلسوف (كلود برنار Claude Bernard)(١)

وإذا كانت العمليات الحسابية تدخل فى الميادين الأخرى ، فإن هذه العلوم المطعمة بالرياضة ، والعلوم التطبيقية أو الصناعات تختلف منهجا لاختلافها موضوعا

أما العلوم التى تتناول الوسط بين الفيزيقا والرياضة فإنها تستخدم منهجا هو مزاج من المنهج الرياضى والمنهج التجريبى .

وإذا كان مجرد الانتقال من الهندسة البحتة إلى الهندسة التحليلية كفيلا بتغيير المنهج الذى لا يعود بعد ذلك محتفظا بخواصه البرهانية الحدسية الأولى — كما يقول أستاذنا المرحوم المسيو (لالاند)(٢) فكيف إذا انتقلنا من ميدان إلى آخر

فالعلوم تختلف موضوعا ومنهجا ، وليس ذلك بمانع من أن يكون سير الاختراع فى جميعها واحدا لا يتغير — كما يقول (تانرى Tannerey)(٣)

وإذا كان للرياضة أن تنفرد من حيث الموضوع بمثاليتها التى تتعالى بها على العلوم الأخرى فى واقعيتها ، فإن لها أن تنفرد بالمنهج البرهانى فى مقابل المنهج التجريبى الذى تسلكه الفيزيقا

فى الفيزيقا نرى أكثر القوانين إن هي إلا معادلات جبرية فقد فسر (براون) الحرارة بتوزيع الذرات حسب متوالية هندسية عرفت فى الوسط العلمى باسم « الحركة البراونية » ، وكذلك قانون الضغط وقانون الطفو كلاهما معادلات جبرية ، وكلاهما إدراك سليم للنسبة بين متغيرين ، تلك النسبة التى أدركها العقل بالحدس لا بالتجربة

ومع ذلك نرى العلماء يختلفون فى تفسير الظاهرة الفيزيقية اختلافا يذهب بأحدهم شرقا وبالآخر غربا ، فهذه ظاهرة الضوء : يفسرها (نيوتون) حسب النظرية الشيئية ويربط رأيه ببدهيات ينقضها (ويجانز) و (فرنل) إذ يفسران الضوء بالتداخل والاستقطاب ، ثم يأتى من بعدهم من يفسره بالنظرية الأثيرية

وفى الكيمياء ، ظل العلماء ردحا من الزمن يعتبرون العناصر عددا يعد على الأصابع ، وبتقدم البحث أوصلوها إلى أكثر من تسعين ، وما كان لهم أن يصلوا إلى هذا إلا بمواصلة التحليل ، فاستطاعوا أن يضعوا قوانين المزج والتركيب الكيميائى فى صور معادلات جبرية وثيقة يعتمدها العقل

وفى العلوم الكونية جميعا ، تمكن العلماء من صوغ قوانينهم فى أرقام حسابية أو أشكال هندسية ، وسبيلها العام إلى ذلك

1 — Introduction à la medecine experimentale

2 — lectures 71   3 — art de la methode

هو الاستقراء والتجريب ما دامت الموضوعات قابلة للقياس والمقدار

وفى البيولوجيا خضعت ظواهرها لهذا القياس . يقول (بيكار Bicard) « إن البحوث البيولوجية لا تقفنا على دخائل الأجهزة الداخلية ، ولا يمكن أن نكون منها معادلات لها دوال على الوجه الذى نراه فى عالم الفزيقا » (٤)

والواقع غير هذا ، فقد تقدم علم البيولوجى تقدما ملحوظا ، وتمكن من قياس الظاهرات البيولوجية وتحليلها وتغيير ظروفها لمعرفة التغييرات الناشئة عن ذلك ، وهو لم يصل إلى هذا إلا بأمرين هما : التشريح والاستدلال ؛ وبهذا التحليل تمكن من معرفة تركيب الخلايا والغدد لمعرفة أثر الحياة الفيزيولوجية فى الحياة السيكولوجية ، وبذا انتهى إلى معرفة خواص (الأدرينالين) ودوره الفسيولوجى ، وانتهى إلى تأثرات الجهاز العصبى بالجهاز التناسلى ، وأثر الخلايا وتركيبها فى السلوك العام ، وانتهى إلى قوانين التنبيه الحسى أو العضلى ، وسبيله إلى كل ذلك التجريب ثم التحليل والإحصاء والمقياس والرسم البيانى والمعادلات الجبرية ، وعلى ذلك يكون الروح الرياضى هو العون الوحيد على هذه المجاهدات البيولوجية

أما فى السيكولوجيا ، فقد اعتبرت مظاهر السلوك وقائع تكشف عن طاقة كافة هى النفس ، وبتحليل هذه الوقائع وقياسها ، ورد المتشابه منها إلى أصل واحد ، أمكن الوصول إلى بعض القوانين

وفى العلوم الاجتماعية حاول المفكرون علاجها حسب المناهج الهندسية ، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة تعديل أى قانون بآخر ، ومنهم من استخلص نتائج سياسية من الحكم السائرة والأمثال العامية فأخطأوا جميعا ، وسر هذا الخطأ هو محاولتهم علاج الفن على أنه علم ، ومحاولتهم الحصول على فن قياسى غير معقول (٥) كما يقول (مل Mill)

وحاول أفلاطون قديما — وهو تلميذ الفيثاغورية الرياضية — أن يشيد المدينة اليونانية على اعتبار أن بنى الإنسان أعداد ، لم تتحقق أحلامه ، ولم يندفع به الخيال كما كان يهوى

واستطاع علماء الاجتماع المحدثون أن يتلافوا ما وقع فيه أفلاطون والفارابى وتوماس مور وكامبانيلا ، فنظروا إلى أمور المجتمع على أنها « وقائع » فى ذاتها ففسروها وجربوا عليها واتخذوا لها الإحصاءات ، واستعانوا بالروح العلمية فاستبدلوا بالنسب الرياضية « روابط » سموها القوانين التى هى أشبه بالمدن النفيس الذى كان نتيجة « انصهار » عدة عوامل فى « بوتقة » المجتمع الذى وصل (مونتسكيو) إلى أغواره فألف « روح القوانين » وكما جعله (دوركيم) ميدانا للمجال الطبيعى فانتهى إلى « الضمير العام Conscience collective » وذلك بعد أن افترض فيه جانبيه الكبيرين « الاستاتيكا » و « الديناميكا » شأنه فى ذلك شأن المغناطيسية والكهربائية والميكانيكية والفلك سواء بسواء

وبإنعام النظر فى الميادين الاجتماعية ، توصل علماء الاقتصاد إلى نتائج لها قيمتها ، وذلك باكتشاف قوانين : العرض والطلب وقانون جريشام فى النقد ، وقانون ريكاردو فى الإيراد العقارى ، وقانون مالتوس فى العلاقة بين زيادة السكان ومواد المعيشة ، وقانون الغلة المتناقصة ، وقانون الغلة المتزايدة . وكذلك ظهر فى تاريخ الحضارة قانون القهقرى Ricorso الذى توصل إليه (فيكو Vico) وتقدمت النظريات الاجتماعية كثيراً بالاستعانة بالإحصاء ، وصدقت قوانينها العامة منذ اعتمدت على العناصر الثلاثة الآتية :

١ — معرفة طبيعة المجتمع معرفة مستقلة

٢ — اقتباس المنهج من صميم هذه الطبيعة الاجتماعية

٣ — السماح للروح الرياضية والعلمية بتنظيم الموضوعية الاجتماعية والإشراف على وثاقة قوانينها

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الروح الرياضية لن تتطاول إلى الفنون ، ولكن الواقع غير هذا : فالشعر والموسيقى يعتمدان على الانسجام أو التناسب بين الأنغام والتفاعيل مقدرا كل ذلك بأعداد . فالروح الرياضى سائد فى أوزان الشعر وقوافيه ، والفنون على اختلافها تستوعب جزءا كبيرا من المنهج الرياضى من حيث :

4 — la science moderne 5 — The system & logic p.579

البداهة وموهبة الاختراع ، والتقدير العددي والإلهام

ولا شك بعد هذا كله فى أن المنهج الرياضى هو أوثق المناهج فى استقرار النتائج . وكم ذا يود الفكر الخالص أن يحظى فى شتى ميادينه بوثاقة الرياضة لولا القيود والسدود التى تعترضه وإن كان يجهد ويسعى مخلصا فى التغلب عليها والوصول إلى هدفه السامى

والرياضة إذن « قاسم مشترك أعظم » بين جميع المعارف . بل هى لغة مشتركة langage commode ووظيفتها الكبرى هى احتمال معانى الألفاظ الوجودية والتفكيرية معا ، والارتفاع بها عن المثقلات المادية ، والأوشاب والأوضار التى طالما عوقت ركب المفكرين عن سمادة الدارين

والأمل اليوم معقود على « التلباثى » لتكون لغة الجميع حيث تصفو النفوس ، وتخلص من غواشيها ، وتتحقق أحلام فيثا غورس يوم قال « العالم عدد ونغم » . وهل ينشد المصلحون إلا العدالة بين الناس ليكون فى المساواة كالأعداد ؟ وهل ينشد المربون إلا المحبة التى هى انسجام وتوافق كما هو فى الأنغام ؟ ، وهل يكون هذا إلا بالتربية الرياضية والاستقامة على نهجها ، وليس بعزيز على الله أن تكون هذه « الأعداد والأنغام » .. لغة المستقبل

(انتهى البحث) محمد محمود زيتون

شخصية

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يلتزم أكثر الناس ، أثناء أحاديثهم ، كلمة واحدة أو جملة تجرى على ألسنتهم مجرى العادة فتسمى لازمة ، وهذه اللازمة إما أن تكون خفيفة تنساب مع الحديث انسياب الكلمة الحشو فى بيت من الشعر لا يلتفت إليها سوى الذواقة العارف بفنون القريض ، أو تقع فى غير موقعها فتصك السمع ، وقل من الناس من سلم حديثه من لازمة واحدة أو أكثر

من هؤلاء « الالتزاميين » صديق يختلف فى لازمته عن جميع الناس لأنه شاعر ، والمفروض فى الشعراء أن تكون لازمتهم شعرية ذات معنى ورمز وجرس . لذلك نرى شاعرنا هذا يلتزم بيتاً واحداً من لامية ابن الوردى المشهورة يردده فى كل مناسبة على خلاف الشعراء الذين يفترصون كل فرصة للاستشهاد ببيت لشاعر قديم أو مخضرم أو حديث يناسب الموضوع يدللون به على قوة حافظتهم ، ومضاء ذا كرتهم ، وسعة اطلاعهم ، أما التزام هذا الشاعر بيتاً واحداً لا يتبدل ، فله دلالة نفسية سينقشع عنها اللثام خلال الحديث

ومن الظريف فى شاعرنا أنه يبدأ فى إنشاد الصدر من البيت: « لا تقل أصلى وفصلى أبداً » ويسكت هنيهة كأنه يحرض ذهن السامع على إتمامه ، والويل لمن يتلكأ فى رد الصدر على العجز فيقول : « إنما أصل الفتى ما قد حصل » لأنه سيكون حتما من البلداء

طاب لأحد الظرفاء من أصحاب الشاعر ، وكنا نسميه « شاعر العرب والإسلام » أو « حسان الثورة » أن يكنيه كنية تطابق لازمته الوردية فكناه « حصل أفندى » . ومن عجب أن غاض اسم الشاعر بنموته واندثر ، وانتشرت الكنية المستحدثة وذاع اللقب الجديد بين جميع المشتغلين بالقضية العربية من ساسة وثوار

* * *

شخصية « حصل أفندى » كما أراها اليوم ، فريدة فى بابها بل هو قريع دهره وواحد هذا العصر ، يجمع بين جميع الصفات والمزايا ، والغرائز والملكات وأضدادها كلها ولكن كفته إلى اليسار هى الراجحة دائماً !

ترى البشاشة فى محياه يعلوها الاكفهرار والتجهم ، إن هش ورحب بدا نابه وظفره ، وإن نظر وحدق اختلطت عليك معانى تلك النظرات ووجب عليك الاستعاذة بمن لا يستعاذ بسواه على أصحاب النظرة المختلطة . يصاحب كل الناس وفى صدره جرة من كل الناس ، مودته مدخولة ، ظاهر الملق ، مماحل مداور مخادع ، يوهمك أنه يخزى ، ولكنه فى الحقيقة لا يندى له جبين ، ولا يحمر له خد أو أذن ، يلبس ثياب التقوى ومسوح الزهد ، ولا يتورع من اقتحام بيوت القدس

واقتراف الإثم والرذيلة ، بحال المحرمات سراً ، ويتزندق ليقال إنه من زهرة أبناء العصر الحديث

يتصاغر كطفل ، ويتواضع باستكانة ، ويتعالى بحمق ، ويتظرف بسماجة ؛ ولكنه داهية داهية، ولئيم لئيم

تراه في كل ناد ومجتمع وحزب ، في الأفراح والمآتم ، يصفق للخير ويطرب للشر ، يفغر فاه لكل طعام من كل مائدة، ويكرع ما يتبقى في الأكواب ، ولسانه كأضراسه لا يفتر عن اللوك والطحن ، والمضغ والابتلاع

قد لا تعلم ، مهما أوتيت من ذكاء وقوة استلماح ، متى يتجافى الحق ، ولا كيف يرتجل الزور . تعجزك ملامحه ، وتخونك فراستك في وجهه الكثير القسمات الناتئة ، والأخاديد الغائرة ، وفي غموض في سحنته وموات لونها ، وهو قدير على إدماج الجد بالهزل ، والمزاح بالرصانة

يتغابى كأخرق ، ويتباله كأنه أعمى البصيرة ، لا يتكدر ولا يغضب ، ولا يرتج عليه الكلام لأنه ذكي لامع الذكاء . وهو في جملة خلط ملط كما يقول أصحاب الأمثال

يوهمك أنه كتوم للسر ، صائن للخبر ، ولكنه عقرب وشاية ، وأفعوان سعاية ، رسول سوء وفساد ، وزارع عداوات وبغضاء

قلت إن شخصية « حصل أفندي » تجمع بين جميع الخلائق وأضدادها ، وإليك الوجه المقابل للوجه الأول

عرفنا — منذ عرفناه — أنه من خاصة أوائل الرجال الذين بذروا بذور الوطنية في صدور الأمة التي استكانت دهراً طويلا لحكم الأتراك ، وفي مقدمة الرجال العاملين في الأحزاب العربية التي كانت تضمهم غاية واحدة ، وأن تظاهرهم آنذاك بالتفرق والتحزب والتشيع ، يعمل هذا الحزب مع الفرنسيين ، وذاك مع الألمان أو الإنجليز ، لم يكن سوى خدعة ووسيلة للاستعانة بهؤلاء الأقوياء على الخلاص من حكم الأتراك الأقوياء الأشرار ، ولكن غايتهم ومرمى سعيهم كان منصبا على نيل الاستقلال ، وإعادة تأليف دولة عربية إسلامية تسير في مواكب الحياة مع الشعوب الحرة

ثم عرفناه يحارب بقلمه السيال ، ولسانه الطلق ، وبيانه الواضح في كل ميدان من ميادين استنهاض الهمم ، ونفض غبار الخمول ، واستثارة النفوس ، وإذكاء النخوة العربية

ثم رأيناه يحبس لسانه عن الخطابة، وقلمه عن الكتابة، وقد استبدل بهما بندقية وراح مع الثوار في ميادين حماه ، وجبال حوران، ومع أشاوس الدروز وأبطال منطقة الغوطة يقتنص ضباط جيوش المحتلين ، ولم يرم جنديا من الجنود المرتزقة أو من أبناء المستعمرات إلا فيما ندر

لقد كانت له مواقع مشهورة ، وحكايات في البطولة ، ومعلقات في المغامرات ، وكان برغم نشاطه العجيب ، ونفسه الغدارة ، لا يتخلف عن مجالس الساسة ، ولا يني عن درس أمور الوطن وتطوراته ، وإبداء الآراء السديدة ؛ ووضع رسوم الخطط مع الزعماء ، غير أنه لما انطفأت نيران الثورة الكبرى التي تأججت سنة ١٩٢٥ من جراء اختصام الزعماء على الرياسة واقتتالهم على المال الذي تبرع به كرام المصريين والأسخياء من أبناء سورية ولبنان في المهجر إعانة للثوار ، تحولت فوهات بنادق بعضهم إلى صدور بعضهم الآخر بعد أن كانت مسددة إلى صدور الأعداء .. أقول ما كادت تنطفئ نيران الثورة وتتفرق جماعات الثوار حتى انكفأ الزعماء والقادة متخاذلين ، منهم من يمم دمشق في أعناقهم محارم الاستسلام للغاصب المحتل ، ومنهم من لاذ بمصر موئل الأحرار وحصن المجاهدين ، يضمدون جراحهم ، ويلمون شعثهم ، ويوحدون صفوفهم ، ويوفقون بين أحزابهم التي كانت في الأصل حزبا واحدا ، يستأنفون جهادهم . ومن عجب أن « حصل أفندي » لم يكن مع الجماعة التي لاذت بمصر . بل راح مع من راحوا إلى دمشق يجرع ذل الاحتلال ويغب من صلف الفرنسيين أتراك الغرب

٠ ٠ ٠

التأمت جراحات العرب الأحرار اللائذين بمصر فعاد إليهم نشاطهم ، وتوفزت حيويتهم ، وعلا صوتهم يدوي في الجوامع والصحف ، وما عتم أن أرهف العالم أذنه من جديد يسمع شكاوى هذا الشعب العربي العجيب المتوافرة فيه خصائص العظمة والسؤدد من ناحية؛ وعناصر الاستسلام والخضوع للأمر الواقع من ناحية أخرى. شكاوى فيها ترانيم للحياة ، وأناشيد للحرية ،

ومطالبة بالحق المغتصب ، وزغردة للثورة ، وتهديد بفصل وتطهير الأمة التي تلوثت بالاحتلال بدماء المحتلين ، ومن عجب ، بل من سخرية القدر أننا كنا نسمع أصواتا منبعثة من دمشق بنعب أصحابها كغراب البين يندبون العرب والعروبة . يلصقون بهم ما هم منه براء ، وينادون بالاستسلام للأمر الواقع ، والطاعة الشرعية لولي الأمر والخضوع له وإن كان دخيلا . وقد صار لزاما على الأحرار المقيمين بمصر أن يحاربوا في ميدانين ، ويقاتلوا عدوين ، الأول مغتصب عات هو الفرنسي المستعمر ، والثاني سوري من أبناء الوطن ضالع مع المحتل ، يرى ويسمع ويتكلم بعين وأذن ولسان المحتل الذي أفسد الأخلاق والضمائر ، واستعبد الأقلام والألسنة بالمال والشهوات

في هذه الفترة من القلق والاضطراب ، في هذه الآونة الحرجة في حياة أمة رامت النجاة من براثن الذئب فوقعت في مخالب لبؤة جائعة جشمة ، في هذه الحقبة التي هي في حكم الضائع من أعمار الأمم ، في هذه الفترة برز شخص « حصل أفندي » في مصر كنبتة شيطان أو كفطر شق أرضاً رواها الندى ودفعها التعفن !!!

ومن عجب أن الذهن الشامي المفطور على الذكاء اللامع والسذاجة الصافية ، انطمس ذكاؤه وانطفأ نوره وبدت فيه السذاجة بأجلى مظاهرها فرحب بـ « حصل أفندي » « الذي كان ضالا فوجد » وغفل أو نسي أنه تخلف عمدا عن ركب أقرانه الأحرار وقد يمم الشام وفي عنقه منديل الاستسلام والعبودية

بل الأعجب والأنكى أن جميع أبواب السياسة فتحت له ، وأن أكثر طرايا الصدور نشرت له بغير ما ظن أو شك أو توجس

لقد كنت واحدا من أولئك الذين خدعتهم أعذار ذلك الداهية اللسن ، وانطلت عليه تلفيقاته البارعة وتمويهه المتقن ... لقد خفيت حقيقة « حصل أفندي » عن جميع إخوانه وأصدقائه، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر نظرة فيها الكثير من معاني النفرة المستترة ، والعمت على مضض ، وما لبثنا أن أصبح كل منا يتجنب أصدقاءه الذين وحد بينهم الاعتقال وميادين القتال ، وتدبير المؤامرات ، ووحدة الغاية الوطنية

في صدر كل منا حفيظة ، وتوجس ، وخوف ! لا شك أن هناك شيطاناً يوسوس ، وأفعى تنفث سما ، وامرأة خداعة ! ولكن أين هي المرأة والحية والشيطان ؟ وراء أي قناع وتحت أي طلسان أو عمامة يستترون ؟

مقاتلة المحتلين واجب وطني وشرع مقدس ، ومحاربة المواطنين الذين خنعوا للأمر الواقع ونكصوا عن الجهاد في سبيل الحرية ليست بالحرب الشعواء ، ولكن حرب الشيطان ، حرب الطابور الخامس ، حرب دود الخل ، حرب قتل المعنويات بعقاقير محلية ، حرب صدم شعور الشباب بنصائح شيوخ رجعاء » إنما هي حرب أكثر فتكا من القنابل الذرية ، وأشد وبالا من الجرائم لأنها تصيب النفوس فترديها ، وتفتك بالأرواح فتميتها

البقية في العدد القادم

حبيب الزحلاوي

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من حق القراء الأعزاء ، وقد راسلني منهم كثيرون لاتربطني بهم غير رابطة الفكر ، وتفضل بزيارتي غيرهم سائلين عن الديوان الذى انتظروه أكثر من ستة أعوام ، وانتظره الإسلام والمسلمون أربعة عشر قرنا — ومن حق ناظمه على أن أقدم له بمزاياه ، ومنزلته الأدبية ، وصورة واضحة للملحمة الإسلامية ومكانتها من الملاحم الغربية ، ولكن تفصيل هذه المقدمة طويل ، وأنا أحرص ما أكون على الحيز الذى تكرم به الأستاذ الزيات بك على الديوان وناظمه ، فحسبي أن أذكر اليوم فى تقديم الديوان أن « محرما » قد عمد إلى أروع الحوادث فى تاريخ غزوات الرسول وإلى أشهر الأبطال، من وجهة نظرته الشعرية وسجل فى شعره الرصين مالهم من مواقف مجيدة وأعمال خالدة

وقد خالف شعراء الملحمة العربية ، فكانت تغلبه عاطفته فيترجم عن شعوره بطريقة مكنته من أن يطيل الوقوف على حوادث هينة ، وأن ينفذ إلى صميم المعانى ويستقصى التفصيلات ويصور الأبطال صوراً كاملة

وإلى أن تسنح الفرصة التى نعود فيها على بدء ، أرجو أن يطالع القراء ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الاسلامية على هذا الضوء ؟

مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

املأ الأرض « يا محمد » نورا   واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى   يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد فى كل واد   فتدفق عليه حتى يغورا (١)
جئت ترمى عبابه بعباب   راح يطوى سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى   أمم الأرض أن تذوق الثبورا (٢)
زاخر يشمل البسيطة مدى (٣)   ويعم السبع الطباق هديرا (٤)
أنت معنى الوجود بل أنت سر   جهل الناس قبله (الإكسيرا) (٥)
أنت أنشأت للنفوس حياة   غيرت كل كائن تغييرا
أعجب الدهر فى ظلالك عصرا   نابه الذكر فى العصور شهيرا
كيف تجزى جميل صنعك دنيا   كنت بعثاً لها وكنت نشورا ؟
ولدتك الكواكب الزهر فجراً   هاشمي السنا ، وصبحا منيرا
يصدع الغيهب المجلل بالوحى الـ   ملقى ويكشف الديجورا (٦)
منطق القدرة التى تزهق القا   در عجزا ، والعبقرى قصورا
كل ذمر (٧) رمى النفوس بوتر (٨)   من خطاياه (٩) رده موتورا
خرت العرب من مشارقها الملـ   ـيا توالى هويها والحدورا
بات فيها ملك البيان حريبا   يسلم الجند والحمى والثغورا
أنكر الناس ربهم وتولوا   يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس   جعلوا البغى شرعة والفجورا
تلك أربابهم : أعلك أن تنـ   ـفع مثقال ذرة أو نقيراً ؟
قهروها صناعة أعجب الأر   باب ما كان عاجزا مقهورا
ما الذى (اللات) أو (مناة) أو (العز   ى) غناء لمن يقيس الأمورا
جاء دين الهدى وهب رسول الله   ه يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته   فتداعى وكان خطباً عسيرا
جثمت حوله الحصون وظن الـ   ـقرم ظن الغرور أن لن تطيرا
هدها ذو الجلال حصنا فحصنا   بالحصون العلى وسورا فسورا
بالرسول الهادى، وبالصفوة الأمـ   ـجاد يقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس تلقى الردى المـ   ـراق مثل الغدير يلقى الغديرا
إن فى القتل للشعوب حياة   وارفا ظلها ، وخيراً كثيرا
ليس من يركب الدنية يخشى   مركب الموت بالحياة جديرا

(١) غار الماء ذهب (٢) الثبور الهلاك (٣) مد النهر سال (٤) الهدير الصوت والغليان (٥) الاكسير مايلقى على الفضة ونحوها لتحيله إلى ذهب خالص (٦) الديجور الظلام (٧) الذمر الشجاع (٨) الوتر الذحل أو الظلم فيه ، وأكثر ما يستعمل فى العداوة بسبب القتل (٩) جمع خطية وهي الحربة المكرمة والمعنى منصرف إلى فرسان البلاغة وما يجدونه من كلامهم

أمن الحق أن تصد (قريش) عن (فتاها) وأن تطيل النكيرا ؟
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم فاستجابوا جهالة وغرورا
أولعوا بالأذى، فألفوا رسول الل ه جلدا على البلاء صبورا
كلما أحدثوا الذنوب كباراً وجدوه لكل ذنب غفورا
ما به نفسه فيغضب يرضـ بها وترضيه ناعما مسرورا
إن الله ، لا سواه ، ودين ملك النفس ، واسترق الشعورا
يجد النـــاس والمقادير فيه وبرى ما عداه شيئا يسيرا
مازكا سابق من الرسل إلا هو أزكى نفسا وأصفى ضميرا
جاءه (عمه) يقول أترضى أن يقيموك سيدا أو أميرا(١٠)
ويصبوا عليك من صفوة الما ل حيا ماطرا ، وفيئاً غزيرا
قال : يا عم ما بعثت لدنيا أبتغيها، وما خلقت حصورا(١١)
لو أتونى (بالنيرين) لأعرضـ ت أريهم مطالبي والشقورا(١٢)
إنه يشيروا بما علمت ، فإنى لأدع(١٣) الهوى وأعصى المشيرا
دون هذا دمى يراق ونفسى تطعم الحتف رائما محذورا

المطعم بن عدى

ما رأينا كالمطعم بن عدى (١٤) جانياً واصلا ، هيوبا جسورا
آثر الكفر ملة وأجار الد ين مستضعفا يدور شطيرا(١٥)
رام (بالطائف) المقام فأعيا فانثنى يطلب الأمان حسيرا
وكل الله بالنبوة منه أسدا يملأ الفضاء زئيرا
قائما فى السلاح يجمع حوليـ ه شبولا تحمى الحمى وتغورا
يمنع القوم أن يصدوا رسول الل ه عن بيته ويأبى الخفورا(١٦)
نقض الحلف من قريش فأمسى أسلمته العرى وكان مريرا(١٧)
عجبا للغوى يعطيك منه عملا صالحا ورأيا فطيرا
ما رأينا من ظن بالزرع شرا فحمى أرضه وصان البذورا
لو جزى الله كافرا أجرما أحـ ـسن يوما لخلته مأجورا

فى غار حراء

ظل مستخيفا (بغار حراء) يعبد الله عائذاً مستجيرا
يسمر القوم فى الضلال ويمسى للذى أطلع النجوم سميرا
راكعا ساجدا يسبح مولا ه ويزجى التهليل والتكبيرا
تهتف الكائنات بأخذها الصو ت ، تحيى مكانه المهجورا
نال منهــا محلة لم ينلها صوت(داود)حين يتلو (الزبورا)
نبرات قدسية تتوالى نغماً رائعـــا وتمضى زفيرا
رب طال الخفاء ، والدين جهر رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا
ماجت الأرض حوله ، وتجلى الا ه ينهى بركانهـا أن يفورا
أوذى الدين فى الشعاب وردت يد (سعد) (١٨) عدوه مدحورا
رقت فى الكتاب أول سطر وأتم الدم المراق السطورا
أدبر القوم مختفين فلولا الا ه كادت رحى الوغى أن تدورا
أزمع (الضيف) أن يؤم سواه منزلا ، كان صالحاً مبرورا
حله الوحى روضة شاع فيها رونقا ساطعا ، وفاح عبيرا

---

(١٠) فى البيت وما يليه اشارة الى مجىء أبى طالب عم النبى يبلغه رسالة قريش ويفاوضه فى شأنهم وشأن آلهتهم وقوله «ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه ماتركته»

(١١) الحصور هنا الضيق الصدر

(١٢) الشقور الأمور الملتصقة بالقلب المهمة له

(١٣) دعه بالتشديد دفعه دفعا عنيفا

(١٤) خرج الرسول الكريم من مكة الى الطائف بعد موت عمه أبو طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفا الى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً وبعث الى المطعم بن عدى يقول : انى داخل مكة فى جوارك ، فأجابه الى ذلك وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبى فى طوافه بالبيت (بقى المطعم بن عدى كافراً الى أن مات) وقد قال النبى فى أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتن لتركتهم له (١٥) الشطير الغريب والبعيد (١٦) الخفور نقض العهد والغدر

(١٧) المرير ما اشتد فتله من الحبال ، وحلف قريش هذا الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لاباثهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ، ويؤدوا ديته مضاعفة ، فتعاهدوا على منابذتهم واخراجهم من مكة الى شعب أبى طالب ، ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم ، وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم ، أو يقبلوا لهم صلحا الا اذا أجابوهم الى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى لكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة اقامتهم بالشعب ثلاث سنين وقيل سنتان ، وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل انه هو الذى مزق الصحيفة

(١٨) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضرب سعد بن أبى وقاص وكان معه رضى الله عنه رجلا منهم بلحى بعير نشجه ، وكان أول دم أريق فى الاسلام

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

الأزهر قبل « بريل » :

زارت مصر أخيراً الكاتبة الأمريكية الصماء العمياء البكماء « هيلين كلير » وقد نقل عنها الصحفيون ، وتحدثت في نوادي القاهرة ، عن كفاحها في الحياة ، كفاح السياج الكثيف الذي ضرب بين حواسها الثلاث وبين الإدراك ، فإذا نجاحها معجزة ومفخرة ، وإذا بصيرتها تستشف — بوساطة اللمس — من الحقائق وفنون المعرفة ما يقصر دونه إدراك ملايين من ذوي الحواس الخمس ..

وقد عنيت « هيلين كلير » الإنسانة العظيمة بموضوع العناية بذوي العاهات في مصر ، فوقفت على القدر اليسير الذي تبذله الحكومة المصرية في هذا السبيل ، فاستشعرت لطف حسها واصطنعت اللباقة في الثناء على ذلك « الجهد » وفي الحث على المزيد منه ، ومما لا حظته أن المعاهد والدور التي تعنى بذوي العاهات عندنا لا تؤوي أكثر من خمسهم في البلاد ..

وتحية هذا القلم لهذه الضيفة الكبيرة — وهي تحية تليق بأمثالها من عظماء النفوس — أن أقدم لها « الأزهر ! » فإنه لم يبد إلى الآن أنها ستلتفت أو أن أحداً سيلفتها إلى ذلك المعهد العريق الذي عني ولا يزال يعني بالمكفوفين ، يعلمهم ، ويتيح لهم فرص النبوغ وإظهار كفاياتهم العلمية ، وييسر لهم بذلك التغلب على أهم ما يجر إليه حرمان البصر من صعاب في الحياة وهو احتلال مكانة راقية بين أبناء المجتمع بما يؤدون فيه من عمل يؤهلهم لها

وأخشى أن تنتهي زيارة « هيلين » لمصر وليس في ذهنها من العناية بذوي العاهات فيها إلا ما عرفته من ذلك الجهد الضئيل ، فلا تعلم أن مصر سبقت العالم في هذا المضمار منذ ألف سنة ، فوجد فيها الأزهر قبل طريقة « بريل » بمئات السنين

وبعد فإن الأزهر يهتم بإدخال الطرق الحديثة إلى مناهج الدراسة المكفوفين فيه ، فيبني جديداً على قديم ويضيف طارفاً إلى تليد . والأمل أن يكون ذلك على يد قائد الأزهر في وثبته الجديدة شيخه الحالي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ذكرى إقبال :

احتفلت سفارة الباكستان في مصر بذكرى الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال يوم الجمعة الماضي بدار نقابة الصحفيين ، وقد خطب في الحفل الأستاذ صلاح الدين خورشيد الملحق الصحفي بالسفارة ومحمد علي علوبة باشا والدكتور حسن إبراهيم حسن بك والدكتور عثمان أمين ، وألقى قصائد الشيخ الصاوي شعلان والأستاذ خالد الجرنوسي والأستاذ محمود جبر

والسفارة الباكستانية في القاهرة تبدي دائماً نشاطاً ملحوظاً في الاحتفال بالمناسبات الباكستانية والإسلامية ، وتكون هذه الحفلات فرصاً طيبة لتبادل الشعور بين المصريين ورجال الباكستان في القاهرة ؛ وقد جرت السفارة على الاحتفال بذكرى إقبال كل عام منذ قيام هذه الدولة الفتية ، وهو اهتمام تغبط عليه ، وينبغي لنا — نحن المقصرين إزاء ذكريات أعلامنا — أن نأتسي بها في ذلك ، وخاصة أن الذين يقولون في الذكريات الباكستانية عادة هم جميعاً — ماعدا الملحق الصحفي الباكستاني — مصريون أعتقد أنه من الممكن أن يقولوا أيضاً في ذكريات شوقي وحافظ والمازني وعلي طه وغيرهم من أدبائنا الراحلين الذين لا يذكرهم غير أهليهم الأقربين ...

والملاحظ في الاحتفالات السنوية لذكرى إقبال أن ما يقال في سنة يكرر في أخرى ، فكلهم يقولون إن إقبال شاعر إسلامي استمد فلسفته من ثقافة الإسلام ، وإنه استحث قومه على الجهاد والتقدم ، حتى تكونت الباكستان نتيجة لدعوته وثمرة لغرسه ، ويذكرون تاريخ ميلاده ووفاته والجامعات التي التحق بها ، ولا يفوت قائلهم أن يذكر أن إقبال لم يستطع العمل في

الحكومة لأنه سقط فى الكشف الطبى ... إلى آخر هذا الذى سمعناه فى هذا العام كما سمعناه فى الأعوام السابقة ، لا يكادون يخرجون عنه ..

وكم نود أن نسمع أستاذا باكستانيا يحاضرنا فى « إقبال » باللغة العربية التى لا يعرفها من رجال الباكستان فى القاهرة إلا الملحق الصحفى ...

حتى علماء الباكستان الذين يفدون إلى مصر ، إذ نراهم لا يتحدثون باللغة العربية ، ويتكلمون ويخطبون فينا باللغة الإنجليزية ، ومن عجب أنهم يدعون بهذه اللغة إلى مؤتمرات من أغراضها جعل اللغة العربية لغة رسمية عامة لبلاد الإسلام . والذين توجه إليهم الدعوة هم أهل البلاد العربية الإسلامية الذين يتخذون العربية فعلا لغة رسمية لهم وغير رسمية

وأنا أعتقد أنه لا يتم التوحد والتفاهم بين شعوب مختلفة اللغات ، وقد نزل الإسلام بالعربية ، وارتضيناه دينا ، فلا بد — لتقاربنا وتعاوننا — من التفاهم باللغة التى جاء بها وحملته إلى الناس

وأعود إلى ذكرى إقبال فأقول إن خير ما صنعته الباكستان لهذه الذكرى فى مصر هو ترجمة أشعار صاحبها إلى اللغة العربية ونشرها بين الناطقين بالضاد . وقد قام بجهد مشكور فى ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان والأستاذ الصاوى شعلان ، وقد كان خير ما فى الحفل شعر إقبال الذى أنشده الأستاذ الصاوى بعد ترجمته إلى العربية

الطفولة فى الأدباء :

فى حياة بعض الأدباء والشعراء ، أو فى كثير منهم ، وقد يكون فى جميعهم ، جوانب تبدو تافهة وذات دلالة لا تتفق وعظمة ما ينتجون من أدب وشعر ، ولا شك أن المتأملين فى حالات النفس الإنسانية والباحثين عن الحقائق فى هذا المضمار يهتمون بتتبع تلك الجوانب ودراستها ، وكثيراً ما يستضىء بها النقاد المحدثون فيما يتناولون بالنقد والتحليل من حياة الأدباء وآثارهم

ويحدثنا تاريخ الأدب عن كثير من ذلك ، وإن كان منثوراً غير منظوم فى دراسات ذات مقدمات ونتائج

أقصد بذلك التمهيد لسياقة أطراف مما عرفناه فى بعض أدبائنا المعاصرين الراحلين :

كان الأستاذ كامل كيلانى يلتقى بأمير الشعراء أحمد شوقى بك فى أصائل أيام الصيف بالإسكندرية ، ومرة رآه مكتئباً مقطباً ، فسأله فى ذلك ، فقال شوقى : سكرتيرى مريض

— شفاه الله ، أليس تحت عناية الطبيب ؟

— ما إلى هذا قصدت ..

— ماذا إذن ؟

كشكول الأسبوع

□ احتفل يوم الاثنين الماضى بتوزيع جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول على الفائزين بها هذا العام فى الأدب والعلم والقانون . وقد فاز بجائزة فؤاد الأول فى الأدب الأستاذان عزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك على أن تكون مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فؤاد الأول فى العلوم الرياضية والطبيعية الدكتور عبد السلام عاشور والدكتور ماهر نصيف غبور — مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فاروق الأول فى العلوم الاجتماعية الدكتور محمد عوض محمد بك

وفاز بجائزة فاروق الأول فى العلوم الكيميائية الدكتور أحمد مصطفى أحمد والدكتور رضوان عطية مباشر — مناصفة بينهما

□ عقد فى هذا الأسبوع اتفاق ثقافى بين مصر وأسبانيا ينص على إنشاء معاهد ثقافية لكل من البلدين فى الآخر ، وتبادل الأساتذة وإنشاء كراسى لحضارة البلدين فى جامعاتهما ، وتبادل البعثات وتشجيع الرحلات بينهما

□ أصدر الأستاذ توفيق الحكيم كتابه الجديد « فن الأدب » وقد تصفحته عاجلا فلاح لى أنه من الكتب التى يحلو للأديب معاشرتها فترة يتمنى أن تطول . فأكتفى الآن بهذه الإشارة على أن أحدث قراء « الرسالة » عنه بعد فترة أرجو — على رغمى — ألا تطول ..

□ من أنباء « فينا » أنه قد عهد إلى أحد نقاد الأدب هناك فى إعداد طائفة من مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم للتمثيل على بعض المسارح النمسوية

□ ومن تلك الأنباء أن بعض الصحف النمسوية أبدت رغبتها فى نشر قصص مصرية قصيرة لكبار الكتاب المصريين كمحمود تيمور بك وغيره

□ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية عن نتيجة المسابقة التى أجرتها لاختيار أحسن الأفلام التى عرضت سنة ١٩٥١ ، ففاز فلما « ليلة غرام » و « أنا الماضى » وقصة

— أشار على الطبيب أن أمشى كل يوم مسافة قدرها ما بين خمس شجرات فى صف واحد على هذا الطريق ، وأنا أمشى حتى أبلغ الشجرة الرابعة ، فأشعر بالتعب ، فأتوقف ، فيقول لى « السكرتير » : من أجل خاطرى امش إلى الشجرة الخامسة ! فأنا اليوم سأمشى إلى الرابعة فقط ..

— المسألة هينــــة . أعيرك سكرتيرى يقول لك ..

وحلت العقدة ، ولم يقطع أمير الشعراء مشيه إلى الشجرة الخامسة ، وشكر « الجميل » للسكرتير المعار ..

وكان المرحوم الأستاذ صادق عنبر — فى فترة من حياته — موظفاً فى وزارة المعارف بمرتب لا يلائم مكانته الأدبية ، وتولى هذه الوزارة رجل ممن يقدرون الأدباء . فرأى أديب كبير من أصدقاء صادق عنبر — وهو أيضاً صديق للوزير — أن يلفت نظره إلى الأديب المغبون فى رزقه بالوزارة ، فحادث الوزير فى الأمر ، فوعد بزيادة مرتبه خمسة جنيهات فى الشهر . واستقبل الوزير الأديبين الكبيرين فى داره ، وكان الموقف يتطلب من الأستاذ صادق عنبر أن يقبل على الوزير بحديث يكسب به مودته وإعجابه ، ولكنه لمح بيد صديقه علبة كبريت (1) أشعل منها لفافته ووضعها أمامه على المنضد وكان الأستاذ صادق « مولعا » بالكبريت ! فوجه همه إلى العلبة .. وجعل يخالس صاحبه ليأخذ من عيدانها ويملأ علبته ! فسارع الصديق بدس العلبتين فى جيبه .. ليطمئن ويوجه انتباهه إلى الموضوع الذى أتيا من أجله ... ولولا ذلك لضحى أديبنا الفقيد بخمسة جنيهات فى الشهر لقاء عيدان من الكبريت لا تساوى خمسة مليمات ...

وكان فقيد الأدب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، إذا أراد أن يسرى عن نفسه مما يهمه ، يقوم إلى المرآة فينظر فيها إلى صورته ويخرج لسانه .. وكان يعلل ذلك بأنه يريد أن يضحك نفسه ليذهب عنه ما ألم به .. وهو تعليل مقبول ولكنه يدل على ما وراءه مما يتصل بموضوعنا

ولعل تلك المشاعر ، والتصرفات التى عليها ، من بقايا الطفولة فى نفوس الأدباء ، ولعل لكل واحد منهم طريقة خاصة به فى «طفولته» ، الملازمة ، قد يأتيها فى العلن متماجنا ، وقد يصنعها فى خلوته ...

ويرى الأستاذ توفيق الحكيم أن أعمال الأديب من امتداد طفولته وأنه يحاول أن يتخلص من مكافحة المجتمع لهذه الذخيرة « الطفولية » التى هى من ألزم الأمور للأديب وذلك كما جاء فى الفصل الأول من كتابه الجديد « فن الأدب » وقد قرأت هذا الفصل بعد كتابة ما تقدم كما يقول الزملاء الصحفيون ... .

عباس خضر

الفلم الأول للروائى الأديب النابغ الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، وهى قصة ذات موضوع إنسانى مما يندر وقوعه فى الأفلام المصرية ، وقد استرعت انتباهنا وقت عرضها وحدثنا عنها قراء « الرسالة » فى ذلك الحين

◘ دعت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية رجال الفكر والثقافة بالعالم العربى إلى مسابقة عامة فى التأليف موضوعها « المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق » على أن يقع البحث فى نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويكتب باللغة العربية الفصحى ، ويقدم فى موعد غايته آخر أكتوبر القادم . وسيعطى صاحب البحث الفائز مكافأة قدرها أربعمائة جنيه مصرى

◘ تقرر حذف اسم الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف من عداد الأعضاء العاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ومنحه لقب عضو فخرى بالمجمع ، وذلك لعدم حضوره جلسات المجمع نحو عشر سنين

◘ توالى اللجنة الفنية المؤلفة بمجمع فؤاد لبحث مقترحات تيسير الكتابة — اجتماعاتها للانتهاء من المهمة الموكولة إليها قريبا . وهى تتكون من الأستاذ شارل كوتز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة رئيسا ، والأستاذين شفيق مترى ومحمد على مكاوى عضوين . وقد قدمت تلك المقترحات إلى المجمع على أثر إعلانه عن مسابقة لتيسير الكتابة العربية يمنح فيها ألف جنيه للمقترح الفائز

◘ جاء من كراتشى أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ألقى خطابا فى مؤتمر عقد بلاهور دعا فيه إلى المحافظة على الثقافة الإسلامية والنهوض بها ، وقال إن هذه هى خير وسيلة لمواجهة النفوذ الغربى فى البلدان الإسلامية

◘ قال فضيلة الأستاذ الشيخ عبد محمد اللطيف دراز لمحرر « الكشكول » إن فن الموسيقى والعزف بالآلات كان يدرس بالأزهر فى بعض العهود الماضية

(1) روى لى الأديب اللغوى المتمكن الأستاذ شوقى أمين البيت الآتى لابن رشيق
أشر بعود من الكبريت نحو فمى
وانظر إلى زفراتى كيف تلتهب

الكتب

الانسان بين الماديه والاسلام

تأليف الأستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

للاستاذ حسين عبد الفتاح سويلم

لن يصدق القارئ بعد أن يفرغ من قراءة هذا الكتاب ، أن مؤلفه شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، فلو أن كاتبا أفنى عمره الطويل فى البحث والاطلاع لينتج مثل هذا الكتاب لضمن لنفسه الامتياز والتفوق . إنه يسحرك ويستهويك من أول جملة فى المقدمة إلى آخر جملة فى النهاية ، إنه يرضى ذوق الأديب ، وروح الشاعر ، وعقل العالم ، ومنطق الفيلسوف

هو بحث سيكلوجى ، يعرض عليك النفس ، فى ثوب تحليلى رائع ، وتعبير أدبى موسيقى بديع ، وإنك لتجد فيه رشاقة الأسلوب وقوة التعبير والتحليل ، وسلاسة المنطق وسلامته ، والمعرفة بأسرار النفس وخفاياها ، وطبيعة تكوينها ، ورأى العلماء والأديان فيها ، ومدى ارتباطها بالحياة ، وارتباط الحياة بها

وهو يضع الإنسان بين المادية والروحية ، وبين المذاهب الاجتماعية المختلفة ، والأديان السماوية ، ويسلط عليه هذه الإشعاعات ، ليقنعك فتقتنع معه بأن الإسلام دين الفطرة ، دين الحياة والأحياء

إنه يقول فى المقدمة : « بينما يتطرف فرويد ، فى إطلاق النفس من عقالها ، ورفع الكبت عن الغرائز المحبوسة ، وتتطرف المسيحية من الجانب الآخر فى فرض الكبت على الطاقة الحيوية للإنسان . يقف الإسلام بينهما موقفا وسطا ، فلا يفرض القيد إلى الحد الذى يرهق النفس ، ويعطل دفعة الحياة ، ولا يطلق الإنسان من عقاله ، إلى الحد الذى يرده حيوانا ويلقى ما تعبت الإنسانية من الوصول إليه فى جهادها الطويل ، من ضوابط لنزعات الحيوان »

هكذا فى إيجاز بسيط يعرض عليك موضوع الكتاب موجزا فى بضع جمل ، ثم يفصله لك بعد ذلك تفصيلا ، يقنعك كل ما فيه بصدق ما يقول

وإنه ليفجؤك بالرأى أحيانا ، فيترك فى نفسك مجالا للتساؤل والحيرة ، ثم لا يلبث أن يعيد إليك أمنك وطمأنينتك ويردك إلى نفسك ، ويرد نفسك إليك ، فعند ما تقرأ الفصل الأول من الكتاب « نظرة المسيحية » وتطالع أولى فقراته :

« المسيحية دعوة مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء ، دعوة ترتفع بالإنسان عن نفسه ، وتصل به إلى الآفاق العليا التى تسمو من الجسد والمادة ، الآفاق الطليقة من قيود الأرض . ومن نوازع الشهوات »

« إنها قصيدة رومانتيكية ساحرة ، وحلم جميل لشاعر نبيل — ولكنها مع ذلك مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء — »

لا شك أن سؤالا يقوم فى نفسك ؟! كيف تكون المسيحية مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء وهى دين منزل من السماء ؟! ولكنه لا يتركك فى هذه الحيرة طويلا فيجيبك الإجابة المقنعة البسيطة الصحيحة

« المسيحية حقنة مضادة للمادية اليهودية والرومانية التى كانت شائعة يوم بعث المسيح ، فلزم إذن أن تكون نسبة الروحانية فيها ضخمة غالبة . بل لزم أن تكون كلها روحانية متسامية ، لتتعادل مع تلك المادية ، لعلها تصلح النفوس ، ولكنها ليست نظاما طبيعيا للحياة الدائمة فى كل الأجيال وفى كل الشعوب » ثم يضرب لك الأمثال

وحينما يتحدث عن فرويد ، يعترف أنه عبقرية فذة ، ولكنه لم يكن على صواب دائما فيما يبديه من الآراء . إنه ينكر عليه « نظرته إلى الإنسان على أنه كائن أرضى بحت ، لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن عالم الأرض إلا فى حالات الشذوذ »

وينكر عليه وعلى دارون وعلى الغربيين عامة « هذه الروح المادية المتنكرة لكل قوة خارجة عن حدود الأرض ، ولا تؤمن إلا بميدان العلم التجريبى » ثم يناقش هذا الرأى فيقول :

« إن العلم ما يزال فى طفولته ، وما يزال كل يوم يصل إلى آفاق جديدة ، فيلغى إلغاء تاما معلومات كان ينظر إليها على أنها

حقائق نهائية لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل التأويل »

إنه يريد من هؤلاء جميعا أن يقولوا قولا غير هذا ، يتمشى مع العقل والواقع . إنه يريد من قائلهم أن يقول :

« إننى توصلت بالشواهد الثابتة ، والتجارب المؤكدة ، إلى إثبات كذا وكذا من الأمور ، ولكن أمورا أخرى فاتتنى ولم أستطع إدراكها ، ومنها سر نشوء الحياة على ظهر الأرض والسر الذى يجعل الأحياء تتشبث بالحياة ، وتتطور تبعا لذلك لمواجهة ما يحيط بها من ظروف ، ثم السر الخفى فى قدرتها على هذا التطور العجيب ، ولا يمكننى فى الوقت الحاضر أن أقول : إلا أنها من أسرار خالق الحياة التى لم يكشف عنها بعد الأحياء »

ولا يفوته حين يقول ذلك للغربيين ، أن يأخذ علينا نحن الشرقيين « إيماننا الأعمى بكل ما يأتى به الغرب على أنه صواب لا خطأ فيه ، ولماذا لا نعيد النظر فى هذه الآراء والنظريات فنأخذ منها الصواب ونتجنب الخطأ ، ولنا عقيدتنا الخاصة التى نعترف بالعلم كما نعترف بالدين ، ونضع الإنسان فى وضعه السوى »

وإنك لتحس الثورة العاتية فى نفسه ، على هذا العالم المادى الثقيل المتخلى عن إنسانيته حينما يختتم هذا الفصل بقوله : « ألا إنها المغالطة الكبرى لكل حقائق الحياة ، والنفس البشرية هى التى أدت العالم ، إلى الحيوانية المتجردة ، التى ارتكس فيها بغير عذر الحيوان ، ، وبغير حصافة ، الحياة التى رسمت للحيوان حدودا معينة ، تقف عندها غرائزه ... أما الإنسان الذى كرمه خالقه ورفعه ، وجعل فى يده أمر نفسه ، فإنه ينتكس اليوم إلى حالة يتعفف عنها بعض أنواع الحيوان

ثم استمع إليه ، واسخر معه كما سخر من التجريبيين ، أولئك الذين يخضعون كل شئ للمعمل ، وللتجريب العلمى « يؤمن الغربيون بكل ما يحمل خاتم التجريب ، ويأخذونه قضية مسلمة ، لا تحتمل الشك والتأويل ، أما ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة ، أو على الأقل شئ ساقط من الحساب ، ولما كان الله — مثلا — لا يدخل المعمل ، ولا يخضع للتجريب ، فقد استغنوا عن خدماته ، وأعلنوا أنه غير موجود » !

على أنه مع ذلك لا ينكر خدمات العلم التجريبى ، التى أداها للبشرية ، ولكنه ينكر ، وينكر القارئ معه ، إخضاع كل شئ للمعمل والتجريب ، فهناك الجوانب الروحية التى لا يمكن أن تنكر لأننا نجهل جانبا منها

« قد يستطيع الباحثون ذات يوم أن يصلوا إلى نتيجة نهائية قاطعة ، فى الظاهر المادية لهذا الكون ، أما النفس الإنسانية فهى عالم واسع غير محدود ؛ وما زالت البشرية منذ مولدها إلى هذه اللحظة . تتحدث عنها ، وتحاول الوصول إلى كنهها فى آدابها ، وفنونها ، وفلسفتها ، وأديانها ، واجتماعياتها ، فلا ينتهى الحديث ، ولا ينقطع عنه نقطة معينة ، وإنما يتقبل البحث كل ما قيل ، وكل ما سيقال ، ويبقى بعد ذلك الباب مفتوحا للمزيد »

هذا حديث عقلية واعية صاحية مرتبة ، تعرف كيف تعبر وتدمغ الحجة بالحجة ، وتقرع الرأى بالرأى ، وتأتى بعد ذلك بفصل الخطاب ، وهو يؤيد العلماء النظريين الذين يقولون « إن هناك نزوعا ، أو انفعالا نفسيا يؤثر فى الجسد ، فينتج عنه حركة جثمانية تهدف إلى تحقيق هذا النزوع ، أو إرضاء الانفعال ، وينكر على التجريبيين قولهم : « إن الجسد هو الذى يتصرف فى النفس »

يقول قائلهم « أى التجريبيون — إننى سمعت خبرا محزنا فبكيت ، فنشأت من ذلك عاطفة الحزن ! فالحزن نشأ من البكاء أى من الحركة الجسدية . وليس العكس ، أن الإنسان يحزن فتنهمر دموعه — كما يقول العقلاء من عباد الله »

« ويقولون إننى رأيت الأسد فجريت ، فنشأ من ذلك الخوف ، لا أننى خفت فجريت »

إن المؤلف يؤمن بأن الجسد أداة منفذة لرغبات النفس ، وينكر على فرويد إيمانه بالجبرية الشعورية التى تقول : إن الحياة النفسية مصدرها الجسد ، والجسد إفرازات كيماوية ، ونشاط كهربى ، لا سلطان لأحد عليه ، لأنه يعمل بطريقة غير إرادية فقد انتفت إرادة الإنسان التى يكون بموجبها مسئولا عما يفعل »

وهل هناك دليل على تأصل المادة فى حياة فرويد ، وعلى عدم اعترافه بالأديان ، والجوانب الروحية ، أقوى من هذا القول ؟

لأن الأديان جميعا تقول : بأن الإنسان محاسب على أعماله ، لأنها تصدر عن إرادته ، ولا تعفيه عن المسئولية حينما يرتكب خطيئة فى حياته الدنيا ، حتى القوانين الوضعية ، تأخذ المجرم بالعقاب ، لأنه مسئول عما يفعل ، وإلا فلم يعاقب المجرم ؟ ولم وضعت القوانين ؟

وليتصور القارئ أى فوضى كانت تسود البشرية ، لو ترك الناس أحرارا فيما يفعلون ، باعتبار أنهم غير مسئولين عما يفعلون ! وأى فرق بينهم وبين الوحوش فى الغابات والهوام فى مسارب الأرض

إنه حين يقول ذلك « ليسقط المسئولية الخلقية ، ويسقط معها الإنسان »

وعندما يتعرض للشيوعيين يكشف زيف مذهبهم ، حين يقولون :

« — إن الإنسان هو القوة الفعالة فى هذا الوجود — وتلك جملة براقة قد توحى بأن أنصار هذا المذهب ، يؤمنون بالإنسان وبالإنسانية فى صورها الرفيعة النبيلة ، الإنسان فى مجموعه ، بما فيه من جسد وعقل وروح » فانظر كيف يكشفهم ويفضح مذهبهم حين يقول : « إنهم لا يؤمنون بالإنسان ، ليرفعوا من شأنه ، ولكن لينفوا فقط تدخل الإله فى شؤون الخلق ، أما إيمانهم بالإنسان فعلى أساس أنه مادة ، ولكن إذا سألنا ما هو الفكر ؟ وما هو الشعور ؟ ومن أين ينبعثان ؟ يتضح لنا أنهما نتاج الدماغ البشرى ... وهذا الدماغ ليس إلا مادة ...

وهنا تظهر طبيعة المؤلف الصاحية الواعية : فيقول :

« إذا كان العقل مادة ، فإن الفكرة فى ذاتها ليست مادة ، لأنها لا تتحدد بحدود الزمان والمكان »

وهكذا يردهم إلى صوابهم حين لا يجدون الإجابة المعقولة

ثم يبين لك خطل الرأى الشيوعى فى أن المادة هى أساس النظم الاجتماعية الصالحة ، ويقارن بين الشيوعية ، وبين الإسلام ، كنظام اجتماعى ، كانت الجوانب الروحية هى الأسس الأصيلة ، التى أقام عليها نظاما اجتماعيا صالحا فى مدى سنوات معدودات

« إن الإسلام قد انتشر بسرعة مثالية ، ما تزال فريدة حتى اليوم ، ففى أقل من عشر سنوات ، أيام عمر بن الخطاب ، كان قد غمر فارس والعراق والشام ومصر والنوبة .. لم يكن ثمة بارود ، ولا اختراع حربى — مادى — يتفوق به حفنة من العرب الذين انطلقوا من الجزيرة ، يبشرون بالإسلام ، على قوى الإمبراطوريتين العريقتين ، فى فارس وبلاد الروم .. شئ واحد هو الذى تغير ، هو إحساس هؤلاء العرب بالحياة والكون ، وبالحق والعدل الأزليين .

لقد كانت العقيدة الجديدة ، هى القوة الدافعة فى هذا البناء الجديد »

وعندما ينتهى المؤلف إلى « نظرة الإسلام » يتحدث عن الفرد من خلال عدسة الإسلام ، فلا يترك جزءا من جزئيات جسمه ، ولا مسربا من مسارب نفسه ، ولا هاتفا من هواتف رغباته ، ولا غريزة من غرائزه إلا وبحثها تحت ضوء هذه العدسة . ثم يبين مقدار صلة الفرد بالسماء ، ومدى سموه وصموده ، وعلاقته بالأرض ومدى انجذابه إليها — على حسب نظرة الإسلام — ثم يأخذ له صورا متلاحقة لنزعات عقله وجسمه وروحه .. وكيف أن الانسان يساير هذه النزعات ، أو يحد من قوتها بالقدر الذى يضمن للفرد والحياة ، اضطراد النمو ، ودوام الارتقاء

وإنه ليعرض عليك النظريات الاسلامية ، فى فيلم منسق ، يرضى روحك وعقلك ، ويرد بك مناهل المعرفة الاسلامية . كل ذلك فى أسلوب يكاد من الرقة يطير ، ومن القوة يلتهب

وهو مع ذلك كله ، لم يأت بجديد على حسب (نظرة الإسلام) ولكنه ارتاد فعرف كيف يكتشف ، واطلع فعرف كيف يفهم ويفهم ، فارجع إلى هذا الفصل من الكتاب لأنه أضخم من التلخيص

وفى باب الفرد والمجتمع يعرض عليك الآراء النظرية ، والتطبيقات العلمية المختلفة للحكومات ، ويبين لك خطأ أولئك الذين يغالون فى احترام الفرد على حساب المجتمع ، والمجتمع على حساب الفرد فيقول « كلتا النظرتين مبالغ فيها إلى حد الإسراف المعيب »

« فالفرد الذى يبلغ إحساسه بنفسه وذاتيته أن ينفى وجود الآخرين ، والمجتمع الذى لا يفرض للفرد ، أى وجود مستقل ، كلاهما يتجاهل طبائع الأشياء ، ويغفل عن حقيقة نفسية مهمة »

وقد كان من الممكن أن يكتفى بهذا القول ففيه وحده الإقناع ، ولكنه دائما يأخذ فى كثير من التفصيل والتعليل ، لتزداد اقتناعا على اقتناع

البقية فى العدد القادم

صبحى عبد الفتاح

البريد الأدبي

فتشوا عن الرجل

نعم .. فتش عن الرجل .. فهو المسؤول الأول عن كل فرد من أفراد الأسرة التى يرعى شؤونها .. مسؤول عن زوجه وأبنائه وبناته .. بحكم ما خصه الله به من نفوذ ، لجعله قواما على زوجه ، وليا على أبنائه ، وكيلا عن بناته ، راعيا لشؤون الأسرة ، شأنه شأن القبطان الذى توكل إليه مهمة القيادة ، فيتجنب مواطن الزلل والأخطار، ليسير بالركب قدما إلى شاطئ السلامة والاستقرار .. وهذا يتطلب منه — إلى جانب حسن القيادة — اليقظة والحذر ، والتبصر بالعواقب ، ليحيط رعيته بسياج منيع يحميها ، ويقيها الأحداث

وإذا تهاون الرجل فى القيام برسالته ، فإن البيت لا يلبث أن يختل نظامه ويضطرب كيانه ، وتهدده عوامل الشقاق التى تعصف به وتقوض صروحه !

فإذا رأينا زوجة ضلت الطريق السوى ، فاعلم أن هناك رجلا لم يعرف كيف يهديها سواء السبيل ، ويوجهها الوجهة القويمة، أو أنه ترك لها الحبل على الغارب، فأفلت من يده الزمام !

وإذا رأينا زوجة خرجت عن حدود الكرامة ، وغشيت المجالس والأندية التى لا يليق بها أن تغشاها ، تراقص الرجال وتحتسى الشراب ، فاعلم أن هناك رجلا مستهترا ، أباح لها الخروج على هذه الصورة المزرية، وعلمها كيف تتناول الكأس.. وكيف تتناوله !

وإذا رأينا فتى جرفه تيار الغواية ، وصرفته شياطين الإنس عن مثل الكرامة ، فاعلم أن هناك أبا أغمض عينيه وغفل عن رعايته وتوجيهه ، فانتهى به الأمر إلى هذا المصير المظلم

وإذا رأيت فتاة خدعتها المظاهر ، وبهرتها الأضواء الزائفة ، فاعلم أن هناك أبا تهاون فى الرقابة ، فجنى على رعيته

وهذه المآسى الاجتماعية التى نشهدها بين وقت وآخر ، والتى تثير فى نفوسنا اللوعة والأسى لما تتمخض عنه من تشرد الأبناء وانفصام العرى وانهيار البيوت ؛ لو درسنا العوامل التى أفضت إليها ، لوجدنا أن للرجل الاصبع الأولى فيها، فهذه الطفولة الشردة التى نشكو آثارها البغيضة ، إنما هى ثمرة من ثمار الرجولة المشردة، وهذه الأنوثة المشردة التى تودى بضحاياها إلى حياة الظلام إنما هى ثمرة من ثمار الرجولة المشردة ، لأن هذا الرجل الذى تصرفه عن بيته الشواغل، فلا يعود إلى بيته إلا فى الهزيع الأخير من الليل لا يمكن أن يحقق رسالته كزوج ووالد ؛ إنه يعود إلى البيت بعد أن يأوى الأبناء إلى فراشهم ، وقد يغادر الأبناء البيت فى الصباح المبكر قبل أن يراهم الأب ، ويناقشهم فى مختلف الشؤون التى يجب أن يحاسبهم عليها ، فكيف ينتظم البيت وهو على هذه الحال من الفوضى والتفكك ؟

فليتق الله هؤلاء الرجال فى زوجاتهم ، وفى أبنائهم ، وفى بناتهم ، وليؤدوا رسالتهم على وجه يرضاه الله، ويرضاه المجتمع !

عيسى متولى

إلى القاضى الفاضل

أستحلفك بالله ألا تنفذ ما أوعدت به فى نقد بنى أمية بالحق فقد أفضوا إلى ما قدموا ؛ وهذا الإمام الشعرانى نراه يعقد فصلا فى بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجود اعتقاد أنهم مأجورون بقوله : « وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، كفتنة عثمان ومعاوية ، ووقعة الجمل ، وكل ذلك وجوبا لإحسان الظن بهم وحملا لهم فى ذلك على الاجتهاد، فإن تلك أمور مبناها عليه، وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد والمخطئ معذور ، بل مأجور . قال ابن الأنبارى : وليس المراد بعد التهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف ببحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شئ يقدح فى عدالتهم ولله الحمد ، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه فى زمن الرسول عليه السلام حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير ، فإن ذلك لا يصح، وإن صح فله تأويل صحيح، وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا »

هذا وقد زاد قدر الأستاذين الطنطاوى وشاكر وعلت مكانتهما فى القلوب ولنا أن نباهى بهما !

شطانوف **محمد منصور خضر**



الشيطان

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

كانت المرأة العجوز مسجاة على فراشها وهي تعالج سكرات الموت، وترقب من بين أهدابها المرهقة ابنها وهو منتصب أمام طبيب القرية وتحاول بكل ما أوتيت من قوة وإحساس أن تتبين ماهية الهمس الذي كان يدور بينهما. كانت هادئة ساكنة رغم ثقتها من أنها ستموت عن قريب … ولكنها كانت مستسلمة للواقع الملموس.. فهي قد أكملت الثانية والتسعين من عمرها.. وهذا يعني أنها قد أتمت رسالتها في الحياة

وتخللت شمس يوليو النافذة … وغمرت أشعتها الملتهبة أرض الغرفة وارتفع صوت الطبيب قائلا بشدة:

— إنك لا تستطيع أن تترك أمك وحيدة يا « أونوريه » وخصوصا وهي في مثل تلك الحالة فهي قد تموت بين آن وآخر

وأجاب أونوريه بقلة اكتراث:

— مهما يكن الأمر … يجب على أن أذهب لحصاد الحنطة … وهاهو ذا الجو الملائم لذلك … ماذا تقولين في ذلك يا أماه؟

وبرغم شعور المرأة برعشة الموت وهي تسري في جسدها.. فقد أشارت إلى ابنها بالموافقة وهي تحت تأثير جشعها وعبادتها المال

وضرب الطبيب الأرض بقدمه محنقا وهو يهتف:

— ما أنت إلا وحش غليظ القلب.. ولكنني لا أسمح لك أن تفعل ذلك.. هل فهمت؟ إن كان عليك حقا أن تحصد القمح الحنطة فلا أقل من استدعاء المرأة « رابت » للعناية بأمك وأنا أصر على ذلك.. أما إذا لم تفعل ما أشرت عليك به.. فسأتركك تموت وحيدا كالكلب الأجرب إذا ما افترسك المرض بأنيابه وحانت منيتك.. فتذكر ذلك

أي أحاسيس وجلة خالجت مخيلة أونوريه في تلك اللحظة؟ لقد كان يخاف الطبيب الوحيد في القرية، ولكنه إلى جانب ذلك كان يعبد المال ويقدسه؛ وتردد قليلا قبل أن يسأل الطبيب في النهاية قائلا بارتياب:

— وكم تطلب المرأة رابت أجراً للعناية بأمي؟

وتمتم الطبيب:

وأنى لي أن أعلم.. إنها تتقاضى أجرها بالنسبة للزمن الذي تعمل فيه … فما عليك إلا أن تتفق معها شخصيا … وإنني أنذرك أنني أريد أن أراها هنا قبيل مرور ساعة واحدة

— حسن.. يمكنك أن تطمئن أيها الطبيب. ها أنذا ذاهب إليها

وغادر الطبيب الغرفة بعد أن قال للشاب بلهجة تهديدية متوعدة:

— مرة أخرى … إنني لست هازلا في تحذيري إياك

وحين انفرد الشاب بأمه التفت إليها قائلا بلهجة المغلوب:

إنني ذاهب لاستدعاء الأم « رابت » كما أصر على ذلك هذا الغر … فكوني هادئة حتى أعود، ودون أن ينتظر إجابتها غادر الغرفة

كانت الأم « رابت » امرأة عجوزا تشتغل بكي الملابس وتنظيفها … وإلى جانب ذلك تعمل كممرضة لقاء أجر معلوم، وكان وجهها مجعدا كتفاحة مثمرة … وهي حقود حسود … ذات طبع حاد لا يمكن أن يمت للرحمة البشرية بصلة

وحين استقبلت أونوريه في منزلها … كانت منهمكة في مزج بعض الألوان لصبغ ثياب بعض فتيات القرية فبادرها قائلا:

— كيف حالك أيتها الأم رابت؟ هل تسير الأمور في طريقها العادي؟

والتفتت إليه المرأة مجيبة:

— نعم، نعم.. شكرا.. كيف حالك أنت؟

— على أحسن حال.. إنها أمي التي تشكو

— أمك؟!

— نعم أمي

— وما خطبها ؟

— إنها فى طريقها نحو الأبدية وهذا كل ما هنالك

— هل بلغ بها سوء الحال هذا الحد ؟

— لقد قال الطبيب إنها لن تعيش حتى الضحى

— إذاً لا بد أن تكون انتهت الآن ؟

— وتلعثم أونوريه قليلا .. فلقد أراد أن يهون المهمة التى جاء من أجلها .. فكانت المرأة أشد منه دهاء .. فلم يجد بدا من مفاتحتها مباشرة بقوله .

— كم تأخذين للعناية بأمى حتى النهـاية ؟ إننا يائسون من التحسـن كما تعلمين .. وأنا أشفق على النساء اللاتى يشتغلن بأنفسهن .. يالأمى المسكينة .. لقد كانت تعمل كفتاة فى العاشرة رغم بلوغها الثانية والتسعين

وأجابت الأم رابت فى اقتضاب وتحفظ :

— إنى أتقـاضى سعرين . . فللأغنياء . . فرنـكان لليوم وثلاثة لليل .. أما للفقراء .. ففرنك واحد لليوم واثنان لليل .. وسأعاملك كالفريق الثانى : واحد واثنان

وراح أونوريه يفكر . . إنه يعرف أمه تماما . . ويعرف مقدار مقاومتها المرض .. فلربما عاشت أسبوعا آخر رغم زعم الطبيب بموتها العاجل، فأجاب المرأة قائلا :

— كلا .. إننى أريد أن أكافئك إجماليا لإتمام المهمة . . إنه نوع من المقامرة .. فلقد أكد الطبيب أنها ستموت حالا .. فلو تم ذلك فسيكون ربحا لك وخسارة لى . أما إن عاشت يوما أو اثنين . فسيكون ذلك أقل ربحا لك وأقل خسارة لى .

ونظرت إليه الأم رابت بدهشة .. فلم يسبق لها أن عاملت محتضرا بعقد .. وترددت لحظة .. وفجأة راودتها فكرة الخداع فأسرعت قائلة :

— لا يمكننى الموافقة على ذلك حتى أرى أمك

— إذن .. هيا بنا لرؤيتها

وجففت المرأة يديها ثم تبعته صامتة طوال الطريق ، وحين مرورهم بالحقل المجاور للمنزل مرا بجموع الماشية وهى ترعى الكلأ ، فغمغم أونوريه : اطمئنوا.. فستأكلون القمح الجديد عن قريب

ولم تكن المرأة العجوز قد ماتت بعد .. بل كانت مستلقية على ظهرها ، وقد امتدت يداها فوق غطاء الفراش الملون وقد بدا عليهما الضعف والهزال . واتجهت الأم رابت نحو الفراش ثم حدقت فى المرأة المحتضرة وتحسست بنفسها ثم مرت بيدها على صدرها وهى تصغى لصوت تنفسها الخافت الذى يشبه النزع ، وألقت عليها بضع أسـئلة حتى تتأكد من ضعف صوتها ؛ ثم غادرت الغرفة بعد ذلك الامتحان يتبعها أونوريه . كان رأيها الشخصى أن المرأة لا يمكن أن تستمر على قيد الحياة حتى المساء

وسألها أونوريه بلهفة : والآن ؟

وأجابته المرأة بخبث :

— ستعيش يومين وربما ثلاثة أيام .. وسـأتقاضى منك ستة فرنكات

وردد أونوريه قولها : ستة فرنكات ؟ بالله ..ست فرنكات كاملة ؟ هل جننت أيتها المرأة ؟ سوف لا تعيش إلا خمس أو ست ساعات على الأكثر

واشتد الجدل بين الرجل والمرأة .. وأصرت المرأة على الرحيل .. فتخيل أونوريه حنطته فى انتظار الحصاد ، فلم يجد بدا من الخضوع وتمتم مستسلما : سأعطيك المبلغ على أن ينتهى الأمر كلية مهما طال أمده

وأوسع خطاه نحو الحقل .. فى حين رجعت الأم رابت إلى حجرة المريضة وهمست قائلة لها : لا شك أنك تريدين الاعتراف يا مدام بونتمبس ؟

وأشارت مدام بونتمبس برأسها إيجابا .. فنهضت الأم رابت بسرور ونشاط وهى تهتف : ياإله السموات .. سأذهب لاحضار القس

وأسرعت المرأة فى طريقها نحو القس .. وعادت معه وهى تضطره إلى الإسراع غير عابئة بدهشة الرجال الذين ينظرون إليها باستغراب ، ولا بنظرات النساء اللائى كن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . ورآهن أونوريه عن بعد . . فتساءل عن سبب إسراع القس ، وما كان أسرع جاره فى الإجابة عليه قائلا : إنه سيتلقى اعتراف أمك دون شك

ولم يساور أونوريه العجب لذلك .. بل واصل الحصاد فى هدوء

وتلقى القس اعتراف مدام بونتمبس ، ثم غادر المكان.. ومرة أخرى أصبحت المرأتان على انفراد وابتدأت الأم رابت تفقد صبرها

وهى تعجب كيف أن المرأة لم تمت حتى الآن

وشحب لون النهار .. وازدادت برودة الجو . وراحت فراشات الليل تحوم حول النافذة تحاول التحرر من أسرها كروح المرأة العجوز التى كانت راقدة دون حراك وعيناها محملقتان وكأنها فى انتظار رؤية شبح الموت .. بينما كانت أنفاسها تتدافع من صدرها بطيئة ذات صفير خافت أليم

وعاد أونوريه .. فوجد أمه ما زالت على قيد الحياة .. فتساءل دهشا عن كيفية إمكان ذلك .. ثم ودع الأم رابت بعد أن أوصاها أن تعود فى تمام الخامسة من صباح اليوم التالى .. وفعلا عادت المرأة قبل انبثاق الفجر وأسرعت بسؤال أونوريه قائلة : ألم تمت أمك بعد ؟

وأجابها وهو يسير نحو الحقل : كلا وأظنها أحسن حالا

وضاقت الأم «رابت» ذرعاً ، فتوجهت توا إلى حجرة المرأة المحتضرة فوجدتها كما كانت بالأمس تماماً .. هادئة ساكنة مفتوحة العينين ، ويداها ممدودتان فوق غطاء الفراش الملون .. يبدو عليهما الضعف والهزال ؛ ورأت الأم رابت أن المرأة يمكن أن تظل هكذا يومين أو أربعة .. بل ربما عاشت أسبوعا آخر .. فأحست بانقباض يسود نفسها .. وبحقد هائل نحو ذلك الذى خدعها بأمه التى لا تريد أن تموت . وظلت عيناها محدقتين بمدام بونتمبس طيلة هذا الصباح حتى عاد أونوريه للغذاء . ثم رجع إلى حقله لا كال حصاد حنطته

وكادت الأم رابت تفقد شعورها . فلقد خيل إليها أن كل دقيقة تمر إنما هى زمن مسروق منها ومن حقها أن تتقاضى عليه أجرا

وأحست برغبة قوية . رغبة مجنونة فى أن تضغط على ذلك العنق الهزيل فتخمد أنفاس المرأة التى كانت تسلبها وقتها المقدس ولكنها حينئذ استطاعت أن تتصور بشاعة جريمتها

وراودتها فكرة أخرى . واقتربت من المرأة المحتضرة ، وهمست تسألها : ألم ترى الشيطان بعد ؟

فأجابتها مدام بونتمبس هامسة : كلا

وابتدأت المرضة تلقى على مسامعها بعض القصص الخرافية المخيفة . فقالت إن : الشيطان يظهر عادة لهؤلاء الذين على وشك الموت قبل موتهم بدقائق معدودات ، ثم راحت تصف لها شكل الشيطان ، فادعت أنه يحمل فى يده محصدا كبيرا وعلى رأسه قدر مملوءة بسائل يغلى مسمر به ثلاثة قرون . واستمرت فى حديثها الرهيب ، فعددت لها أسماء من زعمت أن الشيطان قد ظهر لهم قبل موتهم . وفعل ذلك الحديث فعل السحر فى مدام بونتمبس ؛ فبدت مضطربة حائرة ، لا يستقر رأسها على الوسادة فى مكان واحد

واختفت الأم رابت حينئذ وراء الستار بجانب الفراش . وتناولت من صندوق بالقرب منها ملاءة بيضاء ألقتها فوق رأسها فحجبتها من قمة رأسها إلى أخمص القدم . ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مدببة . ثم أمسكت بيدها مكنسة مستطيلة . وما كادت تنتهى من كل ذلك حتى صعدت فوق مقعد مرتفع

وفجأة رفعت الستار وبدت بهيئتها أمام المريضة

ومرت لحظة فزع ورعب .. وحاولت المرأة المسكينة بكل قواها أن تهرب من الشيطان .. شيطان الموت الرهيب .. ولكنها ما كادت تتحرك حتى خانتها قواها وارتمت على الفراش مرة أخرى

وانتهى كل شئ

وبكل هدوء ودعة . أعادت الأم رابت بضاعتها إلى أماكنها ، ثم أغلقت عين المرأة الميتة ، العينين الفزعتين المحدقتين فى خوف وفزع ، ثم جثت على ركبتيها جانب الفراش وابتدأت تصلى على الراحلة بحكم العادة

وحين عاد أونوريه من الحقل عند الغروب ، وجد الأم رابت جاثية على ركبتيها تصلى ، فتأكد أن روح أمه قد فاضت وابتدأ يفكر

لقد استمرت المرأة فى خدمة أمه ثلاثة أيام وليلة ، أى أن أجرها كان يجب أن يكون خمس فرنكات ، ولكن ، يجب عليه الآن أن يدفع ستة

وغمغم قائلا بغضب :

— ياللحظ السيء ، لقد خسرت فرنكا !

ع . ج

مطبعة الرسالة

العدد ٩٨٤ — ١٢ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

واحسرتا على عزيز ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ٥١٧

حسن البنا الرجل القرآني : « أنور الجندي ٥١٨

الأصناف والحرف الإسلامية : للدكتور عبد العزيز الدوري ٥٢٠

الباكستان ... ... : للأستاذ أبو الفتوح عطيفة ٥٢٤

السيدة زبيدة ... ... : « عبدالواحد باش أعيان ٥٢٧

شعراء الشباب ... ... : « أحمد أحمد العجمي ٥٢٩

أبو العتاهية ... ... : « محمد الكفراوي ٥٣١

شخصية ... ... : « حبيب الزحلاوي ٥٣٤

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٥٣٦

(الكتب) — الإنسان بين المادية والإسلام — تأليف الأستاذ محمد قطب — للأستاذ حسين عبد الفتاح سوبلي ٥٣٨

(البريد الأدبي) — في الشعر السياسي — ليس في القرآن أساطير ٥٤٢

(القصص) — هندي من الحمر — عن فريتز ميلر — للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان ٥٤٣

[illegible]

20 me. année No. 984

Le Caire 12 - 5 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٢ مايو سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

واحسرتا على عزيز!

أشهد لقد أصابنى ما يصيب الحى من فجائع الموت ، فحزنت حزن المفجوع ، وبكيت بكاء الموجوع ؛ ولكن فجيعتين بعد فجيعتى فى ولدى، أشعرتانى لوعة من الحزن لم أجدها فى فجيعة من قبل : فجيعة الأمس فى على طه ، وفجيعة اليوم فى عزيز فهمى !

لا أستطيع أن أصف لك هذا اللون من الحزن على وجه الدقة ؛ لأنه نادر الحدوث فى القلب فهو غريب ؛ ولأنه عميق الأثر فى النفس فهو غامض . إنه ذهول يتخلله وعى ، وأسف تخالطه حسرة ، وحرقة يغالبها دمع ، وذكرى يساورها قنوط ، وسخط يكفكفه إيمان

جاءنى على غير انتظار ولا توقع أن زين الشباب عزيزا أدركه الموت الأسود[1] وهو فى طريقه إلى نصرة الحق وخدمة العدالة ، فأخذنى أول الأمر وجوم كوجوم المبهوت ، فيه الدهش والشك والتبلد والحيرة . ثم تكرر النبأ الفاجع فى صيغ شتى ، فانجلى البهت رويدا رويدا ، حتى تمثل لعينى الخطب الجلل على أبشع صوره وأفظع معانيه . تمثل لى مصاب نفسى فى الخلق الرضى والطبع الحيى والفؤاد الذكى والإخاء الوامى والوفاء المضحى ، فجزعت جزع الإنسان يرى قوة من الخلال الكريمة تفنى ولا تخلف . وتمثل لى مصاب وطنى فى المحامى الوثيق الحجة ، والخطيب الحافل الذهن ، والنائب الشجاع القلب ، والشاعر السمح القريحة ، فجزعت جزع المواطن يرى ثروة من المواهب العظيمة تفقد ولا تعوض

جزعت للإنسانية لأنى أكاد لا أعرف من هذا الناس إلا آحادا من طراز عزيز قد برهنوا بالفعل على أن الإنسان الذى يسفل فيكون شرا من شيطان ، يستطيع أن يعلو فيكون خيرا من ملك . وجزعت للوطنية لأن هذا البلد البائس الذى يكابد سوء الأخلاق فى داخله ، ويجاهد شر الدول فى خارجه ، يفتقر فى محنته إلى أمثال عزيز ليرفعوا قيمة الفضيلة فى التعامل ، ويعظموا قدر الكفاية فى العمل

عرفت عزيز فهمي فى بغداد سنة ١٩٣٢ ، وكان قد قدمها فى رحلة جامعية . لم أعرف بالطبع جميع أعضاء الرحلة ، وإنما عرفت عزيزا وحده ، لأنه بارز فى شخصيته ، متميز فى خلقه . لم يكد يعرفنى حتى ارتاح إلى بأنسه ، وأخذ يسمعنى من شعره ، ويحدثنى عن أمانيه . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة فآثرنى بحبه ؛ وآزر (الرسالة) بأدبه . ثم أنفق فى سبيل العلم والجد زهرة عمره ونضرة شبابه ، حتى أصبح أديبا له أسلوب ، وفقيها له رأى ، ومحاميا له سلطان ، ونائبا له صولة ، وسياسيا له صوت ، واجتماعيا له رسالة . وفى لحظة من لحظات الشؤم تنبه فيها قدر ، وغفل سائق ، وطاشت سيارة ، ذهب هذا كله كما يذهب الحلم ، وتبدد هذا كله كما يتبدد الشعاع !

احمد حسن الزيات

---

(١) الموت الأسود هو الموت خنقا أو غرقا

٣ – حسن البنا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للأستاذ أنور الجندى

... فى الأزقة (١) الضيقة ، فى أحشاء القاهرة ، فى حارة الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة الشماشرجى . . بدأ الرجل يعمل ، وتجمع حوله نفر قليل ؛ وكان حسن البنا الداعية الأول فى الشرق ، الذى قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفعل ذلك أحد قبله ؛ لم يفعله جمال الدين ولا محمد عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات التى لمعت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الأولى . .

. . وأستطيع بناء على دراساتى الواسعة أن أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقا صادقا للمبادئ التى نادى بها

وقد منحه « الإسلام » كما كان يفهمه ، ويدعو إليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر فى النفوس ، لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترون النجاح بثمن بخس ، ولو بجعل الواسطة مبررة للغاية ، كما يفعل رجال السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالأشواك ، وكانت آية متاعبه أنه يعمل فى مجرى تراكمت فيه الجنادل والصخور، وكان هذا مما يدعوه إلى أن يدفع أتباعه إلى التسامى ويدفعهم إلى التغلب على مغريات عصرهم ، والاستعلاء على الشهوات التى ترتطم بسفن النجاة فتحول دون الوصول إلى البر

كان يريد أن يصل إلى الحل الأمثل ، مهما طال طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، ولغى من برنامجه أنصاف الحلول ، وداوم فى إلحاح القول بأنه لا تجزئة فى الحق المقدس فى الحرية والوطنية والسيادة . . وكان هذا مما سبب له المتاعب والأذى واستدعى بعض من حوله الثورة ، وعجزت أعصابهم عن أن تقاوم البريق ، فسقطوا فى منتصف الطريق ومضى الركب خفيفا

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الأشياء على حقيقتها ، مجردة من الأوهام ، وكان يبدو — حين تلقاه — هادئا غاية الهدوء وفى قلبه مرجل يغلى ، ولهيب يضطرم ؛ فقد كان الرجل غيورا على الوطن الإسلامى ، يتحرق كلما سمع بأن جزءاً منه قد أصابه سوء أو ألم به أذى ، ولكنه لم يكن يصرف غضبته — كبعض الزعماء — فى مصارف الكلام أو الضجيج أو الصياح ، ولا ينفس على نفسه بالأوهام ، وإنما يوجه هذه الطاقة القوية إلى العمل والإنشاء والاستعداد لليوم الذى يمكن أن تتحقق فيه آمال الشعوب

وكان فى عقله مرونة ، وفى تفكيره تحرر ، وفى روحه إشراق ، وفى أعماقه إيمان قوى جارف

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجل نفسه عن أن يجرى مجرى أصحاب الألسنة الحداد

* * *

كان مذهبه السياسى أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها؛ بعد أن قيل إن السياسة والأخلاق لا يجتمعان

وكان يريد أن يكذب قول تليران « إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسى سامعيه أو أتباعه ، أو أمته

وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب

ولأول مرة خاطب الجماهير زعيم بما يفتح العيون على الحقائق ، ووضع دعوته على الشرحة ، وقبل أن يسأل عن أدق الأشياء فيها وفى حياته الخاصة ، فقد كانت توجه إليه عقب «أحاديث» الثلاثاء قصاصات ، فيها أسئلة غاية فى الإحراج ،

(١) لم يذكر الكاتب أن دعوة الإخوان بدأت فى الإسماعيلية

ولكنه كان يجيب عنها في منتهى البساطة والوضوح

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا، هذه المادة الضائعة، التي هزم بها الشرق الدنيا وفتح باب أطراف الأرض، كان يريد أن ينشئ القوة التي تصمد في وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما: الإلحاد والاستعباد

كان يريد أن يجعل من الإسلام قوة تدفع الشيوعية الضالة، والرأسمالية الزائفة، وكان يطمع في أن يرفع الإسلام ويسمو به عن أن يكون خادما للاستعمار باسم الديمقراطية، أو للشيوعية باسم الاشتراكية، وإنما كان يرى الاسلام نظاما كاملا فوق الشيوعية والدكتاتورية والرأسمالية جميعا

* * *

وقد استطاع الرجل — رغم كل ما دبر لوضع حد لدعوته أو حياته — أن يعمل، وأن يضع في الأرض البذرة الجديدة، بذرة المصحف، البذرة التي لا تموت بعد أن ذوت شجرتها القديمة، ولم يمت الرجل إلا بعد أن ارتفعت الشجرة في الفضاء واستقرت

ولن يستطيع مصلح من بعد، أن ينكر أن الرجل رفع من طريقه الكثير من العقبات والأشواك والصخور

وكل حركة إصلاحية أو استقلالية تظهر في الشرق من بعد، سواء في مصر أو في المغرب أو في إندونيسيا، يجب أن يلاحظ فيها ذلك الخيط الدقيق الذي يربطها بالرجل القرآني، الذي حمل المصحف ووقف به في طريق رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث كلمات: «شرق، وإسلام، وقرآن»

كان الرجل يريد أن يقول آن للشرق أن يمحص أفكار الغرب قبل أن نعتنقها، بعد أن غدت الحضارة في نظر أصحابها لا توفي بما يطلب منها، كان يقول علينا أن نوزن هذه القيم، وأن نثق بأنفسنا، وأن نعتقد أن ما عندنا لا يقل عما عند الغرب أو على الأقل لا يستحق الإهمال

وأن على الشرق أن ينشئ للدنيا حضارة جديدة، تكون أصلح من حضارة الغرب، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء بالأرض

وما كنت تعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية، إلا رده إلى مصادره الأولى في الحضارة الإسلامية، أو في القرآن والسنة والتاريخ

كان الرجل القرآني يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية قائمة في ضمير الشرق، وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التي تمكن له في الأرض وتتيح له الزحف إلى قواعده واستخلاص حقوقه وحرياته

كان يؤمن بأن الشرق وحدة قائمة كاملة، لو تخلص من مناورات الساسة ومن خلاف الطامعين، لقاوم وصارع

لبحث صلة — أنور الجندي

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدورى

بقية ما نشر فى العدد الماضي

أما كوردلفسكى وكوبرولو فيرون أن اندماج الفتوة بالنقابات حصل فى القرن الثالث عشر فى نظام (أخيان روم) وأن الأخية ظهروا فى الأناضول بعد الفتح المغولى مباشرة فى فترة فوضى واضطراب بعد أن دمر المغول الإدارة السلجوقية دون تعويض . فظهر الأخية كمؤسسة قوية واسعة لهـا الرغبة والقدرة على التنظيم ، وانتشروا بسرعة فى الأرياف والمدن ، وجعلوا « التكتل والكرم » دستورهم وطبقة أصحاب الحرف أساسهم الاجتماعى » وقتل الطغاة وصنائعهم » من واجباتهم

ويلاحظ أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخية كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولكن حركتهم لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب الحرفة الواحدة ، بل جعلوا واجبهم حفظ العدل ومنع الظلم وإيقاف الظالم عند حده واتباع قانون دينى وأخلاق وتنفيذ واجبات عسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . وكانت العضوية مفتوحة للمسلمين ولغيرهم وهكذا تحقق فى حركة الأخية (حسب هذا الرأى) اتحاد النقابة والفتوة والطريقة الصوفية

ولكنى أود أن أبين أن هذه افتراضات تحتاج إلى بحوث جديدة . فنظرية تيشنر معكوسة . فالتكتل الذى أدى للفتوة بدأ لدى العيارين والشطار أسلاف فتيان الناصر لدين الله . وكان بين الطبقة العامة وعلى صلة سيئة بالحكومة من قبل جماعة متهمة فى مهنها وفى سلوكها . ثم تطورت الحركة بعد أن تأثرت بوضوح بالصوفية وصار لها قانون أخلاق حسن . ولم تعترف بهـا الحكومة إلا فى خلافة الناصر حين أكد على الناحية العسكرية فيها . وهذه الناحية تكونت نتيجة اضطراب الإدارة وسيطرة الأجانب فى العراق . وصارت الحركة أرستقراطية فى خلافة الناصر ثم صارت حركة العامة بعد الفتح المغولى . كما أن الفوضى مسؤولة عن تكتل الحرف وعن اهتمامها بحماية نفسها

وكان الجهاد فى الأناضول والحرب على الحدود الإسلامية البيزنطية خير دافع لامتزاج تقاليد الفتوة بالمبادئ الروحية الصوفية وبتقاليد الحرفة

ثم إن ظهور بعض البدع والتساهل فى المبادئ الدينية كان واضحا فى الأناضول للضرورات الثقافية والعسكرية على الحدود . ومع أن ظهور العثمانية أفقد الأخية كثيرا من سلطتهم ونفوذهم وأدى إلى تخليهم عن فعاليتهم السياسية والعسكرية إلا أنهم حافظوا على التعاليم الروحية والأخلاقية إلى الأخير

ولا بد هنا من تسجيل ملاحظات المعلم جودت لقيمتها ولأنها تلقى ضوءاً على رأينا إذ يقول : « فأما الفتوة فهى عمدة إسلامية ومدنية عامة لجميع المسالك الصناعية والعسكرية والتصوفية والأدبية والتعليمية ليست مختصة بمسلك أو طريقة » وهو هنا يتحدث عن المفهوم الأخير الذى أشرت إليه

ويذكر فى محل آخر أن الفتوة « تفيد معنى السماحة الصناعية » ويبين أن : احتياج الصناع إلى الاتحاد محافظة لحقوقهم وأموالهم ضد الجبابرة والأقوياء من بواعث تأسيس هذه الهيئات . وأخيرا ينفى أية صلة للفتوة بالباطنية والإسماعيلية ويأتى بشواهد تنفيها

ويستطرد إلى « أن الفتيان المذكورين فى صحائف التاريخ والأشعار وفى الاستعمال الجارى ليسوا كلهم من هذا الصنف بل بعضهم . فبعض الرجال المتصفين بالفتوة العسكرية والشجاعة والرجولية محرومون من سمة الجود والكرم » وهم العيارون والشطار بالعربية » وهو بذلك يؤيد افتراضنا الأول. وهكذا نتوصل إلى شكل النقابة المستقرة بشعائرها المنظمة . فلكل نقابة دستور فيه عاداتها وشعائرها وقد وصلت بعض هذه الدساتير من القرن الرابع عشر الميلادى وما يليه . وقبل الدخول فى التفاصيل هذه نبين أن هذه الشعائر فيهـا طابع الاستمرار والمحافظة . فالملابس التى ذكرنا مع إحلال السروال محل المئزر أحيانا ، والماء بالملح محل النبيذ ، والتعاون المطلق ، وفتح الباب لغير المسلمين ، ومكافحة التعدى والظلم بقيت ، كما أننا نرى فى بعض الحالات عيدا عاما للحرف تظهر فيه روائع بضائعها كما كان يحصل فى بغداد فى أواخر أيام

العباسيين ، حيث كانت الأصناف تتقدم فى موكب حافل ، كل حرفة تحتفى بنموذج لصناعتها فى موكب يستمر طول اليوم

وإن دققنا فى دساتير النقابات نجدها تتكون عادة من ثلاثة أقسام — الأول يتصل بأصل الحرفة ومغامرات شيخها المؤسس وتعطى سلسلة تنشئة — مثلا — الله علم جبريل — جبريل علم محمد — محمد علم على — على علم سلمان الفارسى — سلمان علم الأبيار وهم حماة أهل الحرف — الأبيار علموا الفروع وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة فى الحرفة الواحدة — الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف

القسم الثانى — يحوى عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف . وهم عادة أبطال من القرآن والتوراة والتاريخ الإسلامى — مثلا — آدم حامى الفلاحين والخبازين — شيث حامى الحياك والخياطين — نوح حامى النجارين — وداود حامى الحدادين والصياغ — وإبراهيم حامى الطباخين — وإسماعيل حامى صناع الأسلحة

القسم الثالث — يحوى التعاليم لتثقيف المبتدئين وأسئلة وأجوبتها . ومع اختلاف التفاصيل الجزئية فى تنظيم النقابات إلا أن الأسس واحدة

تتكون كل نقابة من الأساتذة (مفرد . أوسطة أو معلم) وهم يشكلون القسم الرئيسى من النقابات ويليه (الخليفة أو المتعلم) ثم (الصانع) ثم (المبتدئ) وفى بعض النقابات يغفل دور الصانع ودور الخليفة ، ويكون الانتقال من مبتدئ إلى أوسطى . ويرأس النقابة (الشيخ) وهو موجود فى جميع الأصناف. وقد يكون له مساعد يدعى (النقيب) منزلته منزلة الوزير من السلطان

ولا يكون الانتقال من مبتدئ إلى الدرجة التالية فى وقت محدود بل يعتمد ذلك على الأستاذ . وتختلف الحالات فى تطبيق دستور النقابة، فمرة ينسب ذلك إلى الشيخ ومرة ينسب إليه بمساعدة هيئة المسنين من الأساتذة أو الاختيارية

وتلعب حفلة الانتماء أو الترقية فى الحرفة دورا مهما، وتتميز بارتداء بعض الملابس كالسروال والشد (أو شد الحزام) والمئزر أو الصدرية

ولدينا بعض الأوصاف للنقابات الإسلامية . منها وصف السائح ابن بطوطة لحركة الأخية والفتيان فى الأناضول . يقول « والأخى عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم ويقدمونه على أنفسهم وتلك هى الفتوة أيضا . وهم (الأخية والفتيان) بجميع البلاد التركية الرومانية فى كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد فى الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من النـــاس وأسرع إلى إطعامهم الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدى الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم أهل من الشر . ويبنى (الأخى) زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج »

ويقول « الفتيان الأخية كلهم بالأسلحة ولأهل كل صناعة (الأعلام) والبوقات و (الطبول) و (الأنفار) وبعضهم يفاخر بعضا ويباهيه فى حسن الهيئة وكمال الشكة »

ويقول « ومن عوائد هذه البلاد أنه ما كان منها ليس به سلطان فالأخى هو الحاكم وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن إليه على قدره ، وترتيبه فى أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك »

وننتقل بعد ابن بطوطة إلى سائح تركى هو (أوليا جلبى) الذى تحدث عن الأصناف بناء على طلب السلطان فى أوائل القرن السابع عشر . ووصفه أول وصف كامل لنقابات مدينة إسلامية

فبعد أن يصف (فتوت تامة) — كتاب الفتوة بتعاليمه وأساطيره ، يذكر تركيب الحرفة من (الشيخ) (النقيب) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم (الشاكرد) أو (المبتدئ) أما الصانع فلا ذكر له

ثم يعدد جميع الأصناف وحوانيتهم وشيوخهم . ولا مجال لوصف الأصناف وهى (١٠٠١ صنف) ويذكر أن الأصناف تنظم عرضا عاما (بهيئة استعراض) مرة واحدة سنويا . ويبدأ الموكب وقت الفجر ويستمر فى سيره طول النهار حتى الغروب . وتمر الأصناف ببيت قاضى اسطنبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس والأصناف ، ومن التقاليد أن تهدى الأصناف إلى القاضى نماذجهم التى عرضوها ولكن بعضها كان يخفى ذلك . ثم تسير الأصناف إلى محلاتها وأسواقها وتتوقف كل تجارة وحرفة لثلاثة أيام بمناسبة الاستعراض . وكانت تطلق

أهمية على الأقدمية فى السير ، ويصف (أوليا جابى) نزاعا وقع بين القصابين وبين تجار مصر حول الأسبقية حتى صدر الحكم من السلطان فى جانب التجار

ولدينا وصف آخر لتشكيلات الصناعة فى سيروز (روميلى سنة ١٢٥٠ هـ) فيذكر ابن قاضى البلدة أن لكل صنف سوقا مختصة ولكل حرفة رئيسا يسمى (أخى بابا) أو (كهيا) أو (متولى) . وإدارة شؤون الحرف بيد الرؤساء أو الأخية تعاونهم هيئة إدارة (أهل اللونجة) من خمسة أعضاء ينتخبون من أساتذة الحرفة . ويندرج المنتمون إلى الحرفة من (يماق) المبتدىء وسنه أقل من عشر سنين ، وبعد سنتين يتقدم ويصبح (جراق) وبعد ثلاث سنين يصبح (خليفة) وبعد ثلاث أخرى يصبح (أوسطة) . ويوجد مجلس أعلى لكل الحرف يمثل الحرف برؤسائها وهؤلاء ينتخبون رئيسا عاما (كهيا الرباش)

ويشرف الأخى على شؤون الحرفة الإدارية والمالية ويحل المنازعات ويرأس هيئة الإدارة ويجرى المراسيم المخصوصة للأستاذ والخليفة والجراق ويرأس الحفلات ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الأصناف، أما المجلس الكبير فيقوم بالإشراف على المتولين كافة ويفصل النزاع بين أهل الحرف ويحسم المشكلات التى لم يقدر المتولون على حلها ويسوى المصالح دون مداخلة الحكومة ويعرض لدى الحكومة ما يمس حقوق أهل الصناعات ويرعى حقوق أهل الصناعة

ولكل حرفة صندوق وارداته من بدل الإيجارات وأرباح الأموال الموقوفة والوصايا ورسوم الانتماء والتبرعات من أهل الخير أو رجال الحرف . وينفق وارداته على التعميرات والرسوم ومعاونة فقراء أهل الحرفة وتقديم المعونة للعلماء والجهات العلمية . وكمثل يوضح ذلك نذكر قائمة مصاريف الحلاجين سنة ١٢٩٠ ، بسيروز وفيها ما يلى : —

لحم لفقراء البلدة وأهل الصناعة (٦٨٠ قرشا) . خبز للغذاء فى رمضان (١٣٠٠) . أجرة تداوى فقراء أهل الحرف وعائلاتهم (٣٥٠) . للتجهيز والتكفين (١٧٠) . للصدقات اليومية (١٨٠٠) . لمعلمى مكاتب الصبيان (١٨٠٠) . الفحم والحصير للمكاتب (٥٠٠) معاونة لحسن أغا المحترق دكانه (٣٥٠). لقراءة البخارى الشريف والشفاء (٣٥٠) . أجرة الحاكم للنظارة بأمور الحلاجين (٢٥٠) . أجرة المتولية (رئاسة اللونجة ١٢٠٠) كما يصرف من صندوق الحرفة على العجزة من أهلها المعلولين

والمصدر الثالث بحث إلياس قدسى وهو مسيحى سورى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين ١٨٨٣ (الجلسة السادسة) عن نقابات دمشق سنة ١٨٨٢ . يخبرنا قدسى أن كافة حرف المدينة لها رئيس أعظم وهو (شيخ المشايخ) وأن منصبه وراثى فى عائلة (المجلانى) وأنه لا يمكن إقالته أو استبداله . ويذكر أن أسلافه كانت تعين المشايخ لأكثر من مئتى حرفة وتأمر وتنهى وتقاص وتفصل فى كل مسألة وتحسم كل مشكلة ولديهم بتقاضى الجميع . وكانت سلطته تمتد إلى حق الحكم بالموت . وعلى كل فقد بقيت لديه سلطة سجن رجال النقابة أو جلدهم لوقت طويل

ويعتمد شيخ المشايخ على وقف وراثى ولكن سلطاته أنقصت بعد التنظيمات من زمن السلطان عبد المجيد « فقال تسلط شيخ المشايخ إلى حد غير متناه حتى يسوغ القول أنه غدا محصورا بالتصديق على شيخ حرفة من الحرف بعد أن ينتخبه معلموها » وحتى فى هذه الحالة كان تصديق الحكومة ضروريا فكان البعض خصوصا غير المسلمين يكتفى بهذا دون الرجوع إليه . وكان هذا الشيخ عالما فى زمن قدسى ولكنه يجهل شؤون الأصناف

ونظرا لكثرة واجبات شيخ المشايخ لم يكن باستطاعته تنفيذ كافة أعماله العامة، فكان يعين موظفا يدعى النقيب وهو يمثل شيخ المشايخ فى الاجتماعات العمومية للحرف أو فى حفلات الترقية، وكان له عدة نقباء عند ما كانت وظيفته مهمة ولكن فى زمن قدسى اكتفى بواحد وكان عارفا بشؤون الحرف بصورة طيبة

ولكل حرفة شيخ ينتخبه شيوخ الكار ممن اشتهر بحسن الأخلاق والطوية وامتاز بمعرفة أصول الحرفة ، ولا يشترط فيه كونه أكبرهم سنا أو كونه من الشيوخ بل يكفى أن يكون ماهرا محترما يستطيع تمثيل النقابة أمام السلطات . ومع أن المشيخة كانت تنتقل بالإرث فى بعض الحرف إلا أن ذلك يستلزم موافقة

شيوخ الكار وهذا يبقى صفة الانتخاب . ويبقى فى منصبه مدى الحياة مالم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه

ويلاحظ قدسى أن الانتخاب يجرى من قبل الاساتذة المتقدمين يجتمعون ويتذاكرون ، فإن اتفقوا على شخص انتخب (وإلا عين شيخ المشايخ شيخا) ثم يصادق شيخ المشايخ عليه فى حفلة خاصة

أما واجبات الشيخ فتتلخص فى : أن يعقد مجالس لمصالح الحرفة يترأسها ويسهر على حفظ ارتباط (الكار)، ويقاص من أتى بإخلال فى حق الصنعة. وكثيرا ما يكون مكلفا بإيجاد شغل للفعلة . فيوصى بهم (المعلمين) وله وحده أن (يشد) بالكار (المبتدئين الماهرين) فيصيرون (صناعا) أو (معلمين) ومعه تكون (مخابرة الحكومة) فيما يتعلق بحرفته

ويساعد كل شيخ فى الحرفة (شاويش) يقوم مقام النقيب للشيخ ولكنه ينتخب من قبل الكار . ولم تكن له سلطة خاصة . بل كان رسول الشيخ يبلغ أوامره ويمثله وهذا المنصب قديم

يخبرنا قدسى أن (المبتدئ) أو الأجير — وهو الولد الحديث السن الداخل إلى الحرفة — يشتغل عدة سنين دون معاش أو أجرة ، ولكن البعض كان يستلم أجرا أسبوعيا زهيدا يسمى جميعة . وعندما يبدع المبتدئ فى مهنته يرقى إلى مرتبة صانع وأحيانا إلى مرتبة أستاذ فى نفس الوقت

وكان الصناع فى زمن قدسى يشكلون العمود الفقرى للنقابة وهم يحفظون مستوى الصناعة وأسرارها

ويصف قدسى بتفصيل حفلات الإجازة ، أو الشد . وكانت تجرى بحضور شيخ الحرفة وأساتذتها ونقيب الحرف والشاويش ويتولى الشاويش والنقيب عملية الشد

وتؤخذ العهود على العضو بالمحافظة على أسرار الحرفة والصنع الجيد وأن لا يخون الكار ولا يغش الصنعة بشئ . ثم يتساءل قدسى فى الأخير عن التشابه بين مراسيم الحرف وبين الماسونية الحرة فى أوربا وعن شبهه

ونضيف بعض ملاحظات عن نقابات مصر فى نفس الفترة . فهنا نجد الحرف تحت إشراف رئيس البوليس ويدعى رئيس الحرفة (شيخ الطائفة) وله مجلس من المختارين يدعوه بمثابة محكمة للنقابة . ويرفع المبتدئ إلى درجة أوسطه رأسا دون وجود مرتبة صانع . وهناك نوع من التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون فى تحقيقه أعضاء الحرفة . ولن أتطرق هنا إلى (النقابات الوضعية) للنشالين واللصوص وقطاع الطرق؛ وهذه وإن لم تكن جزءا من نقابات الحرف إلا أنها أثرت فى الحط من سمعتها

لقد تزعزعت هذه التشكيلات أمام الهزة الأوربية وزالت أو تضاءلت أمام الموجة الجديدة والتنظيمات العمالية الحديثة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

ومما مر نستخلص ما يلى : —

١ — أن النقابات الإسلامية نشأت من الشعب وكانت استجابة لحاجات العمال أنفسهم وكان موقفها أحيانا غير ودى أو عدائى للحكم ٢ — ثم نلاحظ أن أصحاب العمل من أستاذ وصانع ومبتدئ يكونون طبقة اجتماعية واحدة فيها مجال التقدم لكل فرد دون تناحر ودون الانقسام الذى ولدته رأسمالية أوربا . وهذا تطور طبيعى لظروف المجتمع الإسلامى الاقتصادية والاجتماعية

٣ — تضم النقابات الاسلامية أفرادا من مختلف الطوائف فى جو من التسامح الاجتماعى والفكرى عكس ماحصل فى الغرب

٤ — للنقابات الاسلامية حياة روحية ومثل خلقية فهى قوة تهذيبية مهنية فى نفس الوقت ولم تقتصر على المهنة

وهذه ناحية مهمة لا نراها فى النقابات الأوربية . ولكن النقابات الاسلامية لم تصل إلى الأهمية السياسية للنقابات فى الغرب وإن كانت لها أدوار هامة أحيانا

وأخيرا يجب أن نذكر أن روح التكتل والانسجام فى المؤسسات العلمية الراقية أو المدارس جعل الطلبة والاساتذة يكونون نقابة . ولهم بعض المراسيم المشتركة مع النقابات مثل اللباس الخاص (الروب) والإجازة . وتشابه الدرجات من تلميذ إلى معيد إلى مدرس إلى أستاذ

هذا ما أمكن عرضه بإيجاز

عبد العزيز الدورى

٥ - الباكستان

الحياة الاقتصادية

الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الوضع الجغرافي :

أرى لزاماً على قبل أن أتحدث عن الحياة الاقتصادية أن أتناول في كثير من الإيجاز الوضع الجغرافي للباكستان . ذلك أن الحياة الاقتصادية هي أولا وقبل كل شيء من إملاء الجغرافيا، فالعوامل الجغرافية تحتم على قوم أن يكونوا زراعاً وتحتم على آخرين أن يكونوا صناعاً أو تجارا أو رعاة . من أجل هذا أرى من الواجب على أن أتحدث عن الطبيعة الجغرافية للباكستان حتى نستطيع فهم حياتها الاقتصادية

تتكون الباكستان من وحدتين جغرافيتين : باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، والإقليمان منفصلان يبعدان عن بعضهما بنحو ألف ميل تقريباً

فأما الباكستان الشرقية فتقع بين خطي عرض ٢٠ر٤٥ درجة شمالا و ٢٦ر٣٠ درجة شمالا وبين خطي طول ٨٨ درجة شرقاً و ٩٢ر٣٠ درجة شرقاً وتبلغ مساحتها ٥٣ر٩٢٠ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٤٢ر١٢٠ر٠٠٠ نسمة

وتشمل الباكستان الشرقية قسما من السهل الذي ينساب فيه نهرا براهما بترا والكنج وتضم القسم الأكبر من دلتا الكنج ، ويوجد في شمالها الشرقي بعض بقاع جبلية هي أجزاء من شرق جبال الهملايا التي تقع في شمال الهند

أما مناخها فوسمي حار في الصيف إذ تبلغ درجة الحرارة نحو ٨٣ درجة فهرنهيت ويسقط المطر غزيرا في الفترة من منتصف مارس إلى نهاية اكتوبر وذلك بتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وأما الشتاء فدفء إذ تبلغ الحرارة نحو ٦٤ درجة فهرنهيت ولكنه جاف لأن الرياح التي تهب في هذا الفصل تكون الرياح الموسمية الشمالية الشرقية . وهي رياح جافة لأنها تهب من داخل القارة

أما باكستان الغربية فتقع بين خطي عرض ٢٤ درجة شمالا و ٣٧ شمالا وبين خطي طول ٦١ درجة شرقاً و ٧٥ شرقاً . وتبلغ مساحتها ٣١٠ر٢٩٨ ميلا مربعا وعدد سكانها ٣٣ر٥٧٠ر٠٠٠ نسمة

ولكن أراضي الباكستان الغربية ليست سهولا منبسطة مثل أراضي الباكستان الشرقية بل إن طبيعتها تتباين تبايناً كبيرا ، فنجد القسم الشمالي وإقليم بلوخستان جبليا مرتفعا بينما نجد إقليم البنجاب وإقليم السند والإقليم الصحراوي أرضاً سهلة منبسطة

والمناخ في الباكستان الغربية متباين أيضا والتباين واضح جدا في توزيع المطر . فالمطر يسقط غزيرا في المنطقة الشمالية صيفا وسببه الرياح الموسمية، ويقل نوعا في إقليم البنجاب ولكنه يندر في الإقليم الصحراوي وفي بلوخستان . وأما الشتاء فيغلب فيه الجفاف ولكن تسقط بعض الأمطار في إقليم البنجاب شتاء بسبب وصول أعاصير الرياح العكسية إلى هناك

وأما من حيث الحرارة فالمناخ متطرف : فدرجة الحرارة في يناير تصل نهارا إلى ٧٥ درجة ف ولكنها تهبط ليلا إلى درجة التجمد ، وأما في الصيف فتتراوح نهارا بين ٩٠ ف ، ١٢٠ ف ولكنها تقل عن ذلك كثيرا أثناء الليل

وتوزيع المطر هام جدا ، ذلك لأن حياة النبات تتوقف على الماء فإذا غزر المطر كثف النبات ، وإذا انعدم المطر انعدم الإنبات

والباكستان الشرقية غنية بأمطارها وأنهارها ، فمتوسط سقوط المطر من ٧٠ بوصة إلى ٤٠٠ بوصة ويجرى بها نهر الكنج وفروع دلتاه المتعددة ورافده البرهمابترا

وأما باكستان الغربية فيجرى بها نهر السند وفروعه الخمسة ، ونظرا لجفاف المناطق الدنيا من حوض السند كانت لمشروعات الرى فى تلك المنطقة أهمية عظيمة إذ أنه يتوقف عليها تقدم هذه المنطقة إلى حد كبير

ويجدر بى قبل أن أنتهى من هذه المقدمة الجغرافية أن أشير إلى أن الباكستان قد ظلمت تماما فى تنفيذ مشروع التقسيم فقد أخذت منها كلكتا وهى أكبر ميناء فى مصب الكنج ، وقد أخذت منها دلهى لأنها اتخذت عاصمة للهندستان ، وكذلك أعطيت بمباى للهندستان فأصبحت العاصمة والموانئ الرئيسية فى حوزتها . وأكثر من هذا لقد رفضت الهندستان أن يسلم الباكستان نصيبها من الأموال المضروبة حتى تعجز عن دفع مرتبات موظفيها ويعمها الاضطراب والفوضى فتختنق الدولة الوليدة . ومع هذا كله رضى المسلمون . ألم يصبح لهم وطن مستقل يعيشون فيه أحرارا ، أجل إنه وطن فقير ولكن الله أغناه من فضله

الزراعة :

الباكستان دولة زراعية وتعتبر الزراعة المهنة الرئيسية لسكانها ؛ إذ أن ٨٠ ٪ من السكان يشتغلون بالزراعة

وتقدر مساحة الأراضى الزراعية بحوالى ٥٤ مليون فدان وهناك أرض بور يمكن إصلاحها تقدر مساحتها بحوالى ١٤ مليون فدان

ولما كانت كمية المطر فى باكستان الغربية لا تكفى حاجات الزراعة فقد أقامت الباكستان نظاما للرى لا يضاهيه إلا نظام الرى فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن نهر السند وفروعه تنبع جميعا من جبال هملايا ثم تنحدر جنوبا فوق السهول الفسيحة ثم تلتقى جميعا فتؤلف نهرا هائلا هو نهر السند الذى يجرى جنوبا نحو ألف ميل حتى يصب فى البحر العربى . ومما لا يحتمل شكا أن هذا يلقى بكميات وافرة من مائه فى البحر فعمد

الباكستانيون إلى استغلال هذه المياه فى رى جزء من الأراضى الواسعة الصالحة للزراعة فى بلادهم ، وتحقيقا لهذه الفكرة شقت قنوات حتى تصل المياه إلى الأراضى التى لم تكن تبلغها وأقيمت السدود لحجز المياه للانتفاع بها فى الرى وفى توليد الكهرباء .

ومن أكبر مشروعات الرى فى الباكستان الغربية سد سكر المقام على نهر السند قرب مدينة سكر فى حوض السند الأدنى ويبلغ طوله حوالى الميل وهو أكبر سد فى آسيا وتروى مياهه نحو ستة ملايين من الأفدنة ، وتبلغ جملة الأراضى التى تروى بالقنوات نحو ٢٣ مليون فدان ؛ وهناك مشروعات لإحياء ستة ملايين فدان من الأراضى البور وجعلها صالحة للزراعة

ويمكن تقسيم غلات الباكستان الزراعية إلى قسمين : غلات تستهلك فى الداخل وغلات تصدر إلى الخارج ، فأما غلات النوع الأول فأهمها الأرز والقمح وهما الطعام الأساسى للسكان ؛ وتخصص مساحة ثلاثة أخماس مساحة الأراضى الزراعية لهذين المحصولين ، ويزرع الأرز فى باكستان الشرقية ، أما القمح فيزرع معظمه فى باكستان الغربية

وأهم الغلات بعد ذلك الشعير والذرة والقصب والسمسم والكتان

وأما الغلات التجارية فأهمها :

الجوت : ويزرع فى باكستان الشرقية وتنتج الباكستان منه ٨٠ ٪ من المحصول العالمى ، ومعظم مصانع الجوت قائمة فى كلكتا ولذلك فبعد التقسيم اضطرت الهندستان إلى استيراد الجوت من الباكستان ، وتعمل الباكستان جاهدة على إقامة مصانع لصناعة الجوت فى داخل بلادها ، وتبلغ مساحة الأراضى التى تزرع الجوت مليونى فدان ويقدر المحصول بحوالى ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ بالة (البالة = ٤٠٠ رطل)

القطن : يزرع معظمه فى باكستان الغربية وتقدر مساحة الأراضى المزروعة قطنا بحوالى ٢٫٧٠٤٫٠٠٠ فدان والمحصول بحوالى مليونى بالة ، ونوع القطن جيد

الشاى : يعتبر إحدى السلع الهامة التى تصدرها باكستان الشرقية إذ تقدر الكمية التى تنتجها سنويا بحوالى ٤٥ مليون رطل يصدر ٧٠ ./ منها إلى الخارج

التبغ : ويزرع منه فى باكستان ٧ر٣٣ ./ من مجموع إنتاج الهند ، وجملة الأراضى المزروعة فى باكستان ٣٠٨٧٠٠ فدانا ومجموع الإنتاج ١٥٦٣٠٠ طنا

التجارة : تعتبر الباكستان أهم دول العالم إنتاجا للجوت وتنتج ١٠ ./ من محصول القطن العالمى وكيات كبيرة من الصوف وتكون صادرات الباكستان من الجوت والقطن والصوف ٩٠ ./ من صادراتها

وتصدر الباكستان أيضا كيات وافرة من الشاى وبذرة القطن والتبغ والجلود والسمك المجفف والملح الصخرى وبعض المصنوعات مثل الأدوات الرياضية والآلات الجراحية

وتنتج الباكستان كيات كبيرة من القمح تكفى حاجة سكانها وتفيض ويصدر الفائض وقدره نحو نصف مليون طن إلى الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا

أما أهم واردات الباكستان فهو الآلات الصناعية والمواد المصنوعة مثل المنسوجات القطنية والغزل والخيوط القطنية والآلات ومصانع الغزل والسيارات والمصنوعات الحديدية والمواد الكيماوية والأدوية والعقاقير والورق وتكون الآلات الصناعية والمواد المصنوعة ٧٧ ./ من مجموعة واردات الباكستان

وبريطانيا أولى الدول تجارة مع الباكستان وتليها الولايات المتحدة والهندستان وجنوب أفريقيا وبلجيكا وإيطاليا وفرنسا واليابان وهولندا والاتحاد السوفيتى ومصر

وقد صادفت التجارة صعاباً عند بدء الاستقلال بسبب هجرة التجار الهندوس إلى الهندستان ولكن التجار المسلمين سرعان ما ملأوا الفراغ فنشطت التجارة وتضاعفت حركة التوريد والتصدير

كراتشى : أهم موانىء باكستان الغربية إذ أنها تقع عند مصب نهر السند ومن ثم كانت منفذه التجارى وهى عاصمة دولة الباكستان ، وقد تقدمت بعد ١٩٤٧ (تاريخ الاستقلال) تقدماً كبيرا . ويكفى لإثبات ذلك أن نذكر أن عدد سكانها كان ٤٥٠،٠٠٠ نسمة فبلغ الآن ١٬١١٨،٠٠٠ نسمة

وأما باكستان الشرقية فقد حرمت من مينائها الطبيعى كلكتا ، وأهم موانيها الآن شيتا جونج وهى تتقدم بسرعة لأن تجارة باكستان الشرقية تحولت إليها

البحث صلة — أبو الفتوح عطيفة

السيدة زبيـــدة

للأستاذ عبد الواحد باش أعيان

لينحنِ التاريخ برأســه إجلالا لكثير من النساء النوابغ اللواتي سجلن أعظم الأعمــال والمفاخر في صحائفه ، وللمرأة العربية نصيب كبير في مفاخر التاريخ وروائعه، فمنهن الملكات الحازمات اللائي رفعن ممالكهن للسؤدد والرفعة، ومنهن المحاربات البواسل ، ومنهن الشواعر والأديبات ، ومنهن من سجلن أعمال الخير والإصلاح في كثير من مرافق الحياة

من أشهر هؤلاء النساء النوابغ وأعظمهن أعمالا للخير واهتماما في الإصلاح والتعمير هي الملكة العباسية الهاشمية السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وأم الأمين وبنت جعفر بن «أبي جعفر المنصور»

ولدت سنة ١٦٥ هجرية في أحضــان العز ومهــد الدلال ، وترعاها قلوب بني العبــاس ويحيطها حبهم ورعايتهم ولا سيما جدها الخليفة الحــازم أبو جعفر المنصور وكان يؤثرهـــا بعنايته وحبه

وهو الذي سماها زبيدة لما رأى من نعومتها وبياض بشرتها، وقد كانت تجمع إلى الجمال الباهر والأدب العباسي السامي عقــلا كبيراً وذكاء نادراً وعلماً وأدباً كبيرين

وفي خلافة عمها المهدي زفت إلى ابن عمها هرون الرشيد فــكانت ليلة زفافها من الليالي المشهورة في بغداد يومذاك بالروعة والبهاء والفرح ، وقد نثرت اللآلئ في جنبات طريقها على البسط الموشاة بأسلاك الذهب . وقد ألقي عليها من غالي الجواهر واللؤلؤ ما أثقلها وعاقها عن السير ، فــكانت عند زوجها وقد استأثرت بقلبه وخلص لها من دون جواريه وسراريه اللواتي يملأن قصره ، وقد شغف بها الرشيد واطمأن إلى رأيها وتدبيرها وكمال عقلها حين أصبح خليفة، فأخذ يسترشد برأيها في حل المعضلات من أمور الدولة الإمبراطورية الإسلامية في ذلك العصر الذهبي ، وأطلق يديها في بيت المــال تنفق ما تشــاء ، وقد أنفقت أموالا عظيمة في الإصلاح والخيرات ، تلك الأعمال التي خلدت اسمها بين أعظم نساء العالم كرماً وخلقاً وشرفاً ، وسبقت من تقدمها من نساء الإسلام في الأعمال. ولقد قيل إنها أنفقت فيما ابتنت في طريق مكة من مساجد ومنازل ومشارب مليونا وسبعمائة ألف دينار زيادة على ما أنفقته « ويقدر بأكثر من مليون دينار » حين أوصلت الماء إلى مكة في الحجاز من العين المعروفة بعين زبيدة ، فقد كان المــكيون والحجاج ينقلون الماء من مسافات بعيدة مضنية لشربهم وربهم وسقي حيواناتهم، وكانوا يتكلفون بذلك ويجهدهم فلما حجت الملــكة الصالحة السيدة زبيدة أمرت بإحضار المهندسين والعمال وأن يقدروا كلفة العمل وما يتطلبه من المال فبلغ مبلغاً كبيراً استثقله خازنها فقالت كلمتها الخالدة « اصرف ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً » فلم تزل حتى تم لها ما أرادت ووصل الماء إلى مكة من مسافة اثني عشر ميــلا في أرض وعرة المسالك . ولا زال منذ عهدها إلى اليوم . ولها أعمال أخرى لا تقل عما تقدم فخراً ومنفعة ؛ فقد ابتنت المساجد الــكبيرة الواسعة في أطراف بغداد ليتعبد فيها المسلمون فابتنت مسجداً قبالة دار الخلافة يسمى مسجــد زبيدة وآخر في أراضيها وأملاكها الخاصة المعروفة بقطيعة أم جعفر وثالث بين باب خراسان ودار الرقيق ورابعاً البيت الذي ولد فيه الرسول بمكة ويسمى دار ابن يوسف، وكانت إلى كل هذا توزع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين والأيامى كما كانت لا تتردد في مساعدة ذوي الحــاجة من كبار رجال الدولة والملــكة

ولقد كانت أما رؤوما تحنو على ابنها الوحيد محمــد الأمين وتعنى به عناية كبرى وتحبه حبا جما ، فمن ذلك ما رواه خلف الأحمر وكان قد دعاه الرشيد لتدريس ابنه الأمين يقول : جاءتني جارية يوماً برسالة من أم جعفر « زبيدة » تعزم علي بالــكف عن معاملته بالشدة في تعليمه وتأديبه وأن أجمل له وقتاً لاستجمام بدنه فقلت : الأمير قد عظم قدره وبعد صيته . وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملان التقصير ولا يقبــل منه الخطل ولا يرضى منه الزلل في النطق والجهــل بالشرائع والعمى عن الأمور التي فيها قوام السلطان وإحكام

السياسة » فقالت صدقت غير أنها والدة لا تملك نفسها ولا تقدر على كف إشفاقها »

وعلى ذكر ابنها الأمين ، فإنه لم يكن بين خلفاء الإسلام من كان أبوه وأمه من بني هاشم غير علي بن أبي طالب وابنه الحسين والأمين بن الرشيد وفي ذلك يقول أبو الهذيل الشاعر :

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

ولقد ماتت للأمين بنت اسمها (أم موسى) كان شديد الكلف والحب لها فجزع عليها جزعاً شديداً فسمعت بذلك زبيدة فقدمت إليه وعزته ببلاغتها

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهف
ففي بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزئة
ما بعد موسى على مفقودة أسف

وكان لها قصور عديدة جميلة تتناسب مع مكانة الملكة الشابة ، منها قصر السلام وقصر القرار وغيرها في ضيعاتها وأملاكها الواسعة . وكانت على جانب كبير من الكرم والسخاء فيقول المسعودي (كتبت مرة تسأل أبا يوسف » رئيس القضاة في بغداد « تستفتيه في مسألة فأفتاها بما أوجبت الشريعة وكان يوافق مرادها فأكرمته بحق من فضة فيه ألوان من الطيب (الروائح) وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخت فيه ثياب وحمار وبغل ... الخ)

وذكر بعض المؤرخين أن لزبيدة يداً كبرى في نكبة البرامكة ، فقد كانت تخشى من جعفر البرمكي على ابنها الأمين وكان يقوم بأمر المأمون في ولاية العهد . ولكن في وصيتها التاريخية لقائد جيش الأمين علي بن عيسى حين خرج بجيشه يريد محاربة المأمون وأسره ، ففي تلك الوصية الخالدة تظهر النفس الكبيرة التي تتنزه عن الدنايا والقسوة والأحقاد وقد قالت له (يا علي إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإنني على عبد الله (المأمون) مستعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وإنما ولدي ملك نافس أخاه في سلطان ، فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته ، ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله إذا ركب وإذا شتمك فاحتمل)

وكانت على جانب كبير من الآداب والأخلاق كما كانت أديبة بارعة وشاعرة حساسة، وإليك أبياتاً رقيقة باكية رثت بها ولدها الأمين حين سمعت بقتله :

أودى بالفين من لم يترك الناسا
فامنح فؤادك من مقتلك الياسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له
أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت مكتئباً أرعى النجوم له
إخال سنته في الليل قرطاسا
والموت كان به ، والهم قارنه
حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردوداً لنا أبداً
حتى يرد علينا قبله ناسا

هذه لمحة من سلسلة أعمال جليلة خلدتها تلك الملكة العباسية الطاهرة، وتلمس منها تدبيرها وأخلاقها وأعمالها الجبارة الباقية على مدى الدهر

ولقد انطوت حياة هذه الملكة الكريمة سنة ٢١٦ هـ في بغداد بعد حياة كلها خير وجلال وسؤدد

البصرة — العراق عبد الواحد باسم أعيان العباسي

شعراء الشباب

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

ظل النـاس يتساءلون فى جزع ولهفة وحيرة عن الشـاعر الفرد الذى يخلف أمير الشعراء أو شاعر النيل بعد وفاة شـوقى وحافظ بسنوات ، وكانت هناك يومئذ أسماء لامعة تذكر فى مجال التفضيل ؛ ربما مر أحدهم أن يملأ فراغا شاعرا اسواه ، وربما غضب بعضهم أن يكون بوقا لغيره ولو انعقد عليه الإجماع ... من هذه الأسماء اللامعة : العقاد ومطران ومحرم والجارم

وبينما كان الناس يختلفون فيما بينهم على هذه الأسماء وغيرها . كان هناك شبه إجماع على شاعر شـاب ، غنى الشباب بشـعره الوجدانى ، فاتفقوا ، أو اتفق أهل الفن منهم خاصة ، على تسميته « شاعر الشباب »

أطلق لقب « شاعر الشباب » أول ما أطلق فى مصر على الأستاذ أحمد رامى ، وظل وحده يستمتع بهذا اللقب الجميل حينا من الدهر ، ربما يربو على عشر سنين بكثير ؛ حتى زحفت جموع الشعراء من كل صوب ، وتعددت ألوان الشعر فى كل مجـال ، وغمرت الصحف والمجلات والكتب والإذاعة موجة واسـعة متدفقة جياشة بالشعر الجديد . فكان من العسير على شاعر غنائى واحد أن يثبت أمام هذه الجموع الزاحفة كالبنيان المرصوص

وهال الناس هذا الموكب الضخم الفخم كأنه مهرجان رائع فى ميدان فسيح يشق أجواز الفضاء بحناجر قوية وأوتار صاخبة وأبواق مدوية تكاد تصم الآذان ؛ ولم يستطع النـاس — أول الأمر — أن يميزوا بين هذه الوجوه المتلاحقة والصور المتتابعة فى وسط الزحام ؛ فسموهم جميعا « شعراء الشباب » !

فى العشرين سنة الأخيرة أطلقت كلمة « شعراء الشباب » على أكثر من ثلاثين شاعرا ، وما تزال تطلق على نحو عشرين شاعرا إلى الآن

وإذا كان من العسير إحصاء أسماء جميع شعراء الشباب فى مقال واحد — فمن السهل اليسير الإشارة إلى بعضهم على سبيل التمثيل لا الحصر والتسجيل

شاعران لا ثالث لهما اشرأبت إليهما الأعناق وتفردا بالشاعرية الخصبة والخيال الملهم والملكة الفنية التى تندر فى كل زمان ومكان ، بين أرباب البيان وأعلام الشعر الرفيع .. شاعران اثنان لا ثالث لهما : على محمود طه وإبراهيم ناجى . لكل من هذين الشاعرين جو فسيح يحلق فيه ، وخيال مجنح يصل به إلى آفاق المجد والخلود

كان هذان الشاعران فى مقدمة الرعيل الأول من شعراء الشباب ، منذ عشرين سنة ، وتدفقت وفود الشعراء على الميدان الأدبى بعد ذلك ، وظل على محمود طه وإبراهيم ناجى قبلة الأنظار ومهوى الأفئدة وموضع الإعجاب !

وظهرت أسماء لامعة بدأت تشق طريقها بين الزحام ، وبدأ إنتاج كل شاعر منهم يتسم بسمة خاصة إذا استقلت حينا للتقليد فقد انطبعت فيما بعد بطابع التجديد . من هؤلاء الشعراء : سيد قطب ومحمود غنيم ومحمود حسن إسماعيل وعبد العزيز عتيق وعبد العزيز محمد خليل ومحمد عبد الغنى حسن وعلى متولى صلاح . وبعد سنوات قلائل لاحت فى الجو الأدبى نجوم جديدة من الشعراء فى شعرهم قوة وفتوة وتدفق وتنوع والتماع ، من هؤلاء الشعراء : أحمد مخيمر والعوضى الوكيل وطاهر أبو فاشا وأحمد عبد المجيد الغزالى ومحمد هارون الحلو وعلى الجبلاطى وعبد العظيم بدوى

وهنا لا بد أن أحيى « دار العلوم » تحية عاطرة بأريج الحمد والثناء ، تلك المنارة الرفيعة للأدب العربى التى انبثقت منها كل هذه الأضواء ؛ لجميع الشعراء السـابقين — فى الفترة الأخيرة — وغيرهم كثيرون ... هدايا إلى الشعر من دار العلوم .. دار العلوم أيام أن كانت « مدرسة » أما بعد أن صارت « كلية » جامعية فحسب المتخرج فيها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : أنا من حملة الليسانس !!

وبعد فترة وجيزة من الزمن لاحت بشـائر نهضة شـعرية جديدة ، بعد ما اتضحت مدارس الشعر أمام الشباب ، وارتسمت الفوارق البعيدة بين الجديد والقديم ، وتعددت المنـاهج المختلفة

أمام الأنظار ، فسلك سبيل القافلة الصاعدة إلى السماء ، هؤلاء الشعراء : عبد الرحمن الخميسي ومحمود السيد شعبان ومصطفى على عبد الرحمن وإبراهيم محمد نجا وفؤاد كامل وعثمان حلمى وحسين البشبيشى وعبد الغنى سلامة ومحمد السيد شحاته (شاعر البرارى) وعبد العليم عيسى

وبعد وقت قصير لفتت الأنظار وجوه جديدة ، وخاضت المعركة أقلام ناشئة ، فى إنتاجها الشعرى حرارة الشباب ، وفى رصانتها الفنية وثبات الخيال ، وإن كان بعضها لم يستقر بعد ، وهذه الفرقة هى التى تحتل الآن أماكنها المناسبة فى الصحف والمجلات ، من هؤلاء الشعراء : كمال نشأت وكيلانى حسن سند ومحمد رجب البيومى ومحمد الصادق سعود وتوفيق عوضى أباظة وعبد العزيز السمدنى ومحمد مفتاح الفيتورى ومحمد سلامة مصطفى ومحمد أحمد سالم وعمر عبد العزيز

وليس من السهل — ولا من اللائق أيضاً — أن نرتب هذه الجموع الزاخرة ترتيبا تنازليا — أو تصاعديا — كترتيب تلاميذ المدارس بحسب درجات الامتحان ؛ فهذا عسير جد عسير ، لتنوع المذاهب وتعدد الألوان

ولكن من السهل النص على أن هؤلاء الشعراء جميعا من الممكن تقسيمهم إلى أربع طوائف متميزة : الطائفة الأولى جماعة الأحرار ؛ لا يتبع الشاعر منهم أحدا بالذات ، وليست له قدوة يحتذيها ولا إمام يأتم به ويسعى على هداه ، وإنما لكل منهم نهجه الخاص وطريقه المعلوم وشخصيته المتفردة . وأما الطوائف الثلاث الأخرى ، فطائفة تتبع شعر العقاد وطائفة تتبع نثر الزيات وطائفة تتبع زجل بيرم التونسى !

لست أمزح ولا أهزل حين أقول جادا : إن طائفة من شعراء الشباب المرموقين ، ينحون فى الشعر نحو بيرم التونسى فى الزجل ! وليس معنى هذا أنهم يخطئون السبيل ، أو يرجعون القهقرى ؛ فرب قصيدة واحدة من الزجل — الشعر الشعبى — خير من ديوان كامل من شعر فلان وفلان ، وسيأتيك البيان !

وإن مما يؤسف له حقا أن يلتفت الناقد الأدبى إلى ميدان شعراء الشباب الآن فلا يرى إلا القليل. فينعم النظر ويمد البصر إلى هنا وهناك فلا يرى إلا أشباحا تجرى فى الظلام وراء تفاهات وحماقات لا تغنى ولا تسمن من جوع

لقد تفرق الجمع أيدى سبا .. وانصرفوا — أو كادوا ينصرفون عن الشعر الذى خلقوا له وارتفعوا به إلى القمة ! ولكن يبدو أنها قمة الحضيض إن صح هذا التعبير

بعض الشعراء استهوته الصحافة اليومية أو الأسبوعية فأدلى دلوه فى الدلاء وعلى الشعراء العفاء. وبعضهم انخدع بالإذاعة فاستسلم لما يطلب منه من القصائد والتواشيح لقاء أجر معلوم ، وبعضهم كل همه الملاوات والترقيات والاستثناءات فى كل عهد وبأى ثمن . وبعضهم غارق لأذنيه فى « شرب العرق ولعب الورق » ، وبعضهم اتخذ الكتابة والتأليف حرفة مجدية ... وأخيراً جداً اهتدى « بعضهم » إلى تقليعة ظريفة تريحه من كل هذا العناء . افتتاح « دكان شعر » لبيع قصائد المناسبات

مأساة متعددة الجوانب ، مختلفة الأشكال ، ولكن سببها واحد على كل حال . سببها أن الدولة لا تقدر الشعراء حق التقدير ، فهم يبذلون كل جهودهم للحصول على المال من أيسر طريق ، باسم الشعر فى الظاهر

حرام على هذه المواهب الفتية القوية الجبارة أن تطأ الشعر بالنعال وأن تضعه هذا الموضع المهين ؛ وإنه لشئ نفيس مقدس يصل بصاحبه إلى صميم الخلود ، لا قشور المظاهر الجوفاء !

نريد الإخلاص للشعر ، والعكوف على الشعر ، والاهتمام بالشعر ، ياشعراء الشباب ! أما أن يضيع العمر على هذا النحو فرحم الله الشعر والشعراء !

قليل لدى العمر أقضيه فى الشعر فمن لى بأعمار الكواكب والبدر !

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبى العتاهية

للأستاذ محمد الكفراوى

مقدمة :

يروى صاحب مسالك الأبصار (١) أن أبا العلاء المعرى كان يقول كلما أراد إنشاد شىء من شعر أبى العتاهية : قال الداهية أبو العتاهية . وتلك العبارة من أبى العلاء المعروف بدقته وعمقه تربنا مدى ما يتعرض له الباحث فى حياة شاعرنا من صعوبات وما يواجهه من مشاكل ، وذلك لأن من لوازم الدهاة من الناس الالتواء والغموض مما يجعل التعرف على مقاصدهم مما يفعلون ويقولون صعباً . والحق أن الناظر في حياة أبى العتاهية أو القارئ لشعره لا يكاد يفرغ مما يصادفه من مشاكل تريد حلولا ، أو أسئلة غامضة تتطلب إجابة شافية

وأهم تلك المشاكل وأشدها تعقيداً هو تحول الشاعر فى سنة ثمانين ومائة للهجرة من شاعر حب وغناء إلى شاعر حزين متشائم لا عمل له إلا تزهيد الناس فى الحياة وتنفيرهم من شهواتها ، والإلحاح عليهم أن يتجهوا بقلوبهم وأعمالهم إلى ما هو خير منها وتلك هى الدار الآخرة

ولو أن الشاعر قد جعل من حياته الخاصة صورة صادقة لما يردده فى شعره من دعوة إلى الزهد فى الحياة ، لقلنا مع القائلين إنه قد سئم الحياة بعد أن رفضت حبيبة نفسه عتبة الزواج منه ، ومال إلى حياة الزهاد والصالحين ، وأسرف فى ذلك الميل حتى لم يعد له ما يشغله إلا التحدث عنها والترويج لها فى شعره . أما وإنه ما زال حريصاً على الدنيا أشد الحرص حتى بعد تحوله إلى ما يشبه حياة الزهاد ، فلا وجه إذن لإدخاله فيهم . وهنا يعرض ذلك السؤال الذى لم يصادف جواباً مقنعاً فى كتابة السابقين من مؤرخى الأدب العربى ألا وهو : أى شىء كان إذن سلوك أبى العتاهية إذا لم يكن زاهداً بالمعنى الذى نعرفه ، وأى شىء كان يدفعه إلى ذلك السلوك المتناقض الغريب ؟

لعل الإجابة عن هذا السؤال هى أهم وأبرز بحث فى الدراسة التى نحن بصدد التقديم لها الآن ، وقد استنفدت الكثير من وقت المؤلف ومجهوده ، إذ وجد نفسه مضطراً أن يرجع إلى بيئة الشاعر وطفولته ، لعله يجد فيها ما يلقى شيئاً من الضوء على ما اكتنف حياته من غموض واضطراب ، وبعد دراسة طويلة مضنية أسفرت الحقيقة للباحث الذى تمكن من ربط الانقلابات والاضطرابات التى طرأت على الشاعر فى مختلف مراحل حياته — ومن بينها تحوله الصورى إلى حياة الزهاد — بما صادفه أثناء طفولته من ألوان البؤس والشقاء ، وما أصابه فى ذلك الحين من أمراض نفسية ، وقد كان أشد تلك الأمراض تأثيراً على حياته وأعظمها إيلاماً له مولده الوضيع الذى جر عليه كثيراً من الخزى ، وملأ قلبه حقداً على ذوى الجاه واليسار من أهل عصره

على أن عوامل أخرى قد انضمت إلى تلك التجارب القاسية والأمراض النفسية التى صادفت الشاعر فى طفولته ، فأحدثت مجتمعة ذلك الانفجار الذى طرأ على حياة الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذى كان يعتبر حتى كتابة هذه السطور نوعاً من الزهد فى الحياة (٢) . وأهم تلك العوامل هو سخطه على

---

(١) ص ١٣٩

(٢) المسعودى مروج الذهب الجزء السادس ص٣٣٦ وأيضاً نيكلسون L.H.A ص ٢٩٦

ثلاثون عاماً من حياتى قضيتها	ولم أقض حق الشعر مهما سما شعرى
لدى من الأفكار دنيا رحيبة	رحابة آفاق السموات فى فكرى
يجيش بها صدرى ويغلى بهادمى	وألبث فيها كالمقيم على الجمر
أغوص وأطفو فى بحور من الشعر	وأسبح من بحر لبحر إلى بحر !

كان هذا منذ سبعة أعوام .. أما الآن ، ففى الأسبوع القادم وفى الأسابيع التالية إن شاء الله ، تفصيل ما أجملت وتقييد ما أرسلت فى شعراء الشباب

أحمد أحمد العجمى

هارون الرشيد لأسباب سنذكرها فيما بعد ، واستغلال الفضل ابن الربيع وزبيدة زوج الرشيد لذلك السخط . فكل من الفضل وزبيدة كان ناقماً على الحياة الصاخبة العابثة التي كان يحياها هارون بين جواريه الحسان وبصحبة وزيره جعفر البرمكي ، لما في تلك الحياة من صرف للخليفة عن زوجه من جهة؛ وإضعاف لقدر الفضل بن الربيع من جهة كما سيأتي تفصيل ذلك . وقد وجدا في أبي العتاهية ضالتهم المنشودة ، فهو ساخط على الحياة والأحياء وعلى الخليفة وحاشيته بنوع خاص ، ورأيا في شعره خير وسيلة للتشهير بالملاهي وروادها ، وبالتالي خير وسيلة للحد من نشاط الرشيد في ذلك الاتجاه الذي لا يرغبان فيه

وهكذا تحول الشاعر من القول في الحب والغزل إلى التزهيد في الحياة والتنفير منها ومن شهواتها وملاذها متحاملا أثناء ذلك على ذوي الجاه واليسار من بني عصره . ومع أن ذلك النوع من الشعر لم يكن في الكثير الغالب إلا تفريجاً عن نفس الشاعر الموتورة وتعبيراً عن عواطفه المكبوتة ، ومن ثم لم يكن يستحق عليه كبير جزاء ، إلا أن الفضل وزبيدة لم يبخلا على الشاعر بالتشجيع المادي والأدبي لما كان في شعره من خدمة لأغراضهما

هذه سطور قلائل لم نقصد بها إلا أن نعرض صورة مصغرة لأحد الموضوعات التي تعرض لها بحثنا . وإنا لنأمل أن يجد القارئ لما كتبناه عن أبي العتاهية إجابة لكل ما يجول في نفسه من أسئلة أو خواطر

هذا وقد قسمنا البحث إلى ستة أبواب

الأول : يبحث في تأثير بيئته المضطربة ومنبته الوضيع على حياته

الثاني : يتحدث عن حبه الفاشل وإلى أي حد كان سبباً في تحوله إلى ما عرف باسم الزهد

الثالث : علاقته بالرشيد والفضل وزبيدة ، واندماجه في السياسة

الرابع : دراسة إنتاجه الشعري بعد سنة ثمانين ومائة ، ومعرفة مدى تصويره لأفكاره

الخامس : يبحث في عقيدة الشاعر

السادس : فيه نقد أدبي لشعره

طفولته وبيئته :

ولد أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم في الكوفة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وكان أبوه القاسم يشتغل حجاماً بها . أما هو فكان يبيع الجرار ، ولكنه ما لبث أن اعتزل تلك المهنة واشتغل بقرض الشعر قاصداً التكسب به . وحين سطع نجمه وضاقت به الكوفة ذهب إلى بغداد وجاهد حتى وصل ذكره إلى سمع الخليفة المهدي الذي أذن له في إنشاد الشعر بين يديه وأجزل له العطاء . ولكن خلافاً شديداً نشب بين الخليفة والشاعر بسبب حب الأخير لإحدى جواري الأول وذكره لها في شعره ، مما جعل الخليفة يغضب عليه ويضطهده . وحين مات المهدي اتصل الشاعر بابنه الهادي ثم الرشيد ، وبعد عشر سنوات قضاها في خدمة هارون كان أثناءها محل عطفه ورعايته ، ترك الشعر الغنائي الذي كان يؤانه للخليفة وهجر مجالسه ، ولبس مسوح الزهاد ، وأخذ يتحدث عن الموت والقبر ويضع من قدر الدنيا وأهلها ، ويدعو الناس إلى الزهد فيها ، والبعد عن ملاذها وملاهيها ، وينصحهم بالعمل للآخرة ونعيمها . تلك فكرة يسيرة عن أبي العتاهية كما يصوره التاريخ ويتصوره الناس أحببنا أن نقدمها بين يدي بحثنا

والآن نعود إلى إبداء رأينا في الشاعر . ولابد لمن يريد أن يدرس حياة الشاعر ويفهم شعره حق الفهم ، لابد له من معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك الانقلاب الخطير الذي طرأ على حياته سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي أشرنا إليه من قبل ، وبدون الوقوف على ذلك الانقلاب وأسبابه لا يمكن لنا أن نفهم كل ما جاء بعده من أشعار مع أن معظم إنتاج الشاعر وكل ما يعرف باسم الزهديات، قد نظمه الشاعر بعد ذلك التاريخ؛ ولكننا لن نستطيع معرفة أسباب ذلك الانقلاب وأسراره حتى نعرف الكثير من بيئته الشاعر وأسرته وطفولته لنتبين مدى تأثير كل ذلك على حياته

والمعروف عن الفترة التي ولد فيها الشاعر ونشأ فيها ، أنها كانت مليئة بالفتن والاضطرابات، إذ أنه ولد قبيل سقوط الدولة الأموية وقيام العباسية . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكوفة التي

ولد بها وترى فيها كانت مركز نشاط مناهضى الحكم الأموى من عباسيين وعلويين ، وكانت لذلك مسرحا لكثير من مناظر ذلك النضال المرير ، كان معنى ذلك أن الشاعر قد رأى وسمع أثناء طفولته بكثير من تلك الحوادث الدامية . وجدير بمثله أن يضيق ذرعا بالحياة والأحياء ، وأن ينظر دائما إلى المستقبل نظرة اليائس المتشائم . وإنه لمن المؤكد أن روح اليأس والقنوط التى يصادفها القارئ لشعر أبى العتاهية ، قد عكست من نفس الشاعر منذ ذلك الحين المبكر ولا سيما إذا لاحظنا أن أباه كان حجاما وكان بطبيعة عمله من ألصق الناس بتلك المناظر الدامية

وإذا كنا بالرجوع إلى بيئة الشاعر وطفولته قد استطعنا أن نهتدى إلى أحد تلك العوامل التى أدت إلى شيوع روح التشاؤم فى شعر أبى العتاهية فليس بعيبنا أن نتلمس الأسباب التى دفعت به إلى الحقد الشديد على ذوى اليسار والجاه من بنى عصره حقدا يظهر واضحا فى إنتاجه الأدبى بعد سنة ثمانين ومائة للهجرة، كما سنذكره فى حينه . وقد اتضح لنا من تلك الدراسة التمهيدية أن نقمته عليهم كانت أثرا من آثار الضعة والخمول اللذين أحاطا بنسبه . فقد كان آباؤه من التفاهة بحيث لم يكن لهم نسب معروف ، فهو عربى فى قول بعض الناس ومولى على رأى آخرين . ثم نراه يضطرب فى ولائه فيتولى مندلا وحبان العنزيين تارة ، ومنصور بن زيد خال الخليفة تارة أخرى . ولكن ذلك الغموض والخمول لم يكن كل مايفسد على الشاعر حياته كلما ذكر آباؤه وأجداده ، فهناك والده الذى كان يشتغل حجاما ، وقد كان ازدراء الناس لتلك المهنة وأهلها شديدا ، ولا أدل على ذلك من الفقهاء — برغم ماينادى به الإسلام من مساواة بين جموع المسلمين — لم يجدوا بدا من الخضوع لتقاليد العصر والحكم بعدم جواز زواج ابن الحجام من طبقة غير طبقته إلا فى حالات خاصة ، كأن الخزى والعار الذى ألصق به شر مستطير يجب ألا يتعداه إلى سواه .

ولدينا من الأدلة ما يثبت أن أبا العتاهية كان وهو لا يزال صبيا يشعر بضآلة شأنه ويتألم لموقف مجتمعه منه ونظرته إليه . فالأغانى يحدثنا أن قصابا تشاجر مع أبى العتاهية وشج رأسه فأسال دمه ودعاه نبطيا ، وذهب الصبى المسكين إلى مواليه يبكى وينتحب ويسألهم أن يمدوا إليه يد المعونة ، وليست تلك المعونة هى وقف الدم الذى يسيل منه ، ولكن محو ما أصابه من عار حين قال له القصاب « يا نبطى » ، والسبيل إلى محو ذلك العار هو أن يعلن أولياؤه من عنزة أنه عنزى وقد كان . وما حادث القصاب إلا نموذج لحوادث أخرى كثيرة تكررت وجرت على الشاعر كثيرا من الخزى والشعور بالضعة

ومن الحق أن يقال إن الشاعر كاد ينسى أو يتناسى مامر به فى تلك الفترة من تجارب قاسية ، فقد استقامت أموره ولمع نجمه فى سماء المجتمع حين صار شاعرا مجيدا بعد أن كان بائع خزف مهين ، ولكن حدثا جللا قد عرض له فكدر عليه نشوة النجاح وأعاد إلى ذاكرته صورة الماضى البغيض وزاده إيمانا بأن الحياة ليست إلا موطنا للشقاء والألم ، وأعطاه دليلا جديدا على فساد نظام المجتمع ، ذلك هو حبه لعتبة وهو ما سيكون موضوع حديثنا فى المقال التالى إنشاء الله

للكلام صلة

محمد السكفراوى

شخصية

الاستاذ حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

طائف من الإلهام البصير طاف فى ذهن كبير حكيم منا أن يدعونا إلى وليمة ... وما كاد الجمع المدعو يلتف حول مائدة ذلك الرفيق الداعى ، وهى تماثل فى الشكل لا فى النوع الموائد التى كانت تنشر وتطوى على عجل فى ميادين القتال ، حتى انبسطت أسارير كل نفس ، وابتسم كل ثغر ، وارتسم السرور على كل محيا ، ونصع كل جبين ، ولا أقول «اختفى» بل أقول «تبرقع» الا كفهرار والتجهم والتوجس ؛ كأن حدسا لدنياً شاع فى كل نفس يهمس أن خلف الصفاء فى موسم الشتاء سحبا وبروقا ورعودا مقبلة ، وقد بدت طلائع غيومها حين وقف رب الدعوة يرحب بالمدعوين ويقول :

الشام أيها الإخوان ، بيت واحد تسكنه أسرة واحدة متفرعة كأغصان الشجرة ، والفروع الكبيرة فيها إنما هى قواعد ثابتة لعرش عربى ، وصولجان إسلامى ، تبذل الأرواح من أجلهما والمحافظة عليهما

لم تنطو المائدة على عجل كما كانت تنشر وتطوى فى ميدان الجهاد ، بل تجلت طبيعة الشامى على حقيقتها فى المباسطة والمزاح والنكتة ، وهى لا تختلف عما هو مفطور عليه من الرزانة والجد إلا فى الإمعان بالعمق ، والإمعان فى المغالاة ، والإمعان فى الإيلام . ودارت أحاديث ، وجرى عتاب ، وانجلت أمور ، واتضحت مسائل ، وانقشعت من ظلمات الغيوم وقائع ، وافتضح سر الدساس المنافق ، وبرز وجه إبليس ببسمته المعهودة ، وحركة التواء عنقه التقليدية ، وكاد إبليس الرجيم - عليه اللعنة المؤبدة - يقول « خذونى »

نظرت إلى وجه « حصل أفندى » هذا الشاعر الذى طالما وقف فى الناس منتصب القامة ، شامخ الأنف ، رافع الرأس ، ينشد القصيد فيطرب ، ويتلاعب بالعواطف ، ويهز النفوس . لقد رأيته الليلة ذابل العين ، كسيف النظر ، منحنى الرأس ، كسير النفس ، ذليل الروح ، فتذكرت موقفا لشاعر معاصر وقف أمام إسماعيل صدقى ثم بين يدى مصطفى النحاس ، فتخيلته « حصل أفندى » وقلت إن هذا هو ذاك بعجره وبجره ، وعينه ومينه ، بنفاقه وكذبه ؛ فرثيت لحال الشاعرين .

نظرت إلى وجوه الرفاق فإذا بهم يخرجون على توقرهم لرب الدار صاحب الدعوة ، وعلى تقاليدهم فى الترفع عن الضعيف المهين ، والتعاظم على الذليل الحقير ، وكادوا يفتكون بذلك الشاعر الآثم ، وقد رأيت « حصل أفندى » حسان الثورة ، شاعر العرب والإسلام ، ينكمش ويتلملم ويلصق جسمه بمقعده وسرعان ما وقف صاحب الدعوة ، ذلك الرجل الواسع الحيلة ، الذى رسم خطته بحكمة وتدبر وقال : ليس فينا من لم يقم بنصيبه فى قتال الأعداء ، ولذلك أقترح تشكيل هيئة حاكمة منكم كالتى كنا نشكلها فى ميادين الثورة لمحاكمة من يخرجون على مبادئها

لم يطل النائب العام كلامه فى بسط وقائع الجريمة لأن الخائن قد خانه دهاؤه وذكاؤه فاعترف بجريمته وعزا وقوعها إلى وسوسة الشيطان ، وطلب بذل وضراعة أن يكون مستقبل أولاده رهينة عند إخوان عرفوه فى حالتى قدرته على النفع وعلى الضرر

اتجهت الأنظار صوب رئيس المحكمة ، وتعلقت أنفاس اللئيم فى شفتى هذا الحاكم الذى لا مرد لحكمه ... وسرعان ما سمعناه يخاطب الجانى بقوله : ليس لى أن أدينك يا « حصل أفندى » بعد اعترافك . لقد كنت فيما مضى أستمد قوة حكمى من الخروج على القانون ، أما الآن فكلنا خاضع لأحكام القانون وليس فينا ، فيما أعتقد ، من يرضى بإدانتك والحكم عليك ، فلك وحدك أن تحكم على نفسك

توهمت أن يد الشاعر امتدت إلى مسدسه تنتزعه من جرابه لتفرغ منه رصاصة فى صدغه ولكن حصل أفندى كان فى شبه ذهول أو غيبوبة

علت الأصوات بالاحتجاج من كل جانب وقد أسكتها

الرئيس بإشارة منه وقال : تعرفون أيها الإخوان أنى أنا الذى أطلقت اسم « حصل أفندى » على صاحبنا هـذا الذى كنتم تقولون إنه شاعر العرب والإسلام وإنى حين كنيته تلك الـكنية اعتباطا وارتجالا لم أكن أتوقع أن الحوادث وتطوراتها سترفع القناع عن داء دفين ، وعلة لابدة فى نفس هذا الذى كان دائمـا فى مقدمة صفوف المجاهدين وقد انقلب فأضحى فى طليعة أجراء المستعمرين

ليس بيت ابن الوردى « لا تقل أصلى وفصلى » هو التخريفة الوحيدة فى هذه القصيدة التى تدل على سذاجة نفس ناظمها وتفكيره الضحل ، وهذا عيب شائع عند من يستشهدون بقول الشاعر اعتباطا وبدون روية

لا أظن أن ابن الوردى كذاب منافق، إنما المنافق الـكذاب حقا هو كارل ماركس واضع نظرية محو الطبقات وتلميذه ستالين منفذ تلك النظرية الخاطئة بالقوة لا بالإقناع ، فالمساواة بين الطبقات إنما هى التضليل بعينه ،والدعوة إلى إهمال الأصول وإنكارها والتمسك بما حصل عليه الإنسان أو بما وصل إليه إنما هو الـكذب الصراح

قد نجد شعراء ومجتهدين وعلماء وأغنياء وعظماء ومصلحين نبتوا نبتة شيطان من الطبقة الدنيا

لم تكن نفوس المدعوين مهيأة إلى محـــاربة روح الشر بالتسامح أو بالإغضاء عن هفوة أو هنة من مواطن فى حق وطنه ومواطنيه . وسرعان ما نهض أحدنا وهو ربع القامة ، عريض المنكبين ، مفتول العضل . يكاد أن يكون رأسه قائما على كتفيه لقصر فى عنقه ، ذو عينين صغيرتين تنبعث منهما نظرة صارمة ، حارب الألمـان فى صفوف الفرنسيين ، وقاتل الفرنسيين فى كل ميدان من ميـادين الثورة عليهم ، وقال بصوت بدأ هادئا ثم أخذت نبراته تشتد دون ارتفاع .

باسم الثورة لا باسم القانون أنقض حكم حضرة القاضى ، لقد غدوت من غير الخاضعين لقوانين هذا البلد الذى حمانى لأن مجلس وزرائه قرر اليوم إبعادى وسأكون قرب ظهر الغد فى سفينة تنقلنى إلى أوربا ، وإنه ليطيب لى أن أزيل الغم عن صدوركم وأعيد الراحة إلى نفوسكم ، بإصدار حكمى أنا على هذا المخـادع الغشاش والداعية الأثيم للطاعة لولى الأمر ولو كان من المستعمرين والخضوع لقوانين الذل والعبودية . والتفت صوب المنكود « حصل أفندى » الذى كان قابعا فى مقعده لا يندى له جبين ، ولا يحمر له وجه ولا يصفر وقال :

لقد كنت تسعى وتتجول وتتنقل من مكان إلى مكان آخر بقدمك هذه ، وإنى لأرى من العدل بل من الرحمة أن أعفيك من إتمام سعيك ، وإبطاء تجوالك بكسر قدمك هذه .

وانقض عليه انقضاض الرجل الغـاضب لوطنه وكرامة عروبته يلوى مفصل قدم المنكود ليا عنيفا

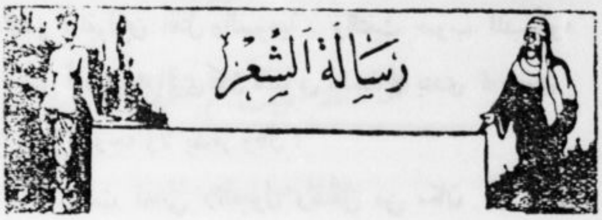
كان الرعديد يصرخ ويولول . لقد استجار بالله ، ورسله وأوليائه ، لقد حلفنا بأولادنا وأعراضنا أن ننقذه من بلائه

لقد كلت أيدينـا ، وعجزنا على كثرتنـا عن تخليص قدم المسكين من قبضة صديقنـا المنتقم ، ولم يتركها إلا بعد أن خلع مفصلها

إن أنس لا أنس صاحب الدعوة ، وهو طبيب قتل اغتيالا كيف صير بيته مستشفى وقد أقامنا على خدمة من ضلله الشيطان

لقد دار الزمان دورته ولا أحسب إلا أنه أتمها وهى على غير محورها الثابت . ومن سخرية القدر أن يصبح حصل أفندى نائبا عن الأمة يتظلم حتى اليوم فى أحد مجالس نيـابة دولة شقيقة

حبيب الزحلاوى



ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم

ودعا (الأرقم) استجب تلك دارى   تسع الدين محرجاً محصورا

وانما ، واجمع المصلين فيهـا   عصبة، إن أردت أو جمهورا (١)

وأبى (ابن الخطاب) يؤمن بالله   ويختـار دينه المأثورا

قال : كلا ، ان يعبد الله ستراً   ويرى نور دينه مستورا

اخرجوا فى حمى (الكتاب) أسودا

واطلعوا فى سنا (النبى) بدورا

ذلكم بيتكم ، فصلوا ، وطوفوا   لا تخافن مشركا أو كفورا (٢)

إرادة قتل الرسول الكريم وهجرته

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القتـ   ل يميط (٣) الأذى ويشفى الصدورا

كذبوا ، مادم الهزبر أمانى   مهاذير يكثرون الهريرا (٤)

لا ورب ، فإنما طلب الكفـــار بسلاً (٥)   وحاولوا محظورا

إن نفس الرسول أمنع جارا   من طواغيتهم ، وأقوى مجيرا

ما لهم ؟ هل رمى النبى ترابا   أم عمى فى عيونهم مذرورا ؟

ذهلوا مدة فلمـا أفاقوا   أنكروها دهياء عزت نظيرا

ينفضون التراب : من مس منا   كل وجه ، فرده معفورا ؟

أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟   ما لأوصالنا تحس الفتورا ؟

أمن الحادثات ما يذهل العا   قل عن نفسه ويعمى البصيرا ؟

أين ولى ؟ لقد رمانا بسحر   فسكرنا ، وما شربنا الخمورا

ياله مصعبا لو انا أصبنا   ه على غرة نخر عفيرا

راح فى غبطة ورحنا نعانى   أملا ضائعا ، وجدا عثورا

خيبة تترك الجوانح حرى   يا لها حسرة تشب وتورى

رب آتيته على القوم نصرا   فتباركت حافظا ونصيرا

أنت نجيته ، فهاجر يقضى الـ   حق ، لا خائفا ولا مذعورا

يوم ضجت جبال (مكة) ذعراً   وتمنت هضابها أن تمورا (٦)

تتنزى أسى ، ويمسكها عـ   ـظمها من ورائه أن تسيرا

هى لولاك لارتمت تقذف الصخـ   ـر وتزجى هباءها المنثورا

هاجها من جوى الفراق وحر الـ   ـوجد ما هاج بيتك المعمورا

كاد يهفو فزدته منك روحا   فانثنى راجح الجلال وقورا

يالها من (محمـد) نظرات   زخرت رحمة ، وجاشت سعيرا

نظرات شجية لا تعد الـ   ـأهل أهلا، ولا ترى الدور دورا

قال : ما فى البلاد أكرم من مكة   أرضا ، ولا أحب عشيرا

فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الـ   ـله أمضى قضاءه المقدورا

إننى قد نذرت لله نفسى   والتقى الوفى يقضى النذورا

بقطع البيد بعد صحب كرام   قطعوا غارب العباب عبورا (٧)

كم رشيد آذاه فى الله غاو   زاده طائف الهوى تخسيرا

ضرب الصحب فى البلاد فأمسوا   لا يصيبون صاحبا أو سجيرا

فى ديار لدى (النجاشى) غبر   ظل فيها سوادهم مغمورا

وتولى وللأمور مصير   يشترى ربه ، ويرجو المصيرا

---

(١) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه

(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر

(٣) أماط الشيء أبعده ونحاه (٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر الهرير. صوت الكلب دون النباح

(٥) البسل الحرام (٦) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم

(٧) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة، وغارب العباب أعلاه

يوم يمشى (الصديق) فى نوره الزا — هى يوالى رواحه او البكورا
ينصر الحق ثائرا يمنع البا — طل أن يستقر أو أن يثورا
لا يبالى غيظ القلوب ولا يحـ — فل فى الله لائما أو نذيرا
أقبل القوم يسألون أتحت التـ — رب ، أم جاور الطريد النسورا؟
نفضوا الهضب والجبال وشقوا الـ — أرض طرا رمالها والصخورا
ريع (أسماء) إذ يجىء أبو جـ — هل على خدها المصون مغيرا
صاح أسماء أين غاب أبو بكـ — ر أجيبى ، فقد سألنا الخبيرا
قالت العلم عنده ما عهدنا — أجم الأسد تستثير الخدورا
فرماها بلطمة تعرض الأجـ — يال عن ذكرها صوارف صورا(٨)
قذفت قرطها بعيدا ورضت — من وجوه النبى وجها نضيرا

فى الغار الأكبر ، غار ثور

غار ثور أعطاك ربك ما لم — يعط من روعة الجلال القصورا
أنت أطلعت للمالك دنيا — ساطعا نورها ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا — كان من قبل عنده مذخورا
مخفر الحق لا جشا يتوقى — قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفت حوله الشعوب حيارى — من وراء العصور، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ويحك إن الـ — حق أعلى يدا وأقوى ظهيرا
لا تخافى فتلك دولته العظـ — مى تناديك أن أعدى السريرا
جاءك المنقذ المحرر لا يتـ — رك قيداً ، ولا يغادر نيرا (٩)
ورث المالكين والرسل الهـا — دين بالحق أولا وأخـيرا
الحكيم الذى يهد ويبنى — فيجيد البناء والتدميرا
والزعيم الذى يسن ويقضى — لبنى الدهر ، غيباً وحضورا
تتراءى الأجيال بين يديه — تتلقى النظام والدستورا
ليس فى الناس سادة وعبيد — كبر العقل أن يظل أسيرا
خلق الكل فى الحقوق سواء — ما قضى الله أمره مبتورا
كذب الأغبياء ما ظلم الله — ه ، وما كان مسرفا أو فتورا
دبر الملك للجميع ، فسوى الـ — أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
يا (نصير الضعاف) حرر نفوسا — تتمنى الفكاك والتحريرا
ضجت الكائنات : هل من سفير — يتلافى الدنى ؟ فكنت السفيرا

(٨) من الصوارف والصور وهما بمعنى الميل والانصراف
(٩) النير هو الخشبة توضع على عنق الثورين ليجرا ما يراد جره

رب آتيتنا هداك ، وأنزلـ — ـت علينا كتابك المسطورا
فلك الحمد وافرا مستمرا — ولك الفضل باقيا مذكورا

أبو بكر الصديق وحية الغار (١٠)

صاحب القائم المتوج بالفر — قان ، بوركت صاحباً ووزيرا
أنت واليته ، وعاديت فيه — من توخى الأذى ، وأبدى الفجور
أو لم تتخذ أباك عدوا — وتذقه الهوان كيما يحورا ؟
إذ يقول (النبى) لا نضرب الشيـ — خ ، وإن سبنى ، ودعه قريرا
إنما نلت بالمساءة منه — والدا مدبرا ، وشيخاً ضريرا
ليت شعرى : أصبت حية واد — تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟
نفثت سمها ، فما هز (رضوى) — من وقار ، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ (النبى) فما يرز — ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك ، لقد أعـ — طاك سبحانه ، فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حامل الإنـ — سان سمحا والبر صفراً طهورا ؟

سراقة بن مالك يريد قتل النبى (١١)

إتق الله يا سراقة وانظر — هل ترى الأمر هينا ميسورا
أم تظن الجواد تمسكه الأر — ض وتلوى عنانه مسحورا ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه — يمسك الشر را كضا مستطيرا ؟
غرك القوم ، فانطلقت ترجيـ — ـه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا — ك الرسول الكريم فضلا كبيرا
فزت بالعهد فاغتنمه ، وأبشر — (بسوارى كسرى) فديت البشيرا
قل لأهل النياق : أوتيت أجرى — حللا فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء — مثل من رام ناقة أو بعيرا

بلبع

(١٠) وضع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف فى حجر الصديق فنام على ركبتيه ، وقد بقى فى الغار شق لم يسد ، فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية ، فاحتمل أذاها ، وكره أن يتحرك فيوقظ النبى ، وقيل ان عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه

(١١) جعل كفار قريش لمن يقتل النبى صلى الله عليه وسلم أو يأسره مئة ناقة — فذهب سراقة فى أثره . قال سراقة بعد أن ساخت قوائم فرسه مرارا ، وبعد أن اعتذر إلى النبى الكريم : يا محمد انى لأعلم أنه سيظهر أمرك العالم ، وتملك رقاب الناس ، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك — فأمر عامر بن فهيرة ، وقيل أبا بكر فكتب له العهد الذى طلبه (أسلم بالجعرانة رضى الله عنه) قال له النبى عند منصرفه : كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى ، وقد ألبسه عمر إياهما فى خلافته لما فتحت بلاد فارس



الانسان بين المادية والاسلام

تأليف الأستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

للأستاذ حسين عبد الفتاح سوبني

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

« المجتمع حاجة نفسية ، تنبعث من نفس الفرد ، من رغبة ملحة فى ألا يعيش وحده ، وسواء كان الخوف ، والشعور بالوحشة أمام الحيوانات المفترسة ، وقوى الطبيعة المجهولة ، أو كانت المصلحة حين وجد كل فرد أنه يستطيع أن يدرك بالاشتراك مع غيره ، ما لا يستطيع أن يدركه وحده ، أو كانت غريزة الجنس ، أو نزعة القطيع ، فالنتيجة الأخيرة واحدة ، وهى أن نزعة لا تقهر ، هى التى أنشأت المجتمع من ضمير الفرد . . . . . .

« وقد كان أمراً طبيعيا أن يكون المجتمع الأول فى أضيق نطاق ممكن ، وأبسط صورة ممكنة : أسرة : زوج وزوجة وأبناء. فتلك أول مجموعة يمكن أن تتغلب فيها نزعة الاجتماع ، على النزعات الفردية المستقلة ، وتخضعها لسلطانها بأى طريق . ومنذ تلك اللحظة ، صارت الأسرة ، هى الوحدة بدلا من الفرد ، ومع أن الفرد ظل محتفظاً بكيانه ، كشخصية مستقلة ، إلا أنه قد اكتسب فى الوقت ذاته صفته الأخرى ، كعضو فى جماعة ، ولم يعد فى طوقه أن يحس أو يفكر أو يعمل إلا بصفتيه فى آن واحد » هذه صورة يعرض عليك فيها حاجة الفرد إلى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولا يمكن أن يكون مستقلا بذاته ، غنيا بفرديته. تقابلها صورة أخرى حين يراد للفرد أن يخضع لنزعته الجماعية إلى آخر المدى ، على حساب فرديته وذاتيته ، فى الدول الدكتاتورية أو الشيوعية

« إن الإنسان فى آفاقه العليا ، كائن له إرادة حرة ، وكيان مستقل ، صحيح أن له إرادة يحددها الصالح العام ، وكيانه المستقل ، يخضع لقدر من الإشراف يتحقق به فى النهاية صالح الفرد ذاته بتحقيق صالح المجموع ، ولكن الفرد فى المجتمع الحر له رأى فى تكييف هذا الصالح العام ، وفى طريقة تنفيذه . رأى حر يتشاور فيه الناس علانية ، دون خوف من سلطان الدولة . . ومجلس الرقباء . . . . والفرد حر فى مشاعره التى لا تؤذى غيره ، يصوغها كما يشاء كيانه ، وبنيته النفسية الخاصة ، حر فى فلسفته الشخصية التى ينظر بها إلى الحياة والكون فى حدود الإطار الذى يتحرك فيه الجميع ، متعاونين غير متصارعين ، وحر فى اختيار العمل الذى يناسبه ويشعر أنه ميسر له »

« وإن إنكار حق الفرد الممتاز فى القيادة والتوجيه لجريمة مزدوجة ، فهو أولا يبدد طاقة بشرية من نوع نادر ممتاز كان يمكن أن يستفيد بها المجموع لو أتيحت له الفرصة المناسبة ، وهو كذلك يظلم هذا الفرد حين يعامله معاملة الأفراد العاديين ، بدعوى المساواة المطلقة بين الجميع ، فطالما أن الناس مختلفون فى طاقاتهم الفردية ، واستعداداتهم الجثمانية والفكرية والنفسية فدعوى المساواة المطلقة خرافة حمقاء »

وهذه صورة ثالثة للانسان فى وضعه السوى رسمها له الإسلام

« النظام الصالح هو الذى يوازن بين الفرد ومصالحه ، وبين صفتيه المكونين له ، كفرد مستقل ، وعضو فى جماعة ، كما يوازن بين الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة فى نطاق الإنسانية الشاملة الرحيبة

« إن مجرد الإسلام يعطى المسلم حصانة من الاعتداء على كرامته الإنسانية ، وحقوقه البشرية ، وأنه حين يكرم الفرد إنما يكرم المجتمع بأ كله »

وهل كان الفرد إلا ذرة فى المجتمع الذى يعيش فيه ؟

« لذلك يعنى الإسلام عناية شديدة بكل فرد على حدة ، لأنه الوحدة التى ينشأ المجتمع من اجتماعها بغيرها من الوحدات ،

والجبنة التى يقوم عليها البناء »

وحينما يتحدث من الجريمة والعقاب، يقارن بين الأمم ، التى تقدس حرية الفرد وتعتبر أن المجتمع هو المسئول عن جرائم أفراده ، والأمم ذات النظم الجماعية « التى تبالغ فى الحط من قيمة الفرد ولا تعترف له بكيان مستقل فتقسو تبعا لذلك فى الحكم على جرائمه » . والإسلام الذى يوائم بين الفرد والجماعة فلا يحيل مع الفرد على حساب الجماعة . ولا مع الجماعة على حساب الفرد . وإليك قوله فيه

« أما الإسلام فله رأيه فى الجريمة والعقاب ، ينفرد به بين نظم الأرض ، ويمسك فيه بميزان العدالة المطلقة بقدر ما يمكن أن يتحقق فى دنيا البشر — فلا يسرف فى تقديس حقوق الجماعة ولا يسرف فى تقديس حقوق الفرد . . . . وذلك تبعا لنظريته المتوازية التى ينظر بها إلى الناس ، لا من واقعهم الأرضى المحدود ولا من زواياهم المتضاربة ، بل ينظر إليهم من أعلى ، من السماء ، فيراهم كلهم فى لحظة واحدة ، بنظرة واحدة شاملة ... فحينذاك لا يبدون فردا وجماعة منفصلين متقابلين ، بل يبدون وشائج متصلة ، وعلاقات متداخلة ، لا يمكن فصل بعضها عن بعض »

« والاسلام لا ينظر للجريمة بعين الجماعة فحسب ، بل يمسك الميزان من منتصفه ، فينظر إليها كذلك وفى ذات الوقت بعين الفرد الذى تقع منه الجريمة

فهو حين ينظر إليها بعين الجماعة فيقرر حقها ، فى حماية نفسها من الجريمة ، ويفرض لذلك العقوبات ، ينظر إليها كذلك بعين الفرد ، فيرى مبرراته ودوافعه لارتكاب الجريمة ، فيعترف بها ، ويعطيها حقها الكامل من التقدير والرعاية ، ويعمل على إزالة كل الدوافع المعقولة ، قبل أن يفرض العقوبة »

وحينما يتعرض للمشكلة الجنسية ، يتعرض تعرض الرجل الخبير بطبيعة الجسد ؛ العليم بطبائع النفوس ؛ فلا تفوته رغبة من رغبات الجسد ، ولا نزعة من نزعات النفس ؛ ولا رأى من الآراء إلا حلله ليأخذ منه الصواب ؛ ويدع الخطأ أو يبدى رأيه المستقل حين لا يقتنع برأى من الآراء . كل ذلك فى أسلوب ساحر ؛ وحساسية مرهفة ، وشعور طلق رحيب ، وعقل باحث منقب ؛ يقتحم بك المادة فتشعر بحرارتها وثقلها ؛ وينطلق بك طائراً فى روحانية شفيفة ، يجتاب الآفاق ، ويرتاد العوالم ، فتسمع معه همس الحور فى قصور النور ، أو مناغاة الجنيات فى عالمها المسحور

استمع إليه حينما يبين العلاقات بين الجنسين فى أسلوبه الشيق العالى

« إن الرجل فى حاجة إلى المرأة ، والمرأة فى حاجة إلى الرجل لشئ آخر غير ضرورة الجسد ، ودفعة الغريزة ، إن كلا منهما ليجد عند الآخر ، وفى رحابه (مشاعر) نفسية . الألفة والحنان والود . والتعاطف . مشاعر لا يجدها فى أى مكان آخر ، لا يجدها الرجل كاملة عند الرجل ، ولا المرأة عند المرأة

« إن كلا من الجنسين فى حاجة إلى فرد من الجنس الآخر ، يلقى إليه نفسه كلها . مشاعرها ، وأفكارها ، وينكشف له عن كل أسراره الدفينة ، ويتجاوب معه ويتعاطف ، ويجد منه حافزا وعونا لمواجهة الحياة ، وتبعاتها المختلفة

« وإن الدنيا كلها لتنفتح لقلبين متحابين متآلفين ، ولا تنفتح لقلب واحد محروم من الحب والعطف ، مقطوع من الألفة العذبة ، ولو كان أكبر قلب لأعظم إنسان ، بل هو لن يكون قلبا كبيرا ، وهو محروم من غذائه الطبيعى ، الذى لا تنقضى الحاجة إليه

« وتلك وقائع . قد يفتن الشعر فى تصويرها ، فى عالم المثل والأحلام ، ولكنها بغير شعر ولا فن ، وقائع علمية تشهد بصحتها الحياة كلها منذ فجرها إلى اليوم »

الله . ماذا يمكن أن يقول قائل أروع من هذا . وهل فى الشعر أو النثر ما يعادل هذه الروعة ، التى تأسر الألباب ، وتأخذ بمجامع القلوب ؟!

ثم استمع إليه وهو يتحدث عن شعور الحرمان ، لتحس معه أنت أيضا بشعور الرجل المحروم من الطفل ، أو المرأة المحرومة منه ، وكيف تقابل طبيعة كل منهما هذا الحرمان

« وقد يجد الرجل أحيانا عملا ، أو فكرة يغرق فيها نفسه ليسكت هذا الهاتف الملح ، والحنين الملهوف للطفل ، ولكن المرأة

ما أقسى حياتها بغير طفل ؟ إن الطفل جزء من المرأة حقا و مجازا ، جزء من جسدها تحمله ، وتغذيه من دمائها ، ثم من لبنها وهو ، خلاصة دمها ، وجزء كذلك من كيانها النفسي ، بحيث تشعر أنها معطلة ، أو ناقصة ، أو عاجزة ، إذا لم تأت بنسل »

وحينما يتحدث من الإحساس الجنسي ، يبين لك ألوانه ودرجاته ، ألوانه بريشة الفنان المبدع ، ودرجاته بمقاييس العاطفة الدقيقة ، فيشعرك بحرارة الجسد حينما تتخلله الرغبات العارمة الحارة ، وانطلاقات الروح حينما تتخلص من قيود المادة ، وتنطلق في عالم الصفاء واللطف

« هنالك الشهوة العارمة التي تتمثل في الجسد المائج ، والجوارح الظامئة ، والعيون التي تطل منها الرغبة الهائجة المجنونة

وهنالك الشهوة الهادئة المتدبرة ، التي تمد العدة في ترتيب وأناة ، حتى تظفر بما تريد على مهل ودون استعجال

وهنالك الأشواق الحارة الملتهبة ، التي تنبع من الجسد ، ولكنها تمر في طريقها على القلب فيصفيها من بعض ما بها من (العكارة) أو يعطيها قسطا من العاطفة تمتزج بصيحة الجسد اللهوف

وهنالك الأشواق الطائرة المرفرفة التي تنبعث من القلب ، وقد تمر في طريقها على الجسد فيمنحها بعض لهيبه المحرق وقد يختلط بها بعض العكار ولكنها تظل محتفظة بكثير من الصفاء

وهنالك إشراقة الروح الحالمة ، وقد صفيت من العكار كله ، وصارت صفاء مطلقا ، لا يعرف الجسد ، وإشعاعة لا تعرف القيود ، تعشق الجمال خالصا حتى من الإطار الذي يصب فيه

« وهنالك ألوان أخرى لا تدركها الألفاظ ، ولا يقدر عليها التعبير »

« وبين هذه الألوان المختلفة مئات من الأحاسيس ، تشترك في الأصل ولكنها تختلف فيما بينها أشد الاختلاف

فأى كسب للانسانية في أن تقول مع القائلين « كله في النهاية جنس »

أرأيت كيف يتدرج بك من نيران الرغبة الملتهبة إلى أنوار الحب الطاهر الطائر البرئ ، وينقلك من لفح الجحيم ، إلى نفح النعيم في خفة ورشاقة ، وبراعة ولباقة ، ودقة وأناقة

وحينما يتحدث عن القيم العليا ، ويسائل منكرا ، أو يستفهم مستنكرا لما يقوله العلماء التجريبيون ، يشعرك معه بالسخرية الحارة مما يقولون :

« هل القيم العليا كلها خرافة ، والمشاعر النبيلة كلها أوهام ؟!

« هل كانت عبثا كل دعوة الأنبياء والمصلحين ، وكل محاولة لتهذيب الطبائع البشرية ؟! وهؤلاء العظماء من كل لون وفي كل باب الذين ضحوا بصالحهم لصالح الإنسانية ، الذين استعصوا على دعاء الشيطان ، واستمعوا لهاتف الضمير ، الذين أقاموا أنفسهم مثلا رفيعة للعدل والنزاهة والرحمة والتعاطف ، والاعتداد بالكرامة ، والإيمان بالأفكار العليا والجهاد في سبيلها . هل كانوا كلهم خرافة ؟!

أبو بكر . وعمر . وعلى . وأبو عبيدة . وأبو ذر . وعمر بن عبد العزيز ... وأخناتون . وغاندى . وبوذا وغيرهم وغيرهم .. كلهم أوهام ؟ »

ثم انظر إليه بعد ذلك وهو يمزق تلك الصورة القذرة . التي رسمها فرويد للانسانية ، ليلوث بها كل جميل في مشاعر البشر ، ويهوى بالإنسانية إلى درك سحيق من الانحطاط والتردى . وكيف يرد عليه من نفس كلامه ويمسك بتلابيبه ، ويضيق عليه الخناق حتى لا يستطيع جوابا

« قتلت الإنسانية أباها الأول ليستمتع الأولاد بأمهم في شهوة جنس دنس مسعور ، ولكنهم ما كادوا يصنعون ذلك ، ويرون أباهم جثة هامدة ، حتى اعتراهم الندم على فعلتهم الآثمة »

وهنا يأخذ الرجل من لسانه كما يقول :

« من أين يأتي الشعور بالندم لهذه الحيوانات الهائجة ، التي تتصرف بدافع الحيوان ؟ من الذي أوحى إليهم أن عملهم هذا كان خطأ لا يجوز ؟ إننا هنا أمام شعور إنساني يفرق بين الإنسان والحيوان

فهذا الندم على الجريمة ، يؤكد وجود الحاسة التي تفرق بين

ما ينبغي ، وما لا ينبغي أن يعمل ، وبين ما هو خير، وما هو شر؛ حاسة تقدر قيما ذاتية للأعمال ، بصرف النظر عن الدافع الغريزي الذي يدفع إليها »

هذه واحدة

« ثم نظر الأبناء فيما بينهم ، فوجدوا أن أحداً منهم لن يفوز بأمه ، إلا إذا قتل الآخرين ، وإذن فستنشأ معركة عنيفة ، لا تؤدي إلى تحقيق المصلحة المنشودة ؛ فاتفقوا بينهم على أن يتركوا أمهم لا يمسها أحد منهم ، وينصرفوا راشدين متآخين بدلا من أن يقتتلوا فينقلبوا خاسرين »

« وهذه هي الثانية

« شعور إنساني آخر . شعور التآخي على مصلحة عامة ، بدل الأنانية القاتلة والصراع المرذول »

وإنما ساق هذا القول من أقوال فرويد ، ليبين أن الإنسانية في أوضاعها الأولى ، يوم كانت على فطرتها : لم تهذبها تعاليم الرسل ، ولا آراء المصلحين ، ولا عقول المفكرين . كان فيها استعداد فطري، لأن تندم على الإثم ، وأن تعمل على تحقيق النفع المشترك ، وأن تنفر من التنازع والخصام

وقبل أن أنتهي من هذه الكلمة ، أحب أن ألفت النظر إلى أسلوب المؤلف اللاذع الساخر ، حينما يريد أن يسخر برأي من الآراء أو يفند قولا . ولكنها السخرية التي تجري فيها الحكمة ، ويظهر فيها الاتزان . ومع ذلك فهو يرغمك على أن تضحك ، وتغرق في الضحك، مع أنك مع كتاب جاد رصين

فانظر إليه وتخيل معه حالة البشرية ، لو أنها نفذت كلها تعاليم المسيحية ، واعتزلت في الصوامع والأديرة

« أي كارثة كانت تصيب الإنسانية ، لو أن الناس كلهم قد اعتزلوا في الصوامع والأديرة ، فانقطعت الحياة بانقطاع النسل ووقف التقدم البشري كله بانصراف الرغبة عن الحياة الدنيا ، إطاعة لأوامر السماء »

ثم استمع إليه، وهو يصور لك حالة المسيحيين داخل حدود الكنيسة ، وحالتهم وهم بمنأى عنها

« إذا كانت المسيحية لأسباب سياسية وتاريخية ، قد انتشرت في رقعة كبيرة من الأرض ، فإنها مع ذلك لم تطبق تطبيقا عمليا ، وإنما بقيت في حدود الكنيسة ، لا تبسط من ظلها على الأحياء إلا وهم خاشعون في صلاتهم ، يسمعون التراتيل الساحرة ، والصلوات المؤثرة ، فإذا انطلقوا بعد ذلك إلى أعمالهم انطلقوا إليها بشراً لا مسيحيين ، لا يدير أحدهم خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن ، ولا يقلع أحدهم عينه ، ويلقيها عنه لأنها تعثره ، ولا يرضى بأن يهلك عضوا واحدا من أعضائه ، تكفيرا عن إثم من الآثام »

ثم اسمع إليه وهو يسخر من الشيوعيين الذين لا يرون للأخلاق قيمة ذاتية — إنما هي أشياء ابتدعها الرأسماليون — ولا يرون في الجريمة الجنسانية جريمة ، لأنهم مضطرون ، إلى إطلاق القطيع على سجيته . وإذن فأين الجريمة ؟

« الجريمة الكبرى في الدولة الشيوعية ، الجريمة التي تنشق لها السماء ، وتنهد الجبال هدا ، هي انتقاد النظام الشيوعي أو التعرض للإله الأكبر « بابا ستالين » أو أحد من الآلهة السابقين وخاصة الإله — لنين — تقدست أرواحهم ولهم الأسماء الحسنى — عند ذلك ينقضون جميعا على هذا المجرم الأثيم — فيسرعون به إلى المشنقة إن أرادوا به الرحمة أو ينفونه في ثلوج سيبريا . إذا أريد له العذاب ، وعندئذ تخرج الصحف الروسية . مفاخرة مباهية ، بأن الدولة قد قامت بحركة تطهير ، لحماية النظام »

وفي الكتاب من هذه اللذعات كثير !

وبعد — فهذا الكتاب رحلة شائقة إلى ينابيع الحنيفة ، ... ميمونة إلى مناهل المعرفة . صاحبه شاعر بارع . علاوة على أنه كاتب محقق ، وبأسلوب الشاعر وتحقيق الكاتب أخرج هذا الكتاب

حسين عبد الفتاح سويفي

البريد الأدبي

ليس في القرآن أساطير

يقول الأستاذ توفيق الحكيم في كتابه الجديد (فن الأدب) الذي طبعته ونشرته مكتبة الآداب بالقاهرة ما نصه : —

(لقد أتى القرآن بجديد في فن الكتابة لا اللغة وحدها بل القصص والأساطير ، لقد استخدم الفن القصصي في التعبير عن المرامي الدينية ، ولكن المدهش أن الأدب العربي لم ير في القرآن إلا نموذجا لغويا .. ولم يرفيه النموذج الفني . فلم يخطر له استلهام قصصه ، أو استغلال أســــاطيره استغلالا فنيا مستفيضا ... الخ) (صفحة ٢٤ من الكتاب المذكور)

ولست أدرى على وجه التحقيق ماذا يريد أديبنا الكبير الأستاذ الحكيم بنسبة الأساطير للقرآن الكريم ؟ وهل يحتوى كتاب الله المنزل على رسوله الصادق الأمين أساطير تستغل استغلالا فنيا أو غير فني ؟ ومن هم الذين عناهم الله بقوله في (سورة الفرقان) آية ٥ (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)

وإذا كان يقصد بالأساطير القصص فإن الفارق واضح بين القصة والأسطورة .. والقرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(سورة فصلت آية ٤٢)

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق) سورة هود

(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (سورة يوسف آية ٣)

(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) سورة طه آية ٩٩)

وبعد فلعل الأستاذ الحكيم يرمي إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير ... وأترك المجال لغيرى من أهل البحث والتحقيق . والله ولى التوفيق

سلامه خاطر

في الشعر العباسي :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الإذاعة المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٣ من مايو سنة ١٩٥٢ مقالا قيما للأستاذ نجيب محمد البهبيتي وقد جاء في آخره ما يلي : —

يقول شاعر الخوارج في قتل ابن ملجم لعلى كرم الله وجهه

يا ضربة من تقى ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فيأخذه شاعر الشيعة فيقلبه هذا القلب لاعنا قائله وهو عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها
أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه
والعن الكلب عمران بن حطانا ...»

وقد ذكر جمال الدين أبو بكر الخوارزمى في الباب الثامن في فتنة الخوارج من كتابه « مفيد العلوم » ما يأتى بعد أن ذكر خبر معاوية وعمرو . —

فقالت الخوارج : —

يا ضربة من تقى ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه عمران بن حطان : —

يا ضربة من لعين ما أراد بها
إلا ليهدم للاسلام أركانا
أضحى غداة تعاطاها بضربته
مما عليه من الاسلام عريانا
طوراً أقول ابن ملعونين ملتقطا
من نسل إبليس بل قد كان شيطانا



هندي من الحمر

عن فرنز ميلر

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

قال التلميذ عن نفسه وهو يتحنى : روبرت سنو

لكنني كنت أعرفه من قبل ، فهو أكبرنا سنا ، وإن كنا أقدم منه عهداً فى الدراسة . إنه يمتاز بلون برنزى ، وعينين غائرتين تبرقان فى الظلمة

لم نلبث أن تعارفنا . وأخذنا نتبادل التحايا والبسمات الصامتة ، ثم جاء يسأل عن حجرة يسكن فيها ، فأخبرته بوجود حجرة خالية إلى جانب الحجرة التى أقيم فيها ، فوافقه ذلك . . أصبح جارى ، فصار يزورنى مساء ، فأقدم إليه قدحاً من الشاى الساخن ... حتى أوشك تحفظه أن يزول بتوطد الصلة بيننا ، وسألته مرة :

— أتدرى أنى أغبطك ؟ .

قال باسماً : — علام ؟

— على لون طلعتك .. هذا الغريب الجذاب ، الذى يذكرنى بلون الهنود الحمر

— لا غرابة فى ذلك ، فأنا هندى من الحمر !

وطفق يحدثنى بأخباره الخاصة .. كان يحيا بين الغاب والبحيرات ، فيجد فى الغاب حيواناً يأنس إليه ، كما يجد فى البحيرات ماء يسبح فيه ويشرب منه .. فسألته :

— وما الذى دعاك إلى ترك عالمك الجميل واستبداله بعالم الدراسة

فأجابنى بقوله : — قال أحد العرافين لأبى أنى ذكى فطن ، لا يجب تركى عابثاً عند بحيرة (هرنين)

— وبعد ؟

— وبعد تركت عالمى وجئت إليكم

فصمت ، ولم ألبث أن سألته بكثير من الكياسة والتردد :

— ترى أرضيت عن ثقافتنا يا صاحبى ؟

قال : — خلت نفسى ثملا .. وأنا أرى الشوارع والنور ... وآلاف الأعاجيب الأخرى .. فكنت أمر مذهولا شارداً ، أتحسس ما أرى وما أشاهد كى أتأكد أننى لست أحلم !

إن أمواج بحيرة هرنين لم تكن لتريني كل هذه الأعاجيب !

إن العجيبة الأولى التى أذهلتنى هى السفينة العظيمة التى حملتنى ، وعبرت بى المحيط !

لقد خلت نفسى وأنا أراها تسير بسرعة وثبات على سطح البحر الزاخر .. أنى أمام عمل من أعمال الآلهة . وقد ركعت حينئذ وصليت من شدة رهبتى !

ثم صمت ، وأنشأ يحرك الملعقة فى كوب الشاى ، فتحدث حركته رنيناً حزيناً ، عاد بعد انقطاعه يتمم حديثه فيقول .

— لم تكن حياتى الماضية تشمل غير الواضح المألوف . لكننى كنت أعجب وأنا أقصد البحيرة أن أجد فى طريق ريشة طير ذات ألوان جذابة مفرحة . كانت تبدو لى كأنها تخصنى بتحية الصباح ، لقد كنت أتناولها فرحاً وأداعبها مسروراً .. فأمسحها بجبينى تارة وبوجهى أخرى ، وإذا ما هبت الريح كنت أرفعها وأرميها عالياً مع مسرى الريح .

— يا لها من لذة !

— .. كانت أمور كم ألذ بكثير

والرواية التى ذكرها الخوارزمى تدل على أن عمران بن حطان كان شيعيا وقد يكون بأبياته قد عارض الخارجى فى مدحه قاتل على كرم الله وجهه ؛ وكيف يلعن نفسه كما ذكر الأستاذ نجيب؟

فما رأى الأستاذ نجيب فى هاتين الروايتين وأيهما أحق بالتصديق

شطانوف محمد منصور خضر

— ولماذا تقول كانت ، أو ليست كذلك الآن ؟

— أبداً ..! إن التحليل والتشريح والتبسيط حطمتها ، وذهبت بروعتها ولذتها ...

— لا أفهم ما تقول

لم يجبني ، بل نهض وفارقني بعد تحية سريعة

بقيت تلك الليلة أفكر في قول صاحبي ... حتى طار النوم من عيني !

وفي الغد كنت أجلس بجانبه في المختبر ، وأمامنا بطاريات الزجاج مبعثرة على المنضدة ، في حين كان مصباح بونش يشع نوراً أزرق ، توشك العين الا تراه ! وما كان أستاذنا قد حضر بعد ، فقال لي رفيقي :

— ألم تلاحظ وجه السبورة السوداء تلك ؟

— لاحظتها كثيراً ، فقد كتبت عليها مئات المعادلات

— لم تفهم قولي ، قلت لك وجهها ..

فحولت نظري إلى اللوحة ، فلاحظت أن الأبخرة المتصاعدة من الأحماض قد تركت على سطحها أشكالا وخطوطاً غريبة ، لو نظرها شخص بانتباه ، لبدت له من تعاريج الخطوط رسم وجه لإنسان عبوس ! فقلت لصاحبي :

— حقا إنه يبدو كوجه إنسان

— أتعلم وجه من هو ؟..

قلت ساخراً : — إنه .. وليد الاتفاق والمصادفة !

فقال مقاطعا — هذا هو وجه العلم ! قد صورته مبتكرات العلم ، فإذا هو وجه عنيد متجهم ، لا تنبئ أساريره بأي معنى من معاني الرحمة !

وهنا دخل الأستاذ ، فانقطع كلامنا ، لكني بقيت حائرا أستعيد رأى صاحبي ولا أدرى أأصدقه أم أكذبه « وجه العلم العنيد المتجهم » ؟ فأمضى بنظرى إلى اللوحة ، تاركا الأستاذ يشرح ويملل ، لأرى وجها عنيدا متجهما حقا !

لا ريب أن التبسيط يحطم اللذة والروعة ، فلو بسطنا أسباب ظهور الوجه على سطح اللوحة فإننا لن نشعر بعد ذلك ، بمثل ما يشعر هذا المنتدى نحو ذلك الوجه الغريب !

.. وفي طريق عودتنا إلى غرفتينا قلت لصاحبي : —

— إني قادر على فهمك بعد الآن

قال — هيهات . فأنت قد ولدت هنا في عالم العلوم ، لا في عالم الطبيعة .. إنك لم تتمدد على العشب الأخضر ، ولم تتفهم أسرار الحقول ، فلا يمكنك أن تبثها أحزانك أو تشرح لها آلامك كما أفعل أنا ! هذه لوحاتكم ، ما رأيتم فيها غير المعادلات والحاسبات .. والأحرف الكثيرة الجامدة ! حين ثمة لوحات لنا عند بحيرة هرنين ترينا الطبيعة وكيف تحنو ، والأيدى ، كيف تتساند ! حتى أنها ترينا الآلهة وهي ترتفع وتسمو عن ...

وصمت فجأة ! وكأنه استدرك ورأى أنه يقول ما لا ينبغى ، فودعني ومضى عن طريق .. لقد قدرت ألمه ولم أحنق عليه ، وما كان المساء حتى طرق بابي وقال :

— لقد كنت قاسيا معك

فكان جوابي أن قدمت إليه كوب الشاى

وحين رفع السكوب إلى فمه ، أخذ يبعث إلى بأنظاره من فوق حافة السكوب ، فبدت لي عيناه عندئذ فاترتين أكثر من قبل ! ثم واجهني وقال :

— كان الأجدر بي أن أنصف باسمي فأكون باردا كالثلج .. على الأقل معك أنت

فلم أجب ، فاستمر يقول :

— إن الهدوء والرزانة من صفاتي .. لكن التبسيط الذى يذهب بروعة الأشياء !

فسألته قائلا : لماذا تطلب العلم إذن ؟

— كان المبشر قد أحسن إلى كثيرا ، فحين زودني بالمال وحثني على طلب العلم لم أستطع الرفض

— ولماذا تخصصت في العلوم ؟

— أخبروني هنا أني أهل للعلوم ! إنهم يريدون أن يجردوني من الخيال ، من خيالي اللذيذ ! لأنني في المعادلات المقيمة ، لكنني لن أفعل هذا .. لن أفعل !

فصمت قليلا في حين كانت عيناه تبرقان ثم عاد يقول :

إن أهل العلوم قد أفسدوا على أحلامي وخيالي ، قالوا لي إن هذا من هذا ، وإن الماء هو الجمع بين ذرة من أكسجين مع ذرة

من هيدروجين ! وإن ورد الزنبق مؤلف من هيدرات الكاربوليك والنيتروجين ! وإن ما كنة السفينة بسيطة ، فالمحرك لا يدور بقدرة الإله كما كنت أعتقد ، بل بقدرة .. البخار ! لقد حللوا لى الأشـياء ، وبسطوها وشرحوها ، حتى بدت لى عادية بسيطة تافهة لا روعة فيها أبدا

قلت له : إننـا لا نؤمن بوجود الإله فى محرك السفينة ، لكننا نؤمن بوجوده فى محل آخر

— تعنى الـكنيسة ؛ دخلتها مرة فشعرت بنفور أعمق من نفورى من المعادلات

— ما قولك إذن فى شعرائنا ؛

— أولئك شعراء ؟ إنهم لا يؤمنون بالله فى حين يدعون أبدا أنهم يؤمنون ! لقد لا حظتهم وهم منفردون بأنفسهم يزاولون الشـعر ، فرأيت الســخرية تبدو فى وجوههم واضحة كلما جاء ذكر الإله !

وقلت وقد أزعجنى كلامه — ألـست معى فى أن للعـالم اسما مهيبا محترما ؟

— أنا معك فى أن له اسماً مهيباً محترما .. فقط ! لـكنه هو نفسه خال من الصفتين ! أنـكم تقولون عن العلم أنه سام كالآلهة وأن له أغواراً عميقة ليس لها قرار ! ثم أراكم تنزعون ثوب تلك الآلهة ، المعبودة ، وتتركونها عارية ، ثم تجهزون عليها وتجردونها حتى من الخجل

— الخجل ، ما معنى الخجل ياسيدى ؟

— ألم تسمع قول أســـتاذنا فى الـكيمياء ؟ لقد قال ان ما ندعوها (بالحياة) مؤلفة من كذا أحماضا وكذا قلويات .. إلى آخر هذه الأشياء التى نسيتها

فوجدت صاحبى يمضى إلى مذاهب متشعبة ، وأن لا فائدة من معاندته ولا من تشجيعه على ما هو فيه ، فقلت له :

— إذا نلت الدكتوراه فستغدو حرا ، ولك ألا تنتبـه إلى المحاضر ولا إلى المعادلات ، ولك ألا تهتم إلا بعالمك الذى تحن إليه

° ° °

كل من نال الدكتوراه كان قد أجهده الاستذكار .. إلا الهندى سنو ! فهو لم يراجع ولم يذاكر ، فنال أجازة الدكتوراه من غير تعب أو ارهاق . وبدا لى أنه لم يعلق على الدكتوراه أملا من الآمال ! إذ أن كثيرا ما رأيته وهو يسرح بأنظاره عبر الفضـاء باحثا عن أحلام أخرى . غامضة ، ما كنت أفهمها ، ولعله هو نفسه أيضا ما كان يفهمها ، وبدا لى كأن وجهه قد تحجر وتجهم وأنه صار شبيهاً بوجه العلم المرسوم ، على اللوحة السوداء

احتفلنا بعد الامتحان ، حيث خطب فينـا العميد فى قاعة الـكيمياء ، فلاحظت صديق الهنـدى جالساً أمامى ، وهو منصرف إلى تأمل ذبابة تتطاير عند النافذة ! ولما قال العميد «علينا أن ندعو جيلنا بجيل العلم » ترك سنو ذبابته فتوجه إلى المحاضر فاستمر هذا يقول « ولـكننا لسنا فى المرحلة الأخيرة من مراحل العلم ، فثمة معضلات أخرى كثيرة يجب أن نحاربها بالعلم » . فلاحظت سنو يزداد انتباهاً . قال المحاضر « فنحن لن نرتاح حتى يسود العلم الأرض كلها ، حتى نحطم العقائد البالية ، حتى .. » وقاطعه صوت عنيف « وماذا أبقيت للشياطين » ؟ ووقف الصارخ فإذا هو سنو ! فجعل يصرخ صراخاً كالعويل .. لاريب أن أهالى قريته يتسلحون به ضد الشياطين ! ثم وثب على محبرة عامرة بالقرب منه ، فألقاها على المحاضر .. ! فتجنبها هذا .. ونزل من المنصة ، فارتطمت المحبرة باللوحة السوداء ، فتكسر زجاجها وسال مدادهـا على تعاريج وجه العـلم ، فتكالب على سنو من حوله ، لـكنه قاوم حتى نجح فى أن يقذف بمحبرة أخرى فى وجه . . العالم ! فملأ الصخب والصراخ ، حتى حملوا سنو إلى الخارج حملا

.. ومضى عام !

وإذا أنا أستلم رسالة من كندا ، كانت من سنو الهندى ، وكانت فيها هذه الـكلمات :

« .. بينما كنت أتوجه ذات صباح إلى بحيرة هرنين ، مثلما كنت أفعل قبل مغادرة وطنى ، وجدت أيضاً ريشة طائر ، من النوع الذى كنت أجده دائما كما ذكرت لك ، فتناولتها لأرى من من الآلهة قد بعثها لى .. ولأداعبها وألاعبها كما كنت أفعل ! وإذا أنا أمام ريشة بسيطة عادية لطائر معروف ، لا تولد فى أية لذة . إنما هى ريشة تتألف من كالسيوم وكوبلت ٣» !

فارنيك جورج ميناسيان

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

سلام ... ... : الأستاذ سيد قطب ٥٤٥
من أخلاقنا ... ... : « على الطنطاوى ٥٤٧
حسن البنا الرجل القرآنى : « أنور الجندى ٥٤٩
الشرق الثائر ... ... : « أبى الحسن على الحسنى الندوى ٥٥١
مصطفى صادق الرافعى ... : « محمود أبو رية ٥٥٦
الباكستان ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ٥٥٩
أثر المدرسة المصرية فى الثقافة : « ثروت أباظة ٥٦٢
ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٥٦٤

(الأدب والفن فى أسبوع) — جوائز فؤاد الأول الأدبية — احتفال الجامعة الشعبية بالربيع ٥٦٥

(الكتب) — خواطر فى الأدب — تأليف الدكتور توفيق الحكيم بك للأستاذ اسماعيل كوكب — **الديمقراطية فى الإسلام** — تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد — الأستاذ عبد الرازق عبد ربه ٥٦٧

(البريد الأدبى) — نهاجى الشعراء — إلى الأستاذ المعجمى — استدراك — دعونا من هذه المهزلة ٥٧٠

(القصص) — نزوة لم تخطر على بال — للقصصى الإيطالى بوكاتشو ٥٧٢

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

Le Caire 19 — 5 — 1952

20 me. année No 985

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٩ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

سأم ..

للاستاذ سيد قطب

ذلك الذى تلمحه على وجوه الناس فى هذه الأيام ، وتلمسه فى أحاديثهم فى كل مكان . .

سأم من كل شئ ، ومن كل فكرة ، ومن كل عمل ، ومن كل أحد ، ومن كل اتجاه . .

سأم هو مزيج من ألم قدمات ! ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن « قرف » شامل ، ومن استهتار

يقلب الناس صفحات الصحف ، ويمرون على العنوانات الضخمة بدون اكتراث ، كأن لم يعد شئ يدعو إلى الاكتراث

هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس، إنها لا تعنى أحدا . إن كل أحد يحس أنها ليست له ، وليست من شأنه ، وليست بشأنه ، إنها أمور تعنى أصحابها ، تعنى الذين يهمهم « قتل الوقت » هنا أو هناك !

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس ، ليست هى التى تخرج الإنجليز من الوادى . كل أحد يعرف أنه وقت ضائع ذلك الذى يصرف فيها . وأن الانجليز يهمهم دائما أن يسوفوا انتظار لتحسن الظروف

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن الإنجليز يعرفون ، أن هناك عشرين مليونا من البشر يعيشون خلف القضبان ، وأن الذين يعيشون خلف القضبان لاحق لهم فى الاستقلال !

ولكن أحدا لا يقول شيئا عن هذه المسألة ، ولا يهم أن يفتح فمه عنها بحديث ، ما فائدة أن يتكلم ؟ ماجدوى أن يقول ؟

سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

والأزمة الاقتصادية ، إن بوادرها فى الأفق تلوح . بل إنها لتجتاح الوادى . كل شئ فى الريف يهوى : القطن ، الإيجارات ، المعاملات ، بينما تكاليف المعيشة على حالها ، والغلاء آخذ بالخناق

ولكن أحدا لا يهم أن يصرخ ، ولا يهم أن يستغيث ، ولا يهم أن يشير بعلاج

لقد سئم الناس تكرار الصراخ وتكرار الاستغاثة وتكرار الكتابة حول النقائص والعيوب .. كل كلام ذاهب كصرخة فى واد ، ليس لها من سميع

لذلك لم يعد أحد يشكو . إنه ما فائدة الشكوى ؟ ما جدوى الألم ؟

سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

وحكاية التطهير ، لقد ألقى إليها الشعب سمعه فى أول مرة . ثم سحب اللحاف على رأسه ونام !

إن كل أحد يعرف أن الأمور فيما يختص بالشعب تسير كما كانت دائما تسير ... مصالح الجماهير فى دواوين الدولة لا يشعر بها أصحاب الدواوين ... مامن حاجة تقضى لأنها يجب أن تقضى ؛ الوظفون فى مكاتبهم لا للعمل ، ولكن للاتفاق على العمل ! حتى المدرسون ، ورثة الأنبياء ، مربو الجيل ، كل جهدهم اليوم للدروس الخصوصية ، ومجانية التعليم أمست سخرية ، بل كارثة على رؤوس الآباء . لقد كانوا يؤدون المصروفات المحدودة فيتعلم أبناؤهم. أما اليوم فلا يتعلم الامن يؤدى ضريبة الدروس الخصوصية . هنالك عصابات من « المربين » ، عصابات تفرض ضرائب معينة على الآباء ، وإلا فليستمتعوا هم وأبناؤهم بتعليم المجان !

ولكن أحدا فى الشعب لا يتألم ولا يصرخ ، كما أنه لا يحفل بحكاية التطهير . إنه يعرف ما هنالك . فلا داعي إلى الكلام ! سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

ومصر بلد مجنون والحمد لله ! بلد يحاول أن يستنقذ من رمال الصحراء ومن ركام الأملاح أشبارا أو أمتارا من الأرض كل عام . وتنفق وزارة الأشغال ، ومصلحة الأملاك ، ووزارة الزراعة ما تنفق من جهد ومن مال فى استنقاذ هذه الأشبار والأمتار من فم الصحراء ، وردها إلى الخصوبة والعمار ، ولكن هذا البلد نفسه يطمر مئات الأفدنة كل عام بالرمال والأحجار ، مئات الأفدنة من أخصب بقاع هذا الوادى ، يطمرها تحت الرمال والأحجار كى يحولها إلى مساكن ! وهأنذا صباح مساء أبصر مئات من الرجال يكدون اليوم بطوله ليفرشوا مساحات من الأراضى الخصبة بين المعادى والبساتين . على خط حلوان . يفرشونها بالرمال ، ويطمرون ما عليها من زرع أخضر حى . يدفنونه بلا شفقة ولا رحمة ، لتتحول هذه الأرض الخصبة إلى مساكن لشركة المعادى !

ومن قبلها حدث مثل هذا فى مدينة الأوقاف ، وفى الدقى وفى طريق الهرم ، لقد أكلت المبانى هذه المساحات الشاسعة ، بينما عشرات الألوف من الأفدنة ، ومئات الملايين من الأمتار المربعة من الأراضى الرملية الجافة الجيلة الصالحة للسكنى بلا ردم ولا هدم تنتظر مشروعا واحدا يحيلها عمارا ، مشروع كهربة خط حلوان ..

ولكن مصر بلد مجنون والحمد لله . يجاهد جهاد المستميت لينقذ شبرا من عدم الصحراء ، ويجاهد كذلك جهاد المستميت ليهب الصحراء فدانا يطمره بالرمال والأحجار

أم إننى أنا المجنون ؟ لأننى لا أفهم أن فى مصر مصالح ، وأن فى مصر شركات ؟

ثم مالى لا أصمت كما يصمت الشعب فى هذه الأيام ؟ ألا أحس ذلك السأم الذى يرين على الوجوه ؟ ألا أشعر بذلك الهم الجاثم على الصدور ؟

* * *

وفى هذا الوقت بالذات يطلع علينا الأستاذ أحمد العجمى فى الرسالة بهتاف حار : أين الشعر أيها الشعراء ؟

الشعر ! الشعر يا سيدى هتاف حياة ، ودعوة حياة ، وتعبير حياة

الشعر طاقة فائضة تريد لها متنفسا ، وحيوية دافقة تبتغى لها مسيلا

الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير ، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان

الشعر انتفاضة قلب ، وتحليق روح . لا وسوسة السلاسل ولا جرجرة الأغلال

انظر يا سيدى حولك ! أنظر إلى ذلك الذى تلمحه فى الوجوه ، وتراه فى السمات

إنه مزيج من ألم قد مات، ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن «قرف» شامل ، ومن استهتار

إنه السأم . السأم الذى تموت منه الكلمات فى الشفاه !

سيد قطب

في سبيل الإصلاح

من أخـــــلاقنا

للاستاذ علي الطنطاوي

أليس عجيبا أن صار اسم (الوعد الشرقي) علما على الوعود الكاذبة ، واسم (الوعد الغربي) علما على الوعد الصادق ؟

من علم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن ؟ من أين قبسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضارتهم ؟ ألم يأخذوها منا ؟

من هنا أيام الحروب الصليبية ، ومن هناك ، من الأندلس بعد ذلك ، وهل في الدنيا دين إلا هذا الدين (الشرقي) يجعل للعبادات موعدا لا تصح العبادة إلا فيه ، وإن أخلفه المتعبد دقيقة واحدة بطلت العبادة ؟ إن الصوم شرع لتقوية البدن — وإذاقة الغني مرارة الجوع حتى يشفق على الفقير الجائع — وكل ذلك يتحقق في صوم اثنتي عشرة ساعة ، واثنتي عشرة ساعة إلا خمس دقائق ، فلماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم قبل المغرب بخمس دقائق ؟ أليس لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد ؟ ولماذا تبطل الصلاة إن صليت قبل الوقت بخمس دقائق ؟

والحج ؟ لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد يوم الوقفة ، أليس لأن الحاج قد أخلف الموعد ؟

أو لم يجعل الإسلام إخلاف الوعد من علامات النفاق ، وجعل المخالف ثلث منافق ؟ فكيف نرى بعد هذا كله كثيرين من المسلمين لا يكادون يفون بموعد ، ولا يبالون بمن يخلف لهم وعدا ، أو يتأخر عنه ، حتى صار التقيد بالوعد ، والتدقيق فيه والحرص عليه ، نادرة يتحدث بها الناس ، ويعجبون بصاحبها ويعجبون منه ... وحتى صارت وعودنا مائعة مائعة لا تعرف الضبط ولا التحديد

يقول لك الرجل (الموعد صباحا) صباحا ؟ في أي ساعة من الصباح ؟ في السادسة ؟ في السابعة ؟ في الثامنة ؟ إنك مضطر إلى الانتظار هذه الساعات كلها . (الوعد بين الصلاتين) وبين الصلاتين أكثر من ساعتين . (الوعد بعد العشاء). أهذه مواعيد ؟ ! هذه مهازل وسخريات ، لقوم لا عمل لهم ، ولا قيمة لأوقاتهم ، ولا مبالاة لهم بكراماتهم !

هذه مواعيدنا في ولائمنا ، وحفلاتنا ، وفي اجتماعاتنا الفردية والعامة

دعيت مرة إلى وليمة عند صديق لي قد حدد لها ساعة معينة هي الساعة الأولى من بعد الظهر ، فوصلت مع الموعد فوجدت المدعوين موجودين إلا واحدا له عند صاحب الدار منزلة . وتحدثنا وحلت ساعة الغداء وتوقعنا أن يدعونا المضيف إلى المائدة فلم يفعل ، وجعل يشاغلنا بتافه الحديث ، ورائحة الطعام من شواء وقلاء وحلواء ، تملأ آنافنا ، وتصل إلى معدنا الخاوية ، فتتوقد فيها نارا ، حتى إذا اشتد بي الجوع قلت :

— هل عدلت عن الوليمة ؟

فضحك ضحكة باردة وخالها نكتة ، فقلت :

— يا أخي جاء في الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة .. حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . ونحن جماعة وهي واحدة ، وهي قطة ونحن بشر !

فتغافل وتشاغل . ثم صرح فقال : حتى يجيء الشيخ فلان

— قلت : إذا كان الشيخ فلان قد أخلف الموعد ، أفنعاقب نحن بإخلافه ؟ وهل يكون ذنبنا أنا كنا غير مخلفين ؟

* * *

والحفلات مثل الولائم ، يكتب في البطاقة أنها تبدأ في الساعة الرابعة ، وتبدأ في نصف الخامسة . وأعمالنا كلها على هذا النمط ، ركبت مرة الطيارة من مطار ألماظة في مصر فتأخرت عن القيام نصف ساعة انتظار راكب موصى به من أحد أصحاب المعالي . ولما ثرنا معشر الركاب وصخبنا طار بنا ، فلم يسر والله ربع ساعة حتى عاد فهبط فارتعنا وفزعنا وحسبنا أن قد جرى شيء ، وإذا العودة من أجل الراكب المدلل صديق صاحب المعالي ، وقد كان تأخر لأنه لم يحب أن يسافر حتى يدخل الحمام ، ويستريح بعد الخروج كيلا يلفحه (اسم الله عليه) الهواء البارد . وكنت عائدا من رحلة رسمية فلما وصلت إلى مطار المزة وجدت أكثر

من مئتي إنسان بينهم مندوب وزير العدل ، ينتظرون في الشمس منذ ساعة كاملة

والسيارات مثل الطيارات، والدكاكين والدواوين، والمقاهي والملاهي ، كل ذلك يقوم على تبديل المواعيد وإخلافها ، حتى لم يبق لشيء موعد معروف . فيا أيها القراء خبروني سألتكم بالله ، أي طبقة من الناس تفي بالوعد ، وتحرص عليه وتصدق فيه ، وتدقق في إنجازه ؟ الموظفون ؟ المشايخ ؟ الأطباء ؟ المحامون ؟ الخياطون والحذاؤون؟ سائقو السيارات؟ من؟ من يا أيها القراء ؟

يكون لك عند الموظف حاجة لا يحتمل قضاؤها خمس دقائق، فتجيئه وهو يشرب القهوة ، أو يقرأ الجريدة ، أو يشغل نفسه بما لا طائل تحته ، فيصعد فيك بصره ويصوبه ، ويقومك بعينه، فإن أنت لم تملأها ، ولم تدفعه إلى مساعدتك رغبة فيك ، أو رهبة منك ، قال لك : ارجع غدا . فترجع غدا ، فيرجئك إلى ما بعد غد ... لا أعني موظفا بعينه ، ولا عهدا بذاته ، بل أصف داء قديما سرى فينا واستشرى ، ودخل وتغلغل ..

ويكون لك موعد مع الشيخ ، فيجيئك بعد نصف ساعة ، ويعتذر لك ، فيكون لاعتذاره متن وشرح وحاشية ، فيضيع عليك في محاضرة الاعتذار نصف ساعة أخرى . وإن دعوته الساعة الثانية جاء في الثالثة . وإن كان مدرسا لم يأت درسه إلا متأخرا

والطبيب يعلن أن العيادة في الساعة الثامنة ولا يخرج من داره إلى العاشرة ، وتجيئه في الموعد فتجده قد وعد خمسة من المرضى مثل موعدك ، واختلى بضيف يحدثه حديث السياسة والجو والكلام الفارغ ، وتركهم على مثل الجمر ، أو على رؤوس الإبر ، ينتظرون فرج الله ، حتى يملوا فيلعنوا الساعة التي وقفوا فيها على باب الطبيب ، ويذهبون يفضلون آلام المرض على آلام الانتظار ، ويؤثرون الموت العاجل المفاجئ على هذا الموت البطيء المضني

أما الخياطون والخطاطون ، والحذاؤون والبناؤون ، وأرباب السيارات ، وعامة أصحاب الصناعات ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنهم من أكذب خلق الله ، وأخلفهم لوعد . الكذب لهم دين ، والخلف عادة ، ولطالما لقيت منهم ، ولقوا مني ، وما خطت قميصا ولا حلة ، ولا صنعت حذاء ، ولا سافرت في سيارة عامة سفرة ، ولا بعثت ثوبا إلى مصبغة لكيه أو غسله أو تنظيفه ، إلا كووا أعصابي بفعلهم ، وشووبهم بلساني ، وإن كان أكثرهم لا يبالي ولو هجاه الحطيئة أو جرير أو دعبل الخزاعي ، بل إنهم ليفخرون بهذه البراعة في إخلاف المواعيد، والتلاعب بالناس، ويعدونها مهارة وحذقا

فمتى يجيء اليوم الذي نتكلم فيه كلام الشرف ، ونعد وعد الصدق ، وتقوم حياتنا فيه على التواصي بالحق لا يعد فيه المرشح وعدا إلا وفى به بعد أن يبلغ مقاعد البرلمان ، ولا يقول الموظف لصاحب الحاجة إني سأقضيها لك إلا إذا كان عازما على قضائها ، ولا يعد الصانع بإنجاز العمل إلا إذا كان قادرا على إنجازه ، والموظفون يأتون من أول وقت الدوام ويذهبون من آخره ، والأطباء لا يفارقون المكان ساعات العيادة ، والخياط لا يتعهد بخياطة عشرة أثواب إن كان لا يستطيع أن يخيط إلا تسعا ، وتمحى من قاموسنا هذه الأكاذيب . تقول لأجير الحلاق : أين معلمك ؟ فيقول ، إنه هنا سيحضر بعد دقيقة ، ويكون نائما في الدار لا يحضر إلا بعد ساعتين

ويقول لك الموظف ، من فضلك لحظة واحدة . فتصير لحظته ساعة

ومتى تقوم حياتنا على ضبط المواعيد وتحديدها تحديدا صادقا دقيقا ، فلا يتأخر موعد افتتاح المدارس من يوم إلى يوم ويتكرر ذلك كل سنة، ولا يرجأ موعد اجتماع الدول العربية في الجامعة من شهر إلى شهر، ولا نماد في تاريخنا مأساة فلسطين التي لم يكن سببها إلا إهمال ضبط المواعيد وإخلافها . ولو أنا حددنا بالضبط موعد القتال ، وموعد الهدنة ، وجئنا (أعني الدول العربية) على موعد واتفاق ، لكان لنا في تاريخ فلسطين صفحة غير التي سيقرؤها الناس غدا عنا

إن إخلاف الموعد الصغير ، هو الذي جر إلى إخلاف هذا الموعد الكبير . فلنأخذ مما كان درسا ؛ فإن المصيبة إذا أفادت كانت نعمة . ومتى صلحت أخلاقنا ، وعاد لجوهرنا العربي صفاؤه وطهره ، وغسلت عنه الأدران ، استعدنا فلسطين ، وأعدنا ملك الجدود

فابدءوا بإصلاح الأخلاق ، فإنها أول الطريق

علي الطنطاوي

٤ـ حسن البنـــا

الرجل القرآني

بقلم روبير جاكسون

الأستاذ أنور الجندى

... أعتقد أن حسن البنا كان أهـلا للمـكان المرموق ، والزعامة الحقة التي وصل إليها .. فقـد كان تركيبه الجسدى والفسيولوجى ، وأخلاقه وشمائله ، وعواطفه وأشواقه .. وذكاؤه وعبقريته ، ودهاؤه وحيلته ، وقدرته على مواجهة الظروف والأحداث

كان الرجل يفهم دعوته التي يدعو إليها على أوسع نطاق ، وكان يؤمن بها أصدق إيمان ، وكان يراها وسيلة إلى تحقيق وحدة الشرق ، وتحريره ، وخلق جيل جديد ، يكسر قيود الاستعمار ويحرر الأوطان ، وينفذ في الأرض شريعة الحق ...

كان الرجل علما على دعوته .. ذلك أنه ليس من اليسير أن ندرس فكرة منفصلة عن قائدها ، بل إننا لا نعتقد أن هنـاك رسالة يمكن أن تنفصل عن الداعى إليها ، أو تقوم بعده على الوجه الذى رسمه لها ...

فهى جزء منه وهو جزء منها ، أو هما شقان للحقيقة الخالدة القائمة التي تنتظم نفوس التابعين له ، أو المنضوين تحت لوائه ...

وليس شك أن الزعماء والقادة هم أوعية المبادئ والبرامج والمذاهب .. هذه المبادئ التي ليست إلا كلمات منثورة في بطون الـكتب ، ليست العبرة بنصوصها بقدر ما تكون العـبرة بالقائمين عليها وتنفيذها

وعلى قدر إخلاص الداعية لمبادئه ، وتطبيقها على نفسه ، وعلى قدر صلابة عزيمته في تنفيذها وتطبيقها يتوقف نجاحهم

أنا أومن بأن مبادئ الإخوان مرتبطة إلى حد كبير بذلك الرائد الأول الذى رسم خطوطها ، وأقام بناءها حجراً حجراً .. فإذا ما قضى فأنا لا أستطيع أن أحكم على مدى اتجاه هذه المبادئ إلا بعد وقت طويل ..

لم يكن الرجل القرآنى ، فيما علمت ، يسعى إلى فتنة ، أو يؤمن بالطفرة .. ولـكنه كان يريد أن يقيم مجتمعا صالحاً قويا حرا ، وينشئ جيلا فيه كل خصائص الأصالة الشرقية ..

لقد ظهرت حركات إصلاحية كثيرة خلال هـذا القرن .. في الهند ومصر والسودان وشمال أفريقيا . وقد أحدثت هزات لا بأس بها ولـكنها لم تنتج آثاراً إيجابية ثابتة

وقد جاء هذا نتيجة لعجز بعض المصلحين عن ضبط أعصابهم عن مواجهة الأحداث واندفاعهم إلى الحد الذى وصل بهم إلى مرتبة الجرح قبل أن يتم البناء ، كما جاء أثراً من آثار عزوفهم عن الاتصال بالشعب وتكوين رأى عام مثقف

اختفت هذه الدعوات ، وبقيت عبارات على الألسن ، وكلمات في بطون الـكتب ، حتى قيض لها أن تبعث من جديد ، وأن تستوفى شرائطها ومعالمها .. وأن تأخذ فترة الحضـانة الـكافية لنضوجها ، وأفاد الرجل من تجارب من سبقوه ، ومن تاريخ القـادة والمفكرين والزعماء .. الذين حملوا لواء دعوة الإسلام ، ولم يقنع بأن يكون مثلهم .. ولـكنه ذهب إلى آخر الشوط ، فأراد أن يستمد من عمر وخالد وأبى بكر . فأخذ من أبى بكر السماحة ، ومن عمر التقشف .. ومن خالد عبقرية التنظيم

وربط خصومه بينه وبين الأحداث العالميـة ، فاتهم في حادث اليمن ، ونسب إليه شيء من جهاد إندونيسيا . وكان له أثره في حوادث فلسطين

وكان له موقف إزاء معاهدة صدقى بيفن ، وموقف عندما اتجهت مصر إلى مجلس الأمن ..

* * *

كان حسن البنا لا ينام إلا بضع ساعات .. ثم ينفق وقته كله ساعة ســاعة ، ولحظة لحظة .. في العمل المتصل ، وكان عقله مثلا رائعا للإعداد والابتكار والإنشاء .. الذى لا يقف ولا ينقطع ، فهو إذا أصبح الصبـاح يكون قد أعـد قائمة بالأفراد

الذين يهمه الاتصال بهم .. ويحضر إلى مكاتب العمل قبل الموظفين .. ويظل يتنقل بين المركز والجريدة .. والشباب والمنزل ، وفي كل مرحلة يؤدي عملا والتليفون يلاحقه .. وفي خلال ذلك يتحدث مع الناس ، ويستمع إليهم ، ويخطب ، ويقرأ الصحف ، وتعرض عليه عشرات الأوراق التي تتطلب رأيه ، والخطابات التي ترد من أنصاره العديدين ، في مختلف أنحاء العالم ، وهي غالبا ما تكون مشفوعة بشيكات أو حوالات مالية ..

.. لقد رأيته وهو يقرأ خطابا من شاب من أتباعه ، قد أرفق به نصف راتبه الشهري . . وفجأة ، تساقطت دموعه على الخطاب فبللته .. ورأيته وهو يودع بعض أنصاره المسافرين إلى خارج مصر ، وهو يرسل نظراته الحادة في وجوههم المشرقة المتحفزة ..

وكان هذا العمل المجهد يزيده قوة .. ، وكان لقاء أتباعه الذين يردون من مختلف أنحاء القطر يملأ نفسه بالرضا ، ويزيد عزمته مضاء .. كان كل منهم ، يحمل له أنباء جديدة ، سارة ، عن اتساع نطاق الدعوة وانضواء الشباب ..

وكان يوم الثلاثاء .. يوما مشهوداً يتجمع فيه بضع مئات من أنحاء القاهرة ، ليستمعوا إلى هذا الرجل الذي يصعد المنصة في جلبابه الأبيض وعباءته البيضاء وعمامته الجميلة فيجيل النظر في الحاضرين لحظة .. بينما تنطلق الحناجر بالهتاف ..

.. ولا تدهشك خطابته بقدر ما يدهشك إجابته على القصاصات .. كان بعض هذه يتصل بشخصيته وحياته وأسرته

وقد سئل مرة بعد أن ترك عمله في الحكومة ورفض مرتب الجريدة الضخم الذي كان يبلغ مائة جنيه : مم يأكل .. فقال في بساطة : كان محمد يأكل من مال خديجة وأنا آكل من مال « أخ » خديجة . يقصد صهره ..

وكان أعجب ما في الرجل صبره على الرحلات في الصعيد .. هذه الرحلات التي لا تبدأ إلا في فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلي في حالة غليان .. وفي أحشائها يتنقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفي القوارب وعلى الأقدام

وهناك تراه ، غاية في القوة واعتدال المزاج .. لا الشمس اللافحة ، ولا متاعب الرحلة .. تؤثر فيه ولا هو يضيق بها .. تراه منطلقا كالسهم ، منصوب القامة ، يتحدث إلى من حوله ، ويستمع، ويفصل في الأمور .

وقد أمدته هذه الرحلات، في خمسة عشر عاما، زار خلالها أكثر من ألفي قرية وزار كل قرية بضعة مرات ، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد ، وللأسر والعائلات والبيوتات وأحداثها وأمجادها وما ارتفع منها وما انخفض ... وألوانها السياسية وأثرها في قراها وبلادها ورضى الناس عنها أو بغضهم لها .. وما بين البلاد أفراداً وأحزابا وهيئات وطوائف من خلافات أو حزازات ...

كان يزور أحيانا بلداً من البلاد بلغت فيها الخصومة بين عائلتين مبلغها، وكل عائلة تود أن تستأثر به لتنتصر على الأخرى، فيقصد إلى المسجد مباشرة ، أو يغير طريق سفره فلا يستقبله أحد إلا بعد أن يكون قد قصد إلى دار عامل فقير في البلدة

... وكنت إذا قلت له فلان .. الحسيني مثلا أو الحديدي أو الحصاني قال لك ... إن هذا الاسم تحمله خمس أسر أو أربعة .. إحداها في القاهرة والثانية في دمنهور والثالثة في الزقازيق .. والرابعة في ... فأيها تقصد ؟

وكانت هذه الزيارات المتوالية طوال هذه السنوات المتتالية ، قد كونت له رأيا في الناس .. فقل أن تكون قرية في مصر لا يعرف الرجل شبابها وأعيانها ووزراءها ورجال الأحزاب والدين والمتصوفة فيها .. ولا يكون قد تحدث إليهم واستمع منهم .. وعرف آمالهم ورغباتهم ، ومن هذه الأحاديث الواسعة المستفيضة كان الرجل يستكنه « الضمير » الشعبي المصري على صورة قل أن أتيحت لزعيم أو داعية من قبل ، فإذا أضفت إلى هذا قراءاته الواسعة واطلاعه الضخم ، والتهامه لكل ما كتب في العربية عن الشرق والغرب ، ونظريات العلماء والفلاسفة ، عجبت لهذه القوة الكبرى التي فقدها الشرق .. يوم غيب الثرى هذا الرجل. ولدهشت كيف يمكن أن يملأ هذا الفراغ . أو يسد هذا

النقص ، وفي خلال هذه الزيارات .. كنت ترى الرجـل بسيطا غاية البساطة ، ينام في الأكواخ أحياناً ، ويجلس على « المصاطب » ويأكل ما يقدم له .. لا يحرص إلا على شيء واحد ، هو الا يفهم الناس عنه أنه شيخ طريقة .. أو من الطامعين في المنفعة العاجلة . ولقد حدثني أنه كان يدخل بلدا من البـلاد أحيانا لا يعرف فيه أحداً فيقصد إلى المسجد ، فيصلي مع الناس ، ثم يتحدث بعد الصلاة عن الإسلام .. وأحيانا ينصرف النـاس عنه فينام على حصير المسجد وقد وضع حقيبته تحت رأسه .. والتف بعباءته

ولا شك أن هـذا الجهد الضخم ، قد أتاح له أن يلتقي بعشرات الآلاف من الناس .. خصوما وأنصاراً ، شيوخاً وشبانا ، مثقفين وعوام .. وأنه قد استمع إليهم وقال لهم .. وأفاد منهم خبرة ضخمة واسعة ، أضافها إلى علمه وثقافته

وإنني على ثقة من أن حسن البنا رجل لا ضريب له في هذا العصر ، وأنه قد مر في تاريخ مصر ، مرور الطيف العابر .. الذي لا يتكرر .. ولقد طالما كان يردد كلمته المشهورة « (١) الناس كابل مائة لا تجد فيها الراحلة ... »

للبحث صلة — أنور الجندي

(١) هذا حديث نبوي وليس من كلام الشهيد الإمام

الشرق الثائر

للأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوي

إن ما يرجع إليه الفضل في أهم الأحداث التي غيرت مجرى الأمور وفـكت السلاسل وحطمت الأغلال وردت الأمر إلى نصابه والحق إلى أصحـابه « غضبة » غضبها حق مهضوم ، أوشعب مظلوم ، أوحر يستعبد ، أودين يضطهد ، أو كرامة تنهدد ، أو كريم يتحدى

إن الغضب — مهما قال فيه علماء الأخلاق و كيفما حلله المؤلفون في علم النفس — من علامات الحياة وسمات الرجولة ، إذا حرمه فرد كان بالجماد أشبه منه بإنسان حي . وإذا تجردت منه أمة كانت قطيعاً من غنم أو لحماً على وضم ، لا تستحق الحياة فضلا عن الاستقلال ، ولا تستحق الاحترام فضلا عن الإكبار والإجلال

إن الغضب هو حمة الفرد والجماعة التي يحميان بها أنفسهما ويصونان بها حياتهما ، وإن الله لم يحرم مخلوقا من سياج يحوطه ومن حامية تذب عنه ، ولما منح الورد طبيعة الحرير ، رزق الأشواك التي حوله طبيعة الحديد .. ولا بقاء لحرير إذا لم يكن دونه شديد أو حوله حديد

إن الغضب قوة كامنة في النفس قد لا يعلمها صاحبها ، فإذا أثيرت هذه القوة وانطلقت أتت بالمعجزات ، وأظهرت الآيات البينات ، وقربت البعيد ، وأذابت الحديد ، وأحالت اليأس رجاءاً والممتنع ممكناً ، وطوت المسافات البعيدة في لمح البصر أو أقرب

إن للغضب في تاريخ الإنسان العام وفي تاريخ الإسلام أياماً مشهورة ، وفضائل مأثورة ، ومواقف مشكورة ، وإن أروع هذه الأيام وأفخرها يوم غضبت الأمة وثارت الجماعة ، وما أمثلة هذه الغضبات في تاريخ هذه الأمة بنادرة

إن أشد ما نكب به هذا الشرق الإسلامي وإن أكبر ما جنى عليه في العهد الأخير أنه فقد طبيعة الغضب والتزم الحلم والأناة والرحمة والعفو والتنزل عن الحق في كل وقت ومع كل أحد ، مع أنه لا حلم مع الضعف ولا رحمة مع العجز ولا عفو مع الإرهاق ولا تنزل مع القهر ، إنما هي كلها أخلاق اضطرارية لا قيمة لها ولا فضل ، وليس مصدرها إلا برودة الدم وموت الرجولة وانحطـاط الإنسانية .. وقديماً وصف الشاعر العربي قبيلة أسرفت في السماحة والعفو

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته
سواهمو من جميع الناس إنسانا

لقد هجم الغرب على الشرق بدون داع ولا مبرر ، لا دين ينشره ولا رسالة يبلغها ولا فضيلة يحميها ولا عقيدة يدعو إليها .

إنما هو الجشع الأرضي والشره الاقتصادي والاستغلال التجاري والاحتلال السياسي وبالإجمال طبيعة قابيل القديمة ، هجم عليها بدافع الطمع والحرص فغزا عقوله ونفوسه وأسواقه وبيوته واتخذه ناقة ركوباً حلوباً يحلب ضرعها ويجز صوفها ويقتر عليها في مائها وعلفها ، ويقسو عليها في استخدامها ، واستأثر بموارد هذا الشرق ، وخيراته وأصبح في بلاده الغنية التي تدر لبناً وعسلا كالإسفنج يمص الماء هنا ويصبه هناك ، استأثر بمعادنه ومناجمه وبالذهب الأصفر والأسود ، وأملى على شعوبه معاهدات وإيجارات جار فيها وغش وطفف الكيل وأخسر الميزان.. وضحك عليه كما يضحك على الأطفال وأقام عليه الحجر والوصاية كما تقام على السفهاء

هجم عليه الغرب فاتخذه سوقاً مفتوحة لبضائعه وزبوناً دائماً لسلعه وعمالا مخلصين لمصانعه ووقوداً حاضراً لحروبه يسخر لأغراضه كيف شاء ، ويسوقه إلى ميدان الحرب متى شاء ويجعله وقاية وجنة دون رجاله وبلاده ، ويعيش في بلاده بفضل هذه الخيرات والأيدي العاملة والجيوش الحامية عيش الأحرار والملوك، ويدل بمستعمراته وأسواقه وعبيده في الشرق على جيرانه ومنافسيه في الغرب

وكان أكبر مجرم تولى كبر هذا الاستعمار الغاشم ، وتفرد بالقسط الأكبر في هدر الحريات والكرامات واستعباد الشعوب والأمم ونشر القلق والاضطراب في العالم، وكان أكبر عامل من عوامل الفساد الخلقي والأثرة الاجتماعية واختلال النظام الاقتصادية وأكبر معاداة الاسلام وكيدا لأهله هي بريطانيا « العظمى » التي سبقت جاراتها وشقيقاتها إلى غزو الشرق واحتلال أقطاره واستعباد شعوبه

وكانت أكثر هذه الأقطار الشرقية التي احتلتها بريطانيا إسلامية بالطبع ، فكانت الهند التي لا تزال بلدا إسلاميا تحكمها — ولو بضعف كبير — أسرة مغولية ، وكانت مصر التي تحكمها الأسرة العلوية وسواحل الجزيرة العربية الخاضعة للامبراطورية العثمانية ، هي التي تكون الإمبراطورية البريطانية الجديدة ، إذن فكانت بريطانيا هي المعتدية الغاصبة الظالمة . وكان الشرق الإسلامي هو المعتدى عليه

ثم كانت بريطانيا هي التي ولدت الشقا كل للشعوب الإسلامية وخلقت لها أزمات طريفة ، فهي صاحبة الوحي وصاحبة الفكرة في دولة إسرائيل الجاثمة على صدر العالم العربي. وهي التي أبرزتها من العدم إلى الوجود ، ومن التمنيات إلى عالم الواقع، وهي المسئولة عن جلاء العرب وضياع فلسطين العربية وشقاء أهلها والخطر الذي يهدد الحكومات العربية كلها

ثم فاقت بريطانيا الحكومات المستعمرة كلها في النفاق والتزوير وأخلاق الثعالب والمكر والدهاء ونكران الجميل ونسيان الوعود ، ونقض العهود ، قد أثبت تاريخها أنه لا أيمان لها.. وأنها لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة

إن في تاريخ بريطانيا السياسي صفحات سوداء ، لعلها لا توجد في تاريخ دولة مستعمرة أخرى، مع أن الاستعمار كله صحيفة سوداء.. فإذا اقتصرنا على تاريخ الاستعمار البريطاني في الهند وجدنا فظائع لا تزال وصمة عار في وجه الحكم الإنجليزي.. ففي ١٣ من ابريل عام ١٩١٩ م انعقدت — أيام حركة الاستقلال الوطنية في الهند — حفلة شعبية عظيمة في « جليان والاباغ » في مدينة أمرتسر حضرها عشرون ألفا من الجماهير، وكانت الحديقة التي احتفل الناس فيها محاطة بالأسوار من جوانبها الأربعة، وليس لها إلا منفذ واحد تخرج منه عربة واحدة، وحضر الجزار الإنجليزي المعروف بالجنرال « داير » ومعه مائة وخمسون «١٥٠» جنديا، فأمر المحتفلين بالانفضاض وبعد دقيقتين — كما جاء في تقريره — أمر بإطلاق النار على هذا الجمع الحاشد الوديع ، وأطلقت عليه ألف وستمائة طلقة « ١٦٠٠ » مات منها — كما جاء في التقرير الرسمي — أربعمائة رجل مع أنه غير معقول ومخالف للبداهة أن يموت أربعمائة فقط بطلقات نارية يبلغ عددها إلى ألف وستمائة طلقة في مكان ضيق محصور على هذا الجمع الحاشد . أما عدد الجرحى فيتراوح كما قالت المصادر الرسمية بين ألف وألفين ، وبات القتلى والجرحى طول الليل من غير ماء وإسعاف طبي

وفي سنة ١٩٤٣ م كانت مجاعة بنغال الكبرى التي خلقتها الحكومة الانجليزية في الهند وفرضتها على أهل بنغال فرضاً لمصالحها الاستعمارية والسياسية كما تحقق علمياً وتاريخيا ، وبقدر

أن الذين هلكوا فيها يبلغ عددهم إلى خمسة ملايين

وفي سنة ١٩٤٧ م وقعت الاضطرابات الطائفية الهائلة التي هيأتها ومهدت لها الحكومة الإنجليزية وتغافل عنها وارتضاها ممثلها الرسمي اللورد « مونت بيتن » المجرم حاكم الهند العام حينئذ، وكان أكثر من نصف مليون نسمة فريسة هذه المجزرة الإنسانية

إن طبيعة الأشياء وغريزة الإنسان وشريعة العدل كل ذلك كان يحكم بل يفرض أن يغضب الشرق — وبالأخص الشرق الإسلامي — ويثور وينتهز كل فرصة للانتقام من بريطانيا وتصفية الحساب معها

ظل الشرق الاسلامي خاضعاً — ولا أقول راضياً — لهذه الأوضاع التي تثير غضب الحليم لا يحرك ساكنا ولا يبدي سخطا بل يتحيز بين حين وآخر إلى المعسكر المجرم الذي يسميه الحلفاء كذباً ومينا بالمعسكر الديمقراطي ويحارب بجانبه ويستميت في سبيل شرفه وكرامته ويصدقه في عهوده ويحترم معاهداته، فاسترسلت بريطانيا — وأخواتها على أثرها — في سياستها الجائرة وأمعنت في غلوائها فأضر ذلك بالسياسة الأوربية كلها لأنها أصبحت كالفيل الهائج، وفقدت السياسة الدولية الاتزان والتفكير، وأغرى سكوت الشرق وهدوءه الزائد واحتماله المسرف المستعمرين بالاستمرار في سياستهم الغاشمة والانتصار للمدرسة السياسية الغربية القديمة التي تفكر التفكير الاستعماري وتحلم بالإمبراطوريات والمستعمرات

فكان لابد أن يغضب الشرق غضبة ترد المستعمرين إلى صوابهم ورشدهم وترد إلى السياسة العالمية اتزانها وتعادلها وترد إلى شعوب الشرق شرفها وكرامتها وترد إلى العالم الأمن والسلام

وما كان يدري أحد أن إيران ستكون السابقة إلى هذه الثورة العادلة والغضبة الموفقة، وستنتصر هذا الانتصار الباهر، وستهاجم الغرب المتغطرس هذه المهاجمة الفاجئة القوية وتصفع بريطانيا الكريمة هذه الصفعة المؤلمة المخجلة التي يحمر لها وجهها وينتكس لها رأسها، إنها لصفعة موجعة حقا، مخجلة حقا، تألم لها كل إنجليزي في كل ناحية من نواحي العالم بل تأثرت بها أرواح وبناة الإمبراطورية البريطانية ومؤسسو مجدها في السابق، وسيلتصق عارها بكل مولود يولد في بريطانيا إلى عهد بعيد

لقد سر كل شرقي وكل مسلم بهذه الغضبة الفارسية، وكان يتمنى أن يغضب العالم العربي ويثور ويقوم قيام الثائر الموتور لأنه أحق بالغضب وأولى بالثورة من كل بلد وقطر، لأن بريطانيا « الصديقة للعرب » قد طوقته من كل جانب وتملكت جميع منافذه .. فهذا عدن العربي لا يزال مرفأ بريطانيا وقلعة بريطانيا الحصينة، والعقبة ومعان مما تحرص بريطانيا على الاحتفاظ بهما واحتلالهما، ولا تزال إمارات الخليج العربية خاضعة للنفوذ البريطاني، ولا يزال العراق مرتبطا بالمجلة البريطانية، ولا تزال فلسطين العربية تشكو بثها وحزنها وتئن من جراحاتها وآلامها، ولا تزال دولة إسرائيل برهانا ساطعا على صداقة بريطانيا للعرب ووفائها لهم، ولا تزال مصر محتلة بالجيوش البريطانية ولا يزال السودان المصري يرزح تحت أثقال الحكم البريطاني

إذن فكانت غضبة العالم العربي — لو غضب — من أعدل ما شهد التاريخ من الغضبات، وكانت ثورته — لو ثار — من أشرف ما دون في الكتب من الثورات

وكان لا بد من أن يغضب بلد عربي يتزعم العالم العربي ويقوده فكريا وثقافيا وسياسيا ويتمتع بمركز محترم ومكانة مرموقة ونفوذ ملحوظ حتى يسري هذا الغضب في جميع أقطار العالم العربي ويتردد صداه في جميع الشعوب العربية ويكون كما قال جرير الشاعر العربي

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

هنا لك طلعت مصر وغضبت غضبة جاءت على قدر وأرضت جميع المنصفين في العالم، أما العرب فقد أنشدوا بلسان واحد

هذا الذي كانت الأيام تنتظر فليوف لله أقوام بما نذروا

حياك الله يا مصر العزيزة وبارك جهادك وقوى أبطالك وثبت مجاهديك. إن غضبتك سترضي أجيالك القادمة وتشرفها وستسجل لك فتحا عظيما في الشرق، فانظري في المستقبل

وما يخطه لك القلم المؤرخ من سطور الثناء والإجلال، ولا تنظرى فى العقبات التى تعترضك فإنها زائلة وذائبة ، وانظرى إلى الثمار التى سيجنيها العالم العربى بالأخص والعالم الإسلامى بالأمم من جهادك فإنه يبث فى العالم العربى الروح والحيـاة — وما أحوجه اليوم إلى الروح والحياة — ويحرك فيه الحمية والأنفة ، ويوقظ فيه الشعور ويوجد فيه الوعى السياسى ، وصدق يا مصر أن العـالم العربى قد بلغ من الجمود مبلغـا لا تهزه فيه إلا ثورة جبارة مثل ما تقومين به اليوم ، فليست ثورتك هى ثورة مصر المحلية إنما هى نفخة صور للعالم العربى وفاتحة عهد جديد إن شاء الله فى تاريخ العرب السياسى — احتسبى جهادك يا مصر وقدسيه بنفسك فإنه جهـاد يعلى كلمة الله ويشرف الإسـلام والمسلمين ويرفع رأسهم عاليا أينما كانوا ، وإنه جهاد يغيظ أعداء الإسلام فحيي أبناءك المرابطين وأبطالك المجاهدين « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيـلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

إعلمى يا مصر العزيزة أن القوة الوحيدة التى يخضع لهـا الغرب هى إرادة الشعب القوية والعزم الصادق الثابت والجبهة الموحدة ؛ فاحرصى على قوة إرادتك حكومة وعلى وثبات العزم وتوحيد الصفوف وآمنى بأن شـعبا قد صدقت عزيمته وقويت إرادته وتوحدت صفوفه لا يمكن أن يجبر على ما لا يرضاه ويفرض عليه ما يأباه، فقوتك فى الداخل لا فى الخارج. قوتك فى أبنائك ونفوسـهم وعزمهم؛ فإذا أبوا إلا جلاء الجيوش الإنجليزية من منطقة القنال ، ووحدة وادى النيل ، فليست فى العالم قوة تقف فى سبيل هذا العزم، وإذا ألغوا معاهدة سنة ١٩٣٦ م فى نفوسهم واستنكفت من استمرارها حتى فضـلوا الموت على عودتها فاعلمى يقينا أنها قد ألغيت وليس لأمة فى العالم أن تعيدها

إعلمى يا مصر أن السياسة متقلبة بطبيعتها وأن الدين ثابت بطبيعته، وأن المصلحة متحركة بطبيعتها، فاستندى فى جهادك إلى الإيمان والعقيدة أكثر مما تستندين فيه إلى السياسة والمصلحة ، وأيقظى الروح الدينية وروح الجهاد فى سبيل الله واعطفى عليها وعلى رجالها فإنها أمضى سلاحك وأقوى جنودك

وأنت أيها العالم العربى فقم بواجبك وانتهز فرصة غضب مصر وثورتها واعلم أنها من الفرص السانحة التى لا تدوم ولا تعود ، فاغضب غضبة واحدة وقم قومة رجل واحد ، اغضب لنفسك إن لم تغضب لمصر — وهل هى إلا جزء من أحزانك وابن كريم من أبنائك، وانصح لنفسك إن لم تنصح لغيرك، فكرامتك اليوم منوطة بمصر فلا كرامة لك إن هدرت كرامة مصر . فاحرص على كرامة مصر حرصك على كرامتك وجاهد فى سبيلها جهادك فى سبيلك.. أستغفر الله بل جهادك فى سبيل الله وفى سبيل الدين وفى سبيل الحق والعدل

إنك مسئول أيهـــا العالم العربى ومعاتب وملوم على كل تقصير فى جنب هذا الجهاد المقدس، وإنه محسوب عليك كما هو محسوب على مصر

إن العدو ماكر داهية وقد جرب منك سقطات وزلات فى السابق ، وإنه واثق بولائك ووفائك فلا يخدعنك عن نفسك وعقيدتك ، ولا يحولن بينك وبين مصر ، ولا يشترين دولة من دولك أو شعبا من شعوبك بأرفع ثمن فإنه نار فى الآخرة وعار فى التـاريخ — ولا أنسى أن أخاطبك يا مستر « جون بول » فأنت صاحبنا القديم عرفناك فى الهند وعرفتنا ،وأعتذر إليك إن كنت آلمتك بذكر الهند التى فقدتهـا ، أريد أن أسألك أيهـا الشيخ السياسى المحنك عن هذا الدفاع الذى تفرضه على الشرق الأدنى فرضا وترهق به مصر الإرهاق الذى ضاقت به وغضبت عليه ، هل يصح أن يسمى دفاعا؟ وأى فرق بينه وبين الاحتلال؟ وهل يجدى هذا الدفاع إذا لم ينشط له هذا الشعب الذى تدعى أنك تدافع عنه ولم يتحمس ولم يعاونك عليه ؟ وكيف بك لو احتلت جنود أمريكا الحليفة الصديقة الزميلة بلادك على رغم منك ورغم من المستر تشرشل بحجة الدفاع عنك لأنك ضعيف قد أنهكتك الحرب الماضية هل تقر هذا الاحتـلال وتسكت عنه يا مستر جون بول ؟

إنى لا أجد لك يا « جون بول » ولمصر مثلا إلا مثل زنجى

وطفل .. فقد زعموا أن زنجيا كان يحمل طفلا وكان الليل شديد الظلام ولم يكن الزنجي أقل سوادا من الليل وكان الطفل كلما رأى الزنجي ارتعب وفزع ، وبكى وكان الزنجي كلما بكي الطفل وخاف ضمه إلى صدره وآنسه وقال له مرة لماذا تبكي يابني وأنت في حجري وأنا لا أفارقك ؟ فقال للطفل أنت أصل بلائي وشقائي ومنك أبكي وأرتعب فياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين

وهكذا أنت يا مستر جون بول تريد أن تدافع عن مصر وأنت بغيض ما تقيل على مصر ولا أحب إليها من مفارقتك ، واعلم أخيرا يامستر جون بول أن عهد الاستعمار قد انتهى من غير رجعة فلا تتعب نفسك في استرداده ، وقل للمستر تشرشل كان خيرا لك أن تبقى بطل الحرب الثانية وقاهر الألمان وأن تحتفظ بسمعتك ؛ وعلى نفسك جنيت إذ رجعت إلى الحكومة .. وأخاف أن يكون مصيرك كمصير الإمبراطور البيزنطي هرقل الذي انتصر على الفرس وسجل لنفسه فتحا رائعا في التاريخ ثم صادم للعرب فلم يمت حتى انهزم أمامهم فأحبط ماضيه وأساء إلى نفسه وكان كالساعي إلى حتفه بظلفه

وكلمة أخيرة إلى الرئيس ترومان ، ما هذا التعاون على الإثم والعدوان أيها الرئيس الجليل! وأين الديمقراطية التي تتزعمها وتزعم أنك تدافع عنها وتجاهد في سبيلها فلم نرك إلا مرددا لصدى بريطانيا ، كأنك جبل لا تملك إلا الصدى ، ولم نرك تقبض مرة على الظالم وتنصر المظلوم وتنضب للحق ، ولم نرك انتصرت لشعب مستضعف ومنعت زميلتك بريطانيا من الظلم وحذرتها من عواقبه ! بل بالعكس رأيناك تسابق بريطانيا وساويتها في جحد الحق والمكابرة وإرغام الشعوب على ما لا ترضاه ثقة بثروتك الضخمة ومواردك العظيمة . وما ننس فلا ننسى سياستك الغاشمة في قضية فلسطين ومماثلتك السافرة لليهود وكيف احتضنت الصهيونية وتبنيت إسرائيل ولا تزال تحدب عليها كالأم الرؤم ، أفليس من السذاجة ، أو من الوقاحة — إذا صحت — طمعك في صداقة العرب بعد ذلك

الا فليسمع مستر ترومان وليسمع الذي له أذنان أن سياسة الاستعمار قد فشلت ،وأن الشرق قد بدأ يفهم الحقائق،وإن جرب الغرب بعسكراته وجبهاته فلم ير إلا شرا ومرا وظلما وجحودا ودعاوى فارغة وتبجحا وتنطعا وعبثا بالعقول .. وأن في الشرق الإسلامي عقولا لا تخدعها البهرجة والترويق والوعود الخلابة.. وأن هنا لك ضمائر وذمما لا يستطيع الدولار الأمريكي أن يشتريها ويتملكها .. فليرجع الغرب أدراجه وليشتغل بنفسه والدفاع عنه وليترك الشرق الاسلامي يقول كلمته ويدبر شؤونه ويدافع عن نفسه .. ومن المقرر أن الشرق الإسلامي والأقطار الإسلامية بعيدة من كل هجوم وخطر إذا دفع المعسكر الغربي عنها حضانته وابتعد عنها

ابو الحسن علي الحسني الندوي

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية

ينقضي بانسلاخ اليوم التاسع من هذا الشهر (مايو) خمسة عشر عاماً على وفاة نابغة الأدب وحجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي ، فقد انتقل رحمه الله إلى الرفيق الأعلى في فجر يوم الاثنين الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ ، وانقطع من هذا اليوم وحي البيان العربي الذي كان يتنزل على قريحة هذا البليغ الكبير فتخرجه آيات من البيان العربي لا تكاد تتفق إلا للأفذاذ من البلغاء الملهمين

وإذا كان قد جاء في الأثر أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد للمسلمين دينهم ، فإنه سبحانه يبعث بين الحين والحين من يجدد للغة العربية بلاغتها ويحيي في كل عصر معجزتها ، ذلك أن حكمة الله لا تذر هذه المعجزة بغير أن يرسل لها من يحامي عنها ، ويجدد فيها

ولا يستريب أحد أن هذا النابغة قد بعثه الله في هذا العصر ليجدد من بلاغة البيان العربي ، ويضيف من وحي قريحته إلى الميراث الأدبي

وقد كان هو على يقين من أنه رسول بياني أرسل لتأييد بلاغة القرآن ، ويحيي آدابه وأخلاقه التي هي حصون الإسلام ، وأن عليه رسالة ثقيلة لابد له أن يؤديها على وجهها ، مهما ناله من العنت في سبيلها ، وقد أجملها رحمه الله في قوله : —

« القبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلى دائماً : أني رسول لغوي للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه »

وقد عاش ما عاش يجاهد في سبيل هذه الرسالة لا يمل ولا يلين، وناله في هذا الجهاد ما ينال الرسل في جهادهم من أذى، وأصابه ما يصيبهم من إرهاق حتى لقي ربه راضياً مرضيا

وإذا كنا اليوم لا نستطيع إشباع نهم القول في نواحي هذه الرسالة لأن المقام لا يحتمل ذلك ولا يتسع له، وهذه الكلمة التي ننشئها لم تكن إلا من قبيل الذكرى في مناسبة عابرة، وكان لابد لنا أن نعطر كلمتنا بشذا من أريج حياته، فإنا نأتي بذرة ومن جليل أعماله التي كان لها أثر خالد في الأدب العربي

في أوائل هذا القرن ظهرت في مصر (بدعة لغوية) نادى بها ودعا إليها نفر من كتابنا، وكانت هذه البدعة تدعو إلى (تمصير اللغة العربية) بأن تدخل فيها من الألفاظ السوقية وتمزج تراكيبها بالمصطلحات العامية حتى تخرج لغة الكتابة في أسلوب يجمع كل اللهجات المصرية فيفهمها الناس جميعاً

وكان يؤيد هذا الرأي الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا بما ينشره في (الجريدة) التي كان يتولى تحريرها

وما لبثت هذه البدعة أن أنجبت مولوداً سموه (الجديد) ومعناه أن تكون لنا عربية جديدة لا تجري في بيانها على أساليب العرب الفصحاء ، وأن لا نتقيد فيما تكتب بأصول البلاغة العربية وجعلوا الميراث الأدبي البليغ (قديماً) يجب أن يذهب بذهاب أهله ، ولأن هؤلاء الدعاة لم يجدوا أمامهم من يذود عن هذا الميراث ويدافع عن لغة القرآن أقوى من الرافعي فقد نحلوه زعامة هذا الأدب الذي أصبح في رأيهم (قديماً) ونشبت بينه وبينهم معارك طاحنة كان ينازلهم فيها وحده (تحت راية القرآن) في حين أنهم كانوا جمعاً كبيرا ذا قوة وجاه وسلطان، ولم يزل يكافحهم بشباة قلمه البليغ حتى قضى على تلك البدعة وما نحلت وكتب الله النصر للغة كتابه

ومن عجيب الأمر أنك ترى اليوم بعض من كانوا يدعون إلى هذه البدع قد أصبحوا من أشد الناس تعصباً لأساليب العربية في بيانها ولغتها

ومن مآثره التي سجلها له الأدب العربي في صحائف مفاخره أنه لما أنشئت الجامعة المصرية في سنة ١٩٠٨ لم يكن

من مناهجها دراسة آداب اللغة العربية فغضب فضبة مضرية وحمل حملة صادقة على إدارة الجامعة لـكي تتدارك تفريطها العظيم فى جنب الآداب العربية، وما لبثت هذه الإدارة أن عادت إلى الصواب وقررت تدريس آداب اللغة العربية، ولا تزال هذه الدراسة تنمى وتزدهر.

ولم يقف جهاده وفضله فى هذا السبيل عند ذلك النصر؛ بل دفعه اعتزازه بلغته وتمكنه من آدابهـا إلى أن يخرج فى هـذه الآداب وتاريخهـا كتاباً بعـد أن لم يكن لها كتاب شـامل، فأظهر فى سنة ١٩١٢ كتابه الخالد (تاريخ آداب العرب) ذلك الـكتاب الذى لم يؤلف فى موضوعه مثله؛ وبحسبك أن ترى شيخ المجلات العربية (المقتطف) التى كانت تزن المؤلفات العربية بميزان دقيق قد عقدت له يوم صدوره فصلا ممتعا من إنشاء محررها العالم الجليل الدكتور يعقوب صروف تحدث فيه عن مزايا هـذا الـكتـاب وفضـائله ختمه بهذه العبـارات الدقيقـة :

« والـكتاب حافل بالفوائد اللغـوية والأدبيـة والنتائج الفلسفية، ولغته فى المقام الأول من الفصاحة، وهو حقيق بأن يدعى كتاب الشهر بل كتاب السنة، لأننا لا نتذكر أننا رأينا منذ سنة إلى الآن كتابا عربيا اقتضى جمعه وتبويبه واستنباط أدلته ما اقتضاه هذا الـكتاب، وعسى أن يجد من إقبال القراء عليه ما هو أهل له » [1]

ولم يكد الأستاذ الـكبير أحمد لطفى السيد باشا يطالع هـذا الـكتاب حتى أنشأ من أجـله مقالا ضافيا ملأ به صدر (الجريدة) [2] نجتزئ منه بما يلى

قرأنا هذا الجزء فأما نحوه فعليه طابع البا كورة فى بابه يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملـكا تاما وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسناً . وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التى بسطها فى هذا الجزء الأول إلا بعد درس طويل وتعب ممل

وأما أسلوب الرافعى فى كتابته فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التى تقع لنا فى كتاباتنا نحن العرب المتأخرين، فـكأنى وأنا أقرؤه أقرأ من قام المبرد فى استعماله المساواة وإلباس المعانى ألفاظاً سابقة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة تؤدى بعض أجزائها، وإنا نـكبر غرض الرافعى ونشـكره على ما حققه »

أما أمير البيان شـكيب أرسلان رحمه الله فقد جرد له مقالا بليغاً حـلى به صدر جريدة « المؤيد » [3]، مهد فيه بفذلـكة نفيسة فى دراسة الأدب العربى ثم استطرد إلى الإشارة بفضـل هذا الـكتاب وكان مما قاله :

« . . . كتب تاريخ الآداب العربية، ولم تـكن الآداب وقائع تؤرخ ولا أدوارهـا عند العرب ممـا يسهل تتبعه وتبصر أعـلامه على نصب من تآليف سـابقة، بل هى أعلام طامسة ودروس دارسة، فرع لها ذلك الـكاتب الضليع طنوب التحقيق حتى جمع من عظامها المبثوثة ورمامها المبعثرة هيكلا صحيحاً . وزاد بهجته ووفر شطر حسنه ما أوتيه من ملكة العربية الفصحى والتمـكن من ناصية التعبير عن كل ما أراد، فلو كان هذا الكتاب خطا محجوبا فى بيت حرام إخراجه منه لاستحق أن يحج إليه، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشئ الأسحار لكان جديرا بأن يعكف عليه » [4]

وقد صدر من هذا الـكتاب جزء ثان فى « إعجاز القرآن » نجتزئ فى بيان قدره، بما وصفه سعد زغلول به، وهو شيخ زعماء مصر، وأبلغ سياسى فى هذا العصر، وهاك جملا من خطـاب طويل أرسـله إلى الرافعى من مسجد وصيف مؤرخ ١ / ١١ / ١٩٢٦

« . . . ولـكن قوما أنكروا هذه البداهة (أى عجز أهل

---

(١) ص ١٩٨ – ١٩٩ من جزء فبراير سـنة ١٩١٢ المجلد (٤٠)

(٢) الجريدة الصادرة فى ٤ مارس سنة ١٩١٢ وص ٢٨٤ الى ٢٨٩ من كتاب المنتخبات لسعادة أحمد لطفى السيد باشا

(٣) جريدة المؤيد الصادرة فى ٩ فبراير سنة ١٩١٢

(٤) كانت هذه الفذلـكة جواباً عن سؤال منا وارجع فى ذلك الى الصفحات ٧ – ١٢ من كتاب (رسائل الرافعى) الذى نشرناه فى سنة ١٩٥٠ أبو رية

البيان عن الإتيان بمثل القرآن) وحاولوا سترها فجاء كتابكم « إعجاز القرآن » مصدقاً لآياتها ، مكذباً لأفكارهم ، وأيد بلاغة القرآن وإعجازها بأدلة مشتقة من أسرارها فى بيان مستمد من روحها ، كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم .

فلكم على الاجتهاد فى وضعه والعناية بطبعه شكر المؤمنين وأجر العاملين والاحترام الفائق »

وهذا الخطاب لم يكتب مثله هذا الزعيم الكبير لأحد غير الرافعى ، ولا جاء فى التاريخ كله كلمة فى وصف كتاب مثل هذه الكلمة البليغة

ومما يملأ القلب حسرة والنفس أسى أن قضى الرافعى رحمه الله قبل أن يتم هذا الكتاب ، ومما يزيد فى الأسى ويضاعف فى الحسرة أنا لم نجد من أدبائنا الكبار من يتقدم ليحمل هذا العبء ويقوم بأداء هذا الواجب الذى هو فى الحقيقة دين فى أعناقهم جميعاً لا تبرأ ذمتهم منه حتى يؤدوه كاملا ، وهم غير معذورين ، وبخاصة فإن الأمور الآن ممهدة والطرق معبدة ، وللأدب العربى عديد من الكليات بالأزهر والجامعات

والحسرة فى مثل هذا الأمر لا يضارعها إلا حسرة أخرى على تفسير القرآن الحكيم الذى أخرجته قريحتا الإمامين الجليلين محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله فإننا — وا أسفا — لم نجد (عالماً) من علمائنا (وهم ألوف) قد نهض لإتمام هذا التفسير ، وكأن الأزهر « المعمور » قد عقمت أمه فلم تلد بعد الأستاذ الإمام محمد عبده أحداً . رحمه الله ورحم تلميذه النجيب السيد رشيد رضا

ولقد كنا قرأنا منذ أكثر من ربع قرن فى المقدمة التى أنشأها الدكتور طه حسين باشا لكتاب فجر الإسلام ، أنه فرغ من وضع الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى ففرحنا وانتظرنا أن تشرف علينا غرة هذا الجزء وما يليه ، ولكن انتظارنا ذهب عبثاً

ولقد كان للرافعى أسلوب فى البلاغة خاص به بائن بنفسه لا يشاركه فيه أحد من الكتاب ، يعرفه كل من وقف على أساليب الكتابة العربية حتى لو أخفاه عن الناس

كنت مرة مع الأديب الكبير عبد الرحمن البرقوقى بمجلس على أحد الأندية بالقاهرة فى سنة ١٩٢١ ومر بنا بائع الصحف فتناول منه رحمه الله (جريدة الأخبار) وأخذ يقرؤها وإذا به يجد فى صدرها كلمة أخذت نصف عمود عنوانها : (مجيبة لغوية — جنود سعد) ما كاد يقرؤها حتى دفع لى الصحيفة وقال : ترى لمن هذه الكلمة .. ودفع لى الجريدة فقرأتها وقلت له : إن الظن الغالب أنها للرافعى ولم يكن قد وضع اسمه عليها . فقال هى له من غير شك ولا يستطيع غيره أن ينشئها (٥)

وكان رحمه الله يعنى بتجويد عباراته ويبالغ فى صقلها حتى تخرج فى أروع صورة من البيان العربى ، وكان لا يترخص فى ذلك ولا يتسهل

قلت له مرة بعد أن ظهر كتاب (حديث القمر) إن طائفة كبيرة من القراء لا تبلغ أفهامهم بعض عبارات هذا الكتاب ، وارأى أن تنشئ كلاما لا يعلو على أفهام القراء ! فغضب وقال : أتريدنى على أن أنزل بأسلوبى إلى أفهام عامة القراء ؟ إنى أريد أن يرتفعوا هم إلى لا أن أهبط أنا إليهم ، ولأن يكون لى ألفان من القراء الذين يفهمون أساليب العربية العالية خير لى من أن يكون لى عشرات الألوف من عوام القراء

وجرى بينى وبينه مرة حديث عن أسلوب المغفور له الدكتور زكى مبارك فكان من قوله : إنك مهما قرأت له فإنك لا تكاد تجد من إنشائه عبارة بليغة يشرق منها نور البيان ، وهو لا يعتبر شاعراً ولا ناثراً ! فقلت له : وماذا يكون إذن بين كتاب البيان فقال (سمه نترورا !) وهذه اللفظة التى استعرتها قد قاسها على لفظة شعرور . وقد كان مجتهداً فى اللغة وله رأى فى القياس اللغوى مبثوث فى كتبه ، وقد نشرناه فى الرسالة على ما نذكر

وإذا كان الدكتور زكى مبارك رحمه الله فى رأى سيد البلغاء (نترورا ! فسترى ماذا تكون درجات أولئك الذين يظنون

---

(٤) ارجع إلى الصفحتين ٧٧ و ٧٨ فى كتاب (رسائل الرافعى) تجد صورة هذه الكلمة البليغة

أنفسهم أنهم من كبار الكتاب ويسودون الصحف كل يوم بما يكتبون ؟؟

ومن عجيب أمر هذا الرجل أنه كان من عزة النفس و كبريائها بحيث لا يخضع لإنسان ولا ينافق لمخلوق ولا يستعين بكبير ولا يستنصر بوزير كأنه الجبل الأشم الذى لا يستند إلى شىء، وأن مرد ذلك إلى قوة إيمانه وكمال يقينه ، ومن كان مثله فى قوة الإيمان وخالص التوحيد فإنه لا يستعين إلا بالله ولا يخشى إلا الله ولا يتوكل إلا على الله الذى إليه يرجع الأمر كله

هذا ما تيسر لنا اليوم من القول فى هذا العظيم الذى خلا مكانه ،لا ريب كما يقول العرب، وهذه الكلمة التى نرسلها اليوم فى ذكرى وفاته إنما هى سطر نضمه على هامش تاريخه الحافل بالمآثر والمفاخر إلى أن يأذن الله بتدوين هذا التاريخ الذى لا نظن أن أحدا يستطيع أداءه إلا إذا كان فى مثل بلاغته حتى يأتى به كاملا على حقيقته

ولعلنا بهذه الكلمة الصغيرة نكون قد أدينا بعض ما يجب علينا فى هذه المناسبة ، وأن نكون آية وفاء لشيخنا الرافعى رحمه الله، وتحية طيبة تصعد إلى روحه الطاهرة فى الملأ الأعلى يرضى هو بها ويرضى الله عنها

محمود أبو رية

٦ ـ الباكستان

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

التعدين :

باكستان غنية بثروتها المعدنية وإن كانت هذه الثروة لم تستغل الاستغلال الكافى حتى الآن

فالبترول يوجد فى باكستان الشرقية والغربية بكميات وافرة ويبلغ ما تنتجه حقول البترول فى البنجاب وحدها ١٥ مليون جالون فى العام ، ومن المنتظر أن يزيد الإنتاج كثيرا . ومما يدل على وفرة البترول فى باكستان أنه عثر على بئر فى غرب البنجاب ١٩٤٨ بلغ إنتاجها فى اليوم ١٠٠٠٠ جالون

وباكستان ثانية دول العالم غنى بالكروم chromite ويوجد فى بلوخستان وإقليم الحدود الشمالية الغربية وتقدر قيمة ما يستخرج منه سنويا بنحو ١٢٠٠٠ طن

ويوجد الفحم فى إقليم غرب البنجاب وفى بلوخستان وفى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى باكستان الشرقية

أما الحديد فيوجد فى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى إقليم السند الأدنى

ويوجد الكبريت والذهب والنحاس والملح وأملاح البوتاس وأملاح الصودا والصوديوم بوفرة فى باكستان

ونظرا لوجود الفحم والبترول والحديد فإنه من المنتظر أن تزدهر الصناعة فى باكستان وخاصة بعد توليد الكهرباء من مساقط المياه . وتولى حكومة باكستان اهتماما خاصا بترقية مشاريع توليد القوى الكهربائية ، ويدلنا على ذلك أن مؤتمر الصناعات الذى عقد فى ديسمبر ١٩٤٧ قرر إنشاء مشاريع يتسنى معها توليد ٥٠٠٠٠٠ كيلوات كما أوصى بإتمام أعمال مشروعين : أحدهما فى غرب البنجاب يمكن بواسطته توليد ٢٦٠٠٠ كيلوات، والآخر فى باكستان الشرقية يمكن بواسطته توليد ٦٠٠٠٠ كيلوات ، وكل هذه المشاريع تهدف إلى النهوض بالصناعة فى باكستان

الصناعة

تعتبر صناعة السكر من أهم صناعات الباكستان ، وقد أسس منذ سنوات مصنع هائل للسكر يعتبر الأول من نوعه فى آسيا كلها ؛ إذ يبلغ إنتاجه السنوى نحو ٥٠٠٠٠ طنا ، وتعمل الباكستان على مضاعفة إنتاجها ويساعدها على تحقيق ذلك صلاحية أرضها ومناخها لزراعة أنواع جيدة من قصب السكر

صناعة الجوت

تنتج باكستان ٨٠ ٪ من الجوت العالمى . وقد كانت

كلكتا مركز صناعته الرئيسية ، ولكن فى مشروع التقسيم أعطيت كلكتا للهندستان ، وكان طبيعيا أن تعمل باكستان على إنشاء المصانع اللازمة لصناعة الجوت . وقد أخذت الباكستان فعلا فى إنشاء المصانع واستوردت الآلات اللازمة لها

صناعة الورق

المواد الخام اللازمة لصناعة الورق موفورة فى باكستان وخاصة فى باكستان الشرقية حيث تنمو الغابات بوفرة . ولهذا قررت حكومة الباكستان إنشاء مصنع لصناعة الورق فى باكستان الشرقية

صناعة المنسوجات

من الطبيعى أن تعنى الباكستان بصناعة المنسوجات وخاصة القطنية والصوفية، وذلك بسبب حاجة السكان إليها وبسبب توافر القطن والصوف . ولهذا أنشأت الحكومة مصنعا للصوف ينتج يوميا ١٤٠٠٠ رطل ومصانع أخرى لنسج القطن

صناعة السفن

تقوم هذه الصناعة فى الموانى، وأهم مركز لها فى كراتشى فيها عدة مؤسسات صناعية تصنع فيها القوارب والسفن الصغيرة وتصلح فيها السفن الكبيرة

وفى باكستان الشرقية توجد عدة معامل لبناء القوارب وإصلاح السفن . وتهتم الحكومة المركزية بالنهوض بهذه الصناعة

وإلى جانب هذه الصناعات تقوم صناعات أخرى هامة أهمها صناعة إنتاج الزيوت والمصابيح الكهربائية وصناعة الآلات الحديدية والصناعات الكيماوية وصناعة الأسمنت

وإن باكستان تحاول جاهدة تدعيم الإنتاج الصناعى بها حتى تستطيع أن تنتج ما تحتاج إليه

مستقبلها

الباكستان دولة ناشئة ، وحاضرها يبشر بخير كثير إن شاء الله ، وعناصر قوتها موفورة : فهى دولة واسعة المساحة ، كثيرة السكان؛ غنية بمواردها الطبيعية

ولكن أهم من هذا كله أن حياتها تتركز على دعامتين هما أساس قوة كل شعب ومصدر عظمة كل أمة : فالباكستانيون قوم مؤمنون بدينهم ، وفى الدين من غير شك قوة تهدى إلى السبيل الأقوم ، ومشكاة تنير سبيل الرشاد . ويتجلى هذا واضحا قويا فى كلمات أبى الباكستان محمد على جناح : « ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية ، إنما هو دستور حياة كل مسلم ... دستور يهيج عليه فى حياته وتصرفاته فى جميع النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهو دستور قائم على أسمى مبادئ العزة والنزاهة والعدالة

إنما الحكم إله واحد ، وإن صفة الوحدانية من مبادئ الإسلام الأساسية، وليس فى الإسلام ثمة فرق بين شخص وآخر، فمن مبادئه الأساسية المساواة والحرية والأخوة

لا يستطيع شعب من الشعوب أن يتطور ويرتقى مالم يكن متكاتفا متآزرا ، إننا كنا مسلمون وكنا باكستانيون، وعليكم بصفتكم أبناء الدولة أن تخدموها وتضحوا ، بل وتموتوا من أجلها، لكى تجعلوها دولة سائدة »

وفى قول لياقت على خان :

« ... والباكستان لم تنشأ إلا لأن مسلمى شبه القارة أرادوا أن يقيموا فى حياتهم الطريق السوى الذى رسمه لهم الإسلام ، وأن يتعاملوا حسب تعاليمه وتقاليده السمحاء ، وإلا لأنهم أرادوا أن يبينوا للعالم أن الإسلام يستطيع أن يجد الدواء الناجع لتلك الأمراض والعلل التى تتفشى اليوم فى كيانه وتسرى فى بنيانه

... إننا كباكستانيين لا يعيبنا أننا مسلمون ، لأننا نعتقد أننا باتباع ديننا القويم وتعاليمه السمحاء نستطيع أن نسهم بقسط كبير فى رفاهية هذا العالم

... ونحن — شعب الباكستان — نعتقد بإخلاص ويقين كما نؤمن بشجاعة بأن كل قوة وكل سلطان يجب أن يتمشى مع تعاليم الإسلام »

وهكذا نجد فى باكستان أمة مؤمنة قوية تعتمد على نصر الله (ولينصرن الله من ينصره)

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلتمس الباكستان أسباب القوة المادية فتعمل جاهدة على أخذ أحسن ما فى الحضارة الغربية من علم وفن . وإذا اجتمع العلم والإيمان فالنصر محقق بإذن الله

وتحقيقا لهذه الغاية تعنى الباكستان بجيشها عناية كبرى وميزانيته تبلغ حوالى ٤٠٪ من ميزانيتها . وتعنى أيضا بنشر الثقافة والتعليم فلديها أربع جامعات ، ٩٨ كلية ، ١٧٠٠ مدرسة عليا ، ٥٠٠٠ مدرسة ثانوية ، ٤٠٠٠٠ مدرسة ابتدائية ، ١١٠ مدرسة فنية صناعية الخ

وتقوم المرأة فى حياة الباكستان بواجبها خير قيام ، فهى شقيقة الرجال وأم الأبطال وطبيبة المرضى والجرحى . وقد قام نساء الباكستان بجهد مشكور فى حل مشكلة اللاجئين الذين وفدوا إليها من الهندستان عراة معوزين تركوا أموالهم وديارهم وأملاكهم وفروا بدينهم إلى الباكستان . أثارت هذه الويلات نفوس الباكستانيات فقمن بنصيب موفور فى التخفيف عن المعوزين ومواساة الجرحى والمنكوبين

ولم يقف جهد المرأة عند هـذا الحد ، بل نزلت إلى ميدان الصناعة والتجارة والطب ، بل وأكثر من هذا أن المرأة تقدمت فحملت السلاح للذود عن الوطن ، ودخلت معترك السياسة دون ضجيج أو جلبة ، وهى قبل كل شئ وبعد كل شئ قدوة للمرأة الصالحة

يقول الدكتور عمر فروخ : لقد دخلت المرأة الباكستانية معترك الحياة : فى التمريض والطب والتجارة والصناعة وفى الجيش والأسطول وفى المجالس التأسيسية ودوائر الحكومة ...

أما المرأة العربية فقد بدأت الاختلاط من الجانب الآخر : بدأت بالسينما وحمامات البحر وبالنزه وحفلات الشاى والكوكتيل ...

إن الوطن العربى لن يستطيع أن يحفظ أخلاقه ولا أن [illegible]

برنامجا جديدا للتربية والتعليم !!

وهكذا نجد أن المرأة الباكستانية تقوم بدورها فى إعداد أمة صالحة خير قيام، ويا حبذا لو اتخذتها المرأة العربية قدوة لها

وأحب قبل أن أختتم بحثى أن أذكر أن اللغة العربية منتشرة بين الباكستان، وإن كان معظم سكان باكستان الغربية يتكلم باللغة الأردية والبنغالية فى باكستان الشرقية . ولكن الاتجاه الآن موجه إلى نشر اللغة العربية لأنها لغة القرآن

وأخيرا : إن فى جميع ما سبق ما يبشر بمستقبل عظيم للباكستان ، ويكفى أن تكون أمة مؤمنة بربها قوية برجالها ونسائها ، فإن هذا كله كفيل بتحقيق آمالها وآمالنا فيها إن شاء الله

باكستان زنده باد

أبو الفتوح عطيفة

أثر المدرسة المصرية فى الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

التثقيف فى اللغة التهذيب .. ويقول العرب ثقف القنـاة أى شذبها . ومن هذا المعنى وجدت كلمة الثقافة . غير أن العقل أخذ مكان القناة وتدرجت الكلمة فى هذه المدارج وأخذت سمتها منذ أزمان غابة فى البعد . هذا هو التثقيف فى معناه اللغوى .. أما من هو مثقف فهذا ما لم يدره أحد حتى الآن، فقد كثرت التعاريف وتعـارضت . وأغلب الظن أن كل واضع لتعريف كان ينظر إلى نفسه حين يضع تعريفه فيجعل شخصه هو المثقف ومن دونه ليسوا جديرين بهذا اللقب . ولا شك أن فى مثل هذه الأحكام الذاتية الشخصية جنوحا عن الدقة وابتعادا عن الحق

وإنى لأعجز أن أضع تعريفا للمثقف لأنى أخشى أن أزل فى التعبير .. ولكننى أستطيع أن أتصوره شخصا بعيدا عن التفاهة رفيعا عن الصغار احتك بالتجارب وتعلم منها بعد أن استوعب الكتب وفهمها . وأستطيع أن أتصوره شخصا بعيد الأفق متسع التفكير يقبل ذهنه أن يتفهم ما يعرض عليه ، لا يرى فى جهله بأمر مسبة وهو يقر بالجهل ويسعى إلى العلم . وأستطيع أن أتصوره شخصا قد بعد عن فترة الغرور .. ذلك الغرور الذى لا أعنى به الثقة بالنفس فإن الفارق بينهما دقيق . والشخص الواثق بشخصيته إذا غلا بعض الشئ فى هذا الوثوق أصبح مغرورا .. والمثقف كما أتصوره من استطاع أن يضع الحد الفاصل بين الغرور والثقة ، أو هو ذلك المرء الذى دعا له النبى عليه الصلاة والسلام حين قال : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه فأراح واستراح » فذلك الشخص الذى يستطيع أن يصل إلى هذه الرحمة من الله عارفا قدر نفسه مريحـا مستريحا .. ذلك الشخص — إذا وجد — مثقف تهذبت نفسه ؛ والنفس لا تهذب إلا إذا هذب العقل

هذا هو الرجل المثقف كما أتصوره فى مظهره الخارجى .. أما كيف يثقف المرء ؟ ومتى يصل من الثقافة إلى المكان الذى يقال فيه إن الرجل قد تثقف .. أما هذا فما أحسبنى مستطيع الوصول إليه على وجه القطع ، فالثقافات متعددة متشعبة ، وقد يكون الشخص عالمـا بمادة ما كالكيميا مثلا ثم هو لا يفقه شيئا فى الأدب ، أو قد يكون أديبا كبيرا وهو لا يعرف عن علم الإحصاء شيئا

فهل يحسب المرء أن يكون عالما فى ناحية من نواحى الحياة الثقافية حتى يكون مثقفا، أم لزام عليه أن يكون ملما بكل فن — فى هـذا اختلفت الآراء .. فإن من الإنجليز من يقول Jack of all tiades master of none من يعلم كل شئ لا يجيد شيئا . وصاحب هذا الرأى يرى أن يثقف المرء نفسه فى الناحية التى تلتقى بميل طبيعى فيه حتى يصل منها إلى المدى البعيد — وإنى — إذا جاز لى أن أبدى رأيى ، أرى أن هذا النهج فى الثقافة أمكن لمنتهجه وخاصة فى هذا العصر الذى أصبح التخصص فيه هو الأساس العلمى

أرى ذلك فى بدء التكوين على الأقل ؛ أما إذا كان الرجل قد بلغ فى ناحية ما مبلغ الأساتذة الكبار فإنه لا جناح عليه إن ألم بالفنون الأخرى

على أن منابع الثقـافة تكاد تتحد مهما اختلفت الآراء فى سنن الثقافة نفسها ، فهناك الثقافة المدرسية وتلك سنتركها إلى الكلام عن المدرسة ، وهناك الثقافة التجريبية وهى التى تكونها حادثات الزمن وماجرياته، وهناك الثقافة الحرة وهى أغزر الثقافات تدفقا ، فما أحسب رجلا تثقف من المدرسة وحدها ، ولا من الزمن وحده، بل لا بد له من تلك الثقافة الحرة التى لا تقيده بمنهج معين ، بل هى ميل طبيعى فى النفس يغذيه صاحبه بما يقع فى يده متصلا بهذا الفن بسبب ما ولا ضابط عليه فى الاختيار ، إنما هو يقرأ الرائع الشامخ ، والمرذول الضئيل ، فتنمو إمكانيته قوية فى الإنتاج بما اكتسبه من العمل الكبير، قوية فى النقد بما أخذ على العمل الصغير . وإننا إذا أمررنا بأذهاننا أسماء الأئمة الكبار من كل فن وعلم وجدنا أن الجانب الأكبر من ثقافتهم قد تكون من تلك الثقافة الحرة

وقد رأى بعض الكتاب الغربيين أن العقلية المثقفة لا تبلغ

المحاضرة التى ألقيت يوم الخميس ٨ مايو بنقابة الصحفيين

أوجها إلا بعد مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى .. ونستطيع أن نسميها مرحلة الكسب وهذه المرحلة هي التي تتجمع فيها لدى المرء المعلومات المتناثرة فتتجلى في خلال هذه الفترة الناحية التي تتألق فيها الملكة الكامنة في نفس صاحبها ، ويأخذ من نثار هذه المعلومات ناحية معينة يميل إليها ببحثه فتأخذ عقليته المقفلة في التفتح وتندى من بعد جفاف

أما المرحلة الثانية .. فهي تلك التي ينسق فيها المرء معلوماته ويهذبها ، ويقول صاحب هذا الرأي · إن المرء في هذه المرحلة إذا نسق معلوماته تنسيقا صحيحا يكاد يصل إلى الخلق بحيث يدق على الرجل العادي أن يفرق بين منسق وخلق

أما المرحلة الثالثة .. فهي مرحلة الخلق ومن نتاجها الروائع الخالدات من كل فن وعلم . المفروض أن يكون هذا التقسيم منطقيا على العلوم والفنون، ولكن الواقع من الأمر أنه لا يكاد ينطبق إلا على دقة نادرة

فإننا إذا ماشيناه أصبح حتما علينا أن نصدق أن كل ملتحق بكلية الحقوق يعرف من القانون ما جعله يميل إلى هذه الناحية ، أو أن ملتحقا بكلية الهندسة بحث قبل أن يلتحق بها ودرس علوما عدة حتى اختار الهندسة بالذات . كما يجبرنا أن نفهم أن كل أديب درس قبل دراسته للأدب ضروبا أخرى من الفن كالرسم أو الموسيقى ، ثم عزف عن كل هذا ليختار الأدب فنا — يجبرنا هذا التقسيم على هذا الفهم ، ولكن الواقع من ناحية أخرى يجبرنا على عدم التصديق ولما كان الواقع دائما هو الغلاب المنتصر فإنه لا يسعنا إلا أن نحني له الهام ، فلا نجاري التقسيم في مرحلته الأولى هذه ، قائلين له إننا لا نستطيع أن نقرك ، فإنه ليس حتما أن يقرأ المرء كل العلوم والفنون حتى يتمكن من اختيار علم أو فن ؛ وإنما هي في أغلب الأحايين الصدفة أو البيئة . التقسيم إذن ليس شاملا فيما يختص بالاختيار

أما فيما يختص بالمرحلة الثانية التي تنص على التنسيق والتقسيم فإنها تقصر هي أيضا على الأدب مثلا فما رأينا أديبا ينسق معلوماته فيقول إن هذه الأبيات تنفعني في علم البديع ، وهاته تفيدني في علم النحو ، وهذه الكلمة حسنة أحفظها ، وتلك قبيحة أنساها ، وهذه بين وبين . إن أديبا ما لو فعل هذا لكان من أعظم جهلاء الأدب . والواقع مرة أخرى أن أحدا لا يفعل هذا ، فالتقسيم قاصر ، ولا شك أن الفارق بين تنسيق المعلومات وهو ما قصد إليه التقسيم وبين تنسيق العقلية وهو ما لم يقصد إليه التقسيم . الفارق بين التنسيقين كبير . فتنسيق المعلومات خطة استنها أحد الفلاسفة الغربيين ليصل بها إلى بعض الحقائق الفلسفية . فليس من الضروري إذن أن تكون هذه الطريقة ناجحة في كل علم ، بل إن أغلب الفلاسفة لا يعترف بها في الفلسفة نفسها ، أما تنسيق العقلية فهو أمر آخر ليس هنا مجال البحث فيه

المرحلة الثالثة .. من هذا التقسيم رتب الخلق على التنسيق أي أن صاحب هذا السؤال يرى أن من نسق معلوماته خلق ، ومن لم ينسقها لن يخلق ، وهو قول واضح العجب

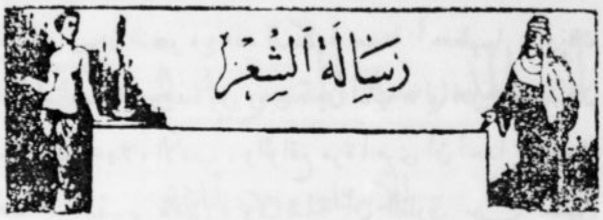
ترون أنه من الصعوبة بمكان أن نحدد الثقافة أو نحدد المثقف ، وليس عجيبا أن نعجز نحن ، فقد قال دبهاميل: «الثقافة كالإيمان الذي لا يكفي أن نطلبه لنناله فهي نتيجة لمجموعة من الملابسات التي لم يكشف لنا العلم بعد تكوينها الحقيق ، ومع ذلك فنحن نعرف على الأقل بعضا من عناصرها المكونة »

وهذا القول يريكم كم يصعب الأمر على التعريف ، ولكن هذا لن يمنعنا من البحث وراء تلك العناصر القليلة التي تدخل ضمن تكوين الثقافة . واعتقادي أن الاعتراف بالجهل هو أول هذه العناصر ، فحين يعلم المرء أنه ما زال يجهل لا بد له أن يسعى ليمنع عن نفسه هذا الجهل ، وقد ترجم هذا شعرا أحد شعرائنا المعاصرين إذ قال :

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ويغريه بنوله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الإنسان في الدنيا ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما زاد إيقانا بجهله

البقية في العدد القادم

ثروت اباظة



ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بمده

وأتى بمده (بريدة) يرجو أن ينال الغنى ، وكان فقيرا
يركب الليل والنهار ويطوى ال بيد غبراً سهولها والوعورا
فى رجال من صحبه زعموا ال
إغراء نصحاً ، واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرسول ففازوا وارتضوها تجارة لن تبورا
أسلموا ، وارتأى (بريدة) رأياً ألمعيا ، وكان حرا غيورا
قال : ما ينبغي لمثل رسول الله ه أن يألو البلاد ظهورا
كيف تمشى بلا لواء وقد أو تيت من ربك المقام الأثيرا ؟
ليس لى من عمامتى ومن الرم ح عذيرا إذا التمست عذيرا
أخفقى يا عمامتى واعلى يا رمـ ى فقد خفت أن تعود كسيرا
ومشى باللواء بين يديه يتلقى السنا البهى نحورا

فى خيمة أم معبد

ما حديث لأم معبد تستقيـ ـه ظماى النفوس عذبا نميرا ؟
سائل (الشاة) كيف درت وكانت
كزة (١) الضرع لا ترجى الدرورا
بركات (السمح المؤمل) يقرى أمم الأرض زائراً أو مزورا
مظهر الحق للنبوة سبحا نك ربا فرد الجلال قديرا

(١) يابسة الضرع ، والدرور مصدر من در

فى قباء

يا (حياة النفوس) جئت (قباء) جيئة الروح تبعث القبورا
إرفع (المسجد المبارك) واصنع للبرايا صنيعك المشكورا
معقل يعصم النفوس ويأبى أن يميل الهوى بها أو يجورا
أوصها بالصلاة فهى علاج أو سياج يذود عنها الشرورا
غرس الله دوحة الدين قدما وقضاها أرومة وجذورا
لو أردت النضار لم تحمل الأحـ
جار ، توهى القوى ، وتحنى الظهورا (٢)
أرأيت (ابن ياسر (٣)) كيف يبنى ؟
أرأيت المشيع الشميرا ؟
أرأيت البناء يستبق القو م صعوداً ، ويزدهيهم سؤورا (٤)
أرأيت الفحل الأبى جنيبا (٥) فى يد الله ، والهزبر المصورا ؟
ينصب النحر للحجارة والطـ ين ، يغير الحلى ، ويفرى النحورا
ما بنى مثله على الدهر غر (٦) راح يبنى (خورنقا) أو (سديرا)
يجد الحق فى البناء حصونا ويرى الطير فى البناء وكورا (٧)

حى بنى عمرو بن عوف (٨)

(بورك الحى حيكم يابنى عمـ رو بن عوف ، ولا يزل ممطورا)
كنت فيه الضيف الذى يغمر الأنـ
ـفس والدور نعمة وحبورا
ما رأت مثلك الديار ، ولا حيـ ـاك القوم فى الضيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقالوا أملالا أزمعت عنا المسيرا ؟
قلت : بل (يثرب) انتويت وما أا فيت نفسى بغيرها مأمورا
قرية تأكل القرى وتربها كيف تلقى البلى ، وتشكو الدثورا
طربت ناقتى إلى لا بتيها فدعوا رحلها ، وخلوا الجريرا (٩)
رحمة الله والسلام عليكم (آل عوف) كبيركم ، والصغيرا

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له ، فيقول : لا ، خذ مثله ، (٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أسس النبي المسجد وأتمه هو ، والشمير الماضي فى الأمور المجرب

(٤) السؤور الوثوب والارتفاع (٥) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها (٦) هو من لم يجرب الأمور (٧) اشارة الى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة : شاده مرمرا وجلله كا سا ، فللطير فى ذراه وكور

(٨) نزل النبي صلى الله عليه وسلم فى قباء على كلثوم بن الهرم كبير بنى عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان للوضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له (٩) الجرير الزمام

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

جوائز فؤاد الأول الأدبية:

احتفل يوم ٢٨ إبريل الماضي بتوزيع جوائز فؤاد الأول على الفائزين بها في هذا العام، وقد فاز بجائزة الأدب الأستاذان عزيز أباظة وفريد أبو حديد بك، على نحو ما أشرنا إليه في العدد الأسبق من «الرسالة»

وقد أجيز عزيز باشا على مسرحيته الشعرية «العباسة» وهي رواية إنسانية حلل فيها الشاعر موقف العباسة أخت الرشيد في زواجها السري بجعفر بن يحيى البرمكي، كسيدة من البيت المالك خفق قلبها بحب الزوج وحب الولد، وصور الصراع بين هذه العاطفة وبين الاعتبارات الأخرى التي جعلت الرشيد يعقد زواج وزيره بأخته سرا. وفي رأيي أن هذه المسرحية أحسن مسرحيات عزيز باشا كلها، وهي من الأعمال الأدبية الخالدة

أما الأستاذ أبو حديد بك فقد أجيز على قصته (الوعاء المرمري) ولم يتح لي بعد قراءة هذه القصة. على أنني أعرف الأستاذ كما يعرفه الكثير قصاصا بارعا ظفرت ثروتنا الأدبية منه بطائفة من المؤلفات والقصص القيمة

وبعد فلي ملاحظتان: إحداهما خاصة بتقسيم جائزة هذا العام، وتتعلق الأخرى بتكوين لجنة الجوائز الأدبية

أعتقد أن الغرض من هذه الجوائز الملكية الكريمة — وهو تتويج عمل أدبي بارز — لا يتحقق كاملا إلا بمنح الجائزة كاملة لمؤلف واحد، وهي تماثل جائزة «نوبل» والذي نعرفه أن هذه الجائزة لم تمنح مجزأة للغرض السالف، لذلك لم يكن لجائزتنا هذا العام وقعها المأمول، إذ قسمت بين الفائزين الكبيرين

تلك هي الملاحظة الأولى، أما الثانية فقد أثارها في خاطري أن الأستاذ فريد أبو حديد بك كان عضوا في لجنة الجوائز، فاعتذر من عدم الاشتراك فيها هذا العام، فكان هذا فرصة طيبة لتقدير إنتاجه. ترى هل ننتظر اعتذارات أعضاء آخرين حتى يمكن تقدير آدابهم!

الرأي عندي أن يعاد تكوين اللجنة بحيث تشمل الأدباء الذين فازوا، حتى الآن، بالجائزة، وهم الدكتور طه حسين باشا والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد أمين بك والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومحمود تيمور بك وتوفيق الحكيم بك وعزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك. ويتنحى عن عضوية اللجنة كل من له إنتاج تنطبق عليه الشروط

احتفال الجامعة الشعبية بالربيع:

أعلنت الجامعة الشعبية أنها ستقيم «مهرجان الأدب والفن في عيد الربيع» ووصلتني دعوتها في يوم لا ربيع فيه.. فقد كان مغبرا حامي الأنفاس كأن هواءه ينبعث من أتون.. فشعرت بشيء من الغيظ لطفته المفارقة بين دعوة الجامعة والحال الواقعة، ثم داخل نفسي شيء من الخبث، إذ رجوت أن يأتي يوم المهرجان من هذه الأيام الفكراء التي يتعاقب فيها الحر والبرد فيؤذي تقلبها الجسم ويقذي العين ويزكم الأنف ويسقم النفس، فأشمت بمن سيتغنون بالربيع وبهجته واعتدال جوه.. ولكن خاب رجائي، فقد كان ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى نادي الصحفيين لمشاهدة المهرجان، من الأيام النادرة الخاطفة التي يطل فيها الربيع على بلادنا ثم لا يلبث أن يمدو

فلننفض هنا عن أعاصير الربيع و «خماسينه» ولنستمع إلى خطباء المهرجان وشعرائه، فقد نجد في ربيع الأدب ما يعوضنا عن ربيع الطبيعة

افتتح الحفل بكلمة للأستاذ الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا أثنى فيها على جهود الجامعة الشعبية في خدمة الفن والأدب، ثم قال إن العرب شغفوا بكل ما تزخر به الطبيعة من مباهج وفنون، وكان للربيع في الأدب العربي لمحات وإن كانت باهتة الأضواء إلا أنها تومئ إلى مدى تعلق النفس العربية بالجمال

للسكون فى شتى ألوانه وصرائيه ، ومما يعجبنى من وصف العرب للربيع قول ابن الرومى :

حيتك عنا شمال طاف طائفها
بجنة فجرت روحا وريحانا

هبت سحيراً فناجى الغصن صاحبه
سرا بها وتداعى الطير إعلانا

ورق تغنى على خضر مهدلة
تسمو بها وتمس الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب
والغصن من هزه عطفيه نشوانا

ثم قال الأستاذ عزيز باشا :

إن رأيى فى الذى كتبه العرب عن الربيع أنه بصفة عامة بعيد عن الروح الشعرية التى نأمل أن نجدها فى أدبنا الحديث ، فأغلب الذين تحدثوا عن الربيع لم يتجاوزوا حدود المحسوسات والمرئيات حتى كأن الحياة ، وهى العنصر الجياش فى تكوين الربيع ، لا تمت إليه بصلة من الصلات

وأنا لا أستريح إلى مثل هذه الأحكام المطلقة ، فلا شك أن كل أدب يشتمل على الصادق والمزور والرائع والتافه . وأعلم أنه لا جدوى من المناقشة فى هذه القضية ، فلو استدل أحد الطرفين بأمثلة تتوافر فيها الروح الشعرية الصادقة ، الطرف الثانى إنها من القليل ، وإن أتى الثانى بما لا يصور الحياة الجياشة . . . فلن يعجز الأول من أن ينسبه أيضاً إلى القلة . . . ومن لا يقتنع فليحص . . .

كشكول الأسبوع

□ قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية إقامة حفلة استقبال للدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة ابراهيم وعضو المجمع الجديد يوم الإثنين ١٩ مايو الحالى ، ويلقى كلمة استقباله الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

وكان المقرر أن تقام حفلة الاستقبال لواصف غالى باشا والدكتور كامل حسين اللذين انتخبا وعينا معا ، ولكن حدث أن سافر الأول إلى أوربا ، وقد علم محرر « الكشكول » أن سعادته أبدى رغبة فى إعفائه من عضوية المجمع لأن وقته لا يسمح بالمشاركة فى أعماله

□ جاء من باريس أن أعضاء المجمع الفرنسى وافقوا بالإجماع على ضم مجمع فؤاد الأول للغة العربية الى الاتحاد الدولى للمجامع

□ دعا معرض الفنون بميلانو سعادة الدكتور طه حسين باشا الى حضور مؤتمر الفنون الدولى الذى سيقام هناك فى يولية القادم ويحضره أقطاب الفنون فى العالم ليحاضروا به كل فى اختصاصه حول الموضوع الأساسى « الفنان والمجتمع » وسيحاضر عميد أدباء العرب فى « الأديب والمجتمع »

□ كنا نخال العميد يستجم بعد خروجه من الوزارة بالخلود الى الراحة بعض الوقت فاذا هو — كما فهمنا من مقال له بالأهرام — « يستجم » بتأليف الجزء الثانى من « الفتنة الكبرى »

□ اجتمع طائفة من أعلام القصة فى مصر وقرروا تكوين « نادى القصة » وهو يهدف الى أمرين ، الأول نشر إنتاج القصصيين المعروفين بطريقة تيسر حصول الجماهير على هذا الانتاج فى نطاق واسع ، والأمر الثانى إتاحة الفرص لذوى المواهب من الناشئين بنشر الجيد مما يكتبون وممن يضمهم هذا النادى الأساتذة فريد أبو حديد بك واحسان عبد القدوس وصلاح ذهنى وأمين يوسف غراب ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعى

وألقى الأستاذ على عزت الأنصارى كلمة عنوانها « الربيع فى الأدب العربى » أشار إلى مثل ما قال به عزيز باشا . وقد أحسن بعرضه طائفة من الشعر العربى الذى قيل فى الربيع مع شىء من التحليل لا بأس به

وكانت كلمة الأستاذ محمد مصطفى حمام ظريفة كدأبه ، وكان موضوعها « الربيع فى الأدب الشعبى » وقد استرعى التفاتى قوله : أشهر أنواع الأدب الشعبى الزجل والشعر السهل الذى لا يعسر فهمه على العامة . فقد جعل الشعر السهل من الأدب الشعبى ، ولست أدرى هل فعل ذلك توطئة لقصيدته فى الربيع التى أولها :

لى وللناس فى الربيع معانى
ولنا فى الربيع أحلى الأمانى

فربيع الحياة عصر صبانا
وشباب الأرواح والأبدان

وربيع القلوب حب وقربى
وتواصى برحمة وحنان

إلى أن تدفعه روح المرح والدعابة التى جبل عليها فيقول

وربيع الجيوب إحراز مال
وامتلاء بالأصفر الرنان

وربيع الموظفين علاوات
ورزق يأتى بغير أوان

وقد نال الإعجاب واشتد التصفيق له إذ قال :

وربيع المصرى يوم خلاص
وجلاء عن مصر والسودان

الكتب

الديمقراطية في الاسلام

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للاستاذ عبد الرازق عبد ربه

ظهرت فى السنوات الأخيرة ، مؤلفات عديدة فى اللغة العربية تبحث فى موضوعات إسلامية ، ولم تكن تلك المؤلفات بأقلام الغربيين أو المستشرقين كما كان الأمر من قبل ، وإنما كانت كلها بأقلام سادة من كبار الكتاب المصريين فى هذا العصر الحديث ؛ فالأستاذ سيد قطب بحث في العدالة الاجتماعية فى الإسلام ثم خص الرأسمالية والإسلام بكتاب ، وأستاذنا الدكتور أحمد أمين بك يصدر كتابا عن الإسلام بعنوان « يوم الإسلام » وهاهو ذا أستاذنا الكبير العقاد الذى درس بطريقته المبتدعة الرصينة عظماء الإسلام فى سلسلة العبقريات يصدر اليوم كتاب « الديمقراطية فى الإسلام » بعد أن أصدر منذ خمس سنوات كتابه « الفلسفة القرآنية » ومن أحق من أستاذنا العقاد بالكتابة عن الديمقراطية ؟ فهو كاتبها الأول المنافح عنها، الذائد عن حياضها حتى تعرض لما تعرض له من أقوال ذوى النظر القصير ، وآراء ذوى العقل الكليل ، ورمى بما لا يصح أن يرى به الأستاذ العقاد

فإذا كان الأستاذ العقاد يكتب اليوم عن الديمقراطية فى الإسلام فقد كتب من قبل عن « الحكم المطلق » منددا به ، ولعل حبه للديمقراطية وكراهيته للاستبداد حدا بأستاذنا الكبير أن يكتب عن هتلر فى كتابه « هتلر فى الميزان » وإن حيك حول هذا الكتاب من أباطيل لا تدل إلا على سخف فى التفكير وفساد فى الضمير

وكتاب « الديمقراطية فى الإسلام » يقع فى ثمان وسبعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، قامت بنشره دار المعارف . والمسحة الغالبة فى هذا الكتاب هى تلك المسحة التى يمتاز بها الأستاذ العقاد فى كل ما يكتب ، وأعنى بها الثقة الواعية المتثبتة التي تدعوه أن يقرر ما يقرر فى غير ما شك أو تردد . وشيء آخر يجده المتتبع لكتب العقاد أن أسلوبه مهما طال الكتاب أو قصر فى مستوى واحد من البيان

وما أجل ما دفع الأستاذ الكبير إلى كتابة هذا البحث القيم « فإن الأمم الإسلامية فى عصرنا تنهض وتتقدم ، وأنها أحوج ما تكون فى هذه المرحلة خاصة إلى الحرية والإيمان متفقين ، لأن الحرية بغير إيمان حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضى والهياج منها إلى الجهد الصالح ، والعمل المسدد إلى غايته ، ومن الخير أن تذكر الأمم الإسلامية على الدوام أن الحرية عندها إيمان صادق ، وليست غاية الأمر فيها أنها مصلحة ونظام مستعار (١) »

ثم ينتقل الأستاذ بالقارئ من فصل إلى فصل تنقل الخبير

(١) ص ٧ من الديمقراطية فى الاسلام

ولم التفت إلى ذلك لأخالفه فى اعتبار الشعر السهل من الأدب الشعبي بل لأوافقه .. فالأدب ينسب إلى الشعب لأنه يعبر عنه ولأنه يفهمه ، فإن كان جاهلا باللغة العربية لا يفهم ما يصاغ بها ، فالأدب الشعبي هو العامى فقط ، وإن تقدم فى فهمها — كالواقع الآن — فكل ما يستسيغه من الأدب شعبي ولو كان بالفصحى

ومن طريف الزجل الذى أورده الأستاذ حسام للأستاذ محمود بيرم التونسى — وهو نسيج وحده فى هذا الميدان — قوله :

يا ورد أستنظرك قبل الربيع بربيع واوهب لك العمر
وأجمل لأهل اللامه فى هوا شفيع أوراقك الحمر
إنت اللى خليتنى وحدك عبدلك ومطيع للبيض والسمر
واوهب لك العمر يا اللى عمرك انت قصير ويقصر الهم
أوراقك الحمر تشرب دم قلبي عصير يا اغلى من الدم
للبيض والسمر تهدى وإنت حر أسير تنباس وتنضم

عباس خضر

بالمسالك والدروب دون أن يشعر بيأس أو فتور ، ولا يسع القارئ إلا أن يمضى قدما فى القراءة حتى يصل إلى الخاتمة

ولا يسعنى فى هذا المقال إلا أن أشير على أولئك الذين ينفثون سموم المبادئ الهدامة بين الطبقات الجاهلة ، أولئك الببغاوات التى تنطق ولا تعرف ما تقول .. أن يقرءوا ويتدبروا الفصل القيم الخاص بالديمقراطية الاقتصادية ؛ ومن الخير أن يقرأ أولئك المتعصبون على الإسلام والمسلمين ذلك الفصل النفيس « مع الأجانب » ليعرفوا مدى تسامح الإسلام والمسلمين مع الأجانب .. ولن يقرأ أولئك المتعصبون ذلك الفصل إلا إذا ترجم الكتاب إلى الأوربية ، ولعل الحاذقين لهذه اللغات ينهضون بهذا العمل الجليل ، ولن أنسى ذلك الفصل الممتع « أقوال المفكرين الإسلاميين » وفيه عرض واضح على الإمامة والسياسة فى الإسلام، إلا أن لى ملاحظة واحدة،وهى أن أستاذنا الكبير أتى بجزء من وصية الإمام على بن أبى طالب لمالك بن الحارث الأشتر النخعى حين ولاه مصر ، وهذه الوصية منسوبة إلى الإمام على فيما نسب إليه . نعم ، إن الوصية ليست من كلام الإمام على ، وإنما هى بكلام العباسيين أشبه ، لأن الكتابة المطولة لم تكن معروفة فى العصر الأول من الإسلام ولم تكن لدى الإمام على سعة الوقت وهدوء البال ليكتب هذا العهد المسرف فى الطول ، وما كان أجدر أستاذنا الكبير أن يحقق هذه المسألة وهو على ذلك قدير إن أراد

على أن مثل هذه المسألة التى تدل على وجهة نظر خاصة بى ، لا يمكن أن تقلل من قيمة هذا الكتاب القيم على ما به من أخطاء مطبعية يقع اللوم كله فيها على عاتق دار المعارف التى عودتنا أن نرى مطبوعاتها فى حلل قشيبة من الطبع الأنيق الصحيح

ولن أضع القلم قبل أن أرفع إلى أستاذنا العقاد تحية ملؤها الإكبار والإجلال ، داعيا الله أن ينسئ فى عمره لمجد المكتبة العربية بنفائس الكتب وفرائد المؤلفات

عبد الرازق عبد ربه

خواطر « فى فن الأدب »

تأليف الدكتور توفيق الحكيم بك

للأستاذ أسماعيل كوكب

فى الأمثلة الجارية : الكتاب يقرأ من عنوانه : يقال هذا فى المقابلات وفى المعاملات وفى ظواهر الأشياء .. وعلى ضوئه احتلت الدعايات صدارة الحكم الابتدائى فى المرئيات : وسار النظار والحكمون والنقاد على سنن الدعايات حتى النهاية، فمن وجدها سرابا لعن الدعايات المترضة وطالب بتغيير المسميات أو تعديلها ، ومن وجدها نبعا لا سرابا استنبط منها زاد المعرفة وأضاف إلى دعاية الأرض دعوة السماء «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

عندما بدأت فى قراءة « كتاب فن الأدب » لاح أمامى عنوانه الدخيل على القدامى وقراء الأدب ، وعادت بى الذكريات إلى المساجلات بين نقاد الحكيم وعشاقه ، وتذكرت صديقى الذى جن بأسلوبه كما جن « قيس بحب ليلى »

وقد استقبلت هذا الكتاب بتلك الخواطر فما كدت أرى دقة معانيه البارزة فى ربط ماضى الأدب بحاضره ومستقبله ، وقوة تعبيره فى مزج غربيه بشرقيه وسلامة خياله فى إدماج القصة بالتصوير ، وسرعة الخاطر فى مسايرة المسرح والإذاعة والسينما ، حتى كون إرهاصا فى ربط مستحدثات الأدب بمناهل لغة الضاد بعد أن سبكها بالفارسية ومزجهما بتلبد الأدب فى الجاهلية وبعد الفتوح الإسلامية تدرج من أدب القفرة إلى أدب الواحة إلى أدب المدينة، ومن أدب الغابة إلى أدب الحانة، ومن أدب الدف والمزمار إلى أدب النوتة والأوتار، بعد أن سار فى أسواق عكاظ ونقل من محاسن باريس وبغداد خلاصة تأملاته بين المدائن والقفار

بعد هذا كاد أن يدركنى جنون صديق فى كتاب الحكيم الجديد وعجبت من التسمية التى لا نقرأ فى عنوان الكتاب.. فإن الفن الذى يقصده بموازينه وأصوله التى تفرع منها المسميات الجديدة للسينما وغيرها ليست كافية وليست أصيلة فى التسمية بعد أن جعله جامعة عامة لفن الأدب ولغيرفنه، ولذلك فإنى أخالفه فى التسمية كما أخالفه فى بعض الآراء والنظريات، تاركا الحكم فيها للمحكمين من الأدباء وتقديرها للرأى العام بعد هذا

أوجه الخلاف : فى صفحة ٨ تحليل دقيق للابتكار الأدبى استشهد فيه بشكسبير وما نقله عن بوكامنو وغيره من علماء الغرب : ولم أر استشهاداً لعالم شرقى « وما أكثرهم فى هذا العصر » فهل عزت المفاضلة أم لم ينقل متقدم من متأخر ما يستحق التسجيل : أم شئ آخر ؟ وفى صفحة ١٤ مزج للبلاغة والنقد لم أقتنع بأسبابه ، فإذا أجازه كان ماجاء بصفحة ١٧ لا يصلح دستوراً لنقده الجديد لأنه واحد فى جميع العصور .. وفى صفحة ٢٢ مراحل تنقلات الأدب الزمانية والمكانية واستشهادات غربية لم نر للأئمة الشرقيين المعاصرين من استشهادات أو عرض حتى للضرورى من مستلزمات هذا التحول . وفى صفحة ٢٤ قال « إن الأدب العربى لم ير فى القرآن إلا نموذجاً لغويا ولم ير فيه النموذج الفنى » فهل القرآن الذى لم يفرط فى الكتاب من شئ قد أغفل هذا المستحدث الجديد.. أم عقلية معاصريه لم ترق فى ذلك الحين إلى تذوق معانيه ولم يتدارك أحد هذا النقص إلى اليوم : أم هناك تقصير من المعاصرين وهم الذين نزل بلغتهم القرآن اقتضته كراهيتهم لصاحب الرسالة فى بدئها فأوجبت هذا الإهمال الجسيم الذى ظل عالقا إلى الآن : أم كما قال المؤلف « إن وحى الأدب العربى لم يرد أن يتحرك لا إلى أعلى ولا إلى أسفل لا نحو القرآن ولا نحو الشعب حتى تدارك الجاحظ هذا النقص فساير الشعب فاستحق اللوم لركاكة الأسلوب وعاميته « كما صور »

ولم يسعف هذا النقص مقامات الحريرى وبديع الزمان من حيث اللغة والفن لسجعها وبلاغتها المصطنعة. وفى صفحة ١١٩ مقارنات بين حقوق المرأة الغربية والشرقية وعدم تمتع الغربية بحقوقها السماوية وتمتعها ببعض الحقوق الوضعية التى لا فائدة فيها فى غير المنظر ، وتمتع الشرقية بواجبات تتمنى الغربية أن تصل إليها، وهاتان مشكلتان تتطلب كل واحدة منهما البحث والإفصاح وفى صفحة ١١٢ عرض لكساد أسواق الشعر والأسباب وقد ذكر العلاج الانجليزى لهذا التدهور ولم يأت بجديد فى الأدب العربى . وفى صفحة ١٨٧ إشادة بأثر الشعر الردىء فى السينما ولم نر الأراجيز المحلية والأغانى البلدية فى غير أسواق بعض العوام، أما القيم المعنوية والفنية فأثرها شائع بين العامة والخاصة

وبالنظر إلى كل باب من أبواب هذا السفر الجديد نرى فيه مدرسة قائمة فى أسلوبها ومعانيها وتوجيهاتها ، فاذا جاز للعربية فى تحولها الأدبى والفنى وفى مستقبلها أن نضع فوق هامتها كتاباً نسجله للأجيال القادمة فى سجلات الخلود، فإن كتاب جامعة الأدب « لا فن الأدب » فى نظرى هو كتاب الجيل

اسماعيل كوكب

البريد الأدبي

الزهاوي والشعراء

قرأت في العدد « ٩٨١ » من الرسالة الغراء مقالة المرحوم صديقنا الدكتور زكي مبارك « البلبل الذبيح » التي كتبها في رثاء زميله الشاعر الخالد المرحوم الأستاذ علي محمود طه ، فاستوقفتني العبارات التالية منها :

كان الشاعر علي محمود طه يكره الشاعر محمد الهراوي ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمي وهما شاعرا الإسكندرية

إن المهاجاة كانت أيضا تحصل بين المرحومين الرصافي والزهاوي ، تحدث في بعض الأحايين حتى تصل إلى الخصومة والقطيعة ، ومما حدث بينهما أنه بعد هجرة الرصافي إلى سورية ورجوعه إلى بغداد أقام له المعجبون بشاعريته حفلة تكريمية ألقى فيها قصيدته المشهورة ومطلعها

سر في حياتك سير نابه ولم الزمان ولا تحابه

ومنها هذه الأبيات الرائعة :

كم مدع وطنية من لم تكن مرت ببابه
فتراه ينفج لاغباً فيها وينفخ في جرابه
ليكون مكتسباً بها مالا تهالك في اكتسابه
فكأنما هو صائد وكأنما هي من كلابه

أما الزهاوي وكان أحد المشاركين في هذه الحفلة فاستقبل الرصافي بقصيدة ختمها بقوله :

« وهذا أخي « معروف » أشدد به أزري »

فقال الرصافي لم يشأ إلا أن جعل نفسه « موسى » وجعلني « هارون » ثم أخفاها في نفسه ، حتى إذا ما قدم بغداد الزهاوي بعد مكوثه مدة في مصر أقيمت له حفلة تكريمية استهلها الرصافي بأبيات في تكريم الزهاوي منها :

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بقدوم شاعرها الزهاوي

فعندما وصل إلى هذا البيت التفت الزهاوي إلى خاصة الرصافي وقال لهم :

هذا واجب عليه لأني بحق شاعر بغداد وكأنما أنا أعنيه في قولي :

قد تسقط النخلة الميطاء لي رطبا فقد رميت على شكو لها حجرا

وعندما سمع الرصافي ذلك أجاب :

لقد أنصف الزهاوي نفسه ، جعل نفسه طفلا وأنا سامق كالنخل « وكل إناء بالذي فيه ينضح »

ومن ذلك اليوم انقطع الزهاوي عن لقاء الرصافي والكلام معه . حتى فارقا الحياة . فبدد الموت ما علق بقلبيهما من أحقاد

رواية بيت

في العدد ٩٨١ روت الأستاذة زينب الحكيم بيت أبي نواس على الوجه التالي عند تأبينها المرحوم الدكتور زكي مبارك

لا أذود الطير عن شجر ذقت طعم المر من ثمره

والذي أعرفه كما هو في الديوان على الصورة الآتية

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

إلى هنا واعل « بلوت » أقرب لألفاظ النواسي من ذقت الطعم

عبد القادر رشيد الناصري

إلى الأستاذ العجمي

قرأت بإعجاب — في العدد الأخير من مجلة الرسالة — البحث القيم الذي تؤرخ فيه لشعراء الشباب المعاصرين في مصر ، وتزنهم بميزان النقد الفني الأدبي ، وتضع فيه لكل مدرسة من مدارس الشعراء منهجا واضحا محددا ، وتلك روح طيبة تتسم بالجرأة والصراحة في الحق لا أشك في أنها أساس يقوم عليها النقد الأدبي في كل جيل

غير أني آخذ على الأستاذ بعد أن وقف موقف الحمد والثناء من دار العلوم لما أنجبت للنهضة الأدبية الشعرية من شعراء يوم أن كانت مدرسة ، آخذ عليه أنه ألقى الكلام جزافا حين أنحى باللائمة على دار العلوم وخريجيها بعد أن أصبحت كلية يكفي المتخرج منها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : « أنا من حملة الليسانس » !

ولا أكتب تعقيبي هذا لأني طالب في دار العلوم فحسب ،

أدافع عنها ؛ ولكن لأن الواقع والحقيقة يقرران عكس ماذهبتم إليه ، إذ ليس السبب فى أن دار العلوم خرجت من شعراء أفذاذ لأنها كانت مدرسة ، وتخلفت عن الركب – كما تدعى – لأنها أصبحت كلية جامعية ، فدار العلوم كانت وما تزال إلى اليوم تحمل لواء نهضة أدبية مستقلة متميزة فى طابعها العام عن سواها

ولا أحسب الأستاذ – وهو شاعر مجدد – يتناسى أن للشاعر وطنا خاصا يعيش فيه ، ومصادر إلهام يستقى منها ، بعيدة كل البعد عن المعهد أو المدرسة التى تلقى فيها العلم . ولا أحسبه إلا مؤمنا بأن السبب فى شاعرية الشاعر ليس وقفا على أنه من دار العلوم أو من الآداب أو الأزهر ، فذلك – على ما أعتقد – ما لا أثر فيه لشعر شاعر . وإلا فما هى الدراسات الأدبية التى تدرس فى كلية الهندسة التى ينتسب إليها المرحوم الشاعر على محمود طه ؟ وهل تخرج شوقى أمير شعراء عصره من الأزهر أو دار العلوم أو الآداب ؟

ولو أن الصحافة الأدبية أفسحت صدرها لكثير من طلبة دار العلوم وخريجيها فى عهدها الحديث ، لشهد الأستاذ أن فى كلية دار العلوم نهضة أدبية لا تنكر ، وشعراء مجددين يسيرون فى الموكب جنبا إلى جنب مع طليعة شعراء مصر المعاصرين . هذا ولا يمنعنى ذلك من إزجاء الشكر خالصا على بحثكم القيم

محمود محمد سالم

استدراك

سقطت جملة من المقال المنشور فى العدد السابق من الرسالة بعنوان « شخصية » جعلت الجملة مضطربة والمعنى غير واضح. وسأتدارك هذا البتر الذى أظن أنه كان مقصودا فى كتابى المعد للطبع

كذلك وردت كلمة « يضطلع فى السطر الأخير من المقال وصحتها « يطلع » فتكون الجملة هكذا « ومن سخرية القدر أن يصبح حصل أفندى نائبا من الأمة يطلع فى أحد المجالس ...

حبيب الزحلاوى

دعونا من هذه المهزلة

إنى أعتبر مجرد الحديث عن المرأة وحقوقها السياسية مهزلة يجب أن يوضع لها حد ، كما أعتبر محاولة شغل الرأى العام بهذه المهزلة جريمة لا تغتفر فى حق وطننا المنكوب . . فهل انتهت مصر بعد من تحقيق أعز أمانيها : الجلاء الخالص والوحدة الصادقة ، حتى نشغل أنفسنا بحقوق المرأة السياسية ، وتفسح صحافتنا السيارة – باستثناء الرسالة المحترمة – صدرها لمبارزة الفريقين المؤيد والناهض ، فتشغل بذلك معركة صاخبة بتلاشى فى صخبها أعز الأمانى وأطيب الآمال ؟

إن المستعمر الغاصب بخير ما دام الرأى العام فى مصر مصروفا عما يزلزل أقدامه ويقلق كيانه ، ومشغولا بالجدل الممل المتعب فى سفساف الأمور ، وصغار القضايا ، وتوافه المسائل . .

إننا نريد أولا تحقيق الجلاء التام الناجز عن وادى النيل حتى تطهر أرضه من رجس الاحتلال البغيض ، وتحقيق الوحدة الشعبية حتى تعتمد على دعائم من الحق والقوة ، والحرية والأخوة ، وبعد تحقيق هاتين الأمنيتين تحقيقا صادقا لا زيف فيه ولا التواء ، يجوز لنا أن نبحث ونجادل فى مسألة حقوق المرأة السياسية وغيرها مادام فى ذلك خير يعود على الوطن العزيز

إن من الحزم والإخلاص لوطننا أن نترك هذه الأمور اليوم ، حتى ننتهى مما هو أهم وأحق ، ويجب أن نفهم أن الرأى العام العربى يسخر اليوم منا ، لأننا نسخر هممنا فى توافه الأمور التى يمكن أن نستغنى عنها قليلا ، تاركين المهام التى تصون عزتنا ، وتحوط كرامتنا بالمهابة والإجلال ، وتسبغ على وجودنا وكياننا جوا من العظمة والتقدير !

فمتى يفهم هذا جيدا أشياع الفريقين المتناضلين ؟ متى يتقون الله فى دينهم ووطنهم ؟

نفيسة عبد اللطيف الشيخ



ثروة لم تخطر على بال

للقصصي الإيطالي بوكاتشو

لقد أجمعت الآراء على أن البلاد الواقعة على شاطئ البحر من ريجيو إلى جايتى هى أجمل البلاد موقعا فى إيطاليا . وهناك على مقربة من سالرن عراء تطلق عليه الأهالى اسم شاطئ ملفى، به مدن صغيرة وحدائق ، وكانت مدينة رافللو فى ذلك العهد أبرزها رشاقة وازدهاراً ، وكان بها رجل يسمى لاندولف من كبار الأغنياء ولكن نهم المال لا يشبع ولا يقنع ، إذ أراد هذا الرجل أن ينمى ثروته فقضى طمعه على جميع ما ملكت يداه

وبعد ما فكر فى الأمر طويلا كعادة التجار اشترى سفينة عظيمة وشحنها بمختلف البضائع وسافر إلى قبرص . وحينما وصل إليها وجد كثيراً من السفن مشحونة بنفس البضائع التى جلبها فاضطر أن يبيع شحنته بأبخس الأثمان ؛ فتملكه هم شديد لهذه الخسارة الفادحة التى ذهبت بغنائه ، وصمم على الانتحار أو الاستعاضة عما فقده بواسطة شخص آخر، فلا يرجع إلى بلده على تلك الحال بعد أن خرج منها غنيا محترماً . وباع سفينته واشترى بثمنها والمبلغ الضئيل الذى باع به بضائعه مركباً خفيفاً يصلح لأعمال القرصنة وسلحه جيداً واختار له بعض الرجال الأشداء وطفق يجوب البحار ويسطو على كل من يصيبه ولاسيما الأتراك حتى زادت ثروته وفاقت ما كان يملكه وقت ازدهار أمواله

رأى أن غناه أصبح كافيا وأنه فى حاجة إلى عيش شريف محبوب لا يحتاج إلى تعرض جديد للبؤس وتقلبات الأيام . وعزم على الرجوع إلى بلده والاكتفاء بما غنمه لأن ما حاق به من صروف الدهر جعله يخشى العودة إلى أعماله السابقة . فسافر إلى رافللو بهذا المركب الخفيف، ولما ابتعد عن الشاطئ هبت رياح عنيفة فهاجت الأمواج ورأى لاندولف أن سفينته الصغيرة لا تستطيع مقاومة اللجج الهائجة فعزم على الالتجاء إلى جزيرة صغيرة ، وبعد لحظة أقبلت سفينتان جنويتان احتميا فى هذا الموضع من الجزيرة وكانتا آتيتين من الآستانة . وقد علم الركاب أن هذه السفينة الصغيرة يملكها لاندولف وكانوا يسمعون أنه من الأغنياء المولعين بالذهب والسطو على مال الغير ، فاتفقوا على مهاجمته وسدوا عليه المسالك أولا ثم أنزلوا عددا من رجالهم إلى البر وبأيديهم قسيهم وسهامهم وتخيروا لهم مكانا يمكنهم من إصابة كل من يخرج من السفينة . ثم هب الباقى إلى القوارب وذهبوا إلى سفينة لاندولف وأسروها بدون مقاومة ثم نهبوا جميع ما فيها وأغرقوها واعتقلوا لاندولف فى قاع مركب من مراكبهم ولم يتركوا عليه غير بعض ثياب خلقة . وفى الصباح تحسن الجو فسافر الجنويون إلى بوتان وسارت مراكبهم بكل اطمئنان طول النهار . وحينما أقبل الليل هاجت رياح عنيفة ، واضطرب اليم فانفصل المركبان بعضهما عن بعض وارتطم أحدهما الذى يقل لاندولف فى صخور جزيرة سيفالونى فتحطم كالزجاجة وافترس اليم مختلف البضائع والصناديق وحطام السفن ، وطفق الملاحون يسبحون ويجالدون اللجج الهائجة فى الظلام الحالك ويتمسكون بكل ما يصادفهم لينجوا بأنفسهم

وأما لاندولف التعس الذى كان بالأمس يتمنى الموت لفقد ثروته فقد تملكه الخوف حينما رأى نفسه مشرفاً على الهلاك ، ولحسن حظه صادف لوحاً من الخشب فتمسك به إلى أن ييسر الله له من ينتشله من الخطر

ظلت الأمواج تتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار إلى أن طلع النهار فنظر إلى ما حوله فرأى صندوقاً صغيرا عائماً فحاول الوصول إليه ولكن هبت زوبعة ضاعفت عنف الأمواج وقذفت الصندوق حتى اصطدم باللوح الذى بين يدى الغريق فأفلت من يده وغاص لاندولف من قوة الصدمة ، ثم طفا وشاهد اللوح بعيداً عنه ولكنه لمح الصندوق على مقربة منه فسبح حتى أمسك به وامتد

على غطائه ، وطفق يستعمل ذراعيه بدلا من المجاذيف ، وأخذت تطوح به اللجج فى كل صوب دون طعام ، وقضى نهاره وليله على تلك الحال المضنية دون أن يعرف إن كان قريبا أو بعيدا عن البر لأنه ما كان يرى غير الماء والسماء ...

وفى الغد طوحت به الرياح أو على الأصح إرادة الله السامية إلى جزيرة جولف ، وأصبح جسمه كالإسفنج وهو منكمش على الصندوق كما يفعل الغرقى عند إشرافهم على الهلاك

وكانت فى تلك الساعة امرأة فقيرة تغسل آنيتها على الشاطئ فذعرت لرؤيته على تلك الحال وصرخت صراخاً عنيفاً . وكان لاندولف منهوك القوى حتى أنه لم يستطع النطق بكلمة . ولما اقترب الصندوق من الشاطىء وتأملت فيه المرأة ميزت شكل الصندوق ولمحت وجه الغريق فتأثرت بعاطفة الشفقة والحنان ونزلت بقرب الشاطىء وكان البحر هادئا وأمسكت لاندولف من شعر رأسه وجرته هو والصندوق إلى الشاطئ ونزعت يديه المتشنجتين من الصندوق بقوة ثم وضعت الصندوق على رأس فتاة كانت معها ثم حملت لاندولف على ظهرها كالطفل وذهبت به إلى المدينة ثم أدخلته فى حمام حار وغسلته ودلكته بالماء الساخن إلى أن أفاق وتحرك ، وبعد إخراجه من الحمام سقته نبيذاً وأطعمته قليلا من المربى حتى انتعش وعاد إليه رشده . رأت هذه السيدة أن ترد إليه صندوقه وأن تشجعه على ما أصابه من المحن

لم يفكر لاندولف قط فى الصندوق إلا أنه ظن أن يجد فيه شيئا يستعين به على القوت بضعة أيام . ولما أراد أن يفتحه وجده خفيفا جدا فتملكه اليأس والقنوط ، ثم فتحه بفارغ الصبر تطلعا لما يحتويه ، وكانت السيدة قد غادرت بيتها لقضاء حاجاتها ، فوجد فيه كمية من الأحجار الكريمة بعضها مصقول والآخر كما هو . ولسابق معرفته بالجواهر تحقق أنها ذات قيمة كبيرة ، فحمد ربه على هذه النعمة العظيمة ومجده ، لأنه قد حرسه بعين عنايته وعوضه أضعاف ما فقد . وتشجع ونشط ونسي همومه ، وعزم على أن يتصرف بكل رزانة وحكمة ليصل إلى بيته آمنا مطمئنا ولا يكون عرضة لمصاب جديد أو محنة غير منتظرة . ثم صر جواهره فى قطعة من النسيج وعرض على السيدة أن تأخذ الصندوق مقابل كيس ، فلبت طلبه ثم شكر لها حسن صنيعها ووضع كيسه على كتفه وسافر فى مركب . ولما وصل إلى برنديزى انتقل إلى ترانى وصادف هناك عدة رجال من بلده وكانوا من تجار القز والديباج فقص عليهم ما أصابه ، ولكنه لم يبح لهم بالصندوق وما حواه فأعطوه حلة وأعاروه جواداً وبحثوا له عن رفقاء يصحبونه فى سفره إلى رافللو

ولما آب إلى بلده عاين جواهره فوجد فيها كثيرا من الماس الجيد بحيث أنها إذا بيعت بثمن معقول كانت قيمتها تساوى ضعف ثروته حينما فارق بلده . ثم أرسل مبلغا من المال إلى السيدة التى انتشلته من اليم فى مدينة جولف وكافأ تجار الحرير الذين ساعدوه فى ترانى وعاش بقية عمره عيشة هنيئة شريفة

م ح

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

رمضان	للأستاذ علي الطنطاوي	٥٧٣
كيف وجدت العالم العربي	« أبي الحسن علي الحسني الندوي	٥٧٥
وجهات النظر في مؤتمر موسكو	للدكتور محمد حليق	٥٧٨
حسن البنا الرجل القرآني	للأستاذ أنور الجندي	٥٨١
تاريخ الأدب التركي	« عطا الله ترزي باشي	٥٨٣
جونه	« يوسف عبد المسيح ثروت	٥٨٧
أبو العتاهية	« محمد الكفراوي	٥٩٠
أثر المدرسة المصرية في الثقافة	« ثروت أباظة	٥٩٢
الأدب بين الأصفهاني والثعالبي	« حامد حفني داود	٥٩٤
١٥ مايو ... (قصيدة)	« كامل الدجاني	٥٩٦

(الأدب والفن في أسبوع) — سعودي بالولاء — مجلة الأزهر أيها الأدباء امرقوا الدولة — استقبال عضو جديد بمجمع فؤاد الأول ٥٩٧

(البريد الأدبي) — حول خطوط — تصحيح في مقال فلسفة الموسيقى الشرقية — طريق شائك لا تفرشوه بالورود ٥٩٩

(القصص) — الحب فوق الجبل — عن الإنجليزية ٦٠٠

١٢-٥-١٩٥٢ / العدد ٩٨٨ / السنة ٢٠

الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، تدعو رجال الفكر فى العالم العربى إلى

مسابقة عامة فى التأليف

تعيد الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الإعلان عن مسابقتها الجديدة فى التأليف ، التى يستطيع أن يشترك فيها رجال الفكر والثقافة فى العالم العربى وموضوعها :

المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق ، وذلك بالشروط الآتية

١) أن يقع البحث فى نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وأن يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى

٢) أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة — الدقى) فى موعد غايته آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢

٣) أن تكون نسخ البحث المرسلة منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح

٤) يعطى صاحب البحث الفائز فى المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه مصرى ، على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه ، فى مقابل تعهده بتسليمها ٢٠ ٪ من نسخ كل طبعة

٥) يجوز لصاحب البحث المقدم أن يتخذ لنفسه إمضاء مستعارا إذا رغب فى ذلك ، على أن يبعث باسمه الحقيقى فى ظرف مغلق

٦) تظهر نتيجة المسابقة فى موعد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٥٣

وزارة المعارف العمومية — إعلان

ستقوم الوزارة بتنظيم دراسات مسائية لمدة تسعة أسابيع فى القاهرة والاسكندرية، تبتدئ فى ٢٨ يونية سنة ١٩٥٢ للفئات الآتية :

١) حملة الشهادتين الثانوية والابتدائية من الأزهر

٢) الراسبين فى امتحان كفاءة التعليم الأولى بشرط ألا يكون رسوبهم فى اللغة العربية

٣) خريجات الفنون الطرزية

٤) حملة شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص

ومواد الدراسة : التربية النظرية والطرق الخاصة مع مادة اللغة العربية للفئات الثلاث الأولى ، ومع المواد الاجتماعية أو العلمية للفئة الرابعة. والذين ينجحون فى الامتحان الذى سيعقد فى نهاية مدة الدراسة ، يعينون على قدر حاجة الوزارة ، مدرسين بمدارس المرحلة الأولى فى أى مكان تحدده الوزارة

فعلى من يرغب فى الالتحاق بهذه الدراسات من الفئات الأربع المذكورة أن يقدم طلبا على استمارة ١٦٧ ع ح ومعه ما يثبت حصوله على أحد المؤهلات المذكورة ، إما إلى حضرة ناظر مدرسة شبرا الثانوية وإما إلى حضرة ناظر مدرسة رأس التين الثانوية. ويرفق بالطلب تعهد بالاشتغال بالتدريس لمدة ثلاث سنوات على الأقل بضمان اثنين من موظفى الحكومة على أن تصل الطلبات فى ميعاد غايته ٥ يونيه ١٩٥٢

١٦٥٠

20me. année No 986 — Le Caire 26-5-1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢٦ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

رمضـــــان

للاستاذ على الطنطاوى

لما قعدت أكتب هذا الفصل، تقابلت فى نفسى صورتان لرمضان:

رمضان المزعج الثقيل، الذى قدم بحمل الجوع فى هذه الأيام الطوال، والعطش فى هذا الحر المتوقد، يمشى فى ركابه المسحر بنشيده الممل، وصوته الأجش، وطبلته التى يقرع بها رؤوس النائمين، من نصف الليل، من قبل السحور بساعتين، فترج أعصابهم رجا، وتنفى النوم عن عيونهم، والراحة عن أجسادهم..

ورمضان الحلو الجميل، الذى يقوم فيه الناس فى هدآت الأسحار، وسكنات الليالى، حين برق الأفق، وتزهر النجوم، ويصفو الكون، ويتجلى الله على الوجود يقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من سائل فأعطيه؟ ألا من تائب فأتوب عليه؟ يسمعون صوت المؤذن يمشى فى جنبات الفضاء، مشى الشفاء فى الأجسام، والطرب فى القلوب، ينادى: يا أرحم الراحمين. فيسرى الإيمان فى كل جنان، ويجرى التسبيح على كل لسان، وتنزل الرحمة فى كل مكان

رمضان الذى ينيب فيه الناس إلى الله ويؤمون بيوته، فى كل بلد من بلاد الإسلام مساجد، حفل بالعباد والعلماء، ليس يخلو مجلس فيها من مصل أو ذاكر، ولا أسطوانة من تال أو قارئ، ولا عقد من مدرس أو واعظ، قد ألقوا عن قلوبهم أحمال الإثم والمعصية، والغل والحسد، والشهوات والمطامع، ودخلوا بقلوب صفت للعبادة، وسمت للخير، قطعوا أسبابهم من عالم الأرض ليتصلوا بعالم السماء. تفرقوا فى البلدان، واجتمعوا فى الإيمان، وفى الحب، وفى هذه القبلة يتوجهون كلهم إليها، لا عبادة لها، ولا التجاء إليها، فما يعبد المؤمن إلا الله. وما الحجر الأسود إلا حجر لا يضر ولا ينفع، ولكن رمزا إلى أن المسلمين مهما تناءت بهم الديار، وتباعدت الأقطار دائرة واحدة، محيطها الأرض كلها، ومركزها الكعبة البيت الحرام، رمضان الذى تجتلى فيه أجمل صفحات الوجود

إن الحياة سفر فى الزمان، وركب الحضارة الغربية يقطع أجمل مراحل الطريق: مرحلة السحر، وهم نيام، ولولا رمضان ما رأينا جمال السحر

رمضان الذى تتحقق فيه الاشتراكية، وتكون المساواة، فلا يجوع واحد ويتخم الآخر، بل يشترك الناس كلهم فى الجوع وفى الشبع، يفطرون جميعا فى لحظة واحدة، ويمسكون جميعا فى لحظة واحدة، كأن المسلمين كلهم طلاب مدرسة داخلية، يجتمعون على مائدة واحدة. تراهم فى المساء مسرعين إلى بيوتهم، أو قائمين على مشارف دورهم، أو على أبواب منازلهم، فإذا سمعوا طلقة المدفع، أو رأوا ضياء المنارة، أو رن فى آذانهم

صوت المؤذن ، صاح الأولاد بنغمة واحدة موزونة : أذن .. أذن .. وانطلقوا إلى دورهم طائرين كعصافير الروض

فإذا فرغ الناس من طعامهم ، أموا المساجد ، فقاموا بين يدى الله صفا واحدا ، لا غنى ولا فقير ، ولا صغير ولا كبير ، متراصة أقدامهم ، ملتحمة أكتافهم ، وجباههم جميعا على الأرض ، فأين فى الوجود مساواة مثل هذه المساواة ؟

رمضان الذى يجمع للصائم صحة الجسم . وصحة الروح ، وعظمة النفس ، ورضا الله

إن الصيام من سنن الرياضيين ، وسلوا كتب الرياضة ، وسلوا شيخها اليوم مكفارن ، ولست طبيبا ولكنى جربت بنفسى ، ورب مجرب أوعى من طبيب

فأنا أحد من أضنتهم الرثية [1] والحصوات فى الكلى ، وثقوا أننى راجعت فى علاجها ستة وثلاثين طبيبا ، إى والله ، وأحسبنى جربت كل علاج ، فلم أجد لها مثل الصيام إلا عن الماء والحليب وعصير البرتقال

وهذه سنة من سنن الله فى الكون : من أكل أقل أصابه السل ، ومن أكثر ركبته الأملاح والرثيات والنقرس ، ولولا ذلك لأكل الأغنياء أكل الفقراء . تقول لهم (الطبيعة) التى طبعهم الله عليها : قفوا ! فالمرض بالمرصاد ، لمن نقص فى الأكل أو زاد

هذه صورة رمضان الحلوة ، أفلا تستحلى معها مرارة الصورة الأخرى ؟

رمضان الذى تشيع فيه خلال الخير ، ويعم الحب والوئام ، فإذا أردتم أن تصوموا حقا فصوموا عن الأحقاد ، واذكروا ما فى أعدائكم من خلال الخير، فأحبوهم لأجلها ، واغفروا لهم ، وادفعوا بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينكم وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وليس يخلو أحد من خلة خير ، وليس فى الدنيا شر مطلق ، حتى الموت ! فإنها قد عمر بناساعات تحيى فيها الموت ، حتى إبليس فإن له مزية الثبات والذكاء . وما أمدح إبليس ؟ لعنة الله على إبليس ، ولكن أضرب للناس الأمثال !

وإذا جمتم هذا الجوع الاختيارى ، فاذكروا من يتجرع غصص الجوع الإجبارى ، واشكروا ربكم على نعمه . وليس الشكر أن ترددوا ألف مرة باللسان : الحمد لله ! الحمد لله ! ولكن شكر الغنى البذل للفقراء، وشكر القوى إسعاد الضعفاء، وشكر السلطان إغاثة اللهفان

وأعطوا من نفوسكم كما تعطون من أموالكم ، فرب بسمة مع العطاء ، تنعش السائل أكثر من العطاء ، وكلمة خير لجار تحيى الجار ، وبش فى وجه ذى الحاجة والاعتذار عنها خير من قضائها مع الترفع عليه عند السؤال ، والمن عليه بعد النوال

واذكروا أن الله خلق الإنسان مركبا من ملك وشيطان وحيوان ، فإذا هدأ الحيوان فى رمضان بترك الطعام ، وخنس الشيطان بردع الشهوة ، بق الملك ، فتخلقوا بأخلاق الملائكة ، فلقد كان المسلمون الأولون ملائكة الخير فى الأرض ، وكانوا يعيشون عيش الملائكة ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، قد فرغوا من شهوات البطن ، فأجزأتهم تمرات فى اليوم ، وفرغوا من هم ما تحته ، فلا تستهويهم شهوة ، ولا يستعبدهم جمال ، وعاشوا لهدف واحد ، هو الواجب ، فكان كل مسلم قطعة من هذه الآلة الضخمة الهائلة ، التى أدارها الشرع ، فأدارت الفلك

كانوا يقومون لله ، ويقعدون لله ، ويأخذون لله ، ويدعون لله . دعوا إلى البذل فأعطوا ؛ جهز عثمان جيش العسرة من ماله ، وأعطى عمر نصف ماله ، وأعطى أبو بكر ماله كله ، فقالوا ماذا تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله

ودعوا إلى الجهاد ، فجادوا بنفوسهم فى سبيل الله ، وأتوا العجائب ، وتحموا الأهوال ، حتى فتحوا ثلث العالم فى ثلث قرن ، ودعوا إلى العلم فكانوا أساتذة العالم كانوا جنا فى النهار ، ورهبانا فى الليل ، وكانوا أكبر من الدنيا ، لا لأنهم ملكوا الدنيا ، فالدنيا لا يملكها كلها أحد ، بل لأنهم زهدوا فى كنوزها ، فصارت كنوزها هى والتراب عندهم سواء . وأنت إن كنت تملك قرشا ولا تطلب غيره ، أغنى

[1] الرثية : الروماتيزم

ممن يملك المليون ويطلب مليونين ، لأن ذلك ينقصه مليون ، فهو يحن إليه ، ويتحسر عليه ، وأنت لا ينقصك شئ

جربوا هذه المظمة فى رمضان ، لا تفكروا فى الطعام ، لا تثر كم موائد الملوك ، ولا ما احتوت المطاعم ، ولا تفكروا بالنساء ، لا يثركم حور الجنان

هذا رمضان يا أيها الإخوان ، تخذوا منه الصحة لأجسامكم ، والسمو لأرواحكم ، والحب لقلوبكم ، والعظمة لنفوسكم ، والقوة والنبل ، والبذل والفضل ، وخذوا منه ذخرا للعالم كله يكن لكم ذخرا

أعاده الله عليكم بالخير والنصر والإقبال

على الطنطاوى

كيف وجدت العالم العربي؟

تقرير مرفوع إلى جزيرة العرب

للأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

لقد كتبت وأنا متوجه إلى مصر ، وقد تحركت بنا الباخرة فى ميناء جدة يوم السبت ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ ﻫ ٢٠ يناير ١٩٥١ م ، « وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا فى سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، أبلغها تحياتك وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك ، وما فعلت برسالتك التى حملتها عنك للعالم والأمانة التى تقلدتها، ثم أعود إليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية وما شاهدت فى هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء لك وجفاء ، بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لايكذب أهله ، ومن الكذب المهلك والخيانة الرديئة المجاملة فى الأخبار والمبالغة فى التفاؤل »(١)

(١) يوميات سائح فى الشرق الأوسط

وهذا أوان إنجاز الوعد

يسرنى أن أقول لك أيتها الجزيرة العزيزة أن أسرتك العربية لا تزال تنتمى إلى الإسلام ولا تزال تعتز بعروبتها ولا تزال تنسب نفسها إليك وترد دينها ولغتها إلى منبعهما فى ربوعك ، وتبدأ تاريخ حياتها الجديدة بيوم أشرق فيه النور من غار حراء فكان الصبح الصادق للعالم ، وقد احتضنت هذه البلاد تراثك الأدبى والثقافى وتبنت لغتك وضمتها إلى صدرها وزادت فى ثروتها زيادة لا تخطر على بال منك ولا من شعراء جاهليتك ، ولا يسمك عليها إلا الشكر والاعتراف بالجميل، وقد كانت هذه البلاد وفية للغتك، وفية لقوميتك، وفية لثقافتك وفية لتاريخك

وإن أسرتك العربية لم تقطع صلتها فى يوم من الأيام عن دينك الذى عاهدتها عليه وأوصيتها به يوم ودعتها وأرسلتها لتفتح العالم وتنقذه من الجاهلية . وكم حاول الحساد أن تقطع هذه الأسرة الكريمة صلتها عن الإسلام وترجع إلى جاهليتها الأولى أو تعتنق الجاهليات الحديثة . وكم زينوا لها الانسلاخ عن عقيدتها الإسلامية والانفصال عن الجامعة الإسلامية ، وأن تدين بالقومية العربية والوطنية الضيقة ، فلم تسكن منها فى كل عصر ومصر إلا أن ثارت روحها الإسلامية وهاجت غيرتها الدينية فازدادت إيماناً بهذا الدين وأحبطت مساعى المفسدين ، ولا نعرف من بين الشعوب والأمم أسرة أكثر وفاء وأعظم أمانة وأشد تعلقاً بالماضى وغيرة على اللغة من هذه الأسرة العربية التى تسكن الشرق الأوسط الذى هو مجرى تيارات المدنية والغزوات السياسية، فقد تطور كل شئ وقد تطورت هي كذلك فى ثقافتها وأدبها وحياتها تطوراً كبيراً ولكنها لا تزال متشبثة بدينها متعصبة للغتها، فليهنك أيتها الجزيرة من أبنائك هذا الوفاء وهذه الاستقامة

إن فى العالم العربى كثيراً مما يسرك ويسر جيلك الاول لو بعث، فلا يزال الأذان تدوى به الآفاق؛ ولا يزال التوحيد والرسالة المحمدية يعلن بهما على الشرفات، والصلوات تقام والقرآن يتلى بلحن عربى شجى لو سمعته أيتها الجزيرة لطربت له واعتقدت أنه لم يقرأ إلا فى هذه البلاد ، ولو سمعت العلماء يفسرونه

ويتكلمون فى موضوع دينى لتوهمت أنه لم يفهم إلا فى هذا العصر ، والعالم يخدم وينشر ، وفى كل يوم يتدفق سيل من المطبوعات الدينية لا يقل فى الفيضان عن الزيت الذى يتدفق من شرقك إلى غرب العالم

هذا كله مما أشهد به وأهنئك عليه ، فقرى عيناً وطيبى نفساً يا أم العالم العربى ؛ فمن أحق منك بالسرور على ذلك ومن أجدر منك بالتهنئة ؟

ولكنى وعدتك وأنا أودعك على ميناء جدة أنى لا أخفى عنك شيئاً وأنى أحمل إليك فى رجوعى كل حلو ومر ، وأروى لك من رحلاتى ما يسوء ويسر ، وقديماً قلت : أنجز حر ما وعد

لست أدرى أيتها الجزيرة العزيزة كيف أعبر عن شعورى المزدوج المركب ، وكيف أصف لك ما وجدته وما افتقدته فى هذه الرحلة الطويلة ، وكيف أصور المعانى المتناقضة وكيف أجمع لك بين آلام وآمال . إنى أستعير أولا كلمة لشاعر مؤمن من بلادى قد زار العالم العربى قبلى ورجع منه حزيناً بأخص رحلته فى بيتين من شعر ، ذلك الشاعر هو الدكتور محمد إقبال الذى يقول :

« لم أسمع فى مصر ولا فى فلسطين ذلك الأذان الذى ارتجفت له الجبال بالأمس . إن السجدة التى كانت تهتز لها روح الأرض لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر »

لا يخفى عليك أيتها الجزيرة أن مصدر هذا الأذان الذى كانت الجبال ترتجف له ارتجافا وهذه السجدة التى كانت الأرض تهتز لها اهتزازاً ، إنما هو القلب الفائض بالإيمان ، المتلئ بالحب والحنان ، الجرىء على الموت ، الحريص على الشهادة ، الزاهد فى الدنيا ، المستهين بالمادة ، وقد ضعف هذا القلب من مدة طويلة وجنت عليه المادية الغربية والتعليم المادى فأفقدته كثيراً من حنانه وحرارته وخفقانه ، وتأثرت بهذا التحول الحياة فى كل ناحية من نواحيها ومظاهر من مظاهرها وعم المسجد والمدرسة والمنزل والسوق ، وشعر به كل من لم يفقد شعوره حتى قام بالأمس أمير الشعراء شوقى فى دمشق يقول

فلا الأذان أذان فى منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان

لقد عانيت هذه البلاد العزيزة على هذا التحول كثيراً وحدثتها حديث رجل لرجل ، ولكنها قالت لى : إن الجزيرة العربية هى المسئولة عن هذا التحول ، فقد كانت مصدر الحياة والقوة والإيمان والروح فى العالم كله ، وقد كانت توزع الدم الجديد إلى شرايين العالم الإسلامى وعروقه فضلا عن العالم العربى فشغلت فى العهد الأخير بتصدير البترول عن تصدير دم الحياة الإيمانية ، وا كتفت باستصدار البضائع الأجنبية عن توريد بضاعة الإيمان وغذاء الروح إلى العالم . وجادلت عنك أيتها الجزيرة العربية كثيراً ولقد أوتيت جدلا ولكنها أفحمتنى بالدلائل والأمر الواقع ، فأقنعيها بما شئت وأدلى بحجتك فإنما هى أسرتك ومن أقرب الناس إليك

وسواء كان منك التقصير أولا ، وكنت المسئولة عن هذا التحول المؤسف أم كان غيرك ، فإنى أبشرك أنى شاهدت فى العالم العربى طلائع نهضة إسلامية قوية شاملة ، وتباشير صبح صادق ، فقد بدأ الرأى العام يستيقظ ، وبدأ القلق الشديد يساور النفوس ، والتذمر من الأوضاع الفاسدة يكاد يكتسح البلاد . وقد بدت حركة رد فعل عنيفة ضد الحضارة الغربية وقيمها ، وظهرت آثار ثورة فكرية سياسية ضد سيادة الغرب والوصاية العالمية التى سلطها الغرب على العالم وفرضها على العالم العربى فرضاً ، واستمر يتحكم فى أمواله وكنوزه وخيراته ، كأنه سفيه أو مجنون أو طفل لم يبلغ سن الرشد ، فها هى الأقطار العربية قد بدأت تفهم الحقائق وبدأت تواجه الغرب المتغطرس كرجل كريم يؤمن بشرفه وإنسانيته ويشعر بشخصيته وكرامته ، وكرجل حى يعرف الغضب كما يعرف الرضا ويملك حق الثورة إذا وجدت لها موجبات

لقد بدأ العالم العربى يكفر بالغرب أحيانا بعد ما آمن به طويلا وخضع له طويلا وربط نفسه بعجلاته فأصبح يرى نفسه مستقلا ، وعضوا كريما فى أسرة العالم ، يعلم المفسد من المصلح ويميز بين الصديق والعدو ويحتفظ بحقه فى الصلح والحرب والحلف والصداقة

لقد بدأ بعض الأقطار العربية يرنو إلى التقدم الصحيح والاستقلال الصادق . قد بدأ يفهم أهمية الصناعات الوطنية

والإنتاج والاكتفاء الذاتى والاستغناء عن البلاد الأجنبية فى مرافق الحياة. وقد بدأ بعض هذه الأقطار يخطو نحو هذه الغاية وإن كانت هذه الخطوات بطيئة وقصيرة، خطوات رجل مثقل يئن من أثقال القديم. ولكنها بدأت تزحف كما يزحف الطفل بعد ما بقيت مدة طويلة تلهو بما كان الغرب يرمى إليها من ودعات، وبما يصدر إليها من بضائع وآلات. لقد بدأت الأقطار العربية تتعلم صناعة الموت بعد ما جهلتها طويلا وهجرتها طويلا، وأصبحت تعتقد أنه لا يعيش فى العالم إلا من يستطيع أن يموت

وأعظم ما يبعث الأمل فى النفوس ويبشر بالمستقبل الإسلامى هو ظهور آثار الإيمان الجديد فى العالم العربى، فانك تعلمين أيتها الجزيرة العربية حق العلم أن أمرتك الكريمة ليست فى حاجة — وكذلك العالم البشرى كله — إلى دين جديد، فإن الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الدين الخالد والرسالة الأخيرة، وأنه لا يزال على جدته وقوته مهما تقادم الزمان، وأنه يسع العالم كله والعصور كلها. ولكن أمرتك التى تدين بهذا الدين فى حاجة ملحة اليوم إلى إيمان جديد بهذا الدين الخالد، دين كل عصر وجيل، فقد ضعف هذا الإيمان، وقد تجددت فتن، ونشطت دعوات متطرفة وقويت، وكثرت النكبات، ولا يمكن أن يواجه العالم العربى هذه الفتن، وهذه الدعوات، وهذه النكبات بإيمان ضعيف بال، لا يستطيع أن يتحمل صدمة، أو يتغلب على شهوة، أو ينتصر على أنانية، أو يتحمل شدة، أو يقف فى وجه دعوة، إنما هو إيمان منهار لا يستطيع أن يعيش ويتماسك فى عصر قد جد فيه الجد

ولكنى رأيت فى الأقطار التى مررت بها فى هذه الرحلة بواكير إيمان جديد وطلائعه. لقد رأيت إيمانا فتيا وثابا، لقد رأيت فتية وصفهم ربهم قديما بقوله «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا» هؤلاء الفتية الأقوياء فى إيمانهم — وإن كانوا كباراً فى سنهم — الذين يعتزون بهذا الدين أكثر ما يعتزون بشىء، إنهم لا ينظرون إليه كتراث قديم وكأثر من الآثار العتيقة أو كشجرة قد انتهى نموها وانقطعت أثمارها، إنما ينظرون إليه كنبع فياض يستمدون منه القوة والحياة، وكشمس ساطعة يقتبسون منها النور والحرارة فى كل زمان ومكان، ولا قديم فى الشمس ولا جديد، إنما هى حاجة الإنسانية الدائمة ورسول النور والحياة فى كل عصر ومصر، وبينما كان ينظر إلى الدين كقضية شخصية لا دخل لها فى الحياة العامة، ولا رسالة لها للسياسة والاجتماع، ولا صلة لها بالحكم والتشريع، أصبح ينظر إليه كنهج للحياة ومنهج للتفكير تتوقف عليه سعادة البشرية، وتنحل به عقد المدنية الحديثة. إن الإسلام لا يعيش على هامش حياتهم إنما يحل منهم محل القلب والعقل والروح. إنهم لا ينظرون إليه كدين من الأديان الكثيرة وكنهج للحياة من مناهجها الجديدة، إنما ينظرون إليه كالدين الحق الوحيد الذى لا يبقى بعده إلا الضلال ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه. هؤلاء هم الذين قام بهم الإسلام فى عصره الأول وسيقوم بهم فى هذا العصر

وأعجب ما رأيت هو قوة هذا الإيمان وجدته فى الشباب المتعلم، فقد رأيت هذا الجيل الجديد يكاد يفوق الجيل القديم فى قوة الإيمان والحماسة الدينية، رأيته يقبل على الدين كنعمة جليلة أو طرفة ثمينة، ويذكرنا بسروره وتقديره أولئك الرواد المغامرين الذين كانوا يخرجون لاكتشاف البحار والأقطار المجهولة ويتكبدون فى سبيله من المصائب ما يشيب لهولها الولدان، فكان إذا نجح أحدهم فى مهمته ملكه الفرح واعترته نشوة الانتصار ونسى ما لقى فى طريقه من النصب والتعب واعتبر ما اكتشفه فتحاً جديداً فى حياته وأعز من كل ما يملكه من قديم وما يعلم من قديم، رأيت فى هذا الشباب من الشجاعة الأدبية ومن الثقة بالدين وتعاليمه والإعجاب بشخصياته التاريخية ومن التطلع إلى النظام الصالح ومن روح التضحية والإيثار والثورة على النظم الجائرة والأوضاع الفاسدة والتمرد على المادة وميكانيكية المجتمع الزائفة ما يندر وجوده فى الجيل القديم. لقد قرت بهم عينى وانشرحت لهم نفسى واجتمعت بهم وحادثتهم كثيراً فى عواصم الشرق الأوسط، وقلت: هذا هو الجيل المنتظر الذى سينهض بالشرق ويرد إليه قوته، وزعامته إن شاء الله

وجهات النظر في مؤتمر موسكو الاقتصادي العالمي

للدكتور عمر حليق

يعتبر المؤتمر الاقتصادى العالمى الذى أشرفت الحركة الشيوعية العالمية على عقده فى موسكو فى أوائل شهر إبريل من أنجح خطوات الدعاية « لحملة السلم » التى أخذت الشيوعية العالمية تدعو إليها فى حماس شديد فى المدة الأخيرة

فقد استعدت المحافل الشيوعية فى موسكو وفى كثير من بقاع العالم استعدادا فائقا فى الدعوة للمؤتمر على أنه مجرد خطوة عملية لتشجيع التبادل التجارى الحر بين الدول الشيوعيـة من جهة، وبين دول العالم الأخرى سواء أكانت هذه الدول «محايدة» أو من خصوم النظام الشيوعى

وقد حضر المؤتمر مئات من رجال الأعمال (من غير السياسيين) من شتى بقاع العالم بما فيها أمريكا وبريطانيا ومصر والهند والباكستان ولبنان وإيران وغيرها من الدول التى لها صبغة حيادية أو تلك التى تخاصم الشيوعية مخاصمة سافرة

وقد توصل المؤتمرون إلى عقد صفقات تجارية واسعة مع أصحاب الأعمال الروس والبولنديين والتشيكوسلوفاكيين والشيوعيين الصين وغيرهم من الشعوب التى اتخذت الشيوعية لها عقيدة ونظاما

والذى أدى إلى نجاح هذه الصفقات التجارية الواسعة ما عرضه الروس والمندوبون الشيوعيون الآخرون من مغريات . فقد أعلنوا بأنهم على استعداد لتصدير الحبوب والأدوات الصناعية والمواد الكيماوية والأخشاب وغيرها من السلع والمنتجات إلى أوربا الغربية وأمريكا وآسيا مقابل الحصول على الأنسجة والمغزولات والمطاط والأدوات الكهربائية والسفن وقائمة طويلة عريضة من المواد التى لا تمت بصلة مباشرة إلى الاستعداد العسكرى الذى يجتاح العالم هذه الأيام

ولم يكتف المندوبون الشيوعيون فى عروضهم الجارية على أساس المبادلة (مبادلة الاستيراد بالتصدير) مع الدول الغربية والأسيوية، وإنما أعلنوا استعدادهم كذلك لقبول أثمان ماتستورده البلدان الخارجية من محاصيل ومنتجات البلدان الشيوعية بالعملة المحلية للبلد المستورد

وهذا يعنى بأن الروس وحلفاءهم راضون بالتعامل بالجنيه الاسترلينى والروبية الهندية والباكستانية والعملة المصرية وغيرها من العملة المتبادلة خارج منطقة الدولار الأمريكى والفرنك السويسرى والمارك السويدى وغير ذلك من أنواع العملة الصعبة

ولهذا الأسلوب إغراؤه الشديد خصوصا لدى بريطانيا ودول أوربا الغربية وشعوب آسيا وأمريكا اللاتينية التى تعانى أزمة فى توفير العملة الصعبة لاستيراد ماهى فى حاجة إليه من محاصيل وسلع ومنتجات صناعية لا تستطيع الحصول عليها إلا بالدولار — والدولار عزيز هذه الأيام فى كثير من بقاع العالم خارج أمريكا الشمالية

وثمة أمر آخر له أهميته الاقتصادية . فقد أدى اشتراك الصين الشيوعية فى مؤتمر موسكو الذى نحن بصدده إلى سيل

إن نهضة العالم الإسلامى ونهضة العالم العربى أمر واقع لا يقبل شكا ولا جدلا ، ولكن الذى أخشى أن تسبقك هذه الأقطار وأن يتأخر دورك كثيراً وحقك أن تسبقها وتتزعم هذه النهضة المباركة فأنت مادة الاسلام والبلد الأمين

أما بعد فإنى لست يائساً من العالم العربى ولا منك أيتها الجزيرة العربية ، وأقول فى لفظ شاعر الإسلام « إن إقبال ليس يائساً من زرعه الكريم الذى عاث فيه الوحوش والسباع فإن تربته الكريمة تأتى بحاصل كبير إذا نديت قليلا » ولك أيتها الجزيرة أن تسق هذه التربة الكريمة بزمزم ، وبما شئت من دمع ودم

ابو الحسن على الحسنى الندوى

لحساب الدول التجارية الكبرى كبريطانيا مثلا . فبريطانيا تعانى الآن ضائقة مالية امينة مبعثها اختلال الميزان التجارى وقصور الصادرات البريطانية عن اللحاق بالواردات، وهذا وضع أرغم بريطانيا على أن تنفق على استيراد الطعام والمواد الأولية من الخارج بنسبة تفوق بكثير مايدخل إلى الاقتصاد البريطانى من أثمان الصادرات البريطانية إلى الأسواق العالمية . والبريطانيون يدركون أن الصين الشيوعية سوق تجارى مغرى يعيش فيه أكثر من ٤٠٠ مليون نسمة . فإذا توفر لبريطانيا بيع منتجاتها وبضائعها فى السوق الصينى فإنها لا ريب مفرجة عن كثير من أوجه ضائقتها الاقتصادية الحادة

وقد عرض المندوبون الروس على المندوبين البريطانيين فى مؤتمر موسكو الذى نحن بصدده أن تشترى روسيا من المنسوجات البريطانية ما يبلغ ثمنه ٣٠ مليونا من الجنيهات . فإذا تمت هذه الصفقة فإنها ستعيد الحياة إلى مصانع الغزل والنسيج البريطانية فى منطقة (لانكشير) المشهورة بجودة إنتاجها والتى أخذت فى المدة الأخيرة تعانى أزمة بطالة حادة سببها قلة التصدير إلى الخارج بعد أن استعادت المنسوجات اليابانية مركزها فى أسواق الشرق الأقصى والهند؛ وبعد أن عادت الحياة الصناعية فى ألمانيا إلى البروز بشكل سريع خلق للانتاج البريطانى منافسة شديدة فى كثير من أسواق العالم

ولما كانت شؤون ألمانيا واليابان الاقتصادية لا زالت الآن إلى حد بعيد فى يد السلطات الأمريكية والحليفة ، فإن هذه السلطات لم توفر بعد فرصة لليابانيين والألمان بالتعامل التجارى مع الصين الشيوعية ، الأمر الذى يوفر لبريطانيا فرصة ذهبية لاكتساح السوق الصينى من جديد على نحو ما كانت تكتسحه قبل قيام النظام الشيوعى هناك

وهذه الحقيقة الاقتصادية تنطبق على بريطانيا انطباقها على معظم بلدان أوربا الغربية . ولذلك وجدت عروض الشيوعيين فى مؤتمر موسكو لدى الأوساط التجارية فى أوربا الغربية قبولا حسنا

وقد سبق لخبراء الأمم المتحدة الاقتصاديين أن أوصوا فى العامين الأخيرين بضرورة إعادة التبادل التجارى بين دول أوربا الشرقية وبين شعوب أوربا الغربية بعد أن كان هذا التبادل قد توقف أو كاد نتيجة لنجاح مشروع مارشال ومساعدات أمريكا المالية والعسكرية لدول الحلف الأطلنطى . ففى التقريرين الأخيرين اللذين وضعهما لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوربا إصرار على ضرورة إعادة هذا التبادل على نطاق واسع إذا أريد لدول أوربا أن تكافح البطالة وسوء الأوضاع الاقتصادية المتفشية الآن فى معظم القطاعات الأوربية

وقد جاء فى هذين التقريرين بعض الحقائق عن ضائقة أوربا الاقتصادية . فقد ارتفعت البطالة فى إيطاليا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وبعض الدول الإسكندنافية ارتفاعا بلغ فى بعض هذه البلدان أعلى نسبة وصلت إليها البطالة منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها

ففى ألمانيا يبلغ عدد العمال العاطلين أكثر من عشرة ملايين، فانتعاش الصناعة الألمانية لم يصاحبه توسع فى الأسواق الخارجية، وقد زاد الطين بلة ازدياد اللاجئين الألمان من المنطقة الشرقية (التى يسيطر عليها الروس) إلى المنطقة الغربية التى تشرف عليها سلطات الاحتلال الغربية

وفى إيطاليا أصبحت البطالة مزمنة بسبب ازدياد عدد السكان وتوقف هجرة الطليان إلى العالم الجديد ورغبة الشعب فى تحقيق مستوى من المعيشة عال لم تستطع الحكومات الإيطالية المتعاقبة أن تنميه بسبب فشل السياسة المالية وانتشار الأفكار الاشتراكية وعدم توفر المواد الخام لمصانع الإيطالية

وقد ارتفعت أثمان هذه المواد الخام إلى درجة عالية بسبب منافسة الأمريكان والروس على شرائها من مصادرها الأصلية

وقدعرض المندوبون الشيوعيون فى مؤتمر موسكو على المندوبين الطليان طلبات تجارية لبناء السفن فى الأحواض الإيطالية بمبالغ ضخمة بحيث تعود الحياة إلى هذه الأحواض التى أصبحت تعانى أزمة بطالة حادة

وفى بلجيكا وهولنده ودول اسكندنافيا توقفت بعض المصانع عن الإنتاج لعدم توفر الأسواق ، فجاءت عروض الدول

الشيوعية على مندوبى هؤلاء الدول مغرية

وجدير بالذكر أن النشاط الاقتصادى فى دول أوربا الغربية وبريطانيا محصور الآن فى الصناعة الثقيلة التى لها علاقة بالمجهود الحربى . أما صناعة النسيج والأحذية والمنتجات الكيماوية وغيرها من الصناعة الخفيفة السليمة فقد تعطل البعض الأكبر منه عن العمل . وحين يتوفر لها مثل هذه العروض التى قدمها الشيوعيون فى مؤتمر موسكو الاقتصادى فإن من الصعب مقاومة الإغراء فى إعادة التبادل التجارى بين شرق أوربا وغربها

وهذا بالضبط ما دفع أوساط السياسة المالية للاهتمام بهذه الخطوة الروسية فى مؤتمر موسكو التى تركز الجهد فى الناحية الاقتصادية البحتة من حرب الأعصاب

وكان طبيعيا أن تدرك الأوساط الأمريكية وجه الخطورة الروسية الجديدة وما لها من أثر على مصالح أمريكا السياسية والعسكرية والاقتصادية وصميم علاقاتها مع دول الحلف الأطلنطى وبقية أقطار العالم

ويعلل الأمريكان هذه الخطورة الروسية الجديدة بأنها جزء من حملة « السلم » التى أخذ الشيوعيون يعملون لها بنشاط فائق على أساس ما يقول الأمريكان بأنه مبدأ جديد فى السياسة الروسية . وفلسفة هذا المبدأ تقول « اربح عن طريق السلم ما نحتاج إليه فى صراعنا المسلح »

ويقول الأمريكان إن حركة السلم الروسية هذه تتناقض وبعض الحقائق السافرة التى تعيش عليها سياسة موسكو الخارجية والداخلية

ومن هذه الحقائق كون الميزانية الروسية الحكومية معقدة بشكل لا يستطيع معه الناس أن يقدروا تقديرا سليما مبلغ حصص الاستعداد العسكرى الروسى من ميزانية الدولة العامة

ومنها كذلك تركيز الإنتاج الصناعى الروسى فى تنمية الصناعات الثقيلة التى تعزز الاستعداد الحربى وتخفيض إنتاج السلع التى تصلح للاستهلاك السلمى

ومن هذه الحقائق أيضا هذا العدد الهائل من القوات العسكرية الروسية التى توجد الآن تحت السلاح أو فى عداد القوات الاحتياطية

ويستشهد الأمريكان فى معرض انتقادهم لحملة السلم الروسية بما يلمسه المراقبون فى منطقة النفوذ السوفيتى من ازدياد السيطرة الروسية على مقدرات دول أوربا الشرقية والصين الشيوعية

وحين يحلل الساسة الأمريكان حملة السلم الروسية على هذا النحو فإنهم بالطبع واثقون من أن مؤتمر موسكو الاقتصادى لترويج التبادل التجارى بين الغرب والدول الشيوعية هو جزء من هذا التشويش السياسى الذى تهدف إليه روسيا فى حملتها السلمية

ورأى خبراء الشؤون الروسية فى وشنطن أن مؤتمر موسكو يهدف إلى ثلاثة أمور رئيسية

أولها — تشجيع الدول الأوربية الأسيوية ودول أمريكا اللاتينية التى تعانى أزمة اقتصادية بأن تقدم على المتاجرة مع الشعوب الشيوعية على أساس يضمن لهذه الدول التغلب على ضائقاتها الاقتصادية ومن ثم انجذابها أكثر فأكثر نحو موسكو فى السلوك التجارى والسياسى

فإذا استدرجت روسيا وحلفاؤها فى بادئ الأمر هذه الدول الأوربية الأسيوية واللاتينية إلى المتاجرة الحرة فإن هذا الاستدراج كفيل بأن يربط عجلة الاقتصاد فى هذه الدول التى ليست شيوعية إلى عجلة الاقتصاد السوفيتى بحيث تستطيع روسيا وحلفاؤها الشيوعيون معه الحصول على بعض المواد الحربية مع مضى الزمن

ثانيها — تستطيع روسيا بخطوتها الأخيرة فى مؤتمر موسكو أن تصرف ما تختزنه من بضائع ومنتجات لا يسرى عليها الحظر الذى فرضه الأمريكان على حلفائهم فى المعاملات التجارية مع منطقة النفوذ السوفيتى

فالمعروف مثلا أن محاصيل القمح والحبوب فى روسيا تفوق حاجة الشعب الروسى . والروس منهمكة فى تصريف هذه المحاصيل مقابل الحصول على سلع يستهلكها الشعب الروسى؛ وبذلك تتجه المصانع والأيدى الروسية العاملة التى تنتج الآن هذه السلع السلمية إلى إنتاج الصناعات الثقيلة النافعة المجهود الحربى

ثالثها — حين تزداد التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفيتى والعالم الخارجى تزول بالتدريج من أفكار الناس المخاوف التى تحيط بنشاط الروس وعملائهم فى سائر أقطار العالم . وهذا

٥ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

« ... فى هذا الفصل ، والفصل الذى يليه ، والذى تنشره الرسالة فى العدد القادم، يتحدث «روبير جاكسون» عن الشهيد « حسن البنا » ، حديث ما سمعه وماعرفه منه، وقد أطلق عليه عنوان « مولد العملاق »

ونبق بعد هذا خطوط « عريضة » لفصل مطول مسهب بعنوان « الاسلام عند حسن البنا ...

وقد بعثت فى طلبه من صاحبى صديق الكاتب الأمريكى وقد عولت على أن أجمع هذه الفصول مضافا إليها فصل « الاسلام » فى كتاب خاص .. أرجو أن يتاح له أن يرى النور قريبا ..

الجندى

أسلوب يلغم النفوذ الواسع الذى بناه الأمريكان فى أوربا الغربية وبقية بلدان آسيا وأمريكا اللاتينية وتصاب فكرة الحلف الأطلنطى ومشاريع الدفاع عن الشرق الأوسط وعن المحيط الهادى بنكسات خطيرة

هذا بعض ما أثاره مؤتمر موسكو الاقتصادى من تعليقات فى صحف العالم وأنديته

ولقد انفض المؤتمر الآن ونتائج أعماله رهينة بمدى حماس الأوساط التجارية فى أوربا الغربية وآسيا وأمريكا الجنوبية إلى متابعة الاتصال بالأوساط التجارية الشيوعية التى كان عملاؤها يملؤون قاعات الاجتماع وأروقته فى مؤتمر موسكو . وقد عاد بعض رجال الأعمال الأوربيين والآسيويين إلى بلادهم يحملون عروضا تجارية للتبادل التجارى مع الدول الشيوعية بمبالغ قدرت بحوالى ٣٠٠ مليون دولار

إن هذه الخطوة الروسية الأخيرة دليل على أن العقلية الشيوعية مرنة تتلون حسب الحاجة وتتلاءم مع الظروف والمناسبات ، وتستنبط من أساليب السلوك ما يلائم الأوضاع الطارئة وإن كانت هذه العقلية فى قرارة النفس مقيدة بالهدف الجوهرى لفلسفة ماركس ولينين وستالين

عمر حليق

كان لابد أن يموت هذا الرجل الذى صنع التاريخ وحول مجرى الطريق شهيداً .. كما مات عمر وعلى والحسين ، فقد كان الرجل يقتفى خطواتهم

مات فى عمر الزهر النضير ، وفى نفس السن التى مات فيها كثير من العباقرة ورجال الفكر والفن . . وقضى وهو يسطع ويتألق

وعاش الرجل كل لحظة من حياته ، بعد أن عجزت كل وسائل الإغراء فى تحويله عن « نقاء » الفكرة وسلامة الهدف لم يحن رأسه ولم يتراجع ولم يتردد ، أمام المثبطات ولا المهددات .. وكان الرجل قذى فى عيون بعض الناس ، وحاول الكثيرون أن يفيدوا من القوة التى يسيطر عليها ، فقال لهم إن أنصاره ليسوا عصا فى يد أحد ، وإنهم لله وحده

وحاول البعض أن يضموه إليهم أو يطووه ، فكان أصلب عودا من أن يخدع أو ينطوى ..

وكان على بساطته التى تظهر للمتحدث إليه ، بعيد الغور إلى الدرجة التى لا تفلت متصلا به أو متحدثا إليه من أن يقع فى شركه .. ويؤمن بالفكرة التى يدعو إليها

وكان لا يواجه إلا من يعترض طريق دعوته ، وكان يستر من لم يكشف خصومته . .

وكان لا يهاجم عهدا مادام هذا العهد لا يحول دون الامتداد الطبيعى لدعوته .. وكان يدخر قوته للوطن ، ويكبر نفسه ودعوته من أن يكونا أداة صراع داخلى . . وظن بعض الناس أن هذا ضعف ولين ومسايرة ، وما كان كذلك ، فالرجل بطبيعته لم يكن يحب الصراع فى معركة جانبية ، ولايقبل توزيع قواه .. وإنما يؤمن بالتطور والانتقال من مرحلة إلى مرحلة ومن دور إلى دور على أساس النضوج والتكامل ، وكان هذا يزعج خصوم الوطن الذى لم يعمد سياسته تملو على المطامع الفردية، وتتعالى على المطامع الفردية ، وتعالى على الأغراض الذاتية ، وتنقى جوها من الدوافع الشخصية الخاصة

وكان الرجل على قدرته الفائقة فى ضبط أعصابه ، كيسا فى مواجهة الأمور ، لبقا فى استقبال الأحداث والأزمات

وإلى هذا كله كان غاية الاعتدال ، فكان يعيش براتب

لا يزيد على راتبه المدرسي المحدود ، وبين يديه الأموال الضخمة المعروضة من أتباعه وحوله من العاملين معه ، ما يصل إلى ضعف أو أضعاف ما يحصل عليه

وكان في بيته مثال الزهادة ، وفي ملبسه مثال البساطة ، وكنت تلقاه في تلك الحجرة المتواضعة الفراش ، ذات السجادة العتيقة والمكتبة الضخمة ، فلا تراه يختلف عن أي إنسان عادي ، إلا ذلك الإشعاع القوي والبريق اللامع الذي تبعثه عيناه . والذي لا يقوى الكثيرون على مواجهته ، فإذا تحدث سمعت من الكلمات القليلة المعدودة موجزا واضحا للقضايا المطولة التي تحتويها المجلدات ، وكان إلى هذه الثقافة الواسعة الضخمة ، قديرا على فهم الأشخاص . لا يفجأك بالرأي المعارض ، ولا يصدمك بما يخالف مذهبك ، وإنما يحتال عليك حتى يصل إلى قلبك ويتصل بك فيما يتفق معك عليه . . ويعذرك فيما تختلفان فيه

وهو واسع الأفق إلى أبعد حد ، يفتح النوافذ للهواء الطلق ، فلا يكره حرية الرأي ، ولا يضيق بالرأي المعارض ، وقد استطاع أن يحمل الرأي الجديد إلى الجماهير دون أن يصطدم بهم . . هذا الجديد الذي لو عرض بغير لباقة لوقفوا ضده وحاربوه . .

لقد نقلهم من وراثياتهم ، وغير فهمهم للدين ، وحول اتجاههم في الحياة ، وأعطاهم الهدف ، وملأ صدورهم بالأمل في الحرية والقوة

وكان له من صفات الزعماء ، صوته الذي تتمثل فيه القوة والعاطفة ، وبيانه الذي يصل إلى نفوس الجماهير ، ولا تنبو عنه أذواق المثقفين . وتلك اللباقة والحنكة والمهارة في إدارة الحديث والإقناع

وبهذه الصفات جميعها استطاع كسب هذه الطائفة الضخمة من الأنصار في هذا الوقت القصير من الزمن ، فحول وجهات نظرها ، ونقلها نقلة واسعة .. دون ارتطام أو صراع

كان سمته البسيط ولحيته الخفيفة ، وذلك المظهر الذي لا تجد فيه تكلف بعض العلماء ، ولا عنجهية المتمسكين بالسنة ، ولا سذاجة الصوفية .. قد أكسبه الوقار

ولقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على الناس . . عجب لها كل من رآها واتصل بها . .

كان فيه من الساسة دهاؤهم ، ومن القادة قوتهم ، ومن العلماء حججهم ، ومن الصوفية إيمانهم ، ومن الرياضيين حماسهم ، ومن الفلاسفة مقاييسهم ، ومن الخطباء لباقتهم ، ومن الكتاب رسالتهم

وكان كل جانب من هذه الجوانب يبرز كطابع خاص في الوقت المناسب ، ولكل هذه الصفات التي نقرأها في كتب شمائل الصحابة والتابعين ، لم يكن مقدراً أن يعيش طويلا في الشرق .. وكان لابد أن يموت باكرا ، فقد كان غريبا عن طبيعة المجتمع ، يبدو كأنه الكلمة التي قد سبق وقتها ، أو لم يأت بعد

ولم يكن الغرب ليقف مكتوف اليدين ، أمام مثل هذا الرجل .. الذي أعلى كلمة الإسلام على نحو جديد . . وكشف لرجل الشارع حقيقة وجوده ومصيره ، وجمع الناس على كلمة الله .. وخفت بدعوته ريح التغريب والجنس ، ونزعات القومية الضيقة ، واعتدلت لهجات الكتاب ، وبدأ بعضهم يجرى في ركب « الربح الإسلامية . . »

للكلام صلة — انور الجندي

فى تاريخ الادب التركى

للاستاذ عطا الله ترزى باشى

تحدثت إلى القراء فى أعداد الرسالة السابقة (١) عن تاريخ الأدب التركى فى عصوره المختلفة منذ النشأة حتى أوائل العهد العثمانى بصورة مجملة

وأعود اليوم إلى مواصلة البحث بدراسة الأدب العثمانى دراسة عاجلة ؛ على أن أترك أمر التفصيل والتمحيص فيها للقراء براجعون المصادر التى استقيت منها مواد هذا المقال

وأود قبل الخوض فى مواد البحث أن أشير إلى أن الأدب التركى فى هذا العهد لم يكن أدباً منحصراً فى المناطق التى شملها الحكم العثماني فقط ، وإنما كان نطاقه ممتدا إلى بلاد غير خاضعة للحكم العثمانى ، يقطنها الأتراك . فهناك الأدب الآذرى ، وهو فرع هام من فروع الأدب التركى المنتشر فى أرجاء العجم وبلاد الآذربيجان : وقد نشأ بعد انقراض السلجوقيين وظهور المغول فى تلك الأنحاء ، ونما نموا سريعاً حتى تغلغلت فروعه فى الأدب العثمانى ، وعاش متأثرا به ومؤثرا فيه ، محافظاً على صبغته الآذرية حتى اليوم . وقد آثرنا أن نتحدث — عند الكلام عن الأدب العثمانى — عن هذا الأدب بإيجاز ، وذلك وفق ما يتطلبه الحاجة ويهواه المقام (٢)

وهناك بجانب الأدبين العثمانى والآذرى الأدب الجغتائى ، وقد انتشر فى مناطق (الخوارزم وآلتون أوردو) . نبغ فيه أدباء مفكرون وشعراء معروفون ؛ وقد انتقل إلينا كثير من الآثار التى ألفوها فى مواضيع الدين والأخلاق والتصوف . ويعد (قطب) أول شاعر جغتائى نعرفه . له منظومة تركية قيمة بعنوان « خسروشيرين » (٣) . وكذلك (خوارزمى) من شعراء الجغتائية المعروفين الذى اشتهر بكتابه المنظوم « محبتنامه » (٤) وغيره من الشعراء كثير ، سواء عاشوا فى بداية تأسس الحكم العثمانى (٥) أو ظهروا فى القرون التى تلتها (٦)

وهناك أدب المماليك ، وظهر بين الأتراك الذين عاشوا فى مصر زمناً وأسسوا لهم إمارات صغيرة هناك . وتميز هؤلاء بنشاطهم الأدبى الفعال وقدرتهم العظيمة على تنظيم الحركة الفكرية فى البلاد . نشأ منهم عدد لا يحصى من العلماء والشعراء ، وقد تركوا آثارا فكرية كثيرة ومؤلفات أدبية قيمة . ويعد الشاعر (سيف سرائى) أشهرهم ، وهو الذى ترجم كتاب « كلستان » للشاعر الإيرانى (سعدى) إلى التركية نظما

وهكذا فإن نظرة عاجلة فى الأدب التركى تطلعنا على أن هذا الأدب كان متفرعاً عند ظهور العثمانيين إلى عدة فروع هامة ، منها العثمانى والآذرى والجغتائى والمملوكى . . . ولقد امتد أثر الأدبين الجغتائى والآذرى قروناً طويلة وذلك بامتداد الأدب العثمانى ، حتى فقد الأول منهما مميزاته الجوهرية الخاصة واندمج فى غيره من الآداب (التركية) . ولا يزال الأدب الآذرى قائماً بنفسه ، محافظاً على مقوماته الأساسية حتى اليوم . أما الأدب العثمانى ، وهو موضوع دراستنا ، فقد انقرض تدريجاً بعد زوال الحكم العثمانى وظهور الدولة التركية الحديثة ، وغدا اليوم أدبا تاريخيا مقصوراً على بعض الأندية الأدبية ويمثله فى الوقت الحاضر شعراء محصورون

ولننتقل الآن إلى العهد العثمانى ، وقد رأينا أن نتبع فى تقسيمه إلى الأدوار هذا الشكل :

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٩٧٨ و ٩٧٩

(٢) وللاستفاضة فى دراسة الأدب الآذرى راجع عن هذه المادة الأستاذ فؤاد كوبريلى فى دائرة المعارف الإسلامية « الترجمة التركية » . وراجع أيضا دائرة المعارف التركية « إينونو » ج ٤ ص ٢٤٧

(٣) والمخطوطة الوحيدة منها محفوظة فى دار الكتب الفرنسية بباريس تحت رقم ٣١٢ Ancien Fond Turc

(٤) انظر فؤاد كوبريلى فى كتابه « تتبعات فى اللغة التركية وآدابها » ص ٢٣٧ — ٢٥٢

(٥) راجع عن هؤلاء الأستاذ نهاد سامي فى تاريخ الأدب التركى المصور ص ١٠٨

(٦) وقد تطرقنا إلى حياة البعض منهم فى هذا المقال

(أولا) صدر الدولة العثمانية (ثانيا) دور الدواوين
(ثالثا) دور التنظيمات (رابعا) دور ثروة الفنون

صدر الدولة العثمانية :

ويبتدئ هذا الدور ، حسب ما نراه ، من وقت تأسس الدولة العثمانية (سنة ١٣٠٠ م — ٦٩٩ هـ) حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى

ويتميز الشعر فى هذا الدور بنقاوة اللغة وسلاسة الألفاظ ورقة الأسلوب وقلة التكلف . فكان الشعراء يتجنبون غالبا استعمال الكلمات الغريبة فى أشعارهم وينفرون من التصنع والتلاعب بالألفاظ . ولذا فإن شعرهم يمثل باستثناء أشعار بعض المتأخرين من الشعراء أبدع ما نظمه الشعراء العثمانيون على الإطلاق

وامتاز هذا الدور بشيوع (المثنوى) بين الشعراء شيوعا هائلا ، إذ لا يخلو أثر من الآثار التى ألفها الشعراء فى هذا الدور من شعر المثنوى

والمثنوى لون من الشعر اشتهر به الفرس منذ القديم . فنظموا به الملاحم التاريخية الكبرى والقصص الخيالية الرائعة أمثال « الشاهنامه » للشاعر الفارسى العظيم (فردوسى) . و« المثنوى » لمولانا جلال الدين الرومى . وقصة « يوسف عليه السلام » وقصة « ليلى ومجنون » وغيرها كثير .. ويميز المثنوى عن غيره من الأشعار وجود القافية بين شطرى كل بيت من أبيات المنظومة؛ ولا يشترط اتحاد الأبيات فى القافية إذ يكفى أن يكون شطرا البيت مقفيين (٧)

ولشعراء الأتراك آثار شعرية كثيرة جرت مجرى المثنوى . وقد امتاز شعراء هذا الدور بتعصبهم لنظم المثنوى . فلا نكاد نرى شاعرا إلا وشغل نفسه بهذا النوع من الشعر

وأول من اشهر منهم فى نظم المثنوى (مصطفى شيخ أوغلو) صاحب المثنوى المعروف « خورشيد نامه » ومترجم كتاب « كليلة ودمنة » إلى اللغة التركية . وقد عاش هذا الشاعر فى عصر السلطان يلديرم بايزيد . وكذلك الشاعر المشهور (عاشق باشا) (سنة ١٢٧٢ — ١٣٣٣ م) وقد اشتهر بمؤلفه « غريبنامه » فى التصوف والأخلاق . وهو كتاب قيم يقع فى اثنى عشر ألف بيت من الشعر ، فى أوله مقدمة فارسية تتبعها قصائد تركية فى نعت الإله ومدح الرسول ووصف المشاهير من المسلمين ثم يليها أبواب الكتاب العشرة ، وكل باب مقسم إلى عشرة فصول تتضمن ملاحم شعرية مختلفة فى وصف الجنة والجحيم والدنيا والآخرة والسماء والأرض والعناصر الأربعة فى تكوين الحياة .. الخ

ومن شعراء هذا الدور ، (كاشهرى) وقيل إنه عاش قبل (عاشق باشا) بمدة . له منظومة مترجمة من كتاب « منطق الطير » للشاعر الفارسى (عطار)

أحمدى :

ويعد زعيم الشعراء فى عصره . ولد سنة ١٣٣٤ م فى مدينة (كوتاهيه) (٨) أو فى مدينة (كرميان) من ولاية (بروسه) وذلك فى سنة ٧٣٥ هـ حسب ما ذكره طاشكبرى زاده ، كما أن لطيفى صاحب تذكرة الشعراء ذكر أن مسقط رأسه هو مدينة سيواس حيث درس فيها العلوم وارتحل بعد ذلك إلى القاهرة ، وكان يتردد هناك على مواطنيه حاجى باشا الذى اشتهر فى الطب ومولانا محمد شمس الدين الفنارى . وعند عودته إلى وطنه الأصلى التحق بخدمة أمير كرميان (٩)

وأدرك أحمدى غزوة تيمورلنك فى البلاد العثمانية ، وحظى عند هذا الطاغية وأصبح نديما له . ويروى عنهما لطائف كثيرة ، وقيل إنه لم يعجبه البقاء عند تيمورلنك فالتحق بخدمة الأمير

---

(٧) كما فى نظم إبان بن عبد الحميد قوله فى باب الثور والأسد من نظم كليلة ودمنة :

وإن من كان دنى النفس يرضى من الأرفع بالأخس .. الخ المنظومة .
ولبحث المثنوى فى الأدب التركى انظر الأستاذ إسماعيل حبيب فى كتابه « أدبيات يلكيلرى » ص ١٤٢ — ١٤٦

(٨) نهاد سامى : المرجع السالف الذكر ، ص ١٠ .

(٩) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٠٥ وقد التبس على المترجم العربى تعريب « كرميان » فثبتها فى مواضع عدة على شكل « كرمان »

سليمان من أبناء السلطان يلدرم بايزيد ، وظل يصاحبه حتى مات السلطان فعاد أحمدى إلى أماسيه

وأحمدى شاعر مبدع ، وأهم ما يمتاز به هو إدخاله المواضيع الدنيوية فى الأدب التركى الغربى . ويعتبر كتابه « اسكندر نامه » أول مؤلف تركى قصصى بأسلوب الملاحم، فقد وصف فيه حروب الملك إسكندر المقدونى فى (٨٢٥٠) بيتاً من الشعر [١٠] ويتضمن هذا الكتاب آراء فلسفية طريفة وأبحاثاً فى الطب قيمة. ولأحمدى ديوان نفيس ضم مجموعة من أشعاره فى القصائد والغزل، وله منظومة بعنوان « جمشيد وخورشيد » . وهى مثنوى يحتوى على خمسة آلاف بيت من الشعر . وقد عثر على هذا الكتاب قبل عشر سنوات وبضع سنين الأستاذ نهاد سامى وحققه مع كتاب آخر لأحمدى هو التاريخ العثمانى فنشرهما فى مجلد سنة ١٩٣٩

أدب السلاطين .

ويعد السلطان عثمان غازى مؤسس الدولة العثمانية أول من نظم الشعر بين السلاطين . له منظومات شعرية بديعة فى الحماسة [١١]

وهناك سلاطين كثيرة اشتغلوا فى ساحة الأدب منهم السلطان بايزيد الثانى والسلطان مراد الثانى من شعراء هذا الدور، ويعد الأخير أول سلطان عثمانى جمع أشعاره فى ديوان خاص [١٢] . ويعتبر السلطان محمد الفاتح أثقف سلطان عثمانى على وجه الإطلاق . فقد كان هذا السلطان يجيد ، بالإضافة إلى اللغة التركية ، اللغات العربية والفارسية (وله فيهما أشعار) والعبرانية ولغة الصرب [١٣] . وقيل إنه تعلم اللغتين اليونانية واللاطينية أيضا [١٤] ، وهو شاعر مجيد ، اختار له فى الشعر اسم عونى مخلصاً [١٥]

١٠) دائرة المعارف نفسها

١١) حميد وهبى : مشاهير الاسلام ، ج ١ ص ٥١

١٢) قطين : تذكرة الشعراء

١٣) وفى تحقيق معرفة السلطان لهذه اللغة مقال ممتع للأستاذ أحمد جعفر أوغلو فى مجلة أولكو العدد ٤٣

١٤) نهاد سامى : المرجع السابق ص ١٣٣

١٥) المخلص هو الاسم المستعار الذى يكرره الشاعر فى نهاية شعره . والغالب أن يرد هذا الاسم فى البيت الأخير من الشعر . وهو خاص بالشعرين التركى والفارسى

وكان السلطان بايزيد الثانى ، ابن السلطان محمد الفاتح ، شاعراً وعالماً . وكذلك كان أخوه السلطان (جم) شاعراً مبدعاً له مكانة مرموقة فى الأدب التركى . وأشعاره فى غاية من الرصانة . وكلها فى الحزن . . وقد لاقى السلطان فى حياته أنواعاً شتى من الهموم وألواناً مختلفة من العذاب بما لا يتحمله الإنسان.. لقد دب دبيب الفساد بينه وبين أخيه على السلطنة فأغواهما الشيطان حتى تقاتلا ، وقدر له ولجيشه أن ينهزم . ففر إلى أوربه ، ووقع بيد البابا الذى وعده خيراً ولكنه لم يف. فلقى السلطان حتفه من كأس هيئت له وفيها سم مميت

ووقائع هذا السلطان مشروحة فى المصادر التاريخية بكل اهتمام [١٦] . ولهذه الوقائع علاقة وطيدة بشعره . فهو يصف به آلامه ومصائبه بأسلوب عاطفى فياض يبعث فى النفوس الألم ، ويحدث فى القلوب كلوماً لا تلتئم

مميزات هذا الدور

ذكرنا أن هذا الدور كان قد امتاز بكثرة ما نظمه الشعراء من المثنوى ووفرة ما أنتجه رجال الفكر والأدب من الملاحم والقصص . ونضيف إلى ذلك بعض المميزات الأخرى . وأول ما يبدر إلى الذهن فى هذا الخصوص هو ما نلحظه من الاهتمام الشديد بالأدب الشعبى والعناية البالغة به . وقد ظهر شعراء سلكوا مسلك الصوفى المعروف الشاعر الشعبى (يونس أمره) ؛ منهم (سعيد أمره) ؛ من منتسبى الطريقة البكتاشية . . و(قايغو سز آبدال) الذى عاش فى دور السلطان مراد الثانى.. و (حاجى بايرام) مؤسس الطريقة البايرامية فى الأناضول . . و(أشرف أوغلو) المتوفى سنة ١٤٦٩م وغيرهم من الشعراء الذين كانوا متأثرين بأدب (يونس أمره) وبأسلوبه فى الشعر

وإن من أهم ما يختص به الأدب الشعبى فى هذا الدور نشوء القصص الحديثة . وقد ظهرت هذه القصص تحت عنوان « حكايات دره قورقوت » . وهى تعتبر كنزاً ثميناً للأدب

١٦) للمؤرخ الشهير أحمد رفيق مؤلف نفيس عن حياة السلطان جم باللغة التركية القديمة ١٩٢٣ كما وأن للاستاذ محمد تورخان أثراً شبيهاً بالأول نشره فى سنة ١٩٣٩ وراجع عن مادة جم ش سامى فى قاموس الأعلام

التركى ، وقد كتبها أحد الشعراء (١٧) بلغة تركية سليمة وبأسلوب ممتع جذاب ، مصوراً الحياة الاجتماعية والأخلاقية عند الأتراك فى العصور القديمة تصويرا بديعاً؛ فيحدثنا فيها عن الحياة العائلية وعن العلاقة الزوجية ، وعن موقف الأولاد من الأسرة ، وكذلك يبحث لنا عن النواحى الثقافية والأدبية بصورة عامة

ويمتاز هذا الدور من تاريخ الأدب التركى بنمو الأدب الجغتائى وتكامله . ولقد سبق أن رأينا أن الأدب التركى كان قد تفرع إلى فروع رئيسية ثلاثة : العثمانى والآذرى والجغتائى . وكلها آداب متشابهة من حيث الروح والجوهر ، وإن كانت مختلفة فى الشكل والمظهر . فنجد أنها جميعاً تنتظم تحت قواعد معينة وقيود متشابهة . فالأشعار فى هذه الآداب التركية الثلاثة بأوزانها وأساليبها ومقاييسها ومفاهيمها متجانسة ومتشابهة إلى حد بعيد ، وإنما الاختلاف كان فى الألفاظ والحروف وفى قواعد اللغة وتنوع اللهجات فى البلاد

وامتاز الأدب الجغتائى فى هذا الدور بنمو الوعى القومى بين شعرائه . وكانت فكرة القومية عندهم تستند على أسس علمية قوية وعلى مبادئ أخلاقية متينة . ويعد الشاعر (على شير نوائى)(١٨) من أعاظم الشعراء الذين قاموا بتمثيل الأدوار الرئيسية لتلك الحركة . فقد سجلها فى كتابه الموسوم بـ « محاكمة اللغتين » ألفه فى المفاضلة بين اللغتين التركية والفارسية، وترجيح الأولى بعد مقارنة دقيقة على الثانية . فنراه يذكر فى هذا الكتاب على سبيل المثال مئات الألفاظ التركية التى يتعذر العثور على مرادفاتها فى اللغة الفارسية .. بل ويتعذر على الفارسى أن يعبر من معانى تلك الألفاظ من دون أن يلجأ إلى استعمال عدة كلمات مقابل لفظة تركية واحدة . . ونراه بعد ذلك يخلص لنفسه برأى خاص وهو أن اللغة التركية أوسع مادة من الفارسية وأغزر منها موردا

وعلى شير نوائى عالم وأديب وشاعر قدير . نظم الشعر فى اللغتين ، وكان فيهما مبدعا مجيدا . ولقد ذهب البعض — على خلاف الأكثرية — إلى أن على شير كان فارسياً . ولنا فيه رأى نبديه فى عدد قادم من الرسالة

وبقدر ما كانت فكرة الميل إلى اللغة التركية ظاهرة بين الشعراء الجغتائيين فى ذلك الدور ، فإننا نلمس آثار هذه الفكرة فى كلام الآخرين من الشعراء بوضوح . وفى كتاب « غريبنامه » وقد أشرنا إليه فى أعلاه ، أشعار يستدل منها على أن صاحبها كان متحمساً للأدب التركى واللغة التركية ، حيث يبدى أسفه على وضع اللغة وحالة الترك بقوله :

توركـ ديلنه كيمسنه باقماز أيدى

توركاره هركز كوكل آقماز أيدى . . الخ المنظومة

بمعنى أنه لم يكن هناك من يهتم باللغة التركية ويبالى بها . ولم يكن كذلك من يعطف على الأتراك ويبدى لهم الحنان

شيخى ونجاتى

وهما من مشاهير الشعراء الذين عاشوا فى نهاية هذا الدور . ويعتبران بحق من مؤسسى الشعر العثمانى فى القرن الخامس عشر الميلادى . لا يعرف تاريخ ولادتهما على وجه التحقيق . وقيل إن الأول ، واسمه الحقيقى سنان ، توفى سنة ١٤٢٩ م ، والثانى ، واسمه عيسى ، توفى سنة ١٥٠٨ م . وكان شيخى متصوفا سلك طريقة (حاجى بايرام ولى) وله مثنو منظوم بعنوان « خسرو شيرين » وآخر يدعى بـ « خرنامه »(١٩) ويتضمن نصائح وإرشادات على لسان الحيوانات . وله ديوان حققه الأستاذ (على نهاد) ونشره فى سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ . كما وقام مؤتمر اللغة التركية بطبعه فى سنة ١٩٤٢ . ولنجاتى ديوان يضم أشعاره كلها ، وليس له أثر غيره . وقد اشتهر هذا الشاعر بعد إسلامه إذ كان نصرانيا ووقع أسيراً بيد الأتراك فأسلم واقترب من السلاطين وحظى كثيراً عند بايزيد الثانى . وصاحب أحد

---

(١٧) ولم يعرف اسمه حتى اليوم

(١٨) وقد ذكرناه سهواً مع بعض الشعراء فى عهد ما قبل العثمانيين

(١٩) ومعناه رسالة فى الحمار

(٢٠) ويذكر لطيف صاحب تذكرة الشعراء أنه اطلع على مائة كتاب فى نظم المولد ، لم يكن واحد منها فى درجة مولد سليمان جلبى . ويشير محمد طاهر البرسوى فى كتابه « عثمانلى مؤلفلرى » الى أسماء ما يقارب الثلاثين « مولدا »

جـــوته

حياته وكتبه

للكاتب الألماني توماس مان

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

عندما دقت الساعة الثانيـة عشرة في الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٧٤٩، ولد في بيت نبيل من نبلاء فرانكفورت طفل شاحب اللون تبدو عليه علائم الموت بعد شدة مضنية من أم تبلغ الثامنة عشرة . . لم تمض بضع دقائق على ذلك حتى نادت الجدة . التي كانت قابعة على الفراش .. (اليزابيث، إنه حي !)

كانت هذه الصرخة، صرخة امرأة إلى اخرى، وكان الصوت صوتاً رقيقاً فيه المرح والفرح وفيه البشرى والحبور . إن الطفل الذي اجتاز البوابة السوداء مختقناً ضعيفاً ، كان مقدراً له أن يقضي حياة فيها جلالة الوجود وعظمته . مضى على ذلك ثلاث وثمانون سنة تقلبت عليه صفحات من التاريخ تحدثه ومنها حرب السبع سنوات ، ونضال أمريكا في سبيـل الاستقلال ، والثورة الفرنسيـة . وقيـام نابليون وسقوطه ، وانحلال الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وانبثاق فجر العصر البرجوازي

هذا الشيخ الذي تعاقبت عليه كل هذه الحوادث ، يقف أمام منضدته برأسه الأشيب وثيابه والحلقات الغريبة من عمره المديد تضفي ظلالا على عيونه السنجـابية وتكسبها معنى خاصـا وهو يكتب آخر رسالة إلى صديقه القديم ، الفقيه والسياسي (ولهلم فون همبولدت) في برلين فيقول في سياق رسالته « العبقرية هي تلك الموهبة التي تتشرب كل شيء دون أن تسيء إلى مقدراتهـا الأصلية.. وبالممارسة والتعلم والنجاح والتأمل والفشل – وبالتأمل أكثر فأكثر – تملي أعضاء الإنسان بحريتها الغريزية إلى أن توحـد المكتسب بالكامل لتنتج وحدة منسجمة تدهش العالم . المخلص فونه.. » وما كادت تمضي على وفاة جوته أيام قليلة حتى كتب فون همبولدت صاحب الشخصية الوهاجة الصريحة .. كتب معلقاً بأن هـذا الإنسان أثر تأثيراً لا شعوريا وبمجرد وجوده فقط وبدون مشقة بما يحيط به وقال « إن هـذا التأثر منفصل كل الانفصـال عن عمله الإبداعي كمفكر وككاتب ، ومرجع ذلك إلى شخصيته العظيمة وعبقريته الفذة . إن شخصية كهذه هي التي تمكنت بقوتها الخاصة من جذب أنظار العالم إليها بصورة مدهشة ، فكأن الطبيعة شاءت أن تظهر فيه سرا من أسرارها العجيبة » . وقد عرض جوته يوماً من الأيام إلى ذلك بقوله « إن العوائل التي تستمر طويلا في وجودها

باشا وزير السلطان محمد الفاتح ، وكان هذا الوزير من الشعراء البـارزين

وهناك غيرهم من الشعراء أمثال جـالي ونظامي وخليلي والشاعرة زينب خاتون والأديبة الفاضـلة مهري هانم ، ممن عاشوا في القرن الخامس عشر الميلادي وتركوا آثاراً شعرية كثيرة

أدب المولد

قلنا إن هـذا الدور من الأدب التركي تميز بكثرة التآليف الدينية والمنظومات الأخـلاقية ، وقد أشرنا إلى البعض منها في هذا المقال . ولعل أهم حادث أدبي ظهر في نهاية هذا الدور هو ما استحدثه الشاعر الديني المعظم (سـليمان جلبي) المتوفى سنة ١٤٢١ م بتأليفه المنظومة المعروفة في مدح الرسول (ص) وسيرته المسماة بـ« مولد » . وهي منظومة لها قيمتها الـكبرى في الأدب التركي . لحنها أهل الفن وتغنوا بها زمنا . ولا يزال الأتراك يتغنون بهـا في ذكرى المولد النبوي من كل عام ، ويرددونها في إقامة المناقب النبوية في بعض الأوقات والمناسبات.

وقد امتازت هذه المنظومة النفيسة بروعة النظم وطراوة الموضوع. ويعتبر أسلوبها مثالا واضحا للأسلوب السهل الممتنع . وهي بهذا الاعتبار تعد بمثابة قصيدة البردة للبوصيري . وقد ألفها صاحبها في سـنة ١٤٠٩ م إثر واقعة أثارت في نفسه الغيظ فأبدع في النظم ؛ فجاء أثراً رائعاً لا يضارعه فيه أحد . وقد قلده شعراء كثيرون (٢٠) لم يبلغ أحد شأوه حتى اليوم

عطا الله ترزي باشي

تبدع قبل انقراضها شخصاً يجمع كل ميزات أجداده بالإضافة إلى العواطف والمطامح الكامنة التي ظلت خافية عن الأنظار . ويعنى هذا بمفهومنا المصرى أن جوته لا يقصد من ذلك إلا نفسه . ولنا أن نتساءل وكيف حدث ذلك؟ وما يعنى الاندماج فى الحقيقة؟ إن جميع ذلك حدث — وما يزال يحدث — بصورة عفوية بسيطة ، وكثيراً ما امتزجت عوائل وتزاوجت ، وهذا التزاوج والتمازج يبدوان جليين فيما لو لاحظنا ما يحدث بين ممتهنى الحرف المختلفة من كافة العوائل والطوائف والملل ، ولنا فى عائلة (لند هاعر) التى تصاهرت مع عائلة (تكستر) ، مثال واضح لعائلة نزحت من فرانكفورت التى هى فى جنوب ألمانيا ، واتصلت بعائلتى غوته وتكستر ، اللتين تسكنان فى الشمال ما بين غابة ثورجينيا وجبال هارس . إننى أعتقد شخصيا أن عرق لندهاعر ينتسب بصلات قوية إلى الرومان — أى إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط — كما أن لها نسبا بالعروق البربرية التى امتزجت بها من زمن بعيد، وأن هذه العائلة كان لها التأثير الحاسم فى تكوين طبيعة الشاعر العظيم ، فقد ورث عن أمه — التى هى من هذه العائلة — والتى كانت قوية البنية ، واضحة الملامح ، رقيقة المزاج ، سمراء اللون ، ورث منها — اعتمادا على الصور التى فى حوزتنا — جبهته وشكل رأسه ، واتجاهاته الفكرية الكلاسيكية، ورغبته فى الأسلوب الجلى الواضح ، وروحه المرحة ، وسخريته ، وجاذبيته ، ونقداته ، وكراهيته للطبيعة الألمانية ، ومع ذلك فإن الطبيعة الألمانية كان لها تأثير غير منكور فيه يتبين ذلك من هدوئه ونقده الرائعين اللذين يمتاز بهما الألمان ، أما من الناحية البايولوجية ، فقد كان هذا الاتحاد العائلى مقدرا له أن ينتج هذه الظاهرة اللانكية . كان جده خياطا يدعى فردريك جورج غوته ، وكان فاشلا فى أعماله ، تزوج مرتين ومات أكثر أولاده الأحد عشر فى سن الطفولة إلا ثلاثة وأكبرهم كان مختل العقل ، مات فى سن الثالثة والأربعين مجنونا لا رجاء فيه . أما والد الشاعر جوهان كاسبر ، فقد كان العاشر لأبويه ، وأصبح قاضيا يلقب بـ (المشاور الإمبراطورى)

وكان هذا رجلا شرسا مفضابا يعيش فى عزلة عن الناس ، ولم يقم بواجب وظيفته مطلقا ، وأما زوجته (اليزابيث) فقد ولدت له ستة أطفال ، عاد منهم أربعة إلى عالم الظلال مبكرين، وبقيت أخت (وواف كانغ)[1] ، فرزاليا ، وكانت تعسة كئيبة، وكان الأجدر بها أن تكون راهبة من أن تكون زوجة كما قال أخوها، ومع ذلك فقد تزوجت لكى تموت فى أيام نفاسها ، تلك الأيام التى كانت تنظر إليها بعين ملؤها المقت والكراهية . وهكذا عاش (وولف كانغ) وحيدا فريدا ، وقد تمكن أن يعوض بحياته المديدة عن حياة الجميع ، ولكن حياته الأولى كان يعوزها الصحة كما كان الحال مع الآخرين ، فداهمه السل طوال حياته الجبارة ، ذلك المرض الخبيث الذى كان كامنا من سنين كثيرة فى أعماقه ، على أن هذا المرض لم يمنعه من الدراسة ودليل ذلك التحاقه بمدرسة (لنبرغ) . وقد تألم كثيرا من النزيف الذى كان يعاوده بين حين وآخر مما اضطره إلى العودة إلى بيته شابا مهيض الجناح ، فاشلا فى دروسه ليزيد فى آلام والديه . ولكن ذلك لم يدم طويلا ، لأن قواه عادت إليه فى (ستراسبورغ) ما بين سن العشرين والثالثة والعشرين، حيث أكمل دراسته الحقوقية وسط صعوبات هائلة ، وبعد أن تراجع من منهاجه الذى رسمه لنفسه ، وأخيرا حصل على الليسانس من كلية (وتيسلر — آن — دىرلاهن)

اشتغل الشاعر مدة من الزمن فى المحاكم الإمبراطورية بصورة رتيبة ، وبدون أى رغبـــة ، وهكذا نراه لم يعمل شيئا يستحق الذكر ، غير أنهما كه فى الحب والتألم والأحلام والكسل ، وغير تركه لروحه لتنمو نموا حرا بديعا فى عوالم الأحلام . لقد كان يجذب إلى نفسه ، بأسلوبه الخاص فى لباسه وعاداته وتقاليده ، يجذب إليها سخرية الناس وضحكهم واستهزاءهم ، إلا أن ذلك لم يكن يؤثر فى جاذبيته المشعة ، وشبابه الندى ، وتباهيه وخيلائه . كما أن موهبته الإشعاعية التى كانت تظهر بصورة جليـة ، كانت تنز بالقوة الجبروتيـة والروح المتعالية الوحشية ، على أن هذه الروح تأنست بسذاجته

---

[1] وولف كانغ هو الاسم المسيحى (اسم التعميد) للشاعر العظيم

التي لا توصف ، وطيبته الحلوة وشبابه الغض البهى . كان رائع الجمال ، وصديقا محبا للأطفال وللناس العاديين ، لا بل إنه كان صديقا للطبيعة نفسها ، وكان فى نفس الوقت « يشبه العصفور فى تنقلاته وتجواله » كما حدثنا بذلك الشاعر هردر « كان سيدا عالى الجناب ، ولكن بأرجل ضعيفة كأرجل الديك » . وقد كتب غوته يوما عن نفسه قائلا : « أنا لا أعرف ما هو نوع التأثير الذى يكمن فى ، والذى يجذب الناس إلى ، إن أكثر الناس تحبنى ، ولا طاقة لى بمعرفة ذلك » . ولابد أن هذا التعلق كان فى أوجه عند بلوغ شاعرنا السادسة والعشرين ، وخصوصا لما أصبح مؤلفا ذائع الصيط ، وناظما لقصائد باهرة الجمال ، ومن هذه المؤلفات كتابه (برلفنكن) و (فرتر) وقطع شعرية أخرى من قصيدة (فاوست) . إن جميع ذلك جعل من دخوله إلى (وايمر) نصرا رائعا له ، حيث ضمه إلى حاشيته دوقها الصغير ، وكان غرضه من ذلك زيارة المدينة ليس إلا . إن هذه الزيارة طالت حتى شملت كل حياته . وإذن فدخوله إلى (وايمر) والتحاقه بالوظيفة فيها كان مجرد صدفة ، هذه الصدفة التى خدمت خطته النفسية ، والتى أسماها (القيادة من أعلى)

اتصل جوته بالأمير (كارل أوغست) فى (كارلز روهه) ، بتوسط اثنين من الأرستقراطيين المعجبين به . وخطب هناك (ليلى شون مان) ابنة أحد نبلاء (فرانكفورت) ولكن خطوبته هذه لم تكن مستندة على حب أو افتتان ، لأن الخاطب الصغير كان تعيسا جدا فى أعماق قلبه ، على ما حدث له من خبال كاد يمنع نفسه النقية من أن تقوم بواجبها ، فاضطره ضجره إلى الهروب ، فهرب إلى سويسرا بصحبة نبيلين متحمسين له ، وكان قلبه يصرخ من أعماقه « يجب على أن أذهب إلى العالم » وكان لصوته هذا صدى عميق فى كتاباته ، أما الصوت الذى تجلت فيه هذه الصرخة ، فقد كان صوت عمله الحبيب ، حياته التى كانت فى أوج جاذبيتها وكمال نضجها ، هذا الصوت الذى تكلل بالجمال والجلال ، والعظمة الحقة ، إنه صوت فاوست الذى أريد له أن يظهر فى عالمنا هذا ذى الشئون والشجون ، بصورة باهرة عذبة ، جميلة رائعة فخمة

وقع كارل أوغست فى حبائل الحب مرتين ، الأول بتعلقه بالأميرة لويزا من (دار مستاد) والثانية مع الدكتور غوته نفسه ، ولما تلاقيا كان كارل أوغست متزوجا وأميرا ذا نفوذ وسطوة ، فوضع كلا منهما — أى لويزا وغوته — تحت رعايته وكانت عاصمته الصغيرة (مانيز) ومن حولها القرى مسرحا للصيد والفروسية ، وقد بلغ بشاعرنا السرور غايته القصوى ، إذ كان يتمتع بالجاه العريض والنفوذ الواسع ، وبصداقته وحبه للمتملقين به كان يضفى عليهم شخصيته وشرفه وعظمته ، حتى أصبح ذلك كله مدعاة لكراهيته !

يتبع

بعقوبة ، العراق — **يوسف عبد المسيح ثروة**

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبي العتاهية

للأستاذ محمد السكفراوى

حبه الفاشل ومدى تأثيره على حياته

أوضحنا فى المقال السابق مدى تأثير بيئة شاعرنا على شخصيته، وانتهينا إلى أنها قد فرست فى نفس الشاعر عدة أمراض نفسية ؛ أهمها التشاؤم والشعور بالضعة والنقمة على الأغنياء ، ووعدنا أن نفصل القول اليوم فى شأن ذلك الحب الفاشل الذى زاد حياة الشاعر تعقيدا وأدى إلى تمكن تلك الأمراض الاجتماعية من نفسه

وقصة ذلك الحب تبدأ برحلة الشاعر إلى بغداد طالبا للشهرة ، فقد كان يرجو أن يصل ذكره إلى سمع الخليفة المهدى عسى أن يعجب به ويستدعيه لإلقاء الشعر بين يديه . ولكن أنى له ذلك وهو شاعر ناشئ مغمور ! لقد هداه شيطانه إلى أن يتغنى فى إحدى جوارى القصر ، راجيا أن يدفعهما الغرور وحب الظهور إلى ترديد ذلك الشعر فى قصر الخلافة ولفت نظر المهدى إليه

ونحن لا نشك فى أن المصادفات لعبت دورا خطيرا فى حياة الشاعر فجمعت بينه وبين جارية ماكرة طموح من جوارى الخليفة ، وقد كانت فى نفس الوقت تبحث عن مثل ذلك الشاعر الناشئ المغرور لحاجة فى نفسها ، تلك الحاجة هى التغنى بجمالها وسحرها فى شعره ، وغايتها من ذلك لا تكاد تخفى على كل من له خبرة بشؤون ذلك العصر . فقد كانت الجوارى إذ ذاك مطمح الأنظار ، ويكفى لتأكيد تلك الدعوى أن نعرف أن الخيزران زوج الخليفة المهدى وأم الهادى والرشيد كانت من بين أولئك الجوارى ، ولم يقف بها سعد الطالع عند ذلك ؛ بل استطاعت أن تجعل من بنات أخيها رأختها زوجات للهادى والرشيد . وليست الخيزران بفريدة فى ذلك الشأن ، فقد أقبل الخلفاء على الإماء إقبالا شديدا حتى أن الرشيد قد أنجب من نحو عشر منهن ، وناهيك بمن لم ينجب منهن . والدرس الذى يمكن أن تتعلمه الجوارى من مثل تلك الحال غير خفى ، فلم يكن يعوز إحداهن لكى تصبح صفية أحد الخلفاء أو زوجه إلا أن تلفت نظره إليها بوسيلة من الوسائل . فما الذى يمنع عتبة والحال كذلك أن تتقبل بصدر رحب غناء أبى العتاهية وإشادته بذكرها . . وهل هناك وسيلة للفت الأنظار إليها أيسر من شعر الغناء ؟

هكذا بدأت علاقة الشاعر بعتبة كل منهما يحاول استغلال صاحبه لمصلحته الخاصة . ولكن العلاقة بينهما لم تقف عند ذلك الحد المادى . فعتبة يسرها ويرضى كبرياءها أن يكون الهائم بها المشغوف بحبها ذا مظهر حسن حيث أن قدرها وخطرها يرتفعان بقدر ما يرتفع قدر المعذب فى سبيلها . . على حين كان شاعرنا ما يزال فقيرا مغمورا . وقد كان علاج ذلك عندها أن خلت بالشاعر يوما من الأيام وأبدت اهتمامها بشأنه وناولته بضع مئات من الدنانير كى يرفع بها مستواه ؛ وذلك بشراء ملابس فاخرة وحمار وما إلى ذلك

وقد كان هذا مبدأ تحول خطير فى نظرة الشاعر إلى عتبة ؛ فلم تعد صلته بها نوعا من عبث الشباب أو وسيلة إلى تحقيق ربح عادى ، ولكن حبا شريفا عميقا فهى فى رأيه ذلك الملاك الرحيم الذى لا يبادله حبا بحب وإخلاصا بإخلاص فقط ، بل يشفق عليه ويفكر فى أمره ويسعى إلى رفع مستواه المادى والأدبى . . فكيف لا يحبها إذن ويسرف فى حبه لها . أما عتبة فلا تزال حيث بدأت ولا يزال طرفها متعلقا بالخليفة (١) أو أحد أمراء البيت المالك ، ولا يزال أبو العتاهية فى نظرها ذلك الشاعر المغمور الذى لا يجيد شيئا ولا يصلح لشئ إلا التغنى بجمالها والعذاب فى سبيلها . وقد اتبعت معه سياسة ماكرة ملتوية المراد بها إطالة تعذيبه وهيامه ، وذلك بأن تدنيه وتقربه وتمده وتمنيه كلما اشتد به اليأس منها وعزم على نفض يده من شأنها . . ثم تهمله وتتغافل عنه كلما اشتد هيامه بها وإلحاحه عليها . . وأشعاره تمثل لنا الحالين . وإذا شئت فاستمع إليه وقد طلبت صراحة أن يتغنى بحبها حتى

(١) ذهبت صاحبة « Two Queens of Baghdad » إلى أن المهدى كان يحب عتبة ، وليس فى المرجع الذى أشارت إليه ما يفيد ذلك . ولكنها أخطأت فى فهم العبارة

يعرفه القاصي والداني :

أعلمت عتبة أنني منها على عذر مطل
وشكوت ما ألقى إليهـا والمدامع تستهل
حتى إذا برمت بما أشكو كما يشكو الأقل
قالت فأي الناس يعـلم ما تقول فقلت كل

أو شئت فاستمع إليه إذ يشكو هجرها له :

بخلت على بودها وصفائهـا ومنحتها ودي ومحض صفائي
فتخالف الأهواء فيما بيننا والموت عند تخالف الأهواء

فإذا أضفنا إلى ذلك ما بدأت به من إعطائه قدرا عظيما من المال مظهرة عنايتهـا به وما انتهت إليه من رفضها الزواج منه رفضا باتا رغم توسط الرشيد .. ازددنا يقينا بصحة ما ذهبنا إليه من أنها لم تكن جادة ولا مخلصة (٢) في حبها له

وقد كان من نتائج ذلك السلوك المضطرب أن ساءت العلاقة بين الشاعر والمهدي؛ فقد كان من الضروري لعتبة أن تقدم لأبي العتاهية سببا معقولا لترددها في أمر الزواج وإدبارها عنه كلما أقبل عليها . ولم يكن من العسير عليها أن تدعي أنها إنما تفعل ما تفعل خوفا من إثارة غضب الخليفة وزوجه اللذين كانا يحرصان على بقائها في خدمتهما وانقطاعها إليهما . وازداد الطين بلة حينما أبرق الخليفة وأرعد على أثر سماعه شعرا لأبي العتاهية يعرض فيه بعتبة ويقحم الخليفة في أمره :

ألا إن ظبيـا للخليفة صادني ومالي على ظبي الخليفة من عدوى

وما كان من الخليفة إلا أن جلده وسجنه ثم نفاه إلى الكوفة؟ . بل كاد يقتله بتهمة الزندقة لولا أن تدخل يزيد بن منصور خال المهدي لمودة كانت بينه وبين الشاعر

كان من الطبيعي أن ينقم الشاعر على المهدي (٣) الذي أيقظه من حلمه الجميل على صوت السياط وهي تلهب ظهره وتفري جلده. وهنا أخذت تجارب الشاعر في طفولته وبغضه للسادة والأمراء تستيقظ في نفسه ، أليس الخليفة أحد أولئك الأمراء القساة الطغاة بل قائدهم وقدوتهم فيما يفعلون ؟ ألم يتخذ من سلطانه أداة للعدوان على شاعر بائس طموح لا جريرة له إلا أن أحب فتاة وأحبته؟ ألم يلصق به ذلك اللقب البغيض الذي وجد فيه منافسوه من الشعراء مادة خصبة للعبث به ومن ذلك قول والبة ابن الحباب : —

كان فينا يكنى أبا إسحق وبها الركب سار في الآفاق
فتكنى معتوهـــا بعتاه يا لها كنية أتت باتفاق

وإذن فلا سعادة ولا استقرار للشاعر ولا للضعفاء من أمثاله حتى تبيد تلك الطائفة الطاغية المفسدة التي تتمثل في الخليفة ومن حوله من سادة وأمراء وقواد

وهكذا كان حبه الفاشل سببا من أسباب تغلغل حقده على ذوي الجاه والنفوذ في عصره على نحو ما سنبينه بعد

وقد قضى الشاعر بقية أيام المهدي صامتا عن عتبة لا يكاد يذكرها يتقي خوفا من الخليفة . وما كاد الأخير يقضي نحبه حتى شعر أبو العتـاهية بالأمن بعد الخوف والفرج بعد الضيق كما يصوره قوله : —

مات الخليفة أيهـا الثقلان فكأنني أفطرت في رمضان

وقد ذهب بعض النقاد إلى أن الشاعر إنما يعبر هنا عن أسفه لموت الخليفة وأنه إنما يشعر بما يشعر به كل من أفطر عمدا في رمضان.. ولكن هذا في نظرنا تأويل بعيد كما أنه يناقض تلك الأبيـات المشهورة التي قالها أبو العتاهية في موت المهدي والتي تبدو فيها روح الشماتة الوضيعة . قال الشاعر مشيرا إلى جواري المهدي : —

رحن في الوشي وأصبحـن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـر له يوم نطوح
نح على نفسك يامسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمر ت ما عمر نوح

يتبع

محمد السكفراوي

---

(٢) ذهب الأستاذ أحمد برانق في كتاب له عن أبي العتـاهية إلى أن عتبة كانت مخلصة في حبها للشاعر وإنما رفضت الزواج منه لكيلا تغضب سيدتها (زوج المهدي) وليت شعري لم استمرت على رفضها حتى بعد موت سيدتها؟

(٣) كان المهدي أول من نادى شاعرنا بأبي العتاهية

أثر المدرسة المصرية في الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

— ٢ —

ويعقب عنصر معرفة الجهل حب المرء للعلم أو الفن ، وهذا الحب يكون وليد البيئة أو الصدفة ، فكثيرا ما نرى شعراء لم يتلقوا في المدرسة علوما ، بل إن الشعراء الأقدمين جميعا لم يعرفوا سبيلا إلى المدرسة ، وإنما هي الملكة والثقافة الحرة . وهكذا الشأن أيضا مع القادة الأول الخالقين للنظريات العلمية الجليلة الأثر في الحياة المصرية ، وأذكر منهم أديسون واستيفنسون

يلي ذلك الصبر والمثابرة ، إذ لا بد للمثقف أن يقرأ و يكثر من القراءة ، بل لا بد أيضا أن يصبر الإنسان نفسه فيقرأ مالا يحبه ليصل إلى ما يريد ، فمن الأدباء مثلا من لا يحبون النحو ولكن لا غنى عنه لاستكمال ثقافتهم الأدبية . ومن رجال القانون من لا يحبون علم المالية العامة مثلا أو القانون الروماني ، ولكن لا بد لنا مما ليس منه بد ، فهم يقرأونه بل ويدرسونه ليتموا ثقافتهم القانونية ، هذا هو الصبر الذي أعنيه

أهم العناصر جميعا هو العقلية .. هناك عقليات حديدية مهما تثقفت بقيت جامدة ، فإنك لتجد كثيرا من العلماء في القانون مثلا أو الطب لا يعرفون عن غير علمهم في الحياة شيئا ، وإذا جلست إليهم وتحدثوا في غير ما يجيدون وجدتهم إلى العوام أقرب ما يكونون ، وأشبه شيء بالقلم الرصاص يراه صاحبه من ناحية واحدة لا يكتب إلا منها فإن أدرته في يدك صار خشبا

ليس حتما على المثقف أن يعرف كل شيء ، ولكن حتم على من يريد أن يقال عنه مثقف أن يفهم ، والفهم من الله هبة إذا لم يعطها إنسان فحسبه وحسبنا معه الله ونعم الوكيل

بعد هذا العرض السريع للثقافة والتثقيف دعونا نتوكل على الله ونذهب إلى أبواب المدارس والجامعات المصرية لنرى ما نصيب الثقافة من هذه البيوت التي يقول عنها شوقي الخالد ..

بيوت منزهة كالعتيق وإن لم تستر ولم تحجب
بداني تراها ترى مكة ويقرب في الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو حولها يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة في حصنها هنالك وفي جندها الأغلب

هكذا تصور أمير الشعراء المدرسة .. أتراه كان في هذه الأبيات شاعرا خياليا أم شاعرا واصفا . رحم الله شوقي لقد رسم المثل الأعلى للمدرسة وأرادها حصن حضارة وغاب جنود .. ترى هل مدارسنا المصرية هكذا ؟ هل تعمل المدرسة المصرية على تثقيف تلاميذها والارتفاع بمستواهم العلمي والأدبي ؟ وهل يتجه الجهد في هذه المدارس إلى العناية بهؤلاء التلاميذ حتى يصبحوا كما قال شاعرنا الخالد جند الحضارة الأغلب وحصنها المكين

إنه مما يؤسف له حقا أن الجواب (لا) ، إن المدارس المصرية لا تعمل على هذا ، وإذا كان لا بد لنا من التفاؤل فلنقل إن أغلب المدارس المصرية لا تعمل على هذا حتى الآن

فمدارسنا المصرية ما زالت تسير على النظم القديمة في التربية وهي المعروفة باسم التربية التقليدية . وحسبكم أن تعرفوا أن طريقة وست لتدريس اللغة الإنجليزية هي أحد النظم التي أدخلت إلى المدارس المصرية ، وطريقة وست هذه فيما وصل إلى علمي معمول بها منذ نصف قرن أو أقل قليلا ، أي أن أحدث تجديد حصل في طرق التدريس بوزارة المعارف كان منذ خمسة وعشرين عاما . وبعد هذه الحقبة الطويلة من السنين تألفت لجنة قائمة الآن تحاول أن تتحرر من هذه الطريقة مبقية على أجزاء يسيرة منها

نظام التربية التقليدية إذن هو النظام السائد في المدارس المصرية ، وهذا النظام من شأنه أن يتوجه بعنايته إلى المواد الدراسية ، فنرى المدارس وقد أوسعتها تبجيلا واحتراما ، ونرى التلاميذ ركعا لهذه المواد سجدا يؤمهم في صلاتهم البوذية رائدوهم من الأساتذة والمربين ، فالمادة العلمية هي السيد الذي لا يحفل بالميول الشخصية ولا يعبأ بالاستعداد الطبيعي ، وإذا كانت المدارس في أصل نشأتها قد قامت ليستفيد منها التلاميذ بالمواد إلا أن المدارس نفسها قد رأت أن تستفيد المواد بالتلاميذ ، ثم استقرت على رأيها فوجدت أن الأمر هكذا أهدى وأيسر سبيلا . فليس من الضروري عندهم أن يتفهم التلميذ المادة ويفقهها ، بل حتم عليه أن يجيب إذا سئل ، وحق عليه العقاب إن سكت . بل لقد جرفهم هذا المذهب إلى ما هو أدهى من ذلك وأظلم ، فالتلاميذ بناء على أوامر وزارة المعارف يطالبون فقط بما يلقى إليهم بين جدران المدارس ، فإذا راق للتلميذ مأن يدرس في خارج

المدرسة متزيدا فى علم يميل إليه فإنه يحتم عليه كل الامتناع أن ينطق حرفا مما تعلمه فى الخارج . وإليكم مثلا : لى صديق ظل يكتب فى نقد الشعر مدة ثلاث سنوات فى كبريات المجلات الأدبية ثم نقل إلى التوجيهية ، وكان ضمن المنهج المقرر عليه فصل فى نقد الشعر ، ولكن صديقى بما يملك الشباب من غرور استكبر أن يذاكر هذا الباب ، فحين امتحن أثناء العام فى النقد ، نقد الشعر الذى عرض عليه بغير الألفاظ التى ينقدها به النص مستحدثا بذوق أدبى سليم فأبى عليه أستاذه هذا ، وسقط فى امتحان نصف العام . قد تقولون إنه مثل فردى يستثنى من القاعدة العامة والاستثناء لا قياس عليه ولا يتوسع فيه — ولكنه يؤسفنى كل الأسف أن أقرر أن هذا الذى تعدونه استثناء ، هو القاعدة التى يتوسع فيها ولا يقاس إلا عليها ، وبحسبنا نظرة إلى كتاب من كتب النقد التى تدرس فى المدارس حتى اليوم ، فإننا نجد بيتين مثلا بمقمهما النقد الذى يطالب إلى التلميذ أن يقوله ، موضوعا تحت الأبيات ، يلزمه أن يقول إن فى البيت إطنابا وحشوا ، وركاكة فى التعبير ، وضعفا فى المعنى ، أو يقول : إن فى البيت جزالة فى التعبير ، وطرافة فى المعنى ، والنقد فيما نعلم ، ذوق وتذوق ، وليس ألفاظا ونصوصا ، ولكنه فى وزارة المعارف ، هو هذه الكلمات التى أسمعها لكم الآن ، بحيث يأتى الامتحان فى آخر العام ، والممتحن ملزم أن يسأل التلميذ فى نص من هذه النصوص المقررة ، والتلميذ ملزم أن يجيب بهذه الألفاظ المكررة ، فإن رأى فى الأبيات رأيا غير رأى واضع النصوص ، فهو لا شك ساقط ، وأقول لا شك لا استنتاجا ، وإنما عن علم ، فهكذا درس لى النقد ، وهكذا درس لمن أعرفه من زملائى وإخوانى ، وهكذا يدرس الأدب فى المدرسة ، فهو علم محفوظات ، لا ماء فيه ولا استرواح ، يمسك الذهن فلا يطلقه ويحده ، وكان من شأنه أن يفسحه

ذكرت الأدب مثلا لأنه الفن الوحيد الذى يستطيع المدرس أن يحمل منه شيئا جميلا فى أذهان الطلاب ، فإن كان هذا الفن يسام هذا الخسف ، فما الخطب بالجغرافيا والتاريخ والكيمياء والطبيعة .. كلها علوم جامدة مستعصية ، ولكن الطريقة التى تتبع فى المدارس اليوم تزيدها جمودا واستعصاء ، وأيسر مثال لهذا أننى اليوم لا أفهم من الكيمياء كلها إلا أن الماء يتكون أكسوجين وايدروجين فيه ١ ، ٢ أيهما الواحد وأيهما الاثنان ، نسيت . أما باقى المنهج الذى درسناه وهو ما يملأ كتابا يقع فى خمسمائة صفحة من القطع الكبير فأنا لا أعرف منه شيئا ، وأقول لا أعرف لا لأذكر ، ومع هذا فقد امتحنت فى الكيمياء ونجحت لأننى — وأعترف — حفظتها على غير فهم ، فاسلمت ورقة الإجابة إلى المراقب حتى سلمت معها كل ما كنت أحفظه . قد يكون غباء ما ألم به إزاء الكيمياء ، غير أنى أجد الكثيرين من الأذكياء يشاطروننى هذا الجهل

العلوم أشياء جامدة ينفخ فيها المدرس من روحه فيهب فيها الحياة ، ولا يهب الحياة إلا خالق ، ولا يصل إلى مرتبة الخلق إلا من تكاملت مقوماته وتوثقت ثقافته ، ولا يمكن لهذه المواهب أن تكتمل ، ولا لهذه الثقافة أن تتوثق إلا لشخص اطمأنت له جوانب الحياة وارتاح فى مجال حياته ، وهدأ تفكيره فيما يرتزق منه . أما إذا أكبت عليه المطالب الدنيوية وعلا صراخ أطفاله فى أذنيه وانسعرت من حوله الأيدى الطالبة ، وانثنت عنه الأيادى الواهبة ، فلا أمل لنا فيه وقد كان المدرس إلى عهد قريب لا ينال من العناية المادية ما يشجعه على المضى فى أداء الرسالة الضخمة الملقاة على عاتقه ، فإن كان قد أهمل أو تراخى فلا جناح عليه ، وإذا كان قد قدر لواحد من هؤلاء المدرسين أن يتغلب على هذه المصاعب المادية بروح له سامية أو بمورد آخر يدر عليه شيئا ، إذا كان قد قدر له هذا فهو لا بد قد اصطدم وما يزال يصطدم بشاهقة أخرى تمنعه أن يخرج بتلاميذه عما أمرت وزارة المعارف دون التلاميذ ، وشروط الإرضاء سهلة ميسورة ، فما عليه إذا أراد أن يرضى المفتش إلا أن يتبع أوامر الوزارة فى إلقاء درسه بعد أن يحمل كراسة تحضيره ، فإن نفذ هذا أصابه من الخير ما تتقاصر دونه شم الهمم ، وما على المدرس إذا أراد أن يرضى الناظر إلا أن ينجح تلاميذه فى امتحانات السنة الدراسية ، فيصبح له المكان السامق الرفيع ، أما إذا أراد أن يرضى ضميره ، فهو سيغضب المفتش والناظر جميعا ، وما أظننا نقسو عليه فنطالبه بإرضاء ضميره المستخفى فى أغوار نفسه ، ليغاضب الرؤساء ، ويغاضب بعضهم عيشه وحياته

البقية فى العدد القادم

ثروت أباظة

رسالة الأدب

بين الأصفهانى والثعالبى

للاستاذ حامد حفنى داود

— ٢ —

لعلك بعد هذا العرض المنهجى — الذى أوضحته لك فى المقال السابق — توافقنى على أن الثعالبى كان مؤرخاً فنيا وأدبياً لوذعيا ، على حين كان الأصفهانى مؤرخاً استطراديا يقصر جهوده عند سوق الأخبار وهو يكيلها لك بغير حساب أو منهج يرتضيه عرف المحدثين اليوم

ولعل المقارنة بين الرجلين لا تقف بنا عند هذا القدر. فهناك جانب خطير أول ما يستلفت الباحث فيه سمة الأفق التى نلحظها فى مؤلفات الثعالبى حيث لم يكتف بما اكتفى به الأصفهانى من مؤلفات لا تتجاوز مادة الأدب . يدلك على ذلك أنك لا ترى علماً من علوم العربية إلا وله فيه إصبع ومشاركة وجولات واسعة تميزه عن غيره

صحيح أن الأصفهانى يشارك صاحبه فى تاريخ الأدب ولكنه خالفه فى الطريقة حيث لم يتجاوز هذا التاريخ الاستطرادى الصامت الذى ذكرناه . ولا نكاد نستثنى من ذلك إلا شذرات اعترف له بها المؤرخون فى « تاريخ النقد الأدبى »

فقد عاش الأصفهانى فى عصر كان مليئا بالأصداء النقدية، رسم النقاد خلاله خطوطهم الأولى فى حياة النقد الأدبى . وقد كان ذلك عقب المعارك الأدبية التى دارت حول أبى تمام (٢٣١ هـ) والبحترى (٢٤٨ هـ) من ناحية ، وحول أبى الطيب المتنبى (٣٥٤ هـ) شيخ شعراء ذلك العصر ، والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) زعيم نقدة الكلام وحامل لواء الكتابة والبيان فى النصف الثانى من القرن الرابع — من ناحية أخرى [١]

هاتان المعركتان الأدبيتان وأمثالهما فى القرن الرابع خلقت جيلا عظيما من النقاد الذين حملوا لواء النقد ووضعوا الأسس الأولى فى حياته العلمية ؛ فكان من بينهم : أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (٣٣٥ هـ) صاحب كتاب « أخبار أبى تمام » وأبو الفرج الأصفهانى (٣٥٦ هـ) والقاضى عبد العزيز الجرجانى (٣٦٦ هـ) صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى (٣٧١ هـ) صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » [٢] والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) صاحب كتاب « الكشف عن مساوىء شعر المتنبى » وأبو منصور عبد الملك الثعالبى (٤٢٩ هـ) صاحب كتاب « أبو الطيب المتنبى : ماله وما عليه »

وأنت تستطيع من هذا الثبت التاريخى فى حياة النقد الأدبى أن تستشف الخطوط الأولى فى حياة النقد وأن تكشف اللثام عن معالمه الكبرى ، ولعلك ترى معى أن الأصفهانى — رغم ما نسب إليه المؤرخون من مشاركة فى « النقد الأدبى » — لم يترك لنا سفرا مخصصا فى حياة النقد كما فعل معاصروه الذين ذكرناهم لك . وأكثر من هذا نرى أن الصولى الذى كان أسبق منه فى الزمن قد ترك لنا ما يصح أن نعتبره دستورا قديماً فى تاريخ النقد وهو كتاب « أخبار أبى تمام » . ومن ذلك نعلم أن القول بمشاركة الأصفهانى فى تدوين دعائم النقد الأدبى قول أجوف لا يستريح إليه الباحث المحقق ، وعلى العكس من ذلك فإنك ترى الثعالبى — وهو آخر من ذكرتهم فى ثبت النقاد — ترك كتاباً خاصا فى النقد هو كتاب « أبو الطيب المتنبى : ماله وما عليه » ومع أن الكتاب فى جملته كان صورة معادة لما جاء به سلفه الصاحب بن عباد، ولكنه على أى حال كتاب مفرد أورد فيه صاحبه كل ما ذكره الصاحب فى نقد المتنبى وأضاف إليه شذرات فى تاريخ الحياة النقدية وما دار بين المتنبى والصاحب من عصبية كان لها الفضل الأكبر فى خلق شطرين من النقاد : شطر يتعصب للمتنبى وآخر يتعصب للصاحب [٣]

وإذا تجاوزت معى دائرة تاريخ الأدب ودائرة النقد

---

(١) — الصاحب بن عباد لصاحب هذا المقال (تحت الطبع)

(٢) أصول النقد الأدبى لأستاذنا أحمد بك الشايب ص ١٠١ (بتصرف)

(٣) راجع كتاب « أبو الطيب المتنبى : ماله وما عليه » رقم ٢٧٨١٦ (مكتبة الجامعة)

انكشف لك ما كان محجوباً عليك من أمر الثعالبي وشخصيته العجيبة ، ورأيت كيف كان الرجل يمثل عدة أجيال في جيل، ويصور عدة مدارس في شخص واحد

ولعل أول ما يلفت الباحث منزلة الرجل في تاريخ البلاغة ، فقد انقضى القرنان : الثالث والرابع والبلاغة لا تتجاوز في مؤلفاتها الخطيرة كتاب « البديع » لأمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، وكتاب « نقد الشعر » للكاتب قدامة بن جعفر و« كتاب الصناعتين » لأبي هلال العسكري . فلما أن كان أواخر القرن الرابع ومستهل القرن الخامس وكان الثعالبي استظلت البلاغة في ظل المدرسة الأدبية المتحررة التي أسسها ابن المعتز منذ قرن ونصف من الزمن ، وكانت علومها وقتئذ تسمى « البديع » . وقد نضج البديع عند الثعالبي نضوجاً ملموساً واتسعت أبوابه عما كان عليه . فأنواع البديع التي كانت لاتتجاوز سبعة عشر نوعاً في مدرسة ابن المعتز صارت في مدرسة الثعالبي خمسة وثلاثين نوعاً ، شرحها الثعالبي في كتابه « روضة الفصاحة وبهجة البلاغة في علم البديع » (٤)

والثعالبي الذي اعتز بذاتيته في تاريخ الأدب لا ينساها حين يحدثك عن أنواع البديع، كما أنه لا ينسى أن يبدأ كتابه هذا بمقدمة فنية تناسب طبيعة المدرسة الأدبية التي كان يرأسها. وأنت تلمس ذلك حين يعرف لك الفصاحة والبلاغة ، ويوضح الفرض منهما . وهو يسمى علم البديع — أو علوم البلاغة على حد تقسيمنا اليوم — علم الأدب . ويريد به الوسيلة التي تؤديك إلى صناعة الأدب

وهو لا يكاد يحقق هذه النهضة البلاغية التي شرحناها حتى يطالعنا بأخرى حين يضع كتبا مفردة في البديع ، يحمل كل كتاب منها خاصا بالحديث عن نوع معين من أنواع ذلك العلم من هذه الكتب كتاب « النهاية في الكناية » وكتاب « الإعجاز والإيجاز » وكتاب « المتشابه أو أجناس التجنيس » ونعتبر هذه الكتب في تاريخ البلاغة أول محاولة في الأبحاث البلاغية الخاصة أو المفردة في باب واحد من أبوابها . وأنت حين تقرأ الأخير منها تحس بروح النظام والمنهج الثابت الذي لايعتريه الاضطراب والملل كما كنت تحس ذلك عاماً في « يتيمة الدهر » حين أرخ للشعراء والكتاب. وهكذا يفتح أمامنا فتحاً جديداً آخر

ثم نتقدم خطوة رابعة فنرى أن الثعالبي الذي شارك في تاريخ الأدب والنقد وعلوم البلاغة — نراه — يرفع القواعد من المدرسة اللغوية كما رفعها من مدرسة البديع . وهنا يضع أمامنا كتابه « فقه اللغة وأسرار العربية » على نحو خاص يخالف فيه أصحاب المعجمات في وضعهم ؛ حين يرتبون مفردات اللغة ترتيباً أبجديا ثم يأخذون في تفسير معانيها . فالثعالبي لايذهب في كتابه هذا مذهب ابن دريد (٣٢١ هـ) في « الجمهرة » والأزهري (٣٧٠ هـ) « في التهذيب » والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) في « المحيط » وابن فارس (٣٩٥ هـ) في « المجمل » والجوهري (٣٩٨ هـ) في « الصحاح » — مع ما بينهم من اختلاف جزئي . ولكنه يجعل المعاني محور منهجه وأساس بحثه ، فيذكر لك المعنى ثم يسرد ما يدخل تحته من ألفاظ . وهو في ذلك يرتب الألفاظ ترتيبا زمنيا أو تصاعديا أو تنازلياً أو نوعيا حسب جوهر المعنى الذي يذكره ويقتضاه

وأرجح كثيراً أن ابن سيدة الأندلسي (٤٥٨ هـ) تأثر به حين وضع كتابه « المخصص » مع شيء من التوسع الذي نرجئ بيانه في مجال آخر

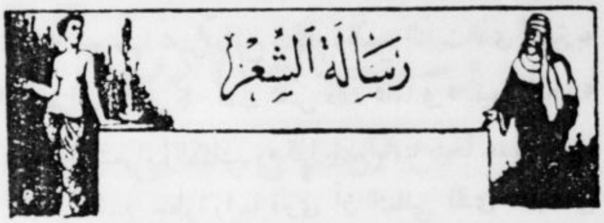
ولم يقتصر الثعالبي على ما ذكرناه له من كتب في البلاغة واللغة، بل كان من النفر القليل الذين زودوا « المكتبة العربية » بكتب تزيد على الخمسة والعشرين كتابا وليس الأصفهاني مايقابلها

وبعد فقد عرفت كيف كان أبو منصور الثعالبي مجدوداً في تاريخ الأدب متزعما لمدارس النقد والبلاغة واللغة في الوقت الذي كان فيه الأصفهاني لا يتجاوز دائرة التاريخ الاستطرادي الصامت فشتان ما بين الرجلين !

إن مثل الثعالبي فيما أداه للعربية من رسالة الأدب في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مثل أبي عثمان الجاحظ في القرن الثالث . إلا أن أبا عثمان كان فيلسوفا متفننا في أسلوب العربية على حين كان أبو منصور مؤرخا بارعا للعربية ، دارسا لعلومها وآدابها

حامد حفني داود الجرجاوي

(٤) تاريخ البديع = لصاحب هذا المقال ص ٥٥ مخطوط



في الذكرى

١٥ مايــــو

للأستاذ كامل الدجاني

إذا الشعب استكان أمام خطب فعقباه التردى والبوار

وإن تهن الخطوب لديه يوما فلا يقضى على الشعب المثارا

كذلك سنه الدنيا : غلاب وإيمان وعزم وانتصار

° ° °

وذا شعب تصارعه الدواهى يطول به الشتات والانتظار

ودون الأفق بيت ، عز دهرا ينيخ على مرابعه الإسار

وخلف السور يرصد مكر سوء وأطماع وأعداء شرار

وذا عام يمر وراء عام وذا ليل يكر وذا نهـــار

وليس ببارح خطر وضيم وليس بزائل رجس وعار !

° ° °

بداراً ، فالحوادث راصدات وفى ما كان درس واعتبار

وصبراً للشدائد فالوادى يمين على تخطيها اصطبار

وتوطين النفوس على حياة جهاد الخالدين لها شعار

وسير الجد ، فالسرى طويل ومامن دون غايته قرار

° ° °

وذكرا للديار وللمغانى فان الدار يدنيها ادكار

ونقشا لاسمها فى كل قلب يخط حروفه نور ونار

أقيموا فى الجوانح من سناها منار هدى بذكراها يثار

وشبوا فيه ناراً من لظاها مقدسة يدوم لها استعار

يؤججها حنين مستديم ويقبسها مع اللبن الصغار

° ° °

وحجوا بيتها الباقى وطوفوا حواليها ، وإن شط المزار

وعوجوا نحوها حتى تطلوا ويظهر من معاهدها شعار

وتخفق عند رؤيتها قلوب ويخفق من معالمها منار

هنالك كبروا سبعا ولبوا يلب البر منها والبحار

هنالك جددوا عهدا لحبها يجدد عهدها لكم الديار

° ° °

وعودوا من مشاهدها بزاد يزوده الفؤاد المستطار

إلى يوم لها لا ريب فيه يفك به عن الدار الإسار

ويجتمع الشتات بها ، ويلقى أليف إلفه ، أهل ودار

ويرجع نازح ، ويفك عان ويصدح فوق دوحته الهزار

° ° °

وثأرا للكرامة فى حماها إلى أن يمحى بالثأر عار

وثأرا للكرام من الضحايا إلى أن يرضى الشهداء ثار

وثأرا ترخص الأرواح فيه إلى أن تسترد به الديار

وثأرا تشتفى فيه نفوس بها من « دير ياسين » أوار

وما نبغى كبغيكم ولكن قصاص فيه عدل واعتبار

° ° °

جيوش العرب أى أليم ذكرى تعاودنا ، وأى أسى يثار

وأى عميق جرح ذى قروح بأعماق النفوس له قرار

لقد أجهزت حين أردت غوثا وجئت لنجدة فإذا بوار

وسلمت البلاد بغير حرب وقصر عن عطاياك « القرار »

وعدت سليمة ، وهوى شهيد وتم الدور وانسدل الستار !

° ° °

إذا كان العنان رهين حبس فلا يرخى إذا ثار الغبار

ولا غوث لديك لمستغيث إذا دجت الخطوب ولا بدار

فما أغناك عن إعلان حرب ومالك فى الطراد بها خيار

وما يغنى أسير عن أسير إذا الأعداء فى يوم أغاروا

لحسبك دمعة حرى وعذر قصارى العجز دمع واعتذار

° ° °

لما لك، شط فى عتب لسانى وما لك ذا العتاب وذا الحوار

ولكن للأولى اتخذوك ستراً ليحجبهم فما حجب الستار

فما زال الجناة بكل أرض يجرون الذيول بحيث ساروا

وأنت رجاؤنا فى كل حال تقوم عليك آمال كبار

ليوم تشخص الأبصار فيه ويغسل عن جبين العرب عار

كامل الدجانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سعودي بالولاء

وقع فى الأسبوع الماضى حادث السيارة التى قادها أحد السعوديين إلى حتفه . وقد ذكرت الصحف اسمه « محمد البلوشى » وقالت إنه من خدم الأمير طلال ، وقالت إحدى المجلات إنه سكرتير الأمير ، وسمته مجلة أخرى : « محمد طلال »

والرجل ليس سعوديا إلا بالولاء ، فقد كان العرب ينسبون بالولاء كما ينسبون بالقرابة ، ومن ذلك بشار بن برد العقيلى ، ولم يكن بشار من بنى عقيل وإنما كان ولاؤه لهم

وقد تعلمنا فى قواعد اللغة العربية أن التوكيد بالنفس والعين لرفع الاحتمال ، فإذا قلت : قدم الأمير ، احتمل أن يكون القادم خادمه أو « سكرتيره » فإن أردت أن تقطع هذا الاحتمال قلت : قدم الأمير نفسه أو عينه

وهكذا : تتحدث الصحف عن الحادث وما يدل عليه ونتحدث نحن عنه فى باب الأدب والفن بمجلة « الرسالة » من حيث اللغة وقواعدها ... ولكل طريقته

مجلة الأزهر

من الحوادث الأدبية الهامة هذا الأسبوع صدور مجلة الأزهر ، فى شكل جديد ، وتحرير جديد ، بعد أن أسندت إدارتها ورئاسة تحريرها إلى الأستاذ صاحب الرسالة . وقد علمنا أنه حشد لها صفوة من أقطاب الفكر والثقافة ، وأرباب الأدب والبلاغة ، ووزع أقلامهم على الأبواب المختلفة لهذه المجلة ، من فقه ولغة وأدب وتاريخ واجتماع وفلسفة وعلم وشعر وقصص وتراجم وطرائف وأخبار . ثم زيدت صفحاتها إلى ١٢٤ صفحة ؛ فإذا اجتمع لهذه المجلة المادة والفن والقوة والاختصاص ، وكان لها رسالة معينة وغاية معلومة ؛ كان لنا أن نرجو منها الشئ الكثير ، ونتوقع لها الفوز المبين ، ونعقد عليها الأمل الواسع .

وسيصدر عدد رمضان من هذه المجلة فى الموعد الذى تصدر فيه (الرسالة) ، فلا يسعنا فى هذا الأسبوع إلا أن نرحب بها ، أما وصفها والحديث عنها فسيكون إن شاء الله فى الأسبوع المقبل بعد أن نقرأها قراءة استيعاب وتعقيب

أيها الأدباء — اسرقوا الدولة

ماذا فعل أولئك الأدباء الذين كان لهم نفوذ فى وزارة المعارف .. ماذا فعلوا حتى استهدفوا لحملات صحفية ساقت بعض مثيريها إلى ساحة القضاء ؟

كل ما فعلوه أن باعوا كميات من مؤلفاتهم لوزارة المعارف كى توزعها على الطلبة ليقرأوها . .

ثم قال الحاسدون : أخذت الوزارة لهذا وتركت ذاك . . وكان « ذاك » قد أخذت الوزارة له من قبل

وسمع الدكتور طه حسين باشا كلاما يقال وغبارا يثار، فآثر مذهب « ابن حنبل » ومنع كتبه عن التلاميذ .. ومع ذلك لم يسلم من التطاول والتجريح !

وليس فى الأمر كله ما يستحق كل ذلك ... مئات من النسخ أو آلاف أخذتها الوزارة كأسلحة تغزو بها الجهل ، وقد حوت من الأفكار ذخيرة غير فاسدة . . . وعادت على المؤلف بعشرات أو مئات من الجنيهات لقاء سهر الليالى وعناً لمصير العقول وكد القرائح

والدولة تقدر بطولة الأجسام وتهمل بطولة الأفكار ، فقد نص قانون إلغاء الاستثناءات — مثلا — على إبقاء ما منح لأبطال الرياضة ، وتركت إدارات المستخدمين فى وزارة المعارف وفى غيرها تهوى بالأدباء ...

أيها المؤلفون — بيعوا للدولة ما استطعتم بيعه من كتبكم

واستغلوا نفوذكم فى ذلك إن تيسر لكم نفوذ، وإذا عددتم هذه الكتب مالا مسروقا فأكثروا من هذه السرقة . .

وإنى أحرضكم على ذلك وأمرى وأمركم إلى الله ...

استقبال عضو جديد

بمجمع فؤاد الأول

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى باستقبال عضو جديد هو الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة إبراهيم

وقد ألقى كلمة الاستقبال الدكتور إبراهيم بيومى مدكور، فتحدث عن نشأة الدكتور كامل حسين، فقال إنه كان يكتب فى إحدى الصحف الأسبوعية منذ ربع قرن مقالات يذيلها باسم مستعار هو « ابن سينا » وكان إذ ذاك طبيباً شاباً يستكمل دراسته فى إنجلترا، وقد عاد إلى مصر سنة ١٩٣٠ فاشتغل بالتدريس فى كلية الطب، وقضى بها تسع سنوات أستاذاً لجراحة العظام، ثم اختير عند إنشاء جامعة إبراهيم مديراً لها

وأشار الدكتور مدكور إلى النواحى المختلفة لشخصية الدكتور كامل حسين، ثم خص الناحيتين العلمية والأدبية بشىء من التفصيل . ومما قاله إن العالم الكبير يؤمن بالتجربة باعتبارها وسيلة المعرفة فى العلم والحديث، ويؤمن بالعقل كوسيلة لاستخلاص القضايا العامة من التجارب الجزئية .

ولما عرض للناحية الأدبية قال إن نشأته الأولى — من حيث حياته المدرسية — لم يكن فيها مجال أو باعث على الدراسة الأدبية، وإنما ساقه إلى الأدب حسه المرهف وقراءاته الشخصية، وقد دفعه كذلك إلى الأدب علمه، فهو يؤثر الفكرة الواضحة ويرى أن الحقائق العلمية تحتاج إلى التعبير الدقيق السليم ؛ وقال إنه مزج العلم بالأدب، إذ عرض العلم عرضاً طليا، ونحا فى الأدب منحى العلم من حيث الدقة والتحليل والمقارنة، وأتى برأى له فيما وقع بشعر المتنبى من تعقيد إذ علله تعليلا نفسيا بأن المتنبى طالب فى حياته أموراً عزت عليه، فشعر بالإخفاق وتكونت عنده عقدة بسبب ذلك، فعمد إلى خلق صعوبات فى شعره ليقنع نفسه بالتغلب عليها

ثم ألقى الدكتور محمد كامل حسين كلمته، وقد تحدث فيها

كشكول الأسبوع

□ تنتهى الدورة الحالية لمجلس مجمع فؤاد الأول للغة العربية، بجلسة يوم الإثنين ٢١ مايو الحالى، وتستأنف الدورة القادمة فى أوائل أكتوبر القادم

□ من أنباء العراق أنه تألفت لجنة ببغداد من بعض الأدباء والصحفيين لإقامة حفل تأبين لفقيد الأدب الدكتور زكى مبارك

□ طلبت السفارة الأمريكية من الأزهر إيفاد خمسة من علمائه المعروفين بسعة الاطلاع ليلقوا محاضرات على طلاب الثقافة الإسلامية الأمريكيين فى شهر رمضان . وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم على هذا الطلب وأشار باختيار خمسة علماء لهذا الغرض

□ تقدم محطة الإذاعة – بوساطة كلية الآداب بجامعة فؤاد – برنامجا أطلقوا عليه « قصة الأدب العربى » والمستمع إلى أحاديث هذا البرنامج يجدها موضوعات مختلفة من تاريخ الأدب العربى على نمط المحاضرات التى تلقى على الطلبة . ويظهر أن كلمة « قصة » فى اسم البرنامج كلمة « مودرن » حلا لبعض المتحذلقين أن يضعها مكان لفظة « تاريخ » القديمة . .

□ تعمل مؤسسة الثقافة الشعبية على تنظيم مكتبات المراكز الثقافية التابعة لها فى الأقاليم، على اعتبار أن المكتبة وما تيسره للجمهور من المعرفة والاطلاع جزء أساسي من أغراض المؤسسة . فاشترت لتزويدها كتباً بنحو ثمانمائة جنيه « دفعة أولى » على أن تتبعها بأكثر منها بعد اعتماد الميزانية الجديدة

□ وقد نظمت المؤسسة لموظفى تلك المكتبات دراسات فى « فن المكتبة » بمعهد القاهرة حيث حضروا إليه ومكثوا به مدة الدراسة، وقد أتموها فى الأسبوع الماضى تحت إشراف الدكتور عبد الدايم أبو العطا مدير إدارة المكتبات بالمؤسسة

□ وضع الدكتور أبو العطا نظاماً لفهرسة تلك المكتبات على طريقة « ديوى » العالمية

□ يبلغ « شاعر الشباب » الأستاذ أحمد رامى وكيل دار الكتب المصرية سن الإحالة إلى المعاش قريباً . وقد قرر مجلس الوزراء مد خدمته سنتين . أطال الله « شباب » الأستاذ الكبير



حول خطوط

عقب الأديب السورى الفاضل الأستاذ عفيف الحسيبى على قصيدتى « خطوط » بكلمة نقد رقيقة ، وشاها بما شاء له أدبه من جميل الشعور وجمال التعبير ، ولقد رأيت أن أعقب على تعقيبه ، بذكر وجهة نظرى فيما أخذه حضرته على البيت :

حصير تقادم حتى يكاد .. يخضر ، يرجع عشبا نضير

أنا لا أخالف الأستاذ فى أن الحصير المتقادم يسود إذا كان فى مكان رطب ، ولكن الا يرى معى أننا لو وضعنا كلا من كلمتى « يسود ويخضر » فى كفتى الميزان الذوق لكانت الأخيرة أرجح وأسمح ؟

ومعروف للجميع أن العرب يتخذون « الفعلين » طريقا إلى معنى واحد هو شدة الاخضرار ، ونكتفى بإيراد مثال من أدب القرآن الكريم فى هذا الصدد : « ومن دونهما جنتان .. مدهامتان » ، حيث عبر القرآن عن الخضرة الشديدة بالدهمة ، وهى السواد الشديد ، جريا على المألوف من استعمال كل من الكلمتين فى مكان الأخرى ..

ويقول الأستاذ الناقد عن البيت الآخر :

ويهرق ممولة فى تراب لياليه .. محتفرا رمسه

عن سلفه فى عضوية المجمع المرحوم أحمد حافظ عوض بك ، واستطرد إلى المحاضرة فى الحياة الفكرية عندنا وموقفنا من المدنية الغربية

والواقع أن الدكتور كامل حسين قدم نفسه بهذه المحاضرة تقديما رائعا ، وقد دل بها على أنه أديب مطبوع ومفكر ممتاز ، وقد تضمنت محاضرته آراء وخواطر قيمة ممتعة فى الأدب واللغة والفكر والحياة . وأعد قراء « الرسالة » بخلاصتها فى الأسبوع القادم إن شاء الله

عباس خضر

إننى لا أستطيع أن أتصور إهراق الممول فى التراب .. وهنا أيضا لا أستطيع أن أخالفه فى استحالة إهراق الممول إهراقا جديا ، ولكن ألا يرى حضرته أن الحركة الفعلية التى تصاحب الممول ، من ارتفاع إلى انثناء إلى انخفاض ، حتى يغيب فى التراب . هذه الحركة أليست شبيهة بكل ما من شأنه أن يهرق محتواه كالكوب مثلا ؟ ولقد كان فى مقدورى أن أعبر بـ (يضرب) أو (يهوى بمموله) مع الاحتفاظ باستقامة الوزن ، وأداء المعنى ، بل واكتمال الصورة أيضا . لولا ما خيل لى من أن فى هذا التعبير بالذات شيئا مما يتساءل عنه الباحثون من التجديد فى الشعر الحديث ، أما هذه الصداقة التى أبى الأستاذ الحسيبى إلا أن يتوجنى بها رغم ما رسمته (خطوط) من غرابة الخلقة ، وشذوذ التكوين ، فأنا أعتز بها ، وأحرص عليها ، وأعدها من حسنات الزمان الضنين على

محمد مفتاح الفيتورى

تصحيح فى مقال فلسفة الموسيقى الشرقية

طالعت فى عددى الرسالة ٩٨٢ ، ٩٨٣ مقالا بقلم الأستاذ الفاضل السيد نقولا الحداد ، فأشكر لكم اهتمامكم ، وللكاتب المحترم فضله وجهده ، ومع أن فى المقال أخطاء لا تخفى على اللبيب ، إلا أن هنالك ما يقتضى تصحيحه ، فقد جاء بصفحة (٤٩٨) فى رأس جدول الأرقام الأول كلمة (اهتزازات) والصواب (ذرات) ، بمعنى أن العمود الأول هو الذرات الصوتية لدرجات السلم المعدل ، ذى الأربعة وعشرين ربعا ، والعمود الثانى هو الذرات الصوتية لدرجات السلم التركى ، التى توجد فى عدادها درجات السلم العربى . وبناء على هذا التصحيح لاحاجة للعبارة التى وردت بعد الجدولين المذكورين مباشرة ، إذ لا يخفى أن عدد اهتزازات أية درجة صوتية ، هو ضعف اهتزازات قرارها ، ونصف اهتزازات جوابها

دمشق **ميخائيل خليل الله ويردى**



الحب فوق الجبل

عن الانكليزية

كانت ماري تستطيع في يسر أن تسمع الحديث بين الشابين الجالسين على مقربة منها إلى منضدة في فندق بشارع « فليت ستريت » ولكنها لم تعر أحدهما التفاتاً خاصاً

طريق شائك .. لا تفرشوه بالورود

من المآخذ التي نسجلها على كثير من صحفنا ، اهتمامها البالغ بأنباء بعض الفنانات والراقصات ، بنشر صورهن في أوضاع مختلفة ، وكتابة الكثير عن أسفارهن ، وتنقلاتهن من قطر إلى قطر ، ووصف ما ترتديه كل منهن ، من فاخر الثياب وما تقتنيه من حلى ومجوهرات ، وما يهدى إليها في مختلف المناسبات من الهدايا القيمة. فهم بهذا يزينون لكثير من الفتيات الحياة التي تحياها هؤلاء الغانيات ، وأخشى ما نخشاه أن تتأثر نفوس بعض الساذجات ممن تضيق بهن سبل العيش بما يقرأن ويشهدن ، فيزين لهن الشيطان الفرار من الضيق إلى السعة ، فتزل قدم بعد ثبوتها

إننا نربأ بصحافتنا أن تهبط إلى هذا الدرك ، والمفروض أن الصحافة رسالة سامية ، لها أهداف نبيلة ، هي توجيه النشء الوجهة القويمة ، وتثقيفه الثقافة الصحيحة ، وتلقينه المثل العليا ، وتحبيب الفضائل إلى قلبه !

ونحن لا نحب أن تشيع هذه البدعة بين العذارى ، فلا تزينوا لهن هذه الحياة ، والطريق شائك محفوف بالأشواك . . فلا تفرشوه بالورود !

عيسى متولي

قال أكبرهما وهو أجلهما للآخر: « إذا كنت لم تذهب قبل الآن إلى اسكوتلاندا فاطلب إجازة واذهب إليها. وقد يشكو بعض المتقدمين في السن وضعاف الأبدان من شدة البرد فيها، ولكن هذا لا يمنع من وصف جوها بأنه جميل

« وسأدلك على مكان بين الجبال ليس أطيب من هوائه ولا أروع من مناظره ولا أوفر من حاجياته مع يسر الثمن ، ولا أجمع لأسباب الراحة والسرور، وقد طال ترددي عليه وآمل أن أذهب إليه أيضاً في الخريف »

ورأت ماري المستمع يشير بالموافقة ويقول : « لست أعرف هل أتمكن من الذهاب إليها أم لا ، ولكني أريد أن أسألك عن بعض التفاصيل ، وأنت تعرف أنني لا أحب النزول بالفنادق فهل من الممكن إقامة كوخ هناك خارج القرية ؟ »

فأجابه : « ذلك سهل . وسأدلك على نفس الكوخ الذي كنت أقيم به ، وهو في جهة برتشاير الغربية فاكتب إلى مستر « ماك بين » وقل لها إنك أخذت العنوان من جارفي بلير »

ولم يكن المستمع يعرف الجهة التي ذكرها جارفي بلير . ولكن ماري عرفتها وكتبت على ظهر مجلة كانت معها ذلك العنوان . ولم يخطر ببالها أنها أخطأت في ذلك لأنها كانت تريد الاصطياف أيضاً ، وكانت اسكوتلاندا حلماً من أروع أحلامها ولكنها لم تكن تعرف أحداً هناك ، وليس أجدر بإرشادها إليها من هذا الرجل الأسود الشعر والعينين الذي كانت تراه كل يوم على هذه المنضدة بالفندق وإن كانت إلى اليوم لم تبادله كلمة واحدة.. على أنهما كانا يتبادلان النظرات في كثير من الأحيان

وفي تلك اللحظة كتبت ماري خطاباً رقيقاً إلى مسز « ماك بين » قالت فيه إنها سمعت اسمها وعنوانها مصادفة، وأنها ترجو أن تسمح لها بالإقامة في الكوخ مدة أسبوعين وتسألها عن شروطها في مقابل ذلك

وفي اليوم الثالث وصل إليها الرد و كان مرضيا وفيه تطلب مرسلته تحديد اليوم والساعة لترسل إليها العربة تنتظرها وأمتعتها عند أقرب محطة لتنقلها إلى الكوخ الذي يبعد من

المحطة ثلاثة أميال

وتم كل ذلك . وفى ليلة هادئة الجو معطرة النسيم كانت مارى واقفة أمام الكوخ وصاحبته مارجريت ماك بين ترحب بها ترحاب الصديق بالصديق

قالت مارجريت : « أخشى أن يكون هذا المكان موحشاً لشدة هدوئه وخلوه من الأنيس . ولكنه يوافق اشتراطاتك فى خطابك ، وليس عمل يمكن أن يعمل هنا إلا المشى على سطح الجبال المزدانة بأعواد الزهر »

فابتسمت مارى وقالت : « إنها تألف هذه المناظر وتحبها ، فقد اعتادت الاصطياف فى الريف، وإنها لا تنتظر أن تسبب لها هدأة الحياة شيئاً من السأم

وكان من حسن حظها أن الجو اعتدل وراق فى الأيام الأولى من زيارتها لهذا المصيف . وفى يوم من الأيام قالت « مارجريت ماك بين » : « إنه فى المساء سيأتى مصطاف جديد وسيقيم فى غرفة أخرى من ذلك الكوخ »

وقالت : « فإذا راقك مجلسه بعد التعرف به قدمت لكما الطعام معاً وإلا فإنى سأدبر لذلك وسيلة تريحك »

فلم تبد مارى أى اعتراض بل سرت من وجود زميل من أهل بلدتها فى هذا المصيف . وفى أصيل ذلك اليوم خرجت لتتنزه على سفح الجبل فى طريق المحطة وهى تمد نفسها بأن تكون نزهة الغد برفقة رجل هى إلى اليوم لم تصاحبه . وفيما هى تملل النفس بوعد جميل زلت بها القدم عند محاولتها الصعود إلى مرتفع من سفح الجبل فهوت وجرحت ركبتاها واستحال عليها النهوض ورأت رجلا يسلك الطريق بين المحطة وبين الكوخ

ولما دنا عرفت فيه صاحبها أسود الشعر والعينين « جارفى بلير » . ونظر إليها وكاد أن يمشى دون أن يتكلم لولا أنها استوقفته وأخبرته بالخبر ، وطلبت إليه أن يبلغ صاحبة الكوخ رجاءها لترسل إليها عربة تقلها : فقال : إن الكوخ قريب فإذا شئت فلنذهب إليه مستندة إلى ذراعى. وفى بحمد الله من القوة فوق ما قد تظنين

قبلت مارى على خجل ما طلبه إليها . وكان لابد لهما من التحدث فى أثناء الطريق فاعترفت له بأنها عرفت المكان من حديثه مع صاحبه . وقال لها : إنه كان يريد أن يأتى فى الخريف ولكن طرأ ما دعاه إلى التعجيل

وقالت : « أرجو ألا يغضبك انتفاعى بعنوان كنت أنت عليه على آخر » فقال : « كيف أغضب ؟ لا بل يسرنى كل السرور أن تشهدى صدق النصيحة التى قدمتها لصديق، وأرجو ألا تضطرك الإصابة الحاضرة إلى لزوم الكوخ باقى مدة الاصطياف »

وفى اليوم التالى كانا واقفين أمام الغدير يتحادثان فقالت: « ما أجمل هذا المنظر ! »

قال : « إنى لو أوتيت ثروة لحققت حلماً طالما كنت أنعش نفسى بتصوره، وهو أن اشترى كوخاً فى مثل هذا المكان فأقضى فيه ستة أشهر من كل عام» . قالت : « أهذا حلمك ؟ » فقال: « نعم ولى حلم مرتبط به » . قالت : « أتخبرنى ماهو ؟ »

فقال : « منذ عام رأيت فتاة فأحببتها وأريدها زوجة ولكنى لا أملك ما أسديه إليها غير حبى »

فتشجعت الفتاة أكثر مما كانت وقالت : « ربما كانت الفتاة لا تطمع فى غير الحب »

ثم قالت : « هل أرشدتها إلى هذا المكان الذى أرشدت إليه صديقك ؟ » فابتسم وقال : « إننى لم أكن كلمتها على الرغم من أنى كنت أراها كل يوم . وقد انتهزت جلوس صديق معى فرصة لأذكر المكان بصوت عال على مسمع منها . وكنت أعلم أنها تريد الاصطياف »

فاحمر وجه مارى وقالت : « ربما كان عند صاحبتك مثل الذى عندك ، وربما سبقتك إلى الكوخ طمعاً فى لقائك »

وعادا إلى الكوخ . وبعد ذلك اليوم اشتد قلق « مارجريت ماك بين » بسبب التصاقهما لزاماً ،ولكن قلقها عاد سروراً حين أعلناها أنهما يريدان البقاء بالكوخ شهراً آخر هو شهر العسل

ع . د

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٨٧ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

إن الحكم لواحد	: للأستاذ سيد قطب	٦٠١
فضل المدنية العربية على المدنية الغربية	للدكتور فيليب حتى	٦٠٣
حسن البنا الرجل القرآنى	: الأستاذ أنور الجندى	٦٠٦
أندونيسيا	: « أبو الفتوح عطيفة	٦٠٩
أبو العتاهية	: للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ...	٦١١
تاريخ الحركة العلمية الحديثة فى حضرموت	الأستاذ أحمد عوض باوزير	٦١٤
ربيع الشاعر (قصيدة)	: « حسين محمود البشبيشى	٦١٧
(الأدب والفن فى أسبوع) — حول محاضرة عن شعر أبو الوفا — الحياة الفكرية فى مصر الحديثة — تعقيب		٦١٨
(الكتب) — مذكرات واعظ أسير — تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — للأستاذ كامل السيد شاهين		٦٢١
(البريد الأدبى) — سلسلة رسائل الإمام الغزالى — حول معنى الأساطير — دار العلوم		٦٢٤
(القصص) — هيكل عظمى — لفيلسوف الهند رابندرانات طاغور		٦٢٦

سنة ٢٠ العدد ٩٨٧ الجزء الثانى

[illegible]

20 me. année No 987

Le Caire 2 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٧ «القاهرة في يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

إن الحكم لواحد..

للأستاذ سيد قطب

عجيب هذا القرآن ! يقرؤه القارئ ويعيده ، ويحفظه ويرتله ، ويفسره ويفهمه ، ويخيل إليه أنه قد استوعب معانيه ، وأدرك مراميه ، ويمر بالنصوص بعد هذا مرا عابرا ، غير متوقع أن يجد فيها جديدا غير ما فهمه منها ووعاه

وفجأة يتلو أو يستمع ، فإذا انبثاقات جديدة عجيبة للكلمة والآية تلتمع في الذهن والحس والقلب، لم تخطر من قبل أبدا ؛ وإذا آفاق من التأملات والمشاعر والتأثرات تتفتح ، لا يدري أين كانت مخبوءة في النص الواضح البسيط !

وهكذا يبدو أن رصيد هذا الكتاب العجيب الخالد لا يفنى ولا ينتهى ، وأن معين الإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض، وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقا بعد آفاق ، كلما استعدت طاقتها لتلقى ما فيه من إيحاءات : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

تلك الآية البسيطة القصيرة التي عنونت بها هذه الكلمة « إن الحكم لواحد » .. كم من مرة تلوتها ، وكم من مرة سمعتها ، وكم من مرة ضمنتها .. ولكنني أنتفض لجأة على لمسة منها لروحي وحسي ومشاعري جميعا . لمسة لم أعهدها من قبل فيها ، على طول صحبتي للقرآن ، وعلى طول عيشي في ظلال القرآن ..

إن الحكم لواحد ..

إنه مفرق الطريق في حياة البشرية .. إنه الانقلاب الأكبر في خط سيرها الطويل .. الانقلاب من العبودية إلى الحرية ، من الخوف إلى الأمن ، من المهانة إلى الكرامة ، من السيئة والضلال والفوضى ، إلى الهدى والنور والنظام . إنه إعلان وجود الإنسان ، الذي لا يستذل لإنسان مثله ، كائنا من كان

وإنني لأنظر إلى البشرية في تاريخها المتطاول ، قبل أن توحد الإله ، فأطالع على صحائف من الهوان ، وعلى أودية من الحيرة ، وعلى ألوان من القلق .. الأوهام تسحقها ، والمخاوف ترهقها ، والعبودية تطحنها .. وإن هي إلا جملة واحدة . جملة مشحونة بما يملأ صفحات وكتبا . بل بما يشغل أجيالا وقرونا . جملة واحدة تغير وجه التاريخ ، وطبيعة الحياة ، وضمائر الملايين ، وعلاقات الأفراد والجماعات ؛ وتلقي كتاب البشرية كله لتخط صفحة خالدة في كتابها الجديد..

إن الحكم لواحد ..

هو وحده القادر ، وهو وحده القاهر .. لو اجتمع أهل هذه الأرض على أن يضروا أحدا من خلقه بغير إرادة منه ماقدروا ؛ ولو اجتمع أهل هذه الأرض على أن ينفعوا أحدا من خلقه بغير

إرادة منه ما استطاعوا : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »

إن الحكم لواحد ..

لا تعنو الحياة إلا له ، ولا تتوجه القلوب إلا إليه ، ولا تنحنى الهامات إلا لجبروته . فإذا عفرت له الجباه مرة فقد عزت أمام الجبابرة . وإذا ركع له الراكعون مرة فقد نصبوا هاماتهم أمام الطغاة ، وإذا عبده العابدون فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

إن الحكم لواحد ..

هو وحده والكل سواه عال . هو وحده والكل دونه ضئال . هو وحده يخفض ويرفع ، ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شئ قدير »

إن الحكم لواحد ..

عقيدة ما أحوج المكافحين إليها . تشد من عزائمهم ، وتمنحهم القوة التى لا تصمد لها قوة ، وتصلهم بالواحد الأحد الذى يجير ولا يجار عليه

ما أحوجنا إلى هذه العقيدة — ونحن نجتاز امتحاناً عسيراً ، سقطت فيه رجولات كثيرة . رجولات زائفة مموهة ، خدعت الكثيرين . حتى إذا جاء دور الامتحان تهاوت تحت مطارقه ، وتساقطت ذابلة ذليلة صفراء كأوراق الخريف

ما أحوج الذين جبنوا بعد تشجع ، وتخاذلوا بعد تماسك ، وأحجموا بعد إقدام — ما أحوجهم جميعا أن يتدبروا تلك الآية القصيرة ، وأن تلمس قلوبهم جذوتها المقدسة ، فيرتد الجبناء شجعانا ، والمتخاذلون أقوياء ، والمحجمون أجرياء . ويستشعروا كرامة الإنسان التى تأبى ذل الإنسان

ألا كم سقطت رجولات مزيفة فى غمرة الامتحان .. سقط بعضها تحت مطارق الخوف ، وبعضها تحت مطارق الطمع ، وبعضها تحت مطارق الحرص ، وبعضها تحت مطارق الجشع ، وبعضها تحت مطارق الذل ، وبعضها تحت مطارق الإرهاب .. وكلها .. كلها ما كان أحوجها إلى لمسة من ذلك الروح ، تنفض عنها المخاوف والمطامع ، وتطهرها من الحرص والجبن ، فتتطلع إلى أعلى دون انحناء ، وتعتز بالجبار القاهر فلا تعنو منها الجباه

* * *

انتفضت كل هذه المعانى انتفاضة مفاجئة فى نفسى ، وأنا أمر مروراً عابراً بتلك الآية القصيرة الواضحة البسيطة .. فإذا جبابرة الأرض كلهم فى عينى أقزام . وإذا طغاة الأرض كلهم فى حسى أوهام . وارتسمت فى نفسى بحروف من نور كلمات أخرى من ذلك القرآن

« أأرباب متفرقون خير ؟ أم الله الواحد القهار ؟ »

لا بل الله الواحد القهار ، الله أحنى له الرأس مرة ، ثم أنظر من عل إلى جميع الرؤوس . الله أسجد له مرة ، ثم أنهض لأحتقر الجبارين . الله ، تستمسك يدى بعروته ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون

* * *

بعض من يختانون أنفسهم ، ويخونون الإنسانية كلها معهم ، يراودوننا على أن نفقد هذا الإله بعد ما وجدناه ! يراودوننا على أن نجرد نفوسنا من هذه القوة الكبرى . يراودوننا على أن نواجه قوة الشر والظلم دون سلاح

إنهم يختانون أنفسهم ، وإنها الخيانة للبشرية كلها فى كفاحها الطويل ، كفاحها ضد الظلم والشر ، كفاحها ضد الحرص والجشع ، كفاحها ضد الهوى والشهوة ، كفاحها ضد الضعف والترهل ، كفاحها ضد العبودية التى استبدت من قبل بالإنسان

إنها معركة طويلة الأمد ، فما أحوج الإنسان فيها إلى إله ، إله واحد لا معبود للناس سواه

سيد قطب

فضل المدنية العربية
على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتي
أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية
في جامعة سان باولو

١ — في الأدب

هنالك جسور ثلاثة اجتازت عليها المدنية العربية بعناصرها الأدبية والعلمية والفلسفية والفنية من الشرق العربي إلى الغرب الأوربي: وهي سورية في العهد الصليبي (١٠٩٨ — حوالى ١٣٠٠) وصقلية في عهد الأغالبين (٨٣١ — ١٠٩١) ثم النورمنديين، وإسبانيا في عهد الإسلام. والذي نعنيه بالأدب العربي ما أنتجته بالأكثر قرائح الشعوب السورية واللبنانية والعراقية والفارسية وتضمنته اللغة العربية. وأهم هذه الجسور إسبانيا التي أقام العرب فيها نحو ثمانية قرون (٧١١ — ١٤٩٢) ومن مدنها طليطلة التي أصبحت في القرن الثاني عشر مركزاً هاماً للترجمة من العربية بفضل رئيس الأساقفة ريموند. وعقب طليطلة كاستيل وليون برعاية الملك ألفونسو الحكيم (١٢٥٢ — ٤) الذي أولع ولعاً خاصاً بالأدب العربي. حتى بعد أن طرد الأسبان العرب من البلاد بقي الوريسكو لمدة طويلة يكتبون الإسبانية بأحرف عربية وينشئون الأدب المعروف بالأدب الأعجمي (literatura Aljamiado)

أهم مادة في الأدب العربي إنما هي المادة الدينية. نعم إن القرآن الكريم ترجم إلى اللاتينية (١١٤١) ومنها إلى الفرنسية ومن هذه إلى الانكليزية (١٦٤٩) ولكنه لم يكن له أثر بين في الأدب الغربي لما اتصف به أبناء الغرب من التعصب الديني ضد الإسلام. ولعل أهم أثر هو قصة «المعراج والإسراء» المشار إليهما في القرآن من طرف خفي (سورة ١٧:١) والتي توسع في شرحها والإضافة إليهما القصاص وأصبحت مثلاً نحداه الشاعر الإيطالي الخالد دانتي في ملحمته «الكوميديا الالهية». والظاهر أن دانتي تأثر بكتابات الشاعر الفيلسوف السوري المعري (توفي ١٠٥٧) والشاعر العربي الصوفي الاسباني ابن عربي (توفي ١٢٤٠)

ولعل المقامات التي أنشأها بديع الزمان الهمذاني «توفي ١٠٠٨» وتبعه فيها الحريري وغيرها أغنى كنز أدبي بعد القرآن. وبفضل العرب الأسبان دخل هذا الطراز من الأساليب الأدبية الجديدة إلى أوربا الغربية فقلده الكتبة الاسبان والطليان ولاسيما في القصص المساة فيجارو Figaro وكانت أول قصة إسبانية من هذا النوع (El Cavallero Cifar) وفيها ما يماثل قصص جحا

اتخذ الشعر العربي في إسبانيا ميزة جديدة قوامها وصف الطبيعة والتغني بجمالها. ومن هذا القبيل بعض أشعار عبد الرحمن الداخل «٧٥٥ — ٨٨» وابن زيدون «توفي ١٠٧١»

ومن المواضيع الجديدة التي عنى بها الشعر العربي الاسباني الهوى العذري الذي يرافق المجتمع المتصف بانعزال الحريم وتحجب النساء. فنسج على منوال هذا الأسلوب الجديد شعراء مسيحيون في إسبانيا وفي أوائل القرن الحادي عشر انتقل هذا الأسلوب إلى جنوبي فرنسا وظهرت آثاره في أدب الـ Provencal

وهنالك ضرب من الشعر القوي أنشده الشعراء العاميون من مسلمي إسبانيا بداهة مما يذكرنا بأناشيد القراليين اللبنانيين المعاصرين. وكان من أهم أنواعه الزجل والموشح اللذان نسج على منوالهما شعراء إسبانيا والبرتغال، ومن إيبيريا سار هذا الأسلوب إلى فرنسا. وكان المنشدون الجوالون المدعوون روبادور Trovadores من جملته. ومن أول شعراء الزجل وأعظمهم ابن قزمان القرطبي «توفي ١١٦٠». ومجموعة الأناشيد التي جمعها ألفونسو الحكيم تحت عنوان Cantigos de Santa Maria والمحسوبة من أطرف المجموعات الشعرية في القرون المتوسطة إنما أوزانها من نوعي الزجل والموشح. وكذلك الأغاني المسيحية المعروفه بـ Villancico من هذا الطراز. وكان المستعربون Mozarades من أهم نقلة هذا الشعر

ومعظم الأدب العربي من النوع القصصي ومن أبكر

أمثلته « كليلة ودمنة » المترجمة عن السنسكريتية . هذه المجموعة العربية ترجمها ألفونسو فكانت من أول الكتب النثرية بالاسبانية ومن أول الكتب القصصية في هذه اللغة ، وبعد القرن الثالث عشر أخذ الكتبة الاسبان والبرتغاليون ينسجون على منوالها ، وتبعهم الكتبة الفرنسيون . ومما حبب الأسلوب القصصي العربي إلى أبناء الغرب ألوانه الزاهية وخياله الفني وتضمنه أمثولات أخلاقية لمنفعة السامع والمطالع ، ويدخل في هذا الباب « مختار الحكم » الذي وضعه الأمير السوري مبشر ابن فاتك زهاء حوالى ١٠٥٣ والذي ترجم إلى الاسبانية بعنوان Bokados de Yeo وطبع بالإنكليزية عام ١٤٧٧ فكان أول كتاب طبع في هذه اللغة

أما ألف ليلة وليلة وهي أهم مجموعة قصص عربية فجاءت متأخرة ولم تظهر بشكلها الحالي حتى القرن الخامس عشر ، ولكن منها قصص كقصة السندباد البحري وصلت شفاها إلى الاسبان وترجمت إلى لغتهم . ومما لا ريب فيه أن بعض قصص شوسر Chaucer بالانكليزية وقصص بوكاشيو Boccacio بالايطالية ترجع إلى ألف ليلة وليلة الشفهية . ويذهب المستشرقون إلى أن الرواية الحديثة على ما يعرفها أبناء الغرب ترجع إلى قصة ابن سراج بالاسبانية h.storia del Abencerrage

أما الروائي الشاعر الاسباني العظيم سرفانتس Cervantes فالمعروف عنه أنه بقي أسيراً في أيدي قرصان عرب من الجزائر نحو خمس سنوات وهو يدعي في مقدمة مؤلفه الرائع Don Quixote بأن كتابه من أصل عربي

٢ — في العلوم

لم يكن لأبناء الجزيرة العربية لدى ظهور الاسلام علم بالمعنى الاصطلاحي ، ولكنهم بعد أن تغلبوا في القرن السابع على الهلال الخصيب وفارس ومصر أخذوا عن الشعوب المغلوبة من سورية ولبنانية وعراقية وغيرها ، العلوم الحقيقية ، وكانت العلوم السورية مؤسسة على اليونانية والآرامية والسامية القديمة . أما عصر الترجمة من اليونانية إلى العربية فيتناول نحو قرن « ٧٥٠ — ٨٥٠ » وكان مركزه بغداد وقوامه العلماء السوريون الذين كانوا يتقنون اليونانية منذ فتوح الاسكندر في القرن الرابع قبل المسيح

وفي هذا القرن جاءت من الهند مخطوطة في علم الفلك فترجمت إلى العربية في بغداد وأصبحت مصدراً للزيج الفلكي الذي نشره الخوارزمي « توفي نحو ٨٥٠ » وكذلك جاءت من الهند مخطوطة رياضية دخلت بفضلها الأرقام الهندية إلى العالم العربي بما فيها الصفر

ومن الأدب الفارسي نقل ابن المقفع في بغداد قصص كليلة ودمنة كما نقل أبناء بختيشوع ، الأسرة السورية المسيحية ، مبادئ الطب الفارسي الذي كان قد تأثر بالطب اليوناني

ولكن أهم مصدر وأغزره نقل عنه العرب في ذلك العهد إنما كان المصدر اليوناني وذلك كان بفضل نشاط علماء سورية المسيحيين وشيخهم حنين بن إسحق « توفي ٨٧٣ » الذي كان له ولتلاميذه اليد الطولى في نقل كتب جالينوس الطبية ومؤلفات أرسطو العلمية والفلسفية . وكانت عملية النقل من اليونانية إلى الآرامية أو السريانية لغة سورية يومئذ ومن هذه إلى العربية . أما السوريون غير المسيحيين وهم الصابئة عبدة النجوم في حران فإن اهتمامهم اقتصر على علمي الفلك والرياضيات ؛ فنقلوا من اليونانية إلى العربية مؤلفات اقليدس وأرخميدس وكتاب بطليموس في الفلك والجغرافية وهو « المجسطي »

وعقب عصر الترجمة عن الهندية والفارسية والآرامية واليونانية عهد الابداع . فلم يكتف العلماء العربيون بنقل تراث الأجيال السابقة ؛ بل أضافوا إليه الكثير من نتائج تنقيباتهم وأبحاثهم وأغنوها من عندهم قبل أن يورثوها لخلفائهم

ففي الطب نشأ الرازي « توفي ٩٢٥ » الذي كان أول من ميز بطريقة علمية بين الحصبة والجدري . وترجمت كتبه إلى اللاتينية في طليطلة من أعمال إسبانيا بهمة جيرارد الكريموني توفي (١١٨٧) وبعد ذلك في صقلية . وأصبحت كتب التدريس المعول عليها في كليات الطب الأولى في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا . كذلك ترجم جيرارد كتاب « القانون » في الطب لابن سينا « توفي ١٠٣٧ » ولعله أول كتاب يقول بعدوى السل . أما

الطبيب الدمشقي ابن النفيس «توفي ١٢٨٨» فإنه وصف الدورة الدموية قبل سرفيتس البرتغالي المنسوب فضل هذا الاكتشاف إليه بنحو ثلاثة قرون

وفي إسبانيا زها أبو القاسم الزهاوي القرطبي (توفي ١٠١٣) أعظم جراحي عصره . وكتابه في الجراحة ترجم إلى اللاتينية في طليطلة وأصبح الكتاب المعول عليه للتدريس في جامعات أوربا وبقي كذلك في جامعة أكسفورد حتى عام ١٧٧٨ . وزها بعده ابن رشد (توفي ١١٩٨) المشهور بفلسفته الأرسطالية الذي كان أول من لاحظ أن من مرض بالجدري لا يعرض بهذا الداء ثانية ، والذي كان أول من فهم وظيفة شبكة العين . ومعاصر ابن رشد وصنوه في الفلسفة ابن ميمون اليهودي (توفي ١٢٠٤) كان أيضاً طبيباً، ولعله أول من وصف انطمام النباتي للمصاب بالبواسير . أما ابن الخطيب (توفي ١٣٥٠) المعروف بأدبه فإنه كان أحد الأطباء القليلين الذين أدركوا أن الطاعون المعروف باسم الموت الأسود الذي اجتاح أوربا يومئذ وكاد يتركها خلوا من السكان إنما كان ينتشر بالعدوى من المريض إلى السليم لا بأمر الله

وهنالك علمان مساعدان للطب رقاهما العرب إلى حد غير مسبوق : النبات والكيمياء . من هو أعظم عالم نباتي وصيدلي أنجبته القرون الوسطى في العالم المتمدن ؟ هو بلا ريب ابن البيطار (توفي ١٢٤٨) من مواليد ملقا باسبانيا ودفين دمشق الشام . ففي كتابه « الأدوية المفردة » وصف ابن البيطار ١٤٠٠ نبتة منها ٣٠٠ لم يسبقه أحد إلى وصفها . أما علم الكيمياء فيكفي القول أن هذه الكلمة دخلت اللغات الأوربية عن طريق العربية وأن أبا هذا العلم هو جابر بن حيان الذي زها في العراق حوالي ٧٧٦

وفي الكلمات العربية الكيماوية والطبية التي تسربت إلى اللغات الأوربية من العربية — كالإكسير والسودا والشراب والقلي والكحول والأثمد والأنبيق — دليل ساطع على ما هو مدين به العلم الغربي للعلماء العرب

وفي علمي الرياضيات والفلك لمع العالم الفارسي الأصل البغدادي الاقامة الخوارزمي (توفي حوالي ٨٥٠) . فهو أول من صنف كتابا في الرياضيات وعنونه « الجبر » ولما ترجم كتابه في توليدو في أواخر القرن الثاني عشر دخل هذا العلم إلى أوربا ودخل معه اسمه . وبفضل ترجمة هذا الكتاب دخلت « الأرقام العربية » بما فيها الصفر إلى اللغات الأوربية . وكلمة صفر في اللغات الأوربية الحديثة مأخوذة عن الكلمة العربية . والخوارزمي هو أيضاً واضع الزيج الفلكي الذي نقله ألفونسو الحكيم ملك قشتالة وليون (توفي ١٢٨٤) إلى الإسبانية وأصبح أساساً للزيج الفرنسي الموضوع بعدئذ في مرسيلية وانتشر شرقاً حتى الصين

ويكفي للدلالة على فضل علماء العرب على أبناء الغرب أن عدداً من أسماء النجوم — كعقرب والجدي وذنب — لم تزل لليوم في اللغات الأوربية محتفظة بأسمائها العربية

البقية في العدد القادم

فيليب حتي

٦ ـ حسن البنا

الرجل القرآني

بقلم روبير جاكسون

للأستاذ أنور الجندي

«يروى روبير جاكسون فى هذا الفصل قصة لقائه مع الشهيد البنا»

فى فبراير سنة ١٩٤٦ ، كنت فى زيارة للقاهرة .. وقد رأيت أن أقابل الرجل الذى يتبعه نصف مليون شخص ، وكتبت فى النيويورك كرونيكل بالنص :

« زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال فى التاريخ المعاصر ، وقد يختفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه ، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان . وقد صار الإخوان عاملا مهما فى السياسة المصرية ، ويقال إن جملة الإخوان ٨٠ ٪ من لجان العمال والطلبة الذين كانوا فى طليعة الحوادث الصاخبة الأخيرة فى مصر . ويقول الأستاذ البنا : إن حركة الإخوان فوق الأحزاب ، وسبيلها هو العودة إلى القرآن ، وغايتها جمع كلمة المسلمين فى كل أرجاء الدنيا

هذا ما كتبته منذ خمس سنوات ، وقد صدقتنى الأحداث فيما ذهبت إليه ، فقد ذهب الرجل مبكرا .. وكان أمل الشرق فى صراعه مع المستعمر ، وأنا أفهم جيدا أن الشرق يطمح إلى مصلح يضم صفوفه ، ويرد له كيانه ، وطالما رجا الكتاب والمفكرون الغربيون اقتراب اليوم الذى يتحقق فيه هذا الأمل

غير أنه فى اليوم الذى بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدنى ، انتهت حياة الرجل على وضع غير مألوف .. وبطريقة شاذة !

هكذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلا بالكنز الذى يقع فى يده ..

.. لقد لفت هذا الرجل نظرى بصورته الفذة ، عندما كنت أزور القاهرة بعد أن التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الأحزاب فيها

كان هذا الرجل خلاب المظهر ، دقيق العبارة ، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية . لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بينى وبينه أن يصوروا لى أهداف هذه الدعوة ، وأفاضوا فى الحديث على صورة لم تقنعنى

وظل الرجل صامتا ، حتى إذا بدت له الحيرة فى وجهى ، قال لهم قولوا له شيئا واحدا : هل قرأت عن محمد ؟ قلت نعم . قال : هل عرفت ما دعا إليه وصنعه ؟ قلت نعم . قال هذا هو ما نريده

وكان فى هذه الكلمات القليلة ما أغنانى عن الكثير مما حاول بعض أنصار البنا أن يقولوه لى

.. لفت نظرى إلى هذا الرجل سمته البسيط ، ومظهره العادى ، وثقته التى لا حد لها بنفسه ، وإيمانه العجيب بفكرته

كنت أتوقع أن يجىء اليوم الذى يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية ، لا فى مصر وحدها ، بل فى الشرق كله

وسافرت من مصر بعد أن حصلت على تقارير وافية ضافية عن الرجل وتاريخه ، وأهدافه وحياته ، وقد قرأتها جميعا وأخذت أقارن بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ومحمد أحمد المهدى ، والسيد السنوسى ، ومحمد بن عبد الوهاب ، فوصل بى البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا ، وأخذ خير ما عندهم ، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء . ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين ، جرى على إحداهما الأفغانى ، وارتضى الأخرى محمد عبده

.. كان الأفغانى يرى الإصلاح عن طريق الحكم ، ويراه محمد عبده عن طريق التربية .. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معا ، وأن يأخذ بهما جميعا ، كما أنه وصل إلى ما لم يصلوا إليه ، وهو جمع صفوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلى مذهب موحد ، وهدف محدد

ثم أخذت أتتبع خطوات الرجل بعد أن عدت من أمريكا وأنا مشغول به حتى أثير حوله غبار الشبهات حينا ، مما انتهى

إلى اعتقال أنصاره ، وهى مرحلة كان من الضرورى أن يمر بها أتباعه ، ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته

وبالرغم من أننى كنت أسمع فى القاهرة أن الرجل لم يعمل شيئا حتى الآن ، وأنه لم يزد على جمع مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير أن معركة فلسطين ، ومعركة التحرير الأخيرة فى القنال ، قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة . . . قل أن تجد لها مثيلا ، إلا فى تاريخ العهد الأول للدعوة الإسلامية

وقد تقرر أن الرجل كان بعيد الأثر فى كثير من الأحداث العالمية التى وقعت فى الشرق ، بل إن ما وقع فى إيران كان خليقا أن يقع فى كل بلدان الشرق ، لو طال عمر هذا الرجل . . وكان يمكن أن يتحقق لهذه البلاد الكثير لو اتفق حسن البنا وآية الله كاشانى على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة وأهل السنة

لقد التقى الرجلان فى الحجاز سنة ١٩٤٨ ، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال

كل ما أستطيع أن أقوله فى هذه المقدمة ، أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه ، وهى المغريات الثلاث التى سلطها المستعمر على المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التى بذلت فى سبيل إغرائه

وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهده الطبيعى ، فقد تزوج مبكرا ، وعاش فقيرا ، وجمل جاهه فى ثقة أولئك الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته القصيرة العريضة مجانبا لميادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص

وكان يترقب الأحداث فى صبر ويلقاها فى هدوء ، ويتمرض لها فى اطمئنان ، ويواجهها فى جرأة

لقد شاءت الأقدار أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بحادثين من أضخم الأحداث فى الشرق ، فقد ولد عام ١٩٠٦ وهو عام دنشواى ، ومات ١٩٤٩ ، وهو عام إسرائيل

وكان الرجل عجيبا فى معاملة خصومه وأنصاره على السواء ، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلى صفه ، وكان يرى أن الصراع بين هيئتين لا يأتى بالنتائج المرجوة

وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ، ولا يحولها إلى خصومة شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربا عنيفة . .

كان الرجل يقتفى خطوات عمر وعلى ، ويصارع فى مثل بيئة الحسين ، فمات مثلهم شهيدا

وإنى على أتم يقين من أن أى حركة وطنية يمكن أن تظهر فى الشرق بعد ذلك يمكن إرجاعها إلى المقاييس التى وضعها هذا الرائد العملاق

ولا يستبعد أن تؤرخ به الحوادث بعد قليل . .

لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعيا ، بل كان من الضرورى أن يختلف الناس فى رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والقهوات ودور اللهو

وكان لابد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين أدهشهم أن يستطيع هذا الرجل المتجرد الفقير أن يجمع إليه مثل هذا الشباب

ومن الأمور التى لفتت نظرى أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله ، تلك هى إبعاد الأهل عن مغانم الدعوة ، فقد ظل عبد الرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم إخوته بعيدين عن كبريات المناصب ، ولطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب أهله ويضاعف لهم العقوبة إذا قصروا

وقد أتيح لى أن ألتقى بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الإخوان . إنه كان يتمنى لو أن ابنه وضع الكتب فى أمر الإسلام واكتفى بذلك ؛ وقد رد عليه الأستاذ البنا بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق إنشاء الجماعات وتأليف الرجال

السلام صلة — أنور الجندى

١ ـ إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إنها السلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

سمو الأمير محمد على

« إندونيسيا هى جزر الجنة »

إنها قطع من الماس تزين خط الاستواء »

ملنا تولى

بهذه الصفات وصف الكتاب والجغرافيون إندونيسيا . ونحن فى هذه الأيام فى أشد الحاجة إلى أن يعرف بعضنا بعضا مما يؤدى إلى مزيد من التعاون بيننا ؛ فربما كان فى ذلك خير لنا وللناس جميعا . وقد تحدثت إلى القراء الكرام عن الباكستان ، وها أنذا أحدثهم عن إندونيسيا

هناك فى جنوب شرق آسيا وبينها وبين أستراليا تنتشر مئات من الجزر الكبيرة والصغيرة تداعبها أمواج المحيطين الهادى والهندى منذ أقدم العصور.. هذه الجزر هى إندونيسيا

ولفظ إندونيسيا مركب من كلمتين : « إندو » ومعناها الهند « ونيسيا » ومعناها جزر . فإندونيسيا معناها جزر الهند . وكانت هذه الجزائر تعرف فيما مضى باسم جزائر الهند الشرقية ، وكان العرب يطلقون عليها اسم جاوة ، مع أن جاوة اسم لجزيرة واحدة من تلك الجزر المتعددة . وقد حاول الهولنديون تسميتها بالهند الهولندية ولكن الوطنيين رفضوا ، واضطرت الحكومة الهولندية إلى الاعتراف رسميا باسم إندونيسيا فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ تحقيقا لرغبة الوطنيين الإندونيسيين

وفى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعلنت إندونيسيا استقلالها ، وجاهدت فى سبيله ، وأرغمت هولندا على الاعتراف به

تتكون إندونيسيا من مئات من الجزائر يبلغ تعدادها أربعة آلاف تقريبا ، ولكن أهمها : جاوه وسومطره وبورنيو وغينيا الجديدة (ايريان) وسليبس

وتبلغ مساحتها ٧٤٣٫٣٤٠ ميلا مربعا ، أى قدر مساحة أوربا تقريبا ، وعدد سكانها ٧٢ مليونا منهم ٩٥ ٪ مسلمون ، ٥ ٪ مسيحيون وبوذيون

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهى أن إندونيسيا بمعناها السياسى تشمل الجزائر التى كانت خاضعة لحكم هولندا ثم استقلت عنها وهى التى ذكرناها سابقا . أما إندونيسيا (١) بمعناها الجغرافى فتشمل : جزائر الفلبين وكانت خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية ثم استقلت عنها ؛ وجزيرة فرموزا وهى مقر حكومة الصين الوطنية حاليا ؛ وشبه جزيرة الملايو وهى تحت حكم بريطانيا ؛ وجزيرة مدغشقر وهى تحت الحكم الفرنسى

ويتكلم الإندونيسيون اللغة الإندونيسية وهى لغة دولتهم الرسمية ، ولكن اللغة العربية منتشرة تؤدى بها الصلاة ويقرأ بها القرآن وتخطب الجمعة ثم تترجم إلى اللغة الإندونيسية

ومناخ إندونيسيا استوائى ، ذلك أن خط الاستواء يمر بوسطها ، فهذه الجزائر تقع بين خطى عرض ٢٠ درجة شمالا و ٢٠ درجة جنوبا . ولكن يجب أن نذكر أن ارتفاع سطح هذه الجزائر وإحاطة البحر بها كان لهما تأثير كبير فى المناخ ، فقد خففا من حدة الحرارة وجعلا مناخ هذه الجزائر جميلا معتدلا وهواءها رطبا نقيا . والدليل على ذلك أن درجة الحرارة فى جاكارتا (بتافيا) تتراوح بين ٢٠° ، ٣٥° ويبلغ متوسطها فى شهرى فبراير ويناير ٢٥٫٣° وفى شهرى يولية وأغسطس ٢٥٫٨° وفى هذه الشهور تكون الشمس متعامدة على خط الاستواء

وفى هذه المنطقة تنعدم الفصول ، فالحرارة دائمة ولكنها تزيد نوعا عند تعامد الشمس على خط الاستواء فى مارس وسبتمبر وتقل نوعا فى يونيه وديسمبر لأن الشمس تتعامد فى هذين الفصلين على مدارى السرطان والجدى

والمطر فى هذه المنطقة كما هو الحال فى الأقاليم الاستوائية دائم ، ولكنه يزداد فى فصلى تعامد الشمس على خط الاستواء ويقل نوعا عند تعامدها على المدارين

ونظرا لوفرة المطر والحرارة فرز الإنبات فى إندونيسيا ،

---

(١) إندونيسيا العظمى

وهى غنية بمناظرها الطبيعية الساحرة ، وتكثر فيها البراكين والجبال الخضراء كما تكثر فيها البحيرات والأنهار التى تروى تلك الأرض الواسعة المنبسطة المكسوة بالسندس الأخضر الذى يعطى منظرا فردوسيا جميلا ورونقا سحريا أصيلا ، وقد قال سمو الأمير محمد على حين زار إندونيسيا « إنها سلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

وهذه الجزائر غنية بالإنتاج الزراعى والمعدنى ، فهى تنتج المطاط وجوز الهند والسكر والشاى والبن والتبغ والسكينا والتوابل والخيزران والأخشاب والأرز والفواكه والبترول والفحم والقصدير والرصاص والذهب والحديد

وتنتج إندونيسيا ⅔ المطاط العالمى و ⅔ قصدير العالم

دولة إسلامية

يقتحمنى كثير من المستشرقين على الإسلام ويقولون عنه إنه دين انتشر بحد السيف . وليس أقوى فى الرد على هؤلاء المفترين من ذكر قصة انتشار الإسلام فى إندونيسيا . ذلك أنه معروف بداهة أن العرب لم يرسلوا حملة أو حملات إلى إندونيسيا لفتحها أو لنشر الإسلام بها .. وإذن فكيف دخل الإندونيسيون فى الإسلام ؟

وللاجابة عن هذا السؤال أحب أن أتحدث فى كثير من الإيجاز عن تاريخ إندونيسيا

يعتقد بعض الجغرافيين أن الإنسان الجاوى كان أقدم أنواع السلالات البشرية التى وجدت فى العالم . ويؤمن هؤلاء بأن موقع جاوة المتوسط فى العالم مما ساعد على انتشار الإنسان فى الكرة الأرضية ، فجاوة سهلة الاتصال بأستراليا وبآسيا ومنها إلى أوربا وأفريقيا وأمريكا . لكن هذه النظرية ما تزال فى حاجة قوية إلى براهين تؤكد صحتها ، وإن كان من الثابت أن الإنسان الجاوى كان من أقدم سلالات الإنسان ، فقد وجدت بقايا جثمانية يقدر عمرها بأربعين ألف سنة

ويرجع أصل الإندونيسيين الحاليين إلى الجنس المغولى الطورانى . وقد هاجروا إليها من وراء جبال هيمالايا ووصلوا إلى الساحل الهندى ومن هناك ركبوا البحر إلى الأرخبيل الإندونيسى . وهناك هجرات أخرى وصلت إلى إندونيسيا عن طريق جنوب شرق آسيا والصين والصين الهندية

وفى ٥٤٥ م تعرضت إندونيسيا لهجرات أخرى من الهند، وتتابعت تلك الهجرات، واستوطن الهنود وتناسلوا حتى أصبحوا من أهالى البلاد الحقيقيين ، وأقاموا فيها ممالك ودولا واسعة الأرجاء مترامية الأطراف، وكانت لها مستعمرات وأساطيل تشق عباب البحار ، ووصلت تجارتها إلى الصين وأستراليا الشمالية وأفريقيا والهند وبلاد الفرس ، ومن هنا كانت البضائع تنقل بواسطة القوافل إلى البندقية بإيطاليا عن طريق آسيا الصغرى ومنها توزع فى سائر أنحاء أوربا

وفى هذا العصر انتشرت الديانة الهندوكية فى إندونيسيا وشيدت كذلك المعابد والتماثيل للاله بوذا ، وكذلك تشبع الإندونيسيون بالثقافة الهندية واصطبغ المجتمع الإندونيسى بالصبغة الهندية فظهر نظام الطبقات المعروف عند البراهمة : طبقات الكهنة ورجال الدين وطبقة الأشراف والحكام وطبقة التجار والصناع وطبقة العمال والرقيق

ويسمى هذا العصر بعصر الديانة الهندية

دخول الإسلام

ليس من السهل تحديد مبدإ دخول الإسلام فى إندونيسيا ، ولكننا نستطيع أن نحدده بالتقريب على قدر الإمكان . فقد ورد فى بعض كتب التاريخ أن التجار المسلمين من الهنود والفرس والعرب قد وصلوا فى القرن التاسع الميلادى إلى شبه جزيرة الملايو . وليس معنى هذا أن الإسلام دخل تلك المنطقة فى ذلك الوقت ، ولكن معناه أن الاتصال بدأ بين المسلمين وبين سكان تلك البلاد فى ذلك الوقت على وجه التقريب

وتروى كتب التاريخ بعد ذلك أن أحد الأمراء المسلمين من الهنود قد هاجر إلى سومطرا وعرض على سلطانها أو أميرها الإسلام فأسلم ولقب بالملك الصالح وقد توفى هذا الملك ١٢٩٧ م

ويؤيد هذه الرواية ما ذكره الرحالة الإيطالى ماركو بولو الذى زار سومطرا ١٢٩٢ حيث قال « إن سكان مدن هذه المملكة مسلمون »

وهكذا نستطيع أن نقول إن الإسلام قد دخل إندونيسيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

على يد من دخل الإسلام إندونيسيا ؟ ليس من السهل تبيان ذلك على وجه التحقيق . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن التجار العرب هم أول من أدخل الإسلام ؛ ويقول فريق آخر إن الهنود أول من نشر الإسلام في تلك البلاد ، ويذهب فريق ثالث إلى أن الإسلام قد دخل إندونيسيا على يد علماء من الفرس ، ويؤيدون ذلك بوجود بعض كلمات إندونيسية مشتقة من أصل فارسي

ويذهب فريق رابع إلى أن الإسلام دخل إندونيسيا بواسطة التجار الإندونيسيين الذين وصلوا بتجارتهم إلى الخليج الفارسي حتى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، ثم بواسطة الهنود والفرس والعرب بعد ذلك

ومهما يكن الأمر فإن دخول الإسلام في إندونيسيا لم يتم بواسطة سيف أو رمح وإنما تم على يد التجار المسالمين الذين دعوا الإندونيسيين إلى الإسلام فاستجابوا لهم ودخلوا في دين الله أفواجا

وقد كانت سومطرا أول الجزائر دخولا في الإسلام ومنها انتشر في سائر أنحاء إندونيسيا ، وبهذا انكمش ظل البوذية وأصبح ٩٥ ٪ من الإندونيسيين مسلمين

وقد كانت الدول الإسلامية التي قامت في إندونيسيا عظيمة قوية ، وظل المسلمون سادة إندونيسيا حتى بدأت النهضة الأوربية الحديثة، وكشف طريق رأس الرجاء الصالح وتكالبت الدول الأوربية على الاستعمار . هنا بدأ صراع رهيب بين الهولنديين الذين عملوا على استعمار إندونيسيا وبين الإندونيسيين، وقد انتهى النزال بسيادة هولندا على حكام تلك الجزائر . ولكن الشعب الإندونيسي ظل يقاوم . وقد تعرض دعاة النهوض من أبنائه الكثير من الأذى والاضطهاد ، فقد سجن ونفي الكثيرون، وعذب وشرد آخرون ، ولكن الإندونيسيين صبروا والعقبى للصابرين

ذلك أنه في ١٩٤٠ دخلت اليابان الحرب وبدأت تستولي على الممتلكات الأوربية في جنوب وشرق آسيا ، فاستولت على الصين وعلى الصين الهندية وعلى إندونيسيا وطردت الهولنديين ووقفت على أبواب الهند

وفي ١٩٤٥ هزمت اليابان وسلمت . حاول الهولنديون أن يعودوا إلى حكم الإندونيسيين ، ولكن الإندونيسيين أعلنوا استقلالهم في ١٧ أغسطس ١٩٤٥ . حاولت هولندا إرغام الإندونيسيين على عودة الحكم الهولندي، ولكن الإندونيسيين استبسلوا في الدفاع عن حريتهم وهزموا الهولنديين ، واضطرت هولندا إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا في ١٧ أغسطس ١٩٤٩ . مرديكا

للبحث صلة

أبو الفتوح عطيفة

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

أبو العتاهية والرشيد :

ليس يعنينا من حياة الشاعر فى عهد موسى الهادى إلا ما أظهره الأول من قصر النظر ونكران الجميل ، فقد كان الشاعر أثناء حكم المهدى صنيعة من صنائع هارون الرشيد ، وكان ذلك بالطبع يغضب الهادى المنافسة التى كانت بين الأخوين . ولم يكد الأخير يلى الحكم حتى أقبل عليه الشاعر إقبال المنقطع إليه، وأعرض عن هارون بل آذاه إيذاء مريراً لا ضرورة إليه ولا مبرر له . انظر إليه كيف يعرض بهارون فى أبيات قالها مهنئاً الهادى بمولود : —

أكثر موسى غيظ حساده ... وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد ... أصيد فى تقطيع أجداده
كأننى بعد قليل به ... بين مواليه وقواده
فى محفل تخفق راياته ... قد طبق الأرض بأجناده

من ذلك الحاسد الذى أكثر موسى غيظه ؟ أليس ذلك الحاسد هو الرشيد ؟ إننا لا نشك فى أن ذلك هو مراد الشاعر؛ إذ أن نزاعاً مريراً كان قائماً إذ ذاك بين الرشيد والهادى بسبب محاولة الأخير تولية ابنه جعفراً العهد بدلا من هارون ولى العهد الشرعى

فليس عجيباً والحال كذلك أن يبادر الرشيد بإرسال أبى العتاهية إلى السجن عقب تولية الخلافة عقاباً له على ما أظهره من نسيان للجميل وخروج على مقتضيات اللياقة . بل العجيب حقا أن يذكر صاحب الأغانى أن الرشيد إنما أرسل الشاعر إلى السجن لامتناع الأخير عن إنشاد شئ من الشعر له ، وما امتنع فيما يرويه الأغانى إلا حفظاً لعهد الهادى وضنا بشعره أن ينشد لأحد من بعده ، وكيف يصبر الرشيد على كل هذا العبث ، بل كيف يسمح للشاعر تعريضه به فى شعره وهو الذى قتل أبا عصمة رئيس حرس جعفر بن الهادى لقوله له يوماً وقد قابل جعفراً على أحد جسور بغداد : — « انتظر حتى يمر ولى العهد »

ومهما يكن من أسباب تلك الجفوة القصيرة فقد عادت الحال بين الرشيد والشاعر إلى ما كانت عليه من قبل ، ونسى الخليفة أو تناسى ما كان من سوء أدب الشاعر وقلة وفائه . والحق أن هارون كان مضطرا إلى مثل ذلك التغافل والتجاوز عن سيئات الشاعر إذ لم يكن له غنى عنه . فهارون مولع بالفتيات الحسان يحادثهن ويختلط بهن ويسمع إليهن ينشدن الشعر ويغنينه أو يعزفن على نغماته ، وما أكثر ما يجيش فى صدر الخليفة من عواطف أو يعتلج بباله من خواطر نتيجة لاختلاطه بأولئك الجوارى الحسان . وما أشوقه إلى أن يرى خواطره وقد ترجمت فى شعر عذب وصارت أغانى وأناشيد تصدح بها جواريه الفاتنات . يروى لنا التاريخ — وما أقل ما يروى بجانب ما يهمل — أن الرشيد ربما أنشد البيت أو البيتين محاولا التعبير عن فكرة أو خاطر خطر له ثم يكل ذهنه ، وهناك يلتفت إلى من حوله من الشعراء علهم يسعفونه بإتمام ما بدأ . ويروى التاريخ أيضاً أنه ربما أعجب الرشيد بالبيت أو البيتين من الشعر وشرب عليهما وطرب وغنى أن لو وجد من الشعراء من يلحق بهما بيتاً أو أكثر حتى يطول طربه وسروره ، ومن أولى الناس بالجلوس إلى جانب الخليفة وإسعافه فى مثل تلك الحال من أبى العتاهية الذى يقول فيه بشار بن برد وقد عجب من سرعة خاطره وسهولة قول الشعر عليه : « أشعر الناس مخنث أهل بغداد الذى يتناول شعره من كمه »

على أن شيئاً آخر كان يزيد فى تعلق الرشيد بأبى العتاهية وشغفه بشعره وذلك هو حبه لعتبة ، فقد خلق ذلك الحب بين الشاعر والخليفة نوعاً من المشاركة الوجدانية حيث كانا يجتمعان فيشكو كل منهما ما يلاقى فى سبيل غرامه . ولعل الأبيات التالية تصور لنا أدق تصوير ما كان بينهما من علاقة فى ذلك الشأن ، وقد بلغ من تذوق الخليفة لتلك الأبيات وإحساسه بصدق معانيها أن أمر بإحضار الشاعر من سجنه وطلب إليه أن يعيد إنشادها

على مسامعه ثم أمر له بخمسين ألف درهم على أثر سماعها ، واليك الأبيات : —

يا عتب سيدتى أمالك دين حتى متى قلبى لديك رهين
وأنا الذلول لكل ما حملتنى وأنا الشقى البائس المسكين
وأنا الفداة لكل باك مسعد ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس إن لذاك عندى راحة للصب أن يلقى الحزين حزين

أحس أبو العتاهية حاجة الرشيد الشديدة إليه فداخله شئ من الغرور والبطر، ولم يعد يكفيه أن صار جليس الخليفة وشاعره الأول، وفى ذلك مافيه من تكريم ، ولا أن يتناول كل عام خمسين ألف درهم عدا ما يتفضل به الخليفة من منح وعطايا فى شتى المناسبات، بل أخذ يلح عليه فى أن يزوجه من عتبة، ولم لا؟ لقد كانت عتبة فيما مضى تعتذر عن الزواج بأنها كانت تخشى غضب المهدى أو زوجه .. أما الآن وقد ماتا وأصبح أمرها بيد هارون فما الذى يقف فى سبيل زواجه منها ؟ ولم يكن الرشيد متحمساً لذلك الزواج، ولعله كان يعرف من أمر عتبة الشئ الكثير، ويعلم مقدما أنها لن توافق عليه ، ومن ثم أخذ يكسب الوقت باعطائه ميعاداً إثر ميعاد، واستمرت الحال على ذلك عشر سنوات كاملة . عشر سنوات ملأت الشاعر نقمة على ذلك الخليفة الذى يشرب ويطرب على ما أنشده الشاعر فى عتبة من أشعار أودعها ذوب قلبه وعصارة نفسه ، ثم لا يتحرك لإنقاذه أو يخف لتخفيف آلامه. نعم يروى المؤرخون أن الرشيد زار عتبة يوما من الأيام وفاتحها فى شأن الزواج من أبى العتاهية فرفضت ، فعاد الخليفة أدراجه واعتبر الأمر منتهيا . وما كان الشاعر من السذاجة بحيث يعتقد أن هارون مع ما كان عليه من بطش وجبروت قد عجز عن أن يحمل عتبة على الزواج منه لو أنه أخذ الأمر بشئ من الحزم والجد . وهكذا وقر فى نفس الشاعر أن عشر سنوات كاملة كلها إخلاص وتفان فى خدمة الرشيد ما كانت لتوجب للشاعر عليه وقفة واحدة حازمة ، وقفة لو أنها تمت لغيرت من حياة الشاعر وذهبت بكل ما كان يعانيه من بؤس وحرمان، وما يحسه من ضعة وهوان . ومن الحق أن يقال إن عتبة لم تكن فى نظر الشاعر مجرد فتاة ينالها أو يفشل فى الحصول عليها ، وما كان أهون خطبها لو كانت كذلك ، فما أكثر أولئك الذين يحبون ويفشلون ثم لا يغير ذلك الفشل من مجرى حياتهم أو يضع من أقدارهم أو يسئ علاقتهم بغيرهم ، ولكن لشاعرنا ظروفا خاصة.. فقد كان فشله فى الزواج من عتبة الدليل الواضح على صحة ما كان يهجس فى نفسه وما يتحدث به أعداؤه ومنافسوه من أنه وضيع بحكم مولده ونشأته.. وأن اى نجاح أدبى أو ثراء مادى لن يغير من تلك الحقيقة شيئا..ومكن ذلك المعنى فى نفسه إشارة عتبة أثناء رفضها الزواج منه إلى نشأته المتواضعة . ومن ثم ود الشاعر لو بدد تلك الهواجس التى كانت تلاحقه واكتسب ثقة بنفسه عن طريق الزواج من عتبة

ونعود إلى هارون فنرى الشاعر وقد مل مقامه عنده وغناءه له، وتمنى أن لو وجد بابا غير بابه يذهب إليه، وقد سنحت له الفرصة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، فقد تولى الفضل بن الربيع حجابة الرشيد فى تلك السنة، وأخذ يضع الخطة لتقويض سلطة البرامكة، وسلاحه الأول فى ذلك الدس والوقيعة ، ذلك السلاح الفتاك الذى استعمله والده بنجاح ضد منافسه أبى عبيدالله وزير المهدى. ولكن أنى له ذلك وهارون وجعفر البرمكى روحان فى بدن واحد(١) ومجالس المنادمة والغناء تجمع بينهما من يوم لآخر ، فإذا ما شربا وطربا تكاشفا حتى لا يكاد يخفى أحدهما عن أخيه شيئا . فكيف يكون الحال لو كذب الفضل كذبة أو افترى فرية وألقى بها فى أذن الرشيد فما كتشفها جعفر ولما تعمل عملها فى نفسه بعد ؟

لابد إذن لضمان نجاح خطة الفضل والتأكد من سريان سمومه فى ذهن الرشيد من وضع حد لتلك المجالس الصاخبة التى تجمع بينهما ، فلينتزع الفضل من مجلسهما إذن أبا العتاهية حتى لا يشيع البهجة والمرح فيه بما يمدهما به من شعر الغناء ؟ بل ولتوجد الوسيلة للتشهير بتلك المجالس، وليذكر الناس بما فيها من مخالفة للدين ، ولتوضع الأشعار للتنفير منها وممن يرتادها من الناس

ومن أولى بأداء تلك المهمة من أبى العتاهية فهو ساخط على الرشيد بل ساخط على الحياة والأحياء جميعا ، وهو رجل

(١) كان هارون وجعفرا يلبسان فى بعض مجالسهما ثوباً واحداً ذا فتحتين للرقبة

حريص يحب المال ويسعى إليه ولا يبالى بما يركبه من أهوال فى سبيل الحصول عليه . وهو قبل كل ذلك شاعر مطبوع قادر على قول الشعر فى كل فن وبكل مناسبة . فاتح الفضل أبا العتاهية فى ذلك الأمر، وأيأسه من هارون ومن عتبة ووعده الحماية من كل سوء أو مكروه يصيبه بسبب إعراضه عن الرشيد وهجره لمجالسه ، ووعده إلى جانب ذلك مالا كثيراً إن أنصت إليه واستجاب لرجائه . وانضمت زبيدة إلى الفضل، فهى حريصة على وضع حد لمجالس اللهو والطرب التى كان يجلسها الرشيد لأسباب لا تقل وجاهة عن تلك الأسباب التى حملت الفضل على بغضها والعمل على فضها ، إذ أن تلك المجالس تجمع بين الرشيد والجوارى الحسان من مغنيات وراقصات وعازفات ، وفى ذلك ما فيه من استهواء للرشيد وشغل له عن زوجه وابنة عمه زبيدة

وما إن سمع الشاعر ذلك العرض حتى قرر أن يقف من الرشيد موقفاً حازماً لا تردد فيه ولاهوادة، فأخبر الرشيد أنه لن يقول شعرا فى الحب مالم يخط خطوة عملية فى شأن تزويجه من عتبة التى تلهمه ذلك الشعر

وتعقد الموقف حين ثارت ثائرة الرشيد .. فأمر بإرسال أبى العتاهية إلى السجن وأقسم ألا يخرجه منه حتى يقول شعرا . وهنا أقسم الشاعر أيضاً أنه لن يتكلم سنة إلا بالقرآن أو .. لا إله إلا الله ، وتلك حيلة بارعة من الشاعر .. فهو يعطى الخليفة سنة كاملة كى يصحح موقفه فيها فإن رجع لصوابه وزوجه من عتبة عاد إلى حظيرته .. وإن أبى إلا إهمال الشاعر والاستهانة بشأنه انضم إلى معسكر الفضل وزبيدة غير آسف ولا متردد ، ولم ينس الشاعر أن يكتب إلى الخليفة من سجنه بأشعار ذات مغزى واضح ، أنظر إليه وهو يجادل الرشيد جدالا منطقياً ويعجب له كيف يطلب إليه أن يقول شعراً فى الحب وقد حرمه من عتبة التى كانت تلهمه ذلك الشعر :—

وكلفتنى ما حلت بينى وبينه وقلت سأبغى ما تحب وما ترضى
فلو كان لى قلبان كلفت واحداً هواك وكلفت الخلى لما يهوى

ثم انظر إليه وهو يذكر الرشيد بمواعيده التى لا تنتهى إلى غاية : —

يا رشيد الأمر أرشدنى إلى وجه نجحى لا عدمت الرشدا
وابلائى من دعاوى آمل كلما قلت تدانى بعدا
وأمنى بغد بعد غد ينفد العمر ولم ألق غدا

ومضت السنة ولم يستجب الرشيد أو قل لم تستجب عتبة لدعاء الشاعر الذى لم يجد بداً من الانضمام إلى المعسكر الآخر ، متخذاً لنفسه أسلوباً جديداً فى الحياة ، بنى بأغراض زبيدة والفضل ويقضى حاجات فى نفسه هو، وتلك الحاجات هى التنفيس من عواطفه المكبوتة ، والتعبير عما يكنه للحياة والأحياء من سخط ونقمة

وبعد فقد بينا هنا ما كان للفضل وزبيدة من أثر فى ذلك الانقلاب الذى طرأ على الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وسنكشف فى المقال التالى بعون الله تعالى عما لدينا من أدلة تثبت أن اتفاقاً كهذا قد تم بين الفضل وزبيدة من جهة ، وأبى العتاهية من جهة أخرى

دكتور محمد السكفراوى

تاريخ الحركة العلمية الحديثة في حضرموت

للأستاذ أحمد عوض باوزير

قبل خمسين عاما ، أو أكثر كانت (حضرموت) تعيش في عزلة تامة عن تطورات الثقافة في الأقطار العربية . وكانت دور (الكتاتيب) التي عاشت إلى وقت متأخر جدا هي كل ما هناك من مظاهر الحياة العقلية والعلمية

ويجوز أن تكون (حضرموت) قد عرفت من مظاهر الحياة العلمية والعقلية غير هذه (الكتاتيب) . إلا أننا لا نستطيع أن نحدد ، من الناحية التاريخية ، معالم تلك الحياة ، أو نتبين آثارها الأدبية . فإن دراسة تاريخ الحياة الأدبية ، والسياسية ، والعقلية في حضرموت ليس من المتعذر فحسب وإنما كذلك عمل شائك لا يخلو من المفارقات والملابسات

ونحن لا نريد أن نتبع مذهب (ديكارت) في هذه الدارسة العلمية ، أو مذهب (الشك) كما يسميه الدكتور (طه حسين) ؛ لأننا في فجر هذه النهضة الحديثة نطمع في الظفر بمعلومات أوفى ، عن مظاهر الحياة العقلية ، والعلمية . ولقد سررنا كثيرا ، للفتوحات الجديدة ، في التأليف عن التاريخ العام لحضرموت ، وهي الفتوحات التي بدأها الأستاذ (صلاح عبد القادر البكري) حين أخرج كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) وهو تعريف موجز بالحكومات السياسية ، التي تعاقبت على (حضرموت) منذ صدر الإسلام إلى أواخر عهد السلطنات القائمة

أما بعد : فإن (الكتاتيب) التي أثبتنا أنها كل ما بقي لنا من مظاهر الحياة العقلية والعلمية ، فيما قبل الخمسين عاما الماضية لا ينفي أن يكون هناك من (النوابغ) من كانت ظروف حياته الماشية أو أحوال استعداده الفطري قد أعانته على التفوق في العلوم الدينية والعربية ، غير أن هذه (الحالات) الفردية لا يصح أن تكون مرآة صادقة للحياة العقلية والأدبية

والذي يمكن الاطمئنان إليه في معرفة نشأة الحياة العقلية ، في (حضرموت) هو أن ظهور المدرسة القديمة ، أو ما يسمونه (بالجامع العلمية) ، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري كان بداية طبيعية لتلك الحياة . وهذه (الجامع) تشبه إلى حد ما في نظام دراستها ، تلك الجوامع القديمة التي كانت منتشرة في حواضر الدولة العباسية

وأشهر هذه (الجامع) التي نريد التنويه بفضلها ، هو (مجمع الشاطري) في سيئون ، ومجمع (ابن سلم) في الغيل ، ومجمع (مشهور) في الشحر . والمجمعين الأولين ، أكثرهما تأثيرا في الحياة العقلية ، وأبعدهما خطرا ، في الحياة الاجتماعية . وإليهما ينتسب أغلبية (المتعلمين) من ذوي الكفاية النادرة ، والإنتاج الرفيع . وقد كان يقوم بتدريس اللغة العربيه ، وأصول الشريعة الإسلامية فيهما أساتذة قديرون حذقوا تلك (الاختلافات) في المسائل الفرعية التي امتلأت بها كتب (الحواشي) المطولة و (الشروح) التقريرية

ويكفي للتدليل على أهمية هذه (الجامع العلمية) أن يكون من خريجيها أمثال السيد (ابن هاشم العلوي) والمرحوم الشيخ (عبد الله محمد بن طاهر) والأديب المؤرخ (سعيد عوض باوزير) والسيد (محسن جعفر بوفي) . وغيرهم كثيرون

وهذا لا يمنع أن يكون لدينا من الملاحظات عن هذه (الجامع العلمية) ما يفيد في تصوير الأحوال ، داخل هذه (الجوامع) . وهي ملاحظات استخلصناها أثناء مراجعاتنا للأنظمة التعليمية في المدة الحاضرة ، وأولى هذه (الملاحظات)

هو ما نسميه اليوم (بفوضى المناهج) فالطالب فى هذه (الجامع) لا يمكن أن يتقيد (بالزمن) سواء أكان فى التحاقه، أو فى الأعوام الدراسية أو فى مواعيد حضوره وغيابه

وقد يبدو أن هذه (الملاحظة) ليست على شئ من الأهمية ، أو الخطورة والعكس — فى نظرنا — هو الصحيح . فإن هذه (الفوضى) تكون قد حرمت الكثير ، الفرصة للاستفادة من (المواعيد) ولذلك تضطرهم إلى البقاء داخل هذه (الجوامع) أعواما أطول

وثانى هذه (الملاحظات) أن هذه (الجوامع) تسرف كثيرا فى مناقشة (الآراء) المتضاربة أو ما يسمونه بأقوال (الحواشى) وهى أقوال عديمة الفائدة ، تؤثر فى نفسية (الطالب) تأثيرا خطيرا ينتهى به إلى (الفناء) وسط تلك (الحواشى) ويبعده عن الجوهر والعرض

وهناك غيرهما من (الملاحظات) . غير أننا لسنا بصدد الدراسة الخاصة . وفى هذا القدر الذى أثبتناه ما يكفى للتعريف بأحوال (الجامع) ونظام دراستها

وظهرت فى هذه الأثناء (المدرسة الحديثة) وهى تختلف تمام الاختلاف عن نظام الدراسة فى تلك (الجامع العلمية) . وأولى هذه المدارس هى مدرسة (الداغ) فى المكلا . وكان قد دعا إلى تأسيسها السيد (حسين آل الداغ) وهو من الحجازيين الذين فروا على أثر الحملة النجدية الوهابية

وأنشأت (مدرسة الداغ) فى المكلا فرقة للكشافة ، كانت أول فرقة منظمة . كما قد أجازت تعليم (الجغرافيا) و (التاريخ) و (الأشياء) وهى العلوم التى كانت (العامة) تعتقد أنها تفسد الدين ، وتؤذى (الأسلاف) ..

وعلى أثر ارتقاء عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) عرش السلطنة القعيطية ، تغيرت الحياة العلمية تغيرا كبيرا . واقترن عهده (الزاهر) بالنهضة الحديثة التى سنأتى على وصفها فى النبذة التالية : —

وقبل الإفاضة فى الحديث عن مقومات النهضة الحديثة نعود إلى ذكر الحكومات السياسية المعاصرة التى تحكم (حضرموت) . وهى الحكومات التى ترتبط و(الدولة البريطانية) بمعاهدة التحالف والصداقة . وأكبر هذه الحكومات نفوذا ، وأوسعها رقعة . هى الحكومة (القعيطية) . ويتولى عرش هذه الحكومة ، عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) وهو يحكم القطاع الساحلى ، ومناطق أخرى فى البلاد الداخلية ؛ وأشهر مدنها (المكلا) . وهى من الموانى الهامة فى جنوب الجزيرة العربية ، وعاصمة الحكومة القائمة . و (الشحر) وهى المدينة التاريخية القديمة . و (الغيل) وهى من المناطق الزراعية ، ومركز النهضة العلمية الحاضرة . و (شبام) وهى مدينة التجارة

وثانى هذه (الحكومات) هى الدولة الكثيرية . وهى من الحكومات القديمة التى يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثامن الهجرى . ورئيس الحكومة الحالى هو السلطان (حسين بن على بن منصور الكثيرى) و (تريم) و (سيئون) وهما من المراكز العلمية والأدبية فى تاريخ النهضة — يخضعان (للحكومة الكثيرية) والأولى من المدن التاريخية القديمة ، والثانية عاصمة الحكومة الحاضرة ، ومهبط الأدباء ، والمؤرخين من المحدثين

وهناك غيرهما من الحكومات . وهو ما نسميه بالحكومة القبلية . ولكن هذه الحكومة آخذة فى الزوال بفضل سياسة دار المستشار البريطانى المقيم التى دأبت على نشر الأمن العام والقضاء على العصاة ، من الخارجين على الحكومتين ، الفعليتين

ولعل من أبرز مقومات النهضة الحديثة ، فى بلدان السلطنة القعيطية ، هو تلك الجهود الصادقة التى يبذلها عظمة السلطان لتشجيع الحركة العلمية والاقتصادية . فقد ظل يتفقدهما برعايته ويتعهدهما بتوجيهه وإرشاده . وكان قد عهد إلى دار المستشار البريطانى ، المقيم فى وضع تقرير شامل لإصلاح التعليم . ووضع هذا التقرير ، عميد معهد التربية بالسودان المستر (قرفث) بدعوة من الحكومة القعيطية . ووكل المستر قرفث إلى الأستاذ

(القدال) تنفيذ تلك المقترحات . وهو من المواطنين السودانيين والأستاذ القدال هو الذى تولى بعد ذلك ، سكرتارية الدولة القعيطية . بعد أن أمضى عشر سنوات ، فى خدمة التعليم بحضرموت ، وتم فى العشر السنوات الماضية ١٩٣٩ — ١٩٥١ توحيد المنهج العام وترميم المدرسة الوسطى . وإنشاء مدرسة المعلمين والثانوى الأصغر والمعهد الدينى الجديد . ووسعت خزينة الدولة الإنفاق على هذه المشاريع العلمية ، كما استجلبت عددا من الموظفين السودانيين للعمل على تنفيذ توصيات المستر قرفث بشأن تقدم التعليم

وقد تم فى السنوات الخمس الماضية إيفاد المبعوثين من خريجى التعليم الأوسط ، إلى المدارس الثانوية فى مصر ، والسودان ، وسوريا ، والعراق . وقد عاد بعض هؤلاء إلى حضرموت والتحقوا بالمصالح الحكومية فى الدولة

ومن المآثر الطيبة التى خلدها عظمة السلطان ، هو تأسيس المكتبة السلطانية بالمكلا ، وهى من المكتبات الشهيرة ، وتضم من المؤلفات القديمة والحديثة ما يربو على الثلاثة الآلاف فى مختلف الفنون والعلوم

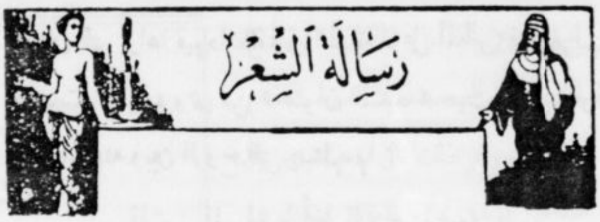
وعلى الرغم من النقص المالى الذى تعانيه خزينة الدولة الكثيرية فإنها لم تقصر فى العناية ، بالشؤون التعليمية . فقد أنشأت المدرسة السلطانية فى سيئون . وتولى إدارتها على التوالى ، السيد محمد بن هاشم العلوى والسيد على بن شيخ بلفقيه ، وتدرس الحكومة الحاضرة مشروعا جديدا . لإنشاء نظارة للمعارف . وأعربت دار المستشار البريطانى عن استعدادها لتقديم الإعانات المالية لهذا الغرض . ويقوم السيد على بن شيخ بلفقيه فى هذه الآونة بدراسة نظام التعليم الحالى فى مدارس الدولة القعيطية ، وهو من المتحمسين للفكرة والداعين إلى الوحدة

وهناك غير هذه المدارس الرسمية فى الحكومتين المدارس الأهلية ، وهى تسير وفق مناهج خاصة ، مقتبسة من مناهج التعليم فى البلاد العربية . ولا يزال التعليم الأهلى يفتقر إلى الجهود الكثيرة ، والإعانات المالية ، ليؤدى رسالته العامة على الوجه الصحيح

ويقترح الأستاذ صلاح عبد القادر البكرى فى كتابه الجديد عن رحلته فى جنوب الجزيرة العربية ، أن يقوم المسئولون ، فى نظارة المعارف على إجراء تعديل شامل ، فى المنهج السودانى ليتمشى والأحوال الطبيعية ، والتربوية فى حضرموت

هذا هو تاريخ الحركة العلمية الحديثة . فى حضرموت . أجملناه فى هذه الصفحات . وهو تعريف بأوجه النشاط العلمى والثقافى فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ حضرموت . نرجو أن يفيد فى التعريف ، بهذه البلاد العربية ، التى تسعى حثيثا إلى النهضة والرقى

أحمد عوض باوزير



ربيع الشاعر..

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

من أى عهد عتقت نشوانى   سكر الرحيق وعربدت كاسانى

ما الخلد، ماروضاته، ماالسحر ما   آياته .. من هذه الآيات

ما العود ما رناته، ما الناى ما   حناته .. من هذه الحنات

ما الظل، ماأفياؤه، ما النور ما   لماحه .. من هذه اللمحات

دنيا من الألق العلى تنزات   من أفقها السامى لغور حياتى

فإذا الربيع يلفنى بصفاته   وألفه بمشاعرى وصفاتى !

وإذا حياتى جنة . جل الذى   قد صاغها من صحوة وسبات

ينساب فيض العطر بين زهورها   كشاعرى تنساب منتشيات

كشاعرى رشفت سلاف ربيعها   حسا، وكم سكرت من الرشفات

فهتفت من فرط الهيام وعربدت   كأسى وجن الخمر من نشواتى

أنا من ربيعك ياوجود فلاتدع   صنو الربيع يهيم فى ظلمات !

علمتنى أن الحياة حقيقة   ضحكت فهل علمتنى ضحكاتى ؟

هذا الربيع اليوم لست أحسه   وهماً ، ولكنى أحس حياتى

قد كان يعبر بى كلمحة واهم   واليوم أعبره وبى صبواتى !

الكون هذا الكون بين مشاعرى   والغيب سر الغيب فى خطراتى

إنى أحسك يا ربيع بكل ما   يبدو لعينى رائع القسمات

فإذا مضيت إلى التراب ولفنى   أصلى، وعدت إلى الظلام العاتى

وفقدت كل معالى ومظاهرى   غير انطلاق الروح بعد مماتى

سأرى الحياة هدى وأدرك كنهها   معنى . ويسعد صمتها سكناتى

وأعود فى قبل الندى لزهوره   لأرى الربيع الطلق فى سبحاتى

وأسير فى الدنيا ربيعاً خالداً   سكب الذى ولى بكأس الآتى

من ذلك النشوان يخطر فى الربى   ثملا، فيسكرها صدى الخطوات

تتفجر البيداء من خطواته   ماء ، وتنبت رائع الزهرات

من ذلك الفنان ، بعثر روحه   وفؤاده فى السهل والربوات

فإذا السراب حقيقة وإذا الصدى   لحن يفيض بأقدس النغمات

من ذلك الخلاق من أجرى الهوى   والسحر من أحيا جديب حياتى

فإذا حياتى والربيع جديدة ..   وإذا ربيعى بالحياة موات !!

من ذلك المستور راح يهزنى   هزا ، ويغمر نشوة جنباتى

كحقيقة خفيت على ولم تزل   أسرارها تنساب فى خطراتى

وأكاد أدركها بقلبى صورة   كملت ، وإن عزت على نظراتى

كالله لست أراه، لكن كل ما   يوحى به يهتز فى جنباتى

ألقاه فى حلمى وفى صحواتى   وأراه فى صمتى وفى سجداتى

هو خالق الجنات ، إن صفاته   سطعت ربيعا عاطر الجنات

وترى الحياة كأن روحاً طائرا   يهفو بها نشوان فى لهفات

تتخطر الأنسام بين رياضها   كتخطر الأنغام فى صدحات

وتذيبنى وأذيبها وأكاد من   وله القصيد أذوب فى أبياتى

هـذا ربيع الملهمين فغننى   شعرا ندى الروح واللفتات

أنا قد ولدت مع الربيع فلا تسل   عنى وسل إن شئت عنه حياتى

الشعر ألف بيننا بفنونه   والحب صورنا من الصبوات

والشعر ذوب مهجتى بكؤوسه   وأسال أكؤسه على طرقاتى!

ففاتن الإلهام فوق عيونه   وروائع الأشعار فى خطواتى!

يا ومضة من عالم قد أشرقت   جنباته نشوى من الومضات

يا قبلة تركت على ثغر الربى   زهر الحنان وحنة الزهرات

يا مهبط الوحى الشرود تدفقت   آياته بالوحى منتشيات

يانبضة الحيوات فى قلب الدنا   قلبى بحبك واله النبضات

يا شاعرا بعث الوجود قصيدة   سجد الوجود لها من اللهفات

يا مهجة طهرت ففاض نقاؤها   سحراً يبث الطهر فى المهجات

الله صورنا نقاء طاهراً   والله طهرنا من النزوات

وأسال فى جنبيك خمر حنانه   وأسال خمرك فى منابع ذاتى !

فإذا كؤوسك روضة وإذا الطلى   عطر يضوع بأقدس النفحات

وإذا حياتك فرحة تجتاح ما   يجتاح نفسى من جوى وشكات

تأسو إذا جرح الشتاء وكم سرت   لمسات كفك فى الربى حبوات

عجبا يكاد الترب ينبت ألسنا   تشدو الحياة وأعينا ألقات

كم مجدب فجرت ميت صخوره   مهجا تراقص أغصنا ثملات

فغدا زمانى حانة ندمانها   أنا والربيع، فهات خمرك هات

حسين البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محاضرة عن شعر أبو الوفا :

دعينا يوم الخميس الماضي إلى سماع محاضرة للدكتور إبراهيم ناجي بك بجمعية الشبان المسيحية، عنوانها « سيكولوجية شعر محمود أبو الوفا »

والدكتور ناجي له جولات موفقة في التحليلات والتحليلات النفسية، والأستاذ محمود أبو الوفا شعره حبيب إلى النفس

لذلك كنا نتوقع أن ينال شعر أبو الوفا عناية العالم النفسي والأديب الكبير إبراهيم ناجي، ولكنا سمعنا بحثا تسعة وتسعون في المائة منه كلام في تعريف الشاعر والفرق بينه وبين الناثر، والواحد الباقي من المائة في شعر محمود أبو الوفا .. قد وصل إليه من حيث قال إن الكلمات العادية الجارية على الألسن يتناولها الشاعر فيبعث فيها الحياة ويكسبها إشعاعات يبلغ بها عواطف الجماهير، وكذلك أبو الوفا

وقام — بعد محاضرة الدكتور ناجي التي ألقاها نائب عنه إذ اعتذر هو من عدم الحضور — الأستاذ حليم دميتري، فتحدث عن «عنوان النشيد» للأستاذ أبو الوفا حديثا خلط فيه قليلا من الكلام على هذا النشيد وكثيرا من الكلام الذي يقصد به الدلالة على غزارة العلم وسعة الاطلاع ! ثم ألقى النشيد كله وهو نحو ثلاثمائة بيت، وقطعا أخرى للشاعر، حتى استغرق ذلك نحو ساعة أمل فيها كل الإملال، لا بالشعر نفسه بل بما صنع في إلقائه .. ويظهر أن الأستاذ دميتري لم يمرن لسانه على النطق الفصيح وبخاصة نطق الشعر، وقد حطم الأوزان تحطيم الأصنام ..

والعجيب أن الأستاذ دميتري طرق موضوع التحرر من الأديان التي يراها قيودا عائقة في الحياة . على أساس فهم غريب للأبيات الآتية، وهي من « عنوان النشيد » حيث قال أبو الوفا في حوار بينه وبين الروح التي يستلهمها :

قلت : قل لي يا أخا الروح الرفيعه
ما لزوم الدين أو أي شريعه
لنفوس الناس ما دامت رفيعه
حين أن النفس مذ كانت ولوعه
بالتسامي والتعالي بالطبيعه ؟
قال : لما لا ترى النفس الوضيعه
ثم، أخلوا الأرض من كل شريعه
إنما، والنفس ما زالت رضيعه
من أب سوء، ومن أم وضيعه
كيف نترك الدين أو نلغي الشريعه

إلى أن قال :

إنما الأديان آداب رفيعه
وهي تفسير جميل للطبيعه

فهم السيد دميتري من هذه الأبيات ومن مثيلات لها في « عنوان النشيد » أن الشاعر يدعو إلى نبذ الأديان ! وما كنت أظن أن مثله يحتاج إلى أن أقول له إن الشاعر يقول : إذا كنت لا ترى في هذه الدنيا نفسا وضيعة وكان إنسانها كاملا فلا مقتضى للدين والشريعة، ولكن الناس هم كما تراهم في ضعتهم ودناياهم، فكيف نستغنى عن الأديان ذات الآداب الرفيعة وهي تفسير جميل للطبيعة ..؟

ولم يكن لائقا من السيد دميتري أن يصول ويجول في ميدان « اللادين » وهو يتكلم في جمعية دينية !

وعلى رغم أن دميتري قرأ « عنوان النشيد » كله، وفيه قول الشاعر بعد أن عرض حال العالم وما هي عليه من شر ونزاع :

ولئن تسألهم : فيم الخصام ؟
لأجابوا هو من أجل السلام !
قل لهم : يا قومنا أي سلام !

ليس بين العقـل والقلب انسجام
ذى هى العـلة لا سوء النظام

على رغم ذلك قال دعـبترى إن الشاعر يؤمن بأن العقل وحده هو الذى ينبغي أن يسود ! !

وقد عقب الأستاذ محمد قطب على ذلك ، فاستدل بتلك الأبيات وبقول الشاعر أيضا :

لا أرى الإيمان تشريعا و كتبا
بل أرى الإيمان وجدانا وقلبا

على أن شاعرنا يؤمن بالقلب وبالعقل ، فهو يرى أن الدول الكبيرة التى تتحكم فى العالم اليوم لا ينقصها العقل ، ومع هذا نراها تحدث فى العالم الشر والنكر والعقل لديهـا متوافر ! فالشاعر يدعو إلى مشاعر إنسانية تطهر هذا العـالم الذى يتخـاصم من أجل السلام

الحياة الفكرية فى مصر الحديثة :

أشرت فى الأسبوع الماضى إلى المحاضرة التى ألقاها الدكتور محمد كامل حسين فى حفلة استقباله عضوا جديدا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية واعدا بخلاصتها فى هذا الأسبوع ، وهذه هى الخلاصة :

تحدث عن سلفه فى عضوية المجمع أحمد حافظ عوض ، فكان مما قاله : أنه نشأ فى عصر لا يعد خير عصور الحياة الفكرية فى مصر ، وآثاره الأدبية لا تخلو من صفات ذلك العهد، ولا يعد هذا عيبا ، فحسب المرء أن

كشكول الأسبوع

◻ « إن جمال الكلم هو الذى يعين على جمال النغم ، ولا يكون الغناء شيئا حتى يكون المعنى طريفـا والصياغة حلوة ، ولا يجود التلحين حتى يكون موقع الكلمة فى التأليف إلى جوار أختهـا مرضيا مصوغا بحكمة »

هذه فقرة من حكم أصدره القاضى الأديب الأستاذ محمود عبد اللطيف فى قضية أقامها الأستاذ الأسمر ضد محطة الإذاعة والآنسة أم كلثوم مطالبا بنصيبه فيما تدفعه الإذاعة لغناء كل مرة تذاع فيهـا أغنية من تأليفه . وكان الحكم باقرار حق المؤلف

◻ جاء من باريس أن الاتحاد الفرنسى المصرى للجوائز الأدبية السنوية قرر منح جائزة واصف غالى باشـا للسيدة الأديبة قوت القلوب الدمرداشية لروايتها « الخزانة الهندية » التى تقدمت بها إلى المسابقة

◻ قررت جامعة الدول العربية إيفاد الدكتور على سامى النشار المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق ، إلى ألمانيا والدانمرك وهولندا وإنجلترا ، لفحص المخطوطات العربية هناك والعمل على تصوير المهم منها

« جاء فى قرارات مؤتمر الشعوب الإسلامية الذى عقد أخيرا فى كراتشى — ما يلى :

« الحث على تدريس لغة القرآن للشعوب الإسلامية لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها »

◻ تقرر أن يشغل متحف الفن الإسلامى الذى كان يعرف من قبل باسم « دار الآثار العربية » — المبنى الحالى لدار الكتب المصرية ، على أن تنتقل هذه الدار إلى مبنى خاص يشيد لها ، ولم يقع الاختيار إلى الآن على الموقع الذى يبنى فيه

◻ وعدنا فى الأسبوع الماضي بالكتابة عن العدد الأول من « مجلة الأزهر » فى عهدها الجديد ، ولكن لم يتسع الوقت فى هذا الأسبوع لما هى جديرة به من إنعام النظر وتمام الاستيعاب . وموعدنا لذلك الأسبوع القادم إن شاء الله

تكون آثاره فى ميدان الفكر صورة صادقة واضحة للعصر الذى يعيش فيه ، وكذلك كانت آثار سلفى ، ففيها تخبط الذين يلتمسون أسلوبا جديدا وتعثر الذين يتحسسون منهجا غير مألوف ، ولا أكتمكم أنى أحب كثيرا من هذا التخبط وذلك التعثر ، بل بعضه أحب إلي نفسى من الكمال الفنى ، وإنى لأجد سقارة أحب إلى من وادى الملوك ، وأقدم الشعر عندى خير من شعر أبى تمام ، وإن كنا لا نعرف للشعر العربى دور تعثر ولا طور بداءة ، كأنما هو قد انبعث من رمال الصحراء أتم ما يكون جمالا ، كما خرجت « فينوس » من أمواج البحر ، والصورة القديمة أشهى إلى نفسى من روائع « روفائيل » كأن الكمال الفنى يشعرنى قرب النهـاية وضعف الشيخوخة

ثم تحدث عن الحياة الفكرية فى مصر الحديثة فقال : إنى ممن لا يزالون يؤمنون بالفكر المحض وأثره فى الحياة العامة . وأكثر الناس على أن الحياة الحديثة شغلتنا عنه بما هو أقرب منالا وأسرع جزاء ، وأن المحدثين يفضلون العمل على الفكر ، وأن الغلبة اليوم لما سميناه الماديات . وأننـا فقدنا الإيمان وهجرنا الأخـلاق واختلط علينا الخير والشر ، ولا أريد دفاعا عن المحدثين ، ولكنى أقول إن هذه آراء لا تصـدق إلا على ظاهر الأمور ، وأصل الخطأ فيها ما طرأ من تغير على

مكان الفكر من حياة الناس وعلى الصورة التي تتمثل فيها الأخلاق. إلى أن قال: والناس في عصرنا هذا لم يفقدوا الإيمان وإنما شكوا فيما يؤمنون به، ولم ينكروا الأخلاق وإنما التمسوا لها وجوها غير التي اصطلح عليها القدماء، ولم يهجروا الكثير من الفضائل الفردية التي عكف عليها الأولون إلا ليستبدلوا بها فضائل اجتماعية ذهبوا إلى أنها لا تقل فضلا

ثم عرض للاتجاه إلى المدنية الغربية، فقال إذا كانت المدنيات كلها قد ولت وجهها شطر المدنية الغربية فإن ذلك ليس إعجابا بها أو خضوعا لقوتها، بل يرجع إلى أن طبيعة التفكير البشرى في جوهرها واحدة، وأن كل ثقافة لا يقف بها النمو ستجد نفسها تسير على نهج يؤدى بها إلى ما يشبه المدنية الغربية

ثم قال: وكان أول ما اتصلت الأسباب بيننا وبين التفكير الغربي تلك المؤلفات التي كتبت في خلال القرن التاسع عشر يسيرة هينة التفكير بسيطة الأسلوب رقيقة المعنى، فيها ظرف وإعجاب يشبه إعجاب المراهقين بالكبار، ثم تبين بعد قليل أن السير بطئ أن نبلغ به ما نبغى بعد أن سبقنا الغربيون بقرون، فهرولنا وأخذنا نجرع من الحضارة الغربية جرعا قويا روى به ظمأ شديداً، وأهل البدو — وهم أعلم الناس بالظمأ — يقولون: الجرع أروى والرشيف أنقع. ونحن لا نزال نفضل الرى على النقع، ولا يزال فينا أثر الهرولة التي أرغمنا عليها إرغاما

وذكر صفات للتفكير عندنا، فعد منها الهرولة وأتى ببعض مظاهرها، ثم قال: ومن تلك الصفات الكلاسيكية المبكرة، والكلاسيكية تعنى في العادة المحافظة على أسلوب خاص من حيث الشكل وحده، ذلك أن كل تفكير صادق أو فن جديد ينشأ معه أسلوب في التعبير خاص به، ثم لا يزال ينمو حتى يبلغ درجة من الكمال يعترف بها الناس، حتى إذا نفد ما في هذا التفكير أو الفن من قوة بقى الشكل يرجى لذاته

إلى أن قال: وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهى شكل محض، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير، وألا نضع للأسلوب قواعد لجماله فالقاعدة الوحيدة للجمال هى أن يكون الشئ جميلا. ثم قال: وأول ما يجب علينا عمله أن نترك وراءنا ظهريا كل ما حملنا عليه من هرولة وعوبه، والنقلم عن المجاراة والاحتذاء، فقد بلغنا من الحياة الفكرية مبلغا يستحيل معه النكوص إذا تركنا أنفسنا على سجيتها. وأهم ما يجب أن نعنى به هو العلم بالعربية؛ فإن أحدا لا يستطيع أن يأتى بعمل ذى خطر إلا أن يكون ذلك بلغته. والذين لا يملكون ناصيتها يظلون حيارى لا يقدرون على شئ من الأدب الرفيع

تعقيب:

وبعد فإن التأمل في تلك المحاضرة القيمة يراها — على قيمتها وما حوته من آراء ناضجة وأفكار طريفة وعلى سياقها الجميل — لم تخل من «الهرولة» وهذا طبيعى، لأنها جزء من الإنتاج الفكرى الحديث الذى قال الدكتور كامل حسين إن من صفاته الهرولة..

وبيان ذلك في الأسبوع القادم إن شاء الله

عباس خضر

الكتب

مذكرات واعظ أسير

تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي

للأستاذ كامل السيد شاهين

ما كان لمحنة الإخوان المسلمين أن تمر بغير تسجيل ، وما كان لهذا العسف الوبيل الذى نالهم أن يذهب دون أن يدفع هؤلاء الذين بطشوا بهم دفعاً بليغاً ! .

وهذا الكتاب الذى أخرجه لنا الشيخ الشرباصى ، وإن كان مذكرات ؛ والمذكرات عادة تبرز فيها الذاتية ، وتختفى الجماعية ، إلا أنها ليست مذكرات فى أيام طبيعية ، بل فى أيام عصيبة شاذة ، مفرطة فى الحلوكة والشذوذ — ومن ثم كانت تدور مع شخص كاتبها على الأحداث العامة والأوضاع المنحرفة ، وكانت عين صاحبها يقظى لا يفوتها فائت ، وكانت نفسه مرهفة لا تمر بها الحوادث دون أن تتردد فيها ، وتمتزج بها ، ثم تحكم عليها الحكم الذى ترتاح له

لقد كان قلم الشرباصى فى هذه المذكرات مصوراً . فهو يصور الحجز الكريه وما يجد المحجوز فيه من كرب عظام ، وما تقاسى فيه الإنسانية من ذلة وامتهان ، وما يسمع البرءاء فيه من دروس تخلق روح الإجرام وتغرى بالفساد . وهو يصور جماعة (البوليس) فئة لا يعوذ بها البرئ فتحميه ، ويستجير بها الخائف فتجيره ، ولكنها أداة صماء مسيرة يحركها الباطش كيفما شاء . فئة لا تفهم من القانون إلا أنه الغطرسة الكاذبة والاستعلاء المقيت والاستبداد بالمجرم والبرئ على السواء . وفرق أنها مفتونة بمكانتها ، مجنونة بطغيانها — نجدها تتطامن للرشوة ، وتباع ذممها بالمال ، وتلفق وتزور ، وتداجى وتنافق . لقد حدثنا عنهم الأستاذ حديثاً منثورا : حدثنا حديثهم فى التفتيش ، وحديثهم فى القسم ، وحديثهم فى الطريق إلى المعتقل ، وحديثهم فى المعتقل نفسه . فمن كان باخعاً نفسه أسفاً على شئ فعلى وضع هؤلاء موضع الصيانة والحفظ ، والتحكم فى مصاير الناس فليفعل !.

وهو يصور لنا الاضطهاد المرير الذى يلقاه المعتقلون : من تأخير الطعام ، ومنع الزائرين ، وتكويم الفضلات يفرخ فيها الذباب الجسور ، وأذى خاص للذين يكبرون ربهم ، أو يؤذنون للصلاة ، أو يعكفون على القرآن وكتب الحديث ، أو يخطبون للجمعة ، أو يوقظون إخوانهم ليجتمعوا على أداء حق ربهم !

وهو يصور لنا فى سخرية أولئك المتطامين من المستغلين الذين يبهرون الناس ليظهروا بمظاهر الغيرة الدينية ، أو يحاولون أن يثبتوا تدينهم بشتم الذين تقعد بهم أعذار قاهرة عن القيام الباكر لصلاة الفجر ، وأولئك الذين يجلسون مجالس الفتيا وبضاعتهم كلمة من شيخ أو خطبة من واعظ أو فتوى من عالم . وما أكثر ما نجد هؤلاء ، وما أكثر ما نجد منهم ، وما أكثر ما يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم وعلى دينهم أيضاً

وهو يصور لنا أفاعى اليهود ، يتمتعون فى معتقلاتهم ويسمرون ويشربون ويقيمون الحفلات راقصة معربدة ، وهم فى خفارة رجال الأمن ، وربما أشركوهم معهم فى الطرب والفجور . فأما الإخوان المسلمون ، فتصادر حرياتهم ، وتقطع على ظهورهم بطون السياط ، ويذهب بهم إلى الطور صاغرين واجمين ، ويوقفون صفوفاً أمام شرطى صغير يأمرهم وينهاهم فلا يردون له أمراً ، ولا يخالفون له نهياً ، وترد إليهم معونات وإعانات من أهاليهم فلا يصل إليها أيديهم

وأبشع ما يطالعك من هذه الصور هذا الذى يشيع فى الكتاب كله ، من فوضى القسارة التى يلاقيها المعتقلون ، فكل أحد يستطيع أن يغيظهم وأن يسطو بهم وأن يتحكم فيهم : متعهد الطعام ، ومندوب الصحة ، وقومندان المعتقل ، وحراس الأبواب ، وكل من اتصل بهم بسبب قريب أو بعيد

والعجيب أن يمالأ هؤلاء جميعاً على النكاية بهذه الصفوة المختارة ، فإن دل ذلك على شئ ، فعلى تغلغل روح الفساد والانهيار فى طبقات الأمة دون استثناء . وأعجب من هذا أن تكون الأحكام العرفية — فى بعض الأحيان — أداة لخلق الفتنة ، ورد الأيدى فى الأفواه ، والجريمة الكبرى أن يدعى البطشة الفاجرة

أن بغيهم وعدوهم إنما هو استجابة لرغبة كريمة . فلعمرى ذلك اللؤم المضاعف !

الصور لا تنتهى .. فأينما رميت ببصرك فى هذا الكتاب طالعتك صورة معتمة مؤلمة . وأنت بين ذلك واجد صوراً مشرقة وضيئة فى صور التعاون والتضامن الذى تخلقه المشاركة الوجدانية فى المحن الرازئة ، وصور الإبداع والاختراع الذى تظهره الحاجة الملحة ، وصور الصفاء الروحى والمراقبة التى يدافع إليها العجز المطلق وضيق الحيلة والأمل فى القوة الغالبة التى تعنو لها القوى جميعاً ، وصور الحنين إلى الحرية التى يوحى بها الأسر الظالم والبطش الغاشم . وصوراً أخرى لا يبلغها الاحصاء وكلها واضحة ناطقة أبلغ النطق ، صادقة أنصع الصدق ، مؤثرة أبعد التأثير !

وفى الكتاب على ذلك مآخذ لولا أن الأستاذ صديق عاقل لأعفيناه من الخوض فيها . مآخذ لا تشين الكتاب ، ولو أنها تورث هذه الصور كلماً من بعض الجوانب . . فالأستاذ حريص الحرص كله على أن يذكر دائماً بأنه رجل خطيب وأن له جهوداً ملحوظة فى نشر الدعوة ، وأن له أتباعاً وأحباء .. وشهد الله أن ذلك صدق خالص ، ولكن الكريه فيه أن يكون حديثاً على لسان صاحبه وبقلمه ، وقبيح بمثل الأستاذ أن يذكر بذلك ويكرره حتى يجد القارئ فى نفسه استكراهاً وملالة من معاودته ، وأخشى أن أقول إنه ربما أفضى به هذا الإلحاح المنيف إلى إصغار الكاتب والتهوين من أمره ، ومثل هذا العيب جار فى كتب كثيرة للأستاذ ؛ نرجو أن يبرأ منه فى كتاباته المقبلة إن شاء الله

وأحسب أن من ذلك ما ذيل به كتابه من تقريظ مهما يقل فيه ، فهو غال غلوا شديداً ليس من السداد إثباته ، وليس هو بالأثر الأدبى حتى يغتفر للأستاذ وصله بكتابه النافع ، فسائر هذه التقريظات غاية فى الغثاثة والتفاهة ، ومن ذا الذى يكتب كتاباً أو مذكرة ثم لا يجد من طلبته — وهم كثر — من يقرظه بمثل قول (الشاعر) فيما يقول الأستاذ للمؤلف : —

ألقلب فيك متيم لنضالكم وكفاحكم للحق والإخلاص
أهلا بطلعتك السعيد عزيزنا أهلا فضيلة (أحمد الشرباصى) !

لا أظن أنى أقف الأستاذ على جديد إن أنا زعمت له أن ذلك شين عائب لكتابه هذا . ولا أظن أنى أذكر منه ناسيا ، إن أنا لفته إلى أن الكتاب حق القارئ ، وليس حقا له حتى يشجع صغار تلاميذه على حساب القراء !

تلك هفوة .. وأخرى أن الأستاذ ربما ظن أنه وقف موقفا كريما بدفاعه عن الأزهر . وشر ما فعل بهذا الدفاع الذى لا يرعى الحق . فالإخوان يقومون بلب اللباب من رسالة الأزهر . ومجادة الأزهر كادت تلفها الألفاف لولا هبة الإخوان . فإذا لم يرفع الأزهر صوتا بالاحتجاج ، ولم يستطع إظهار غضبته من أن يكون التدين سبة وداعية للاضطهاد والعسف .. فإنه من الخسة والدنية أن يسخر الأزهر وعاظه فى أن ينالوا من الإخوان ويحكموا قيود البطش .. ألا إنه قليل الأزهر أن يلام ، وقليل لرجاله أن يتهموا بالخور والضعف والتدليس وحب الدنيا .. وإذا كانت فعلتهم فى النكر ما هى ، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها

وآخر ما آخذه على الأستاذ هفوة أدبية — ولو أنها ليست فى موضوع الكتاب إلا أنها جاءت متصلة بموضوعه :

فالأستاذ يرى أن المتنبي كان مرغما على مدح كافور الإخشيد .. ولست أدرى ماذا أرغمه ، ولم جاء إلى مصر إن لم يكن قصده المديح .. المتنبي رجل مداح لا أقل ولا أكثر . فإن ذهب إلى الشام فلمدح أمرائه قصد ، وإن جاء إلى مصر فلمدح حاكمها أراد ، وإن رحل إلى العراق وفارس فلهذه الغاية رحل ، فهل مثله يقال فيه إنه أرغم على مدح كافور ؟ ..

ويحدث عن كافور أنه كان عبدا بليدا .. فأما العبودية فليست مما يعاب به الإنسان كإنسان ولا يسب بها من ربى تربية بريئة من روح الجاهلية ، وأما البلادة .. فالحكم بها على كافور أمر يدعو إلى الضحك الذى تمسك منه البطون ، فأين وجدها الشرباصى ، وكيف ألصقها بهذا الحاكم الذكى الداهية .. لقد هجا المتنبي كافورا بما لم يسمع بمثله فلم يقل قط أنه كان غبيا ، وعند ما تهيأ لمدحه لم يجد أفقاً أوسع للكلام من أفق ذكائه ودهائه :

مجربا فهما من قبل تجربة مهذبا كرما من غير تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتها وهمه فى ابتداءات وتشبيب

يدبر الملك من مصر إلى عدن   إلى العراق فأرض الشام فالنوب

ويقول الشرباصى إن النـاس كانوا يسخرون منه عندما يلقبونه (مولانا الأستاذ) ، والذى يظهر لى أن الأستاذ (أحمد لا كافور) لا يعلم أن كافورا كان قبل توليته الملك ، يدبر بيت الإخشيد . . وأن كلمة أستاذ كلمة فارسية من معانيها (المدبر) .. فهذا لقبه ؛ فهل — بعد ذلك — يكون من السخرية أن ينادى المرء بلقبه

ويستدل الشيخ الشرباصى على غبائه وقلة فهمه بأن المتنبى كان يذمه ويهزأ به وهو لا يفهم ، وآية ذلك عنده أنه قال فيه : —

وما طربى لما رأيتك بدعة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

والبيت — فى الحق — محتمل للسخرية ، محتمل المدح ، ولو سيق المدح كان ضعيفا . . ورأيى أن المتنبى لم يقصد إلا المدح ، وأن هذا من ضيق باعه لا من سوء قصده ، ودليلى على ذلك عتيد . . دليلى من القصيدة نفسها ، وشاهدى فى سوابق هذا البيت ولواحقه .. قبل هذا البيت أبيات فيها رجاء ضارع ، وخنوع ذليل ، والتماس وضيع ، وسؤال ملحف . أفيكون من المعقول أن يقف الإنسان موقفا يمرغ فيه حر وجهه فى التراب ثم يكون ساخرا فى الوقت نفسه ؟ لا : إسمع إذن وتصور أبا الطيب : —

أبا المسك ، هل فى الكأس فضل أناله   فإنى أغنى منذ حين وتشرب

وهبت على مقدار كفى زماننا   ونفسى على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية   فجودك يكسونى وشغلك يسلب

أفهذا قول ساخر ؟ أيتفق أن يكون المتنبى فى هذه الذلة الذليلة ثم يقول ساخرا من كافور إننى لما رأيتك شاع فى نفسى السرور فأنت مما يتسلى ويتلهى به الناس ؟ أما إنه لو جاء هذا البيت فريدا مسلوخا من سوابقه ولواحقه لكان سخرية خالصة ! ولحق لابن جنى أن يقول للمتنبى : ما زدت على أن جعلت الرجل (أبازنة) يعنى قردا ! . وإنى أحيل الأستاذ إلى ما كتبه الدكتور طه حسين فى كتابه (مع المتنبى) عن هذه الأبيات ليرى إن كان المتنبى ساخرا حقا .. وأن حاله كانت تستحق أحر الرثاء !

فأما قصيدته التى يزعم الأستاذ الشرباصى متابعة لمتأولة النحاة أنها جانية على التوجيه محتملة المدح والهجاء التى أولها :

عدوك مذموم بكل لسان   ولو كان من أعدائك القمران

فإنما يذهب بها مذهب الاحتمال أو التحميل أولئك الذين يتحاذقون بقدرتهم على التأويل والتخريج ، فأما أحرار الأدباء والنقاد فليسوا من هذه الدعوى فى شئ . . فلا يتم للأستاذ مازعم أنه كان يمدح كافورا بهذه الوجهات إلا إن كان من عشاق التأويلات المقيمة التي لا وزن لها فى شرعة الأدب الصحيح ! .

وأعجب مما رأيت أن يقول لنا الشيخ الشرباصى أن المتنبى فى هذه النونية مدح شبيباً مدحاً بليغا فى حضرة عدوه وقاتله كافور ، وهذا أمر نوافقه عليه ، ثم قال إن هذا المدح البليغ كان من المتنبي استجابة لدواعى الرجولة والبطولة ، وهذا ما نراه فيه قد سقط ، وإليك أولا الأبيات :

برغم شبيب فارق السيف كفه   وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه   رفيقك قيسى وأنت يمان

وما كان إلا النار فى كل موضع   تثير غبارا فى مكان دخان

فنال حيـــاة يشتهيها عدوه   وموتا يشهى الموت كل جبان

وقد قتل الأعداء حتى قتلته   بأضعف قرن فى أذل مكان

اهتز الشيخ أحمد كما يقول اهتزازا عنيفا لهذا الموقف ، ففيه — على ما يدعى — جرأة وشجاعة ، وفيه صدع بكلمة الحق لوجه الحق ، وهو - أى الشيخ أحمد — رجل مولع بعظائم الأعمال فيما قال أو كما قال !

يا لك من رجل طيب القلب ، ماذا كنت تنتظر من المتنبى فى مدح كافور بعد قتل شبيب ؟ أكنت تنتظر أن يقول له : لقد قتلت شبيبا الجبان الخوار الذى كان يفرق من قتل دجاجة ! .. لو قال ذلك لكان أجهل الناس بأسلوب المديح ، ولكان قتل شبيب عملا تافها ساقطا لا وزن له . ولكان المتنبى لم يأت فى مدح كافور بشئ .. ولكن المتنبى عمد إلى رفع شبيب وإعظام شأنه ، والإشادة ببطولته ، ونصب حوله هذه القلاع المحصنات فجعله صديقا للسيف ، وأبرزه نارا مجتاحة لا تثير الدخان ولكنها تثير الرماد .. ثم تهيأ له بعد أن جعله أمنع من بيض الأنوق أن يقول

إن كافورا صاده بأيسر سلاح وبأدنى جهد ، فجمل كافورا بطلا أقوى وأعز وأمنع ، وعاد بهذا اللباس الذى حاكه بديا الشبيب ، فألبسه لكافور (بعد أن عززه ومنعه) زاهيا ساطعا ! وبعد :

فقد قدمت أن هذا ليس من موضوع الكتاب ، وأملى أن يدير المؤلفون من النقد الاجتماعى فى هذا السير الحميد الذى سلكه الث. باصى . وإننى أعد هذا بدء الطريق للوصول إلى سلامة المجتمع ونظافته

كامل السيد شاهين

البريد الأدبي

سلسلة رسائل الإمام الغزالي

وقعت فى يدى خلال الأيام القريبة السابقة رسالة صغيرة عنوانها « التوبة بعد الذنب للامام الغزالى رضى الله عنه » وفى مقدمتها كتب الناشر أنه يقدم رسائل الإمام الغزالى التى تقع فى حوالى ثلاثين رسالة ، وأنه قد عثر على الأصل مخطوطا فى مكتبة قرطجنة بإسبانيا بعد أن تحمل فى الحصول عليها مشقة كبيرة ..

وما إن قرأت هذا الكلام حتى أخذ منى العجب مأخذا ، فما كنت أعتقد أن الاستخفاف بالأمانة العلمية يحدو بإنسان كائنا من كان أن يعبث بعلم رجل كالإمام الغزالى ، ويقدم للناس منه زادا غثا ، وقدرا ركيكا مضطربا ، مدعيا أن هذا وذاك بضاعة الإمام الحجة ، ومدعيا مرة أخرى أنه عثر عليها فى مخطوطات بمكتبة قرطجنة فى إسبانيا . بعد أن تحمل فى سبيل الحصول عليها مشقة كبرى ..

ولست أدرى ما الذى يحمله على أن يتحمل مشاق السفر إلى إسبانيا ، ويتكبد النفقات الباهظة وغيرها ، ورسالته الأولى هذه موجودة فى الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالى ، وقد كان فى استطاعته وهو فى بيته أن ينقل منه رسالته المزعومة ، دون أن يضطره الإبهام والتغرير إلى التحوير والتغيير والعبث بالمقدسات العلمية ..؟

اتخذ الناشر المصطنع عناوين لرسالته المزعومة ، هى نفس العناوين الموجودة فى الجزء الرابع من إحياء علوم الدين ومن كتاب التوبة وهو الأول من ربع المنجيات ، مع التحوير والتبديل ، فالعنوان الأول فى رسالته هو « حقيقة التوبة » وفى كتاب الإحياء الطبعة العثمانية « بيان حقيقة التوبة وحدها » ص ٣ ، وعنوان الرسالة الثانى « بيان وجوب التوبة وفضلها » وفى الإحياء نفس العنوان ص٤ ، وعنوان الرسالة الثالث « وجوب التوبة على الفور وعلى الدوام » وفى الإحياء « بيان أن وجوب التوبة على الفور » ص ٧ وعنوان الرسالة الرابع « بيان أن التوبة الصحيحة مقبولة » وفى الإحياء « بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة » ص (١١) ، وعنوان الرسالة الخامس « بيان ما تكون عنه التوبة وهى الذنوب »

وفى الإحياء « الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها » ص ١٤ ، وعنوانها السادس « انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر » وفى الإحياء « بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد » ص ١٤ ... وهكذا ...

ولم يستطع الناشر المصطنع أن يجعل رسالته خاصة بموضوع التوبة ، فتراه قد ألحق به موضوعا آخر هو موضوع الصبر والشكر ، وكما عاث فسادا فى نقل باب التوبة عاث فسادا أيضا فى نقل باب الصبر والشكر ، وكأنه يلهو فى ميدان لا فرسان فيه ، والغريب أن الناشر المصطنع لم يتحر ذرة من الأمانة فى النقل مما جعل علم الإمام الحجة ركيكا مضطربا يسيء إلى قدره ، ويظهر أن مهمته كانت قاصرة على التجارة المزيلة ولو على حساب الأئمة من العلماء ..

وبعد ... فمتى توجد الرقابة القوية التى تعمل على صون المقدسات العلمية ، وتضرب بيد من حديد على أيدى اللهاة العابثين بها.. حتى يبقى للعلم جلاله وقدسيته ؟!

محمد عبد الله السمان

حول معنى « الأساطير »

انشرح صدرى ليقظة الأستاذ « سلامة خاطر » الناقدة

حينما قرأت ما كتبه فى عدد الرسالة (٩٨٤ ص ٥٤٢) نافيا عن القرآن الأساطير ، راجيا أن يكون الأستاذ توفيق الحكيم فى إثباتها للقرآن راميا إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير والحق الذى ينصره البحث العلمى الدقيق فى منهجه الحديث هو أن الكلمات والعبارات تختلف مدلولاتها باختلاف الزمن وتطوره ، فإذا أراد أديب أن يكتب أو يبحث فليجعل فى حسابه فرق الزمن فى تطور مدلول العبارة أو الكلمة

وهذا أمر تدعو الحكمة « الحكيم » فى كتابه « فن الأدب » أن يلحظ قدسية القرآن ، فينزهه عن الشبهة ، بل هذا خطأ منهجى يغفره أن نلحظ ما عناه القرآن الكريم نفسه من كلمة « أساطير » وأن ننوه عن حياة هذه الكلمة فى مدارج التاريخ

إن القرآن يريد بالأساطير فى جميع آياته التى حكى بها شبهة المنكرين الصادين عن سبيل الله — يريد بها : الخرافات والأباطيل ، والكذب والأضاليل . وجل القرآن أن يوصف بشئ من ذلك فليس فيه أساطير ، وإذا أراد كاتب أن يصف قصصه فلينزل عند إصطلاح القرآن حتى يكون صادقا فى التعبير عنه ، معطيا للحق المنهجى قسطه كاملا غير منقوص ، مراعيا روح عصر التنزيل . لقد سمى القرآن الأساطير لهو الحديث فى سورة لقمان : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ويتخذها هزوا »

وقد نهى الصحابة عن التعلق بها .. فقد ذكر المفسرون أن بعضهم كان يقرأ فى « اسفنديار » فأنزل الله الآية : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » (سورة العنكبوت)

فإذا تحدثنا عن الفهم الصحيح لأى كلمة فلنتبع الطريقة التاريخية فى الدرس ، وبذلك نرتفع فى بحوثنا الأدبية والعلمية ، فوق الشبهات . إن كل كلمة من الكلمات (الرأى — التحريم — الكراهة — القياس) قد تباين مدلولها على مر الزمن فى تاريخ الحياة الفقهية ، عرف ذلك من عرك ميادينها

وإن كل كلمة من الكلمات (الإعراب — النحو — الرفع — النصب — الجزم ...) قد اختلف مدلولها فى مدارج الزمن فى حياة « النحو العربى » بحسب فوره ومن مرن على « فناقله (١) »

وإن كل كلمة من الكلمات (أدب — علم — فن) قد تباعد مدلولها القديم عن مدلولها الحديث فى حياة العلوم والفنون ، وإنه لا يتسنى لباحث فى أية مادة علمية أو فنية أن يكون دقيقا إلا إذا رعى هذا التطور التاريخى لمدلول الكلمات فيما يكتب أو يحرر

فإذا قصد « الحكيم » بالأساطير معناها الفنى المعاصر أو معناها القديم الغابر ، فإنه — عندى — على كل حال ملوم

إن قصص القرآن حق : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » (سورة البقرة) — وهو فكرة : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (سورة الأعراف) — وهو عبرة : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (آخر يوسف)

وهو بذلك تثبيت لأفئدة المؤمنين

فكيف تلتقى قصصه — وتلك حالته — بالأساطير ! ؟ اللهم غفرا

محمد اسماعيل الشابى

دار العلوم

سرنى دفاع الأديب الأديب محمود محمد سالم عن دار العلوم مع أنها لم تكن متهمة ولا مظلومة فى كلامى عن شعراء الشباب بالعدد الأسبق من الرسالة ، وأنا أقر الأديب على رأيه الصحيح فى الشعر والشعراء ، وأشكره على ثنائه العاطر ، ولكن الشئ الوحيد الذى أخالفه فيه ، هو أن فى الاستطاعة أن يحصى الناقد خمسة عشر شاعرا من أبناء دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية ، فهل يستطيع أحد أن يحصى لنا شاعرا أو اثنين ؟ مع الاعتراف الكامل بمستوى دار العلوم الأدبى الرفيع فى كلا العهدين

احمد احمد العجمى

---

(١) « الفناقل » كلمة تطلق على الحوار العلمى « فإن قيل .. قلنا .. »



هيكل عظمى

لفيلسوف الهندوشاعرها رابندرانات

كان فى الغرفة المجاورة لغرفة نوم الأطفال هيكل عظمى معلق يقرقع حينما تعبث به الريح وفى النهار كنا نسر بالاصطدام به

وكان فى هذا الوقت طالب من مدرسة الطب بكامبيل يعلمنا تشريح العظام لأن أوصياءنا كانوا يزعمون أنهم ينقشون فى عقولنا العلم التام . ليت شعرى لأى حد نجحوا ؟ ولا حاجة لأن نقول ذلك لمن يعرفنا . والأفضل بلا شك أن نلتزم الصمت أمام من يجهلنا

وقد كرت الأعوام واختفى الهيكل العظمى من الغرفة كما اختفى تشريح العظام من ذاكرتنا دون أن يترك أى أثر

ازدحم منزلنا أخيراً بالمدعوين فاضطررت أن أقضى الليل فى تلك الغرفة التى كان معلقاً بها الهيكل العظمى والتى انقضى الزمن الذى كنت آلفها فيه . حاولت النوم بكل وسيلة فلم أستطع ، أخذت أتقلب وأعد دقات ساعة الكنيسة طوال الليل ... طفق مصباحى يختلج لحظة ثم انطفأ ، وقد فقد أسرتنا بعض أعضائها حديثاً ، وهذا ما اقتاد فكرى نحو الموت ..

ساءلت نفسى ألا يشبه نور المصباح الذى يتيه فى الظلمات من مسرح الحياة العظيم ضوء حياتنا الضئيلة الذى لا يلبث أن ينطفئ فى كل ساعة من ساعات الليل أو النهار ؟

ولتداعى الفكر عاودتنى ذكرى الهيكل العظمى ، وبينما أنا أتصور شكل الجسم الذى كان يكسو تلك العظام ، شعرت أن شخصاً يدور حول سريرى يسير متمسكاً بجانب الحائط ، ولقد شعرت بتنفسه السريع ، وخيل إلى أنه يبحث عن شئ لا يجده، ويدور حول الغرفة بخطى سريعة

ولقد خدعت فى الحقيقة من شئ خالقه مخى المضطرب الذى حرم نومه، وظننت أن وقع الأقدام التى سمعتها ماهو إلا دقات شراييني فى صدغى، ورغم ذلك شعرت بارتعاد مثلج .. ولأطرد من مخيلتى هذا الهذيان صحت بأعلى صوتى: « من هناك ؟ »

فأحسست بأن الخطى وقفت بجانب سريرى وأجابنى صوت « أنا الطارق وقد أقبلت لأختبر هيكلى العظمى »

ومن السخف أن يظهر الإنسان الهلع والخوف من خيال بسيط ، ثم اكتفيت بأن أضغط على وسادتى وأصيح بلهجة مخالفة للأولى : « إن هذا الشاغل الذى اقتادك فى مثل هذه الساعة من الليل لمضحك ؟ وماذا يهمك هذا الهيكل العظمى »

ويظهر أن الجواب انبعث من كلتى نفسها : « إن عظام هذا الهيكل قد أحاطت قلبى وورأت محاسن شبابى الخلابة فى ربيعها السادس والعشرين ! وكيف أقاوم الرغبة الملحة فى رؤيتها ثانية ؟ »

فقلت له بدورى : « إنها لرغبة شرعية فتمم بحثك واتركنى لشأنى عسانى أجد النوم »

فرد الصوت : « إخالك وحدك وأود أن أجالسك لحظة نتسامر فيها . لقد كان يسرنى أن أساجل الناس الحديث ولكنى لم ألق فى هذه الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة إلا الأنين فوق نيران الموت ، وما أحيلى أن أحادث اليوم رجلا مثل العهد السابق »

وقد شعرت أن شخصاً أقبل وجلس بجانب ستائرى فاستسلمت واستعنت بتوددى قائلا :

— ما أعظم ابتهاجى وسرورى للسمر ولنبحث سويا عن موضوع شائق نتحدث فيه ..

إنى لا أجد موضوعاً مسلياً أعظم من قصتى الشخصية فهل تسمح لى بسردها ؟

وقد دقت فى هذه الآونة ساعة الكنيسة الثانية صباحاً

قال الصوت : « حينما كنت فى عنفوان شبابى وكنت أقطن بين الأحياء سبب لى أحد الناس فزعاً ورعباً يفوقان رعب الموت : ولم يكن ذلك غير زوجى . وإنى لا أجد ما أقارن به شعورى غير السمك العالق فى سن الشص فكأن شخصاً

أجنبيا علقني بشص عنيف وانتزعني من دار طفولتي السعيدة حتى كنت لا أستطيع أن أفكر في الخلاص ، وقد مات زوجي بعد الزفاف بشهرين بينما كان أقاربي وأصدقائي يبكون بكاء مرا لحظي التعس المنكود . وفي ذات يوم قال حمي لحماتي بعد ما أطال النظر إلى وجهي : « ألا ترين أن زوج ابننا لها عين سوء صائبة حاسدة ؟ » هل أنت مصغ إلى ؟ وهل يهمك حديثي ؟

— يهمني جدا وإن أوله ليدل على أنه شائق مسل !

— أتمم إذن حديثي . ولقد عدت إلى بيت أبي بكل سرور . ولو أن البيئة التي كنت فيها ما كانت تشعر بشيء من محاسني .. لكنني كنت واثقة من أنني أحرز جمالا رائعا نادرا . فما رأيك ؟

— هذا شيء معقول جدا ، ولكن لا تنسى أنني لم أرك قط

— قط ؟ وماذا تعمل بهيكلي العظمي ؟ ها ! ها ! هذا لا يهم فإنني أمزح

وكيف أجعلك تتصور أنه كان في هذين التجويفين اللذين تجردا من لحمهما عينان سوداوان يتلألآن بأنواع السحر والفتنة ؟ أو أن الابتسام الذي كان يضيء هاتين الشفتين الورديتين لا يشبه في شيء هيئة الضحك العابس التي عرفتها ، وعندما أذكر كل المحاسن والرشاقة ومتانة هاته الانحناءات التي كانت في شرخ الشباب تتفتح كالأزهار فوق هذه العظام النخرة لا أستطيع أن أكتم ابتسامي . وإني لأتألم من ذلك . وهل يستطيع مشاهير العلماء في زمن أن يفرضوا أن عظام جسم مثل هذا تخصص لدراسة تشريح العظام ؟ واعلم أن طبيبا من الشبان المجاورين لنا شبهني بزهرة (الشمباك) الذهبية ؟

حينما أمشي كنت أشعر بأن أقل حركاتي تفجر أمواجا منسجمة تنبعث من كل صوب كلألاء الماس . كانت تمر علي ساعات وأنا أشاهد في يدي اللتين كبلتا برشاقة الرجال الذين يتأجج فيهم نشاطهم

ولكن هذا الهيكل العظمي قد أخفى عنك الحقيقة كشهادة الزور ، ولم يكن في ميسوري أن أدحض تأكيداته الوقحة . أشعر أنني أحب أن أطرد النعاس من عينيك إلى الأبد بأن أستحضر أمامك الصورة الوردية الحية لجمالي بحيث أمحو من أمامك كومة العظام المشؤومة التي تملأ ذهنك

— كنت أستطيع أن أقسم بجسمك إذا كان لم يزل حيا ، ولو أنه لم يترك منه أي أثر من العظام ؟ لكن عقلي اقتنع بالصورة الوضاءة لجمال كامل يظهر بهاؤه بقوة التضاد هذا الليل الفاحم الذي يحيط بها ، وإني لا أقدر أن أقول أكثر من هذا

— استمر الصوت في حديثه قائلا : لم تكن لي صاحبات لأن أخي الوحيد صمم على عدم الزواج . كنت وحدي في خدري وقد اعتدت أن أستلقي في الحديقة في ظل شجرة ، وكانت الأحلام تستدرجني في يقظتي حتى خلت أن العالم كله قد شغفه حبي ، وأن الدراري التي ما فتئت مستيقظة على الدوام لتتمل من نشوة بهائي . إن الصبا لتتنهد حينما تنتحل لها عذرا لتتمسح بي بجناحيها . وإن داست قدمي مرحا فإن مجرد اللمس يفقده رشده . وإن فتيان العالم يظهرون أمامي كأنهم أعواد الكلأ تحت قدمي ، ولا أدري لأي سبب يلازمني الحزن والكآبة

وحينما تخرج شيكهار صديق أخي من مدرسة الطب أصبح طبيب أسرتنا ، وقد لمحته مرات مختبئا وراء ستار ، وكان أخي رجلا غريب الأطوار لا يهتم بالنظر إلى العالم الخارجي ، وكان يوده ألا تكون الدنيا مقفرة ويبتعد بالتدريج إلى أن يقبع في ركن مظلم . كان شيكهار صديقه الوحيد الذي أتاحت لي الفرص مقابلته ، وفي بلاط المفتونين بحبي الذي كنت أتخيله في أوقات نزهتي الليلة كان كل شاب مشتت الفكر عند قدمي يستعير وجه شيكهار . هل أنت مصغ إلى ؟ وما قولك في قصتي هذه ؟ »

فأجبت وقد سبقت لساني زفرة :

« وددت لو كنت شيكهار ! »

— انتظر قليلا واصغ أولا لآخر الحديث ، وفي ذات يوم مطير أصابتني الحمى فجاء الطبيب يعودني ، وكانت هذه أول حادثة جرت بيننا . كنت راقدة أمام النافذة وقد لطف ضوء الشمس عند غروبها بياض لوني ، وحينما نظر إلى الطبيب وضعت نفسي مكانه وطفقت أنظر إليه مغرقة في التصور والتأمل ، وشاهدت وجهي الشاحب في ضوء الأصيل موضوعا فوق الوسادة البيضاء كزهرة ذابلة ، وحلقات شعري الحق تعبث بجبيني

بينا أجفاني مطرقة باستحياء ناشرة ظلا معبرا فوق سحنتي

سأل الطبيب أخي والحياء يلعثم لسانه ويخفض من صوته : « أتسمح لي أن أجس نبضها ؟ »

« أخرجت من تحت الغطاء قبضة مستديرة مدنفة ولاحظت حينما تفرست فيها أنها عاطل من سوارى الصغير ! » (١)

لم أر في حياتي أجهل من هذا الطبيب في جس النبض . كانت أصابعه ترتعد حينما تمس ذراعي ، فإن قاس درجة الحمى في جسمي فإني شعرت بدقات قلبه وقستها من أصابعه — هل وعيت حديثي ؟

فقلت : بكل سهولة ، إن دقات قلوبنا تعبر عن أفكارنا

— وبعد عدة وعكات وكثير من الشفاء والعافية وجدت أن عدد المفتونين الذي يؤمون بلاط حي الخيالي آخذ في النقص حتى انتهى إلى فرد واحد ، وفي النهاية استحال عالمي الصغير إلى طبيب ودنفة

وبمناسبة مقابلتي اعتدت أن ألبس سرا طيلسانا أصفر وكنت أعقد حول شعري عقداً أبيض من أزهار الياسمين ، ثم أتناول مرآتي وأذهب إلى مكاني الذي ألفته تحت الأشجار

إنك ترى بلا شك أن مشاهدة جمالنا في المرآة يكون على ممر الزمن مملا ؟ ولكن شيئا من ذلك لم يحصل لأني لا أنظر بعيني نفسهما لأني كنت في الوقت نفسه أحد الشخصين ، فكنت أختبر كما يختبر الطبيب ، وكنت أطيل النظر وأفتتن وأشتعل بنار الحب . ورغما من انتباهي وحذري أخار أنين على فؤادي وسمع له صوت كنسيم الصبا في المساء

ومن هذا العهد كففت عن الشعور بالوحدة ، وفي أثناء نزهتي كنت أتتبع بنظراتي عبث أصابع رجلي الصغيرة بالرمال الناعمة ، وكنت أسائل نفسي ماذا يكون شعور الدكتور لو كان حاضرا . كنت أمثل الشمس وقت الزوال مغيرة على الزرقاء بنورها الوهاج ، ولم يعكر صفاء السكون غير صياح متقطع النسر بعيد ، وصوت وراء سياج الحديقة لبائع خواتم من البلور وهو ينادي نداء شجيا ! فرشت على الكلأ ملاءة بيضاء لأستلق عليها وأسندت رأسي إلى ذراعي وأرحت ذراعي الأخرى فوق الملاءة بشكل رشيق ، وقد تخيلت أن شخصا يئن لاحظ وضع يدي الشائقة فشد عليها بين يديه ووضع في راحتي قبلة ذهبية وابتعد ببطء . وإن وقفنا الحديث هنا فما رأيك ؟

— «يكاد يكون ختاما مقبولا» وقد أجبتها بلهجة حالم .

قالت : وستبقى الصورة ناقصة قليلا ولكنني سأقضي بقية الليل في إصلاح هذا النقص

— ولكنها تكون جافة . وكيف تدخل فيها الضحك ؟ وكيف تصل إلى جمل الهيكل العظمي يضحك ويتنكر ملامحه ؟

— دعني الآن أتم الحديث . وما إن وجد الطبيب بعض المرضى حتى أخذ غرفة أرضية من منزلنا وأعدها لعيادته . وفي هذا الزمن كنت ألهو بسؤاله عن تأثير العقاقير والسموم والكمية الكافية لقتل رجل ، فكانت هذه الأسئلة ملائمة لطبيعته فأجاب عنها بفصاحة ولباقة ، وكان من نتيجة هذه المحادثات أن صارت عندي فكرة الموت عادية لا تثير أي اهتمام ، وبذلك توطن الحب والموت عالمي الباطني . إن حديثي قد قارب النهاية لأننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة

— كما أننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من الليل

— وقد لاحظت بعد مدة من الزمن قلقا غريبا يساور الطبيب وظهر عليه كأنه يخجل من أمر يريد أن يخفيه عني . وقد حضر مرة بثياب فاخرة وهندام ظريف ليستعير عربة أخي

« كنت فريسة لتطلع شديد فصممت على سؤال أخي ، وبعد أن دار بيننا الحديث من الشرق إلى الغرب قلت له : خبرني بالحقيقة يا أخي ، أين يذهب الطبيب الليلة في عربتك ؟

فأجاب أخي باختصار : إلى الموت

— خبرني بكل صراحة أين ذهب ؟

— « ذهب ليتزوج » وقد أجاب أخي بطريقة أكثر وضوحا

— أحقا ما تقول ؟ وقد نطقت هذه الكلمة مصحوبة

---

(١) من عادات الهنود أن الأيامى لا يلبسن غير الثياب البيضاء ويكن عاطلات من الحلي

بقهقهة طويلة

وقد علمت فى آخر الأمر أن الخطيبة كانت غنية ورثت ميراثا عظيما سيغدق على الطبيب ثروة طائلة . ولـكن لم أهانى باخفائه هذا المشروع ؟ هلا سألته يوما أن لا يتزوج حتى لا يصمى فؤادى ؟ ولـكن الرجال لا يؤتمنون . لم أعرف فى حياتى إلا رجلا واحدا ، ولـكن لحظة واحدة كانت كافية لـكشف الحقيقة

ولما رجع الطبيب من عمله وتهيأ للرحيل قلت له والضحك يغالبنى : « سنتزوج فى هـذا المساء أيهـا الطبيب ؟ »

— إن فرحى قد أربكه بل زاده غيظا وحنقا

— ماذا جرى فإنى لا أرى الأمور كـثيرا ؟

— فأجاب بتأوه : هل الزواج حادث مفرج ؟

« عاودنى ضحك عنيف لا يغلب ثم قلت له

لا ! لا ! فذاك من المستحيـل أن يعلن زفاف دون أضواء وموسيقى !

ثم ضايقت أخى حتى أعد ممدات العرس وجعله بهيجا سارا

ولم أنقطع لحظة عن التندر بالخطيبة وعن الوقائع التى ستمر بها وعن حالتى تلقاء هذه الواردة الجديدة

— خبرنى أيها الطبيب ، هل ستستمر فى جس نبض مرضاك ؟

بخ بخ ! إن عمل العقل الباطن وإن كان غير منظور لاسيما عند الرجال فإنى أستطيع أن أؤكد بأن قولى كان على فؤاد محدثى كالحراب الفولاذية

إن الزواج سـيشهر بعد قليل فى الليل . وقبل الذهاب شرب الطبيب هو وأخى كأسا من النبيذ كعادتهما اليومية ، وفى هذا الوقت طلع القمر

« ثم تابعت حديثى قائلة والابتسام يعلو وجهى : هل نسيت زواجك ؟ قد آن السير »

وقد فاتنى بعض التفصيل ، فإنى قبل هذه المدة قد هرولت إلى الميـادة وأخذت منهـا مسحوقا ووضعته خفية فى كأس الطبيب

لقد شرب الطبيب كأسـه بجرعة واحدة ثم قال لى بصوت متهدج من التأثر مصحوب بنظرة اخترقت فؤادى : « سأذهب » صدحت الموسيقى بأنغامها الشجية، ثم ذهبت إلى خدرى ولبست ثوب الزفاف المنسوج من خيوط الذهب والفضة وتزينت بحلي ووضعت على شعرى العلامة الحمراء التى تميز الزوجة وذهبت إلى الأشجار لأهيئ مضجعى

وكان الليل جميلا وقد ذهبت رياح الجنوب المنعشة بمتاعب الدنيـا ؛ وقد تضوع شـذا الياسمين والورد حتى غمر البستان البشر والفرح

وكانت أصوات الموسيقى تصل إلى سمعى أضعف مما كانت عليه، وطفق لألاء القمر آخذا فى النقص، وانمحت من ذاكرتى الدنيا وصورة بيت الأسرة كأنهـا وهم تبدد ثم أغمضت عينى وأنا مبتسمة

وقـد تخيلت أن الذين سيقبلون لمشاهـدة بسمتى الأخيرة المنطبعة على شفتى كأنها آثار نبيذ وردى ، وأنى سـأدخل فى مخدع زفافى الدائم ووجهى مضئ بنفس الابتسامة

واأسفاه على مخدع زفافى وثوب عرسى المنسوج من الذهب واللجين ! لأنى حينما استيقظت من قرقعة العظام التى يخيل إلى أنهـا صادرة من هيكلى العظمى وجدتنى فى حضرة ثلاثة غلمان يتعلمون تشريح العظام فى هيكلى . وفى هذا الصدر الذى كانت تخفق فيه أفراحى وأتراحى والذى تفتحت فيـه وريقات زهرة صباى كان الأستاذ يبين بسبابته عظامى واحدة فواحدة ، هلا وجدت أثرا من هذا الابتسام الذى درسته بكل عناية ؟

وكيف وجدت قصتى ؟

— إنها للذيذة محبوبة ،

وفى هذه الفترة ابتدأ ينعق أول غراب

ثم سألت : « هل أنت هنا ؟ »

فلم يرد على أحد

واخترقت أشعة الصباح مخدعى فأضاءته

مطبعة الرسالة

العدد ٩٨٨ — ١ يونيه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

حديث رمضان	للأستاذ علي الطنطاوي	٦٢٩
الاستعمار البريطاني في الملايو	« محمد جنيدي	٦٣١
الصوم سمو بالإنسانية ...	« حامد بدر	٦٣٤
فضل المدنية العربية على المدنية الغربية	للدكتور فيليب حتى	٦٣٥
براعم شعراء الشباب ...	للأستاذ أحمد أحمد العجمي	٦٣٧
أبو العتاهية	للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ...	٦٣٩
إندونيسيا	للأستاذ أبو الفتوح عطيفة	٦٤٣
أثر المدرسة المصرية في الثقافة	« ثروت أباظة	٦٤٥
رحلة ... ... (قصيدة)	« أحمد محمود عرفة	٦٤٨
أطياف ... ... (قصيدة)	« عبد المنعم عواد يوسف	٦٤٨

(الأدب والفن في أسبوع) — هل نقتل الفصاحة فينا — مجلة الأزهر — مثال من الأدباء المضيمين ٦٤٩

(البريد الأدبي) — يا حكومة اليمن ويا أمانة الجامعة — بلاء — عتاب إلى أدباء السودان — إنها لا تعمى الأبصار ٦٥١

(القصص) — مبتور الساقين — للكاتب الفرنسي جي دي موباسان ٦٥٥

20 me. année No 988

Le Caire 9 - 6 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٨ «القاهرة في يوم الاثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٧١ — ٩ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

حديث رمضان*

للأستاذ علي الطنطاوي

(أهديه إلى روح شاعر الروح، وأديب الشرق محمد إقبال)

علي

صدقوني أني لم أجد أشق علي من هذا الحديث

كيف أشق بصوتي عجيج المعامل، وضجيج المصافق(١) وصياح الملاهي والحانات؟

كيف أخاطب خطاب الروح من لا يعيش إلا للجسد، وأحدث حديث الآخرة من لا يؤمن إلا بالدنيا؟ كيف يذكر أنه جاء من التراب، وسيعود إلى التراب، من نقر الصخر، ونقل البحر، وخرق الأرض، وركب الهواء، وفجر الذرة، وأنطق الجماد، فامتلأ كبراً وغروراً، حتى نسي من خلقه، فقال: أنا ربكم الأعلى؟!

ومن جعل من الحديد والنحاس آلات لها لسان، فيه أجلى البيان؛ وأذنان تسمعان، مالا تسمع الآذان، وعقل يحسب ما يعجز عن حسابه عقل الإنسان؟

نعم، إنكم تستطيعون أن تصنعوا من المادة تمثالا على صورة الحبيبة، له لونها ولينها، وله رائحتها وحرارتها، وأن تلمسوه بأيديكم، وتسمعوا معه صوتها من الراد، وتروا صورتها في الرائي(٢)، فتشغلوا حواسكم الثلاث بها، وآذانكم بغناجها، وعقلكم بتصورها، ولكن هل يغنيكم ذلك عن جسدها النابض بالحياة؟

هل تجدون في ذلك لذة الوصال؟

كلا. إنكم صنعتم الجسد، ولكنه كان جسداً بلا روح. وكذلك كانت حضارتكم

لقد ملكتم عالم المادة، ولكنكم خسرتم عالم الروح

تقولون: ما عالم الروح؟

أما قمتم مرة في هدأة الليل، فتأملتم صفاء السماء ولمعة النجم، فأحسستم في قلوبكم بعظمة الكون؟

أما سمعتم مرة نغمة عذبة تسري في جنبات الليل سريان الصحة في الأجسام، فحملتكم نبراتها إلى أودية الأحلام؟

أما قرأتم مرة قصة فوجدتم لما ختمتموها أنكم فقدتم شيئاً، وأحسستم في نفوسكم فراغاً، وأنكم هبطتم من الفضاء الواسع إلى أرض الواقع؟

أما تركتم مرة زحمة الناس، وضجة الحياة، ودخلتم بيتاً من بيوت الله ساكناً، فشعرتم بهوان الدنيا، وصغر الأرض،

(*) يذاع من محطة «صوت أمريكا» وكتب بطلب منها

(١) أعني البورصات

(٢) أعني التلفزيون — اصطلاح على طريق المجاز المرسل. أما الراد فقد وضعتها للراديو واستعملها الناس

فى جنب الله الملك الجبار ، ووجدتم حلاوة الإيمان ولذة الاستغراق فى العبادة ؟

هذه لمحات من عالم الروح

وما لمات العبقرية المبدعة إلا لمحات أخرى : يد تستطيع أن تحرك الستار ، فتبدو من خلاله خطفات من مشاهد ذلك العالم تظهر فى اللحن الخالد أو القصة أو القصيدة أو فى هجمة ذهن جبار على الشاطئ القريب من بحار المجهول

ولكنكم حبستم نفوسكم من كثافة المادة فى غار مغلق فلا ترون من بياض النهار إلا هذه الومضات تلمع من شقوق الصخر ثم تختفى

إنكم غارقون فى لج المادة ، فمن أين يتنفس الغريق فى البحر نسمات الأسحار ؟

إنكم تركضون فى حلقة مفرغة ، تسيرون سير السوانى ، تفيقون فتسرعون إلى الطعام تبتلعونه ابتلاعا ، والجريدة تلتهمونها التهاما ، فإذا لبستم ثيابكم أسرعتم إلى العمل فانغمستم فيه ، فإذا كان الظهر عدتم مسرعين إلى الدار فأكلتم وأسرعتم إلى الخروج ، ثم عدتم مسرعين إلى المنام

ثم بدأتم من غد من حيث انتهيتم اليوم ! ركض أبداً ، وإسراع دائما ، ولا تعرفون إلى أين المسير !

قد غفلتم عن جمال الطبيعة من حولكم ، فأنتم تقطعون أجمل مراحل الطريق ، مرحلة السحر وأنتم نيام ، لا تقفون على الروض تجتلون جمال الروض ، ولا ترفعون أبصاركم إلى السماء ، تفكرون فى عظمة السماء ، وغفلتم عن نفوسكم ، فلا تخلون بها ساعة كل يوم ، تسألونها ، وتتعرفون أسرارها ، وتغوصون على جواهرها

حياتكم كلها سرعة وسباق ! سباق فى الخير والشر ، إسراع إلى الشر والخير

تسابقتم فى قطع المسافات ، فصرنا نطير من دمشق إلى بغداد فى ثلاث ساعات ، وكنا نبلغها فى ثلاثة أشهر ، فهل ربحنا ؟ ربحنا الزمن ، ولكنا خسرنا العواطف والشعور . كان الطريق يثير فى نفوسنا ألف عاطفة ، ويبقى فيها ألف ذكرى ، نعيش بها دهراً ، فصرنا نقطعه فى غمضة واحدة !

وتسابقتم فى العلم والفن ، وفى القتل والتخريب . تهدمون فى ساعة ، ما تبنونه فى سنين ، فمل الأطفال والمجرمين والمجانين ! وما أنتم هؤلاء تتسابقون ، أيكم يكون أسرع إلى إهلاك البشر ، بحرب شيطانية مدمرة لاتبقى ولاتذر . فمتى يسترجع هذا الركب المجنون ، الراكض المسرع ، الذى يقفز كأنه يدوس على ظهور العقارب ، ويجرى كأن شياطين الجحيم جميعا تطارده متى يسأل نفسه : ما الغاية ، وما المصير ؟

متى يقف لينظر إلى أين بلغ ، وإلى أين المسير ؟

أين يلقى المحطة فى هذا السفر الطويل الذى لا غاية له ، ولا أول ولا نهاية

فى رمضان !

فى رمضان يا أيها القارئ

هذه هى المحطة التى أقامها الإسلام فى طريق البشرية لتقف عليها وقفة كل عام ، تفرغ فيها من هم البطن ، وهم ما تحت البطن . ليسأل كل نفسه : من أنا ؟ من أين جئت وإلى أين أصير ؟

من أنا ؟ أنا خط طويل ، أقله فى النور ، وسائره فى الظلام . لقد كنت قبل أن أعرف نفسى ، وسأبقى بعد ما يذهب عقلى وحسى ، ولو حق لى أن أنكر مصيرى بعد الموت لأنى لا أراه ، لحق لى أن أنكر ماضى قبل الولادة لأنى ما رأيته

وما أحوج أبناء هذه الحضارة اليوم إلى مثل هذه المحطة فى طريق الحياة !

ما أحوجكم إلى من يذكركم بأن فى الوجود ربا ، وأن بعد الدنيا آخرة ، وأن الله ما خلق الناس عبثا ، ولا تركهم سدى

إنكم أغنى منا مالا ، وأقوى قوة ، وأكثر عمرانا ، وأعرف منا بأسرار المادة وسنن الكون ، ولكنا أغنى منكم بكنوز الروحيات ، فتعالوا خذوا منا ، فإن الإنسان قد عاش بلا علم ولا مال ، ولكنه لا يعيش بلا روح

ولقد جعل الإسلام الصلوات الخمس كل يوم ، لتعود الروح فى هذه اللحظات ، إلى عالم الروح ، وجعل الصيام شهراً فى العام ، لينطلق الإنسان من إسار المادة شهراً فى العام ، ويحس

الاستعمار البريطاني فى الملايو

للأستاذ محمد جنيدى

أعاصير هائجة، ورياح عاصفة، تهب فى الملايو لتقويض صرح الاستعمار البريطانى ! ...

أفكار ثائرة ، ونفوس غاضبة ... أبت الاستكانة لسيادة قوم فرضوا نفوذهم على شعوب ضعيفة بوسائل الخداع والنفاق ، والقوة والطغيان ، فسلبوا حقوقها ، ومحوا استقلالها ، فعادت القهقرى إلى حقب بعيدة ... وقد دار الزمان دورته ، وعادت الحياة إلى أجسام الشعوب المستعبدة ، ودب النشاط فيها ، فشرعت تكافح فى سبيل استعادة حريتها المسلوبة ، لتعيش على سطح هذا الكون حرة مستقلة ، تشارك الشعوب الحرة فى حفظ تراث الإنسانية ، ودعم أسس السلام العالمى

وعندما وقفت أجهزة الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأقصى لتستريح من النصب الطويل الذى لاقته فى سبيل استعباد الأمم الضعيفة ، واستغلال خيرات أراضيها ، ظهرت على مسرح السياسة الدولية أجهزة التحرير للشعوب الأسيوية تعمل فى ضوء النهار ، وفى حلك الليل ، للقضاء على الاستعمار الغربى، لتقيم الدليل على حق الشعوب المستعبدة فى تقرير مصيرها ، كما نص عليه ميثاق الإطلانطيق ... الذى كان رمزاً لغاية الدول الكبرى لأعمالها بعد أن تضع الحرب العالمية الأخيرة أوزارها ، كما كان شعلة وهاجة تشير بها للشعوب الضعيفة بالسير فى مواكبها لتنعم بالحياة الحرة الخالية من شوائب الفقر والخوف

لقد بدأت الشعوب الأسيوية المستعبدة تنتهج السبل الموصلة إلى تحقيق آمالها الوطنية ، وتتخذ الوسائل الفعالة إلى التخلص من براثن الاستعمار الغربى ، منتهزة الظروف القاسية التى أقعدت الدول الكبرى الهيضة الجناح عن المضى فى مناهضة الحياة الحديثة الثائرة التى برزت فى الشرق تطالب بنصيبها من الحرية

ففى الشرق الأقصى فى إندونيسيا ، أعلن الإندونيسيون استقلالهم وقيام حكومة جمهورية مستقلة فى السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ (بعد مرور يومين على وقوف آلات الحرب والدمار فى الشرق الأقصى) وأعدوا عدتهم لملاقاة كل الاحتمالات المتوقعة التى سوف تظهر من جانب الدول الكبرى الاستعمارية، محاولة منها القضاء على استقلال إندونيسيا، وإعادة سيادتها مرة ثانية عليها ... فاتحدت القوات الاستعمارية — الإنكليزية والهولندية واليابانية — للقضاء على استقلال إندونيسيا، وهدرت أفواه مدافعها تصب نيرانها الحامية على الإندونيسيين الأحرار ، وضحى الشعب الإندونيسى فى سبيل حفظ حريته وتدعيم أساس جمهوريته كثيراً من النفوس الطاهرة التى قدمت نفسها رخيصة على مذابح الحرية ...

هذا فى إندونيسيا ، البلد المجاور للملايو ، وهناك على الجانب الآخر من الملايو بلد ثائر غاضب ... هو (فيتنام) فقد أعلن الفيتناميون الأحرار استقلالهم وظهور جمهورية شعبية مستقلة تتولى إدارة شؤون البلاد ، وذلك فى شهر أغسطس عام ١٩٤٥

ولم ينج الفيتناميون الأحرار من غضب المستعمرين الغربيين الذين لعبوا دورهم السياسى والعسكرى فى فيتنام ... فجهزوا عليهم جيوشاً جرارة للقضاء على حكومة فيتنام الحرة ، كما سلحوا أذنابهم من الفيتناميين أتباع الإمبراطور باوداى ، وقد خلق المستعمرون فى الهند الصينية قوة دولية للقضاء على حكومة فيتنام

الشدائد العليا ، ويتصل بالله

لذلك كان رمضان

فيامن لهم رمضان ! لا تظنوا رمضان شهر جوع وعطش ! إن رمضان شهر صفاء وحب وتأمل ، وترفع عن المادة وأوضارها ، وعن شهوات النفس وأوزارها ، وإعراض عن مشاهد الطريق ، للتفكر فى غاية الطريق

ويا من ليس لهم رمضان ! اجعلوا لنفوسكم رمضان مثلنا ، تعودون فيه إلى نفوسكم التى نسيتموها ، وإلى إنسانيتكم ، وإلى ربكم

ويا أيها القراء من إخواننا العرب فى العالم الجديد ، ترجموا هذا الكلام ، لإخوانكم (الأميركان) ليعرفوا ما هو رمضان

على الطنطاوى

٣٨٠٤٦

الحرة ، وبذل الفيتناميون دماءهم وأرواحهم في سبيل حفظ حكومتهم الحرة ، ولا يزالون يكافحون الجيوش الاستعمارية ويكبدونها الخسائر الفادحة حتى تعترف السلطات الاستعمارية بحريتهم واستقلالهم ، وفي خضم هذه المعارك التحريرية الأسيوية في الشرق الأقصى تحرك الشعب الملايوى ، والتف حول زعمائه الأحرار ، فنظموا صفوفهم ووحدوا جهودهم ، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وأقاموا المنظمات الثقافية ، لتتولى شؤون الحركات التحريرية التي تتطلب التضحية في المال والرجال ، ليقيموا حياة جديدة حرة في وطنهم الذي يلاقي الأمرين من الاستعمار الإنكليزي

لقد نهض الشعب الملايوى بعد ما رأى المعارك الاستقلالية الدامية تدور حوله بين الأسيويين الأحرار والغربيين المستعمرين ، فطالب السلطات البريطانية بحرية بلاده ، مستندا في ذلك إلى حقه الطبيعي والشرعي في الحرية والاستقلال ، وعلى ما جاء في ميثاق الأطلسي الذي ضمن للشعوب الضعيفة حق تقرير مصيرها

وهنا تقف إنكلترا حائرة في هذا الجو المضطرب ، أو في هذا الخضم الثائر في الشرق الأقصى ، فالحركات الاستقلالية تلفح نارها الهند الصينية التي يقاتل فيها الفرنسيون قتالا مريرا لإيقاف الزحف الشيوعي عن مناطق نفوذهم فيها ، وتؤيد — إنكلترا فرنسا في حركاتها العسكرية الضخمة في الهند الصينية لصد التيار الشيوعي عن المستعمرات الغربية في الشرق الأقصى فتشبثت إنكلترا بحقها الدولي في بقاء سيادتها على الملايو ، وكان رد فعل لهذا أن غدت ملايا بركانا ثائرا ، يشيع فيها الاضطرابات والثورات

إن الاستعمار الغربي في الملايو هو المسئول الأول عن الاضطرابات الحاضرة في جميع أنحاء ملايا ، أو بعبارة — أوضح إن الاستعمار الغربي هو الذي أثار هذه الاضطرابات ، وأشعل هذه الثورات ، فالثورة الحاضرة في الملايو هي ضد الاستعمار البريطاني الذي رفض التسليم بحق الملايويين الشرعي في حرية بلادهم ، وهي ثورة شعب على وضع يناهض تقدمه ويعرقل سيره . فلو أن السلطات الاستعمارية البريطانية قدرت مدى تغلغل الروح القومية في نفوس الشعب الملايوى كما قدرت مدى انتشار الروح الوطنية في الهند ، لأفسحت المجال للشعب الملايوى ليسير في طريق الحرية والاستقلال ، وليلحق الشعوب الأسيوية التي سبقته في هذا المضمار فغدت حرة مستقلة ، ولكنها أغمضت عينيها عن هذه الروح الثائرة وعن هذه الحركات الملحة ، فأرسلت جيوشها الجرارة إلى الملايو لتخمد أنفاس الملايويين ، وقد بلغ عدد الجنود التي — قذفتها بريطانيا إلى ملايا بعد الاضطرابات الحاضرة مائة وخمسة وعشرين ألف جندي ، تؤيدها مائة ألف جندي كانت موجودة في ملايا قبل الحوادث الأخيرة

يزعم الاستعمار الإنكليزي في الملايو بأن بقاءه فيها هو لحفظ النظام الديمقراطي والحقوق الإنسانية من داء الشيوعية التي تقضي على الحقوق الديمقراطية ، وتقلب أوضاعها رأسا على عقب ، وهذا الزعم ينهار تحت الحقائق الناصعة التي تثبت أن الشعب الملايوى شعب شرقي مسلم قد حماه دينه من العقائد الضارة والنظم الفاسدة التي تهدم كيان المجتمع

وهناك ادعاء آخر ، وهو آخر ما في جعبة إنكلترا من الادعاءات التي تبرر بها بقاءها في الملايو ، وحقها في استعمال الأسلحة ضد الثوار ، وهو أن الثوار في ملايا ليسوا هم الوطنيين بل هم الصينيون الشيوعيون الذين يستمدون العون من الصين الشيوعية ، وغايتهم القضاء على الاستعمار الإنكليزي في الشرق الأقصى . فهل هذا الادعاء قائم على دليل مستخرج من الحياة الملايوية الحديثة تستند عليه إنكلترا في حق قيامها بواجبها العسكري للقضاء على الحركات الشيوعية في الملايو ؟ لا … إنه ادعاء لا يرتكز على دليل ملموس . وهو إدعاء باطل ، أريد به تضليل العالم بأن الملايويين قانعون بحياتهم الحاضرة تحت ظل الحكم البريطاني … وهذا إفك وافتراء … فإن الشعب الملايوى قد أبى الخضوع للحكم البريطاني ، ولا يريد إلا التحرر من نفوذه الذي عاقه عن الحركة والتقدم مدى قرون طويلة

وإذا درسنا الحياة الحديثة في ملايا دراسة صحيحة من الناحية السياسية والثقافية — وهما الناحيتان البارزتان — لمعرفة مستوى نضوج الشعب ، نجد أن الشعب الملايوى كغيره من

الشعوب الأسيوية التى كانت مستعبدة قد عرقل سيره الطبيعى الاستعمار البريطانى ، فالحكم البريطانى قد أغلق أبواب العلم والمعرفة أمام الشعب الملايوى ، وحصره فى محيطه الضيق ، وفى أفقه المادى ، لاينشف من مناهل العلم ، ولا يتصل بالعالم الخارجى ، برغم أن هذا الشعب محب للعلم ، تواق إلى المعرفة ، فهو شعب مسلم ، يحثه دينه على التسلح بسلاح العلم ، والتزود بالفنون الحديثة ، كما أن الاستعمار البريطانى قد حظر على الشعب الملايوى إنشاء الأحزاب السياسية ، وإقامة المنظمات الثقافية ، فمنذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها لم تظهر فى ملايا أحزاب سياسية أو منظمات ثقافية تدعو الشعب إلى التحرر من الاستعمار البريطانى ؛ فالسلطات البريطانية أبعدت الشعب الملايوى عن ميادين الجهاد المقدس بعد الحرب العالمية الأولى كيلا تتقلص سيادتها عن ملايا ، بينما كانت الأحزاب السياسية والمنظمات القومية قد برزت فى إندونيسيا من ١٩٠٨ وهى البلد المجاور لملايا

ومن المشكلات الصعبة التى تعانيها ملايا فى حركاتها التحررية اليوم ، مشكلة الجاليات الأجنبية . فالزعماء — الملايويون يريدون التوفيق بين وجهات نظرهم ووجهات نظر الجاليات الأجنبية التى تكون عدداً مساوياً لعدد الوطنيين ... ويبلغ عدد سكان ملايا خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ، ومن الطبيعى أن وجود هذا العدد الهائل من الأجانب فى ملايا له تأثيره البارز فى الحركات التحررية الملايوية — نجاحا وفشلا ، تقدما وتدهوراً

والتوفيق بين وجهات نظر الملايويين والأجانب هو كما يريده الملايويون الأحرار ، اندماج الأجانب وهم يمثلون الصينيين فى القومية الملايوية ، بحيث يشعرون بما يشعر به الملايويون من الآلام والإحساسات إزاء مشكلاتهم القومية الكبرى . وقد تشبث الصينيون بوجهة نظرهم وهى يقاوم متمسكين بقوميتهم الصينية ، ووجوب انتقال سيادة ملايا إليهم ، وظهر من هذا تباين تام فى الآراء والأفكار ، واختلاف فى الشعور والإحساس بين الملايويين والصينيين ، وهذه العوامل المعنوية لها تأثيرها الخطير فى الحركات القومية الملايوية ، ولاشك أن هذا التباين من أحد العوامل التى تعرقل سير الحركات التحررية الملايوية اليوم . ويجد الشعب الملايوى نفسه أمام عاملين خطيرين يناهضان حركاته ومقاوماته ضد الحكم الأجنبى . فالعامل الأول هو الاستعمار البريطانى ، والعامل الثانى هو العدد الهائل من الصينيين الذين يشعرون بشعور وطنهم ، ويحسون بإحساس بلادهم ، ويستغرب القارئ الكريم من وجود هذا العدد الكبير من الصينيين فى بلد صغير كملايا ، ونحن نوضح له أسباب ذلك

إن الاستعمار الإنكليزى هو الذى فتح أبواب الهجرة أمام الصينيين فى ملايا ، منذ بدأ يبسط حكمه عليها ، كى يجد الملايويون عنصراً أجنبيا يزاحمه ويقعده عن العمل ، سواء كان فى حقل الاقتصاد أو فى ميدان السياسة . وقد نجحت السياسة الاستعمارية الإنكليزية فى عملها نجاحا تاما ، فاليوم يجد الملايويون الأحرار عقبة كأداء فى سبيل حل قضيتهم الوطنية مع السلطات البريطانية ، فالصينيون ويبلغ عددهم مليونين ونصف مليون يطالبون الحكومة البريطانية بالسيادة على ملايا ، تاركين الشعب الملايوى صاحب البلاد وراءهم . وقد أنتج موقف بريطانيا الصلب العنيد تجاه مطالب الملايويين فى الحرية والاستقلال أن قام الصينيون بأعمال التخريب والتدمير فى الملايو مشوهين بذلك روعة الحركات التحررية الملايوية التى شملت جميع أنحاء ملايا . ويدل سير الحركات التحررية اليوم فى الملايو . على أن الشعب الملايوى سائر فى طريقه المرسوم ... لتحقيق حريته واستقلاله برغم العوامل المناهضة له ؛ وتشرق على ربوع وطنه شمس الحرية ، فيغدو شعبا حرا يشارك شعوب العالم فى إقامة صرح حياة جديدة قائمة على أساس العدل والرخاء

وإتماما لهذا العرض الموجز عن الاستعمار الإنكليزى فى الملايو أقدم للقارئ الكريم موجزاً عن الوضع الإدارى الحاضر فى ملايا ، وعن مركزها الاستراتيجى ، وعن النشاط الثقافى الذى سيكون له الأثر الكبير فى نجاح الحركات التحررية التى يستعر لهيبها فى ملايا

تنقسم ملايا إلى بضع ولايات يتولى الحكم على كل منها حاكم يلقب بسلطان ، تنتقل سلطته إلى ذريته من بعده . ولكل سلطنة مظاهر الدولة والحكومة ، جيش وعلم وطوابع بريد وإدارات

خواطر مسجوعة

الصوم سمو بالإنسانية

للأستاذ حامد بدر

الصوم سمو بالإنسانية : وتحرر من الحيوانية ؛ فإن الشبع يدنى الآدميين من البهائم ، ويقلل الفرق بينهم وبين السوائم ؛ والصوم يبعد أولئك عن أولئك ، ويدنى الأنامى من الملائك

والصوم تعذيب ، لكنه تأديب وتهذيب ؛ يقهر الطغاة ، وينشر المساواة ؛ فالمحروم فيه كالمالك ، لا فرق بين هذا وذلك

والصوم حرمان ، لكنه إذعان وإيمان ؛ فلا يكون ظمأ وجوعا ، قبل أن يكون إنابة إلى الله ورجوعا

شرع ليألف الصائم الزهادة ، ويفقه حقيقة الورع والعبادة ، فيقنع بما يكفيه مختارا ، بعد أن أقنع إجبارا . ويرحم الفقير والمسكين ، ويقدم من أيام الدنيا ليوم الدين ، تاركا ما فضل لغيره ، مشركا المحروم فى خيره . ذاكرا أن ما عنده إلى نفاد ، وأن البر والتقوى هما خير الزاد

ولا صوم لمن أمسك فكيه عن الطحن ، ولم يمسك ما بينهما عن الطعن ؛ أو صام عن الزاد ، ولم يصم عن إيذاء العباد ، فتناثر عابه ، وتكاثر سبابه ، واشتد هجره ، ونفد صبره

فإن من لم يتق راضيا ، ولم يبتغ مرضاة ربه متفانيا ، ذهب صومه ضحية ثورته ، وتلاشى ربحه أمام خسارته ، وسبقه الحيوان الذى يصوم الأيام فى صبر ودعة ، ويصل فى صومه الليل بالنهار من غير بهيمة . يطوى البيد طاويا ، ويطأ الرمضاء صاديا راضيا

والصوم سر بين العبد ومولاه ، لا يطلع على حقيقته إلاه . تبيت ناويا ، وتصبح طاويا ، زاهدا فى مطعمك ومشربك ، من فجرك حتى مغربك ، كلما ألح الظمأ والسغب عليك ، والزاد فى متناول يديك ، قال الضمير : أمسك ، واحكم نفسك بنفسك ، وأذقها الحرمان ، من آن إلى آن ؛ لا تخضع لها دهرا ، وتحرر فى العام شهرا . وتب إلى الله نصوحا ، واخشع له جسدا وروحا . فإن أعز أهل العزة ذليل بين يدى الله . وأذل أهل الذل ذليل بين يدى هواه !

حامد بدر

حكومية وقضائية ومالية ، وبجانب السلطان الوطنى مستشار بريطانى يستمد سلطته من وزارة الخارجية البريطانية، وللحكومة البريطانية ممثل لها يلقب باسم (المندوب السامى) هو الذى يشرف على سياسة ملايا الخارجية والمالية والعسكرية ، وهناك بعض مقاطعات تحت الإشراف البريطانى المباشر، وتعدها بريطانيا ممتلكات لها

وتحتل ملايا مركزا هاما من الناحية الاستراتيجية لدول شرق جنوب آسيا ، إذ تتسلط على مداخل الهند - وبورما وسيام والهند الصينية وإندونيسيا ، وقد جعلت بريطانيا من جزيرة سنغافورة قاعدة حربية تتحكم فى مياه المحيط الهندى

والحياة الثقافية الحاضرة فى ملايا تبعث على الاطمئنان على مستقبلها ، فقد فتح الأحرار الملايويون المدارس ، وأنشأوا المنظمات الثقافية لتنوير أفكار الشعب ، وتوجيهه إلى ما فيه نجاحه فى حركاته التحريرية الحاضرة ، ولنا عودة إلى البحث عن الحياة الحديثة فى الملايو ، لعلنا نوفق فى إعطاء القارئ الكريم معلومات دقيقة عن ملايا الحديثة

محمد جنيدى

فضل المدنية العربية على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى

أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية في جامعة سان باولو

٣ — في الفلسفة

كان للعرب قبل الإسلام أمثال وأقوال حكمية يتداولونها على الألسنة ويتناقلونها من جيل إلى جيل، وكان لابد من الانتظار إلى ما بعد الفتح كيما يحكوا الاتصال بالفلسفة اليونانية من طريق الترجمة بواسطة العلماء السوريين واللبنانيين قبل أن تغتني اللغة العربية بنظام فلسفي

وكان حنين بن إسحق (توفي ٨٧٣) السوري المسيحي شيخ المترجين في أيام الخليفة العباسي المأمون في بغداد ؛ وهو الذي نقل مع تلامذته فلسفة أرسطو والأفلاطونيين الجديدين من اليونانية إلى الآرامية لغة البلاد السورية ومن هذه إلى العربية . وللحال أصبح أرسطو « المعلم الأول » في الإسلام، وكان لا بد من التوفيق بين تعاليمه وتعاليم القرآن، وهو المشكل الذي شغل أفكار فلاسفة العرب الأولين

وأول فيلسوف عربي عني بهذا الموضوع هو الكندي الذي زها في أواسط القرن التاسع . وكان الكندي فيلسوفا ورياضيا وموسيقيا . وتبعه الفارابي من مواليد تركستان ودفين دمشق (٩٥٠) الذي أصبح (المعلم الثاني) بعد أرسطو ووضع كتابا بعنوان « المدينة الفاضلة » على منوال « جمهورية أفلاطون »

كذلك فلاسفة العرب في الغرب فإن جهودهم العقلية تتوجت بالتوفيق بين الإسلام وفلسفة اليونان . وكان نجاحهم موفورا لأن الإسلام لم يكن فيه من العقائد والأسرار ما في المسيحية ، ولم يكن له رجال دين لهم رأس ونظام شامل . ومن المعلوم أن الفلسفة اليونانية هي أعظم تراث من الفكر الأوربي القديم، والإيمان بوحدة الله هو أعظم تراث من الفكر السامي القديم . وهذان الجريان الفكريان التقيا في إسبانيا المسلمة وسارا جنبا إلى جنب متآلفين متصافيين

إن مشكل التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية هو نفسه اعتراض العلماء السكولاستيكيين، ولكنهم لم يوفقوا إلى حله لما في العقائد المسيحية من التعقيد ولما في الكنيسة من الأنظمة الأكليركية

والفضل الأكبر في شرح أرسطو وجعله مقبولا لدى الإسلام أولا والمسيحية ثانياً يعود إلى ابن رشد القرطبي (توفي ١١٨٩) الذي ترجمت شروحه في طليطلة في أواخر القرن الثاني عشر إلى اللاتينية وترجمت أيضاً في صقلية إلى هذه اللغة، لغة العلم في تلك الأيام وما لبثت أن أصبحت كتب التدريس الفلسفية في جامعات إيطاليا ومنها نابولي، وإسبانيا ومنها قرطبة، وفرنسا ومنها باريس ؛ وغيرها من البلدان الأوربية

وابن ميمون اليهودي (توفي ١٢٠٤) معاصر ابن رشد قام في سبيل الفلسفة اليهودية بالخدمة التي قام بها ابن رشد في سبيل الفلسفة الإسلامية . وكانت طريقته في التوفيق تفسير بعض آيات الكتاب المقدس تفسيراً مجازيا استعاريا . ومن الواضح أن البيرت ماغنوس وسبينوزا وكانت وغيرهم من فلاسفة أوربا المتأخرين من مسيحيين ويهود تأثروا بأفكار ابن ميمون

ونشأ في غرناطة فيلسوف مسلم لم يسبق له مثيل في تاريخ الفلسفة وهو ابن طفيل (توفي ١١٨٥) الذي وضع رواية « حي ابن يقظان » حاول فيها إثبات أن المرء إذا ترك لنفسه ولم يتأثر بعوامل خارجية من تربوية أوغيرها يستطيع أن يدرك حقيقة الخالق وواجباته نحوه، وبذلك أزال الحائط الفاصل بين ما هو طبيعي وما هو فوق الطبيعة . وترجم هذا الكتاب البديع إلى اللاتينية أحد أساتذة أكسفرد عام ١٦٧١ . ومما لا ريب أن « قصة روبنسون كروسو » الطريفة منسوجة على منواله

٤ — في الفن

ذهب المسلمون إلى أن تمثيل الإنسان أو الحيوان بواسطة

التصوير أو النحت أو الحفر إنما هو نوع من الخلق . والخالق هو ميزة إلهية فلا يجوز للانسان أن يحاوله . وذلك كله نتيجة الاعتقاد بوحدة الله وأثر من أثر العبرانية القـائلة بمنع عمل الأصنام

لذلك اقتضى أن يظهر الإسلام ميله الفنى بوسائل جديدة من الزخرفة واستخدام الألوان الزاهية المتناسبة والأساليب الهندسية والنباتية

أما الفرس الذى كان لهم تقليد فنى عريق فإنهم بعد دخولهم فى الإسلام استنبطوا التصوير المصغر ، وأول كتب ظهرت فيه هذه التصاوير هى « كليلة ودمنة » و « المقامات » . وفى إسبانيا تأثر المسلمون بالتقليد المسيحي، فلم يتردد عبدالرحمن الثالث الذى أعلن نفسه خليفة عام ٩٢٩ عن وضع تماثيل إحدى سراريه في قصر الزهراء الذى شاده على اسمها . كذلك أقام بنو نصر الذين بنوا الحمراء تماثيل للأسود فيها

برع العرب فى الشرق والغرب فى الفنون الصناعية . فالقرميد الملون لم يزل فى الإسبانية والبرتغالية معروفا باسمه العربى (الزيجى) . وبفضل العرب أصبحت طليطلة وقرطبة ومالقة مراكز هامة للخزف . وأصبحت طليطلة مركزا للقواطع والسيوف كما كانت دمشق . ولم تزل صناديق عاجية كثيرة من صنع قرطبة معروضة فى متاحف أوربا وأميركا للآن . واشتهرت بلنسيه بصناعة الزجاج التى امتازت بها سورية ولبنان من العهد الفينيقى . ومن إسبانيا انتقلت هذه الصناعة إلى فرنسا وغيرها فتمركزت صناعة الخزف فى بواتيه وقلدها عملة أولئك حتى القرن الخامس عشر

ومن الفنون التى رقاها أبناء العرب فن الخط الذى تقلده الصنعة المسيحيون على الأوانى دون أن يفهموا فحواه

وبلغت الأقمشة حدا من الانتشار لم تبلغه قبل الفتح الإسبانى والحروب الصليبية . ومن الكلمات العربية التى أخذها الأفرنج من العربية « مصلن » من الموصل و « بلدكن » من بغداد و « ديوان »

وفى البناء أسلوب معروف يدعى الأسلوب المغربى الذى امتزجت فيه عناصر إسلامية وقوطية مسيحية . ومن مميزات هذا الأسلوب القنطرة المشابهة لنعل الحصان والتى كان ظهورها المرة الأولى فى المسجد الأموى بدمشق فى أوائل القرن الثامن . وقصور طليطلة وإشبيلية وقرطبة هى من أهم الآثار البنائية العربية وأجل أثر هو الحمراء . أما المسجد الذى بناه عبد الرحمن الأول (توفى ٧٨٨) وفيه ١٢٩٣ عموداً فإنه الآن كاتدرائية . والزهراء لم يبق منها أثر مذكور

والكلمات التى يستعملها البناء والنجار فى الإسبانية والبرتغالية معظمها عربية الأصل . ومن أمثلة ذلك « الخزانة » و« القبة » و « الدعامة » و « الشطيحة » و « الطاقة »

ومن آثار الموسيقى كلمات عربية كثيرة لم تزل إلى يومنا الحاضر دارجة فى اللغات الغربية . ومنها «العود» و« القيثارة » و « الصنوج » و « النفير » و « البوق »

البقية فى العدد القادم

فيليب حتى

براعم شعراء الشباب

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

فى فصل الربيع من كل عام تأخذ الأرض زخرفها ، وتلبس أجمل ملابسها المزركشة الملونة بأجمل الألوان ، وتتجلى مفاتن الطبيعة فى أبهج صورها البهية على ضفاف الترع والجداول وشواطئ الأنهار ، بأفواف الأزهار والنوار والرياحين ، فى بطون الوديان وعلى ظهور الكثبان وبين جنبات الحقول والبساتين

وتبدأ الأشجار تروى قصة الخصب والرى والنضارة ، وتؤدى دورها الخالد المتجدد على مسرح الحياة : تكتسى بعد عرى ، وترتوى بعد ظمأ ، وتلين بعد جفاف طويل . كل يوم يمضى تبرز إلى الوجود براعم جديدة وليدة ، تبدو على جوانب الأغصان ، وتتفتح على أشعة الشمس ، وتنعقد عليها أكاليل الندى كل صباح

هذه البراعم الجديدة الوليدة فى الحدائق والبساتين هى براعم شعراء الشباب فى حديقة الشعر والشعور

تظل براعم الأشجار تتجدد وتتعدد وتنمو فى كل ربيع ، بعضها يبلغ منتهاه ويصل إلى مداه فى النمو الدائم عاماً بعد عام ، وبعضها يدركه العطب أو يلحقه الجفاف فيذوى وهو غصن صغير

وهكذا براعم شعراء الشباب !

بعضهم تنمو قريحته وتزهو عبقريته عاماً بعد عام ، فيتوالى إنتاجه ويتضح منهاجه وتصفو ملكته من الصنعة أو الزيف أو التقليد ، وبعضهم يدركه العجز أو الوهن فيظل كالفاكهة الفجة، هى على الشجرة فاكهة بين الفواكه ، ولكنها لا تروق ولا تشوق ولا تذاق !

فى النصف قرن الأخير ، شهدت مصر خاصة ، وشهد العالم العربى عامة ، بل شهد العالم فى كل قطر ومصر — نهضة أدبية شاملة ، فى كل لون من ألوان الأدب ، وفى كل عنصر من عناصر الفن ؛ كانت رد فعل طبيعى لما ران على العقول والمواهب والملكات ، من ظلمات العصور الغابرة : عصور الظلم والنهب والاستبداد فى الحكم ، وعصور الجهل والجدب والتقليد فى الآداب والعلوم والفنون

وكان حظ مصر عظيما موفورا فى الحالين : كان حظها فى عصر المماليك وقبله بقليل بضع محسنات لفظية سخيفة يسعى إليها الشاعر سعيا واضحا مكشوفا كاللص الأبله يسرق الناس فى رائعة النهار ! فإذا تجاوز المحسنات كان همه السطو على المعانى القديمة أو تقليد كبار الشعراء فى عصور الحضارة السالفة ، وكان حظ مصر عظيما فى النهضة الأدبية الأخيرة المباركة فى كل وجه من وجوه الثقافة ، ولاسيما الشعر ، فقد قطعت فيه شوطا بعيدا وأحرزت فيه قصب السبق فى حلبة الفنون

فى الخمسين سنة الأخيرة ، منذ وفاة محمود سامى البارودى ، أول طلائع النهضة الحديثة ، إلى الآن — لمعت فى سماء الشعر شموس وأقمار وكواكب متعددة ، توشك أن تكون خمسين شاعراً ، وهو عدد — بحمد الله — ليس بقليل !

ربما يخطر فى بالك الآن ، هذا المثل العامى الظريف : « العدد فى الليمون .. ! » وربما تستغرق فى الفكاهة ، أو تسرف فى التجنى ، فتقول : إن خمسة فقط من هؤلاء الخمسين هم الخالدون الذين يعتد بهم ويعول عليهم ، وتحفظ أشعارهم على أنها نماذج رائعة للخيال المنتج والتعبير الجميل ، ومناهج مبتكرة للشعور الصادق والفن الأصيل . وأن هؤلاء الخمسة كالصلوات المكتوبة : خمس فى العدد ، وخمسون فى الأجر والثواب !

فدعنى أسألك هذا السؤال : من هؤلاء الخمسة الشعراء ؟ فتسرع بالجواب : البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ومطران ، فأقول : هؤلاء جميعا فى فراديس الجنان ، فما بالك بالأحياء ؟ فتقول : العقاد وناجى ورامى وعزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى ، فأستدرك قائلا : ولكن فى الطائفة الأولى أعلاماً يجب أن تذكر بالحمد والثناء . حفنى ناصف وولى الدين يكن ومحمد عبد المطلب وأحمد محرم وعلى الجارم وزكى مبارك وعلى محمود طه وعبد الحميد الديب وفخرى أبو السعود ؛ وفى الطائفة الأخيرة عبد الرحمن شكرى ومحمد الأسمر وصالح جودت ومحمد مفيد الشوباشى وعبد اللطيف النشار . . فتصيح من فرط الغضب أو من فرط الدهشة ، أو من ملل السرد على الأصح : آمنا وصدقنا

يا أخى !! عشرون شاعراً أو ثلاثون ..

كم شاعراً من هؤلاء جميعا يستحق الدراسة ، ويحتاج إلى البحث والاستقصاء ؟ — جميعهم بلا استثناء .. !

نعم جميع هؤلاء الشعراء فى حاجة ماسة إلى دراسة جديدة تبتعد عن الغلو والملق والمجاملة ، وعن التجنى وسوء الظن والزراية . وقد كتبت فيهم جيعا كتابات أكثرها إن لم يكن جيعها لا يخلو من عيب من هذه العيوب

وليس هؤلاء الشعراء وحدهم فى حاجة إلى أمثال هذه الأبحاث ، بل إن هناك من هم أحق منهم بهذه الدراسات وأولى بالنظر والتعريف ... هؤلاء هم شعراء الشباب

ما أحوج شعراء الشباب جميعا إلى دراسات منظمة وأبحاث مستفيضة فى اتجاهاتهم الفنية ومذاهبهم الشعرية وألوانهم المختلفة فى الشعور والتعبير ، وما أشد حاجة هذه البراعم النضة البضة فى حديقة الشعر إلى من يتولاها بالرى والتشذيب وينير لها السبل . فى الصفوف الخلفية مواهب وقرائح وعبقريات مبعثرة ، أكثرها مع الأسف مدفون فى التراب ، لولا ما يتنفس به بعضهم حينا بعد حين ، فى الهواء الطلق والجو الفسيح ولو أتيحت الفرصة المناسبة لكثير من براعم شعراء الشباب لكان لنا طبقة جديدة وجبهة قوية تتجه بالشعر إلى أسمى المناهج الحديثة ، وتصل بالفن إلى أعلى مراتب الخلود

وإذا كانت هذه البراعم النضة فى حاجة إلى النقد والتمحيص فلكى ننوه بها ونشد أزرها ونشجعها على السير الطويل فى طريق الشعر بخطى راسخة وجهاد لا يلين ، بدقة وفطنة وإحكام ؛ حتى لا تتكرر المأساة من جديد . . . مأساة التخبط والتقليد

لو أن إسماعيل صبرى أخلص النصح لشوقى ، وزين له فى نشأته الأدبية اعتماده على نفسه ؛ فنبت على ساقه وغاص إلى أعماقه ، وعبر عن نفسه ورأيه وشعوره لكان لنا من شوقى « أمير شعراء » غير الذى كان ...!

ولو أن شوقى رسم الطريق أمام رامى ، فحبب إليه الجزالة والرصانة والفحولة — لكان رامى شاعر الشباب الدائم ولو جاوز التسعين ...!

ولو أن مصطفى على عبد الرحمن ، اغترف من بحر رامى ، ونسج على منواله فى الشعر الغنائى مع تعمق ورسوخ لرق شعره وراق !

ومن ناحية أخرى لولا أن العقاد آثر ابن الرومى كل هذا الإيثار ، وأحب مذهبه الشعرى كل هذا الحب — لما جنى ابن الرومى على شعر العقاد ، وكاد يجعل بعضه سراديب عقلية وفكرية ينقصها نور العاطفة المشبوبة فى شاعر كبير كالعقاد ..!

وكذلك لولا أن سيد قطب وأحمد مخيمر والعوضى الوكيل هاموا زمناً طويلا بشعر العقاد وطريقة العقاد — لكان لإنتاجهم رونق أجمل ولشخصياتهم صور تختلف عن الأصل فى بعض الملامح والسمات !

من هنا تبدو بوضوح جناية التقليد والاحتذاء ، وتبدو من الجانب الآخر جناية السير على غير هدى ولا اقتداء . ومن هنا أيضا تأتى مهمة الناقد الأمين الحريص على رسم الخطوط ، وهداية الضال إلى الطريق القويم

ويخيل الى أن نقد كبار الكتاب والشعراء والفنانين عامة ليس نقدا صحيحا صريحا ؛ لأنه يغلب عليه الإعجاب والإكبار ، وتبرير الأخطاء أحيانا ، وأحيانا يغلب عليه التهجم والتنقص والتجريح لسبب من الأسباب

ويخيل إلى أيضا أنه مضت فترة طويلة خلا فيها الجو الأدبى من النقد الصحيح فى ميدان الشعر الحديث ، وأن الحاجة ماسة إلى ناقد يكمل هذا النقص ويسد هذا الفراغ الموحش الرهيب . وسأحاول بقدرتى المحدودة وجهدى الضئيل ، أن أحمل على عاتقى هذا العبء الثقيل

وأود قبل أن أتناول بعض الشعراء بالنقد والدراسة أن أشير إلى منهجى فى البحث إشارة خاطفة : سأخص كل شاعر على انفراد بدراسة مجملة أنبه فيها إلى الخطوط الرئيسية فى شعره ، فأشيد بمحسناته ومزاياه ، وأشير إلى بعض العيوب رجاء اجتنابها والسعى الحثيث إلى الكمال ، على أننى سأبدأ بدراسة « براعم شعراء الشباب » ؛ لإمكان انتفاعهم بهذه الدراسة ، وشحذ ملكاتهم النفاذة إلى الأعماق . وسأتناول شعراء مصر وشعراء

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

أبو العتاهية مع الفضل بن الربيع وزبيدة

وعدنا فى المقال السابق أن نورد الأدلة التى تثبت صحة ما ذهبنا إليه من أن الفضل بن الربيع وزبيدة قد شجعا أبا العتاهية على الإضراب عن إنشاد شئ من شعر الحب للرشيد ووعداه المال والحماية من كل سوء يتعرض له بسبب ذلك الإضراب . وقد حان اليوم موعد الوفاء بذلك الوعد، وسنبدأ بما يتعلق من ذلك بالفضل . ولعل أول ما يلفت نظر الباحث إلى وجود علاقة بين الشاعر وبينه هو انقطاع الشاعر عن مجالس الخليفة بعد شهور قلائل من تولى الفضل الحجابة للرشيد . والحق أن ذلك التقارب فى الزمن بين الحدثين كان أول ما نبه أذهاننا إلى احتمال وجود علاقة بينهما . بل كان الشرارة الأولى التى انبعثت من أعماق ذلك الماضى البعيد لتفتح أعيننا على ما كان من انزلاق الشاعر إلى ميدان السياسة وتعاونه مع الفضل وزبيدة

وإن المرء ليعجز عن أن يجد مناسبة أخرى لتشدد الشاعر فى مطالبة الرشيد بالتدخل السريع فى أمر زواجه من عتبة ، وإنا لنسأل أنفسنا لم اختار الشاعر ذلك الوقت بالذات ؟ مع أن أنسب الأوقات لمثل ذلك الموقف الصلب كان عقب موت الخيزران، فقد كانت عتبة تعتذر عن الزواج باحتياج سيدتها إليها وعدم رغبتها فى إغضابها ؛ أما وقد توفيت الخيزران سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة فإنا لنعجب لم انتظر الشاعر بعدها سبع سنوات كاملة ليثور لجأة سنة ثمانين ومائة للهجرة ؟ . وما صمت فى رأينا إلا لعجزه، وما ثار إلا لتقويه بما رأى من تشجيع الفضل وزبيدة

ويلفت النظر أيضا ما أورده ابن الشاعر خاصا بإضراب أبيه عن قول الشعر فى الحب : « ... لما ذهب الرشيد إلى الرقة لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل ... » أليس المرء أن يسأل لم اختار ابنه ذهاب الخليفة إلى الرقة ليؤرخ به لإضراب أبيه عن القول فى الغزل ؟ ألا يمكن أن يكون هناك علاقة بين الحدثين . يبدو لنا أن الرشيد إنما ذهب إلى الرقة فرارا من زبيدة التى كانت تدفعها غيرتها الشديدة إلى التضييق على الخليفة وتنغيصه كلما خلا إلى جارية من جواريه ؟ فإذا صح هذا الافتراض كانت العلاقة بين الحدثين قوية ، إذ يتصل كل منهما بالنزاع الذى كان قائما بين الخليفة وزوجه حول اتصاله بجواريه على حسابها

ولندع هذا الاستنباط جانبا ؛ ولننصت للشاعر للفرصة كى يتحدث لنا بصراحة عما كان بينه وبين الفضل من اتفاق فى هذا الشأن : — يروى أبو الفرج فى الأغانى أن الرشيد وجد وهو بالرقة على أبى العتاهية وهو بمدينة السلام ؛ فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع فى أمره فأبطأ عليه بذلك فكتب إليه أبو العتاهية : —

أجفوتنى فيمن جفانى وجعلت شأنك غير شانى
ولطالما أمنتنى مما أرى كل الأمان
حتى إذا انقلب الزما ن على صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضى عنه ورجع إلى حالته الأولى.

ولعل القارئ يرى معنا صحة ما ذهبنا إليه من صراحة هذا النص فيما ندعيه من وجود اتفاق سابق بين الشاعر والفضل ، وإلا فلم يتوقع أبو العتاهية أن يتكلم الفضل فى أمره ؟ ولم يسرع بتقريعه حين يتباطأ فى ذلك التكلم ؟ ثم انظر إلى الشاعر وهو يبدى دهشته وعجبه من أن يجنو الفضل فيمن جفاه من الناس نتيجة

البلاد العربية ؛ ففى كل بلد منها طائفة من شعراء الشباب النابهين ؛ فى الإغضاء عن الإعجاب بقدرتهم الفنية إثم كبير

وليس فى استطاعة أحد أن يلم بكل هذا العدد الضخم من النابهين والمغمورين من الشعراء ، وسأقتصر على اختيار بعض نماذج صالحة للعرض والتقديم ، من المغمورين أولا ثم من المعروفين أخيراً ممن يناط بهم الرجاء . وقد أشرت إليهم إشارة موجزة فى كلمتى السابقة ، وفى الكلمات التالية إن شاء الله تفصيل هذا الإجمال . وإلى اللقاء مع الشعراء كل أسبوع

أحمد أحمد العجمى

لغضب الرشيد عليه كأن لم يكن هناك صلة بينهما، ثم يذكره في البيت الثاني بما كان من تشجيعه له على الثورة ضد الرشيد، ويؤكد له أنه لن يتعرض لمكروه ما بسبب تلك الثورة

ومن أدلة ذلك التفاهم والتعاون أيضاً ما كان يصيبه الشاعر من مال الخلفاء نتيجة لتوسط الفضل له، وأمثلة ذلك كثيرة، فمنها ما حدث به الأغاني من أن الرشيد قد حم يوماً فذهب أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم ... ماتوا إذا ما ألمت أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بالنا ... س إذا ما وزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يستغنى إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد فأمر بإحضار أبي العتاهية فما زال يسامره ويحدثه حتى برئ ووصل إليه بذلك السبب مال جليل . ويذكر أبو الفرج أن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالمرجشي إلى ناحية الموصل لجبي له منها مالاً كثيراً من بقايا الخراج ، فوافى به باب الرشيد فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به، فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون فقلت له : مالك ويحك ؟ فقال لي : سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ولا يتعلق كفى منه بشيء !

ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده :

الله هون عندك الدنيـا ... وبغضها إليكا
فأبيت إلا أن تصغر كل شيء في يديكا
ما هانت الدنيـا على ... أحد كما هانت عليكا

فقال له الفضل بن الربيع يا أمير المؤمنين ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح، فقال يافضل : أعطه عشرين ألف درهم. ولم يقتصر هذا التعصب للشاعر والترويج له على عهد الرشيد . بل ظل الفضل على وفائه للشاعر حتى عهد الأمين . ومثال ذلك ما كان من الفضل حين ذهب إليه الشاعر بنعل مكتوب على شراكها :

نعل بعثت بهـا ليلبسها ... قرم بها يمشى إلى المجد
لو كان يصلح أن أشركها ... خدى جعلت شراكها خدى

فدخل بها الفضل إلى الأمين وأهداها إليه فاستخلص بها عشرة آلاف درهم للشاعر

أما تشيع الشاعر لزبيدة فقد بدا واضحاً في أشعاره المختلفة التي كان يخدم قضيتها بها كما سنشرحه في حينه ، ونقتصر الآن على مقطوعة واحدة أنشدها لأول خروجه من سجن الرشيد حين قرر أن ينضم إلى معسكر زبيدة والفضل

من لقلب متيم مشتـاق ... شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقي إلى قعيدة بيتي ... ليت شعري فهل لنا من تلاق
هي حظي قد اقتصرت عليها ... من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بي شملي ... عن قريب وفكني من وثاق

لا يرى مؤرخو الأدب في هذه الأبيات إلا احتيالا من أبي العتاهية للخروج من سجن الرشيد الذي أقسم ألا يخرجه حتى يقول شعراً في الحب . وأما نحن فنرى فيها شيئاً آخر إلى جانب ذلك بل وأهم من ذلك . نرى فيها مبادرة من الشاعر إلى البر بالعهد الذي قطعه على نفسه لزبيدة بأن يلتزم جانبها في كل ما يقوله للرشيد من أشعار . وها هو لم يعد ينشد الرشيد من أشعار الحب مايغريه بالجواري كما كان يفعل من قبل ، بل يضرب للرشيد المثل فيما يجب أن يفعله في حياته الخاصة من الاقتصار على امرأة واحدة ، وما تلك إلا زوجه وابنة عمه زبيدة ، وكأنه يقول للخليفة إن حياة الاستقامة والزهد التي يستقبلها لا تستقيم له إذا فكر في أخرى بجانب زوجه . ولا شك أن الترويج لمثل تلك الأفكار يسر زبيدة ويثلج صدرها ، ألا نرى أنها قد أغرت بعض جواريها بأبي نواس يضربنه حتى أشرف على الموت حين استباح لنفسه أن يتحدث إلى الرشيد في جمال الجواري وعذوبتهن ؛ ثم عادت فأجزلت له العطاء حينما علمت أنه انتفع بالدرس القاسي الذي ألقته عليه وأخذ ينفر الخليفة من أولئك الجواري وينصحه بالاقتصار على زهرة قريش ، وما كان يعني إلا زوجه وابنة عمه زبيدة . أليس ذلك هو نفس ما فعله أبو العتاهية في أبياته سوى أنه كان لبقاً في خطابه فبدا وكأنه يتحدث إلى نفسه .. وإنما كان يتحدث إلى الخليفة

هذا بعض ما كان من مظاهر تشيع أبي العتاهية لزبيدة . أما ما كان من تعصبها له ومناصرتها إياه فقد كان معروفاً غير مجهول. وقد تحدثت عنه كتب الأدب في غير موضع، ومثال ذلك ما كان من مناصرتها له حين اختلف مع القاسم بن الرشيد وأحد

ولاة عهده . فقد وقف الشاعر إجلالا للقاسم حين مر به موكبه ولكن الأخير تجاهله ولم يلتفت إليه فأنشأ :

يتيه ابن آدم من جهله ... كأن رحا الموت لا تطحنه

وبلغ ذلك القاسم فأحضر الشاعر وضربه مائة مقرعة وحبسه عنده، وما كان من أبى العتاهية إلا أن أرسل إلى زبيدة يشكو ما أصابه فى أبيات لا تختلف فى معناها عن البيت السابق، وما لبثت زبيدة أن كلمت الرشيد فى أمره فاستدعاه إليه وكساه ولم يرض عن القاسم حتى بر الشاعر وأدناه واعتذر إليه

وليس القاسم هو الأمير الوحيد الذى يبسط فيه الشاعر لسانه غير هياب ولا وجل ، بل نراه يغلو فى إيذاء أمير آخر هو صالح المسكين عم الرشيد ويهدده بالقتل فى أبيات غاية فى الجرأة والتهور :

مددت لمعرض حبلا طويلا ... كأطول ما يكون من الحبال
حبال بالصريمة ليس تفنى ... موصلة على عدد الرمال
فلا تنظر إلى ولا تردنى ... ولا تقرب حبالك من حبالى
فليت الردم من يأجوج بينى ... وبينك مثبتا أخرى الليالى
فكرش إن أردت لنا كلاما ... ونقطع قحف رأسك بالقتال

ولم يكد ينجو من لسان الشاعر أحد من رجال الدولة ، وما حميد الطوسى وخازم بن خزيمة ويحيى بن خاقان وعمرو بن مسعدة إلا بعض من شملهم الشاعر بإيذائه لأتفه الأسباب . نحن لا نشك فى أن الشاعر كان مريضا مرضا نفسيا دفعه إلى بغض ذوى الجاه والنفوذ فى عصره كما ذكرنا من قبل، ومع ذلك فنحن لا نشك فى أنه ما كان ليسرف فى هجومه ذلك الإسراف لو لم يكن له ركن شديد يأوى إليه كلما أوقعه لسانه فى مأزق ، وما حادث القاسم السالف الذكر إلا مثال واحد يبين لنا سر قوة الشاعر وإسرافه فى عدوانه

ويظهر أن صلة الشاعر بزبيدة والفضل قد أكسبته جاها عريضا ومركزا رفيعا فى الدولة، فأبو الفرج يروى أن منصور بن المهدى طلب إلى الشاعر أن يزوجه إحدى ابنتيه ، وما كان منصور هذا بالضعيف ولا الخامل ، وحسبك أن تعلم أن أهل بغداد قد عرضوا عليه الخلافة حينما اضطرب أمرها نتيجة للحروب التى كانت بين الأمين والمأمون . ويظهر أن منصورا كان حازما عاقلا إلى جانب نباهة شأنه وعلو قدره ، وآية ذلك أنه رفض الخلافة وعمل فى الوقت نفسه على تهدئة الفتنة وجمع كلمة الأمة

وقد ظلت صلة الشاعر بزبيدة وثيقة إلى آخر أيامها ، فنراها تلجأ إليه حين قتل ابنها الأمين واحتاجت إلى أبيات من الشعر تستعطف بها المأمون ، وقد أحسن الشاعر ترجمة شعورها فرضى المأمون عنها وأكرمها، وسأل عن صاحب الأبيات وكافأه بمثل ما كافأته به زبيدة

وإنا لنراه لزاما علينا وقد تعرضنا لما كان لزبيدة من أثر فى حياة شاعرنا نتيجة لغيرتها أن نذكر أمثلة لما كانت تثيره فى نفسها من تلك الغيرة المريرة من عواطف وتدفعه إليها من أعمال . من تلك الأمثلة ما كان منها حين أحست تعلق الرشيد بجارية تدعى دنانير . وقد كانت دنانير هذه مملوكة ليحيى بن خالد البرمكى ، وقد بلغ من افتتان الرشيد بها أن كان يزورها فى بيت سيدها من وقت لآخر، وأهداها إلى جانب ذلك عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار . نسيت زبيدة كبرياءها وراحت تشكو الخليفة إلى أعمامه، وقد كان رده عليهم حين خاطبوه فى شأن دنانير أنه إنما يعنيه منها غناؤها فقط ولا يهتم بشئ وراء ذلك . ولم تجد زبيدة بدا من التظاهر بالرضا بذلك الوضع، بل ذهبت فى مجاملتها إلى أبعد الحدود فأهدت للرشيد عشر جوار اعتذارا عما أبدته من غيرة لا مبرر لها . هكذا يروى المؤرخون ، ونحن لا نستبعد أن تكون زبيدة إنما أهدت إليه هؤلاء الجوارى لتشغله عن دنانير التى أشعلت فى نفسها أحر نيران الغيرة

ويقع الرشيد فى حبال جارية أخرى فتهرع زبيدة لا إلى أعمام الخليفة كما فعلت من قبل ، بل إلى أخته علية التى أقسمت لزبيدة لتجتذبن الخليفة إليها ثانية . وذات ليلة بينما كان الخليفة جالسا بفناء قصره أقبلت علية وزبيدة كل على رأس صف من جواريها وقد لبسن أفخر ثيابهن وأخذن يغنين :

منفصل عنى وما ... قلبى عنه منفصل
يا قاطعى اليوم لمن ... نويت بعدى أن تصل

والحق أن المرء لا يكاد يتصور ذلك المنظر حتى يشعر بالرثاء لتلك الملكة التي دفعتها غيرتها الشديدة إلى مثل ذلك الموقف الذي لا تحسد عليه . ومع أن قصص زبيدة كثيرة إلا أننا نختتمها بالقصة التالية لما فيها من طرافة . وخلاصتها أن الرشيد هام يوما بجارية تسمى عنان ، وكانت عنان هذه شاعرة من الطبقة الأولى ، وكان الرشيد يعتذر من تعلقه بها كلما خوطب في شأنها بأنه إنما يحبها لشاعريتها . وأوحت زبيدة إلى الأصمعي أن يحتال في تنفير الخليفة من عنان بوسيلة ما.. ووعدته على ذلك أجرا عظيما . وما زال الأصمعي يترقب فرصة للوثوب على فريسته حتى قال الخليفة يوما وقد ذكرت عنان في مجلسه : علم الله أنني لا أهتم بهـا إلا لشاعريتها.. فقال الأصمعي : هلا أحب أمير المؤمنين الفرزدق إن كان كل ما يعنيه من عنان هو شاعريتها ؟ وهنا ضحك الرشيد وضحك الحاضرون معه وهدأت فورة حبه لعنان ولو إلى حين

ويظهر أن زبيدة قد نفد صبرها ولم يعد لها قدرة على احتمال اللطمات المتوالية التي يكيلها لهـا هارون، فراحت تثأر منه بحيلة بارعة، وقد يكون من الخير أن نذكر تفاصيل تلك الحيلة كما يرويها المؤرخون ثم نذكر رأينا الشخصي فيها . يروى المؤرخون أن زبيدة كان لها قرد يسمى أبا خلف ، وأنها كانت تعنى به عناية زائدة ، فكانت تقلده سيفا وخصصت له ثلاثين شخصا يقومون على خدمته ويسيرون بين يديه في شبه موكب كلمـا قام بجولة في المدينة . وأصدرت أمرها بأن يؤدي التحية لقردها كل من يدخل عليها ، ولم تكن تقنع ممن يدخل عليها كبيرا كان أوصغيرا بأقل من تقبيل يد أبي خلف . وقد ظل أبو خلف موضع الحفاوة والتقدير حتى دخل يزيد بن مزيد على زبيدة في بعض الشؤون وطلبت إليه أن يقبل يد قردها، فما كان من ذلك القائد الصعب المراس إلا أن استل سيفه وشطر القرد نصفين . وحزنت زبيدة لموت قردها حزنا شديدا وعزاها فيه الناس واستدعى الرشيد يزيد وطلب منه تفسيرا لمـا فعل بأبي خلف فأجاب : ما كنت لأخدم القردة بعد خدمة الملوك يا أمير المؤمنين . وهكذا يبدو أن المؤرخين لا يرون في أمر أبي خلف إلا عبثا بريئا من زبيدة . ونحن لا نشاركهم هذا الرأي، وأول ما لفت نظرنا إلى ما يكمن خلف ذلك العبث الظاهري من معان هو للشبه بين اسم القرد « أبو خاف » ولقب الرشيد « الخليفة » وتأويل ذلك أن زبيدة وقد ضاقت ذرعا بالرشيد أرادت أن تسخر منه في شخص ذلك القرد الذي أقامته مقام الخليفة بما أحاطته به من مظاهر العظمة من سيف في وسطه وحرس من حوله.. وما من شك في أنها كانت توجه إلى ذلك القرد من النكات اللاذعة ما يشق عليها أن توجهه إلى الخليفة نفسه . ولعلها أرادت إلى جانب ذلك أن تخبر الرشيد بأنه إذا كان قد وجد عوضا عنها في الجواري يخلو إليهن ويسعد بلقائهن ، فقد وجدت هي الأخرى عوضا منه في ذلك القرد الذي يضحكها بما يأتيه من حركات أو يرسله من نظرات، وما من شك في أن الرشيد قد عرف ما تهدف إليه زبيدة واستاء له أشد الاستياء.. فكلف يزيد بن مزيد بقتله . وما كان استجوابه له فيما بعد إلا خدعة أراد بها استرضاء زبيدة

أما وقد فرغنا من الحديث عن علاقة الشاعر بزبيدة والفضل ابن الربيع فواجبنا أن نتحدث عن علاقته بالبرامكة خصوم الفضل .. وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المقال التالي إن شاء الله تعالى

يتبع — دكتور محمد الكفراوي

٢ـ إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

« ما من قوة فى الأرض – حتى القنبلة الذرية – تستطيع أن تقضى على إرادة شعبنا فى أن يصبح أمة مستقلة »

«ليس فى استطاعتى أن أتصور عالماً نصفه من الأحرار ونصفه الآخر من العبيد »

« إن إندونيسيا قد أخذت على نفسها ميثاقا مقدسا بأن تحارب الاستعمار وتكافحه أينما كان »

«إن إندونيسيا تعلن تأييدها التام لمصر وإيران»

الرئيس سوكارنو

مرديكا :

كلمة إندونيسية معناها الحرية والاستقلال ، فإذا قلنا إندونيسيا مرديكا فإنا نقصد بذلك إندونيسيا الحرة المستقلة . ومرديكا (الاستقلال) هى صيحة الإندونيسيين الوطنية

والإندونيسيون قوم يؤمنون بالحرية ويقدسونها ، وليس فى هذا ريب فما زالت سياط المستعمر وويلات الاستعمار الهولندى ماثلة فى الأذهان

لقد ظلت هولندا جاثمة على صدر إندونيسيا قرونا طوالا ومع هذا لم يضعف إيمان الإندونيسيين بالحرية ، وقد كان انتصار اليابانيين على الروس ١٩٠٥ أول خيط فى ثوب الحرية الأسيوية ضد الاستعمار الأوربى . فقد آمن سكان آسيا بأن حريتهم يمكن أن تتحقق ولابد يوما أن يصلوا إليها . ولم يأت منتصف القرن العشرين حتى تحقق استقلال كثير من الشعوب الأسيوية : الباكستان إندونيسيا الهندستان برما وغيرها

وكما زلزل انتصار اليابان ١٩٠٥ أقدام الاستعمار الأوربى لآسيا .. زلزل انتصارهم واحتلالهم لإندونيسيا ١٩٤٢ أقدام الاستعمار الهولندى . فقد طرد اليابانيون الهولنديين واحتلوا الأرخبيل الإندونيسى . ولم يرض الإندونيسيون بهذا فإنهم كانوا ينشدون الحرية ولا يريدون إبدال استعمار باستعمار ، ومن ثم أخذوا يعدون أنفسهم للجهاد المقبل . وقد ساعد اليابانيون على تدريب الإندونيسيين مما أكسبهم قوة عظيمة

وفى ١٩٤٥ سقطت القنابل الذرية على المدن اليابانية فكانت إيذانا بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وباستقلال إندونيسيا . ذلك أنه ما أن سلمت اليابان حتى أعلن الإندونيسيون استقلالهم فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ . وقد حاولت هولندا العودة إلى احتلال إندونيسيا ولكن الإندونيسيين قابلوا القوة بمثلها واضطرت هولندا إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩

وقد أعلن الدكتور سوكارنو فى يوليه ١٩٤٥ المبادئ الخمسة (البانتشا سيلا) التى قامت عليها الجمهورية الإندونيسية وهى: الإيمان بالله والمودة للانسان والاعتزاز بالقومية والاعتراف بسيادة الأمة وتحقيق العدالة الاجتماعية

ووصف هذه المبادئ بأنها « أساس نفسانى لإندونيسيا الحرة ، فلسفة ذات تفكير عميق وروح ورغبات تامة يقوم عليها بناء إندونيسيا الحرة ثابتا مستقرا إلى الأبد . »

وقد زاد الرئيس سوكارنو هذه المبادئ إيضاحا وتفسيرا فقال : إننا قوم نؤمن بالقومية ويقصد بالقومية إقامة دولة إندونيسية تضم جميع الإندونيسيين تحت لوائها ويشعر جميع أبنائها بحاجتهم إلى أن يكونوا يدا واحدة وأمة متحدة le désire d' être ensmble ولا يمكن الفصل بين الإنسان والمكان ، فوجود المكان شرط لقيام الدولة . والله قد خلق العالم وأقام فيه الوحدات الطبيعية : فجزائر إندونيسيا التى تتكون من جاوة وسومطرة وبورنيو وسيبيس وغيرها تقف حاجزا بين المحيطين الهادى والهندى وعليها تتحطم أمواجهما . هذه الجزائر تكون وحدة طبيعية ويسكنها ٧٥ مليونا من البشر فلم لا تكون دولة حرة مستقلة !

وإندونيسيا لا تريد أن تكون دولة حرة فحسب ، وإنما تريد أن تكون دولة حرة فى عالم حر . لقد ذاقت إندونيسيا ويلات الاستعمار فلتكن سياستها الجديدة مقاومة الاستعمار والوقوف فى جانب الحرية

من أجل هذا وقفت إندونيسيا بجانب مصر وإيران فى

إبان صراعهما الأخير ضد الاستعمار البريطاني ، وقد كانت إندونيسيا من أسبق الدول إلى الاعتراف بجلالة الملك فاروق ملكا لمصر والسودان وهو لقب جلالته الذي أقره البرلمان المصري بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في أكتوبر الماضي

ولم تكن مصر أقل حبا لإندونيسيا ، فقد كانت مصر من أسبق الدول إلى الاعتراف بالجمهورية الإندونيسية الوطنية الحرة، وليس هذا بكثير بل إننا نطمع فيما هو أكثر في المستقبل القريب إن شاء الله . إننا نريد إقامة وحدة إسلامية حرة تعيش في عالم حر

والمبدأ الثالث الذي تدين به إندونيسيا هو الديمقراطية بمعنى أن يكون الكل للكل والواحد للكل والكل للواحد : All for All . One for All . All for One وبمعنى آخر أن تقوم حكومة إندونيسية يتمتع جميع رعاياها من مسلمين ومسيحيين وبوذيين بكافة الحقوق والواجبات، ولينعموا بالسعادة والطمأنينة والرفاهية والرخاء

وأما المبدأ الرابع فهو إقامة دولة تنهض بإندونيسيا وتجعل منها شعبا قويا يتمتع جميع أفراده بالحياة الهانئة مما يحقق العدالة الاجتماعية

وأما المبدأ الخامس والأخير فهو أن تقوم في إندونيسيا حكومة تكفل للجميع حرية العبادة ، تكفلها للمسلم والمسيحي والبوذي على السواء

ويختتم الرئيس بيانه قائلا : إن الحرية والاستقلال لا يمكن أن ينالهما شعب إلا إذا اشتملت روحه بالعزم على الحصول عليهما أو الفناء في سبيلهما »

نظامها الحكومي :

إندونيسيا جمهورية وقد نص دستورها على أن السيادة فيها يجب أن تكون للشعب الذي سيباشر تلك السيادة بواسطة المؤتمر الشعبي الذي يتكون من أعضاء المجلس النيابي ومن مندوبي المناطق والطوائف

والرئيس يتولى السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وهو القائد الأعلى للجيش والبحرية والطيران . وله وكيل أو نائب وكلاهما يختار بالانتخاب ومدة ولا يتهما خمس سنوات

وقبيل مباشرة الرئيس لسلطاته يقسم اليمين التالي أمام المؤتمر الشعبي أو المجلس النيابي :

« إنني أحلف أنني سأقوم بواجبي كرئيس للجمهورية الإندونيسية بأمانة وإخلاص لصيانة الدستور وتنفيذ القوانين وتكريس نفسي لخدمة الدولة والشعب »

وللرئيس حق إعلان الحرب وعقد الصلح وإبرام المعاهدات بموافقة المجلس النيابي ، وهو الذي يعلن الأحكام العرفية ويعين السفراء والوزراء المفوضين والقناصل

والسلطة التنفيذية في يد الوزراء الذين يعينهم ويقيلهم رئيس الجمهورية وهم مسئولون عن وزاراتهم أمام الهيئات النيابية

وتنقسم إندونيسيا إلى وحدات إدارية تحتفظ كل منها باستقلالها الذاتي إلى حد كبير

وقد نصت المادة الرابعة والعشرون على أن السلطة القضائية يجب أن تكون في يد المحكمة العليا والمحاكم التابعة لها

ونصت المادة السابعة والعشرون على أن المواطنين يجب أن يكونوا كلهم في منزلة واحدة أمام القانون ويجب أن يكون لهم حق في العمل وفي توقع المستوى المعقول للمعيشة

ونصت المادة التاسعة والعشرون على أن الدولة تؤسس على الإيمان بالله رب العالمين وعلى أن الدولة تضمن حرية الشعب في إظهار الدين الذي يؤمن به وفي العمل به

وكذلك كفل الدستور لكل مواطن أن ينال حظه من التعليم ونص على أن تمد الدولة المعاهد اللازمة لذلك

وكذلك قرر الدستور أن الدولة يجب أن تعنى بالرخاء الاجتماعي وبالفقراء والأطفال المشردين

هذا عن دستور إندونيسيا . أما عن مؤسساتها الدينية والسياسية فأهمها : ١ : مجلس شورى مسلمي إندونيسيا ٢ : حزب دار الإسلام ٣ : شركة إسلام ٤ : الجمعية المحمدية ولها فرع نسائي يسمى الجمعية العائشية . ٥ : جمعية نهضة العلماء ٦ : الاتحاد الإسلامي

أثر المدرسة المصرية فى الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

« تتمة »

وهكذا يدخل المدرس إلى الفصل وقد كتب عناوين درسه باللون الأحمر والتاريخ باللون الأزرق . ثم هو يأتى ما تقرر عليه أن يلقيه ، ثم هو يسأل فيثور ويغضب أو يسر فيمدح

لا يهمه فهم التلاميذ الدرس أو لم يفهموه .. فلقد أدى ما أرادت وزارة المعارف أن يكون واجبه ، أما الفهم وعدمه فلا شأن له ، فإنما يختص بهذا — فى رأيه — عقلية التلميذ فيطمئن نفسه أن الذكى منهم سيفهم والغبى ان يستطيع أن يفهم وإن رزق صبر أيوب

وواضح أن هذا الرأى إنما هو مخادعة للنفس ، فقد استقرت معظم الآراء على أن الغباء المطلق غير موجود أو يكاد ينعدم ، فلو فهم الأستاذ هذا لحاول أن يتعرف الناحية الذكية فى تلميذه فيعالجها ، ولكن هذا مرة أخرى سيعود به إلى ضميره ليحاول أن يرضيه ، ومرة أخرى سيقاضيه المفتش والناظر فيقاضب عيشه وحياته

والطامة الكبرى أن يشعر المدرس أن المادة التى يدرسها لا تتلاءم وميول بعض التلاميذ ، ولا شك أنه فى هذه الحالة سيدير بذهنه أن الأمر إذا استقر على عدم ميل التلاميذ إلى مادته ونفورهم منها قد يكون مجلبة للشر موجها إليه ، فإن الإدارة لا تفهم معنى ملاءمة أو عدمها بالنسبة للتلاميذ . وإنما تفهم أن مدرسا ما قد أحسن . فأنجح تلاميذه أو أن آخر قد أساء فأسقط ، وإنما تبعا لأوامر وزارة المعارف نعذره إذا غضب من هؤلاء التلاميذ . وتجلى غضبه فى الثورة بهم والإساءة إليهم حتى لا يضطر التلاميذ الذين لا يميلون إلى هذه المواد إلى حفظها فهموها أو لم يفهموها . فإنما أمنياتهم لا تمتد إلى أكثر من رضاء المدرس عليهم . وإذا شاء سوء حظ التلميذ ما ألا يحفظ إلا ما يفهم . فمصيره لا شك أن يعير بفشله من إخوانه البيغاوات وأستاذه الثائر . فتنعقد العقدة فى نفسه . ويعتقد أنه شخص فاشل فى الحياة وإن لم يتداركه الله برحمته . فمصيره الفشل فى كل أمر يتولاه . ولو قد فهم الأستاذ كيف يعامل هذه العجينة اللدنة فى يده . وكيف يشكلها صحيحة مبرأة من العقد . ولو عرف الأستاذ كيف تتطمس ميول تلميذه حتى يعرفها . ثم يوجهها إلى الطريق القويم . لو عرف الأستاذ لانبثق لنا جيل مقبل على عمله حتى وإن كان فاشلا فى الدراسة . فما الدراسة بدليل النجاح فى الحياة ، وإنما هى فرع من فروع هذا النجاح ، وليس حتما أن يفشل فى الحياة كل كاره لناحية من نواحى هذه الحياة . وأن المستقرئ لحيوات العظماء فى الشرق والغرب يدرك كم نبغ فى الفنون والعلم أناس فشلوا فى المدرسة . ومن الناحية الأخرى ليس حتما أن ينجح فى الحياة كل ناجح فى المدرسة ، وهذا قول ما أظننى فى حاجة إلى التدليل عليه . فالشواهد أكثر من أن تعد . رحم الله شوقى الخالد حين يقول

وكم منجب فى تلقى الدروس   تلقى الحياة فلم ينجب

لا شك أن فى أخذ التلاميذ بهذه الشدة فى التدريس كبتا لأرواحهم الحرة المرحة . فهم لا يشبعون رغباتهم من ناحية الميل الثقافى وهم لا ينطلقون إلى اللعب إلا وعلى أكتافهم واجبات من المدرسة ، وفى آذانهم توجيه آبائهم ، وسخرية أساتذتهم ..

وهذه الهيئات الإسلامية كانت تعمل على تحرير إندونيسيا فلما استقلت إندونيسيا أخذت تعمل على الاحتفاظ بهذا الاستقلال وصيانته وإعزاز كلمة الدين الاسلامى

وأهم الأحزاب بعد ذلك الحزب الوطنى الاندونيسى وكان ينتمى إليه الرئيس سوكارنو قبل تولى رئاسة الجمهورية

أبو الفتوح عطيفة

والضحك غريزة لابد يتنفس عنها المرء . وما دامت الحياة المدرسية لا تفسح له المتنفس مبرأ من الشوائب . فهم معذورون إذا شاكسوا الأستاذ فى أثناء الدرس وعذرهم لا يبرر عملهم . إذ أنه أمر لا يجب السكوت عليه، لأنه يعودهم ألا يأخذوا من الحياة ناحية جدية، ولكن الطريقة التى يعاقبون بها تزيدهم إصراراً على الضلال ، وما كان الضرب أو الطرد بوسيلة ناجحة فى يوم من الأيام لأنها إذا أصلحت المظهر ؛ فهى لم تصل مطلقا إلى الجوهر ، وإن وصلت فبعقدة نفسية أخرى من الخوف فتزداد المشاكل ، وتصبح نفسية الطالب أشبه شئ بشبكة الصياد لا تحل إلا إذا قطعت

قد يظن البعض أنه وإن كانت المدرسة ملومة فى هذا فالبيت ملوم معها ؛ لأن أكثر الآباء يبنون معاملتهم لأولادهم على الشهادات التى تصل إليهم من مدارسهم . والشهادات كما بينت لا تدل على حقيقة عقلية التلميذ ؛ وإنما هى فى الأغلب تدل على أن هذا التلميذ يجيد الحفظ ، وهذا الآخر لا يجيده . والأب إزاء ما يرى فى شهادة ابنه لا يهتم مطلقا بمعرفة العلوم التى يميل إليها ولده · وتلك الأخرى التى لا يميل إليها فيعالج الأمر بما تقتضيه الأبوة الرحيمة وقواعد التربية الحديثة . بل هو يسارع فيسب ابنه إن لم يضربه ؛ وإن غلا فى العطف عليه أحضر له مدرسا خصوصيا يلقى إليه التلميذ بجهله راجيا منه أن يزيله . قد يظن البعض أن الآباء فى هذا ملومون ؛ ولكننى أعتقد أن لهم فيما يفعلون عذرا . فإنما أملهم أن يتسلح أولادهم بالشهادة يجابهون بها الزمان . فإن أحضروا المدرسين يقومون بهم ضعف أولادهم، وإن حاربوا سقوطهم بكل الوسائل التى تصل إليها أيديهم فإنما هم آباء يزهيهم أن يقال عن أبنائهم أنهم نالوا الشهادة، ولا يهمهم من بعد تثقف هؤلاء الأبناء أم لم يتثقفوا ، ولا بد لنا أيضا أن نضع عقلية الآباء موضع تقدير ؛ فإن الكثيرين منهم لم يتعلموا ، فإن كنا نعذر المتعلمين منهم إذا هم أخذوا أبناءهم بالشدة دون النظر إلى ميولهم ، فإنه من باب أولى حتم علينا ألا نأخذ على غير المتعلمين معاملتهم لأبنائهم

بين أوامر وزارة المعارف وبين تنفيذ المدرسين لها ، وبين شدة الآباء أو جهلهم لا يمكن للطلاب أن ينالوا ثقافة من المدارس الابتدائية والثانوية. واعتقادى أن الميل إلى التثقيف إذا لم يتكون فى هاتين المرحلتين فالأمل فى تكوينه بعد ضعيف. ونظرية الضغط الذى يولد الانفجار قديمة معروفة، ولا شك أنكم قد لمستم مقدار الضغط فى حيـــاة التلاميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية ، حيث يصبحون كالآلات تتحرك إذا حركت تبعا لتلك الإرادات الثلاث من وزارة المعارف والمدرس والأب . وهى تيارات متعارضة . فوزارة المعارف تريد أوامرها أن تنفذ ؛ والمدرس يريد أن ينتهى من المقرر أيا يكون ذلك الانتهاء ؛ والوالد يريد لابنه أن ينجح أيا كان ذلك النجاح . وهكذا تتعارض الإرادات فى اتجاهات لها شتى ؛ ولكنها جميعا تلتئم على ألا ينال التلميذ ثقافة حقيقية وتتضافر على كبت ميوله الثقافية . وينعقد إجمـــاعها على ألا يصيب التلميذ قسطا من الاسترواح النفسى؛ بل هو دائما بين عقاب وتوبيخ وسوء معاملة؛ وهو كالآلة أمام هـذه الإرادات ، تسيرها كل إرادة على حسب هواها ، فيزيد الضغط .. فما ينفلت التلميذ من التوجيهية إلى الجامعة حتى يحدث الانفجار .. انفجار ضخم .. فينتقم من التلميذ من سنوات فى حياته عكرة مظلمة .. أنه فى الجامعة ولا رقابة ، وخاصة إذا كان فى إحدى الكليات النظرية فإنه هناك لا يرتبط بالجامعة فى شئ إلا فى اسمه يقيد بهـا . ثم فى تلك المنضدة يجلس إليها فى أوائل الصيف من كل عام حيث يؤدى امتحانه . والصلة بينه وبين أستاذه بعد ذلك مفقودة كالعدم ، فإننا اليوم نلاقى أساتذتنا فنعرفهم ولا يعرفوننا . وهم معذورون ونحن معذورون . والنظام هو المسئول ؛ إذ يستحيل على الأستاذ بالكلية أن يتعرف هذا العدد الهائل الذى يحشد له فى المدرج ، فقد بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بكليات الحقوق فى سنة ما ألف طالب . فإذا أعطى الأستاذ لكل طالب دقيقة فى اليوم أو دقيقة فى الأسبوع فإنه يستحيل عليه أن يتعرفهم جميعا . فإذا كان التعرف يستحيل فكيف يتمكن الطالب من الاتصال بأستاذه صلة تقرب له مناهل التثقيف . والتعمق فى المواد

الحال فى الكلية إذن أن الطالب على نفسه رقيب ، فالأب لا يعرف عن ابنه شيئا ، والأستاذ لا يعرف عن تلميذه شيئا . والطالب لم يتعود الميل إلى الثقافة حتى يحاول أن يثقف نفسه . والمواد التى تدرس له يحفظها غصبا رغم أنفه فى الشهرين الأخيرين من العام لينجح فقط . وإذا لم يتسع له الوقت فبحسبه أن يذاكر نصف المواد ، ويترك النصف الآخر إلى الدور الثانى ، وإن ازداد الوقت ضيقا فليذاكر الأجزاء المهمة من مواد الدور الأول ، ويعتمد على الحظ من بعد الله ، وهكذا لا يتاح للطالب الجامعى أن يدرس حتى المواد المقررة عليه جميعا ، فهو قد أضاع العام فى الانتقام من الأعوام الماضية ويكاد يكون من المقطوع به أن الطالب الجامعى حتى إذا درس هذه المواد فإنها لا تكفيه حتى يقال عنه مثقف

إننى آسف كل الأسف إذ أقرر أن الشهادة لا تعنى مطلقا أن حاملها قد تثقف ، بل أعتقد أن الشهادة قد تقف بالمرء عن التثقيف ، لأن أغلب حامليها يصيبهم الغرور فيعتقد المتخرج منهم أنه أصاب مالم يصب الأولون والآخرون ، فإن سعى إليه الحظ بوظيفة ما مهما كانت بعيدة عن المؤهلات العلمية اكتفى وحمد الله ، وقبل راحتيه من ظهر لبطن ، ثم نسى ما تعلم فيضيع منه ما كان يجوز أن يصبح أساسا لثقافة معينة إن هو حاولها

أجدنى مضطرا لأن أعقد شبه مقارنة بين هذه الحال وبين الحال فى الغرب حيث يهتم المربون هناك بالشخصية الأدبية منذ بدء تكوينها ، فيرسون الأسس السليمة والطفل مازال فى الرياض ، ولعلكم تدرون أن أساتذة رياض الأطفال هناك هم أعظم الأساتذة تثقيفا ، وأخبرهم بالنفس وتكوينها ، فهم الذين يخلقون العجينة الأولى ويهيئونها لتتداولها بعد ذلك أيدى صناع تتعرف عقليات الطلبة وتتمشى معها ، فيجد الطالب نفسه محاطا بجو اجتماعى صالح لتكوين سليم فى كل مراحل تعليمه ، ومن حوله الأساتذة يهدفون دائما إلى أن يقيموا رجالا قد اكتملت شخصياتهم ، بعيدة عن العقد النفسية ، وإذا كان علماء النفس قد أقاموا تقسيمات ثلاثة من المعرفة والوجدان والنزوع ، فإنهم فى الغرب يولون هذه الأقسام جميعا عنايتهم دون أن تطغى واحدة منها على الأخرى ، فى حين نعنى نحن بالمعرفة فحسب ، فلا نتمكن حتى من نوالها ، وإنك لتجد التعليم هنا يرهب اسم الغرائز ولا يجرؤ على ذكرها ، بينما نجدهم فى الغرب يعترفون بها ثم يعلون السيئ منها ، ويهذبون ويتناولون النزعات المختلفة فيوجهونها التوجيه الصحيح ، بل إن بعض المدارس تعتبرها نقطة البدء فى تكوين الشخصية ، والأساتذة فى كل الأدوار يشركون طلابهم فى تثقيف أنفسهم ، فلا يجعلونهم آلات استقبال فحسب ، بل يتدربون معهم حتى يعرفوا ميولهم فيذكونها ، ولا يمكن أن يصل الأستاذ إلى هذه المعرفة أو يعتقد أن هذا الجالس أمامه آدمى له عقل يفهم وينتج ، وليس آلة تسجيل تلتقط لتحفظ

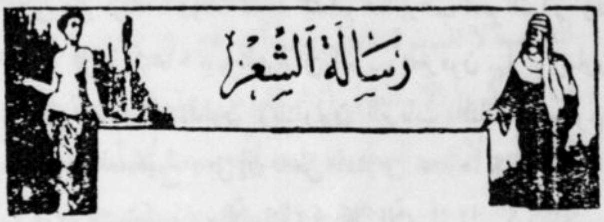
إنهم فى الغرب يهتمون بالشخص ليخلقوا منه مثقفا فيخلقوه ، ونهتم نحن بالمواد لنخلق منها أشخاصا فنقتلهم

جرت العادة عند كل مقارنة بيننا وبين الغرب أن نسب أنفسنا لنمدحهم وكم كنت أتوق لغير هذا ، ولكننى أعتقد كما سبق أن قلت . . . أن أولى درجات الثقافة أن يعرف المرء بجهله حتى يسعى إلى العلم ، فلابد لنا أن نعرف مكاننا حتى نسعى إلى ما هو أرفع منه ، ونحمد الله ، فقد علم القائمون بالأمر أين نحن ومدارسنا من الثقافة الحقيقية ، فقاموا يحاولون أن يقربوا بين الناحيتين المتنافرتين

فتألفت لجان تنعقد فى هذه الأيام لتنظر فى المقررات والمناهج وطرق التدريس ، وتحاول أن تزيل عنها الأتربة المتكاثفة وتجلوها مواءمة للتربية الحديثة ، ومن بين هذه اللجان تألفت أخريات لوضع الكتب التى تتمشى مع النظم الجديدة المقترحة ، وإلى جانب هذا أنشئت المدارس النموذجية محاولة للتحرر من قيود التقاليد العتيقة ، فأصبح التعليم فيها يهدف إلى أن تطبق التلاميذ ما تعلموه ، وفى بعض العلوم الأخرى نجدهم يقدمون التطبيق على القاعدة العامة

وهكذا راحت هذه الأجنحة من التجديد تريش متحفزة للتحليق ، والنية إن صدقت والعزم إن مضى سامقان بالتعليم المهيض إلى سماوات الثقافة الحقة فتصبح مع هذا الغرب العنيد فى سماء واحدة ، وإن أملنا إلى السماء أقرب عاض لنا عبقرى وأمل لنا مرتقب ، والله من فوقنا هو الهادى وهو المولى ونعم النصير . . »

ثروت أباظة



رحلة

للأستاذ أحمد محمود عرفة

ما للنسيم ترق لمسته   فكأنه متودد غزل
أو طفلة عشقتك نظرتها   فثنى إليك فؤادها الخجل
أو بعض أطياف النعيم أتت   مشوقة همت بها القبل
أردانها عطر، وأخيلة   وتوهج، كالنار تشتعل

* * *

هذا الصباح منى محلقة   أم غادة يجثو لها الأمل
أو دفقة الإبريق فى ظمأ   عات عليه بعذب العلل
ناداك مبتهجاً فقمت له   والبشر فى عينيك مكتمل
والروح أصفى فى تألقها   من ماسة ضحكت لها المقل

* * *

ما زلت تمشى فوق أخيلة   وندى الصباح عليه ينتقل
والكون كالمحراب أعينه   مسدولة الأهداب تبتهل
والطير تسبيح على فنن   أو رحلة بالأفق تحتمل
حتى شرقت من الجمال كما   بالماء غص الشارب الثمل

* * *

ورجعت تضرب فى الضحى أسفاً   والناس حولك ضجة جلل
والدرب أشواك عد إلى   قدميك أنيابا هى الخبل
والنفس فى أكفان وحشتها   تبكى تذبح أنينها الثكل
والبيت قبر فاغر فمه   والقبر بيت أهله رحلوا

أحمد محمود عرفة

أطياف!

للأستاذ عبد المنعم عواد يوسف

لئن كنت قد غبت عن ناظرى   فما زلت كالحلم فى خاطرى
ترفرف مثل الشعاع الجميل   وتبرق مثل السنا الغامر!
ويبعث فى النفس عذب الرجاء   وتوحى الفنون إلى الشاعر
فمهما تناءيت عن أعينى   ففى القلب ذكرك يا هاجرى

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى   فما زلت كالحلم فى خاطرى
أراك تصفق فى أضلعى   طروبا كتصفيقة الطائر
سعيدا بما ذقته فى هواك   من الحزن واليأس يا آسرى
وآه لقلبى من بائس   وآه لقلبك من غادر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى   فما زلت كالحلم فى خاطرى
تفجر فى القلب نبع الأسى   فأنساب فى هيئة الحائر!
أحدق فى الأنجم المزهرات   وأرنو إلى الكوكب الساهر
فأحظى بطيفك من بينها   فأرجع فى نشوة الظافر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى   فما زلت كالحلم فى خاطرى
يجدد فى النفس ذكرى غرام   طوته يد الزمن الجائر
وأحلام عهد مضى هاربا   بأطياف ذاك الهوى الفائر
ولكن منى الروح هل من لقاء   يهدئ من قلبى الثائر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى   فما زلت كالحلم فى خاطرى
أحبك تحيا هنا فى دمى   مطلا على جرحى الفاغر!
وتنظر ما نالنى من جفاك   فتأخذ فى ضحكة الساخر
فيالك من مستبد جحود   ويالى من عاشق شاعر!

عبد المنعم عواد يوسف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل نقتل الفصاحة فينا ؟

أتيت في الأسبوع الماضي بفقرات من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في حفلة استقباله بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وفيها وصفه للانتاج الفكري الحديث في مصر بالهرولة ، وهو يعني أن أصحاب هذا الإنتاج لا يتأنون ولا يتمهلون للتمحيص والإجادة ، فهم مسرعون كأنهم مسوقون

ومن تلك الفقرات قوله : « وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهي شكل محض ، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير »

نريد أولا أن نعرف الفصاحة لنرى هل تستحق القتل ، وننظر في أمر البلاغة كذلك ولماذا نتجاهلها

الفصاحة هي أن يخلو الكلام من عيوب ليكون واضحا بينا عذبا ، ومن هذه العيوب أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان أو مكروهة في السمع أو غريبة وحشية غير مألوفة الاستعمال ، ومنها أن يقع في الكلام تعقيد ، أو تتنافر ألفاظ التركيب ، وقد مثلوا لذلك بأمثلة كثيرة ، منها كلمة « الجرشى » في قول المتنبي :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب

لأنها ممجوجة لا يستريح إليها السمع ، ومنها الشطر الثاني من البيت الآتي :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

لثقل تركيبه على اللسان ، ومنها قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

لتعقيده الناشئ من خلل النظم

أما البلاغة في الكلام فقد عرفوها بأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته

فماذا جنت الفصاحة ليطالب الدكتور كامل حسين بإعدامها . . ؟ هل يريد أن نفقدها لنكتب كلاما متنافرا غريبا معقدا فنقول مثلا « كريم الجرشى » بدلا من « كريم النفس » ؟ وهل يريد أن نتجاهل البلاغة لنؤلف كلاما لا يلائم الأحوال ؟

أنا على يقين من أنه لا يريد ذلك ، وإنما يريد عكسه ، ولكنه « هرول » فسمى التشدق والتفاصح والإغراب وتكلف الإتيان بكلام يبهر الناس — فصاحة وبلاغة ، ثم « هرول » مرة ثانية فدعا إلى خنق الفصاحة والإعراض عن البلاغة

ولو روى قليلا لتجنب الوقوع فيما عابه ، ولبرئت محاضرته الرائعة من « الهرولة » ، ولعلم — ومثله جدير بأن يعلم — أن ما يدعو إليه هو نفسه ما يرمي إلى إحيائه والعمل به

مجلة الأزهر :

هذا أول عدد يصدره من مجلة الأزهر ، الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات بك صاحب « الرسالة » وقد جمل فيه لمجلة الأزهر رسالة أوضحها في مقاله الافتتاحي « عهد جديد » فهي الناطقة بلسان الأزهر ، « وليس الأزهر هذه البنايا ومن يعمرها من أساتذة وطلاب » إنما هو الإسلام ، و « ليس الأزهر إذن جامعا للصلاة كجامع عمرو ، ولا جامعة للعلم كجامعة فؤاد ، وإنما هو فضلا عن التعبد فيه والتعلم به رسالة ودعوة » فالمجلة إذن « تدعو إلى الله بالدعاء البين ، وتجادل عن دينه بالقول اللين ، وترفع صوت الأزهر نديا فوق هذه الأصوات المنكرة التي تتخاطب بالحديد ، وتتجاوب بالوعيد » [1]

وهكذا جمل أستاذنا لمجلة الأزهر رسالة ، فحق لنا أن نطلق عليه « صاحب الرسالتين »

والهدف البارز الذي ترمي إليه المجلة في زيها الجديد الذي خرجت به على الناس في غرة شهر رمضان ، هو جلاء الثقافة الإسلامية وإبراز الفكر الإسلامي بصوره المختلفة من فقه وأدب واجتماع وفلسفة وتاريخ ، يتمثل ذلك في هذه المقالات التي كتبها رجال أستطيع أن أقول إنهم جميعا من الأزهر ، وهم ثلاثة

(١) ما بين علامات النص فقرات من مقال الأستاذ الزيات بك

أنواع : أزهريون أقحاح كأصحاب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ محمد محمد المدنى ، وأزهريون نشأوا فى الأزهر ثم فصلوا عنه وأخذوا بألوان أخرى من الثقافة والحياة ، كالدكتور طـه حسين باشـا والأستاذ صـاحب الرسـالتين ، وأزهريون اتصلوا بالثقافـة الأزهرية عن طريق الاطلاع والأخذ عن شيوخه كما قال شوقى يخاطب الأزهر :

ماضرني أن ليس أفقك مطلعى وعلى كواكبه تعلمت السرى

ومن هؤلاء الأستاذ العقاد والأستاذ فريد أبو حديد بك

ويحوى العدد إلى جانب مقـالات أولئك الأقطاب أبوابا يقتضيهـا الفن الصحفى مثل « الآداب والعـلوم فى شهر » و « أنباء العالم الإسلامى » و « النشاط الثقافى للأزهر »

وبعد فلى ملاحظات على هذا العدد من مجلة الأزهر ، لا أرى مكانى من أستاذنا مانعا من إبدائها ، وطالمـا فسح لنـا فى نقد الآخرين . .

١ — ظهر هذا العدد فى غرة شهر رمضان ، وليس به شئ عن شهر رمضـان ، والعالم الآن يسمع من « صوت أمريكا » أحاديث عن الصوم وما يتصل به ، ولا بد أن الأحاديث التى سجلت بالسفارة الأمريكية لخمسة من علماء الأزهر بمناسبة الصيام تلقى الآن فى الولايات المتحدة ، فلم يكن ينبغى أن تخلو مجلة الأزهر من شئ فى هذه المناسبة

٢ — تبويب المجلة منوع منسق ، ولـكن الباب الأول « فى الدين والفقه » كنت أفضل أن يكون « فى فقه الدين » . وقد نشرت مقالة الدكتور طه حسين باشا فى باب « اللغة والأدب » وإنمـا هى تاريخ . وما نشر فى باب « طرائف علمية وأدبية » لا يختلف فى شئ عن موضوعات « العلوم والآداب فى شهر » . ويظهر أن بابى « مايقال عن الإسلام » و « النشاط الثقافى للأزهر » كتبهما كاتب واحد ، فهو مولع بالمقدمات وقد بدأ كلا منهما بـ « تمهيـد » مجـل كان أولى منـه بالعناية الموضوعات نفسها

٣ — أهمس لبعض الـكتاب : أن جددوا ولا تكرروا قول ما قلتموه من قبل . والمجلة تجزيكم فلا بأس أن تحملوا أنفسكم على شئ من التعب

مثال من الأدباء المضيعين

« دخل حضرة محمد شوقى أمين أفندى خدمة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ إنشائه فى سنة ١٩٣٤ بمكافأة شهرية بلغت الآن ثمانية جنيهات ، وهو على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية ، وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية ، وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية كالتحرير فى مؤتمر المجمع ومجلته ولجانه بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز ، ممـا يستوجب إنصافه وتشجيعه وحسن تقديره »

هذه فقرة من مذكرة رفعتها وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء سنة ١٩٤٦ لإنصاف أديب أقرت له بالـكفاية والجدارة والامتياز ، وطلبت لتشجيعه وحسن تقديره منحه الدرجة السابعة بأول « مربوطها » وهو عشرة جنيهات ، ووافق مجلس الوزراء على ذلك

وفى خلال ثمانى السنوات التى تلت ذلك التاريخ إلى الآن منح الدرجة السادسة ثم الخامسة فصار مرتبه خمسة وعشرين جنيهـا

ولم يكن ذلك القرار ومانلاه «استثناء» ، وإنما كان لتسوية حالته وفقا للقواعد المقررة والأسس المالية لمعاملة الموظفين دون غمط أو زيادة ، كما جاء فى مذكرة معالى رئيس المجمع التى وضعها أخيرا طالبا فيها استدراك الخطأ الذى وقع ؛

والذى وقع هو أن إدارة المستخدمين بوزارة المعارف رأت أنه ينطبق عليه قانون إلغاء الاستثناءات

الأستاذ شوقى أمين الأديب اللغوى الذى كان يشغل عالم الأدب واللغة من نحو ربع قرن بكتابته فى المجلات والصحف أيام كانت الصحف تعنى بالأدب واللغة ، والذى آثر فى السنوات الأخيرة أن يعمل فى خدمة اللغة والأدب جنديا مجهولا ، وقد استهلـكه مجمع اللغة ثمانية عشر عاما ، والذى هو على جانب كبير من الثقافة الأدبية .. الخ ، ذلك الأديب تضيق الدولة به ، لأنه لا يحمل شهادات عالية ، فتنكبه فى رزقه ورزق أسرته . وتعود به إلى الوراء منذ دخل المجمع موظفا على غير درجة بعشرة جنيهات فى الشهر



يا حكومة اليمن ويا أمانة الجامعة

يسوءني علم الله أن أعلن لقراء الرسالة في شرق العالم العربي وغربه نبأ تلك المأساة التي يعانيها في مصر سبعون شابا من خيرة شباب اليمن ، ولا أدري من المسئول عنهـا ، ولو علمت طريقة أخرى غير طريقة النشر في الرسالة تضع حدا لهذه المأساة الأليمة لفعلت . ولكنى لا أجد إلا هذه الوسيلة لأستصرخ حكومة اليمن ومفوضيتها في مصر ، وأمانة الجامعة العربية وسائر من يهمهم أمر العرب والمسلمين وسمعتهم في كل مكان ..

وتتلخص المأساة في أن للحكومة اليمنية بعثة من الطلاب في شتى المعاهد المصرية ، يجمعهم بيت في حلوان أو يجمع معظمهم . وتتولى حكومة اليمن الإنفاق عليهم في مصر وعددهم حوالى السبعين شـابا ، كلهم متعطش إلى العلم لا يضيع الفرصة التي أتاحتها له حكومته في الأيام الأخيرة

ومع أن هؤلاء الطلاب كانوا يعيشون معيشة التقشف، لأن مخصصاتهم في ذاتها ضئيلة . إلا أنهم كانوا صابرين لا يشكون، قانعين بالفرصة التي تتيح لهم التزود بالعلم، مهما قاسوا من شظف

ثم حدث — ولا أدرى كيف — أن قطعت عنهم مخصصاتهم فجأة ، وتركوا يواجهون هذا المصير الفجع وهم — على كل حال — غرباء . ولما لم يكن بد أن يأكلوا ، وأن يشربوا ، وأن ينيروا دارهم التي يسكنونها في حلوان، فإن الديون قد تراكمت على البعثة . وهى ديون للجزار والبدال وبائع اللبن وبائع الخبز وإدارة التنظيم في حلوان نظير النور والماء

وصبر البدال والجزار وبائع اللبن وبائع الخبز شهراً فشهرا ، ثم أخذت تقع حوادث مؤسفة لا تليق بكرامة بعثة، ولا بكرامة دولة . وصار المار في الشارع الذى به بيت البعثة — وهو نفس الشارع الذى أسكنه في حلوان — يسمع مشادات متكررة بين الدائنين والطلاب على قارعة الطريق . يتدخل فيها الخيرون من سكان الحى لفض النزاع ، ورجاء البدال أو القصاب أو بائع اللبن الزبادى « أن يمهل الطلاب بعض الوقت » حتى ترسل إليهم حكومتهم مخصصاتهم الشهرية . ثم يتوسط أهل الخير عند تنظيم حلوان كى لا يقطع عنهم الماء والنور . . ومتى هذا كله ؟ في أيام الامتحان التي يجب أن يتفرغ الطلبة فيها للاستذكار !

إنها مأساة في صورة مهزلة ، تتعرض لها كرامة هؤلاء الشبان الكرام ، الذين تركوا أهلهم ووطنهم في طلب العلم ، ليعودوا فيكونوا النواة الأولى في الأداة الحكومية الحديثة المستنيرة في اليمن . وكل ملم بحالة هذا القطر العربى الشقيق يدرك مدى حاجته لعشرات من أضعاف هؤلاء الطلاب ، كى يدخلوا النور إلى ذلك القطر ، وكى ينقلوه إلى العالم الإنساني المتحضر

ولقد كان المنتظر أن توالى الحكومة اليمنية إرسال أفواج جدد من الطلاب بعد أفواج إلى البلاد الإسلامية المتحضرة ، كى يتعلموا ثم يساهموا في إنشاء وطنهم ، ولا أقول في تقدمه ، فهو أولا في حاجة إلى الإنشاء !

إن الحكومة اليمنية جديرة بأن تحقق في هذه المأساة لترى

وفي حملة الشهادات العالية من ليسوا على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية ، ومن ليسوا على شئ من سمة الاطلاع

وفيهم من أعفى من تطبيق إلغاء الاستثناءات من عبر « المانش »

أما من أنفق الشباب وسهر الليالى وآذى عينيه وأسقم جسمه في التحصيل والتثقيف فلا حساب له — في نظر دولتنا — مع هؤلاء ولا هؤلاء ! ويجب أن تمنع القطرات التى قطرتها الدولة في فمه وفم عياله في مدى ثمانية عشر عاما

وهكذا وزن قيم الناس في هذا البلد

عباس خضر

من هو المسؤول عن إهانة كرامة طلاب اليمنة وهم فى غير وطنهم الأصيل . لا بل لنرى من هو المسؤول عن إهانة كرامة الحكومة اليمنية ذاتها وسمعتها فى العالم الإسلامى على ألسنة البدالين والقصابين وبائعى الخبز واللبن فى حلوان !

وإلى أن تقوم الحكومة اليمنية بهذا التحقيق ، فإننى أستصرخ أمانة جامعة الدول العربية هنا لتسرع بتقديم الإسعافات الضرورية لحفظ حياة سبعين طالبا مهددين بالجوع والعطش وقطع التيار الكهربائى ، بل مهددين بالإيذاء من الدائنين الذين طال صبرهم فى انتظار مخصصات الطلاب ، وانطلقت ألسنتهم بالسخرية والنكات اللاذعة ، موجهة للطلاب المساكين !

إنها مأساة لا ترضاها دولة فى القرن العشرين

سيد قطب

عتاب إلى أدباء السودان

على أثر المقال الذى نشرته فى مجلة « الرسالة » الغراء بعددها ٩٨٢ ، الصادر فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٢ . والموسوم بـ (نماذج من الشعر السودانى الحديث) ، حمل إلى بريد مصر والسودان طائفة من الرسائل يعبر بعضها عن حسن ظن مرسليها بأدب أخيهم الكاتب وحبه للعروبة فى أنحاء المعمورة كافة ؛ ويحمل البعض منها لونا طريفا من العتاب هو أشبه مايكون بهمسة المحب إلى الحبيب ، أو الصديق إلى الصديق، وها أنا أعرض طرفا منها ثم أعلق عليه حسب ما أرتئيه، على أن أترك المجال لأخواننا أدباء السودان للكلام حوله

يقول لى الصديق الفاضل الأستاذ الشاعر هدى الأمين فى رسالته المؤرخة فى ١١ مايو ، بعد التحية الرقيقة التى أقدم اليه أحسن منها

إنى أوافقك على توجيه اللوم لنا نحن شعراء السودان وأدبائه لا إلى اخواننا فى البلاد العربية الأخرى ، ومرد هذا التقصير لسببين :

أولهما ، فقدان الصحف الأدبية التى تصلح لنشر الشعر والأدب فى السودان ، وهذا يعزى إلى عدم توفر المادة الكافية لديها ، وثانيهما خجلنا وانكماشنا على نفوسنا ، وهذا طابع ظاهر فى الخلق السودانى لم تعمل الحضارة الحديثة على إزالته . أما أنت فقد بدأت فى كشف وشاح الخجل من عواطف شعرائنا . وأن يقف قلمك الفياض قبل أن يقدم إلى قلوب أبناء لغة الضاد وعقولهم بعض ما يخفق به القلب السودانى وما يوحى به العقل ..

وأنا أقول للأستاذ الأمين — بعد شكره على ما أرسل إلى من شعره ، الذى أرجو أن أكتب عنه بعد أن تجتمع لدى بعض النماذج الأخرى من أخوانه الشعراء — ترى ماهو السبب فى خجل شعراء السودان وعدم تقديم ثمار عقولهم إلى القراء ؟ أليس هو فقدان الثقة بالنفس ؟ فهل بعد هذا الدليل سبب آخر؟ لذلك أرجو أن يكون الأدباء عندكم أكثر جرأة ، ولديهم من الشجاعة ما يكفى إلى فرض أدبهم على القراء مادام هناك صحف ذائعة تحمل كل ما هو جدير بالإعجاب والخلود . ثم يا صديق ما السر فى هذا التشاؤم الذى يسيطر على كل بيت من أبيات شعرك ؟ أليس هذا من عدم الثقة بالنفس ؟ إن الرجل يا صديق لا ينظر إلى الحياة بمنظار أسود إلا بعد اليأس الشديد ، فهل سمعت قبل الآن بشاعر يطلب الموت سواك

فى القبر ملتجأ لمن قضى الحياة كميت

فلم التعلق بالحيا ة وغايتى هى غايتى

لماذا كل هذا اليأس ياصاحبى ، وأنت لاتزال طرى العود ، ندى الإهاب ؟ أرجو ألا أسمع منك بعد اليوم إلا كل لحن ينبض بالأمل والحب والشباب ..

ويكتب إلى الأديب الزبير على ، فى رسالته المؤرخة فى ٨ مايو ٥٢ فيقول :

«ليست لدينا صحيفة أدبية بالمعنى الصحيح. لأن أكثرها لا يعنى بالآداب ، ولا هم لها إلا تسويد صفحاتها كل صباح بالمهاترات السخيفة »

أنا معك يا صديق فى هذه الناحية.. وهذا الأمر هو السبب أيضاً فى عدم اطلاع أدباء العربية على الأدب العراق عدا ماينشره بعض الناجين منا على صفحات مجلات مصر .. وأنا أرجو مخلصا من إخواننا السودانيين أن يفهموا أن الأدب فوق السياسة وأبقى من كل ما يسودون به من صفحات ، مصيرها

الفناء، فهل ترى يدرك أصحاب الصحف هذه الغاية ؟

ويكتب إلى الأستاذ الشاعر جعفر عثمان موسى فيقول

« .. فكرت جدياً بعد كتابتك عنى وإلحاح الأصدقاء فى نشر شعرى .. » وأنا أحب أن أهمس فى أذنه مشجعا على النشر لأن إذاعة ثمار القرائح على الناس .. أثمن هدية يقدمها الفنان إلى بلده ...

ويقول لى الأستاذ عبد الهادى مراد محمد فى رسالته المؤرخة ١٥ مايو سنة ١٩٥٢ « .. وقد كتب لك من السودان — على ما أعتقد — جماعة أبانوا لك هل فى السودان أدب بالمعنى الصحيح ، بل لعلهم كانوا أصرح من ذلك فكشفوا لك العوامل التى حالت دون انتشار أدبنا ... »

أما أنا فأجيبه بأنى عاتب على أدبائكم وعلى الصحافة السودانية أيضا . وسبب ذلك هو عدم الكتابة إلى عما طلبت.. كما أننى لست أدرى ما السر فى تهجم صحفكم الزاهرة علينا ، وها أنا أنقل إلى قراء « الرسالة » ما نشرته صحيفة « النيل » فى عددها الصادر يوم « ١٥ مارس ١٩٥١ » تعليقاً على النداء الذى نشره عن لسانى الصديق الشاعر الأستاذ جعفر حامد البشير قال

« ... يجد القارئ فى هذه الصحيفة دعوة كريمة وجهها الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى شاعر الشباب العراق بواسطة صديقه الأستاذ جعفر حامد البشير الأديب المعروف لدى قراء « النيل » ، والتى يدعو فيها أدباءنا وشعراءنا السودانيين بموافاته بمنتجاتهم فى الأدب لإذاعتها ونشرها ..

هذا ما جاء فى كلمة صديقنا الأستاذ البشير ، ومن قبل ذلك وبسنوات طلب الأستاذ الدكتور زكى مبارك من أدبائنا أن يوافوه بمنتجاتهم الأدبية ليقدمها للعالم العربى . والذى يهمنى فى هذه المسألة هو لماذا يفكر إخواننا فى البلاد العربية هذا التفكير العجيب ، فالسودان قطر تسوده اليقظة ، وله من أدبائه وشعرائه مالا يقل عن أى بلاد أخرى . ولهم مؤلفاتهم وكتبهم الخاصة ، وفى إمكان إخواننا فى البلاد العربية أن يسعوا لاقتناء هذه الكتب والمؤلفات، ومنها ما يمكنهم أن يكونوا فكرة عن الأدب والأدباء السودانيين

.. إن السعى الحثيث الذى يتكبده أبناء السودان فى الحصول على المعلومات الأدبية والسياسية والاقتصادية من البلاد الأخرى لا يقابله أى مجهود من جانب الأدباء فى البلاد العربية . وإنى لأرجو أن يقرأ أبناء البلاد العربية صحافتنا ويبعثوا إلينا بنتائج أفكارهم ويفسحوا لنا المجال فى صحافتهم .. الخ .. »

هذا بعض ما كتبته صحيفة « النيل » الزاهرة .. والذى أود أن أعرضه لأخواننا فى السودان، هو إن الباطل إذا قلب حقاً فى عرفهم فأنه باطل فى عرف النقد والميزان الأدبى ، لأننا لا نعرف قطراً من الاقطار العربية يهتم بتكوين رأى ناضج عن مدى تطور النهضات الفكرية والاجتماعية فى البلاد الأخرى غير العراق .. والعراق بغير تبجح أ كثر الأقطار العربية الأخرى استهلاكا للكتب .. أما عن تكاسلنا فى اقتناء مؤلفات أدباء السودان فأقول أين هى ؟ إننى أفتش يومياً فى مكاتب بغداد فلا أجد ذكراً لكتاب سودانى ، ترى ما هو السر ؟ أما عن صحافة السودان فكيف تستطيع الحصول عليها إذا كانت لا ترد العراق؟ إذا كان أصحاب الصحف أشحاء حتى فى إرسالها إلينا ! أما عن التعريف بالأدب السودانى فالجواب أتركه لأخوانى أدباء السودان ، ألم أعمل جاهداً فى سبيل هذه المعرفة بواسطة ما أنشره عنهم فى صحف العراق وغيرها من صحف البلاد العربية ؟ ألم أسع فى نشر آثارهم على القراء ؟ أبعد كل هذا الجهد والعمل الذى لا أرجو منه سوى التقارب بين البلاد العربية أهاجم وأطعن فى الصميم ؟ ماذا تريد منا صحيفة « النيل » بعد هذا ؟ أتريد أن تسلب منا حتى شعور الوحدة ؟ لقد حاربنا بعض الساسة والرجعيين والأدباء فى العراق لجرأتنا وقولتنا الحق وتفضيلنا شوقى على الرصافى ومنادتنا بزعامة مصر وإعجابنا بنهضة مصر الأدبية حتى كدنا أن نحطم القلم ونهجر قول الشعر لنترك للغربان النعيب ، فهل تريد أسرة تحرير « النيل » أن تحذو حذو الجهلة فى العراق ؟ هذا ما أتركه لأبناء السودان ، لأننا نعرف جيدا أن من واجبنا تأدية الرسالة التى نضطلع بها ، ولو ذقنا من أجلها الدمار . أما الشهرة الجوفاء والصيت الفارغ فنحن نتركه للمغرورين وحسبنا قوله عز وجل

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .. » والسلام على من اتبع الهدى

بغداد

عبد القادر رشيد الناصرى

بلاء !

لك أن تضحك بملء فيك، ولك أن تبكى حتى تستغرق فى البكاء ولماذا لا يجوز لك أن تضحك وتبكى فى آن واحد وأنت فى مصر :

قبيل شهر رمضان المبـــارك ملأت شوارع القاهرة والإسكندرية إعلانات ضخمة تهلل وتكبر لقدوم رمضـان لا أظن أن يدا واحدة سلمت من أن تنال منها ، ولا عينا واحدة أيضا برئت من أن تقع عليها لـكثرتها وشدة الإلحاح فى توزيعها

ولعلك قبل أن تعرف الحقيقة المرة تحسب أن وراء هـذه الإعلانات خيرا سيعود على المجتمع فى رمضان ، أو برا سيخفف لوعة البائسين والمحرومين فى هذا الشهر المعظم ، أو فتحا جديدا فى الصناعة المصرية سـترقص له جنبات الوادى غبطة وفرحا ، أو تهاونا فى أسـعار الضروريات بعثته رحمة رمضـان فى قلوب الذين لا يعرفون الرحمة حتى فى شهر البركات والرحمات .. قد تحسب أن وراء هذه الإعلانات كل هذه أو شيئا منها ، ولكنك حين تقف على الحقيقة المرة لا بد أن تنال الحسرة من نفسك والألم من قلبك ، فلم تكن هذه الإعلانات إلا حملة من الدعاية الساخرة ، للفرق اللاهية العابثة الراقصة ، التى أبت إلا أن تلهو وتعبث ... ابتهاجا بشهر رمضان .!

والغريب العجيب أنه ما من إعلان واحد إلا وكتب بالخط العريض البارز فى أوله « ابتهاجا بشهر رمضان المعظم تحيى .. » وكأن رمضان المعظم الذى يبتهج به عباد الله المؤمنين فى الأرض ، وملائكته الأبرار فى السماء ، تبتهج به الفرق المهرجة الراقصة فى صالاتها ! وكأن لياليه لم تكن لتجتمع خلالها قلوب العباد بالتزوار البرىء ، ولتستمطر رحمات الرحمن بالفزع إليه فى أسحارها، وإنما كانت لتقضى فى حفلات من اللهو والفوضى والتهريج

لو أن هذه الفرق التى لم تجد رادعا فى مصر يردعها . ولا يدا من حديد تضرب عليها ، ولا جرأة من الرأى العام تضع حدا لها ... لو أنها أعلنت عن تهريجها دون أن تشير إلى أن استعدادها لم يكن إلا ابتهاجا برمضان لهان الأمر ، ولـكن ماذا نفعل والحياء قد ضاقت به أرض مصر ، والخجل أوشك أن يهاجر منها ، كما هاجر منها المتنبى من قبل وهو يردد قوله المأثور

وكم ذا بمصر من المضحكات — ولـكنه ضحك كالبكا

رمل الاسكندرية

نفيسة عبد اللطيف الشيخ

إنها لا تعمى الأبصار

بعثت السيدة هيلين كيلار كتاب شكر إلى وزارة الشؤون الاجتماعية تسجل فيه شكرها على حفاوة المصريين بهـا .. بمناسبة عودتها إلى وطنها ..

ولقد أثارت قصة هذه السيدة دهشة الكثيرين ممن قرأوها وعجبوا كيف استطاعت أن تشق طريقها نحو المجد فتنال درجة (الدكتوراه) وقد حرمتهـا الطبيعة ثلاث حواس لا يستغنى الإنسان عن واحدة منها . . وهل يستغنى الإنسان عن قوة الإبصار يميز بها الألوان والأحجام .. أو قوة الكلام والإفصاح يعبر بها عما يجول بنفسه وخاطره .. أو قوة السمع التى تربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه ؟!

كم من الناس يتمتعون بحواسهم وقواهم كاملة ، ولـكنهم لا يحققون شيئا مما حققته هذه السيدة التى لم يقعدها عجزها عن السعى والدأب والمثابرة !

كم من الناس لهم أعين لا يبصرون بها .. أعمتهم الجهـالة عن الحقائق فعميت عليهم ، وصرفت أبصـارهم إلى ما يضرهم ولا ينفعهم !

وكم من الناس لهم آذان لا يسمعون بها .. يصمونها عن الاستماع ، فلا تصل إليها صيحة مظلوم يطالب بحقه ، أو مستغيث نزل البلاء بساحته .. أو مستجير يلتمس العون والغوث

كثيرون يتمتعون بحواسهم وقواهم كاملة ولكنهم يعيشون على هامش الحياة ، ولا يوجهون هذه الحواس الوجهة التى تحقق لهم بلوغ أهدافهم ، لمـاذا ؟ لأنهم حرموا قوة لا تقل قدرا عن قوى الحواس الخمس جميعا ، وأعنى قوة الإيمان ، إيمانهم بالله ، وإيمانهم بأنفسهم ، وهذا الإيمان من مقومات النجاح فى الحياة تعوض على الفرد النقص الذى يحسه بحرمانه من حواسـه ، وهذا هو المثل الناطق نراه أمامنا مجسما فى حياة هذه السيدة التى استطاعت أن تثبت للعالم أجمع أن العمى لا يصيب العين ، إنمـا يصيب القلب ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه المـكنون « فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »

أنار الله أبصارنا وبصائرنا ، وهدانا سواء الصراط

عيسى متولى



مبتور الساقين

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

جرت لي هذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت مسافرا في القطار ومزمعا الانزواء بنفسي في إحدى مقاصيره ، حين انفتح بابها وسمعت صوتا يقول لآخر :

— خذ حذرك من الزلل ياسيدي ، فقد بلغنا ملتقى الخطوط « المقص » ثم إن مرتقى القطار مرتفع

فأجابه صوت آخر :

— لا تخف يا لوران فسأعتمد على مقبض عكازي ثم ظهر لي رأس مستور بقبعة مستديرة وبدان تملق بهما سيران من جلد ، أخذتا تمتمدان وتستندان إلى جانبي باب القطار ثم رفعتا بهوادة وبطء جسما بدينا بعض الشيء ، سمعت لوقع أقدامه الخشبية نقرا على مرتقى القطار ، وحين هم الرجل بالدخول إلى مقصورتي أبصرت نهاية بنطلونه المتراخي فبرزت لي من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن لحقت بها أختها ، فعلمت أن رفيقي مبتور الساقين ثم برز لي من ورائه رجل آخر راح يقول له :

— هل أنت مرتاح في جلستك ياسيدي ؟

— نعم يا ولدي

— وإذن فهناك صررك وهذا عكازك ، وهنا أبصرت خادما تبدو في سحنته معارف جندي قديم يصعد إلى صاحبنا حاملا له بين ذراعيه كدسة من أشياء ملفوفة بأوراق ، بعضها أسود وبعضها أصفر ، حتى إذا وضعها في رف القطار الواحدة بجانب الأخرى ، قال لسيده :

كل شيء معد لك ياسيدي : ففي هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر والملبس ، والدمية ، والطبل ، والبندقية ، وأخيرا الفطيرة الدسمة

— حسن جدا يا ولدي

— أتمنى لك سفرا ميمونا ياسيدي

— شكرا « يا لوران » وأنا أتمنى لك صحة موفورة ، ثم غادر الخادم القطار بعد أن أغلق على سيده باب المقصورة

كان رفيقي في السفر في الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً ، على رغم أن شعره وخطه أكثره الشيب ، وكان حسن البزة والشارة ، غليظ الشارب تبدو عليه الفراهة والقوة واكتناز اللحم ، فبعد أن استقر ومسح جبينه وراح ينفث في الهواء دخان سيجاره رمقني بنظرة هادئة ثم قال :

— أمل دخان سيجاري يزعجك ياسيدي ؟

— فقلت له : كلا ، ولكن ما كدت أنطق حتى دهشت ، ذلك أن هاتين العينين وذلك الصوت وحتى هذه السحنة لم تكن غريبة عني ، نعم كنت أعرفها ولكن أين .. ومتى ؟ وفي الحق لقد بدا لي أني لاقيت هذا الشاب وكلمته وضغطت على يديه ولكن ذلك كان بعيدا حتى لقد ضاع في ضباب كثيف يخيل للفكر معه أن يتلمس ذكريات الماضي ويتبعها كأنها الأطياف العابرة الهاربة ، كان هو أيضاً يحدجني بنظره ويتفرس في وجهي متعرفاً كأنما داخله من التشكك بمعرفتي مثل ما داخلني ، وتضايق نظرانا من هذه الملاقاة الملحة فانترقا ، على أنه لم تمض إلا ثوان حتى عادا وتلاقيا ثانية بتأثير حب الكشف والاستطلاع ، وابتدرته أنا قائلا :

— بالله ياسيدي : ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحث معا عن المكان والزمان اللذين تعارفنا فيهما أول مرة ؟ فأجاب بلطف :

— إنك لمحق ياسيدي ، وهنا سميت له نفسي قلت :

— إني أدعى القاضي هنري « بونكلير » فتردد برهة ثم قال بعين غائمة بضباب الذكرى وصوت من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئاً عفى عليه الزمن :

— آه .. ذكرتك تماماً ، فقد صادفتك فى « بوانسل » وكان ذلك منذ اثنى عشر عاما قبل الحرب المشئومة ...

— نعم يا سيدى ... أوه ... وإذاً فأنت الليوتنان فاليه ؟

— نعم أنا بعينى، ثم أصبحت الكابتن «فاليه» قبيل اليوم الذى فقدت فيه ساق الاثنتين بإصابة فظيعة من قنبلة حربية

وهنا حدق كل منا فى صاحبه من جديد بعد هذا التعارف . وتمثل فى خاطرى هذه الساعة منظر ذلك الشاب الجميل اللطيف الذى كان ملء العين والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه الصورة الغامضة الملفوفة بضباب النسيان، كانت تطفو على ذاكرتى قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها وأنسيتها الآن ، ولكنى لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مغرية رغم قصرها لأن الحب لعب على مسرحها . ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن ذاكرتى شيئاً فشيئاً ؛ وإذا بها تتضوء وتستنير بها المسالك، فيطالعنى من خلال سطورها الممحوة وجه فتاة مليحة ، وإذا باسمها يرن فى سمعى ويجرى على لسانى : الآنسة « ماندال » .. لقد ذكرت كل شئ الآن .. وفى الحق لقد كانت قصة غرام تلك التى نسيتها أولا . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت به ، وكان الناس يتحدثون من زواجهما المنتظر القريب الذى كان يفجر ينابيع الفرح والسعادة فى قلب صاحبنا الضابط

وهنا صوبت بصرى إلى الصرر الموضوعة على الرف فوق رأس الضابط الكسيح . فإذا بها تهتز وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بى كأنى أسمع الآن صوت الخادم يقول لسيده :

كل شئ معد لك يا سيدى . فنى هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر ، والملبس، والبندقية . والطبل وأخيرا الفطيرة الدسمة . وتألفت فى لحظة بخاطرى رواية لهذا الكسيح الذى أراه أمامى: رواية تشبه الشبه كله جميع ما كنت قرأته فى القصص أو رأيته فى المسارح ؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذو العاهة خطيبته السليمة أو لا . وإذن فإن هذا الضابط المبتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبته بساقيه . تمثلت كل هذا جيدا فى بساطة ، ثم عرض لى فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر أيكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه ؟ أتكون الصبية المسكينة احتسبت الله فى مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القاسى ، فهى تستقبل مكرهة هذا الكسيح الذى غادرها ملء العين ملاحة وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أتراه سعيدا أو متألما ؟! وقامت فى نفسى رغبة لا تقاوم فى الاستعلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقطة المهمة التى أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاءه عنى أو ما لا يمكنه الإفضاء به . ورحت أكلمه بأحاديث شتى ، بينما عيناى مثبتتان على الصرر الملفوفة التى وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين : أما السكر والملبس فلامرأته ، وأما الدمية فلطفلته ، وأما الطبل والبندقية فلطفله ، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؛ وفجأة قلت له :

— أملك أب لعائلة يا سيدى ؟

— كلا

فشعرت بشئ من الخجل والربكة لهذا السؤال كأنى ارتكبت ما لا يتفق وحسن المعشرة . لهذا عقبت :

— معذرة ياسيدى لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمعى من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللعب. وأنت تعلم أن المرء لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافتر ثغره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أنى لست متزوجاً ؟

وهنا بدت على دلائل الاستذكار والتأمل ؛ ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ماتقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت عاقداً خطبتك على الآنسة ماندال فيما أظن ؟

— نعم يا سيدى إن ذاكرتك جيدة جدا . فاجترأت وتابعت :

وأذكر أيضا أنى سمعت أن الآنسة ماندال خطيبتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط فى سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضا أنى سمعت فى ذلك الحين قصة فاجعتك ، ونظرت إليه من جانب عينى فإذا بالدم يتدفق

فى وجهه أحمر قانيا ، ثم إذا به يجيبنى فى حمية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقا وفرط فى حقه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن يذكروا أمامى اسم خطيبتى « ماندال » بعد إذ أبت من الحرب بدون ساقين ، ويا للأسف ، لم يكن بوسعى أن أقبل دون ألم وتقريع ضمير أن تصبح « ماندال » امرأتى : أترى ذلك يكون ممكنا ؟ حين يتزوج المرء يا صديقى لا يفعل ذلك كى يتباهى على الناس بامرأة جميلة فتانة ! إنما يفعل كى يعيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثوانى . فإذا كان الزوج مثلى كتلة شوهاء مبتورة فإنه بزواجه من فتاة ريانة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم الممض وقسرها على حياته الناقصة المحطمة حتى الموت ، أنا أفهم وأقدر بل وأعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهى إليها ، لهذا فأنا أستنكر من نفسى أن تحرم فتاة جميلة نفسها لأجلى من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام للصبا وللجسد أيضا ، كل ذلك كى يقال عنها إنها عفيفة ظريفة كريمة ، ثم كيف أطلب منها هذا وأنا نفسى حين أسمع على أرض الدار وقع عكازى وأنا أمشى وأحجل ، أنا نفسى حين أسمع هـذا الصوت الذى يشبه وقع أقدام البغال يجيش فى نفسى الحنق فأود خنق خادمى ، وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن تتسامح فى شىء هو نفسه لا يغتفره لنفسه ، ثم أتعتقد وتتصور أن ساقى الخشبيتين هاتين جميلتان فى النظر فاتنتان للعين؟ وسكت وسكت فما عساى مجيبه ؟ إن كلامه الصدق فهل بوسعى أن ألومه أو أخطئه ، ثم سألته فجأة :

— هل لمدام فلوريل خطيبتك المتزوجة أولاد ؟ !

— نعم ، طفلة وصبيان ، ولهؤلاء الأطفال ما أجمل من لعب فى هذه الصرر كهدية ، إنها وزوجها طيبان ، وكان القطار فى هـذا الوقت يصعد ملتقى خطوط « سان جرمان » ثم يمضى تحت الأنفاق المتعاقبة فى المحطة ، ثم يقف ، وعزمت على تقديم ذراعى تكأة للضابط الكسيح كى يستعين عليها فى النزول من القطار لولا أن يدين امتدتا من باب القطار المغلق لمساعدته

— نهارك سعيد يا فاليه ، فأجاب صاحبى الضابط

— سعد نهارك « يا فلوريل » ، وقد كان خلف الرجل امرأته الجميلة تبتسم له أيضا وهى ترسل التحيات الحارة المستورة بقفازين ، وبجانبها طفلة صغيرة كانت تطفر من الفرح والابتهاج بلقاء صاحبى الضابط وبجانبها الآخر صبيان صغيران كانا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد برزا من طرف الصرر التى تسلمها أبوهما فلوريل

وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع إليـه الأطفال فعانقوه فى محبة وألفة وشوق ؛ ثم اتخذت العائلة طريقها إلى المنزل ، وفى أثناء الطريق أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الغضة مسند عكاز الضابط الكسيح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج والطيبة والمحبة البريئة

ك . ع

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

العنوان	الكاتب	الصفحة
ضريبة الذل	للأستاذ سيد قطب	٦٥٧
قطيع الصيف فى باريس	للدكتور على شرف الدين	٦٥٩
فضل المدنية العربية على المدنية الغربية	للدكتور فيليب حتى	٦٦٢
الأمثال فى حياة اللغة	« حامد حفنى داود	٦٦٥
أبو العتاهية	للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ...	٦٦٧
مصطفى كمال أتاتورك	« للأستاذ عبد الباسط محمد حسن	٦٧١
من يسمع	« خليل رشيد	٦٧٣
مصادر التاريخ الحضرمى	« أحمد عوض باوزير	٦٧٤
حول مذكرات واعظ أسير	« أحمد الشرباصى	٦٧٦
شعلة المجد ... (قصيدة)	« حسن كامل الصيرفى	٦٧٨

(الأدب والفن فى أسبوع) — حول محنة الأدب — كتاب فن الأدب ٦٧٩

(البريد الأدبى) — البيتان المتنبى — الوشح لابن الخطيب — إلى الأستاذ كامل كيلانى — القول أمام بيوت الله — عبيد الفاس ٦٨٢

(القصص) — خمسة أعوام فى عذاب — عن الإنكليزية ٦٨٤

20 me. année No 989

Le Caire 16 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٧١ — ١٦ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

ضريبة الذل ...

للأستاذ سيد قطب

بعض النفوس الضعيفة يخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق، فتختار الذل والمهانة، هربا من هذه التكاليف الثقال، فتعيش عيشة تافهة رخيصة، مفزعة قلقة، تخاف من ظلها، وتفرق من صداها، يحسبون كل صيحة عليهم، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة!

هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة. إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة. يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيرا ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون

وإنهم ليحسبون أنهم ينالون في مقابل الكرامة التي يبذلونها قربى ذوي الجاه والسلطان حين يؤدون إليهم ضريبة الذل وهم صاغرون. ولكن كم من تجربة انكشفت عن نبذ الأذلاء نبذ النواة، بأيدي سادتهم الذين عبدوهم من دون الله

كم من رجل باع رجولته، ومرغ خديه في الثرى تحت أقدام السادة، وخنع وخضع، وضحى بكل مقومات الحياة الإنسانية، وبكل المقدسات التي عرفتها البشرية، وبكل الأمانات التي ناطها الله به أو ناطها الناس .. ثم في النهاية إذا هو رخيص رخيص، هين هين، حتى على السادة الذين استخدموه كالكلب الذليل؛ السادة الذين لهث في إثرهم، وبصبص بذنبه لهم، ومرغ نفسه في الوحل ليحوز منهم الرضاء!

كم من رجل كان علك أن يكون شريفا، وأن يكون كريما، وأن يصون أمانة الله بين يديه، ويحافظ على كرامة الحق وكرامة الإنسانية، وكان في موقفه هذا مرهوب الجانب، لا يملك له أحد شيئا، حتى الذين لا يريدون له أن يرعى الأمانة، وأن يحرس الحق، وأن يستعز بالكرامة، فلما أن خان الأمانة التي بين يديه، وضعف عن تكاليف الكرامة، وتجرد من عزة الحق، هان على الذين كانوا يهابونه، وذل عند من كانوا يرهبون الحق الذي هو حارسه، ورخص عند من كانوا يحاولون شراءه؛ رخص حتى أعرضوا عن شرائه، ثم نبذ كما تنبذ الجيفة، وركلته الأقدام، أقدام الذين كانوا يمدونه ويعنونه، يوم كان له من الحق جاه، ومن الكرامة هيبة، ومن الأمانة ملاذ

كثير هم الذين يهوون من القمة إلى السفح، لا يرحمهم

أحد ، ولا يترحم عليهم أحد . ولا يسير فى جنازتهم أحد ، حتى السادة الذين فى سبيلهم هووا من قمة الكرامة إلى سفوح الذل ، ومن عزة الحق إلى مهاوى الضلال

ومع تكاثر العظات والتجارب . فإننا ما نزال نشهد فى كل يوم ضحية . ضحية تؤدى ضريبة الذل كاملة . ضحية تخون الله والناس ، وتضحى بالأمانة وبالكرامة . ضحية تلهث فى إثر السادة ، وتلهث فى إثر المطامع والمطامح ، وتلهث وراء الوعود والسراب .. ثم تهوى ، وتنزوى هنالك فى السفح خانعة مهينة ، ينظر إليها الناس فى شماتة ، وينظر إليها السادة فى احتقار

لقد شاهدت فى عمرى المحدود — وما زلت أشاهد — عشرات من الرجال الكبار يحنون الرءوس لغير الواحد القهار ، ويتقدمون خاشعين ، يحملون ضرائب الذل تبهظ كواهلهم ، وتحنى هاماتهم ، وتلوى أعناقهم وتنكس رؤوسهم .. ثم يطردون كالكلاب ، بعد أن يضعوا أحمالهم ، ويسلموا بضاعتهم ، ويتجردوا من الحسنيين : فى الدنيا والآخرة ، ويمضون بعد ذلك فى قافلة الرقيق لا يحس بهم أحد حتى الجلاد !

لقد شاهدتهم وفى وسعهم أن يكونوا أحراراً ولكنهم يختارون العبودية ، وفى طاقتهم أن يكونوا أقوياء ، ولكنهم يختارون التخاذل ، وفى إمكانهم أن يكونوا مرهوبى الجانب ، ولكنهم يختارون الجبن والمهانة .. شاهدتهم يهربون من العزة كى لا تكلفهم درهما ، وهم يؤدون للذل دينارا أو قنطارا .. شاهدتهم يرتكبون كل كبيرة ليرضوا صاحب جاه أو سلطان ، ويستظلوا بجاهه أو سلطانه وهم يملكون أن يرهبهم ذوو الجاه والسلطان !

لا بل شاهدت شعوبا بأسرها تشفق من تكاليف الحرية مرة ، فتظل تؤدى ضرائب العبودية مرات . ضرائب لا تقاس إليها تكاليف الحرية . ولا تبلغ عشر معشارها . وقديما قالت يهود لنبيها : « يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنا هاهنا قاعدون » .. فأدت ثمن هذا النكول عن تكاليف العزة ، أربعين سنة تتيه فى الصحراء تأكلها الرمال ، وتذلها الغربة، وتشردها المخاوف .. وما كانت لتؤدى معشار هذا كله ثمنا للعز والنصر فى عالم الرجال !

إنه لابد من ضريبة يؤديها الأفراد ، وتؤديها الجماعات ، وتؤديها الشعوب . فإما أن تؤدى هذه الضريبة للعزة والكرامة والحرية ، وإما أن تؤدى للذلة والمهانة والعبودية ! والتجارب كلها تنطق بهذه الحقيقة التى لا مفر منها ولا فكاك

فإلى الذين يفرقون من تكاليف الحرية ، إلى الذين يخشون عاقبة الكرامة ، إلى الذين يمرغون خدودهم تحت مواطئ الأقدام ، إلى الذين يخونون أماناتهم ، ويخونون كراماتهم ، ويخونون إنسانيتهم ، ويخونون التضحيات العظيمة التى بذلتها أممهم ، وبذلتها الإنسانية لتحرر وتتخلص

إلى هؤلاء جميعا أوجه الدعوة أن ينظروا فى عبر التاريخ وفى عبر الواقع القريب، وأن يتدبروا الأمثلة المتكررة التى تشهد بأن ضريبة الذل أفدح من ضريبة الكرامة ، وأن تكاليف الحرية أقل من تكاليف العبودية ، وأن الذين يستعدون للموت توهب لهم الحياة ، وأن الذين لا يخشون الفقر يرزقون الكفاية ، وأن الذين لا يرهبون الجاه والسلطان يرهبهم الجاه والسلطان

ولدينا أمثلة كثيرة وقريبة على الأدلاء الذين باعوا الضمائر وخانوا الأمانات وخذلوا الحق ومرغوا فى التراب ، ثم ذهبوا غير مأسوف عليهم من أحد ، ملعونين من الله ! ملعونين من الناس . وأمثلة كذلك — ولو أنها قليلة — على الذين يأبون أن يذلوا ، ويأبون أن يخونوا ، ويأبون أن يبيعوا رجولتهم بيع السماح . وقد عاش من عاش منهم كريما ، ومات من مات منهم كريما

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

سيد قطب

من وحى الفتنة القاصية :

قطيع الصيف فى باريس

للدكتور على شرف الدين

فى كل عام — وفى مستهل الصيف خاصة — يقبل على باريس هذا القطيع من أطراف أوروبا . مختلفات الجنس واللغة، متباينات الأعمار والثقافة ، فى عيونهن غرارة ، وخلف الأجفان مستقبل حافل بالدموع ، ما عرفنه ولا فكرن فيه، وفى إشاراتهن براءة ، وما تصيب الفواجع غالبا غير القلب البرىء ، كأنما تحب السماء هذه القلوب ، فهى تمتحنها بالآلام لتزيد فى طهارتها قبل أن ترفع إليها

أطلقهن الرعاة من مراعيها الآمنة ، وأبحن لهن — وهن الناشئات — أن يقبل عليهن المساء ؛ وهن فى غير مراح الحقل بعيدات عن سمع الراعى ونظره ، وما بالغ من أطلقهن فى الثقة ، ولا أسرف فى حسن الظن ، ففى قلوبهن من وحى الفطرة الأصيلة عصمة ، وفى آذانهن من ترانيم الكنيسة صدى رائع يغلب كل الأصداء ، ولكنها سنة الشباب والحب ، جديدة فى كل عصر ، وإن أعادت نفس القصة فى كل جيل

أقامت لهن باريس معارض للفن ومناهل للأدب ، وحشدت لهذا أقوى ما يأسر النفس والعين . يمضى الصيف وهى مع الرعيل فى الغدو والرواح ، يهديها رسول الأمن فى الجماعة ، ويملأ عينيها نور الفرح بما ترى وتسمع ، لا تلبى غير نداء المعرفة، ولاتغشى غير المواطن الآمنة ، فى صالات الموسيقى، وفى لكسمبور ، وتحت قباب البانثيون . . .

فإذا تقدمت بهن الإقامة رأيت شيئا جديداً : رأيت أن القطيع قد استحال إلى أسراب ، ثم استحال السرب أخيراً إلى « الفتنة القاصية » ؛ ولكن فى صحبة جديد ، ولا تشك حين تراها فى أن ملا كا يحرس هذا الحب الجديد ، فما تزال سمات الفطرة فى الوجوه تنادى بنبل العاطفة ، وما يزال فى العيون شعاع يكشف عن قلب برىء . ومن ذا الذى لا يبارك على حب تذكيه غرارة السن ، ويرعاه من العاطفة ميل ساذج صريح ؟

ويمضى الصيف فيبقى نصف القطيع قائما فى باريس لا يريم . ويتقدم الزمن قليلا ، فإذا جدة الحب قد أخذت تبلى ، وإذا بهجة اليسار قد أخذت تنطفىء ، ليأخذ مكانها ظلام الحاجة، وإذا هذه الغلائل البيضاء التى كانت ترف بالأمس على هيا كل من النور كما يرف جناح الحمائم السابحة فى صبح الربيع . . قد استطال الفقر فى ذيولها ، كما استطال الحزن والألم فى هيا كلها . بقية من جمال يغزوها الهم الناصب ، والضنى الملح، فى انتقال مفاجىء من حياة إلى حياة ، ما أبعد كلا منهما عن الأخرى

هذه الدلالة التى أ كرمها الفلاح ، وأقامها فى الحقل (الآمن) تستملى حياة الدعة والسعادة ، وتضفى على الحقل ربيعا أجمل من ربيع مروجه ، قد أصبحت تعمل فى حقل آخر ، عمل الأجير لا المالك ، ويهولك ما ترى حين ترى أن هذه الدلالة التى لم تجاوز العشرين قد أخذت تؤجر فى الحقول . . . لم تعد تصغى للموسيقى ولا تغشى محاضرة ، ولا تحفل لهذا التاريخ الرابض فى معالم باريس ، ولكنها فى مقاهى سان جرمان مع الغاضبات من الأهل ، الساخطات على الحياة ، وأخيراً فى كهوف الليل الحمراء على ضفة السين . . .

إن لها شخصية كما يدعى صاحبها الذى أطلقها من المرعى « الآمن » فهو لا يسأل — ولا يجب أن يسأل — كيف تعيش ؟ وهى « الحضرية » الدلالة التى ما عرفت العمل ، وما خلقت إلا لتضفى النور على ما حولها . . . إنها شخصية تمنحها إياها الحضارة فى تمام العشرين ، وقد نسيت الحضارة أن الزهرة هى الزهرة ، فى أول الربيع ، وفى عنفوانه ، وفى نهايته ، وأن الطبيعة عرفت هذا فنثرت من حولها الشوك لترهب القلوب الطامحة ، وتدفع الأيدى من جناها . وتمر بك هذه الذابلة التى كنت تسعد بالنظر

إليها . فتخاف أن تراها رحمة وإشفاقا ، ولكن هذا العربى قد أرادها فى هذه الصورة القوية من شعره

كنت مشغوفا بكم إذ كنتم ... شجراً لا تبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل إلا حولها ... حرس ترشح بالموت ظباها
وإذا مدت إلى أغصانها ... كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الأمر حتى أصبحت ... هملا يطمع فيها من يراها

ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوربا ! ألا تذكرين حديث « الغنمة الضالة » فى الإنجيل ؟ ألم يطالب الراعى أن يبحث عنها حتى ولو تعرض القطيع كله للضياع ؟ إنه يعلمك كيف تكون القيم الإنسانية عندك خيراً من « المصلحة » وكيف تحرصين على الاستجابة لهواتف الروحية ، وإن لم تدع إليها « الغنمة » . إن القطيع من غير شك خير من الواحدة ، ولكنها الساعة الرحيمة التى تكسر كل مقاييس الموازنة ، وتحطم كل موازين المقارنة

هى إذا « الشخصية » أو « الحرية » أو « سن الرشد » وغير هذا من الكلمات التى تزجينها فى بطون القواميس — تقيمين منها قانونا حين شعرت بالاستخذاء والظلم ، سن الرشد !! المعروف أو سن الرشد الحقيقية تبتدئ منذ الميلاد ، وتنتهى غالبا قبيل العشرين أو عندها ، وعند العشرين تبتدئ سن الرعاية والملاحظة . . .

على أن لك فى سن الرشد رأيا غريبا — رأى يتغير حسب المصلحة والعصبية الشعوبية : تعطين سن الرشد للأفراد ، وتحرمين منها الجماعات ، تعطينها للغنمة القاصية وتمنعين منها الجماعة تستمد القوة والرشد من جماعتها وائتلافها . لكم تعمدين إلى القطيع تمزقين من وحدته حتى استحال إلى غنمات قاصية لاتكاد إحداها تسمع نداء الأخرى ، ثم زعمت لنفسك عليها سلطانا فى دعوى باطلة مزورة ، تارة (برسالة الحضارة) وأخرى بأنها لم تبلغ سن الرشد ، وقد كان فى اجتماعها وتآلفها الرشد كل الرشد ، ولكنها المصلحة التى أنكرت فيها حقوق الإنسانية

ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوروبا !

أسرفت فى السرور حتى قتلت فى نفوس أبنائك الإحساس بالسرور ، وأقمت للوثنية هياكل مكذوبة ، تقدمين لها قرابين دامية ، هى أشلاء ضمير ممزق فى معركة صرعت فيها (الغنمة) كل هواتف الروح ، وما رضيت أن تشهدى وحدك هذه الأصنام بالأمس فى قصر شايو ، ولكنك تدعين معك فرائس السياسة ، وغنائم القوة ، ليشهدوا مصارع حقوقهم وأمانيهم . . .

حتى (الإنيسكو) هذا الرجل الوقور ، سخرت منه أوربا و (ضحكت عليه) فغرزت فى عمامته أعلام الشعوب ترفرف متساوية متكافئة . نعم نعم ترفرف متساوية متكافئة فى (الهواء) تقولين له : (ما أحوجنا إلى رأيك فى التربية والتعليم) ثم تسرين له فى أذنه : (رسالتك شاقة ، وإنك لتعرف ما بين السطور ، فكن ماهر النفاذ ، لطيف الأداء ، فما أحوجك إلى (الكياسة) لتصل من التربية إلى (. . . .) فيبتسم هذا الرجل الوقور بينما ينكث أطراف لحيته المسترسلة تارة « إننى خبير (بالسجمة) المقصودة ، وما أيسر أن نجمعهم على ضرب واحد من التعليم ، ومنهج متحد من التربية ، حتى تلتقى الأهواء ، وتتآلف النزعات ، وهناك تتم (السجمة المفقودة) » ، وقد نسيت أوروبا ونسى معها هذا الرجل شبه الوقور أن الشعوب لم تكن شعوبا لأن الأنهار تفصلها أو لأن الجبال تحد ما بين تخومها ، ولكن الشعوب كانت شعوبا لأن لكل شعب أمنية يفيض بها قلبه ، أمنية تستغل حياته وتأخذها من أقطارها لا تلبث أن تستحيل إلى مادة حية فى أغنية خالدة مقدسة . مالى أنسيت الحديث ؟ لقيتها مرتين مواظبة على محاضرات (أحلام معتزل) لجان جاك روسو . إنها تلتمس عنده فى ساعات عزلته ، ما يمسح على جراح نفسها . إنها قد نسيت الماضى ، الماضى البعيد والقريب ، وما كانت تحب أن تثير هذى الذكرى ، فإنها قد تجاوزت منطقة الألم ، واستراحت إلى نسيان يوشك أن يسبغ الطمأنينة والهدوء على قلبها ، وكانت نفسها صحيحة لم تنكسر ، مشرقة لم تنطفئ ، وإن كان يسبح فى جبينها الهادئ شعاع

شاحب ترف على حواشيه ذكريات خافتة، تدافعها بالصبر والأمل، وقوة الإيمان بحياة جديدة

وكان شأنى يضيق بمعاونة تفنيها، ولم أجد غير سيدة تركية هى وزوجها مثل عال لحضارة الإسلام فى باريس، قلت لها: إنها كما ترين حزينة كسيرة وما أحسبها تحسن الكثير من عمل المنزل، وما أحسبها إلا حملا عليك ان تضيقى به، ولها من ثقافتها فى منزل شرقي ما يهيئ لها الحياة فيه، فطالعت السيدة أسارير وجهها، فلم تشهد تمردا، ولم تر أثرا لهذه النكسة التى تطبع على وجوه المغلوبين فى حياتهم الساخطين عليها، فابتدرت قائلة (فابنتى إليها منذ اليوم) ثم استدركت مستعجلة (معلمتها لا خادمتها) ثم التفتت إلى زوجها كى تطمئنه على نهوضها بحياتها (وعندى لها من ستسعد بهن ويسعدن بها، ولن تضيق بحياتها من نشأت فى سويسرا الفرنسية ...)

مضت أيام لقيتهم بعدها، وكان السيد التركى كعادته يقضى الساعات فى مكتبته، رأيته أشبه ما يكون بالمستغرق فى حلم. فلم أشأ أن أقطع عليه تأمله، حتى انتبه متهلل الوجه مسروراً « إنه شعر حسن جميل » قلت لمن؟ قال لشاعر تركيا ارف حكمت الهرسكى، ثم أقبل يقرأ، ولكن صوتا آخر قطع عليه قراءته، صوت أحسب أنى سمعته قبل اليوم، فاتجهت نحوه فإذا فى الحجرة القريبة منا قد جلست هيلين وإلى جوارها طفلة فى العاشرة من عمرها، ومن حولها ثلاثة من فتيات تركيا الحديثة، أقبلن للدراسة فى باريس، ولاغنى لهن عن دراسة اللغة، سمعتها تملى عليهن قطعة لأندريه جيد، يصف فيها سمات الإدراك والفهم، تجرى فى أسارير طفلة بكماء قام على تربيتها قس سويسرى، حتى أدركت الأصوات وفهمت الحديث يجرى من حولها « ... لقد نبضت سماتها بالحياة فجأة، وجرى فى جبينها إشراق أشبه ما يكون بالشعاع الذى يسبق الفجر فى أعالى الألب والذى ترف له القمة المتوجة بالثلوج .. لم يكن ابتساما، ولكنه لون من خواطر المتصوفة ... لم يكن قط ما زادها فى هذه اللحظة معرفة وإدراكا أكثر منه حبا وهياما ... »

قلت للسيد « لست أدرى أيهما خير من الآخر: الباستير السويسرى مع جرترود، أم السيد التركى مع هيلين؟ » قال « الباستير من غير شك لأن جرترود قد خرجت على يديه من الصمت إلى الإفصاح.. أما أنا فلم أصنع إلا ما يجب لها، وما هو من حقها فى الحياة، وخير منهما جميعا الهرسكى الشاعر، ثم أعاد إلى يده ديوانه وأخذ يترجم عن التركية:

« ليس حتما أن تنتقل النفس من النور إلى الظلمة، لأن النور طبيعتها ففيم التحول وهى مستريحة إليه » « ومن الحتم أن تنتقل من الظلمة إلى النور ليس فقط لأنهـا تشعر بالغربة والإيحاش، ولكن لأن وطنها الأول يحمى هو الآخر رعاياه »

باريس — على شرف الدين

دكتور فى الأدب الفرنسى البحت من السوربون

فضل المدنية العربية على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى
أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية في جامعة سان باولو

٥ — نهوض الشعوب العربية الحديثة

العالم العربي قطعة متصلة عتد من مراكش على الأتلنتيكي غرباً إلى العراق على خليج فارس شرقا تجمعها اللغة والثقافة . وهى تتألف من وحدات أربع : إفريقية الشمالية ، مصر ، الجزيرة العربية ، والهلال الخصيب

فأفريقيا الشمالية هى من حيث الجغرافية جزء من القارة الإفريقية ، ومن حيث الثقافة والتاريخ جزء من الشرق الأدنى . وهى تتميز عن غيرها من الوحدات العربية بقربها من أوربا وبعدها عن قلب الإسلام وقلة الدم العربى فى سكانها وكثرة المستعمرين الأوربيين المستوطنين فيها مما جعلها تسير فى طريق لنفسها . وهذه الوحدة الإفريقية هى الأولى التى وقعت تحت النفوذ الأوربى السياسى وانفصلت عن جاراتها المسلمات . فالروح القومية العربية للآن لم تبلغ فيها حداً عالياً

وكانت الجزائر أول بقعة فيها احتلها الأوربيون وهم الفرنسيون وذلك عام ١٨٣٠ . وتبعها تونس التى احتلها الفرنسيون عام ١٨٨١ . أما مراكش فتقاسمها الفرنسيون والإسبان فى بداءة القرن العشرين ؛ وبقيت طرابلس الغرب فى حوزة الأتراك العثمانيين إلى عام ١٩١٢ عندما احتلها الطاليان وأطلقوا عليها الاسم الرومانى القديم ليبيا . وستكون ليبيا أول بلاد من هذه الوحدة تتحرر وتستقل بفضل قرار من الأمم المتحدة يقضى بذلك فى أول كانون الثانى من عام ١٩٥٢

ومصر من حيث الجيولوجيا والجغرافيا جزء من إفريقية ومن حيث التاريخ والثقافة جزء من آسيا الغربية . فمصير مصر فى كل أدوارها كان مرتبطا بالبلدان فى شرقيها لا فى غربيها . وهى باعتبار سكانها (٢٠٬٠٠٠٬٠٠٠) وخصب أرضها وغنى أبنائها فى مقدمة الدول العربية وتطمح إلى الزعامة بينها . وكان الإنكليز قد احتلوا مصر عام ١٨٨٢ ولكنها نالت استقلالها الناجز سنة ١٩٣٦

والجزيرة العربية تمتاز باحتوائها الأماكن المقدسة ، مكة والمدينة . وهى بداعى تقاليدها الدينية وجغرافية أرضها تعيش عيشة منفردة انعزالية غير متأثرة بالعوامل الخارجية . لذلك انكسرت موجة التأثير الغربى الأوربى بما فيها من قومية وعلمانية ونزعات عصرية حديثة ، على شواطئ الجزيرة دون أن تحدث فيها هياجاً ملحوظاً . وفى أوائل الثلاثين من هذا القرن اكتشف الأمريكيون فى شمالها — فى البلاد السعودية — معادن غنية للزيت ولكن أثر الشركة الأمريكية يكاد يقتصر على بقعة محاذية للخليج الفارسى . وفيما سوى المملكة السعودية فهنالك مملكة اليمن المستقلة وهذه أيضا متصفة بالمحافظة على القديم وعدم الإجابة لدواعى المدنية العصرية الحديثة

والهلال الخصيب يتألف من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق . ولقد كانت سورية ولبنان إلى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت الانتداب الفرنسى ولكنهما اليوم جمهوريتان مستقلتان . وكانت فلسطين وما وراء الأردن والعراق تحت الانتداب الإنكليزى . ومقاومة الانتداب الفرنسى فى سورية ولبنان نشط الروح القومية الوطنية ؛ كما أن مقاومة الانتداب الإنكليزى فى سائر بلدان الهلال الخصيب ومقاومة الصهيونية نشط الروح القومية فيها . ولقد كان تقدم العراق السياسى من الانتداب فى عام ١٩١٨ إلى الملكية عام ١٩٢١ إلى الاستقلال والانضمام إلى جامعة الأمم عام ١٩٣٢ أمراً مذكوراً . والعراق اليوم مثل مصر حكومته ملكية دستورية

وعليه نرى أن الأمم العربية فى غربى آسيا التى كانت حتى الحرب العالمية الأولى خاضعة للحكم العثمانى قد فازت بين الحربين العالميتين باستقلالها وأخذت تسير فى قافلة الأمم العصرية الديمقراطية الناهضة

٦ — أثر الغرب الحديث فى البلدان العربية

ظلت البلدان العربية رازحة تحت الحكم العثمانى أربعة قرون (١٥١٦ — ١٩١٨) كانت بمثابة القرون المظلمة فى تاريخها الطويل . عاش أبناء العربية فى هذه القرون محافظين على القديم مقيدين بالتقاليد لا يشعرون بشئ من التقدم الأوربى ولا يهتمون به . فكان الجمود أهم ميزة لمدنيتهم

وجاءت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٧ بمثابة الهزة الأولى التى أيقظتهم من سباتهم . وكان نابليون قد جاء بمطبعة عربية من رومة فأقامها فى القاهرة وأنشأ معها أكاديمية للآداب والعلوم ومكتبة . فكانت هذه المطبعة أول مطبعة فى وادى النيل . وعقب نابليون فى حكم البلاد محمد على فأرسل البعثات العلمية والحربية إلى البلدان الأوربية ولاسيما فرنسا وإيطاليا، ولم يكتف بذلك بل استدعى من أوربا إلى بلاده ضباطاً وأساتذة وأطباء ومهندسين ، وأسس فى القاهرة مدرسة طبية وأخرى هندسية . وكان يحلم محمد على بتشييد إمبراطورية عربية يكون هو على رأسها

وأثر الغرب الذى بدأ فى مصر ما لبث أن امتد إلى سورية ولبنان وذلك فى عهد إبراهيم باشا ابن محمد على فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر (١٨٣١ — ٤٠) فأخذت الرسالات التبشيرية من كاثوليكية وبروتستانية تشيد المدارس والكنائس . فالامريكيون أسسوا فى بيروت عام ١٨٣٤ المطبعة التى لم تزل تعمل باسمهم . وفى عام ١٨٦٦ بنوا الجامعة الأميركية . وعلى الأثر شيد اليسوعيون الفرنسيون مطبعتهم التى لم تزل فى مقدمة مطابع الشرق وجامعتهم المعروفة فى بيروت . وما لبث أبناء لبنان وسورية أن أقاموا المطابع والمدارس والمكاتب والجمعيات العلمية والأدبية على منوال المنشآت الغربية . وعقب عصر الترجمة من الإنكليزية والفرنسية عصر الإبداع والاستنباط فى الأدب والعلم والفن

وكان من نتائج النهضة الأدبية أن تولد الوعى القومى بين أبناء العربية وذلك بعد أن أدركوا بفضل هذه المدارس شيئاً من ماضيهم المجيد وتاريخهم الملىء بالمفاخر . فاليقظة السياسية عقبت اليقظة الأدبية . وتولدت فى أفكار القوم الروح القومية بما فيها من الرغبة فى التخلص من الحكم التركى وتقرير المصير والاستقلال السياسى

وكان رواد هذه النهضة معظمهم من أبناء لبنان المسيحيين ومن خريجى المدارس الأميركية الذين وجدوا فى مصر مجالا أوسع للعمل

فأساس النهضة العربية الحديثة إذن أدبى علمى . وعلى ذلك الأساس تشيدت دعائم الوطنية والقومية العربية . وكل ذلك بتأثير الموجة الغربية التى نقلت إلى الشرق أفكارا علمانية واقتصادية واجتماعية وسياسية جديدة . وكان من أهم الأفكار السياسية فكرة الديمقراطية وتقرير المصير

ولم تكن الروح القومية العربية فى بادئ أمرها من النوع الإقليمى بل من النوع الشامل . كان أساسها اللغة والثقافة لا الدين ، وكانت ترمى إلى جمع المسلم والمسيحى المصرى والسورى واللبنانى على صعيد واحد هو الصعيد الأدبى

٧ — نشوء القومية والفوز والاستقلال

كانت البلدان العربية الآسيوية حتى الحرب العالمية الأولى وحدة مفردة تخضع للحكم العثمانى . على أن تلك الحرب كان من نتائجها تفكك عرى الإمبراطورية العثمانية وسلخ البلدان العربية وتجزئتها إلى وحدات متعددة مما آل إلى تجزؤ القومية العربية البدائية

فمصر بعد أن احتلها الإنكليز عام ١٨٨٢ صار همها الأول التخلص من ذلك الاحتلال . فأصبح لها مشكل خاص بها . وبفضل ذلك أخذت القومية فيها تصطبغ بصبغة محلية موضعية وانفصلت عن القومية العربية الشاملة . يومئذ اكتشف المصرى أنه مصرى واتخذ شعاره « مصر للمصريين » . وفى عام ١٩٣١ نالت مصر استقلالها بعد أن أمضت مع إنكلترا معاهدة لعشرين سنة تخول الإنكليز حق استخدام المرافئ وطرق المواصلات المصرية فى أيام الحرب وإبقاء حامية بريطانية على ترعة السويس

كذلك سورية ولبنان بفضل مقاومتهما للانتداب الفرنسى الذى أصبح مشكلهما الخاص بهما افترقتا عن بقية البلدان

العربية وتولدت فيهما روح إقليمية خاصة . وكان أبناء سورية ولبنان يشكون من عدم اعتبار فرنسا لقوميتهم ومن فرض اللغة الفرنسية عليهم ومن تقسيم البلاد السورية إلى ولايات والسماح لتركيا باحتلال سنجق هاتاي . فقاومة الانتداب جاءت بمثابة مسن يشحذ عليه القوميون سيوف وطنيتهم إلى أن أعلن لبنان جمهورية مستقلة وكذلك سورية وذلك عام ١٩٤٥ . وكان لبنان في الكثير من أحقابه ولا سيما في العهد العثماني يتمتع بمقدار مختلف من الحكم الذاتي

أما مشكلة فلسطين التي وقعت تحت الانتداب الإنكليزي فما زاد عرقلته حشر الصهيونية فيه . وهي الحركة الأجنبية التي اعتبرها العرب بكليتهم حركة اعتداء وظلم . فالجهاد ضد بريطانيا والصهيونية نتج عنه روح فلسطينية محلية . وبعد أن ظهرت إسرائيل (١٩٤٨) ضم الملك عبد الله ما تبقى من فلسطين إلى مملكته وبذلك زالت فلسطين من الوجود

وكان الملك عبد الله قد بدأ حياته السياسية العامة أميراً على ما وراء الأردن وذلك عام ١٩٢٢ بعد أن طرد الفرنسيون أخاه فيصل من عرش سورية المحدث

بيد أن سياسة الانتداب الإنكليزي في العراق جاءت من الطراز المستنير المتساهل ، ففي عام ١٩٢١ بعد أن فشل الأمير فيصل في محاولته الملكية في دمشق نصبه الانكليز ملكا على العراق . وفي عام ١٩٣٠ تخلى الانتداب البريطاني عن كل حقوقه في هذه البلاد واعترف بالعراق بلاداً مستقلة . فالعراق سبقت شقيقتها سورية في ميدان التطور السياسي مع أن سورية كانت تسبقها في التقدم العمراني والثقافي

والمملكة العربية السعودية هي من صنع ملكها الحالي عبد العزيز بن سعود الذي شيد لنفسه مملكة جديدة منتشرة من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر ومنطوية على معظم الجزيرة العربية الشمالية والمتوسطة . وهو الذي طرد الملك حسين والد عبد الله وفيصل من الحجاز . وجاء اكتشاف الزيت بغزارة فائقة في صحارى هذه البلاد حادثاً تاريخياً هاماً إذ بواسطته فتحت بعض أطراف البلاد أبوابها لقبول العوامل العمرانية الغربية الحديثة . ولشركة الزيت الأميركية التي نالت امتياز الاستثمار عام ١٩٣٣ الفضل في جعل دخل المملكة العربية السعودية أعظم دخل لبلاد عربية في العالم

وفيما سوى هذه المملكة فهنالك مملكة اليمن في الجنوب التي لا تزال حكومتها تيوقراطية وأبناؤها بعيدون عن المؤثرات الخارجية العصرية من علمية وفنية وعلمانية . فاليمن لا تزال محافظة على القديم بعيدة عن مجارى العمران التقدمي الحديث

إن كانت الحرب العالمية الأولى نتج عنها تقسيم البلدان العربية وتجزئتها وتوليد قوميات وطنية فيها فالحرب الثانية جاءت نتائجها عكس ذلك . شعر أبناء العربية أن مصالحهم الاقتصادية والسياسية تقضي بجمع كلمتهم وتوحيد أهدافهم فمالوا إلى التعاضد والتعاون والوقوف المتحد في وجه العدو الخارجي . وكان من نتيجة ذلك تأليف جامعة الدول العربية وقوامها مصر وسورية ولبنان والأردن والعراق والبلاد العربية السعودية واليمن . وللجامعة دستور يكفل لكل دولة فيها الاستقلال التام ويقضي بحل المشاكل بين الأعضاء إذا كان ثمة مشاكل بطرق سلمية ويفرض التضامن على دفع الاعتداء من الخارج . وللجامعة لجنة سياسية وثانية اقتصادية وثالثة ثقافية . ومع رغبة الجزائر ومراكش وتونس في الانضمام إلى عضويتها فالدستور لا يجيز ذلك إلى أن تحقق كل واحدة من هذه البلدان استقلالها الداخلي التام

ومع أن الجامعة نالها شيء من الكسوف بداعي المعضلة الصهيونية التي تولدت منها إسرائيل فهي الآن تجدد حياتها وتسعى للعمل الصالح الشامل . وعلى نسبة ازدياد شأن هذه المنظمة في الشؤون الدولية تزداد قيمة الأعضاء فيها

فيليب حتي

الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفني داود

الأدب العربي بمعناه الخاص ينقسم إلى قسمين: شعر ونثر. النثر العربي صور شتى أهمها: الرسائل الأدبية بأنواعها الثلاثة: الديوانية والعامة والخاصة — ثم التأريخ الفني والقصص — ثم الحوار والمناظرات — ثم المقتضبات والتوقيعات — ثم الحكم والأمثال — ثم الملح والفكاهة

وقد آثرت في هذا المقال أن أتحدث عن «الحكم والأمثال» لما لاحظته فيها من تطور عجيب تخالف فيه فنون النثر العربي سواء في نشأتها وتأريخها

والحكمة في اللغة: القول الجليل ذو المعنى الشريف، والمثل: القول البليغ المقتضب يضرب لشرح أمر أو تفسير ظاهرة أو تأكيد معنى من المعاني. ولا تختلف الحكمة عن المثل كثيراً، وربما كان أخص ما تمتاز به أنها أقدم منه استعمالا وأشرف معنى وأعمق فكراً وأدل على المقصود وأبقى مع الزمن

* * *

أما نشأتهما فترجع إلى أحداث قديمة تتعلق بواضعي اللغة أو المتكلمين بها في أقدم عهودها؛ فأكثر الأمثال يعود بنا في نشأته وظهوره إلى العصر الجاهلي، يوم كانت اللغة في عنفوان شبابها، وكادت تنحصر في الجزيرة العربية، والعرب بعيدون عن الأعاجم تقريبا، وقبل أن يختلطوا بهم ويتفشى اللحن فيهم

ولكن من هؤلاء الذين أرسلوا هذه الأمثال؟ لا شك أن هذه الأمثال لم تنزل من السماء أو ينزل بها الوحي. ولو أننا استطعنا أن نصدق أن مفردات اللغة كانت «تلقينيه توقيفية» كما يزعم الفقهاء استدلالا بقوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها»(١) فإننا نجزم أن أكثر الأمثال — إن لم يكن جميعها — «اصطلاحي»؛ لأنها — كما سنحقق — من صنيع العربي الصراح ووليدة تفاعله المستمر مع بيئته

وربما كان شعراء الجاهلية أسبق من خطبائها إلى هذا اللون من الفن النثري. وقد تعجب لذلك لأن أكثر الأمثال لون من ألوان النثر وليست من باب الشعر. ولكنك لا تلبث أن تقتنع إذا علمت أن العناصر الأدبية وهي: الفكرة والخيال والعاطفة والأسلوب. تتحقق في نفسية الشاعر قبل الناثر. ومن هنا كانت الأمثال أشبه بالشعر المنثور يرسله الشاعر قبل الناثر

ولعلك تؤيد هذا الزعم الذي ذهبت إليه إذا علمت أن أكثر الأمثال العربية التي دونها لنا القدماء من مؤرخي الأدب العربي ترجع في وضعها إلى هؤلاء الشعراء الجاهليين

وقد كان شعراء الصعاليك — وهم الرعيل الأول من شعراء العصر الجاهلي — أعظم حظا وأوفر نصيبا من إخوانهم في هذا الباب. ولعل ذلك يرجع إلى استعدادهم الفطري البالغ وتفاعلهم الصريح بالبيئة العربية الصارخة التي أبدعت هذا اللون من الأدب النثري. واشتهر من بين هؤلاء جماعة كثيرون عرفوا بضربهم في فيافي الجزيرة وتصرفهم في مجاهلها. نذكر منهم على سبيل المثال: «تأبط شرا» و«أبا الطمحان القيني» و«السليك بن السلكة» و«والشنفرى»

وقد كانت هذه الأمثال وليدة أحداث ووقائع اعترضت هؤلاء الشعراء في حياتهم. قيل: لما أسر أسيد بن جابر «الشنفرى»، قال إخوان أسيد للشنفرى: أنشدنا. فقال: (إنما النشيد على المسرة) فأرسلها مثلا. وحكوا أن «السليك» سار ليلة على رجليه رجاء أن يصيب شيئا ثم نام، وبينما هو نائم جثم عليه رجل وقال له: استأثر، فرفع السليك رأسه قائلا (الليل طويل وأنت مقمر) فذهبت مثلا(٢) حدث كل ذلك والعرب في بيئتهم، ونطقوا به منجما وفق أحداث الحياة ووقائعها، ولم يرثوه عن أجدادهم تلقينا وتوقيفا كما ورثوا مفردات اللغة(٣) وإنما تحكمت البيئة في الاصطلاح

(١) المزهر لمجدد القرن العاشر جلال الدين السيوطي ص ١١، ١٢

(٢) شعراء الصعاليك من الغرب «لصاحب هذا المقال»

(٣) على رأى القائلين بالتوقيف

والتواضع عليه

* * *

ولم يكد يظاهر الإسلام وينتشر فى بقاع الأرض شرقا وغربا حتى عت هذه الأمثال — كما عمت غيرها من آداب اللغة — إلى ألسنة المتأدبين والناطقين بالعربية من عرب وأعاجم . ولكن قافلة الأمثال لم تسلك الطريق الذى سلكته قافلة الرسائل وغيرها من صور النثر . أريد أن أقول : إن تاريخ الأمثال العربية يغاير فى نشأته وتطوره تاريخ الكتابة والرسائل مغايرة تامة . ذلك لأن الأمة العربية لم تنشأ حاجتها إلى الكتابة المنظمة والرسائل المدونة التى نقرأها فى كتب الأدب إلى حين تعقدت الحياة واتسعت رقعة الدولة واحتيج إلى العمال فى الأقاليم لإحصاء أمور الإمبراطورية الإسلامية وتنظيم سياستها الداخلية والخارجية . أما الأمثال فإنها لم تتحدد بهذا الزمن أو تختنق فى هذه الدائرة الضيقة أو تتوقف على هذه الأسباب لأنها من الحياة اليومية فى الأسرة والمجتمع . وقد كانت ولا تزال فى كل زمان ومكان من الرجل الساذج والعامى والجاهل ومحدود الثقافة فى الوقت الذى كانت فيه ولا تزال من الكاتب الكبير والأديب المبتكر . بل ربما كانت عند الساذج والجاهل أوفر استعمالا من غيره

ومن هنا نستطيع أن نعلل كيف كانت الأمثال أسرع فنون النثر تطوراً ، وكيف سلكت طريقها فى الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموى وهى تنمو نمواً مطرداً . إنها لم تتأخر إلى هذا الحين الذى نشأت فيه الكتابة الديوانية ؛ التى جودها عبد الحميد الكاتب وأستاذه سالم . بل سلكت طريقها صعداً إلى الأمام منذ مولدها على لسان العربى فى بيئته الجاهلية ، وتلونت بالحياة الاجتماعية فى شتى أحوالها وأطوارها وصورها المختلفة فى التاريخ ؛ ذلك لأنها — كما قدمت — كانت جزءا من لغة الحياة وزخرف القول الذى لا بد للناس منه فى كل يوم

وهنا لا نعجب إذا رأينا أن تطور الأمثال لم يقف أو يجمد فى اليوم الذى وقفت فيه وجمدت حياة الكتابة الديوانية أواخر القرن السابع الهجرى(٤) ولا شك أنك ترى معى أن هذا راجع إلى السبب الأول نفسه — وهو أن الأمثال من الأدب اليومى عند العامى والبليغ على السواء . فظاهرة الاستعمال والتفاعل مع الحياة اليومية هى التى حفظت للأمثال رونقها وأبقت عليها حياتها

* * *

وثمة فارق آخر تتميز به الأمثال عن غيرها من فنون النثر ، ذلك أن هذه الفنون الأخرى حين جمدت فى أواخر القرن السابع صارت صوراً أدبية قديمة كلاسيكية لا وجود لها فى واقع حياتنا اليومية ، فلم يستطع أحد من الأدباء المتأخرين أن ينقلها إلى واقع الحياة ، كما لم يستطع العامة أن ينقلوها إلى لغتهم الدارجة أو تأخذ مكانها من نفوسهم وحياتهم التى تتطور يوما بعد يوم . لقد عجزت هذه الفنون عن مواصلة حياتها لأنها جفت قبل أن تصل إلى أيدى العامة واستعمال سواد الناس لها ، على حين تلونت الأمثال تلوناً سريعا بعاميتنا العربية وخاصة فى العصرين : المملوكى والتركى . واستطاعت خلال هذه الحقبة الطويلة أن تخوض معركة العامية وأن تحرز النصر وأن تكسب جائزتى « التحرر » و « الخلود » معاً — دون أخواتها من فنون النثر . ومن ثم فرضت نفسها على الحياة كما فرضت العامية نفسها

ولعلك تعجب كثيرا حين ترى سبعة أعشار لغتنا العامية — اليوم — من هذه الأمثال . فلا تكاد تسمع أحداً ممن يتكلمون بالعامية الصرفة أو العامية المهذبة لا يستعمل هذه الأمثال بين الفينة والفينة . وهناك كثيرون من مفطورى العامة من يستطيعون أن يجعلوا حديثهم كله سلسلة عجيبة متتالية من الأمثال . ولم العجب وقد ولدت وتحورت فى بيئتهم التى يعيشون فيها وورثوها عن آبائهم . فهى صنيعة وراثتهم وبيئتهم وعقليتهم وطوع ألسنتهم

وهل منا من ينكر ذلك ونحن نتحدث عن ظاهرة طبيعية واجتماعية . لغوية من مظاهر الطبع والسليقة . وإذا كنا نصدق أن من الصوفية من تحرز فى كلامه المباح من أن ينطق بغير الآيات القرآنية فى كل ما يسأل فيه أو يجيب عنه ، وأن من الشعراء من حاول أن يجعل جميع كلامه من الشعر لا فرق عنده بين أحاديث الأدب والأحاديث المباحة . وأن الكسائى قال : لو شئت أن أجعل جميع كلامى مما يقوله النحاة فى اصطلاحاتهم

(٤) المنهج العلمى الحديث فى تاريخ العلوم العربية (لصاحب هذا المقال)

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

علاقته بالبرامكة:

ذكرنا فيما سبق أن أبا العتاهية كان يلتزم جانب الفضل ابن الربيع فى النزاع الذى نشب بينه وبين البرامكة ، وقد أقمنا الدليل على ذلك بما كان بين الشاعر والفضل من تواد وتعاطف . وسنحاول اليوم أن ننظر إلى المسألة من جانبها الآخر ، فنرى مدى ما كان بين الشاعر والبرامكة من عداوة أو صداقة ، فإن كانت الأولى فقد استقام لنا ما ذكرناه آنفا من أن التعاون بين الشاعر والفضل كان تعاونا سياسيا يهدف إلى مضادة البرامكة ، وإن كانت الأخرى فقد التوى الحديث واضطرب

ومن حسن الحظ أن نرى الأدلة على ما كان بين البرامكة وأبى العتاهية من خلافات متعددة ، بقدر ما كانت شواهد انسجامه مع الفضل متنوعة ، ومن ذلك ما حدثنا به أبو الفرج من أن متحدثا ذكر فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى يوما أن أبا العتاهية قد نسك وجلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك ؛ فقال يحيى : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقيل له نعم ، فقال أما فى بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة ؟ فإذا عرفنا أن يحيى بن خالد كان على جانب عظيم من الحصافة والرزانة؛ أيقنا أنه ما كان ليفوه بتلك العبارة المنكرة لو لم يضمر للشاعر حقدا شديدا أنساه حلمه ووقاره . ومن ذلك ماروى أيضا من أن الرشيد قال يوما للشاعر ، وقد أعجبه ما رأى حوله من مظاهر ملكه : صف لنا ما تراه فى مجلسنا من مباهج الحياة . فأنشد :

عش ما بدا لك آمنا ... فى ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح أو البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... فى ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا فى غرور

وما كاد الرشيد يسمع الأبيات حتى بكى بكاء مرا ، فقال الفضل بن يحيى وكان بالمجلس : استدعاك أمير المؤمنين لتسره فسئته ! فقال الرشيد : دعه وما يريد ، لقد رآنا فى عمى فأحب ألا يزيدنا منه . أرأيت كيف كان الفضل بن يحيى يضيق ذرعا بأبى العتاهية وبالطريقة التى كان يتبعها فى بلبلة بال الرشيد وتنفيره من الحياة وزينتها ، على حين كان الفضل بن الربيع يقربه بذلك ويبقيه عليه

وشىء آخر يزيدنا إيمانا بما ذهبنا إليه من انقطاع صلات المودة بين أبى العتاهية والبرامكة ، وذلك هو أننا لا نجد له بيتا واحداً من الشعر فى مدحهم . أليس ذلك عجيبا حقا فى ضوء ما نعلمه من حرص أبى العتاهية الشديد على جمع المال ، وما نعلمه إلى جانب ذلك من كرم البرامكة الذى كان مضرب الأمثال ؟ فهل كان أبو العتاهية جاهلا بأنباء ذلك الكرم والبرامكة منه قاب قوسين أو أدنى يغادونه ويراوحونه فى بغداد ؟ كلا لم يكن شاعرنا جاهلا بشىء من ذلك ، ولكن صلته بالفضل بن الربيع

لفعلت ، وأن إنساناً سأله : ما حكم رجل سها فى سجود السهو فأجابه باصطلاحات النحاة : « المصغر لا يصغر »

أفبعد ذلك كله نعجب — ونحن فى معرض الطبع — من أن تمثل الأمثال السواد الأعظم من لغتنا العامية أو تصبح سبعة أعشار ما ينطق به العامة فى الشارع والمنزل ومكان العمل. إنها ليست سوى ظاهرة طبيعية لا عجب فيها

وإنما العجب الأكبر إن كان لا بد من العجب أن تنطلق « الأمثال » وهى صورة من صور النثر الفنى فى هذا النماء السريع العجيب المطرد ، وأن تتطور مع الحياة ويكتب لها الخلود فى كل عصر كما تطورت « لغة الحديث » وكتب لها الخلود عاما . فتراهما تظهران فى ثوبين من العامية الإقليمية فى مصر أو غيرها من الأقطار العربية

ولعل ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على ما بين « التراكيب المثلية » — إن صحت هذه النسبة — وبين لغة الحديث اليومية من قرابة جوهرية واضحة أصيلة لا نستطيع دفعها أو إنكارها

للكلام صلة

حامد حفنى داود

ومناصرته له عليهم حرمته عطفهم ، وباعدت ما بينه وبينهم .

وإذا أعوزك الدليل على ذلك ، فاستمع إلى أبي الفرج إذ يقول : سأل أبو العتاهية صالحا الشهرزورى — وكان صديقا له — أن يكلم الفضل بن يحيى فى حاجة له ، فتردد صالح فى ذلك وأبدى استعداده لأن يمنح الشاعر ما يشاء من ماله الخاص ، ولكن الشاعر أبى إلا ما يريد ، وأنب صالحا وقرعه فى عدة مقطوعات شعرية ، ولما وصل صالحا الأبيات التالية :

أهل التخلق لو يدوم تخلق　　لسكنت ظل جناح من يتخلق

ماالناس فى الإمساك إلا واحد　　فبأيهم إن حصلوا أتملق

هـذا زمان قـد تعود أهـله　　تيه الملوك وفعل من يتصدق

لم يجد بدا من الذهاب كارها إلى الفضل ومعه الأبيات السالفة ، وكلمه فى شأن أبى العتاهية ، فقال الفضل : لا والله ماشئ على الأرض أبغض إلى من إسداء عارفة إلى أبى العتاهية ، وقد قضيت حاجته لك

أرأيت كيف كان الفرق واضحا بين معاملة الفضل بن الربيع للشاعر ، ومعاملة الفضل بن يحيى له ؟ فبينما نرى الأول لا يكتفى بما يسبغه على الشاعر من ماله الخاص ، بل ينتزع له الأموال من الخلفاء ، ويروج لأشعاره عندهم ، إذ بنا نرى الشاعر لا يكاد يجرؤ على القرب من الفضل بن يحيى حينما تعرض له حاجة عنده ، بل يطلب له الشفعاء والوسطاء

وإننا لنعتقد أن فهم ما كان بين الشاعر والبرامكة ، وما كان بينهم وبين الفضل بن الربيع من خلاف على النحو الذى ذكرناه ؛ هو الطريق السليم إلى تفسير حدث غامض فى الأدب العربي ، لا يكاد المرء يتدبره حتى يحس أن هناك فراغا فى نفسه أو فى القصة يحتاج إلى ملء . فقد روى الصولى فى أوراقه أن يحيى بن خالد البرمكى شعر بحاجة إلى حفظ كتاب كليلة ودمنة ، ولكى يسهل ذلك الأمر على نفسه طلب إلى صنيعته أبان اللاحق أن ينظمه له . ويشتد حرص يحيى على إنجاز نظم الكتاب فى أقصر وقت ، فيحبس أبانا فى منزله إلى أن يفرغ منه ، ثم يعطيه جائزة سنية عند انتهائه من الكتاب . ويذكر الصولى أن جعفرا البرمكى كان يحفظ الكتاب أيضا . ثم يذكر فى مكان آخر أن يحيى قال لأبان : هـلا قلت شيئا فى الزهـد ، وأن أبانا نظم أشعارا كثيرة فى الزكاة وغيرها من العبادات .

ويروى أبو الفرج أنه نظم قصيدة سماها ذات الحلل ، ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق ، وينسبها بعض الناس إلى أبى العتاهية . والآن فلنناقش هذه الأخبار واحدا فواحدا .

أما ما كان من رغبة يحيى وجعفرا فى حفظ كليلة ودمنة فأمر يستوجب التساؤل : لم عنى البرامكة بهذا الكتاب تلك العناية الشديدة ، ولم حرصوا على حفظه أو حفظ شئ منه ، ولم كانت العجلة فى نظمه عجلة أدت إلى حبس ناظمه ؟

والإجابة عن تلك الأسئلة تسهل علينا إذا نظرنا إلى موضوع الكتاب ، فما هو إلا محاورات وضعت على ألسنة الحيوانات ، وتدور حول ما يدبره بعض الناس للبعض الآخر من مكائد ، وما يبيتون لهم من شرور ، وآية ذلك أن أولى قصصه وأهمها تصف حال شخصين متحابين متوادين دخل بينهما ثالث ، وما زال يسعى بينهما بالسوء حتى أفسد ما كانا عليه من مودة ثم أهلكهما جميعا . ولعل القارئ الكريم قد رأى معى تمام الشبه بين موضوع الكتاب وما كان يمثل إذذاك على مسرح بغداد من روايات ؛ أليس هذان المتحابان هما البرامكة أو قل جعفر البرمكى بالذات من جهة ، وهارون الرشيد من جهة أخرى ، كما أن الداخل الثالث بينهما هو الفضل بن الربيع . الا يمكن أن يكون يحيى وابنه جعفر ، إنما أرادا بحفظ ذلك الكتاب أن يجدا المادة حاضرة كلما عنت مناسبة لتبصرة الرشيد بما كان يدبره له ولهم الفضل بن الربيع من مكائد توشك أن تذهب بأكفأ وزرائه وأوفى أصدقائه ، وكفى بذلك وبالا على الطرفين ؛ نعم ، قد يكون ذلك بعض ما قصدوا إليه من حفظ الكتاب . وليس ببعيد أن يكون البرامكة — وقد حاروا فى أمرهم لكثرة ما يرميهم به الفضل من مكائد — قد عمدوا إلى حفظ ذلك الكتاب حتى يجدوا فيه جوابا شافيا لكل ما يعرض لهم من أسئلة ، ومخرجا مما يقعون فيه من مآزق ، وإرشادا لما يمكن أن يلتزموه من أساليب الحيطة والحذر . والحكمة حينئذ فى وضع الكتاب فى قالب شعرى واضحة ، فإن الشعر أيسر فى الحفظ وأخف على اللسان ؛ ولذلك كان مستودع المثل السائر والحكمة البالغة منذ القدم ، ولاشك أن فنا كهذا

شأنه أكثر ملازمة لمجلس الخليفة من النثر

وأما ما كان من إيحاء يحيى بن خالد إلى أبان بأن يقول شيئا فى الزهد ، مع ما يعلمه من أن الزهد ينبعث من النفس ولا يفرض عليها ؛ وما يعلمه أيضا من أن أبانا كان رأسا من رؤوس الزنادقة فى عصره ، فأمر أريد به النيل من أبى العتاهية الذى كان يحتكر (١) ذلك الفن الأدبى ، ويبنى عليه صرح عظمته الشعرية ، ولا أدل على غيرته على ذلك الفن وحرصه على ألا يشاركه فيه أحد ، من انزعاجه حين علم يوما أن أبا نواس قد بدأ يقول الشعر فى الزهد ، ثم ما كان من إرساله رسولا إلى أبى نواس يحذره أن يقول شيئا فى الزهد ؛ ويخبره أن ذلك فن اخترعه هو وسيحميه من كل مغير عليه أو مشارك فيه ، ويظهر أن أبانا لم يستطع إقحام نفسه فى عالم الزهاد ، لما عرف عنه جيدا من انتمائه إلى دنيا الزنادقة ، ولما كان لابد له من من الاستجابة لمولاه فى صورة من الصور ، فقد أخذ ينظم الأشعار فى العبادات من زكاة وصلاة ونحوها ، وكأن أبانا قد أراد أن يذكر أبا العتاهية بالأثر المشهور (ما تقرب عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه » ، وأن يخبره بأنه يجب على المرء أن يشغل نفسه بالعبادات ، لا أن يطيل الحديث عن الموت والقبور وما تؤدى إليه من خراب العالم ودماره ، مسميا ذلك زهدا وورعا

وأما ما أورده الصولى من أن أبانا قد أنشأ قصيدة سماها ذات الحلل ، وقد أودعها شيئا من المنطق ، وأن بعض الناس كان ينسبها إلى أبى العتاهية ، فدليل جديد على أن أبانا كان يعارض أبا العتاهية فى شعره ، ويحاكيه محاكاة شديدة ، حتى اختلط أمرها على الناس ، وصاروا ينسبون ما لأحدهما للآخر

والآن وقد عرفت رأينا فى الدوافع المختلفة التى أفضت إلى ما حدث من تحول فى حياة شاعرنا من مرح إلى كآبة ، ومن تفاؤل إلى تشاؤم ، لعلك متطلع إلى معرفة آراء السابقين فى ذلك . ونحن حين نحاول الإشارة باختصار إلى تلك الآراء ، نرجو من القارئ أن يتذكر ما قدمناه فى صدر بحثنا من أن الشاعر كان ملتويا فى التعبير عن آرائه ، لما كانت تتضمنه أحيانا من مهاجمة الخلفاء والوزراء ، ولذلك كان من الصعب أن يصل مؤرخو الأدب إلى أغراض الشاعر الحقيقية ، إلا إذا توفروا على دراسته دراسة تحليلية، وأوتوا الزمن الكافى لمثل تلك الدراسة ، وذلك مالم يحظ به الشاعر من قبل ، وهكذا عاش شاعرنا مجهولا حتى أمس القريب ، لا يعرف عنه الناس إلا أنه كان زاهدا ، وذلك ما نرجو أن ينتهى هذا البحث إلى نفيه عن الشاعر نفيا تاما

ومع أننا قد اعتمدنا فى تكوين رأينا عن الشاعر على دراسة بيئته وطفولته ثم أشعاره دراسة هادئة مطمئنة ، فإننا نظلم القدماء إذا لم نذكر أنهم أيضا قد أوردوا بعض لمحات يمكن أن يهتدى بها السارى فى دياجى تلك الحياة المعقدة الغامضة ، ونعنى حياة شاعرنا . من ذلك ما أورده الأغانى من محاورات دارت مع الشاعر أو دارت حوله ، أو أبيات شعرية قيلت فيه من أعدائه ومنافسيه ، وكل ما يقال عن تلك الأخبار أنها كانت سلبية ، ونعنى بذلك أنها عما أكدته من بخل الشاعر الشديد وحرصه العظيم على جمع المال ، قد نفت أن يكون الشاعر قد نهج نهجه الجديد فى الحياة ، الذى يبدأ عام ١٨٠ هجرية تحت تأثير ميل حقيقى إلى الزهد كما نعرفه نحن ، ولكنها تقف مكتوفة اليدين عند ذلك الحد ، فلا تذكر لماذا إذن لبس ملابس الزهاد وأكثر القول فى الزهد

من ذلك تلك المحاورة التى دارت بينه وبين ثمامة بن أشرس حينما قال الشاعر :

ألا إنما مالى الذى أنا منفق ... وليس لى المال الذى أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذى ... يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقال له ثمامة : إن كنت تؤمن بما تقول ، فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك ؟ فقال يا أبا معن والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة . ومن ذلك أيضا ما رواه صاحب الأغانى عن العباس بن عبيد الله قال : كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد فى

(١) لنا عودة إن شاء الله تعالى الى هذه النظرية

الزهد فقال قثم : ياعباس اطاب الساعة الجماز(١) حيث كان ولك عندى سبق فطلبته، وحين حضر مجلس قثم وجد أبا العتاهية مازال ينشده فى الزهد ، فأنشأ الجماز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد

فلو علم قثم أن أبا العتاهية صادقا فى التعبير عن شعوره حينما يقول فى الزهد لما عبث به كل ذلك العبث ؛ ولما أغرى الجماز به

ولكن إبراهيم بن المهدى يخطو خطوة إلى الأمام ، فيذكر بعض ما كان يدفع الشاعر إلى القول فى الزهد :

لا يعجبنك أن يقال مفوه حسن البلاغة أو عريض الجاه
إنى رأيتك مظهرا لزهادة تحتاج منك لها إلى أشياء

فهو يبدى شكه الشديد فى صدق الشاعر فيما يدعيه من زهد، ويعتقد أنه إنما يقول ما يقول كى يبنى له جاها بين العامة الذين يستهويهم كل ما يدور حول الدين من أحاديث . أو لعله يشير إلى ما كان للشاعر من نفوذ وصولة نتيجة لاتصاله بالفضل بن الربيع وزبيدة

ولعل أكثر الناس معرفة بأسلوب أبى العتاهية فى الحياة هو أبو العلاء المعرى ، وقد دون رأيه فيه فى مقطوعتين من الشعر يقول فى إحداهما :

الله يرفع من يشا ء رتبة من بعد رتبه
أظهر المتاهى نسكا وتاب عن حب عتبه
والخوف ألزم سفيا ن أن يحرق كتبه

فأنت ترى شك أبى العلاء فى نسك أبى العتاهية وسخريته منه واضحة فى البيتين الأولين ، ويزيد البيت الثالث ذلك الشك تأكيدا بما يعتقده من مقارنة بين حال شاعرنا وحال سفيان الثورى الذى دفعه خوفه من الخليفة إلى تحريق (٢) كتبه . وكأن أبا العلاء يريد أن يشير إشارة لطيفة إلى أن أبا العتاهية إنما تظاهر بالزهد ، وأكثر من القول فيه ليستر ما كان يضمره للخليفة من بغض ، وأنه كان يمنى الخليفة نفسه بكثير مما كان يقوله فى ذلك الباب على نحو ما سنشرحه بعد

وفى المقطوعة الأخرى يقول أبو العلاء :

أرى ابن أبى إسحق (٣) أسحقه الردى
وأدرك عمر الدهر نفس أبى عمرو
تباهوا بأمر صيروه مكاسبا
فعاد عليهم بالخسيس من الأمر
بكسوة برد أو بإعطاء بلغة
من العيش لا جم العطاء ولا غمر
فلا يضع الله المساعى فى التقى
فمن يسع فيها لا يخف غبن الدهر

أما ما قاله الكوفى (٤) فى الزهد مثل ما
تفنى به البصرى فى صفة الخمر

فأبو العلاء يدعو أهل العلم والأدب هنا أن يسموا بأدبهم فوق حاجات بطونهم وأجسادهم ، وأن يهدفوا فيما يقولون إلى أغراض أسمى وأنبل من أغراض هذه الحياة الفانية . وبيته الأخير ظاهر فى تأييد ما ندعو إليه خاصا بزهد أبى العتاهية ، إذ لا يرى فرقا كبيرا بين زهديات أبى العتاهية ، وخمريات أبى نواس ، حيث أن كلا منهما كان يجرى بشعره وراء غرض مادى ، وإن اختلفا فى الطريقة والمذهب

أما المستشرقون فهم فى نفس الحيرة والاضطراب التى كان فيها الأوائل حول مقاصد الشاعر ، ويقترب نيكلسون منا اقترابا شديدا ، حين يشير إشارة خفيفة فى هامش كتابه L.h.A ، إلا أن أبا العتاهية ربما كان قد ترك مجلس الخليفة ومال إلى الزهد لكراهيته للحياة التى كان يحياها شعراء البلاط فى ذلك الوقت

محمد عبد العزيز الكفراوى

(١) الجماز بن أخت سلم الخاسر ، وقال هذه الأبيات انتقاما لخاله الذى قال فيه أبو العتاهية

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) ذكر صاحب تاريخ بغداد أن سفيان أخفى كتبه حين تخوف الخليفة

(٣) أبو إسحق وأبو عمرو كانا عالمين بالعربية طال بينهما اللجاج والخصومة الأدبية

(٤) الكوفى أبو العتاهية والبصرى أبو نواس

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية لتعظيم الذى يوشك أن يضل . : والحيوية لشعب الذى يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ١ —

يقال إن التاريخ يخلق العظماء ... إذ يتيح لهم فرص الزعامة ... ويمهد لهم سبل العظمة ... كما يقال إن الزعماء يخلقون التاريخ ... لأنهم يغيرون اتجاهاته ، ويؤثرون فى أحداثه ... ويعملون على تكوينه وخلقه بصورة جديدة ...

والواقع أن للزعامة أسباباً عامة ... متصلة بتاريخ الأمة ... وأسباباً خاصة متصلة بحياة الزعيم ، بحيث لا نستطيع أن نرجعها إلى تاريخ الأمة وحده ، أو لظروف داخلية معينة ... كما أن تاريخ الدول — قديمها وحديثها — متأثر بسياستها الداخلية ... وظروفها الدولية ... لهذا يتأثر التاريخ بحياة العظماء ... ولكن العظماء ليسوا كل شئ فى تاريخ الدول ...

* * *

وزعماء التاريخ يظهرون فى غالب الأحيان ... حينما تشتد ببلادهم الأزمات ... ويتعقد الموقف السياسى ، ويختل الميزان الاجتماعى والاقتصادى ... وتنحرف الأمور عن سيرها المستقيم ... حينئذ يشعر الزعماء بآلام شعوبهم أكثر مما تشعر ... ويدركون الأخطار المحيطة بها أكثر مما تدرك ... ويفكرون التفكير العميق فى معرفة أسباب الداء ... ووصف الدواء ... ثم يأخذون بيد بلادهم ... وينيرون أمامها السبيل ... ويهدونها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ...

وتاريخ الشعوب فى مختلف العصور والأزمان . . . حافل بكثير من الزعماء والقادة . . . سواء كانوا زعماء سياسة ، أو قادة فكر ، أو أبطال حرب .. وهؤلاء جميعاً ساهموا بنصيب كبير ، وقسط وافر فى نهضة بلادهم ...

ولقد ظهر فى العصر الحديث — فى الشرق والغرب على السواء — زعماء كثيرون . . اتصف معظمهم بالجرأة والحزم .. وسرعة البت فى الأمور . . وكان لكل منهم أثره فى تكوين الأمور .. وتشكيل الحوادث .. وتوجيه الأمم .. من بين هؤلاء مصطفى كمال فى تركيا .. وهتلر فى ألمانيا .. وموسولينى فى إيطاليا ..

* * *

ظهر مصطفى كمال فى تركيا بعد الحرب الأولى .. وقد خرجت منها مهزومة ذليلة .. ولم تكن الهزيمة فى تلك الحرب أول الكوارث التى لحقت بتركيا .. فقد انتزعت القوات البريطانية من الأتراك سوريا وفلسطين والعراق خلال الحرب .. كما سبقتها هزائم الحروب مع إيطاليا ودول البلقان .. كما سبقتها أزمات إنشاء الحكومة النيابية .. وقد زاد فى حرج الحالة بعد انتهاء الحرب .. احتلال اليونانيين لكثير من الولايات التى كانت تابعة لتركيا ، ونزولهم فى أزمير ...

كان العالم كله يتوقع أن الأتراك وهم على هذا الحال من الضعف .. لن تقوم لهم قائمة قبل عشرات السنين . وإذا بهم يخيبون ظن الدول .. ويعملون على إحياء تركيا وبعثها من جديد ... وكان ذلك بفضل زعيمها العبقرى « مصطفى كمال ... »

رأى مصطفى كمال ... أن من الواجب العمل على قيام حركة قومية نضالية ... تهدف إلى الاستقلال والحرية والكرامة .. وتعمل على توحيد قوى الأمة .. ومقاومة كل حركة أجنبية .. لذلك ترك القسطنطينية .. مركز الدولة العثمانية .. ورفع علم القومية العثمانية فى أنقرة .. بعيداً عن مرمى مدافع الحلفاء .. وهاجم جيوش اليونان .. فردهم على أعقابهم خاسرين . .

وكان مصطفى كمال يؤمن كل الإيمان بحيوية الأمة التركية .. واستعدادها للنضال فى سبيل الحرية والكرامة والعزة .. وكان إيمانه بوطنه أكبر مشجع له على العمل .. وخير دافع له

للنهوض ببلاده .. لذلك أثار حربا دامت ثلاث سنوات من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ م .. استطاع بعدها أن يملى شروطه على الدول الأوربية الكبرى .. فمزق معاهدة « سيفر » التى كانت الحكومة الشرعية قد قبلتها .. وأجلى اليونان من الولايات التى كانت قد احتلتها ، وأرغم الدول على التسليم باستقلال الوطن التركى فى معاهدة «لوزان» ، وبذلك كانت تركيا الدولة الوحيدة التى رفضت صلحا يملى عليها إملاء . . أو معاهدة تفرض عليها فرضا .. ولم يكن تخليص الوطن التركى من المستعمرين إلا مقدمة لسلسلة الإصلاحات الجريئة التى قام بها أتاتورك .. والتى أعطت لتركيا مظهر الدولة المتمدينة العصرية

— ٢ —

ولد مصطفى كمال سنة ١٨٨١ م ... فى مدينة سالونيك ... وهى بلدة إغريقية الأصل ، وكان أبوه «على رضا» موظفا صغيراً فى الجمارك .. وأمه « السيدة زبيدة » من أسرة محافظة تتمسك ما استطاعت بالتقاليد الموروثة، لذلك كانت أمنيتها الكبرى .. أن ترى وحيدها مصطفى فى مدرسة دينية إسلامية حتى يصير شيخا من شيوخ الدين ...

أما والده فكان يرغب فى أن يثقف ولده ثقافة غربية .. وكان الفوز لأبيه فى النهاية ، فدخل المدرسة وعمره سبع سنوات وقد غادر أبوه بعد ذلك وظيفته .. استعدادا للحياة الجديدة ، وما تتطلبه من نفقات — فاشتغل تاجر أخشاب ... ولم يلبث إلا قليلا حتى مرض مرضه الأخير ومات قبل أن يرى ولده فى المدرسة العالية ...

* * *

وجدت الأم نفسها وحيدة فى « سالونيك » ولم يكن هناك من يرعى شؤونها ، ويتولى أمورها .. بعد أن فقدت زوجها وعائلها .. وكان معها من هو أحق منها بالعناية والرعاية .. لذلك وجدت نفسها مرغمة — أمام قسوة الحياة — لأن تنتقل مع صغيرها .. إلى منزل أخيها .. وكان مزارعا فى قرية قريبة من المدينة ..

وهناك فى وسط الحقول .. نسى مصطفى المدرسة والعلم وأقبل على حياته الجديدة . وعاش كما يعيش صبيان القرية فى أحضان الطبيعة .. ونعم بحرية لم ينعم بها من قبل فى « سالونيك »

وظل هكذا عامين كاملين حتى بلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، اكتسب فيهما خشونة الفلاحين فى طباعه ، كما اكتسبها فى بنائه الجسمى ، ولم يعد يرضخ لمشيئة أمه كما كان حاله من قبل

وكان مصطفى على الرغم من عناده وصلابته ، شديد الذكاء قوى الملاحظة — وكانت أمه تنظر إلى حياته الجديدة ، فتشعر بالأسف العميق لأنها لم تستطع أن تحقق الأمنية التى أرادها له أبوه ، وهو أن يدخل المدرسة العالية ، كما أنه — فى نظرها — لم يخلق للقرى والحقول ، والسير طول حياته وراء الماشية ، لذلك ظلت تبذل جهودها حتى التحق ولدها بالمدرسة من جديد . .

وجعل مصطفى يتابع عمله فى المدرسة بجد وعناية حتى أكمل تعليمه بها ، فاقترح عمه أن يلحقه بالمدرسة العسكرية فى سالونيك ، وكان مصطفى ميالا بطبيعته لحياة الجندية ، يقول فى مذكراته عن هذه الفترة « كان يسكن فى البيت المجاور لنا — — طالب بالكلية الحربية يدعى « أحمد » ، وكنت أحسده كلما التقيت به ، على هندامه الجميل ، وكذلك كنت كلما التقيت فى الطريق بضابط يسير مرتديا ثيابه الزاهية الخلابة ، أقف مبهوتا ؛ وأنا أتابعه بنظرى ، لذلك ما كدت أنتهى من دراستى الابتدائية حتى صممت على أن أدخل الكلية العسكرية لأصبح ضابطا أزين جسمى بالملابس العسكرية الجميلة .. »

التحق مصطفى بالمدرسة العسكرية ، فأظهر نبوغاً وتفوقاً على أقرانه ، مما جعل أساتذته يوصون بنقله إلى مدرسة حربية أخرى ولما أكمل علومه بالمدرسة الجديدة ، التحق بمدرسة أركان الحرب فى القسطنطينية حيث تخرج فيها برتبة « يوزباشى »

وكان مصطفى خلال هذه الفترة قد تطور تطوراً غريبا ، فلم يعد ذلك الطفل الصغير الذى يلهو عابثاً فى الحقول ، أو يتشاحن مع أحد أقرانه لأمر تافه بسيط ، فقد تعلم الفرنسية أثناء دراسته وقرأ كثيراً من الكتب الثورية مع صديق له يدعى « فتحى » قرأ فولتير وروسو ، وهوبز ، وجون ستيوارت ميل ، كما اشترك فى جمعية « الوطن » وهى جمعية سرية تعمل على محاربة الاستبداد

السياسي ، وتحطيم القيود الأجنبية ، وأخذ يكتب النشرات الحماسية ناقداً فيها سياسة السلطان ورجال الدين وداعياً إلى تحطيم القيود ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، على اختلاف صوره

كانت تركيا في ذلك الوقت تحت حكم السلطان «عبد الحميد» الذي وقف عقبة في سبيل الحركات الإصلاحية الكبرى، والذي ألغى مجلس النواب ليصبح الحاكم المطلق في تركيا — والذي فرض رقابة شديدة على الشعب ، حتى ذكروا أنه ما من ثلاثة تكلموا معا في أمر من الأمور إلا وكان أحدهم جاسوساً للسلطان « عبد الحميد ... »

ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى استطاع جواسيس السلطان القبض على زعماء جمعية الوطن ، وتقديمهم إلى المحاكمة ، وبذلك أبعد مصطفى كمال من القسطنطينية ونفي إلى بلاد الشام ...

(للكلام بقية) عبد الباسط محمد حسن

من يسمع ؟

مهداة الى الأستاذ الحوماني

للاستاذ خليل رشيد

تفضل الأستاذ الحوماني قبل هنيهة من الزمن فأولاني ثقته لشرف المساهمة في كتابه من يسمع ؟ وها أنا أجيب دعوة الأستاذ الحوماني شاكراً له ثقته الغالية ، راجيا تفضله بالقبول :

من يسمع ؟

من يسمع عنوان جديد لكتاب جديد من مبدعات الأستاذ الحوماني وضعه بعد خروجه عن ألف فكرة لألف رجل في كتابه مع الناس . وللأستاذ الحوماني فكرة واحدة يعتز بها هي إيمانه بقول المنقذ الأعظم صلى الله على ذاته الزكية : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

والكتاب فكرة لم تولد بعد . . ولكننا نلمس روح الثورة والتمرد على المجتمع وعاداته المكبوتة في نفس الأستاذ التي ينبئ بها عنوان كتابه من يسمع ؟ وأكاد أسمع بحة صوته وهو يبث شكاته وأناته من صدى عنوان كتابه هذا . وأستطيع أن أرى سحنة وجهه وقد بدت عليها سورة الغضب . وثورة الأديب ، وإني لأستشف قلبه وقد سطر عليه كلمة من يسمع ؟

أي نعم يا أستاذ

أصرخ ملء فمك

اغضب ملء جمجمتك

تألم ملء قلبك

فليس هناك من يسمع . وإن تجد من يسمع . ولو أخرجت ألف كتاب وكتاب على غرار فلان (١)

من يسمعك .. من يصغي لصرير قلبك .. من يسمع قلمك القاسي المرير وهو ينشد أنشودة الإصلاح . ويرعف باسم الحق الذبيح صابا وعلقما على صفحات فلان ؟

من يسمعك . وأنت ترجع لحنا حزينا . وتنشد نشيدا مؤلما فيه عنف الموت وصرامته على قيثار فلان ؟

من يسمع هذا اللحن الحزين والكل ثمل بكأس حواء (٢) يتغنون بوحي الدموع والنهود والقبل ؟

وقد جن الناس بالثمر المجنون . فهم بين لاه بالثمر وعابث بالعفاف . ليس هناك من يسمع ، أو يصغي لحديث فلان ، وأنشودة فلان ، وفيه صرامة الحق ومرارة الصراحة

من يسمع كلمة الحق وصرامة القول فيها . ومن يستسيغ مشرب كأس ماؤها صاب وعلقم . وأي مسمع لا ينبو النغم الشاكي الحزين ؟

من يسمع كلمة المصلح وهو يدعو إلى بيع موت عاجل بحياة آجلة ؟ من يصغي لحديث الرشد وهو يدعو إلى قتل اللذة الرذولة وموت العاطفة وكبح الشهوات . والانضمام تحت راية العقل ؟

من يسمع غرزة مبضع الجراح وهي تستأصل شأفة الداء . ولا تقفزز نفسه ؟

من يسمع نداء الضمير وهو يصرخ من الأعماق بمواساة

(١) فلان . ديوان شعر للاستاذ الحوماني

(٢) حواء ديوان شعر آخر للاستاذ الحوماني

مصادر التاريخ الحضرمى

للأستاذ أحمد عوض باوزير

تمهيد :

هناك حقيقة تاريخية ثابتة ينبغى مراجعتها ، قبل البدء فى الحديث عن « مصادر التاريخ الحضرمى » . ومن المؤرخين المحدثين الذين فطنوا إلى أهمية هذه الحقيقة ، السيد علوى طاهر الحداد ، مؤلف كتاب « الشامل » . فقد ورد فى رسالة له أسماها « جنى الشماريخ » ما يفيد فى تقرير هذه الحقيقة

وفحوى هذه الحقيقة التاريخية ، هو أن التاريخ السياسى القديم ، لحضرموت لا يمكن دراسته منفصلا عن تاريخ اليمن الكبير ، أو عن تاريخ الإسلام فى الجزيرة العربية حتى إلى ما بعد نشوء الدول الكثيرية ، فى أواخر القرن الثانى الهجرى . ويقال فى تعليل قيام بعض الحكومات القبلية ، واستقلالها أثناء هذه الفترة الزمنية ، أن ذلك كان نتيجة لأحوال الضعف المادى والأدبى ، فى حكومات اليمن المتعاقبة ، أو فى عاصمة الخلافة الإسلامية

ومما يفيد فى تقرير هذه الحقيقة كذلك انتشار الفرق الدينية فى حضرموت ، فإن ذلك الانتشار يعنى امتداد النفوذ السياسى والإدارى ، إلى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وأظهر هذه الفرق « الأباضية » ثم « القرمطية » . وكان ظهورها أيام اضطراب دول الزياديين فى اليمن ، فى أواخر القرن الرابع الهجرى و « الإسماعيلية »

ما هى مصادر التاريخ الحضرمى :

وإذا كنا قد أثبتنا هذه العلاقة بين تاريخ حضر موت ، من جهة ، وتاريخ اليمن أو الجزيرة العربية ، من جهة ثانية . فيحسن بنا أن نتساءل . ما هى مصادر التاريخ الحضرمى إذن ؟ وما هى نوع العلاقة فى هذه الوحدة السياسية والاقتصادية ؟

والجواب على أولها ، هو أن هناك كثير من المصادر التاريخية ، بأقلام جمهرة من الحضرميين النابهين ، غير أن أهمها قد ضاع ، ولم يبق منها غير مقتطفات ، أو شذرات متفرقة . ومن هذه المصادر تاريخ « بازرعة » وتاريخ « حنبل » وكتاب « الفرج بعد الشدة فى إثبات فروع كندة » وتاريخ « الشبلى » و « شنبل » وغيرهم من المؤرخين . وحتى هذه المصادر لا يمكن أن تؤخذ على علاتها ، دون الرجوع إلى الأحوال العامة ، فى تاريخ البلدان المجاورة التى يتصل تاريخها السياسى اتصالا وثيقا بسير الأحوال فى البلاد الحضرمية

أما عن نوع العلاقة ، فى هذه الوحدة السياسية والاقتصادية بين حضر موت وغيرها من الدويلات فى الجزيرة العربية ،

الضعيف وصلة الرحم ونصفة المظلوم . ونبذ العداوة والبغضاء ونزع ما فى الصدور من غل ؟

من يسمع كتاب الله وهو يدعو إلى ما فيه الخير والصلاح والنفع العميم للبشر ؟

من يسمع دعوة الرسل والمبشرين لطريق الهدى والصلاح . ومن يسمع دعوة الأديب وهو يدعو إلى ارتقاء المثل العليا ، والمثل العليا صعبة المرتقى ؟

من يسمع دعاة العقل والفضيلة وفيها ما فيها من جهد وكفاح ؟

نعم أيها الأستاذ ؟

لن تجد من يسمع لضياع الموازين وفقدان المقاييس . وضيعة الأخلاق ..

لن تجد من يسمع . وليس هناك من يسمع ولن يسمع فلان . وليس هناك من يسمع فلان .. ما دام فلان .. لا يريد أن يسمع قول الحق . وكلمة الصراحة وكل الناس على شاكلة فلان حتى أنا وأنت :

وإن أبيت إلا أن تسمع هؤلاء الصم شكاتك . فاصرخ مل ء فمك حتى تتمزق رئتاك وحنجرتك وردد

من يسمع ؟

فلن تجد من يرد عليك غير صدى بعيد من أغوار الماضى وأعماق التاريخ

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

خليل رشيد

فذلك يعنى تفصيل الحكومات السياسية التى تعاقبت على اليمن منذ صدر الإسلام ، إلى وقت انفصال حضرموت نهائيا من حكومات اليمن فى أواخر القرن الحادى عشر كما نذهب إليه

ومن العسير جدا على الباحث فى تاريخ هذه الحكومات المتعاقبة ، أن يهتدى إلى تحديد هذه العلاقة ، تحديدا شاملا . فإن المجال لا يزال مفتوحا للدراسات التاريخية ، وهذا النقص يكاد يكون ملحوظا للمعنيين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية : ولذلك فإننا عاجزون حتى الآن عن تحديد تلك العلاقة ؛ لأن ما لدينا من المباحث العلمية والمراجع التاريخية لا يكفى فى تقرير هذه الحقائق تقريرا ضافيا ومفيدا

كيف ضاعت هذه المصادر :

ويذهب السيد الحداد برسالته « جنى الشماريخ » فى تعليل أسباب ضياع تلك المصادر التاريخية التى أشرنا إليها آنفا إلى انتشار البداوة والجهل بين سكان حضرموت ؛ لأن انتقال تلك المؤلفات إلى أيدى أولئك النفر من الجهلة ، معناه الإهمال والضياع

وربما كان هناك من يريد أن يسأل : كيف أمكن نبوغ تلك الفئة من المؤرخين ، وسط تلك الجهالة المتفشية . ولا إخال أن « الحداد » كان ينتظر بداهة هذا السؤال ، فقد أثبت فى موضع آخر من رسالته السابقة « أن الذين قدر لهم الإقبال على العلم منهم فى تلك الأزمة إنما تهيأت لهم أسباب خاصة ، تيسر لهم معها التفرغ لذلك »

وأنا وإن كنت أوافق « الحداد » فى بعض ما ذهب إليه فى تعليل أسباب ضياع المصادر التاريخية ، غير أنى أعتقد أن هناك سببا أقوى ، وهو أن المتأخرين من المتعصبة ، قد رأوا فى سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم من المذاهب أو النحل . فعمدوا إلى إخفاء تلك المؤلفات وطمسها ، فى بعض الأحيان . وقد ذهب إلى مثل هذا الرأى بعض ذوى النظر والباحثين

محاولات فى التاريخ الحضرمى :

ظهرت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، محاولات أولية فى تدوين التاريخ الحضرمى القديم ؛ وهى محاولات بدأت ضيقة ، ثم أخذت تتسع تدريجا ، فقد ظهر كتاب « الشامل » لمؤلفه السيد علوى الحداد . وكتاب « تاريخ حضرموت السياسى » للأستاذ صلاح البكرى ، وكتاب « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم ، وكنت قد اطلعت على نسخة خطية ، بالمكتبة السلطانية بالمكلا من كتاب « التابوت » للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله

وأستطيع أن أجزم أن هذه المؤلفات على الرغم من حداثتها لا تخرج عن سرد الحوادث سردا عاما دون تعمق أو تصويب . وقد اعترف السيد « ابن هاشم » فى كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية » بهذه الحقيقة ، فقال فى مقدمة الكتاب : « وبعد فقد التزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب »

ويحاول السيد ابن هاشم أن يبرر هذا المسلك التاريخى بقوله « ولست أجد لى حقا فى مؤاخذتى أشخاصا على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون ، ودفنت مبرراته ومسوغاته طوال القرون »

ونحن لا نقر السيد « ابن هاشم » وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير . وسواء أكانت المبررات التى زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى « المعول » لنبش الحقائق وغربلتها ، وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة ، لأنها لا تجدى فى منطق الوقائع التاريخية أو لا تفيد كثيرا

وأود فى ختام هذا الحديث القصير أن أشيد بأسلوب « ابن هاشم » فى الكتابة : ذلك الأسلوب الأدبى الرصين الذى يطالع القارئ من حين لآخر ، فى أكثر من مكان من الكتاب

هذه فذلكة عن « مصادر التاريخ الحضرمى » أقدمها فى أنسب الأوقات وأصلحها ، لعلها تفيد فى إنارة السبيل للمعنيين بدراسة التاريخ الحضرمى القديم وتعين على فهم الحقائق التاريخية الكبرى

غيل باوزير **أحمد عوض باوزير**

رد على نقد

حول «مذكرات واعظ أسير»

للأستاذ أحمد الشرباصي

شاء الكاتب الصديق الشيخ كامل السيد شاهين أن يملأ أكثر من ثلاث صفحات في « الرسالة » الغراء بالحديث عن كتابي الأخير : « مذكرات واعظ أسير » . ومن حق القراء على الرسالة أن ينفسح صدرها لكلمة النقد كما ينفسح لكلمة التقدير ؛ ولكن الواجب المسلم هو أن يكون الحديث ذا بال ، وأن يكون النقد ناهضا على أساس متين من الحق والصدق ، حتى يسلم من الهوى والظنة ، ويرتفع عن السباب والمهاترة

ولقد بسط الشيخ شاهين رداء الحديث في صدر كلامه مادحا مطريا ، ثم جمع أطرافه على وخزات من النقد يحسبها في الوضوح ، ويراها مصطنعة ليبدو الكاتب وكأنه يعادل بين التأييد والتفنيد ، حتى يقال له : ما أبرعك مادحا وقادحا ؛ وهيهات ! ..

وعلى الرغم من مقدمة الكاتب العريضة المشعرة باستفادته من الكتاب وتأثره به ، وعلى الرغم من أنه اعترف بأن « المآخذ » التي سيذكرها « لا تشين الكتاب » ولا تتناول موضوعه وفصوله ، ولا تورث صورا إلا « كلفا من بعض الجوانب » فقد شاء له حرصه على الإفاضة في القول أن يملأ صفحتين بالدوران حول هذه الملاحظات التي لا تشين ولا تتصل بالموضوع

ويؤسفني أن أقرر أن أولى ملاحظاته ينقصها الصدق ، فقد ادعى على أنني أكثرت في كتابي من ذكر « أني خطيب ، وأن لي جهودا ملحوظة في نشر الدعوة ، وأن لي أتباعا وأنصارا » .. وأين ذلك في الكتاب أيها الصديق ؟ لعل حديثا جرى عن طريقة المؤلف في خطابته ، وعن حرصه على وصل المنبر بالحياة الاجتماعية ، وهذا لا ضير من تقريره ، لأنه رسم طريقة وتحديد توجيه ؛ وكل امرئ إذا كتب « مذكرات » تحدث عن مثل هذا وأضعافه ، ولا يعاب ذلك ولا يذم ... ولعل حديثا جرى على قلم صاحب « مذكرات واعظ أسير » من رواد مسجد المنيرة — على أيامه أطيب التحيات — وهؤلاء الرواد كانوا من غير شك يؤلفون مدرسة إسلامية متواضعة تحدث الناس عنها هنا وهناك ... أما وصف المؤلف نفسه بأنه خطيب وبأنه عظيم المجهود وبأن له أتباعا وأنصارا ، فحديث مصنوع أو موضوع !

وآلم السيد شاهين ما جاء في خاتمة الكتاب من تحايا الشعراء والأدباء للمؤلف بمناسبة الإفراج عنه والفرحة بعودته إلى حياة الحرية والانطلاق ، وشاء أن يعبر عن ألمه بهذا الحكم الصارم — أو الوارم — : « فسائر هذه التقريظات غاية في الفثاثة والتفاهة » ومن السهل على كل إنسان أن يصدر مثل هذه الأحكام العامة التي ينقصها الرشد والتبصر . ولعل الكاتب لم ينس أن العرب اختصروا الطريق في حكمهم على القرآن المجيد فقالوا إنه « أساطير الأولين » ! ... ومن المؤسف مرة أخرى أن أذكر الشيخ شاهين بأن هذه التحايا لم تكن تقريظات ، ولم يستكتبها أستاذ من طلبته كما زعم متجنيا ، بل هي صور عواطف ومشاعر لإخوة كرام سبقوا بها قبل ظهور الكتاب بشهور ونشر أغلبها ، وأصحابها لهم مكانتهم الأدبية وماضيهم الشعري ، ولذلك عنوت بعنوان « تحية وذكرى » ، ومن الطريف — وليس مما يعاب كما توهمت — أن تسجل العواطف المتبادلة بين التلاميذ الأحباء والأساتذة الأوفياء — وبعد النظر عن غير هؤلاء فهم كالهباء — ... وهل يعد غاية في الفثاثة والتفاهة قول أحد المحيين :

عفواً إذا زل مما قلته قلمي	برغم أن جنا زلاته الخطر
أوخذت ظلما وهذي رحمة سبقت	من أن تؤاخذ عدلا أيها القمر

وهل يعد غاية في التفاهة والفثاثة قول الثاني :

لبيك لو قبل المعاند فدية	أو لم يزعه ضميره المتغابي ؟
إني لأدخر الثنـاء لعالم	لاق الصعاب بعزمة الوثاب
متذرعا بالصبر ، لا متراجعا	في الحق ، أو مستهدفا لعتاب

لقد أبعدت أيها الصديق ، وحملت هذه التحايا مالا تطيق !

وكبرى الكبائر عندي أن يعتبر الشيخ شاهين دفاعي عن الأزهر الشريف المعمور « هفوة » ! كبرت الكلمة منك أيها الصديق ... الأزهر الذي رضعت لبانه وتمتعت بخيراته وسعدت بكنوزه وعلوت باسمه ينال منك هذا الجزاء ؟ .. ثم أنت

لا نقتصد فى النقد، ولا نكتفى بالتوجيه، ولا نقنع باللوم، بل نجور ونجور. فتنال جبهة الأزهر الشماء بما نشاء، ثم تسرف فتقول وبئس ما تقول: « ألا إنه قليل للأزهر أن يلام، وقليل لرجاله أن يتهموا بالضعف والتدليس وحب الدنيا، وإذا كانت فعلتهم فى التنكر ما هى، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها » !!

أهذا كلام يقال، ومن أزهرى، ومن رجل يعمل تحت اسم الأزهر الشريف حتى اليوم؟... دون ذلك يا صاحبى وتفترق طريقانا... ثم إن هناك فرقا بين « الأزهر » و« الأزهريين » يا صاحبى، فالأزهر معنى وفكرة ورسالة وتاريخ له جلاله وهيبته، والأزهريون قوم يجوز عليهم الخطأ، إذ ليسوا بمعصومين، وإذا كان فيهم من فرط، ففيهم أعلام جاهدوا ولا زالوا يجاهدون، ومن الكفران أو الطغيان تعميم الحكم على الجميع بهذه الصورة القاسية، وكدت أقول « النابية » ومعذرة إليك أيها الصديق، فقد فتحت الباب!

ومن الذى قال لك إننى « أبدت » الأزهريين جميعا وبلا استثناء وعلى طول الخط؟.. ألم أنتقد شيخ الأزهر الأسبق على موقفه من اعتقالى؟ (ص ١١) و (ص ٢٥).. ألم أسرد رأى شاب ثائر فى علماء الأزهر وموقفهم من المحنة بعبارته الشديدة المكشوفة (ص ٢٨)؟... وحتى فى دفاعى عن الأزهر والأزهريين قد أشرت إلى بعض العيوب الموجودة فى البيئة الأزهرية وذكرت أسباب ذلك ودوافعه، ولما تطاول القول فى ذم الأزهر بلا إبقاء قلت (ص ٩٨): « إن هذا لا يليق، وليس من مصلحة أحد، وليس هذا أوان الطعن، والأزهر يجب أن يصان عن التحطيم والهدم، وحبذا لو تركنا أخطاء الأزهريين لنقدة الأزهريين، ويجب أن نتذكر أننا لو جردنا الأزهر من كل حسناته لما فقد المعنى الإسلامى المعظم الذى يجعله حصنا يخيف المارقين »

ثم نأتى أعجوبة الأعاجيب، وهى أن يعتبر الشيخ شاهين تفسيرى رثاء المتنبى لشبيب العقيلى بأنه « هفوة أدبية » ولست أدرى أينا الذى هفا، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين؛ والحكم هنا هم القراء، فليطالعوا كلامى فى كتابى وكلامك فى تهجمك. وليبدوا رأيهم.. إن تفسيرى لرثاء المتنبى على الوجه الذى أوردته ليس « تأويل نحاة » ولكنه ذوق أديب وفن بصير وحديث تاريخ، فعد إلى دارسى المتنبى إن عدت لتفهم، واقرأ ما كتبه الجارم فى « الشاعر الطموح » عن هذا الموقف بالذات لتعرف معنى الرثاء هنا على وجهه الذى أريد به.

لقد فر المتنبى إلى مصر، والفار يركب الصعب من الأمور، وقد حسب المتنبى كافورا قبل أن يراه أشياء فلما رآه لم يجده شيئا، ولكنه أصبح فى حماه وتحت سلطانه، فليمدحه بما ليس بالحسن، وليمدح العبد الخصى الذى لا تعاب ذات عبوديته، ولكن يعاب عليك وهو عبد بين أحرار، وليسخر به كما يسخر الناس قائلين « يا مولانا الأستاذ ».. يا سيدنا المدبر، يا ولى نعمتنا، ولعنة الله على زمان يتولى السيادة فيه العبيد.. وشاهين يتخذ من مدح المتنبى لكافور شواهد على عظمة كافور، فما رأيه فى أهاجيه التى خسف بها كافوراً إلى أسفل سافلين؟.. ما رأيه فى هذه الأهاجى التى جعلت العبد الخصى أضحوكة فى كل فم؟.. وهل بعد قول المتنبى هازئا: « لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب »؟.. وماذا يقول الإنسان عن « الأضحوكة » من الناس أو الحيوان غير هذا يا شيخ؟..

وهلا أدركت مبلغ سخرية المتنبى فى قوله لكافور:

عدوك مذموم بكل لسان ... ولو كان من أعدائك القمران

نعم ولو كان « القمران » من أعداء كافور لوصفا بالذم؟ وممن؟.. من كل لسان.. بإسلام بإسلام!.. أبعد هذه سخرية؟

وسقط الشيخ سقطته حين توهم أن المتنبى أطال المديح فى شبيب بعد قتله ليرى الناس أن كافورا كان ينازل خصما قويا وأنه كان أقوى به فتغلب عليه وقهره.. إنما يصح هذا فى الأذهان يافلان لو كان كافور نازل شبيبا فى معركة، أو حاوله مصاولة الأنداد، ولكن لعلك لا تعرف أن كافورا قضى عليه بأسلوب الخسة واللؤم، فدس عليه من سمه، وتلك خطة الجبناء، وذلك حيث يقول المتنبى:

وقد قتل الأعداء حتى قتلته ... بأضعف قرن فى أذل مكان

وأرجو أن تتمهل حتى تدرك مبلغ التعريض بكافور فى قول المتنبى عن شبيب:

وما كان إلا النار فى كل موضع   تثير غبارا فى مكان دخان
فنال حياة يشتهيها عدوه   وموتا يشتهى الموت كل جبان

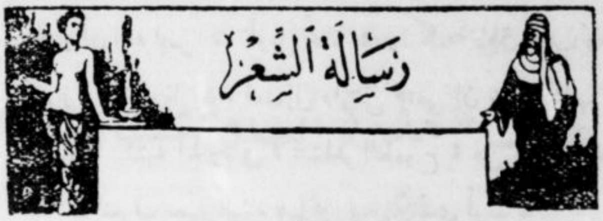
إن التعبير ينطق صارخاً: يا كافور، أيها الجبان، إنك لن تنال شرف الميتة التى ماتها عدوك، فأين أنت منه يا عدو البطل الراحل؟

ويصف الشيخ شاعر العربية المتنبي بأنه « مداح فقط » وما أثقل كلمة « فقط » هذه .. فأين حكمة المتنبي إذن، وأين خبرته بالنفوس، وأين تصويره للطبائع البشرية، وأين أحكامه الدقيقة العميقة على الحياة والأحياء؟ .. وثالثة الأثافى أن يصف المتنبي بأنه « ضيق الباع » !.. ما شاء الله ! . . رحم الله المتنبي يوم جلجل بصوته فردد أبياته التى اختتمها بقوله :

فياموت زر، إن الحياة ذميمة   ويانفس جدى إن دهرك هازل !

أما بعد، فللنقد أصوله وقواعده، إذا توافرت فيه وجب الخضوع له والرجوع إليه، وإذا عدمها كان تطاولا أو جهلا؛ ولست أدرى مبلغ القواعد التى استند إليها أو نهض عليها نقد الكاتب الصديق . بعد ما قدمت من حديث وقل سلام !

أحمد الشرباصي



شعلة المجد

مرثية فقيد الوطنى المرحوم الدكتور عزيز فهمى

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

خل العزاء فما يفيد عزاء   ساد الظلام وغامت الأضواء
الشعلة انطفأت، وكان وراءها   المدلجين الحائرين رجاء
خل العزاء ودع لدمعك سيله   متدفقا، فهنا يطيب بكاء
خل العزاء فلست تملك منطقا   متماسكا إن هبت النكباء
الشعلة انطفأت، وأية شعلة   كانت؟ تبارك نورها الوضاء!
صك النعى مسامعى فأحالنى   شبحا تطير بلبه الأنباء
مات العزيز، فمات جيل كامل   المجد تتبع خطوه العلياء
لهفى على الآمال يصدع ركنها   قدر، ويهدم أسهن قضاء
يا راقداً فى حفرة محصورة !   كانت أضيق وروحك الأرجاء
أى المواهب فيك أبكى إنها   يعيا بحصر كمالها الإحصاء
الشاعر الحى الشعور، نشيده   من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء
والكاتب العذب البيان ترسلا   يزهو بسحر بيانه الإنشاء
والمدره الطلق اللسان مدافعا   لا الجاه غايته ولا الإثراء
والنائب الحر العقيدة هاتفا   بالحق لا ضعف ولا استخذاء
تخذ الصراحة مبدأ وعقيدة   لم توحها حزبية عمياء
وطنية تسمو على أمثالها   ويكل عن إدراكها القرناء
ومجاهد ثبت الفؤاد مكافح   لم يثنه سجن ولا إيذاء
لهفى على تلك الخلال تضيعها   فى لحظة سيارة رعناء !
عوجلت والوطن الحزين بحاجة   للمواهب لم تذكها الأهواء
شقت عليك جيوبهن حرائر   ويبكى لهول الفكبة البؤساء
كم أدمع كفكفتها، ومصائب   واسيتها ! والنبل فيك ثراء
تسمى إلى الخير العميم مطاطئا   هاماً، فلا زهو ولا استعلاء
كنت الشباب مجملا برزانة   والمكرمات يزينهن حياء
كنت الإخاء التبر أصفى جوهرا   وأعز ما صدق الوفاء إخاء
حلو اللقاء سجية وطبيعة   ما فى خلالك صنعة ورياء
أدب كمؤتلق الضياء عرفته   وشمائل علوية سمحاء
وإذا دعتك الحادثات تلقفت   يدك الدعاء، فلا يخيب دعاء
متقدما للموت لا متهيبا   والموت عندك صنوه الإبطاء
ما زلت تسبقه إلى حوماته   حتى طفت فى الغفلة الهوجاء
فذهبت يا زين الشباب رواية   للناس أروع ما روى القدماء
كانت حياتك نفحة علوية   حسدت على النعمى بها الغبراء
ما طال عمرك فى الحياة وإنما   طال التحدث عنك والأصغاء

أو بعد أن لجت بنا الظلماء   واستبهمت فى الظلمة والحيناء
وتحطمت فى الصخر كل سفينة   وتناثرت فى اللجة الأشلاء
وتألب الموج الغضوب فلا ترى   إلا جبالا ساقها الدأماء
لا الشط وضاح المعالم مشرق   أبداً، ولا تتكشف الأنواء
نجد العزاء ! ونحن أعجب صورة   لا نحن أموات ولا أحياء
الشعلة انطفأت، وأية شعلة   تهب الضياء، ومالها أكفاء !
خل العزاء فنحن فى هول طغى !   فى كل أفق محنة وبلاء

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محنة الأدب :

أثار الدكتور طـه حسين باشـا فى « الأهرام » موضوع الركود الذى اعترى حياتنا الأدبية فى السنوات الأخيرة، وذكر لهذا الركود ثلاثة أسباب قال إنه يقصر الـكلام عليها وإن كان هناك غيرها ، أولهـا الظروف السياسية وما تأتى به من فرض الرقابة على النشر ، وقـد استغرقت هذه الرقابة أكثر من خمس عشرة سنـة فى أقل من ربع قرن ، والحرية قوام الحياة الأدبية الخصبة ؛ فإذا ذهبت أجدب الأدب وعقم التفكير

أما السبب الثانى فيسأل عنـه الأدباء والشيوخ أنفسهم ويسأل عنه النـاشرون معهم ، فكثير من الشباب يكتبون فلا يجدون قبولا من الناشرين ولا تشجيعا من شيوخ الأدب

وأما السبب الثـالث فهو ضعف التعليم الأدبى فى مصر ، فالأدب يدرس فى المدارس والمعاهـد والجامعات على نحو يحزن أكثر ممـا يسر ، وإنتاج الأساتذة ضعيف ، والمتخرجون فى أقسام اللغة العربية بالجامعات لا يعرف بعضهم كيف يبحثون فى كتاب الأغانى لأنهـــم لم يـسمعوا بفهرست الأغانى الذى وضعه جويدى

وعندى أن أهم الأسباب فى محنـة الأدب هذه الطبقة من رؤساء التحرير البعداء عن الأدب ، فقد كان يشرف على تحرير الصحف فى الأيام التى ترحم عليها العميد إذ كانت تتنافس فيها الصحف أيها يكون أشد عناية بالأدب — كان يشرف عليهـا أدباء أمثال أنطون الجميل وعبد القادر حمزة وحافظ عوض وأمين الرافعى ، ثم خلف من بعـدهم « شميط ومميط و ... » ممن حرموا نعمة الطبع الأدبى وبعدوا كل البعد عن الثقافة الأدبية

وزعم هـؤلاء أن القراء لا يريدون أدبا . . لأنهم أنفسهم

نشكو الصبابةفى هوى أوطاننا   وقلوبنا عصفت بها البغضاء !

متنابذين وحولنا أسد الشرى   قد حددت أنيابهـا الزرقاء !

متغافلين عن الخطوب وقدسعت   أشـباحها الجنية الـسوداء !

سبعون عاما لم يعظنا هولهـا   أبداً ، ولم يتنبه الحكماء

نحن الأسارى فى القيود نظنها   حليا فتأخذنا بها الخيـلاء

ماذا كسبنا بعد طول جهادنا ؟   الكـسب غرم ، والجهادهباء !

حرية الوادى رواية سـاخر   كل الفصول شبيهة وسواء !

يا مصر حظك فى الرجال مرزأ   لا كانت الأدواء والأرزاء

أو كلـا قدمت خطوة ظافر   عادت تقهقر خطوك الشعثاء !

أو كلما اسـتكملت عدة مؤمن   بالحق قص جناحك الأعداء !

يا مصر حظك عاثر ، وعثاره   أن ينطوى أبنـاؤك الأمناء

كان « العزيز » بطولةمذخورة   لغد ، فـــات به غد ورجاء

قل النظير له وما أقصى المدى   حتى يلوح مع الغد النظراء !

يا أمتى ! يا أمة الألم الذى   بلغ المدى،لا مسك الضراء !

منذ اختلفنا فى الجهاد طوائفا   ما ضمنا فى وحدة زعمـــاء

حتى فقدت عزيزك الحر الهوى   فتوحدت فى النكبة الأنبـاء

يبكونه بدم القلوب موسـدا   نعيت به الحرية الشماء

كان الإباء مجـدا فى رقة   فثوى مع الخلق الرقيق إباء

كان الكفاح مبرأ ومنزها   فمضى الـكافح والضمير براء

للحق عاش ، وفى سبيل قيامه   مات المنافح عنه وهو فداء !

ألبا شـهيد الحق إن لجيعة   نزلت بساحك خطبها مشاء

فى كل عين دمعة مهراقة   وبكل قلب لوعة ورثاء

طوت المنون ذخيرة أعددتها   لم يرحم القلب اللهيف قضاء

للمجد أنت نذرته ووهبته   والنذر عند الله فيه جزاء

والمجد جسر متاعب رقدت على   جنبـاته الرواد والشـهداء

أنجبت للوطن الكريم فتى له   فى المكرمات صحـائف غراء

ورث الشجاعةعنك وهى عزيزة   فى الناس حين تجـابه الآراء

ورث النزاهة عنك وهى يتيمة   فى الناس حين تفاضل الأسماء

يا باكيا من قلبه ذهب الأسى   بالناس حين أصابك البأساء

قلبى يذوب أسى على الطود الذى   هزت قواعد بأسـه اللأواء

ترنو إلى الأفق البعيدوقد خبا   فى الأفق هذاالكوكب اللألاء

وبجيب زفرتك الحزينة أمة   محزونة فتعيدها الأصداء

محمد كامل الصيرفى

لا يريدون أدبا .. والقراء مظلومون ، ففيهم الأدباء والمتأدبون ومن يحبون القراءة الأدبية ولو لم يكونوا أدباء ولا متأدبين

وتقدم إلى أولئك المشرفين على الصحف صنف من الشباب الأدعياء ببضاعة أقلها تافه ، وأكثرها قشور منزوعة من الآداب الأجنبية مع معالجتها بالتحوير والتشويه . . وهم يختارون لها العناوين المثيرة والصور المغرية ، ويتقبل رؤساء التحرير هذه البضاعة ليجتذبوا بها القراء

وهم في ذلك كمنتجي الأفلام والقصص التي يقدمونها ، بعضها كلام فارغ يؤلف هنا ، وكثير منها ممسوخ مما هناك . والمنتجون كرؤساء التحرير يبهر البريق أبصارهم ، وليس لهم بصائر ينفذون بها إلى جوهر الأدب والفن

ووراء كل ذلك أدب أصيل وملكات كامنة أشار إليها عميدنا في مقاله الثاني إذ استدل بما كتب الكاتبون تعقيبا على مقاله الأول على أن في أدبنا حياة كامنة تريد أن تظهر وخصبا مستترا يريد أن يملأ الجو العقلي سمة ورخاء ، مستشهدا بقول ابن الرومي :

وكمين الحريق في العود يخفى
وكمين الرحيق في العنقود

ولا يحتاج ذلك الأدب المستتر إلا إلى من يبرزه ويثيب عليه وينظم الملاقات بين أصحابه وبين طلابه من القراء

كشكول الأسبوع

□ احتجت السفارة الفرنسية لأن السلطات المصرية منعت البروفيسور ريفيه كابيتان ، الأستاذ بمدرسة الحقوق الفرنسية ، من الدخول إلى مصر ، واعتبرت ذلك عملا غير ودي . . أما منع السلطات الفرنسية مدير معهد فاروق بالجزائر من السفر إلى مقر عمله فهو عمل لا يخالف روح المودة في منطق الرقاعة الفرنسية

□ وافق مؤتمر اتحاد البريد الدولي المنعقد في بروكسل على استعمال اللغة العربية إلى جانب اللغات الأوربية في النقاش بالمؤتمرات القادمة

□ جاء من دمشق أن مصلحة الآثار السورية أصدرت بيانا ذكرت فيه أنها كشفت في تدمر عن بناء مسرح مشيد على الطراز الروماني ووجدت بعض أجزاء البناء سليمة

□ أتمت مطبعة دار الكتب المصرية طبع الجزأين الثاني عشر والثالث عشر من كتاب « الأغاني » والدار على وشك إصدارهما ، ومما يذكر أن الجزء الثالث عشر كان قد تم إعداده قبل الثاني عشر ولكن رئي تأخيره حتى لا يصدر قبل سابقه

□ قام الأستاذ أبو الفضل إبراهيم رئيس القسم الأدبي في دار الكتب ، ببحث وصل منه إلى أن الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني مواده كلها موجودة في مواطن متفرقة بأجزاء الكتاب الأخرى ، وعلى ذلك سيستغنى عنه في طبعة دار الكتب

□ وتصدر الدار قريبا الأجزاء ١٦ و ١٧ و ١٨ من « نهاية الأرب » وقد رئي إصدارها معا لأنها في موضوع واحد وهو السيرة النبوية الكريمة

□ عثر القسم الأدبي أخيرا على نسخة من كتاب « نهاية الأرب » بخط مؤلفه « النويري » الذي كان نساخا . ومن الغريب أن هذه النسخة كانت موجودة في دار الكتب ولم يرجع إليها في تحقيق ما أصدرته الدار من أجزاء الكتاب

« كتاب فن الأدب » :

المؤلفات التي تتناول دراسة فن الأدب تستمد أصولها وقواعدها من أدبنا العربي الموروث في منثوره ومنظومه ، وتتحدث عن بلاغته بما رسمه الجاحظ وعبد القاهر

فأما أدبنا الحديث ، أدب القصة والمقالة وخطرات النفس في استجابتها للحياة ، فمازلنا نستمد أصوله ونتعرف ملامحه فيما كتبه أدباء الغرب ونقاده ، إذ نحن نقتبس تلك الألوان الأدبية من الفكر الغربي في نهضتنا الحاضرة ، ونعالج تجربتها وتمثيلها في طابعنا الشرقي وأدبنا العربي

وقد تجلت تلك التجربة وذلك التمثيل في بضعة كتب ظهرت من قبل ، منها « أصول الأدب » و « دفاع عن البلاغة » للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ، و « فن القصص » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « النقد الأدبي » للأستاذ سيد قطب ، ولعل هذه الأربعة هي المؤلفات التي يعتد بها في هذا المجال ، فما أعرف كذلك غيرها

وهذا هو الأستاذ توفيق الحكيم بك يخرج لنا اليوم كتاب « فن الأدب » حافلا بالآراء والأفكار والاتجاهات التي تصور لنا معالم فن

الأدب ، أو الأدب الفنى ، بوحى مزاولته الخاصة ، وبطابعه الخاص

فى هذا الكتاب أكثر من سبعين فصلا فى اثنى عشر بابا ، مثل باب الأدب والفن ، والأدب والدين ، والأدب والمسرح ، والأدب والصحافة ، وهكذا إلى آخر الأبواب ، ولعل المتتبعين لما يجرى به قلم الحكيم يعرفون أن كثيرا من هذه الفصول سبق نشره ، على أنها فى هذا الكتاب الحافل ملتئمة الشمل ، مستكملة الجوانب ، منسقة تنسيق طاقات الأزاهير

وقد أجمل المؤلف رأيه فى الفن والأدب ، فى تلك الكلمة التى صدر به كتابه إذ يقول : « الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة ، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والإنسان ، تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل . والفن هو المطية الحية القوية التى تحمل الأدب خلال الزمان والمكان . والأدب بغير فن رسول بغير جواد فى رحلة الخلود ، والفن بغير أدب مطية سائبة بغير حمل ولا هدف . ولقد كان همى دائما محاولة الجمع بين الرسول وجواده . ولقد رأيت دائما الأدب مع الفن ، والفن مع الأدب ، لهذا سميت هذا الكتاب : فن الأدب »

وهذا الكتاب يجلو لنا شخصية الأستاذ « توفيق الحكيم » وانعكاس نظرته على الأدب والفن ، ولكن الميزة الكبرى فيه أن هذه الشخصية تعبير رائع عن روح شرقية صميمة فى نظرتها إلى مشكلات الحياة وقضايا الفن والأدب . وهو بهذه الميزة يرتفع عن أن يكون تكراراً أو اقتباساً لتلك الدراسات الأدبية المقررة بين الكتاب والنقاد الغربيين وغير الغربيين . وكثير من فصول هذا الكتاب لو ترجم إلى أية لغة أجنبية لبقيت له طرافته وجدته ، ولبقيت له دلالته على شخصية صاحبه « الحكيم » الأديب الشرقى الفنان

وقد حوى الكتاب — على ما فيه من جد كثير — فصولا هى إلى التفكيه والترفيه أقرب ، ولكنها تطوى الحكمة والعبرة ، ومن أجمل هذه الفصول ذلك الفصل الذى عثل فيه الأستاذ « الحكيم » أن « شكسبير » ظهر فى « مصر » اليوم ، مصريا ، لغته العربية ، وتراثه الأدب العربى ، ثم أخذ يفرش طريقه بالعوائق والمثبطات التى تعترض طريق الكاتب المصرى العربى الآن ، وختم ذلك الخيال اللطيف بقوله : « حقا لو ظهر « شكسبير » اليوم لكان فكره تبلبل ، وعقله تحير ، ولكان عمله أعسر ، وواجبه أكبر ، وعقباته أضخم ، ومجهوداته أضنى . من حسن حظه أنه ولد فى « إنجلترا » فى القرن السابع عشر ... »

عباس خضر



١ — البيتان للمتنبي

كنت أطالع كتاب « نديم الخلفاء » عن حياة الحسين ابن الضحاك لمؤلفه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فلفت نظرى فى الصفحة ١١٧ هذان البيتان اللذان نسبهما المؤلف للخليع

بأبى من وددته فافترقنا	وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا	كان تسليمه على وداعا

فقد جاء فى الصفحة (٢٧٩) من الجزء الثانى من التبيان شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى البقاء العكبرى أنهما للمتنبى وقد قالهما ارتجالا فى صباه ..

و كذلك ورد فى جميع دواوين المتنبى

فما هو قول الأستاذ فراج ومن أى المصادر استقى نسبة البيتين للخليع ؟ هذا ما أرجو أن يشير إليه، ولا يفوتنى أن أقدم يدى للأستاذ أهنئه على كتابه الممتع الطريف وبحثه الحلو الجديد مع إعجابى وتحياتى

٢ — الموشح لابن الخطيب

نسب الأستاذ عمر الدسوقى الأستاذ بكليـــة دار العلوم فى الصفحة « ٤٤ » من الجزء الأول من كتابه « فى الأدب الحـديث » الطبعة الثانية الأبيـات التالية من الموشح المشهور

جادك الغيث إذا الغيث هما	يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما	بالـكرى أوخلسة المختلس(١)

لابن سهل الإشبيلى عند كلامه عن المعلم بطرس كرامة وشعره، والحقيقة أن البيتين المذكورين هما من موشح للوزير « أبو عبد الله بن الخطيب » قاله معارضـة لموشحة ابن سهل الأندلسى ومطلعها

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى	قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر، وخفق مثلما	لعبت ريح الصبا بالقبس

والموشحتان موجودتان بكاملهما فى ديوان ابن سهل المطبوع فى مصر سنة ١٩٢٨ هذا ما لفت نظرى وأحببت أن اذكر به الأستاذ وفقه الله فى مجال العلم والتأليف

٣— إلى الأستاذ كامل كيلانى

قرأت أمس مقالك القيم المنشور فى الصفحة « ١١٤٩ » من مجلة « الهلال » فى العدد الخامس الذى أصدرته عن « أبى نواس » وقد جاء فى مقالك « بين شوقى وأبى نواس » ما يلى :

« قالوا : إن أمير مصر، أعجب بمعارضة شوقى للبوصيرى فى قصيدته التى أسماها « طراز البردة » بمناسبة حج الأمير إلى الأقطار الحجازية

وقد مر الأمير على دار شاعره — بعد عودته من الحج — فأعجب بما رآه من بديع الزينة التى افتن فيها شوقى ليظهر احتفاءه بعودة سيده فقال له الأمير :

« يا شوقى لقد أعجبتنى قصيدتك، كما أعجبتنى زينتك »

فقال شوقى الأبيات التالية

زين الملوك الصيد مر ببابى	كرما، وباب الله طاف ببابى
يا ليلة القـــدر التى بلغتها	ما فيك بعد اليوم من مرتاب
ما كنت أهـلا للنوال وإنما	نفحات أحمد فوق كل حساب
لما بلغت السؤل ليلة مدحه	بعث الملوك بعظمون جنابى
بدران : بدر فى السماء منور	وأخوه فوق الأرض نور رحابى

ثم

هذا ابن هانى نال ماقد نلت من	حسب تدل به على الأحساب
قد كان يسعى للرشـــيد ببابه	فسعى الرشيد إليه وهو ببابى

هذه الأبيات فقطعى التى ذكرتها من الشوقية الخالدة.. فهل لك يا سيدى وأنت المعجب بأميرنا الخالد أن تزف إلى عشاق شعره القصيدة بأكملها .. نحن ننتظر منك هذا الأثر القيم على صفحات الرسالة الزاهرة ..فهل نحن بالغون ما نريد

عبد القادر رشيد الناصرى

---

(١) ورد عجز البيت فى الديوان على هذه الصورة (فى الـكرى أو خلسة المختلس)

التسول أمام بيوت الله

إن الذى لا ريب فيه أن التسول فى مصر قد أصبح حرفة من الحرف الثابتة الدعائم ، ومهنة من المهن التى لهـا قدرها وخطرها ، فلا تكاد تسير في شارع من الشوارع ، أو تخطو فى ميدان من الميادين ، أو تضع قدمك فى مركبة من المركبات العامة حتى يفاجئك سيل لا ينقطع من المتسولين والمتسولات ، كل يدعى الحاجة أو يتصنع البؤس او يزعم الفاقة

ولو أن قطعان التسول قد اقتصر نشاطها على الشوارع والميادين والمركبات العامة إذاً لهان الأمر ، ولكن هذه القطعان تأبى أن ترحم بيوت الله من بلائها ، وتصر على أن تزاحم المصلين بعناكبها دون أن تتفضل ولو بذرة واحدة من الحياء والخجل ..

إننا حين نمر بمسجد مهم كمسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب أو مسجد الإمام الشافعى بالقاهرة مثلا ، وحين نمر بمسجد أبى العباس والأباصيرى بالإسكندرية ، وغير هذه المساجد فى المدن الكبرى، لابد أن تقع أعيننا على قطعان التسول وقد اتخذت عتبات هـذه المساجد أوكارا تنفث منها سمومهـا على المصلين فى كل وقت من ليل أو نهار

وكأن المسئولين فى مصر لا يكادون يفهمون أن هناك أجانب يزورون مصر ؟ ويقصدون المساجد الكبيرة بالذات ، ويعودون إلى بلادهم وفى مخيلتهم صورة فظيعة لفوضى التسول فى مصر ، وإلا فلم يغضون الطرف عن هذه الوصمة التى تلطخ جبين الوطن بالعار ! إننا نرى هذه المناظر المنكرة فنتميز من الغيظ ، وتعزج فى صدورنا الآلام والحسرات : ولكنا لا نستطيع أن نفعـل شيئا لأننا لا نملك من الأمر شيئا

إذا كان ولاة الأمور يعجزون عن أن يطهروا مصر بأسرها من وصمة التسول ، فلا أقل من أن يصونوا بيوت الله منها ليحفظوا عليها جلالها ووقارها !

رمل الاسكندرية — نقيب : عبد اللطيف الشيخ

عبيد الناس :

بات كثير من الناس يخشون بعضهم كخشية الله أو أشد خشية ، ويحرصون على إرضائهم وطاعتهم أكثر من حرصهم على إرضاء الله وطاعته .. مما زعزع إيمانهم ، وأوهن عقائدهم ، فاعتقدوا أن مصيرهم مرتبط بمصير هؤلاء الذين يخشون .. وأن حياتهم رهن إرادتهم ، إن شاءوا أسعدوهم ورفعوا درجاتهم ، وإن شاءوا نبذوهم فطردوا من جنة الخلد التى يوعدون ! ..

ما زال بيننا الكثيرون من عبدة الأصنام .. وأعتقد أننى أسىء إلى عبدة الأصنام إذا شبهت هؤلاء المارقين بهم .. يؤلهون الأشخاص ، ويكادون يعبدونها من دون الله ، ويخرون لها سجدا ! ..

نسوا الله فنسيهم ، وأنساهم أنفسهم ، ونضب معين التقوى من قلوبهم ، وزلزل الخوف أوصالهم ، يمشون فى ركاب ذوى الجاه ، ويوقفون كل جوارحهم على طاعتهم ، يزينون لهم القبيح ويقبحون لهم الطيب ، مردوا على النفاق ، تعرفهم بسيماهم ، وبأساليبهم ، يخادعون الله ويخادعون الناس ، ويحسبون أنهم مهتدون ! ..

يعبدون الله على حرف ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون مالا يرضى من القول ، ولو أنهم خشوا ربهم كخشيتهم أنفسهم لاستقامت أمورهم ، وانصلح حالهم ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم !..

عجباً لهم ، أيخشون الناس والله أحق أن يخشوه ! .

أين هم من الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . .

عيسى متولى

بنك مصر القاهرة



خمسة أعوام فى عذاب

عن الإنكليزية

ليس فى وسع إنسان مهما يكن شعوره بالفضل وبالترفع أن يفاخر بأنه لا يعبأ بالمغريات وبدوافع الشر أو بأنه يحتقرها . فالإنسان لا يعرف كم تتغير نفسه تحت أحكام المؤثرات

وإنى لأروى على سبيل الاستشهاد على صدق هذه النظرية القضية الآتية التى سمعتها من أحد رجال البوليس السرى فى لوندرا

ماتت زوجة تاجر غنى لم يكن له إلا ولد واحد ، فتزوج من أرملة فى منتصف العمر . وكان ابنه شابا فلم يرض عن هذه الزوجة . وكان يشتغل فى غير المدينة التى فيها أبوه ، فامتنع عن مراسلته بعد هذا الزواج . ولكن الأب كان راضيا بهذا الثمن ، وهو غضب ابنه فى مقابل تلذذه هو واستمتاعه مدة العام الذى بدأ بالزواج وانتهى بوفاته

ولأسباب لم تظهر قط كان الجزء الأخير من هذا العام كله ريبة وسوء ظن ودسائس فى هذا البيت ، لأن الخدم الثلاث كن يرتبن فى مقاصد الزوجة . وكانت أقدمهن وقد قضت فى خدمة المنزل بضعة أعوام تعد نفسها فى موضع الجاسوس على كل أعمال الزوجة . وقد كانت تنصت فسمعت زوجها يتوعدها عدة مرات بأن يغير الوصية ويحذف منها اسمها بتاتا . فكانت تجيبه بأنها تجد الفقر أخف عبئا من معاشرته على وفرة غناه

وكانت تلك الخادم تستدعى زميلتيها ليسمع ثلاثتهن مثل هذا الوعيد . وقد فهمن جميعا علة الخلاف بين الزوجين . فلما مات الرجل انتظرن أن تكشف الوصية لهن عن جلية أمر الخلاف

وقد كانت دهشتهن عظيمة عندما جاء الحق وتبين أن الوصية تحرم ابنه من الميراث وتعطى الزوجة ألف جنيه فى كل عام وهى كل إيراده طول حياتها

وكان من الطبيعى أن تشعر الزوجة بالراحة والاطمئنان عند ما صارت مالكة لهذا الإيراد . وزالت الحزازة التى كانت تشعر بها أيام حياته . وبعد يومين من الوفاة جلست أمام مكتبها تكتب الردود على التعازى .. وقد فرغت سريعا من هذا الواجب ثم أخذت تقلب أوراق زوجها وهى لا تزال مبتسمة . ولكنها لم تكد تقرأ اثنى عشر سطراً حتى قطبت جبينها وعرتها رهشة ، لأن الذى كانت تقرؤه إنما هو النص الأخير لوصية زوجها ؛ وهو يحرمها كل شئ ويهب تركته كلها لابنه . وكان تاريخ هذا النص قبل أسبوع واحد من الوفاة ، وعلى الوصية توقيعات شهود من الأحياء . فجلست تفكر فيما سيؤول إليه أمرها لأن البقية الباقية من ذلك العمر ستكون حياة فقر مدقع . ولذلك كان الاغراء الذى تجد نفسها تحت تأثيره قويا جدا ، فهو ليس بين الشرف وبين انعدامه ، ولكن بين الغنى وبين الفقر . وكان عمرها إذ ذاك خمسين عاما وهى لا تستطيع الكسب بوجه من الوجوه . ورأت أنه إذا لم يكن أحد ليذيع أمر هذه الوصية فلماذا لا تلزم الصمت ؟

وحملت الوصية فى يدها ومشت إلى الموقد ولكنها وجدته خالياً . وكانت من قبل ذاهلة عن ذلك وعن أن الليل كان قد انتصف . وكادت تمزق الوصية ولكن الخادم فى هذه اللحظة دخلت ووقفت واجمة فسألتها : « ماذا تريدين ؟ »

ابتسمت الخادم ولم تجبها فقالت : « ما الذى تعنين ؟ »

فحاولت المرأة أن تضحك ولكنها لم تستطع . وقبل أن تتحرك أية حركة كانت الخادم قد اختطفت من يدها الورقة التى ستتركها فى فقر مدقع فصرخت تلك صرخة يأس ، وحاولت أن تسترد الوصية

وعلى الرغم من التفاوت فى السن فإن الخادم كانت أقوى المرأتين فاستطاعت التغلب على سيدتها . وتلت الوصية فى هدأة ثم قالت بعد الفراغ من ذلك : « لقد فهمت الآن »

قالت الأرملة : « لقد وجدت هذه الورقة منذ دقيقة فقط وأردت أن ... » فقالت الخادم مقاطعة : « أردت أن تحرقيها لو كان في الموقد نار »

ثم مضت فترة صمت قالت بعدها الخادم : « من حسن حظك أني أكره المستر وليم ابن سيدي المرحوم ، فإذا سلكت مسلكا حكيما فإنه لن يعلم أحد بأمر هذه الوصية »

سمعت المرأة هذه الكلمات فأثلجت صدرها لأنها كانت شديدة الخوف من الفقر ، فاستدعت الخادم وأجلستها بجانبها وعرضت عليها اقتسام الثروة بينهما وأن تدفع لها ألف جنيه مقدما

فلما تم الاتفاق على ذلك قالت الأرملة : « والوصية ؟ هل تمزقينها » فقالت الخادم : « كلا بل ستبقى معي إلى الأبد »

ورأت الأرملة أن خادمتها لا تقبل المناقشة في الأمر فأذعنت. ومن ذلك اليوم أصبحت الخادم هي السيدة الحقيقية في المنزل فبدأت بطرد سائر الخدم واختارت آخرين ؛ وكان ثاني عمل أتته أن أحضرت ابنها إلى المنزل وأطلقت عليه لقب السكرتير لتلك الأرملة فكان يلازمها في الصباح وفي المساء

صارت الحياة مؤلمة في نظر السيدة لأنها أصبحت تشعر بعد إخفاء الوصية بأنها ارتكبت جريمة منكرة وبأنها باتفاقها مع الخادم قد وضعت نفسها في مركز ذليل ، ولكنها احتملت حالتها خمسة أعوام في صمت ؛ وفي بدء العام السادس ذهب الخدم ليقدموا الشاي إلى كبيرتهم التي يعرفونها أنها السيدة الحقيقية فعادوا يصرخون ويعلنون أنها ماتت

وظنت الأرملة أن الحظ عاد إلى الابتسام ؛ ولكن سرعان ما أخفق أملها لما أمرت ابن تلك الخادم بأن يترك خدمتها فتنكر لها وهددها بإظهار الوصية

ولما رأت أن حالة الذل ستبقى كما هي بل ستزداد لأن خضوعها لهذا الرجل سيكون أشد إيلاما لنفسها من خضوعها لأمه - لما رأت ذلك ملكها اليأس وذهبت إلى إدارة البوليس : ولكن جهلها بالقانون جعل رجل البوليس يضحك منها لأن الوصية التي تخشى شرها قد بطل مفعولها بعد وفاة ابن زوجها عن غير وارث وأصبحت هي من تاريخ الوفاة مالكة للتركة

كانت إذن في الأعوام الثلاثة الأخيرة تقبل الذل خشية من ظهور وصية تجعلها هي المنفردة بالمال

ع . ا

الرسالة والرواية

فهرس العدد

البعث الديني في الغرب : للدكتور عمر حليق ٦٨٥

شخصية الشافعي ... : للأستاذ أنور الجندي ٦٨٩

جونه ... ... : « عبد المسيح ثروت ٦٩١

نساء عرفن في زمن النبي : « ناصر سعد ٦٩٥

مواكب القلوب ... ... : « علي محمد سرطاوي ٦٩٨

مصطفى كمال أتاتورك : « للأستاذ عبد الباسط محمد حسن ٧٠٠

أبو العتاهية ... ... : للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ... ٧٠٢

موكب العيد (قصيدة) : للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري ... ٧٠٦

(الكتب) — أسس الإصلاح العالمي — تأليف الأستاذ محمد عبد الغني ٧٠٧

— الأستاذ منصور جاب الله ... ...

(البريد الأدبي) — بين أستاذين — دعابة إلى الأستاذ علي الطنطاوي — ٧٠٩

في جوار الله تلميذ من تلامذة الرسالة — كن جميلا —

جواز قراءة الأعداد المركبة من الشمال إلى اليمين ...

(القصص) — القاضي السعيد — للفيلسوف الروسي تولستوي ٧١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 990

Le Caire 23 - 6 - 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٠ «القاهرة فى يوم الاثنين أول شوال سنة ١٣٧١ — ٢٣ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

البعث الدينى فى الغرب

للدكتور عمر حليق

يتساءل الدكتور « راينهولد نايبور » ، أحد أقطاب اللاهوت البروتستنتى فى أمريكا ، عما إذا كان المجتمع الغربى يمر الآن فى بعث دينى كفيل بأن يتسرب إلى صميم السلوك السياسى والاقتصادى للشعوب المسيحية فى الغرب ، فيضع حدا لهذه الأخطاء الشنيعة التى تشوب سلوك الإنسانية ، وتدون صحف التاريخ بأحرف النار والدمار

وجواب هذا القطب البروتستنتى عن القسم الأول من هذا التساؤل ، أن هناك اتجاهات واضحة فى الانتاج الفكرى ، وفى السلوك اليومى للشعوب الغربية ، تدل بوضوح على أن هناك بعثا دينيا تزداد مظاهره جلاء يوما بعد يوم . ولكن صاحبنا يعترف بأن من الصعب عليه — وعلى أى كان من المراقبين المعاصرين لحاضر السلوك الدينى فى أمريكا وأوربا الغربية — أن يقدم البراهين القاطعة على هـذا البعث الدينى ، براهين تستند إلى حركة جديدة ثابتة الأركان كتلك التى سجلهـا عن حركات البعث الدينى ، وحدد أزمانها ومعالمهـا وأقطابهـا وأهدافها ومبادئها . ويعترف هذا الزعيم البروتستانتى كذلك بأنه قد يكون مخطئا فى تفسيره لمظاهر هذا البعث الدينى الجديد . فقد تكون هذه المظاهر ليست إلا سحابة صيف عابرة ، لا تستطيع أن تحيى موات الأرض

وقد عالج الدكتور نايبور هـذه الناحية فى حاضر الثقافة المسيحية فى بحوث عديدة منها كتابه « الإيمان والتاريخ Faith and history » ودراسة حديثة للعنصر الدينى فى تاريخ أمريكا المعاصر the Irony of American history ، وفصول وكتب أخرى تدرس فى أكبر معاهد الديانة البروتستانتية فى أمريكا

ويستشهد هذا العالم البروتستانتى للدلالة على أن الغرب يمر فى فترة إحياء دينى بأمرين :

أولهما نجاح نفر من الوعاظ المسيحيين فى أمريكا وبريطانيا برد آلاف من الرعية إلى حظيرة الكنيسة ، كما تدل على ذلك إحصاءات الهيئات الكنسية

ثانيهما هذه الظاهرة القوية التى أخذت فى السنوات الأخيرة تتسرب إلى الانتاج الأدبى والفنى فى أوربا وأمريكا ، ظاهرة تجد الخلاص فى مشاكل النفس وأزمات الضمير فى الإيمان [1] والرجعة إلى الدين . ويشترك فى هذه الرجعة نفر من الكتاب

(١) يستعمل كاتب هذه السطور كلمة (الايمان) بمعناها اللغوى

والشعراء فى ثنايا المنظوم والمنثور من إنتاجهم الأدبى .

وبعض هؤلاء الأدباء والمفكرين يدعو إلى الرجعة إلى الإيمان بأوسع معانيه ، مسيحيا كان أم بوذيا أم كنفوشيا، وتتخذ هذه الرجعة إلى الدين لونا من التصوف العميق كما هو الحال عند الأديب البريطانى الشهير (آلدوس هكسلى) الذى نشأ فى بيت خاصم العقيدة الدينية خصومة عنيفة ، واشترك جده الأكبر مع « داروين » فى مناقشة التفسير الدينى بطبيعة الأشياء ، وأصول النشوء والارتقاء . ولآلدوس هكسلى كتاب يعالج فلسفة التصوف فى الشرق والغرب ، فى تحبب وإعجاب ولون من الإيمان العميق بها

وجدير بالذكر أن الاتجاه نحو التوسع فى نشر التعليم الدينى قد عم معظم الأوساط الجامعية فى أمريكا الشمالية ، كما أشار إلى مؤتمر رؤساء الجامعات الأمريكية ، وهيئات الخريجين الذى انعقد مؤخرا فى شيكاغو

فإلى ما قبل سنوات قليلة كان التعليم الدينى مقصورا على موضوع أو موضوعين ، يعالجان التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) من ناحية أدبية بحتة ، تتعمد تربية الذوق الأدبى والثروة اللغوية أكثر مما تهدف إلى شرح التعاليم الدينية ودقائقها

والشعب فى أمريكا يتحدث الآن عن ذيول القرار الخطير الذى أصدرته منذ بضعة أسابيع فقط محكمة العدل العليا بواشنطون ، وهى أهم مرجع قضائى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأقرت به الحق لطلبة المدارس الحكومية ، الابتدائية والثانوية ، فى أن يختاروا حصة معينة من جدول الدراسة الأسبوعى ، يتلقون خلالها دروسا دينية ، كل حسب المذهب الذى ينتمى إليه ويختاره له أبواه أو أولياء أمره . وجدير بالذكر أن التعليم الدينى فى المدارس الحكومية فى أمريكا ، لا وجود له مطلقا . وإذا علمنا أن حوالى ٩٠ ٪ من الطلبة الأمريكان يتلقون علومهم الابتدائية والثانوية فى مدارس الدولة أدركنا خطورة هذا الوضع على الحياة الروحية بين الأحداث الأمريكان ، والفضل فى الإبقاء على الحياة الدينية يرجع إلى نظام (مدارس الأحد) التى أنشأتها الكنائس البروتستانتية ، واقتبسه عنها الكاثوليك واليهود ، ليتلقى الحدث فيها أمور دينه مرة كل أسبوع على يد القساوسة والحافظين للتعاليم الدينية من رواد الكنيسة وأتباعها

وهذه القسوة فى إبعاد التعليم الدينى عن برامج المدارس الحكومية فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية ، يعود إلى السياسة التى تعمدت فصل الدين عن الدولة ، وهى سياسة اتبعتها بعض الدول المسيحية لتتفادى الصراع الطائفى بين مواطنيها ، فالبروتستانت والكاثوليك ، يعيشون جنباً إلى جنب فى الدول المسيحية ، والصراع المذهبى بين الكاثوليكية والبروتستانتية كان ولا يزال على حدته المعهودة . فالبروتستانت تتهم الكاثوليك بالولاء لمركزية الفاتيكان وسلطة البابوية ، وهى سلطة يعتقد البروتستانت بأنها تتعارض فى بعض الحالات مع المبادئ الديمقراطية وحق الجماعات الدينية ، بأن تواجه مشاكلها الروحية المختلفة على ضوء الأوضاع والظروف الخاصة التى تتميز بها الجماعات ، ولا موجب لأن يتقيد الناس بمركزية الفاتيكان وهى مركزية يعتقد البروتستانت بأنها صارمة

وقد كان للنفوذ اليهودى القوى فى دخيلة الولايات المتحدة أثر فى تقرير الاتجاه بفصل الدين عن الدولة . فالتعاليم المسيحية بروتستانتية كانت أم كاثوليكية ، تدين اليهود بصلب المسيح ، وألوان المشادة والتعذيب والتآمر والتنكيل التى صاحبت نشوء المسيحية بين العبرانيين . وإذا جردت برامج التعليم فى المدارس الحكومية من نشر هذه التعاليم المسيحية ، أزيلت تدريجيا من أذهان الناشئة حقائق الصراع المذهبى بين المسيحية واليهودية من جهة ، وبين الكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى . وقد نجح اليهود فى توحيد جهودهم مع البروتستانت فى أمريكا وجعلها جهدا مشتركا للوقوف فى وجه الفاتيكان . فتم فصل الدين عن الدولة فى مظاهر رسمية على الأقل ، ومنها التعليم الحكومى . والواقع أن البروتستانت أكثر ميلا إلى تسامح

مع اليهود منهم إلى مصافاة الكاثوليك . فالفاتيكان يدرك إدراكا تاما خفايا اليهودية العالمية ومطامعها وأهدافها ، ولذلك فهناك صداقة مفقودة بين الفاتيكان وحكماء صهيون

قلنا إن قرار محكمة العدل العليا الأمريكية الأخير ، قد تغلب على مشكلة التعليم الديني في مدارس الدولة ، وذلك تلبية لحملة عنيفه شنها أولياء أمور الطلبة ، وأشاروا فيها إلى أن خلو برامج التعليم من الدروس الدينية قد خلف أزمات روحية وأخلاقية لم تعد تقوى أساليب التعليم الحديث على معالجتها دون معونة الدين ، وهذه الحملة من الأدلة التي يستشهد بها بعض زعماء الدين المسيحيين في معرض إشارتهم إلى البعث الديني الذي يعتقدون أنه أخذ ينمو في حاضر الغرب

ومما لا ريب فيه أن الثقافة الدينية تجد في أوربا — باستثناء منطقة النفوذ الشيوعي — مرتعا أكثر خصوبة ، منه في العالم الجديد

فالكاثوليك جذوع راسخة في ألمانيا وفرنسا ، فدارس الفكر المتيدة التي تمثلها : مجلة فرانكفورتر هافتي في ألمانيا ، ويتزعمها في فرنسا جيلون وماريتان ، هي من دعائم الفكر الكاثوليكي في حاضر الثقافة الفرنسية خاصة ، والأوربية على وجه العموم

ويراقب الفاتيكان هذا النشاط الثقافي في إطار العقيدة الكاثوليكية مراقبة دقيقة ، فبين رجال الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكية — وعلى الأخص في فرقتها المثقفة كجماعة اليسوعيين والبندكتيين — جماعة تفرغوا لحاضر الأدب والفن والفلسفة ، وساهموا في دراستها والتعقيب عليها ، ووفروا لأنفسهم نفوذا بالغا ، ساعدهم على تحقيق ما للفاتيكان من قوة في المواصلات الفكرية الحديثة ، في دور النشر والصحف ، وهيئات الإذاعة . وحين يلمس الفاتيكان شعوبية في التفكير بين المثقفين الكاثوليك من غير رجال الكهنوت ، يلجأ البابا إلى هذه المنشورات البابوية المعروفة بـ Encyclical التي تعبر في لغة دقيقة عميقة عن رأى الفاتيكان في شؤون الفكر والبحث العلمي . وقد أصدر البابا في ٢١ أغسطس عام ١٩٥٠ ، واحدا من هذه المنشورات العامة بعنوان « في الإنسانية » شرح فيه موقف العقيدة الكاثوليكية من البحث العلمي ، الذي يعتمد أن يبرز المكتشفات الحديثة في علوم الطبيعة والذرة والفلك والتحليلات الفلسفية ، على أساس المقارنة مع التراث الكاثوليكي في هذا النوع من النشاط العقلي . وقال البابا إن الكنيسة الكاثوليكية لا تقف موقفا معاديا للبحث العلمي ، فبعض ألوان هذا البحث قد يكون متمما للقيم الدينية والأخلاقية التي تستند إليها الديانة المسيحية . ولكن الذي يخشاه الفاتيكان هو أن يتطور هذا النشاط العقلي ، فيتحمس لتشريح العقيدة الدينية بمبضع البحث العلمي ، فيفسد على النفوس اطمئنانها . فالإيمان بالعقيدة أمر يكتسب بالفطرة، والتكوين الروحي العميق، وبعض حقائق هذا الإيمان لا يمكن أن تفسر تفسيرا علميا كما يفسر التفاعل الكيماوي والحركة الميكانيكية ، فإذا كان القصد من تسليط أضواء البحث العلمي على العقيدة الدينية لتزداد قبولها بين الناس ، فحرى بالمتحمسين لهذا القصد أن يتريثوا قبل أن يشكل عليهم الأمر ، ويدفعوا إلى الشك والإلحاد . فكما أن لمقدرة الإنسان حدودا وقيودا تجعله في بعض الحالات عاجزا عن تعليل الأسرار العلمية وخفاياها ، فإن لمقدرة الفكر على تحليل الإيمان بالعقيدة الدينية ، حدودا وقيودا كذلك . فالتطرف في كلتا الحالتين ، يفسد على المرء إيمانه بالعلم وإيمانه بعقيدته الدينية

هذه الإرشادات التي تصدر من الفاتيكان بين آنة وأخرى هي وليدة دراسة دقيقة للاتجاهات الفكرية في الجماعات التي تؤلف المجتمع الكاثوليكي بأوسع معانيه . وهذه الإرشادات هي بمثابة فتاوى يشترك في وضعها أهل الاختصاص من الكرادلة والمتبحرين في علوم الكنيسة ، والعاكفون من كهنوتها على متابعة الأدب والفن والتيارات الثقافية المعاصرة

وليس للكنيسة البروتستانتية — بسبب تشعب فرقها — مركزية تشابه الفاتيكان . ولذلك فإن تسجيل الاتجاهات

الدينية بين البروتستانت يكون بنوع من الدراسات الإحصائية التى يغرم بها الأمريكان ، وهم اليوم عماد العالم البروتستانتى . وعلى كل فإن كلتا الطائفتين — البروتستانتية والكاثوليكية — تمر الآن فى نوع من البعث الدينى ، سواء تعرف عليه البروتستانت بطرق الإحصاء ، أم سجله الكاثوليك فى الفاتيكان بأساليبهم الخاصة

والمراقب للحياة الدينية فى الغرب ، لا يصح أن يعتمد فى تسجيله لظواهر هذا البعث الدينى على أقوال رجال الدين أنفسهم ، فهم بحكم حماستهم وعلاقتهم المهنية بالدين ، أميل إلى تجسيم الظواهر ، منهم إلى معالجتها معالجة إيجابية

ففى الغرب أناس من غير رجال الدين ، يلمسون ظواهر هذا الإحياء الدينى ، ولكنهم يفسرونها تفسيرا خاصا

فهم من يقول إن الرجعة إلى الكنيسة مبعثها « أزمة الأعصاب » التى تعترى الناس فى أوربا وأمريكا ، بعد أن أتت الحرب الأخيرة ، والحرب الباردة الحالية على البقية الباقية من الاستقرار النفسى ، الذى تركتها الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية الخانقة التى حلت بالغرب فى فترة ما بين الحربين

وبعضهم يدعى بأن المجتمعات أميل إلى التعلق بلون من الإيمان الدينى الثابت حين تداهمها ظروف حادة من الهستريا الشاملة التى تصاحب فترات القلق السياسى والاقتصادى ، كهذه الفترة التى تمر بها المجتمعات فى أوربا وأمريكا اليوم . فالرجعة إلى الكنيسة — فى رأى هؤلاء البعض — مدفوعة بالرغبة فى التخلص من المآرق النفسية والمادية التى هيمنت على ملايين الأنفس التى أخذت تكفر بالمبادئ الاقتصادية ، بعد أن بليت بشرورها فى الحرب الأخيرة وحرب كوريا ، فرغبت فى أن تتخذ لنفسها مخرجا فى اختيار المبادئ الدينية

ومن الطريف أن طغيان العلم ، وما خلقه من آلات الدمار الذرى وقنابل الجراثيم ، قد وفر لرجال الدين فى أوربا وأمريكا فرصة حسنة للدعوة وترويج المبادئ الدينية ، فالوعى الباطنى للمجتمعات فى أوربا وأمريكا يرتجف هلعا من القنابل الذرية ، والبحوث والإرشادات للوقاية من ويلات هذه القنابل وملحقاتها لم تبعث فى هذه المجتمعات أملا فى النجاة والوقاية التامة ، وإنما زادت خوفهم خوفا ، وحين يتطرق الواعظ الدينى فى كنيسته — على سبيل المثال — إلى موضوع القنبلة الذرية وأهوالها ، ويقول لسامعيه بأن ابن آدم يعبث بآلات علمية ، لا يدرى إلا الله مدى شرورها وأهوالها ، وأن المخترعات الحديثة هى وليدة الصدفة ، وليست وليدة العقل البشرى الجبار ، والدليل على ذلك عجز هذا العقل البشرى عن استنباط الوقاية من هذه الشرور العلمية . حين يتحدث الواعظ بمثل هذا المنطق يجد لدى سامعيه آذانا صاغية ، وهذه الآذان لا يهمها فى أكثر الحالات أن تدرك عظمة الألوهية بقدر ما ترغب فى الخلاص من مخاوفها وقلقها . فإذا عجز العلم عن إزالة هذه المخاوف وإبادة هذا القلق ، فلا مفر من أن يجد المرء السلوى فى القضاء والقدر والعناية الإلهية

ومن هذه الظاهرة يلمس المراقب للحياة الدينية فى الغرب الرغبة بين الأوساط الدينية البروتستانتية والكاثوليكية باقحام الدين فى الحياة السياسية والنشاط الاقتصادى ، وهى محاولة لا تعلن صراحة عن رغبتها فى إعادة وصل الدين بالدولة ، فالفكر الغربى قد وطد فى أسسه الجوهرية مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وإنما ترغب فى أن يتسرب التفكير الدينى إلى صميم السلوك السياسى والاقتصادى ، ليحاول صياغة سياسة الحرب والسلم بلون من الاشعاع الدينى ، بعد أن سيطرت عليه القوة المادية ، قوة العلم وما خلفه من معاول للحرب والتوسع الاقتصادى

وبين البروتستانت والكاثوليك خلاف على أساليب الوصول إلى هذا الهدف ؛ فالفاتيكان ، وإن كان راغبا فى توطيد السلم والاخاء ، والحد من استعمال آلات الدمار الجهنمية التى استنبطها العلم ؛ إلا أنه يفضل لو تم هذا السلام بعد القضاء على الشيوعية واقتلاع جذورها ، ولو كانت الوسيلة إلى ذلك حربا عالمية جديدة ، إلا أن البروتستانت — أو على الأقل طائفة من أبرز زعمائهم — يعتقدون بأن الحرب الطاحنة ، إذا حلت بهذا العالم فإنها لن تقضى على الشيوعية فقط ، بل إنها ستقضى على معالم الحضارة المسيحية الغربية كذلك ؛ ولذلك فبين أقطاب البروتستانت — كجماعة الكويكرز مثلا — من يعتقد بإمكانية العيش لجميع النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة ، إذا صفت النية ، وساد جو العالم لون من الروحانية ، والسلوك الدينى القويم

نيويورك عمر حليق

شخصية الشافعى
على ضوء علم النفس الحديث

للأستاذ أنور الجندى

يتمثل لى الإمام « الشافعى (١) » حين أدرس سيرته ، هزيلا نحيلا ، ضامر الجسد ، مقبول الطلعة ، على الرغم مما قيل عن ملامحه..فليست الملامح فى الحق هى كل شئ.. وقد تبدو غير متسقة ، ولكن يبرز من ورائها «روح» صاحبها غاية فى القبول والتقدير عند من يتصل به

وأرى فيه مظاهر الرجل الذى يصفه علم النفس بالانطوائى.. وكل الرجال الذين احتضنوا الأفكار والدعوات والمذاهب ، كانوا من هذا الصنف

وقد عرف الشافعى بأنه يحب العزلة أحيانا ، ويلجأ إلى الصمت أحيانا ، وأنه يمكن لنفسه بذلك من التأمل والدرس والمراجعة وهى عدة الفقيه والداعية

وأتاح له هذا الجسد النحيل ، القدرة على السفر والرحلة واحتمال مشقة الانتقال بين العراق ومكة واليمن ومصر

ولد فى مكة ، ورحل إلى المدينة ، ثم سافر إلى اليمن ، ثم حمل إلى بغداد ، ثم عاد إلى مكة ... وقصد إلى بغداد ثم إلى مصر ، حيث أقام فيها بقية حياته .. ، وقد أتاحت له هذه الرحلة ، وهذا التنقل المتصل ، خلال هذه المنطقة التى كانت تعد فى ذلك الوقت قلب العالم الإسلامى ، فرصة واسعة لدراسة طبائع الناس وأخلاقهم ومعرفة مصالحهم واتجاهاتهم ، وفهم الحياة ومشاكلها وقضاياها

وقد أنضجت الرحلة ذهن الشافعى وتفكيره ، وأمدته بقوة سيكولوجية رائعة ، وأتاح له ذكاؤه المتقد ، وقدرته العقلية الجبارة ، مرونة ولباقة جديرين بالتقدير . فهو قد غير مذهبه ، الذى وضع أصوله فى العراق ، حين استقر فى مصر ، ووضع بدلا منه مذهبه « الجديد » الذى ضمنه خلاصة تجاربه وملاحظاته ودراساته خلال تلك الفترة الطويلة التى قضاها متنقلا فى الأقطار الإسلامية .. ، وكانت تجارب الأئمة والفقهاء الذين التقى بهم ، وقرأ لهم ، قد تبلورت فى نفسه ، واستقرت ، فاختار منها ما رآه صالحا مع البيئة الجديدة التى استقر فيها

وإذا كان يقال إن أبا حنيفة قد شرع بروح العراق ، وإن مالكا قد شرع روح الحجاز ، فإن الشافعى قد شرع بروح مصر . ويكاد الشافعى إلى ذلك أن يكون رابطة العقد بين فقهاء عصره ، فلقد ولد فى العام الذى مات فيه أبو حنيفة ، وتلقى العلم على مالك فى المدينة ، فبهره بجودة حفظه والمعية ذكائه ، . . ثم كان ابن حنبل من تلاميذه

وقد التقى حين قدم العراق بأبى يوسف ووكيع ، وبذلك يمكن القول أن الشافعى قد أحاط بالفقه الإسلامى فى عهده واستوعبه استيعابا كان كفيلا بأن يجعله عميد الفقهاء وإمامهم فى عصره ، فهو الإمام الذى وضع الموازين والمقاييس ، وضبط الفقه ، بعد أن جادل الفقهاء وقارعهم وانتصر عليهم

فإذا تركنا الحديث فى فقه الشافعى للفقهاء ، وذهبنا نتقصى « شخصيته » الإنسانية وجدناها غاية فى القوة والسمو والحيوية ، وتعدد الجوانب وسعة الأفق ، وذلك بالإضافة إلى ما أثر عنه من براعة وذكاء

يتحدث الذين عاصروه عنه ، أنه كان محببا إلى نفوس عارفيه ، وكان إشعاعه ولباقته وحسن حديثه يكسبه حب الناس وثقتهم .. مما كان يزيد عدد أتباعه ومريديه يوما بعد يوم وأنه قد توافرت له صفات الداعية ، صاحب المذهب ، هذه الصفات التى تتمثل فيما أثر عنه من طول أناة وحلم ، وابتسام ثغر ، وإشراق وجه وبعد عن الغضب ، وتواضع وخفض جناح وسلامة صدر ، وصفح عمن يسئ إليه .. وبعد عن التعصب ، وإملاء الرأى . . فقد كان يعذر مخالفيه فى الرأى ويقبل منهم

ويرجع ذلك إلى تلك الأصالة النفسية التى كونت «طابعه» طابع الزعامة ، فقد كان « رياضيا » تعلم الرماية وأغرم بها وأجادها ، وكان يرمى عشرة فى عشرة وقال عن نفسه « كانت همتى فى الرمى والعلم »

وقد نقل أسلوب الرياضيين ، من ميدان الرمى ، إلى حلبة

(١) أذيعت خلاصة موجزة لهذا الفصل من محطة الشرق الأدنى

الفقه ، فكان واسع الصدر إزاء معارضيه

وآية قدرته فى الإقناع على طريقة الرياضيين ، إقناعه الرشيد ببراءته وهو يخوض بحراً من الدماء ، فقد صرع أمامه تسعة ، استلت السيوف اللامعة أعناقهم ، فلما جاء دوره أعطته عارضته القدرة على أن يناقش الرشيد ويقنعه وهو فى هذا الجو العاصف ، وإزاء هذه الشخصية الجبارة

لقد اتهم بالعمل ضد الرشيد وحمل مقيداً من اليمن مع عشرة من أصحابه ، فلما جئ بهم إلى الرشيد ، وضع حداً لأجلهم ، أما هو فقد أقنع الخليفة .. قال له وهو بين النطع والسيف ..

« .. يا أمير المؤمنين ما تقول فى رجلين أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده .. أيهما أحب إلى ؟ قال الذى يراك أخاه ! قال : فذاك أنت يا أمير المؤمنين ». فلما وضع يده على الخيط .. مضى بقيته بقوة ، قال : إنكم ولد العباس وهم ولد على ، ونحن بنو عبد المطلب ، فأنتم ولد العباس ترونننا إخوتكم ، وهم يروننا عبيدهم

... ونجا

وقد بلغ به حب الرماية أن لم يكن جلال السن والإمامة بمانع إياه عن أن يرمى

وقالوا عنه إنه كان يقتصد فى لباسه ، ولم تعرف له صغيرة ، وكان يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل «القرآن» فيسألونه ، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل « الحديث » يسألونه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا .. ثم تستوى الحلقة « للمناظرة » والمذاكرة ، فإذا ارتفع النهار تفرقوا ، ثم جاء أهل « العربية » والعروض والشعر والنحو حتى يأتى المساء .. والشافعى جالس فى حلقته لا يضيق بالعلم ولا بالناس

ولا عجب فقد كان الشافعى أديبا يتذوق الشعر ، ويقول أجوده ، ويقدر الجمال ويعجب به فى مختلف صوره النفسية والحسية ، بل لقد كاد أن يكون أديبا خالصا أو فنانا خالصا ، لولا أن أتيحت له فرصة دراسة الفقه ، فمضى فيه ، حتى برز وبلغ القمة ...

وقد روى عن ذكائه وألمعيته وسرعة حفظه الكثير ، مما زاد فى قوة شخصيته أضف إلى ذلك ماروى من أنه إذا تكلم كان صوته أشبه بالصنج أو الجرس ، وكان إذا قرأ القرآن التف حوله الناس ، وضجوا بالبكاء .. قال بعض أتباعه « كنا إذا أردنا أن نبكى قلنا قوموا إلى هذا الفتى المطلبى الذى يقرأ القرآن .. فإذا أتيناه استفتح القرآن فتساقط الناس بين يديه وكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته »

ومن هنا جاءت قوته كداعية، يستطيع أن يجمع الناس حوله وأن يحببهم إليه ، وتلك من الشمائل التى لا تتوافر للكثيرين. وقديما كان الصوت الجميل وطلاقة اللسان من أدوات الداعية الفذ

ويرجع السر فى فصاحة « الشافعى » إلى أنه أقام بالبادية فلقن اللسان العربى

وفى المدينة وصل إليه علم « مالك » كله ، فقد لزمه حتى مات ، وفى بغداد وصل إليه علم « أبو حنيفة » كله بعد أن حمله محمد بن الحسن .. ومن ثم اجتمع له علمان : علم أهل الرأى ، وعلم أهل الحديث

وقد وصل الشافعى بعلمه وثقافته إلى درجة المجتهدين ، وارتفع من أن يكون من أتباع « مالك » ، أو تلامذته الذين يجرون فى حدود مذهبه ، فكان ذلك مصدر الخلاف بينه وبين المالكية فى مصر ، وقد لقى من ذلك عنتا شديدا

وتوافرت للشافعى كل وسائل « العالم » ، كما توافرت له كل وسائل « الداعية » فقد أثر عنه أنه كان يذهب إلى الصباغين يتساءل عن معاملاتهم ، ويرتاد السوق يحدث أصحاب الحرف ..

وبلغت به الثقة أن كان يعرف أن أهل مصر فرقتان : فرقة مالت إلى قول مالك وفرقة مالت إلى قول أبى حنيفة ، ولكنه كان يقول فى حماسة ظاهرة « أرجو أن أقدم إلى مصر فآتيهم بشئ أشغلهم به عن القولين جميعا .. »

وقد حدث ما توقعه .. غير أن الخلاف لم يلبث أن نشب بين أتباعه وأتباع مالك فلقيه فتيان ابن أبى السمح المالكى ليلا فضربه أحدهم بمفتاح حديد فشجه .. ، فلم يسعف بالعلاج فمات .. وقد مات فقيرا ، ولم يترك شيئا يذكر ، وكان قد أجهد نفسه فى الفترة التى قضاها فى مصر إجهاداً بلغ به غايته

أنور الجندى

٢ - جـــوته

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تابع ما نشر فى العدد ٩٨٦

غوته يعتزل الحياة السياسية :

وأخيراً وصلوا إلى النتيجة المحتمة فقال : « كم أكون أحسن حالا وأهدأ بالا إذا أنا نسيت المشاجرات السياسية ووجهت قواى للعلوم والآداب التى لأجلها ولدت . وكل من يحمل حياته للوظيفة — إلا إذا كان أميراً سيدا — فهو إما أن يكون سخيفاً أو مغتصباً أو مجنوناً » . وبمرور الزمن أصابت غوته الهموم وهاجته الغموم ، فأصبح مريضاً مرة أخرى وأراد التخلص من هذا الوضع الذى تردى فيه فقرر الفرار ناجياً بأهابه . وكان سبب ذلك — على ما نعلم — حادث غرام سقط فى شبكته وذلك بتعلقه بالآنسة (فون شتاين) تلك الفتاة الغامضة الخفية ، التى لم تخص من الجمال ولا من العاطفة بشئ يذكر . وقد كان لهذه الحادثة تأثير بالغ فى حياته مدى جيـــل . ولو لم يفر بجلده لتحطمت حياته آنذاك ، وكانت إيطاليا فى هذه المرة محط رحاله — تحت سماء بهيجة رائعة وفى وسط شعب جنوبى ، أما هـذه المرحلة من حياته فقد جعلها للتأمل فى الفنون العظيمة ، وكانت بمثابة تجربة أغنى بمعانيها وألطف فى مدلولها من حادثة غرام تظاهر فيها الفروسية الـكاذبة التى شاءت الصدف أن تفرض عليه فرضاً فى (وايمر)

إن إدراك معنى هذه التجربة صعب جدا ليس علينا وحسب بل حتى على المؤرخين الأدباء ودارسى غوته ، فهم لا يعرفون عنها شيئاً ، وهم يعترفون بذلك صراحة . ومن اليسير علينا أن نشعر بما كان يشعر به من عواطف هى عواطف السعادة والتحرر والانعتاق ، والتى يعبر عنها بتعجب بأقواله « إننى ولدت ولادة ثانية ، ولادة حقيقية فى اليوم الذى وصلت فيه روما » وأشعر « بشباب جديد ، شباب ثان ، إنسان جديد ، حياة جديدة » و « أشعر بتغيير فى نخاع عظامى » . كل ذلك أظهره فى رسائله التى بعث بها إلى (شارلوت فون شتاين) التى تركها بدون وداع

إن الشمول هو الغرض الأساسى الذى كان يسعى إليه جهد استطاعته ؛ والسكامة التى كانت لاتفارق شفاهه باستمرار فى ذلك الوقت ، فالتاريخ الطبيعى والفن والأخلاق الخ أصبحت جميعاً منسجمة بنفسه ؛ وقد علق على ذلك بقوله « إنى أشعر أن شمسى تسطع سطوعا باهرا » . أجل إن شمسه سطعت فى تأملاته التى كان يخص بها الفنون القديمة ، وكان ينظر إليها لا كنظار رجل يدرى شيئاً بعيدا عن نفسه ، بل كان ذلك طبيعة نامية فيه ، فقال عن نفسه « إن الطفل المريض والضعيف سابقاً يمكن أن يتنفس الحرية بطلاقة مرة أخرى »

ماذا عنت إيطاليا بعبقريته

ليس فى مكنتنا سوى تخمين العوامل التى أثرت فى شخصيته.. ومن هذه العوامل علاقته بجزات البحر الأبيض المتوسط ، التى كان لدمه بها صلة وكان لهذا العامل (اللاألمانى) فوائد تحررية عليه ، فهى التى وسمت غريزة العظمة فيه ، وهذه الغريزة مستمدة من الغريزة التاريخية . وقد وضعت إيطاليا الصبغة النهائية على قسمات وجهه ، فأصبح الألمانى المهذب ذا وجه ألمانى بالنسبة إلى وطنه ، ووجه ثان هو أقرب إلى وجوه الوظفين المتجولين والمتظاهرين بالحشمة ، وفى الوقت نفسه تغير فيه كل شئ فأصبح متزنا كاملا مكتفياً بذاته ، منطويا فى قرارة ذاته على نفسه وغدا اتصاله بالناس صعبا جدا ، ولم يبق من صلاته الصداقية القديمة شئ يذكر ، فشعر كل واحد من أصدقائه بالبرودة المتجمدة التى كانت تظهر عليه

وقد علق أحد أصدقائه بعد أن قضى معه ليلة من الليالى بما يلى : « وشعرنا وكأننا نعيش فى محيط بارد جدا وكانت السآمة تخيم علينا بثقلها ، وأضحت شهامته ملاطفة وحشمته ظاهرية. أما (شلر) الذى لم يكن يلحظه غوته فى غضون إقامته فى أول شتاء قضاه فى (وايمر) فقد حدثنا عنه بقوله « كانت له موهبة تأسر الناس وتسحرهم سواء أكان ذلك فى الأمور البسيطة أم الـكبيرة ، على أنه كان يحتفظ بنفسه فوقهم ، وكان الناس يشعرون بوجوده بسرور بالغ ، ولـكن وجوده كان كوجود الآله لا يعطى من نفسه »

ولكن عملا منافيا اجترحه بعث الناس ذوو الأخلاق العالية والسلوك الحسن على الغضب عليه ، وتتلخص هذه الفعلة بإيوائه فتاة إلى سريره، وكانت هذه الفتاة جميلة جدا وجاهلة جدا، وكانت بائعة ورد واسمها (كريستيانا فولبيوس)، وكانت هذه العلاقة علاقة دعارة استفزازية صارخة ، ومع ذلك فقد جعلها بعد عدة سنين علاقة شرعية ، ولكن المجتمع لم يغفر له ولا لها ، وولدت كرستيانا له عدة أطفال ، ولم يبق منهم فى قيد الحياة إلا أوغست الذى وصل إلى منتصف العمر وأصبح ثقلا مرهقا على والديه بسلوكه المتوحش وأخلاقه الفظة وعاداته الذميمة وعربدته الشائنة

كان غوته يشبه فى شبابه « أبولو » أو هرمز (الاله إلا قصر ساقيه) يشبههما فى رشاقته ، ولكنه اكتسب سمنة عندما بلغ من الكبر عتيا، وكان ذلك فى إيطاليا وفى بداية القرن الذى لازمه طويلا فأصبح وجهه بدينا كثيبا وخدوده متهدلة فتحول أبولو حتى غدا (جوبتر) بالذات ، رأس رائع وحاجبان بديعان بارزان يعلوهما شعر غزير ملفوف معتنى به ، وعينان سوداوان يشعان بالروح مظللتان بظلال التعب والكلال ، كما أن لباسه كان يميل بمظهره ، إلى المحافظة ، أما خشونته التى طالما كان يفتخر بالتظاهر والتباهى بها فى شبابه فقد اتخذت شكلا واقعيا فى سيماء الرجل العجوز ، وهكذا اجتمعت فيه خشونة شكلية وتظاهر رسمى وخيلاء خادعة، فحولت كلامه إلى حديث رجل متعلم عادى

غوته يصبح أسطورة العظمة

تمتاز الفترة بين السبعين والثمانين من عمر غوته بأنها فترة العظمة الأسطورية، وبأنه أصبح الممثل الحقيقى للثقافة الغربية فى أوسع معانيها ، فشرع الناس يحجون إليه من جميع أنحاء العالم، وكان غوته يكره النظر خلال النظارات ، ولذلك لم يكن يحظى لابسو النظارات بحفاوته ! أما الزائرون الذين زاروا أماكن غريبة أو شاهدوا مناظر بديعة فقد كانوا محط حظوته والتفاته، وكانت أوامره إليهم تتلخص بـ « قف ! دعنا نقتل هذا الموضوع بحثا » . كانت فيه رغبة ملحة لمعرفة كل شىء، وإرادة للتصرف على جميع الحقائق التى يمتلكها الآخرون ، وإذا ما أظهر أحد الزوار شيئا طريفا أو قدم معلومات ممتعة دعاه للعشاء معه، فيقدم له ما يشاء من المأكولات والمشروبات على طريقة الملوك، وربما سمح له بمشاهدة المجموعات النادرة من الزخارف النحاسية والأوسمة والآثار القديمة التى كان يحتفظ بها فى قصره الفخم الذى أهداه إياه الدوق العظيم « قصر فراد بلات » ؛ إن الاحترام الهائل الذى حظى به الرجل كان راجعا بالدرجة الأولى إلى جلال كتاباته المبدعة، وما من شك فى أن أسلوب حياته وما كان يهواه من العلوم والهوايات أضفت ستارا شفافا ساحرا على شهرته كحكيم، ونسجت برودة من العظمة حول شخصه ، بحيث أن كل ذلك كان يبدو جليا فى الرسائل التى كانت تمتون إليه ، فكان مراسلوه الفرنسيون يلقبونه بـ « السيد العظيم » وهو لقب الأمير ، كما أن إنكليزيا كتب إليه بعنوان (إلى صاحب السمو العاطر الأمير غوته فى « وايمر » . وقد علق الرجل الشهم « غوته » على ذلك بقوله « امل الناس عندما يخاطبوننى بهذه اللهجة يقصدون الإمارة الشعرية »

ولما مضى الشاعر العظيم لحال سبيله » كان الرجل الألمانى العادى والذى لم يقرأ شيئا من كتبه يخاطب صاحبه بقوله « هل سمعت أن غوته العظيم مات ؟ » وكثيرا ما أوصلته الأمراض الشديدة إلى حافة القبر ، ومن ذلك أنه فى السنة الثانية والخمسين من عمره هوجم بمرض الحمرة البشرية ونوبة سعال شديدة ، وبعد مرور أربع سنوات انقض عليه مرض النومينيا مع نوبات حادة، كما أن داء المفاصل ومرض الكلى هاجماه فاضطر إلى الرحيل إلى بوهيميا . وما أن أقبلت سنة ١٨٢٣ ـ وقد بلغ عندها سنه الرابعة والسبعين ـ حتى نجده واهن القوى روحيا وجسديا . كان ذلك بمثابة رجعة لوداع الحب فى (مارى باد) وعلى الرغم من أن المرض الذى أعقب ذلك كان صعبا وصفه، ولكنه كان قتالا فى تأثيره

والخلاصة أن علاقته بالحياة أخذت تدريجيا تتعرض للخطر ، واشد ما كانت هذه العلاقة موضعا لإيثاره وحبه وغرامه ، فحاول جهد ما استطاع أن يتظاهر بالخشونة كى يلعب دوره الذى قدر له ، دور ابن الأرض القوى ، دور ابن شجرة النبق ،

وكثيراً ما كان يباهي بذلك . أما أسلوب حياته فكان صحياً ، ولكنه كان أكولا متحمساً ، وكان يعير شهيته الشيء الكثير من التفاته مع كراهية للكمك والحلويات

إن غوته يمكن أن يعتبر — بمقاييسنا الخاصة — مدمناً للخمر ، لأنه كان يشرب قنينة كاملة من الشراب في العشاء علاوة على عدة أقداح من الشراب الحلو في وقت الغداء ، وكانت عادته ذم الأشخاص الذين يفقدون حيويتهم بسرعة ، وقد أشار إلى ذلك في حديث طريف مع أحد أصدقائه ـ وقد بلغ آنئذ الحادية والثمانين ـ في معرض كلامه عن وفاة (سوم‌رنغ) العالم الألماني الشهير في التشريح) فقال : « وسمعت بأن سومرنغ توفى في الخامسة والسبعين من عمره التعس وحسب . إن الناس جبناء فهم لا يملكون القوة الكافية للاحتفاظ بعمر أطول من ذلك . وعليه فليس لي إلا أن أمدح صديقي « بنتام » الاقتصادي الإنكليزي ، ذلك الراديكالي المجنون لأنه أكبر مني بأسابيع قليلة » فأضاف مشاركه في الحديث بقوله « ياصاحب الفخامة لو كنت ولدت في إنكلترة مثله لأصبحت راديكاليا مشابها له ولانتقدت معايب الحكومة كما فعل هو » فما كان من غوته ، وكانت سحنته تشبه سحنة (ميفستوفيليس) إلا أن يجيب « وماذا كنت تظن ؟ لو أنني ولدت في إنكلترة لأصبحت دوقاً أو مطراناً دخله ثلاثون ألف جنيه استرليني » إن هذا هو التفاخر بعينه ، والتبجح السافر ، والشعور الراسخ بالتفوق ، إنه كان يعتقد بصورة أسطورية بأنه لا يمكن له إلا أن يولد تحت أحسن الظروف ، وأن الانتقادات لا تصدر إلا من أناس ليسوا حائزين على امتيازات ومواهب خاصة

جوته في أوج قوته

كان غوته معجبا بشعار خاص هو (الجزاء الكامن) في هذا التعبير الذي لم يكن يقف (بصمد) أمام المنطق ، ولكنه كان بدهيا على شفتيه ، ماذا يعني هذا التعبير ؟ إن الجزاء ليس كامنا ، إنه يحقق ويحصل عليه ، وكل شيء كامن ليس فيه للانسان فضل « اللهم إلا إذا فصلنا الكلمة من مضمونها الأخلاقي » وهذا ما يقصده هو بالذات . إن هذا التعبير تجن واضح على الأخلاق ولكل نضال واجتهاد . وقد اعتاد غوته أن يقول مفسراً بذلك نظريته « يجب أن يكون الإنسان شيئاً كي ينتج شيئاً » أو بكلمة أخرى إن ما كان يعنيه لا يخرج عن كون الفضل والكرم في الوجود حاصلا بصفته وجوداً لا بصفته عملا ، وقد عبر عن عقيدته هذه بصور متنوعة ، ولكن الجملة التالية هي أحسن ما أراد أن يقوله « كثيراً ما سمعت الناس يقولون : آه لو أن التفكير لم يكن صعبا لهذه الدرجة ، ولكن الشيء المزري ، أن أية كمية من التفكير لا تساعد الإنسان على التفكير ، بل يجب أن يكون تفكير الإنسان صحيحا بالطبيعة كي تقف جميع أفكارك الجيدة أمامك ، كما يقف أبناء الله الأحرار فينا دونك بقولهم : نحن ها هنا » . الطبيعة ! لم يكن غوته ـ في قلبه ـ ابن أبيه مطلقا ، ولو أنه لحد ما يعيد بعض الميزات الأبوية ، ولكنه في الحقيقة ابن أمه ، ابن « فراد أجا » — بنت الفندهري — تلك الفتاة ذات المزاح الشفاف ، وأكثر من ذلك كان في الحقيقة ابن الأم الكبيرة ، ابن الطبيعة نفسها . أما فكرته عنها فكانت الكمال بعينه وضرورة الوجود الذي كان متعلقا به أشد التعلق ، ومفهومه له كان لا يتعدى عالما حرا من الأسباب والتصاميم المتداخلة في عالم يعيش فيه الشر جنبا إلى جنب مع الخير ، وقد بين ذلك بصورة جلية بقوله « نحن نناضل في سبيل جعل الفن كاملا بذاته . أما هم « يعني الأخلاقيين » فيفكرون في التأثير الخارجي ، هذا التفكير الذي لا يهم الفنان الحقيقي كما لا يهم الطبيعة نفسها ، فهي عندما تبدع أسداً أو طيرا لا يهمها أن نلاحظ شيئا من ذلك » . فوهبته المبدعة كانت هبة من الطبيعة التي تحتضن الشر والخير سواء بسواء . فكما أن تأليهه للطبيعة كان المنبع الرئيسي لطيبته ، كذلك كان في نفس الوقت منبعا للا مبالاته وقلة حماسته وسخريته من الأفكار وكراهيته للتجديد ، الذي كان يعتقد بأنه محطم للحياة نفسها . وهذه هي الأشياء الوحيدة التي كان ينتقد عليها . وعليه فليس غريبا أن نرى مقته للثورة الفرنسية مع أنه بشر بمبادئها ومهد لها بكتاباته ، أما مؤلفه « آلام فرتر » ، الذي أنتجه في عنفوان

شبابه ، والذى كانت فيه العاطفية واضحة بارزة ، فقد هز أسس النظام الاجتماعى القديم هزا عنيفا . إن موقفه هذا تجاه الثورة الفرنسية بعيد إلى الذاكرة موقف أرازموس تجاه « الإصلاح الدينى » ، أرازموس ذلك الهولاندى العظيم الذى عمل جهده للتمهيد للاصلاح ، ولكنه تنكر له بتقزز وامتعاض . وقد جمع غوته نفسه هذين الحادثين « القلقين » ببيته المشهور لا فى هذه الأيام ، أيام الاضطرابات ، رفضت الفالسية (١) الثقافة الهادئة ، كافعلت اللوثرية ذلك فى عهدها » . وهو كذلك ، وكذلك فعل عندما رفض القيمة الكاردينالية التى قدمها البابا إلى (الإنسانى العظيم (٢)) وقد اعتذر عن ذلك بأعذار رقيقة ، فهو لم يرد أن يجعل من نفسه حليفا للنظام القديم الذى انهارت معظم قيمه ، ولا نصيرا للنظام الجديد الذى اعتبره غير مهذب ، ومع كل ذلك فسياسة غوته المحافظة كانت مزعزعة لا يركن إليها ولا يعتمد بها . ولما أصدر (فريهر فون كاكدن) سنة ١٧٩٤ بيانه المعروف الداعى إلى توحيد المثقفين الألمان كى يضعوا أقلامهم فى خدمة (الصالح) ــ أى قضية المحافظين ــ ولكى نكون أكثر دقة ، إنشاء اتحاد ألمانى لتخليص البلاد من الفوضى ، وقف غوته صديق كارل أوغست المخلص وشكر البارون لثقته به ، ولكنه اعتذر بقوله (إنه من المتعذر ربط الأمراء والكتاب فى قضية واحدة) ، فانسحابه هذا ، ومحاولته الابتعاد عن كلا الجانبين ، ينطبقان تماما على إرازموس أيضا ، ولكن غوته كان إرازموس ولوثر متقمصين شخصا واحدا ؛ كان اتحادا لطيفا وشيطانيا فى نفس الوقت ، وكان وجوده يمتاز بكونه مثالا وقدوة لغيره . كان مثالا يحتذيه الألمان ، وقد تمكن بنفسه من تحقيق المثالية الألمانية لا بل مثالية الإنسان ، ومع ذلك فقد وقف كثير من معاصريه وقد بلغ بهم الأذى والمرارة حدا جعلهم يكرهونه ، وقد عبر عن ذلك بورن بقوله (إن قوته كانت قوة تخريبية بدلا من أن تكون قوة إنشائية ، وقد كانت عائقا للتقدم وخصوصا جوده السياسى ، وطبيعته الكارهة للفكرة الديمقراطية الوطنية التى كانت تمثل العصر ، فكان يعارض حرية الصحافة وحرية التقدم والديمقراطية والقانون ، وكان يعتقد بأن كل شىء معقول فى ظل الأقلية) . وكان يؤيد الوزير الذى كان يطبق خططه ضد رغبات الشعب ، وكان يشعر شعورا عميقا بالغرور الإنسانى ، وقد اعترف يوما ، بأن مجرد النظر إلى وجهه يكفى للتخلص من الكآبة ، ولكنه لم يكن يؤمن إلا إيمانا ضئيلا بالإنسانية ومستقبلها الحسن ، فلا يمكن تعليم الناس العقل والعدالة ، ولا يمكن إنهاء الحروب وإراقة الدماء والتذبذب فى الشؤون العامة

(للكلام بقية) بعقوبة ــ يوسف عبد المسيح ثروت

(١) الغالسية هى الفرنسية نسبة إلى الغول : أجداد الفرنسيين

(٢) الإنسانية (humanism) : مبدأ أدبى فى عهد الإصلاح وكانت الغاية منه نشر الفنون والآداب اليونانية والرومانية

نساء عرفن في زمن النبي

للأستاذ ناصر سعد

هذه نبذة مختصرة عن نساء عرفن في زمن محمد (ص) منهن من اشتهرن بعمل خير أفدنه به فتركن لأنفسهن أحمد الأثر بنفسه فأثنى عليهن .. ومنهن من دعون لإيذائه ومحاربة دينه الحنيف الجديد فتركن لأنفسهن أسوأ الأثر بنفسه وغضب الله عليهن ورسوله ؛ ولا ريب في أن الخيرات منهن اندفعن وراء إخلاصهن للرسول العظيم ووراء إيمانهن بدينه الجديد فأتين بما يبهر من الأعمال وخلدن أسماءهن فرقين مكانة عالية في الإسلام والتاريخ تحفز المرأة الحديثة إلى اقتفاء آثارهن والتحلي بصفاتهن الحميدة ؛ وأما الأخريات اللواتي دعون لإيذائه ونبذ دينه فقد اندفعن وراء عصبيتهن لغشاوة كانت ترين على قلوبهن حتى تبين للبعض منهن الحق من الباطل فيما بعد ، فتسرب الإيمان إلى قلوبهن وأسلمن وعدن يخدمن الإسلام مكفرات عما سلف من أعمالهن فعفا عنهن الرسول (ص) . ومن أولئك النساء :

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبي (ص) حملت به فكان كل ما في الدنيا بهيجا بعينها ، تبتسم لها الحياة فتبتسم لها ، وليس يسعد المرأة أكثر من مولود تضمه بعد مشقة الحمل والولادة إذ يهون عليها كل ألم لابتسامة تنتظرها من مولودها الذي تضع فتحنو عليه وتحبه ، لأن بهذا الحب سر الوجود والحياة ، وما زالت الحياة تبتسم لابنة وهب حتى ذهب عنها شريك حياتها عبد الله بن عبد المطلب وهي ما زالت تحمل جنينها — على أصح الأخبار — فبدت في سماء حياتها سحابة سوداء أزالت عن ثغرها تلك الابتسامة والبهجة ، وملأت قلبها عزماً وحزماً صممت بهما أن تربي مولودها المرتقب خير تربية ليمحو ما بقلبها من الحزن بدعابته وابتسامته ، فولدته وعلى محياه سيماء النبوة ، وأرضعته بلبان الشرف والسؤدد . ثم إنها إما لضعف اعترى صحتها أو لعادة كانت جارية آنذاك أرضعت وليدها من ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعت عمه حمزة (ض) ثم أرضعته أم كبشة حليمة بنت أبي ذويب السعدية التي أرضعت معه عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم تزل آمنة تجد بتربية ولدها بكفالة جده حتى ظهر من حسن خلقه وجمال طبعه — على صغر سنه — ما يدهش ويحير . فمن ذلك أنه لما كفله عمه أبو طالب بعد وفاة أمه وجده ، وعمره سبع سنوات ، كان حين يجلس مع صبيان البيت يكف عن النهب وتمتنع يداه ، على عكس لداته من الأطفال ، مما اضطر عمه أن يعزل له طعامه ، وليس لنا أن نقول إن ظهور هذا من محمد (ص) كان ليتمه وشعوره بالوحدة .. كلا فإنه تربى في هذا البيت وألف صبيانه . وإنما ذلك سر إلهي ونتيجة للتربية الصحيحة التي نهجتها آمنة بتربية ولدها ؛ لأن للمرأة الأثر المباشر في تربية وليدها وتنشئته ، هذا هو أثر آمنة بنت وهب في حياة سيد البشر (ص)

ومنهن مرضعته حليمة السعدية التي مر ذكرها .. وهذه المرأة كانت على جانب عظيم من حسن الطبع وجمال الخلق ورقة القلب ؛ فرضعات بني سعد كن يأتين مكة ليرضعن أبناء أشرافها لضيق ذات أيديهن ، ولم تجد حليمة غير يتيم عبد المطلب لترضعه فحركها العطف عليه وهي لا تنتظر من المال ما ينتظره صويحباتها اللواتي رافقنها إلى مكة لغرض الإرضاع ؛ فهي لو لم تكن ذات شرف وخلق قويم وقلب رقيق لم يرضع عبد المطلب حفيديه محمدا وأبا سفيان منها ، فهي من بني أسد بن بكر بن هوازن وتنتهي لقيس عيلان .. بقي النبي (ص) عندها أربع سنوات ربته على المروءة والشهامة والصدق والأمانة ثم ردته إلى أهله وعمره خمس سنين وشهر واحد . وقد أحب النبي مرضعته حبا كثيراً حتى أنه لما أخبرته بعد فتح مكة إحدى نساء بني سعد بوفاتها ذرفت عيناه عليها ثم قالت له الناعية : — (أخواك وأختاك محتاجون) فأرسل إليهم ما يحتاجونه . فقالت له تلك الناعية : — (نعم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرء كنت كبيراً عظيم البركة) .. لا ريب في أن الذكريات تلك الساعة عادت برسول الله فتذكر أيام طفولته وحنو مرضعته عليه وإلفته مع إخوانه ، إنها الساعة حلوة مرة اختلطت بها ذكريات الطفولة السعيدة وجلال الموت . . هذه حليمة التي ذرف عليها دمع النبي (ص) تركت ولا شك أثراً عميقاً بقلبه الرقيق الحساس

ومنهن أم أيمن (بفتح ميمها) بركة الحبشية مولاة عبد الله أبيه، حضنت محمداً بعد وفاة أمه. ولاريب فى أن هذه المرأة وقد احتواها بيت عبد المطلب وخدمت ابنه عبدالله كانت امرأة بارة بمحمد، تعترف بجميل جده وأبيه، وتقدر أثر اليتم بنفس ربيبها وشعوره به، فأحاطته بعطفها وحنانها، وخففت عنه ذلك الألم وهو الطفل المرهف الحس فاعتاض بها عن أمه ، كان لهـا جميل الأثر فى نفسه

ومنهن خديجه بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب المرأة الحكيمة الموسرة كلمها ابو طالب فى أن توكل محمداً على تجارتها وهو الصادق الأمين، فتأملت وهى المرأة الرشيدة فأنست خيراً ووكلت محمداً واشترطت له كل سفرتين بقلوصين ، فصار يذهب بتجارتها ويقدم إليها الربح الجزيل بأمانة وإخلاص، فلما أعجبها إخلاصه وأمانته وصدقه عزمت على التزوج منه ولم تكن معه على صلة متيسرة بدليل وساطة نفيسة بنت منية أوكما قيل بوساطة ميسرة مولاها بينهما . وكان أبوها خويلد يرغب عن تزويجها من محمد ، فاحتالت بأن دعت قوماً من قريش فيهم أبوها وقدمت إليهم طعاماً وشراباً ، فلما أكلوا وشربوا وثمل خويلد قالت له : — (إن محمد بن عبد الله يخطبنى فزوجنى إياه) فزوجها ورضى بذلك ، فقامت إليه وألبسته وطيبته على عادة من يزوج ابنته آنذاك ، ولما أفاق ورأى ما هو فيه سألها يقول : — (ما شأنى ؟) قالت : — (زوجتنى من محمد بن عبد الله) . قال : — (أنا أزوج يتيم أبى طالب ؟ لا لعمرى) قالت : — (ألا تستحى.. تريد أن تسفه نفسك عند قريش فتخبر الناس أنك كنت سكران ؟) ثم رضى بعد إلحاح وتم الأمر ، وعمرها أربعون سنة ولمحمد من العمر خمس وعشرون سنة . . إن هذه الرواية لخير دليل على تعلق خديجة بمحمد وحبها إياه لما اتصف به من الخلق الحميد ، وإلا فلا يعز عليها الرجال وهى الشريفة الموسرة .. وليس فضل خديجة على الإسلام بمجهول ولا مداراتها للنبى بمنكورة، فلقد كان لها رضى الله عنها أطيب الأثر بحياة الرسول قبل النبوة وبعدها إذ كانت تزوده بما يكفيه من الطعام فيذهب لغار حراء يقيم فيه الأيام والليالى متعبداً مفكراً فى أمر ربه . ولما جاءه الحق من ربه رجع لخديجة وهو يرجف ويقول : — (قد خشيت على عقلى) فشجعته وثبتته وقالت : — أبشر — والله — لا يخزيك الله أبداً .. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر) ثم صدقته وأسلمت ؛ هذه سيدة قريش التى كان لها الأثر الفعال بحياة محمد (ص) والتى كانت أول أم المؤمنين

ومنهن أسماء بنت أبى بكر (ض) كانت ذكية الفؤاد شديدة الحرص والحساسية، بدليل تمكنها من نقل الزاد للنبى (ص) وأبيها (ض) وهما مختفيان فى الغار.. فلم يطلع على سرها أحد من قريش.. إذ لولا يقظتها لتمكنوا من معرفة مكان النبى وألحقوا به الأذى. إن تاريخ هذه المرأة فى الإسلام معروف، وإنما أوردنا عنها هذه النبذة لنتصور أثرها بقلب الرسول فى تلك الساعات الحرجة الرهيبة التى هدر بها دمه مذ صمم أهل مكة على قتله

ومنهن أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية ، وهذه المرأة لما توجه النبى لى المدينة وقد اقترب منها ونزل بيتها فقال عندها وظهر من آيات معجزاته ما أدهش أم معبد فقد مسح ضرع شاة لها لحلبت لبنا كثيراً وبقيت كذلك للسنة الثامنة عشرة بعد يوم الهجرة، ومن ذلك ظهور البركة فى الطعام الذى قدمته أم معبد للنبى ما كل منه وتزود وكان قليلا بعينها . هذه عاتكة الخزاعية هي التى صارت فيما بعد داعية للنبى ودينه الجديد تبشر به لإعجابها بسمو أخلاق نبيها وآيات معجزاته

ومنهن عائشة أم المؤمنين (ض) بنى بها النبىُ فى المدينة بعد الهجرة بتسعة أشهر، وأثرها بحياة الرسول أشهر من أن نترجم له، فقد أحبها الرسول وصارت بعد وفاته ثقة برواية الحديث الشريف . وقد كانت من النساء اللوانى يمتنين بالمحاربين فى الغزوات فتقدم إليهم الماء والطعام محمولا على ظهرها

ومنهن عصماء بنت مروان الأموية كانت تكره النبى وتؤذيه وتحرض الناس وتؤلبهم عليه وتعيب دينه ، فكان لهذه المرأة وهى على هذا الوصف أسوأ الأثر بقلب النبى (ص) ولقد رأينا محمد من قتلها وفتك بها ، وذلك أن عمير بن عدى وهو أعمى من رهطها وكان موالياً للنبى.. حلف ليقتلنها إذ عاد النبى من بدر لأنها كانت تؤلب الأعداء عليه، فلما رجع ذهب إليها عمير ليلا فوجدها

نائمة ولها رضيع يرضعها فأبعده عنها وغرس سيفه فى صدرها فقتلها وخرج دون أن يعرف أحد بأمره، فلما كان الصبح جاء عمير إلى المسجد ليصلى مع النبى، ولما صلى وانصرف نظر إليه النبى وقال : — (أقتلت ابنة مروان ؟) قال : — (نعم يارسول الله) قال : — (نصرت الله ورسوله) فقال عمير : — (هل على شئ من شأنها يارسول الله ؟) فقال النبى : (لا ينتطح فيها عنزان) .. هذه المرأة التى كانت تؤلب الأعداء على النبى وتدعو لإيذائه كانت ولا شك على وئام مع أعدائه الذين كان منهم اليهود فقبحها الله وقبح ما كانت تدعو له ..

ومنهن سلافة بنت سعد بن الشهيد زوج طلحة بن أبى طلحة ؛ كانت من أعدى أعداء النبى ويكفى تبياناً لذلك تحريضها ذويها على المشاركة فى الحرب ضده فى غزوة أحد ، وأنها وضعت مائة من الإبل جائزة لمن يأتيها به ، وكان أن حمل زوجها طلحة راية المشركين بإحدى الحملات فى أحد فقتل ثم حملها بعده ابنها أبو شيبة فقتله حمزة (ض) وحملها بعده عمها أبو سعد بن طلحة فقتله سعد بن أبى وقاص ، فحملها بعده ابنها مسافع بن أبى طلحة فقتله عاصم بن ثابت ، فحملها بعده ابنها الحارث فقتله عاصم أيضاً . هذه المرأة التى جعلت بيتها بوتقة يغلى بها الحقد على رسول الله زاد هذا القتل فى حقدها عليه وعلى المسلمين معه فحلفت لتشربن الخمر فى قحف عاصم بن ثابت قاتل ولديها مسافع والحارث فأخذت تحث المشركين على الثبات وتدعو لحمل اللواء حتى تداول حمله كثيرون من قريش كان نصيبهم القتل ، فحملت عمرة بنت علقمة الحارثية الراية بعدهم فتراجع المشركون يطلبون السلامة.. وفى ذلك يقول حسان بن ثابت (ض) معيراً إياهم

عمرة تحمل اللواء وطارت فى رعاع من القنا مخزوم
لم تطق حمله الزعانف منهم إنما يحمل اللواء النجوم

ومنهن فاطمة الزهراء وأثرها بحياة النبى غير خاف على أحد فهى حبيبة أبيها وأوثق الناس صلة به وأشفقهم عليه..خرجت مع نساء من المدينة وهى تلهف على أبيها .. فقد جرح بأحد فلما رأت جراح وجهه احتضنته وعانقته وصارت تمسح الدم منه ثم أخذت ماء وغسلت وجهه .. ما أروعه من موقف خفق فيه قلب محمد بحب ابنته وحنوه عليها.. وكأنى بالزهراء (ع) تلك الساعة يترقرق الدمع من مآقيها ويخفق قلبها بالحب والحنان . هذه الزهراء وماأنصع حبها لأبيها وما أحسن إسلامها..خرجت هى وأربع عشرة امرأة منهن أم سليم بنت ملحان وعائشة أم المؤمنين (ض) فحملت الماء فى قربة والزاد على ظهرها تطعم المؤمنين المحاربين وتسقيهم .. هذه الزهراء أم حفيدى الرسول تركت أجمل الأثر فى قلب أبيها الحنون

ومنهن هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح.. امتلأ قلبها بالإيمان وحب الدين الجديد، فلم تزل تحرض ذويها على قتال المشركين فى أحد حتى استشهد زوجها وهو يقاتل رغم عرج كان به.. واستشهد ابنها خلاد وأخوها عبد الله فحملتهم على بعيرها وأتت المدينة فرأتها أم المؤمنين عائشة (ض) بظاهرها وقد خرجت تستروح مع صويحبات لها .. فقالت لهند: — (عندك الخبر ..ماوراءك ؟) قالت هند: — (أما رسول الله فصالح وكل مصيبة بعده جلل) قالت عائشة : — (من هؤلاء ؟) قالت : (أخى وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح) قالت : — (فأين تذهبين بهم ؟) قالت هند : — (إلى المدينة أقبرهم) ! ما أكبر هذا القلب قلب هذه المرأة وما أعمره بالإيمان ! وأى رجل يحمل مثل هذا القلب وأية امرأة ... يا للعجب امرأة تفقد زوجها وابنها وأخاها فى يوم واحد فلا يرتجف لها قلب ولا تدمع لها عين ! إنه حال مدهش والله ... ولكن لا عجب ولا دهشة فإن الإيمان بالله وحب الشهادة فى سبيل الدين لا يجعلان متنفذاً للحزن فى القلب .. ما أعظم هذه المرأة إذ قالت للرسول (ص) حين ذكر قتلاها : — (يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى معهم) إنها لم تقل هذا جزعاً من الحياة بعد ذويها ، بل قالته حبا بالشهادة فلعلها تنالها مدافعة عن دينها الذى آمنت به وطهر قلبها من كل رجس

البقية فى العدد القادم

ناصر سعد

مواكب القلوب

للأستاذ على محمد السرطاوى

ملئت الشجرة المثمرة ، يا إلهى ، أن تملن من نضج الفاكهة التى تحملها أفنانهـا بين الأوراق الخضر ، بمعان من الألوان ، وكلمات من الأريج

وكسوت الورود والرياحين الغلائل المصبغة بألوان الشفق والفجر وقوس السحاب ، وجعلت لها ألسنة من العبير ، تهمس بهـا الأنسام فى أذن الفراشات الراقصة فى عرس الطبيعة ومواكب الربيع

وألبست الروابى ، والوهاد ، والمروج ، الحلل السندسية الخضر الموشاة بالألوان التى لا تحصى من الأزاهير ؛ تطل من ورائها الأسرار المتوارية وراء لسان الطبيعة الأبكم ، ونواميسها الأبدية الثابتة ؛ فراحت الأجنـاس من كل ما يدب على هـذا البساط الأخضر ويتحرك ، مدفوعة نحو أجناسها ، فى جنون من العاطفة المشبوبة والحس الخدر ، إلى حيث تدرى أو لا تدرى ، فوق ألسنة من لهيب يحرق ولا يميت ، ووراء الصوت المدوى فى الأعماق ، والجوع الذى لا تشبعه النظرات ، والظمأ الذى لا يصل إليه الارتواء أبدا

وجعلت لقلب المرأة لسانين فصيحين بارزين فى أجل مكان من صدرها ؛ يصرخان فى ظمأ قاتل ، ويبحثان فى جهد لا يبلغه النصب عن طيف الحبيب المجهول ؛ بمعان من كبرياء الجمال ، وألفاظ من دلال الحسن ، وتعابير من اهتزاز ساحر عنيف وراء الغلائل الشفافة التى تكبح جماحهما ، كما تكبح اللجم الجياد ، فيتراءى من خلفهما جمال الربيع الدائم ومعانيه

سبحانك يا إلهى ! لقـد أهمت فى الطبيعـة الجمـال البكر الفاتن ؛ يتجدد ولا يفنى ؛ واختصرت هذا الجمال الأبدى البديع فى أروع ما صنعت يداك ؛ فخلقت المرأة وجعلتها الرمز الخـالد لأسرار الطبيعة وجمالها ، وجلالها ، وجبروتها ، وفتنتها ، فكانت المعجزة السرمدية الأولى والأخيرة التى شاءت قدرتك أن تكون صورة مصغرة لأروع وأجمل ما فى الوجود ؛ جعلت الظلام الحالك شعرهـا حينا ، وذهب الأصيل حينـا آخر ، والنور المشرق وجهها ، والبانة قوامها ، وعبير الأزاهير أنفاسها ، وحمرة الشفق وجنتيها ، واللؤلؤ ثناياها ، وأوراق الورود شفتيها ، ثم اختصرت كل هذا الجمال العبقرى المركز لتصنع به عينيهـا ؛ فتدافعت بالمناكب وراءهما أطياف مجنحة من الماضى والمستقبل ونواميس الطبيعة وأسرار الغيب وجمال الوجود

وحين ترسـل المرأة رسـالة الحب الأولى إلى القلب الظامئ الخلى من أطراف عينيها ، إنمـا تبعث إليه بأطياف عابرة من سعادة السماء فى جنات الخلود وفردوس النعيم

وحين يحكم الحب القلب الإنسانى وتجلس حواء على عرش الحب فيـه ، إنما تحمل إليه أقوى ما فى الطبيعة من جبروت العواصف العاتية ، والبراكين الثائرة ، والأنواء المزمجرة ، والبروق الخاطفة ، والرعود المقهقهة ، وتشيع فيه فتنة الربيع ، وجمال الشفق ، وسحر الفجر ، وخرير الأمواه ، وأغاريد الطيور

لقد أوشكت حواء يا إلهى أن تنازعك السلطان فى الأرض وتصرف من حبك القلوب ؛ عبدها البشر فى طفولة الحياة الإنسانية ، وشادوا لتلك العبادة الهياكل والمعابد ، وما زالت عبر العصور معبودة القلوب ؛ هياكلهـا القصور الباذخـة ، والأكواخ المتواضعة ، والخيام الساذجة ؛ تركع الحياة ذليلة على أقدامهـا ؛ تعز وتذل ، وترفع وتخفض ، وتهز الدنيـا إذا شاءت بيسارها

والمرأة كالمرآة الصافية الأديم ؛ تظهر جوهر القلب الذى يحمل حبها ، فيتراءى فى ذلك الجوهر وراء الضباب الكثيف من الدم واللحم ، صافيـا نقيا . ولذلك كان الحب محـك الصفات ، وميزان السجايا ، ومقياس الضمير ؛ فلكم انخفضت نفوس وارتفعت أخرى حين اتصل بها حب المرأة فى الحياة

وكلما تحركت مواكب الربيع المعطار فى أعراس الطبيعة ؛ توقظ الحياة وتحركها فى مواعيدها التى لا تتبدل ، أقبلت مواكب القلوب الظامئة فى زوارق الشباب ، تعبر عباب الزمن إلى الضباب الكثيف وراء الأفق البعيد المجهول

لم تكن الفنون الجميلة فى حقيقتها إلا القرابين ؛ قدمتها القلوب راكعة أمام طيف المرأة الساحر الجميل فى عصور التاريخ :

فالموسيقى ، والشعر ، والرسم ، والنحت ، والتمثيل ، والغناء ، ليست غير الأنين القاتل انبعث من حناجر القلوب ، وهى ترفرف محترقة ، حائمة ، حول قلوب بنات حواء ، اللائى قد أقمن حولها ألسنة محرقة من لهيب الجحيم

شد ما يلاقى القلب الذى تناديه المرأة للحب من عذاب فى حبها ؛ يراها فى أحلامه ، ويرتسم وجهها الجميل على كل ما تبصر عيناه ، ويتردد اسمها مع الوجيب وراء ضلوعه ؛ فكأنما استطاعت نظرتها الأولى أن تحمله إلى عالم قفر لا يرى غيرها فيه

وتبقى الحياة لغزا مبهما غامضا أمام القلب الإنسانى حتى تشرق شمس الحب فيه من نظرة امرأة ؛ فإذا الدنيا غير الدنيا ، وإذا الحياة غير الحياة ، وإذا السماء تتلاقى مع الأرض لتملأ جوانبها بكل ما فيها من خير ونعيم

لقد كان العباقرة والشعراء والفنانون من صنع المرأة ، وكان المجرمون والمحتالون والأشرار من صنعها أيضا ؛ وكلما رأيت إنسانا قد رفعته الحياة على هامتها ، فابحث عن اليد الناعمة التى رفعته إلى ذلك المكان ؛ وإذا رأيت إنسانا آخر يهوى فى الجحيم ، ففتش عن القدم الناعمة التى سحقته تحتها ، فى غير ما رحمة إلى حيث لا يعود

والمرأة كتلة محترقة من الإحساس الدقيق العنيف ، متطرفة إلى أبعد غايات التطرف ، لا تعرف الاعتدال ولا ترى إلا عند الطرفين المتناقضين . فإذا اضطرم قلبها بالحب ضحت بكل شئ وبحياتها فى سبيل الحبيب ، وإذا خفق ذلك القلب بالبغض وعاش الحقد فيه ، انقلبت إلى عملاق لا يعرف الرحمة ولا يعرف الحدود فى طريق الحقد والانتقام والأذى

وحواء كالعاصفة لا تهدأ أبدا ؛ تهز كل ما حولها هزا عنيفا ، شأنها فى ذلك شأن الإعصار المدمر العاتى ، وهى كالنار تحرق نفسها ، وتحرق كل شئ حولها

وحين خلق الله وجه المرأة ، كما يقول الرافعى ، رضوان الله عليه ، طوى أشعة القمر بعضها إلى بعض فكون منها ذلك الوجه المشرق الجميل ، وانتزع من أعماق الشمس كتلة ملتهبة أودعها وراء ضلوعها فكانت قلبها ، وغدت بالفطرة فى سجيتها نورا ونارا ، نسمة وإعصارا ، بناء وتدميرا

لقد نزل بالأمس القريب فى سبيل المرأة ملك من عرش الأرض ليجلس على عرش الحب فى قلبها ، ولكن العواصف التى هبت عليه من بين جوانحها ، حالت بينه وبين الوصول إلى ذلك العرش الخالد ، فعاد أدراجه ، ينادى عليها فى الفلوات بعد أن أدبرت عنه ، ويجرى فى يأس قاتل وراء السراب فى فيافى الحب وصحراء الخيبة

أسعد إنسان فى الوجود ذلك الذى تفتح له المرأة قلبها على مصراعيه ثم تغلقه بعد أن تجلسه على عرش الحب فيه . وحين تغلق المرأة قلبها على حبيب ، لا تستطيع قوة فى الوجود أن تخرجه منه ، أو تضع إلى جانبه حبا جديدا

لقد تكون الدر فى أصدافه تحت أمواج البحر للمرأة ، والذهب والأحجار الكريمة فى طبقات الأرض للمرأة ، وكل ما تنبت الأرض من ورود ورياحين وطيب للمرأة ، وكل ما تنتجه العبقرية الفنية من صناعة ونسيج للمرأة ، وكل ما يشاد من قصور المرمر للمرأة

لقد شيدت قصور الحدائق المعلقة فى بابل القديمة لامرأة ، وتاج محل فى الهند لامرأة ، وقصر الحمراء فى الأندلس لامرأة ، وتهدمت طروادة بعد عشر سنوات من حروب دامية بسبب امرأة ، وامتدت يد لادى هاملتون فأزاحت الستار عن عبقرية الأميرال نلسون ؛ ويد جوزفين عن نابليون ، وبياتريس عن دانتى ، وكليوبطرة عن يوليوس قيصر ، وليلى عن المجنون

إن عين المرأة دائبة البحث فى الحياة عن مجنون يهيم بحبها ، ولكل امرأة فى حياة قلبها مجنون يهيم بها وتهيم به فى حب صحيح . والمرأة حين تبحث عن ذلك المجنون فلا تراه فى حياتها ، إنما يكون ذلك إيذانا بانهزامها من الحياة وفشلها ، وحين تفشل المرأة فى الحب ، يقودها الفشل إلى طريق القبر الموحش الحزين ؛ وتنطوى على نفسها فى صمت كئيب قاتل طويل ، يذهب ربيع الحب منه ، ويقبل الخريف عليها فيه فتذوى معه كما تذوى أوراق الدوح فى قبضة الأعاصير

الحب حياة المرأة ، وما أقسى تلك الحياة إذا لم تعثر المرأة فيها على الحبيب فى مسالك الوجود ! وما أشد تعاسة القلب ، تجمعه روابط الزواج بامرأة ، ويلاقيها فى أجمل ليلة فى الحياة ،

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للتطليم الذى يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ٣ —

انتقل مصطفى كمال إلى دمشق . . مبعدا عن القسطنطينية . . وكان السلطان يظن بذلك أنه لن يستطيع أن يواصل عمله ونشاطه . . وأن صلته بأقرانه قد انقطعت . . وأن جهوده قد توقفت — ولو إلى حين — !!

ولكن كيف تهدأ نفس « مصطفى » الثائرة ، وتخبو آماله العريضة ، وتسكن حركته المتدفقة !

لقد بدأ يواصل عمله ونشاطه فى دمشق وبيروت .. واتصل « بعقيد لطفى » وهو أحد زملائه القدامى . . فى المدرسة الحربية . . وأحد مؤسسى فروع الجمعية فى بلاد الشام . . كما اتصل بقائد ميناء « يافا » . . وكان مناصرا لأعضاء الجمعية . . وظل مصطفى يطوف بمختلف بلاد الشام . . داعيا إلى إصلاح

الإمبراطورية العثمانية — مركز الخلافة الإسلامية

ولكن أهل هذه البلاد من العرب .. لم يحفلوا بدعوته .. وكان معظمهم ثائرين .. لا من أجل حرية تركيا .. ولكن من أجل حرية بلادهم . . ومنذ ذلك الحين بدأ مصطفى كمال ينظر إلى وطنه مستقلا عن بقية أجزاء الإمبراطورية .. ووضع أساس سياسته الذى سار عليه طول حياته « تركيا .. للأتراك »

وفى الوقت الذى أبعد فيه مصطفى كمال عن القسطنطينية .. تكونت عدة جماعات وطنية منها « جمعية الاتحاد والترقى » التى كان هدفها الرئيسى وضع دستور للبلاد .. فلما سمحت له الظروف بالعودة إلى وطنه . . أراد أن يشترك فى هذه الجمعية ولكنه لم يكن على وفاق مع زعمائها .. ولذلك فضل العمل بمفرده

وفى سنة ١٩٠٨ م . . قامت ثورة تركيا الفتاة . . التى انتهت بالحصول على الدستور ولم يكن لمصطفى نصيب فى هذه الثورة

وحينما نشبت الحرب بين إيطاليا وطرابلس . . رأى أن يتطوع لمعاونة القوات الوطنية التى تحارب الغزاة الإيطاليين .. وقد استطاع الوصول إلى ميدان الحرب . . رغم معارضة الحكومة العثمانية .. وتضييق الرقابة الإنجليزية .. المسيطرة على مصر فى ذلك الحين ... وظل يعمل فى الميدان الجديد إلى أن نشبت الحرب البلقانية .. ضد تركيا سنة ١٩١٢ م

وحينما نشبت الحرب الكبرى .. انضمت تركيا إلى ألمانيا . فاشترك مصطفى كمال فى هذه الحرب .. وقام بنصيب كبير فى الدفاع عن بلاده حتى وصل إلى مرتبة الزعامة الحربية .. رغم معارضة وزراء الحربية له . ووقوفهم فى وجهه .. وإبعاده فى كثير من الأوقات عن ميادين القتال .. وقد حاول الإنجليز مرتين اقتحام الدردنيل .. ولكنه استطاع أن يردهم المرة تلو المرة .. حتى تراجعوا فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ .. ولذلك أطلق عليه اسم « منقذ الدردنيل »

وكان مصطفى كمال يحمل على الألمان حملة شعواء .. ويقول .. « إنه من الحمق والجنون أن نسمح للأجانب بالسيطرة على الجيش » وهو عدة الحياة لنا .. يجب علينا نحن الأتراك .. أن

وهى كالزنبقة البيضاء العاطرة فى ملابس عرسها ، على غير أساس من الحب الصحيح المجرد عن معانى التراب

الحب هبة السماء إلى الأرض ، وصفو الحياة ونعيمها ، وهو هبة القلب إلى القلب ، ولا يستطيع الذهب والجوهر المنثور عليه فى الدنيا

لقد ابتدأت الحياة بامرأة واستمرت بامرأة وستنتهى بامرأة حين تشاء القدرة أن يزول الوجود

على محمد سرطاوى

نهض بجيشنا .. وإنها لإهانة للوطن كله أن ندعو ضابطا بروسيا ليتولى عنا تنظيم جيشنا .. »

وحينما انتهت الحرب .. خرجت تركيا مهزومة ذليلة .. وكانت النكبة الكبرى على الدولة العثمانية احتلال اليونان لمنطقة أزمير — فقد كان ذلك يبعث في نفوس الأتراك ألما وحسرة وقلقا .. ويدعو إلى التشاؤم .. والخوف من المستقبل

خرجت تركيا من الحرب مهزومة ذليلة .. فانتهز اليونانيون الفرصة .. وطلبوا من الحلفاء أن يسمحوا لهم باحتلال أزمير

وفي اليوم الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م .. بدأت الجيوش اليونانية تنزل أرض الأتراك — الذين كانوا بالأمس القريب سادة عليهم — وقد اقترن نزولهم في هذا الميناء بالوحشية والقسوة .. فاعتدوا على الأهالي المسالمين .. وقتلوا عددا كبيرا من الجنود الأتراك .. وقد رأت الكاتبة الفرنسية مدام جوليس ما حدث عند نزول اليونانيين في أزمير .. فتقول في مذكراتها :

« بدأ اليونانيون ينزلون إلى البر .. وقد انتظموا صفوفا يتقدمهم علم يوناني كبير .. وازدحمت على جانبي الطريق الخالي من الأتراك . جموع من الأروام .. وقفت تهتف للقائد اليوناني الكبير — فنزيلوس — وكانت وجهة المحتلين والمتظاهرين .. الثكنة العسكرية التركية .. التي آوى إليها جنود الحامية التركية مع عدد عظيم من الضباط..والشبان القادمين للاقتراع.. وكان جنود الحامية قد سلموا أسلحتهم تنفيذاً للأوامر .. وما هي إلا فترات قصيرة حتى أحاط الجيش المحتل بالبناء .. ثم دوت طلقة من أحد المتظاهرين كانت إيذانا بحركة هاجمة .. فقد صوب المحتلون مدافعهم .. فطارت مصاريع النوافذ الزجاجية .. وامتلأ الفناء بجثث القتلى والجرحى ..

وحاول الأتراك المحاصرون أن يدافعوا عن أنفسهم .. فأخذ أحدهم قطعة قماش رفعها .. وسار صائحا في إخوانه .. كي يتبعوه ، ولكن نيران المدافع كانت أقوى من بسالتهم ، فمات منهم كثيرون »

يقول المؤرخ الإنجليزي الكبير هربرت فشر « قد يحتمل الأتراك احتلال أية دولة لأزمير ، أما أن تخفق الراية اليونانية الحقيرة المزدراة فوق أي صقع من أصقاع آسيا الصغرى ، فكان يعد من جانب كل تركي وطني صميم إهانة لا تغتفر ولا تطاق ، ولذا أثار نزول الجيش اليوناني في أزمير موجدة الترك ، وأهاج حفيظتهم ، وأذكى في نفوسهم تصميما على مقارعتهم ، وأتاح لمصطفى كمال ، منقذ الدردنيل وأنبغ قواد الجيش التركي ، الفرصة لخلق دولة تركية مستقلة جديدة »

* * *

نظر مصطفى كمال إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها بلاده .. فلقد أبعد الأتراك عن قناة السويس .. وطردوا من العراق وسوريا وفلسطين .. وألقى الأسطول الإنجليزي مراسيه في مضيق الدردنيل .. وغدا السلطان دمية في أيدي الساسة البريطانيين .. ولم يبق للأتراك سوى آسيا الصغرى التي احتل اليونانيون جزءاً منها .. وبدأ مواطنوه يخضعون للحكم الأجنبي ، ويفقدون الثقة في حاضرهم ومستقبلهم .. ولا يفكرون في وسائل الخلاص !!

ومع هذا الفساد في الحكم.. والتشاؤم من المستقبل المظلم .. بدأ مصطفى كمال يفكر تفكيرا جديا في تحرير وطنه .. وتخليص بلاده .. وبعث الشعور القومي من جديد

وكان برنامجه يقضي بالعمل على استقلال تركيا استقلالا كاملا .. ثم تنظيم الحياة القومية تنظيما مستمدا من أصول الحضارة الغربية

أخذ مصطفى كمال يبث الدعوة إلى فكرته ، ويجمع المخلصين حولها .. وكان مما حدث أن قابل السلطان — وحيد الدين — وحدثه عن آلامه . . وحاول أن يبث فيه الجرأة والصلابة . . ولكن السلطان خاف على مركزه ونفوذه .. وخشي أن يغضب الدول الكبرى .. ولذلك رفض مساعدة مصطفى كمال

وحينما شعر المراقبون الأجانب ، بهذه المساعي التي يبذلها ، والجهود التي يقوم بها .. خشوا أن يكون لحركاته أثر في القسطنطينية عاصمة الدولة .. ومصدر توجيه الأمة .. ولذلك عملوا على محاربته « ومقاومة حركته » وذلك بإبعاده عن العاصمة..

البقية في العدد القادم

عبد الباسط محمد حسن

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

تابع

انتهينا من بيان الأسباب الرئيسية التى أدت إلى ما حدث من انقلاب فى حياة شاعرنا سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وعرفنا أن أهمها هو شعوره بالضعة لما كان من وضاعة آبائه وأجداده، وما استتبع ذلك من حقد على ذوى الجاه والنفوذ فى عصره ، وسخط على الحياة والأحياء عامة . وثانيها نقمته على هارون وبغضه له . وثالث تلك الأسباب هو تدخل الفضل بن الربيع وزبيدة وتشجيعهما للشاعر على الثورة ضد الخليفة

واليوم تبدأ المرحلة الثانية فى دراستنا وهى القيام بجولة فى شعره لنرى مدى انطباق ما قدمناه من نظريات على تلك الأشعار، ولنبدأ بما كان من شعر الشاعر خاصا بهارون . ولعل القارئ الكريم يتوقع مما ذكرناه آنفا أن يرى لأبى العتاهية فى هارون نوعين مختلفين من الشعر : شعر ينبعث من نفس مليئة حقدا على الخليفة لما كان من تثاقله فى أمر عتبة ثم ما كان من حبسه للشاعر فى غير جريرة اللهم إلا استمهاله لحقه الطبيعى من الامتناع عن الغزل . وشعر من نوع آخر لا ينفس به الشاعر عن نفس مغيظة أو عواطف مكبوتة، ولكن يحاول فيه أن يفى للفضل وزبيدة بما أخذه على نفسه من تسخير ملكته الشعرية لخدمتهما

وقد كان النوع الأول يتمثل فى تأليب الناس على الخليفة أملا فى تقويض ملكه وزوال سلطانه ، ويتمثل أيضا فى تلك الأشعار الكثيرة التى كان يرجو فيها للخليفة موتا عاجلا يريحه ويريح منه ، فمن ذلك تلك الأبيات التى أرسلها الشاعر إلى خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد الأكفاء والتى يقول فيها :

ألا إن تقوى الله أفضل نسبة ... تسامى بها عند الفخار كريم

إذا ما اجتنبت الناس إلا على التقى ... خرجت من الدنيا وأنت سليم

أراك امرأ ترجو من الله عفوه ... وأنت على ما لا يحب مقيم

تدل على التقوى وأنت مقصر ... أيا من يداوى الناس وهو سقيم

وأذللت نفسى اليوم كيما أعزها ... غدا حيث يبقى العز لى ويدوم

والأبيات كما هى الآن مجردة من تعليق الرواة لا نوحى بأن وراءها معنى خاصا ، وما هى إلا كغيرها من القصائد الكثيرة التى يمر بها القارىء فى ديوان أبى العتاهية ويأخذها على أنها نوع من الوعظ لم تقصد به شخص بذاته ولا يهدف إلى غرض بعينه حتى أن جامع الديوان قدم لها بقوله (وقال فى تقوى الله وحسن منافعها وحميد عاقبتها) والآن انظر المناسبة التى قيلت فيها حتى تعرف بالتحديد قصد الشاعر بها : وإليك ما يرويه الأغانى فى بيان تلك المناسبة : (حدث حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت فى مجلس خزيمة تجرى حديث مايسفك من الدماء فقال : والله مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عز السلطان وكراهة الذلة وأن أصير بعد الرياسة سوقة وتابعا بعد ما كنت متبوعا ما كان فى الأرض أزهد ولا أعبد منى. فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبى العتاهية مكتوب فيها الأبيات السالفة فغضب خزيمة وقال : والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر . فقيل له . وكيف ذاك ؟ فقال : لأنه من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله)

يظهر أن خزيمة كان يجلس إلى نفر من الشيعة أو غيرهم من الطوائف التى كانت تنقم من هارون ميله لسفك الدماء، ويظهر أنهم لاموا خزيمة فى تعاونه مع هارون على ما يرتكبه الأخير من مظالم . والأبيات واضحة فى معناها وفيها يثبط الشاعر خزيمة عن مناصرة الرشيد ويذكره بآخرته ويبين له أن الفخر إنما هو فى التقوى والعز الحقيقى إنما هو عز الآخرة لا الدنيا

وإليك أبيات أخرى من قصيدة قالها الشاعر وهو فى سجن الخليفة وفيها يقول :

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال المسىء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم فى الحساب إذا التقينا ... غدا عند الإله من الملوم

سينقطع التروح عن أناس ... من الدنيا وتنقطع الهموم

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنيـة يا نؤوم

تموت غداً وأنت قرير عين ... من الغفلات فى لجج تعوم

ومع أن القصيدة تسعة عشر بيتاً فنحن نعتقد أن الشاعر إنما أرسل منها إلى الرشيد الأبيات الأخيرة فقط واحتفظ بالباقى لنفسه، لا كما يذكر الرواة من أنه أرسل القصيدة بتمامها إلى هارون، ولو أنه فعل لاستوجب سفك دمه . والأبيات الأخيرة التى أرسلها تروى هكذا :

ألا يا أيها الملك المرجى ... عليه نواهض الدنيا تحوم

أقلنى زلة لم أجر منها ... إلى لوم وما مثلى ملوم

وخلصنى تخلص يوم بعث ... إذا للناس برزت الجحيم

وشبيه بذلك تلك الأبيات التى يقول فيها الشاعر :

أراك لست بوقاف ولا حذر ... كالحاطب الخابط الأعواد فى الغلس

أنى لك الصحو من سكر وأنت متى ... تصح من سكرة يغشاك فى نكس

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... الدنيا وثوبك مغسول من الدنس

ويروى أبو الفرج أن أبا العتاهية أنشد الرشيد بعض أبيات هذه القصيدة حين قال له الأخير : عظنى فقال الشاعر . أخافك فقال له أنت آمن فأنشد :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس ... إذا تسترت بالأبواب والحرس

واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منها ومترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

ووجه الشبه بين القصيدتين أن كلا منهما تحتوى على أبيات فيها اعتدال، ولذا أمكن إنشادها للرشيد وأخرى لم ينشدها الشاعر لما فيها من مظاهر الحقد والضغينة ولكنها فى الوقت نفســه تبين لنا رأى الشاعر فى الخليفة وعواطفه نحوه ، وإننا لنرجح أن الشاعر قد قال فى هارون مقطوعات شعرية غير التى أسلفنا عبر فيها عن بغضه له وحقده عليه، ولكن الرواة لم يهتدوا إلى غرض الشاعر منها حيث أنها لم تقترن بما يميزها من ظروف وملابسات على نحو ما حدث فى الأمثلة السابقة ، فنحن مثلا لا نشك فى أن أبا العتاهية كان يقصد الرشيد حين قال :

حتى متى تصبو ورأسك أشمط ... أحسبت أن الموت فى اسمك يغلط

أم لست تحسبه عليك مسلطا ... وبلى وربك إنه لمسلط

ولقد رأيت الموت يضرس تارة ... جثث الملوك وتارة يتخبط

إلى آخر ما قاله فى تلك المقطوعة ، وإنما ذهبنا هذا المذهب لأن هارون الرشيد كان إذ ذاك الشخص الوحيد الذى له من السلطان والسطوة ما يمكن معه أن يشك فى تسلط الموت عليه إن حق لشخص ما أن يشك فى تلك القضية ، كما أن ذكر الملوك فى البيت الثالث يرجح أنه كان يعنى بما يقول واحداً منهم ، على أن الشاعر يبدى لنا رأيه فى الرشيد بصراحة وذلك فى أبيات يبدؤها بقوله :

إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك فى عيش لهم ظل

ومما يحمل على الاعتقاد بأن أبا العتاهية إنما كان يعنى بما يقول هارون ما أخذه الشاعر على الملوك من الملل حين يتحدث إليهم متحدث ، واتهامهم الناصح بالغش وذلك يمثل حال الشاعر مع الرشيد بالذات ، لأنه الخليفة الوحيد الذى كانت علاقته بالشاعر تسمح بمجالسة أحدهما للآخر ؛ ومن ثم تعطى فرصة لحديث معاد مملول أو نصيحة غير مقبولة

والآن وقد وقف القارئ الكريم على طبيعة ما كان بين أبى العتاهية والرشيد من علاقة يسرنا أن نشركه معنا فى تدبر القصة التالية : يروى أبو الفرج أن رسول ملك الروم قدم إلى الرشيد فسأل عن أبى العتاهية وأنشد شيئاً من شعره وكان يحسن العربية، فمضى إلى ملك الروم وذكره له فكتب ملك الروم إليه ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبى العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد، وألح فى ذلك، فكلم الرشيد أبا العتاهية فى أمر سفره فأباه ، واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته وهما :

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء فى الفلك

إلا لنقل السلطان من ملك ... قد انقضى ملكه إلى ملك

ألا توافقنا على أن فى هذه القصة شيئاً من الغرابة ؟ فإذا صح أن سفير الروم كان يعرف العربية وكان لذلك يتذوق شعر

أبي العتاهية فما بال ملك الروم يتطلع إلى سماع شعر أبي العتاهية هو الآخر؟ فهل كان يعرف العربية أيضا؟

ومهما يكن من شيء فنحن نشك في أنه كان متحمسا لشعر أبي العتاهية تحمسا يدعوه إلى أن يلح في طلبه ذلك الإلحاح، وأكبر ظني أنه كان يريد استغلال الشاعر استغلالا سياسيا على نحو ما تفعل الدول اليوم من اجتذاب أحد أبناء الشعوب المشتبكة في حرب معها إليها، وتسخيره للدعاية ضد الحكومة القائمة في وطنه. فما من شك في أن جواسيس كثيرة كانت تعمل إذ ذاك لصالح الروم وكانت تتخذ من بغداد مركزا لنشاطها، وما من شك في أن الروم كانوا على علم تام بأساليب تلك الدعاية وآثارها، ألا ترى أنهم استغلوا رجلا آخر قبل أبي العتاهية وهو يونس بن أبي فروة الذي كتب لهم كتابا فيما أخذه على الإسلام من معايب بزعمه. فما الذي يمنعهم حين علموا ما علموا عن بغض أبي العتاهية للرشيد من استقدامه إليهم وإعطائه فرصة كاملة لتسجيل ما كان يأخذه على الرشيد من ميل إلى اللهو وعكوف على الملذات واستهتار بالدين. وليس هناك أدنى شك فيما كان يمكن أن تحدثه تلك الأشعار من أثر سيء في روح جيش الرشيد المعنوية، فقد كان كثير من أولئك الجنود يذهبون إلى حرب الروم والحماسة الدينية تملأ صدورهم لما يعتقدونه من عدالة القضية التي يدافعون عنها، ولكن حين يتضح لهم أن خليفة المسلمين وحامي حمى الإسلام وقائد تلك الحملات ماهو إلا رجل خليع مستهتر وليس له من مظاهر الدين إلا احتراف الحروب ضد الروم فستخبو حماستهم وتضعف عزائمهم وتتفرق كلمتهم. ونحن لا نستبعد أن يكون ملك الروم إعجاب بالبيتين اللذين ذكرا فيما سبق لما يبشران به من موت الرشيد، ذلك الخصم العنيد الذي فشلت جيوش الروم في صد غاراته أو وقف حملاته. هذا ويذهب البروفيسور[1] جيوم إلى أن ما أورده الأغاني خاصا عما كان بين ملك الروم وأبي العتاهية من مكاتبات وما كان من أعجاب الأول بشعر الأخير ليس إلا محض اختلاق أراد به مختلقه أن يبرهن على أنه كان من بين ملوك المسيحيين من هو أشد حرصا على سماع الموعظة الحسنة من ملوك الإسلام

وإنا إذ نترك الكلمة الأخيرة في تلك المسألة إلى القارئ الكريم يسرنا أن نعود معه إلى تلك القصائد والمقطوعات التي كان الشاعر يهدف فيها إلى تنفير الرشيد من اللهو والعبث وقاء بما قطعه على نفسه للفضل وزبيدة من عهود. وأول ما يلاحظه الباحث على تلك المقطوعات هو كثرتها وتنوعها، وقد أدى إلى كثرتها وتنوعها على تلك الصورة ما كان من ميل الشاعر الطبيعي إلى ذلك النوع من الشعر الوعظي، فقد كان ذلك اللون من الشعر يستهوي العامة فيجمعهم حول الشاعر ويزيد في حبهم واحترامهم له، وفي ذلك تعويض لما يحسه من ضعة نتيجة لضعة آبائه وأجداده

وقد كانت طريقة الشاعر في وعظ الرشيد تختلف من وقت لآخر تبعا للمناسبات، فهو حينا ينهاه عن اللهو نهيا مباشرا وحينا يذكره بما أصابه من شيب وأحيانا يبصره بما لا بد أنه ملاقيه من موت. وهكذا نعتقد أن الشاعر كان يخاطب الرشيد بكثير من المقطوعات التي تنهى عن اللهو واللعب كتلك التي تبدأ:

أنلهو وأيامنـــا تذهب ونلعب والموت لا يلعب

* * *

أسلك بني مناهج السادات وتخلقن بأشرف العادات

على أنه إذا كان هينا لينا في المقطوعتين السابقتين فقد يصل أحيانا إلى حد الإزعاج كما في قوله:

أيا من بين باميـــة ودن وعود في يدى غاو مغن
إذا لم تنه نفسك عن هواها وتحسن صونها فإليك عنى
فإن اللهو واللاهي جنون ولست من الجنون وليس منى
وأي قبيح أقبح من لبيب يرى متطربا في مثل سنى
إذا مالم يقب كهل لشيب فليس بتائب ما عاش ظنى

ولعلنا لا نكون قد ذهبنا بعيدا إذا ادعينا أن بعض تلك

(١) الأستاذ بجامعة لندن وأستاذ كاتب هذا المقال

للقطوعات كان ينشد بصورة جمعية ، ومن يدرى لعل زبيدة كان لديها من الجوارى من يقوم بإنشاد تلك الأشعار فى جانب من جوانب قصر الخلافة لترد بذلك على ما كان ينشد فى الجانب الآخر من أناشيد الحب والغزل ، ألا توحى موسيقى المقطوعتين التاليتين أنهما إنما أنشئتا لذلك الغرض

أنظر لنفسك يا شقى   حتى متى لا تتقى
أو ما ترى الأيام   تختلس النفوس وتنتقى

٭ ٭ ٭

خير الرجال رفيقها   ونصيحها وشفيقها
والخير موعده الجنا   ن وظلها ورحيقها
والشر موعده لظى   وزفيرها وشهيقها

وليس ذلك بغريب على زبيدة ، ألا ترى أنها عهدت إلى مائة من جواريها بقراءة القرآن فى قصرها ليلا ونهارا ، وما نظن أن ذلك العمل كان خالصا لوجه الله تعالى وإنما كان للغرض الذى أشرنا إليه فى السطور السابقة

وقد اعتمد الشاعر فى تنفيره من الملاهي والملذات على مخالفتها للدين ومجانبتها للآداب العامة، وكان ينظر إليها فى بعض الأوقات نظرته إلى ضرب من ضروب الجنون الذى لا يليق بالعقلاء من أمثاله ! فكيف بخليفة رسول الله وابن عمه وولى أمر المسلمين من بعده . وأخيرا ينهى عنها لما تعقبه من حسرات أو تصيب به الجسم من فساد وتحطيم

أما شيب الرشيد المبكر فقد أعطى الشاعر فرصة كاملة لوعظه والإلحاح عليه فى ذلك إلحاحا مملا . فاللهو فى رأيه من شأن الشباب ؛ أما الشيوخ فالوقار والتدين أولى بهم ، ألم يجعل القرآن سن الأربعين الحد الفاصل بين حياة اللهو وحياة الجد إذ يقول « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه » ولم لا والشيب نذير الموت بل هو الموت بعينه :

الشيب إحدى الميتتين تقدمت   إحداهما وتأخرت إحداهما

ويزعم الشاعر أن المرء لا يشعر بالملذات فى شيخوخته كما كان يشعر بها فى شبابه، ففيم إذن يرتكب الآثام وينتهك الآداب:

وإذا كبرت فهل لنفسك لذة   ما للكبير بلذة متمتع

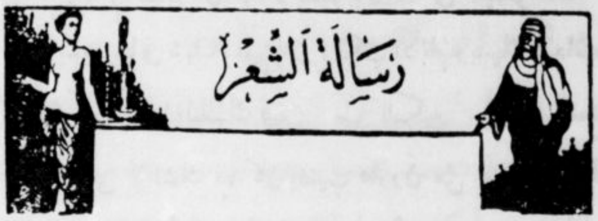
ونحن لا نشك فيما كان يصيب هارون من ضيق وارتباك عند سماع تلك الأشعار ؛ ألا ترى مافعله بأحد المغنين حين غناه :

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأ   فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وقد أمر الخليفة به فسحب على وجهه وأخرج من المجلس وقال له : يا ابن الفاعلة أتعرض بى فى غنائك ؟

وإنا إذ نختتم هذا المقال لنرجو أن نعود إلى استئناف الكتابة فى هذا البحث بعد أسابيع قلائل إن شاء الله تعالى

محمد عبد العزيز الكفراوى



موكب العيد ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا حبيبي أقبل العيد وضيء القسمات

وتجلى مشرق الطلعة حلو البسمات

كسماء تتلألأ بالنجوم النيرات

أو كزهر ماج بالأشذاء فوق الربوات

فاستفق يا ناعس الطرف ويا حلو التثني

ومع الأطيار فوق الدوح هيا لنغني

* * *

يا حبيبي أي عيد طاف بالزوراء ضاح

عاطر الأنفاس كالبهجة منشور الجناح

أهو « الفطر » وذي ضجة أعراس الملاح

أم ترى موكب «آذار» تهادى في البطاح

هاتفاً بالفرحة الكبرى وبا للحن المرن

صادحاً في كل قلب ، هازجاً في كل أذن

* * *

يا « هنائي » أنت لي عيد مع العيد سعيد

حبك الملهم لي فجر على شعري جديد

أنت هـذا الوتر الشادي بقلبي والنشيد

أنت هـذا النغم المسحور والنور الوليد

أنت أنغامي وأحلامي وأقداحي ودني

أنت عطر عبق الشعر به بل كل فن

يا «هنائي» سئم الليل اصطباري واشتياقي

كم شربت السهد والشوق مميمر المذاق

ونديمي القمر الولهان ، والسلوان ساقي

أعلاك على البعد ، فأهفو للتلاقي

وأغني يا منى نفسي ما هـذا التجني ؟!

أو ما يكفيك تسهيدي وتشريدي وسجني

* * *

أو ما تكفيك آمالي على كفيك تطوى ؟

أو ما تشجيك أحلامي على النار تلوى ؟

أو يرضيك وأزهاري على الأشواك تذوى ؟

صرت من حبك مأساة على الأيام تروى

رددت أصداءها الأطيار من غصن لغصن

وإذا بي دمعة مخنوقة في كل جفن

* * *

غني يا « دجلة » أنغام الصبايا الفرحات

وانشري الفتنة في الوادي، وفوق الربوات

شاركي « بغداد » بالأنس، وهاتي النغمات

نحن في عيد تحلى بالأماني النضرات

وتجلى فوق « بغداد » وَضيئاً كالتمني

كيف لا يطرب سمع الكون من سحر التغني

* * *

هو عيد عم دنيا الشرق ، والشرق وضيء

فتجلى فيه نور من هداه قدسي

وهو عيد مثل أنغامي وأوتاري شجي

عيد عز كم تمناه إلى الشرق الأبي

وكم اشتاقت إلى ضاحي سناه كل عين

فعسى يغمر وجه الشرق منه ومض حسن

عبد القادر رشيد الناصري

الكتب

أسس الاصلاح العالمي

تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى

للاستاذ منصور جاب الله

منذ أربعين عاماً أو تزيد ، والأستاذ محمد عبد الغنى يعمل منافحاً لنشر الدعوة الإسلامية على حقيقتها داعيا إلى الأخذ بتعاليم الإسلام فى كل شأن من شؤون الحياة ، مستصرخا الحكام وولاة الأمر أن يهبوا للاصلاح على أسس قويمة من الدين الحنيف والشريعة السمحة

وعلم الله أننا ما بصرنا بالأستاذ محمد عبد الغنى متوانيا ولا متخاذلا فى نشر رسالته رغم المعوقات والمخذلات التى وضعت فى طريقه ، فهو على الدوام يخطب فى المساجد والجوامع ، أو يراسل أولى الشأن فى المهم من الأمور ، أو يحبر المقالات المطولة وينشرها فى الصحف ، أو يؤلف الكتب حسبة لوجه الله لا يبغى كسبا ماديا ولا ربحا ماليا

ولقد قدمت لقراء « الرسالة » بعض مؤلفات الأستاذ محمد عبد الغنى قبل سنوات ، وأبرزت النهج الفريد الذى اختطه المؤلف لنفسه ، وألمحت إلى جرأته الشديدة فى عرض وجهة نظره غير مبال بما قد يلحقه من أذى الحكام أو أوصاب الحياة

واليوم يقدم لنا الأستاذ المجاهد أحدث مؤلفاته مختاراً له هذا العنوان « أسس الإصلاح العالمى على ضوء الهدى الإسلامى » ومن خلال العنوان يدرك القارئ الغرض السامى الذى يستهدفه مؤلفنا الفاضل ، ولندع المؤلف يتحدث فى مقدمته حيث يقول : « أى إنسان ينظر إلى الإنسانية لا بالمنظار المركزى ولا بالمنظار الجنسى والمذهبى ، بل بالمنظار العالمى الإنسانى ، يضع أمامه ذلك الاعتبار الذى وضعه الاسلام ، اعتبار أن العالم كله على اختلاف ملله وأجناسه وأنواعه ، وعلى تنائى دياره وأقطاره ، يتصل بتلك الصلة الأولية العظيمة ، صلة الأبوة والأمومة الأوليين ، والذى يقدر تلك الوشائج الرحمية لا ينظر لأى أمة بالمنظار الأسود ، منظار التحيز الممقوت ، والتعصب الجنسى والوطنى والإقليمي المرذول ، بل ينظر إليها كأنها أمة شقيقة لأمته ، وكأن أفرادها إخوة له فى الإنسانية وفى الفضائل والكمالات البشرية ، وإذا تسامى عن التحيز والهوى تحاشى أن يندفع للاضرار بفرد مهما تكن تبعيته وملته وجنسيته ووطنيته ، وإنه إن غفل عن تقدير هذا الشعور وتحامل على من يخالفه فى الاعتبارات الشخصية والمركزية فقد تجرد عن القيم الروحية ، تجرد عن الروح الإنسانية وانحدر إلى التعصب وإلى حضيض الوحشية »

بهذه الفكرة المتسامية بدأ المؤلف رسالته ، ثم تحدث عن شقوة هذا العالم الذى نعيش فيه وأورد بيانات إحصائية عن القتلى والجرحى والمنكوبين فى الحربين العالميتين الماضيتين ، وفى الحروب التى وقعت بينهما والتى تلتهما ، واستطرد من خلال ذلك إلى أن ساسة العالم لو قد فاءوا إلى مثل روحية عليا لجنبوا الإنسانية كل هذه الموبقات

ثم تحدث المؤلف عن حرب الموبقات والشهوات وما ينفقه كل شعب على شهواته المتلفة كالخمر والمخدر وما إلى ذلك ، ثم عطف من ذلك الحديث إلى الحديث عن عظمة الإسلام وشهادة العلماء الأعلام من غير المسلمين بروحانية هذا الدين الحنيف ، وكيف أنه الحصن الملاذ الذى يمكن أن يق الناس جميعا من التردى فى مهاوى التهلكة

ثم تدرج من ذلك إلى تبيان أنواع العبادات فى الإسلام وبسطها بسطا فلسفيا يدعو إلى الإعجاب ، ووازن بينها وبين العبادات فى الأديان الأخرى ، وخلص من ذلك إلى أن الإسلام

جماع الأديان كلها ، انتظم فضائلها وجمع أشتاتها ، فانصبت فيه الخلاصات الروحية بحسبه آخر الرسالات السماوية

وبعدئذ أنشأ المؤلف يسرد الأدواء التي حاقت بالإنسانية ويصف لكل داء ما يكفل شفاءه من آيات كتاب الله ، ولقد أوفى الأستاذ عبد الغنى من ذلك على الغاية حتى أنه استعان بكل ما فى القرآن الكريم من الآيات البينات ، وبدت تلك الكلمات القدسية كالوشى الصقيل على صفحة الخريدة الحسناء

وأنحى المؤلف إنحاء شديداً على المدنية الغربية التي فرقت الناس شيعاً ، ونشرت روح التعصب الدينى والطائفى ، ودعت إلى فض الخلافات بالقوة المسلحة ، فأوغرت الصدور ، وأرثت الحزازات ، وإذا العالم يسير فى طريق الفناء والدمار

وعرج الكتاب بعد ذلك على مواقف السلف الصالح من أبناء الإسلام فى تقويم المعوج ، ونشر الإصلاح والنصح للخلفاء والعمال

وختم المؤلف كتابه بمقترحات توجه بها إلى ولاة الأمور ، وأخص هذه المقترحات المطالبة بالرجوع إلى التشريع الإسلامى « فلو وفقنا للرجوع إلى الإسلام فقد وفقنا لإنقاذ الأمة مما تعانيه من الخطوب والكروب والويلات التي تستهدف معها لسخط الله وانصباب صواعق النقم على رءوسنا » إلى آخر ما قال الكاتب بجرأته التي تسترعى الانتباه

وفى مقدمة المقترحات التي عنى بها صاحب « أسس الإصلاح » تأليف وزارة للشؤون الإسلامية تكون لها الولاية على إقامة الشعائر الدينية فتعاقب المسلم الذى يتوانى فى أداء الفرائض من صلاة وزكاة وحج إن استطاع إليه سبيلا ، وكذا تتولى القضاء على هذه البوائق التي ارتكس فيها المسلمون مندفعين وراء تيار المدنية الكاذبة ، ويقوم على رأس هذه الوزارة — وزارة الشؤون الإسلامية — وزير يلقب بشيخ الإسلام — وهو غير شيخ الأزهر — « تكون له الهيمنة على شيوخ المعاهد وله السيطرة فى الوزارة الإسلامية وعلى سائر الوزارات والهيئات فيما يتصل بالشؤون الدينية وتكون تحت إدارته قوة عسكرية لتنفيذ الأوامر الدينية » وبعد ذلك « يعين مجلس إسلامى أعلى تحت رياسة شيخ الإسلام لإعداد المؤلفات الدينية للرد على الطاعنين فى الاسلام وعلى الطوائف الخارجة عنه » ثم اقترح « عقد مؤتمر إسلامى كل عام ينهض بالمسلمين » كما يرى حضرته « توسيع اختصاص المحاكم الشرعية على مثل الحكم الاسلامى فى فجر الاسلام »

وبعد ، فإن الأستاذ عبد الغنى مستحق ولا شك كل إعجاب لهذا المجهود الذى بذل ، وهذه الشجاعة الأدبية التي لم تتخل عنه فى كل أطوار حياته ، جزاه الله عن الاسلام والمسلمين

منصور جاب الله



بين أستاذين

جاءنا من الأستاذ كامل السيد شاهين رد على رد الأستاذ أحمد الشرباصى لا تلائم لهجته طبيعة الصداقة والزمالة بين الأستاذين الفاضلين ، فرأينا أن نطويه معتذرين ، ابقاء على المودة وا كتفاء عا نشر

دعابة الى الأستاذ على الطنطاوى

... ما يمنعك يا سيدى من أن ترحل على بعير ، أو تقيم فى خباء ... ما دمت تود مناجاة الرمال ، ومرافقة الوحشة ثلاثة أشهر تنفقهـا فى سخاء بين « دمشق » و « بغداد » فـما الذى يقف حجاز بينك وبين ما تريد ؟

لقد طوت المدنية الحديثة الأبعاد الفسيحة ، كما تطوى اليد الكبيرة السفر الصغير ، حتى جمعت العالم حول مائدة ، وإذا كانت الدنيا اليوم بين فكى صداع ، تلوكها أنياب التهديد والوعيد ، فإن البشر امل فى أمل كبير فى انتصار السلام ، مادامت دعوات « العالمية » تلق النصير فى « الوطن العالمى » ويذهب المؤمنون بالإنسان من المتفائلين — وهى خصلة نبوية ، إلى أن زمانا ستبزغ شمسه ، فيه تموت لغة الإقليم ، وتحيا لغة « الإنسان » ولكنك — ياسيدى — تبغى رجعة إلى عهد طفل ، تقطع رحلته بين بلدين متجاورين فى شتاء أوصيف ، وتتكلم فيه القبيلة بلغة ، بينما تتحدث أختها فى أرضها ، وتحت شمسها ، وعلى بعد يسير جدا ، بلغة أخرى ، وعندنا مثل شعبى يقول « البعد جفاء » ولا شك أن زمنا يقاس فيه الوقت بالصوت والنور ؛ خير من زمن يرخص الوقت فيه حتى يقاس بالمبهم كالحين والدهر

إن ما يدعو إلى العجب فيكم يا معشر الواعظين أن يقف الواحد منكم يغمره وهج « الكهرباء » وينشر كله على الناس « الميكرفون » ثم لا يعلو صوته إلا بسب اللعنات فوق رأس الحضارة الناهضة ، كأن الحضارة كثيب من ذر لا يلبث أن يطير من نفخ الهواء ؛ أو كأن حكم العاطفة المرتجلة ، والشعور المتقلب ، أفضل من سيادة العقل ، وتجربة « المعمل »

بنى سويف   بركات

فى جوار الله تلميذ من تلاميذ الرسالة

نشأ الوجيه على مصطفى الزارع من أثرياء طها محبا للعلم والأدب ، جعل من داره ندوة يسعى اليها كل شيخ وقور ، وشاب مثقف ، وطالب بحث فى الأدب أو فقه فى الدين ، وكان أكثر الساعين إلى ندوته الموظفون الغرباء ، فيجدون فى رحابها كرما وجودا ، وفى مكتبتها ثقافة وأدباء وفى جلستها مرحا مهذبا يخفف عنهم لوعة الغربة وجفوة البعد

وكان (للرسالة) الغراء لدى الوجيه الأديب مكانة محفوظة ، وفى مكتبته الضخمة ركن ملحوظ ، ولاأظن أن عددا واحدا من الرسالة ظهر دون أن يشتريه ويستوعبه حرفيا ، ويناقش موضوعاته فى ندوته ، كما لا أظن أن كتابا واحدا ظهر لصاحب الرسالة دون أن يقتنيه مزينا به صدر مكتبته زافا بشراه إلى رواد ندوته — كان مشغوفا بالصحف على اختلاف ألوانها ومشاربها ومعنيا بها ، ولكن شغفه بالرسالة وعنايته بها كانا يحملانه على الخروج من داره فى يوم ظهورها ليستقبلها فى نهاية الشارع أو فى ميدان المحطة وقت مجئ القطار

ومنذ أيام قرأت فى الصحف نبأ انتقاله إلى جوار الله فرثيته إلى نفسى ونعيته إلى قلبى ، فقد كان نعم الصديق الذى لا يعرف غير صفاء العشرة ، ونقاء الألفة ، ووفاء الأخوة ، وكرم الصحبة ، ورثيت لحال أسر نكبها الدهر وتنكرت لها الحياة ، كان لهاموءوانا ، ولنوائبها ملجأ ، ولآلامها مسكنا ، ولدموعها مجففا

ولم يمض يوم واحد على نعيه فى الصحف حتى تكشفت وفاته عن مأساة يرتجف لها القلم ألما ، ويعتصر القلب دما ، فقد ظهر أن الوفاة لم تكن طبيعية ، وإنما كانت نتيجة اعتداء وحشى على الأديب الفقيد من أيد أثيمة لوثت بالجبن والنذالة ، انتهزت فرصة عزلته وأنهت حياته متحدية غضب السماء وسطوة القضاء ، غير آبهة بما ستخلفه المأساة من فجيعة فى الأسر المنكوبة التى كان يعطف عليها ، وفى الأصدقاء الذين كان يوفى إليهم حقوق الصداقة والأخوة ، لقد تناقلت الصحف أن القتلة هم إخوته

طمعاً فى الميراث الزائل لأن الفقيد لم يكتب عليه أن يؤذى إنساناً أو يسىء إلى أحد ، كان يحب الخير للجميع ، ويبذل الخير ما وسعه البذل للجميع ، وكان انساناً بكل ما فى هذه اللفظة من معنى ، وما أعلم أن قلبا واحدا كان يضمر له ذرة من الكراهية لأن خلقه جمله جديرا بحب القلوب قاطبة ، وكان أديبا شهماً وكريما حقا ، ولكن هذه الصفات كلها لم ترحمه من عدوان الأيدى الأثيمة النذلة ... !

لقد ذهب صديق الرسالة أو فقيدها إلى جوار ربه وهو أكثر ما يكون رضا عن ربه ، وبقيت الأيدى الأثيمة تنتظر فى الدنيا سخط الرأى العام ونكال العدالة ... وفى الآخرة لعنة السماء ... !

محمد عبد الله السمان

كن جميلا :

قرأت بإعجاب مقال الأستاذ أحمد مصطفى حافظ بالعدد ٩٧٨ من الرسالة الغراء ولكنى فيما أعتقد لى مندوحة عن التسليم بكل ما عرضه الأستاذ على بساط البحث من آراء ...

فلقد استدل الأستاذ على أصالة الشاعرية وطبيعة الانفعال الفنى بأبيات من الشعر الكئيب الحزين .. وإنى لأفهم من هذا مشاركة الأستاذ — وجدانيا على الأقل — لهذا اللون من الأدب . . ومن رأينا أن رسالة الفن ليست الكآبة واليأس .. وأن جمال الكون وبهاء الوجود ليسا من الهوان على الشاعر الفنان الحق حتى يدعهما إلى الأفكار السوداء المتشائمة ... وأن العقاد الفيلسوف ليقول : (... ما زلت أعتقد وازداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غورا من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى ، فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء ! وليس الحزن قدرة بل هو انهزام أمام قدرة ... أما الفرح فهو القدرة والانتصار ...) فنحن لا نستحسن — مثلا — قول (الأديب المسترسل) حين يقف بين أحضان الطبيعة البهيجة : (إنى أرى الجبال هموما ثقيلة جاثمة فوق صدر الأرض .. بل نميل عن مثل هذا الأديب لنسمع من الآخر قوله :

الزهر حيانا بثغر باسم والنهر قابلنا بقلب صافى

ثم نسمع من الزهاوى قوله :

الناس تحيا بالمنى فما لها عنها غنى
لولا المنى ما عشت أنت سالما ولا أنا
لا تدلهم أنفس لها من المنى سنا
ولا يرى ذو اليأس ما أمامه وإن رنا
اليأس نار تحرق الروح وتفنى البدنا
ويجعل العمر قصيرا ويطيل الشجنا
أمل حياة كلها طيب هناك أو هنا

أسمعت يا أستاذ أحمد :

أمل حياة كلها طيب هناك أو هنا

حاول أن تتدبر جيدا يا أخى مغزى هذا البيت ...

ثم انزل معى قول إيليا أبو ماضى :

أيها الشاكى وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا

... وبعد فهذا هو الشعر الحى الممتلىء الأعطاف فى الحقيقة ، الذى لا يتجاوز حاجة المقام الأسمى ... وقد كان الأخلق بسيادتك أن تستدل به ، وبمثله ؛ وأخيرا هذه كلمة لوجه الحقيقة المجردة ... والله !

حسين كامل عزمى

جواز قراءة الأعداد المركبة من الشمال إلى اليمين :

أحال مجلس مجمع فؤاد الأول إلى لجنة الأصول ما طلبه حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات بك من قراءة الأعداد المركبة مع المائة فصاعدا من الشمال إلى اليمين أسوة بقراءتها من اليمين إلى اليسار ، وما أثير حول هذا الموضوع من نقاش فى المجلس

وقد رجعت اللجنة إلى كتب النحو للوقوف على ما كتبه النحاة فى هذا الموضوع ، فوجدت فى شرح الكافية لنجم الأئمة محمد بن حسن الرضى المتوفى سنة ٦٨٤ ؟ أو سنة ٦٨٦ النص الآتى :



القاضي السعيد

للفيلسوف الروسي تولستوي

قام المليك ثملا من الرقص الفاتن على أنغام المزامير يرنو إلى جمال الراقصات الباسم ... ويصغى إلى أحاديث الندامى ترن فى مسامعه مرجعة انباء الساحر الرهيب ، ذى القوة الخارقة والسحر العجيب ، وأقاصيص ذلك القاضى السعيد الفياضة بالغرائب ، المملوءة بالأعاجيب !

وأيقظه نسيم السحر المرتعش ، فنادى غلامه وقال : سمعت فى العشية من صحبتك أن فى أقصى المملكة قاضياً واسع الحيلة ، عظيم الذكاء ، يعرف الكاذب إذا رآه من الصادق ، وله فى ذلك نكات حلوة وطرائف طلية ... ولقد هفت نفسى إلى رؤيته فهيئ لى يا غلام جوادى ، وأحضر لى زادى ، وائت لى بلباس

« ... وتعطف المائة على ذلك العدد نحو أحد ومائة ، واثنان ومائة ، وثلاثة ومائة – أو تعطفه على المائة نحو : مائة وأحد . مائتان وأحد ، ألف واثنان ، فى المعلوم معدوده وفى غير المعلوم مائة ورجل ، ألف ورجلان ، مائة وثلاثة رجال

والأول أى عطف الأكثر على الأقل أكثر استعمالا . ألا ترى أن العشرة المركبة مع النيف معطوفة عليه فى التقدير ، فثلاثة عشر فى تقدير ثلاثة وعشرة وكذا ثلاثة وعشرون أكثر من عشرين وثلاثة الخ ... »

ومن الأمثلة التى ذكرها صاحب التصريح عند كلامه على العدد قوله : « كانوا تسعمائة وتسعين وتسعا فأتمهم . »

وقد انتهت اللجنة إلى جواز الأمرين على السواء . وأقرها مجلس المجمع على ما رأت .

لا يعرفنى به أحد من رعيتى ، كى أذهب فأرى صدقه من تدجيله

وبعد ساعة .. انطلق الملك يسرى .. بين شعف الجبال وأحضانها ، وهو يحث السير ويغذه ؛ حتى إذا ما وصل إلى بلد القاضى – وقد ارتفعت الشمس وقاظ النهار – لقيه رجل قد قطعت ساقاه وتهشم وجهه وجحظت عيناه ، فاقترب منه ، وهو يتكئ على عصوين أسندهما إلى إبطيه .. وأخذ يقبل أقدامه ويطلب إحسانه . فتصدق الملك عليه ؛ وهمز حصانه وسار على مهل

وفرح البائس إذ ضحكت له المنى ولكنه لحق بالمليك وأمسك بأثوابه لا يدعها ، فغضب الملك وثار وقال له :

– ما شأنك أيها الرجل ، وماذا تريد ؟ طلبت فأعطيناك . وشكوت فرحمناك ..!

قال الرجل بصوت يشيع فيه الحزن واللوعة :

أوصلنى يا سيدى إلى ساحة المدينة ، فأنا بائس عاجز وأخاف ان تطأنى الجمال بأقدامها إذ تمشى مشيها الوئيد .. أوصلنى إليها يا سيدى والله يجزيك أحسن الجزاء

ورق قلب الملك له وأشفق عليه . فحمله بين يديه وأردفه . ثم انطلقا حتى أتيا ساحة المدينة الكبرى . قال الملك آنذاك :

– ها هى ذى ساحة المدينة أيها الرجل ، فاهبط آمنا !

قال الرجل :

– وى ! هذا حصانى فلم تريد اغتصابه منى ؟ أهذا جزاء من يعطف عليك ويشفق ؟ يا للوقاحة ! ويل لك من العذاب الذى سيصيبك ! هيا . هيا . دع الحصان وامض إلى سبيلك . وإن لم تفعل فخير لك ولى أن نذهب إلى القاضى السعيد فنسأله ، وهناك يظهر الحق ويزهق الباطل !

وشده الملك وعجب من هذا المحتال البائس . ثم ثار وغضب ، وأرغى وأزبد ، والتف حوله أهل المدينة ، فساقوهما إلى القاضى ليحكم بينهما

وأتيا القاضى يجران وراءهما الناس ، وقد جاءوا ليقتسموا

إلى حكمه . واستوى القاضي على كرسي مزين بالذهب المتوهج ، وبدأ ينادي المتخاصمين فرداً فرداً

وجيء بعالم أصلع الرأس ، كث اللحية ، حاري الأذنين (١) وإلى جانبه قروي رث الهيئة ، ممزق الأثواب ، على وجهه أمارات الغباوة ، كانا يختصمان على امرأة حسناء على وجهها سحر وطلاوة ... هذا يدعي أنها خليلته ، وذاك يقول إنها حليلته . .

واستغرق القاضي في صمت عميق ... ثم قال :

— دعا حسناءكما عندي وتعاليا إلى غدا

وتقدم جزار إلى جانب بدال . وكان الجزار يرتدي ثوبا مليئا دماً ، وكان البدال يرتدي لباساً زين ببقع الزيت الحية . قال الجزار :

— لقد اشتريت من هذا الرجل يامولاي زيتاً ثم عمدت إلى قيمى فاخبأته تحت جيبه (٢) . ولكنه هجم علي ، وانتزعه مني ، فجئنا إليك يامولاي ، أنا أمسك بيدي دراهمي وهو يمسك بتلابيبي لئلا أفر ، ولكن الدراهم لي ، وما هو إلا سارق أثيم !

قال البدال

— كذب ما قاله يا سيدي وبهتان .. لقد جاء إلي ليبتاع من زيتي ، فملأت له وعاءه ، فلما أراد الانصراف طلب مني أن أبدل له قطعة ذهبية بقطع فضية ، فرحت أعطيه الدراهم ... ولكنه فر بها يا مولاي ، فلحقت به .. وأحضرته إليك ..

واستغرق القاضي في صمت عميق . ثم قال :

دعا الدراهم عندي وتعاليا إلى غداً .. !

ونودي الملك والسائل . قال الملك :

— أنا تاجر يا سيدي ، وهذا لقيني وأنا في طرف المدينة فرثيت له وأشفقت عليه ، ثم أعطيته ما يخفف من ألمه ويزيد في فرحه .. فلما انطلقت إلى ما أنا ماض من أجله ، لحق بي وطلب أن أوصله إلى الساحة الكبرى . فأردفته . فلما كنا في الساحة الكبرى ، طلبت إليه أن يتركني فأبى ، وقال هذا حصاني جئت تنتزعه مني . فالتف حولنا الناس وساقونا إليك . هذه قصتي يا مولاي فاحكم بما تريد ! ...

قال السائل :

— يا للكذب يا مولاي ! انه كذب وافترى ، فما أنا إلا صادق أمين ... كنت أجتاز المدينة وممي الحصان فرأيته في بعض الطريق ... فطلب مني أن أوصله الساحة الكبرى فقد أنهكه السير الطويل . فلما أتيت به الساحة قال هذا حصاني ... فاحكم يا مولاي أيدك الله وأطال بقاءك !

وفكر القاضي وقدر ... ثم قال :

— سأعرف الكاذب من الصادق ... دعا الحصان لدي ، وارجعا إلى غداً

وتفرق الناس ، ومضى كل إلى سبيله ، وذهب الملك يفكر في هذا القاضي الذي سماه الناس « بالسعيد »

* * *

أقبل الليل ، فجلس الملك يفكر في أمر ذلك البائس المسكين ويتذكره ، فملأ صوته المضطرب سمعه وفؤاده ، وهو يتساءل عن جزائه وكيف يكون . فلما أضناه التفكير أسلم نفسه للكرى . فنام نوماً عميقاً ، رأى فيه من الأطياف مالا يحصر ، ومن الأشباح المرعبة مالا يحد ، وضحك النهار فاستيقظ الملك ... وأخذ يرتدي أثوابه ، ثم مضى إلى المدينة ليطوف في أسواقها فلما أجاز ساحة الحي وجد غريمه يتدحرج نحو دار القاضي

وكان الناس يأتون زرافات زرافات ، فقد أعجبوا بالقاضي فغدت نفوسهم في شوق ملح لكل ما يقول. وجاء المتخاصمون فتقدم العالم والقروي . فنظر القاضي إليهما وقال :

— أيها العالم ! إنها زوجتك فخذها وامض بها إلى دارك ...

(١) حاري الأذنين أي أن أذنيه كأذني الحمار . ويقال أيضا فيل الأذنين . ذكر المعري في رسالة غفرانه ص ٤٧ ، ما يلي : « وكان ببغداد رجل كبير الرأس فيل الأذنين ، اسمه قاذوه ... الخ » وقد قسنا الأولى على الثانية

(٢) جيب القميص طوقه : أي صدره : وهذا المعنى هو خلاف ما هو شائع عن معنى هذه الكلمة

أما أنت أيها القروى ، فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! …

وانصرف العالم وزوجته، وأخذ القروى ليجلد

وجيء بالجزار وبائع الزيت ، فقال القاضى :

— أيها الجزار ! ها هى ذى دراهمك فخذها . أما أنت … فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! …

وأخذ الجزار دراهمه . ومضوا بالبدال ليجلدوه

وتقدم الملك والسائل . فقال القاضى للملك المتنكر :

هل تعرف حصانك جيدا ؟

— نعم يا مولاى !

— وأنت أيها السائل ؟

— وأنا أيضا يا سيدى !

— اتبعانى إذن …

وانطلق القاضى بهما إلى الاصطبل وقد امتلأ بالجياد . فقال للملك : دلنى على حصانك … فدله الملك ، ثم أخرجه وأدخل السائل … فدله عليه أيضا ، فلما خرج القاضى قال: خذ حصانك أيها التاجر فهو لك ، أما أنت فستجلد خمسين جلدة فى الساحة الكبرى

وهم القاضى بالانصراف … فتبعه الملك وقال له:

ـ أريد يا مولاى أن أعلم كيف استطعت أن تعرف أن المرأة كانت للعالم ، وأن الدراهم كانت للجزار … وأن الحصان كان لى فقد حار عقلى فى فهم ذلك … !

قال القاضى :

— أما المرأة ، فقد أتيت بها إلى دارى ، وقلت لها ضعى فى هذه المحبرة مداداً . فأخذت الدواة فنظفتها ، ثم ملأتها مداداً . فعلمت أنها تعلم ذلك من قبل ، والدواة لا توجد إلا عند العالم . فحكمت أنها امرأة العالم وليست خليلة القروى . أما الدراهم فقد وضعتها فى إناء ملئ بالماء ، وقلت لنفسى ، إن كانت لبائع الزيت فلا بد أن تطفو على صفحة الماء قطرات من الزيت جاءت إليها من يديه . ولكن الماء بقى صافياً ، فعلمت أن الدراهم ليست لبائع الزيت وإنما هى للجزار

وصمت القاضى قليلا ، فلما طال صمته قال الملك :

— والحصان يا سيدى ؟

قال القاضى :

لقد قلبت الأمر بين يدى فلم أجد حيلة أنفع من أن تدلانى على الحصان ؛ فعرفته أنت كما عرفه السائل ، ولكنى رأيت الحصان أدار وجهه نحوك ، ورفع أذنيه عند ما دنوت منه . فلما جاء السائل أرخى أذنيه ورفع إحدى رجليه يريد رفسه ، فعلمت أن الحصان لك

فابتسم الملك ضاحكا ، ثم تقدم من القاضى فقال له : أيها القاضى ! نعم العدل بك عيناً ، لست بتاجر ، ولكننى الملك !

ودهش القاضى وارتجف رهبة ثم انحنى وقال :

— عفوا يا مولاى … أنا عبدك

— قم أيها القاضى وسل …

— إن ثناءك على لمكافأة لى يا مولاى ،وانحنى ليقبل قدميه

— قم … قم أيها القاضى السعيد … فلقد صدقت بك … وآمنت … لقد صدقت وآمنت … ومنذ الغد ستكون لى وزيراً !

ص م

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

إسلام أمريكاني ... ... : الأستاذ سيد قطب ٧١٣

شخصية الرشيد ... ... : « أنور الجندي ٧١٥

السلام العالمي والإسلام : « محمود عبد العزيز محرم ... ٧١٧

جونه اتوماس مان ... ... : « عبد المسيح ثروت ٧٢١

المؤمنون الفائزون ... ... : « نور الدين الواعظ المحامي ... ٧٢٥

مصطفى كمال أتاتورك : « للأستاذ عبد الباسط محمد حسن ٧٢٧

نساء عرفن في زمن النبي : « ناصر سعد ٧٢٩

الجواهري شاعر العراق : « محمد رجب البيومي ٧٣٠

اللؤلؤ المنحدر (موشح) : « محمد زكي الدباغ ٧٣٤

(**الكتب**) — السقا مات — قصة طويلة ليوسف السباعي — ٧٣٥
الأستاذ كارنيك جورج ميفا سيان ... ...

(**البريد الأدبي**) — في مقال لعميد الأدب — نسبة البيتين — ٧٣٧
خطأ نحوي ... ...

(**القصص**) — السكيرة — للقصصي الفرنسي جي دي موبسان ... ٧٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 991
Le Caire 30 – 6 – 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩١ «القاهرة في يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٧١ — ٣٠ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

إسلام أمريكاني

للأستاذ سيد قطب

الأمريكان وحلفاؤهم مهتمون بالإسلام في هذه الأيام . إنهم في حاجة إليه ليكافح لهم الشيوعية في الشرق الأوسط ، بعد ما ظلوا هم يكافحونه تسعة قرون أو تزيد ، منذ أيام الحروب الصليبية ! إنهم في حاجة إليه كحاجتهم إلى الألمان واليابان والطليان الذين حطموهم في الحرب الماضية ، ثم يحاولون اليوم بكل الوسائل أن يقيموهم على أقدامهم ، كي يقفوا لهم في وجه الغول الشيوعي . وقد يعودون غدا لتحطيمهم مرة أخرى إذا استطاعوا !

والإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار ، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان ، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية ! إنهم لا يريدون للاسلام أن يحكم ، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى ، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة ، وأن طرد المستعمر فريضة ، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء ، فكلاهما عدو وكلاهما اعتداء !

الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق الأوسط إسلاما أمريكانيا ، ومن ثم تنطلق موجة إسلام في كل مكان .. فالكلام عن الإسلام ينطلق في صحافة مصر هنا وهناك ، والمناقشات الدينية تغرق صفحات بأكملها في صحف لم يعرف عنها في يوم ما حب الاسلام ولا معرفة الاسلام . ودور النشر — ومنها ماهو أمريكاني معروف — تكتشف فجأة أن الاسلام يجب أن يكون موضوع كتبها الشهرية . وكتاب معروفون ذوو ماض معروف في الدعاية للحلفاء ، يعودون إلى الكتابة عن الاسلام ، بعد ما اهتموا بهذا الإسلام في أيام الحرب الماضية ثم سكتوا عنه بعد انتصار الحلفاء ! والمحترفون من رجال الدين يصبح لهم هيل وهيلمان ، وجاه وسلطان ، والمسابقات عن الاسلام والشيوعية تخصص لها المكافآت الضخام

أما الاسلام الذي يكافح الاستعمار — كما يكافح الشيوعية — فلا نجد أحدا يتحدث عنه من هؤلاء جميعا . وأما الاسلام الذي يحكم الحياة ويصرفها ، فلا يشير إليه أحد من هؤلاء جميعا ..

إن الاسلام يجوز أن يستفتى في منع الحمل ، ويجوز أن يستفتى في دخول المرأة البرلمان ، ويجوز أن يستفتى في أمر الصيام

فى المناطق القطبية ؛ ويجوز أن يستفتى فى نواقض الوضوء . . ولكنه لا يستفتى أبدا فى أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالى . ولا يستفتى أبدا فى أوضاعنا السياسية والقومية ، وفيما يربطنا بالاستعمار من صلات

والديمقراطية فى الاسلام ، والبر فى الاسلام ، والعدل فى الاسلام . . من الجائز أن يتناولها كتاب أو مقال . ولكن الحكم بالاسلام ، والتشريع بالاسلام ، والانتصار للاسلام . . لا يجوز أن يمسها قلم ولا حديث ولا استفتاء !

* * *

وبعد فقد حدث أن هذا الاسلام الأمريكانى قد عرف أن فى الاسلام شيئا يقال له « الزكاة » وعرف أن هذه الزكاة قد تقاوم التيار الشيوعى لو أخذ بها فى الشرق من جديد . . ومن هنا اهتمت « حلقة الدراسات الاجتماعية » التى عقدت فى مصر فى العام الماضى بدراسة حكاية « الزكاة » هذه ، أو بدراسة مسألة « التكافل الاجتماعى فى الاسلام »

ولما كانت أمريكا من وراء حلقة الدراسات الاجتماعية ، فإن ذوى الشأن فى مصر لم يروا أن يقفوا فى وجه حكاية الزكاة ؛ كما وقفوا فى وجهها يوم فكر فيها عبد الحميد عبد الحق باشا وهو وزير للشؤون الاجتماعية ! إن ذوى الشأن يستطيعون الوقوف فى وجه الزكاة يوم يكون الآمر بها هو الله . أما يوم أن يكون الآمرون بها هم الأمريكان ، فليس أمامهم إلا الخضوع والإذعان !

وعلى ذلك ألفت فى مصر لجنة من بعض أساتذة الشريعة فى الجامعة ، وبعض رجال الأزهر ، وبعض الباشوات ، لدراسة مسألة «التكافل الاجتماعى فى الاسلام» وبخاصة حكاية الزكاة ، لا لوجه الله ، ولا لحساب الوطن ، ولكن لوجه الأمريكان ، ولحساب حلقة الدراسات الاجتماعية

وهنا بدا وجه الخطر . . إن الأمريكان لو عرفوا حقيقة التكافل الاجتماعى فى الاسلام لفرضوه فرضا على الشرق الأوسط ، لأنهم لن يجدوا سدا أقوى منه فى وجه الشيوعية .

والتكافل الاجتماعى فى الاسلام يفرض على الأموال تكاليف ، ويفرض عليها حقوقا ، ويعترف للملايين بحق الحياة . . ودون هذا وتنقطع الأعناق . .

وإذن فلا مفر من تخبئة الأمر على الأمريكان ! ولا مفر من الاحتيال على النصوص ؛ ولا مفر من تخفيف الأعباء التى يفرضها الاسلام على الأموال ؛ ولا مفر من أن تخرج اللجنة من الزكاة نفسها بظل باهت لايتناول إلا التافه ، ولا يمس الأموال إلا بقفاز من حرير

إنه لو كان الأمر أمر الله والدين لهان ، ولكنه أمر الأمريكان ! إن ما تقرره الشريعة الاسلامية شئ ، وما تقرره حلقة الدراسات الاجتماعية شئ آخر ! إن حلقة الدراسات الاجتماعية لا يجوز أن تعرف سر الاسلام الذى لا تعرفه ، وإلا فرضته على أهل الاسلام !

ولكن بعض أعضاء اللجنة من المعاندين المكابرين الذين لا يعرفون كيف يكتمون النصوص ؛ ولا يعرفون كيف يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ولا يعرفون كيف يشترون بآيات الله ثمنا قليلا . .

هؤلاء الأعضاء ما يزالون متشبثين بأن يطلعوا الأمريكان على السر الخطير، ومايزال الأعضاء الآخرون يلاقون من تشبثهم عنتا ، ولا يدرى إلا الله كيف تسير الأمور !

* * *

إنها مهزلة . بل إنها لمأساة . . ولكن العزاء عنها أن للاسلام أولياءه . أولياءه الذين يعملون له وحده ، ويواجهون به الاستعمار والطغيان والشيوعية سواء ، أولياءه الذين يعرفون أن الاسلام يجب أن يحكم كى يؤتى ثماره كاملة . أولياءه الذين لا تخدعهم صداقة الصليبيين المدخولة للاسلام ، وقد كانوا حربا عليه تسعمائة عام

إن أولياء الاسلام لا يطلبون باسمه برا وإحسانا ، ولكن يطلبون باسمه عدالة اجتماعية شاملة كاملة ؛ ولا يجعلون منه أداة لخدمة الاستعمار والطغيان ، ولكن يريدون به عدلا وعزة

شخصية الرشيد

على ضوء علم النفس الحديث

للاستاذ أنور الجندى

يقف « هارون الرشيد » على رأس القمة التى بلغتها الدولة العباسية ، بل التى بلغها تاريخ الإمبراطورية الإسلامية كلها .. ، هذا المجد الذى لم يلبث طويلا بعد ذلك ، والذى كان خلال عهد المأمون امتدادا للدفعة القوية التى بلغها الملك فى عهد الرشيد . وحسبك بالخليفة الذى روى عنه أنه قال للسحابة المارة « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك »

اختلف المؤرخون حول الرشيد اختلافا شديدا ، فذهب بعضهم إلى أنه كان يصلى مائة ركعة كل يوم ، وأنه كان يتصدق بمائة ألف درهم ؛ وأنه كان يحج عاما ويغزو عاما .. وذهب البعض الآخر إلى القول بأن قصره كان صورة صحيحة لقصص « ألف ليلة » ، وأنه كان مرحاً طروبا يقيم مجالس الغناء والأنس تنتظمها أكواب الراح ، وأنه كان يقضى غالب وقته بين الغناء والموسيق ، والمغنيات والقيان

على أنه ليس من الغريب أن يجمع الرشيد بين الصورتين المتباعدتين اللتين يجمعهما دلاله الشخصى القوى الحيوية ، الدافق الشباب ، البالغ الفتوة

وليس على الرشيد من بأس على ضوء طبعه هذا من أن يعيش هاتين الحياتين معا ، ويمزجهما على نحو من الاعتدال فهما ؛ قريبان جدا ، يلتقيان دائما ، إذا بعدت عنهما مبالغات القصاص وأحاجى الرواة

وليس على الرشيد من ضير أن يعقد مجالسه فيستمع إلى السمر والغناء والموسيق .. ، ولا يمنعه ذلك من أن يصلى لله مائة ركعة ؛ وأن يمضى إلى الحج عاما والغزو عاما

.. وكل وقائع حياة الرشيد الصحيحة التى بين أيدينا ، تدل على أنه أمضى حياة جادة كل الجد فقد حفلت حياته القصيرة بالغزو والجهاد ، فما كان ينتهى من غزاة حتى يفترع أخرى ،.. كذلك كان منذ شبابه الغض إلى اليوم الأخير من حياته

وأبرز ظاهر حياته أنه رجل حرب وقتال ، أشربت روحه بالجهاد وقيادة الجيوش ونضال العدو ، وكانت أغلب غزواته فى أرض الدولة البيزنطية ، فلما ولى الملك نظم الشواتى والصوائف وحرض على إرسالها ، ثم خرج بنفسه إلى قتال الروم بعد أن نقضوا المعاهدة ، ومنعوا الجزية

وقد كان حفيا بمغالبة الخصوم والأعداء ، لا يهدأ ولا يستريح إلا لنصر يكسبه من وراء نصر ، فلا يلبث أن ينتهى من صراع الأعداء على حدود الدولة البيزنطية حتى يعاود الصراع مع العلويين الذين يظهرون هنا أو هناك محاولين الفتنة أو منازعين على الملك ، ... وهو فى هذا كله صلب المزعة ، قوى العود ، على غاية من البسالة والحيوية ..، وهى صفات لا تجعل صاحبها بحال فى صف المنقطعين للهو أو العاكفين على الهوى ..

وفى هذا يقول الشاعر :

ومن يطلب لقاءك أو يرده فنى الحرمين أو أقصى الثغور

وكرامة ؛ ولا يتخذون منه ستارا للدعاية ، ولكن يتخذونه درعا للكفاح فى سبيل الحق والاستعلاء

أما دور العلن الذى يعلن بالاسلام فى هذه الأيام ؛ وأما المتجرون بالدين فى ربوع الشرق الأوسط، وأما الذين يسترزقون من اللعب به على طريقة الحواة ، أما هؤلاء جميعا فهم الزبد الذى يذهب جفاء عندما يأخذ المد طريقه، وسيأخذ المدطريقهسريعا ، أسرع مما يظن الكثيرون ، إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا . « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » . . . صدق الله العظيم

سيد قطب

٣٨٠٥٢

وقد بدت هذه النفسية المصارعة الجارفة .. على أوضح صورها وأقواها حين استبان له غدر البرامكة .. فصرعهم فى ليلة واحدة، على أسلوب غاية فى الجرأة والحسم والبتر، ولم يقبل فيهم شفاعة، حتى شفاعة ظئره التى أرضعته وربته .. وكانت عنده فى مقدمة الشافعين المشفعين

وليس شك أن هذا التصرف الجرئ بالنسبة للبرامكة .. بعد أن أطلق أيديهم فى أمور الملك سبعة عشر عاما، حتى بلغوا مكانا عاليا، واستطار اسمهم، وعلا صيتهم .. وفى الوقت الذى كان يعلم أنهم هم الذين أوصلوه إلى الملك ومكنوا له منه، لدليل أكيد على قوة نفسية الرشيد، قوة تزرى بما عرف عن جده المنصور.. وإن ظلت نفس الرشيد تحتفظ بطابعها الخالص من السماحة والرقة واللين والمرح والاشراق

.. وآية ذلك الذى نذهب إليه فى نفسية الرشيد، أنه فى رحلته الأخيرة إلى خراسان، حمل إليه أحد الخوارج، وكان فى أشد حالات المرض، وفى سكرات الموت، فأمرهم بقتله أمامه، وظل يملأ نظره من دمه المهدر، وهو مسجى على وشك أن يبلغ الأجل من علته ..

وكان الرشيد خلال حياته التى لم تتجاوز الخامسة والأربعين، حامل لواء الحضارة الاسلامية فى الشرق — بالإضافة إلى منصبه كخليفة للامبراطورية — ، فقد احتضن الثقافة والفن، وشجع رجال الشعر والموسيقى والغناء .. وأفسح لهم ومكنهم من الابتكار والتجديد والإبداع، وعنى بالتأليف، وأعان الفقهاء، وفتح لهم أبواب البحث والقضاء، وعقد لهم مجالس البحث والمساجلة والمناقشة فى مختلف المسائل

.. واتصل بعميد الغرب فى عهده، شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا .. وأرسل إليه وفداً ..، وأهدى إليه مفاتيح بيت المقدس، علامة على الود بين الغرب والشرق، وبين الاسلام والمسيحية

***

ثلاث نجوم: كانت تدور فى فلك الرشيد، أمه الخيزران، وزوجه زبيدة، ووزيره جعفر

أما الخيزران فقد كرهت الهادى. لأنه كان يصرفها عما تبغى من مظاهر السلطة والنفوذ، وأما الرشيد فقد أباح لها ما تشاء منه، وإليها يرجع بعض الفضل فى أن يقفز إلى الخلافة، قبل أن يجئ دوره فى ترتيب الوراثة وولاية العهد

وأما زبيدة فزوجه الأولى، التى كان يؤثرها على كل زوجاته وسراريه وجواريه. وهى أم الأمين، وكانت ذات رأى وتدبير، فكان الرشيد لايرى بدا من أن يأخذ بمشورتها، وأن يطلق يدها فى إنشاء القصور وتعمير المساجد وحفر العيون المعروفة باسمها ..

وأما جعفر فكان محببا إلى نفسه غاية الحب، حتى لقد روى بعض المؤرخين أنهما كانا يدخلان فى ثوب واحد، وهو إن قيل على أنه ضرب من المجاز، يصور مدى ما كان بينهما من الحب الصادق والود الأكيد

وروى أن جعفر تصرف باسم الرشيد فى أمور غاية فى الدقة فأقره الرشيد وقبل منه ورضى عنه، ولم يمنع هذا جعفرا من أن يقع به ما وقع عندما قضى فيه الرشيد بأمره

وتلك شميلة من شمائل الرجل الفذ، تثبت فى وضوح قوة عارضته؛ ولو كان كما روى عنه من الاسراف فى الترف لما استطاع أن يحسم أمره بالقوة والبراعة والحكمة فى الوقت المناسب

فإذا أخذ عليه بعد ذلك أمر، فهو أنه بايع للأمين بولاية العهد وللمأمون بخراسان وللقاسم بولاية العهد بعد المأمون .. فى عقد واحد، وكان هذا الذى فعل الرشيد بعيد الأثر من بعده، وهذا خطأ من أخطاء العاطفة المتحمسة، والعقل الراغب فى حسم الأمور، الذى يظن أنها تنقاد من بعده وفق سلطانه.. وإرادته

وهو أشبه بما قيل عن رضائه عن صداقة جعفر والعباسة، وجمعهما فى حضرته وإنفاذ أمره بزواجهما، دون أن يلتقيا كما يلتقى الأزواج ..

فإذا صح ماذهبنا إليه من أمر الرشيد الذى عاش حياته مقسما بين الحرب والحج، ومغالبة الأعداء والخصوم من الروم، والعلويين، والبرامكة ..، فلا يمنع هذا الطبع المشبوب بالحماسة والقوة والحيوية، من أن يرد موارد المتاع بالسمر ومجالس

السلام العـــالمى والاسلام

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

الإسلام حرب والمسلمون متعصبون

هذا هو الحبل الذى شنقنا به أنفسنا كثيرا . وشنقنا به المستعمرون كثيرا ؛ ولا زلنا كل يوم نجده قريبا من أعناقنا للساعة التى نريد أن ننتقم مـن أنفسنا فيهـا أو ينتقم منا فيها غـيرنا

الطارب ، فذلك يتمشى مع طابعه ولا يتعارض معه بحال من الأحوال

وقد أداه طبعه السياسى الواضح هذا إلى أن يرسم الخطط للأمور التى يمكن أن تقع بعد عهد طويل .. ولا بأس عليـه من أن يخطئ . . خطأ المجتهد ، فى أن ينظم المملـكة من بعده على صورة مبايعة طويلة المدى لأولاده ، أو أن يقتل الخارجى ، وهو على وشك الموت ..

ولاشك أن تصرفه فى كسب صداقة شارلمان ، وإهدائه إياه مفاتيح بيت المقدس ، هو من وعى السياسى النابه الذى يريد أن يحول بين عادية الصراع بين الشرق والغرب ، وهو ما امتحنت به المملـكة الاسلامية بعد ذلك

وجملة القول فى الرشيد أنه كان من أبرع ساسة الشرق ، وخلفاء الاسـلام ، وأنه لم يكن بالمترف اللاين الناعم كما صوره صاحب الأغانى ، أو كاتب ألف ليلة ، ولـكنه كان قاسيا جبارا ، فيه روح المجاهد المحارب ، وعاطفة الشباب الفوار ، الذى لا يحب الهزيمة ، والذى يتعقب خصومه ويفتك بهم ، والذى يحب مجالس العلم ، ومجالس الفن ، ويلقاها مرحا مبتسما طلقا ، وإن طوى النفس على عزيمة ماضية تبرز فى قوة حين يتصل الأمر بشخصه أو سلطانه

أنور الجندى

وإذا كان من صالح الدول الغربية الاستعمارية وغيرها ، أن تباعد بيننا وبين ماضينا ومعتقداتنا ، فإنه ليس من صالحنا نحن أن نباعد عنا هذا الماضى وهذه المعتقدات . والأمم الغربية كلها مردت على الإفلات من قبضة الدين حتى ما تستطيع الرجوع إلى حظيرته مرة أخرى ، وهى تريدنا على أن نـكون مثلها ، فنخلع عنا هذه الروحانية العالية والتوجيه السامى والإرشاد المنير حتى نجد فينا مرتعا خصبا ، تحقق فيه آمالها ورغائبها ، لأنها تعلم حق العلم ، أن ديننا — هـذا الدين الإسلامى الحنيف — يقف دونها ، ويحول بينها وبين ما تبغى ، ولا يكاد يفسح لها طريق الاستغلال والاحتكار والإذلال والاستعمار

وطالما سعت الأمم الغربية إلى هذه الغاية ، والعصور الماضية لا زالت تتراءى لنا فى صفحاتها المليئة بالعظات والأخبار الحروب الصليبية المتـكررة ، والهجمات المتتابعة من الغرب على الشرق فى محاولات كثيرة لتشويه الدين الإسلامى ، وتسفيه العقلية الإسلامية ، والاستيلاء على بلاد الإسلام

وقد اشتبك الغرب بالشرق — منذ الاسلام — اشتباكات كثيرة ، كتب النصر فى بعضها للشرق ، وكتب النصر فى بعضها للغرب . على أن نصر الشرق كان مرجعه فى كل مرة إلى الاستمساك بعقائده الرفيعة ، ومثله العالية ، ودينه الربانى الحنيف . ويوم انتصر الغرب على الشرق ، كان ذلك بعد أن تخلينا عن ديننا ، وغلبنا على أنفسنا ، وسـعينا وراء رغائب الحياة الذليلة ومثلها الهابطة ، نفنى أعمارنا وقوانا ، ونجعل منها سدا منيعا يحرمنا الاسترواح فى ظل رسالتنا ، وطرائقها الحيوية ، وأهدافها

لقد استعمر الغرب بلادنا ، واستولى على مواردنا ، واحتكر مجالات النشاط الاقتصادى ، وساقنا إلى حروب لا شأن لنا بها ! غير أن أعظم ما فعله خطرا ، هو تلك الطائفة « المسلمة ! » التى رباها ونشأها وأعدها لحـكم البلاد ، ووقف هو من وراء ستار يملى عليها ويدفعها إلى ما يريد

هذه الطائفة « المسلمة ! » تقتل الاسلام وتقتـل المسلمين بأسلوب استعمارى غير مباشر ، بعد أن فرغ الاستعمار من كل

ما يطيق فى هذه السبيل بأسلوبه المباشر ، واخترع لنا هؤلاء جميعا فكرتى السلطة الدينية والسلطة الزمنية اللتين اعترف بهما الغرب لتنحسر ظلال الدين عن مرافق الحياة ، وحاولوا أن يوهمونا بأن السياسة شىء والدين شىء آخر . وارتفعت أصواتهم المتخاذلة هنا وهناك لتنشر فى الشعوب المستكينة هذا المبدأ الخبيث

نحن فى بلادنا ، وقد انطلقت إلينا الدول الغربية من بلادها ، فرقت العالم الإسلامى مزقا ، وعذبت المسلمين فى كل قطر حلت به ، وضربتهم بالذل والفقر والفساد ، وكلما بدت محاولة لارجاعنا إلى مبادئنا الدينية حتى ننهج فى الحياة نهجا صحيحا ، أذاع المستعمرون بيننا بلسانهم أو بلسان عملائهم، أن الاسلام حرب وأن المسلمين متعصبون ، وأنه لا دين مع سياسة ، ولا سياسة مع دين

لذلك نجدنا فى حاجة إلى تصحيح هذه الأوضاع الخاطئة التى جرت عليها السنون أذيالها ، والتى تبدو الآن لكثير من الناس حقيقة لا مفر منها ، فى حاجة إلى فهم ديننا على حقيقته ، والرجوع به إلى مصادره الأولى ، يوم كان سياسة عملية زاكية، تعمر ولا تخرب ، وتهدى ولا تضل ، وتعدل ولا تظلم ، وتحسن ولا تسىء، فى حاجة إلى فهم أن ديننا سياسة، وأن سياستنا دين ، وأن حياتنا فى أنفسنا ومع غيرنا لابد أن تقوم على هذا الأساس . فى حاجة إلى فهم قيمة عقيدتنا فى الحياة ، ومعرفة أسلوبها فى فض مشاكل الناس ومشاكل الأمم ، ودراسة أهدافها ، دراسة موضوعية صحيحة . فى حاجة لأن نفهم هل الإسلام حقيقة دين حرب ! وهل المسلمون بالتالى متعصبون !

فى هذا كله أخرج الأستاذ سيد قطب كتابه الرائع « السلام العالمى والاسلام » وهو من أول سطر فيه يسجل وظيفة العقيدة الدينية « فعمر الانسان محدود ، وأيامه على الأرض محدودة ، وهو ـ بالقياس إلى هذا الكون الهائل الذى يعيش فيه ـ ذرة تائهة لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره بالقياس إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد ومضة برق أو غمضة عين

ولكن هذا الفرد الفانى . . . يملك فى لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا فى ذلك الكون الهائل ، أن يرتبط به فى أعماقه وأمشاجه بوشائج من القربى لا تنفصم ، أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة وإليها ، أنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة ، وأن ينشئ أحداثا ضخمة ، وأن يؤثر فى كل شىء ويتأثر . . . يملك أن يحس الوجود فى الماضى والاستقرار فى الحاضر ، والامتداد فى الآتى ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التى لا تنضب ولا تنحسر ولا تضعف ، وإنه لقادر إذن على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء بمثل قوتها ، فما هو بالآلة الضائع ، ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد وإلى ما بينه وبينها من وشائج

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها فى النفس والحياة

والعقيدة الاسلامية تنظر إلى الانسان ككل ، دون تفرقة بين سلوكه وأهدافه ونوازعه ودوافعه ، ودون تفرقة بين روحه وعقله وجسده « فهى تشمل كل نشاط الانسان فى كل حقول الحياة ، فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل ، ولا على اتجاه دون اتجاه . إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فما لقيصر، وقيصر ذاته ، فى العقيدة الاسلامية ـ كله لله . وما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه ، وإنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده ، أو تتولى شعائره ، وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه ، وإنها لا تتولاه فردا وتهمله جماعة ، ولا تتولاه فى حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته

« والاسلام يعد الحياة وحدة ، وحدة من ناحية الزمن متماسكة الحلقات ، متدرجة الخطوات ، متضامنة الأجيال ، متعاقبة الأطوار . وحدة من ناحية الفطرة ؛ متماسكة النوازع والأشواق ، ممتزجة المادة والروح ، قابلة للارتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها ، مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة » ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها »

وإذا كان الانسان ينظر إليه ككل ، وإذا كانت الحياة ينظر إليها كوحدة ، وإذا كانت الحياة قابلة

للهبوط إذا ساء التوجيه ، ومستعدة للارتفاع إذا حسنت التزكية ، إذا كان ذلك كذلك فإن الاسلام يرسم طريقة فذة لتربية هذا الكل الذى هو الانسان ، وللارتقاء بهذه الوحدة التى هى الحياة . فسلام الضمير ، وسلام البيت ، وسلام المجتمع ـ كل هذه أهداف سمى إليها الاسلام على طريق معبدة وبوسائل عملية مثمرة ، حتى يطمئن الفرد فيطمئن البيت ، وإذا ما اطمأن البيت أمن المجتمع . وبعد هذا كله تظلل الحياة والأحياء أعلام الأمن والسلام

إن الاسلام يرى أن سلام الأمم والجماعات إنما هو من ذات الفرد الذى يكون الأمم والجماعات ، فالفرد هو اللبنة الأولى التى إن صلحت صلح البناء كله ، وإن فسدت وكانت واهية ضعيفة انهدم البناء كله من أساسه . الفرد ذو قيمة ، لأنه هو الذى يكون الأمم ، وهو الذى ينشر المحبة والسلام ، وهو الذى يسمى بما شب عليه إلى نظام فى الحياة أمثل ، ولذلك رعاه الاسلام حق الرعاية ، وهداه ووجهه وأرشده ، ورسم له الحدود التى يبدأ منها والغايات التى ينتهى إليها . هذا وهو فرد ، أما إذا كان فى مجتمع صغير — مجتمع الأسرة ، فقد وضع له القوانين والنظم ، وراعى فى ذلك حياة فرد آخر أو أفراد آخرين ، ليكونوا أداة عاملة فى رقى الحياة . فشرع الرباط المقدس يربط بين الزوجين ، وحرم الاختلاط والتبرج ؛ وسن الحدود لحماية الأعراض . وأحل الطلاق وهو أبغض حلال إلى الله . وأباح تعدد الزوجات ليمكن مواجهة أحداث الزمن ونوازله . ثم جعل العائلة كلها متكافلة فى السراء والضراء ؛ فى حال القدرة يفيض بعض أفرادها على بعض ، وفى حال اليأس يعين القادر المحتاج

وإذا خرج الفرد إلى المجتمع الأكبر لم يتركه الاسلام ، بل يسن له من القوانين والمبادىء والنظم ما يكفل لهذا المجتمع حياة صحيحة ، وما يدفع به فى ثقة وأمن لتحقيق إرادة الله وكلمته ، تلك الكلمة التى بها نزلت الشرائع من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فالرسل جميعا فى هذه الكلمة سواء : وهم مكلفون دعوة الناس إليها ، وهم مكلفون هم ومن معهم الدفاع عنها والتضحية فى سبيلها

لم يغفل الإسلام فى هذا المجتمع الأكبر الأدب الاجتماعى النفسانى . ولم يقصر فى بذر بذور الحب والرحمة ، وفرصة التعاون والتضامن . وشرع أهدافا عليا يسمى إليها المجتمع السليم . ونظم الحكم ، وضمن العدالة القانونية . وضمن الأمن والسلامة . وضمن الحياة المعيشية . وعادل بين الطوائف والأفراد اجتماعيا . وقرر فى المال أصولا قيمة تضمن سلامة المجتمع

الله واحد . صدر منه كون واحد . بكلمة منه واحدة . وهداه بشريعة واحدة . كل هذا ليأمرنا بالوحدة والمحبة والتعاون ، وتحقيق كلمة الله التى أرادها على مر الأيام والدهور ، من صدق وعطف ورفع ظلم ، وإحسان وتعاون وإئمار ، ووقوف فى وجه الطغيان ، ومحاربة الاستغلال الفردى والجماعى ، والتزام الجادة ، والنأى عن كل ما يحط الإنسان والإنسانية

هذه هى رسالة الله التى جاء بها موسى وعيسى ومحمد . فلسنا نخرج على أمم الغرب ودوله بجديد حين ندعو إلى هذه الأهداف السامية ، لأنها من صميم رسالتهم من قبل أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ، ومن قبل أن يفصلوا الدين عن الدولة . ومع ذلك فهم يرونها شيئا غريبا عنهم ، لأنهم مردوا على النفاق والاستغلال والشهوة ، ومردوا على مقاطعة رسائل الوحى ومخاصمة الأنبياء ، إذ فى هذه الرسائل حد من طغيانهم وعبثهم ولهوهم واستغلالهم للأمم والشعوب

الإسلام دين سلام لا دين حرب . وهو يقاوم الحروب فى كل مظاهرها إلا فيما يتفق ورسالته العالمية ؛ فهو لا يرضى الحرب العنصرية ، ولا يرضى الحرب الدينية كما يفهمها الأوربيون ، ولا يرضى حرب الاستعمار والاستغلال ، ولا يرضى حرب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال ، ولا حرب المغانم والأسلاب ؛ إنما هى حرب واحدة يرضاها ، ليقر السلم والعدل فى الأرض ، ولينعم الناس بالهدوء والأمن ، وليتنسموا أنسام الحرية والتقدير . وهى الحرب التى يعلنها على الظلم فى جميع صوره وأشكاله ، فلا يهادن قوة ظالمة على وجه الأرض ، سواء تمثلت هذه القوة فى صورة فرد يتجبر على الأفراد والجماعات ، أو فى صورة طبقة تستغل الطبقات ، أو فى صورة دولة تستغل الدول والشعوب . إنها كلها صورة واحدة فى عرف الإسلام ، صورة

منافية لمبادئه الأساسية ، وعليه أن يجاهدها ما استطاع ، وعليه ألا يهادنها إلا ريثما يتجمع لكفاحها ، ولا يعاونها ولا يقف في صفها بحال من الأحوال « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

هل الدين الذي يسمى إلى هذه الغاية دين حرب ؟ هل الدين الذي لا يفرض نفسه عقيدة على الناس دين قتال ؟ هل الدين الذي يحرم الاكراه في العقيدة دين عسف ؟ وهل المسلمون المتمثلون لهذه الغايات الشريفة متعصبون ؟ نعم متعصبون ! ونعم هو دين حرب ! في رأي هذه الدول الغربية التي رفضت الخضوع لدينها الصحيح ! وفي رأي بعض « المسلمين » المحسوبين على الاسلام ظلما وعدوانا !

هذا الكتاب الجليل الرائع من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة لتقرير السلم العالمية في رأي الاسلام . هذه السلم التي تتمثل في دفع الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية وحسب . هذه السلم التي تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي إلى هذا العالم الأوسع . وقد قدمت حقائق هذا الكتاب مؤيدة كلها بالأسانيد القرآنية والنبوية ومأثورات السلف الصالح

وحين كنت أطالع هذا الكتاب ، كان يقوم بنفسي اعتراض أو رأي أو حاجة ، فما هي إلا بضعة سطور أو بضع صفحات حتى أجد ما أحب وأرجو ، كأنما كنت معه على ميعاد غير منظور

وإن السلام الذي ننشده بهذا الكتاب ، وبدعوتنا الربانية المشرقة ، ليحملنا على التدقيق في كل ما نكتب وما نقول . وإنه قد حاك بنفسي حائك من هذه العبارة « ويسكب الاسلام في النفس السكينة والأمن والسلام ، بالركون إلى الله والاطمئنان إلى جواره ، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته . وهي خاصية العقيدة الدينية التي يشارك الاسلام فيها سائر العقائد السماوية . . وإنما يتميز الاسلام بأن العلاقة فيه مباشرة بين الرب والعبد ، لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس ، ولا تتعلق بإرادة مخلوق في الأرض ولا في السماء »

وأنا أحسب أن العلاقة المباشرة بين الرب والعبد ليست مقصورة على الاسلام ، إنما هي في الديانات السماوية كلها ، من آدم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد بن عبد الله ، ولكن الوغول في هذه العلاقة حدث على أيدي المحترفين بالدين من الكهان والقسس الذين بدلوا في كلم الله ، ولا شك عندي أن الأستاذ المؤلف يقصد بعض الديانات التي زورها أهلها وانحرفوا بها عن سياستها الإلهية المرسومة

ويقول الأستاذ المؤلف « حتى الجريمة لا يجوز إثباتها بتسور البيوت والتجسس على الناس في مأمنهم . وقد حدث أن مر عمر بن الخطاب في إحدى جولاته الليلية ببيت سمع فيه صوت رجل وامرأة لعله رابه ، فتسور الحائط لينظر ، فإذا رجل وامرأة ومعهما زق خمر . فقال عمر . ياعدو الله ! أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال الرجل : ياأمير المؤمنين : أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث . فالله يقول « ولا تجسسوا » وأنت تجسست علينا . والله يقول « وأتوا البيوت من أبوابها » وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه . والله يقول « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وأنت لم تفعل

وهكذا لم يجد عمر أنه يملك عقابه ، فاستتابه ! »

وأحسب أن الاسلام يبيح التجسس فيما هو من صالح الرعية والقيام على حياطة القوانين . وعمر رضي الله عنه ما خرج إلا متجسسا مستطلعا . ويبدو لي أن هذه القصة وضعت وحملت على عمر . وإلا فإنها لكبيرة من هذا الفارغ الوقح أن يجابه عمر هذه المجابهة : رجل معه امرأة ، ومعه زق خمر ، وصوت الرجل والمرأة يدعو من يسمعه عرضا إلى الاسترابة به ، فإذا ما استشرف أمير المؤمنين لينظر ما رابه يناظره هذا الفارغ الوقح في أصول الدين ! إن عمر لم يعاقبه لو كانت القصة حقيقية ، لا لأنه تجسس ، ولا لأنه أتى البيت من غير بابه ، ولا لأنه لم يستأنس ولم يسلم ، ولا لأن حجة هذا الفارغ فلجت حجة عمر ، بل لأن شروط العقاب لم تتوفر ، فلم يبق إلا التعزير وهذا ما فعله عمر

إن الكتاب كتاب إسلامي قرآني . وإني أراه يمتاز بمميزات ثلاثة : الأولى وحدة موضوعة . الثانية أنه سد في نفوسنا حاجة ماحة في هذه الفترة من الزمن . الثالثة بيانه المشرق وتعبيره الرائق

محمود عبد العزيز محرم

جـــوته

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تابع

حاجته للغضب والعنف :

طبيعى أن أقوال جوته هذه هى عين التشاؤم ، ولكنه أساساً كان راضياً بالوضع القائم ؛ لأن روح المسالمة كانت بعيدة عنه . وعلى النقيض من ذلك كان يشعر شعوراً جارفاً بالقوة والنضال « كى يتمكن الإنسان أن يتفوق على أخيه » وهذا يذكرنا بقول (فاكنر) : « عند ما تتحرك القوة بدون خوف يعجبنى المجلس الحربى كثيراً » . زد على ذلك أنه كان يعترف بذلك جهاراً وهو القائل « إننى أشعر بالتعاسة عند ما أكون متصالحاً مع الآخرين » وهناك شواهد كثيرة يمكن استنتاجها من قناعته وسروره بالعنف والعقاب واستعداده لاسكات الآخرين بالقوة الغاشمة « ونبذ أضراب هؤلاء الناس من المجتمع المتمدن »

إن الشئ التعس حقا والمزعج للوطنيين الذين كانوا يسمون لتثقيف ألمانيا وتحريرها سياسيا أن يكون الشاعر فى طليعة المناهضين لهم والمقاومين لفكرتهم التحريرية ، وما أن واتاه الأجل المحتوم حتى شعر الناس براحة بالغة وتنفسوا الصعداء لخلاصهم من هذا الكابوس ، وعلى الرغم من اعتقاده بأن الحرية لا يمكن أن تمنى شيئاً للأرقاء ؛ فإنه سمح لنفسه بالمزيد منها بصورة لا محدودة ولا موصوفة ولا مدركة ، حرية كاملة ، حرية كانت تتشكل بجميع الأشكال وكانت تطالب بالاطلاع على كل شئ وأن تدرك كل شئ ، وعلينا أن نتذكر أنه لم يكن كتاباً بل إنساناً مفعماً بالتناقضات ، إنساناً عظيماً ذا متناقضات هائلة وقد أحب أن يدعو نفسه « مناهضاً للمسيحية بعناد وتصميم » . ولم يترك فرصة لا يظهر فيها وبأسلوب المؤثر .. كراهية الوثنية « للصليب » كما فعل نقشه بعاطفيته الشديدة ضد الأخلاق المسيحية ، ولو أن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة طبيعته الطيبة ، وكذلك الحال مع فوته الذى ناصر الوثنية ، وهذا الانتصار للوثنية لا يمكن أن يعارض حقيقة وجوده الروحى ، والتى كانت تقر بالثورة الادراكية . ولعل خير دليل على ذلك قوله « إن كل نوع من الألم فيه عنصر إلهى » . وطبيعى أن نقول أن الرجل الذى يتكلم بمثل هذه اللغة لا يمكن إلا أن يكون مسيحيا ، بالرغم من أنه عارض ذلك مئات المرات وقال : « إن الانخذال والتألم ليسا من طبيعته فى شئ » وقد أعلن بلهجة شديدة قاسية ذات يوم « أن الإنسان له حرية فى الحياة بأن يكون إما مطرقة أو سندانا » .. وقوله « يظهر لى أنه من الخير أن يكون الإنسان مطرقة من أن يكون سندانا » وهو أمر مألوف منه ، ولكن الذى يدعو إلى التمن لرضاه « تحمل الضربات المتوالية الأبدية » .

والآن ننتقل إلى شعاره الجديد والمعروف بـ « النفور » فقد ظل ملازماً لكتاباته كما كانت «الحرية» شعار (شلر) و«الفداء» شعار واكنر، وكل شئ يدعونا للتردد باعتبار هذا الشعار شعاراً وثنيا على الرغم من إيمانه بالقوة والنضال لأن قوله : « أن الحرب فى الحقيقة مرض عجز عن معالجته نطس الأطباء وهى مخالفة للسنن الطبيعية » رد بليغ على إيمانه بالقوة . أما مسيحيته كعامل ذى أهمية كبرى فى تكوين شخصيته فقد كانت تعود بالدرجة الأولى إلى تربيته البروتستانتية .. وقد استرعى انتباهه بصورة جدية ترجمة لوثر للكتاب المقدس فعلق على ذلك بقوله « إننى أتمكن أن أضيف على ترجمة لوثر ولكن بصورة أحسن » ولكن البروتستانتية لم تثبت أمام حدة نقده بل نراه ينبذ ذلك ويلتجئ مرة إلى مدح القوة البدنية أو يلتجئ إلى الكاثوليكية الموحدة الديمقراطية مرة أخرى فيقول « يجب أن يكون الإنسان كاثوليكيا كى يتمكن أن يشارك العامة فى عيشه وأن يختلط بهم ويتعرف على مشاكلهم وأن يكون واحداً منهم يشاركهم فى السراء والضراء

سريان التناقض فى جميع أعماله ومؤلفاته :

ضمه أينما شئت من طبقات التفكير أو الوجود — استناداً على الشواهد التى لا تقبل الجدل — فستجده حتما فى الطبقة المناهضة المعارضة ، وهذا من مميزاته حتى فى مواقفه الخلقية مثلا ، وموقفه فيما يتعلق بالزمن نفسه لا يختلف عن ذلك فى شئ .

فتراه متباطئاً متكاسلا حيناً وتراه مراعيا جهده الوقت حيناً آخر تحت شعاره المألوف « ما أغنى إرثى وما أروعه . إن الوقت هو ملكى وأرض حصادى » . أما من الناحية الفنية فقد كانت مؤلفاته تناقضاً غريباً بحدذاتهـا ، فبينما نراه يمثل نفسه تمثيلا موضوعيا « أبوليا » فى سخريته ، نجده فى الوقت ذاته غنائيـا واعترافيا ، يرسم بأغانيه صورة نفسه ويعبر عنها أحسن التعبير .

ولعلنا بوصفنا إياه كمعترف ومكفر عن ذنوبه نصيب كبد الحقيقة من أن نصفه بأية صفة أخرى ، ولنا الآن أن نتصرف على ذلك بصورة إجمالية ، كيف كان يشرح حياته ويبين الأهواء التى كانت تتنازعه ؟ يمكننا الإجابة على هذا السؤال باطلاعنا على نقاط الضعف فى حياته وكتبه : — فانتحار (فرتر) وخيانة (كلافيكو) وهستربة (تاسو) ودعارة (إدوارد) وخبث (فرناندو) فى مؤلفه (استيلا) دلائل ناطقة على سلوكه

إن الإنسان ليعجب عند ما يلاحظ تهوره وسخريته من أدب (المستشفى) ورغبته فى تغيير ذلك بأدب روحي سام عوضاً عنه . ومع ذلك فقد كان له (مستشفاه) الخاص ، وفى (مستشفاه) هذا يجد اعترافه وضعفه الإنسانى باديين بكل جلاء . حتى أن مؤلفيه (مايستر) و (فاوست) يبدوان وكأن الوهن قد أصابهما فى جوهريهما وهما لا يعدان شيئاً بالقياس إلى الرجولة المثالية التى امتلكت على الشاعر مشاعره

وعلى الرغم من أن ميزة الرجولة لا تظهر بوضوح فى كل هذا النتاج المتنوع كما هى الحال مع (شلر) إلا أن النزعة الروحية الإنسانية بادية فى كل ما كتبه بصراحة تدعو إلى الإعجاب وبأمانة تفوق الوصف وبدقة لا متناهية ، وفى كل ما كتبه يظهر طابع سحر شخصيته بصورة بارزة ، بحيث يمكننا أن نقول ونحق أن الابداع الأدبى جميعاً قديمه وحديثه لا يوازيه بقوته وسحره . وكمثال على ذلك أحب أن استعرض تمثيليته (أكونت) .. هذه التمثيلية التى كانت مثاراً للنقد من الناحية الدراماتيكية وحتى الناحية الفنية المحضة . ومع خروج هذه التمثيلية على جميع نظم المسرح إلا أنها تتسم بجمال فتان ، بأخلاق بطلها ، ذلك البطل صاحب النزعة الأرستقراطية والشعبية معاً . وما من شك أن روح اللامبالاة الرقيقة التى تسرى فى مسارب هذه التمثيلية تظهر

غوته على حقيقته بجميع رغائبه وشخصيته ، والتى هى فى نظرى أوج الكمال التى ارتقى إليه سحر غوته — نجد ذلك فى أكثر مؤلفاته كما نجدها فى علاقته اللاعاطفية مع (كلارجن) ؛ تلك الفتاة الصغيرة التى كانت من عامة الشعب وأخت (كرجن) التى عرض لها نفسه بلباسه الملكى الاسبانى وهو يحمل الدالية الذهبية لمجرد غرامه بآهاتها وواهاتها .. وهنا نجد (نرجسيته)[1] التى تتمثل فى حبه للفتيات السذج اللاتى كان يعتقد بأنهن يمثلن عالم الروح والحب ، ولم يربط نفسه بهن إلا برباط الغرام المؤقت ، هذا الرباط الذى لم يكن إلا طارئاً ينثره غبار الزمن فينحل وكأنه لم يكن. أما فكرة الزواج فكانت هى نفسها فكرة خيالية عابرة كحبه

حياته الغرامية :

كانت حياة غوته فى الحب فصلا غريباً ، والمتتبع للثقافة العامة مجبر على التصرف بشؤونه الغرامية لكى يكون انطباعه عنها صحيحاً لا تشوبه شائبة ، فألمانيا فى الأيام — التى نحن بصددها — كانت مثاراً لهذه الحوادث ، وليس لدارس غوته إلا تعداد هذه الحوادث كما كان يفعل (زيوس) . إن هذه الحوادث أضحت الآن تماثيل فى (كاندرائية) الانسانية ، وأما ركوعه وخضوعه أمام (فردريكا) و (مريانه) و (لوته) وتذلله أمام أقدامهن — وهن ما هن عليه من سيطرة ونفوذ — فلم يدم طويلا لأنه رأى فى كل ذلك إهانة لنفسهما وحطا من قدرها ، فتمرد على هذه العواطف الهوج وخرج مما تورطه به مفعماً شهامة وبأساً ، وربما كان فى هذه الحوادث مايعوض من تناقضه الذى كان ينتابه وولاؤه الذى كان أبداً ما ئلا إلى الانهيار . لأن حبه — فى الحقيقة — لم يكن إلا ضرورة ووسيلة لغاية ، تلك الغاية التى تتمثل فى عمله الأدبى

كتب مرة إلى (لوته) قائلا ... إنك لا تشعرين بفرتر كما يجب وإنما الذى تشعرين به هو أنا ونفسك . وإذا كان فى إمكانك أن تشعرى بواحد من ألف مما يعنيه فرتر إلى آلاف القلوب لقدرت المتاعب التى تحملتها فى سبيل التعبير عنه » .

---

(١) صحبة الفتيات الصغار وهو شذوذ جنسى

وطبيعي ألا تفهمه النساء ولكنهن تحملن عبثه اضطرارا

نظم غوته الشعر منذ البداية على الطريقة الفرنسية والإيقاع اليوناني القديم، وكان شعره موهوبا منسجما مع روح العصر، فيه خفة ورقة وعذوبة . وقد أصبح بتطور الزمن شاعراً يشار إليه بالبنان في دسترا سبورغ، بتأثير هردر . وكان لاتصاله بهوميروس واسيان وشكسبير ، وخصوصاً بالأخير الذي كان معجباً به أشد الإعجاب في جميع أدوار حياته ، وولعه بالكتاب المقدس وبالغناء الشعبي أثر هائل في توجيه حياته الأدبية وتنمية روح الطلاقة والانطلاق والصفاء فيه . أصبح هردر بفضل تعلمه وعمق إدراكه وغريزته النقدية القائد الأدبي للثورة التي طغت على ألمانيا سنة ١٧٧٠ ؛ ولكنه كان يعوزه سر العظمة الملهمة والسحر الأدبي واللطف الإنساني ، التي كان تلميذه غوته يتمتع بها جميعا ، وهذا هو الذي جعل الشاب اليافع يبز أستاذه ويتفوق عليه . وإني أعتقد أن هردر شعر بذلك ولم يتمكن من مغالبته المرارة التي أحدثتها تصاريف الأيام في نفسه . ليس في إمكاننا الآن أن نشعر بمقدار الاستفزاز الذي حدث في ربيع العبقرية ، والعاصفة التي أثارتها قصيدته (مرحباً وإلى اللقاء) وكيف أن سياق القوافي وتيارها الجارف بعثر ما تبقى من رماد زيف الشاعر الواقعي هردر ، كما أن قصته (غوتس فون بيرلنجن) كان لها الوقع نفسه ، تلك القصة التي هزت المسرح بأسلوبها الشكسبيري وبعرضها الألماني القديم ، وقد وصفها فردريك الكبير بقوله « إنها جنون لا شكل له » ونبذها ، ولكنها مع ذلك حازت سمعة هائلة باستفزازها وتحديها لجميع النظم الشعرية وسخريتها بما تواطأ عليه الشعراء ، فوصفها غوته نفسه بأنها أحدثت رضا شعبيا شاملا وذلك في كتابه « الشعر والحقيقة » . ثم نأتي بعد ذلك إلى بعض المشاهد الأولى من (فاوست) فنجد أصدقاءه يصفقون والمداد لم يكد يجف ، ويتحدثون بفرح متزايد « عن الشخص الذي ينمو بصورة منظورة »

أما (آلام فرتر) تلك القصة التي انطبعت بطابع الرسائل فلم تقتصر على أصدقائه والمقربين إليه أو مدرسته الخاصة ولا حتى على بلاده ألمانيا ، بل تعدتها إلى العالم فاحتضنها كما احتضنته هي . ولا ريب أن العاطفية الواهنة الخجلة التي أبدع في جلائها هذا الكتاب الصغير ، هي التي جلبت إلى مؤلفه مقت الأخلاقيين بالرغم من إخلاصها الطبيعي، وأثارت في الوقت نفسه عاصفة من الاستحسان اللامحدود من قبل الشباب . إنها كانت كالشهاب الذي سقط في مستودع مفرقعات فأحدث انفجاراً للقوى الخطرة التي كانت متحفزة للانطلاق . ويبدو أن الرأي العام في جميع الأقطار كان ينتظر — وبصورة سرية — هذا الكتاب من شاب ألماني مغمور في المدينة الإمبراطورية .. ومن الغريب أن نابليون نفسه كان يحتفظ بالترجمة الفرنسية لهذا الكتاب في الحملة المصرية . لم يتمكن غوته أن يجرب نجاحاً عاصفاً كما جربه في هذا الكتاب ، فإنتاجه الذي شغله طوال حياته لم يقابل بمثل الحماسة التي قوبل بها هذا الكتاب

أما كتابه (ولهلم ما يستر) فقد لاقى رواجا كبيرا وعد من وجهة النظر الفنية — أي من وجهة النظر الرومانسية — بمصاف الثورة الفرنسية ونظرية (نختة) في العلوم . وعلى أي حال فإن هذا التأثير يمتد إلى (ستيرفتر) و (كلر) و (الجبل السحري) ولكنه بعد الثاني بالنسبة إلى (فرتر) في مدى نجاحه ، وهذا ينطبق بالفعل وبصورة أوسع على كتابه (القرابة المنتخبة) وأشخاص روايته هذه يمثلون رموزاً ويبادق في لعبة ثقافية تدعو إلى التفكير العميق ... أما كتابه (الديوان الشرقي المؤلف الغربي) والذي احتوى على مالا يثمن من جواهر غوته فقد ظلت طبعته الأولى في المكتبات مكدسة بدون أن تلاقي أي رواج يذكر

أنهى غوته القسم الثاني من فاوست بجهد جهيد وتعب شديد ، لأن قوته البدنية كانت في تدهور مستمر ؛ وقال بخصوص ذلك ما يلي : « إن هذه الأوقات سخيفة جدا لدرجة أنها أقنعتني بأن جميع مجهوداتي المضنية المخلصة سوف لا تجازى ، بل سيرمى بها على ساحل البحر ! وستحطم هناك إلى أن تغطى برمال الشرف » ..

تأثير فاوست العالمي

نشرت بعض القطع من القسم الثاني من فاوست في حياة

غوته وخصوصاً ملحمته (هيلين) التى نشرت فى جميع المجلات الفرنسية والأسوجية والروسية، وقد علق على ذلك غوته بقوله : « إن الأدب الوطنى لم يعد له مكان يذكر فى عصر الأدب العالمى، وإن كل شخص يجب أن يبذل جهده للاسراع بإيصال هذا العصر إلى ذروة قوته »

كيف أدمج العالم بذاته ؟ وكيف أثر فيه ؟ ماذا أعطته كل من إنكلترا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والشرق الأقصى وأمريكا؟ وكيف أثر فى الحياة الثقافية لهذه البلدان جميعا ؟ كل ذلك وأكثر من ذلك يشرحه لنا المؤرخ الأدبى (فرتز ستريخ) فى كتابه (غوته والأدب العالمى) « والذى (١) لايزال أكبر مصدر فى دراسة غوته . » وقد قال أمرسون بخصوص فاوست ما يلى : « إن الشئ البارز فى هذا الكتاب هو الذكاء الهائل . إن ذكاء هذا الانسان محلل جبار للعصور القديمة والحاضرة على السواء، بما فيها من الأديان والسياسة وأساليب التفكير؛ محلل لها إلى عناصرها وأفكارها المبسطة » . فهذا الذكاء الهائل وهذه الإحاطة الشاملة والتنظيم الدقيق والعقل الممتزج بالشاعرية، كانت تمثل فكره الجبار الذى كان ينبض بمشاعر المستقبل بشجاعة خارقة . ومن الغرابة أن نتصوره وقد تحدى الموت بادراكه المستقبل وبتوقه له، وهو لا يزال فى دور الصيرورة والتكوين، ليس فى الناحية الاخلاقية والظاهرية وحسب، بل حتى فى الناحية العملية، هذا التوقع الذى كان واجب كل شخص الإسراع بإعداده والتهيؤ لاستقباله والعمل على إبرازه إلى حيز الوجود . وفى الحقيقة فإن كتابه (رحلة ولهلم مايستر) الذى وضعه فى أواخر أيامه - يتضمن فكرته الأساسية وهى (النفور) . أما مثله الأعلى المتقمص فى فكرة (الشخصية الكونية) فنراها تذبل تدريجاً حتى تسقط نهائيا من مؤلفاته الأخيرة فيحل محلها العصر الإجتماعى، وأما ما نجده فى هذا الكتاب فهو عدم أهلية الفرد للقيام بما يتطلبه المجتمع منه كفرد، ولذا فاجتماع الناس هو الذى يكون مفهوم الانسانية، وعلى ذلك يصبح الانسان بمثابة عمل وأهميته تبرز لكونه يقوم بدور فعال فى سبيل الثقافة الاجتماعية،

(١) من كلام المترجم

وكذلك يظهر مفهوم الجماعة بوضوح وجلاء من طريق إحلال العلاقة الاجتماعية محل الفردية الضيقة

وليس من شك فى أن عمره الطويل - على وقاره - لم يتطرق إليه الجفاف ولا التصلب، فقد كان مفعما بالحماسية والدهشة والاستمتاع بالحياة ورفع شأن الأفكار العصرية . وقد كان الحديث الدائر على مائدة سيد القرن الثامن عشر لا يتعدى نطاق الأفكار الطوبائية والمشاريع العمرانية، كحفر قنال لإيصال المحيط الهادى بخليج المكسيك وحفر قناة أخرى لإيصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر . وقد كان يؤكد دائماً ذلك بقوله : « وإن تحقيق هذه الأشياء يستحق منى العيش خمسين سنة أخرى » . أما ثقته بالمستقبل فقد كانت تحتضن العالم كله، وأما حماسته فكانت نتيجة لشعوره بالقيمة العملية للحقائق العلمية وتأثيرها فى نبذ الأفكار الغيبية التى كان العالم متأثراً بها ومريضا بسببها فسعى جهده لتخليصه منها . وقد نظم كل هذه المشاعر ببيته التالى « إى أمريكا ! إن حياتك أحسن من حياتنا هنا فى القارة، فأرضك لا تموتها الصخور ولا القباب القديمة الخربة » وجميع هذه القباب هى من آثار (السخافة القديمة (١)) التى يمقتها أشد المقت، وكان يصر على تهديمها كى يحب الانسان الحياة على اعتبار هذه الآثار من الناحية المعنوية - كانت تمثل فى نظره الرجعة العاطفية (السخافة) التى كانت تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم البشرى، وقد ناضل شاعرنا من فجر حياته لتحطيم أحزاب هذه السخافات لما لها من تأثير فى العقول؛ يبدو ذلك من قوله فى كتابه ولهلم مايستر (إنهم لا يخافون شيئا كخوفهم من الفطرة السليمة، ولكن عليهم أن يخشوا السخافة التى هى الهول بعينه : ولكن الفطرة السليمة تعرقل مساعيهم لتحقيق مآربهم فلها السلام ولتترك جانبا، ولتقدم السخافة ما يحلو لها وما عليك إلا أن تجلس وتنتظر)

ومع ذلك فجوته لم يجلس ولم ينتظر بل صمد (وقف) بشجاعته وبأسه يجالد ويناضل فى سبيل إبادة هذه السخافة، وفى سبيل تثبيت أركان الفطرة السليمة . أليس اتجاه السخافة هذه

(١) يقصد المؤلف أموراً ما وراء الطبيعة (المترجم

بذاته يهدد الإنسانية اليوم ؟

أجل إن ذلك لم يخف على بصيرة جوته فعرفها وشعر بها وهى تنمو؛ ولذا وجدناه بطلا مغواراً فى مقارعته لها ، وهذه القوة هى التى جالدها لا الثورة ولا الدستور ولا حرية الصحافة ولا الديمقراطيـة . ولقد قيل إن آخر كلمة صدرت من فمه قبـل أن يغمض عينيه الإغماضة الأخيرة (دعوا ضياء أ كثر يدخل على) ولـكن هذا القول لا يمكن الاعتماد عليه بصورة قطعية ، ولـكن الشئ الذى قاله حقيقة فى كلمته الأخيـرة ، الـكلمة التى ناضل طول حياته فى الدفاع عنها هى (وأخيراً إن الشيء المهم هو التقدم !)

بعقوبة ترجمة — يوسف عبد المسيح ثروت

أقباس من الكتاب

المؤمنون الفائزون

للاستاذ نور الدين الواعظ المحامى

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفـروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

قرآن كريم

أخى المؤمن :

إن مثل الإيمان فى القلوب ، كمثل النور فى الظلام ، فكما أن النور ينير ديجور الظلام ، ويبدد أشباحه ، ويزيل مخاوفه ، ويبعث الطمأنينة فيه ، ويطرد أوهامه ، فإن الإيمان ينير القلوب ويبعث الحياة فيها ، ويكشف عنها أغطيتها الـكثيفة ، ويقذف الانشراح فيها .. فتصبح القلوب المؤمنة « كالربيع » فى جمالها و « كالسماء » فى صفائها ، فتنجلى أسرارها ، وتنكشف خفاياها ، فتبدو لماعة تسر الناظرين ، ملهمة تبهر بصيرة المتدبرين .. يفيض منها الطهر ويتدفق منها الصدق والإخـلاص . تلك هي القلوب التى نعى وتفقه ، وتدرك وتبصر ؛ وإن مثل المؤمن كمثل المصباح ، فكما أن المصبـاح يزداد ضياء وشـعاعاً بزيادة النور فيه ، فكذلك المؤمن ، يزداد طهراً ، وصدقاً وإخلاصاً ، بزيادة الإيمان فى قلبه ، ويزداد انصياعاً للحق ، وانقيـاداً للحقيقة ، بقوته فيه ؛ لأن الإيمـان إذا استقر فى قلب ، فإنه يغذيه بالمكارم ، ويسقيه بالفضائل ، ويمده بالأعمال الصـالحة .. فيكون صاحبه مؤمناً ، كريماً ، فاضلا ، يعمل الصالحـات ، ويتواصى بالحق ، ويتواصى بالصبر . ذلك هو الإيمان الحق .. وذلك هو المؤمن الصادق

ولـكى تنمو شجرة ذلك « الإيمـان » فى قلب امرئ ما .. وتثمر .. لا بد من ارتباط القلب بقوة مبدعة عظيمة . . وانقياد لها فى الحركة والسكون .. والمنشط والمكره ، حتى يكتسب القلب « رهبة المراقبة » من تلك القوة المبدعة ، السرمدية ، الحـكيمة الأزلية التى هى علة الوجود وسره الذى لا يدرك كنهه » وخير وسيلة لارتباط القلب بإرادة تلك القوة المبدعة هو « التمثل » بين الواحد الأحد .. الذى لم يلد ولم يولد ، فى الصلاة ، بخشوع صادر من القلب ، منبعث من جوانحه ، لأن الصلاة هى معراج الروح إلى الملأ الأعلى .. بها تغرس بذرة الإيمان فى القلب ، وبالاستمرار فيها تنمو شجرته ، وبالإكثار منها تثمر .. « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » كما لا بد من إيتاء الزكاة تزكية للأموال من الدنس . وإيفـاء لحقوق السـائلين « وفى أموالهم حق معـلوم للسائل والمحروم » لأن الحق يستلزم ايفاءه ، والممتنع عن إيفائه عاص يجب محاربته وعقابه . إذ لا تهاون فى الحق لسمو منزلته وعلو مكانته ، وخطورته ، لأن فى ضياع الحقوق اختلال توازن العدالة ، وتحكم الظلم فى مصير الناس . ولا بقاء للملك مع الظلم ، لأن العدالة أساس الملك .. ولا عدالة مع إنكار حقوق السـائلين والمحرومين . « والذين هم للزكاة فاعلون » .ولـكى تستمر شجرة ذلك « الإيمان » فى النمو والحياة . . لابد من ترفع عن كل ماهو باطل وضلال ، وفسـق وفجور ، وإعراض عن المعاصى وابتعـاد عنهـا وسمو عن اللغو ، وإغراق فى حب الحكمة . صيانة للوقت الذى هو كالحياة .. وترفعاً عما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال.

« والذين هم عن اللغو معرضون » . كما لا بد من اجتناب الفحشاء والمنكر ، صيانة للنسل ، وحفظاً لحدود الرحمن تعظيما له ، وإكباراً لما أمرنا به من التزام الخلق العظيم ، لأن الإنسان مكرم لسيطرة العقل على شهواته ، واعتداله بين ما تتطلبه الروح والجسم ، لأن انطلاق الشهوات قتل للنفوس ، وهدم لأسس الاجتماع ، ونهبة الأمر إباحية لاتبقى ولا تذر . وفى كبح جماحها تكريم للنفوس وحفظ لها ، وبناء لأسس الاجتماع وتهذيب له .. « والذين هم لفروجهم حافظون » . ولكى تبقى شجرة ذلك الإيمان فى حرز من الجفاف والذبول .. لابد من اتصاف المؤمن بصفة الأمان ، إذا اؤتمن لم يخن بل يؤدى الأمانات إلى أهلها ، وإذا عاهد أو عاقد أوفى بعهده وعقده ولم يخالف . لأن الأمان والعهد والعقد التزامات تترتب فى الذمة يجب إيفاؤها ، من دون إهمال ، لأن فى ذلك زعزعة لمبدإ « الثقة » ونقض لدستور الفطرة السليمة « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . كما لا بد من صفة المواظبة على الصلاة فى مواقيتها ، لأنه سئل الرسول (ص) يارسول الله ، أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة فى وقتها . ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ؛ لأن المواظبة على الصلاة فى وقتها دليل على تعلق القلب بها ومحبته إياها .. حتى تنقلب إلى قرة العين كما يقول الرسول (ص) .. وفى تعلق القلب بالصلاة ومحبته إياها .. امتزاج لطيف بمشاعر روحية سامية لا يدركها إلا العارفون « والذين هم على صلواتهم يحافظون » .

أيها الأخ الحبيب ..

إن نداء يرن فى أذنى وينبئنى « بأنك مشتاق لتكون من المؤمنين الفائزين فى الدنيا والآخرة » لأن الفوز غذاء الروح وأن الإنسان قد جبل على حب الفوز والفلاح ، ولكنه كثيراً مايجهل سبيل الفوز وطريق الفلاح .. فيصد عن سواء السبيل ، فتعالى معى .. وقلوبنا متعانقة .. وأرواحنا ممتزجة ، نتدبر آيات الذكر الحكيم ونتأمل فيها ، كى ترسم لنا سبيل الفوز ، وترشدنا إلى طريق الفلاح .. إنها تهمس فى آذاننا ، وتقول : يلزمكم كى تكونوا من المؤمنين : —

١ — إيمان طافح مع خشوع قلبى ، فى الصلاة . وحفظ لمواقيتها ومواظبة عليها

٢ — إعراض عن اللغو ، وترفع عنه ، وحب للحق والحكمة

٣ — أداء للزكاة ، إيفاء لحقوق السائلين والمحرومين

٤ — طهر كامل ، واجتناب للفحشاء وصيانة للنسل . وحرص على الشرف

٥ — رعاية للعهد ، والتزام للعقد ، وحفظ للأمانات

هذه هى سبيل الفوز — أيها الأخ المؤمن — فهل أنت مستعد لاتباعها وسلوكها ؟ « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

نور الدين الواعظ المحامى

كركوك — عراق

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

« الزيات بك »

— ٥ —

انتقل مصطفى كمال إلى الأناضول..مبعدا عن القسطنطينية ، وكان عليه أن يعمل على تسريح جيش الأناضول ، وحل جمعية الاتحاد والترقى ، بناء على رغبة السلطان وحيد الدين

وقد اشترط مصطفى كمال قبل انتقاله أن تكون له صفة رسمية ، وأن يكون تحت أمره فيلقان كبيران ، يتبعهما أربع فرق ، كما يكون له الحق فى إصدار الأوامر والتعليمات للقرى المجاورة لمنطقته ، ولو لم تدخل فى دائرة تفتيشه ، وكذلك الاتصال بجميع قوات وولاة الأناضول

ومع أن هذه الشروط أثارت دهشة وزير الحربية ، وجعلته يتردد فى التوقيع ، إلا أن فكرة إبعاد مصطفى كمال عن القسطنطينية ، ونفيه إلى الأناضول كانت قوية ومستحكمة . . ولذلك وافق بعد طول تردد ، ومنحه الامتيازات التى أرادها لنفسه

* * *

وصل مصطفى كمال الأناضول فى اليوم التاسع عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م ، وهو اليوم الذى يعتبره مؤرخو النهضة بداية للحركة الكمالية ، ثم بداية للعهد التركى الحديث

وكان مصطفى كمال قد حزم أمره على البقاء فى الأناضول إلى أن تظفر الأمة باستقلالها ، لذلك بادر بالاتصال بالقواد والولاة اتصالا وثيقا ، وأخذ يبث فى نفوسهم روح الثورة ، ويعمل على تأليف مؤتمر وطنى للنظر فى أحوال الأمة التركية ، ولكن السلطان لم يقبل تأليف مثل هذا المؤتمر ، فقابل مصطفى كمال ذلك بالاستقالة من السلك العسكرى ، وحمل لواء الجهاد كزعيم قومى ...

وفى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ م وقع ميثاقا يقضى بمواصلة الحرب إلى أن تتحرر أرض الوطن من العدو الدخيل ، فانضوى تحت لوائه كل من دبت فى قلوبهم الحياة ، وانبعثت من نفوسهم الحمية والغيرة على الوطن التركى الذليل !

وكانت أهم القرارات التى أصدرها المؤتمر الوطنى . . « أن جميع أجزاء الوطن بحدوده القومية كل لا يتجزأ ، وأن تكافح الأمة ضد أى احتلال أجنبى ، وتستمر فى كفاحها فى حالة انحلال الدولة العثمانية ، وأنه إذا عجزت الحكومة العثمانية عن الدفاع عن استقلال الوطن ، فتؤسس حكومة مؤقتة فى الأناضول لهذه الغاية ، وهذه الحكومة تختار من قبل المؤتمر الوطنى . . وإذا لم يكن منعقدا ، فمن قبل هيئته التمثيلية . . »

ولذلك لم تمض فترة طويلة على قرارات المؤتمر ، حتى أقام حكومة جديدة ، واتخذ « أنقرة » عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان

حينئذ أصبح مصطفى كمال — صاحب السلطة المطلقة ، فهو رئيس الحكومة الجديدة ، وقائد جيوش المقاومة ، وعليه يتوقف استقلال البلاد

وفى هذه اللحظات التى كانت البلاد أحوج ما تكون فيها إلى توحيد الجهود ، وجمع الصفوف . . أخذ السلطان يقاوم مصطفى كمال مقاومة فعلية ، فاستصدر فتوى أعلن فيها عصيانه وخيانته للسلطان .. وطبع منها آلاف النسخ ، وألقى بها من الطائرات فى جميع أنحاء الأناضول ، وكان لهذه الفتوى أثران كبيران :

أحدهما من جانب الشعب الذى بدأ يتخلى عنه ، والآخر من جانب اليونانيين الذين أرادوا أن يوسعوا منطقة احتلالهم ، فأخذوا فى التقدم والهجوم شرق ولاية أزمير . .

كان الوقف فى غاية الحرج ، والبلاد تحيط بها الأخطار من كل جانب ، لكن مصطفى كمال أظهر قوة وحزما وثباتا ، واستطاع فى نهاية الأمر أن يوحد قوى الأمة ، ويستعد للنضال من جديد

° ° °

تقدم اليونانيون تقدما سريعا فى بلاد الأناضول ، فوقعت فى أيديهم كوتاهية وأفيون قره حصار ، وأخذت جيوشهم تتقدم قاصدة إسكى شهر ، حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تقضى بمحاصرة الجيش ومحاولة إفنائه ، حتى يستطيعوا الوصول إلى قلب الأناضول ، والقضاء على حركة المقاومة فى أنقرة ذاتها . .

وحينما شعر عصمت — قائد الجيش — بالخطر الذى يهدد البلاد ، بادر بالاتصال بمصطفى كمال ، ليتولى بنفسه قيادة الجيوش ومحاربة اليونانيين

فلما وصل مصطفى كمال أخذ يدرس الموقف دراسة تامة ، ثم أصدر أمره فى النهاية بإخلاء إسكى شهر ، والتراجع إلى الوراء ثلاثمئة كيلومترا والوقوف عند نهر سقاريا ، وقد كان لهذه الأوامر صدى كبير فى نفوس أفراد الشعب ، فبدأوا يغادرون أنقرة خوفا من تقدم الجيوش اليونانية ، كما لاقى مصطفى كمال معارضة شديدة من جانب نواب المؤتمر

وبعد فترة قصيرة بدأت المعارك من جديد ، واستمرت أربعة عشر يوما ، أظهر فيها الأتراك قوة وثباتا ، وكان يقال من مصطفى كمال « إنه كان يعمل وكأنه صيغ من حديد ؛ وكان ينام أقل الوقت . . كما كان يجلس أكثر وقته إلى مصوراته الجغرافية ، وإلى ضباطه يعمل معهم فى جلد لا ينفد »

وقد كان لجهوده الجبارة وخططه البارعة أثر كبير فى ضعف قوى اليونانيين ، وتراجعهم عن المدينة ، مما جعل الناس فى كل مكان يهتفون بحياة الزعيم ، ويطلقون عليه منذ ذلك الحين لقب « الغازى »

ولم يكن هذا النصر ليكفى مصطفى كمال ، لأنه عقد العزم منذ البداية على أن يخلص البلاد نهائيا من اليونانيين ، ويشهد العالم والتاريخ على أن دولة الظلم لا تدوم ، وإن طال الأمد

استمر مصطفى كمال يواصل عمله ونشاطه ، فجند جميع الشبان القادرين على حمل السلاح ، واتفق مع فرنسا وروسيا ، حتى يضمن جانب الدول الكبرى . وفى ذلك الوقت حدثت سلسلة من الكوارث والاضطرابات فى داخل اليونان ، كان لها رد فعل فى الجبهة الآسيوية ، فلم يعودوا قادرين على الوقوف أمام الأتراك

وما كان للجيش اليونانى أن ينتظر عونا من الحلفاء ، بعد أن خرجت الدول الكبرى من الحرب ضعيفة محطمة ، وبعد أن اتفق الفرنسيون مع الأتراك

ولهذا ترك اليونانيون بمفردهم يجابهون العاصفة ، ويواجهون جيش المقاومة . وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ، أقام الزعيم مباراة كبرى لكرة القدم ، اشترك فيها رجال الجيش ، وأعلن أنه ذاهب لحضور المباراة ، وكان فى الواقع ذاهبا لإصدار أوامره لقواده وضباطه .. وعاد إلى أنقرة ، دون أن يثير الشبهات

وفى اليوم الرابع والعشرين من أغسطس .. دعا رجال أنقرة إلى حفلة راقصة .. استمرت طول الليل . . وأخبر ضيوفه أنه منهمك فى عمل هام .. ثم خرج من البيت قاصدا ميدان القتال ! وما هى إلا ساعات حتى اخترق الأتراك خطوط قوات الاحتلال .. وشطروها شطرين .. وكان مصطفى كمال يتنقل من فرقة إلى فرقة مشجعا الجنود وضاربا لهم أروع الأمثلة فى الجهاد غير عابئ بسيل الرصاص ينهال حوله من كل جانب . . وفى النهاية انجلت المعركة وانتهت بهزيمة اليونانيين ، وفرار البقية الباقية منهم إلى أزمير ... وقد أصدر مصطفى كمال أوامره إلى الأتراك قائلا لهم :

« أيها الجنود ... إن هدفكم هو البحر الأبيض ... فإلى الأمام ... »

واستمر يتتبع الجيش الهارب حتى قضى على معظمه .. وقد أنقذت سفن الحلفاء عددا كبيرا من المسيحيين الذين فروا أمام الجيش التركى المنتصر

ومنذ ذلك الوقت لم يبق فى تركيا كلها يونانى واحد ، وأصبح الأتراك وجها لوجه أمام الحلفاء المرابطين فى المضيقين ،

نساء عرفن فى زمن النبى

للأستاذ ناصر سعد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

ومن هؤلاء النسوة هذه المرأة الفذة أم عمارة نسيبة بنت كعب للعامر قلبها بالإيمان وحب الله ورسوله والدين الحنيف ذهبت هى وابناها عبد الله وحبيب من زيد بن عاصم وزوجها غزية بن عمرو فاشتركوا مع المسلمين فى وقعة أحد وشدت نسيبة ثيابها على وسطها تسقى الجرحى. ولما انهزم المسلمون أتت النبى وصارت بين يديه تدافع هى وذووها عنه بالسيف والقوس ، ولما جاء ابن قيئة المشرك يريد قتل النبى (ص) كانت أم عمارة مع من اعترضوه وردوه فضربها على عاتقها ضربة مبرحة — قيل وقد أصيبت أم عمارة هذه ذلك اليوم باثنى عشر جرحاً من سيف أو رمح أو سهم . ويكفيها فخرا أن الرسول أثنى عليها وقال : — (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ، ما التفت يميناً ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى) هكذا كانت المرأة المسلمة عامرا قلبها بالإيمان لافرق بينها وبين الرجل إن سلما وإن حربا . وكم فضل النبى من أمثال نسيبة على الرجال عندما كان يتكلم السيف والرمح ! فأين المسلمات اليوم من أخواتهن فى ذلك العصر ؟

وهذه رفيدة أو — كعيبة — بنت سعد بن سعد الأسلمية التى بنت خيمة فى مسجد النبى فى غزوة الخندق وعرفت الخيمة باسمها، كانت تأتى بالجرحى إلى خيمتها فتعالجهم وتخدمهم وتصلح من شأنهم . كانت كرئيسة ممرضات تدير مستشفاها ذاك .. فما أعظمها من امرأة بارة بأخواتها المسلمين المحاربين وما أرحمها بهم، تسهر وتنصب فى توفير العلاج وتدبير الراحة لهم ! ومثل هذه المرأة يجب أن تكون قدوة المرأة الحديثة التى يجب أن تهزها الغيرة على الوطن والإيمان بحبه فتنخرط فى سلك المتطوعات المرفهات عن الجنود فى سوح الوغى ، والمرأة الغربية وإن كانت قد بزت نساء العصر الحديث فى هذا المضمار فالعربية قد سبقتها بأشواط وأشواط منذ أقدم الأزمان

ومنهن بنانة امرأة الحكم القرظى كان زوجها اليهودى من ألد أعداء النبى (ص) فهو بعد العهود والمواثيق التى أبرمت بين النبى واليهود فى المدينة حرض امرأته تلك ، إذ أشار عليها بأن تلقى رحي من حصن الزبير بن طاطا اليهودى على جماعة من المسلمين كانوا يستظلون بفيئه فشدخ رأس خلاد بن سويد فأمر النبى بقتلها وقتل كل من أنبت من ذكور اليهود ، هذه المرأة كان عملها هـذا من جملة ما أقلق بال النبى وأدى إلى إعلانه الحرب على اليهود الذين نقضوا العهود فاستحقوا غضب الله ورسـوله

ومنهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أسلمت بمكة وهى شابة لم تتزوج بعد، وكانت تخرج ببادية لها بها أهل ثم تعود لبيت أبيها ، فلما اشتاقت إلى اللحاق بالمهاجرين فى المدينة خرجت على عادتها كأنها تريد أهلها بالبادية فرأت راكبا حكت له أمرها وشوقها إلى معقل المسلمين فأركبها بعيره وسار بها حتى أوصلها المدينة فدخلت على أم سلمة زوج النبى (ص) فأخبرتها بما جرى لها خائفة من أن يردها النبى لقومها حسب شروطه وعهوده مع

وتأهب العالم لرؤية ما سيكون ، ولكن سادت روح التبصر والحكمة والاعتدال فى اللحظة الأخيرة ، ووقع الطرفان شروطا للصلح تقوم على أساس استقلال الوطن التركى ، وتخلى الحلفاء عما تمسكوا به من منع الأتراك من استرداد حكمهم فى أوروبا

* * *

وهكذا استطاعت تركيا أن تحصل على استقلالها بفضل جهاد زعيمها العبقرى « مصطفى كمال »

ولم يكتف الزعيم بذلك، بل ألغى السلطنة والخلافة، وأعلن الجمهورية ، وقام بسلسلة من الاصلاحات الجريئة ، التى أعطت لتركيا مظهر الدولة المتمدينة ، والتى جعلت « مصطفى كمال » علما من أعلام الترك ، وزعيما لنهضتها الحديثة

عبد الباسط محمد حسن

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— ١ —

منذ عام نزل الشاعر العراق الكبير الأستاذ محمد مهدى الجواهرى ضيفا كريما على مصر ، وقدمته الصحف المصرية إلى قرائها تقديما ينبئ عن مكانته الأدبية الممتازة فى عالم الشعر ، وكنت أقابل كثيرا من الأدباء والمثقفين فى ربوع وادى النيل ، فأجدهم لا يروون شيئا من قصائد الشاعر العراق، ويتطلعون فى لهفة وشوق إلى أثر من آثاره فلا يجدون ، إذ أن الصحف المصرية لم تنشر له قبل ذلك ما يصله بالقراء والمتأدبين . وأذكر أنى فتشت فى كثير من مجلاتنا الأدبية فلم أعثر على شئ يذكر ، إذا استثنيت ثلاث قصائد نشرت فى آماد بعيدة متفرقة بأبولو والرسالة والكاتب المصرى . وزاد الطين بلة أن الكاتب الفاضل الأستاذ عبد الخالق طه قد نشر بمجلة الثقافة الغراء (يونية سنة ١٩٥١) مقالين كبيرين عن الشاعر العراق ، فأعطى القراء بمصر عنه فكرة غير تامة ، إذ اعتمد فى بحثه على ديوان الشاعر الصادر فى أوائل سنة ١٩٣٥ مع أن الجواهرى لم يبرز فى مضمار الإبداع إلا بما قاله بعد صدور هذا الديوان من قصائد عامرة ممتازة تحتل مكانها اللائق فى الأدب والتاريخ . وكأن الكاتب قد أحس بتقصيره فوعد القراء أن يطالعهم ببحث جديد عن الشاعر فى عهده الأخير ، ومضى أكثر من عام دون أن يفى الأديب بما وعد؛ فرأيت لزاما على أن أقدم الشاعر للقراء من جديد

وقد طرق الجواهرى أبواب الشعر فنظم فى الغزل والرثاء والوصف والسياسة والاجتماع ، غير أنه تبوأ مكانته الأدبية بقصائده السياسية التى عبرت تعبيرا صادقا عن مشاعر العرب فى شتى بقاع العربية . والحق أن الشعر السياسى قد ارتفع على يده إلى قمة عالية أعادت إليه سابق مجده فى مطلع هذا القرن، حين كان حافظ ونسيم والمصرى والكاشف ومحرم وعبد المطلب فى مصر،

أهل مكة قبل الفتح وكانت قريش قد نقضتها مرارا فلما رآها النبى رحب فيها ثم نزل بها من القرآن آية الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) ولما جاءها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة لم يعطها النبى إياهما مستندا على نقض قريش العهود فبقيت أم كلثوم فى مكة حتى تزوجها فيما بعد زيد بن حارثة

ومنهن أميمة بنت بشر الأنصارى زوجة حسان بن الدحداح القرشى الشرك المعادى لرسول الله (ص) لما رأت أن عز الاسلام ارتفع وأن أهلها أسلموا بالمدينة وهى فى مكة مع زوجها فرت منه وأتت المدينة مشتاقة إلى الاسلام فلما وصلت هم النبى بأن يردها إلى زوجها لولا نزول آية الممتحنة تلك التى نزلت بحق أم كلثوم بنت عقبة التى مر ذكرها فزوجها الرسول سهلا ابن حنيف فولدت له عبدالله بن سهل

وهذه زينب ابنة الحارث أخت مرحب الفتاة اليهودية التى حفزها البغض والحقد والطلب بالثأر فعملت شاة وسمتها وأتت رحل النبى عندما كان بخيبر فلما جاء النبى رحله قدمت الشاة له وهو لا يعرفها فجلس هو وأصحابه ليأكلوا فمد يده الشريفة إلى ذراع الشاة فأخذ شيئا منه فلما مضغه وابتلعه وعرف ما به أمر من كانوا معه بالكف عن الأكل وقال : — (كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرنى أنها مسمومة) ولما مات بشر بن البراء من السم أمر النبى بإحضار زينب وقال لها : — (سممت الشاة؟) قالت : — (من أخبرك ؟) قال : — (الذراع) قالت : — (نعم) قال : — (فما حملك على ذلك ؟) قالت : — (قتلت أبى وعمى وزوجى ونلت من قومى ما نلت فقلت إن كان نبيا فستخبره الشاة وإن كان ملكا استرحنا منه) فقتلها النبى . قيل ولما مرض مرضه الأخير (ص) قال : — (مازالت أكلة خيبر يصيبنى منها عداد حتى كان أوان أن تقطع أبهرى) وقبضه ربه إليه متأثرا من ذلك السم . كتبنا إليك هذا أيتها المرأة المسلمة كى تتخلقى بأخلاق الخيرات المسلمات اللواتى كن يغمر الإيمان قلوبهن فضحين لدينهن كل غال ورخيص

العراق ناصر سعد

والزهاوى والرصافى والـكاظمى فى العراق، يهزون الشاعر هزا عنيفا عما يبدعونه فى هذا المضمار ، فلم تـكن تمر حادثة كبيرة أو صغيرة إلا رأيت لها صدى قويا يبعثه الشعر السياسى فى النفوس ، وقـد نضطر إلى إيجاد فارق هام بين ما قاله شعراء العراق فى الميدان السياسى وما قاله شعراء مصر ، فأولئك كانوا قادة جماهير ، وموجهى نفوس ، بقصائدهم الحماسية ، وهؤلاء كانوا صدى لما يتجاوب فى الميدان السياسى فحسب ، فهم ينظرون إلى اتجاه الشعب وميوله ثم يعبرون عن مشاعره ، دون أن يسبقوه بإيقاظ وتوجيه ، وقد بقى هذا الفارق إلى يومنا هذا ، فلديك فرق شاسع بين ما يقوله الجواهرى فى قصـائده السياسية ، وبين ما نطالعه لشعرائنا المصريين فى الأفق السياسى على قلته وندرته ، بل أخشى أن أقول إن الشعر السياسى قد مات موتا على يد هؤلاء الهائمين فى آفاق الخيال، ومتاهات الذهول . ولولا كارثة فلسطين وحوادث القتال الدامية لما سمعت لهم شيئا يذكر على الإطلاق . وسيجد القارئ لشاعر العراق سبقا ظاهرا حين يستعرض خرائده الجياد ، ونحن نجمل هنا الحديث عنه فى أغراض محدودة ، كيلا تتشعب بنا الدراسة إلى مناحى شاسعة لانستطيع أن نحيط بعوالمها الرحبة الفسيحة، ونبدأ أولا بالحديث عن فلسطين الشهيدة ! فمأساتها الفاجعة أحرى بكل تقديم

لا جدال فى أن فلسطين قد هزت عواطف العرب هزا عنيفا ، فترقرقت دموعهم حارة ملتهبة ، وانقدت جذوات الحزن والحسرة فى جوانحهم المشتعلة ، وقام الشعراء فى شتى الحواضر العربية بتخليد المأساة واستنهاض الهمم ، وقد طالعت أكثر ما قيل فى هذه الـكارثة الدامية ، فوجدت ما ينبئ عن صدق الشعور ، ولوعة الإحساس ، فى طراز باهت لا يخرج عما قيل منذ قرون فى مأساة الأندلس ، وكأن الشعر قد رجع بأصحابه إلى الوراء فلم يتقدم خطوة واحدة ، عما كان عليه منذ ضياع هذا الفردوس البهيج ، فقصارى كل شاعر أن يسترجع ويولول دون أن يشرح البواعث الأصلية للنكبة ، ويحلل الـكوامن المقنعة من وراء الحجب والأستار ، وقد ربأ الجواهرى بأدبه أن يقف عند الصراخ والعويل ، فاندفع ينقب عن الصلال الخبيثة التى نهشت هذا العظم الرميم ، ونفثت سمها القاتل فى الجسم الهامد فخر صريعا لا حراك به . ورد النـكبة إلى ثلاثة عوامل بارزة كانت السبب الحقيقى فى وقوع المأساة، وأقوى هذه العوامل إنجلترا الغادرة ! فقد لبست ثياب الدهاء فأظهرت الوقوف على الحياد حاشدة وراءها جيشا عنيفا من الحقد والنفاق والابتسام! مغلفة أسرارها الخبيثة عن الأغرار من القادة والزعماء ، وقد وجدت أمامها — لسوء الحظ — فريقا يهيم بحبها فى كل واد ، وينزل على إرادتها فى كل مطلب، يهادن إذ تطالب الهدنة، ويحارب حين تدفع به إلى الخراب والوبال ، وقد مد له فى الذهب اللامع ، فملأ خزائنه ، وضاعت فلسطين شهيدة على يده ، وهذه حقيقة مرة يفصح عنها الشاعر فى شجاعة ويقظة إذ يصيح

حماة الدار لولا هم غاو ... أساغ شرابه فرط التمادى
ولوغ فى دم الخل المصافى ... فقل ماشئت فى الجنف المعادى
ولباس على ختل وغدر ... ثياب الواقفين على الحياد
وخب لا يريك متى يوانى ... فتأمن شره ومتى يعادى
تطلع إذ تطلع فى رخى ... وتفرع حين تفرع فى جماد
ولولا نازلون على هواه ... سكارى فى المحبة والوداد
نسوا إلا نفوسهمو وهاموا ... غراما حيث هـام بكل واد
أجرهمو على ذهب فجروا ... فلسطينا على شوك القتاد
وقادوها له كبش افتداء ... صنيع الهاربين من التفادى
لكنتم طب علتها ، وكانت ... بكم تحدى على يد خير حاد

فإذا ترك إنجلترا الداهية وأذنابها الضعفاء ، لجأ إلى العـامل الثـانى ، فتساءل عن سر من أسرار النـكبة فى رأيه ، وجهر بالحقيقة سافرة حين أعلن أن هذه المنكوبة لم تضم بددا بحيـلة ساحر ، أو غضبة قدر لامرد له ، ولكن لأنها — وأخواتها — مسترقة مستذلة قد خيم فوقها الثالوث الأشأم، فلم يبرحها الجهل والفقر والمرض ، لحظة من اللحظات ، وقد منيت جمهرتها بفريق من الطغاة ، قضوا على المواهب العـالية ، وحاصروا العقائد والمبادئ ، ووضعوا الأبرياء فى الأصفاد والأغلال، وقام فى كل قطر

شقيق حجاج طاغ بزيف إرادته ، وزياد باطش يعصف بحميته ، بينما يملأ يديه من الذهب السائل ، ويرسل شهواته مطلقة الأعنة ، فلا ندر من شئ أنت عليه ، ويفتح أبواب السجون لشهداء الرأى والوطنية والاستقلال ، حتى خمدت النخوة العربية ، وغرق الشرق العربى فى لجج الاستعباد والهوان ... ذلك ما يفصح عنه إذ يقول :

حماة الدار ما النكسات سر ولا شىء تلفف فى بجاد
ولا لغز بحار العقل فيه فيجهل ما شداس من أحاد
ولكن مثلما وضحت ذكاء ونور حاضر منها وباد
فما ذهبت فلسطين بسحر ولا كتب الفناء بلا مداد
وما كانت فلسطين لتبقى وجيرتها يصاح بها بداد
وست جهاتها أخذت بجوع وجهل واحتقار واضطهاد
شعوب تسترق فما يبقى على أثر لها ذل الصفاد
تساط بها المواهب والمزايا وتحتجز العقائد والمبادى
وتطلع بين آونة وأخرى (بحجاج) بزيف أو (زياد)
فيذوى الخوف منها كل خاف ويصمى الجور منها كل باد
وتنهب البلاد ، ومن بنيها يؤوب الناهبون إلى سناد
وتنطلق المطامع كاشرات تهدد ما تلاقى بازدراد
وتنطبق السجون مزمجرات على شبه وظن واجتهاد

والعامل الثالث فى رأى الشاعر هو ما لدى اليهود من منعة وعتاد ، فقد جذبوا الرأى العالمى والصحافة العربية بما توفر لديهم من حذق وإخلاص ، وقد تربوا تربية صالحة قوية ، فحذقوا العلوم والصناعات ، وساهمت المرأة لديهم فى البيت والمصنع والمعبد والقتال ، فليس فيهم من فقير يستجدى الأكف ، ولا ملق بقارعة الطريق تحمله أمه فى الكور بجهد جهيد ، ولا زعيم خائن يغتصب المال والجاه على حساب الضحايا والأبرياء ، ولا تماسيح مشوهون قد حطمهم السغب والكلال !! هؤلاء جميعا لا يوجد أحد منهم لدى الأعداء ، مع أننا لا نجد غيرهم فى جيوشنا الواهنة المتخاذلة !! فكيف تتعادل الكفتان !؟ ويتحقق الحال ، هذا ما يصرح به الشاعر إذ يقول :

جيل نصرم مذ أبدى تواجده
وعد لبلفور فى تهديدها قطعا
والساهرون عليه ، كل منتخب
يبنى ويهدم إن أعطى وإن منعا
تهوى العروش على أقدامهم ضرعا
ونحتمى سادة الدنيا بهم تبعا
مررت بالقوم (شذاذا) فما وقعت
عينى على متمن غيره ضرعا
ولا بملق وأهليه بقارعة
ولا بحاملة فى الكور من رضعا
ولا بمن بحرس الناطور أرجلهم
مهروءة سمهات للكلاب منتزعا
وعند سلعته نصغى البنون لنا
نغلى — ونرخصها فى الأزمة - السلعا
وجدتها عندهم زهوا مدورة
البيت والبحر والأسواق والبيعا
بينا تراقص بالأنغام صاحبها
إذا بها توسع الألغام مزدرعا
ونحن ما نحن ! قطعان بمذأبة
تساقطت فى يدى رعيانها قطعا
فى كل يوم زعيم لم نجد خبرا
عنه ولم ندر كيف اختير واخترعا
أعطاهمو ربهم فيما أعد لهم
من الولائم صفوا فوقها التمعا
كأسين ، كأسالهم بالشهد مترعة
وللجماهير كأس سمها نقعا
قتالة ، خوف ألا تستاغ لهم
أوصاهمو أن يسقوهم بها جرعا

وينطلق الشاعر فى الحديث من هؤلاء المتزعمين ! وكيف زودهم الاستعمار بوصاياه الخارقة ، فصبوا على الشعوب كؤوس الصاب مترعة بالسم الناقع ، وقد أدركوا بعض الحذق ، فلم يصبوا الكأس مرة واحدة ، فتقضى على الشعوب القضاء السريع ،

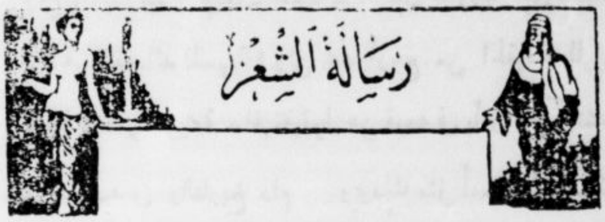
بل سافلوا الجرح الدامة نقطة نقطة ، ليأخذ وقتا طويلا في التنويم والتخدير ، بينما أعدت لهم كأس مترعة بالرحيق السلسال فنهلوا منها وعلوا كما يشاءون، ولبس الزعماء جميعا طرازا واحدا، ففيهم من خلصت نيته وكان قصاراه أن تدمع عينه ثم يمسح دموعها بمنديله الرقيق !! وهو على إخلاصه لا يرضى الشاعر ! إذ يريد المتحفز الوثوب الكاشر للصائل ، وأنت تعجب له حين يدعو في مطلع قصيدته إلى اليأس ، فيخلق له الحسنات المتتابعة ، فهو ذو حد يقف لديه الأمل الحالم ، وهو مصحر الأرجاء لا يعد الظل على اللصوص والأوشاب !! ولكن أى يأس ذاك ؟ ! إنه اليأس من الوعود الكاذبة ، والآمال المزعومة ، إنه اليأس الذى طوح بالباستيل فاقتلعه من أغواره ، وقذف بطارق إلى النصر بعد أن حطم سفينه ، ووقف من وراء البحر ، وأمام العدو ، فكان لابد من النصر في تلك الحنادس الحالكات

وإن من حسنات اليأس أن له حدا إذا كل حد غيره قطما
وأنه مصحر الأرجاء ، لا كنفا لن يلص ولا ظلا لمن رتما
اليأس أطمع بالأشلاء مفصلة عدلا وطوح بالباستيل فاقتلما
وطارق منه أعطى النصر كوكبه زرا وعدى إلى الإسبان فاندفما

ورغم الظلمة الداجية التى تكتنف الشاعر في حديثه عن المأساة ، ورغم شعوره بالعلل الأصيلة للنكبة ، وإلمامه بالأوضاع الشائنة التى جلبت هذه الكارثة المروعة ، رغم ذلك كله يتملل بالنصر القريب — بعد أن يئس من الوعود البارقة — ويمد خيوط الأمل للشباب المتوثب ، ويدعو إلى الممات في سبيل الحياة المرتقبة ؛ ويفسح الصدور للرصاص ، ويحذر من الخوف والخور والقنوط ، كما ينتقل بريشته الملهمة إلى طبيعة فلسطين ، فيصور الفجر المترقرق فوق الروابى الخضر كوشاح فضى لامع ، ويحمل إلى القارىء أنفاس الروح العاطرة ، ويسمعه ألحان الوحى في مرابعه المقدسة ؛ وغناء داود مع الطيور في أورشليم الحالمة ؛ ثم يدعو الشباب الفلسطينى المكافح إلى الاعتماد على نفسه ؛ فالشعوب العربية لا تجيد غير العويل والبكاء ! فهى تدق من الأسى راحا براح ! ويدا بيد ! ثم تقف عند ذلك !! فإن تجاوزته فإلى الخطب الرنانة والقصائد المسهبة ؛ وإن تجد أوجع من الحقيقة المريرة يعلنها الشاعر صريحة سافرة فيقول من قومه في يأس واكتئاب

أأم القدس والتاريخ دام ويومك مثل أمسك في الكفاح
فلا تتخبطى ، فالليل داج وإن لم يبق بد من صباح
ولا تمنى بدا إنا بكاة عدك بالعويل وبالصياح
ولا تمنى بدا ، فالفصل جو مغيم عندنا والقول صاح
وإن تجدى كأيانا نصيرا يدق من الأسى راحا براح
ولا قوما يردون الدواهى وقد خرست بألسنة فصاح

(يتبع) محمد رجب البيومى



موشح

اللؤلؤ المنحدر

للاستاذ محمد زكى الدباغ

زارنى والليل فى طرته
ومحيا البدر من غرته
يتجلى الحب فى نظرته
قمت أستقبل عندى قمرا   يزدرى فى برده بالقمر

ٌ ٌ ٌ

خائفا لاذ بصدرى ورنا
خلفه — من خشية الواشى بنا
خافق القلب اضطرابا وأنا
خافق القلب عليه حذرا   وسرورا باللقا والظفر

ٌ ٌ ٌ

كلما البدر علينا طلعا
خبأ الوجه بصدرى جزعا
وإذا تغريد طير سمعا
أتلع الجيد ومد البصرا   متبعا أوهامه بالنظر

ٌ ٌ ٌ

يحسب النجم عيونا تنظر
ونسيم الروض عينا يخطر
وإذا صبرته — لا يصبر
وهو إن يأنس قليلا نفرا   وبكى باللؤلؤ المنحدر

ٌ ٌ ٌ

خده المشرق حسنا وجمالا
شب جمر الوجد فيه فتلالا
كلما قبلته زاد اشتعالا
أتراه فى فؤادى استعرا   أم فؤادى منه فى مستعر

ٌ ٌ ٌ

ياحبيبى ما الذى قد أفزعك
أنت فى ثوب الحيا ماأبدعك
عادت الأفراح للروح معك
فابتسم لى فالهناء استترا   فى ثنايا الكوثرى العطر

ٌ ٌ ٌ

مل على صدرى فالغصن يميل
ألصق الخد بخدى يا جميل
واسقنى من مرشف كالسلسبيل
ذوب شهد فوق قلبى قطرا   كالندى يقطر فوق الزهر

ٌ ٌ ٌ

وإذا ما الثغر بالثغر اتصل
هز أوتار فؤادى بالقبل
واستمع منه أغاريد الأمل
فهو قيثار غرام طهرا   مطرب اللحن شجى الوتر

ٌ ٌ ٌ

زال عنه خوفه فابتسما
وبدا فى وجده ما كتما
فاغتنمناها وكانت نعما
قد حلت وردا وطابت صدرا   لم يشبها غير بعض الحذر

محمد زكى الدباغ



السقامات ..

قصة طويلة ليوسف السباعي

للاستاذ كارنيك جورج ميناسيان

لعل الأستاذ السباعي من أكثر الأدباء المصريين إنتاجاً ، فهو ينتج بمعدل أربعة كتب في العام الواحد عدا القصص القصيرة الأخرى التي يكتبها للصحف . ونحن لا نحاسب الكاتب على كثرة نتاجه أو قلته ، وإنما نحاسبه عن النتاج نفسه ، وعن قيمته الفنية والأدبية والاجتماعية

لو تأملنا كتابات السباعي السابقة ثم تأملنا كتابه الأخير لوضعنا الكتب السابقة كلها في كفة ، وكتاب السقامات في كفة أخرى . ! فالكاتب في كتبه السابقة كان يتأرجح بين أساليب شتى . لا تربطه صفة واحدة ، ولا يميز مؤلفاته أسلوب خاص ! كان يكتب لمجرد الكتابة . كان يكتب كي يمد (مسامرات الجيب) بقصة كل أسبوع ، ولا شك أن هذا (الروتين) في الإنتاج الأدبي قد يجعل الكاتب يغض النظر عن القيم الفنية بعض الشيء ، فيحصر اهتمامه في إعداد قصة قبل الوقت المعين !

أما في (السقامات) فقد ظهر للقارئ بأسلوب مميز خاص . وبقلم الكاتب المتمكن المتعمق . فالكتاب يقع في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع المتوسط . فليس تأليفه إذن من السهولة بمكان ! فالشوط الطويل الذي قطعه السباعي قد تقصر دونه الأنفاس ، وتكل الأيدي ، وتجهد الأذهان ؛ لكن أنفاس السباعي لم تقصر ، ويده لم تكل ، وذهنه لم يجهد ! فقد مضى بكل اعتداد ، وبكل جرأة ، وخطا الخطوة الأولى . حتى انتهى إلى الخطوة الأخيرة . ومن هذه الناحية استحق كل إعجاب

نعود إلى الكتاب فنتأمله بعين فاحصة ، فنراه يشمل قصة محلية ، من الجو المصري القديم . قصة شبيهة بقصة (زقاق المدق) لنجيب محفوظ . من حيث البيئة ، وتعدد الأبطال ، والفكرة المستترة وراء الحوادث.. وهي إعطاء صورة صادقة للجو المحلي القديم في مصر . فالقصة قصة بيئة . لا قصة أسرة . قصة جماعة من الناس جمعتها الحياة في صعيد واحد ، ولونتها الحياة بلون واحد . فكل أفرادها من الطبقة الفقيرة التي تكدح طول النهار ، ولا تكاد تظفر باللقمة التي تشبع !

لقد حاول الكاتب محاكاة نجيب محفوظ ، كما هو واضح في رسم الشخصيات ، ولكن محاولته لم تنجح مثل نجاح محفوظ . فهو في بداية قصته تطرق إلى شخصيات كثيرة ، حشرها ضمن محور القصة ، وجعلها من أبطالها الأولين ، كما فعل محفوظ . لكنه لم يكد يخطو خطوات ، حتى ترك أكثرها في حالها .. واقتصر على قسم منها محدود ! في حين نرى محفوظ لا يترك شخصية واحدة تفلت من نطاق قصته.. إنه يسيطر عليها سيطرة تامة ، فيحصرها حصرا ، ويجعلها في القصة ذات أثر فعال

مجمل القصة : السقا شوشة يعيش مع ولده وأم زوجه المتوفاة ، عيشة راضية ، وهو إذ يتغدى ذات مرة ، عند (الحاجة زمزم) المرأة المخيفة ! يصادق (شحاته أفندي) الذي كان قد جاء إلى (مسمط زمزم) ليأكل على الحساب .. بناء على دعوة من الحاجة اعتبرها دعوة حب . . وغرام ! كان جيبه فارغا ، لذا فقد كادت الحاجة زمزم تجرده من ثيابه بعد أن عجز عن دفع ثمن ما أكل . فتدخل شوشة في الموضوع ودفع الثمن منقذاً الأفندي من براثن الحاجة ! وبعد ذلك نرى شحاته الذي يعمل في توديع الأموات إلى قبورها يعيش مع شوشة ، كما نراه يأخذ شوشة إلى قهوته ، ويعرفه بأصحابه ويبسط له مهنته . ! حتى ينام شحاته أفندي ذات يوم على أمل أن يستيقظ فيذهب إلى موعد غرامي اشتراه بخمسين قرشا من (تاجر الأعراض) الذباح ! ينام الرجل فلا يستيقظ ! لا يستيقظ أبدا . ولا يلبث المعلم شوشة أن يأخذ مكانه في المهنة ، مستعملا نفس البدلة التي كان يستعملها المتوفى ، لأنه يريد أن يتعرف إلى سر الموت ! الموت الذي خطف منه زوجه ، وتركه وحيدا محروما . وتقبل

عليه الدنيا فيرتق إلى رئيس للسقايين . يتحكم فى توزيع المياه على الزبائن ، ولكنه لا يترك مهنة المتوفى . حتى يفاتحه ولده بمخاوفه ، طالباً إليه أن يكف عن توديع الموتى ، فيعده الرجل ، لكنه فى اليوم التالى لا يغادر فراشه ، فيحل ولده محله فى توزيع المياه ! وما أن ينتهى من ذلك ويعود إلى أهله ، حتى يجد البيت قد انهار وقضى على أبيه ! فلا يلبث الابن أن يسرع فيرتدى بدلة شحاته أفندى ، الخاصة بمودعى الأموات .. فيمضى أمام نعش أبيه ليودعه القبر الأخير ، إنه أيضا يريد أن يكشف عن الموت سره ..!

.. وتنتهى القصة والابن قد أصبح أبا ، وتربع على عرش المياه مكان أبيه ، وقد وضع بالقرب منه لافتة فيها هذه الآية الكريمة (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

والغريب أن الكتاب يبدأ بهذه الآية وينتهى بها ، كما أنها تتردد فى حوار القصة أربع مرات تقريباً دون أن يكون بينهما وبين القصة صلة ما . ! لعل المؤلف يريد أن يعزى أبطاله ويمسح على مصائبهم وهم فى غير حاجة إلى ذلك . فالآية مفروضة فرضاً ، ٠حشوة حشواً ! فالصلة بعيدة بينها وبين مغزى القصة كما قلت ، فأين الصابرون ؛ بل أين الفواجع التى صبروا عليها ؟ الحوادث كلها بسيطة عادية ، لا تدعو إلى الصبر ، لأنها توحى بالقناعة. وبالأصل من أناس مثل أولئك الفاسقين الراضين ، وإن كان المؤلف قد افتعل موت الرجلين افتعالا ، إذ حرمهما الموت الطبيعى و ذلك لم يتمكن أن يجعل أبطاله من الصابرين المؤمنين ، لأنه جعلهم يشعرون أن الموت جاء بالمصادفة وأن القدرة الخفية لا دخل لها فيه

لقد فاجأنا المؤلف بموت شحاته افندى فى منتصف القصة وشحاته هو الوحيد الذى يسيطر على انتباه القارىء وجذب اهتمامه ، لأنه الوحيد — حتى ذلك الوقت — الذى كان يسعى إلى هدف فيجعل للقصة مسحة من التشويق ، فاجأنا بموته ، وبذلك ماتت عقدة القصة ، وتلاشى التشويق ، وكأنما انتبه الكاتب إلى خطئه ، فكشف للقارىء من عقدة أخرى .. كانت مختفية عنه حتى ذلك الوقت ، وبشكل هذه العقدة شخصية شوشة .. الذى أخذ يسعى إلى كشف سر الموت واستجلاء أمده !

ولنا ملاحظة أخرى بشأن شحاته افندى . فقد جعل له المؤلف شخصية ماجنة عابثة تتأثر حين ترى أمامها امرأة . فهو يتغزل حتى فى الحاجة زمزم ، الضخمة الخيفة . ثم عاد — المؤلف — وأسكنه مع المعلم شوشة ، ونحن نعلم أن هناك ، فى أعلى شقة هذا الأخير تقطن أسرة (على الخشت) أن لهذه الأسرة فتاة ناضجة ، تتردد على أسرة شوشة فتساعد الضريرة أم آمنة فإذا ما نزل شحاته عند شوشة لم تعد ترى أثراً للفتاة ! وكان المتوقع أن يراها شحاته ، وأن تحدث بينهما أشياء .. ! فما الذى جعل الفتاة تختفى من مسرح الحوادث بمجرد ظهور شحاته ؟

وهناك أمر آخر . فإن شوشة بعد موت شحاته أخذ مكانه وصار هو الآخر من (الأفندية) يودع الموتى إلى القبر الأخير فى وقت أصبح فيه موظفاً فى تصريف المياه . أى أنه يجب عليه أن يعمل طول النهار فى وظيفته ثم يزاول مهنة شحاته بعد ذلك أى عند المساء . وهنا بعض التناقض . لأننا رأينا شحاته قد تأخر قليلا ذات صباح فزجره الحانوتى الرئيس ! فكيف لا يتأخر شوشة ؟ وهو لا يزاول هذه المهنة إلا ليلا ، مع العلم أن الموتى لا يدفنون إلا فى النهار !

لقد اهتم المؤلف برسم شخصية (الحاجة زمزم) اهتماما كبيرا حتى جاء رسمه بليغا رائعاً مثيرا ؛ فحسبنا أن لها أثراً كبيراً فى القصة أو أنها هى البطلة الأولى فيها ؛ ولكننا وجدناها تختفى تماما عن مسرح القصة ، ثم تعود قبيل النهاية ؛ عودة قصيرة ؛ تخيب آمال القارىء وهى مع ذلك عودة مفتعلة ! جاءت على إرسال الأب ابنه إليها ليطالبها بالريال المتبقى له عندها ، لأنه لا يملك شيئا أبداً ! وهنا الكثير من الضعف ، لأن الأب قد أقبلت عليه الدنيا ، وأصبح رئيساً للسقايين . كما أنه يعمل سرا فى دفن الموتى ، وأن الموتى كثيرون كما قال المؤلف ! وقد رأيناه فى الليلة السابقة فى الحمام مع ابنه يدفع المال بسخاء ، فكيف بنا نجده فى الصباح خالى الجيب تماما ! كان الأوفق للكاتب ألا يكلف نفسه إعادة الحاجة زمزم ؛ وأن يجعل له حيلة أخرى لإبعاد الابن من أبيه كما يتهدم البيت وهو عنه بعيد !



فى مقال لعميد الأدب :

نشرت « الأهرام » الغراء فى عـددها الصادر فى الخامس عشر من الشهر الجارى مقالا لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين باشا بعنوان « بين الأدب والصحافة » جاء فيه قوله « والغريب أنها — (ويعنى الصحافة) — تقدم الـكتب إلى القراء تقرظها حيناً وتنقدها حيناً آخر » وأقول : يقال فى اللغة : نقد الدراهم وانتقدها : أخرج منها الزيوف، وماز بين الدرهم الزيف والدرهم الوازن غير المخلوط . وفى اللسان : النقـد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها. أنشد سيبويه :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة   نفى الدنانير (تنقاد) الصياريف

ونقد الـكتاب : إظهار عيوبه ومحاسنه ، ومن ثم فلا و ه لقول عميد الأدب « تقرظها حينا » لأن النقد — كما سبق القول — يشمل المحاسن والعيوب . قال الشاعر :

والموت (نقاد) على كفه   جواهر يختار منها الجياد

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر فأذكر أن المؤلفات العربية التى تعنى بالنقود قليلة ولا نعرف منها إلا أربعة : الأول للبلاذرى فى آخر مصنفه (فتوح البلدان) والثانى (رسالة فى النقود الإسلاميـة) للعلامة المقريزى عنى بنشره فارس الشدياق فى مطبعته الجوائب . والثالث : هو الجزء العشرون من (الخطط التوفيقية الجديدة) لعلى باشا مبارك . والرابع : رسالة مخطوطة أشار إليها الأب أنستاس مارى الـكرملى فى كتاب (النقود العربية وعلم النميات) للامام العلامة المحدث المؤرخ تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى الشافعى ، وهو مطبوع فى المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٩

والنميات : علم يستدل به على أنواع النقود والرصائع التى ضربت فى أزمنة مختلفة وبلاد شتى ، وفى أيام ملوك وقياصرة وأباطرة متنوعة ، واحدها النمى . القاموس : « النمى : صنجة الميزان ... والفلوس أو الدراهم التى فيها رصاص أو نحاس . . والجمع نماى » . والرصائع — فى اللسان — زر عروة المصحف . والرصيعة : عقدة فى اللجام عند المعذر كأنها فلس ، وقد رصعه . والرصيعة : الحلقة المستديرة ، وسيف مرصع : أى محلى بالرصائع وهى حلق يحلى بها . الواحدة رصيعة

قال الفرزدق :

وجئن بأولاد النصارى إليكمو   حبالى وفى أعناقهن « المراصع »

وبعد : فأذكر أن عميد الأدب كان دعا الأدباء والـكتاب فى مقاله (محنة الأدب) إلى أن يشقوا على أنفسهم فى الغوص

وفى الـكتاب بعض الأخطاء النحوية والإملائية التى لا إخالها إلا وليدة السرعة أو وليدة المطبعة. فقد جاء فى (ص ٩٩) (... وكان الثلاثة ...) فى حديثه عن ثلاث نساء ! وقد تكرر هذا الخطأ فى (ص ١٠١) وفى (ص١٠٢) (كانت النساء الثلاث فى الفناء تتجاذبن الحديث) وفى (ص ٤٦٧) (لم تشمره جدته ولا أبيه) !

وهناك أخطاء طفيفة لا تؤثر فى قيمة الـكتاب . ويجب ألا أنسى أن السباعي قد أبدع فى (ص ٢٩٠) حتى (ص ٣٠٠) فى الـكلام من الموت على لسان شحاته أفندى ، فقد جاء ذلك الـكلام مطابقا شخصية شحاته كل المطابقة

والـكتاب بعد هذا يتأرجح بين العامية والفصحى . وهذا ما يؤكد أن الـكاتب عاجز عن التعبير الـكامل بالفصحى ، بالرغم من أنه يبرر مسلكه فى المقدمة قائلا : (إن الغلبة — فى الحوار — للعامية ، لأنه من المستثقل الممجوج أن نحاول إنطاق أشخاص باللغة العربية فى القصة ، وهم لا يمكنهم فى حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها) . إنك يا أستاذ يجب أن تصور أولئك الأشخاص تصويرا فنيا ، لا أن تنقل أقوالهم كما هى ، فالفنان هو الذى يضيف على الحوادث العادية مسحة من الجمال والسمو، ولا يرضى أن ينقلها كما هى ، ولا أن يصورها كما تصور آلة التصوير المناظر الطبيعية

فارتيك جورج سناسيان

على فرائد اللغة وأسرار البلاغة ، وها نحن نستمع إلى نداء الأديب العميد فنكتب كلتنا ملبين الدعوة منبهين إلى ما يحسن التنبيه إليه ، وهو سبق قلم . والسلام

عدنان

نسبة البيتين :

في العدد رقم ٩٨٩ من الرسالة الغراء ١٦ يونيو سنة ١٩٥٢ كتب حضرة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصري يطلب مني أن أشير إلى المصدر الذي استقيت منه نسبة ما يأتي للحسين الخليع في كتابي نديم الخلفاء

بأبي من وددته فافترقنا — وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا — كان تسليمه علي وداعا

فقد جاء في شرح العكبري لديوان أبي الطيب المتنبي وفي جميع دواوين المتنبي نسبتها للمتنبي وقالها ارتجالا في صباه

وقد تفضل حضرة الأستاذ الكريم عبد القادر الناصري فهنأني وحياني مبديا إعجابه بكتابي وإني أشكر لحضرة الأخ الفاضل هذا التقدير وأحيي فيه ذلك الشعور النبيل نحو المؤلفين .
لا أنكر أن البيتين نسبا للمتنبي في المصادر السابقة وهي في حقيقتها مصدر واحد هو ديوان المتنبي، أما المصدر الذي نسبهما للحسين بن الضحاك فهو زهر الآداب ج ٣ ص ١٦٣ . وعلى الرغم مما راجعته من مصادر لم أجد ما يرجح نسبة البيتين لأحد منهما، وقد اعتمدت نسبتهما للخليع لأنه أولا أسبق، والغالب أن ينسب للاحق ما هو للسابق ثانيا، أنهما لرقتهما للخليع أقرب ، وثالثا لأن شعر الحسين . بن الضحاك ضاع أكثره ونسب إلى غيره من شعره كثير . ومشكلة تنازع الأبيات في الكتب الأدبية تحتاج إلى دراسة طويلة وجهود ضخمة وعلى الأخص كل ما فيه « قال الشاعر ، وقال آخر ، وقال غيره ويقول القائل . الخ »
ومن أمثلة التنازع هذه الأبيات :

لا وحبيك لا أصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أسقم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى في للسقم موضعا

نسبت في الأغاني ومعجم الأدباء وابن خلكان ومسالك الأبصار للحسين بن الضحاك ، ونسبت في مصارع العشاق ص ٤٢٥ لأعرابي ونسبت في زهر الآداب ج ١ ص ٢٥٠ إلى محمد بن يزيد الأموي

وكنت أحسب أن وجود البيت أو الأبيات في ديوان يقطع بصحة نسبتها إلى صاحبه ، ولكني وجدت مثلا هذا البيت

فلو لم يكن في كفه غير روحه — لجاد بها فليتق الله سائله

نسب في الأغاني ج ١٣ ص ٣٥ إلى عبد الله بن الزبير الأسدي وهو شاعر أموي ، وفي شرح ديوان زهير بن أبي سلمى أن نسخته انفردت بنسبته إلى زهير وهو أقدم من سابقه ، ونسب لبكر بن النطاح في شرح ديوان أبي الطيب للواحدي ص ١٩٨ ودلائل الإعجاز ص ٣٨٧ والإبانة عن سرقات المتنبي ص ٤٦ والوافي بالوفيات المجلد الأول من الجزء الثالث وفوات الوفيات ترجمة بكر بن النطاح، ونسب في كتاب التحف والأنوار ص٧٦ لدعبل.. أما في شرح المضنون ص ١٥٦ ومسالك الأبصار ج ٩ وديوان أبي تمام فقد نسب لأبي تمام هذا، ودعبل وبكر بن النطاح متعاصران ومات أبو تمام قبل دعبل وولد بعده وهم جميعا عباسيون. وهناك من أمثاله كثير ولا يخفى ذلك على الأستاذ الفاضل عبد القادر الناصري . وأكرر شكري له وتحياتي وتقديري

عبد الستار أحمد

خطأ نحوي

نشرت جريدة « الراية » الموصلية الغراء قصيدة مزدوجة القوافي للسيد زكي الجادر في العدد « ٢٩ » من سنتها الأولى منها هذان البيتان

إيه يا زهرة الحياة مضى الأ — مس فكنا من بعده عشاق
جئتك اليوم في فؤادي حنين — وبعيني لهفة واشتياق

فقافية البيت الأول منصوبة لأنها خبر كان، وقافية البيت الثاني مرفوعة معطوفة على لهفة وهي مرفوعة. وهذا مثل من التجديد في الشعر العراقي الذي تدعو إليه الجريدة التي يشرف على تحريرها السيد شاذل طاقة أستاذ الأدب العربي في مدارس الموصل ...

عبد القادر رشيد الناصري



السكيرة

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

وقفت العربة ذات الحصان الواحد أمام مزرعة الأم « ماكلوار » تحمل المعلم « شيكو » خمار « دي به فيل » وهو رجل في العقد الرابع خشن المعارف هائل الخلقة أحمر الوجه بطين سمين ، على وجهه سيما الخبث والمكر

هبط الرجل سلم العربة ، ثم ربط حصانها بخشبة معترضة ومشى إلى ساحة الدار

كانت الأم «ماكلوار» تمتلك أرضاً تجاور مزرعته، طالما تشوفت نفسه إلى ابتياعها منها، وضمها إلى أرضه لولا أن كان يصده عن هذه الرغبة تعصب من العجوز عنيد وتصلب شديد . وكانت تقول :

— إني ولدت في هذه الأرض ، وستجنني تربتها ...

في هذا الصباح ألفي العجوز ، وهي درديبس في الثانية والسبعين من عمرها ، أمام باب منزلها معنية بتقشير « البطاطس » كانت منكمشة الجلد ؛ جافة اللحم ، منضوخة الوجه . وبرغم ذلك كانت دائبة على عملها وكأنها في ربيع العمر

تقدم منها المعلم «شيكو» وربت على كتفها في دعابة ثم قال

— وصحتك أيتها الأم ، هل هي جيدة وأبداً جيدة ؟

— أحمد الله ، وأنت أيها المعلم ؟

— بخير ، ولولا قليل من الألم لكنت هانئاً راضياً

— جد مليح . ثم لاذت بالصمت وأخذت تقشر البطاطس وتديرها في حذق ومهارة ، بين أصابع يابسة عقداء معروقة ، تشبه أرجل السراطين ، وفي يدها اليمنى سكين عتيقة منثلمة لا تكاد تقطع الجبن

وحين فرغت من البطاطس ، وأضحت لماعة صفراء ، ألقت بها في قدر مملوءة ماء . فإذا دجيجات وأفرخ تسعى إليها ناقة مفوقئة ، ثم تختلس ما تبقى في حجرها من قشور البطاطس ، وتتراكض في خبث عنها وفي منقار كل منها ما غنمت من قشور

كان المعلم «شيكو» يرقب هذا المنظر في سأم وضيق وفي نفسه أمر، وعلى لسانه كلام يجتهد في انتزاعه، وأخيراً وفق فقال

— ألا خبريني أيتها الأم « ماكلوار »

— وما عساي مخبرتك به ؟

— ألا زلت ترفضين بيعي مزرعتك ؟

— هذا أمر قد فرغت منه أيها المعلم « شيكو » فلم إقلاق به مطلع كل صباح ومهبط كل ليل ؟

— ولكني يا سيدتي وجدت حلا المسألة إن رضيت به خرج كلانا راضياً بصفقته غير أسف ولا مغبون

— وما هو هذا الحل ؟

تبيعينني أرضك ثم تحتفظين بحق استثمارها ما بقيت على قيد الأحياء ، أفلا يرضيك هذا أيضا ؟

فشغلت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت ترمي الرجل بنظر حاد عنيف تحت جفنين خلقين أجمدين . ثم قال الرجل مفسراً :

— إنك إن ترضي بهذه الصفقة تتسلمي في منتهى كل شهر مائة وخمسين فرنكا أحملها إليك في عربتي . أتتدبرين قولي ؟ أتفقهين حديثي ؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تتبدل لك حال ، ولا تتغير حياة ؛ فستظلين في حقلك آمنة السرب رافهة العيش لا يدينك أحد ولا تدينين لأحد ، ولا تمملين أمراً ، ولا تنصبين نفسك لعمل . إلا أن يكون استلام مائة وخمسين فرنكا ، مطلع كل شهر ، عملا شاقا يكد وينصب . قال هذا وطفق ينظر إليها فرحاً مستبشرا وعلى وجهه الطيبة والصلاح والمسكنة ... والعجوز تلحظه حذرة متيقظة . وقد كبر في وهمها أنه خادع لها وناصب لاصطياد مزرعتها أحبولة من ألفاظ منمقة مزورة . على أنها سألته في خبث :

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيتك أن تتبرع لامرأة عجوز بهذا الراتب الضخم دون فائدة تعود عليك؟ قال المعلم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمزة العجوز

لا أثقل عليك يا سيدتي في شأن الأرض ، فلسوف تغلين خيراتها وتنتفعين بثمراتها ما مد الله في حياتك العزيزة . غير أني

أرجوك أن تمكنني لى صكا شرعيا ، يخولني حق امتلا كها بعد عمرك الطويل إن شاء الله . ولبثت المرأة وهي تصغى لقول المعلم مأخوذة دهشة حائرة لا تملك لرأيها إبراما ولا انتقاضا ، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضاً ، وأخيراً قالت :

إنه لا يسعنى رفض اقتراحك ، فلو أنظرتنى أسبوعا آخر أتبصر أمرى وأروى رأيى . فأطاع المعلم « شيكو » ثم غادر الأم فرحاً فخوراً ، كأنه الملك الجبار ، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار ... أما الأم « ماكوار » فقد أمضت أيامها ساهمة حالمة ، لا يستقر جنبها على مضجع ، ولا يزور جفنها سنة من نوم . ثم استشرت بها حميا التردد وعصفت نار الحيرة فكادت توطن نفسها على الرفض التام ، لولا أن ذكرى المائة والخمسين فرنكا الطنانة البراقة ، التي توشك أن تتدحرج فى حجرها مطلع كل شهر ، كانت تلهب رغبتها الخامدة وتذكى أطماعها الهامدة

وأرادت أن تضع لترددها حدا ، فمضت إلى الموثق الشرعي تنفض له جلة حالها وتستنصحه فى أمرها . فأشار إليها بالاطمئنان ونصح لها بالرضا بحل المعلم « شيكو » ، ولكنه اشترط عليها لذلك ، أن يضاعف لها الراتب فيجعله ثلثمائة بدلا من مئة وخمسين فرنكا لأن مزرعتها تساوى فى أقل ثمن ١٦٠ ألف فرنك ، ثم قال لها فى أضعاف حديثه :

— لئن عمرت خمسة عشر عاما ، فلن ترزئى صاحبك أكثر من أربعين ألف فرنك — فاستخفت جسم العجوز هزة من الطمع حين ذكرت الثلثمائة فرنك التى سوف تحظى بها رأس كل شهر ولكنها على ذلك ظلت حذرة مبلبلة الخاطر ، تنوشها الهواجس ، وتتوزعها الوساوس فهى تتوقع حيناً مفاجأة مفجعة وآناً مكيدة مستورة ، لا تبصرها ولكنها تحسها . ولبثت حتى المساء تناقش المسألة بكل حل ، وتواجه المقترح من كل جهة . ثم . ثم لم تستقر على عزم ولم تتوجه جهة من الرأى

وجاءها المعلم شيكو يستطلع رأيها ويستعلم غرضها الأخير فأنهت إليه قرارها النهائي ، بلزوم رفع مرتبها الشهرى ، وحين رأت هزة الإخفاق تركب أوصاله ، ونار الغيظ تحتدم فى عينيه ، وبوادر الرفض تتوافد على لسانه ، أظهرته على قائمة السنين التى يمكن أن تعيشها بعد هذه الصفقة فقالت :

— إنى من الوهن ورقة العظم واشتعال الشيب بحيث لا أستطيع الانتقال إلى سريرى إلا مستندة إلى الأذرع ، أو محمولة على الظهور

ومهما يمتد بى خيط الهرم ، فإنه كخيط العنكبوت وشيك الانبتات سريع الانقطاع . وهل بعد الثلاثة والسبعين عاماً التى توقر كاهلى حياة ترجى أو عيش ينتظر ؟ وقاطعها المعلم مغيظا فقال .

— إنها لمحاولة فاشلة منك ياسيدتى أن تصطنعى العجز وتتظاهرى بانقطاع المنة . ثقى أن منجل الموت لا يعرف سبيله إلى شجرتك قبل أربعين سنة فى أقل تقدير ، وإنى أراهن على أنك أنت التى ستتولين دفنى ، فما هذا الخوف والفزع من الموت ؟

وتصرم عمر النهار فى الجدل والنقاش والأخذ والرد ، وجهد المعلم « شيكو » الجهد كله ليقنع العجوز بالنزول عن طلبها الجائر المرهق فما عاد بطائل . وحين لم يجد مندوحة من إجابتها رضى مكرهاً بدفع الثلاثمائة فرنك ... وعبرت سنين ثلاث وصاحبتنا العجوز كالسروة العتيقة لا يزيدها المرق إلا صلابة وجلداً على الأيام ، حتى يئس المعلم من موتها وخيل إليه أنه مرغم على دفع مرتبها الضخم نصف قرن أو يزيد ، وأن صفقته كانت هى الخاسرة المغبونة ، وأنه لا بد موف على الخراب صائر إلى الإفلاس إن ظلت معاهدة الصداقة والود بين العجوز وعزرائيل متينة العرى

كان يتردد على المرأة الفينة بعد الفينة بحجة السؤال عن نضوج الحنطة ، أو الاستفسار عن موعد الحصاد ؛ فكانت تستقبله فى خبث ، وفى قلبها الشماتة والتشفى ، وفى معارف وجهها صورة الافتخار والزهو للدور المضحك المسلى الذى لعبته على مسرح بلاهته وغفلته . فكان يرتد مريعاً إلى عربته ويجمجم :

— وإذن فليس فى نية هذه البهيمة أن تموت ؟ فلم يكن يعرف لمشكله حلا ولا لعقدة أزمته فكاكا . فكانت تمر به ساعات يود فيها لو أهوى على عنق العجوز فخنقه ، وروحها فأزهقه ، مما فى نفسه منها من الغيظ والحنق والموجدة ، وظل زمناً يلتمس وجهة الحيلة للخلاص من طامة العجوز المشؤومة . وأخيراً ظفر بما يرجو ؛ ففدا عليها يوماً يطفر من البشر والسعادة ، ويصفق بيديه من الفرح والمرح ، وبعد أن ناقلها برهة حديث المجاملة والود قال :

— ألا قولى لى أيتها الأم ماكوار فيم امتناعك عن زيارة

منزلى حين مرورك على حانة « إيدى فيل » ؟ إن الحديث فيه ليلذ ويمتع ، وأنا هناك يا للأسف مقطوع الصلة من الصديق ، منبت الوشيجة من القريب ، لا يؤنس وحشتى زائر ، ولا يمر على عابر . فزوريني إن تكرمت وكلى ما طاب لك فلست مرزئك مالا ولا مكلفك دفع طعام أو شراب . زوريني ففى زيارتك تشيع البهجة فى قلبى وينتشر السرور فى دارى

وفى الغد لم تكلفه الأم إعادة الاستزارة ، فراحت إليه فى عربتها ، والشمس لم تغادر خدرها الوردى ، وحين بلغت الحانة ربطت حصان العربة فى الاصطبل ، ثم دخلت عليه طالبة الغداء الموعود

لم يكد يصدق عينيه المعلم شيكو ، وراح ينشط فى خدمتها ويجتهد فى مرضاتها ، كأن أمامه سيدة نبيلة لا قروية بخيلة ، ثم أخذ يفتن في تقديم فاخر الأطعمة والآكال وغريض اللحم ، من الطير المبهر ، والدجاج المحمر ، ولحم الخنزير المشوى ، وأصناف من الخضار والفواكه والتوابل ، ولكنها لم تصب من هذه الآكال الدسمة إلا ما يوافق معدتها العجوز التى اعتادت الاكتفاء بحساء اللحم الرقيق ، أو قطع الخبز المغموسة بالزبد ، وألح الرجل وعزم عليها . ولكنها لم تأكل مضغة ولم تشرب جرعة حتى القهوة امتنعت من تناولها . وأخيراً قال لها وهو يناولها قدحاً من « الكونياك » :

— أو ترفضين أيضاً هذا القدح ؟

— أما هذا فأقبله دون أن أقول لا . فرجت أركان الحانة بصوت المعلم يقول :

— « روزالى » أيتها العزيزة . احملى لنا كل فاخر معتق من الكونياك . وظهرت الخادمة تضم إلى صدرها زجاجة طويلة ممشوقة ازدانت فوهتها بطابع الكونياك الفاخر . فتناولها المعلم شيكو وأفرغ منها قدحين ، ثم عاطى العجوز أحدهما . قائلا :

— إنه لكنياك لذيذ شهير ، أفلا تتذوقينه ياسيدتى ؟

فتناولته الأم « ما كلوار » شاكرة وطفقت تتحساه جرعات صغيرات ، وما أن فرغت من القدح الأول حتى أفرغ لها المعلم قدحاً ثانياً ، فأعرضت عنه أولا ثم أكرها المضيف بالقول اللطيف والتجمل الظريف والنكتة المستملحة . وكان عازما على إردافه بثالث ورابع لولا أن عالفته برفضها وامتناعها

— ولكن هذا يا سيدتى ليس خمراً ؛ إن هو إلا حليب مصفى ، أبتلع عشرة أقداح منه دون أن يتمشى السكر أو تذهب بوقارى النشوة ، لا يكاد يستقر فى الجوف كالسكر المذاب حتى يتبخر فى الجسم دون أن يجد طريقه إلى الرأس . وليس كمثله شيء لصحة الجسم وانبعاث النشاط . فدعا ذلك العجوز إلى أن اجترعت نصف الكأس الثالثة ، ولم تجرؤ على استنفادها لأنها شعرت بفعل السكر بأطرافها ، وتلعاب الخمر بأعطافها . فأهرعت إلى عربتها ومضت ... وغدا عليها صاحبنا فى عربته ذات الحصان الواحد وحين استقر بهما المجلس أخرج من جوف العربة برميلا صغيرا ، فيه خمر الأمس ، ثم جلسا يعيدان سيرة البارحة ، ولما استقر فى جوف كل منهما ثلاثة أقداح ، غادرها المعلم قائلا :

— ما أرانى بحاجة لأقول لك إن الخمر التى أبقيتها لك تكفيك مدة ، فإذا فرغت منها فعندى لك اللذيذ المعتق لا أبخل عليك به ، وكلما ألححت فى الطلب ألح على السرور وطبت نفساً . .

وآب إليها بعد أيام أربعة ، فألفاها على الباب معنية بتقطيع الخبز الذى تعده للحساء ، فاقترب منها أنفاً لأنف وبدرها بتحية الصباح ، فنفحته منها رائحة « الكحول » وملأت خياشيمه ، هنالك أضاء وجهه بنور البشر والفوز ثم قال :

— ألا تقدمين إلى قدحاً من الكونياك ... ؟ وجلس الاثنان يعاقران الخمر ويشرب كل منهما نخب صاحبه ... ولم يطل الأمر بالأم « ما كلوار » حتى شاع عنها أنها تعاقر الخمرة متخلية لنفسها وفى الحق كان الجيران يلقونها إما مستلقية أمام مطبخها أو ساحة دارها لا تعى ، أو منطرحة فى الطرق والشوارع لا تحس ، فيحملونها إلى بيتها جثة لا حراك فيها ولا وعى ...

ولم يعد المعلم شيكو يتردد على بيتها ، فكان يقول للجيرة راثيا :

— إنه لما يبعث الأسى أن تدمن هذه العجوز الشراب وهى فى أرذل العمر ، مع أن الخمر تعجل خطواتها إلى القبر

وفى الحق لقد وجدها أهل القرية ميتة على بساط الثلج صباح عيد الميلاد عقب سكرة إنكليزية أبلت فيها البلاء الحسن وورث المعلم « شيكو » أرضها كما خوله الصك ، فكان يقول :

— لو لم تتلف هذه العجوز البلهاء صحتها بسموم الخمر ، لعاشت عشر سنين أخر !

ك . م

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الإمبراطورية ذات السبعة أرواح : للدكتور عمر حليق ٧٤١

إندونيسيا ... ... : الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ٧٤٤

حول قبر الإسكندر ... ... : « عبد المنعم مختار ٧٤٦

هلن كلر ... ... : « نقولا الحداد ٧٥١

الأمثال في حياة اللغة ... ... : « حامد حفنى داود ٧٥٤

شوقيتان لم تنشرا في الديوان ... : « عبدالقادر رشيد الناصرى ٧٥٧

الجواهرى شاعر العراق ... ... : « محمد رجب البيومى ... ٧٦٠

حر مقيد وعبد مسيب (قصيدة) } لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب ٧٦٣

لا يتسع وقتنا للخطب القصار ... } عزام بك ... ...

بنيتى ... ... (قصيدة) ... : الأستاذ أنور العطار ٧٦٣

(الكتب) — فن المقابلة .. مبادئه وطرقه — تأليف آنيت جاريت ٧٦٤

— الأستاذ محمد عثمان محمد ... ...

(البريد الأدبي) — مفرد شمائل — رسالة السينما في تربية الشعوب — ٧٦٥

الاقتباس من القرآن — اقتراح .. ودعوة ... ...

(القصص) تجربة قاسية — مترجمة عن الإنجليزية ٧٦٧

20 me. année No 992

Le Caire 6 — 7 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٧١ — ٧ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الامبراطورية ذات سبعة الارواح

للدكتور عمر حليق

حرب مستعرة فى الهند الصينية الفرنسية ، وثورات عنيفة فى تونس ، وغضبة تحمل فى ثناياها الدم والنار فى مراكش والجزائر ، وتيارات قومية تجتاح مدغشقر وممتلكات فرنسا الأفريقية ، وأعباء عسكرية ترهق كاهل الميزانية الفرنسية الآن ، وقد جاء البعث الألمانى بظله المخيف على حدود فرنسا ، وضائقات اقتصادية زعزعت كيان « الفرنك » وأخلت بميزان فرنسا التجارى والنقدى ، فزادت من حدة التوتر الداخلى بين هذه الأحزاب السياسية الكثيرة التى تؤلف البرلمان الفرنسى وتجعل الوزارة الفرنسية أضحوكة الأندية والمحافل السياسية .

ويعجبنى هذا العنوان الفكه الذى صدرت به إحدى الجرائد الداعركية أنباء القلاقل فى تونس فى الآنة التى سقطت بها الوزارة الفرنسية سقطات متتابعة خلال بضعة أسابيع ، فقد كان العنوان على النحو التالى :

تونس تشتكى من أن الحالة الداخلية فى فرنسا متوترة

هذه المشكلات والأزمات والضائقات التى تواجه فرنسا اليوم ، تدفع المرء إلى أن يتساءل : هل الإمبراطورية الفرنسية فى طريق الزوال ؟

لقد استمع الناس إلى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا ، يستجمع كل ما لديه من ظرف ولباقة فرنسية ويناشد الجمعية العامة لهيئة الأمم فى جلسة باريس ، بأن تتريث قليلا قبل أن تدين فرنسا بالعبث بحقوق المراكشيين . ففى جعبة فرنسا خطوط جديدة لسياسة مثالية ، لا لمراكش فحسب ، بل لجميع هذه الشعوب التى تعيش فى ظل العلم الفرنسى

ثم استمع الناس مؤخرا إلى مندوب فرنسا فى مجلس الأمن يعد العرب والآسيويين الذين تبنوا قضية تونس فى مجلس الأمن ، بأن فى حافظة وزارة الخارجية الفرنسية مشروعات مثالية لحل المشكلة التونسية . وكل ما تطلبه فرنسا فترة معقولة من الزمن ، تعد فيه الأمر وتنشر على الناس ما أعدته من أسس جديدة لعلاقة فرنسا بالشعوب الآسيوية والافريقية الخاضعة لها

وقد كان كاتب هذه السطور فى إحدى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بتونس ، يتحدث إلى صديق من أحد وفود أمريكا اللاتينية (وهى منطقة تربطها بفرنسا روابط روحية وثقافية متينة) وذلك خلال الدفاع البليغ الذى كان مندوب الباكستان فى مجلس الأمن السيد أحمد بخارى يفند فيه مزاعم فرنسا وتأويلاتها عن القضية التونسية ، قال الدبلوماسى اللاتينى وقد تأثر من بلاغة البخارى : « أنتم أيها

العرب والآسيويون على حق فى مؤازرة تونس ، ولـكن لم لا تمطون فرنسا الفرصة الـكافية لإصلاح ماأفسده استعمارها القديم على ضوء ما وضعته اليوم من سياسة تقدمية تثبت علاقات فرنسا مع مستعمراتها على أساس جديد نبراسه التعاون الصادق والشركة الأمينة فى إطار « الاتحاد الفرنسى » على نحو ما انتهجته بريطانيا فى « الـكومنوبلث » وحلت به أزماتها مع الهند والباكستان والمناطق الأخرى التى كانت ملـكا للتاج البريطانى ؟ ويبدو أن « لاتينية » صديق الدبلوماسى كانت أشد من نظارته السياسية ، فقد ساررنى محذرا : لا تخطئوا فى قوة الامبراطورية الفرنسية برغم ماأثخنت به من جراح . فهذه الامبراطورية الفرنسية كالقطط لها سبعة أرواح

والواقع أن قسما من الرأى العام فى أوربا وأمريكا يشاطر هذا الدبلوماسى رأيه فى هذه الأرواح المتعددة التى تكمن فى الامبراطورية الفرنسية ! وليس من الصعب أن ندرك سر هذه النظارة إلى حاضر فرنسا . فصناع السياسة الفرنسيين يجندون كل ما توفره لهم ثقافتهم من ظرف ولباقة ومرونة لغوية ومنطقية ، لاقناع الناس بأن فى جعبة وزارة الخارجية الفرنسية حلا جديدا لهذه الأزمات والضائقات التى تعانيها فرنسا فى آسيا وإفريقيا ، فيما تنشره فى الملأ العالمى من تفاصيل « الاتحاد الفرنسى » الذى تطمح فرنسا بواسطته أن توازى فى الحقوق والواجبات بين سكان فرنسا وسكان المستعمرات والمحميات الخاضعة للفرنسيين

ترى ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء وما حظ هذا « الحل » الفرنسى من النجاح ؟ وهل حقا أن الامبراطورية الفرنسية ذات سبعة أرواح ، أم أنهـا تمر الآن فى مثل ما مرت به الامبراطوريات فى التاريخ القديم والحديث من رق وانحطاط

وحقيقة الأمر أن نعرف اليوم أنها أكبر إمبراطورية معاصرة بعد أن تضاءلت ممتلكات بريطانيا فى عالم ما بعد الحرب . فلفرنسا اليوم سيطرة مباشرة على حوالى ٧٧ مليونا من البشر يعيشون فى فسحة من الأرض مساحتها تزيد على ٤ ملايين ميل مربع ونصف ميل ، موزعة على القارات الخمس ، بحيث لا تغيب الشمس عنها . وهذه المساحات الشاسعة مرتبطة بفرنسا بخطوط أصبحت من الوهن بحيث لا يدعمها اليوم إلا الحديد والنار ، سواء فى الهند الصينية الفرنسية أم فى شمال إفريقيا العربية . وفرنسا اليوم برغم لباقتها فى إقناع الناس بأن الاتحاد الفرنسى فى صيغته النهائية سيحل محل الحديد والنار ، كدعامة للروابط الودية بين فرنسا ومستعمراتها ومحمياتها ، إلا أن خبراء الشؤون الفرنسية لا يؤمنون بذلك ، ويصرون على أن جوهر سياسة فرنسا الاستعمارية اليوم ، يهدف إلى التخلص والتملص من المستعمرات فى آسيا والمحيط الباسفيكى ، وتركيز الجهد فى شمالى إفريقيا العربية ، وجعلها « امتدادا » جغرافيا للوطن الفرنسى ، وتحويل هذه المنطقة العربية إلى حصن منيع للثقافة والحضارة الغربية ، تحيى فرنسا فيه موات ثقافتها اللاتينية فى أمن ورخاء لا توفرهما لها اليوم الأرض الفرنسية وما يحيط بها من أخطار الهجوم الألمانى والسيطرة الشيوعية » على حد قول كاتب أمريكى خبير بالشؤون الفرنسية فى العدد الأخير من مجلة « عالم الأمم المتحدة »

ولعل هذا يفسر لنا سر هذا التعنت الشديد ، والتحرش الصاخب الذى تعالج به فرنسا مشكلة تونس والجزائر ومراكش ، والقسوة الدبلوماسية العنيفة التى لجأت إليها فرنسا فى مواجهة الدول العربية والآسيوية التى تبنت قضية شمالى إفريقيا أمام الأمم المتحدة

إذن فخرافة « الحل » الفرنسى وفكرة « الاتحاد الفرنسى » وأسطورة الامبراطورية ذات السبعة أرواح ، ليس إلا رمادا تذره فرنسا فى عيون الناس ، لتعميهم عن حقيقة الهدف الذى تطمح فرنسا فى أن تعالج به مآزقها الامبراطورية ، وهو هدف واقعى يعترف بأن الامبراطورية الفرنسية لن تستطيع العيش حتى بسبعة أرواح ، وأنها اختارت أن تقصر قبضتها الشديدة القاسية على أقرب المناطق لها ، وهى شمالى إفريقيا العربية

وإذن فالامبراطورية الفرنسية فى تفكك وانحلال . وعلماء النفس يقولون لك إن المرء حين يعتريه نوع من التفكك والانحلال يميل إلى العنف والقسوة فى أغلب الحالات . ولعل هذا يفسر هذه القسوة العنيفة الشريرة التى تمارسها فرنسا ضد إخواننا المغاربة ، قسوة لا حدود لها ، فقد أهلـكت الحراب

الفرنسية فى الجزائر منذ سنوات قليلة ٤٠ ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، فى حملة « تأديب » واحدة .

وحوادث تونس اليوم مثل واضح على هذه القسوة الفرنسية . ألوف من الفرنسيين ، قادة وزعماء قابعون فى غياهب السجن وقيود الاعتقال ، وحراب سنغالية سوداء تفتك بالنساء والأطفال والرجال ، وكأنما تشهد بذلك حوادث « كاب بون » الأخيرة ، واضطهاد مرير يعانيه المراكشيون ، اضطهاد ومذلة تشهد بها مواخير منطقة « القصبة » فى الدار البيضاء ، حيث يعمرها بنات السادة والأشراف اللاتى شردهن الفرنسيون من جبال الأطلس والمدن المراكشية بعد ثورة الريف والثورات العديدة التى أتت فى أعقابها ولا تزال

ويحب كاتب هذه السطور أن يروى على سبيل المثال حادثة واحدة تشهد على « فضائل » الحضارة الغربية التى تنوى فرنسا أن تجعل إفريقيا العربية حصنا منيعا لها . فقد زرت مدريد منذ بضعة أشهر ، وأثار تطفلى أحد خدم فندق «ريتز» الذى كنت أقيم فيه ؛ فقد كان شيخا وقورا محنى الظهر ، فى عينيه مذلة وانكسار تبعث فى النفس الحنان له والرغبة فى مؤاساته . ولم يكن يعرف أننى عربى ، ولم أكن أعلم أنه من سادة قبيلة جليلة القدر فى جبال الأطلس المراكشية . ولما تم تعارفنا وأنفقنا الساعات يسرد على فيها مأساته السياسية ، وقسوة المنفى والتشرد على كرامته وشيخوخته ، لمحت أنه يخفى سرا لم أستطع استدراجه إلى الحديث عنه فى جلستنا الأولى ، فقد كانت كرامة الرجل وطيب محتده أعظم وأرفع من أن يعترف بسره الدامى إلى صديق عابر

سر وأى سر ! سيد فى قومه يوثق بالقيود ، ويشاهد الضباط الفرنسيين يفتكون بعرض بنته الصغرى ، ويتناولونها الواحد بعد الآخر ، ثم يرمونها كما لو كانت قطعة من العظم إلى الجنود السنغاليين، الذين كانوا يفتكون بامرأته فى حظيرة الدار. وقد وجد الرجل فى (مدريد) مصدرا للعيش ، ولكنه عيش ذليل ، يزداد مذلة كلما تذكر الرجل أن ابنته الآن عاهر فى ماخور ملحق بمعسكر فرنسى فى الساحل المراكشى . ولولا أن الانتحار محرم على المسلمين لما فضل هذا السيد الوقور الحياة يوما واحدا

ومع ذلك فدعوة فرنسا إلى جعل إفريقيا الشمالية حصنا منيعا للحضارة الغربية تجد — مع الأسف المرير — فى أوربا وأمريكا بعض الآذان الصاغية

وعلى قدر هذه الشناعة الفرنسية يتأجج حماس المغاربة العرب فى تحقيق السيادة القوميـة والتخلص من الاستعمار الفرنسى . ولذلك فإن كل ما يعترض هذه الحركات الوطنية فى تونس ومراكش والجزائر من عقبات ومصاعب ، لن تقوى على جعلهم حصنا للحضارة الغربية ، فالمسألة ليست مقصورة على كف أعزل يلاطم حربة حادة الرأس، فجوهر الصراع فى المغرب العربى يستند إلى أعمق ما فى المبادئ من معتقدات خلقية ودينية بالاضافة إلى المبـادئ السياسية والاقتصادية . ويبدو أن الامبراطورية الفرنسية قد أخطأت اختيار المكان والزمان لتحويل هذه المنطقة العربية الإسلامية إلى حصن منيع للحضارة الغربية .. فليست هذه هى المرة الأولى التى تواجه فيها العروبة والاسلام هذا النوع من الصراع الخلق والدينى

ومادامت العروبة والاسلام راسخين فى بلاد المغرب، ومادام الزمن يخدم الآن الشعوب العربية والاسلامية فى المعترك الدولى ، ومادامت دعائم « الحضارة الغربية » قد طوحت أو كادت تطوح بالوطن الفرنسى نفسه .. فإن زوال الامبراطورية الفرنسية أمر لا مفر منه حتى لو كان لهذه الامبراطورية سبعة أرواح. فروح واحدة شريفة المبدأ .. صقلتها الآلام والتجارب.. كفيلة بأن تعمر وتشهد هلاك هذه الأرواح السبعة

بقى أن يشارك العرب والمسلمون إخوانهم المغاربة فى هذا النوع من الصراع «الإمبراطورى» اللامين مشاركة جدية

نيويورك

عمر حليق

٣ - إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

جنة المأوى :

الله فى حسناء ذات عذار (جاوا) وربك جنة الأبرار
هذى الطبيعة قد بدت فى قاعها للقلب فاتنة وللانظار
جمت فأوعت من بدائع آيها سورا مفصلة وغير قصار
الله أكبر كم وراء جمالها أفق من السحر الحلال السارى
الله أكبر إنها من جنة الخلد التى وعد العباد البارى

هذه أبيات من قصيدة يتغنى فيها أحد الشعراء بجمال جاوة وسحرها ، وفيما يلى وصف لأشهر الجزائر الإندونيسية

جاوة أكثر الجزائر الإندونيسية عمرانا وسكانا وإن لم تكن أكبر مساحة . على أنه ليس معنى ذلك أنها جزيرة صغيرة جدا إذ تبلغ مساحتها ١٣٢٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ خمسين مليونا من الأنفس وهو عدد ليس بالقليل. فسكان مصر عشرون مليونا ، وسكان بريطانيا بأسرها أقل من عدد سكان جاوة وحدها

ويلاحظ أن هذا العدد من السكان جعل جاوة من أكثر جهات العالم ازدحاما بالسكان، فإن نسبتهم تقدر بنحو ألف شخص فى الميل المربع . وأنا أريد أن أصل إلى شئ آخر ، ذلك الشئ هو أن جاوة جزيرة غنية وفيرة الموارد كثيرة الخيرات .. وإلا ما استطاع هذا العدد الضخم من السكان أن يعيشوا فيها ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش إلا حيث تتوافر له سبل الحياة من مسكن وغذاء.. وهى جميعا موفورة فى جاوة

وجاوة جزيرة مستطيلة تقع عند خط الاستواء، وتتوسطها سلاسل من الجبال، وعتد على سواحلها الشمالية والجنوبية سهول خصبة يجرى بها عدد كبير من الأنهار، يتجه بعضها إلى الجنوب حيث يصب فى المحيط الهندى ، ويتجه بعضها شمالا حيث يصب فى بحر جاوة

والجبال فى جاوة جبال بركانية مما جعل تربتها غنية خصبة ، وقد ساعدت خصوبة التربة وغزارة الأمطار على وفرة الإنبات مما جعل جاوة من أغنى مناطق الإنتاج الزراعى فى العالم

ومناخ جاوة والجزائر الإندونيسية لطيف معتدل رغم وقوعها عند خط الاستواء ، ويرجع السبب فى ذلك إلى ارتفاع سطح الجزائر وإلى إحاطة البحر بها.. فقد خفف هذان العاملان من حدة الحرارة وجعلا المناخ لطيفا معتدلا

وجاكرتا عاصمة الجمهورية الإندونيسية وعاصمة جاوة، ويمكن أن تسمى قاهرة الشرق الأقصى ، فهى تشبه القاهرة إلى حد بعيد ؛ فكلتاهما تأخذ بأسباب المدنية الحديثة : عمارات شاهقة ، وسيارات فاخرة، وشوارع مزدحمة، ومحال تجارية كبيرة، ورجال ونساء يأخذون بأسباب المدنية الحديثة فى حياتهم وأزيائهم

وقد نمت جاكرتا كثيرا بعد الاستقلال وتزايد عدد سكانها واتسعت رقعتها ، وتعتبر مركزا هاما للطيران ، وهى سهلة الاتصال بباقى أنحاء جاوة وبباقى جزائر الإندونيسية والعالم، سواء بطريق البحر أم بطريق الجو

وفى جاكرتا فنادق ودور سينما ومطاعم من الدرجة الأولى، وفيها حديقة للحيوان وأحواض لأنواع السمك المختلفة وأماكن للألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها

وفى جاكرتا مدارس ابتدائية وثانوية وعالية وعدة كليات للجامعة الإندونيسية ، منها كلية الطب والحقوق ، وفيها متحف ومرصد يعتبر من أقدم المؤسسات العلمية فى جنوب شرق آسيا إذ يرجع تاريخ تأسيسه إلى ١٨٥٨

ومحطة الإذاعة بجاكرتا تملك أقوى أجهزة للارسال والاستقبال فى جنوب شرق آسيا ، وتذيع يوميا بسبع لغات

ويبلغ عدد سكان جاكرتا مليونين من الأنفس

سومطرا:

إحدى الجزر الكبرى.. ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا. وتبلغ مساحتها ٤٧٣٦٥٩ كيلومترا مربعا وسطحها جبلى، وفيها بحيرات وأنهار كبيرة تصلح للملاحة ، وبها مزارع كبيرة للمطاط والتبغ والشاى ، وبها معمل لتجفيف الشاى يعد أكبر معامل الشاى فى العالم على الاطلاق

ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، وعاصمتها ميدان دبلن وقد كانت هذه الجزيرة أول مهد الإسلام فى إندونيسيا

بورنيو :

أكبر الجزائر الإندونيسية بعد غينيا الجديدة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٣٩٤٦٠ كيلو مترا مربعا، ويتبع ثلثها الشمالى لبريطانيا، أما الثلثان الباقيان فقد كانا تابعين لهولندا ، وبعد الاستقلال أصبحا جزءا من الجمهورية الإندونيسية . ويبلغ عدد سكانها حوالى مليونين ونصف تقريبا ويشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة وصيد السمك ، وعاصمتها بانجارماسين

جزيرة بالى :

وتقع شرق جاوة ويفصلها عنها بوغاز بالى ، وهى جزيرة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٤٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ١٫٣٦٢٫٢٥٠ نسمة ومعظمهم وثنيون

وهذه الجزيرة مشهورة بطبيعتها الجميلة وفنونها وآثارها التى تجذب السياح إليها من جميع بقاع الأرض ، وممن زارها شارلى شابلن وبرنارد شو وويلز

ويعنى أهلها بالرقص بنوع خاص ، إذ يعتبر الرقص فى نظر سكانها جزءا ضروريا لحياتهم ولا عجب فى ذلك ، إذ أنهم يعتبرونه طقسا من الطقوس الدينية . والقرية التى لا تملك جوقة موسيقية أو فرقة راقصة تفقد احترامها وقيمتها فى عين السكان فيبادرون إلى تلافى هذا النقص ورفع هذا العار

هذا وصف مختصر للجزر الإندونيسية الهامة

إندونيسيا رايا :

قامت فى السنوات الأخيرة محاولات لإقامة إندونيسيا العظمى، وهى تهدف إلى جمع جميع الجزائر الإندونيسية تحت راية واحدة، أو بعبارة أخرى أن تكون الملايو والفلبين والجزر الإندونيسية الحالية دولة واحدة ، وبهذا التوحيد تبلغ مساحة إندونيسيا رايا ٩١٠٫٥٦٢ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٩٣٫٧٨٠٫٨٣٣ نسمة ، ٩٠ ٪ منهم مسلمون . حقق الله الآمال

الحياة الاجتماعية :

تمتاز الحياة الاجتماعية فى إندونيسيا بأنها حياة شرقية إسلامية، فالعلاقة بين أفراد الأسرة متينة، والتعاون بين السكان سواء فى القرية أو فى المدينة قائم . هذا وحياة إندونيسيا الاجتماعية مصبوغة بالصبغة الإسلامية إلى حد بعيد ، فالأخلاق الإسلامية تتغلغل فى نفوس الإندونيسيين تغلغلا عميقا ، فتراهم يكرهون الرياء والتظاهر ، ويتمسكون بالدين تماما

وفى أوائل القرن العشرين كانت الحياة العامة فى إندونيسيا من فكرية واجتماعية وسياسية فى حالة خمول وركود ، وما لبث الإندونيسيون أن تنبهوا إلى حقيقة مركزهم، فتكونت الجمعيات التى تهدف إلى الإصلاح، وكان فى مقدمتها الجمعية المحمدية وقسمها الخاص بالنساء المسمى بالعائشية ، وكان شعارها « قليل الكلام كثير العمل » وكانت ترفض الاعتراف بفرع لها إلا إذا قام بعمل اجتماعى ملموس مثل إنشاء جامع أو مسجد الخ

وبفضل نشاط المصلحين والجمعيات تنبه الوعى القوى فى إندونيسيا حتى حقق الله لها الاستقلال

والمرأة الإندونيسية لم تعرف الحجاب ولكنها كذلك لم تعرف الابتذال ولا الاختلاط المزرى، فلم تدخل حماما مختلطا ولا مرقصا ، ولم يستطع المستعمرون أن يفتحوا ماخورا واحدا فى البلاد !!

من أجل هذا أقبل الإندونيسيون على أفلام مصر السينمائية أول الأمر لأنهم يحبون مصر ، ولكن لما وجدوا فى الأفلام المصرية من ابتذال انصرفوا عنها وقاطعوها. وهكذا أضر مخرجو السينما بسمعة مصر وبمركزها !!

وقد قامت المرأة الإندونيسية بنصيبها فى ميادين النشاط الاجتماعى ، وكانت ما تزال مثلا كريما للمرأة الكريمة . ومن أعظم نساء إندونيسيا المرحومة رادين كارتينى ، فقد تزعمت حركة الإصلاح الاجتماعى ورسمت فى رسائلها « من الظلمات إلى النور » الخطة المثلى التى تسير عليها المرأة الإندونيسية فى جهادها الإصلاحى . وبفضل تعاون الإندونيسيين رجالا ونساء تحقق استقلالهم

للكلام صلة أبو الفتوح عطيفة

حول قبر الاسكندر

للأستاذ عبد المنعم مختار

« يقول المعاصرون بأن قبر الإسكندر نفس مسجد النبي دانيال نفسه إن لم يكن تحته والذي كان يدعى منذ القرن السابع عشر باسم مسجد سيدي الاسكندر »

رأي القدماء

إن المصادر القديمة تحدثنا بأن الإسكندر أوصى قبل وفاته بأن يدفن بواحة الإله آمون (سيوة) ولـكن بطليموس سوتير عمـل على دفنه بمدينة ممفيس حسب عادة المقدونيين في الدفن . وجاء بطليموس الثاني الفيلادلفي بعـد والده ونقل الجثـة إلى الاسكندرية ، وأخبرنا بوزنياس عن ثورة الرأي العام عليه واعتبر نقله إلى الإسكندرية إجراما وشناعة أكثر ممـا فعله بتزوجه بأخته أرسنيوي — لإقلاقه راحـة البطل العظيم في مضجعه الأخير — وكذلك لم يلق من بلاطـه وأعوانه أي استحسان لهذا النقل لحدث مثل هذا عظيم اعتبر في مصاف الآلهة . وابتنى له قبراً في غاية الفخامة والإبداع، وكان الضريح داخل الأرض، أما البناء الذي أقيم فوقه فـكان يشتمل على سلم للدخول كعادة المدافن والمعابد الإغريقية ، ثم فناء مربع هـو النـاووس (اوبيستودوم) ثم ممر طويل يصل إلى الضريح الموجود به النعش وقد ألحق به معبداً للـكهنـة القائمين بإجراء الطقوس الدينية : ثم تطوق المعبد أروقة دائرية شيدت في عصور متأخرة

ولما كان الاسكندر مؤسس الدولة الإغريقية فقد اتخذ الملوك مدافنهم حول قبره بعد حرق جثثهم كما حدثنا بوليب بالتفصيل ، وقد شيد فيلادلفيوس مدفنا لوالده سوتير ، ولنفسه ولزوجته . ويحدثنا كوريمون عضو متحف الاسكندرية في سنـة ٨٠ بعد الميلاد عن القبر بمخطوطه الذي نشره الدكتور بوتي ... أما قبره هناك فـكان مزينا بالرخام وهو مضجع في ناووس محفور اسمه على غطائه ، وحول نعشه قبور من الحجر السماق أقل فخامة من قبره هي قبور الملوك السبعة وزعيمهم بطليموس سوتير ...

ونخرج بنتيجة هامـة حققها ودرسها كل من الدكتور بوتي والأب [١] لويس ملحة في أن القبر [٢] كان في منطقـة صارت مدفنا ملـكيا بوسط المدينة

الآراء الحديثة

وجاءت الآراء الحديثة بجديد عن قبر الإسكندر كذب البعض دفنه بالاسكندرية والبقية التي حبذتهـا انقسمت على أنفسهـا إلى ثلاث فرق : الأولى في أن القبر تحت مسجد النبي دانيال وهذا ما سأناقشه تفصيلا، والآخر في منطقة المقبرة الشرقية ، ورأى آخر بعيد الاحتمال هو بالمقبرة الغربية

وإني أتقدم برأيي المتواضع وقد يكون على خطأ وقد يكون صائباً.. وإن كان فيه مسحة من الصواب فإنه ليقارب الآراء الأخرى البعيدة الاحتمال والتصديق

قيـل بأن قبر الإسكندر كان في [٣] منطقـة طريق السما المتقاطع [٤] مع شارع كانوب (النبي دانيال وفؤاد الأول) وهو يمتد من بحيرة مريوط جنوبا إلى شاطئ البحر الأبيض شمالا بالقرب من شبه جزيرة ممزل تيمونيوم والمـكتبـة ودار الحـكم والسوق والجنازيوم .. وقد ورد بأشعـــار هيروندااس وآراء الدكتور برتشيا بأن معبد السرابيوم ومسلات كليوباترة الشهيرة كانت بأول الطريق ، وإن بنهايته يوجـد منتزه بيوم . إذاً فقبر الإسكندر إن وجد فمن البداهة أن يطل على الميدان والمنتزة لـكي تظهر روعته ، وإن كان على الميدان فهل هـو عن يمين أو يسار الشارع ؟ يقول استرابون لوصفه القبر بأنه كان عن يمينه عند دخوله الإسكندرية . فهل دخل الاسكندرية عن طريق شارع السما من جهة البحر ؟ أم عن طريق الميناء الداخلي بمريوط ؟ إنه قد دخل بطبيعة الحال عن طريق السما ومنه [٥] فإن القبر عن يمينه أي يمين الشارع . والذي أراه عند تطبيق

(١) مجلة الجمعية الأثرية بالاسكندرية عدد ٢١ سنة ٢٥

(٢) مجلة كلية الآداب بالاسكندرية عدد ٤ ص ١٢٩ الأستاذ زكي علي ، تاريخ مصر الأستاذ إبراهيم نصحي

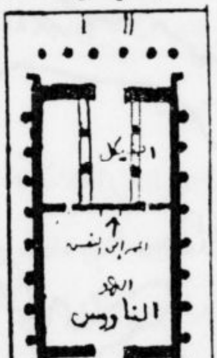
(٣) فؤاد فرج ــ الاسكندرية ص ١٧

(٤) Zoghed Etuds sur l'art Alexandrie

(٥) مجلة كلية الآداب عدد ٢ ص ١٦٢

مبادئ هندسة تخطيط المدن القديمة والرجوع إلى تخطيط (٦) المدن القديمـة كمدينة صور مثلا نجد أن القبر يوجد على الجهة اليمنى لوجود كثير من المخلفات ، منها مخلفات معبد على الطراز الدورى وأعمدة كورنثية بالجهة اليمنى من الشارع ، ولما توسع الملوك بنوا مقابرهم حول هذا الضريح كما يجزم الأستاذ زكى على ببحث له بمجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الثانى ، والدليل على ذلك وجود أعمدة بجوار مسجد سيدى عبد الرازق فى نفس الشارع وهى ولا شك معابد تكميلية لقبر الاسكندر أو المعبد ذو الأروقة الدائرية التى بجوار القبر . والذى يرجح هذا الرأى وجود بقايا مقابر ملـكية اكتشفتها البعثة الفرنسية بالقرب من ذلك المـكان (مسجد العطارين — وشارع محطة مصر القديمة) والعثور على ناووس ينسب إلى الاسكندر والذى أدى إلى رأى الأستـاذ إلن ويس (٧) المشهور عن عصر الاسكندر ودفنه فى تابوت نقل من قبر أمير فرعونى من الأسرة الثلاثين

معبد ومقبرة الاسكندر



رسم تخطيطى للمعبد
مقياس الرسم ١:٢٠٠

القرن السادس عشر

ذكر الرحالة مارمول بأن قبر الملك إسكندر يقع على (٨) بعد ٣٠٠ متر من كنيسة القديس مرقص الموجودة بشارع النبى دانيال ، وعند التطبيق نجد أنه لاينطبق قياسيا على مسجد النبى دانيال، ثم إن المقياس إن عين مكانا وكان صحيحا فى تعيينه مكان القبر فهو لم يذكر هل المـكان يوجد عن يمين أو يسار المـكان المتخذ مبدأ للقياس . واستنادا (٩) على رأى الدكتور بوتى فى أن القبر يوجد بالجهة اليمنى وبوسط المدينة ، ومن الحفريات التى أجراهـا الأستاذ (١٠) حسن عبد الوهاب بمنطقـة المسجد ، وبالرجوع إلى أبحاث كل من الأستاذ(١١) أرتراين أمين متحف فيكتوريا وابرت الدكتور (١٢) الن ويس المنشورة بنفس المجلة يتضح بأن منطقة القبر والمسجد والقبر هى من بقايا العصور العربية القديمة..وقد فصل الأستاذ حسن عبد الوهاب فى المسألة بأن القبر ليس موجوداً بتاتاً بهذا المـكان وخرج إلى التأكيد بأن منطقة كوم الديماس (كوم الدكة الحالية) كانت مقبرة إسلامية منذ القرن الثالث الميلادى

هل كان قبر الاسكندر معروفا فى العصور القديمة ؟

إن يد التخريب قدأحدثت بهذا الهيكل كثيرا من الآثار ، فقد سلب بطليموس الحادى عشر تابوت الإسكندرالذهبى وبدله بآخر من مادة زجاجية (وقيل من نوع(١٣) من الرخام الشفاف جدا) كما زادت كليوباترة الأخيرة على فعل سلفها بأن سلبت المقبرة كل ما هو ثمين . ولم يقتصر الغزو الأجنبى على فتح وتدمير البلاد، بل عمل على سلب محتويات المقابر . وفى القرن الثالث انقادت الثورات بالحروب الدينية ضد الوثنية والحرب العامـة لتفكك الامبراطورية الرومانية فنالت الاسكندرية منه الأهوال ومنهـا المقابر الملـكية التى أصبحت أثرا بعد عين (لمـا هو معروف عن تعصب المسيحيين الأوائل ضد كل ما هو وثنى) حتى لنجد القديس (١٤) يوحنا فى خطبة ألقاها فى ختام القرن الرابع يتساءل « خبرونى أين يوجد قبر الاسكندر »

---

(٦) كتيب مدينة تدمر (وزارة المعارف السورية)
Gardiner objmpio. oxford 1925 delphes. pierre de la coste. Menettere Picard la saulfture Antique de Findies, Paris 1943

(٧) ص ٤ مجلة كلية (لارب بالإسكندرية عدد ٤)

(٨) الأب لوس جلوب . مجلة الجمعية الأثرية عدد ٢ الإسكندرية فؤاد فرج ص ٧٠

(٩) مجلة كلية الآداب عدد ٢ ص ١٦٢ . حولية المتحف الرومانى

(١٠) تاريخ المساجد الأثرية . ١٩٤٦

(١١) مجلة كلية الآداب عدد ٥ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(١٢) نفس المجلة عدد ٤ ص ١٠

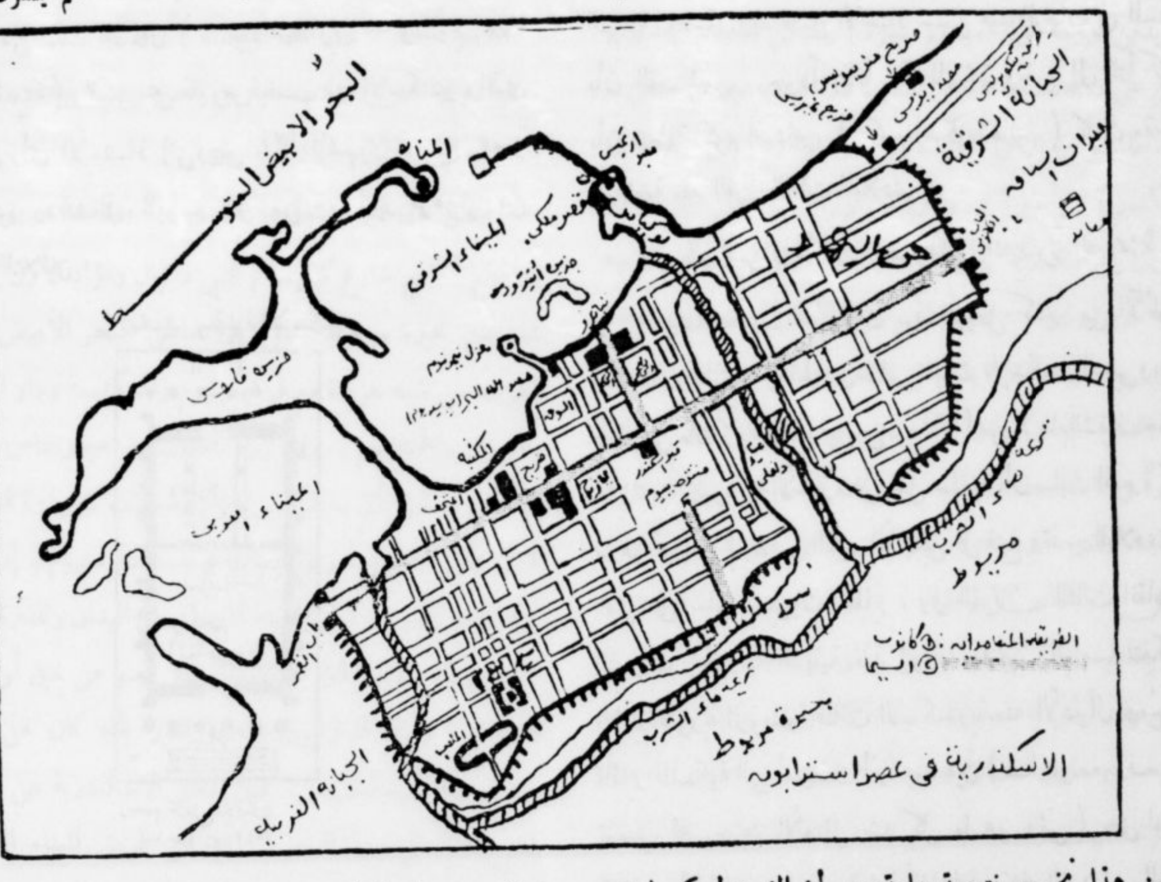
(١٣) نفس المجلة عدد ٢ص١٦٢ الأستاذ زكى على

(١٤) تاريخ الأمة القبطية . ا ل نصر ١٩٠١ ميلادية مجلة الجمعية الأثرية للسكية

وهناك مصدر آخر هام وهو كتاب جغرافية مصر (١٥) لأميلينو يقول ... إنهم عند ما كانوا ينزعون الأنقاض من المكان المسمى بكوم الديماس (كوم الدكة) عثروا على أدوات من الذهب يرتقى عهدها إلى عهد الاسكندر وذلك عند بناء كنيسة هناك باسم النبى إيليا ويوحنا فى زمن توفيل بطريق الاسكندرية فى القرن الرابع ... ومن قوله يتضح بأن بقايا القبر كانت موجودة بكوم الديماس ، فهل نزعت تلك الأنقاض من تحت التل — الذى نشأ فى عصور تلت بناء المقبرة فغطاها — لبناء تلك الكنيسة وهى التى تكبد مجهوداً جباراً فى إزالة الأتربة للوصول إلى تلك الأنقاض فى مستوى المدينة القديمة .

ومن هذا نخرج بنتيجة هامة وهى أن المؤرخ لم يكن له قصد معين فى تعيين مكان رفع الأنقاض والتى ولا شك انتزعت من المكان القريب جداً، الذى يكاد يقارب بناء الكنيسة الموجودة على التل والتى بنيت عليه ثم قام على أنقاضها على مر الزمان مسجد يعرف باسم النبى والملك اسكندر ، ولقربه من قبر الاسكندر سمى بهذا الاسم

(١٥) جغرافية مصر



هل القبر تحت مسجد النبى دانيال ؟

اتضح من البحث أنه لا أصل لتسمية المسجد باسم النبى دانيال لأن هذا النبى الكريم دفن ببلاد العيلام بمدينة السويس كما هو وارد فى الكتب المقدسة وطبقاً لتحقيقات كثيرة تفيد ذلك ، منها رأى فضيلة الأستاذ بشير الشندى المسهب . وهذا المسجد لم يظهر للوجود إلا فى خلال القرن السادس عشر تقريباً . ولم يذكره أحد من المؤرخين والرحالة من العرب قبل ذلك التاريخ علما وهم معروفون بذكر التفاصيل والاطناب وذكر الروايات المتعددة والمصادر المتضادة . فلم يتعرضوا لهذا المسجد ولو بإشارة بسيطة مما يدل على عدم وجوده فى تلك الفترة من الزمن — فالحافظ السلفى وصف كوم الديماس بأنه مقبرة إسلامية، وجاء البلوى فى القرن السادس الهجرى فوصف المدينة وآثارها والفنار ولم يتعرض لذكر المسجد . ثم تلاه ابن جبير (١٦) والبغدادى (١٧) اللذان وصفا كل آثار الاسكندرية

(١٦) رحلة ابن جبر

(١٧) كتاب الإفادة والاعتبار

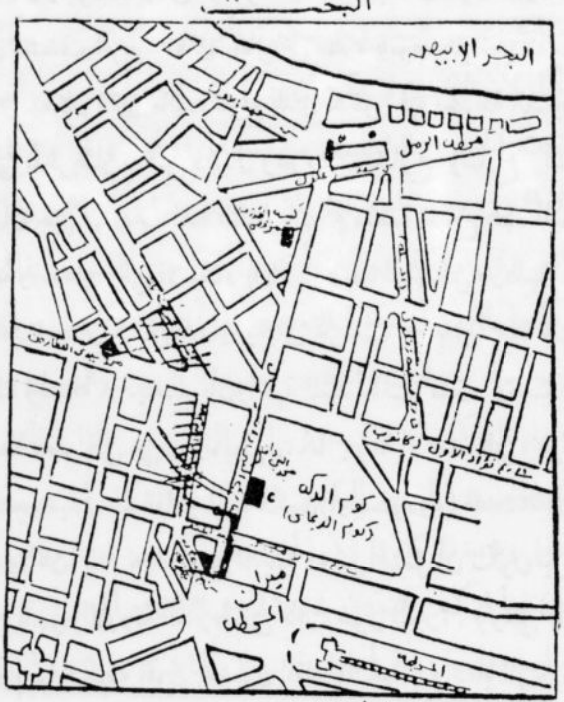
عدا المسجد وكان يستحق بعض عنايتهم إن وجد. ثم جاء بعدهم مؤرخو القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى مثل ياقوت(١٨) والمقريزى (١٩) والسخاوى (٢٠) وغيرهم وكانت أخبارهم سلبية عن المسجد. حتى إن الرحالة الأجانب فى تلك الفترة الذين وصفوا دقائق المدينة وخباياها لم يتعرضوا بأى إشارة عن المسجد والقبر مثل سبرباك دى إنكوناه، وليون الافريقى. ثم جاء الرحالة مارمول فى منتصف القرن السادس عشر فذكر أن قبر النبى إسكندر كان فى وسط المدينة بين الخرائب قريبا من الكنيسة المرقصية المجاورة لمسجد النبى دانيال والمسافة بينهما ٣٠٠ متر اى أن هناك قبر الملك والنبى إسكندر وقبر النبى دانيال. وهذا دليل على أن القبر ليس بمسجد النبى دانيال

ومن الوقائع السالفة نخرج بنتيجة هامة جد وهى أن القبر زال من الوجود منذ القرن الرابع الميلادى. ثم إن المؤرخين العرب لم يتعرضوا لشئ غير موجود حتى ظهر أخيرا بعد أحد عشر قرنا باسم النبى اسكندر فى عصر المماليك. فليس من المعقول إن كان المسجد موجودا أن يتجاهله القوم أحد عشر قرنا من الزمان لم يتعرض له فى خلالها أى مؤرخ

فى العصر الحديث :

وفى القرن الماضى ادعى أحد تراجمة القنصلية الروسية أنه وجد سردابا تحت مسجد النبى دنيال ومنه شاهد ناووس الملك الزجاجى وحوله قراطيس وكتب من البردى. والظاهر أنه قد قرأ قول استرابون فى وصف المقبرة، حتى إن محمود الفلكى باشا عند ما عين المكان وجد أنه مملوء بالحجارة وقطع الرخام علاوة على الرطوبة التى تتلف الكتب (وهذا المكان هو قباب وصهاريج ماء رومانية) ثم إن هناك رأيا آخر فى أن التابوت من مادة رخامية شفافة جدا وليس بزجاج فكيف ادعى الترجمان بأنه من الزجاج ؟ جاء الأستاذ حسن عبد الوهاب وأجرى حفرياته عند ترميم المسجد فوجد صهريج ماء ملاصقا للايوان العربى المسجد وأجرى فيه وفى منطقة حفريات (الصهريج وطابقيه ومسارب مائه الثلاثة) فظهر بأن تلك المنطقة مقامة على مقبرة إسلامية ثم وصل إلى مستوى المدينة القديمة فلم يجد أى دليل على وجود ما ينم عن وجود مبانى إغريقية حتى ولا بقايا كنيسة النبى إيليا التى بقيت بالقرن الرابع فى نفس المكان. والظاهر بأن هذا الترجمان قد وجد ممرا ولكنه غير قبر الاسكندر وربما كان أحدى هذه الصهاريج المنتشرة بهذا المكان

خريطه لموقع المنطقة الاثريه التي يدور حولها البحث



خريطه الموقع



ويتضح بأن قبر الاسكندر موجود بمنطقة السيما ولكنه

---

(١٨) معجم البلدان
(١٩) المواعظ والاعتبار
(٢٠) تحفة الأحباب

ليس تحت المسجد لأن المسجد وأساسه وطراز مبانيه إسلامية ، وبرغم أن شكل القبرة والمسجد غريب عن الطراز الاسلامى فالدكتور بريشيا يرجع أصل المسجد إلى تلك الكنيسة الرومانية القديمة، ولذا كانت مؤثرات المسجد المعمارية غريبة عن الفن الاسلامى

أين مكان القبر الآن بالضبط ؟

بالرجوع إلى أصول (٢١) تخطيط مدينة الاسكندرية الذى أجراه دينوكرات والمقارنة بآراء المهندس هيبوداموس فى ذلك الفن ومن التطبيقات والآراء التى (٢٢) بحثها الأثريون عن احتمال وجود المقبرة فى مركز المدينة — نجد أن الإسكندر دفن فى منتصف المربع الذى يطل على منتزه بيبوم من الجهة اليمنى — ومكان القبر حاليا المربع الذى تدخل فيه الحديقة الصغيرة التى بآخر شارع النبى دانيال وجزء من الشارع وشارع كنج عثمان حتى مبانى مصلحة التليفونات ثم منطقة شارع عبد المنعم وما وراءها . ومن الاستناد إلى الآثار وبقايا المبانى التى عثر عليها عند تخطيط ميدان المحطة والميدان والباقى جزء منها — بقايا أعمدة تحت تلك الحديقة — يتضح بأن واجهة المعبد كانت منتزه وميدان محطة مصر التى هى منتزه بيبوم . أما مجموعة الأعمدة التى بجوار مسجد سيدى عبد القادر فإنها تكون (أوبيستودوم) Opistodome الذى كان يقام به الطقوس الدينية ، ومن المحتمل أن تكون جزءا من البهو والأروقة الدائرية التى كانت حول المقبرة . (والتى كان يقوم بها الكهنة الذين يخدمون المقابر الملكية) والبقايا الموجودة على يمين المقبرة بالمطازن وشارع محطة مصر القديمة وشريف على بقايا مقابر الملوك السبعة

ومن وصف المقبرة الذى أوضحه استرابون يتضح بأن الضريح والمعبد يقارب طراز (٢٣) معبد البارثينون من حيث الفناء المربع وأن السلم المرتفع الذى يتبعه البهو مباشرة يشابه معبد la fortune virile theseion فى طرازه

هذا هو رأيى وقد يكون على خطأ ولكن فيه أجزاء كثيرة على صورة صحيحة

وهناك رأى له وجاهته اضطررت إلى التحقق من مناهج بحثه ودراسته ويقدمه المهندس السكندرى جان نيقولا بيدس. وهو « أن قبر الإسكندر ليس فى منطقة السما إذ ليس من المعقول وجود مقابر الملوك فى حى الأعمال بالقرب من التياترو والسوق والمكتبة والجمنازيوم بل هو فى حى الدلتا (حى الدلتا) الشرق بالقرب من الباب الكانوبى حيث معابد إيزيس وضريح مثلا رنيوتيس وتميزيس حيث المقبرة الشرقية المشهورة بالقرب من قبر كليوباترة وأنطونيوس كما يذكرنا به ديوكاسيوس »

وقد استند المهندس على أدلة فى تاريخ هندسته من تاريخ تخطيط المدن القديمة بعد دراسة عشرين عاما وقد استعان بقول استرابون السالف الذكر « أن قبر الإسكندر على يمينى عند دخولى المدينة.» والذى يعضد رأيه أن المصادر التى استعان بها تذكر لنا أن القبر بالقرب من قبرى كليوباترة وأنطونيوس القريبة من معبد إيزيس الموجود برأس لوكياس (السلسلة حاليا) حيث مقابر ضاحية اليوسيس والحى الملوكى وحيث مقابر الأكابر والعظماء . فهل من المعقول دفن الإسكندر فى منطقة السما البعيدة فى داخل البلاد بالقرب من السوق ؟ أم بالقرب من مدخل المدينة ألا وهو الساحل

وإن رأيه فى قول استرابون يمكن تطبيقه على مكان القبر بالقرب من مدخل المدينة من الجهة اليمنى إن دخل عن طريق البر، والمعروف عنه أنه دخل عن طريق البحر لاستعماله فى الوصف.. البحر حدا شماليا لها . وقد عين المهندس مكان المقبرة بالشارع الذى يفصل مقابر الكاثوليك عن الأروام بالشاطبى

وإن العثور على قبر صديق للاسكندر وقائد من قواده بتلك المنطقة والعثور على مقابر فى سنة ١٨٦٦ بالقرب من الباب الكانوبى الملاصق لسور المدينة القديم فى الشمال الشرقى حيث معابد دعيتر الذى بناها بطليموس الثانى والتى تخص المبموثين الدينيين واكتشاف مقابر لأكابر الجند فى نفس المنطقة محفورة فى الصخور ومكتشفها هومارت دينيسيون ١٨٩٤ والكونت دى زغيب ١٨٩٢ تؤيد قول الأستاذ نيقولا بيدس — وإن كان لم يعتمد على تلك المراجع — من أن المقبرة الشرقية جزء من مدافن العظماء لأنها المكان القانونى للدفن حسب الطقوس والتقاليد اليونانية .

21. Suard Essais sur l'indendification des monuments d'— Alexandrie 1895

22. Gauthier un nouveau decret trilingue stalémaque paris 1932 Gardiner obymfia oxford 1925

وهذه الآراء تؤيد رأيه نظريا ولكنها ليست أدلة يقينية واضحة بل نظريات هندسية استنتاجية ، فإن كانت تتطابق في مدن أخرى . فإن ظروف مدينة الإسكندرية من حيث الظواهر الطبيعية تخالف ذلك . فأرض المدينة رملية — فأنى للبنائين القدماء حفر تلك المقابر العظيمة في باطن الأرض والتي أصبحت من الشروط الأساسية في طقوس الدفن عند البطالسة والرومان

وهناك رأى آخر لا أجد بدا من سرده ، هو أن المستر ألن رو مدير متحف البلدية سابقا يرى أن الاسكندر دفن بالمقبرة الغربية حيث المدينة الرومانية، وقد أخبرنا استرابون بأن تلك المنطقة كانت مروجا ترعى فيها القطعان. وأظن أنه ليس هناك أدلة منطقية تعضد هذا الرأى. والأمر الطريف أن الأستاذ ألن ويس يقول إن الإسكندر دفن في منطقة مسجد العطارين واستشهد بالعثور على تابوت منهوب) ولم أجد عبارة أخرى مخففة أقدمها للقارئ) ومسروق من إحدى مقابر ملوك الأسرى الثلاثين ودفن به فكأن الإسكندر ذلك الغازى الجبار افتقر إلى تابوت من الحجر فما بالك بتابوت من الذهب

هذا هو مجمل الآراء التي قدمتها ومن ضمنها رأيي . وعساى أن أكون قد وفقت في المساهمة في كشف النقاب عن قصة قبر الإسكندر ، تلك الألغاز المجهولة لمؤسس مدينتنا المحبوبة الاسكندرية . ثم هذه هي مشكلة قبره الذي أبى علينا الزمان التشرف بمعرفة أخباره فما بالك برؤيته

المراجع الفنية

(١) مجموعة كبيرة من الخرائط عن المدينة القديمة من ممتلكات قسم الخرائط بمكتبة الفنون الجميلة بمتحف فاروق الأول للفنون الجميلة المتحف الروماني

(٢) الحفريات التي أجريت بالمدينة منذ ١٨٥٠

عبد المنعم مختار

هلن كلــــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحــداد

حقا أن هلن كارن الدكتورة في العلم والفلسفة أعجوبة أمريكية تفوق جميع عجائب أمريكا التي هي مجموعة عجائب العالم في هذا العصر

هذه مرأة مرضت في النصف الأول من عامها الثاني ففقدت جهازي عصبها البصري والسمعي فأصبحت عمياء صماء بكماء . بكماء لأن الإنسان لا يمكن أن يتكلم إذا لم يسمع ، يعني أنها فقدت الحاستين الرئيسيتين من حواسها الخمس ، فلم يبق لها إلا الذوق وهو حاسة يندر أن تستفيد منها في التفاهم ، وحاسة الشم وقد تستفيد منها جزءاً يسيراً جدا من الفهم والتفاهم . وحاسة اللمس أو حاسة التحسس في أناملها وكفها وظاهر جسمها . ولذلك انتقلت حاستا البصر والسمع إلى أناملها وكفها وسائر بشرتها ثم إلى جميع بدنها . فأصبح التحسس هو الشعور الرئيسي عندها ، وإنما كان لها من قوة العقل وشدة الذكاء ما يمكنها أن تقرأ وتكتب (بقلم الرصاص) ، وأن تقرأ في كتب العميان بلمس الحروف الناتئة، وأن تقرأ نقرا من أصابع معلمتها وسائر أهلها وذويها ، وتخاطبهم بحركات أناملها على أكفهم . وأخيرا تعلمت أن تلفظ الكلمات التي يفهمها الذين يلازمونها ويباشرونها

هذا ما يدهش له الناس في الغرب والشرق ويعجب به الأميركان وهم منشئو أميركا الحديثة أم العجائب ، فلا بدع إذن أن ندهش نحن إذ نرى هذه المرأة وهي تخاطبنا عن يد سكرتيرتها وأن لا يصدق بعضنا أنها عمياء صماء ، وأن يظنوا أنها أعجوبة أميركية للدعاية ، وليس في الدنيا فكرة أسخف من هذه الفكرة

أجل هي أعجوبة الزمان . وربما كان أعجب منها أو مثلها عجباً معلمتها السيدة سوليفان التي لازمتها ١٦ سنة إلى أن أخذت درجاتها العلمية العالية

مس سوليفان مولودة فى سبرنفيلد من ولاية كاستشوتس التى فيها مدينة بوسطن المشتملة على جامعة هرفرد المشهورة . وهذه السيدة فى أول عمرها أصيبت بمرض أفقدها بصرها ، ولكنها لم تدخل معهد العميان إلا فى الرابعة عشرة من عمرها . وبعد حين عاد إليها بعض بصرها ، وبقيت فى المعهد إلى أن أتمت علومها وبدا منها ذكاء حاد باهر ، وقدرة فائقة على التعلم والتعليم ، وبعد نهاية دراستها اتفق أن طلب الكبتن آرثر كلر أبو هلن إلى الأستاذ أجنوس رئيس هذا المعهد يرجو منه أن يرشده إلى معلمة لابنته ، فأرشده إلى مس سوليفان هذه

والكبتن آرثر كلر من قرية توسكومبيا من ولاية آلاباما وله هناك أملاك واسعة يستغلها . وله غير هلن ابن يدعى بجايمس وابنة صغرى تدعى ميلرد . وزوجة تدعى كايت أدمس وقد تزوجها أرملا وهو أكبر منها سنا

ورحبت أسرة كلر بسوليفان ترحابا حارا . وكانت هلن بين الخامسة والسادسة من عمرها ، فرأتها مس سوليفان طفلة مملوءة حياة وعافية ، جميلة الطلعة مشرقة المحيا ، ولها عينان كأنهما زجاجتان، ليس فيهما عيب (لأن العيب فى المركز البصرى فى الدماغ) ورأت أنها كثيرة الحركة تجرى من مكان إلى مكان بلا انقطاع . وتلمس كل شىء ولا يندر أن تكسر الآنية التى تعبث بها أو تتلف المتاع الذى تمسكه

فى أول الأمر تهيبت مس سوليفان تربية هذه الطفلة وتعليمها . ولكن لما لها من دراية بهذا الصنف من الناس الناقص الحواس ومالها من الحذق فى تربيته ، وما استشفته من الذكاء فى هلن عزمت على أن تجعل منها إنسانا فائق الخواص والصفات ، وقد جملت رأت أنها صعبة المراس جدا شديدة القدرة بالغة النشاط ، وأنها ما دامت بين أهلها يصعب ترويضها وتدميثها ، فانتقلت بها إلى منزل صغير لأهلها فى أرض لهم لا تبعد أكثر من ميلين عن توسكومبيا ، وأقامتا وحدهما هناك ، وكان الطعام يرسل إليهما من البيت كل يوم ، ولكنهما ما لبثتا هناك أكثر من أسبوعين فعادتا إلى البيت

ورأت سولفيان أن تطويعها بالقوة والعنت يزيدها شكاسة وعنادا وشراسة فقررت أن تملكها بالمحبة ، فكانت تهبها كل يوم ما توده من كعك وفاكهة ولعب أطفال ، وكان أهلها يتفاهمون معها بإشارات تعودوها ، فتحسنت عشرتها قليلا . وقررت المعلمة أن تعلمها الحروف الأبجدية بكتابتها على كفها بأصابعها ، وأول كلمة أدخلتها فى عقلها بالكتابة كلمة لعبة doll إذ رسمت الحروف على كفها ثم أعطتها اللعبة . ثم أخذت اللعبة منها وجعلتها تطلبها بكتابة الحروف على كفها (كف المعلمة) ثم كتبت المعلمة بأصابعها على كف هلن كلمة « كعك » وأعطتها كعكة ، وهكذا فعلت فى إعطائها اللبن ووعاء اللبن الخ

وكان لهلن ذكاء عجيب فما علمت كلمـــة إلا حفظتها حالا ولا تنساها ، الأمر الذى سهل على المعلمة مهمتها جدا . وبدأت هلن تفهم أن لكل شىء اسما يرسم على كفها . ثم شرعت تعلمها الأفعال مثلا : شرب ، أكل ، جاء ، راح ، فكانت إذا جاءت ترسم على كف معلمتها كلتى : «لبن . هلن» فتصحح المعلمة الجملة هكذا : «هلن تريد لبنا» ثم «هلن تريد أن تشرب لبنا»

على هذا النحو نجحت المعلمة فى تعليمها فى شهر واحد مئة كلمة، وما وجدت صعوبة إلا فى تعليمها الأسماء المجردة عن المادة كالحب أو الشر أو الطيب أو السرور . وفى آخر السنة كان رأس مالها تسعمائة كلمة ، وهو قدر كاف للتفاهم والتدرج فى كسب كلمات أخرى

وعلمتها فى خلال ذلك قراءة كتب العميان الابتدائية ثم الكتب الأخرى فنجحت بسرعة فائقة حتى صارت تقرأ الكتب الراقية . ثم علمتها أن تكتب حروف العميان بواسطة الآلة الكاتبة للعميان فبرعت عاجلا وصارت تكتب بها ما تريد أن تقوله وماذا يمنع أن تستعمل الآلة الكاتبة التى يستعملها المبصرون ، فما لبثت أن صارت تكتب بها ما كانت تكتبه على الكف ، صار هذا بعد أن دخلت معهد بركنز للعميان

أما كيف صارت تكتب بيدها بقلم الرصاص الكتابة التى يكتبها الناس فأنقل رسالتها بهذا الصدد إلى مجلة سنت نيكولاس فى يونيو سنة ١٨٩٢ وكان عمرها حينئذ ١٢ سنة

« عزيزى محرر مجلة سنت نيكولاس

« يسرنى جدا أن أرسل إليك خط يدى لأنى أود أن يعرف الصبيان والبنات المبصرون الذين يقرأون مجلة سنت نيكولاس

كيف يكتب العميان . وأظن أن بعضهم يستغربون كيف نكتب السطر معتدلا لا اعوجاج فيه . عندنا لوحة مسطرة سطورا منخفضة قليلا نضعها بين الصفحات حين نكتب . فالخطوط المتوازية فى اللوحة تجرى عليها السطور . فحين نضغط بقلم الرصاص على السطر المنخفض يبقى السطر معتدلا . فنرسم الأحرف الصغرى فى القلم المنخفض والأخرى المرتفعة ترتفع إلى فوق القلم والأخرى ذات الذيول إلى تحت القلم . نمسك القلم باليد اليمنى ونرشدها بإبهام اليد اليسرى لكى نعلم أننا نرسم الحروف فى مواقعها بلا ضلال . فى بادئ الأمر تصعب الكتابة جدا على هذا النحو ، ولكن بالممارسة والمواظبة تصير سهلة جدا ، وحينئذ يمكننا أن نكتب رسائلنا إلى ذوينا وأصحابنا . إن الذين يزوروننا يودون أن يروا الطلبة العمى كيف يكتبون »

وقد نشرت مجلة آخر ساعة نموذجا من خط هلن فكان آية فى الإتقان والجمال واعتدال السطر

ولم تدع المعلمة سوليفان وسيلة للتفاهم إلا علمتها إياها . ومن ذلك أنها علمتها نطق الكلمات وإن كانت لم تسمعها ، وطريقتها أنها تضع أصابعها على فم المتكلم وإبهامها على حنجرته وتجتهد بعد ذلك أن تقلد حركات فمه وحنجرته فتصدر اللفظ مشابها لصوت المتكلم ولكن ليس بوضوح تام . وهذا يستلزم أن تعرف كل كلمة صوتية تقابل الكلمة المخطوطة بحروف العميان أو المنقورة على كفها بأصابع معلمتها ، ولا يخفى ما فى هذا من العنت والصعوبة ، ولكنه يقضى حاجة أحيانا . فأحيانا تتكلم هلن جملة لا يفهمها السامعون ولكن معلمتها أو سكرتيرتها تفهمها وتقولها للسامعين . وقد تعلمت هنا فى مصر أن تلفظ جملة « السلام عليكم »

قرأت كتابها « قصة حياتى » ، وهو يشتمل على ثلاثة أقسام : —

الأول تاريخ حياتها ، والثانى معظم رسائلها التى أرسلتها لأساتذتها وصواحبها وذويها بخط يدها بالحروف المعروفة على الطريقة المشروحة آنفا . والقسم الثالث تقارير المعلمة مس سوليفان التى كانت ترسلها كل حين بعد آخر إلى مس صوفيا هوبكنز الموظفة فى معهد العميان ومنها تتصل بالأستاذ أنا كنوز مدير المعهد . وهذا القسم هو أقصر الأقسام الثلاثة ولكنه أهمها ؛ لأنه تبسيط لكيفية تعليم هلن ووصف لسلوكها وأعمالها

ولما نجحت مس سوليفان فى التفاهم معها بالأصابع وبالكتابة وبالضرب على الآلة الكاتبة للعميان أدخلتها إلى معهد بركنز للعميان . وبقيت تلازمها حتى انتهت من العلم هناك . وإذا كانت تضرب الكلام على آلة العميان الكاتبة فلا مانع من أن تضرب الكلام بالكتابة العادية على التيب ريتر الذى نستعمله نحن

نعم إن هلن محرومة حاسة السمع ولكن جسمها يحس باهتزازات الأصوات وبارتجاجات الدوى فهى من هذا القبيل أرهف إحساسا من السامعين والبصرين

فى ذات يوم حضرت سباق كرة القدم بين جامعتى هرفرد وبابيل ، وتقول فى إحدى رسائلها إنه كان فى ذلك المكان نحو ٢٥ ألف نفس . وكانت تحس بدوى التصفيق الهائل . قالت كدنا نخرج من جلدنا لشدة وقع الدوى علينا . وكنا نظن أننا فى ساحة حرب

وفى يوم أحد كانت هلن ومعلمتها فى نيويورك وحضرتا الصلاة فى كنيسة القديس برتولومبيوس . وكان الواعظ دكتور جريز يتكلم ببطء وكانت سوليفان تنقل إليها كل كلمة تقريباً . وبعد نهاية الصلاة طلب هذا الواعظ إلى المستر ورن الذى يعزف على الأرغن أن يعزف شيئاً لأجل خاطر هلن . ووقفت هلن فى وسط الكنيسة تماماً حيث تكون ارتجاجات ذلك الأرغن العظيم قوية . تقول هلن : وكنت أحس أمواج صوت الأرغن تصدمنى كما تصدم أمواج البحر السفينة

ويوم كان أهل هلن ينتظرون المعلمة سوليفان كانت هلن تشعر بحركة غير اعتيادية فى البيت وأن هذه الحركة لاستقبال شخص . وإذا كان أبوها قادماً فى عربته تشعر بقدومه . كان إحساسها البدنى يفوق إحساس البشر . وهنا فى مصر كانت تعرف حين يصورها المصورون لأنها كانت تشعر بصدمات النور اللامع لوجهها وبدنها ... وسئلت مرة كيف تشعر بالتصفيق الشديد فقالت أحس الأرض تميل تحت قدمى

وفى معهد بركنز استعدت هلن للدخول فى كلية ريدكليف لكى تدرس بكالوريوس علوم ، فكتبت إلى رئيس الكلية أن

الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفني داود

— ٢ —

عرفنا أن الأمثال واللغة الحديث توءمان . وأن هذين التوءمين — وحدهما — استطاعا أن يسايرا الحياة على ما فيها من خير وشر ، وما فيها من فصاحة مقبولة وهجنة ممقوتة ، ثم هما استطاعا أن يكشفا عن أصول العربية الفصحى تارة ويحملا رواسب العامية الإقليمية الطارئة تارة أخرى ، ثم هما إلى جانب هذا وذاك يستجيبان للحياة ويعيشان في نفوس الناس، ويمثلان كل ما طرأ على اللغة من نماء مطرد وتطور مستمر يدل دلالة قاطعة على أن اللغة كائن حي يعيش ويتطور كغيره من الأحياء

إذا عرفنا كل ذلك فإننا بلا شك نستطيع أن نحدد موقفنا من العربية إذا أردنا أن نأخذ بزمامها ، وأن ندفعها إلى الصف الأول الذي كانت تحتله في صدر الإسلام — يوم كان القرآن وكانت الفصحى وقبل أن تختلط بالعجمي وتصاب بما أصيبت به من رواسب اللغات الإقليمية سواء في مقاطعها وإعرابها وتراكيبها

فقد هبطت اللغة العربية — بعد أن خرجت من الجزيرة — في أقاليم جديدة لم يتكلم أهلها بالعربية من قبل . وانتشرت في هذه الأقاليم بسرعة عجيبة لم يعهد تاريخ اللغات مثلها . وساعدها على هذا الانتشار أنها كانت تحمل لواء الدين الجديد في يمينها ، والانقلاب السياسي والتحول التاريخي الأكبر في يسارها . ولكن هذا الانتشار — على الرغم من كل هذه السرعة — لم يتم في يوم وليلة وإنما كان نتيجة تفاعل مستمر بين اللغتين « الغازية » و « المحلية » دام وقتا من الزمن تحققت فيه الغلبة — تارة — للغة الغازية التي فرضت نفسها في مصر وبلاد المغرب وتخوم العراق والشام ، على حين استمسكت أقاليم أخرى كالهند وبلاد فارس بلغاتها المحلية بعد أن اعتصمت بعوامل كثيرة حفظت لها طابعها القديم وأبقت عليها كيانها وثقافتها . وهي عوامل كثيرة نترك الحديث عنها إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة اللغة ومقوماتها ، ولكن الشيء الذي لابد من ذكره أن العربية استطاعت أن تترك أثرها في كلتا الحالتين لأن « الأثر » نتيجة حتمية لـ « المؤثر » مهما كان ضعيفا ، كما أن « التفاعل الكيماوي » نتيجة حتمية لـ « المواد القابلة للتفاعل » مهما اختلفت كيانها

ففي مصر تغلبت العربية على اللغة القبطية ثم تفاعلت بلغات أخرى كالفارسية والتركية . ولا زلنا نرى آثار هذه اللغات في (العامية المصرية) . أما في العراق فقد كانت رواسب الفارسية أعمق وأشد ظهورا في عاميتهم . على حين نرى شيئا من آثار التركية وقليلا من السريانية في بلاد الشام

ونحن إذا تتبعنا أقاليم الصنف الثاني التي لم تغزها اللغة العربية غزوا تاما رأينا أنها خضعت بالمثل لنظرية (المؤثر والأثر) وهذا على الرغم من قوتها السياسية ، وعلى الرغم من ابتعادها عن مركز الثقافة العربية . فأنت ترى أن اللغة الفارسية القديمة التي تسمى (الفهلوية) تتطور بسبب هذا التفاعل وتبدو في ثوب جديد هو (الفارسية الحديثة) . وقد أثبت البحث اللغوي أن ستين في المائة من ألفاظها عربي صرف . كما ترى أن اللغات الهندية التي تمت بصلة إلى الفصيلة (السنسكريتية) نالت ما نالته أختها من الأثر فظهرت إحداها في ثوب جديد هو (اللغة الأردوية) . وإن ما اشتملت عليه الأردو من ألفاظ عربية لأكبر دليل يؤيد استمرار هذا التفاعل

يسمح بحضور مس سوليفان معلمتها معها لكي تنقل إليها الكلام والأسئلة. وهي تقدم الأجوبة مكتوبة على الآلة الكاتبة . فسمح ، ولكن لما كانت تتقدم للامتحان لم يسمحوا لمس سوليفان أن تترجم لها .. بل كانوا يقدمون لها الأسئلة مكتوبة بلغة العميان على الآلة احترازا من أن تدس مس سوليفان لها بعض ملاحظات . ما دخلت على امتحانا إلا خرجت فائزة

البقية في العدد القادم نقولا الحداد

وإذا كانت الأمثال — كما قدمنا فى المقال السابق — تلونت بالبيئة وتطورت مع الزمن كما تلونت لغة الحديث وتطورت تماما — أدركنا بوضوح ما بين الأمثال ولغة الحديث من سمات عجيبة كشفها أمامنا الاستقراء ولم نصنعها صنعاً أو نبتدعها ابتداعا ، ثم إذا كانت الأمثال — وحدها من بين فنون النثر — هى التى استطاعت أن تستمر مع الزمن وتلين لهذا التفاعل الدائم كما استمرت ولانت لغة الحديث — كان خليقا بنا أن ندرك وجوه الشبه بينهما وأن نقف عندهما وقفة المصلح اللغوى الذى يتلمس الطريقة المثلى فى النهوض بأمر اللغة ، وإن موقف المصلح اللغوى هنا يشبه تماماً موقف العالم الطبيعى الذى يتوسل إلى معرفة الشئ بشبيهه . ويقيس ما غمض عليه من المسائل بما وضح أمامه منها حتى يصل من البسيط إلى المركب ، أو قل هو كالطبيب المجرب الذى يستخدم دماء الأصحاء فى حقن أجسام المرضى من بنى الفصيلة الواحدة

والأمثال — عنده — هى النص الأدبى الحى الذى لم يعتوره الجفاف أو يلحق به الجمود أو تحجبه الصنعة أو يحول فيه التكلف والتعمل دون تذوق الناس له سواء الخاصة منهم والعامة . فما أشد حاجة ذلك المصلح إلى أن يتخذ من مادة ذلك النص المصل الواقى الذى يعيد به الحياة إلى رميم هذه الفنون اللغوية الأخرى إذا أراد أن يرفع من مستوى تعليمها ونشرها

وهكذا يصبح تعليم الأدب فى مدارس المرحلة الثانية بأنواعها قاصراً عن أداء الرسالة التى ننشدها من تذوق النص الأدبى ما دمنا لا نعالجه فى هذه الصورة الحية . بل إن تدريس الأدب للناشئة فى صورة ما يشرح لهم من جيد الشعر والنثر يعتبر دراسة كلاسيكية تقليدية لا تصلح لهذه المرحلة من التعليم، لأن الصلة بين هذه النصوص وبين نفوس التلاميذ تكاد تكون مفقودة ، بعيدة كل البعد عن متناول مداركهم . وهى صورة بتراء لا تحقق الجانب العملى المقصود فى الدراسات الأدبية الحية — إلا إذا أردنا أن نخرج ناشئة يستوعبون ولا يتذوقون، ويفهمون الفكرة فهما عابراً ولا يمارسونها ممارسة عملية . إن مثل هذه الدراسات لا يمكن بحال أن تخرج أديباً إنشائيا يعالج الفكرة الأدبية ويواجهها فى حيز حياته وبيئته ولكنها تخرج ببغاء يردد ما لا يفهم وإن فهم شيئا أو عالجه فهو بمفاد الغراب أو بالكبريت الأحمر أشبه

* * *

وهنا يحق لك أن تسألنى : وما علاقة تدريس الأدب بالأمثال فى حياة اللغة ؟ وكيف تستغل هذا الفن فى تدريس الأدب لتلاميذ هذه المرحلة — إن كانت هناك علاقة

أما عن علاقة الأمثال بفنون اللغة وآدابها فلا سبيل الى تكراره بعد الذى ذكرته لك من صلات وطيدة بين لغة الحديث والأمثال والحياة . بينما تحس بخطورة البحث وأهمية التطبيق حين تفكر فى هذا الفن وتبحث فيه على أنه وسيلة من وسائل إصلاح اللغة والنهوض بآدابها . وهى فى المدرسة غير المجتمع العام

ففى المدرسة أرى أن تستغل دراسة الأمثال العربية الأصيلة فى الفصول الأولى من مدارس هذه المرحلة . ويرجع المدرس فى ذلك إلى الكتب المعتمدة فى هذا الباب ككتاب الأمثال للميدانى . ويلتقط منها بقدر الطاقة ما يقابل الأمثال العامية فى معناها ومبناها ومرماها . ويستطيع المربى الحصيف أن ينجح فى تدريس الأدب العربى فى هذه الصورة نجاحاً محققا ؛ وأن ينهض بالثروة اللغوية والأدبية للأسباب الآتية :

١ — أن نصوص الأمثال فى ذاتها سهلة ميسورة مهما التوت مفرداتها اللغوية ؛ لاتساع معناها وجرس مبناها ، ولأن لها فى الغالب ما يقابلها من الأمثال العامية ولو من ناحية المعنى والمرمى

٢ — أن الناشئة فى هذا المقام يحاطون بجو عربى خالص ، وذلك حين يعرض المدرس إلى دراسة ما حول « المثل » من تاريخ وأحداث طريفة دعت العربى إلى إرساله فى هذه الصورة وهو فى بيئته العربية

٣ — وبقدر ما يكون الحديث عن الأمثال وأسباب إرسالها قريباً من جو القصة ـ يكون نجاح المدرس فى دراسة نصوصها ، لأن التلاميذ فى هذا الدور حديثو عهد بدراسة

القصص فى مدارس المرحلة الأولى . وطبيعة الأمثال وانتشارها فى بيئتهم تغريهم بحفظها واستعمالها فى مواضعها من الكلام ، وتحملهم على تتبع مايقوله المدرس وما يصطنعه من إثارة المشكلات خلال هذه الدراسة . وفى ذلك نجاح كبير وتحقيق الأهداف التى تدعو إليها التربية الحديثة . وهو علاج الفكرة فى حيز الحياة نفسها !

٤ ... وأخيرا يستطيع المدرس فى دراسة نصوص الأمثال على الرغم من ضآلة طولها أن يحقق من الفائدة مالا يستطيعه فى تدريس درس من الشعر أو فن من فنون النثر الأخرى ، لأن هذه الأمثال تعتبر درسا فى الحياة الاجتماعية عند العرب ودرساً فى التاريخ ودرسا فى الأساليب العربية ودرساً فى مفردات اللغة – بالإضافة إلى إحياء تراثنا الأدبى القديم

وإذا زود التلاميذ بدراسة النصوص الأدبية فى هذه الصورة ومرنوا على هذا النوع من التذوق سهل عليهم أن يتذوقوا نصوصا من الشعر والنثر فى السنوات المقبلة . كما يستطيعون بعد ذلك أن يزودوا بمجالة من النصوص تمثل تطور التاريخ الأدبى فى كل عصر . وعند ذلك يتحقق الغرض المقصود من تدريس الأدب فى هذه المرحلة – الذى يهدف إلى التذوق ومتابعة البحث

* * *

ذلك فى المدرسة . . أما فى المجتمع فيتسع مجال الإصلاح ويتضاعف واجبنا فى النهوض بحياة إخواننا العامة : الفكرية والأدبية . ولدينا من إقبال عامة المثقفين على القصص وكتب الأدب ما يشجعنا على رفع مستوى العامية وينهض بها حتى تصبح أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه بالأمس القريب . ولن يكون ذلك إلا بعلاج لغة الحديث من الطريق الحساس الذى يميل إليه العامة وتألفه نفوسهم .. ألا وهو «الأمثال العامية» فنقدم إليهم قصصا مبسطة يزودون فيها بهذه الأمثال. والكاتب البارع هو الذى يستطيع بلباقته أن يصل بين حاضر الأمثال العامية وغابرها، وأن يقرب أذهان القارئين من أصولها الفصحى حتى إذا حقق هذا الغرض أخذ بأيديهم إلى متابعتها فى كتب الأدب . وهذا واجب كتاب القصة فى مصر وواجب المتأدبين من علماء النفس

ومن هنا تتقارب الخطى وتسد الثغور وترمم الثلمات ويرأب الصدع ونقف من الطبيعة موقف الحكيم المتفنن الذى يستطيع بلباقته أن يتحكم فيها وأن يوجهها توجيها علميا لا يتنافى مع قوانينها . أريد أن أقول : إننا بهذا القدر نستطيع أن نوجه النماء المطرد فى اللغة العربية ككائن حى، وأن نقوم من اعوجاجها فى نفوسنا – لا فى ذاتها – وذلك العمل جدير بالتنفيذ، وهو أعظم مما نقوم به اليوم من تعريب وتصويب

حامد حفنى داود

أستاذ اللغة العربية والتربية بمدارس المعلمين

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

— ١ —

توطئة

يعلم قراء «الرسالة» الزاهرة مدى إعجابى بشعر أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك، ويعلم القراء الكرام أيضا تعصبى له وتفضيلى شعره على شعر غيره من الفحول الكبار، ومن تحصيل الحاصل قولى أن نهضة مصر الأدبية الحديثة قامت على أكتاف ثلة نادرة من أفذاذ الرجال، كان على رأسهم شوقى الذى استطاع بما وهبه الله من عبقرية ملهمة وقريحة وقادة وعلم غزير، أن يثب بالشعر العربى إلى قمة الإبداع، بعد أن كان محنطا بقوالب من المحسنات اللفظية السخيفة، فهو يحق الحد الفاصل بين موت الشعر وحياته، لأنه رحمه الله لم يكن كغيره من شعراء القريحة، أمثال الرصافى وحافظ، يعتمد على محصوله اللغوى من الألفاظ والمرادفات، ومحفوظه من عيون شعر من سبقوه من الأفذاذ، كزميله سامى البارودى، بل كان نسيج وحده، وطرازا لا شبيه له، لأنه كان يغترف من بحر خضم متلاطم الأمواج، هو بحر العبقرية والإلهام والنبوغ، ولو لم يكن كذلك لما تقدم شاعر النيل لمبايعته هاتفا:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشعر قد بايعت معى

ولا أجد فى معرض الحديث عنه وعن شعره أصدق ولا أكمل من قول المرحوم الرافعى؛ إذ قال فيه: (١)

« هذا الرجل انفلت من تاريخ الأدب لمصر وحدها كانفلات القطرة من سحابها المتسائر فى الجو، فأصبحت مصر به سيدة العالم العربى فى الشعر، وهى لم تذكر فى الأدب إلا بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفقة، ولم يستفض لها ذكر بنابغة ولا عبقرى. ولولا البارودى وصبرى وحافظ فى المتأخرين وكلهم أصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها فى العالم العربى. على أن كل هؤلاء لم يستطيعوا أن يضموا تاج الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقى وحده

كل شاعر مصرى هو عندى جزء من جزء ولكن شوقى جزء من كل. والفرق بين الجزءين أن الأخير فى قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه الكل. ولم يترك شاعر فى مصر قديما وحديثا ماترك شوقى، وقد اجتمع له مالم يجتمع لسواه، وذلك من الأدلة على أنه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء عصره وارتفع عليهم.. إن شوقى من النفس المصرية بمنزلة المجد المكتوب لها فى التاريخ بحرب ونصر.. الخ »

وإلا فدلونى على شاعر غير شوقى تمكن أن ينظم فى كل الفنون والأبواب فيجيد ويبدع؟ أنا أعلم أن أكثر الشعراء يجيدون فى لون من ألوان الشعر فيشتهرون به كما حدث بالفعل. فأبو نواس مثلا أجاد فى الخمريات وأبو العتاهية فى الزهديات والنابغة فى الاعتذارات والمتنبى فى الحكمة وهكذا.. أما أن يجيد الشاعر فى كل باب فهذا لم يحدث فى تاريخ الشعر العربى قط ولم يتح منذ الجاهلية حتى الآن إلا لشوقى؛ لأن شوقى لم يكن شاعر مصر فقط ولا العروبة وحدها ولا الإسلام خاصة، بل كان شاعر الشرق كله أو قل الانسانية جميعها، وهكذا يكون الشعراء العالميون الخالدون. وشوقى بعد هذا كله جمع فى رأسه ونفسه نفسيات جميع الشعراء وأفرغها بعد تمحيصها فى ثوب جديد خاص به، وبذلك دل على أن أسلوبه لا يجاريه أسلوب، حتى ليستطيع المتذوق لشعره أن ينسب كل ما قال من الشعر له حتى ولو خالط مدع ونسبها إلى غيره؛ لأن ألفاظه وتعبيره وديباجته تنم عليه كما ينم العطر على الوردة ولو اختفت بين الأشواك، وهذه ميزة قلما ينفرد بها أحد غير العباقرة الملهمين

وإذاً فمن تكرار القول وإعادة الحديث أن أبدى إعجابى بشوقى إلى هذه الدرجة من الإفراط والتطرف، ومن التبجح أن أذكر ذلك، ولكنى فى هذا الحديث مرغم لأنى أعجب غاية العجب من عدم عناية أدباء مصر بشعر سيد شعرائهم وخصوصاً شعره الذى لم يدرج فى كتاب ولم يضم إلى دواوينه الأربعة. ولما كنت

---

(١) حدبث للمرحوم مصطفى صادق الرافعى نشر فى الجزء الرابع من المقتطف ١٩٣٢ وألحق فى الجزء الثالث من كتابه « وحى القلم »

أعتقد أن لشوقى قصائد كثيرة لم تنشر أخذت أسعى بجمع أكثر القصائد التى أعثر عليها فى بطون الصحف الأدبية القديمة التى كانت تسعى إلى نشر ما يقوله أمير دولة الشعر و كرسى الأدب حتى تمكنت بعد جهد جهيد وسعى متواصل أن أحصل على عشر قصائد نشرت اثنتين منها فى الرسالة الغراء قبل عام وها أنا أتبعهما الآن بقصيدتين من عيون شعره ، على أن أقدم بعد ذلك ما لدى من شعره فى كتاب صغير بعنوان « شوقيات لم تنشر » بعد أن أقدم لهذا الشعر مقدمة ضافية تليق بمكانة قائله

عتاب لأنجاله :

لا أظن أن شاعرا فى الدنيا أحب أنجاله وأولاده بقدر ما أحب شوقى عليا وحسيناً ، والمتتبع لقراءة شعره يلمس حنانه لهما فى كل ما نطق به ، حنان الأبوة الصادقة والقلب العطوف ، فهل بعد ذلك الحنان بر أنجاله به ، أنا لا أريد أن أتحامل عليهما إكراما لأميرنا.. ولكنى أود أن أقول ماسبب تقاعسهما عن جمع مالديهما من شعر فى ديوان جديد ؟ المال موجود لديهما والحمد لله ! دور النشر ما أكثرها فى مصر ! ثم ما ذنبنا نحن المعجبين بشوقى وبشعره أن نحرم منه ! أين إذن مسرحية «البخيلة» ومسرحية « الست هدى » وهما يمثلان ذلك العصر أصدق تمثيل ؟!

أين شعر والدهما الباقى ؟ ! إنى أهيب بكل أديب عربى يحمل فى قلبه ذرة من الحب لشوقى ولمصر أن يحث الأستاذين الكريمين وهما أكبر أنجاله على طبع روايتيه الشعريتين « البخيلة » و « الست هدى » ليسديا بذلك إلى المسرح والشعر يداً تذكر فتشكر . كما أطالب إخوانى الأدباء الذين يحرصون على قراءة شعر شوقى فى ديوان جديد أن ينشروا ما لديهم من شعره المنسى على صفحات الرسالة الزاهرة أو يرسلوه إلى لأضمه إلى مجموعتى كى أستطيع أن أظهرها للوجود فى القريب العاجل إن شاء الله

الشوقية الأولى

قلت إننى عثرت بعد تنقيبى وبحثى فى حنايا الصحف على بعض الشوقيات التى خلت منها دواوينه.. وأولى هذه النفحات عثرت عليها فى الصفحة « ٢٧٠ » من الجزء الرابع بمجلد « ٥ » من مجلة « الزهراء » القاهرية لسنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م والتى كان يصدرها فى مصر الأستاذ محب الدين الخطيب خال صديقنا الأستاذ على الطنطاوى.. وهذه الدرة الشوقية نظمت فى تكريم الشاعر الأستاذ المرحوم عبد الحميد بك الرافعى . . وقد قدمها محرر الزهراء بهذه الديباجة :

« أقيمت فى طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ عبد الحميد بك الرافعى فى شوال الجارى « أى سنة ١٣٤٧ م » ألقيت فيها قصيدة أمير الشعراء »

فمن هو هذا الشاعر الذى كرمه شوقى ؟

لم أجد للشاعر عبد الحميد الرافعى ترجمة أعتمد عليها ولكنى وجدت فى « مختارات الزهور » (٢) كلمة عن شعره هى :

« عبد الحميد بك الرافعى من أدباء طرابلس الشام المعدودين ، وسليل أسرة عريقة فى النسب . مشهور عن أفرادها العلم والفضل . أما شعره فشعر البداوة مع مسحة حضرية ، فصيح الألفاظ ، جيد التراكيب . له ديوان حافل بغرر المنظومات .. » اهـ (٣)

ومن شعره قوله فى « المشيب (٤) »

يا شيب عجلت على لمتى ... ظلماً ، فيا ابن النور ما أظلمك
بدلت بالكافور مسكى وما ... أضواه فى عينى وما أعتمك
من يقبل الفاضح فى ساتر ... فهات ليلاك وخذ مربعك
غرك أن الشيب عند الورى ... يكرم، هل فى الغيد من أكرمك
فليت أيام شبابى التى ... أرقتها غدراً ، أراقت دمك

وإلى هنا أقف من الشرح لأقدم للقراء وخصوصاً المعجبين

(٢) الزهور مجلة أدبية علمية فنية كان يصدرها فى مصر المرحوم أنطوان الجميل وأمين تقى الدين ، ومختاراتها مجموعة تحوى قصائد لشعراء ذلك العصر مع صورهم . وقد طبعت المختارات بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٤

(٣) لم أعثر على الديوان الذى أشارت إليه المختارات ، ومن كانت لديه ترجمة للشاعر الرافعى أرجو أن ينشرها فى الرسالة خدمة للأدب والتاريخ

(٤) ص (١٦٢) من المختارات

بعبقرية أبي على الخالد قصيدة كاملة وهي أنتي قالهافي تكريم الرافعي

أعرني النجم أوهب لي يراعا ... يزيد « الرافعيين » ارتفاعا

مكان الشمس أضوأ أن يحلى ... وأنبه في البرية أن يذاعا (٥)

بنوا الشرق الكرام الوارثوه ... خلال البر والشرف اليفاعا (٦)

تأمل شمسهم ومدى ضحاها ... تجد في كل ناحية شعاعا

قد اقتسموا ممالكه فكانت ... لهم وطنا من « الفصحى » مشاعا

هموا زادوا « القضاء » جمال وجه ... وزادوا غرة « الفتيا » التماعا

أبوا في محنة « الأخلاق » إلا ... لياذاً في العقيدة وامتناعا

أووا شيباً ، وشباناً إليها

تخالهمو « الصحابة » والتباعا (٧)

إذا أسد الشرى شبعت فعفت ... رأيت شبابهم عفوا جياعا

فلم تر « بمصر » أصدق من « أمين »

ولا أوفى إذا ربعت دفاعا

فتى لم يعط مقوده زمانا ... شرى الأحرار بالدنيا وباعا

عظيم في الخصومة ما تجنى

ولا ركب السباب ولا القذاعا (٨)

عرس بالنضال فلست تدرى ... أأقلاماً تناول أم نباعا (٩)

ويا ابن السابق المزرى ارتجالا ... بروض القصائد وابتداعا

أما يكفى أباك السبق حتى ... أتى بك أطول الشعراء باعا

شدا الحادى بشعرك في الفيافي ... وحركت الرعاة به اليراعا

وفات الطير ألفاظاً تحامت ... على المعنى فصاغته صناعا

إذا حضر البلابل فيه لحن ... تبادرت الحمام له استماعا

مشى « لبنان » في عرس القوافي ... وأقبل ربوة واختال قاعا

وهز المنكبين لمهرجان ... زها كالباقة الحسنى وضاعا (١٠)

وأقبلت الوفود عليه تترى

كسرب النحل في الثمرات صاعا (١١)

غدا يزجى الركاب وراح حتى ... أظل « دمشق » وانتظم البقاعا

ترى ثم القرائح والروابي ... تبارين افتنانا واختراعا

ربيع طبيعة وربيع شعر ... تخلل نفح طيبهما الرباعا

كأنك بالقبائل في « عكاظ » ... تجاذبت المنابر والتلاعا

بنت ملكا من « الفصحى » وشادت

بوحدتها الحياة والاجتماعا

فعادت أمة عجبا وكانت ... رعاة الشاء والبدو والشعاعا (١٢)

* * *

أمير المهرجان ، وددت أني ... أرى في مهرجانك أو أراعى (١٣)

عدت دون الخفوف له عواد ... تحدين المشيئة والزماعا (١٤)

وما أنا حين سار الركب إلا ... كباغى الحج هم فما استطاعا

أقام بغبنه لم يقض حقا ... ولا بل الصبابة والنزاعا (١٥)

* * *

« طرابلس » انثنى عطفى أديم ... وموجى ساحلا وتبى شراعا

كسا جنباتك الماضي جلالا ... وراق عليه ميسمه وراعا (١٦)

وما من أمس للأقوام بد ... وإن ظنوا عن الماضي انقطاعا

ألم تسقى الجهاد وتطعميه ... وتحمى ظهره حقبا تباعا ؟ !

شراعك في « الفنيقيين » جلى ... وذكرك في « الصليبيين » شاعا

كأنى بالسفين غدت وراحت ... حيالك تحمل العلم المطاعا (١٧)

« صلاح الدين » يرسلها رياحا ... وآونة يصففها قلاعا (١٨)

أليس البحركان لنا غديرا

وكانت فلكنا « البجع » الرتاعا (١٩)

---

٥) ذاع الخبر انتشر

٦) اليفاع . التل المشرف أو كل ما ارتفع من الأرض وهنا أراد الشرف العالى

٧) التاع . الأتباع شبههم الشاعر بأتباع الرسول وصحابته

٨) القذاع . السب الفاحش

٩) النباع « نبع ونبعة » شجر تتخذ منه السهام والقسى

١٠) ضاع . الزهر فاح نشره

١١) صاع . تتابع

١٢) الشعاع : المتفرق وقيل (طارت نفسه شعاعا) أى تفرقت

١٣) أراعى : أصغى وأستمع

١٤) الزماع : الاسراع

١٥) النزاع : الاشتياق

١٦) الميسم : العلامة

١٧) العلم : الراية

١٨) يقصد الشاعر بهذا البيت أن هذه السفن تذهب آونة للمتاجرة وأخرى للحرب

١٩) البجع : طائر عريض المنقار طويله واحده بجعة كناية عن عظم السفن

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٢ —

ونترك كارثة فلسطين لننتقل إلى أذناب المستعمرين ...

ولا تكاد تخلو إحدى قصائد الشاعر من تجريح هؤلاء الأذناب والتشهير بهم ، بل إن إنجلترا الغادرة لم تنل من الشاعر ما ناله أذنابها المتزعمون ، وللجواهري وجهة نظره الصائبة في ذلك ، فالإنجليز مهما عصفوا بالشرق والإسلام ، وناهضوا الحريات بشتى الوسائل ، فهم يخدمون وطنهم بما يرونه من الأساليب الظالمة ، أما هؤلاء الأذناب فخائنون آثمون يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حرياتها و كرامتها في غير هوادة وإشفاق ، وقد يبلغ بك الأسف أشده إذ تجد الشاعر يقارن بين عهدين ، عهد برز فيه الاستعمار سافراً بوجهه الدميم ، يأمر وينهى ويسلب وينهب ، وعهد رجع فيه المستعمر إلى الوراء خطوة ، ووقف خلف ستار رقيق شفاف ينظر ما ينفذه صنائعه من تعسف وبطش ، وقد أخلى الطريق أمامهم فما استثمروا عاطفة نبيلة ، أو أحسوا بواجب قومي ، بل صالوا ذئابا نهمة جشعة ، وعاثوا أضعاف ما عاث المستعمر الظلوم ، وانطلقت المطامع من مكامنها تحتجر وتدخر وكانوا ستاراً لعورات المحتل ومثالبه ! حتى فضل الناس أن يعودوا إلى العهد الأول فيقابلوا الاحتلال وجها لوجه ! ! إذ رأوا بعد التجربة الأليمة أن افتراش القتاد أهون من افتراش الجمر ، فأضحت أمنيتهم أن يضعوا الصفاد بأيديهم من جديد ، وكانوا يشتكون الجدب والمحول فرأوا من هؤلاء المستوزرين جرادا يستأصل ما بقي من الغصون والأوراق ، بدل أن يهطلوا غماما ينعش الأرض ويسقي الزرع ويضاعف الثمرا

وليس الجواهري سادرا في خياله ، بل إنه يضع في يد قارئه الحجة ، فيتساءل عن حرية النقد التي كانت تجد مجالها في عهد المستعمر ، فلا يرى لها صدى يتجاوب ، وينظر إلى السجون والمعتقلات ، فيراها تستقبل أضعاف من كانت تستقبلهم قبل ذلك ؟ فليذرف الشعر دمعه الغزير على الشرق الكليم ، وما يوجه إليه من طعنات قاتلات :

فكم في الشرق من بلد جريح   تشكى لا الجروح ولا الضمادا
تشكى بني مقتاد بغيض   تأبى أن يطاوعه انقيادا
فكانت حيلة أن يمتطيه   رضيع لبانه فبغى وزادا
صدى الأجنبي ورب قفر   أعاد صدى فسر بما أعادا
فكانوا منه في العورات سترا   وكانوا فوق جمرته رمادا
تروى من مطامعه وأبقى   لهم من سؤر ما ورد الثمادا
وكان إذا تهضمه غريب   أقام له القيامة والمعادا

غمرنا بالحضارة ساحليه   فما عيا بحائطها اضطلاعا
نوار نشاه أبلج عبقريا   ذلول المتن منبسطاً وساعا
ترى حافاته انفجرت عيوناً   ورفت من جوانبه ضياعا
فازدنا الكتاب الفخم حرفاً   ولا ازدنا المصور الزهر ساعا (٢٢)
عقدنا معقد الآباء منه   فكنا البهم قد خلف السباعا (٢٣)
كأن الشمس مسلحة أضابت   عفيفاً في طيالسه شجاعا
تحجب عن بحار الله حتى   إذا خطرت به نضت القناعا
وما رأت العيون أجل منها   على أجزاء هيكله اطلاعا
فما كشروقها منه نعيما   ولا كغروبها فيه متاعا

* * *

هذه عصماء شوقي التي قالها في تكريم الشاعر الكبير المرحوم عبد الحميد بك الرافعي وهي كما يراها القارئ الكريم نفحة خالدة من نفحات شاعر الشرق الخالد الذي لم يك شاعر مصر وحدها بل شاعر الانسانية برمتها وإن حدد هو فقال :

كان شعري الغناء في فرحة الشرق وكان البكاء في أحزانه

ومثل شوقي يظل خالداً ما ظلت الشموس تدور في أفلاكها . وفي العدد القادم إن شاء الله أقدم « شوقية أخرى »

(٢٢) ساعا : جمع ساعة

(٢٣) البهم : صغار الضأن

فأسلمه الغريب إلى قريب … يسخره كما شاء اضطهادا
فبئس منى لمستفرد ذليل … لو ان يديه لم تضع الصفادا
وبئس مصير مفترشين جمرا … عنبهم لو افترشوا قتادا
وكانوا كالزروع شكت محولا … فلما استمطرت قطرت جرادا

والشاعر ذو نظرة واعية فاحصة، فهو ينظر إلى أعمال هؤلاء مدركا عللها وأسبابها، وقد فطن إلى أن المدرسة الاستعمارية التي تخرج المستوزرين في شتى الأمم العربية مدرسة واحدة متفقة المناهج والأساتذة، حتى لكأنها توزع من هؤلاء نسخا مطبوعة على الشرق، وفي سطور كل نسخة وظروفها ما يتفق ومبادئ الاحتلال وأغراضه، ويتضح هذا بجلاء في قصائد الشاعر، فأنت ترى ما يمثل في العراق نظير ما يمثل في كل قطر شقيق. وسيعرض لنا الشاعر في قرائده رواية محبوكة الأطراف، منسقة الفصول، وقد استمدت أبطالها وحوادثها مما يجرى في الشرق الصريع من محن وأرزاء، وهو بعد موفق في مسرحيته، بارع في أدواره إلى حد كبير، وسأدير لك الشريط لتجد في الفصل الأول مالا يغيب عن ذهنك من ألاعيب الاستعمار في كل قطر منكوب، فأنت أمام مستوزر بغيض يعرف ما يكنه له الشعب من احتقار وازدراء، فيقابل ذلك بالبطش العنيف، والرقابة المليئة بالدسائس والمؤامرات، فإذا أراد أن يختلق ما يبرر فظائعه الآثمة لجأ إلى الدستور فأخضع نصوصه الفضفاضة إلى ما يريد من تعسف وإرهاق، وأوجد الشروح المتكلفة، والتفاسير المموهة، ممهورة بأسماء قانونية يغريها الذهب والمنصب والجاه، فتحيل النهار ليلا والحق باطلا، فإذا وجد الحجة القانونية الموهومة في يده، لجأ إلى المجلس النيابي فبدده في طرفة عين، وشرد أعضاءه الأحرار، وأخذ يتحدث عن الحرية والمساواة والنزاهة، وأجرى انتخابات باطلة زائفة، وقد حشد لها رهطا من الأنصار والأنسباء، فإن تجاوزهم فإلى فريق وصولى نفعى يروح مع الذئاب ويغدو مع الرعاة، وبذلك يضمن الحجة الدستورية لبقائه في المنصب، دون أن يغفل أولياء نعمته من المستعمرين، فيسوق إليهم ما يريدون، وفوق ما يريدون، وإن جر على بلده النكال والوبال، هذا الفصل المؤسف من الرواية يمثل في كل قطر نكب بالاستعمار، وإن الشاعر ليبرزه بوضوح إذ يقول على لسان أحد هؤلاء:

تحدث الورى بالظن أحصى خطاهمو … ورحت لدقات القلوب محاسبا
ولم أر الاثم الفظيع ارتكبته … سوى أننى أديت للحكم واجبا
لجأت إلى الدستور في كل شدة … أفسر منه ما أراه مناسبا
أكم به الأفواه حقا وباطلا … وأخنق أنفاسا به ومواهبا
أهدم فيه مجلسا لا أريده … وإن ضم أحرارا خيارا أطايبا
وأبنى عليه مجلسا لى ثانيا … أضيع الكاكا عليه رواتبا
وأحشد فيه أصدقائى وأسرتى … كما ضم بيت أسرة وصواحبا

فإذا أنهى الفصل الأول من المسرحية أدار الشريط مرة ثانية. فطالعك في الفصل الثانى بفريق من المستوزرين جذبهم الاستعمار إلى موائده، وأظهر لهم العطف الزائد والحب الأكيد لبلادهم، ورآهم أهلا لمحالفته على البأساء والضراء، وأبرم معهم وثائق خادعة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب، فطار بها الأغراء كل مطار، ورجعوا إلى بلادهم يتشدقون بالعزة والحرية والاستقلال! ويدعون أنهم أنقذوا الوطن من براثن الاستعمار، إنقاذاً مشرفا يتفق وكرامة البلاد، فإذا حزب الأمر وتغير الوضع الدولى، تنكر الحليف لوثائقه، وسخر بأذنابهم وحلفائه، وأخذ يفسر النصوص تفسيراً مجحفا ظالما وطالب بحقه كصديق محالف في الانتزاف والاستلاب، وهنا فقط يتيقظ النائمون من رقدتهم فيردون في الوثائق أغلالا خانقة، وقيودا ثقيلة مرهقة، فيتنصلون مما اقترفوه، كولود تحدر من سفاح، ويلصق كل فريق جريمته بأخيه، ويعرف الجميع أن معاهدة الذئب للحمل ما كرة باغية، ولا سبيل إلى مصادقة غريم يهدد صاحبه بالمحق الذريع، ثم يضحك الشاعر من غفلة هؤلاء الذين لا يلمسون بدائه الأشياء فيتخبطون تخبط العشواء، حتى يفجأهم الواقع

المرير عا لاينتظرون ، هذا هو الفصل الثانى من الرواية السياسية المؤلمة وأظن القارىء قد تشوق إلى رؤيته فلينظره فى هذه الأبيات

ووضـع أمس كلهمو لواء   به واليوم كلهمو لواحى
تنصل منه زورا صانعوه   كمولود تحدر من سفاح
وذموا أنهم كانوا عـكوفا   عليه فى الغدو وفى الرواح
وتأريخ أريد لنا ارتجالا   فآب كما أريد إلى افتضاح
شـحنا دفتيه بمغمضات   (كأحداق المهى مرضى صحاح)
وخلقنا مظاهره حـــسانا   مزخرفة على صـور قباح
وأحللناه وهو ضريح شعب   محل الوحى جاء من الضراح
نجرعه زعافا ثم نضـــفى   عليـه محاسن الشيم القراح
وربة صفقة عقدت فـكانت   كتحريم الطلاق على النكاح
تدبر فى العواصم من مريب   خبيث الذكر مطعون النواحى
يفوح الجحر منهـا فى اختتام   ويبدو البتر منها فى افتتاح
ويسفر نصها المـموه خزيا   ومظلمة عن الفهد الملاح
وحلف لست أدرى من ذهول   أمن جد ينفذ أم مزاح
لنـــا حق يرجى بالتماس   وباطلهم ينفذ بالســـلاح
ولست بعارف أبداً حليفاً   يهـدده حليف باكتساح

ثم يدور الشريط فيعرض لك المؤلف فصله الثالث والرابع والخامس حتى تنتهى المسرحية الأليمة بانتهاء ديوانه ، ولن أجد من نفسى الرغبة فى تتبع الفصول وتحليلها تحليلا يرشد إلى كوامنها السياسية ، فهذا ما لايغنى عن قراءة ديوان الشاعر ، بجزويه الـكبيرين ، وبخاصة إذا كان الحديث عن هؤلاء الأوشاب يسجل أكثر قصائد الديوان ، سواء أكانت فى الرثاء أو السياسة أو الاجتماع ، فهم القاسم المشترك فى كل مايجلب الـكوارث على البلاد ، وقد وصفهم الشاعر بمالا يعد مبالغاً فيه ، وصـور الحقد فى نفوسهم . ورسم القطوب والعبوس والانقباض ، وجميع ما يلوح فى وجوههم الانفعالات والغضون ، وتهكم بثرائهم المغتصب وجاههم الزائف وشهواتهم الجامحة العاصفة، ونظر إلى أوسمتهم اللامعة نظرات أطفأت مابها من تألق وبريق ، وحسبك أن يقول :

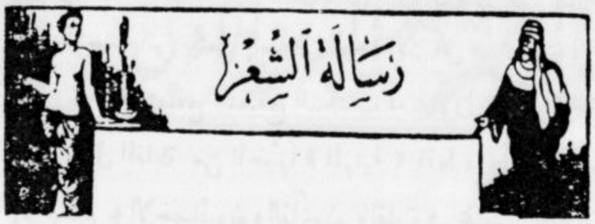
تداول هذا الحكم ناس لوانهم   أرادوه طيفا فى المنام لخيبوا
ورب وسام فوق صدر لو انه   يجازى بحق كان بالنعل يضرب
نشاربه بين المخازى وراقه   وسام عليهافهو بالخزى معجب

ولن نترك ما قاله الشاعر فى أعداء الشعوب دون أن نشير إلى سخريته الهـازئة من أمانيهم الخـادعة ، وعجبه لغفلتهم عما يتهددهم من مصير أليم ، وترقبه الساعة الفاصلة التى تستيقظ فيها الشعوب النائمة على صوت لجب صاخب يبعث بها التوثب والطموح ، فتنـدفع هائجة إلى فلول الخونة من الأذناب ، فتدوسهم بالنعال ، وتطؤهم بالأقدام، وكم يؤلمك أن يتمنى الشاعر من هؤلاء أن يقتدوا بإنجلترا ! فيهـادنوا المروءة والرجولة ، ويحاربوا العقـائد والمذاهب ، وأنى يكون ذلك ، والشـعب البريطانى يقظ متوثب ، يقـدر زعماؤه كرامته وحيويته ، أما أذنابهم فى الشرق فلا يعترفون بحمية وإباء، فصادروا الحريات ، وكموا الأفواه ، فانطلق الجواهرى يقض مضاجعهم ، وكشف الأستار من مثالبهم الفاضحة إذ قال :

ولقد رأى المستعمرون فرائسا   منا وألفوا كلب صيد سـائبا
فتعهدوه فراح طوع بنانهم   يبرون أنيابا له ومخالبا
مستأجرين يخربون بيوتهم   ويكافأون على الخراب رواتبا
الشاربين دم الشباب لأنه   لو نال من دمهم لـكان الشاربا
والحاقدين على البـلاد لأنهم   حقرتهمو حقر السليب السالبا
ولأنها أبدا تدوس أفاعيـا   منهم تمج سمومها وعقـاربا
شلت يد المستعمرين وفرضها   هذى الملوق على الدماء ضرائبا
ألق إليهم وزره فتحملوا   أثقـاله حمل الثياب مشاجبا
وأذابهم فى الموبقات فأصبحوا   منها لجورا فى فجور ذائبـا
يتمهل البـاغى عواقب بغيه   وتراهمو يستعجلون عواقبها
حتى كأن مصـائرا محتومة   سـودا تنيلهمو منى ورغائبا

يتبع

محمد رجب البيومى



حر مقيد وعبد مسيب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

في الناس عبد قيده رهبة — أو رغبة في هذه الفانيه
يعيش هجيراه : واحسرتا — لمطمعي يا حسرتا ما ليه
يبيت موفورا ولكنه — مرزأ قد حرم العافيه
معبد إلا لدى نفسه — قد أطلقته في الخنا راضيه
يرتع في سوآته سائبا — كما تجز الكلأ الماشيه

* * *

وفيهمو حر له همة — لكل قيد في الورى قاليه
تعلو على القيد به نفسه — تطير في آفاقها العاليه
تراه من ذل الورى مطلقا — مقيدا من نفسه الآبيه
أنعم به مقيدا مطلقا — حرية بين الورى غاليه

لا يتسع وقتنا للخطب القصار

سمعت بمحفل خطبا طوالا — تصاب لها المسامع بالسقام
فقلت : عجبت للخطباء تزجي — فسيح القول في ضيق المقام
فكم وقت أضاعوا في كلام — سخيف النسج منفرط النظام
فقال محدثي : إنا سمعنا — عجيب القول عن أحد العظام:
«يضيق الوقت عن خطب قصار — فنزجي بالطويل من الكلام»

عبد الوهاب عزام

بنيتي

إذا تطلعت إلى وجهها رأيت أمي مرة ثانيه

للاستاذ أنور العطار

بنيتي عصفورة شاديه — تلعب في عش الصبا لاهيه
بنيتي لحن رقيق سرت — في مهجتي أفراحه صافيه
يهفو إليها القلب من وجده — فتنتشي أحلامه الماضيه
بنيتي شعر نفثت به — روحي في عزلتها الساجيه
بنيتي وحي تلقيته — من نفحة عطرية ساريه
من عبق الزهر سقاه الندى — خمرته العلوية الشافيه
ومن نشيد النبع في حقله — ومن صلاة الغابة الخاشيه
ومن صفاء الجدول المنتشي — ومن رؤى الأمسية الحاليه
من عودة القطعان مسحورة — تصغي إلى شبابة الراعيه
والدرب في سكرته حالم — يسبح في الأنشودة الشاكيه
والقرية السجواء في صمتها — مطلة من شوقها رانيه

• • •

بنيتي أمنيتي في الدنا — ومأملي والبغية الغاليه
سريرها يهتز في أضلعي — تنام في أعطافه هانيه
أيامها مشرقة بالمنى — ضاحكة بالبشر والعافيه

• • •

بنيتي طيف تعلقته — من صغري والفتنة الثانيه
صورة أمي سربت في دمي — وانبثقت من طفلتي باديه
بغامها وشوش في مسمعي — وطاف في مهجتي الصابيه
إذا تطلعت إلى وجهها — رأيت أمي مرة ثانيه

أنور العطار

* من ديوان « ظلال الأيام » .

الكتب

فن المقابلة . . . مبادئه وطرقه

تأليف آنيت جاريت

للاستاذ محمد عثمان محمد

كثيرا ما يتوقف نجاح الفرد فى حياته العامة على قوة شخصيته ومدى تفهمه وإتقانه لفن المقابلة

فقد يستقبلك شخص يستحوذ عليك أدبه ورقة حديثه فتنجز له فى الحال طلبه ، وتقدم له ما استطعت من مساعدات ، وقد يستقبلك آخر بأسلوب السوقة والدهماء فتنفر منه ولا تحقق له أملا ، أو تنجز له طلبا

كما أن الإخصائى أو القائم بالمقابلة فى أية هيئة أو مؤسسة أو منظمة اجتماعية يتوقف نجاحه فى عمله إلى حد كبير على هذه الشخصية وعلى مدى تمكنه وإدراكه لهذا الفن كذلك

ولهذا كان ولا يزال للمقابلة شأن عظيم فى الدوائر السياسية والمجالات الدولية وفى المنظمات الإنسانية المختلفة التى تقوم بتأدية الخدمات الاجتماعية للأفراد والجماعات وفى مكاتب الاستعلامات وفى المصالح الحكومية وفى البنوك والشركات العديدة وفى المستشفيات العامة وفى المصحات وفى عيادات الأطباء وفى مكاتب المحامين والمحاسبين وفى دور النشر والصحافة وفى غيرها وغيرها

وقد قام أخيرا المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية مشكورا بترجمة مؤلف قيم يدور حول هذا الموضوع إلى اللغة العربية إسمه « فن المقابلة — مبادئه وطرقه » بقلم الإخصائية الأمريكية أنيت جاريت

والكتاب من الحجم الصغير ، ويقع فى مائة وثمانى عشرة صفحة ، وقد تناولت المؤلفة فى فصوله السبعة فهم الطبيعة البشرية والحالات النفسية للقائم بالمقابلة وأغراض المقابلة وكيفية القيام بها والأشـــياء التى نبحث عنها فيها ، وأخيرا الظروف الضرورية للمقابلة الحسنة ، ثم اختتمت بحثها الممتع هذا بكلمة عابرة موجزة من « ثقافة الإخصائى » وما يجب أن يتزود به من معلومات عامة وخاصة حتى يقوم بما وكل إليه من عمل فى المؤسسة التى ينتمى إليها على الوجه الأكمل

وقد يتصفح المتصفح الكتاب فيرى لأول وهلة أن بحثه يدور حول المقابلة من ناحيتها « المهنية » فقط ، وأنه ما نشر إلا لينتفع به الإخصائيون والقائمون بالمقابلة فى مختلف المنظمات والمؤسسات ، ولكنه لو تفكر حقا لوجد أن كل ما جاء فى تضاعيفه ما هو إلا دراسة مستفيضة وافيـــة مفيدة للجميع ، للاخصائى ولغير الإخصائى

ومن الملاحظ أن المؤلفة لا تعرض بحثها فيه عرضا سطحيا سهلا ، ولكنها تلجأ فى أسلوب سلس إلى التركيز فالمناقشـة والشرح والتبيين

اسمعها حين تتكلم عن حوافز السلوك الإنسانى (ص١٧) فتقرر أن الكثير من سلوك الإنسان يصعب علينا تعليله ، وأننا « ... قد نفلح فى تقديم تبريرات بارعة ولكنها قد لا تجد القبول حتى منا أنفسنا ... » ثم تعمد إلى الشرح والإيضاح بقولها « ... أمثال ذلك كيف تستبد بنا ثورة الغضب إذا كان علينا أن ننتظر دقيقة واحدة ، على حين أننا نقف فى أوقات أخرى فى الصف ننتظر دورنا هادئين مدة نصف ساعة ؟! أو لم ننزل عقوبة صارمة بطفل ما لأنه ارتكب هفوة يسيرة على حين نتجاوز عن أخطاء له أشد شناعة ؟ »

ثم اسمعها حين تتحدث فى موضع آخر عن الصراع بين الدوافع (ص٢٨) قائلة « إننا كثيرا ما نشك فيما قد يصدر عنا من أحكام ، وكثيرا ما نعيد النظر كرات فيما اخترناه متحسرين على سابق اختيارنا الذى قد يبدو لنا أننا كنا فيه غير موفقين » ضاربة المثل بالطالب الذى يتخلى عن اخوانه فى حفل بهيج ليعود إلى استذكار دروسه استعدادا لامتحان مقبل من أنه « ... يشعر شعورا قويا أثناء الاستذكار أن هناك قوة تجذبه إلى الحفل ، وفى بعض الأحيان قد تكون هذه القوة من السلطان بحيث تغير اختياره فإذا هو مسرع إلى إخوانه ، وعندئذ فقط يشعر بصوت الضمير محاولا فى يأس أن يجذبه إلى عمله ... وأيا كانت الرغبة التى تنتصر فى النهاية والتى تفسح السبيل لها فى حياتنا .. فإن الرغبة المهزومة لا تموت ، ولكنها تثور بين وقت وآخر .. »



مفرد شمائل

جاء في مقال شخصية الرشيد للأستاذ أنور الجندي في العدد ٩٩١ من الرسالة الزهراء ما يأتي : وتلك شمائل الرجل الفذ : والمعروف أن مفرد شمائل شمال بالكسر بمعنى الخلق والطبع ، ولم أعثر على شميلة التي استعملها الأستاذ ، ويحضرني قول عبد يغوث :

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل وما لومى أخى من شماليا

كما يحضرني قول لبيد وقد جمع المفرد والجمع في شمال واحد

وهم قومى وقد أنكرت منهم شمائل بدلوها من شمال

عبد الرازق عبد ربه

وهكذا لا نتناول نقطة من نقاط الكتاب إلا وتستوفيها شرحا وتمحيصا ، وقد لفت نظرى واستوقفني طويلا قولها في صفحة ٤٦ « ... وهناك خطأ يسهل الوقوع فيه وهو أن تعرض على – عميلك – توكيدات غير حقيقية كأن تقول : أنا واثق أنك ستتحسن قريبا أو ستحصل على عمل في القريب العاجل أو سيتهيأ كل شئ على خير ما يرام ، فمثل هذه الملاحظات فضلا عن أنها لا تطمئن – العميل – فإنها تسبب له شعورا بالشك في إمكان فهم القائم بالمقابلة للموقف وبالتالي قدرته على المساعدة»

فهل على الطبيب المعالج مثلا أن يصارح مريضه الطريح الفراش المعانى بحقيقة علته إذا كانت مستعصية ولا أمل له في الشفاء منها ؟! أليس من الأفضل أن يتذرع بالحكمة فيطرد الوهم القاتل ما استطاع من فكره وأن يوهمه بأن علته هذه التي يشكو منها غير مزمنة ولا هي غير مستعصية. وأنه واثق الوثوق كله من ان حالته بإذن الله ستتحسن قريبا ؟ !

نعم ، ليس من الحكمة ولا من الخير أن يكون المرء في جميع أحواله صادقا ، ولا أن يكون في جميع ظروفه كاذبا ، ولكنه يجب أن يكون للصدق موضعه ، وأن يكون للكذب موقفه ومبرره

ورحم الله شيخ المعرة كم كان صادقا موفقا حين قال في لزومياته :

اصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة وبعد ذلك فاقصد كاذبا وقم

محمد شمالة محمد

رسالة السينما في تربية الشعوب

أن « للسينما » في بلاد الغرب رسالات لها قدرها في تربية الشعوب ، ولها خطرها في النهوض بها ، وما من رواية تعرض على الشاشة في تلك البلاد إلا ولها قصة حية ، وموضوع قوى ، ومعان عظام تأخذ بالألباب ..

إن « السينما » أصبحت هناك وسيلة إلى تربية الشعوب والنهوض بها ، وتقويم أخلاقها وبذر بذور المثل العليا في نفوسها ودفعها إلى الأمام نحو الحياة الصحيحة لتصل إلى غاية المجد ونهاية السؤدد ، وبذلك أمكنها أن تؤدى لأوطانها خدمات كثيرة جليلة ، وأن تكون لها رسالة تنال تقدير الجميع وثقتهم .

أما هنا في الشرق – ولا سيما في مصر – فلم (تصبح السينما) بعد، وبكل أسف إلا عاملا من عوامل الترفيه ليس إلا ، يغزوها أفراد الشعب ليشبعوا أنظارهم من المناظر الماجنة، ويرفهوا عن أنفسهم بالنكات الفارغة – وإذا حاولت أن تجد قصة لها مغزاها الاجتماعي أو السياسي أو الخلقي فلن تجد ، وبذلك استساغت الطبقة المثقفة أن تنفر من الرواية المصرية متجهة إلى الرواية الغربية تنهل من معانيها وترتوى من مثلها

إننا لا ننكر أن بعض السينمائيين يتجهون اتجاها سليما في التأليف والإخراج ، ويقدمون للشعب المصري زادا طيبا يرضى منه الجميع، ولكن هذا الزاد ضئيل الضآلة التي تجعله ضائعا بين الغث الكثير الذي لا ساحل له .

إن الألم ليملأ نفوسنا حين نجد الشوارع والميادين والصحف تغص بالاعلانات عن روايات ، . تعال سلم – ماتقولش لحد – أحبك انت – قبلني يا أب – لماليبو – بيت الأشباح – في الهوى سوى .. وما إلى ذلك من الفوضى التي لا حد لها . وكم

كنا نود من صميم أنفسنا ألا نقل من الغرب فى هذا الجانب ، ولنا من طبيعتنا مايساعدنا على ذلك ، ولنا من أحوالنا ما يجعلنا فى مسيس الحاجة إلى القصص الحية ذات المعانى التى تنهض بنا فى كل شأن من شؤون حياتنا .!

نفيسة الشيخ

الاقتباس من القرآن

. . اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم . وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية من أجله . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى ينبغى أن تعاف النفوس مساغه . . وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جلة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباس من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على قدر ياموسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به . . فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون ـ وقال لرسوله ـ إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ـ وأوحش من ذلك وأعظم منه فى الشعر قول الشاعر : —

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله . . إقـــل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم ؟ »

محمود حمدى زقزوق

اقتراح . . ودعوة

بضعة أسابيع أخرى . . وتزف دار الرسالة العدد الألف من هذه المجلة الكريمة ،

العـدد الألف ! أليست تستوقف هذه الكلمة الصغيرة نظر كل قارئ وكل كاتب تصله بهذه المجلة صلة ، أى صلة ؟ أليست تشير هذه الكلمة الصغيرة إلى المنارة التى رفعتها سامقة هذه المجلة على شاطئ المفاخر العربية فى جهادها الطويل فى محيط الأدب والعلم ؟

أليست من المفاخر الخالدة فى تاريخنا الحاضر أن تواكب الحياة مجلة أدبية جدية كالرسالة كل هذا العمر المديد ؟ إن مواكبة الرسالة للحياة لم تكن نزهة خالية إلا من المرغبات والمنشطات والمبهجات . .

لقد كانت مواكبتها للحياة هذه الفترة كلها جهادا ونضالا . . كانت تحمل أمانة العلم الخالص ، وكانت تضطلع برسالة الأدب الإنسانى الحر . . وما أثقله حملا ! وأمانة العلم تبهظ أشد الكواهل ! وما أخطرها وظيفة ، ورسالة الأدب الحق تهول أثبت الأفئدة !

وكانت تخوض — بما تحمل — من ظروفها أعنف الأمواج ، ويناهضها من مشاكل جهادها المنزه المجرد أضرى الأنواء . . ومع ذلك فقد أدت الرسالة أمانتها أمثل أداء . . وسمت برسالتها إلى أخلد الآفاق وأمجدها . . يقر بذلك كل قارئ ورد غديرها ، ويشهد به كل كاتب وقع على روحها !

فهل تمر بعد ذلك هذه المناسبة السعيدة — مناسبة العدد الألف — دون أن تستلفت أحدا ؟!

الا يجدر بأبناء العربية أن يقفوا هنيهة يحيون فيها هذا

المجاهد العظيم فى هذه المناسبة العظيمة ؟

ألا يقتضينا الولاء قبل الإنصاف أن نسجل للرسالة هذا الفخر الفاخر بكلمة تكتب أو كلمة تقال ؟

إنى أقترح على راعى هذه المجلة العظيم الأستاذ الزيات بك أن يخرج من العدد الألفى عدداً ممتازاً ..

وإنى أدعو أدباء العربية أن يتبادروا المشاركة فى هذه المأثرة الأدبية النادرة — تحية الرسالة بمناسبة عددها الألفى !

محمد الأرناؤوط



تجربة قاسية

مترجمة عن الإنكليزية

إن التغيير المستمر الذى طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً وما دامت المرأة ترى واجبها فى الحياة أن تكون أما وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل فى سروره وحزنه وغناه وفقره ، ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التى يدعونها بالطبقة الراقية اللواتى لا يرين أنفسهن فى حاجة إلى التفكير فى قوت يومهن واللواتى يقضين أيامهن كسالى بليدات ويمهدن بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فإنهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير .. فإنها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية لشىء ، فهى تنتقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر فى هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة ، وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأى إنسان أى واجب

وتزوجت من رجل متقدم فى العمر فمات وهى لما تبلغ الخامسة والعشرين ، وقد وجدت نفسها عند موته غنية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهى حرة فى اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، فكان لذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هى لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها فى أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون أن جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان فى السيدات من يجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أدبل لم تكن كذلك بل كانت روحها قاتمة مظلمة

كانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر فى جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء . وهى جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ، ولكن عينيها كانتا أجمل شىء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم .

وقد قضت سنوات فى الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وإسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها فى غرفة استقبالها . وفى يوم من الأيام أرادت أن تتسلق إحدى قممها المكللة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لا تستطيع للعودة ولا الاستمرار فى المشى .

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، فخارت

قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليها من الجليد وظلت تبكي .

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضراعة، وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والإعجاب

قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لا داعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتسائل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول .. وسألته عن اسمه فقال إنه فرديك فون فاردوروف

قالت : « أنت ذلك الرومي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً في الأوساط المالية »

فأخبرها فاردوروف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل رومي ، وأن ضياعه في كونترلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردوروف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغي إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تكرار زياراته فكررها . وسارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه للعشاء كل ليلة فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل « إننا سنفترق سريعاً يا فاردوروف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تغيبت عن منزلي طويلاً وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تعنين ؟ هل تحبين الا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أتأثر كثيرا إذا ابتعدت عنك » فقال الرومي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ . . . الا يغضبك . . . ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذي يمنعك من الكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : (ولكنني لم أعد أومن بالحب) فقال الرومي : (أعرف ذلك ولم أعلل نفسي قط بأنك ستجازينني على حبي بمثله ولكنك قلت لي مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج)

فنظرت إديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الرومي لحظة ثم قال : (قرري ياسيدتي بكلمة منك إما حياتي وإما موتي)

فأجابته وهي تبتسم : (الحياة أو الموت ؟)

قال : (نعم إنني أعني ما أقول فإنني أفضل الموت إذا لم تحبيني.. فقالت المرأة التي لا قلب لها : (هذا مجرد تعبير)

قال : (كلا ولكنه الحقيقة فاختاري لي الحياة أو الموت)

فقالت (إنني سأعطيك مهلة عام فإذا لم تستطع في خلالها إقناعي بأنك تحبني حقيقة وإذا لم تستطع أن تبعث في نفسي عاطفة الحب نحوك فإني سأقضي عليك بأن تقتل نفسك)

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكا عاليا فقال الرومي وهو عابس مقطب : (إذا حكمت بعد انقضاء العام بأنه لا أمل في الحياة معك فإني أفعل كما تريدين ولكن يكون لي عندك رجاء آخر)

قالت : « ما هو ؟ » فقال : « أن تقتليني أنت »

قالت . « لك ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

فقالت « ولم لا ؟ إنه يستوي عندي أنا أن تقتل عندي نفسك من أجلي أو أن أقتلك بيدي » فقال الرومي : « إذن فعاهديني على

أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتليني أو تتزوجي مني »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر مني رحمة »

فقال: «لا وسط بين الحالتين فإما أن تكوني لي وإما أن أموت» ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلها بفينا وكان الليل ساجياً من ليالي الربيع الجميلة وهي جالسة على نمرقة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : (هل نسيت ؟)

قال : (نسيت ماذا ؟) فقالت : (هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده) فمرت جسم الرومي رعشة باردة وقالت له همساً : (أدن مني وأخبرني ما هو رأيك اليوم في تعهدك قبل أن تسمع حكمي)

قال : (إنني أرتعش ...) فقالت : (إذن فاسمع الحكم : (إنك قد أقنعتني بأنك تحبني فليس عندي شك في ذلك ...)

وهنا ارتمى الرومي على قدميها ليقبلهما فقالت : (لا تتسرع فإنك لم تسمع بقية الحكم)

فقال : ما الذي تعنين ؟ فقالت : (إنك أقنعتني بأنك تحبني ولكنك لم تستطع أن تجعلني أحبك)

قال : (ما أشد قسوتك يا إديل !)

فقالت : « إنني أكلمك كلاما صريحا شريفاً »

قال الرومي : « أنا عند حكمك إذن فاقتليني »

فقالت : «هكذا سأفعل فإني ذاكرة عهدي. وروحك الآن في يدي ولن أتركها هبة لك. إنني لا أحب ولكنني أريد أن أكون محبوبة وأن يحبني من يحبني فيموت تحت قدمي وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت (ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكثر من حبك لي ؟)

قال : (كلا كلا : وإني مستعد للموت) فقامت وعادت وفي يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أسود وقالت : (اشرب هذا) .

فتناولها وقال : أشرب في حبك ياإديل ثم قال : (ناوليني يدك فإن قواي تخونني) .

ثم أظلمت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال : (ما الذي حدث ؟)فنادته باسمة بصوت عذب فقال: (هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟)

قالت : (كلا وستعيش وستكون لي زوجا فإني أحبك كما تحبني) فقال : (وماذا كان السائل الأسود الذي في الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟)

قالت (كلا ، ولكنه مخدر) فقال : (لماذا ؟)

قالت : (لكي أجربك) فوقف الرومي مسرعا وقال: تقولين إنك تحبينني؛ ولكنك مع ذلك تتركينني أقاسي أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية. إن المرأة التي تفعل ذلك لا تستطيع أن تملك قلبي)

قالت إديل بصوت الخائف : (ألم تعد تحبني يا فاردورف ؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائي؟ ألم تعد تحبني ؟) فقال : (إنني لا أحبك الآن ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً !)

فطوقت إديل عنقه بذراعيها وقالت . (أستحلفك بحق السماء ألا تجعلني أتمس إنسانة في الوجود) فقال : (أنت التي أتعستني وأتعست نفسك . وداعاً)

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضبا

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة

ع . ن

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٣ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

إلى القانعين في العالم الإسلامي ... : للأستاذ سيد قطب ٧٦٩

نبعات السينما ... ... : « أنور الجندي ٧٧١

إندونيسيا ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ٧٧٣

هلن كلر ... ... : « نقولا الحداد ٧٧٥

جحا القاضي . ... : « عطا الله ترزي باشي ... ٧٧٧

مجال الدعوة الإسلامية ... ... : « أحمد عوض ٧٨٢

الجواهري شاعر العراق ... ... : « محمد رجب البيومي ... ٧٨٤

شوقيتان لم تنشرا في الديوان ... : « عبدالقادر رشيد الناصري ٧٨٧

الشاعر ... ... (قصيدة) : « أنور العطار ٧٨٩

(الكتب) — دواوين الشعراء الستة الجاهليين — شرح الأستاذ ٧٩١
عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه — للدكتور زكي المحاسني

(البريد الأدبي) — المدرسة الصلاحية — المعري لا المتنبي — ٧٩٢
تصحيح — دار العلوم — أدب ولغة ... ...

(القصص) — الخادم — للكاتب العظيم سيمونوف ٧٩٥

20 me. année No 993

Le Caire 6 — 14 — 1952

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إلى النائمين فى العالم الاسلامى

للأستاذ سيد قطب

نحن فى مصر مشغولون لا نفيق ؛ ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبى . نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالقائمة أم بالوزن أم بالكيل ؟ مشغولون بحكاية الاستثناءات ، هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزاد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه . .

وهى أمور — كما ترى — من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهدا للتفكير فى أى شئ آخر

وفى هذا الوقت تقترب إسرائيل يوما بعد يوم من حدود سينا المصرية ، المصرية اسما وإن كانت مصر لا تعرف عنها شيئا ، لأن السياسة اليهودية الإنجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن هذا العزل شيئا عارضا ولا أمرا غير مقصود ، إنما كان وفقا لسياسة بعيدة الغور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية

إن شبه جزيرة سينا يشتمل على أقدس مقدسات اليهود . فمن جانب الطور الأيمن نودى موسى ، وعليه تلقى الألواح ، وبه صخرة المهد . وسينا هى أرض التيه . . لذلك كله ترف حول سينا أطماع اليهود التاريخية ، ويربى أبناؤهم على عقيدة أن جزيرة سينا هى قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءا صغيرا من تلك المملكة التى تضم سينا وفلسطين وشرق الأردن وقسما من سورية والعراق حتى الرافدين

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفى سنة ١٩٠٦ وفدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت فى سينا خمس سنوات كاملة ، تفحص عن كل شئ فيها ، وتنقب عن المياه الجوفية والأراضى الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ، وعادت ومعها تقرير شامل يثبت أن سينا صالحة لإسكان مليون نفس وإعاشتهم

وقد عنى الإنجليز بعزل سينا عن كل نفوذ للحكومة المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارفس» الإنجليزى هو حارس شبه الجزيرة أن تمتد إليها عين مصرية ؛ وأفهموا المصريين أن هذه الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للاهتمام بها ، لأن المياه الجوفية فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله لحساب اليهود الذين يسيرون دفة بريطانيا

ومن المعروف أن جيش إسرائيل عندما تجاوز الحدود المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت أقدامهم رمال الصحراء بعد رفح أن ترجلوا جميعا ، وقبلوا تراب الأرض ، وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم فى الأرض المقدسة !

أما اليوم فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،

ويسكنون فى أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ، يقطعونهم الأرض ، ويبنون لهم مساكنهم تحتها -- لا فوقها — وعدونهم بالمال ليستصلحوها

وأمامهم ألوف الأميال المربعة فى الشقة المصرية خلاء ! فإذا أرادوا هم أن يزحفوا فسيزحفون من استحكاماتهم على الحدود ووراءهم العمار . وإذا أردنا نحن — حتى أن ندافع — وقفت جيوشنا ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء الخاوية من السكان

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون . مشغولون بالانقلابات الوزارية. مشغولون بالانتخابات هل تكون بالقائمة أم بغير القائمة ؟ مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد ؟ مشغولون بهذه الأمور الكبار التى لا يجوز أن يلهينا عنها خطر اليهود أو غير اليهود، وماتكون سينا وهى صحراء جرداء إلى جانب كراسى الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة، وقاعاتها المكيفة الهواء !

وفجأة — وفى هذه الظروف — تطلع علينا نغمة لا يدرى مبعثها إلا الله ، والراسخون فى العلم من اليهود والصليبيين . نغمة تحديد النسل .. لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لاتنمو بنسبة نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة

جميل ! نحن معكم فى أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان . ولكن حين تكون فى موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه فى التزايد ، لأن نمو السكان في هذه الحالة ضمانة من ضمانات البقاء أمام تكتل الأعداء . وضمانة من ضمانات القوة فى المجال الدولى . لأن الأمم التى تريد أن يكون لها وزن فى الكتلة الدولية تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا إسرائيل الصغيرة وهى تحاول مضاعفة سكانها على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية الممسكة فيها بالخناق !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مرافقها ؟ إن فى مصر من الموارد والمرافق ما يكفى لإعاشة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد فى سينا ، فهى كافية لإعاشة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها الحياة

فلماذا يتجه التفكير أول ما يتجه إلى وقف نمو السكان ؟

ومرة أخرى نكرر ، أننا لا نعارض — بل نحتم — وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلاد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تتضاعف ، فإنه يكون من الحق ، أو الاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النغمة . لأن معناها وقف نمو البلاد لا من ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من ناحية مرافقها . فضغط السكان قد ينبه الغافلين إلى محاولة الاستغلال الكامل لمرافق البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته لا تخضع لحسن الحظ ، لهذه الأفكار السطحية التى لا تحاول التعمق فى دراسة الأمور . إن الحرص على زيادة النسل فى الريف ضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة الوطن !

إن الذى لا أولاد له فى الريف يعيش فى مستوى اقتصادى أقل من مستوى أبى الأولاد . كما أنه أقل هيبة وحصانة على الاعتداء! وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث لا تستمع لنصائح السطحيين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها إلا حين ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق على العمل فى الأرض ، وقوة أخرى للحماية غير قوة العضلات ! وعندئذ فقط يستطيع الشعب كذلك أن يستعيض من قوة العدد قوة العقل ، ليقف فى وجوه أعدائه المحيطين به

إن الفطرة تتصرف فى هذا أحكم مما يتصرف السطحيون الذين يحسبون أنفسهم « مثقفين ! » فإذا عز على حضراتهم أن يدرسوا الأمور دراسة حقيقية ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة تعمل بحكمتها ويغنونا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من الدسائس اليهودية والصليبية !

وبعد فنعود إلى استصراخ الناعين فى العالم الإسلامى ليصحوا على مطامع الصهيونيين فى سيناء . فإن مصر مشغولة الآن ، مشغولة بالانقلابات الوزارية . مشغولة بالانتخابات وهل تكون بالقائمة أو بالوزن والكيل . مشغولة بالاستثناءات وغير الاستثناءات . وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . والأمم يقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله

سيد قطب

تبعات السينما
في حياتنا الاجتماعية

للأستاذ أنور الجندي

استفاضت المجلات الأوربية في الأسابيع الأخيرة في الحديث عن السينما والأفلام التي تعرضها ، وكان الحديث هذه المرة جد غاية الجد ، انطوى على تقدير ومراجعة العوامل التي تصيب المجتمع نتيجة لموضوعات هذه الأفلام

وكانت الصحف الفرنسية الأسبوعية أكثر الصحف شغلا بهذه الآثار الاجتماعية والأخلاقية ، وتطرق الحديث إلى الشباب والشابات قبل سن المراهقة وإبانها ، ومدى أثر الأفلام وموضوعاتها في شخصيته وكيانه ، والنتائج الهامة المترتبة على ذلك في محيط الحياة العامة

وكانت إحدى المجلات الفرنسية قد قامت باستفتاء ضخم منذ عدة شهور في موضوع « السينما والشباب » ، وهل تدفع إلى المعصية والخطيئة والإجرام

وقدمت صحف أخرى إحصاءات ظهر منها أن ٩٠٪ من الأفلام المعروضة تنطوى قصصها على القتل والإجرام والاختلاس والإغواء والزنا والنصب والاحتيال

وبذلك أصبح موضوع النتائج الاجتماعية للسينما والأفلام من الموضوعات الجديرة بالاهتمام في مصر ، بعد أن لقيت مثل هذه الرعاية في البلاد الأوربية التي ابتدعت هذا الفن

ولا شك أننا في الشرق قد بدأنا نحس مدى الخطر الضخم الذي يجتاح المجتمع نتيجة للأفلام المعروضة ، والتي لا هدف لها ولا سياسة ثابتة توجهها

وكان من الضروري — والفيلم جزء من الثقافة العالمية — أن يشغل أمره بال المصلحين والكتاب والباحثين

ولست أشك لحظة في أن عنصر التسلية والمتعة ، والخروج من النفس والجد ، هو أبرز ما يهدف إليه القائمون على العمل السينمائي ، غير أن ذلك لا يحول مطلقا دون تقدير المدى الذي تستطيع أن تهضمه عقليات المراهقين والشبان والفتيات ، مما له أبعد الأثر في تكوين السلوك الفردي والعقد النفسية

وإذا كانت الشاشة تستجيب لرغبات الجماهير — في أغلب الأحيان — إلا أنه من الممكن اليسير أن يحاط ذلك بقيود تهدف إلى المحافظة على قواعد الخلق وتقاليد المجتمع

ولسنا نطمع في أن تكون الشاشة موجهة مؤثرة منافحة عن المثل العليا في الخلق ، أو من الأمجاد الرفيعة المستمدة من التاريخ والماضي ، ولكننا نريدها على أقل تقدير كريمة وطنية بحيث لا تطغى عليها الناحية المادية التجارية التي يحرص عليها الممولون ، فتكون هدفها الأول والأخير

ويقيني أن كتابة القصة السينمائية وحبكتها الفنية ، وبراعة عرضها ، كل هذا كفيل بأن يكسبها أكبر عدد من المعجبين ، ويدر على أصحابها الربح بصرف النظر عن العوامل المصطنعة التي يغرى بها فريق قليل من النظارة

وإنا لنرجو أن تنال هذه الصيحات الأوربية اهتمام المشرفين على السينما في مصر فيحرصوا على أن يتفادوا الآثار النفسية الإجرامية أو الآثمة ، وأن يحولوا دون كل ما من شأنه إبراز معنى الغواية ، وهي خطيرة الأثر على الشاب والشابة المراهقين

وإنا لنرجو أن يتسع الميدان أمام العاملين ، فلا يقصر عن المعاني الضيقة والأوهام والشهوات بعد أن خطت الأفلام الغربية خطوات واسعة في مضمار الثقافة والتوجيه ، وعرفت بأنها جميعها بلا استثناء تحمل فكرة معينة مدروسة

وإذا كان الأوربيون اليوم يدرسون تبعات السينما وآثارها الخطيرة في المجتمع ، فنحن أولى — ونحن نجرى وراءهم دائما — أن نأخذ عنهم هذه الخطوة دون أن نخشى أن نتهم بالرجعية أو القصور

والسينمائي الناجح كالطبيب الماهر ، يعرض الداء ويصف الدواء ، ويستطيع أن يحشد عوامل الإيحاء والسيكولوجيا والفن في تحويل نفسية المريض وإقناعه

ولا أظن أننا في كبير حاجة إلى هذه الاستعراضات الراقصة

التي يتمسك بها المنتجون ، وقد ظهرت أفلام دون أن تحشر هذه المناظر المبتذلة ، فنجحت نجاحا منقطع النظير ، وقيل عنها في الخارج إنها رفعت رأس مصر عاليا ، بعد أن كانت مصر متهمة بإنتاج الألوان الغثة وحدها

وجدير بالشاشة في مصر والشرق أن تحرص على عرض أمجاد الشرق ومحاسنه ، ليكون ذلك — على الأقل — ردا على على ما تحرص عليه الأفلام الغربية من تشويه تاريخ الشرق ومسخه ، ووضعه في صورة من ألف ليلة وليلة . .

فلطالما عرضت الأفلام الغربية للشرق على نحو من التعصب والهوى ، وهي بما لها من قوة التوزيع والانتشار استطاعت أن تقنع الكثيرين بأن هذه هي حقيقة الشرق، ونحن نستطيع — وفي أيدينا الوسائل ميسرة — أن نواجه هذه الحملة بتصوير صحيح لأمجادنا وقضايانا ، من شأنه أن يضع الحقائق في نصابها

ومما هو جدير بالذكر أن الأمم المتحدة كانت قد طلبت من مصر في العام الماضي موافاتها ببيانات عن أفلام تنتفع بها لجنة التربية والعلوم الثقافية للهيئة ، لتوزيعها بعد اعتمادها على سائر الدول الأعضاء في العالم كله.

وقد حدد هذا الطلب بأفلام تصلح للعرض على الطلبة في المدارس ، وعلى الجمهور المثقف ، مما يعالج المشكلات العالمية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومن موضوعات صحية ، وأساليب وقائية ، ومن رعاية للطفل إلى نظام المنزل ، إلى مزارع نموذجية لتربية الحيوانات ، إلى مصايد الأسماك ، ثم في مسائل التغذية واختيار الأطعمة ، وطريقة تحضيرها وحفظها . . الخ

ومع الأسف الشديد أن السينما المصرية لم تجد ما تقدمه لهذه اللجنة ، لأننا لازلنا قاصرين عن بلوغ هذا الشوط . .

فالسينما هي إحدى المدارس الثلاث الخطيرة الأثر ، البعيدة المدى في حياة الشعوب ، وهي لذلك جديرة بأن تحاط بالكثير من العناية ، وعن طريقها يمكن إصلاح المجتمع وتوجيهه خير وجهة ؛ بعد أن تغلغلت دور السينما في الأحياء وفي البلاد وفي القرى ، حتى يمكن القول بأن ٩٠ ٪ من السكان يحضرونها ، ومعنى هذا أن جزءاً ضخما من مواردنا المالية ، وخاصة موارد العمال والطبقات الوسطى ، وهي موارد محدودة جدا تذهب إلى هذا الباب ، ولما كنا نقاسي في حياتنا العاملة العامة ضغطا وضيقا ، فإننا نجد في السينما بابا من أبواب التسلية ، وفرجة من فرج تصريف العوامل النفسية المكبوتة ، ولذلك فنحن في مثل هذه الحالة من الاستعداد للتلقي ، نتأثر إلى أبعد حد بما يقدم لنا لاسيما الفتيات في سن مبكرة ، والأطفال والشباب إبان المراهقة ، ولعلنا نلاحظ بوضوح تلك الحركات التقليدية الواضحة في تصرفات النشء الصغار ، والتي هي منقولة نقلا كاملا عن حركات الممثلين والممثلات

ولهذه العوامل مجتمعة كان من حقنا على المصلحين أن يولوا مدرسة السينما عناية كبرى بحيث لا يقضي جانب التسلية والترفيه على روحنا المعنوية أو شخصيتنا الحقيقية

أنور الجندي

٤ - إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادى. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هى قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك ما بقى ! إنه الدليل الحى على ظلم الإنسان للانسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندى لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين فى العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسى وجنت هولندا « بقاله أوربا » وشعبها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لا يجدون القوت ! وكثيرا ما استخدم الهولنديون القسوة فى دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لإن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم فى إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ما تجنيه هولندا من أرباح فطلبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم فى إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رؤوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إنماء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يعج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسى كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندى عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك فى عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التى يتقاضاها العمال الإندونيسيون لا تزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادى عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية، وفى النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة المستعمر وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التى تأسست ١٩٠٩ أول حجر فى هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تعنى بالتحرر الاقتصادى للاندونيسيين كما تعنى بالتحرر السياسى ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية وفى ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجارى الإندونيسية .

ثم أنشىء « البنك الإسلامى » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام فى سورابايا « البنك الإندونيسى الوطنى » .

وهكذا سارت حركة التحرير الاقتصادى جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسى ، وفى ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة فى ظل الاستقلال

فصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية المناظر الطبيعية فى الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل فى الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحمائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهى تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمى وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠٫٠٠٠ طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهى . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم فى صباغة الأكلمة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب المهارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

ولشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش فى إندونيسيا فى قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن فى صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد فى براعتها أو مهارتها . وكان الملك فخورا بها مزهوا ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا من الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فتناقلها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى فى ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكى يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته فى الإناء الذى يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التى تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جريمتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله فى ضراعة أن يحمى طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شيء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها فى موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع فى سرعة مدهشة ، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أو النارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، فى جوفها ماء ليس كالمياه! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضى الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالى قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً فى اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته

هلن كلـــــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحـــــداد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

قالت مس سوليفان فى أحد تقاريرها . إن لهلن ذاكرة عجيبة لا تصدق . كنا ذات يوم فى فندق فى بلدة تدعى هوسفيل وتجمع النزول حولنا لـكى يروا تلك المرأة العجيبة . كانوا نحو عشرين شخصاً . فقدموا لهلن هدايا مختلفة . وقدموا أنفسهم إليها بأسمائهم . وكانت تصافح كل واحد منهم وكنت أنقل لها اسمه على كفها . وفى اليوم التالى تجمعوا حولها . وكانت تصافح كل واحد منهم وتذكر لى اسمه على كفى

هذا هو العجب العجاب ! من يصدق ؟ المعلمة لا تـكذب إذ لا غرض لها من الكذب فى تقريرها . وكان كل واحد من نزلاء الفندق يقول كلمة من إعجابه . فقال أحدهم : ما رأيت فى حياتى وجهاً يشع بهاء كهذا الوجه كأنها ليست عمياء أو خرساء وقال آخر : أود أن أهب كل ما أملك وأن تـكون هـذه الفتاة دائمـاً إلى جانبى »

روت مس سوليفان فى أحد تقاريرها أن هلن كانت شديدة الإحساس العقلى لدرجة لا تتصور . كانت تدرك عاطفة كل شخص تلمسه أو تلمس يده أو تتصل به بأية طريقة . فتعلم هل هو مرح أو غاضب أو مستاء أو يائس أو آمل . فنى ذات يوم رمى ولد « فرقيعة » صغيرة أمام أمها فما جفلت فسألتهـا هلن فى الحال « مم خفت » ؟ (ألا يخفى أنها كانت قابضة على يدأمها كعادتها حين تسير مع أى شخص) . وفى ذات يوم كانت هلن ومعلمتها سائرتين فى الشارع ، فرأت المعلمة شرطيا قابضاً على غلام يمضى به إلى دائرة البوليس ، فقالت لها هلن : « ماذا تشاهدين ؟ » كأنها أحست أن المعلمة أشفقت على الغلام

وفى ذات يوم دعا داع أن تدخلا إلى مقبرة . قالت سوليفان رأيت هلن قد انقبضت كأنها أحست بشىء كئيب مع أنها حتى ذلك الحين لم تـكن تعرف شيئاً عن الموت ، بل عرفته لأنهـا فى ذات يوم عرفت أن حصاناً انكسرت رجله فى حادث . فـكانت تريد أن تزوره كل يوم . وكانت تشعر أنه يئن من الألم ، وفى ذات يوم ألحت فى الذهاب إليه فقالت لها إنه مات ودفن تحت التراب . فسألت : كيف مات ؟ هل مات كما تموت البطة التى يصطادها أبوها بالبندقية ؟ وكانت تمسك البطة الميتة وهى تعرف كيف تـكون البطة الحية . فقالت لها المعلمة : نعم وقد رموه بالرصاص كى يخلصوه من الألم إذ لم يبق أمل بشفائه . وهكذا عرفت الموت

وفيما كانت فى المقبرة كانت تتحسس كل حجر وكل رخامة إلى أن صادفت اسم فلورنس محفوراً على رخامة قبر . فسألت : « أين فلورنس الآن ؟ هل بكيت عليها ؟ من وضعها فى الحفرة الـكبيرة ؟ أظنها ماتت جدا . وكانت المعلمة تتجنب أن تجاوب على أسئلتها . وإنما أفهمتها معنى الموت

وكانت هلن فى حداثتها رقيقة الشعور جدا . ففى ذات يوم ألبستها أمها معطفاً أنيقاً ، وكانت فرحة به جدا ، وقالت لها أمها « يوجد غلام أعمى فقير ليس له مثل هذا المعطف . فما قولك ؟ فما كان منها إلا أن جعلت تخلع المعطف لـكى تعطيه للغلام .. فردته أمها عليها وقالت سأصنع معطفا غيره للغلام

للبحث بقية

والليل قد أرخى سدوله

فنم أيها الطفل العزيز نم

وأغمض جفونك أيها الحبيب

وخذ قسطك من الراحة

كيما تشب قويا مفتولا

واتخذ من صدرى فراشا وثيرا

وأغمض جفونك أيها الحبيب

أبو الفتوح عطيفة

وكانت رقيقة الإحساس نحو جميع الأحياء الذين حولها . وكانت إذا ركبت المركبة إلى جنب السائق ترجو منه أن لا يقرع الحصان بالقرعة فتقول له بلغتها . « حرام ! الحصان يبكى » .

كانت في أوقات الفراغ تخيط أو تطرز . ولكنها كانت تقرأ كثيرا ، وفي قراءتها تمر أصابع يسراها على الخط العمياني وبأصابع اليمنى تتهجى الكلمات ، وحركات يدها سريعة جدا

وفي ذات يوم علمها ابن عمها أبجدية التلغراف فتعلمتها بسرعة وكانت تخاطب بها كل من يعرفها بنقر أصابعها على كفه . عجيب أنها تفهم بسرعة ولا تنسى ما تعرفه

والغريب أنها تعلمت السباحة والغوص ، وكانت تسوق المركبة ذات الحصانين . وبالطبع كانت معلمتها إلى جنبها لتقيها من الزيغان والحصان يقيها منه لأنه يرى الطريق وهي تلقى له اللجام على الغارب

وكانت كل أمنيتها أن تدخل كلية ردكليف لتدرس مع المبصرين والسامعين العلوم العليا ، ولما دخلت الكلية انتخبها الصف الأول نائبة رئيس الصف ! والصف أربع سنين دراسة أعلاها الرابع

جميع كتب الدراسة والتعليم مكتوبة للعميان بالحروف البارزة . وللعميان آلات كتابية (تيب ريتر) يستعملونها . وكان لهلن جميع الكتب العميانية ولها آلة كاتبة خاصة . ومس سوليفان لا تفارقها فتساعدها في كل ظرف من ظروف دراستها

ففي الكلية درست النحو وآداب اللغة الإنكليزية . ودرست اللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية . ولما كان للعميان جميع الكتب المهمة في هذه اللغات بالحروف تيسر لهلن أن تقرأ بعض إلياذة هوميروس وبعض شكسبير . وأهم مؤلفات الألمان والفرنسيين

والغريب أنها وهي في الكلية كانت تهتم بإنشاء كلية لتعليم العمي والبكم . وبذلت جهداً في هذا السبيل وألفت لجنة لهذا الغرض منها معلمتها وأمها وبعض موظفي مدرسة العميان التي درست فيها ، وهي تعترف دائماً بأن مس سوليفان صاحبة الفضل الأعظم عليها وأنها أمها الثانية ، ثم إنها جمعت لسعي لتحويل هذا المشروع فكتبت للكثيرين أن يمدوه بالمال . فلا بدع أن نراها وهي في سياحتها في الشرق توجه كل اهتمامها إلى مدارس العميان والصمى لمساعدتها

وانتهت هلن من كلية ردكليف بنجاح فائق وأخذت مع المبصرين والسامعين درجة بكالوريوس علوم . وما قنعت بهذا بل طمحت إلى الجامعة لكي تحصل على دكتوراه في العلوم ثم دكتوراه في الفلسفة

ولما بلغت العشرين من العمر وكانت قد انتهت من الدرس شرعت تكتب تاريخ حياتها الذي طبع في سنة ١٩٠٣ أول مرة ثم طبع سنة ١٩٣٢ مرة ثانية

وكانت مجلة السيدات ladies home Journal تنشر مقالاتها وجميع أخبارها وأخبار مس سوليفان عنها

وبكل أسف ليس في كتاب تاريخ حياتها الذي نحن بصدده شيء عن حياتها بعد كتابة كتابها الأول . وإنما هناك كتاب آخر بعنوان Mld Sheom يستوفي بقية حياتها في الجامعة وبعدها . وأنا آسف أنه لم يتيسر لي الحصول عليه

ولمس سوليفان فصل طويل في مسائل هلن عن الوجود والله والطبيعة ، فكانت مس سوليفان تسوف الأجوبة على هذه الأسئلة إلى أن تنتهي هلن من الجامعة ودرس الفلسفة

هذه هي هلن كلر التي هي كتلة عقل في دماغ طري مرن ، وكتلة أعصاب في بدن شديدة الحساسة ما عدا أعصاب السمع والبصر . والذين رأوها في مصر دهشوا من مقدرتها في التعبير عن نفسها وأفكارها . ومنهم كثيرون لم يصدقوا هذه المقدرة لأنهم رأوا وجهها يشع جمالا وليس في عينيها ما يدل على عمى ، وما فهموا أن العيب ليس في عينيها ولا في أذنيها ، وإنما هو في مراكز السمع والبصر في الدماغ

فسبحان من منع ثم منح

جحا القاضي

للأستاذ عطا الله ترزي باشي

اشتهر من بين المستظرفين في الشرق رجلان سميا بجحا ، أحدهما عربي ، هو أبو الغصن بن رجين بن ثابت الذي عاش بمدينة الكوفة في القرن الثاني من الهجرة ، والآخر تركي يعرف بجحا الرومي ، وهو الخوجة نصر الدين الفيكهان[1] العالمي المعروف

ونريد في هذا المقال أن نتكلم عن الثاني على أن نحصر الكلام في ناحية هامة من نواحي حياته ، ونعني بها جانب القضاء ، وأن نتطرق كذلك بإيجاز إلى جوانب حياته الأخرى كلما مست بنا حاجة أو دعت إلينا ضرورة

ولد جحا بمدينة (سيوري حصار) من ولايات الأناضول وتلقى علومه الابتدائية في مدينتي (آق شهر) و (قونيه) . وعين بعد ذلك إماماً في بعض المساجد فمدرساً . وقد اشتهر بالوعظ والخطابة ، وشغل منصب القضاء مدة غير قليلة في نواحي قونية . وتوفي سنة ٦٨٣ هـ عن عمر يناهز الستين . وقد ثبت تاريخ وفاته في مرقده بترتيب عكسي لأرقام السنين ، فكتب تاريخ ٣٨٦ هـ بدلا من ٦٨٣ . وهذا الأخير مشكوك فيه أيضا

لقد كان جحا الرجل الفذ المعروف بحضور بداهته وقدرته على إبداع النكات بما لا يضارعه في ذلك أحد من المستظرفين . ولئن كان جحا ضحكة[2] بين الناس فإنه لم يكن صافراً أو مهاناً راضيا بالذل والضيم .. فقد كان شيخاً كريما وأديباً ممتازا جمع بين الجد والهزل بشكل لا يجاريه فيه أحد من الأدباء ، وعالماً فاهما يفحم فطاحل العلماء بأجوبته المسكتة وأدلته المقنعة . وهو يعد بلا شك برناردشو زمانه ، والواقع أنه كان أذكى وأعقل .. ومن درس حياته دراسة عميقة توسم فيه أدباً رفيعا بعيدا عن المهازل المبتذلة .. ورأى من وراء سفاسفه فلسفة مثلى .. والمطالعون على نكاته — باختلاف طبقاتهم واختلاف ألوانها — تراهم يستمتعون بلذاتها أبد الدهر . فهو يتمثل في مخيلة كل قارئ شخصاً يتغير وصفه بتغير حال المخيل ، فيتصوره الصغير رجلا طاعنا في السن وعصاه في يده يسوق بها حماره الذي يلازمه في أكثر نكاته . ويتخيله الجاهلون من طبقة العوام رجلا ذاجنة فيسرفون في الضحك به ، ويعتبرون نوادره لونا من الهزل الرخيص . وهو في الواقع رجل عظيم كما ذكرنا ، حكيم رزين ، وعالم متزن متحل بمزايا الإنسان الكريم . أما نكاته فهي مرآة صافية تتمثل فيها جوانب شخصيته الممتازة . وقد ترجم أغلب نوادره إلى اللغات العربية والفارسية والهندية فضلا عن أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية الحديثة . وقيل إن أحد الإنكليز المغرمين بنوادر جحا كان يقتني كل نادرة غير موجودة في مجموعته بجنيه استرليني ، حتى تمكن من الحصول على عدد غير قليل من نوادره ..

كان جحا يجالس العلماء البارزين ويحدثهم في كثير من المسائل ، وكان يصاحب رجال الدولة وخاصة القضاة منهم ، فيستشيرونه في كثير من الأمور فيرشدهم إلى أسلم الحلول . وكان الأفراد ، صغيرهم وكبيرهم ، يحتكمون إليه فتراه يحل مشاكلهم بفطنته ويقطع بينهم دابر الفساد بدرايته . فيرضي بحكمه الصغير ويقنع برأيه الكبير .. يحسم النزاع بشكل لا يدع فيه للاعتراض مجالا ولا يترك للمناقشة بابا . يعبر عن غاياته بتعابير شيقة توافق مقتضى الحال . فيعرف كيف يخاطب الصغير ويجاري الجاهل الغرير[3] وهو يعرف كيف يوازي الحكيم المحكم ويوازن الشيخ الكريم ...

أدرك جحا عصر تيمورلنك[4] الملك الجبار وأنس بمجلسه . وكان يواجهه في كل حين مواجهة صديق لصديقه ، لا يأخذه منه روع أو جزع ..

دخل تيمور بلدة جحا مظفراً منتصرا على العثمانيين . فخاف الناس أن يصيبهم منه أذى حتى أقدم جحا على زيارته

---

(١) بمعنى الفاكه

(٢) وهو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه

(٣) بمعنى الغر بكسر الغين

(٤) وإن يرى بعضهم خلاف ذلك ..

وأبدى جسارة فى الجلوس بجانبه . ولما رآه وقد مد إحدى رجليه (٥) أراد أن يضحك منه ؛ فما هو رجله من ساعته . فاستشاط تيمور غضباً وقال له : لقد سمعت عنك أنك ظريف حكيم ولكن تبين لى أنك حمار ! فتبسم جحا ضاحكا وقال له : أجل ! إنه ليس بينى وبين الحمار فرق سوى ذراع أو ذراعين (٦) ! فتعجب تيمور من هذا الجواب فأمر بالإنعام عليه وجعله من المقربين

ويروى عنهما نكات كثيرة ، نخص بالذكر هنا إحداها وقد عيزت بطابع القضاء الذى جعلنا المقال يدور حوله

ارتجل (٧) جحا يوماً أوزة وجاء يقدمها إلى تيمور . فغلب عليه الشوق إلى أكل شرحة منها ، فعالجها لاختيار الموضع الذى يأكل منه حتى تناول إحدى رجليها(٨) . . ففطن السلطان للمسألة ، فسأله بغضب عن علتها فأجاب جحا قائلا :

— إن الإوز فى هذه البلاد — يا سيدى — له رجل واحدة ! وأشار إلى الإوز فى الحديقة وهى واقفة على رجل واحدة (٩) .. وعندها قام تيمورلنك فضرب الإوز بعصاه حتى تولت برجليها مسرعة . . قال له جحا : لئن ضربناك بهذه العصا لرأيناك تركض بأربع أرجل ! وكان ذلك جواباً مفحما ابتغى من ورائه الإشارة إلى الآثار السيئة التى تنجم عن التعذيب فى المجتمع

* * *

لقد زادت قيمة جحا وعلت منزلته بين الناس بمر الأيام وكر الأعوام حتى تكون له مركز ممتاز فى المجتمع . وقد ذاع صيته فى أطراف البلاد ، فاهتمت به الأوساط الأدبية وعنت المجالس الثقافية بجمع نوادره الرائعة .. وأحبه الناس حبا جما فكانوا يكرمون وفادته فى كل مكان . وكان رجال العلم وأكابر القوم وولاة المملكة وقضاتها لا ينقطعون عن مجلسه ولا يدعونه ينقطع عن مجالسهم

يروى أن أحد القضاة أراد يوماً أن يستهزئ بجحا فى مجلس ضم جما غفيرا من علية القوم ، وكان يقربه فى ذلك أحد التجار ، قال :

— لا غرو أن كثرة الكلام داعية للخطأ ، فهل صادف أن سببت لكم الثرثرة خطأ ؟

قال جحا : نعم . وكان ذلك فى موضعين : أحدهما فى جملة « وقاضيان فى النار » فقد قرأتها خطأ « وقاض فى النار » وثانيهما فى آية « إن الفجار لفى جحيم » إذ قرأتها « إن التجار ... »

ويروى له مع هذا القاضى نادرة أخرى أطرف من سابقتها وهى أن جحا كان يوما جالسا مع صديقه القاضى فى قاعة المرافعة ، فجاء رجلان يتخاصمان على رفع جيفة كلب ملقاة فى الطريق بين داريهما ، يطلب كل منهما إلزام الآخر برفعها رأى القاضى أن يحيل المسألة على جحا فيحسم النزاع وكان يروم الاستهزاء به . فما كان من جحا إلا أنه اعتلى منصة القضاء وأصدر حكما يتضمن أن الأفراد غير ملزمين بإزالة الجثث من الطريق العام ، وإنما المختص بهذا العمل هو حضرة القاضى الذى يمثل المصلحة العامة (١٠)

وهكذا حسم الدعوى حسما موافقاً لمقتضى القانون والعدالة ، منتقما من القاضى الذى أراد الاستهزاء به ..

ويعبر جحا بنكاته البديعة عن واقع الحال تعبيراً صادقا ، ويصور بها الأوضاع السيئة فى عصره خير تصوير . فانظر إلى فكاهته هذه كيف يوضح بها سوء القضاء وتفشى الرشوة بين الحكام :

حكي أن ثريا قال لجحا : إن تبصق على وجه فلان ، وهو

---

(٥) لعلة فى رجله

(٦) وكان يبعد عن تيمورلنك فى المجلس بهذه المسافة

(٧) بمعنى طبخ فى المرجل

(٨) فأشار بذلك إلى عرجة تيمور

(٩) والمعروف عن هذا الطير أنه يقضى معظم أوقاته واقفاً على الرجل الواحدة

(١٠) وفى التعبير التركى الذى استعمله جحا تورية تعنى أن جيفة السكلب هى حصة القاضى .

عدو لى ، فلك منى دراهم كذا .. وافق جحا على ذلك .. فرفع المشتكى أمره إلى القاضى ولدى السؤال أجاب جحا قائلا .

إن لدى فرمانا (١١) يخول لى الحق فى ذلك ..

فاستغرب القاضى من ذلك وقال له أرنى هذا الفرمان .

فإذا بجحا يدفع كيساً إليه وفيه نصف المبلغ الذى أخذه من صاحبه التاجر . وما أن أخذ القاضى الدراهم حتى ولى وجهه إلى المشتكى وقال :

— حقا لقد أبرز خصمك فرمانا يخول له الحق أن يبصق . على وجهك وعلى وجوه الناس بل وعلى وجهى كذلك !..

وتقلد جحا منصب القضاء مدة طويلة كان خلالها مثال الحاكم العادل الذى لا يغريه الطمع والحكيم المجرب الذى لا يغويه الفساد . فكان حازما فى رأيه صريحا فى نطقه ، قوى الحجة كثير البلاغة ، ذكيا ذا فطنة لا تخدعه خديعة الماكرين ولا يجترفه عن الصواب مكر الماجنين .

حكى أن أحد الماكرين أراد أن يحتال على كسار خشب ، فادعى أن له بذمته مبلغا نشأ عن حثه المدعى عليه على كسر الحطب بترديده كلمات « هينغ .. هينغ » حيث سهل أمر الكسر ، ولذا فإنه يطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بالمبلغ المدعى به وهو أجر قوله ...

تأمل القاضى — وكان جحا — فى المسألة ثم قال للمدعى عليه : هات المبلغ المدعى به ! وما أن أخذ الدراهم حتى رنها وأعادها إلى صاحبها المدعى عليه قائلا :

— إياك الدراهم .. وأنت يا مدعى قد انتفعت بصوتها فهو أجر قولك !

ويروى من جحا فى هذا الموضوع نوادر شتى ، منها :

المدعى (مشيراً إلى المدعى عليه) لقد كان هذا يحمل ثقلا فوقع من ظهره ، وطلب إلى أن أعاونه، فسألته عما يعطينيه قال « لا شئ » فرضيت بها وحملته الثقل ... ولذا فإنى أطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بتأدية « لا شئ » لى

جحا (وهو القاضى) — دعواك صحيحة يابنى ! .. تقرب منى وارفع هذا الكتاب .. ماذا تجد فى أسفله ؟

المدعى — لا شئ ..

جحا — فخذها إذن وانصرف !

ويلاحظ أن القرارات التى كان يصدرها جحا لم تكن من نوع القرارات القراقوشية التى لا تتفق مع قواعد العدالة .. ولئن كان ظاهرها موصوفا بطابع الهزل فإن باطنها كان محبوكا بأنسجة الحق والصدق .. فلم يكن جحا ليمزج الحق بالباطل أو يخرج الصدق بالمين إلا على سبيل الملاطفة .. جاءه يوماً رجل وقال له :

— إن ثوركم نطح ثورى فهلك ! فهل يلزم الضمان ؟

فقال جحا : كلا ! فإن دم العجماء جبار ...

فقال صاحب الثور: عذرا لقد أخطأت، فإن ثورى هو الذى نطح ثوركم !

وعندها قام جحا منزعجا وقال :

— هات لى الكتاب الفلانى ، فقد تغير وجه الادعاء

وأبدع جحا مرة فى الإجابة عن بعض الادعاءات المتناقضة بقول حاسم جميل، لقد جاءه أحد المتخاصمين يبسط له النزاع ويبرئ نفسه ويدين خصمه . فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، وبعد قليل جاء المتخاصم الثانى وبدأ يشرح له الأسباب ، فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، فاستغربت امرأته من ذلك وقالت له : لقد جاءك المتخاصمان فقلت لكل منهما إنك على حق ! ولئن كان أحدهما محقا فى دعواه، فإن الآخر ولاشك غير محق فيها ، فالتفت إليها جحا وقد تدارك الجواب :

« نعم وإنك على حق »

كركوك **عطا الله ترزى باشى**

---

(١١) الفرمان هو الارادة السنية التى كان يصدرها السلاطين العثمانيون فى أمر تولية بعض المهام الرسمية

زعماء التاريخ

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسين

« لم يكن مصطفى كمال رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه إلى البطولة خلو الميدان .. ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل .. والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت . » الزيات بك

— ٦ —

انتهى الكفاح المسلح ... وخرجت تركيا من الحرب منتصرة ظافرة .. وبذلك بدأت الحياة تدب فى قلب الوطن التركى من جديد . واضطر الحلفاء أن يعترفوا باستقلال الأتراك .. ويعيدوا إليهم حريتهم المسلوبة .. وأراضيهم المحتلة

ومن عجيب المتناقضات . أن هول هذه النكبة التى حاقت باليونانيين .. كانت أكبر سبب فى إزالة العداء بينهم وبين الأتراك .. وإنشاء علاقات ودية بين حكومتى أنقرة وأثينا .. وهكذا نفذ مبدأ تقرير المصير عن طريق السيف والنار..والذبح والتدمير ! (١)

وإن الباحث فى تاريخ الحركة الكمالية يرى أن هناك ظروفا — لم تخل من مزايا — ساعدت مصطفى كمال وأتباعه .. على الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة .. التى لم يكن يتوقعها الأتراك أنفسهم

وهذه المزايا يمكن تلخيصها فيما يلى : (٢)

أولا : نجد الترك فى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ قد تخلصوا — إن طوعا وإن كرها — من عبء إمبراطوريتهم .. وكانت عبئا أثبتت الحوادث أنه لم يكن لهم طاقة بحمله

ثانيا : فى الحروب الماضية لم تنفذ الأطماع الأوربية إلى أرض الوطن التركى نفسه . أما عند نهاية الحرب العالمية .. فقد قسمت تركيا إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى .. فكان لذلك أثر كبير . إذ دبت فى صدور الأتراك عاطفة وطنية قومية .. تهدف إلى استقلال الوطن .. لا إلى استعباد الغير ..

ثالثا : انهكت الحرب العالمية قوى المتحاربين جميعا لا فرق فى ذلك بين المنتصرين والمنهزمين .. ولذلك لم يعبأ الرأى العام فى الغرب بغضب رجال السياسة .. ولم يذل اليونانيون مساعدة جدية .. من جانب الحلفاء ... مما ساعد الكماليين فى حركتهم القومية

رابعا : عملت الحكومة البلشفية فى روسيا على تشجيع الكماليين ومساعدتهم .. علهم يتمكنون من إجلاء الحلفاء عن القسطنطينية .. وسد المنافذ للبحر الأسود

ويرى الأستاذ محمد شفيق غربال .. أن هذه المزايا الأربع .. كانت عظيمة الأثر .. كبيرة الخطر .. ولكن لا يقلل هذا من عظمة مصطفى كمال .. وحسن بلاء أتباعه .. إذ لم تكن إذ ذاك واضحة وضوحها لنا الآن .. وكان قيامه بالحركة كله جرأة وإقدام وبعد نظر

وإذا أردنا أن ندرك عظمة الجهود التى قام بها مصطفى كمال .. فلنرجع إلى خطابه الذى ألقاه أمام حزب الشعب سنة ١٩٢٧ م .. والذى جاء فيه .. « وهناك أمران مهمان فى صدد هذه الفترة .. أولهما : أنه كان يسود فى الأذهان فكرة وجوب عدم إغضاب الدول الكبرى المنتصرة . أثناء البحث فى وسائل الخلاص .. وكانت فكرة عجز الأمة عن الوقوف أمام واحدة منها ... فضلا عن الجميع ... راسخة رسوخا قويا فى الأذهان .. ولم يعد منه شئ أبعد عن المنطق والعقل فى نظر الناس من الوقوف فى وجه قوى الحلفاء

أما ثانيهما : فهو الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقا وراء التقاليد الدينية والوطنية التى مرت عليها الأجيال .. ولم يكن أحد قادرا على فهم معنى الخلاص من غير الخليفة .. وكان من يشذ عن هذا المفهوم .. يتهم باللادينية .. واللاوطنية .. والخيانة ... »

ومع هذا الفساد فى الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم القاتم .. وفقدان الثقة بعظمة الأمة التركية وحيويتها .. كانت خطب الزعيم مصطفى كمال .. وأقواله المأثورة منذ أوائل الحركة

---

(١) هـ فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ص ٥٨٤

(٢) محمد شفيق غربال بك : دائرة المعارف الاسلامية المجلد ٥ تركيا

النضالية وفى أثنائها . . وبعدها . . تدل على أن ما صدر عنه من توجيهات . . وأعمال قضائية . . وسياسية . . وانقلابيـة . . وإصلاحية . . فى مختلف النواحى . لم يكن مرتجلا ، وإنما كان يدل على عظمة حقيقية

بعد أن انتهى مصطفى كمال من تحقيق غرضه الأول . . وهو الحصول على استقلال الوطن التركى . . بدأ ينظر فى حالة البلاد الداخلية . . فـكان أول عمل قام به هـو الفصل بين السلطنـة والخلافة . . وإلغاء السلطنة نهائيا من البلاد

أخذ يخطب فى المؤتمر الوطنى . . وقال للنواب : « إن السلطنة شئ . . والخلافة شئ آخر . . ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى . . »

وحينما طـال الاجتماع — وكثرت المناقشات . . ضجر مصطفى كمال من طول الانتظار . . فاقتحم القاعة وقال . « لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من الشعب . . ومن حق الشعب أن يستردها . . ويفصل بين السلطنة والخلافة . . ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار . . وإلا كلفتكم المعارضة ثمنـا غاليـا هـو ... رؤوسكم . . » وما أسرع ما وافق الأعضاء . . وألغيت السلطنة . . وعزل السلطان وحيد الدين . . ونصب مكانه عبد المجيد خليفة المسلمين . . دون أن تـكون له صفة سياسية . . وبعـد فترة قصيرة . . أعلنت الجمهورية . . وأصبح مصطفى كمال رئيسا لهـا . . ورئيسا لأركان حرب الجيش . . ورئيسا لحزب الشعب ... »

نظر مصطفى كمال بعـد ذلك إلى منصب الخلافة . . وكان يعتقد بعبث وجوده . . خصوصا وأن زعماء المعارضة بدأوا يتخذونه محورا لحركاتهم . وعملوا على تقويته بمختلف الوسائل ، وكانت خطتهم تقضى بإعادة السلطة الزمنية للخليفة ، وجعله سلطانا على الأتراك ، وفى سنة ١٩٢٤ ، قرر المؤتمر إلغاء الخلافة وحرمان الخليفة المخلوع ، وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا ، من الإقامة داخل حدود الجمهورية إلى الأبد

عمل مصطفى كمال بعد ذلك على إلغاء الطرق الصوفية ، لأنه رأى ما لمشايخ الطرق من تأثير على الجمعيات والاجتماعات السرية ، والدعـوة إلى المظاهرات ، وإثارة العصبية الدينية ضـد العهد الجديد ، وفى سنة ١٩٢٥ ، صدر قانون بإلغاء الطرق ، وإغلاق الزوايا ، وممـا قاله مصطفى كمال فى ذلك ، « إن هذا الظرف كان من خير الظروف للقضاء على هذه المخلفات البغيضة التى شوهت الدين ومبادئه ، وجعلت أماكنه أوكار جهل وعبث وفساد ... »

كما أصدر تشريعا يقضى بمنع الإسراف فى الأعراس ، ومما جاء فى هذا التشريع ، « منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد ، ومنع إقامة مآدب أفراح عامة ، ومنع إهداء العروس أكثر من ثوبين ... »

وعمل أيضا على منع تعدد الزوجات ، وتعليم البنات ، وقد نص الدستور على التعليم الإجبارى للأنثى كالذكر تعليما ابتدائيا ، ويعتبر هذا التشريع خطوة كبرى أدت إلى سفور المرأة التركية ، وخروجها إلى ميدان الحياة ، ولم يقتصر على ذلك ، بل نادى بتغيير الزى بمـا يتناسب وروح العصر ، وجعل القبعة غطاء الرأس لجميع أفراد الشعب التركى . . كما أصدر قانونا بإلغاء الرتب والألقاب ، واكتفى بأن جعل لـكل عائلة لقبا تعرف به ، وبذلك عرف باسم « أتاتورك » أى والد تركيا

حقا : لقد كان مصطفى كمال ، والد تركيا ، وزعيمها الأكبر ، فإليه يرجع الفضل فى نهضتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو الذى جدد معالمها ، وخلقها خلقا آخر ، وجعلها من أقوى الدول الشرقية

ومما عرف عنه ، أنه كان يكره أن يعزى إليه كل الفضل فى بناء صرح النظام الجديد ، بل يعزو نجاحـه إلى وطنية الشعب التركى ، وإخلاص رفاقه القائمين معه بأعباء الدولة ، وكان يكره أيضـا أن يوصف عهده « بالـكمالى » ، أو أن يقال إن الشعب التركى ينتمى إلى الحزب الـكمالى ، وذلك لأنه يعتقد أن ليس فى البلاد حزب كمالى ، وحزب غير كمالى ، لأن الشعب كله حزب واحـــد ، هو حزب الوطن ، يسعى لخير الأمة ، ويعمل على رفع منارها

ولقد كان للأتراك فى مصطفى كمال ثقة عمياء ، وقد سئل أحدهم عنه مرة فقال « إنه صفوة الرجولة التركيـة ، ونموذجها

المعصوم عن كل خطأ » لقد كان مصطفى كامل زعيما وطنيا مخلصا ، أحيا وجاهد ، وأصلح وشرع … » ولم يكن رجلا من رجال المصادفة والحظ ، يرفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ، وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يرشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت … »

الاسكندرية عبد الباسط محمد حسن

مجال الدعوة الاسلامية

يجب أن يشمل المجموعة البشرية

للأستاذ أحمد عوض

مهداة إلى الأستاذ سيد قطب

كان من أثر الاستعمار فى البلاد الإسلامية أن سلبها حريتها ، وألزمها خطة الانطواء على النفس ، وركز فيها سوء الظن ، وحرمها مزية التعاون ، وكفها عن نشر دعوة ألزمهم دينهم نشرها ؛ هى دعوة الإسلام

والإسلام دين لم يخص من الناس فريقا دون فريق ، ولا عنى بطائفة دون أخرى ، وإنما أنزل على قوم كلفوا بأن يوسعوا مجاله بنشر تعاليمه حتى تشمل الكافة . وعلى كل من ينضم إليه أن يشارك السابقين إليه فى الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدل بالتى هى أحسن

لكن الدعوة إلى تعاليم عالمية تستلزم أول ما تستلزم ضروبا من الحريات ، منها حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة

وهذه الحريات جميعا وسائر الحريات كبحها الاستعمار وبخاصة ما كان منها مؤديا إلى دعوة عالمية ، فالاستعمار منفعة خاصة أساسها أنانية المستعمرين على حساب حريات الإنسانية العامة .

وفرط المسلمون فى حق أنفسهم وحق دينهم بما أهملوه من التسلح بكافة الأسلحة ، معنويها وماديها ، فغلبهم المستعمرون على أمرهم ، وكبتوا مشاعرهم ذلك الكبت الذى لم يصل وان يصل إلى أصل العقيدة ، ولكنه وصل إلى وسائل نشرها ، فلم يقو الأستعمار على رغم بطشه وظلمه على انتزاع الاسلام من الصدور ، ولكن قوته كانت كافية لمنع المسلمين من توسيع مجال الدعوة إليه ، وهذا ركن أساسى فيه

واكتفى المسلمون قرونا بالتحدث عن مزايا الاسلام بين المسلمين ، حديثا ما دام بين مسلم ومسلم ، فهو لا يشرح العقيدة المفروغ بين المسلمين من اعتقادها ، وإنما يشرح الطقوس والشكليات ، لأن هذه هى التى يحتاج المفروغ من أمر عقيدته الاسلامية إلى الاستزادة من معرفتها . وبذلك أصبحت الدعوة بين المسلمين قاصرة على العبادات والمعاملات ، وهى عظيمة الشأن ما فى ذلك من شك ، ولكن روح الاسلام وأهدافه الجماعية — وهى التى من أجلها أنزل — أصبحت مهملة ، لأن الكلام فى الدين أصبح بين مفروض فيهم التمتع بها ، بتلك الروح والمعرفة بهذه الأهداف

لكن لا هذه ولا تلك ولا المعاملات ولا العبادات ولا أى شئ فى الحياة يمكن أن يصل إلى كماله أمام العقبات التى أوجدها الاستعمار من كبت الحريات ، ومن نشر الجهل والمرض والفقر

والآن وقد أكلت النار نفسها حين لم تجد ما تأكله ، وتناقصت قوى الغرب المستعمر بما تناقص إيمانه بالله وتمسكه بالفضائل ، فأصبح لا يكاد يستقر فى حكم نفسه حتى يستقر فى حكم المستعمرات . والآن وقد أحس المفكرون فى الغرب بأن الحضارة التى أقاموها على الماديات توشك أن تنهار ، فقد انتقمت الفضائل المهملة لنفسها ، وتزعزعت عقائد الماديين بالمادة ، وبشر الاسلام بنفسه حين أكره المسلمون على الكف عن التبشير له

والآن وقد بدأ المسلمون يستروحون نسيم الحرية بما أضعف خصومهم ، فانصدعت قيودهم ، واتسعت حدودهم ، فإنهم يجدون فى الغرب عقائد دينهم تمشى على أقدامها هى لا على أقدام المسلمين . وللفكرة أقدام وأيد ولها أيضا أجنحة ، ولئن

أهملنا أن نعطى من مزايا الاسلام ، فقد أكره الغرب وإن لم نعطه منها على أن يأخذ هو ، وشتان بين أخذه من ماديتنا ذلك الأخذ الذى ينتقص من تلك الماديات ، وبين أخذه من معنوياتها ذلك الأخذ الذى يزيدها ويباركها ، والدين كالعلم يزيد مع كثرة الإنفاق ، والآن أمام هذا كله أصبح فى الغرب من يبشرون بالاسلام ، أو بركن من أهم أركان الاسلام ، هو نواحيه الخلقية ، ودائرته الجماعية ومساواته بين الخلق كافة فى الحقوق والواجبات ، ودعوته إلى السلام ، وتحريمه الحرب إلا دفاعا

بدأنا نتحرر ، وبدأنا نستطيع استئناف ما وجب علينا ، ولا يزال مستمر الوجوب من الدعوة إليه ، فهل يقضى المنطق بأن نصحح أخطاء الداعين دعوتنا ، ونكمل النقص إذا كان هناك ثمة خطأ أو نقص ، أم نظل نحن المنوطة بنا رسالة الدين من بين المدعوين المستمعين ، أم نظل مقتصرين على الدعوة للاسلام بين المسلمين ؟

ماذا يجب على المفكر المسلم الملم بلغات الغرب حين يقرأ فى تلك اللغات دعوة إلى مبادئ دينه ؟ أينافضها لأنها « من الخارج » أم يدعو الداعين ويجادلهم بالتى هى أحسن

ليس هناك إسلام أجنبي ، بل ولا إسلام عربى ، وإنما هناك رسول عربى بكتاب عربى من عند « الله » ، كلف المسلمون أن ينشروا تعاليمه فى أرجاء العالم الفسيح ، ومن أركان الإسلام : الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

نعم ونعم هى ، ولكن الاسلام الذى هذه أركانه والذى كتابه قرآنه ، قد نص على سبب نزوله ، وهو الهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ونبيه المبعوث بين سبب بعثته بأنها إتمام مكارم الأخلاق

وبعد فالحركات القائمة فى أوربا وأمريكا لنشر فضائل الدين الاسلامى ، لا تهدف إلى مزاحمة ديننا ، وليست مذهبا فى هذا الدين ، وهى لا تزيد فيه ولا تنقص منه ولا تبتغى التأويل ، وإنما القوم قد أسرفوا فى مادياتهم واستمرءوا بها ، ومن استمرأ بشئ أورثه الله ذله ، فاتجهوا إلى الدين ، إلى دينهم أولا فوجدوا من الهداية بالمحبة والتسامح والتضحية ، ولكنهم فطنوا بعد ذلك إلى أمور نص الاسلام فيها أصرح وأوضح ، فالاصلاح المنشود سبيله فى الاسلام التغيير . تغيير المرء ما بنفسه حتى يغير الله ما به . ولئن دعاهم السيد المسيح فيما ينص عليه إنجيلهم أن على الذى يحبه أن يحمل صليبه ويتبعه ، فإن القوم قد لهجوا بالآية القرآنية

ولئن فطن القوم إلى أن علة شقائهم هى التنازع فيما بينهم على المستعمرات ، والعداوة التى وجهها العالم إليهم سببها التنازع بين الطبقات وبين الألوان وبين الأديان ، فقد لهجوا بما نص عليه القرآن من أن أفضلكم عند الله أتقاكم ، وما نص عليه مبعوث هذا الدين من أنه لا فضل لحر قرشى على عبد حبشى إلا بالتقوى وقام فيهم من يدعو ، لا إلى اعتناق الاسلام على صورة غير صورته ، ولا إلى نسبة شئ إلى الاسلام ليس فيه ، ولا إلى إخراج لفظ فى الاسلام عن معناه ، بل إلى روح الدين وإلى الفضائل الشائعة بينه وبين سائر الأديان

ولكنهم أخذوا بعضه ، فهل ندلهم على باقيه ؟ أم لا نزال بأنفسنا من أثر الاستعمار بقية تلزمنا الانطواء على النفس ؟

إنهم يريدون محاربة الشر بمثل سلاحنا ، بسلاح الخلق . فهل نحارب الشر معهم به ؟ قبل أن ننطق بالجواب يجب أن نسائل أنفسنا ، أين منا موضع الدعوة ومن الذى ندعوه وكيف ندعوه ؟

ليس فى أمريكا ولا أوربا إسلام أمريكانى ولا أوربى ، وإنما فيها اليوم أكثر من دعوة لنشر فضائل الدين الاسلامى ولكن فى مصر وفى سائر البلاد الاسلامية من يهملون الدعوة إلى الاسلام تاركين هذا الواجب لدخلاء عليه مستغلين له مسخرين لغايات استعمارية ابتغاء منفعة شخصية كما قال بحق الأستاذ سيد قطب فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة

هؤلاء يجب أن يحاربوا ولكن يجب أن نفرق بين هؤلاء وبين الداعين مخلصين لمبادئ إسلامية لم يجدوا غيرها وسيلة لمحاربة المادية ، استعمارية كانت أو شيوعية ، ولانتشال المدنية مما جنى عليها من المطامع الأشعبية

أحمد عوضه

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— ٣ —

أما الأوضاع الاجتماعية فى الشرق العربى فقد شغلت الشاعر شغلا عنيفا حتى أتعبته ، فقد دار بعينيه فيما حوله فوجد العطب يدب فى كل مكان ، والظلم يخنق الرقاب بقيد حديدى ثقيل ، وقد تعددت مظاهر الفساد ، فلم تقتصر على شكل واحد ، واختلفت أماكن الداء فلم تخيم فى بقعة واحدة ، ولكنها سلاسل ممتدة مشدودة ، لاتجد الرقاب والأيدى والأرجل منها بعض الفكاك ، والجواهرى لايفرد النواحى الاجتماعية بقصائد خاصة تكشف عن مساوئها الخاطئة، بل يقرن الشغب السياسى بالفوضى الاجتماعية فى قصائده الملتهبة، فلولا الانحطاط الاجتماعى الشائن فى الشعوب المحتلة ، ماوجد المستعمرون وأذنابهم ماء عكرا للصيد، ولولا فساد الساسة وأنانية القادة مارزحت الدول تحت كابوس ثقيل من الجهل والمرض والحرمان ! وكان شاعر الفرات يتأوه تأوها مريرا لما تقابل به صيحاته من دس واتهام ، فقد علم المستعمر أذنابه أن يقاوموا حركات الإصلاح فى كل شعب ، فكل ناصح مخلص ثائر مخرب ، وكل مدافع عن دينه ووطنه هدام ثورى يدين بالمبادئ الخطيرة المتطرفة ، حتى التبس الأمر على السواد ، ودفعهم الجهل إلى التردد فى قبول النصائح وإحلالها محلها اللائق من القبول والانصياع .

فالوعى بغى والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام
ومدافع عما يدين مخرب ومطالب بحقوقه هدام

وقد كانت الشيوعية — ولازالت — أقرب تهمة وأيسرها على المحتلين وأشياعهم ، فما يكاد أحد فى الشرق العربى ينطق بكلمة فى الإصلاح ، حتى يتهم اتهاما خطيرا بما لايقصد إليه بحال ، واضطر الساسة جريا وراء مآربهم الذاتية أن يربطوا عجلتهم الضعيفة الوانية ، بعجلة إنجلترا القوية السريعة ، ووقف الدب الروسى رمزا للخوف والهلع والإزعاج ، كأن الأسد البريطانى المتوحش لايؤذى أحدا من الضعفاء مع أن ضحاياه فى الشرق من تسعين عاما قد ملأت المقابر بالأشلاء ، والطرق بالدماء . ولايزال المغرضون يفيئون إلى حنانه الكاذب وعطفه المزعوم .

شدوا بذيل غراب أمة ظلمت
تطير إن طار ، أوتهوى إذا وقعا
وخوفوها بدب سوف يأكلها
فى حين تسعين عاما تألف السبعا
وضيقوا أفق الدنيا بأعينها
بما استجدوه من بغى وما ابتدعا
وذاك معناه أن بيعوا كرامتكم بيع العبيد بتشريع لكم شرعا

ورغم هذه التهم الكاذبة شق الشاعر طريق الإصلاح فى صلابة وإيمان ، وقد حارب ببراعة المكافح فى جبهات متعددة ، وحمل المشعل فى يده يطارد الظلام فى كل مكان ساخرا بالعواصف ، متحديا جميع الصعاب !

ففى جبهة أولى يقف أمام الفقر فيحلل أسبابه ، ويكشف عن علله ، ويرمى بنظره فى هذه الكتل المتراصة فى الشوارع وقد كساها الجوع لباسا أصفر شاحبا هزيلا تمد الأيدى السائلة وتتبع الفتات فى القمامات كما تتبعه الحيوانات ، وتقف أمام القصور الشامخة منحنية ذليلة تتطلب الكفاف مما يرمى إلى الكلاب المدللة !! وقد مسح الفقر من نفوسها معانى الكرامة والعزة والإباء ، وفى داخل القصور الممردة نفوس تبترد بالخمور، وتتجمل بالحلى والعطور ، وأخونة تمتد بالطيبات من المطاعم ، وليالى حمراء مرنة بالقصف والرقص ، مغردة بألحان الفتيان ، مضيئة بوجوه الكواكب الحسان ! فشتان بين أولئك وهؤلاء

عجبت لخلق فى المغارم رازح يقدم ما تجنى يداه لغانم
وأنكأ من هذا التغابن قرحة غباوة مخدوم وفطنة خادم
لواطلعت عيناك أبصرت مأتما أقيم على الأحياء قبل المآتم

إذا أقبل الشيخ المطاع وخلفه
من الزارعين الأرض مثل السوائم
قياماً على أعتابه يعاورونها خنوعاً وذلاً بالشفاه اللوائم
حنايا من الأكداح تلق ظلالها
على مثل جب باهت النور قاتم
أمبتردات بالخمور تثلجت وبالماء يغلي بالعطور الفواغم
ومفترشات فضلة في زرائب يوسدها ما حولها من ركائم
أمن كدح آلاف تفيض تعاسة يمتع فرد بالنعيم الملازم
سياسة إفقار، وتجويع أمة وتسليط أفراد جناة غواشم

وفي جهة ثانية يحارب الجهل فيعلن أنه أس المصائب وشر لحن، فلولاه مانهش الجوع نهشاً في النفوس الكادحة، ولولاه ما حيكت الدسائس والمؤامرات للشعوب في ظل من الخداع والابتسام، ولولاه ما وطد المستعمر قلاعه وأقام بناءه الراسخ، ولولاه ماأقفلت المصانع والمتاجر وأصبحت الوظيفة الحكومية مناط الآمال ومبعث الرجاء، ولولاه ماقيدت الجوع اللاغية حفاة عراة لراكب، ولولاه ماحاز أشباه الجهلة من المتعالمين أسمى المناصب، وأعظم الألقاب، ولولاه ما كمت الأفواه الناطقة، واحتجزت الألسنة الصارخة عن كشف المثالب والهنات !! وأخيراً لولاه ماتدهورت الشعوب العربية إلى ما انحدرت إليه من ذلة وهوان

غزا الجهل أرض الرافدين فحلها
كثير السرايا مستجاش الكتائب
طليعة جيش المصائب هددت كرامته، والجهل أم المصائب
وما خير شعب لست تعثر بينه على قارئ من كل ألف وكاتب
يمشي يجر الفقر ردفاً وراءه
وأتعس بمصحوب وأتعس بصاحب
فكان لزاماً أن تحوز عصابة تزيت بزي العلم أعلى الرواتب
وكان لزاماً أن تتم سيادة عليه لأبناء الذوات الأطايب
وكان لزاماً أن تعطل صنعة
وأن يصبح التوظيف أعلى المكاسب
وكان لزاماً أن تقاد جموعه حفاة عراة مهطعين لراكب
وأوجع ما يصمي الغيور مقاصر
أطلت على محجورة في الزرائب

يبين على الحيطان شرح نعيمها وتغمرها اللذات من كل جانب
وتحيا ليالي الرقص فيها خليعة
تكشف عن سوق الحسان الكواعب
وتلك من الإدقاع تتسد الثرى يلاعب جنبيها دبيب العقارب

والجواهري قد حارب الجهل كما تقدم محاربة عنيفة، يحمل سوطه في يده ويهوى به على النشء المثقف من المتعلمين ! فيعجب القارئ بادئ ذي بدء لهذا الثائر الذي لا يرضى عن أحد، ولكنه ينصت للشاعر فيجده صاحب حق في جميع أقواله، فلا تناقض بين ما يقوله في شيء، إذ أن النشء المثقف في العراق وغيرها لم يحققوا الآمال المعقودة عليهم فقد رأوا كثيراً من الخرافات فلم يجلوا ظلامها الحالك عن النفوس، وشهدوا الأوضاع الظالمة — في عالم السياسة والاجتماع — فلم يحاولوا أن يقفوا أمامها وقوفاً ينذرها بالتصدع والانهيار، بل ربما ساروا في ركابها سيراً مشيناً، وقذفهم التيار إلى لججها الزاخرة، فهزوا مع الغواة وأساموا سروح اللهو حيث أساموه، والشاعر يرجع ذلك كله إلى التربية نشأ عليها التلميذ في مدرسته، فقد وجد من الأساتذة من لا ينير طريقه ويكشف ليله، ومن المناهج قشوراً بالية يعني وضعها المستعمر، فليست تقوم خلقاً أو تحيي كرامة، بل تخلق فتى مائعاً يعني بهندامه كملبسه، ويتشبه بالنساء في عطوره وزينته، ويمشي متخاذلاً مدلاً تغمره الأحاسيس الناعمة. وتقوده العواطف الرقيقة وقد يتنامى رجولته فيلجأ إلى التخنث والتبذل والعربدة، فخطرات النسيم تجرحه، ولمس الحرير يكلم راحته، وقد مات شعوره فلم يفكر في ضحايا قومه، وصرعى معشره، كأنه ليس منهم وليسوا منه ! فيصير هؤلاء الماسيخ المشوهون خلقاً وعقلاً معقد آمال ومبعث حياة، أم يسيرون بأمتهم إلى الوراء مئات الأميال، ويهوون بها إلى الحضيض السحيق في أغوار الظلام !

هلمو إلى النشء المثقف واكشفوا
حجاباً يغطي نفسه وقناعا
تروا كل مفتول الذراعين ناهداً قصيراً إذا جد النضال ذراعا
وكل أنيق الثوب شد رباطه إلى عنق يمشي العيون لماعا
يموع إذا مس المجير رداءه كما انحل شمع بالصلاء فماعا

تراه خلى البال أن راح داهنا ... وأن قد ذكا منه الأريج وضاعا
وليس عليه ما تكامل زيه ... إذا عرى الخلق الكثير وجاعا
وأن راح سوط الذل يلهب أمة ... كراهيـة يستاقها وطواعا
ولم تشجه رايا وسمعا قوارع ... يسوء عيانا وقعها وسماعا
ورب رءوس برزة عششت بها ... خرافات جهل فاشتكين صداعا
بها نومتنا الأمهات تخوفا ... وما أيقظتنا الحادثات تباعا

وكما حنق الجواهرى على المثقفين من بنى وطنه ؛ حنق على بعض رجال الدين من ذوى العثانين الممتدة ، والعذبات الطويلة ، إذ أن رجل الدين الصادق فى رأيه هو الذى يغير المنكر بيـده ولسانه وقلبه ، فيكون ثائرا إن دعا الأمر للثورة ، وصائلا حين يتحتم الصيال ، وقد تزيى بلباس الدين أقوام من مشايخ الطارق وأصحاب الأذكار والأوراد ، وهم لا يفهمون قليلا عن روح الشريعة ولباب الإسلام ، وصادفوا من العامة ثقة غالية ومنزلة رفيعة فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وابتدعوا البدع ابتداعا ، وجسموا الأوهام تجسيما يدعو إلى الذعر والهلع ، ومسخوا روح الدين من النفوس ، وساعدوا الطغاة والآثمين ، فكانوا مطاياهم السريعة فى التنويم والتخدير ، وزاد الكارثة هولا أن هؤلاء الأدعياء لا يتورعون عن الآثام فى حقير أو جليل ، فهم يقترفون الموبقات ، وينتهكون المحارم ! ويتصيدون الرشى والأموال من سبل مريبـة ، حتى فاح النتن الآسن منهم على الناس ، ولابد لهذه الشرذمة من نقد عاصف يكشف زيفها الخاتل ، ويطمس بريقها الأخاذ ، فاندفع الجواهرى يندد بهم فى قصائده الثائرة كأن يقول

تحكم باسم الدين كل مذمم ... ومرتكب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يشهرونها ... إلى غرض يقضونه وأداة
وخلفهمو الأسباط تترى ومنهمو ... لصوص ومنهم لاطة وزناة
وما كان هذا الدين لولا ادعاؤهم ... لتمتاز فى أحكامه الطبقات
أيجبى ملايين لفرد وحوله ... ألوف عليهم حلت الصدقات
وأعجب منها أنهم ينكرونها ... عليهم وهم لو ينصفون جباة

والشاعر لا يترك سبيلا للتنديد بهم إلا سلكه وأوغل فيه ، ولو لم تكن مناسبة الكلام قوية ملحة ، فعندما احتفلت البلاد بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى ، وذهب الشاعر إلى دمشق ليلقى قصيدته باسم العراق ، لم يشأ أن يقصر الحديث على روائع الفيلسوف وآثاره ، بل حلل آراءه الاجتماعية تحليلا شعريا يمس اللباب الخالص ، ويشع مومضا بمختلف الإيحاء والإبداع ، وكان شاعر الفرات يجد الراحة الهانئة فى التنفيس عن مشاعره الممتزجـة بمشاعر أبى العلاء ، والناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فما أغضب المعرى من أوضاعهم الشائنة قد أغضب الجواهرى بعد ألف عام !! وكان لأدعياء الدين نصيبهم الوافر من النقد والتجريح ، فخفقت قصيدة الجواهرى بقوارس لاذعة تسيل دماءهم وتحطم كبرياءهم ، وتوغر صدورهم ، وما عليه وقد وافق أبا العلاء فى رأيه ، وجرى معه فى سنن واحد حين أهدى إلى روحه هذه الأبيات

وهؤلاء الدعاة العاكفون على ... أوهامهم صنما يهدونه القربا
الخابطون حياة الناس قد مسخوا ... ما سن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والفاتلون عثانينا مهرأة ... ساءت لمحتطب مرعى ومحتطبا
والملصقون بعرش الله ما نسجت ... أطماعهم بدع الأهواء والريبا
والحاكمون بما توحى مطامعهم ... مؤولين عليها الجد واللعبا
على الجلود من التدليس مدرعة ... وفى العيون بريق يخطف الذهبا
أوسعتهم قارصات النقد لاذعة ... وقلت فيهم مقالا صادقا عجبا
صاح الغراب وصاح الشيخ فالتبست ... مسالك الأمر أى منهما نعبا

يتبع

محمد رجب البيومى

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوقى التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أنى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أمير نا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل عن شعر شوقى من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أنى — على كثرة قراءاتى للشعر — وفقت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوقى ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لا بد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أنى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل والتزم مجزوءه — نظرا للايقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص، أما شوقى فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد — خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

واتركى فضل زماميه لنا نتناوب نحن والروح الأمين

الا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من القدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى ؟! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوقى على خلاف غيره من شعراء عصره

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء نشقوا فى العدد الماضى عطربانة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نفحة عبقة كـكل شعره العطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فإن كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يبقى نشره إلا فى أيار، فإن شعر شوقى فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستاف إذاً شذاه الموار

الشوقية الثانية

وهذه القصيدة الثانية قالها شوقي في جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت في حفلتها التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية في ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التي قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التي قامت بإنشائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

يا شباباً حنفاء ضمهم   منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى   وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بنا   ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته   ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به   وسعى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقي من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى صناجة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، في أسلوبه الموسيقي المشرق ونغماته العذاب إذ قال في ...

مهرجان اليتيم

حبذا الساحة والظل الظليل   وثناء في فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزي به تحت الثرى   لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده   كل بنيان على الباني دليل
أتراها سدة من بابه   فتحت للخير جيلاً بعد جيل

° ° °

ملعب الأيام ، إلا أنه   ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة »
وشجى الأجيال من « فردى » هديل (٢)
وائتلفنا في ذراها دولة   ركنها السؤدد ، والمجد الأثيل
أينعت عصراً طويلاً وأتت   دون أن تستأنف العصر الطويل
كم صفرنا الغار في محرابها   وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى   وشموس شيعت يوم الرحيل

° ° °

رب عرس مر للبر بنا   ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته   ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به   وسعى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وند   ومن الدور جواد وبخيل

° ° °

يا شباباً حنفاء ضمهم   منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى   وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة   بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يضرنكمو قلته   كل مولود وإن جل ضئيل

° ° °

أرجفت في أمركم طائفة   تبع الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجملوا الصبر لهم حيلتكم   قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا   رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن   مرشد للنشء بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى   نشئاً عن سنة البر عديل
لا تكونوا السيل جهماً خشناً   كالعباب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة   روت العشب ، ولم تنس النخيل

° ° °

لا عاروا الناس فيما اعتقدوا   كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم   فاطرحوا خلفكمو العبء الثقيل

° ° °

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مسرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردى » الايطالي

٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب

هذه ليلتكم فى « الأوبرا »   ليلة القدر من الشهر النبيل

مهرجان طوف « الهادى » به   ومشى بين يديه « جبرئيل »

وتجلت أوجه زينها   غرر من لمحة الخير تسيل

فكأن الليل بالفجر انجلى   أو كأن الدار فى ظل الأصيل

أيها الأجواد لا تجزيكمو   لذة الخير من الخير بديل

رجل الأمة يرجى عنده   لجليل العمل ، العون الجليل

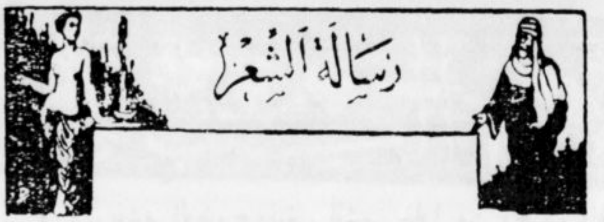
إن داراً حطتموها بالندى   أخذت عهد الندى أن لا تميل

إلى هنا تنتهى القصيدة ويبدو فيها شوق مرشداً ينصح شباب الجيل بعدم الطعن فى العقائد لأن الطائفية من شأنها التفرقة ، والأمة لا تستطيع الوثوب إلى الأمام ومماشاة ركب النهضة إلا بالاتحاد ، وأن الأمة التى لا تستطيع أن تهذب أبناءها وتجد لهم سبل العيش والثقافة ما هى إلا أمة مقضى عليها لا محالة وخصوصا إذا جمع أبناؤها « رقة الدين إلى الخلق الهزيل » لأن « الأمم هى الأخلاق » ولله دره حين يقول :

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

فشوق إذن هنا مصلح اجتماعى يلبس مسوح الوعاظ ليقدم نصائحه ، وهكذا يجب أن يكون الشاعر الإنسانى حيث يؤدى رسالته على الوجه الأكمل

عبد القادر رشيد الناصرى



الشاعر

أنت حب ورقة وحنان   ومن الحب عبقرى الغناء

« تهدى إلى الكاتب الكبير الذى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وأشاع فيه من سحر ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات بك »

« أنور العطار »

للأستاذ أنور العطار

واهب عاش خالد الأصداء   غمر الكائنات بالنعماء

لهوى قلبه ، وللشجو عينا   ه ، وللعالمين سحر الحداء

طافت الأرض فى رؤاه تصاوير   ر ندايا بجدة ورواء

قيل لى صفه قلت : دنيا من الفن   وكون من رنمة وازدهاء

ليس يدرى غير التسامح دينا   فهو روح السخاء رمز الفداء

صاغه الله من حنان ورفق   ودموع وصبوة ووفاء

صور الطبع خير من صور الطب   ع وفنى فى رقة وصفاء

يشرق البشر فى محياه نضرا   ومن البشر أنفس الشعراء

ويرف المنى النبيل على الألف   ظ رفيف السنا على الأنداء

هو فى حالتيه قيثارة النج   وى تسامت فى ضحكها والبكاء

تذر النفس أدمعا وشعوراً   والهيبا كوقدة الرمضاء

يا له ساحرا تمرس بالسح   ر وأربى عليه فى الإفناء

إن تغنى مسترسلا ملك الأر   واح حتى تذيب فى الإصغاء

كل معنى مثل الطبيعة باق   والمعانى مناجم الحكماء

٭ ٭ ٭

ياصدى الأنفس اللهيفة باحا   مل عبء الهموم والأدواء

تنقل البرء اللأْلى نشدوا البر   ء وفى القلب عالم من رثاء

هكذا الأنفس الكبيرة تحيا   لسواها فى فرحة واحتفاء

فإذا رمت أن تكون سعيدا   فتعهد مصائب الأشقياء

بسمات الحنان أفعل فى الأنـ   فس من أى نائل وعطاء

نعمى الكائنات والفضل يبق   وهو إرث العلياء للعلياء

وإذا راعك القضاء بخطب   فكن الثبت فى صروف القضاء

واحى للشعر والهوى والتمنى   واصحب العيش بالرضا والرجاء

قل إذا اهتجت فى احتدام الليالى   والتحام الأرزاء بالأرزاء :

أنا ما عدت أستسيغ بكائى   مردت مرتى على البأساء

نقيت مهجتى من الوهن الز   رى ولم تحفل الأسى حوبائى

ونفضت الإعياء عنى وصعب   أن يعيش الفتى بلا إعياء

وتهزأت بالحياة ولاقي   ت الرزايا بالنظرة الشزراء

وتقحمت غايتى غير هيا   ب صراع الدجنة السوداء

وهى النفس إن تثر تركب الصع   ب وتزحم مناكب الجوزاء

فاعصفى يارياح ، هامتى اليو   م تمرت عن صخرة صلداء

واصخبي واصرخى فلن تثلم الده   ر اعتزامى ولن تفل مضائى

من هبوب السموم أنفاسي السحـ ـم ومن شملة الشموس ردائي
ما أبالي الرمضاء وهي تلظى باللهيب يفرى حشا الغبراء
أنا من زأرة الأسود أناشيـ ـدي ومن جأرة الرياح ندائي
أنا هذي الصحراء في قلبها الثبـ ـت وفي هزّها من اللأواء
أنا دنيا من المهـابة والعز م وكون يضج بالأنباء
لست أختار أن أكون نبيها أنا أسمى والمجد يسمى ورائي
مربي النجار من ذروة الحز م ومن قمة العلى والإباء
يادموع الضعاف، خير وأبقى من شجا الدمع بسمة الأقوياء
ونعيم الحياة ملك الأشدا ء فواها للمعشر الضعفاء

° ° °

فن ياابن الغمام والجبل الثم م والظل والشذا والماء
فن ياابن الليل الموشح بالنو ر وياابن الضحى وياابن المساء
فن ياابن الوديان ياابن الينابيـ ـع وياابن السماء والدأماء
فن ياابن النجوم والقمر العا شـق والسفح والربا الشماء
فن ياابن الفتح الذي انتظم الأر ض وأولى طرائف الأشياء
فن ياابن الماضي المضمخ بالمجـ ـد وياابن العروبة العرباء
فن فالعالم الرحيب تسابيـ ـح هيامي من نشوة الإيحاء
صور الرحمة التي تغمر الكو ن بفيض الأنداء والآلاء
صور الحب والحنان على الأر ض ونجوى الأصداء للأصداء
طف كهذا الربيع نشوان فرحا ن غني العبير جم البهاء
لح كهذا الصباح يختال جذلا ن يعم الأكوان بالأضواء
بأبي القلب سامياً بالمزايا بأبي الوجه طافحاً بالحياء
بأبي العبقرية الفذة البكـ ـر تلف الحياء بالكبرياء

° ° °

أنا نشوان من نشيدك هيما ن فهات اسقني وزد في انتشائي
هدهد القلب والهوى والأماني بغنـاء باق على الآناء
وطن أنت ظاعنـا ومقيما لست والله بالغريب النائي
إنما الغـربة التي ما تقضى غربة الفكر والندى والعلاء
شاعر الخلد يا نشيد الأناشيـ ـد ويا روعة الأماني الوضاء
لك لحن جم المناعم فيه راحة النفس والقلوب الظماء
هو فيض العقول والفطرة السمحـة وابن الطبيعة السمحاء
لا يغني سوى الجمال ولا يعـ ـرف غير الحقيقة الغراء
خيره كالربيع صاف شهي طافح بالطيوب والأشذاء
لم يزل ينشد الوضوح ويبغي الشعر خلوا من زخرف وطلاء
لك من روضه الظليل الندي مثل ما للربيع من أفياء
عبق يغمر السموات والأر ض ويزهى بعطرف وشذاء
حافل بالعبير آذار ندا ء وأغنى على البطاح الرواء
كل زهر في الكون يذوي ويفني غير زهر القريحة الغناء
درج الليل والنهار حثيثـين وملامن روحة واغتداء
وأصاب الحياة عادي المنايا فتوارت عن نفسها بخباء
وأطل البيان من رفرف الخـ ـلد عتيا على الردى والعفاء
لم يزل عطره يروح ويغدو وهو زاد الحياة والأحياء
هو باق على امتداد الليـالي والليالي هوالك ونوائي
هات يا شاعر الهوى نبه القو م وحدث بالدمعة الحمراء
شاعر الحب شد قيثارة الشعـ ـر وغن الحمى لحون السماء
أيها الموقظ النفوس من الضـيم ومردى جحافل البغضاء
انفح الكون بالمطاعم تترى فالمطيبات نفحة العظماء

° ° °

أيها العبقري يا روعة الفكـ ـر ويا رفرف السنا والسناء
أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقري الغناء
خالد أنت والعوالم تفنى لا يذوق الخلود طعم الفناء
أيها الشاعر الذي عاش لحنا ومسرى كالعبير في الأرجاء
زهر أنت يغمر الكون بالعطـ ـر وحلم موشح بالضياء
يا نجي القلوب يا جدول الشـ ـعر بسفح الخميلة الفيحاء
منك صغت القريض لحنا شجيا وتفردت في بديع أدائي
كرمتك الأجيال يا رفة الخـ ـلد وأولتك روضة من ثناء
فلئن صاغت القريض عقودا فبما صغت يا شعاع البقاء

* * *

هات منك البيان سمحا طروبا خيرا نيرا كقلب الفضاء
لا يوفي القصيد مهما تغنى ما دناني تكفي ولا صهبائي

أنور العطار



دواوين الشعراء الستة الجاهليين

شرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه

نشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٥٢ . ص ٣٧٦ من القطع المتوسط

للدكتور زكي المحاسني

عناية الأدباء المحدثين بأدب لغتهم القديم دليل على أصالة ذلك الأدب . وأيما أمة اطرحت أصول أدبها فإنما هي قد جزت جذورها ، وأنكرت أنسابها ، فضاعت بين سمع الأرض وبصرها . وما شيء كان أجدر بالعناية في أدبنا العربي من الشعر الجاهلي ، لأن فيه نبعة التراث الروحي لأدب الأمة العربية . وهذا سر عكوف الأقدمين على دراسة هذا الشعر يجمعونه ويمحصون فيه ، ويروون قصائده ، ويروقون رواياتها . ولقد عاق التلهف على دراسة الشعر الجاهلي في الفترة الحديثة ما طلع به بعض الأدباء من إنكار لصحة هذا الشعر ، وما زعم الزاعمون من أن هذا الإنكار مرده دراسات لبعض المستشرقين . وإن الصواب الذي لا أرتاب فيه أن هذا الشك ذاته قد سبق الناس إليه الأصمعي وقد بان لي أن من عند الأصمعي كان مولد هذا الشك حين اختلفت لديه أبواب الرواية في الشعر الجاهلي ، واضطراب الأسانيد في بعض أنحائه . وقد ترك السبيل مفتوحة أمام ذوي الشك في الأدب خلو النصوص الجاهلية للشعر من التقييد الحجري . فلو أن شعراء المعلقات بديلا من أن تكتب لهم معلقاتهم على رقاق الغزلان بماء الذهب وتعلق على الكعبة قد نقشوها في الحجارة ، لما تركوا سبيلا لذلك الشك والارتياب الذي كدر علينا في فسحة من الزمن نقاء الشعر الجاهلي

إن الدكتور طه حسين حين أنكر الشعر الجاهلي سنة ١٩٢٦ كان كمن جاء إلى أسرة فيها الزوج الوقور والأم الحنون والولد المطيع ، وهم جميعا في خير وطمأنينة ، فقال للأبوين إن ابنكما هذا مدخول النسب . فكانما قولة جارفة فأقض على الأسرة مضاجعها ، وهدم بناءها . ولم تكن أداته أكثر من شك وارتياب . ومن المحمود للدكتور طه حسين بعد ذلك أنه اعتلى منبراً في جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥ سمعته وشهدته يقول من فوقه فيدلي باعترافات أدبية جديدة في أنساب الشعر الجاهلي الذي صح عنده أنه يمثل في تاريخنا الأدبي أدبا كلاسيكيا قديما . وقد أمسك بيده الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة قبل أن يغادر ذلك المنبر وصاح في الناس أيها الجامعيون إن طه حسين الذي أنكر الشعر الجاهلي يعترف به اليوم ويرد إليه اعتباره

هذه خواطر دارت بفكري وأنا أقلب كتابا حديثا فيه دواوين الشعراء الستة الجاهليين شرحه ورتبه صديقنا الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي . ومن المقطوع به أن يكون بدء الكلام على امرئ القيس وختامه على عنترة . وقد نسب شرح هذه الدواوين في أصلها إلى ثلاثة من علماء الأدب القديم أشهرهم الأعلم الشنتمري من سانتا ماريا بالأندلس . وفي عصرنا تناول هذه الدواوين بالشرح أحد فضلاء العلم في جامعة فؤاد الأول هو الأستاذ مصطفى السقا . حتى إذا حانت عناية الأستاذ عبد المتعال الصعيدي بالشعر الجاهلي أخرج هذا الكتاب بطبعة جديدة تضم هذه الدواوين بتناول ميسور . وعني بشرحها على صورة موجزة كثيرة الجدوى . فهو يعطيك في معنى البيت على استغلاق وجهه وغرابة لفظه ، شرحا موفيا للغرض من أقرب سبيل . وقد قدم لكل شاعر من هؤلاء الستة وهم امرؤ القيس فعلقمة فطرفة فالنابغة الذبياني فزهير فعنترة بنبذ يسيرة مكثفة ، ألم فيها بتاريخ الحياة ثم بلمحات ثابتة في دراسة الشعر وتحقيق الرواية . والذي كنت أعتاه عليه ، وقد يكون مطلوبا منه صنعه ، أن يكون قد كتب لهذه الدواوين مقدمة ، وإنما كتب تقديما في سطور . فهو لم يذكر رأيه في الشعر الجاهلي ، ولم يتناول قضية هذا الشعر ، وقد شغلت الناس زمنا في القديم وفي الحديث . كما لم يفضل شاعرا على شاعر وإنما قصر همه على الشرح وحده . وذلك ضرب من ضروب التأليف الذي عرف في عصرنا الحديث ولدى الأقدمين ، وقل شبيهه في الأدب عند الغربيين . فليس شائما

عندهم نشر ديوان للشعر مقصور على الشرح لألفاظه ، وإنما لديهم الناشرون من الأدباء الذين يكثر تناولهم الدواوين بالدراسة والتعليق مع الشرح والتفسير ، وقد نعذر الأقدمين منا والمحدثين فى هذا الضرب من التأليف إذ المعول فيه على إبراز النصوص القديمة كما جاءت دون التقول فيها . وهذا مذهب أدبى له دعاته . فالنصوص القديمة حرمة لا ينبغى أن تمس بتقويل

والقصد الذى ينبغى أن يدركه دارسو هذه الدواوين هو الوقوف على صحيح معانيها لتمثل الشعر الجاهلى واهتضامه فى الفكر والإحساس . وحين يقتنع المتأدبون المحدثون أن الرجعة إلى الشعر الجاهلى هى قوام الأدب العربى كله ، وأن صفاء ذلك الشعر ونقاء معانيه هو الشعاع الأول الذى ينبغى أن تستمد منه كل روح فى كل شعر عربى ؛ فقد حملوا رسالة الأدب لا فى العصر الحديث فحسب؛ وإنما فى سائر العصور الأدبية التى توالت على العرب . وإنى لأعد الشعر الجاهلى ضمان لغة العرب فى الشعر ،وناظم روحها الأصيلة مهما تجدد الأدب ، وتطور الشعر

والأستاذ الكبير عبد المتعال الصعيدى إلى إكبابه على التأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية التى اتسمت بالدقة والإحكام جدير بالثناء على جهده الذى بذله فى شرح دواوين الشعراء الجاهليين وعنايته بتبسيط المعانى للطلاب خاصة وللقراء عامة

زكى المحاسنى



المدرسة الصلاحية

حمل إلى بريد الكنانة الأخير هدية غالية من هدايا صديقنا الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكليـــة دار العلوم بجامعة فؤاد الأول وهى الجزء الأول من مؤلفه القيم « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ولا أريد فى هذه الكلمة أن أذكر قيمة الكتاب من الناحية التاريخية لأن مثل هذا المؤلف الضخم الذى اعتمد فيه لامتنا البدوى على أكثر من «٢٠٢» مرجع فى تأليفه يحتاج إلى دراسة طويلة وقراءة متقنة؛ وخاصة أن لهذا الجزء بقايا تحت الطبع ، كما أننى لا أريد أن أعرف الأستاذ البدوى فهو غنى عن التعريف بمؤلفاته ومترجماته وبحوثه النادرة التى نشرها وما زال ينشرها فى الصحف ويذيعها على الناس. وقراء « الرسالة » الزاهرة لا شك يعرفونه جيدا ولكنى أحببت وأنا أقرأ كلامه عن المدرسة الصلاحية المنشور فى الصفحة (٤٣) من كتابه النفيس أن أضيف إليها هذه النبذة الموجزة التى نشرتها مجلة « الزهراء » فى الجزء السادس سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م وهى :

« هى مدرسة إسلامية أقامها السلطان صلاح الدين الأيوبى لفقهاء الشافعية منذ القرن السادس الهجرى وقد زارها رصيفنا السيد عمر الطيبى وقرأ على بابها الكبير منقوشا فى الحجر السطور الخمسة الآتية

(١) — بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله

(٢) — هذه المدرسة المباركة أوقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام

(٣) — والمسلمين أبى المظفر يوسف ابن أيوب بن شاذى محيى دولة أمير المؤمنين أعز الله

(٤) — أنصاره وجمع له خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله

(٥) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه . فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

واستمرت هذه المدرسة إسلامية سبعمائة سنة ، ثم سعى الفرنسيون سنة ١٨٥٦ م لدى السلطان عبد الحميد بانتزاعها من أيدى المسلمين بحجة أنها كانت فى الأزمان القديمة كنيسة على اسم حنه أم سيدتنا مريم عليها السلام ، فأذن لهم السلطان عبد الحميد بأخذها ، وجعلها هدية منه إلى نابليون الثالث ، فاتخذها الفرنسيون داراً للتبشير بالمذهب الكاثوليكى

ولما أعلنت الحرب العظمى ووضع الترك أيديهم على ما

لرعايا دول الحلفاء من مدارس ومعاهد أعادوا هـذا البناء إلى تصرف المسلمين وجعلوا فيه « الـكلية الصلاحية » التي كان يديرها الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش . فلما انتهت الحرب العظمى بانكسار الترك واستيلاء الإنكليز على القدس أعطى الإنكليز هذه الدار إلى البعثة الفرنسية وهي الآن مدرسة لتخريج الرهبان الـكاثوليك

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

المعري لا المتنبي

أورد الأستاذ أحمد الشرباصي هذا البيت :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

منسوبا إلى المتنبي والصواب أنه لأبي العلاء المعري من قصيدته المشهورة التي مطلعها : — (الا في سبيل المجد ماأنا فاعل) ومثل الشرباصي في فضله وعلمه لا يفوته ذلك ولا بد أنه سبق قلم سببه تأثر الأستاذ أثناء رده . وقد انتظرت حتى صدر العدد التالي ٩٩٠ ومابعده لعل الأستاذ يصحح هذا الوهم . فلما لم أجد ماتوقعته بكتابة هذا راجيا نشره مع خالص الشكر .

عبد السلام النجار

تصحيح

طالعت في العدد ٩٨٦ من الرسالة مقال الدكتور الكفراوي عن أبي العتاهية فاسترعى انتباهي قوله في آخر المقـال : قال الشاعر مشيرا إلى جواري المهدي

رحن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح

كل نطاح من الدهر له يوما نطوح

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

والذي نعرفه أن أبا العتاهية قال هـذه القصيدة وهو في السجن لما آلم لحن الملاحين في دجلة الخليفة الرشيد فأرسل إليه أن يصنع لهم شعرا سهلا يتغنون به فناظه أن يطلب إليه ذلك ولم يأمر بإطلاقه فصنع هذه القصيدة لينغص عليه عيشه ومطلعها

خانك الطرف الطموح أيهـا القلب الجموح

هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح

فمن هنا نعلم أن القصيدة قيلت في عهد الرشيد لا المهدي كما يقول الدكتور وأن الإشارة إلى جواري الرشيد

محمد ابراهيم الجيوشي

دار العلوم

أشكر الأستاذ الشاعر أحمد العجمي عنايته بشعراء الشباب وأتوقع لها أثرا طيبا وإن كان قد ذكر في العدد «٩٨٧» من الرسالة الغراء أن في الاستطاعة أن يحصى الناقد خمسة عشر شاعرا من دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية فلا يستطيع أحد أن يحصى شاعرا أو اثنين ، فيسره أن يعرف أن السبب في ذلك هو أن الفترة التي قضتها دار العلوم وهي مدرسة فترة طويلة جدا كفيلة بأن تنجب فيها ما تشاء من الشعراء ، أما الفترة التي قضتها وهي كلية جامعية فهي فترة وجيزة لا تكفي لإشهار شعراء يعدون ويحصون

على أنني أرى أن هناك أزمة شعرية في هذه الأيام الأخيرة في جميع المعاهد الأدبية ، ومرد ذلك — فيما أعتقد — إلى أن الصحافة وهي المنبر الذي يذيع عليه الشعراء الناشئون أشعارهم أصبحت يضيق صدرها بالشعر والشعراء ولا سيما الناشئين منهم ، فبعض الصحف تنشر القصائد في صفحة الغلاف بشكل يوحي بالإهمال ، والبعض الآخر يفرد لها حيزا محدودا جدا يستوعبه في الغالب من اشتهر من الشعراء ! بربك ماذا يفعل الشعراء الذين يريدون أن يظهروا ؟

أيلجأون إلى طبع أشعارهم في دواوين وهم في الغالب لا يملكون من المال والشهرة ما يساعد على ذلك ؟ !

أم ينطوون على أنفسهم يقولون الشعر لا يسمعه أحد حتى يعلوا هذا الوضع فيطمر ينبوع الشعر في نفوسهم ؟

إننا نرى كل فن من فنون الأدب قد خدم الخدمة اللائقة به ، فالمقالة تمج بها معظم الصحف ، والقصة أفردت لها صحف خاصة ، بقي الشعر والشعراء المساكين

إنى لأذكر بالخير ذلك المهـد الذى كانت تقوم فيه مجلة « أبولو » على خدمة الشعر الحي . وأعتقد أنها أفسحت لكثير من الشعراء الناشئين طريقهم حتى برزوا وجلوا فى ميدان الشعر. فهل إلى بعث هذه المجلة أو ما يشبهها من سبيل حتى تتفتح براعم من شعراء الشباب أوشكت أن تموت ؟

محمد على . محمد الشابب

أدب ولغة

١ — كسول : صنيع اللغويين يشعر بأن كسولا من الأوصاف المختصة بالإناث ، قال جار الله فى الأساس — كسل : وامرأة كسلى ، وهي مكسال وكسول ونحوه فى المختار والمصباح والتاج والقاموس واللسان وأكثر المعاجم التى رجعت إليها ، ومن ثم ذهب كثير من الخاصة إلى تخطئة مثل هـذا التعبير (تلميذ كسول)

بيد أنى وقفت فى لسان العرب مادة ـ زمل ـ على هذا البيت:

فلا وأبيك ما يغنى غنائى من الفتيان زميل كسول

وهذا نص لا يحتمل التأويل ينادى بصحة ما خطأه بعض الباحثين . ولعل من يتتبع كلام العرب يقف على أكثر من شاهد لهذا الاستعمال . ولا يعزبن عن البال أن كتب اللغة لم تلتزم الإحاطة بكل ما نطقت به العرب ، فدون هذا خرط القتاد كما يقولون . على أنه يمكن أن نتلمس عذرا لصنيع اللغويين فى أن النص على — امرأة كسول — من قبيل النص على البعيـد المتوهم — لا من قبيل البيان لما يجوز حتى يمنع ما عداه ، وعلى هذا أرى أن لفظة — كسول — مما يوصف بها المذكر والمؤنث على السواء ، وليست مختصة بأحدهما

٢ — كـسلان : أما كلمة — كـسلان — فقد يتبادر إلى الذهن بادى الرأى أنها عامية أو خاطئة وإن هى إلا فصيحة ، وقد وردت فى تضاعيف قصة أدبية نرويها لقراء الرسالة لطرافتها ولما فيها من جمال وإبداع

روى المبرد أن عمر الوادى سمع عبداً أسود يغنى ، فأعجب به ، وطلب إليه أن يعيد عليه ما سمع ، فقال العبد: والله لو كان عندى قرى أقريك ما فعلت ، ولكنى أجعله قراك ، فإنى ربما غنيت هـذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته — وأنا كـسلان — فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم انبرى يغنى :

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها

تحلل أحقادى إذا ما لقيتها وتبقى بلا ذنب على حقودها

وكيف يحب القلب من لا يحبه بلى قد تريد النفس من لا يريدها

٣ — نسوان : وقد وردت هـذه الـكلمة التى تتردد على ألسنة العامة — وقد تنفر الأسماع منها — فى شعر يسحر اللب ويأخذ بمجامع القلوب ، قال كلثوم العتابى .

تلوم على ترك الغنى باهلية لوى الدهر عنها كل طرف وتالد

رأت حولها ـ النسوان ـ يرفلن فى الـكسا مقلدة أجـيادها بالقـلائد

العقد ج ٣ ص ١٥٩

وقال الحـكم بن معمر — عامر ابن ميادة — :

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

فساهم ثوباها ، ففى الدرع غادة وفى المرط لفاوان ردفاها عبل

الأغانى ج ٢ ص ٢٨٦

وقال الهمدانى (الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه)

لقد علمت نسوان همدان أننى لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى وإننى له فى سوى الهيجاء غير بذول

(تهذيب الـكامل ج ٢ ص ٩٣

وقال ابن مقبل :

(١) أصوات نسوان أنباط بمصنعة بجدن للنوح واجتبن التبابينا

(الأساس — صنم)

(١) المصنعة ـ المدينة والقرية ـ بجدن ـ لبسن البجد ـ التبابين ـ جمع تبان السراويل الصغيرة

رياض عباس



الخـــادم

للكاتب العظيم تيمونوف

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتعذر الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام قلائل . وفى هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله مهما كان حقيراً ، طمعاً فى الحصول على هدية من مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع دائباً فى البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين نزحوا من قريته . ولم يكن فى فقر مدقع ، ولكنه يغتم لرؤية شاب قوى مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم فى موسكو منذ حداثته . وعند ما كان طفلا كان يشتغل بغسل الأوانى فى معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً فى أحد المنازل . وفى السنتين الأخيرتين كان يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعى إلى قريته لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقى حيث كان إلى الآن . ولسبب ما لم يقبل جيرازيم جنديا . ولما لم يكن معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية لعينيه فى حلة من الكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب الطرقات فى فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أى سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع معارفه بالحافه ، وأحياناً كان يتصدى المارة ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلا إلى عمل خال

ولم يعد يحتمل جيرازيم أن يكون عالة على الناس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين كان ينزل عليهم لتأنيب مخدوميهم إياه بسببه . لقد كان فى حيرة تامة لا يدرى ماذا يفعل . وأحياناً كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول طعاماً

وفى أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا الصديق حوذياً عند رجل يدعى شاروف ، وقد مضى عليه أعوام كثيرة فى خدمة شاروف وقد أفلح فى أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح يأمنه على كل شئ ويبدى له دلائل الرضا . ولعل لسانه الفتيق هو الذى كسب له ثقة سيده فقد كان يثنى بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياه ؛ واستقبل الحوذى صديقه استقبالا مناسبا وقدم إليه شاياً وبعض الطعام ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— فى أسوإ الأحوال يا يجور . إنى أعيش بدون عمل منذ أسابيع

ألم تسأل مخدومك القديم أن يستعيدك إليه ؟

— لقد سألته

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل محلى

آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطتكم أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإذا تركتم مهنتكم تكونون قد سددتم طريق الرجوع إليها بالأوحال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتم إلى مخدوميكم لا يهملونكم — بل يخرجون من حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد مخدومين على هذه الشاكلة فى هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !

— وما فائدة الكلام ؟ ! إنى أريد أن أحدثك عن نفسى : إذا حدث أنى تركت عملى لسبب من الأسباب ورجعت إلى منزلى ، فالسيد شاروف يقبلنى عندما أرجع ويكون سعيداً بقبولى

وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن صديقه يباهى بنفسه ورأى أن يسايره فقال :

— إنى أعرف ذلك ولكن من العسير وجود رجل مثلك يا يجور . ولم لو تكن من أجود الخدم ما أبقاك سيدك فى خدمته اثنى عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامى فى الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهراً بعد شهر

ونادى شاروف جوزيه لخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا

عاد بجور وأخبر صديقه أن عليه في خلال نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد لحمل سيده إلى المدينة . واشتمل بجور بيبته وأخذ يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجأة أمام جيرازيم وقال :

— استمع يابني، إذا رغبت أن أحدث السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو في حاجة إلى خادم ؟

— لدينا خادم غير كفء تقدم به العمر ومن المتعذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ أن هذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال البوليس لايدققون كثيرا ، وإلا لما استطاع الخادم الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عني يابجور — إني سأدعو لك طول حياتي .. لم أعد أحتمل العيش بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا . والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات

— شكراً يابجور . هل ستحدثه عني ؟ قم بهذا الجميل من أجلي

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد بجور العربة وارتدى ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسي المنزل حيث ركب شاروف ثم آب إلى منزله . ولاحظ بجور أن سيده على شيء من البشاشة فبدأ حديثه معه

— هل لي أن أسألك معروفاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتي ، شاب طيب . . . ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— وهل أنا في حاجة إلى خادم ؟

— ألحقه على أن يقوم بأي خدمة تطلب منه

— وماذا يعمل بوليكار ؟

— وما فائدة بوليكار ؟؟ لقد حان أوان فصله

— ليس من العدل فصله . لقد خدمنا سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات ، إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتبا ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسني شيخوخته

— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً في الدنيا : لديه زوجة يعولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضا

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية. ولم تعر بوليكار وزوجته اهتماماً ؟ حقا إنه خادم فقير ؛ ولكن لم تبعثر أموالك ؟ إنه لايؤدي عمله كما يجب. وعندما تحين نوبته في حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر مرات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يدركك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط المفتش علينا يوماً ، وعندئذ لن يسرك أن تكون مسئولا عن نتائج إهمال بوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر عاما ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة الفظة في شيخوخته . إنها لخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه لن يموت جوعا بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدى عليه . هناك يقضي شيخوخته في سلام

وأخذ شاروف يفكر في المشكلة ثم قال .

— حسن . دع صديقك يحضر غدا . وسأرى ما يمكنني أن أفعل له

— أرجو يامولاي أن تلحقه بخدمتك . كم أنا حزين له ! باله من شاب خير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدي واجبه على أكمل وجه وسيخدمك بإخلاص : لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمة العسكرية ولولا ذلك ما تركه مخدومه الأول

عاد جيرازيم في المساء التالي وسأل صديقه :

هل أمكنك أن تقوم بشيء في سبيلي ؟

— نعم ... على ما أعتقد : دعنا نتناول بعض الشاي أولا ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدي

ولم يكن جيرازيم بالراغب في شرب الشاي : لقد كان مشوقا إلى معرفة ماقر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللياقة نحو صديقة أجبرته أن يشرب قدحين من الشاي، أخذه بعدها صديقه إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان مسكنه وعن مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعدذلك باستعداده لقبوله خادماً عاما يؤدي كل مايطلب منه وأن عليه أن يأتي صباح اليوم التالي ليبتدىء عمله . وأذهل جيرازيم هـذا الحظ المفاجىء وكان فرحه عظيما حتى أن قدميه لم تقويا على حمله ، وبعد برهـة رجع جيرازيم إلى غرفة الحوذي

وقال له الحوذي : « حسن يا بني يجب أن تعني بأن تؤدي واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطربوما إلى الخجل بسببك ، أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تعقبوك دائما بالبحث عن أغلاطك ولن يدعوك في سلام أبدا

— كن مطمئنا يا يجور

وانصرف جيرازيم وعبر في طريقه فنـاء المنزل ، وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل يضيء طريق جيرازيم الذي شعر بالشوق إلى رؤية الغرفة التي ستخصص له ، ولكن زجاج النافذة كان مغطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أي شيء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتا تنبعث من الغرفة فوقف يتسمع . سمع صـوتا نسائيا يقول « ماذا نفعـل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدري .. لست أدري نطوف الشوارع مستجدين ،

— هذا كل ما بقي لنا . وما من حيلة أخرى . يالله لنا ، نحن الفقراء ! أي حياة تعسة نحيـاها ؟ نكد ونكدح من الصبـاح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، وعندما تتقدم بنا السن نتضور جوعا

— ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا جدوى في الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحالة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننـا نعمل بشرف وإخـلاص مدى سنوات ، نفني زهرة قوانا في القيـام بخدمتهم ثم يخشـون أن يبقونا عاما آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم .

فإذا عجزنا عاما وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسنا

— إن شـاروف لا يلام بقـدر ما يلام حوذيه الذي يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... يا له من ثعبـان ! إنه يعرف كيف يتشدق بلسانه ... وأنت يا يجور أيها الحيوان القذر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إني سـأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يغشه وكيف يسرق التبن والعلف . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب في كل ما ينقله عنا

— لا لا : أيتها المرأة لا ترتكبي خطيئة

أية خطيئة ؟ أو ليس حقا ما أقوله ؟ إنني أعرف صـدق ما سأتحدث به وسأفضي بكل شيء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقدحطمنا ، وانفجرت المرأة باكية متأوهة

سمع جيرازيم الحديث كله وكأن خنجرا نفذ في أوصاله . لقدتحقق أي بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشعر أن قلبه يتمزق وقف حيث كان زمنا طويلا محزونا غارقاً في الفـكر ، ثم دار على عقبيه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذي الذي سأله عندمارآه

— هل نسيت شيئاً

وأجاب جيرازيم متلعثما : لا ... لقد أتيت ... استمع إلي ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياي ، وكل ما عانيته من أجلي .. ولكني لا أقبل العمل هنا

— ماذا ؟ ماذا تعني ؟

لا شيء . لا أرغب في العمل هنا ، سأبحث عن عمل آخر . وانتابت يجور حدة غضب وقال :

— هل تعني أن تجعلني مجنونا في رأي سيدي ؟ هل تعني ذلك أيها الأبله ؟ لقدأتيت تتضرع في وداعة وترجو المسـاعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتني !

وصعد الدم إلى وجه جـيرازيم وخفض عينيه ولـكنه لم ينبس ببنت شفة

وأدار يجور ظهره في احتقار وكف عن الـكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبعته بهدوء وترك غرفة الحوذي وعبر الفنـاء مسرعا ثم اجتاز باب المنزل وابتعد عن الدار مهرولا

وكان يشعر بالسعادة والفرح ...

م . ع . م

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٤ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

علمـــاء ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٧٩١

التصوف على البلاج ... ... : » أنور الجندى ٧٩٨

الاستعمار البريطانى فى الملايو ... : » محمد جنيدى ٨٠١

الأدب الحديث ... ... : » أنيس المقدسى ٨٠٧

طبيعة الحج فى الإسلام ... ... : » محمد فياض ٨١٠

الجواهرى شاعر العراق ... ... : » محمد رجب البيومى ... ٨١٤

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨١٧

قافلة البصر ... ... (قصيدة) / لست طروبا ... ... (قصيدة) / مافوق هذى الأنجم ... (قصيدة) : لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك ٨١٩

النهر الشاعر ... (قصيدة) : للأستاذ أنور العطار ٨١٩

(الكتب)— مسرحية صلاح الدين الأيوبى — للداعية الأستاذ عبد الرحمن البنا — الأستاذ محمد رجب البيومى ٨٢٠

(البريد الأدبى)— المواهب المقدرة — تصويب واستدراك — التقدم بالمصدر — تصحيح نسبة أبيات — أغانى الربيع ٨٢٢

(القصص) — الشق المدلل — للفيلسوف الروسى تولستوى ٨٢٣

٣٩٠٥

20 me. année No 994

Le Caire 21 - 6 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

علمـــاء!

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا إلى علماء الدين كما ينتسب الزوان إلى الحنطة . نالوا شهادة العلم بالغش ، ولبسوا شارة الدين بالباطل ، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق ؛ ثم اندسوا فى المجتمع اندساس الإثم فى الضمير ، أو الداء فى البدن ، فكانوا فى الوحدة مظهر تفريق ، وفى النهضة مصدر تعويق ، وفى العقيدة مثار شبهة . ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب ، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع ! يشيعون الفاحشة فى الذين آمنوا ، ويثيرون الريبة فى الذين عملوا ، ويقعدون من حركات الاصلاح مقاعد للتربص والتلصص ؛ فإذا دعاهم المصلح هبوا فى وجهه هبة الريح العاتية على المصباح الهادى ؛ وإذا دعاهم المفسد نفحوا قلبه الواوى نفح النسيم الرخى للنار المشتعلة ! ذلك لأنهم لا يخذلون فرائسهم إلا فى الظلام ، ولا يشوون ذبائحهم إلا فى الحريق . ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان ، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش ، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم ، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين ! أما الروح ، وأما الدين ، وأما الخلق ، وأما الأدب ، فهى ألفاظ شأنها فى صدورهم كشأنها فى المعجم : صفات لا تدل على موصوف ، وكلمات لا تزيد على أنها حروف !

المادة فى حياتهم الفارغة هى كل شئ . غلّفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس ، وأفعموا بها أفواههم حتى نتنت منهم الأنفاس . ثم جعلوها قياسا لكل قضية ، وسببا لكل حكم ، وأساسا لكل نقد ، وغرضا من كل عهد ؛ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من أخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا عن سوءاتهم ثم يدعوها تزكم الأنوف بالنتن الوبئ ، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه !

إن من أول وسائل الاصلاح للدين والدنيا أن يُكسح هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكسح الأوحال من الطريق . فإن البانى لا يبنى وفى يده مسطرين وفى أيديهم معول . وإن الفارس لا يغرس وفى يده مشتل وفى أيديهم منجل . ولولا أبو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس !

وأفظع الأمر أن أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون : كذَب ؛ وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون : صدق ! وإن الكفر خير من النفاق . وإن العداوة أفضل من الخديعة . وإن الصراحة على كل حال عظمة ، وإن المراءاة على أى وجه حقارة !

(حسانه)

التصوف على « البلاج »

للأستاذ أنور الجندى

من أعجب المفارقات أن يذكرنى « البلاج » بالتصوف بل لعل غاية العجب أن أكتب هذا الفصل أمام إحدى « كباين » ستانلى باى . .

وليست هذه هى المرة الأولى فيما أعتقد، التى تدعو المفارقات فيها مثل هذه الدعوة . .

إننا لاشك نمر بمحنة عنيفة ، تبدأ أطرافها الأولى هنا على البحر ، وتنتهى هناك فى معترك الحرية واستخلاص الحقوق ، وإقامة المجتمع الصالح . .

وليس فى الإمكان أن يجتمع الخير والإثم معا ، ولا أن يشترك الحق والباطل ، ولا يمكن أن نواجه المستقبل إلا بنفوس مفطومة من الشهوات وأوضار اللذات . . فإذا لم نستطع أن نصوغ هذه النفوس ، كنا أعجز من أن نحقق لوطننا أو لبلادنا ما تبتغيه من مجد

ولا عبرة بما يقوله البعض ، من أن النفس الإنسانية تستطيع أن تجمع بين الجهاد واللذة ، أو أن بعض المكافحين والمناضلين كانوا فى حياتهم الخاصة على غير الصورة المثالية التى كانوا يدعون إليها . .

إن « البلاج » الآن مدرسة ضخمة من مدارس الرخاوة والميوعة والانطلاق ، يتلقى فيها الآباء والأمهات والشبان والفتيات والأطفال دروسا على جانب كبير من الخطورة ، إنها أبعد أثرا فى مستقبل هذا الوطن من مدرسة السينما ، أو قل إنها التطبيق العملى لتلك الصور المتحركة

إننى أشك كثيرا فى قدرة الشباب الذى اعتاد أن يقضى بضعة شهور من العام فى محيط ينضح بالإغراء ، واشترك إلى حد كبير فى تلك المناورات التى تقوم على الشاطئ وفى الأمواج ، وفى الكابينات ، أشك كثيرا فى أنه يستطيع الصمود يوما لمركة فاصلة فى سبيل الحرية أو الإصلاح . .

وهذه الفتاة وهى النصف الثانى من الأمة ، هى الجزء البعيد الأثر فى رعاية الزوج وتنشئة الابن ، كيف يمكن أن يعتمد عليها ، وهى على هذه الصورة من الاندفاع فى الصباب العنيف

أنا أومن كل الإيمان بحق الجسم فى الرياضة والهواء والماء ولكن ليس على هذه الصورة المزعجة القاسية ، التى لا يمكن أن تحتملها نفسية الشباب المراهق ، دون أن تدفعه دفعا إلى اتجاه قد يكون بعيد الأثر فى حاضره ومستقبله . .

فى الإمكان أن يتاح للأسر وللشباب وللفتيات أن يحققوا جميعا غاياتهم من الاستفادة من الهواء والماء ، بطريقة أو بأخرى، أما على هذه الصورة ، فليس الأمر أمر صحة أو راحة أو إجازة ، فإن الحياة فوق البلاج ليست باليسيرة على النفوس التى تعيشها ، وليست مؤدية بأى حال إلى ذلك السلام أو الاستجمام المنشود . .

وإنما هذا « سوق » يقام ، فيه كل أنواع الصراع والصياح والضجيج ، وفيه قسوة النزاع النفسى الداخلى ، وأسباب الإغراء ، ووسائل المتاع الجسدى ، واستفزاز الشهوات ، وتدفقها واندفاعها . .

إن الحياة فى القاهرة طوال العام ليست إلا مقدمات أو نتائج لهذه الفترة التى يقضيها الفتى أو الفتاة على البلاج . إنها فترة التحضير والأحلام بالأجساد العارية ، والجلسات الماثلة والنظرات الباسمة ، أو هى النتائج القاسية للحظات التى استحكم فيها الشيطان ، أو تطامنت فيها الغريزة . .

إن « الحرية » التى يتمتع بها الناس على البلاج « ضريبة » قاسية تدفع من الأجساد ومن النفوس ومن الأرواح ، تدفع من حساب هذا الوطن ، ولا يستفيد بها إلا خصومه ، فهى

تؤخر نهضته أعواما ، بل أجيالا .. وهى لا تفسد نفوس الجيل الحاضر فحسب ، بل تترك جراثيم المرض لتنمو فى أجساد أخرى ، ما زالت يافعة نضرة ، فإذا استوت كانت أعجز من أن تقاوم التيار أو تواجه الحقائق .. فإذا ما اصطدمت فى «معركة» خرت كايلة واهية

إن الأمم التى أطلقت لنفسها العنان فى ميدان اللهو كانت قد تحررت أولا ونضجت ، واستحصدت شخصيتها .. فكان عليها بعد ذلك أن تلهو .. أما « نحن » الذين ما زلنا نكافح ونجاهد ونصارع فى سبيل الوجود الذاتى ، وفى سبيل تحرير أوطاننا ، وإقامة دعائم مجتمع كامل ، فإننا فى حاجة إلى سواعد قوية مفتولة ، ونفسيات قد بلغت غاية السمو والكرامة والعزة ، نفوس قد فطمت عن الشهوات ، وترفعت من الصغائر ، وتسامت عن النزوات ، فحفظت كيانها الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا . . ولا شك أن مدرسة « البلاج » تتعارض مع هذا النوع من الشباب تعارضا كاملا ، بل إنها من أسباب القضاء عليه . . إنها تعده بالمادة السامة التى تحطم البقية الباقية فيه .. فلا تدعه يسطع يوما ، أو يقف موقفا حاسما ، أو يصمد فى جولة حامية

ولعل هذه المعانى هى التى جعلتنى أفكر فى «التصوف» .. التصوف المستنير الذى عرفه عمر وعلى والحسن البصرى والجنيد ..

هذا الذى يرتبط فيه الزهد فى مغريات الدنيا بالقدرة على مواجهة الحقائق ..

فليس شك أن الرجل « الجنتيل » الذى لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق ، هو فى الأغلب رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية ، فهو يجامل ويتملق ، ويسمع مايكره ، ويخفى آراءه الخاصة ، حتى لا تنشأ خصومة مع فلان أو فلان ، ممن قد تضطره الحياة يوما إلى أن يلجأ إليه . . وهذا يظل إمعة ، ومصدر هذا أن متاع الحياة قد وقذه ، فماتت فى نفسه روح

الجرأة والشجاعة الأدبية

أما الصوفى الزاهد الذى استهان بالدنيا واحتقرها ، فهو أجرأ الناس فى قول كلمة الحق ، ونقد ما يراه . .

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة على الزعماء والأمراء والحكام يجبهونهم بكلمة الحق ، ويقولونها سافرة جريئة ولا يبالون . . لأن الحياة هانت عليهم فلم يعد يخيفهم الحرمان منها ، ولأنهم قد استخفوا بزخرفها ، وامحت من قلوبهم مطامعها ، فأصبحوا يرددون مع الصوفى القديم « إن قتلى شهادة ، وسجنى خلوة ، وتغريبى سياحة »

والتاريخ يذكر شميطا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى ، بأنهم كانوا زهادا صوفية ، وقفوا مواقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم ، ورفضوا ما يقدم لهم من أعطيات أو هدايا ، وكان الخلفاء من سليمان إلى المنصور إلى الرشيد إلى المهدى يسمعون نصحهم بقلوب واجفة ، ونفوس متأهبة لقبول النصح

وعندما وضع الغزالى أصول التصوف ، نصح الصوفية باعتزال الأمراء والحكام ، والانصراف عن موائدهم ، حتى يكون لديهم من الشجاعة ما يكفيهم لأداء رسالتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

° ° °

ونحن فى حاجة إلى موجة من التصوف ، حتى نوازن ذلك الخطر «البلاجى» ، وقديما كان التصوف يغزو ميادين الحياة عندما يجنح الناس إلى الترف والغنى ، وينصرفون إلى الأمصار ويكونون الثروات ، فكان بذلك عامل « سد الفراغ » كما يقول المحدثون

ويرمى التصوف فى صميمه إلى القناعة ونفض اليد من البريق ، وشغل القلب عن المتاع ، والانصراف عن زخرف المال والنضار إلى ما هو أسمى منه ..

والتصوف فى غايته يدعو إلى القصد من متاع الدنيا ، رجاء

متاع الآخرة ، والانصراف عن كثير من حلال المتاع خوف الوقوع فى حرامه ، ويهدف إلى حرمان النفس مما تتطلع إليه مما فى أيدى الناس

وكان هؤلاء الصوفية أنفسهم يحملون السيف إبان الغزو ، فإذا انتهى الجهاد بالسيف عادوا إلى جهاد النفس وإخلاص النية لله

وليس شك أن انصراف النفس الإنسانية فى بعض العهود من التصوف هو الذى أرخى العنان لهجمات التتار والصليبيين ، وكان عاملا فعالا من عوامل الهزيمة ، إذا واجهت هذه القوات التى كانت تحمل فكرة معينة ، جيلا مريضا رخوا قد أضرت به الرغبات وقتلت قوته وصلابته ، فلم يستطع أن يقف أمام الجحافل المغيرة أو يردها ، فلما برز مرة أخرى الرجال الذين أشربوا روح الصوفية الحقة أمثال الشهيد نور الدين زنكى وغيرهم أمكن مقاومة الغتاة وسحقهم ، واستعادة مجد البلاد

هى الصوفية الناصعة الصافية التى كانت تعتصم باحتقار المغانم والأموال والجاه ، فى سبيل الله ، وترى رحالها فوق سروج الخيل ، وأطباق الماء ، وأعماق الصحراء

إن نظام الفروسية فى ذاتها الذى اقتبسه الأوربيون ، نظام صوفى ، ونظام الصفوة القائم على الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة نظام صوفى ، وهى تهدف فى جملتها إلى أن يجرد الفرد نفسه للأمة ، فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ، ويعيش للمثل الأعلى

ولا شك أن روح الصوفية الخالصة هى التى دفعت أبى حنيفة عن أن يقبل القضاء ، وهى التى أدت إلى أن يجلد مالك ويعذب أحمد بن حنبل

فلست أقصد بالتصوف ، ذلك الزهد والاعتدال والاعتكاف ، فليس هذا من الإسلام فى شىء . إننا نمر بمرحلة « الضرورة » من تاريخ الوطن ، وهى تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً ، قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى ، من شأن هذا الكفاح أن نعد له أنفسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التى تستدعى صلابة النفس وقوة الاحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب

ولن يتيسر هذا للشباب الذى يبدد شبابه ورجولته ووقته ، ويصرفها على غير وجهها

نريد ذلك « التصوف » الذى تحس النفس فيه بالقوة أمام نزوات الإغراء ، والاستعلاء أمام اللذات والشهوات ، هذا التصوف الذى يدفعنا فى الحياة كراما ، نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب ، فنصبر لها ونقاومها ، ولا ننهزم أمامها ولا ننهار

استانلى باى — أنور الجندى

صور على بر،

الاستعمار البريطاني في الملايو

عرض وتحليل

للأستاذ محمد جنيدي

هناك في الشرق الأقصى على بعد آلاف الأميال من قلب العالم الإسلامي يربض شبه جزيرة الملايو ربضة الأسد المتحفز للوثبة الكبرى للتحرر من قيود الذل والاستعباد

هناك وعى قومى منبعث من النفوس الحرة ، ثائر على الأوضاع الاستعمارية . يمثل القوى القومية المناهضة للقوى الاستعمارية . يضع الخطوط الرئيسية الأولى لبرنامج قومى لإعداد قوى الأمة لجهاد طويل مرير ، وكفاح شاق عنيف . تسفك خلاله دماء زكية ، وتبذل أموال طائلة ، حتى يتحقق الأمل القومى المنشود

لقد انقضى أكثر من ثلاثة قرون للحكم البريطاني في الملايو تخللتها تطورات في أنظمة الحكم ، وتغييرات في شؤون المال والاقتصاد . ولا يزال الحكم البريطاني فارضا سلطته على الشعب الملايوى مستغلا جهوده . وملايا قطر شرقي يقع في جنوب شرق آسيا ، يطل على المحيط الهندي . اشتهر في العصر الحديث بإنتاجه الزاخر من المطاط والقصدير ، وبقاعدته الحربية (سنغافورة) وأهم إنتاجه المعدنى القصدير . وفي جزيرة سنغافورة القاعدة الحربية البريطانية أكبر مصفاة لتصفية القصدير الخام في العالم تملكها الشركات البريطانية . يرد القصدير الخام على الناقلات البحرية من سائر أنحاء العالم لتصفيته ثم تصديره إلى الأسواق العالمية . وأما أهم إنتاج ملايا الزراعي فهو الأرز . وتنتج غاباتها الكثيفة أنواعا مختلفة من الأخشاب . ويصدر المطاط والقصدير والأخشاب وزيت جوز الهند والأناناس والكوبرا إلى البلدان الأجنبية . وتستغل الشركات البريطانية والأوربية والصينية المزارع الواسعة التي تفيض بأحسن المنتوجات . وبتحكم البريطانيون في إنتاج المطاط وفي تقرير سعره . والمطاط هو الدافع العظيم لبقاء بريطانيا في الملايو . فقد تخلت عن بعض مستعمراتها في الهند الشرقية لهولاندا إزاء تنازل هولندا عن بعض مستعمراتها في الملايو ... ففي عام ١٨٢٤ تنازلت بريطانيا عن ولاية (Bankulen) في جزيرة سومطرا للهولنديين . وتخلت هولندا لها عن مقاطعة (Malacca) في الملايو . ويظهر لنا من خلال هذا التبادل مدى اتحاد الحكومات الغربية في سبيل استعباد الشعوب الشرقية الضعيفة . وفي سبيل الاستعمار والاستغلال تأتلف القوى الغربية الحديثة وتقف جبهة متحدة أمام القوى المناوئة لها . وأبرز مظاهر التعاون الاستعماري الغربي الحديث : الحرب الكورية والقتال في الهند الصينية والحركات العسكرية في الملايو . فقد اتحدت الدول الاستعمارية الكبرى على القضاء على الحركات التحريرية المنبعثة من البلدان الشرقية التي لا تزال تتجرع علقم الاستعمار الغربي . كما تعاونت تعاونا تاما فيما بينها على أحسن الطرق التي يجب على كل منها أن تتبعها إزاء ثورات الأفكار الحرة التي تطالب بالحرية والاستقلال ولا تزال نيران المعارك التحريرية متقدمة في أنحاء الشرق للقضاء على الاستعمار الغربي

بدأ الاستعمار البريطاني في القرن السابع عشر ببسط نفوذه على الملايو . فقد مهدت (شركة الهند الشرقية) البريطانية السبل أمام الحكومة البريطانية لاستعمار الملايو . والاستعمار البريطاني الملايو بدأ أولا عن طريق الفتح الاقتصادي حيث تغلغلت شركة الهند الشرقية البريطانية في حياة الشعب الملايوى الاقتصادية . وغدت المرافق العامة في قبضتها ، واستغلت جهود الشعب الملايوى في الإنتاج ، كما استغلت سوء الحكم الإقطاعي الذي تميز به ذلك العصر في ضم الحكام البريطانيين إليها . حتى تركزت قدمها وانتشر نفوذها . وغدت الحياة الملايوية الاقتصادية تحت إشرافها . فرجال الاستعمار البريطانيون رجال ذوو خبرة وكفاءة ممتازة في أعمالهم ، وذوو معرفة بعلم النفس استعملوا كل وسائل الإغراء والنفاق في جذب النفوس واستمالتها ، والوسائل الاستعمارية البريطانية قد وضحت لدى الشعوب الشرقية ، ورغم معرفتها لها ، فإن التدخل البريطاني في شؤون الشرق

لا يزال مستمراً ، وإذا حققنا الأسباب التى جعلت بريطانيا تتدخل فى شئون الشرق منذ ثلاثة قرون إلى اليوم . برزت لنا من خلال هذه القرون الطويلة مآس دامية تطوحت بالمثل الإنسانية العليا وبالكرامة والشرف ، وصفاء القلب ونقاء النفس ، ونزاهة العمل ، مفقودة عن بعض الزعماء الشرقيين الذين نصبوا أنفسهم زعماء على شعوبهم ، فأصيبت بلادهم وشعوبهم بالخسران المبين جزاء لما اقترفوه من إثم . ثم كانت الطامة الكبرى والبلية العظمى . بلية الاستعمار والاستعباد . ولم يدر بخلد الزعماء الشرقيين أن يدرسوا حياة القادة الأوائل الذين أقاموا صروح المدنية الشرقية التى غايتها سعادة الإنسانية وخدمة البشرية ، فاحتفظوا بحرية أوطانهم قرونا عديدة ، حتى انهارت ممالكهم بخروج خلفهم عن السياسة المرسومة التى وضعت لحفظ تراث المدنية الشرقية ، أو يدرسوا حياة القادة الغربيين الذين فرضوا نفوذ حكوماتهم على الشرق ، وكيف كانت نفوسهم تسمو على الصغائر .. لكى تصفو قلوبهم ، وتنقى نفوسهم من أدران الحكم . فيسموا متحدين لخلق قوة شعبية تناصرهم فى منع التدخل الأجنبى فى شؤون أوطانهم . وهذه الأمور المعنوية هى السبب الذى أوقع البلاد الشرقية تحت الاستعمار الغربى . وأوقع الملايو ضمنها . وملايا — كما عرفناها — قطر صغير مقسم إلى عدة أقسام يشرف على كل منها حاكم يلقب بالسلطان كان يحكم بلاده حكما إقطاعيا . وقد زال هذا الحكم بانتشار الوعى القومى بين الشعب الملايوى ، وبانتشار النفوذ البريطانى فى مصالح الدولة

أوجد الاستعمار البريطانى فى الملايو إصلاحا عمرانيا . فقد جيش الوطنيين فى إصلاح الطرق وإنشاء الكبارى . واستغل جهودهم فى التعمير والبناء . فخطوط السكك الحديدية تقطع ملايا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها . وغدت بعض بلدانها مراكز هامة للتجارة الدولية . وقد اشتهرت (سنغافورة) خلال القرن الرابع عشر بمركزها التجارى للشعوب القاطنة على سواحل المحيط الهادى والهندى . واستمرت شهرتها التجارية حتى الآن ، كما اشتهرت بمركزها الاستراتيجى . وفى سنغافورة جاليات أجنبية كثيرة من شعوب مختلفة . هاجرت إليها ابتغاء المعيشة . وفتحت بريطانيا أبوابها أمام شعوب العالم لتغدو مدينة تجارية حرة فى الشرق الأقصى . ثم اشتهرت بعد سنغافورة (ملقا) فى القرن السادس عشر ، وأصبحت مركزا تجاريا دوليا . وخشيت بريطانيا أن تنافس ملقا جزيرة سنغافورة من ناحيتها التجارية فأغلقت أبوابها أمام التجارة الدولية ، وأمست ذات مركز تجارى ثانوى . ولا نغمط الاستعمار فضله فى إنشاء ملايا وتعميرها ؛ فقد كانت قبل الاستعمار الأوربى قطعة أرض لم تمسها يد الإصلاح . ولما دخلت فى عهد الاستعمار الغربى أحالها إلى قطعة جميلة توفرت فيها وسائل الترفيه والكمال . وغدت مدنها الكبرى فى مستوى البلدان الراقية فى الشرق . ولم يعمل الحكم البريطانى على نشر الثقافة والتعليم بين الشعب الملايوى . ويعلم القارئ الكريم أن من مبادئ السياسة الاستعمارية الغربية فى الشرق عدم نشر التعليم بين المستعمرين ؛ لأن العلم والاستعمار لا يتفقان . وأما التعليم الذى نشره الاستعمار البريطانى فى ملايا فهو تعليم بسيط لفئة قليلة من الوطنيين لخدمة الحكم البريطانى فى مصالح الدولة . وسنتكلم فى نهاية البحث عن الثقافة فى الملايو منذ بدأ الحكم البريطانى فيها . وعن مجهود الوطنيين فى نشر التربية الوطنية والثقافة بين مواطنيهم

تنقسم ملايا طبيعيا إلى إحدى عشرة ولاية ومقاطعة، وهى:

١ — سنغافورة ٢ — ملقا ٣ — بيراك ٤ — سيلانجور ٥ — نجرى سمبيلان ٦ — فاهانج ٧ — كده ٨ — بيرليس ٩ — كلانتان ١٠ — ترنجانو ١١ — جوهور

وقد قسمتها الحكومة البريطانية إلى ثلاث وحدات سياسية، كل وحدة منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولكل منها حكومة محلية يشرف عليها مستشار بريطانى يتصل بالمندوب السامى البريطانى . وهذا يتصل بوزارة المستعمرات البريطانية ، وهذه الوحدات هى :

١ — مستعمرات البوغاز (Straits Settlemeate) وتتكون من ثلاث مقاطعات هى : (١) سنغافوره (٢) فينانج (٣) ملقا وهذه المستعمرات ليس عليها سلطان وطنى . لذلك اعتبرتها بريطانيا فيما بعد من ممتلكاتها فيما وراء البحار

وهذه المستعمرات متقاربة فيما بينها ، والحركات التجارية فيها عظيمة ، ويمكن اعتبارها من البلدان التجارية الهامة في جنوب شرق آسيا ، وقد جعلها الاستعمار البريطاني مراكز دولية في الشرق الأقصى ، ففيها جاليات أجنبية كبيرة ، وفيها مؤسساتها الثقافية والاقتصادية ، والحياة فيها تقوم على شؤون التجارة الدولية

٢ — ولايات ملايا المتحدة (Federalde Malay States) وتتشكل من أربع ولايات كبيرة هي : (١) بيراك (٢) سلانجور (٣) نجرى سيبلان (٤) فاهانج ، والرئيس الوطني لكل ولاية هو السلطان ، وفي عام ١٩٠٩ — أنشأت الحكومة البريطانية لهذه الولايات مجلسا اتحاديا (Federal Council) للاشراف على شؤون الولايات العليا ، ويرأسه المندوب السامي البريطاني ، وقد اختير أعضاؤه من سلاطين الولايات الأربعة المتحدة ، ومن كبار الأعيان فيها ، ومن البريطانيين والصينيين الذين لبثوا في خدمة الحكومة المحلية ، وقد أظهر سير الحياة في الملايو أن هذا المجلس ما هو إلا صورة خيالية أرادت به بريطانيا أن تظهر الملايويين مسايرتها للتطور الذي يحدث في ملايا

٣ — ولايات ملايا اللامتحدة(Unfederated Malay States) وتتكون من أربع ولايات هي . (١) كده (٢) برليس (٣) كلانتان (٤) ترنجانو ، ولكل ولاية من هذه الولايات سلطان وطني عليها . ويذكر التاريخ الحديث أن ولايات (كده وكلانتان وترنجانو) كانت خاضعة لمملكة سيام البوذية ، وفي عام ١٩٠٩ عقدت بريطانيا وسيام اتفاقية بمقتضاها انضمت هذه الولايات الثلاث تحت علم الاتحاد البريطاني (Union Jack) وأمست خاضعة للحكم البريطاني ، وسميت بولايات ملايا اللامتحدة ، ثم في عام ١٩١٤ — انضمت ولاية (جوهور) إلى الولايات الملايوية اللا متحدة ، وقبلت مستشارا بريطانيا لها ، وهذه الولاية في مقدمة الولايات الملايوية تقدما وعمرانا

لنلق نظرة خاطفة على التقسيمات الإدارية التي أجرتها بريطانيا في ملايا لنستشف من ورائها ما تخبئه السياسة الاستعمارية البريطانية من غايتها تقسيم ملايا إلى ثلاث وحدات سياسية ، لكل منها أسلوبها الخاص في سياسة الحكم

إن سياسة فرق تسد لا تزال الحكومة البريطانية تتبعها في مستعمراتها ، فهذه التقسيمات الحكومية لملايا حاجز منيع أرادت به بريطانيا أن تضع ستاراً بين كل ولاية وأخرى يضعف العلاقات القومية بين كل منها . فتصبح الولاية غريبة عن الثانية . ليس هناك عامل قومي يربط بين سكانها، وأوجدت السياسة الاستعمارية البريطانية بجانب هذه التقسيمات الإدارية حصارا شديدا على الملايويين منعهم عن مباشرة حقوقهم الشرعية في إنشاء المؤسسات السياسية والثقافية التي تهيئ الشعب لحياة الحرية والاستقلال، فمنذ بدأ الحكم البريطاني للملايو إلى أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها كان الاشتغال بالسياسة محرما على الشعب الملايوي . ولما بدأ الاحتلال الياباني للملايو في فبراير عام ١٩٤٢ نفخ اليابانيون في أبواق الدعاية اليابانية (آسيا العظمى) و (الرخاء الآسيوي) فدب النشاط الفكري في المجتمعات الملايوية : وأقبل اليابانيون على تدريب الشبان الملايويين على الأعمال العسكرية : فشعر الملايويون بحياة جديدة أساسها التقشف والخضوع

لقد نهجت الحكومة البريطانية هذه السياسة في إدارة شؤون الملايو . وهي سياسة استعمارية بحتة تتنافى مع الحياة في عصر النور

كنا في ديسمبر عام ١٩٤١ والقوات اليابانية تكتسح القوات الاستعمارية في الشرق الأقصى وتطردها عن هذه البقعة التي يسيطر عليها الاستعمار الأوربي منذ ثلاثة قرون . فالقوات اليابانية الصفراء تنتقل من نصر إلى نصر في معاركها ضد القوات المتحالفة في الباسفيك وفي جنوب شرق آسيا . وفي ٨ديسمبر عام١٩٤١ قذفت القوات اليابانية السائرة نحو جنوب آسيا أول قنبلة على (سنغافورة) ثم تابعت سيرها على الملايو لإقصاء القوات البريطانية عنها . وفي ١٥ فبراير عام ١٩٤٢، وهو يوم تاريخي في حياة الاستعمار البريطاني في الشرق الأقصى عقدت وثيقة تسليم سنغافورة إلى القوات اليابانية حيث اجتمع الجنرال (Percival) مع الجنرال (Yamashita) الأول ممثل من

الحكومة البريطانية : والثانى عن الحكومة اليابانية فى (Ford Factory) ووقعا على وثيقة تسليم ملايا إلى القوات اليابانية وغدت ملايا محتلة يابانية .

لقد دخلت ملايا فى عهد جديد من حياتها العامة . فالسلطات اليابانية المحتلة فرضت نظامها العسكرى على الشعب الملايوى . ذلك النظام الذى أحال الحياة فى الملايو إلى جحيم

ضمت الحكومة اليابانية الملايو إلى جزيرة سومطرة . وكونت منهما دائرة واحدة لها حكومة خاصة تحت إشراف قائد عسكرى . ولما صفيت الملايو من القوات البريطانية ، وانتشى اليابانيون بخمرة النصر ، وأصبحوا سادة الشرق الأقصى قدموا بعض الولايات الملايوية هدية إلى مملكة سيام البوذية جزاء للأعمال الجليلة التى قامت بها سيام نحو القوات اليابانية خلال زحفها إلى الملايو . فعندما كانت المعارك الطاحنة تدور بين القوات اليابانية والقوات البريطانية خلال الحرب الأخيرة فى الشرق الأقصى لم تجد القوات اليابانية منفذاً لها لاكتساح الملايو . فأفسحت سيام المجال أمامها بالدخول من أراضيها والتغلغل فى الأراضى الملايوية . وجزاء لهذه الخدمة الحربية التى قدمتها سيام لليابان سلمت الحكومة اليابانية ولايات (كده . برليس . كلانتان . ترنجانو) الملايوية إلى حكومة سيام لتستعمرها وتستعبد أهلها ...

دار الزمن دورته ، ودارت عجلات الحياة فى الملايو تحت احتلالها . فقد قامت بأعمال تتضاءل أمامها أعمال الشياطين ... وفى ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ ركع ذلك القزم الشرقى الجبار تحت تأثير قنبلتين ذريتين ألقيتا عليه واستسلم للقوات المتحالفة . وهنا تتحرك السياسة الاستعمارية البريطانية لوضع نظام الحكم الجديد للملايو . فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٥ بسطت السلطة العسكرية البريطانية نفوذها على الملايو . وعاد الشعب الملايوى تحت الاستعمار البريطانى مرة ثانية ...

وهنا نتساءل لماذا خضع الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى مرة ثانية ؟

هناك عدة أسباب هامة أجبرت الشعب الملايوى على قبول الأمر الواقع . بوقوع بلاده مرة ثانية تحت النفوذ البريطانى . ونتلخص هذه الأسباب فيما يلى :

١ — أن الجيش البريطانى قد بدأ بغزو الملايو قبل التسليم اليابانى ، وأنه تمكن من احتلال بعض مناطقها وفرض سلطته عليها

٢ — أن الشعب الملايوى فقير فى الرجال والقادة الذين يقفون أمام الكوارث والخطوب . يقودون أمتهم لخوض غمار معارك التحرير ، ويقفون أمام المستعمرين يناضلونهم ويكافحونهم فى ميدان السياسة والاقتصاد .

٣ — أن الجيش اليابانى لم يترك سلاحه فى الملايو كتركة فى بعض البلاد التى احتلها . فأصبح الشعب الملايوى أعزل من السلاح

٤ — أن فى الملايو أكثر من مليون صينى . وهؤلاء يكونون جبهة متحدة المطالبة بسيادتهم على الملايو . وهم رجال تجارة وأعمال .

٥ — أن الشعب الملايوى تنقصه الدعاية الخارجية لعرض قضيته أمام العالم الحر ، وجذب عطف الشعوب المحبة للحرية إلى جانبه .

٦ — أن القيادة الداخلية للحركات التحريرية لم توسع نطاق أعمالها فى جميع أنحاء الملايو لكى ينصف الشعب الملايوى فى وطنه الذى لاقى الأمرين من الاستعمار الغربى ، وأن الدعاية الوطنية لم تنتشر الانتشار المطلوب بين الملايويين ليشعروا بواجباتهم الوطنية نحو وطنهم

فهذه الأسباب التى أمكننا استنتاجها من الحياة الملايوية هى بعض من أسباب كثيرة جعلت الشعب الملايوى يخضع للأمر الواقع

رسم الساسة البريطانيون القابعون فى مكاتب وزارة المستعمرات البريطانية بلندن السياسة الجديدة التى ستتبعها الحكومة البريطانية فى الملايو بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها . فأصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض)

وفيه المنهاج الجديد لنظام الحكم فى الملايو . وفى أكتوبر عام ١٩٤٥ وصل السير هارولد مكميل من رجال وزارة المستعمرات البريطانية إلى الملايو . وقدم مذكرة إلى سلاطين ملايا ليوقعوها . وتنص هذه المذكرة بإقرار الموقعين عليها تسليم سلطانهم إلى ملك إنكلترا . ثم فى أول إبريل عام ١٩٤٦ ظهرت على مسرح الحياة فى الملايو الحكومة الجديدة التى أوضحت فى الكتاب الأبيض . وهى حكومة (ملايا المتحدة) (Malayan Union) شملت جميع الولايات والمقاطعات الملايوية وهى حكومة مركزية تولى رئاستها حاكم بريطاني هو السير ادوارد جنت . ويستمد سلطته من حكومة لندن . وبظهور هذه الحكومة توحدت أجزاء ملايا . وأصبح لملايا حكومة واحدة لا ثلاث حكومات كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وخسر سلاطين ملايا مركزهم العالى وهو سلطانهم .

أنشأت حكومة ملايا المتحدة مجلساً تنفيذيا وآخر تشريعيا يعاونان الحاكم البريطانى فى إدارة شؤون الدولة . وانتخب أعضاؤهما من البريطانيين ذوى المراكز العالية فى الحكومة الجديدة ومن ممثلى طبقات الشعب . وأنشأت أيضا مجلسا تنفيذيا لمقاطعة سنغافورة وآخر تشريعيا . وانتخب أعضاؤهما من اثنين وعشرين عضوا نصفهم ينتخبه الحاكم من أعضاء الحكومة البارزين، والنصف الآخر من ممثلى الأحزاب السياسية ويشترط فيهم أن يكونوا من رعايا بريطانيا ومولودين فى المستعمرات الجديدة. وقدقامت حركات وطنية ضدالحاكم الجديد، وقامت الأحزاب السياسية بتنوير أذهان الشعب حول الحكم الجديد ومايخبئه لمستقبله. واتحدت كلمة الشعب الملايوى على رفض النظام الجديد الذى سلب كل حق كان يتمتع به سلاطينه .

مضى النظام الجديد فى عمله مايقرب من عام واحد وهو يترنح تحت ضغط الشعور القومى الملايوى الذى ناصبه العداء منذمولده . وقدكان هذا النظام تجربة استعمارية لمعرفة مدى قبول الشعب الملايوى الاستعمار البريطانى فى وضعه الجديد وقد باءت بالفشل . فالشعب الملايوى التف حول زعمائه لدفع الحكم الجديد الذى أظهر مناوأته للحياة الملايوية الجديدة الرامية إلى مقاومة الاستعمار وإزالته من ملايا. وفى أول فبراير عام ١٩٤٧ شيع الحكم الجديد إلى مقبرته. وظهر بعده حكم آخر أساسه الاتحاد . فقد استبدل الاستعمار البريطانى حكومة ملايا المتحدة بحكومة أخرى هى حكومة الاتحاد الملايوى (Federation of Malay) وضمت كافة الولايات الملايوية عدا مقاطعة سنغافورة . فإنها بقيت خارج الاتحاد . حيث أعتبرت تحت التاج البريطانى .

فما هو الجديد فى الحكومة الجديدة ؟

لقد أعاد الحكم الجديد إلى سلاطين ملايا نفوذهم بعد ماسلبته الحكومة السابقة . وصاروا يتمتعون بسلطانهم كما كانوا قبل الحرب العالمية الأخيرة . وأفسح الحكم الجديد المجال لممثلى الشعب الملايوى بإيجاد مقاعد لهم فى مجلس التنفيذ والتشريع الجديدين . وتولى بعض الوطنيين مناصب الوزارة . وإذا دققنا النظر فى الحكومة الجديدة يظهر لنا أنها حكومة استعمارية ، فقد ترأسها حاكم بريطانى برتبة مندوب سام واشترك الأجانب فى التمثيل . فمجلسا التنفيذ والتشريع مكون من خمسة وسبعين عضوا منهم أربعة وعشرون عضوا من موظفى الحكومة ذوى المناصب العالية ، وتسعة وزراء ممثلون عن مجالس الولايات التى شكلت الحكومة الاتحادية وعضوان عن مقاطعة فينانج وملقا، وخمسون عضوا ، ، منهم اثنان وعشرون من الوطنيين ، وأربعة عشر من الصينيين وخمسة من الهنود وسبعة من الأوربيين ، وعضو واحد عن السيلانيين ، وعضو واحد أيضا عن المولدين

هذه هى تشكيلات الحكومة الجديدة ، وقد قبلها الشعب الملايوى مكرها . وخلال هذه التطورات السياسية فى أنظمة الحكم نشطت الحركات القومية التحريرية فى جميع أنحاء ملايا لمقاومة الاستعمار البريطانى فى ثوبه الجديد

أنشأ الأحرار الوطنيون الأحزاب السياسية للسعى لاستقلال الملايو ، وهى أول خطوة سياسية فعالة فى سبيل الاستقلال ، والأحزاب السياسية كالماء والهواء للشعوب المستعبدة لا تستطيع الاستغناء عنها فهى التى تكافح الاستعمار وتنشر الروح الوطنية وتلهب المشاعر والإحساسات القومية ، وتجعلها شعلة نارمتوقدة، وأهم الأحزاب السياسية الملايوية هى :

١ — حزب الاستقلال الملايوى ، ٢ — الهيئة الشعبية الملايوية المتحدة ، ٣ — حزب العمال، ولكل من هذه الأحزاب برامجها الخاصة فى الكفاح والنضال لتحرير ملايا من الاستعمار، وأقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا هى (الهيئة الشعبية) فهى التى تقف أمام الحكومة الاستعمارية لتدافع من حقوق الشعب المهضومة، وتطالب الحكومة البريطانية باستقلال ملايو، وتنتشر فروعها فى جميع أنحاء ملايا، ولها منظمات كثيرة للشبان فهم سواعدها فى الكفاح والجهاد، ويؤيد الطلبة الملايويون المنتشرون فى الشرق الأوسط والأدنى الهيئة الشعبية فى مطالبها الوطنيه وجهادها المقدس. وهؤلاء هم طلائع الدعاية الوطنية الملايويه فى أنحاء الشرق. وقد بعثوا بمذكرات إلى الحكومة البريطانية يؤيدون فيها مطالب وطنهم، ويطالبون الحكومة البريطانية بتسليم السلطة فى ملايا إلى الوطنيين. وتدل الحياة اليوم فى الملايو على نشاط الأحزاب السياسيه الملايوية فى حركاتها التحررية، وهو نشاط ينبئ بالنجاح فى تحقيق الحرية والاستقلال لملايا. إن أمام الملايويين الاحرار مشاكل ومصاعب شتى تعترض سبلهم لتحقيق استقلال ملايا فى زمن قصير، وتتطلب هذه المشاكل رؤوسا مفكرة عاملة لحلها، وقد أبرزت الحياة الملايوية الحديثة زعماء ومفكرين يعملون فى الحقل الوطنى، وأنتجت أعمالهم شعور الطبقة المتعلمة من الشعب الملايوى بالواجبات الملقاة على عواتقها نحو وطنها. وتكونت منها دعامة قوية من دعائم الاستقلال، تقوم عليها ملايا فى بناء حياتها الحديثة. والبناء هو أول ماتطالبه ملايا — اليوم — فى حياتها الجديدة، وهو شامل لكل مناحى الحياة لشعب اعترض سبيله الاستعمار قرونا لكى ينهض ويسير فى ركاب الحياة، ونشر التعليم بكل وسائله المعروفة يؤدى إلى فتح آفاق واسعة من المعرفة بين جمهور الشعب، وقد كان الاستعمار خلال عهده الطويل فى الملايو مبعدا الشعب الملايوى عن مناهل العلم، فخلال الحكم البريطانى الطويل استمر ثلاثة قرون حتى أوائل الحرب العالمية الثانية لم تخرج المدارس الحكومية فى الملايو مهندسا أو محاميا أو طبيبا. فما معنى ذلك؟

لست أجيب القارئ من هذا السؤال فهو أعلم بأسبابه منى لقد قامت الهيئات التبشيرية والأوربية والأمريكية فى الملايو بفتح المدارس والمعاهد، كما قامت الهيئات والمنظمات الصينية أيضا بفتح المدارس لأبنائها. وأنشأ الملايويون فى الأيام الأخيرة مدارس لتثقيف أبنائهم بالثقافة الوطنية التى ترتكز على حب الوطن وحب العلم والمعرفة. وفى الملايو اليوم مدارس ثانوية وعالية تابعة للحكومة المستعمرة وللجاليات الأجنبية وللوطنيين وأشهرها كلية السلطان إدريس المعلمين، وكلية البنات الملايوية، ومدرسة الهندسة بكوالا لمفور: ومدرسة الزراعة بسلانجور، وكلية رافلس المعلمين والإداريين. وكلية الطب، وهاتان الكليتان هما نواة للجامعة الملايوية. هذه هى المدارس الثانوية والعالية فى قطر تزيد عدد سكانه على خمسة ملايين نسمة، نصفهم من الوطنيين، والنصف الآخر من الأجانب. وفى البلدان الشرقية طلاب ملايويون منتسبون لمعاهدها العالية وجامعاتها، وهم النواة الأولى للطلبة الملايويين الذين سيحملون مشاعل الحرية إلى وطنهم ليقيموا له حياته الجديدة على أساس العلم والمعرفة

محمد جنيدى

اتجاه الأدب الحديث

إلى الطبيعة

للأستاذ أنيس المقدسي

الطبيعة

إذا كان الأدب القروي يعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فإن أدب الطبيعة يعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الإنسان . وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها

والوصف الطبيعي القديم وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك . وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات؛ فإذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلا أو كالحمار الوحشي صور لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع، فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد إلى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه هائما في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جارية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطور معها الشعر الوصفي ، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما إلى ذلك من ظواهر الحياة المدنية . ولا بد لنا هنا من التنبيه إلى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد . ففي الأول كما ذكرنا آنفا يغلب الصدق والبساطة في التصوير . وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرى إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال . ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البهلوانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلة لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد

على أننا إذا أنعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما استجد في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولد في العهد العباسي والأندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصا وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل أو المديح أو الفخر ، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لايتجاوز الأفق الحسي الشاهد إلى ماهو أبعد وأعمق . وبكلمة أخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي إليه المعاني الخالدة والأفكار السامية، ولم يتغير الموقف في الشعر المولد تغيراً يصح أن يسمى اتجاها عاما ، فظلت الطبيعة عند المولدين وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لإيحاءات روحية . أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاها عاما إلى ما للطبيعة من وجود معنوي يلذ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه

ولهذا النظر الحديث إلى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

قد يقال إن الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون العشب الذاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة ، وإنه يرتاح إلى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المنمقة . فهو يؤثر الغاب على البستان ، وشواهق الصخور على أسوار الحصون ، وبحيرات الجبال على برك القصور . ورمال الشواطئ والصحارى على الساحات المعبدة في المدن أو النوادي ، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع . بل إنه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السهول وانقضاض الشلالات ووصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللجج وما أشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة، على أن ذلك عند التحقيق ليس

الفارق الرئيسي الذي يميز أدب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة، وإنما غيره ما تقدمت الإشارة إليه من أن الأدب الحديث ينظر إلى الطبيعة نظراً معنويا يتجاوز أفق المشاهدات

ومما لا شك فيه أن التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعم في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور أو النظر المعنوي نزعات نجملها في النزعتين التاليتين :

النزعة الحيوية :

وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف

وليس من الصواب القول أن الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر أو الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم، وإنما فعلوا ذلك في الأغلب تمهيداً لبعض أغراضهم وجريا على انواع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب إليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلا فيقول فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه   طوال الليالي مفكر في العواقب

على أننا نعيد القول أن ما نجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ أن يكون اتجاها عاما أو بابا مستقلا يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيسجدوا في هيكلها ويحملوا إلينا منه ما توحيه من جمالها وأسرارها ، أو على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأن زملائهم في القرن العشرين

إن الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة يحس بضربات فؤادها ويسمع رخيم إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران إذ يقف أمام « الأرض » مقابلا محاسنها بقبائح الإنسان فيقول « ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك . ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى . ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ! نحن نضج وأنت تضحكين . نحن نذنب وأنت تكفرين . نحن نجدف وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تقدسين . نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلا منا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ! »

واشكر الله الجر قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي أيضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن أدوارها :

عملت بمائك عيني وعدت فأبصرت ما الناس لاتبصر
فبالله قل لي إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر
وأنت تسكر كرور الزمان   فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجيء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها   فهذا يغني وهذا ينوح
وذلك مستسلم للقدر

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال وأودية وأنهار وبحار ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها

وكما شغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحياها وجعلها ذات شعور وإدراك ، ونظر مستوحياً منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغف أيضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعاً لتخيلاته وتأملاته ، ووسيلة للتحدث عما يتجلى له في حياته

ففي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح أن تكون وردة

وممن استخلص من البنفسجة موضوعاً إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها فقال

قد التحفت أوراقها وتطامنت   على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الأجفان يقضي حياؤها   عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة   للمومة في ثوبها المتواضع

وفي غابة من غابات البرازيل يمر الشاعر القروي مرة فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الإنسان فيحدثنا حديث

تلك « الدوحة الساقطة » وشكواها من جور الإنسان . وفى هذا الحديث تذكرنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوى إليها الطيور ويقصد ظلالها طلاب الراحة . ثم تصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير ، لا عالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد ، القائم على التعدى والتدمير . وبعد أن تنمى نفسها إلى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً إلى وصف الدوحات البشرية (أى النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء .

ومن الشعر التأملى المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة » لرشيد أيوب . يرى الشاعر ورقة من أوراق الخريف فتثير فيه — وقد دنت شمسه المغيب — خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أبنت الربيع استريحى غداً ... فــكل الهناء لمن لا يعى

قضيت الربيع وكل الحيا ... ة زمان الربيع فلا تجزعى

فماذا أقول أنا فى الشتاء ... وصوت العواصف فى مسمعى

أبيت الليالى أرعى النجوم ... وإن نمت نامت همومى معى

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . وإليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصرى محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل ، فيتصوره « راهباً » كبير السن واسع الاختبار وعوضاً عن أن يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطف فى الاقتراب إليه ثم يلقى عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجياً منه أن يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهــذه الأسئلة ليست فى الحقيقة إلا ما يساور نفس السائل لدى تأمله فى حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها

وفى الخريف يرى إيليا أبو ماضى فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة :

فالزهر فى الحقل أشلاء مبعثرة ... والطير — لا طائر إلا جناحاك

يا روضة فى سماء الأرض طائرة ... وطائراً كالأقاحى ذا شذاً زاك

مضى مع الصيف عهد كنت لاهية ... على بساط من الأحلام ضحاك

تسعين عند مجارى الماء ناعمة ... والأزاهر والأعشاب مغناك

يا نغمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعى ما غاب معناك

ويسمع أحمد رامى طائراً يغرد تغريداً شجيا وهو يتنقل من غصن إلى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له :

واصدح فصوتك فى الفؤاد صدى ... للغابر المدفون من زمنى

لك أنة فى الليــــل خافقة ... تسرى إلى قلبى بلا أذن

هبنى جناحك كى أطير به ... وأحط فوق شواهق القنن

وأطل فوق الكون مبتهجاً ... بجماله المتناثر الحسن

ومن هــذا القبيل موشح للشاعر العراقى محمود الحبوبى استوحاه من تغريد طائر على شجرة فحداه ذلك إلى وصف الحياة والناس ، متمنيا لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرحة الوديعة لعلهم يرجعون إلى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم

ولو أردنا أن نعدد الأمثلة على مثالطبيعة الحية من أثر فى أدبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام

النزعة التاريخية :

ولم يكتف أدباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثها ما يشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها إلى التاريخ حيث يتجلى لهم جلال القدم وحوادث الزمان . والذى يلاحظ أن هذه النزعة تكاد تكون مفقودة فى أدبنا الماضى . ومن أمثلتها قصيدة أحمد شوقى « أيها النيل » ومطلعها :

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق

وفى هذه الوقفة التاريخية يصف النيل مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك وأديان ، ومن مشى عليها من أنبياء وفاتحين ، وأنه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور

ومن الأنهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصى وبردى واليرموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات ، بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ والكرمل وطورسينا ووادي موسى وسواها

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة الغربية » ذكر فيها أن كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجر وبشر فارس والشاعر القروي ونخرى أبو السعود وأشار إلى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥ ، وإننا نضيف إلى ما ذكر الوقفتين التاليتين : « على نهر التامس » في لندن و « على نهر السين » في باريس

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل

أنيس المقدسي

طبيعة الحج في الإسلام

للأستاذ محمد فياض

« مهداة إلى الأستاذ الكبير سيد قطب »

الحج في إسلاميته الخالصة ، ركن عبادي حين يتصل بالله في مناسكه وشعائره ، وأقواله وأفعاله ؛ وأساس اجتماعي حين يتجه بالمجموعة الإسلامية ، في مؤتمره السنوي العام ، إلى التنظيم والتعارف ، وإلى توحيد القوى الفردية والجماعية ، والتوجه بها شطر قبلة واحدة : عن صاحبها صدر الخلق ووجدت الحياة ، وإليه تتجه حياتنا كلها ، بما فيها من نشاط واتجاه وأهداف

وبهذه الصورة الإسلامية للحج ، تتحدد وتتآصر ، ضمن ماتتحدد به وتتآصر في الإسلام علاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الجماعة بالفرد ، وعلاقة كليهما بالله الذي منحهما الوجود والحياة . علاقة لا يختلف فيها باطن مع مظهر ، ولا كيف مع مقدار ، ومن أجل هذه العلاقات ، تقوم دعائم الحج في الإسلام ، منسقة منسجمة : في استعراض عام ، حيث يشهد الله مالك الكون ؛ وفي توجيه عملي حار ، يرشد الفرد ويوجه الجماعة ، إلى حقيقة العلاقة بينهما ، وإلى حقيقتها بعد مع الله ، وفي وحدة عامة ، تصل السماء بالأرض ، والإنسانية بالكون ، والعباد بالله :

والحجاز من وجهة النظر إليه ، كرقعة تؤدى على ثراها شعائر الحج ، ماموقف الإسلام منه ؟ إنه ميدان الاستعراض العام ، وقاعة المؤتمر السنوي ، ومحراب التوجيه الوجداني ، ومدرسة التربية الاجتماعية . إنه الأرض التي انبثق منها روح الإسلام الأول وبقيت على أرضه « الكعبة » قبلة للإنسانية الراشدة ، ورمزية محسوسة بين العباد والرب ، ومنارة معنوية للإسلام في الأرض . إنه معسكر التدريب الذي يعود منه رائده ، وفي قلبه حرارة وانفعال ، وأمامه ثلة من المشاعر والأحاسيس ، بها علائق شحنات من التجاوب : على نهجها يسير ، وعلى أضوائها يهتدي ، في فيافي الحياة ، المضللة المعقدة المختلطة المتشابكة حين يعود ؛ إنه كل ذلك وأكثر منه ! فما فكرة الإسلام منه[1] ؟ لا : بل ماالقواعد الكلية التي تركنها فكرة الإسلام ، لتحدد طبيعة الحج ، وترتكن عليها أهدافه ؟ بل ما الوسائل التي تقر هذه الطبيعة ، وتلك القواعد ، وتحفظ لها وجودها وكيانها ، حياً ، منتجاً ، محقق الأهداف ، يلمسه الناس ويؤمنون بجدواه ؟

تبدأ النظرة الإسلامية إلى الحج أول ماتبدأ ، بتقرير القاعدة الكلية الأولى ، في النقطة الرمزية المحسوسة التي يتوقف عليها اتصال الناس بالله ، ووحدة الاتجاه الإنساني ، فتقرر هذه القاعدة أن البيت الحرام هو الملك المختار لله في الأرض ، والمقصود لتوحيد الاتجاه : لاشبر فيه ولا فتر لمخلوق ، ولا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الله وأحكامه ، لأنه حلقة الاتصال بين الناس والله . ومن الصالح الإنساني أن يكون كذلك ، مادام قد قدر له ذلك الشرف الإلهي الخاص « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » : نعم ،

(١) هنا موضوع آخر : نرجو أن نوفق للكتابة فيه بعد استكمال خيوطه

بهذه الإضافة بين الياء والبيت ؛ تقررت هذه الملكية ، وهذه القاعدة

وحين نتأكد في عقولنا هذه الأولى ، فإن هناك قاعدة كلية ثانية تقرر أن البيت ، أو المسجد الحرام ، بل الحرم الأرضي الإلهي كله آمن بطبيعة الخلق التي أوجده الله عليها ، آمن بطبيعة التشريع الإلهي للحج ، آمن لا يجب أن يخشى فيه مسلم شيئا ، أو يخاف كائنا سوى الله ، آمن يلجأ إليه أيضا من يضطهد في دينه من سائر البقاع ، أومن يظلم في نفسه أو عرضه أو ماله أو أهله ، لو شاء ؛ بل لقد أمن ذلك الحرم المقدس في أعرق عهود الجاهلية ، وأشدها فتنة ووحشية ، بل لقد أمنت حتى الحيوانات والطيور في ذلك الحرم الإلهي من اعتداء الناس ، « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، « ومن دخله كان آمنا » ، « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما »

وإذا ما قرت في الأذهان هاتان القاعدتان ، فنحن في حل ، لنأخذ بالقاعدة الكلية الثالثة التي تحدد علاقة المسلمين بالمسجد الحرام ، وتكشف عن سر وجوده ، فتنص على أن هذا البيت ، قد جعله الله ليكون بيتا للجميع من المسلمين ، يرجعون إليه رجوع الزائر القاصد لا المالك ، لتستقر في أذهانهم وفي قلوبهم ، وتسيطر على أرواحهم ونفوسهم اتجاهات الإسلام ، وعلاقاته وأهدافه ، ثم ليعقلوا جيدا ، معنى الوحدة الإسلامية ، ومعنى الاتجاه إلى البيت كقبلة ، وكرمز معنوي محسوس « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة »

وحين تتقرر هذه الأخرى في عقائدنا ، ضمن ما نحسبه من اتجاهاتنا وأهدافنا ، فإن هناك قاعدة كلية رابعة بها تتقرر المساواة التامة بين سائر الأفراد والجماعات ، أحمرهم وأصفرهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ساميهم وآريهم ، لا فرق ، لا فرق بين فقير وغني ، وحتى بين عبقري وعادي ... مادامت تجمعهم كلمة الاسلام . ولكن أية مساواة ؟ إنها المساواة الكلية المطلقة ، لا مساواة الصلاة الجزئية المحدودة ، إنها مساواة الوحدة العامة ، مساواة مندوبي العالم ، لمن شاء أن يكون مندوبا لقومه وجماعته ونفسه ، دون أفضلية أو اختيار ، إنها مساواة التجمع حول يدي الله في التوجه والاستهداء ، واستشفاف النفس ، لمعاني العلاقات الفردية والجماعية والإلهية ، من مظاهر الحج وشعائره بما فيها من مظاهر وجموع ، كل نفس بما تقدر ، وعلى حد ما تستطيع بذله من أفهام ونظرات . إنها أيضا المساواة التي لا تفضل دولة على دولة ، ولا أسرة على أسرة ، ولا لونا على لون ، ولا فردا على فرد ، بالقرب أو بالبعد « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد »

وبعد أن يفهم الناس هذه القواعد الأربع عن الحرم ، وعن ملكيته ، وعن حكمة وجوده ؛ وبعد أن تستقر في الأذهان ، وتطمئن إليها الوجدانات والعواطف .. بعد ذلك كله تلوح في أفق فكرة الإسلام القاعدة الخامسة التي من أجلها وجدت القواعد الأربعة السالفة ، حتى لا يكون وجودها عبثا ضائع الهدف بدون هذه القواعد الأربع الكلية . تلوح هذه القاعدة كالسقف مستندة على أربعة أركان لتقرر أن الناس جميعا مفروض عليهم واحدا واحدا الحج إلى قبلته التي يتوجه إليها ، حجة محسوسة ملموسة ، متنقلة متحركة ؛ مرة في عمره — فمن شاء أن يستزيد فهذا موكول لحريته الذاتية — ما دام قد اعتنق شرعة الإسلام . الناس جميعا ، بلا تفريق ولا تمييز ، ولا تفضيل ولا اختيار بين واحد وواحد ، وجماعة وجماعة ، في اللون أو المكان ، في القرب أو البعد ، في الزمان أو المكان ؛ الناس جميعا مفروض عليهم الحج ، واحدا واحدا ، ما دام مسلما ، وما دام قادرا على إحداثها في عالم الواقع ، قادرا على تحمل نفقات الحج وتبعاته . « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وإلا ، « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »

ومن هذه القواعد الكلية تتبين طبيعة الحج في الإسلام ، وتتركز تلك الطبيعة هناك ، في الحرم الإلهي المقدس ، حيث لا تكاليف على الحاج ، ولا شواغل سوى عبادة الله . بالإيمان والصلوات ، والقربات والحج ؛ وسوى الاستغراق في الاتصال بينه وبين الله ؛ وسوى التسامي بالروح والأشواق ، والانفعالات والوجدانات ، المتطلعة إلى السماء ؛ وسوى التطهر جهد الطاقة من النزعات الجسدية والمادية اللاصقة بالأرض ... هناك في ذلك

الفردوس الروحى فى عالم من التحرر الوجدانى ؛ تتركز طبيعة الحج فى الإسلام ، فى . وحدة الاتجاه الفردى والجماعى .. إلى الله صاحب القبلة والبيت ، والمسجد والحرم ؛ وفى وحدة المساواة الكاملة المطلقة ، المتجردة بين سائر أفراد المسلمين . من أى لون ، ومن أى شعب ، وعلى أى درجة من الوعى والاستعداد والعلم

وعلى هاتين الوحدتين تتحدد وتتآصر علاقة الفرد بالجماعة وبالعكس ، وعلاقة (٢) كليهما بالله ، ضمن ما تتحدد به وتتآصر فى قواعد الإسلام ؛ ولكن هذا التحديد وذلك التآصر ؛ يبدو فى طبيعة الحج عمليا ، على أرحب مايقدمه ركن إسلامى ، وعلى أكل ما يشمله من أفراد ، بل إنه الركن الوحيد الذى يجمع مسلمى العالم فى مندوبيهم ، فى ساحة واحدة ، ليلقنهم درسا واحدا ، هو المقصود من الحج ، هو الوحدة ، وحدة الاتجاه ، ووحدة المساواة . وبهذا وحده تقوم وحدة العالم الإسلامى ، متسقة الأفراد ، منسجمة الشعوب والجماعات ، محفوظة من الأحداث ، والتقلبات ، والخلوف ، متجهة فى وحدة ، وفى مساواة ، إلى الله صاحب الكون ، وواهب الحياة

ولكن هل تعيش تلك القواعد الكلية وحدها ؟ هل تحفظ طبيعة الحج ، حية منتجة ، محققة الأهداف ، دون وسائل وأسباب ، تحفظ عليها كيانها المقصود ؟ اللهم لا ، إنها وحدها لا تعيش !!

ومرة أخرى ؛ تتقدم الفكرة الإسلامية ، بالوسائل التى تقر فريضة الحج ، ثابتة لا يعتريها تفكك أو تحلحل ؛ تتقدم بما يحافظ على طبيعة الحج ، حية ، منتجة محققة الأهداف ؛ تتقدم بما يقى هذه الفريضة وتلك القواعد وهذه الطبيعة ، شرور الفساد والنقص والاضطراب ؛ تتقدم الفكرة بنفسها ، ثم . بوسائلها ثانية ، لتهدم مظاهر الفساد ومنابع الظلم التى يخشى منها عادة على فريضة الحج وقواعده وطبيعته ؛ وهذه المصادر ، وتلك المنابع ؛ تكمن عادة ، فى الاستبداد من فرد ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد ؛ وتكمن فى الاستغلال الاقتصادى ، المقصور على فرد أو أفراد ، وتكمن فى أخطار التاريخ وتقلبات الزمن ، من دولة قريبة أو بعيدة ، أو من مبدإ مناهض يغاير طبيعة الإسلام ، فى كثير أو قليل ؛ وتكمن أخيرا فى التعطيل بواحد من هذه الثلاثة ، أو بعضها ، أو كلها مجتمعة ، لمظاهر من مظاهر الحج ، أو جزء من كيانه ، أو تقليد من تقاليده ، أو سبيل من سبله ، أو تيسير من تيسيراته

... تتقدم الفكرة بنفسها أولا ، ثم بوسائلها ثانية ، على طريقتها المتميزة ، فى أى حقل من حقولها ، فى مخاطبة ، العقل أو العاطفة ، والضمير أو خارجه ، والفرد أو جماعته ، والسلوك أو العمل ، بالتوجيه تارة ، والتشريع أخرى ، وقد تزاوج بينهما ، ومن مصدرين متجاورين : الكتاب والسنة ...

... فتتقدم الفكرة بنفسها ، وتقيم ما يشبه القاعدة ، أو قل قاعدة مساعدة ، أو وسيلة كلية جامعة ؛ لتقاوم بطريقتها المتميزة التعطيل أياكان مصدره ؛ فتقرر أن المعطل ، كافر ، كافر بنص القرآن « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .. » بل إنها لتعتبره إلى جوار ما بهذه الآية من صراحة ومخاطبة بالتوجيه وبالتشريع — ملحدا ، « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وبنفس ما بسابقتها من صراحة ومخاطبة قد صيغت هى الأخرى ، مع زائدة ثالثة ، هى فى تلك الشاعية المطلقة ، فى تنكير كلمة الظلم فيها ؛ تلك الشاعية التى دفعت بعض المفسرين ليقولوا المعصية فى الحرم سيئة مضاعفة . مع أن الحقيقة أن هناك حد من السنة ، يفسر نوع الظلم فى الحرم بأنه الاستغلال ، كما سيأتى بعد سطور. وإن كنا نرى أن هذا التشريع المفسر لا يمنع مطلقا من شمول الظلم فى الآية لسائر مصادر التعطيل من المسجد الحرام، خاصة وفى الآية هذه الشاعية ، المتمكنة فى تحديدها على آية ثالثة « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ؛ لهم فى الدنيا خزى » هكذا بلفظة المنع وتعبير فنى ، «سعى فى خرابها »

ثم تتقدم الفكرة الإسلامية بوسائلها ثانية ؛ .. لتقيم الحواجز والسدود .. فتقدم وسيلة أولى ، مساعدة للوسيلة الكلية الجامعة ، وتقوم عليها الوسائل اللاحقة ؛ بها تقرر الفكرة وتفرض على الناس ؛ وجوب تطهير بيت الله « وعهدنا

(٢) سوف نتحدث فى فترة أخرى عن «طبيعة العلاقات فى الإسلام»

إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » فى غير موضع من القرآن . . وبدهى أن الأمر بالتطهير ليس مقصورا على المأمورين وحدهما ، ولا موقوفا عليهما دون غيرهما من الناس ؛ وبدهى أيضا أن التطهير فى مثل هـذا المقام ، لا يقصد منه سوى إزالة جميع مصادر التعطيل ، فى الحرم كانت ، أو فيما يؤدى إليه « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق »

وتأتى الفكرة بالوسيلة الثانية لتقر الحرم فى أمانه وعلى طبيعته ، بعيدا عن المعطلات .. عن طريق التوجيه تارة ... التوجيه الحار المجرد الذى يتسلل إلى ما وراء منافذ الشعور ، فتقرر أن الحرام حرام ، بحرمة من الله لا من إنسان « إن مكة حرام ، حرمها الله .. ولم يحرمها الناس » ثم من طريق التشريع العملى أخرى ، بأربعة أسباب :

السبب الأول : أن أرض مكة ، وهى قطب الرحى ، ومركز الدائرة فى الحج ، أرض مشاعة الملكية للمسلمين جميعا ، لأنها ملك الله ، مباحة لكل قاصد وكل مقيم ، لا ملك فيها لإنسان بعينه ، فلا بيع ولا إيجار . روى الدارقطنى عن علقمة بن نضلة « توفى رسول الله ، وماندعى رباع مكة إلا السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » وفى رواية « ولا تباع » وروى عن ابن عمر « إن الله حرم مكة ، فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها » « من أكل من أجر بيوت مكة شيئا ، فإنما يأكل نارا » « مكة مناخ ، لا تباع رباعها ، ولا تؤاجر بيوتها » .. كما أن عمر بن الخطاب نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا ، كما أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا ، فإنه لا يحل لهم ، وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة

السبب الثانى : تحريم الاستغلال ، من الاحتكار ، ومايشبه الاحتكار .. من تجارة السوق السوداء ، والتلاعب بالسوق التجارية ... « احتكار الطعام فى الحرم ؛ إلحاد فيه » يقول القرطبى : والعموم يأتى على هذا كله

السبب الثالث : تركة الجاهلية الضخمة التى أبقى عليها الإسلام وورثها ، فى ذلك التقليد الرائع المشهور ، فى نظام السقاية والرفادة ، والأولى معناها إسقاء الحجيج كلهم ، الماء العذب .. « مجانا » بدون مقابل . أما الثانية ، فإطعام من لم يكن له سعة فى العيش أو لا زاد معه من الحجاج .. مجانا أيضا وبدون إدانة ؛ هذا النظام التيسيرى بجانب مكافحة مصادر التعطيل قد عمل به الرسول ، وعمل به الخلفاء الراشدون .. ثم انقطع أو كاد حين تفشت الخلوف ، ولا ندرى .. متى ؟

ثم ، تتقدم الفكرة بالوسيلة الثالثة ، لتقاوم أخطار التقلبات التاريخية ، من دولة قريبة أو بعيدة . وتقاوم تيارات المبادئ المناهضة ، المغايرة للاسلام فى قليل أو كثير ، سماوية مضت ، أو أرضية حدثت ، فيوصى الرسول فى لحظاته الأخيرة وصية تقى فريضة الحج ، وشرور هذه الأخطار وتلك التيارات ، بل إنها لتكاد تحدد أيضا مكانة الحجاز جميعه ، من العالم الإسلامى والعوالم المناهضة : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » « أخرجوا يهود أهل الحجاز ، ونصارى نجران ، من جزيرة العرب » « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ؛ كل هذه الأوامر قد كانت امتدادا لعزم الرسول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما » ولكن : يبدو أن الرسول لم يجد الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة الحكيمة ، ويبدو أيضا أن أبا بكر كان مشغولا فى حروب الردة ، وتنظيم الجزيرة ، وتثبيت أقدام المسلمين بها ، فلم تتح له فرصة التنفيذ هو الآخر حتى فعلها عمر ثم هبت الخلوف ، ولا ندرى ، متى ؟

وبقيت وسيلة أخيرة ، لتقاوم الاستبداد ، من حاكم ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد .. كمصدر من مصادر التعطيل ، لم أعثر لها بعد على نص خاص . وأعتقد قبل الترجيح أن السبب فى ذلك ، هو تكفل كليات الفكرة الإسلامية مباشرة ، بمقاومة هذا المصدر ، فى نظام الحكم ، وفى تشريع الفئة الباغية ، والمحاربون الله ورسوله والساعون فى الأرض بالفساد

وبهذه الوسائل الكلية والفرعية ، والتوجيهية والتشريعية ، المقررة الواقية : لفريضة الحج وقواعده ؛ تحفظ طبيعته حية ، منتجة ، محققة الأهداف ، ذات كيان يلمسه الناس ، ويؤمنون بجدواه ، ولكن هذه الوسائل ، يتوقف تنفيذها على كل مسلم ، على وجدانه وعقـــله ، وعلى يقينه وعمله ، وعلى خضوعه للأمر

الإلهى بالتطهير فى الوسيلة الأولى ، فإذا حدث ، وتدهورت طبيعة الحج بانهيار أساس من آساسه ، أو وسيلة من وسائله ، فسببه ليست الفكرة ولا وسائلها ؛ إنما هو عدم الاستجابة بالفهم واليقين ، والسلوك والعمل . إنما هو انهيار الوسيلة الأولى المساعدة ؛ إنما هو التقاعد والتقاعس ، حبا فى الحياة ، ولو ذليلة مهيضة الجناح مسلوبة القيم.. إنما هو النقص فى الدين، أو الخروج عن الإسلام

محمد فياض

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— تتمة —

فنه الشعرى :

لا بد لنا من كلمة عن مذهب الشاعر فى فنه ، وطريقته الأدبية فى بيانه ، وفيما تقدم فى شعره ما يكفى لإيضاح الرأى . ويمكننا أن نلمح ميزات ثلاثا يتسم بها شعره ، وتظهر مشتبكة متعانقة فى قريضه، فلا تتخلف واحدة عن أختيها بحال ، هذه الميزات الثلاث هى ، صدق الإحساس ، وقوة التعبير ، وواقعية التفكير

فصدق الإحساس يخلع على أدب الشاعر عاطفة قوية حارة ، تشتعل وتتقد فى سطوع وبريق ، وتندفع صاحبها إلى الإجادة والتأثير ، كما يكون لها سحر أخاذ فى نفوس القراء ، فما يكاد القارئ يتلو إحدى القصائد حتى ينفعل بانفعال ناظمها ، ويسير فى تياره حيث اتجه ، وتصل الأبيات إلى القلب فتحرك كوامنه وتهيج أحاسيسه ؛ وهنا يكون الأثر المنشود للأدب بوجه عام ، والشعر بوجه خاص ، بل إن الصدق ذاته يجعلك تحس فى أعماق نفسك بخواطر متشابهة لما تقرأ ، وكأن الشاعر يعبر عن عواطفك أنت . فقد سلط أشعته على قلبك ، ونفذ إلى أغوارك فرأى الخوالج المستترة ، والكوامن الموغلة ، فجمع أشتاتها المتنافرة ، واتخذ منها مادة شهية لأدبه ، وقد تكون خواطر الشاعر الصادق بعيدة عن شعورك ونبضك ، ولكنك تجدها حبيبة أثيرة لديك ، وكأنك كنت تحسها قبل ذاك ! وأمامك أبيات يقولها الجواهرى فى رثاء بعض أصدقائه الشعراء ، تجد فيها كثيرا مما تحب أن تسمعه سواء أحسست به قبل ذلك أم بعد من إحساسك ، فهو رائع خلاب

أصخت لمن نعاك على ذهول   كأنى قد أصخت لمن نعانى
وكنت أحس أن هناك رزءا   وأجهل كنهه حتى دهانى
لعنت اللفظ ، ما أقسى وأطغى   وما أعصى على صور المعانى
تقاضانى بيومك ترجمانا   وكنت ألوذ منه بترجمان

وصدق الإحساس يلبس حلة زاهية، إذا اقترن بقوة التعبير وهى الميزة الثانية للشاعر . والناس من قوة التعبير فى ليل مشكل ، فقد فهمها الكثيرون على غير وجهها الصحيح ، فرأوها فى ترادف الغرابة فى اللفظ ، والقعقعة فى الصوت ، فكل بيت يحتاج فى فهمه إلى معجم لغوى فهو قوى كمعلقة لبيد ، وكل شاعر يطحن فى سمعك قرونا صلبة فهو متين رصين كابن هانئ الأندلسى فى رأى أبى العلاء . وليست قوة التعبير لدى الجواهرى من هذا الطراز العجيب ، ولكنها تظهر فى تماسك الألفاظ ، وترابط المعانى مع الوضوح والإشراق . وهى بوضوحها لا تتنافى مع السلاسة والسهولة ، فقد تكون القصيدة من السهل الممتنع وهى آية فى قوة التعبير ، ورصانة التركيب ، بل إن السلاسة دائما طريق الشاعر المبتدئ إلى المقدرة والإبداع ، فإذا سار فى ميدانه خطوات وجد قوة التعبير تأخذ بناصره ، وتشد أزره ، مع احتفاظه بالرونق الخالب والانسجام المترابط . وقد بدأ الجواهرى قصائده سهلا رقيقا وكلف بشعراء السلاسة كلفا زائدا ، وتفقى روائع الوليد وابن زيدون فى القديم، وحافظ والرصافى فى الحديث ونسج على منوالهم الرقيق المبدع فى نظمه . وقد قرأت له بعض القصائد التى نظمها فى صدر شبابه ، فكدت أنسبها إلى البحترى بعينه ، وأخص قصيدة « سامرا » الرقيقة العذبة التى قالها البحترى فى القرن العشرين على لسان الجواهرى، ومنها :

إيه أحبـاى الذين ترعرعوا ما بين أوضاح الصبا وحجوله
إنى وإن غاب السلو صبابتى واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقنى ذكراكمو ويهزنى طرب إلى قال الشباب وقيله
أحبابنا بين الفرات تمتعوا بالعيش بين مياهه ونخيله
بلد تساوى الحسن فيه، فليله كنهاره ، وضحاؤه كأصيله
ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ألا يمر عليه غير عليله
وكفاك من بلد جمالا أنه حدب على إنعاش قلب نزيله

وقد سار الجواهرى مع سلاسته الرقيقة عدة أشواط ، حتى صاحبته القوة والتماسك . فاتفق له من ذلك كله ألحان عذبة صادحة . تختلف انخفاضا وارتفاعا باختلاف ما يعالج فى شعره من الأغراض ، وقد نسمع له بعض الجلبة الصاخبـة فى قصـائده السياسية ، وهى صدى لمـا يهتز فى نفسه من انفعال ثائر يأخذ مظاهره فى جو من الصخب والضجيج ، وفيما أسلفناه من الشعر دليل لمـا نقول

هذا وقد نعثر فى شعره على ألفاظ يسيرة تنكرهـا معاجم اللغة ، أو القواعد النحوية والعروضية كقوله

ولن تجـدى كبابانا نصيرا يدق من الأسى راحا براح

وقوله

أحقما وأمات البلاد ولودة وأنك يا أم الفراتين أنجب

وقوله :

وأى زمان من مكارم أهـله النفى والتشريد والإعـدام

هـذه الأبيات وأمثالها تجد نقدا صاخبا من المتتبعين للأخطاء المطبعية والهنات اللغوية — وكثير ما هم فى بريد الرسالة — ويحسبون أنهم ظفروا بصيد ثمين يجر إليهم نصيبا من الذيوع والحقيقة أن شاعرا كبيرا كالجواهرى ومن على شاكلته من أنداده الأفذاذ لا يجهلون قواعد النحو ، ومسائل اللغة ، ولـكن يهملون بعض القيود التى تحد من تدفقهم الزبد ، وقد يرفضون قاعدة علمية ، فيقطعون همزة الوصل ، ويضمون ضمير النصب فى غير مكانه ، وهم يعرفون جميع ما يقوله النحاة واللغويون ، ولست أوافقهم على مذهبهم فى الاستهانة بالقواعد العلمية ، ولكنى أدعو سـادتنا المتعقبين الأفاضل أن يريحوا أنفسهم من النقد اللغوى المكشوف ، لأن التعقيب يكون واجبا إذا جهـل المنقود حقيقة خطئه ، أما إذا كان الخطأ معروفا لطلبة المدارس الثـانوية — والابتدائية أحيانا — فلمـاذا نشغل به الناس

ونمضى إلى ميزة الشاعر الثالثة ، وهى واقعية التفـكير ، والشعر العربى فى شتى عصوره يصطبغ بالواقعية ويسايرها فى كل مكان وزمان ، ولـكن الهائمين بآداب الغرب وروائعه سنوا فى الشعر مذاهب جديدة ، فأصبحنا نرى الشعر الرمزى الغامض ، والخيالى الطائر المتذبذب ، وصار لـكل لون أبطاله ورواده ، ولـكن هناك حقيقة واحدة لا يستطيع أن ينكرها منكر ، تلك الحقيقة تنبئ أن رواد المذاهب الشعرية الحديثة لم يستطيعوا أن يفرضوا مذاهبهم على قراء الشعر العربى ، وأعوزهم أن يجدوا الشاعر الوثاب الذى يجذب الأنظار إلى مذهبه ، ويخلق له فريقا من الأشياع والتلاميذ ، وبهذا بقيت الواقعية صفة ملازمة للشعر العربى ، على أن هناك أغراضا شعرية يتحتم على المتجه إليها من الشعراء أن يكون واقعيا ، فالشعر السياسى والاجتماعى يتطلب الواقعية المحيطة الشاملة، ولاسيما إذا كان الشاعر ذا رسالة خاصة فى الإصـلاح والتوجيه ، فهو مضطر إلى إلهاب العواطف واستحثاث الجماهير ، ولن يكون ذلك بغير الحديث الواضح المعقول ! وهب أن شاعرا مصلحا كالجواهرى لجـأ إلى الرموز الغامضة ، والخيالات التائهة ، والأشواق البعيدة ، والسبحات الحالمة ، واتخذ منها مادة لرسالته فى البعث والإصلاح ، أفيجد من القراء من يستجيب لصرخاته، أو يحس بإحساسه وشعوره؟ هـذا ما لا يعقل بحال . ويجب ألا نغفل من حسابنا أن الشعر الرمزى يحتاج إلى عقل يغوص، وذهن يعلل، مما يجعل القصيدة شبيهة بمسألة حسـابية أو معادلة جبرية ، وبذلك تفقد تأثيرها الساحر ، وتعجز عن أداء رسالة الشعر فى التأثير والانجذاب . وأنا لا أنكر بعض الاهتزازات الغامضة التى تختلج فى النفس حين يقرأ الإنسان بعض القطع الرمزية . ولـكن هـذه الاهتزازات الغريبة تخلق مزيجا غريبا من الحيرة والقنوط والتساؤل ، وتغرق القارئ فى بحر لجى لا ساحل له ، وهيهـات أن يرحب بالغرق عاقل حصيف ، فمتى يجد هؤلاء الحالمون الواهمون شاعرا كبيرا يقود الأذواق إلى مذهبهم الجديد فيمهد له سبيل الذيوع

على أن الواقعية قد أصيبت بكارثة فادحة ، تحاول أن تبغضها إلى الأذواق والقلوب ، فقد دأب بعض المتشاعرين أن يتخذوا من الحوادث اليومية ، والأخبار الصحفية مادة للنظم الواقعى فيصدموا القراء بما هو شبيه بقول حافظ إبراهيم

ثلاثة من رجال النيل قد وقفوا

على مدارسنا سبعين فدانا

ثم يدعون أنهم يعيشون فى الحياة ، ويسيرون مع الواقع ، ويعبرون عما يجد فى البيئة من شؤون . ويجب أن يفهم هؤلاء السادة أن رسالة الشاعر الواقعى ليست هى التعبير عن الأخبار الصحفية بكلمات موزونة مقفاة ، ولكنه يرى الحادثة فيتأثر بها ، وتثير فى نفسه انفعالات خاصة ، وتصل إلى ذهنه فتوحى إليه فيضا من الإلهام الصادق ، ثم تجول فى خاطره ثائرة حارة ، فلا ينقذه منها غير التعبير عما تخلقه من انفعالات ، وما توحى به من إلهام يبرق بالومض والالتماع . وهنا تكون الحادثة نواة صغيرة لما يدور حولها من ذبذبة وانفعال؛ أما أن تكون الحادثة وحدها مصبوبة فى القوالب العروضية ، فالأجدر بالقارئ أن يغفلها تمام الإغفال ، مكتفيا بما قرأه عنها فى الصحف والمجلات

وقد نأخذ على الجواهرى إخلاله بوحدة القصيدة ، وأرى أنها تتعذر على الشاعر السياسى الذى تتعدد أمامه مظاهر الفساد فيريد أن يلم بها وينبه عليها فوق كل منبر يعتليه ، فإذا تركنا الشعر السياسى إلى غيره وجدنا الشاعر يلتزم الوحدة فى أكثر ما قال ، وللقارئ أن يطالع قصائده الوصفية مثل دجلة فى الخريف أو الفرات الطاغى؛ أو الأصيل فى دجلة أو سامراء، فسيجد ما يرضيه من وحدة الموضوع، وترابط المعانى، وتناسق الأفكار. ويهمنا أن نشير إلى مقطوعاته الغزلية الرقيقة التى نظمها فى حبيبته الباريسية « أنيت » فقد ظهر فيها الشاعر جديدا فى أخيلته ومعانيه ، جديدا فى أوزانه وقوافيه، جديدا فى نظرته الباسمة للحياة والناس، مع أنه لم يفارق ميزانه الثلاث ، فكان صادق الإحساس ، قوى التعبير ، واضح التفكير ، فوق طرافة الابتكار ، وجدة السياق، واختلاف الإيقاع . وأرى أن أودع الشاعر — فى ختام هذا البحث السريع — بأبيات من قصيدته الجميلة التى نظمها فى وداع صديقته «أنيت» ليتمتع القارئ ببعض غزله الرائق، ولتتصيد المناسبة الموهومة بين وداع ووداع

« أنيت » نزلنا بوادى السباع

بواد يذيب حديد الصراع

يمير فيه الجبان الشجاع

(أنيت) لقد حان يوم الوداع

إلى إلى حبيبى « أنيت »

إلى إلى بجيد وليت !

كأن عروقهما النافرات !

ضروب من الكلم الساحرات

* * *

إلى بذاك الجبين الصليت

تخافق عن جانبيه الشعر

يبث إلى أريج الزهر

سيبقى فى خاطرى ما حييت

ويذكرنى صبوتى لو نسيت

إلى إلى حبيبى « أنيت »

(تم البحث) **محمد رجب البيومى**

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من قباء إلى المدينة

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل   يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوم(١) والقلوب خوافق   يهفو إليك بها الحنين الأطول
القوم مذ فارقت مكة أعين   تأبى الكرى وجوانح تتململ(٢)
يتطلعون إلى الفجاج وقولهم   أفما يطالعنا النبي المرسل ؟
أقبلت في بيض الثياب مباركا   يزهى البشائر وجهك المتهلل(٣)
يا طيب ما صنع الزبير وطلحة   ولصنعك الأوفى أجل وأفضل
خف الرجال إليك يهتف جمعهم   وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
هي في ركابك ما بها من حاجة   إلا إليك ، ومالها متحول
هجرت منازلها بيثرب وانتحت   أخرى بمكة دورها ما تؤهل
وفدان هذا من ورائك يرتمي   مجلا وهذا من أمامك ينيل(٤)
انظر بني النجار حولك عكفا   يردون نورك حين فاض المنهل(٥)
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها   كل المواطن للنبوة منزل
نزلوا على الإسلام عندك إنه   نسب يعم المسلمين ويشمل
ما للديار تهزها نشواتها !   أهي الأناشيد الحسان ترتل(٦)
رفت نضارتها وطاب أريجها   ورددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما في كل مغنى روضة   وكأنما في كل دار بلبل
هن العذارى المؤمنات أقمنه   عيدا تحييه الملائك من عل

(١) التمكث والانتظار (٢) كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة (٣) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولها من الشام بتجارتهما (٤) يسرع (٥) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بقدومه (٦) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدمه ومما قيل في ذلك :

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

في موكب لله أشرق نوره   فيه وقام جلاله يتمثل
جمع «النبيين الكرام» فأخذ   بيد «الإمام» وعائذ يتوسل
يغشى به «الروح الأمين» مسلما   وجبينه بفم النبي مقبل
إيه بني النجار إن محمدا   لأشد حبا للتي هي أجمل(٧)
خلوا سبيل الله ، ما لرسوله   عما أعد من المنازل معدل
ذهبت مطيته ، فقيل لها قفي   هذا مناخك ، لست ممن يجهل
الناس في طلب الحياة وها هنا   سر لها خاف ، وكنز مقفل
أعطى أبا أيوب رحلك واهتدى   من أمر ربك ما يجيء ويفعل
ودعى الزمام «لأسعد بن زرارة»   فإليه بعد الله أمرك يوكل(٨)
لما حملت الحق أجمع والهدى   أمسى بحبل الله حبلك يوصل
يتنافس الأنصار فيك وبادروا   لن الفضل ، وأيهم هو أول
هي «كيمياء الحق» لولا أنها   تهدى العقول لحالها لاتعقل
دنيا من العجب العجاب ودولة   يهوى النضار بها ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لولا سرها   هل كان يكرم (كلبهم) ويبجل
شكراً (أبا أيوب) فزت بنعمة   فيها لنفسك ماتريد وتسأل
مامثل رفدك في المواطن كلها   رفد يضاعف . أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن   نزل الحمى فيها ، وحل الأفضل
نزل النبي بها ، فحل فناءها   مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد (النبوة) في ضيافة ماجد   سمح القرى يسدي الجزيل ويبذل
وسمت جفان المطعمين جفانه   كرما فما يأبى ولا هي تبخل(٦)
أضفى على السعدين(١٠) بردسماحة   فاهتز جودهما وأقبل يرفل

(٧) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر في طريقه إلى المدينة بقوم يسألونه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها — يعني ناقته القصواء — فإنها مأمورة ، فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك ، لا تجاوزنا فقال : خلوا سبيلها فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بقربة من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبي في حمل رحلها إلى داره فأذن له ، ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب وقال المرء مع رحله . فمكث عنده حتى تم بناء المسجد

(٨) أخذ سعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره (٩) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومشاركة منهم في شرف ضيافته وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن

(١٠) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب

جذلان محتفلا بقرب منهما   لله مايرضى وما يتقبل
جعل القرى سببا إلى رضوانه   والبر والإيمان فيما يجمل

جفنة أم زيد بن ثابت (١١)

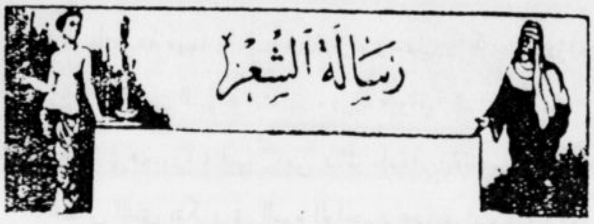
يازيد من صنع الثريد وماعسى   ترجو بماحملت يداك وتأمل ؟
بعثتك (أمك) تبتغى فى دينها   مايبتغى ذو الهمة المتمهل
شكر النبى لها، وأطلق دعوة   صعدت كما شق الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هدية يسمى بها   فى الله ساع بالجلال مظلل
لو أنها وزنت بدنيا (قيصر)   رجحت وأين من الخضم الجدول
هى إن عييت بوصفها مايجتنى   من نعمة الإسلام ، لامايؤكل
مافى جهادك (أم زيد) ريبة   نار الوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع (١٢) سرابيل الحروب وماا كتسى   من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يامعشر الأنصار هل لى عندكم   ناد يضم النابغين ومحفل ؟
عندى لشاعركم تحية شاعر   يسم القوافى وسمه يتنخل (١٣)
تنميه فى دنيا البيان روائع   منها رواكد ما ترم ، وجفل
الثاويات على هدى من ربهـا   والسابحات السانحات الجول
شغلت بها الدنيا وماهى بالتى   تعنى بدنيا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكل وابة ممحل   وتحل بالوادى الذى لا يمحل
(حسان) أبلغ من يقول وليس لى   فيه إذا ادعت المصاقع مقول (١٤)
أنتم قضيتم للنبى ذمامه   ونصرتم الحق الذى لا يخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامة   لمهاجرين هم الرفيق الأمثل
فعرفت موضعكم وكيف سحابكم   مجد لـكم فى المسلمين مؤثل
وأذعته نبأ لـكم ما مثله   نبأ يذاع ولا حديث ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم   وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (١٥)
الدين يعطف والسماحة تحتفى   والحب يرعى ، والمروءة تكفل
والله يشكر ، والنبى بغبطة   والشرك يصمى والضلالة تذهل
(دين الهدى والحق) فى أعراسه   والجاهلية فى المآتم تعول
إن هالها الحدث الذى نكبت به   فلسوف تنكب بالذى هو أهول
زولى معطلة العقول، فمن قضى   أن البصائر والعقول تعطل ؟؟
ألق السلاح، فما لخصمك دافع   ودعى الكفاح، فالجندك موئل
أزرى بك الفشل المبرح وارتمى   بحماتك القدر الذى لا يفشل
السهل يصعب إن تواكلت القوى   والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرمى العاقل مؤمن ، لا نفسه   تهفو ، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النذير فإن أبيت سوى الأذى   فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بمقتلك السهام وماعسى   يبقى الرمي إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر ، كل زور ينقضى   مر السحاب، وكل إفك يبطل

---

(١١) كان أول طعام أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة.. قال زيد له هذه قصعة أمى فقال : بارك الله فيها (١٢) سواء
(١٣) يختار .
(١٤) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها ، والمصاقع جمع مصقع البليغ العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه ، والمقول هنا من أسماء اللسان (١٥) تفرق المهاجرون ضيوفا كراما فى دور الأنصار



خواطر

لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك

قافلة البشر

يسير الناس على هذه الأرض فى سبل الحياة ، تتبهم السبل أحيانا وتظلم ، وتعترض العقبات ، وتبعد الشقة ، ولكن الأمل يحدوهم ، والوجدان يبصرهم فيهتدون ويسيرون

قيل : ليل مظلم قلت : اذكروا   فى ظلام الليل إشراق الصباح
قيل : غيم مطبق قلت : انظروا   رب نجم من وراء الغيم لاح
قيل : سهب طامس مشتبه   قلت : لكن فيه للسفر اتضاح
قيل : لكن برح السير بنا   قلت : بعد السير إحماد النجاح
قيل : والمنزل ما آيانه ؟   قلت : فى مغناه للنار اقتداح(١)
قيل : هل ذاك قصارى سيرنا   قلت : بل نزل به السفر يراح
قيل : فالتسيار ماغايتـه ؟   قلت : كل الدهر سير ، لابراح

لست طروبا

قال لى اللائمون : لست طروبا   لك حقـا إلى الصخور انتماء
كم تثير الأوتار لحنـاً فلحنا   ويهز الأوتار منا غنـاء
وترى الناس ثائر الموج لكن   أنت فى الموج صخرة صماء

* * *

وعلى البحر والمشى صموت   غير لحن تثيره الدأماء
والهلال النحيل يلقى خيوطا   هى فى لجة الدجى أصداء
قد طربنا ولم يهز فؤاداً   فيك نور ولم يهز السماء

* * *

كم رأينا الجمال قيد عيون   لك منه برغمنا إغضاء

(١) لايهتدى الناس الى الغاية فى هذه الحياة إلا ببصيص من الإلهام يدلهم على المنزل .

تدعى الشعر والفؤاد جماد !   كيف ترضى انتسابك الشعراء
إن تكن شاعرا فأمرك بدع   أنت فى الشعر بيننا إقواء
حسبك الله قد بلغت ملاما   وعداك الصواب هذا الهراء (٢)
طرب الطفل وثبة وصياح   ومن الكهل بسمة خرساء
ومن الغصن فى الرياح اهتزاز   ومن الطود عزة شماء
ضاق قلب عن الجمال مجالا   فإذا كل مرة أصداء
رب قلب وعى الجمال ولكن   عز فيه لسره إفشاء
رب قلب حوى العوالم طرا   تصغر الأرض عنده والسماء

ماذا وراء هذى الأنجم

قال الصديق ، وقد أطال حواره :   ياصاحبى ! ماذا وراء الأنجم ؟
قد هالنى منه سؤال هائل   فأجبته بتعجب وتبسم !
ياصاح أهذى الزهر هل أدركتها   حتى تجوز إلى السؤال المفحم ؟
ياصاح ! ماتحت النجوم ؟ أعالم   ماتحتها فى الكون أم لم تعلم ؟
ياصاح ! أرضك هذه هل تعرفن   مافى ضمير الأرض من مستعجم ؟
بل ماعليها ؟ هل أحطت بعلمه   فى البر أو فى كل بحر خضرم
وجمادها ونباتها والسر فى   حيوانها من ناطق أو أعجم
أعرفت هذا الإنس فى آحاده   ونباته فى بؤسها والأنعم
ابدأ بنفسك فاعرفنها جاهدا   والأرض فانفذها بعقل مقدم
واصعد بعلمك طالبا من مستوى   ما فوقه ، كالمرتقى فى السلم
فإذا بلغت من الكواكب منزلا   فهناك فاسأل ما وراء الأنجم

(٢) هذا البيت وما بعده جواب اللائمين

النهر الشاعر *

للاستاذ أنور العطار

نقلها الى الإنكليزية شعراً المستشرق البريطانى الكبير السيد « أرثور جون أربرى » أستاذ الآداب العربية فى جامعة « كامبرج » فى كتابه « أزهار الشعر »

بردى المشتهى يفكر شعرا   وهو يحيا لحنا وينساب عطرا
فى حناياه أضلع تتناجى   وقلوب من حرقة الحب حرى
خبر العالمين جيلا فجيلا   ووعى الكائنات دهرا فدهرا
خط فى مصحف الوجود سطورا   باقيات تختال تيها وكبرا

* من كتاب « أزهار الشعر » ص١٣ لندن — مطبعة طيلورس للكتب الأجنبية جمع ونقل : « أرثور جون أربرى »

الكتب

صلاح الدين الأيوبى

مسرحية

للداعية الأستاذ عبد الرحمن البنا

للأستاذ محمد رجب البيومى

الأستاذ عبد الرحمن البنا مؤلف مسرحية « صلاح الدين الأيوبى » داعية غيور متحمس لعروبته وإسلامه ، وخطيب ساحر تعرفه منابر الإخوان المسلمين فى عواصم المديريات ومراكز القطر المصرى ، وهو — فوق ما يتمتع به من البيان الجزل ، والأدب الرصين — يستمد من إيمانه العميق ينبوعاً دافقاً للحديث المؤثر الخلاب ، وقبساً ساطعاً للهداية الملهمة الرشيدة ، وأنت تجلس إليه فى حديث عام فتسمع كلمات : « العروبة والقرآن ومحمد » تتزاحم مطردة فى غير سأم ونشاز على لسانه ، فتدرك أن معانيها الحبيبة قد تحولت دماً يجرى فى عروقه ، وعاطفة تتأجج فى جوانحه ، وعصباً تمتد شباكه فى رأسه ، ورغم دراسته المدنية ، قد حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً ، وفهم شروحه المتنوعة فهماً واعياً مستنيراً ، وحفلت ذاكرته بعدد زاخر من الأحاديث النبوية المنتقاة ، ودراسة وافية لتاريخ الإسلام فى شتى عصوره ، فتهيأ له من ذلك مادة غزيرة تنصره فى ارتجاله الخطابى الذى يتكرر فى اليوم الواحد عدة مرات ، وترفعه إلى مستوى يتطلع إليه كثيرون من أصدقائه ومريديه

وقد رأى أن يخدم دعوة الإخوان (التى حمل لواءها شقيقه الإمام الشهيد رضى الله عنه) — بقلمه كما خدمها بلسانه ، فأظهر عدة روايات إسلامية تبرز العناصر الهامة فى تاريخ الدعوة المحمدية ، وتصور للقراء انتصار الفكرة الخالصة ، والعقيدة الصادقة ، وقد مثلت جميعاً فى فترات متقاربة ، وحظيت بإقبال الجمهور وتزاحمه رغم بعدها الشديد عن التدجيل المسرحى الوضيع ، والذى يتملق الغرائز ويستثير العواطف ، بل قيد الكاتب نفسه فى كل كلمة وحركة بآداب الإسلام ، وتعاليمه المنتقاة ، وهذه روايته الرائعة « جميل بثينة » — مع ما يلوح من بعدها عن محيط الفكرة الإسلامية — قد حلقت فى هذا الأوج الطاهر الرفيع ، فصورت معانى الوفاء والمروءة والصدق والشرف ، ورسمت — فى فصل طويل — مناظر الحج والعمرة والطواف والسعى والاستلام ، والنسك ورمى الجمرات والأضحية والتلبية ، وقد أطال الكاتب فى ذلك إطالة ممتعة مشوقة ، يهب منها شذى إسلامى عاطر ينعش الأفئدة ويجذب الأرواح

وحين تقدمت الجيوش العربية إلى نجدة فلسطين الشقيقة رأى الأستاذ أن يهتبل الفرصة ، فيذكى الحماس ، ويثير الحمية ، فأخرج مسرحيته الموفقة عن صلاح الدين الأيوبى ، ومثلتها الفرقة الإسلامية للمسرح بدار الأوبرا الملكية إبان اشتعال المعركة منذ أعوام ، فتركت أثرها القوى فى نفوس الشبيبة الطاهرة من كتائب الإخوان ، واندفعوا إلى حومة الاستشهاد باذلين أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، وقد شاء المؤلف أن ينشر مسرحيته اليوم على الناس ، فأبرزها فى حلة زاهرة قشيبة ، وقد حفلت بثلاثة فصول قوية محكمة .. وإذا كان العمل الفنى يشوه بالتلخيص تشويهاً يذهب بأصالته وعمقه وجدته ، فنحن نكتفى بذكر العنوان الموجز لكل فصل من الفصول ، فالأول منها يصف المؤامرة

معجبات أنق من الفن لألا ءً وأبهى من سطعة العلم فكرا
يتلوى زهواً كراقصة الحا ن تنزى وجداً وتقطر خمرا
مر فى الأرض كالربيع ائتلاقا وكأيامه صفاء وبشرا
وكسا جلق الأنيقة ثوبا عبقريا من نعمة الفجر أطرى

* * *

أيهذا النهر الحبيب إلى نفـ ـسى ويا ملهمى إذا قلت شعرا
عش بقلبى لحنا على الدهر حلوا وامض فى خاطرى فنونا وسحرا

أنور العطار

الخبيثة التي دبرها الفاطميون لمحق الدولة الأيوبية بمصر ، والثاني والثالث يصوران المعارك الحامية التي شنها بطل الإسلام صلاح الدين على أعداء العروبة من الصليبيين . وقد وفق الكاتب حين عمد إلى إبراز الأوضاع السياسية الغابرة التي تشترك مع أوضاعنا الراهنة في كثير من الأمور ، فالهدنة المعقودة ، ونقضها المتكرر ، وقتل النساء ، والأطفال والشيوخ ، وتحالف الدول الغربية مع الباطل أمام الحق ، وتدفق الكتائب الإسلامية من مصر وسوريا وفلسطين ... كل ذلك كان بالأمس كما هو اليوم !! وإذا كان النصر النهائي قد حالف صلاح الدين القوى المتسامح في وثبته الظافرة ، فما زالت معركة اليوم تتطلب فصلا أخيرا يرجع الحق إلى نصابه ، وينقشع عن فلسطين كابوس السفلة الأنذال ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتحقق الآمال ، وتتفق المعركتان !!

وإني لأهنئ الأستاذ المؤلف بجهاده وإيمانه ، وأبارك جهوده الموفقة في سبيل دينه ووطنه ، ولا زلت أنتظر على يده السداد المأمول ، فهو سدى شقيقه الإمام ، وشعاع من شمس أنارت الظلمات ، ثم صعدت إلى ملئها الرحيب في جنات النعيم ، راضية مرضية برضوان الله وثوابه العميم

محمد رجب البيومي



المواهب المقبورة :

نشرت جريدة المصري في ١٢/٧/١٩٥٢ أن وكالة « تاس » للأنباء السوفيتية أذاعت بأنه منح أخيرا لقب « دكتور في العلوم العملية » لأحد الفلاحين في مزرعة « شوكاومكا » الجماعية وقد نال هذا اللقب دون أن يقدم بحثا في هذا الموضوع كما هي العادة.. وقالت الوكالة: « إن هذا الفلاح وصل إلى اكتشافات عظيمة تنهض بفن العمارة إلى حد كبير . ومن هذه الوسائل العملية التي استحدثها استعمال الجير الحي بدل الجير المطفأ مما يوفر ٢٥ إلى ٣٠ ٪ من الأيدي العاملة »

قرأت بعجب هذا الخبر الذي إن انطوى على شيء فإنما ينطوي على مدى ما تتمتع به هاتيك البلاد من نهضة وتقدم يدل عليهما تقديرها لمواهب الناس العلمية ، ولو كان هؤلاء الناس ممن لم يتمتعوا بالمؤهلات العلمية الضخمة ، ولا بالشهادات الدراسية العالية ، ضنا بالمواهب أن تتلاشى أو تختفي ، أو يحول بينها وبين البروز الحواجز العتيقة من المؤهلات والشهادات وما إليها ..

ترى كم في مصر والشرق من نوابغ موهوبين في شتى العلوم والفنون ، فهل سمعت أن وزارة من وزارات المعارف تنازلت فشملت بعطفها واحدا من هؤلاء تقديرا لنبوغهم ومواهبهم ، وضاربة صفحا عن الحواجز البالية من المؤهلات والشهادات ؟

إن في مصر والشرق شبابا وكهولا بلغوا القمة في النبوغ والشهرة في شتى العلوم والفنون دون أن ينالوا ذرة من تقدير وزارات المعارف ، وليس لهم من ذنب سوى أنهم — الظروف خارجة عن إرادتهم — لم ينالوا مؤهلات ولا شهادات، ولو أنهم نالوا التقدير والتشجيع لفتحوا الآفاق الفسيحة أمام مهرة الصناع ونوابغ الفنانين ...

إن إحدى جامعات أمريكا احتاجت إلى إنشاء كرسي لفن طبائع الطيور ، ولم يشغله إلا صياد له خبرة واسعة في صيد الطيور وهذه كل مؤهلاته أما في مصر والشرق فإن معوقات النهضة فيهما أسلوب من الأساليب البالية التي يجب أن تتلاشى إلى غير رجعة !!

رمل الإسكندرية — قبيسة الشيخ

تصويب واستدراك :

السلام عليكم وبعد فقد جاء في العدد ٩٩١ ص ٧٣٧ للأستاذ عدنان بعنوان في مقال لعميد الأدب ذكر المؤلفات العربية التي تعنى بالنقود أخطأ فيه الأستاذ وفاتته أشياء.

فأما الخطأ فقد ذكر الرسالة المخطوطة التي أشار إليها الكرملي وهي رابع كتب النقود التي يعرفها منسوبة إلى

تقي الدين المقريزي والصواب أنها لمصطفى الذهبي الشافعي كما جاء في ص ٦ من كتاب النقود العربية للكرملي

وأما ما فاته فأولا ذكر كتاب النقود لحسين عبد الرحمن باشصراف وزارة المالية المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ وهو كتاب كبير حافل يقع في أكثر من ٢٦٢ صفحة وصدر منذ أكثر من أربعة عشر عاما وفيه صور كثير من النقود من صدر الإسلام إلى الآن

وثانيا كان ينبغي للأستاذ عدنان أن يذكر أن رسالات البلاذري والمقريزي ومصطفى الذهبي نشرها الكرملي كاملة في صدر كتابه وصححها وعلق عليها ، فالإشارة إليها أفضل من ذكر طبعة الجوائب وغيرها

وثالثا كان ينبغي للأستاذ اعتبار كتاب الكرملي خامس الكتب العربية التي تعنى بالنقود، فإنه بعد أن نشر في صدر كتابه الرسائل المذكورة آنفا ذكر أقوال ابن خلدون والقلقشندي وذلك لغاية ص١١٨ ومن ص١١٩ إلى آخر الكتاب تعرض لبحث النقود بعنوان علم النميات . والكتاب بفهارسه يقع في٢٥٩صفحة، وإذا أضفنا إليه كتاب حسين بك عبد الرحمن تكون الكتب العربية المعروفة في النقود ستة لا أربعة . وللأستاذ عدنان خالص التقدير ولمجلة الرسالة فائق التحية

عبد السلام النجار

النعت بالمصدر

في العدد ٧٠٦ من الثقافة الصادر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ الفاضل محمود فتحي المحروق على زميله الشاعر الأستاذ كال نشأت أنه استعمل المصدر صفة في قوله من قصيدة « بحيرة البجع »

والجناح « النصوح » في لونه الأبيض

فلك يسير في استبطاء

والواقع أن الوصف بالمصدر ليس محظورا في اللغة العربية فقد قال ابن هشام الأنصاري المصري في كتابه « أوضح المسالك » : الرابع من الأشياء التي ينعت بها المصدر . قالوا : هذا رجل عدل ورضا وزور ، وذلك عند الكوفيين على التأويل بالمشتق أي عادل ومرضي وزائر . وعند البصريين على تقدير مضاف أي : ذو عدل ورضا وزور . ولهذا التزم إفراده وتذكيره » اهـ

وهناك رأي ثالث : هو أن الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأن الشخص المذكور هو نفس العدل والرضا والزور . كأن هذه النعوت قد تمثلت في هذا المنعوت بشرا سويا . وفوق ذلك فإن الوصف بالمصدر شائع الاستعمال في اللغة قرآنا وحديثا وشعرا ، فمنه في القرآن . قول الله في سورة الملك « الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، أو ذات طباق : أو كأنها نفس الطباق ، وللأستاذين الفاضلين تحياتي

عبد الحافظ عبد المجيد كسبة

تصحيح نسبة أبيات

ذكر نباش جريدة المصري هذه الأبيات ونسبها لعمران ابن حطان الخارجي

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض إلى بعض

لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

وليست هذه الأبيات لعمران بن حطان الخارجي وإنما هي لحطان بن المعلى كما ذكر ذلك أبو تمام في ديوان الحماسة وهي أبيات سبعة أولها

أنزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وبعض الرواة ينسبها إلى المعلى الطائي أحد الشعراء الذين نزحوا إلى مصر واستقروا بها

عبد العليم علي محمود

أغاني الربيع

ديوان صغير الحجم كبير المعاني للشاعر الشاب بشير حسن القطان يقع في « ٤٧ » صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد وأهداه إلى قبل أيام، ولست أريد في هذه العجالة أن أبين للقراء ما يحوي من شعر رقيق يبشر بمستقبل زاهر لناظمه ، ولكني



الشقى المدلل

للفيلسوف الروسى (تولستوى)

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها « مملكة مونا كو » ، ولعل لكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فإن سكان هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضى المملكة جماء لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيق له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته فى المحافظة على كيان البلاد ... وكان للحكومة فى هذه المملكة ضرائب على الشعب تتقاضاه إياها شأن بقية الحكومات، فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كعامة شعوب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، لو لم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة « الروليت » فكان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك فى دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فإن لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير .. وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه الوحيدة من نوعها فى أرجاء أوربا كلها ؛ وإذا كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت فى بلادهم لما يقع فيها من حوادث الإجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومغامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ، وإذا كان أمير « مونا كو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التى يطيعها أمراء الألمان، فقد ألغيت دار القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة فى أوربا التى لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشىء ، وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على « مونا كو » ليقامروا ، فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له فى كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن أمير (مونا كو) كان عليما بالمثل القائل « ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شـــوامخ القصور . » وعلى أنه كان عارفاً بأن الميسر ليس من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بدا من إبقاء نظام الميسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة يرضاها ، فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر للناس بمظاهر الأبهة التى يعهدونها فى قصور الملوك . وكان يمنح المنح، ويجزل الهبات ويشكل اللجان ،

أحببت أن أنبه إلى بعض الأخطاء التى وجدتها فى الديوان وهى

جاء فى قصيدة « الناى الفارسى » ص (١١) هـذا البيت الخارج عن وزن الأبيات الأخر

لكن النـــاى المغنى   قد غدا اليوم كئيبا

بينما القصيدة كلها من مجزوء الرمل ، ثم ورود لفظة عروسة كقوله فى ص « ١٦ » — عروسة الشعر أنت الزنبق العطر » وصوابها عروس المؤنث وعريس المذكر ، ولفظة رغاب بمعنى أمنية، وقوله ص « ٤٧ » — والأنجم الزهراء والصبح الأغر بينما يجمع أفعل وفعلاء على فعل فيجب أن يقول والأنجم الزهر ، كما فى القرآن الكريم « سبع سنبلات خضر » و « يلبسون ثياباً خضراً من سندس » ولم يقل خضراء ، هذه بعض المآخذ وهى لا تنقص من قيمة شعره الرقيق

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

ويشرع النظام ويفشى الحاكم . . وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ولكن فى صورة مصغرة كنسبة مملكته الصغيرة إلى بقية الممالك !

* * *

وكان أهل (موناكو) معروفين بالمسالمة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات جريمة قتل كانت الأولى فى تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة فى يوم مشهود ليتداولوا فى شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك الحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون فى تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الإعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على مايرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن فى المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية فى أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الإعدام ، وطلبوا منها معرفة مايقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلا « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذى لاتقوم بشىء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لاترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تندلع ألسنتها فتطغى على الأمن فى البلاد !

... ودعى مجلس الوزراء للبحث فى هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا، ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فإنه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التى تربطه بالأمير فيتساهل معه . وعلى هذا فقد كتبت رسالة فى هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعى غبطة الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثنى عشر ألفا من الفرنكات ضمنها تكاليف الإرسال والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق إنفاق هذا المبلغ عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها فرنكين :

وهكذا دعى المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا فى المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة فى قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لايمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ وليكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعى لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال . فجمع هذا جنده وسألهم : أفى استطاعة أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له : « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر فى القضية إلى لجنتين: عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الإعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ؛ وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرى الرعية رأفته ورقة قلبه ، كأن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعا ! ووافق الأمير على هذا الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة ؛ تلك هى أزمة إيجاد سجن يقضى فيه هذا السجين حياته . على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد غرفة لاقامته ووكلوا به سجانا يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين فى محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماما ؛ ولكن بينما كان الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها باباً جديدا من النفقة ؛ تلك هى نفقات سجن هذا المجرم الشقى ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة ، ولا كانت بالسهلة القليلة ، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان المجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر

إطعامه ! وفى هذا السبيل صرفت ستمائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل فى ميعة الشباب صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين ! ولو حسب المرء المسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التى كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم: « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التى اتبعتموها باهظة لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول — فى نظرى — أن نفصل الحرس فنقتصد نفقاته» . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلا : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » وهنالك رد عليه صاحبه : « إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم أن يهرب »

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريراً يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس عن عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه — إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد فى اليوم التالى فكرر ما صنع بالأمس فى الوقت المعين المحدود . وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد،دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذا فاذا ترى الوزراء فاعلين ؟

هنا لك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه بعدم رغبتهم فى بقائه ، فاستدعاه (وزير للعدل) إليه وسأله .

— مابالك لا تهرب وليس عليك حارس يمنعك ؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : — لعلى أستطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذى آوى إليه ؟ ولا حيلة لى فى الحصول على قوتى وقد وصمتمونى بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء الناس لن يأتمنونى بعد الآن على شىء . ذلك إلى أنى اعتدت حياة الكسل والخمول فانحططت بالتدريج . لقد أسأتم إلى حقا ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالإعدام فلم تنفذوه ، ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارساً كان يأتينى بطعامى ، غير أنكم — بعد برهة من الزمن — عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ للحصول على مايكفينى من الطعام. ثم إنكم — بعد ذلك — تريدوننى على الفرار ! كلا ياسيدى ، كل شىء يصح إلا ماتريدوننى عليه ! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بى ما حلا لكم غير أنى لن ألوذ بالفرار !

إذاً فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جديا حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون ! وترددوا فى اختيار النهج الذى يرون اتباع السير عليه ... إن الرجل لن يبرح الديار أبداً . وفكروا واحتالوا فاوجدوا غير منح الرجل (معاشا) يكفل لهم الخلاص منه ! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين إنه ليس من حل خير من هذا الذى ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقى معاشاً يقيهم أذاه ، ويبعده عنهم ! فأقر الأمير رأيهم مرغما وقدر للمجرم الشقى معاشا سنويا قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ فى ذلك رأيه أجاب

— أما الآن فقد طاب الفرار ! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقى ثلث جرايته مقدما وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضا بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجرا بثمارها وغلاتها وعاش فى راحة واطمئنان . وكان كلما حان موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفيا بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى فى قطر آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الإبداع فى أعماق السجون مدى الحياة !

ف . سهـ

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٥ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نقطة البدء ... ... : للأستاذ سيد قطب ٨٢٥

من معارك الأدب السياسي ... : « عمر حليق ٨٢٨

هل قطعتم يد السارق ... ... : للأستاذ محمد عبد الله السمان ... ٨٣٢

إندونيسيا ... ... : الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ... ٨٣٤

عروس الجنة ... ... : للدكتور عمر عودة الخطيب ... ٨٣٦

أبو هلال العسكري ... ... : « عبد العزيز قلقيلة ... ٦٣٨

شاعر السودان ... ... : « عبدالقادر رشيد الناصري ٨٤١

الإسلام وحياتنا العامة ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ٨٤٣

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨٤٦

(الكتب) — أم كلثوم — تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد — ٨٤٨
للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ... ...

(البريد الأدبي) — عقاب تذكر وتؤنث — زيادة في الوزن — ٨٤٩
توحيد مناهج التاريخ في البلاد العربية ... ...

(القصص) — اللص الثرثار — عن الأنجليزية ٨٥١

20 me. année No 995

Le Caire 28 - 6 - 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

نقطة البـــدء

للأستاذ سيد قطب

لقينى الأستاذ الأديب الشاعر محمد فهمى وقد قرأ مقالى الأخير فى الرسالة بعنوان : « إلى الناعين فى العالم الإسلامى » فقال فى شئ غير قليل من الحدة والضيق : لمن تكتبون هذا الكلام ؟ وما قيمة توجيهه إلى شعوب كاملة من الأميين الذين لا يقرأون ما تكتبون ؛ والقلة القليلة التى تقرأ لا تملك أن تتصل بكتلة الشعوب ، لأنها شعوب جاهلة لا تدرى شيئا مما حولها ، ولا تستطيع شيئا حتى لو درت ، لأن الحياة فى هذا العصر تريد شعوبا متعلمة وإلا فالموت والذل للأميين ...

واستمعت إلى ثورته .. إن فيها كثيرا من الحق . وإن كان لهذا الحق بقية هى التى أردت أن أعرضها للناقد الثائر ، لولا أنه لم يمهلنى . لقد ارتفع صوته بالسخط ، وأنا لا أريد أن أسترسل فى مناقشة الساخطين الثائرين !

نعم . نحن فى حاجة إلى توجيه حملات ضخمة لنشر التعليم فى العالم الإسلامى كله نشرا سريعا فى خطوات جازمة حازمة ، لا تسير بخطوات السلحفاة ؛ . نحن فى حاجة إلى توجيه هذه الحملات لا إلى اليمن مثلا حيث يحارب التعليم كما تحارب المخدرات ، أو أشد وأعنف ، لأن المخدرات هناك لا تقاوم ، ونبات (القات) المخدر يزرع فى كل مكان ، ويستعمل فى كل مكان ، ولا تفكر الدولة فى مقاومته كما تفكر فى مقاومة التعليم ، ولا تطارده كما تطارد المتعلمين !

ولا إلى الحجاز ونجد حيث لا تبلغ ميزانية التعليم كلها ربع ميزانية فرد ؛ ولا ينفق عليه عشر ما ينفق على السيارات والكماليات والعطور

ولا إلى بلاد الشمال الإفريقى حيث يقف الاستعمار سدا فى وجه الثقافة ، حتى لتعد الكتب والمجلات محظورات ، تهرب داخل طرود مسربة ، خيفة أن تثير شبهات الجمارك والبريد !

نحن فى حاجة إلى توجيه تلك الحملات لا لمثل هذه الأصقاع فى العالم الإسلامى ، بل إلى مصر التى تعد أكثر بلاد العالم الإسلامى تقدما من هذه الناحية ، إذا استثنينا لبنان ، ونسبة التعليم فيها أكثر ارتفاعا

نعم فى حاجة أن نوجه تلك الحملات إلى مصر التى تمطى وكلاء الوزارات والمديرين العامين بدل سيارات ، يتراوح شهريا بين ثلاثين وأربعين جنيها ثم تخفض ميزانية التعليم إلى الثلث بحجة التقشف ! مصر التى تبعثر معظم ما تملكه من العملة الصعبة فى شراء السيارات الفاخرة ثم لا تجد ما تشترى به مصانع أو آلات زراعية ميكانيكية أو آلات صناعية ، أو حتى أدوات

صحية ، لأن مالديها من العملة الصعبة محدود ! مصر التى يتعطل ثلاثة أرباع سكانها من العمل ، لأن مرافق العمل فيها محدودة ، ولا تملك توسيع مرافق العمل هذه ، لأن ميزانيتها تحوى ملايين الجنيهات لشراء أثاث فاخر ، وشراء يخوت فاخرة ، وحضور ولائم ومؤتمرات ونزهات المحظوظين !

لقد قال لى محدثى الثائر : دعوا الاستعمار . لا تحاربوه الآن . نحن لا يهمنا أن يكون فى أرضنا مليون من الجيوش الاستعمارية . إذا كان لدينا عشرة ملايين فقط من المواطنين المتعلمين . إن ألمانيا محتلة بالجيوش الروسية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ولكن الجميع يترضونها ، لأن الشعب الألمانى شعب متعلم ، لا يمكن أن تحكمه جيوش المستعمرين ..

وقال : دعوا الكفاح الاجتماعى لتعديل الأوضاع الاقتصادية — وحتى الدستورية — فهذه الأوضاع التى تشكون منها ستعدل نفسها بنفسها يوم يستحيل الشعب المصرى أو أى شعب عربى أو إسلامى إلى شعب متعلم ..

كنت أريد أن أفهم محدثى أن هذا كله صحيح ، ولكن هنالك أشياء أخرى يجب أن تكون فى الاعتبار . لولا أنه لم يترك لى فرصة للكلام !

نعم . إن الاستعمار لا يملك أن يعيش فى بلد متعلم .. نعم إن الحرمان لا يمكن أن يدوم فى شعب متعلم .. نعم إن الطغيان لا يمكن أن يقوم فى وطن متعلم .. نعم . كل هذا صحيح ! ولكن بقى أن نعرف : من هو الشعب المتعلم ؟ ومن هو الفرد المتعلم ؟

إننى أومن بقوة المعرفة . أومن بقوة الثقافة . ولكنى أومن أكثر بقوة التربية ...

إننى أنظر فى تاريخ الاستعمار ، فلا أكاد أجد له أسنادا إلا من المتعلمين .. كل الرجال الذين قدموا للاستعمار خدمات ضخمة . الذين مهدوا للاستعمار ومكنوا له . الذين كشفوا له من عورات البلاد ومقاتلها . الذين تولوا عنه تحطيم معنويات الوطن وقواه الكامنة . الذين جعلوا أنفسهم ستارا لمساوى الاستعمار ومخازيه .. كلهم .. كلهم كانوا من المتعلمين !

كذلك كان الذين مهدوا للطغيان وأعانوه واستمرأوا سلطان الجبابرة وهم يؤدون ضريبة الذل والعبودية الذين استغلوا النفوذ للإثراء على حساب الشعب . الذين أفسدوا ضمير الشعب بالمحسوبية والرشوة والسرقة والغش . الذين خانوا الوطن والأمانة والخلق والضمير .. كلهم كانوا كذلك من المتعلمين !

نعم . إنه لو كانت الشعوب أو كثرتها من المتعلمين ما أمكن للسماسرة أن يبلعوا البضاعة بهذا اليسر وهذه السهولة . هذا صحيح . ولكنه صحيح كذلك أن « الصنف » المتعلم الذى تخرجه المدارس فى بلادنا اليوم ، ليس هو الذى يقف فى وجه التيار ، وليس هو الذى يستعصى على السماسرة ، بدليل أن كثرته يجرفها تيار العبودية والذل والفساد ، دون أن ترفع رأسها ، ودون أن تدافع عن كرامتها ، بل من إنسانيتها .. إن أنشودة « أكل العيش » هى النشيد القوى للجميع ! وأكل العيش ممكن فى ظلال الكرامة لو أرادها الجميع

إن التعليم الذى نزاوله فى مصر ، ومعظم البلاد الإسلامية ، تعليم فاشل ، بل تعليم قاتل . إنه تعليم بلا تربية ، بل تعليم يكافح التربية . إن المدارس والجامعات تخرج لهذه الأوطان فتاتا آدميا وحطاما بشريا . تخرج له عبيدا . نشيدهم القومى الخالد هو أنشودة « أكل العيش » !

لست أنكر على الشباب المتعلم أن يطالب رزقه ، فالحياة لابد أن تعاش . والمال عصب الحياة . بل لست ألوم هذا الشباب المتعلم ، فلو وجد هذا الشباب أجيالا من الأساتذة الصالحين ، وتقاليد من النظم الصالحة ، لكان أفضل شباب الأرض . ولكنى أقرر الحقيقة المؤلمة ، حقيقة أن معاهد التعليم فى مصر كلها وفى معظم البلاد الإسلامية الأخرى .. لاتخرج رجالا أحرارا بقدر ماتخرج عبيدا أرقاء . ولاتخرج شخصيات متماسكة بقدر ماتخرج فتاتا آدميا وحطاما بشريا .. إنها معاهد خاوية من الروح .. وهذا مفرق الطريق

إن نظام التعليم وخططه ومناهجه وكتبه .. وأخشى أن أقول أساتذته .. لايمكن أن تخرج رجالا أحرارا مفكرين مستنيرين . إلا الشواذ الذين يكافحون الجهاز التعليمى كله ويخرجون من براثنه سالمين

ولقد كان ذلك قائما قبل تلك الفوضى الأخيرة ، التى سميت « مجانية التعليم »

إن التعليم كان يجب أن يكون بالمجان . وكل بلاد العالم المتحضر التعليم العام فيها بالمجان . ولكن المجانية شيء والفوضى شيء آخر . والذى حدث والذى تحقق هو الفوضى . أما المجانية فليس فيها قولان فقط ، بل عدة أقاويل !

لقد كان الآباء يدفعون عشرة جنيهات المدرسة الابتدائية أو عشرين جنيها المدرسة الثانوية ؛ فتقوم عنهم بتعليم أبنائهم ، ذلك التعليم الخاوى من المثل الخاوى من الروح.. فأصبحوا اليوم مكلفين — من استطاع ذلك منهم — أن يدفعوا للدروس الخصوصية عشرين أو ثلاثين أو خمسين جنيها ليحصلوا لأبنائهم على النجاح فى الامتحانات ، لا عن طريق التعليم الخاوى من المثل الخاوى من الروح. بل من طريق اطلاعهم على أسئلة الامتحان وتيسير الغش فيه!

إنها الكارثة . الكارثة المضاعفة التى تربى على ما كنا فيه إن التعليم الذى نزاوله، والذى كنا نزاوله قبل حكاية المجانية الزائفة ؛ ليس هو الذى يؤدى إلى كفاح الاستعمار ، وكفاح الطغيان ، وتعديل الأوضاع الاجتماعية المخلة بكرامة الإنسان . .

إن التعليم لكى يؤدى مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه . . ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذى ننفقه . وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم . ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل ، وإلى عقليات قليلة ناضجة تشرف على التنفيذ . .

أم لعلنى أمام عقدة العقد ، وأنا أحسبها من الهين اليسير ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة اللغة العربية ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٣ ففشلت . وكان الأمر يومها متروكا إلى سعادة المستشار الفنى الدكتور طه حسين ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة التاريخ ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٧ ففشلت وكان الأمر يومها متروكا إلى معالى وزير المعارف الدكتور عبد الرازق السنهورى ؟!

ألم أحاول عشرين مرة — بعد عودتى من البعثة إلى أمريكا — أن أنشئ لوزارة المعارف أداة فنية صحيحة ، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم ، ففشلت فى هذه المرات كلها فشلا ذريعا ؛ لأن المراد فى هذه المرة كان إصلاحا فى الصميم ؟!

لقد أفلح الاستعمار فى تطعيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت . . إنه يبدو دائما فى صورة كبار موظفين !

• • •

نعم يجب أن ينتشر التعليم ؛ ولكن أى تعليم ؟ يجب أن يقوم هذا التعليم على أسس ثقافية سليمة ، وعلى أسس تربوية سليمة . نعم وينبغى أن تكون له مثل ، وأن تكون به روح .

وإلى أن يقيض الله لوزارة المعارف رجالا يؤمنون بهذا ويقدرون فى الوقت ذاته على مقاومة الميكروبات الاستعمارية الكامنة فى وزارة المعارف ، فى صورة كبار موظفين !

إلى أن يقيض الله لوزارة المعارف أولئك الرجال ، فليس أمامنا لمكافحة سموم الأجهزة التعليمية الحاضرة إلا المحاضن الخاصة ، التى تتلقف الشباب الضائع ، والحطام المفتت ، فتعيد صياغته فى قوالب جديدة سليمة ، وفى جو روحى نظيف . لترد هذا الشباب الضائع الحائر رجالا كراما على أنفسهم ، كراما على أوطانهم ، كراما على ربهم ...

وهذا ما يحاوله .. الإخوان المسلمون ..

سيد قطب

من معارك الأدب السياسى

للدكتور عمر حليق

فى الأوساط الاشتراكية فى بريطانيا هذه الأيام جدل حول تفسير المبادئ الاشتراكية التى يؤمن بها حزب العمال - أحد الحزبين الرئيسين اللذين يتنازعان الحكم هناك

ويتخذ هذا الجدل معركة فكرية سلاحها الكراريس والنشرات والمقالات التى ينشرها كهنة الحركة الاشتراكية فى مجلاتهم الأسبوعية وحلقاتهم الأدبية التى يكثر انتشارها فى مراكز النقابات العمالية وأوساط الثقافة والفن فى الجامعات ومعاهد العلم

والمحرك الأكبر لهذه المعركة الفكرية هو المستر « أورين بيفان » - قطب من أقطاب حزب العمال نبت فى « العشش » المزرية البائسة التى تتاخم مناجم الفحم فى مقاطعة ويلز ولم يتلق من التعليم المدرسى إلا مبادئه . وثقافته عصامية تتلمذ فيها على الكتب والبحوث التى توفرها للطبقات الفقيرة فى بريطانيا المكتبات الحكومية الدوارة بحيث تقدم الغذاء العقلى للباحثين عن الحقيقة من الذين حالت ظروف المعاش بينهم وبين التتلمذ على الأساتذة فى معاهد العلم الرسمية . واستطاع المستر بيفان بفضل عصاميته الثقافية أن يرتفع من أقبية المناجم ومجتمعها العليل إلى مركز مرموق فى الحركة العمالية ، ومن ثم إلى قبة البرلمان؛ فالوزارة التى استقال منها فى العام المنصرم (قبل أن تفشل وزارة العمال فى الانتخابات الأخيرة) إعلانا عن سخطه لسوء اجتهاد زملائه من أقطاب الوزارة فى تفسير وتطبيق المبادئ الاشتراكية التى يدين بها الحزب

فحزب العمال البريطانى يستند فى قوته السياسية إلى عنصرين أحدهما : نقابات العمال التى تضم ملايين الناخبين من الأيدى العاملة ، وثانيهما نفر من المثقفين لا ينتمون فى محتدهم ونشأتهم إلى طبقة العمال ؛ وإنما اعتنقوا المبادئ الاشتراكية وانضموا إلى الحزب الذى يمثلها فى الحياة السياسية البريطانية ، وهؤلاء المثقفون يشكلون الدماغ المفكر للحزب . وهم يفهمون الاشتراكية كما وضع أساسها المفكرون الإنجليز ولا يعترفون بأن تعاليم ماركس ولينين وستالين التى تطبق فى روسيا اليوم هى السبيل الوحيد لتحقيق العدالة الاجتماعية فى بريطانيا ، وهذا لا يعنى أن الاشتراكية البريطانية خالية تماما من نظريات ماركس ؛ وإنما تحرص الرؤوس المفكرة وراء الحركة الاشتراكية فى بريطانيا أن تطبعها بطابع بريطانى فتعتمد أن تعزز نظرياتها بالبحوث الاقتصادية والاجتماعية والفلسفة السياسية التى سجلها المصلحون البريطانيون فى معالجاتهم لمساوئ الثورة الصناعية التى قلبت أوضاع المجتمع البريطانى فى القرن الثانى عشر

وينفرد « أورين بيفان » من بين أقطاب حزب العمال بأنه يجمع فى شخصيته مزيجا من كلا المنصرين . فقد وفر له عمله فى المناجم وتنظيم النقابات خبرة ثمينة وفهما صادقا لعقلية العامل البريطانى وحاجاته ومطالبه وحقوقه وواجباته . وكذلك استطاع المستر بيفان بفضل دراسته العميقة للاشتراكية البريطانية أن يجارى أقرانه من المثقفين من قادة حزب العمال الذين انضموا إلى الحزب برغم أن تربيتهم الجماعية التقليدية ونشأتهم فى أوساط مترفة محافظة كانت تؤهلهم إلى غير ما اختاروه من معتقدات اشتراكية ونشاط سياسى يعنى بمشاكل الطبقات الفقيرة التى كانت تفصلهم عنها ستائر كثيفة من الفوارق الاجتماعية والفكرية والمصالح الذاتية

والمشهور عن الأدب السياسى فى بريطانيا أنه شغوف بنشر البحوث القصيرة الموجزة لمشكلة من مشاكل الساعة فى كتيب أو كراس أو مقال مدروس يظهر فى نوع خاص من المجلات البريطانية تحرص على أن تعالج السياسة ودقائقها معالجتها لفنون الأدب وألوان الثقافة العامة

والجدل الذى يدور هذه الأيام بين أنصار المستر بيفان ومعارضيه فى حزب العمال يتبع هذا التقليد البريطانى فى الأدب السياسى . فقد أصدر الطرفان فى الأشهر الأخيرة عددا من الكراريس والنشرات والمقالات تشرح وجهات نظرها على

أرفع ما يكون الأدب السياسى من نقاوة وعمق وتدقيق

فالمستر بيفان مجاله الخاص فى مجلة «تريبون» التى تحررها زوجته، وكل مقال أو كتيب ينشره هـذا القطب السياسى يولد صدى أبعد وأوسع من العدد المحدود من مبيع المجلة أو الكتيب، امتد هذا الصدى فى الآونة الأخيرة إلى درجة أزعجت المستر أتلى رئيس حزب العمال وزملاءه من أدمغة الحركة الاشتراكية البريطانية الذين اتخذ المستر بيفان سياستهم وآراءهم هدفا لنقده العنيف . ولم يجد المستر أتلى وجماعته بدا من أن يواجهوا تحدى المستر بيفان بنفس السلاح فتألفت من بينهم جماعة من الكتاب السياسيين أطلقت على نفسها اسم «الاتحاد الاشتراكى» واختارت البرفسور (آلان فلاندرز) أستاذ العلاقات الصناعية فى جامعة أكسفورد رئيسا لها ، وأخذت تكيل المستر بيفان الصاع بالصاع . فلما أصدر المستر بيفان كتابه الهام «بدلا من الخوف» (١) أصدرت الجماعة كتيبا بعنوان «مقالات فابيانية (اشتراكية) جديدة» (٢) ولما رد عليها بيفان بمقال بليغ فى مجلة «تريبون» أسرعت الجماعة فأجابت بكراس عنوانه «الاشتراكية : بيان جديد عن مبادئها» (٣) وضع مقدمته المستر أتلى رئيس حزب العمال

وقد خلق هذا الحوار لونا من المتعة العقلية للذين يتابعون الأدب السياسى فى بريطانيا ـ وهو لون من الأدب يحرص على بلاغة التعبير ومتانة الأسلوب وروعة الفن حرصه على عمق الدراسة وقوة المنطق وسلامة التفكير

والحوار بين قادة حزب العمال ورؤوسه المفكرة لا يقتصر على السياسة الداخلية للحزب وعلى علاقة بريطانيا الخارجية مع خصومها وحلفائها ، وإنما يمس نواحى هامة من تيارات الفكر السياسى فى حاضر الثقافة البريطانية ؛ وهى ثقافة محافظة تمر الآن فى مرحلة هامة تواجه فيها لونا من التطرف الفكرى يعبر عنه المستر بيفان ومشايعوه فى الرأى وهم جماعة لهـا وزنها فى الحياة السياسية وفى أوساط الأدب والفن كذلك

كتاب

1) In place of fear
2) New fabian essays
3) Socialism a new statement of principles

فهذا الرجل وآراؤه عنوان للتطور الفكرى فى عقل ثورى يحرص على تغيير الأوضاع على أسس اشتراكية بأن العنف والثورة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية

والواقع أن الحركة الاشتراكية فى بريطانيا كما يؤمن بها ويعمل على تطبيق مبادئها حزب العمال تختلف فى هذه الناحية اختلافا جوهريا عن الحركات الاشتراكية الأوربية ، وهى حتما تختلف عن اشتراكية السوفييت والدول الشيوعية الأخرى

وهذا الطابع السلمى للاشتراكية البريطانية هو الذى مكنها من أن تكسب ثقة خصومها المحافظين الذين دعوها إلى الاشتراك فى الحكم إبان الحرب العالمية الأخيرة ، وأن تستخلص منهم الحكم فى سنوات ما بعد الحرب ، وأن تشاطرهم السلطة التشريعية فى البرلمان البريطانى حتى بعد أن أفلتت من يد العمال السلطة التنفيذية (الوزارة) إثر انتخابات العام المنصرم . وقد استطاع العمال الاشتراكيون فى بريطانيا أن يحققوا هذا النصر المتتابع دون أن يلجأوا إلى إراقة نقطة واحدة من الدم أو أن يعصفوا بالحياة الدستورية أو يعبثوا بالكيان الاقتصادى بالإضرابات وما إليها من الوسائل التى لجأت إليها الحركات الانقلابية الأخرى اشتراكية أم شيوعية فى أوربا الغربية الشرقية

واليوم يجد نفر من أصحاب الرأى المسموع فى حزب العمال البريطانى برأسهم بيفان أن هـذه الثورة السلمية التى حقق بها الاشتراكيون فى بريطانيا خلال السنوات التى سيطروا فيها على الحكم جزءاً من المبادئ التى وضعوها تأسيسا للعدالة الاجتماعية . ولكن هذه الثورة السلمية لم تمكنهم من أن يحققوا الجزء الأهم من هذه المبادئ . فكيف السبيل إذن لتحقيقها الآن وقد فقدوا السلطة التنفيذية بعد أن فاز تشرتشل وحزبه المحافظ بسدة الحكم ؟

وأمعن المستر بيفان النظر فى صلب هذه المبادئ فوجد أن أقرانه فى قيادة حزب العمال عندما كان لهم الحكم قد تساهلوا فى اتباع الخطوط الجوهرية لهذه المبادئ ، فساوموا المحافظين على بعضها . فبدلا من أن يصروا على توجيه الجزء الأكبر من ميزانية الدولة لتنفيذ مشاريع الضمان الاجتماعى ورفع مستوى الطبقات

العاملة ومكافحة البطالة وإعادة التبادل التجارى مع روسيا والصين الشيوعية ، وعوضا عن أن يعمنوا و تأميم الصناعات والمنشآت الاقتصادية الكبرى ويقيدوا أرباح أصحاب الدخل الواسع ، وبدلا من أن يربطوا علاقاتهم مع مناطق النفوذ البريطانى على أساس سياسى واقتصادى جديد يضمن لبريطانيا صلات اقتصادية وأسواقا تجارية سليمة، بدلا من أن يعمل المستر أتلى وجماعته على تمهيد هذه الخطوط الجوهرية امتثلوا لضغط المحافظين ومن ورائه إغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى والاقتصادى فتأثرت من جراء ذلك مشاريع الضمان الاجتماعى وبقى مستوى الطبقات العاملة على حالته الكئيبة . ولم يحرص البريطانيون (عمالا ومحافظين) على صيانة تجارتهم الخارجية إزاء المنافسة الأمريكية والألمانية واليابانية ففقدت بريطانيا كثيرا من أسواقها التقليدية . وانتقد المستر بيفان تقاعد بريطانيا عن تعزيز صداقتها مع الصين الشيوعية لتحتفظ بالسوق الصينية الكبيرة كمصرف للمنتجات البريطانية وإعادة التبادل التجارى بين بريطانيا ومنطقة النفوذ السوفيتى فى أوروبا الشرقية . ووجد المستر بيفان أن هذا التصور فى مصادقة الروس وحلفائهم ، وأن انسياق بريطانيا فى الامتثال لسياسة أمريكا العدائية لروسيا السوفيتية وما خلقه من سباق التسلح . كل هذا أثر فى وضعية بريطانيا الاقتصادية والسياسية فكانت النتيجة أن ناصرت بريطانيا الفرنسيين فى حروبهم الاستعمارية فى الهند الصينية وفى المغرب العربى ، وعجزت المصانع البريطانية عن أن تجد لمنتجاتها أسواقا فعمت البطالة فى مصانع النسيج فى لانكشير ، وعجزت المنشآت الصناعية البريطانية الأخرى عن تزويد زبائنها فى آسيا وإفريقيا وأوربا اللاتينية بما يحتاجون إليه من آلات ومعدات بعد أن استأثرت برامج التسلح البريطانى بالجزء الأكبر من الحديد والمواد الخام .

وبسبب هذا التطور فى وضعية بريطانيا الاقتصادية وبفضل امتثالها لإغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى فشلت الاشتراكية البريطانية فى تنفيذ إصلاحاتها الاجتماعية وفشلت بريطانيا فى إنقاذ نفسها من شبح الإفلاس الاقتصادى والتدهور السياسى الذى أخذت تنحدر إليه فى الآونة الأخيرة .

ولم يكتف المستر بيفان بالنقد وإنما رسم لحزبه والمجتمع البريطانى الأكبر برامج جديدة للخروج من هذه الورطة؛ فأشار فى كتابه « بدلا من الخوف » أن لا انسياق مع أمريكا فى إصرارها وعزمها على القضاء على النظام الشيوعى فى روسيا والصين ؛ وتهيئة الحرب اللازمة للمعركة الفاصلة

وبيفان لا يؤمن بالشيوعية السوفيتية ولا يرغب فى أن يجعل السياسة البريطانية مرتبطة بها . ولكنه مع ذلك يعتقد بأن فى العالم مجالا واسعا لجميع الأنظمة السياسية . فهو لا يرى بأسا من أن تعيش روسيا بنظامها الشيوعى المطلق فى نفس العالم الذى تعيش فيه أمريكا بنظامها الرأسمالى وبريطانيا بنظامها الاشتراكى وإسكندنافيا بحركاتها التعاونية . وهو يعتقد أن روسيا لا ترغب فى حرب جديدة ويستشهد على هذا بأن إنتاج روسيا من الحديد (ومقداره السنوى ٣٠ ألف طن) لا يشجعها على الدخول فى حرب مع أمريكا وحلفائها ومعدل إنتاجهم من الحديد والمواد اللازمة لجهاز الحرب يفوق الإنتاج الروسى بعدة أضعاف .

وينصح بيفان قومه بأنهم إذا استقلوا فى سياستهم الخارجية عن أمريكا وضمنوا عدم اعتداء الروس على المصالح البريطانية استطاعوا أن يتفادوا برامج التسلح ونفقاته الهائلة ، وأن يحولوا الإنتاج إلى صناعة سلمية تستعبد الأسواق التقليدية فى الشرق على شرط أن تتبع بريطانيا أسلوبا جديدا فى علاقاتها مع الشعوب التى لم يكتمل نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا . وهذا الأسلوب يستند إلى مبدإ المعونة الفنية لتستطيع هذه الشعوب أن ترفع مستوى المعيشة بين سكانها ، وبذلك تزداد حاجاتها من المنتجات الصناعية التى تصدرها بريطانيا ، وهذا أسلوب باشرت حكومة العمال تنفيذه عندما كانت فى الحكم فيما يعرف الآن بمشروع كولومبو الذى منحت فيه بريطانيا الدول الآسيوية المرتبطة بنظام الكومنولث بضعة ملايين من الدولارات لتنمية المرافق الاقتصادية وزيادة قوة الشراء والتعامل التجارى بين هذه الدول وبين بريطانيا .

ويكرر المستر بيفان فى كتابه الأخير هذه النداءات فى قوة وعنف ويتهم كبار رجال الصناعة وأصحاب المصالح الذاتية فى حزب المحافظين بأنهم العقبة الكبرى فى وجه هذه الإصلاحات التى يقترحها المستر بيفان . ولذلك فهو حاقد على أقرانه فى حزب

العمال أمثال المستر أتلى لتعاونهم مع المحافظين فى السياسة الخارجية.

وفى مقالات بيفان وكتاباته نوع من الثورة ضد هذه الطبقة الصناعية التى يعتقد بأنها توجه سياسة بريطانيا لتتماشى مع السياسة الأمريكية. فهو لذلك يدعو إلى وضع تشريعات قاسية تمتص أرباح هذه الطبقة وتنتزع عن طريق التأميم المنشآت الصناعية والمالية الهامة التى يملكونها

وهذه الثورة على طبقة الصناعيين هى من أبرز النقاط التى يحاولها خصوم بيفان فى الرأى من أقرانه الاشتراكيين. ففى الكراس الأخير الذى أصدره الاتحاد الاشتراكى بعنوان «الاشتراكية: بيان جديد عن مبادئها»، هجوم على دعوة المستر بيفان لتمصر الطبقة المترفة. ويقول واضعو هذا البحث بأن مبادىء الاشتراكية البريطانية لا تؤمن بصراع الطبقات وإنما تستند إلى أسس أخلاقية تضع الحرية الفردية فوق المساواة الاقتصادية. ويشير الكراس كذلك إلى أن بريطانيا فى ظل وزارة العمال فى الحكم وفى البرلمان قد خطت خطوات هامة فى التسوية بين طبقات المجتمع عن طريق التشريعات التى وضعتها حكومة العمال فى مجال الضرائب على الدخل والتركات وفى سياسة التأميم التى نفذت حكومة العمال جزءا منها.

ويؤكد واضعو هذا الكراس بأن سياسة التأميم لا تعنى أن على الدولة أن تملك كل مصدر من مصادر النشاط الاقتصادى فى البلد؛ فالاشتراكية يجب أن لا تقتصر على أنها سياسة تأميم فحسب، فقد أثبتت تجارب وزارة العمل بأن سياسة التأميم لا تحل بصورة أتوماتيكية المشاكل الاقتصادية والآفات الاجتماعية. فإذا استبدلت بصاحب المصنع الدولة كمالك لمنشأة اقتصادية فإن العامل فى هذه المنشأة سيظل يعتقد بأنه مهضوم الحقوق. ويجب أن لا يفهم العامل أن سياسة التأميم تجعله مالكا للمصنع الذى يعمل فيه وإلا تولدت فوضى اقتصادية واجتماعية لا يقوى على ضبطها إلا نظام إدارى قاس يعصف بالحرية الشخصية ويضع العامل والمجتمع فى ظل حكم دكتاتورى لا ترضى عنه فلسفة الاشتراكية البريطانية ومفهومها للعدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية

واستنادا إلى مثل هذا المنطق يبرر خصوم المستر بيفان فى الرأى تساهل حزب العمال فى سياسة التأميم وقبولها لبرامج التسلح وتحالفها مع الأمريكان فى السياسة الخارجية. فهم لا يوافقون المستر بيفان على أن روسيا السوفيتية راغبة فى السلم، وأن قصور إنتاجها من الحديد والمواد الخام عن اللحاق بإنتاج حلفاء الغرب رادع لها عن الدخول فى المعركة الفاصلة. فقد دخل هتلر الحرب العالمية الأخيرة وكان إنتاج بلاده من مواد الاستعداد الحربى يقل عن إنتاج خصومه عدة مرات. ومع ذلك استطاع هتلر أن يبنى آلة حرب جبارة شغلت العالم بأمره عدة سنوات طوال

والطريف فى معركة «الكراريس» هذه أنها سجل لاتجاهين هامين فى التفكير السياسى المعاصر فى بريطانيا وفى كثير من بقاع العالم الأخرى؛ فقد رسخ فى عقلية المجتمع الإنسانى الأكبر أن كيانه الاقتصادى والسياسى والاجتماعى أصبح فى حاجة ماسة إلى أسس جديدة من العدالة الاجتماعية والمساواة فى الفرص الاقتصادية. والدعوة لهذا الإصلاح تجد صداها البعيد فى أوساط الاشتراكيين فى أوروبا الغربية وفى رجال «العهد الجديد» من أتباع الحزب الديمقراطى فى أمريكا؛ صدى يتجاوز الانفعال العاطفى ويتخذ البرامج الحزبية والسياسية العملية وسيلة لتنفيذ هذه الأسس الجديدة.

ففريق من هؤلاء الاشتراكيين لا يزال يؤمن بأن السياسة التطبيقية للمبادىء الاشتراكية يجب أن تتقيد بحرفية النظريات حتى لو استلزم ذلك تقييد الحرية الخاصة لطبقة معينة من المجتمع لا تنوى لهذه المبادىء خيرا. والمستر بيفان أميل إلى هذا الفريق منه إلى الفريق الآخر الذى ينظر إلى الأمور نظرة واقعية فلا تعترف بأن أسباب الطمأنينة المادية للفرد كما تسعى لتحقيقها النظم الشيوعية المطلقة ستوفر لهذا الفرد سعادة فى المجتمع. فهناك عناصر أخرى فى السلوك الانسانى لا يمكن أن تصبح ضحية للطمأنينة المادية. من هذه العناصر حرية الفرد وما توفره

هلا قطعتم يد السارق ؟

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

تحت هذا العنوان قالت السيدة سيزا نبراوى رئيسة الاتحاد النسائى فى مجلة المصور بتاريخ (٢٠/٦/١٩٥٢) تعليقا على فتوى الأزهر ومؤتمر الهيئات الإسلامية بشأن حقوق المرأة السياسية :

« لقد دخلنا هيئة الأمم المتحدة وتغيرت طرق الحياة ، وعلى شيوخنا أن يتطوروا ، فى تفسير القرآن فى الحياة ، وإلا فلماذا لا تقطع يد السارق ، ولماذا لا يرجم الزانى والزانية ؟ لقد جعلنا قوانيننا » تمنى الوضعية « تتفق فى ذلك مع تطورات الزمن »

نحن لا نود أن نناقش اتهام هـذه السيدة الإسلام بالجمود وعدم صلاحيته لتطور الزمن ، كما تهدف إليها كلتها ، ولـكنا نود أن نناقش هـذه المعركة الهزيلة التى أشعل نيرانها الغوغاء الثرثارون من الفريقين ، والتى لا نعرف لهـا ثمرا إلا الثرثرة فى غير جدوى ، ولا ندرك لها هدفا إلا تضييع الأوقات سدى وشغل الرأى العام عن مهـام الأمور ولاسيما قضية البلد التى أصابت الذروة من الفشل ، ونالت أعلى مراتب التهاون والإهمال.

إن الفريق الأول المؤيد لحقوق المرأة السياسية تتزعمه حركات نسائية هزيلة ، تلعب من ورائها أصابع الاستعمار الذى يهمه أن يظل الرأى العام مشغولاً عن قضيته ، ووراء هذه الحركات الهزيلة بعض الأقلام المهينة التى من رسالتها أن تبرز فى غوغاء المعارك ، وضوضاء المناورات ، وصخب المهازل . والناظر إلى هذه الحركات فى مظهرها يعتقد أنها ستحقق للبلاد كل خير ، وتنهض بالوطن إلى القمـة ، وتدفع بالشعب إلى حيث يتربع فوق هامة المجد .

ولسنا ندرى ماذا نفعل بصـوت المرأة فى الانتخاب إذا كان الرجل بعد لم يحسن إعطاء صوته ؟ وماذا نفعل بنيابة المرأة أو شياختها ، إذا كانت نيابة الرجل وشياخته بعد لم تنجحا تحت قبة البرلمان ، ولم تقدما ذرة من الخير لهذا البلد المنكوب ؟

إن عملية الانتخاب فى الريف لم تزل عملية آلية ، يتولى تحريـكها العصبيات وذوو البطاش وأصحاب السلطة من عمدة القرية إلى خفيرها . والفلاحون لا يفهمون من الأمر شيئا سوى أنهم يساقون يوم الانتخاب إلى الصناديق كما تساق المواشى إلى الحظائر . وأصحاب الحول والطول منهم لا يدفعهم إلى التأييد او الخذلان سوى المنافع الشخصية ، أو الحزازات الأسرية . وإن عملية الانتخاب فى العاصمة لم تزل عملية تجارية يلعب خلالها السماسرة من رواد المقاهى وفتوات الأحياء دورا يشهد لهم بالبطولة ويقر لهم بالفروسية ؛ لأن الطبقة المثقفة فى العواصم تضن بأصواتها أن تكون وقوداً للضوضاء ودخانا للمهازل !

ثم ماذا فعل البرلمان لمصر وهى لم تزل ترسف فى قيود الذلة والاحتلال ؟ ثم ماذا فعلت أصوات الناخبين وصيحات المنتخبين ومصر لم تستطع بعد أن تسحق الاحتلال الجاثم فوق صدرها ، وتزهق روح النفوذ الأجنبى الذى يسير دفة سياستهـا ، ولا أن تظفر بالوحدة المؤكدة لشعب وادى النيل ، ولا أن تنهض بالشعب إلى المستوى الذى يليق بالآدمية فى دنيا الناس

ثم ماذا فعلت هذه الحركات النسائية ! هل استطاعت أن تعمم التعليم بين بنات جنسها ، وأن تشق جداول الثقافة لينهل منها الجميع على السواء ؟ ألا تدرى المتزعمات لهذه الحركات أن نسبة المتعلمات لم تزل تافهة لا يقام لها وزن ، وأن نسبة الجهل فى السواد الأعظم من بنات جنسهن لم تزل عالية إلى درجة الخجل

الديمقراطية الصحيحة له من ضمان وكرامة . وقد رد المستربيفان على أصحاب هذا الرأى فقال بأنهم يحملون الـكلمات أكثر مما تتحمل . فبعض حقائق الحياة القاسية نهزأ فى كثير من الحالات بهذه التعابير اللطيفة « كالطمأنينة المادية » و « الحرية الفردية » و « الديمقراطية الصحيحة » و « الـكرامة » وما شاكلها .

ولـكن أليست صناعة الأدب تفترض تحميل الـكلام أكثر مما يتحمل ؟ والأدب السياسى أدب فوق أنه سياسة

نيويورك عمر حليق

فلتسهم هذه الحركات النسائية - إن كانت صادقة فى جهودها - فى تحقيق الوحدة والجلاء . ولتسهم بجانب هذا فى النهوض بالمرأة ثقافيا واجتماعيا وعلميا ، بحيث تشمل نهضتها المدن والقرى والكفور ، وليكن للمرأة بعدئذ ما أرادت من حقوقها السياسية والاجتماعية

أما الفريق الآخر : وهو الفريق المناهض للحركات النسائية فتتزعمه الهيئات الإسلامية الراكدة وبعض رجال الدين المحسوبين على الدين ظلما . والواقع أنه ليس لهؤلاء الناس أهداف حية يرغبون فى تحقيقها حتى يعملوا؛ فهم يتصيدون المعارك الجدلية والميادين الفارغة ليثبتوا وجودهم . وهم يحاولون أن يجعلوا للاسلام سلطة فى توافه المسائل ولو ظل مسلوب السلطة فى مهام الأمور. ويؤولون فى كتاب الله تأويلا فاسدا يتفق وضآلة الحجة وتفاهة البرهان

ولسنا ندرى ماذا فعل هؤلاء الناس للاسلام حتى يخشوا الخروج عليه ، ويتصنعوا الدفاع عنه ! إن الإسلام لم يزل غريبا فى مصر وفى كل بلد إسلامى ، وإن شعوبه لم تزل رازحة تحت نير الاستعمار دون أن تقوى على تحطيمه ، وإن قانون السماء لم يزل مبعدا لا ينظر إليه ، ولا يكترث لوجوده ، وإن شريعة الله لم تزل مضطهدة فى كل رقعة إسلامية لا يعترف بقدرها ، ولا يسأل عن كيانها

ولسنا ندرى ماذا يضير الإسلام أن يكون للمرأة صوت انتخابى ، وأن تدخل تحت قبة البرلمان وهو الذى أقر كتابه تلك المرأة التى تحكم حكما ديمقراطيا شوريا ، وسمح لها أن تناقش الخليفة فى أمور الدنيا والدين ، والتى بايعت الرسول كما بايعه الرجل سواء بسواء ، وحاربت معه فى كل ميدان ، وشاطرت الرجل الجلوس فى بيوت الله

إذا كان هؤلاء الناس يخشون على الأخلاق أن تزاحم المرأة الرجل ، وأن تمهد للسفور والاختلاط بحقوق السياسة ، فالملاهى والمراقص والحانات ودور اللهو والعبث أصبحت مجالا فسيحا للمزاحمة والاختلاط والسفور

أليس من العار أن يتحدى الهيئات الإسلامية « شرذمة النساء » وتنعقد من أجلها المؤتمرات ، ويبعثر المال فى النشرات ورقيات الاستنكار والاحتجاج ؟ بل أليس من العار أن يتحدى هذه الشرذمة أيضا رجال الدين فيصدرون الفتوى تلو الفتوى كأن لهم مصنعا من الفتاوى يخرج المشرات فى كل لحظة ؟

إننا نود أن نقول للفريقين رويدكم فإنكم تناضلون فى ميدان لا بركة فيه ولا خير يرجى من ورائه . إنكم توهمون أنفسكم بأنكم تناضلون فى سبيل الوطن والدين؛ وتزعمون أنكم تجاهدون فى سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولو صدقتم فى نضالكم وجهادكم لحققتم أمانى الوطن وأعززتم الإسلام بتحقيق مطالبه . ولكن . . وما أمر ولكن على من ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

محمد عبد الله السمان

---

٥ – إندونيسيا

الحالة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الزراعة :

إندونيسيا أمة زراعية وما تزال الزراعة هى المصدر الرئيسى لثروتها

ويعتبر المطاط أهم حاصلات إندونيسيا، فهو يكون ٨ر٤١ ٪ من قيمة الصادرات ، وذلك بحسب إحصاء ١٩٥٠ حيث بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٤٦ ر ١ روبية

ويلى المطاط أهمية سكر القصب ، فإندونيسيا تمتاز بزراعة أنواع ممتازة من قصب السكر ، ولما أصبحت مصر دولة منتجة لسكر القصب استخدمت تلك الأنواع الممتازة فى زراعتها مما عاد عليها بخير عميم

وأما جوز الهند فيزرع فى جميع أنحاء إندونيسيا ولكن الجهات الشرقية منها تنتج أكثر الكميات ، وقد بلغت قيمة ما صدر من جوز الهند الجفف ١٩٥٠ ... ر ... ر ٢١١ روبية

وتجود زراعة الشاى فوق المرتفعات فى جاوا وفى شمال سومطرا حيث يجفف الشاى ويعد للتصدير ، وفى ١٩٥٠ بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٠١ روبية

والفلفل الأسود والأبيض من أهم حاصلات إندونيسيا وصادراتها وبلغت قيمة ماصدر منه ١٩٥٠ ... ر ... ر ٨٠ روبية

والطباق والبن وزيت النخيل من أهم الحاصلات والصادرات ، والأرز يزرع بوفرة وهو الغذاء الرئيسى للسكان .

وتنمو الغابات وكثير من أشجارها يؤخذ منه الخشب النافع الصالح لصناعة الأثاث وغيره

وهناك حرفة أخرى متصلة بالزراعة اتصالا وثيقا وقد بدأت تحتل مكانا هاما فى حياتها الاقتصادية وتلك هى تربية الماشية .

ذلك أن الفلاح الإندونيسى كان يهتم بالزراعة كل الاهتمام، وكانت تربية الماشية بالنسبة له عملا إضافيا لازما للزراعة . ولكن بعد عصر الاستقلال بدأت تربية الماشية واعتبارها موردا من موارد الثروة القومية تحتل مكانا هاما لدى حكومة الجمهورية فافتتحت فى ١٩٤٧ أكاديمية خاصة للطب البيطرى لإعداد أطباء بيطريين للاستعانة بهم فى إرشاد الفلاحين وللعمل على تنمية إنتاج المواشى وترقية نوعها وزيادة عددها حتى تصل إلى المستوى الذى تكون فيه مصدرا من مصادر ثروة الشعب وموردا هاما من موارد رزقه

وأهم الحيوانات التى تربي فى إندونيسيا البقر والجاموس والأغنام والخنازير والخيل

الرى :

فى البلاد الغزيرة الأمطار لا توجد ضرورة لاستخدام وسائل الرى الصناعى ، فالنبات يستمد حاجته إلى الماء من المطر المتساقط

وإندونيسيا تتمتع بقسط كبير من المطر لأنها واقعة عند خط الاستواء ، ولكن يجب أن نذكر أن السنة فى هذه المناطق تنقسم إلى فصلين : فصل تشتد فيه الحرارة ويغزر المطر وهذا يحدث عند تعامد الشمس على خط الاستواء فى شهرى مارس وسبتمبر ، وفصل تقل فيه الحرارة نوعا ويقل سقوط المطر ويحدث ذلك عند تعامد الشمس على مدارى السرطان والجدى

ونظرا لقلة الأمطار فى الفصل الأخير رؤى أنه لا بد من تنظيم وسائل الرى حتى يتوفر الإنتاج ، فمثلا الأرز يعتبر الغذاء الرئيسى للسكان ، والأرز يحتاج إلى الماء الوفير لكى يجود . من هنا عنيت إندونيسيا منذ قديم الزمان بوسائل الرى . ولكنها الآن وقد تزايد عدد سكانها وزاد تبعا لذلك استهلاكها أصبحت مضطرة إلى العناية بوسائل الرى حتى تضمن الغذاء لشعبها

وقد كانت حكومة إندونيسيا فى عهد الاستعمار تعنى بوسائل الرى وذلك بسبب النظام الزراعى الإجبارى الذى سارت عليه الحكومة الهولندية ، فقد كانت الحكومة تجبر السكان على زراعة أنواع مخصوصة من الغلال وفى مناطق خاصة ، وكان بعض أنواعها مثل قصب السكر والإنديجو لا يجود إلا إذا زرع

فى أرض تروى ريا كافيا . كل هذا دفع الحكومة الاستعمارية إلى العناية بوسائل الرى

وقد أقامت تلك الحكومة السدود والخزانات لحفظ المياه واستخدامها وقت الحاجة . وإلى ١٩٣٥ تم بناء خزانات كبيرة مثل خزانات بيجتان وباتشال وغيرها

ولم تكن حكومة الجمهورية الإندونيسية أقل اهتماما بالرى من الحكومة السابقة ، فقد وضعت نصب عينيها تنمية الانتاج حتى يتوفر للسكان الغذاء وحتى يمتنع حدوث المجاعات التى كانت البلاد تتعرض لها قبل الاستقلال

وقد وضعت الجمهورية الإندونيسية خططا لتجفيف مناطق المستنقعات فى بورنيو وغيرها لتوفير الرخاء لشعبها

التعدين

يحتل البترول مركزا هاما فى الاقتصاد الاندونيسى ويستخرج من جاوة وسومطرا وبورنيو وإريان . وفى ١٩٥٠ بلغت الكمية التى صدرت ٥٫٩٩٤٫٤٩٧ طنا وبلغت قيمتها ٥٣٨٫٦٠٠٫٠٠٠ روبية

وتنتج إندونيسيا مقادير وفيرة من القصدير وهى من أهم دول العالم إنتاجا، وفى ١٩٥٠ صدرت ٤٤٫٣٠٨ طنا بلغت قيمتها ١٨٥٫٢٠٠٫٠٠٠ روبية

وإندونيسيا غنية بالفحم والذهب والفضة والملح

الصناعة

تعتبر الصناعة أمرا ناشئا فى إندونيسيا ، ذلك أن الحكومة الاستعمارية كان يهمها أن تبقى إندونيسيا أمة زراعية تنتج لها ما تحتاجه من مواد أولية وتكون سوقا لتصريف مصنوعاتها ، ولكن الحكومة الجمهورية عملت على النهوض بالصناعة ، فقامت صناعة النسيج وصنع الآلات الحديدية وبناء السفن وصياغة المعادن النفيسة وعمل السكر وعمل الإطارات وصنع الأكياس وصناعة الأسمنت والأسمدة الخ

ولما كانت خبرة الإندونيسيين بالصناعة بسيطة فقد سارعوا بإرسال بعثات إلى أوربا وأمريكا الأمر الذى يساعدهم على النهوض بالصناعة فى بلادهم . وإندونيسيا غنية بالمواد الخام وبالأيدى العاملة، ومن ثم فالمرجو أن تزدهر الصناعة فيها ، ونرجو أن نراها فى القريب أمة صناعية ناهضة

التجارة

نشطت تجارة إندونيسيا نشاطا كبيرا منذ أن استقر وضعها السياسى ١٩٤٩ . ومعظم الصادرات حاصلات زراعية ومعدنية، ومعظم الواردات آلات ومواد صناعية .

ويحاول الإندونيسيون جاهدين أن يعملوا على موازنة ميزانهم التجارى ، بحيث تكون قيمة الصادرات أعلى من قيمة الواردات ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد ١٩٥٠

السياسة الاقتصادية

ترمى الحكومة الإندونيسية إلى رفع مستوى المعيشة للشعب على أساس تنمية قوتها الاقتصادية ، ويتحقق ذلك بالعمل على رفع شأن الزراعة وتحسين أحوال المزارعين والنهوض بالصناعة والتجارة وتحسين أحوال العمال وتأمين حياتهم

وجدير بى أن أذكر أن إندونيسيا قد واجهت وما تزال تواجه عدة متاعب اقتصادية أهمها : عدم وفرة المواد الغذائية فى بعض أنحائها وتأخر الصناعة بها ونقص قوتها الكهربية واضطراب الأمن وعدم استقرار العدل فى بعض جهاتها وكثرة النقود المتداولة وسوء طرق المواصلات بها

ولكن على رغم كثرة هذه المتاعب فإننا نرجو لهذه الجمهورية الناشئة مستقبلا زاهرا ، ويؤيدنا فيما نذهب إليه عظم ثروة هذه الدولة وكثرة عدد سكانها وحرص زعمائها وشعبها على أن يرفعوا من شأنها . فحيثما سرت وجدت شعبا ناهضا : مدارس تفتح ويسرع الطلاب إلى أبوابها لتلقى العلم على اختلاف أنواعه ، ومصانع تقام، ومستشفيات تنشأ، وسعى دائب لتحقيق خير الوطن وزيادة إنتاجه ورفع مستوى شعبه، وعمل مستمر على تحسين علاقاتهم واتصالهم بإخوانهم فى العالم الإسلامى ! أليس كل ذلك دليلا على نهضة حقيقية تبنى على أساس من العلم والأخلاق والدين..

ولذلك لو سألت حاجا مصريا : من كان أكثر حجاج الأمم الإسلامية عددا ؟ لأجابك على الفور : الجاويين (الإندونيسيين)

وإنى بهذا أختتم هذا البحث داعيا الله أن يحقق لإندونيسيا مستقبلا زاهرا لتعيش أمة حرة وسط عالم حر

أبو الفتوح عطيفة

دماء الشهداء :

عروس الجنة *

للاستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

« فى تاريخنا الزاهر دماء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامى واسع »

ع

جلس « أبو عامر بن صيفى » ومن حوله فئة من شباب « الأوس » قد غلظت أكبادهم ، وقست قلوبهم ، ورسمت المعارك التى خاضوها مع أعدائهم آثارها فى وجوههم الكالحة المربدة . جلسوا مطرقين يسودهم صمت ثائر قلق ... وكانت عيونهم ترمق زعيمهم « أبا عامر » بنظرات ملؤها الإكبار والإجلال ، ولكنهم لفرط مهابتهم له ، وخضوعهم لسطوته ، لم يجدوا من أنفسهم الجرأة فى النظر إليه ، والتبسط فى الحديث معه ، بيد أنهم يعلمون أن من واجبهم أن تكون أيديهم دائماً على مقابض سيوفهم ، ليسلوها من أغمادها إذا ما بدرت من زعيمهم أى إشارة لهم

وكانت المدينة — إذ ذاك — تضج بالتكبير ، ويتعالى فى جنباتها هتاف يشق عنان السماء من هذه المواكب الفرحة التى زحفت إلى ظاهر المدينة وتسلقت أعالى النخيل ، ترمق الأفق البعيد وترنو إلى قافلة النور والإيمان ... التى خرجت من مكة مهاجرة فى سبيل الله

وتناهت إلى أسماع أبى عامر وأتباعه فى مجلسهم ذاك ، أصوات ناعمة رقيقة كأنها تسبيح الملائكة فى الملأ الأعلى ... فوقف « أبو عامر » يستطلع نبأ هذه الأصوات ووقف من حوله فتيانه ينظرون ، فرأوا صبايا يثرب بأيديهم الدفوف يسرن فى موكب حافل جذلات فرحات ... وهن يرتلن نشيدهن الساحر :

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعا لله داع
أيهـا المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وجلس أبو عامر وقد زادته هذه المواكب الطربة حنقاً وحقداً ، ونظر إلى أتباعه وفى صدره مرجل يغلى ، ونار تشتعل ... وقال : « لقد جاء محمد إذاً ! » وصمت قليلا شأن من يفكر فى أمر خطير ثم قال : « واللات والعزى لن نتركه يجد فى يثرب الراحة والاستقرار ... » وأمن أتباعه على كلامه ، وسلوا سيوفهم ورفعوها فى الهواء ، إيذاناً بإعلان الحرب على محمد ... وانفرط عقدهم ، وانصرفوا إلى بيوتهم ... وقد بيتوا أمراً

— ٢ —

دخل « حنظلة بن أبى عامر » وكان شاباً ريق الشباب ، طرى العود ، غض الإهاب ، فألفى أباه غارقاً فى تأمله ، يصعد بين فترة وأخرى زفرات حرى تنم عما يعتلج فى قلب صاحبها من هم وكمد ... وكانت أساريره تفضح ما فى نفسه من حقد وثورة ... فوقف حنظلة غير بعيد منه وألقى عليه تحية المساء ، فلم يشعر به ولم يلتفت إليه .. ثم ضرب بقبضته على فخذه وصاح كالمحموم : « كلا ! كلا ! لن تكون أرض يثرب لمحمد موطئاً سهلا !! » ورفع رأسه فرأى ابنه حنظلة واقفاً ، فنظر إليه نظرات صارمة كأنها جمرات الجحيم ثم قال : —

— أهذا أنت يا حنظلة ! أين كنت وقد انفض السامر وغاب القمر !

— كنت فى دار أبى أيوب الأنصارى أستقبل محمداً وأحييه . لطالما تاقت نفسى إليه ، وحنت روحى إلى لقائه .. كنت قبل أن أراه كسالك البيداء ... تحرقه شمسها ، ويلفحه غبارها ، ويغمره ظلامها ، وتعييه رمالها ... فلما أبصرته رأيت النور الإلهى بشراً سوياً ؛ تحف به ملائكة الله ، وترعاه عناية السماء .. وحين مددت يدى إليه وصافحته — روحى فداه له — ذهلت عن نفسى ، ورأيتنى طائراً رفرف بجناحيه فى رياض الخلد ..

* قدمت لقراء الرسالة الغراء منذ عامين سلفا طاقة صغيرة عطرة من دماء هؤلاء الشهداء الأبرار .. ثم جاءت بعض متاعب الحياة فجف القلم فى يدى وبقى الأمل فى قلبى .. الأمل فى أن أبعث هذه الدماء حية تنبض بالقوة .. وتشع بالإيمان ... فلما انجلت الغمرة وانكشفت الغمة — عدت فألقيت بقلبى وقلمى فى فردوس هؤلاء الشهداء . يعيشان معهم ويسمعان منهم ويتحدثان عنهم . .

فأويت إلى ظل محمد .. ونسيت متاعب الصحراء

سمع أبو عامر كلام ابنه ؛ فقام كمن يتخبطه الشيطان من المس ثم قال :

— ويل لك يا حنظلة ! أو قد صبأت ! أكفرت بآلهتنا ؟ هل سحرك محمد فنسيتني وعصبيتي ؟ كيف ألقى بعد اليوم فتيان الأوس وقد جللني العار ؟ !

— لقد آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، منذ بعثه الله وكفرت بهذه الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني من الحق شيئاً ... لقد طهرتني رسالة السماء من الجاهلية .. وأخرجني محمد من الظلمات إلى النور ... وسكب في روحي إيماناً يشع بالخير والنقاء .. وعلمني أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. وأن المسلم في الدنيا خليفة الله في الأرض .. ينشر رسالته ويعلي كلمته ... وأنا أدعوك يا أبت إلى نبذ عبادة الأصنام ، والإيمان بالله الواحد القهار .. بارئنا وقيوم السماء والأرض .. وسكت أبو عامر قليلا ثم اصطكت أسنانه ، وتلاحقت زفراته وقال :

— ماذا أرى ! ماذا أسمع ؟ رحماك أيتها الآلهة ! اغرب عن وجهي يا حنظلة .. فلا أراك بعد اليوم ، وليس لي منذ الساعة بيثرب مقام

ثم لبس رداءه ، وحمل سيفه ، وامتطى راحلته ، وصفق الباب وراءه صفقة عنيفة وانطلق [1]

— ٣ —

ومرت سنتان ونيف .. حتى كانت تلك الليلة التي استوى فيها القمر بدرا ، وملأ الكون نورا .. وقد انصرف حنظلة من المسجد فرحا يرقص قلبه طربا ، وبعد أن بارك رسول الله زواجه بفتاة من الأنصار .. سار في أزقة المدينة ، يحيط به أترابه من الفتيان والبشر يملأ وجوههم ؛ والسعادة ترفرف عليهم .. ساروا يزفون حنظلة إلى فتاته في عرس لم تشهد المدينة له مثيلا .. فكان الفتيان يهتفون ، والنساء يزغردن ، وحلت الفرحة في كل بيت .. لأن حنظلة حبيب إلى كل قلب ، لما حباه الله من رقة في الشمائل ، وكرم في المعشر ، ونبل في الخلق .. وإذا كانت الأصنام قد حرمته في مثل هذا اليوم حنان الأب وفرحته ، فقد حباه الإسلام حنان كل أب في المدينة ، وعطف كل أخ .. فلا عليه أن يهنأ ويسعد وقد غدا الإسلام له أبا وأما

زف حنظلة إلى عروسه ، وكانت فتاة صنعتها رسالة محمد ، فأقبلت عليه تتعثر في أثوابها ، نخف إليها يستقبلها ، فافتر ثغرها الحلو عن ابتسامة عذبة أسرت قلبه ، وملكت عليه لبه ؛ لأنها ابتسامتها الأولى لرجل . فما عرفتها المدينة إلا فتاة عفة نقية ، كالزنبقة المغلقة تنشر الشذى من خلف أوراقها البيض الندية

ونام حنظلة ليلته تلك هانئا ناعم البال .. ورأى نفسه مع بعض إخوانه في روضة جميلة ضاحكة .. موشاة بالزهر ، مضمخة بالعطر ، تجري من تحتها الأنهار .. وتخطر في ورودها الحسان ، وهن يوقعن أعذب الألحان .. وأفاق من غفوته وقص على عروسه حلمه الجميل ، فابتسمت له وقالت : سيتحقق حلمك ياحبيبي .. وكادت يده تلامس يدها حين سمع منادي رسول الله ينادي بالخروج إلى العدو في أحد ؛ فنظر إليها ونظرت إليه ، ثم وضع ثيابه عليه وحمل سيفه وودعها .. فانحدرت من مقلتيها دمعتان .. ولم تفارقها ابتسامتها

— ٤ —

خرج من صفوف المشركين فارس على جواد مطهم ، وبيده سيف ثقيل يهزه هزات عنيفة ، وينادي بصوت جهير .. كأنما يريد أن يجتاز به السهوب ، ويزلزل القلوب .. ليصل إلى يثرب .. بلدته التي فارقها منذ أمد بعيد ، بعد أن قطع على نفسه عهدا أشهد عليه اللات والعزى ، ألا يترك محمدا يجد في يثرب الراحة والاستقرار

نادى في المعركة : « يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر » فإذا بأصوات المؤمنين القوية المرعدة تصك مسمعه بقوة وعنف : « لا مرحبا بك » وسمع حنظلة صوت أبيه .. ذلك المشرك الذي يحارب الله ورسوله ، ويكيد للاسلام ، فلم يسمعه صوت أب وإنما سمعه صوت مشرك يتحدى المسلمين ، فأخذته عزة الإسلام فهب يستأذن رسول الله في قتل أبيه فنهاه رسول الله عن ذلك .. فرجع كئيبا ينتظر

ولما انكشف المشركون رأى حنظلة أبا سفيان قائد جيش

(١) خرج من المدينة ومعه خمسة عشر رجلا من الأوس ولحق بمكة

أبو هلال العسكرى

بين البلاغة والنقد

للأستاذ عبد العزيز قلقيلة

تقدمت بهذه الدراسة إلى أستاذى الفاضل الدكتور ابراهيم بك سلامة أستاذ البلاغة والنقد الأدبى بكلية دار العلوم عام ١٩٤٩ فظفرت منه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

وأنا أهديها إليه على صفحات الرسالة الغراء ، تحية تقدير ووفاء وتهنئة بظهور كتابه الجديد الخصب « تيارات أدبية بين الشرق والغرب »

ع . ق

تمهيد :

هذا بحث تكلمت فيه عن أبى هلال — فى كتابه « الصناعتين » بين النقد والبلاغة ، وكان مما وجهنى إليه وحفزنى إلى الكتابة فيه . أنى قرأت كتاب الدكتور محمد مندور (النقد المنهجى عند العرب) . فهالنى بل روعنى أن يكون فى القرن الرابع الهجرى — وهو ألمع القرون وأحفلها بجلائل الأعمال فى جميع أنواع المعرفة عند العرب — رجل بتلك الصفات وهذه النعوت التى أضافها إليه الدكتور ، وقلت : ألا يمكن أن يكون فى العرض من جانب الدكتور لأبى هلال ظلم للرجل وتحامل عليه ؟ وعلى فرض أنه بهذا الفساد وذلك الانحراف ، ألا يمكن الاعتذار عنه !

وكان أن عولت على لقاء أبى هلال فى كتابه والاستماع إليه ثم التحدث عنه بما يثبت حكم الدكتور أو ينقضه كيما أذهب من نفسى قلقها وأردها إلى شىء من الاطمئنان

وسيستبين القارئ منهجى فى البحث : أما إجماله فهو أنى قد جعلته ثلاث مراحل : الأولى : — تمهيد للقاء أبى هلال ، وذلك أنى أحببت أو رأيت أنه لا ينبغى لمن يتصدى للقاء العظماء أن يكون جاهلا بطبيعة عملهم ونواحى العبقرية والنبوغ عند غيرهم فى هذا العمل . فكان هذا الإلمام السريع من جانبى بنشأة البلاغة والنقد وتطورهما إلى عهده . ومنه وقفت على تشابه نشأتيهما بل على وحدة الظروف التى خلقتهما ؛ وإذاً فليس من الغريب أن يلتقيا فى تطورهما أكثر من مرة على أيدى رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف فى الميل إلى أحدهما أو زيادة فى الاهتمام به . والمرحلة الثانية : هى الاختلاف إلى أبى هلال والتردد عليه ، بل مصاحبته مصاحبة شديدة فى أبواب الكتاب العشرة وفصوله الثلاثة والخمسين أستمع إليه فأفهم عنه وأعنون له . ولم أنس أنى إنما سعيت إلى لقائه لأحق حقا أو لأبطل باطلا . فلم يغب عنى وأنا فى حضرته ما قاله : صاحب (النقد المنهجى) فيه . وكثيراً ما قررت كلام صاحبى أو ترجمته موضحا عبارته ، مستخلصا فكرته ، واضعا إياها فى ميزان النقد العام فإذا بها تثقل وترجح ، بينما ميزان الدكتور قد شال بها وخف

لهذا بعد أن فرغت من لقاء أبى هلال وودعته قمت بعملية تجميع للتهم التى وجهها إليه الدكتور مندور وناقشتها واحدة واحدة وتلك كانت المرحلة الثالثة

وكانت الخاتمة ، فنبهت إلى أن أبا هلال وإن كان قد تكلم

المشركين .. يسير مزهوا يميل برأسه تيها وكبرا . فانقض عليه وضرب بسيفه قوائم فرسه فوقع على الأرض يصيح ، وحنظلة يريد ذبحه ، ولم يكد يرفع السيف ليهوى به على هامة أبى سفيان ، حتى أدركه (الأسود بن شعوب) فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ولكنه وثب كالأسد ومشى فى الرمح وقد أنبته ، فعالجه الأسود بضربة ثانية فخر صريعا

وقبل أن يغمض عينيه .. تذكر عروسه وهى تبتسم له وتقول : سيتحقق حلمك ياحبيبى .. ورآها وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان ... ولم تفارقها ابتسامتها .. ورأى رسول الله يقبل نحوه ... فتملق بالحياة وهم أن ينهض لاستقبال رسول الله ولكنه وقع على الأرض ... وقبل أن تفيض روحه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأترابه ... بصوت تقطعه الحسرات ..

« إن صاحبكم هذا تغسله الملائكة »

جبلة — سوريا عمر عودة الخطيب

فى البلاغة والنقد وجمعهما بل ومزجهما فى كتاب فليس هو بدعا فى هذا، لافى تاريخ النقد العربى ولا فى تاريخ النقد العام

البلاغة والنقد ووظيفتهما

البلاغة بمعنى الكلام البليغ هى الأدب، وهى بهذا الاعتبار مادة البحث وموضوعه للبلاغة الاصطلاحية والنقد الأدبى. ولن أتعرض لها هنا من هذه الناحية ، كما لن يكون من همى أن أتتبع تلك التعريفات التى أوردها أبو هلال فى صدر كتابه وعلق عليها شارحا موضحا . بل يعنينى من البلاغة ما كان يفهم قديما ، وما يفهم الآن من كلمة (البلاغة) . أعنى هذه القواعد وتلك التقاسيم التى كونت هذا الثالوث الضخم (المعانى والبيان والبديع) . ووظيفتها : — أنها ترشدنا إلى أحسن الوسائل التى تجعل كلامنا ممتعا نافعا مؤثرا

أما النقد الأدبى فهو : « من دراسة النصوص وتمييز الأساليب » [1] . ووظيفته « تقويم العمل الأدبى وتحديد مكانه فى خط سير الأدب » [2] فكل منهما يدور حول تحقيق الصدق والقوة والجمال فى الإنتاج الأدبى

« نشأة البلاغة وتطورها الى عهد أبى هلال

من حسن فهم أبى هلال لطبيعة الأشياء هذا النص الذى نقله عن مجموعة التحفة البهية الدكتور زكى مبارك : « البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة، ولا على ملك دون سوقة ، ولا على لسان دون لسان . بل هى مقسومة على أكثر الألسنة . فهى موجودة فى كلام اليونان وكلام الفرس وكلام الهند وغيرهم . ولكنها فى العرب أكثر لكثرة تصرفها فى النثر والنظم والخطب والكتب وهم أيضا متفاوتون فيها . فقد يكون العبد بليغا ولا يكون سيده ، وتكون الأمة بليغة ولا تكون ربتها . فالبلاغة قد تكون فى أعراب البادية دون ملوكها وقد يحسنها الصبى والمرأة » [3]

والبلاغة التى يقصدها أبو هلال فى هذا النص هى (الملكة) أى القدرة على تأليف الكلام البليغ . وهى قديمة جدا قدم الأدب . بل ليست هذه الآداب إلا آثارها ودلائل وجودها . ولقد وجدت الآداب منذ وجدت الجماعة . وكان لهذه الجماعة تحضر وتمدن وعقيدة

أما الاتجاه إلى دراسة هذه الآداب بقصد نقدها واستنباط قواعد البلاغة منها فهذا ما تأخر ظهوره واختلفت مظاهره عند كل أمة وفى كل أدب حسب الظروف والملابسات

أما عند العرب فقد نزل القرآن بلغتهم الأدبية وفيه كثير من الأنواع البلاغية ؛ لكنهم ما كانوا يحتاجون فى فهمه وتذوقه إلى علم أو معلم لأنهم بلغاء بالطبع

لكن الدين قد انتشر ودخل فيه خلق كثير من غير العرب بدأوا يقرأون القرآن فيلقاهم منه من الكلمات والآيات ما يعجزهم فهمه ويعز عليهم تأويله . ولهذا رأينا منهم من يسعى إلى بعض علماء العربية (أبى عبيدة سنة ٢٠٦ هـ) يسأله فى معنى قول الله « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » [4] فيجيبه بما هو من صميم العربية ومألوف استعمالها

« هذا نظير قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولكن هذا العالم الجليل لايدع الموضوع يمر دون التفات منه لحاجة الناس إلى بيان فيه فيؤلف كتابه (مجاز القرآن)

وتكون هناك محاولات وابتداءات تظهر فى شكل رسائل أو مقالات، وتنشط هذه الحركة وتنمو، ويزداد سلطان المعتزلة ، ويترجم منطق أرسطو فيتصلون به وبالفلسفة اليونانية ؛ ويعجب الفرس وغيرهم بهؤلاء المتكلمين الذين يحكمون العقل والمنطق فى جدلهم وحوارهم فينحازون لهم وينضمون إليهم

وتروج هذه الثقافة وتشيع فتزدهر البلاغة وتنمو

حتى إذا جاء القرن الثالث ، عرف بجمع المادة الأدبية وعرضها فى أبواب تنقصها الطريقة العلمية ولكنها موصلة إليها فهذا «الجاحظ» (٢٥٥) يبتدئ به البيان ويكتب فيه ويجمع له مادة غزيرة ، متعقبا بعضها أحيانا بنقد يعتبر أساسا للبلاغة وللنقد المنظم فهو يتحدث عن الفصيح وعن الفصاحة، ويفرق بين الفصاحة بمعنى البيان ، وبين البلاغة بمعنى الوصول

(١) فى الميزان الجديد — مندور ص ١٣٢

(٢) النقد الأدبى — السيد قطب ص ٥

(٣) النثر الفنى ج ٢ ص ١٠٠ المرحوم زكى مبارك

(٤) الأدب العربى وتاريخه ج ٢ ص ١٨٧ المرحوم محمود مصطفى

إلى الغرض ؛ ثم يعرض لتعريفات عدة فى البلاغة عند العرب ، وعند غيرهم ممن لهم بالعرب اتصال جغرافى أو ثقافى

ويعمل جهده فى التدليل على أصالة البيان العربى وأنه للعرب خاصة ، ويتكلم فى الأسجاع ما يحسن وقعه منها ومايسوء مع التمثيل لهذا وذاك ، ويطوف فى بيانه وتبيانه على الشئ الكثير من الأنواع البلاغية ، وقد يؤرخ لها ويقارن بينها ضاربا الأمثال من القرآن والسنة والشعر القديم والشعر الحديث . ثم هو بعد صاحب المذهب الكلامى

ويحق ما قيل من أنه أول باحث فى البلاغة ، ولكن أبحاثه لم تكن مبوبة مرتبة ، وإنما هى معلومات عابرة فتحت مغاليق هذا العلم

وبموت الجاحظ حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى كانت البلاغة قد استقرت عند أوليات الأمور التى تبحث فيها وتفتن لها ، وقد لخصها الدكتور طه حسين باشا أو عنون لها بالأمور الآتية :

١) الكلام على صحة مخارج الحروف ، ثم على العيوب التى سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه

٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض ، والعيوب الناشئة عن تنافر الحروف

٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين اللفظ والمعنى ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب ، والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها

٤) الكلام على الخطيب (٥)

أما النصف الثانى من القرن الثالث فقد ظهر فيه علمان من أعلام البلاغة ، ترك كل منهما فيها من الآثار ما جعلها تنقسم إلى قسمين أو تسير فى اتجاهين : أحدهما عربى صرف أو هو أقرب أن يكون عربيا صرفا ، والثانى منطقى صرف أو هو أقرب أن يكون منطقيا صرفا :

فأما أولهما : فهو عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) فهم ماقاله الجاحظ واهتدى بطريقته وجمع من فكرته مع زيادة عليها ما ألفه وسماه (البديع) وجعل منها خمسة أنواع أصيلة عند العرب القدماء وليست مبتكرة ، يرد بذلك على المحدثين الذين ادعوا اختراعها والسبق إليها وهى :

الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى

وتطغى هذه الأنواع على غيرها فى كتابه ، لأنه يبدأ بذكر الخاصية ثم يورد أمثلة لها من القرآن والحديث والشعر ، ويعقب على هذا بذكر ماعيب من استعمالها

ثم بعد ذلك يذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، وهى كثيرة يجتزئ منها بالآتى : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، الخروج من معنى إلى معنى ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، هزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الإفراط فى الصفة ، حسن التشبيه ، إعنات الشاعر نفسه بالقوافى ، حسن الابتداءات

والناظر فى موضوعات كتاب (البديع) يرى أن علوم البلاغة : (المعانى والبيان والبديع) لم تنفصل بعضها عن بعض ، ولم توضع لها حدود تميزها . فإن المؤلف ساق أبواب البيان الثلاثة وهى الاستعارة والكناية والتشبيه مساق الأنواع البديعية فى كتابه

وأما ثانيهما : فهو قدامة بن جعفر (٢٧٥ — ٣٣٧) ، كان نصرانيا ثم أسلم ، درس الفلسفة والمنطق ، وألف كتابا سماه (نقد الشعر) . يقول أستاذنا الكبير طه حسين باشا : « إن هذا الكتاب قد استغله كل مؤلف جاء بعده ، وعندما نقرأه نحس من أول فصل أننا بإزاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » (٦)

وقد ألم قدامة فى كتابه بعشرين نوعا من أنواع البديع ، توارد مع ابن المعتز فى سبعة منها وانفرد بثلاثة عشر

ونلاحظ هنا ما لاحظناه سابقا ، وهو أن العلوم الثلاثة لا زالت مختلطة

وهنا نجد أنفسنا بصدد أبى هلال العسكرى وكتابه (الصناعتين)

فلنعد الآن من حيث أتينا ، ولنسر هذا الشوط مرة أخرى كما نؤرخ للنقد

يتبع

عبد العزيز قلقيلة

---

٥) مقدمة نقد النثر ص ٧ ، ٨

٦) مقدمة نقد النثر ص ١٦

نظرات خاطفة

شاعر السودان *

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

وهذا شاعر آخر من السودان ، القطر الذى فتنت بنبل كرم أهله ، وسمو أخلاقهم ، وعروبتهم الأصيلة ، القطر العربى الإفريقى المصرى الذى ظلت قيود الاستعمار البغيض تعض ساقيه سنوات طوالا ، وسوطه يلهب الظهور ، ويدمى الرقاب ، وهو ثابت كالطود الأشم يكافح ويناضل فى سبيل استقلاله وحريته ، والمحافظة على لغته الأصيلة ، لغة القرآن الكريم ، دون أن يلين أو يستكين ، وبين حين وآخر يلتفت نحو منبع النور والثقافة والحرية ليهتف على لسان شبابه المتوثب :

أملى فى الزمان مصر فحيـا الله مستودع الثقافة مصرا
نصر الله وجهها فهى ما تزداد إلا بعـداً على وعسرا
إنما مصر والشقيق الأخ السودان كانا لخافق النيل صدرا
لا رغبنا عنها ولكن دهراً ناوأتناصروفه كان دهرا(١)

فى هذا القطر المترامى الأطراف والجوانب ، الشاسع الحدود ، الذى يعيش فيه أهلوه وأكثر شبابه غرباء ، غرباء الروح والفكر ، يظهر بين فترة وأخرى فنان يعيش لأجل فنه يرى بعينه آلام شعبه ، فيحرق نفسه بخورا لينير لهم السبل القويمة لعله يوصلهم إلى محجة الخير والسعادة والكمال ، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين أنجبتهم هذه الأمة الكريمة العربية المحتد والأصل شاعر عربى النزعة مصرى الهوى بدوى النفس لشعره جميع الخصائص والميزات التى يتصف بها الشعر « الكلاسيكى » الأصيل ، من جزالة فى الأسلوب ، وإشراق فى الديباجة ، وجمال فى المبنى والمعنى ، وهو الأستاذ محمد سعيد العباسى

ترجمة حياته :

كتب الشاعر تاريخه بقلمه فقال : (٢)

« أنا محمد سعيد العباسى بن محمد شريف بن نور الدائم بن أحمد الطيب العباسى منشئ الطريقة السمانية بمصر والسودان ، ولدت بعز أديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض ٢٣ من رمضان سنة ١٢٩٨ هجرية (٣) ، ولما انتقل بى والدى فى حوادث المهدية إلى الشيخ الطيب بمديرية الخرطوم شمالا وبلغت من العمر سبع سنين أدخلنى مكتبا « خلوة » لقراءة القرآن عند عمى الزاهد الورع الشيخ زين العابدين ، ثم تنقلت فى مكاتب أخرى تبلغ العشرين عدا ، وكان والدى يأمرنى أثناء قراءة القرآن بحفظ متن الآجرومية صوره لى بنفسه مع متن الكافى فى علم العروض والقوافى ، وبعد استرجاع السودان ودخول الجيش المصرى طلب « كتشنر » من والدى إلحاقى بالمدرسة الحربية المصرية فدخلتها يوم ٢٨ مارس ١٨٩٩ م وبعد سنتين استعفيت لأنى رأيت أن لا أمل لى فى الترقية وإن كنت أول الناجحين فى الامتحان »

ثم يسترسل المترجم فيذكر أساتذته الذين تأثر بهم فيقول :

« إن أولهم كان أباه الذى حثه على حفظ أشعار الفحول القدامى ثم أستاذه الجليل المرحوم الشيخ عثمان زنانى الذى كان فى طليعة الشعراء والأدباء فى زمانه ومن رثائه له يستبان لنا ذلك حيث يقول :

فيارحمة الله حلى بمصر ضريح الزنانى عثمانيه
فذانى بآدابه يافعا وقد شادنى دون أترابيه
ويا شيبة الحمد إن القريض أعجز طوق وأعيانيه
أمرنى بيـانك أسمع به الأصم ، وأنطق به الراغيه(٤)

وهذا كل ما يعلمنا عنه الشاعر من سيرته التى كتبها بقلمه ولكننا لو رجعنا إلى مقدمة الكتاب التى كتبها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك نراه يوضح المميزات الخاصة بشعر العباسى وتأثره

---

* أشكر الأخوين الكريمين الأستاذ الفاتح على مختار وعبد الفتاح الحاج على صالح العبادى على إهدائهما « ديوان العباسى لى

١) من شعر المرحوم التيجانى يوسف بشير الصفحة (٨٦) من ديوانه — اشراقه —

٢) ص (٩) من ديوان العباسى والديوان يقع فى (٢٠٤) من القطع المتوسط ، مطبعة الاعتماد ، دار الفكر العربى

٣) أى أنه مضت حتى الآن (٧٣) سنة على ولادته أمد الله فى عمره

٤) من قصيدته « رسائل الصفا » ص (٥٢) التى رفعها الدكتور زكى مبارك وصدريها اهداء الديوان

بالحياة المضطربة التي عاشها في السودان والحوادث السياسية التي تعرض لها والتي صحبته في أواخر القرن المنصرم ، قال :

« فالسيد العباسي إذا صدح في شعره أحسست في موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضي إذ تتردد في شعره حرارة السراة السادة الذين يحسون مسئوليتهم في المجتمع ، وتجمع معها نغمة أخرى من كرامة السادة الذين يحسون قصر اليد عما يريدون

وإذا كان شعر السيد يمثل لنا ديباجة موسيقى السيد الكريم ، فإن فيه ألوانا أخرى تذكرنا بأرواح يملؤها الطموح وتتقد فيها حرارة القلب الذكي . فهو إذن رجل يجمع نفس الحر الأبي القلب القوي الذكي إلى فن الشاعر الذي يغوص إلى أعمق المعاني ويصورها في أبرع اللوحات . ثم هو في ديباجته فذ لا يكاد يجد له الناقد عديلا إلا في عباقرة الشعراء من قدماء ومحدثين (٥) »

وإذا أردنا نحن أو أراد ناقد آخر أن يكشف للقارئ عن تلك الخطوط التي أشار إليها الأستاذ أبو حديد فهل يستطيع ، أما أنا فأقول بالإيجاب ، ومن قرأ له مثل هذه الأبيات :

إلى كم أمنى النفس ما لا تناله بجوب الفيافي وادراع الفدافد (٦)
وقد رقد السمار دوني فهل فتى يمير أخا البأساء أجفان راقد
فيانفس إن رمت الوصول إلى العلا
ردى قسطل الهيجا وغمرتها ردى (٧)
أما ويمين الله وهي ألية تقال فتغني عن يمين وشاهد (٨)
سأصفح عن هذا الزمان وماجنى متى ظفرت كفاى منه بماجد
وإن ألقه بعت الحيـــاة رخيصة
وآثرته باثنين : سيفي وساعدى (٩)

وقوله :

ما أعجب الأيام كم دفعت بنـا في ذي الحياة لشدة ومضيق
أنا في زمان عشت فيه بمعشر يجزى الجميل لديهمو بعقوق
طرحو المهند للعصا واستبدلوا بالأمس تغريدى لهم بنعيق

مادمت سباقا فليس بضائرى أبداً مقال مدفع مسبوق (١٠)

لا يشك في أن الروح التي كانت تمتاج في أجساد الشعراء السادة الفحول من شعراء العرب وخصوصا الفرسان هي نفسها التي كانت تضطرم بين جنبي شاعرنا العباسي إبان نظمه الأبيات الآنفة الذكر . ولا غرو فالعباسي كان من أرباب السيف والقلم ، وقد خاب في مضمار السيف فتركه ليبرع في الشعر أسوة بشاعر النيل حافظ إبراهيم ... على أن حافظا كان رحمه الله فقيرا محتاجا فكان يحس في أعماق نفسه بالجاعة فأراد أن يكون شاعر القصر عساه يتمتع بمباهج الحياة في ظل القصور الفارهة الناعمة ... ولما خاب أمله اتجه إلى الشعب ليسكب ثورة نفسه وألم خيبته في الشعر الذي كان يعبر به عن آمال نفسه. أما العباسي فقد كان مكتفيا وكانت المادة متوفرة لديه فلجأ إلى الشعب يخاطبه بشكل آخر ، شكل السيد الآمر ، والزعيم المضطهد ، لذلك جاءت في شعره أقباس من طموح الزعماء ، وآلام من ثورة الأحرار الذين رغم انصرافهم إلى السياسة وأمور الدنيا لم ينسوا آخرتهم ودينهم لتأثير الناحية الدينية عليهم منذ نشأتهم

١٠) قصيدته « آلام وآمال ص - ٩٨ - الديوان

البقية في العدد القادم عبد القادر رشيد الناصري

٥) مقدمة الأستاذ أبو حديد من ص (١٣ إلى ٢٠) من الديوان
٦) الفدافد جمع فدفد وهي الفلاة
٧) قسطل الهيجاء ، غبار الحرب
٨) الألية : اليمين
٩) قصيدته « من معاقدى » ص - ٤١ - الديوان

الاسلام وحياتنا العامة

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

إن أمتنا أمة مسلمة . غير أنها لا تستوحي الإسلام في تصرفاتها ونظرتها للحياة وأحداثها . ولا ترى أن من الخير الذي يعود عليها بأجزل النفع أن تنظر إلى الحياة من خلال الفكرة الإسلامية . وإن كثيرا من الكتاب يخرجون علينا بأفكار مختلفة ، منهم من يرى أن حياتنا يجب أن تنهض على الإسلام ، ومنهم من يرى أنه يجب أن ننحي الإسلام عن حياتنا هذه ، وأن نشرع فيها على أسلوب جديد يوافق روح العصر ، ويقطع كل ما يصلنا بهذا الدين العتيق

والعجيب أن أكثر هذه الكتابات التي تنادي بفصل ديننا من حياتنا إنما هي بأقلام كتاب مسلمين . والمفروض أن المسلم يكون أحرص على دينه ، وأغير عليه من أي إنسان آخر ، حتى يؤدي واجبه نحو نفسه ، ووطنه ، وربه ، على خير الوجوه وأكملها . وهؤلاء الكتاب بعملهم هذا ينهجون نهج أقوام آخرين لا تربطهم بالدين الإسلامي رابطة ، لا يكادون يهادنونه ويدعونه يرسم صورة للحياة الناضجة القوية ، ويقفون له بالمرصاد ينتقصونه ، ويسفهونه ، ويزرون به ، وينعون عليه أحكامه وآدابه وتوجيهاته

وإذا استوحى المسلم غير الإسلام فهو وغير المسلم سواء . وهو حرب على دينه . وهو عون لأعدائه عليه . وهو دخيل علينا لا يجوز أن نركن إليه ، ولا نأتمنه ، ولا نهادنه . وعلينا أن نحذره ونتعرف على نياته ودخائله لأنه أخطر علينا من العدو الألد والمهاجم الصريح

ليس ما نشكوه في هذه الحرب هو الأجانب وحدهم ، بل نشكو المسلمين أيضا ؛ هؤلاء الذين يعملون لهدف غير هدفنا ، ويسعون لمثل غير مثلنا ، ويبنون حياة لا تتفق وحياتنا . وبعد ذلك تتخذ أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام إن لم تتخذ على أنها الفكرة الإسلامية في ذاتها . ونعاني من وراء هذا العسف الغليظ والضر الأليم . وننفق من قوانا في جهتين ، إحداها داخلية ، والأخرى خارجية

هذا الإسلام بعيد عنا . وكلما نادينا بالاقتراب منه ، والاسترواح في ظله ، والاستقاء من نبعه ، خرجت علينا الذئاب العاوية تقتنص منا الغنم الشاردة ، وتفرق وحدتنا ، وتضرب في صفوفنا ، وتزعزع إيماننا برسالتنا وديننا وأهدافنا النيرة الحقة . ومن هنا يظل الإسلام بعيدا عنا أطول مدة ممكنة ، حتى يمتص المستعمرون وأعوانهم الثمالة الباقية من ذخائرنا ، ثم بعد ذلك نكون جسدا هامدا لا خير فيه

إذا أردنا أن يكون الإسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يكون صاحب دعوة وصاحب رسالة . عليه أن يعتقد اعتقادا جازما أن الواجب لا يتم إلا به ، فعليه جزء منه ، وعليه أن يبذل في سبيله ، لا فرق بين رجل دين وغيره . فالإسلام ، والعمل له ، والإيمان به ، دعوة كل مسلم ورسالته . والمسلمون جميعا مسئولون عنه لا فرق بين إنسان وإنسان . أما هذا الكلام المطول في مسؤولية المسلمين فليس من الاسلام في شيء . ليس في الاسلام رجل دين ورجل دنيا ، ولا رجل مسؤول ورجل غير مسئول ، ولا فرد يعمل وآخر يعتمد على عمل غيره ، إذ كل المسلمين في نظر الاسلام سواء ، وهم مكلفون العمل له والإيمان به ، لا يغني بعضهم عن بعض شيئا

إذا أردنا أن يكون الاسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يهتدي به في حياته ، فيحققه في كل عمل وقول ، ويتجه إلى وجهته ، ويشيعه في حياته العامة والخاصة ، ويعتنقه مبدأ لا يحيد عنه ، ويشارك به فيما يرى من رأى أو يرغب من رغيبة

على كل مسلم أن يجعل حياته إسلامية ، وأن يفيض من خيرها وبرها على الوجود من حوله ، وأن يحمل غيره على مايحبه له ولنفسه وللناس جميعا ، من خير لا ينقطع ، وبركة زاكية ، وحب شامل ، وإخلاص عميق في كل ميادين الحياة ، في التجارة والزراعة ، في التعليم والسياسة ، في الاجتماع والاقتصاد ، في خاصة الرجل وخاصة المرأة وفي المشترك بينهما

ليس في هذا مشقة على أحد . فكل إنسان يستطيع أن يرسم حياته بالطريقة التي تروقه وتحلو له . وحياة الفرد ليست غير تحقيق عملي لمواطفه وأفكاره . وحوافز النفس وخلجات

الضمير هي أمهات جلائل الأحداث . وتاريخ الأبطال والعظماء ماهو إلا انعكاسات القلوب الكبيرة والنفوس النبيلة

إننا ننعى على الحكومات موقفها من الإسلام . والواجب أن ننعى على أنفسنا مثل مانتعاه على هذه الحكومات ، لأننا نستطيع أن نعمل الكثير لأنفسنا وللاسلام من غير أن نلجأ إلى حكومة نسألها العون ونستجديها العطف ، حياتنا المنزلية ، وحياتنا مع أصدقائنا ، وحياتنا في عملنا ، وسلوكنا مع الناس عامة ، وحياتنا الذاتية التي لا يطلع عليها إنسان — كل هذه مجالات مختلفة متفاوتة ، نستطيع أن نحياها صحيحة وأن نبعثها إسلامية . وذلك متى ماتصورنا حياة سهلة سائغة سمحة واتخذنا هذا التصور هدفا لنا ومثالا نسعى إليه

وقد قرأت في مجلة الثقافة مقالا لكاتب مسلم ، هو الأستاذ محمد عبد الله عنان . وقد عنون الكاتب موضوعه بهذا العنوان « المرأة والحقوق الدستورية ، لامحل للاحتكام بشأنها إلى الدين » ومن هذا العنوان وحده نستطيع أن نلمس حرص الكاتب على تخلى الدين عن حياتنا العامة . مع أنه يجب أن نحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل شؤوننا العامة والخاصة ، شؤون الفرد والجماعة ، شؤون الرجال والنساء ، شؤون الأطفال والبالغين ، في عملنا السياسي أو الاجتماعي أو التهذيبي أو الذاتي ، في سلوكنا الظاهر وسلوكنا الخفي . نحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل هذا حتى نتعرف على مواضع الرشاد ومواضع الزيغ في سلوكنا ، وإذا ما نادى إنسان بمثل هذه الدعوة التي نادى بها الأستاذ عنان فإننا نعتبره أحد رجلين : إما أن يكون رجلا لايعرف من أمر دينه الكثير ، وإما أن يكون رجلا يعين غيرنا علينا . وهو على كلا الحالين غير محمود ولا مشكور

يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان في مقاله هذا « ... ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع ، سواء للتوكيد التحريم أو الإباحة ، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين في سائر نواحي حياتها العامة . فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية . ولا يطبق في مصر شيء من أحكام الشريعة الاسلامية في العبادات أو المعاملات أو الحدود بصورة جبرية ، فلا تقطع يد السارق ، ولا يرجم الزاني ، ولا يعاقب شارب الخمر أو تارك الصلاة أو مفطر رمضان ، وغير ذلك ، ولا يطبق منها إلا ما أمكن تطبيقه من شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف (القضاء الشرعي) وحتى هذا يعتبر قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام »

ويستطرد الكاتب قائلا « فإذا ماتقرر ذلك ، وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لادينية ، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة ، فلا محل إذا لأن نجعل الدين حكما في مسائل لا علاقة لها بالدين ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذا لرجع بمطالب المرأة السياسية والاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لاشأن لها بالعقيدة الدينية ... »

ونخرج من هذا الاقتباس بثلاث نقاط هامة مؤلمة ومؤسفة في نفس الوقت :

مصر دولة مسلمة ولكنها لادينية ، فدينها الرسمي هو الإسلام ، غير أنها لاتطبق أحكامه في حياتها العامة . والنظم والقوانين المصرية مدنية موافقة لروح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة . ومعنى هذا أن الدين وأحكامه لايوافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة

أن الدين قد ضاق مجاله ، ولم نطبق منه إلا ما أمكن تطبيقه وهو شيء يسير في شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف ، بحيث أصبحت هذه الأحكام اليسيرة قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام

يمثل هذا الأسلوب في الكتابة والتفكير يتناول بعض الكتاب الحديث عن دينهم وحياتهم العامة . وهم يخلطون ما يرونه في واقع حياتنا بآرائهم الخاصة ونظرياتهم في الإسلام وصلاحيته . وإذا كانت حياتنا قد انحسر ظل الإسلام عنها في كثير من نواحيها ، فليس معنى هذا أن ندع الأمور تجرى إلى غاياتها المشئومة ، بل علينا أن نعرف ما نحن فيه وما نطمح إليه ، والأسباب التي توصلنا إلى ما نتمنى ، والأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن فيه الآن ، وأن نقرن ذلك كله بما كان لنا من ماض زاخر مجيد والأسباب التي دفعت إليه — كل ذلك لنستخلص

العبرة التي نقوم على ضوئها أسلوب حياتنا الراهنة ، ونعالج مشاكلنا المعقدة ، وننهض من كبوتنا السياسية التي لانجد منها مقيلا

إن الأمم الغربية الاستعمارية تنتفض فزعا كلما فكرنا فى ديننا وفى إخراجه إلى مجال الوجود العملى . والسبب فى هذا ليس خافيا على أحد . إذ أن هذه الأمم الغربية على يقين راسخ من أن ديننا ينظم حياتنا ، ويهذب نفوسنا ، ويبعث الكامن فينا من القوة الخفية ، ويوحد وجهتنا ، ويبلغنا رشدنا . وإذا كان أمرنا كذلك ، فإنها الحرب على الاستعمار والاستغلال والفساد ، وإنه البعث الجديد الذى ننشط منه إلى قيادة العالم وصدارة الأمم ، وحينئذ لا يبقى لأمم الغرب سبب واحد تطمئن إليه ، وتعتمد عليه ، فى تثبيت أقدامها فى أنحاء العالم الإسلامى لاستغلاله وتسخيره

على أن الغريب حقا هو فزع بعض المسلمين من تطبيق مبادئ الدين . ونحن لاندرى علة لفزعهم هذا . هل نقول إنهم عملاء للمستعمرين ؟ هل نقول إنهم يجهلون من أحكام دينهم مالا يصح أن يجهلوه ؟ هل نقول إن معين ثقافتهم الذى استقوا منه يحارب الإسلام فى خفية ، ويعكر صفوه ، ويطمر موارده النقية ؟ إنهم على أى حال يعملون غير ما نعمل ، ويشخصون إلى غير أفقنا

مثل واحد بسيط للدلالة على لون التفكير اللاديني الذى يسيطر على بعض المسلمين ، وهو فى الموضوع الذى أشرنا إليه من قبل واقتبسنا فقرات منه . إن الكاتب المسلم يستوحى دينه فى إعطاء المرأة حقوقا سياسية أو غيرها ، ويرجع إلى أحكامه يستفتيها ، وعليه أن يلتزم ما تفتيه به هذه الأحكام ، فإن أفتته بالإباحة فهى الإباحة ، وإلا فالتحريم الذى لاوجه فيه لحل بعد ذلك . والكاتب اللاديني ، المسلم رسميا ، اللاديني عمليا ، يسارع إلى أمم الغرب يسألها ماذافعلت ؟ وكيف وصلت إلى ماوصلت إليه ؟ ومن الذى أعانها ؟ وعلى خطوة أوخطوتين أوخطوات ؟ وهناك ! عند تقاليد هذه الأمم ، وميراثها ، وشرائعها ، يجد الجواب الشافى الذى لايحس حرجا فى الأخذ به والاعتماد عليه !

« فنى إنجلترا لم تنل المرأة حقوقها الانتخابية لأول مرة إلا فى سنه ١٩١٨ ونالتها عندئذ جزئية ، محدودة ، ولم تنلها كاملة إلا فى سنة ١٩٢٨ . وفى أمريكا لم تمنح هذه الحقوق إلا فى سنة ١٩٢٠ ، وبعد محاولات عديدة متوالية شملت كل ولاية بمفردها ... ... والمرأة لم تحصل على حقوقها الدستورية فى بعض الدول الأوربية العريقة مثل فرنسا وإيطاليا والنمسا إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تحصل عليها فى بلجيكا إلا فى سنة ١٩٤٨ ، وفى ألمانيا الغربية فى سنة ١٩٤٩ »

وعلى هذا فإنه لايجوز أن نحرم المرأة الحقوق السياسية مادامت هذه الدول الغربية العريقة قد أعطت المرأة هذه الحقوق . يجب أن نعطى هذه الحقوق ، دون نظر إلى ما يقوله ديننا فى هذا الموضوع ، لأن أحكامه عتيقة لاتوافق مقتضيات العصر ولا روح التقدم . المهم أن نكون كهذه الأمم التى قلدناها ، وقصصنا آثارها ، وأسلمنا زمامنا لآدابها وتقاليدها وروحها ... أما أثر هذا التقليد فينا . . . وأما وقوعنا فى قبضة هذه الأمم تستغلنا . . . وأما انهيارنا الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بسبب تشربنا روح هذه الأمم وآدابها — كل هذا ليس له عندنا كبير أثر . وهو حقيق أن ينسى مادمنا ندور فى فلك هذه الأمم ولو على حساب كرامتنا ، وتقاليدنا ، وديننا ، وصالحنا السياسى والاقتصادى والاجتماعى !

إن حياتنا بنت تصورنا وتفكيرنا . فإذا كان تصورنا إسلاميا ، كانت حياتنا إسلامية . وإذا كنا لادينيين فى التصور والتفكير كانت حياتنا لادينية . وعلينا الآن أن نختار ؛ إما أن نتجه إلى الله الذى منحنا دستورا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإما أن نتجه إلى هذه الدول (العريقة !) التى أذاقتنا المر ، وألبستنا الهوان ، وباعتنا فى أسواق النخاسة الدولية — نعمل بدساتيرها ، ونحتكم إلى قوانينها

محمود عبد العزيز محرم

رسالة الشعر

ديوان مجد الاسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

مسجد المدينة

المسجد الثانى يقام بيثرب   و(محمد البانى) يجد ويعمل (١)

(عمار) أنت لها وليس ببالغ   عليا المراتب من يكل ويكسل (٢)

إن يثقل العبء الذى حملته   فلما يحمل ذو التباعة أثقل

ماذا بلغت من السناء على يد   أدنى أناملها السماك الأعزل ؟

مسحته ظهرا منك طال منيفه   حتى تمنى لو يكونك (يذبل) (٣)

هذا «رسول الله» فى أصحابه   لا يشتكى نصبا ولا يتمهل

يأتى ويذهب بينهم فلثم   بالترب ، يغشى وجهه ومكال

من كل قوام على أثقـــاله   سام ، له ظهر أشم وكلكل (٤)

ما كان أحسنها مقالة زاجر   لو كان يعرف حكمتها المتمثل (٥)

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، فقال له الرسول الكريم : ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ فقال : لبنة عنى يارسول الله ولبنة عنك، فنفض صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره   (٣) اسم جبل فى بلاد العرب   (٤) الكلكل الصدر .   (٥) كان عثمان بن مظعون رضى الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب ، فإن أصابه شئ من التراب نفض ، فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وأنشد يفاكهه :

لا يستوى من يعمر المساجدا   يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمان وأغلظ له القول وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها

هتف الإمام بها، فراح يعيدها   ثم انثنى متلطفا يتنصل

(عمار) يالك إذ تلام ، ويا له   من ذى محافظة يلوم ويعذل

هجت ابن مظعون فأقبل غاضبا   حنقا ، يجيش كما يجيش المرجل

ولقد يحيد عن التراب إناقة   من لا يحيد عن الضراب وينكل

مهلا (أبا اليقظان) (٦) قرنك (٧) باسل   وأخوك فى جـــد الوفى لا يهزل

والن أهاب الله (يال محمد)   صونوا الحمى، لهو الأشد الأبسل

السيف يعجز أن ينال غراره (٨)   ما ليس يعجز أن ينال المعول

أبو بكر يؤدى ثمن الحائط الذى أدخل فى المسجد (٩)

إيه (أبا بكر) ظفرت بصفقة   شتى مغانمها لمن يتأمل

القوم عند إبائهم وسخائهم   لو يبذلون نفوسهم ، لم يحفلوا

لا يقبلون لحائط ثمنا ولا   يبغونها دنيـا تذم وترذل

الله يطلبه لنصرة دينـــه   والدين هم أنصاره ، مابدلوا

قالوا : أمنا يا (محمد) نبتغى   ماليس يخلق بالأباة ويجمل ؟

إنا لعمر الله نعرف حقه   ونعز ملته التى نتملل (١٠)

نعطى (اليتيمين) الكفاء (١١) وإن هما   أبيـــا ، ونتبع التى هى أنبـــل

خذما أردت فلن نبيعك مسجداً   يدعوه فيـه مكبر ومهلل

هو ربنا ، إن نالنا رضوانه   فلنا المثوبة والجزاء الأكمل

° ° °

إيه (أبا بكر) خليلك مطرق   يأبى ، وأنت بما يريد موكل

(٦) كنية عمار   (٧) قرن الرجل كفؤه ، ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها   (٨) غرار السيف حده   (٩) أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضم إلى المسجد حائطا ليتيمين من الأنصار كانا فى كفالة سعد بن زرارة ، وقيل معاذ بن عفراء ، وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصارى أن يؤدى الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبى بكر ، وقال الغلامان : نهبه لك يارسول الله ، فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن . وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأولى فى المسجد ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة

(١٠) تملل الملة دخل فيها   (١١) كفاء الشيء ما يساويه

لا بد من عمن يكون أداؤه   حكما يطاع ، وشرعة ما تهمل

لولا الرسول وما يعلم قومه   جهل المحجة ظالم لا يعدل

وإذا قضى أمراً ، فما لقضائه   رد ، ولا فى غيره متعلل

الحق ما شرع (النبى) وباطل   ما يدعى المرتاب والمتأول

لا بد من عمن ، واست بواجد

فى القوم من يضح(١٢) الصواب فينفل

أمر (الرسول) به فدونك أده   ولأنت صاحبه الكريم الأفضل

يا باذل الأموال ، نلت ببذلها   مالم ينل فى المسلمين ممول

أتبعت نفسك ماملكت فمهجة   تنهال طيعة ، وكف تهطل

بلال يؤذن للصلاة

أذن بلال لك الولاية لم تتح   لسواك ، إذ تدعو الجموع فتقبل

الله ألبسك الكرامة واصطفى   لك ما يحب المؤمن المتوكل

يا طول ما عذبت فيه ، فلم عل   تبغى التى انبع الفواة الميل(١٣)

(أحد)إلهك ما كذبت ومالمن   يرجو النجاة على سواه معول

أرنى يديك : أفيهما (لأمية)   ورد من الموت الزعاف منهل ؟

للسيف سيف الله أهول موقعا   من صخرة تلق ، وحبل يفتل

لك فى غد دمه إذا التقت الظبى   تحت العجاجة والرماح الذبل(١٤)

أذن ، فإن الدين قام عموده   ورست جوانبه ، فما يتقلقل

هبط الجزيرة ، فاحتوى أطرافها   وانساب فى أحشائها يتغلغل

فكأنما طرد السوائم(١٥) ضيغم

وكأنما ذعر الحمائم أجدل(١٦)

***

خف الرجال إلى الصلاة وأنها   لأجل ما تصف الصفوف المثل

عنت الوجوه فرا كع متخشع   يخشى الإله ، وساجد متبتل

صلوا بنى الإسلام خلف نبيكم   وخذوا بما شرع الكتاب المنزل

الله أيدكم به ، وأمدكم   منه بنور ساطع ما يأفل

آثرتم السنن السوى ، فجدكم   يعلو ، وجد ذوى المهابة يسفل

هل يستوى الجمعان هذا صاعد   يبنى ، وهذا ساقط ينهيل ؟

يتألفون على الهوى وقلوبهم   (شتى) يظل شعاعها يتزيل

نصر على نصر ، وفتح بعده   فتح يغيظ المشركين معجل

إن امرأ جمحت به أهواؤه   من بعد ما وضح الهدى لمضلل

الحق باب الله هل من داخل؟   طوبى لمن يبغى الفلاح فيدخل

---

(١٢) مضارع وضح

(١٣) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره فى الرمضاء ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيأبى . وكانوا يدفعونه إلى الصبيان فيربطونه بحبل ، ويطوفون به شعاب مكة ، وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر فاشتراه من أمية ابن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضى الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون فى الله . (١٤) قتل بلال رضى الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله :

هنيئا زادك الرحمن خيراً   لقد أدركت ثارك يا بلال

(١٥) شرحها الناظم ولم يثبتها ، والسوائم جمع سائمة ، للماشية تذهب فى المرعى « نعم » (١٦) الأجدل الصقر

الكتب

في مباه الفهم

أم كلثـــوم

تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

الغناء روح النفس، وروح القلب، يزيل الشجو بالشدو، ويبعد الآلام بالأنغام، وإذا توائم الصوت المعبر، واللحن المصور، كان التحليق والسمو. ولعل أجل المواهب ما تعاطف «المشاركة الوجدانية» وما تؤالف النزعات الإنسانية، فالشعر، والغناء، والموسيقا، يكمل بعضها بعضا في موكب الفن الرفيع، فالموهوبون في هذه الألوان ينغمون المشاعر، ويثار كون الأفئدة في اتجاهها الوجداني. والتعبير «فن» قبل أن يكون أداء. وقد أودع الخالق في الحواس القدرة على التذوق؛ فالأذن موصلة النغاغيم في تأثر وانعطاف وإشباع، وهي صادقة الحكم ما دامت تتفاعل معها مثيرات الوجدان، لذلك عظم شأن التغني وارتفع قدر اللحن. أليست اللغة في أول أمرها أصواتا؟ أليس التعبير عن الإحساس كان مقاطع ساذجة تدل على الغرض؟

بلى، فالصوت أصل أصيل في قوة التأثير والتأثر، و«الأوتار» الواهبة جمال الصوت نزوة إلهية أودعها المبدع الأعظم لتكون نعمة من نعمه الجليلة! وإن النعمة الممنوحة للشرق المكدود ممثلة في صوت «أم كلثوم» الذي يسرى عن النفوس أوجاعها، ويسرى في الحنايا سريان الكهرباء؛ فيؤثر تأثير السحر... لقد تسمعت إلى الكبد الحرى التي كانت ترسل في التياع «يا آسى الحى هل فتشت في كبدى» وكنت في استهلال صبوتى أجنح بخيالى الصغير إلى عالم روحى بحت، وعشت في هذا اللحن أتهنه الأنة في صدرى؛ فترسل الزفرة، وتريق العبرة، وأحسست في أعماق أن الشادية خالدة، لأن تعبيرها «فني»، لا ترسل الكلمة مرتجلة اكتفاء بالصوت العذب، والتفريد الآمر، فكأنها تعرب مايطرب؛ وتراعى مخارج الحروف الدقيقة مراعاة فيها العجب العجاب. وهذا هو الفرق بينها وبين سواها، وهو عينه ما دعا الأديبة «نعمات أحمد فؤاد» أن تعرض لحياة «أم كلثوم» في كتاب دقيق، أنيق، شائق، رائع

لقد تميز أسلوب هذا الكتاب بالأصالة التعبيرية الفنية؛ فليس ثمت حشو، ولا إملال ولا صنعة. بل توافق، وتساوق، واتساق، في أناقة شعرية ترف بين السطور فتلمع إلى ذوق الكاتب والكاتبة!

عرضت الأديبة حياة الفنانة المبدعة عرضا في صدق وإخلاص وصفاء، ولهجت بوفاء «أم كلثوم» في غير موضع مما يدل على نقاء النفس، وطيب السريرة، وألمت إلى «تحفظها» واستحيائها وانطوائها؛ ثم انطلاقها، ومسايرتها، وانفعالها في تحفظ وتوقر، وأناة — وقد استغرق الحديث عن هذه النواحي نصف الكتاب، ولا غرو فهو تاريخ في يستدعى الإفاضة، والاسترسال، والإيضاح

* * *

هذا النزوع الفني من الأديبة دال على تأصل في الفهم، وانفعال بالفن ومظاهره، لكنها أهدت الكتاب إلى «قيثارة الله» وهذه الإضافة لا تقع في نفسي موقع القبول، وكان في مقدور الكاتبة أن تهديه إلى «منحة السماء» أو «هبة الخالق» أو ما أشبه التسمية التي تؤدى القصد من دون تحرج ولبس. ولا يقال إن للفن تعبيره الذي لا يتقيد بقيود؛ فهو متصل بالروح المجرد، لأن الأديبة قالت في موضع آخر معبرة عن رأى «أم كلثوم» في حقيقة الفن «والفنان» فأهمة تعابير «الخيام» أنه: «إذا استكشف فاعل المفكر ما وراء الأشياء، وشرب الخمر شاربها بعقيدة أنها تخلصه من عالم المادة وتساعده على النفاذ والمضى إلى ما وراءها؛ فهو ليس بآثم في نظر الفن» ثم تقول في موضع آخر ص ١٣٠: «الفنان كالصوفى لا يتحرج من الأشياء تحرجا ظاهرا كتحرج الفقيه؛ بل الخيرية والشرية عنده تتوقف على النية» هذا كلام وقفت عنده لأنه تخريج بعد عن القصد مما يتجه إليه المذهب الصوفى في أرق مظاهره؛ فالتصوف يتجرد عن المادة ليصل إلى الذات، وما جاء مشكلا رد إلى الحقائق

البريد الأدبي

١ — عقاب تذكر وتؤنث :

جاء في الصفحة « ٢٥٥ » من كتاب « من أسرار اللغة » للدكتور إبراهيم أنيس ما يلي :

لعل شوقي حين قال :

أعقاب في عنان الجو لاح ... أم سحاب فر من هوج الرياح

ولم يؤنث الفعل « لاح » رغم أن « العقاب » مؤنثة كان في ذهنه مثل هـذه الظاهرة التي جاءت في شعر القدماء ويعني الدكتور قول الشاعر :

فإما تريني ولي لمة ... فإن الحوادث أودى بها

إشارة إلى تأنيث « الحوادث » وتذكير « أودى »

والحقيقة أن شوقي لم يخالف اللغة لأن العقاب كما في معاجم اللغة طائر يطلق على الذكر والأنثى . وهي من الأسماء التي يجوز فيها التذكير والتأنيث « كعقرب ، وسلاح وسكين وقفا وقيص .. الخ . » وجاء في الصفحة « ٥١٦ » من دائرة معارف القرن العشرين الطبعة الثالثة أن العقاب طائر من الجوارح يذكر ويؤنث ويجمع على أعقب وعقبان وعقابات . وقد عرف العرب هذا الطائر واشتهر لديهم فضربوا به المثل في العز والمنعة فقالوا أمنع من عقاب الجو

قال الشاعر :

ما أنت إلا كالعقاب وأمه ... معروفة ، وله أب مجهول

فمنهم من يذكر العقاب كشوقي وكقول شاعر مجهول الاسم حيث يقول :

لقد لج الخباء على جوار ... كأن عيونهن عيون عين

كأني بين خافقتي عقاب ... يريد حمامة في يوم غين

ومنهم من يؤنثها كقول المتنبي

يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب

كما هو في الصفحة (١٥٥ من الجزء الأول من شرح ديوانه لعبد الرحمن البرقوقي . هذا ما أردت الإشارة إليه وعند علماء اللغة الفصل اليقين ..

المجردة ، أما « النية » فقدر مشترك لا يمكن الحكم عليه حكما ذاتيا ، وإباحة الفنان المعصية باعتماده على « حسن النية » لا يخرجه عن الإثم ، فالملابسة أقوى دليل على العزم ، والعزم مظهر النية ومدلولها ، وهذا الاتجاه في فهم التصوف يتلاقى مع قول بعض المفرقين : « اعص الله لتعرف كيف تبكي وتعبده » !

على أن ذكر « الخمر » في الكلام الصوفي ليس القصد منه مادتها ؛ بل الغرض « الغفلة عن تذكر الذات العلية » ؛ ومجرد التغافل يعد إثما لدى الخواص وخواصهم من الواصلين..ولذلك يقول « الخيام »

أسكرني « الإثم » ولكنني ... صحوت بالآمال في رحمتك

والتعبير بقوله « صحوت » رمز إلى مدلول التطابق في « أسكرني » المعطي معنى الغفلة لا الاحتساء !!

ه ه ه

هذه ناحية دقيقة كنا نود أن تعرض لها الأديبة عرضاً فيه إلمام وتحر للحقيقة ! ولا نشك في الإيمان العميق في قلب « أم كلثوم » إلى درجة تساميها عما تغني ، وترفعها عن سوقية الأغاني وماديتها !

أما « الإيمان الواسع الأفق الذي يتسامى عن الظهور بالتزمت والتحرج » ص ١٣٢ فلا نقر الأديبة عليه ، لأن الإيمان فيه تصديق متصل بعمل ، ولا نعرف مدى التسامي به إذا لم يترفع عن الريبة ويتحصن بالتحرج!

وبعد ؛ فإن هذا الكتاب تحفة فنية ، تدل على استعداد فطري في صفاء الأسلوب بحسن ديباجته ، وروعة أدائه ، ونقاء عباراته ، ولعل دراسة أغاني « أم كلثوم » هي اللامعة إلى مدى تغنم الأديبة بالذوق الرفيع !

أحمد عبد اللطيف بدر

٢ — زيادة فى الوزن :

قرأت فى العدد « ٩٨٩ » من مجلة الرسالة الغراء قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى بعنوان « شعلة المجد » وجدت فى البيت التالى منها خروجا من الوزن بزيادة « تفعيلة » واحدة فى العجز وهى من بحر « الكامل »

الشاعر الحى الشعور نشيده من قلبه ذوب ومن إعانه الإيحاء

فما هو قول شاعرنا الرقيق ؟!

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

توحيد مناهج التاريخ فى البلاد العربية

من أهم ما تسعى إلى تحقيقه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية هو تنشئة جيل عربى يمتز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد . ورأت أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التى تحقق هذه الأهداف ، فدعت إلى تأليف لجنة من الخبراء فى التاريخ لوضع قواعد عامة يسترشد بها فى تأليف كتب التاريخ المدرسية فى البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة فى هذه المادة فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى ، وقد تألفت هذه اللجنة برئاسة حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية وعضوية حضرات الملحقين الثقافيين بالمفوضيات العربية بالقاهرة وحضرات : صاحب العزة الدكتور محمد مصطفى زيادة بك ، الدكتور إبراهيم نصحى بك ، الدكتور أحمد بدوى ، الدكتور أبو الفتوح رضوان ، الأستاذ على إبراهيم عبده

وقد عقدت عدة اجتماعات ناقشت فيها شتى المسائل المتعلقة بكتب التاريخ المدرسية كالنظام المتبع فى تأليفها واختيارها ، ومادة الكتاب المدرسى فى علم التاريخ ، ونسبة الموضوعات بعضها إلى بعض ، ونصيب التاريخ القومى والتاريخ العربى والتاريخ العالمى فى هذه الكتب ، والروح التى تعالج بها المسائل التاريخية ، والمصادر التى تستقى منها المعلومات وهكذا . وقد عالجت اللجنة هذه المسائل وغيرها من ناحيتين : الأولى ما يسير عليه العمل فعلا فى الوقت الحاضر فى البلاد العربية المختلفة ، والثانية ما يجب أن يراعى فى المستقبل عند تأليف كتب التاريخ لهذه البلاد الشقيقة

ورأت اللجنة أن تقسم البحث إلى شعبتين : الأولى خاصة بكتب التاريخ المدرسية فى المدارس الابتدائية والثانوية . واستندت اللجنة فى هذا إلى مختلف العوامل التى تحدد الكيفية التى يكتب بها كتاب مدرسى فى التاريخ وإلى اختلاف هذه العوامل فى حالة كل من التعليمين الابتدائى والثانوى . إذ لاشك فى أن غرض كل من التعليمين يختلف عن الغرض من الآخر ، وأن الخصائص السيكلوجية التى يتمتع بها الطفل فى المدرسة الابتدائية هى غير الخصائص التى يخضع لها المراهق فى المدرسة الثانوية . كما أن المادة وطرق علاجها ووسائل توضيحها وكيفية عرضها تختلف كثيرا باختلاف مراحل الدراسة ، وهو اختلاف قائم على اعتبارات اجتماعية ودراسية وسيكلوجية مقررة .

ورأت اللجنة أنه لامندوحة من إقامة بحثها وقراراتها على ضوء ما هو حاصل فعلا فى هذا الميدان فى البلاد العربية المختلفة . ولهذا قررت أن تدرس أولا كتب التاريخ المدرسية المقررة فى مختلف البلاد العربية دراسة فحص وتحليل وتقويم . فقسمت أعضاءها بحسب تخصصهم وكلفت كل مجموعة بفحص الكتب المتعلقة بموضوع تخصصها وتقديم تقرير عنها ، ثم ناقشت اللجنة مجتمعة كل هذه التقريرات مناقشة أدت إلى اتفاق الجميع على القواعد العامة والمناهج التى تقدمها اللجنة باسمها ، وقررت اللجنة أن يكون المدار فى تقويم الكتب المستعملة الآن وفى تقرير القواعد العامة والمناهج التى ستتقدم بها هو ذلك التقرير القيم الذى وضعته شعبة التاريخ فى المؤتمر الثقافى العربى الأول الذى انعقد فى لبنان فى صيف سنة ١٩٤٧ ، والذى أدرج ضمن « مقررات المؤتمر » الذى نشرته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية فى القاهرة فى سنة ١٩٤٨ فدرس أعضاء اللجنة فرادى ومجتمعين هذا التقرير القيم واسترشدوا به

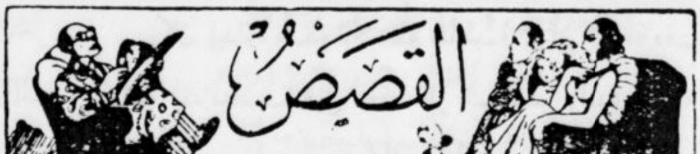
ورأت اللجنة أيضا ضرورة الاسترشاد بتقرير لجنة الخبراء الدولية التى دعتها هيئة اليونسكو إلى الاجتماع بدار الهيئة بباريس فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ لدراسة طرق تدريس التاريخ وكتبه المدرسية والوسائل المؤدية إلى استخدام ذلك فى تحقيق التفاهم

بين الشعوب

وقد استغل كل عضو من أعضاء اللجنة ما تحت يده من الموارد الخاصة كـكتب التاريخ المدرسية المقررة فى الأجزاء الأخرى من العالم كالولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا، وكتب الطرق الخاصة بتدريس التاريخ ومطبوعات هيئة اليونسكو

وفوق هذا كله استفادت اللجنة بما يعرفه كل عضو من أعضائها من حاجات الدول العربية الشقيقة فى هـذه الحقبة الدقيقة من تاريخها وما تستلزمه هذه الحاجات من التعاون، ولا شك فى أن التعاون الفكرى والثقافى هو أساس كل تعاون سياسى واقتصادى ، والدول العربية لها من وحدة ظروفها التاريخية ومقوماتها الروحية والثقافية واللغوية المشتركة ما يمكن أن يكون أساسا متينا للتعاون فى غير ذلك من ميادين الحياة يندر أن يوجد فى أى مجموعة أخرى من دول العالم . وعلم التاريخ هو جماع كل هـذه العوامل المشتركة ومن ثم وجب أن يعتمد عليه فى هذه الأمم الشقيقة فى توطيد أواصر المودة والتفاهم بين أجيالها الناشئة

وقد انتهت هـذه اللجنة من عملها وقدمت تقريرها إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية توطئة لعرضه على اللجنة الثقافية للجامعة العربية فى دورتها القادمة التى ستعقد فى عمان فى ١٦ أغسطس ١٩٥٢ لإقراره وتوصية حكومات الدول العربية بتنفيذ المقترحات الواردة به



اللص الثرثار

عن الانكليزية

لما أضيئت الغرفة فجأة شعر اللص بالخطر ، وكان هذا اللص يلقب بين أصحابه بالدوق لجرأته على اقتحام المنازل ولحسن طلعته وهيئته. وقدقضى أكثر من عشرة أعوام فى مخاطراته دون أن يعتقل مرة واحدة. لكن الخوف يعترى أجرأ اللصوص عند وقوع الخطر

وكان البيت مكونا من طابقين : أما الأول فهو إدارة جريدة، وأما الثانى فهو مسكن رجل من الأغنياء كان مسافراً وكان البيت خالياً من السكان فجاء هذا الدوق ليسرقه على هذا الاعتقاد لكنه لما دخل من النافذة وجد الغرفة مظلمة ورأى فى وسطها منضدة وشم رائحة فأدرك أن فى المنزل سكاناً لأن الرائحة هى رائحة ويسكى ، وكانت الزجاجة موجودة على المنضدة وبجانبها كأس وزجاجة من الصودا . ولما كانت النافذة لا تزال مفتوحة فقد تردد الدوق وهم بالعودة . ولكن فى هذه اللحظة أضيئت الغرفة ووقف عند الباب رجل فى يده مسدس وهو يقول : « من هذا ؟ »

فأجاب اللص : « حسن ، استدع البوليس »

قال صاحب المنزل : « سأفعل » وفى نفس اللحظة دخلت سيدة فاختفت وراء صاحب المنزل وسألت : « ما هذا ؟ »

فقال صاحب المنزل : « اذهبي فارتدى المعطف وعودى إذا شئت فانظرى لصا من أشهر اللصوص » وقال : « ألست الوغد الذى يدعونه بالدوق ؟ »

فابتسم اللص وقال : « نعم أنا الدوق ولكننى لست وغدا »

وكان الدوق فى الخامسة والثلاثين مهيب الطلعة يحمل وقاره رجال البوليس على رفع أيديهم بالسلام عند مايرونه . وكانت ثيابه ثمينة وصوته ينم على السيطرة والنفوذ ، وقال له صاحب المنزل : « ابق هنا » ثم مشى نحو آلة التليفون فجلس اللص أمام المنضدة ووضع رجلا على رجل كأنه جالس فى منزله أو كأنه ضيف كريم

وطلب صاحب المنزل قسم وليس « لايم ستريت » فقال اللص : « بل اطلب قسم بوليس (واردوو) فهو أقرب مكاناً ونحن تابعون له »

قال صاحب المنزل : « كما تريد » وطلب القسم الذى أشار به الدوق ، ثم قال فى سماعة التيلفون . « من ؟ مفتش البوليس ؟

أرســـل بعض جنودك الآن . أنا السير براندون برتون — شـارع كوربرى رقم ١٦٢ — عندى لص . الأمر لا يدعو إلى عجلة شديدة فإنى أستطيع الانتظار حتى يحضر الجنود »

ثم ألقى السير برتون بالسماعة والتفت إلى اللص الجـالس أمام المنضدة وقال : « مرحبا بك ! » فقال الدوق : « إننى أعلم منك بأقسام البوليس؛ وأنا فضلا عن ذلك أحب قسم واردور فإن سجنه من السجون الجديدة النظيفة » فقال السير : « إننى لم أر لصا أبرد منك . مامقدار العقوبة التى تظن أنه سيحكم عليك بهـا ؟ » ففـكر الدوق لحظة ثم قال : « خمسة أعوام لأنهـم سيسجنوننى مدة سابقة بسبب حكم لم ينفذ . وقد كنت فى الواقع لا أريد دخول هذا المنزل بل المنزل المجاور وهو نادى السباق »

مضت بعد هذا فترة فى صمت ثم قال السير وهو يشير إلى زجاجة الويسكى : « اشرب كأسا إذا شئت »

فشرب وشكره ومضت فـترة صمت أخرى . ثم قال السير برتون : « ولـكن لمـــاذا كنت تريد أن تدخل فى نادى السباق ؟ »

فقال الدوق بلهجة تنم على الوثوق التام : « لقد كنت أعلم من قبل باسم الجواد الذى سـيربح فى السباق المقبل » فابتسم السير وقال : « أنا كذلك أعلم »

فهز الدوق رأسه وقال : « أنت مخطىء فقد تغير العزم على منح الجـائزه لجوادك « ويت لادى » الذى كنت تعتقد حتى هذه اللحظة أنه صاحب الجائزة »

فامتقع وجه السير لما رآه يصرح باسم الجـواد وصاحبه . وقد كانت الحقيقة أن التدبير جرى من قبل فى النادى على أن ينال هذا الجواد الجائزة

ثم قال اللص : « وكنت قد اشتريت أوراقا المراهنة على جوادك ، ولـكننى بعتها واشـتريت بمائة وخمسين جنيها أوراقا أخرى على الجواد الآخر لـكى أربح خمسة آلاف جنيه وحـلت أصدقائى من اللصوص على مثل ذلك »

وكانت لهجة الثقة التى يتـكلم بها اللص داعية للسير برتون على تـكرار الابتسام وقال : « لـكنه من المحتمل أن تخسر » فقال الدوق : « إن هذا محتمل — لـكن البوليس تأخر كثيراً »

وكان إبداؤه هـذه الملاحظة مناسبـة هى أن الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل . وقد نظر إليها اللص وأبدى تعجبه من ارتفاع صوتها حينما تدق دقة مزعجة مع أنها من أغلى طراز . فلم يجبه السير على هذه الملاحظة ولـكن سأله : « ما اسم الجواد الآخر ؟ »

قال الدوق : « ليس من حقى أن أخبرك لأن مصدر علمى يتعلق بحادثة غرامية بين رجل أعزب وبين امرأة متزوجة . ولو أخبرتك باسم الجواد فقد تعرف هذه المرأة . وأرى مما يتنافى مع شرف الـكبار من اللصوص أن يفعلوا ذلك . لقد كنت أسرق منزلا لأحد الأغنياء فوجدته مستيقظا ومعه امرأة فاضطررت إلى الاختباء وسمعت الحديث الذى دار بينهما وهو عن التدبير الذى تم لتغيير الجواد الرابح . وقد كان هـذا التدبير لمصلحة الرجل وبواسطة تلك المرأة

وهنا دخلت اللادى برتون وقد دهشت عندما وجدت زوجها واللص يتحادثان كأنهما صديقان ووجدت اللص جالساً مطمئنا . وزادت دهشتها عندما وقف اللص ووقف زوجهـا للترحاب بها عند الدخول . وقالت لزوجها : « ما الذى فعلت ؟ ألم تستدع البوليس ؟ »

فتناول اللص كرسيا وأشار إليها بالجلوس فجلست وهى فى غاية الدهشة مما تراه

وقال السير : « اسمعى ما يقوله الدوق . لقـد أخبرنى بأن العزم تغير فى نادى السباق ولن ينـــال الجائزة جوادنا « وايت لادى »

فنظرت اللادى فى حيرة إلى اللص وقالت : « ما هو الجواد الأخير ؟ »

فقال : « لا تسألينى فإن القصة تمس شرف إحدى السيدات ، وقد كنت منذ أسبوع أسرق بيت رجل غنى فجلست فى غرفة الاستقبال . وكان فى غرفة النوم سيدة متزوجة تتآمر مع الرجل على موضع السباق »

ولاحظ الدوق ارتباك السيدة مما بدا فى نظراتها وصوتها . ولكن السير كان بطىء الملاحظة فلم يدرك شيئا من ذلك

وقالت اللادى : « وهل رأيت السيدة ؟ »

فقال : (لقد لمحت) فقال : السير برتون (هل هى زوجته ؟)

قال : (كلا وقد قلت الآن إنها متزوجة)

قالت اللادى : (ولماذا لم تظهر نفسك ؟) فلاحظ السير على زوجته هذه الملاحظة : (وكيف يظهر نفسه ويتعرض للاعتقال ؟)

فقالت : (إنه ما كان من الممكن أن يعتقل ما دامت المرأة التى معه متزوجة)

قال الدوق بإباء وترفع : (إننى لا أستغل الأسرار ولا أتجر بسوء السمعة)

• • •

استمر اللص فى سرد ما سمعه عن تغيير الجواد الرابح فاستثار اهتمام السير لأنه وثق من صدق ما يسمع لما فيه من التفاصيل من شؤون النادى

وفى أثناء الكلام دق الجرس فاستأذن السير من اللص وذهب إلى الباب . وفى أثناء غيبته التفتت اللادى إلى اللص وقالت : (أرجو أن تصارحنى الآن ، أليس المنزل الذى سمعت فيه هذا الحديث هو منزل اللورد آرثر جريفزلى ؟)

قال : « نعم ولكن ما يدريك ذلك ؟ »

فقالت اللادى « دع هذا التجاهل فإننى السيدة التى كانت هناك . ألم تكن الليلة ليلة الأربعاء ؟ »

قال اللص : « أأنت مجنونة حتى تعترفى أمامى بمثل هذا الاعتراف ؟ لكن سرك على كل حال مصون فى قلب يكتم الأسرار، وقد كانت الليلة ليلة السبت وكانت المرأة امرأة غيرك »

وقد كان اللص يحسب هذا القول مطمئنا لها ولكنه أخطأ فإن هذا القول لم يزدها إلا انزعاجا . وألحت عليه أن يخبرها باسم المرأة الأخرى .

وقالت إنها لاتهتم لنفسها ولا تعبأ بالسر ولكنها تهتم لأن اللورد يدعو إلى منزله امرأة غيرها . وأخذت تلعن وتسب وتقسم أنه لن يكون بينها وبين اللورد علاقة »

وفى أثناء الحديث عاد السير برتون وقال إن الذى كان يدق الجرس هو رجل البوليس وإنه صرفه بأكذوبة اخترعها وإنه يرجو من الدوق أن يخبره باسم الجواد الآخر

قال الدوق ! « لاتتعب نفسك فإنى لاأسمح بذكر حديث يؤدى إلى معرفة المرأة » فقال السير : « عجيب والله أن يأتى لص فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليلقى علينا درسا فى الأخلاق . قل وسأعطيك ماتريد من المال » فأبدى اللص علائم الاشمئزاز

وقالت السيدة لزوجها : « ليس مما يتفق مع مكانتك أن تساوم مثل هذا الرجل على ما أفهمك أنه سر »

ولكنها رأت إصرار زوجها وتشبث الدوق وضاق صدرها بسرها وشعرت بأنها أحرجت فقالت : « إن الرجل الذى يتحدث عنه هو اللورد آرثر جريفزلى والجواد الرابح جواده»

وقف الدوق مغضباً وقال : « هذا سر خنته »

ولكن اللادى خرجت باكية متعثرة وقد عرتها رعشة المضطرب فتبعها زوجها . ووقف اللص وحده وهو نادم على إفشاء السر أكثر من ندمه على أنه سارق

وبعد ساعة عاد السير برتون وهو أصفر الوجه خائر القوى وقال : « إن اللادى اعترفت لى بالحقيقة كلها وهى ترجو مكافأة على إطلاق حريتك الليلة أن تسرق لها الخطابات التى كتبتها إلى اللورد آرثر »

فوعده الدوق بذلك

وفى الليلة التالية كان اللورد آرثر فى حجرة مدير البوليس السرى ليساعده على استكشاف جريمة

قال المدير ! « ما هو الشئ المسروق ؟ » فقال : « رزمة من الخطابات يظهر أن اللص حسبها أوراقا مالية »

فقال مدير البوليس : « وما فائدة البحث عنها ؟ إن اللص سيمزقها كما كنت تفعل لو أعيدت إليك »

لكن مدير البوليس كان مخطئا فإن اللص أخذها ليردها إلى اللادى برتون وقد نال فى مقابل ذلك جائزة هاجر بها من إنجلترا إلى أمريكا وترك مهنته الدنيئة

ع . ه

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٦ — ٤ أغسطس سنه ١٩٥٢ — السنه العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

وأخيرا ظهر القائد المنتظر ! ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٨٥٣

الحاجة إلى الجذور ... ... : الدكتور عمر حليق ٨٥٤

خروج المتنبي من مصر ... ... : لصاحب العزة أحمد رمزى بك ... ٨٥٧

هل المسيحية فى ازدهار ... ... : للأستاذ عبد الكبير الفاسى ... ٥٨٩

من آثار السيدة زبيدة ... ... : « المغربى ٨٦٢

درس مطالعة ... ... : « محمد على جمعة الشايب ٨٦٣

آراء جون ديوى فى التربية ... : « حسن محمد آدم ٨٦٥

الولاة والعمال فى الإسلام ... ... : « عواد مجيد الأعظمى ... ٨٦٦

العباسى شاعر السودان ... ... : « عبد القادر رشيد الناصرى ٨٦٨

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ... ٨٧١

إلى مجلس الدولة ... (قصيدة) : للأستاذ محمد يوسف المحجوب ... ٨٧٢

حتى النساء ... ... (قصيدة) : « » » » » ... ٨٧٢

(الكتب) — وحدى مع الأيام — الشاعرة الآنسة فدوى طوقان — ٨٧٣
للأستاذ كامل السوافيرى ... ...

(البريد الأدبي) — رسالة فى أدب البشرى — تحية طيبة — على ٨٧٦
هامش الحياة — إلى الأستاذ حبيب جاماتى ...

(القصص) — عودة الروح — للكاتب الفرنسي — تيودور دى بانفيل ٨٧٩

Le Caire 4 - 7 -

20me. année No 996

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٦ «القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

وأخيراً ظهر القائد المنتظر!

كانت بلية مصر العظمى أن تزعمها نفر من المحامين صناعتهم الجدل، وبضاعتهم الوعود، ووسيلتهم الخطب، وغايتهم المناصب. أكثرهم يقولون الحق ويفعلون الباطل، ويذكرون الأمة ويريدون الغنيمة؛ وأقلهم يطلبون التحرير، ويرغبون الإصلاح؛ ولكن قصاراهم أن يخطبوا ما أسعفهم الريق، وأن يكتبوا ما واتاهم المداد، وأن يتظاهروا ما أمكنتهم الفرص، وأن يهتفوا ما أطاعتهم الحناجر! ثم احترف الطاعون منهم الدفاع عن القضية الكبرى لأنها أوفر ربحا وأيسر كلفة، فكان من غرضهم أن تعرض، ومن مصلحتهم أن تطول! ثم انقلب هؤلاء المحترفون صيادين في بحر زاخر بالخلاف والفساد والفوضى، بعضهم يطمع في اللآلئ، وبعضهم يقنع بالجيف؛ والشعب المظلوم المحروم يصارع الأمواج الرعن، ويجابه الصخور الصم، ويستغيث فلا يرى إلا الشباك الجارفة تغرق أشلاءه وتجمع أسلابه! وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ويحسب كل عامة خاصة نشأته جدودنا العواثر تنشئة الوارث العابث المتبطل، فلم ينل ما يناله الإنسان العادى من التربية والتعليم، وإنما ثقفه الفراغ في الرأس والنفس والضمير ثقافة الفجار من أمراء بيته، فصاد الطير وقاد السيارة ولعب الورق وأطلق المسدس!

كانت غاية همه أن يغني وأن يطغي وأن يحكم. ولم تكن غايته من الغنى أن يخفف شدة الفاقة عن رعيته، ولا من الطغيان أن يكفكف شرة الحزبية عن أمته، ولا من الحكم أن يوجه سير النهضة في بلاده. إنما كانت غايته من هذه الرغائب الثلاث السرف والترف والفحشاء والمنكر والبغى!

تناصر هذا الملك اللاهى وأولئك الساسة المحترفون على إذلال هذه الأمة ففرقوا كلمتها، وعوقوا نهضتها، وبددوا ثروتها، وسوأوا سمعتها، ودفعوا بها إلى هوة من هُوى الفساد لا سبيل بها لنجاة، ولا بصيص فيها لأمل. فلم يكن بد من أن يظهر في مصر مصطفى كمال ليعيد الروح إلى الجسد الميت، ويرد السكون إلى النظام الفاسد! وما محمد نجيب إلا الرجل الذى ادخره الله لهذا اليوم لتنكشف به غمة، وتحيا بفضله أمة، وينصلح على يده عهد، ويبتدئ باسمه تاريخ! وإن مصر التي حلمت به كثيرا في ليلها الطويل، وانتظرته طويلا في سجنها المظلم، لترجو منه أن يكون لها ما كان كمال من تركيا: يطهر الحكم كما طهر المُلك، ويرفع الشعب كما رفع الجيش، ويقيم الدولة والحكومة والأمة على أسس جديدة من الخلق الفاضل والعدل الشامل والخير المحض والعلم الصحيح والعمل المثمر لا يثبت عليها دجل، ولا ينفق فيها غش، ولا يتطرق إليها فساد

لقد كان فرعون المطرود قادرا على أولئك كله لو أراد؛ ولكن الله الذى يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، لم يرد هذه النعمة إلا لمحمد نجيب. فلتكن إرادة الله!

احمد حسن الزيات

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

فى تراث الماضى ورواسخه ذخيرة من الطمأنينة الروحية جيلنا المثقل بالأعباء فى حاجة إليها . وفى النفس رغبة ملحة لأن تعادل فى نباهة بين ما تتشوق إليه فى الحياة اليومية من هناء وطمأنينة واستقرار ، وبين ما يكتنفها من قلق وفتنة وتشويش مبعثه تسيار الحوادث وطبيعة التيارات الفكرية التى تعصف بالمرء فى طور الفتوة العقلية فى حاضر جيل كجيلنا مشحون بشتى أنواع الصراع

فهذا الجيل عجيب بين أجيال التاريخ . ولد فى أهوال الحروب، ورضع من دم الثورات ، وشب فى عهود الفتن والانقلابات ، وفى عواصف الفوضى الثقافية والعاطفية التى تنقلها إليه مواصلات فكرية سريعة ربطت أركان المعمورة بعضها ببعض فأصبحت كالدف تنقر عليه من أى ناحية فينقل الصدى إلى السامعين

وقد فرض على هذا الجيل مسؤوليات جسام . فوجد نفسه مشوش التفكير موزع الأهواء ، فقد اتسعت مداركه بالعلم الحديث وازدادت إحساساته بالتجارب فأصبح يبحث عن استقرار وحرية وانطلاق ، لا كترف يزين به رجولته ، ولكن كمعول لتحقيق الطمأنينة فى مفاهيمها العديدة — اقتصادية وسياسية وثقافية — لعله مستطيع تلبية حاجاته ، وهى تفوق فى ماهيتها وكميتها حاجات الأجيال السابقة

وفى إبان يقظة هذا الوعى يواجه جيلنا ألوانا من المغريات فينساق معها المرة بعد المرة راميا بمسؤولياته إلى الجحيم ، ولكن سرعان ما تجذبه هذه المسؤوليات إليها فى عنف وشدة لتذكره بأن المغريات فى هذا الجيل لا تنال اختلاسا ، ولا تستطيع أن تمنح المتعة الحتمة إلا إذا توافرت أسبابها الاقتصادية وأوساطها الاجتماعية ودون ذلك ستائر كثيفة نساجها من متممات البيئة وتركز الثروة وسوء توزيعها ، وما أولدته من أنظمة الطبقات واختلال الميزان الاجتماعى وما نتج عن ذلك من كبت للمواهب وقضاء على الفرص والإمكانيات ، وكل هذه عقبات منيعة لا مفر جيلنا المدرك لحقوقه وواجباته أن يجاهد للتغلب عليها

وفوق هذه المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مشكلة أهم يتخبط فيها جيلنا حين يحاول أن يوفر للنفس ذخيرة ثقافية تعينه على مواجهة هذا التحدى . فبين النفس واستقرارها فوضى ثقافية تسربت إلى جيلنا من بلبلة برامج التعليم وتنوع الغذاء العقلى والروحى الذى يغزونا من كل الجهات ، من تراث الماضى وقوته التى تهيمن على بيئتنا وتكويننا الخلقى ، ومن تيارات الحاضر وهى تيارات فيها من عناصر التشويش والتناقض ما يفرض على عقولنا وإحساساتنا صراعا لا رحمة فيه ، ندفع إليه مسيرين لا مخيرين رغبة منا فى أن نحقق لأنفسنا نهجا فى السلوك وسبيلا إلى الطمأنينة تتناسب مع ما تشبعت به عقولنا وعواطفنا من مبادئ وما تولد فى أنفسنا من حاجة إلى العيش الشريف فى عالم تشعبت مطالب العيش فيه وازدادت فى مجال الموازنة مع مطالب الأجيال السابقة

هذا والكثير من أشباهه بعض ما نواجهه من تحد . ومن ثم ألمت بشخصية جيلنا ألوان من القلق وضروب من المسؤوليات تفرض عليه أن يجد لمواجهتها حلولا سليمة

فمنا من ينساق إلى مغريات التطرف فيثور على النظم والمجتمع وبيئته وثقافته ، ويعتقد بأنه واجد الخلاص فى اعتناق هذه النظم والمبادئ المتطرفة التى يخيل إليه أنها ستوفر لأزمته أقرب الحلول وأقصر المسالك . وتاريخ الإنسانية مليء بهذا النوع من أفراد المجتمع الذين يسأمون من بطء التطور ، فيلجأون إلى التغلب عليه بسلاح التطرف فى العمل والتفكير

ومنا من ينكر على جيله تعدد المطالب وتشعب المسؤولية ، فيختار العيش فى الماضى المحافظ ويمتزج امتزاجا كليا فى تقاليده وتراثه وبيئته لعله قدر على أن يحقق مطلب النفس من الطمأنينة والاستقرار الذى يبدو له أن الجيل السابق والأجيال التى أتت قبله قد استطاعت أن تنعم بها

ولكن أكثرنا لا يرضى عن هذين الاتجاهين ، فهو لا يستطيع أن يعيش فى الماضى المحافظ فى عزلة عن تيارات الفكر والتطور الذى ألم بالحياة وبالمجتمع الأكبر . فكل شىء فى الحياة

والمجتمع تلح عليـه أن يواجه العصر بأسلحة العصر . ولـكن أكثرنا مدرك كذلك بأن التطارف والثورة على النظم ليست كفيلة بأن توفر لهم ولقومهم ماهم في عوز إليه من عدالة واستقرار فالثورة والاندفاع المتطرف في عالم تـكتنفه الذئاب لا يحقق لجيلنا مايطمحون إليه من أسس ومبادىء إلا إذا ارتضى لنفسه ولقومه أن يصبحوا فريسة لطبقة من المجتمع أو لدولة من الدول التي تتحين ميلاد الأوضاع الثـائرة فتزحف لتملأ « الفراغ » بدعوى حفظ الأمن والاستقرار . ولنا في اختباراتنا واختبارات غيرنا في كوريا وغير كوريا أمثلة وافية على ذلك

وحين يحاول أكثرنا في صدق ونباهة أن يدفع عن نفسه القلق وأن يواجه مسؤولياته السياسـية والاجتماعية والفكرية يجد نفسه تنزلق في مسلك وعر .

ففريق يندفع إلى الاعتقاد بأن جوهر الإشـكال هو توفير الحرية الديمقراطية خالية من سيطرة الذين ورثوها مع ماورثوه من مال وعقار . ومن ثم يتجه هذا الفريق إلى النشاط الحزبي مدفوعا إلى ذلك برغبة تلح عليه في أن يصلح الأداة السياسـية فيحقق لنفسه ولقومه العدالة والطمأنينة في مفاهيمها الجديدة ، واثقا من أن الحرية السياسية (على نحو ماتفسرها الديمقراطيات الغربية) ستوفرها له على أتم الوجوه وأحسنها . وهذا الفريق أميل إلى تجاهل العناصر الأخرى التي تشارك الحرية السياسية في الأهمية والقوة

وفريق آخر يختار التفسير الاقتصادي لأزماته ومسؤولياته فيجد العلة الـكبرى في تركز الثروة وفقـدان التوازن في النظام الطبقي ويتحمس لاعتناق تعاليم « ماركس » وغيره من أبنـاء الشيوعية ودعاة الاشتراكية على علاتهـا . وهذا الفريق أميل في المراحل النهائية إلى الشك في صلاح هذا التفسير الاقتصادي منه إلى الثقة به . فأنبياء الشيوعية ودعاتها لم يتطرقوا إلا من طرف غير مباشر إلى ألوان العقد والمشاكل والمسؤوليات التي يواجهها جيلنا في مجتمع عربي إسلامي هو بحكم البيئة والتراث والمقدمات وبفضل دوافعه الروحية والمادية يختلف في أوجه عديدة هامة عن المجتمعات التي عالج مشاكلها ماركس وفلاسفة الاشـــتراكية الأوروبيون . ومثل هذا الفريق مثل الطبيب الذي يعالج أمراض المناطق الحارة بالأدوية والوصفات التي تعالج بها أمراض القطب المتجمد الشمالي . وهناك فريق ثالث يشارك أقرانه في مواجهة التحدي وملاقاة المسؤوليات التي فرضت عليه ولـكنه لا يسمح لنفسه أن تقتنع بأي حل من الحلول التي اقتنع بصلاحها الفريقان الآخران . فهو لا يؤمن بأن الحرية السياســية كما تبشر بها ديمقراطيات الغرب كافية وحـدها لبناء المجتمع الجديد . فهـذه الديمقراطيات نفسها ساعية لتطعيم أنظمتها بعناصر مستجدة من تطور الفـكر والوعي في الجيل الجديد . وهذا الفريق الثـالث لا يستطيع كذلك أن يتجاهل العنـــاصر التقليدية الراسخة — الدينية والثقافية والاجتماعية — التي تعيش عليها بيئته عندما يبحث عن الحلول في تعاليم الشيوعيين والمبادىء والنظم الأخرى التي وضعها المصلحون لمجتمعاتهم التي إن شابهت مجتمعنا في وجه فإنها تختلف عنها في أوجه أخرى

وفي هذا الفريق نزعة كامنة — سمها ماشئت دينية أو قومية تصر على أن يرعى تراث الماضي وذخيرته، وهذه المقدمات والعناصر الخالدة التي تطفح بالروعة وتمتلىء بالطمأنينة والاستقرار في عالم يكتنفه التفـكك والعقد والأزمات الروحية والمادية

وهذه النزعة ليست لونا من الترف العقلي أو نوعا من المخدرات الروحية التي ما أكثر مايتهم بهـا الراغبون في مواجهة التحدي في ترفع عن صرخات الاجتهـاد الخاطىء للذين اعتقدوا بأنهم وجدوا الحلول لمسؤولية الجيل . بل الحق أن هذه النزعة ضرب من الاجتهاد الجاد للبحث عن معقل للإيحاء الروحي والفـكري لا ينضب معينه — وهو معقل لابد لـكل من أحاطت به مسؤولية أو ألمت به أزمة من أن يلجأ إليه ليستمد منه القوة والشجاعة والرأي السديد

فجيلنا أشبه بالجيش المنهزم يواجه المعركة الفاصلة على حدود بلاده فهو لا يجد الحـكمة في أن يغامر بما تبقى لديه من قوة ومناعة ليظفر بجزء من عتاد الأعـداء وذخيرتهم ليتسلح بها في الموقعة الفاصلة ، بل الحصافة في أن يجمع ما استطاع جمعه من ذخيرة وقوة محلية من طول البلاد وعرضهـا . فيقتلع أسلاك الحدائق وبوابات القصور وقضبان النوافذ ليصهر ويصنع منها سـلاحا يتحصن فيه في خندق مكين إلى أن يستعيد من بأسه ويجند قوته الكامنة في عزم شديد

وجيلنا فى عراكه مع المسؤوليات الجسام التى تتحداه لا يستطيع أن يضمن لنفسه النصر إذا اختار المغامرة فى المعركة الفاصلة فاندفع بجمع ذخيرته من فتات الآراء والمبادئ يلتقطها من أطراف الميدان الذى يسيطر عليه العدو الملاحق . بل إن طبيعة هذا العراك تفرض على جيلنا أن يختار لنفسه حصنا منيعا يجمع فيه ما استطاع اكتشافه من ذخيرة فكرية وتراث روحى من صميم المجتمع الذى نصب نفسه مدافعا من حماه ساعيا إلى تحويله إلى مجتمع أفضل

فكما أن آلة الحرب فى أزمنة الصراع لا يمكن لها أن تقتصر فى استمدادها على ما تستورده من ذخيرة وعتاد وإنما تسعى جادة لإنشاء المصانع فى أرض الوطن بعد أن تتيقن من أصناف المواد الخام المتوفرة فى تربتها ؛ فإن عراك الجيل يجب أن لا يقتصر فى استمداده على ما يستورده من بضاعة فكرية مصادرها عديدة وإلا كان أشبه بالجيش الذى يتسلح ببندقيات بريطانية رصاصها بلجيكى وطائرات روسية لا يصلح لإدارتها ما يتوفر لهذا الجيش من غاز ممكر

فالمهم أن نعكف قبل كل شئ على إحصاء ما يتوفر لدينا من مادة خام — من بيئة ومقومات وتراث روحى — قبل أن نختار القوالب الفكرية المستوردة التى نطمح فى أن نجهز بها أنفسنا وعقولنا لمواجهة مسؤليات الجيل

فبنا حاجة ماسة إلى الجذور ؛ جذور الفكر وأحوال التراث ودعائم البيئة التى نشأنا فيها وطبيعة المقدمات الخلقية والثقافية التى يعيش عليها مجتمعنا

ومن هنا أخذ فريق منا يندفع باحثا عن همزة الوصل بين تراث الماضى وذخيرته ومسؤولية الجيل الذى نحن منه

وبفضل ذلك وجد كاتب هذه السطور نفسه راغبا فى أن يشارك قراء الرسالة فى متعة نعم بها فى مطالعته لكتاب أصدرته المطابع الغربية مؤخرا لمؤلفة فرنسية شابة كلفها رجال المقاومة السرية فى فرنسا إبان الاحتلال النازى أن تدرس الأسباب التى أدت إلى انهيار فرنسا السياسى والعسكرى وتقلص الروح المعنوية بين الكثرة الساحقة من أبنائها ، وأن تستوحى من ذلك أسس المجتمع الجديد الذى ألقيت مسؤليات تعميره على عاتق الجيل الذى هى منه

فجاء هذا الكتاب سجلا لكثير مما يسود حاضر هذا الجيل من قلق وانفصال ؛ وإيحاء صادقا لما تعتقد هذه الكاتبة القديرة بأنه عون على مواجهة مسؤولياته الجسام

وقد شغفت هذه المؤلفة سنوات طوالا بمعالجة موضوعها فلم تكترث للسل الذى كان يمتص حيويتها ولم تضع القلم إلا بعد أن أتمت البحث فتلقف الناس الكتاب وزحفت هى إلى القبر لترقد رقدتها الأخيرة

واسم المؤلفة « سيمون وايل » وقد توفيت عن (٣٣) عاما أما الكتاب فترجمة عنوانه « الحاجة إلى الجذور[1] » وهى الترجمة التى اختارها الناشر الإنجليزى

فلنصاحب هذا الكتاب فى عدد الرسالة القادم

للكلام صلة — عمر حليق

---

(1) النص الفرنسى L'Enracinement Par, Simone weil
الترجمة الأنجليزية The need for Roots ترجمة Arthur wills
من منشورات دار بوتمان بلندن العام الحالى

خروج المتنبى من مصر

القسم الثالث

لحضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد رمزى بك

سافرت فى آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ إلى خارج مصر لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة ولم أعد إلا فى النصف الأخير من شهر فبراير سنة ١٩٥٢ لذلك تأخرت فى الكتابة عن رحلة المتنبي الذى لازمنى طول مدة إقامتى بعيدا عن مصر

ذكرنا فى المقالين الماضيين كيف قطع المتنبى المسافة بين الفسطاط ونخل فى مرحلة واحدة وكيف مدح الهجن البيجاوية التى حملته هذه المسافة الطويلة بقوله :

ولـكنهن حبـال الحيـاة وكيد العداة وميط الأذى

ولم يقف أبو الطيب طويلا فى نخل (١) التى تركهـا بعد أن مر بها ونفسه مملوءة بالفخر فقال :

فرت بنخل وفى ركبها عن العـالمين وعنه غنى

وسـار من نخل حتى قرب من النقاب أو أشرف على ما نسميه اليوم رأس النقب وهو على حدود مصر الحالية . ثم نزل فى الوادى وسـار شمالا فى القطاع الواقع الآن بين شرق الأردن ومصر والذى أصبح من أملاك إسرائيل . وانتهى إلى وادى تربان وهو واد ينزل من الحيمة إلى المنخفض الواقع فى هذا القطاع (٢)

ويظهر أن أبا الطيب المتنبى أخفى نيته واتجـاهه فى السفر إذ يقول :

وأمست تخيرنا بالنقـاب (٣) وادى المياه (٤) ووادى القرى (٥)

(١) ياقوت جزء ٨ صفحة ٢٧٤ يظهر أن القلعـة المبنية فى نخل أنشئت فى عهد بعد سفر المتنبي والأغلب أنه فى عهد الأيوبيين أو ابتداء دولة المماليك لا فى العهد العثمانى كما جاء فى كتاب الدكتور عباس عمار

(٢) جزء أول معجم ما استعجم صفحة ٣٠٨ ، قال أبو زياد هو واد بين مياه كثيرة وأنشد

نظرت بعقصى سيل ثربان نظرة هل الله لى قبل الممات يعيدها

وهو غير ثربان الذى قال عنه الأصمعى أنه بين مكة والمدينة

(٣) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٠٦

(٤) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٧٦

(٥) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٧٥ ــ صبح الأعشى جزء ٢ صفحة ٢٩٢

ويقصد بوادى المياه ووادى القرى الاتجـاه جنوبا إلى الحجاز بدلا من الاتجاه شمالا إلى الشام وأخذ طريق الـكوفة . ويظهر أن شمـال الحجاز كان عامرا فى عصره بدليل ما جاء فى كتاب ذيل الأمالى صفحة ١٢١

ولما علوت اللابتي لشوقت قلوب إلى وادى القرى وعيون

كما جاء فى كتاب الأمالى صفحة ٢٩٩ جزء ٢ شعر جميل

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادى القرى إنى إذا لسعيد

وجاء فى صبح الأعشى جزء ٤ صفحة ٢٩٢ أنه بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر جمع قرية



الطريق الذى سلكه المتنبى

قال :

فى الروض المعطار : وهى مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون بها ناس من ولد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وهم الغالبون عليها وتعرف بالواديين ، والذى أخبرنى به أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قرى تخربت لاختلاف العرب ، وهى الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز

جيما عن الميرة من غيرها

ولما صعد المتنبي الهضبة القابلة ووصل إلى وادى تربان باح بما يجول فى صدره وقال أين أرض العراق كما جاء فى شعره :

وقلنا لها : أين أرض العراق؟ فقالت ونحن بتربان : ها

وجاء فى ديوانه أنه حينما صعد النقب ومر بتربان وفيه ما يعرف بفرندل فسار يوما وبعض ليلة ونزل

وفرندل (٦) هى من المحطات التى قيل إن بنى إسرائيل مروابها بعد عبورهم البحر الأحمر — ذكر عنها صاحب كتاب Patesine under Muslims أنها كانت مركز أسقفية تحت اسم أرنديلة وكانت واقعة على الطريق الرومانى الذى يوصل إلى ايلياء (العقبة) الحالية

ومن المدهش أنه بمجرد قيام حرب فلسطين ودولة إسرائيل انقطعت المواصلات التليفونية بين مصر وسائر البلاد العربية ثم انقطعت الطرق البرية بين مصر والحجاز وشرق الأردن حتى الطريق الذى سلكه أبو الطيب المتنبي لم يعد بوسعنا أن نسلكه فكان أن أصبحت إسرائيل فى النهاية تتحكم فى مواصلاتنا

وتدل الأبحاث على أن هذه المنطقة بالذات كانت مسكونة بقبائل من العرب من معن وبنى فزارة وسنبس (٧)

وقبل وصوله إلى هذه المنطقة تلقاه رائد من بنى سليم سار معه حتى وسط بيوتهم آخر الليل فضرب له ملاعب بن أبى النجم خيمة بيضاء وذبح له. وسار من غده فنزل بين بادية معن وسنبس وهى التى كان الوزير الناصر أبى محمد اليازورى الفاطمى يخشى قوتها وكانت تسكن حول غزة ثم انتشر نفوذها بعد ذلك وأخذت تقلق بال الفاطميين ثم انتقلت مع غيرها من بلاد الشام إلى مصر ومنها إلى المغرب. وقد ذكر الدكتور عباس مصطفى عمار أن مواطنها حول غزة. وجاء فى ديوان أبى الطيب أن منطقة نفوذها امتدت إلى الجنوب فشملت الأجزاء المحيطة بالعقبة

ومن هذه المنطقة أى بين تربان وفرندل التى بجوارها أذرع والجيمة وهى مناطق معروفة بالتاريخ فى القرن الأول الإسلامى وكان يسكنها طوائف من الطالبيين أبناء على بن أبى طالب ومن العباسيين سلالة العباس طول عهد الدولة الأموية وذلك لما كانت عليه هذه المناطق من الخصب وكثرة المياه ، وليسكون أبناء أبى طالب والعباس بذريتهم وتراثهم على مقربة من دمشق وبعيدين عن شيعتهم فى العراق والحجاز فيسهل على الدولة مراقبتهم وتقصى أخبارهم

ويخيل إلى أن أبا الطيب كان غير مطمئن لسلامته إذا اتجه مباشرة إلى شمالى الحجاز عن طريق العقبة نظرا لما يعلمه من تحوط كافور واتصاله بعربان هذه المناطق . ويقول الديوان إنه بعد أن أمضى ليلته فى هذه المنطقة من أرض الشراة اتجه إلى جبال حسمى وواجهته رياح الحجاز وقال فى قصيدته :

وهبت بحسمى هبوب الدبور مستقبلات مهب الصبا

وجاء فى ديوانه ذكر إرم وهو اسم علم لجبل من جبال حسمى من ديار جذام بين العقبة وتيه بنى إسرائيل . وهذا الجبل عال عظيم العلو تزعم أهل البادية أن فيه كروما وصنوبرا ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام قد كتب إلى زعماء قبيلة جذام أن لهم جبل إرم لا يشاركهم فيه أحد ولا يحاقهم فيه غيرهم

وفى ديوان المتنبي أن امتداد جبال حسمى مسيرة ثلاثة أيام طولا فى يومين عرضا ويعرفها كل من يمر بها، وقد وجد أبو الطيب فى حسمى بنى فزارة وفيهم أولاد لاحق بن مخلب فنزل بينهم لأن أمير فزارة حسان بن حجمة كان بينه وبينه مودة وصداقة . وبهذا تحقق ما كتبه قبل ذلك من الشعر وهو بمصر إذ قال :

إذا سرنا عن الفسطاط يوما خلفنى الفوارس والرجالا

لتعلم قدر من فارقت منى وأنك رمت من ضيمى محالا

للكلام بقية

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

---

(٦) معجم البلدان ٣٩٥ جزء ٥ يقول عنها قرية فى أرض الشراة

(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٨ — من طيء — سنبس بن معاوية من بنى ثعل من سنبس معن بن قيس بن عائذ بن جريد رأس الخوارج يوم النهروان — السليل بن زيد غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن . منهم الحورجان بن مخصب دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام عنترة بادية السماوة قبل معارك العرب ضد الفرس

راجع الرسالة عددى ١٩٥١

هل المسيحية فى ازدهار ؟

للأستاذ عبد الكبير الفاسى

هذا سؤال إذا اكتفينا فى الجواب عنه بقبول ما يرد علينا فى الإحصائيات على عواهنه ، أجبنا عنه بالإيجاب ، لأن الإحصائيات تزعم أن عدد المسيحيين فى اطراد . على أنها تعتبر سكان أوربا كلهم مسيحيين كما تعتبر سكان أمريكا — جنوبا وشمالا كذلك مسيحيين . والإحصائيات لها منطوق ومفهوم وظاهر وباطن ، ومن شأنها أن تصلح دليلا للمثبت ما دام لا ينفيها ناف يريد أن يثبت خلاف ما يدعيه المثبت .

والعبرة فى كل شىء ليست بالعدد وإنما هى بحقيقة الواقع فى الشىء المعدود ؛ فإذا كانت المسيحية كثيرة الأفراد فإن المسيحيين قليلو المسيحية ، . وبعبارة أخرى فإن من يعتبرون فى عدد المسيحيين سواء فى أوربا أو فى غيرها لا تسيطر المسيحية على أكثريتهم إلا بقدر ما تسيطر عليهم التقاليد والعوائد ، بحيث أصبحت المسيحية فى كثير من الأقطار ظاهرة اجتماعية أكثر منها معتقدات فلسفية وتعاليم وأخلاقا

والناس طبقات ، وأظهر هذه الطبقات طبقة المالكين وأصحاب رؤوس الأموال وطبقة العاملين لهم وهم العمال والمأجورون

فالطبقة الأولى ، وهى طبقة رؤوس الأموال ، لا ترى فى المسيحية إلا إطارا يحسن فيه إقامة المهرجانات الاجتماعية من زواج ودفن . وتتباهى فى تلك المهرجانات ولا تتردد فى الإنفاق عليها .. ثم إنها إلى عهد قريب كانت ترى فى الدين أداة لتسكين غضب العامل والأجير والفلاح لما هم فيه من بؤس وشقاء ؛ وترغيبهم فى حياة الآخرة بما فيها من نعيم يعوضهم ما لم يدركوه من أنواع الخير والنعيم فى هذه الحياة الدنيا . غير أن طبقة العملة استيقظت من سباتها وأدركت أن الدين شىء ، وما هى عليه من بؤس وشقاء شىء آخر . وأن الدين ، الذى هو إيمان وسلوة ورجاء ، لا ينبغى أن يكون ذريعة لأصحاب رؤوس الأموال يتوسلون بها إلى استغلال عملهم الشاق المضنى لجمع مال وتنميته ينفقون جزءا تافها منه على تشييد الكنائس وإقامة الصلوات ويتركونهم يعيشون هم وأولادهم فى بؤرة الشقاء والمرض والبؤس

ولم تحصل هذه النتيجة فى عقول العامل والفلاح والأجير بتعاليم الاشتراكية والشيوعية طيلة القرن التاسع عشر فحسب ، بل كان الفضل فى ذلك لانتشار التعليم أولا ، ولفضائح الطبقات المالكة . ولفضائح الكنيسة الكاثوليكية الأخلاقية والمالية . بحيث أصبح العامل والقروى لا يغرهما بهرجة الدعاية وجمال المظاهر وحسن الهندام ، إذ يعلمون أن من يمثلون الدين لا يعيشون دائما حسب تعاليمه وأن أصحاب رؤوس الأموال لا يتأثرون من الدين بشىء ، فساءت الظنون وتبع ذلك ما هو أكثر منه أى فرار أكثرية العملة من حظيرة الكنيسة .

وأحسن برهان على ذلك فقرات نسوقها للقارىء نقلا عن مجلة « إكليزيه » (Ecclesia) وهى لسان حال الكنيسة الإسبانية بقلم أسقف بلنسية جاء فيها :

« يتمنى العملة الإسبانيون استبدال الحكم فى بلادهم ، ولكنهم يجهلون بأى شىء يستبدلونه ، والعملة لا يخافون الكنيسة ، وإنما يخافون رجال الجيش ويعتبرون ما يتقاضونه من الأجور لا يدفع عنهم البؤس وإنما هم مرغمون على تقاضيه من طبقة المترفين . والعملة من وجهة العلائق الجنسية مع نسائهم ، ليسوا من العفة فى شىء : فالأعزب منهم لا يريد الزواج ، والمتزوج منهم لا يرى فى زوجه إلا أداة المتعة الجنسية ويعمل على ألا يكون له من زوجه ولد . ويلاحظ أن حديث العملة فيما بينهم أكثر ما يدور حول النساء والشؤون الجنسية لا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . »

ويختم الأسقف كلامه قائلا : « لا يتورع العملة عن سرقة مستخدميهم كلما وجدوا لذلك سبيلا ، وذلك إما بالقيام بالعمل أقل ما يمكن ، وأما باختلاس بعض الأدوات . وهم إذ يتصرفون هكذا كأنهم يقولون هذه بضاعتنا ردت إلينا ! وما ذلك إلا لأنهم يجهلون وجود الله أو لأنهم ملحدون »

ذلك ما يخص الشعب فى أمة تعتبر أعرق الأمم فى الكاثوليكية . ولا حاجة بنا لتعليق أو شرح إذ كلام الأسقف من حيث البيان

قد بلغ الغاية القصوى . وإذا كان الأمر كذلك فى مثل هذه الأمة فماذا يكون فى غيرها من الأمم التى امتدت فى عقول أفرادها التعاليم الماركسية والماسونية التى سيطرت على التعليم فى كثير من البلاد الأوربية وفرقت بينه وبين التربية الدينية . فحالة المسيحية فى فرنسا لا تقل تحرجا منها فى غيرها . فقد نشرت جريدة رجعية Carrefour كارفور فى عددها الصادر فى ٣٠ ابريل الأخير مقالا بقلم أحد مساعديها الاختصاصيين فى المسائل الدينية يقول فيه : « يمكن أن نؤكد من غير خشية الوقوع فى الخطأ أن فرنسا فى مجموعها تسير شيئا فشيئا فى طريق العدول من الإيمان بالله .

وإذا كان جمهور أهل البوادى لازال يقدم أولاده لماء المعمودية ، ولا زال يتزوج ويقيم جنائز أمواته فى الكنائس ، مظهرا بذلك تشبثا ظاهرا بالكاثوليكية ؛ فإن مجموع سكان المدن إلا من شذ — وحتى أفراد الطبقة الوسطى منهم ووسط من طبقة البرجوازية العليا — كل هؤلاء أصبحوا يعتبرون الكاثوليكية كتحفة أثرية وعقيدة عتيقة دخلت فى حكم التاريخ لاحاجة بالناس لإضاعة الوقت فى مناقشاتها والجدال فيها . والخاصة فى كل وسط من الأوساط الاجتماعية هى التى عدلت من الإيمان بالله ، وهى التى قطعت علائقها بالكنيسة الرومانية متوجهة نحو العلم والرقى العلمى ، ونحو جميع الأوثان المزيفة التى نصبها العالم الحديث ، وبذلك يحاولون تحقيق أهدافهم الإنسانية على أكمل وجوهها »

وبعد أن أطال الكاتب وأطنب فى تصوير هذه الحالة التى تعتبر من صفحات الكاثوليكية السوداء فى العصر الحاضر ، زاد قائلا :

« أخذت فرنسا تبتعد عن المسيحية منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، وقد أصبح إغراقها فى الإلحاد فى الوقت الحاضر فى أقصى درجة ممكنة ، ويشمل ذلك عددا كبيرا من الفرنسيين ، وخصوصا أفاضلهم ممن ينعتون بكونهم محافظين وممن عرفوا بانتمائهم للنظريات التقدمية

نعم إن الكاتب يقول بعد ذلك إن هناك رد فعل لانزاع فى وجوده من طرف الكاثوليكيين وخصوصا من الشباب لاسترداد مافات الكنيسة من تأثير على النفوس ، ونحن كذلك لا نناقش فى هذا لأن الكاتب متفائل كل التفاؤل ونرجو أن يكون موفقا فى تفاؤله وأن تتوج تلك الجهود بالنجاح أو ببعض النجاح

ويختم مقاله المتشائم فى بدايته المتفائل فى نهايته بقوله : إن كنيسة فرنسا تتمتع بصحة جيدة !

ونحن لا يسعنا إلا أن نبارك هذه الصيحة ، لولا أننا فوجئنا بكتاب كتبه الراهب منتوكلار عنوانه : الحوادث والإيمان (١) ، صادرته الكنيسة الكاثوليكية بعد ظهوره وحرمت قراءته على المسيحيين نظرا للأفكار التى يتضمنها والتى تعتبرها أفكارا ثورية ، وهذا الراهب من أولئك الرهبان الأذكياء الذين عرفوا أن من بواعث انتشار الإلحاد والكفر والابتعاد عن تعاليم المسيحية ، كون من سبقوهم فيها — وخصوصاً منذ فجر النهضة الصناعية فى أوائل القرن المنصرم — لم يكونوا فى صفوف العملة والفلاحين ، بل كانوا فى جانب الرأسماليين يباركون فى تصرفاتهم فى استغلال المال والعملة ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية كلما قام من بينها ومن بين رجال الفكر والمنتمين إليها من يندد بأعمال الرأسماليين ويدافع عن العملة مثل الأب لكوردير Lacordaire والأب لامنى Lomenais وغيرهما تقاومه وتحرم النظر فى كتبه لأنها تشتمل على أفكار وآراء تعتقدها مخالفة لتعاليمها وقد قام فى فرنسا بعض صغار الرهبان ، وأغلبهم من الشعب ، وأخذوا على أنفسهم التقرب من العامل والفلاح لدرس حالته أولا وإعانته فى شدته وضيق عيشه والدعوة إلى رحمته ليخرج بذلك مما هو فيه من بؤس وشقاء . وإذا خرج من ذلك ابتعد — فى نظرهم — كل البعد عن حظيرة الشيوعية . ولقبهم مناوئهم — بالآباء الحمر — لكونهم يعيشون فى أوساط العمال ويعيشون عيشتهم ، ومنهم من يخدم فى المعامل . وإذ كان عددهم الآن قليلا جدا لكون الكنيسة لا تنظر إليهم بعين الرضا — فإن أثرهم ملموس فى أوساط العمال الذين يحسون منهم بصدق وإخلاص فى المأمورية الإنسانية التى يهدفون إليها

والعجب كل العجب أن بعض هؤلاء « الآباء الحمر » قد توصلوا فى درسهم حالة العمال إلى نتيجة هى نفسها النتيجة التى

---

(١) Les Evénements et la foi R P Montuclard

توصل إليها الباحثون قبلهم من أصحاب النظريات الاقتصادية فى كل زمان ومكان ، وهى أن مسألة العمال والفلاحين — أو ما نسميه العدالة الاجتماعية — تحتاج إلى قلب النظام فى الاستهلاك والاستغلال وإعادة النظر فى توزيع الأراضى الخ — وهم بوصولهم لهذه النتيجة كأنما كانوا على موعد عندها مع مفكرى الماركسية — أحبوا ذلك أم كرهوه ! ولذلك فإنهم يسخطون الكنيسة والرأسمالية على السواء غير أنهم لا يخشون فى الحق لومة لائم وإن كانو منقادين لأوامر الكنيسة

ولكى نعرف رأى أحد هؤلاء « الرهبان الحمر » نأتى اليك بفقرات من الكتاب المذكور، يقول صاحبه ما نصه :

« لقد قضيت أياما من فصل الربيع الأخير مع جماعة من المبشرين فى بادية فرنسا فى أواسطها . وقد انسلخ سكان هذه الناحية تماما عن المسيحية بحيث لم يبق عندهم من مظاهر المسيحية إلا ما علق بتقاليدهم الشعبية وما هو ممتزج بخرافاتهم وأوهامهم التى تسود فيها معتقدات هى ألصق بالسحر من غيره . وكان حاضرا معى فى هذا الجمع عدد من الرهبان والخوربيين بيلغ نحو العشرين ، فخصصنا يوما لدرس هذه الحالة وأمامنا سؤال واحد وهو : ما العمل لرد أهل هذه الناحية إلى حظيرة المسيحية ؟ فكان جواب الجميع أنه لا أمل لنا فى ذلك قبل قلب نظام توزيع الأراضى واستغلالها ؛ وهو نظام إنسانى يعيش فيه الفلاح وهو ينظر للحياة نظرات لا آفاق فيها »

ورغما من كون هذه النظريات التى تشبع بها غير ما واحد من رجال الكنيسة ، وإن لم يتوصلوا كلهم لنفس النتيجة أى قلب النظام الحالى فى الامتلاك والاستهلاك ، فإن الرجعيين من الفرنسيين وخصوصا أصحاب الحزب الملكى المنتمين لأحد زعمائه وهو موراس — يقولون فى حكمهم على هذه النظريات : إن هذا دين جديد ، مخالف لما كان عليه دين آبائنا لكونه لا يقر الحياة التقليدية التى عاش عليها الفلاح منذ قرون وتكونت منذ قرون ، والذى يظهر من أمر هؤلاء الحواريين الصغار أن نظرياتهم لا تستند على كاثوليكية ولا على سياسة اجتماعية رشيدة ، وإنما مبناها أقوال الماركسية !

ولا غرابة فى هذا الحكم مادام مأتاه من قوم عرفوا بضيق الفكر وشذوذه فى كل شئ . والعجب كل العجب أن متزعم الحركة الملكية بفرنسا يقول بخلاف ما يدعيه من يزعمون الانتساب إليه ، وقد عرف عن لوكنت دوبارى أن له نظريات اجتماعية قد يرتضيها كثير من أحزاب العمال وهى مفارقة لكثير من نظريات أتباعه

ولكن الذى لا نفهمه هو أن كثيرا من المسيحيين المترددين أو المتحجرين الجامدين أمام القضايا الاجتماعية سواء فى فرنسا أو فى إسبانيا أو فى إيطاليا — لم يعتبروا بما وقع لروسيا التى ترددت كثيرا وجمدت ما شاء لها التعصب والجمود أن تفعل طوال القرن التاسع عشر ، وعلى رأسها أرستقراطية جبارة كانت تتصرف فى الأراضى وما عليها من رقاب تصرف السادات والإقطاعيين ، ولم تحاول حلا لمشاكل الاجتماعية بل لم يثبت أن قاداتها أعاروا أذنا لسماع شكوى العامل والفلاح مما كانوا فيه من أنواع البؤس والشقاء . فنفس جواب الرجعيين فى أوربا الغربية الآن كان يجيب به سادات روسيا العامل والفلاح ومن كان يتزعم حركتهما الإصلاحية مستندين فى ذلك على سوء فهم الدين ، وعلى تخدير الأعصاب الذى كان يقوم به رجاله الأجوررون . ولكن ماذا كانت النتيجة سنة ١٩١٧ ؟

إنها كانت الشيوعية التى اكتسحت نصف أوربا وبعضا من آسيا الآن ، والتى ستضطر الإنسانية لصرف جميع ما عندها فى مقاومتها مع عدم تحقق الغلبة عليها ، لأن القضاء على الخطر الروسى ليس هو القضاء على الخطر الشيوعى !

كانت الشيوعية نتيجة لتحجر المسيحية والمسيحيين ، وكانت روسيا هى أكبر الدول المسيحية مساحة وأكثرها عددا ولكن النتيجة هى ما نعلم

ولذلك لا نغتر بقول من يقول : إن المسيحية فى ازدهار ، بناء على الإحصائيات

على أن ما يقال فى شأن التأثر بالدين وتعاليمه والتهذب بأخلاقه ومبادئه فى حق المسيحية والمسيحيين ، قد يقال مع مزيد الأسف والحسرة فى حق الاسلام والمسلمين مع ما لابد منه من التفرقة التى تقتضيها الاعتبارات التاريخية والجغرافية والاجتماعية

عبد الكبير الفاسى

من آثار السيدة زبيدة

للأستاذ المغربى

قال محمد بن على العبدى للخليفة القاهر وقد سأله يوما أن يحدثه عن السيدة زبيدة : كان من فعل زبيدة وحسن سيرتها فى الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها

فأما الجد والآثار الجميلة التى لها فى المملكة فهى حفرها العين المنسوبة إليها فى الحجاز . وتمهيدها الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل ووعر من مسافة اثنى عشر ميلا ، حتى بلغت بها مكة . وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار . ولها كثير من أمثال هذا العمل العمرانى

هـذا فى الجد . وأما فى الأمور التى تتباهى بها الملوك فى أعمالهم ، وينعمون بها فى أيامهم ، وتتزين بها سيرهم وأخبارهم . فهو أنها :

أول من اتخـذ الآلة (أى أدوات البيت وأمتعته) من الذهب والفضة المكللة بالجوهر . وصنع لها الصناع الرفيع من الوشى حتى كلف الثوب نحو خمسين ألف دينار

وهى أول من اتخذ (الشاكرية [١]) من الخدم والجوارى. يركبون الدواب ويغدون ويروحون برسائلها وحوائجها

وأول من اتخذ القباب على الهوادج من فضة وآبنوس وصندل ، لها كلاليب من الذهب والفضة ؛ وهى ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . واتخذت النعال المرصعة بالجوهر . واصطنعت الشمع من العنبر . وقلدها أغنياء الناس فى ذلك جميعه

ولما أفضت الخلافة إلى ابنها (الأمين) قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه ، فلما رأت أمه شغفه بهؤلاء الغلمان المماليك اتخذت الجوارى الحسان المقدودات [٢] وعممت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداغ [٣] والأقفية (لعله يعنى الشعور تجمع على القفا بشكل خاص مونق) وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق (وهى من ألبسة شباب الجند وغلمان العسكر) وأرسلتهن وهن بهذا الزى إلى ابنها (الأمين) فراقه شكلهن . وأبرزهن فى مجلسه أمام الخاصة والعامة . وشاع أمر هذا الزى فى الناس فجعلوا يتخذون الجوارى الطمومات (أى المقصوصات الشعور من طم الشعر إذا جزه أو عقصه) ويلبسونهن ملابس الغلمان : من أقبية ومناطق ويسمونهن (الغلاميات)

وقد أكثر شعراء ذلك الزمن من وصف هؤلاء الغلاميات وفى طليعتهم أبو نواس

ويظهر أن اتخاذ هؤلاء الجوارى الزى المذكور لم يكن بواسطة اللبوس من الثياب وطم الشعر فقط بل يتعدى إلى تصفيف الشعر كما يفعل الغلمان وإلى تخطيط شوارب من المسك والغالية والعبير على الشفة العليا تقليداً للشوارب الطبيعية . وقد أشار إلى ذلك أبو نواس بقوله

حور طلعن مؤنثا ت الدل فى زى الذكور
أصداغهن معقربا ت والشوارب من عبير

والعبير أخلاط من طيب تداف بالزعفران ، فالجارية كانت تلبس لبوس الغلام وتخط على مواضع الشوارب خطا من العبير وفى لونه شقرة فيبدو كشارب الغلام أول ما يبدو وهو بعد أشقر أو أصفر، أما مواضع الصدغ من الجارية فلا يكون عليه شعر السالف مسترسلا أو سبلا كسوالف الجوارى وإنما هن يقصصن ذلك الشعر ويلوينه على شكل العقرب، أو لعلهن يكوين شعر الصدغ كما تكوى الشعور اليوم بحدائد خاصة . فالغلمان

---

(١) الشاكرية جمع (شاكرى) معرب (جاكرد) شاعت منذ العهد العباسى بمعنى الخدم ومنه اسم (الشاكرية) لضرب من الخناجر كانوا يتقلدونه

(٢) المقدود اسم مفعول من قد ـ قد السيف أى خلق حسن التقاطيع والمعنى أن قدود أولئك الغلمان كانت متناسبة فى الرشاقة تناسب نصال السيوف

(٣) المراد بالأصداغ شعرها . وجعلها لهن الأصداغ كناية عن عقربتها . أى لى شعرها على شكل العقرب كما فى قول أبى نواس (أصداغهن معقربات والشوارب من عبير)

درس مطالعة ..

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

كان ذلك فى الحصة السادسة وقد تسربت أذهان التلاميذ من نوافذ المدرسة وأبوابها إلى منازلهم حيث يهيأ لهم طعام الغداء وحيث ينتظرهم أهلوهم وذووهم ... وقد كانت سحابة من التعب تلوح على وجوه التلاميذ تظهر من ثناياها إشراقة خفيفة من الأمل فى الانتهاء من اليوم المدرسى وإلقاء هذا العبء الذى أثقل كواهلهم من أول النهار إلى منتصفه تقريبا ؛ فهم لذلك يستحثون عقرب الساعة كما يستحث الناس آخر يوم من رمضان. وكنت أحس أن آذان التلاميذ ظامئة إلى موسيقى الجرس الآذن لهم بانتهاء اليوم ومغادرة المدرسة، ولعلهم لو فطنوا لقرأوا فى وجهى من بين ثنايا هـذه القوة المقتطعة من الضعف وذلك العزم المأخوذ من الإعياء مثل ما أقرأ فى وجوههم أو بعض ما أقرأ.. ولـكنه التلميذ الذى يعتقد أن مدرسه من حديد لا يلحقه الـكلال أو التعب ! وأن صدر النهار وآخره عنده سواء .. وكان موضوع الدرس هو « السلع الآدمية » من كتاب «المطالعة المختارة » المدارس الثانوية . وخلاصة الموضوع — ولا أثقل عليك — أن شابين(١) إنجليزيين جلسا فى حديقة منزل بإنجلترا وسرحا بصرهما فيما حولهما فوجدا من محاسن الطبيعة ومفاتنها ما يأخذ النفس إعجابا ووجدا الطيور تنتقل من غصن إلى غصن فى حرية وانطلاق ؛ بل وجدا كل ما فى الحديقة يدعو إلى الحرية والانطلاق . تذاكر الشابان أن الحرية حق طبيعى ، ويجب أن ينعم به الناس فى الأرض كما تنعم به الطيور فى جو السماء ، وأن شقاء الإنسان مبعثه الإنسان، وما يدعيه الغربيون من مدنية وحضارة ليس إلا ستارا يحجب عن الأعين كثيرا من الرذائل والوحشية . وعرضا لما يجرى إذ ذاك من تجارة الرقيق فاعتزم

(١) كان هذا فى أوائل القرن الثامن عشر وأحد الشابين هو : « وليم بت » وقد صار رئيسا للوزارة الإنجليزية، والثانى هو . «وليم ويبرفورس» من أعضاء البرلمان الإنجليزى

كانوا يومئذ يتخـذون من شعر أصداغهم كهيئة العقرب . والجوارى المتشبهات بهم كن يفعلن ذلك، فإذا نظرت إلى وجه الواحدة منهن أول ما يقع نظرك على أصداغ غلام وشوارب غلام. ومن هنا كثر فى لغة الغزل قول الشعراء معقرب الصدغ وعقرب الأصداغ ولا يكون ذلك على ما يظهر فى الغزل بالغلمان الذين لهم على أصداغهم شعر ملوى ومثنى على نفسه بحيث يمثل للرائى عقربا أسود يلسع . أما الجوارى فليس لهن عقارب أصداغ، وإنما لهن أفاعى وحيات من ذوائبهن تتلوى على ظهورهن

فلما سمع القاهر منى هـذا الوصف تهلل ونادى بأعلى صوته اسقنا ياغلام على وصف (الغلاميات) فبادر إليه جوار قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والأقبية : والطرر والأصداغ ، ومناطق الذهب والفضة . فأخذ الـكأس بيده وجعلت أتأمل صفاء جوهر الـكأس ولألاء ما فيه ، وحسن أولئك الجوارى الغلاميات ، ولمعان الحربة التى بجانبه . ثم التفت القاهر إلى وقال :

قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم حسبما وصفت وسرنى ما ذكرت وفصلت

ثم أمر لى بجائزة أخذتها على الفور وانصرفت

هذا مارووه عن (محمد بن على العبدى) المتخصص فى علم الملوك كما شهد له بذلك المؤرخ المسعودى، وقد علمنا من مسامرته للخليفة (القاهر) وما أفاض به من وصف (الغلاميات) واسترساله فى هذا الوصف إجابة لرغبته الملحة علمنا منه أن هذا الخليفة لم يـكن على ما يحبه له منصب الخلافة من عفة وصلاح وحسن سمت ووقار ؛ اللهم إلا إذا كان هذا من قبيل الدعابة التى أذن بها المأمون، فقد روى أن بعض جلسائه سأله :

هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين بالدعابة ، فأجاب :

وهل يطيب العيش إلا بها ؟

(المغربى)

الشابان أن ينتشلا وطنهما من تلك الحمأة ويطهرا سمعة الأمة الإنجليزية من جريمة الرق المنكرة .. وقد كانت تجارة الرقيق في ذلك العهد قائمة على قدم وساق، فقد حدث أحد السائحين أنه رأى زنجيين يصيدان السمك في داهومي [١] وقد ملآ منه أسفاطاً عدة ؛ فسمعا وقع أقدام خيل مقبلة فتركا ما صاداه وفرا هاربين من تجار الرقيق الأوربيين ، ولكن التجار أدركوهما وسلكوهما مع من معهم من الرقيق

وقد بر الشابان بوعدهما . ونشرا رأيهما في بلادهما ، فصادف نفوساً تكره الظلم ، ولم يمض قليل حتى هبت الأمة الإنجليزية كلها تنادي بالقضاء على هذه التجارة الخاسرة ، وكانت إنجلترا أسبق الأمم إلى هـذه الدعوة الكريمة ، ولم يكتف الشعب الإنجليزي بذلك بل جاد أبناؤه بأموال طائلة لشراء وطن في غرب إفريقية للعبيد المعتقين ثم تبعتها الأمم الأخرى في ذلك

لم أكد أفرغ من قراءة هـذه الفقرات من الدرس حتى رأيت التعب قد طار عن وجوه التلاميذ كما يطير النعاس عن عين المذعور ، وأحسست أن أعصاب التلاميذ المتهدجـة من الإرهاق قد شدت من فورة الحماس وأنهم قد صبت فيهم قوة الأسد المتأهب للوثوب، وأخذت أقرأ في وجوه التلاميذ وعيونهم الارتياب في صحة ما ينطوي عليه هذا الكلام، وأخذوا يمطرونني بوابل من الأسئلة ؛ فمن سائل يقول :

إذا كانت إنجلترا حقاً هي أول من نادى بإبطال تجارة الرقيق فلماذا هـذا الاستعمار المسف ؟ وهل هناك فرق بين الاستعمار والرق في نظر إنجلترا ؟

وتطوع تلميذ بالإجابة عن هذا السؤال قائلا : إن الاستعمار أبشع وأشنع من الرق لأن الرق استرقاق أفراد ولكن الاستعمار استرقاق شعوب ، وقد يعتمد الرقيق على سيده في مأكله وملبسه ومطالب عيشه ولكن الاستعمار يستحوذ على أقوات الشعوب وكسائها بل يمتص دماءها . . والرقيق يشترى بثمن ولكن الاستعمار ليس كذلك .. ولكن كان عجيباً حقاً ذلك السؤال الآتي :

كيف يشترى الإنجليز وطناً في غرب إفريقية للعبيد المعتقين وهم اليوم يغتصبون الأوطان من الأحرار المسودين بل وقبل اليوم بمشراب السنين ؟

وما إن انتهى التلميذ من إلقاء هـذا السؤال حتى رمقته بنظرة الإعجاب ونظر التلاميذ إلى ينتظرون الإجابة وعلى شفتهم ابتسامة خبيثة ، وكأنهم فهموا أن المدرس يجب عليه أن يجيب عن كل سؤال حتى ولو كان السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه البرلمان الإنجليزي ولا إيدن ولا تشرشل ... وشاءت المصادفات أن تمر في شارع المدرسة هـذه الساعة دبابتان إنجليزيتان فتفزع الشارع بصوتهما الأجش الغليظ فينسى التلاميذ الإلحاح في طلب الإجابة، وألقيت على الدبابتين نظرة من نافذة الفصل فوجدتهما تهرولان وفيهما المدافع والجنود ؛ وقد رآهما الأطفال الذين كانوا يلعبون بجمع الحصى من الصحراء المشرفة عليها المدرسة فتسللوا إلى الحارات والبيوت هاربين؛ فحضرت في ذهني صورة الصيادين اللذين جمعا السمك في أسفاط عدة فلما رأيا تجار الرقيق تركا الصيد ووليا هاربين ؛ فتبينت في ذلك شبهاً بين الاسترقاق والاستعمار، وعدت ببصري إلى الفصل فإذا هو يكاد يتميز من الغيظ ، فقد كان من أبناء الإسماعيلية الذين ذاقوا ما ذاقوا، فقلت في هدوء ورزانة المدرس التي يصطنعها أحياناً : لعل الله يبعث في إنجلترا شابين آخرين ترتفع صيحتهما للقضاء على الاستعمار وخنق أنفاس الشعوب

ودق الجرس وانصرف التلاميذ وأنا أسأل نفسي عن هذه الضجة التي أثارها هذا الدرس وقد درسته في العام السابق فر في هدوء وسلام ... ولقد تمنيت لو سمع العالم كله ذلك الدرس الصاخب فقد كان درساً حقاً

محمد علي جمعة الشايب

(١) في غرب إفريقيا الوسطى

آراء جون ديوي في التربية

للأستاذ حسن محمد آدم

توفى أخيراً الفيلسوف الأمريكى جون ديوى John Dewey صاحب الآراء والنظريات المشهورة فى التربية . ومن حق الرجل علينا — نحن المشتغلين بالتربية والتعليم — أن نكشف للناس عن بعض ما لهذا الفيلسوف من فضل على المناهج التربوية الحديثة فى المدارس والمعاهد وبالتالى على الجيل الجديد الذى يتربى فيها فى هذا القرن العشرين

يعتبر جون ديوى صاحب مدرسة وصاحب مذهب فى التربية وله أتباع وأنصار عديدون وآراؤه الفلسفية فى التربية تتميز بأنها عملية ترتبط بواقع الحياة وترمى إلى نفع الإنسانية منفعة مباشرة ، ولهذا أطلق على مذهبه التربوى مذهب البراجماسية. وإذا نظرنا فى هذه الآراء نجد أن ديوى يقرر أول ما يقرر أن « التربية يجب أن تهدف إلى تنظيم اشتراك الفرد فى حياة المجتمع اشتراكا إيجابيا عن وعى وقصد ، كما يجب أن تهدف إلى الإصلاح الاجتماعى الذى لا يتحقق إلا إذا وجهنا نشاط الفرد وتفكيره نحو الاشتراك فى المجتمع حتى يصبح فيه عضوا نافعا منتجا »

وكانت هذه المبادئ التى بدأ يقررها وينادى بها حدثا فى حياة التعليم التى ألفها الناس وعكفوا عليها القرون الطوال . فإن السنة التى كان الناس يجرون عليها فى تربية أبنائهم وتهذيبهم هى إرسالهم إلى المدارس بغية تلقى العلم واكتساب المعرفة عن طريق المربين الذين كانوا يتبعون طريقة واحدة هى طريقة إلقاء المعلومات وتلقينها للأطفال تلقينا نظريا حتى تمتلىء بها أذهانهم وكانت هذه هى الطريقة المثلى لازديادهم علما وخبرة ومعرفة بالحياة!

وهاجم ديوى هذه الطريقة التقليدية الجافة وبين ما فيها من عقم وأوضح أنها لا تفيد الصغير بخبرات جديدة تحقق الغرض من اكتسابه لها ، لأن موقفه السلبى الذى يتمثل فى مجرد الإنصات والاستماع إلى خبرات الغير من شأنه أن يصرفه فى غالب الأحيان عن الاستفادة ؛ ومن شأنه كذلك أن يكرهه فى مادة الدرس بما تدخله فى نفسه من السآمة والملل ؛ لأن الأشياء التى يكره على تقبلها لا تتعلق بذات نفسه لافتقادها عنصر التشويق ولبعدها من ما يوائم ميوله الفطرية ويجارى غرائزه الطبيعية فى هذه السن المبكرة .

هذا فضلاً عن أن انتفاع الطفل بما يتلقاه فى مدرسته فى حياته المنزلية والاجتماعية يكاد يكون مستحيلا لأنه لا يجد ربطا بين حياته فى المدرسة وحياته فى المنزل أو فى المجتمع ، وبذلك تكون التربية التى من هذا النوع عقيمة غير مجدية يصعب عليها أن تمد المجتمع بمواطن صالح واحد

لهذه الاعتبارات كلها رأى « ديوى » أن التربية السليمة هى التى تقوم على أساس من خلق حياة طبيعية للتلميذ فى المدرسة ، مبنية على حاجاته وميوله ونشاطه الذاتى حتى يسعى بنفسه إلى اكتساب الخبرات التى تنمى مداركه وتغذى عقله . . وبذلك نقل التلميذ من ميدان السلبية والركود إلى ميدان الإيجابية والعمل والنشاط . وبعد أن كان أساس التثقيف فى الميدان الأول التلقين النظرى الذى يأخذ فيه المدرس الجانب الأكبر من النشاط ولا يشاركه التلميذ فيه إلا بقدر ضئيل تافه ، أصبح أساسه فى الميدان الثانى التوجيه العملى الذى يندفع فيه التلميذ من تلقاء نفسه بالتعليم ، باذلاً النشاط الأكبر تحت إشراف مدرسه الذى لا تتعدى مهمته أكثر من التوجيه والإرشاد إلى خير السبل لاكتساب المعرفة وتحصيل المعلومات

وخالف « ديوى » رجال التربية التقليدية فى أن هناك أغراضاً ثابتة للتربية لا تتغير بتغير الأحوال والظروف . فكان يرى أن التربية الحقة هى عملية نمو « growth » مستمرة ومتغيرة دائما إلى ما هو أحسن بالنسبة لنوع المجتمع وظروفه ومثله العليا

ولقد فهم كثيرون فلسفة ديوى هذه فهما خاطئا . إذ توهموا أن معنى هذا هو التحلل من البرامج والمناهج التربوية . ولكن ديوى كان ينص دائما على أن عملية النمو التى يقصدها ليست نموا لا ضابط له . بل هى عملية نمو موجهة ومرغوب فيها derirable groth ومعنى هذا أنه لا ينكر المنهج . بل غاية ما يشترطه فيه هو أن يكون مرنا ملائما

المجتمع ، منتقلا لمختلف أوجه النشاط التي تمكن الصغار من اكتساب خبرات جديدة في أطوار النمو المختلفة

ثم إنه على أساس هذه الفكرة التربوية أقام نهائيا في مدارس الأحداث الأوربيـة عن طريقة التلقين القديمة ، ورسمت الطرق الحديثة في التدريس كطريقة المشروع وطريقة المشاكل وغيرها . ويعتبر « وليم كلباتريك » و « جون ستيفنسون » اللذان يذكران إذا ذكرت هذه الطرق من تلاميذ ديوى الذين تلقوا عنه في مدرسته أفكاره الرئيسية التي بنوا عليها فلسفاتهم فيما بعد

وكما كان لديوى أثره في الغرب كان له أثره أيضاً في الشرق وفي مصر خاصة . وقد بدأ المعنيون بشؤون التربية والتعليم يفتحون أذهانهم إلى هذه الفلسفة الجديدة واقتبسوا منها الشيء الكثير ، وتعتبر المدارس النموذجية إلى حد ما خير من أخذت بآراء ديوى . وهذا لا شك خطوة طيبة إلى الأمام . ونرجو أن يأتي قريبا هذا اليوم الذي تتحرر فيه المدارس المصرية من الطرق التقليدية الجافة في التربية ، وتعمم فيما بينها منهج ديوى وغيره من رجال التربية المحدثين بقدر ما تسمح به ظروف بيئتنا حتى نتخلص بذلك من الجمود والنقص المعيب الموجود في مناهجنا الحاليـة . وحتى يحين للتربيـة أن تثمر وتحقق المقصود منها

حسن محمد آدم

الولاة والعمال
في التاريخ الاسلامي

للأستاذ عواد مجيد الأعظمي

إن موضوع الولاة والعمال ، موضـوع فريد في بابه ، يستوجب البحث والعناية ، لأهميته في تبيان بعض الأسس المهمة في النظم الإدارية عند الإسـلام .. وقد لعب الولاة ، والعمال دورا فعالا في إدارة الممتلكات الإسـلامية في مختلف عصور التاريخ الإسلامي ، وحاولت جهدي بيان سياستهم تجاه الأمور المالية ، والسياسيـة ، والإدارية ، والعمرانيـة ، والقانونيـة ، والقضائيـة ، وسياستهم نحو الرعية ... وقبل البحث في سياسة الولاة من الناحية العملية ، والواقعية ، أرى لزاما توضيح معنى الولاية ، والإمارة ، وتطور مفهومها ، وملاحظة أسسها من الناحيتين النظرية والفقهية

معنى الولاية « الامارة » وتطور مفهومها

ليست الإمارة أو الولاية إلا شكلا من أشكال الإدارة المحلية خاضعة بصورة مباشرة أو غير مباشرة للسلطة المركزية المتمثلة في السلطان أو الملك أو الخليفة .. ومنشأها يرجع إلى حاجة الأمة في إدارة البلدان التابعة لها؛ وبعبارة أخرى أن توسع الدولة وتعقد شؤونها المختلفة أدى إلى وجوب إنشاء الإمارة أو الولاية « ويراد بالولاية — الإمارة على البلاد ، فيولى السلطان ، أو الملك ، أو الخليفة من يقوم مقامه في حكومة الولايات ، وهي الأعمال في إصلاحهم .. وهذا النوع من الحكم قديم »[1] .. «وكان لكل إقليم حاكم أوعامل ، والغالب أن يكون بطريقاً»[2] « وكان أمراء الأقاليم يسمون « عمالا » ومعنى عامل يفيد أن صاحبه ليس مطلق السلطة — على أنه فيما بعد استعملت كلمة والي وهذا يشعر بالنفوذ والسلطان»[3]

ويقول « متز » : « وبهذا الاسم كان يسمى — ولاة البلاد .. وكذلك أبناء بيت الخلافة »[4] ومن كل هذا نرى ، أن جميع المؤرخين المحدثين ، يتفقون على مفهوم الولاية أو الإمارة في أنها — نيابة — « وال » عن الخليفة ، أو الملك أو السلطان في إدارة شؤون الولايات التابعة له

وقد تطور مفهوم هـذه الكلمة — « فأطلقت كلمة « أمير » على يزيد بن عبد الملك كما أصبحت كلمة « عامل » في عهـد بني أمية تطلق على رئيس الناحية الإدارية كالمدير الآن[5] .. » وقد امتنع كافور بمصر من التسمي « بالإمارة » ورأى أن يجرى على رسمه في المخاطبة « بالأستاذية »[6] ... على

(١) جرجي زيدان — تأريخ التمدن الإسلامي — جـ١ ص١٢٨

(٢) البطريق — غير البطريريك — فالأول لقب ذي منصب سياسي والآخر لقب ذي منصب ديني — كرد علي الإدارة الإسلامية في عز العرب — القاهرة ١٩٣٤ ص ١٠٢

(٣) — حسن إبراهيم — النظم الاسلامية مصر ١٩٣٩ ص١٩٧

(٤) متز — الحضارة الإسـلامية في القرن الرابع الهجري — القاهرة ١٩٤٠ جـ ص ٢٧

(٥) حسن إبراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ١٩٧

(٦) متز — الحضارة الاسلامية — جـ ١ ص ٢٧

أنه في العصور العباسية المتأخرة اتخذت الإمارة شكل أمير الأمراء : » فقد لقب ابن رائق « أمير الأمراء » وصار بيده رئاسة الجيش وامتدت سلطته بصورة مباشرة على جباية الضرائب وعلى إدارة الحكومة المركزية ، وغدا اسمه يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة. »(٧) والواضح أن لقب « الأستاذية » و « أمير الأمراء » كان نتيجة لضعف مركز الخلافة العباسية وزيادة النفوذ الأجنبي وتوسع حركة انفصال الولايات عن جسم الدولة العباسية

الولاية فقهيا ونظريا

وقد صاغ الفقهاء نظرية الإمارة أو الولاية على النحو الآتي :(٨)

(١) إمارة عامة (٢) إمارة خاصة

والإمارة العامة على نوعين

(١) إمارة استكفاء بعقد اختيار

(٢) إمارة استيلاء بعقد اضطرار

والإمارة عن اختيار تشمل سبعة أمور أوردها الماوردى وهى : —

(١) النظر فى تدبير الجيوش . . وترتيبهم فى النواحى وتقدير أرزاقهم

(٢) — النظر فى الأحكام — وتقليد القضاء والحكام

(٣) — جباية الخراج — وقبض الصدقات وتقليد العمال

(٤) — حماية الدين — والذب عن الحريم — ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل

(٥) — إقامة الحدود فى حق الله وحقوق الآدميين

(٦) — الإمامة فى الجمع والجماعات — حتى يؤم بها أو يستخلف عنها

(٧) — تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه ومن غير أهله حتى يتوجهون معانين عليه(٩)

وأما الإمارة عن اضطرار فهى (١٠) التى يأخذها الوالى ويقرها الخليفة ، وفيها يكون الوالى مستبدا بالسياسة أو التدبير ، ولكن فى المسائل المتعلقة بالدين تكون من اختصاص الخليفة فلا يمكن أن يغض النظر عن بدعة أو إهمال(١١) . . ومن ذلك يقول الماوردى : « وأما إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ، وهذا وإن خرج من عرف التقليد المطلق فى شروطه وأحكامه ففيه من حفظ القوانين الشرعية وحراسة الأحكام الدينية ما لا يجوز أن يترك مختلا مدخولا ولا فاسدا معلولا ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ما امتنع فى تقليد الاستكفاء والاختيار لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز

وأما عن الإمارة الخاصة … فيقول الماوردى « يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، وتشمل المجتمع وموضع السكان ومستقر الدعوة — والذب عن الحريم — وليس له أن يتعرض للقضاء ، والأحكام والجباية ، والخراج والصدقات »

ونختم قولنا عن وظيفة العامل كما جاء فى كتاب قوانين الدواوين « أن العامل هو المتولى ، ويلزمه عمل الحسابات ورفعها ، والكتابة على ما يرفعه من معاملته منها بالصحة والموافقة ، وكل من الناظر والمشارف ، إنما هو لضبطه ، والشد منه ، ويلزمه تحقيق الباقى إذا انصرف من الخدمة » (١٢)

هذه هى مصيغة الفقهية … لشكل الولاية ، وأقسامها ووظيفة الوالى والعامل وسنبحث فى الفصول الأخرى — الناحية العملية فى سياسة الولاة والعمال فى مختلف عصور التاريخ الإسلامى وعلى القارئ ملاحظة مدى المطابقة والمقارنة بين الناحيتين الفقهية العملية فى سياسة الولاة والعمال فى مختلف شؤون الحياة

(٧) الدكتور الدورى — دراسات فى العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٥ ص ٢٣٦

(٨) الماوردى ـ الأحكام السلطانية ـ ص ٢٤ — ٢٩ وكتاب القاضى : ابن الفراء الحنبلى : الأحكام السلطانية : ص ١٧ : ٢٢

(٩) الأحكام للماوردى « إقترن بها ثامن ـ وهو جهاد من يليه من الأعداء »

(١٠) وتسمى « إمارة الاستيلاء » ـ الحنبلى ـ الأحكام السلطانية ص ٢١

(١١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٠٠

(١٢) : أسعد بن مماتى ـ كتاب قوانين الدواوين ـ مصر ١٩٤٣ ص ٣٠٣

بغداد ـ العراق **عواد مجيد الأعظمى**

نظرات خاطفة

شاعر السودان *

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

تتمة ما نشر في العدد الماضي

إذن فشعر العباسي هو شعر الفخامة والجزالة والموسيقى العربية الأصيلة ذات الإيقاع الكلاسيكي والرنين البدوي المنيف الذي يعيد لنا تارة صوراً من شعراء بني العباس وأخرى من شعراء الأمويين الذين عاصروا الخلفاء الراشدين وعمروا حتى أوائل الدولة التي اتخذت دمشق عاصمة لها

على أنني وقد قرأت الديوان بإمعان رأيت ناحيتين مهمتين تطغى على شعره وهما :

١ — حبه لمصر :

عرفنا أن الشاعر جاء إلى مصر في مطلع حياته ودخل المدرسة الحربية في القاهرة ليعد نفسه حاميا لسياج الوطن، وعلمنا أيضا أنه مكث فيها مدة سنتين وكان آنذاك طري الإهاب، ندي العود، في فجر شبابه الريان، فلذلك لم نعجب إذا ما ظل وفيا إلى الديار التي أبلى فيها بعض سني شبابه، ولا نستغرب منه حنينه إلى معاهد شبيبته ورفاق صباه؛ خاصة بعد ما ترك فيها أستاذه الشيخ زناتي الذي كان له الفضل الأكبر في توجيهه وتثقيفه، لذلك نسمعه يقول فيها :

مصر وما مصر سوى الشمس التي ... بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما ... أسعى لطيبة أو إلى أم القرى(١١)
وبقيت مأخوذاً، وقيد ناظري ... هـذا الجمال، تلفتاً وتحيرا
ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد ... كم من يد عندي لدان تكفرا(١٢)
دار درجت على ثراها يافعاً ... ولبست من برد الشباب الأنضرا

١١) طيبة هي المدينة المنورة وأم القرى مكة المكرمة

١٢) يشير الشاعر إلى المدارس الحربية المصرية فلقد التحق بها سنة ١٨٩٩ وقدم استقالته منها بعد سنتين

ثم يسترسل في وصف ربى مصر ومغانيها ورياضها وطيب هوائها العليل :

فهنا يسكب الشاعر أله الذي يحس به منذ فارق مصر وفرحه بالعودة إلى البلد الذي أحبه وعقد عليه رجاءه ورجاء شعبه الكريم لذلك يهتف في مدح « ملك الوادي » من منبعه إلى مصبه

أقوى المالكين عزيمة ... وأسدهم رأيا، وأكرم عنصرا
فأقام من صرح العروبة ركنه ... مذ قام فيها منذرا ومبشرا

ثم يقول

مولاي يازين الملوك ومن غدت ... مصر به زين العواصم والقرى
علمت جاهلها وعال فقيرها ... وسقيتهمو بمنى يديك الكوثرا
بوركت من ملك وبورك عهدك الميمون ما أبهى سناه وأبهرا
انظر إلى السودان نظرة مشفق ... فلقد أمض زمانهم وتنكرا
وهمو بعرشك لائذون ومالهم ... إلاك من يذر العسير ميسرا
فلذا تراهم كالعطاش تطلعوا ... بالدو يرتقبون مزنا ممطرا(١٣)

ثم يصرخ صرخته الوجعة فيشرح لملك النيل حال شعبه وما فعل به المستعمر البغيض من تفرقة الصفوف وسجن الأحرار وخنق الحريات وكم الأفواه فيقول :

ضربوا بأقفاص الحديد عليهم ... مثل الذي فعلوا بآساد الشرى
صبروا لها صبر الجبال رواسيا ... وسروا وما ملوا مغالبة السرى(١٤)
وسهرت أحـدوهم بذكرك دائما
وحدى وأشدو بلبلا أو مزهرا (١٥)
حتى لصغت لكل أذن منهمو ... قرطا وكنت فريده المتخيرا(١٦)

ونراه في قصيدة أخرى يتشوق فيها إلى عهد الشباب الذي قطعه في مصر وهو ناعم البال مستريح القلب فيقول :

هل إلى مصر رجعة وبنا شرخ شباب غض وزهرة عمر
وليال قد أشرقت في رباها ... كلها في الأقدار ليلات قدر

١٣) الدو : الأرض المفازة التي لا ماء بها ولا شجر

(١٤) السرى : السير ليلا

(١٥) يستبان من هنا أن ثقافة الشاعر الدينية هي التي جعلته يورد في الشعر هذه اللفظة الفقهية وأعني بها (دائما)

(١٦) من قصيدته « آمال السودان في مليك الوادي » ص ٢٢، من الديوان

ومكان كأن كل نسيم ناشر فى أرجائه طيب نشر
يبهر العين منه مرأى أنيق من مروج قيد النواضر خضر
وهناك النسيم يعبث بالما ء، ويزرى والورق الهاء تفرى
وهناك البهى من كل زهر وهناك الشجى من كل طير
بقمة شاكات هوى كل نفس فصبا نحو حسنها كل فكر
رب هل تلك جنة الخلد أدخلتنا إليها أم تلك جنة سحر
كنت فى ذلك الحمى ناعم البا ل خليا من كل قيد وأسر
فيك يا مصر لذتى ومسرورى وسميرى وقت الشباب وذكرى

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن أكثر شعراء السودان لا يزالون متعلقين بمصر، يبنون عليها آمالهم وآمال شعبهم وبلادهم غير ملتفتين إلى صيحات دعاة التفرقة والاستعمار. هاتفين بالوحدة والتمسك بأهداف أمهم الحنون. وعلى رأس هذه الطبقة من الشباب المرحوم شاعر الإبداع التيجانى يوسف بشير. فهو يقول فى قصيدته « ثقافة مصر » (١٧)

عادنى اليوم من حديثك يا « مصر » رؤى وطوفت بى ذكرى (١٨)
وهفا باسمك الفؤاد ولجت بسمات على الخواطر سكرى
من أنى صخرة الوجود ففرا ها وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرا رأء روياجم الأواذى غمرا (١٩)
كلما مصر المسود منها زاد فى مجده جلالا وكبرا
كلما طوق « الكنانة » علما خولتنا منه روافد تترى
هو من صاغنا على حرم النيل وشطآنه دعاء وشكرا
لجر النيل يوم نشر فى الأرض ضحاها وصاغ للناس لجرا
قال :
كن فاستجاش يقذف دفا عا ويجرى على الشواطئ خرا

ويقول أيضاً فى قصيدته « رسل الشباب فى مصر »

وشباب من الكنانة حمس ينثرون الحماس صاعا بصاع
صرخوا بالعرين صرخة ذى مجد مذال وذى مقر مضاع
فى سبيل الجهاد من مصر بنوها بمنصل ويراع
وأرى مصر والشباب حليفى مجد فرعون أو ضجيعى بقاع
مصر دين الشباب فى الحضر الراقه والبدو من قرى وبقاع
مصر أم الشعوب ماذا عراها واعترى الشرق من وجى وضياع
حبذا الموت فى سبيلك يا مصر لنفس عن الحمى دفاع

* * *

قل لمصر وحيها فى شباب صيغ من جرأة ومن إزماع
شاد أركانها وشد ذراها وابتنى صرح مجدها المتداعى
فى جهاد من العقيدة صدق ونضال عن الحمى وقراع
مصر يامهبط الحضارة والنور ويامبمث الهدى كل ساع (٢٠)

وهكذا نجد أكثر أرباب الفن والقلم فى السودان لا ينكرون فضل مصر عليهم بل يتجهون دائما وأبداً صوب زعيمة النهضة وأم البلاد العربية متخذين منها قبلة يوجهون إليها صلاتهم وتسابيحهم وأناشيدهم لأنها الملجأ الوحيد والأمل الذى يخلصهم مماهم فيه، ولا غرو ففضل أعلام مصر وأدبائها وشعرائها يستوى فيه السودانى والسورى والعراقى واللبنانى وكافة العرب فى أقطارهم . .

والناحية الثانية الظاهرة فى شعر العباسى التى تظهر واضحة جلية فى شعره هى بكاؤه على شبابه الذاهب وتذكره أيامه السالفة

٢ — ذكرى الشباب :

تطالعنا لوعة تذكره لأيام صباه فى كل قصيدة من قصائده، فهو يبكى على ساعات لهوه وسنى مراحه وذكريات أفراحه، والناظر فى ديوانه يلمس هذه الظاهرة بوضوح تام فلنستمع إليه وهو يقول :

فارقتها والشعر فى لون الدجى
والليوم عدت به صباحا مسفرا (٢١)
« سبعون » قصرت الخطى فتركننى
أمشى الهوينا ضالعا متعثرا (٢٢)
من بعد أن كنت الذى يطأ الثرى
زهواً، ويستهوى الحسان تبخترا

(١٧) ديوان إشراقة « ص٨٦ »
(١٨) رؤ : المنظر
(١٩) الأواذى جم آذى وهو الموج

(٢٠) ساع : ساعة
(٢١) فارقتها أى « مصر »
(٢٢) ضالع : معوج

يامن وجدت بحبهم ما أشتهى   هل من شباب لى يباع ويشترى
ولو انهم ملكوا لما بخلوا به   ولأرجعونى والزمان القهقرى
لأظل أرفل فى شباب فاتنى   زمن الشباب ، وفته متحسرا

أو يقول : —

وقد قلب قد سلا نشوة الصبا   وقد كان فى ريعانه جد جاهد
وهل أبقت الأيام شيئا ألذه   وقد أسلمتنى للردى والشدائد
لذا بعت لذات الصبا غير نادم   وعدت لشيب لم يكن خير وافد

أو يقول :

ليت الشباب عاد لى   بعد المشيب والكبر
حتى أرى أين محط   الرجل من كف القدر

أو قوله :

واليوم قصر بى عمـا أحاوله   وعاقنى عن لحاق الركب ما عاقا
وأنكر القلب لذات الصبا وسلا   حتى النديمين : أقداحا وأحداقا
أحبو إلى الخمس والستين من عمرى
حبواً وأحمل أقلاما وأوراقا

أو قوله :

ماأنس لاأنس إذجاءت تمانبنى   فتانةاللحظذات الحاجب النونى
يا بنت عشرين والأيام مقبلة   ماذا تريدين من موءود خمسين ؟

أو قوله :

ولى شبابى وانطوت   أيام غصنى الندى
جادك نجاح الحيا   من مبرق ومرعد
لأنت ريحان القلو   ب عدت أو لم تعد

وهكذا فنحن كلما قلبنا صفحات الديوان لاتقع أعيننا إلاعلى ذكرى مؤلمة لشباب مضى .. فهو كلما مرت به مجلة الحياة سجل أعوامها فى شعره وهذا يرجع سببه كما يقول « علماء النفس » إلى كبت عواطفه وعدم الانسياق فى ظرف اللهو التى يزينها الشباب وعدم إطاعة نوازع الجسد فى دور الصبا؛ وذلك لوجوده فى بيئة جامدة محافظة ووجوده بين أحضان عائلة دينية متمسكة بتقاليدها ، لذلك نجد طابع الألم مرتسما على كل بيت يذكر فيه شبابه كما يفعل اليوم أكثر الرجال الذين يحرمون فى شبابهم من متع الحياة لفقرهم أو لانصرافهم إلى العلم ولكنهم عندما تتاح لهم الفرصة ولو فى كهولتهم تراهم يركضون وراء اللذات كأنهم منطلقون من السجون ، كما حدث للشاعر الرصافى فإنه بعد أن قضى شبابه وهو منطو على نفسه رأيناه فى صدر رجولته يعب من كؤوس اللذة عبا ، دون ما وازع أو رادع

ولذلك فإن الصامى محق ببكائه على أيام شبابه لأنه حرم من لذته وهو فى كل ما قاله صادق العاطفة يحس فيه قارئه حرارة اللوعة وصدق الإيمان

إلى هنا نمسك عن الحديث انترك المجال إلى غيرنا للكتابة عن هذا الشاعر لنعود مرة أخرى إلى تقديم نماذج جديدة من شعراء السودان الشباب فى أعداد قادمة إن شاء الله

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

ديوان مجد الإسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (١)

هى الأواصر أدناها الدم الجارى   فلا محالة من حب وإيثار

الأسرة اجتمعت فى الدار واحدة   حييت من أسرة بوركت من دار

مشى بها من (رسول الله) خير أب   يدعو البنين ، فلبوا غير أغمار

تأكد العهد مما ضم ألفتهم   واستحصد الحبل من شد وإمرار

كل له من سراة المسلمين أخ   يحمى الذمار ويرعى حرمة الجار

يطوف منه بحق ليس يمنعه   وليس يعطيه إن أعطى بمقدار

يجود بالدم ، والآجال ذاهلة   ويبذل المال فى يسر وإعسار

هم الجماعة ، إلا أنهم برزوا   فى صورة الفرد فانظر قدرة البارى

صاح النبى بهم كونوا سواسية (٢)   ياعصبة الله من صحب وأنصار

هذا هو الدين لاما هاج من فتن   بين القبائل دين الجهل والعار

ردوا الحياة ، فما أشهى مواردها   دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار

الجاهلية منهم ناقع وأذى   تشقى النفوس بداء منه ضرار

تأهبوا ، إن دينا قام قائمه   يومى إليكم بآمال وأوطار

أما ترون رياح الشرك عاصفة   تطغى على أمم شتى وأقطار ؟

أن أترك الناس فوضى فى عقائدهم   وأن أسالم منهم كل جبار

أكلما ملك الأقوام مالكهم   رمى الضعاف بأنياب وأظفار ؟

الشر غطى أديم الأرض ، فارتكست (٣)   أقطارهم بين آثام وأوزار

أخفى محاسنها الكبرى فكيف بكم   إذا تكشف عن وجه لها عار ؟

لأنزلن ذوى الطغيان منزلة   تستفرغ الكبر من هام وأبصار

ظنوا الضعاف عبيدا بئسما زعموا   هل يخلق الله قوما غير أحرار ؟

ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم   بواحد غالب السلطان قهار ؟

يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها   مبثوثة فى جناحى عاصف ذار

بعثت بالحق ، يهدى الجامحين كما   يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى

أدعو إلى الله بالآيات واضحة   تهدى الغوى ، وتنهى كل كفار

فمن أبى ، فدعانى كل ذى شطب (٤)   ماضى الرسالة فى الهامات بتار

الله أكبر هل فى الحق منقبة   لمستخف بعهد الله غدار ؟

الم يكن أخذ الميثاق من قدم   فما المقام على كفر وإنكار ؟

إن الأولى اتخذوا الأصنام آلهة   على شفا جرف من أمرهم هار

يستكبرون على من لاشريك له   ويسجدون على هون لأحجار

راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا   والله أولى بإجلال وإكبار

لكل قوم إله يؤمنون به   ما يبتغى الله من إيمان فجار ؟

النار أعظم سلطانا ومقدرة   فى رأى عبادها ، أم خالق النار ؟

سبحانه من إله شأنه جلل   يهدى النفوس بآيات وآثار

---

(١) كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة — وقيل وهو يبنى — وكان المراد فيها إزالة الوحشة ، وشد الأزر فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الاسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وكان نزول هذه الآية الشريفة فى وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم من قبل »

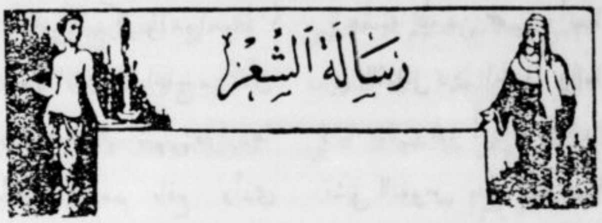
وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا

عن زيد بن أبى اوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فجعل يقول : أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال : إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه ، وحدثوا به من بعدكم ، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ، ثم قرأ (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) قال : وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته ، قم يا أبا بكر ، فجثا بين يديه الشريفتين فقال : إن لك عندى يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذا خليلا لا تخذتك ، فأنت عندى بمنزلة قميصى من جسدى ، وحرك قميصه بيده . ثم قال : ادن يا عمر ، فدنا فقال : قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص ، فدعوت الله أن يعز بك الدين ، أو بأبى جهل ، ففعل الله ذلك بك ، وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة

وآخى بين المهاجرين والأنصار ، فجعلهم أخوين أخوين وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء ، وقيل كانوا تسعين ، وكانت المؤاخاة فى دار أنس بن مالك ، وهى دار أبى طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل

(٢) سواء   (٣) ارتكس الرجل والشىء انتكس

(٤) الطرائق فى السيف



١ – إلى مجلس الدولة

للاستاذ محمد يوسف المحجوب

يامعقلا أنصف الأحزاب كلهم ولم يجد منصفا منهم إذا حكموا
الحق رائده .. والعدل ديدنه سيان مضطهد يشكو ومنتقم
ليت الأولى هتفوا لما نصرتهم تذكروا صنعهم بالأمس أو ندموا
بل ليتهم فكروا في يومهم لغد لكنها شهوات النفس تضطرم
خلف السياسة والأحزاب أفسدنا حتى القضاء .. له كادوا وما رحموا
لكنك الطود : لم تهتز إذا عصفت بك الرياح .. ولازالت بك القدم

° ° °

لأ كشفن عن الأبصار إذ عميت ما أسبل الجهل من حجب وأستار
ما للسراحين(٥) بد من مصارعها
إذا انقضت سطوات الضيغم الضارى
ضموا القوى إنها دنيا الجهاد بدت أشراطها وترا آى زندها الوارى
لابد من غارة للحق باسلة وجحفل من جنود الله جرار
خير الذخار أبقاها ولن تجدوا كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
لا تنقضوا العهد إن الله منزله على لسان رسول منه مختار
قالوا : عليك صلاة الله ، إن بنا ما يعلم الله من عزم وإصرار
آخيت بين رجال يصدقون إذا زلت قوى كل خداع وختار
جنود ربك ، إن قلت اعصفوا عصفوا
يرمون في الحرب إعصارا بإعصار
من كل منغمس في النقع مرتجس(٦)
وكل منبجس(٧) باليأس فوار

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

(٥) السراحين الذئاب
(٦) ارتجست السماء رعدت ، والسحاب صوت
(٧) انبجس الماء ونحوه تفجر

يا موئل الدولة اضرب للحمى مثلا عليا وبصر بنى قومى فقد وهموا
كم حاولوا أن ينالوا منك وأسفا ماذا سيبقى إذا ما حصننا هدموا ؟
لعل فيما رأوه عبرة لهم لو أنصفوا قبلوا الجدران واستلموا
علمتنا أن روح العدل باقية وأن صرح الهدى هيهات ينهدم
وأن فيك قضاة كلما جلسوا للحكم عفوا فما جاروا ولا ظلموا
لوجه مصر وللتاريخ ما كتبوا وللعدالة والإصلاح مارسموا
حصن البلاد : تحياتى وتهنئتى وما أهنئ أقواما لك احتكموا
لكن أهنئ فيك العدل مؤتلقا فالعدل أعظم ما تحيا به الأمم

٢ – حتى النساء ..

حتى النساء وما قربن من النيابة – بعد – قربا
أو ذقن طعما لانتخا ب بات يشغفهن حبا
دب الخلاف بجوهن وقام معركة وحربا
أنظر لجمعياتهن وما حوت : طعنا وسبا
أوما ترى « الحزب النسائى » قد غدا عشرين حزبا ؟
فصلت رئيستهن عضوات به إربا فإربا
وفصلن منه رئيسة فاضحك معى عجباً وعجبا
البعض يأكل بعضه قد صار جد الأمر لعبا ..
يابرلمان : متى أراك بجوهن ملئت صخبا ؟
وأرى معاركهن فيك تطورت : لطما وندبا ؟
يا أطول النواب زندا من بنى جنسى وأربى
وأشدهم لسناً وأجرأهم – لدى الميدان – قلبا
يا صاحبى : قل لى إذا زاحمنكم جنبا لجنبا
وغدا التنافس بينهن وبينكم دفعا وجذبا
كيف المصير متى دخلن البرلمان ؟ وقيت ضربا
وحماك ربى يا زميل ولا أراك الدهر فلما
من « شبشب » ينهال إن عارضت ثائرة وغضبى
ومن المخالب إذ ترى أظفورها بقفاك « طبا »
ومن الدموع الزائفا ت إذا انهزمن تفيض سكبا
ومن القرار بفصلكم تمضيه « زنوبه » « وبنبا »

محمد يوسف المحجوب

الكتب

وحدى مع الأيام

للشاعرة الآنسة فدوى طوقان

للأستاذ كامل السوافيرى

أعتقد أنى لست بحاجة إلى أن أقدم للقراء الشاعرة الآنسة فدوى طوقان صاحبة ديوان « وحدى مع الأيام » الذى أصدرته لجنة النشر للجامعيين ، وهى الكوكب اللامع فى سماء الشعر ، والنجم الساطع فى أفق الأدب ، والبلبل الصداح فى دوح العروبة الذى غنى فأشجى القلوب ، وهز النفوس

عرفت فدوى منذ فترة تزيد على عشرة أعوام مما قرأته لها من قصائد ومقطعات على صفحات الرسالة الغراء ، والأديب الزاهرة ، وقد اختصصتهما بطائفة كبيرة من إنتاجها الشعرى ، فهزنى شعرها ، وأطربنى غناؤها ، لا لأنه شعر نسائى ظهر فى فترة أقفر فيها الشعر الحديث منه . ولا لأن صاحبته آنسة تستحق المجاملة والتشجيع ، ولكن لأنه صادر عن شعور صادق ، وموهبة فطرية . وكنت أتيقن أن يوما قريبا آت تتبوأ فيه الشاعرة الناشئة مكانها فى موكب الشعر . وقد حققت الأيام ذلك وأصبحت فدوى طوقان شاعرة لا لفلسطين وحدها ؛ بل لدنيا العرب والعروبة

وليس ديوان الشاعرة إلا مجموعة من القصائد المتناثرة هنا وهناك تخيرتها الشاعرة مما نظمت وضمتها إلى بعضها ، لوجود وحدة نفسية بينها ، فهناك شعر كثير لم يتضمنه الديوان ولعلها تنشره فى ديوان آخر

وأستميح صديق الكاتب المعروف ، والناقد اللامع الأستاذ أنور المعداوى العذر إذ أنوه بإشرافه الفنى على إخراج الديوان . وأنا أعلم أنه لن يرضيه هذا التنويه . ولكنه يرضى الفن والأدب ، وإلى المشرف يرجع الفضل فى الحلة الأنيقة التى ظهر بها الديوان

أهدت الشاعرة الفاضلة ديوانها إلى روح شقيقها الشاعر المرحوم إبراهيم طوقان الذى قصفت يد المنون غصنه الرطيب وهو ريان الصبا ، ربق الشباب ، وكان للشاعرة الأخ والوالد والأستاذ ، فأحدث موته فى قلبها فاجعة لم تستطع الأيام أن تسدل عليها ستار النسيان ، وشق فى فؤادها جراحا لم تندمل ، وفجر فيها ينابيع الحزن والأسى ، فصاغت من دموع العين ، ودماء القلب ، المراثى تزخر باللوعة ، وتفيض بالألم ، وهى فى حزنها عليه ورثائها له تلتقى بالشاعرة المخضرمة الخنساء فى بكائها على أخيها صخر ، ورثائها له ، ويبدو أن فجيعة فدوى بإبراهيم كانت فوق ما يحتمله قلبها ، فأحالت حياتها الهانئة الوادعة إلى مأتم دائم ، ودموع لا تجف وزفرات لا تنقطع ، وطبعت شعرها بطابع الأسى والحزن ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائدها من الحزن الدفين ، والحرقة اللاذعة

استمع إليها فى قصيدتها « حياة » ص ٣٩ من الديوان التى مطلعها

حياتى دموع

وقلب ولوع

وشوق ، وديوان شعر ، وعود

إذ تبكى أحباءها الراحلين إلى عالم الخلود ، وتصور اللوعة على فقدهم ، فتناجى روح المرحوم والدها ، ثم تتجه إلى شقيقها إبراهيم الذى كان لها نبع حياة وحب ، وضياء العين والقلب ، وإذا برياح الموت العاتية تطفئ شعلته وتصبح الشاعرة وحيدة فى ظلام الوجود ، حائرة فى قفار اليأس ، لا نور يهديها ولا أمل يداعبها

وفى ليل سهدى

يحرك وجدى

أخ كان نبع حياة وحب

وكان الضياء لعينى وقلبى

وهبت رياح الردى العاتيه

وأطفأت الشعلة الغاليه

وأصبحت وحدى

ولا نور يهدى

الحلج حيرى بهذا الوجود

ومن قصيدة « على القبر » ص ١١٥ تناجى قبره فتحس أن للقبر إشعاعا من النور ، وأنه أجمل القبور لأن دنياها فيه ، وفى قلبها مأتم دائم

آه يا قبر.. له إشعاع نور

لا أرى أجمل منه فى القبور

فيك دنياى وفى قلبى الكبير

مأتم ما انفك مذبات لديك

قائما يأخذ منه بالوتين

وهنا أقف لحظة لأسجل أن فدوى قد بلغت القمة فى هذا الفن ؛ أقصد فن الرثاء من ناحية الصدق الشعورى ؛ والصدق الفنى وأقصد به الصياغة اللفظية التى تتجلى واضحة فى شعر الشاعرة . مما يدل على تمكن من لغة عدنان ، وإحاطة بأسرار بيانها ، واستعمال مفرداتها . وللشاعرة فى رثاء أخيها شعر كثير لم يتضمنه الديوان

ونترك فدوى التى هدها الحزن. وأضناها الأسى على إبراهيم.. إلى فدوى الشاعرة الوطنية التى ترى بلادها المقدسة تخر صريعة أمام العدوان الاستعمارى الظالم — ولا أقول الاستعمار الصهيونى فنحن نعلم من يقف وراء الصهيونية — وتشاهد الكارثة المريعة تدمر بناء أمتها وتدك مجدها فتثور عاطفتها الوطنية، وترسل صيحتها الشعرية تستصرخ أبطال العروبة وتستنهض همم العرب ليدفعوا عن فلسطين العدوان ويدرأوا عنها العدو؛ فتقول من قصيدة « بعد الكارثة » ص ١٢٧

يا وطنى مالك يحنى على روحك معنى الموت معنى العدم

أمضك الجرح الذى خانه أساته فى المأزق المحتدم

لا روح تستنهض من عزمهم لا نخوة تحفزهم ، لا همم

ولا يلبث الأمل أن يداعب قلب الشاعرة فتحس أن الغمرة ستنجلى ، وأن هذا الليل المظلم سيعقبه فجر مشرق ، وأن السحاب المركوم سيتبدد عن صفحة الجو ، فلا يزال فى الأمة العربية شباب أحرار من الذين يأبون الضيم ، ويحاربون الهون

لن يقعدوا عن ثأرهم

ستنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم

هو الشباب الحر ذخر الحمى اليقظ المستوفز المنتقم

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم

ولقد عاصرت فدوى مراحل جهاد العرب فى فلسطين ضد الاستعمار البريطانى والصهيونية الآثمة. وشهدت قوافل أبطال الحرية المتتابعة ، الذين قدموا أرواحهم رخيصة للدفاع عن أوطانهم منذ البطل المجاهد المرحوم عز الدين القسام . إلى الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ . وشهدت جبلى جرزيم وعيبال يموجان بالمجاهدين من أبطال جبل النار؛ فكان كل ذلك من أكبر العوامل التى جعلت من فدوى شاعرة وطنية تؤجج فى النفوس عاطفة الدفاع عن الوطن. وتضرم فيها النخوة والحمية ، وتذكر المجاهدين العرب بصفحات البطولة اللامعة التى سطرها التاريخ لأجدادهم الغابرين

وتقع الكارثة عام ١٩٤٨ وتهوى البلاد إلى حضيض الاستعباد وتهيم جيوش اللاجئين من أبناء فلسطين على وجوههم ، يبحثون عن المأوى فلا يجدون إلا المغاور والكهوف والأودية والشعاب والخيام المهلهلة التى لا ترد الحر والقر فيتخطفهم الموت زمرا لافرادى . ويوحى هذا المنظر المريع الشعر فى قلب فدوى فتنشد من قصيدة « مع لاجئة فى العيد » ص ١٢٩

أختاه هذا العيد رق سناه فى روح الوجود

وأشاع فى قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد

وأراك مابين الخيام قبعت تمثالا شقيا

متهالكا يطوى وراء همومه ألما عتيا

يرنو إلى اللاشئ ... منسرحا مع الأفق البعيد

وأترك هذين الفنين الشعريين من الفنون التى حلقت فيهما الشاعرة إلى الحديث عن فدوى الإنسانة التى لا تقف برسالتها الفنية عند تصوير عواطفها ، وبث آلامها وأحزانها . شأن الشعراء الذين يتحدثون عن ذواتهم ولا يحسون بإحساس أمتهم ومشاكل مجتمعهم ، لأقرر أن فدوى فنانة وإنسانة تشاطر البائسين آلامهم ، وتدعو البشرية لتجفيف دموعهم . وتنادى بالعدالة الاجتماعية حتى لا يكون فى الناس جائع ولا محروم

تقول من قصيدة « مع سنابل القمح » ص ٢٦

كم بائس ، كم جائع كم فقير يكدح لايجنى سوى بؤسه
ومترف يلهو بدنيا الفجور قد حصر الحياة فى كأسه

* * *

لم تحبس السماء رزق الفقير لكنه فى الأرض ظلم البشر

بق أن أقول بعد ذلك أن هناك ظاهرة واضحة تطالع النقاد فى شعر فدوى : وليست تلك الظاهرة سوى فراغ الحياة . أوسعها إن شئت الحرمان . الحرمان من العطف والحنان . الحرمان القاتل الذى جعل الحزن يرين على نفسها ، ويستحوذ على قلبها فيشعرها بأنها تحيا غريبة فى دنيا الناس . ولعل اسم ديوانها أكبر دليل على ذلك حيث أضنتها الحيرة ، واستبد بها القلق ، فرغبت عن الحياة وتمنت أن تنطلق روحها من الأرض إلى السماء

تقول فى قصيدة « أشواق حائرة » ص ٣٢

وهناك تومى لى السماء وبى شوق إليها لاهف عارم
فأود لو أفنى وأدمج فى عمق السماء ونورها الباسم

وقد كررت الشاعرة هذا المنى فى قصائد متعددة من الديوان وقد أوحى إليها هذا القلق بالتساؤل عن حقيقة الموت والبعث والخلود

تقول من قصيدة « خريف ومساء » ص ١٢

عجبا ما قصة البعث وما لغز الخلود ؟
هل تعود الروح للجسم الملقى فى اللحود ؟

وأنتقل إلى شعر الطبيعة فى ديوان فدوى لأقرر أن الشاعرة قد تغنت بجمال الطبيعة فى البيئة المحيطة بها ، والشاعرة عاشت فى مدينة عريقة فى مدينة نابلس فى فلسطين حيث يحتضن جبلا جرزيم وعيبال المدينة ، وعلى سفح الجبلين تكثر المروج التى أوحت للشاعرة بقصيدة «مع المروج» ص ٩

هذى فتاتك يامروج فهل عرفت صدى خطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو يامثوى صباها
درجت على السفح الخضير على المنابع والظلال
روحا تفتح للطبيعة للطلاقة والجمال

وقد حلقت الشاعرة فى أجواء بعيدة ، وتناولت فنون الشعر المختلفة ، وبرهنت على أن طاقتها الشعرية متعددة المنافذ تغذيها ثقافة واسعة ، واطلاع دائم

ولها فى الديوان قصائد عن تجارب شعورية اجتازتها الشاعرة فكانت تعبيراً صادقا عما يختلج فى شعاب القلب ومسارب النفس ، وتبدو هذه التجارب فى القصائد الآتية من الأعماق ، غب النوى ، إلى صورة

ولا ينحدر مستوى الشاعرة فى هذه التجارب عنه فى الرثاء والوطنيات . والتأملات والنزعات الفلسفية

وبعد فأظننى قد قدمت للقراء صورة عن ديوان الشاعرة الملهمة التى قرأوها . والتى قدمها شعرها إلى القراء خير تقديم

كامل السوافيرى

البريد الأدبي

رسالة فى أدب البشرى

تلقيت عن طريق صحيفة « المصرى » الغراء كتابا من الأستاذ جمال الدين الرمادى يقول فيه إنه بعد رسالة جامعية عن المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى للحصول على إجازة «الماجستير» ويستفسرنى عما نشرته قبل سنوات فى « الرسالة » عن شعر الشيخ البشرى الذى كان ينشره فى صحيفة (الظاهر) التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك

وكنت أريد أن أجيب الكاتب الفاضل برسالة خاصة لولا أنى افتقدت كتابه خلال إقامتى فى المصيف برمل الإسكندرية ، ومن ثم انبهم على عنوانه الذى طلب إلى أن أكتب إليه بوساطته

والذى سمعته من شيخنا البشرى عام ١٩٣٤ أنه كان يقول الشعر وينشره فى بعض الصحف ومنها جريدة الظاهر ، على أن ما نشره فى تلك الصحيفة لم يكن يعدو — فيما يظهر — هجاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد — رحمه الله — أيام قضية الزوجية المشهورة عام ١٩٠٤ ولو رجع الكاتب الفاضل إلى مجموعة الظاهر فى تلك السنة لوجد عندها الخبر اليقين . فإذا غم عليه الأمر فإنى أنصحه بالرجوع إلى الكاتب اللغوى الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فهو حجة فى أدب البشرى إذ كان يملى عليه مقالاته فى أخريات أيامه

والذى أعرفه من طبيعة الشيخ البشرى أنه لم يكن يعنى بجمع ما ينشره فى الصحف الدائرة ، ولقد عهد — رحمه الله — إلى كاتب هذه السطور وبعض إخوانه فى جمع المقالات التى احتواها فيما بعد كتابه « المختار »

وبعد ، فأحب أن أشكر للأستاذ جمال الدين الرمادى حسن ظنه بصاحب هذا القلم الضعيف ، وأرجو أن يوفقه الله لنشر أدب البشرى قبل أن يعفى عليه الزمان

منصور جاب الله

تحية طيبة

قرأت بالعدد ٩٩٣ من الرسالة الغراء بحثا موضوعه « جحا القاضى » للأستاذ عطا الله ترزى باشى جاء فيه ما يأتى : —

« ولئن كان جحا ضحكة بين الناس فإنه لم يكن صاغرا أو مهانا راضيا بالذل والضيم » وجاء الشرح بالحاشية لكلمة « ضحكة » هكذا : —

« هو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه »

ونحن نتساءل أيريد الأستاذ الكاتب كلمة ضحكة (بفتح الحاء المهملة أم بسكونها ؟) إن كان يريد الأولى فالشرح الذى أورده على هذا فى الحاشيه خاطئ لا يستقيم وكذلك الأمر إن أراد الثانية

تقول العرب ضحكة بضم ففتح لمن يضحك على الناس . وتقول ضحكة بضم فسكون لمن يضحك عليه الناس . ويكون الأستاذ على هذا قد أتى بشرح لا يخضع تحته أحد اللفظين

قال ابن السكيت فى الإصلاح والتبريزى فى تهذيبه « إعلم أن ما جاء على فعلة بضم للفاء وفتح للعين من النعوت فهو على تأويل فاعل وما جاء منه على فعلة ساكن العين فهو فى معنى المفعول » وجاء بالمقامة الثالثة والعشرين «الشعرية» للحريرى :

وإنى لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام . فأفتضح بين الأنام . وتحبط مكانتى عند الإمام . وأصير ضحكة بين الخاص والعام ...) أى يضحك على

خميس محمد ابراهيم

على هامش الحياة — رسالة

« وبعد » فقد حدثتنى نفسى أن أخط إليك هذه الرسالة ، وقطعت بين الإحجام والإقدام شوطا بعيداً ، وكاد يقعد بى عنها أننى كتبت إليك مثلها يوما ، فما حققت غرضا ، ولا أصبت هدفا ، وواجهتنى حين التقينا بالصمت ، فلم أدر مخبوء سرك ، ولم أتكشف وقعها على نفسك ، وظللت على خطتك فى الحياة ، لا تبالى نصيحة ، ولا تحفل بتسديد ، وكاد يقعد بى عنها ثانيا أن موضوع الحديث شائك ، وقد أكون فيه متهما ، وربما وصمتنى فيه بالحيف أو التحيز ، أو ما يحلو لك أن تسميه ، ويشهد الله أن باعثه هو الشعور الأخوى الذى يوحد بينى وبينك ، فرد هذه

الرسالة إلى وإن توجهت إليك . وما إخال واحداً منا يرضى أن يحايد أخاه ، أو يقنع منه باللقاء والافتراق، والتبسط فى الحديث ، والجهد فى الابتسام ، وستر الخواطر ، ولست أملك نفسى إن سلط عليك لسان أجنبى ، أو نال منك نائل حقد ممن انقطعوا دون غايتك ، وانبهروا عن اللحوق بك ، لست أملك نفسى أن أثور لك ، فأفقد أصدقائى ، وأستهدف لملام الناس وتقريعهم ، وخير لى ولك وللناس جميعا ، أن تلقى إلى سمعك ، وتبذل من وقتك بمقدار ما تنظر فى هذه الرسالة ، فلعله أن تلتقط من بينها ما يضىء لك السبيل ، فتمضى حيث يمضى الناس ، لا تخلد إلى الأرض ، أو تحيا فى السماء ، وإنه ليطغى على شعور بأنك ربما أزريت بى وبقلمى وبسائر منهجى ، فقد جلست منى يوما مجلسا فيه طائفة من الاتهام ، وكثير من الحيف ، وخشيت على نفسى أن أكون كما جردتنى من كل محمدة ، وألصقت بى كل مذمة ، وقت خزيان من ترادفك واطرادك ، ولا أبرئ نفسى من المساقط والمزالق ؛ فما فى الحياة من برىء من الذنب ، وخلص من العيوب ، ولا حملت لك فى نفسى غيظا ، أو ما يشبه الغيظ ، لأنك أخى ، وما يمكن أن يريد أخى إلى إحراجى ، أو إغاظتى أو النيل منى ، أو الزراية بى ، وأنت تفهم عنى هذه الحقائق سافرة واضحة ، وربما كان هذا هو الذى دعاك إلى الثورة على بالأمس ، كما أثور أنا عليك اليوم ، ولا أحب أن أتميز عليك فى خليقة ، أو أفضلك فى مكرمة .. هى مسائل من هامش الحياة ، ولكنها ترمى إلى الصميم ، وقد تعدها أنت تافهة ، ولكنها فى اعتبارى جسيمة ، وهى لا تخصنى أنا ، فمن خلق التسامح والعفو والإغضاء، ولكنها تمس أشخاصا يمتون إلى بسبب ، وهم يدققون فى مسائل الحياة ، بما لا يستوجب العتاب ، لأن ذلك منهج البشر ، وما بد من الخضوع لهذا القانون ، وقد تجنيت عليهم ، وتخدعك نفسك أن رائدك الحق ، وما سواه الباطل ، وأنا وهم وسائر الناس لا نراه إلا تعنتا وشططا ، مبعثه الخيال ، ومرده إلى الجور والتحيف .. إنها مسائل مما أراه يدنو من فهمك ، ولا تقصر عنه يدك ، ولا يعوزك أن تفهم أن سوء الظن فى أقوال الناس وأفعالهم يكاد يملك عليهم أسماعهم وأبصارهم ، ويأخذ عليهم مسالك التعقل ، فلا يدع للهدوء إلى أنفسهم طريقا ، فإن رأيت ألا تضع نفسك مواضع التهمة ، وأن تعلم أن هذا المجتمع البشرى ، يقتضيك أن تفهمه ، وتتقبل مواجهه ، ولا تشذ عنه برأى ، أو تنعزل بفكرة ، فى غير ما استهانة بكرامتك ، أو امتهان لشخصيتك ، كنت قد حققت أملى فيك ، ورأيت أننى رميت إلى غاية ، وأصبت فى مرماى ، وإن تركت الثغرة تفصل بينك وبين الناس ، ورغبت عن حدبى إليك ، ورمت بدعوتى إياك أن تجانس الناس فى اتجاهاتهم، وتتلاقى وإياهم فى أفكارهم ، فتجاملهم فى غير نفاق ، وتقدرهم بلا تكلف ، وتأتى إليهم الذى يأتونه إليك ، فلن تجد مجتمعا راقيا مهذبا يعينك على سلوكك ، ويفسح صدره لآرائك ، وما شد من عزمى فى تحرير هذه الرسالة إليك إلا أننى أعلم فيك استعداداً فطريا ، وسماحة ، وخلقا ، لا يمنعك أن تفيد من التجارب ما دامت شريفة المقصد ، نبيلة الغاية ، فاسمع يا أخى ، ولا تضق بى ، أو تمط من فمك ، أو تغضن من جبينك ، فما أريد إلا الخير . واعلم أن أحداً لم يوح إلى ، أو يمل على ، وإنما أنا وحدى الذى ارتأيت كما رأيت ؛ أنا وحدى حتى لا أكون سببا فى متاعب ذهنية ، كلانا فى غنى عنها ، لأننى أحبك ، وأوثرك على سواك ، فإن تلاقى رأيانا كان ذلك لى نجاحا ، وإن رأيت أننى أبعدت فى الفهم ، وجرت فى الرأى ، فأحب شىء إلى نفسى أن تبين ما بصدق اللهجة ، ونفاذ البصيرة ، وإخلاص الدفاع ، وكل ما أهدف إليه ألا أراك موضعا لقالة ، أو ظنينا بجور ، وهذا ما يعنينى أن أتحدث معك فى أمره ، أما سائر شأنك ، فلا أدس أنفى فيه ، لأنه سلوك شخصى قد يكون لك فيه تأويل أو مساغ ، ولا أدعى لنفسى عقلا أكبر من عقلك ، على كبر فى السن ، وكثرة فى التجارب ، وها أنذا صنعت .. فهل تجد هذه الرسالة منك أذنا صاغية ، وقلبا واعيا ، فتسوى أمرك ، وتدنو من أفهام الناس ، لتتقى أذاهم ، وتكتفى من ظنونهم ، وإلا فأين هو السلاح الذى أشهره فى الدفاع عنك ، إن تطاير من أجلك حديث ، أو أثير حولك غبار ، وسلام عليك

محمد محمد الابشيهى

الى الأستاذ حبيب جاماتى

قرأت كتابكم الذى صدر أخيرا فى سلسلة كتب للجميع

بعنوان « أغرب مارأيت » فعنت لى بعض خواطر أسجلها فيما يلى : —

١ — حول تجارة الرقيق :

تمنى الأستاذ جامانى أن يكون تقدم الزمن منذ عام ١٩٣٠ قد خدم العبيد ضد النخاسين ولا أدرى لماذا لم يتتبع الأستاذ الفاضل أخبار تجارة الرقيق بعد هذا التاريخ !!

وبالأمس القريب وفى سنة ١٩٥٠ أتهم الكاتب الأمريكى لورنس جرسولد اليمن بتجارة الرقيق

فقد كتب مقالا عنوانه « ما زلت أستطيع أن أشترى جارية » وقد نشر هذا المقال فى إحدى المجلات الأمريكية ثم نشرته مجلة (وورلد) فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ وقد نقلت مجلة الفصول لقراء المقال بأمانة تامة وقدمته إلى قرائها فى أقطار الشرق العربى . فانبرى لنقد المقال الأستاذ على بن على الآنسى اليمنى وذكر أن اليمن ليس بها أسواق للرقيق (١) . ومع احترامنا لرأيه بصدد اليمن .. وللحقيقة نقول إن كثيرا من المعلومات التى وصلت إلينا تدل على أن تجارة الرقيق لم يقض عليها القضاء الأخير . ولا يسعنا إلا أن نردد المثل العربى « وعند جهينة الخبر اليقين » ولعل تقدم الزمن كفيل بالقضاء على تلك التجارة الشائنة تماما فى المستقبل القريب

٢ — حول معجزات الهند :

سألنى صديق عزيز وهو بين مصدق ومكذب عن معجزات الهند ولا سيما معجزة الحبل الهندى فقلت له : إن معجزة الحبل رآها ابن بطوطة الرحالة العربى القديم فى القرن الرابع عشر الميلادى وعاينها بنفسه بل وذكر خبرها فى كتابه عن رحلاته المعروفة بتحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الأسفار

وبعد أفلا كان من الواجب أن يشير الأستاذ جامانى ولو بكلمة واحدة إلى ابن بطوطة وما شاهده وهو فى صدد الحديث عن الموضوع نفسه

٣ — زرافة الباشا أولا :

إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ حبيب جامانى عن المسلة المصرية التى نقلت من الأقصر وتقوم الآن فى ميدان الكونكورد بباريس قد يظن أن العلاقات لم تتوطد بين محمد على باشا عاهل مصر الكبير وبين فرنسا إلا فى سنة ١٨٣٠ وهو التاريخ الذى أهدى فيه محمد على الكبير مسلة الأقصر إلى عاهل فرنسا لويس فليب . وللحقيقة والتاريخ أقول إن العاهل الكبير تبادل الهدايا مع ملوك فرنسا قبل سنة ١٨٣٠ وأهم هذه الهدايا التى أرسلت إلى فرنسا وكان لها صداها زرافة كانت مناط إعجاب الفرنسيين وعرفت بزرافة الباشا

فحوالى عام ١٨٣٥ بسطت مصر سلطانها على الجزء الجنوبى من الوادى وخضعت لها كردفان وأمر والى هذا الإقليم — من قبل عاهل مصر — وهو إذ ذاك مختار باشا الفرسان السودانيين بصيد الزراف وقد استطاع مختار باشا أن يرسل إلى محمد على الكبير وكان بالإسكندرية فى ذلك الحين زرافتين صغيرتين على قيد الحياة

وقد استطاع دروفيتى قنصل فرنسا فى مصر بوسائله الخاصة أن يحصل على إحدى هاتين الزرافتين كهدية لفرنسا من عاهل مصر ولتكون تحت تصرف علماء متحف التاريخ الطبيعى بباريس . وقد وصلت هذه الزرافة إلى فرنسا سنة ١٨٢٧ وكانت مناط إعجاب الفرنسيين بل وتركت أثرا كبيرا فى الأدب الفرنسى فى ذلك الوقت ...

هذا وقد استفاض مسيو جبريل داردو (مدير وكالة الأنباء الفرنسية بالقاهرة الآن) فى الكلام عن رحلة زرافة الباشا وعن أثرها فى الأدب الفرنسى ودعم بحثه القيم بالوثائق والأسانيد، ويقع هذا البحث فى اثنتين وسبعين صفحة من القطع الكبير، وقد نشر هذا البحث فى عدد يناير سنة ١٩٥١ من مجلة

Revue des Conferences francaises en orient

وهى المجلة التى أخذت على عاتقها ذكر وبيان شتى العلاقات التى تربط بين فرنسا والشرق وبخاصة بين فرنسا ومصر

ومن الأشياء التى أهديت إلى فرنسا كذلك عقب هذه الزرافة المعروفة بزرافة الباشا الزودياك أو دائرة البروج التى كانت بمعبد دندره .. وأخيرا تأتى مسلة الأقصر التى أهديت سنة ١٨٣٠

شفيق أحمد عبد القادر

(١) أنظر مجلة الفصول عدد نوفمبر سنة ١٩٥٠



عودة الروح

للكاتب الفرنسى تيودور دى بانفيل

استكملت السيدة هورتنس دافراى فى ١٨٨٢ ربيعها العشرين ، وليس فى قولى « السيدة » تجانفا منى ولا مينا . فقد كانت هورتنس زوجة ، بل أرملة بائسة لا ولد لها يسهر عليها ولا قريب يؤويها إلا جدتها « مدام دى بريبل » . استقدمتها تلك الجدة لتشاطرها العيش فى مسكنها بشارع ليل . وكانت هورتنس تنشق — بقرب جدتها — آخر نسمات العيشة العائلية الهادئة تهب عليها فى ونى وهدوء . قد مضى الآن حولان كاملان على وفاة جدتها الطيبة التى ماتت حزينة قلقة على مصير حفيدتها إذ تتركها وحيدة فى غياهب الفقر وأمواج الحياة . إنها عمرت ثمانين عاماً رأت فيها من تحب يتزوجون ، ومن تعرف يرحلون . ولم يبق منهم أحد تعهد إليه بحفيدتها البائسة

ولما أحست مدام دى بريبل بأجلها يقترب ، رتبت أمرها فى شهرها الأخير ، كى لا تقلق بال حفيدتها . ولقد غالت الجدة فى ذلك ، فكانت ترمى أوراقا كثيرة فى النار وتحفظ الأخرى . وكانت الجدة تحتفظ — طوال مرضها — بصندوق صغير فى دولابها الكبير . وكانت تضع مفتاحه فى خيط من الحرير تحت الوسادة الحائلة . وكثيرا ما كانت الجدة تمسك الصندوق ساعات طوالا ، كأنما تريد أن تنتهى من أمره إلى حل ، وتتخذ حيال ما فيه. قراراً . ودهمتها سكرة الموت قبل أن تقرر مصيره أو تتخلص منه

واستشعرت السيدة دافراى قلقاً يساورها عندما عثرت يداها الباحثتان على الصندوق الصغير

وقررت أول الأمر أن تحرقه — أمانة منها وإخلاصا — دون أن تعرف ما فيه من أسرار . ولكنها لم تفعل ذلك خشية أن تضيع — بحرقه — أداء واجب عليها أداؤه أو وصية لا بد منها . وهكذا فتحت الصندوق وألفته مليئا برسائل جمة، لا تحمل العنوان على الأغلفة كما هى الطريقة الحديثة، ولكن تحمله على شرائح من ورق رفيع . وقد علمت — بعد أن بصرت بأول خطاب — أنها ليست رسائل جدتها مدام دى بريبل ، ولكنها رسائل أم جدتها — السيدة إيودكسى تيرين . وقد رأت هورتنس تلك الجدة العتيدة . فإنها لم تمت إلا أخيراً فى سنة ١٨٨٢ . ولها من العمر خمسة وثمانون عاماً

على أنها تستطيع أن ترى خيالها كل حين إن أرادت ، فأسرتها تحتفظ لها بصورة رسمها البارون جروس ، فى ميعة شبابها ووفرة صباها . وقد كان عن طريق غريزة ركبت فينا ، نشعر بها ولا نستطيع أن نكيفها ، أن رأت هورتنس دافراى بينها وبين صورة الجدة — التى صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون — شبها قوياً . بل لتكاد — إذ تنظر إليها — ترى وجهها فى مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها فى فترات مختلفة وفى أسرات خاصة، أن تعيد خلق وجوه درست وثوت بالتراب من أمد بعيد .. تعيد خلقها كما كانت ، كأنها مثال يأخذ عدة أشكال من قالب واحد . ولكن المرء يسائل نفسه فى تلك الأحوال : إلى أى حد يبلغ الشبه ؟ أيقتصر على الوجه والخلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ ! تلك مشكلة من مشاكل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقا واسعة غير ذات بر ولا حدود

وقبل أن تقرأ السيدة دافراى أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تتدحرج فى الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتقطتها ، وتفقدتها ، فإذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذى شعر وحف جعد ، وعينين يلمع فيهما بريق الشهامة وبأس الشباب . وجبهة قسمتها ندبة جرح طولى إلى قسمين عريضين . ينبسط أكبرهما من حجبه الأيمن إلى منبت الشعر بوسط المحيا . وجبهته عامة جبهة شجاع جسور . وأدمنت هورتنس النظر فى الصورة ، فجذبها بريق العينين ، وفتنها سحر الجمال ، وأخضعها بأس الهوى ! فاستشعرت فى قلبها آلافا من المشاعر المتضاربة

المركبة . آلاف من خوف وأخرى من سرور . إنها تحب ! ولكن ويلها من تحب ! لا فتى مرت على وفاته حقب وأعوام ، وتوالت على قبره أحداث وجام ! فتى دالت دولته ، وراحت صولته ، وقدر لها ألا تراه حى الأرض حيا ! ... ولكن كثيرا ما لعبت الجذوة التي تهبنا بالحقائق والأفكار ! وكثيرا ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلا ، فليس ضرورة أن يكون الشيء ممكناً حتى نقول بأنه حقيقة

وإنه لمن الضلال البعيد أن نقول بأن هورتنس قد فجأها الحب ، ولكنها كانت تشعر في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ما خمد وانطفأ بل نزع من القلب والذهن انتزاعاً . ولكنه استعر فجأة ، وقفز إلى ذهنها وقلبها معاً يعذب هذا بالذكريات ، ويكوى ذاك بالشوق والألم

وتفقدت الرسائل فإذا بإمضاء واحد يذيلها جميعا . وقرأتها في شغف وجنون . ثم كانت لا تني عن القراءة والإعادة كأنها محمومة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أنجبت تلك الرسائل

تزوجت جدتها السيدة إيوودكسي تيرن من أحد متعهدى الجيوش . وكان كهلا أنانيا ، أفسدته الخلاعة ، وأضواه المجون . وقد مكنتها مهنة زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهام بحبها ملازم شاب من جند نابليون ، يدعى بول فراند وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تتشبث . فسايرت التيار في هوادة وإخلاص . فكان جميلا أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرح بهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص . فيحلمان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما — طوال الوقت — يشعران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعمش ، ويإنسان بمسوح الردى الطخياء تهددهما بالبعد والحداد

وسرعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ! لقد فرق الدهر المشتت بينهما أيام « أوسترلتز » وإيينا وإيلو ، أيام فريدلند ووجرام ... وكانا قليلا ما يلتقيان — في تلك الأعوام العصيبة — لحظات معدودات . ولكن فرانديير كان يختلس ما بين واقعتين أو ما بين نصرين فيسيطر لها — وهو أشعث أغبر — آيات الحب والهيام . ويبثها وقدة الشوق وجذوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسى وعذابا ، تقرأها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع واكف وقلب خافق ، بين صدر يعلو ويهبط كالموج ، وأنفاس حرى تذهب وتجيء . كان من أجل إيودكسي — كما كان من أجل نابليون — أن خاض فرانديير المعارك الدامية ، وشرق في البلاد وغرب ، وقاسى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر العاهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لإيودكسي عرشاً فخما

ومات في تلك الأثناء زوجها . وجن فرانديير الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن . وبينما الأمل ينمو ويوطد الجذور ، والشوق يستعر والقلب خفاق ، إذا به يقع في الميدان يتشحط في دمه المغروم ، وإذا برصاصة تخترق صدره العاشق وتسكت قلبه الخافق . فثوى في حزون سمولنسك الباردة وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقرق في المحاجر أسى عليه . ونعى فرانديير زميل ائتمنه على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير

ما في هذا الأمر من شيء غريب . ولكن الغريب حقا أن يتراءى لهورتنس دافراى أن التوسلات والذكريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها إيودكسي تيرن . واندفعت روحها الظامئة ناشدة ذلك الحب ؛ تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ، وحلقت بالغرام في الخيال غافلة عن الواقع ونظمه ، وتمادت في ذلك فاستباحت لنفسها أن تخلق المعدوم وأن توجد المستحيل ! ولم تكتف بذلك بل وهبت نفسها لفرانديير هذا دون أن تفكر لحظة أنه مات منذ أمد بعيد ، في تيه المجد وضجة النصر المبين . واعتقدت أنه يوماً موافيها ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصغية لحديثه الحنون ، ولم يخامرها في يقينها هذا شك ، ولا وجدت على عقيدتها غباراً ... رأت فأحبت فأغرمت فتعذبت ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لو رأى النائم المعجزات في حلمه لما استغرب ، لأن النفس تكون منطلقة من الواقع ونظمه ، والحقيقة وأشراطها . وكذلك لم تستغرب هورتنس دافراى — حينما كانت تزور مدام دى

سيمور — أن تعلن الخادم قدوم السيد بول فرانديير !

رأته يدخل ، هو بعينه الذى أحبت وتحب : بول فرانديير ! بول فرانديير بشعره الوحف المجعد ، وعينيه السوداوين ، ثم بندبة الجرح فى جبهته العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى زى ملازم من مدفعية الفوج الإفريقى الأول ... كلا ! لم تعجب مدام دفيراى إذ تراه ، فقد كانت تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص فى حنايا صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعهـا بخفقه الشديد ، وودت إن لم تـكن بين ذلك الجمع من الرجال المتأنقين وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلى ، فتقفز كالغزال إليه ، ثم تغيب فى أحناء صدره الرحيب قائلة « هأنا ذى » !

وانحنى فرانديير لعمته مدام دى سيمور . ثم رى هورتنس فجأة ، فبهت ، لا عرف لديه ولا نـكر ، وغاض لونه واصفر وجهه ، واستطاع بعدلأى أن يعتمد على الحائط وأن يجر قدمه الواهنة إلى مخدع كان لحسن الحظ خاليا ، فتخاذل وارتمى على بساطه الثمين . ودهشت مدام سيمور من سلوكه الناشز عن العرف والتقليد ، فتعقبته إلى حيث تداعى يئن أنيناً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت وغاب عن الوجود

واستدعت عمـــته طبيباً مشهوراً من أضيافهـا . ولـكنها أحست — بغريزة المرأة — أن هناك سرا لا يحسن أن تفض غلفه لأحـد غريب . فجثت على العليل تدلك رأسه وصدغيه ، وتنشقه بعضاً من ملح قوى مفيق . ثم رفعت رأسه براحتيهـا واضعة تحتها وسادة من حرير غال

ولما أن أفاق وثاب إليه الوعى ، دس يده فى جيب صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، حمله قبلات والهة ، فأراه عمته ، ثم صاح فى فرح المجنون وطرفه غريق فى الدمع الهتون : « أى بلانش ! بلانش ! إنها تحيا ! » فأجابته عمته : بلانش ! بالطبع ! إن هورتنس دافراى تحيا ، وهى فوق ذلك صديقتى . ولـكن قل لى لم تدخل فى زى الدولة الأولى ؟ على أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التى انتابتك من لحظة ؟ فقال فرانديير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولـكن روحى هامت بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حبا وعشقاً . وقد استقر حبها بين جوانحى وفؤادى ، وسرى بين لحمى وعظمى . لم يفارقنى ذلك الرسم منذ خلص إلى وتناهى من ثلاثة أعوام خلون . واصطحبنى فى الفتح والحروب ، فى النفق والخنادق ، فكان رسول السلام إلى قلبى المولە الجازع إذا ما اشتد النزال وحمى الوطيس ، وكان بشير الحصانة إذا ما رنق على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع . كان فيض الأمل ونبع الحياة ، كان كل هذا برغم ما كنت أعلم عن موت صاحبته . ولـكننى لا أملك من أمرى شيئاً . وكنت أعلل نفسى أنى ملاقيها فى جنان الرحمن حيث لا تعجز اللقيا ... ولم يكن خيالى يستبيح لنفسه — وهو الشرود الجموح — أن يتصورها حية فى عصرنا هذا . فهـو إن صورها يصورها نائمة بجلال بين الورود والزهور فى جدثها العاطر . فيطير لبى شعاعا ، وتنسرق نفسى هياما وحبا !

— هـذا حسن ! ولـكنك لم تحدث لى من أمر الصورة ذكراً . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كان لدى أبى — فى مكتبه — مكتب مهجور . طلبته منه كى أستذكر عليه فأعطانيه ولم يمهل . وقال لى إنه من مخلفات — سميى — عمه الأكبر بول فرانديير . كان ملازما فى جيش الدولة الأولى . ومات فى سمولنسك فى السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ . وكانت مفاتيح المـكتب ضائعة فاضطررت إلى كسر أغلاقه ، وفى أحد أدراجه الخفية عثرت يداى المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتها من ذلك الحين

— حقا إن فى ذلك الحـادث جانباً كبيراً من الغموض والإبهام ، وعلى أية حال فأنت شاب طليق وهى فتاة حرة . فلا مانع يفصلـكما من الحب ويحرمكما الزواج

ولـكن الأمانى كانت سراباً . فقد ادكر كل من بول وهورتنس صاحبه ، فتذاكرا العهود وجددا الغرام ، فنعما بجنة الحب لأمد قصير . ولـكن بول ذهب فى فوجه إلى «تونـكين» وهناك مات — كجده — برصاصة شقت الصدر وبانت فى الفؤاد ، أى بؤس وعذاب !

س . م

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٧ — ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

العبيد ... ... : للأستاذ سيد قطب ٨٨١

كلمة صغيرة ... ... : « عين ٨٨٣

الحاجة إلى الجذور ... ... : للدكتور عمر حليق ٨٨٤

من الاسكندرية إلى ديروط ... : للأستاذ أنور الجندى ٨٨٧

حلوان المنوفية ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ٨٨٩

ما غرض التربية فى مدارسنا ... : « إيليا حليم حنا ٨٩١

روح الإنسانية يقرع باب الإسلام : لمولانا محمد على ٨٩٣

الأدب واللغة ... ... : للأديب محمد عثمان الصمدى ٨٩٦

الشاعر ... ... (قصيدة) : للأستاذ حسين محمود البشبيشى ... ٨٩٨

(رسالة النقد) — القيم الفنية للشعر المنطلق — للأستاذ سليم غاوى عبد الجبار ٨٩٩

(الكتب) — الفلسفة الصحية فى الإسلام — تأليف الشيخ جلال الحنفى — للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن — النقد الأدبى تأليف الدكتور أحمد أمين — ديوان ابن أبى ربيعة — للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد ٩٠٢

(البريد الأدبى) — بين الإسلام وحركة التسلح الخلقى — براعم شعراء الشباب — إذاعتنا الغراء ٩٠٥

(القصص) — الوطنية — مترجمة عن الانجليزية ٩٠٧

20 me. année No 997
Le Caire 11 - 8 - 1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

العبيد..

« هذا المقال منع من النشر فى عهد الطغيان . وهو اليوم هدية للأحرار الذين طهروا الوادى وكرموه »

للأستاذ سيد قطب

ليس العبيد هم الذين تقهرهم الأوضاع الاجتماعية ، والظروف الاقتصادية ، على أن يكونوا رقيقا ، يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون فى السلع والحيوان ، إنما العبيد الذين تعفيهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ، ولكنهم يتهافتون عليه طائعين !

العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع ، وعندهم كفايتهم من المال ، ولديهم وسائلهم للعمل والإنتاج ، ولا سلطان لأحد عليهم فى أموالهم أو أرواحهم . . وهم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة ، ويتهافتون على الرق والخدمة ، ويضعون بأنفسهم الأغلال فى أعناقهم ، والسلاسل فى أقدامهم ، ويلبسون شارة العبودية فى مباهاة واختيال !

العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء فى الداخل بكعب حذائه . كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار . كيف يطأطئون هاماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة ، ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب ، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب ، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين ، وكلما أمعن السيد فى احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب !

العبيد هم الذين يهربون من الحرية ، فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر ، لأن فى نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية . لأن لهم حاسة سادسة . . أو سابعة ، حاسة الذل . . لابد لهم من إروائها ، فإذا لم يستعبدهم أحد أحست نفوسهم بالظمأ إلى الاستعباد ، وتراموا على الأعتاب ، يتمسحون بها ، ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع السيد ، ليخروا له ساجدين !

العبيد هم الذين إذا أعتقوا وأطلقوا حسدوا الأرقاء الباقين فى الحظيرة ، لا الأحرار المطلقى السراح ، لأن الحرية تخيفهم ، والكرامة تثقل كواهلهم ، لأن حزام الخدمة فى أوساطهم هو شارة الفخر التى يعتزون بها ، ولأن القصب الذى يرصع ثياب الخدمة هو أبهى الأزياء التى يتعشقونها !

العبيد هم الذين يحسون النير لا فى الأعناق ولكن فى الأرواح ، الذين لا تلهب جلودهم سياط الجلد ، ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل ، الذين لا يقودهم النخاس من حلقات آذانهم ، ولكنهم يقادون بلا نخاس ، لأن النخاس كامن فى دمائهم .

العبيد هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا فى سلاسل الرقيق ، وفى حظائر النخاسين ، فإذا انطلقوا تاهوا فى خضم الحياة وضلوا فى زحمة المجتمع ، وفزعوا من مواجهة النور ، وعادوا طائعين

يدقون أبواب الحظيرة ، ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب !

***

والعبيد — مع هذا — جبارون فى الأرض ، غلاظ على الأحرار شـداد ، يتطوعون للتنكيل بهم ، ويلتذون إيذاءهم وتعذيبهم ، ويتشفون فيهم تشفى الجلادين العتاة !

إنهم لا يدركون بواعث الأحرار للتحرر ، فيحسبـون التحرر تمردا ، والاستعلاء شذوذا ، والعزة جريمة ، ومن ثم يصبون نقمتهم الجامحة على الأحرار المعتزين ، الذين لا يسيرون فى قافلة الرقيق !

إنهم يتسـابقون إلى ابتـكار وسـائل التنكيل بالأحرار ، تسابقهم إلى إرضاء السادة ، ولـكن السادة مع هـذا يملونهم ويطردونهم من الخدمة ؛ لأن مزاج السادة يدركه السأم من تـكرار اللعبة ، فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الأبواب

***

ومع ذلك كلـه فالمستقبل للأحرار . المستقبـل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على أقدامهم العبيد . المستقبل للأحرار لأن كفاح الإنسانية كلها فى سبيل الحرية لن يضيع . لأن حظائر الرقيق التى هدمت لن تقام ، ولأن سلاسل الرقيق التى حطمت لن يعاد سبكها من جديد !

إن العبيد يتـكاثرون نعم ؛ ولـكن نسبة الأحرار تتضاعف والشعوب بكاملها تنضم إلى مواكب الحرية ، وتنفر من قوافل الرقيق ؛ ولو شاء العبيد لانضموا إلى مواكب الحرية ؛ لأن قبضة الجلادين لم تعـد من القوة بحيث تمسك بالزمام ، ولأن حطـام العبودية لم يعد من القوة بحيث يقود القافلة ؛ لولا أن العبيد كما قلت هم الذين يدقون باب الحظيرة ، ليضعوا فى أنوفهم الخطام !

ولـكن مـواكب الحرية تسير ؛ وفى الطريق تنضم إليهـا الألوف والملايين . . وعبثا يحـاول الجلادون أن يعطلوا هـذه المواكب أو يشتتوها بإطلاق العبيد عليهـا . عبثا تفلح سيـاط العبيـد ولو مزقت جلود الأحرار . عبثا ترتد مواكب الحرية بعدما حطمت السدود ؛ ورفعت الصخور ، ولم يبق فى طريقها إلا الأشواك !

إنما هى جولة بعد جولة . وقد دلت التجارب الماضية كلهـا على أن النصر كان للحرية فى كل معركة نشبت بينها وبين العبودية . لقـد تدمى قبضـة الحرية ولـكن الضربة القاضية دائما تـكون لها . وتلك سنة الله فى الأرض ، لأن الحرية هى الغاية البعيدة فى قمة المستقبل ، والعبودية هى النـكسة الشاذة إلى حضيض الماضى !

إن قافلة الرقيق تحاول دائما أن تعترض موكب الحرية .. ولـكن هـذه القافلة لم تملك أن تمزق المواكب يوم كانت تضم القطيع كله ، والموكب ليس فيه إلا الطلائع ؛ فهل تملك اليوم وهى لا تضم إلا بقايا من الأرقاء أن تعترض الموكب الذى يشمـل البشرية جميعا ؟

وعلى الرغم من ثبوت هـذه الحقيقة ، فإن هنـالك حقيقة أخرى لا تقل عنها ثبوتا ؛ إنه لابد لموكب الحريات من ضحايا .. لابد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب . لابد أن تصيب سيـاط العبيـد بعض ظهور الأحرار . لابد للحرية من تـكاليف . إن للعبودية ضحاياها وهى عبودية ، أفلا يكون للحرية ضحاياها وهى الحرية ؟

هذه حقيقة وتلك حقيقة . ولـكن النهاية معروفة والغاية واضحـة والطريق مكشوف والتجارب كثيرة ، فلندع قافلة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أوساطهم الأحزمة وتحلى صدورهم القصب ، ولنتطلع إلى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها مياسم التضحية ، وتحلى صدورها أوسمة الـكرامة . ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة فى الدرب المفروش بالشوك ، ونحن على يقين من العاقبة ، والعاقبة للصابرين ..

سيد قطب

كلمة صغيرة

للأستاذ (ع)

أكتب هذه الكلمة وأنا مريض فى المصيف فى (مضايا)، قد هبط معى الضغط، وضعف منى الجسم، وانقطعت عن عمل اليد وعمل الدماغ، ولذلك ما أخللت بعهدى، وكان العهد أن أكتب إلى (الرسالة) مرتين فى الشهر. ولكن أخبار مصر، ومن قبلها أخبار إيران، تطرد المرض، وتنهض الجسد، وتهز من الحماسة الجبال، وترقص الحجر، فكيف أنام اليوم واليوم عزت بالإسلام العرب والعجم. واليوم استكمل الشرق يقظته إلا بقايا فى عينيه من الكرى وأقسم أن لن ينام، واليوم أحس كل مسلم بأن الأمة التى يكون فيها من زعماء الدين أمثال حسن البنا والقاشانى، ومن زعماء الدنيا أشباه نجيب ومصدق. لم تفقد عزتها، ولم تدفن أمجادها فى قبور تاريخها، ثم تسير بلا عزة ولا مجد، بل إن لها من حاضرها أياما غرا محجلات لا يضر من رآها ألا يكون رأى تلك الأيام. لا، لا يضر من حضر الجلاء عن الشام، وإقامة إندونيسيا والباكستان، وشهد ظفر الشعب فى طهران أمس وفى مصر اليوم ألا يكون قد حضر القادسية وشهد اليرموك

لقد تتالت علينا الأفراح، وتتابعت البشائر حتى ما تستطيع أن تحتملها أعصابنا. إننا نعدو عدوا فى طريق الظفر لا نقدر أن نقف ساعة لنستريح ونلتقط أنفاسنا. هذا شعب إيران يهب هبة الرجل الواحد، يحمل معه أكفانه ليثبت للدنيا أن الكفن فى يد المستميت أمضى من المدفع فى يد من يحب الحياة ويكره الموت، وأن الرغبة الصادقة فى الموت هى أقصر طريق إلى الحياة، وأن الشعب إذا استمات لا تغلبه قوة فى الدنيا. وهل يمكن أن يباد شعب على بكرة أبيه فلا يبقى له أثر؟ هل تستطيع قوى الشر كلها التى حشدها المتمدنون ليقتلوا بها البشر باسم المدنية التى نسبح جهلا بحمدها، ونموت فى عشقها، أن تهلك أربعمئة مليون ضفدع لو هاجت بلداً من أقطاره الأربعة؟ فكيف لو هبت أربعمئة مليون إنسان، يستجيبون لصوت إيمانهم، ويغضبون لماضيهم، ويعملون لمستقبلهم؟ إن القطة إن غضبت لأولادها، كشرت عن أنيابها، وأبدت عن مخالبها، وهجمت على الذئب، فكيف إن غضب شعب كشعب إيران؟ وكيف إن كان يقوده شيخ له عزة العلم، وله قوة اليقين، كالقاشانى، ينفخ فيه من روح الدين ما يثبت للعالم أن قوة الإيمان هى أقوى القوى، وأن العدو لم يصنع بنا شيئا أضر علينا من صرفنا عن ديننا، وتعطيل هذا السلاح الماضى الذى وضعه الله فى أيدينا!

ثم جاءت أخبار مصر. مصر المدينة الصينة التى طالما احتملت الفسوق والعصيان.. وسكتت ترجو أن ينيب الفاسق، ويتوب العاصى.. مصر العزيزة الحرة التى صبرت على الطغيان والاستبداد.. مصر التى بذلت فى حرب فلسطين مالم تبذله دولة عربية، ثم ضربها فى ظهرها من كبار أبنائها من كان شرا عليها وعلى جيشها من أعداء الله والإنسانية: اليهود. مصر التى طالما زرتها وأقمت فيها الشهور الطوال فكنت أشم روائح الفساد كلما خرجت من إدارة الرسالة ومررت بالميدان الكبير. وانتشرت هذه الروائح حتى عمت مصر، ثم وصلت إلى أوربا.. وشمها أصحاب الجرائد هناك بأنوفهم الحساسة فنشروها فى كل مكان حتى بلغت الشام ودخلت كل بيت؛ لذلك كانت أخبار الانقلاب الأولى فرحة فى كل بيت.. يتباشر بها الناس. ويفتحون الراد ليسمعوها، وأزهد الناس بسماع الأخبار صار يعانق الراد فى داره ليسمع إذاعة مصر وغير مصر.. فلما أذيع أن الفاروق (الذى كان يوما الملك الصالح) قد أخرج من مصر لم يعد يستطيع الناس أن يضبطوا من الفرح أعصابهم. ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر، لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر. ولولا أنى مريض.. وأن ذهنى مكدود.. لحييت هذا اليوم العظيم التحية التى تليق به.. ولسقت له كلاما غير هذا الكلام: كلاما تثب له القلوب، وتحمى منه أقحاف الرؤوس، وترقص له من الحماسة الأعصاب، وتغلى الدماء؛ ولكنى إن عجزت اليوم عن نظم هذا الكلام.. فلقد قال هذا البطل بفعاله أكثر منه؛ وهو صامت متواضع لم يفخر ولم يتحمس. فيا أيها الرجل العظيم حقا؛ لك شكر العروبة. لك شكر الوطن. لك

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

— ٢ —

لتراث الماضي في عنق الجيل المعاصر مسؤولية قدسية . فإذا انهدم الماضي فإن عودته ضرب من المحال . وإن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث . فما علينا إلا أن نجعل همنا الأكبر الاحتفاظ بالقليل الذي تبقى لنا من تراث الماضي

ليس في هذه الصرخة من البلاغة والحكمة إلا ما زكيها من تحليل دقيق وفكر عميق يطفح به هذا الكتاب النفيس(١) الذي قدمنا له في المقال السابق

ولعل بين القراء طائفة تقرأ في ثنايا هذه الصرخة « رجعية » لا ترضى عنها رغبتهم في بناء المجتمع الجديد على أنقاض الماضي وجوده

ولكن الحاجة إلى الجذور ليست نزعة عاطفية منبعها الرجعية والجمود وما يمت إليها من ألوان المحافظة والتزمت . إنما هي غريزة روحية تكمن في نفوسنا جميعا . فحين تستذكر ما يعترى الجيل من بلبلة فكرية وانفعالات نفسية حادة لا يسعك إلا أن توافق المؤلفة على أن رجل العصر إنسان اقتلعت جذوره لأنه قطع الصلة بالذخيرة الروحية التي هي جزء من تراث الماضي ومن أصوله الخالدة

ففي الثورة على الماضي دعوة إلى القطيعة الروحية بين الخالق والمخلوق ، بين الجذور والأغصان . وهذه القطيعة من أبرز العناصر التي تزيد من بلبلة الفكر وتشتت الجهد وكآبة النفس التي تشيع بين الواعين من أفراد هذا الجيل

فرجل العصر حين يقتصر في تسلحه لمواجهة مسؤولياته ومشاكله الخاصة والعامة على المعاول الحديثة المستنبطة من فنون السياسة والاقتصاد والإصلاح الاجتماعي خالية من الذخيرة

(١) L'enracinement Par Simone weil

شكر الإسلام يا محمد نجيب . لقد نقش اسمك على محاريب القلوب مع أسماء أبطال التاريخ

* * *

وبعد فهذه عاقبة الفسق والفجور ، واستغلال أموال الأمة وسلطانها في إرضاء الشيطان وإرواء الشهوات ؛ فاعتبروا يامن لم تصل إليهم النوبة بعد فإنها ستنوبكم . إن الله يمهل ولا يهمل . وينسى ولا ينسى . وليعتبر الذين أنبت الله لهم من التراب ذهباً ، وأنبع لهم من الرمال دولارات ؛ فتركوا قومهم جياعا حفاة وأنفقوها على الفسوق والشهوات حتى ضجت من عجبها من فجورهم باريس مدينة الفجور .

اعتبروا فإن نعم الله لا تحفظ بالمعصية ولكن بالشكر . . وإن الأوطان لا تحمى باتباع الشهوات ، وإضاعة الأموال في البذخ والترف ؛ ولكن بتقوية الجيش وإعداد السلاح ؛ وإطاعة الله ، والعمل على إعلاء كلمة الله . وإن الملك لا يكون ليستمتع الملك ويلهو ، ويعدو هو وحاشيته على العرض وعلى الأرض .

ويرفع نفسه عن النقد ؛ بل ليكون أطول الناس سهرا على مصالحهم ؛ وأكثرهم شغلابهم، وأعظمهم تبعة ؛ وأشدهم من الله خوفا . كذلك كان الرسول صلوات الله عليه ؛ وكان أبو بكر وعمر ؛ وكان الصالحون من الملوك . وبعد فإن في كل بلد (محمد نجيب) لا تعرفونه اليوم ؛ ولكنها ستعرفه الدنيا كلها في لحظة كما عرفنا محمد نجيب ؛ وما كنا قبل دقائق قد سمعنا في الشام باسمه . وأن في كل بلد (يخت) كالمحروسة ، أو سيارة تقوم مقامها و (دار ابن لقمان على حالها) ...

* * *

وبعد فبارك الله في شعب مصر . وبارك الله في شعب إيران، وبارك الله في كل شعب يأبى الدنية ويرفض العار ، ويعرف كيف يرفع رأسه ويقول : لا !

والسلام على روح حسن البنا موقظ الأرواح النائمة في مصر ؛ وعلى القاشاني ؛ وعلى مصدق ؛ وعلى البطل النجيب : محمد نجيب

دمشق (ع)

الروحية التي تكمن في تراث الماضي — وحين يتخذ من هذه المعاول وحدها أسلحة يواجه بها تسيار الحوادث وتيارات الفكر وانفعال المشاعر والإحساسات — لا مفر له من أن يكفر بالمجتمع والناس حين يمر بنكسة قاسية أو خذلان كبير . فهذه المعاول مجردة من الذخيرة الروحية لا تستطيع أن تبعث في رجل العصر الإيحاء والطمأنينية الصادقة حين تحقق (هذه العوامل) في تلبية حاجته عندما تدهمه بعض حقائق الحياة القاسية مما لا تقوى على ترويضها فنون الاقتصاد والسياسة والخدمات الاجتماعية . فهذه المعاول مجردة من العنصر الديني والروحي العميق ليست سوى آلات ميكانيكية لا تتأثر لانفعال المرء ولا تستطيع أن تعبر عن حمايتها له وعطفها عليه حين يعتريه في صراعه مع الحياة وقيامه بواجبات الجيل ومسؤولياته الفتور والفتنة والكآبة . فهذا النوع من الإيحاء والطمأنينه والعطف والحماية مقصور على الصلة الروحية التي تربط المرء في جميع الأجيال بهذه العناية الإلهية الرحيمة الرءوفة السمحة التي تعيد إلى النفس الثقة وتبعث في قرارتها القوة والعزم فتدفع عنها بالإيمان والاختبار الروحي الصادق شر الفتنة ومساوئ الفتور وبلية الكآبة وأمراض القلق وعلل الشك

ومن ثم يجد الذين اقتصروا في تسلحهم لمواجهة مسؤوليات الجيل ومشاكله على فنون الاقتصاد والسياسة والاجتماع واستمدوا من فلسفتها ذخيرتهم الروحية — يجدون أنفسهم في حيرة شديدة .. فإذا تبين لهم أن الشيوعية لا يمكن أن تطبق إلا في ظل النظام المطلق فتصبح قاسية في حكمها على الطبيعة البشرية اتجهوا إلى الاشتراكية أو الديمقراطية كما تفسر في أوروبا والعالم الجديد لعلهم يجدونها أكثر سماحة في توجيه السلوك الإنساني في أقرب المسالك لتحقيق مايتطلع إليه أهل الجيل من عدالة ومساواة

ولكن طبيعة السلوك الإنساني وتسيار الحوادث أكثر تعقدا وأشد قساوة من أن تلين لهذه النظريات . وما أكثر ما يقف الذين اختاروا هذه المعاول « المادية » واجمين قلقين حين يعترى مسلكهم في التفكير والعمل نكسات تدفعهم في ساعات التجرد والتأمل أن يكفروا بهذه المعاول أو أن ينفروا من إحداها ليلتجئوا إلى أخرى ؛ وهكذا دواليك

ويجب أن لا يساء الفهم في هذا التحليل . فليس القصد أبداً إنكار النفع في هذه المعاول — هذه المبادئ والنظريات اشتراكية أم ديمقراطية أو غير ذلك من الأنظمة المعاصرة فهي أيضا جزء من تراث الماضي وأسلحة لا بد للجيل من أن يلجأ إليها ليواجه مسؤولياته ويحقق مطالبه . إنما القصد بيان الدور المهم الذي يمارسه التراث الروحي (وهو الجزء الأهم من تراث الماضي) في سلوك الناس ومبلغ الإيحاء والقوة الدافعة التي توفرها الذخيرة الروحية للذين يتسلحون بفنون العلم والنظم الحديثة ومعاولها لبناء المجتمع الجديد

وإنك لا تستطيع إلا أن تعجب لهذه البلاغة التي عبرت بها مؤلفتنا الشابة عن هذه الصلة بين فنون العلم ونظمه الحديثة وبين القوة الروحية الكامنة في تراث الماضي . فهي تقول بأنها لا ترغب في شيء أشد من رغبتها في أن تتعمق في عشق المجتمع وكل ما في الكون من جمال وقبح . فهي لا ترغب في أن يعيش الجيل في برج عاجي تحيط به سحب الروح وينغمر في تراث الماضي، فهي تشارك الناس صراعهم في الحياة اليومية (وفترة اشتراكها في حركة المقاومة السرية الفرنسية للاحتلال النازي شاهد على ذلك) ولكنها شديدة الرغبة كذلك في أن ترتفع بنفسها وبأهل الجيل عن هذه « العزلة النفسية » القاسية التي يمرون بها كما عجزت فلسفة العلم ومعاول النظم الحديثة عن أن تحل مشاكلهم وتمهد لهم طمأنينة النفس واستقرار الروح

وهذا الارتفاع لا يكون إلا بتوطيد الصلة بين الجيل الجديد وبين العناية الإلهية والذخيرة الروحية العميقة التي خلدها تراث الماضي

فهي تستهل مؤلفها في فصل عن « الحاجة إلى الروح » وهو مثال طيب للمنطق الفرنسي حين يتعمد أن يضع قاعدة فكرية يؤمن بها ويدعو الناس كذلك إلى الإيمان بها

فالحاجة إلى الروح تستند إلى افتراضين :

أولها : أن الله موجود وكل شيء في الكون والسلوك الإنساني يثبت وجوده ، فلا العلم ولا النظم الفكرية قادرة على أن تنفي هذا الوجود وحاجة الناس إلى إدراكه واستيحاء رشده العلي وهداه . وأن الله تعالى بصفته جوهر الكون هو الجذر

الأوحد لتراث الماضي والعنصر الرئيسي في ذخيرته الروحية

وثانيهما : أن فشل العلم الحديث ومعاول النظم الاقتصادية والسياسية في الاعتراف بحاجتها إلى هدى الله قد أوجد هـذه المساوئ وهذا التفكك والتشويش والقلق الذي يهيمن على أفكار أهل الجيل وسلوكهم

وقد بلغ من حماس هـذه المؤلفة الفرنسية لتعزيز الحياة الروحية في هذا العـالم القلق أن دعت في كتابها إلى سن أقسى التشريعات ضد الذين يتعمدون تشويش الحياة الروحية من المجتمع من الطامعين في السيادة السياسية والسيطرة الاقتصادية ، وفي الـكتاب والفنانين الطامحين إلى المجد الفني مع شل الدين والقيم الروحية « الذين يشون في عقول النـاس وأفئدتهم من الصور الفنية المشوهة ما ينحط إلى مستوى البـدائية فيعكر على القيم الأخلاقية صلاحها ويدفع القيم الروحية إلى الانحطاط

والمؤلفة في دعوتها هذه تضرب يمينا وشمالا . فتهاجم (أندريه جيـد) الـكاتب الفرنسي الشهير لهجومه على بعض القيم الأخلاقية ، وتنتقد (جاك ما ريتان) الفيلسوف الـكاثوليكي العتيد لتزمته في تفسير صلة القيم الروحيـة بمسؤوليـات الجيل ومشاكله

وهي لا توقر رجال الصحافة في حملتها هـذه ، فتقترح لهم العقوبة الصارمة إذا ثبت عليهم جرم تزوير الأنباء وتحريف الوقائع والاتجاهات لحاجة في نفس يعقوب

و(سيمون وايل) في ثورتها على « الجراثيم التي تعيث فسادا في الذخيرة الروحية » مدفوعة برغبة ملحة في أن تثير في أفراد المجتمع الحماس فيمن يأنس في نفسه القدرة على أن يعين أهل هذا الجيل على مواجهة مسؤوليـاته بقلب آمن وفكر سـليم وفتح خزائن التراث الروحي والإلهـام الديني لهم ودفع شر الذين يغلقون الأبواب فيزيدون دنيا هذا الجيل حلـكة وظلاما

ففي كتاب آخر لها عنوانه « في انتظار الله » تقول كاتبتنا إن الذين تحيق بهم الـكآبة والتعاسة ليس لهم في هذا الـكون من حاجة أشد من أن يجدوا في الناس من يوليهم لفتة مخلصة وعناية صادقة . فلا يكتفي أن تصمت إذا ألمت بجارك مصيبة وتتركه لشـأنه . إن حسن الجوار يتطلب أكثر من الصمت وترك الجار وشأنه . إنه يفرض عليك أن تنشط للاتصال بجارك في المجتمع لتضع بين يديه ما في طبيعتك البشرية من أنس وبشر .

وفي مكان آخر من هـذا الـكتاب تؤكد بأن « سكوتك عن ضلال الآخرين وصمتك إزاء محنتهم وكآبتهم ومشاكلهم هو في الواقع ضرب من الحقد عليهم والسخرية بهم ، فالصمت والحـالة هذه لون من الشلل النفسي وعنوان على تفاهة العيش وحيوانية السلوك »

***

وبعد فهذا استعراض متواضع لـكتاب نفيس . والـكتب القيمة على نوعين : كتاب يعالج في كل فصل فكرة أو فكرتين ، وآخر في كل فقرة من فقراته حـكمة ورأى سديد . وكتاب « الحاجة إلى الجذور » من النوع الأخير . فهذا الاستعراض الموجز لا ينصفه ولا يوفيه حقه

ولـكنها على كل حال محاولة أحببت أن أعرضها للقارئ دلالة على أن حاجة جيلنا إلى الجذور حد وواجب ، وليس سرف عقلية أو رجعية فكرية ينفر منها بعض المثقفين الذين يعتقدون مخطئين بأن البضاعة الفكرية المستوردة من حاضر الثقافة الغربية هي في كليتها نتاج « علماني » صلته بالحياة والذخيرة الروحية مبتورة لا وصل لها

فأمثال (سيمون وايل) من الداعين إلى صيانة تراث الماضي وعناصره الروحية كثيرون في حاضر الفكر الغربي

وجيلنا في العالم العربي سـعيد الحظ بأن يجد نفسه في بيئة لا يزال فيها للقيم الروحية معـاقل وحماة . فما عليه إلا أن يعبر تراث الماضي قسطا وافيا من اجتهاده ، ويعزز بالذخـيرة الروحية ما اختاره من معاول العلم وفنون النظم الفكرية الجديدة ليتسلح بها جميعا لمواجهة هذه المسؤوليات الجسام التي تتحداه

نيويورك عمر حليق

من الإسكندرية إلى ديروط

للأستاذ أنور الجندى

جمعت فى خلال إجازتى بين سفرين ؛ كلاهما أبعدنى عن القاهرة . فسافرت إلى الإسكندرية ثم عدت إلى ديروط ؛ فكأنما ذهبت إلى أقصى الشمال حتى شارفت البحر الأبيض.. ثم قصدت إلى الصعيد الأوسط حيث قضيت أياما فى البلد التى ولد على ضفافها حافظ إبراهيم شاعر النيل

وفى كلتا الرحلتين متاع كبير ، ومتاعب كثيرة ...

أما فى الإسكندرية فقد التقيت بصفوة الناس . وتغلغلت فى الطبقات الميسورة التى لان لها العيش وأتيح لها أن تأخذ بأوفى حظ من المتاع .. فهجرت القاهرة والأقاليم ، وأقبلت إلى الساحل تأخذ أكبر قسط من الهواء والماء . . ومن متاع النفس والجسد

رأيت المجتمع المصرى فى صورة الحرية المطلقة . وقد تجرد الرجال والنساء على وجه أحله البحر وحرمه الدين ؛ وأعطى كل من الجنسين لنفسه الحق فى أن يذهب حيث شاء . إن شاء أمضى يومه أمام الكابين . أو تحت المظلة . أو سابحا فى الماء ...

ورأيت صورة الهدى وهى تختلط فى صورة الضلال ... فلا تكاد تفصح إحداهما عن نفسها أو تتبدى واضحة جلية ، وأشفقت من المصير الذى ينتظر هذه الجماعات وقد منحت أنفسها ما تهوى وما تحب دون أن تجعل للعرف أو للتقاليد أو للدين حسابا معلوما أو حقا مفروضا ...

ومن العجب أن تقوم مسارح الفتنة والجمال على شاطئ البحرين مقامين كبيرين لرجلين من أعظم رجال التاريخ والتصوف هما: ابن جبير الأندلسى الرحالة الذى طاف الشرق وقدم من المغرب ومات فى الإسكندرية

وبشر الحافى الصوفى العراقى الذى أثر عنه الزهد والعلم والورع

ولكل منهما مسجده الضخم القائم فى قلب المنطقة الآهلة بالمصيفين ورواد الكابينات ؛ والذاهبين إلى البلاج والعائدين منه

وبينما تذهب آثار الرجلين فى بطون التاريخ فلا يذكرها ذاكر إلا القليل من الباحثين والعلماء ، يبسط الله فى اسميهما ؛ فيكتب فى تذاكر الأتوبيس والسيارات ، وينادى به الحاوين والسائقون ، ويجرى على ألسنة المسافرين والعائدين ..

***

ثم سافرت إلى ديروط ، تلك المدينة التى كانت حديث الصحف فى الشهور الماضية ، فلقيت قوما يختلفون كل الاختلاف عمن لقيت فى الإسكندرية

لقيت قوما يكدحون فى سبيل العيش والرزق ، يعملون سحابة يومهم .. فإذا أمسى المساء التقوا على « القناطر » التى هى أبدع عمل هندسى فى الصعيد بعد خزان أسوان وقناطر أسيوط

رأيت أهل الصعيد فى نقائهم وطهرهم وبساطتهم ، يمضون فى الحياة لا يتكلفون ، قد أخذوا من الحضارة بطرف ، ولكنهم ما زالوا يضنون عليها بالعرض والشرف والخلق والتقاليد

رأيت «المئذنة» العالية وسمعت صوت النداء باسم الله ينبعث من فوقها فيهز النفس من الأعماق ، ويرسل إلى الكون كله فيضا من الحب والسلام ... هذه مئذنة الجامع الكبير ، من أعلى مآذن القطر كله ؛ قد بنيت بالقرميد الأبيض والأحمر على هيئة غاية فى الرواء والإبداع ، وكان مقامى فى بيت قريب منها على الضفة الثانية للترعة الساحلية ، فما كنت ألقى نظرى من النافذة مرة ، جالسا أو قائما ، إلا كانت تتراءى لى فتهزنى ، وتملأ نفسى بذلك الإحساس الروحى الغامر . . فإذا واجه غرفتنا المؤذن فى صلاة الفجر ، انبعث صوته رطبا نديا .. كأنما يسكب على هذا الصمت والسكون الضياء والنور ، فما ألبث أن أهتز فى مضجعى أردد اسم الله ...

ألا ما أبعد الفارق بين ما تثيره ديروط وماتثيره الإسكندرية فى النفس ؟ إن هذه تعطينى معنى الروح كاملا حيا ، أما تلك فلا تترك فى نفسى إلا متاعب الصراع بين الهوى والحق ، وبين القلب والغريزة ...

وفى ديروط كنت أطلق الطرف بعيدا فى تلك المروج الخضراء أتزود وأقتات من جمال الريف ، وهناك فى أطراف المدينة حيث تلتقى الحضارة بالريف ، والصناعة بالزراعة ... كنت أجلس

الساعات الطوال أنظر وأسبح بعيدا حتى يردنى عن أفكارى قطار « الديزل » السريع وهو ينهب الأرض فى طريقه إلى القاهرة …

وفى المساء كنت أسير مع صديق « محمد زكى » نتحدث عن الرافعى … إن صديقى لا يمل الحديث عنه ، إنه يحبه غاية الحب ، ويرى يومه عبثا من العبث لو انه انقضى دون أن يقرأ له فصلا أو صفحة أو كلمة أو « كليمة »

إن صديقى من أدباء الريف المغمورين ، الذين قضت عليهم ظروف الحياة أن يعيشوا هناك ، حيث لا تصفو الحياة كثيرا للأديب الذى يريد أن يصنع المجد …

وفى ساعات الغروب على الإبراهيمية أو على اليوسفى ، تلبس ديروط حلة قشيبة من الجمال..الحزين . حيث نعود بالذا كرة إلى ما قبل عشرين عاما من العمر ، عندما كنا نخطو إلى هذه المدرسة القائمة تجاه مبنى الرى … نتلقى أول دروس العلم ، ودروس الحياة

***

أما ذلك المساء ، فقد كان حزينا حقا ، بالغا غايته فى الظلمة والحزن . فقد انطلقت إلى حيث كان للقلب قصة منذ سن السابعة عشرة ، ولما مرت العربة بنا على ذلك المكان الذى يعيش فيه ذلك الروح الحزين . هتف القلب : ترفق أيها السائق ؛ فإن لنا هنا ذكرى عزيزة

كان الوجه الأول الذى لقينى بين ظلمات الأحداث ، ومتاعب الشباب الباكر ، فأحال دنياى جنة وارفة الظلال ، وأمد روحى بذلك الرحيق القدسى الذى يحسه الشباب الحدث ، الذى يتطلع إلى المجد ، حين يلتقى مصادفة بإنسان وهبه الله فيض الجمال وفرط الحسن.. وأمده بذلك الروح الشاعر الصادق ، بحيث لا يخرجه عن تقاليده وخلقه ، ولا يصرفه عن طهره ونقائه …

ولكن الظروف تقصر ، والأقدار تأبى ، فإذا به يمضى فى طريقه وأمضى فى طريقى . وأظل على الرغم من مرور بضعة عشر عاما أحس كأنما كان الأمر بالأمس ، ما زال قائما فى النفس لا يبرح ، وما تزال صورته فى الضمير لا تزول . إذا هتف الهاتف باسمه ظننت أنه هو ، وإذا خطر من يشبهه ذكرته ، وعدت بالخيال مرة أخرى إلى أيامه الحلوة ، عليها سلام الذكريات

وبالرغم من الزمن البعيد ، فهو ماثل فى القلب ، يذكرنى بالماضى البعيد ، وكأنى به أنتظره وأترقبه ؛ وأرجو على مر الزمن أن يتاح لى مرة أخرى أن ألقاه …

كان ذلك المساء قاسيا على نفسى ، فقد كنا فى السيارة نتذاكر قصيدة الأستاذ محمود محمد شاكر « اذكرى قلبى فقد ينضرمن ذكراك عودى » .. وبينا كان صاحبنا يرددها ، كنا نمر فى نفس المكان الذى يتنسم فيه شاعرنا أنفاس الحياة

والحق أن «ديروط» أعادت إلى نفسى الذكريات التى طوتها أعباء الحياة فى القاهرة ؛ فما أظن أننى قضيت فى ديروط عشرة أيام منذ سبعة عشر عاما غير هذه المرة …

لقيت وجوها كثيرة لم أرها منذ طويل ، وجوه كلها إلى حبيب ، ولى معها ذكريات ؛ ولكن غاب عنى وجه لطالما أحببت أن ألقاه ، ولكنه طريح فى المستشفى ، عجل الله له الشفاء وكتب له الصحة والعافية …

أنور الجندى

حـــلوان المنوفية

قويسنا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مدينة حديثة.. يرجع تاريخ إنشائها إلى أوائل هـذا القرن ، بلدة جميلة تمتاز بطيب هوائها واعتدال مناخها وجفافه . تلك هى حلوان المنوفية أو مدينة قويسنا

تقع هذه المدينة عند خط عرض ٣٠ ر ٣٠ شمالا وعلى خـط طول ١٠ ر ٣١ شرقا وهى وبلاد مركزهـا تحتل الجزء الشمالى الشرقى من مديرية المنوفية

وقد بنيت هذه المدينة فى عهد المرحوم عبد الرحيم باشا صبرى حين كان مديرا للمنوفية ولذلك يسمى الجزء الحديث منها منشأة صبرى ، وقد اختير لبنائها بقعة رملية هى جزء من جبل قويسنا ، ووجودها فى هـذه المنطقة الرملية هو الذى جعلهـا تشبـه حلوان مناخا

ظهور السلحفاة

يشاهد المسافر من القاهرة إلى الإسكندرية بعد عبوره لجسر بنها وعلى مسيرة خمسة أميال من بنها عدة بقع رملية تنتشر حول مدينة قويسنا شمالا وجنوبا وشرقا ، تلك البقع أطلق عليها هيوم اسم ظهور السلحفاة، وهى بقع فريدة فى بابها وغريبة فى وجودها ؛ إذ أنها هى البقع الرملية الوحيدة الموجودة فى الدلتا باستثناء منطقة فاقوس

ويطلق عليها الأهالى اسم جبل ، وهذا ليس من الحقيقة فى شئ ؛ ولـكن ندرة رؤيتهم للجبال والبحار هى التى جعلتهم يتحدثون عن بحر النيل وبحر شبين وجبل بوغوص وجبل قويسنا وغيرها . ذلك أن هذه الجبال لا يزيد ارتفاعها فى أعلى جهاتها عن سطح الأرض المجاورة بعشرة أمتار ، وهى بهذا ليست جبالا بل ولا تلالا .

وقد حاول الجغرافيون تعليل وجود هذه البقع الرملية فى تلك المنطقة واختلفت آراؤهم :

ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه « الجبال » كانت جزائر رملية فى وسط الخليج الذى تتكون منه الدلتا ، فلما ردم النهر بطميه ورواسبه هذا الخليج وكون الدلتا بقيت هـذه المرتفعات بعيدة عن أن تغطيها رواسب النهر وظلت قائمة بشكلها الحالى، ويؤيد هـذا الرأى عدم وجود أية قواقع بحرية فى تلك المنطقة . وأنا أعتقد أن هذا هو أسلم الآراء

وهناك رأى آخر يذهب إلى أن هذه البقع الرملية هى من عمل النهر ، وأن النهر قد قذف بهذه الرمال فى أثناء موجة شبابه الأول وتركها فى مكانها الحالى

هذه هى أهم الآراء ، ولعل من الخير أن أحاول وصف هذه البقع . وهى تتكون من أربعة أجزاء أو (جبال) :

١ : جبل قويسنا

وتوجـد مدينة قويسنا فى شماله ويمتد جنوبا إلى بلدة كفر الشيخ إبراهيم وتبلغ مساحته ٤٩٥ فدانا . وتمتاز رماله بحسن صلاحيتهـا للاستخدام فى البناء ، ومن هنـا أخذت يد الإنسان تعتدى على تلك المنطقة مما يهدد بزوالها

وفوق ربوة عالية اختارت وزارة الدفاع مكانا أعدته ليـكون معسكرا للقوات المرابطة التى يجند رجالهـا من أبنـاء مديريات المنوفية والغربية والقليوبية . ويمتاز هذا المعسكر بحسن موقعه وجودة هوائه واعتدال مناخه لولا قسوة الحر فى أيام الصيف نهارا

٢ : جبل بوغوص

وهو أكبرها جميعا وأكثرها ارتفاعا ويقع شرق السكة الحديدية ويمتـد من منشـاة دملو إلى شرانيس إلى كفور الرمل وتبلغ مساحته ١٨٠٠ فدان

وقد جاءته هذه التسمية نسبة إلى بوغوص بك وزير التجارة فى عهد محمد على الكبير ، فقد أخذ بوغوص بك يعمل على استصلاح هـذا الجبل وإعداده للزراعة ، ولـكن ارتفاعه وتعذر وصول مياه النيل إليه وكثرة تـكاليف الرى الصناعى قد أدت إلى فشل التجربة

وقد بنيت فوق ربوة عالية دار كبيرة ما تزال قائمة وتعرف بسراى موريس

وقد اشترى هذا الجبل حديثا ملاك وطنيون أخذوا يعملون على استغلاله وأخذوا فى بيع رماله ونقلها حتى ينخفض سطحها إلى مستوى الأرض الزراعية فتزرع

٣ : جبل أبو طاقية

ويقع فى شمال شرق قويسنا بجوار قرية كفر ابنهس ومساحته ٢٦٧ فدانا

وقد اشترى جزءا من هـذا الجبل رجل فلسطينى وزرعـه فوا كه فنمت أشجار البرتقال واليوسفى والليمون الحلو والأضاليا . وقد انتقى المالك بذورا ممتازة فجاءت بخير الثمار، وتنتج تلك المزرعة أنواعا ممتازة جدا من البرتقال واليوسفى والمانجو والليمون

وقد واجهت المالك مشكلة الرى ولـكنه تغلب عليها :

أولا : حفر ترعة لتصل مياه النيل إلى الجبل

ثانيا : أقام آلة لرفع المياه إلى أعلى مستوى فى الجبل حتى يمكن رى جميع جهاته فى سهولة

ثالثا : حفر لـكل شجرة حفرة كبيرة ملأها بالطمى والردم والسماد فأتاح بذلك لجذور الشجر أن تجد الغذاء الـكافى

رابعا : أنشأ مساقى صغيرة أو قنوات من الطوب الأحمر والأسمنت أومن المواسير والغاية من ذلك ألا تضيع المياه فى الرمال

وهكذا تغلب على صعوبة الرى ونمت الأشجار باسقة وجادت بخير الثمر ونجحت التجربة

وإلى الذين يدرسون مشروعات زراعة الصحراء أقـدم تلك المزرعـة كنموذج لزراعة الصحراء فعليهم بزيارتهـا والانتفاع بتلك التجربة

٤ : جبل سيدى هلال

ويقع قرب بلدة الرمالى وتعرف تلك المنطقة بمنشاة رزق الله وتبلغ مساحتها ٣٠ فدانا . وقد زال معظمها إذ استهلك الفلاحون الرمال فى زراعة القطن

هذه هى المناطق الرملية بقويسنا ، ومن العجيب أنها تخلو تماما من الآثار فليست بها آثار للمصريين القدماء ومن جاء بعدهم

تل أم حرب :

ويقع بجوار قرية مصطاى من ناحية الجنوب وتبلغ مساحته ١٠٥ فدادين . وكان يتكون من تراب كفرى ويشبه تل أتريب بنها وتل بسطة بالزقازيق ، وهو يكون المنطقة الأثرية الوحيدة فى تلك المنطقة ، وقد زالت هذه المنطقة إذ استهلك الفلاحون ترابها الـكفرى ثم وضعوا يدهم على الأرض وزرعوها . وما تزال هناك أحجار أثرية بجوار مقام الست فاطمة أم حرب

وبهذه المنطقة جبانة لليهود ماتزال آثارها موجودة مع أن العناصر اليهودية قد انقرضت منها ، وهذا يدل على أن تلك المنطقة كانت من أقدم المناطق التى سكنت الدلتا

منشأة صبرى

بلدة جميلة تمتاز بروعة مبانيها وبساطتها وحسن تنسيق شوارعها وتخطيطها، وليس ذلك عجيبا فهى حديثة الإنشاء، ومن ثم خططت تخطيطا هندسيا فجعلت شوارعها واسـعة مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء مما نشاهده فى كثير من المدن القديمة التى تمتلىء بالأزقة الضيقة والحوارى الملتوية

ومنازلها جميلة لـكل بيت فيها حديقة ، وسر ذلك هو اتساع الأراضى وعدم صلاحيتها (فيما مضى) للزراعة

ومناخ البلدة جميل حقا ؛ فشتاؤها دفء جاف وصيفها لطيف وليله جميل ساحر وهواؤه عليل طيب . وأمطارها قليلة وهى تسقط شتاء كما يحدث فى سائر المناطق الجنوبية من الدلتا

وقد حبب سكنى هذه المدينة إلى الناس جمال مناخها فنمت وترعرعت . ويتمنى كثير من الموظفين أن تنقل عاصمة المنوفية من شبين الـكوم إلى قويسنا ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

١ : إن شبين الـكوم مدينة عتيقة يتغير الزمن ولا تتغير ، ويتقدم الدهر ولا تتقدم . وهناك قصة مصرية طريفة ملخصها أن مصريا قديما بعث وأخـذ معه دليلا ليطوف بالوجه البحرى وليشاهد ما طرأ عليه من تغيرات . وطاف المصرى القديم ودليله بيلاد الوجه البحرى حتى إذا وصلا إلى شبين الـكوم وهم الدليل

ما غرض التربية فى مدارسنا؟

الأستاذ إيليا حليم حنا

لكل أمة طابع وغرض من التربية . فما هو طابعنا الحالى ؟ وما الغرض العام المرسوم للتربية عندنا ؟ الحقيقة لا طابع ولا غرض لنا إلا إعداد أطفالنا وشبابنا للامتحانات لينجحوا ويحصلوا على الشهادة التى تمكنهم من النزول فى معترك الحياة ليرتزقوا ويعيشوا . هذه هى غاية التربية فى مدارسنا، وقد قضى هذا الهدف على كثير من شبابنا المتعلم أن يموت فكريا لأنه لا يتابع سير تفكيره بعد أن يتخرج فى معهده أو مدرسته . ونجد أن أصحاب المهن الفنية من شبابنا المثقف يعيشون بما يتعلمونه لايسايرون الزمن فى فنهم، ولاينتجون شيئا جديدا فى ميدان الخلق والابتكار . إننا لانتهم ذكاءنا ولكن نتهم طرقنا التربوية التى تجعل من رؤوس المتعلمين دفاتر محشوة بالمعلومات وكتبا فياضة بالدراسات ، وأغفلت الأهداف الحقيقية التى تخلق فى الشاب قوة التفكير وتبرز فيه أهم نواحى الإبداع والابتكار . إننا فى حاجة إلى نوع العلم الذى يتيح للمواهب الفردية أن تنمو تبعا لطبيعتها ، ويكفل لكل طفل الأحوال التى تتمكن فيها فرديته من النمو إلى أكمل حد مستطاع ونزوده مع ذلك بالثقافة التى تجعله منسجما مع المجتمع . يجب أن نقلب سياسة التربية الحالية رأسا على عقب ، ونوقف نظام صب القوالب وحشو الرءوس . إننا الآن لا نراعى الفروق الفردية والميول المختلفة ؛ بل نصب أطفال الفرقة كلها فى قالب واحد

لقد بدت فى الأيام الأخيرة ظاهرة يجب أن يهتم بها رجال التربية أشد الاهتمام ، وهى تفشى داء الغش بين الطلبة والطالبات فى جميع مراحل التعليم والسبب الأول لهذا الداء الخلقى الوبيل هو أن ما يتعلمه الفرد عندنا لايناسب الميول والقوى الكامنة ، وأن الهدف الذى يهدف إليه المتعلم هو الشهادة وليس العلم لذاته ، وفى هذا أكبر دلالة على أن مناهجنا الحالية فاشلة فى توجيه أبنائنا نحو حياة اجتماعية خلقية شاملة وشخصية متكاملة

وهناك ظاهرة أخرى هى كراهية الشباب لمعاهد التعليم ،

بتعريفها أجابه المصرى القديم : إننى أعرفها .. إنها شبين الكوم

٢ : سهولة اتصال قويسنا بعاصمتى مصر القاهرة والإسكندرية، فبينها وبين القاهرة ساعة وبينها وبين الإسكندرية ساعتان تقريبا . أما شبين الكوم فهى مدينة قريبة بعيدة ، قريبة لأن المسافة بينها وبين القاهرة قصيرة ، ولكنها بعيدة لأن القطار يقطع هذه المسافة القصيرة فى ثلاث ساعات وهى مدة تكفى لانتقال الإنسان من القاهرة إلى جدة أو أثينا بالطائرة طبعا

٣ : جودة مناخ قويسنا واتساع مساحة الأراضى اللازمة للبناء؛ وقد عطف المغفور له جلالة الملك فؤاد على قويسنا ؛ فأمر أن يقف بها القطار الملكى أثناء انتقال جلالته من القاهرة إلى الإسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ والقطار الملكى يقف فى قويسنا ليتشرف مدير المنوفية وأهلها بتقديم التحية إلى الجالس على العرش

وتحقيقا لرغبة كريمة أنشأ المرحوم محمد افندى نصر مسجدا عظيما بجوار محطة السكة الحديدية

ويبلغ عدد سكان مدينة قويسنا عشرين ألفا ، وتحيط بها منطقة زراعية من أجود أراضى المنوفية

وقد قامت قويسنا دائما بنصيبها الكامل فى الحركات الوطنية، وكانت القوات الإنجليزية تعسكر فى جبل يوغوص ١٩١٩ ولكن الأهالى قاوموها وتعرضوا لكثير من البلاء، ولكن الله أنقذ المنطقة منهم ، فبفضل جهودهم وتعريضهم تلك القوات للخطر رحلت تلك القوات وطهرت البلاد

ويطيب لى أن أذكر أن سعادة محمود فوزى ممثل مصر لدى هيئة الأمم المتحدة ومستشارها السياسى والرجل الذى يعرف دقائق قضية مصر والسياسة العالمية من أبناء قويسنا

أبو الفتوح عطيفة

وللقراءة بعد التخرج . ذلك أيضا لأننا لا نراعى ميولهم التى هى النواة الحية ونقطة الابتداء والأساس لتربيتهم فى مراحل التعليم المختلفة . إن كل اهتمامنا موجه إلى ملء الإناء الفارغ ، إننا نملأ الرءوس استعدادا للامتحان ؛ المدرس يجاهد لإدخال المعلومات ؛ والطالب يكافح لإتقانها حتى يفرغها على ورقة الامتحان ويخرج وقد شعر براحة لأنه قد تخلص من عبئه الثقيل . وقراءة سطرين فى كتاب بعد تخرجه تجعله يشعر بالسأم والملل ، وهو إن أراد أن يقضى على أرقه فى إحدى الليالى فعلاجه يسير وهو قراءة بضعة أسطر فى كتاب . إننا نحن الذين غرسنا فى نفسه الكراهية للعلم، وقضينا عليه ألا يتابع التطور الفكرى ويتخلف عن قافلة الزمن ؛ هذا بجانب النسيان الذى يقضى على معلوماته المكروهة وهو يفزعه ولا يهمه أن ينسى كل ما درسه . أليست معه الشهادة تلك الوثيقة الرسمية من الدولة ؟ ماذا يهمه حتى لو أنه أصبح أميا !

إننا فى حاجة إلى سياسة محدودة مدروسة فى المراحل التعليمية المختلفة لنصل إلى الهدف التربوى الصحيح ؛ ونقضى على الركود الفكرى والأمية الفاشية بين كثير من المتعلمين منا . ففى مراحل التعليم العام يجب أن نراعى وضع البرامج التى تمكن كل فرد من أن ينمى ما تنطوى عليه نفسه ، وأن نجعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع الكبير حتى يتدرب النشء على الحياة نفسها . . فالتربية ليست إعدادا للحياة بل هى الحياة نفسها

أما الجامعات فى كل أقطار العالم الراقية فهى معاهد للبحث تخرج العلماء فى الفنون المختلفة ينزلون إلى الحياة وقد تدربوا على الأسلوب العلمى ؛ يمنحون الإجازات الدراسية ليبدأوا حياة البحث والاستزادة .. مستقلين معتمدين على أنفسهم يستخرجون الحقائق الجديدة من المبادئ التى درسوها وبحثوها . أما إن جعلناها معاهد للدرس لنيل الشهادة ليحصل المتعلم على درجة ممتازة فى كادر الموظفين فقد قبرنا مواهب شبابنا ، وأقصيناه عن ميادين العلم والفن وجعلنا منه آلة متحركة وعبدا للوظيفة ، وحرمنا مصر من نبوغ كامن كان يمكن استغلاله فى الاختراع والاستكشاف وكل ما يتصل بقوى الفكر . وإذا قضى على الناحية الإبداعية فى التفكير فإن الأمة تصبح جامدة متخلفة ذات رتابة مملة وشخصية مطموسة

جميل حقا أن نهتم بزيادة عدد المتعلمين وتيسير التعليم للجميع ؛ وأجمل من ذلك أن نهتم بنوع العلم الذى نقدمه . لقد أولينا الكم ما فيه الكفاية وبقى أن نولى الكيف عناية أشد

إن هدف الأمم الديمقراطية فى التربية هو تدريب النشء على أن يفكر بنفسه لنفسه بتنمية قواه العقلية والنفسية والخلقية، وتغذية ميوله الكامنة ، وإعداد أصحاب النبوغ والعقليات والملكات الممتازة ليكونوا علماء الأمة وروادها فى مختلف فنون الحياة . لذا أقول لا فائدة من وضعنا سياسة تعليمية نيسر بها العلم وننشره ما لم نتجه نحو قيم جديدة نصل إليها بالأساليب التربوية الصحيحة التى تجعل النفس تبسط وتعبر عن كيانها ؛ لا أنها تخزنه الحافظة محنطا دون روح ولا انسجام

إيليا حليم حنا

روح الانسانية

يقرع باب الاسلام

لمولانا محمد علي

للأستاذ علي محمد سرطاوي

تمهيد :

هذا المقال القيم كتبه الزعيم الإسلامي العظيم مولانا محمد علي — الذي يدلف الآن إلى السنة السبعين من عمره المجيد الذي قضاه في خدمة الإسلام — منذ أيام في مدينة لاهور ونشرته مجلة (ليت) الإسلامية في عددها الصادر في اليوم الأول من أيار ١٩٥١ باللغة الإنجليزية

لقد تفضلت الرسالة فنشرت في أعدادها ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ قصة جهاد الحاج خواجة كمال الدين تحت راية الإسلام في الشرق والغرب ، ولكن قصة ذلك الجهاد لا تكون تامة إلا إذا قرن بها جهاد مولانا محمد علي الذي سنقدمه للقراء في بحث مفصل حين تصل إلينا من لاهور المعلومات التي طلبتها عن طريق الصديق الباكستاني المسلم الغيور السيد تصدق حسين القادري الذي يبذل من ماله وراحته الشيء الكثير في صمت المؤمنين لخدمة الدين الحنيف في عاصمة الرشيد . وأنا حين أنوه باسمه على صفحات الرسالة الغراء لا أكشف عن جندي مجهول من جنود الإسلام فحسب ؛ وإنما أعطي صورة دقيقة عن شعور كل مسلم باكستاني تحت الشمس نحو الإسلام ؛ فلقد طلب إلي أن يطبع على نفقته كتاب مولانا محمد علي المشهور (نبي الإسلام) إذا أنا أقدمت على ترجمته إلى اللغة العربية حتى يكون لي نصف ثواب العمل ، فوعدته بذلك مغتبطا بعمل من هذا النوع

ولكن انتظار ذلك المقال المفصل لا يمنع من ذكر ملخص لحياة مولانا محمد علي . فلقد ولد عام ١٨٧٤ في قرية (مرار) في إمارة (كبورتلا) من مقاطعة البنجاب من عائلة متوسطة ، ودرس في القرية مبادئ القرآن وقواعد اللغتين الفارسية والأردية . ثم دخل معهد الإرسالية في لاهور فقضى فيه سبع سنوات وأتقن اللغتين الإنجليزية والأوردية ، ودخل بعد هذا النجاح جامعة الدولة في لاهور وحصل على شهادتين عاليتين . وفي هذه الجامعة ظهرت اتجاهاته الدينية . وقد رغب في ممارسة المحاماة عام ١٨٩٧ ، ولكنه بدلا من ذلك رأس تحرير المجلة الإسلامية المسماة (ريفيو أورلجن) التي كانت تصدر بالإنجليزية وبقي في هذا العمل حتى ١٩١٤ . وبدأ بترجمة معاني القرآن الكريم عام ١٩٠٨ . وفي عام ١٩١٤ رأس الفرقة الأحمدية التي انشقت على القاديانية وجعل مقرها مدينة لاهور . ولقد كان صديقا حميما لمحمد علي جناح مؤسس الدولة الباكستانية العظيمة ، يستشيره في كل الأمور التي لها مساس بالأمور الدينية ، وله مؤلفات باللغة الانجليزية كثيرة سأذكر معظمها

ولسنا نتجنى على الحقيقة حين نزعم أننا نحن العرب المسلمين قد قصرنا في واجب الدعاية للاسلام والتمكين له في بقاع الأرض كما صنع المسلمون في الباكستان

والأزهر على جلال قدره وعلو مكانته في الحياة الإسلامية لم يساهم مساهمة فعلية في الدعاية للاسلام في مدة قرون عشرة من عمره السعيد

واللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية لم يكن لها نصيب في مناهج الأزهر لإتقانها إتقانا واسعا للدعاية للاسلام عن طريقها بين الشعوب التي تتكلمها بالكتب والخطب والمجلات على طريقة الدعاية الإسلامية في الباكستان

ولم ينحصر تقصيرنا في الناحية الدينية معاشر العرب . وإنما تجاوزها إلى النواحي الأدبية والسياسية : فلقد امتلأت المطابع في البلاد العربية بالصحف السياسية والمجلات الأدبية . ولكن أحدا لم يفكر في تأسيس صحيفة سياسية قوية باللغة الانجليزية يتولى العرب أنفسهم الإشراف عليها مباشرة للدعاية للقضايا السياسية التي لا يعرف عنها الذين من إلا سمات مشوهة المعالم. حتى لم تفكر جامعة الدول العربية في إنشاء صحيفة من هذا النوع

فنحن أحوج ما نكون إلى مجلات أدبية وصحف سياسية تصدر باللغات الأجنبية للدعاية إلى آدابنا ومشاكلنا التي لا تزال تفهم فهما مشوها والتي يشوهها خصومنا كما يشاءون في الرأي العام الدولي كلما اقتضت مصالحهم ذلك التشويه

ويقتضيني الاعتراف بالجميل أن أنوه بفضل الدكتور صفاء خلوصي أستاذ المشرقيات بجامعة لندن بما كان يكتب عن الأدب العربي باللغة الانجليزية في مجلة (إسلامك ريفيو) من بحوث رائعة كان يتجلى فيها ذوقه الأدبي الرفيع وأسلوبه الفاتن في اللغة الانجليزية ؛ ونحن نرجو من الدكتور الملهم أن لا يقصر بحوثه الرائعة على آداب العراق في المستقبل

ونحن نرجو أن لا يبعد ذلك الوقت الذي نشاهد فيه في كل قطر عربي صحيفة سياسية ومجلة أدبية تصدران بالانجليزية وتبثان الدعاية لأدبنا وقضايانا . في الوقت الذي جعلت المواصلات الحديثة العالم بأسره بقعة واحدة وأرغمت البشر على التلاق في صعيد واحد للتفاهم والتآلف في أجواء قد يسودها الحب والوئام إذا أشرق عليها نور الإسلام في دعاية مركزة قوية تقوم عليها قلوب مؤمنة بما في الإسلام من خير للانسانية

قال مولانا محمد علي :

تمد الإنسانية المعذبة في مشارق الأرض ومغاربها أكف الضراعة ، مستنجدة بمن ينقذها من التردي في الهاوية السحيقة التي تنحدر إلى قرارتها في سرعة جنونية . فالاعتقاد بأن التقدم المادي غير المحدود ، والسيطرة على الطبيعة بالشكل الذي لم يتوقعه الإنسان سيوصلان الإنسانية إلى السعادة والطمأنينة ، قد قضت عليه حوادث السنين السابقة ، وأضحت الإنسانية تشعر بفراغ هائل لا تستطيع ملئه غير مبادئ دين صحيح . لسنا ننكر أن التقدم المادي قد عاد على الإنسان بفوائد مادية على مقياس واسع ؛ ولكنه في الوقت نفسه قد سلبه الشيء الكثير الذي يمكن أن يوصل السعادة الحقيقة إليه ، وحرمه من السكينة وراحة الضمير . إن الإنسانية تتلمس طريقها في الظلام الحالك إلى الطمأنينة التي لا يوصلها إليها غير الإيمان بالله ؛ والنظام الذي يسير عليه العالم بأسره . في حاجة ماسة إلى أن يقوم صرحه الشامخ على أسس متينة من الإيمان بالله ووحدة الإنسانية ، ولا يملك مثل هذا الأساس المتين لتثبيت صرح الإنسانية غير الإسلام

إننا نسمع هذا الصوت مدويا من ديار الغرب هاتفا : «لا يمكن لأوروبا . وهي في سبيل التحليق بحياتها العقلية في الآفاق النائية إلا الاستعانة بما في المجتمع الإسلامي من قوة وأجنحة جبارة تعين على ذلك التحليق البعيد»

ولعلها تبعث إذ ذاك بين شعوب الشرق قوة جديدة تشيع الحياة في الإسلام ، وربما حولته إلى اتجاه جديد إذا استمرت أوربا مندفعة وراء جنونها المادي . وأي إنسان ينكر الاحتمالات التي قد يتمخض عنها تطور من هذا النوع حين يرى على سبيل المثال ما قامت به الجمعية الأحمدية ، بما تملك حركتها من قوة أخلاقية وعاطفة دينية عميقة ، من النتائج البعيدة المدى في نشر الدعوة للاسلام في المواطن البعيدة عن البلدان التي أشرق نوره عليها

إن الغرب متعطش إلى مبادئ الدين الإسلامي ، والمسلمون يتطلب منهم الإخلاص لدينهم الحنيف أن يشمروا عن ساعد الجد، ويخرجوا من عزلة الضعفاء ، ويقدموا للغرب ما هو في أشد الحاجة إليه من غذاء روحي . ولقد خطت الجمعية الإسلامية في لاهور بالباكستان الخطوة الأولى في هذا السبيل حين أسست الإرساليات الإسلامية في أوربا وأمريكا وفي أقطار الدنيا الأخرى منذ زمن بعيد . وهي بالإضافة إلى ذلك قد أصدرت سلسلة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية بكثرة واستعداد وإتقان لم يسبق لها مثيل ، ثم راحت تترجم هذه الكتب إلى لغات العالم المختلفة بعد أن بثت فيها مبادئ الإسلام وروح الإسلام ونبي الإسلام .. بأروع ما يكون العرض ؛ وبأصدق ما يكون التعبير . ولعل من تمام الفائدة أن نشير إلى هذا الجهد الجبار بشيء قليل من التفصيل :

١) لقد تأسست الإرساليات الإسلاميات لبث الدين الحنيف في وكنج بإنجلترا .. وبرلين بألمانيا .. وهوج في هولندا ؛ وسان فرنسسكو في الولايات المتحدة ؛ وإلى جانب هذه المراكز الكبيرة أنشئت مراكز أخرى للغاية نفسها في نيجيريا .. وغانة الهولندية ، وغانة البريطانية ؛ وترنداد ؛ وإندونسيا ، وسيام ، وبورما ، وأماكن متعددة أخرى في بلاد الهند

٢) لقد تم إنشاء مسجد فخم في برلين

٣) ترجمت معاني القرآن الكريم إلى تسع لغات ؛ نشرت منها فيما سبق ترجمات بالإنجليزية، والألمانية، والهولندية، والأوردية. وتمت ترجمته أيضا إلى خمس لغات أخرى هي التميلية ، والسندهية،

والجرموخية ، والخاسية ، والجافية ، وقد تمت هذه الترجمات وأصبحت معدة للطبع الآن . وتقوم اللجان الأخرى بترجمة معانى القرآن إلى البنغالية ؛ والسيامية، والبرمية؛ والهندية، والفرنسية

٤) لقد وزعت من ترجمة القرآن بالإنجليزية أكثر من ستة آلاف نسخة مجانا، وبلغ مجموع النسخ الموزعة أربعين ألفا. وتتخذ العدة الآن لطبع عشرين ألف نسخة جديدة

٥) ولقد ترجمت حياة الرسول ونشرت فى سبع عشرة لغة من لغات العالم ، كالإنجليزية ؛ والألمانية ، والعربية ؛ والألبانية .. ووزعت مجانا أكثر من عشرين ألف نسخة

٦) ويعتبر كتاب (الدين الإسلامى) الذى ألف بالإنجليزية دائرة معارف بذل فى تأليفه جهد كبير ؛ وهو يتحدث عن مصادر الإسلام ومبادئه العملية ، وتعاليمه . وقد تم نشره فى لغات ثلاث هى : الإنجليزية ، والهولندية ؛ والتركية .. وهو ينقل الآن إلى اللغة العربية

٧) ومجلة (ليت) الإسلامية الأسبوعية التى تصدر بالإنجليزية فى لاهور ويشرف على تحريرها أفواب الدين أحمد ؛ تقوم بعمل جبار فى نشر مبادئ الدين فى أنحاء الدنيا التى يتكلم الناس فيها الإنجليزية .. وهى تطفح كل أسبوع بالمواضيع الإسلامية الرائعة ويشترك فى تحريرها فطاحل الكتاب

٨) ونشرت كتب أخرى متعددة عن نواحى الإسلام فى ثلاثين لغة من لغات البشر

٩) تنشر رسالة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها بين الأمم والأفراد عن طريق إرسال الكتب الإسلامية مجانا إلى أكثر من خمسة آلاف مكتبة فى العالم من مجموعة الكتب التالية

ا) ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية مع التعليقات المطولة على الآيات الكريمة

ب) الديانة الإسلامية

ج) مختصر الأحاديث النبوية

د) محمد رسول الله

هـ) الخلافة الأولى

و) نظام العالم الجديد

ز) الأفكار الخالدة للنبى محمد

ح) تعاليم الإسلام

١٠) توزيع كتب مجانية عن نواحى الإسلام المختلفة فى عدة لغات بكميات هائلة ، وهى ترسل مجانا لكل من يرى فى نفسه القدرة على توزيعها

١١) تأسيس ثلاث مدارس عليا للدراسات الإسلامية

١٢) إن الموازنة السنوية للدعاية الإسلامية تزيد على عشرة ملايين روبية أى ما يساوى أكثر من مائة ألف جنيه استرليني . وتبلغ ممتلكات الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور أكثر من خمسين مليونا من الروبيات

وتغتبط هذه الجمعية بقبول التبرعات من جميع المسلمين الذين يسرهم أن يروا نور الإسلام مشرقا فى ظلام الدنيا ، فالزكاة والربح الذى تدفعه المصارف على الأموال المودعة لديها ، والصدقات الأخرى .. هى موارد إسلامية ينبغى أن تصرف لهدف عظيم من هذا النوع يخدم مبادئ الإسلام . والذين تهزهم الأريحية ويجدون لديهم الرغبة فى إرسال شئ ، فليوجهوا مشكورين ما يرسلون إلى أمين سر الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور بالباكستان

بغداد — أعظمية **على محمد سرطاوى**

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

ينهض الأدب واللغة تبعا لنهوض الدولة وامتداد سلطانها، ويقوى ساعداهما بالقياس إلى قوة ساعد الدولة أيضا. هكذا يقول بعض الباحثين ومؤرخى الآداب والفنون. وقد يكون هذا أو بعضه حقا؛ ولكن من الحق أيضا أن ليس الأمر مقصورا على اللغة أو الأدب أو الفن، وإنما هو ينسحب على سائر مرافق الدولة، وعناصر الحياة فيها، وكل ما من شأنه أن يكون من مقوماتها. ولكنها تختلف ويسبق بعضها بعضا إلى الوجود بحسب الحاجة إليها، والباعث عليها، وبحسب ما يكتنفها من صعاب وعقاب. وأخيرا بحسب قدرة الدولة على الخلق والإيجاد، أو البعث والإحياء. وإنما كان الأدب أسبقها جميعا إلى النمو والازدهار لأنه وليد الفطرة لا يحتاج إليه سائر العناصر والمرافق والمقومات.. ولأمر ما أجاد الجاهليون الشعر

وقد عجب بعض البحاث من العربية حين قويت واشتد ساعدها فى مدى العصر العباسى كله؛ لأنها لم تأبه لما منيت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى. ثم عللوا ذلك بأن الفاتحين لم تكن لهم لغة جديرة بالإحياء. ولأنهم كانوا يتخذون الشعر دعاية لدولهم الناشئة. ولأنهم مع هذا كان لهم تمكن فى الأدب ومشاركة فى فنونه »

ولعل هذا أو بعضه أن يكون حقا. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ مع هذا أن الأدب كائن حى كسائر الكائنات الحية. فمنذ أن نمته الدولة بعد الجاهلية، وأصبح يتلقى المؤثرات التى جاءت نتيجة للصراع السياسى وما إليه، صار له من الأغراض والأهداف مالم يكن له من قبل. وما هى إلا أن اتسعت هذه الأغراض وامتدت على مدى الأيام. وأصبح كثير من الشعراء يطرقونها لا لشىء إلا أنها موضع للاجادة والتفوق والتبرز. وبعبارة أخرى أصبحت ضرورة فنية دون أن يكون لها من الحياة ما يوحى بها أو يحمل عليها. وإنما يوحى بها ما سبقها من آثار جاءت فى أول الأمر نتيجة لمؤثرات الحياة الواقعة، وما تتمخض عنه من أحداث. ثم أصبحت هذه الآثار تؤثر بدورها كالحياة الواقعة فى الشعراء وأرباب البيان. ومن ثم فقد صار للأدب حياة قادرة على أن توحى وتلهم، وعلى أن تمس النفوس فتفجرها أريحة واهتزازا وطربا، وعلى أن تأخذ بالعقول إلى حيث تفكر وتقدر. وقليل أولئك الذين يفرضون أنفسهم وأدبهم عليها وعلى الأدب فرضا. وهم مع ذلك لا يكاد يخلو الأمر من أن يكونوا متأثرين تارة ومؤثرين أخرى. وإلى هذا فإن حياة الأدب ككل حياة يختلف عليها ما يختلف على سائر الكائنات الحية من قوة وضعف وتطور فى الغرض والوسيلة والاتجاه. إلى غير ذلك من ملابسة الزمن ومخالطة الحضارة التى يستمد الأدب جدته منها، والتى تسمه آخر الأمر بميسمها فى اللفظ والمعنى والهدف والأداء. وإذا جاز لنا أن نشبه الأدب بالإنسان قلنا إنه يلابس الأدوار التى يلابسها الإنسان من طفولة فصبا فشباب فكهولة فشيخوخة فموت. ولسنا نريد أن نقول إن الأدب عابث لاغ فى طفولته كالطفل. أو أنه قوى طاغ فى شبيبته كالشباب، وإنما نريد أن نقول إن الأدب كائن حى نام يحمل فى أدوار نموه عناصر الموت والفناء. وقد تطول أو تقصر إحدى هذه المراحل أو كلها مجتمعة بالنسبة إلى عوامل حضارية وأخرى ثقافية واجتماعية، وإن كان لا تخلو كل مرحلة من آحاد يعيشون بأذواقهم وعقولهم فى بيئات سلفية أو مستقبلية. فى عهد الطفولة تظهر الفطرة بجميع ميزاتها من حسنات وسيئات. لا تكاد ترتفع ببصرها إلى السماء ولا تهبط إلى الأغوار، وإنما تتخذ ما يحيط بها من حيوان ونبات وجماد موضوعا للقول وأداة للتمثيل والتخييل. وهى لا تنزع إلى غايات اجتماعية أو إنسانية. ولا يعدو بصرها إذا امتد شؤون القبيلة وما هو من ذلك بسبيل. تؤثر الكرم والوفاء؛ وتأنف أن تتقيد بشىء إلا ما يقيد به نفسه الرجل الحر. وأنت لا ترى عندها فرقا كبيرا بين الإباء والجماح. أو بين الكرم والتضحية. أو بين الوفاء والفداء. أو بين الشجاعة والتهور. أو بين الصراحة والغلظة

والفظاظة . وبالتالى فهى تتسم بالصدق ودقة الملاحظة وحرارة الإحساس ومعاطفة اللغة عطافا قلما نشعر بمثله نحن الآن . وهى تحن حنينا قويا إلى تحقيق قول القائل

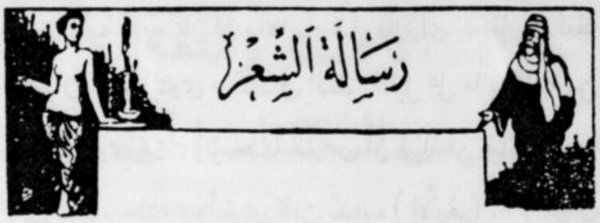
أطيب الطيبات قتل الأعادى واختيال على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب وحبيب يأتى بلا ميعاد

ثم إن شعر الرثاء فيها لا نكاد نجد له مثيلا فى الصدق والحرارة فى سائر المراحل والعهود التى تليها جميعا . وهى جامدة لا تكاد تتطور إلا بحدث يهزها هزا عنيفا ، وينال منها ومن تقاليدها وعرفها نيلا شديدا . ولكنها تقاومه أحيانا وتذعن له حينا . يظهر ذلك فى حياة الأدب عامة . وفى حياة المعنيين بالإذعان والمقاومة على وجه خاص . ومن ثم فقد ظفرت حياة الأدب بشئ من التطور والانتقال ، ووسعت أغراضا جديدة ، وأحيت مثليات قديمة . وأصبحت فى صبا غض تتفتح فيه المدارك وتتهيأ لما عسى أن يتكشف عنه عهد الشباب من دوافع البعث والإيقاظ . وإذن فقد صار لها امتداد مكفول يأتيها من نفسها حينا ، ومما حولها حينا آخر . ونحن حين ننظر إلى عهود الخلفاء الراشدين بحسبانها امتداداً لعهد النبوة . كذلك نرى الأدب فى ظلها امتدادا لذلك العهد أيضا . ولا نكاد ندع هذه العهود إلى عصر بنى أمية حتى يدخل الأدب مرحلة الشباب من حياته.وهنا يقوى حقا قوة لم نر مايقرب منهافى سائر المراحل والعهود. وإن لم يسع من الأغراض ما وسعه فى العصر العباسى بعهديه أوله وثانيه . فالسلائق كعهدها من قبل غنائية لم تتفقد بضروب الثقافات ، ولم تصبح رواسب عقلية كما سنرى فيما بعد . ولكنها تصدر عن تلك النفس العربية السمحة الكريمة، نازعة إلى مثل عليا هى جماع الخلال الرفيعة للعربى فى الحب والأدب والسياسة والاجتماع

أما اللغة فقد نالها غير قليل من التطور والصقل والمرونة . ذلك لأن العربى فى عهود اللغة الأولى كان يحس فى اللفظة الواحدة شحنة عاطفية وجدانية . وكانت صوتية اللغة تصور له المدلولات تصويراً ليس إلى مثله من سبيل فى زمننا هذا إلا بالجمل الفضفاضة والعبارات، فلو أن عربيا رأى حية ولم يكن عرف اسمها من قبل، ثم ذكرت له لفظة الأفعوان وهو جاهل بها أيضا لوثبت إلى ذهنه صورة الحية التى كان قد رآها من قبل فيما رأى . فإن فى لفظ الأفعوان وهو يتلوى ويمتد فى النطق لدليل على ما يمتاز به من خصائص ومميزات . ولو ذهبنا نفترض أن قبيلة من قبائل العرب كانت تدعوه حنشاً ، وأخرى كانت تدعوه (الأرقم) . ثم عرض لفظ الحنش للأخرى فلا تلبث أن تدرك على نحو ما يراد بهذا اللفظ من مدلول . ذلك لأنه مصور لخصائص عديدة فيه . فاللفظ فى جملته مصور له وهو ممدود على النحو المعروف . أما الحاء فهى منه بمثابة الرأس . وأما النون تفيدنا دقة جسمه بحركتها المفتوحة وهى خارجة فى النطق مع أخويها الحاء والشين هوائية هكذا . وكذلك الشين فهى ربما أعطتنا مغازلة الشمس لجلده وهو يتألق ومضا ولمانا

للكلام بقية

محمد عثمان الصمدى



الشـــاعر

للأستاذ حسين محمود البشبيشى

شف روحاً وراق فيض جنان وارتوى من منابع الرحمن !
أطلق الله روحه فتجلى شاعراً واستوى نبى معان !
وتلك أيضاً تهدى كأختها قصيدة شفيق الروح
الأستاذ الملهم الشاعر أنور العطار .. الى مهذب الروح ،
ومثقف العقل .. من كان له فضل تفجير ينابيع نفسى ..
أستاذى الجليل « الزيات » حسين

شف روحاً وراق فيض جنان ... وارتوى من منابع الرحمن
زخرت مقلتاه بالنور والـ ... ظل ففاضت من ناظريه المعانى
غمرته الحياة .. فهو حياة ... ورعاه النشيد فهو أغان
فى حساب الزمان سار خلوداً ... وبعرف المكان فوق المكان
جمع العالم الوسيع بروح ... يسع الكون فى شفيف كيان!
كان معنى فى خاطر الأكوان ... يتهادى رؤى وراء الزمان
أطلق الله روحه فتجلى ... شاعراً واستوى نبى معان !

***

ياله شاعراً يكاد من الفـ ... ـن يذيب الفؤاد فى الألحان
رجع حناته ترانيم خلد ... وصدى قلبه نشيد حنان
الخيالات بين جنبيه نشوى ... من رحيق مقدس روحانى
تترسلن أغنيات بقلب ... عبقرى الإغفاء والثوران
ملهم ظامئ الشاعر لهفا ... ن لخمر الحياة فى كل آن
فاض من حوله الخيال وشاع الـ ... ـفن .. يا للمغرد الفنان

***

أيها الشاعر المفيض على الكو ... ن بمن روحه فيوض البيان
إنما أنت ملهم عبقرى ... دينه الفن جل فى الأديان !
رب شعر مقدس روحانى ... من فؤاد مقدس ريان
ومعان تنساب إثر معان ... حيوات مفجرات الحنان
طهرت لحنها أكف قدا ... سات ففاض القيثار بالإيمان
أنبياء الفنون إشراقة الله ... بأرض السراب والبهتان
نبضة الطهر فى حنايا وجود ... دنسته غرائز الإنسان

***

يابنى الترب .. إن روحا من الخلـ ... ـد تجلى بشعره النورانى
لاح فى جدبكم ربيع قلوب ... وسرى بينكم بشير أمان
شاعراً ينبض الخيال بكفيـ ... ـه كنبض القلوب فى الأبدان
ساخراً يقهر الحياة بروح ... سخرت من ضلالة الطغيان
خالقاً للجمال فى كل آن ... عابداً للجمال فى كل آن
ملهما يعبد الحقيقة فى الكو ... ن ويطوى متاهة الأزمان
كلما شاقه فراق ربيع ... سبق العمر للربيع الثانى
يا له شاعراً يحدثه الفجـ ... ـر حديث المتيم الولهان
وحفيف الأنسام قبل عطفيـ ... ـه ففاضت نسائم الوجدان !
وطيوف الوجود أوحت إليه ... كل سر جرى وراء العيان

***

إنه الشعر كالغوانى جمالا ... هل رأيت القصيد مثل الغوانى
كل بيت حسناء أبدعها الله ... بحسن يسمو على الإحسان
فتن كالسنا الأغر محلاة ... بإشراقة من الألوان
يدفق الشعر من براعم نجواها ... ويفتر عن معان حسان
ما تراها كأن خفق صداها ... همسات التحنان للتحنان
تملك الروح آسرات وتشتق ... طريق الإلهام للفنان
دفقات من الشاعر تنساب ... خيالا منغم الأوزان
سلست منطقا وراقت رويا ... واستوت صورة وصدق بيان
إن ألفاظها تشف عن المعـ ... ـنى كما شفت القلوب الحوانى
فهى روح من روحه قد تسامت ... عن قيود الإبهام والإدجان
وضحت كالندى وقد قبل الزهـ ... ـر بفجر معطر نديان

***

يا ضمير الوجود ما أنا إلا ... شاعر هائم وراء المعانى
لى قلب أرق من نسمة الفجـ ... ـر وأصفى من عطرها الريان
أعبد الفن فى الحياة وأحيا ... عابداً للجمال فى كل آن
كلما شاقنى فراق ربيع ... أسبق العمر للربيع الثانى

حسين محمود البشبيشى



مناقشة هادئة مع الأستاذ الناعوري

القيم الفنية فى الشعر المتطلق

للأستاذ سليم غاوى عبد الجبار

أصدر الشاعر العراقى بدر شاكر السياب ديوانه الأول (أزهار ذابلة) عام ١٩٤٨ ، وقد تفردت قصيدة (هل كان حبا) من بين قصائد الديوان بطريقتها التعبيرية الجديدة ، هذه الطريقة التى آن للشعر العربى أن يدركها . وبعد صدور الديوان استرسل بدر فى نظم قصائده ، وفقا لطريقته الجديدة ، وقد جمعها فيما بعد فى ديوانه الثانى (أساطير)

وقرأت الشاعرة العراقية المبدعة نازك الملائكة ، هذه القصائد ، — كما قرأها آخرون يهمنا منهم الآن صالح جواد الطعمة - فصادفت عندها قبولا ومن ثم حاولت مجاراة الشاعر - فى موسيقاه — فنظمت أغلب قصائد ديوانها الثانى — شظايا ورماد — وهى تتأثر خطى بدر . وفعل صالح كذلك ، فنظم بعض قصائد (ظلال الغيوم — و — والربيع المحتضر) على هذا المنوال

وقد كتب بدر ، ونازك ، عن هذه الطريقة ، أما بدر فقد اكتفى بإشارة تهدى السارين ، ولم يسهب . وأما نازك فقد أفاضت بالكلام .. ولكن عن القيم (العروضية) فقط ، مما يدلنا ، دلالة واضحة ، على أنها لم تفطن للقيم الأخرى ولم تتحسس بها ، وليست ملومة على ذلك ، فلا يطلب من الشاعر ، ما هو من حصة النقاد

ولكن النقاد لم يقصدوا لهذه الطريقة ، ولم يدرسوها ، دراسة موضوعية شاملة غرضها الأصيل ، توضيح القيم ، وتثبيتها للآخرين ، فمثل هذه الدراسة تحتاج إلى جهد مضن ، مما قد يتمهل عن مثله النقاد العجالى

على أن أمامى الآن عددين من أعداد مجلة الأديب البيروتية(١) ، وفيهما مقالات للناقد الأردنى الأستاذ عيسى إبراهيم الناعورى ، حاول فيهما مثل تلك الدراسة ، ولكننا رأيناها بعيدين عن الروح العلمية ، هذه الروح التى تحتم على كل ذى مقال نقدى أن يلتجئ إليها ، وإلى الذوق المرهف الحساس ، وكان من الطبيعى وقد تناءى الأستاذ عن ذلك ، أن يتورط فى أخطاء علمية بارزة ، وأخطاء ذوقية وعرة ، لا يرتضيها الواقع الشعرى ، ولهذا وددنا قبل أن ننطلق فى تثمين هذا الإنتاج ، أن نقف قليلا ، ونناقشها ، مناقشة علمية هادئة ، بدون تحيز إلا للعلم ، وبدون خضوع إلا للذوق

قال الأستاذ — وهو بصدد الأسلوب التعبيرى الجديد (٢)

« ولكنه جاء يشبه النثر بتفعيلاته غير المتجانسة ، وغير المنضبطة فى نظام موسيقى »

لابد وأن الأستاذ — مع احترامنا الوافر له — لم يقرأ مقدمة شظايا ورماد وإلا لأدرك أن التفعيلات ليست متجانسة فقط ، وإنما هى (متطابقة) . وأزيد للتوضيح فأقول إنها عبارة عن تفعيلة واحدة مكررة — فى كل بيت — عدداً من المرات يتغاير — عدديا — مع البيت الذى يليه أو يسبقه تغايرا يشاؤه الشاعر أو بالأحرى كما يتطلبه المعنى ، وذلك لأن هذا الشعر يعتمد على (الأبحر الكاملة) المتساوية التفاعيل

ثم ... ما الذى يقصده الكاتب بجملته (وغير منضبطة فى نظام موسيقى) إذا كان ما يقصده بالنظام الموسيقى هو الطريقة السلفية — الكلاسية — فالشعر الغربى منذ هوميروس وإلى الآن غير منضبط فى نظام موسيقى ، وهذا مالم يقله أحد

هذا وقد أحس الشاعر العربى منذ القدم بقساوة هذا النظام — نظام الشطرين المتوازنين — والتفاعيل الثمان — فحاول الانفلات منه ، فابتدع المجزوء ، والمشطور ، والمنهوك ، وتوج ابتداعه (بالموشح) ، ولم أقرأ مقالا لناقد عربى أو غربى يتهم هذه الفروع الشعرية — وخاصة الموشح — بالخروج على النظام الموسيقى !!

إن النظام الموسيقى للشعر العربى (أو الغربى) لا يحدد

(١) العدد ٣ ، ٧ — ١٩٥٢

(٢) العدد الثالث - الشاعرة العراقية نازك الملائكة ص ٢٤

يا أستاذ بنظام الشطرين — الأبحر — بقدر ما يحدد بالتفعيلة الواحدة ، أو التفعيلتين ! (٣) راجع أوزان الشعر للدكتور محمد مندور . في الميزان الجديد

ثم يقول الأستاذ في مكان آخر من مقاله الأول (العدد الثالث)

«ولكننا لا نظلم الشاعرة إذا قلنا إن طريقة النظم فيها (٤) لم تعرف الرحمة بآذان القراء وأذواقهم الشعرية »

أرأيت – طريقة النظم – وليس نظم الشاعرة ، إن الأستاذ هنا (يحابي) الشاعرة – ومعذرة من الصراحة – فلا ينسب الفشل إليها ، بل يرجعه إلى (طريقة النظم !) فشأن الأستاذ كشأن ذلك التلميذ الذي تستعصي عليه مسألة رياضية فلا يستطيع حلها ، ولا يستطيع اتهام أستاذه بقدرته على التفهيم ، فيلقي القلم – مرتاحا – ليقول « إن المسألة مغلوطة !! »

ما ذنب (طريقة النظم) إذا فشل الشاعر في التعبير بواسطتها ؟ وهب أن قارئا – مثلي – استطاع البرهنة على صلاحية (طريقة النظم) وعدم تخديشها لآذان القراء ! وأذواقهم الشعرية ، فما يكون موقف (طريقة النظم) آنذاك ؟ أتكون تعرف الرحمة ولا تعرف ، في آن واحد !

ثم من الذي أخبر الأستاذ بآذان القراء وأذواقهم الشعرية ! هل استفتى القراء – والعصر عصر التجريب – أم اعتمد على رأي موثوق بصحته له أثره التوجيهي في تاريخنا النقدي !

ألا يجوز اعتبار تمادي شعراء العراق للتعبير وفقاً لهذه الطريقة دليلا على رحمتها آذان القراء ، والشعراء (وهم من أدق القراء إحساسا) فما إن ابتدع بدر هذه الطريقة حتى تصايح الشعراء العراقيون ، ونسجوا أشعارهم على تلك الطريقة؛ أذكر منهم نازك ، صالح ، بلند الحيدري ، عبد الوهاب البياتي ، شاذل جاسم طاقه ، عبد الرزاق عبد الواحد

ثم إن الكاتب احترس فحدد تذوق القراء بالنسبة لقصائد ثلاث من قصائد الشاعرة ، فما الرأي في القصائد الأخرى المنظومة بنفس (طريقة النظم) لماذا لم يشر الكاتب إلى طريقة النظم فيها؟

إذا ما أراد الأستاذ أن يصدر هذا الرأي – الذي كاد يكون حكماً – من وجهته الذاتية فله كل الحق أن يتحدث عن نفسه ، أما أن يشرك آذان القراء وأذواقهم الشعرية ، فهذا ما هو بعيد عن الحياد العلمي

ولكن لماذا لم تعرف طريقة النظم فيها – كما يقول الأستاذ – الرحمة بآذان القراء ، وأذواقهم الشعرية . لابد من سبب ، والأستاذ ماهر ، لا يعوزه ذلك فاسمعه متمماً جملته السالفة

« فقد ألف القراء في الشعر العربي إيقاعا موسيقيا متجانساً ، فوجدوا هنا نظاماً غريباً مقلقاً يصدم الأذن بشكل عنيف »

والمطلوب من الأستاذ أن يعرف – لنا الإيقاع – تعريفاً علميا ، فالذي أفهمه أنا من الإيقاع ، التعريف الذي جاء به مندور إذ يقول

« نعرف الإيقاع ؟ ! فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة »

فمن تعريف مندور يتراءى لنا أن الإيقاع لا علاقة له بنظام الشطرين . لا علاقة له مطلقاً ، هذا وليس هناك إيقاع (غير متجانس) « فأنت – والكلام لمندور – إذا نقرت ثلاث نقرات ، ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة ، وكررت عملك هذا ، تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد كل ثلاث نقرات »

ومن هذا التبسيط الأخير يلزم وجود الإيقاع التجانس (وكل إيقاع متجانس) في الشعر الجديد كما في الشعر القديم

وما دام النقد هو فن دراسة النصوص – كما يقولون – فلم يعد بالإمكان الرضوخ والقنوع بمثل قول الأستاذ « فوجدوا هنا نظاما ... » إذ أصبح من اللازم أن يقوم الناقد – بوضع خطوط سوداء – ! تحت استنباطاته كأن يبين أثر هذا اللفظ ، أو ذاك ، وأثر هذه التفعيلة أو تلك ، أما أن يرسل (تذوقه) إرسالا مطلقاً ، فهذا ما لا نقره عليه (٥)

(٣) تفعيلة واحدة إذ كانت الأبحر متساوية التفعيلات — كاملة — وتفعيلتان في الأبحر المجزوءة التفاعيل

(٤) يعود الضمير على قصائد ثلاث ذكرها الشاعر في مقاله

(٥) وعلى سبيل المثال نستشهد بمقالات الشعر المهموس . لمندور ومقال الشاعر أبو ريشة بنقد نفسه للأستاذ الحازم إبراهيم العريض ، الأديب العدد الخامس السنة الثامنة (٤٨)

ثم تابع الأستاذ

« والحقيقة أن القارئ يسير مع الشاعرة فى هذه القصائد وأمثالها (!) لاهثاً من التعب .. فهناك بيت طويل ، وآخر قد لايزيد على لفظة واحدة »

ماذا نقول للأستاذ ! أيصح لدينا أن ننبذ هـذا اللون من الشعر لمجرد أن هناك بيتاً طويلا . وآخر قـد لايزيد على لفظة واحدة ، أم يتحتم علينا — كنقاد — أن نقف باستغراق وعمق إزاء هـذا الإنتاج ، وكل إنتاج ، فنتساءل — مادام الشاعر قد ارتضاه — عن مدى ما فيه من طاقة ، ونستقرئه استقراء دقيقاً شاملاً ، ونحلله تحليلا جزئيا ، ومن بعد نصدر حكمنا القاطع عليه

لا عليك — يا أستاذنا — من الرتابة التقليدية ، فإنها أصبحت لا تثير ولا توحى ، عليك أن تنظر إلى المعنى ! فاذا كان القصر أو الطول ممـا يقتضيه المعنى ليستثير الخيال والعاطفة ، رحب به ، وافسح له صدرك

هل يجوز لنا أن ننتقد — رساماً لالشىء إلا لأنه يستعمل لوناً واحداً أو لونين فى صورته — راجع المدرسة الثانوية فى الرسم — (الأديب ت ٤٨٠١)

ألم تلاحظ يا أستاذ أن غرض الشاعر هو الخروج عن ذلك التوازن الهندسى !

هذا ما جاء فى مقال الأستاذ الأول ، ولم يزد فى مقاله الثانى — الأديب العـــدد السابع ١٩٥٢ على ترديد ما سلف قوله فاسمعه (٦)

« إلا أن تشكيلة تفعيلاته غير المتجانسة تمنع من رؤية الجمال والحيوية فيه » وقوله « فلو جاءت هـذه القصائد على أوزان وتقطيعات متناسبة متناغمة ، لـكانت أجمل وألطف وقعاً فى النفس ففيها معان جميلة ولـكنها ضاعت بالصياغة »

أما عن جملته الأولى فقد ناقشناها من قبل ، وأما عن جملته الثانية فقراء عبد القاهر الجرجانى ، يدركون مقدار مافيها من التواء ، فالمعنى لا كيان له — إلا ظلا ضئيلا لايعبأ به — خارج الصياغة ، وليس لنا أن نتساءل عما يصبح عليـه المعنى إذا ما تبدلت الصياغة تبدلا جوهريا ، فعلينا تقبله أورفضه ضمن الصياغـــة

ولا أفهم أكثر تناسقا وتناغماً من سيطرة تفعيلة واحدة على كافة أبيات القصيدة

على الأستاذ الماهر أن يتحرز من استعمال كلماته خارج دلالاتها العلمية المتفق عليها (وسك الأفكار — كما يقول جورج ديهـاميل — مجازفة خطرة) . مما سبق يتضح لنا بجلاء أن الـكاتب الأردنى لم (يحاول) أن يسير وفق المنهج العلمى للنقد ، ولم يختط له خطة مثلى ، تعينه على اجتياز مشـ ق الطريق . وعلى ثغره ابتسامة ناضرة

ولو درس الـكاتب الشعر العراقى — الجديد — دراسة موازنة ، وراجع شعر بدر ، والآخرين ، لما تورط

(وموعدنا فى عدد قادم)

العراق — العمارة سليم غاوي عبد الجبار

(٦) الشاعر العراقى صباغ جــواد القطمة ، الأديب يونيو ص ٤٤ سنة ١٩٥٢

الكتب

الفلسفة الصحية في الإسلام

تأليف الشيخ جلال الحنفي

للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن

هذا الكتاب الصغير أصدره فضيلة الشيخ جلال الحنفي رئيس جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق، وبالرغم من أن هذا الكتاب يغلب عليه الطابع العلمي إلا أن أسلوبه كان رائعاً حقا، فالشيخ الحنفي من المتأثرين إلى حد بعيد بأسلوب أستاذنا الزيات صاحب الرسالة، فهو يقتفي آثاره ويترسم خطاه، ولا أدل على ذلك مما جاء في العدد الأخير الصادر بتاريخ ٨ تموز سنة ٩٥٢ من الصحيفة التي تصدرها الجمعية التي يرأسها الحنفي حيث يقول: (... واحترامنا الفائق للأستاذ الزيات وإعجابنا بأسلوبه الجميل وبلاغته المشهودة ... الخ)، والأستاذ الحنفي لا يترك فرصة تفلت من يده دون أن يشيد بأسلوب الزيات الرائع، وديباجته الساحرة، وفنه اللامع

والحنفي في كتابه هذا يعالج مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية التي عالجها الإسلام، فكتابه هذا لم يكن بالكتاب العادي، فهو غير عادي في دروسه وأحكامه، لما يتناول من القضايا التي تهم جزءاً كبيراً من البشرية في حياتها كل يوم

يقول في فصل (الحياة كفاح) لا نغلو إذا قلنا إن الإسلام كان أول دين سماوي عني — بصورة دقيقة — بمثل هذه النواحي الحيوية، وذلك لأن الإسلام قام على فلسفة عميقة في توجيه الإنسان إلى فهم الحياة. فالحياة في الإسلام كفاح في سبيل تثبيت دعائم السلام والفضيلة والإنسانية، وهذه الأقانيم العظيمة لا تستقر إذا كان الدعاة إليها مرضى، ولا تستمر إذا كان العاملون عليها يلتحفون ملاحف الهزال والضنى والعلة، إلى آخر هذه الكلمات التي تفيض بالحكمة وتحض الناس على التمسك بالصحة وفهم الدين على وجهه الصحيح

والواقع أن هذا الكتاب من الكتب التي يعتز بها، ولست أشك أبداً في أنه إذا ما انتشر في البيئات الإسلامية حق الانتشار خليق بأن يوقظها على آفاق جديدة، وأن يحدث في جنباتها دويا فكريا

جاء في فصل (فوائد الاعتدال وأضرار الشراهة) ما يلي: من القواعد الصحية السديدة التي وضعها الإسلام قاعدة الاعتدال وعدم الإسراف، ففيما يتعلق بتناول الطعام مثلا نقرأ في القرآن الكريم: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)، ونجد في الحديث النبوي: (إن المؤمن ليأكل في معى واحدة وإن الكافر ليأكل في سبعة أمعاء) (١) فالاعتدال في الطعام والشراب طريق من الطرق الموصلة إلى سلامة الإنسان من الأسقام، وقد كان هذا الموضوع من الموضوعات التي تردد عليها الكلام في الآيات الكريمة والحديث النبوي الشريف، لأن الاعتدال أصل مهم في الصحة، وقد استشهد المؤلف بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت ما ادعاه. فمن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فثلث للأكل وثلث للشرب وثلث للنفس). وقد وصف الله ذوي الشراهة في التهام الأطعمة بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام، وهذا وصف أراد الله تعالى به أن يذكر الناس بمصير من يأكل كما تأكل الأنعام وهو الغباء والغفلة والحرمان من فهم حقيقة الحياة

وجاء في فصل (الحجر الصحي) والإسلام أول دين سماوي وضع نظام الحجر الصحي عند حدوث أوبئة عامة، فقد جاء في الحديث النبوي النهي عن الدخول في أرض أصابها الطاعون، وكذلك النهي عن الخروج منها، وقد كان لهذا الابتكار الصحي العظيم أثر ملحوظ في حماية البشرية من الموت بالجملة، أما ما كان يحدث في بعض فترات التاريخ من الأوبئة الماحقة التي كانت تفتك بالناس في عواصم الإسلام خلال العهود الأخيرة فما كان ذلك إلا من جراء الغفلة عن الأخذ بهذا النظام الصحي الدقيق

وقد حث النبي أيضاً على اجتناب الموبوئين بالأمراض المعدية

---

(١) المراد بالكافر هنا الوثني الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا ما يشدد غريزة الجشع في نفسه فيجعله مفرطاً في ملاذه

فقال: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) والغرض من ذلك حماية الصحة أولا ولفت أنظار الهيئة الاجتماعية إلى عدم الاستهانة بالأمراض المعدية ووجوب معالجة المصابين بها

وقد أمر النبي بغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب لما ينقله لعاب الكلب من الأمراض

ومما يؤخذ على الشيخ الحنفي الاستشهاد ببعض الحكم الدينية القديمة بينما الكتاب يبحث عن الصحة في الإسلام، فمن ذلك قوله: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان)، واستشهاده أيضاً بالحكمة القديمة القائلة: (إذا امتلأت المعدة فسدت الفكرة)

وعلى كل فإن هذه الهنات الهينات، لا تحط من قدر هذا الكتاب المفيد

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

النقد الأدبي

للدكتور أحمد أمين

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

حسب القارئ الذي يطلب خلاصة مركزة مهضومة سهلة التناول في النقد الأدبي؛ أصوله؛ وتاريخه؛ هذا الكتاب الذي يقدمه أستاذنا لطلاب الثقافة الأدبية؛ النقدية؛ فهو يعد أوفى كتاب في اللغة العربية في باب النقد وتاريخه؛ فليس يغني غيره عنه. وقد يغني هو عن كثير من الكتب في هذا الباب. ولكن ما خصائص أسلوب هذا البحث القيم الفكري والفني؟ أما عن أسلوبه الفكري أي مادته العلمية فهي تتسم بالإحاطة والشمول بكل ما قيل بصدد المسائل التي يتعرض لها في اللغة العربية واللغات الحية؛ ثم موازنة؛ وهضم هذه الأفكار؛ ثم مزجها مزجا فنيا، وتقديمها بأسلوب أستاذنا الهادئ، الطيع، السلس، المبين، حتى تشعر أنك قد ألممت بعصارة الآراء مبلورة في رأي المؤلف. ثم ينتقل بك من موضوع إلى موضوع في رفق، ولين، واتزان منطق. أرأيت أسلوب فجر الإسلام، وضحاه، وكيف قدم إليك هذه المادة العلمية في ذلك الأسلوب الأدبي مما جعلك تشعر أن الدكتور قد أدب العلم بعرضه وفنه. فأنت أيضا في هذا الكتاب لا تطالع مادة عقلية، منطقية، جافة، ثقيلة، بل مادة موشاة بألوان الفن مما جعلها أقرب إلى القلب، وأعلق بالنفس، وهذا هو سر حياة كتبه، وتجدد طبعاتها. ومما يزيد هذا الكتاب اتزانا في البحث، وسلامة في المنطق، ووضوحا في العرض، هو تحضير مادته في هدوء، وعلى مهل، فلا عجلة، ولا اضطراب ثم بعد أن تحضر هذه المادة تدرس لطلاب الجامعة. فيزيدها هذا تركيزا، واستجلاء وتقويما، لأن في عرضها إشاعة الضوء في كثير من جوانبها، واستبانة مادق على النظر عند تحضيرها، فإذا ما انتهت من عمل المؤلف واجتازت بوتقة الدرس فقد وصلت مبرأة من المآخذ، خالية من الشوائب. وهذا ما يحسه القارئ في كل مبحث من مباحثه وباب من أبوابه. فهو يتناول النقد الأدبي وعناصر الأدب والشعر والنثر. ودراسة العناصر الأساسية للأسلوب؛ والرواية، ثم نظرة عامة في النقد، والنواحي التاريخية، ثم تطبيقات وملاحظات عامة، ثم تاريخ النقد عند الأفرنج، وعوامل انحلال الكلاسيكية الحديثة، ثم يتناول النقد عند العرب في الجاهلية، والعصر الأموي. والنقد في العراق، والشام، والعصر العباسي، إلى آخر ما يتعلق بهذا الموضوع

هذه هي بعض المباحث التي يضمها هذا الكتاب القيم الذي يجمع دقة البحث العلمي وجمال العرض الفني. ومن المباحث الجيدة في الكتاب ذلك البحث الذي تناول فيه الدكتور الرواية، وتتبع نشأتها، وأنواعها، وعناصر كل منها، وأيضاً البحث الذي تناول فيه النقد، والنقد كأدب، ومهمة النقد، والنقد الاستدلالي، والنقد الحكمي، ومؤهلات الناقد، وذخيرة الناقد كل هذه

ديوان ابن أبي ربيعة

نشره فضيلة الأستاذ الشيخ محي الدين عبد الحميد

شخصية ابن أبي ربيعة من الشخصيات التي كانت ولا زالت محورا لكثير من الدراسات التي تناولت سمات فنه الشعري ، وحاولت أن تبرز ملامح شخصيته الأدبية ؛ وأن تضع تراثه في ميزان النقد ، وأن تفسر تلك الألوان التي تطبع شعره ، والتي يتفرد بها ابن أبي ربيعة بين شعراء جيله . وهي ذلك الولع بالحديث عن المرأة ، وتلك الأحاديث الشعرية التي يقصها الشاعر عن مغامراته . وغرامياته في ميدان الهوى ؛ ومسارح الصبابة ؛ ومقدار ما فيها من صدق فني ونفسي وتاريخي ؛ وهل كان صادق العاطفة يصدر في شعره عن بواعث نفسية ؟ كل هذه قضايا طال تجاذب الرأي فيها . ورغم كل هذا فشخصية ابن أبي ربيعة من شخصياتنا الأدبية التي استطاعت أن تشغل كثيرا من الأقلام في سبيل استجلائها فنيا ونفسيا ، غير أن هذه الدراسات التي قامت حوله على تطاول العصور ؛ لم تنسق وتنشر نشرا علميا ، بحيث تكون بين يدي الباحث الأدبي والتاريخي والنفسي وثائق يستطيع أن يصدر حكمه على ضوئها . هذا ما يتعلق بالدراسات التي قامت حوله . وشعر ابن أبي ربيعة أيضا في حاجة قوية إلى بذل المجهود اللغوي الذي يتصل بضبط ألفاظه وشرحها ، لتصبح سهلة التناول ميسرة السبل على الباحث

وقد عكف الأستاذ الجليل الشيخ محي الدين أن يجمع كل ما قيل حول هذا الشاعر ، وأن يتولى ضبط ألفاظ الديوان ، وشرحها شرحا لغويا أولا ، ثم شرحا أدبيا ثانيا ليمهد على قدر الإمكان السبيل أمام القارئ ليتذوق ويدرس ، ثم عمد إلى ما امتازت به صناعة ابن أبي ربيعة من حيث استعمال بعض التراكيب التي خرج بها عن لغة قريش ، فعرض هذه المسائل مع استشهاده لذلك ، ثم تتبع الألفاظ التي استعملها عمر جانب فيها معاجم اللغة ، ثم ختم الكتاب ببيان الشعر الذي نسب إلى عمر في بعض كتب الأدب وليس من شعره . وقد أنفق في هذا العمل عامين كاملين يجمع النصوص ويقارنها ويصححها ، ويقوم بضبطها وشرحها ، حتى تهيأ له أن يخرج هذا الكتاب الذي نيف على الخمسمائة صفحة من القطع الكبير . وقد قسمه إلى أربعة أقسام : الأول يشمل أخبار عمر ، والثاني آراء العلماء فيه ، والثالث يشمل الديوان ، والرابع الشعر الذي نسب إلى عمر وليس له . ولا شك أن هذا العمل يعد مساهمة جديدة للشيخ محي في نشر ذخائرنا الأدبية

محمد عبد الحليم أبو زيد

البريد الأدبي

بين الإسلام وحركة التسلح الخلقي

نشرت مجلة « الأزهر » الغراء كلمة تحت هذا العنوان في جزئها العاشر لسنة ١٩٥٠ أشارت فيها إلى المصلح الاجتماعي الدكتور فرانك بكمان فوصفته بأنه قصد إلى تغيير المجتمع بتغيير أفراده ووسيلته أن يتسلح كل فرد بمبادئ يأخذ بها نفسه في غير تساهل ، ومن هذه المبادئ الاتجاه إلى الله والاصغاء إلى أوامره وطاعته، وأن يحاسب المرء نفسه كلما أذنب مصمما على أن يتجنب الرذائل ، وأن يتعاون الأفراد على تحقيق هذه المبادئ كي تسود في المجتمع « فالانقسام من علامات عصرنا ... والاتحاد مطلبنا العاجل . والانقسام نتيجة التكبر والحقد والشهوة والخوف والطمع وهو من صنع المادية وهو العلامة التي تميز بضاعتها »

وهذا تلخيص موجز بليغ لحركة التسلح الخلقي.. وقد أشارت المجلة أيضا إلى فصل عقده أحد الكتاب في المجلة الإسلامية التي تصدر باللغة الإنكليزية في ووكنج بإنجلترا مقارنا فيه مقارنة طريفة بين مبادئ الإسلام الخلقية وبين ماتدعو إليه حركة التسلح الخلقي . ومما قاله هذا الكاتب وهو هولاندي يدعى فرانز ستال أن التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد وهي سلاح خلقي عظيم

وقد أحسنت مجلة الأزهر بإيرادها الإشارة إلى رأيه في المقارنة بين الآداب الخلقية في الإسلام وبين حركة التسلح الخلقي بعد تلخيصه مبادئ تلك الحركة

وبقي أن يلم القارئ إلمامة سريعة بالأسباب وبالظروف التي دعت إلى نشأة هذه الحركة ، ولما كان كاتب هذه السطور أحد الذين اتصلوا بهذه الحركة الخلقية وحضروا بعض المؤتمرات التي دعت إليها جماعة التسلح الخلقي في سويسرا وخطب في تلك المؤتمرات مقارنا بين مبادئ الإسلام وبين أهداف هذه الحركة؛ فمن واجبه أن يتحدث عما رآه وماعرفه عنها

كان الدكتور بوكمان يعمل سنة ١٩٢١ مدرسا في مدرسة أمريكية وكان منهجه في الحياة أن يقضي في التدريس نصف العام ويقوم برحلات في أرجاء العالم المختلفة في النصف الآخر وفي خلال سنة ١٩٢١ دعي لحضور مؤتمر (نزع السلاح) في واشنطن وكان السفر إلى تلك المدينة يستدعي بيت ليلة في عربة النوم بالقطار — وقد سافر ولكنه لم ينم الليلة وانحصر تفكيره في (نزع السلاح) وفي الأسباب التي دعت إليه . ووصل التفكير إلى أن السلاح الذي لاينزع والذي لاخطر على الخير في استعماله وفيه على الشر الخطر الأكبر هو سلاح الخلق

في هذه اللحظة كان مولد فكرة التسلح الخلقي وقد كان من بين ما فكر فيه أن الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) التي أدت إلى مؤتمر نزع السلاح لم تحدث (تغييرا) في العالم ولم تفرق بين ماقبلها ومابعدها ؛ وفكر بمثل المعنى الكريم الذي تضمنته الآية

« إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » - فجعل وسيلته لنشر مبادئ التسلح الخلقي في الدعوة إلى التقوى وفسرها بأنها الاصغاء لصوت الله وطلب الوقاية منه دون غيره ، وقال في نفسه إن الله لن يحدث تغييرا في الناس حتى يحدث التغيير لما في أنفسهم، فقرر أن يستقيل من عمله وأن يتفرغ للدعوة؛ فالدعوة وفقا لنشأتها كانت رد فعل لويلات عالمية ، واستجابة لدعوة نزع السلاح تجنبا لتكرار المأساة الدامية ، وصراعا مع العوامل التي كانت تهب لتصل إلى الحرب العالمية الثانية

وقد حدثت تلك الحرب وكان من بين آثارها تعليم الناس أن ميدان القتال ليس هو وحده مجال الحروب ، فالحرب في المجال الاقتصادي وفي ميادين العمل وفي الأسرة وفي كل مكان سببها التكالب على المادة ولاسبيل إلى وضع حد لها إلا التمسك بالخلق بمحاربة الأنانية

وكما نشأت الحركة في أعقاب حرب فقد زاد نشاطها وكثر عدد المؤمنين بها بعد الحرب العالمية الثانية وكان هذا رد فعل لها وصراعا للعوامل التي لاتزال تدب لتصل بالدنيا إلى حرب عالمية ثالثة

وكلما خطت هذه الحركة خطوة في سبيل توحيد الناس بالتمسك بما لاخلاف عليه بين أديانهم ومصالحهم وعرفهم - خطت هذه الحركة خطوة في هذا السبيل تبين أنها تتأثر الاسلام وتصاحبه قاصدة إلى أهدافه

وليست هذه الحركة ذات عصبية فهي ليست بالهيئة التي

تدعو إلى الانضمام إليها ولكنها فكرة يعاش بها وشعارها « أن فى العالم من الخيرات مايكفى حاجة كل إنسان ولكن ليس فيه ما يكفى مطامعه »

وقد كان لى فى أحد المؤتمرات فى سويسرا شرف الموازنة بين الاسلام وبين مبادى هذه الحركة ؛ كاخطب فيها من المسلمين من شهدوا بأنها تتآثر مع ديننا الحنيف وتتمشى معه رجال مسؤولون من بينهم سعادة محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وسعادة عبد الرحمن عزام الذى أكد « أنه يعضدها على اعتبار أنها تتوافق كل التوافق مع العقيدة الاسلامية »

الاسكندرية أحمد عوضه

براعم شعراء الشباب

لا خوف على براعم شعراء الشباب فى مصر وفى البلاد العربية مهما قست الظروف وضاق نطاق الصحف والمجلات وعجز الشعراء عن طبع دواوينهم لسبب من الأسباب .. لاخوف على هؤلاء الشعراء ما تذرعوا بالصبر ، وتدرعوا بالجهاد ، وأقبلوا على نظم الشعر برغبة حارة وقوة دائبة وشعور لا يغيض

هكذا قلت لنفسى حين قرأت الكلمة التى تفضل بتوجيهها إلى مشكورا — الأستاذ محمد على جمعة الشايب فى العدد ٩٩٣ من الرسالة ، وهو يبدى مخاوفه من هذه الأزمة الشعرية لدى الشعراء الناشئين الذين تعرض الصحف والمجلات عن نشر أشعارهم وأكثرهم ما يزال فى دور البدء والتكوين ، وإنما المهم دائما الإقبال على النظم وإمعان النظر وإدامة الفكر فيما ينبغى أن يقال على نهج جديد ، وروح جديد . وسيأتى يوم لكل مغمور فيشهر ، ولكل مجهول فيعرف ، ولكل مظلوم فينال حقه المهضوم ... وخير للشاعر أن يظهر أمام الناس قمة عالية تتطلع إليها الأنظار ، من أن يبدو وهدة سحيقة تتخطاها العيون وتدوسها الأقدام

أحمد أحمد العجمى

إذاعتنا الفراء

لست أجانب الحقيقة لو قلت : إن إذاعتنا المصرية (الفراء) أوشكت أن تعلن إفلاسها ، وتثبت أنها عاجزة عن مسايرة أهزل إذاعات العالم جميعها ..

إن برامج إذاعتنا الفراء لا تشجع مطلقا على الإقبال عليها ، ولا على تتبع محتوياتها ، فتسعة أعشارها حشو من الأغانى الغثة ، والتمثيليات التافهة التى لا تثقف عقولا ولا ترقى أفكارا ولا تنهض بشعب

لا تسل عن ركن الأطفال الذى هو مزيج من الأناشيد المكررة ، والقصص المفزعة ، والأصوات المنكرة ، ولا تسل عن ركن المرأة الذى لا يتصل برسالة المرأة فى الحياة إلا من جانب الكماليات الأرستقراطية . ولا تسل عن ركن الريف الذى هو خلو مما يفيد الريف ويوضح آلامه ويحل مشكلاته وينهض بأهله .. لا تسل عن ركن من هذه الأركان أو غيرها حتى لا تتميز من الغيظ حسرة وأسفا على إذاعتنا الفراء ..

لعلك اضطررت اضطرارا ليلة تأليف الوزارة الهلالية الثانية إلى تتبع برامج الإذاعة لعلك تستريح إليها ولو خلال لحظات ، ولعلها تنال منك ولو ذرة واحدة من رضاك ، فاذا سمعت فى تلك الليلة المشهودة التى تستمع فيها بلاد العالم إلى إذاعة مصر ، فتقف على حقيقة الأحوال فيها ، والتقلبات السياسية المفاجئة . إن إذاعتنا لم تكن — بالطبع — مستعدة لتسترنا فى مثل هذه الليلة ، فأبت أن ترحمنا من أغانى فيلم (فى الهوا سوا) وفيلم (من القلب للقلب) ، وكل ما تكرمت به علينا أن أذاعت علينا وثائق استقالة الوزارة السابقة ، وتأليف الوزارة اللاحقة ، دون أن تتكرم ولو بتعليق واحد سياسى على تقلبات السياسة فى مصر ، وهل هى فى مصلحتها أم فى غير مصلحتها ..

أما بقية الليلة فقد قضاها (ميكرفون) الإذاعة الفراء بالجمالية بالقاهرة ليذاع علينا من هناك الاحتفال بمولد العارف بالله (سيدى) مرزوق الأحمدى ، وواصل الشعب المصرى الكريم السهر إلى قبيل الساعة الواحدة صباحا يستمع إلى (أبيض الوجه ، وجميل القد ، وأحمر الوجنتين ، وأكحل العينين) من قصائد وتواشيح الشيخ طه الفشنى .. !

وبعد فإن المذياع ليعتبر من أهم وسائل النهوض بالشعوب والتقدم بها ، والعمل على رقيها ورفع مستواها الثقافى . ولكن يظهر أن مصر هى البلد الوحيد الذى كفر بهذا الاعتبار وتنكر له وسخر منه ؛ لأنها نكبت بإذاعة لا تتساوى مع إذاعات العالم إلا فى الاسم وكفاها بهذا فخرا !

نفيسة الشيخ



الوطنيــــة

مترجمة عن الانجليزية

تزوجت من (هانز) — وهو أحد الجنود الألمانيين — لعام واحد قبل الحرب العالمية الضروس التي أهلكت كل حي ودمرت كل شيء ، بالرغم من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكان أول عهدي به أن لاقيته في معرض من معارض الفنون في (باريس) — وكان قد ذهب إليه زائرا — فلما سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه ، فلكني حديثه العذب الفكه ، وأسرني غزله المرح الرقيق ، فكان ما كان ، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل

وتركت وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز) في قرية صغيرة من قرى ألمانيا . وعشت بين أحضان عائلته في سعادة ورفاهية ، ورغد وبلهنية . وصار أصدقاؤه مع مضى الزمن أصدقائي ، وخلصاؤه خلصائي ، وأقاربه أقاربي ! وما مضى على وجودي بينهم غير قليل حتى تعلمت كيف أتكلم الألمانية ، وحتى كدت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة في يوم من الأيام . ونقلني (هانز) بما حباه الله من قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء ، وحلاوة الصفاء ، ومتعة الحب

ولكن هذا النعيم لم يدم طويلا وا أسفاه ! فقد أعلن لي (هانز) في يوم من الأيام — وقلبه يفيض فرقا — أن ألمانيا قد أعلنت الحرب على أعدائها ، وأنه سيسافر إلى ميدان القتال لأن اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني أن أعود إلى (باريس) — في الوقت نفسه — خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك . وقد كان (هانز) — بالرغم من كل ذلك — على يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة شهور على أكثر تقدير ، وأنه سيعود إلى بعد ذلك . .

وأحسست بعد أن أفقت من صدمة هذا النبأ الفاجع ، وهول هذا الخبر المؤلم — أن حبي لزوجي (هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا) ! وشعرت أن كل ما هو حبيب إليه أحب إلى نفسي من كل ما سواه ، وأن كل ما هو عزيز عليه أعز على قلبي من كل ما عداه . ومن أجل ذلك أهبت بنفسي أن أكون ما حييت فداء لهانز والقيصر ولألمانيا ... متحملة في سبيل ذلك ما قد ينتابني من الألم أو يمسني من السوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة ، وقلبي يفيض إعجابا ونفسي تتيه فخارا . وقد كنت أنا أيضا أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل ، وأن (هانز) سيعود إلى سليما قويا آمنا . وانقضت شهور عدة فما خمد لهيب الحرب وإنما ازدادت الممالك المشتركة فيها عدداً وعددا . وكان (هانز) يرسل إلى بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلا من المتاع واللذة ، وشيئاً من الراحة والطمأنينة ، ووميضاً من السلوان والأمل ! ولكنني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه ، وأسعد به في جواري مرة أخرى !

* * *

أواه يا قلبي !

إنني ما رأيت (هانز) بعد ذلك اليوم أبدا ، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير ! فقد ترامى إلى أن طائرة فرنسية دمرت الكمين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضى عشرة شهور من بدء الحرب — فقضى نحبه محترقا . وكاد الحزن يفقدني عقلي ويورثني الخبل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا وتمنيت لو استطعت أن أثأر لزوجي أو أنتقم له من أولئك الذين قتلوه ! وأحببت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب ، بل مدمرة مهدمة مخربة ! ولكن السنين — واحسرتاه — قد خيبت ظني ، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا ؛ فملأت الأحلام المفزعة فؤادي ، وأفعمت الأوهام القاتلة خيالي ؛ فصدقت كل ما يقال عن قسوة الألمانيين ، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآمنين والنساء الضعيفات . فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين !!

... وفى يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولكن الألمانيين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من استرداد قريتهم المسلوبة ومحاصرتها وتطويقها..

واستيقظت على حين غرة على صوت مزعج ودوى هائل وضجيج وجلبة فى حجرة الاستقبال التى فى الطابق الأسفل من منزلى ، فارتديت منامتى على عجل وأضأت المصباح الكهربائى الذى ينير الدرج ثم هبطت الدركات مسرعة يدفع بعضى بعضاً

* * *

ماذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جنديا فرنسيا يرتدى ملابسه العسكرية متكئاً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح فى رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعانى من الألم ويقاسى من الجهد ...

وما كاد الرجل يرانى — وأنا أقترب منه — حتى ألقى إلى نظرة فيها كل معانى الاسترحام كأنما يستجدى بها المعونة ، ويرجو بها الغوث . ثم مد إلى إحدى يديه كأنما يعلن إلى أن لا لا حول له ولا قوة

فقلت له بلهجتى الفرنسية الوطنية : « هل يؤلمك هذا الجرح كثيراً ؟ »

ففتح الجندى عينيه على مهل ثم قال : « هل سيدتى ... فرنسية ؟ »

وما أدرى لماذا أحسست ساعتئذ بثورة فى دمى وهزة فى جسمى ، وخفقان فى قلبى !

وقلت للجندى : « نعم ، إننى فرنسية ، ولكننى مقيمة هنا .. إنى ... أنا ... ! »

وأمسك الجندى بذراعى ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعدينى . لقد حسبنى زملائى ميتا فتركونى ، والآن يجب على أن أرجع إلى صفوفنا ! يجب على ... »

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقا عنيفاً على الباب ، وصوتاً عالياً ينادى : « أيتها السيدة ! ... أيتها السيدة »

كانت فى منزلى حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن يقضى فيها شؤونه الخاصة ؛ فلما مات أغلقت بابها الصغير ثم غطيته بستر عن الأبصار . وأبقيت الحجرة على ما كانت عليه ، فلم أتناول أى شىء فيها بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يمس ، أو كأنها الموئل الذى يستريح فيه زوجى ويطمئن إليه

وماأدرى ماالذى دفعنى إلى أن أنتهك هذا الحرم المقدس فى ذلك الموقف العصيب !

لقد قدت الجندى الفرنسى إلى الحجرة فرفعت الستر عن بابها ، ثم فتحته ، وبعد أن أدخلته فيها أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه

واشتد الدق على الباب الخارجى عنفاً ، وما كدت أفتحه حتى دخل منه جندى ألمانى ضخم الجسم كبير الجرم أحمر الوجه فدفعنى جانباً وزاحنى عن طريقه ، ثم أخذ يجول فى أنحاء البيت كيفما شاء باحثاً عن الجندى الفرنسى . ففتش المطبخ ثم الحمام فلما لم يجد غريمه اندفع يرقى الدرج إلى أعلى

وتلبثت فى موضعى حتى عاد إلى ، وحرصت على أن أكتم شعورى ، وأكبح عواطفى ، وأدفع عن نفسى رجفة كادت تهزنى . وحاولت أن أبعد عينى عن الستر حتى لا ألفت نظر الألمانى إليه

وما كاد الجندى يقف أمامى وجهاً لوجه حتى أدركت أنه مخمور لايعى ! .

وقال لى بصوته الغليظ الخشن : « إننى ... إننى أظن أنى قد رأيت كلباً فرنسيا يجرى فى فناء دارك وما أرتاب فى أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك من النافذة... إنى ... إنى ... ! »

فأجبته بهدوء : « لقد بحثت بنفسك فلم تجد أحداً هنا »

وكان من العسير عليه أن يدرك مايقول أو يفكر فيه فقال : « أنا ... أنا ... لقد أخطأت .. أنا ... أنا ... »

وانتشرت على شفتيه ابتسامة شيطانية ما رأيت أخبث منها ثم قال : « هل تعيشين هنا .. وحيدة ؟ ! »

فأجبته : « نعم . إننى أعيش هنا وحيدة منذ أن قتل زوجى »

فاقترب منى شيطاناً فاجراً ، وعربيدا داعرا ، ومخموراً خبيثاً وهو يتمتم : « وعلى ذلك فأنت تعيشين هنا وحيدة ؟ ! »

ولكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعى ولم أتزحزح

عنه ، بل قلت له : « ألا تظن أنه من المستحسن أن تخرج الآن لتبحث عن الـكاب الفرنسي فلعلك عاثر عليه ؟! »

ولـكنه أجابني — بعد أن طوق خصري بذراعه وضمني إليه بعنف — : « لا .. لا .. لقد ذهب .. و .. وأنا لا أريد أن أبرح هذا المكان .. بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة !!» وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنق . ثم قال : « ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة الجانب معي ... أليس كذلك ؟! »

وحاولت أن أدفعه بعيداً عني ثم قلت له : « أرجوك ... »

ولـكنه ضمني إليه بقوة ، ثم تتابعت أنفاسه سراعاً وهو يقول : « لا تقاومي ... فلن تجديك المقاومة شيئا . لابد مما أريد ... وتستطيعين أن تنسى كل شيء عندما أتركك إن كنت لا تريدين أن ... ... لاتقاومي ... !! »

وهممت أن أصرخ مستغيثة ولـكني تذكرت أن صراخي سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من الجند ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من جديد عن الجندي الفرنسي . فقلت للجندي الألماني : « أرجوك ... أرجوك أن تدع هـذا لوقت آخر ... ...!! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟! وقت آخر ؟! ربما يكون ذلك عندما أموت !! »

وما تلبث حتى حملني على ذراعيه وأخذ يصعد بي الدرج إلى أعلى . ولـكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرة : « إنني آسف ياسيدتي على ما سببت لك من تعب .. ! »

وما سمع الألماني هـذا الصوت حتى أنزلني من فوق يديه وأوقفني على قدمي ، ثم أدار وجهه فيما حوله وإذا ... وإذا بالجندي الفرنسي واقفا أمامه وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ، بالرغم مما يقاسي من جراحه ، وما يعاني من آلامه ! وإذا به يبسم لنا بالرغم من أنه يكاد يغمى عليه من الألم ، ويغشى عليه من الجهد والإعياء

***

إنني سجينك الذي تبحث عنه ، وأسيرك الذي ترجوه ، إنني حاجتك وطلبتـك ... ومادام الأمر كذلك فهيا بنا إذن نذهب من هنا ونترك هذه السيدة الـكريمة في سلام وطمأنينة !!»

هكذا قال الجندي الفرنسي للجندي الألماني الذي أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكا لايدري ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً في نفس متقطع « نعم ... نعم ... إنك سجيني ! »

وخرج الرجلان من داري وسارا معا ؛ وعلى ثغر الفرنسي ابتسامة لاتفارقه ، وعلى وجه الألماني حيرة وذهول !

وما رأيت الجندي الفرنسي بعد ذلك اليوم أبداً. فياليت شعري هل مات في الحرب أم هو مازال حيا إلى اليوم ! ؟ ولو أنني رجعت إلى (باريس) بعد الحرب لما تباطأت في البحث عنه حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلي من عارفة وماقدم إلي من جميل

ولـكنني وا أسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن حياتي فيها تزور على نفسي ؛ ولم أبق في ألمانيا ، لأني فجعت فيها بموت زوجي الذي كنت أعيش من أجله على أرضها ، بل أتيت إلى إنجلترا لأبدأ حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة في يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال

م . س

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الوثبة المباركة ... ... : لصاحب الفضيلة محمد عبد الله السمان ٩٠٩
عدد (١٠٠٠) من الرسالة ... : للأستاذ على الطنطاوى ٩١١
ميثاقان لا ميثاق واحد ... ... : للدكتور عمر حليق ٩١٣
علم النبى بالغيب ... ... : للأستاذ ناصر سعد ٩١٨
شوقيتان لم تنشرا فى الديوان ... : « محمد عدنان حسين ٩٢١
اللغة والأدب ... ... : للأديب محمد عثمان الصمدى ٩٢٣
ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ... ٩٢٥
جيش وشعب ... ... (قصيدة) : للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... ٩٢٧
من بعيد ... ... (قصيدة) : « محمد محمود عماد ٩٢٨
(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ٩٢٩
(البريد الأدبى) — ذكرى ورجاء فى مناسبة العدد الألفى للرسالة — ٩٣١
الصحافة الأدبية فى العراق — جمعية جديدة للمسلمين
فى أمريكا الشمالية — شكوى طلاب العلم من
وزارة الداخلية ... ...
(القصص) — الرسالة الأخيرة — بقلم رالف بلومر ٩٣٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 997

Le Caire 18 — 8 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الوثبة المباركة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

مهداة إلى المجاهد الأكبر القائد العام

فى أصيل الثلاثاء (٢٢ / ٧ / ١٩٥٢) جلسنا ثلة من الشباب الناضج فكرا ووطنية ، على مقربة من قصر المنتزة بالإسكندرية . وبدأنا الحديث فيما يهم مصر وأمانى شعبها المغلوب على أمره ، وما كانت أنسمة الشاطئ العذبة ، ولا أمواج البحر المتراقصة ، ولا أشعة الشمس الذهبية التى تخطف الأبصار لتشغلنا عن الحديث عن مصر وآلام مصر . ولست أدرى لم كانت أنظارنا ترمق قصر المنتزه ، متجهة إليه لا ترغب فى التحول عنه ! لم تكن متجهة إلى هذا القصر باعتباره الحصن الذى يعلق الشعب عليه كل آماله ، لأن هذا الاعتبار كان بمثابة نظرية ابتكرها النفاق والملق والصغار ، وأثبت خرافيها ستة عشر عاما حكمت مصر خلالها حكما إقطاعيا تسوده الأنانية واللصوصية والاستهتار ، حكمت بالحديد والنار دون رحمة بأناتها وزفراتها ، فرزحت تحت أعباء ثقال من الفاقة والحرمان والبؤس والشقاء ، وتجرعت كؤوسا فائضات من الكبت والاستبداد ..

إذن فما كانت أنظارنا خلال الحديث ترمق قصر المنتزه باعتباره حصن الأمل لمصر البئيسة ، ولا باعتباره كعبة الرجاء التى يجب أن يرتكز عليها محور الجهاد والنضال فى سبيل الوطن ، ولا باعتباره أى معنى من المعانى التى يسر لها ويطمأن إليها ، وإذا كان يطيب لأناس — زعماء كانوا أو غير زعماء — أن يسرفوا إسرافا بغيضا فى صياغة العبارات التى تجعل هذا القصر وأخواته بمثابة قلاع حصينة لمصر ، ومشاعل مضيئة لنهضتها ، والتى تجعل ساكن القصر وحاشيته فى صفوف الملائكة الأطهار ، والمجاهدين الأخيار ، والمخلصين الأبرار ، فليس معنى هذا أنهم صادقون نزهاء ما دامت لهم مصالح يبذلون فى سبيلها شرفهم وكرامتهم ، إن كان فيهم بقية من الشرف والكرامة ، وما دام تكوينهم الشخصى لا يؤهلهم إلا للحياة الذلة والملق والصغار .. وإذا كان يطيب للشعراء أن يصوغوا الثناء والمديح فى لآلئ من القصيد ، ويضفوا على العرش وصاحبه (المفدى) ألقابا من صنع الخيال الفاسد ، ونعوتا من الملق الزائف . فليس معنى هذا أنهم حجة فيما ينشدون وفيما يضفون من ألقاب ونعوت ..

أخذنا نتحدث تارة همسا خفيفا ، وتارة أخرى بأطراف الشفاه ، وحديثنا يدور حول محور واحد ، هو أن القصر موطن البلاء ، وأساس الفساد والعقبة الكأداء فى طريق كل نهضة من

شأنها إلى أن تصل بمصر إلى القمة، وأن حاشيته لم يكونوا في يوم من الأيام سوى سماسرة على حساب البلد المنكوب ؛ وعصابة مغامرة ستقذف بالعرش إلى الهاوية إن قريبا وإن بعيدا، وما جهاد الأحزاب وزعمائها إلا لون من التخدير والتغرير بالشعب الصابر المصابر . وليس للأحزاب المصرية وزعمائها من هدف سوى التربع على كراسى الحكم ليتحكموا لا ليحكموا ، وليستبدوا لا ليعدلوا ، وليستغلوا لا ليبذلوا ، وليجشعوا لا ليقنعوا . .

قلت : إن عم الجالس على العرش هو الذى مهد للاحتلال ليحمى عرشه من غضبة الشعب ، حين تلاشت شخصيته وسط أمواج متلاطمة من الفساد ، وتلق تهانى الصغار من المتزلفين وأشباههم حين انتصر الاحتلال الغاشم على شعب مصر ، ووطئ بنعاله كرامة الوطن . ومن وقتها أصبح هذا الاحتلال لازما لعرش مصر يحميه من صولة الشعب حين يثأر لكرامته . وثقوا بأن المحتلين أنفسهم ليسوا بأرغب فى بقاء الاحتلال من الجالس على العرش نفسه ، لأن الاحتلال يمكنه من أن يستبد ويبطش ، ويلعب ويستخف ، دون أن يناقش أو يحاسب ، والزعماء من خلفه يلهون ويعبثون ويرضون من الأمر بالحكم تارة وبالألقاب تارة أخرى ، والشعب مغلوب على أمره يقنع بالرضا والتسليم . وثقوا مرة أخرى بأنه لن يخلص البلد من الشر بشتى ألوانه إلا إحدى وسيلتين لا ثالث لهما : زعيم صادق ينفخ فى روح الشعب حتى يهب من نومته ، أو ضابط شجاع يضع روحه فوق كفه ، وإذا وجد الزعيم الصادق فليس من السهولة أن يحي شعبا نكبه الحكم الإقطاعى حتى وهن ، وأثقلته أنات الاستبداد والبطش به حتى سكن ، وإذا وجد الضابط الشجاع فليس من الميسور له أن يطبع الجيش على طابعه ، بعد أن آل أمره إلى الجهلة المستغلين ، وتغلغل بين صفوفه كثير من الوضعاء فى أخلاقهم وشخصياتهم

لقد طال بنا الحديث ولم يصرف أنظارنا عن قصر المنتزه سوى منظر الشمس فى لحظاتها الأخيرة ، والبحر يتأهب ليفغر فاه فيلتقمها فى بطنه ، أجل طال بنا الحديث ونحن لا ندرى أننا كنا مع القدر حين سطر نهاية الظلم الجاثم فوق صدر مصر ، وأن أنظارنا لم تتحول عن القصر إلا لتودع شمسا لن تشرق

عليه مرة أخرى ، وأننا حين كنا نتحدث عن آلام مصر وأنات شعبها ، كان فى العباسية بالقاهرة أسود تخفق نبضات قلوبهم من أجل مصر وشعب مصر ، أصروا على أن يضعوا حدا للفساد الذى بلغ الذروة ، والفوضى التى وصلت القمة ، والهمجية التى فاقت همجية القرون الوسطى ، ولم يكد الليل أن ينتصف حتى منحت الدنيا مصر صبحا جديدا وعهدا مشرقا ، كتب لها فيه الخلود ، ولجيشها البطولة ، ولشعبها الكرامة إلى الأبد . .

كانت وثبة جريئة مباركة ، أمدها الله بقوته، وشملها بعنايته، وهتف لها الشعب من صميم قلوبه وأعماق نفوسه ، وأدهشت العالم بحسن تدبيرها ، وحزم تنفيذها ، وإيمان القائمين بها ، وغيرت مجرى التاريخ فى بلد ظل مجراه راكداً فيه سبعين عاما ، ومحت عارا أسكن مصر الحضيض وأنزلها منازل الدول الراكدة المتخلفة عن الحضارات والنهضات . .

إنها فرصة أوجدها جيش مصر الباسل للشعب لعله يخلق نفسه خلقاً آخر لا تشوبه شوائب الدعة ، وللأحزاب لعلها تضع المناهج والبرامج التى تنهض بمصر ، وللزعماء لعلهم يبدءون عهدا جديدا فيما يفيد الوطن ، ولدعاة الإصلاح لعلهم يرسمون خطط الإصلاح الرشيدة فى أمن وهدوء . .

إن هذه الوثبة المباركة لنقطة تحول فى تاريخ مصر ، لن تنساها أبد الدهر لجيشها الباسل ، حسبها تقديرا لها وفخراً بها أنها أذلت جبارا عنيدا خدعه الغرور حتى لم يحسب أن فى الدنيا ذلا ، وظالما غشوما خدعه الحمق والسفه حتى لم يحسب أن فى السماء قصاصا وعدلا ، ومستخفا طائشا غرربه بطانة السوء وحاشية الشر فهوت به إلى الدرك الأسفل فأصبح فى ذمة التاريخ . . .

إن فى التاريخ عظات ولكنه لم يتعظ ، وفى سلوك جده عبرة ولكنه لم يعتبر . كان يعيش فى دنيا غير دنيا الناس ؛ وخيل إليه أنه إله يجب أن يعبده شعب مصر ، « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » صدق الله العظيم

محمد عبد الله السمان

عدد (١٠٠٠) من الرسالة

ذكريات وخواطر

للأستاذ على الطنطاوى

لما سمعت أن الرسالة كادت تستكمل أعدادها الألف ، دهشت وفرحت ، كما يدهش من يقال له لقد غدا ولدك شابا ، ويفرح به كأنه يرى شبابه لأول مرة ، وماذاك عن جهل به أو إهمال له ، بل لأنه لا يزال يذكر مولده وطفولته ، ولأنه يراه كل يوم فلا يحس أنه تغير ، ولا يدرى متى جاوز الطفولة إلى الشباب ، وأنا أذكر أبداً فرحتى بصدور الرسالة ، وموقف أخى أنور العطار ، وقد جاء بالعدد الأول منها يخبأه وراء ظهره ، وقال : احزر

— قلت : ماذا ؟ — قال : الزيات أخرج مجلة أدبية

إننى أحس من شدة وقع الفرح فى نفسى لما قالها كأن قد كان ذلك أمس … فكيف مرت الأيام حتى بلغ عمر الرسالة ألف أسبوع ؟ كيف مر هذا الأمد الطويل ، وكأنه من قصره ليالى الوصال !

* * *

ألف عدد ؟ ! كم أنفقت من ذهنى فى إعداد المقالات لها ، ومن أعصابى فى ارتقاب وصولها ! وكم سألت الباعة عنها ؛ فى شارع رامى فى دمشق ، وفى سوق السراى فى بغداد ، وفى العشار فى البصرة ، وعلى السور فى بيروت ، وعند باب السلام فى مكة ، وعند الجسر فى الدير ، وفى شارع الملوك فى حيفا ، وفى كل بلد عشت فيه أو مررت به ! وكم قرأت مسوداتها وراء مكتب رئيس التحرير فى الإدارة ، وأمام الآلات فى المطبعة ! كانت الأيام عندى السبت والأحد ويوم الرسالة ، وكانت تتبدل على المشاهد ، ويتغير الرفاق ؛ ولكن الرسالة هى رفيقى الدائم ؛ أذكر كل عدد منها ، وكل مقالة نشرت فيها ، وكل مناقشة فيها وكل بحث ، ولقد قالت زوجتى أول ما قدمت على :

— إننى لا ضرة لى ، ولكن هذه الرسالة ضرتى

ثم رأت — وهى من أعقل النساء وأفضلهن — أنها ضرة لا تضر ولا تؤذى

* * *

كم وضعت فيها من قلبى ومن فكرى ، ومن مشاهد حياتى ومن ذكرياتى ، ومن آلامى ومن آمالى ، من سنة ١٩٣٣ إلى اليوم (١)

ألف عدد ، وستعيش الرسالة إن شاء الله حتى تبلغ الألف العاشر ، وحتى تكون من أعلاق المكتبة العربية وكنوزها — وقد كانت

ستعيش حتى تصير فى مثل عمر (المقتطف) ، وليست المقتطف — مد الله فى عمرها — بأحق منها بالخلود

ولقد كان للرسالة فضل على اللغة ، وفضل على الأدب ، وفضل على الأخلاق ، وكان لها عمل كبير فى إحياء روح الدين فى دنيا الإسلام ولقد أخرجت للناس كتابا وشعراء ، وكانت مدرسة للبيان العربى ، جئناها شبابا فشبنا فى ركاب شيوخ الأدب ، وبقينا فيها حتى أوشكنا أن نعد فى الشيوخ ، وهل بعد خمس وأربعين شباب ؟

لقد ولى الشباب ، وذبلت زهرة العمر ، وجاءت الكهولة ، إن نسيتها ذكرتنى بها كل جارحة من جوارحى ، وكل عضو من أعضائى : إن أثقلت الطعام قالت المعدة : حذار إنك لم تعد شابا . وإن مارست ما كنت أمارس من الرياضة قال القلب : قف إنك لست بشاب . وإن تعرضت للبرد قالت المفاصل : تنبه ، لقد فارقت عهد الشباب

وإن تطلعت إلى الحب ، أو ابتسمت للجمال ، قال الفؤاد الملول السأمان … .ويا ما أشد ما يقول الفؤاد السأمان الملول !

وإن اشتعلت فى الأعصاب نيران الحماسة ، وأخذت (ذلك) القلم الذى كنت أكتب به فى الأيام الخوالى ، تراءت لى هموم

---

(١) إنى لأرجو من دهرى ناشرا ينشر هذه الكنوز ، أمينا منصفا لا كبعض من عرفت فى دمشق من الناشرين ، من أدعياء الأمانة والشرف والدين

الأسرة ، فأطفأت نار الحماسة فى أعصابى

كنت وحيدا خفيفا ؛ وكان لى جناحان من أحلامى وأمانى، فأثقل ظهرى بناتى الأربع وأمهن وعماتهن وعمة أبيهن ، واصطدم جناحاى بأرض الواقع ، فبينت ضلال الأحلام وكذب الأمانى ، فتحطما ، فكيف يطير بغير جناحين من يحمل هم ثمانى نساء ؟

إنى لأقف الآن لأراجع حسابى ، وأنظر ماذا ربحت وماذا خسرت !

أما الرسالة فقد أفضلت على ، وأضاءت للناس مكانى ، ومشت باسمى إلى بلاد ما كنت أسمع بها ، وجاءتنى بالشهرة والجاه ومجد الأدب ، وعرفتنى بإخوان كرام فى أقطار ما دخلتها ولا أظن أنى سأدخلها ، وهذى رسائلهم تحت يدى من المشرق والمغرب ، من إيران وإندونيسيا واليابان؛ فهل تعلمون أن للرسالة سوقا وقراء فى اليابان ؟ ومن تونس والجزائر ومراكش وأميركا . ولقد كتبت مرة مقالة عن —الحياة الأدبية فى دمشق— فتجاوبت فى الرسالة أصداؤها ببضع عشرة مقالة فيما أذكر عن حياة الأدب فى هاتيك البلدان ، وكانت مناقشة مرة بينى وبين الأستاذ محسن البرازى ، الذى صار رئيس وزراء حسنى الزعيم ، ثم قضى رحمه الله . فجاءنى التأييد من — جاوا — وهذه جريدة — برس — بشيراز تنشر الآن كتابى الجديد « كلمات » مترجما إلى الفارسية ، بقلم الأديب الفارسى الأستاذ أحمد آرام ؛ مع تعليقات فى المدح والتأييد شعراً ونثراً ، يمن بها على القراء ، وهى على وشك الترجمة إلى الأوردية ولولا الرسالة ما كان هذا كله

ولـكن ما جدوى هذا كله ؟ ما الشهرة ؟ ما الجاه ؟

إنى لأكتب هذه الـكلمة وأنا فى دار فى مضايا منفردة فى الجبل ، وأنا مريض وحيد منعزل ، فهل أذهبت الشهرة عنى المرض ، أو دفع الجاه عنى الملل ؟ وكذلك أنا فى دمشق ، أنا منذ سنين أعيش فى حلقة مفرغة لا تكاد تتجاوز الدار والمحكمة والسينما ، حتى يوم الجمعة ، وحتى يوم العطلة أذهب إلى المحكمة كالحمار « ولا مؤاخذة .. » الذى يدور بالسانية ، إن أطلقت عنقه من الحبل عاد يدور ، لأنه مربوط من قيد العادة بحبل لا تراه العيون

فماذا ينفعنى فى عزلتى وسأمى أن يمدحنى فى بلاد الله مئة ألف ، وماذا يضرنى أن يذمونى أو ألا يكونوا قد سمعوا باسمى ؟ وماذا يفيدنى وأنا أعيش فى دمشق عيش الغريب ، أن يكون « وهذا هو الواقع — ولا فخر » بين كل عشرة يمرون فى أى شارع فيها ، خمسة على الأقل يعرفون اسمى ، ويحفظون طرفا من مناقبى ، أو أطرافا من مثالبى

ولقد اشتغلت الجرائد منذ سنة أسبوعا كاملا بشتمى وسبى فى صفحاتها الأولى من أجل تلك الخطبة المشهورة ، وفعلت مثل ذلك أيام الانتخاب سنة ١٩٤٧ ، ونسبت إلى نقائص تشين إبليس ، فهـل يصدق القراء أنى لم أبال بهـا ، حتى أنى لم أقرأ أكثرها . أقسم بالله أن هذا الذى كان ؟ ولقد نشرت الجرائد مرات أخرى أطيب الثناء على ، وألصقت بى مناقب تزين الملائكة فما باليت بها أيضا ، لأن كلا طرفى قصد الأمور ذميم ، والثناء إن زاد كالهجاء إن زاد ، كلاهما أقرب إلى الـكذب ، وما أنا ملك ولا أنا شيطان ، ولى حسنات ولى سيئات ، وأنا أعرف بنفسى من سائر الناس ...

* * *

إنى لأسأل مرة ثانية : ما الشهرة ؟

إن الشهرة وهم ليس له فى سوق الحقيقة قيمة ، وليس له فى ميزان الواقع وزن ، حتى أن هذا الحرف « أى الشهرة » لايصح لغة ، ولا تكون الشهرة فى الفصيح إلابالعيب والعاروالفضيحة ، ولـكن الألسنة أدارتها على هذا المعنى ، فكتبنا للناس مايفهمون

إن الشهرة سراب زائف ، إنها مثل (المستقبل) الذى يركض وراءه الناس كلهم فلا يصلون إليه أبدا ، لأنهم إن وصلوا إليه صار (حاضرا) وعادوا يفتشون عن مستقبل آخر يعدون إليه . كحزمة الحشيش المربوطة برأس الفرس يسعى ليدركها وهى تسعى معه أبداً !

إننى أقول هذا من أعماق قلبى مؤمنا به ؛ ولقد مر على زمان كان أحلى أمانى فيه أن أسير فيشير إلى الناس بالأيدى يقولون : هذا على الطنطاوى ، وأن أعلو خطيبا كل منبر ، وأن أجد اسمى

ميثاقان لا ميثاق واحد

للدكتور عمر حليق

لم يكن بد لهذه النكسات السيئة التى منيت بها قضايا العرب والمسلمين وقضايا دولية أخرى فى هيئة الأمم من أن تخلق فى عقول الناس وأفئدتهم فتورا إزاء كل ما يصدر عن هـذه الهيئة العالمية من نشاط

وليس فى ذلك من عجب . فهيئة الأمم المتحدة فى ميثاقها وفى أهدافها نتاج فكرى تحمست لصياغته وتحديده فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة جماعة من أئمة الفكر السياسى المعاصر مزودين بمثالية عميقة ودراسة دقيقة لمشاكل الإنسانية وآمالها ، ورغبة صادقة لإصلاح ما أفسدته الحروب وشرورها من دنيا الناس وفى عقولهم وأفئدتهم

ولكن تاريخ الإنسانية منذ أقدم العهود يأبى إلا أن يتجاهل قوالب الفكر الصائب ودعائم المثالية الصادقة ؛ ويندفع فى صياغة الأحداث على نحو يراعى جنون السياسة وشذوذ أساليبها ومسالكها أكثر من مراعاته لاتزان الفكر وروحانية المثاليين من بناة المجتمع الذين تجردوا مما يعترى السياسة العملية من انتهازية لا ترحم ومكر لا يرتدع

وفى خضم هـذه الجلبة التى تنبعث عن شقاق المعسكرين المتطاحنين الغربى والسوفيتى فى حلقات الأمم المتحدة وصدى تراشق التهم ومساوئ السلوك الذى توجه به وفود هذين المعسكرين أعمال الأمم المتحدة وقراراتها .. فى هذا الخضم تندثر معالم جزء هام من العلاقات الإنسانية تعمل على خدمته هيئات اختصاصية متفرعة عن هيئة الأمم فى واحدة أو أكثر من هذه القاعات الهادئة المكيفة بأحدث آلات التهوية والإضاءة والزينة بفاخر الأثاث والتى تطل على النهر الشرقى التى تحيط بمقر الأمم المتحدة الدائم هنا فى نيويورك. ولجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة واحدة من الهيئات الاختصاصية التى تعمل خلال انفضاض الجمعية العامة فى فصلى الربيع والصيف

فى كل صحيفة ، وكان قلبى يتفتح للجمال ، ويستشرق للحب ، فلما جربت هذا كله ، وذقت لذته ، صار كل ما أرجوه أن أتوارى عن الناس ، وأن أمشى بينهم فلا يعرفنى منهم أحد

لقد مر بى أكثر العمر ، ورأيت الحياة ، ونلت لذاتها وجرعت آلامها ، لم تبق متعة إلا استمتعت بها ، فلا اللذائذ دامت ولا الآلام ، ولا الشهرة أفادت ولا الجاه ، ولقد شهدت حربين عالميتين ، ورأيت تعاقب الدول على الشام من العثمانيين إلى الفرنسيين إلى من جاء بعد ، ومن قام ومن قعد ، ومن أتى ومن ذهب ، ولو أردت الوزارة وسلكت طريقها لبلغتها من زمان كما بلغها من مشى على أثرى فى الدراسة وفى الحياة ، ولو شئت لكنت من المشايخ الذين تقبل أيديهم ثم تملأ بالمال ، فيملكون الضياع والسيارات ، ويصيرون بحرفة الدين من كبار أبناء الدنيا ؛ ولكنى ما وجدت شيئا يدوم . تذهب الوزارة فلا تترك إلا حسرة فى نفوس أصحابها ، ويصحو الناس فيعلمون أن الذى يأكل الدنيا بالدين ، لا يمكن أن يكون من الصالحين المصلحين ، فزهدت فى المناصب والمراتب والمشيخات ، وهانت على وصغرت فى عينى ؛ ولم يبق لى من دنياى (الآن) إلا مطلب واحد : يقظة قلب أدرك بها حقائق الوجود ، وغاية الحياة ، وأستعد بها لما بعد الموت ، وهيهات يقظة القلب فى هذا العالم المادى !

إن الذى يبلغ ذروة الجبل تنكشف له الجهة الأخرى ، فيرى ما بعد الانحدار ، وأنا قد بلغت ذروة العمر وانحدرت ولكنى لم أبصر شيئا ، إن الطريق مغطى بالضباب ، وقد أضعت مصباحى فى زحمة الحياة ، ومعترك العيش

* * *

أما الرسالة فقد أفضلت على وأحسنت إلى . وما أشكوها ، إنما أشكو دهرى ، وأشكو نفسى ، ومن حق الرسالة على تحية خير من هذه التحية فى عيدها الألفى ؛ ولكنى أكتب بيد عليل ، من فكر كليل ، ولى من الأستاذ الزيات الصديق النبيل ، العذر الجميل

على الطنطاوى

وهذه اللجنة هيئة لا تضم جميع الدول الأعضاء فى هيئة الأمم — وعددها ستون دولة — وإنما تقتصر على فئة مختارة تمثل مختلف النظم السياسية المعاصرة والمناطق الجغرافية التى تقسم إليها هذه المعمورة ، ففيها الروس والأمريكان والبريطانيون والفرنسيون ؛ وفيها من يمثل القارة الآسيوية والشرق العربى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية

وقد أنشأت هذه اللجنة منذ أن استقر لهيئة الأمم كيانها الداخلى فى السنتين الأوليين من عمر هـذه المؤسسة العالية . وكلفت هذه اللجنة فى عام ١٩٤٧ أن تصوغ ميثاقا عالميا يضمن للفرد فى المجتمع ما وهبه الله من حقوق طبيعية وما اكتسبه من حقوق قانونية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفرها لهـا تاريخ الفكر وصراع الناس وتطور المجتمع على مدى الأجيال

إذن فمهمة اللجنة هى فى الواقع مهمة مثالية المفروض فيها أن تستوحى العقل والروح ؛ وأن تتجنب نزعات السياسة الانتهازية وفوضى السلوك الدولى الذى يهيمن على أعمال معظم اللجان والهيئات والمجالس فى الأمم المتحدة

وكان من المنتظر أن يستغرق وضع هذا الميثاق العالمى لصيانة حقوق الإنسان وقتا طويلا . فلـكل ثقافة ولـكل كتلة سياسية تفسير خاص عن جوهر الحقوق والواجبـات للفرد فى المجتمع الأكبر ، وهـذا التباين مرده اختلاف اجتهاد الثقافات والنظم الفكرية وفلسفات السياسة والاقتصاد فى إيضاح صلة المواطن بدولته والنظم القائمة عليها ؛ وعلاقة الفرد بالجماعة الإنسانية التى تشاركه العيش فى بقعة معينة من هذا العالم الواسع

ومضت لجنة حقوق الإنسان تعمل فى تؤدة ، فتوصلت فى دورتيها الأولى والثانية (١٩٤٧ و ١٩٤٨) لوضع مسودة الميثاق وخطوطه الرئيسية ، واتفقت مبدئيا على أن تنشر فى النـاس الأسس الفكرية وخلاصة المبادئ والنظريات التى تستند إليها فى صياغة المواد التفصيلية لهذا الميثاق العالمى ، ومن ثم وضعت وثيقتها الموجزة المعروفة « بإعلان حقوق الإنسان » وهى بيان قصير لا يعرض جوهر الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبنى البشر ؛ ولا يدخل فى تفصيلها وتعريف الناس بما يتصل بها من حقوق فرعية وصيانة ذلك والمطالبة به . وتركت هذه التفاصيل الجوهرية إلى الميثاق الشامل الذى قررت اللجنة متابعة الدراسة والبحث فى مواده وفصوله إلى الدورات القادمة

وفى سنة ١٩٤٨ وافقت الجمعية العامة لهيئة الأمم على صيغة « إعلان حقوق الإنسان » كما صاغته اللجنة ، وأوصت الجمعية العامة اللجنة بأن تتابع عملها لصياغة المواد التفصيلية لهذه الحقوق

وأخذت اللجنة تعقد دورات متتابعة فاجتمعت فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ وتوقفت عن العمل فى عام ١٩٥١ بسبب تأخر بعض الدول عن الإجابة على الأسئلة التى وجهتها اللجنة إليهـا عن مدى انطباق التشريعات المعمول بهـا فى تلك الدول على مبادئ حقوق الإنسان . ثم عادت اللجنة فعقدت دورة أخرى هذه السنة فى المقر الدائم لهيئة الأمم هنا فى نيويورك استغرقت تسعة أسابيع من ١٤ إبريل إلى ١٣ يونيو وترأس هذه الدورة الدكتور شارل مالك رئيس الوفد اللبنانى الدائم لدى هيئة الأمم . وقد سبق للمسز روزفلت عقيلة رئيس الجمهورية الأمريكية الأسبق أن ترأست عددا من الدورات السابقة

وفى خلال هذه السنوات التى انقضت على تأليف لجنة حقوق الإنسان فى عام ١٩٤٧ ألم بالعلاقات الدولية من التوتر ما أتاح لجنون السياسة وشذوذها أن ينافس الاتزان والمثالية التى كان المفروض فى اللجنة وأعضائها أن يهتدوا بها فى اجتهادهم لصياغتهم لميثاق حقوق الإنسان كمعاهدة عالية تتقيد بها الدول مترفعة عن المؤثرات والأهواء والنزعات السياسـية ومتقيدة بالمثل الفكرية والوعى الثقافى واليقظة العاطفية التى تسود المجتمع المعاصر فى عالم مرت به فى الأزمنة الحديثة ألوان من التطور والتجارب ما أرهف إحساسات الفرد وأذكى وعيه وفرض على الدولة نهجا فى السلوك واجتهاد التشريع يتناسب مع يقظة هـذا الشعور وشـدة هذا الوعى

ولذلك فقد سيطرت على جو اجتماعات لجنة حقوق الإنسان فى دورتيها الأخيرة اعتبارات سياسية زادت من شدة التباين بين الثقافات والنظم التى يمثلها أعضاء اللجنة

فأصر المندوبون الروس وزمـلاؤهم من الدول التى تؤمن بالنظام الماركسى على ضرورة توكيد الحقوق الاقتصادية للفرد فى الميثاق الدولى الذى تشتغل به اللجنة توكيدا مفضلا على التوكيدات الأخرى؛ لأن العنصر الاقتصادى فى رأيهم هو المهيمن على سلوك

الفرد إزاء الدولة والمجتمع ؛ وعلى اجتهاد الدولة والمجتمع فى مجاراة هذا السلوك ، ولم يأخذ المندوبون الأمريكان وحلفاؤهم — وهم كثرة بين أعضاء الأمم المتحدة — بهذا التفسير الماركسى ، وأخذوا يشرحون — فى كلام كثير وفى مقترحات عديدة وتعديلات متلاحقة — بأن الديمقراطية الحقة كما يفهمها الأمريكان ويمارسونها فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هى الضمان الوحيد لحقوق الإنسان وتنظيم علاقاته مع الدولة ومع إخوانه فى الإنسانية . ومن ثم كان المنطق الأمريكى فى النقاش وفى المقترحات والتعديلات التى وجهت إلى مواد الميثاق المقترح يتعمد توكيد الحقوق المدنية السياسية والأسس الديمقراطية (كما يفهمها الأمريكان) فى الحكم وفى سلوك الفرد توكيدا مفضلا على سواه من التوكيدات

وكان من الممكن أن تسود وجهة النظر الأمريكية فى أعمال اللجنة بفضل ما للأمريكان من نفوذ فى أعمال الأمم المتحدة لولا ظاهرة مستجدة فى حاضر السلوك الدولى .. هذه الظاهرة يمثلها وتعبر عنها طائفة من الدول الصغرى فى آسيا وأمريكا اللاتينية وهى دول إن فقدت النفوذ العسكرى والسياسى فى تسيار العلاقات الدولية فإن لها ضربا آخر من النفوذ يستند إلى تعداد أصواتها فى المؤتمرات الدولية — وهو تعداد يرجح الكفة حين يتكتل ويجمع على اتخاذ خطوة يختلف عليها الكتلتين الرئيسيتين (السوفيتية والأوروبية — الأمريكية) التى تكثر اختلافاتها فى حلقات التفاوض أو الخصومة الدولية

وإزاء اختلاف الروس والأمريكان فى وضع حجر الزاوية وتحديد نقطة الارتكاز فى حقوق الإنسان وهى العنصر الاقتصادى أم الحرية السياسية والمدنية بأوسع معانيها نشط مندوبو الدول الصغرى الذين يمثلوا آسيا (ومعهم مندوب مصر الدكتور محمد عزمى) وأمريكا اللاتينية إلى التكتل ، وأصروا على أن تجربتهم فى عهود الاستعمار والسيطرة الأجنبية لم تقنعهم بأن توكيد الحرية السياسية كما فسرها الأوربيون والأمريكان كاف لأن يضمن للفرد حقوقه الطبيعية وحقوقه المكتسبة ، وأن التطور الذى ألم بحاضر الفكر يفرض على اللجنة أن توازن موازنة عادلة بين فضائل الحرية السياسية بمعانيها الواسعة الشاملة وبين فضائل الضمان الاقتصادى والاجتماعى . فالناس فى الشعوب الآسيوية والأفريقية واللاتينية التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى والاجتماعى لا تستطيع أن تضمن حقوقها السياسية وتوطد حرياتها الديمقراطية مالم يتوفر لديها من أسباب العدالة الاقتصادية والضمان الاجتماعى ما يساعدها على أن تنال حرياتها السياسية كاملة ، فالفرد الذى لا يتوفر له فرص اقتصادية تعينه على ملء معدته، وطريق اجتماعية تساعده على تغذية عقله بالعلم والتحصيل، لا يحسن الانتفاع بحريته السياسية حتى لو تحققت له كاملة فى الدساتير والتشريعات

وتعمد مندوبو الدول الصغرى أن يفهموا اللجنة بأنهم فى حماسهم لتوكيد التوازن بين الضمان الاقتصادى — الاجتماعى ، وبين الحرية السياسية والمدنية ؛ ليسوا مدفوعين بعداء أو ولاء لأى من النظم (السوفيتية أو الأوربية — الأمريكية) وإنما هم مقيدون بما يلمسونه من تباين فى مجتمعاتهم الآسيوية والإفريقية اللاتينية وبين المجتمعات الأوربية والأمريكية فى مدى التطور وفى مستوى الوعى وفى معاول الاجتهاد للحاق بهم فى ميدان المساواة الدولية

والدول كالأفراد فقدة الحول بمفردها ولكنها شديدة البأس فى تكتلها وتكافلها ، وهكذا كان حال مندوبى الدول الصغرى فى لجنة حقوق الإنسان ، فقد فرضوا بفضل تآزرهم على الروس والأمريكان وجهة نظرهم ، فلم يجد هؤلاء مفرا من أن يلاقوا رغبات الدول الصغرى . فاستنبطت العقلية الأنجلوسكسونية ما اعتقدت أنه حل وسط . وتقدم الوفد الأمريكى وحلفاؤه باقتراح يطلب من اللجنة أن تحصر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى ميثاق ؛ وأن تجمع الحقوق السياسية والمدنية فى ميثاق ثان ، ويترك للدول الخيار فى قبول أى من الميثاقين أو قبولهما معا

ورفضت أكثرية الدول الآسيوية واللاتينية قبول هذا الاقتراح الأمريكى ؛ وقلت بأن الهدف من صياغة حقوق الإنسان فى ميثاق عالمى توقعه جميع الدول هو ضمان الحريات الكاملة للفرد . فلا معنى لأن نفصل بين الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبين الحقوق السياسية والمدنية ، فكلاهما متمم للآخر . فالخيار

فى مثل هذه الحالة يقضى على المبدإ الذى تستند إليه اللجنة وهو مبدأ الإجماع . فكما أن السيادة جزء لا يتجزأ فإن الحرية كذلك لا تتجزأ

ورفض الوفد الروسى هذا الاقتراح الأمريكى وأخذ بوجهة نظر أكثرية الوفود الآسيوية واللاتينية لا لأنهم يشاركونه فى الرأى — فالحقوق السياسية فى روسيا نفسها مفصولة عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية — ولكن الوفود الشيوعية فى الأمم المتحدة تعارض كل اقتراح أو فكرة يطرحها الأمريكان على بساط البحث فى الأمم المتحدة مهما كان صائبا . وهذا الحال ينطبق كذلك على موقف الأمريكان من اقتراحات الروس وحلفائهم

واستطاع الوفد الأمريكى أن يضمن الفوز لاقتراحه بوضع ميثاقين لحقوق الإنسان بدلا من ميثاق واحد . وجدير بالذكر أن الهند قد خرجت عن الوفود الآسيوية الأخرى فى معارضة الاقتراح الأمريكى ، وشاء بعض الخبثاء فى هيئة الأمم أن يفسروا تراجع الهنود على ضوء المباحثات المالية التى كانت تقوم بها الهند مع أمريكا آنئذ والتى أدت فيما بعد إلى منح الهند معونة مالية سخية

وكذلك خرجت لبنان على إجماع الدول العربية والآسيوية فى معارضتها للاقتراح الأمريكى . ولرئيس وفد لبنان الدكتور شارل مالك غرام لا حد له بكل ما يمت إلى أمريكا بصلة

ولم تجد اللجنة إزاء إقرار الاقتراح الأمريكى بأكثرية تافهة بدا من أن تتابع عملها لوضع ميثاقين بدلا من ميثاق واحد ، وأكثريتها الساحقة مؤمنة بأنها ستستطيع فى المراحل النهائية حمل الجمعية العامة لهيئة الأمم على دمج الميثاقين فى ميثاق واحد بمؤازرة بقية الدول الصغرى التى ليست ممثلة فى لجنة حقوق الإنسان والتى لها أكثرية الأصوات فى الجمعية العامة

أما المرحلة التى وصلت إليها اللجنة فى دورتها الأخيرة فلا تتعدى مراجعة المواد الأساسية للميثاق الذى يسعى لأن يضمن الحقوق المدنية والسياسية ، وإلقاء نظرة عابرة على الميثاق الثانى الذى يعتنى بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ولم تدقق اللجنة فى المواد الإضافية التى صيغت فى دورات سابقة لتخويل الأفراد حق رفع الشكوى ، وتقديم المظالم ضد الدول التى تمتهن حقوقهم ؛ وهناك محاولة تقوم بها الدول الشيوعية ونفر من الدول الأوربية والأمريكية لمنع الأفراد والهيئات والمؤسسات الشعبية من رفع الشكاوى والمظالم إلى لجنة حقوق الإنسان

وقد صمدت وفود الدول الآسيوية لضغط شديد ، وجهته الدول الاستعمارية فيما يتعلق بإدخال مادة « حق تقرير المصير للشعوب التى لا تحكم نفسها بنفسها » فى ميثاق الحقوق المدنية والسياسية ، وهذا يعنى اعتراف لجنة حقوق الإنسان بأن صراع الشعوب الخاضعة للحكم الأجنبى هو حق مشروع منصوص عليه فى ميثاق حقوق الإنسان . وهذا طبعا أمر لا ترضى عنه الدول الاستعمارية ، وقد أخذت الولايات المتحدة الأمريكية بوجهة نظر بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وغيرها من الدول المستعمرة ، ولكن اللجنة لم تجد بدا من إدخال مادة « حق تقرير المصير » على الميثاق بعد جدل استغرق جلسات عاصفة ، ساد فيها الرأى للوفود الصغرى من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية

والفقرة الأولى من هذه المادة تنص على أن « لجميع السكان ولكل الشعوب حق تقرير مصيرهم ؛ وهو حق يقرر فى حرية تامة وضعيتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية »

والفقرة الثانية تطلب من جميع الدول أن تسعى لتثبيت حق تقرير المصير فى جميع المناطق (الخاضعة لها) بموجب ما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة

والفقرة الثالثة تؤكد بأن حق تقرير المصير يشمل سيادة الشعب وامتلاكه لثروته القومية وخيراته الطبيعية ؛ ولا يصح فى أية حالة من الحالات لأية دولة أو دول أن تتذرع بأى من الأعذار أو الحقوق (المفتعلة) لتحول بين شعب وبين امتلاكه لأسباب العيش (الشريف)

وقد دافع مندوبو مصر والدول الآسيوية الأخرى عن هذه القرارات دفاعا مجيدا إزاء معارضة الدول الاستعمارية ، وفندوا بالنقد اللاذع الأعذار التى يتذرع بها الاستعمار للسيطرة على مصادر القوة فى البلدان الصغيرة ، سواء لسد الفراغ كما هو الحال فى نزاع مصر وبريطانيا حول قناة السويس ، أو تنفيذا لمعاهدات أبرمت

فى أوضاع شاذة ، كما هو الحال فى وضعية الحماية الفرنسية فى تونس وبقية أقطار المغرب العربى ، أو تحقيقا لوعد مزور ، كوعد بلفور البريطانى للحركة الصهيونية فى امتلاك بلد كفلسطين ليس لبريطانيا حق التصرف فى مصيره

أما الفوارق الجوهرية بين الميثاقين : ميثاق الحقوق المدنية والسياسية ، وذلك الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فتتلخص فيما يلى :

(١) تعتبر اللجنه أن الحقوق المدنية والسياسية هى فوق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولذلك فإن تطبيقها يجب أن يتم فورا ، بينما يصح أن تطبق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى مراحل (تدريجية) تتماشى مع حالة البلد الاقتصادية ومبلغ وعيها الاجتماعى والثقافى

(٢) ميثاق الحقوق الاقتصادية (الخ ..) يجب أن لا يطبق عن طريق التشريعات الحكومية فقط ، وإنما عن طريق السعى الحر للفرد وللجماعة كذلك . وليس على الدولة إلا أن تساهم — ما استطاعت إلى ذلك سبيلا — فى توفير الإمكانيات الحسنة للفرد وللأمة للحصول على هذه الحقوق

وهذه نقطة كانت مجال نقاش حاد . فقد أصر مندوبو الدول الشيوعية على أن ضمان هذه الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا يتم إلا عن طريق التشريعات الحكومية ، والحكومية وحدها

(٣) بينما تعمد ميثاق الحقوق المدنية والسياسية أن يشرح جوهر هذه الحقوق ، وتفاصيلها الفرعية ؛ أهمل ميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هذا الشرح ، وصاغ المواد فى مبادئ عامة يشوبها الغموض وتكون مدعاة لسوء الاجتهاد أو للتطرف فيه

وسبب هذا التباين فى لغة الميثاقين ومضمونهما هو اختلاف فلسفات الحكم والنظم السياسية والمعوقات الثقافية التى تعيش عليها الكتل الدولية التى تهيمن على أعمال الأمم المتحدة هذه الأيام

***

وبعد فهذا استعراض متواضع لموضوع خطير ؛ فليس أنفع لمجرى العلاقات الإنسانية من أن يدرك الفرد ماله من حقوق تستند إلى وثائق دولية همها أن توفر له ذخيرة (قانونية) يستعين بها على توطيد حقوقه الطبيعية والمكتسبة حين يعصف بهذه الحقوق نظام غاشم ، إن أفلح فى كبت الرأى العام المحلى ، فإنه أضعف من أن يقهر الرأى العام العالمى ، بعد أن تشابكت عناصره فى معظم ألوان النشاط الإنسانى

وما هذا الاتجاه الذى ساد فى لجنة حقوق الإنسان لتجزئة الحقوق إلى مدنية سياسية ، وأخرى اجتماعية ثقافية ، إلا محاولة لإعادة عجلة الحياة والوعى الإنسانى خطوة إلى الوراء ؛ ولكن الحياة قطار يسير هذه الأيام بوقود الفكر الواعى والشعور المتقد ، ومن خصائص المواصلات أن تسير قدما ، لا أن تعود القهقرى

نيويورك عمر حليق

علم النبى بالغيب

للاستاذ ناصر سعد

ذكرت لنا كتب التاريخ الإسلامى أن النبى (ص) كثيراً ما كشف عن حوادث لا يعرف سرها إلا أصحابها ، وكثيراً ماأنبأ عن حوادث المستقبل فكانت كما قال . إن النبى ولا شك كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ويعرف حقائق أسرار السكون، وكل ذلك بقوة إلهية وهبت له كنبى غظيم جعله ربه خاتما لأنبيائه ، ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم بعد أن أقر علم النفس الحديث (قراءة الأفكار) وأثبت علم الأرواح أن بالإمكان إحضارها ومحادثتها ، وأن بعض نجاح الأناس العاديين بهذين العلمين هذا الزمن لهو خير دليل على تمكن النبى (ص) من اختراق حجب السماء والاتصال بالأرواح الخيرة والملائكة ، لأنه زيادة على السر الإلهى المودع فيه ذو نفس أكبر وأزكى ، وذو عقل أوسع وأنمى من عقول البشر . ونقول إنه سر إلهى أودعه محمدا (ص) بعد البعثة ؛ إذ لو لم يكن كذلك لظهر له من المعجزات قبل بعثه ولتحدث عنها التاريخ . ولما كان فى تلك الحوادث متعة وفى عرضها إظهار لعظمة النبى أحببنا أن نعرض بعضها على باصرة القارئ ؛ فنقول إن من تلك الحوادث :

حادث عمار بن ياسر (ض) لما دخل على الرسول (ص) وقد أرهقته قريش بالأذى وحملوه وأثقلوه باللبن [١] فقال (يارسول الله ! قتلونى ، يحملون على ما لا يحملون) فقال رسول الله (ويح ابن سمية [٢] ليسوا بالذين يقتلونك . إنما تقتلك الفئة الباغية) قيل وسمع رسول الله (ص) يقول (ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإن الحق يومئذ لمع عمار) ولما كانت صفين خرج عمار على رأس كتيبة لعلى بن أبى طالب (ض) فطعنه أحد رجال معاوية فانكشف مغفره عن رأسه فضربه الرجل على رأسه فقتل (ض)

(١) الآجر قبل أن يشوى

(٢) هى أمة أبى حذيفة وأول شهيدة فى الإسلام وجأها أبو جهل بحربة فقتلها

ومنها أن النبى (ص) لما خرج إلى العشيرة [٣] ونزل بها ذهب على بن أبى طالب (ض) وعمار بن ياسر (ض) إلى عين ماء ونخل لبنى « مدلج » [٤] فنظرا كيف يعمل أهلها ثم غشيهما النوم فناما وسفت عليهما الريح التراب وما هما إلا برسول الله « ص » يوقظهما قائلا لعلى : (مالك يا أبا تراب ؟ — لما عليه من التراب — ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قالا : بلى يارسول الله . قال : أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذا — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منه هذه — وأشار إلى لحيته —) . وقد كان ما كان من ضرب ابن ملجم رأس أمير المؤمنين على على رأسه . ومن ذلك أن صفوان بن أمية وعمير بن وهب اجتمعا فى الحجر [٥] بعد نكبة قريش ببدر وأسر وهب بن عمير بن وهب ؛ فقال صفوان يذكر القتلى من أصحابه : والله إن فى العيش بعدهم خيرا ، فقال عمير : صدقت والله . أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله — قال صفوان : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شئ ويعجزهم ، فقال عمير : فاكتم شأنى وشأنك . قال صفوان « أفعل » ثم أعد عمير سلاحه فسم سيفه وذهب إلى المدينة يريد النبى فرآه عمر على باب مسجد الرسول وهو يحمل سيفه فدخل على رسول الله (ص) فقال له : يانبى الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه ، قال : فأدخله على، فلما دخل عمير ورآه الرسول (ص) ورأى عمر قد أخذ بحمالة سيفه قال: ارسله ياعمر . ادن ياعمير، فلما دنا من النبى قال : انعموا صباحاً ، فقال النبى : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير . بالسلام تحية أهل الجنة ، فقال عمير : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث العهد ، قال النبى : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير[٦] الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه، قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال النبى : اصدقنى ما الذى جئت له ؟ قال: ماجئت إلا لذلك، قال النبى (ص)

(٣) ناحية بينبع

(٤) بضم فسكون فكسر

(٥) قصبة باليمامة

(٦) هو وهب بن عمير بن وهب

بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر فذكرتما أصحاب (٧) القليب من قريش ، ثم ذكر جلية الأمر فانبهت عمير وقال : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء .. الخ ثم أسلم

ولما أسر العباس عم النبى يوم بدر وطلب منه النبى أن يفدى نفسه ويفدى ابنى أخويه عقيلا ونوفلا قال فإنه ليس لى مال، قال النبى (ص) فأين المال الذى وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد ؟ ثم قلت إن أصبت فى سفرى هذا فللفضل كذا ولعبد الله كذا ، قال العباس : والذى بعثك بالحق نبيا ماعلم بهذا أحد غيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ثم إنه فدى نفسه بمائة أوقية ولكل من ابنى أخويه أربعين أوقية وقال : تركتنى أسأل الناس فى كفى ، ثم إنه أسلم وأمر ابن أخيه عقيلا فأسلم

ومن ذلك ماروى عن سلمان الفارسى (ض) قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله (ص) قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، فقال سلمان للنبى: بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال الرسول : أو قد رأيت يا سلمان ؟ قال نعم، قال أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق — وكان كما قال رسول الله من الفتوحات التى من بها الله على الإسلام، وهنا نقول إنه يتراءى للقارئ الكريم أن ظهور البرقة من دق الحديد بالحجر شئ عادى لا يبهر الناس ولكن الحال هنا ليس كذلك؛ لأن من مثل سلمان الفارسى والذى خبر الحياة وعركها ورأى ما رأى من جبال فارس والحجاز لم يكن ليتعجب من البرقات الثلاث إلا لأنه رآها حدثت بحال غير عادية طبعاً

ومنها أن رسول الله (ص) لما خرج لغزو بنى المصطلق وسلك بالناس الحجاز ووصل ماء بقعاء (٨) ثم راح منها هبت عاصفة شديدة خاف منها المسلمون ، ولما رأى النبى جزعهم قال : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار — قيل فلما وصل المسلمون المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت وهو أحد عظماء بنى قينقاع قد هلك ذلك اليوم

ومن ذلك أن رسول الله (ص) لما دخل الكعبة بعد الفتح أمر بلالا (ض) أن يؤذن فيها فأذن؛ وكان أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جالسين بفناء الكعبة ولم يسلم هذان الأخيران بعد فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع منه مايغضبه، فقال الحارث: أما والله لوأعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى — قيل فلما جاءهم الرسول (ص) قال : قد علمت الذى قلتم ، ثم حكى لهم ما كانوا تكلموا به . فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله .. والله مااطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

ومنها أن حاطب بن أبى بلتعة لما تهيأ الرسول (ص) لفتح مكة كتب كتابا لقريش ينبئهم فيه بما عزم عليه الرسول وأرسل كتابه ذاك مع سارة التى كانت مولاة لبعض بنى عبد المطلب؛ فأخذته هذه ووضعته على رأسها تحت شعرها وراحت تطلب مكة ، ولما علم رسول الله بالخبر من السماء أرسل على بن أبى طالب (ض) والزبير بن العوام (ض) وطلب منهما أن يلحقا بالمرأة ويأخذا كتاب حاطب منها ؛ فذهبا ولحقا بها فى بعض الطريق وبحثا فى رحلها فلم يجدا للكتاب أثراً فقال على (ض) إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت المرأة أن لا مناص من إظهار الكتاب ناولته إياهما فأتيا به رسول الله (ض) فسأل حاطباً عن ذلك فقدم للنبى سبباً واهياً لما حدث منه وطلب عمر (ض) أن يسمح له بقتله فلم يسمح له بذلك ، ثم نزلت بحق حاطب هذا هذه الآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..)

(٧) القليب : بئر أمر الرسول أن تطرح فيها القتلى من المشركين وهو بفتح فكسر

(٨) ماء بالحجاز فريق النقيع وهو المحل الذى تجهز فيه أبوبكر (ض) لمحاربة أهل الردة

ومن تلك الأنباء أن أهل جرش(٩) لما أرسلوا رجلين منهما إلى الرسول (ص) بالمدينة لينظر فى أمره قال الرسول والرجلان جالسان عنده: بأى بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان وقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال: إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قالا: فما شأنه يارسول الله ؟ قال: إن بدن(١٠) الله لتنحر عنده الآن — ثم جلس الرجلان إلى أبى بكر (ض) فقال لهما: ويحكما إن رسول الله (ص) الآن لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله (ص) فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فلما أتيا الرجلان الرسول وسألاه ذلك قال: اللهم ارفع عنهم — ثم إنهما لما رجعا لقومهما وجداهم قد أصابهم صرد بن عبد الله اليوم والساعة التى أخبرهما بها الرسول — قيل ثم أسلم أهل جرش

ومنها أن رسول الله (ص) لما مر بالحجر إبان أمره الناس بغزوة تبوك نزل ماء وأمر الناس ألا يشربوا منها وأمرهم إن كانوا قد عجنوا منها أن يعلفوه للابل ومن جملة قوله فى ذلك: ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له — قيل فعمل الناس بما أمر به النبى (ص) إلا رجلين منهم خرج أحدهما لقضاء حاجة فخنق على مذهبه وخرج الآخر فذهبت به الريح لجبلى طى؛ فلما علم الرسول (ص) بذلك قال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ؟ فأما الذى خنق فقد دعا له الرسول فشفى، وأما الآخر فقد أهدته طى للرسول عند قدومه المدينة

ومن ذلك أن الرسول لما بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك ملك كندة النصرانى قال له: إنك ستجده يصيد البقر، ثم جد خالد بطلبه ولما كان على مد البصر من حصنه فى ليلة مقمرة كان أكيدر وزوجته على السطح يستروحان وقد كثر البقر حول الحصن حتى أنه كان يضرب الأبواب بقرونه؛ فقالت امرأة أكيدر: هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال لا أحد، ثم إنه أمر بفرسه وسلاح صيده فركب هو وأخوه حسان ونفر من قومه يريد صيد البقر فلما أوغلوا فى الفلاة ولقيهم خالد حاربهم فقتل حسان وأسر أكيدراً ذاك

ومنها أن عبد الله بن أنيس (ض) لما بعثه الرسول لمنازلة خالد بن سفيان بن نبيح(١١) الهذلى الذى جمع الجموع لمحاربة الرسول قال لرسول الله: يارسول الله انعته لى حتى أعرفه، قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة، قيل فلما خرج عبد الله ورأى خالداً فى ظعن له وقت العصر وجده كما وصفه الرسول (ص) فلما قتله وعاد ورآه رسول الله قال: أفلح الوجه، فقال عبد الله: قد قتلته يارسول الله، قال: صدقت

ومنها أن عمير بن عدى الأموى لما قتل عصماء بنت مروان الأموية عدوة النبى وذلك بغرسه سيفه فى صدرها ليلا ولم يعرف أحد ذلك وجاء المسجد ليصلى الصبح مع الرسول قال له النبى بعد أن هم بالخروج من المسجد: أقتلت ابنة مروان ؟ قال: نعم يارسول الله قال: نصرت الله ورسوله، فقال: عمير: هل على شىء من شأنها يارسول الله؟ قال: لا ينتطح فيها عنزان

(٩) بضم ففتح مخلاف باليمن

(١٠) جمع بدين وهو العظيم الجسم وجمع بدنة وهى الناقة . وهى بضم أولها وثانيها

(١١) بضم ففتح فسكون

ناصر سعد

العراق

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

بقلم محمد عدنان حسين

قرأت فى العدد (٩٩٢) من مجلة الرسالة الغراء مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى بنفس العنوان الذى أكتب به مقالى .

كان عنوانا أثار الرغبة الجارفة فى حتى لم أستطع أن أبدا بمطالعة المجلة من أولها ، وإنما استعجلت الأمر وقلبت صفحاتها إلى أن وقفت على المقال المذكور ، وطفقت أقرأها بلهفة . وكيف لا ؛ وأنا الآن أمام عقدين لؤلؤيين سأمتع ناظرى ببهجتهما ، ومنهلين عذبين سأغذى روحى بسلسالهما الخصب

كنت أنساب مع أفكارى فى القصيدة دون ماشعورخارجى وكأن جميع أوصالى انقلبت مشاعر ، وحلقت طائرة فى جوفسيح من المتعة والنشوة حتى انهيت منها فجأة وامتدبصرى إلى مابعدها لأنها من غدير الثانية مايطفئ أوامى بعدوبتهـا ، ولكن كلمة «العدد القادم» صدمتنى وتمنيت أن لونشرت القصيدتان معا حتى لا ينقطع على حبل هذه اللذة الروحانية ، وكان عزائى أن موعد العدد القادم قريب

وتلقفت العدد التالى (٩٩٣) بنهم وملت على الشوقيةالثانية لأسبغ على نفسى من رونقها غلالة سحرية تجعلنى

ولم تكن التوطئة التى قدمبها الأستاذ الناصرىلمقاله لتزيدنى إعجابا بأمير الشعراء ، فلقد ملك على كل عواطف الإعجاب منذ أمد طويل ، ولا عجب فهو يضطر كل مكابر إلى الاعتراف بعظمته ومكانته فى ذروة الأدب

وإننى لأذكر تماما أننى كنت من المكابرين الذين يأبون أن يعترفوا بأن (شوقى) هو حامل لواء الشعر منذ أكثر من عشرة قرون ، وكنت أفضل عليه المرحوم (حافظ إبراهيم) شاعرالنيل ؛ ذلك لأننى قرأت ديوان (حافظ) وأعجبت به واحتل فى قلبى مكانة سامية قبل أن أطلع على بحر (شوقى) الزاخر وأمواجه المتلاطمة فى حال الانفعال والقوة ، أو حين تتلاعب النسمات الرقراقة . وانما كنت قد اجتزأت ببعض النتف من شعره ، وعلمتنى هذه التجربة ألا أطلق الحكم اعتباطاقبل الدرس والتدقيق .

ولأعد إلى الحديث عن الشوقيتين اللتين أزفهما الآن إلى إخوانى قراء الرسالة الغراء نزولا عند رغبة الأستاذ الناصرى ، ولأننى أعلم أن النفوس صادية إلى السلسبيل القراح :

الفرق بين الشوقيتين اللتين نشرهما الاستاذ الناصرى ، وهذه التى أنشرها الآن على صفحات (الرسالة) الزهراء هو أن الأوليين ترف طيور البشر فى سمائهما ، وترن ألحان السرور فى جوهما ، لأنهما قيلتا فى مهرجانين شارك أمير الشعراء القائمين عليهما فى التفاعل مع تموجات الأعراس والانطباع بقالب الفرح ، وهذه إماهى موجات من الأسى تجتاح النفوس ، وأنغام بائسة مصطدمة بقوة الأقدار لأنها قيلت فى رثاء (الخديو توفيق) .

لاعجب إذا انتحى أمير الشعر زاوية الحكمة فى عبقريته ليغرف منها ماعركته به تجارب الحياة ويلبسه برد الوعظ ويبرزه للملأ الغافل الغارق فى غفلته القاتلة حتى يوقظ النفوس النائمة من سباتها ، ويجعلها تنتفض أمام هذا التذكار الذى يهزها هزا : الموت : القضاء : الحساب : كلها بيد الله . الكون ما أحقره أيها الغافلون : وبئست الحياة فيه .

بئست الدار دارنا أبكت المولـــود من قبل علة للبكاء
حسنت نارها وساء قراها هل رأيت المجوس فى الظلماء
بينا القوم موقدوها صباحا إذ تراهم وقودها فى المساء »

حديث يطول ! ولكننى أكتفى بما قلت لأقدم إلى إخوانى القراء هذه المرثية التى حرم منها ديوان أميرنا لعل بها مايرجونه . وسأقدم لهم فى العدد القادم شوقية أخرى خلا منها الديوان . . إن شاء الله ! وهذه هى القصيدة :

رثاء الخديو توفيق

بين ماضى الأسى وآتى الهناء قام عذر النعاة والبشراء
نبأ معـذر نبى بعضـه بعـضا فكان السفيه فى الأنباء
سر من حيث ساء كل مصاف ساء من حيث سر كل مراء
ماانظرنا محمداً فى فتاه إن غفرنا الضراء للسراء
هابنا الدهر فيه حيا وميتا فأتانا من دائنا بالدواء
وعزاء البلاد أن يخلد الملك ويحيي الآباء فى الأبناء

لهف نفسى على نظام نعيم   حله الدهر باليد العسراء

كل شئ إلى شتات ويبقى   فى التئام جماعة الجوزاء

بئست الدار دارنا أبكت المو   لود من قبل علة للبكاء

حسنت نارها وساء قراها   هل رأيت المجوس فى الظلماء

بينما القوم موقدوها صباحاً   إذ تراهم وقودها فى المساء

وتراها بينا يرى المرء منه   ذا وطاء حتى يرى ذا غطاء

عاذت الطير منه بالجو لكن   علقت من حبالها بهباء

ود « لازار » يوم أحياه عيسى   لو تذوق المنون طعم الفناء

وهوى يوم عاود الموت لو لم   يحيه للردى فتى العذراء

ولو ان الفرار فى وسع نفس   لزم العرش صاحب الإسراء

إن سر الحمام فى النفس سار   وقصارى الطبيب فى الإفشاء

فهو الداء واحد ورثته الـ   ـناس عن آدم وعن حواء

والذى ارتاحت العقول إليه   زخرف من وساوس الحكماء

(فى أمان النعيم توفيق مصر)   فرع خير الولاة والأولياء

ياجمادى ألم يكن كل بدر الأ   رض يفدى بنصف بدر السماء

ياجمادى أما ترى حاضر البـ   ـدرين عطلا من السنى والسناء

ياجمادى فجعت فيه أباه   رجباً صاحب اليد البيضاء

يا أميرى أبا أميرى المفدى   من لشعرى بذلك الإصغاء

أسهرتنى المنون فيك ونامت   لاخلت عينها من الأقذاء

وأطارت عن المضاجع جنبى   أسكن الله جنبها كل داء

أعجلت منك مصدر العدل والإحسـ   ـان والحلم والتقى والسخاء

من رأت مصر ملكها مطمئن المهـ   ـد فيه وفى ابنه بالوفاء

قام بالأمر والبلاد بلا ما   ل وشمل الأمور ذو أجزاء

جاو العصر فخره ببنيه   وفخار المصرى بالقدماء

فبنى للبلاد للعلم دوراً   تتباهى بالفتية النجباء

وأبى أن يقال عن مصر والأهـ   ـرام فيها تضن بالبناء

ويحول المحراث من هرم بيـ   ـن ثراها الوافى وبين الثراء

ورى الناس أن فلاح هذا الـ   ـعصر فلاح غابر الآناء

فحباها دار الفنون وحيا   ها بدار الزراعة الفيحاء

ومحا السخرة التى عهدها عهـ   ـد قيام الأهرام فى الغبراء

ليس للناس بعد خطبك رأى   يا مبيد الخطوب بالآراء

علم السلم عند رأسك ساهى الـ   ـطرف باك بالعبرة الحمراء

أمسك النعش منك سيفا مهيبا   طاهر النصل زاهداً فى الدماء

وذوى فيه منك روض كريم الـ   ـغرس دانى مواقع الأفياء

وانطوت فيه منك شمس تجلى   عند تهطال خمسة الأنواء

ملأ النعش منك والكفن الأطـ   ـهر ملء السرير ملء الرداء

ماهممنا بأن نفديك حتى   نقض الدهر فيك عهد الفداء

وبعثنا لك الرجاء طبيباً   فنعوه إليك قبل اللقاء

لا جزى الله قصر حلوان خيراً   وجزى عابدين خير الجزاء

ذاك أخفى عنا سناك وهذا   بفتاك السامى العلى فى ازدهاء

أعذرت يوم أنذرت فتلقتـ   ـك ونار الفراق فى الأحشاء

شاد توفيق مصر ماشاء ومن فضـ   ـل وعدل لقومه وعلاء

وأبى الدهر سرعة فيه إلا   أن يتم الله (١) نظام البناء

هو ذا الدهر عند بابك ألقى   عذره فاعف لا يعد للرياء

وتجلد لأجل مصر فلو لا   ك لماتم قلبها بالعزاء

واحمل السيف والبس التاج وارق الـ   ـعرش وانهض بالدولة العلياء

وزد الملك من شبابك حسناً   وأنر عصره بذاك الذكاء

فكفى الوقت مرشداً لك ترقى   فيه مرقى ملوكه العظماء

وكفى العلم منك أنك تدرى   كيف ترقى البلاد بالعلماء

فأعد دولة المنابر فينا   إن هذا الزمان بالخطباء

وارع قانوننا الرحيم وخذه   مستضيئاً بأشرف الأسماء

أنت إن أحصيت لغات البرايا   ترجمان الزمان فى الفصحاء

زرت مازارت النجوم من الأ   رض وفارقته بمقيم الثناء

فسبرت الزمان أرضا وناسا   وقلوب الملوك والأمراء

وترك الورى يقولون لا يتـ   ـرك هذا الأمير للأذكياء

لك عند الملوك منزلة فى الـ   ـسحب فاغنم رعاية الأصفياء

وتعزز برب « يلدز » حامى   حوزة الدين قدوة الخلفاء

إن « عبد الحميد » سيف نضته   آل عثمان « هاشمى » المضاء

صدق الوعد مصر فيك ومازا   ل حفيا بآلك الكرماء

ورأى فيك رأى نور من الصد   ق جديراً بذاتك الغراء

لك شورى أبيك تلق صوابا   فى مرائى رجالك الأمناء

إن تحرر عقولهم تملك الآ   راء والنيرات بالأضواء

---

(١) هكذا وجدتها يجب أن تشبع الهاء فى لفظ الجلالة حتى يستقيم الوزن وإذا أبدلنا إسمه تعالى (المحصى) بلفظ الجلالة لاستقام الوزن ولم يتغير المعنى .

الأدب واللغة

من الـكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

— ٢ —

كان هذا شعور العربى باللغة ومفرداتها بل بالأدب أيضا . ومن أجل هذا نرى أن اللغة قد نشأت بطريقة وجدانية . ومن أجل هذا أيضا اختلفت ألوان البلاغات فى القديم والحديث . وظل كذلك هذا الشعور فى العصر الجاهلى إلى زمن كبير من صدر الإسلام حتى أصبحت اللغة لغة حياة جديدة ففقدت كثيرا من مدلولاتهـا على الزمن من جهة ، ومن جهة أخرى زحزح الاستعمال فى شؤون الحياة الجديدة كثيرا من مفرداتها عما كانت عليه فى العصر الأول . وبذلك خسرت تلك الشحنة العاطفية التى أشرنا إليها من قبل . ولـكنها ربحت غير قليل من الصقل والمرونة والمواتاة

كان إذن عصر بنى أمية عصر شباب للغة كما كان عصر شباب للأدب ، فالفطرة فيه قوية لم يبعد بها الزمن من عهود البلاغة المطبوعة . والسلائق غنائية بسيطة لم تتركب بعد بساطة الحياة التى كانت تمارس فى ذلك الزمان . هذا والأخلاق بوجـه عام لم تتميع بعد بتأثير الحضارة ، وما تتيحه للناس من خفض ولين ووثارة . وإنما كانت الأخـلاق تمتاز بشىء من القوة والصرامة وقلة الفضول . والأثر الأدبى تبعا لذلك يبدو مطبوعا قد خلا من كل تكلف وتعمل، وإن احتمل فيه قائله ضروبا من العنت والمشقة والعناء . وسيظل ذلك العصر كما كان منهلا ينهل منه أبناء العربيـة صورا من الـكلام البليغ فى كل زمان ومـكان ، مانطق بالعربية لسان .

ولـكنه لم يـكد يدنو من أواخره حتى بدت فى الأدب طلائع البديع كما تتبين ذلك من بعض عبارات للجاحظ [١] فى البيان والتبيين . وقد كان من الطبيعى أن تتطور طرق البيان بعـد أن لانت العرائك وأصبح تلمس الجمال المصنوع من مطالب الحياة .

وثمة شىء آخر ، وهو أن الحياة العقلية لذلك العهـد وإن

---

(١) مؤرخو الأدب على أن أول من اصطنع البـديع كفن لذاته هو مسلم بن الوليـد . ولـكن الجاحظ يقول فى البيان والتبيين ج ١ ص ٣٠ (ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابى . وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى . ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع . ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة »

هذا مايقوله الجاحظ . ومعروف أن بشارا أسبق فى الزمن من مسلم بن الوليد . ومعروف أيضا أن كثيراً من الآثار الأدبية قد ضاعت مع الزمن. ومؤرخو الأدب أصدروا حكمهم هذا بالنظر الى مابين أيديهم من آثار . ومن هنا كان الجاحظ أصدق حكما لأنه أصدره وآثار الشعراء كانت إذ ذاك متداولة لم يضع منها شىء . فليتدبر هذا النص

ولك المجلس الرفيع جلاه أبلج الرأى مكرم الوزراء
بايع الجيش منك إسكندر الأكـبر فى البأس والنهى والفتـاء
ضاحك السن لابتسام المواضى مائل العطف لاهتزاز اللواء
إن خيلا حملن «سوزستريس» الـعصر أولى الجياد بالخيلاء
ضاقت الأرض عن جلالك فى السلـم فماذا تركت للهيجاء
حبذا الجند أنهم يا ابن « إبرا هيم » أبناء صحبة الأقوياء
قمت فيهم قيام جديك من قبـلك فى يومى الندى والفداء
وعلى الآل من علاك جلال وكذ الرأس زينة الأعضاء
وحواليك «كامل» الفضل والصنـو « على » متوجا بالبهاء
دام يرقى فى ظل ملكك بدراً فى ذرى السعد ساطع اللألاء
وتهنأ بالنعمتين وفاخر بسماء أعظم بها من سماء
وطنى قبلتى وأنت إمامى بك فيها لوجه ربى اقتدائى
راعنى وارعنى وكن لى أصنى لك حبى وخدمتى وولائى
ولسانى فإنه لك إرثا عن أبيك اشتراه بالآلاء
أنت مصر ومصر أنت فدوما أبداً فى رفاهـة ورفاء

جبلة — سوريا — محمد عدنان حسين

١٤ ـ ٣٩

بلبلت الخواطر والأذهان لم تكن قادرة على أن تنفخ من روحها فى موضوعية الشعر شيئا له خطر . وكل ما استطاعت أن توحى به هو فنية الصورة الشكلية أو فلسفتها دون الموضوع . ومن هنا جاء البديع وانتقل الأدب لذلك من طور إلى طور فى تدرج طبيعى ملحوظ

ثم يمضى فى هـذا الطور حتى ينتهى إلى كهولتـه فى العصر العباسى الأول . وهو يستقبل عهده الجديد حاملا إليـه ماحصل الشباب ، وفيضا غير كبير مما كان عليه من أريحية وحمية وحماسة ، وإنه ليمضى فى عهده هذا مستوعبا لما حوله من مختلف ألوان العيش ، منتفعا بما يحيط به من الثقافات والمعارف . مستجيبا لمـا يحف به من حضارة وترف ونعيم . ومع هذا فقد هبطت درجة حرارته . وناله كثير من الفتور والإعياء . وأصبحت صور الأداء قوالب محفوظة تصلح لكل مايملأ منها الفراغ . وامحت فيه أوكادت تلك السلائق الغنائيـة المستجيبة المشبوبة . أو قل صـارت رواسب عقلية فحسب . ولـكن الغناء أصل من أصوله ولا معدى للشعر عنه بحال . فليستعض عنه بتلك الغنائية التى تجىء نتيجة لتلاؤم الجمل والعبارات والألفاظ . ولهذا فهو مجرد فن فقط ، يظفر به من يعانيه بشىء من الدربة والممارسة ، وبالبصر بتنازع الكلام . وهو فى عمومه كـكل شىء تلده المدنية يروقك منه الصقل والتنسيق ولـكنه قلما تنبض فيه روح ، وإن لم يخل من الألمعية والنفاذ أحيانا . ولقد استتبع خلوه من الروح خلوه من الموضوع ؛ وبالتالى فقد الوحدة التى تربط بين عناصر الأثر الفنى المحتفل به . وبذلك فهو معرض للحياة بـكل ألوانها ما اختلف منها وما ائتلف . ولا ريب فى أنه احتفظ بأ كثر مما ينبغى له من تقليد للقديم ، ومن ترسم له لخطاه ولئن اتخذ مادته مما حوله من حياة ، فهو قد اتخذ أيضا أدوات التصوير لها ، والتعبير عنها من حياة البادية دون الحياة المعـاصرة له ، تلك التى كان ينبغى له ألا يعدوها فى شىء سواء فى ذلك مادته أو وسائل الإفصاح عنها والأداء . وليس من العجب فى رأينا — وإن لم يـكن من الحسن — أن يرجع إلى حياة البادية فيتخذها موضوعا ؛ أو يتخذ منها أداة للبيان . فهو كما قلنا ، وكما نريد أن نقول ، كائن حى . وأى عجب فى أن يرجع الـكائن الحى إلى ذكرياته وفى وسعه الرجوع إليها . تلك التى قد تتيح له العزاء والسلوى . أو تحقق له المثل الأعلى فيما هو منه بسبيل . ثم هل انقطعت تلك الوشائج التى تربط بين حاضره وماضيه . من المحقق أنها لم تنقطع . بل هى أوثق وأقوى مما كان يجب أن يـكون . وشىء آخر يجب أن نلفت إليه النظر فى هذا المقام . وهو : ماهى الصلة بين الأديب والأدب . وعندى أنها صلة الموصل الـكهربائى بالتيار . أوهى صلة الشعلة بحاملها يتسلمها ثم يذكيها ويعدو بها ليدعها آخر الشوط إلى من يضع بها صنيعه وهـكذا . ثم ماهو الأدب ؟ أليس الأدب فى حقيقته بعض دوافع الحيوية فى النفس . ولئن صح هـذا فإن سلسلة حيوات الأدباء الذين تعاقبوا فى لغة ما تؤلف امتداداً لحياة الأدب على الزمان . ومن ثم فهو كائن حى . وهو كذلك فى تطور وتجـدد . لأنه أثر من آثار تلك الحيـوات التى لابست الزمان والمـكان . وهذان لايستقران على حال . ولهذا فقد كان الأدب فى تطور وتجدد فى كهولته التى نتحدث عنها إلى جانب عناصر التقليد التى انحدرت إليه من ماضيه القديم ولا تزال حية فيه

كان هذا شأنه ، تجدد فى مسايرة الحياة المعاصرة له . وتحجر فى وسائل الأداء والتعبير . وكما تحجرت فيه صور الأداء ، كذلك تحجرت اللغة فى أنفس الناطقين أيضاً . وأصبحت مفرداتها لاتدل على المعنى اللغوى منها فحسب . واندثر ماكان فيهـا من شحنة وجدانية ، بل لقد سار النظر إلى العبارات وإلى فهمها فهما إجماليا . ونظن الفقرة الأخيرة هذه فى حاجـة إلى توضيح . فلنضرب لها مثلا . قال بعض الشعراء من قصيدة يحيى مؤتمرا جغرافيا

يا موكب العلم قف فى أرض منف به ... يناج مهداً ويذكر للصبا شانا

كان المستمع إلى هذا البيت لايعنيه منه إلا معناه على وجـه الإجمال . وهو أن العلم نشأ أول مانشأ فى مصر القديمـة . دون أن يلتفت إلى النداء إلى موكب العلم . ولا إلى الأمر بوقوفه فى أرض منفيس تلك المدينة المصرية القديمة . ولا إلى مناجاته لمهده الأول . ولا إلى ما كان له من ذكرى شأنه فى صباه ، وحسب القارئ أو المستمع المعنى المجمل الذى أشرنا إليه

للكلام بقية

محمد شمان الصمرى

ديوان مجد الاسلام

المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

{ تابع }

اليهود والمنافقون (١)

دعا فأجابوا ، والقلوب صوادف ... وقالوا استقمنا والهوى متجانف (٢)

مضى العهد لا حرب تقام ولا أذى ... يرام ، ولا بغى عن الحق صارف

لهم دمهم والدين والمال ما وفوا ... فإن غدروا فالسيف واف مساعف

سياسة من لا يخدع القول رأيه ... ولا يزدهيه باطل منه زائف

رسول له من حكمة الوحى عاصم ... ومن نوره فى ظلمة الرأى كاشف

يسالم من أحبارهم وسراتهم ... رجالا ، لهم فى السلم رأى مخالف

يغيظهم الإسلام ، حتى كأنما ... هو الموت أو عاد من الخطب جارف

(١) لما آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحدا ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم ، فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى (قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر) ولما نزلت (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ـ الآية) قال قائلهم — حيي ابن أخطب فى رواية : يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى ، فأنزل الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء — الآية) وكانوا يسألون النبى عن الروح ، ويقولون مم خلق الله ؟ أنسب لنا ربك. يريدون تعجيزه وإثارته

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى — بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشراف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله ابن سلام

وكان حيى بن أخطب عظيم بنى النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكانت من سبايا النبى فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها ، وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبى عند أم سليم ، أم أنس — حتى اهتدت وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوجها

وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كبيرهم ، وهو يومئذ من أعظم أشراف المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكا عليهم ، فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده

والمنافقون قوم من اليهود ، دخلوا فى الإسلام لما نوى أمره خشية القتل ، وبقى هواهم مع قومهم

(٢) المتجانف المائل (نعيم)

إذا هتف الداعى به اهتاج ناقم ... وأعول محزون ، وأجفل خائف

إذا ما تردى فى الضلالة جاهل ... فما عذر من يأبى الهدى وهو عارف ؟

يقولون قول الزور ـ لا علم عندنا ... كفى القوم علما ما تضم المصاحف

لهم من سنا التوراة هاد وللعمى ... ركام على أبصارهم متكاثف

دنا الحق من بهتانهم ورمى بهم ... إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف

عنا ابن أبى من هوى التاج لاعج ... وطاف به من نشوة الملك طائف

جرى را كضا مل‍ء العنانين فانتحى ... له قدر ألقى به وهو راسف (٣)

فما مثله فى مشهد الإفك فارح ... ولا مثله فى مشهد الحق آسف

ظنون يعفيها(٤) اليقين ، ودولة ... من الوهم تذروها الرياح العواصف

يهيب بأضغان اليهود ، تشبها ... عداوة قوم شرهم متضاعف

وما برح الحبر السمين(٥) يغرهم ... ويأكل من أموالهم ما يصادف

أعدوا له المرعى فراح مهبلا(٦) ... كظنك بالخنزير واتاه عالف

ينوء بجنبيه ، ويرنج ماشيا ... إذا اضطربت منه الشوى والروانف(٧)

رماهم بها عمياء ، لم يرم معشرا ... بأمثالها أحبارهم والأساقف

فقالوا غوى ابن الصلت وانفض جمعهم ... يريدون (كعبا) وهو خزيان كاسف

رمى (الصادق الهادى) لفيفة نفسه ... بصادعة تنشق منها اللفائف(٨)

فأما (لبيد(٩)) فاستعان بسحره ... رويدا أخا (هاروت) تلك الطرائف

(٢) رسف الرجل مشى مشى المقيد

(٤) يمحوها من عفت الريح المنزل والأثر

(٥) هو مالك بن الصلت من أحبارهم ، كان يبغض النبي بغضا شديدا ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم . قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله ، أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، إنك الحبر السمين ، سمنت من المال الذى يطعمك اليهود ، فغضب والتفت إلى عمر قائلا : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فكان هذا كفرا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ، وعلم اليهود فنزعوا منه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف

(٦) المهبل الكثير اللحم

(٧) الشوى اليدان والرجلان والأطراف ، والروانف أسافل الإلية القائم

(٨) جمع لفيفة ما يلف به الرجل وغيره ، والمعنى ظاهر

(٩) لبيد بن الأعصم ، قيل إنه عمل سحرا للنبى ، اتخذ له مثلا على صورته من شمع ، وقيل من عجين ، ثم غرز فيه إبرا ، وجعل معه وترا عقد فيه إحدى عشرة عقدة ، . كان للنبي خادم يهودى حمل شيئا من شعره الشريف إلى لبيد ، فصنع السحر ووضعه فى بئر (ذروان) ونزل جبريل فأخبر النبى فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر

أعندك أن السحر لله غالب   تأمل لبيد أى مهوى تشارف(١٠)

و (شاس بن قيس) هاجها جاهلية   الذكر تطيرها الحلام الرواجف

يقلب بين الأوس والخزرج الثرى   وقد وشجت فيه العروق العواطف

يذكرهم (يوم البعاث) وما جنت   رقاق المواضى والرماح الرواعف

غلت نخوات القوم مما استفزهم   وراجعهم من عازب الرأى سالف

وخفوا يريدون القتال ، فردهم   نبى يرد الشر والشر زاحف

دعاهم إلى الحسنى ، فأقبل بعضهم   يعانق بعضا ، والدموع ذوارف

أتى ابن سلام(١١) يؤثر الحق ملة   وينظر ما تأتى النفوس العوازف

تسلل يستخفى ، وأقبل قومه   وللؤم منهم ما تضم اللاحف

فقيل اشهدوا؛ قالوا: عرفناه سيدا   تجل مساعيه ، وتعلو المواقف

هو المرء ، لا نأبى من الدين ما ارتضى   ولا ندع الأمر الذى هو آلف

فلما رأوه خارجا ، ينطق التى   هى الحق قالوا: عاثر الرأى عاسف

ظننا به خيرا ، ولا خير فى امرئ   أبوه أبو سوء على الشر عاكف

ظلمناه لم يوصف بما هو أهله   فماذا له إن أخطأ الرشد واصف ؟

تراموا بألقاب(١٢) إذا ما تتابعت   تتابع شؤبوب(١٣) من الذم واكف

أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم   أعند رسول الله تنكى المآزف(١٤)

وقال (الرسول) استشعروا(١٥) الحلم إنما   يسود ويستعلى الحليم الملاطف

أتؤذون (عبد الله) أن يتبع الهدى   فيا ويحه من مؤمن ، ما يقارف(١٦)

أهذا هو العهد الذى كان بيننا   أهذا الذى يجنى العقيد المحالف(١٧)

تولوا غضابا ، ما تثوب(١٨) نفوسهم   ولا ترعوى أحقادهم والكتائف(١٩)

يذيعون مكروه الحديث وما عسى   يقولون والفرقان بالحق هاتف ؟

إذا بعثوا من باطل القول فتنة   تلقفها من صادق الوحى خاطف

يشايعهم فى القوم كل منافق   إلى كل ذى مشنوءة(٢٠) هو دالف

شديد الأذى يبدى من القول زخرفا   وكالسم منه ما توارى الزخارف

زحالف ســوء ما يكف دبيبها   وأهون شئ أن تدب الزحالف(٢١)

أقاموا على ظلم ، كأن لم يكن لهم   من العدل يوما لا محالة آزف

لكل أناس يعكفون على الأذى   معاطب من أخلاقهم ومتالف

رويد يهود؛ هل لها فى حصونها   من البأس إلا ما تظن السلاحف

يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا   ولن يثبت البنيان والله ناسف

سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة   فلا العيش فياح(٢٢) ولا الظل وارف(٢٣)

(يتبع)

---

(١٠) شارف الرجل الشئ اطلع عليه من فوق

(١١) كان شاس بن قيس شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، مر يوما على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رآى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع بنو قيلة ، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال : اعمد إليهم ، واجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث — يوم الحرب التى كانت بينهم — وما كان فيه ، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فى من معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : — يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر الخ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج . ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا — الآية)

(١٢) جاء النبى فى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ورجع فقال : لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم ، فأخبئنى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عنى . وخذ عليهم ميثاقا أنى إذا اتبعتك . وآمنت بك اتبعوك وآمنوا . فأرسل إليهم فجاءوا . وقال لهم . يا معشر يهود . اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا . وأنى جئتكم بحق . أسلموا . فأبوا . قال فأى رجل فيكم ابن سلام ؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال: أرأيتم ان أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل = = على تؤمنوا بى . قالوا : نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج إليهم فخرج وأظهر إسلامه . ثم دعاهم الى الإسلام . وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة . فقالوا : كذبت أنت شرنا وابن شرنا . ونزلت فى ذلك (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به . وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . ان الله لا يهدى القوم الظالمين — الآية)

(١٣) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم

(١٤) الشؤبوب الدفعة من المطر

(١٥) الأقذار

(١٦) استشعر الرجل الشئ جعله شعاره

(١٧) قارف الذنب خالطه

(١٨) المعاقد والمعاهد

(١٩) ثاب رجع بعد ذهابه

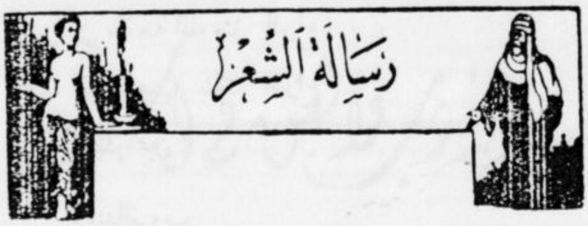
(٢٠) جمع كتيفة . السخيمة والحقد

(٢١) الشنوءة البغض والعداوة

(٢٢) دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل

(٢٣) الفياح الواسع

(٢٤) وورف الظل اتسع وطال وامتد



جيش ... وشعب

للاستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

ألا قل للنيام كفى المنام ... إرادات الشعوب لها احترام
زمان الظلم والطغيان ولى ... وليس عليك يازمن السلام !
لكل رواية قامت ستار ... نعم ! ولكل مهزلة ختام
فقل للحالمين على دوام ... وظنوا أنهم خلدوا وداموا
فراحوا فى أباطيل الأمانى ... وتاهوا فى مساربها وهاموا
وظنوا أنهم بلغوا مكانا ... حصينا لا ينال ولا يرام
كذبتم فالليالى ساهرات ... وعين الله عنكم لا تنام

* * *

تعالى الله ليس يدوم شئ ... على حال .. ولله الدوام
مضت بكم الحوادث وهى حبلى ... ومرت إثرها العبر الجسام
وأنتم فى ضلالتكم رقود ... وفى ظلمات شهوتكم نيام
تطاول عهدكم بالضيم حتى ... كأنكمو أمنتم أن تضاموا
أ كان لكم مع الأيام عهد ... تؤكده المواثق والذمام ؟
أ كان لكم مع الأحداث حلف ... بأن مقامكم قدس حرام ؟
فهل منعتكمو يوما بروج ... مشيدة ، وأسوار ضخام ؟
وهل حرستكمو يوما سيوف ... وهل عصمتكمو يوما سهام ؟
وما تغنى الحراسة عن بناء ... تزلزله المفاسد والأثام ؟
وما تجدى الحراسة فى لواء ... تمزقه العواصف والركام ؟
سياج الملك معدلة وتقوى ... وطهر فى الضمائر واحتشام
وعفة طعمة لا يحتويها ... شراب فى المحارم أو طعام
ومن لم يعتصم بالعدل يوما ... فليس له على الدنيا اعتصام

* * *

أيا أرض الكنانة قد تجلت ... لك الآفاق ، وانقشع القتام
ولاحت فى السماء خيوط فجر ... له فى مطلع الشرق ابتسام
وخر على ثراك الطهر رجس ... وذابت موجة .. واندك هام
وكانت ثورة لك لم يخضب ... دم فيها ، ولم يضرب حسام
تولتها السواعد من رجال ... صناعتهم فعال .. لا كلام
يثرثر بالسياسة كل لسن ... وهم صمتوا لنيتهم وصاموا
لقد فاض الإناء بهم ففاضوا ... وقام المجد يدعوهم فقاموا
فلسطين الشهيدة لقنتهم ... فثارات البطولة لا تنام
لقد كانت ذخيرتهم سلاحا ... تلملمه الموائد.. والمدام
ويجمعه من الشهوات قوم ... صغار فى منازعهم .. لئام
وقيل بطانة تحمى بظهر ... خفافيش يشجعها الظلام ..

* * *

حمى الله البطولة فى رجال ... همو ركن الكنانة والدعام
هم الجيش الذى صنعته مصر ... وصاغته مآثرها العظام
هم النجباء وحدهم (نجيب) ... وهم هم تألفها همام
لقد غضبت كرامتهم لمصر ... وويل الظلم إن غضب الكرام

* * *

حماك الله من جيش أبى ... إرادته مضاء واعتزام
ألم تك ناطقا بلسان شعب ... تأجج بين جنبيه الضرام ؟
إذا الأحرار بالشكوى أبانوا ... فإن عذابهم أبدا غرام
وإن كتبوا فسخط واحتدام ... وإن خطبوا فعسف وانتقام
لقد كذب الطغاة غداة ظنوا ... بأن النقد يمسكه اللجام
هبوهم قيدوا الأقلام منا ... فهل للنفس إن ثارت خطام

* * *

تولى عهد مفسدة وظلم ... وبان الحق وانحسر اللثام
وعهد عبادة الأشخاص ولى ... فما الدستور أصنام تقام
أقيموا الحق بينكمو متينا ... فليس بغيره لكمو قوام
ومحوا كل ثرثار بغيض ... بضاعته اللجاجة والخصام
فما فى الوقت متسع لهذر ... يوجهه السباب والاتهام
أهزل حين جد الجد فيكم ... وفوضى حين طوقكم نظام ؟
فما « التطهير » ألفاظ عذاب ... وتعبير يزخرفه الكلام
دعوا الأقوال إنا قد سئمنا ... وليس لهن يتسع المقام

محمد عبد الغنى حسن

من بعيد

للأستاذ محمد محمود عماد

غدا ترحلين
لشط الجمال ومهد الفتون
وبحر تميس عليه السفين
ووحدى أبقى بقيد الظنون
ولا تدركين

وقر القرار
ولم تتركى لى مجال الخيار
ولكن أردت فشط المزار
وعز اللقاء وعز الجوار
وكان اليقين
قرار عسير

وليس تقبله باليسير
ولكن تقبلته بالسرور
عسى تبصرين بوجهى الحبور
ولا تألمين

وتحت السماء
لقد كنت أرجو هناك اللقاء
ولى فى وجودك ظل وماء
ولكن نريد فيأبى القضاء
وتنفردين

قرار يهون
يهونه للفؤاد الحزين
وجودك فى جوها تمرحين
وأنك فى شمسها تنتشين
إذا تسبحين!

بتلك البقاع
إذا سار يوما هناك الشراع
على صفحة الماء مثل اليراع
تحييه عنى بتلك الذراع
وتلك اليمين !

وعند الغروب
إذا تبصرين الشعاع الغريب
يذيب بأمواهها ما يذيب
ألا فاذكرينى ، إنى قريب
إذا تذكرين

وإما اندفق
بخدك فجر عليك انبثق
ألا حدق حدق فى الشفق
فقلبى هناك.. هناك احترق
بشوق دفين !

وعند المسير
إذا ما رأيت خفاف الطيور
تجوب السماء وتعلو الصخور
ألا حمليها السلام الوفير
لإلف حنون

حديث القلوب
حديث لعمرى عجيب.. عجيب
يجمعنا فى شعاع المغيب
كلانا لديه سميع مجيب
لهمس الشجون

ويا طفلتى !
سأفتقد البدر فى ليلتى
وأفتقد الإلف فى جولتى
إلى أن أضمك فى قبلتى
متى ترجعين

محمد محمود عماد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندى

يجب أن يكون « الأدب » قد استقبل عهداً جديداً ، تتحول فيه مقاييسه وأساليبه ومظاهر إنتاجه ، بحيث تجرى مع هذه النهضة الجديدة وتوجهها

فالأدب فى طبيعته الحقة صدى النفوس وصوت المشاعر ومظهر الأنات الكامنة فى الأعماق ، وقد أصيب خلال الفترة الماضية بما أصيبت به الحياة السياسية والاجتماعية من اضطراب وفساد . . ، وتغلفت روحه الفنية بحجاب كثيف من النفاق والمداجاة والدجل والأوهام

ولا شك أن فريقا من الكتاب قد آمن برسالة الأدب ، وحاول خلال العهد الذى انتشر فيه الضباب أن يتكلم وأن يقول ، ولكنه كان مضطرا لأن يستعمل الرمز ، وأن يصطنع الإيماء ، وأن يتخذ من اللف والدوران وسيلة إلى الإفضاء ، وإن لم تكن وسيلة للافصاح

يجب أن يكون (٢٤ يوليه ١٩٥٢) حدا فصلا فى تاريخ مصر بين عهد وعهد ، وبين جيل وجيل ، فقد انتهت به مرحلة الانتقال العصيبة القاسية التى شهدت مصر فيها أهوالا من الطغيان والأحقاد والآثام

كان يوم ٢٤ يولية ختاما لمرحلة تمزقت فيها وحدة الأمة ، واستشرى الفساد ، واشرأبت الفتنة ، وتنازعت الناس عوامل الوصولية والرشوة والاستملاء

وكانت الحزبية ، والسياسة والاستعمار والوصولية ، من العوامل البعيدة المدى فى الأدب والفكر والفن

أما اليوم فقد بدأ عهد جديد ، يتاح للأدب فيه أن يؤدى رسالته على أكمل وجه ، فى حرية كاملة ، وهو عهد انتهت به القصة الداعرة ، والكلمة المكشوفة ، وانتهى عهد إغراء القراء ، وهدهدة غرائزهم ، .. والنزول إلى مستواهم ، ورسم الصور العارية ، ونشر الكتابات المثيرة

يجب أن يكون عهد الأدب الرخيص والأفكار البهلوانية التافهة قد انتهى مع العهد نفسه ، ويجب أن يستجيب الأدب لعهد القوة والعزة ، وأن ينفتح لروح الحرية ، فينشئ الأدباء فنونا من القول فيها حماسة ورجولة وتوجيه وإصلاح

لقد دبت فى مصر حياة جديدة ، خصبة غاية الخصوبة ، مشرقة كل الإشراق ، تريد أن تستنقذ الكنانة العزيزة من الوهدة التى انحدرت إليها وكادت أن تتردى فيها ... ، والكتاب رسل الإصلاح والخير والحق والجمال . . وهم سناد النهضات ، وأعمدة الكفاح . . وإذا كان بعض الكتاب قد أسروا بأنهم كانوا لا يستطيعون الإعلان عما يريدون خلال الفترة العصيبة التى مرت بالبلاد من قبل ، فقد جاء الوقت الذى يمكن توجيه الشعب فيه إلى العمل الصالح ، والحياة الطيبة ، والارتفاع فوق الصغائر والدنايا والشهوات والآثام

لقد استجاب الشعب للوثبة الجديدة فبرهن على ضمير نقى ، مازال حيا ، فعلى الكتاب أن يمدوا هذا الضمير بالنور والنار ، والحب والخير

مذكرات الرافعى

ها هو ذا الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، مؤرخ الجيل ، يضع أخيراً بين أيدينا ، مذكراته السياسية بعد أن أرخ مصر منذ أول الحركة القومية ، فى بضعة عشر مجلدا ، تعتبر فى مقدمة الأبحاث التاريخية الخالصة ، المجردة من الهوى ، والغاية ، التى ظهرت فى عصرنا الحديث

ومع أن عبد الرحمن الرافعى من أقطاب الحزب الوطنى ، ومع أنه عاش فى تلك الفترة المظلمة التى ضعفت قدرة الناس فيها عن الجهر بالحقائق ، واصطنعوا المداورة فى الكتابة حتى لا تمس هذا أو ذاك ، إلا أنه كتب التاريخ فى صراحة وجلاء ، ودون محاباة ، ووضع حياته ومصالحه فى كفة ، والحقائق فى الكفة الأخرى .. وقامر بالأولى وضيعها فى سبيل الأخرى

والرافعى بعيد الأثر فى جذور النهضة المعاصرة ؛ فقد كان أول من تحدث فى حرية عن سعد زغلول وفؤاد والأحزاب السياسية

القائمة ، وكانت لكتاباته نتائج جعلته موضع الاضطهاد من جميع الجهات ، كرهه الإنجليز وكرهه رجال القصر ، وكرهه رجال الأحزاب ، لأنه كشف عنهم فى صراحة وكشف عن عيوبهم وأخطائهم

رجل يفعل مثل هذا لابد أن يكون قد تجرد من مطامع دنياه ، فهو على حد المثل الذى يروى عن عمر « إن كلمة الحق لم تدع لى صديقا » ، لقد وهب الرافعى نفسه لتاريخ مصر ، وآلى على نفسه أن يحرره خالصا بالحق وللحق ، وافتدى به كل مطمع من مطامع الدنيا . وأنفق على طبع هذا التاريخ الضخم من جيبه الخاص ، ومن رزقه وليس له مورد إلا مكتب المحامى

ولا شك أن الرافعى مثل من أمثلة العلماء الأبرار المتجردين ، أولئك الذين عاشوا داخل المعامل السنوات الطويلة فى سبيل تحقيق عملية علمية خطيرة

كذلك فعل الرافعى ، وضحى بكل شئ ، بمنصب المستشار والوزير والنائب والشيخ وعضوية الشركات فى سبيل شئ واحد ، أن يكتب تاريخ مصر خالصا صادقا

وكان وهو الوطنى حزباً لا يبالى على حساب مذهبه السياسى ؛ ولا يفهم العمل السياسى على أنه حزبية حمقاء

والرافعى من أخلص تلاميذ « محمد فريد » ، ومن أوفى الناس له ، وهو على جانب كبير من التواضع والحياء ، وقد كان يركب الترام وهو وزير ، وكافح فى ميدان السياسة كفاحا ضخما بدا منذ ١٩٢٤ حتى اليوم واشترك قبل ذلك فى ثورة ١٩١٩ ، وكان بعيد الأثر فى تكوين الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥

المسلمون

صدر العدد العاشر من مجلة « المسلمون » وبذلك تكون هذه المجلة الشهرية التى يصدرها الأستاذ سعيد رمضان قد أتمت عاما كاملا .

وقد تفضل صاحبها فأهدى إلى بعض أعداد هذه المجموعة فوجدتها على جانب كبير من القوة فى التحرير ، والجمال فى التنسيق ، وقد لقيت « المسلمون » منذ صدور العدد الأول منها تقدير قراء العربية وإعجابهم من إندونيسيا إلى المغرب ، إذ كانت بحق امتداداً طبيعيا للشهاب التى كان يصدرها الإمام الشهيد حسن البنا ، والتى هى صورة من مجلة المنار التى كان يصدرها السيد رشيد رضا من قبل

وقد سارت « المسلمون » على نسق « الشهاب » ونظامه وحجمه ، واتخذت نفس الأهداف ، أهداف الدعوة إلى الفكرة الإسلامية وتبليغها وعرضها على طريقة مستحدثة ، وقد استكتبت طائفة من خيرة المعنيين بالثقافة الإسلامية وبالدعوة إلى إصلاح المجتمع عن طريق الإسلام ، وقد انتظم فهارس أعدادها عدد كبير من أقطاب الفكر والأدب فى مصر والشام والعراق أمثال معروف الدواليبى ومصطفى السباعى ومصطفى الزرقا ، وأبو زهرة ، والبهى الخولى ومحب الدين الخطيب

وليس فى ذلك غرابة ، فالأستاذ سعيد رمضان من حوارى الإمام الشهيد ، ومن الشباب الذى نبغ فى الخطابة منذ سن باكر حتى كان صورة قريبة فى خطابته من عميد الإخوان ورائدهم الأول ، وقد كان سكرتيراً لتحرير الشهاب إبان صدوره ، وجاب بلاد الشرق العربى وأقام فترة من الوقت فى الباكستان ، وله أصدقاء وقراء فى إندونيسيا والعراق وسوريا .. وهو يعرف جميع زعماء العالم الإسلامى

وتمتاز « المسلمون » بروح التناسق والوحدة بين موضوعاتها ودراساتها فهى مجلة توجيهية خالصة ، تعرض الإسلام على أنه نظام صالح للتطبيق ، وتواجه المشكلات الاجتماعية فى الشرق مواجهة البحث والدراسة والعلاج

وإنا لننتهز هذه الفرصة فنهنئ صاحبها على مجهوده البارز الواضح فى باب « أفق العالم الإسلامى » ونرجو ألا يصر على أن تظل قاصرة على المشتركين وحدهم ، وأن يعرضها على القراء عامة فهو حتما سيجد بينهم من يرحب بها ويقرأها بشغف

... والفن

وكان للفن حظ فى النهضة الجديدة التى بدأت فى ٢٤ يولية ١٩٥٢ ... هذا التاريخ الذى يؤرخ به عهد جديد لمصر ... فقد قرأنا فى بعض الصحف أن النية متجهة إلى أن ينصب على قاعدة التمثال القائمة فى ميدان الإسماعيلية تمثال للبطل أحمد عرابى ، أول جندى رفع رأسه فى وجهة الغاصب ، وجهر بكلمة الحق فى

البريد الأدبي

ذكرى ورجاء فى مناسبة العدد الألفى للرسالة (١)

بعد أسابيع .. يطالع قراء الرسالة العصماء عددها الألفى ، ومجلة الرسالة تعد فى طليعة المجلات النابضة بالآداب الرفيعة ، الناهضة بكل ما استحدث فى الضاد من علوم وفنون

وغنى عن البيان أن لصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات أكبر الفضل فى إبرازها بتلك السمة الأخاذة الرائعة التى وضعتها فى مقام الصدارة من الأدب الحى

وللأستاذ الزيات مكانته الملحوظة ، لا فى مصر وحدها بل فى الأقطار الشقيقة عامة وسائر الديار الناطقة بلغة القرآن ، بما برز فيه من أدب عال ، وأسلوب جزل رصين ، قوى البيان ، راسخ البنيان ، سديد الهدف ، بعيد المرامى ، هذا إلى ما عرف عنه من خلق عظيم ، وذوق سليم ، وغيرة إسلامية قومية وطنية

وأشهد أننى ما طالعت فاتحة مقال ، بارع الاستهلال ، فى جميع الأحوال لأستاذنا الزيات ، إلا وجدت حافزاً قويا يحفزنى لإتمام المقال ، حتى لم أعد أقنع بما ألفه وزفه للعربية الفصحى من

(١) يصدر بتاريخ الاثنين أول سبتمبر

وجه المستبد ، .. وقد ظل اسم عرابى منكورا ، لا يجوز الكتابة عنه ، ولا تمجيده ، ولا الاحتفال به ... حتى جاء اليوم الذى يرد فيه عرابى مكانه كبطل للتحرير قال للحاكم الظالم « لن نستعبد بعد اليوم »

وأوقد الشعلة الأولى التى رفعها الجيش سنة ١٨٨١ فى سبيل تحرير مصر ؛ حتى جاء «محمد نجيب» بعد سبعين عاما فأتم الرسالة

ولا شك أن المثالين سيتبارون فى سبيل صناعة تمثال غاية فى الروعة لبطل الجيش الأول ...، ولابد أن هذه النهضة فى الفن ستتصل برجال طالما غمط حقهم وكانوا يقفون دائما فى وجه الظالم أمثال عمر مكرم ومحمد كريم وغيرهم

أنور الجندى

كتب قيمة جمعتها وقرأتها مرات ، ومازلت أطلب المزيد منها غير أنى أحب أن تفسح رسالتنا الغراء صدرها الرحيب لبعض الملاحظات التى نعرضها لذكرها والذكرى تنفع المؤمنين

كانت الرسالة فى أول عهدنا بها ، أفسح مجالا ، وأكبر حجما ، وأقرب منالا ، فلما عطلت الحرب الأخيرة موارد الورق ، وضنت على الصحف والمجلات بوفرته ، ضاق النطاق ، وشحت الأوراق ، حتى عاد العدد من المجلة لا يتسع لأكثر الموضوعات . وعشاق الرسالة يحبون أن تكون مجلتهم الحبيبة ، جامعتهم العامة ، يلتقون فيها بخواطرهم ، ويتبادلون نواحى الفكر المختلفة ، فى الآداب والعلوم والاجتماع

وفى باب (البريد الأدبى) مجال ضيق الحدود ، لا يتسع لأكثر من ثلاث رسائل فى غالبية الأعداد . وباب القصص الغربية والمصرية كسابق العهد — مجال واسع لا يزال شاغرا فى مجلتنا الأثيرة

ولقد كانت وما زالت مجلة الرسالة تعتبر مجلة الخاصة من المتازين بالثقافة العالية ؛ لهذا أصبحنا لا نجدها إلا فى أماكن محدودة — يوم صدورها ، ولا تكاد تطالعنا بغير المقالات الخاصة لفئة خاصة ، من كتاب وأدباء الأقطار العربية ، وقد تتغير الأسماء وتتجدد الأقلام ولكن فى النذر اليسير منها

فإذا ما عن لأديب من عشاق الرسالة — وكثير ما هم — أن ينشر على صفحاتها بعض ما يعتز ويعتد به من إنتاجه — بعد الكد وطول البحث ، أو دفعه دافع من غيرة أدبية ، أو حب استطلاع علمى ، إلى الفزع إليها ، ضنت وما اطمأنت لغير الأسماء اللامعة

ولو جاز لأديب يعيش فى عزلة مثلى ، أن يكتب فى معظم الصحف والمجلات العربية ، مقالات أدبية ، وقصائد ومقطوعات شعرية ، قرابة ربع قرن مضى من الزمان.. أقول لو جاز له ذلك ، لما استطاع أن يجتاز امتحان الرسالة العسير !!

(أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس)

وفى البريد الأدبى بالعدد ٩٩٣ تحت عنوان (دار العلوم) كلمة للأستاذ (محمد على جمعة الشايب) فيها إشارة لبعض ما توجهنا إليه

فإذا لم تكن مجلة الرسالة الناهضة ، هى الملجأ الأمين ، والمفزع المنصف ، لإبراز المواهب وصقل الأفكار وشحذ القرائح . فمن للشعر والشعراء والأدب والأدباء الذين ضاقوا بتدهور سوق الأدب ، وقصوره على النواحى الناجنة المبتذلة ، لغالبية الناشئين من أدباء اليوم والمطمورين من شعراء الجيل

لقد حمدنا لأستاذنا الزيات ماأضفاه على مجلة الأزهر من جمال ، وما أضافه إليها من بحوث قويمة وأبواب آية فى الروعة ومتانة الصياغة ، وطرافة النواحى الدينية والتاريخية والأدبية والاجتماعية ، فبعد أن كانت مجلة الأزهر مقصورة على طائفة من أهل العلم ، والبحث الدينى ، أصبحت مجلة الجميع ! أما آن للرسالة أن نجدها أيضا مجلة الجميع وملتقى الأدباء والشعراء فى مصر والأقطار العربية على السواء ؟

وأذكر لصاحب الرسالة قوله فى مقال : (الرسالة فى عامها الحادى عشر) « وإذا قدر الله للرسالة أن تخرج من محنة هــذه الحرب وفيها حشاشة نفس ، كانت حرية بعد ذلك أن تستهين بكل صعب ، وتثبت على كل خطب » إلى أن يقول : « ويومئذ يتسع لها المجال فتشارك جاهدة مخلصة فى رأب ما تصدع وتجديد ما تهدم » وإنا لمنتظرون وعلى الله قصد السبيل

سلام خاطر

« الرسالة » نشكر للأستاذ الكاتب حسن ظنه وجمال رأيه ، ونعده أن نعمل جاهدين لتحقيق ما أراد وتنفيذ ما اقترح

الصحافة الأدبية فى العراق

اتصل بى كثير من أدباء وشعراء البحرين والكويت والقطيف وعدن بريديا طالبين منى إرسال بعض صحف العراق الأدبية للاطلاع على الحركة الفكرية الحديثة ، لأنهم يجهلون كل شئ عن الأدب العراقى المعاصر ، ولا يعرفون شيئا عن أدباء وشعراء الشباب إلا القليل الذى لا يبل الصدى ولا ينقع الغلة ، فهم مثلا لا يستطيعون أن يرسموا خطوطا واضحة عن شاعر أو أديب عراقى لأنهم لم يقرأوا له ألبتة ، ومن كان ينشر منهم فى صحف بغداد السيارة ، فهم يعرفونه لأن صحف العراق لا تصل لهم أبدا؛ أما الذين ينشرون فى صحف مصر ولبنان وسورية والمهجر العربى فى أمريكا فهم فئة قليلة جدا ، تكاد تعد بأصابع اليد الواحدة ؛ وفى الوقت نفسه كتبت إليهم جميعا أعتذر عن تلك المهمة لعدم وجود مجلة أدبية راقية تمثل الأدب العراقى المعاصر خير تمثيل تستحق أن تكون سفيرا بيننا وبين البلدان العربية الأخرى ، وكاد الأمر ينتهى عند هذا الحد لو لم يصل العراق هذا الأسبوع بعض الأدباء المعروفين ، منهم شاعر القطيف الأستاذ محمد سعيد المسلم ، والأستاذ عبد الله الطائى من البحرين . وفى معرض الحديث عن الأدب العراقى عاب الطائى علينا خلو البلاد من صحيفة أدبية راقية ، وأيده الأستاذ المسلم ، فأخبرتهما أننى أحسست بهذا النقص قبلهما . لذلك منذ أكثر من عام قدمت طلبا إلى مديرية الدعاية العامة حول منحى الرخصة اللازمة لإصدار مجلة أسبوعية أدبية باسم « الخميلة » لتكون منبرا حرا للآراء ، وبعد إجراء المعاملات الرسمية من الشرطة وإكمالها حفظت المعاملة لأن وزير الداخلية لم يوافق على ذلك فى حين أنه وافق على إعطاء الترخيص — الامتياز — اللازم لكل من هب ودب من الأميين وأنصاف المثقفين . . فسكت على مضض ، ثم قابلت صديق الأستاذ المجاهد سلمان الصفوانى صاحب جريدة «اليقظة» الغراء وشكوت له معاملة الدعاية معى ، فأجابنى بالحرف الواحد: « إنك يا أستاذ لست بأمى ولا بمشعوذ » ثم لجأت إلى صديق سعادة الأستاذ محمد جواد الخطيب المحامى عضو البرلمان العراقى وعضو اللجنة العليا فى حزب الاتحاد الدستورى — الحزب الحاكم فى وزارة السعيد — فقال لى إنك شاعر معروف وأديب لك مكانتك فى البلاد العربية ، ويكفى أن « الرسالة » تحمل كل أسبوع نتاج قلمك إلى القراء ، ولكن الحكومة لا توافق على منحك الامتياز . قلت له : لماذا ؟ فى حين أن من أعطيتهم الإجازة اللازمة لا يعرفون حتى كتابة أسمائهم فسكت

ثم رجعت مرة أخرى إلى موظف كبير فى الدولة قلت : يا سيدى إن الحكومة تحاربنى فى رزقى الذى يدر على من قلمى؛ فقال كيف ؟ قلت : إن مدير الدعاية بأمر من وزير الداخلية

منعنى من إصدار مجلة أدبية ، وهى كما تعلم دعاية للأدب العراقى الذى يجب أن يعلن عنه ، لأن الأمة التى لا أدب لها لا قيمة لها ؛ قال : هذا أمر وزارى ، قلت : ما رأيك فى أننى نظمت شكواى فى قصيدة رفعتها إلى الأستاذ الجليل الزيات ، وسأنشرها قريبا ومنها :

أأبا «الرسالة» والحديث كما ترى ... شجن ولولا أن يقال أعادا
لأسلت من شكواى جرحا داميا ... هيهات يلقى فى العراق ضمادا
فى أى مملكة يموت أديبها ... جوعاً وتختزن الكلاب الزادا
فى أى مملكة يقيد شاعر ... ليعيث وغد فى البلاد فسادا

ثم ختمتها بقولى له :

ما زلت فى بغداد أحتمل الأذى ... حتى سئمت من الأذى بغدادا

قال ومتى ستنشرها كاملة ؟ قلت : خلال هذا الشهر

هذه قصة الصحافة الأدبية فى العراق أسوقها شاهداً وأطلب من كل قارئ التعليق عليها أولا ، ثم أريد أن يفهم إخوانى الذين يعتبون على لكونى أنشر فى مصر ولا أحب النشر فى العراق ، أننى لا أحب أن أقبر بين ظلال العبودية ، وتحت أقدام أذناب المستعمرين الجهلاء . فهل من سميع ؟

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

جمعية جديدة للمسلمين فى أمريكا الشمالية

وقع الاختيار على عبد الله اجنام من سيدار رابيدز ليكون أول رئيس للجمعية الدولية لمسلمى أمريكا الشمالية التى تألفت هذا الأسبوع

وتهدف الجمعية الجديدة إلى تعزيز أواصر الصداقة والأخوة والتفاهم بين المسلمين فى أمريكا الشمالية ؛ كما تهدف إلى زيادة التفاهم بين المسلمين فى الولايات المتحدة وإخوانهم فى الوطن من ذوى المذاهب الأخرى .

وتعتبر الجمعية أول محاولة للوحدة يبذلها ستون جالية إسلامية فى الولايات المتحدة فضلا عن خمس عشرة جالية أخرى مبثوثة فى أنحاء متفرقة فى كندا .

وقد نهض بعبء تأليف الجمعية الجديدة المندوبون الخمسمائة الذين مثلوا مسلمى الولايات المتحدة وكندا فى المؤتمر الذى عقد تحت إشراف جمعية الشبان المسلمين فى أمريكا — ومقرها فى سيدار رابيدز — واستغرق ثلاثة أيام .

هذا وقد ألقى الدكتور محمود حب الله الأستاذ بالجامعة الأزهرية المنتدب لإدارة معهد الدراسات الإسلامية بوشنطن كلمة فى المؤتمر قال فيها إن اتباع التعاليم السماوية سيؤدى إلى خلق عالم ينظر فيه الناس إلى أنفسهم كأعضاء فى أسرة دولية قبل أن يكونوا أبناء وطن واحد .

شكوى لطلاب العلم من وزارة الداخلية

كانت وزارة الداخلية فى العهد البائد لا تؤمن بالشباب ؛ ولولا ذلك لما منعت عشرات الطلاب المصريين من السفر إلى الخارج للاستزادة من العلم ، متعللة فى ذلك بأتفه الأسباب . وهناك طلاب كثيرون فاتتهم الفرص التى لن تعود ، وضاعت عليهم البعثات التى كدوا وجاهدوا فى سبيل الحصول عليها ، وذلك لأن وزارة الداخلية كانت كافرة بإخلاص الجامعيين ، وكل جامعى لديها فهو متهم لا لشئ إلا لأنه جامعى ؛ وهى لهذا كانت تحتاط وتأخذ حذرها ، وعندما يأتيها طلب جواز سفر من أحد الجامعيين كانت تقوم بالتحريات الشاملة الطويلة عن ماضيه وحاضره ومستقبله ! فإذا وجدت أدنى شبهة رفضت فى إصرار التصريح له بالسفر

ألم يكن هذا ظلما للعلم والمتعلمين ؟

أليس من حق كل مصرى أن يرحل إلى معاهد العلم الأجنبية كى يعود إلى وطنه أكثر قدرة على خدمته ؟

وأنا واحد من هؤلاء الجامعيين ، تخرجت من كلية الآداب ، ومنحت بعثة دراسية من إحدى الحكومات الأوربية ؛ فأعددت العدة للسفر ، وكدت أن أرحل لولا أن علمت من وزارة الداخلية يومئذ أننى ممنوع من السفر ...

أجل ! ولم تبد الوزارة أسباب هذا المنع . ولم أجد أنا له فى صفحة حياتى مبرراً

أيعامل إنسان معاملة المجرمين لا لشئ إلا لأنه يريد أن يتعلم ؟

هذه شكوى جامعى مخلص ، عسى أن تجد فى مجلتكم سبيلا لآذان المسئولين فى هذا العهد الجديد السعيد   م ...



الرسالة الأخيرة

بقلم رالف بلومر

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل الأخطاء ، ووضعوا نصب أعينهم أن يحيدوا عن طريق الأغلاط ؛ ومع ذلك فكثير منهم من يهوى فى هاويتها ، ويتردى فى حمأتها ؛ بل أصبحت وكأنها من مستلزمات الحياة ؛ أو من ضروريات البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع فى نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط فى أشراكه وجرائره

بيد أن الأخطاء كثيراً مايمحو بعضها بعضاً . وهنا نرى أن القدر يشاء للبعض أن يجنى من وراء ذلك وبربح ... ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من جرائه بل ويهلك

أخذت يد « جرافيل فورلاند » ترتجف ارتجافاً تحت المصباح الكهربائى الموضوع على المكتب ؛ وهو يترع كأسه من شراب البراندى . وما كاد يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس وتمتم : لقد انتهى كل شىء ، وعما قريب سأمسى فى حالة أخرى آمن بها كل عدوان الدنيا وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيب يده فى درج المكتب وأخرج مظروفاً وضعه نصب عينيه

لقد طالما عاب عليه رئيسه الكولونيل باكستر إهماله وتوانيه ؛ ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح يقدح فيه وينال منه أمام زملائه فى الجيش وإخوانه ، وقد قال له فيما قال .... « فورلاند ! . . سوف لاتسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء مادمت حيا .. إن حياتك لمليئة بالأغلاط ، مفعمة بالاخطاء منذ أن أدركت معنى الحياة . وإنى أقول لك على رؤوس الملأ : « إن دخولك فى رحمة الله أو إلقاءك فى قرار الجحيم لن يكون ألبتة سوى نتيجة حتمية لإحدى هذه الغلطات . . . أيها الرجل ! إنك تعيش على الأخطاء ، وستموت من جرائها »

وأطلق فورلاند العنان لأفكاره تحلق فى أجواء السنتين الماضيتين ، وهو يكتب عنوان الكولونيل على الظرف ونحى الظروف جانباً ، ثم أمسك بإحدى يديه الرسالة التى كتبها منذ لحظة . بينما كانت يده الأخرى تعبث فى حركات عصبية مضطربة بمسدس متوسط الحجم

وراحت عيناه تجريان على كلمات الرسالة

« الكولونيل أ . ه . باكستر

سيدى الكولونيل

أرجو المعذرة ياسيدى إذا وجدتم أن هذا الكتاب لايمت إلى أعمال الجيش بصلة . وسوف أكون — حينما يصلكم هذا — إما فى جنة الخلد أو فى عذاب السعير . هناك حيث ينال المرء جزاءه من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وآثرتها لأنى عجزت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداى الآثمتان من أموال الفرقة التى وكلت بحفظها . ووسد إلى أمر حراستها والعناية بها . ولاعجب إذا وصلك كتابى هذا قبل اكتشاف الحادث ، فذلك ماعملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع فى نفسى حتى الآن ، لظنى أنى لابد واجد طريق الخلاص الذى ينئينى عن ذلك المأزق الضيق الخانق . وكان مما يغمر نفسى بالأمل ويفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ، وليال كثيرة ، تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد العجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، والليالى قد تصرمت ، وأصبح اليوم المروع الرهيب قاب قوسين أو أدنى ؛ فلايمر الليل حتى يفيض نوره ، ولاتمضى ساعات إلا ويبزغ فجره وتترجل شمسه . كل ذلك وأنا كما كنت . . . عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال النقص الذى أحدثته يداى الملوثتان . . فليس أمامى فى هذه الحال غير السجن والعار . . سوى الخراب والدمار . . وليس ذلك مما أسينه أو أرضاه

أما عن المبلغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلدك ياسيدى أنه فى وسعى إعادته إلى مكانه من الخزانة دون أن يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكنا من وجهة

نظرك ، ولـكن المعجزات لا تحدث فى عصرنا هـذا ياسيدى الـكولونيل ، إنما الأخطاء فحسب هى التى يشيع حدوثها ، أو إحداثها إن شئت

وقد تقول : إنه كان فى وسعك أن تقترض المبلغ ؛ غير أنى سوف لا أكون معك إبان اكتشاف الحادث ، بل إن روحى هى الأخرى ستأبى أن تحضرك ، لأنى لا أرضى أن تزعجك . ولا أود أن تهيجك

وإنى على يقين أن رحيلى إلى العالم الآخر هو خير سبيل تطرق ، وأفضـل طريق تسلك ؛ ودعنى أقول لك : وداعا يا سيدى الـكولونيل !

المخلص

جرافيل فورلاند

ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك فى الظرف وختمه ... ثم ألصق عليه طابع البريد . وكان هو يفعل ذلك حالما ساهما ، مفكراً واجما ، تتناوب وجهه الحمرة والصفرة . يرى يديه ترتجف وأصابعه ترتعش .. ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب فى الضمير لسرقته ، أو وخز فى النفس لفعلتـه . بل كان ذلك لأنه لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع العار بعيدا منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ، ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة المعبدة للخلاص من الفضيحة ، والاغتسال من العار اللذين سيجرهما عليه اكتشاف الحادث . هى رصاصة تخترق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشعل إحدى لفافات التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وإدعاءه الرزانة والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفى وراءه ما يصطخب فى نفسه ويعج من عوامل الرعب والفزع الهائلة .. وقال بلهجة الواثق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريعا .. ما هى إلا ضغطة واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ، بل ويشق على أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى

وأخفى المسدس فى أحد أدراج المكتب ، ثم تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق البريد ، أى حـظ تعس ذلك الذى يلازمه ؟ من له بمن عد له يد العون فيرد المال المسلوب قبل أن يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلوم ، هذا الذى يأبى مساعدته وتخليصه من وهـدة العار التى تردى فيها ، وهاوية الدرن الذى تمرغ فيه

وتمتم فورلاند يحدث نفسه :

— ها هو ذا آخر يوم من أيام حياتى ، ينقضى تحت سمعى وبصرى

وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعا إلى مثواه

وهناك أخرج المسدس وأدناه من رأسـه المحموم ، وزم شفتيه ، وغمض عينيه ، وراحت إصبعه تضغط شيئاً فشيئاً وكاد كل شئ ينتهى ، لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سعلة مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألفى سيده منتحيا ناحية من المكتب جالسا فى تراخ وخمول ، أما المسدس فقد كان مختفيا وراء علبة السجاير

— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة احترام وهو يمد يده إلى سيده برسالة مسجلة ... فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أومأ إليه بالانصراف

وفض الظرف فى عجلة واضطراب فسقطت منه الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه

والتقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بعينين جاحظتين

« سـيدى : لقد أمرنى عمك جيمس . ب . موبيث أن أرسل إليك هذا الـكتاب وبه ألف من الجنيهات ، وهى نتيجة الارتفاع الفاجئ لأسهم شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ممهور بإمضاء مسجل شهير

وأحس فورلاند رغبة ملحة فى أن يرفع عقيرته بالصياح فرحاً وابتهاجاً ؛ ها هى ذى ألف جنيه فى يده .. ملكه وحده ، لا ينازعه فيها منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سيعيد ما اختلسه فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون أن يعلم أحد .. أية معجزة أية خارقة .. أى حظ سعيد ؟ لقد هزأ بالمعجزات وها هى ذى قد حدثت ، وسخر من الخوارق وها هى ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلا وهو ينظر إلى المال ، لماذا لم يرسله عمه صكا على المصرف ؟ ولكنه عاد وتذكر أن عمه يمقت معاملة البنوك ، بل هو لا يثق بها ولا يأمن لها ، إن عادته دواما أن يدفع بالنقد

وتذكر قول عمه له ذات يوم : « أصغ إلى يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر علينا أى ربح الآن . فإنها ستغدو فى مدى زمن — طال أم قصر — من أعظم الشركات الدولية فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح ... إذن سترى عليه المبالغ بعد الآن ...

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه فلسا واحداً ، إذا درى بموقفه الدقيق الحرج ؛ إنه — أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة يتلوث بهذا العار ، ويتمرغ فى هذا الرجس . وتقطب جبينه وهو يفكر . . حسنا ! .. سيعيد المال المسروق فتبقى له بعدئذ أربعمائة جنيه أو تقل ، ولن يكون هناك مايشينه ويعيبه أمام عمه أو يحط من قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ؛ وزأر كأسد جريح ، حينما تذكر الخطاب الذى أرسله الكولونيل بعنوان بيته فى « إيست كوست » ... لامرية أنه سيتسلمه فى الصباح الباكر

وهب واقفاً فى ذعر . . ما الذى يحق الشيطان جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به أن يتريث إلى الصباح ؟ إنه لا يسعه الآن أن يتلافى الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولايمكنه أن يعيد المال ؛ ويزعم أنها مزحة من مزحه ، أو مهزلة أراد بها التسلية واستطلاع ماقد يحدث . فقد يرتاب الكولونيل فى الأمر ، ويجرد الخزانة بعين أخرى . . منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب الذى أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقى فورلاند المسدس فى درج المكتب . ووضع المال فى حرز حريز . ثم تناول قبعته وغادر مثواه إلى صندوق البريد

يالحظ التعس . وياللأمل الخائب ! ! لقد أفرغت الرسائل التى فى الصندوق منذ عشر دقائق فحسب

وتراءت له أشباح السجن والفضيحة والعار . فجن جنونه . إن مصيره الآن فى يد رجل ، ولو أنه طيب القلب إلا أنه لايلين ولا يرحم فى مثل تلك الأمور . ثم إن عمه جيمس لايتردد فى ازدرائه ولفظه والتبرى منه إذا بلغه خبر جريمته الشنعاء وإثمه الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد بجثم فى نهاية الطريق فهرول إليه . وألفاهم هناك فى عجلة من أمرهم وهم يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء ، وثبات الجنان وهويدلى إليهم بأنه أرسل بمحض الخطأ والتسرع خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم الظرف

فأجاب أحد العمال فى رقة مشوبة بحزم أن إعادة أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه أن مصلحة البريد تعد نفسها مسئولة عن الرسائل حتى تصل إلى المرسلة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد تارة ، ويلين ويتذلل تارة . وكان كل ذلك عبثاً . فلمح إليهم بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع المبلغ حتى أضحى يغرى المرء على مخالفة ضميره والإخلال بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شزراء مليئة بالتهكم والازدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق فى عمله

فخرج فورلاند يلتمس الهواء البارد الرطب عساه يلطف من هاته النار التى تضطرم بين أضلعه اضطراماً ولعله يخمد ذلك السعير الذى يحتدم فى أحشائه احتداماً

وتراقصت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل التى طالما صوبها إليه معرضا به قادحاً فيه « إنك أيها الرجل تعيش على الأخطاء وسوف تموت من جرائها »

وفى مأواه غرق فى مقعده وراح يشحذ ذهنه ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة الجديدة أو عساه يجد طريقا للخلاص مما وقع فيه من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالمه الطاخية على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلا واقترب الفجر وكاد يبزغ . وفورلاند لما يجد بعد حلا لذلك الإشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين جاحظة وجفون مقرحة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين غائرين

ستصل الرسالة إلى الكولونيل بعد بضع ساعات فيقرأها ويدرك كل شىء

ليس هناك سبيل لمنع ذلك ، على الرغم من أن الخطاب لا يزال فى مكتب البريد . يا لله ! كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح

ذلك مستحيلا ، لأن الكولونيل يتسلم رسائله يداً بيد من موزع البريد . وزأر فورلاند يقول :

— لماذا لم أتريث قليلا ؟

واختفى فورلاند المرح الطروب ، واحتل مكانه فورلاند آخر وحشى النظرات . كساه اليأس ثوب الجنون ، وأورثه الهم والقلق حالة التوحش

ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجارح جبار يبغى اختطافه ، ومع ذلك كان فى وسعه أن يتفادى ذلك لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملأ كأسه من الكونياك ورفعها إلى فمه بيد ترتعد فى شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات من الشراب على أرض الغرفة

وانتبه أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد تنفس وبزغ النهار وأضاء . فأخذ يضحك بينا كانت أصابعه تعبث بالأوراق المالية عبثها بشئ تافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتا أن يأخذ منه المال ويودعه الخزانة دون أن يفطن إلى الأمر أحد

يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ... كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليته تريث إلى الصباح ، أو إلى أن أتاه المال من عمه

ونظر إلى الساعة فألفاها تشير إلى التاسعة

ستستلم الكولونيل باكستر الرسالة حالا ... إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس .. وغرق فى مقعده ثم تمتم

— السجن ! ! ! ...

واعتدل فى جلسته بغتة ثم أردف

— سيأتى البوليس بين لحظة وأخرى ... أجل ، سيأتى فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب الذى حدا به إلى الانسلاح من هذا العالم والتخلص من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والعار والدمار

وضحك مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب وأفرغ فى جوفه كأسين مترعتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة ألا ليتنى تريثت قليلا قبل أن أبعث بهذه الرسالة اللعينة

ثم رفع السلاح إلى رأسه المندى بالعرق البارد فى عزم وإصرار

***

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفرس ويديم النظر فى رسالة سلمها إياه موزع البريد ، وكانت تحمل — فضلا عن عنوان الكولونيل باكستر — ثلاثة أحرف تومئ إلى أن اسم الرسالة مكتوب على الوجه الآخر من الظرف

وزمجر موزع البريد يقول

إنه لا يحمل إسم البلد المرسل إليه ، وقد أعدناه لنقص العنوان.

كثير من الناس يقع فى مثل هذه الغلطة ... يا إلهى ! ماهذا ؟!

« وهذا » هذه كانت طلقة نارية دوت فى سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

م ع م

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٩ — ٢٥ اغسطس سنه ١٩٥٢ — السنه العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

أدب الانحلال ... ... : للأستاذ سيد قطب ٩٣٧

قد مضى عهد ألف ليلة وليلة ... : « أبو الحسن على الحسنى الندوى ٩٣٩

شاعر من يوغندا ... ... : « عبد القادر رشيد الناصرى ٩٤١

الولاة والعمال فى عصر الرسول : « عواد مجيد الأعظمى ... ٩٤٥

ميلاد أمة ... ... : « حامد بدر ٩٤٧

أبو هلال العسكرى ... ... : « عبده عبد العزيز قلقيلة ... ٩٤٩

يقظه الوعى الإسلامى ... ... : « محمد رجب البيومى ٩٥١

الأدب واللغـة ... ... : للأديب محمد عثمان الصمدى ٩٥٣

نهاية ملك ... ... (قصيدة) : للأستاذ محمود عماد ٩٥٦

عرش هوى ... ... (قصيدة) : « محمود غنيم ٩٥٦

حفنة رماد ... ... (قصيدة) : « عبد اللطيف الشهابى ... ٩٥٧

(رسالة النقد) — كتاب معجم ما استعجم — تأليف أبى عبيد البكرى الأندلسى — للأستاذ حمد الجاسر ٩٥٨

(البريد الأدبى) — حول علم النبى بالغيب — تصحيح ودفع شبهة — فى روضات الجنات ٩٦٢

(القصص) — وتفضلوا بقبول احترامى — للقصصى الروسى سالتيكوف ٩٦٣

لجنة النشر للجامعيين تقدم :

جهــاد النبى

فى جزءين

حوار غير تمثيلى . به طرافة الفن . وروعة التاريخ

وجلال الإســلام

تأليف

محمد محمود زيتون

المدرس بمدرسة دمنهور الثانوية ويطلب من المؤلف ومن مكتبة مصر : شارع كامل صدقى ٣ مصر والمكتبات الأخرى

عدد النسخ محدود

الجزء الأول ٢٣٣ صفحة ٢٠ قرشا

الجزء الثانى ٤٢٧ صفحة ٢٥ قرشا

عدا أجرة البريد

20 me année No 999

Le Caire 25 — 8 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ ذي الحجة سنة ١٣٧١ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ » — السنة العشرون

أدب الانحـــلال

للأستاذ سيد قطب

« كان مقررا أن يذاع هذا الحديث من محطة الإذاعة المصرية في الساعة الثامنة من مساء اليوم ١٠ من شهر أغسطس ؛ ولكن جو المحطة لم يتطهر بعد الى الحد الذى يسمح باذاعة مثل هذا الحديث ! ان الكثيرين هناك يحسبون أنفسهم مقصودين بوصف العبيد . كما أن الحماية ماتزال مفروضة على الأصوات الدنسة التي تذيع على الناس : « الدنيا سيجارة وكاس » ! »

أدب الانحلال هو في الغالب أدب العبيد . عبيد الطغيان ، أو عبيد الشهوات . وحين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض ، أو لشهوة من شهوات الجسد ؛ فإنها تعجز عن التحليق في جو الحرية الطليق ، وتلصق بتراب الأرض ، وترتكس في وحل المستنقع : مستنقع الشهوة ، أو مستنقع العبودية سواء

فأدب الانحلال على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة أو من القدرة على الكفاح في سبيل مثل أعلى . مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تملق الطغيان ، لتحقيق مطمع صغير ، أو مطمح حقير .. أى عندما تصبح « الدنيا سيجارة وكاس » أو تصبح الحظوة عند الطغاة أمنية المتمنى في دنيا الناس !

عندئذ يظهر في الأمة كتاب ، ويظهر في الأمة شعراء ، ويظهر في الأمة فنانون .. يلبون هذا الفراغ من المثل العليا ، ويمثلون هذا الارتكاس في حمأة الشهوة أو حمأة العبودية .

وعندئذ يستمع الناس إلى هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ؛ لأنهم يصورون مشاعرهم ، ويصورون أحلامهم ، ويزينون لهم الراحة من الكفاح ، والاطمئنان إلى الدعة ، والإخلاد إلى حياة الفراغ والترهل والانحلال

إن هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ليقومون حينئذ بمهمة تخدير الشعوب وتنويمها . سواء سبحوا بحمد الطغاة ، أوسبحوا بحمد الشهوات . فأما حين يسبحون بحمد الطغاة فهم يزيفون الواقع على الشعوب ، ويخفون عنها شناعة الطغيان وقبحه ، ويصدونها عن الثورة عليه أو الوقوف في وجهه .. وأما حين يسبحون بحمد الشهوات ، فهم يخدرون مشاعر الشعوب ، ويستنفدون طاقتها في الرجس والدنس ، ويدغدغون غرائزها فتظل مشغولة بهذه الدغدغة ، لا تفكر في شأن عام ، ولا تحس بظلم واقع ، ولا تنتفض في وجه طاغية لتناديه : مكانك . فنحن هنا ! فالشعب المستغرق في ذلك الخدر اللذيذ ليس هنا ، وليس كذلك هناك !

* * *

والتاريخ يشهد أن الطغيان يملي دائما لهذا الصنف من الكتاب والشعراء والفنانين ؛ ويهيئ لهم الوسائل ، ويخلق لهم

الجو الذى يسمح لهم بالعمل . جو الفراغ والترف والانحلال

عندما أراد الأمويون أن يأمنوا أهل الحجاز ، وأن يستبدوا دونهم بالملك ، وأن ينحوهم عن الحياة العامة ، غمروا سادتهم وأشرافهم بالمال والإقطاعيات والهبات ؛ وجلبوا إليهم المغنين ، والملهين والجوارى ، وزينوا لهم حياة الدعة والترف . وأطلقوا عليهم الشعراء المجان يدغدغون غرائزهم فى القصور بأناشيد الشهوة . . وفى الوقت ذاته انطلق الشعراء يمدحون الملوك الطغاة ويسبحون بحمدهم ، ويصوغون حولهم الهالات

والتاريخ يعيد نفسه . وهكذا كان فى حاضر الأوان . . كان فى مصر طاغية صغير ؛ كان يعبد ذاته ، ويقدس شهواته . وكان يريد أن يحول هذا الشعب إلى عشرين مليونا من العبيد

عندئذ انطلق كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويسجدون له من دون الله . ويخلعون عليه من صفات الله . سبحانه ! مالا يجرؤ مسلم أو مسيحى على النطق به . حياء من الله

وحينئذ انطلق كذلك كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الشهوة ، ويعبدون اللذة . وعندئذ استمع الناس إلى أغنيات تقول : « الدنيا سيجارة وكاس » و « انسى الدنيا » وما إلى ذلك من أدناس وأرجاس

إن التسبيح بحمد الطاغية ، والتسبيح بحمد الشهوة ؛ لم يكونا منفصلين ، ولا غريبا أحدهما عن الآخر..لقد كانت فترة انحلال . وأدب انحلال . إنها العبودية ذات طبيعة واحدة . عبودية الشهوة أو عبودية الطغيان

***

فإذا نحن أردنا أن نكافح أدب الانحلال ، فيجب أن نكافح أولا أسبابه فى حياة الأفراد أو حياة الشعوب . يجب أن نكافح روح العبودية فى الضمير الإنسانى . نكافح عبودية الشهوة فنحرر الضمير البشرى من الخضوع لها . فالإنسان إنما صار إنسانا بتعاليه على ضرورات الحيوان . والتربية الدينية هى الطريق الأنجع والأقرب إلى تقوية روح الإنسان ، وتساميه على ضرورات الحيوان

ونكافح عبودية الطغيان . فالطغيان يحمل معه دائما تشجيع الانحلال والدعة والترهل ، كى يبقى هو فى أمان من انتفاض الكرامة ، وانبثاق الحرية ، والانتقاض على العسف والطغيان

وشئ آخر نملكه اللحظة :

لقد عاد الذين كانوا يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويملون له فى البغى والعدوان ، ويمجدون اسمه ويخلعون عليه من صفات الله الواحد القهار .. عاد هؤلاء هم بأنفسهم يلعنون الطاغية ، ويطلقون ألسنتهم فيه ، ويمزقون عنه أردية المجد الزائفة التى ألبسوها إياه

هذا نفسه لون من ألوان الانحلال . وصورة أخرى لأدب الانحلال . هؤلاء لم يخرجوا ق الأولى أو الثانية عن أن يكونوا عبيدا منحلين . عبيدا يحنون ظهورهم لسوط السيد يلهب به جلودهم . فلما أن سقط السوط من يده — رغم أنفه — التقطه العبيد ، وداروا به يبحثون لهم عن سيد جديد ! .. سيد جديد يلهب جلودهم بالسوط ، ليحرقوا له البخور ، وينثروا من حوله الزهور!

هؤلاء هم ممثلو أدب الانحلال . وهؤلاء هم الذين يجب أن يقصيهم الشعب عن الإنشاد له فى العهد الجديد . عهد العزة والقوة والاستعلاء ، عهد التحرر من عبودية الطغيان ، والتحرر من عبودية الشهوة اللتين قد تجتمعان أو تفترقان ، فتمهد إحداهما للأخرى ، وتهيئ لها النفوس والأذهان

أجل ينبغى ألا نسمح لهؤلاء العبيد بالإنشاد للشعب فى العهد الجديد ، ولا أن نغفر لهم تمريغ جبهة الأدب والشعر والفن فى المستنقع الآسن . فكل غفران لهؤلاء هو تنازل عن مبادئ الثورة الجديدة ، وكل استماع لهم هو خيانة للمثل الجديدة

ولا يقل أحد : إنهم كانوا معذورين فى تمريغ الأدب والفن والشعر والإنسانية فى ذلك الوحل . فلقد كان باستطاعتهم أن يسكتوا ، إن لم تبلغ بهم الرجولة أن يكافحوا

إن الاعتذار لهم على هذا النحو تبرير للجريمة ، التى تمكن

اغتفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعماء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين

إن من حق الثورة علينا أن نتذكر ولا ننسى . نتذكر شناعة الجريمة . شناعة الانحلال الدنس

إن الديدان والحشرات التى عاشت طويلا فى المستنقع كفيلة بتدنيس كل مقدس ، إذا نحن سمحنا لها بالحياة مرة أخرى فى الأرض الطيبة ، التى يجب أن تخلو من الديدان والحشرات

سيد قطب

قد مضى عهد ألف ليلة وليلة

للأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

كتاب ألف ليلة وليلة يمثل ذلك العهد الذى كانت الحياة فيه تدور حول فرد واحد —وهو شخص الخليفة أوالملك أو حول حفنة من الرجال — هم الوزراء وأبناء الملوك — وكانت البلاد تعتبر ملكا شخصيا لذلك الفرد السعيد . والأمة كلهافوجا من المماليك والعبيد ، يتحكم فى أموالهم وأملاكهم ونفوسهم وأعراضهم، ولم تكن الأمة التى كان يحكم عليها إلا ظلا لشخصه، ولم تكن حياتها إلا امتدادا لحياته .

لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها وآدابها وشعرها وإنتاجها ، فإذا استعرض أحد تاريخ هذا العهد أو أدب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الأمة أو المجتمع كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التى تنبت فى ظلها وتمنعها من الشمس والهواء ، كذلك تضمحل هذه الأمة فى شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح أمة هزيلة لا شخصية لها ولا إرادة ، ولا حرية لها ولا كرامة .

وكان هذا الفرد هو الذى تدور لأجله عجلة الحياة ، فلأجله يتعب الفلاح ، ويشتغل التاجر، ويجهد الصانع، ويؤلف المؤلف، وينظم الشاعر ، ولأجله تلد الأمهات وفى سبيله يموت الرجال وتقاتل الجيوش، بل ولأجله تلفظ الأرض خزائنها ، ويقذف البحر نمائمه ، وتستخرج كنوز الأرض وخيراتها

وكانت الأمة — وهى صاحبة الإنتاج وصاحبة الفضل فى هذه الرفاهية كلها — تعيش عيش الصعاليك أو الأرقاء المماليك ، قد تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر ، وقد تحرم ذلك أيضا فتصبر ، وقد تموت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق فى التزلف وانتهاز الفرص

هذا هو العهد الذى ازدهر فى الشرق طويلا وترك رواسب فى حياة هذه الأمة ونفوسها ، وفى أدبها وشعرها ، وأخلاقها واجتماعها ، وخلف آثارا باقية فى المكتبة العربية ، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب « ألف ليلة وليلة » الذى يصور ذلك العهد تصويرا بارعا يوم كان الخليفة فى بغداد أو الملك فى دمشق أو القاهرة ، هو كل شىء وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة

إن هذا العهد الذى يمثله كتاب « ألف ليلة وليلة » بأسا طيره وقصصه، وكتاب الأغانى بتاريخه وأدبه، لم يكن عهدا إسلاميا ولا عهدا طبيعيا معقولا ؛ فلا يرضاه الإسلام ، ولا يقره العقل، بل إنما جاء الإسلام بهدمه والقضاء عليه ، فقد كان هذا هو العهد الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وأنكر على ملوكه — ككسرى وقيصر — وعلى أثرتهم وترفهم أشد الإنكار

إن هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار فى أى مكان وفى أى زمان ، ولا سبيل إليه إلا إذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها أو مصابة فى عقلها أو فاقدة الوعى والشعور أو ميتة النفس والروح

إن هذا الوضع لا يقره عقل . ومن الذى يسوغ أن يتخم فرد أو بضعة أفراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسغبة ؟ ومن الذى يسوغ أن يعبث ملك أو أبناء ملك بالمال عبث المجانين ، والناس لا يجدون من القوت مايقيم صلبهم ومن الكسوة مايستر جسمهم؟ ومن الذى يسوغ أن يكون حظ طبقة — وهى الكثرة — الإنتاج وحده والكدح فى الحياة والعمل المضنى الذى لانهاية له ، وحظ طبقة —وهى لاتجاوز عدد الأصابع — إلا التلهى بثمرات تعب الطبقة الأولى من غير شكر وتقدير وفى غير عقل ووعى ؟ ومن الذى يسوغ أن يشقى أهل الصناعة ، وأهل

الذكاء ، وأهل الاجتهـاد ، وأهل المواهب ، وأهل الصـلاح ، وينعم رجال لايحسنون غير التبـذير ، ولا يعرفون صنـاعة غير صناعة الفجور وشرب الخمور ؟ ومن الذى يسوغ أن يجفى أهل الـكفاية وأهل النبوغ وأهل الأمانة ويقصوا كالمنبوذين، ويجتمع حول ملك أو أمير فوج من خساس النفوس وسخاف العقول وفاقدى الضمائر ممن لاهم لهم إلاابتزاز الأموال وإرضاء الشهوات ولا يحسنون فنامن فنون الدنيا غير التملق والإطراء ، والمؤامرة على الأبرياء ، ولا يتصفون بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياء ؟ إنه وضع شاذ لا ينبغى أن يبقى يوما فضلا عن أن يبقى أعواما

إنه إن سبق فى عهد من عهود التاريخ وبقى مدة طويلة فقد كان ذلك على غفلة من الأمة أو على الرغم منها ، ولسبب ضعف الاسلام وقوة الجاهلية ، ولـكنه خليق بأن ينهـاروبتداعى كلـما أشرقت شمس الاسلام واستيقظ الوعى وهبت الأمة تحـاسب نفسها وأفرادها

فالذين لايزالون يعيشون فى عالم (ألف ليـلة وليـلة) إنما يعيشون فى عالم الأحلام ، إنما يعيشون فى بيت أوهن من بيت العنكبوت ، إنما يعيشون فى بيت مهدد بالأخطار لايدرون متى يكبس ولا يدرون متى تعمل فيه معاول الهدم ، وإن سلموا من كل هذا فلا يدرون متى يخر عليهم السقف من فوقهم فإنه قائم على غير أساس متين وعلى غير دعائم قوية

ألا إن عهد ألف ليـلة وليـلة قد مضى فلا يخـدعن أقوام أنفسهم ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تـكسرت وتحطمت . إن الفردية مصبـاح — إن جاز هذا التعبـير — قد نفد زيتـه واحترقت فتيلته فهو إلى انطفاء عاجل ولولم تهب عاصفة .

إنه لامحل فى الإسلام لأى نوع من أنواع الأثرة . إنه لامحل فيه للأثرة الفردية أو العائلية التى نراها فى بعض الأمم الشرقية والأقطار الإسلامية ، ولا محل فيه للأثرة المنظمة التى نراهـا فى أوربا وأمريكا وفى روسيا ، فهى فى أوربا أثرة حزب من الأحزاب وفى أمريكا أثرة الرأسماليين وفى روسيا أثرة قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الـكثرة وهى تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية ربما لا يوجد لها نظير فى تاريخ السخرة الظالمة (١)

إن الأثرة بجميع أنواعها ستنتهى؛ وإن الإنسانية ستثور عليها وتنتقم منها انتقاما شديدا . إنه لا مستقبل فى العالم إلا للاسلام السمح العادل الوسط ، وإن طال أجل هذه « الأثرات » وأرخى لها العنان وتمادت فى غيها وطغيانها مدة من الزمن

إن الأثرة — فردية كانت أو عائلية أو حزبية أو طبقية — غير طبيعية فى حياة الأمة ، وإنها تتخلص منها فى أول فرصة . إنه لامحل لها فى الإسلام ولا محل لها فى مجتمع واع بلغ سن الرشد ولا أمل فى استمرارها ، فخير للمسلمين وخير للعرب وخير لقادتهم وولاة أمورهم أن يخلصوا أنفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها قبل أن تغرق فيغرقوا معها .

ألا إن الفردية آذنت فى الشرق أيضا بالرحيل وبدأت نجومها تهوى ، وما هى مسئلة زيد وعمرو وإنما هى مسئلة عهد ينقضى وفكرة تختنق ومؤسسة تلغى، فليحذر الذين يعيشون عليها أن يوجهوا مصيرا واحدا

أبو الحسن على الحسنى الندوى

---

(١) اقرأ فى ذلك كتاب

1) The faced labour in Russa, by Evnest Tallgreu

شاعر من يوغندا ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

توطئة :

الشيء الذي كنت أنتظره ، يوم وجهت ندائى على صفحات المجلات العربية فى الجزيرة والمهاجر طالباً من إخوانى الشعراء فى تلك الأصقاع النائية موافاتى بقسم من نتاج قرائحهم وترجمة حياتهم لعرضها على القراء الذين يجهلون كل شيء عنهم فى سلسلة مقالات تكشف الستور من نزعاتهم الحسية، وعواطفهم الجياشة، وأحاسيسهم الملتهبة ، لتقدمها « الرسالة » الزاهرة ، مجلة الأدب الحى ، والشعر الخالد ، إلى عشاق الأدب ، وجمهرة المثقفين ، ولكن بالرغم من مرور ستة أشهر على توجيه دعوتى تلك لم يصلنى من شعراء الجزيرة إلا النزر القليل ، كأنما ، تلك الأم الولود عقمت فلم تعد تنجب شاعراً بعد ، وكأنما الأرض التى أطلعت نجوم البيان وأعلام الشعر — منذ الجاهلية حتى الآن — استحالت إلى صخور جرداء لا نبت فيها ولا زرع . فإلى جميع من وجهت إليهم ندائى بالأمس ، سواء على صفحات « الرسالة أو الأديب أو صوت البحرين أو الصراحة السودانية أو الإصلاح النيويوركية أو العصبة البرازيلية » أكرر عليهم الطلب ثانية ... وحسبى أن أقدم اليهم اليوم .. أخاً من إخوانهم فى هذه الدراسة على أن أتبعها فى القريب بدراسة جديدة عن «شعراء القطيف..»

الشاعر :

هو الزميل الفاضل الأستاذ لطفى جعفر أمان .. ولد فى « عدن » فى منتصف عام « ١٩٢٨ » للميلاد فيكون بذلك قد سلخ من حياته ٢٣ سنة و ٦ أشهر تقريباً . تلقى دروسه الأولية فى مدرسة حكومتها الابتدائية لمدة سبع سنوات .. وفى ذلك العهد الطرى المشبع برائحة الطفولة كانت ميوله تتجه اتجاها بدائيا إلى الفنون والأدب ؛ كما كان أخوه الأكبر ينصب انصبابا وينكب انكبابا على مطالعة الكتب مع إيثار العزلة وخلق جو شاذ من الانطواء على النفس متخذا من حكمة شاعر الأجيال « وخير جليس فى الزمان كتاب » رائداً .. ودليلا .. أما أخوه الثالث فكان يجيد الرسم ويبعثر لوحاته على الجدران وفى الأدراج وبين جوانح المجلات المصورة . أما أخوهم الرابع فكان يقرض الشعر .. فخلقت هـذه الأسرة التى كرست حياتها للفن جوا خاصا للأخ الصغير .. وهيأت له كل شيء لتعده إعداداً أدبيا خاصا .. ولنستمع إليه وهو يقص علينا أحاسيسه فى تلك الفترة ...

« .. ولن أنسى انزوائى معه — يقصد أخاه الشاعر — فترات طويلة من الصمت أحدق فى وجهه التائه أو أغرق معه فى موجات السطور التى كانت تتلاطم على الورق وهى تشهد ميلاد شيء اسمه قصيدة .. فى ذلك الجو القاتم المضيء بإيحاءات الأدب والفن أولعت بقراءة الروايات بإدمان .. ورسم الصور بشغف .. وحفظ الشعر بسرعة عجيبة .. وأخذت أنزوى حتى عن ملاعب الصبيان الطبيعية[1] »

ومن هذه الكلمات القصيرة التى اقتطفتها من مذكراته يتبين لنا كيف أن الأسرة نفسها دفعت بالصبى الصغير إلى الأدب بعد أن هيأت له الأجواء ..

وفى نهاية عام ١٩٤١ أتم دراسته الابتدائية وكان من الأوائل فاختارته حكومة عدن مع زميل له لإتمام دراستهما الثانوية والعالية فى السودان. وهكذا أشرف عليه عام ١٩٤٢ بحياة جديدة فى أرض غريبة . حيث التحمت الأشواق بالكفاح ، وامتزجت الدموع بالعرق .. وترنح العمر اللدن بين التيه والرشاد .. تيه الغربة .. ورشاد العلم

وأخذت موجة الانتقال من بيئة إلى أخرى تعكس انطباعاتها على الخاطر وتسجل آثارها فى الوعى والخيال

وفى تلك البيئة تعرف بصديق كان له الأثر الفعال فى تكوينه الأدبى إذ كانت مدرسة أم درمان الثانوية تنظر إلى هذا الصديق الساخر الكئيب على أنه شاعرها الفيلسوف .. وهذا الصديق هو محمد عثمان جرتلى الذى كان ينشر قصائده فى الصحف الأدبية السودانية ويقتنى كل ديوان حديث

---

(١) من رسالته المؤرخة فى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ الى صاحب هـذا المقال

وعلى يدى ذلك الصديق الشاعر أخذ مترجمنا الشعر وحفظه وخصوصاً دواوين وقصائد المرحوم على محمود طه والتيجانى يوسف بشير وفؤاد بليبل ، ومحمود حسن إسماعيل .. حيث كان الظلام الملتهب على خلجات أولئك الشعراء يثير فى أعماقه أصداء مماثلة ويحمله معهم بعيداً عن فجاج الأرض إلى إشراقات روحية صافية يحس فيها بأن للحياة .. معنى غير التراب

وفى عام ١٩٤٣ أخذ شاعرنا يقول الشعر . وكانت مجلة « فتاة الجزيرة » التى تصدر بعدن .. تحمل بواكيره للقراء .. ثم وسعت له الصحف السودانية صدرها فنشرت له قصائد ومقالات وأقاصيص كما نشرت له الصباح المصرية بعض ألحانه

وفى أوائل عام ١٩٤٦ التحق بقسم الآداب بكلية «غردون» الجامعية بالخرطوم بعد حصوله على شهادة « السينير كمبردج » بدرجة ممتازة فى اللغة العربية

وراح شاعرنا الشاب يدرج فى محيط الكلية على نمط جديد من الحياة ولم يكن له أى صديق .. فقد سافر محمد عثمان جرتلى إلى مصر والتحق بكلية الطب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية

كان كل شئ حوله يبعث على الاكتئاب رغم ضحكات الطبيعة المتألقة على النيل . وعلى الانزواء رغم صخب المحيط الجامعى ووحدته الاجتماعية .. وهذه الوحدة وهذا الألم النفسى وبعده عن دياره وأسرته زينت له الهروب من الحياة.. من واقعها المؤلم.. فلجأ إلى المطالعة وسماره دواوين شعراء الإمبراطورية الإنجليزية . شيلى .. وبيرون.. وكيتنس.. ودالامير..وأوبرت بولا .. ومعظم ما تخرجه المطابع العربية من دواوين

فقد كان كل مساء يحمل بعض الكتب والأوراق إلى ركن قصى هادئ فى «الألبيون هوتيل» بالخرطوم أو إلى «بى كباريه» أو إلى « حديقة القرن » المشرفة على النيل والغارقة بالحسان والزهور والأقداح . حيث يستلهم الطبيعة الفاتنة أغانيه وألحانه .

وهكذا مرت عليه ثلاث سنوات فى كلية « غردون » وقبل أن ينال شهادة « الدبلوم » فى الآداب بعشرين يوما كانت مطبعة « فتاة الجزيرة » بعدن قد فرغت من طبع ديوانه الأول « بقايا نغم » الذى صدره بهذا الإهداء

أنت يامن يفيض من صدرك الغض جلال الصليب نوراً عليا

لك منى هـذا الذى بين كفيك خفوق بحبك المفقود

نغم ضاع فى مجـاهل دنياك هياما ، وجف إلا بقايا

فاذكرينى بها .. فيا ، رب ذكراك تعيد المفقود من دنيايا

من ألمان ، أضعت فيها شـبابى

ولهذا الديوان قصة ، وها هوذا الشاعر ذاته يقصها علينا

« كان ذلك فى كلية الآداب حين أحسست لأول مرة بظمأ الروح للروح ، وكانت ذات الصليب تبعث فى نفسى ذلك الإحساس الجارف فأصورهلا.. ثلاث سنوات .. ناراً من الحب فى روض من الشعر .. »

وقد أنزلت الدموع من أعماقه ، وفجرت فى آفاقه الظلمة والضياء..وسحقت أمامه كل أمل لتهب له أملا خليا لم يكن سوى اليأس ، اليأس القاتل الذى يسحق كل شئ :

يا خضما جهم الجوانب يجرى فى مدى مبهم وأفق قصى

أى لغز مطلسم فى دياجـيك .. وسر فى لغزك المطوى ؟!

كلما لاح لى شراع على الأفق تهـادى مثل الشعاع السنى

هاج فى ناظرى تطفل نفسى فتلفت سـائلا كالصبى

ما ترى ذلك الذى يقحم الغيب ويمضى إلى مـداه الخفى !

وركبت العبـاب يدفعنى منه قوى يردنى لقوى

لاحقا بالشراع أستنفد الهمة فى لجة الخضم العصى

وهو ينـأى .. وإن يكن حيثما كان .. كوهم فى لمحة العبقرى

وكان فى منتصف كل ليلة ينهض بقوة من بين الكتب والدروس تجتاحه مشاعر عارمة ذات غموض .. فيرتعد وهو يحس بالبرد والجوع .. لا يدرى ماذا يعمل . وحشة وسكون .. فيمرق من الباب كالشبح عليه وثار من الصوف .. النيل على مقربة عشرين خطوة .. الطريق مقفر إلا من رجال الشرطة . والعسس قابعون تحت الشجر أو سائرين تحت الظلام .. صمت أمامه . . وضجيج فى أغواره .. يقطع الجسر الطويل .. إلى أين ؟ . إلى ما وراء ذلك الجسر . هناك حيث يسند ظهره على عمود الكهرباء وأمامه يد لله .. مسكنها الغارق فى الظلام والشجر

الوقت . سحر .. الفجر قريب

وتقطع السكون عجلات أول ترام فى الفجر فيعود :—

خفقات الزهر فى الأسحار للفجر القريب

وانبثاق الأمل المشرق فى ليل الغريب
واختلاج النور فى المصباح .. عربيد اللهيب
وجراح الشفق الدامى على الأفق الكئيب
كلها معنى بقلبى . من حبيب . لحبيب
يا شموساً روعت بالأمس قلبى بتغيب
أين أنت !!

وتتوالى الليالى .. لا شئ .. كل شئ .. يمضى إلى النيل .. النيل القريب . هناك تحت شجرة ألفته وألفها لا يرضى بغيرها من الأتراب العالقات أوراقها بها فيهتف :

من رآنى هنا .. شريد خيالات . ووهم مجنح الخطرات
أتملى السكون فى ظل زهراء حنون مخضلة النغمات
سكبت من دمى..تسلسل فى الليل . فأصغت نوابت الربوات
وجرى النيل.. واقفاً فى حنايا الليل ينساب كالشجى فى اللهاة
والمصابيح قائمات على الشط .. نجوما مجنونة الومضات
وظلال النخيل أطياف أشباح .. تربصن فى الدجى جاثيات
غبت عن ضجة الحياة ، وأطلقت لفكرى أعنة السبحات
فى دجى مطبق .. وأفق سحيق .. وفضاء محلولك الظلمات
وتصاوير أبدعتها يد الجن .. خفاف .. عربيدة الحركات
فى غمار الذهول تبعث فى نفسى تهاويل من جنون الحياة
ذكريات تدب فى ظلمة اليأس وتنساب فى دمى صاخبات
أزهق العمر فى يديها نضيرا .. وتهاوى فى كهفها أمنيات
من رآنى أشيع الحب وحدى .. وهشيم الآمال فوق الرفات

وبعد يا قارئى الكريم أظن أن اليأس بلغ بك منتهاه حينما قرأت هذه اللوعة الدامية التى صورها لنا شاعرها الشاب . فماذا تريد ؟ سأتركك تجتر أنفاسك ببطء .. أو بعمق إن شئت .. ثم هلم معى لنخرج من هذه الكوة المعتمة بالحب واليأس والألم المرير .. وهيا بنا نغلق على الروح الأبواب ونتسرب فى سراديب الجسد .. حيث نسمع صراخ الدم فى العروق :

ههنا فى غرفة حمراء .. عابثة الظلام (٢)
وفراش رقصت فى عطره أحلى الليالى
ههنا أحلام مسحورين : قلب .. وجمال

(٢) القصيدة من مجزوء الرمل وهذا البيت خارج عن الوزن

حلم .. أم سكرة ؟ أم نهزة دامت لنا
نحن من نحن . عريان عن الدنيا هنا

وفى عام ١٩٤٩ عاد الشاعر إلى مسقط رأسه إلى عدن بعد غياب سبع سنوات لاستقبال حياة جديدة أخرى من العمل والكفاح الوطنى . فقد عين مدرسا بمدرسة الحكومة الثانوية كما اشترك محرراً فى مجلة المستقبل .. ومحرراً أدبيا فى « فتاة الجزيرة » وكان ينشر فى الأخيرة — وهى أكبر صحيفة فى الجنوب قصائد ومقالات بعضها صريحة التوقيع وبعضها مستعارة الاسم تحت رمز « النسر » وقل أن يمضى أسبوع دون أن يتحف قراءه بشئ من الشعر أو النثر .. ثم أخذت مجلة « الأديب » اللبنانية تحمل آثاره للبلاد العربية ..

وفى سنة ١٩٥٠ كانت الحياة الجافة فى عدن قد سودت العيش فى عينه فلم يعد يطيق البقاء والصبر . فأحس بشعور الثورة على الأوضاع والنظم القائمة والكهانة وعباد المال . فالتفت كالمجنون : سلسلة جبال بركانية عارية تضج بالجحيم .. وسلالة آدمية كالقبور تتحرك ببله .. ومظالم استبدادية جائرة تتنقل بقفازات من حرير .. وفن موتور مغمور يحترق فى قماقم .. وصنف من الرق عجيب .. يبيحه قانون القرن العشرين .. وكل هذه الأوضاع والصور كانت مادة لديوان جديد هو « أغانى البركان » .. ومن هذه الأغانى صرخته المؤلمة هذه

تلفت فلا لمحة من جمال تلفت . فإن الحياة محال
فأنى تلفت تلق الجبال جبالا تضج بنار الجحيم
وسكان مقبرة فى زوال

حياة ..كحلم الصدا فى سراب حياة .. ككفح اللظى فى عذاب
حياة .. كثورة جن غضاب لقد أزهق الحق .. يا ويحهم
وديس على الفن فوق التراب

إذا الريح طوعى لسخرتها إذا النار ملكى لأضرمتها
وهذى الجبال لفجرتها براكين تسحق هذى القبور
فأزهو بأنى حطمتها

كل شئ لم يكن غير الثورة واليأس :—

فقامت تلم بقايا القوى على هيكل مضمحل الأهاب
وتسحب أنغامها النازفات وتقلع خطوتها بالمتصاب

إلى أن محاها شفيف الفضاء   وأغوت هداها الفيافى الرحاب
تساقط ثورتها فى الرماد   وتعشو بصيرتها فى الضباب
وقد جمد الكون فى نبضها   وغاض الجمال بقفر يباب
وأين مضت فى غيوم الظلام ؟ إلى الخلد ؟ لا بل سحيق التباب
مصير الذى فج فى نفسها   مغاور يأس عتى الرغاب
تسائل عن ذاتها فى القبور   فتهتف ديدانها بالجواب
ومن حولها ... كل ما حولها   ضجيج ضياع .. وصمت غياب

ثم مضت سنتان .. وفى سنة ١٩٥١ حدثت للشاعر حركة انتقال كبرى .. فبعد صراع نفسى واجتماعى عنيف تزوج حيث احتضن إلى حياته العاصفة إشراقة من السماء وجذوة من النفس . فانتقل من بين الأغلال الجبلية فى عدن إلى مسكن أنيق فى ضاحية « الشيخ عثمان » فى فيحاء من الرمال حيث مسير القوافل .. الرعاة فى المساء .. وحداء البدو .. فاعتزل المجتمع فترة طويلة إلا ما يعنى بها فى مدرسته وبين طلابه

وآنذاك بغضا الحياة فى عدن .. بغضاها معاً . وأحسا أنهما يفقدان شيئا جسيما .. هى « الحرية » .. هما يعيشان ولكن فى محيط من البارود والأغلال .. فحملا أمتعتهما وحطا أطواق الجبال فجاءة إلى غابات أفريقيا .. إلى يوغنده .. حيث يدير اليوم الشاعر مدرسة إسلامية فى « كلمولى » وكان ذلك فى نوفمبر من عام ١٩٥١

وهما الآن وحيدان هناك .. ليس معهما من جنى الدنيا سوى الحب.. غريبان يعيشان على زاد ضئيل جاف من أباديد الذكريات

وفى مساء بارد ممطر موحش .. حينما وضعت راحتها على كتف شاعرها الغريب بحنان وأجهشت تبكى فراق الأهل فهتف من أعماقه :

نفض المســاء ستار نافذتى   فترنحت فى رعــدة الهطل
وتعلقت والســـتر يجذبها   بذراع منحل القـوى كهل
فنهضت أحميها وقد حضنت   أعشى الزجاج بصدر مبتل
وأزحتها عن لوحــة خفقت   بالأفق خـلف المــاء والظل
والريح تخبـط فى مساربهــا   مجنونة بسنابل الحقـــل
وتجهمت ديم مقرحـــة   سالت مآقيها على السهـل
حلك يقطعهــا الغمير على   أرض كأن أديمهـا يغلى
حتى الطبيعة هاج ســادرها   وتقلبت محزونة .. مثلى
ونبهت إذ لطفت على كتفى   كف تمر به على مهل
لما التفت وراعنى منهــا   نضو الخيال وشاحب الشكل
ألقت على صــدرى جدائلها   ورنت بصمت الدمع كالطفل
وعلى الشفاة تدب رعشتهــا   وتسير فى جفنين من ذل
حتى إذا ســاءلتها هتفت !   نحن الغريبان بلا أهل

وهى كما يقول « من أعز الأبيات إلى نفسه .. »

وبعد أيها القراء فهذه لمحة سريعة لفترة من شباب أبلى وجاهد .. ثم انهار .. وحملته المظالم إلى الهروب .. والتغرب . وليس هذا بجديد فى عصر تتشعوذ فيه القوة بالنسف والتخريب.. نسف المثل وتخريب مزايا الإنسان ..

هــذا ولا أريد أن أودع الشاعر لطفى جعفر أمان دون أن أقدم لقرائى الأعزاء قصيدته التى نظمها يوم ٢٤ / ١١ / ٥١ فى الباخرة « دتوتر ماسيـل » وهو فى طريق هجرته من عدن إلى ممباسا ومنها إلى يوغنده وهى بعنوان « شريد »

سوف أمضى. لـكن إلى أين..لا أدرى؛ خطا فى الظلام تسرى جريئه
لى إشراقة من الذات .. من ذاتى أنا ..   هــذه القتام الوضيئه
عبرت والحياة . . إثم وذنب . . وهى منها..لـكن ومنها بريئه
كلما أفرغت جمالا وطهرا   طفحت بالأثام كاسـاً مليئه
ويح نفسى ضحيـة تتردى   فى خناق التلال .. أية بيئه
أنا فى الناس سبحة من طهور   لحفتها أنامل من خطيئه
وحـدتى .. يا غيوم ظللها الدمع وأخرى فى جانبيهـا أواره
تحتمى بالعذاب فى كل قبر نبذ الليل فى الدجى أحـجاره
وهى فى لينها وفى عطرها النامى شـباب ونفحة من طهاره
أى شئ تنهد فى إثر بلهـاء   مخلوعة الخطا .. مختـاره ؟!
أخطايا تنهدت فى دماهــا ؟   فمضت تنحر الهوى كفاره
أم غرام تلقفته الأمانى   فسلته . مليحـة غـداره
شق بى فى مجاهل الـكون صوت مستفيض الصدى جهلت قراره
أنا فى يمـة الدجورى ريح .. ودوى ..   وومضـة وحراره
ولأى الدروب يزجى بى الصـوت محثا . مطلما أسراره
شقوتى أننى على شـفة الحسن وفى نبضة الهوى قيثاره

الولاة والعمال فى عصر الرسول

للأستاذ عواد مجيد الأعظمى

لقد بحثت فى موضوع سابق معنى الولاية ، وتطور مفهومها، وصيغها الفقهية والنظرية ، وقد ذكرت فى نهاية الموضوع ، أنى سأتناول الناحيـة العملية والواقعية فى سياسة الولاة والعمال فى مختلف عصور التاريخ الإسلامى مبتدأ فى عصر الرسول (ص)

لم تـكن حكومة النبى (ص) حكومة دينية حسب ، بل حكومة سياسية أيضا « فقد كان (ص) يقود الجيوش ، ويفصل فى الخصومات ويجبى الأموال (١) » « وأن النبى (ص) كان صاحب دولة سياسية ، ورئيس حكومـة كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دنيوية» (٢) وبهذا كان رسول الله (ص) يجمع فى يده بين السلطتين الدينية والدنيوية ، « ولاشىء أصوب من جمع محمد (ص) لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية فى يد واحدة أيام كانت بلاد العرب مجزأة» (٣) وقد أكد الرسول (ص) على نظام الشورى فى إدارة الأمة الإسلامية الذى جعله يعتمـد على

(١) حسن إبراهيم حسن — النظم الإسلامية — ص ١٦٤

(٢) على عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم — مصر ١٩٢٥ ص ٤٧

(٣) غوستاف لوبون — حضارة العرب — مصر ١٩٤٥ ص ٤٢١

اختيار عمـال وولاة صالحين يساعدونه فى الإدارة « حيث كان يتخير عماله من صالحى أهله ، وأولى دينه ، وأولى عمله ، ويختارهم على الأغلب من المنظور إليهم فى العرب ، ليوقروا فى الصدور ، ويكون لهم سلطان على المؤمنين وغيرهم ، ويحسنون العمل فيما يتولون ، وكان يستوفى الحساب على العمال ويحاسبهم على المستخرج والمصروف » (٤)

وقـد كان لانتشار الإسلام وتوسعه أثره البين فى اختيار الرسول (ص) عمالا وولاة ينوبون عنه ، لإرسالهم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وإناطة بعض الأعمال الدينية والمالية بهم .. فيروى المسعودى : « لقد تتابعت اليمن على الإسلام وقدمت على رسول الله (ص) فـكتب لهم كتباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم ، ووجه إليهم عماله لتعريفهم شرائع الإسلام وقبض صدقاتهم وجزية من أقام على دين النصرانية والمجوسية واليهودية » (٥)

وإن حاجة حكومة الرسول (ص) إلى المال لإدارة شؤون الدولة الإسلامية اقتضى تعيين عمال يقومون بجبايتها : « وكان رسول الله (ص) قد ولى عمرو بن العاص على صدقات سعد ، وعذرة ، وجذام وجديس » (٦) .. كما « وجه عامـل البحرين العلاء الحضرمى ألف درهم إلى رسول الله (ص) وهو أول مال حمل إلى المدينة فصرف على الناس » (٧) . « وكان (ص) يولى على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن ، وكذلك على كل قبيلة كبيرة عاملا من قبله .. وكانت وظيفة هؤلاء العمال هى الإمامة فى الصلاة وجمع الصدقات » (٨)

هذا إلى أن الرسول (ص) كان يعير انتباها خاصا للشؤون العسكرية ، والقضائية ، وكان يعتبرها جزءاً أساسيا من واجبات العمال .. « فقد كان للرسول (ص) نقباء كما كان له عرفاء أو رؤساء الجند (٩) » .. « وجعل الرسول (ص) القضاء جزءاً

(٤) كرد على — الإدارة الإسلامية ص ١٢

(٥) المسعودى — التنبيه والإشراف — القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٣٩

(٦) ابن عساكر الشامى — التاريخ الكبير ج ١ الشام ١٣٢٩ هـ ص ١٠١

(٧) المسعودى — التنبيه والإشراف ص ٢٢٦

(٨) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية ص ١٦٤

(٩) كرد على — الادارة الاسلامية ص ١٣

يا غريبــاً موزعاً كأمانيه .. شريداً كالنجمـة المحتاره

غم أشجـانه على من الغرب ووارى عن ناظريه بحاره

فمضى والحياة زاد كفاف من نشيد يقتات منه ، استعاره

تربأ النفس أن يحط بها الرق .. ويلقى لهـا النفاق نضاره

فلله هذه النفس الـكريمة التى تحمل ما تحمل فى سـبيل الفن .. والفن الخالص.. وسلام عليك أيها الشباب الذى تناضل وليس وراءك إلا الثقة بالروح الخـالدة والأمل بالمستقبل . وفى الأعداد القـادمة نماذج جديدة من شعر السودان الحديث . . وإلى اللقاء القريب أيها القراء الناطقون بالضاد

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

من الولاية يقوم به الوالى » (١٠) وإن استقل القضاء فيما بعد كما سنرى فى الفصول القادمة

ومما مر — نرى أن اختيار الرسول (ص) للعمال والولاة ؛ كان نتيجة حاجـة الأمة الإسلامية فى إدارة شؤون حياتهـا المتعددة — دينيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، وقضائيا — ولـكن الواضح أن الرسول (ص) لم يعط لهؤلاء العمال صفة سياسية فى الأوقات التى كان ينيبهم عنه فى المدينة « فإن الرسول كان ينيب عنـه قائدا يقود سرية من السرايا ، أو ينيب عنه بالمدينة أحـد أصحابه لإمامة الناس والصلاة » (١١) .. « ولـكن لم يكن لهؤلاء العمال صفة سياسية » (١٢)

وقد فرض الرسول (ص) الرواتب لعماله .. « فقد فرض لعتاب بن أسيد الذى ولاه مكة درهما كل يوم .. فـكان هذا الراتب أول ماوضع من الرواتب للعمال » (١٣) وقد استمر ذلك إلى زمن عمر بن الخطاب حيث قدر الرواتب للعمال بعد تدوين الدواوين وتعيين أرزاق الجند ، وأول ما فعل ذلك لما وجه عمار بن ياسر إلى الـكوفة وولاه صلاتها وجيوشها فجعل له ٦٠٠ درهم فى الشهر » (١٤) « كما أجرى على عثمان خمسـة دراهم كل يوم » (١٥)

وكان الرسول (ص) يوصى عماله خيرا ، باتباع سياسة الحق والعدالة ، فما يروى عنه أنه قال لمعاذ بن جبل : « إنى أحب لك ما أحبـه لنفسى ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تتولين مال يتيم » (١٦) وهناك أحاديث كثيرة تروى عن الرسول (ص) وجميعهـا توضح ما يجب على الولاة اتباعه من سياسـة العدل والمساواة بين الرعية ؛ فمن قوله (ص) : « مامن يؤمر على عشرة إلا وهو يأتى يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يكون عمله هو الذى يطلقه ويوثقه » (١٧)

وقد ورد فى الحديث أن النبى (ص) قال : « يؤتى بالولاة يوم القيامـة فيقول الله عز وجل أنتم كنتم دعاة خليقتى وخزنة ملـكى فى أرضى ، ثم يقول لأحدهم لم ضربت عبادى فوق الحد الذى أمرت به ، فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك ؛ فيقول لاينبغى أن يسبق غضبك غضبى ، ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادى أقل من الحد الذى أمرت به ، فيقول يا رب إنى رحمتهم ، فيقول تعالى : كيف تـكون أرحم منى ، خذوا الذى زاد والذى نقص واحشوا بهـا زوايا جهنم » وفى الحديث أيضـا قال (ص) « لايقف أحدكم موقفا يضرب فيه رجل مظلوم ، فإن اللعنة تنزل على من حضر حيث لم يدفع عنه »

فهكذا كان الرسول (ص) قويا ، حازما ، حريصا على توجيه النصائح والإرشادات لولاته وعمـاله ، حاثا لهم على تطبيق الحق والعدل والمساواة بين الرعية

بغداد ـ العراق **جواد مجيد الأعظمى**

---

(١٠) عطية مصطفى — القضاء فى الاسلام مصر ١٩٣٩ ص ٩٥
(١١) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ٩٥
(١٢) نفس المصدر — النظم الاسلامية ص ١٩٤
(١٣) كرد على — الادارة — ص ١٥ . وحسن ابراهيم — النظم — ص ١٩٤
(١٤) كرد على — الادارة ص ٤١
(١٥) النهرى — سراج الملوك — ص ٣٣ — وجرجى زيدان — التمدن الاسلامى ج ١ ص ١٣٤
(١٦) أحمد القرشى — معالم القربة فى أحكام الحسبة — كمبرج ١٩٣٧ ص ٢١٦
(١٧) نفس المصدر — معالم القربة ص ٢١٦

ميلاد أمـــة

للأستاذ حامد بدر

كنا نريد الكلام ولا نتكلم . ولنا ألسن ؛ لأن على الأفواه أقفالا . وكنا نظلم ويبطش بنا ، فلا نستطيع أن نرد الظلم ، أو ندفع البطش . ولنا أيد ؛ لأن فى الأيدى أغلالا . وكنا نؤخذ فى كل شىء قسرا . فلا نجد مفرا . لأن الحرية ضائعة . والطغيان بالغ منتهاه !

فإذا فاض الإناء . ونفد الصبر . لم يجد الكاتب ما يخفف به من بلائه سوى زفرة حارة يرسلها على القرطاس . فى عبارة مقنعة لا يفهمها إلا من يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير . ولا يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير إلا من نزل به هم كهم هذا الكاتب المحزون ، أو أصابه جرح كجرح ذلك الفصيح الأبكم !

ولا شك فى أن للمظلوم الذى لاذ بالصمت كارهـا شكاة تسمع ولو لم ينطق بها . فليس بين الإله وبين قلوب عباده حجاب . وهو بالمظلومين والظالمين خبير بصير . كما لا شك فى أن للظالم جزاء يلاحقه أينما كان . فإن لم يلحقه عاجلا . فلابد أن يلتقى به فى يوم ما . وإن يوم الفصل الذى أعد له لأبشع وأشنع وأفظع من كل انتقام عاجل يصيبه فى الدنيا !

كنت بالأمس لا أستطيع الكلام الصريح . ولى لسان عليه غل . وفى يدى قلم عليه غل أيضا . فإن حاولت الكتابة لأنفس عن نفسى . وأخفف من آلامها . أخذت أدور حول الغرض ولا أقربه . ولأنى أمقت الدوران . كنت كثيراً ما أطوى الكتاب قبل إتمامه . وأعرض عن الموضوع قبل استيعابه

كنت أقول فى نفسى : إن كل شىء فى الصدر مخطوط . وفى الإفضاء بما فى الصدر راحة . ولكن كيف أسجل شكاتى التى أريدها صريحة ناصعة ولا سبيل إلى ما أردت ؟ لن أكتبها مشوهة مبتورة ! فالسكوت السكوت !

هكذا كنت أوثر السكوت وأنا مكره . والآن وقد انطلقت الألسن والأقلام . فما عذرى إن لم أتكلم ؟

بالأمس كنت مكرها على السكوت . واليوم زالت الأسباب التى من أجلها أردت الكلام . فلا كلام بالأمس . ولا كلام اليوم ! والفرق واضح بين سكوت الأسير العاجز ، وسكوت الحر القادر ، وليس أدل على الرضا من سمت المرء وهو قادر على الإفصاح

كنت بالأمس أريد التحدث عن الحرية المسلوبة . والحق الضائع . والظلم القائم . واليوم وقد ردت الحرية . وجاء الحق . وذهب الظلم . لا أجد ما يدعونى إلى الكلام

إن العبرة تذهل من يفكر تفكيراً عميقا فى هذا الحلم الذى حققه بمشيئة الله وقدرته — جيشنا الأمين . وقائده النجيب. وإن نشوة الانتصار تغمر قلب كل مصرى ، يفيض من الحمد والشكران

لا أريد اليوم أن أقول شيئاً . فإن الرضا بالحاضر أسكتنى . والثقة بأن الزمام فى أيدى الأمناء المخلصين الذين خرجوا بنا من الهوة . إنما هى ثقة من يتطلع إلى القمة ، فلا شك فى أن الخروج من الهوة صعود . والوصول إلى القمة منتظر « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »

إن كل دقيقة ينفقها الرجل فى كلام ضائع . وهو قادر على إنفاقها فى عمل نافع . لهى فرصة ضائعة . وإضاعة الفرص المتاحة خيانة وسرقة ومماطلة فى حقوق البلاد

وإنه ليغمرنى شعور بالرضا . وراحة الضمير . والشكر لله سبحانه. عندما ينهض الرئيس على ماهر ليتكلم فيقول: عملنا وفعلنا وقررنا.. وكان غيره يقول : سنعمل وسنفعل .. والفرق كبير جدا بين الوقت الذى أنفقه الرئيس على ماهر فى العمل . والوقت الذى أضاعه غيره فى إنشاء الخطب وإذاعتها ونشرها . هذا وقت قليل جدا فى حساب الساعات والدقائق . لكنه كثير مبارك . فى نتائجه السريعة الناجحة . وذاك وقت كبير جدا فى حساب الأيام والسنين . لكنه صغير وتافه . فى نتائجه البطيئة الفاشلة

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت للبلاد رئيسا حكيما مخلصا . وجيشا قويا أمينا يقوده قائد قوى أمين

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت ما كان . فحمداً لله على أن حقق ما تمنيت . فأعطى البلاد خيرا كثيرا يعقد الألسن من العجز عن تصوير معانى الرضا والشكران

٢ ـ أبو هلال العسكرى
بين البلاغة والنقد

للاستاذ عبده عبد العزيز قلقيلة

نشأة النقد وتطوره إلى عهد أبى هلال

لابد للأثر الأدبى فى نفوس الناس من صدى يتمثل فى استجابة عواطفهم له وتجاوب أفكارهم معه ؛ وقد يأخذ مظهر النفور منه والازورار عنه . ونتيجة هذا أو ذاك تلك الآراء والأحكام العامة بالحسن أو القبح ، والجودة أو الرداءة . وقد وجد عند العرب منذ الجاهلية نقد أدبى بهذا المعنى لم تكن له أسس أو أصول مقررة ، وإنما هو أحكام تقوم أكثر ما تقوم على التأثر والانفعال . حتى إذا كان القرن الأول الهجرى اتسع أفق النقد وجنح إلى شىء من الدقة وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعانى ؛ وما كاد هذا القرن ينتهى حتى ارتقى النقد ارتقاء محمودا ، وكثرت مواطنه فى البادية والحضر

ثم يكون القرن الثانى فنرى طائفتين لهما شأنهما فى النقد هما: اللغويون والنحاة . من أمثال أبى عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، والمفضل الضبى . وقد سلك هؤلاء لونا جديدا من النقد تشعبت بحوثه وتنوعت ، وعرفت له مقاييس وأصول ، وابتدأت محاولات النقد المنهجى تظهر

فهذا « محمد بن سلام الجمحى » الذى عاش فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث يؤلف كتابه (طبقات الشعراء) يتكلم فيه عن الشعر الموضوع ، ويبرهن على وجود الوضع بأدلة عقلية ونقلية ، ثم يخلص إلى فكرته الرئيسية فى الكتاب وهى الحديث عن الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات ، صادرا فى تقسيمه هذا عن مبادئ عامة اتخذها أساسا للحكم عليهم هى: كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته ، متناولا فى ثنايا ذلك بعض الظواهر الأدبية وتعليلها من مثل : أثر البيئة فى لين اللسان أو غلظه، وفى رقة الشعر أو خشونته ، ومن مثل: قلة الإنتاج الأدبى فى بعض البيئات وكثرته فى البعض الآخر

أما القرن الثالث فقد كان خصبا حافلا بالرجال والأفكار ، إذ انضمت فيه إلى الجداول العربية الأصيلة من التفكير جداول أخرى من المعارف الأجنبية ، كان لها أثرها فى تشعب النقد واختلاف مشارب النقاد. فمن لغويين كالمبرد، إلى أدباء مثل عبدالله ابن المعتز ، إلى علماء أخذوا نصيبا يسيرا من المعارف الأجنبية يمثلهم الجاحظ وابن قتيبة ؛ إلى آخرين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان كقدامة، ومن أهم الكتب التى تصورهذهالاتجاهات كتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البديع لابن المعتز ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة

أما كتاب الكامل فيفيض بطاقة كبيرة من النصوص الأدبية المأثورة حتى كانت تعجب الذوق العربى الخالص فى ذلك الوقت . ونرى مؤلفه — وهو أديب لغوى نحوى — يعالج هذه النصوص على طريقته العربية الخالصة فيشير إلى مافيها من «اختصار مفهم أو إطناب مفخم أو لمحة دالة » ويأتى بالأمثلة الكثيرة على «ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف» وعلى « مايفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد » ثم على « ما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره » وهكذا . ويعجب المبرد بالتشبيه ،ولذا نراه فى الباب ٤٧ جـ ٢ يطيل فى ذكر بعض مامر للعرب والمحدثين بعدهم منه، ويعلق على

وهب الله البلاد الرئيس والقائد اللذين أعدهما لحماية المظلومين من الظالمين . وإقامة الحكم الصحيح المنقذ للبلاد

فاليوم لا كلام إن لم يكن مسبوقا بالعمل أو مقرونا به . لا كلام إن لم يكن توجيها صالحا أو تشريعا طيبا نافذا

إن الوقت أصبح غاليا جدا . وكم بذلناه وأفنيناه رخيصا . بل من غير ثمن !

وإذا حق لنشوة النصر أن تدفع القلم ليكتب . فإنى أسجل هذه العبارة الموجزة :

ليمض كل مصرى فى واجبه أمينا مخلصا ، فقد أتيح لكل مصرى أن يؤدى واجبه من غير التواء ولا انحراف

حامد بدر

الأمثلة بطريقته الخاصة محاولا فى ثنايا ذلك أن يلم ببعض النواحى النظرية فيه .

أما كتاب عبد الله بن المعتز فهو الذى حدد خصائص مذهب البديع وفصلها عما عداها ورد هذه الخصائص إلى التراث العربى القديم . وقد كان لهذا أعظم الأثر فى توجيه النقد وجهة تاريخية وحمل النقاد على اتخاذ التقاليد فى الشعر مقاييس لهم ؛ وكان هذا سببا فى أن عظمت العناية بمسألة السرقات الأدبية

وحين نصحب ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) نرى أنه رفض الأخذ بتقسيمات ابن سلام لأنه لم يؤمن بها ؛ بل بحث الموضوع من وجهة نظر عقلية بحتة ، ونجح فى هذا حتى إذا كان دور التطبيق وعمل الذوق الفنى أخفق . وقد تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب حسب الحسن والجودة فى لفظه ومعناه، ومثل لكل ضرب ، وقسم الشعراء حسب مافيهم من تكلف أو طبع ، وبين أن للشعر دواعى تحث البطىء وتبعث المتكلف، وله أوقات يبعد فيها قريبه ويستصعب ريضه ولا يعرف لذلك علة إلا من عارض يعرض على الغريزة ، كما أن له أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح أبيه . ثم يأخذ ابن قتيبة فى الكلام على الشعراء وترجمة حياتهم

أما الجاحظ فقد يكون أهم شخصية من شخصيات القرن الثالث ، وذلك لأن عمله مزدوج ، وقد برز تبريزا ظاهرا سواء فى البلاغة أو فى النقد . فى البيان والتبيين يتحدث عن المعانى وتصورها واختلافها فى النفوس ، وأنها ما لم يعبر عنها موجودة فى قوة المعدومة ، وإنما تحيا بالتعبير عنها . وكيفية التعبير عن المعانى تجذبه إلى التحدث عن الألفاظ ، وإلى المقارنة بينها وبين المعانى ، وهذه البحوث من صميم البلاغة . لكنه مع ذلك يلاحظ ملاحظات ويبدى آراء على جانب عظيم من الأهمية فى الإنتاج الأدبى ونقده — منها :

(١) البعد عن الهوى والمحاباة . أى يدعو إلى أن يكون النقد موضوعيا معللا قائما على أسس تبعده عن التحيز والتعصب

(٢) الطبع والاستعداد . فهو يدعو من يأنس فى نفسه ميلا إلى الأدب أن ينمى هذا الميل ويلتمس له النماذج الرفيعة غير متهيب من إساءة ، ولا متخوف من نقد

(٣) رسالة الأدب ويرى أنها خلقية

(٤) عدم إذاعة الآثار الأدبية قبل التأكد من جودتها

وسنرى بعد أن هذا العمل المزدوج الذى اضطلع به الجاحظ كان شيئاً طبيعيا اقتضته روح العصر وتلك الحركة العلمية التى كانت فى عنفوان نشاطها لكنها كذلك كانت فى مراحلها الأولى إلى الآن والنقد الأدبى إما عربى صرف ؛ أو عربى فيه لمحات خافتة من ثقافة اليونان لكنه عربى القواعد والتطبيق على كل حال . لكن مع هذا النقد أو بعده بقليل (فى الربع الأخير من القرن الثالث والثلث الأول من القرن الرابع ٢٧٥ — ٣٣٧) ألف قدامة بن جعفر كتابين : أحدهما فى نقد الشعر والآخر فى نقد النثر على اختلاف فى نسبة الثانى إليه

ذكر فى نقد الشعر أنه لم يجد أحدا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا مع أن الناس يخبطون فيه وقلما يصيبون . وكأنما ساءه هذا الإهمال وعز عليه أن يضل الناس فى نقد الشعر . فوضع فى ذلك كتابه ، وقد عالج الموضوع على طريقة ظاهرة التأثر بتفكير أرسطو . وأظهر أثر لكتاب الخطابة عند قدامة هو الكلام فى الفضائل النفسية التى جعلها أرسطو أمهات الفضائل . فقد نقلها قدامة إلى الشعر وربط معانيه بها وأدعم بينه وبينها الصلات

أما نقد النثر فإنه يستدرك به على الجاحظ « الذى لم يوف وصف البيان ولا أتى على أقسامه فى هذا اللسان » ولهذا راح قدامة يتكلم عن البيان والقياس والعبارة وما يندرج تحتها من الاستعارة والأمثال وغيرها . بهذا ننتهى من القرن الثالث حتى إذا كان القرن الرابع رأينا حركة النقد تبلغ ذروتها على أيدى الآمدى والجرجانى وأبى هلال حيث تتسع دائرة التاريخ الأدبى وتقسيم الشعراء إلى طبقات

ويزداد الاهتمام ببحث موضوع التعبير الشعرى ومناقشة خصائص الأسلوب القرآنى وتظهر الكتب القيمة فى جميع هذه النواحى مثل : كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وديوان المعانى لأبى هلال فى تحليل البواعث الشعرية وتبويبها ، وتتجلى الموازنة بين الشعراء وتحديد منزلتهم الأدبية فى كتاب (الموازنة) للآمدى و (الوساطة) للجرجانى . كما يتمثل اقتراح البحوث

البلاغية التى بدأها قدامة وابن المعتز ، والبحوث القائمة على الذوق الأدبى فى كتاب (الصناعتين) موضوع البحث

تداخل البلاغة والنقد أمر طبيعى : —

سبق القول بأن كلا من البلاغة والنقد يدور حـول تحقيق الصدق والقوة والجمال فى التعبير الأدبى . وهذا العرض السريع لنشأة كل منهما وتطوره يوقفنا على تشابه هذه النشأة بل على وحدة الظروف التى خلقتها

وإذا فلم يكن من الغريب أن يلتقيا فى تطورهما أكثر من مرة على أيدى رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف فى الميل إلى أحدهما أو زيادة فى الاهتمام به . وأرى أن طبيعة الثقافة ، وحاجة العصر ، وتقدم الزمن أو تأخره بالمؤلف ؛ كل ذلك شارك فى توجيهه ودفعه إلى هـذا البحث الخاص من بحوث البلاغة أومن بحوث النقد أكثر مما كان عند هذا المؤلف من دوافع الرغبة والإرادة

فالمبرد : أديب لغوى ثم هو من صميم العرب ولم تطعم ثقافته بهذا اللون من ألوان الثقافة الأجنبية . ولذا نراه يتكلم فى البلاغة والنقد بروح اللغويين، فما جارى اللغة وساير قواعدها فهو الجيد ، ولا يحتاج بعد هذا إلا إلى جزالة أو فخامة أو متانة حتى يكون بليغا . والبلاغة عنده تتراءى من بعيد فى الاختصار المفهم والإطناب المفخم واللمحة الدالة وفى التشبيه « الذى لوقال قائل إنه أكثر كلام العرب لم يخطئ »

وابن المعتز : ذلك الشاعر المطبوع ذوالذوق الخصب والملكة الموسيقية كان أديبا أنيق الصياغة والتصوير ، وإلى جانب هذا كان ذا قدم راسخة فى رواية الأدب ونقده . ولقد ألف فى ذلك كتبا منها (طبقات الشعراء) و (السرقات) . وله فى البلاغة والنقد كتاب البديع

والجاحظ الفحل : بسط جناحيه على معظم مسائل البلاغة والنقد ثم انتفض انتفاضة العبقرية فالفن فكان كتابه الخالد « البيان والتبيين » .

وقدامة ينقد فيرده النقاد إلى البلاغة ، ويتكلم فى البلاغة فيرده البلغاء إلى النقد ، وبوسعنا أن نقول . إنه كان ناقدا وكان عالما بالبلاغة ولو أن نقده وبلاغته كانتا بحيث تغلب عليهما روح الفلسفة والمنطق

وهذا التداخل بين البلاغة والنقد أمر طبيعى بعد الذى علمنا من تقارب عمليهما وبعد ما كان من توحد بعض المؤلفين فيهما . دعا إلى ذلك وساعد عليه تكتل العلوم وجعلها مجاميع لذلك العهد . فقد كانت هناك علوم الدين من فقه وأصول وتفسير وحديث ووعظ . وعلوم اللسان من متن اللغة وتعريفها واشتقاقها وروايتها وبلاغتها ونقدها . وعلوم التاريخ العام والخاص . وعلوم أجنبية من فلسفة ومنطق ورياضيات . فكان الرجل يشتغل بمجموعة من تلك المجاميع فيشتهر بها ويؤلف فيها ؛ بل قد ساعد النشاط العلمى والتنافس بين البيئات المختلفة على إحاطة العالم بعلوم مجموعتين أو ثلاث

والآن لنتقدم إلى أبى هلال ولنصحبه فى كتابه (الصناعتين) لنرى حظ البلاغة منه وحظ النقد

(يتبع) **عبده عبد العزيز قلقيلة**

حول مقال

يقظة الوعى الاسلامى

« الى الأستاذ محمد عبد الله عنان »

للأستاذ محمد رجب البيومى

أخذ الروح الإسلامى فى مدى عشرين عاما يرسل أضواءه المتلاحقة فى المجتمع المصرى الحديث ، حتى أصبح لدينا وعى دينى يحسب حسابه ، ويلمس أثره الواضح فى كل اتجاه ، غير أن طائفة من الكتاب يطبقون عيونهم عما حولهم ، فلا يقدرون لهذا التيار العنيف أثره البعيد فى اختلاف النظرة ، وتحول الرأى ، بل يتكلمون عن الدين كما كانوا يتكلمون عنه فى مطلع هذا القرن ، قبل أن تتبدل الحال غير الحال ، حيث أفلح الاستعمار فى أداء رسالته التبشيرية ردحاً من الزمن ، فرسم للشريعة الإسلامية صورة مخيفة مفزعة تتقوض معها دعائم الحضارة والعمران ، وقد أذن الله أن ينجاب ليل الباطل عن النفوس ، فأخفق أعداء الإسلام فى محاربته ، وأسفر صبحه الوضئ بهيجاً ساطعاً ، فسار الناس على ضوئه وطالبوا بتحقيق رسالته ، وهم لابد واصلون إلى ما يبتغون على يديه من خير وإصلاح

ولقد كانت القوانين الوضعية تسن فى مصر مخالفة روح الشريعة الإسلامية قانونا إثر قانون ، ويقابلها الرأى العام فى الصحف والأندية مرحبا هاتفا ، فإذا اعترض عليها مسلم مخلص لدينه وعقيدته ، رمى بالجمود المتأخر ، والرجعية البالية ، وقوبل حديثه باستخفاف هازئ وسخرية مريرة ، أما الآن فقد تيقظ الوعى الدينى فى الأمة المصرية تيقظاً يبشر بالخير والسداد ، والتف الجمهور الناضج حول الشريعة الإسلامية التفافا متماسكا ، وسمع الناس كلمة الدين فى حقوق المرأة تدوى عالية قوية ، فيذعن لها أصحاب التشريع ، ويقف لديها القانون سامعاً مطيعاً، ولكن الرجوع إلى الحق لم يرض فريقاً من الناس فاندفعوا يهاجمون القوانين الدينية هجوما فاشلا ، ويرددون النغمة البالية التى لحنها الاستعمار قديما لتحول بين الشعب وكرامته ، فهم يتهمون الوطن بالتأخر والفشل إذا احتكم لقرآنه فى تشريع ، أو تبع دينه فى مذهب ، وقد أدهشنى أن أجد الأستاذ محمد عبد الله عنان — مع ما عرف عنه من التعقل والاتزان — يصبح مع هؤلاء الناقمين ، فيهجم على قوانين الشريعة هجوما ظالما ، ويرى فى نظمها العريقة تقهقرا لا يليق بمجتمع متحضر مستنير ، وسأنقل هنا بعض ما كتبه الأستاذ بالعدد (٧٠٦) من مجلة الثقافة الغراء دون أن أشوه حديثه بالتلخيص الموجز ليقف القراء على رأيه من أقرب طريق .

يقول الأستاذ :

« والحقيقة أن هذا الاتجاه (نحو الشريعة الإسلامية) خاطئ من أساسه ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع ، سواء لتوكيد التحريم والإباحة ، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين فى سائر نواحى الحياة العامة ؛ فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية »

إلى أن يقول : « فإذا ما تقرر ذلك وهو أن النظم والقوانين المصرية هى نظم مدنية لا دينية ، لأنها هى النظم والقوانين التى توافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، فلا محل لأن نجعل الدين حكما فى مسائل لا علاقة لها بالدين ، ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذن لنرجع بمطالب المرأة السياسية الاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لا شأن لها بالعقيدة »

ثم يقول فى النهاية : « فمحاولة النيل من هذه النهضة المباركة (نهضة المطالبة بحقوق المرأة) والرجوع بها إلى الوراء باسم الدين أمر لا يقبله عقل مستنير أو منطق سليم »

ونحن حين ننقل هذا الكلام الجرئ لا نرغب أن نعقب عليه بنقد يكشف خطأه للناس ، فالناقد المخلص يشرع قلمه حين يخشى استجابة المجتمع لرأى خطير يلتبس فيه الحق بالباطل ، ولكن الوعى السائد ينكر بداهة ، أن يوجد فرق بين الحكومة الاسلامية ، والحكومة الدينية ، كما يعتقد الأستاذ ، فكل حكومة لا تلتزم شريعة الإسلام فليست إسلامية ولا دينية معاً ،

ومن الخطأ الواضح أن يعتقد مسلم أن الدين شيء والإسلام شيء آخر ، فإذا وجد من يجرؤ على هذا القول فى مجتمع رفع الغشاوة عن عينه ، فلن يجد من يستمع إليه ، ولا حاجة لمن يتعقب كلامه بنقد صريح ، إنما الحاجة ماسة إلى من يوقف الكاتب وأمثاله على مدى النشاط الدينى الذى أخذ يسيطر على الحياة المصرية سيطرة مباركة ليزن كل كاتب كلامه عن الإسلام بميزان دقيق

والمدهش الذى لا يتوقعه القارئ من الأستاذ عنان بعد أن كتب هذا الكلام ، أنه يتفق مع رجال الدين فى هدف واحد ، فينادى بحرمان المرأة مما تزعمه لها من الحقوق ، ولكنه يرفض أن يكون هذا الحرمان وفق تعاليم الشريعة الإسلامية كما يقول رجال الدين ! بل احتذاء وتقليداً لفرنسا وإنجلترا وبلجيكا ! إذ أن هذه الدول الغربية قد لزمت الحيطة والأناة حين منحت للمرأة حقوقها السياسية فى فترات متباعدة ، ولم نفتح لها الباب على مصراعيه مرة واحدة ، فالثورة على القوانين الإسلامية وحدها هى التى تشغل بال الأستاذ ، وتدفع به إلى محاربتها دون ترددوا كثرات

ولقد كان اللائق بالكاتب بعد أن تشبث بالقوانين الوضعية واعترف بأنها — وحدها — التى توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، أن يدافع عنها دفاعا يحببها إلى الذهن المصرى الحديث ، بعد أن كفر بها كفراً لا مزيد عليه ، إذ أنها سيطرت على التشريع المصرى حقبة طويلة ، ففتحت الطريق للرشوة والظلم والاستبداد ، ومحت معانى العزة والحرية والكرامة من النفوس ، وهذه القضايا السياسية الفاضحة التى تمتلئ بها صفحات الجرائد كل يوم لم تكن غير نتيجة حاسمة لهذه القوانين الآثمة التى تتستر على الخيانة والرشوة والاختلاس والتبذير ، حتى فطن المصريون إلى ما تجره الشرائع الغربية من نكبات أليمة على الشرق والإسلام ، فأعلنوا الحرب عليها فى غير هوادة ، وسيأتى اليوم التى تلفظ فيه أنفاسها فى الشرق الإسلامى إلى غير رجعة مادام فى الشرق قرآن يعلن كلمة الله ، وجمهور يعتقد أن الحكم بغير شريعة الإسلام ضلال وكفران

وإذا كانت الدساتير الحديثة التى يؤمن بها الأستاذ عنان تنادى بأن الأمة مصدر السلطات ، فلماذا يخالفها الأستاذ مخالفة سافرة فيتحدى الشعور السائد فى الجمهور ، ويتجاهل ماطرأ على المجتمع من تطور سريع فى الرأى والاتجاه ؟ ويغمض عينه عن الآلاف المحتشدة التى تنادى بالاحتكام إلى الإسلام ؟

إن كان الكاتب فى شك مما نقول ، فلينظر إلى من يطالبون بشريعة القرآن الآن ؟ أهم الأزهريون وحدهم كما كان الحال منذ أعوام ؟ أم أن الصفوة المختارة من الشباب الجامعى طلابا وأساتذة يجاهدون فى هذا السبيل جهاداً يوشك أن يكلل بالنجاح !

من المسيطرون اليوم على دعوة الإخوان المسلمين ؟ أليسوا أعلام القانون وأساتذة التشريع فى مصر ! أفينقصهم العقل المستنير الذى يتشبث به الأستاذ عنان ، أم أنهم يشاركونه الفقه والتعمق والإنتاج !

لقد كان على الأستاذ الفاضل — وهو كاتب لامع ينشر مقالاته فى الصحف اليومية — أن يلحظ ماطرأ عليها من اتجاه ملحوظ نحو الدين ، فقد أفردت صفحاتها الواسعة لمناقشة المسائل الدينية نقاشاً مسهباً ، وتسابقت كل جريدة فى تصيد الأبحاث الإسلامية بحثا وراء بحث ، ومن أصحاب هذه الصحف من لا يرحبون بتعاليم الإسلام ، ولكنهم يملقون الوعى الدينى فى الأمة ، ويودون التحبب إلى القارئ بشتى الوسائل ، وفى الكتابة الإسلامية ما يغذى العقول ويشبع الرغبات

لماذا أصدرت أخبار اليوم كتابا عن محمد ، ولماذا أصدرت دار الهلال كتابا يفسر آيات القرآن ؟ أكان المهيمنون على الصحيفتين من عشاق الفكرة الإسلامية فى يوم من الأيام ؟ أم أن الوعى الدينى قد أجبرهم على الإذعان لمشيئته ، فألقوا إليه السلم طائعين ، والتاجر الناجح هو الذى يقدم الثمرة المشتهاة ، ليتدفق عليه الثراء وتتضخم لديه الأرباح !

هذه هى المحاضرات اليومية المتنوعة ، يعلن عنها فى الصحف مساء فلماذا يختار الشباب منها ما يمت إلى الإسلام بأقرب الصلات ؟ وهذه هى المجلات الإسلامية تتزايد يوماً بعد يوم فلماذا يتكالب عليها القراء رغم ما يحمله غيرها من مغريات اليانصيب والسباق ، ورغم ما تتملق به الغرائز من صور وأقاصيص !

أليس من المضحك أن يعيش كتابنا الأفاضل فى عزلة تامة عن مجتمعهم المتوثب ، فهم لا يحسون بما يسوده من تطور وانتقال ! فإذا كتبوا إليه أخذوا يرددون ما تعافه الأسماع !

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

— ٣ —

كان هذا كله لأن الذوق الأدبى كان قد تعقد وأصبح موضوعيا إلى أبعد حد ، فلا يرضى إلا عن الخصب والغزارة . وهو لهذا يضغط المعانى حين يتذوقها أو يتفهمها ضغطا شديدا . ويختصرها نافيا منها مالم يكن فى الجوهر مااستطاع إلى ذلك سبيلا. وقد يكون من اللائم هنا أن نلم بقول للجاحظ إزاء بيت من شعر أبى نواس وهو فى وصف كأس

قرارتها كسرى وفى جنباتها . مهاً تدريها بالقسى الفوارس

قال : « نظرنا فى شعر القدماء والمحدثين فوجدنا المعانى تقلت . ورأينا بعضنا يسرق من بعض إلا قول عنترة (وخلا الذباب بها فليس ببارح) وقول أبى نواس (قرارتها كسرى) الخ البيت »

وليس يعنينا من قول الجاحظ أسرق المحدثون من القدماء أم لم يسرقوا .. بقدر ما يعنينا نظره إلى المعانى . فهى مهما تلونت وتشكلت وظهرت فى أثواب وصور مختلفة متباينة فلن تحول ذلك كله بينها وبين رجوعها إلى مصادرها . أو بينها وبين ذوى قرباها وكل ماتمت إليه بسبب قريب أو بعيد . وما من شك فى أن ليس للجاحظ وأمثاله من المثقفين مصدر يحملهم على هذا النظر إلى المعانى إلا ما أشرنا إليه من قبل من الفهم الإجمالى . هذا مع اعتقادنا أن الجاحظ قد أسرف إسرافا شديدا حين عزاها كلها إلى النقل والسرقات

وكذلك روى أن راوية مسلم بن الوليد وفد على يزيد بن مزيد بقصيدة مسلم المشهورة التى مطلعها

لاتدع بى الشوق إلى غير معمود . نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

فلم يسمح له حاجب يزيد بالدخول . ولكنه عاد فاشترط قبل أن يسمح له بالدخول على يزيد أن ينشده القصيدة . وكان كما قيل للحاجب أدب وفهم . فأنشده القصيدة أو شيئا منها ثم أذن له

ويهمنا فى هذا الخبر أن نتبين إلى أى مدى قد مجت الأذواق والأسماع الكلام المكرور . أو بعبارة أدق قد مجت المعانى المكرورة فى أثواب غير الأثواب ، وفى صور غير الصور . فهى لاتخدع بما تعرض فيه المعانى من تغيير للوزن والقافية . ومن تلوين وتصوير . ولكنها كما قلنا تفهم ما يلقى إليها على وجه الإجمال ، فإن ظفرت بالطريق المبتكر على هذا النحو فى الفهم كما ظفر حاجب يزيد فذاك ، وإلا فلا

وقد كان بودى أن أنقل طرفا من النثر الفنى لذلك العصر . ولكنى أجتزئ بالتنويه إلى أنه موجز شديد الإيجاز ، قد اصطنعت كل الوسائل الفنية لضغطه وتركيزه ووجازته ، حتى ليبدو غامضا أو كالغامض فى كثير من الآثار . وهو لهذا منطق الأديم باهته لا يترقرق عليه ماء . وليس من شك فى أن ما آل إليه النثر الفنى هو طور طبيعى ، وأثر من آثار استجابته للحياة ككل كائن حى يتأثر بها ويؤثر فيها . ونحو هذا تحديد بعض المعانى على ضوء المعرفة النحوية ، كما تقول حين تريد التعظيم : « إنا أرسلنا إليك الكتاب » وقد كان حسب المرسل إليه أن يفهم أن الكتاب قد صار إليه والسلام . ثم لا يعنيه التعظيم فى كثير ولا قليل ، بل لم يكن يخطر له على بال . ولقد رأينا من أجل ذلك عالما كبيرا كابن قتيبة يشكو أحر الشكوى مما انتهت إليه اللغة فى

لقد ازدحمت المكتبة العربية بسيل جارف من الكتب الإسلامية التى تناقش الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ضوء القرآن ؛ فلماذا التهمها القراء فى نهم واشتياق ، فتعددت طبعات الكتاب الواحد عدة مرات ؟ ولماذا خرس دعاة الإثم من الكتاب فلم نعد نسمع بمن يكتبون عن « كبرياء الحب » « ومأساة قلب » « والموجة العذراء » !

إن المستقبل للاسلام دون نزاع ، فمن شاء أن يلحق بالركب المجاهد فليحمل قلمه فى سبيل العزة والحرية والإيمان ، فما قريب ستبدد الغيوم ، ويشرق النور المتألق ، « ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

محمد رجب البيومى

ذلك العصر . ثم يؤلف للناس ما ينفعهم فى هذا السبيل ، وما يقوم من أيديهم وألسنتهم ، وما يبصرهم بدقائق اللغة ، ويحدد لهم بعض ما فى مفرداتها من فروق . وحسبنا أن نشير إلى هذه العبارة له حيث يقول:

فإنى رأيت أكثر(١) أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين . ولأهله كارهين . أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم . والشادى تارك للازدياد . والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين

ولفظة الأدب فى عبارة ابن قتيبة تعنى اللغة وعلومها . فلم يكن لفظ الأدب قد تطور إلى ما نفهمه منه فى عصرنا الآن . وكذلك لم يكتف ابن قتيبة بما عاب به أهل زمانه من جهل باللغة وعلومها ، بل عاب به أيضا : الأدباء وكتاب الدواوين . وأولئك كما يقول الجاحظ خير ممن سواهم علما وبصرا وكتابة .. قال ابن قتيبة :

«فأبعد (٢) غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف . وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كأس »

وكذلك يقول فى كتاب الدواوين أيضا :

« وأى (٣) موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره . فقرأ عليه يوما كتابا وفى الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ . فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدرى » نعم ضعف العلم العام بمدلولات اللغة ، وأصبح الناس يفهمون مايلقى إليهم على وجه الإجمال ، ذلك لأن العقل كان قد سيطر على مصاير النثر والنظم . فهو قد هضم كثيرا من ألوان الثقافات ، بل لقد أصبح خالقا لها بالقدر الذى أهله له تطوره ونموه بالقياس إلى ما أتاحته له الأنظمة الدينية والسياسية والاجتماعية من حرية وانطلاق . ولقد بلغ من سيطرة العقليات على النفوس أن صار التشدق بمصطلحات الفلسفة والمنطق فى الأندية والمجتمعات ظرفا وكياسة . وليس ذلك فحسب؛ بل لقد أراد أصحاب المنطق إلى الشعراء أن يشعروا على نحو من حدود الفلسفة والمنطق . هـذا وليس رد البحترى على أولئك النفر بمجهول لدى أحد من الباحثين والأدباء . ومن قوله :

كلفتمونا حـدود منطقـكم والشعر يغنى عن جده كذبه

وبالرغم من البحترى ، وبالرغم من كل شئ سرت العقليات إلى الشعر سريانا قويا . حتى ليبدو شعرا بن الرومى فى عمومه رواسب عقلية تارة . وجدلا كلاميا تارة أخرى . والبحترى نفسه وهو أعظم (موسيقار) فى الشعر خلص العقل إلى أدبه فى أماديحه الضيقة التى كان يلفقها لأولئك الذين ليست لهم مآثر خليقة بالذكر والتسجيل . فقد كان يستمدها من العقل حينا ، ومن التراث الأدبى حينا آخر . وهو مالا نجد له مثيلا فى نضوب الروح فيما سلف من شعر أموى على نحو عام . ورأيى —ولعله يكون من الغرابة بمكان فى أنفس بعض الناس —أن أماديحه فى الخلفاء بوجه عام أضعف من مثيلاتها فى القواد والحكام وملوك الأطراف

وعدا هذا فقد كانت له تأملات شعرية يغلب عليها العقل الخالص دون سواه ، ومنذ أن استأثرت العقليات بالسيطرة على الأفئدة والنفوس ، تطلع الناس إلى آفاق من المعرفة لم تكن معروفة من قبل . وهذا طور تتحجر معه اللغة ، وينظر إليها على أنها وسيلة وليست غاية من الغايات . ولا تبقى لها منزلة الغاية إلا فى أنفس المختصين أمثال ابن قتيبة ومن لف لفه من اللغويين والنحاة . وأحب ألا يفهم أحد أن اللغة قد اندثرت وأصبحت أثراً من الآثار فى ذلك العهد . كلا . فما إلى هذا أردت ، وإنما أقصد إلى سنة التطور ،وإلى أن تيارين من المعرفة قد تعارضا فأيهما كانت روافده أقوى ، ودوافعه أشد ، كتب له الظفر ، وأصبح سمة من سمات العصر يتميز بها من سائر العهود والعصور. وقد كان إلى جانب اللغويين والنحاة تلك البيئات الأرستقراطية التى انحدرت من أصول عربية خالصة . فهى تعمل على المحافظة على تراث العرب وإنمائه لأنه من مقومات الشخصية العربية فى ذلك الحين . وإن لم يحل بينها وبين الأخذ بأسباب الحياة الجديدة فى ذلك الحين أيضاً . ولكن هذا شئ وروح العصر شئ آخر

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١

(٢) أدب الكاتب نفسه ص ٧

(٣) أدب الكاتب أيضا ص٦

ومازال العقل يقوى سلطانه ويشتد ، حتى ينتهى الأدب إلى شيخوخته فى العهد العباسى الثانى . وهنا يتغلغل العقل والفلسفة فى الأدب تغلغلا تاما ، إذ أنه كان قد تمثل ما هضم من الثقافات ، وأحالها إلى أثر من آثاره . ويكفى أن ننظر إلى أبى الطيب المتنبى وإلى أبى العلاء المعرى فهما مظهران صحيحان لذلك العصر . وإنما كانا كذلك لأنهما الشاعران اللذان تثقفا بثقافة العصر تثقفا تاما . نعم يكفى أن ننظر إلى هذين الشاعرين لنرى إلى أى مدى تأثر الإنتاج الأدبى بالعقل والفلسفة . وهنا نقطة التحول كما يقولون . وأقف لأسأل القارئ هذا السؤال : إلى أى طور كان يمكن أن يتطور إليه الأدب بعد أن بلغ هذه المرحلة؟ مرحلة العقل ؟ أما أنا فأرى أنه قد أدركته الشيخوخة ، وما بعدها غير الموت . فالشعر وهو أعظم مظهر له لا يحتمل من المعاظلات العقلية أكثر مما احتمل على يدى أبى الطيب المتنبى وأبى العلاء . ولولا ما كان للدين من سلطان لكان من المحتمل أن يتطور الشعر فيه إلى الملحمة . ولكنه لم يقع ، لأن الملحمة أرفع ما تكون حين تستمد موضوعاتها من الأساطير الوثنية تعالج عليها كثيراً من مشكلات النفوس والعقول والاجتماع فى مختلف البيئات والطبقات . وقد قال باحث أن رسالة الغفران للمعرى ضرب من الملحمة على نحو من الأنحاء . ولكن مع هذا هل استطاعت رسالة الغفران التخلص من أغلال الدين ؟ من الحق أنها لم تستطع . وما كان لها أن تستطيع

وإلى هنا نرى من الخير أن نشير إلى ما قاله الباحث الذى ألمنا به فى أول البحث . وهو أن اللغة لم تبال بما رزئت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى . وأنا أيضاً أقرر أنها لم تبال . ذلك لأن شعلة الأدب لم تكن قد انطفأت بعد . ولأنها كما قلنا كائن حى لم يكن قد استنفد حياته . ولم تكن شعلة هذه الحياة قد أتت على كل ما قدر لها من وقود . بل ربما كانت أشد توهجا مما كانت عليه فى العهد السابق . شأنها فى ذلك شأن الخفقة الأخيرة فى السراج

ولقد يبدو لقصيرى النظر أن تعليلنا هذا بسيط بل ساذج . ولكنهم لو ذكروا أن الأدب كائن حى كما بينا آنفا لبدا لهم غير ما يظنون . ونحن ما سقنا هذا البحث من أوله إلى هذه المرحلة ؛ وما طرأ على الأدب فى أثناء ذلك من تحول وتطور ، إلا ليكون كله تعليلا لها . ولننتهى آخر الأمر إلى ما انتهينا إليه من نتائج طبيعية محتومة ليست فى حاجة إلى تعليل ولا تحليل . وإلى هذا فقد كان أمام اللغة طور لم يفض بعد إلى غايته ، وهو طور الفقه فيها وفلسفتها وتدوينها على نحو أوسع شمولا وإحاطة

ومما يزيدنا يقينا بأن الأدب لذلك العهد فى الخفقة الأخيرة ما نراه عند شعراء البيئات العربية الموسومة بالمحافظة وعند أشياعها من مغازلة لبعض الألفاظ اللغوية . وإحساسها بها إحساساً شعريا خاصا . وهو طور الشادى المبتدئ الذى يرى فى بعض ألفاظ اللغة رنينا وسحراً أخاذاً قويا . أما الفحل فيرى اللفظ مهما عذب وحسن موقعه فى السمع فإنه يستمد قوته وجماله من السياق . وأجدر هؤلاء المغازلين للألفاظ بالذكر فى نظرنا الشريف الرضى . ولننظر إلى بيته التالى

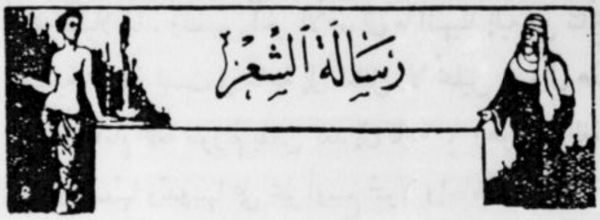
يا قلب ما أنت من نجد وساكنه خلفت نجداً وراء المدلج السارى

فإن نجدا وساكنه والمدلج والسارى كلها ألفاظ لها إيحاءات خاصة بالشريف الرضى وبأمثاله من الشعراء . ولكن البيت برغم هذا كله قوى رائع . ومصدر روعته فيما أرى أنه حقق المزاج العربى ، وما يهدف إليه من شجو وشجن . وإلى هذا فقد حقق غنائية النظم أيضا . وليست هى غنائية الفطرة والسليقة التى ألمعنا إليها فى العصر الأموى . وقد يقال إن الشريف الرضى يرمى من وراء الألفاظ إلى مدى أبعد مما نقول. وقد يقال إنها عناصر التقليد المنحدرة من التراث الأدبى القديم . وقد يقال غير هذا وذاك . ولكن بشىء من التدقيق لا يسعنا آخر الأمر إلا أن نسلم بما نوهنا به . وقد قلنا من قبل إن الشعر فى العهد العباسى الأول كان فى عمومه مجرد فن فقط . وفى العصر الذى نحن بصدده قد تطور هذا الفن . وما ظنك بشاعر يقول مقطوعة من الشعر فى الغزل ليست بالقصيرة ، ثم لا تخرج منها بشىء إلا أن الشاعر يريد أن يقول لمن يغازله (أنت قمر) . وأنا أفهم أن هذا من أغراض الفن. ولكنه تطور على كل حال . وما بعد ذلك غير التفكك والانحلال. وانتقال الشعلة من أيدى الأدباء والشعراء إلى أيدى المفكرين والفلاسفة

أما بعد . فهذا رأيى أسوقه لوجه الحقيقة كما أعتقد . غير مبال سخط الناس أو رضوا ؟

تمت

محمد عثمان الصمدى



نهاية ملك

للأستاذ محمود عماد

ومن بعد، لاح بمصر البطل ... وكان لها راصداً فى الأزل
ومصر تجس بطون الليالى ... ترى أى بطن به قد حمل ؟
ويأخذها الحزن من عقمهن ... وتستشعر اليأس بعد الأمل
ولكن كذاك بطول اصطبار الز ... مان إذا رام صنع البطل
وأحسبه يقتضيه كثيرا ... من الجهد حتى يراه اكتمل

***

لمن هذه الفلك، قد ودعت ... بغير الدموع وغير القبل ؟
وما من دعاء لها بالسلا ... مة . شأن العزيز إذا ما رحل
تقول لى الشمس : هذا مليك ... عن النخل فى الشط مثلى أفل
نغيب معاً، غير أن مغيبى ... إلى أجل، وهو غفل الأجل
أجل كان هذا المليك من الشـ ... ـب ملء القلوب وملء المقل
هنيهة كان على العرش طفلا ... قصير الذراع، قصير الحيل
فلما استوى الهيثم الغض نسرا ... قوى الجناح، شديد العضل
تكشف عن عنصر عبقرى ... إلى الشر فى كل وكر وصل

***

مضى ملك الغابة المستبد ... يحل بها كل مالا يحل
يدان برىء، ويعنو مسىء ... ويغصب مال، ويخلى محل
ومن قاد جيش رجال يذل ... ومن قاد سرب نساء يجل
ويعطى الجنود سلاحا يصيـ ... ـبهمو ويقى من عليهم يسل
ويلقى بهم للعدو طعاما ... وبالنصر بعدهمو يحتفل
ويقصى البعول لأمر صغير ... وتغشى البيوت لأمر جلل
ولو عاد بعل إلى البيت يقـ ... ـتل ثم يثاب الذى قد قتل
وهل يعرف الوحش إلا الفسا ... د وإلا السفاد إذا ما انتقل ؟

***

لقد غضب الشعب من بعد حلم ... وثاب إلى رشده واعتدل
وحق على الدهر أن يخلق الـ ... ـبطولة إن لم يكن قد فعل
فكانت لدى الجيش ترجى الجنو ... د وترجى مدافعهم والأسل
وهاجت الظلم فى أوجه ... وقد ريع من أمرها والذهل
وقالت له: ازل عن العرش وارحل ... فقال : نزلت . وعنه ارتحل
وراحت تسلل من جانب العر ... ش كل الأفاعى التى قد أظل
وتلدغ صاحبه من بعيد ... وكم ضربت بهداه المثل !

***

فيا ملكا كان يأخذ كل الـ ... ـسفائن غصباً، وقالوا عدل
لقد أخذتك السفينة غصبا ... وجنس الجزاء كجنس العمل
فسر عن بلاد أسأت إليها ... أما كنت عنها تحب التنقل ؟
وعم فوق بحرين، بحر الورى ... وآخر من مقلتيك انهمل
عسى تغسل الرجس أن كان من فى ... قرارته الرجس منه اغتسل
وإما حللت غدا أرض قوم ... سواك عليها الأعز الأجل
وناديت مصر فلم تستجب ... وألقيت أمراً فلم يمتثل
ولم تبصر الشمس رأد الضحى ... كما قيل، كالشمس رأد الطفل
فظلمك بدل أبراجها ... وما كان يرجى لها من بدل

***

ويا نيل إن كنت من بعد هذا ... ستترع كل فم قد نهل
سواء لديك طهور اللعا ... ب، ونجس وبىء يريق العلل
فلا وسعتك صدور الصحارى ... ولا الغيث فى رأفديك انهطل

محمود عماد

عرش هوى

للأستاذ محمود غنيم

تكلم أيها القدر المتاح ... وللأقدار ألسنة فصاح
وحدث عن نهاية كل باغ ... فإن حديثك الحق الصراح
بربك عظ جبابرة إذاما ... تراءى الواعظون لهم أشاحوا
فى أحداثك الجلى عظات ... لو اعتبر الطغاة بها استراحوا
أحقابات « رأس التين » حلا ... تطوقه الكتائب والسلاح
ومن دون الوصول إليه كانت ... رءوس فى الهواء بها بطاح ؟

أحقا أنكر «الفاروق» شعب ... عراه من الهتاف له بحاح ؟
مغانى الملك بات على ذراها ... يرف لكل ناعبة جناح
وهام المالكون بكل أرض ... وتلك قصورهم بقيت وراحوا
قصور أوحشت من بعد أنس ... فما لسنا بساحتها لياح
وقد كانت يبارى النجم منها ... إذا جن الدجى غرف وساح
وكانت كعبة يغدى إليها ... بأفواج الرعية أو يراح
وكان حجيجها وفدا فوفدا ... تضيق بهم على سعة «صلاح»(١)
على عتباتها الهامات تحنى ... كما تحنى من الطعن الرماح
كأن ترابها مسك ذكى ... له فى أنف لاثمه نفاح
سلوا طير الغصون «بعابدين» ... أطال به على القصر النواح ؟
أم الأعراس فى اوادى شجته ... فكان له مع الوادى صداح ؟

* * *

سرير الملك قد أمسى خلاء ... وقد ذهبت بعاهله الرياح
لئن جزع السرير فرب شعب ... بمصر قد استخف به المراح
سياج الملك تدبير وعدل ... — لعمرك — لا مقامرة وراح
وحاشية تحف به ثقات ... لهم بالعلم والخلق اتشاح
لهم حزم وتجربة ونصح ... وأعراض نقيات صحاح
وليس العرش للحشرات ظلا ... ولا من جنده الغيد الملاح
ولن يبقى على الأيام ملك ... دم الأحرار فيه يستباح
ولا ملك تعبده هواه ... ولم يكبح لشهوته جماح
تظاهر بالصلاح لناظريه ... ومن أخلاقه برئ الصلاح
تساق إليه أموال الرعايا ... وتسلب باسمه الأرض البراح
أيخشى الفقر ذو عرش وتاج ... تدين له الروابى والبطاح ؟
وأقبح ما ترى عرش حريص ... وتاج لا يزينه السماح
ولن يرجى لشعب بات فيه ... ولاة الأمر تجاراً فلاح
إذا ما فاز بالدستور شعب ... فسل عنه أجد أم مزاح ؟
فما الدستور إلا عند قوم ... إذا جار الملوك عليه صاحوا
مضى الزمن الذى ما كان فيه ... على الأملاك إن ظلموا جناح
فلا ملك تناسل من «أمون» ... ولا عرش يباركه «فتاح»

* * *

حماة النيل أحرزتم لمصر ... نجاحا لا يضارعه نجاح
قد اجتحتم بثورتكم شرورا ... وما للشر إلا الاجتياح
تهللت العروبة يوم ثرتم ... كأن العرب أدركهم (صلاح(٢))
وما كالظلم للثورات زاد ... ولا مثل الفساد لها لقاح
وكيف يكافح الأعداء شعب ... وبين الشعب والعرش الكفاح ؟
معارك بالثبات كسبتموها ... ولم تطلق بساحتها قداح
ولا سالت على أرض دماء ... ولا احمرت من القلق الصفاح
بدأتم أمرها همسا فأمست ... على شفة الزمان بها يباح
شفيتم مصر من قرح قديم ... يعاف لأجله الماء القراح
ألا فاليوم كل عسير أمر ... يهون وكل إصلاح يتاح
إذا السرطان فارق قلب شاك ... فليس يضير ناجذه القلاح(٣)

* * *

حماة النيل من لعثار شعب ... إذا هو قام أقعده الكساح ؟
به مستوزرون إذا ولوه ... فما للشعب بل لهم الرباح
تجار سياسة وهواة حكم ... بأحشاء الحمى منهم جراح
تولوا أمره حزبا فحزبا ... فأطلق للفساد به السراح
إذا استلموا زمام الأمر عاثوا ... وإن حرموا زمام الأمر ناحوا
يفرقهم على الحكم اختصام ... ويجمعهم على الحكم اصطلاح
دعوا أمر البلاد يليه قوم ... لهم ذمم مطهرة وراح
جياد إن دعوا للبذل لكن ... بأموال البلاد هم شحاح
إذا فاض الثراء بمصر غابوا ... وإن نزل البلاء بمصر لاحوا
خطونا الخطوة الأولى بمصر ... وتتلوها بمصر خطى فساح
وألغيت الفروق فلا وسام ... تزان به الصدور ولا وشاح
تعالى الله . صار لمصر وعى ... وآذن ليلها وبدا الصباح

محمود غنيم

(١) صلاح من أسماء مكة

(٢) صلاح الدين الأيوبى

(٣) القلاح مرض اصفرار الأسنان

حفنة رماد ..

للأستاذ عبد اللطيف الشهابى

(... إلى الجذوة الخامدة ، الغافية تحت الرماد ! .)

لملمت ... أشلائى ... وأحرقتها
فى ... مجمر ... الأيام



كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

تأليف : أبي عبيد البكري الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس في الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

تم طبع هذا الكتاب القيم ، بصدور جزئه الرابع ، حاوياً لحرف «الكاف» ومابعدها من الحروف، وفيه فهارس لأسماء البلدان والمواضع، والمياه والجبال، وللأعلام عامة، وللقوافي، تقع في أكثر من مئتي صفحة. وضعها ورتبها الأستاذ السقا فزاد الكتاب قيمة علمية

وقد ألمنا — في كلة نشرتها هذه المجلة الكريمة عند صدور الجزء الثالث — إلماعة موجزة عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة . وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، وأشرنا إلى ما بذله الأستاذ السقا من جهد في سبيل تحقيق هذا الكتاب ، وصححنا بعض أغلاط وقعت فيه ، ويسرنا أن نرى الأستاذ قد أخذ بكثير من تصحيحنا حينما وضع فهرس الخطأ والصواب ، في آخر الكتاب، وإن نسب تصحيح تلك الأخطاء إلى المجلة التي نشرت التصحيح ، ولم ينسبه إلى كاتبه

وتقديرنا لما بذله الأستاذ من عناية في التحقيق ، واعترافنا بفضله ، لا يحولان بيننا وبين الإشارة إلى شيء من ملاحظاتنا على هذا الجزء ، إشارة نقصد من ورائها الخير . من إفادة القراء في تصحيح بعض ما جاء في هذا الجزء ، مما هو بحاجة إلى تصحيح

الملاحظة الأولى :

يعني بتحقيق النصوص ؛ الرجوع إلى مصادرها الأولى ، للتثبت من صحتها ، وللوثوق من مطابقتها لما في تلك المصادر ، والأستاذ السقا — وإن رجع إلى كثير من الكتب التي ألفت في تحديد المواضع وبيانها ، وإلى غيرها من الكتب اللغوية والأدبية ، إلا أنه قد فاته الرجوع إلى كثير من الكتب التي استقى البكري مواد كتابه منها . وهذا أمر غريب جدا من أستاذ جامعي ، يدرس مناهج التحقيق العلمي ، ويؤلف فيه ، وينقد ويناقش البحوث والمؤلفات وفق قواعده . وها هي الأمثلة :

(١) في صفحة ١٢٧٤ : (الهجم ... هو خزاز الجبل المتقدم ذكره ، قاله الهمداني) كذا . فلنرجع إلى المصدر الأول — وهو الهمداني — لننظر هل قال هذا القول ؟ للهمداني — وهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك المتوفى في سنة ٣٣٤ تقريبا — مؤلفات ، طبع منها « صفة جزيرة العرب » والجزء الثامن والعاشر من « الإكليل »

* * *

وفي لهيب الروح ظهرتها
من وصمة الآثام
تحت رماد الشوق أخفيتها
في معبد الأحلام
وهذه الأطياف هدهدتها
على صدى الأوهام
في اللذة الهوجاء لعنة شيطاني
في الجذوة الحمراء! ثورة نيراني
جبلت كأسي في رماد السنين
في خمرة أتراحي
وفي دروبي ، في كهوف الحنين
أطفأت مصباحي
وفي عذاب الضارع المستكين
نادمت أشباحي
لكنني . . على صخور اليقين
حطمت أقداحي
في اللهب المجنون ثار أحلامي
في الحمأ المسنون أغرقت آثامي

عبد اللطيف الشهابي

وقد عول البكرى على هذين الكتابين ونقل عنهما ، وأكثر النقل . ومما نقل عن (صفة جزيرة العرب) كلامه هذا فى تعريف المهجم ، ولكن النقل هنا مبتور ناقص ، كقراءة من يقرأ : (فويل للمصلين) ثم يقف . وها هو نص كلام الهمدانى : (ص ١٧١ طبعة ملر ، فى ليدن وهى الطبعة الوحيدة) : (ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الذنائب، ووارادات ، وخزاز — ويقال فيه خزازى . وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، من سردد ، وبلد لعسان من عك ، وأن تبعاً أقطعهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذ من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجل من أن تحالف الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا فى المهجم وهى خزة : خزازى ، وفى الأنعوم الأنعمين ، وفى الذنبات : الذنائب ، وفى العارضة : عويرض) . اهـ ملخصا . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المهجم واد فى تهامة ، يصب فى البحر ، قرب مدينة زبيد ، وأنه كان يطلق عليه اسم (خزة) ويقارب هذا الاسم (خزاز) وهو اسم لجبل فى نجد ، بينه وبين المهجم ، مفاوز وفيافى ، ولهذا الجبل ذكر كثير فى أشعار العرب ، وله يوم من أيامهم المعروفة ، بين القحطانيين ، والعدنانيين ، وقد أورد البكرى شيئاً مما ورد فيه ، عند ذكر اسمه ، فلماعرف المهجم قال بأنه هوخزاز المتقدم ، ناقلا عن الهمدانى ، بل ناسبا القول إليه . اعتمادا على الكلام الذى نقلناه آنفا ، والذى قال عنه الهمدانى إنه مبنى على وهم وهوى ، وبهذا النقل المبتور الناقص اختل المعنى ، وانعكس القصد

(٢) وفى صفحة ١١٧١ — نقل عن الهمدانى أيضا — يتعلق بمأرب ، جله مأخوذ من الجزء الثامن من كتاب (الإكليل) وهذا الجزء مطبوع مرتين ؛ مرة فى العراق ، والأخرى فى أمريكا ، ولكن الأستاذ السقا لم يرجع إلى هذا الجزء لكى يحقق النص .

٣ — لعرام بن الأصبغ السلمى الأعرابى رسالة عن « تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه » وقد نقل البكرى جل هذه الرسالة ، فى مواضع متفرقة من كتابه هذا ، وصرح بالنقل منها فى مقدمة الكتاب ، وفى الكلام على « رضوى » وقد نشر هذه الرسالة العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، عضو « المجمع العلمى العربى » فى « أورنتيل كوليج مجازين Oreintal College Magazeine التى تصدر فى « لاهور ، الباكستان » منذ بضع سنوات ، وكان خليقاً بالأستاذ السقا الرجوع إلى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التى نقلها البكرى منها ، وقد يكون للأستاذ العذر فى عدم اطلاعه عليها ، ولكن ياقوت الحموى ، نقل جلها فى « معجم البلدان » والسيد السمهودى مؤرخ المدينة نقل كثيرا منها فى « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » و « المعجم » و « وفاء الوفا » مطبوعان ولا غنية لمن يقوم بتحقيق مؤلف فى تحديد مواضع بلاد العرب وأمكنتها عن الرجوع إليهما ، وإلى أمثالهما . وعدم تحقيق ما نقل البكرى من هذه الرسالة سبب كثيرا من الخلط فى تحديد المواضع ، ومن الغلط فى تلك النقول ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى صفحة ١٣٧٧ : (ورقان بفتح أوله وكسر ثانيه ، بعده قاف ، على وزن فعلان ؛ وهو من جبال تهامة ، ومن صدر مصعدا من مكة فأول جبل يلقاه ورقان) . وهذا غلط شنيع ، فورقان جبل لا يزال معروفا باسمه هذا وهو بعيد عن مكة ، وليس بأول الجبال التى يلقاها المصعد منها ، بل كل الجبال الواقعة بين مكة والمدينة هى إلى مكة أقرب منه إليها . والبكرى نقل الكلام هذا من رسالة عرام ، إلا أنه أبدل كلمة « المدينة » بكلمة « مكة » فورقان بقرب المدينة . وجاء فى هذه الصفحة : (وأهل الحجاز يسمون السماق الضمخ ، وأهل الجند يسمونه (العرتن) . والأستاذ السقا يعلم أنه ليس لأهل الجند لغة تقارن بلغة أهل الحجاز ، وأن الصواب: (وأهل نجد) كما فى رسالة عرام ، طبعة الميمنى ص ٢٧٥ من المجلة ، وعلى ذكر الميمنى الإشارة إلى أن قول الأستاذ السقا (ص ١٢٧١) أنطى ؛ بمعنى أعطى ، فى لغة اليمن . فيه تساهل ؛ إذ من المعروف أن هذه اللهجة لا يختص بها اليمنيون ، بل يشاركهم فيها بعض العدنانيين ، من قيس عيلان وغيرهم ، ورباح بن الأشل الذى فسر الأستاذ كلامه غنوى من قيس عيلان ، فما معنى حصر تلك اللهجة بأهل اليمن ؟

٤ — وفى ص ١٣٥٢ : (تأتى من شمنصير وذروة ... وبأعلى كلية ثلاثة أجبال صغار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سنابك) . ولو رجع الأستاذ إلى رسالة عرام ، أو إلى الناقلين

منها غير البكرى . لوجد أن كلمتى (ذروة) و (سنابك) مما تصحف على البكرى ، وأن صوابهما (ذرة) و (شنائك)

الملاحظة الثانية

يرى القارئ في مقدمتى الجزء الأول ، والرابع فى هذا الكتاب ، تقليلا من قيمة مطبوعة المستشرق وستنفيلد ، وثناء على هذه المطبوعة ، مطبوعة الأستاذ السقا ، ومن ذلك ، من مقدمة الجزء الرابع : (أرجو أن يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التى وقعت فى تلك الطبعة .. فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصى الدقيق ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ... فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له فى طبعة جونتجن ... فهرس القوافى ليس له نظير فى طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله فى دقة كاملة ... أما ما وقع من المؤلف من خطأ . وكذلك ما وقع فى مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونبهت عليه)

للأستاذ السقا أن يصف عمله بالإتقان والجودة ، والشمول والإحاطة ، فهو جدير بذلك ، ولكن الاستنقاص ليس من صفات المنصفين ، ومطبوعة جونتجن هى أول مطبوعة من هذا الكتاب انتفع بها الباحثون ، وهى على ما فيها من أخطاء -- قل أن يسلم من مثلها مطبوع عربى — على درجة عظيمة من الصحة ، وطابعها معروف بسعة اطلاعه ، وتحريه للصواب ، ولو لم يكن من فضله إلا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكفى سببا لعدم النيل من عمله ، إن لم يوجب الثناء عليه ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن كثيرا مما ظنه الأستاذ السقا خطأ فى طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وقد ذكرنا شيئا من ذلك فى نقدنا للجزئين الأولين ، الذى نشرناه ، واعتمد عليه الأستاذ فى تصحيح الأخطاء ، ومن الأمثلة ، مما فى هذا الجزء :

(١) ص ١٣٣٣ : (وتجتمع سيول العقيق وبطحان وقناة بالرعابة) وقال الأستاذ فى الحاشية : فى طبعة جونتجن (الزغابة) وقال : إنه تصحيف . والتصحيف هو ما اختاره الأستاذ ، إذ مجتمع سيول تلك الأودية : (الزغابة) بازاء المضمومة ، فغين معجمة ، فألف ، فباء موحدة فهاء (انظر هذه المادة من « وفاء الوفا ج ٢ » (معاجم اللغة والمواضع)

(٢) ص ١١٥٠ : (ضم القنان لفقعس سوءاتها) والصواب ما فى طبعة جونتجن : (ضمن) — راجع مادة « القنان » من « معجم البلدان »

(٣) وفى ص ١١٤٤ : (ديار سعد بن هذيم) . وقال السقا: ابن ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ، لأن سعدا هذا حضنه عبد حبشى يقال له هذيم ، فغلب عليه فقيل : سعد هذيم ، وليس هذيم أباً لسعد . (انظر المقتضب من جمهرة النسب « ورقة ١٠٥ / ١ مخطوطة دار الكتب المصرية)

(٤) وفى ص ١٢٢٧ : (المسلح : بكسر أوله ... منزل على أربعة أميال من مكة) . وفى طبعة جونتجن : (أيام) مكان : (أميال) وهى الصواب ؛ قال الهمدانى — فى « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ — : ومن أخذ الجادة من مكة إلى معدن النقرة ، فمن مكة إلى البستان ٢٥ ميلا ، ومنه إلى ذات عرق ٢٤ ميلا ، ومنها إلى الغمرة ٢٠ ميلا ، ومنها إلى المسلح ١٧ ميلا) . ا . ﻫ ملخصا . وهذا من أدق التحديد ، فى بعد هذا الموضع عن مكة ، ومن أوضح الأدلة على أن المسافة بينها وبينه أربع (ليال) لا (أميال)

(٥) وفى ص ١٢٧١ : (منعج : بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) وكلمة (معجمة) لا محل لها . إذ كلمة (الجيم) لا مشابه لها من الحروف فى صورتها . لكى تميز بالإعجام ، وهى ساقطة من طبعة جونتجن

(٦) وفى ص ١٢٨٥ : (الحضرمى : هو عبد الله بن عماد ابن سليمان) وفى مطبوعة جونتجن (سلمى) ولعلها أصوب . إذ هذا الاسم هو المعروف بين العرب الجاهليين . بخلاف سليمان . فهو وإن اشتهر بين أهل المدن فى العهد الجاهلى ، قليل بين البدو (وانظر ترجمة « العلاء بن الحضرمى » فى الأعلام للزركلى) ولعل فى هذا القدر كفاية

البقية فى العدد القادم

حمد الجاسر

البريد الأدبي

حول « علم النبي بالغيب »

نشرت الرسالة الغراء فى العدد (٩٩٨) مقالا للأستاذ ناصر سعد عن علم النبي بالغيب ، ونحن نحمد له جهدة الموفق فى إيراد تلك الحوادث التى جعل منها شواهد على رأيه ، ولكننا نسنا معه فى أن النبي ولا غيره يعلم شيئا من الغيب عن طريق العقل أو الروح كسبا نفسيا تتجلى فيه شخصيته ، وتبرز عنه إنسانيته ، فالقرآن الكريم أثبته لله ونفاه عن غيره فى قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وعلى لسان النبي فى القرآن أيضا « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء » و« قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » وغيرها وغيرها ، واخبار الرسول بهذه المغيبات، إنما هو بوحى يوحى إليه ، وليس لنا أن نقول كما قال الأستاذ « إنها بقوة إلهية » حتى نحصر مسائل الغيب على التوقيف من الله ، والرسول بشر يوحى إليه ، فما ينطق عن الهوى، والقوة البشرية كائنة ما كانت، لاتطول أن تخلص إلى الغيب إلا بإظهار الله ، وهذا هو الذى يتساوق مع منطق العقل، مضافا إلى ذلك ضآلة كل ماسوى الله بجانب العلم الإلهى ، أما قراءة الأفكار فهى من باب الحدس الذى يعتمد على قوة النفس ، وشدة الفراسة ، وحدة الذكاء ، وحسن الاستدلال ببعض المظاهر الانفعالية على أشياء قد يخطئ الحدس فيها ويصيب ، فلا ترقى بحال من الأحوال أن تكون علما بما جد أو يجد من أحداث . أقول لا ترقى إلى أن تكون علما مباشراً للحقائق الخفية عن حواسنا الظاهرة والباطنة، ويقال عن عالم الأرواح هذا أو قريب منه ، ولتقريب ما أذهب إليه إلى الذهن أورد فقرات من حديث العلامة المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه (الوحى المحمدى) قال : « الغيب ما غاب علمه عن الناس ، وهو قسمان « غيب حقيقى » لا يعلمه إلا الله ، و « غيب إضافى » يعلمه بعض الخلق دون بعض لأسباب تختلف باختلاف الاستعداد الفطرى والعمل الكسبى ، ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقى من رسله ، فليس لهم فى ذلك كسب ، لأنه من خصائص النبوة غير المكتسبة » من هذا يتضح أن الرسول لا يعلم الغيب، وإنما يظهره الله عليه فى بعض المسائل تصديقا له، وعونا على أداء رسالته وذلك يلتقى مع المعجزة فى غرض واحد ، هو ما رأيت ، فلو كان يستشف ما وراء الغيب من نفسه لأمكنه أن يتوقى ما حدث له من إيذاء ، وما خطر فى سبيله من أهوال ، ولجانب المصاعب فى سبيل رسالته ، ولكنه ككل بشر تعرض لما يتعرض له كل كائن حى ، فلم يدن بنبوته إلى مقام الألوهية ، ولطالما حدث عن نفسه بهذا وأشباهه ، حتى لا يفتن الناس عن دينهم ، وما يرمى إليه من إصلاح واعتدال ، وقد يقول قائل : أى خطر على الأمة مما نخوض فيه اليوم حتى ولو وصل إلى درجة المعتقدات ؟ للناس أن يعتقدوا ما يشاءون فلا ضير على العامة من أى اعتقاد شخصى فى مسألة كهذه ، وأنا أقول : إن الذى دفعنى إلى هذا الاعتراض خوفى الشديد من أناس يحترفون علم الغيب ، ويصطنعونه أداة من أدوات العيش ، يثرون من طريقه ، ويتمتعون من أجله بقدسية وكرامة ، فى محيط العوام الذين يرتمون على أقدامهم ، يستجلونهم المستقبل الغامض ، ويستمطرون سحائبهم الجهام ، وإن هؤلاء ليتمثلون فى (أرباب الطرق) أو بعضهم ، و (أهل الكشف) و (ضاربات الرمل) ومن لاصلة لهم بدين ولا دنيا ، وهم كثير؛ نعانى منهم الويلات ،وهم شر مستطير بما يدعون إليه من تبطل ، وما ينشرونه من فساد ، فأحرينا أن نأخذ على أيديهم ونشنها عليهم حربا عوانا ، ونبين لهم فى وضوح وجلاء أن الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف بهؤلاء الصعاليك المفاليك الذين لا يدفعون عن أنفسهم ضرا ، ولا يرجون لها وقاراً ، والدين الإسلامى دين بساطة ووضوح ، لا تعقيد فيه ، وهو يهدف إلى استقامة أمور الناس ، وليس من المصلحة فى دين ولا دنيا أن يعلم أحد الغيب من دون الله ، لئلا ينقلب العالم إلى مهزلة ، تخضع للمؤثرات البشرية المتباينة ، والتيارات العاطفية المتخالفة . ولئلا يتحكم الناس بعضهم فى مصائر بعض ، وليترك الأمر لله ، يستأثر بعلمه ، لتنظيم ملكه على أسس صالحة ، من العلم والحكمة والتدبير؛ فهو وحده الذى يمسك السموات والأرض ، والكل بجانب عدله الإلهى سواء فإن أظهر على غيبه أحداً من خلقه،فإنما لتتم حكمته ، ويكمل نظامه ، ويتسق أمره « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا

إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً » . . فى مقال الأستاذ ناصر متعة شائقة ، ولكن عظمة النبى فى أغنى الغنى عن ادعاء علم الغيب له، وبحسب الباحث ليلمس عظمته ويدل عليها ، وأن ينهل من معين آيات الله ، ويرشف كؤوس السنة النبوية المطهرة فهما حافلان بآيات الآيات فى الدلالة على الفضائل والهداية إلى مكارم الأخلاق ، التراث الخالد الذى ورثناه عن صفى الله وخاتم أنبيائه الذى أوحى إليه فيما أوحى : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين »

محمد محمد الأبشيهى
مدرس ببيروه الثانوية

علم النبي بالغيب أيضا

طالعت فى « الرسالة » الغراء المقال الذى كتبه تحت هـذا العنوان حضرة الأستاذ ناصر سعد ، من أدباء العراق ، وتعقيبا على ما ذكره الكاتب الفاضل أروى القصة التى أشار إليها القرآن الكريم ، فى الآية الشريفة : « وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير » — سورة التحريم — فقد روى عن النبى — صلوات الله عليه وسلامه — أن زوجته « حفصة » قدمت له شرابا من العسل ، فاتفقت زوجتاه « صفية » و « وسودة » على أن تقولا له إننا نشم منه رائحة « المغافير » وهى لون من ألوان الصموغ المحلاة . فحرم النبى على نفسه العسل ، وأسر إلى زوجه « حفصه » بذلك فلم تكتم « حفصة » حديث النبى الكريم ، ونزلت الآية تعتب على الزوجتين فعلتهما ...

ومن هذا يتضح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلم بعض الإلمام بالغيب ..

وفى موضع آخر من القرآن الكريم ، تنطق الآيات بلسان النبى الأمين فتقول : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » ... وهذه الآية تنفى علم النبى بالغيب ، وليس بغريب أن يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه على الغيب ، وهو الذى أغدق عليه نعمه وفضله ، واصطفاه لرسالته العليا ، واختاره ليحمل مشاعل النور والإيمان ... فكان فضل الله عليه كبيرا ...

سلام عليك أيها النبى الكريم ورحمة الله وبركاته ...

عيسى متولى

تصحيح ودفع شبهة :

جاء فى مقال لى نشر فى العدد الماضى من مجلة الثقافة الغراء ردا على مقال نقدى تناول مجموعتى الشعرية « رياح وشموع » جملة « وأنا كشاعر كبير لا أرضى أن أعيش على فتات الماضى » والجملة فى الأصل « وأنا كشاعر مجدد لا أرضى أن .. الخ »

ولست أدرى كيف غيرت هـذه الجملة بحيث خرجت إلى معنى كله غرور وادعاء أنا بعيـد عنهما كل البعد فلعلها إحدى غلطات المطبعة ...

إن طريق الشعر وعر طويل ... والمجد الأدبى وليد دراسة.. وكفاح وصبر ، وأنا ما زلت فى أول الطريق

كمال نشأت

فى روضات الجنات

فى يوم الأحد ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ توفى العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثرى.ولد بتركيا سنة ١٢٩٦ ودرس فى المدارس الرشدية ثم فى أكبر المعاهد الدينية هناك، إلى أن حذق علوم الشريعة فاختير استاذاً فى جامع الفاتح وجامعة اصطنبول ومعهد التخصص ثم انتقل لمصر وأقام بهـا وألف كتبا كثيرة وحقق كثيراً من المخطوطات وعلق عليها ، ونشر مائة مقالة ونيفا فى مختلف البحوث . وكان جزءاً ضخما من الثروة الإسلامية ، جمع إلى العلم سمو العالم ، وكان نسيج وحده فى الوفاء والمروءة والصراحة والإباء ، لا يلاين فى الحق ولا يضعف فى دفع الباطل.

وقد دفن فى مدفن الشيخ ابراهيم سليم فى شارع رضوان بقرافة الإمام . تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام خيراً

محمد شفيق



وتفضلوا بقبول احترامى

للقصصي الروسي سالتيكوف

كانا فى وقت ما يشغلان منصبين من مناصب الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما بنقلهما إليها بساط سليمان

وكانا قد قضيا عمريهما فى ديوان حكومى نشآ فيه وتربيا وشابا ؛ وكأنما قد ولدا به أيضا . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شئ لا يتصل بأعمالهما ، وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهـذه الجملة « وتفضلوا بقبول احترامى »

لـكن هذا الديوان ألغى وأقالتهما الحـكومة فهاجرا ، بعد أن أطلق سراحيهما، إلى شارع بوديشسكايا فى بطرسبورج، وكان لـكل منهما فيه منزله وطاهيه ومعاشه

ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى « شحنا » إليهـا ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع فى البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته

قال أحدهما : «ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة الأمس ياصاحب السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لـكنه ما كاد ينطق بهذه الـكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضا ، وقال فى دهشة شديدة : « ولـكن أين نحن الآن ؟ وهل كان ما رأيناه حلما ؟ »

ولمس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى حلم أم يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفـه المحيط أيضا ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألغى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى إلا قميص النوم وقد علقت فى جيده صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : «الآن موعد تناول القهوة، ولـكن من لنا بها الآن؟ » ثم عاد إلى البـكاء وقال : « ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريرا فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعـله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقا وأنت تذهب غربا ، ثم نعود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدنا إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا فى تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولـكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما فى دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هـذا عبثـا

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن يذهب أحدنا إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله فى دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتا ما ، فهو لذلك أذكى قليلا من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذى ذهب إلى اليمين فوجد أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؛ وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولـكن الثمر كان شديد العلو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ، ولـكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذى نجح فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئا بالسمك ، فتمنى لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع بودشسكايا . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى لعابه ، ومشى فى الغابة ، فرأى كل أنواع الطيور والأرانب والغزلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان الذى اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده فى انتظاره

قال : « ماذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ » فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة الوقائع الرسمية »:فأخذ يحدثه عما وجده هو . وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منها أن ينام ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقا شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما فى المعاش المرتب لكل منهما،وفيمن يتقاضاه عنهما الآن فيتمتع بهدونهما. وكان من أسباب الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من سمك وسمانى وأرانب وفاكهة وأن ليس فى مقدورهما الحصول على شئ منها

قال أحد الموظفين:لا أعرف كيف نعيش هنا ؟ إننا حتى لواستطعنا الحصول على طائر فكيف نذبحه وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إننى فى الحــــق لا أفهم كيف يحدث كل ذلك »

ثم عادا إلى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن قبل أن تغتمض عيونهما مر سرب من السمانى فتخيلاه وهو مقلى على الأطباق . وقال أحد الموظفين : « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل حذائى » فأجابه الآخر : إننى سأمتص جوربى »

ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه تحدثه بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذى اشتغل مرة بالتدريس : أظننا لن ننتظر حتى يحاول أحدنا أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقى الموت؛فما رأيك يا صاحب السعادة؟»

قال يجب أن نقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا فإن واحداً منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدئ أنت »

قال الموظف الذى كان مدرسا : « قل لى لماذا تشرق الشمس أولا ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون العكس ؟ » فأجابه الآخر :«هذا سؤال مضحك يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكى نستيقظ ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكى ننام »

قال : « ولكن لماذا لا تفترض العكس فنذهب عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلا : « إن هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها يحمل الإنسان على طلب العشاء »

وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لى إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما فى جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه »

قال : « هذا يعنى أن فى الجسم أنواعا مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان فى النهاية إلى طعام جديد ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالعبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »

وأدرك الموظفان أن هـذا النوع من الحديث لا يؤدى إلى الغرض الذى يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتيهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلمـا طال بهمـا الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى — وهى خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخـذ الآخر منـه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخـذ يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قـد انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام

ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيهـا فقرة لا تتعلق بدايتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره أيضا . فأطرق كلا الرجلين وتثاءبا تثاؤبا مؤلما

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سعيد . ووقف فجأة ليعلن استكشافه وصاح : « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فماذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف نأتى بخادم يا صاحب السعـادة ؟ وأى صنف من الخدم نجده هنا ؟ »

فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يعد لنا الطعام وأن يصيد السمانى والسمك ويطبخهما »

قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون فى كل مكان . إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمأن الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما ليبحث

عن خادم ، وطالت مدة بحثهما ، ولكنهما لم تذهب سدى ، فقد وجدا فى النهاية رجلا أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز وهو نائم تحت شجرة كبيرة ، فلكزه صاحب السعادة وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم المسكين للقدر المقدر عليه ، وصدع بالأمر وتسلق شجرة تفاح فجمع للسيدين الجديدين خير ما فيها ، وقطف تفاحة توشك على الفساد فحملها لنفسه . ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقدارا من البطاطس وأوقد النار بضربة حجرين فى وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفى أثناء ذلك صاد أرنبا فأضافها إلى الطعام ، وصاد كذلك زوجا من السمانى ؛ فأدرك الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر « ما أسعد حياة الموظف ! »

وقال لهما الخادم : « هل أنتما مسروران ؟ » فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لى الآن بأن أستريح ؟ فقالا : « نعم على شرط أن تأتى لنا بحبل أولا » فذهب وجمع أليافا طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبلا طويلا متينا فسلمه اليهما واستأذن فى السماح له بالراحة فقيداه بالحبل وأذنا له بأن ينام فى ظل الشجرة المجاورة

وزاد حذق الخادم فى تهيئة الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة. وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الإفطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : «إنها بلا شك قصة واقعية، والدليل على ذلك كثرة ما فى العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبلبل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ »فقال صاحب السعادة : » نعم بغير شك . ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذيقرؤه للمرة العاشرة من أوله إلى النهاية

لكن السأم دب إلى نفسيهما،فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهييهما فى بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لا أعرف كيف شارع بودشسكايا الآن يا صاحب السعادة . فقال : لا تذكرنى به فقد كاد يقتلنى الحنين إلى الوطن

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيذة لا عيب فيها ، ولكن الحمل يتوق إلى ثدى أمه ، ونحن نتوق إلى رؤية بلدنا وإلى ارتداء ثيابنا الرسمية فى يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الإنسان وتنسيه متاعبه

واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكى يعودا إلى شارع بوتشسكايا

فصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها إلى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وبدأت الرحلة ، فكانا يلعنانه ويلقبانه بأقبح الألقاب كلما ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستتعرض للخطر فى سفينة هذا الخادم

وكان البليدان لا يعملان شيئا فى السفينة ، فنهض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيئ لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر

وما كان أسعدهما عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق إلى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشيا على الأقدام . وفى النهاية وصلا إلى العاصمة

كانت سعادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلساعلى أقرب مقهى من الشاطئ يشربان القهوة . وفى اليوم التالى لبسا الثوب الرسمى وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الإخبار عن مقدر هذا المعاش ولكنهما لم ينسيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكى وخمسةقروش صحيحة.. تمتع ياخادم

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠٠ — اول سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

بلغنا العدد الألف ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ٩٦٥

« الرسالة » موئل الرأى الحر ... : « محمد عبد الله السمان ... ٩٦٧

حركات الإصلاح ... ... : للدكتور عمر حليق ٩٦٨

أثر الرسالة فى الأدب الحديث ... : للأستاذ محمد سالم الخولي ٩٧٢

اذكروا الشهداء ... ... : « محمد محمود زيتون ٩٧٤

الرسالة فى حياة الأدب ... ... : « حامد حفنى داود ٩٧٧

يوم ٢٦ يوليو ... ... : للآنسة نعمات أحمد فؤاد ٩٨٠

تحية جديدة ... (قصيدة) : للأستاذ أحمد أحمد العجمى ٩٨٢

هوى الملك الباغى ... (قصيدة) : « محمود البشبيشى ٩٨٣

(**الأدب والفن فى أسبوع**) — مدرسه الرسالة — هل يكتب التاريخ من جديد ؟ ٩٨٤

(**رسالة النقد**) — كتاب معجم ما استعجم — تأليف أبى عبيد البكرى الأندلسى — للأستاذ حمد الجاسر — الإمام المراغى — تأليف الأستاذ أنور الجندى — للأستاذ عبد العزيز الدسوقى ٩٨٦

(**البريد الأدبى**) — عبد الحميد الزهراوى — ألف . ستتبعه ألوف — معاهد للأمهات ٩٨٩

(**القصص**) — ذبول الحادث — عن الإنجليزية ٩٩١

20 me année No 1000

Le Caire 1 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — أول سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة العشرون

بلغنا العدد الألف !

نعم ، بلغنا العدد الألف ! ومعنى ذلك انقضاء ألف أسبوع من عمر الرسالة الباقية ، أوعشرين عاما من عمر صاحبها الفانى ! وإن عشرين عاما يقضيها الكاتب المتأمل فى هذا المرصد الأدبى والاجتماعى يصوب مناظيره إلى كل سماء ، وينصب مخابيره فى كل أرض ، لتتكشفُ له عن ظواهر فى الآفاق ، وعن بواطن فى الأنفس ، ما كان ليراها ، لا بعينه ولا بقلبه ، لوأنه جلس مجلس المشاهد المتفرج فى مسرح الحياة

قضيت ثلث عمرى الأعلى والأغلى دائبا دءوب القمرين ، أعمل ليل نهار فى عالم عبقرى الأحلام والرؤى ، يزخر بالعقول النيرة ، والنفوس الخيرة ، والأخيلة الخصبة ؛ أناجيهم بالروح ، وأخاطبهم بالقلم ، وأقابلهم فى البريد ، وأجعل لهم من صفحات الرسالة جواء يسبحون فى أطباقها مع الملائكة ، ورياضا يهيمون على زهورها مع الفراش ، وحقولا يعسلون من رحيقها مع النحل ، حتى اجتمع لهم من أفانين الحق والخير والجمال عشرون مجلدا ضخما هى تاريخ نهضة وثورة أمة وتراث جيل

***

فى ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى الدكتور طه حسين فى دارته بالزمالك . وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد ما أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد ، وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد . فقلت له بعد حديث شهى من أحاديث الذكرى والأمل :

ما رأيك فى أن نصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع ؟

فضحك طه ضحكته التى تبتدئ بابتسامة عريضة ، ثم تنتهى بقهقهة طويلة ، وقال :

وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيع قراء فى مجتمع ثقافة خاصته أوربية ، وعقلية عامته أمية ، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون — إذا قرأوا — إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة ؟

فقلت له : لعل من بين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطا تطلب الجد فلا تجده ، وتشتهى النافع فلا تناله

فقال وهو يهز رأسه ويمط شفتيه : حتى هذه الطبقة ، إن كانت ، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع ، فإذا ما ألح عليها لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه . والمثل أمامك فى « السياسة الأسبوعية »

فقلت له : ربما كان لإقبال القراء على «السياسة الأسبوعية» ولإدبارهم عنها سببان آخران غير التغيير والسأم . كانت هـذه

المجلة أول ما صدرت قوية غنية خصبة فأصبحت حاجة ؛ ثم اعتراها مايعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضلة

فقال لى بعد نقاش طويل : أنت وشأنك ! أما شأنى فهو المقال الذى أكتبه ، والرأى الذى أراه

وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكانوا بهذه المظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد

وأخيرا تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة . صدرت قوية بالروح ، غنية بالمادة ، فتية بالأمل ، فكانت ولله الحمد حدث العام وحديث الناس ! صادفت خلاء فشغلته ، وخللا فسدته ، وعبثا فحاولت أن تصد عنه بإيقاظ النخوة فى الرءوس والكرامة فى النفوس والرجولة فى النشء . ثم حركت فى الملكات الموهوبة ساكن الشوق إلى الإنتاج فأبدعت ، وأهابت بالقوى الأدبية المتفرقة فتجمعت . ثم سفرت بين الأدباء فى كل قطر من أقطار العروبة ، فعرفت بعضا إلى بعض ، وأطلعت كلا على عمل كل . ثم قادت كتائب الفكر والبيان فى ميادين الإصلاح الأدبى والاجتماعى والسياسى على نهج واضح من الدين والخلق ، فكتب الله لها النصر فى معارك ، ووعدها الفوز فى معارك . ولو كانت الرسالة اليوم بسبيل أن تكشف عن قلبها ، وأن تتحدث بنعمة ربها ، لذكرت فيما تذكر بلاءها العظيم فى إنهاض الأدب ، وتوحيد العرب ، وتخريج طبقة من الأدباء ، وتثقيف أمة من القراء ، بله مجاهدتها السلطان الباغى والثراء الطاغى والفقر المهلك . ولكنها ترى ذلك من لغو الحديث مادام (وحى الرسالة) منشورا وأعداد المجلة محفوظة

كانت نشأة (الرسالة) كنشأة (الوفد) من كل الوجوه ؛ وكان تطورها كتطوره من بعض الوجوه . نشأت الرسالة كما نشأ الوفد إجابة لحال مقتضية وضرورة موجبة . لم تكن فى مصر حين صدرت الرسالة مجلة أدبية تعالج فنون الأدب العالى ، وتقدر نتاج الأديب الحق ، وتقضى حاجة القارئ الجاد . إنما كان الأدب السامى حينئذ خبئ الصدور وحبيس المكاتب . فلم تكد تخرج إلى الناس حتى احتشدت فيها القوى المدخرة ، وظهرت على صفحاتها الملكات المستترة ، فلم يبق فى العالم العربى صاحب نثر أو شعر إلا أشرق فيها عقله ، وانتشر مع انتشارها فضله

كذلك لم يكن فى مصر يوم ظهر الوفد جماعة سياسية تواجه مشكلات الحرب العالمية الأولى ، وتوجه خطوات الثورة المصرية الثانية . إنما كانت السياسة يومئذ أصداء خافتة لأصوات الماضى ، وآراء متهافتة من ترهات الحاضر . فلم يكد سعد زغلول يؤلف الوفد حتى انضم إليه عباقرة الرأى ودهاقين السياسة ، فلم يبق فى مصر صاحب قلم أو لسان أو منطق أو جاه إلا قصر جهده على الوفد ، وأضاف جهاده إلى جهاد سعد

ثم سعى الشيطان بين الإخوة فتصدع الشمل وتفرق الهوى وتمزقت الوحدة . فانشق على الرسالة كتّاب ، واشتق منها صحف ، كما انشق على الوفد أقطاب ، واشتق منه شعب . فضعف الأصل ولم يقو الفرع ، واعتل المصدر ولم يصح المشتق ، وخسر الفرد ولم يربح الجمع . وأصبحت الرسالة رجلا واحدا يجتمع من حوله أشياع الفكرة ، كما أصبح الوفد رجلا واحدا يسير من خلفه أتباع المبدأ

على أننا نطمع فى فضل الله أن يزيد الرسالة قوة فى عهد مصر الجديد . وما تسأل الرسالة العون إلا من الله ؛ فقد عودها جل شأنه ألا تفزع إلا إليه فيما يحزب من أمر وما ينوب من مكروه

ولعل السر فى بقائها إلى اليوم على ضعف وسيلتها وقلة حيلتها أنها عفّت عن المال الحرام ، فلا تجد لها اسما فى (المصروفات السرية) ، ولا فعلا فى المهاترات الحزبية ، ولا حرفا من الإعلانات اليهودية

وإذا لم يكن للفضيلة نَفاق فى عهد غرق فيه (القصر) فى الفحش والنكر والبغى والاغتصاب والاستبداد والقتل ، وارتطمت فيه (الحكومة) فى الاختلاس والغش والخيانة والرشوة والمحاباة والختل ، فإنا لنرجو أن يكون لها من السيادة والفوز نصيب ، فى عهد يتولى الأمر فيه باذن الله على ماهر ومحمد نجيب !

احمد حسن الزيات

«الرسالة» موئل الرأى الحر

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن أهم ماتهدف إليه رسالة الصحافة فى الوجود إنارة الرأى العام وتبصيره ببواطن الأمور وخفاياها ، ولن تتمكن من تأدية هذه المهمة إلا إذا احتضنت الرأى الحر ، وصارت موئلا له . والصحافة التى لا تحتضن الرأى الحر ولا تصير موئلا له — لا تعتبر صحافة فى ميزان الحق ولو بلغت الذروة من المجد والقمة من الذيوع .. والصحف فى مصر كثيرة لاحصر لها ، ولكنها مع تباين مشاربها ، وتنوع اتجاهاتها ، وتعدد ألوانها ، لاتظفر بواحدة منها تقيم للرأى الحر وزنا ، وتحسب له ولوذرة من الحساب ، فهى إما حزبية يهمها تأييد سياسة حزبها والتنديد بسياسة غيره ، وإما مستقلة يهمها أن تظل على الحياد — مؤثرة نشر الموضوعات التى لا تحتمل الجدل ، ولا تجر إلى المناقشة . وهى إما طائفية تعنى بالدعاية لمذهبها ، وسلق مخالفيه بألسنة حداد . وهناك لون رابع تافه تفاهة تجعله لا يشعر بوجوده ولا يكترث لظهوره

والذى لا ريب فيه أن هذا التقسيم لايشمل مجلتنا (الرسالة) إذ أن لها مشربا خاصا يميزها على غيرها؟، واتجاها فريدا يجعلها فى معزل عن سواها — أما مشربها فهو الأدب المصفى . تحمل إلى العروبة رسالته — وتزعم وحدها جبهته ، وتذود عن كرامته ، وتنقيه من شوائب الدخن، وتحميه من بوادر الوهن . وأما اتجاهها فهو إلى تشييد حصن حصين للرأى الحر . وإقامة مسرح أمين للبحوث الجريئة ، وبهاتين الخاصتين استطاعت الرسالة أن تشق طريقها فى الحياة مرفوعة مكرمة . وأصبح لها مكانتها المرموقة فى مصر والشام والعراق والمغرب ، وفى كل بلد ينطق بالضاد ويعتز بالعربية ، وأصبحت موضوع ثقة الطبقة المثقفة ، ومحل تقدير عشاق الأدب

وحين نقول :ـ إن مشرب الرسالة هو الأدب المصفى . فإنما نقصد الأدب الخالص المعتمد الذى يتناوله الأديب وهو أكثر ما يكون اطمئنانا . ويتلقاه المتتلمذ إليها وهو أوفر مايكون شوقا إليه واتئناسا به . وليس معنى قولنا : إن مشرب الرسالة الأدب أنها معنية بمادة الأدب وحدها ، وإنما معناه أن الأسلوب فى شتى موضوعاتها من الأدب الممتاز . حتى لتجد أن الألفاظ كلها منتقاة ، وأن العبارات جميعها مصفاة ، وأن صفحات الرسالة قد حرم عليها الركة فى الأسلوب ، والتعقيد فى الألفاظ ، والتكلف فى العبارات ، وأحل لها المرونة المتقنة ، والعذوبة الممتعة . وليس من المبالغة فى شئ إذا قلنا : إن موضوعات الرسالة سواء أكانت فى الأدب أم فى التاريخ أم فى الدين أم فى السياسة أم فى الفن أم فى غير هذه ، هى من الموضوعات القيمة المقدرة لأن لها مستوى يجب أن يظل عاليا لايرقى إليه ولا يعلى فوقه . ولذلك فهى لا تتسع إلا للموضوعات الحية القوية فى أسلوبها ، وفى مادتها ، وفى أدلتها وبراهينها

وحين نقول : إن للرسالة اتجاها خاصا هو تشييد حصن حصين للرأى الحر ، فإنا نعتبرها الوحيدة فى الصحف والمجلات المميزة بهذا الاتجاه الخطير الدقيق . تفتح له صدرها ، وتفسح صفحاتها ، وتطلق له العنان حتى يؤدى مهمته آمنا من جمود المتزمتين ، وسفه المتنطعين ، وثرثرة الفارغين ، وجعجعة المتخلفين ، وصلف المكابرين . فالرسالة لاتجد غضاضة فى أن ينقد على صفحاتها أبرز كتابها ، ولو كان صاحبها ، وأن يناقش أكبر الناس ، ولو كان ممن بلغوا أسمى مكانة فى العلم والأدب ، لأن الجميع فى ميدانها سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ورئيسهم ومرءوسهم ، إلا بقدر ما يصيب كل منهم من التوفيق والسداد ، وبقدر ما يقدم كل منهم من قوى الحجة وساطع البرهان . .

أول عهدى بالرسالة كتلميذ لها كان منذ أن عرفت الطريق إلى الصحف ، فاتخذتها كمرجع ملم له قدره ومنزلته . أنهل من معينه كلما شئت ، وأتناول منه غذاء فكريا كلما احتجت ، ويحتل من نفسى المكانة الأولى معتزا به اعتزازى بأغلى كنز فى عالم الأدب . وأول عهدى بالرسالة ككاتب متواضع من كتابها كان منذ أعوام قلائل ، يوم أن كتبت لها منتقدا رأيا فى التفسير للامام محمد عبده ، وأنا واثق من أن الإقدام على نقد أمثال

على ضوء علم الاجتماع

حركات الاصلاح

للدكتور عمر حليق

الإصلاح نشاط اجتماعى . ويعرف علم الاجتماع[1] « الحركة الاجتماعية » بأنها « مجهود عملى مشترك تقوم به طائفة واعية من أفراد المجتمع لكسب ولاء الشعب ومعونته لإحداث تبديل فى الوسائل والأساليب التى تتوخى خدمة الصالح العام » . وقد يكون قالب هذا التجديد حديثا لم يصنع من قبل ، أو قد يكون إحياء « لنموذج سبق استعماله . وفى كلتا الحالتين فإن الدافع لتبديل الأساليب والوسائل ناجم عن الاستياء من الوضع الراهن وعن الرغبة فى إصلاح الأمور

إذن فالمجهود الإيجابى المشترك بين الطائفة الواعية وبين المجموعة الشعبية التى تمنحها الولاء والمعونة هو ما يعرف فى الاجتماع « بالحركة الاجتماعية » . وهذا التعريف يفترض أن يكون هدف الحركة خدمة المصلحة الجوهرية للشعب بأسره أو للكثرة الساحقة من أفراده . فقيام نفر من أعضاء جمعية معينة لتعديل دستورها أو تغيير مجلس إدارتها لا يعد حركة «اجتماعية» لأن هذا التعديل يمس مصلحة الجمعية وأعضائها ولا يهدف

(١) كان اجتهاد المدارس الاجتماعية للتعرف على ميلاد الحركات الاجتماعية ونموها مقصورا على دراسات فردية لبعض النظم السياسية والعسكرية والأحزاب وما إليها من أوجه النشاط الاجتماعى . ولم يكن هذا الاجتهاد يتوخى استنباط أسس علمية يوزن بها نشاط الناس وتكتلهم لتبديل وضع من الأوضاع ويوفر للباحث عوامل يستطيع معها أن يترقب ميلاد الحركات الاجتماعية وأن يتنبأ بتطورها خيرا أم شرا . وتنفرد تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها بأنها قد أولت هذه الناحية عناية خاصة — لعلها أبرز ما فى الماركسية من مادة « اجتماعية » . ولكن معظم الأوساط العلمية فى الغرب كانت ولا تزال تعالج التراث الماركسى معالجة سلبية تتعمد تجريده من كل شئ تقريبا — من الأمانة العلمية ومن الاجتهاد الفكرى الصادق وتقيسه بمقاييس الخير والشر والمصالح السياسية والاقتصادية والفكرية التى تفصل العالم إلى معسكرين يبدو أن لا أمل الآن فى إزالة خصومتها

وكانت الأحداث السريعة المتلاحقة التى ألمت بالتاريخ الحديث وما أولدته من توارث وانقلابات سياسية وفكرية حافزة أغرى علم الاجتماع بأن يولى موضوع « الحركات الاجتماعية » عناية خاصة . والفضل فى تسليط مجهر العلوم الاجتماعية على هذا الموضوع يعود إلى الفرنسيين وذلك إثر التطورات الخطيرة التى خلقتها الثورة الفرنسية فى المجتمع الفرنسى وفى المجتمعات الأوربية الأخرى . وقد اهتم الألمان بمعالجة هذا الموضوع كما تشهد على ذلك كتابات (لورنز فون ستين) و (ماكس ويبر) و (زومبارت)

Lorenz von stein, Geschechte de Rocialen Bewegune Frnk-reichs, Max weber, wirtschaft and Gesellschaff

والطليان مجهود طيب فى بحوث (روبرت ميشيلز) و (ف . باريتو) و (موسكا) .

Roberto Michels. Corso di socielo c-ia Polinea, v. Pareto. Tratta di sociologia Generale

أما أوفى المراجع الحديثة فيعتقد كاتب هذه السطور أنها للمدرسة الاجتماعية الإنجلوسكسونية ومنها على سبيل المثال :

H. Cantril, Psychology of social movementsi
S, Nevman, Permenant Revolvtton
K, Mannheim Ideology and Utopia
R, Nerbrla Social Movements

وطائفة من البحوث القصيرة فى مجلات الاختصاص

الإمام محمد عبده ليس بالشىء الهين اليسير ، ولكن ثقتى بالرسالة واعتزازها بالرأى الحر شجعنى على الإقدام من غير توان أو تباطؤ ، ولم يكد يمضى أسبوع واحد حتى نشرت كلمتى ونشر رد بعدها لأستاذ جليل ، وبذلك ازددت إيمانا بأن الأدب والعلم بخير فى مصر والشرق ، مادامت الرسالة باقية تتلألأ طلعتها ويشرق نورها

إن ثمة خاصة من خصائص الرسالة اختصت بها وحدها فهى المجلة الوحيدة التى تعبأ بالموضوعات دون أشخاص كتابها ، والتى تهمل التوقيع حتى تفرغ من قراءة الموضوع ، وبذلك أدت خدمة جليلة للأدب والعلم حيث قدمت إليها أعلاما مبرزين ظلوا مجاهيل خلف الصفوف ، وضحايا للأثرة والأنانية حتى أخذت الرسالة بأيديهم ، وقدمت إليهم دراسات حية كانت متوارية بين أضابير الإهمال والنسيان ، وكادت تختنق بين ضوضاء السفاسف والتوافه فى شتى الموضوعات . حتى أدركتها الرسالة وأنقذتها وأعادت إليها الحياة من جديد

وبعد فإن الرسالة اليوم لجديرة بأن تكون أكبر مدرسة لطلاب العلم وعشاق الأدب فى الشرق ، وميدانا حرا لأبرز الكتاب ، وأقيم البحوث ، ومنبتا خصبا للرأى الحر ، والنقد الجرئ ، وعنوانا للمثل العليا فى دنيا الأدب والعلم والفضل

محمد عبد الله السمان

مباشرة خدمة المجتمع القومى الأكبر . وبنفس المنطق لا يمكننا أن نعرف « التيارات » و « الاتجاهات » الفكرية أو السياسية بأنها حركة اجتماعية . فإذا اتجه الناس نحو المطالبة بحق من الحقوق أو تبديل وضع من الأوضاع ، وإذا ساد هذا الاتجاه تيارات فكرية معينة فذلك لا يعنى أن هناك « حركة » بمعناها الاجتماعى الذى نحاول أن نعالجه فى هذا المقال

وأبرز ما يعنى به علم الاجتماع هو الحركات الاجتماعية التى تولد فى نطاق شعبى واسع وتؤثر فى صميم الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو المقدمات الثقافية والخلقية للأمة بأسرها

وعلى ضوء هذا التعريف فإن لنا أن نستنتج بأن للحركة الاجتماعية صبغة مزدوجة طابعها الهدف والإنشاء فى آن واحد . فهى موجهة ضد وضع معين تأمل الحركة فى تعديله أو إزالته ؛ وهى فى نفس الوقت طامحة إلى تحقيق برامج وأهداف إنشائية ديدنها خدمة الصالح العام

إذن فالحركة الاجتماعية تستند إلى عنصرين رئيسين هما : « القضايا » التى أخذت الحركة على عاتقها حلها والتغلب عليها ، و « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تنوى التقيد بها وتحقيقها بمعونة الشعب ولمصلحته العامة . وهذا التحديد يدفعنا لأن نتساءل عن جوهر « القضايا » وعن أسس « الأيديولوجية » التى تؤدى إلى ميلاد الحركة وإلى كسبها ولاء الشعب ومعونته ، ومن ثم إلى الاستقرار والنجاح

وهنا يحسن بنا أن نقرر بأن السلوك الإنسانى لا ينشط ضد وضع ما، وفى صالح هدف معين إلا حين يمر فى تجربة قاسية تؤثر فى المقدمات السياسية والاقتصادية والدينية التى يعيش عليها ، وفى المثل العليا التى تتعلق بها الجماعات الإنسانية ؛ فالحرية الفردية والكرامة القومية والقيم الإنسانية الأصيلة التى هى فى قرارة النفس تتوازى فى مجال المقارنة مع المصالح السياسية والاقتصادية . وقد تمر الجماعة الإنسانية خلال هذه التجربة القاسية فى ألوان من المحن والملمات التى تمعن فى تحدى المصلحة الشعبية ومقوماتها ومثلها العليا وقيمها الإنسانية ، ولكن الحركات الاجتماعية لا تتبلور وتنشط للعمل الإيجابى إلا حين تبلغ هذه التجربة القاسية منتهاها ، وهذا لا يكون إلا إذا كان المنتهى شاملا عاما لا يقتصر سوؤه على طائفة معينة أو مجموعة محدودة العدد من أفراد الأمة ، وإنما يمس الكيان الشعبى بأسره ، وهو كيان له سيطرة قوية على عقول الناس وأفئدتهم حتى لو ساد الناس فى بعض الحالات فتور وسلبية إزاء التجارب والمحن (٢) ...

وقد يتريث دعاة الحركة وقادتها والشعب بأسره قبل القيام بعمل إيجابى عاجل لحل « القضايا » وتنفيذ « الأيديولوجية » ولكن هذا التريث ليس إلا نتيجة حتمية لهول الصدمة التى أوجدتها التجربة القاسية . وعلم الاجتماع يقرر بأن الذيول التى تتولد عن هذه الصدمة لابد لها من أن تسير على منوال المساوئ التى كانت سائدة فى الوضع الذى أوجد الصدمة ودفع المحن والتجارب المريرة إلى المنتهى . وهذا يعنى أن سلوك أولياء الأمر فى الأمة المسؤلين عن هول الصدمة الكبرى وعن سوء الأوضاع الراهنة سيمعن فى التحدى محاولة منه للقضاء على ما تبقى فى نفسية الفرد وفى شعور الأمة من معنوية وكرامة . وهذا السلوك ظاهرة اجتماعية قل أن يشذ عنها المسؤلون عن الكرامة القومية الذبيحة وآلام النفس المعذبة

وعلى ذلك فإن ميلاد الحركات الاجتماعية (سياسية كانت أو عسكرية أو دينية) أمر لابد منه . . ومبلغ حماس الحركات وإخلاصها لحل «القضايا» والتغلب عليها وتحقيق«الأيديولوجية» الإصلاحية الجديدة يتوقف على حدة الصدمة وفظاعة المنتهى

ويمكننا استنادا إلى هذه الحقائق الاجتماعية أن نؤكد بأن جوهر « القضايا » التى تتولى الحركات الاجتماعية معالجتها والتغلب عليها يتوقف على مبلغ الخطر الذى تتعرض له مقومات الحياة القومية ومصالح الشعب السياسية والاقتصادية والقيم والمثل العليا التى تعيش عليها الكثرة الساحقة من أفراد الأمة

أما جوهر « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تؤمن الحركة وتعمل لتحقيقها فيتوقف على مفهوم الحركة وقادتها لحقائق هذه « القضايا » وأى منها كان السبب المباشر للصدمة التى ألمت بالكرامة القومية وبمصلحة السواد الأعظم من الشعب . وهل سوء الجهاز الإدارى هو

---

(٢) لا ريب أن محنة المصريين والسوريين والعرب والمسلمين جميعا فى تجربة فلسطين المأساية مثل على هذا المنتهى

ضعف القوة العسكرية أم فقدان القيم الدينية وانحلال القيم الأخلاقية وتفشى المساوئ الاجتماعية ؟ وهل الخطر الذى يهدد الكيان القومى موجه من عدو يترقب ؛ أم أن أعداء الأمة هم الفاسدون من قادتها وأبنائها ؟

وعلى مدى تقدير الحركة الاجتماعية الجديدة لحقائق هذه «القضايا» يتوقف استقرارها ونجاحها ومبلغ ولاء الشعب لها. وعلى ذلك فكلما كانت الحركة ورجالها نتاجا « شعبيا » شديد الصلة بالعناصر الأصيلة التى يتكون منها السواد الأعظم من أبناء الأمة كان فهم الحركة ورجالها لحقيقة هذه القضايا صادقا أمينا . وكانت « أيديولوجيتها » مطابقة لمصلحة الشعب متمشية مع شعوره الصادق وضميره الحى ومنفذة لما يدور فى خلده من آمال وما يطفح به فؤاده وعقله وعواطفه من حماس ورغبة فى مؤازرة الحركة والاندماج فيها والتضحية فى سبيلها كأحسن ما تكون تضحيات الأمم الحية فى معركة الحياة الشريفة

والحركة الاجتماعية الناجحة هى التى تؤمن بما تعمل . وتعزيز القول بالعمل لا يكفى إلا إذا توفر للحركة مرونة فكرية طابعها الحكمة لا التزلف . فعليها أن توازن موازنة صادقة لحاسية الشعب — أو بالأحرى أغلبيته العظمى . فإذا لمست الحركة أن جزءا كبيرا من الأمة يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يشمل إحياء القيم الدينية ومكافحة الفساد وما أولده من انحلال فى القيم الأخلاقية تجدير بالحركة أن تجعل لهذه الناحية من الإصلاح مكانا راسخا فى « أيديولوجيتها »

وإذا أدركت بأن بين المواطنين طائفة مخلصة واعية تصر فى قرارة النفس على أن التنمية الاقتصادية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تنال مكان الصدارة بين أهداف الحركة فمن الخير لإيديولوجية الحركة أن تولى ذلك عناية خاصة

وإذا تحقق للحركة والمسؤولين فيها أن الحاجة ماسة لتعزيز الدفاع العسكرى إلى أقصى حد مستطاع فما عليها إلا أن تلبى هذه الحاجة — فهى كحركة شعبية صلتها وصلة قادتها بالشعب صلة الأغصان بالجذوع كفيلة بأن تضمن حماس الأمة وتضحيتها فى سبيل المناعة العسكرية ، وجعل ذلك مبدأ أساسيا من مبادئ الأيديولوجية الجديدة

وهناك طبعا سيل لا حد له من آراء الناس فى أوجه الإصلاح وأيها أولى بالعنايه من سواه

والمهم عند تقرير الأيديولوجية أن توازن الحركة فى مبلغ الحماس الشعبى الصادق لأوجه الإصلاح ومبلغ شعور الشعب وتقديره لأخطار « القضايا » والمشاكل التى تتحدى سلامة الكيان القومى . فليس المطلوب من الحركات الاجتماعية أن تتقيد بمعالجة قضية واحدة . فالعوامل التى توفر للحركة النجاح والاستقرار عديدة ، وكثرتها تتوقف على كثرة الأخطار الناتجة عن هذه القضايا والمشاكل . ولذلك فلا مفر للأيديولوجية أن تتضمن أكبر عدد ممكن من البرامج والأهداف التى تكفل التغلب على هذه الأخطار

والدراسة الاجتماعية للحركات الإصلاحية تثبت صواب الرأى فى اتخاذ قضية أو أكثر من قضايا الأمة كعنوان للأيديولوجية الجديدة ، إلا أن هذه الدراسة تؤكد كذلك أهمية إدراك الشعب للأخطار التى سببت له المحن والمساوئ فى العهد أو العهود التى استبدلتها الحركة الجديدة

فالحركة الشعبية الناجحة تولد عادة فى جو اجتماعى اعتاد السماع لدعوات الإصلاح من دعاة أساءوا فهم المشاكل الرئيسية العميقة التى تواجه الأمة ، ولذلك تفشل هذه الدعوات فى كسب ولاء السواد الأعظم من المواطنين. فولاء السواد الأعظم وإخلاصه فى مؤازرة الحركات الجديدة هو ميزان الاستمرار والنجاح ، وعلى ذلك فإن الخطأ الذى ترتكبه معظم الأحزاب السياسية (وهى تقليد مشوه للحركات الاجتماعية) هو تصورها القضايا القومية على نحو لا يستند إلى فهم أمين لضمير الشعب ، وإنما هو فهم مشوه اقتبسه قادة الحزب من شعورهم الخاص وهو شعور تتضارب فيه المصالح الذاتية — شعور يتزلف فى أغلب الحالات إلى أوساط ليست من صميم الشعب وليست عنوانا على شعوره ويقظته ومصالحه ، أوساط تنتمى إلى هذه الفئات الطفيلية التى تعيش على الشعب لا معه

والشعب — أو بالأحرى الجزء الهام منه — يتحفظ فى إعلان الولاء وبذل التضحية للحركات الناشئة إذا توفرت له عوامل نفسية معينة سجلها علم النفس الاجتماعى فى دراسات لنفسية الجماهير وعقليتها ، وطبيعة الزعامة الصالحة ومقوماتها، وإلى

الأخطار والتجارب التى مرت بها الأمم فى نشاطها الاجتماعى ، كما أشرنا إلى ذلك فى صلب هذا المقال

وبعض هذه العوامل غامض يحمل أكثر من تفسير واحد، والبعض الآخر محدود الصفات واضح المعالم إدراكه سهل ميسور على كل دعنا نستعرض فيما يلى بعض هذه العوامل مادمنا فى حديث الاجتماع وعلمه ولو كان ذلك على حساب أدب المقال فى غير مجلات الاختصاص

ا — يجب أن تكون القضايا التى تولت الحركة معالجتها شديدة الصلة بالمصلحة الشعبية العامة وبالمصلحة الخاصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين

ب — للحركة الاجتماعية الناشئة أن تبدأ بمعالجة القضايا التى بها مكان الصدارة فى شعور الناس ويقظتهم العاطفية والفكرية، وحين يقتضى الوضع تفضيل قضية على أخرى فللحركة أن تعالج قضية واحدة معالجة عامة شاملة وتبدأ فى نفس الوقت بمعالجة القضية أو القضايا التى تليها فى الأهمية معالجة جزئية — على ألا يكون لهذا التوزيع هدف غير الموازنة العادلة بين أهمية القضايا فى تفكير الناس وفى مبلغ صلتها بالصالح العام وبمستقبل الحركة وأيديولوجيتها وأثر ذلك كله على الكيان القومى ومصلحته الجوهرية

ح — يؤكد علم الاجتماع (٣) أن استقرار الحركة الاجتماعية الناشئة لا يتوطد إلا إذا كانت أيديولوجيتها حاوية لقيم وأهداف تمس المنفعة الشخصية للكثرة — الغالبة — من أفراد الشعب. والمنفعة الشخصية شئ والشعور الشعبى المشترك شئ آخر ، وإن كان كلاهما يعزز الآخر . فالأهداف الوطنيـة مثلا شعور شعبى مشترك، أما العدالة الاقتصادية والمساواة الاجتماعية وصيانة القيم الدينية والأخلاقية فإنها أهـداف تخدم المنفعة الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ، أو على الأقل أولئك الذين حرموا منها — وهم كثرة فى معظم المجتمعات الإنسانية

د — حين تختلف أوساط المجتمع فى توكيد أهمية قضية ما على غيرها من القضايا التى يشغل بها الناس وتعالجها الحركة الجديدة فإن الضرورة تقتضى مجهودا صادقا يصدر عن الحركة والمسؤولين فيها ليقرر أولوية القضايا ويسعى جادا مخلصا لإقناع السواد الأعظم من المواطنين بها حرصا على سلامة وحدة الشعور الشعبى وتماسك اليقظة العاطفية والفكرية . وهذا المجهود يفترض حملة توحيد فكرى وعاطفى واسعة النطاق يضمن نجاحها هذه الأيام المواصلات الفكرية الحديثة — الصحف والإذاعة والأفلام وما إليها من وسائل الدعاية والثقافة الشعبية

* * *

هذا رأى علم الاجتماع فى بعض نواحى الحركات الإصلاحية ، وهو رأى وإن كان لا يصح أن يؤخذ على أنه القـول الفصل فى تصور الحركة الاجتماعية ونضوج ثمارها فلكل حدث اجتماعى ظروف خاصة وتيارات وعوامل طارئة تتطلب مرونة لا حد لهـا فى الاجتهاد العلمى — إلا أن الخطوط العـامة للاستنتاج العلمى تؤكد فى تواضع مقدرتهـا على تسليط ضوء نافع على جوهر السلوك الإنسانى

عمر حليق

(٣) فى بحث للبرفسور تيودور آبل عن نموذج للحركة السياسية الناجحة فى مجلد ٣٧ من المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع

حول العدد الألفي

أثر الرسالة في الأدب الحديث

للأستاذ محمد سالم الخولى

للرسالة فى الأدب العربى الحديث آثار خالدة خـلود الأدب والفن . . سهرت على شوارده وأثبتتها ، وتتبعت نوافره فجمعتها ، وجلت غوامضه بالبيان الرائع والأسلوب الطيع ، واللغة السليمة والمنطق المسلسل

أشرقت على البلاد العربية والرأى الناضج فى مصر يـكاد لا يسمع به أديب بالعراق ، والفكرة فى العراق لا يتعالها إلا من بالعراق ، والشعر فى الشام لاتتردد أصداؤه إلابين جنبات الشام ، وما أن عم نورها جنبات الشرق حتى توحدت الفكرة والرأى والشعر وأصبح لحملة الأقلام رسالة ... رسالة تجمع بينهم وتعرفهم بعضهم إلى بعض ، وتوسع من آفاقهم . وتردد أصداءهم . . وتسمع كلماتهم ... والحقيقة أن المتأمل فى أعدادها الألف اليوم يستطيع فى يسر عجيب أن يجمع بين يديه خيوط دراسة أدبية رائعة لنهضة الأدب العربى الحديث

فبين أحضان الرسالة نشأت مدارس للأسلوب الرائع النابض الحى، وبين صفحاتها تـكونت مدارس للنقد المتعمق المحلل لخفايا النفوس والأساليب، وفوق أغصانها غردت أطيار من الشعراء لـكل جماعة منها أهداف معلومة ورسالات محدودة . ولها لون وذوق فنى خاص مع تفاوت بين أفرادها فى طرائق العرض وأساليبه وطرائق تناول الموضوعات الشعرية ، وإلقاء الظلال والألوان على الصور الشعرية

إن دراسة أعداد الرسالة الألف تعتبر بحق دراسة للأدب العربى الحديث، بل لأزهى عصور الأدب العربى عامة

وجدير بمحبى الأدب ودارسى روائعه أن يعملوا الفكر والتأمل فى هذا التراث الخالد العظيم . حتى يقدموا للأجيـال القادمة صوراً صادقة للنهضة الأدبية متمثلة فى مدارس أدبية نائرة أو شاعرة أو ناقدة كالرسالة تمتاز بصفة لازمتها دائما هى الاحتفال بما تقدم من الآثار الفنية . فهى لم تنشر من النثر إلا ما بلغ الغاية من الـكمال الفنى والنضوج الفـكرى . . ولم تقدم من الشعر إلا ما ارتفع إلى مراتب الروائع الفنية وحلق فى أجواء تعبق بالشاعرية الملهمة الفذة

والرسالة لم تقدم إلى العـالم من الأدباء أو الشعراء إلا من اكتملت لهم الأداة وتم لهم النضوج . . وسمى لهم الفضل . . ودان لهم الخلود أو كتب لهم الخلود على يديها ، وإنك لتلمح بين صفحاتها بين الحين والحين أسماء تشرق حينا ثم تغيب، وأسماء تسطع دائماً وإن هى غابت فإلى عودة..فتحب أن تسأل عن السر فى ذلك الإشراق المفاجئ . وذلك التكرار المتواتر على فترات قدتطول وقد تقصر ... فتجد السر فى برنامج مدرسة الرسالة . . حيث تراها مضطرة إلى الاحتفال بالموضوع الجدير بالنشر والمعروض فى قالب جديربها . فهى إذن ترحب به كلما سنحت لها فرصة العثور عليه . ومن هنا يجىء سر الإشراق المفاجىء لبعض الأسماء ، أما الأسماء المستمرة السطوع فى أفقها فهى إما لأبناء نجباء من أسرتها أو لأسماء استطاعت أن تقدم دائما الطريف الجديد الرائع

وأكبر مظاهر التقدير للرسالة الخالدة فى يوم صدور عددها الألفى .. هى أن نحاول رسم خطوط متزنة لمدارس الرسالة الأدبية مع عرض لأسماء أشياخها الأفاضل وأسماء شبابها الخالد.من كتاب ونقاد وشعراء

فمن أشياخها الأعلام الأفاضل الذين قدمتهم فى مشرق عمرها المديد ولا زالت تقدم بعضهم : الأساتذة الـكبار طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وتوفيق الحـكيم وعباس العقاد ومحمود البشبيشى وتوحيد السلحدار ومحمود تيمور ونقولا الحداد وأحمد رمزى ومحمد غلاب ومحمود أحمد الغمراوى والشيخ شلتوت والشيخ المدنى والمرحوم الدكتور زكى مبارك وأحمـــد الزين والزهاوى وطوقان والنشاشيبى والـكرملى والمازنى والرافعى

ولـكل من هؤلاء الأشياخ الأعلام خصائص مميزة واتجاهات خالدة ، منهم الأدباء الفنانون كطه حسين وتوفيق الحـكيم وتيمور

والمازنى وزكى مبارك . وكان الرافعى فرداً فى فنه ، ومنهم الأدباء الرواة الثقات واللغويون الأعلام كالزيات والنشاشيبى والكرملى ومحمود البشبيشى. ويمتاز الزيات بالروعة فى الأسلوب والدقة فى العرض والإحاطة بالأدب، والبشبيشى بسعة الاطلاع والجزالة فى الأسلوب، أما الكرملى والنشاشيبى فكانا يصدران عن طبع لغوى علمى يشوبه الجفاف فى العرض

وفيهم الأدباء الأعلام المختصون بالدراسات الأدبية والاجتماعية كالعقاد وأحمد أمين، ويمتاز العقاد بأفق واسع وأغوار عميقة لا يسبح فيها ولا يصل إليها سواه ، أما الأستاذ الحداد فله اتجاهاته العلمية ، والأستاذ أحمد رمزى اتجاهاته الاجتماعية والدولية . وكان الزهاوى فيلسوفاً شاعراً ولم يكن الشاعر الفيلسوف، وكان الدكتور مبارك الفنان الشاعر ولم يكن الشاعر الفنان ، أما شباب الرسالة فهم بين ابن نشأ فيها ورعاها ورعته وأخذ عن صاحبها العظيم وتأثر به وحده أو به وبغيره من أشياخها.. أو بين أديب آثر الرسالة بآثاره المكتملة فآثرته واحتفلت به وقد يكون تأثر بها من بعد وقد لا يكون

فمن شباب كتابها الأساتذة الأعلام عبد المنعم خلاف وسيد قطب ومحمود الخفيف وعزيز أحمد فهمى وكامل محمود حبيب وفهمى عبد اللطيف وعباس خضر والدكتور محمود يوسف موسى وأنور المعداوى وأحمد أحمد البدوى ومحمد القصاص ومحمد محمود زيتون وراجى الراعى وعلى متولى صلاح ومحمد رجب البيومى وأنور الجندى ومحمود أبو ريه وصلاح الدين المنجد وفوزى الشتوى وسعيد العريان وصلاح المنجد، ومن شباب شعرائها الأساتذة الملهمون على محمود طه ومحمود إسماعيل والزهاوى وإيليا أبو ماضى وسيد قطب وحسين البشبيشى وكامل الصيرفى وأنور العطار ومحمود السيد شعبان وعبد الرحمن الخميسى وإبراهيم نجا وأحمد العجمى ومحمود رجب البيومى والصافى النجفى وفدوى طوقان وعبد القادر رشيد الناصرى

ومن هؤلاء الشعراء من جمع بين الأسلوب الكتابى الرائع والقدرة الشعرية السامية فكان منهم من اشتهر بنثره النابض بالحياة وفكره المتعمق المساير للمجتمع والأدب كالأساتذة الأفاضل سيد قطب الكاتب المسلم الاجتماعى الخطير والناقد البصير وعبد الرحمن الخميسى الصحفى المعروف والعجمى وحسين البشبيشى والناصرى، وإنك لتلمح أثر العقاد فى سيد قطب واضحاً ، وأثر الرافعى فى سعيد العريان إلى حد تقييده طاقة العريان الفنية، وأثر الزيات فى أنور المعداوى وحسين البشبيشى وصلاح المنجد والناصرى.. وبعد فهذه خطوط رئيسية لا تصل إلى حد الدراسة . نأمل أن نجد من أدباء العروبة من يبادر إلى تناولها بالتفصيل. فللرسالة مكانتها الخالدة فى الأدب والأدباء ما؟

محمد سالم الحولى

مستشار سابق

اذكروا الشهداء

للأستاذ محمد محمود زيتون

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
قرآن كريم

اليوم .. بعد أن انطلقت أسود العرين من إسارها ، لخوض أروع معركة للتطهير والتحرير ، فى العصر الحديث ، يحق لنا أن نذكر شهداء فلسطين من قواد وضباط وجنود ، نعموا بجوار ربهم ، وخلفوا وراءهم أرامل ويتامى ، لهم عند الله أجر الصابرين

استشهد هؤلاء فى نضال عنيف بين كتائب الحق ، وشراذم الباطل ، بعد أن ائتمرت على قضية فلسطين دعاة الميكيافيلية ، وحماة الصهيونية ، وتمسكنت الذئاب المسعورة حتى تمكنت ، وفى غفلة من الزمن ، قامت لهم « دولة » ، كان يوم ميلادها ، نذيرا بحلقة جديدة من الاستعباز الجماعى ، مما أصاب الضمير الإسلامى ، بالحسرة والألم

وشهداؤنا الأبرار ، لم تذهب دماؤهم من جراء مغامرة طاغية ، ولا عدوان غاشم ، وإنما هم الذين حملوا أكفانهم على رءوسهم ، وجادوا بأرواحهم فى سبيل الله ، لا عن حزبية ولا عصبية ، ولا دفاعا عن أموال وضياع ، ولم تكن محارم الله مطيتهم إلى الهدف الذى تسابقوا إليه . وحسبهم أن باعوا الدار وأهلها ، وخفوا لنجدة الجار المهضوم ، والحرم المنهوب ، فأنعم بها من غاية ، وأكرم بها من سبيل

كانت الشهادة — وهى إحدى الحسنيين — رزقا ، يتوسلون إلى بارئ النسم أن يخصهم به ، ورحم الله عمرو بن الجموح إذ حمل سلاحه ، وأخذ يتكفأ فى طريقه — وهو أعرج — ومن ورائه بنوه الأربعة كالأسود يجرون ليصدوه ، ولكنه يتوجه إلى القبلة ، ويضرع إلى الله فى لهفة واشتياق « اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى » وقاتل حتى استشهد ، فرآه رسول الله ، وهو يطأ بعرجته فى الجنة

فلنذكر هؤلاء الذين باتت أرواحهم فى حواصل طيور خضر ، يسرحون فى رياض الجنة ، ولنتذاكر ما يوجبه علينا دين الجهاد نحوهم ونحو أهليهم ومواطنيهم أجمعين ، يدفعنا إلى ذلك ، قول نبى المجاهدين عليه الصلوات « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فقد غزا » .. فمن الذى ينكص على عقبيه ، وقد بلغته دعوة إلى غزوة .. نصيبه فيها عمل صالح يرفعه ، ولا يصيبه منها ضربة أو طعنة !

كان رسول الله أول من عنى بتكريم الشهداء ، فقد كان — عقب المشاهد — يجمعهم فى مصارعهم ، ويترحم عليهم ، ويستعبر ، ثم يأمر بتكفينهم فى أثوابهم التى استشهدوا فيها ، ونزع ما عليهم من جلود وسلاح ، ودفنهم من غير غسل ، فقد استشهد حنظلة بن عبد الله بن أبى عامر الفاسق ، وعليه جنابة ، فأطلع الله تعالى نبيه على أمره ، وسماه « غسيل الملائكة »

وكان يقدم للجنازة أكثرهم جمعا للقرآن . ويأمر بدفن كل رجلين أو ثلاثة فى قبر واحد لما يكون بينهم من صفاء أو قرابة فى الدنيا ، وكان يشرف على القتلى ويقول : « أنا شهيد على هؤلاء . وما من جرح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » ، وكان يواسى ذويهم ، ويوصى بهم خيرا ، ويتعهدهم بحنانه وبره ، ويدعو الله لهم بالخلافة عليهم

كان النبى على فرسه وسعد بن معاذ ممسك بلجامها ، فأقبلت أم سعد تعدو نحوه . فقال سعد : يارسول الله ، أمى .. فقال النبى : مرحبا بها . فلما وقف لها ، دنت منه ، وأخذت تتأمله ، فعزاها بابنها عمرو ، فقالت : أما إذ رأيتك سالما ، فقد اشتريت المصيبة . فقال لها : يا أم سعد ، أبشرى ، وبشرى أهليهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا ، وقد تشفعوا فى أهلهم جميعا . قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟ يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا . فقال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا »

وسار الخليفة الراشد أبو بكر ، على هدى خليله المصطفى عليه السلام ، فقد دخلت عليه فتاة ، فألقى لها رداءه لتجلس عليه إكراما لها ، ولذكرى أبيها الشهيد الذى قال عنه رسول الله

« رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيا وميتا » [1] وإذ ذاك قـدم عمر ، فما إن رأى من أبى بكر هذا التكريم لتلك الفتاة ، حتى عجب من أمرها ، وسأله عنها فأجابه : هذه ابنة من هو خير منى ومنك ، رجل تبوأ مقعده من الجنة ، وبقيت أنا وأنت ، هـذه ابنة سعد بن الربيع

وعقب « أحد » احتمل أناس قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة ، فجاء منادى رسول الله يعلن فى الناس « ردوا القتلى إلى مضاجعهم » ولم يبق إلا قتيل واحد ، ردوه ودفنوه حيث استشهد

على أن رفات الشهداء الأبرار لا تبلى كسائر الأجساد ، فقد روى أن معاوية بن أبى سفيان أمر بحفر عين جارية وسط مقبرة شهداء أحد ، واستصرخ الناس إلى قتلاهم ، وأمر بنقل رفاتهم ، فأخرجوهم رطابا تتثنى أطرافهم ، وذلك على رأس أربعين سنة من دفنهم ، ومع ذلك أصابت المسحاة قدم حمزة سيـد الشهداء ، فانبثق الدم ، وفاح المسك ، وكأنما هو صريع ساعته ، مع أن أرض المدينة سبخة ، قيل يتغير الميت فى قبره من أول ليلة ، ولـكن تأبى الأرض الطيبة — بقدرة الله — أن تأكل لحوم شهداء المعركة ، لأنهم مع النبيين والصديقين والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

ويجب دفن الشهيد فور مصرعه والصلاة عليه ؛ فقد رجعت هند بنت حرام بعد أحد تسوق بعيرا يحمل ابنهـا خلاد بن عمرو ابن الجموح ، وأخاها عبد الله بن عمرو ، وزوجها عمرو بن الجموح ، وصار الجمل يبرك بهم كلمـا وجهته إلى المدينة ، فإذا ضربت فى وجهه إلى أحد نزع وأسرع ، فسألت النبى فى ذلك فقال : « إن الجمل مأمور ، فقبرهم بأحد ، يا هند ما زالت الملائكة مظـلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن »

وفى تاريخ الإسلام أروع الأمثلة لرباطة جأش المرأة المسلمة إذا نعى إليها زوجها أو ابنهـا أو أخوها أو أبوها ، فهذه حمنـة بنت جحش تلقى النبي عند منصرفه من « أحد » إلى المدينة ، فينعى إليها خالهـا حمزة فتحتسب ، وأخاها عبد الله بن جحش فتحتسب ، ثم زوجها مصعب بن عمير فتصيح مولولة وتقول : واحزناه . فينظر النبي إلى من حـوله ، ويقول « إن زوج المرأة لبمـكان ما هو لأحد » ثم يسألها : لم قلت هـذا ؟ فتجيب « تذكرت يتم بنيه ، فراعنى . فدعا لهـا أن يحسن الله الخلف على أولادها

وأثبت منها عند الجزع ، امرأة من بنى دينار استشهد زوجها وأخوها وابنهـا وأبوها ، فلمـا نعوا إليها احتسبتهم عند الله . واعتصمت بالصبر ، وقالت ، كيف رسول الله ؟ فقيل لها : هو بحمد الله كما تحبين . فتقول أرونيه حتى أنظر إليه ، فلمـا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، وتعلقت بثوبه عليه السلام وهى تقول : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لا أبالى إذ سلمت من عطب

وكانت الخنساء مضرب المثل فى الإيمان عند النازلة ، استشهد بنوها الأربعة فى القادسية . بعد أن بلغت الثمانين من عمرها . ولما أقبل البشير بعد المعركة ، جاءت تسأله عن حال الإسلام والمسلمين، فقيل لها : ألا تسألين عن أبنائك الأربعة ؟ فقالت : هم بعد ذلك ، فلما طمأنوها على سلامة جيش الإسلام ، ذكروا لها أن بنيها قد استشهدوا جميعا فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الإسلام وأسأله تعالى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته

والإسلام بهـذا لا يتناقص مع طبيعة البشر ، ولا يدعى القضاء على غريزة من الغرائز التى هى القوى الدافعة للسلوك ، أو انفعال من الانفعالات التى هى مظاهر الوجدان . فقد ثبت أن هذا الدين المتين يتمشى مع الطبيعة البشرية إلى الحـد الذى يرتفع بها إلى أفق أعلى ، وخلق أسمى

وآية ذلك ، أن نسوة الأنصار جئن إلى النبى يذكرن عمه حمزة يبكينه ويبكين موتاهن ، فصرفهم النبى فى غير عنف وهو يقول : ارجعن رحمكن الله . لقد واسيتن معى ، رحم الله الأنصار . وبلغ الحزن مبلغا لم يقدر على مغالبته رجل أو امرأة ، فجـاء وفد من الرجال يسألون رسول الله : « يا رسول الله ، بلغنا أنك نهيت عن النوح ، وإنما هو شىء نندب به موتانا ، ونجـد فيه بعض

---

(١) بعد معركة أحد ، بعث النبى أحد الأنصار لينظر إن كان سعد ابن الربيع حيا أو ميتا ، فجاءه ، فوجده جريحا وبه رمق ، فقال سعد : أنا فى الأموات ، قد طعنت اثنتى عشرة طعنة ، وإنى قد أنفذت مقاتلى ، فأبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف . الله ، الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة ، فو الله ما لكم عند الله عذر

الراحة ، فائذن لنا فيه ، فقال : إن فعلن ، فلا يخمشن ولا يلطمن ، ولا يحلقن شعرا ، ولا يشققن جيبا

وتكريم الشهداء لا يكون بتلك الأساليب العقيمة المرتجلة ، التي يجترها السطحيون ، فلا يسمو بهم الحس البليد إلى أكثر من اقتراح تسمية شارع أو ميدان أو محطة باسم الشهداء ، أو اقتراح بإقامة نصب أو تمثال أو لوحة تذكارية أو قبر للمجهول في العاصمة والمدن الرئيسية

وما أبعد هذا كله عن سبيل التكريم الخالص لوجه الله ولن نصل بهذه الترهات إلى الهدف النبيل الذي من أجله أرخص الشهداء دماءهم الزكية الغالية

كما أن نقل رفات الشهداء غير جائز اعتمادا على ما أمر به رسول الله عقب غزاة أحد من رد القتلى إلى مضاجعهم ، ولذا يجب إعادة النظر في موضوع الخمسة والعشرين ألف من الجنيهات التي اعتمدتها وزارة الوفد الأخيرة لبناء المقابر بجهة الغفير ونقل رفات الضباط من شهداء فلسطين إليها

وهذا تفكير عقيم ضحل ، إن دل على شيء فإنما يدل على جهل مطبق بحقائق الدين . كما فيه امتهان لكرامة الشهداء الجنود ، وإثارة الأحزان الدفينة في مشاعر ذويهم الصابرة (٢) وتملق رخيص للعواطف النبيلة

وأول ما يجب البدء به لتخليد ذكرى الشهداء ، وتمجيد بطولتهم وتكريم ذويهم . هو إحياء سنة عمر بن الخطاب ، وذلك بإنشاء « ديوان المجاهدين » الذي وضع له اللوائح . ورتب الاختصاصات ، وفرض مستحقات الجند أحياء ولذويهم من بعدهم ، كل حسب بلائه وسبقه في الإسلام

ويجب أن توضع الملفات لأسر الشهداء ، لكي يتسنى للتاريخ الصحيح متابعة مجريات حياتهم ، والتنويه بمظاهر الإعجاب في سلوكهم ، والإشادة بآثار شهدائهم ، مع منحهم مزايا اجتماعية تبقى رمزا إلى ما قدموا للوطن من أغلى التضحيات ،

أما أبناء الشهداء وبناتهم ، فأولئك ودائع عزيزة ، ائتمنت عليها الأمة : جيشا وشعبا وحكومة . فلتكن نشأتهم على خير وجه مسنون من كرامة العيش ، وحسن التربية

فهذا الفتى أسامة بن زيد ؛ عقد النبي له لواء على جيش كثيف لغزو بني غسان قاتلي أبيه ، وهذه الربيع بنت معوذ قاتل فرعون العرب أبي جهل : نراها في عهد عمر تشتري العطر من أسماء بنت مخرمة أم أبي جهل وذات يوم وزنت لها ولأصحابها على الأعطية فقالت لهن أسماء اكتبن لي عليكن حق . فلما أملت الربيع اسمها على الكاتب استشاطت أسماء غيظا وبادرتك : « إنك لابنة قاتل سيده » ؟ قالت الربيع : لا . ولكن ابنة قاتل عبده فقالت أم أبي جهل : والله لا أبيعك شيئا أبدا . وقالت الربيع : وأنا والله لا أشتري منك شيئا أبدا : فوالله ماهو بطيب ولا عرف . ولما عادت إلى بيتها قالت لابنها والله يابني ماشممت عطرا قط كان أطيب منه ، ولكن يابني غضبت

هذا الترفع والإباء وليد روح عالية — بلا شك — دفعت ببنت المجاهد إلى مقاطعة البضاعة الكافرة . لمجرد غضبة المسلمة الغيرى على سيادتها وعزتها

وخير هدية من شهداء الوطن نقدمها للجيل الناهض ، سفر كبير . لا يخلو منه بيت ، ولا يدع شاذة أو فاذة من تاريخ الشهداء الأبرار إلا انطوى عليها . مع ذكر تاريخ حياتهم ، ومسقط رأسهم ، ومحامد سيرتهم وبطولتهم ، والمعارك التي أسهموا فيها . إلى غير ذلك مما يقرب إلى النفوس مشاهد الجهاد في عصر تميعت فيه الرجولة ، ورخصت فيه القراءة وطفحت الصحف والمجلات والكتب بقصص الغرام و «أصول الحب » و « نساء في حياتي »

وحق على وزارة المعارف أن تواكب هذه النهضة المباركة حتى تسير حملة التنوير وكتيبة التطهير جنبا إلى جنب . وتنهض بواجبها في بث الروح الجهادية قولا وعملا . فتختار للناشئة نخبة مختارة من أناشيد الحماسة ، وخطب القادة ، وأوامر الأمراء لجيوشهم ، وعرض الأفلام والقصص التمثيلية التهذيبية ، وتسهيل الزيارات لمتاحف الحضارة ، وسرد الوقائع التاريخية بكل دقة وأمانة ، من غير تمليق أو ترويق . هذا مع طبع المعاهد العلمية

---

(٢) تقدمت إلى « الأهرام » بمقال في هذا الموضوع عقب صدور القرار مباشرة ، وأبلغني الأستاذ الشيخ العسكري أن الأستاذ أحمد الصاوي محمد متفق معي في الرأي ، ولكن من وجهة نظر أخرى ؛ وأنه أيضا أعد لذلك مقالا ، فلم ينشر مقاله ولا مقالي .. خشية الفضيحة طبعا

بمناسبة العدد الألفى للرسالة

الرسالة فى حياة الأدب

للأستاذ حامد حفنى داود

فى أوائل القرن التاسع عشر تخلصت مصر من نير العصرين المملوكى والتركى، وانسلخت من حياة قاسية انحط فيها الأدب إلى الدرك الأسفل ، واستقبلت عهدا جديدا فى تاريخها أسس دعائمه محمد على الكبير

وزخر العهد الجديد بالإصلاحات الكثيرة التى تناولت مرافق الحياة فى مصر ، وأخذ ركب الحياة يمضى فى ثوبه الجديد . ولكن الحياة الأدبية فى ذلك الوقت لم تنل حظا كبيرا . فعلى الرغم من الإصلاحات العلمية وعلى الرغم من التعليم المدنى الذى بعثه محمد على فى فجر النهضة المصرية فإن الأدب المصرى كان يعانى نونا من التفكك وضربا من الجمود

وقد شاهد العهد الجديد تغييرا كاملا فى الحياتين السياسية والاجتماعية، ولكن الشجرة الأدبية لم تؤت أكلها أو ترسل ثمارها بالسرعة التى كنا ننتظرها، لأن سياسة التعليم فى ذلك الوقت وبالتالى حياة الأدب لم تكن جميعها منبعثة من منبعها الطبيعى، وإنما كانت إصلاحات عامة يصدرها الحكام وحدهم، ويحبس لها العلماء والأدباء ليسيروا بها سيرا مدرسيا بحتا لا يتجاوز جدران المدرسة أو يعدو قوانين التعليم العام . أما الأدباء المطبوعون والشعراء الموهوبون الذين يستطيعون أن يعبروا عن ميولهم وميول الشعب ويرسمون حياتهم وحياة الشعب؟ والذين كان فى مكنتهم أن يضعوا لبنة متينة تمثل مرحلة من مراحل الحياة الأدبية فى ذلك الوقت — فلم يفتح الباب أمامهم ولم يعطوا الحرية الكافية ليصوروا الأدب المصرى الرفيع كما ينبغى

* * *

وما كاد عقرب الزمن يطوى وراءه نصف قرن بعد محمد على حتى اشتد الفارق بين الأدب الشعبى والأدب المدرسى . ثم أخذ الزمن يمضى وأخذت الأحداث تتقلب ، وعاشت المدرسة فى بيئة وعاش المجتمع فى بيئة أخرى وازدادت الألسنة تبلبلا حين جمدت الثقافات الأدبية فى موطن واحد هو المدرسة ، استعصت على الحياة وامتنعت عن التفاعل بها

وتقدم الزمن ووقعت « الثورة العرابية » وتدخلت أصابع الأجنبى لكبحها وقتلها . وشاء الله لها أن تموت وتقبر فى مهدها، ولكن جذورها النفسية وآثارها الأدبية لم تمت ، فقد نبهت العقول الراكدة والنفوس النائمة إلى الواجب الوطنى ، فى الوقت الذى شعرت الأمة بضرورة التقريب بين الطبقات ، وحثت على محو الفوارق الاجتماعيه التى لا يقرها الإسلام ولا تعترف بها المبادئ الإنسانية .

وقد كان لهذا الشعور العميق الذى شاع بين طبقات الشعب وعم أرجاء البلاد بعض الأثر فى حياة الأدب . وكثيرا ما تكون الأحداث السياسية والثورات الوطنية مادة خصبة للبناء الأدبى ووقودا صالحا يشعل جذوة الحياة الأدبية بعد خمودها الطويل . وقد ساعد على ذلك أن لاقت الثورة الأولى نفوسا صافية وقلوبا واعية وأرواحا أبية وثابة تتأثر بما حولها وتعبر عن آلام الشعب وآماله . ثم انعكس شعاع هذه الثورة فى الحياة الأدبية : انعكس فى الخطابة فكان عبد الله النديم وأترابه ، وغزا دولة الشعر فكان البارودى وكانت مدرسته وهى أولى مدارس الشعر

بطابع الجهاد الصحيح

كان زين العابدين بن الحسين يقول « كنا نعلم مغازى رسول الله كما نعلم السور من القرآن » ، وكان إسماعيل بن محمد ابن سعد بن أبى وقاص يقول « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول يابنى إنها شرف آبائكم . فلا تضيعوا ذكراها »

وفى «جهاد النبى » .. حقا . أغلى ما يتزود به الجيل المؤمن ليتخذ من حقائق التاريخ مقياسا متينا لكل دعوة وغزوة ، تنحل إزاءها حرب البطش والعدوان فى القديم والوسيط والحديث على السواء.. وبالتربية الجهادية تسمو النفوس ، وتعلو الرءوس ، وتنتظم الخطى ، وتنسق الخطط ، ويستبشر الشهداء فى مضاجعهم بالذين لم يلحقوا بهم .. فنظفر بنصر من الله وفتح قريب

محمد محمود زيتون

المعترف بها فى عصر النهضة ، ونال الحياة الفكرية مانال الخطابة والشعر من تجديد، وظهرذلك واضحا فى شخصية الشيخ محمد عبده وأستاذه الشريف جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق ومجدد القرن الرابع عشر

* * *

ولم يكد يمضى الزمن بالثورة العرابية ولم تكد تأخذ مكانها فى سجل التاريخ حتى تمخضت عن مولود هو « ثورة ١٩١٩ » وقد أعادت هذه الثورة إلى الحياة المصرية سالف رونقها وأجرت فى شرايينها دماء الثورة الأولى والدعوة إلى المثل . وهكذا تقدمت الحياة المصرية خطوة إلى الأمام بعد الثورة الثانية . وارتقى التعليم المدنى تبعا لذلك فنادر ميدان المدرسة إلى ميدان أرقى وأجل هو الجامعة المصرية القديمة . وقد كان الغرض الأول من إنشائها تثبيت مكانة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية

ومنذ ربع قرن تطورت الجامعة المصرية القديمة إلى وضعها الجديد الذى بدأت خطوطه الأولى فى جامعة فؤاد الأول . ولكن الحياة الأدبية الرفيعة التى كانت تدب فى مصر فى ذلك الوقت ظلت مختنقة بين جدران الجامعة. أما المجتمع الخارجى الذى كان يتمثل فى النوادى والمجالس الأدبية — فلم يكن مقياسا صحيحا يمثل ما اعتور الأدب من تطور فى ذلك الوقت ، وإن كان فى ذاته يعتبر امتدادا طبيعيا لنوع من الحياة الأدبية الشعبية فى تاريخ مصر . ولعلك تعجب أن يضطرب هذا التطور بين الجامعة والمجتمع وأن تختلف البيئتان فى رسم هذا الاتجاه وتحديد ذلك النما !!

كان ذلك منذ ربع قرن حين كانت الجامعة وكان الجامعيون يعيشون بين جدران الجامعة ويدرسون الأدب للجامعة ولأنفسهم قبل أن يدرسوه لخدمة المجتمع وأهله أوقبل أن يتحملوا عبء هذه الرسالة ويكلفوا أنفسهم مشقة عرضها على المجتمع فى صورتها الجديدة . وهى الصورة التى كانت تساير الزمن وتساير الحياة الجديدة الناهضة فى العالم كله

أعنى : كانت هناك حلقة مفقودة بين « الأدب الرفيع » فى الجامعة و « الأدب الشعبى » فى المجتمع . واستمرت هذه الفجوة السحيقة والهوة الضخمة بين الأدبين ردحا من الزمن عانى خلالها الأدب المصرى لونا من التفكك وضربا من الجمود الذى ذكرناه

ويوم تفقد الحلقة بين الأدب الرفيع وأدب الشعب تقع الطامة الكبرى على المجتمع وعلى القومية وعلى الدين وتصبح الحياة ضربا من الترهات والتفكك والحواجز السخيفة التى لا تحتمل ، وتصير الأمة أشبه بأمتين متباينتين متنافرتين فى أمة واحدة

وقد كان من رحمة الله على مصر أن هذه الفترة لم تطل حين قيض لها بالأمس جماعة من الأدباء حملوا لواء الحياة الأدبية . وتقدم هؤلاء صفوف الأدب وأخذوا يقربون بين الأدب الرفيع وأدب الشعب ويرسمون من المثالين مثالا واحدا صادقا يصور التطور الصحيح ويتجانس مع الزمان والمكان

وقد كان الأستاذ الزيات فى مقدمة هؤلاء النفر الذين قربوا الخطى ووحدوا الصفوف ووسعوا الميدان الأدبى وأفسحوا المجال الصحفى للمطبوعين المقبورين والموهوبين المنسيين . كما كان فى رسالته عون الشباب المتوثب المكافح المناضل العامل على رفع القواعد من المدرسة الأدبية المصرية . وهو من هؤلاء النفر الذين يقدرون الشئ لذاته . فليس أكرم الأدباء فى نظره أشهرهم ولا أسنهم ولا أغناهم ولا أعظمهم جاها وشأنا ، وليس أتفههم عنده أخملهم ولا أصغرهم ولا أفقرهم ولا أحقرهم مكانة ورتبة . إنما أكرمهم عنده آدبهم وأعلمهم . وهكذا لم يشأ الأستاذ الزيات أن يتخذ من المقاييس اللا إرادية مقياسا يقيس به الأدباء والعلماء . لقد أبى الأستاذ فى رسالته إلا أن يكون الناقد الحصيف الذى يحسن الاختيار ويصل إلى الأعماق فى النقد ، ذلك لأنه يأبى إلا أن يجعل من الإرادة والإرادة وحدها مقياسه النزيه . أما هذه المقاييس التى تقوم على صفات عرضية لاحظ للانسان فيها ولاقدرة له على توجيهها فهى مقاييس زائفة تافهة فى نظره لأنها لا تمثل الحقيقة المجردة ولا تستقيم مع النقد النزيه ، ويماثل ذلك قوله تعالى فى محكم كتابه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فالتقوى وأمثالها جانب إرادى فى حياة الإنسان . ولذلك صح أن تعتبر مقياساً فى التفاضل الأخروى .

وفى ضوء هذا النهج السليم قرب الزيات بين الحياتين ووحد بين الأدبين حين جعل من الرسالة منبراً عاما يعتليه الأدباء لذواتهم وشخصياتهم لا لمناصبهم ومراتبهم ، يعتلونه على اختلاف مشاربهم وأهوائهم وميولهم ونزعاتهم يعرضون ما لديهم من بضاعة فى

الأدب والعلم والفن . ثم يطرحون ذلك كله أمام القراء الذين أقبلوا على الرسالة يتدافعون ويتزاحمون حين أدهشهم جلالها وأعجبهم اتساع صدرها وتمثيلها لجوانب الحياة الأدبية كلها . والقراء هم الحكومة النزيهة بين الرسالة وكتابها . فهم وحدهم الذين يستطيعون بإخلاص أن يقولوا للمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت . ثم هم يسجلون ذلك فى بريدهم الأدبى . وهم وحدهم يستطيعون أن يعلنوا ويثبتوا البقاء للأصلح « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

وهكذا ظلت « الرسالة والرواية » عشرين عاما منذ خرجت إلى الناس تحمل عددها الأول وهى تؤدى فى صدق وأمانة رسالة الحرية الكاملة فى الأدب العربى المصرى الحديث ولا تزال تؤدى هذه الرسالة إلى اليوم وستؤديها ما شاء الله لها أن تبقى . وهى فى ذلك كله تعرض على الملأ الكتاب الأحرار المخلصين للحقائق المجردة ، وترسم أمام الناس صورا صادقة لتطور المقالة الأدبية والشعر الحديث والقصة الحديثة . وهى إلى جانب هذا وذاك تعتبر سجلا لطيفا يصور التاريخ الأدبى المصرى وما يعتريه من نماء وتطور أسبوعا فأسبوعا . ولولا عنصر الصدق الذى امتازت به فى أداء رسالة الأدب لعصفت بها يد الزمان ولحطمتها معاطب الحدثان .

نعم إنها ظلت تناضل مع الزمن وتصور الحياة الأدبية المصرية فى غير تكلف ولا تعسف . كما استطاعت بفضل عناصر : الصدق والدقة والإحاطة أن تصبح مرآة عامة تنعكس عليها آداب مصر والعراق وآداب الأقطار الشقيقة ، وأن تستجيب لذلك كله لما وجدت من القراء فى الأقطار الشقيقة من يمهد لها الطريق ويعينها على أداء رسالة العربية وآدابها . فالرسالة — فى نظر المنهج العلمى الحديث — هى الأدب الحى المعاصر .. والأدب الحى المعاصر هو الرسالة :

* * *

واليوم شاءت الأقدار أن تحتفل الرسالة بعددها الألف ، وأن تختتم به عهدا قديما فى حياة مصر ، وأن تفتتح به عهدا جديدا حبيبا إلى النفوس ، هو عهد الحرية والفضيلة ، عهد العدالة التى حطمت صخرة الطغيان وخلصت مصر من ربقة الظلم والإثم والبهتان .

ولعل من أجمل الصدف وأحلاها فى حياة الأقدار أن تفتتح الرسالة الألف الثانية من أعدادها فى مفتتح هذا العهد الجديد . ذلك العهد الذى لا تزال الأعناق تشرئب إليه احتراما وتعظيما وتحملق العيون فيه إكباراً وإجلالا وتكريما ، وقد خشعت له أصوات المردة وارتفعت فيه صيحات الحق ، بعد أن ظل الناس زمنا يجأرون بالشكوى فلا يلتفت إليهم ويهيبون بالإصلاح فتداس حقوقهم وتحطم آمالهم

ما أجمل أن تفتتح الرسالة ألفها الثانى فى ذلك العهد الجديد وما أحراها أن تسهم فيه بنصيبها فى الإصلاح والتطهير والتجديد ، وأن تكتب عن ذلك كله وقد حمل صاحبها لواء الكتابة الإنشائية عشرين عاما كاملة . فما كان الأدب الحر فى أى عصر إلا سلاحا ماضيا يدافع عن الأبطال المجاهدين وسيفا مصلتا فوق رقاب الطغاة المتمردين . ألا إن حاجة الأمم إلى الكتاب وعذبات الأقلام ليس بأقل من حاجتها إلى القادة والقواد العظام .

حامد حفنى داود

يوم ٢٦ يوليـــو

بمناسبة مرور شهر عليه

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

ودنت ساعة الخلاص وكانت مصر بشعورها تحسها ولكن قلبها كان يهتز . كان يخفق فرحا بقرب إعلان مولد الفجر الجديد ، وكان يضطرب إشفاقا خشية أن يكون أسرف فى التفاؤل والأحلام . . وعاشت مصر أربعة أيام تترقب وتتكهن القدر وتتطلع إلى السماء ، تدعوها فى صوت مختلج أن تسند وقفتها فى وجه الظلم فلا ترتكس ، وأن تبارك هبتها فى وجه الطغيان فلا تنتكس ، وأن تصل حياتها الجديدة بعد البعث فلا تموت.. وكان اليوم الرابع أطول يوم لأن مصر عاشته لحظة لحظة ، وكان أقصر يوم لأن مصر من هول ما عانت قبله ، وعظم مانالت فيه ، بدا لها كالحلم السعيد الموشى ، قصير الأمد بعيد التصديق

لقد صبرت حتى شق صبرها ، واحتملت حتى ضاق ذرعها ، وكابدت حتى وهى جلدها ، وتجلدت حتى رماها الجاهلون بطبيعتها ، الباخسون لمعدنها .. بالبلادة ، واتهموها بالغفلة ، ووصفوها بالجمود الذليل ، ولكنها كانت تعرف أين تضرب ضربتها ومتى ، كانت تدبر لها بحكمة السنين ، ثم نفذتها بعزم الفراعين الجبابرة ، ومضت إلى غايتها فى استبسال المستميت . ثم استمدت ربها العون فأجاب ، وفوقت سهمها فأصاب ، واستلهمت تاريخها فتبدد من جوها اليأس ، وأشرق فى أفقها الأمل ، وجاشت فى صدرها العزة ، وسرى فى كيانها الشعور بالقوة والكرامة

فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ قالت مصر (لا) مدوية كالرعد ، نافذة كحكم القدر . وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ أصدرت مصر أمرها فطأطأ الطغيان رأسه ، وأعلنت مصر كلمتها فخفض الاستبداد صوته ، وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ فتحت مصر بابها فخرج الظلم إلى غير رجعة . . ودهش العالم ، وابتسم القدر ، وسجل التاريخ ، وهتفت الوطنية

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ خرج الظلم وانكمش أعوانه متضائلين بعد أن عاثوا الفساد وأشاعوا الفوضى ، وأرهقونا بالبؤس ، وحرمونا من الخير ، وأذلونا بالاضطهاد ، وقتلونا بالعنت والكبت ، واعتصروا دماءنا ليريقوها فى كؤوسهم خمرا ، وما حسبوا أن الله لهم بالمرصاد وأن وراء الخمر أمرا

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طردت مصر الظلم واكتفت بهذا فلم تنكل به كما نكل بفلذات أكبادها ، لم تودع فى صدره الأثيم الرصاص الذى أودعه صدور بنيها فى فلسطين ليزداد ثراء ، لقد قبض ثمن أرواحهم حين ابتاع لهم الأسلحة الفاسدة ليضاعف خزائنه .. كانت مصر جبارة فى غضبتها ، ولكنها كانت كريمة فى عفوها مع القدرة ، نبيلة فى صفحها مع غصة المرارة من الدم المسفوح .. إن وطنى صانع المعجزات ، إن التاريخ القديم والحديث ليس فيه صفحة واحدة لشعب عفا عن طاغية استبد به واستهتر بكل القيم كما عفا شعب مصر

لقد بكى قلبى مع الكثيرين من قومى عندما أعلن البشير خلاص مصر من ربقة البغى والطغيان . ولكن دموعنا هذه المرة طفرت من الفرح بالنصر المبين، وطالما سكبناها فى مصارع ضحاياها فما تحدرت من مآقينا حتى اختلطت فى بحر الدموع والعرق بلوعات الثكالى وزفرات اليتامى ، وأنين المجهودين والحيارى ، ومن تقطعت أنفاسهم فى منتصف الطريق

اشتدى أزمة تنفرجى

نعم لولا تفاقم الخطب لما نفد الصبر ، ولولا اشتداد الكرب لما انفجر الصدر ، ولولا توالى لذعات الألم لما فاضت الكأس

لقد أكرهنا على أن نقدم ما نزرع ليتخموا ونجوع ، واغتصبوا الضرائب التى ندفعها باسم مخصصات ومرتبات يكدسونها أكواما من النضار عاما بعد عام دون أن تنقص لأننا مكلفون مع هذا أن نتحمل تكاليف طعامهم ولباسهم ومركباتهم ونزهاتهم وأسفارهم وولائمهم وزينات أفراحهم ، حتى إذا ضاقوا ذرعا بالمال كما نضيق ذرعا بالعدم بعثروه فى سفاهة على الموائد الخضراء وفى الليالى الحمراء ، حتى إذا طلع النهار اتخذوا سمت الصالحين فغشوا المساجد ، وأداروا حبات المسبحة . وبلغت السخرية مداها حين زعموا .. وياهول ما زعموا . . زعموا اتصال نسبهم بنبى المسلمين !

ويرى الشعب هذا ويسمع به وينتظر ويتحرق ولكن البغاة الذين أغراهم صبره وغرهم حلمه ، أضافوا إلى صفحاتهم السود صحائف من الغيلة وانتهاك الأعراض والعبث بدستور البلاد وقوانينها . فخرج الاحتمال عن طاقة الإباء ، وكبر الجرم حتى ضج به الحلم ، وطاح معه الصبر فكان الانفجار

لقد نسينا ما فدحنا به إسماعيل من ديون ، وما نكبنا به توفيق من ويلات الاستعمار ، واستقبلنا منذ ستة عشر عاما الطاغية الطريد كما يستقبل الميامين الأبطال ، وأملنا فيه خيرا وأحببناه حبا دنا من العبادة وحففناه بقلوبنا ، ولكن تركيته غلبت عليه ، فسامنا الخسف كأسلاف له من قبل ، وبغى واستكبر ومادرى أن الله أكبر وأن على الباغى تدور الدوائر

إن يوم ٢٦ يوليه أجل أعيادنا خطرا وأعمقها أثرا ، فيه ولدت مصر الجديدة ، وفيه رفع الجيش رأس مصر المجيدة ، وفيه صح الوعى من مصر الرشيدة . وفيه دمدم قائدنا نجيب أكبر حصون البغى ليبنى على أنقاضه دولتنا من جديد

إن أرواح الأبرار من أسلافنا تطوف بنا مرفرفة ، فى أرضنا فرحة وفى سمائنا تبريك

إننا سنجعل من يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طلائع موكب الحياة والنور ، سنجعل من هبتنا فيه بداية يقظة موصولة تصحح على هديها أوضاعنا ، وتستقيم على ضوئها أمورنا ، فلا نضل بعد اليوم وقد وضحت معالم الطريق

إننا سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ درساً بليغا فى العزة القومية نلقنه صغارنا حتى نجنبهم التجربة القاسية التى مررنا بها فما سلمنا منها إلا بمعجزة نجيبة

سنلقنهم أنه فى يوم ٢٦ يوليه أمر المصريون الفلاحون السادة الأتراك أن ينزلوا عن عرش لا يستحقونه فأذعنوا صاغرين . ثم أمروهم أن يغادروا مصر فورا لا تشيعهم السلامة بل قذفت بكبيرهم إلى البحر لعنات شعب ممرور . وأمر قائدنا نجيب ربان الباخرة أن يطرحه على شاطئ بعيد ثم يعود إلى مصر فورا ياباخرتنا (المحروسة)

سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ نشيدا قوميا يحفظه عنا أبناؤنا ليعرفوا حقهم فلا يفرطوا فيه ، ويعتزوا بوطنهم فلا ييأسوا منه مهما ران عليه الظلام والكمد ، فهاهو النور انبثق دفعة واحدة ، وعلى غير انتظار من جوف ليل بهيم عابس حسب معه الكثيرون أن الصبح ضل طريقه ، فإذا به غامر الضياء مائس النور

سلام على مصر بين أوطان العالمين

وسلام على شعب مصر بين الخالدين

وسلام على جيش مصر بين الغر الميامين

نعمات أحمد فؤاد

تحيــــة جديدة *

للرسالة المجيدة

بمناسبة أعيادها الأربعة فى يوم واحد
العـدد الألف ، والسنة العشرين
وعيد الأضحى ، وعيد استقلال مصر

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

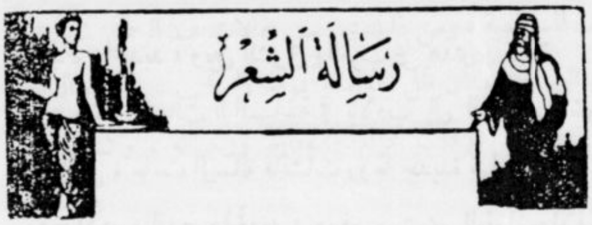
لم لا أعـود إلى تحيتهـا تلك التى تحنو على الأدب ؟!
لم لا أعود لهـا فأحمـدها والحمد عند العطف والحدب !
تطوى السنين بنا وتنشرهـا تختال فى أثوابهـا القشب
وتفيـض بالآداب مترعـة بالفن يبعث هـامد الطرب
الحق ديدنهـا وغايتهـا تجلوه بـين الشك والريب
كم غابت الأقمـار واحتجبت إلا (الرسالة) فهى لم تغب !
لولا الرسـالة لانطوت شهب منا وراء الغيم والحجب
لولا الرسـالة ماجرى قلمى بالمعجزات وجد فى الطلب !
كنا معاً من فجر مولدهـا كصبية شغفت فؤاد صبى !
ألهو بها وأجـد مقتبسا منهـا وليس الجـد كاللعب
كم كنت أحبو فى قراءتها واليوم أحبوها بوحى نبى !!
أعيادها مثنى ثلاث وقـد وافت رباع تفيض بالعجب
فى عيدهـا الألفى ساطعـة فى عامها العشرين كالشهب
أضحى بها (الأضحى) يحج إلى بيت البيان وكعبة الأدب !
والنصر وافى مصر وامتزجت آلاؤه بالنور واللهـب
إنى ثملت بحبها شغفاً حتى شغلت بربهـا الأرب
ياحبذا (الزيات) كم صلة بمحبوبها الفصحى وكم سبب ؟
رأس البيـان وغيره ذنب شتان بين الرأس والذنب !
نالت بلاغتـه بروعتهـا حد النهى ونهاية الأرب
والشرق يبصر فى براعتـه موسوعة تغنى عن الكتب !
آراؤه فى الفـن والأدب دع عنك ذكر البدر والشهب
يعـتز بالأسلوب فى زمن يعتز فيه الناس بالسلب !!
حسب الرسالة أن فى يدها يده التى تنهل كالسحب
هبـات أنسى من يؤازرنى ويهش للمغمور فى النـوب
قد كنت كالمغمور فى ظـلم بالريف ويح الريف من غضبى !
أحيا كأنى من سوائمـه وأعيش فيـه عيش مغترب
أتضيع أحلام الشباب سدى ويظل ذاك الظل فى الكثب ؟!
كم من يد طاشت فداء يد راشت جناح النسر بازغب !
وعلى ملوك البغى دائرة السـ ـوء البغيض تدور بالعطب !
تيجانهم قد أصبحت لعباً شتى فيا لطرافة اللعب !!
يارب تاج فوق ناصيـة النعل أرفع منه فى العقب !!
ولرب عمـلاق تعقبـه قزم فأرداه بـلا تعب !
التاج تاج الجيش والقضب والعهد عهد الشعب و (الشعب)
وكـتائب التحرير ساهرة وعناصر التطهير عن كثب
والظلم مدحور فإن برزت أنيابه فالرأى للقضب !!
والقائد الأعلى « نجيب » له بأس الكمى وفطنة الذرب
ياشائنـين كفى مناهضـة للناشئين الفتية النجب !
أخلوا الطريق لنا فموكبنا يحدوه حادى النصر والغلب
أو فالبثوا... هذى كتائبنا تختال بين البيض واليلب
نحن الشباب وتلك نهضتنا تسمو على الأفلاك والشهب
كم من فتى منا متى رغبت نالت يداه الشمس لم يثب !!
المعجزات لنـا نسخرهـا أرأيت فعل الريح بالسحب ؟
وعلى (الرسالة) من أسنتنا أصداء هذا الجحفل اللجب
دامت ودام الشرق فى فمها أنشودة منشودة الطرب !

أحمد أحمد العجمى

---

* للشاعر قصيدة قديمة مشهورة ، هى (تحية الرسالة فى عيدها العام العاشر) نشرت بالعدد ٤٤٤ ومطلعها

حى الرسالة واقبس من محياها ماشئت من حسنها أو من حياها
رفعت على الشرق أندى من أزاهره كأن من نفحات الخلد رياها



هوى الملك الباغي

للأستاذ محمود البشبيشي

بعزم (نجيب) أدرك الحق طالبه ... وروع صرح البغي وانهار جانبه
وأشرق وجه الشعب بعد عبوسه ... وولى زمان قد تمادت غياهبه
يسائلني صحبي وقد بهرتهمو ... من الجيش نفاثاته وعجائبه
لمن موكب كالرمح يمضي مسددا ... تحوم المعالى حوله وتواكبه
لمن قامة كالسيف يسطع عزمها ... تسير إلى الجبار صبحا تحاسبه
أذاك (نجيب) منقذ الشعب قد بدا ... تحف به أنصاره وكتائبه
فقلت، وقلبي دائم الخفق باسمه: ... أجل هو تحدوه العلا وتصاحبه
أجل هو سيف الله يمضي مظفرا ... إلى اسد الباغي، وتلك مواكبه
إلى ملك لم يرع للحق جانبا ... وقد شغلته نفسه ورغائبه
إلى ملك قد أثقلته ذنوبه ... وذاعت على موج الأثير غرائبه
وعاث بآمال البلاد وأهلها ... كما عاث في الكرم المباح ثعالبه
وقد عزه ما قد أعد وما درى ... بأن عيون الشعب يقظى تراقبه
فلم يغن عنه — والجيوش محيطة ... به ماله أو قصره ومساربه
أيحسب أن البطش يعصم تاجه ... وكيف؟ وجبار السماء محاسبه!
لقد طوقته الغاشيات فلم يجد ... أخا يفتديه أو صديقا يعاتبه
وما الجيش إلا نقمة الله أطبقت ... عليه فما تنجيه منها مهاربه
وكيف يرجى رحمة الله ظالم ... ويطمع في لطف الإله محاربه؟

فلا الجو ينجيه وقد زمجرت به ... من الجيش نفاثاته وضواربه
ولا البحر ينجي والبوارج رصد ... ولا البر منج والأسود طوالبه
كذلك بأس الله إن حاق بامرئ ... «ولو ملكا» ضلت عليه مذاهبه
هو الجيش لله القوى حفاظه ... وللوطن المحبوب تنضى قواضبه

لقد ظل دهرا يهتف الشعب باسمه ... ويزجي من الألقاب ماهو طالبه
يسئ فيغضي الشعب حلما لعله ... يثوب إلى الحسنى وتخبو مآربه
وقد عزه صبر الكرام وما درى ... بأن وراء الصبر كبتا يغالبه
وقد حسب الدستور لهوا وملعبا ... يقربه حينا، وحينا يغاضبه
وينساه أحيانا وحينا يهزه ... إليه حنان خادع ويداعبه!
وكم همس الشعب الكريم بنصحه ... رفيقا فحلت بالبلاد مصائبه
تمرد واستعلى على الشعب لاهيا ... فطورا يرائيه، وطورا يشاغبه
وأملى له شيطانه فسما له ... (نجيب) بجيش لا ترد مطالبه
وصبحه بالجيش فانهار عزمه ... وأيقن أن الحق لا شك غالبه
وأدرك أن البغي يصرع أهله ... وأن الأماني العذاب كواذبه
ولاح له طيف المنون فراعه ... وقد برزت أنيابه ومخالبه!
فألقى إلى الجيش الأبي زمامه ... فما بات حتى غيبته مغاربه
وأقلع عن أرض الكنانة خاسئا ... تشيعه آثامه ومعايبه
خدعنا به حينا فلما تبينت ... مثالبه جئنا إليه نحاسبه!
وإنا لشعب لا تلين قناته ... إذا استل سيفا لا تخون مضاربه
(إذا الملك الجبار صعر خده ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه)

محمود البشبيشي

نشيد الخلاص

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

آن للظلم أن يزول فمرحى ... بزوال القيود يا مصر مرحى
كم شربنا الحياة جرحا وجرحا ... وعرفنا الجهاد كبتاً وكبحا
وانتهينا إلى النجاة.. فمرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

آن للبغي أن يزول فعالا ... كالخطايا ... وأن يزول رجالا
بارك الله جيشنا حين قالا ... قولة الشعب «زل» فخر وزالا
بعد عهد من البلاء توالى
آن ياشعب أن نعيش فرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

كم صبرنا على الهوان زمانا ... وشربنا الخداع آنا فآنا
ونسينا الكفاح حتى سلانا ... فصحونا على بشير دعانا
دعوة النصر صادقا وهدانا
لطريق الخلاص يامصرمرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

حسين محمود البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مدرسة الرسالة

فى ١٥ يناير سنة ١٩٣٢ بزغ النجم فصدر العدد الأول من الرسالة ، وفى أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ يصدر العدد الألف من هذه المجلة خلال فترة بلغت عشرين عاما ، تطور فيها الأدب والفكر والفن ، وانتقل من مرحلة إلى مرحلة ، وسايرت الرسالة هذه النهضة ووجهتها وتفاعلت معها ، وتركت فيها آثاراً قوية حية ما تزال باقية خالدة

وفى خلال هذه النهضة الأدبية التى بدأت بعد الحرب العالمية الأولى نشأت مدرستان : مجلة السياسة ومجلة الرسالة

أما مدرسة السياسة فقد بدأت منذ عام ١٩٢٢ وانتهت عام ١٩٣١ ، أما مدرسة الرسالة فإنها منذ بدأت لم تنته ، وما زالت تواصل جهادها فى قوة

كانت مدرسة السياسة تنشئ الأدب الجديد ، وتواجه التيارات المختلفة ، وتقف من الحضارة الأوربية ومن القديم والجديد ، ومن الشرق والغرب؛ موقفا بين الوضوح والغموض ، وبين الاتزان والشطط ، وبين الاعتدال والاضطراب

أما مدرسة الرسالة فقد جاءت بعد أن استقرت الأمور ، ونضج الأدب وبدت ثماره دانية القطوف ، وانتهت المرحلة العصبية الحادة إلى غير عودة

وبينما كانت مدرسة السياسة تقول بالفرعونية ، وتدعو إلى التبسيح بكتابين متوالين عن الشعر الجاهلى ؛ والخلافة وأصول الحكم ؛ كانت الرسالة تقول بالامتزاج ، وتقريب وجهات النظر ورعاية القديم وبعثه ، وتقبل الجديد بعد دراسته ونقده

وكان الصراع فى « السياسة » بين الأدب القديم والجديد ، أقرب إلى الهدم منه إلى البناء ؛ فلما جاءت الرسالة واءمت بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب على هدى وبصيرة

وبعد أن مالت « السياسة » بالأدب إلى النيل من شوقى والرافعى ، جاءت الرسالة فأنشأت روحا جديدة قوامها الجمع بين روح الأدب القديم والجديد ، ورفع مستوى العقول والأفكار والنفوس عن ميدان الصراع ، وخلق ميدان للبناء والإنشاء

وفى مدرسة « السياسة » كتبت الأقلام التى أبرزتها النهضة بعد ثورة ١٩١٩ : طه حسين ، وهيكل ، والمازنى ، وعنان ، ومحمود عزمى .. أما فى الرسالة فقد كتبت هذه الأسماء ، ونشأت فى محيطها أقلام جديدة هى صفوة الكتاب الذين يلون الصف الأول

وبعد أن كانت الكتابة فى « السياسة » من ذلك النوع الذى أطلق عليه الدكتور طه حسين اسم « الأدب الموضوعى » وهو النقد ، جمعت « الرسالة » بين الأدب الموضوعى والأدب الإنشائى .. وكان الخلق والفن الجديد أغلب

كان قوام مدرسة الرسالة روح « الزيات » . الأسلوب البليغ ، والعبارة المتزنة ، والكلمة النقية ، والنقد النزيه ، والإبداع . .

وبالرغم من أن بعض كتاب « السياسة » انتقلوا إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم قد تطور وتحول من حال إلى حال

فالدكتور طه حسين الذى كان يكتب فصولا فى تصوير الحياة الاجتماعية فى العصر الأموى والعباسى تحت عنوان « حديث الأربعاء » فى « السياسة » ، كتب فصولا غاية فى الروعة عن سيرة الرسول فى الرسالة باسم « على هامش السيرة » ، وكان هذا فنا جديدا من فنون القول والإنشاء

والرافعى الذى كان يكتب حديث القمر ، وأوراق الورد ، والمساكين وغيرها قبل أن يتصل بالرسالة ، فلا يقرأها إلا صفوة قليلة من الأدباء ، كتب فى الرسالة أجود إنتاجه ، ونزل إلى مرتبة القراء الوسط ، وخلف كتابا ضخما هو « وحى القلم »

وتوفيق الحكيم بدأ على صفحات الرسالة أول كتاباته فى الأدب والفن فى مساجلاته مع طه حسين عن نشأة الحوار ، والفن الإغريقى والفرعونى

وعلى صفحات الرسالة بدأ العقاد عبقرية محمد. والحكيم قصة

محمد المسرحية ، ومن ذا الذى ينسى مقالات عبد الرحمن شكرى فى الرسالة بعد أن ظل أعواما وأعواما لا يكتب حتى نسيه الناس

وعبـد الوهاب عزام وأسفاره ورحلاته ، وكتاباته عن التصوف

والـكتاب الذى يعد أجمل ما كتب زكى مبارك بدأه فى الرسالة : « ليلى المريضة فى العراق »

والقصصى الإغريقى الخالد ، كتب لأول مرة على صورة رائعة فى الرسالة عندما أنشأه دريني خشبة

والمساجلات الرائعة الخالدة ، كانت صفحات الرسالة منبرها أمثال « بين الرافعى والعقاد » « بين سيد قطب ومحمود محمد شاكر وسعيد العريان » « ولايقينون وسكسيتون » بين العقاد وطه حسين

و«صداقات الأدباء» بين توفيق الحكيم وزكى مبارك والعقاد و« ما لزكى مبارك وكتاب الله » بين زكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى

و« الشيخ المرصفى » بين زكى مبارك والسباعى بيومى

و« أومن بالإنسان » بين على الطنطاوى وعبد المنعم خلاف

و« الأدب المهموس » بين محمد مندور وسيد قطب

والمذهب الرمزى والتبيانى بين العقاد وكثير من الـكتاب

وكان للرسالة فضل فى إبراز شخصيات أدبية غاية فى القوة فى مصر والشرق وفى مقدمتها : الأستاذ صلاح المنجد وعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى وجواد على وفهمى عبد اللطيف وأنور العطار وسعيد العريان ومحمود محمد شاكر وعزيز أحمـد فهمى ومحمود الخفيف وعبد المنعم خلاف

ومن كتابه ثلاثة كانوا غاية فى القوة ، وكان ينتظر لهم مستقبل حافل ، لولا أنهم انتحروا : فخرى أبو السعود وفيلـكس فارس وإسماعيل أدهم أحمد

وغاية القول أن مدرسة الرسالة كانت مدرسة الخلق والإنتاج، وأن الأدب المعاصر مدين لها بكل مافيه من قوة وعظمة وجلال، ولا نبالغ إذا قلنا إن كتابا من الـكتب الأدبية الحديثة لم يكن قبل صدوره إلا فصولا فى مجلة الرسالة. ونحن نهنئ الأستاذ الزيات بهذا الفضل الذى طوق به الأدب العربى الحديث

هل يكتب التاريخ من جديد

فارق كبير بين ما يكتب الآن ، وبين ما كان يكتب قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، إن القيود التى كانت موضوعة على الحقائق قد رفعت ، فأصبح فى مقدور كل من يعرفها أن يعلنها صادقة ، هذه الحقائق هى مادة التاريخ ، الذى يجب أن يكتب من جديد

إن الأحزاب السياسية التى كانت تلى الحـكم فى الثلاثين عاما الأخيرة قد كانت فى حديث الصحف والـكتب قبل هذا التاريخ صاحبة أمجاد ، وكان فلان وفلان وفلان هم زعماء الشعب ، أما الآن فقد أمكن أن تقال الحقيقة ، وهى مدى الأثر الذى تركته هذه الأحزاب بصراعها ونفاقها فى البلاد

إن الملك السابق كانت تكال له عبارات التمجيد والتقدير والإعجاب من رجال السياسة والدين والصحافة ، وقد تحول هذا كله اليوم إلى إعصار من الحقائق التى كانت محجوبة . . والتى كان يمكن أن تظل محجوبة وقتا طويلا لولا هذا الانقلاب

والصحف قبل ٢٣ يوليه كانت تحمل أشياء كثيرة ، لاأظن أنها صالحة لـكتابة تاريخ مصر كتابة صحيحة ، ولا أظن أنهـا المادة النافعة لهذا ، والمؤرخ الذى سيعتمد عليهـا سيكتب حتما صورة خاطئة لمصر

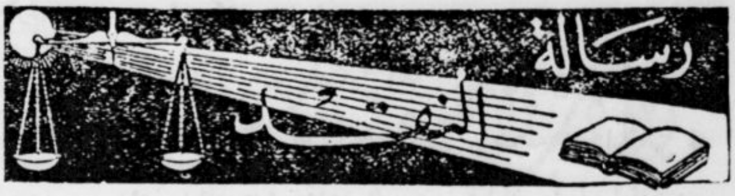
وقد ألفت فى هذه الفترة الطويلة كتب عن فاروق وفؤاد وإسماعيل وعن سعد زغلول والنحاس ، وعن السياسة والوطنية والمجتمع ، كل هذه المؤلفات ما عدا القليل منها أصبح زائفا

ولم يكن هناك غير عبد الرحمن الرافعى وفتحى رضوان وبعض كتاب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقولون بعض الحقيقة أو يحاولوا فى لباقة أن يقولوا الحقيقة المرة

لقد كانت المطامع والأهواء تغطى على كل شئ ، فلطالمـا زيفت الصحف الحقائق ، وقالت غير ماهو كائن ، وصورت الأمور على غير وجهها ، وكان ذلك فى بعض الأحيان رغم أنفها ، وفى بعضها الآخر بإرادتها ، وكانت بعض الصحف مشتراة ، للأحزاب أولغير الأحزاب، لتزييف هذه الحقائق ، ولذلك وجب أن يكتب تاريخ مصر : تاريخ الملك والأحزاب والسياسة والأزهر من جديد بعد أن أصبح ذلك فعلا فى مقدور كل كاتب

أيها الـكتاب : اكتبوا تاريخ مصر من جديد

أنور الجندى



كتاب معجم ما استعجم
من أسماء البلاد والمواضع

تأليف أبي عبيد البكري الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس في الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

بقية ما نشر في العدد الماضي

الملاحظة الثالثة

وقع في هذا الجزء هفوات تحتاج إلى إصلاحات ، منها :

١ — ص ١١٥٧ :

ما كان بين الشيطين ولعلع لنسائنا إلا مناقل أربع

والبيت بهذه الصفة ، وإن استقام وزناً — إلا أنه خرج عن وزنه الصحيح ، إذ هو من الطويل ، وبعده : —

فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر الوريعة يظلع

وصوابه إذن : (فما كان ... لنسوتنا) . كما في كتاب لغدة الأصبهاني ، عن بلاد العرب (ص ١٧ نسختنا الخطية المقابلة على نسخة السيد المرحوم محمود شكري الألوسي)

٢ — ص ١١٨٥ : (المجازة ، ومعرض ، وحجر ،والعامرية والصواب : (العمارية) وهي قرية من أعراض اليمامة ، كما نقل المؤلف هنا ، ولا تزال معروفة ، تقع غرب مدينة الرياض مسافة ٣٠ كيلا (كيلو مترا) — أنظر « معجم البلدان » هذه المادة و « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٢ —

٣ — وفي ص ١٢٠١ : (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى مدين ، أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل ميناء ، قال ابن إسحاق : وميناء هي السواحل) . كذا — وكلمة « ميناء » تصحيف « مقنا » بالقاف مكان الياء ، ولعل هذا التصحيف سببه أن الفاء بالخط المغربي تنقط بواحدة من تحتها ، فصحف أحد النساخ القاف فاء ، ثم صحفت الفاء ياء لاشتباهها بالياء . ومقنا قرية معروفة الآن في ساحل مدين ، بين قريتي « ظبا » و « حقل » وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سكانها من اليهود ، إذ هي قرية من وادي القرى . (انظر هذه المادة في معجم البلدان ، كتاب الرسول (ص) لأهل مقنافي « فتوح البلدان » للبلاذري ، وفي « الوثائق السياسية » للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي ، المطبوع بمصر ، بمطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف)

٤ — وفي ص ١٢٣٦ : (ثم تنزل تريم وهي لبني جشم) . و(تريم) تصحيف (بريم) بالباء الموحدة المضمومة فراء مفتوحة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فميم ، وهو منهل لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، في عالية نجد ، بقرب جبل حضن ، وثم منازل بني جشم قديما ، وبقاياهم في هذا العهد يقرب هذا المنهل (وانظر لتحديده « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٤ و ١٥١ وكتاب لغدة الأصبهاني حيث تجد فيه : وفي بريم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز : (تذكرت مشربها من تصلبا — قصبا مثقبا) . أما تريم — بالتاء والمثناة الفوقية المكسورة ، بعدها راء ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة فميم ، فهو موضع آخر يقع في شمال الحجاز ، يقرب مقنا ، بين « المويلح » و « حقل » وهو الذي يرد ذكره في شعر كثير عزة . وتريم — بفتح أوله وكسر ثانيه — بلدة في حضرموت معروفة

٥ — ص ١٣٤٧ : (قال أبو الصلت الثقفي) . والمعروف (أمية بن أبي الصلت الثقفي)

٦ — وفي ص ١٢٧٠ : (سيحان من جنب) . والصواب (سنحان) بالنون بدل الياء ، وهي قبيلة معروفة في عهدنا هذا ، من قبائل جنب ، منازلها في جنوب المملكة العربية السعودية ، وفي أطراف اليمن الشمالية ، في السراة ، (انظر تاج العروس مادة « سنح » وراجع كتب الأنساب)

٧ — وفي ص ١٣٣٥ : أورد المؤلف شاهدا على تحديد « النميرة » بيتاً للراعي ، وعقبه بقوله : (فذلك أن حقيلا من

ديار بنى تميم) . وكلمة (تميم) هنا مصحفة وصوابها (نمير) وهم قبيلة الراعى ، وحقيل جبل فى بلادهم قال فيه الراعى :

وأفضن بعد كظومهن بجرة من ذى الأبارق إذرعين حقيلا

٨ — فى ص ١٣٩٨ : (بلقيس بنت هداد بن شرح) . والصواب ما نقل الأستاذ فى الحاشية عن الجزء العاشر من « الإكليل » : الهدهاد . وأما شرح فصوابه إلى شرح ، كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس (انظر طبعته للجزء الثامن من الإكليل ص ١٩) وورد فى كثير من المؤلفات العربيـة بصيغ متعددة — الشرح — إلى شرح — ليشرح — لى شرح — وأورده نشوان الحميرى فى مادة « شرح » وسماه بهـذا الاسم ، ولـكن الهمدانى أوثق وأعلم من نشوان

٩ — وفى ص ١٤٠٣ : (صيد بن همدان) . والصواب : (صيد من همـدان) إذ الصيد هؤلاء من ولد عمرو بن جشم بن حاشد ، وحاشد من همدان (أنظر نسبهم فى الجزء العـاشر من الإكليل ، وانظر ص ٨٠ ج ٨ منه طبعة الدكتور نبيه فارس)

١٠ — نقل الأستاذ فى حاشية ص ١٢٧٢ — عن ياقوت أن « منفوحـة » قرية كان يسكنها الأعشى وبها قبره ، وهى لبنى قيس بن ثعلبة نزلوها بعد قتل مسيلمة . ولا أدرى كيف غاب عن الأستاذ أن جملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا تتفق مع كون تلك القرية بلدة الأعشى وبهـا قبره ، إذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بنى قيس هـؤلاء ؟ وإذن فسكنى بنى قيس متقدم على قتل مسيلمة

هذه بعض الهفوات ، ولم نحاول إحصاءها وحصرها ، ولم نشر إلى الأغلاط المطبعية إيجازاً للقول ، وضنا بالوقت ، ولأن جل من يرجعون إلى هـذا الـكتاب لتحقيق موضع ما من العلماء الذين لهم من سـعة الإدراك والاطلاع ما يمكنهم من التثبت والتحقيق حتى يصلوا إلى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الـكتاب

الملاحظة الرابعة

ذكر الأستاذ السقا — فى مقدمة هذا الجزء — أنه صحح أغلاط المؤلف ، ولـكننا نجد للمؤلف أوهاماً كثيرة ، وأغلاطا فاحشة لم تصحح ، وقد ذكرنا فى كلمتنا التى نشرناها فى هـذه المجلة عند صدور الجزء الثالث عذر المؤلف فى ذلك . لـكونه ينقل عن كتب كثر فيها التحريف والتصحيف ، وهو فى بلاد الأندلس ، البعيدة عن بلاد العرب . ولا نريد استقصاء ما وقع من المؤلف من الغلط ، ولـكننا نشير إلى بعضها ، مؤملين من الأستاذ السقا إعادة النظر فيها عند إعادة طبع الـكتاب ، فمنها :

١ — فى ص ١٢٨٨ و ١٣٧٠ : (وحسن خبة) بالخاء ، وقد أوردها المؤلف فى بابها ، والصواب (جبة) بالجيم ، وهو منهل معروف فى فلاة واسعة يقع بين بلدتى « حائل » و « الجوف » فى شمال نجد ، وتلك بلاد طئ فى العهد القديم

٢ — وفى ص ١٢١٨ : (الحزواء) وأوردها كذلك فى حرف الحاء مع الزاى — وهى فى رأيى (الحوراء) التى ورد تحديدها فى صفحة ١٣١٠ وهى فرضة قديمة على سـاحل البحر الأحمر ، تقع بقرب بلدة « الوجه » فى جنوبها وقد خربت قبل القرن السابع الهجرى

٣ — فى ص ١٢٥٣ : (الملح) وقال المؤلف إنه مذكور فى رسم القاعة والقاعة تسمى فى عهدنا الحاضر : وادى المياه ، وتقع غرب الإحساء ، ممتدة من الجنوب إلى الشمال ، وفيها قرى كثيرة ومن قراها (ملج) بالجيم بدل الحاء ، وبقربها قرية (نطاع) وقد أورد البكرى فى ص ١٠٤٤ — قول الشاعر

طحون كلق مبرد القين فعمة بصحراء ملح أو بجو نطاع

وقال الأصبهانى — فى كتابه عن بلاد العرب ص ٤٥ نسختنا الخطية : (ثم تخرج من بطن غر فتقع فى الستار ، وفيه أكثر من مائة قرية ، .. ومن قراها ثاج قال ذو الرمة

نحاها لثاج نحية ثم إنه توخى بها العينين عينى متالع

وعينا متالع منها ، وقرية يقال لها ملج ، وقرية يقال لهـا نطاع ، قال العجاج ،

إن تك وهنا ظعنت عن دارها عامدة للج أو ستـارها

فقد تصيد القلب باحوارها وكفل ينصار بانصيارها

فإذا خرجت من الستار وقعت فى القاعة ، فيها مياه كثيرة) اه

٤ — وفى ص ١١١٧ (كداء . . جبل مكة ، هو عرفة بعينها)

٥ — وفى ص ١٢١٧ (المروة جبل بمكة معروف ، والصفا

جبل بإزائه ، وبينهما قديد ، ينحرف عنهما شيئا ، والمشلل هو الجبل الذى ينحدر منه إلى قديد) إلى غير ذلك من الخلط فى تحديد المواضع ، مما لا نطيل بذكره ونرى أن هذه الصحيفة لا تتسع لبيان وجهة الصواب فيه

وبعد كل ما تقدم : فإننا نشارك حضرة الأستاذ السقا فى قوله (إنى لمغتبط إذا أقدم معجم ما استعجم بعد إتمام طبعه فى هذه الصورة إلى العلماء ، والباحثين فى الثقافة العربية ، ليحلوه من خزائنهم محل الصديق الوفى ، يفزع إليه فى التماس العون والرأى ، إذا أدجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشكوك ، خاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، التى هى الوطن الأول للاسلام والعرب والعروبة) ونزجى لحضرته — مع هذا — شكرنا ، لما أبداه للعربية من يد بيضاء

حمد الجاسر

الإمام المراغى

تأليف الأستاذ أنور الجندى

للأستاذ عبد العزيز الدسوقى

كان الإمام المراغى .. طيب الله ثراه .. ورضى عنه . . قبساً من أقباس الفكر الخالق المتعمق ، وشعاعا من نور النبوة الصافية ... ونوراً من هدى السماء . مزج الدين بالدنيا ، ووصل الأرض بالسماء ... وواءم بين وثبات الفكر المتطور المتألق ، والعلم الزاحف ... وبين منابع الدين الغامرة العامرة ... حتى صار بحق ثالث ثلاثة أحدثوا فى الشرق والعالم الإسلامى ، ثورة فكرية بعيدة المدى . .

... وكان — الإمام — أحد النماذج التى تعشقتها ، وكنت أستلهمها . وأستوحيها .. كان حبيباً إلى نفسى بنظراته النفاذة العميقة . وصوته الهادئ الموسيقى العذب النبرات ، الفياض بالإخلاص . المعبر القوى ، .. ثم اختفى بعد حياة حافلة بالكفاح والأصلاح .. وخنق صوته غول الفناء الرهيب .. وكادت سيرته تختفى فى قبو النسيان . . والشرق . . ومصر خاصة ما أكثر ما ينسى أبطاله ، فلم نسمع عن المؤلفات التى تكتب عن المراغى وشخصيته متعددة الجوانب ، ولم نر الأزهر يحتفل بذكرى الإمام الذى وقف حياته على إصلاحه ، حتى قيض الله لهذا الإمام .. الصديق الكريم الأستاذ أنور الجندى وهو وإن كان من غير بيئة الأزهريين ، كما يحاول أن يشير إلى ذلك فى مقدمة كتابه إلا أن هيامه بالشرق ، وتوفره على دراسة المسائل الإسلامية ، وكتبه المتعددة فى هذا المضمار ، شاهد قوى على أنه ليس غريبا على جو الإمام والمراغى...

لذلك أقدم الزميل الحبيب فى إيمان حار .. وأخرج كتابه الإمام المراغى . . والكتاب وإن كان صغير الحجم كما تقضى بذلك طبيعة سلسلة « إقرأ » إلا أنه ألم بكل حياة المراغى .. فكتب عن المراغى طفلا تنطبع على نفسه انطباعات الطفولة فى قريته المراغه بصعيد مصر ، وكتب عنه قاضيا لقضاة السودان ، وصوره تصويرا بارعا ، وتعمق نفسه،وقارن بينه وبين محمدعبده ، وذكر وطنيته ، وإصلاحه فى المجتمع والأزهر ، وتجديده ونزعته المتحررة ، كتب عن كل هذا فى أسلوب مشرق يفيض بالحماس الحار ، والإخلاص لحياة الإمام المراغى ...

وأنا لا أستطيع أن ألخص كتاب الزميل بهذه العبارات القلائل ، فليس الكتاب قصة ألخصها ، وإنما هو دراسة نفسية لحياة الإمام تنبسط أحيانا ، ثم تنقبض أحيانا أخرى ، وتمر على بعض الأدوار مرورا سريعا مكتفية باللقطات المعبرة ، والهمسات الجياشة ، وتمعن فى التعمق واستكناه الأسرار فى بعض الأدوار ، ثم تمضى هذه الدراسة شيئا فشيئا كما تمضى الحياة نفسها حتى يبلغ الكتاب أجله ، وتخمد الجذوة ، ويسدل الستار على حياة الإمام ، وهنا ينتهى الكتاب ، ولكنه يترك فى النفس خطوطا قوية ، ودبيباً عارما ، وهمساً فياضا . يدفع المرء إلى التأمل .. والكتاب الذى يدفعك إلى التفكير بعد قراءته هو كتاب قد أدى رسالته

لذلك أهنئ الصديق أنور الجندى بهذا المجهود الطيب ... جزاه الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء

عبد العزيز الدسوقى



عبد الحميد الزهراوي

جاء فى عدد المصور ١٤٥١ (١٠ ذى القعدة ١٣٧١ — أول أغسطس سنة ١٩٥٢) تحت عنوان شيخ الصحافة أحمد لطفى السيد يتكلم .. أن الشيخ الزهراوى عاد إلى وطنه سوريا ليكافح الفرنسيين هناك ويرد إلى بلاده حريتها واستقلالها ... فلم يرع الفرنسيون إلى هؤلاء الوطنيين الأحرار فنصبوا لهم المشانق وأزهقوا أرواحهم ، وكان الشيخ الزهراوى فى مقدمة المشنوقين

والحقيقة أن الشيخ رحمه الله كان ضمن الذين حكمت عليهم المحكمة العسكرية التى أقامها جمال باشا فى عالية بلبنان إبان الحرب العالمية الأولى

ولقد أنشأ الأحرار العرب جمعيات :

الإخاء العربى ، جمعية العهد ،المنتدى الأدبى، الجمعية السورية العربية ، الجمعية القحطانية ، حزب اللامركزية . وغيرها

وكان الزهراوى مؤسسا للمنتدى الأدبى بإستنبول ومروجا لبرنامجه السرى ، وتوالى رئاسة حزب اللامركزية واشترك فى مؤتمر باريس يوم عين فى مجلس الأعيان ولم يقبل هذه العضوية إلا بموافقة حزبه ، فهو فى مقدمة الأحرار العرب الذين ذهبوا ضحية إهمال القنصليه الفرنسية فى بيروت وهى التى وضعت السلطات التركية اليد على محفوظاتها السورية ، واتضح لها منها وجود حركة منظمة لفصل البلاد العربية من الدولة العثمانية وتمكن فرنسا من الاستيلاء عليها

وقد جاء فى هذه المحفوظات مايثبت سعى البعض فى قلب سوريا إلى إمارة ممتازة تحت حماية فرنسا تدار من قبيل أمير مسلم ينتخبه الأهلون بكامل الحرية . . برقية مسيو دوفرانس فى ٢٢ مارس سنة ١٩١٣ إلى وزارة الخارجية الفرنسية

كما تبين منها مساعى السير ألدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر من أجل قيام حركة لصالح بريطنيا وإرساله للأنصار والأتباع إلى سوريا تنفيذا للسياسة الموضحة بين الدول الاستعمارية على اقتسام أملاك الدولة العثمانية بتحطيم الخلافة الإسلامية

وأن التقسيم سيجعل سوريا من نصيب فرنسا من حدود حيفا إلى إسكندرونة ولإنجلترا من حيفا إلى حدود مصر مع جزيرة العرب والعراق

كما تبين بشكل واضح وجود فريق يسعى جهده فى لبنان لتحقيق :

١) استيلاء فرنسا على سوريا

٢) ضم متصرفية بيروت إلى لبنان بعد فصلها من ولاية بيروت

٣) وضع لبنان بأكمله تحت سيطرة ونفوذ فرنسا

ولاشك فى أن الأحرار العرب ومن بينهم الشيخ الزهراوى لم يكونوا على علم تام باتجاهات السياسة الاستعمارية وأهدافها وهى التى استغلت غفلتهم

ولذلك ذهبوا ضحية هذه السياسة الملتوية الجبارة التى سلمت أحرار العرب ومروجى هذه السياسة لحبال المشانق فكأنها فى سبيل التخلص من رجال المبادئ باعت الأنصار والأتباع — والخونة — معهم ، وتلك عبرة للأمم الناهضة ورجالها المخلصين الأبرار لكى يحترسوا من هذه الدول

ولقد تيقظ أحرار العرب لمصيرهم من أول اجتماع لمؤتمر باريس سنة ١٩١٣ وكان لموقف هؤلاء رنة وصدى فى الدوائر الاستعمارية إذ أعلنوا أنهم فى كفاحهم ينشدون حرية البلاد العربية لابيعها وتسليمها بعد الخلاص للدول الغاصبة

والسيد الزهراوى أحد الذين غمرتهم الحركة فكان فى مقدمة الأحرار الذين ذهبوا ضحية الاستعمار الأوربى والخونة . رحمه الله وغفر له

أحمد رمزى

القائم بأعمال مصر سابقا فى سوريا ولبنان

ألف .. ستتبع ألوف !

يحمل هـذا العدد من « الرسالة » الزاهرة رقم الألف ، فى لغة الأرقام ... أما فى لغة البيان فإن جهود « الرسالة » يخطئها الحصر ، ولا يحدها إحصاء .. أو ترقيم ...

وإنا لنبعث — فى هذه المناسبة — بالتحية الحارة الخالصة

لأستاذنا « الزيات » وأعوانه من حملة الأقلام الحرة التى سمت بالرسالة إلى تلك المنزلة الرفيعة فى دنيا الصحافة ، ودنيا الأدب ... آملين أن تتبع الألف ألوف ... وألوف ... حتى تتبوأ مكان الصدارة فى الصفوف !

لقد حملت « الرسالة » منذ عددها الأول مشاعل الأدب الرفيع ، فحببت إلى القلوب هذا اللون من الأدب ، فى وقت تنافس فيه المتنافسون فى تقديم ألوان رخيصة من الأدب للشباب ، محاولين قتل الروح المعنوية فى نفوسهم ، بما يقدمونه له من أدب داعر ، وصور ماجنة ، وقصص يسرى فى فصولها السم !

حملت « الرسالة » مشعل الأدب ، تقود على ضوئه كتائب الشباب نحو أهداف العزة والمجد ، وتخرج فى معهدها الكثيرون من حملة الأقلام الحرة ، التى تؤمن بما كتب ، ولا تكتب إلا ما تؤمن ... فأصبحت المنبر الذى تتلاقى فيه أقوى الأقلام . . أقلام الإصلاح ، والتقديم ، والتوجيه السديد !

حملت لمحبى القصة أروع القصص .. وحملت لمحبى المقال خير ما يقرأ ... وحملت لمحبى العلوم كل ما يعوزهم ... كل ذلك فى أسلوب رفيع ... ونهج بديع ... ما حادت عنه يوما . . وما رضيت عنه بديلا !

وبعد . . هذه تحية سريعة . . أسجلها على صفحات « الرسالة » إقراراً للحق ... واعترافا بالفضل .. لا أبغى من ورائها المديح ولا الإطراء . . لأن « الرسالة » .. وصاحب « الرسالة » .. وأقلام « الرسالة » .. كل أولئك ليس فى حاجة إلى المديح .. ولا إلى الإطراء !

عيسى متولى

معاهد للأمهات

حبذا لو أنشئت فى مصر والشرق معاهد للأمومة ، تتلقى الأمهات بين جدرانها دروسا شتى فى تربية أطفالهن ، وينشئنهم النشأة الصالحة التى يقوم عليها تكوينهم الشخصى السليم

يدفعنى إلى هذا التفكير ما يلاحظ على كثير من الأمهات من أخطاء ملموسة فى تنشئتهن أطفالهن وطبعهم بطابع يسوده التعقيد والاضطراب والجبن والفزع ، والحيلولة بينهم وبين الحياة الصحيحة التى يجب أن يشبوا عليها ، ويندر أن تجد الأم الحازمة التى تنشئ أطفالها على الشجاعة الأدبية والخلقية والاعتزاز بالشخصية ، والثقة بالنفس والاعتماد عليها ، والتى تفتح أمامهم منذ الصغر آفاقا فسيحة من الطموح والمثابرة والتنافس والإقدام

لا تزال بعض الأمهات يقفن عقبة صامدة فى سبيل النضوج الفكرى والشخصى لأطفالهن ويعقن التفتق الذهنى لهم ، محاولات أن يجعلن منهم آلات صماء تأتمر بأمرهن ، وتتحرك بإرادتهن ، وتنشأ على الحياة التى توافق مزاجهن. أبصرت سيدة ذات يوم تؤنب طفلها لأنه اختلس لحظات من وقته ليتصفح مجلة للأطفال بحجة أنها تشغله عن استذكار دروسه ، وبهذه الحجة نفسها تحرم بعض الأمهات على أطفالهن أن يدنوا من المذياع أو يتصفحوا أى نوع من الصحف والمجلات ، وأبصرت بنفسى أما تنهر طفلها فى طريق عام فارضة عليه التزام الصمت وعدم الثرثرة ، وكان هذا عقابا له لأنه سألها شرح بعض المعلومات العامة البسيطة التى لم يتسع ذهنه الصغير لهضم سرها ، وأكثر من هذا ما تعمد إليه بعض الأمهات من تكلف القسوة الدائمة على أطفالهن باسم الأدب والتربية ، ومن بث الروع فى نفوسهم ، وتهديدهم بالمروعات والمفزعات ليشبوا على أكبر قسط من الجبن والهلع

لقد سمعت بنفسى إحدى الأمهات الجاهلات فى طريق عام تستعين بالشرطى ليحمل طفلها على الحد من بكائه ، والخضوع لأمرها بتتابعها فى سيرها ، وما أكثر ما تخترع الأم الجاهلة من الأسماء الفظيعة للأشباح المجهولة تروع بها أطفالها حتى يناموا إذا لم يحل لهم النوم ، وحتى يسكنوا إذا طابت لهم الحركة ، وحتى يصمتوا إذا عن لهم أن ينطقوا ويتكلموا

إن الطفل كالمعدن السائل تسهل صياغته وتكوينه ، والأم الجاهلة تستطيع أن تخلق منه سفيها عييا ، وجبانا مضطربا ، ومخلوقا لا شخصية له ، كما تستطيع الأم المتعلمة أن تخلق منه إنسانا ذا شخصية فذة يفيد نفسه ووطنه وأمته

إن معاهد الأمومة من الأهمية بمكان ، وسيكون لها أثرها الفعال فى خلق جيل من الشباب النافع الذى ينهض ببلاده ويصل بها إلى ذروة المجد ، فمتى يفكر المسؤولون فى إنشائها ؟ ، نأمل أن يكون قريبا ، والله الموفق

رمل الإسكندرية — *نفيسة الشيخ*



ذيول الحادث

عن الإنجليزية

بينما كان رئيس الشرطة غارقا فى أفكاره ، مستسلما لتأملاته يتبع بنظره تموجات الدخان الصاعدة من لفافة تبغ كان يدخنها ، دخل عليه زائر بادى الاضطراب ، شاحب اللون ، غائر العينين يخيل لمن يراه أنه يشكو أرقا طويلا ، وكان يمشى متثاقلا كأنه ينوء بحمل سر خطير . . فتهالك على مقعد أمام الرئيس ، وابتدأ الحديث من غير تحية ولا سلام :

— إذاً لم يخطئ ظنى ، فإن رجالك يتحرون دار المستر (جين أرنوت) ليقفوا على آثار الجانى، بعد أن عثروا على قتيلين : أحدهما رجل ملقى على الأرض ، والثانى زوج صاحب الدار ملقاة فوق مقعد ...

فقاطعه الرئيس قائلا :

— أصبت .. ويبدو لى أنك تعلم عن الحادث الشئ الكثير

— نعم . نعم أرجو أن تدعنى أنتهج الخطة التى أريد فى سوق الخبر إليك ، لأنى صحبت أرنوت سنوات كان لى فيها خير رفيق .. فقد حدثت هذه الجريمة المزدوجة ليلة البارحة ، وكانت نتيجة حتمية لعذاب نفسانى برح بأرنوت منذ شهور . .

ولكنه لم يكن قد تذوق منتهى العذاب إلا بعد وقوع الجريمة .. فاجتاحته عاصفة من الآلام النفسية ، ليس فى وسعه أن يتحملها .. فهل تعلم — أيها الرئيس — عنها شيئا ؟

فهز الرئيس رأسه نفيا وهو يحدق فى الزائر العجيب الذى استمر يقول :

— إن أرنوت رجل ذو ثراء واسع ومصالح عديدة متنوعة تتطلب — غالبا — غيابه عن المدينة عدة أيام لتدبير شؤونها والوقوف على سير أمورها. أما داره فإنه لم يدخر وسعا فى تأثيثها على أحسن ما يكون ، لتكون صالحة من كل الوجوه لسكن زوجه... تلك الفتاة الجميلة الساحرة التى خلبت لبه عند أول نظرة .. فقال الرئيس مقاطعا :

— ولم تقص على كل هذه الأمور ؟ أما الزائر فاسترسل فى حديثه فى شئ من الدهشة . .

— مهل قليلا أيها الرئيس فستعلم كل شئ . . فقد كانت زوج أرنوت امرأة فتانة الجمال ، وهى المرأة الوحيدة التى أسرت أرنوت بسهام لحظها ، فجن بها من أول نظرة وصار لا يعرف للعيش طعما إلا بقربها .. وبعد لأى وفق فى الاقتران بها .. فهو لا يضن عليها بحاجة مهما غلت ، ولا يقصر فى أمرها مهما عز إن كان فيهما ما يبعث السرور إلى تلك الحبيبة الساحرة . . . ولكن نيران الغيرة ألهبت فى صدره فجأة ، فقد كان يغار عليها من كل عين ترنو إليها غير عينيه ، ومن كل رجل يبادلها الحديث سواه .. ولم يكن ذلك لأنه لا يأمن جانبها ، أو لأنه يشك فى عفتها وطهارتها ، بل لأنه كان يحبها حبا يقرب من العبادة ويعتقد أن أقرانه من أصحاب الجاه يحسدونه لأنه يملك هذه الدرة الغالية المتلألئة فى داره

إن أرنوت أيها الرئيس رجل من طراز خاص ، فإنه بالرغم من هذه العاطفة الجامحة التى تعتلج فى صدره لم يبد على وجهه أثر لهذا الشعور المضى.. بل كثيرا ما كان يبدو هادئا رابط الجأش محتفظا بسكونه وفى باطنه عراك عنيف بين عقله وغيرته . . وهو فى هذه الحال يتصور أن أحلى أمنياته أن يلبى أى طلب تسأله إياه ...

فأوقفه الرئيس عن الحديث بإيماءة من يده وقال : أراك ملما بحياته الخاصة إلى حد بعيد

فأجاب الزائر : كنت صديقا مخلصا له ومطلعا على جل أموره فأحنى الرئيس رأسه موافقا واستمر الزائر يقول :

— كان لأرنوت صديق يدعى « بول ليس » ألزم له من ظله ، جمعتهما مدرسة واحدة فى زمن الطفولة وبقيا صديقين وفيين حتى ساعة الجريمة .. وكان « ليس » أعزب وقد تم تعارفه بزوج صديقه بعد اقترانه مباشرة ، ولم يكن أحد ليدرى ما يخبئه القدر وراء تعارفهما ... أخذ « ليس » يرعى زوجة صديقه ويصحبها إلى

أما كن اللهو والتسلية فى غياب ذلك الصديق أرنوت الذى كثيرا ما كانت تستدعى أعماله هذا الغياب .. ولما نمى إليه هذا الأمر، تصنع الرضا أمامها ، ولكنه فى الحقيقة بدأ يرتاب فى صديقه « ليس » تحت وطأة تلك الغيرة الملتهبة فى صدره ، وكان وجهه الهادئ الرزين ، وابتسامته الرقيقة ، يخفيان تحتهما هذا الشك القاتل . . .

تذكر أيها الرئيس أن أرنوت رجل كسائر الرجال يعرف الكثيرين ممن غدروا بأصدقائهم وخانوا شرفهم ... وقد يعترض أحد الناس قائلا : إن أرنوت كان مخطئا فى ارتيابه ما دام واثقا من صديقه ، ومؤمنا بطهارة زوجه وعفتها ... ولكن أيها الرئيس نحن — أنا وأنت — نعلم أن الغيرة عامل نفسانى يثور لأقل وهم وأدنى شك وبقى أرنوت يحترق بين اللهيبين يحس بنار الجحيم تضطرم بين ضلوعه

لم يظهر أرنوت أى أثر لهذا الشك بل تمالك شعوره التام حيالهما ، ، وأخذ يعاملهما كما عاملها من قبل ، ولكنه كان ينتظر وينتظر . . . ويفتح أذنيه لكل كلمة تدور بينهما عسى أن يجد بها ما يؤيد شكه وارتيابه ، بل كان يتتبع كل نظرة منها تدنيه إلى رأى قاطع ، وأخذ يراقب كل إيماءة أو حركة ويؤول كل لفظة بما يلائم شكه . فقاطعه الرئيس قائلا .

— ولم لم تحاول تخفيف هذه الحال عن صديقك ؟

فأجاب الزائر :

— إن أرنوت لم يكن يزحزحه أى رأى أو نصيحة عن شكه ، إنه آمن بهذا الشك إيمانا مطلقا . . .

وفى يوم آب أرنوت إلى داره بعد سفرة شاقة فحادثته زوجه عن « ليس » ورعايته لها ، حتى تولاه غضب عظيم فصرخ :

— أراك تبذلين له من العناية أكثر مما يستحق ... بل أكثر منى ... و

ولكن أجابته بابتسامة هادئة ثم قالت :

— إنك تهيننى يا أرنوت ...

فقد كانت أيها الرئيس معتزة بكرامتها ... ومن ذلك الحين أخذ أرنوت يتحين الفرص ليفاجئهما فى خيانته كما يعتقد . ولما طال به الزمن أخذ يعد العدة لفخ يوقعهما به متلبسين بالخيانة ... فأعلن أرنوت لزوجه أن أمراً استدعى سفره إلى خارج المدينة . . وصحبها عند المساء إلى غرفة النوم وأشعل لفافة من التبغ وجلسا يتحادثان فقال أرنوت :

— هل يزورك « ليس » هذا المساء ؟ وانتظر جوابها وهو يحدق فى دخان اللفافة المتموج تجنبا لأى أثر قد يبدو فى عينيه

فأجابته :

— لا أعلم ... فإنه يزورنا من غير موعد

ونهض بعدها أرنوت وودع زوجه وهى فى حلة المساء أشبه بالزهرة الندية الفواحة وذهب إلى غرفته يجمع بعض أوراقه وغادر الدار ... إلى سفرته المزعومة ... وما ابتعد قليلا حتى اختبأ فى منعطف إحدى الطرق يترقب ... فبان له شبح من بعيد دنا من باب الدار وولج إلى الداخل ... ذلك الشبح أيها الرئيس هو « ليس » بعينه ، أما أرنوت فأخذ يهدئ من روعه ويتغلب على شعوره حتى عاوده الهدوء ... ومكث فى مخبئه مدة يتأهب فيها للمفاجأة المنتظرة ... ثم قفز إلى الشارع ومضى إلى داره . وكان صديقه وزوجه جالسين فى المقصف يتسامران بحشمة ووقار حين اندفع إليهما أرنوت ووقف يحدق فيهما . فصرخت الزوجة : أرنوت ! بعد أن غلبتها الدهشة لهذه العودة الفاجئة ... أما « ليس » فقال :

— أهلا بك يا أرنوت ماذا عاد بك من السفر ؟ فكتم أرنوت غضبه وأجاب :

— لم أدرك القطار ... وهنا صاح الرئيس بالزائر ...

— صه ! لابد أنك قابلت أرنوت بعد الجريمة

— نعم

— وهل تعلم مقره الآن ؟

— نعم . هذا ما كان يحز فى نفسى ليلة البارحة حتى أرقنى ، فقد كنت أعمل الرأى من أجله ... وللسبب نفسه تجدنى أحادثك بشأنه

— وأين يقيم الآن ؟

— إنه لا يستطيع الفرار فانتظر ... اعتذر أرنوت لهما وغادر الغرفة ، وهما فى ذهول عظيم إلى غرفة النوم عله يجد دليلا يؤيد ظنونه . وأخيرا وجد ما يبتغى ... وجد رمادا متخلفا عن لفافة تبغ على المنضدة ... وجد الأثر الذى ينم على وجود « ليس » فى هذه الغرفة مع زوجه ... واندفع إليهما را كضا شاهرا مسدسه ...

هرول إليها ليطفئ تلك النيران المتأججة فى صدره ... دخل إليهما بهذه الحال ففاجأه « ليس » واقفا يقول :

إنى ذاهب الآن . لأنى على موعد لاأستطيع التخلف عنه ولـكن أرنوت صاح به :

— انتظر ! لى كلمة معك ... ثم رفـع ذراعيه إلى أعلى وتوقدت عيناه شرراً كأن به جنة وانهال عليهما شتماً وسبا ، فانقلب وحشاً ظامئاً لشرب الدماء بعد أن غمرته موجة من الظلام الدامس ليس فيها إلا نيران الحقد والغيرة وهما ينظران إليه مشدوهـين حتى صاح « ليس » :

أرنوت ! أرنوت ! كفى ، هل جننت ؟ رباه ! إنى لاأسمح لك أن ترمى زوجك بالخيانة وهى منها براء ...

ولـكن أرنوت انتفض فجأة ، وصوب مسدسه نحوه ... ودوى طلق نارى ترنح «ليس » على أثره وسقط جثة هامدة ... ثم دوى صوت أرنوت كالرعد القاصف قائلا :

—أنظرى إلى عشيقك . هاهو ذا جثة لاحراك بها ، أنظريه

فأجابته بصوت ضعيف مر تجف :

إنه يعتقد ذلك ! ثم شحب لونها واهتزت كأنهـا ريشة فى مهب الرياح وصرخت بفزع :

— أتمم ياأرنوت عملك ! أكمل ياأرنوت صنيعك !

فارتجف أرنوت يحزه ألم للثأر لشرفه المثلوم ، ووجه المسدس إلى زوجته وأطلق النار ... ترنحت المسكـينة قليـلا ثم سعلت وانفجر الدم بغزارة من فمهـا وسقطت على الأرض هاتفـة : أرنوت ! أرنوت ! ولفظت أنفاسها

نظر إليها أرنوت بعد أن عاوده هدوءه وأشبع رغبة نفسه فى الانتقام وأطفأ نيران الغيرة ، فعاد ذلك الرجل الهادئ الرزين .. فتحركت بقية من حبه فى سويداء قلبه فاندفع إلى الزوجة وهى ملقـاة على الأرض وانتشلها بين يديه ووضعها على مقعد بقربه وشبك ذراعيها فوق صدرها ... ولـكنه لم يجرؤ على إلقاء النظرة الأخيرة عليها فأطفأ النور . ثم ... ثم غادر الغرفة ينوى الرحيل من المدينة حالا . ولما مر بغرفة النوم لاحظ أنها لا تزال مضيئة فعول على إطفـاء نورها ... اندفع إلى تلك الغرفة وهو محتفظ بشعوره متمالك نفسه ، وسرعان ما وقع بصره على شئ أعمته عيرته الجامحة عن رؤيته قبل الجريمة فقذف بنفسه عليه ... إنه عقب لفافة تبغ تحت تلك المنضدة ... فانتشله ونظر إلى علامته ، فاضطرب واهتزت أوصاله وزفر زفرة كادت تقضى عليه ... إنها العلامة الموجودة على لفافات التبغ التى اعتاد تدخينها والتى يحفظ علبتها بدرج خاص مقفل ، مفتاحه لا يفارق جيبه أبداً .. ولـكن ما مضى فات وذهبت نفسان بريئتان من غير ذنب . فقد تجلت الحقيقة له ، فإن ذلك الدليل كان عقب لفافته التى تركها قبل سفرته المزعومة ...

فى تلك اللحظة الرهيبـة استمرت بين جوانبه نيران الإثم وحز قلبه الألم الممض ...

وهنا أحس الزائر بأنه يكاد يختنق فعالج الـكلام فى صوت كأنه الحشرجة وقال :

— نعم ، أيها الرئيس ، تلك اللفافة كانت لى فقفز الرئيس واقفاً على قدميه وراء مكتبه وصرخ :

— لك !

— نعم — لى ليساعدنى الله — أنا جين أرنوت !

س . ع

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠١ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صححوا أكاذيب التاريخ ... : للأستاذ سيد قطب ٩٩٣
أنا الملك الفتى ... ... : « محمد محمود زيتون ٩٩٥
سيادة الشعب ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ٩٩٧
السيد محمد كريم ... ... : « عبد الباسط محمد حسن ٩٩٩
شهيدان فى كفن ... ... : « عمر عودة الخطيب ... ١٠٠١
فى بلاد الأحرار ... ... : « أغا أغلو أحمد ١٠٠٥
ساعة بين أعداد الرسالة ... ... : « محمد حسن شرع الدين ١٠٠٧
شيلر الشاعر الألمانى ... ... : « عيسى إسكندر المعلوف ١٠٠٩
أنا والحياة ... ... (قصيدة) : « حسين عبد الفتاح سويفى ١٠١١
العائدون من الحرب (قصيدة) : للشاعر محمد عبد الفتاح الفيتورى ١٠١٢
خطاب مفتوح إلى الأستاذ محمد فتحى — من الأستاذ على متولى صلاح ١٠١٣
(الكتب) — الزعيم أحمد عرابى — تأليف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ١٠١٤
— للأستاذ محمود عبد العزيز محرم ... ...
(البريد الأدبى) — حول بيت للمتنبى — إلى الأستاذ (عين) — ١٠١٧
شوقية أخرى — حول علم النبى بالغيب — غضبة
لصيحة — يتيم ولطيم ... ...
(القصص) — وفاء زوجة — عن الانجليزية ١٠١٩

20 me année No 1001

Le Caire 8 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

صفحة فى وجه وزارة المعارف

صححوا أكاذيب التاريخ

للأستاذ سيد قطب

إن تلاميذنا وطلابنا لا يعرفون شيئا حقيقيا عن الأحداث الجارية فى وطنهم اليوم ، بسبب أنهم لا يعرفون شيئا حقيقيا عن تاريخ بلادهم ، ولا عن الأسباب والملابسات البعيدة ، التى عنها نشأت الأحداث الجديدة

لقد تآمر جماعة من المرتزقة — من مؤلفى كتب التاريخ المدرسية ، مع العهود الظالمة الباغية التى أظلت مصر منذ عهد محمد على ، على كتابة تاريخ مزور ، يطمس الحقائق ويشوهها ، بل يقلب هذه الحقائق وزورها . وبذلك بقيت طبيعة الفترة ما بين سنتى ١٨٠٠ — ١٩٥٠ مجهولة لدى جميع الأجيال التى خرجتها المدارس المصرية فى ذلك العهد الطويل . والقليلون الذين اطلعوا على مراجع أجنبية لم تمتد إليها يد التزوير المصرية ، لم يكونوا يملكون إذاعة الحقائق ، لأن سيف الطغيان كان مصلتا على الرقاب !

لقد كان الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى هو أجرأ من كتبوا عن تاريخ هذه الفترة . ولكن هنا لك حقيقتين يجب أن نعرفهما :

الحقيقة الأولى : أن الأستاذ الرافعى لم يكن يملك أن يقول كل شئ عن الحكام من أسرة محمد على ؛ لأن هنالك أشياء كان يعاقب عليها القانون لو قيلت . فى أى تعبير وعلى أى شكل . ولم يكن يسمح بطبعها ونشرها فى أى عهد من العهود

وأذكر على سبيل المثال أن المؤرخ أحمد شفيق (باشا) كانت له مذكرات من أواخر عهد إسماعيل إلى آخر عهد عباس الثانى . وكنت أشتغل معه فى إعداد هذه المذكرات للنشر . وكانت تحتوى على شناعات ليست المخازى الأخيرة لفاروق إلا طرفا منها وامتدادا لها . فى هذه الأسرة لوثة وشذوذ لا شك فيهما لمن يتتبع تاريخ أفرادها . وكنت أحاول أن أنشر شيئا من الحوادث الكثيرة الواردة بتلك المذكرات الخطية . ولكن القوانين التى سنها الملوثون لحماية أنفسهم وعروشهم كانت تحول بينى وبين هذا . لأن الرجل كان قد ائتمننى على مذكراته ، ولم يكن من الأمانة أن أعرضه وهو شيخ كبير للاتهام والمحاكمة !

ومرة واحدة حاولت أن أنشر فى الجزء الخاص بعباس الثانى ، بعض ما حوته المذكرات من وقائع ، مما تسمح القوانين القائمة بنشره . ولكن عندما تم طبع هذا الجزء فى مطبعة بنك مصر ، وقبل توزيعه ، اتصل الأمير محمد على — وكان بعضهم قد أبلغه — بالمشرفين على المطبعة ، كما اتصل بالسراى ، وبالنائب العام ، لوقف صدور هذا الجزء إلا بعد تعديله . وأجبر الرجل المؤرخ على تغيير صفحات كثيرة ، واستغرق ذلك منى جهدا جديدا . وبذلك اختفت نهائيا تلك الحقائق والوقائع التى لا يعرفها إلا القليلون

ولقد رجوت الرجل فى أن يودع لدى الأصول الخطية

لمذكراته ، فقد يجئ اليوم الذى يمكن نشرها فيه ، ووعدنى بهذا ؛ ثم بدا له خاطر أن يودعها فى صناديق مقفلة تحفظ فى دار الكتب المصرية وكان ذلك بمشورة الدكتور منصور فهمى مدير دار الكتب المصرية إذ ذاك .. ولكن المنية عاجلته قبل أن يفعل . وعلمت مع الأسف أن معظم هذه المخطوطات قد أعدمه أولاده . وأرجو ألا يكون ما بلغنى صحيحا

ولقد كان فى وسعى أن أنقل لنفسى بعض هذه المخطوطات . ولكن وقف فى وجهى أننى كنت أمينا عليها ، وأن الرجل كان واثقا بأمانتى !

والحقيقة الثانية أن الكتب المدرسية التى لا يقرأ معظم المتعلمين غيرها فى تاريخ تلك الفترة ، هى التى طبعت غالبية العقليات . وهى كتب مزورة كما قلت . ومع هذا فهى لا تزال مقررة فى المدارس . وهذه مسألة خطيرة جدا

لقد تركنا أجيالا من التلاميذ والطلاب فى خلال مائة وخمسين عاما مضللة ، لا تعرف شيئا حقيقيا عن أخطر مرحلة فى تاريخ مصر الحديث ، بل فى تاريخ الشرق كله

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن محمد على أوجد مصر الحديثة من العدم . ولم يكن هذا صحيحا ؛ فمصر كانت قبل محمد على أقوى بكثير فى جوانب شتى . ويكفى أن نعرف أن الفرنسيين عندما استولوا على مصر خاضوا مع الشعب معارك كثيرة وفى كل مكان قبل أن تخضع مصر لهم ؛ وظلت الثورات الشعبية تهددهم طوال مدة إقامتهم . وكان ذلك قبل استيلاء هذه الأسرة الملوثة الشاذة على مقاليد الحكم فى البلاد . بينما الإنجليز وجدوا الطريق أمامهم مفتوحة بعد نصف قرن فقط ، ولم يجدوا مقاومة شعبية تذكر ؛ لأن طغيان هذه الأسرة كان قد حطم كبرياء الشعب وروحه المعنوية فى أوائل عهد توفيق !

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن تحطيم محمد على للحركة الوهابية فى الجزيرة العربية كان عملا عظيما . وهو فى حقيقته كان جناية تاريخية على النهضة الإسلامية التى كان يمكن أن تبكر مائة عام عن موعدها ، لو تركت هذه الحركة تمضى فى طريقها ، وتبلغ أهدافها فى ذلك الحين

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن ثورة المهدى فى السودان كانت عملا عدائيا بالنسبة لمصر ، وأن مصر ردت هذا العمل العدائى وحطمت المهدى وثورته . والحقيقة أن ثورة المهدى فى السودان كانت ضد الحكم الإنجليزى فى مصر وضد الحكام الخاضعين للاحتلال . وكان هدفها تطهير الوادى من الاحتلال الأجنبى وسيطرة الفكرة الإسلامية على الوادى كله . وكان القضاء عليها هو الخيانة الوطنية التى ارتكبتها حكومة مصر تحت ضغط الاحتلال ؛ ثم ظلت هذه ثغرة بين شطرى الوادى ، كما أراد لها الاستعمار أن تكون !

تركنا هذه الأجيال تفهم أن إسماعيل كان حاكما عظيما ، وأنه أحد بناة الدولة العظام ؛ وسترنا فضائحه التى لا تقاس إليها فضائح فاروق نفسه ؛ وسترنا الكوارث التى جرها على الوطن والشعب ؛ وتركنا الآلام التى جرعها لشعب مصر فى حياته وبعد مماته ، وسميناه ساكن الجنان ! وسميناه المغفور له ! والله يعلم أين مثواه ومثوى آبائه الأولين !

ولقد آن أن نصحح التاريخ الذى زوره المزورون على هذه الأجيال الكثيرة . آن أن نعرف من هو محمد على على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناءه من بعده . وهو شذوذ واضح كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظورا على الشباب أن يعرفوه !

آن أن نعرف من هو إسماعيل على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناءه من بعده . وهو شذوذ واضح ، كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظوراً على الشباب أن يعرفوه !

نعم آن لنا أن نصحح كتابة التاريخ الذى تدرسه الأجيال المقبلة ، وكفانا تزويرا وتضليلا ، فعلى أساس هذا التزوير والتضليل قامت تلك القداسة المصطنعة لمحمد على وأسرته . هذه الأسرة التى لم تبتل مصر ببشر منها ومن حكمها فى خلال مائة وثلاثين عاما

نعم آن أن تتحرر الأجيال المقبلة من خرافة « الأسرة المحمدية العلوية » التى أوجدت مصر من العدم . ولم يبق إلا أن يقال : إنها هى التى حفرت مجرى النيل ، وردمت الدلتا بالطمى ، وخلقت وادى النيل !

سيد قطب

صوت من الماضي

أنا الملك الفتى ...!

للأستاذ محمد محمود زيتون

لبس سليمان بن عبد الملك يوما حلة وعمامة، ونظر في المرآة، فأعجبته نفسه، ونفخ الشيطان في منخريه، فقال:

أنا الملك الفتى

وكان إلى جواره، إحدى جواريه، فانطلق لسانها يقول:

أنت نعم المتاع، لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان في الناس، غير أنك فان

ولم ينقض أسبوع حتى مات الخليفة الشاب الذي لم يعرف التاريخ أشد منه حبا للطعام والشراب والنساء، في حقبة لم تتجاوز ثلاث سنوات، احتفلت بالترف والبذخ، وطفحت بالزيغ والفساد، والتحزب والتعصب، والنكال بالأخيار، ومداراة الأشرار

قيل إن أباه — عبد الملك بن مروان — جاءه نبأ مصير الخلافة إليه. وهو جالس يقرأ في المصحف، فأطبقه وقال: «هذا آخر العهد بك». فما لبث هذا التقي النقي أن استهوته الدنيا بزخرفها، فتغير حاله، وأطلق العنان لفرعون بني أمية — الحجاج بن يوسف الثقفي — الذي ولغ في الدماء والأشلاء. وحسب التاريخ مؤاخذة لعبد الملك أن كان الحجاج سيئة من سيئاته

ورث سليمان عن أبيه دولة وصولة، وجمع مثله بين النقيضين، فإنه غمط فضل العاملين، ولم يستثمر جهود القادة الفاتحين الذين وطدوا له دعائم الخلافة، ومكنوا له في الملك العريض، فقلب لهم ظهر المجن، ولا سيما من كان فيهم قريبا للحجاج أو مقربا منه، وذلك لما كان بينهما من عداوة قديمة. فقد كان الحجاج يهمل أوامره ويتكبر عليه أيام كان سليمان ولي عهد أخيه الوليد، ومن هنا امتد بغضه للحجاج حتى عصف بأشهر القادة

واتبع سليمان خطة الإيقاع بين الولاة والأمراء، فدبت عقارب الفتنة بينهم، وتسللت أفاعي الفساد إلى الحكومة، ويئست الأمة من الإصلاح، وقبع كل صالح في عقر داره يلتمس النجاة

ولم يدخر وزيره الصالح وابن عمه عمر بن عبد العزيز وسعا في بذل النصيحة له، ولكن جذور الشر كانت قد بلغت الأعماق في كل مرفق من مرافق الدولة. ولم يكن عجبا — آخر الأمر — أن تنهار دولة الأمويين بعد اثنين وثمانين عاما، حملت خلالها جراثيم الانحلال والتدهور، فقد سئل حكيم: ما سبب زوال ملك بني أمية مع كثرة العدد والعدد، والأموال والموالي؟ فأجاب، وأحسن الجواب: لأنهم أبعدوا أصدقاءهم ثقة بهم، وقربوا أعداءهم جهلا منهم، فصار الصديق بالإبعاد عدوا، ولم يصر العدو بالتقريب صديقا

وفي ذات يوم دخل الملك الفتى. مدينة رسول الله فسأل: هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب رسول الله؟ فقيل له: أبو حازم، فأرسل في طلبه، فلما دخل عليه سأله: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ فأجابه: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من عمران إلى خراب ... وأغضى الملك الفتى، ثم أخذ يستزيد أبا حازم: وكيف القدوم على الله؟. فقال: أما المحسن فكغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكآبق يقدم على مولاه

وبكى أبو أيوب، ثم قال: يا ليت شعري، ما لنا عند الله؟.. فقال له أبو حازم:

أعرض عملك على كتاب الله. فسأله: في أي مكان أجده؟ قال: في قوله تعالى «إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم». فقال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: قريب من المحسنين. فقال: فأي عباد الله أكرم؟. فأجاب: أولو المروءة

وكان وزيره الأمين شديد الحرص على قول الحق، لا تأخذه فيه لومة لائم. اصطحبه يوما في الحج، فراع الخليفة

عدد الرمل والحصى من رعاياه ، فتلفت إلى وزيره وقال : ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم خصماؤك غدا عند الله . فبكى سليمان أشد البكاء . وقال : بالله أستعين

وفى الواقع أن لحظات الندم التى كانت تطرق ضمير الملك الفتى ، لم تكن غير فواصل عنكبوتية بين طغيان موصول ، واستبداد متأصل ، فقد أشرف يوما على الدنيا ، فأعجبه ما صار إليه من الملك الذى نسجته دماء الشهداء ، ودموع الفقراء ، فنسى هذا كله أو تناساه ، وتلفت إلى الوزير المؤمن وقال له : ياعمر ، كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا سرور لولا أنه غرور ، ونعيم لولا أنه عديم ، وملك لولا أنه هلك ، وفرح لو لم يعقبه ترح ، ولذات لو لم تقترن بآفات ، وكرامة لو صحبتها سلامة

وبكى سليمان ما شاء له أن يبكى ، ولم يكد يضيق مما فيه حتى دخل عليه أعرابى يقول : يا أمير المؤمنين ، إنى أكلمك بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحب . فقال : هاته يا أعرابى . فقال الأعرابى :

إنى أطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأدية لحق الله ، إنه قد اكتنفك رجال قد أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه ، فإنهم لن يالوا بالأمانة ، وأنت مسئول عما اجترموا ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره

عندئذ صعر الملك الفتى خده للأعرابى الذى قدم بنصحه بتطهير حاشية السوء ، وبطانة الفساد ، واستكثر أن يكون ذلك التوجيه منبعثا من أعرابى ، فقال : أنت ، ما أنت بأعرابى ، فقد سللت لسانك علينا كما تسل سيفك . فأجابه فى جرأة : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك

ويشاء مالك الملك أن تنقشع هذه النعمة الغليظة التى جثمت على صدر الخلافة ، فأحس الملك الفتى بقرب منيته ، وآن له أن يستخلف بعد أن عهد إلى ابنه أيوب بالخلافة لولا أنه مات فى حياة أبيه ، ولم يبق لسليمان إلا صبية صغار ، أمر بأن يعرضوا عليه فى أردية الخلافة ، فإذابهم لصغر أسنانهم لا يحملون ما لبسوا ، وأخذوا يسحبونها سحبا ، ويتعثرون فيها ، فنظر إليهم وهو يقول فى حسرة :

إن بنى صبية صغـــار قــد أفلح من كان له كبـار

فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، يقول الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . فلم يلتفت إليه الملك المريض ، وأمر بأن يعرض عليه أولاده مرة أخرى عليهم السيوف ذات الحمائل ، فعرضوا . فإذا بهم يتكفأون بها ، ويجرونها ، ولا يطيقون حملها ، والسير بها ، فنظر إليهم ، والدمع يغالبه ، وهو يقول :

إن بنى صبيـــة صيفيون أفلح من كان له ربعيون

وأعاد عليه عمر ما قال آنفا ، فأغمض جفنيه قليلا ، وكأنه اقتنع بأن الخلافة زائلة عنه وعن أعقابه ، فأشير عليه بأن يعقد لابن عمه ووزيره عمر بن عبد العزيز ، فأدار الأمر فى رأسه حتى لم يعد مناص من القبول

واشتد به الوجع فكتب له العهد بخطه ، ولم يطلع عليه أحدا غير رجاء بن حيوة الذى بالغ فى التكتم حتى أنه لم يذكر من ذلك لأحد شيئا إلا بعد موت الملك الفتى ، فى آخر صحوة له قال : لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب

وحضره إذ ذاك عمر ، ففهم بفطنته أن الخلافة قد أتته تجر أثقالها ، فأوجس خيفة ، وأفضى بذلك إلى رجاء ، فتظاهر رجاء بالإنكار قائلا على سبيل التمويه : أتظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم ؟ !

فاطمأن عمر أو هكذا حاول أن يطمئن ، فما أعلن النبأ ، وبويع بالخلافة ، طلب إلى أحد خلصائه أن يعظه فقال : يا أمير المؤمنين ، أبونا آدم ، أخرج من الجنة بخطيئة واحدة

محمد محمود زيتون

سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن الذلة والعار — أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا فى حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس ثقيل جثم على صدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما ! !

سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس فى أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينظر ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد وفساد يستشرى . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى وتعذيب . . رشوة ومحسوبية ، سرقة ونهب ، ظلم وغدر : تلك هى قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولكن ما شاهدته مصر لم تقرأ عينى له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين لإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم المرتقب وأشرق العهد الجديد السعيد بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذياع . إنه يتلو نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ الصبر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام الحكم الصالح فى ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا يدعون الله أن يكلأهم بعنايته وأن يوفقهم فى حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخذوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان الملك السابق يعتمد على الجيش فى إذلال الشعب وكان الشعب على أتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياة الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء إذا قام حينا على أمل الإصلاح فلن يقوم دواما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونكل بالأحرار من رجاله وقتل بعضهم جهارا فى شوارع العاصمة

وكان مالا بد أن يكون ، قام الجيش فى ٢٣ يوليو يضع حدا للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذياع وإذا به يذيع « انتظروا بيانا هاما فى الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ، وأشهد أن هذا التكرار قد أشاع القلق فى نفسى ورحت أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو ...

استمعت إلى البيان وكاد قلبى يقفز من بين ضلوعى ولم تصدق أذناى ما سمعت فانطلقت إلى الشارع أشارك الشعب سروره وابتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطاغية حلما ولكنه أصبح الآن حقيقة واقعة ، وهكذا أدركت مصر عناية الرحمن وعاد لشعبها سلطانه وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ فى كتب التاريخ قصصا خالدة كتبتها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما : لم لا يقف جيشنا يدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبى وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإنى هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . فى ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يمنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثانى ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروتستانتية ولكن فى ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطق الشعب صبرا وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتولى العرش فقدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى واستقر الحكم الدستورى الملكى فى إنجلترا

وفى فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجعيا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية وتعسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذرعا به فقام بالثورة ضده فى ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم وأسقط فى يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية فى عهده ولكن هذا الملك فشل فى تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا فزيف الانتخابات واشترى ذمم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسها فى أوربا وأن تكون لها الكلمة العليا فى شؤون القارة كما كان الحال فى عهد نابليون

ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا

من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطى إنجلترا حق تفتيش سفنها بحثا عن العبيد المهربين ، وكان ذلك فى عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان فى هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد على أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد على أن فرنسا ستقف بجواره فى حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا. ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد على وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة المتخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها فى الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده فى فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجند رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن ينزل عن عرشه وأن يغادر فرنسا إلى غير رجعة أيضاً

تلك هى مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التى قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصرى الأخيرة كانت أروع الحركات التى سجلها التاريخ المعاصر

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

— ١ —

يعتبر السيد محمد كريم أول زعيم من زعماء الحركة القومية .. ظهر فى مصر قبل أن يظهر فيها سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابى .. فكانت حركته بذلك أول صفحة من صفحات الجهاد القومى فى تاريخ مصر الحديث

ولقد كان السيد محمد كريم شخصية فذة ، وزعيما حقا من زعماء الوطنية المصرية .. فاستطاع بمفرده أن يبث الشعور القومى فى نفوس أهالى الإسكندرية .. وجعلهم يواجهون جيوش الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ م

تلك الجيوش التى كانت لا تزال فى عنفوان قوتها ومجدها .. والتى كان يقودها نابليون بونابرت . . أعظم شخصية حربية ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر !

وبعد أن احتل الفرنسيون أرض مصر ، لم يتوقف السيد محمد كريم عن الكفاح لحظة واحدة ، ولم يخضع لمشيئة نابليون ، ولم يطأطئ رأسه كما فعل كثيرون غيره . . بل أخذ يثير روح الكراهية فى نفوس الأهالى ضد الحاكم الجديد .. الذى لم يرغب من نزوله بمصر إلا أن يستبدل حكما بحكم .. واحتلالا باحتلال ... وظل السيد يوالى نشاطه واتصالاته بالبلاد التى تمر بها الجيوش الفرنسية .. فى طريقها إلى مصر .. لتمنع الماء عن رجال الحملة ... ولتقابلهم بكل ما استطاعت من أنواع المقاومة

ولما ضاقت القيادة الفرنسية بجهود السيد محمد كريم . . اتهمته بخيانته للجمهورية الفرنسية ، وإثارته العصيان فى نفوس الأهالى .. وحكمت عليه بالإعدام رميا بالرصاص ... وبذلك أصبح بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية .. فى عهد الحملة الفرنسية

* * *

نشأ السيد محمد كريم فى مدينة الإسكندرية نشأة عادية . . كغيره من شبان الثغر . . ولم تكن للاسكندرية قيمة كبيرة فى ذلك الحين . . بعد أن تحول عنها طريق التجارة القديم ، ففقدت بذلك مركزها التجارى العظيم

وكان جمرك الإسكندرية فى يد مراد بك . . يولى عليه من يشاء .. ويعزل من يشاء .. نظير إيراد معلوم

فلما كبر السيد محمد كريم ، ونما عوده ، اشتغل قبانيا .. وكان مشهورا بالصدق والأمانة ، والنشاط وخفة الحركة .. ولذلك سرعان ما عرف اسمه .. وذاع صيته .. حتى سمع به مراد بك ..

مصدر السلطات :

تذهب الدساتير الحديثه جميعا إلى أن الشعب مصدر السلطات وهذه نظرية مقررة ، ولكن أهم من تقريرها أن تكون نافذة وأن يحرص الشعب فعلا على حقوقه فلا يتركها للمضللين والمفسدين

وهذه النظرية ليست حديثة كما يعتقد بل إنها قديمة ، وهى كذلك ليست نظرية مقررة فى الغرب فقط وإنما هى نظرية مقررة فى الشرق منذ جاء الإسلام ٠

واستمع إلى قول أبى بكر حين تولى الخلافة « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهكذا قامت الحكومة الإسلامية الأولى على أساس اختيار الشعب وحددت سلطة ولى الأمر، فإذا عصا الله وجب عزله، وكان خوف الخلفاء من الله أكبر عاصم لهم من الزلل

وفق الله قادة العصر الجديد إلى ما فيه خير الشعب وسعادته ، ورعى الله كنانته وحفظ لشعبها سيادته وبارك لها فى جيشها الباسل

أبو الفتوح عطيفة

حاكم مصر .. وزعيم طائفة من أكبر طوائف المماليك ... فعينه مديراً للجمارك .. ثم حاكما عاما لمدينة الإسكندرية .. وقد استطاع السيد محمد كريم — بعد أن تسلم مهام منصبه الجديد — أن يحكم البلاد بحكمة وحزم ... وأن يعامل الأهالى معاملة طيبة .. ولذلك احترمه الناس وأحبوه

***

وفى شهر يونيه سنة ١٧٩٨ م . . وصلت الأخبار إلى أهالى الإسكندرية . . بأن حملة أوربية تعتزم احتلال مصر

وكان المصريون فى ذلك الوقت . . لا يزالون يحملون فى أنفسهم تلك العقيدة المتوارثة عن عظمة السلطان .. وقوة المسلمين ولذلك عقدوا العزم على محاربة الجيش الأجنبى ، والوقوف فى وجهه .. مهما بلغت قوته

ومن سوء الحظ أن وصل الأسطول الإنجليزى الذى كان يتعقب الفرنسيين — إلى مياه الإسكندرية قبل وصول الحملة بأيام . . وحاول نلسن قائد الأسطول البقاء فى مياه الإسكندرية فى انتظار الحملة الفرنسية .. وعرض على السيد محمد كريم أن يسمح بإمدادهم بالماء والمؤونة اللازمة لقامهم .. لكن الحاكم رفض طلبه . قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : (١)

« ولعل السبب فى الرفض أنه أساء الظن فى مقاصد الأميرال نلسن لأن الإشاعات التى كان الناس يخوضون فيها ذلك الحين ، تنبئ أن « الإفرنج » يعتزمون احتلال مصر . . وكلمة « إفرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء . . نخشى أن يكون طلب الأميرال نلسن خدعة لها صلة بالحملة المقبلة »

ولم يكتف السيد محمد كريم بالرفض ، وإنما أعطاهم مهلة قصيرة لكى يبرحوا المياه المصرية ، وإلا أطلق عليهم النيران

وعبثا حاول الإنجليز أن يفهموه خطر الحمله القادمة . . فقد وجدوا منه إصراراً وعناداً شديدين

ولم ير « نلسن » أن يضيع وقته فى مناقشات لا فائدة منها . ولذلك قرر الانسحاب عن الشواطئ المصرية

يقول الجبرتى : (٢)

« وفى يوم الخميس الثامن شهر المحرم عام ١٢١٣ هـ ، الموافق ١٧٩٨ م .. ظهرت فى ميناء الإسكندرية عشرة مراكب حربية .. وأرست بعيدا بحيث يراها أهل الثغر .. ولحق بها خمسة عشر مركبا أخرى .. وأرسلوا بعض الجنود إلى الشط فى قارب .. فاستقبلهم كبار البلد ، وعلى رأسهم السيد محمد كريم .. وسألوهم عن شأنهم . . فقالوا إنهم من الأسطول الإنجليزى حضروا للتفتيش عن مراكب الفرنسيين . . فقد علموا أنهم خرجوا فى جيش كبير إلى جهة لا يعلمونها .. فلا تقدرون على دفعهم .. فلم يقتنع السيد محمد والذين معه بصحة ما يقولون ، وقابلوهم بجفاء فقال لهم الإنجليز :

— سنقف بأسطولنا فى عرض البحر لنحافظ على ثغركم ولا نطالبكم إلا بالماء والزاد بالثمن الذى ترضونه .. فرفضوا طلبهم وقالوا :

« هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم علينا سبيل .. فاذهبوا لشأنكم ... »

ولم يكد السيد محمد كريم يتخلص من الحملة الإنجليزية حتى أخذ يفكر فى الخطر الجديد الذى بدأ يلوح فى الأفق .. فالحملة الفرنسية التى وصلته أخبارها قد تأكد لديه قدومها ، بعد أن سمع حديث الأميرال نلسن . وعلم بنشاطه ، وأصبح من الواجب عليه أن يعد للأمر عدته ، وإلا سقطت الإسكندرية فى أيدى المحتلين الأجانب .. وكان عليه أن يسرع بالعمل قبل أن يضيع الوقت ، وتفوت الفرصة

فبادر بالاتصال بمراد بك ، وبالعرب المجاورين للثغر .. طالبا منهم المعونة . وأمر بتحصين أسوار المدينة .. كما طلب من الأهالى حمل السلاح .. استعدادا للكفاح القريب

وباتت الاسكندرية كلها تترقب قدوم الحملة الفرنسية .. حتى رأت وجه البحر وقد تغطى بالمراكب .. فعلمت حينئذ أن وقت الجهاد قد حان .. وأن ساعة الكفاح آتية لا ريب فيها

الكلام بقية

عبد الباسط محمد حسن

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ج١ ص ١٣٢

(٢) ابراهيم جلال : من يوميات الجبرتى . ص ٧٨

دماء الشهداء

شهيدان في كفن

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« فى تاريخنا الزاهر ، دماء زكية خالدة ، خطت آيته الكبرى ، ورسمت حدود عالم إسلامى واسع »

ع

— ١ —

قال « عمرو بن الجموح » لصديقه الوفى الحميم « عبد الله بن عمرو » : —

— هل أتاك يا عبد الله حديث النبى الذى ظهر فى مكة ... وأقبل عليه الناس من كل فج ، يجتمعون إليه ، ويؤمنون به ، ويعاهدونه على أن ينصروه ويؤازروه ، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ؟

— أجل : لقد وفد على « يثرب » منذ أيام رجل من هؤلاء ما سمعت بمثل حديثه وما رأيت أكثرجرأة منه ... كنت أجلس إلى جواره ، وكان المجلس حافلا . . وقد اجتمع الناس ليعلموا نبأ هذا النبى الذى سفه آراء قومه ، وعاب آلهتهم ، ثم لما عارضوه وآذوه ، وقف فى وجههم صابراً ثابتاً ... لا تهده النكبات ، ولا تثنيه الأزمات ...

قال الرجل : إنى رسول « محمد » إليكم ، محمد رسول الله الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ، وهو يدعوكم إلى عبادة الله وحده ، ونبذ هذه الأصنام التى تنحتونها بأيديكم ، ثم تعكفون عليها ، وتقدمون القرابين لها ، وتهملون عقولكم أمامها ، إن لهذا الكون خالقا مدبرا حكيما ، بيده مقاليد الأرض والسماء ... وهو الذى يقول لكم « وفى أنفسكم أفلا تبصرون ... »

قال « عمرو بن الجموح » وقد ثارت حفيظته عندما سمع حديث ذلك الرجل :

— ماذا قلت له « يا عبد الله » ؟ ! وماذا قال له الناس ؟ ! أحسبكم ضربتم عنقه ، وأعدتموه إلى من أوفده ، ليكف عن غزو « يثرب » بمثل هذه الأفكار ، فنحن هنا إلى جوار « اليهود » ، ولو كنا متخذين غير ديننا ، لكان دين « يهود » أقرب إلينا ... قال عبد الله :

— كلا ... يا عمرو : لقد أراد الله الخير بنا ، إذ بعث لنا رسولا من أنفسنا ، من خير قبائلنا ، وأشرف بقاعنا ... يتلو علينا الكتاب بلسان عربى مبين ، لقد آمن به الناس وآمنت ، وأكرموا رسوله وأكرمت ، وعاهدناه على الطاعة والوفاء ... ومن فضل الله علينا أن كان أكثر من فى المجلس من شباب يثرب ، ومن أعرقهم نسبا ، وأكرمهم أبا ، وأرفعهم عمودا ، وأكثرهم يداً ، يا عمرو ... لقد آمنت بمحمد ... وآمن به ابنى جابر ، وآمن أبناؤك معاذ ومعوذ وخلاد ، فأسرع إلى النور ، واعتصم بحبل الله ، واستظل براية الإسلام ، قبل أن يسكت اللسان ، وينطق الحسام ...

صعق « عمرو بن الجموح » لهذا الخبر ، فاسودت الدنيا فى عينه ، وذهل عن نفسه ، وأصبح يهذى كالمحموم ، ربى ، وحقك ، لا أتركك ، ولن أدع يدا تمسك ، وسوف أحملك إلى بيتى وأعبدك

— ٢ —

تحت جنح الليل والناس نيام و « يثرب » تحلم أحلامها العذاب بعد أن انسابت إلى كثير من بيوتها أشعة طاهرة من ذلك النور الإلهى الذى توهج فى مكة ، خرج ثلاثة إخوة جمعت بينهم وشائج الدم ، وأواصر العقيدة ، ووجد بين قلوبهم هدى السماء ، وتعاقدوا على الفداء ، ساروا فى أزقة المدينة بخطى وئيدة ، ونور إيمانهم يسعى بين أيديهم ، وكان همسهم الخافت ، وحذرهم الشديد ، يدل على أنهم خرجوا لأمر ذى بال

طرقوا باب جابر بن عبد الله فلباهم ، قال معاذ :

— هل لك إلى خير وثواب جزيل ؟

— أجل ما أحوجنى إلى ثواب الله وخيره العميم فماذاك ؟

— هلم إلينا فإن يد الله على الجماعة

تكاثر الفتية المؤمنون من بنى سلمة قوم « عمرو » وفى طليعتهم معاذ ، واجتمعوا على الكيد للصنم ، وتسللوا فى غفلة من عمرو إلى الدار ، فطرحوه فى بعض الحفر ، وكان عمرو ، والصنم فى الحفرة ، يحدث نفسه ويقول : لقد حفظت إلهى فى بيتى ، وضمنت بهذا السيادة فى بنى سلمة ، والسدانة على أصنامهم ، وسوف أنصح لقومى أن يحمل كل واحد ربه إلى بيته ، يغسله ويطيبه ، ويعظمه كل صباح ومساء ، ويدين له بالطاعة والولاء

وفى الصباح رأى « عمرو » صنمه المقدس ، الذى كان يحلم به طول ليله ، منكبا على وجهه فى الحفرة ، وقد علاه الرغام ، فورم أنفه غضبا ، وثارت حفيظته ، ورفع الصنم من الحفرة وغسله وطيبه ثم قال ، وهو يربت على الصنم — : وحقك لو كنت أعلم من صنع بك هذا لأخزيته، ثم نظر إليه نظرة صارمة، فيها بشائر من نور الهداية ، لأنها أول الشك فى هذه العبادة ، ولأن فيها صرخة خافتة ضعيفة من العقل الذى خنقتة الأكاذيب ، وألجمه التقليد ، ثم هب إلى سيفه وعلقه على الصنم وخاطبه قائلا : إن كان فيك خير فامتنع !

وجاء الفتيان فى الليل — يجرون كلبا وربطوه فى عنق الصنم ، وأخذوا السيف وانطلقوا ، وكأنهم أرادوا بربط هذا الكلب فى عنق الصنم ، أن يوقظوا بهذا الدرس الساخر عقلا وثنيا ، استعبده الخشب والحجر ، وكان درسا ناجحا مؤثرا ، فحين أصبح عمرو سار إلى صنمه فألفاه ملقيا إلى جانب الكلب فى الحفرة ، فهان فى عينه ، وصغر فى نفسه وقال :

تالله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

ثم قام إلى الصنم وحطمه ، ودعا زوجه «هندا» وأمرها بأن توقده ، وتطبخ عليه ثم قال لها:اذهبى إلى أخيك عبد الله وابن جابر وقولى لهما : بأنى قد أولمت اليوم ولمية فإذا كان الليل فليغد إلى بيتى كل مسلم فى يثرب ، من بنى سلمة

قالت « هند » وقد عمها البشر ، واستخفها الطرب

حمدا لك يا إلهى ! فلقد أسبغت علينا النعم ، وصرفت عنا النقم ، وبدلت شقاءنا سعدا ، وظلامنا نورا ، وايم الله ياعمرو ما رأيت كاليوم أنسا وسرورا ، لقد أحببتك حبا ملك على نفسى مذكنت تغدو إلى بيت أخى عبد الله ، وكان الحديث عنك يهز أوتار قلبى ، ثم لما صرت إليك ، كنت أزهو على أترابى بك ، لأنك سيد قومك ، وأكرم عشيرتك ، ولكن هذا كله أمام إيمانك اليوم ، قطرة من بحر ، وحصاة بين در ، فما أنت — الآن — بشر ، بل أنت ملك كريم

— ٣ —

وكرت الأيام ، وتتابعت على المسلمين أحداث ، وظفروا بأعدائهم فى بدر ، وأعملوا فى رقابهم السيوف ، وسقوهم كؤوس الموت الزؤام ، حتى كان « عمرو بن الجموح » يوما فى مصلاه ، مقبلا على ربه ، يقرأ القرآن ، مطمئن النفس ، هانئ القلب، فإذا بصديقه « عبد الله » يدخل عليه فرحا مستبشرا ، فتلقاه بالتحية والترحيب ثم قال له :

— ما وراءك يا عبد الله ؟ !

— لك البشرى يا عمرو فلقد ذهبت اليوم مع جمهرة من بنى سلمة إلى بيت رسول الله ، فقال لنا : « من هو سيدكم يابنى سلمة ؟ » فقال نفر منا : « هو الجد بن قيس على بخل فيه » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأى داء ادوأ من البخل ، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح »

فقال رجل من إخواننا المهاجرين : صدقت يارسول الله ، لقد رأيته يوم بدر ، منقضا على الأعداء انقضاض الصقر على فريسته ؛ وكان يقبل على الموت ، إقبال الإبل العطشى على الماء القراح ، وكنت أرى فرسان قريش تفر من وجهه ، وتتقى ضرباته الشداد، حتى أصابته ضربة بتار فى رجله ، فجعل يمشى على الأخرى ، ويخوض الغمرات ببسالة وإقدام ، ورأيت من صبره ، يا رسول الله ، ما ملأ نفسى إعجابا

رأى ابنه معاذا فى إبان المعركة ، وقد أصابته ضربة على عاتقه طرحت يده ، فتعلقت بجلدة من جسمه حتى آذته ، وأجهده القتال، فقال له بصوت فيه حنان الأب وشجاعة المؤمن :« يامعاذ ضع قدمك على يدك ثم تمطى حتى تطرحها ، ودونك بعد هذا أعداء الله ... »

ولم يكد الرجل يتم حديثه ، حتى رأيت البشر يملأ وجه الرسول ، ويتلو قوله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) فهنيئا لك يا عمرو !!

وسمع عمرو حديث صاحبه عبـــد الله بقلب يفيض فرحا ، ويرقص طربا ثم قال : حسبى من الحياة — ياعبدالله — أن يرضى الله ورسوله عنى ، بعد أن حفتنى عناية السماء ، وأظلنى لواء محمد

— ٤ —

كانت الشمس قد أرسلت تباشيرها ، ونشرت خيوطها

الذهبية على مشارف المدينة ، وهضاب أحد ، حين سمع « عمرو » جلبة وتكبيرا ، وإذا مناد يقول : الصلاة جامعة ! حى على الجهاد ، فدعا زوجه « هندا » وأمرها أن تعد له سلاحه ، وأن تصاحبه إلى المعركة ، لتضميد الجرحى ، وإثارة المشاعر ثم قال لها :

— أين أولادك يا هند ؟ !

— لقد أسرعوا إلى المسجد ياعمرو

— وهل لبسوا لأمّتهم وتنكبوا سلاحهم ؟ !

لقد جهزتهم بيدى ، ووصيتهم أن يكونوا صفا واحدا وألا يفارقوا رسول الله وقلت لهم :

اعلموا — يا أبنائى — أنه لا بد لهذه الدعوة من وقود ، فكونوا أنتم وقودها ، ولا بد لها من ضحايا ، فكونوا أنتم أول ضحاياها ، واصبروا عند اللقاء ، واشتدوا على الأعداء ، واذكروا أن الجنة مثوى الشهداء الأبرار ، وأستودعكم الله

— حييت « يا هند » من أم ! ! بمثل هذا الإيمان ننتصر ، وبه تعلو راية القرآن وتنتشر ، والآن ركضا معى إلى الجنة ، إلى السعادة ، إلى الله

وفوجئ المسلمون فى المسجد بدخول الشيخ الجليل الأعرج « عمرو بن الجموح » متقلدا سيفه ، متنكبا قوسه وهو يقول : سوف نهد لهم حتى ينقلبوا على أعقابهم صاغرين ، أو يموتوا بحد سيوفنا خاسرين

وسمع أولاد عمرو صوت أبيهم ، فأقبلوا نحوه ، وحاولوا منعه من الخروج إلى المعركة ، ولكنه راع المسلمين جميعا بإصراره على الجهاد ، قال له أبناؤه : (قد عذرك الله ولاحرج عليك! !) فحزن حزنا شديدا ، وآلى على نفسه أن يذهب ، وأتى رسول الله وكان فى جانب من المسجد، ووقف بين يديه وقال :

— يارسول الله ! إن بنى يريدون أن يحبسونى من الخروج ، فو الله إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة

فقال له رسول الله :

— أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك ! ..

فتطلع بعين كئيبة إلى السماء ، وقد انحدرت الدموع على خديه حتى ابتلت لحيته ثم قال بصوت تخنقه الحسرات : يارسول الله إنى أرى بعينى هاتين ، أن الشهادة منى قاب قوسين أو أدنى ، وأن أمنيتى الكبرى أن ألق ربى ، ترملنى الدماء ، فلاتردنى خائبا ، روحى لك الفداء

وحين رأى رسول الله إلحاف عمرو فى الطلب ، ورغبته الملحة فى الجهاد ، التفت إلى بنيه وقال لهم : (لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة ...) ولم يكد يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى استقبل القبلة ، وقال على مسمع من الناس جميعا (اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى) وامتلأت عيناه بالدموع ، وساده صمت خاشع ، ثم نظر إلى الرسول وقال له : (يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة ؟) فطمأنه رسول الله وابتسم وبان السرور فى محياه، وإذا بعبد الله بن عمرو ومعه ابنه جابر يقبلان، فقال رجل من المسلمين لعمرو ، هذا صاحبك عبد الله قد أقبل فطب نفسا ، وتعانق الصديقان عناقا امتزج فيه قلبان ، وانسجمت روحان ، وقال عبد الله لابنه جابر : (ياجابر إنى أرجو أن أكون أول من يصاب، فأوصيك ببناتى خيرا)

ثم نظر إلى صديقه الحبيب عمرو وقال له بصوت يسيل رقة وعطفا ، وكأنه يودعه الوداع الأخير :

— يا عمرو أتدرى أين يكون اللقاء بعد الآن ؟ !

— أرجو أن يكون فى دار البقاء فى مقعد صـدق عند مليك مقتدر

— ٥ —

— وثار النقع ، وصهلت الخيل ، ولمعت السيوف ، وحمى الوطيس فى أحد ، ونشب القتال ، والتحم الفريقان ، وأقبلت على رسول الله قائد المسلمين الأكبر ، كتيبة متراصة من المشركين ، قد احمرت منهم الأحداق ، وثارت فى نفوسهم الأحقاد ، فوقف «عبدالله بن عمرو» فى وجه المشركين، يفرق صفهم ، ويفل عزمهم، ويناضل عن الرسول ، وينافح عن الإسلام ، ويحطم الفرسان ،

ويجندل الشجعان، حتى صدق ظنه وأكرمه الله فكان أول شهيد في المعركة

واستلأم الأعداء ، وأخذوا من المسلمين بالثأر ، وانتقموا شر انتقام ، فمثلوا بعبد الله الشهيد الأول في أحد أشنع تمثيل ، جدعوا أنفه ، وقطعوا أذنه ، ولم يتركوه حتى هشموا عظمه ، وشوهوا جسمه ، ولما سجى بين يدى رسول الله أقبل ابنه جابر ، وكشف الثوب عن وجه أبيه ، ثم أكب عليه يقبله ويبكى

وسمع المسلمون من بعيد صوت امرأة نادبة ، فشقوا لها الصفوف فإذا هي « هند » تبكى أخاها ، وتوأم روحها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها)

وانصرفت هند وصورة أخيها ماثلة أمامها ، وملائكة السماء تظله بأجنحتها ، وبشرى رسول الله تطمئن نفسها، ولكن الدموع الحزينة كانت تملأ مقلتيها، ثم وقفت واجمة فزعة ، وغامت الدنيا في وجهها ، وأظلم الكون أمامها ، وجمدت الدموع في عينيها ، فقد رأت ـ ويا لهول ما رأت ، أبصرت زوجها « عمروا » وابنها « خلادا » مضرجين بالدماء ، وقد فاضت منهما الروح إلى السماء ، فهدها المصاب الرهيب ، وأشجاها الدم الصبيب ، وغرقت في لجة الأسى ، وإذا بصوت الرسول الحبيب يخاطب المجاهدين فيقول (والذى نفس محمد بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح) فمسح هذا الصوت ما بنفسها من أشجان ، وكان بلسم جراحها ، وعزاء مصابها ، فاحتسبت مصيبتها عند ربها ، وتقدم رسول الله من الشهيد الباسل ، وكشف عن وجهه وقال له : (كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة في الجنة)

— ٦ —

وعند الأصيل الكئيب،وقد مالت الشمس للغروب ، وأقبل الليل ينشر أمامه رداءه الأسود القاتم. كانت «هند» المفجوعة، تتوكأ على عصاها، وتجر وراءها بعيرا حملت عليه شهداءها، زوجها وأخاها وولدها ، ميممة شطر المدينة ، لتدفنهم هناك قريبا منها ، فرأتها السيدة عائشة وكانت تسقى العطاش ، فسألتها عن الخطب الذى حل بالمسلمين ، فقالت لها :

— يا أم المؤمنين ! أما رسول الله فسالم ، وكل مصيبة بعده هينة ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء

— ومن هؤلاء على البعير ؟

— أخى عبد الله وولدى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح

وبينما السيدة عائشة تعزيها في شهدائها ، جاء صائح من خلفها يقول (أمر رسول الله بأن يدفن الشهداء في موضع استشهادهم ، فاتجهت شطر أحد ، وعادت بشهدائها حتى وقفت أمام رسول الله فتلا قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقـــون) ثم نظر إلى عمرو وعبد الله وقال (كفنوا هذين المتحابين في الدنيا في كفن واحد ، واجعلوهما مع خلاد في لحد واحد ، وزملوهم بجراحهم فإنى أنا الشهيد عليهم ...)

دمشق — المزة **عمر عودة الخطيب**

فى بـــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عندما استتب الأمر لمصطفى كمال فى تركية، وشرع فى تنفيذ إصلاحاته العظيمة، ألف البروفيسور الكاتب التركى المعروف أغا أغلو أحمد، وأحد زملاء أتاتورك فى الجهاد ضد الاستبداد كتابه الموسوم بـ (فى بلاد الأحرار) ليكون نهجا واضحا للذين يريدون الإصلاح عملا، والحرية خلقا، ومكافحة الطغيان طبيعة ... وقد كتبه بأسلوبه البليغ الساحر فى شكل قصة شائقة خالية من الغموض والتعقيد، يستطيع أن يفهمها بكل سهولة ويسر، المتعلم مهما كانت ثقافته، ويستنير ويتعظ بها قادة الحكم ومحترفو السياسة مهما كانت نزواتهم وشهواتهم

وقد خطر لى أن أنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن أنشره فى شكل مقالات متسلسلة أولا، ثم فى هيئة كتاب مستقل ثانيا

وإنى أعتقد أن الفرصة قد سنحت لإخراج هذا الكتاب القيم على أى صورة ... فثمة طاغ جبار يطرد من أرض الكنانة إلى غير عودة ... وقائد بار شجاع يتولى قيادة الأمة المصرية إلى حيث الشرف والعزة والكرامة والعدل . . وشعب أبى متحرر أنقذ نفسه بنفسه من عهد فاجر جائر، يريد سلوك خير الطرق وأفضلها للوصول إلى أهدافه ومثله العليا .. أفلا يجب أن يكون لكتاب (فى بلاد الأحرار) مكان على صفحات الرسالة الزاهرة لينير الطريق، ويرشد الضال، ويوقظ الهمم، ويضع الأسس، ويصف الداء ثم الدواء

أ . م . الخطيب

كنت أسـيراً فشئت أن أكون حرا

كنت أسيراً، فشئت أن أكون حرا، حطمت سلاسلى، وثقبت جدار الحصن . . فنفذت إلى الأرض الفضاء . . وهناك تنفست الصعداء

امتد أمامى براح شاسع .. ولم أكن عارفا إلى أين أتجه ؟ ولا ماذا أعمل ؟

خطوت بضع خطوات وأنا متردد محجم .. فوجدتنى على مفرق طريقين .. فقرأت هذه الكتابة القائمة على رأس عمود هنا :

الطريق المؤدى إلى اليسار طريق الحرية

الطريق المؤدى إلى اليمين طريق العبودية

التزمت جانب اليسار، وسرت على قدمى حتى الصباح..وعند انبثاق الفجر وجدت نفسى أمام قلعة..وهناك قرأت لوحا كتبت عليه بأحرف ذهبية هذه العبارة :

« بـــلاد الأحرار »

قلت : هذه ضالتى التى نشدتها ثم هممت بالدخول . . قطع الحراس السبيل .. وسألونى :

— من أنت ؟ .. ومن أين قدمت ؟ .. وإلى أين تقصد ؟

فقلت :

— كنت أسيراً .. فحطمت سلاسلى وحضرت ههنا..أريد أن أكون حرا ..

رمقنى الحراس بنظرات الفحص والتأمل . . كانت آثار السلاسل فى عنقى، ومعالم القيود فى يدى ظاهرة جلية

— أجل !..يلوح لنا أنك قد حطمت قيود الأسر.. ولكن يا ترى .. هل اقتلعت قيودك الباطنية أيضا، وقذفت بها ؟

قلت :

— لم أفهم ماذا عنيتم !

— إذن أجب عن هذه الأسئلة :

١ — هل أنت مسيطر على نفسك ؟

٢ — أتحب الصدق ؟

٣ — أتستطيع تحمل الحقيقة ؟

٤ — هل أنت ذو كبرياء ؟

اتضح لى أنهم يمتحنوننى قبل إفراجهم عن الطريق لدخولى فأجبت عن كل هذه الأسئلة (نعم)

انحنى الحراس أمامى احتراما لى، وفتحوا لى باب القلعة ثم رافقنى أحدهم إلى الداخل

كانت المدينة قد استيقظت، والحوانيت والأسواق قد نشطت

وكان الجميع دائبين فى أعمالهم

إنها أول مرة فى حياتى ، كنت أرى فيها مدينة جميلة عليها سيما العمران كهذه .. فالسعادة والهناء تقرأهما فى وجوه الأهلين أينما حللت ، وحيثما ذهبت . . وكان الذين يلقوننا فى الطرق يبتسمون فى وجوهنا ويهشون لنا ويرتاحون

وأخيراً انتهى بنا المطاف عندما وقفنا أمام باب دار كبيرة طرق الحارس الباب ، فجاء شيخ طاعن فى السن

قال الحارس مشيراً إلى

— وطنى جديد !

حيانى الشيخ باحترام ودعانى إلى الدخول ثم قادنى إلى غرفة فسيحة وقال :

هذا الموضع لكم بكل ما فيه وقبل أن أفيق من الذهول الذى انتابنى ؛ أضاف الشيخ إلى كلامه قائلا : سيحضر أساتذتنا بعد قليل لمقابلتكم .. خذوا قسطكم من الراحة الآن

وإذ غادر الشيخ الغرفة جاءنى رجل تبدو عليه أمارات الفتوة وأحضر لى طعاما وشرابا

وبعد لأى حضر الأساتذة أيضا .. وذهبوا إلى غرفة أخرى؛ وهناك سألونى من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا قدمت هـذا المكان ؟ فأجبتهم هكذا :

« .. أرومتى أصيلة .. بلادى نجيبة ، دمى طاهر نقى .. كان موطنى قديماً هضاب آسية الوسطى العالية .. ثم ثار الدم فى عروق أجدادى وهاج .. فتغلغلوا فى الشرق والغرب ، والشمال والجنوب . ، واجتاحوا الممالك ، وشادوا الدول ، وأنشأوا الحضارات ...

كان زعماؤنا قبلا يعيشون عيشة ساذجة ، يشاركون الشعب فى سرائه وضرائه ؛ يحترمون العهود والمواثيق ، يطيعون الحق ومجالس الشورى .. وكانت قادة الحكم ، ورؤساء القبائل وملوك البلاد لا يخشون شيئاً فى سبيل الذود عن كرامة الحق ، وقولة الصدق ، والتنكيل بالطغاة ، ومنع الاستبداد ...

وطوال استمرار الحال على هذا المنوال كانت بلادى قوية ، مهيبة ، مرفوعة الكلمـة بين الممالك .. إلى أن جاء يوم فسدت فيه دماؤنا ، وشرعنا نقلد البلاد المستعبدة فى تقاليدها ومواطن ذلها . . فتلاشت مجالس الشورى ، واختل النظام ، وانتصر الاستبداد ، وصار شعبى السيد الآمر عبداً رقيقاً ...

ومنذ ذلك الحين انطفأت نارنا الواهجة ، واضمحل صيتنا الذائع ، وتلاشى صوتنا المدوى .. حتى حل يوم أراد فيه خاقاننا السافل أن يبيعنا للأغراب .. وعندئذ بلغ السيل الزبى ، وطفحت الـكأس

خرج من صفوفنا شخص ذو شعور ذهبى ، وسحنة رجلية ، ونظرة هى نظرة الأسد بعينها ...

فإذا هو الذائد عن حمى بلاده ، والضنين بوطنه ، ورسول ربه الكريم ...

قال أقوالا بعثت بالحمى الدافقة إلى القلوب الجامدة ، وبالحياة إلى العروق الميتة ، عمل أعمالا دهش منها القاصى والدانى . . طرد الأغراب من المواطن وأسقط الخاقان من عرشه .. وهو اليوم منهمك فى لم شعث أمته حول راية الحرية الخافقة ...

إننى كنت حينذاك من أسرى الخاقان فى سجنه .. وبينا أتقلب على أشواك اليأس والقنوط ، إذا أنا بصوت رجل الحق يطرق سمعى ...

دبت فى الحياة فجأة ، فحطمت سلاسلى ، وأحدثت فجوة فى الجدار ، وجئت إلى هذه الديار فى طريقى إلى الحرية التى أنشدها

أصغى إلى الأساتذة باعتناء واهتمام شديدين . . ثم قال أحدهم :

— أجل ! أجل ! إننا كذلك نعرف ذلك البطل ونحبه حبا جما ، ونحن إنما نعمل هنا وفقاً لمبادئه وفكرته ...

ثم أضاف إلى كلامه قائلا :

— هل عقدت النية على أن تكون حرا ؟

— نعم !

ساعة بين أعداد الرسالة

للأستاذ محمد الحسن شرع الدين

لانقطاع الرسالة بسبب الملاحة فى الشلال شعرت بالحاجة إلى قراءتها ، وذلك لما كنت أتوقعه من انقلاب فى أقلامها بعد الانقلاب الذى قام به البطل محمد نجيب «نجيب الحرية والدستور» وكانت تجول بخاطرى أشياء أتذوق حلاوتها وألتذ لها لاعتقادى أن أعداد الرسالة القادمة سوف تتحدث عنها ، وما تلك الخواطر إلا حوادث الانقلاب والملك المطرود ، وقد تكلمت كل الصحف والمجلات عدا الرسالة التى لم تصل إلى . ولكلام الرسالة وقع فى نفسى غير كل كلام مقروء . قلت شعرت بالحاجة للاطلاع على الرسالة ، ففزعت إلى أعدادها المودعة بمحل خاص — وأنت قد تعجب إذا قلت لك إنى أحتفظ بأعداد الرسالة من سنة ١٩٣٤ إلى يومنا هذا بصورة مستديمة — من قسم الإعارة لا التأجير ، وتناولت أول عدد فكان العدد ٩٦٢ وفتحته فكان أول ما قرأت مقال يوازن بين شوقى وولى الدين يكن فى قصيدتين قيلتا بمناسبة « سقوط السلطان عبد الحميد » بقلم أستاذنا الأديب محمد رجب البيومى ، وعلم الله أنى أرتاح لكل ما يكتبه ، وأجد فيه متعة الروح وغذاء العقل ، متعنا الله بأدبه ومد فى عمره بالعافية . فعجبت كيف هيأت الصدف للربط بين خواطرى بالماضى المقروء للحاضر المشهود ، وقلت لو كتب هذا الموضوع قبل الانقلاب بأسبوع لقلنا إن الكاتب يشير إلى نهاية (الفاروق) بالتورية للآتى القريب، ولكن مر على المقال أكثر من سنة فلا أظنه كتب لهذا الغرض رغم أنه كان ينفع للعظة لو وجد من يتعظ . وجال بخاطرى فقلت لئن وجد عبد الحميد من يندب مجده بعده ، وآخر يشمت به ويشيع عهده باللعنات ، بتلك القوة الممتعة فى الوصف البارع للمدح والذم ، ووجد مثل قلم البيومى ليوازن بينهما ، فهل نجد اليوم مثل هذين الشاعرين وقد وجدنا الظرف

ولا نريد بعد أن أشرنا إلى العدد أن نأتى بشىء من القصيدتين، فمن أراد المتعة فليرجع إليهما فإنهما أنسب ما يقرأ فى هذا الظرف وهذه المناسبة

وبعد الفراغ من هذا العدد مددت يدى فأخذت عدداً آخر فإذا هو العدد ٧٤٨ بقلم صاحب الرسالة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بعنوان : « يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا » ، وقد علق به على حديث نشرته الأهرام لصاحب السمو الملكى الأمير محمد على قال فيه :

« إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته منذ نشأتى إلى اليوم كان مرجعه إلى ائتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه »

وقد علق على هذا الكلام فقال : « جميل من سمو الأمير أن يعتقد الدين وأن يعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله . فعبد الأمراء الشهوة — وكأنه يعنى القصر — وأله الأغنياء المال ، واتبع الزعماء الهوى » ثم يقول بعد فصل : «لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على «المحبة والسلام ، والصلاة والصيام ، والعمل والصبر والطهارة . وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا» ويسترسل فيقول : « إن الدين

— هل فكرت فى الأمر جيداً ! .. أعزمت على ذلك عزماً نهائيا ؟ .. ثم هل تعلم مبلغ صعوبة الحرية على الإنسان ؟

أجل !. أعرف كل ذلك ، وعزمى فى هذا الشأن لا يتزحزح !

— إذن ثمة شروط يجب أن تطلع عليها، وتعمل بمقتضاها .. وهذه الشروط مدرجة فى سفر خاص بها . . اقرأ وفكر مليا . . وسنأتى لمقابلتك ثانية بعد بضعة أيام ..

ثم غادر الأساتذة المكان . .

أحمد مصطفى الخطيب

يتبع

٢٠ . ٣٩

عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية . ثم يقول بعد فصل : : وحق الله الذى يشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويداوى المريض ، ويكفن الميت، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السهرات الداعرة، ويجود على إنجلترة الخؤون من غير طلب، وينفق على تركية العقوق من غير حساب» ثم يقول : «ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح» ثم يسترسل فيقول : «إن أكثر الكبراء عقام أو عزاب ، فلا عيال يكلفون فى الحياة ، ولا أعقاب يرثون بعد الموت ؛ فليت شعرى لم لا يتبنون هذا الشعب الكريم وهوالذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله ، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة ، وجسمه يضوى من القلال وهم فى سعة ، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن » ثم يقول « إنهم إلا يفعلوا يندموا ، فإن من المشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه » وعندما وصلت لهذا الحد من المقال عجبت ! ولا عجب أن يصاحب التوفيق قلم أستاذنا ، فيشير لهذه النهاية البعيدة حينذاك ، ولكن زال عجبى عندما رجعت لقول ولى الدين يكن للسلطان عبد الحميد فى قصيدته التى أسلفت القول عنها عندما قال :

عزاء أيها النافى الرعايا ولا تجزع لخالقكم نفاكا
حرمت كراك أعواما طوالا وليتك بعدذا تلقى كراكا
تفارقك السعادة لا لعود وقدعاشت خطاهافى خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا وقل ياقصرلست لمن بناكا
نم عبد الحميد اندب زمانا تولى ليس يحمده سواكا

ومنها :

ستحيا فى سلانيك زمانا ستحسد فيه عن بعدأخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ولعت بهولكن ماارتضاكا

أما قصيدته الثانية التى جارى بها شوقى ، فلا يتسع المقام لسياقها ، فلنتركها وليرجع اليها من يريدها بالعدد المذكور أو فى غيره

وعجبت أن يحقق الشعب ما أشار إليه أستاذنا ؛ فيطرد المليك الجبار .. المليك الذى أراد أن يجعل من مصر وجيش مصر أضحوكة بين الشعوب . المليك الذى ضحى بشباب مصر فى حرب فلسطين ، وكان يستعرض الجيش ابتهاجا بولده فى الوقت الذى يقتحم فيه البوليس الموت مع الإنجليز فى قنال السويس ، ويشد أزر كفاح البوليس أولئك الأبرار المجاهدين من الفدائيين . لقد حقق الله نبوءتك يا أستاذى ، فهاهوذا الجبار قد ذل وطرد ، وهاهم مانعو الزكاة ومبددو ثروات الشعب المصرى يحاسبون حسابا عسيرا ، فلننتظر قليلا ولنقل : حيا الله المخلصين من أبناء مصر ، وأزال بهم طغيان كل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، ولنقل مع الشاعر أيضا :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر

محمد الحسن شرع الدين
تاجر بأم روابة

شيلر الشاعر الألمانى

للأستاذ عيسي إسكندر المعلوف

حياته

هو فريدريك فون شيلر ولد فى مدينة مارباخ من أعمال مقاطعة ورتمبرغ الجرمانية فى ١٠ ت ٢ سنة ١٨٥٩ . وكان أبوه يوهان كاسبار جراحاً مساعداً فى الجيش استخدم فى حرب أوستريا الارثية . وكانت والدته تقية حنوناً فغرست فيه تلك المبادئ . واسمها اليصابات كورفايس . كان منذ صغره ولوعا بالكتب ، وفى المدرسة كان ينفرد ويطالع ، فيجد تلك الساعات من ألذ أيام حياته ، وكان يهيم فى الطبيعة ويسرح فى آفاق الخيال وراء شاعريته التى كانت نفسه تنزع إليها

وكان نحيف الجسم مجتهداً كثير المطالعة تنزع نفسه إلى نظم الشعر ، ولذلك جمع بين الإنشاء الطلى والشعر الرقيق والتاريخ الوطنى ، فكان ثانى غوته أشهر شعراء ألمانيا

ترك آثاراً تشهد بنبوغـــه وتفوقه ، وكان أصغر من زميله ومعاصره غوته بعشر سنوات ، تعارفا لما كان شيلر فى الرابعة والثلاثين من عمره وغوته فى الرابعة والأربعين

انصب شيلر على مطالعة أشعار هوميروس اليونانى وفيرجيل الرومانى لإتقانه اللغتين اليونانية واللاتينية كل الإتقان

ثم طالع منظومات « كلوبستوك » شاعر ألمانيا العظيم وغيره من كبار الشعراء ، مما بث فيه روح الشاعرية وقواها

وكان قد درس على علماء عصره المشهورين ونال شهادته بإتمام دروسه سنة ١٧٧٩ بحفلة حافلة شهدها غوته الشاعر الألمانى الآنف الذكر . ولم يكن غوته يظن أن شيلر سيكون نابغة فى عصره وصديقاً مخلصاً له ، ورجلا محبا لوطنه وشعبه ، ومؤثرا عظيما فى رقى بلاده . ولم يكن غوته ليظن بأن شيلر سيصبح كاتباً مدققاً وشاعرا بليغا ومؤرخا ثقة ، صاحب مخيلة واسعة ، طلى الإنشاء ، حتى يحبه الشعب ويحترمه

وكان لما حل شيلر بقرية فولكشتات سنة ١٧٨٨ أن اجتمع بغوته مرة فاستقبله هذا غير مكترث له فأثر ذلك المشهد الاحتقارى فى نفس شيلر وحركته عزة نفسه أن كتب إلى صديق له يخبره بعدم تناسب الذوقين أى ذوقه وذوق غوته، لأن لكل منهما وجهة يتجه لها الواحد دون الآخر

على أن غوته بعد أن طالع آثار شيلر ، ولاسيما قصيدتيه الشهيرتين «المتفننين» و « آلهة اليونان » ، اللتين نسج بردتيهما إذ ذاك نسجا بليغا ، انقلب عن الإعراض إلى الحفاوة والاحترام، فصار ودهما وثيق العرى متين الأسباب

فكان شيلر ينظر إلى الحياة نظرات فلسفية وينظم الشعر التمثيلى ، وغوته يسبح فى عالم الطبيعة ويصوره ناظما الشعر الحقيق، ومع ذلك لم يكن هذا التباين فى الذوقين بمانع من اتفاق آرائهما بالصداقة وتبادل الحب الصحيح بينهما بإخلاص وأمانة حتى آخر نسمة من حياتهما . وذلك نادر بين صاحبى صناعة واحدة . ولكن الشاعرية التى عرفا بها لم تستطع أن تبث روح الحسد فى أحدهما ليعادى الآخر

فصرف شيلر أوقاته مع غوته يتبادلان الآراء ويتجالسان ويتحاوران فانتفع كل منهما من زميله . وهكذا أخرج شيلر آثارا نفيسة فى الشعر والتاريخ والروايات التمثيلية الكثيرة ، وهى مما لا تزال تتناقلها الألسنة والأقلام ، وتترجم إلى اللغات المختلفة الغربية والشرقية

ومن غرائب الاتفاق أن هذين الشاعرين المتحابين مرضا كلاهما بوقت واحد وخشى كل منهما موت الآخر . ولكن شيلر قبض إلى رحمة ربه قبل غوته وذلك فى أيار سنة ١٨٠٥ فبلغ نعيه غوته فبكاه واشتد حزنه عليه وقال كلمة لا تزال مضرب المثل

لقد فقدت بموت شيلر نصف حياتى

ولشدة حزنه انقطع مدة عن عمله وتفرغ للبكاء ، ومعاناة الأسف الشديد الذى ألم به . وطال ذلك العهد على غوته حتى توفى سنة ١٨٣٢ وأقيم له سنه ١٩٣٢ تذكار مرور مائة سنة على وفاته بحفلات شائقة ، وسنة ١٩٣٤ أقيم له تذكار مرور ١٧٥ سنة على ولادته . وكتبت الجرائد مقالات شائقة عن الحفلتين فى الشرق والغرب . ونشر كثير منها ترجمة حياته وأعماله . وحضر تلك الحفلة كبار رجال الحكومة . وأقاموا الصلاة على قبره . وخطب

الهر جيبلز فقال : « لو عاش شيلر ، إلى اليوم لكان زعيم ثورتنا حرفيا . فنحن نحنى رؤوسنا أمام ذلك الميراث الفنى الذى هو لنا ، لأن لنا وحدنا القدرة وروح الابتكار لإنجاز رسالة تلك الثورة »

وأنشأت صحف اليونان مقالات أطرت فيها على ذكر شيلر ، ومثلت فى المسرح اليونانى الوطنى رواية (دون كارلوس) من نظمه

آثاره

اشتغل هذا الشاعر بالأدب والتاريخ والروايات ، فترك آثاراً ذات شأن فى نظر العلم والأدب من روايات تمثيلية وقصائد رائعة ، فأخرج شيلر الدراما « قطاع الطرق أو اللصوص » طبعت سنة ١٧٨١ و « المؤامرة والحب » . ومن أهم رواياته « دون كارلوس » (١٧٨٦) . وبها اشتهر أول ما اشتهر . وآخرها « وليم تل » التى كتبها سنة ١٨٠٤ ومدارها على أخبار وليم تل البطل السويسرى الوطنى . وكان غوته قد سافر إلى سويسرا ودرس جميع الشؤون المتعلقة بهذه الرواية على أمل أن ينسج بردتها بقلمه العسال. فحالت دون ذلك عوائق حملته على انتداب حميمه شيلر لهذا العمل فأعطاه دروسه كلها ، فنظمها وأجاد فيها ما شاءت بلاغته . ولما وقف عليها غوته دهش منه وازداد تعلقاً به واحتراما له فعاشا على حد قول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

ومودة الأدب إذا كانت بإخلاص نية وعدم حسد وتنابز كانت آية الآيات فى حسن السلوك وأدب المعاشرة

فكانت هذه الرواية « بوق الحرية الشريف » وآخر رواياته من بدائع قصائده ؛ « آلهة اليونان » ، و« مارى ستوارت » ، و« عذراء أورليان » ، و « عروس مسينا » . وفى مقدمتها يقول « ليس موضوع العلم أن يثير حلم الحرية للحظة . ولكن قصده أن يجعلنا أحراراً بالحقيقة » . و « المتفننون » ، « والقتال » ، ونشيد « فالنشتاين » (١٧٩٩)

ومن مآسيه المشهورة « دون كارلوس » و « وليم تل ». ومما قاله فى مقطوعة عن وليم تل : « نحن نستنشق الهواء الجبلى للحرية ونطأ جبال الألب بحرية شخصية ونشعر برعدة »

ومن مشهورات تواريخه : « تاريخ ثورة هولندا » و« الحرب الثلاثينية » وهو كتاب تاريخ ممتاز

وكان شيلر صحافيا اشتغل بمجلات أنشأها هو أوساعد غيره بكتابة مقالاتها

وعلى الجملة كان شيلر فيلسوفا ومتفننا ومؤرخا وشاعراً وصحافيا

شىء من آرائه وأقواله

تناقل الكتاب والشعراء كثيرا من آراء هذا الشاعر وأقواله مترجما إلى لغاتهم ومنها لغتنا العربية

قال فى وصف فتاة : « أنت فى السادسة عشرة إذ يبتدئ فؤادك أن يخفق لأول مرة بعواطف الحب ويردد صدى نغماته . إن الفتيات أمثالك لهن دائما مرآتان : المرآة الحقيقية ومرآة المعجب بجمالهن . فتصلح الثانية بتمويهها ما تفسده الأولى بصدقها . فإذا أرتك المرآة أثر الجدرى يقول المعجب الأعمى : تلك غاية الجمال. »

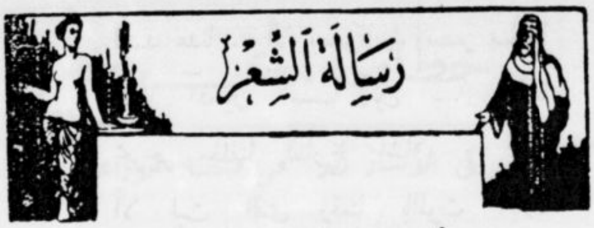
وقال يصف شابا : « كنت سالكا سبيلا قويما ولكن تخلى عنى أقرانى وأضلونى الطريق إذ انفصلوا عنى واحدا واحدا »

وقال فى تأثير المرأة : « كلما وجد رجل وصل بعمل إلى غايات المجد وجدت فى جانبه امرأة محبوبة »

ومن أعظم قصائده « لحن الجرس » خاطب به رأسا قلوب الجماعات بقوله : « أنا أدعو الأحياء وأنا أنوح على الموتى وأنا أكسر اللمعان ». فهى أشبه بقصيدة لنفلو الشاعر الأميركى « بناء السفينة » . وقد عربنا معظم ديوان الشاعر الأميركى

ومن قوله فى قصيدة القتال : « لا . لا . لن أصبر طويلا على هذا القتال الطاحن الذى يقوم به الواجب . فإذا لم تقدرى على كبح أهواء قلبى أيتها الفضيلة فلا تطلبى منى التضحية . فإكليلك هذا يجب أن يبقى كل الأيام بعيدا عنى . خذيه ودعينى وحدى أتلاشى »

عيسى اسكندر المعلوف



أنا والحياة

للأستاذ حسين عبد الفتاح سويفي

أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟
كل شئ فيك يهتاج بكائى وشكاتى
مل جفنى من دموعى وشكا من عبراتى
كل شئ فى حياتى غارق فى الظلمات
السنا الوضاء معنى لم يلح فى خطراتى
أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟!

***

هذه النار التى تسرى بروحى ودمائى
والأعاصير التى قد عكرت صفو هنائى
والأحاسيس التى تعشق دمعى وبكائى
والتعلات التى كانت عزائى ورجائى
والأمانى التى لم تغننى أى غناء
كلها مجتمعات عجلت يوم فنائى

***

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا طير غريب
ضل فى البيد فلا مأوى ولا عش قريب
بين جنبى جراح ليس يشفيها طبيب
وفؤاد ظامئ اللهفة موصول الوجيب
لم أجد فى الكون قلبا عاطفا بين القلوب
لهف نفسى لحبيب مخلص — أى حبيب

***

ظامئ الروح ولكن أين كأسى وشرابى ؟
أين آمالى . وأوهامى . وأحلام شبابى ؟
أين حلو الصفو ما بين رفاق وصحاب ؟
أين ما أملت من تلك الأمانى العذاب ؟
لم أنل غير عنائى وشقائى وعذابى
واجترارى الليل يمضى بين سهد وانتحاب

***

ها هى الآلام تدعونى فعذرا يا رفاق
هل رأيتم كيف يسقينى من الآلام ساق ؟
هل رأيتم كشرابى ؟ إنه مر المذاق
من مزيج اليأس والحرمان والدمع المراق
وسعار اللهفة الظمآى ونيران المآقى
أيها الآلام كفى بلغت روحى التراقى

***

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا العانى الشريد
أنا من قد مل طول العيش فى هذا الوجود
أنا من قد عاش فى الأسر وفى ظل القيود
أنا من قد عاف طعم الذل فى أرض العبيد
ثائر النفس على كل قديم وجديد
إننى أجهل نفسى . لست أدرى ما أريد ؟!

***

فاضت الكأس تخلونى أبث الطرس وجدى
لم يعد ينفع صبرى . لا . ولا يغنى التحدى
قد قطعت العمر والأيام فى أخذ ورد
وطموح فى الأمانى لانهيار وترد
وشكاة من حياتى وزمانى المستبد
مل من شجوى صحابى وحملت الهم وحدى

***

يا ربيع العمر ماذا فيك من روح الربيع ؟
هذه شمس حياتى قد خبت قبل الطلوع
يحجب الأنوار عن عينى سحاب من دموعى
ودخان من قنوط ثار بين ضلوعى
كلما أوقدت شمعى أطفأ الدهر شموعى
يا ربيع العمر كم ذا فيك من يأس مريع

***

هل رأيتم مثل صبرى فى الورى صبرا عجيبا
أ كتم الأشجان فى نفسى و أخفيها ضروبا
ثم أبدو بين صحبى مرحا طلقا طروبا
أمسك القلب على الوجد وأخشى أن يذوبا
وأدارى اللوعة الكبرى ولا أشكو لنوبا
إن أ كن أذنبت ياربى فهل لى أن أتوبا

حسين عبد الفتاح سويفى

العائدون من الحرب

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

(مهداه إلى القائد الأعظم اللواء محمد نجيب)

لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا
على أعناقنا قد عبأوا النصر رياحينا . .
ومن أفواهنا قـــد جسموا المجد أرانينا
لقد عدنا ولـكن لا كما شاءت أمانينا
ألا ياليتنا متنا بعيداً عن أراضينا ..!

***

لقد عدنا من الحرب .. إلى الحقل إلى المصنع
لـكى نحرث .. أو نبذر .. أو نحصد .. أو نجمع
لـكى نبنى للغير.. لـكى نطهو ولا نشبع
لـكى نحلم بالفجر الذى من بدنا يسطع !
لـكى نصنع حربا ضخمة أخرى .. لـكى نصنع

***

لقد عدنا إلى الأ كواخ .. أ كواخ أهالينا
وكنا قـد كسوناها بأسمال أمانينا
فـاذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموجع نبكيه ويبكينـا
وإن لج بنا الشوق لسناه بأيدينا

***

لقـد عدنا .. ألا تبصرنا .. تبصر بـلوانا
بقايا آدميين مسـا كين . . بقايانا
بجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأ كفانا
ألا ليت الذى رقعنا بالموت أبلانا
ولم يبق لنا كالناس أشواقا ووجدانا

***

لقد عدنا . . أجل عدنا ولـكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب . . أ كلنا صـدأ التنور
لبسنا كفن الثلج . . سكنا جدث الديجور
وها عدنا إلى القيد . . إلى قيد الأسى المضفور
فياضيعة هذا العمر . . هذا الصدف المـكسور

***

وقالوا . . قال رب السوط والقـانون والقوه
سأمضى قبلـكم . . إنى لـكم . . لقطيعكم قدوه
ولـكنا مضينا وحـدنا نحتضن الهوه !
وظل السيد المعبود فى رقـدته الحلوه !
وكانت كأسنا الموت . . وكانت كأسه الشهوه

***

فماذا يبتغى الجلاد . . ماذا يبتغى منا !
لقـد سرنا كما شاء . . وعدنا لا كما شئنا
هدمنا وتهدمنا .. وعذبنا وعذبنـــا
وكم حلم سحقناه .. وكم مقبرة شـدنا
وكم من مرة متنا . . وكم من مرة عشنـــا

***

فلا بارك هـذى اليد . . لا باركهـا الرحمن
إذا لم تسق بالحب صدى الحيران
إذا لم تك فأسا فى جدار البؤس والطغيان
إذا لم تك ميزانا لروحانيـة الإنسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والإيمـــان

محمد مفتاح الفيتورى

خطاب مفتــــوح

إلى الأستاذ محمد فتحى مستشار الإذاعة

من الأستاذ على متولى صلاح

يا أخى الأستاذ

الآن وقد عاد إليك مكانك الطبيعى فى الإذاعة التى اقترنت باسمك منذ مولدها ، واقترنت أنت بها منذ مطلع شبابك وباكورة عملك فى الحياة .. والآن وقد عاد إليك مكان المشورة والرأى والتوجيه فى الإذاعة ، وقد صارت مؤسسة ذات خطر فى الدولة وذات أثر فى الناس ، وأصبحت عاملا هاما فى التثقيف والتهذيب والمعرفة الصحيحة . .

والآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد جديد سعيد كأنما انشقت عنه السماء ليكون برزخا فاصلا بين النقيضين : الرذيلة والفضيلة ، وليكون تغييراً لمعالم الحياة فى مصر ، وليكون قبرا أخيرا للفساد والظلم والطغيان والاستعباد وما إلى ذلك مما تردت فيه البلاد حقبة ليتها لم تكن فى تاريخها !

الآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد كهذا ، فإن على كاهلك ليقع عبء كبير ثقيل لا ينهض به إلا أولو العزم من الرجال ، وإنى أعيذك أن تحسب الأمر هينا سهلا ، فإنك — إن ترد الإصلاح حقا — لتنفق من ذات نفسك وجهدك الشئ الكثير

إن الإذاعة — حتى اليوم — مهزلة كبرى وفضيحة لمصر ليس وراءها فضيحة ، وكأنما تنفق الدولة ما تنفقه على هذه الإذاعة ابتغاء التشهير بها والنيل من كرامتها وقدرها أمام العالم أجمع ، فهذا العبث الذى ترسله الإذاعة ، وهذا التخنث الذى يشيع فى الأغلب الأعم من أغانيها من أمثال قولهم « ما قاللى وقلت له ، وجالى ورحت له ، يا عواذل فلفلوا » وسواه مما لا أذكره احتراماً لقلمى أن يخطه ويتلوث بذكره ، إنما هو فضيحة ليس وراءها فضيحة . . وهذا النفاق الذى يتدفق من شعراء الإذاعة وكتابها ، هؤلاء الذين كانت تجرهم الإذاعة كالثيران البدينة ليلقوا على الناس عقود المدح والثناء والإطراء فى الطغيان والعسف والظلم والاستبداد، هؤلاء المنافقون الدجالون عليك إبعادهم ونفيهم وكم أنفاسهم ، وتطهير الإذاعة منهم فإنهم رجس يجب ألا يعيش فى هذه الأيام ..

إن عليك يا أخى أن تمحو من الأغانى والأناشيد والأحاديث كل ما يضعف الرجولة ويشيع الوهن والضعف والاستخذاء فى النفوس . أمح من الإذاعة بجرة قلم جميع هذه الأغانى المخنثة المائعة التى يغنيها الرجال والنساء على السواء ! يغنيها المغنون — يا أخى — بأصواتهم الغليظة فيجملونها بالتأوه والتموج وإرسال الزفرات الحارة والتنهدات المتسعرة ! أمح هذا العار الذى يحيل هؤلاء الرجال إلى إناث بعيدى الأنوثة ينافسون الإناث فيما اختصهن به الله !

إن عليك يا أخى أن تمحو باب الارتزاق — لمجرد الارتزاق — أمام كل من هب ودب من هؤلاء الذين يسقطون على الإذاعة وكأنها تكية السلطان ! هؤلاء الذين يقدمون إلى الإذاعة أى كلام وأى أغان وأى مسرحيات ، ثم يضمنون إذاعتها دون مراجعة ودون اعتراض ، معتمدين على مالهم فى الإذاعة من صلات وقرابات !

إن عليك ألا تكل إلى أحد من رجال الإذاعة ما لا يفهم ! فإن الناس ليعجبون كيف ينهض بالأمر فى الإذاعة من لا يحسنه؟ وكيف يسند إليه من الأعمال ما لا يؤهله له علم أو فهم ؟ أعط القوس باريها ، ولا تعهد بعمل إلى رجل إلا إذا سبقت له به دربة كافية ودراية طويلة ، ولا تقم وزنا لهذا الذى جاء به الوزير الفلانى والكبير العلانى؛ فإن هذه دولة قددالت ويجب ألايكون لها وزن فى حياتنا الراهنة .. وإن الإذاعة — كما يعرف الناس جميعا موبوءة مشحونة بمن جلبتهم الشفاعات والوساطات ممن لا يحسنون عملا ولا تدعو إليهم ضرورة !

هذه خطوط رئيسية جدا أنت أدرى الناس بها وبأكثر منها ، فعليك أن تأخذ الأمر بالحزم والصرامة ، وأنت تعلم ما الإذاعة وما خطرها وما أثرها فى توجيه الدولة فى الداخل وحسن سمعتها فى الخارج ؛ وأنت بعد اليوم مسؤول عن كل كلمة نسمعها فى الإذاعة ، فإن أحسنت وغيرت أيدناك ، وإلا خذلناك وما نراك إلا محسنا إن شاء الله

على متولى صلاح

الكتب

الزعيم أحمد عرابى

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

للأستاذ محمود عبد المنعم محرم

الأستاذ عبد الرحمن الرافعى هو مؤرخ التاريخ المصرى الحديث، وكتبه التى أخرجها هى فى دقتها وصدقها مثال رائع لما يجب أن يقوم به المؤرخ المنصف . وكتابه الذى بين يدى الآن « الزعيم أحمد عرابى » انتهى الأستاذ الرافعى من كتابته فى يناير مفتتح هذا العام . وكان مقدراً لهذا الكتاب أن يرى النور فى مارس من العام الحالى ، غير أن الطغيان والظلم جالادون ذلك ، فبقى الكتاب حبيسا حتى خلى سبيله أخيرا يحمل الدعوة إلى التضحية والدعوة الإصلاحية إلى أبناء الوطن

ومن تصاريف القدر أن الزعيم أحمد عرابى ظلم ظلما متواترا أثناء حياته وبعد مماته . وهذا الذى وقع لسيرته الرافعية ما هو إلا حلقة من سلسلة الاضطهادات المادية والمعنوية التى أصيب بها بطلنا الكبير . ولئن كان الأولون الذين ظلموه قد اتخذوا باطن الثرى مضاجع لهم ، فإن هؤلاء الذين وقع ظلمهم عليه الآن ، قد خرجوا من الديار يجوبون الآفاق طريدى العدالة والحرية والإنصاف، وراحوا مشيعين بما فعلوا من سوء وما قدموا من بغى وخذلان

وأحمد عرابى زعيم فلاح نشأ فى القرية ، ودرس فى الأزهر فترة وجيزة . وكتب عليه أن يترق فى مناصب الجندية من أبسطها إلى أعلاها حتى كان زعيم مصر فى عهد من أحلك العهود التى مرت ببلادنا العزيزة . وكانت نهاية هذا البطل المخلص ، أن ائتلفت ضده قوى الاستخذاء والاستعمار والأنانية والطغيان ، وحاربته فى ميدانه الوطنى ، وأخرجته من وطنه الحبيب وبلاده التى جاهد لها

وإن العدالة الإلهية تقتص لهذا الوطن البائس ، ولأبنائه الفلاحين الفقراء العراة ولجنوده المظلومين من الطواغيت المستبدة التى أخذت عليه مسالك الحرية والأمن والصعود إلى مصاف الدول القوية والشعوب المستنيرة . وغير خفى أن أحمد عرابى هب يطالب بحقوق الوطن وأبنائه، فى عهد الخديو توفيق ، الذى كان يمثل العقلية التركية القذرة بكل غرورها الغبى وزهوها المخبول . وكانت الخاتمة أن يطرد ابن الوطن البار من بلاده ، ويبقى الدخــــلاء المترفون ، يتمتعون بالخيرات والنعم التى يلتهمونها من أفواه المساكين . ثم على تعاقب الأيام ، قام بطل جديد ينادى بحق الشعب مرة أخرى وكانت النتيجة ، أو بعض النتيجة ، أن ثبت الحق على يد أربابه وفى قلوب المؤمنين به ، وطرد الغشوم الذى أساء إلى نفسه وأبعد فى التنكيل بها ، وراح ينسل بنفسية الآبق وشذوذ المتغطرس

وإن ثمة وجوه شبه بين الثورتين ، ثورة أحمد عرابى ، وثورة محمد نجيب . من وجوه الشبه هذه المطالبة بحقوق الشعب . ومنها أن الثورة وجهت أول ما وجهت إلى الجالس على العرش الذى يمثل الظلم الصارخ والكبرياء الحقير . ومنها أن قائدى الثورتين من أبناء القرى . ومنها الاعتماد على العنصر الدينى والإنابة إلى الله . ومنها أن القائمين بها من رجال الجيش . وغير ذلك من العوامل السياسية الأخرى التى تكاد تكون واحدة فى مغزاها على عهد الثورتين كلتيهما

وحرب فلسطين ليست بعيدة عنا بآثارها ونتائجها . ولعلك سمعت ما قيل حولها من خيانة وائتمار بالجيش ، ومحاربة للشجعان المخلصين من أبنائه ، وتقريب للذين كانوا سبب الهزيمة وعوامل الاندحار ، مع جهلهم أو فسادهم أو خيانتهم، وهذا يشبه ما حدث فى عهد إسماعيل . وهو قريب مما حدث على عهد توفيق أيضا « ولامراء فى أن إسماعيل كان يميز الضباط والرؤساء الشراكسة والترك على الوطنيين فى المعاملة ، برغم ما بدا منهم من العجز والجهل وعدم الكفاية ، مما ظهر أثره جليا فى الهزائم التى حاقت بالجيش سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ فى حرب الحبشة . وعلى ما كان لهذه الهزائم من أسوإ الأثر ، فإن إسماعيل لم يحاسب أولئك القواد والضباط على ما وقع منهم من الإهمال والتقصير ، وقيل إنه اعتزم

محاكمة راتب باشا قائد هذه الحملة، ولكنه مالبث أن رجل عن ذلك فقربه إليه وجعله من بطانته . وهذا يدلك على شديد ميله إلى تلك الفئة . فكانت لها الحظوة لديه ثم لدى الخديو توفيق »

وإن الحكم النيابى قد عطل فى عهدنا هذا . وكان الملك يستبد بالأمر، ولم يكد يدع للوزراء حرية يتصرفون بمقتضاها . حتى كان يولى من يشاء ويعزل من يشاء تبعاً لأهوائه ونزواته . وهذا مثل ماحدث فى عهد الخديو توفيق . فقد كان هو الآخر يستبد بالأمر ويملى إرادته على وزرائه . وإلا عمل على إعفائهم من الحكم « وبينما كانت الطبقة المثقفة ترتقب إعلان الدستور على يد الخديو توفيق ؛ إذا بهم يرون شريف باشا يستقيل لمعارضة الخديو إياه فى تشكيل مجلس النواب؛ وإصراره على الحكم المطلق . ورأوا الخديو يؤلف وزارة برياسته ، مما ينم عن ميوله الاستبدادية ، ثم يكلف رياض باشا تأليف وزارة من مبادئها الأساسية حكم البلاد حكماً مطلقاً ، وحرمانها أى نظام دستورى .. حتى مجلس شورى النواب القديم على ما كان عليه من ضعف السلطة ، فقدظل معطلا سنتين، طوال عهد وزارة رياض باشا »

وقد كانت الصحافة تلاقى العنت والمشقة . ولا نزال نذكر قانون تقييد الصحافة الذى أطل برأسه من مدة ، غير أن الصحف ومن ورائها أبناء الأمة ، تنادوا حتى وأدوا هذا القانون الرجعى فى مهده . والرقيب لا زال صرير قلمه يدوى فى آذاننا إلى وقت قريب . وفى عهد توفيق استهدفت الصحف المعارضة للاضطهاد فى عهد وزارته ، ثم فى عهد وزارة رياض ، واستخدمت الحكومة اللائحة القديمة المسماة لائحة المطبوعات لإنذار الصحف أو تعطيلها . وقد عطلت الحكومة فى عهد وزارة توفيق جريدة « مرآة الشرق » مرة لمدة شهر ومرة لمدة خمسة أشهر ، وأنذرت جريدة « التجارة » . وفى عهد وزارة رياض أنذرت الحكومة جريدتى « مصر » و « التجارة » ، وأنذرت جريدة « مصر الفتاة » ، وأنذرت جريدة « الإسكندرية » ثم عطلتها شهراً ، وعطلت جريدة « المحروسة » لمدة خمسة عشر يوماً ، ومنعت جرائد « النحلة » و « أبو نضارة » و « أبو صفارة » و « القاهرة » و « الشرق » من دخول القطر المصرى

ولم يكن حظ المخلصين والوطنيين فى عهدنا هذا بأحسن منه فى عهد توفيق ، فإنهم قد أوذوا فى كلا العهدين ، ونابهم رزء شديد وغبن بالغ ، لا لشئ إلا لأنهم يخلصون لوطنهم ويعملون لإخوانهم أبناء الشعب ، فكان جزاؤهم الإقصاء والحرمان ، وتقديم العملاء والأصهار والمحاسيب والمرتشين ، وبذلك تتعطل مصالح العامة ، ولا يتقدم إلا كل خب مخادع مستغل ، لا يخدم وطنه ، وإن كان على استعداد لأن يتمرغ تحت أقدام سادته وأولياء أمره ، الذين لا يختلفون عنه فى أنانيته واستغلاله ونكوصه عن قواعد الشرف والمروءة . وقد أرغم الخديو توفيق محمود سامى البارودى على تقديم استقالته من وزارة الحربية لمشايعة العرابيين ولأسباب أخرى ، وعين صهره داود باشا يكن بدله ، ثم أعقب ذلك صدور أمر آخر بعزل أحمد باشا الدره ملى محافظ القاهرة ، لما كان معروفاً عنه من مشايعة حركة عرابى ، وتعيين عبد القادر باشا حلمى مكانه ، وكان مكروهاً من العرابيين ، وبث محافظ العاصمة الجديد العيون والجواسيس لينقلوا أخبارهم ، ويتعرفوا على حركاتهم وسكناتهم

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وإن التاريخ يعيد نفسه . ولكن الذين يعتبرون به هم القليلون . وهذا الذى ذكرته من قبل كان من أسباب ثورة أحمد عرابى . وهو ذاته من أسباب ثورة محمد نجيب . الاستبداد بالأمر ! تقييد الحريات ! إبعاد المخلصين وحرمانهم وتقريب الأذناب والمفسدين ! فضائح الاستغلال والارتشاء ! الغطرسة والتنكر لحقوق الشعب ! كل هذه دروس بالغة كان يجب أن تؤتى ثمارها ، غير أن الناس غافلون عما تقدمه لهم يد الزمان من ألوان العظة والاعتبار . ولو اعتبروا ، ولو اتعظوا ، لما وقع المتأخرون فى مثل ما وقع فيه المتقدمون من عوامل الإفساد والأثرة ، فانقلبت عليهم شعوبهم طالبة العدل والإنصاف !

أنا لم أر الأستاذ الرافعى ، ولكن كتابه ينم عنه ، فهو كتاب دقيق واضح عادل . ومعنى هذا أن مؤلف الكتاب يتمتع بصفات نادرة هذه الأيام من العدل والنظافة والإخلاص . وهى ذات الصفات التى قد تكون وقفت فى سبيله ، وغبنته حقه ، فتقدم عليه من هو دونه . وإنه لأثر قبيح من آثار هذا الزمن الذى كنا نعيش فيه — والذى أرجو أن ينقشع — أن تكون

الصفات النبيلة والكفايات الخلقية النادرة من أسباب تعويق الإنسان عن أن يصل إلى ما يستحق من تقديم وتكريم

وأظن أنه كان من الخير أن حرم كتابه «الزعيم أحمد عرابى» النور إثر انتهائه من كتابته ولم يظهر فى وقته المحدد . ذلك أن الظرف الذى ظهر فيه فيما بعد هو أنسب الظروف لاستقبال مثل هذا الكتاب . فالكتاب عن جهاد زعيم ثائر — والثورة كانت للظفر بحق الشعب . ونحن الآن فى ثورة — وهذه الثورة للظفر بحق الشعب . وبظهور الكتاب الآن ، وبقراءته ، يجب أن نقارن بين الثورتين فى دوافعهما وأسبابهما ، وفى أغراضهما ، وفى طبيعتهما . ويجب أن نعرف الدواعى التى أدت إلى إخفاق الثورة الأولى ، لنتحاشاها ونحصن أنفسنا وثورتنا ضدها ، ولئلا نقع فيما وقع فيه العرابيون

يذكر الأستاذ الرافعى بحق أن للثورة العرابية مرحلتين : المرحلة الأولى كانت الثورة فيها مسددة موفقة ، والمرحلة الثانية حادت الثورة فيها عن طريق الإصلاح المنشود . والفارق بين المرحلتين هو عمل العرابيين على تنحية محمد شريف باشا عن الحكم وتولية البارودى . ومن المقرر أن شريف باشا كان بلا نزاع أقدر من البارودى على حسن تدبير الأمور فى تلك الأوقات العصيبة ، إذ له من ماضيه السياسى ، وثقافته ، واختباره ، ما يجعل له كفاية ممتازة فى الاضطلاع بالمهام السياسية . أما البارودى فقد كانت نشأته أدبية حربية فحسب ، وهذه مزايا ليست هى المطلوبة لتصريف سياسة مصر ، وخاصة فى هذا الظرف المضطرب . زد على ذلك أن رجال الحرب والشعر لا يعالجون المشكل علاجا واقعيا ، بل يعالجونه بالحمية القلبية والخيال الذهنى ، لا بعقلية الحكيم المتبصر

وهذا درس يجب أن يصغى إليه القائمون بأمرنا الآن ، ويولوه عنايتهم ، ويرعوه حق الرعاية . فإننا الآن عرضة — لا قدر الله — لمثل هذه المزالق التى تعثر فيها الآراء . ولو استمعنا إلى الماضى ، وأحسنا التلقى عنه ، لجنبنا ذلك كثيرا من الصعوبات السياسية الكثيرة ، تلك الصعوبات التى ينقب عنها كل لحظة أعداء الحركة فى الداخل والخارج

وقد كان لكل من إنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، موقف مشهود فى الحركة العرابية ، أما فرنسا وإنجلترا فكانتا تتدخلان فى شؤون مصر الداخلية ، وتعملان على إحباط الحياة النيابية ، وتوسيع شقة الخلاف بين الثائرين والخديو . وكان لهما ما أرادتا . ثم انسحبت فرنسا من الميدان وخلت إنجلترا وحدها فيه تتصرف بمحض جشعها واستغلالها ومصالحها الخاصة ، دون رعاية لمصالح مصر ، ولا لمصالح العرابيين ، ولا لمصالح الخديو الذى تدعى أنها تحميه وتعمل على استقرار عرشه . وأما السياسة التركية فكانت تتسم بقصر النظر ، والغرور الأحمق ، والعمل على تسوئ سمعة مصر ، وإعلان سيطرتها الوهمية على البلاد . وهذا شبيه بموقفها الآن من الدول العربية عامة ومصر خاصة ، فهو موقف الحقود الذى يتربص بنا الدوائر ، فلا تنصر قضية عربية ، وموقفها من مرور ناقلات البترول بقناة السويس لحساب اليهود معروف ، وكذا موقفها من قضية تونس الذبيحة معروف أيضا

والأستاذ الرافعى كتب كتابه بأسلوب المجتهد ، إذ المعروف أن مصادر التاريخ المصرى ملوثة ، وأن الكاتب يجد حرجا كبيرا ، خاصة إذا كان من الوطنيين المخلصين أمثال الأستاذ الرافعى ، فهو يكتب للوطن ، لا لحساب دولة معينة ولا ناحية ما ، بل إرضاء للحقيقة والواقع وتسجيلا لفترة من ماضى هذا الوطن المنكوب ، حتى يفيد من يرجو الخير لبلاده ، وحتى يشيح بوجهه من يشاء

وهو مستقل فى أحكامه على أحداث الثورة العرابية ووقائعها . وهو لا يعفى العرابيين من اللوم والتقريع . ولا يعفى الخديو ولا أولياءه من المؤاخذة العنيفة والصفع الدراك . فقد نقد موقف العرابيين من وزارة شريف باشا التى جاءت على أثرها وزارة البارودى باختيارهم . ونقدهم على عدم ردمهم قناة السويس اعتمادا على قول فرديناند دى ليسبس . ونقد موقف إنجلترا من وزارة إسماعيل راغب التى جاءت بعد وزارة البارودى . وأغلب الظن أن إنجلترا لم تكن تبغى تأليف وزارة فى مصر لكى تبدو البلاد فى حالة غير عادية وتتخذ من ذلك ذريعة إلى التدخل فى شؤون البلاد . فلما تألفت وزارة إسماعيل راغب قابلتها السياسة الإنجليزية بالجفاء وعدم الثقة والغض من قدرتها على إعادة الأمن إلى نصابه وأخذت تخلق لها العقبات والعراقيل . ونقد موقف تركيا ، فبينما كانت تتظاهر

بتأييد سلطة الخديو ، إذ بالسلطان عبد الحميد يعلن عطفه على عرابي ويمنحه نيشانا رفيع الشأن ، ثم إذا جد الجد ونشبت الحرب بين عرابي والإنجليز طعنه السلطان في الصميم بإعلانه عصيانه ، فكان هذا الإعلان من أكبر أسباب هزيمة عرابي وخذلانه . هذا التناقض والاضطراب ، مضافا إليها قصر نظر تركيا وسوء نيتها نحو مصر ، ورغبتها في إنقاص استقلالها ، ثم ما جبلت عليه من الدس والوقيعة ، وتأثر وزرائها بالمال والرشا ، جعل السياسة التركية عامل فساد استخدمته بريطانيا لتحقيق أطماعها في مصر

إني أدعو إلى كتابة التاريخ المصري الحديث من جديد ، على هذا النحو الذي يكتب به الأستاذ الرافعي ، لأننا بحاجة لأن نعرف بلادنا وتاريخنا على الوجه الصحيح في هذه الفترات المظلمات ، ولنكون على بينة من أمرنا وأمر أولياء الأمر فينا ، ملوكا وزعماء ووزراء ، ولنكون على بينة من مصالح الوطن وأمانيه ومطالبه في السنوات الخوالي

محمود عبد العزيز محرم



حول بيت للمتنبي

نشر الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري في العدد ٩٩٥ من مجلة الرسالة الغراء هذا البيت ونسبه للمتنبي في الصفحة ١٥٥ من الجزء الأولى من شرح الديوان لعبد الرحمن البرقوقي

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ولدى تصفح الجزء الأول من شرح الديوان لم أجد هذا البيت الذي أشار إليه الأستاذ الناصري .. ولعل الأستاذ يقصد ما ورد في الصفحة ١٥٤ من شرح الديوان من قصيدة للمتنبي يمتدح بها بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

ومعنى هذا البيت أن مثله مثل السحاب الذي ينهل بالمطر تنقض فيه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك الآخرين. وهذاالمعنى يناقض ما ذهب إليه الأستاذ الناصري . ويتضح من ذلك أن الأستاذ لم يطلع على شرح الديوان كما ذكر في تعقيبه ولهمنى جزيل الشكر

خلف إبراهيم الكاتب

إلى الأستاذ «عين»

كلمتك الصغيرة يا أستاذ في العدد (٩٩٧) من «الرسالة» الغراء — مترعة العاطفة ، واثبة الروح ؛ ولكنك لم تصب في تقدير قيمة ، أو «حقيقة» هذه الحركة المباركة حين قلت : «ووالله ثم الله الذي لا يحلف به كذباً إلا فاجر لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحي بهذا الخبر »

أعتقد أنك أخطأت تقدير حركة هذا الانقلاب لما كان يوازي — عندك — مائة فما فوقها ...

إن هذا الانقلاب ياسيدي الأستاذ — لا يقدر بالمائة ولا المائتين ، ولا الألف ولا الألفين ؛ وإنما يوزن بالحياة بكل معانيها من حرية وعزة وكرامة ...

ووالله لو وضع انقلاب مصر في كفة ، ووضع ذهب الأرض وفضتها في كفة أخرى . لرجحتها الكفة الأولى

إن وثبة الشعوب وانعتاقها لا يوازيه ثمن إلا الحياة بكل مقوماتها .. فعلى بركة الله يا شعب مصر

عبد الله الشيرازي الصباغ

شوقية أخرى

الحرب لا بد منها وإن أباها الأنام
حقيقة وضعوها فليس فيها كلام
ما دام شر فحرب والشر فيهم لزام
في كل يوم دعاوى لا تنقضي وخصام
إذا استراح فريق تقاتلت أقوام
والناس للناس بالحر ب سيد وغلام
ولن يسودوا جميعا حتى يسود السلام

أرسل إليكم هذه الشوقية النادرة أو المفقودة فيما أعتقد رجاء عرضها على الأستاذ عبد القادر الناصري وعلى القراء لمعرفة

ما إذا كان أحد قد صادفها قبل الآن . وسأوافيكم بالموجود فيما بعد

لطف الله نصر الدين أيوب

حول علم النبي بالغيب

فى « عدد الرسالة ٩٩٩ » : فالقرآن الكريم أثبت الغيب لله ونفاه عن غيره فى قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا »

وفى « شرح المقاصد للسعد التفتازانى » : النفى فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً) مع فرض التغاضى عن الاستثناء — مسلط على مصدر مضاف — أعنى غيبه وهو من ألفاظ العموم ، فيفيد سلب العموم ، لا عموم السلب . فيكون المعنى نفى علم جميع الغيب لا نفى علم شئ من الغيب

محمد شفيق

غضبة لصيحة

عزيز علينا أن يفرض الصمت على الناى المغنى بالعراق، وأن تظل .. الخميلة « غائبة لا يباح لها اخضرار ولا إيراق ، بينما تحت الأنظار عشب يجهد الأرض ولا يجود بالثمر ، يرعى ويغذى ، ويخص دون غيره « بالامتياز » .. هذا وقضاء الله قائم بأن الزبد ذاهب جفاء ، وأن العاقبة للنافعين

لقد أصغيت إلى صيحة « الناصرى » « بالرسالة » موئل الثقافة الحرة ، فعجبت للرجعية ! كيف تنبح موكب التقدم ؟ وكيف لم تصعق من جبروت الحضاره

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس

إن الفكر كالنهر حليم رزين قد يقف للسد ويطيع ، ولكنه إذا فاض وتجمعت دفقاته ، خرت صاغرة فى جوف واديه كل العوائق والسدود ، وما حطم أحجار « الباستيل » غير وخزات « فولتير » ، وما أسقط « القيصرية » إلا أمثال « جوركى » ونصيب الشعوب بعد ذلك من الجهاد ، أنها استجابت لصيحة العقل ، وحققت إرادة الفكر ، وغنمت النصر والحرية ؛ فحرام تعضيد الأميين ، وخذلان المثقفين . لأن ذلك إطفاء لشموع يريد لها ربها أن تضئ .. واعتبروا إن كنتم تبصرون

بنى سويف

بركات

يتيم ولطيم

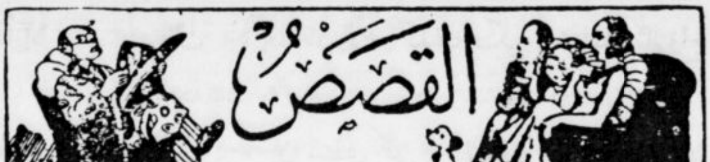
ظهر أخيراً كتاب المساكين لدستويفسكى ترجمة السيدة صوفى عبد الله وجاء فى ص ٣٤ منه هذه العبارة : —

« وساشا فتاة يتيمه لطيمة مات عنها أبواها ..... » ونقول سائلين على أى نوع من أنواع البلاغة يكون التعبير بهذه الطريقة ؟ يقولون يتيم لمن مات عنه أبوه ، ويقولون عجى لمن ماتت عنه أمه ، ويقولون لطيم لمن مات عنه أبواه جميعا

وخلاصة ما نريد قوله إنه ما دام مات عن الفتاة والداها فلا داعى لاستعمال لفظ (يتيمة) إذ أن كلمة (لطيمة) وما تبعها من تفسير لها يغنى كل الغناء عن استعمالها .

لقد حسبته المترجمة الفاضلة من الاتباع وليس منه

خميس محمد إبراهيم



وفاء زوجـــة

عن الانسكليزية

كان يعيش فى العاصمة منذ عدة قرون رجل فيلسوف اسمه شوانج . وكان معتكفا عن الناس لا يكاد يخرج من داره . وقد ماتت زوجته الأولى فى سن الشباب ولم يكن سعيدا معها؛ وكذلك كل الفلاسفة لا يسعدون بالزواج . فتزوج للمرة الثانية ولكنه طلق زوجته الأخرى متهما إياها بسوء السلوك؛ وتزوج للمرة الثالثة بسيدة تدعى « تاين » فوجد معها من السعادة مالم يجده فى المرتين السالفتين

وغير مسكنه بعد الزواج منها فأقام فى ضاحية بالقرب من الجبال

كان يتنزه فى الخلاء ، ففى يوم من الأيام وجد امرأة أمام قبر حديث البناء وفى يدها مروحة تحاول بها تجفيف بنائه . فكان ذلك الحادث داعياً إياه للتساؤل ، فاقترب منها وسألها فى رفق : « ما الذى تفعلين ؟ »

فأجابته : « فى هذا القبر رفات زوجى . ولما كان رحمه الله غبيا فقد استحلفنى ألا أتزوج بعده حتى يجف بناء قبره وقد زرت القبر أياما متوالية فلم أجد بناءه جف ولذلك استعجلت تجفيفه بهذه المروحة »

قالت ذلك ونظرت إلى الفيلسوف نظرة حملته على أن يؤدى لها خدمة . فقال : « إن يديك ليستا قويتين فدعينى أساعدك »

فقالت : « شكرا ! وهذه هى المروحة وستؤدى لى أعظم خدمة إذا عملت فى تجفيف القبر »

فجلس يروح بقوته السحرية فجف القبر بعد لحظات قليلة . وسرت السيدة بنجاحه فابتسمت له ابتسامة مشرقة وجعلت علامة شكرها إياه أن أهدت إليه مروحة أخرى ثمينة كانت تحتفظ بها بين ثيابها : وأهدت إليه كذلك دبوسا غاليا كان فى طيات شعرها فقبل الهدية الأولى ورفض الثانية ، ثم ذهب إلى منزله فتذكر الحادث وهو جالس مع زوجته فتنهد ؛ فلما سألته عن سبب تنهده أخبرها باسمه، فبدا عليها الغضب وثارت على تلك الأرملة التى فضحت بنات جنسها. فردد شوانج المثل القائل: إن رؤية وجوه أناس شىء، ورؤية وجوههم شىء آخر؛ فقال لزوجته: « إنك تظلم النساء إن زعمت أنهن جميعا مثل تلك الأرملة التى لا تخجل »

فقال الزوج : « عـلام هذا الاهتمام ؟ أخبرينى ، إذا مت وكنت لا تزالين صغيرة جميلة ، أترضين بالترمل خمسة أعوام أو ثلاثة ؟ »

قالت : « إن الوزير الأمين لا يخدم سيدين ، والزوجة الفاضلة لا تتزوج من رجلين ؛ فإذا قدر الله أنك تموت قبلى فلن يقتصر وفائى على الترمل ثلاثة أعوام أو خمسة ، ولكننى سألبس ثياب الحداد حتى أموت »

قال شوانج : « هذا كلام يصعب تصديقه » فقالت : « هل تظن أن النساء كالرجال المجردين من الإنصاف والوفاء ؟ إن الزوجة متى ماتت بحث الزوج عن غيرها ، وقد يطلقها لأنه اختار غيرها . فلا تستمر فى حديثك الذى أزعجنى »

فعند ما سمع الزوج هذه الكلمات مزق المروحة التى أهديت إليه عند المقبرة . وقال : « هدئى من روعك وأرجو أن يكون عملك فى المستقبل مطابقا لقولك الآن »

بعد أيام كثيرة من هذا الحديث مرض شوانج مرضا خطرا فلزم الفراش . ولما بدت عليه علائم الموت قال لزوجته : « أشعر الآن بقرب منيتى فأستودعك الله . ولكننى آسف على تمزيق تلك المروحة ، فقد كانت تنفعك فى تجفيف قبرى »

فقالت الزوجة وهى تبكى : « أرجو يا زوجى العزيز ألا تكون هذه الساعة الأخيرة ساعة ريبة تشعر بها نحوى . إننى قرأت كتاب السنن وتعلمت منه أن المرأة الفاضلة لا تتزوج إلا من رجل واحد . فإذا كنت لا تزال ترتاب فى فإنى أقتل نفسى بين يديك لأبرهن على وفائى »

فأجابها شوانج : « إننى لا أريد شيئا بعد الذى سمعته منك »

ثم اشتدت وطأة المرض عليه فقال : « هأنذا أعالج سكرة الموت . إن الدنيا تظلم فى نظرى »

وعند هذه الكلمات فقد الحركة والتنفس . فلما عرفت تاين أن زوجها مات علا صوتها بالبكاء وعانقت جثته مرة بعد مرة وبكته آناء الليل وأطراف النهار مفكرة فى فضائله وحكمته ،

وجريا على العادات المتبعة فى الصين لم يدخر جيرانها جهداً إلا بذلوه فى سبيل مساعدتها

وبعد أيام أقبل طالب وجهه كوجه الدمية من الحسن وشفتاه كالعقيق وعليه ثوب من الحرير البنفسجي وفوق رأسه قبعة سوداء مزركشة بالحرير وحذاءاه قرمزيان ووراءه خادم

وقال الطالب للسيدة إنه منذ بضعة أعوام أفضى للفيلسوف شوانج برغبته فى أن يصير تلميذاً له فقبل ، وإنه جاء من بلاده اليوم لأجل هذه الغاية ، ولكن لسوء حظه لم يصل إليه بعد موت الأستاذ ، وإنه وفاء لعهده يريد أن يقيم فى منزله حزينا عليه مائة يوم

وبعد أن أبلغها ذلك سجد أربع سجدات وبلل الأرض بدموعه . ولما هدأت أعصابه قليلا طلب مقابلة ثانٍ فرفضت ثلاث مرات، ولكنها رضيت أخيراً أن تراه بعد أن أخبرها الثقات بأنه لا حرج على أرامل العلماء من مقابلة تلاميذهم

وتلقت تحياته بأهداب مسترخية فقد فتنها جماله ورشاقته واختلج قلبها بمشاعر كثيرة وطلبت إليه أن يقيم بالمنزل . وأعد العشاء فتناولته معه ، وكان تنهدها يمتزج بتنهده ، وأهدت إليه علامة على تقديرها إياه نسخة من كتاب « نانهوا » وأخرى من كتاب « سوترا » وهما الكتابان اللذان يؤثرهما زوجها

وكان هو أيضا علامة على حزنه يصلى كل يوم بجانب القبر ساعة تجلس إليه لتبكى

وفى أثناء هذه الجلسات كانت تدور أحاديث قصيرة وبتسارقان النظرات فنشأ بينهما العطف فمال إليها كثيرا وأحبته أشد الحب

ولما كانت راغبة فى تعرف أحوال ضيفها استدعت خادمه وقدمت إليه النبيذ حتى سكر وسألته : « هل سيده متزوج ؟ » فقال : « إنه لم يتزوج قط ». فسألته الزوجة :« وما هى الصفات التى يشترطها فيمن يريدها زوجة » . فقال وقد أثر فيه النبيذ : « يقول إنه يعد نفسه أسعد الناس لمن صارت له زوجة فى مثل جمالك يا سيدتى »

فسألته باهتمام : « هل قال ذلك حقا ؟ أتخبرنى بالصدق ؟ » فأجابها الخادم : « إن رجلا فى مثل سنى لا يكذب »

قالت : « إذا كان الأمر كذلك فكن وسيطا فى الزواج بينى وبينه »

فقال : « إن سيدى كلمنى فى ذلك قبل الآن ، وإنه لولا احترامه لذكرى أستاذه لبادر بطلب الزواج »

قالت الزوجة : « الواقع أنه لم يكن قط تلميذا لزوجى ، أما جيراننا فهم قليلون وليسوا من ذوى الاعتبار فلا يحسن أن نقيم وزناً لانتقادهم »

وهكذا ذللت العقبات وتعهد الخادم بأن يكلم سيده . ولما ذهب الخادم شعرت السيدة بقلة الصبر شعورا مضاعفا . وكانت تسير فى منزلها ذهابا وجيئة وتنصت قرب النافذة علها تتسقط كلمة من حديثه وهى لا تفكر إلا فى الزواج

فلما دنت من القبر سمعت صوتا يصدر منه واضحا ، وسمعت تنهدا فقالت : « هل من الممكن أن يعود الميت إلى الحياة فى الدنيا ؟ »

ولكنها سرعان ما اطمأنت لما رأت الخادم السكران نائما بجانب القبر . ولو أنها لاحظت هذه الملاحظة فى وقت عادى لأنبت الخادم وزجرته ، ولكنها فى هذا الوقت لم تجد خيرا من السكوت

وفى الصباح التالى قال لها الخادم إنه كلم سيده وإن السيد يجد فى هذا السبيل ثلاث عقبات وهى :

أولا : إن قبر الميت فى وسط الدار ، وذلك لا يجعله مسكنا صالحا للعروسين

ثانيا : إن شوانج كان يحب زوجته حبا شديداً وإنها كانت كذلك تحبه ، وهو يخشى إن تزوج منها ألا تستطيع حبه كما كانت تحب زوجها الأول ؟

ثالثا : إنه لم يأت معه من الثياب ولا من المال بما يلزم لإتمام الزواج

قالت الزوجة : إن هذه الأمور لا يصح أن تسمى عقبات فى سبيل الزواج ... فقبر الميت ينقل من داخل المنزل إلى الحديقة التى خلفه ... أما من الوجهة الثانية ، فقد كان شوانج محترما عظيم النفوذ ولكن به ضعفا من الوجهة الخلقية ؛ فقد ماتت زوجته الأولى ، وطلق زوجته الثانية ، وكان قبل وفاته بقليل يغازل امرأة

تروح على قبر زوجها ليجف ، فلا يكن عند الطالب شك فى أنه سينال من حبها إن تزوج منها أكثر مما ناله الزوج السابق ! وأما من الوجهة الثالثة فإن لديها مالا كثيرا وستعطيه ثمن الثياب وتقوم بنفقات العرس !

وقالت : أخبره أن اليوم أنسب يوم للزواج ، فلا يتردد ، ولا يرجئ الأمر ! وأعطت الخادم مالا كثيرا فذهب إلى سيده الطالب

ولم يكد يذهب ، حتى أبدلت تاين ثياب الحداد بثياب العرس وأوقدت الشموع واستعدت لحفلة الزفاف ، ولكن فى الموعد المحدد جاء الطالب هائجا وعليه علامات الجنون . فاستدعت تاين الخادم وسألته هل اعتاد سيده أن تنتابه هذه النوبات ؟

قال : نعم ، فإنه مدله بحب الإله « تسو » إله العلم ، وكانوا يعالجونه من هذه الحالة بأن يطعموه مخ إنسان !

فقالت : وهل يصلح لذلك مخ إنسان مات موتا طبيعيا ؟

قال : نعم على شرط ألا يكون مضى على وفاته تسعة وثلاثون يوما !

فقالت : « الأمر سهل فإنه لم يمض غير عشرين يوما على موت زوجى الأول فلنفتح قبره ، ولنطعمه مخه »

قال : « وهل توافقين على ذلك ؟ »

فقالت : « إننى وسيدك الآن زوج وزوجة ، وعلى الزوجة أن تفعل من أجل زوجها كل شئ فكيف أرفض إطعامه من جثة إنّ تركناها قليلا استحالت إلى تراب ؟ »

فأحضر الخادم فأسا وذهب مع تاين إلى القبر فحفراه حتى بدا الصندوق فناولها الخادم الفأس ، وكسرت الصندوق فظهرت الجثة ، ورفعت الزوجة يدها بالفأس لتكسر الجمجمة وتستخرج المخ ، ولكن الجثة تثاءبت ثم فتحت عينيها

فصاحت تاين مذعورة ووقع الفأس من يدها ، وجلس الفيلسوف الميت فى قبره وقال : « يا زوجتى العزيزة ساعدينى على القيام »

فخافت الزوجة ولم يكن فى وسعها إلا أن تطيع ، فساعدته وقادته إلى غرفتها ، وكانت غير ناسية المنظر الذى سيؤلمه فى هذه الغرفة ، ولذلك ارتعشت وهى تقترب من الباب؛ ولكن كان من حسن حظها أن الطالب وأصحابه خرجوا من تلك الغرفة قبل ذلك

فانتهزت هذه الفرصة وقامت بالخدمة التى تحسنها كل امرأة وأقسمت أنها لم تكف عن البكاء بالليل ولا بالنهار . وأنها لما سمعت صوتا من جانب القبر تذكرت القصص القديمة التى تدل على احتمال عودة الموتى إلى الحياة ؛ فأخذت الفأس لتفتح له القبر ؛ وحمدت الله أن جعل ظنها صحيحا فعاد زوجها إليها

قال : « أشكرك يا زوجتى العزيزة ولكن هل لى أن أسألك لماذا ترتدين ثيابا مفرحة كثياب العرس ؟ »

فقالت : « لما سمعت الصوت من جانب القبر حدثتنى نفسى بأنك عائد إلى الحياة فلم أرد استقبالك فى ثياب الحداد »

فقال : « ولكن أمراً آخر يستدعى الإيضاح وهو لماذا لم يكن قبرى فى داخل المنزل كما هى العادة بل خلف المنزل فى الحديقة ؟ »

فلم تستطع الزوجة مع ذكائها أن تجيب عن هذا السؤال

ونظر شوانج إلى كؤوس الخمر والشموع الموقدة وموائد العرس ، ولكنه لم يبد ملاحظة أخرى بل طلب إلى زوجته أن تناوله كأساً من النبيذ ففعلت وهى تهش فى وجه زوجها وتبسم له . ولكنه رفض أن يتناول الكأس ، وقال : « انظرى إلى الرجلين الواقفين خلفك »

فنظرت ورأت الطالب وخادمه فارتجفت . ولكنهما اختفيا فى الحال فعادت إلى النظر إلى زوجها فوجدته اختفى كذلك . ثم عادت إلى النظر خلفها فلم تجدهما ، والتفتت فرأت شوانج أمامها مرة أخرى فأدركت الحقيقة ، وهى أن الطالب وخادمه لم يكونا إلا طيفين خلقهما روح شوانج ، ووجدت من العبث إنكار الحقيقة عنه

ولما اعترفت بها وضعها فى الصندوق الذى كان مدفونا فيه ثم أضرم النار فى منزله فلم يسلم منه شئ غير كتابى « نانهوا » و « سوترا »

ثم سافر شوانج متجهاً إلى ناحية الغرب ولا يعرف أحد إلى أين ذهب ، ولكن شيئا واحدا هو الذى يوثق به وهو أنه لم يعد إلى التزوج مرة أخرى

ع . ه

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠٢ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الأزهر فى مفترق الطرق ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١٠٢١

نحو بعث جديد ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١٠٢٢

إلى الرئيس اللواء محمد نجيب ... : من شيخ فى الشام ١٠٢٤

التيتوية ... ... : للدكتور عمر حليق ١٠٢٦

رحلة أبى الطيب المتنبى من مصر : للأستاذ أحمد رمزى ١٠٣٠

لا قريش بعد اليوم ... ... : « محمد محمود زيتون ١٠٣٥

فى بلاد الأحرار ... ... : « أغا أغلو أحمد ١٠٣٩

فى مهرجان الرسالة ... (قصيدة) : « زهير ميرزا ١٠٤١

فجر.. ونور ... ... (قصيدة) : « محيي الدين فارس ... ١٠٤٢

(الأدب والفن فى أسبوع) — تطهير التاريخ — التطهير فى محيط الأدباء — الشمس فى منتصف الليل — مؤتمر اليونسكو — أدب القصور ١٠٤٣

(البريد الأدبى) — المصدر صحيح — الفتاة وجور الجاهلية الأولى — الصحافة الأدبية فى العراق ١٠٤٥

(القصص) — عدو — عن الإيطالية ١٠٤٧

20 me année No 1002

Le Caire 15 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الأزهر فى مفترق الطرق

أبدا ما كان يخطر بالبال أو يقع فى الظن أن الفساد وإن طم وعم يدنو من الأزهر وهو معقل الدين ، ويعلق بالعلماء وهم وراث النبوة . ذلك لأن العقل لا يجيز أن يكون المصباح الذى يهدى هو الذى يضل ، وأن الإكسير الذى يشفى هو الذى يُعل ، وأن السائل الذى يطهر هو الذى يعدى ! ولكن الأزهر الذى لزمناه اثنتى عشرة سنة من أوائل هذا القرن نتفقه فيه ونتأدب لم يعد هو الأزهر . والعلماء الذين كنا نأخذ عنهم الدين بالاعتقاد ، والخلق بالقدوة ، والعلم بالعمل ، لم يعودوا هم العلماء !

لقد استجاب الأزهر الحديث لدواعى الفتنة ، وتأثر العلماء الأحداث بعوامل المادة ، وزُين للدينيين ما زُين للدنيويين من حب الشهوات ، فتنافسوا فى المكاسب ، وتفارسوا على المناصب ، ورضوا بميسور العلم حتى انحصر هم الأستاذ فى المقرر ، واقتصر جهد الطالب على المقروء !

من أجل ذلك كتبنا وكتب المخلصون لدين الله ولرسالة الأزهر ، نصف هذه العلل ، ونستطب لها بالرجاء والدعاء ؛ وما كانت وجهة رجائنا ، ولا قبلة دعائنا ، إلا أن يقيض الله لهذا الحصن الباقى من حصون الإسلام رجلا من أهله ينقذه من العصبية المفرقة ، والمادية الموبقة ، والعلم المشوب ، والمعلم الجاهل ، والمتعلم الفج ، والكتاب المعقد . ثم لاحت تباشير الفوز فى عهد الإمام مصطفى المراغى بعد أن حجبتها السحب الجون بموت الإمام محمد عبده ؛

فتصارع الفساد والصلاح ، وتعاقب الفشل والنجاح ! ولكن الأرض كانت لا تزال نكدة فذوى الغراس وكذبت بروق الأمل

وفى السنين العشر الأخيرة اجتاحت مصر كلها من شلالها إلى دالها جائحة من طغيان القصر وفجور الحكومة وعبث الأحزاب ، ففسدت الذمم ، وصغرت الهمم ، ونغلت الصدور ، ووقحت الأطماع ، ففزع الناس إلى الله يستهدونه الطريق ، ويستمدونه المعونة . ثم رفعوا أبصارهم إلى القيادة الدينية العليا ، فلم يجدوا فى الأزهر حرارة من نار سيناء ، ولا شعاعة من نور حراء ؛ فكادوا يضمرون اليأس من صلاح الحال ، لولا أن نعش الله عاثر الأمل فاختار لمشيخة الأزهر المصلح الثالث الإمام عبد المجيد سليم

والإمام عبد المجيد يختلف عن الإمامين السابقين بأنه يؤمن بالأزهر إيمانه بالله ، ويعتقد اعتقاد المؤمن بأن العمل لإصلاحه عبادة ، وأن الأذى فى سبيله تمحيص . فهو يتولى مشيخته على أنها جهاد وبذل ، لا على أنها منصب ومل . يتولاها بتقوى المتحنث ، وزهد المتصوف ، وصبر المجاهد ، وفقه المجتهد . لا يراقب إلا الله ، ولا يؤثر إلا الحق ، ولا يتوخى إلا الصواب ، ولا يبغى إلا الخير . وتلك هى الصفات التى انفرد بها هذا الإمام من بين جيله

فإذا أراد الله له أن ينجح — وفى نجاحه نجاح الأزهر — صد الرياح الهوج عن مصباحه ، ودك العقبات الكؤد من طريق إصلاحه ، وإلا كان الشيخ الأكبر وا أسفاه آخر شيخ يجمع الناس على فضله ، ويرجون على يديه الخير للأزهر وأهله !

احمد حسن الزيات

نحو بعث جديد

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

إن الحركة الموفقة هى التى يتبعها بعث، والوثبة المباركة هى التى تتبعها نهضة . ومن ألزم اللوازم لحركة الجيش بعث جديد ، بعث فى الشعب والحكومة والدستور ، وبعث فى الأزهر والدين ، وبعث فى الأحزاب والهيئات ، وبعث فى الإذاعة والمسرح ، وبعث فى كل شىء يتصل بحياتنا ونهضاتنا ومثلنا العليا

فالشعب المصرى يجب أن يبعث من جديد إزاء هذه الحركة المباركة ، فقد ظل السنين الطوال الثقال لا يؤمن بغير العبودية دينا ، ولا يعتنق غير المسكنة عقيدة ، ولا يتخذ غير المصابرة والمسالمة مبدأ . وظل السنين الطوال الثقال لا يعترف له بوجود ، ولا يقر له بكيان ، لأنه آثر السكوت على الرأى الحر ، وفضل الهدوء على الإنكار على الباطل ، وقدم التوارى على تقويم الاعوجاج . وظل السنين الطوال الثقال فى حضيض الفاقة، بينما السادة الأغنياء فوق قمة من الثراء ؛ ووسط أمواج من التعاسة والشقاء، بينما السادة الأغنياء داخل أبراج من الترف والبذخ . وظل السنين الطوال الثقال محكوما كما يحكم العبيد ، ومسوقا كما تساق الأنعام ، وتستبد به كل حكومة منحت سلطة الحكم المطلق ، ووهب لها سياط الحكم الإقطاعى الجائر . وهذه الحركة المباركة فرصة للشعب المصرى حتى يبعث من جديد ، فيكون مصدر السلطات كما تتضمنه دساتير العالم ، وتكون إرادته فوق إرادة حكومته كما هو فى دول الدنيا الناهضة ، ويكون حرا متحررا لا يقر بالعبودية لإنسان ، ولا ينكس رأسه لمخلوق ، ولا يرغم على اعتناق عقيدة لا يرتضيها ، ولا على الاستمساك بمبدإ لا يرغب فيه . ولا على سلوك حياة لا يطمئن قلبه إليها

والحكومة فى حاجة إلى بعث جديد ، فقد كانت من قبل أداة فاشلة يستغلها الاستعمار لمصالحه ، ويسخرها لرغباته ، ويسيرها الطاغوت المتربع على عرشه كما يهوى ويحب ، وما كان يهوى إلا الفوضى فى شتى ألوانها ، وما كان يحب سوى الهرج ، شأنه شأن الصبية فى الأزقة والدروب ، وكانت الحكومة موظفة لدى الطبقة الأرستقراطية ترضى أهواءها ، والطبقة الرأسمالية تحرس ضياعها وتزيد فى أموالها ، والطبقة المترفة العابثة تهيئ لها سبل الترف ، وتمهد لها الطريق إلى العبث ، وتجلب لها الفرق الراقصة الأجنبية على حساب الشعب المكدود حتى لا تتكبد مشاق السفر إلى أوربا ، ووعثاء الجو إلى الدنيا الجديدة ، وهذه الحركة المباركة يجب أن تضع حدا لتلك الفوضى ، فتصوغ الحكومة فى قالب جديد ، حتى تفهم كل حكومة أنها موظفة لدى الشعب تعمل على إسعاده وراحته ونهضته ، وتعمل على استقراره ورفاهيته ، وتضع الأسس السليمة للعدالة والمساواة بين أفراده

والدستور فى حاجة إلى بعث جديد . وحسبنا دليلا على هذه الحاجة أنه ظل قرابة ثلاثين عاما لم يقدم مصر خلالها شبرا نحو الأمام ، وأنه تضمن من المواد ما يجعل الملك فى منزلة الآلهة، وحاشيته فى درجة الأحبار ، وأعضاء حكومته فى صفوف الملائكة ؛ ومن المواد ما يجعل هؤلاء جميعا فوق القانون لا يسألون عما يفعلون ، ولا يحاسبون عما أجرموا . والدستور الجديد الذى يتفق وهذه الحركة المباركة يجب أن يكون دستورا حيا يحقق الخير لمصر ، والعدالة الاجتماعية لشعبها . ولا نعتقد أن ترقيع الدستور يحقق الغرض، فحسبه من الهوان أنه دستور مرقع . ولسنا ندرى لم نهمل دستور الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفيه غنى عن كل دساتير العالم ، ونحن أمة مسلمة لا خير فينا إذا لم نعتز بتراثنا ونعتد به

والأزهر فى حاجة إلى البعث ، يجب أن يطهر من الحزبية المزيلة لأنه أكبر من أن يتحزب ، ويطهر من التعصب لأنه أجل من أن يتعصب ، ويطهر من المناورات الصغيرة حتى ينال تقدير العالم وثقة المسلمين . إن له رسالة دينية إنسانية فيجب أن يعيش من أجلها ، ويبتكر المناهج التى تحقق أغراضها . إن للشعوب المسلمة عليه واجبا ، فيجب أن يرفع مستواها وينهض بأفكارها . والدين فى حاجة إلى البعث ، لأن عهد الإقطاع والإرهاب قد جعل منه دينا هينا لينا ، وجعل منه مخدرا يخدر الفقير حتى لا يعرف حقه على الغنى ، ويخدر المحكوم حتى لا يعرف حقه على الحاكم ،

ويخدر الشعب فى مجموعه حتى لا يعرف قدر نفسه ، وحصره فى حدود التكاليف الشرعية ، وتوافه الأمور التى لا تتصل بأسسه ، حتى يظل بمعزل عن السياسة وبمعزل عن الحياة ، وبعث الدين يجب أن يقوم على عاتق الأزهر والجماعات الإسلامية الناهضة حتى يؤدى الدين رسالته التى ارتضاها الله له ، ورضيها لعباده ، والتى يجب أن تحقق العزة والسعادة لأتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها

والأحزاب والهيئات فى حاجة إلى بعث جديد ، لأن الأحزاب السياسية لم تكن طيلة السنين الماضية سوى نوادٍ لعلية القوم وأعيان مصر ، يدلفون إليها لاحتراف السياسة والتعلق فى حبال الزعامة التى هى أوهى من خيوط العنكبوت . ويتربَّرون بين جدرانها ليلقوا بكراسى الوزارة أو مقاعد البرلمان — أما منهاج هذه الأحزاب فهو تضييع الأوقات فى غير جدوى ، وأما هدفها فهو كراسى الحكم التى تحيا وتموت عليها ، ولأن الهيئات الدينية والاجتماعية ظل معظمها مظهرا لا جوهر له ، وشكلا لا حقيقة له . وعلى الأخص الهيئات الدينية التى احترفت الظهور ، فى توافه الأمور ، والتعصب للقضايا الفاشلة . وحسبك أن تضحك من جماعة دينية ضخمة تنادى باللحية والعذبة ولا ترى الإسلام إلا منحصرا فيهما ، وجماعة ثانية تندد بالأضرحة والأولياء ولا ترى الإسلام إلا منحصرا فى التنديد بها ، وجماعة ثالثة تطارد المرأة ولا ترى فى المسلمين خيرا إلا إذا طاردوها ، ورابعة وخامسة إلى مالا ينتهى حصره من هذه الجماعات التى حصرت جهادها فى سفساف الأمور ، أما مهامها فهى أعجز من أن تجاهد فى سبيلها . ومن حق هذه الحركة على هذه الجماعات الضئيلة أن تبعث من جديد ، فتحصر جهادها فيما يقدم الإسلام وأمته ، ويحل مشكلاتها ويحقق أمانيها

والإذاعة المصرية والمسرح والسينما جميعها فى حاجة بل فى أمس الحاجة إلى البعث الجديد ، لأنها موارد طيبة ومنابت خصبة للنهوض بالثقافة والأدب والعلم والمجتمع ، فعلى الإذاعة أن تتعفف عن الأغانى الساقطة والتمثيليات الهزيلة والقصص الركيكة ، وعليها أن تسقط من برامجها التواشيح المهلهلة التى تسئ إلى الإسلام ، والأحاديث الدينية المضطربة التى تشوه جماله ، وعليها بعد هذا أن تبدأ عهدا لا تكون فيه تكية من التكايا التى تؤوى العجزة والعاطلين . وعلى المسرح والسينما أن ينتقل إلى حياة مشرقة لا تعيش فيها الأفلام الساقطة التى تلطخ جبين الفن بالعار ، وتسود صفحته بالفضيحة ، وتنزل بمستوى الشعب إلى الحضيض . وإذا كان للرقص والمجون والعربدة أثر فعال فى نجاح كثير من الأفلام فى العهد البائد ، فلا نظن أن هذه المخازى سيكون لها ذرة من الأثر فى نجاحها فى هذا العهد المشرق ، لأن مصر اليوم فى حاجة إلى أفلام تجمل مصر فى المقدمة ، وتجلس شعبها فوق القمة ، وتعالج المشكلات المستعصية ، وتكافح الأمراض الاجتماعية المتوطنة ، وليست فى حاجة إلى الأفلام التى تثير الغرائز ، وتشجع على الرذيلة ، وترسم طرق الاحتيال والنصب للمشردين والعاطلين

نريد بعثا جديدا فى كل شئ يتصل بحياتنا وتتأثر به نهضاتنا حتى تؤتى حركة الجيش المباركة أكلها كل حين بإذن ربها ، وتثبت للدنيا أن مصر جديرة بها ، وأن شعبها خليق بثمراتها

محمد عبد الله السمان

إلى القوى الأمين

الرئيس اللواء محمد نجيب

من شيخ فى الشام

يا سيدى :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها قد كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

وما كان فاروق (على قبح سيرته ، وتسخيره عقله لشهوته وسلطانه للذته) رأس الشر ، بل كان ذنبا طويلا من أذنابه. وما كان فاروق أصل الفساد، بل كان فرعا عاليا من فروعه، سمق حتى بدا ، وبسق حتى أظل ، وإن كان بعض الشر كالعقرب ، أخبث مافيها الذنب، ومن الظل ظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب

إن رأس الشر التربية التى صنعت فاروق . وهـــذه الحياة المستهترة المنحلة التى مكنت لفاروق . ومادام الجذع قائما ، والتربة منبتة ، فإنه سيخلف الفرع المقطوع ، فروع

وما فاروق ؟ ولد نشئ على أن يعطى كل ما يطلب ، ويمنح كل ما يريد . على غير تقوى ولا حياء . ما يعصمه من خوف الله عاصم ، ولا يمنعه من هيبة الناس ما يمنع أوساط الناس ، فأدت به البداية إلى هذه النهاية . ولو كان الزمان مقبلا ، والتربية صالحة، والأمة نقية دينة كما كانت أمة صدر الإسلام ، وربى فاروق على ما كان يربى أبنـــاء المسلمين فى ذلك الزمان ، لـكان (الملك الصالح) حقا

ومادام هذا الفسوق باقيا ، والتـكشف والاختلاط والفساد، ومادام فى الناس آلاف يعيشون عيش انطلاق وراء اللذة ، وسعى لنيل الشهوة ، من حل ومن حرمة

وما دام فى الأطفال آلاف يربون الآن على نحو ما ربى عليه فاروق ، فمن يأمن أن ينجم غدا أو بعد غد من ينال منهم على فساده سلطانا فيكون شرا على الناس من فاروق ؟

* * *

فإذا أردت الإصلاح يا سيدى حقا . وأنت لا شك تريده ، فاقطع أصل شجرة الفساد، واسحق رأس الأفعى ، واستأصل بذور الداء ، فإنه لا يكفى أن تفقأ الدمل ، ولا أن تدفع (النوبة) ، إن ذلك يريح المريض ولـكنه لا يشفيه . ما الشفاء إلا قطع أسباب الداء . ووقاية الجسم من عدواه، وتقويته حتى لا تؤثر فيه العدوى، ولا يكون ذلك إلا بمحاربة الدعارة ومظاهر الإثم ودواعيه أولا ، ثم بتشجيع الزواج الحـلال ، ليغنى عن الزنا الحرام، ثم بإصلاح المدارس ، وتنشئة الناشئة على خوف الله . وكراهة المعصية ، وعلى الرجولة والعفاف وابتغاء المعالى

ولا يقولن أحد ما شأن (شيخ فى الشام) بالإصلاح فى مصر ؛ فإن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد . والإسلام لا يعرف هذه الحدود . وإن النصح واجب . لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. ثم إن هذا الفساد الذى نشكو منه إنما جاءنا (ولا حياء فى الحق) من مصر ، فلعل مصر إن صلحت جاءنا الصلاح من مصر ، وهذا (الشيخ) بعد ذلك كله مصرى قدم الشام جـده الأدنى ، فهو مصرى الأصل ، شامى المولد، عراق تارة ، حجازى تارة

فى الشام أهلى وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخوانى

* * *

فى مصر يا سيدى ست مدارس تعلم الناس الفساد : مدرسة التكشف فى الحدائق والشوارع والحفلات والشواطئ ، ومدرسة المجلات ، ومدرسة الإذاعة، ومدرسة الأفلام ، ومدرسة الملاهى . وهذه المدارس الرسمية التى وضع بذور الشر فيهـا (دنلوب) ، ورعاها حتى نبتت من بعده (دناليب ...) !

أما التكشف فلقد عشت فى مصر دهرا ، ورأيت منه عجبا ، أفخاذا بادية ، وعورات ظاهرة ، فى حديقة الحيوانات وسائر الحدائق، وعلى العربات البلدية ، وفى الأعراس التى تقام على السطوح . ولقد رأيت والله رجالا يستحمون عراة لا يسترهم شئ تحت جسر الملك الصالح حيث يلتقى طريقان من أعظم شوارع مصر ، طريق الجيزة وطريق الفسطاط ، وخطا (ترام) وسبيلا (أتوبوس) ، ورأيت بنتا تنزل فى الماء كما خلقها الله — أى والله العظيم — لتغسل طبق فجل لتبيعه . أما العرى على الشواطئ فشئ أفظع من أن يوصف، وإن كنت زرت مصر مرارا وأقمت فيها سنين ولم أره بحمد الله قط

أما المجلات الأسبوعية المصورة فلقد كانت معولا لهدم الأخلاق ، سارت على طريق معبد، وفق خطة موضوعة، لإضعاف الأمة بصرف شبابها إلى الشهوات، وشغلهم بالغرائز الجنسية ، عن الجهاد الوطنى، والتسلح بالرجولة والقوة والصبر .. ومحاربة المستعمر. ولقد بلغت منا هذه المجلات أكثر مما بلغته جيوش الاحتلال جميعا، وكانت أنفع لأعدائنا من كل ما ساقوه إلينا من حملات ، وما أنفقوه على حربنا من أموال

ثم جاءت هذه الأفلام :

هذه الأفلام التى بحت الحناجر ، وبريت الأقلام ، وامتلأت الصحف بالكلام عنها ، وبيان شرها ، وسوء أثرها فى نفوس رائيها ، أفلام لا موضوع لها ولا حوار ، ولا تمثيل فيها مثل تمثيل الناس ، ولا إخراج مافيها إلا التخنث والخلاعة والسقوط والخزى ورقص البطن ، والتهريج [1] البارد ، والتقليد السمج ، حتى صار لقب المصرى فى فلم علامة على سقوطه وانحطاطه ، وصار المهذب من الناس والشريف ومن يعرف لنفسه قدرها يتحامى هذه الأفلام ويحمى أولاده منها ، وصار من المعروف أنه لا يرتاد دورها إلا العوام والسوقة والرعاع وسفلة الناس ، ولا يخرج مع ذلك الكثير منهم إلا وقد ملأ نفسه التقزز والاشمئزاز و (القرف...)

إن هذه الأفلام دعاية على مصر لا لمصر ، لو أنفق اليهود نصف أموالهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى بعضها ، وهدم لكل ماتبنيه المدارس وما يقيمه المعلمون والمصلحون ، ودرس فى التخنث ، وسقوط الهمة ، والبعد عن عزة الإسلام وخلائق العرب ، وفصاحة اللسان، والرجولة والإباء . وإن محاربتها أوجب من محاربة الكوليرا واليهود ، لأن الكوليرا تفتك بالأجساد، وهذه تفتك بالأعراض والأخلاق ، واليهود وراء الحدود ، وهذه منا وفينا

أما الإذاعة فقد كان من الممكن أن تكون مدرسة ليس لها نظير وأن نجعل منها أداة للاصلاح لا يستعصى عليها فساد ، ولكننا لم نتخذها مع الأسف إلا أداة للفساد . لم نجد شيئاً نذيعه فيها إلا الأغانى ، أغان دائما وأبداً ، كأننا أمة من الصراصير فى الصيف لا تعرف إلا الغناء

(١) الكلمة مغربية

أغان ليس فيها نصاعة البيان ، ولا روعة الأدب ، ولا حلاوة الأنغام ، ألفاظ عامية غثة باردة ، لا وزن لها ولا رنين ولا قافية ، كلها دعوة إلى الشهوة ، وإثارة للغريزة، وتصريح بطلب الفاحشة، ولو شئت ضربت الأمثال ، ولكنى أنزه قلمى عن أن يجرى بألفاظها ، أو أن يشرف بذكر اسمه أحداً من أصحابها

لقد كانت الأغانى الأولى ، أغانى حب وشوق ، ونداء روح لروح، ومناجاة قلب لقلب . وهذه صرخة داعرة من أفواه فاجرة

ولقد سكتنا من عجزنا وضعفنا عن إنكار منكرات الملاهى والحانات، وحمينا أنفسنا منها وأهلينا ، فما معنى أن تأتى الإذاعة فتنقلها إلى دورنا رغما عن آنافنا ، وتسمعنا ما يكون فى الأفلام الخبيثة من أغان، وأن تنقل إلينا حفلات آثمة بكل مافيها . وإن نحن سددنا الراد عنها جاءنا الصوت من بيوت الجيران الذين يفتحونه على مصراعيه ، فيزعج كل راد دائرة قطرها مئة متر . وما معنى أن نحرم للنام إلى ما بعد نصف الليل لنسمع هذيان حفلة من هذه الحفلات ، أو غناء مغنية من المغنيات ؟ أليس فى الناس مرضى ؟ أليست لنا أشغال ؟ ألا نحتاج إلى النوم ؟ انعطل أشغال النهار كله أو نقضيها مرضى لأن الآنسة أم كلثوم كانت تغنى طول الليل ؟ وإن كانت ليلة جمعة ، ليس بعدها عمل . . . هل كانت ليلة الجمعة فى نظر الإسلام للطاعة والقيام ، أم لسماع أم كلثوم ؟

وما معنى أن تذاع كل أغنية مرة ومرتين وعشرا وعشرين نملها ونشعر أنها خرجت من أنوفنا ، وهبها أغنية جيدة فهل فى الدنيا ألذ من الفرانى [1] والبقلاوة والكنافة وما شئت من هذه الألوان. أطعم رجلا منها أبدا ، لا تطعمه غيرها فى الصباح والظهر والمساء يشته الخبز والبصل ... ثم إنها كانت مدرسة شر لأطفالنا ، فما منهم إلا حافظ لبعضها بدل حفظه آيات الكتاب ، والحكم والآداب . وصار أبناؤها يرددون أسماء الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ، عوضا عن ترديد أسماء الأبطال والعلماء

* * *

بقيت المدارس يا سيدى . وأنا لا أتكلم الآن عن برامجها وإهمال تعلم تاريخ الإسلام ، وجغرافية بلاده ؛ فإن لذلك حديثا آخر طويلا ، ولكنى متكلم عما يتصل منها بالفساد الخلق وهو

(١) الفرانى (ج فرنية) الكاتو بذاته

التيتـــوية

للدكتور عمر حليق

ليست التيتوية (نسبة إلى المارشال تيتو عاهل يوغسلافيا الشيوعية اليوم) مجرد خلاف عارض بين دولتين شيوعيتين بواعثه خصومة سياسية أو حزازات شخصية بين ستالين وتيتو ، أو اختلاف على زعامة الشيوعية العالمية التي اشترك هذان القطبان الماركسيان في خدمتها سنوات طوالا ، أداتها مؤامرة مزيفة بين قطبين شيوعيين يخدمان هدفا واحـــدا ؛ إنما هي « ردة » ايديولوجية جذورها في خلاف فكري عميق على مسألة دقيقة في التعاليم الماركسية تتعلق بتحديد العلاقات بين الدول اتخذت الشيوعية نظاما لها — تحديد يفسد على موسكو (وهي كعبة الشيوعيين) مركزيتها وسيطرتها المباشرة على النشاط الشيوعي في كل مكان ، ويوفر للدول الشيوعية خارج الاتحاد السوفييتي حرية في التصرف تخالف مبدأ الوحدة الشيوعية العالمية وما تدعو إليه في تحالف وتعاون وتضامن في المبدإ والسلوك السياسي بيت بعضها بعضا وفي علاقاتها مجتمعة مع العالم الخارجي

ولعل في استعراض حركة المارشال تيتو الانفصالية عن موسكو ما يلقي ضوءا نافعا على ناحية هامة في العقلية الشيوعية ومستقبل نشاطها في الشؤون العالمية

* * *

انفردت يوغسلافيا من بين الأمم الأوربية خلال الحرب العالمية الأخيرة بأنها الأمة الوحيدة التي استطاعت أن تقهر الاحتلال النازي قبل أن تلوح بوادر الهزيمة على ألمانيا النازية . ففي حين أن حركات المقاومة السرية في الدول الأوربية التي احتلتها جيوش هتلر كانت حركات ضعيفة مقيدة النشاط محدودة الأثر .. كانت حركة التحرر من الاحتلال النازي في يوغسلافيا واسعة النطاق فائقة النشاط عمت الأكثرية الساحقة من الشعب اليوغسلافي ومكنته من أن يحتفظ بأجزاء واسعة من بلاده حرة طليقة لم تقو على استعبادها القوات النازية المرابطة في دساكر يوغسلافيا ومعاقلها الرئيسية . وكان عزم اليوغسلافيين وبأسهم

ما عقدت له هذا المقال

المدارس ياسيدي تفسد بناتنا ، وتعلمهن التكشف وتسوقهن إلى شفا المحرمات . وكم من متسترة ماتعلمت السفور إلا في المدارس ، وكم من متمسكة بعادات البلاد وأوضاع الإسلام . ما جرأها على الخروج عليها إلا المدارس

أليست المدارس تجبر البنات البالغات على كشف أفخاذهن في درس الرياضة في المدرسة ؟ ألا يأتي المفتش مثلا فيراهن على هذه الحال ؟ ومن في المدرسة من المعلمين الرجال ؟ ! أليست المدارس تعلمهن الرقص التوقيعي ، وفي الشام رقص السماح . وهو طريق إلى الفاحشة ، وباب من أبواب الفساد

ألا تكشف العورات في العرض الرياضي العام أمام الآلاف من الرجال وتأتي هذه المجلات الآثمة فتنشر صورة ذلك في الدنيا كلها ، حتى يراها كل من لم يكن رآها

والاختلاط في الجامعة ؟ هل يرضى به الإسلام ؟ هل تقره سلائق العروبة ؟ أما رأيتم من مفاسده وشروره ما لا يجوز إبقاءه يوما واحدا ؟

وهذا طرف مما نشكوه من المدارس ، ولقد جاء مرة وزير للمعارف صالح مصلح اسمه مرسي بدر . شرع في الإصلاح ، فخاف لصوص الأعراض أن يسد دونهم الأبواب والنوافذ ، فقاموا عليه حتى أخرجوه . فخذ ياسيدي بالإصلاح فهذا طريقه ، واقض على الفساد فهذا رأسه ، واقطع شجرة الشر من جذورها ، فإن الرجاء منوط بك ، والأمل معقود عليك ، وإلا تستطع ذلك لم يستطعه أحد بعدك

أخذ الله بيدك ، وسدد خطاك ، وجزاك عن الحق والحرية والشعب والأخلاق خير الجزاء ، وجعل كل رجال الانقلابات ، وأصحاب السلطات ، مثلك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

دمشق (ع)

فى مقاومة الاحتلال الألمانى على أشده حتى بعد أن رضيت الحكومة اليوغسلافية الشرعية آنئذ أن تهادن النازية وتتعاون معها وتخضع لمشيئتها . وقد حقق هذا العزم لحركة التحرر جيشا منظما وجهازا إداريا انتزع السلطة من الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى أصبحت آلة فى يد القوات النازية المحتلة ، وما إن لاحت بوادر الهزيمة الألمانية فى الميادين الأوربية الأخرى حتى أسرع هذا الجيش اليوغسلافى الحر وجهازه الإدارى المنظم فطرد الألمان إلى غير عودة ، وأقصى معهم الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى تعاونت معهم — بما فيها النظام الملكى الذى فر من الميدان فى وقت مبكر

ومع أن حلفاء الغرب كانوا يمدون جيش التحرر اليوغسلافى ببعض الذخيرة والعتاد العسكرى والمعونة الأدبية إلا أن الفضل فى انتصاره يعود إلى وطنية الشعب اليوغسلافى وتضحيته فوق كل شئ آخر . وعلى ذلك ظل اليوغسلافيون مؤمنين بأن تحريرهم لبلادهم من سيطرة النازية كان مجهودا يوغسلافيا بحتا لا فضل لأحد فيه — لا لحلفاء الغرب ولا لروسيا السوفيتية

إلا أن انشغال ستالين ومكتبه السياسى بالحرب النازية ومعارك الشتاء على حدود موسكو ولينتغراد لم تله صناع السياسة الشيوعية الروس عن مراقبة مستقبل القارة الأوربية — ومستقبل يوغسلافيا على وجه الخصوص من حيث أنها منفذ حسن لمياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة على رمية حجر من الشاطئ الأفريقى الذى كان ولا يزال يحتل مركزا هاما فى خطط العسكريين والمسؤولين عن سياسة الحرب فى التاريخ المعاصر . أضف إلى ذلك أهمية اكتساب بلد كيوغسلافيا كقاعدة شيوعية فى منطقة البلقان التى كانت ولا تزال حدا رئيسيا من حدود المجتمع الشيوعى الأكبر التى نصبت روسيا السوفيتية نفسها وكيلة بتشييده محققة بذلك تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها مما لا يتسع المجال فى هذا المقال لاستعراضه

وقد ساعد روسيا السوفيتية على دوام الاتصال بالتطورات فى الوضع اليوغسلافى خلال الحرب العالمية الأخيرة ذلك النشاط الواسع الذى قامت به العناصر الشيوعية اليوغسلافية فى محاربة الاحتلال النازى متعاونة مع العناصر الوطنية اليوغسلافية الأخرى على نحو مافعلته العناصر الشيوعية فى الصين عندما تآلفت مع العناصر القومية فى محاربة الاستعمار اليابانى وغزوه المسلح للقارة الصينية

ولقد لعبت الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا أدوارا مماثلة لتلك التى قامت بها الحركة الشيوعية فى الصين من حيث أنها تسربت إلى القوات المسلحة والجهاز الحكومى والسلطة الشرعية التى كانت تحارب الاحتلال اليابانى ، فما إن تمت هزيمة النازيين حتى قامت العناصر الشيوعية فى يوغسلافيا باستخلاص الحكم والسلطة من الحكومة الشرعية والقضاء على النظام الملكى والعناصر التى كانت تسانده؛ وتلك التى تعاونت مع الألمان الغزاة . وكان المارشال تيتو — زعيم الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا — وثيق الصلة بستالين وبالقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية التى كان المارشال اليوغسلافى من أبرز أعضائها ، إذ سبق له أن مثلها لدى الجيش الشيوعى الإسبانى خلال الحرب الإسبانية الأهلية التى انتهت بفوز الجنرال فرانكو على خصومه الشيوعيين

وأخذ المارشال تيتو يطبق فى يوغسلافيا ما تلقنه من تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها عندما كان المارشال لاجئا سياسيا فى موسكو وصديقا شخصيا لستالين

وفى يونيه عام ١٩٤٨ — بعد ثلاث سنوات من استتباب النظام الشيوعى فى يوغسلافيا فوجئ العالم بخصومة علنية بين تيتو وستالين ، وقطيعة حادة بين روسيا السوفيتية ويوغسلافيا الشيوعية ، شغلت العالم فى تلك الآونة وكانت حديث الناس فى كل مكان

فلأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية يشق عضو من أبرز أعضائها عصا الطاعة على موسكو ويعرض نفسه وبلاده لخطر « التأديب » الروسى الذى كانت جيوشه على حدود يوغسلافيا فى البلقان وأوربا الوسطى الخاضعة للنفوذ السوفيتى

ولكن يوغسلافيا ومارشالها استطاعا أن يحتفظا برأسيهما عائمين فوق الماء، وأن يضمنا لونا من المؤازرة العسكرية والسياسية من المعسكر الغربى — خصم الاتحاد السوفيتى — رغم أن يوغسلافيا ظلت بلدا شيوعيا فى أنظمته ومبادئه وأهدافه ومراميه

ولأول مرة سجلت قواميس اللغة كلمة « التيتوية » علما على

الشيوعيــة « القومية » التي تعيش على نظــام ماركسى بحت، ولــكنها لا ترتبط بالحركة الشيوعية العالمية عن طريق مركزها الروحى والإدارى فى موسكو

وليس المهم أن نتعرف هنا دقائق المراحل التي تمت بها هذه القطيعة بين البلدين الشيوعيين — بين موسكو والمارشال تيتو ربيبها السابق [١]، إنما المهم أن نأخذ بما يؤكده معظم الخبراء فى شؤون يوغسلافيا من أن هذه القطيعة قد تمت وأنها ليست مزيفة كما يعتقد بعض الناس

ووجه الخطورة فى هذه القطيعة أنهــا تستند إلى خلاف جوهرى على مبدإ أساسى من مبادئ الفــكر الماركسى.. ألا وهو تحديد السلطة المركزية التي يمارسها « الوطن الأم » وهو أول بلد يتوطد فيه النظام الشيوعى — على بقية الدول الشيوعية التي تنتمى إليه بالولاء وتشاركه فى السلوك وتؤمن بمــا يؤمن به من ضرورة تشييد المجتمع الشيوعى الأكبر فى هذا العالم المترامى الأطراف

ذلك لأن المارشال تيتو وأعوانه فى الحكم لايزالون يؤمنون ويطبقون التعاليم الشيوعيـــة كاملة فى يوغسلافيا ، ولايزالون يعتقدون بأنهــا أفضل النظم للعــالم بأسره ، ولا يزالون تواقين لمناصرة الحركات الشيوعية فى كل مكان كما تشهد بذلك مواقف الحــكومة اليوغسلافية فى هيئة الأمم وفى خارج هيئة الأمم فى دفاعهم عن وجهة النظر الشيوعية فى معظم المشاكل الدولية التي دعيت يوغسلافيا لإبداء رأى فيها ، أو تولت — غير مدعوة — لإبداء الرأى، [٢] ولــكن المــارشال تيتو يرفض أن يمتثل لزعامة موسكو وهذا الرفض هو سر القطيعة بين تيتو وستالين

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلاف مبعثه حــدة القومية اليوغسلافية ورفضها الانقياد لدولة أجنبية حتى لو كان فى ذلك خروجا على المبدإ الماركسى الذى يصر على العمل الموحد والتناسق الدقيق بين الوطن الشيوعى المركزى « وهــو الآن الاتحــاد السوفيتى » وبين الدول الشيوعية المنتمية اليــه كما يعترف وزير الدولة اليوغسلافى « ميلوفان دجيلاس » فى عدد ابريل سنة ١٩٥١ فى مجلة الشؤون الدولية اللندنية

ثم إن هناك تطورا آخر على قسط كبير من الأهمية فى مستقبل الحركة الشيوعية العالمية عقيدة وتطبيقا لتطور يجسم عن القطيعة بين موسكو والمارشال تيتو ، وهو أمر يمس صميم التعاليم الماركسية وشروح لينين وستالين عليها — وهى إنجيل الشيوعيين فى كل مكان . فالحركة الشيوعية فى يوغسلافيا تمر الآن فى انقلاب فــكرى خطير مبعثه نضال المارشال تيتو لبناء المجتمع اليوغسلافى على أسس ماركسية صادقة دون أن ينتظر العون والتأييد والإرشاد والتوجيه من الاتحاد الســوفيتى ومن « الــكومنفورم » [٣] الذى هو فى الواقع دائرة عظيمة النفوذ تابعة لوزارة الخارجية الروسية . ولقد وجد المارشال تيتو نفسه منفردا فى مسعاه يواجه تحديا عنيفا فى منطقة النفوذ الشيوعى فى أوربا الشرقية والبلقان ويتقاعس عن الارتماء كليا فى أحضان المعسكر الغربى

ولــكن الغزل السياسى والدبلوماسى الذى أخذ يزداد فى الآونة الأخيرة بين يوغسلافيا وبين دول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية شق الطريق إلى صميم المجتمع اليوغسلافى الشيوعى وحمل إليه أنواعا من الفكر والأدب والفن الغربى « الرأسمالى » فأوجد تشويشا فى الفكر والثقافة والعقيدة الشيوعية السائدة بين ولاة الأمور فى يوغسلافيا وبين طبقات المجتمع اليوغسلافى . فالأفلام الأمريكية ، والقصص والبحوث الفرنسية ، والصحف والمجلات البريطانية ، وجوقات الموسيقى والمسرح الأوربية والأمريكية .. أصبحت الآن أشياء مألوفة لدى المواطنين اليوغسلافيين ، بعــد أن انقطعت صلتهم بالحياة والفكر الغربى عشر سنوات طوال

ونتج عن هذه الغزوة الثقافية أن تأثر عدد من أبرز أعضاء

---

(١) أصدرت جامعة هارفارد مؤخرا دراسة ضافية عن هذا الموضوع

(٢) تصدر الحــكومة اليوغسلافية مجلة خاصة بالشؤون الخارجية تسجل فيها آراءها فى المشاكل الدولية وتطبع بغير اللغة اليوغسلافية للاستهلاك الخارجى منافسة بذلك مجلة (الــكومنفورم) لسان حال القيادة الشيوعية العالمية

(٣) الــكومنفورم هو الاسم الجديد للقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية . وكانت هذه القيادة تعرف إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة باسم آخر هو « الــكومنترن » إلى أن ارتأى ستالين الغاء هذه القيادة دفعا لأذى الدول الرأسمالية فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأخيرة وخلال سنوات الحرب . ثم أعيد تشكيل هذه القيادة للحركة الشيوعية العالمية فى سنوات ما بعد الحرب وأطلق عليها اسم « الــكومنفورم » ولها لسان حال يصدر بانتظام فى لغات أجنبية عديدة

الحزب الشيوعى فى يوغسلافيا ، وصناع السياسة وقادة الفكر فيها بهذه التيارات الفكرية ، وظهر هذا التأثير فى موجات من النقد الخافت الموجه إلى النظام الشيوعى وأساليب تطبيقه ؛ الأمر الذى أزعج المارشال تيتو وأعوانه الخلص من الماركسيين المتعصبين للتعاليم الشيوعية . وقد أعرب عن هذا الازعاج المارشال نفسه فى خطاب ألقاه مؤخراً (٤) ، ندد فيه بهذه الشعوبية وود لو أن يوغسلافيا طهرت نفسها من هؤلاء الشعوبيين ، حتى لو استدعى ذلك إقصاء مائة ألف شخص من عضوية الحزب الشيوعى .. وهذا تعبير يعكس ما يعترى المارشال من قلق وانزعاج

وكرر (موشى كرولجى) وزير خارجية تيتو هذا التنديد فى تصريح آخر حذر فيه هؤلاء الشعوبيين بأن من حق الدولة الشيوعية ومن واجبها أن تضع حداً للتيارات الشعوبية التى أخذت تنتشر فى أوساط المجتمع اليوغسلافى بفعل البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية

وقد عزز المارشال تيتو القول بالعمل ، فأخذ يقصى عن مراكز الحكم نفراً من أهم أعوانه من الذين ألموا بهذه الشعوبية لكنه لم يستطع أن يضع حداً لهذا الاتجاه الطارئ ، فلم يفرض رقابة على البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية خشية أن يفقد عطف المعسكر الغربى بعد أن اختار القطيعة التامة مع المعسكر السوفيتى

ولم يجد تيتو بداً من أن يلجأ إلى المساومة . فاختار نفراً من قادة الفكر الشيوعى فى يوغسلافيا وكلفهم بوضع تفسير جديد للتعاليم الشيوعية يوفق بين جوهر الفلسفة الماركسية وبين بعض النظريات والمبادئ السياسية والاقتصادية والثقافية التى تعيش عليها الدول والمجتمعات فى أوربا الغربية والعالم الجديد (٥) وتوخى هذا التفسير الجديد أهدافاً محدودة منها التأكيد بصلاح الشيوعية لتشييد المجتمع المثالى ليوغسلافيا ولجميع الشعوب ومنها رفض أساليب ستالين ومكتبه السياسى وسياسة « الكومنفورم » لبناء المجتمع الشيوعى . انتقدها انتقاداً لاذعاً ووصف الاتحاد السوفيتى بأنه دولة استعمارية سلاحها البطش والعدوان

ومن هذه الأهداف كذلك تحرير الجهاز الحكومى فى يوغسلافيا الشيوعية من المركزية الصارمة ، واقتباس نواح من فن الإدارة «الديمقراطية» المصطلح على اتباعها فى الغرب ، بحيث تنتفى من الماريشال تيتو وحكومته التهم « الديكتاتورية » الموجهة اليه من أوساط الغرب ومن بعض الأوساط اليوغسلافية التى تأثرت بالغرب وآرائه ومعتقداته وتحليلاته السياسية عن الوضع اليوغسلافى

وأخذ التفسير اليوغسلافى الجديد للشيوعية يتفلسف ما استطاع ليجعل من المارشال تيتو صورة تخالف الصورة المعهودة فى الغرب عن ستالين ؛ وهى صورة الحاكم المستبد الذى لا مرد لأمره ، والذى يستند فى تنفيذ مآربه إلى جهاز دقيق من البوليس السرى ، فيتعقب الناس ويسترق آراءهم ويبطش بهم إذا ألمت بهم شعوبية أو أضمروا سوءاً للعهد القائم

وخلاصة القول فى هذه الإيديولوجية الشيوعية الجديدة التى يحاول تيتو بواسطتها التوفيق بين ماركسيته ورأسمالية أصدقائه الجدد فى المعسكر الغربى .. أنها كما قال وزير الدولة اليوغسلافى « ميلوفان دجيلاس »

«استنباط فكرى لاسابق له . فبلادنا الصغيرة (يوغسلافيا) بلاد جريحة ولم يكتمل نموها بعد. وعليها (٦) أن تناضل لا لتنمية مرافقها فحسب بل لصيانة كيانها القومى »

* * *

أليست هذه المحنة التى دفع إليها الشعب اليوغسلافى أشبه بالمحن التى تنتاب معظم البلدان فى آسيا وفى شرقنا الأوسط ؟ — بلاد متخلفة تحاول أن تنمى مرافقها وتقوى كيانها القومى فى آن واحد ، وفى وجه تيارات سياسية واقتصادية وثقافية تهب عليها من الفريقين المتخاصمين اللذين يهيمنان على مقدرات العالم هذه الأيام

نيويورك — عمر حليق

(٤) ابريل سنة ١٩٥٢ فى حفل من شبيبة اليوغسلافية

(٥) فى بحث عن « آراء حول تيتو » نشرته مجلة الإيكونومست البريطانية فى عدد ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

(٦) الإيكونومست ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

رحلة أبي الطيب
من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي

تتمة البحث

وكنت إذا يممت أرضا بعيدة   سريت فكنت السر والليل كاتمه

شعوران قد تملكا قلب أبي الطيب فى رحلته ، وأعترف بأنى أشاركه فيهما : شغفه بالبادية والتغنى بمحاسنها ولياليها ، ومقته للظلم والطغيان ، فهو لا يذكر أيامه بمصر إلا مقرونة بالألم والحسرة ، ولا يمر بعقبة أو يخرج من أمر مدلهم ، إلا عد ذلك نصرا على كافور وظلمه وطغيانه ، ولا يترك مناسبة دون التغنى بالبادية

إنك لا تشعر بشعور أبى الطيب إلا إذا عشت بالبادية ، ورأيت سماء الصحراء المقمرة أو لياليها التى تسطع فيها النجوم . إننى أذكر ليلة مقمرة فى وسط الصحراء كدت أقرأ فيها على ضوء القمر صفحة من كتاب . ولقد تركت هذه الرحلة برغم مصاعبها أكبر الأثر فى نفس أبى الطيب ، حتى أنه بعد مضى أكثر من سنتين تقرأ له فى قصيدة وضعها سنة ٣٥٢ هـ أبياتا تشعرنا بحنينه الذى ملأ قلبه وقت السفر إذ قال يذكر مسيره من مصر ويرثى أبا شجاع فاتكا :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم   وما سراه على ساق ولا قدم

ولا يحس بأجفان يحس بها   فقد الرقاد غريب بات لم ينم

وهو مع ما أوتيه من نصر لتغلبه على الصعاب ، يذكر حر الشمس فى وسط القيظ ، طول أيام السفر فى الفيافى فيقول :

تسود الشمس منا بيض أوجهنا   ولا تسود بيض العذر واللمم

ثم تجده لا ينسى مدح المطايا التى لولاها لما خرج من مصر بعد ما لقيه من الظلم والعنت فيها :

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها   قلبى من الحزن أو جسمى من السقم

فكأنه يسير فى تفكيره ليستعيد ما مر به من ألمه وأحزانه وهو الذى سبق له أن قال وهو بالفسطاط :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى   تخب بى الركاب ولا أمامى

قليل عائدى سقم فؤادى   كثير حاسدى صعب مرامى

عليل الجسم ممتنع القيام   شديد السكر من غير المدام

فلا غرابة إذن أن مطلع جبال حسمى قد غمر قلبه ، وأن رؤيته لتلك الشعاب قد نفخت فيه روحا جديدة ، بعد ما لقى من نصب ومتاعب فى رحلته ؛ وبعد ما تحمل فى مصر من ألم نفسانى ومرض أضنى جسمه

إن مناظر الجزيرة وجبال حسمى قد ملأت نفسه حبورا وجعلت منه إنسانا آخر . . نرى ذلك فى شعره ونحس معه أحاسيس الذى خرج من سجن وانطلق للفضاء .. ولا ننس أن بين حسمى ووادى القرى ليلتان ، وبين الأخير والدينة ست ليال (١)

ولا يمر هذا الشعور دون أن يعتريه انفعال آخر هو إحساسه بالنصر والغلبة على كافور وكيده ، وأنه رفض أن يقبل الذل على يديه ، فها هو ذا قد ترك دنيا الظلم والظلام ، وذلك الوسط الذى قال عنه « كأن الحر بينهم يتيم » وقال فيه عن كافور « غراب حوله رخم وبوم » وهناك انطلقت شاعريته فى الكوفة فقال فى مواجهة الأحداث وليشهد الدنيا على انتصاره

لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أنى الفتى

وأنى وفيت وأنى أبيت   وأنى عتى على من عتا

وما كل من قال قولا وفى   وما كل من سيم خسفا أبى

وهو شعر يبلغ فيه النهاية ويترنم به من كان مثلى قد عانى الشدة وألم الاضطهاد ووقف أمام الظلم . رحم الله أبا الطيب وطيب ثراه ! انى أعد هذه القصيدة قطعة موسيقية من أروع ما أنشده الشاعر العظيم . ولقد كنت ضحية للظلم يوما ، وتنكر لى أقرب الناس إلى ، وشعرت بشعور أبى الطيب ، وأقمت مدة وأنا أترنم بهذه الأبيات، فأشعر بنفسى وقد قويت ، وأستمد منها شجاعة وصبرا..وهكذا يحيا شعر أبى الطيب فى نفوس من يفقه أمر المتنبى ومن عاش عيشته ومن انكوى بنوع من الظلم يشبه ما أصاب شاعر العرب العظيم

وأقسم بالله إنى لأتحين الفرص لرؤية حسمى العالية الأطراف

(١) يا قوت جزء ٣ صفحة ٢٧٦

والتى قيل أن لا مثيل لها فى الدنيا ، هذه الجبال الممتدة على خليج العقبة الملساء الجوانب ، والتى إذا أراد الناظر أن يمتع نفسه بالنظر إليها وإلى قنة منها ، رفع بأبصاره إلى السماء

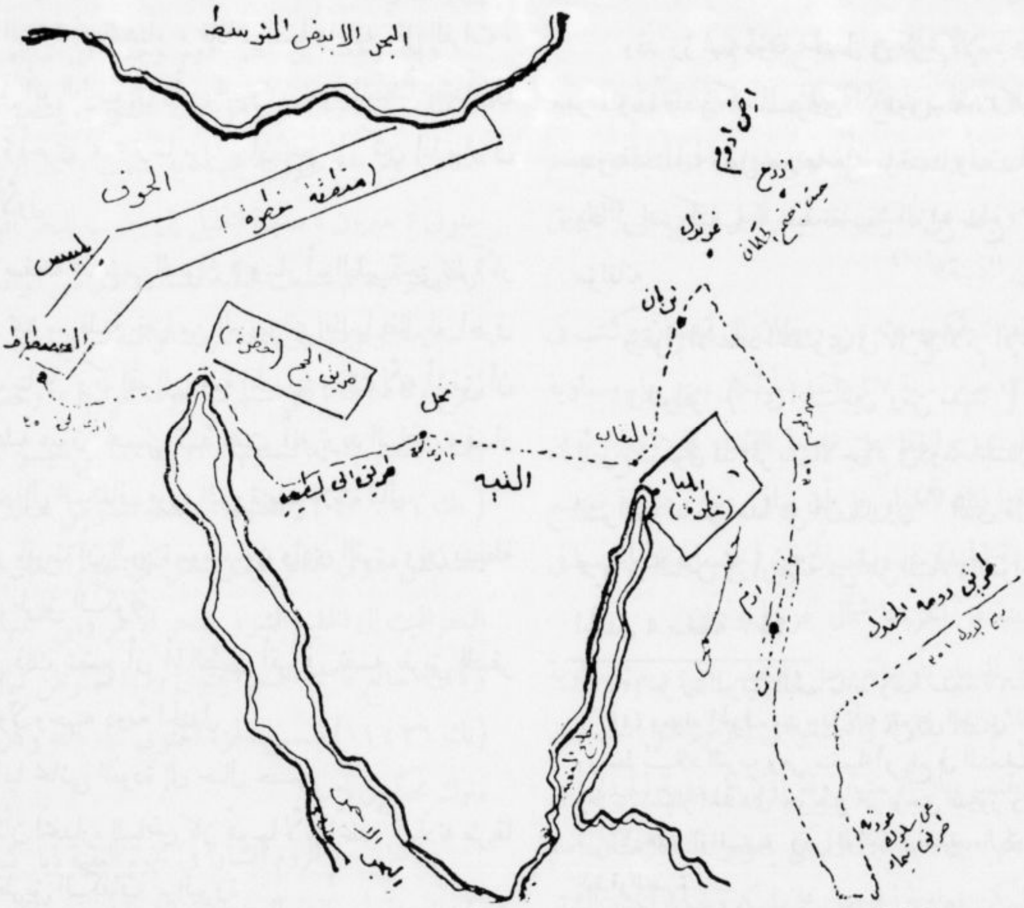
إنها أوحت لأبى الطيب بالكثير من شعره عن نفسه ، وأعذب الشعر ما تحدث به الشاعر عن أحاسيسه ، والمتنبى إعصار هائل من أين أتيت إليه ، فهو عظيم فى حجمه وجبروته ، ولكن هذا الإعصار وسط الأدب العربى ، بلغ القمة وجاوز حدود العظمة حينما سجل بشعره آلامه وأحزانه وفرحه وغبطته ويوم انتصاره

وطابت حسمى لأبى الطيب فنزلها وأقام بها شهراً . أليست مواطن الأفذاذ من قبائل العرب ، التى لم تعرف الخنوع ولا الخضوع ، والتى على رغم قربها لملك كافور لم تسمح لنفسها أن تقبل ظلمه وجبروته وطغيانه

ما بين مدين وتبوك وامتدت إلى أذرح أو أذرع ، واحتلت عاملة جبلها المعروف باسمها ، من بحيرة طبرية إلى البحر

وبقيت جبال حسمى بين فزارة وجذام . ولما نزلها أبو الطيب وارتاحت نفسه إليها ، لم تتركه دسائس كافور ، وهو الذى عمل حسابا له فتحاشى أقرب الطرق إلى حسمى خوفاً من كمين قد يرصده له فى طريق نزوله من رأس النقب إلى عقبة إيليا ، واضطر أن يسلك طريق الشام أولا ثم ينكفئ من تربان إلى غرندل ثم جنوبا إلى منازل جبال حسمى

أقول إن صاحب مصر أبى إلا أن ينغص عيش أبى الطيب وأن يتتبعه إلى الأطراف البعيدة ، فكتب إلى رؤساء العرب ووعدهم وواعدهم ، وبعد مضى شهر ظهر لأبى الطيب فسادنية عبيده وجاءت الحادثة معوردان بن ربيعة من قبيلة طئ ، وهو الذى سمع



جاء فى كتاب الهمدانى (٢) أن إرم وحسمى والبياض هى مساكن من تشائم من العرب الأقحاح ، وقد سكنت لخم النازل بين الرملة ومصر (الجفار) وطرق جبال الشراة ، أما جذام فكانت تسكن

بأن لأبى الطيب سيفا مذهبا ، فأخذ يلح فى أن يريه إياه ، وأبو الطيب يحاول التخلص منه ، لأنه سيف يعتز به ويحرص عليه ، فجعل الطائى يحتال على العبيد الذين فى خدمة أبى الطيب ويحرضهم عليه طمعا فى الحصول على السيف .

(٢) الهمدانى صفحة ١٢٩

وهنا اكتشف أبو الطيب أن أبا المسك صاحب مصر قد كاتب العرب الذين حوله ، ولم يبق هناك مفر من الرحيل ، فأرسل من يثق به إلى حى فزارة وبنى مازن ، وإلى شيخ من ولد هرم بن قطبة . فلما أتاه الخبر بقبوله النزول لديه شد ليلا على الإبل وجنب الخيل ، وسار تحت كنف الليل حتى طريقته لما غادر الفسطاط والقوم لا يعلمون برحيله ، وكان يقصد تضليلهم إذا حاولوا القبض عليه ، كما ضلل من قبل جماعة كافور . ويظهر من تصرفاته أنه كان على علم وإلمام بطرق البادية ، ومسالك البلاد وأسرارها ، بدليل أنه اتخذ السير فى طريق البياض وسار فيه ليلا حتى رأس الصوان ، وهذا الدرب خطير يحتاج فيه الراحل إلى الخفارة لتعذر الأمان فيه وهو الطريق الذى يسلكه من يرحل من تيماء ووجهته الكوفة فيمر يسرة فيما يلى البياض ثم يخترق ديار ذبيان ، فمنازل كلب فى صحراء السماوة ثم الدهناء ، فإذا مر منها واجهه نخل الفرات . وما وصل أبو الطيب إلى رأس الصوان حتى انكفأ عائداً إلى الشمال مرة أخرى ، محترسا من أن يقع على كمين إذا سار فى الطريق الأول

وفى صفحة ٤٩٥ من الديوان « وسار أبو الطيب حتى نظر آثار الخيل ولم يجد مع فليتة خبرا من العرب التى طلبها فقال له اخرق أو احرف بنا على بركة الله إلى دومة الجندل؛ وذلك لأنه أشفق أن تكون عليه عيون بحسمى قد علمت أنه يريد البياض ، فصار حتى انحدر إلى الكفاف فورد البويرة بعد ثلاث ليال

ذكر ياقوت أن البويرة موضع بين وادى القرى وبين بسيطة الواقعة فى طريق الكوفة

ومن ذلك يتضح أن أبا الطيب أقر فى نفسه طريق السفر فجعل : أولا وجهته دومة الجندل

ثانيا تحاشى العودة إلى جبال حسمى

فكأن انحداره للبياض كان تمويها لأنه اتخذ كعادته طريقا آخر هو طريق الكفاف ثم البويرة

والخرائط لا تسعف هنا لأن المناطق الواقعة فى أراضى المملكة السعودية لم تمسح بعد المساحة التفصيلية، فأبدأ بالكلام على هذه المواقع جاعلا أول الكلام على دومة الجندل ثم بقية الأماكن إلى الكوفة

إذا فتحت الخرائط وجدت منطقة الجوف تتوسط الصحراء وهى التى قال عنها صاحب جزيرة العرب كانت تسمى قديما دومة الجندل[٣] والجوف هى البلدة الرئيسية تقع وسط منطقة زراعية كبيرة على رأس وادى السرحان والواحة واقعة فى منخفض نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها[٤]

وفى هذا المنخفض واحات صغيرة مثل سكاكة وقارة والطوير وجاوة ، وسكاكة هى أكبرها وتكثر فيها مزارع النخيل

ولأهمية موقعها طلب مندوب المملكة الأردنية فى مؤتمر الكويت أن تكون حدود نجد كما كانت عام ١٩١٩ أى طلب إخلاء الجوف وسكاكة ووادى السرحان من قوات المملكة السعودية [٥] فطلب مندوب نجد استفتاء أهالى الجوف ففشل المؤتمر [٦]

وقد برز اسم دومة الجندل فى تاريخ الإمام على كرم الله وجهه ومعاوية، فقد ذكر المسعودى[٧] «وفى سنة ٣٨ كان التقاء الحكمين بدومة الجندل، وقيل بغيرها على ما قدمنا وصف التنازع فى ذلك» وذكر اسم كتاب له فيه تفاصيل النزاع ضاع ضمن ما ضاع من مؤلفاته

ويقول الأستاذ الخضرى فى تاريخ الأمم الإسلامية[٨]

« فتوافوا (أى الحكمين ومن معهما) بدومة الجندل بأذرح فيكون قد أقر بأن الاجتماع فى دومة الجندل التى هى بأرض الشراة . وقد نقل هذا عن ابن خلدون[٩] الذى قال : وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل » صفحة ٤٤١

(٣) جزيرة العرب تأليف حافظ وهبة صفحة ٦٧

(٤) وموقع الجوف مهم جدا لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا ووسط بلاد العرب وهى منفصلة أو يقع فى المنتصف ، ما بين الفرات وطريق الحجاز الحديدى بين جبل شمر وجبل الدروز وعلى بعد ٣٠٠ ميل من كل هذه المواقع ، وهى الواحة الوحيدة ما بين العقبة وبغداد أو العقبة والبصرة

(٥) صفحة ٢٤٧ جزيرة العرب

(٦) صفحة ٢٤٨ جزيرة العرب

(٧) جزء ٢ صفحة ٢٧٥

(٨) جزء صفحة ٤٣٢

(٩) ج ٢ صفحات ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ١٥٦ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

« وكتب الكتاب لثلاثة عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ واتفقوا على أن يوافى على موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح فى شهر رمضان » ٤٤٠

وجاء ذكر دومة الجندل فى صفحة ٢١٦ «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بنى قريظة ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشام أولا ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام »

ولذلك اختلف الناس فى تحقيق موضع اجتماع الحكمين هل هو فى دومة الجندل بالصحراء أم فى دومة الجندل بأراضى المملكة الأردنية ؟ أى فى بلدة أذرح الواقعة فى نطاق دومة الجندل والتى كان يطلق عليها الصخرية

إننى أميل إلى الرأى الأخير وإن كنت أدعو أحد المهتمين بتحقيق الدراسات الإسلامية أن يضع بحثا عنها

وقد جاء فى كتاب تاريخ الإسلام السياسى مايأتى « اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى بدومة الجندل وهى بضم الدال وفتحه وتبعد عن دمشق بست مراحل وتقع على الطريق بين دمشق إلى المدينة»(١٠)

وكان عقد التحكيم مدته من رمضان إلى رمضان وكتب فى يوم الأربعاء ١٣ صفر سنة ٣٧ وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجند المواثيق واتفقا على تأجيل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على أن يوافى على ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فى رمضان فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا فى بلدة أذرح المبينة على الخريطة شمال غرندل وتربان

وبعث على للميعاد بأربعمائة رجل ولم يحضر على، وبعث معاوية بأربعمائة رجل ثم جاء معاوية واجتمعوا فى أذرح والتقى الحكمان كل هذا يقتضى بأن الاختيار وقع أولا على دومة الجندل التى بالجوف لتوسطها بين الطرفين ولكى يحضر المتخاصمان أمام الحكمين ؛ ولكن معاوية الحريص على ملكه وحياته اختار الشق الثانى وجعل بلدة أذرع المكان المختار وقد يكون احتج بأنها قائمة بأرض دومة الجندل لأن هذه المنطقة كانت تسمى بأرض أدوم أو دومة من القدم ... فقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥١ أن دومة التى بها أذرح محرفة عن أدوم، وأنها البلاد التى يسكنها نسل دومة وهو أدوم بن إسماعيل أو سادس أولاده (تك ٢٥ : ١٤) وأنهم سكنوا فى صحراء سوريا على بعد ١٥٠ أو ٢٠٠ ميل من دمشق حيث توجد قطعة أرض تعرف باسم دومة الحجرية أو دومة السورية

وفى كتاب الإمامة والسياسة جـ ١ صفحة ١٣٦ مايشير إلى كتاب بين على ومعاوية اتفقا فيه على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام ويكون الاجتماع إلى دومة الجندل (وأظن أنهما يقصدان دومة الجندل بالجوف) فإن رضيا أن يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ... ثم ذكر فى صفحة ١٣٨ أن أباموسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل كان عقد التحكيم هدنة من رمضان إلى رمضان

وإذا رجعنا إلى اسم أدوم وجدنا أن معناه فى قاموس الكتاب المقدس أحمر وهو لقب عيسو بن إسحق أخذ بلون العدس يوم باع بكوريته إلى أخيه يعقوب وأخذ الأرض الواقعة جنوبى « حبرون » مدينة الخليل إلى جنوب البحر الميت ثم تخوم أرض موآب ثم اتسعت البقعة فشملت الأراضى الواقعة بين برية « سين » وغربيها إلى بلاد العرب الواقعة شرقيها أى شملت منطقة أذرح وما حولها . التى اشتهرت بجودة هوائها ، وخصب أراضيها ومناعة حصونها. أما تسميتها بأدوم فأخذا من عيسو الملقب بأدوم (تك ٣٦ : ٤٣) والمظنون أن نسله استوطن هناك فأصبح هذا القسم من جنوبى البحر الميت يشمل كل تخوم كنعان الجنوبية من البحر الميت إلى الخليج الشرقى للبحر الأحمر ومن ضمنها جبل سعير وكانت سالع عاصمة القسم الجنوبى وفيها استوطن تيمان بن عيسو (تك ٣٦ : ١١) فتسمى الجزء الجنوبى تيماء باسمه وكان للأدوميين ملوك يحكمون باسمهم

ولما جاء حكم الروم أنشأوا فى تخوم العقبة باباً كبيرا ووضعوا عليه شحنة لجبى الضرائب على القوافل القادمة من الجنوب ... وفى الاصطخرى وابن حوقل (١١) تمتد جبال أدوم من الشراة إلى أيلة أى العقبة كما جاء فى كتاب فلسطين تحت حكم المسلمين لمؤلفه جوى لوسترانج أن أدوم فى مادة الشراة

(١٠) صفحة ٢٨٦

(١١) صفحة ٢٨

أما تحقيق أدوم أو دومة الجندل لدى العرب فقد جاء فى صفحة ١٠٦ جزء ٤ من معجم ياقوت كما يأتى : بضم أوله أو فتحه

ابن دريد : أنكر الفتح وعده من أغلاط المحدثين

حديث الواقدى : جاء فيه دوما الجندل

ابن الفقيه : عدها من أعمال المدينة ... وقال سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم

الزجاجى : دومان بن إسماعيل وقيل دوما

ابن الكلبى : دوماء بن إسماعيل، ولما كثر ولد اسماعيل بتهامة خرج دوماء حتى نزل دومة وبنى به حصنا فقيل دوماء ونسب الحصن إليه وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ... وقال أبو سعيد : دومة الجندل فى غائط فى الأرض خمسة فراسخ وفيها عين يسقى ما به من النخل والزرع وحصنها مارد ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل » ولا يبعد أن وصفه ينطبق على دومة الجندل بالجوف والحصن على ما بناه الأكيدر وهو من فتح خالد بن الوليد . ثم يؤكد أبو عبيد الكوفى أن دومة الجندل قرب جبلى طى ويقصد بذلك واحة الجوف لأنه يذكر بلدة دومة وسكاكه وذو القارة[١٢] أما دومة ففيها سور يتحصن به وفى داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن أكيدر

ونعود إلى أرض أدوم أو دومة الجندل الصخرية فنقول إن هذه البقعة كانت عامرة فى العصور السابقة وفى عهد الروم أنشئت بها كما قلنا أسقفية فى « غرندل » تحريف « أرندل » التى بقيت على الطريق الرومانى من العقبة إلى بصرى ، وكان يمر بأرض الشوبك وعليه حصن الكرك المشهور فى الحروب الصليبية، وكان عامرة فى عهودها الإسلامية بدليل سكنى الخلائف من قريش وبنى هاشم ، وأن الدعوة العباسية قامت من بلدة الحميمة حين مات بها إبراهيم الإمام

وبعد هذا التحقيق والبحث كنت أقلب الجزء الأول من العقد الفريد تحقيق العلامة الدكتور أحمد أمين فوقع نظرى فى الصفحة ٢٦٤ سطر ١٣

« وأوصل أبو دلامة إلى العباس بن المنصور رقعة فيها هذه الأبيات

قف بالديار وأى الدهر لم تقف   على مناظر بين الظهر والنجف

فإذا الحاشية (٤) تقول

(النجف بالتحريك موضع بظهر الكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها، وبالقرب منها قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب) ولا شك فى أن واضع الحاشية كغيره من الأدباء أغفل تحقيق الأماكن الجغرافية لعدم أهميتها، والحقيقة أن بالكوفة مكانا يدعى « دومة » والنجف محلة منها ويقال إنها سميت بذلك لأن عمر بن الخطاب لما أجلى الأكيدر صاحب دومة الجندل المشهورة فى الجوف قدم الحيرة ثم بنى بها منزلا سماه دومة على اسم حصنه الذى نزع منه (راجع كتاب تاريخ الكوفة تأليف المؤرخ السيد حسين بن السيد أحمد البراق طبع النجف صفحة ١٤٨ سطر ٢

ولا يصح أن يفهم القارئ خطأ بأن موضع دومة الجندل التى مر ذكرها واختلاف الرواة بشأن الحكمين كان موضعا بالقرب بالنجف حيث يرقد الإمام على رضى الله عنه وبين النجف ودومة الجندل بالجوف مئات الأميال وبينها وبين أرض أدوم بالشراة مئات أخرى

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

(١٢) أصبحت القارة فى كتاب الشيخ حافظ وهبة

لاقريش بعد اليوم ..!

« فصل من كتاب (جهاد النبى)
الجزء الثانى — الذى صدر حديثا »

للأستاذ محمد محمود زيتون

(جيش الإسلام فى الطريق إلى مكة .. أبوسفيان والعباس يسبقان الجيش ويتحدثان)

أبوسفيان : ماشاء الله ياأبا الفضل . لقد ذقت والله حلاوة الإسلام فى نفسى

العباس : ثبت الله قلبك على الحق ياأبا حنظلة

أبوسفيان : والله ما كنت أظن أن رسول الله يزيد فى قومه هكذا

العباس : فما بالك بجيشه الفاتح المنصور بإذن الله !

أبوسفيان : لئن جئت محمداً أخاف أن تهوى أسياف من معه على رقاب قريش ، فأصبحت وأنا أشد شوقا إلى أن أراهم يرتمون فى الإسلام ، وإلا فالسيف بيننا وبينهم

العباس : بل ستكون المعجزة الكبرى يوم الفتح

أبوسفيان : بشرك الله بالفضل ياأباالفضل

(العباس وأبو سفيان بمضيق الوادى عند خطم الجبل ... القبائل تدخل على قادتها ... والكتائب على راياتها)

أبوسفيان : (لحكيم) أغدراً ؟

حكيم : لا

أبوسفيان : إن أهل النبوة لايغدرون

حكيم : ولكن لى إليك حاجة حتى تنظر جنود الله ، وما أعد الله للمشركين

كل قبيلة تمر ... تكبر ثلاثا ... وتمضى فى قوة وشجاعة)

أبوسفيان : من هذه ؟

العباس : سليم

أبوسفيان : مالى ولسليم .. ومن هذه ؟

العباس : مزينة

أبوسفيان : مالى ولمزينة.. وقد جاءتنى تقعقع من شواهقها ، ومن تلك ؟

العباس : تلك أسلم

أبوسفيان : مالى ولأسلم .. فمن ؟

العباس : فجهينة

أبوسفيان : مالى ولجهينة والله ما كان بينى وبينهم حرب قط ، فبنو من ؟

العباس : فبنو غفار .. وهؤلاء طوائف أخرى من تميم وقيس وأسد

أبوسفيان : مامر محمد بعد ؟

العباس : لا

أبوسفيان : من هؤلاء الذين يكبرون ؟

العباس : بنو بكر

أبوسفيان : نعم .. أهل شؤم ، والله هؤلاء الذين غزانا بسببهم محمد .. فمن هؤلاء بعدهم ؟

العباس : أشجع

أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد

العباس : أدخل الله الإسلام فى قلوبهم .. فهذا فضل الله

أبو سفيان : أبعد ما مضى محمد ؟

العباس : لوأتت الكتيبة التى محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة

(تمر كتيبة الأنصار.. ابن عبادة على الراية)

ابن عبادة : ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة

أبوسفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار

(ابن عوف وعثمان وعلى حول النبى)

عثمان : يارسول الله مانأمن أن تكون لسعد بن عبادة صولة فى قريش ، وقد قال ما قال

النبى : (لعلى) أدركه فخذ الراية منه ثم مره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة

عمر : (للجيش) رويدا يلحق أولكم آخركم

(أبوسفيان لايزال يتعجب مما يرى)

أبوسفيان : هلا ذكرت لى من على رأس هذا الجيش

الكثيف ياأبا الفضل ؟

العباس : أمارأيت خالد بن الوليد فى بنى سليم على الجناح الأيمن وهذا الزبير بن العوام على الجناح الأيسر ، أحدهما آخذ من أعلى مكة والآخر من أسفلها

أبوسفيان : ومن على المقدمة ؟

العباس : أبو عبيدة بن الجراح

أبوسفيان : ولمن هذه الكتيبة الخضراء ؟

العباس : إنها والله كتيبة رسول الله

أبوسفيان : هذه والله معها الموت الأحمر

العباس : أما تراهم فى الحديد !

أبوسفيان : والله ماأرى منهم غيرالأحداق من وراء الحديد، مالأحدبهؤلاء قبل ولاطاقة.. ومن هذا الغلام رديف رسول‌الله ؟

العباس : هذا خادمه وابن خادمه أسامة بن زيد

أبوسفيان : أفى مثل هذا الموكب !!

العباس : تواضعاً لله .. ومن تواضع لله رفعه .. وفتح عليه

(يمر النبى على القصواء [١] فى تواضع .. يحاذى أبا سفيان)

أبوسفيان : أمرت بقتل قومك ؟

النبى : لا

أبوسفيان : أنشدك الله والرحم فى قومك ، فإنك أبرالناس وأرحمهم وأوصلهم، فمابال سعد ؟

النبى : كذب سعد .. ياأبا سفيان : اليوم يوم الرحمة .. يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة

(يمر النبى فى كتيبته بين‌أبى بكر وأسيد بن حضير يتحدث إليهما .. ويظل أبوسفيان والعباس يتحدثان)

أبوسفيان : فمن‌هذا الوازع الذى يرعدفى‌الكتيبة ياعباس؟

العباس : ذاك عمر بن الخطاب

أبوسفيان : لقد أمر أمر عدى.فى الكتيبة ياعباس ؟

العباس : إن الله يرفع مايشاء بما يشاء . وإن عمر ممن رفعه الإسلام

(فترة صمت.. أبوسفيان فى شبه ذهول)

العباس : فماترى ؟

أبوسفيان : والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما

العباس : ياأباسفيان إنها النبوة

أبوسفيان : إى والله إنها النبوة

العباس : إذن فالنجاء إلى قومك

أبوسفيان : فامض بنا .. ومن أين يدخل النبى مكة ؟

العباس : من « كداء »

أبوسفيان : ناشدتك الله والرحم ياعباس إلا حدثتنى .. ما حملك على هذا الموقف ؟

العباس : أما والله لأصدقنك .. قدمت على النبى ، والناس متفرقون بين الأراك ، فخفت أن ترغب فى قلة الإسلام فتكفر بعد إسلامك فلا يقبل منك شىء غير القتل ، فأصدقنى أنت ياأبا سفيان أين وقع حديثى مما كان فى نفسك ؟

أبوسفيان: اللهم كان فى‌نفسى أن‌أفعل بعض‌الذى قلت، فأما إذ رأيت الذى رأيت فقد علمت الآن أن هذا الأمر من الله لا مرد له ، والله مازالت الكتائب تمر حتى خفت أن تسير معها جبال مكة .. سربنا ياعباس فلم أر كاليوم قط صباح يوم فى دارهم

(نساء قريش يلطمن وجوه الخيل بالخمر)

(أبوقحافة وقد كف بصره ومعه ابنة من‌أصغر ولده

أبوقحافة : أى بنية اظهرى بى على (أبى قبيس)

(تذهب به إلى الجبل)

أبوقحافة : ماذا ترين ؟

— أرى سوادا مجتمعا

أبوقحافة : تلك الخيل

— وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا مدبرا

أبوقحافة : ذلك الوازع

— قد والله انتشر السواد

أبوقحافة : قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى

(تمر بهما بعض الكتائب فيختطف رجل منها طوقا من الفضة حول عنقها)

— طوق ..! طوق ..!

النبى : (مبتسما) ياأبا بكر كيف حال حسان ؟

(١) ناقة النبى

أبوبكر : قال حسان

عـدمت بنيتي إن لم تروهـا   تثير النقع موعدها « كداء »
ينازعن الأعنة مسرجات   على أكتافهـا الأسل الظماء
تظـل جيادنا متمطرات   يلطمهن بالخمـر النسـاء

(أبوسفيان والعباس يدخلان مكة)

أبوسفيان : يامعشر قريش . هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به

— ويحك ياأبا سفيان !

— صباء الشيخ

(عكرمة ومقيس يقبلان عليه)

عكرمة : أقسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وهبل وأساف ونائلة.. لقد سحرك محمد

مقيس : أو لهذا أرسلناك ياأبا حنظلة ؟!

أبوسفيان : أقبلا على أمركما ، فإنه قد أتاكما مالا نطيقان ، أنتما ولاقومكما

عكرمة : على رسلك يا أحمس ... وما أتانا ؟

أبوسفيان : أتاكم الله مثل الليل الدامس

مقيس : والله لقد طاح أبوسفيان بما بقى لدينا من عقل

أبوسفيان : وأخرى ؟!

مقيس : وما تلك ؟

أبوسفيان : من دخل دارى فهو آمن

مقيس : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟

أبوسفيان : ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن

(هند تأخذ بشارب أبى سفيان)

هند: أقتلوا الشيخ الأحمق ... اقتلوه فإنه صبأ .. اقتلوا الحميت الدسم الأحمس . اقتلوه .. قبحه الله من طليعة قوم .. يا آل غالب هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم

أبوسفيان : ويحك ! اسكتى وادخلى بيتك .. والله لتسلمن أو لأضربن عنقك .. ويلكم .. تغركم هذه الحمقاء عن أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به . فتفرقوا إلى دوركم وإلى المسجد

(الناس يعدون إلى بيوتهم..مقيس وعكرمة وسارة حيارى لايدرون أين يتوجهون)

أبوسفيان : ومن جنح إلى الكعبة وألقى السلاح فهو آمن

(مقيس وعكرمة .. يخلعان الحديد ويركضان نحو الكعبة)

أبوسفيـان : اللهم إلا مقيس وعكرمة بن أبى السرح وابن حنظل وسارة مولاة عبدالمطلب .. لم يجعل لهؤلاء أمان ولوتعلقوا بالأستار

(سارة ومقيس وعكرمـة ومن ليس لهم أمان .. تنهـار أعصابهم فيخرون على الأرض .. ترتعد فرائصهم)

أبو سفيان : يا آل غالب أسلموا تسلموا

(حماس بن قيس بداره .. يتحدث إلى زوجته)

— ماتفعل ياحماس ؟

حماس : كما ترين أبرى نبلا

— فلم تبريه ؟

حماس : بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها

— والله ما أدرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء

حماس : والله إنى لأرجو أن أستخدمـك خادما من بعض من نستأسره

— والله لكأنى بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيـه لورأيت خيل محمد

صفوان : ياحماس .. ياحماس

— فمن هذا الذى يناديك ؟

حماس : هذا صفوان بن أمية (يخرج ومعه سلاحه)

صفوان : وقد أعددته ؟ فهلم إلى عكرمة

حماس : أعنده من أحد ؟

صفوان : عنده سهيل بن عمر ، أما جمعت بنى بكر ؟

حماس : بل كنت فى شغل بسلاحى أعده.. ألم تفعلوا أنتم ؟

صفوان : بلى .. غدا نجتمع عند (الخندمة)

(الخندمة : القتال بين رهط خالد ورهط صفوان .. قتلى المشركين اثنا عشر .. حماس منهزم .. يدخل بيته)

حماس (لزوجته) أغلقى على بابى .. لا تفتحى لأحد أبدا

— أين نبالك ؟

حماس : قبحها الله من سلاح .. ويحك .. هل من مخبأ !

— فأين الخادمة التى وعدتنى بها ؟

حماس : دعينى عنك

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

(أسفل مكة .. حول راية خالد .. ومعه بنو بكر وبنو الحارث وبعض من هذيل)

— والله لا تدخلها عنوة

خالد : الله أكبر .. الله أكبر

(المسلمون يجتمعون حول الراية)

حكيم : يامعشر قريش ، علام تقتلون أنفسكم ؟

أبوسفيان : من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع سلاحه فهو آمن

(قريش يقتحمون الدور ويغلقون الأبواب وراءهم تاركين السلاح بعد أن طرحوه بالطرق فيأخذه المسلمون)

(النبى ينظر إلى بارقة السيوف . وقد وقع القتال)

النبى : ماهذا ، وقد نهيت عن القتال ؟

— نظن أن خالدا قوتل ، وبدئ بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتلهم

النبى : قم فقل له فليرفع يديه من القتل

— ياخالد.. إن نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه

النبى : ألا آمرك أن تنذر خالدا ؟

— أردت أمرا فأراد الله أمرا ، فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذى كان

النبى : ! ؟ .. ! ؟ .. ! ؟

— يا رسول الله هذا خراش بن أمية وقد قتل ابن الأثوع الهذلى

النبى : إن خراشا لقتال ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا ، لأدينه

(خالد يقوم على النبى بعد أن قتل سبعين مشركا)

النبى : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟

خالد : هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت

النبى : قضاء الله خير . (ينظر إلى أبى هريرة) اهتف لى بالأنصار

أبو هريرة : يا معشر الأنصار أجيبوا رسول الله

النبى (للأنصار) ترون أن أوباش قريش وأتباعهم (يضع يدا على يد) احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا

(المسلمون يحصدون أوباش قريش التى وبشتها من قبل)

أبوسفيان : يارسول الله ، أبيحت خضراء قريش . لا قريش بعد اليوم

النبى : من أغلق بابه فهو آمن

محمد محمود زيتونه

---

٢ ـ فى بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عكفت على مطالعة السفر فى الحال ، وكانت صفحته الأولى تحمل هذا العنوان : « القواعد الأساسية لبلاد الأحرار »

وعندما قلبت الصفحة الأولى منه وقعت نظرتى على هذا العنوان : « الأسس العامة »

ثم تلا ذلك هذه المواد :

(١) الحرية منحة سامية . . . ولكيا يكون المرء حرا ، يجب أن يحوز منزلة كبيرة من السمو والرفعة ... نزاهة الفكر .. نزاهة القول . . . نزاهة الحركة . . . تلك هى الأسس اللازمة للحرية

(٢) لا يستطيع نيل الحرية أولئك الذين لا يتمكنون من التحكم فى نفوسهم

(٣) سذاجة القول. . . سذاجة المعيشة هما شرطا الحرية..

وبعد أن قرأت هذه المواد التى بدت لى غريبة جدا لفت نظرى هذا العنوان : « القانون الأساسى لبلاد الأحرار »

كان هذا القانون يتضمن المواد التالية :

(١) الحرية تقوم على الصدق والجرأة

(٢) الكذب ممنوع منعاً باتاً فى بلاد الأحرار ومن يبتلى بهذا الداء يطرد من البلاد

(٣) الرياء والتزلف يعدان من أكبر الجرائم ، ومرتكبها يرجم بالأحجار أفراد هذا الشعب كافة

(٤) لا يجوز للجواسيس أن ينتسبوا إلى رعوية « بلاد الأحرار »

(٥) لا يجتمع الجبن وتوطن بلاد الأحرار على صعيد واحد

(٦) إن من يعتدى على غيره قولا أو عملا يقذف به إلى خارج البلاد

(٧) الاحتيال والنميمة يورثان مرتكبهما عقوبة إسقاط رعوية بلاد الأحرار عنه

(٨) الدفاع عن الحق واجب ... ومن لم يقم بهذا الواجب يطرد من البلاد

(٩) العمل واجب . . . ومن تحدثه نفسه بالبقاء بغير عمل يستكره على العمل لحساب البلاد بغير أجر

(١٠) التساند واجب . . . والذين لا يقومون بتأدية هذا الواجب يفقدون رعوية البلاد

(١١) إن القيام بإدارة شؤون بلاد الأحرار لهو من حق ذوى التجارب والاختصاص فحسب

(١٢) إن كل وطنى مكلف بأن يراقب موظفى البلاد

(١٣) على كل موظف أو فرد فى المملكة أن يؤدى الحساب فى أى وقت كان ، عن أعماله التى يقوم بها ، أو ثروته التى يمتلكها ... والذين يحاولون الهرب من تأدية مثل هذا الحساب يحكم عليهم بعقوبات قاسية ويفقدون صفة الاستيطان

(١٤) على كل وطنى استظهار المواد المدرجة فى أعلاه والعمل بمقتضاها

* * *

قرأت هذه المواد ، ثم أخذت أفكر.. ما أعجب هذه البلاد ؟ إنها نقيض ما رأيته أو سمعته أو تعلمته حتى الآن

ليت شعرى ! . هل أستطيع إلفة هذه الحياة الجديدة ؟ داخلتنى الشكوك وساورنى الإحجام ... حتى خيل إلى لحظة وأنا فى غمرة تفكير عميق أن من الأفضل أن أهرب من هذا المكان . . . ولكن غرورى وكبرياء نفسى قد حالا بينى وبين ذلك وقد قلت لنفسى :

— « . . إذ قد أتيت .. وطلبت أن أكون « مواطناً » فى بلاد الأحرار فالعمل فى سبيل التعلم قضية كرامة شخصية ليس إلا ..نعم ! أنا أعرف أن لى عادات كثيرة ، وسجايا اكتسبتها من جدودى وعهود التاريخ ، وإنه من الصعوبة بمكان . . . على أن

أفارقها وأنبذها نبذ النواة دفعة واحدة . . . ولكن مهما يكن من شيء فالواجب يقضى على بالعمل وبذل كل الجهود المستطاعة »

وهكذا صممت على تعلم الدستور ، فأقبلت عليه بالدرس والبحث والتأمل . . . ولم تمر غير أيام معدودات حتى كنت في خلالها قد تمكنت من استظهار مواده وفهم مغازيها ... على أنه كانت ثمة أيضاً بعض المواد لم أفهم الحكمة من وضعها ، وأخرى داخلني الشك والارتياب فيها . . . فلهذا صممت على مكاشفة الأساتذة بالأمر ، وطلب الشرح الوافى منهم

وبعد كل هذا أخذت أنظر ما حولى ، وأفحص الدار التى أسكنها ، وأدرس الرجال الذين أتصل بهم

إن ما رأيته يحيط بى قد بعث فى نفسى من الحيرة والدهش أضعاف ما بعثه فيها ما كنت قد قرأته من المواد والنصوص

فقد علمت أن الدار التى أسكنها دار ضيافة ، وأن هناك عدة دور أخرى مماثلة لها فى المدينة خاصة بالذين يلجأون إلى بلاد الأحرار

وكان معى فى الدار ضيوف آخرون يبلغ تعدادهم عشرين ضيفاً بينهم نسوة

وفى اليوم التالى أفضى بى الشيخ الذى فتح لى الباب إلى قاعة الطعام العمومية ، ثم قدمنى إلى الضيوف الذين كانوا قد اجتمعوا هناك ؛ قائلا :

— ضيف جديد !

رحب بى القوم جميعاً بوجوه تطفح بشراً وإيناسا، ونظرات تفيض رقة وحنانا، ثم قال الجميع بصوت واحد :

— هنيئا لك ! ..

كان الطعام وافراً ساذجا .. وبعد انتهائنا من تناوله ، انتقلنا إلى البهو ، وهنا جلست إحدى السيدات إلى المعزف ، وأخذت توقع ألحانا مؤثرة

نهض الضيوف جميعا ، وأخذوا ينشدون بصوت واحد نشيدا أشبه شيء بالدعاء... فنفذ لحن هذا النشيد إلى شغاف قلبى ، وشعرت شعورا غامضا لا سبيل لى إلى الإفصاح عنه

وهنا خاطبنى الشيخ قائلا :

— يجب أن تحفظ هذا النشيد !

ثم ناولنى ورقة مكتوبة فإذا أنا أقرأ فيها :

« ما أصعب أن يكون المرء حرا »

***

لست بمتذكر نفس الأقوال التى كانت قد وردت فى ذلك النشيد ، ولكننى أستطيع أن أقول إن خلاصتها كانت لا تعدو ما يلى :

« الإنسان شعور الكون »

« نعبده ونقدسه »

« الحرية جوهر الشعور القدس »

« نحيا ولا نتخلى عنها »

« بلاد الأحرار هيكل الشعور والحرية »

« نلجأ إليها ونعتز بها »

إنه ليس بوسعى أن أصف لكم مبلغ ما أحدثه هذا النشيد من الأثر البالغ فى نفسى . . . فقد أضعت صوابى لعدة دقائق . . وعندما عاد إلى رشدى وجدت الضيوف قد انقسموا إلى جماعات والكل يتحدثون

جاءنى جماعة منهم وأخذوا يجاذبوننى أطراف الحديث كما لو كانوا من معارفى منذ مدة طويلة... فعلمت أن هؤلاء أيضا مثلى قدموا هذه الديار عند بحثهم عن الحرية

وبعدهنيهة أخذت أطوف الأقسام الأخرى أيضامن البناية.. كانت الغرف والقاعات قد فرشت بفرش ساذجة ، ولكنها تلمع من شدة النظافة .. والجدران مزدانة بعدد كبير من الصور الفنية الغالية والألواح النفيسة

وعلى معظم هذه الألواح دونت مواد دستور بلاد الأحرار بخط رائع جذاب . . . كانت ثمة كتابات أخرى أيضا لفت نظرى منها

« الحريص يكتوى بنار حرصه ويحرق ما حوله »

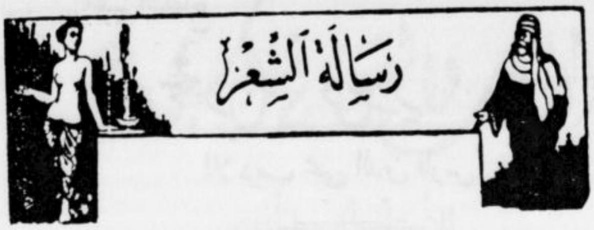
« الكلام أول صوت إلهى شعر به الكون »

« الاستبداد معرة متوارثة من عهود الهمجية »

« العدل ميزة تثير غبطة الملائكة للانسان »

« التضحية من أسمى مظاهر النفس البشرية »

« نكران الذات والتواضع خلتان يختص بهما ذوو الأرواح



فى مهرجان « الرسالة »

للأستاذ زهير ميرزا

لا تسلني فلن أحير جوابا   غرب الفكر عن زمانى وغابا
واستحال السماك أشباع إنجا   ل أرونا الجوزاء فيهم ترابا
واستوى عقد بعضهم نضو فكر   وهزيل يرى الكتاب كسابا
وتخلى عن السباق عتاق   عطروا الساح فكرة وكتابا
وتباروا فى حلبة المجد أنضا   ء اجتهاد فما أصابوا اضطرابا
كلهم رائد الخلود فما تلـ   ـقى جبانا ولست تلقى ذئابا

من ترى يخلع الوقار على العيـ   ـدان إن أهمل العتيق الرحابا ؟
طوى السبق وانجلى عن فصيل   لم يعود شوطاً فضل صوابا ؟..

***

من لهذا البيان إن غاب أعلا   م أناروا الدنى وفاقوا السحابا ؟
من لهذا البيان إن أمسك القر   ضاب جبس فدنس القرضابا ؟
ضل من يقلب اليراعة فى كفـيه   فأساً تهدم الألبابا
ورأينا على الجياد خيالا   ت رجال لم يألفوا الإركابا
حطهم فوق سرجها عبث الدهـ   ـر وحط الكمى عنها وغابا !!

***

سائل الحفل عن فتى عربى   تجد الحفل ضاق عنه جنابا
لم يجل فيه غير بعض هجين   أهمل النطق واستباح (الكتابا)
ورأى فى البيان مظهر تقييـ   ـد فدك البيان والإعرابا
وبنى المنطق الضعيف على الضعـ   ـف.. فكان البناء يشكو الخرابا

***

طلعت هذه (الرسالة) والنا   س عبيد لم يلقفوا الأسبابا

السامية »

« الغرور والعجرفة دليلان على سقوط النفس وضعة القدر »

٥ ٥ ٥

كان ثمة بهو رحيب فى ركن من البناية يضم فى أرجائه الفسيحة مكتبة الدار.. وعلى منضدة تمتد على طول البهو صفت أشتات من الجرائد والمجلات والكتب ، كما أن الرفوف كانت عامرة بآلاف المجلدات

كان أغلب الضيوف حاضرين هنا ... وكانوا جميعا مكبين على المطالعة والتأمل

واقتربت أنا أيضا من المنضدة.. فوقع نظرى على كتاب عليه هذا العنوان : « فذلكة من تأريخ بلاد الأحرار »

حرك ذلك منى الرغبة فعكفت على مطالعته فى الحال

لم يكن هذا تأريخا ... بل مأساة دامية

أى أيام سود كانت قد مرت على هذه البلاد ؟ يالقسوة القدر!

كافحت هذه البلاد فى سبيل الحرية عصورا طويلة واغلة فى القدم

جرت الدماء جداول وأنهارا فى هذه الشوارع التى تفيض بالهدوء والوداعة اليوم

فتارة يتخاصم الأهلون ويتقاتلون فيما بينهم ، فيهدمون ويخربون ؛ وتارة تجتمع كلمة الكل وتتحد غاياتهم فيهبون هبة واحدة لمحاربة الطغاة المستبدين ، والحرب فى كل ذلك سجال بين الفريقين .. إلى أن أتى يوم رسخت فيه دعائم الحرية ، وتنفست البلاد الصعداء ، وأخذت تعيش فى كنف الهدوء والاطمئنان ، وكان ذلك منذ قرنين من الزمان

وإذ أنا أتأمل هذا الكتاب قلت بغير إرادة

« ما أصعب أن يكون المرء حرا »

يتبع

هم عبيد القديم، عن جهل نحوا ه، وبعض يرى القديم صوابا
هم عبيد الحديث،عن طفرة الوهـم يزقونه شراباً سراباً
هم عبيد وكل عبد زنيم كبرت ضلة وجلت مصابا
والعظيم العظيم من يقهر الجهـل وينجى من القيود الرقابا..

***

ألف جزء من (الرسالة) دنيا جمعت طيباً فطابت وطابا
حملت مشعل الحضارة والبعـث وجازت على الزمان الصعابا
ورقت بالفطير يعوزه الزق إلى أن غدا من الخلد قابا
كم سما ناشئ إليها بدنيا ه فكانت نبراسه والشهابا
وانضوى فى سجلها كل فكر عبقرى فكان تبراً مذابا
أطلعت هذه «الشموس» ولولا ها لكان الضباب يعلو الضبابا
أعصر الإنحطاط لم تك إلا غفوات لم تلق صوتا مجابا
لم تكن فيهم (الرسالة) حتى يتبارى إبداعهم وثابا
هى أم الكتاب قد حضنتهم من طفولاتهم ليغدو شبابا
وشباب فى نضجهم ككهول لم يخب رأيها ولا الجد خابا
ثم كان الصباح.. وانبثق النو ر إذا بالوجود يلقى النقابا
فتراه تكشف اليوم عن نو ر سطيع يشعشع الآدابا

***

لا تلمنى إذا غضبت لقومى شيمة الصدق أن نكون غضابا
نحمل القلب طيباً ولنا الرأ ى سديدا فما طغى أو حابى
خلق بعضه صنيع عصامى وبعض من «النبى» اكتسابا

***

كل عصر له (أبو عبادة) إلا عصر جهل يرى البلاغة عابا
ويح قومى!.. أما يخافون يوما يفقدون الآداب والأنسابا
فيقول الإنسان عاشوا سواما ويقول التاريخ فيهم سبابا
غصة ملء صدرنا وأنين لو يذيب الأحجار كان أذابا
لا تقل: تلك ضجعة الموت فينا قدرة الفكر تبدع الإنقلابا؟

زهير ميرزا

أغنية الكفاح

فجر... ونور...!

للأديب محيي الدين فارس

أقبل الفجر وغنى فى الذرى طير الأمانى
فانتشى النيل وأسماع الورى والشاطئان
بهجة فى الأرض تنشى كل أفق ومكان
وابتسام ساحر رف على ثغر الزمان

إنه يا نيل عيد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى: فما أروح عطره!

***

اصدحى ياطير. هذا العيد. عيد الكائنات
كم ترقبناه شوقا فهو أحلام الحياة..
بقلوب ظامئات، وعيون شرهات!
فإذا بالند فى جنبيه فجر الأمنيات...

إنه يا نيل عيد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى: فما أروح عطره!

***

ها هو القيد تنارات بأحضان الرياح
فارقصى يا بهجة النيل على لحن الكفاح
وتملى نشوة الدنيا وأفراح الصباح
فالمنى ملء يدينا والسنا ضافى الوشاح

إنه يا مصر عيد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى: فما أروح عطره!

***

خمدت نارك يا أمس خمودا فصحونا
فإذا بالركب لا يشكو على البيداء أينا
فرحة يا رب! ... عيد ملأ الأكوان لحنا
ما علينا رضى «الغرب» فأصغى أم تجنى؟

إنه يا شرق عيد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى: فما أروح عطره!!

محى الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تطهير التاريخ

« .. نعتقد أن تطهير التاريخ قد بدأ فعلا ، وأن الكتب التى تصدر فى هذه الأيام ، وخاصة التى بذل فى تحريرها جهد ، وسمت عن إرضاء رغبات القراء أو أهوائهم ، تصحح وقائع التاريخ فى العصر الأخير فعلا .. »

هذا بعض ما جاء فى خطاب « عبد المحسن حسنى » تعليقا على ما كتبنا فى هذا المكان ، فى العدد الألف ، ولكن الواقع أننا لا نريد تحرير التاريخ فى العصر الأخير أو فى السنوات الأخيرة وحدها .. وإننا نحن إزاء تاريخ كامل مضطرب ، منذ الاحتلال الإنجليزى إلى اليوم ، هذا التاريخ الذى حالت الكثير من الأوضاع والظروف دون تحرره !

ليس تاريخ الملوك والسلاطين والخديويين فحسب ، وإنما تاريخ الزعماء ورجال الأحزاب والسياسة ، وجانب كبير من تاريخ الأدباء والمفكرين

لم تكن الموازين على طبيعتها العادلة المضبوطة ، التى تضع كل إنسان فى موضعه ، وكانت أنباء كل شئ تنشر على غير حقيقتها ، إما مزيدة أو مضيعة ، كانت الأهواء من وراء كل حقيقة تلونها بلونها ، وكانت الوصولية والهوى والغرض ، تصبغ كل شئ بطابعها الأسود القاتم ، وقد رفعت السياسة أسماء كانت أهلا لأن تهوى ، وحرمت أسماء من أكرم الأسماء نصيبها من التقدير لأنها تجنبت الانزلاق إلى مهاوى السياسة والوصولية والحزبية !

إننا نريد أن نطهر التاريخ ، فننصف تلك الشخصيات التى ظلمها التاريخ ، حين أعطى لسعد أكثر مما أعطى لمحمد فريد ، وحين رفع اسم فلان وفلان وفلان لأنهم كانوا موصولى الأواصر بإنسان يملك سلطان الإعزاز والإذلال

إن هناك حقائق كبيرة تكمن وراء الكثير من الأحداث ، لم تكتب ولم تفسر ، وإن فى تاريخ ثورة ١٩١٩ وعوامل اندلاعها ، وقيادتها ، ونتائجها ، أشياء كثيرة لم تكتب بعد ، وفى تاريخ إنشاء الأحزاب حقائق أيضا لم تكتب ، وفى الخلاف بين الحزب الوطنى ، الذى حمل لواء الجهاد وبين الوفد المصرى الذى أنشأ بعد الحرب خلاف ، وفيما بين مصطفى كامل ومحمد عبده خلاف ، كل هذه قضايا لم تكتب على وجهها الصحيح

وفى الحركة الوطنية بعد تصريح ٢٨ فبراير وإعلان الدستور ، ونشوء الأحزاب وصراعها ، وصلتها بالإنجليز وبالقصر ، حقائق وأشياء لم تكتب بعد على صورة واضحة

وفى تاريخ الخديو إسماعيل ، وتوفيق ، وعباس ، وفؤاد وفاروق أشياء وأشياء .. لم تكتب ، وهى فى ذاتها بعيدة الأثر فى تطور التاريخ الحديث

كل هذا هو ما نريد أن يكتب ، بروح الإخلاص والحرية والنزاهة

التطهير فى محيط الأدباء

ويتصل بهذا ، الحديث عن التطهير فى محيط الأدباء ولا شك أن الأدباء هم أناس من الناس ، وأن بعض الأقلام قد تلوثت وقد غرقت فى المداد الأسود ، وهى بهذا ليست جديرة بأن تحمل رسالة التطهير أو العمل الإيجابى أو البناء فى العهد الجديد

الكتاب الذين جعلوا القلم حرفة للاثراء ، والنفاق ، على حساب الأمانة التى حملهم الله إياها ، والذين عقوا الفطرة ، وجانبوا المهمة الكبرى والرسالة العظمى ، فحموا الظلم ، ووصفوه على أنه عدل ، وساروا فى ركاب الظالمين ، هؤلاء يجب أن نطهر منهم دولة الأدب والقلم

الشمس فى منتصف الليل

كتب إلى الأستاذ محمود تيمور من الإسكندرية يقول إنه مشغول الآن بإعداد كتابه الجديد « الشمس فى منتصف الليل » وهو موضوع رحلته التى رحلها فى الصيف الماضى إلى بلاد النرويج والسويد والمناطق الشمالية فى القارة الأوربية ، وقد فهمت من خطابه أنه يعنى بذلك الرد على ما قلناه فى مقالنا السالف من أن الصيف ليس فصل إنتاج ، وأن الأدباء يقضون هذا الموسم

في حالة استجمام

والواقع الذى نعرفه أن عميد القصة المصرية ، قد جرد نفسه لفنه تجريدا وأنه لا يشرك بعمله الأدبى شيئا ، ولذلك فهو ما يلبث بين آن وآخر أن يطالعنا بعمل أدبى جديد

مؤتمر اليونسكو

كتب الدكتور طه حسين فى الأهرام يقول إنه لا يحول بينه وبين العودة إلى مصر فى هذا الوقت ، إلا انتظاره موعد انعقاد مؤتمر اليونسكو ، الذى دعت إليه هذه الهيئة العالمية منذ مايو الماضى ، وانتدبت الدكتور طه حسين إليه باسمه لا بوصفه

وقد كان الدكتور طه ضيق الصدر فى خلال الفترة التى أعقبت إقالة الوزارة الوفدية فى يناير الماضى ، وكان يستحث الأيام لقرب موسم الصيف ، حتى يهجر مصر هجرته المحببة التى لا ينسى فيها مصر ، والتى تكون دائما موعدا بينه وبين الإنتاج الأدبى .. وقد حدثنى عميد الأدب ، أنه يصرف هذا الوقت الذى يقضيه فى أوربا عاكفا على القراءة والإملاء ، وأنه ما أن يقصد إلى فرنسا ، ويذهب إلى باريس ، حتى يسرع فيستقر فى إحدى الجبال التى يحب الحياة فيها ، وهناك حيث لا « تليفون » ولا اتصالات ولا زوار تقطع حبل الأفكار وتطغى على الإلهام ، وتفسد الوحى

وقد كنت أعلم أنه يعد فى موسمه هذا .. الجزء الثانى من كتاب « الفتنة الكبرى » التى كان للجزء الأول منه دوى أى دوى .. وكان الدكتور طه حسين قد أعد تقريرا مسهبا فى خلال شهر مايو الماضى ، أرسله إلى مؤتمر اليونسكو ، وهو الموضوع الخاص الذى سيتحدث فيه، وقد ناقش فكرة المذاهب الأدبية المختلفة فى «أدب الاعترافات» ، وخلاصة رأى الدكتور فى هذا الموضوع : أن الأديب إذا ما وضع يده على الورق ليكتب فإنما هو يحس أن من ورائه قارئا ، ولا يمكن مطلقا أن يكتب شيئا ليدخره لنفسه ، وعلى هذا الأساس وما دام هو يحس أن ما يكتبه سيذاع على الناس ، فهو يتجمل ، ويحاول أن يلبس الوقائع والاعتراف الثوب الذى يجعلها مقبولة لدى القراء ، وهذا « القبول » يختلف باختلاف الكتاب ، فمنهم من يحب أن يواجه الجماهير على طريقة جريئة مكشوفة أمثال جان جاك روسو، ومنهم من يحب أن يكون مقنعا كأندريه جيد .. وهكذا

وقد أكد لى الدكتور طه وهو يروى لى وجهة نظره فى هذا الموضوع أن أيا من الكتاب : روسو ، جيد ، أوسكار وايلد ، إنما كان ينظر إلى القارئ وهو يكتب فصول اعترافاته

أدب القصور

ظهر فى خلال هذه الفترة الأدب البغيض الذى كان قد اختفى منذ عهد طويل ، ذلك هو أدب القصور

كان الأدب قد تحرر من سلطان الأمراء والملوك والخلفاء ، وجرى طليقا ، على نحو من الوطنية والقوة والصراحة

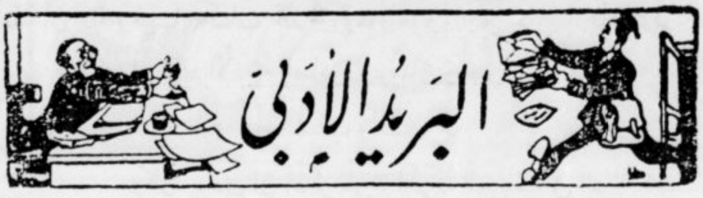
ولكن النفاق عاد فاستشرى ، فأصبح اسم الملك السابق ، يجرى فى كل قصيدة وفى كل مناسبة ، وبدون مناسبة على صورة لم ينلها عمر بن الخطاب ، ولا خالد بن الوليد ، ولا نابليون

وكانت مناسبات الأيام السوداء فى الميلاد والجلوس وغيرها ، تحفل الصحف والمجلات والإذاعة بتلك القصائد المصنوعة التى لا تصدر من القلب ولا من العاطفة الخالصة ، ولا من الإيمان العميق

وكانت هذه أدوات الزلفى ، وقاقم الراغبين فى الوصول إلى غاية أو غرض ، ونشرت دواوين ، وكتب ومؤلفات ، وحمل أصحابها أرقى الألقاب ، و... ومات هذا الأدب كله ، وانطوى ، وأصبح صفحة سوداء فى تاريخ الذين وضعوه .. وإن جاءوا بعد ذلك ليقولوا قصائد أخرى ، فى مدح العهد الجديد ... وبعد فنقولها كلمة صريحة : إن الشعراء الذين لوثوا أقلامهم فى آثام العهد الماضى ، وكذلك الكتاب .. يجب عليهم أن يتواروا ...

لا صدارة الآن إلا للأقلام النقية التى لم تلوث ، تلك التى احتفظت بطهارتها ونقائها فى وسط العواصف والأنواء

أنور الجندى



المصدر صحيح

صاغ الأستاذ المفتن « الزيات » رائعة من روائعه فيها جلال الذكرى ، وجمال الوفاء ، ومنها لطف العتب وحسن الاعتذار ، فقد ألفت مجلته الخالدة شتات الألوان فى ألفة « الألف » ودفعته الفرحة إلى التنويه ببلوغها بعد تبليغها، وساق تاريخها مساق الحقيقة، لكنه عنف حين عرض للخارجين على رسالته ونال منها حتى جعلها « معتلة .. » !

إن الاعتلال عرض عام يشترك فيه كل كائن ، لكنه حين يتناول المبادئ لا يبلغ هذا المبلغ ؛ فالمبدأ أخو العقيدة ، والعقيدة أصل الكيان ، والكيان لا يمكن أن يعتوره اختلال إلا إذا فسد أصل من أصوله ؛ وفساد الأصل يتحقق بتحقيق دواعيه ؛ وقد عاشت الرسالة ثلثى الألف وهى مسددة الخطا مبرأة من العيب بالغة الهدف ، راغبة فى الحق ، مرتغبة عن الباطل . فكيف يمكن الحكم باعتلالها وكيانها صحيح ؟

لقد قسا أستاذنا «الزيات» على رسالته لكنه نزيه فى قسوته . فلا شك أنها كانت ولا زالت ، ينبوعا فياضا تغترف منه النهى أصول المعرفة ، واتخذت طابعا يطبعها بالاتزان ، والوقار، والأناة، وحسن التأدى، وجودة التخير، وهى هى فى اتسامها بتلك السمات لا تنحرف ، ولا تنقاد ، ولا تميل مع الأهواء حيث تميل !

إن المشتق والمصدر فرع عن أصل، والأصل لازال سليما معافى لم يثقله غير الكفاح فى سبيل تحقيق المبدإ السامى الذى يدور حول سيادة لغة الضاد فى إعزازها ، والاعتزاز بها ، وهذا ممثل فى كل صفحة من صفحات الرسالة . إن مجلتك أيها الرجل الحصيف قد كفت عن الابتذال ، لأنها عفت عن المال ، وارتفعت بقوامها وقومها لأنها تأبى الإسفاف والانحراف ، فحسبك ماترى ونرى ، ترى إشعاعها ، ونحن نرى أضواء هذا الإشعاع !

بور سعيد — **أحمد عبد اللطيف بدر**

الفتاة وجور الجاهلية الأولى

نحن فى القرن العشرين ، ولكن يظهر أن الدنيا تغيرت وشمل هذا التغيير مخلوقات الله جميعا ماعدا الفتاة . فالفتاة لم تزل إلى اليوم أشبه بالتركة البغيضة، والسلعة البائرة، والمتاع المهين المهين . ويظهر أن للعقلية التى كانت تسيطر على أجدادنا منذ عشرات الأعوام فحسب ، كانت امتدادا لعقلية الجاهلية الأولى ، ولذلك نرى تصرفاتهم تصر على اعتبار الفتاة من سقط المتاع ، وكمية مهملة لا قدر لها ، وإلا فلم حرموها الميراث وأوقفوا أملاكهم على الذكور دونها ، كأن الله لم يخلقها لتعيش كريمة سعيدة وإنما خلقها لتهون وتشقى ، وتذوق الأمرين فى ظل شريعة العقول الرجعية الآسنة ؟ وإن تعجب فعجب لهؤلاء الأجداد المسلمين الذين كانوا يؤدون شعائر الدين ، ويفهمون تعاليم الإسلام كيف جاز لعقولهم أن تتنكر لنظام الشريعة العادلة ، وتتمرد على نظم قوانينها فى الميراث ، ولم تجئ هذه القوانين إلا وفق العدالة الاجتماعية . وكيف فات هؤلاء أن البنت أقرب الرحم إليهم ، وأن الله سائلهم عن هذه الرحم التى اشتق لها اسما من أسمائه ، ووعد بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها كما فى الحديث الشريف المشهور . أجل إن الله سائلهم عن هذه الرحم كما جاء فى الآية الأولى من سورة النساء

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا» لسنا ندرى كيف جاز لعقول هؤلاء الأجداد ، ما داموا مسلمين ، أن يتمردوا على الإسلام فيتنكبوا طريقه ، ويتمردوا على قوانينه العادلة التى اعتبرت الفتاة مخلوقا له وجوده وكيانه فأعلنت حقها فى الميراث بجانب الذكر ، وتوعدت المتمرد بغضب الله وشديد عذابه

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا » « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . » « تلك حدود الله ... ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

وبعد.. فنحن الآن فى موكب التحرير ، وأظن أن الفرصة قد سنحت لمحق هذه البدعة المقيتة ، بدعة حرمان الفتاة من الميراث،

هذه البدعة التى لا يقرها عقل ، ولا ترتضيها شريعة ، وأملنا أن ينالها التطهير فى هذا العهد المشرق الجديد

الإسكندرية نفيسة الشيخ

الصحافة الأدبية فى العراق

قرأت فى الرسالة النيرة (عدد ٩٩٨) كلمة قصيرة للزميل الأستاذ عبد القادر الناصرى عن « الصحافة الأدبية فى العراق » وكنت ، وأنا أطالع تلك السطور أتوقع أن أجد تحليلا دقيقا لصحافتنا الأدبية وأسباب تأخرها والعمد التى يمكن أن تقوم عليها نهضة أدبية شاملة .. ولكنى لم أجد إلا أمورا شخصية : اتصل به بعضُ شعراء البحرين والكويت والقطيف وعدن . . . واستفسروا منه ، وقابل بعضهم وتجادل معهم (وذكر أسماء من قابلهم) ... الخ ... ثم تطرق إلى موضوع امتياز مجلة أدبية طلب إصدارها ففشل وثمة توضيحات أريد أن أذكرها :

(١) ليس السيد الناصرى هو أول من قدم طلبا لإصدار مجلة ثم فشل، هناك كثيرون غيره قدموا طلباتهم ومازالوا ينتظرون، وهؤلاء لا يقلون كفاءة عنه ، وإخلاصا لما أقدموا عليه

(٢) وجه الكاتب لوما وتقريعا إلى السلطات التى لم تمنحه الامتياز ، وكان يجب عليه ألا يشغل نفسه ويتعبها بذلك . إننى لا أريد الدفاع عن مديرية الدعاية العامة عندنا ، عفواً ، فهى دائرة لاتعمل إلا بإيحاء من رجال الحكم ؛ وهى لاتعطى امتيازا لشخص إلا بعد أن يثبت تعلقه وإخلاصه لرجل من رجال الحكم ، أو الولاء لأية وزارة تأتى إلى الحكم ، ولكنى كنت أود ألا يهتم الزميل بتمثل لهذه الأمور التى أصبحت بديهية ومعروفة

(٣) قال (بعدم وجود مجلة أدبية راقية تمثل الأدب العراق المعاصر خير تمثيل تستحق أن تكون سفيرا بيننا وبين البلدان العربية الأخرى) وهذا صحيح ، وكان الأحرى به أن يذكر أن هناك مجلات تمثل الأدب العراق المعاصر ، صدرت ، ولكنها لم تر النور كثيراً ، وأن يذكر العوامل التى أدت إلى ذلك

(٤) أفهم من كلمته أن ليس فى العراق مجلة أدبية ، بينما كان الواجب أن يوضح ذلك مع ذكر الصحف الأدبية التى تصدر فى « النجف » هـذه الصحف التى تغالب الصعوبات وتقاوم « الاحتجاب » ! فجلة (الغرى) مثلا مجلة أدبية راقيـة ينشر فيهـا كتاب العراق ومؤرخوه ، وهى لا تقل نجاحا وقوة عن المجلات الأدبية الصادرة فى لبنان ومصر ؛ كما تعتبر (البيان) منبرا حرا لآراء الشباب وأفكارهم

وكان بودى أن أذكر تاريخ الحركة الصحفية فى العراق اعتبارا من عهد الاحتلال البريطانى حتى اليوم ، لولا أن ذلك يحتاج إلى شرح مسهب ووقت ليس قصيرا مما قد أفرد له مقالا خاصا فى وقت آخر .غير أن من الضرورى أن أبين العوامل التى يمكن أن تقوم عليها صحافة ونهضة أدبية مباركة :

(١) أرى أن العامل الأول هو توفير مطابع راقية تقوم بطبع الصحف الأدبية بأجور بخسة ، على أن تقوم بهذه المهـمة دور للنشر والطباعة يعتمد عليها . وهذا عامل له أهمية فى صحافتنا الأدبية التى تعانى غلاء الورق وأجور الطباعة الباهظة

(٢) رأس مال ضخم أو مناسب لإصدار صحيفة راقية يمكن أن تصمد طويلا أمام العقبات ، مع مساعدة (جمعية الصحفيين) لها فى حالة (الركود !) إذ الصحف الأدبية عندنا ليست كالسياسية اليومية التى تعتمد أكثرها على مساعـدات و (مخصصات سرية) تعينها على (البقاء) !

٣) تأليف الجمعيات للأدباء والشعراء وإنشاء النوادى لهم وجمع التبرعات والقيام بإصدار مجلة خاصة لهم

٤) إفساح المجال لأقلام الأدباء والشعراء وإنتاجهم ، وإعطاؤهم الحرية الكاملة للتعبير عن أفكارهم، وتشجيع الأكفاء منهم باستمرار ، ومساعدتهم بشتى الوسائل

٥) نتاج متين قوى ؛ وأحسب أن هذا موجود فى العراق فى أى وقت .. فهناك مواهب وقابليات كامنة ، لاتزال (بالقوة) ولم تخرج إلى الفعل بعد ! مع أهمية انصراف الأدباء والشعراء لأدبهم وفنهم ، والخروج من وظائفهم الحكومية التى تحد من نشاطهم وحريتهم

إن هذا لا يمنعنا من القول أن قيام نهضة أدبية ناجحة فى العراق ليس أمرا بعيدا ، بل على النقيض نجد الجهود اليوم تتضافر للعمل لخلق تلك النهضة . وفى رأيى أننا يجب أن نتفاءل فأمامنا طريق طويل يجب أن نعبده بأيدينا وجهودنا

بغداد فؤاد العلى



من الأدب الإيطالي

عدو ...

كان جالساً في حجرة المطالعة إلى نضد بجوار النافذة شارد اللب ، مشتت الخاطر ، يحدق في الفضاء المترامي أمامه لا يثبت شيئا ولا يحققه ، وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائره . كان كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب: « بيترو! بيترو ؛ أأستطيع الدخول؟» ثم .. ثم دفعت الباب في رفق وهي تقول : « أرجو أن تعيرني سمعك قليلا . سأقص عليك خبرا هاما » وتقدمت في هدوء وهي تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان المتكاثفة هنا وهناك : لقد أفرطت في التدخين يا بيترو ، وهو يهد من كيانك . لماذا تجلس صامتاً في الظلام ؟ وكان ثوبها الحريري الجميل يحف حفيفاً خفيفا ، وقرطها الماسي يشع نورا ؛ وكانت هي تبدو أنيقة جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر إلى زوجته وهو يبسم في تهكم ويقول : « لماذا رتبت شعرك بمثل ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفتاها وقالت : « إن شعري لا يلبث أن يتشعث، ولكن لابد للمرء أن يبدو أنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر»، وفي لهجة السخرية قال : « حقا . إن هذا اليوم عظيم . إن النواقيس لا تنفك ترن رنينها العذب ... »

واقتربت الزوجة رويداً رويداً من زوجها وقالت وهي تبسم في رقة وقد طرحت وراءها كل تهكمه : « أتعرف سالفيتي القانوني الشاب ؟ إن أمه كانت هنا اليوم ؛ أفهمت ما أعني ؟ »

فقاطعها الزوج في جفاء وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

« إنك تذكره تماما! القانوني الشاب! إنه يبدو أنيقا رقيقاً ! »

« أنا لا أذكره »

وفي الحق لقد كان بيترو يعرف الشاب ، ولكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تنتزع من بين شفتي هذا العنيد اعترافا ؟ فقالت الزوجة في رقة : «لا بأس فأنا موقنة بأنك ستذكره حين تراه. لقد أسهبت أمه في وصف ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والرقة والأنوثة و...ثم راحت تطلبها زوجاً لابنها الشاب في رجاء واستعطاف فوافقت، وسيزورك زوجها بعد..»

« وافقت ؟ أحقا ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « بيترو ، أي زواج خير من هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ! »

وانتفض الرجل كمن مسه طائف من الشيطان يرعد ويزأر هائجاً مضطربا « وكيف ؟ كيف استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟ أريد أن أعرف . . . وأنت . . . أنت التي لا تعرفين معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان لتندفع في طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم ! لقد سمحت لابنتك أن تحب رجلا لا أعرفه. لعلهما تراسلا أيضا ! ولعلك كنت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عيني ستار كثيف أسود ! »

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطار عنها ثباتها ، فغطت وجهها بيديها تخفي بعض خجلها ، وتستر ضعفها النسوي المنسكب من عينيها ، ثم راحت تنتزع الكلمات من بين شفتيها انتزاعا :

« لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أني أحمل إليك بشرى ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا اقترفنا ، وأي غرابة في ذلك ؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبه ، وبادله الآخر حبا بحب وغراما بغرام ؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم »

وكان الرجل ظالما ، وبدأ في جلسته مهموما مضطربا ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبل ، وكانت أفكاره تضطرم اضطراما ، وأحس كأنما يعاني ألما ممضا ، وحين كبح جماح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستخذاء ، واستيقظ ضميره يخزه وخزات شديدة تؤلمه ، كما آلمته أعصابه المضطربة من قبل. نعم لقد أحب سليليا وهام بها ، فسعى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم . . . ثم فاز بها بعد طويل عناء . أنها قصة غرام قديم . . . قديم منذ نيف وعشرين سنة ؛ ولكن الحقيقة لا تهزم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين ، أما قلبه فما برح شابا يؤمن بالحب ، ويحبوه بما في رأسه وبدنه معا ،

لذلك ... لذلك كان الرجل ظالما

وحين تراءى له فى خياله كل ذلك تقارظته الهموم فصاح : « سليليا ، أعصابى ! ... دعى هذا الأمر الآن ... »

وكفكفت المرأة عبرات الخيبة فى صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كئيبة تحدثها الحديث كله ، وتقف فى طريقها إلى أبيها الثائر خشية أن يقع فى أمر . وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسسكو عن العزف على البيان ، وتركت لوشيانا لعبتها ، وصمت بيبينو الصغير عن استذكار دروسه ، حتى الخادم المسكينة ، خففت من وطئها وهى تعد المائدة لئلا تزعج سيدها ...

وعلى المائدة جلس الجميع فى سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزعة وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة فى يدها فسقطت ، فى سذاجة الطفل التقطها بيبينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ، وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة . وغاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخمد هذه الزوبعة فى خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطاير شواظ يتقد وقال : « أعدى ملابسى ، سأسافر غدا إلى قريتنا .. قريتنا فالكونيتو » ، وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائرا بين الزوج المحنق وبين الفتاة وهى تتلق الصفعة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فأطرقوا فى حزن إلا بيبينو الصغير ، فقد لمعت عيناه بالفرح ... فرح التلميذ الصغير ينتظر الإجازة . . . فأشار إليه الأب : « أمسرور أنت لأننى ذاهب ؟ » فارتعد الطفل وقال « لا . لا يا أبى ، حقا لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له فى صوت ضعيف : « أتعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر فى هذا الأمر » فقال : « أى أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرفض والتحدى معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل فى فالكونيتو » ولكنه كان فى ثورته يبدو عنيدا فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر فى الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيما ! »

لم يكن العمل هو الذى دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التى فيه هى التى أرادته على أن يسئ إلى أهله

وصاحت الزوجة : « بيترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لايلوى على شئ . حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبناءه فى إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « أرأيت . . أرأيت أسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء ؟ »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج فى طريقه إلى القرية

* * *

جلس بيترو وحيداً إزاء المدفأة فى بيت قديم له بالقرية ، وخياله عند الجماعة الذين خلفهم هناك فى المدينة ؛ وبدت نفسه رفيقاً له يحدثه : « كأنى أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمغتبطة أنت يا إيلينا ؟ فتنطوى الابنة على هم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأنى بالأولاد من حولها يمرحون ويقولون : ما أجمل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الكابوس هذا الكابوس هو أنت ... أنت الذى لا يحبك أحد ، ولا يسر لمرآك طفل ... أنت الشبح المخيف ... إنهم يكرهونك ويمقتونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرت الأيام وأنت تورث الفكرة فى أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التى ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بعينى عقله ثمار القسوة والغلظة وهى مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع حلو الشمائل ، رقيق العاطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لمس هو الظلام فى كل شئ ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهى رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيعة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ماذا فى هذه الأعصاب الفانية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام فى هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هى النهاية ...!

وطلعت أيام الشباب فى خياله تذكره قصة الماضى . . فرأى أسرته جميعاً تنهد فرقا من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك

الأعصاب الطالمة التي وقفت سدا منيعا في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ خماراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكثر أبنائه من الدار لا يملك صلدياً يسد به الرمق ، وبيترو .. بيترو نفسه قاسي ويلات ما منته به هذه الأعصاب الطالمة . لقد كانوا يكرهون الأب ويمقتونه ، لما يرون فيه من الظلم والأنانية ، وكان بيترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لي ولدا فقسوت عليه بمثل هذا لخنقت نفسي بيدي هاتين .. »

أما الآن ... أما الآن فقد تراءى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعا ، وأحس بما يضمرون له من المقت والكراهية

ليته يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعا هادئا رقيقا ... وشغلته الفكرة وتصرمت أيام

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على المجيء ولكن . . . أنت مريض . . . أنت مريض حقا » ثم راحت تبكي في صمت

وكان هذا الصراع النفساني قد أنهك الرجل فهو ذابل ذاو شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « أنت . أنت . . يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراما لإيلينا ، يجب . . ولكنني أجد الراحة واللذة هنا ، وعندي هنا ما يشغلني ... يجب . . . لأن إيلينا سأكتب إليها »

وكتب :

ابنتي العزيزة ؛ أنا أوافق على زواجك من السنيور سالفيتي ، لك تمنياتي الطيبة وحبي الطاهر

« أبوك »

وناول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفي هذا ما يكفي ؟ »

قالت : « كفى .. ولكن بيترو ، ماذا وراء الباقي ؟ الجهاز . الناس . الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتغاضى الرجل عن حديثها حينا ثم نظر إليها وهو يقول : «إن القطار يتحرك في الثالثة تماما»

« وأنت ... ؟ »

« سأرافقك إلى المحطة »

وانطلقا جنبا إلى جنب وذراعا في ذراع والزوجة تقول : « تعال معي يابيترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك ! »

فقال الرجل في هدوء : «سأظل هنا مابقي لي من العمر لأنكم تشقون بي ، سأعيش هنا »

— « وحيدا ! »

«نعم، هنا ، إنني أريدكم هانئين سعداء»

— «وكيف.. كيف نكون سعداء وأنت هنا ونحن هناك يتامى وأرملة ؟ »

ثم راحت تندب حظها الأسود العاثر

قال : الرجل « إن كل من في الحياة يحمل قسطه من المتاعب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ فالفاقة والرذيلة والسقوط كل أولئك أعداء ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو.. هو أنا ، هذا ماأعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ماأستطيع أن أخرج عن طبعي هذا . . . عن قسوتي وغلظتي ، ولا أريد أن أبذر في أبنائي غراس العداوة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لعيني المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبعث إليك بفرنسسكو أو سالفيتي فهو فصيح اللسان قوي الحجة »

وراحت تودعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها تاريخ السعادة الأولى حين شبا حبيبين ، وهي تقول : « وسأرسل فرنسسكو يابيترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شيء لأنك أبوه » ثم صعدت إلى القطار

ورجع الزوج يتثاقل كأنما يحمل على ظهره حملا ثقيلا، وتراءى له ابنه الأكبر في الخيال يستعطفه ويرجوه ويجثو عند قدميه يبكي ويبكي ... فيصغي هو ، فيلين ، فيلبي ... ثم يرجع ويرجع معه العدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها في ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

***

وخرج فرنسسكو ليعود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبأ المفزع ... موت أبيه

ك . ج

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفا

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

أخرسوا هذه الأصوات الدنسة ... : للأستاذ سيد قطب ١٠٤٩
القيم الأخلاقية والوظيفة الحكومية : للدكتور عمر حليق ١٠٥١
هل كان الزهاوى فيلسوفا ... ... : للأستاذ محمد رجب البيومى ... ١٠٥٤
تاريخ النهضة الفكرية فى السودان : للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى ١٠٥٧
حركة التسلح الخلقى ... ... : « أحمد عوض ١٠٦٠
المعرفة بين الفلسفة والتصوف ... : « حسن محمد آدم ... ١٠٦١
السيد محمد كريم ... ... : « عبد الباسط محمد حسن ١٠٦٣
ابن عمى ... ... (قصيدة) : للشاعر المرحوم صالح شرنوبى ١٠٦٥
(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٠٦٦
(المسرح والسينما) — زكى طليمات المفترى عليه ١٠٦٨
(الكتب) — الإخوان المسلمون — تأليف الدكتور إسحق موسى الحسينى ١٠٧٠
(البريد الأدبى) — إلى الأستاذ محمد سالم الخولى — لا يعلم الغيب ١٠٧٣
إلا الله — تصويب — حول شوقية
لم تنشر — من عثرات الأقلام — سرقة
أدبية — شخصية الأسبوع — يهز
الجيش حولك جانبيه — هفوة ... ...
(القصص) — الحذاء المشؤوم — للكاتبة الإيطالية جرازيا ديلدا ... ١٠٧٥

20 me année No 1003

Le Caire 22 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

أخرسوا هذه الأصوات الدنسة

للأستاذ سيد قطب

« مهداة إلى وزير الدولة وضباط القيادة »

محطة الإذاعة المصرية لم تشعر بعد بأن هناك ثورة فى هذا البلد . وقد ظل إدراكها لمعنى الثورة محصورا فى إضافة بعض إذاعات جديدة إلى البرنامج العادى ، قائمة على جهد فردى بحت . لا على أساس انقلاب أساسى فى عقلية الإذاعة !

وهذا طبيعى . فإن العقلية المشرفة اليوم على المحطة هى ذاتها العقلية التى كانت تشرف عليها منذ نشأتها

ومكلف الأشياء ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

إن الأصوات الدنسة التى ظلت تنثر على الشعب رجيعها خلال ربع قرن من الزمان هى ذاتها التى تصبها الإذاعة على هذا الشعب صبا ، وتكثر من عرض أشرطتها المسجلة بحجة أن الجماهير تحب هذه الأصوات

والجماهير تحبها نعم ! كما أن هذه الجماهير تحب المخدرات ! ولكن واجبنا اليوم هو حماية هذه الجماهير من الأصوات التى تحبها كما نحميها من المخدرات التى تحبها كذلك . واجبنا هو أن نصون ضمائر الناس وأخلاقهم من التميع والشهوات المريضة ، — المعذرة للرجولة والأنوثة — التى ينفثها فى أرواحهم مخلوقات شائهة بائسة كعبد الوهاب ومحمد فوزى وفريد الأطرش وعبد العزيز محمود وليلى مراد ورجاء عبده وفايدة كامل وشهر زاد وأمثالهم .!

إن هذا الطابور المترهل الذى ظل يفتت صلابة هذا الشعب ويدنس رجولته وأنوثته ، هو المسؤول عن نصف ما أصاب حياتنا الشعورية والقومية من تفكك وانحلال فى الفترة الماضية

إن فساد فاروق وحاشيته ، ورجال الأحزاب ومن إليهم ، لم يدخل إلى كل بيت ، ولم يتسلل إلى كل نفس . أما أغانى هذا الطابور وأفلامه فقد دخلت إلى البيوت ، وأفسدت الضمائر ، وحولت هذا الشعب إلى شعب مترهل لا يقوى على دفع ظلم أو طغيان . وعبد الوهاب ينفث فى روعه أن الدنيا سيجاره وكاس !

إن هذه الأصوات بذاتها تكون جريمة وطنية ، وجريمة إنسانية ، بغض النظر عما تقول ! فلقد تحول هى ذاتها إلى ميوعة مدنسة حتى ولو كانت تنشد نشيدا حماسيا !

وهذا هو محمد عبد الوهاب يغنى أخيرا « نشيد الحرية » للأستاذ كامل الشناوى . فماذا صنع به ؟ لقد استحال فى حنجرته رجيعاً ضارعاً ؛ ووصل إلى ضمير الشعب دعوة خانعة إلى تهويمة مخدرة ! ومع أن تلحين النشيد من الناحية الموسيقية فيه جهد واضح ، ولكن الكارثة كلها تكمن فى طريقة الأداء الصوتية التى انطبعت بالشجن الضارع المترهل المحلول !

وعبد الوهاب رأس مدرسة ، والآخرون ليسوا خيراً منه بل هم شر . ولا سبيل لعلاج هذه المخلوقات الشائهة الزرية . لا سبيل

لعلاجها إلا بأن تخرس هذه الأصوات الدنسة إلى الأبد ، إذا أردنا أن نربى روح هذا الشعب تربية جديدة ، وأن نبث فيه حياة جديدة . وما كنا بمستطيعين من قبل أن نصنع هذا ، ولا أن نطالب بإخراس هذه الأصوات كلية — مهما كان الشعب يحبها — لأن العقلية العامة لم تكن تستسيغ هذا الطلب . وربما لا تستسيغه الآن كذلك . ولكن واجب الثورة يحتم عليها أن تفعله — مهما يكن فيه من اعتداء على حريات الأفراد — فواجب الثورة أن تحمى الناس من أنفسهم أحيانا . كما تحميهم من المخدرات . والمخدرات لا يمكن أن تفسد ضمير الشعب ، وأن تفتت تماسكه ، كما يفسدها فلم واحد ، أو أغنية واحدة من أغنيات هذا الطابور !

ثم نعود إلى محطة الإذاعة فنجدها توالى برامجها القديمة بعقليتها القديمة — فيما عدا تعديلات طفيفة قائمة على جهود فردية بحتة — كأن شيئا ما لم يحدث فى حياة هذا البلد

لماذا ؟ لأن الرجال الذين عاصروا مولد الإذاعة هم القائمون عليها حتى الآن . وأنا آسف حين أتعرض لأشخاص بأعيانهم . فالأشخاص لا يهموننى فى شىء ، لولا دلالة وجودهم على أن الثورة لم تصل بعد إلى محطة الإذاعة

خذ مثلا لذلك رجالا ، ردهم العهد الجديد إلى مراكز هامة فى محطة الإذاعة ، بينما هم عنوان على عهد لا ينبغى أن تظل له آثار فى العهد الجديد

كل من احتكوا بالإذاعة يعرفون كيف نال بعضهم رتبة « البكوية » فى سن مبكرة وكيف صعدوا الدرجات المالية وثبا

إن رتبة « البكوية » كان لها معناها ، ولها أسبابها فى مثل تلك العهود . ومع هذا فقد استطاع بعضهم أن يعود إلى الإذاعة ، وأن يطلق أبواق الثناء عليه فى كافة الصحف !

لماذا ؟ لمجرد أن المنافسة القائمة على الحظوة بالرضى الملكى السامى قد أبعدت قوما وقربت آخرين

ولكن أحدا لم يسأل ، ولم يعرف ، فيم كان هذا الخلاف ؟ إنه لم يكن قطعا خلافا على مبدإ ، ولا على حق من حقوق الشعب ، ولا على خطة ولا على فساد . إنما كان خلافا على الحظوة بلثم الأعتاب الملكية الكريمة !

ولم يقل أحد إن انتصار موظف على موظف فى هذا السباق يجعل أحدهما شريفا والآخر مجرما . ولكن بعضهم قال هذا . وجاء بالبعدين ليشرفوا على محطة الإذاعة من جديد ، فى العهد الجديد !

إننى آسف حين أضطر إلى لمس ذلك الموضوع الشخصى ولكن عذرى أنه عنوان على عهد يجب أن يزول

إن محطة الإذاعة يجب أن تنفض نفضا من أقصاها إلى أقصاها . إنها فى حاجة إلى تطهير من نوع خاص . فلم يبلغ الدنس فى جهة من جهات الدولة ما بلغ فى محطة الإذاعة . وإن جدرانها لو نطقت لأفصحت عن كثير ، مما لا يجوز نشره فى الصحف ، لا لأن القانون يحرمه ، بل لأن كرامة النفس البشرية تأبى الإفصاح عنه !

ولا سبيل للتطهير والأشخاص الذين عاصروا مولد الإذاعة وسايروها باقون فى مراكزهم بالمحطة . إن لهم صلات معينة بالوسط الإذاعى لا يمكنهم التخلص منها . وإن لهم سهرات معينة لا يمكنهم أن يتنازلوا عنها . وإن لهم ارتباطات معينة لا يمكنهم التنكر لها ، ومهما حاول الوزير المختص أن ينقى جو الإذاعة من الشوائب فإنه سيظل عاجزا عن الوصول إلى تلك الملابسات التى تتدخل فى عقود الإذاعة . وإلا اضطر إلى مراجعة ظروف كل إذاعة وهذا مستحيل !

وإن عقلية الإذاعة يجب أن تتغير ، فتنصرف إلى بناء أخلاق الشعب ومبادئه ومثله وأهدافه . وإلى بناء ثقافته وتفكيره وتعبيره ، وإلى تعبئة قوى الشعب وعزيمته وأطماعه وأشواقه وإلى دراسة مشكلاته وتوجيهه وجهة سليمة

وهذا لا يكفى فيه تعديل البرامج ، ولا تنحية فرد أو اثنين . إنما هو فى حاجة إلى تنحية عقلية ، وتنحية تاريخ

ولا حاجة إلى المساس بالموظفين جميعا لتحقيق هذه الغاية . فالمهم هو تطهير الرؤوس المشرفة . الرؤوس الموجهة . الرؤوس التى عاصرت الفساد وسبحت بحمده وانغمست فيه

إن الرؤوس وحدها هى المتعفنة فى هذا الشعب . وقد سار الفساد من أعلى إلى أسفل ، ولم ينتقل من أسفل إلى أعلى وكذلك يمكن أن يسير الإصلاح فى نفس الطريق

سيد قطب

القيم الأخـــلاقية والوظيفة الحـكومية

للدكتور عمر حليق

شغل المجمع الأمريكي للعلوم السياسـية والاجتماعية [1] فى إحدى حلقاته الأخيرة بموضوع هـام يتعلق بجوهر النظـام الديمقراطى الذى هو مقياس الرقى للشعوب الحية . فقد تختلف النظم الفكرية فى تحديد معنى الديمقراطية وأهدافها إلا أنها لا تختلف فى ناحية واحـدة على الأقل وهى نزاهة ومسئوليـة الوظيفة الإدارية مهما كان نوع الحـكم الذى يعيش عليه المجتمع

والذى دفع المجمع الأمريكى إلى الاهتمام بهـذا الموضوع هو الاستياء الشديد الذى أعربت عنه الأوساط الواعيـة فى الولايات المتحدة الأمريكية إثر الـكشف عن سلسلة من الفضائح فى دوائر ضريبة الدخل والتجارة ومؤسسات الإقراض الحـكومية التى توفر للزراع والصناع قروضا طويلة الأمد بفوائد زهيـدة فى حالات الضيق الاقتصادى ، وفى دواوين حكومية أخرى كانت مسؤولية بعض الموظفين فيها ونزاهتهم موضع الشبهات

وقد أحب المجمع أن يعين الحـكومة المركزية فى مواجهة هذه المشكلة وجعل حركات التطهير مستندة إلى دراسة علمية ترتفع عن مآرب السياسة الحزبية وأهواء ذوى النفوذ والمصالح . وقد عقد المجمع حلقة لدراسة القيم الأخـلاقية فى الوظيفة الحـكومية اشترك فيها نفر من أئمة العلوم السياسـية والاجتماعية ومن كبار رجال السلك المدنى وأعضاء البرلمان . وقد نشرت محاضر جلسات هذه الحلقة فى سجل استند إليه كاتب هذه السطور فى وضع هذا المقال فى آونة يشغل بها الرأى العـام العربى فى هـذا النوع من النشاط الاجتماعى

* * *

الوعى القومى فى المجتمعات الديمقراطية يفترض احـتراما وتقديرا لمسؤولية الحـكم والإدارة . وهذا يعنى أن نظرة النـاس إلى الوظيفة الحـكومية يجب أن تستند إلى نوع من الاحـترام شبيه بذلك الذى يحظى به أصحاب المهن الحرة من أطباء ومحامين وكتاب وعمـال ومدرسين ومن يعملون فى شتى أنواع العيش الشريف . فإذا اعترى السلك الحـكومى ما يدفع الناس إلى وصمه بغير النزاهة فإن الأساس الديمقراطى الذى يدعم الدولة والمجتمع يصبح معرضا إلى الانهيار

والوعى يستلزم يقظة مستديمة لمحاسبة المسئولين عن الأمانة الشعبية فى جهاز الحـكم والإدارة . فالمسؤولية الإدارية كانت منذ أقدم الأزمنة معرضة للاغراء ؛ وندر أن تجد مجتمعا من المجتمعات القديمة أو الحديثة خلا من هذه المحاسبة . وقد تتخذ هذه اليقظة طابعا حزبيا فى بعض الحالات إلا أنها على وجه العموم تستند إلى طبيعة السلطة وطبيعة السلوك الإنسانى وإلى تأصل القيم الأخلاقية فى المجتمعات مهما تراكم على هذه القيم من الأطمار البالية

إذن فتعريض القيم الأخـلاقية فى الوظيفة الحـكومية إلى المحاسبة الحزبية أوالشعبية مسؤولية ديمقراطية ، وحد اجتماعى مها صاحب هذه المحاسبة من نزوات السياسة ومآرب الذين يصطادون فى الماء العـكر

وقد وجد أعضاء المجمع الأمريكى للعلوم السياسية والاجتماعية أن دراسة القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحـكومية اجتهاد يتطلب أكثر من الأمانة العلمية — يتطلب لباقة وسعة صدر تأخذ بعين الاعتبـار نقاط الضعف فى الطبيعة البشرية ؛ وتشعب المسؤولية الحـكومية وتعرضها إلى ضغط أو إغراء أسبابها فى تضـارب المصلحة الشعبية العامة مع المصلحة الخاصـة لأرباب النفوذ من علية القوم أو من أرباب المصالح الاقتصادية والسياسية ؛ ومن ثم يتيقن من أن مصادر الشبهات التى تحوم حول المسؤولية الحـكومية المتهمة ليست مصادر مغرضة . فحقائق هذه الشبهات قد تضيع فى كثير من الحالات فى ثنايا الاجتهاد الخاطئ الذى تنشره الصحافة فى الرأى العام لأسـباب تتعلق بفن السبق الصحفى ونفسية القـارئ وإدراك الصحفى للعوامل المثيرة التى تستجلب انتباه القراء . والناس أميل إلى أن تحمل نوعا من الحسد الدفين لذوى السـلطان ومن هم فى مركز إدارى مسؤول ،

---

[1] The Academy of political and Social Ssfences
حلقة مارس ١٩٥٢

والناس أميل إلى تناقل الأنباء السيئة منهم إلى التحدث عن الأمور الحسنة التى ينظر إليها الناس على أنها من تحصيل الحاصل لا تتطلب تعليقا

ومقاييس القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحكومية هى مقاييس غامضة لا يمكن بالضبط تحديدها على أساس مثالى صادق . فأكثرنا يميل إلى وزن هذه القيم الأخلاقية بمقاييس معينة منها الاختلاس أو الرشوة أو ما شاكلها من أنواع المنفعة المادية . ولكن سوء استعمال المسؤولية الحكومية لا تقتصر على مثل هذه المقاييس فقط ، بل يدخل فى نطاقها الوساطة الشخصية لمآرب لا صلة لها بمنفعة مادية للوسيط أو للموظف المسؤول . وهذا يعنى أن وزر الاعوجاج يقع على الطرفين . ومن الصعب فى مثل هذه الحالات تحديد القيم الأخلاقية إذ أن فيها تقاربا بين مسؤولية الصداقة الشخصية (وهى من القيم الأخلاقية العامة) ومسؤولية الإدارة والحكم

ومن النقاط الطريفة التى أثارها أحد أعضاء المجمع الأمريكى فى معرض تحديده لمقاييس القيم الأخلاقية فى المسؤولية الإدارية إشارته إلى أن هذه المقاييس تختلف باختلاف الزمان والمكان والمجموعة الإنسانية التى تنفذ فيها المسؤولية الإدارية

ففى المجتمع الريفى الشرقى مثلا تتخذ رشوة صاحب المصلحة للموظف المسؤول طابع « الهدية » والاعتراف بالجميل والود الخالص والاحترام والتقدير . وهذا النموذج من نماذج السلوك الريفى يتخذ فى المدن لونا مغايرا . فصاحب الحاجة فى العاصمة حين يقدم للموظف « هدية » نقدية كانت أم غير ذلك يدرك تمام الإدراك أنه يتعمد رشوة الموظف المسؤول . فطابع هذه الرشوة لا يوحى إلى صاحب الحاجة باحترام الموظف أو الاعتراف له بالجميل والشكر والتقدير . والموظف نفسه لا يفترض هذا الاحترام . وبين هذين السلوكين الريفى والحضرى (ممثلا فى عاصمة الدولة) يوجد نموذج ثالث هو بين هذا وذاك . فى المدن الصغرى يشترك الموظف المعوج مع صاحب الحاجة فى تعيين نوع « الهدية » وكلاهما يعلل نفسه بأن هذا التعامل نوع من العادات الاجتماعية ليس طابعها ارتشاء محض أو أمانة مطلقة . وعلى ذلك فإن الصلة بين الموظف المعوج وصاحب الحاجة فى هذا النموذج من السلوك المدنى صلة « تجارية »

وهكذا نرى الصعوبة فى تحديد مقاييس القيم الأخلاقية للوظيفة الحكومية والوعى المدنى ما دام للعوامل الاجتماعية ولنماذج السلوك صلة وثيقة بهذه المقاييس — صلة تتعارض فى بعض الحالات مع النظرة الأخلاقية الصرفة

والعلاقة بين المسؤولية الحكومية والوعى المدنى ذات صلة بجدل قديم العهد بالفلسفة وعلم الاجتماع . فمن قائل بأن عناصر النزاهة والأمانة فى الفرد قد يقدر لها أن تظل خالية من الشوائب لولا تعكير المجتمع الفاسد لها ، على اعتبار أن للمجتمع شخصية « فردية » مستقلة عن شخصية الأفراد الذين يشكلونه . ومن قائل بعكس ذلك

فالنظرية التى تعتبر الإنسان فاضلا فى فطرته معرضا للفساد حين يتأثر بالصلات التى تفرضها عليه علاقته الأبدية بالمجتمع — هذه النظرية تتلخص فيما يلى : كلنا معرض للخطيئة ؛ وأكثرنا تعرضا أولئك الذين لهم نفوذ وسلطان . وقد يقدر لنا أن نعصم أنفسنا عن الحرام لولا أن طبيعة النفوذ والسلطان التى توفرها الظروف لبعضنا تجعله عرضة للاغراء وهدفا مستمرا له

ثم إن هناك النظرة الميكيافيلية لمسؤولية الحكم ، ولمقاييس القيم الأخلاقية . وهذه النظرة لا تزال تشكل عنصرا هاما من عناصر السلوك السياسى والإدارى فى كثير من المجتمعات والنظم — ديمقراطية وغير ديمقراطية — على رغم أن الجميع يرمون ماكيافيلى بالكفر والإلحاد السياسى . ونظرية ماكيافيلى تقول بأن رجل الحكم حين يوكل إليه تنفيذ مسؤولية إدارية يشعر بأنه ملزم بأن يفعل ذلك فى ظروف تستوجب مراعاة نواحى الضعف والقوة فى الطبيعة البشرية ؛ فليس من الحكمة والصواب — فى رأى ماكيافيلى — أن نزن رجال الحكم بمقاييس أخلاقية مستمدة من نظريات مثالية ينقصها الاختبار العملى بطبيعة السلوك الإنسانى فى مادته الخام . فما دام رجل الحكم قد تولى المسئولية ومارسها برضى الناس فلا مفر له من أن يعالج الأمور ونصب عينيه أهواء الناس وحقائق طبائعهم البشرية ، وهى حقائق لا تقاس فى بعض الحالات بمقاييس القيم الأخلاقية

الفاضلة ، والنظريات المثالية الرفيعة . ويرى — ماكيافيلى — أن رجل الحكم وصى على أمور الناس ، فإذا واجه ضغطا من بعض هؤلاء الناس لتنفيذ غير ما نصت عليه الشرائع والأمانة الإدارية فإنه يفعل ذلك تلبية لأهواء هؤلاء النـاس أو على الأقل أهواء نفر منهم ذوى حول وقوة ونفوذ . والنفع الذى يجنيه رجل الحكم حين يحيد عن القانون المدون فى أغلب الحالات أقل فى ناحيتها المادية من النفع الذى يجنيه الحزب أوالوسيط أوصاحب الحاجة .

وعلى ذلك فإن عواقب الاعوجاج فى السلوك الحكومى تقع فى أغلب الحالات على صغار رجال الإدارة لأنهم لصغرهم (فى النفوذ والمكانة والدخل) أميل إلى تقبل الإغراء فى صفقة يكون النصيب الأكبر من الربح فيها عائدا على صاحب الحاجة . وهذا الاعوجاج إذا مارسه كبار رجال الإدارة والحكم كان نفعه عليهم أعم واستفادتهم منه أعظم

ورجل الحكم الذى يفوز بحصة الأسد من سوء استعماله للأمانة الحكومية يكون عادة رجلا نافذ المكانة مهابته تفوق أهمية الوظيفة الحكومية التى يشغلها . وصاحب الحاجة من أفراد الأمة حين يحاول أن يتغلب على الأمانة والنزاهة الحكومية يعلم أنه يرتكب نوعا من الجريمة عقابها كامن فى طبيعة الصفقة ؛ وهذا الارتكاب يفرض على صاحب الحاجة المغامرة والإقدام . والمقامر لا يرضى عادة بالربح الطفيف ويترك حصة الأسد الموظف الذى اشترك معه فى الإجرام . فإذا كان هـذا الموظف ذا مكانة ونفوذ (اجتماعى أو سياسى أو مالى) تفوق حدود وظيفته كان نصيبه فى النفع من الصفقة نصيب الأسد

وهكذا يتبين لنا حقيقة طالما تجاهلها النـاس فى معرض حديثهم عن الاعوجاج فى الخدمة المدنية ومن الانحلال فى القيم الأخلاقية لبعض رجال الإدارة والحكم ؛ وهى أن وزر الاعوجاج فى تنفيذ الأمانة الشعبية يقع قسطه على الموظف وعلى صاحب الحاجة من المواطنين . والقسط الأكبر من النفع الذى يضيبه الموظفون المعوجون يذهب إلى « الكبار » بينما الوزر يقع فى الغالب على صغار المسؤولين الذين أساءوا استعمال الأمانة

وإلى أن يدرك المواطن أن الوزر فى سـوء استعمال الأمانة الحكومية يقع عليه كما يقع على الموظف المعوج — كبيرا كان أم صغيرا أم متوسطا ! — فإن دراسة القيم الأخلاقية ومحاسبة الوعى المدنى لها ستظل عديمة الجدوى . ومع أن القـانون يدين كلا الطرفين بالإجرام إلا أن الرأى العام يميل إلى تركيز التهمة على الموظف ويتجاهل اعوجاج المواطن ، وكما أنك لا تستطيع أن تقدر القيمة الفنية للصورة الجميلة إلا إذا كان لديك استعداد ثقافى معين فإنك لن تستطيع أن تقدر شناعة الانحلال الخلقى فى الوظيفة الحكومية إلا إذا أشركت المواطن المعوج فيها ووفرت لنفسك ثقافة « مـدنية » تعينك على إدراك الصورة الكاملة لشناعة الإجرام . وهذا ما يتطلبه الوعى المـدنى الصادق فى المجتمع السليم

نيويورك

عمر حليق

هل كان الزهاوى فيلسوفا؟

للأستاذ محمد رجب البيومى

قرأت المقال الرائع الذى كتبه المستشار الفاضل الأستاذ محمد سالم الخولى عن أثر « الرسالة » فى الأدب الحديث، وقد اغتبطت كثيرا بما نم عليه من رأى صائب، واطلاع دائب، وذوق سليم. وليس ذلك عجيبا، فالأدب يمت إلى القانون بأوشج الصلات وآكدها، فهو عدة المحامى اللسن ينمق به الدفاع، وسلاح القاضى المتمكن يدبج به الحيثيات، ولن ترى فقيها مرموقا لايستند إلى بلاغة الحجة وقوة البيان

وقد لاحظت أن الأستاذ يقول عن الزهاوى رحمه الله أنه الفيلسوف الشاعر وليس الشاعر الفيلسوف! وذلك قول تختلف فيه الآراء، ويفسح مجالا للمناقشة والتعقيب، إذ أن الشاعرية أصل فى جميل، قام عليها بناء مجده وخلوده، وكان للفلسفة ظلال خفيفة تتراقص فى أبياته ومقالاته، ولكنها لا تصبغ إنتاجه بطابعها الدقيق، فظل الزهاوى طيلة حياته شاعرا يتشوف إلى الفلسفة، وقد يوجد من ينعته بالشاعر الفيلسوف على ضرب من التجاوز يدفع إليه الإطراء والتقدير، وقد يكون هذا مقبولا جائزا، أما الذى لا يقبل بحال فهو أن يكون الزهاوى فيلسوفا شاعرا كما ذكر الكاتب الكبير

وحين نتعرض لجلاء هذه الحقيقة نذكر أن كلمة « الفلسفة » قد فقدت مدلولها الصادق عند كثير من الناس، فأنت تجد من يطلقها على كل مبهم غامض من القول، ومن يقف بها عند البحوث الشائكة التى تتعلق بالقدر والإله وما وراء الطبيعة، كما تجد من يطلقها على الحكم السائرة، أو الأمثال العابرة، حتى جاز أن يكون شعراء الحكم والمواعظ فلاسفة متأملين، ولو علمنا أن الفلسفة هى البحث عن حقائق الأشياء فى شتى مناحى الكون، لاتضح لدينا أن كثيرا ممن نزعمهم فلاسفة شعراء، لا يصدق عليهم الزعم فى قليل أو كثير

ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن — مرة واحدة — علما — كما يقول الأستاذ مهدى علام [1] — فى أساطير القصاص، وشعر الشعراء، وأقوال الحكماء، ثم اجتازت هذه المرحلة على جسر من أنصاف الفلاسفة، حتى وصلت إلى أيدى أساتذة الفكر وسادة العقل البشرى فأصبحت ذات مذاهب دقيقة، ومدارس متشعبة تكد الأذهان وترهق العقول

فهل كان للأستاذ الزهاوى مذهب خاص يدعو إليه، ويقيم الأدلة على صحته،، حتى يكون فيلسوفا يتبوأ مكانه بين الفلاسفة الخالدين؟!

إننا نبحث فى إنتاجه — النثرى والشعرى معا — فلا نجد غير مجموعة متناقضة من الآراء، وقسطا وافرا من الشكوك العقلية، لا تجد من يذهب بها إلى الجزم واليقين، والشاعر حائر مضطرب لا يدرى بأى رأى يتمسك، وإلى أى سبيل يتجه، فهو من هواجسه فى ليل دامس لا يشرق فيه بدر منير، وقد دارت أكثر شكوكه حول الموت وما يعقبه من فناء أو خلود، فأكثر من الحديث فى ذلك دون أن يجزم برأى يظهر اتجاهه، ويكشف عقيدته، فقد تقرأ له القصيدة فتظن أنه من الماديين الذين ينكرون خلود الروح، فإذا انتقلت إلى قصيدة أخرى رأيته يتشبث بالفكرة الإسلامية فى الخلود والبقاء، ثم تقرأ قصيدة ثالثة فتجده فى حيرة دامسة بين الرأيين السالفين، يذكرهما فى شك وتردد، دون أن يعتصم برأى خاص يجهر به، ويصرح باعتقاده، وما هكذا الفيلسوف الصادق، بل إنه صاحب المذهب الفكرى الذى يقيم بناءه على دعائم قوية من الأدلة والبراهين، وقد نلاحظ صلات واضحة بين ما قاله أبو العلاء وما نظمه الزهاوى، فكلا الرجلين عريق فى هواجسه وظنونه، ينفى ويثبت، ويلحد ويستغفر، ويجزم ويتردد، وقد أطلق المؤرخون على المعرى ما أطلقه المحدثون على الزهاوى، فكان الأديب الفيلسوف، على ضرب من التجاوز، ولم يكن الفيلسوف الأديب، وأذكر أن الأستاذ أمين الخولى قد كتب كتابه « رأى فى أبا العلاء » ليجرده من الفلسفة، ويقصرها على أصحابها المفكرين، وقد ذكر مجموعة كبيرة من لزوميات أبى العلاء، تظهر تناقضه الصريح فى جميع ماذكره من المعانى والآراء.. فهو يقول فى الموت

(١) فلسفة المتنبى : للأستاذ مهدى علام

والقدر والروح والإله وغيرها أشعارا متضاربة ينقض البيت أخاه، والكلمة سابقتها، حتى لا يستقر بقارئه على موضع، ثم خرج الأستاذ الخولى بالنتيجة السافرة التى تنفى أن يكون من التناقض والاضطراب والتردد والحدة مذهب فلسفى يدعى صاحبه بالفيلسوف

وسنفحص أقوال الزهاوى على ضوء ما كتبه الأستاذ فى أبى العلاء لنصل إلى ما وصل إليه من نتائج، وحين نفعل ذلك لا نظلم الزهاوى فى شىء، بل ننصفه من الفلسفة وننصف الفلسفة من أناس فهموها على غير وجه صحيح، فلقد حسب كثير من القراء فى عصرنا الحاضر، أن كل كلام يقال فى القدر والحياة والموت يمت إلى الفلسفة بنسب عريق، ومن ثم فقد ظهر لدينا ألوف من الشباب، يتساءلون فى قصائدهم عن سر الحياة، ورهبة الموت، ومن أين نجىء؟ وإلى أين نذهب؟ ويملأون أبياتهم بالدهشة والارتباك والذهول، ثم يحسبون بعد ذلك أنهم فلاسفة شعراء، مع أن هذه الأفكار التى تجد مجالها فى عقولهم كثيرا ما تتردد فى أذهان العامة والأميين، فهل صار هؤلاء جميعا بتساؤلهم الحائر فلاسفة مفكرين؟! كلا أيها القوم فالفلسفة لا تستند إلى الأوهام والتناقض، ولكنها تستند إلى الجزم والثبات، ونحن نعلم أن من الفلاسفة من بنى فلسفته على الشك فى الحقائق، ولكن الشك شىء، والتناقض والتردد شىء آخر دون نزاع

ولابد لنا أن نذكر مثالا من شعر الزهاوى يوضح قلقه الذهنى، وتبلبله النفسى، وتردده فى مجاهل اللوعة والحيرة، وأقرب شاهد لدينا ما ذكره فى مصير النفس بعد الموت، فقد أطال فى ذلك إطالة تدعو إلى السأم والاستخفاف، وما تكاد تقرأ له قصيدة حتى تستشف أوهامه الحائرة، وهواجسه المضطربة، فوجه بذلك أذهان الشبيبة الشاعرة إلى ما عرفوا فيه من التخرص والظنون، وأصبح المتأدبون من بعده ينهجون نهجه، زاعمين أنهم مثله، فلاسفة شعراء! وقد ارتاع أستاذنا محمد فريد وجدى لهذه النوازع الإلحادية، متى تسممت بها قصائد الشباب فى فترة من الزمان، فكتب إلى الأستاذ الزهاوى خطابا مفتوحا، على صفحات جريدة السياسة (وقد كانت مسرحا للنوازعه المادية) يرجو أن يناقشه نقاشا علميا أمام القراء لتتضح الحقيقة للعيان بعد الجدل والتمحيص، فاعتذر الزهاوى ولم يجد لديه من الأسلحة العلمية ما ينازل به فريد، وعلة ذلك واحدة، فالشاعر إذا نظم قصيدته لا يتقيد بمنطق دقيق بل يرسل آراء فى جو شعرى يستثير العاطفة والانفعال، ويحيطه الوزن العروضى بضرب من النغم الموسيقى الخلاب! أما الكاتب فملزم بمقارعة الحجة ومناهضة الدليل، ولن ينقذه من الحقيقة بيان ناصع، ولفظ رشيق

لقد قال الزهاوى فى فناء الروح

يقولون إن النفس حق وجودها	فلا ينبغى إنكارها وجحودها
فقلت لهم هذا جميل وعله	خيالات عقل شارد لا أريدها
ولم يكن الإنسان إلا ابن غابة	على فجأة قد أنجبته قرودها

فماذا يرى القراء فى هذه الأبيات، إنها مثال من عشرات الأمثلة التى تؤكد فناء الروح، وقارئ الزهاوى يجد نظائره فى دواوينه، ورباعياته، فهل استقر الشاعر على هذا الرأى لندرك نزعته المادية، ونضمه إلى فريق معين من الناس، كلا، فالشاعر يعلن ما يناقض ذلك حين يقول

فيانفس سيرى فى الفضاء طليقة	فلا شىء فيه للنفوس يعوق
لأنت شعاع طار عن مستقره	وكل شعاع بالبقاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة	وأما بأرواح فليس تحيق

فما رأى القراء مرة ثانية فى هذا القول؟ ألا يقف من سابقه موقف النقيض! على أن الشاعر لا يريح نفسه بعد ذلك، بل يفعمنا بوابل من التردد المتذبذب بين هذين المثالين، فهو يعلن مرة ثالثة خفاء مذهبه بين القول الأول والقول الثانى، ويجهر بأن الدليل يعوزه فى ترجيح أحدهما على الآخر، ويغرق فى شكوكه واضطرابه، فهو من هواجسه فى بيداء مجهل تتقاذفه الكثبان والأودية وتشرد به التعرجات والسهوب

وإنك لتلمس اضطراباته وبلبلته فى مثل قوله

قالوا وراء الموت أهوال ولم	أحفل بما قالوا ولم أتيقن
ولعل هذا الموت يتبع رحلة	للروح خالدة وراء الأزمن

وقوله

إنى ملم بأخبار الحياة وما ... عندى سوى الظن علم بعدها خبر
ما بال ليلتنا سوداء حالكة ... فهل تقدر ألا يطلع القمر

وقوله

أتحسب أن النفس بعد منيتى ... تطير بهـذا الجو شبه قطاة
أم النفس من بعد المنية ريشة ... تقاذفها الأرواح فى فلوات
أم الروح بنت الكهرباء مصيرها ... إلى هدران أفلتت وشتات
على أننى ماض إذا صاح بى الردى ... وآت ، وماض بعد ذاك وآت
خلال دهور مالها من نهاية ... بسلسلة موصولة الحلقات

والأمثلة السالفة وأكثر هواجس الزهاوى لا تخرج عن قول أبى الطيب المتنبى

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإذا جاز لنا أن نعتبر المتنبى فيلسوفا ، فالزهاوى إذن فيلسوف !

وقد كان الزهاوى حينا من الدهر أستاذاً للفلسفة بالآستانة ، فمن المؤكد أنه درس كثيرا من الآراء الفلسفية ، ومدرس الفلسفة لا يكون فيلسوفا ، وإلا فجميع أساتذتها بالمدارس والمعاهد والكليات فلاسفة مفكرون ، ولن يصدق هذا أحد من الناس وقد يقول قائل إن الزهاوى قد ألف كتبا علمية هامة ، ونشر فى المقتطف والمقطم أبحاثا طبيعية ، ونحن نعترف أن هذه الكتب تضع الزهاوى فى صفوف العلماء لا الفلاسفة ، وتنبئ عن جدارته العقلية ، وملكته الفكرية ، كما أنها لم تخل من مطاعن تتجه إلى دعائمها الثابتة فتحيلها إلى أنقاض ، فكتاب « الكائنات » مثلا يقوم على أن الأثير أم الكائنات تتولد منه القوى البسيطة ، فترتقى إلى أن تكون مادة ، والمادة ترتقى إلى أن تكون عناصر ، والعناصر ترتقى وتتركب فتكون أحياء منها الإنسان والحيوان ، وغير خاف أن الأثير شئ افترضه العلماء افتراضا ، فكيف يكون نواة الحياة والأحياء فى هذا الوجود ، وكتاب الجاذبية للزهاوى يطلعك على عجائب وهمية تتصل بالدماغ والإشعاع والنور والتصور ، وقد أكون ممن لا يستطيعون الحكم على أقوال الزهاوى العلمية ، فلست ممن يتعمقون فى البحث الطبيعى ، ولكنى أقول إن الزهاوى قد أثبت بكتبه فى الطبيعة أنه عالم لا فيلسوف ، ويجمل أن نشير إلى بحث هام نشره الأستاذ محمد فريد وجدى بمجلة الأزهر سنة ١٣٥٦ ، مؤيدا بالأدلة التى تجرد الشاعر من الفلسفة دون تحيف أو إنقاص

لقد كان الزهاوى شاعرا فحلا بطيل القول فيجيد ، وهو من كبار المجددين الذين سنوا للشعر مناهج طريفة وطرائق جديدة؛ كما كان صاحب رسالة إصلاحية فى المجتمع يدين بها ويكافح عنها ، وقد قاسى بسببها آلام السجن والاغتراب ، ولن يضير مجده الأدبى ألا يكون فيلسوفا ، فهو من أدبه الرفيع فى قمة عالية وحصن منيع

محمد رجب البيومي

عرض سريع عن

تاريخ النهضة الفكرية في السودان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

إذا أردنا التحدث عن تاريخ النهضة الفكرية فى السودان فإننا لا نجد بأيدينا من الأدلة ما يكفينا للاستدلال على المعالم الواضحة التى تنير لنا الطريق أو توصلنا إلى الحجة ، فالخطوط الرئيسية مطموسة المعالم يكتنفها الغموض ويحيط بها الضباب من كل جانب؛ فنحن إذن نسير فى سبيل ملتاث وفى ظلام دامس غير منار ، ذلك لبعد الشقة بين الأمس واليوم ، ولانعدام الصلة بين الماضى والحاضر ، ولعدم وجود رابطة بين العهدين القديم والحديث ، وستظل الحلقة مفقودة إلى أن يهيئ لها الله باحثا سودانيا ينقب بجد ليكشف لنا السر المختفى وراء أطلال الماضى البعيد

وإذا أردنا الرجوع إلى الماضى فليس لدينا ما يثبت صحة قولنا غير أحاديث يتناولها الناس فى مجالسهم الخاصة ، يقتلون بها الوقت أو يتسلون بها لينقلها الخلف عن السلف ، وهى أشبه ما تكون بأحاديث الرواة فى العصور الأولى من صدر الدولة العباسية .. وهذه الأحاديث ينقص بعضها الثقة وبعضها السند .. على أننى تمكنت بواسطة اتصالاتى ومراسلتى مع إخوانى أدباء وشعراء السودان أن أجمع مادة لبحثى هذا الذى أقدمه للقراء ، وخصوصا أبناء البلد الشقيق ، راجين منهم إيضاح ما فات عنى ، ولاستدراك ما قد سهوت عنه

بدء النهضة

تبدأ النهضة الفكرية فى السودان منذ العهد التركى أى منذ سنة ١٨٢٠ م ، وكانت الثقافة آنذاك تحبو وتتعثر ، إلى أن هاجر بعض أبناء الجنوب إلى مصر والتحقوا بالأزهر الشريف حيث أتموا دراستهم ثم عادوا إلى بلادهم يحملون طلائع نهضة جديدة ، ولكن مهمتهم كانت مقتصرة على الوعظ والإرشاد والترنم بالمدائح النبوية ، ونظم كل ما له علاقة بالدين الإسلامى . على أن ذلك لم يمنع من التفاخر بالأمجاد . وكانت الحالة آنذاك فى السودان غير مستقرة ؛ فالعصر عصر حروب واستبداد ومظالم وإرهاب وثورات داخلية وانحرافات خلقية ، بل كانت الفوضى منتشرة فى القطر ، فمن فتك إلى سلب ونهب إلى تخريب إلى إقطاعية شاذة وعسف لا يطاق ، وكيف تستقر الأمور فى بلد كالسودان إذا كان الجهل باسطا جناحيه على السكان ، والوعى القومى فى مهده ، والشعور بالحرية مقبور . فلهذه الأسباب لم تكن العوامل آنذاك مشجعة للنهوض بالأدب ، لأن الطغيان التركى كان يحطم كل شئ ويسيطر على كل مرافق البلاد ، حتى اللغة العربية كانت متفككة الأوصال ، يكاد الدود العثمانى اللعين ينخر جسدها المنهوك ويخترم عمرها وهى فى الشباب

وظل السودان على هذه الحالة من العسف حتى سئم الناس الظالم ، فولد الثورة فى النفوس التى تمخضت عن انقلاب شامل قامت على أثره حكومة المهدى — المهدية — التى ظلت تحكم البلاد زهاء ستة عشر عاما ، إلى أن تم الفتح الأخير على أيدى الإنكليز والمصريين فى سنة ١٨٩٨ م ، إذ أبرمت الاتفاقية الثنائية لحكم السودان على النظام الحاضر

ورب قائل يقول : إذن كيف كانت الاتجاهات الفكرية فى العهد «المهدوى» ؟ أقول : لم تكن هناك اتجاهات أدبية وفكرية بالمعنى المفهوم الواضح نستطيع أن نتحدث عنها أو نسجل بعضها ؛ إذ كل ما وصل إلى أيدينا من نتاج ذلك العهد هو أن الأدباء والشعراء كانوا يقصرون إنتاجهم الفكرى على المدح والتغنى بالأمجاد ، وكل ما نظموه لا يتعدى حدود الدين والشريعة ، وقد كان أكثر شعرهم نظما شبيها بألفية ابن مالك ومدائح البرعى فى الرسول الأعظم

وهكذا استمرت الحال حتى دارت عجلة الزمن دورتها البطيئة إلى أن وقفت أمام عام ١٩٢٤ م ، حيث تمخضت البلاد عن ثورة أخمدت فى مهدها ، ولا أريد أن أتحدث هنا عن الثورة ،

أشكر الأستاذ الشاعر عبد الهادى مراد محمد ، على المعلومات القيمة التى كانت نواة هذا المقال

ولـكنى أحب أن أعرج على نفسية شباب ذلك العهد الذى يعتبر نقطة تحول بالنسبة للسودان من جميع النواحى ، وإيضاحا للحقيقة نقول : إن ذلك العهد بشبابه المتوثب الثائر ، كان فترة انتقال من عهد الجهل والخمود إلى عهد اليقظة والعلم والمعرفة

ففى تلك الفترة كان اتصال السودانيين بمصر الشقيقة وثيقاً ، حيث أخذت الـكتب والمؤلفات المصرية تغزو الأسواق فتتلقفها أيدى القراء ، وتقبل عليهـا النفوس فى لهفة وشوق لتروى عطشها إلى العلوم والمعارف ، وفى الحق أننا نستطيع أن نقسم ذلك العهد إلى أقسام ثلاثة هى :

١) التعليم :

كانت المدارس فى ذلك الحين قليلة العدد ، وكان باب التعليم مقصوراً على فئة قليلة معينة من الناس

٢) الصحافة :

أما الصحافة فقد كانت متأخرة وقليلة ، إلا أنه كانت هناك صحف تعنى بالأدب وبالنتاج الفكرى ، وأهمها مجلة «الفجر»[١] التى كانت كما قيل لى قد لعبت دورا خطيرا فى تاريخ السودان الأدبى ، إذ خلقت ثورة أدبية لأنها كانت المنبر الوحيد لتجاوب المواهب والعبقريات المختلفة الأشكال والثقافة ، ثم جريدتى «النيل» و « الملتقى »

٣) التأثير الرسمى للثقافة :

لما كان السودان تحت الحكم الإنجليزى ، والإنجليز يعدون أنفسهم مستعمرين وحاكمين ، فطبيعيا تكون سياستهم مناوئة لنشر الثقافة ، بل هم حاربوا العلم وسعوا فى الحد من ذيوعه ، حتى أنهم أخذوا يطاردون كل أديب متحرر وشاعر يفكر فى طردهم من البلاد ، أما تلك الحركات الأدبية والجولات القلمية التى ربت الجيل الجديد ، ما كانت إلا نتيجة للصراع الفردى الذى بذله أحرار الفكر والعقيدة فى السودان لخلق نهضة فكرية واتجاه ثقافى وأدبى مشرق اللمحات ، بارز القسمات ، إذ أنهم شعروا بضرورة العمل على خلق تلك النهضة لتؤدى خدمتهـا إلى أبناء البلاد كما ينبغى ، وإذا ما ظهرت هناك جمعيات أدبية فمعنى هـذا أن الاستعمار فى خطر ، لذلك كان الإنجليز يحاربون كل جمعية ، حتى ولو كانت غير سياسية ، على أنه رغم ذلك تأسست جمعيـة « اللواء الأبيض » ، وهى سياسية الغايات والأغراض ، ولعبت دورا هاما فى ثورة عام ١٩٢٤ ، ثم جمعية « أصدقاء الفجر » ، وهى أدبية القصد

ثم قام مؤتمر الخريجين ، وكانت غايته أدبية اجتماعية ، وقد فتح المؤتمر عدة مدارس أولية ومتوسطة وواحدة ثانوية . وكان المؤتمر يعد العدة كل عام لقيام المهرجان الأدبى الذى كان يعقد فى « أم درمان » الجزء الثالث من العاصمة ، والأبيض وعطبرة ، وأخيرا تطور المؤتمر وأعلن عن أهدافه السياسية [٢]

ثم ولدت بعد ذلك الأحزاب السياسية المختلفة ، وأنشئت الجرائد الحزبية التى لم تعد تهتم بغير المهاترات السياسية السخيفة التى لا طائل تحتها ، والتى كانت السبب فى موت الأدب وخنق قابليات الأدباء والشعراء

ومنذ سنة ١٩٤٦ اتجه السودانيون نحو السياسة وخلفوا الأدب وراءهم غير مهتمين بـكل ما يمت إلى الفن بصلة فالخطب السياسية والقصائد الحماسية هى اليوم تدور على ألسنة الناس ، وهى التى تمتلىء بها أعمدة الصحف ، وإنهـا لو جمعت فى كتاب واحد لـكانت تعطى فكرة عن الأدب السياسى السودانى الآن

---

١) لم أطلع على مجلة (الفجر) وأكون شاكرا لإخوانى أدباء السودان لو تـكرموا بارسال أعداد قديمة منها لى

(٢) جاء فى الصفحة «٩٠» من كتاب « ماذا فى السودان » لمؤلفه الأستاذ جمال الدين الحامصى :

« فى هذه المدينة الصاخبة (أم درمان) ، وفى مكان بعيد عن الضوضاء يقوم نادى الخريجين « والخريج » فى السودان معناه مثقف متخرج من مدارس السودان أو التى فى مستواها ، وترجع الفكرة فى إنشاء هذا النادى الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، ولـكن الفكرة فى أول ظهورها لم تجد تأييدا — بل حوربت — من حكومة السودان ، ولـكن هذه الحرب لم تحل دون معاودة الـفكرة مرة بعد أخرى حتى نجح الخريجون فى اقناع ولاة الأمر ، فبرز نادى الخريجين الى الوجود فى أعقاب الحرب العالميـة الأولى ، وقد ساعد على ابراز الفـكرة المستر سمبسون الذى تولى مراقبة التربية البدنية بوزارة المعارف المصرية الى وقت قريب ، وهو الذى وقف فى حفلة افتتاح النادى وقال : « ان هذا النادى الذى يفتتح اليوم ليجتمع بين جدرانه كل مثقف سيكون له أكبر الشأن فى مستقبل السودان السياسى » . وقد تحققت نبوءة الرجل ، وأصبح النادى اليوم مركز النشاط السياسى الشعبى فى السودان

ولكن رغم انحراف الناس وراء السياسة ، وحبهم للجدل السياسى ، لا يزال بعض الشباب المتوثب يولى الفن الصادق والأدب الرفيع أهمية بالغة ، وكما أنه لا يخلو كل قطر من بعض الشعراء النابهين ، فإن فى السودان كذلك فئة من شعراء الشباب الأفذاذ ، وسنعرض لهم بالتفصيل فى مقال قادم إن شاء الله

ماذا ينقص السودانه

بكل ألم وأمل نلاحظ أن السودان لا يزال متأخرا عن القافلة الأدبية العربية ، بل فى حاجة إلى كتاب ثائرين يجمعون بين قوة الفكرة واتساقها إلى جمال الأسلوب وقيمته ، كتاب ينقطعون للدراسات الأدبية والتأليف ، ويخرجون من الكتب ما يحمل طابع بلادهم الأصيل

كما يراد من أدباء السودان أن يطرقوا باب الثقافة الشعبية عن طريق المحاضرات والمدارس الأدبية التى تعلم العلوم العقلية ، والتى تربط بين طبقات الشعب عن طريق حياة جماعية مشتركة ، والتى تنمى فى نفوس أبناء الأمة روحا من المساواة الاجتماعية ، وتمنحهم إلهاما ومثلا إنسانيا رفيعا يؤدى إلى تطور اجتماعى لا يقوم على نضال اقتصادى بين الطبقات ، تثيره الأطماع المادية وروح الشر والقسوة والجدب الروحى

الشعر السودانى

من الإنصاف للواجب والإثبات للحقائق أن نقف لحظة نتناول فيها الشعر السودانى بكلمة . وهى أن الباحث الذى يقرأ كتاب « شعراء السودان » ، الذى جمعه الكاتب المصرى سعد ميخائيل منذ سنوات ، يلاحظ أن الشعراء المذكورين فى ذلك الكتاب لاذكر لهم الآن ، ولذلك عدة أسباب : فمنهم من مات ، ومنهم من انغمر فى الحياة فهجر الشعر ، ومنهم من حطمته قيود الوظيفة ، وبعضهم لم تساعده الظروف المالية على طبع ديوانه ونشره حتى اليوم . لأن السودان — وهو كالعراق تماما — يفتقر إلى الناشر ، إلا أن بعضهم — وهم الشيوخ … ظل مستمرا على النشر ، كالأستاذ « محمد سعيد القياسى » الذى كتبت عنه فى عدد سابق ، و « الأستاذ عبد الله عبد الرحمن » [٣] و « التيجانى يوسف بشير » [٤] ؛ أما الشعراء الشباب المعاصرون — وهم كثر بحمد الله — فأترك البحث عنهم إلى مقال مستقل ، لأن روحيتهم وأسلوبهم الفنى يختلف بكثير عمن ذكرتهم ، وهؤلاء جميعا يطلب منهم أن يكونوا أكثر جرأة من غيرهم ، فليقتحموا الحياة بجرأة وعزيمة صادقة ، وليقفوا أمام العالم العربى ويظهروا نتاجهم للناس ، غير عابئين بناقد أو حاسد ، وإلا فإن انطواءهم على نفوسهم معناه الموت والضياع ، لا سيما وأن فيهم من يبشر شعره بالخير العميم والعبقرية الكامنة وراء زوايا النسيان . .

(٣) لست أدرى هل للأستاذ شعر مطبوع بين دفتى ديوان أم لا ، فإنى لم أطلع الا على بعض قصائد بين ثنايا الصحف

(٤) صاحب ديوان اشراقة وقد كتبت عنه فصلا فى مجلة الرسالة قبل أسابيع

بغداد — أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

حركة التسلح الخلقى

بمناسبة الاشتراك فى مؤتمرها بمدينة «كو» بسويسرا
فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ٩٥٢

للأستاذ أحمد عوض

نشرت فى عدد سابق [1] من الرسالة الغراء كلمة عن «التسلح الخلقى والإسلام» تحدثت فيها عن أهداف هذه الحركة التى تدعو إلى الخلق الفاضل على أساس دينى وتمدح من بين رسالتها الفضائل الإسلامية، وتعين من بين الأهداف التى تحاربها النزعات الاستعمارية

كتبت هذا لأننى حضرت بعض مؤتمرات «التسلح الخلقى» فى الأعوام السابقة، وسمعت صاحب الفكرة يشرحها شرحا وافيا بما يتفق وديننا . ولأننى قرأت فى أدب القوم مايسوغ حسن الظن بهم . وقلت فيما قلت بتلك الكلمة إنهم وإن كانوا من أبناء أديان أخرى فإنهم فضلا عن التمدح بالخلق الفاضل فى ديننا وفضلا عن حربهم للاستعمار فإن بيننا وبينهم غرضا مشتركا هو محاربة الإلحاد والشيوعية وای‌ستعمار على حد سواء

ولكنى بعد ذلك زرت «كو» فى شهرى يوليو وأغسطس، ولست أدرى هل تغيرت أهداف هذه الحركة أم اندس عليها من يحاولون استغلالها ؟ ولكن الذى أدريه أن شعورى بين الحالين نحو هذه الحركة — لا مبادئها — كان ظاهر الاختلاف

لقد وجدت فى رحلاتى الأولى من يستشهد بآيات من كتابنا الكريم ويمجد ذكرى نبينا العظيم ويرجو لنا وللعالم التحرر بفضل ما فى هذا الكتاب من آيات بينات وما فى هذا الرسول من أسوة حسنة

ووجدت كما وجد غيرى من المصريين وسائر المسلمين أن المذهب الداعى إلى تجديد بناء العالم على أساس الفضائل الخلقية يتفق مع تعاليم ديننا — فى حين لا أجد فى سائر مظاهر الحياة فى الغرب من يقدرنا هذا التقدير، ولا من يبدى لنا مثل هذا الشعور .

وقد جمعت فى رحلاتى قبل الأخيرة ما استطعت جمعه من كتب ألفها القوم عن حركتهم فوجدت بينهم أنصاراً لنا ضد الاستعمار يدعوننا إلى مناصرتهم ضد الشيوعية ويرحبون بالفضائل الخلقية فى ديننا سبيلا إلى بناء عالم جديد

لقد صرح القوم فى كتاباتهم وفى خطبهم بأن الاستعمار والدكتاتورية يتناقضان مع الخلق الفاضل، فكلاهما من مظاهر الأنانية ومن أعداء التطهير، ومن أبعد ما يكون عن فضيلة الحب فضلا عن التضحية

وسمعت فى المؤتمر الأسبق داعيا مصريا — هو الدكتور محمد صلاح الدين — يدعو القوم إلى مساعدتنا على المستعمرين بقصد تغييرهم فيجيبه العضو الإنكليزى باعتراف صريح فى أنه سيدعو فى أمته إلى التغيير (التحرر من الرذيلة)

لكن المؤتمر الأخير كان خاليا كل الخلو من أية كلمة ضد الاستعمار

فلما أردت التوجيه إلى هذه الناحية لمست اتجاها واضحا إلى أن التلويح بعداوة الاستعمار كان من أجل غرض واحد هو الاستفادة بعداوتنا نحو الشيوعية ، ولم يمنعنى ذلك عن الإفاضة فى بيان مساوئ الاستعمار . ولكنى لم أجد بينهم جدية الأصغاء

لست نادما على حسن الظن السابق فقد كان الدليل قائما لدى على مسوغاته ، ولا أزال عند رأيى فى أن الخلق الفاضل مشترك بين الأديان وفى أن الدكتور بوكمان مؤسس هذه الحركة رجل فاضل، ولكن هؤلاء الذين اندسوا عليه وأحاطوا به يحاولون استغلال هذه الحركة فى أغراض أخرى

إن فى الدنيا كثيرا من الحق الذى يراد به الباطل ، ومن الزيت الذى يرادبه إيقاد النار ، ومن استغلال حسن الظن بالتلويح بالخير ؛ فهل تغيرت الحركة أم انضم إليها بعض الوصوليين والانتهازيين أو بعض أصحاب المطامع ؟ هذا ما ستظهره الأيام

(١) العدد ٩٩٧ من الرسالة فى ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢

المعرفة بين الفلسفة والتصوف

« مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى الذى كتب يقول : لى من دنياى الآن مطلب واحد . يقظة قلب أدرك بها حقائق الوجود وغاية الحياة »

للأستاذ حسن محمد آدم

ما سر الوجود ؟ وما لغز الحياة ؟ من أين جئنا وإلى أين المصير ؟ وكيف السبيل إلى إدراك كنه هذا الوجود ، وفهم غاية هذه الحياة ؟ وما السبيل إلى المعرفة الحق ، والسعادة العظمى ؟ هذه أسئلة عميقة تتفاعل فى رأس الإنسان ، وتدور فى عقول الناس ، ولا يدرى لها الكثيرون أجوبة شافية ، وردودا مقنعة ، فيعيشون فى الحياة قلقين حائرين ، ويضربون فى بيدائها تائهين يائسين ، وكأنى بهم يسيرون فى موكب الإنسانية وهم يترقبون بنفوس قلقة متشائمة ، أن يبتلع الجميع بعد الطريق الطويل..هاوية سحيقة من العدم ! والإجابة على هذه الأسئلة هى فى صميمها المعرفة الحقة ، وهى فى ذاتها عين الحقيقة التى يتوق إليها الجميع ، فأنت إن وفقت للاجابة الصحيحة فقد فككت طلاسم الكون ، وحللت ألغاز الحياة ، ووقفت على سر الوجود والغاية من هذه الحيــــاة

ومنذ القدم ، منذ وجد الإنسان الفكر على سطح هــذا الكوكب ، حاول الوصول إلى الجواب ، ويمثل ذلك فى فلسفات ونظريات متباينة تعددت وتنوعت على أعصر التاريخ ، ولكنها جميعا ظلت عبر القرون تتأرجح بين مذاهب متضاربة ، ومدارس متعارضة ، يقترب بعضها من الحقيقة أو يبعد بقدر ما أوتى الفلاسفة من نضج فى الفكر ، وقوة فى التبصر ، وإمعان فى التأمل والحكمة

وكان حين تأتى على الناس فترات من الوحى ، تشرق عليهم أنوار النبوات ، فيتبدد عنهم الظلمات ، ويستنير ما غم من طريق الحياة ، ويذهب الشك والارتياب ، ويتضح على هدى الرسالات سبيل المعرفة ، ولكن رأى الدين فى الوجود والحياة لون مفروض من المعرفة ، يمليه الوحى وتلزم به العقيدة ، وهو تصديق بأمور من الغيب ، تصديقا لا يحتمل النقاش ، ولا يقبل الجدال ، يحمل الناس على اعتناقه سواء وافق ذلك منهم هوى العقل الطليق أم خالفه ، أوجارى منهم منطق التفكير الحر أم جافاه

فما كان للفلسفة أن تقتنع بهذا وهى ناصرة الفكر الحر ، وصانعة مناهج البحث ، فرأت أن تحـــرر نفسها من أكبال الغيبيات ، وأن تنهج على منهاج العقل علها تصل بذلك إلى المعرفة وتدرك الحقيقة وتفهم غاية الوجـــود.. وبدأ الزمان يسجل على صفحات القرون وخرج لنا تاريخ الفلسفة زاخرا كما أسلفنا بمآت من المذاهب الفلسفية والآراء النظرية فى الوجود وفى الحياة ، ويتيه الإنسان فى غمارها ، لا يدرى أين الحق من هذا المذهب أو ذاك ، وأين الرأى السديد من هذه النظرية أو تلك ، ثم لا يخرج من بينها إلا وذهنه أشد فراغا ، إلا من سيل دافق من علامات الاستفهام والتعجب يوشك أن يؤدى بعقله إلى محيط مظلم من الشك والإلحاد !

إن الفلسفة أرادت أن تدل الناس على المعرفة فلم تستطع . إنها أرادت أن ترسم سبيل الحقيقة فلم توفق ... لماذا ؟ ذلك لأن الفلسفة قد ترضى العقل النظرى، وقد ترضى الاستدلال المنطقى ، ولكنها لا تستطيع بحال أن ترضى الإحساس الروحى ، والذوق القلبى ، وطريق المعرفة إنمــا يلتمس بالروح لا بالعقل ، ويطاب بالذوق

على أننى أعتقد أنه مهما يكن الرأى فى القائمين بهذه الحركة أو المندسين عليهم فإن البرنامج الذى وضعوه مفصلا على أساس تلك المبادئ يمكن تبنيه على أن يكون الخلق الذى تتسلح به ذا طابع قومى

إن الأخلاق فى ذاتها لا تختلف بين أمة وأمة ، ولا بين دين وآخر ولكن الفهم لها وطرق التوجيه إليها والانتفاع بها تختلف كما بدا لى أخيرا من الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام »

الاسكندرية أحمد عوضه

والقلب لا بالمنطق والفكر !

ولا تعجب بعد ذلك إن رأيت الفلاسفة يجهدون عقولهم وأفكارهم القرون الطوال بحثا عن المعرفة ، ثم يغادرون الحياة ولما يعرفوا سبيلها ، بل يغادرونها جهالا كما دخلوها ، كما يؤثر عن سقراط الذى قال وهو على فراش الموت : « الآن أعرف من الدنيا حقيقة واحدة وهى أنى لا أعرف شيئاً ! »

هذا ، وفى الوقت الذى كان فيه الفلاسفة يسعون سعيهم ، كان الذين عرفوا السبيل الصحيح من المتصوفة وأرباب الأذواق والمواجيد يطلبون المعرفة عن طريق تصفية النفس والتسامى بها من أدران المادة وشوائب الحس ، إلى عالم النور والفيض والإلهام ، ووصل هؤلاء الروحيون إلى بغيتهم فكانوا الرواد الأول ، وكانوا مكتشفى الحقيقة ، والراسمين سبيلها للحائرين فى الأرض . . وقرر هؤلاء أن منهاج المعرفة منهاج واحد فريد هو مجاهدة النفس ، وقطع مقاماتها ، والانسلاخ من حجبها حتى ينجلى عين البصيرة ، فهنا تشرق الروح وتتم النعم وتكمل السعادة

فيامن تريد قلبا يقظا تدرك به حقائق الوجود ، عليك بالنفس فادرس مراتبها وظلماتها ومقامات صفائها ، وعليك بهيكل الجسم الحائل فروضه على الرياضة الروحية الصادقة وخلصه بقدر من علائق الدنيا ، ثم عليك من فورك بالطريق إلى الله فتعرف آداب سالكيه ، ثم شد الرحال إليه صوب مقامه الأسنى وهناك فى المعية الأولى التى كنت فيها من قبل فى عالم الذر ، وفى أكناف النبع الأولى الذى فاض منه الوجود بكل مافيه ستعرف حقيقة إنسانيتك وحقيقة الكون الذى تعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى تحياها ، وفى ذلك الفرصة الكبرى والسعادة العظمى

وإليك الغزالى حجة الإسلام وفيلسوفه الأكبر خير مثل على ما نقول ، إن نفس هذا الفيلسوف العظيم تاقت فى بداية حياته الروحية أن تصل إلى المعرفة ، وتحرقت شوقا للوصول إلى الحقيقة ، فانطلق يطلبها عند أدعيائها من الفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين ، وكان فى سعيه بادى القلق ، عظيم اللهفة ، فوقع ضحية صراع نفسى مرير ظل يعانيه وهو دائم التردد على تلك الطوائف ، فبلى أمر الفلاسفة فلم يجد عندهم ضالته ، وبلى أمر المتكلمين فلم يعثر عندهم كذلك على بغيته ... وأخيرا لجأ إلى التصوف ، ففهمه ورأى أن ضريبة المعرفة عندهم تجرد ومجاهدة ، فكادت نفسه أن تستكين ، ولكن روحه المعذبة كانت تناديه من الأعماق « الرحيل ، فإنه لم يبق من عمرك إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل » فاستجاب لهذا الهاتف الباطنى ، وترك بغداد مسقط رأسه مهاجرا إلى الله صوب ربوع الشام وهو يردد :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى محبوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

وهناك وجد فى ظلال التصوف راحة النفس ، وهدوء البال ، وسعدت روحه بالمعرفة المشرقة والسعادة الحقة ، وعبر عن ذلك بقوله :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

حسن محمد آدم

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٢)

اقتربت الحملة الفرنسية من مياه الإسكندرية فى اليوم الأخير من شهر يونيو — وكان الفرنسيون ينظرون إلى الشعب المصرى ... نظرة العملاق الضخم .. إلى القزم الضئيل — الذى يستطيعون سحقه فى دقائق معدودات !

ألم يقرأوا من قبل ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن سهولة فتح مصر ؟

ألم يخبرهم « فولنى » بأن الاستيلاء على البلاد ، والسيطرة عليها .. لا يتطلب إلا عددا قليلا من الرجال ؟

ألم يبين لهم ضعف الحصون ، وقلة الذخيرة ، وعجز الإسكندرية عن المقاومة .. فوصفها بقوله :

« إنه ليس فى المدينة سوى أربعة مدافع فى حالة صالحة — وليس بين الحامية التى يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه إصابة المرمى — بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين ؟ »

فماذا ينتظر الفرنسيون بعد كل هذا الوصف الذى وصفه « فولنى » وغيره من الرحالة والتجار الذين زاروا مصر من قبل ؟!

وهل تعجز مدافعهم الضخمة عن تحطيم أسوار الإسكندرية أو تخريب المدينة كلها إذا لزم الأمر ؟

إلا أن ذلك كله سهل يسير .. وليست هناك قوة فى الأرض تستطيع أن توقف تقدم الجيش الفرنسى الظافر ، أو تحطم آمال نابليون فى تكوين إمبراطورية شرقية عظيمة

ولقد كان « نابليون » يظن أن المصريين سيستقبلونه هاتفين مرحبين — وسيضعون فوق رأسه أكاليل الغار .. أينما سار ، وحيثما كان — وكان أبعد ما يتصوره .. أن يقف المصريون فى وجهه .. أو يقابلوه بالقوة والعدوان !

ولذلك بعث إلى قنصل فرنسا يستدعيه ، قبل أن يبدأ الجنود بالنزول إلى البر ... وفى اليوم التالى عاد القنصل ومعه عدد من البحارة أرسلهم السيد محمد كريم لحراسته ، وليعودوا به بعد أن ينتهى من مقابلته للفرنسيين

فأخبرهم القنصل بثورة الشعب وهياجه ، واستعداده للنضال والمقاومة .. كما أخبرهم أن أسطولا إنجليزيا يبحث عنهم فى عرض البحر .. وأنه كان بالثغر ولم يغادره إلا عشية أمس الأول

فلما سمع نابليون حديث القنصل ، خشى أن يباغته الأميرال نلسن بأسطوله ، ولذلك أصدر أوامره إلى القواد بمحاصرة الإسكندرية ، وتطويقها من ثلاث جهات

« [1] وسارت القوة فى منتصف الساعة الثالثة من صبيحة يوم ٢ يوليو بحذاء الشاطئ ، فوصلت تجاه أسوار المدينة عند شروق الشمس ، وأخذت تحاصرها فى الضحى — الجنرال مينو من الغرب .. والجنرال بون من جهة باب رشيد .. والجنرال كليبر من باب سدرة — بينما وقف نابليون على قاعدة عمود السوارى ، واتخذها معسكره العام .. يرقب منها حركة الهجوم ، ويصدر أوامره لقواد جيشه ... »

* * *

ولم يكد السيد محمد كريم يرى الجيوش الفرنسية القادمة ... حتى أصدر أوامره إلى أهالى الإسكندرية بالصعود فوق الأسوار ، ومقابلة القوة بمثلها ، وصد العدوان بالعدوان.

ووقف بنفسه فوق قلمة « قايتباى » ومعه فريق من المقاتلة لا ليشرف على المعركة كما فعل نابليون ، ولكن ليحارب بنفسه كما يفعل غيره من أهالى الإسكندرية ، وليضرب لهم أروع

(١) عبد الرحمن الرافعى وتاريخ الحركة القومية ج١ ص ١٣٥

الأمثلة فى الجهاد والكفاح والتضحية

وحينما بدأت المعركة ، وضع المصريون أرواحهم فوق أيديهم وباعوها رخيصة فى سبيل الوطن ، وجعلوا يمطرون العدو بوابل من رصاص بنادقهم

وكان السيد محمد كريم — طوال المعركة — يثير النفوس ، ويستحث الهمم ، ويقوى العزائم ، وقد استطاع المصريون خلال هذه المعركة أن يواجهوا الفرنسيين ، ويقتلوا منهم عددا ليس باليسير ...

وقد أصيب الجنرال كليبر أثناء الموقعة بعيار نارى فى جبهته ، كما أصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، وكادت تودى بحياته ، ولذلك كتب الجنرال مينو إلى نابليون يقول :

« [٢] إن الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الإقدام والهمة والذكاء ، وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ... لأن الأهالى قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة .. وثبات عظيم »

ولما رأى « نابليون » استماتة الشعب المصرى فى الدفاع عن الاسكندرية ، نظر إلى أسوار المدينة فلاحظ أن بالسور رغم ارتفاعه وضخامته ثغرات كبيرة رممت حديثا ...

فطلب من رجاله أن يوجهوا مدافعهم تجاه هذه الأسوار ، وظلوا يضربونها حتى عجزت عن المقاومة ، وبدأ الجنود يدخلون المدينة من الثغرات التى أحدثوها ، حتى وصلوا إلى الجهة الآهلة بالسكان .. فأخذ الأهالى يطلقون عليهم الرصاص .. حتى كاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة . . وكذلك قال سكرتيره الخاص :

« [٣] دخل بونابرت المدينة من حارة ضيقة .. لا تكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبا إلى جنب .. وكنت أرافقه فى سيره .. فأوقفتنا طلقات رصاص .. صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى النوافذ . . واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس ، وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم ، وقتلوا الرجل والمرأة »

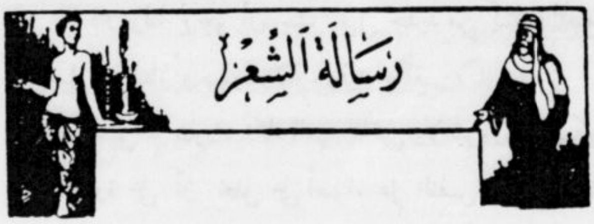
ولقد ظل السيد محمد كريم يدافع عن المدينة ، حتى ضعفت الحامية عن المقاومة .. فكف عن القتال ، وسلم المدينة .. ولم يكن فى ذلك التسليم ما يقلل من جهاد السيد محمد كريم .. وحسن بلاء أتباعه . . وإنما كان ذلك منه حكمة وحزما . . وحسن تقدير لعواقب الأمور ...

يقول أحد الحكماء :

« لا عار على أمة قليلة العدد . . ضعيفة القوة .. إذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة .. وإنما العار الذى لا يمحوه كر الدهر .. هو أن تسمى الأمة .. أو أحد رجالها.. أو طائفة منهم.. لتمكين أيدى العدو من نواصيهم . . »

« كلام صلة » عبد الباسط محمد حسن

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧
(٣) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٢٦



ابن عمى

للشاعر المرحوم صالح شرنوبى

ابن عمى مات .... فامضوا بى إلى قبر ابن عمى ..
ودعوا همى .... فقد ودعت منذ اليوم همى ..
غير ما جد من الموت ، الذى آذن قومى
فرماهم ... ورمانى ومضى ما شاء يرمى .. !

ابن عمى مات ... ما بين صباح ومساه
مات والأحلام تجلوه ... كما يهوى هواه
مات والنعمة ... والقوة فيه ... والحياه
فدعونى من هوى الدنيا ... وعزوا من نعاه

أيها الخلان ، والراحة ... والموت ... هنا
أين من كان يرانا وراه ... حولنا ؟
أين من كان يحاكى نضرة الدنيا لنا ؟
غيب الترب سناه وهو فى أعيننا ؟

أيها الراحل ... والغبراء قبر فوق قبر ... !
أيها الساكن ... والموكب بالأقدار يجرى
أدننى منك — على قربك من سرى وجهرى
أدننى منك .. فما أدرى — بما أصبحت تدرى

أدننى منك قليلا وادن من روحى قليلا
إن لى فيك رجاء ورجائى أن يطولا
فلقد صاحبت مذ فارقتنى الصبر الجميلا
وبقلبى من تباريحك ... نار ... لن تحولا

أيها الراحل .. ماذا بعد فقدان الحياه ؟
ما الذى بعد انعتاق يعلم اللـه مداه ؟
بعد أن يجرى قضاء شاء أن يجرى الإله
حار فيه كل من دبت على الأرض خطاه

بعد أن يطبق جفنى وترى الظلمة عينى
ظلمة الموت الذى ما ذقته إلا بظن
ظلمة الفقد الذى ييأس فيه المتمنى
ظلمة البين عن الدنيا ... وعن نفسى ... وعنى

ما الذى بعد نعتاقى وزوالى عن رفاقى
أين أمضى . ؟ . وإلى أين . ؟ وقد فك وثاقى
سيصلون على روحى .. ويبكون فراقى
ويقولون إلى اللـه ... شبابا فى البواقى

سيقولون ... إلى اللـه .. شبابا .. وكهولا
وسيكون كثيرا ظنه الناس قليلا
شاعرا .. عاش .. ولم يصنع بما قال جميلا
غير أن يرثى ما فات ... ويرجو المستحيلا

شاعرا .. عاش كما شاء الذى الأقدار أمره
والذى يلطف بالعبد ... فما يغلب صبره
والذى ... لاشئ ... إلا عنده يطلب سره
والذى الرحمة من أوصافه .. والقهر قهره

أيها الراحل ... والدنيا بما فيها تهون
حينما أذكر ما تصنع بالناس المنون
الرحى الشمطاء ... ما تفتأ تجريها السنون
والبرايا ... بين شرقيها ... قلوب ... وعيون

شغلتنى عنك أحزانى ... فلم أشهد سراك
ورأى وجهك أهلونا ... ومولاك يراك
ومشى نعيك فيهم وتولتك البواك
وأنا أجهل ما تخفيه ... من حر أساك

ذقت فى موتك ما ذقت ... وما زلت صبورا
ورأى فقدك أعمانى ... وقد كنت بصيرا
وبعادى عنك ... أنسانى ... وقد كنت ذكورا
غير أن أبكى منعاك ... وأستوحى القبورا

طبت فى مثواك ... ما شاء الرحيم المستعان
وعلى دارك غفران ... ونور ... وأمان
وعلى أكبادنا بعدك ... سلوان الزمان
أيها الخالد ... ما تغنى لمنعاه معان

صالح على شرنوبى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الصيف

ليس فصل الصيف — عادة — فصل الأدب والفن ، أقصد فن الإنتاج والإخراج، وقد يكون موعد الخلق والإبداع، وموسم تجمع الرؤى والصور ، إذ أن هذا الفصل بالنسبة للأدباء والكتاب والمفكرين فصل استجمام وراحة واستجلاء للحياة فى مناطق البحر والجبل ، على سواحل مصر أو غيرها من البلاد

ولذلك كان موسم الأدب بطيئا ، بحيث يمكن القول أنه لا موسم ، حتى المطابع التى تنتج الآثار الأدبية ، تشغل اليوم بكتب المدارس وتعد منها ما يكفى للعام الجديد الذى أصبح وشيك الظهور

وقلما تحمل الصحف فى باب « محاضرات اليوم » هذه الأيام شيئا ذا قيمة أو أهمية يكون من شأنه أن يوجه الأدب أو يؤرخه ، فما زال بيننا وبين الموسم الجديد وقت غير قصير

وما تزال حركة الانقلاب الجديدة ، بعيدة الأثر فى الصحافة والأدب ، فقد انطلقت أقلام الكتاب والشعراء والقصصيين ، وتحررت ، وأخذت تعبر عن مشاعر الأمة ، بالوضع الجديد ، وتصور فرصتها بإنهاء عهد مظلم طال أمده

غير أن هذا اللون الجديد من الأدب ما زال قاصراً على صورة واحدة مكررة ، هى تهنئة الجيش ، وتصوير طغيان الملك السابق وحفلت الصحف ، وما زالت ، بقصص عن الحياة الآثمة التى كان يحياها فاروق ، والتى تحفل فى الصور الجنسية والتصرفات المجنونة ، والأساليب الخادعة ، التى كانت تتكون منها شخصيته

وهى « موجة » عاتية لابد أن تمر بها الصحافة بعد الانقلاب ، ولكن الأدب ما زال حتى الآن ، لا يجد مكانه فى النهضة الجديدة

فلا زلنا نرجو أن ينشأ جيل جديد من كتاب النهضة ، جيل فيه إيمان وحرارة وثقة ، وفيه جرأة

جيل لم يتلوث بآثام العهد الماضى ولا شروره ، تكون له القدرة على أن يحلل على أضواء علم النفس والتاريخ والتطور « بزوغ » ذلك الفجر الجديد . إن فريقا من كتابنا الكبار ، قد وضع أساس هذا العهد الجديد ، أولئك الذين صوروا آلام الأمة وأناتها ، والحجب المظلمة التى كانت تعيش فيها ، أولئك الذين طالما ترقبوا مطلع النور الجديد ، ورسموا صورة الزعيم المنتظر ، فهؤلاء هم الذين أرضعوا النفوس لبان الثورة ، وهم من حركتنا بمنزلة روسووفولتير فى الثورة الفرنسية ، ولكن مهمة جديدة الآن توشك أن تلزم شباب الكتاب ، وهى « إبداع » اللون الجديد الذى يمثل العهد الجديد

عودة الغريب

كان الدكتور زكى أبو شادى صاحب مدرسة جديدة فى الشعر ، وكانت مجلة « أبولو » من المجلات الفريدة ، التى حملت لواء الدعوة إلى المذهب الابتداعى ، وقامت بجهد ليس بالقليل ، وأبرزت طائفة من الشعراء الشبان الذين لمعوا بعد ذلك فى أكثر من مجال من مجالات الأدب والفن والصحافة والإذاعة

ثم بدا للدكتور أبو شادى أن يقيم فى الإسكندرية فنقل مطابعه وصحفه إلى هناك ، وأخذ يوالى عمله الأدبى هناك ، غير أنه أحس أخيرا أن فترة من الحرج تمر به ، وقيل إنه وقع فى محنة « تقوى الإحسان » ! وإن بعض خصومه الذين حمل عليهم بعنف ، حمل على اتجاهاتهم الأدبية ، استطاعوا فى ظرف ما أن يضايقوه ويزعجوه ، وأحس أنه لا سبيل مع ذلك إلى البقاء فى مصر ، وكانت طريقته فى معاملة مريديه وأتباعه تقوم على أساس من الأخوة والوفاء والتضحية مما كان له أثره فى حالته المالية

وأخيرا استقر رأى الدكتور أبو شادى على السفر إلى أمريكا ؛ ولكنه فوجئ قبل أن يركب « الباخرة » بوفاة زوجته ، فكانت نكبة أخرى ضاعفت متاعبه وآلامه

وقد نشرت « الرسالة » إذ ذاك هذه القصيدة العصماء التى ضمنها الدكتور ديوانه « نحو السماء » الذى طبعه فى أمريكا ووزعه

فى العام الماضى

وسافر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا واستقر فى « نيويورك » واستقبل هناك استقبالا حافلا ، وكان موضع تقدير البيئات الأدبية هناك

ومضت سنوات ...

وأحس « أبو شادى » بالحنين إلى مصر ، الحنين الجارف ، وكانت لهذا الحنين تبدى فى قصائده وكتاباته ، وبدأ يتصل بمصر مرة أخرى ، وأحس أحباؤه وأصدقاؤه هنا بأنه يجب أن يعود

وكتبت مجلة « الأهداف » التى تصدرها السيدة جميلة العلايلى ، وكتب صاحب هذه السطور فى « الزمان » ، فى هذا المعنى ، وقد وجهت خطابا إلى الدكتور طه حسين وكان إذ ذاك وزير المعارف ؛ وتحدثت معه فى هذا الشأن فى مقابلة خاصة ...

ويبدو أن الدكتور زكى أبو شادى علم هذا ، فأرسل إلى بعض خاصته يقول إنه لا يريد العودة إلى مصر ، وإن مكانه فى نيويورك لا يدانيه أى مكان يمكن أن يصل إليه فى القاهرة

غير أننا كنا نعرف سلفا ، أن الدكتور أبو شادى ثائر على الأوضاع فى مصر ، وأنه ساخط على كل شئ

أما الآن — وقد أثيرت مسألة إعادته من جديد — فنعتقد أنه سيكون غاية فى الرضا بالأوبة إلى وطنه بعد أن تحرر ، وأخذ يستقبل فجرا جديدا

« فى موعد الذكرى »

كان الأسبوع المنقضى ، موعد الذكرى لعرابى ولدوفيج وفرويد .. ومن قبله كان موعد ذكرى السباعى وفيلكس فارس

وقد مرت هذه المناسبات — فى الشرق — وغيرها يمر كل يوم ، دون أن يذكرها ذاكر ، أو تكون موضع اهتمام الدوائر الأدبية وتقديرها

فنحن لا زلنا لا نحتفل إلا بطائفة قليلة من الأسماء التى لمعت فى غفلة من الزمن ، والتى فرضتها مناورات السياسة ، أو مجاملات التملق !

كنا نحتفل بسعد وفؤاد وإسماعيل وهؤلاء وغيرهم ، أناس رفعت أسماءهم الصدف ، ولا يدخلون فى عداد الأبطال حين يفصل تاريخهم على وجه صحيح !

أما الرجال الذين جاهدوا حقا ، وحفروا أسماءهم فى ضمير الحياة الوطنية أو الفكرية فى الشرق ، فقد كانوا إلى عهد قريب — قبل وثبة الجيش المباركة — مبعدين عن محيط الحياة ، كان لا يستطيع إنسان أن يذكرهم أو يفصل تاريخهم

كان عمر مكرم وجمال الدين والجبرتى ، وأحمد عرابى ، وحسن البنا ، من الأسماء البغيضة إلى الجهات التى تتحكم فى كتابة التاريخ ، وكانت أوامر فى صورة نصائح توجه إلى بعض الصحف بأن لا تنشر عنهم شيئا

وكان محمد فريد ومصطفى كامل ، لا يلقيان مايلقى سعد زغلول أو غيره ، من الحفاوة والتكريم والتقدير !

ولا يزال محمد فريد حتى الآن ، لا يجد من مصر ما هو جدير به من تكريم بعد أن ضحى أغلى تضحية بذلها زعيم فى سبيل بـــلاده !

وإننا لنرجو — وقد خلعنا ذلك الثوب القديم المهلهل ، وجردنا الأدب والفكر والفن منه — أن نستقبل « موعد الذكرى » لأبطالنا والرجال الذين جاهدوا فينا على وجه كريم يليق بذكراهم وكفاحهم ، وعلينا على الأقل أن نقيم تمثالا لأمثال عرابى ومحمد فريد وجمال الدين وحسن البنا

والحق أنه ما من جريدة أو مجلة أوربية تفتحها عفوا ، فى أى موعد من مواعيد الذكرى ، لبطل أو كاتب أو موسيقى أو فنان ، إلا وتجدها حافلة بآثار هذا البطل أو الكاتب ، على صورة مجددة ، مشوقة

ذكرياته الصغيرة ، أحاديثه العامة ، فكاهاته ، قصاصاته ، خطاباته الغرامية ، كل شئ ، حتى تلك الأشياء الصغيرة التى لا يعيرها الناس التفاتا

والأديب فى هذا الميدان لا يقل عن الزعيم ، كلاهما بطل ، كلاهما جاهد وأدى واجبه ، وبذل عصارة دمه وأعصابه وأفكاره فى سبيل وطنه ، فى سبيل الحق والحرية والجمال

لماذا — كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم — لا نضع لوحة تذكارية صغيرة على المنزل رقم ٢٣٢ ونكتب عليها ، هنا كان يسكن « المازنى »



زكى طليمات المفترى عليه

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

كنت آمل أن أستقبل الموسم المسرحى الجديد بما استقبلت به الموسمين الماضيين من بشر وتفاؤل . بل كنت آمل أن أزداد بشرا وتفاؤلا كما تقضى بذلك سنة التطور . غير أن الأحداث التى تواجه المسرح المصرى فى الآونة الراهنة تدعونى مع الأسف الشديد إلى الحزن والأسى إشفاقا على مصيره . ذلك لأنها ليست من قبيل الأحداث الكثيرة التى واجهت مختلف المسارح فى مختلف الأمم حينما كانت فى دور التكوين، وإنما هى أحداث مفتعلة من شأنها — لو تحققت مراميها — تقوض مسرحنا وتدمر كيانه وتجهز على حاضره ومستقبله، وتعصف بالجهود المضنية التى بذلها المخلصون من رجاله حتى وصل إلى ما وصل إليه من ارتقاء نسبى

ولعله من العجيب أن تحدث هذه الأحداث فى الوقت الذى تطالب فيه البلاد بتطهير مرافقها — والمسرح فى مقدمتها — من الجهل والفوضى ، بل الأعجب من ذلك أن تحدث هذه الأحداث باسم التطهير دون أن يفطن مفتعلوها إلى الفارق الجسيم بين التطهير والتدمير

بدأت هذه الأحداث عمليا منذ منتصف الشهر الماضى عقب أن أوفدت قيادة الجيش الباسلة مندوبا عنها إلى الهيئات الفنيـة ليعاونها فى استنقاذ النشاط الفنى من براثن الرجعية وتوجيه الفنون وجهة قومية تحقق بها وظيفتها المثلى . وكم كان غريبا ومريبا أن يجتمع ممثلو الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث لا ليعملوا على تحقيق هذه التوجيهات القويمة ؛ ولـكن ليقدموا إلى ولاة الأمور مذكرات لا تمس الفن والإصلاح الفنى إلا بقدر ضئيل ، وهى بعد ذلك تتضمن مطالب ينحو بعضها منحى شخصيا ويستهدف غايات غير فنية وينطوى على مثالب وترهات يندى لها الجبين . وليس أدل على ذلك من أن يطعن ممثلو فرقة المسرح الحديث عميدهم « زكى طليمات » طعنات قاتلة ! والأدهى من ذلك أن يطالبوا بتنحيته عن إدارة الفرقة التى تعتبر ثمرة جهاده الفنى

وأبادر فأؤكد أننى لا أبتغى الدفاع عن تصرفاته ولا أبتغى مهاجمة أعضاء الفرقة فى وضعهم الجديد الذى استقروا عليه الآن ، بل لا أبتغى تناول النواحى الشخصية التى انزلقوا إليها ، تاركا تقدير ذلك لحكمة ولاة الأمور وفطنتهم . وإنما أبتغى ، كناقد ، أن أكشف عن بواعث هذه المحنة من الناحية الفنية وحدهـا ، وأن أوضح مدى ما يترتب عليها من خطورة على الفن المسرحى

وربما لا يفى لإيضاح ذلك أن نسرد تاريخ زكى طليمات وجهاده الفنى فى أكثر من ثلاثين عاما؛ بل يجدر بنا أن نتلمس أثره العميق فى الحقبة الأخيرة التى بدأت بإنشاء فرقته وانتهت باستقالته وندب غيره لإدارتها وانقطاع الصلة الوثقى بينه وبين تلامذته الذين تألبوا عليه لنرى نتائج هذا الأثر فى تطور المسرح المصرى وبالتالى لنرى مدى الخسارة التى ستلحق به بفضل المتألبين ... الناشئين !

ونـكرر هذا على المنازل التى سكنها سيد درويش ، وكامل الخلعى ، والرافعى ، ونجرى أبو السعود ، وغيرهم !

إن هذه اللوحة الصغيرة لن تـكلفنا شيئا ، ولـكنها ستكون بعيدة الأثر فى إحياء ذكرى الـكاتب أو الفنان بعد مائة عام !

إننا فى عهد البعث ، عهد الإحياء ، هذا العهد الجديد الذى جب كل ما كان قبله ، العهد الذى يقوم على السواعد الشابة الفتية والنفوس المؤمنة الصادقة ، التى ظلت تجـاهد وتعمل حتى طلع الفجر من وراء الليل الأسود الطويل ، وفى هذا العهد يجب أن نصنع كل شئ فى سبيل المجد ، مجد مصر .. والأبطال الحقيقيون ، الخالصون ، الذين رفعوا صوتهم فى الأيام السود ، والذين جاهدوا فى وقت كان الظلام يعم فيه كل شئ ، وكانت كلمة الحق أقسى على الظالمين من أصوات المدفع ، وكان كل حر معرض لأن يذهب إلى غير رجعة ، هؤلاء الذين وقفوا وقفة الأسد فى وجه الطغيان ، يجب أن ننحنى لهم اليوم !

أنور الجندى

ولنعد قليلا إلى الوراء . وحسبنا أن نعود إلى الفترة التى سبقت إنشاء هذه الفرقة لنستذكر ما جاهر به النقاد وقتئذ ، فقد أجمعوا على أن المسرح المصرى بلغ من الهزال حدا لا رجاء فيه ، وحاول بعضهم تأويل ذلك إما بغلبة السينما عليه على اعتبار أنها أكثر منه ملاءمة لروح العصر .. أو بانصراف النـاس إلى أمور معاشهم أو ماشابه ذلك ونسوا جميعا أن المسرح فن لا يزال يزدهر عند الأوربيين وهم أكثر منا اشتغالا بالسينما وتـكالبا على الأمور المعاشية ... والمهم أن أحدا لم يتمكن من تشخيص الداء ووصف الدواء سوى زكى طليمات . . إذ اهتدى بثقافته وتجربته وتخصصه إلى أمرين جوهريين :

الأمر الأول أن النهاية التى وصل إليها مسرحنا لم تـكن إلا نتيجة حتمية للبداية التى بدأ بها . فقد بدأ فى أواخر القرن الماضى بداية ساذجة بمعنى أنه لم ينبت نبتا طبيعيا كما حدث عند الإغريق، ولم يستنبت استنباتا سليما كما حدث فى أوربا ، فـكان لابد من أن ينتهى إلى تلك النهاية الساذجة

والأمر الثانى أن المسرح فن لا تستقيم له الحيـاة إلا إذا توافرت له البيئة التى تحيا فيها والعقلية التى تدركه ، وهذا مالم يتهيأ لمسرحنا فى شتى عهوده . فـكما أن فـكرة الجيل القديم عنه لم تخرج عن اعتباره إحدى وسائل التسلية والتلهية والتنفيس .. كذلك ظلت فـكرة الجيل الأخير مع اختلاف فى التفاصيل دون الصميم

من أجل ذلك وضع سياسته الفنية على أساس تقريب إنتاجنا من الأوضاع الفنية الصحيحة وتهيئة بيئتنا وأذهاننا لتقبل هذه الأوضاع ، وتحقيقا لهذه السياسة أنشأ فرقته على دعائم منهجية وحدد برنامجها فى ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الأولى مرحلة الترجمة عن الغرب والتتلمذ على الغربيين فيما امتازوا فيه ، والمرحلة الثانية مرحلة التجربة والممارسة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الخلق والابتداع . وكما وفق فى التصميم وفق أيضا فى التطبيق ، ولهذا أعرضت فرقته عن الوسائل الارتجالية، وترفعت عن ممالأة النزعات السطحية ، وآثرت تقديم الترجمات الممتازة ، فقدمت فى مستهل عهدها ثلاث روايات لموليير ورواية لتشيكوف وأخرى لبريستلى دون أن تمسخها بالتمصير والتعريب .. وظلت تسير على هذه الوتيرة حتى تأججت الثورة على الاستعمار فى الموسم الماضى .. فكان زكى طليمات أول من استجاب للدواعى الوطنية من رجال المسرح .. وقدم روايتين وطنيتين .. وآثر أن يرجىء برنامجه ليشارك الثوار ويضىء الطريق للأحرار

وهكذا نجح ماديا ومعنويا .. وأفلح فنيا وقوميا .. وفاز برضاء الوطن والفن وتأييد المخلصين

هذه هى قصة زكى طليمات موجزة خلال العامين الماضيين ، وهذه هى أيضا قصة بجماليون القرن العشرين

فقد روت الأساطير الهلينية أن الفنان بجماليون ابتدع تمثالا رائع الجمال فشغف به حبا وتوسل إلى الإلهة أفروديت أن تمنحه زوجة شبيهة بهذا التمثال. واستجابت الإلهة لهذا التوسل بأكثر مما كان يتصور .. إذ منحت الحيـاة للتمثال ذاته وتزوج بجماليون تمثاله الذى ابتدعه بيديه . وما أظن أن رمزية هذه الأسطورة فى حاجة إلى إيضاح .. لـكن مايجدر بنا إيضاحه أن أحدا من شعراء الإغريق لم يحاول إخراجها مسرحيا وإنما اكتفوا واكتفى الأدباء من بعدهم باستلهامها واستيحائها .. فاستلهمها (مارستون) فى أشعاره التى ظهرت عام ١٥٩٨ واستوحاها (موريس) فى مجموعته القصصية التى ظهرت عام ١٨٦٨ وجاء المحدثون فوجدوا فيها معينا لمسرحيات كوميدية .. نذكر من هؤلاء جلبرت ثم شو ثم توفيق الحـكيم وغيرهم .. ومع هذا لم يرتض أحدهم أن يخرجها من إطارها أو أن يزرى بكرامة الفنان بجماليون فى الصراع بينه وبين تمثاله .. واحتفظوا له بكيانه وأخرجوه منتصرا على تحفته الفنية باعتباره مبتدعها ونافخ الروح والجمال فيها . ولـكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الرونق الفنى فرموا المبتدع بحجارة تمثاله وخلقوا من الـكوميديا مأساة .. أولئك هم الزملاء الفضلاء ممثلو فرقة المسرح الحديث وهذه مسرحيتهم التى مثلوها أخيرا مع عميدهم الذى ابتدع فرقتهم، ونفخ فيها الحياة والجمال ، وعشقها وتفانى فى الإخلاص لها فكان جزاءه الجحود والعقوق

وإنى لأذكر فى يوم ميلادها كيف حرص على أن يكتب فى أول نشرة أذاعها : « إن هذه الفرقة لن تهلك إلا إذا ائتمر أعضاؤها على قتلها » وكنت مع إيمانى بحصافته وبعد نظره أعجب لذلك وأعجب أكثر من ذلك لإصراره على تسجيل هذه العبارة فى كل نشراته بلا استثناء ، وما كان يدور بخلدى أن ما توقعه

سيحدث بعد عامين اثنين من إنشائها على الرغم من نجاحها نجاحا منقطع النظير . لم يكن زكى طليمات نبيا ولا مطلعا على الغيب؛ وإنما أدرك — وهو أسبق من زمنه — أن منهاجه العلمى سيؤدى به إلى النجاح بين قوم لم يتوسلوا من قبل بمنهاج علمى بدليل أنهم كانوا يتوقعون له الإخفاق .. وأدرك من جهة أخرى أن هؤلاء القوم سيحاولون هدم ما بناه .. وأدرك أيضاً أن لا شئ ينال منه إلا أن ينهار البناء ذاته . وربما كان أبرز ما يؤيد صحة مدركاته أن مما تتجه إليه النية الآن إدماج فرقته .. بعد ما أوشكت أن تتداعى — بالفرقة المصرية ... وهكذا يتكشف الباعث الأصيل للمطالبة بإقصائه أو بعبارة أخرى لهدم الصرح الذى أقامه ... وتتكشف تبعا لذلك أغوار هذه المحنة الأخلاقية التى أصبحت مضرب الأمثال

إن شيئاً واحدا أريد أن أصارح به زملائى ، وهو أن زكى طليمات « الفنان » حقيقة تاريخية لا سبيل إلى طمسها ، وإذن فلا ضير عليه ، وإنما الضير على أبنائه الذين ضربوا مثلا رائعا فى انتهاز الفرص حتى لقد استباحت ضمائرهم إهدار كرامته وهانت أبوته وأستاذيته ، وكل ما أخشاه أن تكون فى الإطاحة به إطاحة بهم وبمدرسته الفنية وبالأمل الذى كان يراودنا فى تحقيق نهضة المسرح المصرى الحديث

عبد الفتاح البارودى

الكتب

الاخــوان المسلمون

كبرى الحركات الاسلامية الحديثة

تأليف الدكتور إسحاق موسى الحسينى

٢١٧ صفحة من القطع المتوسط - نشر دار بيروت ١٩٥٢

للأستاذ عمر عودة الخطيب

هذا الكتاب يجئ فى أوانه ، لأن لحركة الإخوان أثرا كبيرا فى كثير من الحركات التى شملت الشرق الإسلامى فى السنين الأخيرة ، ولا يستطيع المؤرخ المنصف أن يغفل هذا الأثر الذى سجلته الأعمال الجسام والأحداث العظام ، ولذا يجدر بالمثقفين أن يعيروا هذا الكتاب عنايتهم ، وبالنقاد أن يعرضوا له بالنقد والتحليل

أما مؤلفه الدكتور إسحاق موسى الحسينى ، فهو أحد أساتذة الجامعة الأميركية فى بيروت ، ومثقف واسع الاطلاع ، وأديب مشرق الأسلوب ، وهو جدير بأن يتناول هذا الموضوع الدقيق بقلمه الحر المنصف ، وأن يحلل هذه الحركة الجبارة بعقله الخصب الواعى ، بعد أن كتب فى موضوع الإخوان كثير من الكتاب ، وهم بين أنصار يقومون بواجب الدعاية والدفاع ، وبين خصوم يتناولون الحركة بالتجريح والهجوم ، وقد أصبح طالب الحقيقة الواضحة الصافية حائرا بين هؤلاء وأولئك ، وبقيت هذه الثغرة مفتوحة لم يستطع الكثيرون سدها ، حتى جاء الدكتور الحسينى بمؤلفه الجديد وجعل رائده أن يبحث عن الحقيقة بحياد وإنصاف ، ولذا فهو لا يألو جهدا فى تتبع كلام الخصوم والأنصار ، فيؤيد هؤلاء تارة ، ويميل مع أولئك أخرى ، بأسلوب مهذب لبق ، برئ من التهجم ، وخلا عن التعصب ، وحاول أن يكون دائما على الحياد ، وقريبا من الصواب ، بيد أنه — فى سبيل هذا الحياد — سلك فى بعض الأحيان طريقا وعرة ، وقيد قلمه بقيود ثقيلة ، ما كان أغناه عنها ! ولذا وقع فى بعض الأخطاء ، ذلك لأنه يريد أن يقرر فى ذهن القارئ بعده عن التحيز لهذه الدعوة ، خشية أن يتهمه أحد بالانتصار لها

وأكبر أخطائه — على ندرتها — وأكثرها شيوعا فى كتابه ، رأيه فى الحكومة الدينية التى يقول إن الاخوان يعملون لها . ولا غضاضة على الإخوان — فى رأينا — أن يسعوا إليها ، ويبذلوا الغالى والرخيص فى سبيلها ، لأنها أمنية كل مسلم يقظ ، يعرف ما فى الحكومة الإسلامية من خير وسعادة للفرد والمجتمع والإنسانية عامة ، ولكن المؤلف فى حديثه عن الحكومة الدينية يقف موقف المعارض لها بأسلوب فيه كثير من اللف والدوران يقول : (لا شك فى أن الإخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثا .. لقد رأوا بعض القوانين فى مصر تبيح ما نهى عنه الدين ، رأوا

قانونا يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، وهما محرمان دينا فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الدينى فى جميع الأحوال بلا استثناء ، كما كان الحال فى صدر الإسلام ، وهذا هو موطن الدقة فى الموضوع ، هل جميع القوانين المدنية أدت إلى ما أدى إليه هذان القانونان ؟ هل كل تشريع مدنى فاسد ؟ لو كان الأمر كذلك لكان التشريع الغربى بل تشريع العالم أجمع ؛ عدا القسم من العالم الإسلامى الذى يطبق التشريع الدينى فاسدا ، وهو قول سخيف ، فالتشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) ص ١٦٥

وموضع الخطر والخطأ فى هذا الكلام أن الاخوان بنوا فكرة دعوتهم للحكومة الإسلامية حين رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، والحقيقة غير ذلك ، لأن كل من يدعـــو إلى الحكومة الاسلامية سواء أكان الإخوان أم غيرهم ، يستطيع أن يجعل قانون الزنا والخمر مثلا سبيلا لقيام الحكومة الاسلامية ، لأن مثل هذا السبب لا يصح أن يكون وحده أساسا لمثل هذه الدعوة ، وإلا كانت هذه الدولة أخلاقية روحية فحسب، لا شأن لها فى تنظيم المجتمع ، وتنمية الثروة ، والعلاقات الدولية . نعم إن من أهداف الحكومة الاسلامية ، إقامة حدود الله ومنها حد الزنا والخمر ... ولكن ليست هذه وحدها أيضا مما تقوم به دولة الإسلام

والسبب الحقيقى فى قيام الحكم الإسلامى إنما هو الإسلام نفسه ... فالاسلام وجد ليحكم ، ويؤسس دولة ، وينشئ أمة ، ويقود عالما ، والعبادة فيه وسيلة لتربية الضمير الإنسانى ، ليعدل إذا حكم ، وينصح إذا استشير ، ويخلص إذا عمل ، ويسعى للمصلحة العامة ، ويدفع أذى الأعداء ، والتشريع الإسلامى الذى هو قانون الحكومة الإسلامية ، ينظم شؤون الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، لأنه قواعد عامة ، وأصول مرنة ، قابلة للتطور والاجتهاد.

وقول المؤلف (بأن التشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) فى هذا القول تأييد للتشريع المدنى وأنه يلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ... ولا يجوز عقلا أن يختلفا ، ونحن نعلم أن التشريع المدنى يبيح الربا وأن الدين يحرمـــه ، والتشريع المدنى — فى كثير من البلاد — يحمى الإقطاع والاستغلال ، والإسلام حرب عليها ... فكيف جاز عقلا أن يختلفا ؟ !

إن فكرة فصل الإسلام عن الدولة ، وإبعاده عن الحكم ، وإقصائه عن التشريع انحراف به عن غايته السامية ، وحبس له فى الخلوة والزاوية ، وجعله هيكلا راهنا منحلا ، لا يقوى على رد عدوان ، أو صد هجوم ، وهذا هو ما آل إليه أمر الإسلام بعد أن تكالب عليه الأعداء ، ورموه بالجمود والرجعية ، ووصموا أتباعه بالتأخر والهمجية ، وساموهم سوء العذاب بالاستعمار والطغيان ... ومن المؤسف أن كثيراً ممن شدا طرفا من الثقافة الغربية ، وتأثر بالنهضة الأوربية التى قامت على أساس إبعاد الكنيسة عن الدولة ، يدعون بهذه الدعوة ، وينادون بهذه الفكرة ، ناسين ما بين الإسلام والمسيحية من فروق شاسعة ، وبون بعيد ، وقد تصدى لرد هذه الفكرة الخاطئة الأستاذ سيد قطب فى كتابه (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) [1] وكانت سياسة الإخوان ، ونشاطهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، ردا عمليا على هؤلاء الذين يتهمون الإسلام بالجمود ، ويصمونه بالعجز عن تنظيم المجتمع الحديث ، وهم كما قال فيهم الأستاذ الزيات (يحاولون أن يبعثوا فى الهيكل الواهن المنحل روح الإسلام الفتية القوية ، التى نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادى الجزيرة رعاة غنم، إلى حواضر الدنيا قادة أمم) و (هم هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ ، عقيدة الإسلام الخالص ، وعقلية المسلم الحق ، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة ، وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق ، وأن السوق عمارة المسجد ، وكان للاخوان المسلمين فى الإرشاد لسان ، وفى الاقتصاد يد ، وفى الجهاد سلاح ، وفى السياسة رأى)

وهناك أمر آخر وثيق الصلة بموضوع الحكومة الدينية ، وهو اشتراك الجمعية فى السياسة ، يخطئ فيه المؤلف فيقول : (وأثرت هـذه الإجراءات الصارمة — يعنى بطش إبراهيم عبد

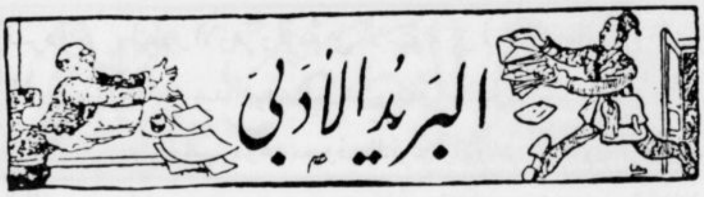
(١) راجع الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام »

الهادى — فى البنا الذى رأى البيت الذى بناه بيده فى عشرين عاما قد انهار بين ليلة وضحاها ، ويبدو أنه ندم على اشتراك الجمعية فى السياسة ص ٣٦ ، وأحب أن أؤكد للمؤلف أن البنا لم يندم على اشتراك الجمعية فى السياسة) لأن السياسة — فى عقيدته — جزء لا ينفصل من الإسلام ، ولو فرضنا أن هذه الإجراءات القاسية الرهيبة ، أثرت فى نفسه ، فلا يمكن أن يبلغ أثرها حدا يجعله يتخلى عن جزء من عقيدته التى هى عقيدة الإسلام الخالص. على أنى شهدت له موقفاً خالداً مع مندوب الحكومة فى دار جمعية الشبان المسلمين قبل استشهاده بأيام ... سمعته — رحمه الله — يقول لمندوب الحكومة المفاوض (قل لمن وراءك : إذا كان ملك البلاد ، ومن ورائه حكومته الرشيدة وعلماء الأنام ، كل هؤلاء حرب على الإخوان المسلمين ، فلا أقول عندى مليون أو ثلاثة ملايين ... بل عندى خمسون ، لا يضع الواحد منهم أنفه فى الرغام ، حتى يحطم خمسين من هذه الأصنام) وفى هذا الكلام — بلا ريب — تهديد خطير ، وهو لا يدل على نفس نادمة ، أو عزيمة خائرة ، بل يعنى أن هذه المحنة لم تنل من نفسه ولم تغير من عقيدته ، وكيف ؟! وهو الذى كان يسمى تلك المحنة العصيبة منحة يمحص الله بها الصادقين المخلصين

ثم أراد المؤلف أن يعلل اهتمام الإخوان بالصناعة والشركات، فعجب من أن يغرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية ص ١٤٥ وقال (إن كانوا يقصدون أن الدين يشرع لهذه المظاهر الدنيوية ، ويفرض سلطانه عليها ، ويحدد سلوك الفرد فيها ، فقد غالوا فى مفهوم الدين ، ووضعوا أمام السائرين فى الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار) ص ١٤٦ ، ويبدو أن المؤلف الذى يعجب من هذا الطوفان غير الروحى ، لا يريد أن يتخلى عن نظرته إلى الإسلام ، على أنه عبادة وروح وأخلاق ، وأود أن أذكره أن فى كتب الفقه الإسلامى قسما كبيرا للمعاملات ، فيه فصول مسهبة دقيقة تنظم البيع والسلم ، والقرض والرهن ، والتفليس والحجر ، والصلح والحوالة ، والضمان والشركة ، والوكالة والشفعة ، والمزارعة والمساقاة، ولهذه الأحكام الفقهية أدلة قوية، من القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف ، بذل الفقهاء جهداً كبيراً فى استنباطها وترتيبها ... وليس مرد هذا الاهتمام إذاً إلى ممارسة البنا لصناعة إصلاح الساعات كما يقول المؤلف (أما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مرده الأولى إلى صناعة إصلاح الساعات ، التى أتقنها الوالد ، وأولع بها الفتى ، ومارسها كذلك) ص ٤٤ ولا أجد داعياً إلى اتهام الإخوان بالمغالاة فى الدين ، كما لا أجد حاجة لأن يتساءل المؤلف هذا التساؤل العجيب فيقول : (وما الذى حمل الإخوان على مط الدين على هذا النحو ؟) ص ١٤٦ ، فليطمئن على أن الدين لم يمط ، ولن يمط ، لأن فيه إمكانية واسعة لتنظيم شئون الدين والدنيا

هذه ملاحظات يسيرة ، لا تغض من شأن هذا المؤلف القيم الذى يحوى بين دفتيه حقائق ناصعة ، وآراء صحيحة ، وتحليلا ناجحا لهذه الحركة . فضلا عن ذلك الإحصاء الدقيق لكل ما يتعلق بالإخوان ، وقد ذيل المؤلف كتابه بالمراجع والشروح التى اعتمدها ، ونقل عنها ، فلا يكاد يترك كتابا أو رسالة أو صحيفة أو مقالة فيها حديث عن الحركة ، إلا ذكرها وأوجز ما فيها ، وقد بذل — ولا شك — فى هذا السبيل جهدا كبيرا ، يستحق أن يسجل بآيات الشكر والثناء

محمود عودة الخطيب



إلى الأستاذ محمد سالم الخولى

تحية مباركة

وبعد فقد قرأت فى العدد الألق مقالكم القيم « أثر الرسالة فى الأدب الحديث » وأعجبنى منه كيف غاب عن ذاكرتكم — وأنتم تعددون أسماء الأشياخ الأعلام وشباب الكتاب — اسم الأستاذ على الطنطاوى الذى رافق الرسالة من مشرق عمرها المديد على حد تعبيركم — ولا يزال .

أجل لقد عجبت أن يند عن الذاكرة اسم هذا العلم الشامخ ، وإن العهد به فى الرسالة لقريب ، فارجعوا إن شئتم إلى مقاله المنشور فى العدد ا ٩٩٨ فهو الغاية فى التعريف بهذا الأديب الكبير والدلالة على منزلته الرفيعة وصوته البعيد فى الأقطار الشاسعة التى فتحتها له الرسالة الغراء ومكنت له فيها ، وهو إلى ذلك فن بديع فى التنويه بالنفس والتعريض بالآخرين

دمشق — **خليل صادق**

لا يعلم الغيب إلا الله

قال الأستاذ ناصر سعيد : (إن النبى ولاشك كان يعلم الغيب) وهذا خلاف الثابت المعروف من الدين بالضرورة ، من أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وإنما يكشف الله لرسوله عن أشياء معينة ، لحكمة يريدها فيخبر بها

ولعلى أعد فى هذا الموضوع فصلا أنشره فى الرسالة

تصويب

فى مقالتى فى العدد (٩٩٨) تطبيعات منها كلمة يستشرق للحب وهى يستشرف للحب

على الطنطاوى

حول شوقية لم تنشر

نشر الأستاذ محمد عدنان حسين فى العدد ٩٩٨ رثاء شوقى للمغفور له الخديو توفيق فى الصفحات ٩٢١—٩٢٣ وتقع المرثية المذكورة فى ٨٣ بيتا . وقال إنها لم تنشر فى ديوان شوقى — ولكن التوفيق الذى يصاحب الأستاذ عبد القادر الناصرى فى استدراكاته خان الأستاذ عدنان . فالرثاء المذكور طبع ضمن الجزء الأول من الشوقيات طبع مطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٨٩٨ م وهو الجزء الوحيد الذى طبع من الشوقيات القديمة والقصيدة فيه من ص ١٣٤ إلى ١٣٨ . وتقع فى ٨٦ بيتا أى بزيادة ثلاثة أبيات على ما نشر الأستاذ عدنان . وغنى عن التعريف أن الشوقيات القديمة المذكورة أعلاه تحتوى على كثير مما لم يعد طبعه فى الأجزاء الأربعة من الشوقيات الجديدة — كما أن بعض ما نشر فى الجزء الثانى من الشوقيات الجديدة على أنه غزل إنما هو استهلال قصائد مدح الخديو عباس طيب الله ثراه — مثال ذلك قصيدة علموه كيف يجفو — نشر منها تسعة أبيات من أولها فقط فى ص ١٦٣ من الجزء الثانى من الشوقيات الجديدة — بينما هى فى ٣٤ بيتا فى الشوقيات القديمة انظر ص ٨٩—٩١ ، وحبذا لو تكرم حضرات المستدركين بمراجعة الشوقيات القديمة قبل الجزم بعدم نشر فريدة من فرائد شوقى

عبد السلام النجار

من عثرات الأقلام

كتب الأستاذ الربيع الغزالى فى جريدة الأهرام أن (متشرد) صحيحة مثل . مشرد وشريد ، وحجته فى ذلك : أن التاء مزيدة للطلب ، وأنه جاء فى المنجد ، تشرد القوم : ذهبوا

وهذه الحجة لا تنهض دليلا على صحة ما ذهب إليه ، فإن التاء وغيرها من حروف الزيادة ، ليست زيادتها قياسية فى الفعل أو مشتقاته بل مدار هذه الزيادة على ما سمع من العرب ، والقاعدة عند اللغويين أن ما سمع يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ولم يؤثر عمن يوثق به من أئمة الفصحى الفعل (تشرد) بمعنى صار شريدا ، ولا يمكن أن يتصور معنى الطلب فى (تشرد) لأن التشريد لا يطلبه أحد لنفسه

وورود كلمة (تشرد) فى المنجد ليس دليلا على صحتها ، لأن المنجد ليس من المصادر المعتمدة عند علماء اللغة ، ولو كانت الكلمة صحيحة لوردت هى أو بعض اشتقاقاتها فى أحد المراجع

المعول عليها عند اللغويين، ثم لم نظلم المنجد وقد أورد كلمة (تشرد) بمعنى ذهب لا بمعنى طرد ، ولا يخفى على أحد ما بين المعنيين من فرق

هذا ولن يضير اللغة أو ينقص من قدرها أن ينفى الزائف عنها ؛ ويقتصر على استعمال الصحيح من مفرداتها

عبد الجواد سليمان

سرقة أدبية

قراء الرساله يذكرون تلك العجالة الخاطفة التى نوه بها الأستاذ كال رستم فى العدد ٩٢٢ من مجلتنا الغراء ، ذاكرا أن الأستاذ إبراهيم المصرى الكاتب القصصى المعروف . . قد سطا على قصة أنطون تشيكوف « الرهان » وأضافها إلى نفسه بالعدد ٨٥٢ من مجلة آخر ساعة تحت عنوان « الرهان العجيب » ! ومع أن كلمة الأستاذ كال رستم كانت تتسم بطابع العنف ، فقد صمت الأستاذ المصرى صمت المتهم الذى ثبتت إدانته . .

واليوم . . تتكرر نفس المأساة على صفحات آخر ساعة نفسها ، فقد طلعت علينا فى عددها الفائت بقصة للأستاذ أمين يوسف غراب تحت عنوان « دقات الساعة » ، وقدمها على أنها قصة رمزيه مصرية ! والقصة ليست من الرمزية أو المصرية فى شئ ؛ وإن القارئ للعدد ٩٣٤ من الرسالة الغراء . . الصادر بتاريخ ٢٨ مايو سنه ١٩٥١ ، وعلى الصفحة ٦٢٧ من نفس العدد ، يطالع هذه القصة .. وهى مسرحية ذات فصل واحد من روائع « ميشيل وست » قمت بترجمتها وتقديمها . وقد تطاول الأستاذ أمين على أصول القصة ، فنفحها بعضا من عندياته ، ولست أدرى ! أهذا إمعان منه فى الكرم على مؤلفها ذى الحق المسلوب ؟ أم رأى فيها اعوجاجا فأبى إلا أن يتفضل بتقويمه ؟ أم أراد أن يطمس معالم السرقة كما فعل الأستاذ المصرى فى قصته « الرهان العجيب » ؟

عبد القادر حميدة

شخصية الأسبوع

نشرت البروجريه ديغنش كلمة تحت هذا العنوان عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم أشارت فيها إلى مقترحاته لتطهير الأزهر وعزمه على الاستقالة إن لم تجب مطالبه ؛ وقالت إن الشيخ عبد المجيد سليم يتمتع بثقة الغالبية من رجال الدين والعلماء واحترامهم ، وهو معروف بالتقوى والورع . وما حاول قط أن يفيد لنفسه ، وقد جعل همه مصلحة الجامعة الأزهرية قبل مصلحة الأفراد ، ومن أجل ذلك كافح فى سبيل إنقاذ تلك المؤسسة الدينية . وهو لا يخشى إلا الله ولا يساوم فى كرامته ، ولذلك يستحق بجدارة تقدير الوطن

يهز الجيش حولك جانبيه

فى البريد الأدبى من العدد ١٠٠١ من الرسالة الزهراء ، يقول الأستاذ خلف إبراهيم الكاتب إنه لم يجد البيت :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

فى الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوق ، والحق أن البيت المذكور إنما هو للمتنبى ، وهو من قصيدته التى يمدح بها سيف الدولة ومطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب

وليرجع الأستاذ إلى هذه القصيدة فى الصفحة ٧٥ من الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى للعكبرى ، شرح وتحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى

عبد الرازق عبد ربه

هفوة

قرأت بالعدد الأخير من الرساله الغراء قصيدة ممتعة للشاعر الشاب . . محمد مفتاح الفيتورى . تحت عنوان « العائدون من الحرب » ؛ والقصيدة تعد أنموذجا يحتذى فى الشعر الوطنى الحديث ، لولا أن وقع الشاعر الفاضل فى هفوة كنت أحب أن تتخلص منها قصيدته ، إذ أن البيت الثانى من المقطوعة الأخيرة تنقصه « تفعيلة » ، فهو يقول :

فلا بارك هذى اليد لا باركها الرحمن
(إذا لم تسق بالحب صدى الجيران)

وكان الصحيح أن يقول مثلا :

إذا لم تسق بالحب صدى للعائد الجيران

وبذلك يستقيم البيت وزنا

عبد المنعم عواد يوسف



الحذاء المشئوم

للكاتبة الإيطالية جرازيا دليدا

ضاقت سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد عملا ، وهو لا يدرى كيف يزجى هذا الفراغ العريض الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطرا من نهاره فى حجرة الانتظار بالمحكمة واضعاً كراسة على ركبته يثبت فيها ماتوافيه به قريحته من أشعار يناجى بها زوجته الحبيبة ، لقد كان الضجيج يعلو بإزائه، والجموع تتقاطر من هنا ومن هناك : ففقيرات النساء يتخاصمن على دريهمات ضئيلة كأنما يتناز عن أقطار الأرض جميعا ، وشاهدو الزور يسيرون فى هدوء وأناة يبتغون شيئا ، وصغار المحامين يندفعون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد ؛ هذا وإيليا جالس فى هدوئه فى زاوية الحجرة ، يكتب إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس مما حوله شيئا :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعينى عقلى ، فكل ما يدور فى العالم مقدر قبل أن يكون . أنا شاعر فيلسوف ، فليس شئ فى الحياة يثير فى الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تعلو بالمرء مرة وتسفل به أخرى . لا تقنطى — ياعزيزتى — فلربما تذكرنا عمى أغسطينو ، أغسطينو الذى طرد زوجته وحرمها ماله ؛ لعله يذكرنا يوما فنذهب إلى شاطئ البحر معا ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج الهائجة ، ونحن نسير ذراعا فى ذراع كأننا عروسان فى شهر العسل؛ على أننا — الآن — سعيدان ، فالحب والاطمئنان يغمران قلبينا وحياتنا، وأنت ياسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت ربّتى وأنت ملكتى »

وفى صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا وهو فى مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس دائما ؛ أحس أن يداً قوية تجذبه فى عنف ، وسمع صوتا خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت فى (تيرانوفا) وعمك هناك يعالج مرضا خطرا ... » هذا صوت سائق ينبهه إلى أمر ، ولكنه ما كان ليسلبه بعض هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث نفسه : «سأنشر هذا الخبر المحزن على عينى زوجتى »

لم تضطرب الزوجة لما سمعت، ولم تحزن ، ولم تفزع من مكانها وهى جالسة أمام باب الدار تلتمس الدفء من أشعة الشمس، وقد ارتدت خير ملابسها ، وانتعلت ، وربّبت شعرها فى دقة وأناقة ؛ غير أن ملابسها وحذاءها وقدعبثت بها يد البلى ، ووجهها وقد شحب وتغضن وذوى جماله ، وعينيها وهما تضطربان وقد خبا ضوءهما وانطفأ بريقهما ؛ كانت كلها ترسم سطورا واضحة فى تاريخ فاقتها وعوزها

ومن أقصى المكان ارتفعت ضجة تشبه ما يسمعه إيليا دائما فى المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار يتنازعون فيما بينهم أمرا ؛ وهذا الندى — وهو جزء من الدار — قد ضم جماعة يلعبون الورق ويمزحون فى ضجة وصخب ؛ والزوجة لا يعنيها ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بإزاء زوجته يداعب شعرها فى رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... ! » قالت الزوجة : « إلى أين ... ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تعى شيئا مما قلت ! إلى عمى أغسطينو طبعاً ! ما أجمل ما أرى فى هذا اليوم ... ! » قالها وقد كتم فى نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكينة فراحت تحدق فى حذائه الممزق مزقا أعيت على الإسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج فى ثبات : « إن معى ما يكفينى ، لا يشغلك هذا . إن كل ما فى الكون يلد الحياة والجمال لو أن فى النفس الهدوء والدعة . إن ما يهم المرء حقا هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلنى هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن تقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها فى حجرها وهو يبتسم ... ثم انطلق وما خلف من شئ سوى هذه القصاصة

انطلق ماشيا لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحت إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعوده منذ زمان ؛ وما كان لشئ ما أن ينزع عنه رزانته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار فى

نشاط وخواطره معلقة بحذائه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ...

***

بلغ إيليا (أوروسى) — وهى قرية فى طريقه — ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لا حب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، فى ناحية من الأرض سحرية ، فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية فى رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسمات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو فى طريقه تراءت له الزهور الرفافة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشذى فى روحه النشاط ، وتذكى فى أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحدرت الشمس إلى مغربها ، فاستحالت حرارتها النعشة إلى برد قارس تحمله نسمات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخانته رزانته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غـيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهـانة واحتقار حين يبدو فى دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه فى مثل حذائه . لا بد أن يجد حـذاء ؛ ولـكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى ... وبعد فترة كان يسير فى شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفى ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبيا قويا جذب إيليا إليه ... جذبه لينام ليلته فى حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيط أحدها يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه معا . استلقى الرجل على فراشه وما فى رأسه غير صورة نعل جديد تتراءى له أينما هفا خياله . فى الشارع ، فى الحقل ، فى زاوية الحجرة ، فى صندوق فى الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحيانا إلى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة .

وظل إيليا تفزعه الريح العاصفة ، والغطيط المدوى فى أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر، وتعلق بصره بنجم يتألق فى السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس إليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطلية ، وعند الحياة الناعمة التى يحياها إلى جانبها لو ظفر بما يملك عمه

وانتفض الرجل من فراشه بعدلأى وهو يضطرب، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يسلبه فوجده ثقيلا واسعا فتركه إلى حذاء الرجل الآخر ، غير أنه لم يجد شيئا ، وطن فى مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف فى مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدت له خسته فحزن ... حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحدق ؛ وحين انمحى الصوت دلف هو إلى الخارج ليرى ... ليرى الردهة خالية إلا من بصيص من نور ، وإلا من قطة تحك جسمها فى الجدار، وإلا من حذاء بإزاء القطة ، بدا فى عينى الرجل جميلا، فانطلق إليه يخبئه فى ثنايا معطفه ، ثم اندفع إلى الشارع فى هدأة الليل وسكونه . ولقد غادر الفندق لم يشعر به أحد ، ثم أسرع وتراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويدا رويدا لتغتمر فى هذه اللجه ، فقال : « ياعجبا ! أكل شئ فى الطبيعة والإنسان يريد أن ينهد ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يخب فى الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن

ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلبس الحذاء المسروق ، لقد بدا عليه السرور والفرح — بادئ الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه « ماذا يكون لو أنهم تبعونى ؟ سيقتلوننى لاشك، ماذا تقول زوجتى إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أفتسرق حذاء ؟ أى فرق بينك وبين من يسرق مليون ليرة ، أيها السارق ؟

واضطربت الفكرة فى رأسه : « مليون ليرة ! أين هى ؟ لئن أجدها لو وجدتها لا ختطفتها لا أبى ولا أبتاها ! » ثم تمطى وهو يبسم لهذه الخاطرة ، ومد رجليه وحرك أصابعه فى الحذاء الجديد ؛ يا عجبا ! لقد رانت على نفسه سحابة سوداء من الكآبة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تختلج كأنها تنفر من هذا الحذاء المسروق ! لقد سار فى طريقه متكاسلا ، ومتأبطا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعته الأفـكار السود ؛ فهو يلتفت إلى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه

وانبثق الفجر كأنه شيطان مارد يحدجه بعينين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعته سحابة دكناء من الضباب ليبعث فى نفســه الفزع والرعب ، ولينذر بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون إلى القرية مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائلهم ، : « نعم ، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... »

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الهوينى ، فى طريقه إلى القرية ، فخيل إليه أنه يحدق فيه ، ويلتفت إليه بين الحين والحين وعلى شفتيه ابتسامة السخرية والتهكم

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهار حزين كالح ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهى تنعق نعيقها المشؤوم ؛ وقد انطوى الجمال الذى أحسه بالأمس فى هـذه الناحيـة ؛ وبدت له الحياة عابسة تبعث فى النفس الألم والضيق ، ودوت فى أذنيـه أصوات تفزعه من مكانه لأنه رأى فيها أصوات الذين من خلفه يقصون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القـديم الممزق بالحذاء الذى سرقه ، وألقى به فى ناحية ثم انطلق

لقد ألقى بعض همه حين ألقى الحـذاء المسروق ، ولـكنه ما يزال فى اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصور له أشياء ! فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيلبيانه ثم يدفعان به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراءى له جماعة يعذبونه ويعذبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤرثها الإجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعه الخواطر المظلمة كما تتناول الرياح الشديدة العاصفة سحابة فى كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام فى هذه المتاهة ، يضرب فى الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة فى وقت معاً ؛ ثم هو لا يطلب إلا سرابا أو أملا كالسراب ، ومن يدرى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتى بالحجة القاطعة يثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... وبرغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يغسل

* * *

نكص الرجل على عقبيه ممتلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق فى الحذاء الملقى فى ذهول وبلاهة، أفيواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التى فى رأسه ! أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفـه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر يوماً كاملا لا يطعم شيئا ، فأحس بأعصـابه تتراخى ومشى الهوينى يترنح كأنه عود ذاو تعصف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه فى حلم ، وعلى شفتيه كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، ومر فما تعلق به بصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحـذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه فى لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالى . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقى معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو فى ناظرى إيليا — مرة أخرى — جميلا ، والوادى كأنه يبسم فى رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبعث منه القوة والنشوة ، وهو يندفع فى سيره يفور نشاطاً وحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذى تموج فيه قدماه ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة فى قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتبلغ بهما

وبلغ دار عمه وقد أجهده المسير وأضناه التعب ، ولـكن الأمل كان يشرق فى عينيه فيدفعه إلى الأمام ... لقـد مات عمه منذ سـاعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر إليه فى دهشة وهى تعجب : « أأنت ابن أخيه حقا ؟ لـماذا لم تسرع إلى هنا ؟ » ولـكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هى تقول : « لقد أرسل إليك منذ ثلاثة أيام وانتظر . . . انتظر طويلا وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيته ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يهصم عوده أوصى بكل ما يملك إلى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا إلى داره يحمل إلى زوجته الحبيبة إلى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئا ...

ك . ح

وحى الرسالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول
الثمن ٤٠ قرشاً

المجلد الثانى
الثمن ٤٠ قرشاً

المجلد الثالث
الثمن ٤٠ قرشاً

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا

وهى تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠٤ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

تجلد يا فاروق باشا ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١٠٧٧

رسالة المسجد ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١٠٧٨

العلم والمال ... ... : للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ... ١٠٧٩

عبد الله بن الحسين ... ... : للأستاذ أحمد رمزى ١٠٨١

الاتجاهات الحديثة فى الثقافة الأوردية ... ... : للدكتور عمر حليق ١٠٨٥

الظلم. الجبن. الأنانية. أعداؤنا الثلاثة : للأستاذ محمد محمود زيتون ١٠٨٨

السيد محمد كريم ... ... : « عبد الباسط محمد حسن ١٠٩٠

أقلام الثورة ... ... : « عمر عودة الخطيب ... ١٠٩٢

أحبابى الموتى ... ... (قصيدة) : « أنور العطار ١٠٩٤

(الأدب والفن فى أسبوع) — الأدب فى البصير — الشاعرات — أدب الانقلاب — الترجمة والشعر المنثور ١٠٩٥

(الكتب) — بلادنا فلسطين — تأليف الأستاذ مصطفى مراد الدباغ — للأستاذ على محمد سرطاوى ١٠٩٧

(البريد الأدبى) — هل كان الزهاوى فيلسوفا — تحت منظا النقد — أبناء الشهداء — غيظ ١١٠١

(القصص) — صديق جديد — عن مجلة « تروستورى » ١١٠٣

20 me année No 1004

Le Caire 29 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تجلد يا قارون باشا !

لك الله يا مسكين ! لم تعد باشا بعد يوليو ، ولن تعود قارون بعد أكتوبر ! ذهب اللقب وضاع (الطين) ، فلا رأس يشمخ ولا لغد ينتفخ ! وخلا الدوار والإصطبل ، فلا ثور يخور ولا فرس يصهل ! وخوى القصر والديوان ، فلا حاجب يسعى ولا حاسب يحسب ! وخفت الصوت الراعد فلا (شخط ولا نطر) ، وخرس اللسان البذئ فلا نهر ولا قهر !

لم يبق لك من تراثك الفاحش الضخم ، إلا جسد بض ، وبطن شحيم ، ووجه جهم ، وذهن مغلق ، وحس مظلم ، وجهل مطبق ، وسمعة قبيحة ! وكانت هذه المزايا التي مازك الله بها مستورة بالطين فما كان يراها أحد . فلما كشفوا عنك غطاء الذهب ، واستردوا منك جلال اللقب ، بدوت في شرفة القصر عاريا من زينة الجسد والروح ، كما بدا فاروق في شاطئ كابرى عاريا من زينة الملك والإنسان !

أنا والله شامت بك يا قارون ! لطالما قرعت سمعك وسمع الأمير بزواجر النصح الخالص ، ولكنكما لم تكونا يومئذ تصدقان أن للناس ربا يمهل ولا يهمل ، وأن للعدل نورا يخبو ولا ينطفئ ، وأن للشعب وعيا يضعف ولا يموت ! وهاهوذا غضب الله يحل ، ونور العدالة يشرق ، ووعى الأمة يستيقظ ؛ فهل أغنى عنكم النضار الذى كنزتموه ، والعقار الذى حزتموه ؟ لقد أخذتكم صيحة الجيش بالحق ، فآمنتم لأول مرة أن الناس عبيد الله ، وأن الوطن ملك الجميع ، وأن الملك أحد الناس

أنا والله شامت بك وبأمثالك يا قارون ! كان لكل منكم حاشية كحاشية فاروق ، وزبانية كزبانية جهنم ! حاشية تحبب إليكم الفسق ، وتهون عليكم الإثم ، وتوفر لديكم المتاع . وزبانية يعقدون لكم دم الفلاح ذهبا ، ويحولون إليكم عرق الأجير فضة . ثم لا يشيرون عليكم أن تعملوا لعبيدكم ما يعمل الفلاح لمواشيه : يغذى البقرة لتحلب ، ويقوى الثور ليحرث !

لقد أصبحتم بكفرانكم لنعم الله ناسا من أقل الناس ، تذوق ألسنتكم الحلو والمر ، وتحس نفوسكم العز والذل ، وترجون الدستور كما نرجو ، وتخشون القانون كما نخشى . وستنسون من طول مايلح البلاء وتفدح الأعباء ، أنكم كنتم من الطبقة التي أقامت نفسها بقوة المال وسطوة الحكم بين الله وبين عباده ، تملك الأمر والنهى ، وتعطى الحياة والموت ، وتضع يدها في يد إبليس ، لتنقض ماأبرم الله ، وتفسد ما أصلح الدين

كنت يا قارون تكره العلم لأنك تحب الجهل ، وتوالى الظلم لأنك تعادى العدل ؛ فماذا تصنع اليوم وقد أصبحت محتاجا إلى العلم لتعمل ، ومفتقرا إلى العدل لتعيش ؟

إن في مذكراتى وذكرياتى أفانين من مخازيك يا قارون ، لو نشرتها على أعين الناس لأنكروا أنك منهم ، وأشفقوا أن تعيش فيهم ؛ ولكنى أتأدب بقول الرسول الكريم : أكرموا عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر !

احمد حسن الزيات

رسالة المسجد فى ظلال
النهضة الجديدة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن وزير الأوقاف فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لم يقبل هذه الوزارة إلا وفى مخيلته رسالة إصلاحية يبغى تحقيقها ؛ وفى نفسه ثورة انقلابية يود إشعالها ، مستعينا على تحقيق رسالته وإشعال ثورته بنضارة شبابه وسداد رأيه وقوة عزمه ، ومستمدا التأييد من هذا العهد الجديد القائم على أسس ثابتة من الإصلاح

وأعتقد مرة أخرى أن وزير الأوقاف هذا ينال ثقة كبرى من شعب مصر على اختلاف أحزابه وهيآته . ولاسيما شباب الطليعة الذى يقدر ثقته، ويحسن الظن بها . وما أكثر مايئس الناس قبلا من إصلاح وزارة الأوقاف وفقدوا الأمل كله فى إنقاذها من أوحالها وأثقالها وأوزارها ! ولكن ما أكثر مايملأ الرجاء اليوم قلوبهم وما ينبعث الأمل فى نفوسهم ، واثقين كل الثقة من إصلاحها وإنقاذها على يد وزيرها الشاب الناهض الذى لايقر العجز ولايلين لليأس ولايؤمن بالتقهقر ، ولايرضى الفشل ثمرة لجهده الجبار الذى يهب له صحته وراحته

ونحن لايعنينا حل الوقف الأهلى، ولاتنظيم الوقف الخيرى، ولا وضع حد لفوضى الصدقات والخيرات . بقدر مايعنينا رسالة المسجد فى ظلال وثبة الجيش الجبارة ، والنهضة الجديدة المباركة ، وبرنامج الإصلاح الشامل المنشود ، لأن الوقف بنوعيه يهم فئة من الشعب ، ونظام الصدقات يجب ألا يكون من مقومات الأمة فى عهدها الجديد

أما المسجد فيخص الشعب بأسره ، وهو ضرورى له ، لأننا نبغى بعثه من جديد، وتكوينه التكوين السليم، حتى نؤهله للوقوف بجانب الشعوب الناهضة الحية التى أبت إلا حياة العزة والكرامة والمهابة فكان لها ماأرادت .

كان المسجد فى ظلال العهود الإسلامية الأولى معبدا تؤدى فيه الشعائر، ومعهدا تدرس بين جدرانه شتى العلوم ومختلف الفنون، وندوة يروج تحت سقفه ألوان من الأدب المصنى ، وبرلمانا شعبيا تلتقى تحت قبته الآراء الحرة ، وترسم خطط النهضة، وبرامج الإصلاح، وكانت خطبة الجمعة بيانا شاملا عن سياسة الدولة وشؤونها وخطواتها، وكان أن نكبت البلاد الإسلامية بعدئذ بعهود جائرة حكمتها حكما إقطاعيا فاجراء أصاب بجوره وفساده أسلوب الحكم ؛ كما أصاب الشعب والعلم والأدب والفن حتى المسجد لم ينج من شره لأنه لم يكن يملك غير الشر ، ولم تنله رحمته ، لأنه لم يكن يملك ذرة واحدة من الرحمة

إن ذلك الحكم الإقطاعى الذى حكم بلاد المسلمين فى القرنين الأخيرين وقف بالمرصاد للمسجد لأنه البوتقة التى تصهر فيها قوى الشعوب ، وتتكون من بخارها الصيحات الجريئة، والآراء الحرة ، فعولت على أن تجعل منه مجرد معبد تؤدى فيه شعائر الدين ليس إلا، وتجعل من خطبة الجمعة منشورا دوريا ، يزهد المسلمين فى الحياة الدنيا وزينتها ، ويحذرهم مغبة التكالب على الثروة والجاه والسلطان ، ويذكرهم بسكرة الموت وظلمة القبر ، وهول الموقف ، ويروج بينهم للصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خشية الفتنة ، والغفلة عن ظلم الولاة وطغيان الحاكمين وجبروت السلطان حتى لا يموتوا ميتة جاهلية ....!

واليوم وقد وثبت مصر هذه الوثبة المباركة ، وبدأت تتحرك فوق أرض الكنانة قافلة الإصلاح فى غير توان أو تلكؤ ؛ يجب أن يعود للمسجد شأنه فتعود مكانته إلى قلوب الناس من جديد ، والمسجد الجديد يجب أن يشمل الإصلاح مكانه وإمامه ، فمتى وجد المسجد المنظم النظيف وجد الشعب نفسه منجذبا إليه يؤثر الصلاة تحت سقفه على الصلاة فى بيوته ، ومتى وجد الخطيب الحر اللبق القوى؛ وجد شباب الطليعة المثقف نفسه منجذبا إلى المسجد ليفيد من المعانى الاسلامية الحية التى تزيده ثقافة دينية فوق ثقافته العصرية

إن هناك مساجد ضخمة كبرى تهوى إليها الآلاف يوم الجمعة وما أن تسمع خطبة الجمعة من شيخ كهل لا يقوى على النطق فضلا عن الخطابة وهى لا تزيد على كلام مكرر ركيك ذى أسلوب معقد عقيم! ماأن تسمع مثل هذه الخطبة حتى ترتد عن المسجد ضيقة الصدر كئيبة النفس — وبجانب هذه المساجد الضخمة مساجد صغيرة أشبه بالزوايا ، موزعة فى الأزقة والحارات والدروب ، لا تشعر بالدنيا ، ولا تشعر الدنيا بها ! قد عين لها خطباء من الشباب الكفء القدير ، القوى فى تفكيره وأسلوبه ومنطقه ، فإذا كان الضرورى للعهد البائد المنقرض أن يبقى هذا الوضع الشائن ليضمن غفلة الشعب وغفوة الرأى الحر ، فأى مبرر لأن يظل كما هو اليوم ، ونحن فى ظلال حياة جديدة هى فى مسيس الحاجة إلى الشعب القوى ليكون دعامة لها وسياجا لبنائها

وهناك مسألة لها أهميتها ، فالمعروف أن الدروس التى فى المساجد دينية محضة تشتمل فى معظم الأحيان على ألوان من التفسير والفقه والتوحيد والحديث ومزيج من القصص المصطنعة الركيكة ، فلماذا لا يكون بجانب هذه الدروس ولاسيما فى المساجد الكبرى بالعواصم دروس أخرى فى السياسة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وغير ذلك ، وتشرف الوزارة على اختيار المدرسين — بشرط أن يتطوعوا للمساجد المشهورة ، وتترك للأئمة فى المساجد الأخرى حرية الاستعانة بمن يشاءون ، وبذلك نضمن روادا للمساجد من الطليعة الناضجة شبابا وكهولا ، ونخطو بالمسجد خطوة موفقة نحو المكانة التى تليق ببيوت الله . . ؟

هذه همسات خفيفة نرجو أن تصغى لها أذن وزير الأوقاف الموثوق بكفاءته وإخلاصه لرسالته — والله الموفق

محمد عبد الله السمان

العلم والمال

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

ليس للعلم فى ذاته قيمة ، وليس للمال كذلك فى ذاته قيمة ، وإنما تتغير قيمة كل منهما بالنسبة للآخر ، حتى إذا تبدلت ظروف أحدهما فارتفع أو انخفض ، ارتفع الآخر أو انخفض تبعا لذلك

وقد كان للعلم فى العهد السابق على الانقلاب الأخير قيمة معينة بالنسبة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك ، والتى كانت تخضع إلى حد كبير إلى عامل أساسى عظيم الأثر هو المال . فقد كانت الثروة هى القياس لجميع الأشياء ، حتى إذا تبين للناس أنها المحرك الأول فى الحياة ، وأنها هى التى تجلب حاجات المعيشة ، ووسائل الرفاهية ، وأسباب اللهو والزينة ، مما كان فتنة الناس وقبلتهم ، أقبلوا على المال يقتنونه بشتى الوسائل ، شريفة كانت أم غير شريفة ، لا يحفلون فى سبيل ذلك بشئ ، حتى لقد أخضعوا العلم نفسه للمال ، فأصبح يباع ويشترى ، وتطرق إلى بيعه وشرائه أسباب الفساد والرشوة والمحسوبية ، كما تطرق الفساد والرشوة والمحسوبية فى كل شئ آخر فى الحياة

فإن قلت: وهل يخضع العلم للمال ؟ وكيف كان ذلك ؟ قلنا : ألم يبلغك نبأ المعلمين الذين يحملون العلم ويتجه إليهم الطلاب يلتمسون عندهم هذه البضاعة ، كيف انغمسوا إلى الأذقان فى « الدروس الخاصة » يزعمون أنها أجر على التعليم ، وحددوا للساعة أجراً أخذ يرتفع إلى أن بلغ قيمة لا يطيقها أوساط الناس وأصبحت ترهق ميزانياتهم . ولم تكن بدعة الدروس الخاصة معروفة من قبل ، اللهم إلا فى نطاق شديد الضيق ، لأن المعلمين كانوا يقومون بمهنتهم خير قيام ، ويؤدونها أحسن أداء ، ويكفيهم فى ذلك أن الدولة قد تعهدت بمعاشهم ، وأعطتهم الرواتب للقيام بهذا العمل وتنفيذه . وقد شاعت هذه البدعة حتى بلغت أسوار الجامعة واقتحمتها وأصبحت شيئا مألوفا فى معظم كلياتها . وهذا أعظم باب من أبواب الفساد

ولم يقنع المعلمون بالأجر يأخذونه على الدروس الخاصة ، فتهافتوا فى جميع أنواع التعاليم على تأليف كتب يتجرون فى بيعها ، ويفرضونها فرضا على الطلاب ، سواء أكان ذلك فى مدارس الروضة أم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، أم فى كليات

الجامعة . وهذا باب آخر من أبواب الفساد

وهيأ الجشع لبعض المعلمين أن يتجروا فى الامتحانات ، فيهبونها لمن لا يستحق فى نظير مبلغ معلوم ، وفاحت رائحة تزكم الأنوف ، وضبطت حوادث كثيرة من هذا القبيل . وهذا باب ثالث من أبواب الفساد

جملة القول : هبطت قيمة العلم بالإضافة إلى المـال ، وتلوثت أيضا أقدار العلماء والمعلمين ، وهم حملة راية العلم ، وأصبحنا نجد رجالا لا يمتون إلى العلم الصحيح بصلة يتصدرون المجالس ويتبوءون أرفع المناصب ، ويتحكمون فى المصائر ، ويحكمون على غيرهم ، وهم أبعد ما يكون عن المعرفة وعن صفات العلماء

والآن وقد قام الانقلاب على هدم أقدار الناس الذين يعتمدون على المال فقط ، ومن أجل ذلك أصر الوجهون للثورة على تحديد الملـكية ، فلا غرابة أن تتغير قيمة العـلم ومنزلة العلماء مع تغير قيمة المـال

وما دامت الثروة قد أوشكت أن تفقد ما كان لها من سلطان ونفوذ وسحر وأثر فى النفوس ، فسوف يقضى على ألوان الفساد الذى تطرق إلى أبواب العلم

والموقف الذى تقفه مصر اليوم هو أشبه شئ بما كان يجرى فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حين تفشت الديمقراطية وهى حكم الشعب ، ثم فسدت هذه الديمقراطية ، وانتشرت طائفة من الفلاسفة والمعلمين يعرفون باسم السفسطائيين ، يعلمون الناس الخطابة والبيان لحاجتهم إلى هذه الأسلحة فى المجالس النيابية . ولـكنهم كانوا يتناولون أجورا باهظة على التعليم ، ولم يكن غرضهم العلم لذاته ؛ بل تعليم الخصم كيف يتغلب على خصمـه بالحجة باطلة كانت أم صحيحة

فما أشبه العهد السابق بعصر السفسطائيين !

فلما جاء سقراط كان أول همه أن يكافح تلك الجماعة ، فكأن يقوم بالتعليم دون أجر ، مع أنه كان فقيرا ، يمشى فى الأسواق حافى القدمين . وعلى الرغم من صلته بكثير من الأغنياء كان يرفض أن يمد يده إليهم

ثم كان ينشد فى تعليمه الحق الخالص ، لا يبغى تزييفا أو نفعا أو شهرة أو تغلبا على خصم . ولذلك سخط السفسطائيون عليه ، ودبروا له المحاكمة المشهورة فى التاريخ ، والتى انتهت بالحكم عليه بالإعدام . ولـكن الروح التى بثها سقراط هى التى أثمرت وسرت ونجحت ، فكان أفلاطون ثمرتها ، ثم أرسطو من بعده ، واستتبت قواعد العلم على أسس صحيحة بعيدة عن السفسطة

وجدير بمصر اليوم أن تكافح جماعة السفسطائيين الذين ألبسوا الباطل أثواب الحق ، ونشروا أسباب الفساد ، وهبطوا بالعلم والتعليم درجات ودرجات

فلا أجر على التعليم إلا ما تدفعه الدولة

ولا تجارة فى الـكتب

ولا مساومة على الامتحانات

ولم تكن هذه المفاسد كلها مجهولة فى السنوات الماضية ، فقد كتب كثير من أحرار المفكرين فى الصحف ينادون بمـكافحتها والقضاء عليها ، واجتهد بعض وزراء المعارف أن يلتمسوا لها حلا فأمروا بمنع إعطاء الدروس الخاصة ، وأصدروا المنشورات التى تحرم على المعلمين القيام بها . فكانت تلك المنشورات حبرا على ورق ، وظلت تجارة الدروس شائعة رائجة

ولجأ بعض الوزراء إلى إلغاء الامتحـانات أصلا ، ونقل التلاميذ من عام دراسى إلى عام آخر بمجرد الحضور ، والاكتفاء بتقارير المدرسين . ولم يحل هذا الإجراء المشكلة، بل زادها تعقيداً على تعقيد

ولم يكن من اليسور ولا من المعقول أن تصلح حال العلم والتعليم فى وسط موبوء ، كله مفاسد وشرور ومحسوبية وشذوذ، ولذلك كان طلب الإصلاح فى تلك الظروف من المحال

فلما اجتثت الرأس الفاســدة ، والحاشية التى كانت تبث الفساد فى كل ركن من أركان الحياة ، لأن معظم أفرادها من العامة بل وسفلة القوم ، ونحن نعنى ذلك لأن الحاشية كانت من الخدم ! ويحضرنى بهذه المناسبة وصية لابن سينا فى تعليم الرجل أبناءه : هى «ألا يتركهم فى أيدى الخدم حتى لا يتطرق إليهم الفساد، ولا يتخلق بأخلاقهم » نقول لقد مضى عهد الخدم الجهال الذين كانوا يتصدرون الدولة ويعدون بحكم مناصبهم قدوة لغيرهم ، وأصبح الطريق مفتوحاً لمن يتصف بخصلتين أساسيتين هما : العلم

عبد الله بن الحسين وعباس الثانى

للأستاذ أحمد رمزى

بقية ما نشر فى العدد ٩٤٨ — ٣ سبتمبر ١٩٥١

كتب عبد الله بن الحسين مذكراته وطبعها فى لندن وجاء فى نسخة بالإنجليزية وقعت ليدى ، اطلعت فيها على الفصل العاشر المسمى «الحرب» ، وكانت إحدى المجلات الأسبوعية قد نشرت قسما منه فى مصر نقلا عن الصفحة ١٢٨ جاء فيه « لقد زارنى الخديو عباس فى عمان وكان ذلك إبان حكم الملك فؤاد الأول لمصر وقال لى الخديو « هذا هو القدر وأنا غير نادم على شئ ، لقد تعبت بعد أن حكمت ٢٥ سنة كاملة وأن عمى الملك فؤاد الذى يحكم مصر الآن يعانى ما كنت أعانيه — إن من الصعب أن ترضى شعبنا — الشعب المصرى — ومن الصعب أن ينتهى الاحتلال البريطانى لأن الإنجليز أقوى منا بحيث لا نستطيع طردهم » ثم قال لى الخديو بصوت حزين « إن الشئ الوحيد الذى أنا آسف عليه فعلا هو أنى أعيش بعيدا عن البلاد الإسلامية فلا أستطيع أن أرى مآذن المساجد أو أسمع الأذان للصلاة منبعثا منها ، إنى أخاف أن أموت بعيدا عنها وأن أدفن فى أرض غريبة

ولما اطلعت فى الأصل الإنجليزى على هذه الفقرة بالذات عادت إلى ذكريات الحوادث والأيام التى عشتها بمدينة القدس بين سنة ١٩٣٥ ، ١٩٣٧ فقد حضرت طرفاً من هذا الموضوع الذى أثاره عبد الله بن الحسين وكان لى معه حديث فيه ، كما أننى دعيت إلى حفلة أقامها الخديو السابق ، ولما استأذنت الحكومة فى حضورها جاءتنى برقية غريبة تقول بادعاء المرض والتزام الفراش فى نفس الوقت الذى كنت مقيما فيه بالفندق الذى نزل فيه الخديو السابق

إن حوادث هذه الأيام تقع فى شهر يناير سنة ١٩٣٦ ومقابلة

والخلق ، وذهب إلى غير رجعة من يسلك الطريق بالمال

غير أن انهيار أصحاب المال لا يكفى وحده فى إصلاح الحال ؛ فأنت تعرف ولا ريب سلطان العادة على النفوس . وقد درج الكثيرون فيما سبق على كسب المال من طريق العلم والاتجار فيه ، وتزييف الكتب ودفعها إلى السوق ، متسترين باسم الألقاب العلمية التى حصلوا عليها بأسباب غير شريفة . وهؤلاء وأولئك لن يعفوا عن باب اعتادوه وكان يدر عليهم الذهب . وسوف يكون موقفهم كموقف الأحزاب السياسية التى رفضت الدعوة إلى التطهير حتى أرغمت عليه

لذلك نحن فى حاجة إلى تطهير جبهة العلم من الأدعياء السفسطائيين بحركة جريئة تجتث الرؤوس الفاسدة ، وقد تعفنت من الفساد ، ولا يرجى معها إصلاح

إن قوة الأمة تقاس بانتشار العلم الصحيح بين أبنائها ، لا بمقدار ما يملكه أفرادها من مال . وجدير بمصر وهى فى فجر ثورتها أن تعول على الطريق الجدى الموصل حقا إلى تقويتها ، وهو العلم . ولن يتيسر ذلك إلا بإصلاح هيئات التعليم ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعمل الخالص لوجه العلم والابتعاد عن فتنة المال كما كان الحال فى صدر الإسلام ، حين كان العلماء يقومون بتعليم الناس حسبة لوجه الله ، لا يتناولون على تعليمهم أجرا . بل إن فقهاء الدين أصحاب المذاهب كأبى حنيفة وابن حنبل ، لم يعرف عنهم التكسب بالفقه ، بل كان للواحد منهم صناعة يعتمد فيها على معاشه ، مثل أبى حنيفة الذى كان بزازا

فأين علماء اليوم من علماء الأمس ؟

عاش علماء الأمس فقراء طول حياتهم ، فخلد اسمهم على الزمان ، وظلت آثارهم باقية حتى اليوم ، وتنعم علماء اليوم فى رغد من العيش وفيض من الثروة ، فقتلوا أنفسهم ، وقتلوا أسمهم معهم

فليبتعد العلماء عن فتنة المال حتى ينزهوا العلم عن الشوائب ، وحتى يكونوا قدوة صالحة للطلاب ، وعاملا فى بناء مجد مصر ليبتعدوا عن هذا كله قبل أن تمتد إليهم يد الثورة فتحرقهم

أحمد فؤاد الأهوانى

الخديو عباس مع عبد الله بن الحسين تقع فى شهر رمضان ، أما الدعوة إلى حضور مأدبة الخديو السابق فقد كان محددا لها يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦

ولشرح ما جاء فى تلك الأيام عدت إلى مذكراتى فى تلك الفترة بالذات التى حضر فيها الخديو السابق إلى مدينة القدس ونزل فى فندق الملك داود (كنج دافيد) وقام بزيارة القنصلية المصرية وطلب إلى بعد تقديم القهوة له أن يرى المكاتب وطريقة العمل فيها . فرافقته فى زيارته وقدمت إليه الموظفين ، واحدا واحدا ، وكان السرور باديا على وجهه لأنه بعد سنوات طويلة اتصل لأول مرة بعد اعتزاله الحكم بمكتب مصرى رسمى تابع للحكومة المصرية التى بقى على رأسها اثنين وعشرين عاما

وقد لاحظت بعد وصوله كثرة عدد الرواد المصريين فى فلسطين ولكل منهم وجهته الخاصة وكانت آمالهم تتجه إلى تنسم أخباره، وكان من بينهم من يعرف جيدا كيف يستغلون الخديو السابق ويحصلون على أمواله ، وكان منهم من أتقن طريقة استغلال مصر لمنفعتهم والقيام برحلات على حساب المصاريف السرية للتمتع برؤية فلسطين

وكانوا يحضرون إلى القنصلية للتحية ، ويكفى الحديث معهم عدة دقائق لتفهم الوضع الصحيح لعواطفهم واتجاهاتهم، فقد زارنى كثيرون من رجال السياسة والأعيان وأهل الرأى ورجال الصحافة . أذكر من ذلك تصريح أحد الصحفيين المعروفين الآن بقوله لى « إن إحدى الجرائد المصرية المشهورة لم تكن على وفاق تام مع السراى الملكية، وأنه وفق بناء على جهوده إلى إزالة هذا البرود وذلك حينما أقنع صاحب هذه الجريدة بأن يطبع عددا ممتازا خاصا بأعمال فؤاد الأول فى المدة التى حكم فيها » صرح بهذا لى فى الوقت الذى كان دائم الاتصال بالخديو السابق ويعمل لحسابه ...

وكان عباس حلمى الثانى يتبع نظاما خاصا للأكل، ولذا اعتاد الحضور إلى الفندق فى الساعة السابعة مساء لتناول العشاء ، وكان ينتهى منه فى الساعة الثامنة وهو الوقت الذى أدخل فيه قاعة الطعام . فكان يتفضل بتحيتى ويدعونى للجلوس معه فى ردهة الفندق وهناك يجتمع حوله الزوار المصريون فتأتيه أنباء المفاوضات القائمة بمصر بقصر الزعفران وما تم فى الجلسات من المناقشات وما تبودل من الرأى فيها ، وكان يعلق على ذلك جميعه بأسلوب الرجل المتمكن فهمه لتطور سياسة بلاده وعلاقتها بتطور السياسة العالمية

وفى بعض الأحيان كان يحضر المجلس المرحوم سليمان فوزى فيحدث كيف كان أحد الذين ضربوا بالمسجد الأقصى عند اجتماع المؤتمر الإسلامى الذى عقد هناك فأثار ضحك المجلس بأسلوبه الفكه النادر

وفى ليلة من الليالى بعد انصراف الخديو السابق التفت إلى أحد المشتغلين بالسياسة فى مصر ووجه حديثه إلى قائلا « لا تنسنا يا رمزى فى تقاريرك التى سترسلها حتما عما دار فى هذه الجلسة من أحاديثنا » وهنا جمد الدم فى عروقى ورددت عليه بقولى : « إن لحكومة مصر ألف وسيلة لكى تعلم ما دار فى هذا المجلس من الأحاديث وهى لا شك ستعلم ما دار هنا ، أما أنا فلا أجد فيها من الأهمية والخطورة مايصح أن تعلق مصر أهمية عليه ؛ ولكنى أذكر جيدا كيف اجتمع البعض فى تركيا وقابلوا الخديو الذى كان جالسا معنا منذ لحظة : وحينما انصرف وانفض الجمع بادر كل واحد لتقديم تقرير هزيل عما تم فى هذه المقابلة وما تحدث به إخوانه وأصحابه » واستأذنت للذهاب إلى حجرتى

* * *

وإنى لأعجب لهؤلاء الذين يملأهم الغرور ، ويدعون العلم بالسياسة ويتظاهرون بانتقاء الأخبار والتقرب زلفى إلى ذوى السلطان ، ويتنقلون بين مختلف الأحزاب والهيئات ، كيف كانوا يعيشون ويحلمون فى وقت دائم الحركة والعمل والإنشاء

وقد ملأ الأسى نفسى لما فكرت فى هؤلاء النكرات وأنا أقلب صفحات مذكراتى عن تلك الأيام فوقع نظرى على ما كتبته فى يوم ٤ فبراير ١٩٣٦

« حضر إلى إدوارد صموئيل نجل هربرت صموئيل المندوب البريطانى الأسبق فى فلسطين ، وهو يشغل وظيفة وكيل مصلحة المهاجرة بحكومة الانتداب ... فقال لى

« إن الصحافة المصرية تصل بانتظام كل يوم إلى فلسطين أى فى اليوم الذى تصدر فيه بالقاهرة ، ولها تأثير غريب فى عقلية

أهل البلاد العرب فهى تلهب حماسهم وتجعلهم يفتحون أنظارهم كل صباح على أحوال العالم الخارجية والاتصال بتطورها » ، وقال « إنه علم بأن الوزارة المصرية الجديدة أقدر من سابقتها على فهم مركز مصر الدولى »

ثم أردف بقوله « إن مركز قنصلية مصر هنا هـام لـكثرة المصريين المهاجرين إلى فلسطين ولـكثرة أعمالها واتصالها بالهيئات الرسمية وغير الرسمية (يقصد الوكالة اليهودية والهيئات العربية) ولـكن حكومة مصر لا ترسل إلى هـذا المكان إلا من كان مغضوبا عليه فى بلاده » وهنا قاطعته وقلت « أنت مخطئ فى هذه الناحية لأننى كنت أشغل وظيفة أقل من هذه ثم رقيت إليها » قال : « أقصد أن حكومة مصر لا تقدر هـذا المركز تماما ولا تعلق عليه ما يستحق من أهمية . وقد سمعت من الـكثيرين من رجالـكم الرسميين وغـيرهم من أن القناصل المتقـدمين فى السن والذين لا يصلحون فى شئ هم الذين يرسلون إلى القدس »

ثم صرح بما يأتى « إن شرق الأردن تحسد فلسطين على حالة الرواج فيها ، وأهل فلسطين يحسدون مصر لأنها بلاد من أغنى بلاد الأرض وبشكل لا يتصوره أحد منكم . ويظهر أن الحـكومة المصرية ورجالها الرسميين لا يقدرون هذا وكانت كلمته بالإنجليزية»

It seems that Egyptians do not realise it

ففى الوقت الذى يتحـدث فيه ابن هربرت صمويل وهو بريطانى يهودى عن هذه الأمور الهامة التى ذكرتها وعن إمكانيات مصر التى لا يمكن تحديدها من ناحية الثروة والانتعاش والتنمية الاقتصادية ويظهر قلقه من أثر الصحافة المصرية فى نهضـة الشعوب العربية كان جماعاتنا من المصريين يفكرون فى نقل حديث عن بعضهم أو يظهرون أهميتهم فى التقريب بين صحـيفة يومية ورجال الحاشية بإخراج عدد ممتاز عن أعمال الملك السابق فؤاد الأول

فى غمرات هـذه الحوادث تلقيت الدعوة التى أشرت إليها لحضور المأدبة التى أقامها الخديو السابق فى فندق أريحا ودعا إليها المندوب السامى البريطانى وعبد الله بن الحسين وطائفة من رجال حكومة الانتداب وحـكومة شرق الأردن ، ولا شك فى أن حضور ممثل مصر فى تلك المـأدبة كان لازما إن لم يكن لإعطاء صورة واضحة عما دار فى تلك المأدبة فعلى الأقل لإظهار أن ماتم الانفاق عليه بين العرش والخديو السابق كان جديا ولا أثر لبقاء أى اختلاف بين الجالس على العرش وابن أخيه

ولـكن تلقيت ردا على برقيتى التى أرسلتهـا إلى الخارجية أدهشنى غاية الدهشة ، وهو الذى يقول « الزم حجرتك وادع المرض » ؛ وكان عبد الله البشرى فى معية الخديو السابق ، يتصل بى كل يوم لمعرفة رأيى فى قبول الدعوة أو رفضها . فلمـا علمت بمضمون هذه البرقية الرمزية لم أجد مناصا من الاعتذار ، ولـكن الأسلوب الذى فرض على أن أعتذر به لم يقنعنى . . وفى صباح اليوم التالى وهو يوم ١٨ فبراير نشرت الصحف خبر زوبعة ترتب عليها فقدان عدد من مراكب الصيد المصرية على شواطئ فلسطين ، وأن بعض البحارة وصل إلى الموانئ فى غزة ويافا ؛ فانتهزت فرصة هذا النبأ ، واتخذته مبررا لتغيبى عن القدس واعتذارى عن قبولى دعوة الخديو السابق . وكنت تلقيت فى نفس اليوم دعوة من راغب النشاشيبى عن حفلة شاى أقامها فى منزله للخديو السابق ؛ فبدأت بالاعتذار عنها لاضطرارى للسفر ثم اعتذرت عن مأدبة الخديو السابق فى اليوم التالى

ونشرت صحف يافا خبر وصولى لتتبع حوادث مراكب الصيد المصرية التى تعرضت للخطر بعـد الزوبعة التى هبت فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وفعلا ذهبت إلى يافا وتنقلت منهـا إلى غزة وما حولها

وبعد ثلاثة أيام عدت إلى مدينة القدس . ولـما قابلنى الخديو السابق ابتسم ، فقد كان يعلم عن أساليب الحـكومة المصرية فى أيامه وبعد عهده أكثر مما أعلم ، وإن كان أقرنى على الطريقة التى اتبعتها

كان اتصالى بحكومة شرق الأردن دائما وباستمرار ؛ ولـما اقترب شهر رمضان وكنت فى ذلك الوقت أتم صيامه كاملا سواء كنت فى الشرق أو فى الغرب ، رأيت من واجبى أن أذهب إلى عمان وأهنئ عبد الله بن الحسين بحلول هذا الشهر المبارك وأعلمه بأننى سأقضيه فى مدينة القدس ، ولن أحضر لزيارته قبل حلول عيد الفطر لأقوم بواجب التبريك

قمت مبكرا على نية قضاء ليلة بعمان ، أرتب فيها موعدا للمقابلة

ثم أعود فى اليوم الثانى ، وكانت دهشتى عظيمة حينما دخلت حجرتى فأعلمت بأن الشريف جميل ناصر رئيس الديوان والسيد الخطيب مستشار الأمير ينتظراننى بحجرة الاستقبال ، فنزلت لمقابلتهما حيث أخبرنى الأول بأن الأمير يدعونى لتناول الغداء معه ، وأنه فى شدة الاشتياق لرؤيتى ولايقبل أى اعتذار للتخلف عن هذه الدعوة . فطلبت منهما إمهالى لتغيير ملابسى ثم ذهبت برفقتيهما إلى قصر الإمارة ، حيث استقبلت استقبالا كما يقول الأتراك (فوق العادة) ورافقنى فى الدخول إلى الأمير ضابط مصرى اسمه خاطر ، كان يعمل فى الجيش الأردنى ، التحق به بعد ترك خدمة الجيش المصرى فى السودان وحضر هـذه المأدبة الأمراء أنجال عبد الله بن الحسين ، والشريف جميل ناصر والد الملكة زين ومستشار الأمير وغيرهم ، ولم يدر فى المأدبة حديث خاص ، وعند انتهائها أخذنى عبد الله بن الحسين ، فسرت برفقته إلى حجرة الاستقبال الكبرى حيث أجلسنى على يمينه وأقفلت الأبواب وراءنا

قال بلهجته العربية الحجازية « إنه جد حريص على علاقات المودة والصداقة التى تربطه بالعائلة المالكة فى مصر ، وعلى رأسها فؤاد الأول وهو لا ينسى ما غمره به محمد على مؤسسها من الإنعام على عائلة الشريف بما مقداره خمسة آلاف فدان من أراضى مصر وهو فى تصرفاته وأعماله يرغب رغبة أكيدة فى أن يكون محل رضا الجالس على عرش مصر ... »

« بل هو يؤمل فى ألا تفسر دعوته الخديو السابق إلى عمان تفسيرا يسئ إلى العلاقات القائمة بين البيتين العلوى والهاشمى؛ وأما الخديو السابق فرجل قد انتهت أطماعه ، ولم يعد يرغب فى شئ من مظاهر هذه الدنيا ، وأنه أبدى لعبد الله بن الحسين رغبته فى أن يرى بلدا إسلاميا فى شهر رمضان ، بعدأن أمضى السنوات الطوال بعيدا عما تعود أن يراه فى شهر رمضان من سماع الأذان والدعوة إلى الإفطار ، وفرح الشعب بحلول شهر الصوم ، ولذلك دعاه عبد الله بن الحسين إلى تناول طعام الإفطار لديه ، وليس فى ذلك أية رغبة لإحراج مصر وحكومتها ، وإنما هو أداء لواجب صداقة وعلاقة قديمة »

ولقد دهشت لكل ما سلف ، فأنا لا أعلم بهـذه الدعوة ، ولم أحضر للاحتجاج عليها ، ولا أدرى ماذا دار فى خلد عبد الله ابن الحسين ولا فى خلد الخديو السابق ، ولا فى فـكر رجال الانتداب البريطانيين فى فلسطين وشرق الأردن ، وإنما جئت مهنئا بحلول شهر الصوم ، جئت مهنئا الجالس على عرش شرق الأردن بحلول هذا الشهر المبارك، ولم أجد شيئا أقوله سوى أن صارحته بما جئت من أجله ، وأكدت عليه أننى لا أعلم شيئا ، ولا أدرى هل صدقنى عبد الله بن الحسين فى ذلك أم اعتبر مصارحتى له نوعا من السياسة الملتوية والدبلوماسية الشرقية التى اعتاد عليها رجال الشرق فى مواجهتهم للأمور واهتمامهم بالصغائر

والحقيقة التى أعلمها عن عبد الله بن الحسين رحمه الله ، وعن المرحوم عباس الثانى ، أنهما كغيرهما ممن أسندت إليهم الشؤون العامة والسيطرة على أجزاء من أقطار الشرق ، يتلهفون لمعرفة أخبار الناس وتتبعها ؛ وأذكر على سبيل المثال اليوم الذى جاء فيه أحد رجال سوريا الذين تنقلت بهم الأيام بين خدمة عبد الله بن الحسين والحكومة السعودية وقبل ذلك حكومة سوريا ، وكيف تقرب من مجلس الأمير بمجموعة من الأخبار التى أتى بها من الحجاز عن أبناء الملك ابن السعود وتصرفات الأمراء أبنائه

وأذكر جلسة مع عبد الله بن الحسين ، والتليفون لا ينقطع ينقل أخبار سيارة الندوب البريطانى بين جسر بنات يعقوب وأربد واتجاهها إلى جسر المجامع . .

إن اهتمام رجال الحكم فى الشرق بتتبع أخبار بعضهم بعضا فى الوقت الذى كانت الوكالة اليهودية تنشئ وطنا قوميا على أسس ثابتة ، أمر أصبح الآن ظاهرا واضحا للعيان . .

إن الحياة كانت تدب فى فلسطين تحت معول الحضارة الحديثة بينما كنا نحن نغط فى نوم عميق وسبات لا نهاية له ، حتى تنبه الشرق تحت ضربات النكبات والهزائم والأرزاء

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

الاتجاهات الحديثة
فى الثقافة الأوردية

للدكتور عمر حليق

لعل أبرز الظواهر فى حاضر الحياة الفكرية فى الباكستان هو العكوف عن التقليد الأعمى والانسياق التام فى تيارات الثقافة الغربية التى كانت تهيمن على الحياة العقلية فى القارة الهندية قبل تقسيمها إلى هند وباكستان

وجدير بالذكر أن أثر الثقافة الغربية مع الإنتاج الفكرى فى القارة الهندية لم يكن فى جملته سيئ النتائج . فقد أولد هذا الأثر اتجاها ملحوظا لتوجيه الحياة العقلية هناك على أساس مناهج البحث العلمى الحديث . بحيث أخذ إنتاج الهند والباكستان يتميز بطابع الدقة وعمت الفكرة التى يلمسها كل من أتيح له الاطلاع على البحوث القيمة (١) التى عالجت مشاكل الساعة سواء فى الدراسات العلمية للتراث الإسلامى والهندوس أو فى الشعر والنثر الأوردى ، أو فى الإنتاج الفنى الذى أخذ ينمو هناك نموا سليما

ولكن الظاهرة الفريدة فى حاضر الثقافة الأوردية هى انفراد حفظة الثقافة فى الباكستان — إثر ميلاد هذه الدولة الإسلامية — فى العكوف عن جمل الحياة العقلية والأدبية والفنية هناك صورة مشوهة للثقافة الغربية وصدى سطحى العمق للتيارات الأدبية والفنية التى تتسرب إلى حاضر الثقافات الآسيوية من أوربا والعالم الجديد

فقد شعر حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان أن الانسياق فى التغذى بالصورة المتوهمة للثقافة الغربية قد أخذ يولد فى الأوساط الثقافية هناك لونا من التشويش قد يؤدى إلى توجيه الحياة الفكرية فى هذه الدولة الجديدة على نمط لايتمشى مع روائع المجتمع الباكستانى وتراثه الإسلامى وقضاياه السياسية ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية

هذا المقال يستند إلى مادة تكرم بتوفيرها لى مكتب الاستعلامات الباكستانى فى نيويورك

وثمة أمر آخر دفع الباكستانيين إلى مراقبة تيارات الثقافة الغربية المتسربة إلى مجتمعهم مراقبة نبيهة ... ذلك هو ازدياد الشعوب إيمانا بأن دعائم الفكر الغربى لم تستطع أن تثبت صلاحها لتوطيد الاستقرار فى الغرب نفسه وفى المجتمع العالمى الأكبر

ومما فرض على حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان هذا التحفظ فى نشاطهم التوجيهى.. الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية الطارئة التى جاءت فى أعقاب التقسيم ، وتعرض الدولة الباكستانية الجديدة إلى مشاكل إدارية واجتماعية نشأت عن طبيعة التكوين الجغرافى لهذه الدولة الناشئة ، عن تشرد الملايين من المسلمين الهنود نتيجة للصراع الطائفى الذى صاحب التقسيم ، ونزاع كشمير وقضايا الحدود ومياه الرى المشتركة بين الهند والباكستان وما إلى ذلك من القضايا الفرعية التى لها صلة مباشرة بوضعية الباكستان الإقليمية

وفى مثل هذا الجو وجد الكتاب والشعراء الباكستانيون أنفسهم منساقين إلى معالجة المشاكل الوثيقة الصلة بحياتهم اليومية ، وأن يكتبوا وينظموا فى أمور وأحداث هى من صلب الأحوال والأوضاع التى تكتنف دولتهم ومجتمعهم الجديد

ومن الاتجاهات المتولدة عن هذا المناخ العقلى الجديد ما ألم باللغة الأوردية فى السنوات الأخيرة من تطور . فالمعروف أن نشوء اللغة الأوردية جاء نتيجة لأثر اللغتين الفارسية والعربية على اللهجات الأصلية فى شبه القارة الهندية (وعلى الأخص فى السند والبنجاب) عندما خضعت للحكم الإسلامى ، فأصبحت الفارسية والعربية بمثابة لغة الاشتقاق للغة الأوردية التى تطورت بدورها فوطدت لنفسها استقلالا لغويا سليما

ويبدو أن اللغة الأوردية فى الباكستان أخذت اليوم تقوم بنفس الدور الذى قامت به اللغتان العربية والفارسية منذ قرون . فبعد أن توطد الاستقلال الثقافى للغة الأوردية ، وبعد أن تثبت الكيان لدولة الباكستان أخذت الأوردية تؤثر تأثيرا مباشرا فى اللهجات المحلية فى القطاعات التى تؤلف الأمة الباكستانية

فلقطاع البنجاب مثلا تقليد عريق فى الأدب مدون باللغة البنجابية — تقليد أصوله فى التراث والثقافة الإسلامية التى عاش عليها شعب البنجاب حقبة من الزمن . وتمتاز اللغة البنجابية

بغزارتها فى الإنتاج الأدبى إجمالا ، فى الشعر الغربى والأدب الشعبى على وجه الخصوص . وللمناطق الشمالية الغربية من الباكستان لغتها المحلية الخاصة — لغة البوشنو — وللتراث الإسلامى فى تلك المناطق دعائم متينة

ولقد وجدنا أن تيارات الثقافة الغربية كانت قبل تقسيم شبه القارة الهندية تجتاح الحياة العقلية هناك ، وأن ذيول التقسيم قد فرضت على المثقفين الباكستانيين رغبة ملحة فى صيانة حياتهم العقلية من عناصر التشويش فى التقليد والانسياق الأعمى ، وفى توجيه هذه الحياة نحو مشاكل الساعة والظروف والأوضاع الطارئة . ولذلك لم يكن لهؤلاء المثقفين بد من أن يمعنوا فى صيانة الدعائم التى يعيش عليها مجتمعهم — لا فى مجال السياسة فحسب ، بل فى أصول الفكر وعناصر الثقافة العامة . فأخذوا يعملون فى يقظة ونباهة على صيانة الثقافة الأوردية من التيارات الضارة التى كانت تتعرض لها — سواء جاءت هذه التيارات من الغرب البعيد أم من الهند القريبة . وهذه النزعة « القومية » فى حاضر الثقافة الأوردية جاءت نتيجة لعوامل منطقية فرضتها طبيعة الأوضاع وفلسفة الحكم وأسس التطور الاجتماعى الذى يعمل أولو الأمر فى الباكستان على تحقيقه بوحى من الإسلام وتراثه . ولذلك لم يجد حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان صعوبة فى تعميمها — على صورتها الجديدة — فى المناطق والقطاعات التى فى لغاتها المحلية قسط واف من التراث الإسلامى — كما هو الحال فى لغتى البنجاب والبوشنو

ولكى يضمن الباكستانيون اطراد النمو فى نهضتهم اللغوية الجديدة — بعد أن اختاروا العكوف عن التأثر بالاستعارة المشوهة من ثقافات الهندوس والأوربيين والأمريكان — اتجهوا إلى تعزيز الروابط اللغوية والثقافية مع الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما رغبتهم فى إحلال اللغة العربية مكانة رفيعة فى الباكستان إلا تحقيقا لهذا النحو وتعزيزا لهذه النهضة

وكان من نتائج هذا التنظيم الفكرى أن أخذ الأدب الأوردى فى الباكستان ينمو ويزدهر فلا يقتصر على إحياء الذخائر القديمة فى قالب مجدد أو أن يعالج الحياة الجديدة فى إطار الإبداع الفنى ، بل أخذ يستمد الإيحاء من التراث الأدبى والفنى العريق الكامن فى الثقافات المحلية التى تعيش عليها الجماعات ذوات التقاليد الاجتماعية الزاهية التى تؤلف قطاعات الباكستان الشرقية والشمالية والغربية . فقد ترجمت عشرات من مقطوعات النثر والنظم من هذه اللغات المحلية إلى اللغة الأوردية ، وأخذت الأوردية تتغذى بالصور الفنية الرقيقة التى خلدها شعراء الغزل والأدب الشعبى فى البنجاب، وقصائد البطولة والرجولة التى يتميز بها شعراء البوشنو — بطولة مستمدة من طبيعة الإقليم وأسلوب الحياة الذى يسود فى مناطق الحدود فى الشمال والشمال الغربى

وعلى الرغم من تحفظ المثقفين الباكستانيين فى تأثرهم بالتيارات الفكرية الأجنبيه الخاطئة ، فإن إقبالهم على ترجمة روائع الآداب العالمية تشهد لهم بحسن الاختيار وسلامة الذوق

أما طابع الأدب الأوردى الجديد فهو اليوم يتميز باتجاه عام لمعالجة شؤون الناس والحياة فى جلد وتعمق ، وفى إطار العناصر الفنية المكتسبة من هذا التمازج الجديد بين تراث الثقافة الأوردية والذخيرة الفنية من التقاليد الطريفة الزاهية للمناطق التى تؤلف المجتمع الباكستانى

وهذا الطابع الجدى ملموس فى فن القصة القصيرة والقصة الطويلة ، وفى الشعر والنقد الأدبى

وقد أتى على الأدب الأوردى حين كان العنصر الرئيسى المهيمن على إنتاجه يكاد يقتصر على مشاكل اللاجئين والصراع الطائفى الذى عصف بالناس وبعواطفهم فى ذيول التقسيم. ويبدو أن نجاح أولى الأمر والشعب فى الباكستان فى احتضان هؤلاء المنكوبين والتخفيف من محنتهم ، قد ترك أثره فى انطباعات الأدباء والشعراء ، فأصبح تطرقهم إلى هذه المحنة أقل غزارة مما كان عليه قبل بضع سنوات

أما اليوم فقد تطور فن القصة وعلى الأخص القصة القصيرة فى الباكستان على يد نفر من الكتاب الناشئين الذين نافسوا قدامى الكتاب منافسة شديدة . طعموا الأدب الأوردى بنوع سليم من القصة التى تحمل فى ثناياها أشياء أهم من التسليه أو إثارة الغرائز

وفى مجال القصة الطويلة لا يختلف الباكستانيون عن غيرهم فى معظم الشعوب الشرقية التى لم يرسخ فيها هذا النوع من الإنتاج، فالأدب الأوردى كثير من الآداب الشرقية العريقة ليس فى

فى تراثه ذخيرة من القصص الطويلة على النحو الذى عرفته الآداب الغربية ، ولا يزال إنتاج القصه الطويلة فى الباكستان مبعثر الجهد ضئيل القيمة فى الناحية العددية والفنية

أما الشعر فقد أخذ يقتدى بألوان العروض والمواضيع التى تعالج عادة فى الشعر الأوردى الحديث وأخذ الغزل القديم يفقد مكان الصدارة التى كان يحتلها فى الحياة الأدبية وبعض الشعراء الناشئون يتطرفون إلى الغزل التقليدى فى مستهل حياتهم الأدبية إلا أن قرضهم للشعر يتطور فيما بعد ويتخذ طابع التجديد فى أبواب العروض وفى مواضيع النظم وفى الصور الفنية التى تحتويها القصائد

أما أدب المقال والنقد الأدبى والدراسات التحليلية فيتزعمها ثلاثة من فطاحل الأدباء : مولانا عبد الحق ، ومولانا سيدسليمان ندفى ، وميرزا محمد سعيد ، ويشاركهم فى ذلك الأديب الكبير الشيخ محمد إكرام الذى يتوخى فى دراساته وتحليله توجيه الإنتاج الفكرى فى الباكستان ليعزز المبادئ والأهداف التى تكتنف هذه الدولة الناشئة بتوطيدها فى ذلك الجزء من العالم الإسلامى

ويضاف إلى هؤلاء نفر من الجامعيين فى معاهد « البنجاب » « والسند » و « دكا » و «لاهور » المنهمكين فى تزويد المكتبة الأوردية بالبحوث والدراسات العلمية فى مختلف ألوان الثقافة الجامعية

ومدارس النقد الأدبى فى الباكستان تدين بالاجتهاد لطائفة من الكتاب والشعراء الذين استهلوا حياتهم الأدبية بقرض الشعر أو إنشاء المقالات ثم ما لبثوا أن انصرفوا عن ذلك إلى معالجة النقد لالأنهم فشلوا فى الإبداع الفنى فلأكثرهم إنتاج فنى مرموق المكانة ولكن لرغبتهم فى تخصيص اجتهادهم لخدمة النهضة الثقافية فى الباكستان وتوجيه الموهوبين من كتاب الجيل الجديد وشعرائه لبناء نهضة أدبية سليمة الدعائم عميقة الفكر رفيعة فى إبداعها الفنى

وقد أثمر هذا الجهد نتائج طيبة ، فاستطاع الشعر مثلا أن يتخلص من رخاوة مدرسة « طاغور » وابتعادها عن شؤون الساعة وانسياقها فى مشاعر عواطف صلتها بالأدب الحى واهنة ضعيفة . ولم تقتصر هذه الثورة « الشعرية » على موضوع القصيد بل تعدته إلى فن العروض ، فانطلق الشعراء فى استنباط بحور جديدة على نحو مايمارسه بعض الشعراء المحدثين فى حاضر الأدب العربى ، وازداد النظم بالشعر المنثور إلا أن كثيرا من أئمة العروض فى الأدب الأوردى لا يزالون يلجؤون إلى جزالة اللفظ ورصانة التعبير ليسبغوا على الشعر لونا من القوة . وللشعر الرمزى فى الباكستان أتباع ومريدون يغرمون بالإيجاز فى الكلم والبراعة فى اختياره على نحو ماتتطلبه الرمزية

وقد تزعم الأديب البنغالى الكبير « نصر الإسلام » الثورة على مدرسة طاغور ، فقد لمس فيها رخاوة وخنوعا لايتمشى مع مطالب الحياة العقلية الإسلامية ، ودعا نصر الإسلام إلى أن تكون صلة الأدب بالحياة السياسية والاجتماعية وثيقة متينة، ودواوين هذا الشاعر البنغالى تطفح بالقوة والنظرة العميقة فضلا عن جزالة اللفظ ورقة الموسيقى ومهارة الصياغة وبلاغة التعبير

وفى الشعراء المجددين فى حاضر الأدب الباكستانى شاب يجمع فى القصيد بين الروعة الفنية والنظرة الواقعية للصور والمواضيع التى يعالجها فى شعره — هذا الشاعر هو « عبد الحسين » الذى يمتاز نظمه بالتعابير المستحدثة والنغمة الرقيقة والبلاغة المبسطة التى قال عنها ابن المقفع « إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها »

والتجديد فى الأدب الأوردى فى شرق الباكستان وغربيها لم يتعمد القضاء على تراث الماضى والذخيرة النافعة الكامنة فيه ، بل إن النهضة الفكرية إجمالا توخت استيحاء التراث القديم والكشف عن نفائسه . وهذا الاتجاه ملموس فى البنغال الشرقية أكثر منه فى المناطق الأخرى

وحركة بعث الذخائر الأدبية القديمة لا يقتصر على تراث الإسلام الذى اندثر تحت سيادة الهندوس الثقافية فى تلك البقاع الإسلامية بل شمل أكثر نفائس الأدب الشعبى الذى سبق انتشار الإسلام . وقد تخطى هذا الإحياء حدود نشر القديم وتبويبه وتحريره فى لغة الجيل فطعمت اللغة الأوردية بأكثر من ألفين وخمسمائة كلمة جديدة من مشتقات عربية وفارسية وجدت سبيلها إلى الأدب الشعبى القديم عن طريق الإسلام ، وارتأى حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان إحياءها وتغذية النهضة الأدبية بها

وإذا جاز للباحث عن حاضر هذه النهضة الثقافية فى

الظلم . الجبن . الأنانية
هذه هي أعداؤنا

للأستاذ محمد محمود زيتون

يتشدق الكثيرون بأن الفقر والجهل والمرض هي أعداؤنا التي يجب أن نكافحها ، إذا أردنا صلاح أمر هذه الأمة ، وأسارع إلى القول بأن هناك فرقا بين العلة وأعراضها ، وليس بدعا من الرأى أن يكون الظلم والجبن والأنانية هي العلل الفتاكة التي تنمو في نفوس الأفراد والجماعات وتحطم كيان الأمم حتى يكون من أعراضها الفقر المدقع والجهل المطبق والمرض الفتاك

ومن بداهة العقل أن الظلم هو الصورة السلبية للعدل ، والعدل هو إعطاء كل ذى حق حقه ، من غير إفراط أو تفريط ، بحيث تسير الأمور في هذه الدنيا على سواء ، ومن مظاهر العدل أن ينسجم الفرد مع نفسه ومع غيره ، وأن تتسق الجماعات والهيئات في نشاطها الاجتماعى ، وأن تتعاون الأمة مع الحكومة ، وأن تتناسق الدول بحيث تكون كفالة الأمن والسلام أمراً لازما لامعدى عنه. وبعد : فإن من العدل أن تهدف الإنسانية إلى أسمى المثل ، وتعمل على تحقيقها قولا وعملا

أما إذا اضطرب هذا الانسجام في الفرد والمجموع ساد الظلم في أقصى حديه : الإفراط والتفريط . وعمت الفوضى التي لا يصلح عليها أمر ، وينعدم حيالها كل رجاء في الإصلاح والتقدم ، وإن أقرب ما يحس به الفرد حينذاك هو الشعور بالفارق بينه وبين غيره ، وقد يتنكب هذا الشعور كل حقيقة فإذا به يرد هذا الظلم الواقع على من بيده ملكوت كل شيء ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً

إنه تبارك وتعالى يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويبعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولقد جاء في الحديث القدسى عن رب العزة أنه يقول : « يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » ومن الطبيعى أنه إذا وقع الظلم انحلت القوى الفكرية ، وانتشرت جراثيم الوهم ، فلا مناص من أن يثوب المرء إلى رشده ويحسن التدبير ليوقن أن الظلم إنما هو « انحراف الموازين الموضوعة » وليس هذا قضاء حاتما ولا قدراً لازما ، وإنما على الفرد والجماعة مكافحة هذا الانحراف والإلحاق بهم ما يكرهون

قال أبو بكر « أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده ، أوشك الله تعالى أن يعمهم جميعا بعقاب » وماذا يمنع المرء أن يكون قادرا على رد المظالم وقد أعزه الله تعالى بقوله الكريم

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ولماذا يتخلى صاحب العزة عن سلاحه الذى به يسود ، وهو يعلم أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن نصر المؤمنين حق . ولقد ساير الإسلام طبيعة البشر في مدارج الإسلام لدفع الظلم بالقلب ، فإذا امتلأ بالإيمان نطق اللسان قويا في الجماعة التي تقوى بدورها لدرء كل منكر باليد حتى يزول ، وهذا مصداق لقول الرسول (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »

وما كان لمؤمن أن يرضى لنفسه الضعف أو الوقوف عند مجرد الإنكار بالقلب ، وذلك مما لا يؤدى إلى الغرض ، وهو

الباكستان أن يحصر أسسها في عنصر متميز ، فإن هذا العنصر هو ازدياد الثقة بالنفس والشعور بالمسئولية في مجتمع اختار التراث الإسلامى نبراسا له واتخذ معاول العلم الحديث أسلوبا للتعبير عنه ولتعزيزه وتوطيده

وليس أدعى إلى الإيمان بمستقبل الثقافة الأوردية في الباكستان من أن يكون نبراسها هذا التراث العتيد وأن تكون معاولها واتجاهاتها متماشية مع مطالب الجيل الجديد

نيويورك عمر حليق

القضاء على الظلم ، وإلا ارتفعت درجة الظلم كلما انخفضت حرارة الإيمان ، ولذا يقول الرسول الأعظم « الساكت عن الحق شيطان أخرس »

إن الجبن الذى يقعد بصاحبه عن المغامرة فى شرف دفع الظلم فتتفكك أوصاله وترتعد فرائصه ، وتختل قواه ، ويقبع فى عقر داره ، وينعقد منه اللسان إن لم يلجأ إلى الملق والنفاق، ليحجب أفاعيل الخور والهزيمة فى نفسه، وهنا يزين له الشيطان مسلكه ! فإذا بالجبان طاغية باغية ، وإذا بالرعديد كالصنديد إذا خلا بأرض طلب الطعن والنزال وحيدا

والأصل أن يكون المؤمن قويا عزيزا ليكون شجاعا كريما ، يندفع إلى الحق فى صراحة وحماسة ، لا تأخذه لومة اللوام ، وله فى ذلك شرف المجاهدين فى أشق ميادين الجهاد وهو النفس ، وبذا يرتفع لواء الخير وتعلو كلمة الحق ، ويسود العدل ، وما يلبث ضعاف الإيمان أن يتدافعوا نحوه ، فتقوى قلوبهم ، وتشتد سواعدهم فى سبيل الله ، والجبان لا يتخلف عن الركب القوى إلا لأنانيته الخسيسة ، وحبه لنفسه المتهالكة الواهية ، وإمعانا فى إخفاء ما يستذل العنق ، وإبقاء على سر موغل بصاحبه إلى عيب دفين ، فإذا به ينطوى على نفسه يكتم منافذها جهد استطاعته، منزويا بها عن الهواء الطلق والنور الصريح، وهنا يعقد له منطق التبرير ما يطمئن قلبه ، بقول فيلسوف الهرب ديكارت « عاش سعيدا من أحسن الاختفاء » . مثل هذا الشخص مريض ، على المجتمع أن يعالجه ، بل هو جاهل علينا أن نعلمه ، فليسمع قول المتنبى شاعر البطولة :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

وليتمثل علو الهمة من الشافعى :

همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

وعندى أن الأنانى لص اجتماعى ، لأنه إذا استغنى عن المجتمع بما لديه من مال أو جاه إنما يتسلل فى الخفاء وينهب عرق الكادحين ويمتص دماءهم ، وهو فى وكره البعيد ينعم بالدفء والراحة ، فهو يأخذ ولا يعطى

وما علينا إذن إلا أن نحطم أوكار الأنانية على أصحابها، وأن نسوقهم أمامنا إلى ميادين العمل حتى يتذوقوا مرارة العيش التى يمسى فيها العاملون ويصبحون . وهكذا يتدخل الفرد والمجموع وتتفاعل الحياة بينهما على نحو طبيعى تقدمى :

ولقد دل حديث الرسول (ص) على استمرار العمل الإنسانى بقوله عليه السلام « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »

أما بعد : فليعلم كل من لا يعلم أن الفقر والجهل والمرض ما هى إلا أعراض الظلم والجبن والأنانية ؛ وهى بحق العلل الفتاكة ، فلنحارب كل ظالم ، وكل جبان، وكل أنانى ، وإليكم رائدنا قول الشاعر :

متى تحمل القلب الذكى ، وصارما وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

محمد محمود زيتون

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٣)

بعد أن انتهى الفرنسيون من احتلال مدينة الإسكندرية أمر نابليون بإبقاء « السيد محمد كريم » حاكما لها حتى يخلد الأهالى إلى الهدوء والسكينة، وينصرف الجميع إلى أعمالهم

وكان نابليون يعلم تماما أن الأهالى وعلى رأسهم « السيد محمد كريم » لم يخضعوا له إلا إذعانا للقوة المسلحة ، وأنهم يتحينون الفرص للثورة على الحكم الجديد ، ولذلك عمل على التقرب إليهم لينال عطفهم ، ويكسب مودتهم

وقد بين لهم أنه ماجاء إلى مصر — إلا ليحارب المماليك الذين استبدوا بحكم البلاد وحرموا الفلاح المصرى ثمرة خيراته ، واعتدوا على التجارة وأساءوا إلى أهل البلاد بما ارتكبوا من مظالم

وأخذ نابليون يذيع منشوراته على الأهالى ، ليثبت هذه المعانى فى نفوسهم ، ويضمن ولاءهم للجمهورية الفرنسية ، كما طلب أعيان الثغر وألزمهم بجمع السلاح ، وإحضاره إليه حتى لا يفكر الأهالى فى المقاومة المسلحة

وكان مما قاله للسيد محمد كريم

(1) « لقد أخذتك والسلاح فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير ولكنك استبسلت فى الدفاع ؛ لذلك أعيد إليك سلاحك وآمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة »

ولم يكن هذا القول من جانب نابليون إلا تقديرا منه لجهود « السيد محمد كريم » وعلمه بما يشعر به الشعب نحوه من محبة وإكبار وتقدير

وقبل أن يترك نابليون مدينة الإسكندرية ، عين الجنرال « كليبر » حاكما لدائرة الإسكندرية وضواحيها » وأوصاه بأن يعمل كل ما فى وسعه لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى وإبداء كل أنواع الاحترام للعلماء ، ورؤساء المشايخ فى المدينة»

***

بهذا نرى أن « السيد محمد كريم » بقى فى منصبه بناء على رغبة نابليون، ولكن هذا الحاكم الوطنى المحب لبلاده ، المخلص للسلطان العثمانى خليفة المسلمين وظل الله فى أرضه ، كان يشعر بالكراهة والمقت لهؤلاء الحكام الأوربيين

وقد زاد من نفوره منهم وحقده عليهم أنهم فرضوا على الأهالى غرامة قدرها ستة آلاف جنيه تقريبا فى الوقت الذى حل فيه الكساد محل الرخاء . . وانتشرت الفاقة والضيق بالأهالى بعد أن كانوا أوفر ثروة ، وأحسن حالا

وقد زاد من سوء الحالة أن الجنود الفرنسيين بدأوا يشكون من البلاد المصرية بعد أن ذاقوا ملذات المدن الإيطالية ؛ وبعد أن وجدوا أن الأمانى التى وعدهم بها نابليون لم تكن إلا مجرد وهم وخداع ، وظهرت روح التمرد بين الجنود ، فأخذوا يغتصبون ثمار الأشجار ويقطعون النخيل من جذوعه ، ويعتدون على الأهالى المسالمين . .

ولقد ظلت روح التمرد والعصيان كامنة فى نفوس الأهالى حتى أشعلها « السيد محمد كريم » وأوقد نارها من جديد

فاعتدى الأهالى على أحد جنود مدفعية الأسطول ، وألقوا جثته فى الطريق ، كما ألقوا فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا ، وقد ثارت ثائرة « كليبر » وأراد أن ينتقم من الجناة . . ولكنه لم يعثر لهم على أثر ، كما تأكد لديه أن الجندى الفرنسى قد تعرض للقتل نتيجة لاعتدائه على الأهالى

ولذلك أصدر منشورا إلى جنوده ، طالبا منهم أن يحافظوا على أنفسهم بحماية الأهالى والمحافظة عليهم ، ومهدداً بالإعدام كل جندى يعتدى على حقوق المسلمين الدينية أو المدنية

ولم يقتصر السيد محمد كريم على إثارة روح الكراهية والثورة فى نفوس الأهالى ، بل جعل يتصل بجميع المدن والقرى التى يمر بها رجال الحملة الفرنسية ليعدوا للأمر عدته ، وليقاوموا

(1) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٣٦

نابليون وجنوده بكل ما استطاعوا من وسائل المقاومة

وقد حدث أن إحدى الكتائب الفرنسية خرجت من الإسكندرية لتقوم بحملة تفتيشية فى بعض الجهات المجاورة — فلما علم السيد محمد كريم بما يعتزمه الفرنسيون ، اتصل بالمدن والقرى القريبة ، وطلب منها أن تقاوم الكتيبة ، وتمنع الماء عن رجالها

فلما غادر الفرنسيون الإسكندرية ، تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى دمنهور ، وكانوا يجدون مقاومة شديدة من جانب الأهالى ، كما قتل منهم ما يقرب من ثلاثين جنديا ، ولذلك عادوا إلى الإسكندرية وهم فى حالة سيئة ، وقد ثبت لديهم أن الأهالى لم يخضعوا — بعد — للحكم الفرنسى ، وأن هناك اتصالا مستمرا بين الإسكندرية وغيرها من المدن والقرى

ولما علم الجنرال « كليبر » بما لاقته الكتيبة من مقاومة ومشقة ، أراد أن يقضى على حركة المقاومة — ويقوم بعمل حاسم يستعيد به هيبة الجيش الفرنسى ، ويسترجع مكانته فى نفوس الشعب ، فأمر بالقبض على « السيد محمد كريم » وبعث به إلى أبى قير ، تمهيدا لتوصيله إلى القاهرة ، حيث يقابل نابليون ، ويدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ، وفى نفس الوقت ، أرسل الجنرال كليبر كتابا إلى نابليون يعرض فيه أمر السيد محمد كريم ، ويطلب منه ألا يأمر بعودته إلى الاسكندرية حتى لا تعظم مكانته ويستفحل أمره — ويزداد نفوذه فى نفوس الأهالى

وقد مكث « السيد محمد » فى أبى قير أياما .. طلب بعدها من الأميرال « بردى » قائد الأسطول أن يأمر بتوصيله إلى القاهرة . فأرسله الأميرال بدوره إلى رشيد .. ليبعث به الجنرال مينو إلى القاهرة …

ومما هو جدير بالذكر .. أن « السيد محمد كريم » على الرغم من أن دائرة حكمه لم تكن تتعدى الاسكندرية .. إلا أن شهرته قد انتشرت فى جميع أجزاء مصر .. وأصبح المصريون — على اختلاف طبقاتهم — ينظرون إليه على اعتباره محور المقاومة للنظام الجديد .. وعلى اعتباره زعيمهم المعبر عن أمانيهم .. والمفصح عن آمالهم …

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

«[٢] وصل السيد محمد كريم .. إلى رشيد .. مطلق السراح ، وكانت منزلته من نفوس المصريين قد عظمت بسبب اعتقاله .. وانتشرت محبته فى كل مكان .. فلم يكد يعلم أهالى رشيد بقدمه حتى سارعوا إلى ملاقاته بالحفاوة والتكريم .. مما اضطر الجنرال مينو إلى القبض عليه .. والإسراع بإرساله إلى مصر … »

وما كاد السيد محمد كريم يصل إلى مصر .. حتى أصدر نابليون أوامره إلى الجنرال « ديبوى » حاكم القاهرة : بالتحقيق معه .. كما طلب منه أن يحاول إثبات التهمة عليه بمختلف الوسائل ولم تكن هناك حاجة إلى التحقيق ، فسرعان ما انتهى بثبوت التهمة عليه .. وإعلان خيانته للجمهورية الفرنسية

«[٣] وأصدر نابليون أمرا بإعدامه رميا بالرصاص .. ومصادرة جميع أملاكه وأمواله .. وسمح له أن يفتدى نفسه بدفع ثلاثين ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة »

فرفض السيد محمد أن يدفع له هذا المبلغ .. ولم يكن ذلك منه عجزا .. أو حرصاً على المال .. وإنما كان إيمانا بالله .. وإيمانا بأن الموت مصير كل إنسان .. ونهاية كل مخلوق

فليكن موته إذن على أيدى أعدائه .. وأعداء بلاده .. حتى يكون ذلك وقودا جديدا للثورة .. وباعثا للمصريين على مواصلة الكفاح والنضال لتحرير بلادهم من أيدى أعداء الدين والوطن

ولقد نصحه أحد تراجمة الحملة بأن يدفع الغرامة .. وقال له :

— «[٤] إنك رجل غنى .. فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟؟

فأجابه السيد محمد كريم :

— « إذا كان مقدراً على أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ .. وإذا كان مقدراً لى الحياة .. فعلام أدفعه ؟؟ »

وظل على رأيه .. إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام .. وبذلك أصبح « السيد محمد كريم » بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية ، فى عهد الحملة الفرنسية

***

هذه خلاصة موجزة ، لسيرة ذلك البطل المصرى ، الذى

---

(٢) عبد الرحمن الرافعى . الحركة القومية ج ١ ص : ١٤٨

(٣) نفس المصدر ص : ١٥٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٥٠ عن : ريبو . التاريخ العالمى والحربى للحملة الفرنسية ج ٣

أقـــلام الثورة

عمر عودة الخطيب

مهداة إلى صاحب القلم الثائر الأستاذ سيد قطب

ضاقت الكنانة ذرعاً برعايا الشيطان ، الذين تربعوا على عروش الظلم والطغيان ، وعاثوا فى الأرض الفساد ، وأذلوا رقاب الناس ، واحتكروا أقوات الشعب ، وكمموا الأفواه الثائرة ، وحطموا الأقلام الطاهرة ، فأرسلتها صرخة مدوية قوية زلزلت الأرض تحت أقدام الحاكمين ، وقوضت دولة الفساد ، وأفزعت هذه الحفنة من العبيد الجلادين ، فطرد ملك مستبد ، لينعم الناس بالحرية ، وألغى البوليس السياسى ليتحرر الشعب من الخوف ، وستوزع الأرض على هذه المواكب التعسة الكادحة لتشبع البطون الخاوية وتكتسى الأجسام العارية ، وكانت — والحق — ثورة تليق بمجد مصر وشعب مصر

وإذا كان لا بد للثورة من عقول حازمة ، وقلوب مؤمنة ، وعزائم قوية ، لتطهر الحكم من الفساد ، وتنقذ الشعب من الشقاء ، وتحرر البلاد من الأعداء ، فهى أشد ماتكون حاجة إلى أقلام ثائرة ، مدادها الإخلاص ، ورائدها الحق ، لتطهر النفوس من الضعف والخنوع ، وتحرر العقول من الغفلة والركود ، وتأخذ بيد هذا الشعب إلى ذروة عالية هو بها جدير

تريد الثورة أن يكون القلم جنديا شريفاً ، يوقظ الأفكار الهاجعة ، ويحرر القلوب الخائفة ، ويخط رسالة المجد ، ويكتب سطور القوة ، ويلهب بكلماته حماس الشعب لكل إصلاح ، ويقرع بصيحاته الآذان الصم ، ويفتح القلوب الغلف ، ويبعث بصرخاته الضمير الميت ، ويبنى بمداده حصن الحرية المكين ، وصرح الخلق المتين

تريد الثورة أن تسكت هذه الأقلام الفاجرة ، التى تغذت من الفساد حتى ترهلت ، ورضعت من الإثم حتى ارتوت ، ومجدت الطغاة والمفسدين ، وحاربت الهداة والمصلحين ، وانغمست فى التحلل والضلال ، وماتت عندها الكرامة والرجولة ؛ وفقدت معانى الشرف ، وخانت أمانة الله والوطن . . . نعم تريد الثورة أن تسكت (أقلام الترفيه الماجن) ، التى تتملق الغريزة الجنسية ، وتتلف أعصاب الشباب بسم الإباحية . . . هذه الأقلام التى كانت تجول فى معارك الرقص مع حبائل الشيطان ، والشعب يخوض معارك النار مع الأعداء ؛ وكانت تنفق على غانيات باريس وفى نوادى لندن ونيويورك ألوف الجنيهات ، والشعب يجود من ماله لأبطال التحرير فى فلسطين والقنال بثمن اللقيمات . . . ثم تعود هذه الأقلام الرقيعة إلى مصر من رحلاتها الفاجرة ، لتقص على هذا الشعب المسكين جمال الباريسيات وعناد الألمانيات وطيش الأمريكيات ، وتقول له — بوقاحة سافرة — هات ثمن هذا الزاد الفكرى القيم ، الذى أتعبنا به أنفسنا ، وأرهقنا بسببه أعصابنا وتكلفنا فى سبيل جلبه ، إليك وعثاء الطريق ، وتكبدنا نفقات السفر ! ! . . ويصدق الشعب المسكين هذه الأكذوبة ويعطيهم بغير حساب ، ويقبل على مايكتبون ، فلا يجد به سوى دعوات الفجور بأسلوب تفوح منه روائح الإثم

تريد الثورة أن تسكت الأقلام المأجورة التى اشتراها الدولار وغذاها الاستعمار ، وأمدها قلم المخابرات لتسبح بحمد الدخلاء ، وتروج لسياسة الأغراب ، وتنشر على الناس أساطير الديمقراطية وأكاذيب الأهداف الغربية . . . هذه الأقلام التى ولدت فى مصر وشربت من نيلهـــا الصافى وعاشت من خيرها العميم . . . ثم

استطاع أن ينفخ من روحه القوية ، فى نفوس مواطنيه ، معنى الحياة الحرة الكريمة ، والذى استطاع أن يثبت بكفاحه وجهاده أن مصر لم تكن تفتح أبوابها لكل طارق ، وأن شعب مصر ، لم يكن يتنازل عن حريته .. أو يفرط فى كرامته ... لأى فاتح ، مهما بلغت قوته ، أو زادت سطوته ...

كما أثبت أن سجل النهضة المصرية ، ملئ بآيات الشجاعة والمجد ، حـافل بصور الكفاح والتضحية ... زاخر بضروب البسالة والإقدام ...

عبد الباسط محمد حسن

استهواها السين وبرح بهـا هوى التايمز ، فأنكرت قوميتها وجحدت شرقيتها ، وكفرت بالأمة وسخرت من الشعب، وألقت فى النيل بأحجار القت والكفران . . فهى تتحدث — يا كبار — عن الإنجليز فى بلادهم ، وتنسى الحديث عن الإنجليز فى مصر والشرق ، وهى تعشق فرنسا بلد النور والحرية والإشعاع ، وتعمى عما تعمله فرنسا من وحشية واستبداد فى بلاد المغرب العربى . ثم تبلغ بها الوقاحة منتهاها حين تزعم أنها تدافع عن حق الشعوب المضطهدة ، بمثل هذه الأساليب الرخوة المتهافتة ، التى لا تصدر عن ضمير حر وقلب متأثر . . . والعجيب فى هذه الأقلام أنها إذا ما رأت طلائع الثورة ، ولمحت أشعة الفجر ، وعرفت أنها ستفضح وينكشف عورها ، خرجت من الظلام ، وطامنت من كبريائها ؛ ونزلت من أبراجها ، وأدلت بدلوها ، وبرزت أمام الناس أقلاما حرة نظيفة ، بسطور من النفاق تزخرفها ، تضحك بها على الشعب الذى خذلته فى أيام المحنة ، وسخرت منه حين كان يطالب بالحرية والاستقلال

تريد الثورة أن تختفى من السوق بضاعة الأدب الأسود، أدب الميوعة والمجون ، والنفاق والتهريج ، ليحل مكانه أدب قوى رصين يستمد أصوله من الماضى التليد والحاضر المجيد ، ويبنى بحكمة وقوة حضارة مصر والشرق ، ويؤيد بحرارة وإيمان آمال العروبة والإسلام ... وأصحاب الأقلام يعرفون قبل غيرهم أن الشرق العربى والعـالم الإسلامى يعانى أزمة خانقة ، يثيرها أعداؤنا فى كتلتى الشرق والغرب ؛ ويرون فينا لقمة سائغة تبتلعها أفواه المدافع ، وهم لذلك يعدون لنا — ولنا وحدنا — وسائل التدمير والخراب ، وأسلحة الحديد والنار . . ثم يضحكون لنا ، ويزينون للمخدوعين منا مبادئهم ، ويظهرون بأثواب الحملان الوديعة ، التى تريد بنا الخير وتتمنى لنا السعادة والطمأنينة .. فمن واجب الأقلام هنا أن تنزل إلى الميدان ، لتحذر الشعوب الغافلة من مكائد الاستعمار وأذنابه ، وتنقذ المخدوعين من أنياب الذئب وأظفاره

ثم إن أصحاب الاقلام يعرفون قبل غيرهم أنه يجثم على صدورنا كابوس ثقيل من الفقر والجهل والمرض ... كابوس صنعه هؤلاء المترفون الذين يعيشون فى قصورهم الكبيرة ، وينفقون الملايين الكثيرة ، ويأكلون فلايشبعون ، ويشربون فلايرتوون ، ويرون بأعينهم الكافرة صوراً شاحبة حزينة لأناس معروقة العظام ، بادية السقام ، تهيم فى الأزقة المظلمة الحقيرة ، لتربض عند أكوام من (القمامة) تبحث فيها عن الفتاة الذى ركله السادة المتبطلون يرون هذا من خلف أسوارهم المنيعة فلا يرحمون ، ويسمعون الأنات الشاكية تنبعث من صدور الجائعين فلا يشفقون ، إن أصحاب الأقلام يعرفون كل هذا فعليهم أن يدكوا بأقلامهم الثائرة أسوار الجلادين ، ويبعثوا بأضوائهم الباهرة إلى أكواخ البائسين ، لتحقق العدالة الاجتماعية ، وتعم الأخوة الإنسانية ، ويعيش الناس فى أمن وسعادة ووئام

هذا ماتريده الثورة العاقلة التى خلعت ملكا ظالما ، وأنقذت شعبامظلوما ، وطهرت حكما فاسداً ، وأيقظت شعوراً راكدا، وبدأت تبنى للأمة مجتمعا فاضلا ، وتهيئ لها مستقبلا رغدا ، وهى تهيب بالأقلام أن تسير مع القافلة نحو القوة والعزة والمجد .فهل تستجيب

عمر عودة الخطيب

رسالة الشعر

أحبابى الموتى *

للأستاذ أنور العطار

فيا عهدهم لازالت نضرا على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر

أحن إليكم كلما ذر شارق وأبكيكم ما عشت فى السر والجهر
أحباى يا سؤلى ويا غاية المنى طويتم ضلوع القلب فى على الجمر
وبت أناجيكم وأهفو إليكم وأصبو إلى لقياكم آخر الدهر
كأنى لحن الحب قيثارة الهوى أنوح على الأحباب بالأدمع الحمر
أصوغهم شعرا يفيض مواجعاً وأنظمهم عقدا يتيه على الدر
وأودعهم قلباً تقطع حسرة عليهم ، وعيناً دمعها أبداً يجرى
فياعهدهم لازالت نضراً على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر
ويا طيفهم زدنى اشتياقا ولوعة يزدك الهوى ماشئت من دامع الشعر

***

فيا أيها النادون لا البين صدهم ولا حجبت أنوارهم ظلمة القبر
جفونى مأواهم ، ضلوعى قبورهم فيا لقبور خطها الحب فى صدرى
سلوا الجفن هل طافت به سنة الكرى سلوا الليل هل دارت به مقلة الفجر
إلى الله أشكو ما أقاسى من النوى وما يتنزى فى الخواطر من ذكر
بروحى أنتم من محبين ودعوا فودعت أفراحى وفارقنى صبرى
ولم تؤونى الأرض الفضاء كأننى سجين أقضى العمر فى النئ والأسر
بعيد عن السلوان، صفر من الألى أشاع هواهم لذة الشعر فى ثغرى
فهل علم الأحباب أن خيالهم سميرى فى حلو الحياة وفى المر
إذا نسى الإنسان فى اليسر صحبه فلا خير فى التذكار فى ساعة العسر
أيامنا لا زلت معسولة الجنى كروض شذى رف فى حلل خضر
أناجيك بالقلب اللهيف من الجوى وأرعاك بالود البرئ من الند
وأسقيك دمع العين سقيا كريمة إذا ضن جفن السحب بالساكب القط
سلام على تلك العهود فإنها أمدت خريف العمر بالورق النضر
وزانت أناشيدى ووشت مدامعى فمن لؤلؤ نظم إلى لؤلؤ
وما شئت من ظل رخى ومن شذا وما شئت من طير يغنى ومن
أمانى فى زهو الحياة وفجرها مرصعة الأفياء بالممتع المغر
أراك بعين قد تنكر دهرها وما ألفت إلا الوفاء على النك
وأصبو إلى ذكراك والذكر راحة لمن عاش فى الهم المبرح والخ
وأشتاق الافا سقانى ودادهم كؤوس الهوى حتى انتشيت من السك
وحتى كأن الدهر طوع أناملى ينولنى قصدى ويبلغنى أمرى
إذا زارنى يا طيفهم فى حمى الكرى فقد زارنى سعدى وعاودنى بشرى
وأشرقت الدنيا بعينى وازدهت ليالى بالأنوار والأنجم الزهر
وهون ما ألقاه من لاعج الضنى وخفف ما أشكوه من ثائر الفكر

***

مررت على الدار التى غالها البلى وقوضها حتى استحالت إلى قفر
فنازعنى قلب يذوب صبابة إليها ، ودمع لا ينهنه بالزجر
أطوف بها والروح يعصرها الشجا ويعمرها بالبشر حيناً وبالذعر
هنا الأهل والأحباب والقصد والمنى هنا الملتقى بعد القطيعة والهجر
هنا تجثم الذكرى هنا ترقد الرؤى هنا الموت يبدو فى غلائله الصفر
هنا يقرأ الإنسان سفر حياته ويا هول ما يلقاه فى ذلك السفر
صحائف إن قلبتها ازددت حسرة على ما بها من غائل الغدر والشر
هنا العبرة الكبرى التى دق شأنها وأعوزها سبر فأعييت على السبر
هنا يخشع القلب الشجى مرددا كتاب الردى المحتوم سطراً إلى سطر
بنفسى أرواح رقاق جبيبة مضمخة الأعطاف مسكية النشر
تأرج بالذكرى وتعبق بالهوى كأن بها عطراً أبر على العطر
أعيش بها جذلان يسعدنى الرضا ويفتننى منها الخيال إذا يسرى

***

سلام على الأحباب إن طيوفهم لتملأ هذا الفكر بالنائل الغمر
ولولاهم لم أجن ريحانة الهوى ولولاهم ما شمت بارقة العمر

(*) من ديوان « وادى الأحلام » التالى للطبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب في البصير

لفت نظرى أخى الكاتب الأديب الأستاذ صديق شيبوب إلى احتفال الدوائر الأدبية الفرنسية هذه الأيام بذكرى مرور خمسين سنة على وفاة إميل زولا ومائة سنة على وفاة بول بورجيه

والأستاذ صديق شيبوب من أبرز كتاب الأدب المعاصر فى الثغر الإسكندرى؛ وقد شارك بجهود ضخمة فى جماعة نشر الثقافة، وهو الآن محرر الصحيفة الأدبية الأسبوعية من جريدة البصير التى تظهر يوم الجمعة ، والتى أنتظرها بشوق بالغ لأقرأ تلك الفصول الأدبية القوية التى يكتبها شيبوب فيسكب فيها عصارة مجهود ضخم ، يبذله طول الأسبوع ، فهى تحوى تلخيصا وافيا لكتاب من الكتب الأوربية الجديدة وتعليق المترجم عليه

وجميل أن تظل صحيفة « البصير » التى تملأ أعمدتها بحديث المال والاقتصاد ، محتفظة بذلك التقليد الجميل ، تقليد الصفحة الأدبية الأسبوعية بعد أن هجرته الصحف اليومية أو حولته إلى صورة ليست من الأدب فى شىء لإرضاء رغبات القراء ، وغرائز الجماهير

وقد كانت بدعة الصحيفة الأدبية الأسبوعية قد انتشرت فى الصحافة المصرية إلى ما قبل ١٩٣٩ عندما بدأت الحرب العالمية ، واضطرت الصحف إلى أن تلغى صفحات الترف منها واقتصرت على الأنباء الهامة

وكانت الصفحات الأدبية فى البلاغ والسياسة والأهرام والمصرى ، تتناول الكثير من مشاكل الأدب وشؤون الفكر .. على نحو لا بأس به . وكانت تقوم المحاورات والمساجلات الأدبية بين كتاب الصحف اليومية وكتاب المجلات الأدبية ، كالمساجلات التى قامت بين العقاد فى الجهاد وطه حسين فى الرسالة .. وغيرها

فلما انتهت الحرب العالمية وعادت الصحافة إلى التوسعة على قرائها بمزيد من الصفحات ، كان الذوق الصحفى قد تطور ، وأخذ يمضى فى طريق يمكن القول بأنه مضاد للأهداف الأدبية والفكرية العليا ، فقد عنيت الصحافة بالأدب الخفيف أو أدب (الساندويتش) وحرصت على أن تقدم للقارئ القصة المثيرة ، والصورة العارية ، والفكاهة التافهة ، باسم الطرائف

ورمت الصحف اليومية من هذا إلى تقليد المجلات الأسبوعية التى تعيش على إرضاء أهواء القراء ، وبذلك انحسرت الموجة الأدبية تماما من الصحف اليومية وتوارت خلف بعض المجلات الأدبية الأسبوعية التى ما زالت تحتفظ بطابع الأدب الرفيع

الشاعرات

من الملاحظات الدقيقة الجديرة بالبحث والعلاج ، ندرة الشاعرات بين فتياتنا ونسائنا المثقفات . ويقينى أن الأمر لا يقف عند الشاعرات فحسب ، ولكن ينسحب على اللواتى يشغلن أنفسهن بالعمل الأدبى بوجه عام

فأنت لا تستطيع أن تحصى أكثر من شاعرتين أو ثلاث ، لا يرتفع شعرهن إلى قاعدة الإجادة أو التفوق

وهناك أسماء كاتبات وشاعرات كانت تلمع قديما ، ثم اختفت وتوارت .. من أمثال ذلك الكاتبة « ملك محمود السراج » أين

ـا صغت أنغاما لطافاً شجية … أرق من النجوى وأصفى من الخمر
ى المفرد الحيران فيها أليفة … وينسى بها دار الخديعة والمكر

* * *

ناء على الدنيا فما هى لذة … إذا كنت فى شطر وقلبك فى شطر
ا بؤس محيانا ويا طول غمنا … ويا شد ما نلقاه فى الدهر من قسر
ا شوقنا للصحب فى غمرة الردى … وفى هدأة المثوى وفى رقدة العفر
. خيالات يوشحها الأسى … وننزع أثواب الحياة ولا ندرى
نطرح أياما ثقالا رهيبة … براء من الألوان خلواً من السحر

أنور العطار

هى الآن ، لماذا اختفت وراء السحب ، لماذا اكتفت بحياتها المنزلية المحدودة ؟ إن زميلاتها ، أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وجميلة العلايلى ، وغيرهن .. ما زلن يكتبن .. فلماذا تختفى هى !

وإذا كانت لا تحب الاتصال بالمجلات الأدبية فلماذا لا نرى لها بين آن وآخر كتابا جديدا ؟ إنها زوجة كاتب كبير واسع الأفق طالما أثار على صفحات المجلات فنونا من الآراء الجديدة ، قبل أن يشتغل بالسياسة ، هو الدكتور محمد مندور ، وما نعتقد أن الكاتب الكبير يحتجز هذه العبقرية أو يحول بينها وبين الضوء

أدب الانقلاب

لا شك أن الأدب فى الشرق سيدخل فى البوتقة ليظهر من جديد ، فإن الانقلابات العسكرية التى وقعت فى سوريا ومصر ولبنان خلال هذه الشهور السبعة ، ستكون بعيدة الأثر فى كيان الأمة العربية

وقد كانت هذه الأمة التى تمتد على ساحل البحر الأبيض من الشام إلى مصر كانت تعيش فى مرحلة عصيبة عنيفة ، قاست فيها الظلم والظلام والإرهاق .. خلال الفترة الأخيرة التى سبقت استجابة الجيش لرغبات الشعب فى إقصاء الطغاة وإخراجهم وإقامة حكومات جديدة تنبع من روح الشعب وآماله

وقد كانت الأمة العربية فى لبنان وسوريا ومصر .. تعيش فى ذلك الشقاء ، وهى تحس بإرهاصات غروب دولة . . ، وانتهاء جيل ، و . . شروق فجر جديد

ولا شك أن ذلك الالتقاء النفسى الواضح بين الشام ومصر الذى يلقى أضواء متشابهة على التاريخ الماضى فى مختلف العهود ؛ يبشر بألوان أدبية جديدة ستظهر فى الأفق فى وقت قريب

الترجمة والشعر المنثور

ظاهرتان جديدتان ، أومتجددتان فى الأدب العربى المعاصر ، تبدوان مرة أخرى بعد أن اختفتا طويلا . . هما العود إلى الترجمة وظهور الشعر المنثور مرة أخرى

بدأت النهضة الأدبية فى أول أمرها بعد ثورة ١٩١٩ بالترجمة عن الآثار الأوربية ، وقد كان فى مقدمة روادها الزيات وطه حسين والسباعى وخليل مطران والمازنى

ثم بدأ أدب الإنشاء ، والنقد والبناء ، وساهم فيه هؤلاء الرواد بدور ضخم . . غير أن ظاهرة العودة إلى الترجمه بدت مرة أخرى فى أفق الحياة الفكرية واتصلت فى الأغلب بالآثار العلمية والتاريخية

وفى مقدمة الكتب المترجمة الجديدة : الوحدة الإيطالية (لبولتن كيم) الذى ترجمه الفريق طه الهاشمى ، وهيلين كيلر للأستاذ مرسى قنديل ، وتطور الزراعة للأستاذ نظيف وزير زراعة سوريا

أما الظاهرة الثانية فهى « بدعة » الشعر المنثور ...

لقد عادت مرة أخرى بعد أن اختفت وقتا طويلا . . وكدنا أن ننسى هذا اللون . . ويجئ هذا التيار هذه المرة من الشام ومن لبنان بالذات ! فقد صدر فى الأسبوع الماضى ديوانان منه « أمواج » للشاعرة هند سلامة و « لمن » للأستاذ ألبير أديب

ولا شك أن كتابين من لون واحد فى وقت واحد يدعو إلى التسجيل والبحث

وعقيدتى أن هذا اللون هو من أدب الترف يمكن أن يظهر فى الأمة بعد أن تستكمل أدوات قوتها وعوامل نضوجها . . ، أما الآن ونحن فى مرحلة « الثورة » . . ، وفى مواجهة الأحداث ، أحداث التجديد والتغيير ، والتحرر والتطهير ؛ فما أحوجنا إلى الأدب الجاد الصارم

إن الشاعرة « هند سلامة » — وكم كنت أحب أن أعرف عنوانها لأكتب لها — تثير فى نفس القارئ شعورا ، هو مزيج من القلق و . . . ، وما كان أغناها عن إثارة هذا الشعور ، فنحن نطمع فى المرأة الجديده التى تستطيع أن تنقى جو حياتنا الفكرية والاجتماعية من الوساوس وأسباب القلق ! !

وهذه قطعة تخيرناها من كتاب الشاعرة « هند » وراعينا فيها أهداف الرسالة بعنوان « لولاك »

أيها النائم . .

ها أنا ذى أودع قلبك . .

وأهمس فى أذنك

أسرار أحلامى الأخيرة ...

فى طباعى شذوذ

إنى أنشدك كلما ضاق صدرى بالمجوم

ولكنت سلكت مسالك الناس
وكشفت لهم عن آلامى
ولكننى لم أجد قلبا كقلبك
يتسع لسبر أغوارى
وكشف حنايا نفسى
أبثك لأعلن لك أسرارى
وأطرح عليك أثقالى

وأثقلت قلبى الرزايا والمحن
فنى وشوشاتك للكلمة والحرف
ما يخفف عن القلب أثقاله
وفى دبيبك على القرطاس . .
ما يفك عن الصدر أغلاله . .
ويحملنى بعيدة
بعيدة على أجنحة الأثير
لولاك ياقلم
ما اتسعت بى الأرجاء
ولما كنت خفيفة طليقة كالنسيم
رغم نفسى المثقلة
المقيدة بأسباب الحقيقة والوجود
لولاك
ما كان لى تعزية ساعات معدودة

***

وبعد فأنا موقن بأن الشاعرة « هند » لو كتبت هذه القطعة على أنها لوحة نثرية لجاءت غاية فى الروعة ، ولكانت أقوى ألف مرة ، من هذا التمزيق والتقسيم والتقطيع لأوصال الكلمات والجمل حتى يمكن أن يطلق عليها اسم الشعر المنثور . . وما أثقله من اسم

أنور الجندى

الكتب

بلادنا فلسطين

(٢٢٩ صفحة من القطع المتوسط طبع القاهرة ١٩٤٨)

التاريخ القديم للشرق الأدنى

(٢٦٦ صفحة من القطع المتوسط طبع بيت المقدس ١٩٥١)

تأليف الأستاذ مصطفى مراد الدباغ

للأستاذ على محمد سرطاوى

الأستاذ ، مصطفى مراد الدباغ ، مؤلف هذين الكتابين ، المفتش فى معارف حكومة فلسطين سابقا ، والوكيل المساعد لوزارة المعارف الأردنية اليوم ، وأحد أفراد أسرة الدباغ اليافية ، التى اشتهر أفرادها بالفضل والعلم والأدب ، ومنهم الشاعر المبدع المرحوم إبراهيم الدباغ فى مصر ، علم من أعلام المؤرخين المعاصرين ، وقطب من أقطاب التربية والتعليم جمع إلى العلم الغزير ، المثالية الإسلامية فى أروع صورها .

حصل على ثقافة عميقة الجذور فى كلية المعلمين فى بيروت زمن الحكم العثمانى ، بحكم ذكائه الذى جعله الأول على جميع الطلاب فى جميع سنوات الدراسة ، والتحق بالجيش ، فصقلت خشونة الجندية الرجولة الفذة الكامنة فيه ، وطبعته بطابع الصرامة والجد ، فى كل ما يتصل بنفسه وعمله من شؤون ؛ والجندية كالنار ، لا يخرج منها غير المعدن الصافى ، والذهب الإبريز وحين كانت الجحافل التركية تتراجع أمام جيوش الثورة العربية ، التى كان يقودها المغفور له فيصل بن الحسين ، فى الحرب العالمية الأولى . فى وهاد الأردن ، وأطراف النوطة ومرتفعات الأرز ، انتقاما من وحشية الاتحاديين ، متمثلة فى فظاعة السفاح ، الطاغية ، جمال ، الذى راح يطارد ، فى جنون السلطان المطلق ، أحرار العرب ، ويسوق إلى أعواد المشانق ، الصفوة الممتازة من رواد الحرية فى الأمة العربية ، فى عالية ، وقد التمت حوله بطانة مجرمة من رجال السوء ، والخونة المارقين فى أردية الكهنوت الإسلامى ، كانت تعمل فى الوقت نفسه لحساب الحلفاء ، راحت

تلك الفئة التى تجرى فى شرايينها معانى الرق ، تحرف كلام الله عن مواضعه إرضاء لطغيانه ، وتفتيه فى خيانة أولئك الأحرار ، محللة له سفك دمائهم باسم الدين ؛ لم يكد ذلك ليتم حتى كان حاييم وايزمن ، المحاضر فى جامعة منشستر يقهقه ملء رئتيه ، فى عاصفة هوجاء من المرح الأرعن ، ويشرب مع أصحابه النادرين ، نخب النصر الذى أحرزه على المغفور له الملك حسين بن على ، بوعد بلفور

لم يكن وعد بلفور فى حقيقته غير بداية الهجوم على الشرق فى حرب صليبية مقنعة ، لم يكن للضمير الإنسانى فيها أى نصيب ، وتضاءلت فظائع القدامى من الفاتحين أمام وحشيتها ، وضراوتها ، وهمجيتها ، لكن حاولت — يشهد الله — تلك الحفنة الباسلة ، التى كان نصيبها أن تكون فى خط النار الأول فى معركة الهجوم الوحشى على الشرق الأدنى ، من أبناء فلسطين — أن ترسم أمام الأعين التى يغط أصحابها فى سبات الغفلة العميق ، صورة الدوحة الهائلة تنبت من البذرة الصغيرة ، وأن تجسم الخطر الذى سيهدد أمن الشرق جميعه من وراء عبارات وعد بلفور المتواضعة ، ولكن كل تلك الجهود ذهبت عبثا ، ولم يكن أمامها غير الثبات إلى النهاية متحملة الخسائر فى كل شئ ، مدى ثلث قرن من الصراع الرهيب بين قوى غير متكافئة ، وهى منفردة فى معركة الشرف لم تتزحزح ، ولم تفرط ، حتى غلبت على أمرها ، وشردت عن أوطانها ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، بعد أن استبيحت المحارم ، وانتهكت الأعراض ، ودنست المساجد ، فى عار لم تسجل صحف التاريخ مثله على أمة من الأمم ، وسيظل الذين ظاهروا عليه ، موضع اللعنة من الله ومن الأجيال المقبلة فى تاريخ الأمة العربية والتاريخ الإنسانى إلى يوم يبعثون

عاد (أبو عمر) إلى أرض الوطن الذى بارك الله ثراه بإسراء سيد المرسلين إلى المسجد الأقصى فيه ، فرأى أن العمل الخليق بالجندى الباسل هو التعليم ، بحكم ما فيه من شرف بالغ ، وتضحيات جسيمة ، وعمل مجيد للأمة يمد جذور حياتها إلى رى المستقبل

التحق بإدارة المعارف ، مدرسا لثانوية الخليل ، ثم أستاذا محاضرا فى كلية المعلمين بالقدس ، تلك الكلية التى طافت بها نفحات قدسية قومية ساحرة من عبقرية شاعر الأمة العربية معروف الرصافى رضوان الله ورحمته عليه ، يوم أن كان أستاذا محاضرا فيها ، ثم التحق بإدارة التفتيش وبقى فيها حتى اليوم الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ وهو اليوم الذى انتهى فيه الانتداب البريطانى على فلسطين

كانت المشكلة التى تواجه الوطن القومى ، والتى كان يخيل للقائمين على تأسيسه أنها مستعصية الحل ، هى الحصول على الأراضى الكافية لإقامة القلاع الحربية فى مظاهر متواضعة من الأكواخ البسيطة ، غير أن القدر الساخر مالبث أن جعل المشكلة بصورة عجيبة ، عن طريق انتقال صفقات هائلة من أخصب الأراضى ، قامت عليها من أزمان موغلة فى القدم ، قرى ، ومزارع وفلاحون ، إلى الأيدى الصهيونية ، كانت تملكها الأسر الكبيرة من غير أهل فلسطين ، تقيم فى الأقطار العربية المجاورة ؛ ذلك إلى جانب الوسائل الجهنمية التى ابتدعها رئيس النيابات العامة نورمان بنتويش ، بما كان يصدره من أنظمة تعسفية وقوانين غريبة لوضع البلاد فى أسوإ الأوضاع التى من شأنها أن تعجل فى إقامة صرح الوطن اليهودى

وكان لا مفر لبناة الوطن القومى اليهودى من رسم مناهج التدريس فى المدارس العربية الحكومية رسما بارعا ، تعين النتائج فيه على بناء ذلك الوطن ، بخلق طبقة مستغربة من العبيد ، لا تعرف مكانها من الكرامة ، ولا تاريخها المجيد فى تواريخ الأمم والشعوب ، تعيش ليومها ، ضيقة الآفاق ، تعبد الغرب بدلا من الخالق ، يملأ الغرور نفوسها ، ويوهن ما فى ضمائرها من خلق وشرف ورجولة ، طول الجرى وراء أجساد العاهرات من بنات إسرائيل ؛ ولكن الله رد كيدهم فى نحورهم ، فلم تفلح مناهجهم الآثمة فى إخراج واحد من أبناء فلسطين ، على النمط الذى أرادوه

وكانت محاولة الإصلاح فى جو موبوء مسموم من هذا النوع ، ضربا فى حديد بارد ، ونفخا فى رماد ، ولكن الأستاذ الدباغ ، رأى فى تلك المناهج ، على الرغم مما فيها من فساد ، شيئا لا بأس به من الخير ؛ إذ ليس هنالك خير مطلق ، أو شر مطلق فى الوجود ، وراح كالغواص البارع ، يبحث فى ظلامها الدامس عن الدر والجوهر ، فوجد من ذلك ما حاول به إصلاح سوء النية فى وضعها ، وراح يركز نشاطه فى بيئة الفلاحين ، وفى مدارس

الريف باعتبار الفلاح الحارس الأمين على أرض الوطن التى امتزج ثراها بدماء الفاتحين من خير أمة أخرجت للناس، وكان يهيب بضمائر المعلمين ، ويبيح لهم التحلل من القيود المنهجية فى الحد الذى يبصره الضمير القوى من حذف أو زيادة أو تغيير ، وأن تركز المسائل الحسابية على شراء الأرض ، وأن لا يجرى بيعها على لسان أبدا

وظهر فى هذه الفترة كتابه (فى القرية) ، ويدعو فيه إلى تركيز القوى للنهوض بالفلاحين ، وتوفير ما يكفى من الخدمات الصحية والتعليمية لرفع مستواهم ، وتوفير عدالة اجتماعية فى الحدود الممكنة.

وأدرك السير (آرثر واكهوب) المندوب السامى على فلسطين آنذاك ، والذى كان يتظاهر بصداقة الفلاحين ، ويكثر من زيارتهم ، والحفاوة بهم ، على الرغم من دخول أكبر عدد من المهاجرين أيام حكمه ، وكأنما كان يمثل دور الصياد الذى يبكى وهو يذبح العصافير فى القصة المشهورة ؛ أدرك ذلك الداهية الأريب والجندى المدرب ، وكان رجلا ، قدر المؤلف الرجل ، وقدر صدق وطنيته — وكان للسير واكهوب ضمير إنسانى حساس ، يختلف عن ضميره الرسمى — فبعث إليه بكتاب يطفح بالشكر ، وينوه بجهوده نحو إصلاح القرية ، ويطلب إليه المزيد من العناية ، ويبارك عمله المجيد

***

من أبرز ما يمتاز به (أبو عمر) ، الأستاذ الدباغ ، إحساس عجيب يسبق الزمن ، وما يجرى وراءه من أحداث ، أو ما قد تتمخض عنه تلك الأحداث من مفاجئات ونتائج . ومن مظاهر ذلك الإحساس انكبابه على تأليف موسوعة تاريخية فى هذه الفترة أطلق عليها اسم (بلادنا فلسطين) . وكأنما ألقى إليه من وراء الغيب ، أو أدرك بحاسة سادسة عجيبة ، أن أحداثا جساما فى طريقها إلى تلك البلاد ، تأكل الأخضر واليابس ، وتمحو من سجل الوجود مدنا وقرى بأسرها ، وتشرد أهلها

وقد كانت طريقته فى تأليف تلك الموسوعة السير من المعلوم إلى المجهول . كان يسائل المعمرين عما يعرفون من تاريخ قراهم أو مدنهم ، وأنسابهم ، وكل ما يتصل بماضيهم من شؤون وشجون ، حتى إذا ما دون أقوالهم ، انقلب إلى مكتبة غنية بالمصادر أنفق جهدا ومالا فى سبيلها ، يراجع وينقب ، حتى يصل إلى بعض الحقائق فيما لديه من أقوال . قد يرفضها كلها ، وقد يحذف بعضها ، وقد يزيد عليها ، وقد يدفعه البحث والتدقيق عن حقيقة من الحقائق ، إلى السفر من مدينة إلى أخرى ، أو إلى قطر مجاور ، حتى إذا فرغ من الأساس التاريخى لبحثه عن تلك القرية أو المدينة ، انصرف إلى البحث عن الحاضر ، وهو أمر ميسور تبرع لمعاونته عليه عدد كبير من المعلمين والموظفين فى مختلف الإدارات الحكومية ، فكانوا يجمعون الإحصاءات المفصلة من التقارير الرسمية ، أو يحصون بأنفسهم ، وبمساعدة أهل القرى ، مالا يدخل فى تلك التقارير ؛ فتجمع لديه من كل ذلك معلومات دقيقة عن عدد السكان ، ومقدار الذكور والإناث ، وعدد المتعلمين ، ونوع التعليم ومستواه ، وعدد المدارس والطلاب والمعلمين ، وأنواع المحاصيل ، وعدد أشجار الفاكهة ، والمساحات التى تزرع بأنواع المزروعات ، وعدد الحيوانات ، والبيوت ، والمساجد ، إلى آخر ما هنالك من التفاصيل التى لم يسبق أن استعملها مؤرخ سابق على هذا النوع الدقيق من الأسلوب العلمى المضنى الذى ينوء به الفرد ولا يقوى عليه

وتقع هذه الموسوعة فى عدة مجلدات ضخمة ، تولت مكتبة الطاهر إخوان عام ١٩٤٧ طبع الجزء الأول — القسم الأول ، منه فى مطابع دار التوزيع والطباعة والنشر فى القاهرة — وتشاء الصدف العجيبة أن يخرج هذا الجزء فى شهر أيار من تلك السنة ، وهو الشهر الذى انتهى فى منتصفه بعد عام واحد (١٩٤٨) الانتداب البريطانى على فلسطين

يقول الأستاذ الدباغ فى المقدمة : (هذه البلاد عربية منذ آلاف السنين ، وأول من عرف من سكانها الموجات العربية الأولى التى نزلتها ، وقد قدستها الأديان العظيمة التى تدعو لخير البشرية ....

اجتهدت فى إخراج هذا الكتاب فى أجزاء عدة ، وجعلت بحثه يشمل تاريخ كل مدينة وبليدة ، وتاريخ ما تمكنت من الوصول إليه عن القرى ، والمزارع ، والأنهر ، مع وصف الحالة الحاضرة فى كل منها

وقد رأيت أن البحث لا يستوفى مالم يشتمل على المهم من التاريخ العام للقطر الفلسطينى ، فقسمت هذا البحث على الأجزاء جميعها ، بحيث لا يفرغ القارئ منها إلا ويكون لديه سفر تاريخى لهذه البلاد منذ أقدم الأزمنة إلى قبيل الوقت الحاضر ...

يبحث الجزء الأول من هـذا الكتاب عن تاريخ القطر الفلسطينى ، منذ فجر التاريخ إلى انقسام المملكة اليهودية ، وعن تاريخ مدن وقرى وقبائل بلاد نابلس

وسيتناول الجزء الثانى البحث عن غزة والسبع ، وقراها وقبائلها ، كما أن البحث فى الجزء الثالث سيدور عن يافا والرملة واللد وجوارها

وأرجو المولى أن يوفقنى لإتمام البحث عن المناطق الأخرى من فلسطين

ثم تجهمت أحداث الزمن ، وتوالت النكبات بسرعة فأوقف طبع الأقسام التالية من الجزء الأول ؛ وليت الأمر وقف عند هذا الحد ! بل تعداه إلى خسارة فادحة بفقدان الأجزاء التى لم تطبع من الكتاب ، حين كان الأستاذ الدباغ ضمن آخر جماعات أرغمت على مغادرة يافا فى باخرة رأى ربانها إلقاء عدد من الحقائب من حمولتها إلى مياه البحر ، وكانت الحقائب التى تحمل ذلك الكنز الثمين من بينها . وكأن القدر أراد أن لا يبقى كتاب يتحدث عن بلاد ذهبت وذهب أهلها

لقد أورد الأستاذ مقتبسات من الأحاديث النبوية فى الفصل الأول جاء فيها

١ — عن معاذ قال : قال رسول الله (ص) : (يامعاذ . . إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت القدس فهو فى جهاد إلى يوم القيامة)

٢ — عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله (ص) (يجند الناس أجنادا ؛ فجندا بالشام، وجندا باليمن، وجندا بالعراق، وجندا بالمشرق ، وجندا بالمغرب ، فقلت يارسول الله ، إنى رجل حديث السن ، فإن أدركت ذلك الزمان فأيها تأمرنى يارسول الله ؟ فقال : عليك بالشام فإنها صفوة الله فى أرضه ، يسوق إليها صفوته من خلقه)

٣ — روى المشرف بسنده عن كعب قال : (أحب البلاد إلى الله الشام ، وأحب الشام إلى الله تعالى القدس ، وأحب القدس إلى الله تعالى جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم) صدق رسول الله فقد جاء ذلك الزمان

« ومن المصادفات العجيبة أن صلاح الدين الأيوبى ، تسلم القدس من الفرنج يوم الجمعة فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية أى فى ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم، وهذا اتفاق عجيب ، فقد يسر الله بأن تعود القدس إلى أصحابها فى مثل زمان الإسراء بالنبى الكريم (ص)) [1] ترى من هو القائد العربى العظيم الذى أعدته قدرة الله لشرف إعادة القدس من الصهيونيين ؟

أما كتاب الأستاذ الثانى (التاريخ القديم للشرق الأدنى) فهو تلك القصة الخالدة من الصراع الدائم فى تاريخ الحضارة ، يتابع المؤلف أحداثها فى وصف تاريخ ولفتات رائعة تدل على فهم لما وراء حوادث التاريخ ، من عصر إلى عصر ، عبر الزمن الغابر البعيد ، والإنسان هو الإنسان لا يتغير ولا يتبدل . لقد كان الشرق الأدنى ولا يزال ، مقابر الفاتحين ، فى جميع عصور التاريخ، والجسر الذى عبرت فوقه موجات الحضارة ، وموجات الفتح ؛ ولم يعرف الزمان تاريخا معقدا مثقلا بالحوادث الجسام كتاريخ هذا الجزء المتعب من العالم ، يتصارع الأمم على وفرة خيراته وطيب مناخه، وموقعه الطبيعى الاستراتيجى وهو يربط أجزاء القارات الثلاث العظيمة

يقول الأستاذ فى مقدمة كتابه : (هذا كتاب وضعته لطلاب المدارس الثانوية ، وللطلاب الذين يستعدون لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالى ، إلا أن القراء عامة ، فى وسعهم أن يستفيدوا منه ، إذ يطلعون فيه على صفحة من تاريخ الشرق العربى فى العصور القديمة ، وقد تبسطت فى الكلام عن تاريخ بلاد الشام وعلى الأخص تاريخ القسم الجنوبى منها ، وهو القسم الذى يعرف الآن باسم « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وكان يسمى قبلا « فلسطين وشرق الأردن » وهذا البحث ، على ما أعلم ، لم يتعرض

(١) بلادنا فلسطين ١ . ١٥

البريد الأدبي

هل كان الزهاوي فيلسوفا ؟

نشرت الرسالة بالعدد (١٠٠٣) هذا المقال الموجز ، وقد لاحظت أن المطبعة قد أسقطت سطراً بتمامه ، فاضطرب المعنى ، تبعا لذلك ، وإنى أعيد القول من جديد ، لبزول الاشتباه :

« ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن مرة واحدة علما دقيقا متين القواعد والأصول، ولكنها مرت بدور الطفولة والصبا — كما يقول الأستاذ مهدى علام — فى أساطير القصاص وشعر الشعراء وأقوال الحكماء »

فلعل القراء يلتفتون إلى هذا التصحيح السريع

محمد رجب البيومي

تحت منظار النقد

ألقى الأستاذ محمود جبر فى الحفل الذى أقامته جماعة الشبان المسلمين بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة قصيدة ميمية جاء فيها تنديدا بمن نسبوا الملك السابق فاروق إلى الحسين :

يا منبع الطهر قد نسبوا إليك فتى من غير حق فخارت فيه أفهام

والبيت من البحر البسيط وهو مكسور فى الشطر الأول لأن السين فى (نسبوا) كان يجب أن تكون ساكنة لا متحركة

وكم ضحكت كثيراً حينما سمعت التصفيق الشديد لهذا البيت !

شبرا النملة **عبد اللطيف محمود الصعيدى**

المسابقات الأدبية لمجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلحاقا بما سبق أن أعلنه المجمع عن جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ وبعد صدور قانون ميزانية سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ يعلن المجمع أن الجوائز التى سبق الإعلان عنها خفضت قيمة كل واحدة منها من مائتى جنيه إلى خمسة وعشرين ومائة جنيه

أسبوع رعاية مشوهى الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

المشروع

أولا — خلق وعى قومى يقدس التضحيات التى بذلها مشوهو الحرب والشهداء وتخليد فدائيتهم ووضعهم فى المقام اللائق بهم

ثانيا — بذل كل المساعدات المادية والأدبية

(ا) عمل تخفيض دائم من المتاجر والبيوت المالية والشركات والأطباء والصيدليات وغيرها لمشوهى الحرب وعائلات الشهداء

(ب) منحهم إعانات مالية لتسوية حالاتهم المضطربة

مقومات المشروع

أولا — جمع تبرعات

(ا) بصناديق تعد بمعرفة مصلحة الخدمات الاجتماعية فى جميع أنحاء البلاد مختومة بخاتم الوزارة، وتفتح بمعرفة لجنة مشتركة من الوزارة والجمعية

(ب) فتح باب الاكتتاب والتبرعات لمشروعات الجمعية من الأثرياء والكبراء . على أن يتطوع حضرات أعضاء الجمعية يساعدهم لفيف من الطالبات والطلبة وذوى المروءة المتطوعين لمؤازرة هذه الرسالة النبيلة

ثانيا — توزيع مليون طابع باسم (أسبوع مشوهى الحرب)

له أحد من المؤرخين على هذا الوجه)

وبعد، فلقد أطلت الحديث لقراء الرسالة الغراء ، عن هذا الجندى ، الذى طالما أبى عليه تواضعه إلا أن يظل مجهولا ، وأنا شديد الإيمان بأننا أحوج ما نكون إلى رجال من هذا الطراز يكونون مثلنا الأعلى فى الحياة الجديدة الكريمة المقبلة التى تليق بكرامة الإنسان وهو يخطو على الصراط المستقيم الذى أقامته يد السماء ، ليكون طريقه على ثرى الأرض ، وهو يعبر إلى الطرف الآخر ، المتوارى فى ضباب الغيب، فى ركب الحياة

على محمد سرطاوى

من فئة القرش صاغ ويكون توزيعها كالآتي : —

بمعرفة المتطوعين من أعضاء الجمعية وأصدقائهم

دور السينما والمسارح

مكاتب البريد والتلغراف

محطات السكك الحديد

المحلات التجارية والشركات والبنوك وغيرها

ثالثا — تخصيص يوم السبت أول نوفمبر ١٩٥٢ ليكون (يوم السينما) على أن ترصد إيرادات الحفلة المسائية من التاسعة مساء لمشروع رعاية مشوهي الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

رابعا — إقامة حفلات موسيقية وغنائية يساهم في إحيائها مشاهير المطربين والموسيقيين يخصص ريعها لمشوهي الحرب

خامسا — فتح باب قبول الهبات العينية من الملابس والأقمشة والأحذية وخلافها من الحاجيات ، وما يفيض عن حاجة ذوي البر والمروءة ، على أن ترسل إلى مقر الجمعية ويسلم عنها إيصالات توطئة لتوزيعها على المشوهين وعائلات الشهداء

وسائل تنفيذ المشروع

أولا — الرسوم الرمزية

إقامة مسابقة بين رسامي الكاريكاتير وغيرهم لتصميم رسم رمزي يهدف إلى الفكرة السامية التي تطويها رسالة الجمعية ويدعو إلى مؤازرة مشروعاتها النبيلة ويكون وسيلة صالحة للدعاية عن أعمالها

ويمنح الفائز الأول والخمسة الآخرين (الأوائل) جوائز ثمينة ويطبع الرسم الرمزي الفائز ويوزع بكميات كبيرة في أنحاء القطر

ثانيا : — إخراج أفلام سينمائية قصيرة

تدعو إلى معاضدة الجمعية وتشيد ببطولة مشوهي الحرب والشهداء، وتدعو إلى تخليد ذكراهم وتيسير وسائل الحياة السعيدة لهم ، على أن تعرض في جميع دور السينما لمشايعة أغراض الجمعية وتحقيق أهدافها السامية

ثالثا : — الإذاعة اللاسلكية

إذاعة أحاديث دورية عن الجمعية ورسالتها ، وبطولة مشوهي الحرب والشهداء ، وما ينبغي عمله لهم ولذويهم من مساعدات ومعاونات

أحمد نوفل

منقذ فلسطين

كتب الأستاذ محمد رجب البيومي عن مسرحية منقذ فلسطين ، التي أخرجها الأستاذ عبد الرحمن البنا ، وقد أعجبني ما كتبه ، والواقع أنني حضرت القصة عندما أخرجت على مسرح الأوبرا ليلة ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وهي نفس الليلة التي دخل فيها جيش مصر الباسل فلسطين ، فأعجبت بها وهزتني من الأعماق ..

وكنت قد حضرت للأستاذ البنا مسرحيات أخرى من هذا النوع الإسلامي ، الذي يحرص على إبعاد عنصر المرأة عنه ، ومع ذلك فقد كانت هذه الروايات لا تفقد قوتها ولا جلالها ..

وقد سمعت من الأستاذ عبد الرحمن أن الأستاذ زكي طليمات قد أبدى إعجابا لا حد له بهذه المسرحيات الإسلامية ، وقال إن هذا اللون ناجح ولا شك ، وأن قوة المعاني والصور والمواقف فيه ، لا تكشف النقص الذي يمكن أن يأتي من إبعاد عنصر المرأة عنه

(أنور)

غيظ

إن البلاد إذا شاع الفساد بها
وأصبح اللؤم فيها خلة الناس

وأسفر البغي يقضي في سياسته
مصعر الخد مخفورا بحراس

لم يبق للحر إلا الغيظ يكظمه
بين الضلوع وإن ضاقت بأنفاس

محمود عبد السيد حمزة



صديق جديد

عن مجلة « روستورى »

تطلعت من السيارة التى كنت أعمل فيها إلى أعلى ، فوجدت — مانى بيترز — وعلى شفتيه ابتسامة بريئة ، غير أن عينيه الزرقاوين — فى هذه المرة — كانتا تشعان ببريق غريب

خالط عقله مس منذ أن كان فى العاشرة من عمره ، حينما حدث أن أصابه أحد رفقائه — دون قصد بحجر . ومما يحز فى نفسى أن أقول إننى كنت أكرهه بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، وإن كنت أدعه يعبث بأدوات السيارة التى وضعتها فى « جراج » بمدينة « جيرسى الجديدة » وذلك لمعرفتى أن جنونه من نوع غير خطر ، وأنه محتاج إلى كل ما يمكن أن يتسلى به ، ولكنه أهاجنى اليوم أكثر من أى يوم سبق ، فقد قضيت عشر دقائق فى البحث عن أداة احتجت إليها لعمل مستعجل

تذكرت أن « مانى » أمعن فى العبث أمس — كما يفعل غالبا — فكان السبب فى هذا التأخير ، فأخذت ألعن الظروف التى خلقت لى مثل هذا المأزق الحرج ، وأخيرا وجدتها

يستطيع الحدادون أن يقسموا على أن شيئا لا يزعجهم مثل اختلاف مواضع الآلات التى يضعونها فى أماكنها

لم أقل لـ « مانى » شيئا ، إذ أعرف أن نتيجة ذلك ستكون سيئة ، وأنه لا يمكنه أن يفهم حقيقة الموقف ؛ وإن فهم فلا يمكنه أن يتذكر ذلك إلا لمدة خمس دقائق . أقنعت نفسى بالتغافل عن أعماله ، وأن أستمر على عملى ، ولكن نيران الحقد ولهيب الكراهية ، جعلا منى مرجلا ثائرا

نظرت إلى يدى القويتين ، وأحببت أن أداعب بهما رأس من تسول له نفسه العبث بأشياء تخصنى ، أما أن يكون هذا الشخص « مانى » فإننى لا أستطيع حتى رفعهما

مضيت فى عملى وأنا جد متعجب من سكان القرية . ترى ما الذى جعل « مانى » محبوبا منهم ، وأنا أحمل له من البغض والكراهية ما ينوء بحملهما كاهلى ! وطبعا لم يكن الذنب ذنبه ، أحبه الناس أم لم يحبوه ، وشعورى بالكراهية له ناجم عن عدم الإكبار للرجال الضعفاء وغير المرغوب فيهم ، كرهى لكل عضو لا يقوم بعمله تمام القيام

تحملت منه ما لم يتحمله أهل القرية الأنانيون الذين قدت قلوبهم من الصخر ، لا يعرفون قويا ولا يرحمون ضعيفا ، وحتى له لم يكن إلا شفقة عليه ورثاء له

انتهيت من عملى ، ولم أنتبه للشخص المشرئب بعنقه ليرى ما أعمل ، مما سبب اصطدامى به ، وبعدها ألفيتنى محملقا فيه . أما هذا الشخص فكان « مانى »

تملكنى الغضب الشديد ، فصحت به : بالله ماذا جاء بك إلى هنا ؟

ودفعته دفعة قوية لأزيحه عن طريق

فترنح إلى الخلف بمجرد اختلال توازنه ، وغارت عيناه الزرقاوان فى محجريهما متعجبتين سائلتين ، ولم أكن رأيتهما على هذه الحالة من قبل

ثم اصطدم ببعض آلات مبعثرة هنا وهناك ، وسقط سقطة أفقدته الرشد

زاغت عيناى واشتد بى الخوف ، وأحسست بفيض من العواطف يدفعنى إلى مساعدته على القيام . وفجأة ، رأيتنى مادا إليه يدى أساعده على النهوض

شعرت وأنا أنحنى إلى الأسفل أن يدى قد بلتا ، ونظرت إلى الأسفل فرأيت قطرات حمرا على الأرض على بعد ست وثلاثين عقدة منى

حينئذ عرفت أن رأسه قد أصيب ببعض أدوات سببت شج رأسه ، فظننت أنه مات ، ولكننى شاهدت صدره يعلو ويهبط فعرفت أنه لم يفارق الحياة . لم أعر ذلك اهتماما بادئ ذى بدء ، وطمأنت نفسى بأنه لن يلبث أن يستفيق . ورغم ما كنت

أتظاهر به من الهدوء ، كنت معتقداً أن إصابته خطيرة . سرت نحو التليفون وطلبت الطبيب قائلا : أصيب مانى بيترز — بحادث خطير فأرجو أن تأتى بسرعة . وعلقت « السماعة » ورجعت إلى — مانى — أسائل نفسى ماذا يمكننى عمله حتى يصل الطبيب . استطعت أن أقف النزيف ، ولكننى لم أعرف ما يجب أن أعمله أيضاً . وهكذا جلست إلى جانبه منتظرا مجيء الطبيب ، محاولا جهدى ألا أفكر فيما سبب هذه الحادثة

جاء الطبيب فى وقت مناسب ومعه خمسة رجال من أهالى القرية ممن أعرفهم . لقد كانوا فى بيت الطبيب ساعة أن أخبرته بما حدث . ولما سمعوا ما قاله الطبيب عن « مانى » أتوا معه ليعرفوا حقيقة ما حدث

وكما قلت قبلا إن أهل القرية جميعهم يحبون « مانى » ما عداى فتأثروا لما أصابه

لم ينبس أحدنا ببنت شفة ، حتى فرغ الطبيب من الفحص ، فرفع إلينا وجهاً ممتقعاً ، فكان ذلك جواباً كافياً وفر علي السؤال

تكلم بهدوء قائلا : إن إصابته خطرة جدا ، فليخبر أحدكم مستشفى « أردين » ليرسلوا نقالة لحمله . ثم التفت وسألنى عن كيفية وقوع الحادثة فأخبرته بما حدث ، فأومأ برأسه فاهماً

غير أننى لاحظت الخمسة الآخرين ينظرون إلى مستغربين ، ورأيت واحدا أو اثنين — لا أتذكر — ينظر إلى متشككا

عشر دقائق مؤلمات مرت قبل أن تصل النقالة . ولم تمض دقيقة أخرى حتى كان الطبيب ومانى فى الطريق إلى مستشفى « أردين »

شعرت بحمى خفيفة ، وذهبت إلى حيث أستطيع أن أتنفس ، لأن هواء « الجراج » يكاد يخنقنى . وقبل أن أصل إلى حيث أردت ، سمعت قائلا يقول : فيلد ، دقيقة من فضلك ، لا يمكننى أن أدعك تذهب الآن

فالتفت قائلا : ولم ذلك يا جاك ؟ ألم تصدق ما أخبرت الطبيب به ؟

وظهر فى هذه اللحظة الأربعة الآخرون

— لا ، لا ، إن أحدا لم يصدق ذلك لما نعرف من مبلغ حقدك على « مانى »

تملكنى غضب مفاجئ . إنهم يظنون أننى فعلت ما فعلت عن عمد وإصرار

ظننتنى قادراً على إقناعهم بادئ الأمر بأن ما حدث لم يكن إلا مصادفة سيئة ، أما الآن فإن ذلك لا يزيد مركزى إلا حرجاً

انثنيت إلى جاك قائلا : تظننى حاولت قتل مانى ؟ أليس كذلك ؟ ! حسن ، ظن ماشئت ، فلست أبالى . والآن تفضل بالخروج وإلا أصابك ما لا يرضيك

فكان جوابه أن رفع يده وضربنى بقوة ، إلا أننى تحاشيت ضربته بحركة خفيفة من رأسى ، فاستدار حول نفسه وسقط على الأرض يتدحرج

فلما رأى الأربعة الآخرون ما حل بصاحبهم هجموا على دفعة واحدة كالذئاب الكاسرة يريدون تمزيقى . وسمعت « لودين » يقول : آه ... هل تقدر أن تفعل بنا ما فعلت بمانى . إيه ؟ حسن . إنك لا تقدر . إننا لا نتصارع من أجل جائزة كما تفعل ، ولكننا سنلقى عليك درسا لن تنساه مدى الحياة

دافعت عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن ما حيلتى إزاء خمسة رجال أشداء ؟ نعم أسقطت اثنين منهم ولكن الباقين تمكنوا منى وضربونى ضرباً مبرحاً . وأخيراً وجدتنى ممدداً على الأرض مشرفاً على الإغماء

أذكر أننى سمعت « لودين » يتكلم بالتليفون طالباً نقالة أخرى ، وبعدها لم أكد أفقه شيئا مما يدور حولى ، إذ أن الإغماء غلبنى

فلما أفقت رأيتنى على سرير أبيض من أسرة المرضى ، ثم رأيت ممرضة منحنية فوقى وكان إلى جانبها طبيب فعرفت أننى فى المستشفى . سأل الطبيب الممرضة عن حالى فأجابته أننى أحسن من ذى قبل . ثم التفت إلى مستفهما : الذى حدث ؟ !

فأجبته بصوت ضعيف : تشاجرت . ثم سألت : هل كسر شيء ؟ !

فقال الطبيب مغمغما : تشاجرت ؟ وتابع فرحا : آه ، لا ، لا يحدث شيء مما تعنى ، إنما كل ماهنالك رضوض لن تلبث أن تزول آلامها فيمكنك أن تخرج بعد يومين . ثم انصرف

أردت أن أسأل عن « مانى » ولـكن حالتى كانت من ضعف بحيث لم أستطع معها أن أتكلم . سرى بى التفكير إلى رجال الذين أشبعونى ضرباً . ومن الغريب أننى لم أشعر نحوهم بذرة من الحقد ، وكأن ما حدث لم يكن إلا خيالات وأوهاماً

غير أننى سعيد ، سعيد لأن عظامى لم يصبها عطب ، وإلا كانت الدنيا لدى أضيق من سم الخياط . وأدركت أخيراً أن لى كان جنونيا . ترى من يصدقنى إذا قلت إننى دفعت « مانى » نعة لم أبغ من جرائها قتله ؟ !

وفجأة وثب إلى ذهنى خاطر أذهلنى ، واصطكت أسنانى عبا ، وهو ما سيكون شأن الشرط معى إن ... إن هو مات ؟ !

انقبض صدرى لهذا الخاطر المروع ، وكدت أصيح بكل فى حنجرتى من قوة . والفضل فى إنقاذى من هذا الموقف ممرضة التى دخلت فى تلك اللحظة فأزمعت سؤالها عن مانى ، ت :

— إن لى زميلا هنا اسمه « مانى بيترز » كيف حاله ؟

فأجابتنى بصوت هادئ :

— إنه فى حالة سيئة ، وإنه الآن فى غرفة الجراحة لإجراء ية جراحية خطيرة

فسألتها بلهفة :

— هل تدعيننى أذهب لأرى مايعملون ؟

ففغرت فاها متعجبة ، ولـكنها لم تلبث أن استعادت ثباتها مهدت بأنها ستفعل ، وتركتنى وانصرفت

قضيت مدة أتقلب على فراش الألم خائفا مذعوراً مما سيحدث ولمانى . لم أكن أشتكى فى ذلك اليوم من شئ ، غير أننى ت منزعجاً مما سيحدث لى

وفى ذلك المساء أقبلت الممرضة قائلة :

— إن الأمل فى نجاح العملية كبير جدا ، ولو أنهم لم يخبروا دا ، وإننا سنعرف عنها فى الصباح كثيرا

كنت أريدها أن تقول إنه سيعود كما كان دون أن يكون فى نا هذا ذرة من الشك . لذا بقيت فى حيرة من أمرى ، مما أثر حالتى وأخر شفائى

وفى صباح اليوم التالى رأيت الممرضة مبكرة على غير عادتها ، فأحسست أن دقات قلبى توقفت : وأن الدم قد جمد فى شرايينى . وتمثل أمامى بعين الخيال مانى ممددا على السرير جثة هامـدة . ياله من منظر مخيف تقشعر منه الأبدان ! وسألتها : ماهذه الضوضاء ؟ هل هو مانى ! هل ... هل مات ؟

— لا ، ولـكنه يسير من سئ إلى أسوأ ، وقد سأل عنك ، فهل فى استطاعتك أن تذهب إليه ؟

لم أجبها عن سؤالها ، بل أسرعت فى إلقاء الأغطيـة عنى ، وحاولت القيام فلم تسعفنى أعضائى المنحطة ، فجلست على مضض حاولت أن أسترد قـوتى ، غير أن رأسى كاد ينفجر فأسرعت الممرضة نحوى ، ومددتنى على السرير بهدوء ، ثم قالت بقلق ظاهر : سآتى بنقالة لحملك ، فأخبرتهـا أننى قادر على المشى على قـدمى ، إذا هى ساعدتنى . ففعلت ، ووصلنا إلى غرفـة « مانى »

انحنيت فوقه ، وسألته عن حاله ، فأجابنى ، وفى عينيه تلك النظرة البريئة الطاهرة : إن رأسى يكاد ينفجر ، ولـكننى أحببت أن أراك حين علمت أنك أصبت أنت أيضا ، ورغبت أن أراك سليما معافى

شعرت بالدموع تجرى على خدى حارة غزيرة . يمكن أن يكون معتوها ، ولـكننى لم أر قلبا بريئا طاهرا مثل قلبه

عرفت أنه لم يتذكر ما فعلته به ، ولا كيف كنت أعامله دائما وشعرت لأول مرة فى حياتى منذ أن كنت طفلا ، بشـوق إلى الصلاة ، فأخذت أصلى ، وأصلى بحرارة . صليت وابتهلت إلى الله ، من أجل — مانى — ليشفى ، ولأستطيع أن أدعـــه فى « الجراج » . وكأن دعائى أجيب ، إذ أن — مانى — ترك المستشفى بعد شهر منذ دخوله وقد عاد كما كان لم يتغير

إنه الآن يقضى جميع أوقاته إلى جانبى فى الجراج ، وإنه لم يعد يحدث لى المتاعب . إننى أرغب أن يكون دائما هنـاك ، لأنه يزيل وحشتى فى وحدتى ، وقد جعلنى أشعر بالشفقة والحنان لـكل من يكون مفتقرا إليهما

ع ب

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشاً)

آلام فرتر

مترجم

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

العدد ١٠٠٥ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نحن الشعب نريد ... ... : للأستاذ سيد قطب ١١٠٥

محمد رسول الله ... ... : « على الطنطاوى ١١٠٧

صوت الهجرة ... ... : للسيدة وداد سكاكيني ١١٠٩

ترقيات المدرسين بالجامعة ... ... : للأستاذ محمد رجب البيومى ... ١١١٠

حول مقال إلغاء الدين الرسمى ... : « عبد الباسط محمد حسن ١١١٣

شلر ... ... : « يوسف عبدالمسيح ثروت ١١١٥

أين السلف الصالح ... ... : « أحمد عبد اللطيف بدر ١١١٩

ملك وشعب ... ... : « عبدالقادر رشيد الناصرى ١١٢٠

وحى البردة ... ... (قصيدة) : « ميشيل الله وردى ... ١١٢١

طيف الهجرة ... ... (قصيدة) : للدكتور زكى المحاسنى ١١٢٣

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١١٢٤

(الكتب) — مواكب الناس — تأليف الأستاذ نقولا يوسف — ١١٢٦
للأستاذ منصور جاب الله — النيل فى ضوء القرآن — تأليف
الأستاذ أحمد الشرباصى — للأستاذ سعد الدين موسى كله

(البريد الأدبى) — الطلاق الثلاث بلفظ واحد — أكاذيب كلوب ١١٣٠
باشا — فى قصيدة الفيتورى — إلى الأستاذ على الطنطاوى

(القصص) — القلب المحطم — للكاتب الإنجليزى واشنجطون إرفنج ١١٣٢

20 me année No 1005

Le Caire 6 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٧٢ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نحن الشعب نريد

للأستاذ سيد قطب

نحن الشعب ندرك اليوم أن فجراً جديداً قد طلع ، وأن عهدا جديدا يظلل هذا الوادى ؛ وندرك أن وثبة الجيش الباركة هى التى أطلعت ذلك الفجر ، وبدأت هذا العهد ، وأن هذه الوثبة المباركة ليست لحساب فرد أو هيئة أو حزب ، وإنما هى لحسابنا نحن الشعب !

نحن الشعب ندرك أن الذين قاموا بالثورة حملوا رؤوسهم على أكفهم ، وساروا فى ظلام دامس ، فى طريقهم الشوك ، وفى قلوبهم الشعلة ، وفى وجوههم الخطر . بينما كان كبراء هذا البلد فى مصايفهم الناعمة بأوربا ، يحف بهم النعيم ، وتراودهم أخيلة الحكم ، وتداعبهم أحلام الماضى !

ونحن الشعب نريد أن نعمل مع الذين واجهوا الخطر فى الظلام الدامس ؛ وأن نتخلى عن الذين استمتعوا بالنعيم ونحن هنا فى قبضة البؤس والظلم .. ذلك أننا نعرف أن الأبطال الذين كافحوا كانوا معنا ، والكبراء الذين استمتعوا كانوا علينا !

***

نحن الشعب ندرك أن الإقطاع قطر من عرقنا كؤوسا شهية للسكارى ، وجمد من دمائنا يواقيت فى نحور الغوانى ، وجعل من رفات آبائنا وأجدادنا سماداً للأرض الطيبة كى تزيد غلاتها لحسابه .. ونعرف أن محترفى الحكم وتجار السياسة قد انضموا إلى جلادينا الإقطاعيين ، وأصبحوا منهم ذوى ملكيات واسعة ، ولم ينضموا إلينا نحن الكادحين فى الأرض .. حتى قامت وثبة الجيش الأخيرة .. هنا فقط قال حماة الوادى للجلادين : مكانكم ! وهنا فقط ردت الأرض إلى ملاكها الحقيقيين

ونحن الشعب نريد أن ننبذ محترفى الحكم وتجار السياسة الذين وقفوا فى صفوف الإقطاع ولم يقفوا فى صفوفنا . وأن نحمى ظهور حماة الوادى من دسائس الإقطاعيين وحلفائهم من محترفى الحكم وتجار السياسة !

***

نحن الشعب ندرك أن الرأسمالية قد فتلت لنا حبال المشانق فى صورة قوانين ولوائح . وسلطت علينا البوليس السياسى يطاردنا فى المعامل والمصانع . وحرمت علينا تكوين النقابات وتكوين الاتحادات النقابية إلا بإذنها ورضاها ، وإلا بجواسيسها وأذنابها .. ونعرف أن مستغلى النفوذ من الوزراء والمستوزرين قد باعوا أنفسهم لهذه الرأسمالية ، مقابل صفقات رابحة ، وعضويات فى مجالس الشركات ، وأذون استيراد وتصدير .. وأن الوثبة الجديدة وحدها هى التى مزقت البوليس السياسى ، وقلمت

أظافر الرأسمالية . وأطلقت للنقابات العمالية حرياتها ، ومهدت لقيام اتحاد النقابات على أسس سليمة ، واعترفت بشرعية هذا الاتحاد

ونحن الشعب نريد أن نتخلص نهائيا من المستغلين الذين باعوا أنفسهم للرأسمالية . وأن نتكتل وراء الوثبة الجديدة التى خلصتنا من براثنها المخيفة

* * *

نحن الشعب ندرك أن وزراء العهود الماضية كانوا ينتظرون إشارة صغيرة من مولاهم ليدوسوا الحريات ، ويعطلوا الصحف ، ويحطموا الأقلام ، وأن البرلمانات كانت وراءهم توافق لهم على القوانين ، وتعترف لهم بشرعية الطغيان ، وتقفل باب المناقشة عندما يجبهها الحق .. ونعرف أن الثورة المقدسة هى التى قالت لمولاهم : تنازل قبل الساعة الثانية عشرة وارحل قبل الساعة السادسة . وهى التى أملت على التاريخ صفحة جديدة من العزة والكرامة ، وطوت صفحة قديمة من الذل والصغار ، وتركت حتى خصومها الكائدين لها ، يثرثرون فى صحافتهم ، ويملأون الدنيا ضجيجا وعجيجا . لأنها تؤمن بالحرية حتى لأعدائها

ونحن الشعب نريد أن نطوى صفحة هذا الماضى بملكه ووزرائه ومستوزريه ، وزعمائه ومتزعميه . نريد أن نطوى هذه الصفحة المخزية ، لنفتح الصفحة الجديدة التى أملتها الوثبة المقدسة على التاريخ . لأننا شعب له كرامة ويجب عليه أن يحمى هذه الكرامة

* * *

نحن الشعب ندرك أن تجار السياسة استغلوا حماستنا الوطنية ، وتطلعنا إلى الحرية والاستقلال ، وحرصنا على أن نكون أمة لائقة بماضيها التاريخى ، ليتجروا بها كلها فى الأسواق الدولية والأسواق الداخلية . وأنهم لذلك أثروا على حسابنا ثراء فاحشا ، ولو أنهم استغلوا تجارا فى أية سلعة ما أثروا مثل هذا الثراء الفاحش . وأنهم على استعداد أن يستغلوا حماستنا الوطنية من جديد ، ليزيدوا بها ثراء على ثراء ، وترفا على ترف ، وقصورا على قصور .. ونعرف أن الوثبة الجديدة وحدها هى الوثبة النظيفة . لأن رجالها لا يزالون يعيشون عيشة الشظف : يسهرون والناس نيام ، ويعيشون على أخشن الطعام . ولا يعرفون مصايف مصر فضلا على مصايف العالم ومغانيه

ونحن الشعب نريد أن نقول للممثلين على مسرح الوطنية : أسدلوا الستار فقد سئمنا الرواية ! أسدلوا الستار واذهبوا فإن فجرا جديدا قد طلع . وإن عهدا جديدا يظلل هذا الوادى

سيد قطب

محمد رسول الله

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كتاب فى الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وهل كان يعلم الغيب أم أن الغيب شئ قد اختص الله نفسه بعلمه . فكتبت كلمة صغيرة لتنشر فى البريد الأدبى ، ثم رأيت أن الأمر أكبر من ذلك وأنه لا يكفى فيها تحقيق هذه الجزئية ؛ بل لا بد من تصحيح عقيدة كثير من المسلمين بالنبى صلى الله عليه وسلم

إن القرآن بين بيانا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا مجال لتأويل ولا تبديل، بأنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه ، فهو فى ولادته وفى منشئه وفى صحته وفى سقمه ، وفى حياته وفى موته ، بشر كسائر البشر ، وإن كان الله قد اختصه بأسمى الصفات (البشرية) فى الخلق والطبع والسلوك والمواهب ، وأنه فوق ذلك يوحى إليه كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبله ، ولا يوحى أبداً لأحد من بعده ، لا لإمام من أئمة آل البيت ، ولا لتنبئ ولا لمدع العيسوية فى قاديان . هذه هى العقيدة الصحيحة ، فهل المسلمون كلهم عليها ؟

إن كثيرين من المسلمين ، ولا سيما من يدعى التصوف منهم يرفعون النبى صلى الله عليه وسلم فوق البشر ، ويصفونه بصفات الألوهية ، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، وأنا أمثل على ذلك بقصائد تتلى صباح مساء ، ويتبرك الناس بها ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله بتلاوتها وإنشادها ، وفيها الكفر الصريح . الذى يعد كفر الشركين من قريش إن قيس به إيمانا ، فكفار قريش كانوا إن ركبوا الفلك ، ودهمتهم الشدائد دعوا الله ، كما أخبر بذلك القرآن ، والبوصيرى صاحب قصيدة (البردة) التى يتلوها المسلمون خاشعين كأنهم يتلون القرآن ، يقول للنبى صلى الله عليه :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

ومن المعلوم أن أقوى طرق القصر عند علماء البلاغة هو النفى والإثبات ، ولذلك كانت كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله : نفى الألوهية عن الجميع وإثباتها لله وحده

وهذه القصيدة الأخرى ، التى كان مشايخنا ... يتبركون بها ، ويتأدبون عند تلاوتها . قصيدة (ما أرسل الرحمن أو يرسل) ، يقول صاحبها مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم

عجل ياذهاب الذى أشتكى   فإن توقفت فمن أسأل ؟

وأصرح من ذلك قول الشيخ عبد المجيد الخانى ، مؤلف الحدائق الوردية :

رسول الله لى بصر كليل   وأنت بكل أحوالى بصير
رسول الله مالى من نصير   سواك الدهر يا نعم النصير
لعمرك يا أجل الرسل إنى   لما أنزلت من خير فقير
فإن أدركتنى بخفى لطف   فدهرى لا يضر ولا يضير

هل يشك أحد ممن يفهم الكلام العربى ، بأن هذا الرجل يؤله محمداً ، ويعبده ، ويخاطبه بما جاء فى القرآن خطابا لله عز وجل (رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) ؟

والأحاديث الصحيحة ، قد بينت أنه صلى الله عليه وسلم ولد وربى كما يولد ويربى لداته من أبناء قريش إلا أن الله عصمه من عبادة الأصنام ، ومن الكذب والغش وسائر شرور اللسان والقلب ، وجعله على خلق عظيم لم يجعل عليه بشراً غيره فى كل عصور البشرية ، وتأتى مع ذلك هذه الموالد التى يتلوها الناس ، وأشهرها مولد العروس عند العامة ، ومولد البرزنجى عند الخاصة ، وكلاهما محشو بالكذب ، فتجعل الوحوش تتباشر بولادته ، بأفصح الألسن القرشية ... وأنه حضر أمه ليلة مولده آسية ومريم فى نسوة من الحظيرة القدسية ... وأن جده وأمه كانا يعرفان بأنه خاتم الأنبياء ، مع أنه هو صلى الله عليه ، لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وأنه لما جاءه الوحى ذهب يقول زملونى ، دثرونى ، حتى أخبره ورقة أن هذا هو الناموس الذى كان ينزل على عيسى

وبعض المسلمين لا يعتقد أن الرسول ميت ، ويراه حيا فى

قبره مثل حياتنا، حتى أنه كان فى حينا (فى المهاجرين ـ فى دمشق) خطيب كان يقول فى خطبته مسجعاً : « قال صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره حى: البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على، وناقشه بعض طلبة المدارس . فأكد لهم أنه حى فى قبره ، وأن فلانا (ومشايخ الطرق) ، وقف عند القبر ، وقال من قصيدة :

« فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى »

قال : فخرجت اليد الشريفة من جدار القبر حتى قبلها

وأمثال هذه الأكاذيب التى لا يقرها عقل ولا نقل، ولا يقبلها شرع ولا طبع

والله يقول للرسول : (إنك ميت) ونحن ننكر موته، ففيم إذاً نقرأ السيرة . ونقول إنه ولد سنة كذا . ومات سنة كذا ؟ وفيم نصب الخلفاء من بعده ؟ ولماذا لم يرجعوا إليه يوم اختلفوا فى السقيفة وكاد ينصدع أمر الإسلام ، وهو مسجى لم يدفن بعد؟

إنه حى عند الله حياة برزخية روحية الله أعلم بها — أما بالنسبة إلينا فهو ميت — قد مات ودفن كما يموت سائر الناس ويدفنون ، وإن كان قد ورد أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأن الله يوكل ملكا يسمعه السلام عليه ، أو يرده عنه . وهذه كلمة وإن صح طريقها إخبار آحاد ، لا تثبت بها عقيدة — ولا يبنى عليها علم ، كما هو معروف من علم الأصول

والغريب فى المعجزات أنك إن رجعت إلى كتب الصحاح وإلى السير الأولى كسيرة ابن إسحق ، لم تجد إلا شيئا منها قليلا، فإن ذهبت إلى الكتب المتأخرة كالسيرة الحلبية مثلا وجدتها فياضة بذكر العشرات من المعجزات التى لم يكن لها ذكر فى الكتب الأولى . ونحن لا ننكر المعجزات ، ولكنا نجد فى القرآن ما يرد على طالبى الآيات من المشركين، بأن القرآن هو الآية الكافية التى لا تحتاج إلى شىء معها

ومن المسلمين من يجعل المنامات والرؤى أصلا من أصول الشرع ويبنى عليها أحكاما وأوهاما ويتخذها سبيلا إلى اجتلاب المنافع ، ودرء المفاسد ، ويستندون إلى حديث « من رآنى فقد رآنى حقا » مع أن العلماء قد نصوا على أن الشرط فى ذلك أن يراه على الصورة التى وصف بها فى كتب الحديث وفى الشمائل . ولا يبنى على الرؤيا مع ذلك حكم شرعى

هذا وأنا لا أذكر درجة هذا الحديث – وليس تحت يدى وأنا أكتب هذا الفصل شىء من الكتب أرجع إليه وليس عندى وقت للمراجعة

وبعضهم يخالف ما عليه الإسلام من جهة تقديس أسرته ، وتفضيلهم بمجرد النسب ، مع أن الفضل فى الإسلام للتقوى والمزايا الشخصية . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا » ويحتجون بآية (إلا المودة فى القربى) جاهلين معناها ومساقها

وآخرون من المسلمين يظنون أنهم يمدحون الرسول ويعظمونه ، بوصفه بأنه جميل الوجه ، ومدح عينيه وجماله، وذكر العشق والوصال ؛ وينشدون فى ذلك الأناشيد فى الإذاعات — أيام المواسم — ويسمونها أناشيد دينية ، وما هى إلا تقليد للترتيلات الكنسية النصرانية. وقلة أدب مع الرسول ، ولا أصل لها فى الإسلام ولا يرضى بها الشرع ولا الذوق ولا الأخلاق . ويجب شرعا منع إذاعتها

هذا وقد نجحت طائفة من شباب المسلمين . . تنكر الوحى وترى النبى صلى الله عليه وسلم عبقريا فقط ، وبعضهم ينسب العبقرية للشعب العربى ، ويرى بأن الرسول أثر لها — وكل هذا اتباع للمستشرقين والملحدين، ولبعض النصارى من أجراء الأجانب الذين أفسدوا الإسلام فى بلاد الشام باسم القومية العربية ، والانتصار لها والدفاع عنها . . وسنفصل الكلام فى العربية والإسلامية فى مقال آخر إن شاء الله

وبعد فإن من أوجب الواجبات على العلماء والخطباء وأرباب الأقلام الإسلامية ، أن يردوا أتباع محمد إلى العقيدة الصحيحة فى سيدنا محمد صلى الله عليه ، الذى كان بشراً يوحى إليه ، ولم يكن إلهاً يعبد — ولا جميلا يعشق ، ولا نابغة عبقريا فقط

على الطنطاوى

صوت الهجرة

للسيدة وداد سكاكيني

ما كانت الهجرة إلا مركب الأسنة الذى يضطر إليه أحرار الفكر والرأى ، أو اللهيف المتشوق إلى آفاق جديدة للرزق والمعرفة ، فإن الوطن عزيز لدى أهليه وساكنيه ، إذ يعيش المرء فيه كما تعيش الشجر فى منابتها ، فمنذا الذى فارق بلده وذويه ولم يؤلمه البعاد والنزوح طوعاً أو كرها ؟

لو عرفنا شعور الطير الذى يسمونه السنونو وقد كتب عليه فى الحياة أن يترك عشه إلى أفق بعيد، يفرد فيه جناحيه، لأدركنا عمق الأسى والحنين ، فى مغادرة المنزل المألوف والأرض المعهودة

أبداً نرى الذين جلوا عن بلادهم ومعاهدهم متلهفين عليها ، لاهجين بذكرها وآثارها . ولكم علق نظرى بأسماء يونانية أو إيطالية كأثينا والأكروبول وفينيسيا وسواها ، سميت بها بعض المتاجر والملاهى بمصر ، فقلت يالله ! أقام الروم طويلا بضفاف النيل ، وظلوا متعلقين بالوطن الأول . وفعل مثلهم أكثر المهاجرين من العرب إلى الديار الأمريكية والإفريقية ، فأنشأوا بيوتا وأسواقا على طراز ما عرفوا فى بلادهم وحافظوا على لهجاتهم وتقاليدهم ، وقديما بقيت الأندلس على عربيتها شرقية أصيلة

هذه خواطر طوفت بخيالى وفكرى وأنا أتصور هجرة الرسول محمد بن عبد الله ، وجعلتنى أتساءل : ترى كيف كان شعور الرسول فى تلك الليلة الخطيرة ، فإن السيرة لم تقل لنا كل شئ ، وما التحاور الذى كان بين محمد عليه السلام وبين صاحبه المحزون وهما يسريان فى أناة وحذر ، والبيداء تطويهما نحو المدينة ؟ لقد بقى كثير من ذلك التحاور فى ضمير الزمن ، ولم يستطع الفن ولا الأدب أن يكشف عنه حرمة وتهيبا

إن فى معنى الهجرة بتلك الليلة المرصودة ما يتعايا دون تصويره القلم واللسان لأنه يحتوى فيما يحتوى فراق الأهل والبلد ، لا لاكتساب الرزق والصيت أو لالتماس السلوى فى تبدل الوجوه والآفاق ، بل من أجل هدف أسمى وأغلى ، وفى سبيل إنسانية مثلى ، تجعل كل بلد يذكر فيه اسم الله ورسوله وطناً لمحمد ، فإن هذا الدين الحنيف لم يولد ليبق بين الجبلين الأخشبين أو لتهفو إليه الأفئدة من صوب أبى قبيس فحسب ، وإنما أراد الله أن يعم العالم بالهدى والرحمة ، ويخرج به الناس من الظلمات إلى النور

فمن أجل هذه الرسالة الخالدة فارق محمد بلده مضطراً مقهوراً ، حتى عاد إليه مؤيدا منصورا ، وفيه أعد المشعل الكبير الذى أمسك به أبو بكر ثم سلمه من بعده إلى عمر

لقد أقبل محمد بصاحبه الصديق على يثرب فى لهفة وحسبان وإشفاق على من تركهم فى مكة حيارى يحذرون كيد المتربصين وعنت الأعداء ، فتلقاه غطاريف الأوس والخزرج بالنصر والإيمان وراحوا يفدونه بالأرواح مخلصين ، ويستجيبون لدعوته مؤيدين

وكان من شأن أكثر الفاتحين أن يدمروا البلاد التى يأخذونها ، ولكن محمدا لم يهدم إلا الأصنام التى لكزها فانحدرت منكسة محطمة من أعلى الكعبة ، ولم يكن عجبا فى الدهر أن تحارب المدينة مكة ، فقد حاربت اسبارطة أثينا ، وكلتاهما من موطن واحد ، وأشهدتنا الأيام القريبة حرب الجنوبيين فى أمريكا للشماليين ، على أن حرب الرسول عليه السلام ما كانت إلا لتحقيق الرسالة الإلهية التى أداها إنقاذا للانسانية التى ضلت سبيلها ، وتاهت فى جاهليتها متنكبة عن الخير والهدى ، ولم يكن جهاده طمعا فى مآرب الدنيا والسيطرة على أهلها ، بل فى سبيل كلمة أراد أن تحق فى الدنيا وأن تكون هى العليا ، فإذا مرت هذه الذكرى بعد ترادف العصور بقيت خافقة بالحياة كأنها قد جرت البارحة ، وإلا فما قيمة التاريخ ، وما تعب الزمان فى حفظ الأحداث ورواية الخطوب

إن كل تاريخ لا يروى لنا الذكرى ويبعثها حية خافقة فى النفوس لهو فى نظرى تابوت ترقد فيه مومياء ، ولهذا لا ينبغى أن نمر بذكرى الهجرة مرور الحفاوة والتكريم كمن يفرح بعيد جميل قد مر بحياته أو بفرد من أفراد أهله ، وإنما ينبغى أن نحس فى ذكرى الهجرة بمثل ما أحس المؤمنون والأنصار حين أقبل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحبه يتخففان من كيد المتمردين والحاقدين ، ويستأنسان بمن شد الأزر وفتح الصدر للرسالة التى جمعتهم على محبة وإيمان وعزم لم تزعزعه المحن والفتن ، ولا هدته الصدمات والملمات

فما أروع المعانى التى احتوتها هجرة الرسول ؛ وماأحرانا بأن نبعثها فى حياتنا الراهنة فنحققها ونستمد منها القوة والاعتبار . بل ما أجدرنا بالتعاون على قهر العدو الذى يكيد لنا ، وأى كيد أدهى وأمر من تشريد أهل فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وضيما ، مستجيرين من دخيل غاصب أصبح بعون الطغاة الناشبين صاحب الدار ؟ فهل يتاح لهؤلاء المهاجرين المقهورين رجعة إلى ديارهم وبلادهم ؟

من هنا ينبغى أن نفكر فى ذكرى الهجرة بما صنع البغى بالنازحين واللاجئين ، وأن نذكر أن عودتهم ونصرتهم تحققها كلمة الرسول وتعاليمه إن اتبعناها وما كانت لترضى بقبول الظلم والهوان ، فإن رسالته وضحت كل شأن وقالت بأن لا نقيم على ضيم وخذلان ، ولا نستخذى لغاصب لئيم ، فى هذه الذكرى يجب على كل بيت ومجتمع ، ألا يقر له قرار إلا بالعمل على انتزاع شوكة الطغيان والعدوان من دنيانا التى ألمت بها أشتات الخطوب والمحن؛ حتى إذا مرت الذكرى بعثت الهمم وسددت الرأى والخطى ، وفتحت أعين الرجال والنساء على عهد جديد فى هذا الشرق الذى يستعيد اليوم مجده ويتحرر من أغلال الظلم والفساد

القاهرة وداد سكاكينى

مشاكل الجامعة

ترقيات المدرسين بالجامعة

للأستاذ محمد رجب البيومى

ينظر المهيمنون على شؤون التعليم نظرة إشفاق على المستوى الجامعى الذى أخذ يتحدر شيئا فشيئا — فى مختلف كليات الجامعات — حتى أوشك أن يهبط إلى الحضيض ، وتتضح هذه الحقيقة المؤلمة حين تجلس مع طالب فى السنة الأولى بإحدى كليات الجامعة ، وطالب آخر قد أتم سنواته الجامعية ، فلن تجد فرقا واضحا بين التفكير العلمى لدى الطالبين ، فكلاهما يشترك مع طلبة المدارس الثانوية فى تلقين الدروس ، وكتابة المذكرات وحشو الذهن بالمواد المتزاحمة ، دون أن تتسع لديه البصيرة النافذة ، والتميز الدقيق ، ودون أن تفيده الجامعة ما ينبغى أن يتمتع به من التفكير السليم ، والاستنتاج العلمى المرتكز على قواعد من البحث والتعليل ، ودون أن تخلع عليه الجامعة روح الابتكار والشمول المستوعب لدقائق الموضوع ، مما يدفع بك إلى التساؤل عن سر هذه النكبات المتلاحقة التى أخذت تترصد الجامعيين ، وتسد أمامهم الطريق

ونحن نلقى التبعة دائما على السياسة الحزبية التى صرفت الطلاب عن واجبهم العلمى ، وقذفت بهم إلى لجج من الفوضى والاستهتار ، وهذا حق لا مرية فيه ، ولكن الحق أيضا أن نذكر نصيب الأساتذة فى هذه التبعة الفادحة ، فلا نجبن عن إعلان دورهم الرئيسى فى تمثيل هذه المسرحية الحزينة ، دون أن نقيم أى اعتبار لغير الصدق الذى لا يعدم النصير !

لقد كانت جامعة فؤاد الأول منذ أعوام حافلة بذخيرة ثمينة من الأساتذة الذين يتبوءون مناصبهم العلمية عن جدارة واستحقاق ، وكانت مع ذلك تستقدم من أساتذة أوربا أعلاما يدوى صيتهم العلمى فى أنحاء العالم ، فيقومون بتوجيه الطلاب أكمل توجيه ، وينمو على أيديهم غرس زاهر يؤتى الثمر ويمد الظلال ، ثم أنشئت جامعتا فاروق وإبراهيم — وسينشأ غيرهما من الجامعات — فأخذ ولاة الأمور يبحثون عن أساتذة يملأون الفراغ بجدارة مشرفة ، فلا يجدون غير أساتذة الجامعة الأولى ، فتخطفتهم الجامعات تخطفا غير عادل ، دون أن يكملوا النقص الشاسع المديد ، واضطر المهيمنون على الجامعات أن ينشروا الإعلانات فى الصحف باحثين عن مدرسين أو مساعدين يقضون حاجات المعامل والفصول والمدرجات ، وكأنهم يبحثون عن مبنى « للبيع » أو شقة للايجار ، وهم معذورون فى ذلك مهما ثلمت كرامة التدريس الجامعى ، فالمضطر يركب الصعب فى أتعس الأحوال ! وحين لم يجدوا من تتوفر فيهم الكفايات المنشودة ملأوا الأماكن بالمعيدين وأضرابهم من ذوى الحداثة فى السن والتوجيه ، وهؤلاء كانوا منذ شهور يتلقون الدروس ، فأصبحوا بمعجزة خارقة مدرسين يقومون بالشرح والتفهيم ، ولن ننكر ما قد يكون لدى القليل من النضوج والاستعداد ، ولكن الكثرة الغالبة فى حاجة ملحة إلى التمرن بالمدارس الثانوية من

جهة ، وإلى البعثات العلمية من جهة أخرى ، ليجدوا فى عقولهم ما يقدمونه إلى الطلاب فى مختلف المواد ، بل إن الكثير من هؤلاء المعيدين يتملقون زملاءهم الطلاب — سترا للضعف العلمى بما يعود بالخيبة والإخفاق ، وهذه جناية التقليد الضرير الذى يأخذ بالقشور دون اللباب ! وليت الجامعات واصلت الاستعانة بأساتذة أوربا فى الكليات العملية — على وجه الخصوص — فهى فقيرة إلى الأكفاء من الأساتذة ، بل وإن التسرع العاجل قد حال دون الانتفاع بذوى الكفاية والمواهب ، دون أن نعرف سببا منطقيا ينأى عن العواطف والنزوات ، مع أن جامعات الغرب — فوق تقدمها الملموس — تستقدم من أساتذة الشرق من ترى فى انتدابهم النفع والسداد ، فلم لا نقلدها مخلصين فى ملء هذا الفراغ ؟ أكبر الظن أننا نثق إلى حد مضحك فى كفاءة المعيدين ، قانعين بالإعلانات المتكررة فى الصحف والمجلات

وأنت تنظر إلى مناصب الدولة عندنا فتجدها متخمة بأساتذة الجامعة السابقين من ذوى القدرات الممتازة ، فتتساءل عن هذا الفرار السريع من ميدان التربية والتدريس ، مع ما نعلمه من حرص الأساتذة فى جامعات أوربا على التدريس بالجامعات رغم المغريات اللامعة ، وقد يكون المغنم المادى جزيلا خارج الجامعة ، أو يكون للمنصب الجديد بريق يؤذن بالنفوذ والأبهة والجاه ، قد يكون هذا وذاك ، ولكن يجب أن نذكر أن ازدحام الجامعة بمن لا يصلحون للتدريس قد زين الفرار لأساتذتهم من ميدانهم الأصيل ، كيلا يجتمع الطيب والخبيث فى منزلة واحدة أمام الأنظار

وإذا كان لابد من الترقية لهؤلاء المعيدين ، ونظرائهم من المدرسين والمساعدين ، فعلى أى منوال تكون الترقية القريبة من العدالة والإنصاف ؟ لقد تطاحنت الآراء حول هذا الموضوع تطاحنا وصل صداه إلى الصحف والأندية ، وجاوز الحرم الجامعى بأميال ، ففريق يؤمن بأن الأبحاث العلمية هى الميزان الدقيق للكفاءة الممتازة والترقية العادلة ، وفريق يخالف ذلك مخالفة شديدة ، ويجهر بأن الأبحاث العلمية لا تصلح ميزانا عادلا للترقية فى درجات التدريس ، ولهذا الفريق المتحمس أدلته التى لا تخرج عن نقاط ثلاث

(١) أن التدريس ملكة مغايرة للبحث ، إذ قد يكون من لا يجيد البحث والتأليف مدرسا لامعا من أحسن طراز

(٢) أن الأبحاث العلمية ستكون طوفانا حافلا بالمكرر التافه من الآراء ، إذ لا يتسنى لكل مدرس أن يبتكر الطريف النافع ، فيلجأ إلى النقول الزائفة ، والتلفيق السخيف

(٣) أننا بتقديس الأبحاث نجحد الاكتشافات العلمية ، التى تستنفد الوقت الطويل للوصول إلى مخترع حديث ، أو علاج جديد ، وبذلك لن يتقدم العلم خطوة واحدة ، بل ربما رجع إلى الوراء

وقد تبدو هذه النقط الثلاث مقبولة عند النظرة الأولى ، ولكننا بعد التأمل الفاحص نجدها زائفة لا تستند إلى منطق صحيح ، وربما كان الهروب من التبعة الفكرية والاستقراء العلمى باعثا على اختلاقها وتصيد الأسانيد الموهومة لتدعيمها ، والجرى وراء الأقدمية المطلقة ، جريا يبعث على الدهشة والاستغراب ؛ فالنقطة الأولى التى تباعد ما بين البحث والتدريس صادقة بالنظر إلى تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية فقط ، فهم لا يحتاجون إلى العلم الزاخر والمادة الغزيرة ، بل يتطلبون المدرس الملم بالطرق الخاصة للتدريس ، وإن كان قاصر المادة محدود الاطلاع ، ليتمكن من تبسيط المعلومات وتيسيرها من طريق مختصر ، أما المدرس الجامعى فيجد أمامه طلابا فى مرحلة الشباب ، قد كمل نموها العقلى والجسمى والعاطفى ، وألموا بطائفة من المواد تساعدهم على استيعاب الأبحاث الجامعية ، وتهيئهم للبحث المتسع الأفق ، المتشعب النواحى ، القائم على أسس وطيدة من حرية التفكير وسلامة المنطق ، فهم فى حاجة إلى مدرس عالم مارس البحث العلمى ليشبع الرغبات النهمة ، ويفتح النوافذ الموصدة ، وبقدر مكانة الأستاذ العلمية يكون نجاحه وتوفيقه فى مهمته ، وإذا كنا نصادف فى القليل النادر من لا يوفقون فى التدريس الجامعى مع علو أقدارهم فى البحث والتأليف ، فهم من القلة بحيث لا ينبغى أن تتخذ منهم قاعدة عامة تندرج على الجميع . وأرى بهذه المناسبة أن تحتم الجامعة على كل من يتأهب للتدريس بها ممن يجدون من أبنائها المتخرجين ، أن يدرسوا مبادى التربية والطرق الخاصة ،

وعلم النفس دراسة مستوعبة ، لتنعدم الهوة الجاثمة بين البحث والتدريس لدى القلة الضئيلة من الجامعيين ، وإنى لأعجب كيف يكون المدرس فى التعليم الثانوى والابتدائى متخرجا من معهد التربية العالى للمعلمين ، ولا يكون المدرس الجامعى مشاركا له فى الدراسة بهذا المعهد الممتاز ، إذ أنه يواجه من مشاكل الشباب ومتاعبه وانحرافاته مثل ما يواجهه المدرس الابتدائى من مشاكل الطفولة ، والمدرس الثانوى من مشاكل المراهقة ، وجميع هذه المشاكل تدرس بتوسع مفيد فى معاهد التربية العالية ، ولن تغنى عنها الدكتوراه أو الماجستير فى شئ ، فلم لا نلتفت إلى هذا النقص الخطير ؟

وتأتى النقطة الثانية فنعلن أن الخوف من التكرار والتفاهة فى الأبحاث العلمية لا يجد مبررا يستند إليه ، فهذه البحوث تقدم إلى هيئة عالية محترمة ، تعرف الجيد من الردئ ، وتميز بين من يسلك النهج المنطقى فى العرض والاستقراء والاستنباط ، ويعمد إلى المشكلات الغامضة فيزيل خفاءها ويكشف إبهامها ، ويأتى بجديد يصحح فكرة خاطئة ، أو يغير وضعا فاسدا ؟ أجل ! هذه الهيئة المحترمة العالية تميز بين هذا الباحث الضليع ، وبين من يخبط فى بحوثه السقيمة خبط عشواء ، فيجمع إلى التفاهة والتكرار فساد المنطق ، وضعف التفكير ، ومتى كانت الموازنة عادلة صادقة ، فلا خوف على الدرجات الجامعية أن ينالها غير الأكفاء الناهضين ، ولن يغضب إنسان ما من كثرة الأبحاث وتنوع المؤلفات ، لأن الزبد يذهب جفاء ، بل ربما كان البحث المضطرب التافه سلما إلى البحث المعتدل الأصيل ، ولا يزال السائر فى الظلام يتخبط فى المجاهل والدروب حتى يشرق عليه الصباح الباهر فيهتدى إلى الطريق

أما ما يدعونه من جحود الكشف العلمى الجديد ، وعدم الالتفات إليه لدى الترقية من درجة إلى درجة ، فهذا لا ينبغى أن يقتنع به أحد ، إذ أن الكشف العلمى — مع تشوقنا إليه — من الندرة والقلة بحيث لا يصلح أن يكون قاعدة جامعية عامة تطبق على الأساتذة والمدرسين لدى الترقيات ، فإذا وفق الله عبقريا جامعيا ، وخرج على الناس بكشف يزيد من سطور الحضارة ، ويضع لبنة فى صرح العلم ، فالجامعة إذذاك تقدره حق قدره ، وتجعله استثناء ممتازا للقاعدة التى تسير عليها دون أن يعترض عليها إنسان ، بل إن مكافأته الطيبة لن تقتصر على الجامعة وحدها ، بل تنتقل إلى الأوساط العلمية التى تشيد بالكفاح الذهنى وتحنى رأسها للدأب والنبوغ

إن البحوث العلمية ميزان عادل للترقية فى الجامعة ، وهى التى تدفع المدرسين إلى العمل المثمر ، وتقطع عليهم طريق التثاؤب والخمول ، وإذا وجد مدرس يتمتع بالبراعة فى التدريس دون أن يجيد البحث العلمى ، فمن الإنصاف لنفسه أن يظل مدرسا لا يرقى إلى الأستاذية بحال ، إذ أن الأستاذ الجامعى فى موضع جليل الخطر ، عظيم المهابة ، فيجب أن يمارس البحث الدائب ، والعمل الناطق ، وبغير هذه البحوث المتواصلة لن ترقى جامعة ، أو يتقدم شعب يعتمد على التربية الصحيحة ليشق طريقه فى ميدان الحياة

محمد رجب البيومى

إلى الأستاذ نبيل النجار المحامي

حول مقال إلغاء الدين الرسمي

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

ليس فى استطاعة أمة من الأمم أن تعيش فى حاضرها منعزلة عن ماضيها . وليس فى طبيعة الإنسانية أن تحيا دولة دون أن تتصل بغيرها « وإلا قدر لأبناء هذه الدولة أن يظلوا بعيدين عن ركب الحياة » متخلفين عن قافلة الإنسانية

والأمم الناهضة هى التى يستطيع أبناؤها أن يتأثروا بالاتجاهات الحديثة التى يمر بهـا العالم دون أن ينسوا ماضيهم « ويتجاوبوا مع التيارات الجديدة دون أن يسيروا على منهاج مبتكر منقول يخالف تراثهم الروحى والاجتماعى »

ولقد أخذت التيارات الغربية تغزو ميادين الحياة فى الشرق، ولهذا لزمنا أن نصمد لها . . ونفيد منها بمقدار محدود . . حتى لا تتغير معالم الحياة فى بلادنا . . ولا يجرفنا التيار إلى سبيل لا نعرف نهايته

ففى الغرب نرى تحاملا متأصلا فى النفوس ضد الدين الإسلامى وعلة هذا التحامل جهل القوم بتعاليم دين لا يعتنقونه . . فليس غريبا إذن أن ينكروا على الدين كثيراً من حقائقه الثابتة ، ويحاولوا أن يشوهوا الـكثير من مبادئه وأهدافه

ولـكن الغريب حقـــا أن يردد بعض المسلمين ما يقوله الغربيون ، عن جهل وتعصب ، دون أن ينظروا إلى هذه الآراء نظرة فاحصة مدققة، وقبل أن يزنوا الأمور بميزان دقيق، فيه شئ من الحكمة والعدل.. فبالأمس القريب : كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان مقالا بمجلة الثقافة طالب فيه بتنحية الدين عن الحكم والحياة.. وقال إن مصر إذا كانت دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية

وقد رد عليه الزميل الفاضل « محمد رجب البيومى » ردا كافياً لم يستطع معه الأستاذ عنان أن يعقب عليه بشئ

واليوم قرأت مقالا جريئا . . نادى فيه كاتبه إلى حد أن طالب بإلغاء الإسلام كدين رسمى للدولة ، وقد جاء فى هذا المقال المنشور بجريدة الشباب الصادرة بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٥٢ ما يلى :

«إن مصر هى الدولة الوحيدة فيما نعلم التى لها دين.. فالمفروض أن الدين لله يعتنقه الأفراد . . والمفروض أن الدولة تجمع عديدا من الأفراد ذوى العديد من الأديان . . فتخصيص دين واحد ، وربط الدولة به هو الأمر العجيب . . والواقع أن أسطورة الدين الرسمى للدولة هى بقية من عهود الطغيان والإقطاع . وهو فوق هذا سبة فى جبين مصر . . فقد اندثر هـذا النص من كل دول العالم إثر الثورة الفرنسية ، لأنه نص مخجل ومعيب ، ولن نتوقع لمصر ارتقاء مادام باقياذلك النص بما يستتبعه من تهريج واضطهاد، ومن تفتيت لوحدة الأمة ، فيجب فورا على العهد الجديد الجرئ أن يلغيه بجرة قلم ، فإن التخلص من سوءات الماضى لا يحتاج إلى ذرة من التأنى والتفكير »

وإن المتأمل فى هذا القول ، يرى أنه ليس صادرا عن قلب يعمره الإيمان ، أو نفس تشع فيها أضواء الفضيلة ، وأنوار الهداية واليقين ، كما أنه من ناحية أخرى لا يقوم على أساس ولا يستند إلى دليل

يقول الأستاذ النجار :

« إن مصر هى الدولة الوحيدة التى لها دين ، والمفروض أن الدين لله » وليس الأمر كما يرى الأستاذ الفاضل ، فمعظم البلاد الشرقية تنص دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فإن كانت دول الغرب لا تأخـذ بهذا النظام ولا تنص عليه ، فذلك لخلاف فى جوهر الدين نفسه ، فقد تركت المسيحية « ما لقيصر لقيصر ... وما لله لله » وانصرفت إلى التهذيب الروحى ، والتطهر الوجـدانى ، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة..

نشأت المسيحية فى مجتمع منظم متكامل تسود فيـه قوانين الرومان التى تعتبر من أعظم القوانين التى ظهرت فى العـالم حتى عصرنا هذا ، فلم تـكن هناك حاجة لأن تتجه إلى وضع أساس الحـكم، وتشييد بناء الدولة، وإنما كان عليها أن تهذب البناء وتصقله وتعدله دون أن تغيره..أما الإسلام فقد نشأ فى مجتمع غير متكامل ،

ضاعت فيه القيم الأخلاقية والروحية ، وتلاشت منه مبادئ العدالة والحرية والمساواة ، فكان عليه أن ينظم المجتمع ، ويعيد بناء الدولة من جديد

قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »

بهذا نرى أن الإسلام يخالف المسيحية من ناحية الحكم ، فإن كان للمسيحيين أن يعزلوا الدين عن الحياة ، فليس لنا أن نقلدهم فى ذلك ، ونهمل كل تراثنا الروحى ، وجميع مقوماتنا الفكرية والاجتماعية

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن ربط الدولة بدين واحد أمر عجيب لأن فى الدولة عديدا من الأفراد ذوى العديد من الديانات

وأحب أن أرد على الأستاذ فى ذلك بأن الدولة وإن كان بها العديد من الأفراد ، إلا أن الغالبية العظمى منهم يدينون بالإسلام، فإذا نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فذلك يعتبر تمشيا مع عقيدة الغالبية العظمى ، وهو فى الوقت ذاته يمنح جميع أفراده الحرية الشخصية وحرية العقيدة ، ولا يجبر أحدا على أن يتخلى عن دينه ، أو يترك عقيدته ..

وقد نزل القرآن الكريم داعيا للحب ، مبشراً بالتسامح ، منفرا من إكراه الناس على اعتناق الإسلام بقوله تعالى « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وليس لأحد من رجال دينه على أحد سلطانا ، « لكم دينكم ولى دين »

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن الدين أسطورة من عهود الطغيان » والواقع التاريخى لجميع الأديان السماوية يناقض ذلك ، فلقد قامت المسيحية — مثلا — لتقاوم طغيان الأباطرة الرومان ، ولذلك لاقى دعاتها الكثير من ضروب القسوة والاضطهاد على أيدى نيرون ، ودقلديانوس وتراجان وغيرهم

فقد أمر نيرون بإحراق روما ليستمتع بمرآها ، ولبثت النار تضطرم فى المدينة وتأتى على من فيها ستة أيام كاملة ، ثم ألقى تبعة إحراقها على عاتق المسيحيين ، فأشعلت فيهم النيران بعد أن طليت أجسامهم بالقار ، وأقيمت حفلة ألعاب فى بستان هذا الطاغية ، وكان هؤلاء الضحايا هم المصابيح التى تضئ البستان !

وأراد الإمبراطور دقلديانوس أن يؤلهه المسيحيون فى مصر فأبوا الإذعان لإرادته ، والخضوع لمشيئته ، فتولاهم بالسجن والإحراق ، وأمعن فى تعذيبهم والتنكيل بهم حتى سمى عصره « بعصر الشهداء » وكذلك قام الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية ويحارب طغيان القوى ، ويحد من سطوته وبطشه ، ويقضى على نزعة الجاهلية التى تمجد الظلم والتى وصفها الشاعر بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا	ولكنا سنبدأ ظالمينا

قد يقول قائل : إن هذه الأديان قد استغلت فى بعض عصور التاريخ ، لتسخير الجماهير ، واستغلال أفراد الشعب ، ولكن العيب فى ذلك لا يقع على الدين ، وإنما على القائمين بأمور الدين

فلقد دعت الأديان إلى المحافظة على الكرامة الإنسانية . . ودعت إلى مقاومة الظلم .. والوقوف فى وجه المعتدين ، ولو أدى ذلك إلى الهجرة ، قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا .. »

ولقد تمادى الأستاذ بعد ذلك فى تهجمه على الدين ، فنسب إليه التهريج والتأخر والاضطهاد ، والإسلام برئ من هذه الصفات ، منزه عن هذه العيوب ، فالإيمان بدين لا يستلزم التعصب والاضطهاد إلا عند من صدئت قلوبهم ، وأظلمت عقولهم ، وأكلت الأحقاد صدورهم ، والإسلام.. كما ذكرت سابقا .. يدعو إلى التسامح والمساواة .. وينهى عن التعصب والتزمت ...

وبعد : فإن الدين الذى نهض بالمجتمع العربى ، ونقله من الضعف إلى القوة .. ومن الظلمات إلى النور .. لا يزال هو الدين لم يتغير منه شئ .. وإنما تغير معتنقوه ، والقائمون على أمره

ونصيحتى للأستاذ النجار.. ألا يتحدث فى شؤون الدين . . وهو على ما يبدو من كتابته . . جاهل بأبسط قواعد الدين . . وعليه أن يتعمق فى فهم تعاليم الإسلام الخالدة ، ومبادئه المثالية السامية .. قبل أن يصدر عليه أحكاما خاطئة .. منافية لأبسط قواعد العلم والمنطق

عبد الباسط محمد حسن

شلر
دراسة تحليلية

« للكاتب الإنجليزى الكبير توماس كارليل »
ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

لا شك أن دارسى الأدب الألمانى أو الأدب بصورة عامة سيقابلون بكل ترحيب الكشف عن العلاقات الخصوصية بين أديبين عظيمين فى هذا الحقل بذّ أقرانهما فى عصرهما وكانت لهما اليد الطولى فى إعلاء شأن الأدب ، لأن كل ما كتبه جوته أو شلر فى أى موضوع كان له أهميته الخاصة . والذى سنقدمه فى هذا الشأن هو الرسائل الخصوصية (١) التى تبودلت بين الأديبين العظيمين . هذه الرسائل التى لها علاقة وثقى بهذه الفترة الهامة من التاريخ الروحى ليس للفرقاء المعنيين بالأمر وحسب بل وبيلادهما كذلك . هذه البلاد التى كانت تعج بالبحوث الصغيرة منها والكبيرة، وعلى الرغم من أن الذين عالجوا هذه البحوث كانوا أناساً أحط موهبة وأقل قدراً من الأديبين الكبيرين، إلا أن هذه المعالجات كانت ذات أهمية غير يسيرة . (لأنها كشفت النقاب عن الحوادث التى اعتورت البلاد فى تلك الفترة) (٢)

لقد سمعنا وعرفنا كثيراً عن هذين الأديبين الفذين ، وعن صداقتهما وتعاونهما فى أعمال نبيلة عديدة ، وكانت ثمرة ذلك لكل إنسان . ونستطيع فى معرض بحثنا هذا — على الظروف الخافية التكوينية لكل هذا وتتبع أثر النتيجة (المثالية) ونشرح علاقتها بجذورها الأصلية ، وكيف كانا يعيشان ويعملان سوية فى هذا المحيط التافه من العالم وكيف كان يكتب (فاوست) و (وليم تيل) على الورق المتهرى كما تكتب روايات منيرفا أو أغنيات رجل ينتسب إلى خاصة الناس ! إن المختصين فى الأدبيات لهم ولعهم المعروف فى البحث والتنقيب والتمحيص .. ولكن دعنا نبتعد قليلا عن الاختصاص أو أى موضوع شكلى آخر.. فليس لهذه الأشياء أى تأثير فى حب الاستطلاع الذى يجمعنا كلا شاملا فى صعيد واحد كبشر . والدليل على أن عطفنا فيما بيننا غير محدود هو هذا البحر الهائل من توافه الشائعات التى تجعلنا نشعر بالرابطة الإنسانية التى تربط بعضنا ببعض بقوة . . (وما هذه الشائعات إلا ترجمة غير كاملة) . ولا ريب أن الجنس البشرى يستوعب ويلفظ يوميا هذه الشائعات بصورة استمرارية ، وإذا كان حب الاستطلاع مسيطرا علينا هذه السيطرة التامة فيما يخص الشائعات العادية ، فكم بالأحرى تكون لأحاديث جوته وشلر أهميتها الكبرى التى تغرينا النزاهة نفسها على الإنصات إليها فيما لو كنا عائشين فى عصرهما ، ولكن من سوء الطالع أن تمر هذه الأحاديث لتوها فى الساعة التى شهدتها . ولنعد الآن إلى الرسائل والردود المتبادلة بينهما ، فإنها على ماهى عليه من حيوية وصراحة ومحبة ، لم تتركا غير الرموز والخلاصات المقتضبة..فالحركة الدراماتيكية التى كانت تمثل على مسرح الحياة لا تخلف شيئا غير النتائج التاريخية الباهتة وهى كل مايتبقى لدينا.. ومن الحق القول أن كل رسالة خصوصية تبين نوعا ما شخصية الكاتب ، ولكن التصوير عاجز كل العجز عن تشخيص الطبيعة الروحية . فالهرم يمكن قياسه ورسمه من قبل مهندس بارع بحيث يصبح واضحا للعيان ، وكذلك يمكن رسم جبل (مونت بلانك) بألوانه وأشكاله وفى متاحفنا صور طبق الأصل لكل ذلك . أما تشخيص الرجال العظام وتصوير هذ الطراز من الرجال ، وهكذا.. فالصور التى فى حوزتنا تظهر من خلال سجف التاريخ باهتة ضعيفة غير واضحة المعالم ، وهى بعيدة كل البعد عن سحرها الذى امتازت به ، وقوتنا كلها عاجزة عن تجسيدهم كما هم رجالا أحياء ينبضون بالقوة والحيوية الدافقة . وكل الذى نتمكن أن نفعله الآن لا يتعدى تصوير أشخاص أشبه شئ بأشباح أوسيان (٣) فى ظلال الغبش، فسقراطنا ولو ثرنا - بعد كل هذا الذى قيل عنها — ليسا فى الحقيقة سوى شخصين غير مرئيين ، فليس حكيم أثينا ولا راهب

(١) هذا البحث دراسة تحليلية شاملة لحياة شلر ولم يتطرق المؤلف إلى ذكر المراسلات إلا عرضاً ، لأنه أفرد لها بحثا خاصا فى كتابه الجليل (مقالات متنوعة) فننوه بذلك مقدماً ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

(٣) أديب كلاسيكى قديم

ايسلبين شخصين بالمعنى المعروف وإنما هما لقب ليس إلا . ومع ذلك فهؤلاء الرجال ، وليس الألب أو (السكوليسيوم)(٤) هم من عجائب الدنيا وهؤلاء أنفسهم هم الذين نسعى جاهدين لطبع أفكارهم فى ذاكرتنا . إن الرجال العظام هم أعمدة النار التى تقود حجيج الإنسانية ، والتى تنتصب كبشائر سماوية وشواهد على ماحدث وأدلة ناطقة على ماسيحدث من شؤون تقرر مصير العالم بأجمعه ، وهم فى الوقت نفسه الإمكانيات المتجمدة الظاهرية للطبيعة الإنسانية المغلقة بالألغاز والأحاجى ، وهم بهذا الاعتبار يمثلون العظمة غير المنظورة وغير المدركة عقلا حتى من قبل أنفسهم كبشر . على الرغم من أنهم يحبونها أشد الحب ويحترمونها أكبر الاحترام، ولكنهم يضطرون ، تحت الظروف القاهرة ، على أن يظلوا غير مدركين لهذه العظمة فى هذه الحياة . كم من الأسباب الوجيهة وكم من المغريات البريئة تجتذب حب أستطلاعنا إلى مثل هؤلاء الأشخاص الأفذاذ . سنحاول التعرف عليهم ورؤيتهم عيانا كما نرى أنفسنا ، فكل ملاحظة وكل إشارة تخصهم يهمنا بالغ الأهمية . . . والنفوس العظيمة التى مضت لحال سبيلها لم يبق منها صور مجردة، أماميزاتها الخارجية، لا.. بل وحتى الداخلية — فى بعض الأحوال — والتى كانت تتصف بها فقد ذهبت إلى العالم الثانى هى الأخرى ، ولم يبق إلا أن نعتمد على التاريخ فى تصوير بعض الذكريات البسيطة التى لها أقل علاقة بها ومع ذلك فهذا التاريخ — على مافيه من نواقص وعيوب — هو الكنانة التى احتفظت ببعض الذكريات والتى لولاها لأضحت فى خبر مكان . إن الرسائل المتبادلة بين شلر وجوته تمتاز بميزة ثمينة للغاية وهذه الميزة هى الحقيقة بالذات ، وهى تتجلى فى كل الظروف والأحوال ، سواء كان ذلك من جهة أصالة الحقيقة الواقعة أو الرأى الخاص بهذه الحقيقة ، أما الإخلاص فبين بكل وضوح فى مثل هذا الأسلوب ، واللطف الطبيعى لا يمكن أن يعرقل حق حرية الكلام أو الفكرة فى مثل هذه الأحوال ، ولم تكن الغايات إلا غايات شريفة . وكان الإخلاص المتبادل بين الطرفين من الوضوح لدرجة أنه كان يتعذر على أى ستار مها بلغ سمكه على إخفائه ، وعلى هذا فكلا الصورتين الذاتيتين تشبه الحقيقة الأصيلة وتماثلها أحسن المماثلة . وقد رغب بعض القراء أن يرى مزيجا مما يمكن أن ندعوه بالشؤون المنزلية مختلطاً بالآمال والمخاوف والمشاعر التى كانت تساور الشاعرين العظيمين ، لما للأول من علاقة متينة بالحياة الإنسانية الاعتيادية ، ولكن بالرغم من بحثنا المرهق الطويل لم نعثر على شىء من ذلك ، مع علمنا الأكيد أن هذا النقص نادراً مايحدث فى المراسلات الحديثة ، وعلى هذا فإنه لم يتبق لدينا فى هذا الخضم الواسع فى الخير والشر والحالة المعاشية والعاطفية كالفقر والغنى والفرح والحزن ، قلنا لم يتبق لدينا إلا النزر اليسير وإلا ماشح وقل ، ولعل رغبة القراء الذين يعيشون فى بلاد هذين الشاعرين فى ذلك أقل لأنهم على اتصال بالحياة اليومية التى واكبت حياة الشاعرين ، مع اختلاف فى الزمن وبعض العادات التى تغيرت تبعاً للتطور بخلاف الأجانب الذين يرغبون رغبة ملحة فى استطلاع شؤون البلد الذى ترعرع فيه الكاتب والشاعر والأديب، وهذا جلى وواضح، وعلى أى حال يجب ألا ننسى أن شلر وجوته أديبان ، وأن حياتهما الاجتماعية ماهى إلا هيكل الوجود الفانى ، وليس لهذا الهيكل علاقة بالوجود الروحى إلا كما تكون علاقة الخضوع والتبعية ، وهذا بحد ذاته لا يحتاج إلى ذكر مستفيض . زد على ذلك أن الناس المثقفين — نظراً لمزاجهم الطبيعى — ينفرون من الخضوع للعواطف الهائجة ، ولا يظهرون مايعتلج فى نفوسهم حتى إلى أقرب المقربين إليهم . وهذا ما يخفف من حرارة المراسلات ولكنه فى الوقت نفسه يزيد من سعادتهم الخاصة ، لأن من يحمل قلبه فى ردنه لا يأمن عليه من نقر الغربان كما يقول المثل السائر ، وعلى الرغم من أننا لانبخس اعترافات روسو حقها فى الإفصاح عن مكنونات قلب الكاتب ؛ إلا أننا لانجد شيئا من هذه الاعترافات الجريئة فى هذه المراسلات موضوع البحث

وفى الوقت ذاته هناك بعض الآثار ذات الطابع المنزلى منتشرة هنا وهناك نتقبلها ونحن مسرورين ولانؤاخذها بشىء غير ندرتها، ولكن هذه المراسلات تحتفظ بصورة ذات أهمية قصوى ، إذا اعتبرناها حق اعتبارها ، وهى التى تشغل بالنا أكثر من تلك القسمات المنزلية . فهى تظهر لنا عقليتين مبدعتين شاعريتين ، تنميان ثقافتهما بصورة منظورة ، وتتقدمان من درجة إلى أخرى

(٤) بناء شامخ فى أثينا

فى القوة والجلاء والاستعلاء ، وهما لا يسيران فى طريق واحدة بل فى اتجاه واحد . ومن هذا التقدم يمكن لكل شخص — مهما بلغت درجة ثقافته — أن يستفيد فائدة نفسية كبرى من هذه الدروس الفنية بمحتواها الأدبى . والقيمة الكامنة فى هذه الدروس تزداد كلما تقدمت المراسلات ، مع اختلاف فى التطور ، وتظهر على الخصوص على سيماء شلر ، الذى يختلف عن صاحبه بصغر سنه وتأثره به ، وهذه السنوات الإحدى عشرة تعتبر أهم فترة من حياة شلر الروحية . وفى الحقيقة إن هذه الفترة يمكن اعتبارها التأريخ التقدمى منذ عثوره على الطريق المستقيم الذى نهجه فى مستقبل أيامه

ولا يعنينا الآن التطرق إلى صفات هذه الوسائل ولا إلى محاسنها سواء كان منها العرضية أو الجوهرية ، على ماهى عليه من قيمة كبيرة . أما العلاقة المتقابلة الشريفة الصريحة التى تظهر بين المراسلين وأسلوبهما وأهمية كل ذلك وما يتصف به هذا العمل من وجهة النظر الفلسفية والبيوغرافية ، فنأمل أن نوفيها حقها جميعاً فى مناسبة مقبلة . ومع ذلك فبعض التأملات المجردة والاستنتاجات الأخرى ستبرز من تلقاء نفسها ، وستظهر فى بحثنا هذا ، على الرغم من أن القراء الإنجليز لا يهتمون بالرسائل قدر اهتمامهم بشخصية الكاتبين الشاعرين . فالرأى العام له بعض الإلمام بجوته ، ولكن رغبته فى التعرف على شلر أكبر ؛ لأن معرفته به قليلة جدا ، وعلى هذا فإن رغبتنا الآنية تتلخص فى تقريب شلر إلى نفوس القراء . كان يجب أن نذكر شيئا عن شلر فى مجلتنا ، ليس لأهميته فى الآداب الألمانية وحسب ؛ بل فى الآداب الأوربية كذلك ، وهذه خطيئة نأمل أن نكفر عنها الآن وفى بحثنا هذا . أثبت الرجل عبقريته الشعرية والفلسفية بسلوكه وبسلسلة كتاباته التى أبانت ذلك للجميع ، يتجلى ذلك فى إعجاب أمته به فى أثناء حياته وشهرته التى طبقت الخافقين خلال الخمسة والعشرين سنة التى أعقبت وفاته ، هذه الشهرة التى استمرت فى النمو والتوسع وتثبيت نفسها ، وهذا مالم ينله إلا ذو حظ عظيم . وليس بخاف أن عدم ذكرنا له ليس مرده إلى عدم إعجابنا به ، بل لأن هناك كثيراً من الآداب الأجنبية تحتاج إلى الشرح والتفسير بخلاف شلر الذى يفسر نفسه بنفسه . عتاز عظمة شلر ببساطتها ، وأسلوبه فى عرض هذه العظمة مفهوم من قبل كل شخص . ومن بين الكتاب الألمان الذين يمكن اعتبارهم من درجته ، باستثناء كلوبستوك ، يعتبر شلر أبعد ما يكون عن الوطنية بمعناها الضيق ، اللهم إلا إذا اعتبرنا كلمة ألمانى بما تعنيه من صدق وإخلاص ونبل وشهامة . أما أسلوبه فى التفكير والنقاش فهو أوربى مافى ذلك ريب . وعليه فليس غريباً أن نلاحظ أن أى كاتب ألمانى آخر لم يقابل بمثل هذا القبول الحسن لدى الأجانب ، ولم يحظ بمثل ما حظى به بصورة دائمة . فجعله الفرنسيون قبلة أنظارهم ومطمح مقاصدهم ، يتبين ذلك من ترجمتهم لمؤلفاته وشرحهم لها وتمثيلهم لرواياته على المسرح ، واحترام أكثر النقاد له احتراما بالغاً . وهكذا أصبح شلر لدى الرومانيين [٥] الأستاذ الأكبر والمثل الأعلى والسفير الوسيط بين المدرستين القديمة والحديثة ، وغدت مؤلفاته جسراً ذهبيا يصل حدائق فرسايل بأرض العجائب [٦] . وكذلك الحال معنا ، نحن الذين لانعير أهمية للرومانسية ولا للكلاسيكية ، وخصوصاً بعد أن ذهبت ريح الشادة التى أثارها (باولز) بخصوص الشاعر بوب ، على أن ذلك لايمنعنا مطلقاً من أن نشعر بالاحترام العميق له؛ واحترامنا هذا لايقتصر علينا وحدنا ؛ بل يتعدانا إلى كل شخص له أقل ميل شعرى . فقراء الألمانية ، وهؤلاء يزدادون باطراد مستمر يعتبرون شلر باكورة الدراسات ، وحتى ثقلاء الفهم منهم مجبرون على الاستمتاع بجمال كتاباته . أما الأشخاص الذين لا يعرفون الألمانية فعندنا لهم تراجم كثيرة ومتعددة ، ولو أن هذه التراجم تفقد كثيراً من رونق الأصل ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون سدا حائلا بينهم وبين التمتع بأشعة نور الشمس الأصيلة. وهذه التراجم ستوقظ الحب فى القلوب الحساسة والنفوس المرهفة مما سيدفعها حتما إلى الإدراك المباشر ...

وأهم جزء من واجبنا الآن هو الدفاع عن شلر وتوكيد قيمته ووضعه فى المكانة اللائقة به . إن التعريف بكتاباته مستمر بسرعة وبالطريقة الصائبة التى يمكن إحرازها بالدراسة القريبة للقلب وبالمحبة التى تعمر قلوب الذين أوتوا الفهم النزيه وروح التطلع التى لاتنى

---

(٥) هم أتباع المدرسة الإبداعية المرونة (٦) بين القديم والحديث ، وعالم العجائب مكان خيالى لاوجود له الا فى مخيلة الشعراء والأدباء

تبحث وتفكر وتعمل على الحصول على أعلى درجات الكمال . أضف إلى ذلك أن مؤلفات شلر لا تحتاج إلى أقل الشروح ، فهى تشرح نفسها بنفسها كما ذكرنا سابقاً . فقيمة مثل هذا النوع من العظمة وشاعرية من هذا الطراز تظهران سافرتين مكشوفتين، فكتاباته لا يمكن أن يصل إلى مستواها أحد لما تمتاز به من صراحة قل أمثالها وعزت على منال الكثيرين

وما من شك أن واجب النقد يقتضينا أن نوفى حق مثل هذا الشاعر الذى فسر مدلهمات المجهول . وكل شاعر يجد نفسه مولوداً فى محيط تافه ، وعليه أن يجادل ويناضل للتخلص من قيود صغار العالم الواقعى إلى حرية العالم المثالى اللامحدود.. وتأريخ مثل هذا النضال يعتبر فى الوقت ذاته تأريخ حياته نفسها ، ومن هذا يمكننا أن نستمد عبراً ذات أهمية كبرى . ولم يجز سعيه الشاق هذا — على سموه — أى جزاء اللهم إلا إذا اعتبرنا الجزاء ذاتيا . ولكن قانون وجوده بحد ذاته ، اضطره إلى قبول مثل هذا العمل الشاق والاستمرار فى أدائه وتحمل أعبائه ، وإلا كان البديل لذلك التعاسة بعينها ، وقد تخلق التعاسة نفسها مواهب وكفايات ، وكثيراً ما كان الأمر كذلك فى معظم الأشخاص الذين ابتلوا بهذه التعاسة ...

أما اضطراب شبابه فهو (اضطراب العبقرية) التى كانت تظهر أحياناً وكأنها سجية جامحة .. وكأنها تكهن بالرسالة الخفية القوية التى أرادته لها السماء ، لكى يطهر نفسه من أدران الحياة ويستعد لما أريد له من واجب مقدس وأمر عظيم ، هذا الأمر الذى يندر من ينفذه أو حتى يلتفت إليه ، أما ما يخص المتحذلقين ومن لف لفهم فأمر عبث لاطائل تحته .. وأما أصوات ضجيجهم وعجيجهم فتذهب مع الساعة التى يقضون فيها . وطبيعى ألا يعنى الكمال الروحى لعامة الناس شيئاً إلا كما تعنى الهمسة العابرة الغارقة فى ضجيج العالم

والحال كذلك حتى مع (بايرون) و (برنز) اللذين أوتيا أذناً حساسة لالتقاط الرسالة السماوية (هؤلاء الذين ينطقهم الوحى السماوى) فيصعب عليهم التخلص من الارتباط بالجسد والدم ، وبدلا من العيش والكتابة عن القوم الذين يحيون بين ظهرانيهم يكتبون عن الخلود الذى يبقى على الزمن والذى يظل ملازماً لهم ، وبدلا من أن يعيشوا مرضيا عنهم (يعيشون فى الكل فى الخير وفى الحق[٧]) ولا شك أن هذه النفسية وهذا التأرجح بين الفكرتين والتوسط الفاشل المؤلم بين الحق والباطل هو الخطيئة القلقة والشقاء الرئيس للانسانية فى كل أدوار حياتها . وتعمدت النصفية هذه فى هذا الوقت تعميداً جديداً واتخذت اسما غير اسمها وهو الاعتدال وأصبحت هذه فضيلة وطريقاً وسطاً . إن حالة كثير من المنصفين الذين وهبوا طبيعة شريفة وفاضلة لتدعو إلى الأسف المؤلم

والآن دعنا نفتش عن سفينتنا ذات الحمولة الغنية بين هذه السفن التى تحطمت فى خضم الحياة ، ونسأل ربابنتها عن أحوال سفرتهم . وما من شك أن شلر يمثل فى نظرنا هذه السفينة الناجية ، وإنا نتساءل : كيف تمكن هذا الرجل من النجاة ؟ ومن أية جهة حاول اختراق سر الطبيعة الروحية ؟ ومن أية منطقة تمكن من التحليق فى سماء الشعر ؟ وتحت أى الظروف الخارجية وبأى القابليات الداخلية ؟ وبأى الوسائل وأية نتيجة ؟ بديهى أنه ليس فى مكنتنا ولا مكنة الظروف المحيطة بالقراء فى هذا الخصوص الإجابة الشاملة القطعية على مثل هذه الأسئلة .

ومع ذلك فيجب أن نشرع بالبداية الناقصة حتى نتمكن من الحصول على النتيجة الكاملة . ونظرة شاملة على سلوك هذا الإنسان كما كان يظهر وكما كان يحيا ، سواء كان ذلك فى مجال العمل أو فى الشعر ، كافية لقبوله لدى من يعرف الشئ القليل عن شلر ، وذلك يعتبر فتحاً فى طريق المعرفة الحقة ، أما الذين هم على اتصال به فينفعهم ذلك كشاهد على أحقية مافكروا ويفكرون به . لدينا بيانات عديدة منتشرة هنا وهناك للتعرف على حياة شلر الشخصية ، وهذا ما يجعلنا ننفى عن ذكر قصة حياته التى تعتبر معروفة الآن . والذين لا يزال حب الاستطلاع متمكناً منهم يمكنهم أن يشبعوا مثل هذه الرغبة بالاطلاع على كتاب (حياة شلر) المطبوع بالإنجليزية أو (حياة شلر) فى مقدمة الطبعة الفرنسية لرواياته الدراماتيكية أو فى مقدمة الطبعة الإنجليزية لمؤلفه (حرب الثلاثين سنة) . وفى دراستنا هذه نرجو أن نوفق فى شرح الناحيتين العملية والتأملية من حياته ، أما الوقائع التى تداخلت فى تاريخه العرضى فستظهر فى معرض هذه الدراسة

(٧) كلام الشاعر العظيم جوته

للكلام بقية

يوسف عبد المسيح ثروت

خاطرة

أين السلف الصالح ؟

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

قد تباده المرء أمور فيها من العجب مايبعد البادهة ، والعلم نور الله فى الصدور وهو لا يهدى لعاص ، ولا يهتدى به ضال ، ولا يسير فى هديه مضل !

وللعلم « كرامة » يجب أن ترتفع عن الشهوات ، وتخاصم الأهواء والنزعات، لكنه أرخص فى مرتخص النافع واتضع باتضاع الخصاصة النفسية ، فأصبحت لاتجد إلا أنقاضا على هيئة شخوص لهم أناقة المظهر ، وشناعة المخبر ، وفيهم بروق النفاق ، ومروق الرياء ، وبقلوبهم شح الوفاء ، وكرم القدر ، يلبسون لكل حال لبوسها ، ويسيرون فى كل ركب ، وقد أزالوا عن نفوسهم توقر المحافظة ، وتوقى المؤاخذة ، واندفعوا مع تيار الحياة ، يحتالون عليها ويتنافسون فى أسلابها ، حتى سلبوا المهابة ، وأضاعوا معانى القناعة !

أين السلف الصالح ؟ وأين مجد العلم ؟ وأين قوة الروح لدى العلماء ؟ لقد كانت بطونهم جوعى وأرواحهم شبعى ! وكانت حلوقهم ظمأى وعقيدتهم ريا ! تسابقوا فى الفضل ، ولم يتنافسوا على الفضالة ! ، وانطلقوا مع الملائكة ولم يلحقوا فى ركاب الشراهة كانت يدهم رخصة ولم تكن رخيصة ؛ وكانت رغباتهم معتزة ولم تكن ملتذة !

* * *

رحم الله عهدا تنوسيت فيه آمال ومطامح ، واتصلت فيه وشائج العلم فى أروع صوره! أين ذهب هذا العهد ولم يتغير الزمان؟

لقد كان لى جد يدرس فى معهد دينى ، ويدرس العلم فى مسجد ، ثم يتقاضى ستين قرشا وهو عالم ممتاز ؛ ثم وثب راتبه إلى عشرة جنيهات فى مدى ثلاثين سنة !

إنه الشيخ أحمد بدر العالم الدمياطى الذى قابل الإمام محمد عبده فى أخريات حياته ، وأطلعه على كتاب فى « المنطق » جعله حسبة للراغبين ، وأخفى عليه أمر راتبه حتى علم ؛ فجازاه وهو راض قانع !

إنى لأبصره بعد خمس وثلاثين سنة — وأنا ابن سبع سنين — يجتمع فى حلقته جمع جامع يأخذ عنه ، ويقبس منه ؛ وأكاد أتبين معنى مايقول لأن علمه مشرق الروح ، وأنس القلب ، وراحة النفس ؛ فأين ذهب هذا كله اليوم ؟

* * *

لست متقصدا بهذه الإشارة المباهاة ، وإنما هادف إلى المقايسة وهل ينفع القياس ؟ لقد انصرف هم العلم إلى التعالم ، واتجهت همة العالم للمغانم ؛ وذهب نور الهالة الذى كان يلمع فى الوجوه المؤمنة الآمنة ؛ فتختفى منها الأبصار !

فى الأمس القريب كانت الدعوات تترى فتهتز أعواد المنابر بالدعاء للملك الصالح المخلص فى طاعة ربه ؛ ثم بدا دليل الفساد وانطوى العهد ؛ فسكتت الألسنة بعد أن أسكتتها الباغتة وألجمتها المفاجأة ، فما الذى حال بينها وبين التلميح وهى التى تقود العامة

إن النفاق داء وبيل ، ولكنه فى قلوب العلماء آفة !

نريد أن يكون العلم ذا قرار فى القلوب ، تحصنه الهيبة ، وترفعه الكرامة ويحفظه الوقار !

نريد ترك التشدق بالألفاظ ، والتمصح فى العبارة ، والتكلف فى القدرة . نريد علما نابعاً من الإيمان ، فيه لغة الوجدان الطاهر والروح الصافى !

* * *

إن زياد ابن أبيه كان على ما كان عليه وقد قال : أيها الناس لايمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتسمعون منا ؛ فإن الشاعر يقول :

إعمل بعلمى وإن قصرت فى عملى
ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

فهل يريد العلماء أن يكونوا على مذهب زياد فى أداء الرسالة !

اللهم إن العلم فى الصدور لكن العمل به فيه قهر للنفس وزجر للهوى وقتل للشهوة ، ومغاضبة الشيطان ، واقتداء بالسلف الصالح ، فمتى يفيق من امتلأت رءوسهم وقلوبهم هواء ؟

أحمد عبد اللطيف بدر

ملك وشعب ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

ذكرتني حوادث مصر الأخيرة يوم ثار قائدها الجبار وحواريوه المخلصون بوجه الطاغية فأزاحوه عن عرشه وأطاحوا به بعيداً عن البلاد التى نكب أهلها فى أرزاقهم وحرياتهم ، وأخرجوه ذليلا مهانا بعد ما استردوا الحرية التى فقدوها طيلة سنوات الظلم والرشوة والفساد ، وبعدما شبع ذلك الملك الخليع من أكل اللحوم البشرية وروى نهمه بشرب الدماء ، وبعدما فجر ماشاء له الفجور وفسق ما شاء له هواه أن يفسق ، وقامر بأموال الشعب الذى ائتمنه فخان ، ووعده فماطل وأخلف ، بقصيدة قالها شاعر يكاد أن يكون منسيا ؛ منها الملوك الذين يهزؤون بمصالح الرعايا فتكون خاتمة حياتهم الفاجعة كخاتمة « فاروق » الذى صح فيه قول الشاعر البغدادى :

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته   كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

أو قول غيره

ابك مثل النساء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهذا الشاعر هو المرحوم داود بك عمون وقد نشره فى مجلة « الزهور » التى كان يصدرها فى مصر المرحومان أنطون الجميل وأمين تقى الدين ، سنة ١٩١٤ « وهو شاعر مقل ولكن قليله رفعه إلى منزلة قصر عنها الكثيرون من المكثرين. ويمتاز نظمه بمتانة السبك وفخامته وسمو المعنى وجدته ، ويدل دلالة واضحة على توقد ذهن وشدة عارضة وعزة نفس ، أما نفسه فجاهلى عصرى معاً » (١)

ولما كانت الحالة الآن تستوجب الاطلاع على ما كان يعتلج فى قلوب الشعراء آنذاك من شر مستطير ينال الشعوب من جراء ظلم الملوك لها — والشعراء أنصاف أنبياء — أحببت أن أعرض على قراء « الرسالة » الزاهرة تلك الخريدة العصماء التى ما كانت إلا صرخة فى وجه الظلم ولكمة فى صدر الملوك الطغاة الذين بلغوا منزلة من الضعة تشمئز منها حتى الذئاب فى ذلك الزمن ، فكيف بالشعوب الآن وقد أزاحت عن نواظرها براقع الغفلة والجهل وفتحت قلوبها إلى الخير والحق والجمال

اللهم اهد ملوك الشرق وساسة الشرق إلى ما فيه صلاح الشعوب ورقيها لتتواكب الحرية ولتأخذ حقها فى الحياة ، لا أن تسد آذانهم عن سماع صراخ المتوجعين وشكوى البائسين الجائعين.. وهاهى ذى رائعة عمون اللبنانى المولد (٢).. قال :

عذيرى من خلق باسل   أحد وأمضى من الذابل
صليب على القسر لا يلتوى   إذا غمزته يد الناقل (٣)
إذا شاقنى الأمر صعب المنال   مضيت ولو أنه قاتلى
ولو حال من دونه حائل   مشت إخمصاى على الحائل (٤)
حديد قوى النفس ذوهمة   تضايق فى جسد ناحل
وأورثنيها فتى أمثل   وأورثها لفتى مائل

***

بلوت الزمان ، وأهل الزمان   بخذ رأى مختبر عاقل
رأيت « الملوك » إذا أطلقوا   أضر من الجارف الغائل
نفوس الرعايا ، وأعراضها   ، وأرزاقها ، أكلة الآكل
وعودهمو برقها خلب   وأقسامهم ضحكة الهازل (٥)
ولو عقلوا قيدوا نفسهم   ومن لك بالمطلق العاقل
فتلك القيود ، ضمان العروش   توطدها فى المدى القابل (٦)
حقوق « الملوك » بتمديسها   دعاوى على الحق للباطل
همو الأجراء وإن توجوا   عليهم لنا عمل العامل
وما ميز الله أشخاصهم   بشئ ولكن رضى الخامل

***

بنى الشرق هبوا فقد طالما   زحفتم إلى الدرك السافل (٧)

---

(١) مختارات الزهور ص (٨٩)

(٢) يشير نفسه إلى ذلك فيقول مردداً حنينه إلى لبنان

يا بنى أمى إذا حضرت ساعتى والطب أسلمنى
فاجعلوا فى « الأرز » مقبرتى وخذوا من ثلجه كفنى

(٣) صليب : قوى وصلب

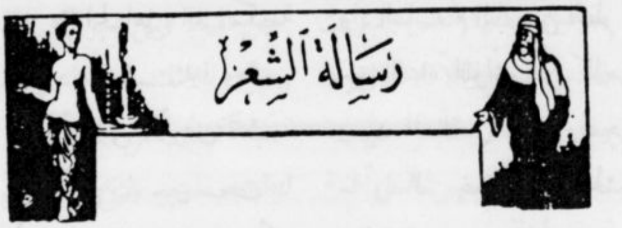
(٤) إخمصاى : مثنى إخمص القدم

(٥) الخلب : الكاذب ، والأقسام جمع قسم : اليمين

(٦) القابل : الآتى . القادم . المقبل

(٧) ورد البيت فى المختارات على هذه الصورة وعجزه زاحف وقد أصلحناه

بنى الشرق هبوا فقد طالما   زحفتم فى الدرك السافل



وحي البردة

للأستاذ ميشيل الله وردي

أنوار هادي الورى في دارة العلم   رفت على ذكر جيران بذي سلم

وأرسلت نغم التوحيد عن ملك   كالروح منطلق ، كالزهر مبتسم

فزج روحك بالروح التي ازدهرت   يغنيك عن مزج دمع ساجم بدم

وشمك العطر فواحاً بروضتها   ألذ من عشق ريم القاع والأكم

ومن يهم بعظيم يتحد معه   بالرأي والفكر قبل الوسم والأرم

والحب صنوان حب الروح خيرها   فلا تكن للهوى الفاني بملتزم

ياليت أحلام عمري لم تضع بددا   بحب قصر من الأوهام منهدم

وليتني لم أهم إلا بمن عرفوا   برقة القلب لا بالظلم والعقم

فكم حبيب إذا خالفت فكرته   جازاك بالصد قبل البحث في التهم

ومن يساق حبيباً صد خمرته   وسحر ألحانه يندم وينفطم

فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم   واربأ بحسنك أن يكمد من سأم

واجعل هواك رسول الله تلق به   يوم الحساب شفيعاً فائق الكرم

هذا رسول الهدى فارشف على ظمإ   من ورده العذب عطفاً شاق كل ظمى

كأنما قلبه ينبوع مرحمة   مستبشر بالرؤى جذلان بالنسم

* * *

يا أيها المصطفى الميمون طالعه   قد أطلع الله منك النور للظلم

وحدت ربك لم تشرك به أحداً   ولست تسجد بالإغراء للصنم

وكيف تشرك بالرحمن آلهة   لا يستطيعون رد الروح للرمم

عاديت أهلك في تحطيم بدعتهم   من ينصر الله بالأصنام يصطدم

كأن ربك لم يخلق لدولته   سواك من مرسل بالحق معتصم

أدى الرسالة حتى ضج من سأم   أجناد إبليس واشتد الأسى بهم

وأفلست بعد إقبال جهنمهم   ولم تجد حطبا في الأشهر الحرم

كأن أحمد بالأصفاد كبلهم   فارتد جيشهم المقهور بالسدم

شرع على أقوم الأركان أسسه   للعالمين نبي طاهر الشيم

غذى عقول الورى حتى أتاح لهم   عيش النعيم ونقاهم من الأثم

وعلم العرب حتى ساد نسلهم   هام الممالك وارتاحت لعدلهم

كأنما الشرع جزء من نفوسهم   فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم

قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة   فإن هم قسموا أرضوك بالقسم

وخلدوا ملكهم ريان مؤتلقاً   وكل ما شادت الأطماع لم يدم

إن الممالك إن شيدت على جشع   تفرس ، ولا خير في الحيتان للبلم

وقد يمل الفتى بالشيب من أرب   ولا يمل عبيد المال من بشم

أتون نار زفور جد محتدم   والمال يهوى بخلق جد مزدحم

لو أدرك المرء أن المال تاركه   لمل صحبة خوان الوداد عمى

ولو درى العاشق الموتور كيف سلا   أحبابه لم يبت يوماً بقربهم

كفاك هما فأهواء الدنى غصص   تودي بصفوك مثل السم في الدسم

والزهد راحة فكر من متاعبه   فإن دعانا وأهملناه ينتقم

همنا بفان فأغرانا وأذهلنا   وأي قلب بحب الأرض لم يهم؟

* * *

يا أزهد الناس في الدنيا وفي يده   خزائن الملك والأنصار كالخدم

عجبت كيف تعاني الجوع مرتضيا   حظ الفقير ولم تلتذ بالتخم

ولم تبال بتيجان مرصعة   ولم تكن للآلي خلوا بمرتسم

إلام تنامون عن حقكم   وتعبث فيكم يد العامل

ويظلمكم رجل واحد   وأنتم عداد الدبى النازل (٨)

فدونكمو العلم فهو المحرر ، والرق لازمة الجاهل

وخلوا الديانات طي القلوب   وكونوا عن الخلف في شاغل

ألم تنظروها غدت آلة   لتفريق جمعكمو الحافل

ولا ترهبوا الموت فالموت لا   يؤخره وجل الواجل

تلك هي الصاعقة التي انشقت عنها سماء فكر الشاعر فكانت والحق يقال نذيراً لكل جبروت لا يؤمن بحقوق الناس ، سقتها للقراء الآن لتكون شاهدا على أن الظلم الذي نحسه الآن كان يشعر به قبلنا أحرار الفكر والعقيدة.. هلا يتعظ السادرون في غيهم من ملوك الشرق !

(٨) الدبى : الجراد

بغداد

عبد القادر رشيد الناصري

تقول ربى أجرهم من عمايتهم ... وتصرف النفس نحو المورد الشبم
فاستضحك القوم هزءاً واستبد بهم ... وهم فصيرهم لحماً على وضم
كأن أفكارهم من طول ماشقيت ... ألقت بأرواحهم فى وهدة الحطم
والنار حرقة نفس من ندامتها ... يا بؤس من لم يحد عن شر مغتنم
فاسلم بنفسك أن الروح يعوزها ... رضا الذى علم الإنسان بالقلم
فلا طعام من البأســاء ينقذنا ... ولا لباس يقينا شدة الضرم
وهل تفيدك أبراج مشيدة ... والموت فى القصر مثل الموت فى الخيم
والمرء يفنى إذا لم يبق مأثرة ... تحيا إذا باتت الأجساد فى الرجم
والعمر إن طال يوم لا رجوع له ... فهيئ الزاد قبل الشيب والهرم
أسلمت لله أمرى فهو يكلؤنى ... كالزهر فى الحقل والأطيار فى العلم
ألست يا أيها الإنسان أفضلها ... وبارئ الكون قد حلاك بالحكم
فإن يغب عنك أن العيش مرحمة ... فكيف تدرك أن الفوز بالألم ؟
وكيف تسمو بروح بالثرى علقت ... وكيف تعلو على الآساد فى الأجم ؟

***

أقول للمصطفى أعظم بما ابتدعت ... آيات ربك من خير ومن نعم
لو يتبع الخلق ما خلدت من سنن ... لم يفتك الجهل والإعواز بالأمم
ولم ير الناس أحكاماً وفلسفة ... فى الاجتماع ستلقيهم إلى العدم
مذاهب أحدثت فى الأرض بلبلة ... وأورثتنا بلايا الحرب والإزم
أين الزكاة .وأين العشر يحمله ... أهل الغنى للألى ماتوا من السقم
هل كنت تبصر ما أودى بعالمنا ... من قبل أن فاض بالويلات والنقم
أم هل تنبأت عما تم فى زمن ... سادت به فكرة الإلحاد والنهم
نبوة حارب الجبار منكرها ... وروع الناس بالتعذيب والحمم
فيانبى الهدى حييت من علم ... بالطهر متسم بالعدل مدعم
أحببت دينك لما قلت أكرمكم ... أتقاكم ، وتركت الحكم للحكم
وقلت إنى هدى للعالمين ولم ... تلجأ إلى العنف بل أقنعت بالكلم
فى دينك السمح لا جنس ولا وطن ... فكل فرد أخ يشدو على علم :
الله أكبر والأكوان .فانية ... ومن يلذ بجلال الله لا يضم
سبحان من بيديه الملك أجمعه ... ويرجعون إليه يوم بعثهم

***

يا عبقرى الورى الأمى هل سمعت ... من قبلك العرب وحياً جد منسجم
آياتك الغر إعجاز تنزه عن ... ند ، وليس دعى الحب كاللدم
كأنما الناس آلات مبعثرة ... أخرجت منها جميل اللحن والنغم
من علم الجاهلى الغر مكرمة ... وأد البنات أم البالى من النظم ؟
محمد رد من ضلوا وعلمهم ... حق النساء اللواتى كن كالرمم
يا فخر أمتنا فى الأرض قاطبة ... وسيد المصلحين العرب والعجم
عززت كل فتاة حين صحت بنا ... ما أولد العز غير السادة الحشم
فأنت أول من نادى بمأثرة ... يظنها الغرب من آلاء بعضهم
خاطبت كل ذكى حسب قدرته ... ولم تكن بغبى القوم بالبرم
وكنت أرأف بالمسكين من دول ... رأت بأمثاله سرباً من النعم
إن كان ينجح طب الناس فى جسد ... فأنت تفعل بالأرواح كالحسم
ترعى اليتيم وترعى كل أرملة ... رعى الأب المشفق الباكى من اليتم
فارع النفوس التى ذلت ويتمها ... فقد الكريمين: حب الخير والشمم
وهب لنا مبدأ حيا وتضحية ... بها تفردت بين الناس من قدم
ليت الإخاء الذى فى يثرب انتشرت ... راياته ظل فينا غير منفصم
إن القلوب إذا ألفتها ائتلفت ... والود حبل فإن تصرمه ينصرم
ماذا يطهر قومى من تنازعهم ... والصد يعلق بالأرواح كالرشم
أجفوة ورعاة غرهم طمع ... كأنهم عن نداء الحق فى صمم
أسمعتنا فنسينا واستقل بنا ... هوى،فأمسى عزيز القوم كالحطم
فانفخ بنا نخوة تجمع أواصرنا ... وابعث بنا همة يا باعث الهمم
أبناء بابل أفنتهم مآثمها ... وآل فرعون ماشادوا سوى الهرم
وتدمر ومغانيها غدت خرباً ... والذكر بالخير غير الذكر بالإرم
يا ليت من شيدوها للفناء رأوا ... عقبى المبانى فأغنتهم عن الندم
زالوا وزالت مع الآثار عزتهم ... فإن تجادل سل التاريخ واحتكم
والمصطفى خالد فى الناس ما بزغت ... أم النجوم وممدوح بكل فم

***

يا أيها العرب المأثور مجدهم ... ما فاز بالمجد شعب شبه مختصم
أيصبح الخير شرا من تخاذلنا ... ونغتدى نهبة الغربان والرخم ؟
إن الكرامة تأبى أن نذل ولم ... نهضم حقوق الورى كالهائج الضرم
فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم ... والمكر فرقكم فى حومة الجسم
وشرع أحمد بالقرآن هذبكم ... وجد فى أمركم بالحب والسلم
يا أيها المسلمون الفخر فخركم ... ونحن إخوانكم بالنطق والعلم
فأيدوا بالفعال الغر دينكم ... فقيمة الحب عندى أعظم القيم
والدين إلا هوى فى نفس عاشقه ... ومن يبح بالهوى يوم النوى يلم
سيان يا قوم من يقضى بلا أمل ... ومن ينال المنى فى عالم العدم

صوفية أدركتها النفس فانصرفت   عن الدنايا ومن يهو العلى يصم

فاستهد بالروح فى الأفلاك واهو كما   تهوى الملائك وجه الله واستقم

وقل لمن أدمت الأهواء مهجته   أما اكتفيت من الدنيا بحبهم ؟

رمت فؤادى بسهم الحسن فاتنة   فاعجب لصب جريح ثابت القدم

ندت أناشيده نيران لوعته   ففرجت عن عليل بالجمال رمى

إن لم يخلد فؤادى الحب فالتمسى   يا نفس كهفا يبطن الأرض واعتصمى

عل المنية تنسانى كما نسيت   عرائس البحر صيد النسر فى القمم

***

يا نفحة من جنان الخلد سارية   كالورد يلثم فى الأسحار من أمم

إلى محب ومحبوب ولو زعموا   أن المحبة بالأنساب والرحم

فالناس من آدم بالمصطفى اجتمعوا   وشرعة الحب أم الناس فأتمم

يا أجمل الخلق سيماء وأظرفهم   طبعاً وأوفاهم بالعهد والذمم

عشقت منك صفات جل مبدعها   كالغيد تفتن لب الشاعر الفهم

يرنو فيمنحنه وحياً يخلده   ورب حب مثير جاء بالعظم

ورب نجم منير يستضئ بكم   «فأنتم الشمس لم تدرك ولم ترم»

وحسن شعرى بكم من شمسكم قبس   والنبع ما سال لولا صيب الديم

فإن أجدت بهذا الطل مدحكم   فكل معنى بكم كالهاطل العرم

حياك ربى بآيات مفصلة   والناس أعجز عن إدراك ربهم

لكنها صورة بالشعر أرسمها   لأستجير بها إن بت كالحلم

يا هادى الفكر أهداه الإله إلى   عباده منة من فضله العمم

إن يمدحوك بأبيات منمقة   فأنت تفرق قلبى عن قلوبهم

تبارك الله لو شاءت مراحمه   لشع نورك بين الناس كلهم

إن لم تكن بوكيل فاشفعن لنا   بحق ترديدنا التوحيد فى الحرم

صلى الإله على محياك فى مهج   تحيا بها كحياة النور فى السدم

صلى الإله على مثواك ما صدحت   ورقاء أو هينمت عطرية النسم

صلى الإله على ذكراك ممتدحاً   حتى تؤم صلاة البعث بالأمم

ميشيل الله ويردى

طيف الهجرة

للدكتور زكي المحاسني

سكنوا الديار وبغتة برحوا   والنور يسطع حيثما نزحوا

ذهبوا مع الريح الغداة وما   عادوا فليت بوصلهم سمحوا

أترى على بطحائهم بطلا   متلثما وكأنه شبح

ماجت عليه البيد فى نفر   جابوا الرمال وبالسرى سبحوا

غنوا فرد القفر لحنهمو   فحداؤهم بالبيد منطرح

قف بى على آثارهم فهمو   شغلوا الفؤاد وبالهوى جرحوا

شاق الأوالى قبلنا طلل   وقفوا عليه ودمعهم سفحوا

***

بأبى المهاجر وهو ذو فرح   يسرى ؛ وكل مهاجر ترح

من فارق الطغيان حتى له   أن يستخف فؤاده المرح

ورعاه نجم منذ مولده   هو نجمه ذاك الذى لمحوا

آكام يثرب ضاحكته دجى   فلأهلها بطلوعه فرح

تركوا الغبوق لبشر طلعته   وبوجهه دون الطلى اصطبحوا

أمهاجراً والبغى يتبعه   وصحابه الأبرار ما رزحوا

من كان للفتح المبين سما   لم يثنه الأعداء أن فدحوا

يا صاحب الصديق وارفة   ذكراك ، منها القلب منشرح

عادت ، وهب العرب من رمم   ولعودة الأمجاد قد طمحوا

كان الطغاة بأرضهم فجلوا   متعسفين وفى الهدى جمحوا

لا تدعهم يوما إلى خجل   فيما بغوا ، لا يخجل الوقح

ويحا صلاح الدين هل رجعت   حرب الفرنج وهل بها لفحوا

خدعوا الشعوب بسلمهم ولكم   غالوا السلام وباسمه ذبحوا

إنا جنحنا للوفاء وهم   لريائهم ومطالهم جنحوا

نصراً رسول الله إن لنا   قوما لكل جليلة كدحوا

صبروا على مر الخطوب وفى   يوم الوغى أرواحهم منحوا

***

مرت بى الذكرى كطيف هوى   والذكريات مرورها ملح

فطرقت باب الواهمين وبى   شجن يناديهم فهل فتحوا

أسمعتهم بأحبتى هتفوا   وبذكرهم فى حبهم صدحوا

روحى تطيف بأفقهم ولها   عبر الفضا والغيب منسرح

نار تسعرنى وتبردها   أنفاسهم هلا بها نفحوا

إن عزنى الكتمان بعد هو   فأخو الهوى المشبوب مفتضح

أذنبت فى الشكوى فحق لهم   هجرى فليت على النوى صفحوا

زكى المحاسنى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مصر فى مؤتمر الفن العالمى :

تردد اسم مصر هذا الأسبوع فى جميع أنحاء العالم ، وتناقلته وكالات الأنباء فى كل مكان على أثر الكلمة التى ألقاها الدكتور طه حسين فى المؤتمر الدولى للفنانين الذى عقد فى قصر الدوج بمدينة البندقية وأشرفت هيئة اليونسكو على تنظيمه وكان المؤتمر قد بدأ جلساته يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢

وكانت « الرسالة » فى أحد أعدادها السابقة قد نشرت بعض الأفكار التى ضمنها عميد الأدب خطابه الذى أعده لإلقائه فى هذا المؤتمر

وهذه خلاصة ما جاء فى كلمة الدكتور طه حسين

إذا كانت الأسلحة والنيران والدماء قد غيرت « وجه الأرض » فكم غيرت هذه الأشياء من « نفوس » الناس التى تعرضت بسبب ذلك كله إلى هزات عنيفة

القرن العشرون هو عصر الشك الفلسفى أو التشكك فيما وراء الطبيعة

سجل الدكتور ظاهرة قلة الإقبال على الأدب ومطالعة الكتب

أشار إلى جهود الكتاب لتبسيط آرائهم وجعلها فى مستوى إدراك أغلبية القراء وأثر ذلك فى الآراء الأصلية ذاتها

المعركة بين الكاتب والناشر ، يريد الكاتب من الناشر أن ييسر له من الوسائل المادية ما يكفل له العيش الكريم

من العسير الكتابة بكل أمانة وحرية دون مراعاة أى اعتبار مادى له علاقة بالاحتياجات اليومية

يدل التاريخ على أن الأدباء والفنانين فى كل بلد ، وفى كل عصر ، لم يعتمدوا قط على أدبهم وفنهم فى اكتساب قوتهم ، بل كانت دوما لهم مهن أخرى

إن ما يصل الكاتب من مكانة فى المجتمع الذى يعيش فيه يفرض عليه واجبات معينة إزاء المجتمع ، ويكون لذلك أثر أخلاقى فى تصرفاته وكتاباته يمس ما له من حقوق وما عليه من واجبات

***

والواقع أن هذه النقاط التى تناولها الدكتور طه حسين فى بحثه والتى تصور حالة الأدب فى العالم الآن ، إنما هى مستمدة من صميم الحياة الأدبية فى مصر ، بل تكاد تكون صورة واضحة لما يعانيه الأدب فى مصر

ومعنى هذا أننا نقاسى نفس التجربة الأليمة التى يعانيها الأدب والأدباء فى العالم كله ، وأن الظواهر التى ننتقدها فى محيط الأدب المصرى ، ليست وقفا عليه وحده وإنما هى «ظواهر» طبيعية عامة

ويرجع كثير من النقاد والباحثين هذا إلى أثر الحرب العالمية الثانية ، فقد انتعش الأدب بعد الحرب العالمية الأولى وأخذ طوراً من القوة والحيوية والجد ، واستطاع الأدباء فى خلال تلك الفترة إنتاج طائفة من الأعمال الأدبية والفنية الخالدة

فلما جاءت الحرب العالمية الثانية واستمرت ست سنوات كاملة ، كان من الضرورى أن تكون هذه المرحلة الحرجة بعيدة الأثر فى اتجاه التفكير العالمى ، فقد ذاق الناس فى جميع أنحاء العالم — لا فى البلاد المحاربة وحدها — ذلك اللون الخانق القاتل من الحياة المضطربة المزعزعة ، مما أدى إلى تحول خفى فى النفسيات كان من أثره الإقبال على لون جديد من القراءة ليس دائما هو اللون الجاد ، وليس أبدا هو الأدب الرفيع

ومن هنا نشأت هذه « الأزمة » التى تكتنف الحياة الأدبية والفكرية فى الشرق والغرب ، والتى تتلخص فى عجز الأدب الرفيع عن أن يكون مورداً خالصاً ، وأن تظهر تلك الحيرة فى محاولة الكتاب تبسيط آرائهم حتى تكون فى مستوى أغلبية القراء ، وكذلك قلة الإقبال على الأدب

مجلس عالمى للفنون والآداب

وقد ألقى الدكتور جيم توريس بودبت المدير العام لهيئة اليونسكو كلمة تضمنت النقاط الآتية :

أن وظيفة الفنان لا تقوم أساساً إلا على الاختيار ومن ثم وجب أن نوفر لها الحرية ، ولا يكون لهذه الحرية من معنى إلا إذا اقترنت بواجبات عميقة

عبودية الفنان تكون على نوعين : الأول أن يكون الفنان ملزما بالأخذ بتوجيهات خارجة عن فنه يمكن تغافلها وإلا نزل به العقاب . والنوع الآخر هو أن يتصور الفنان — وهو يساير أهواءه الخاصة — أنه يتمتع بقسط أوفر من الحرية فيكفر بقواعد فنه بأكمله ولا يكون مصيره إلا فشلاً فنيا

ليس عمل الفنان على الإطلاق عملا تجريديا ، فالفنان ينتمى إلى بيئة بعينها ، وتقليد بعينه ، وعصر بعينه ، وبلد بعينه ، وكل هذا يجعل العمل الفنى على صلة وثيقة بالتطور الفكرى والنظم السياسية والاجتماعية

وقد طالب مدير اليونسكو بضرورة إنشاء مجلس عالمى للفنون والأدب يناط به توفير المساعدة والتعاون بين الفنانين المبدعين من الدول جميعا وله الآن أكثر من نواة ، مثل نادى القلم والمعهد الدولى للمسرح والمجلس العالمى للموسيقى ، وجمعيات المهندسين ، ولا ينقص هذه العناصر إلا جمعية للفنون البصرية واليدوية

أرستقراطية الثقافة

تقوم دار الكتب المصرية بطبع عدد كبير من المؤلفات الأدبية القديمة ، التى تعد من أمهات الأدب العربى

كما تقوم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية بتصوير ألوف المخطوطات العربية النادرة فى العالم

وكانت بعض البعثات قد قصدت فى العام الماضى إلى سانت كاترين فى شبه جزيرة سينا لتصوير المخطوطات الأدبية والفكرية هناك

ولا شك أن هذه المؤلفات الضخمة تطبع ، ولكن ما هى الفائدة التى تعود منها على الأدب والأدباء !

إن هذه الهيئات لا تعترف إلا بعدد من كبار الكتاب وكبار الباشوات السابقين فتهدى اليهم هذه المؤلفات لتوضع كحلية بين مجموعات الكتب المجلدة الموجودة فى مكاتبهم وينتهى الأمر عند هذا الحد

ولارتفاع ثمن هذه المؤلفات ، وعدم وجود طبعات شعبية منها لا يتيسر مطلقا لشباب الأدباء — وهم على كثرتهم فقراء لا يملكون قوت يومهم — أن يحصلوا على هذه المؤلفات أو يقرأوها !

وهذا ولا شك لون من أرستقراطية الثقافة ، نرجو أن نتخلص منه فى العهد الجديد ، وأن نعمل على تيسير هذه الثقافة وهذه الألوان الأدبية حتى نجعل فى ميسور كل مثقف الحصول عليهـا

من ٨ إلى ١٤ أكتوبر

فى خلال هذا الأسبوع تتجدد ذكرى ثلاثة من عباقرة رجال الفن والأدب فى الشرق والغرب هم :

عبد الله نديم	المتوفى فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦
أناتول فرانس	المتوفى فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٤
أحمد شوقى	المتوفى فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٢

ولا شك أن أناتول فرانس سيحظى بالكثير من التقدير من الصحافة الفرنسية ومن المجلات الأدبية

ستتناوله هذه الصحف من جميع نواحيه ، شخصيته ، أدبه ، حياته ، مباذله ، غرامياته ..

أما عبد الله نديم وأحمد شوقى فسيمر ذكرهما مرور الطيف ، لأنهما من الشرق ، الشرق الذى ما زال جاحداً لبناته ورجاله ومجاهديه

لقد كافح عبد الله نديم الظلم يوم كان كفاح الظلم أقسى ألوان الحياة ، واشترك فى الثورة العرابية ، وهرب ، واختفى وطال به الاختفاء ، وظل ينتقل تحت جنح الظلام ويغير مظهره ، حتى لا يقبض عليه

واستطاع أخيرا أن يذهب إلى الآستانة وهناك وقع فى القفص الذهبى الذى كان الخليفة عبدالحميد قد أعده للرجال الأحرار الذين كان يستدعيهم إليه ثم لا يطلقهم مرة أخرى

إن حياة عبد الله نديم هى صورة من الكفاح المرير فى سبيل مصر فى الوقت الذى كان لا يستطيع أى صوت أن يرتفع بكلمة الحق

.. ولا شك أن من حق عبد الله نديم علينا أن نكرمه ونحترمه ، ليس لهذه الوطنية وهذا الكفاح وحده ، ولكنه لأنه

ابتدع فى الصحافة المصرية لونا جديدا .. ذلك اللون القائم على السخرية والتبكيت ، وهو الذى حور أخيرا فى صور الـكتابات النقدية السياسية التى تقوم عليها مغظم المجلات الأسبوعية !

أما شوقى فالحديث عنه طويل . . بقدر ما أدان العربية والشعر من دين وصفه أستاذنا الـكبير الزيات عند ما قال إن شوقى كان تعويضا عادلا للعربية منذ قضى المتنبى .. ولـكننا ونحن الآن نسمع قصائده تغنى ، وشعره يتردد على كل لسان ، ونذكر فضله فى ابتداع المسرحية الشعرية فى الأدب الحديث ... ندهش حين نرى أن عملا ما — يدل على التقدير — لم تهم به أى هيئة أو طائفة .. أين مثلا كرسى شوقى فى كلية الآداب ، أو أين مكانه فى دار الـكتب ، أو تمثاله فى ميدان يطلق عليه اسمه !! أو الـكتاب الضخم الذى وضع عن فنه وشعره

أما « أناتول فرانس » فلسنا فى حاجة إلى الحديث عنه فإن المؤلفات والآثار الأدبية التى تناولته فى جده وهزله وفنه . . أكثر من أن تحصى

أنور الجندى

الكتب

مواكب الناس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للاستاذ منصور جاب الله

الأستاذ نقولا يوسف كاتب مصور من الصفوة المختارة ومن الرعيل الأول الذين اقتحموا مممعان القصة المصرية فمهدوا طريقها وسلـكوا حزونها وألفوا ضروبها وطامنوا أشتاتها ، وإنا لنجد هذا القاص الممتاز يضرب فى هاتيك المهامه البيد منذ حقبة تزيد على ثلاثين عاما لا يربع على شىء ولا يتعثر ولا يتلبث

ونقرأ فى صدر كتابه الجديد جريدة بمؤلفاته التى أصدرها منذ عام ١٩٣٢ ، فنرى فيه المـكافح المثابر الذى لا يبغى جزاء ولا شكوراً ، فهو لا يلجأ إلى الناشرين أو الوراقين لطبع كتبه ، وإنما ينشرها لحسابه الخاص ويوزعها هدايا على الصدقان والصحاب ومابقى منها بعد ذلك لا يكاد يأتى بجزء ضئيل من تكاليف الإنتاج !

ولـكن عزاء الأستاذ نقولا يوسف أنه يؤلف حباً فى التأليف وتنفيسا عن رغبة مكبوتة فى ذات نفسه ، ومن ثم فإنه لا يضار أن سبقه فى منادح الشهرة والمجد القصصى تلاميذ له وحواريون درسوا عليه أواسط العلم أو أعاليه ، فهو بهذا مغتبط أن تهيأ لهذا النفر من الشباب المتوثب طريق شقه لهم فساروا فيه

ولا على المؤلف الفاضل هذه النفقات الطائلة التى يخرج عنها لطبع مؤلفاته ، فإنما هى ضريبة المجد والخلق الفاضل الذى طالما غرسه فى نابتة هذا الجيل

وبعد هذه التوطئة التى لم يكن منها بد ، يطالعنا الأستاذ نقولا يوسف بمؤلفه الجديد « مواكب الناس » وإذ نتصفحه ونمضى فى قراءته إلى خاتمة المطاف يبدو لنا أن هذا الرجل ذا القلب الـكبير يطوى بين جوانحه مأساة ، فقد ضربه القدر فى ابنته التى كانت ملء نفسه وريحانة عينيه فأظلمت الدنيا فى وجهه وأخذه الزعد من كل مكان فإذا به يعمد إلى مسلاته الواحدة ، وينشئ « الصورة » تلو « الصورة » ثم يلزها جميعا فى قرن ، حتى إذا أقبل الصيف بهجيره لم يرق له أن يستمتع بإجازته الطويلة كما استمتع سائر أنداده من المدرسين ! وإنما عكف على تنفيذ هذه « الصور » وإزجائها إلى المطبعة فهو غاد ورائح بين آلة الطباعة وباعة الورق وتصحيح التجارب وهكذا ، وما صرف صيفه الأطول على ذلك النمو إلا ليصرف عن نفسه أحزانها وأشجانها

ولقد كررنا كلمة « الصور » التى احتواها « مواكب الناس » عن عمد ، ذلك لأن هذا المؤلف الأخير مختلف تمام الاختلاف عن مؤلفه السابق « دنيا الناس » الذى قدمناه لقراء « الرسالة » قبل عامين فذلك كان أقاصيص فيها « حبكة » القصة ولها « عقدتها » تنساح بين أرجائها « المؤامرات » ويرين عليها عنصر « المفاجئات » بيد أن هذا الـكتاب الذى بين أيدينا قد صدق فيه مؤلفه إذا أطلق عليه عنوانه ، فهو « مواكب » للناس تتلاحق ، وتتسابق ، ثم تسير على وتيرة واحدة حتى تفترق بها الطرق وتفرق عن سبيله ، وهو فى هذا يقول : لما فرغت من هذه « الصور » التى تحتويها هذه المجوعة ، استعرضتها جملة فاتضح لى أن أصحابها شخصيات

حقيقية ، عاشت وعرضت لى فى الحياة فعرفتها ، ولهذا لم يكن لى كبير فضل فى ابتكارها ، وإنما الفضل لمن خلقها على هذا النحو ، تارة على بساطة وبراءة وأخرى على شىء من الغرابة والتعقيد ، فكان عملى — والحالة هذه — مقصوراً على نقلها من دنيا الواقع إلى دنيا الفن دون أن أبدى إعجابا هنا أو زراية هناك

انتهى كلام المؤلف فى كتابه الجديد فى حين أنه يحاول الاحتراس فى كتابه السابق بقوله « كل ماورد فى هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالى ولا يصف شخصية معينة بالذات ؛ فنرجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث »

فالكاتب الفاضل إذن قد حدد النهج فى كتابيه وفصل بينهما بحجاز ، ومن هنا نتقبل «مواكب الناس» على أنها طائفة من الصور الأخلاقية الاجتماعية أعمل المؤلف ذوقه وفنه فى اقتناصها وتجليتها على القارئين ، فبدت كواسطة العقد تختال للناظرين

وإن قارئا من القراء مايستطيع إذ يستطلع « مواكب الناس » أن يستريب فى أن صورة أو أكثر من صورها شكت بصره أو ضربت أذنه فى زمن من الزمان أو مكان من المكان ، ولكن ليس لكل إنسان تلك الطبيعة النقية المتساوقة التى جعلت الفن القصصى طيعاً ليناً بين أنامل السيد نقولا يوسف ، فهو يصور الواقع بريشة الفنان الذى يرى ويسمع ويتذوق ثم ينقل على القرطاس صوراً لا يكاد يتلوها القارئ حتى يرى فيها نفسه لا تريم ولا تتحلحل !

والطريف فى المؤلف أنه نقل صوره نقلا « مصريا » إن صح التعبير ، فعلى أنه يتقن أكثر من لغة أوربية ، لم يشأ فى كل هذه الصور — حتى التى وقعت له فى أوربا — لم يشأ أن يصورها تصويرا أوربيا ، وإنما صورها كما يفهمها « أولاد البلد » ! وقد بلغ من هذا القمة فى التصوير والنقل الأمين

وليس لدينا فى الحق نقد على هذه الصور إلا أننا بصرنا فى بعض الأحيان بالكاتب يتحامل قليلا على بعض أبطاله ، ولعل ذلك ناجم من أنه رجل مثالى رغم أنه خب فى القصص الواقعى ووضع ، وأنه لم ينس مثاليته وإن تضاربت مع الفن الذى سلكه من زمان !

وإنا لنرى الكاتب بعد ذلك يحلق — فى بعض الصور — بأسلوب عال ، ثم يهبط بعد ذلك — فى صور أخرى — إلى أسلوب عادى ، ولعل مرد هذا أن الكاتب الفاضل عصبى المزاج لا يلقى أهمية كبيرة للأسلوب القصصى كما أومأ فى مقدمة كتابه الفريد

منصور جاب الله

النيل فى ضوء القرآن

تأليف الأستاذ أحمد الشرباصى

للأستاذ سعد الدين موسى كله

وهذا كتاب جديد فريد يحتل مكانته اللائقة به فى صفوف المكتبة العربية الخالدة ! أجل هو جديد فى نوعه — فريد فى بحثه وعرضه ! ولم لا وقد تعرض فى صفحاته الرائعة الممتعة إلى قضية النيل ودراسة هذا النهر « المبارك الروحات ، الميمون الغدوات » كما قال « عمرو » على ضوء القرآن الحكيم بعد أن قدم له بتقدمات تمهيدية ، من جهة اللغة العربية والتاريخ ، كما لم يفته أن ذكر لنا « النيل » عند الشعراء وفى مخيلتهم ، وكيف أجادت تصويره قرائحهم فافتتنوا فى ذلك افتنانا عجيباً ؟ ! وليس غرضى من هذه الكلمة العجلى التدقيق والتحقيق أو التفصيل والتحليل « فلذلك موعد آخر » إنما هو العرض السريع والسير الحثيث مع المؤلف أرجو أن أوفق فيه إلى جذب أنظار قراء الأدب ومحبى الحكمة وعاشق الثقافة لمطالعته لنفاسته وللافادة منه خاصة، وهو نفحة عاطرة من نفحات « القلم الشرباصى » الرشيق الرقيق الذى ما فتئ كل يوم يطلع علينا بلآلئه ويواقيته العذارى الأبكار ، وغرره وورروده الزواهر المشرقات كفلق الصبح أو وضح النهار !

والكاتب اللبق ، والأديب الحق فى رأيى — هو من يغوص فى أعماق الحقيقة فيبتكر لنا من أخيلته الشاعرة وذهنه الولود أفكارا وآثارا ، وأقباسا وأنوارا ، ناقضا بقدرته وعبقريته تلك النظرية القديمة البالية . « لا جديد تحت الشمس » ! وكذلك فعل الشرباصى هنا فبدأ ببيان اشتقاق كلمة النيل فى اللغة ومصدر النيل فى زوايا التاريخ ، منتقلا بنا إلى ندوة شعرية جميلة ، ناقلا لنا مختارات مجيدة فذة — تدل على ذوقه البليغ — واختيار المرء قطعة من عقله ! ويطوى الحديث سريعا ليخلص إلى السنة والكتاب ، مستعرضا بعض الأحاديث والآيات فى براعة ولباقة وتعقيب ودقة ، ويبدع الشرباصى أيما إبداع حينما يتحدث عن

مصر وفرعون فى القرآن ثم عن بعض الرسل فى مصر كيوسف وموسى عليهما السلام ، مطعماً حديثه بآثار وروايات عن الصحابة والأئمة والمؤرخين فى تمجيد « النيل » « ومصر » التى هى هبة « النيل » كما جاء عن «هيردوت» المؤرخ اليونانى القديم..وهذا فصل من فصول الكتاب تحت عنوان — خيرات الوادى — يستعرض فيه غلات مصر وزهورها وحبوبها ونتاج أرضها المباركة الخصيبة بفضل هذا الشريان الطاهر المقدس الذى يجرى فى أوصالها وأعراقها منذ فجر التاريخ ، وفصل آخر يعقده المؤلف عن ميزات النيل وواديه وهو ملئ بالنوادر الفردة والآثار التاريخية والنصوص الأدبية والروائع الممتعة مما أنتجته عقول الأدباء والكتاب والرواة — وددت لو نقلته لك بأكمله — ولكن من الخير لك أن تنفرد به وحدك فتتذوقه بنفسك وتتملاه بذوقك « ومن ذاق عرف ! »

وبعد فهذه صفحات أخرى تسير بك فى إبداع وإمتاع ، وفيها إهابة ببنى مصر أن يهبوا ، فقد طال بهم الرقاد ! — إن النيل يفى لنا فى كل عام ، لا يتخلف عن الجريان مرة ! — أفلا نكون معه أوفياء ! و « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ! » قد يمسك النيل فيضه قليلا أو رويدا ، ولعله يراد بذلك أن تتنبهوا وتعتبروا ، وتقدروا النعمة حق قدرها ؛ وقد يزداد فيضه ليحذركم وينذركم ، ويخوفكم من انقلاب النعمة نقمة ! فأين الاعتبار يا أولى الأبصار ؟ !

ألا ما أبلغ هذا الكلام وأجمله ! أما واجبنا نحو النيل فيجليه لنا يراع الكاتب الموفق جلاء واضحا فى بنود عدة بلغت « الثانية عشرة » ! وأخيرا .. نجد أمامنا « ملحقات » : النيل فى القرآن ، أساس الوحدة هو الإسلام « وجعلنا من الماء كل شئ حى » وهى ثلاث خطب منبرية عصرية ، جمعت فأوعت من الحديث الواعى الحصيف ، والاطلاع الوفير ، والأدب المستنير الغزير !

ألا حيا الله أستاذنا الشرباصى ، ووفقه دائما لخدمة الإسلام والقومية والعروبة ، وجزاه عن دينه ووطنه وأمته ولغته خيرا !

سعد الدين موسى كاه

البريد الأدبي

الطلاق الثلاث بلفظ واحد

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة فى (لواء الإسلام ٤ — ٦) :

لايقع الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ثلاثا ولـكن يقع طلقة واحدة.. لذلك قرر كثير من العلماء.. أنه يقع واحدة . وقد روى ذلك عن بعض الصحابة كعلى بن أبى طالب وأبى موسى الأشعرى وعبدالله ابن مسعود والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

وقال الأستاذ محمد زاهد الـكوثرى (الإشفاق ٢٣ — ٥٣) أسند ابن حزم (فى المحلى) إلى على أنه قال لمن طلق ألفاً : ثلاث تحرمها عليك ، ومثله فى سنن البيهقى . راجع المجموع الفقهى للامام زيد بن على، وأسند ابن حزم كذلك إلى عبد الله بن مسعود أنه قال بمثل ذلك، كما فى مصنف عبد الرازق وسنن البيهقى وغيرهما

وأما الزبير فابنه عبد الله من أعلم الناس به ، وهو لما سئل عن طلاق البكر ثلاثا قال للسائل : مالنا فيه قول فاذهب إلى ابن عباس وأبى هريرة فسلهما ثم ائتنا ؛ فأجابا بأن الواحدة تبينها والثلاث تحرمها ، كما فى موطأ مالك . فلو كان عنده عن أبيه أن الثلاث واحدة فى المدخول بها لما تأخر عن ذكر ماعنده ، لأن غير المدخول بها أولى بذلك الحكم .

وأنى يصح عن عبد الرحمن بن عوف خلاف مافعله هو فى طلاق امرأته الـكلبية (المحلى ١٠ — ٢٢٠) وكان طلاقه إياها ثلاثاً : حتى أن من يرى أنه لا إثم فى الجمع بين الثلاث يستدل بفعل ابن عوف هذا ، كما فى فتح القدير لابن الهمام

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبوة حديث الملاعنة الذى فى « صحيح البخارى » حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس الملاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يارسول الله ؛ فطلقها ثلاثا . ولم يرد فى رواية ما أنه صلوات الله عليه أنـكر عليه ذلك..قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنـكر ذلك عليه

وفهم البخارى كذلك من هذا الحديث مافهمته الأمة جمعاء من الوقوع حيث ساقه فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث)

أمين سراج

أكاذيب كلوب باشا

نشرت مجلة «العصبة» البرازيلية فى عددها الثانى من سنة ١٩٥٢ مقالا للصحفى الفرنسى «رينيه رانليك» الذى أوفدته مجلة «فرانس ألستراسيون» بعد مقابلته لـكلوب باشا قائد الجيش العربى فى المملكة الأردنية الهاشمية لفت نظرى التصريح الـكاذب التالى

قال كلوب باشا ردا على سؤال وجهه إليه الصحفى الباريسى : « وللفرقة العربية — يقصد الجيش العربى — فى الشرقين الأدنى والأوسط مقام خطير ، حتى أن الاعتقاد الذى كان سائداً هو أنها كانت احتلت «تل أبيب» لو لم تتوقف الحرب بين العرب واليهود ، ولـكن الـكثيرين لم يترددوا فى القول أن للانجليز يداً فى ذلك رغبة منهم بإرضاء الولايات المتحدة فى سياستها مع إسرائيل

إن الذين زعموا ذلك يجهلون حقيقة الموقف ويجهلون حالة الفرقة العربيـة فى ذلك الحين ، فقد كانوا يعدونها جيشاً حـديثاً ذا قوة عظيمة ، والحقيقة أن الفرقة العربية كانت كذلك أثنـاء الحرب العالمية الثانية ، ولـكن كثيرا من جنودها انسحبوا منها بعد توقف القتال ، فلما بدأنا الحرب الفلسطينية لم يـكن لدينا من المحاربين غير ستة آلاف رجل بينما كانت الصحف تجود علينا كرهاً بثلاثين ألف مقاتل ، ولم يكن الوقت مناسباً للتـكذيب . . والذى كان يفت فى عضدنا هو عدم تمـكننا من سد ما كان يحدث فى فرقتنا من فراغ ، وكان ينقصنا المال ، ولم تـكن لدينا قوى احتياطية ، أما ذخائرنا فلم تـكن تـكفى لأ كثر من (١٥) يوما أو (٢٠) يوما فيما لو جابهنا فيها حربا حقيقية متواصلة . أضف إلى ذلك أن القوى اليهودية انصبت فى شهر الحرب الأول على مدينـة القدس حيث كنا نناضل . . وكان ذلك من حسن الطالع ! ولما كان المصريون والعراقيون والسوريون لم يشتركوا بعد فى القتال.. كان علينا أن نتحمل وحدنا هول الصدمة . . والحقيقة أن أعداءنا اليهود لم يكونوا مدربين على القتال لتعذر ذلك عليهم بسبب وجودهم تحت الانتداب البريطانى فى فلسطين ، ولـكن عددهم كان يفوقنا بثمانية أضعاف . . . ولأنه لم يـكن لديهم غير القليل من المدافع فقد كانوا مسلحين مقابل ذلك بكميات عظيمة من الأسلحة الخفيفة

ويتضح من هذا التصريح الذى أدلى به كلوب باشا وهويلف

ويدور فى الإجابة أنه يريد أن يغطى الحقيقة المعروفة من أن سبب نكبة فلسطين هى وجود كلوب باشا على رأس الجيش العربى ، إذ لولاه ولولا مصالح بريطانيا فى سبيل إرضاء أمريكا واليهود على حساب العرب لتمكن الجيش العربى وجيش الإنقاذ من طرد اليهود وإرغامهم على ترك البلاد لأهلها خاصة بعد جلاء البريطانيين منها ، أما تمسكه بقلة الجيش العربى وذخائر الحربية فهذا محض اختلاق ، ولو رجعنا إلى الواقع لعلمنا أن جيوش الدولة العربية التى أرسلت لتحرير الديار لمقدسه كانت قادرة على التطهير لو لم يتهددها كلوب باشا بمهاجمتها من الخلف إذا ماتقدمت خطوة واحدة لاسترداد الأراضى التى احتلتها الجيوش الإسرائيلية ، فإذا كان كلوب باشا يريد بمثل هذه الأكاذيب المفضوحة أن يطمس الحقائق التاريخية فليعلم العرب أن أمثال كلوب باشا ما كانوا ولن يكونوا فى يوم من الأيام فى خدمة القضية العربية مادام هو من عبيد أسياده الإنجليز ومادام هو والمستر فلبى يريدان تكملة المهمة التى قام بها لورنس ولم يتمها ، فإذن كيف جاز له أن يخدع الرأى العام الأوربى بمثل هذه التصاريح المشوشة ؟ هذا ما أتركه إلى كتاب العرب الأحرار للتعليق عليه . وسلام على فلسطين التى أضاعها الساسة الموالون لكلوب باشا الذى كان نفسه السبب فى إقصاء الملك طلال عن عرش أبيه والذى كان لا يأتمر إلا بأمره

٢ — فى قصيدة الفيتورى

قرأت قصيدة السيد محمد مفتاح الفيتورى المنشورة فى العدد (١٠٠١) من مجلة « الرسالة » الزاهرة بعنوان (العائدون من الحرب) فاستوقفنى فيها البيت التالى :

يجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

والجرجرة كما فى لسان العرب مايلى :

الجرجرة الصوت ، والجرجرة تردد هدير الفحل وهو صوت يردده البعير فى حنجرته قال الأغلب العجلى يصف فحلا :

وهو إذا جرجر بعد الهب جرجر فى حنجرة كالحب
وهاجه كالمرجل المنكب

وجرجر ضج وصاح ، وفحل جراجر كثير الجرجرة ، وهو بعير جرجار كما تقول ثرثر الرجل فهو ثرثار . . وفى الحديث « الذى يشرب فى الإناء الفضة والذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » أى يحدر فيه ، والجرجرة صوت البعير عند الضجر

ولا أظن الأستاذ الفيتورى يقصد الجرجرة بمعناها المعروف ولكنه يقصد الجذب أو السحب وكان عليه أن يقول « يجرر خلفنا التاريخ » أليس كذلك ؟

وأوقفنى البيت التالى من القصيدة نفسها

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولكن عودة القضور

وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لكلمة (القضور) فما معناها يا أستاذ !

عبد القادر رشيد الناصرى

إلى الأستاذ على الطنطاوى

أنت — يا سيدى قاض أجمع محبوه ومبغضوه على أنه عادل ، ولذا أحببت أن أرفع إليك هذه القضية

أعرف — يا سيدى — أديباً كبيرا آتاه الله علما ، وحباه فهما ، ورزقه إيمانا ما أشد اعتزازه به وحرصه على النهوض بتبعته ، واختصه ببيان ساحر كتب أو خطب لم يختص بمثله إلا قليلا ... ومع ذلك فهو لا يؤدى حق ماأنعم الله عليه ، أو أصبح الآن لا يؤديه فقد طالما طالعنا فى الماضى من أدبه المفيد والرائع والباق ...

وأنا أعرف لماذا سكت أو « أسكت » فلم يعد يخطب أما لماذا كف عن الكتابة فلا أعرف ، هل علم الناس حتى استغنوا عن العلم ؟ ! واهتدوا حتى استغنوا عن الإرشاد ؟ ! وآمنوا حتى استغنوا عمن يقف فى أنفسهم ومجتمعهم فى وجه الإلحاد ؟ !. الخ)

كلا ، ثم كلا فالناس ما يزالون فى جهلهم بحاجة إلى العلم ، وفى ضلالهم بحاجة إلى الهدى ، وفى شكهم بحاجة إلى اليقين ، وفى أسفافهم بحاجة إلى أجنحة الأدب الرفيع ، ولكن أديبنا الكبير لا يلبى حاجتهم ولا يؤدى واجبه نحوهم ولا نحو قضية العلم والإيمان والأدب على العموم

نعم إنه يكتب هذا المقال الذى نقرؤه له كلما أوشكنا أن نقطع الأمل من وقوعنا عليه ولكنه ليس يكفى ، ولا يسد حاجة ، ولا يؤدى واجبا ، هذا كله على قدرة فيه نادرة ، وغيرة عنده

لا يتطرق إليها الشك

فهل لك — يا سيدى القاضى — أن تنظر فى هذه القضية المرفوعة إليك ضد الأديب الكبير (الذى أظن أنك عرفته أوثق المعرفة) وإلى أن تحكم عليه الحكم العادل الذى يرده إلى ميدان الجهاد ولا يحوجنى إلى أن أستأنف القضية عند شيخ الأدباء « الزيات »

دمشق — محب الدين



القلب المحطم

للكاتب الانجليزى واشنطون ارفنج

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون وتخطت بهم حدود الشباب فلم يعودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا فى جوها الزاهى حيث لا مقام لشعور أو قرار لعاطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تعدو أن تكون صورا وأقاصيص من نسج خيال القصصيين والشعراء ، إلا أن خبرتى بدخيلة النفس الانسانية تحملنى على الأزرى رأيهم ، فقد هدتنى التجارب إلى أن المرء قد يبدو فاترا باردا لشواغل الدنيا وهمومها ، وقد يطالع الناس هاشا باشا مراعاة لمراسم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادئ نيراناً كامنة ترقد فى أعماق أبرد الصدور ، وهى نيران إذا أثارها مثير احتدمت احتداما لا يعرف مداه ، وقد تسوء عقباه . الحق أنى مؤمن قوى الإيمان بذلك السلطان الأعمى ، ذاهب مع تعاليمه إلى أقصى حدودها . إنى مؤمن بالقلوب المحطمة إيمانى بأن خيبة المحب فى رجائه قد تعجل بفنائه ، ولكنى لا أرى الحب مرضا كثير الفتك ببنى جنسى ، فى حين أنى أؤمن الإيمان كله بأنه المرض الذى يصيب كثيرا من النساء اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن وما زلن فى مقتبل العمر وشرخ الشباب

إذ أن الرجل له مصالح وأطماع ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح فى معمعانها الصاخب ، والحب عنده ألهية فى مقتبل حياته ، أو أنشودة ينشدها فى أوقات فراغه ، وذلك لأنه فى شغل عنه بما يطمح إليه من شهرة ، وما يسعى وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو إليه من سؤدد بين أنداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها نهب للعواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دنياها التى تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تتمناه من مخبوء الكنوز فتطلق كل جارحة فيها للمغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفين العواطف ، فإن غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ؛ إذ معنى ذلك إفلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممضة ، وقد تجرح بعض مارق من أوتار قلبه ، وتعصف ببعض معالم هناءته ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبدد أفكاره ويصرفها بالاندماج فى دائرة الأعمال المنوعة ، كما أن فى وسعه أن ينغمس فى الملاهى والمسرات ، أو يبدل مقر سكناه إذا رأى أن المسرح الذى مثلت عليه فصول مأساته محاط بملابسات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل إلى حيث يشاء متخذا أجنحة الصباح طائرا إلى أقاصى البلاد حيث يخلد إلى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهى بالنسبة إلى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهى أكثر اصطحابا لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استحالت هذه إلى رسل ودواع للألم والحزن فإلى أين النجاء ، وأين تلقى العزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها فى حبها فمثل قلبها فى ذلك مثل القلعة تقع فى أيدى الأعداء فتنهب وتسلب وتترك خواء

كم من عين متألقة خبا ضياؤها ! كم من خد أسيل غدا شاحبا ! كم من وجه جميل ذوى وطواه الردى دون أن يدرى امرؤ السبب الذى أودى بتلك النضارة ! فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تضم الحمامة جناحيها إلى

جانبيها تخفى بهما السهم الذى يوغل فى مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادئ خجول ؛ ومهما أصابت فى حبها من توفيق فقلما تهمس به لذات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها فى الحب أودعتـه طيات صدرها وتركته هنـاك فى هم واصب بين طاول أمسها الذاهب ، فقد أخفقت آمال قلبها ، وانتهت بهجة الحياة الـكبرى عندها ، فهى عندئذ تعاف الألعـاب البهجة التى تنعش الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحيـاة والصحة فى العروق ، وهى فى حالها تلك تقلقها الأحلام السود وتفزعها فى نومها ، ويمتص الأسى دماءها حتى لتمسى جسمهـا من الوهن والهزال ينقض ويتهدم تحت أضعف مؤثر خارجى . فإذا ما سألت عنها بعد قليل وجدت الأصدقاء يبكون على قبرها وقد عاجلتها المنية فى وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك العجب كيف هبطت إلى عالم الظلام والديدان تلك التى كانت تشع منها إلى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ! فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوفاها ، وما يدرى أحد منهم ذلك المرض الفكرى الذى سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأدنى المؤثرات

مثلها مثل الدوحـة الفينانة تزهر الغابة بها وتزدان ، تقف رشيقة القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لبها فيسرع إليها الذبول حين يرجى إشراق نضرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها إلى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة إلى أن تضمحل وتموت فتهوى فى سـكون الغاب . فإذا ما تأملنا هذه الأدواح الجميلة أخفقنا فى تعليل ميتتها ، محاولين عبثاً أن نذكر تلك العاصفة التى عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التى لعلها تكون قد صعقتها

لقد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سريعة نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاختفين من الوجود على مهل كأنهن تبخرن فى الهواء . ولقد ظننت مراراً أنى أصبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن إلى آلام السل المهلكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى الهزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولـكنى وجدت فى النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضيعة الأمل

كل يذكر ولا ريب قصة ذلك البطل الأرلندى الشاب « ا . . » فهى قصة كان وقعها أليما بحيث لا يمكن أن تنسى سريعا ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات الأرلندية متهماً بالخيـانة ونفذ فيه حكم الإعدام بالشنق ، وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق فى قلوب الجمهور ، إذ كان شابا فى ميعة الصبى وزهرة الشباب ، متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه كل ما يحب فى الفتى من كريم السجايا وحميد الصفات ، كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته وإقدامه ؛ وكان لغضبته النبيلة فى دفع تهمة الخيانة عن نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال المقبلة وهو فى موقف الاتهام وساعة اليأس.. صدى مدو فى أعماق كل صدر كريم ، حتى أن أعداءه أنفسهم ندموا بتلك السياسة النكراء التى قضت عليه بالقتل

ولـكن قلباً واحداً بين هذه القلوب فاقت حسرته ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة الجميلة ابنة أحد مشاهير المحامين الأرلنديين التى كان قد نال حبها أيام سعده وتوفيقه ، وكانت هى قد أحبته لأول ما أحبت بتلك الحماسة التى تحب بها المرأة حبهـا الأول فى مقتبل أيامها . لقـد كانت تحبه أيام محنتـه ، أيام تألبت عليه أقاويل النـاس وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بمـاله ، وتهدد العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب . ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فـكيف بها اليوم وكيف ألمها وهى التى كانت تهيم بطيفه وتشغف بخياله . وقـــد حرك المصاب نفوس عداته ، سل عن ذلك من سدت أبواب القبر بغتة فى وجهه ، وفرقت بينه وبين من لم يعدل به ويحبه أحداً ، وقد جثا على حافة القبر كالمطرود فى دنيا باردة موحشة ذهب عنها كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

يالهوله من قبر ! كم هو مهين ! وقد خلت الذاكرة مما عساه أن يخفف غصة الفراق . ولم تستطع تلك الملابسات الوديعة وإن خالطها الغم ، أن تذيب ذلك الحزن فى تلك الدموع المباركة التى تنزل كالطل من السماء برداً وسلاماً على القلب فى ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد فى وحشة حياتها أن تلك الصلة قـد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته . ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف أن يهبنها عطفهن ، لما أعوزها العزاء ؛ فالأرلنديون قوم حساسو النفوس كريمو الشعور . ولقد مـدت

إليها بيوتات كريمة يد المعونة وأحطنها برقيق الرعاية وقدمنها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها بشتى الملاهى والمسرات ليزول عنها حزنها ولتبعد عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً فى عبث ، فإن من النكبات مايتلف النفس ويذويها وينفذ إلى منبت السعادة فيسحقه سحقاً فلا يعود إلى إنبات . أما هى فلم تأب التردد على منتديات السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها موكولة إلى أساها ، فكانت تسير فى وجوم يغيب فيه الشعور بالدنيا التى تموج حولها ، وكانت تحمل فى نفسها على الدوام هما دفينا يسخر بمداعبات الصديقات ، ولا تحفل بسحر الغناء ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لى قصتها فى « كرنفال » وقد أخبرنى أنه لم ير منظراً للبؤس أكثر إيلاماً للنفس من رؤيتها فى هذا الحفل الحافل تمشى كالخيال الضارع وحيدة كئيبة؛ بينما كل ماحولها زاه بهيج ، وقال لى إنه رآها تلبس حلل المرح فى حين تسير ساهمة الوجه ممتقعة اللون يغمرها الأسى كأنما تحاول عبثا أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه المقيم . وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت إلى الفضاء برهة وهى شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بجمال الناظر من حولها ، أخذت تغنى ، شأن القلب العليل فى تقلب أطواره ، فكان شدوها باكيا ، لقد كان صوتها رخيما إلا أنه فى هـذه المرة كان مؤثرا بسيطا ، فتنفست عن نفس بائسة ، والتف حولها الجميع وساد السكون ، فأذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة سيدة على ذلك الإخلاص وهذا التفانى لا بد أن تثير إعجاب الناس فى بلد عرف أهلوه بالحماسة والوفاء ، فأحبها وأغرم بها ضابط باسل خطبها وهو يحدث نفسه بأن من كانت تظهر هـذا الإخلاص للميت ، تظهر ولاشك مثل هذا الإخلاص للحى، إلا أنها خيبت أمله فى ذلك إذ لم يكن فى وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها الأول! على أنه أصر على طلبه قائلا : إنه يكفيه منها التقدير بديلا عن الحب . وساعده عليها اقتناعها بجدارته وعوزها واعتمادها على الغير إذ كانت تعيش على ماتجود به الصديقات ، فنجح فى النهاية فى الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن قلبها مازال ملكا لغيره ولا سبيل إلى صده عن هواه

سافر بها إلى صقلية لعل تبديل المناظر يمحو ذكرياتها القديمة، ولقد كانت رقيقة القلب مثال الزوجة الصالحة ؛ فحاولت أن تسعد بزواجها ، إلا أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الكامن لم ينجح فيهما علاج

فذبلت رويدا رويدا ، وأخذ منها الهزال مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل فى البرء منه وهوت أخيراً إلى قبرها ضحية القلب المحطم

وقد نظم فيها مور الشاعر الأرلندى الشهير أبياته الآتية :

بعيدة عن الأرض التى بها مثوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،
إلا أنها تشيح عنهم بوجهها وتأخذ فى النحيب ،
فقد علق قلبها بالثرى الذى ضم الحبيب ،

***

تنشد أغانى الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء ،
مؤثرة ما كان يحبه من بين تلك الأنغام .
آه ليس يدرى أولئك المعجبون بألحانها
كم يتمزق قلبها وهى تشدو بأنغامها !

***

عاش لحبه ومات فى سبيل بلاده ،
وكان هذان كل ما يعنيه من دنياه ؛
وسوف لا تجف عاجلاً دموع بلاده عليه .
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

***

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذن بغيابها بدنو غد موموق ،
حتى تضئ عليها فى ضجعتها كبسمة من المغرب
من جزيرة الأحزان التى أحبتها وعلقت بها

ح . ك

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠٦ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

ثورة فيها ريح النبوة ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١١٣٣

الطلاق وتعدد الزوجات ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١١٣٤

الداء والدواء ... ... : للدكتور فضلو حيدر ١١٣٧

نابليون .. وجنوده .. وقواده : للأستاذ عبد القادر حميده ... ١١٤٠

شلر ... لتوماس كارليل ... ... : ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت ١١٤٤

فى بلاد الأحرار ... ... : « أغا أغلو أحمد ١١٤٨

الوجود السجين ... (قصيدة) : « محمد فوزى العنتيل ... ١١٥١

المـلوثون ... ... (قصيدة) : للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى ١١٥١

(الأدب والفن فى أسبوع) — عودة العميد — الأعداد الثلاثة ١١٥٢
— مفخرة الجيل ... ...

(الكتب) — عصر سلاطين المماليك — تأليف الأستاذ محمود رزق سليم ١١٥٥
— للأستاذ محمد رجب البيومى ... ...

(البريد الأدبى) — إلى صاحب الفضيلة وزير الأوقاف — التربية ١١٥٧
والتعليم — نحو مجتمع سليم — تحية .. وإعجاب ...

(القصص)— العش الخالى — عن الإنجليزية — ... ...

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجــــــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب. وحسن اختيار، ودقة ترجمة، ونخامة مظهر

وفى يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى، فى الشكل، والموضوع، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1006

Le Caire 13 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٧٢ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

ثورة فيها ريح النبوة

كل نبوّة كانت ثورة . ومن أخص ما ميز ثورات النبوات أنها كانت للسلام العام والصلاح المطلق . فلا تجد نبيا دعا إلى عرض الدنيا ، ولا رسولا سعى إلى سلطان الحكم . إنما كان الأنبياء والمرسلون جند لله ، يعملون بوحيه ، ويهتدون بهديه . عقيدتهم الحق ، ودعوتهم الصدق ، وعدّتهم الصبر ، ووجهتهم الخير ، وطريقهم التضحية . فلما ختم الله رسالاتهم برسالة محمد كتب على نفسه الرحمة أن يرسل إلى الناس في كل حقبة مصلحا يؤدبه بأدب الأنبياء ، ويجريه على منهاج الرسل ، ليجدد ما درس من نهجه ، ويبين ما غمض من طريقه . وشأنه سبحانه في إعداد المصلحين كشأنه تعالى في إعداد النبيين ، يصنعهم على عينه ، ويطبعهم على دينه ؛ حتى إذا ضعف سلطان العقل ، واختل ميزان العدل ، وعميت على الناس وجوه الرشد ، أظهر هذا المصلح من بين رجال السيف في أكثر الحالات ، لأنهم بحكم تنشئتهم أصحاب فداء ومضاء ، وألاّف نظام وعمل ، وأحلاف شرف ومجد . يطلبون الحياة بالموت ، ويرحضون الرجس بالدم ، ويقرنون الرأي بالعزيمة . ولم تجتمع هذه الصفات لأحد قبل اللواء محمد نجيب وصحبه . وسر ذلك أنهم نشأوا في طبقة الفلاحين الكادحين فعرفوا كيف يكون الحرمان ، وعملوا تحت إمرة المستكبرين المستهترين فعلموا كيف يكون الطغيان ، وأضاءت قلوبهم النقية إشراقة من نور الله ، فرأوا من تحت الظلام الكثيف المخيف عرش مصر يرتطم في القذر ، وجيش مصر يضطرب في الفساد ، وشعب مصر يتمرغ في الذل ، فشبوا شبوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ، وهبّوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تغرق المركب . ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فحطموا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغنى كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد . ثم أذاقوا الناس لأول مرة في تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة ، ثم ظلوا كما كانوا قانعين متواضعين ، يظهرون في المجامع من غير أبهة ، ويمشون في الشوارع من غير حرس ، ويختلطون بالسواد من غير حرج . ثم لا يمدون أعينهم إلى نعيم ، ولا يبسطون أيديهم إلى ثراء . فهل يجوز بعد أولئك كله أن يعيدونا إلى ثرثرة الأحزاب وسمسرة النواب ومهزلة الزعامة ؟

لا يا سيد محمد نجيب ! إن الله جعل في يديك أمانة هذه الأمة فلا تلق بها إلى من خانوها من قبل ! إنك تريد (الاتحاد) وهم يريدون الفرقة . وإنك تريد (النظام) وهم يريدون الفوضى . وإنك تريد (العمل) وهم يريدون الكلام ! فهل يستوى الوفي والغادر ، أم هل يستوى البر والفاجر ؟

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

الطلاق وتعدد الزوجات

للأستاذ محمد عبد الله السمان

انقرض العهد البائد إلى غير رجعة . وقد كان عقبة كأداء فى سبيل أية حركة إصلاحية كان ينشدها أو يلوح بها المخلصون لهذا البلد ، وأصبح السبيل اليوم ممهدا لكل وثبة إصلاحية . بعد أن وهب الله لأمور هذا البلد ولاة تمتزج أحاسيسهم بأحاسيس الشعب . وعواطفهم بعواطفه ؛ وترحب عقولهم بنزعات الإصلاح وبرامج المصلحين ، وتستجيب قلوبهم لكل حركة إصلاحية من شأنها أن تنهض بالمجتمع وتسعده

والذى لا شك فيه أن الإسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا يرحب بالإصلاح ويبارك موكبه ، لأنه دعوة إصلاحية شاملة تهدف إلى إقامة مجتمع نظيف مستقر على أسس متينة صالحة ، وتسعى جادة الى إسعاد البشرية قاطبة فى هذا الوجود ، ولسنا فى حاجة إلى دليل بعد أن أوضح كتاب الله الهدف من الرسالة المحمدية حين قال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » — وإن كان ثمة فريق من المسلمين مريض بالتزمت فى غير فقه ، وبالجهل فى حمق وسفه ، يأبى إلا أن يجعل من الإسلام عقبة فى سبيل الإصلاح ، فليس من الإنصاف أن يعتبر هذا الفريق حجة على الإسلام — وجهله المطبق مدعاة لتجريح الإسلام ، والنيل منه ، والصد عن سلوك مناهجه والاستخفاف بها !

يدفعنى إلى هذا التمهيد مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات التى تظهر اليوم من جديد على المسرح ، وقد نادى المصلحون من قبل بعلاجها ، وكان المسئولون السابقون يصمون آذانهم عن هذا النداء ، متذرعين بالجبن ، خشية أن يثير الإصلاح جيوش التزمت من رجال الدين وأدعياء الدفاع عن الإسلام — أما الآن فلا نظن أن حكومة الثورة تخشى فى سبيل الإصلاح ثورة تلك الجيوش الراكدة ، وقد أخذت المشكلة طريقها إلى الجد لعلاجها ، وهناك فى وزارة الشؤون الاجتماعية دراسات بشأنها ، نرجو أن تظهر فى القريب العاجل ثمراتها ، مما يحقق لمجتمعنا الإصلاح الذى ينشده كل وطنى يبغى الخير لوطنه

والمشغولون بهذه المشكلة طوائف ثلاث : طائفة مغالية تنادى بتقييد الطلاق تقييدا صريحا حاسما ، والقضاء على تشريع التعدد قضاء مبرما ، وهذه الطائفة مسرفة إسرافا يجعلنا لا نسلم مطلقا بمشروعها ، ولا نطمئن إلى تفكيرها ، إلا إذا رضينا المهانة لشريعتنا وحاشا أن نرضاها لها ، فما جاءت به هذه الشريعة الغراء من تشريعات لابد أن يكون فى جميعه مصلحة البشر ، وإلا كان البعض حشوا لا جدوى من وجوده .. وطائفة ثانية تشاطر الأولى الغلو والإسراف ، فهى تأبى إلا أن يظل الطلاق وتعدد الزوجات مباحين مطلقين ، حتى ولو أساء الجهلة استغلالها ، فأصبح ضررها أكثر من نفعها ، وأرسيا بناء المجتمع على قواعد مضطربة متراقصة ، ونحن أيضا لا نقر هذه الطائفة على تزمتها لأنها بتفكيرها تحكم على الإسلام بالجمود ، وتسيء إلى شريعته التى لم تكن إلا لصالح البشر .. أما الطائفة الثالثة فمعتدلة متزنة ، ناضرة الفكر ، تعمل على أن تحقق للاصلاح حسن ظنه بالإسلام ، وتثبت للعالم أن الإسلام يقر الإصلاح لأنه هدفه ، ويتطور معه لأنه دين حنيف ، يسر لا عسر ، ومرن سهل لا جمود فيه ولا تعقيد ، وهذه ترى إزاء فوضى أشياع الطلاق والتعدد — ألا يقدم جاهل على الطلاق إذا لم يكن هناك باعث عليه ، ولا على تعدد الزوجات إلا إذا كانت هناك حاجة ماسة إليه ، وبذلك يمكن وضع حد لاستخفاف المستخفين بشرعة الله عز وجل

إن الإسلام يعتبر كلا من الطلاق وتعدد الزوجات رخصة فحسب ، يأخذ بها ويأتيها المضطر ، كالرخصة للجائع بتناول المحرمات متى لم يجد سواها . وقد جاء فى سورة البقرة : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم » كما جاء فى آية أخرى من سورة المائدة : « حرمت عليكم الميتة والدم

ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة . . . . فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . » فإذا اضطر الإنسان إلى أن يفارق زوجه فارقها بالمعروف ، وإذا كانت هناك حاجة ماسة تضطره إلى أن يعدد فى الزواج عدد محققا العدالة بين أزواجه ، والشرع لم يبح له الرخصة إلا ليخلصه من الحرج فى حياته ، ويضمن له العيش الهادئ المستقر

والإسلام لم يجعل من الطلاق معولا لهدم كيان الأسرة ، ولا سلاحا لتمزيق أواصر الزوجية ، وهو الذى وضع للأسرة من التشريع مايصون بناءها ، وللزوجية مايقوى رابطتها . وأنت إذا تدبرت بعض آيات القرآن الكريم وجدتها تقدس الرابطة الزوجية بوجه خاص ، حين تشير إلى أن هناك امتزاجا بين الزوجين أزليا قديما منذ آدم وحواء..وهذا الامتزاج سيحل بكل زوجين ليعتز كل منهما بالرابطة المقدسة التى ربطت بينهما ، ويعمل على صونها من العبث الذى يطوح بها : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . . » — « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها . . . » — «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »

إذن فما كان الإسلام ، وهذا شأنه — ليجعل من الطلاق معولا لهدم الأسرة ، ولا سلاحا بشهرة الجاهل والأحمق على رابطة الزوجية المقدسة كلما دفعه جهله وحمقه ، ولكنه جعله أبغض الحلال إلى الله فى قوله عليه الصلاة والسلام : « إن أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » ونهى عنه إلا من ريبة تحوم حول الزوجة فى قوله عليه السلام : « لا تطلقوا النساء من ريبة ، فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات . » والإسلام ليحرص على بناء الزوجية وضع كثيرا من العراقيل فى سبيل الطلاق الذى يفرق بين الزوجين ، فقد جعل الطلاق مرتين ليوجد فرصة للصلح ، ودعا إلى تأليف حكمين من أهله وأهلها حين يدب الخلاف ليعملا على الصلح بينهما

وكما أن الإسلام رخص بالطلاق لضرورة تقتضيها مصلحة أحد الزوجين ، أو كليهما ، كذلك رخص للزوج بتعدد الأزواج لحاجة تقتضيها مصلحته هو ، أو مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، فإذا انتفت المصلحة فى الحالين لم يكن ثمة لزوم للرخصة ، وإذا أسيء استغلال الرخصة فأثمرت الضرر والضرار ، كان هذا أدعى إلى إزالتها وإلغائها

وحين يرى المصلحون اليوم وجوب إصدار تشريع يقضى بتحريم الطلاق إلا لضرورة تقتضيها المصلحة . لا يكونون بما يرون متجنين على الشريعة الإسلامية ، وهم لا يرغبون إلا فى أن تتدخل المحكمة أو ما إليها فى مسألة الطلاق ، حتى تقضى على عبث العابثين وطيش الطائشين ، والقرآن نفسه دعا إلى تأليف حكم من أهل الزوج وحكم من أهل زوجة إذا دب شقاق بينهما ، ليتدخلا فى الأمر حتى يصلحا بينهما «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » وذلك ليحول الحكمان بينهما وبين الضرار الذى قد يلحقهما، ومن حقهما أن يقررا الصلح إذا رأيا الخير فيه، أو الفراق لمنع الضرر والضرار . وقد كان رسول الله (ص) حكما فى قضية حبيبة بنت سهل وزوجها ثابت بن قيس وفرق بينهما ، كما كان حكما فى قضية زينب بنت جحش وزوجها زيد ، وحثهما على التوافق حتى قضى الله أمرا كان مفعولا ، وبعث عثمان بن عفان ابن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة ، وقال لهما : «عليكما إن رأيتما أن تفرقا بينهما فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما . . . »

وحين يرى المصلحون أيضا وجوب إصدار تشريع يقضى بتقييد الرجل بزوجة واحدة ، إلا إذا كانت هناك حاجة ماسة، لا يكونون بما يرون متجنين على الإسلام ، لأن الإسلام قصد بهذه الرخصة مصلحة الفرد أو المجتمع ، فإذا لم تتحقق المصلحة لم يكن هناك داع إلى إتيان هذه الرخصة ، ولا يعتبر هؤلاء المصلحون بما يرون داعين إلى هدم شرائع الله عز وجل ، فقد نهى رسول الله (ص) أن تقطع الأيدى فى الغزو ، خشية أن يترتب على إقامة الحد ماهو أبغض إلى الله من تعطيله ، ولم يكن رسول الله (ص) هادما

لشريعة الله بالطبع ، وقد أوقف عمر حد السرقة فى عام المجاعة ، وحذف سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات وهو ثابت لهم فى كتاب الله ، ولم يكن عمر فى هذين الإجراءين هادما لشرع الله ، وهو يبغى إزالة الضرر والضرار أو تحقيق المصلحة العامة ، بل إن عمر لما رأى الناس يسرفون إسرافا بغيضا فى النطق بالطلاق الثلاث فى لفظ واحد ، مطمئنين إلى أنه لن يقع إلا طلاقا واحدا ، كما كان على عهد الرسول وأبى بكر — أمضاه ثلاث طلقات حتى يرتدع الناس ويتحرجوا ، ولم يكن هادما لشرع الله وهو يبغى الحد من الإسراف فى الطلاق ، وقال فى هذا : « إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ثم أمضاه

إن الجهلة قد استغلوا رخصتى الطلاق والتعدد أسوأ استغلال حتى شوهوا شريعة الله ، فوجب أن تحرما عليهم كما يحرم على السفهاء استغلال أموالهم ، وأسهموا بأكبر قسط فى اضطراب المجتمع بوثيقة من الإسلام زوروها بجهلهم وسفههم وحمقهم ، فوجب أن تنتزع من أيديهم — إن طوعا وإن كرها — حتى يعود للمجتمع استقراره من جديد ، فلم يكن الطلاق فى الإسلام وسيلة من وسائل الهدم — ولكنه إجراء محظور يلجأ إليه المضطر ولا يمنح الجاهل والسفيه ، وقد قال ابن عابدين من فقهاء الحنفية : « وأما الطلاق فالأصل فيه الحظر — أى الحرمة — والإباحة للحاجة إلى الخلاص ، فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة إلى الخلاص، بل يكون حمقا وسفاهة رأى، ومجرد كفران للنعمة» ولم يكن المقصود من إباحة التعدد أن يكون ذريعة إلى الإخلال بالمجتمع ، ولا فرصة للجاهل والسفيه يلهوان ويعبثان ، إنما المقصود منه أن يحقق مصلحة الفرد أو المجتمع ، فإذا انقلبت الأوضاع بإساءة استغلال الإباحة ، كان لزاما على ولاة الأمور أن يصونوا رخصة التعدد حتى يصونوا شريعة الله عز وجل . وللامام محمد عبده كلام فى هذا الصدد ، فبعد أن عدد المآسى الناتجة من فوضى التعدد ، قال :

«أما والأمر على ما نرى ونسمع فلا سبيل إلى تربية أمة مع فشو تعدد الزوجات فيها ، فيجب على العلماء النظر فى هذه المسألة خصوصا الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم ، فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم ، وأن من أصوله منع الضرر والضرار ، فإذا ترتب على شىء مفسدة فى زمن لم تكن تلحقه فيما قبله ، فلا شك فى وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحالة الحاضرة : يعنى على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . . » اه من تفسير المنار ج ٣

وبعد — فإن الإسلام الصحيح ليساير الإصلاح حيثما حل، وفى استطاعة علمائه ذوى الأفكار الناضرة أن يجعلوا الإسلام يتزعم الإصلاح ويقود موكبه ، ونحن اليوم فى الطريق إلى تكوين مجتمع نظيف سليم مستقر ينعم بحياته ويعتز بها ، ويفخر به الإسلام لأنه ثمرة من ثمرات تربيته وتنشئته وتوجيهه !

محمد عبد الله السمان

الداء والدواء

للدكتور فضلو حيدر

محاضرة ألقاها فى منتدى البردونى

مهما اختلفت مشاربنا السياسية واعتقاداتنا الدينية ومعارفنا العلمية فأهداف الإنسان واحدة تنحصر كلها بحفظ الذات وضمانة الحياة والتمتع بمقام اجتماعى مرموق

ويحول دون الوصول إلى هذه الأهداف عقبات جمة أقواها وأضرها الجهل . فجهل المرأة مثلا يعنى جهل النشء وانحطاط التربية والثقافة فى الأمة . ويصح أن تكون ثقافة المرأة قياسا للمدنيات نظراً لما للأم من التأثير فى نشوء الأمم

ومن الأمثلة التى توضح جهل الجماعات معدل العمر فى الشعوب . لقد كان معدل عمر الأوربى فى القرون الوسطى تسع عشرة سنة تقريبا . أما اليوم فقد ناهز السبعين من السنين . أما فى الشرق الأدنى فلا يزال معدل عمر الإنسان نحو الثلاثين . وكلنا نعلم بأن هـذا الاختلاف المخيف فى الأعمار بين الغرب والشرق ، أى بين السبعين والثلاثين ، لا ينطبق تماما على قول الشاعر العربى :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

بل يعود إلى الوعى الصحى فى الأمة وإلى المعارف الطبية . فليقدر كل منا الخسارة الهائلة التى يضرب بها الشرق بموت أطفاله وشبانه قبل الأوان

وبما أن وقت المحاضرة محدود فسأحصر حديثى الليلة فى المعارف الصحية

فماذا يجب أن يعلم كل منا عن العيلة ؟

العيلة أساس المدنيات . وغايتها القصوى ضمانة النسل وحقوق الأولاد الاجتماعية وتربيتهم تربية صحيحة صحيا وسلوكيا ومعرفيا

ولذلك يجب أن يفحص الطالب قبل زواجه ضمانا لحياته وسلامة للنسل . ومع أن روابط العيلة مقدسة فى الأديان وتضمنها نظامات اجتماعية فى الأمم المتمدنة ، فإن العيلة لن تثبت واقيا على أسس متينة إن لم ترتكز على صفات نفسانية مغروسة غرساً صالحا بالتربية الراقية الواعية . وذلك يشير إلى تربية الأنانية والجنسية . أى يجب أن نحول الأنانية والجنسية من نوازعها الفطرية إلى الحب والاحترام بين الجنسين . فتوجه الأنانية من « ليتك تموتين قبلما أعطس أنا » إلى عاطفة التعاون والمشاركة وإنكار الذات ضنا بسلامة العيلة وسعادتها وتقديسا لغايتها القصوى . فكيف يمكن أن تثبت العيلة فى المجتمع إذا كان هم كل من الشريكين محصوراً فى فرض سلطته وإبراز رأيه . وكم من الشبان يجهلون غاية الزواج وماهية الأب والأم فى العيلة والمجتمع . وكم ينتج عن هذا الجهل من التعاسة والإجرام فى المجتمع

ومن أقدس واجبات الوالدين تربية أبنائهم وتدريبهم على الأساليب الصحيحة النافعة فى الحياة ، ورعايتهم إلى أن تصبح تلك الأساليب عادات ثابتة يسير النشء بموجبها بديهيا كالغرائز لمنفعته الصحية والاجتماعية والعملية . فاتقاء الأمراض مثلا يصبح بالتربية عادة تعمل يوميا بدون تفكير أو تفسير.. كغسل اليدين قبل الطعام وبعـده ، وتنظيف الفم بعد الأكل وقبل النوم ، والاستحمام يوميا . وقس على ذلك كل العادات والتقاليد من اجتماعية ودينية ، والأعمال والحرف اليومية كسياقة السيارة وآداب المائدة والرقص والموسيقى والمحافظة على النظام والمواعيد واحترام حقوق الغير — كلها تكمل متى أصبحت عادة

ومن واجبات الوالدين الاهتمام بحواس الأولاد كالسمع والبصر لأنها مداخل المعرفة ، وأى نقص فيها يؤدى إلى تأخر الولد فى نموه العقلى والسلوكى فى البيت والمدرسة والمجتمع . وكذلك يجب أن يعالج أى تشوش كان فى النطق والحركة وهى سبل النجاح فى البيئة كى لا يصبح الولد أضحوكة بين رفاقه

وعلى الوالدين أن ينتبهوا إلى سلوك البنين فى اللعب والدرس والعمل؛ إذ كم من المرات يكون فشل الولد وبكاؤه وكسله وحزنه

ناتجا عن ضعف صحته أو نقص غذائه أو فقر دمه أو تشوش في حواسه

واعوجاج السلوك يستوجب علاج النفس بسبل علمية ، لا بالانتهار والقصاص والضرب ، لأن هذه العلاجات تؤدي إلى زيادة إدماء الوجدان واعوجاج السلوك في الكبر

وضروري أن يفحص الولد طبيا في فترات متعددة وطبعا كلما دعت حالته الصحية ، كي لا يداوى ألم البطن بشربة وهو من التهاب الزائدة ، ولا القيء بلزقة وهو من مرض السحايا الدماغية (مننجيت)

ويفحص الطفل في الحول الأول مرة كل شهر يدون فيها وزنه ونموه الجسدي والعقلي والعاطفي

فالتربية أي السلوك الحسن والقبيح هي حظنا في الحياة من لطفاء أو ثقلاء ، وناجحين أو حابطين . وفي الصغر يمكننا أن نربي مثلا روح التعاون بتعويد الأولاد أن يلعبوا ويعملوا جماعات أو العكس بالعكس ، أو أن نربي الخوف بزيادة الإرهاب والتعذيب ، أو أن نربي الخمول والقناعة في التفكير والتفسير بانتهار الولد كلما سأل مستعلما ، وبإعطائه تفسيرا سخيفا يغلق في ذهنه باب الحشرية ، والتطاول بدلا من إنعاش روح الشك والبحث والتحري بحسن التفسير والتشويق والمكافأة والتشجيع والمساعدة . وقس على ذلك تربية طابع الحسد والغيرة والنقمة، أو خلق عمل الواجب واحترام حقوق الجماعة وكلها أمور فعالة في مستقبل النشء ونجاحه أو إخفاقه

والخلاصة أن صفاتنا من حسنة أو قبيحة ومعارفنا من عالية أو سافلة لم تولد معنا . وما يتبجح به المتمدن من ثقافة راقية على الهمجي والأمي لم يولد معه ؛ بل اكتسبه في البيت والمدرسة والمجتمع

وسأنتقل الآن بكم من الصغار إلى الكبار . فماذا يجب أن يعلم كل منكم عن إطالة العمر ؟

(١) الأمراض السارية

لا مفر من الموت . ولكن من الممكنات أن يعيش الإنسان مدة قرن متمتعا بصحة جسدية وعقلية ونفسانية لا بأس بها .

لقد كانت الأمراض السارية كالطاعون والجدري والكولرا والسل في الماضي القريب من أكثر مسببات الوفيات . أما اليوم فقد تغلب عليها الطب تقريباً في كل العالم . فبعضها قد زال والبعض الآخر قد ضعف فتكه . كذلك قد زالت تقريباً أمراض الأطفال التي كانت تحصد الأرواح في السنين الأولى من العمر بفضل انتشار المعارف الصحية بين الشعب ، وتقدم العلوم الطبية في الغذاء والدواء والوقاية

والوقاية خير من العلاج . فالوقاية العمومية من واجبات الحكومات ومنها الحجر الصحي وتجفيف المستنقعات وتصفية مياه الشرب وتنقية المراحيض وتعقيم أو حرق فضلات المدينة . فالوقاية العمومية أراحت الإنسان المتمدن من البرغش والذباب والهوام وغيرها من ناقلات المكروبات ؛ وبفضلها تلاشت في العالم الملاريا والحمى الصفراء والكولرا والتيفوئيد

ومن سبل الوقاية في بعض الأمراض القتالة التطعيم ؛ فهو يولد في الجسم مناعة تامة في الجدري والكلَب ، وجزئية ومؤقتة في الخناق (ديفتريا) والتيفوئيد والشهقة وغير مقررة في السل

ومن طرق الوقاية العابرة حقن المصول في الخناق والكزاز ، ونقل دم الإنسان الصحيح أو مصل دمه أو غلوبيونينه إلى الأولاد المعرضين في حميات الأطفال القتالة كالشاهوق الخبيث والحميرة السوداء

ومن سبل الوقاية المؤقتة الابتعاد عن المرضى . ولرب سائل يقول : هل الأفضل إبعاد الأولاد عن إخوانهم المرضى في « مواسم » الحميات أو تركهم على الطبيعة ؟ أقول : إن الأفضل تركهم إلا إذا كان الوافد شديد الوطأة . وعدا ذلك لا خوف على حياتهم . فلا فائدة من الإبعاد لأن تلك الأمراض ستعودهم كباراً حيث تكون أشد خطراً كالحميرة الألمانية (Rubella) مثلا ؛ فإنه مرض بسيط للغاية في الصغار ولكنه في الحبالى يسبب أحيانا تغيرات عصبية في الجنين تظهر فيه بعدئذ عاهات عقلية . وكذلك مرض

أبو كعيب فإنه سهل فى الأولاد ولكنه يسبب فى البالغين أحيانا العقم والاختلاطات الدماغية والكلوية

ولا يزال السل من الأمراض القتالة بالرغم عن « الستربتومسين » و « الباز » ومركبات « الايزونكوتنيكو » كا « لريميفون » و « النيدرازيل » والجراحة . والوقاية منه تكون بحسن التغذية والحياة الصحية والتطعيم . ومن الضرورى اكتشافه باكرا لمنع العدوى وسهولة الشفاء . ولذلك كان من الواجب فحص التلاميذ والعمال با « لتيوبركولين » والأشعة والفحص الطبى العادى مرة كل سنة على الأقل فى الأحوال الصحية

(٢) السرطان

وماذا أخبركم عن السرطان ؟ فقد زاد عدد ضحاياه فى هذا العصر . ومع أننا نجهل سببه فإننا نعلم شيئا عن بعض العوامل التى تهىء حدوثه أو تحبذه كالتحريش المزمن (مثلا بين اللسان والأضراس النخرة) والالتهابات المزمنة ، والقروح القديمة والبثور الطويلة العهد . ويزعم بعض الأطباء أن اختلالا ما فى إفرازات الغدد التناسلية يوقظ بعض الخلايا العادية أو الامبريولوجية فيسرطنها

والوقاية منه تكون بمنع الأسباب المحبذة حدوثه ، كمعالجة الأسنان النخرة والالتهابات المزمنة والثآليل المعرضة للفرك والاحتكاك ، وباتباع نظام صحى بأن يزور الإنسان طبيبه مرتين سنويا بعد الخمسين من العمر فى حالته الصحية

والسرطان قابل الشفاء إذا اكتشف باكرا ؛ أى عندما يكون محصوراً أى قبلما ينتشر بالأنسجة المجاورة أو البعيدة . والسرطان الخارجى — الجلدى مثلا — يشفى بمعدل ٩٠ بالمئة لسهولة اكتشافه . وكلما بعد وقت تشخيصه نقص ، لسوء الحظ ، الأمل بشفائه

وأهم علاجاته إلى اليوم الجراحة والأشعة والمعادن المشعة ونزع الغدد التناسلية (الخصى الجراحى) وحقن الخلاصات التناسلية من جنس مخالف لجنس المريض . وعلماء السرطان تبحثه ليل نهار ، وأملنا كبير بأنهم سينتصرون قريباً على هذه الآفة القتالة

(٣) الشيخوخة

وهنالك مصائب عديدة غير الأمراض المعدية والسرطان تقرب الأجل ؛ تحدث من تغيرات عضوية فى القلب والشرايين والكبد والكلى ندعوها أمراض الشيخوخة

ومع أن طول العمر ورائى فإنه يتراوح فزيولوجيا حول المئة من السنين . ولكن لا يصل الإنسان عادة إلى هذا الحد لأسباب طارئة من متاعب الحياة فتبخر السنون قبل أوانها . فكيف نتمكن من إبعاد حلول الشيخوخة ؟

للكلام بقية — فضلو حبير

من سير الخالدين

نابليون .. وجنوده .. وقواده .. !

للأستاذ عبد القادر حميده

شرع الكتاب فى هذه الأيام أقلامهم .. بعد أن غمسوها فى مراجع التاريخ .. ينقلون عن صفحاته وسطوره سيرا ملوثة لملوك غابرين .. فيعددون مساوئ هـذا .. ويرددون هفوات ذاك .. وعلى الجملة فهم يقدمون إلى القراء حياة تضج بالشهوة .. وتزخر بالفسق .. وتحفل بالفجور ..!! حياة لا تهدف إلا للمتعة .. ولا تنشد إلا العبث .. وفى اعتقادى أن مثل هذه النقائص المنتقاة من كتب التاريخ .. التى تعرض اليوم على الأعين .. وتلقى على الآذان . . لاتحط إطلاقا من قيمة الملك السابق . . ولا تصيب منه مرى .. لأنه سيشعر – على الأقل – بأنه لم يقترف هذا الجرم وحده .. بل سبقه ملوك سالفون .. لم يبلغوا ما بلغه من الترف والأبهة . . وتلك لعمرى مؤهلات العربدة ..!! كان الأحرى بالكتاب ... أن يتخذوا من صفحات الجرائد لوحات يسيطرون عليها أمثلة من .. الشرف .. والعفة .. والكرامة .. والنزاهة .. وكراهية الذات .. والحنو على الشعب .!! لأناس دستورهم هذا ، ولدينا كتب التاريخ حافلة ، وبهذا يدرك الملك السابق كما يطمئن جمهرة الناس إلى أنه طرق باب النزوات وحده، وسلك دروب الشيطان بمفرده ، وانساق أمام تيار جارف من النشوة الزائلة ، لا تحوطه إلا حاشية لم تكن تريد إلا تحقيق أطماعهم الشخصية .. ولو على حساب تلويث صفحة تاريخية . !

وحين يدرك فاروق أنه وحده نشز عن طبيعة الخلق – بعد أن يدرك القراء أيضا – سيتضاعف شعوره بالألم – إن كان لديه بقية من ضمير – ويحس بالوخز أشد إيلاما ، وأحد نصلا ! وإنى إذ أقدم اليوم إلى قراء الرسالة جانبا من حياة نابليون إنما آمل أن ينهج إخواننا الأدباء هذا النهج ، ويسيروا على ذلك الدرب :

... كان نابليون شديد الانتباه إلى أصاغر جنوده لاعتقاده أن الجندى الصغير قد يكون ذا قلب كبير ، وأن حسن المعاملة مدعاة لزيادة الإخلاص ، قال دوق فيسانس « إن تلك الشوارب القديمة (يعنى رجال الحرس) لم يكونوا يجسرون على مخاطبة أصغر ملازم فى الجيش بمثل ما كانوا يخاطبون ذلك القائد الأكبر الذى كانت هيبته تملأ نفس الجيش كله » ، وقال دون باسانو : « إنى رأيت الإمبراطور مئة مرة ينتقل ليلا من معسكر إلى آخر ، ويقف هنا وهناك لدى النيران ويسأل عما يغلى فى القدر ثم يقهقه من الأجوبة المضحكة التى كان يسمعها من الجنود » ، وقال القومندان كلود بزجيه فى تاريخه « بالله ، ما أعرف نابليون بالجندى الفرنسى ، وما أقدره فى مخاطبته والضرب على أشد الأوتار تأثيرا فى قلبه أعنى وتر الشرف » ولقد وصف نابليون نفسه الجندى الفرنسى فى صفحة جميلة قال فيها : « إن الجندى الفرنسى رجل مفكر قاسى الحكم فيما يتعلق بشجاعة ضباطه ومواهب رؤسائه ، وهو يجادل رفيقه فى شأن الخطط والأساليب الحربية ، ويستطيع القيام بأى عمل من الأعمال إذا كان لرؤسائه حرمة فى نفسه وإذا كان هو يستحسن مجرى الأحوال الحربية ، أما إذا كان الأمر على العكس فلا يمكن الاعتماد على الفوز . وابن فرنسا هو الجندى الوحيد بين جنود أوروبا الذى يستطيع القتال ويقوم بجليل الأعمال وهو ضامر البطن مطوى الأحشاء على الطوى ، ومهما طال زمن المعركة فهو ينسى الأكل فى سبيل الفوز ، حتى إذا انتهى القتال صارت مطالبه أكثر من مطالب غيره . والجندى الصغير من الفرنسيين أشد اهتماما بإحراز النصر من ضابط روسى ، وهو يدعى أن الفضل الأكبر فى كل نصر يرجع إلى فيلقه ، وجملة القول أن جنود الأمم الأخرى تصبر يوم الوغى بحكم الواجب ، والجندى الفرنسى يحارب إجابة لصوت الشرف.. فإذا أصابه فشل شعر بأن نفسه ذليلة.. وإذا فشلت الجنود الأخرى عادت غير مكترثة »

وربما كان رأس الأمور التى حملت نابليون على تسمية الوسام الذى أحدثه « بوسام جوقة الشرف » ما كان يعرفه من رسوخ ذلك الشعـور فى نفس الفرنسى ، وإذا رجعت إلى الأوامر العسكرية وخطب التحريض التى كان يلقيها عليهم أبصرته يحاول فيها كلها أو جلها أن يظهر للجندى ما يحرزه من الشرف والفخر

هو وآله إذا عاد وإكليل النصر يزين جبينه ، ولقد كان الأعداء أنفسهم يعرفون أن قوة الجندى الفرنسى إنما هى بعواطفه ومشاعره ، لا بقوة ساعديه وعرض كتفيه ، قال أحد القواد البروسيين بعد معركة يانا : « لو كان علينا أن نقاتل الفرنسيين بسواعدنا فقط لأدركنا النصر فى وقت قريب ، لأن الجندى الفرنسى صغير ضئيل يستطيع ألمانى واحد أن يتغلب على أربعة مثله ، ولكن هؤلاء الجنود الصغار ينقلبون إلى طبقة فوق طبقة البشر تحت النيران ويندفعون بنخوة لا نستطيع إيضاحها ولا نرى لها مثيلا فى جنودنا » ولا شك فى أن هذا الإقرار من ضابط بروسى كان من أجمل الشهادات التى تسطر للجنود الفرنسيين

وكان نابليون لا يكتفى بإظهار الاحترام والميل إليهم من أجل تلك الفضيلة ، بل كان يحبهم حبا صادقا ، قال بعض المؤرخين : إن جنوده كانوا أولادا له بالمعنى الصحيح ، يشرف على أمورهم ويسهر عليهم كما يسهر الأب على بنيه ويحضر توزيع المأكل عليهم ويتناول الحساء معهم .! وكان نابليون يضع اللين فى محله والقسوة فى موضعها ، فيعفو عن الجندى المذنب إذا رأى وجها لعذره أو ما يخفف ذنبه ، ولا يتسامح إذا وجد التسامح مضرا بالمصلحة الحيوية ، وإليك أقصوصة تدلك على شىء من خلقه :

حدث أيام معارك روسيا أن الجنود الفرنسيين ضربت مضاربها لتستريح بعد السهر المضنى ثلاث ليال متتالية ، ولما جاءت العتمة خرج نابليون يتفقد أحوال الحراس فى أطراف المعسكر جريا على عادته فى كثير من الأحيان ولا سيما فى الأوقات العصيبة ، فاتفق أنه رأى حارسا برح به الوصب وتسلط عليه الكرى بعد السهر الطويل فهوى إلى الأرض ، ونام ، تاركا بندقيته إلى جانبه ، فأراد نابليون أن يوقظه ولكنه أبصر فى تلك الدقيقة طوافة من الضباط قادمة نحوه فأخذ بندقية الحارس النائم ووقف مكانه حتى لا يدع الضباط يبصرون به ويعاقبونه ، ولما طلبت الطوافة سر الليل أجابها نابليون فسارت فى طريقها لإتمام التفتيش ، وفى تلك الأثناء استيقظ الحارس النائم فوجد بندقيته بيد رجل غيره فأسرع نحوه فإذا هو قائده ومولاه ، ولكن نابليون سرى عنه قائلا : لا تخف ، ثم سأله : كم مضى عليك من الزمن بلا نوم ؟ ، فقال : ثلاثة أيام ، ومع ذلك ما كنت لأنام لولا ما أصابنى من الجروح ! ثم أبصر نابليون أن الجندى كان مصابا بجرحين فأعجب به ، ومنحه وساما ، ثم قال وهو يبتعد عن ذاك البطل : « لا ريب أنى أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال .. » وكان نابليون يعرف وجه الضعف فى رجاله ، فيأخذهم به ويضرب على الوتر الحساس من أوتار قلوبهم ، فمن شأنه المعروف أنه كان مع شدته فى المحافظة على النظام العسكرى يسمح لرجال الحرس القدماء الذين حضروا المعارك وأبلوا البلاء الحسن بأن يخاطبوه بصيغة المفرد بعكس ما يقضى به أدب الحديث فى اللغة الفرنسية ، ولا سيما إذا كان المخاطب كبيرا والمخاطب صغيرا ، فإن استعمال صيغة الجمع فى الكلام واجب لا يصح إغفاله ، على أن نابليون كان يعلم أن عادة أولئك الأبطال التى تدل على انتفاء الكلفة صارت إليهم من روح الجمهورية ، وأنها تنطوى على همة واحترام يسهل فى سبيلها بذل المهج الغالية

وكان نابليون قبيل عرض الجنود يدعو الكولونل ويسأله عن أسماء الذين امتازوا فى المعارك الماضية ويطلب بعض أخبار عن أهله ، ثم يمر وقت العرض بأولئك الجنود الممتازين فيذكر لكل منهم اسم المعركة التى امتاز فيها والمكافأة التى أخذها ويسأله عن أمه العجوز إن كانت حية .. أو عن غيرها من آله الأقربين ..فيطير الجندى منهم فرحا وطربا حين يرى قائده الأعظم يتذكر خدمته ويعنى بأمره ، ثم يصبح نابليون حديث النهار وسمر الليل بين الجنود كلهم .. فيأخذ كل منهم يحكى حكاية عن ذاكرته العجيبة ومعظم تلك الحكايات من بنات المخيلات !

وكان من أكبر العوامل فى تمانى الجنود أن كل واحد منهم بات يحسب نابليون منصفا للشجعان وذوى الكفاءة الحربية ، وكان كبار القواد أقوى البراهين الحية لديهم على صحة ذلك الاعتقاد ، فإنهم خرجوا من الجيش وبعضهم استوى على العروش مثل المارشال مورات الذى عين ملكا لنابلى ، وبرنادوت الذى استوى على سدة أسوج ، ومعظم الجنود كانوا يرون الرقى إلى أحد العروش رتبة عالية من الرتب التى كان نابليون يمنحها لرجاله فيقولون مثلا ، « فلان صار ملكا .. كما يقولون .. فلان رقى إلى رتبة كولونل » مع مراعاة النسبة بين الرتبتين .! وهناك أمر آخر كان نابليون يعنى به عناية خاصة وهو تعزيز ما يسمونه

«روح الفيلق» فى الجيش ، ومعناه بعبارة أخرى أن يفرغ القائد جهده فى زيادة التنافس الشريف بين فيالق جيشه .. فتتسابق فى مضمار الشجاعة والبأس ، ولقد نجح نابليون نجاحا باهرا فى هذا السبيل حتى صار كل فيلق من فيالقه بل كل آلاى من آلاياته يعد نفسه فى مقدمة الجيش .. ومما يذكر عن سمو الأساليب التى كان يتبعها نابليون لبلوغ المقصد أنه كان إذا رأى النصب والجوع ينهكان تلك الجنود الفولاذية كما كانوا يلقبونها ، نزل هو وسار مع الجنود ، فأخذ كل واحد من هؤلاء يقول « الإمبراطور .. الإمبراطور » وتغيرت مشية الفيلق كله كأنما تيار كهربى سرى إليه من أوله إلى آخره .! هكذا كان نابليون وهكذا كانت جنوده . وكل فريق منهم خليق بالآخر ..

... كان نابليون ينظر إلى الجيش كما ينظر الصانع العالم إلى آلة عظيمة يقتضى تركيبها تدقيقا شديدا وفكرا سديدا ، ولذلك كان يفكر فى كل ما قل وجل من أموره حتى انتقاء الخيل وشراء المؤونة اللازمة لها كما تدلنا رسائله المدهشة ، وليس بنا حاجة إلى القول أن اختيار قواده كان له الشأن الأكبر لأنهم القطع الرئيسية التى تتركب منها تلك الآلة العظيمة . ! ولم يكن فى وسع نابليون منذ مائة وثمان وستين سنة أن يختار قواده من الضباط الذين قضوا سنوات عديدة فى درس القواعد العسكرية لأن التعليم العسكرى لم يكن شيئا مذكورا فى ذلك الوقت ، والفضل فى كثير من القواعد الحربية الباقية حتى اليوم يرجع إلى نابليون نفسه ، وما كانت عظمة هذا البطل الذى لم تحط مثله أصلاب البشر قائمة ببسالته وانتصاراته فقط.. بل كانت تقوم بها وبنظاماته ومبتكراته وعبقريته العجيبة الشاملة ، وعليه فإن نابليون لم يكن له مندوحة — وتلك حالة التعليم العسكرى فى زمانه — من أخذ أولئك القواد الذين خلد التاريخ ذكرهم من صميم جيشه ، أى أفراد الشعب الذين قاتلوا فى سبيل الدفاع عن حريتهم وحرية وطنهم وصدوا دول أوروبا التى هبت لإذلالهم . وكان نابليون قوى الفراسة صادق النظر فى الرجال .. فاستطاع أن يقدر قدر كل واحد من الذين خدموا تحت إمرته ونوع الخدمة التى كان يمكنه أن يتفوق فيها . مثلا أنه رأى « مورات » فأدرك أنه خير رجل يقود كوكبات الفرسان ويقدم لها المثل الأعلى بنخوته وحميته وشجاعته ، وقرأ على جبين « ناى » أنه الرجل الذى يطير إلى الحمام فى صدر المشاة ، وما أخطأ ظنه فى أن « ناى » كان يسحر رجاله بالقدوة الحسنة وهو الذى أخذ بندقية فى معركة « واترلو » وصاح « تعالوا انظروا كيف يموت مارشال من مارشالية فرنسا .. » وهو الذى قال فيه نابليون : « ما هذا رجل إن هو إلا أسد من الأسود .. » وليس مجال كاف لنذكر ما أبداه كل قائد من القواد العظام فحسبنا أن نذكر مع «مورات» و«ناى» .. «بسيير» و « سول » و « لان » و « سوشيه » و « برتييه » و «دافو» و « جوفيون سان سير » و « أوجيرو » و « جونو » و « ماكدونالد » و « مسينا » و «لازال» و « كولنكور» .. فهؤلاء وعدة من الأبطال كانوا أسودا لا تقهر ، ولكن نابليون كان يخضعهم بنظرة وهو فى ذروة مجده الحربى !

وذكر نابليون خطة سلوكه مع قواده قال : « كنت أحر الرأس البارد .. وأبرد الرأس الحار » أو بعبارة أخرى أنه كان يكسر من حدة الحديد ويثير حماسة البليد مراعاة لمقتضى الحال ، وهى خطة بسيطة فى ذاتها ولكن تنفيذها مع قواد نابليون كان يقتضى عقلا كعقل نابليون .

وكان من مزايا الرجل أن يزن حسنات كل قائد ؛ فإذا رجحت سيئاته حاول أن يصلحه بحذق ومهارة فمن الحوادث المعدودة من هذا الطراز أنه شرع يوما فى تعنيف ضابط فى رتبة كولونل لأن جنوده أضروا بمصالح إحدى الدساكر . . فشق على الضابط أن يسمع الكلام المر من قائده وأراد أن ينفصل.. فقال نابليون همسا : « أنا صدقتك فاسكت » وفى اليوم التالى دعا نابليون الكولونل وقال له : « كن مستريح الفكر فقد كنت أعنف فى شخصك بعض الجنرالية الذين كانوا بجانبك . . ولو وجهت إليهم التعنيف مباشرة لأوقفتهم فى موقف يستحقون فيه التحقير أو ماهو أبلغ منه . . » وإذا اتفق أنه جرح فى حديثه قائدا كبيراً .. حاول بعد الحديث أن يضمد جرحه . . فمن ذلك أنه انتقد انتقادا شديدا الجنرال « مارمون » على بعض الأعمال الحربية فى معركة « واجرام » فسخط « مارمون » من هذا الكلام وعاد إلى منزله كسير القلب . . شديد الكرب . . فما وصل حتى جاءه رسول إمبراطورى يحمل إليه البشرى . . بترقيته إلى رتبة . . مارشال !

ولما أخذ العدو بلدة مونترو سنة ١٨١٤ رأى نابليون أن تأخر المارشال فيكتور كان السبب فى ضياعها وأصدر إليه إذنا فى ترك الجيش.. ومعلوم من هذا الإذن أنه لم يكن له من معنى إلا سخط الإمبراطور عليه . فجاء المارشال فيكتور وعيناه مغرورقتان بالدموع فقابله نابليون وهو يتميز من الغيظ وعيره بالخطأ الذى ارتكبه واستحق من أجله الإبعاد عن الجيش . . فلم يتمالك المارشال أن رفع عقيرته وأكد إخلاصه وذكر خدماته فى إيطاليا فسكن غضب نابليون لذكر تلك الخدمات ثم صافحه قائلا : «لا بأس من أن تبقى فى الجيش يا فيكتور ولكنى لا أستطيع أن أعيد إليك فيلقك بعد أن عقدت لواءه « لجيرار » وإنما يمكننى أن أوليك قيادة فرقتين من الحرس فاذهب واستلم قيادتهما ولا تذكر بعد اليوم شيئا مما جرى . . »

ولو شئنا أن نذكر ما لدينا من هذا الطراز لاستغرق مجالا واسعا وتجاوز بنا الغاية المقصودة فى هذا المقال . . فحسبنا أن نقول — ومذكرات « مارمون » الذى خان نابليون فى أواخر عهده — خير شاهد . . أن نابليون كان فى معظم الأوقات يجرح باليمين ويضمد باليسار . . ومما قاله الخصوم فى تفسير هذا السلوك الحميد « أن مصلحته الخاصة . . وقلة الرجال الأكفاء حملتا نابليون على مداراة رجاله » وهو تفسير لا يذهب بفضل نابليون . . ولا يحط من قدر سلوكه.. بل هو يدل على حسن سياسته وأصالة رأيه، وليس بمنكر على الرجل أن يفعل الخير ويحسن الصنع لأنه يتفق مع مصلحته . . أو لأن مصلحته كانت تدفعه إليه . . فإنما الأمور بنتائجها . . وكل من يذم مثل هذا المنهج يكون مثله مثل من يطعن على رجل ينقذ آخر من الغرق لأنه أراد الحصول على وسام الإنقاذ أو مكافأة أخرى . . ! !

وإذا طالعنا المذكرات الخاصة وجدنا فيها ما يدل على شدة حبه لقواده . قال « كونستان » بعد النصر الباهر الذى أحرزه نابليون فى مارنجو : « إنه مع النصر الفاصل الذى أوتيه القنصل الأكبر (أى نابليون) كنت أرى الحزن يملأ نفسه وأسمعه يردد « إن فرنسا فقدت بفقد « دسكيس » فتى من خيرة أبنائها . . وفقدت أنا صديقا من أبر الأصدقاء »

ولما استوى نابليون على العرش الإمبراطورى لم يتغير شىء من عواطفه نحو قواده، بل لبث يسمح للمارشال « لان » بأن يخاطبه بصيغة المفرد . . ولما بلغ نابليون خبر إصابته بجرح قاتل تولاه حزن عظيم وأخذ يزوره صباحا ومساء . . واتفق أنه وصل فى عيادته الأخيرة بعد أن لفظ المارشال روحه الطيبة . . فتقدم نابليون وقبله وبكى ثم أخذ يهمهم «يا لخسارة فرنسا . . يا لخسارتى » ولما حاول « برتييه » أن يبعده عن رؤية ذلك المنظر الأليم قاومه نابليون نحوا من ساعة

وفى اليوم التالى كتب نابليون إلى أرملته يقول : «أيتها النسيبة مات المارشال على أثر الجروح التى أصابته فى ساحة الشرف فخلف لى من الحزن ما يضارع حزنك . . ولا غرو . . فإنى فقدت بفقده أفضل قائد للجيش وخير رفيق وصديق لزمنى منذ ست عشرة سنة. . إن أسرته وأولاده لهم كل حق فى طلب حمايتى ورعايتى » ثم كتب إلى الإمبراطورة « إذا أمكنك أن تساعدى فى تعزية أرملة المارشال فافعلى » ولما أصيب « ديروك » بقنبلة عند « درسد » ذهب إليه الإمبراطور نابليون وضمه إلى قلبه مرارا ثم عاد خائر القوى لفرط الأسى . . وهو يقول : « ياللهول . . أيها العزيز ديروك ما أعظم خسارتى فيك » وكانت دموعه تسيل على خديه وتسقط على ملابسه

ثم أمر الإمبراطور بشراء أرض وبإقامة تمثال لذلك القائد العظيم وبكتابة العبارة الآتية تحت التمثال « هنا يرقد الجنرال ديروك دون فريول وأحد مارشالية نابليون العظام أصابته قنبلة فمات ميتة مجيدة بين ذراعى الإمبراطور » . . ولم يكتف نابليون بإكرام هذا الفقيد بل صرف عناية كبيرة إلى عائلة ديروك ومنح أرملته وابنته دوقية فريول (وكان ريعها وقتذاك لا يقل عن مائتى ألف فرنك)

على أن هذا الشعور الجميل الذى كان يبديه نابليون فى مثل تلك الظروف لم يكن يحول دون استقلال فكره وإرادته، فقد كان عند الضرورة شديدا قاسيا . . وثبت أنه كان فى إيطاليا ومصر حين كان جنرالا كبير المطامع.. أشد وأقسى فى معاملة القواد والجنود مما كان عليه بعد استوائه على السدة الإمبراطورية واستلامه مقاليد الحكم المطلق واتساع شهرته وسطوته فى العالمين . . قال خصوم نابليون أنفسهم فى مذكراتهم : « إن هذا الجنرال الصغير كان يخيف

شلر

للكاتب الكبير توماس كاربك

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٢ —

كانت حياة شلر حياة أدبية بكل معنى الكلمة، حياة شخص عاش قصد التأمل، وكان مرشده فى هذا المسعى لايتعدى المثل الأعلى، وقد وجد فى مثل هذه الحياة سعادته التى كان يرنو إليها. وقد امتازت هذه الحياة بالبساطة الفريدة كما اتصفت بالابتعاد عن امتهان ما يتعيش به، وقد نما مقته للعمل الآلى ولم يبال بنتائجه جنبا لجنب مع نموه الروحى سنة بعد أخرى. لم يحتل شلر منصباً معيناً اللهم إلا منصب الأستاذية فى الجامعة، ولم يرغب فى التقدم المادى ولم يكن لديه مال يذكر، ولم يظهر — طيلة حياته — عدم رضائه عن هذه الأوضاع

وبالرغم من الآلام الجثمانية والأمراض المستمرة التى أحاطت به أن انشراحه لم يكن يفارقه وكانت الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته هى أحسن سنى حياته، لأنها كانت أنقاها وأصفاها وأكثرها إنتاجا، فحياته كانت تشبه حياة الرهبان مع اختلاف بسيط فى طراز المعيشة والمحيط، وإذا نحن عرضنا الإيمان الكاثوليكى بمثل الفن الأعلى، والقوانين الكنيسية بالقوانين الأدبية والجمالية فسيؤدى ذلك إلى اعتبار حياته أقرب ما تكون بحياة الدير، ومع أنه لم يرتبط بعهود الرهبنة الثلاثة [1] إلا أنه ارتبط بعهود أخرى أرفع شأنا وأعلى قدرا وأثقل وطأة، وقد تحمل عناء شديدا فى تنفيذها والتقيد بها والالتزام بملتزماتها

وقد كانت هذه العهود — على شدة ثقلها — شغله الشاغل ومبعث سعادته الدائمة، فبدلا من أن يحصر نفسه فى رواق الكنيسة الصخرى، نراه يحصر نفسه فى أروقة العقل، فاصلا بذلك نفسه من الأمور السطحية ومغرقا نفسه فيما يمكن أن ندعوه بالأمور الإلهية، فكلامه وأعماله وتأملاته وتنزهاته وكل ماله علاقة بحياته اليومية تتجه نحو تلك الوجهة ... فكما أن مرحلة اتخاذ الرجل الدينى للعهود المقدسة هى أهم مرحلة فى حياته.. كذلك الحال مع شلر فيما يخص عهوده الأدبية، وبهذا العمل يمكنه أن يتخلص من مشاغل العالم المحيرة ويكرس كل جهوده فى مستقبل أيامه للحكمة والتأمل. والفترة التى تقع بين هاتين المرحلتين تمتاز بميزات مختلفة. فالأولى هى دنيوية ذات انهماك فى صروف العالم.. والثانية روحية ذات اتجاه هادئ عميق الغور قصى المعانى، وقد امتاز الاتجاه الثانى بنموه الروحى وازدهاره الفكرى وبالثمرات السلمية التى قدمها إلى العالم، وسنوجه هنا نظرنا بصورة رئيسية إلى المرحلة الأولى

يمكن اعتبار شلر سعيدا بالنسبة للظروف التى أحاطت بأعوامه الأولى وخصوصا فيما يتصل بوالديه. لم يكن والداه غنيين أو مستقلين فى شؤونهما الماشية، إلا أنهما مع ذلك لم يكونا فقيرين

(١) عهود الرهبنة هى ١ الفقر ٢ العفة ٣ الطاعة

قوادا مثل « أوجيرو » « وماسينا » وغيرهما سنة ١٧٩٦ ولما جاءه الجنرال « دينوا » سنة ١٧٩٧ بقصد التملق والتزلف قال له نابليون: «عرفتك لما كنت قائدا فى لومبارديا وعرفت أنك قليل النزاهة.. عاشقا للمال.. على أنى كنت أجهل أنك جبان» فاخرج من الجيش ولا تظهر أمامى مرة أخرى.. وكتب نابليون إلى « برنييه » يقول: « اكتب إلى الجنرال « جاردان » أن شكاوى عديدة انتهت إلى من إحراجه لأهل البلاد وأن الواجب عليه أن يسلك سلوكا يتفق مع كرامة الجيش فلا يسمعنى بعد اليوم شكوى واحدة من تصرفه » وكتب إلى الأميرال « تروجيه »: « لا يسعنى إلا الاستياء من الأسطول الذى تحت إمرتك.. وأنا يحق لى أن أنتظر محاسن الأفعال بدلا من المواعيد والأقوال »

وكان نابليون لايحابى الوزراء.. ولا الكبراء.. حتى فى سنة ١٨١٤ أى بعد أن مال نجمه إلى الأفول.. وهذا يدلنا على صحة ماقاله أحد المؤرخين وهو: أن نابليون لم يكن ذئبا ولا خروفا.. بقى أن نعرف أن نابليون.. نشأ من أعماق الشعب..

عبد القادر حميده

فقرا مدقعا ، فالمحبة الحارة والأخلاق الصريحـه التى تبلغ مبلغ التدين ، يضاف إلى ذلك قابلية ذهنية متفتحة خاصة للمعرفة ، مع ثقافة عقلية جيدة تجعل فى الإمكان إصلاح أى خلل قد يقع بينهما

وقد كان فى سلوكه ما يبشر بمستقبل عظيم ، طبيعة هادئة قابلة لكل الإرشادات ، يزينها عقل وقلب وومضات من الحيوية والنشاط تظهر بين الحين والآخر ، وليس أدل على ذلك من حكاية الصاعقة التى نأمل أن تكون واقعية : (حدث أن عاصفة صاعقية اجتاحت المنطقة التى يسكن فيها وكانت من الشدة والقوة بحيث أثارت الخوف والرعب فى جميع السكان، وكان الكل داخل بيوتهم ، وقد افتقد أبو فرتز [٢] ابنه ، وقد كان فى دور الطفولة ، فخرج الأب لا يلوى على شئ باحثا مفتشا عن ابنه ، وفجأة عثر عليه قابعا بكل هدوء وسط هذه العاصفة الهوجاء فى رأس شجرة وهو ينظر بدهشة واستغراب لاحتراب الطبيعة ، فما كان من والده إلا أن عنفه أشد التعنيف ، ولكن الولد بدلا من إصغائه إلى هـذا التعنيف أجاب « إن البرق جميل جدا ولكنه يريد أن يرى من أين أقبل هذا البرق [٣] » ...)

درس شلر الكتب الكلاسيكية باعتناء زائد ولكن بدون رغبة ، إلا أنه درس الكتاب المقدس بلذة بالغة فى البيت ، وقد شغف حبا بالأنبياء العبرانيين وبجلال كتاباتهم الرمزية ، وقد كان لطبيعته الورعة — مضافا إليها تقوى والديه — تأثير فى دفعه إلى الكهنوت، ولكن الكنيسة التى أراد التعلق بها كانت الكنيسة الشاملة الحقيقية وليست الكنيسة الرومية المزيفة . وفى سن التاسعة شاهد بدهشة مفرحة ولأول مرة (عجائب مسرح لودفيكزبرغ) وقد كان لهذه المشاهدة تأثير عميق فى ذاكرته . وبذا يكون قد ألقى أول نظرة على العالم الذى قدر له — عرضا أو بعامل الطبيعة نفسها — أن يظهر فيه عبقريته ويحـرز أنبل انتصاراته بازا بذلك أقرانه ومعاصريه جميعا

وبعد نهاية عهد صباه بدأت فترة قاسية مريرة ، اختلفت فيها تربيته وتطورت قابلياته تطورا خاصا ، وذلك بتحمله للاضطهاد ومعاناته العزلة وبتحطيم أجل أيام حياته وتشويهها تشويها شنيعا . ومع ذلك فإنه استفاد فى هذه الحالة فوائد جمة ، فقد حولت سيميا، عبقريته المعادن التافهة إلى ذهب إبريز، واستخلصت من التألم قوة ومن الخطأ حكمة وضاءة ومن كل شئ أحسنه وأرقاه

أسس دوق ورتمبرك مدرسة عالية حرة لبعض فروع التعليم المهنى فى (سولتيرد) فى مركز إقامته فى الريف ، ثم حولها إلى (ستتغارد) بعد أن أدخل عليها بعض التحسينات ، وقد سماها مدرسة كارلز . وقد رأى الدوق أن يعطى الأفضلية فى الدخول إلى هذه المدرسة لأبناء الضباط ، ولما كان لدى الدوق فكرة حسنة عن شلر وأبيه طلب من الأول اهتبال هذه الفرصة السانحة

وقد صادف هذا العرض حيرة لأول وهلة من قبل الشاب والوالدين على السواء؛ لأن الأخيرين كانا راغبين فى إدخال الشاب إلى حظيرة الكنيسة ، ولما اطلع الدوق على رغبتها الخاصة طلب منهما التأنى قبل إعطاء القرار النهائى ، وأخيرا قبل هذا الطلب بعد إحجام ونتيجة للخوف . وهكذا سجل شلر نفسه فى هذه المدرسة سنة ١٧٧٣ وبذا انتقل من الحرية والآمال العريضة إلى اليونانية والعزلة والقانون

وقد أثبتت الوقائع أحقية مخاوفه ، فالسنوات الست التى قضاها فى هذه المؤسسة تعتبر أشد السنين مضايقة لنفسه وإزعاجا لمواهبه ، ويظهر أن نظام التربية فى ستنغارد لم يعن مبدئيا بتربية الطبيعة البشرية وإصلاح أخطائها ، بل عمل على استئصال هذه الطبيعة ووضع شئ أحسن منها فى محلها . وقد كان نظام التعليم سائرا والحياة وفق خطة عسكرية شكلية جافة ، كل شئ كان يجرى حسب الخطة المرسومة ولم يكن ليعطى أى مجال لحرية الإرادة، ولا إمكانية لاختلاف الطبائع والمشارب والعادات . وقد يكون لبعض الطلبة إمكانيات ممتازة ، إلا أن هـذه الإمكانيات كانت مجبرة على السير وفق الخطة الأساسية والانصهار فى البودقة ذاتها بدون تفريق أو تمييز ، لأن الأوامر كانت تصدر من سلطة عليا ، وهى واجبة التنفيذ على أية حال . وقد عين لكل طالب منهاج دراسته مقدما ، ولم يكن ليسمح بالقراءة الخارجية مطلقا ، وإذا حدث أن قرأ أحدهم كتابا خارجيا فلم يكن ذلك إلا خلسة . أما معيشتهم فكانت تدار بالأسلوب ذاته الذى تدار به حياتهم الروحية ، وقد كانت هذه الحياة لا تحتوى على شئ يمكن أن يقارب المتعة أو حتى ممارسة الحرية . وقد أبعد الطلاب عن

(٢) اسم شلر الأول فى التعميد (٣) حياة شلر

المحادثة أو حتى رؤية أى شخص ماعدا أساتذتهم . ولم يجسر أحدهم على تخطى نطاق العبودية المضروب حولهم ، وتزهتهم نفسها كانت مقيدة بالكلمة الآمرة

يمكننا أن ندرك بسهولة كم كان مفجعاً كل هذا بالنسبة للطلبة ، وكم كانت الفجيعة هائلة بالنسبة لشلر ، لما امتاز به من طبيعة حساسة وشعور مرهف . فنراه وقد طغى عليه التبرم ولكن حياءه منعه من أن يظهر ذلك قولا أو فعلا . وقد أوقع سجنه هذا به ألماً عميقا ولكنه كان يأنف من الشكاة . وقد حفظت بعض رسائله فى هذه الفترة ، وفيها نجد النضال غير المثمر لذهن متحمس مشغول وهو يحاول ستر الكروب تحت غطاء الصبر الخائف وهو يظهر أله على أشده . لقد انكب على قواميسه وكتب النحو وواجباته العقيمة برصانة مصطنعة، ولكن روحه كانت كروح الأسير تحن إلى العالم الحر البهيج ، وتستعيد ذكريات حنان الوالدين والآمال والمتع المثيرة للسنين الخالية . إن الشباب هو فصل الحياة الزاهى ، وهو كذلك ليس بما يناله أو يتخلص منه بل بما يأمله ويرجوه . وقد يظن بعضهم أن لآلام شلر أمثلة كثيرة فيقول : « أو ليس فى قصة كل طالب من طلاب أبتون مثال حى لمثل هذه الآلام ؟ أو ليس كل هؤلاء قاسى الفرقة الجارحة والمصائب الفادحة والاضطهادات المبرحة والعزلة القاتلة ؟ ولكن الصعوبات التى أضنت شلر كانت أعمق من كل هذا ... إن أسوأ اضطهاد عاناه هو الاضطهاد الأدبى ، كل هذه الأصفاد تقيد الرغائب فقط ، بل إنها تعدت إلى تقييد الإرادة الحرة العاقلة ، فزيادة على آلامه الخارجية أبعد ذهنه عن الهدف الذى شعر بأنه الهدف الحق وحول إلى هدف آخر مزيف ليس فيه من معانى الحياة شئ يذكر . ولم يجد فى الحقوق ولا فى الطب الذى اضطر على الاستعاضة به عن الحقوق ولا فى أى عمل رتيب مهما علا قدره وارتفعت منزلته ما يرضى روحه وما يشعره بالسعادة والهناء ، ولكن الذى كان يسعى إليه هو فعالية عليا لم يجد لها اسماً حينذاك والتى تخيلها يوما ما فى الانضواء تحت لواء الكنيسة وأخيراً وجدها وكانت هى الشعر بالذات . ولم تكن هذه الرغبة رغبة صبيانية طارئة، بل كانت شوقاً ملحا عميق الجذور أخذ عليه مجامع قلبه وتمثل فى هدفه الذى كرس حياته للوصول إليه . ومع ذلك فإن أساتذته اعتبروا ذلك منه رغبة صبيانية ليس إلا ... فعالجوها كما يعالجون أمثالها، ولم يتمكن شاعرنا من الانتصار إلا بعد معركة ضارية ونضال عنيف انتهى بفوزه ، ولم يحدث ذلك إلا بعد أن أصيب بأول لسعة فشتتت ذهنه وكادت تبعثر مستقبله لأنه فقد العون فى تعاسته وشقائه ، فتألم وجاهد فى سبيل قضية خاسرة، وقد قال شلر نفسه فيما بعد بخصوص ذلك : « لقد جمعت الطبيعة — بسوء تقديرها — بين ميولى الشعرية وبين مكان ولادتى . فكل رغبة فى الشعر كانت تصطدم بقيود المدرسة التى تعلمت فيها وتناقض خطة مؤسسها . فبحماستى لمدة ثمانى سنوات ناضلت ضد النظام العسكرى ، ولكن هيامى بالشعر كان حدا حده الحب الأول . والشئ الذى أراد النظام أن يطفيه زاده تأججاً وضراما ، وقد وجدت قلبى فى عالم الأفكار ملجأ للتخلص من الأوضاع التى عذبتنى كثيراً ، بعد أن عزلت من عالم الحقائق بالأصفاد والأغلال »

ومما من شك أن حكمة شلر الخاصة علمته التوكيد على الحياة قبل توكيده على الحياة الشعرية ، وقد عبر عن ذلك بقوله: «يجب أن أترك مناخ بندس(٤) واستبدله بالأرض الخضراء ذات المناخ المتجمد فى النصوص العلمية المخيفة » وحالما يقضى الله أمراً كان مفعولا يصبح عمل شاعرنا الرتيب منتهياً وأمله محققاً ، فوقت الفراغ الذى سيحصل عليه نتيجة لذلك سيكرس للشعر أو أى شئ آخر ، وفى الحقيقة « أن بقاءه مقيداً بنزوات معلميه القساة كان أمراً غير محتمل ومهينا له ، فلا عجب أن فكر شلر يائساً فى وضعه، ولكن ما العمل ؟ وهذا مما اضطره على أن يضع خططاً عديدة للنجاة ، وقد كان يتوسل أحيانا بالهروب خلسة ليلقى نظرة على العالم الحر الحى ، هـذا العالم الذى كان محظوراً عليه التقرب منه ، وأحياناً أخرى كان يضع بعض الخطط لنبذ المكان الذى كرهه هذه الكراهية مؤملا أن ينقذه القدر » . ولكنه كان صغيراً ، عديم التجارب ، لا مساعد له ولا معين ، فليس هنالك إلا تحمل ما هو واقع بصبر وأناة . يقول كاتب سيرته : « إن أى روح تحيا تحت مثل هـذه الظروف المنهكة والغضب المستعر ، مكتوب عليها الغرق حتماً فى النهاية والتخلص من

(٤) واد فى اليونان

المطامع الدنيا والانهماك المعيب والخضوع لربقة النير والتعثر فى هــذا الوجود متكسرا ، تعباً ، ومتبرما وملقياً نظرة تائقة إلى أحلام شبابه التى ليس له القوة على تحقيقها . ولـكن شلر لم يكن من هذا الطراز الاعتيادى من النـاس ليفعل مثل ما يفعلون . وتحت ستار المظهر الخارجى البارد الذى ليس فيه جاذبية مفتعلة ، ولطفه الذى شوه نتيجة العوائق والعزلة والفاقة المؤلمة التى قاساها فى حياته ، أقول ، تحت مثل هــذا المظهر تختبئ نار متأججة ليس للعوائق قابلية على إخمادها . والظروف القاسية التى أحاطت بمستقبله عرقلت نمو ذهنه نموا طبيعيا وقلصت قابلياته ووجهتها وجهة خاطئة . على أن هذه العقبات جمعت قواه وجعلته يعتمد على نفسه . أما أفكاره التى لم يكن لها مرشد يهديها سواء السبيل فقد انحدرت إلى أعماق نفسه وفتحت مغاليق مصيره ، وقل مثل هــذا عن مشاعره وعواطفه التى تجمعت فى أغوار ذاته حتى أصبحت كحمم البركان يحـترق وينصهر ويتجمع بعنف وبقوة هائلتين استعداداً للانفجار المروع الذى لا يرد ولا يصد وذلك واقع حتما فى ساعة معينة

« يمكن اعتبار شلر لحد الآن صبيا متبرماً ضجراً وغير نافع ولـكن الوقت أزف لـكى يصبح هذا الصبى رجلا يمزق القيود شر ممزق بقوة امتد تأثيرها فى طول أوربا وعرضها ، ولم يعد للقيود المدرسـية أى تأثير فى تشويه قابليته وإضعاف قوة شخصيته الجبارة . إن نشر (اللصوص) يعتبر فتحاً جديدا ليس فى تاريخ شلر بل فى الآداب العالمية ، وليس من شـك أن الفضل فى ذلك يعود إلى نظام مدرسة ستنغارد المشوه، ولولا هذا النظام لما رأينا هذه المأساة . بدأ شلر هذه المأساة فى سن التاسعة عشر ، ويمـكن تتبع كل الظروف التى أحاطت به فأثرت فى مجرى حياته فى جميع أجزاء المأساة المختلفة بصورة جلية واضحة

ولم تمض مدة قصيرة على نشر هــذا الـكتاب حتى ظهرت تراجم له فى جميع لغات أوربا تقريبا ، وقرئ من قبل الـكثيرين بمزيج من المقت والإعجاب، وذلك بالنسبة للحساسية والانطباع الوجدانى لـكل من درس الـكتاب . لقد هبط المؤلف الصغير كشهاب على العالم مما جعله مبهوتا لا قبل له بالنقد الهادى الرصين

وفى ضجيج النقاش الحاد الذى شمل العالم فى خصوص هــذا الموضوع مدح المؤلف بأكثر من قابليته الطبيعية ، كما أنه ذم ذما فادحا ، إلا أن الحـكم العام كان فى صالحه ، وطبيعى أن يتعدى كل من الطرفين حدود الاعتدال ويتجاوز جادة الحق

ولـكن مأساة اللصوص أحدثت عـواقب لمؤلفها من نوع أشد حساسية من هذا الحـكم ، لقد دعونا ظهور هذا الـكتاب نقطة البدء لنجاة شلر من جور المدرسة والضغط العسكرى ولـكن فعلها فى هذا الخصوص لم يكن مبـاشراً . . لقد أنهى شلر المودة الأصلية فى سنة ١٧٨٧ ولـكن خوف الأذى اضطره أن يحفظها سرا دفيناً حتى إكمال دراساته الطبية ، هذه الدراسات التى تابعها باجتهاد كاف حتى حصل على درجة الشرف سنة ١٧٨٠ وأصبح جراحا فى فرقة (أوجى) إحدى فرق جيش (فرتمبرغ) . وهذا التقـدم ساعده على إكمال مشروعـه فى طبع (اللصوص) على حسابه الخاص بعد أن حار فى إيجاد من يقوم بذلك من ناشرى الـكتب وأصحاب المـكتبات

(للـكلام صلة) **يوسف عبد المسيح ثروت**

٣ـ فى بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد
للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

الحرية وردة

عاد إلى الأساتذة بعد يومين وسألنى أحدهم فقال :

— هل قرأت الدستور ؟ أحفظته استظهارا ؟

— قرأته وحفظته.. غير أننى أرجو منكم شرح بعض مواده لتعسر فهمها على . . هل لكم أن توضحوا لى قبل كل شئ الحكمة العامة لهذا الدستور ؟ لماذا وضع ؟ ولأية غاية أحدث ؟

— بكل سرور .. يجب أن تعلم أن الحرية مسألة ثقافة وتهذيب ليس إلا

— لم أفهم أيها الأستاذ ، ألا تتفضلون بشرح أوفى ؟

— حسنا .. هل سبق لك أن اشتغلت فى أعمال الحدائق ؟

— نعم !

— إذن سهل الإيضاح . . لابد من أنك قد لاحظت فى خلال تعهدك الحديقة أن شجرة ، أو وردة ، أوزهرة ، أيا كانت لا يمكن أن تنبت وتنمو وتترعرع إلا إذا توفرت لها الشروط التى تتطلبها طبيعة الشجر أو الورد أو الزهر .. وعليك أن تعلم الآن أن الحرية كالوردة أو الزهرة .. سواء بسواء . . فنموها وازدهارها يستلزمان توفر شروط تلائم طبيعتها وخصائصها الذاتية . .

— وما هذه الشروط ؟

— هل استظهرت نشيد البلاد ؟

— نعم !

— لقد جاء فى ذلك النشيد .. « أن الحرية جوهر الشعور ، وأن الشعور هو الإنسان » فلذا يجب الاعتناء الكافى بالإنسان عند « تطعيم » هذا الجوهر لكيما يؤتى ثماره المبتغاة ..

أما البيئات التى مرت عليها الأحقاب الطويلة وهى ترسف فى قيود الذل والاستعباد ، وضاعت عنها معالم الكيان الحر ، فليس تطعيمها بإكسير الحرية من الأمور السهلة الميسورة ، كما يتراءى لأول وهلة .. وذلك أن الاستبداد لا يتخذ لنفسه موطنا من الإنسان إلا الروح والقلب فحسب . . فهناك يبذر بذوره ويتأصل ، وهنالك يؤسس عرشه ويضع على رأسه تاجه المروع

وقد يخيل إليكم فى بعض الأوقات أن الاستبداد قد تهدم صرحه ، وتقوضت دعائم بنيانه ، وقضى على آثاره ومعالمه ، ويساعدكم على اصطناع هذا الظن زوال ظواهره وعلاماته ، بينما الحقيقة ، لو تأملتم مليا ، أنه ما يزال حيا فى كل جانب ، مضطرما هواه فى كل فرد

وعلى سبيل المثال أقول : إنكم تجدون أناسا يطالبون بالحرية بأعلى أصواتهم ويتحمسون لها غاية الحماسة ، ولكنهم فى الوقت نفسه لا يحترمون حرية الجار مثلا . . فعند أول اصطدامهم بهذه الحرية تجدهم يرغون ويزبدون ، ويودون لو أتيح لهم سحق الشخص الذى أمامهم سحقا تاما ، والقضاء عليه بأى وسيلة

وذلك لأن عرش الطغيان لم يهدم ، وروح الاستبداد لم تقتلع ولم تنبذ بعد من الأرواح والقلوب

وهذا هو السبب أيضا فى أن الحرية فى مثل هذه الأحوال قد تنقلب إلى فوضى ماحقة ، لا تبقى ولا تذر ، ذلك أن الاستبداد التجمع سابقا فى الفرد الواحد ، يأخذ فى هذه المرة طريقه إلى الظهور عند كل فرد على حدة ، بعلائمه البارزة المستديمة، فيتعاظم أثره فى النفوس على التدريج ، ويشرع البعض فى استمراء التحكم والعبث بحقوق البعض الآخر باسم الحرية ذاتها . . غير أنه قبل أن يمكن استمرار هذه الحال طويلا تظهر الحاجة ثانية إلى كتم أنفاس الكل ، وإلى قبوع كل واحد فى جلده باسم الحرية ذاتها من جديد ..

وهكذا تضطر البيئات التى لم تستأصل بعد جذور الاستبداد المعنوية من دواخلها ، ولم تقض على آثارها فى نفوس ظهرانيها إلى التقلب على الدوام بين عهدين من الفوضى وفقدان الحرية ، الأمر الذى يعد بلادة مجهولة العواقب لهذا المجتمع بطبيعة الحال

لهذا فإن دستور بلاد الأحرار قد وضع لإرشاد مجتمع كهذا إلى الطرق المثلى التى يصون بها نفسه عن الوقوع فى مهاوى

مردية كهذه ، حيث فيها القضاء الأخير على البقية الباقية من حياته وكيانه أمر محتوم أكيد

أما مايهدف إليه هذا الدستور فهو القضاء على روح الاستبداد فى النفوس ، وهدم عرشه وتاجه فى القلوب ، وإقامة عرش وتاج الحرية عوضا منهما

— لقد فهمت أيها الأستاذ . واطلعت على قيمة الدستور الحقيقية ، فهل تسمحون بأن ننتقل إلى نصوص المواد ذاتها الآن

***

تنص فاتحة مواد الدستور على تهجين الكذب وتحريمه . . فهل يعنى ذلك أن لهذه الجريمة أهمية خاصة بها ؟

— نعم !

— لماذا ؟ وهل يستطيع إنسان أن لا يكذب إطلاقاً ؟

— الرجل الحر لا يكذب أبداً . والكذب شعار الضعاف الأذلاء الجبناء ... فى حين أن تتطلب أن يكون الإنسان قوياً ، شجاعا ، ذا عزيمة ماضية . . ثم إن الكذب وسيلة لإخفاء الحقيقة وسترها ، وحيث تختنق الحقيقة ، تكون السيادة للباطل وحده . . ولا خير فى موضع يسوده الباطل ويحكمه . . إن المجتمع الذى يعرف قدر نفسه لن يسمح بذلك بحال من الأحوال ، وهذا هو السبب فى أن بلاد الأحرار تهتم اهتماماً خاصا بهذه الجريمة

— لقد فهمت أيها الأستاذ ! واستنارت فى نظرى الآن جوانب كثيرة من الماضى الغابر . . ولكن كيف يمكن القضاء على شائبة الكذب فى أرجاء مجتمع كبير ؟

— هذه مسألة تربية وتهذيب ليس إلا . . تبدأ فى الأسرة والمدرسة وتنتهى فى المجتمع . . ذلك أن الأسرة والمدرسة هما وحدهما اللتان تضمان الأساس الروحى الأول للأطفال . . وأن الطفل ليس إلا مخلوقا يقوم بتأثر أمه وأبيه ومعلميه ومحاكاتهم فحسب . . ثم لا تنس أيضا أن الطفل الذى ينشئه أب وأم ومعلم كاذبون لا يسعه إلا أن يكون كاذباً . . لهذا وجب على كل من الأب والأم والمعلم أن يبذلوا أقصى ماعندهم من جهد للحيلولة بين الطفل والكذب على الدوام وليس ثمة وسيلة أبعد أثراً وأضمن لتحقيق النتائج المرجوة من اجتناب هؤلاء أنفسهم الكذب قبل كل شيء

أجل ! على هؤلاء أن لا يسمحوا للأطفال بأن يلجأوا إلى الكذب أبداً ، كما عليهم أن لا يقروا أى نوع من أنواعه مهما بدا فى مظهره تافهاً بريئاً

وموجز القول يجب أن يكون الطفل عند مغادرته الأسرة والمدرسة وانتقاله إلى المجتمع مقتنعاً فى أعماق نفسه اقتناعاً تاما بأن الكذب إن هو إلا داء قذر مرذول يجب تحاشيه والابتعاد عنه بأى ثمن

أما المجتمع ذاته فهو أيضاً ، لو أعد من جانبه الوسائل اللازمة لتأييد هذه الجهود الأولية ، وعبئت قواته النشيطة لدعمها بغير تراخ (كأن تطرد الكذابين مثلا من حظيرته كما هى الحال فى بلاد الأحرار) لاختنق الكذب بلا مراء من أوساطه ، ولذهب أثره بدداً من نفوس ظهرانيه إلى غير رجعة

ولكن المجتمع الذى ينتهج غير هذه الخطة ، فيعتبر البراعة فى الكذب عبقرية ونبوغا ، وينظر إلى النجاح الذى عماده التدليس نظرة الإعجاب والإكبار ، ويحترم الرجال الذين تحقق لديه كذبهم ونفاقهم ، أجل ! إن مجتمعاً كهذا ليضطر اضطراراً إلى الإذعان لكل مايورثه إياه داء الكذب من الذل والهوان ، ويجلبه له من الكوارث والنكبات

ففى مجتمع كهذا لا يثق إنسان بإنسان ولا يعول البعض على الآخر كما لا يبقى أى مجال للمشاركة فى أى عمل يقوم على أساس سليم ، أو تنفيذ أية خطة بطريقة اشتراكية ناجحة . . وهكذا ينعدم الأمل فى ضمان أى نوع من الرقى والازدهار ، فيتردى المجتمع شيئا فشيئا ، ويأخذ طريقه إلى الهاوية والاضمحلال

— آه أيها الأستاذ ! إننى كنت أيضاً أشاهد هذه الحالات منذ مدة بعيدة . . ولكننى لم أفهم عللها ودواعيها إلا فى هذه اللحظة . . والآن هل لكم أن تتفضلوا بشرح حكمة المادة الثالثة ؟

— حبا وكرامة !

— تقضى هذه المادة بفرض عقوبة قاسية كالرجم بالأحجار على مرتكبى جريمة الرياء والتملق . . وفى الحق أننى لم أفهم الباعث على استعمال مثل هذه القسوة الشديدة وهذا العنف الزائد ، ألا يسوغ امتداح ذوى المراكز العالية ، والقابضين على صولجان الحكم ، والإشادة بمآثرهم ؟

أليس لكل هذه القصائد الرنانة التى تملأ رحاب الأدب

أى قيمة ؟

ثم هنـاك مسألة أخرى ، وهى أن جميع منـابع السعادة ، ومصادر النعيم موضوعة تحت تصرف هؤلاء، ذوى القوة والسلطان ! بل وكثيراً ما يتوقف المصير وميزان الحظ على نظرة واحدة يرسلها أحد هؤلاء، عفوا ومن دون قصد

ألا يجوز فى مثل هذه الحالة أن يتملقهم المرء ويأتى بما يرتاح إليه عنجهيتهم وعجرفتهم ؟

— يلوح لى أن نظم هـذه البلاد تبدو غريبة لمن كانوا على شاكلتك ممن ألفوا الخنوع ، وترعرع فى أحضان الاستبداد ولـكن قل لى بربك هل وطنت النفس حقيقة على أن تـكون حرا طليقا ؟

— نعم !

— إذن عليك أن تقوم بتغيير ما بنفسك تمام التغيير . . لأن كل ماذكرته الآن إنما يعود عهده الى الزمن الذى كنت تقاسى فيه مرارة العبودية ، وتعانى أوصاب الأسر . . ومادمت قد حطمت سلاسلك وقيودك وعزمت على أن تـكون حرا كريما فلا مفر من أن تعلم أن المداهنة إنما هى عمل العبيد والأسرى ، كما هى دليل أيضاً على ضعة الروح وهوان النفس ، وإن الرجل المتملق يكون دائما فاقداً لشرفه وكرامته

إن رجـلا كهذا يفسد حتى أخلاق من يتحدث اليه ويتملقه ويتمرغ فى تراب حذائه إذ يوقظ فى نفسه شهوات سيئة كالغرور والعجرفة وعدم تحمل الحق والحقيقة

ومن الأمراض الوبيلة التى ابتليت بها الجماعات الشرقية ، حتى لتـكاد تجهز الآن على البقية البـاقية من حياتها ، داء المداهنـة والتملق بصفة خاصة . . وليس ثمة مايدانى هذا الداء فى نتائجه المروعة وإمعانه فى التهديم

فهو ينفذ من الانسان فى خلايا الدماغ وشغاف القلب ويتسرب كسموم الثعابين القاتلة بعينها فيوهن الجسم ويبليه ويشله شـللا تاما

إن الشعراء الشرقيين الذين دبجوا القصائد الطوال فى المدح والثناء كانوا — بغير علم ولا هـدى — من أكبر الجانين على أمتهم ووطنهم . . وبنسبة روعة القصيدة كان الدمار المعنوى مروعا مخيفاً فضلا عن التخريب الذى احدثه المقلدون والناسجون على منوال الأوائل

ووجه الغرابة فى الأمر أن هنـاك كثيرا من المجتمعات التى تنشد الحرية وتتوق الى تحقيقها لنفسها تفرض أمثال هذه القصائد نماذج أدبية على مدارسها ومعاهدها

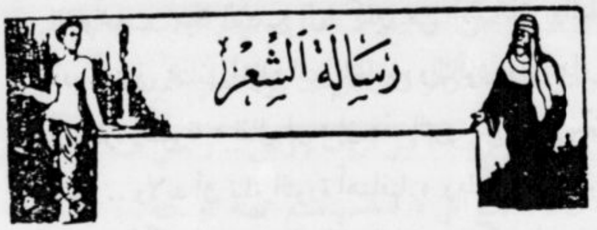
ليت شعرى.. أيقدر هؤلاء عظم الجرم الذى يجنونه، وضخامة الجناية التى يقترفونها ؟ أم ترى أنهم لا يعرفون مدى التأثير الذى يحدثه الشعر والموسيقى فى القلوب الغضة والأدمغة الناشئة ؟

ولـكن مهما يكن من شئ فإن عمل الأمة الطامحة إلى الحرية لا يقل شأناً فى هذا الخصوص عن عمل الفلاح الذى يبذر فى حقله البذور ثم يذر فوقه الـكبريت

لقد حرم القانون الإنـكليزى منذ القرن الخامس عشر مدح الملك ، كما حرم ذمه ايضاً

وهكذا تـكون خطة الأمة الراغبة فى الحرية

للـكلام بقية **أحمد مصطفى الخطيب**



الوجود السجين

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

فى ضباب الأحزان . . واللهب القاتم ينشق بين قصف الرعود . .
وبكاء الحنين .. بالأدمع الخرساء .. فى وحدتى ، سجنت وجودى:
نغماً تائها .. يحن إلى الحب . . إلى عالم قصى . . بعيد . . !

* * *

وبروحى من العواصف ليل..   أبدى الظلام .. جهم النشيد
ولهيب الأشواق يجتاح صمتى   بحنين .. معذب .. عربيد ..
والفراغ المخيف يأكل أيامى .. وينداح فى ضباب شرودى

* * *

للهيب المجنون .. بين ضلوعى   والدموع الحمراء تحرق خدى
وسجون الظلام .. حولى بحار   عصفت فى هديرها المستبد
وشراعى الرهيف .. فى لجة الشك غريق فى موجها المتد
ولحونى مخضبات . . وقلبى   نغم ظامئ ، يعذب سهدى
وصباحى يطل من أفقه الدامى . . غريبا فى ليله المربد

* * *

وأنا طائر شقى الأغاريد .. حزين الرؤى .. أرفرف وحدى
كلما قلت : قد كسرت قيودى   أبدلتنى الأيام قيدا .. بقيد ..

* * *

أنت يا من أشرقت فى ظلماتى   وزرعت الأنوار فى حقل أمسى
وبعطر الصباح نضرت روحى   وتفجرت فى مباهج عرسى
ثم ألهبت بالجمال شعورى   وتجليت فى ارتعاشات نفسى
وسكبت الحنين فى مزهرى الحالم ؟ فاهتز فى خفوت .. وهمس :
قد دعانى روح السماء .. فأطلقت ، جناحى .. وعانق النور هجسى
فلماذا تركتنى .. لليالى ..؟   ولماذا تحطم اليوم كأسى . ؟ . !

* * *

فحرام على الذى يهب الحب .. أن يحرق القلوب بنوره ..
والذى يسكب العبير لتشقى   شفة الزهر من هبيب عطوره ..
هذه الوردة الحبيبة أغمت   فى حنين الربيع بين طيوره
وجراح الهوى .. على وجنتيها   تتلظى بشوقها .. من سعيره

* * *

وابنة النور بين عرس الروابى   ترد النهر فى ارتعاش خريره
هى روح تطير فى شاطئ الرو   ض ، وتهفو على غمام عبيره
ثم تهوى بين الزهور .. وتفنى   فى ارتعاش الصباح بين هديره
أترى موكب الحياة.. احتوتها   فطواها الفناء بين سطوره .. ؟

* * *

يا لها شقوة .. تعذب نفسى   فى غموض الظلام .. فى ديجوره
لهفة للحياة .. تغمر روحى ..   بأسى خافقى .. بنار شعوره ..
الضباب الكثيف أغرق أمسى   وغدى تائه .. بليل مصيره . !

محمد فوزى العنتيل

الملوثون !

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتوري

وكان مصر تاريخ .. وكانت   لهذا الشعب أمجاد عظيمه
فمن رد اللاحم وهى ريح   نولول حول مقبرة قديمه
ووطأ تاج فرعون فداست   على أقداسه جيف رميمه ؟
ومن زرع الخيانة فى زبانا   وذوب فى شواطئنا سمومه
وغطى فجرنا بالسحب حتى   نسينا فى غياهبنا رسومه ؟
وقالوا : الاحتلال ، فقلت كفوا   فتلك جناية الأيدى الأثيمه
تحرر غيركم بالموت حينا   فما لكم قنعتم بالهزيمه
ولو طهرت دماؤكم لعاشت   بلادكم مسودة كريمه
وقالوا : الحاكم الجبار فينا   فقلت وفى دمى حمم أليمه
ألم تصنعه أيدكم ؟ ألما   تكونوا مضغة الشاة السقيمه
كفاكم أنكم كنتم دخانا   يظلل وجه من صنع الجريمه
فخلوا قائد التاريخ يمشى   بموكبه لغايته الحكيمه !
ولا تقفوا أمام السيل كيلا   تمزقكم عواصفه الرجيمه
لقد طلع الصباح على جديد   فواروا هذه الجثث القديمه

محمد مفتاح الفيتورى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

عودة العميد

عاد الدكتور طه حسين إلى القاهرة ، بعد أن أمضى فترة الصيف فى أوربا كعادته من كل عام ؛ ومثل مصر فى مؤتمر الفنانين بالبندقية ، هذا المؤتمر الذى عقد فى ٢٦ من الشهر الماضى

وكان هذا المؤتمر من أهم الأسباب التى عوقت عودة الدكتور الذى كان حريصا على أن يعود إلى مصر بعد حركة البعث الجديدة مباشرة

وقد زرنا عميد الأدب وقضينا معه بعض الوقت ، واستمعنا خلال ذلك إلى أحاديث متعددة الجوانب حدث بها الكثير من زواره وأصدقائه وتلاميذه ، ونحن نوجزها فيما يلى ، ونرجو ألا يخل إيجازها بالمعانى العليا التى اشتملت عليها ، والتى نثرها العميد على مريديه

قال : منذ ترامت إلينا أنباء حركة الجيش ونحن فى شوق إلى مصر ، وما رأيتنى مرة من المرات وأنا عائد من أوربا أكثر فرحا بالعودة إلى وطنى منى هذه المرة . .

وقال : لقد زرت الأستاذ أحمد لطفى السيد — أمس — بعد عودتى من أوربا، فوجدت هذا الرجل الذى ارتفعت به السن فرحا ومتحمسا للثورة الجديدة ، حماسة لا تدانيها حماسة الشباب ؛ فلما هنأته بالحركة الجديدة وقلت له إنها من ثمار غرس طويل شاركت فيه أنت وتلاميذك بقدر ليس بالقليل ، قال لطفى السيد : أى فخر ذلك الذى أحرزته مصر فى نظر العالم كله ؛ أن يقف ضابط مصرى هو محمد نجيب ويقول لابن محمد على : عليك قبل الساعة الثانية عشرة أن تتنازل عن العرش ، وعليك قبل الساعة السادسة أن تغادر البلاد .. أى مجد هذا فى أن يتحقق لمصر هذا الأمل الكبير ، ويصل فيها الوعى إلى هذه الدرجة من القوة !

وتحدث عميد الأدب إلى كثير من الأساتذة والمعلمين والمدرسين فى مختلف أنواع التعلم الجامعى والثانوى والابتدائى .. من زواره وضيوفه ، فقال لهم : إن هذه الثورة من أهم ما نعتز به ونفخر .. ولابد أن تبلغ الثورة أهدافها ، وعليكم أن تكونوا أداة عون أكيد لتحقيق هذه الأهداف ، وأن تكونوا فى مختلف دور العلم رسل السلام والخير ودعاة الإيمان الصادق بالنهضة الجديدة . وعليكم كذلك أن تضحوا فى سبيل هذه الغاية ، تضحوا بكل شئ ، وألا تجهدوا العاملين فى الوقت الحاضر بمطالب أو طلبات ، وأن يكون رائدنا التجرد الكامل للعمل الوطنى ، دون أن نلتفت إلى رغباتنا الخاصة ، فهذه يجب أن تؤجل أو تنسى خلال هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن

وقال الدكتور العميد : إن الثورة فى مصر ، منذ ترامت أنباؤها إليه، قد شغلته عن كل شئ ، ولذلك فهو لم ينته من كتابه الجديد عن الإمام على ، وقد كان يطمع فى أن يعود به كاملا

وجرى الحديث حول مقالات الدكتور التى كان يكتبها فى العهد الماضى ، بذلك الأسلوب الذى يغلب عليه الإيماء والرمز ، والتى كان يفهمها كل من يقرأها ، ويعرف ماذا يريد أن يقول كاتبها ، مقالات الهلال ، و « رسالة لم يكتبها الجاحظ » ، و « جنة الشوك » .. وغير هذه مما كانت تحمل بذور الانتقاض ومعاول الهدم لذلك الطاغوت .. والعهد البغيض

الأعداد الثلاثة .. مفخرة الجيل

ما أريد أن أجامل الأستاذ الزيات أو أتملقه حين أكتب هذه الكلمة فى « الرسالة » .. حقا ! كان خليقا بى أن أكتبها فى أى مكان آخر ، ولكن هذا باب قد عودنا قراءنا أن نسجل لهم فيه أهم أنباء الأدب.. وليس شك أن من أهمها هذا الأسبوع تلك الاستقالة التى بعث بها صاحب الرسالة إلى شيخ الأزهر من رئاسة تحرير مجلة الأزهر !

ولقد كنا نتنبأ بهذه الاستقالة قبل أن تقع ، فقد قبل الأستاذ الزيات هذه المهمة على غير رغبة منه . كان يعلم مشقة هذا العمل، مشقة تجديد مجلة درجت على طريقة معينة فترة من الوقت . . ثم ليخرجها من حيزها « الأزهرى » المحدود ، كتابة وطباعة

وإخراجا .. لكي تستطيع أن تقف فى صف المجلات العالمية التى تشرف اسم « الأزهر » فى كل بلد يقرأ أهلها العربية

وعلى الرغم منه ، قبل الزيات ، وعمل .. وتحمل الكثير من المشاق والمتاعب التى لا تتناسب مع صحته أو سنه . . ولكنه ضحى بكل شئ فى سبيل العمل الباقى ، وظل الناس فترة من الوقت يتساءلون : ماذا سيعمل الزيات فى مجلة الأزهر وكيف سيخرجها ؟

وهمس الأزهريون ، لعله سيكتب مقالا شهريا ويمضى !

ثم ظهرت مجلة الأزهر ، فكانت آية الفن والعلم والإخراج والبحث ...

وكان العدد الثانى أقوى من الأول ، وقد بدا فيه الجهد كبيرا وواضحا

وظهر العدد الثالث فكان تحفة أدبية وفنية رائعة ، جمع فيها أبرز كتاب الدنيا والدين ، على موضوع هو أعظم موضوعات الإسلام جميعا ذلك هو « الفتح » .. الفتح فى الحرب والعقيدة والتشريع واللغة والنحو والفلسفة والعلم والعمارة والموسيقى

وكأنما كان الأستاذ الزيات يوحى إليه بظهر الغيب ، إذ يروى فى هذا العدد الأخير من مجلة الأزهر قصة المجلة ، وتحس فى أسلوبه المرارة ، والشعور بأنه يريد أن يتنحى ، قال فى تعقيبه على مقال :

« توليت إدارة هذه المجلة وليس فيها محرر ولا مترجم ولا موظف يعين على التحرير والترجمة ، فلم أجد بدا من الاستعانة بالكتاب الذين حملوا أمانة العلم وفهموا ثقافة الإسلام . وكان من أول هؤلاء وأولاهم كتاب الأزهر ، ولكن معرفتى بأكثرهم قليلة ، وهم لم يتكرموا بالتعارف ولم يتقدموا بالمعونة ، فلجأت إلى من أعرفه من الأزهريين والجامعيين والمجمعيين

وخرج عدد « رمضان » على النحو الذى عرفت ، ولم يتغير الحال فى عدد شوال فصدر على الوضع الذى رأيت

وفى عدد المحرم — الذى بين يديك — اختلف الأمر بعض الاختلاف . لم أجد بعد ثلاثة أشهر مسوغا لانتظار التعارف أو التعاون ، ففزعت إلى لجنة من صفوة الأصدقاء فى الأزهر ، ومعى خطة لهذا العدد الخاص مبينة المعانى ، معينة الأغراض ، وسألتهم أن يختاروا لهذه الموضوعات كتابها من رجال الأزهر ، فاختاروا طائفة من أعيانهم كتبت إلى كل منهم رسالة بموضوعه وموعده . ثم انتظرت ونظرت فإذا الأساتذة جميعا لا يكتبون ولا يعتذرون ما عدا الأستاذ محمد عرفة ، وكان الوقت قد ضاق عن استكتاب غيرهم ممن يكتبون أو يعتذرون ، فنزلنا مضطرين على حكم الواقع ...

ورأيى قبل هذا أن الأزهر فكرة ، فكل من أخذ بها وعبر عنها ودعا إليها فهو أزهرى ، وإن لم يخرجه الأزهر . أما رأيى بعد هذا فهو أن العبء باهظ ، والجو خانق ، والعدة ضعيفة ، والمعونة قليلة ، والسن متقدمة ، والصحة متأخرة ، وما أطمعت فضيلة الشيخ الأكبر الإمام عبد المجيد سليم فى تولى هذه المجلة إلا لأرسم الخطة وأضع النموذج . وفى اعتقادى أن فى الأعداد الثلاثة التى صدرت على علاتها ما يكفى »

وقد صدق الزيات ، فقد رسم الخطة ووضع النموذج لمجلة عالية ، تصدرها أكبر جامعة عالية هى الأزهر ، وهذه الخطة من وجهة نظر المثقفين من خارج الأزهر — وهم الغالبية التى يكتب لها الأزهر ويواجهها ويدعوها إلى ثقافته — غاية فى القوة

ونحن نعتقد أن هذه «الأعداد الثلاثة» هى خير ما أخرجت هذه المجلة فى تاريخها كله ، وأن مجلة الأزهر يجب أن تكون مثلا عاليا للثقافة ، حتى تستطيع أن تجرى مع تيار النهضة العالمية المتدفق

ولست أنسى أن أذكر أن من أجود ما أعجبنى فى مجلة الأزهر — فى الأعداد الثلاثة الأخيرة — تلك الخلاصات المركزة من العلم والأدب المبثوثة فى الفصول الأخيرة ، فهى وحدها جهد جدير بالإعجاب والتقدير

وإن يكن الله قد شاء أن يدع الزيات مجلة الأزهر ، فقد كتب الله له أن يسجل أضخم صفحة فى تاريخها

أنور الجندى

الكتب

عصر سلاطين المماليك

المجلدان : الثالث والرابع

تأليف الأستاذ محمود رزق سليم
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
للأستاذ محمد رجب البيومى

يعتقد صديقى وأستاذى الجليل محمود رزق سليم أن العصر المملوكى لم يأخذ حقه من البحث العلمى الدقيق ، فهو حافل بالمؤلفات العلمية فى شتى المواضيع الثقافية ، ذاخر بأعلام اللغة والفقه والأدب والتاريخ الذين حفظوا التراث الإسلامى بعد سقوط بغداد فى يد التتار ، ملئ بالأحداث السياسية والتاريخية التى كتبت مستقبل مصر والإسلام ، وحولت اتجاه الشرق العربى إلى مأمن يعصم من الكوارث والخطوب ، ومع ما لهذا العصر من الأهمية الخطيرة فأكثر من كتبوا عنه من المؤرخين والباحثين يقابلونه بوجه عابس ، ويواجهونه بنقد حاد

وقد كرس الأستاذ المؤلف جهوده الحافلة للدفاع عن هذا العصر وتسجيل مفاخره العلمية والسياسية ، وتعداد ما أنتج للأدب والعلم من ثروات غالية يعتز بها تراثنا النفيس ، ولم يقصر المؤلف جهوده فى هذه الناحية على ميدان واحد ، بل تشعبت به الميادين ، وانفسحت أمامه الطرق ، ووجد لديه من الموهبة والكفاءة والمثابرة ما حفزه إلى ارتياد الطرق المتشعبة ، والصيال فى الميادين المختلفة ، مهما أرهقه السير والتجوال ، وأضناه التجمع والوثوب

فهو فى كلية اللغة العربية يوجه تلاميذه إلى كنوز هذا العصر ، ويعرض أمامهم أساطينه وأعلامه محللا ناقدا ، ومؤرخا مستوعبا ، ويفسح مجال المقارنة بينه وبين العصر العباسى والأندلسى دون أن يتعصب لناحية أو يتشيع إلى فريق

وهو فى مجلة الرسالة الغراء يطالع قراءها الأفاضل بطرائف منتخبة عن العصر المملوكى ، فيجلو صفحات رائعة عن سماته البارزة فى النقد والحرب والفكاهة ، ويبحث عن خصائصه فى التورية والجناس والزجل والتشطير ، ويدرس جوانب هامة فى حيوات أعلامه البارزين

وهو فى جامعة فؤاد يقدم رسالة علمية عن النثر الفنى فى العصر المملوكى ، فتجلو عناصره ومقوماته ، وتزن آثاره بميزان النقد الحديث ، وتعقد صلة واضحة بين الطريف والتليد

وهو فى ميدان القصص ، يخط عدة أقاصيص تاريخية ينتزع أبطالها وحوادثها من هذا العصر الملئ ، ويسوقها للقراء فى أسلوب طلى ، وحوار جميل ، وقد وقف — على بعضها — قراء الرسالة ، فطالعوا ما كتبه الأستاذ عن قانصوه الغورى السلطان الشهيد

ثم هو أخيرا فى ميدان التأليف العلمى يكتب ثمانية مجلدات ضخمة تكون موسوعة شاملة لأهم ما حفظه التاريخ عن هذا العصر العجيب ؛ وإذا كان المؤلف قد رجع فى مصادره إلى مئات المخطوطات العتيقة ، يكشف عنها فى خزائنها المكنونة ، وينبش فى أضابيرها البالية باحثا منقبا ، ليؤيد رأيه بالدليل الملموس . والحجة المعترف بها ، حتى سود آلاف الصفحات ، وأرهق جسمه وعقله وعينيه ... أقول إذا كان المؤلف قد فعل ذلك فإنه جدير بالإعجاب والتقدير ، ولن يقدر مجهوده حق قدره غير من كتب له أن يقوم بدوره الشاق فى الرصد والتسجيل

ويذكر قراء الرسالة أنى كتبت بالعدد « ٧٨٨ » كلمة عن المجلدين الأول والثانى من هذه الموسوعة الضخمة ، وهأنذا أكتب كلمتى الثانية عن المجلدين الثالث والرابع بمناسبة ظهورها الآن ، فقد آثرت أن أتابع هذه الحلقة المباركة ، لأعلم مالم أكن أعلمه عن مصر العزيزة ، وتاريخها النفيس ، ولن ألخص للقراء مواضيع الكتاب ومحتوياته فى هذا العرض السريع ، فذلك متيسر لمن يمر بالفهرس مرورا خاطفا ، ولكنى أتجه إلى نقطة هامة ، سبق أن أشرت إليها فى مقالى السالف ، وبقيت تتطلب المزيد من الإيضاح والتعليق

لقد عزم المؤلف أن يجعل من المجلدات الثمانية موسوعة حافلة بالهين والجليل من أنباء العصر المملوكى ، فسود مئات الصفحات فى تسجيل حوادث وأنباء لا يحتاج إليها القارئ فى شئ فهو يكتب قوائم حافلة بأخبار الفيضان وأرقام الصعود والهبوط

ويتحدث عمن زار مصر من الأضياف ويسرد فهارس متتالية للكتب المختلفة فى الفقه والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والمنطق مما أخرجه علماء العصر المملوكى فى ميدان التأليف ، ولم يسمع بأكثره لتلاشيه فى رحاب السنين ، كما يتتبع كل خليفة أو مملوك أو وزير أو عالم أو قاض ورد ذكره فى الموسوعات الحافلة كالضوء اللامع أو النجوم الزاهرة أو حسن المحاضرة أو السلوك أو الشذرات أو التذكرة أو بدائع الزهور أو الدرر الكامنة فيخصه بترجمة موجزة مما كان سببا فى إرهاق الأستاذ بلا مبرر ، وقد خالفت المؤلف فى هذا الرصد العجيب فقلت فى مقالى السالف بمجلة الرسالة — العدد ٧٨٨ ما نصه :

« على أنى أخالف الأستاذ فى ناحية هامة تشيع فى مؤلفه . فقد حرص كل الحرص ، على أن يترجم لكل من ولى السلطنة أو ناب عنها ، وكذلك من تحدث عنهم فيما بعد من القضاة والخلفاء ، وفى هؤلاء جميعا من لا يستحق أن يكتب عنه سطر واحد ، حيث كان فردا عاديا لم يخلف أثرا هاما أو تحدث فى عهده من المفاجآت ما يدعو إلى الحديث عن زمن ولادته أو مدة حياته أو آونة وفاته ، وإنما ولى وعزل ، وكأنه لم يولد ، فكيف نتعب أنفسنا فى تراجم أصنام آدمية ، قذف بها الزمن فى قرار سحيق »

أقول ، لقد سبق أن قلت ذلك على صفحات الرسالة ، واعتقدت أن المؤلف الفاضل قد اقتنع برأيى المتواضع ، ولكن ظهور المجلدين الثالث والرابع ، قد أثبت نقيض ذلك ، حيث حشد الأستاذ فيهما تراجم عديدة لنكرات مهملة نقب عنها المؤلف فى شتى الموسوعات ! وحسبك أن المجلد الرابع قد ضاع ٩٠٪ منه ، فى هذه التراجم العجيبة ، حيث شغلت (٢٤٧) صفحة طويلة مزودة بالمراجع والأسانيد ، وبلغ عدد من ترجم لهم نحو الخمسمائة والخمسين من العلماء ، وكان الأجدر أن يقصر الأستاذ تراجمه على النابهين الأفذاذ من بين هؤلاء ، وهم لا يتجاوزون المائة على أكثر تقدير !

ولعل المؤلف قد شعر أنه بذل مجهودا كبيرا دون حاجة ملحة إليه فعمد إلى تبرير صنيعه ، وقال فى مقدمة المجلد الرابع — وكأنه يرد على —

« وتستغرق التراجم الموجزة لمشاهير العصر جزءا غير قليل من صفحات الكتاب ، وهى فى الحق ضئيلة بالنسبة إلى كثرة عددهم ، وواسع فضلهم ، ونظرة يسيرة إلى كتب أعلام هذا العصر وطبقاتهم تدل على صواب ما نقول ، وقد بدت فيها عناية مؤلفيها بأبناء عصرهم وأبنائهم ، وفى الحق أننا وجدنا فيها خضما واسعا بعيد الغور ، فلم يكن لنا حياله إلا حسن الانتقاء والنظم ، على أنها مرحلة فى هذا الكتاب لا بد من اجتيازها ، ولا سيما أن المؤلفات التى أشرنا إليها جمعت فأوعت ، ونوهت بالمشاهير وغير المشاهير »

فالأستاذ محمود رزق يقتدى بكتاب العصر المملوكى فى حشد التراجم من كل صوب ، وقد نسى أنه يكتب مجلداته فى القرن الرابع عشر ، لا فى المائة الثامنة ، أو القرن التاسع ، ولكل عصر خصائصه فى التأليف واتجاهه فى البحث ، فقد كان السخاوى وابن إياس والمقريزى يؤمون الجهات المختلفة ، ليسجلوا تراجم من يقابلونهم أو يسمعون عنهم من علماء المساجد ، وأساتذة المدارس ، ومشايخ الزوايا ، وقضاة المحاكم ، ثم يسودون صحائفهم العديدة بما يجمع الطيب والخبيث ، والصالح والطالح ، والسمين والغث ، والتافه والجليل ، وقد عفى الزمن على هذه الطريقة البالية ، وأصبحنا نختار ما نكتب عن دقة وتمحيص ، فإذا أراد مؤرخ معاصر أن يسجل هذه الحركة العلمية فى وقتنا هذا ، فليس عليه أن يتتبع التراجم فى شتى المظان ثم يرصدها لقارئه فى إيجاز واقتضاب ، ولكن عليه أن يدرسها فى مطالعته الخاصة ، ثم يأخذ منها ظواهر معينة وأدلة ثابتة يقيم عليها بحثه التاريخى الكلى ، ويجعل منها أسساً متينة لآرائه وقضاياه ، وما ينتهى إليه من نتائج وأحكام

وهل يستسيغ الأستاذ الفاضل — إذا أراد أن يكتب عن عصرنا الحديث مثلا — أن يترجم لجميع من يقع على مؤلفاتهم من أساتذة الكليات ومدرسى المعاهد والمدارس ، مع أنهم جميعا يتسمون بالعلم والفضل والإنتاج ، أو أنه يختص أولى الأثر البارز فى توجيه الحركة العلمية والأدبية بالنقد والتمحيص ؟ أكبر الظن أنه يتجه الوجهة الثانية دون نزاع ، ولا يقبل أن يقلد السخاوى والمقريزى والسبكى وابن حجر فيما صنعوه منذ عدة قرون !! ولعل اهتمامه الكبير بأن يجعل كتابه موسوعة حافلة ذات كتب

وأجزاء ، قد دفعه إلى هذا الرصد والاستقصاء ، وهو بعد يعلم مناهج البحث التاريخى وما طرأ عليه فى العصر الحديث من ضوابط وقيود ، ولن يحتاج إلى من ينبهه إلى ذلك ، وفى الأبواب العامة التى يفتتح بها المواضيع الرئيسية لكتابه ، ما يدل على إحاطته الشاملة بالتيار الفكرى الحديث ...

وقد خص أستاذنا الفاضل طائفة من أعلام الفقهاء بتراجم تحليلية مسهبة تحتل مكانا فسيحا من المجلد الثالث ، وقد صاغها فى نسق علمى دقيق ، فهو يذكر المعالم البارزة فى حياة من يترجم له ، ويعرض شيوخه وتلاميذه وآراءه الفكرية والمذهبية ، ثم يعنى بتحليل مؤلفاته ، وعرضها عرضا يكشف عن ذخائرها الدفينة ، ومكامنها المستترة ، وبذلك استطاع أن يحلل طائفة من الكتب العلمية التى تعتبر بحق مصادر مستوفاة فى الفقه واللغة والأدب والتاريخ ، ولم يكتف بذلك بل أفسح المجال فى المجلد الرابع لعرض مؤلفات أخرى لا تنقص عن سابقتها فى شئ كوفيات الأعيان ، وعجائب المقدور ، والنضرء اللامع ، وبدائع الزهور ، وكانت هذه الموسوعات العلمية فى حاجة ماسة إلى من يتحدث عنها بإسهاب فيبين مااشتملت عليه من معارف جزيلة النفع ، ويكشف عما اهتز فى غصونها من ثمار يانعة ، وغرد على أفنانها من طيور صادحة ، ولعل المؤلف بذلك يلفت الأذهان إلى ضرورة الاعتناء بإحياء هذه الكتب ، وإخراجها للناس من جديد فى نسق علمى يعتمد على المراجعة والتحقيق

ومع أن الكاتب الجليل قد نقد بعض هـذه المؤلفات نقدا علميا سليما ونبه إلى ما تجمعه من محاسن ونقائص ، إلا أننا نلاحظ أنه يغمض العين عن بعض المآخذ الهامة ، بل ربما تلمس لها من التصويب ما يتعذر التسليم به ، وقد دفعه إلى ذلك هيامه بالعصر المملوكى ، وموقفه منه موقف المدافع الذائد ، وهو يصرح فى مقدمة المجلد الثالث بأن النقد ليس غرضا أصيلا فى تحليله وعرضه ، وإنما يرسم صورة هادئة خالية من صخب النقد والحمد معا ، كما يقول إنه يأمل أن يجد للنقد الصريح مجـالا غير هـذا المجال ، وأنا لا أوافقه على هذا المسلك ، فالفكرة العلمية لا تكون كاملة مستوفاة إلا إذا أخـذت دورها الكامل فى التمحيص الشامل ، والنقد الدقيق

وقد لاحظت أن الأستاذ قد كتب تراجم موجزة لبعض العلماء ، ثم أعادها بإسهـاب مطيل ، وهذا لا يكون إطلاقا فى كتاب يحمل اسما واحدا ، وكان الأجدر أن يترك المؤلف تراجمه الموجزة ويحيل القـارئ إلى ما كتبه أو سيكتبه من التراجم المطنبة ذات العرض الشامل الفسيح ، وهناك أمر ثان يتعلق بهذه التراجم الطويلة ، فقد لاحظنا أن المؤلف قد اختار من الفقهاء عددا كبيرا كالنووى والعز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم وزكريا الأنصارى ، ومع هذه الحظوة البالغة بالفقهاء فقد أغفل النحاة واللغويين فلم يكتب ترجمة مسهبة لرجل كابن منظور أو ابن هشـام أو ابن مالك ، وكان الأولى فى التراجم التفصيلية أن توزع وفق العلوم المختلفة ، فلا يطغى الفقهـاء والمؤرخون على اللغوين والنحاة مثلا ، فيكون فى هـذا التنويع تاريخ ضمنى لجانب مختلف من العلوم ، ولعل الأسـتاذ قد حاول ذلك ، فتزاحمت لديه الشخصيات ، وتقاتلت أمامه الأسماء ، وصدق عليه قول القائل

تكاثرت الظباء على خراش فما يدرى خراش ما يصيد

محمد رجب البيومي



إلى صاحب الفضيلة وزير الأوقاف

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛ قرأت فى أسرار استقالتكم من جماعة الإخوان المسلمين التى نشرت فى الصحف ماجعلنى أرى فيكم مالم أكن أراه من قبل ، إذ كنت أظن ولا أخفى عليكم أنك شيخ أزهرى من هؤلاء الذين نراهم عمائم وصوراً ! فقد آنست فى أقوالكم وآرائكم روحا ذكرتنا بأئمة النهضة الحديثة؛ فحمدت الله كثيرا وزاد فى حمدى أن تكون الآن فى أقطاب وزراء الثورة الذين أخذوا على أنفسهم إنقاذ هذه الشركة المثقلة بديون الفساد والفوضى، وإنى لأنتهز هذه الفرصة الطيبة لأفضى إليكم ببعض ماأراه فى الإصلاح الدينى الصحيح

إن سيدى الأستاذ يعلم ولا ريب أننا الآن قد حق علينا قول رسول الله صلوات الله عليه « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » وأننا لا نصلح إلا بما صلح به أولنا ، وقد شاب ديننا من البدع والخرافات ماذهب ببهائه وأخر سير أهله، وكل صلاح لا يقوم أساسه على تطهير العقائد وتحرير العقول فهو إصلاح باطل ، وقد استعلنت بذلك بلسانى وقلمى منذ ربع قرن ولا زلت أستعلن به مادمت حيا

تقولون إنكم تريدون أن يعود المسجد إلى مكانته الأولى .. ولكن يجب قبل كل شىء أن يطهر من الوثنية حتى يعود إلى طهارته الأولى ويكون لله وحده (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً)

وكذلك نقضى على وصمة أخرى بالمساجد تلك هى صناديق النذور بعد تمزيق اللائحة التى وضعوها لها . ومن يرد أن يتصدق فأمامه وجوه الصدقات التى أمر بها الله وهى كثيرة وبعد أن تتطهر المساجد وتصبح لله وحده تعدون من سيقومون بأداء رسالتها إعدادا صحيحا حتى يستطيعوا أن يؤدوا ماعليهم للحياة وللناس أداء حسناً

ومما نطلبه منكم كذلك أن تستبدلوا بكتاب الفقه على المذاهب الأربعة مختصراً فى العبادات يحمله كل مسلم . تقتبس أحكامه من الراجح مما فى كتب السنة وعمل السلف الصالح بغير تقييد بأى مذهب من المذاهب ، لأن الله تعالى لم يطلب من عباده أن يعبدوه على مذاهب معينة . . والعامى لا مذهب له والعالم له أن يختار

هذا ما نريده منكم وقد سبق لنا أن طلبنا ذلك كله من المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق حينما تولى وزارة الأوقاف أول مرة .. ولكن يبدو أن مشايخنا عفى الله عنهم قد وقفوا فى سبيله — ونرجو أن يتم هذا الإصلاح على أيديكم إن شاء الله

المنصورة **محمود أبو رية**

١ — التربية والتعليم معا

إن نظرة خاطفة إلى أخلاق التلاميذ فى المرحلتين الأولى والمتوسطة تجعلك فى حزن عميق وألم ممض ، وأخلاقهم هذه تظهر جليا فى الميادين والشوارع ، وفى الحدائق ودور اللهو ، وفى المركبات العامة وغيرها ، ولا تختفى بوادرها المؤسفة حتى خلال ذهابهم إلى دور العلم ورجوعهم منها

الطلبة الصغار يعاكسون المارة ، ويشاكسون خلق الله ، ويتعلقون (بالترام) من الجهة اليسرى معرضين حياتهم للخطر ، وكرامتهم لألسنة السائق (والكمسارى) شأنهم فى هذا شأن الصبية المشردين — إذا رأوا عجوزا سخروا منه بعبارات نابية ، وإذا أبصروا ذا عاهة صاحوا وتصايحوا عليه ، ودعك بعد هذا من تراشقهم بالألفاظ البذيئة ، وتقاذفهم بالحجارة والحصى ، وتضاربهم بالأكف والعصى !

والطلبة الكبار يصطفون فى الصباح وبعد الظهر أمام مدارس البنات لمعاكستهن ومضايقتهن ، ويروحون ويجيئون فى الشوارع متعرضين لهن غير مبالين باستفزازهن ، وغير مكترثين للوم المارة ولا لمراقبة الشرطة ، وقبيل الأصيل ينتشرون فى الشوارع أيضا ، ولا مهمة لهم إلا الجرى والقفز ، والتندر بأشكال الناديات والرائحات

بن هؤلاء الطلبة المعوجين فى أخلاقهم ، قد أساءوا إلى المدرسة حتى فقدت ثقة الناس فيها ، وأصبحت مقياسا لسوء الأخلاق وانحطاطها ، ولابد من أن يتيقظ ولاة الأمور لهذه الهوة السحيقة، فلقد شغلتنا برامج التعليم ، وخطط الدراسة ، ونظم الثقافة ، عن أهم جانب فى حياة الأمم وهو التربية

ليس البيت وحده المسئول عن التربية ، وإنما المسئولية بجانبه واقعة على المدرسة بوجه عام — وعلى مدرسى الدين بوجه خاص ، فالمدرسة مسئولة عن تعليم التلميذ ، ولا يستقيم تعليمه إلا إذا استقامت تربيته ، ومدرس الدين هو المختص، وكعبة الأمل المنتظر فى توجيه التلميذ وطبعه بطابع الخلق الحسن ، وصياغته فى قالب من الخصال الحميدة والصفات النبيلة

لسنا فى حاجة إلى جيل متعلم مثقف إلا إذا كان مؤدبا مهذبا، وهذه النهضة الجديدة فى مسيس الحاجة إلى جيل صالح يرفع قدر مصر ، ولن يكون إلا إذا عنى ولاة الأمور بالتربية كعنايتهم بالتعليم ، وسارت التربية والتعليم جنا إلى جنب . . !

٢ — نحو مجتمع سليم

نرجو — وكلنا أمل فى أن يحقق الله رجاءنا — أن تعمل ثورة الجيش الإصلاحية على إيجاد مجتمع نظيف سليم فى مصر يرفع شأنها ويعلى قدرها ، ويعز جانبها ويصل بها إلى المكان اللائق بالأمم المتقدمة الناهضة

إن المجتمع النظيف السليم عنوان الأمة الراقية الناهضة ، ولن يوهب لأمة من الأمم ذرة من الهيبة والتقدير إلا إذا كانت تتمتع بمجتمع سليم حى ، ولو بلغت هذه الأمة مبلغا كبيرا من القوة والنفوذ — والدول الغربية ذوات السلطان والجاه ، إنما تربعت فوق هامة المجد والعزة لأن المجتمع فى جميعها يظفر بأكبر قسط من الرقى وسلامة التكوين ونضارة الفكر

إذن فمصر اليوم فى مسيس الحاجة إلى هذا اللون من المجتمع ، ولن يتيسر لها هذا إلا إذا أخذ المصلحون على عاتقهم تكوين المجتمع تكوينا سليما ، يقوم على دعائم ثابتة قوية من الرقى والأخلاق والإشراف على توجيهه التوجيه الذى يصلح من شأنه ، وبث المثل العليا بين أفراده حتى يأخذوا بأسبابها وينشأوا عليها

ولكى نضمن تكوين المجتمع النظيف السليم ، يجب علينا أن نعنى العناية الكبرى بالشباب لأنه عصب المجتمع ودعامته — والذى يتطلع إلى أحوال الشباب — ولاسيما المثقف — فى مصر لا يسر بحال من الأحوال ، لأن غاية معظمه إن لم يكن جميعه تنتهى عند ارتياد الملاهى وركوب الدراجات، والسير فى الشوارع لمنافسة الفتيات ومعاكسة خلق الله

وفى استطاعة مصر أن تخلق لهذا الشباب من المغريات ما يجذبه إليها وبما يعود عليه بالفائدة ، كالإكثار من الأندية الرياضية على اختلافها ، وخير لهم أن يستنفدوا أوقات فراغهم بين جدرانها من أن يستنفدوها فى الشوارع والميادين والملاهى وركوب الدراجات

إن العناية بالشباب من أوجب الواجبات ، لإيجاد شعب حى نظيف ، ومجتمع راق سليم ، فإن مصر اليوم فى بدء التحول من حياة أرستها ردحا من الزمن على تراب الحضيض ، إلى حياة جديدة ناهضة سترسيها إن شاء تعالى — على قواعد من الرقى والتقدم ، فهى فى حاجة إلى المجتمع السليم النظيف حتى تصل القافلة إلى غايتها

الاسكندرية نفيسة الشيخ

تحية . . وإعجاب

أعجبت أيما إعجاب بخريدة الأستاذ ميشيل الله ويردى المنشورة بالعدد ١٠٠٥ من الرسالة ؛ وهى التى يحيى بها ذكرى هجرة الرسول معارضاً بردة البوصيرى

ولئن أعجبت بالقصيدة فى قوة سبكها ومتانة نظمها فإنى أكثر إعجاباً بأن أرى عربيا مسيحيا يمدح الرسول (ص) بشعور صادق لا يقل عن شعور صاحب البردة ومن سبق الشاعر إلى معارضته من الشعراء المسلمين

لقد أثبت الأستاذ الشاعر أن محمداً (ص) هو للعرب جميعاً مسلمين وغير مسلمين.. ولا غرو فمحمد أول زعيم وحد الأمة العربية وسدد خطاها فى طريق المجد والعظمة

إنى لأكبر فى الشاعر هذه الروح القومية العالية وأحيى فى فنه وحدة العرب على تعدد الديار واختلاف الأديان

والأستاذ «الله ويردى» وإن كان عربى الروح فهو تركى اللقب وتعريب لقبه « عطية الله » لأن «ويردى» معناها «أعطى» !

ولكم فى الختام فائق التحية وللأستاذ الشاعر خالص الإعجاب

جمال مرسى بدر



العش الخـــالى

عن الانكليزية

انتهى يوم العرس وسافرت آخر بنت كانت فى الأسرة مع عريسها الجديد ، وذهب آخر فريق من المدعوين وهم يضحكون ويمرحون فرحا بالعرس ، وأصبح المنزل هادئاً هدوءا فوق العادة كأنه خال . فالأب والأم وحدهما فى منزلهما الكبير ، وكان كل منهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر وينظر إلى الموائد التى عليها بقايا الوليمة ، فمن زجاجات الشمبانيا إلى أطباق الفاكهة فأنواع الحلوى المختلفة

وقال الزوج لزوجته : « أليس بالمنزل غرفة لم يدخلها هؤلاء الضيوف ؟ » فقالت : « غرفة مكتبك »

قال : « تعالى نذهب إليها » ثم نظر إلى الساعة وقال : جاء وقت العشاء فلنبدل ثيابنا للمائدة »

ثم أبدل وإياها ثيابهما ، وتذكر وهو خجلان أنه منذ سنوات كان ينتظر هذا اليوم؛ يوم تتزوج بناته ويتركن له المنزل وأمهن معه

وقد كان يغار من بناته فقد كن يشغلنها عنه بمطالبهن الكثيرة ولم يجرؤ على الاعتراف حتى أمام نفسه بغيرته منهن ، وإنما كان يشعر بذلك ويخجل من شعوره ، ولكى يكفر عن هذا الشعور كان يقوم بواجباته نحو أبنائه خير قيام فلم يهمل قط واحداً من هذه الواجبات ، ولكنه كان دائماً يشعر بتلك الغيرة من كل شىء يحول بينه وبين زوجته. وقد ظل كذلك إلى هذا اليوم . فى العام السالف تزوجت بنتاه (كاتلين) و (كلير) وفى بداية هـذا العام تزوجت جيرالد واليوم تزوجت الأخيرة وهى فرانسين ، وقد كان يحبهن جميعاً ولكنهن كن عقبة فى سبيله

واليوم لن تحدث بالمنزل الضجة التى كان يثيرها البنات وصواحبهن ، وكانت الأم تصرف كل وقتها فى خدمتهن ومرضاتهن وزوجها لا يثق بأنهن السبب فى ابتعادها عنه؛ بل كان يخطر له فى أكثر الأحيان أنها تجعلهن ستاراً لتختفى وراءه منه ، وكانت تفتنه بجمالها ويزيده شغفا بها اشتغالها عنه، وقد تزوج منها ولكنه لم يأنس بزواجها فقد كانت دائما فى حالة تشبه العزلة ، وكانت تهرب منه فلما رزق منها ببناته الأربع زاد ابتعادها عنه واستمرت حياتها الزوجية خمسة وعشرين عاماً وهو ينتظر ، وكان ينظر إلى المرآة ويبتسم ابتسامة مرة حينما يذكر أنه تزوج منذ ربع قرن ، وهو مع ذلك لا يتقدم إلى زوجته إلا كما يتقدم الشاب إلى فتاة صغيرة

وكان جميلا قوى البنية ، وكانت زوجته لا تزيد مع مرور الأيام إلا جمالا . وكانت شجاعتها تزيد مع هذا الجمال

نظرت إليه الآن وقالت وهى تشير إلى زجاجات الخمر والأطباق التى على المائدة : « ما هذه الفوضى التى تركت لنا يا برانينو »

وكان هـذا الاسم هو الذى ينادى به فى الطفولة، فنظر إليها وقال بهدوء : « إن اسمى هو جون »

فابتسمت أمام هـذا التقريع الهادئ . وتناولت معه طعام العشاء ؛ فقال وهو يتنهد تنهد الرضى : « منذ كم سنة لم نتعش وحدنا ؟ » فقالت : « منذ سنوات طويلة . مسكينة فرانسين ! لقد كان التعب الشديد بادياً عليها »

قال : « ولكن من أجمل المصادفات أنها تزوجت فى هذا التاريخ »

فقالت : « لماذا ؟ »

ونظرت إليه بعينيها الجميلتين الزرقاوين فأجاب: «ألا تذكرين أن هذا هو تاريخ زواجنا ؟ »

قالت : « آه ! لقد تذكرت . إننى كنت ناسية »

فعض شفته وبدا عليه الغضب لنسيانها ذلك اليوم . ثم ملك روعه . وشعر بخيبة الأمل فى السعـادة التى كان يرجوها لأن زوجته لا تشعر بمثل شعوره هـذا . وذهبا إلى غرفة المكتب بعد العشاء وكانا يسمعان من الغرفة حركة الخدم وهم ينقلون ما على الموائد من الأطباق ، وكانت الزوجة واقفة بجانب النافذة تنظر فى الظلام إلى أعالى الأشجار وما عليها من أعشاش العصافير وإلى الممرات المظلمة فى الحديقة الجميلة التنسيق . وكان الزوج جالساً أمام مكتبه ، وقد أسند ذقنه بأصابعه

وكانت الزوجة تتذكر خلو المنزل من الموسيقى والغناء .

والضحك واللعب والحديث فقالت : « ألا يبدو المنزل كأنه غير مأهول ؟ »

فهز رأسه وعادت هي إلى الكلام فقالت : « أظن جيرالد ستأتى فى العام المقبل »

كانت دائماً تفكر فى بناتها ، ولم يستطع حملها على التفكير فيه، فشعر الآن بخيبة أمله ، لأنه حتى فى هذا الوقت لم يستطع الوصول إلى قلبها . ولكنه سكت فلم يجبها وعادت إلى الكلام فقالت : « وأظن كلير تستطيع أن تأتى شهراً فى الخريف ... مسكينة فرانسين ! إننى أرجو لها السعادة »

عاد إليه شعوره بالغيرة من بناته ولكنه كتمه كعادته وسكت ، فقالت : « لقد سمعت من بنت عمى دوليس فى الأسبوع الماضى — ولم أستطع إخبارك إلا بعد انتهاء العرس — سمعت أنها تدير الآن نادياً للفتيات فى جنوب لوندرا »

لخفق قلب جون وقال : « ثم ماذا ؟ »

قالت : « وقد اقترحت على أن أنضم إليها فهى فى أشد الحاجة للمساعدة . وقالت إننى سأكون منفردة هنا مستوحشة بسبب غيبة البنات وهى ترى أن أقيم معها وآتى إلى هنا يوم فى الأسبوع . وأنت تتغيب عن المنزل طول النهار وفى إمكانك قضاء بقية الأسبوع فى غيبتى وحدك »

دارت الدنيا أمام عينيه وشعر بالذل . ولكن عزته المجروحة بت إظهار ذلك فقال : « افعلى ما ترينه »

قالت : « وإذا كنت تريدنى فإنى مستعدة لأداء واجبى »

فقال : « الواجب لا دخل له هنا »

فقالت : « إننا سنقرر الرأى فى هذا الموضوع فيما بعد »

فرأى الزوج أن أى قرار خير من الشك وأن عليه أن يواجه الليلة مالا بد من مراجهته فيما بعد . وهو يريدها ولكن على غير هذا الشرط فقال : « إننى أرى أن تقررى الرأى الآن »

فالتفتت ونظرت إليه فى صمت . ولكنه لم يطق أن ينظر إليها . وارتكن إلى ظهر الكرسى وكانت أمامه رزمة من الخطابات فأخذ يقلبها بصورة آلية ويقرأ العنوانات فأجابته : « سأذهب إلا إذا كنت فى حاجة إلى »

فكان رده المختصر : « لست فى حاجة إليك »

فتركت الغرفة فى الحال وتركته بين أنقاض أحلامه

وبعد أسبوع كان الزوج جالسا وحده . وكانت الزوجة قد ذهبت فى اليوم التالى للعرس إلى بنت عمها . وكانت نفس الزوج لا تزال متألمة من جرح عزتها . وشعر بالتعاسة لاعتقاده أنه كان من الحماقة أن يتركها تذهب دون أن يقاوم ، فهو يشعر بأن الحياة بدونها لا تطاق

وقف أمام النافذة التى وقفت أمامها منذ أسبوع وفكر فيها وفيما تعمله الآن . وكانت صورتها الكبيرة على الحائط فقال فى نفسه : « ترى كيف حالتها الآن ؟ لعلها فى خطر ! »

وإنما أتى بهذه الكلمة إلى ذهنه أن أعصابه كانت شديدة الاضطراب . ولم يكن يطيق النظر إلى صورتها

وكانت الغرفة مملوءة بصور أخرى لبناته فنظر إلى تلك الصور وهو يبتسم ابتسامة مرة وقال : إنها انتصرت على طول الخط ، وإننى هزمت على طول الخط كذلك

ونظر إلى الساعة ، وكان الليل قد انتصف وتشبثت بذهنه فكرة الخطر ، وفكر فى مقدار المسافة التى يقطعها إذا أراد زيارتها ، ولكنه شعر بأن ذهابه فى مثل هذه الساعة ليسأل عن صحتها لا يمكن أن يكون إلا حماقة . واختصم فى ذهنه العقل مع الغريزة فكانت الأخيرة هى الغالبة

وكان الكل قد ناموا ، ولكن فتحه جراج السيارة لا يستغرق إلا دقائق ، ثم يخرج السيارة ويوقظ السائق ، فيخبره بأنه ذاهب إلى جنوب لوندرا ، وأنه ليس فى حاجة إليه

وفعل ذلك ، واخترقت السيارة الطرق ، وهو يزيد فى السرعة قبل فوات الوقت . ولم يكن قد زار من قبل ذلك النادى الذى تقيم فيه زوجته ولكنه كان يعرف عنوانه ، وكانت الغريزة وحدها هى التى تقوده الآن . ثم تلاشى حكمها ، وتحكم العقل فأسند ظهره إلى الكرسى ، وأخذ يضحك من حماقته ، وهو يخترق الشوارع الخالية .. إلى أين يذهب ؟ لا إلى شئ !

وأخذ يدق الجرس . . فلو رآه أحد فى الطرق الخالية لخاله سكران !

ووصل إلى النادى ، فنزل من السيارة ونظر إلى النوافذ ،

فلم ير إلا دخانا يتصاعد . وأصغى فسمع أصواتا تدل على وجود حريق فى النادى ، فوضع يده فى فمه ، وصفر ليدعو الجنود ، وأخذ يحاول كسر النافذة بالآلات التى يصلح بها السيارة . وفى الوقت الذى كان يصيح فيه باستدعاء المطافئ استطاع الدخول من الفتحة التى أوجدها فى النافذة فجرح رأسه ويداه ، وكاد الدخان يخنقه فتراجع حتى تمكن من وضع منديل فى فمه ، ثم دخل مقتحما وأخذ يصيح « يا هيلين ! يا هيلين ! » فخرجت إليه سيدة قال لها : « إن المكان يحترق ! أين زوجتى ؟ »

قال : « إنها نائمة فى الطابق الأعلى »

ثم صعدت معه وصاح باسمها فخرجت ودهشت وقالت « لماذا جئت يا جون ؟ »

فقال : « أسرعى بقليل من الماء »

فأسرعت وعند عودتها تذكر أنه لم يشرح لها سبب مجيئه فقال : « إن النار فى البناء ! لا ينبغى أن نضيع الوقت » ثم وضع منديلا مبلولا آخر حول فمها وبل المنديل الذى حول فمه ونزل معها فى وسط الدخان المتصاعد ، فلما رآها يكاد يغمى عليها حملها بين يديه ، وكانت الحرارة شديدة حتى يكاد يغمى عليه أيضا ، وخرج بها من النافذة

***

كانت الساعة الثالثة صباحا عندما عاد الزوجان إلى منزلهما ولم يتبادلا إلا كلمات قليلة وكانت الزوجة شديدة الشحوب وقالت : « لقد جئت إلى هنا يوم العطلة السالفة . ولكنك لم تجئ فيه »

قال : « نعم هذا هو الواجب على فى هذه الظروف »

قالت : « أى ظروف ؟ » فلم يجب . وقالت .

« ما الذى جعلك تأتى فى هذه الساعة وكيف علمت ؟ »

قال : « لا أعلم ولكن كان مستوليا على شعور غريب بأنك فى خطر فأتيت وأنا أعرف أن إطاعة هذا الشعور حماقة ، ولكنى لم أستطع منع نفسى . وما كنت أصدق القصص التى من هذا القبيل وكنت أسمع صوتا يقول لى إن زوجتك المحبوبة فى خطر »

فسكتت مدة طويلة ثم قالت : « لم أكن أعلم أنك تحبنى إلى هذا الحد »

قال : « إنى رجل محتجز يا عزيزتى وقد كنت أعتقد أنك تدركين حبى لك . ولكننى لم أكن أستطيع الوصول إليك لأنك تهربين منى »

فقالت : « نعم لأنى خائفة »

قال : « خائفة ! ! من أى شئ ؟ »

فقالت : « خائفة من إظهار محبة أكبر من المنزلة التى وضعتنى فيها . إن لى عزة نفس ولذلك كنت أجعل بناتى ساترا حتى لا ترانى »

قال . « وكيف عرفت المنزلة التى أضعك فيها »

فقالت : «عرفتها من ذهابك بعد العشاء مباشرة إلى مكتبك كأنك لا تريد أن تكون معنا »

قال : « إننى كنت أفعل لأنى لا أريد أن أرى صواحب بناتى ولا تلك الضجة التى تحول بينى وبينك »

فقالت : « وكيف لا تسر عندما أكلمك عن بناتنا ؟ »

قال . « كيف عرفت ذلك ؟ »

فقالت : « إنك خير من يقوم بواجبات الأب . ولكنى عرفت ذلك من ملاحظتى ما يبدو على وجهك أثناء الحديث عنهن . وفى يوم الأربعاء الماضى أردت أن أمتحن سعورك وكان خطاب بنت عمى قد وصل إلى . ولكننى لم أعره عناية . وقد جربتك بالتكلم عنه وقلت فى نفسى إنك إذا سمحت بذهابى فإن ذلك سيسحق قلبى . وأنا لم أكن أريد الذهاب إلى بنت عمى »

فقطب حاجبيه وقال : « إنك تذكرت عزة نفسك ولم تتذكرى عزة نفسى ! وقولك دلنى على أنك تريدين الذهاب . وقد كنت فى غيابك تعسا للغاية » ثم وقف فجأة وقال : « لقد كنا مغفلين »

وتناول كفها بين كفيه وقال : « أظننى وجدت نفسك بعد هذه السنوات ولن أتركك تفلتين بعد الآن »

فقالت هامسة : « إننى أحبك كما لم أحب أحدا فى الوجود »

ثم وضع ثغره فوق شعرها الناعم اللامع وقال : « لك أن تتكلمى عن بناتنا الآن فما دمت أنك كنت تتخذينهن ساترا بينى وبينك . فإنى لا أغار منهن »

فابتسمت وقالت : « لقد أدركت نفسك أيها الطفل الكبير »

ع . ح

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

قوة الكلمة ... ... : للأستاذ سيد قطب ١١٦١

دولة بلا دين ؟ ! ... ... : « (عين) ١١٦٤

المنفلوطى الشاعر الجرئ ... ... : « محمد رجب البيومى ... ١١٦٦

الداء والدواء ... ... : للدكتور فضلو حيدر ١١٦٩

أحمد آغا أغلو ... ... : للأستاذ عطا الله ترزى باشى ... ١١٧٢

شلر ... لتوماس كارليل ... ... : ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت ١١٧٤

فى بلاد الأحرار ... ... : للأستاذ آغا أغلو أحمد ١١٧٧

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ... ١١٧٩

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١١٨١

(المسرح والسينما) — المسرح المصرى فى عام — للأستاذ على متولى صلاح ١١٨٣

(البريد الأدبى) — ظاهرتان — لازار فى شعر شوقى — تحت منظار ١١٨٥
النقد — تصويب ... ...

(القصص) — فلوريدور ومرغريت — عن الفرنسية ١١٨٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرواية

تعـــــــود

و

الرسالة

تتجـــــــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفي يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1007

Le Caire 20 — 10 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

قوة الكلمة

للأستاذ سيد قطب

فى بعض اللحظات لحظات الكفاح المرير الذى كانت الأمة تزاوله فى العهد الذى مات .. كانت تراودنى فكرة يائسة ، وتلح على إلحاحا عنيفا .. أسأل نفسى فى هذه اللحظات . . ما جدوى أن تكتب ؟ ما قيمة هذه المقالات التى تزحم بها الصحف ؟ أليس خيرا من هذا كله أن تحصل لك على مسدس وبضع طلقات ، ثم تنطلق تسوى بهذه الطلقات حسابك مع الرؤوس الباغية الطاغية ؟ ما جدوى أن تجلس إلى مكتب ، فتفرغ حنقك كله فى كلمات ، وتصرف طاقتك كلها فى شئ لا يبلغ إلى تلك الرؤوس التى يجب أن تطاح ؟ !

ولست أنكر أن هذه اللحظات كانت تعذبنى . كانت تملأ نفسى ظلاما ويأساً . كانت تشعرنى بالخجل أمام نفسى . خجل العجز عن عمل شئ ذى قيمة !

ولكن هذه اللحظات لحسن الحظ لم تكن تطول . كان يعاودنى الأمل فى قوة الكلمة . كنت ألقى بعض من قرأوا لى مقالا ، أو أتلقى رسائل من بعضهم ، فأسترد ثقتى فى جدوى هذه الأداة . كنت أحس أنهم يتواعدون معى على شئ ما . شئ غامض فى نفوسهم ، ولكنهم ينتظرونه ، ويستعدون له ، ويثقون به !

كنت أحس أن كتابات المكافحين الأحرار لا تذهب كلها سدى . لأنها توقظ النائمين ، وتثير الهامدين ، وتؤلف تياراً شعبيا يتجه إلى وجهة معينة ، وإن لم تكن بعد متبلورة ولا واضحة .. ولكن شيئا ما كان يتم تحت تأثير هذه الأقلام

ولكننى مع هذا كنت أعود — فى لحظات اليأس والظلام — لأتهم نفسى . كنت أقول : أليس هذا الإيمان بقوة الكلمة تعلة العجز عن عمل شئ آخر ؟ ألا يكون هذا ضحكا من الإنسان على نفسه ليطمئن إلى أنه يعمل شيئا . وليهرب من تبعة التقصير والجبن ؟

وهكذا كنت أعيش طوال فترة الكفاح الماضية .. حتى شاء الله أن يطلع الفجر الجديد ، وأن تنكشف الغمة المعتمة ، وأن يتنفس الناس الهواء النظيف الذى حملته الثورة ، وأن يصبح هذا الصراع ذكرى يضمها التاريخ فى ثناياه ..

واليوم خطر لى أن أرجع إلى بعض القصاصات التى تحوى بعض ما كنت أكتب فى ذلك العهد الرهيب ..

ولست أنكر أننى فوجئت مفاجأة شديدة .. إن قوة الكلمة شئ عجيب . إن أحلاما كاملة قد أصبحت حقيقة واقعة ، وأن نبوءات قد صحت برمتها .. لكأنما كانت أبواب السماء مفتوحة والمكافحون الأحرار يكتبون ويتوجهون بكل قلوبهم مع هذه

الكلمات .. وإلا فمن يصدق — حتى أنا — أننى كتبت منذ أكثر من عام مثل هذه الفقرات :

« لقد بدأنا فى هذه المرة بدءا أكيدا لأننا بدأنا بدءا صحيحا . لقد خر اثنان من الفلاحين مضرجين بدمائهما الطاهرة ، أولهما فى كفور نجم بتفتيش محمد على .. والثانى فى بهوت فى تفتيش البدراوى

« لقد سالت دماؤهما فى هذه المرة لا فى ثأر عائلى ولا فى معركة انتخابية كما اعتادت سجلات البوليس أن تسجل ، ولكنها سالت فى معركة الأرض ! الأرض الطيبة التى روى تربتها الملايين بالعرق والدموع ، ولم ينالوا منها شيئا ، ثم ها هم أولاء أخيرا قد بدأوا يروونها بالدماء . ولن تخونهم الثمرة فى هذه المرة لأن بذرة الدم لم تخب يوما فى التاريخ ولن تخيب

« لقد خر أول شهيدين فى معركة الأرض المقدسة أردتهما الأيدى الأثيمة . وسيتبعهما آخرون حتما . فهذا الإقطاعى المجنون لن يصبر على أن يرفع العبيد رءوسهم . ولن يطيق أن يسوء أدب الرقيق فى حق الأسياد . ولن يكف عن إراقة الدماء وإذن فلقد بدأنا !

« إن ملكية هذه الأرض الطيبة قد ردت على أصحابها الحقيقيين . إن وثيقة التملك السماوية قد كتبت ولن تفسخ أبدا.. لقد كتبت بالمادة التى لا تمحى . كتبت بالدماء ، فإذا لم تكن ذات الأرض قد ردت بعد ، فإنها منذ اليوم تعد مغصوبة والاغتصاب لن يدوم

« إن هؤلاء الإقطاعيين الحمقى سيوقعون فى كل يوم وثيقة بالتنازل عن الأرض المغصوبة . سيوقعونها فى صورة رصاصة طائشة تخترق صدر شهيد ، أو بلطة مجرمة تمزق جثمان بطل . ولكنها ستكون هى هى وثيقة التنازل عن الأرض ووثيقة التملك للآخرين المحرومين

« لقد طال ليل الظلم وطال ارتقابنا للفجر الجديد.. ثم هاهو الفجر يلوح . لقد تلألأت أشعته الأولى ، تلألأت فى هذه القطرات الزكية من الدم المسفوح . إنها ليست قطرات من الدم الرخيص فى معركة انتخابية ، إنها دماء عزيزة غالية لأن وراءها قضية طال عليها العمر . قضية مرت بها القرون تلو القرون . قضية كانت فى حاجة إلى مستند لا ينقض ، وإلى حجة لا ترد ، ولقد كتبت هذه الحجة الأزلية فى كفور نجم وفى بهوت . كتبت وانتهت وليس إلى مرد من سبيل !

وستكتب فى كل يوم وثيقة جديدة . ستكتب بفضل حماقة الحمقى الذين لا يؤمنون بالنذر ، الذين تأخذهم العزة بالإثم ، الذين مردوا على التكبر الفاجر والاستغلال القذر . الذين لا يطيقون أن تقف قامة واحدة منتصبة ، ولا رأس واحد مرفوعا ، الذين ألفت عيونهم رؤية الراكعين الساجدين فى عشرات القرون

إن هذه القطرات الطاهرة من الدماء العزيزة ستتحول نارا مقدسة تحرق ، ونورا سماويا يضىء ، ولن تخمد الشعلة أبدا بإذن الله ، ولن ينطفىء النور أبدا وهو من نور الله !

أللهم حمدا لك وشكرا . . أللهم حمدا لك وشكرا . . أللهم بارك نارك المقدسة التى أوقدت ، ونورك السماوى الذى أطلعت ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . »

قرأت هذه الفقرات التى كتبت منذ أكثر من عام مضى ، ثم عدت أسأل : أية قوة غير قوة الكلمة كانت تملك فى ذلك الوقت الرهيب المظلم أن تشق حجاب الغيب ، وأن تتجاوز العقبات والأشواك ، وأن ترقم فى السجل الخالد ذلك الواقع المشهود ؟

ثم عدت أسأل من جديد : ما سر قوة الكلمة ؟

إن السر العجيب ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ؛ إنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات ! إنه فى ذلك الصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس

فى هذا يكمن سر الكلمة وفى شىء آخر : فى استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ، ومن مشاعر الإنسان ، ومن صرخات البشرية ، ومن دماء المكافحين الأحرار

إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها ، وتجمعها ، وتدفعها .. إنها الكلمات التى تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حى . كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان . أما الكلمات التى ولدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل بذلك النبع الإلهى الحى ، فقد ولدت ميتة . ولم تدفع بالبشرية شبرا

واحداً إلى الأمام . . إن أحدا لن يتبناها ، لأنها ولدت ميتة . والناس لا يتبنون الأموات !

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا . ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم . أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق .. إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة ، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء ، انتفضت حية ، وعاشت بين الأحياء !

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ، يكدون قرائحهم ، لينتقوا اللفظ الأنيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة .. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هذا العناء ؛ فإن رمضة روح ، وإشراق قلب ، بالنار المقدسة ، نار الإيمان بالفكرة .. هو وحده سبب الحياة . حياة الكلمات وحياة العبارات !

***

ثم ماذا ؟

ثم لا يقعدن القادر على العمل وهو يطمع أن يؤدى واجبه بالكلام .. ذلك خاطر أحب أن أحذر منه بعد ما أسلفت من الإيمان بقوة الكلمة ، وإلى آثارها الملموسة فى الحياة

إنه فى كثير من الأحيان يكون القول الفصل للشاعر الذى يقول :

السيف أصدق إنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى كثير من الأحيان يصبح من العبث أن نظل نتكلم ونتكلم ، ثم لا نفعل شيئا . إن الكلمات فى هذه الحالة تكون استهلاكا للطاقة الكامنة وليست توليدا للطاقة

ثم إن عددا نادرا من الكتاب الموهوبين هم الذين يملكون أن يحولوا الكلمات إلى طاقة . أما القاعدة فهى أن يعمل الناس، وأن يحققوا بالعمل ما يريدونه من مقدرات

والكلمة ذاتها — مها تكن مخلصة وخالقة — فإنها لا تستطيع أن تفعل شيئا ، قبل أن تستحيل حركة ، وأن تتقمص إنسانا . الناس هم الكلمات الحية التى تؤدى معانيها أبلغ أداء

إن الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان إنسان ، ويعمل على تحقيقها إنسان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة ، مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهن ، وتبقى باردة ساكنة هناك

ومن هنا كانت العقائد هى الحادى الذى سارت البشرية على حدائه ، فى درب الحياة المتعرج الطويل . تصعد الروابى وتهبط السفوح ، وتردد حداءه فى المتاهة المهلكة ، فتنجو وتحيا ، وترتقى وتثق فى رسالتها ، لأنها رسالة تنبع من أعماق الضمير ، ويشتعل بها الوجدان ، ويتلألأ بها الشعور

إنه لا بد من عقيدة . وقوة الكلمة إنما تنبع من أنها ترجمان العقيدة . والعقيدة هى التى يغذيها الناس بحياتهم فتوهب لهم الحياة

سيد قطب

دولة بـــــلا دين !؟

ما هذا الـكلام الفارغ الذى نقرأه فى بعض صحف مصر ؟ فن دعوة إلى حذف النص على دين الدولة من الدستور . ومن انتقاد للدولة الدينية ، ومن أمثال ذلك تفيض به الصحف ، وتنطلق به الأقـلام ؟

والعجيب أن هؤلاء الذين يأتون بهذا الـكلام ، لا يعرفون الإسلام ، ولا يعرفون علوم العصر ؛ فهم يقررون بأن مصر هى الدولة الوحيدة التى نص فى دستورها على أن دينها الإسلام ، مع أن المثقفين الثقافة القانونية يعلمون أن على ظهر الأرض اليوم تسع عشرة دولة قد اشتمل دستور كل واحدة منها على مثل هذا النص هى: السويد والنرويج والدانيمارك وإيرلنده والأرجنتين وباراغواى وبوليفيا وكولومبيا وبيرو وكوستاريكا وبناما وإيران وبولونيا ورومانيا ونيكاراغو والأفغان واليونان وبلناريا وسيام ، حتى أن منها من نص فى دستوره على مذهب معـين كاليونان وبلناريا (الأرثوذكسية الشرقية) وبولونيا (الـكاثوليكية الرومانية) ، ورومانيا (الأرثوذكسية الرومانية) ، ونيكاراغو وبوليفيـا والأرجنتين وباراغواى (الـكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وإيران (الجعفرية الاثنا عشرية) ، والسويد (الإنجيلية السليمة على الصورة التى رسمتها طائفة أوغسبورغ الطاهرية وأقرها مجمع أوبسال سنة١٥٩٣) ، ونروج والدانيمارك (الإنجيلية اللوثرية)، وإرلندا وبيرو (الـكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وبناما (الـكاثوليكية)

ونحن نقول هذا لا لنكسب لقضيتنا دليلا ، ونقيم على دعوانا بينة، بل لأننا نعلم أن هؤلاء الـكتاب ، الداعين إلى حذف النص على الدين من دستور مصر ، لا يفهمون بالحجة والمنطق والبرهان ، ولا يميزون بين الرأى والرأى، بمقدار ما فيه من حق وباطل، بل بالدمغة التى يقرؤونها عليه، فإن كان عليه دمغة أمريكا (Made In U.S.A) فهو عين اليقين ، وإن كان عليه دمغة إنكلترا فهو حق اليقين فقط . وإن كان عليه دمغة فرنسا فهو اليقين ، أما إن كان مصنوعا فى الشرق فليس فيه إلا البطلان !

ولا تغرركم أسماؤهم الـكبيرة، فإنها طبول، وإنهم بلا عقول، أو إنهم لا يستعملون عقولهم . إنى أقول الحق والله لست أريد السباب

وطالما ناظرت رجالا من هؤلاء فكنت آتيهم بكلمة معزوة لإمام من أئمتنا فيسخرون منها ، فآتى بأخرى فى معناها لعالم أو فيلسوف من أوربا أو أمريكا فيخضعون ويخشعون ويسلمون

والذى يثبت لـكم أن كلامهم تقليد بلا فهم ، هو أنهم سمعوا الأفرنج يقولون بفصل الدين عن السياسة ، فقالوا بذلك وكرروه حتى صار من الحديث المعاد والـكلام المملول ، ولم يفهموا إلى الآن ماذا يريد الأفرنج بلفظ الدين

الدين عنـد الأفرنج هو الذى يحدد صلة الإنسان بالله . لذلك قالوا : الدين لله والوطن للجميع ، وقصروا الدين على الـكنيسة

ونحن لاننازع فى شئ من هذا ، ولا نقول بأن للدين (بهذا المعنى) صلة بالسياسة ، ولا نقول بأن له دخلا فى الدولة ، ولـكن ماذا نصنع إذا كان الإسلام يختلف بطبيعته عن النصرانية وعن الأديان الأخرى ، بأن كان فيه ما يحدد صلة الإنسان بالله وهو الدين (العبادات) ، وكان فيه ما يحـدد صلته بأهله وأسرته ، (الأحوال الشخصية) ، وكان فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض (المعاملات) وكان فيه حقوق عامة جزائية (العقوبات) ودستورية (أحكام البيعة وما يتصل بهـا من مباحث الفقه) ، وكان فيه حقوق دولية عامة تحدد صلات الدول بعضها ببعض ، وخاصة تحدد صلات رعايا دولة بدولة أخرى ، كل هذا فى الإسلام وهو موجود فى كل كتب الفقه ، فهل يمكن أن نفصل بعضه عن الإسلام ؟ هل يريد هؤلاء المجددون المقلدون أن نحـذف سورة براءة مثلا من القرآن لأنها من الحقوق الدولية وليست من الدين، كما يفهم الأفرنج من كلمة الدين ؟

* * *

نحن لا نريد أن ندخل الدين ، الذى هو العبادات ، أى — الصلاة والصوم — فى الدولة ، ولـكن لانستطيع أن نقيم دولة أو

نضع قانونا ، مخالفين أحكام الإسلام فى إقامة الدولة ، وفى موضوع هذا القانون

هذا كلام واضح صريح مفهوم ، صرت أستحى من إعادته ونشره ، لكثرة ما قلناه ونشرناه . ولكن هؤلاء الناس لا يفهمونه لو هم لا يريدون أن يفهموه ، وهو باطل فى نظرهم وسيبقى باطلا إلى أن يقرؤوه باللغة الإنكليزية فى مجلة تطبع فى نيويورك أو سانفرنسسكو ، أو فى أى قرية من قرى أمريكا ، هنالك يصير حقا ويهتفون له ، ويعيدونه ويفخرون بأنهم كانوا منتسبين (بالمصادفة) إلى هذا الدين العظيم

وإلا فهل يمكن أن تكون دولة بلا دين ؟ لا أقول لكم اقرؤوا كتبنا ومباحث علمائنا . بل أحيلكم على العلامة دوركايم ليثبت لكم أن ذلك ضد طبيعة الإنسان

وماذا تكون حال مصر لو خلت لا سمح الله من الدين كما يتمنى هؤلاء (العقلاء) ! ؟

إنه لا يبقى إلا القانون وازعا ، والقانون يمثله الشرطى ، فإن أنت لم يرك الشرطى فقد جاز لك أن تسرق وتزنى وتعمل السبع الموبقات . وهذه كانت شريعة إسبرطة ، كانت السرقة جائزة مالم تكشف ، فأين هذا من خوف الله وازعا ؟ إن المؤمن له من إيمانه شرطى مرافق له لايفارقه ، يمنعه من كل محرم . فهل من المصلحة يا حضرات العقلاء الكبار جدا ، أن تمحوا هذا الوازع من النفوس ؟

وماذا يضركم أو يضر النصارى أو اليهود أو الإنس أو الجن إن كان دين مصر الرسمى الإسلام ؟ هل أمر الإسلام يوما بظلم أحد من الموافقين والمخالفين أو أذن به ؟ هل دعا إلى فاحشة ؟ هل حارب ثقافة أو علما ؟ هل عارض إصلاحا أو تقدما ؟

إن ذنبه أنه يحرم الزنا والفسوق والقمار والربا وسائر الفواحش والنفوس تحب هذه الأمور ، وتود الانطلاق إليها بحرية كحرية المجنون الذى ينزع سراويله ويكشف عورته ويدخل المسجد ، لا تريد من يقيدها ويحجزها

إنها الخلاف بين الحرية المجرمة والقيد ، بين الجنون والعقل[1] فهل تريدون أن نترك العقل ونصير مجانين ؟

ومن سيكون الضحية ؟ نحن ! لأن أكثر هؤلاء لا بيوت لهم ولا بنات ولا أخوات ، هم عزاب فساق يريدون أن نطلق لهم العنان ، ليعيثوا فى بناتنا وأخواتنا فسادا ، فهل نكون رجعيين جامدين إن قلنا لهم : مكانكم إنا لا نستطيع أن نسمح لكم بهذا ؟

إننا حين ندعو إلى الدين ، وإلى الدولة الإسلامية ، إنما ندافع عن أعراضنا وأموالنا ، فهل علينا فى هذا ملام ؟

ثم إن الديمقراطية حكم الأكثرية ، ونحن (المسلمين المتمسكين) الأكثرية فى كل بلدان الشرق الأدنى ، فهل تريد الأقلية المتجردة المنطلقة أن تحكمها فينا ؟

أين الديمقراطية إذن ؟

الديمقراطية مشتقة من ديموس باليونانية ، وديموس هو الشعب ، والشعب يريد الحكومة الإسلامية

فهل بعد هذا كلام ؟ !

دمشق (ع)

---

(١) أصل مادة العقل والحكمة فى اللغة من العقال والحكمة . وهما كالقيد للدابة

بين الشعر والسياسة

المنفلوطى الشاعر الجرىء

للأستاذ محمد رجب البيومى

حين انتقل المنفلوطى إلى رحمة ربه قوبل أدبه بعاصفة شديدة من النقد ، واتجهت المعاول الحادة إلى تحطيم بنائه الراسخ فى دولة الأدب ، حتى ظن الكثيرون أن هذا الصرح الناهض سيخر منهدما فى أمد قريب ، دون أن يجد الدعائم الواقية من السقوط ، وكنت تجد من يقولون عن مصطفى إنه أديب يعنى بالديباجة الصافية ، والأسلوب الرائق ، دون أن يقدم للقارئ فكرة حية أو معنى جميلا . فإذا قلت لهؤلاء إن مقالات الكاتب الكبير لا تعدم الفكرة الحية ، والرأى الصائب غير أنها كسيت ثوبا جميلا من سلاسة اللفظ وإشراق التركيب ، وجدتهم يواجهونك بنقد آخر فيقولون : إن الكاتب العاطفى قد وقف بأسلوبه عند تصوير البؤس والحرمان ، وما يدفعان إليه من كآبة موحشة ، ودموع وزفرات ، وكان عليه أن يصور من الحياة جانبها الباسم الوضىء ، فيرسم لقارئه لوحات مرحة توشيها البهجة والطرب والابتسام !! كأنما كان لزاما عليه أن يتنكر لعواطفه الإنسانية فيضحك ويغرد فى مجتمع بائس فقير مريض . . وربما تحذلق ناقد ثالث فادعى أن أدب الكاتب تافه ساذج رغم مايسطع فيه من إشراق ، لأنه إذا ترجم إلى لغة أجنبية فقد رونق اللفظ ، وبهجة التركيب ، وظهر المعنى هزيلا تافها يتسم بالضعف والسطحية والإسفاف ، ونحن نعلم أن كل أثر يترجم إلى غير لغته – ولو كان كتاب الله الكريم – يفتقد لا محالة بعض ما يتسم به من الروعة والتأثير ، فلماذا نحاسب المنفلوطى العظيم على أمر لا حيلة له فيه ، إلا أن نكون ممن يتصيدون المثالب تصيدا مغرضا ثم يلصقونها جزافا بالبررة الأبرياء

إن أكبر دليل على قوة المنفلوطى وإبداعه ، هو خلود أدبه ، فقد مر ما يقرب من ثلاثين عاما على وفاته ، وما زالت كتبه ورواياته تطبع وتكرر طبعاتها الواحدة تلو الواحدة ، وما زال الشباب يجدون فى «نظراته» ما يغذى عواطفهم الجائعة ، ويروى مشاعرهم الصادية ، كما يلمسون فى رواياته البديعة سحراً أخاذا يستولى على النفوس ، ولا أكاد أعرف أديبا لامعا ممن عاصر المنفلوطى ومن جاء بعده لم ينتفع بأدبه ، حتى وصل إلى القمة على نبراس بيانه ، بل إن التلاميذ فى المدارس والمعاهد والكليات يضلون السبيل إلى الأدب الرائق الجذاب ، فتتعثر بهم الخطوات ، وتصارعهم الركاكة والتفكك والإسفاف ، فإذا اتجهوا إلى أدب المنفلوطى الخالد ، قادهم بسحره الأخاذ إلى الروعة والقوة والصفاء ،

لقد كنت أدرس بعض النصوص النثرية لأعلام الأدب المعاصر بإحدى المدارس الثانوية ، فكنت أعرض نماذج متنوعة فرضت فرضا على ، وقد لاحظت أن الطلاب يهشون لأدب المنفلوطى ، ويطلبون المزيد من إنتاجه ، ويسارعون إلى حفظه دون أن يرهقهم المدرس بالإلحاح فى ذلك ، ولم أر من يشاركه هذه الحظوة لدى الطلاب غير الأستاذ الزيات والدكتور طه حسين ، وهذا هو الحق الذى أعترف به دون مجاملة أو إطراء . وربما ظن بعض الناس أن المنفلوطى مختار معشوق لسهولة لفظه ، وقرب معانيه من أفهام التلاميذ ، كلا والله ، فقد كنت أختار لغيره من الأعلام قطعا يسيرة ، قريبة المتناول ، فتقابل بالإعراض والصدود . وكم من أديب عشق المنفلوطى يافعا ، وما يزال حبه يتأكد ويعظم دون أن يهن على تعاقب السنين ، واتساع المدارك والأفهام

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

* * *

وقد لا يعرف كثير من الناس أن المنفلوطى الكاتب قد بدأ حياته الأدبية شاعرا ينظم القصائد المجودة ، ويرسل المقطوعات الطريفة ، فقد ساعدته نشأته الأزهرية على تصفح دواوين الشعراء ، ورزقه الله ذوقا سليما ، وأذنا موسيقية ، فعكف على استظهار الروائع الخالدة فى الشعر العربى حتى اجتمعت له ثروة أدبية ممتازة فى سن مبكرة ، وكان الشعر فى نهاية القرن السالف يتجه وجهة

تقليدية بالية ، كما كانت الصحف لا تحفل إلا بالمدائح الخديوية المبتدأة بالغزل الصناعى الثقيل ، وتتجه براعة كل ناظم إلى تصيد المحسنات المتكلفة من طباق وتورية وجناس على وجه ينبئ بالإسفاف والافتعال ، وقد استطاع مصطفى الناشئ أن يحتفظ فى شعره التقليدى برونق صاف ، وقوة مكتسبة من البارودى زعيم المدرسة الشعرية الأصيلة لعهده ، ومن أوائل شعره

أردنا سؤال الدار عمن تحملوا فلم ندر من فرط الأسى كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد أصبحت تعيث صباً فيها وتعبث شمأل

كما كان الناشئ المتأدب يحاكى شعراء العصر العباسى محاكاة تدل على بصر بالأسلوب ، واعتناء بتجويده وإبداعه ، ومحافظة على النهج الاتباعى العتيق . وقد نظم فى مديح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قصائد تنم عن إخلاص قوى ، وتقدير عظيم ، ثم سعى إليه فأسبغ عليه عطفه ، واكتسب منه أدبا وعلما وخلقا ، وقد أرشده الأستاذ إلى بعض الذخائر الثمينة من أمهات الكتب العربية فقرأها قراءة الدارس المتعمق ، وزاد تعلقه بالشعر ، فخاض بحوره ولهج بقوافيه ، وزاد إنتاجه التقليدى قوة وصفاء حتى قارب البارودى فى فحولة المطلع ، ومتانة الأسر ، وانسجام اللفظ ، ووحدة الاتجاه ، وإليك أحد مطالعه الرصينة فى مديح الأستاذ الإمام :

سقاها وحياها ملث من القطر وإن أصبحت قفراء فى منزل قفر
طواها البلى طى الشحيح رداءه وليس لما يطوى الجديدان من نشر
مسارح آساد ومثوى أراقم تجاور فى قيعانها النيد بالحجر
لقد فعلت أيدى السوافى بنؤيها وأحجارها ما يفعل الدهر بالحر
وقفت بها فى وحشة الليـــل وقفة أثار شجاها كامن الوجد فى صدرى
فأنشـأت أبكى والأسى يتبع الأسى إلى أن وجدت الصخر يبكى على الصخر

وكان الاحتلال الإنجليزى — إذ ذاك — حديث عهد بالبلاد ، والمصريون فى حسرة بالغة لما أصاب الثورة العرابية من فشل جره إليها الرشوة والخيانة وفساد الضمائر عند بعض الناس ، والمنفلوطى كما نعلم سريع التأثر ، رقيق الإحساس ، قوى الشعور ، فكان يفكر كثيرا فى مصائب وطنه ورزاياه ، ثم نظم قصيدة ثورية نشرها فى كتاب خاص يندد فيها بالاحتلال وصنائعه من المصريين ، كما عرض بالخديوى وحاشيته ، ولم يذكر فى نهايتها توقيعه الصريح ، بل جعل الإمضاء رمزا غامضا لا يدل على إنسان ! ! وقد شاعت قصيدته فتناقلها الناس ، وكان لها دوى بعيد ، وبحث الطغاة عن القائل فلم يجدوه

وواضح أن جمهرة المثقفين فى مصر كانوا — ولا يزالون — يبغضون الأسرة الحاكمة بغضا لا مزيد عليه ، فهم يعلمون ما جره إسماعيل على البلاد من خراب هائل ، نتيجة لديونه الفاحشة التى استنفدها فى ملذاته وشهواته ، وبناء قصوره وحدائقه ، ومتعه وحريمه ، واختلاس حاشيته ، وجاء ولده توفيق فناهض حريات الشعب ، وخان وطنه وعرشه ، وقدمه لقمة سائغة للاحتلال ، لينتقم من عرابى الزعيم البطل الناهض . ولئن تظاهر عباس بعده بالوطنية والصلاح فى مستهل حياته ، فقد كانت أطماعه تمتد إلى أموال الشعب وضياعه ، فقد أراد أن يأخذ الآلاف من أفدنة الأوقاف المثمرة الخصبة ، نظير صحراء مقفرة فى أرضه الشاسعة لا تجود بشئ !! فوقف أمامه الأستاذ الإمام وقفة رهيبة ، قلمت أظافره ، وحطمت كبرياءه ، وأنذرته بالفضيحة الطامة ، وابتدأ العداء السافر بين الرجلين ، فأوعز الخديو بمهاجمة الإمام على صفحات الجرائد المأجورة، ودفع الأقلام الخائنة إلى ثلمه وانتقاصه، وكان المنفلوطى من شيعة الإمام وتلاميذه المقربين ، فهاجت ثائرته على الباطل ، ونشر فى جريدة الصاعقة (٤ / ١١ / ١٨٩٧) التى كان يصدرها الصحفى الوطنى الجرئ المرحوم الأستاذ أحمد فؤاد قصيدة قاسية فى هجائه ، فأحدثت دويا تردد فى المحافل لما تضمنته من تنديد بعباس وأجداده الظالمين الطغاة ! وحسبك أن تسمع منها هذه الأبيات ، وقد قيلت بمناسبة عودة عباس من الآستانة إلى مصر :

قدوم ولكن لا أقول سعيد وعيش وإن طال المدى سيبيد[1]

(١) ينسب هذا المطلع وحده إلى السيد توفيق البكرى وقد سار المنفلوطى على غراره

علام التهانى ، هل هناك مآثر فنفرح ، أو سعى لديك حميد
تمر بنا لا طرف نحوك ناظر ولا قلب من تلك القلوب ودود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا مصوب سهم بالبلاء سديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا إذا أصبح التركى وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة وكم ضمنت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر أشلاء جمة تمزق أحشاء لها وكبود
وكم صار شمل للبلاد مشتتا وخرب قصر فى البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا له تحت أثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف ولا سار منكم بالسداد تليد
كأنى بقصر الملك أصبح بائدا من الظلم ، والظلم المبين يبيد
وينعب فى أطلاله البوم ناعبا له عند ترداد الرثاء نشيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا نكون ببطن الأرض حين تسود

وهذه القصيدة وثيقة تاريخية تبين ما ارتكبه الطغاة مما أغفله تاريخنا المشوه الممسوخ ، فقد سفكوا الدماء البريئة إشباعا لشهواتهم ، وحفروا القبور للضحايا من الشهداء ، وملأوا البحار بجثث القتلى تأسيا بطاغوتهم الأكبر عبد الحميد ، وفتحوا السجون على مصاريعها لغير المذنبين من ذوى النيرة والإباء ، وتلك فضائح يندى لها الجبين ! ! وقد ارتاع أولو الأمر أكبر ارتياع لنشر هذا الهجاء الصريح ، فصودر ما بقى لدى الباعة من أعداد الجريدة ، وقدم إلى النيابة رئيس التحرير ، والشاعر الغيور بتهمة العيب فى الذات المصونة ! ! ثم حكم عليهما بالحبس مدة طويلة ذاق المنفلوطى فيها أهوالا لم يتعودها من قبل ، وعومل معاملة غادرة لا تليق بوطنى يصدر رأيه عن عقيدة وإيمان ، فتكونت لديه — فى محبسه — من الشعر عقدة نفسية ، جعلته يعاف قرضه وتجويده ، فبعد أن خرج من السجن توجهت همته إلى الكتابة النثرية ، فحلق فى أجوائها الفسيحة ، وسال نثره المترقرق مسيل الفرات العذب ، يروى النفوس الصادية ، ويبرد الجوانح الملتهبة ، فهتفت باسمه الأصوات ، ولهجت به أرواح الشبيبة ، وأخذ القراء يترقبون مقالاته الإنسانية كما يترقب المدلج الحائر قبسا من ضياء.

أما القصيدة التى جرت عليه السجن والتشريد فقد ذاعت بين القراء ذيوعا عجيبا ، ورغم مصادرة الجريدة فقد تداولها المتأدبون بالنسخ والتدوين ، وبقى من لم يقف عليها متعطشا إلى قراءتها ، متصيدا لها فى مظانها بين مسودات الأدباء ، وفى مطارح السمر ، ومجالس الأندية ، وقد احتال المرحوم الأستاذ سليم سركيس على إذاعتها بطريقة لبقة ، فقد أوعز لبعض الأدباء أن يشطرها ويخمسها بما يغير اتجاهها ، ثم طبع التشطير والتخميس فى صحيفته ، وبذلك أتاح لها أن ترى النور مرة ثانية دون أن تنالها الرقابة السياسية بمصادرة أو تحقيق ، فقرأها من لم يكن وقف عليها قبل ذلك ، وظلت عالقة بالأذهان إلى يومنا هذا ، وأذكر أنى سمعتها قبل أعوام من شيخنا الراوية الأستاذ أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية ثم قرأتها عقب الحركة الوطنية الأخيرة بصحيفة الأدب فى جريدة الأخبار .. على أن المنفلوطى لم يترك الشعر مرة واحدة ، بعد هذه القصيدة ، فقد كان يدفعه إليه حنين جياش يغلبه على أمره ، فينظم بعض المقطوعات الرقيقة والقصائد البارعة ، كأشعاره فى القلم وأسماء بنت أبى بكر وبول وفرجينى ، ولكن طاقته الشعرية قد تحولت بلا شك إلى طاقته النثرية ، فبدت كتابته سلسة رقيقة ، تتدفق فيها العذوبة وترن بها موسيقى الشعر وأنغامه ، فتتفتح لها الأحاسيس ، وتتوهج بها العاطفة، وتنفث فى النفوس ما ينفثه الشعر من روعة فاتنة وتأثير خلاب ، وقد كان المنفلوطى ذا نظر ثاقب فى الأدب العربى وأعلامه ، وكان يستطيع أن يصدر فى تأريخه والتعريف به كتبا متنوعة كما فعل نظراؤه من الأدباء ، ولكنه اقتصر على النثر الفنى المبدع ، ليفسح المجال لإنسانيته الحية ، وشاعريته المتوثبة ، فجاءت آثاره ترجمانا لما حوله من كآبة وشقاء ، وأصبح المصور الأول لعبرات البائسين وهموم الأشقياء ، وهل يبتعد الشعر عن هذا النطاق ! ! سواء كان مطلق الأعنة ، أو مقيدا بالأوزان ؟ سلام على مصطفى فى رحاب الخالدين من البلغاء ! !

محمد رجب البيومى

الداء والدواء

للدكتور فضلو حيدر

محاضرة ألقاها فى منتدى البردونى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

التعب المزمن

كلنا نعلم أن العمل ضرورى للحياة ونافع للجسد إذا لم يتعد حدود القوى الجسدية والعقلية والنفسانية . وكل تعب اعتيادى يجب أن يزول بعد راحة قصيرة ويتبدل برغبة إلى العمل ثانية . ولذلك يحتاج العامل إلى الراحة . والنوم لا يكفى وحده لإعادة الراحة التامة ؛ بل يحتاج الإنسان علاوة عليه إلى ما ندعوه التسلية والاستجمام . والتسلية تشمل كل الأفعال التى نصرف بها وقت الفراغ بلذة تؤدى غالبا إلى توازن العواطف وإزالة التعب الجسدى والضغط النفسانى . فوقت التسلية ليس وقت « الفراغ » بل هو ثمين جدا فسويعاته تطيل العمر وتجدد القوى . أما إذا أسئ استعمالها فتنعكس الآية فتزهق القوى وتقصر العمر . ومن السبل المفيدة للاستجمام نذكر الرياضة الجسدية والمطالعة النافعة والموسيقى والرقص والفنون وتربية الحيوانات وغرس الجنائن والصيد وغيرها . وكم من المشاهير خلدوا اسمهم بأعمال كانت لهم نوعا من التسلية

ومن أعراض التعب المزمن تهيج الأعصاب وقلة الشهية ونقص رغبة العمل بالرغم من الراحة الاعتيادية ، فينهض المرء صباحا بدون نشاط. فالتعب حاد المزاج، ضعيف المناعة للأمراض، يعيش تاعسا ويسئ إلى عيلته ورفاقه ، شاذ السلوك، غير مرغوب به فى الأعمال والمجتمعات

ومن مسببات التعب المزمن الاحتكاكات النفسانية كالتردد فى الرأى وعدم الثقة بالنفس وبالغير ؛ فيستنزف المرء قواه فى عراك داخلى بين الإقدام والإحجام وخوف الفشل . ومن أسباب ضعف الثقة بالنفس الجهل وإحجام الفرد عن بحث أعماله بأمانة كى يعلم أسباب الفشل والنجاح . ولو بحث المرء نتائج أعماله لبدل جهله بالمعرفة وخوفه بالثقة . كذلك إذا ساد الحسد والغضب ووخز الضمير والطمع وكثرة الطموح فى سلوك الإنسان؛ ساد التعب المزمن

ومن مسببات التعب المزمن أمراض القلب والشرايين والسكرى وسوء الغذاء وقلة النوم وفقر الدم والتلق والأقدام المسطحة

فعلى المرء أن يوزع وقته بحكمة بين العمل والتسلية واليقظة والنوم والكد والراحة وأن يصغى جيدا إلى إنذار التعب المزمن ويتلافاه

ومن مسببات الشيخوخه الباكرة تدهن الأوعية الدموية (Altheroma) أى ترسب المواد الدهنية فى الأوردة قبل أوانه ، ويعقب ذلك عادة ترسب الأملاح الكلسية فتعيق مجارى الدم ويقل غذاء الأنسجة فيحدث من جراء ذلك ضعف القوى جسديا وعقليا وأمراض التجلط فى القلب والدماغ

وبالإمكان أن نكتشف تدهن الأوعية الدموية قبل استفحاله أو لربما نتلافى حدوثه ، أو نؤخر سيره . وذلك بفحص القلب والأوردة والدم والكليتين وبوزن مادة دهنية فى الدم تدعى كولسترول يرجح بأنها السبب الأول فى تدهن الشرايين . وإذا كان الكولسترول فوق المعدل نلجأ إلى الوقاية بتخفيف وزن الجسم وتحوير الغذاء فتمنع أو تحدد المآكل الغنية بالكولسترول كالبيض والزبدة والأدهان . وعلاوة على ذلك تعالج الأمراض التى تؤدى إلى التدهن إذا وجدت فى الفرد وأهمها السكرى والتهاب الكليتين المزمن وإدمان الكحول والمهيجات وباستئصال البؤر الصديدية فى الجسم ، وفوق كل هذا تقنن الحياة بتخفيف الأعمال الجسدية وتربية روح التفاؤل والسرور والاقتصاد فى أشغال القلب والكليتين

٤ الغذاء وطول الحياة

كلنا نعلم أهمية الغذاء فى الحياة . فلا حياة بدون طعام . وإذا لم يكن كاملا فلا يكون النمو تاما ولا الجسم قويا ولا المناعة ضد الأمراض كافية

وتقدر كمية الطعام تقريبيا بحاسة الشبع ووزن الجسم . فلا تأكل أكثر من قابليتك اعتقادا بأن زيادة الأكل تؤدى إلى قوة الصحة . فالجسم يستهلك حاجته فقط وما تزدرده علاوة إما أنه يشوش الهضم أو يصبح عبئا على أعضاء الإفراز أو يترسب دهنا فى الأنسجة ، أو يعرض المرء إلى الصراع والدوخة وأمراض الجلد والأرجية والأوجاع العصبية

والأفضل أن يكون الطعام منوعا لأن الجسم يحتاج لترميم أنسجته وللنمو إلى عناصر متعددة يصعب أن تتوفر فى أنواع قليلة من الأطعمة

والغذاء التام يحتوى على المواد الآتية :

(١) الزلاليات (اللحوم . الجبن . الحليب . الحبوب)

(٢) الأدهان (الزبدة . الزيوت . الشحم)

(٣) النشويات (الأرز . البطاطس. الحلويات)

(٤) الأملاح المعدنية (مركبات الحديد والنحاس والفوصفور واليود والمنغنيز وملح الطعام)

(٥) الفيتامينات على أنواعها (موجودة بكثرة فى الحليب والزبدة والكبد والخضرة الطازجة والبيض)

(٦) الماء

والطعام المركب من الحليب والجبن والبيض والكبد والخضر الطازجة والفاكهة يحتوى على كل ما يحتاجه الجسم، وقد لقبت هذه المواد الغذائية المذكورة بالطعام الذى يطيل العمر لأنه تام غذائيا

والفيتامينات والمعادن لا تغنى عن الطعام ألبتة ، ولكنها تتممه ، فهى ضرورية ولا غنى عنها للحياة ، حتى أن الأرض الفقيرة بالمعادن تنتج نباتا فقيرا بقيمته الغذائية . ويسبب نقص المعادن أمراضا عديدة . فنقص الكلس يسبب مرض الكساح وضعف الأعصاب ويعرض إلى أمراض التشنج ، ونقص الحديد يولد فقر الدم ، وقلة اليود تضعف الغدة الدرقية فيتأخر نمو الجسم والعقل . ونقص الفيتامينات تسبب أمراضا عديدة . فالفيتامين A ضرورى للنظر والنمو والمناعة ، و B للغذاء والنمو والأعصاب و D للعظام والنمو والأعصاب و C للكريات الحمراء والأوعية الدموية واللثة والمناعة و E للتناسل ومرض السكر وهلم جرا

ولا لزوم لشراء الفيتامينات والأملاح المعدنية من الصيدليات إذا كان الغذاء كاملا والصحة جيدة

٥ وزن الجسم وطول العمر

ولوزن الجسم أهمية كبرى فى إطالة الحياة . ومع أنه لا قانون تام لوزن الفرد الصحى فهو يساوى على التقريب كيلوات بعدد السنتيمترات التى تزيد عن المتر فى طول الشخص . ونقدر أن نقول إجمالا إن الوزن الأفضل لطول العمر هو ما كان ١٠ كيلو فوق المعدل المذكور فى الشبان اتقاء لأمراض الصدر ، وما كان ٥ — ١٠ كيلوات تحت المعدل فى من جاوز الخمسين من السن اتقاء لأمراض القلب والأوردة والكليتين ، وما كان ضمن المعدل المذكور فى من تتراوح أعمارهم بين ٢٥ — ٥٠ من السنين

٦ السلوك وطول الحياة

إن الأمراض التى ذكرتها — أى المكروبية والسرطان والتعب المزمن والشيخوخة وتشوش الغذاء وزيادة أو نقص وزن الجسم ليست خاتمة الأسباب التى تفت من قوانا وتهدم من عمرنا . بل هى ضئيلة إذا قيست بعثراتنا اليومية أى هفواتنا السلوكية التى تدمى كل لحظة نفوسنا هما وغما وحسدا وندما

لقد قيل « قبل الكسر الكبرياء وقبل الهبوط تشامخ الروح » وقال عنترة :

لا يبلغ الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الشباب ويهرم

وكل منا يخاطب نفسه قائلا :

« كيف يجب أن أسلك فى هذا العالم كى أتبوأ مقاما مرموقا ؟ » أو « كيف أتغلب على معضلاتى اليومية كى أنجح اقتصاديا ؟ » أو « كيف أعدل وأصيب بين نوازع الإقدام وروادع الإحجام ؟ »

يرد سلوك المرء إلى ثلاثة أشكال رئيسية :

أولها السلوك البديهى وهو ما ربينا على عمله وتعودناه فى أعمالنا اليومية والمواقف المألوفة. فهو إذن مرآة أخلاقنا وصورة شخصيتنا ، هو حظنا وبختنا نراه فى الرجل المهضوم أو المقوت ، فى اللطيف أو الفظ ، فى الغيرى أو الأنانى ، فى المتفائل أو المتشائم ، فى القذرى أو البحاثة . ولا بأس إذا أعدت مرارا وتكرارا بأن مسؤولية الأبوين حيوية فى تكوين سلوك أولادهم وخصوصا فى السنوات الثلاث الأولى من العمر

والسلوك التقليدى أو الإيحائى أو سلوك القطيع هو الشكل السلوكى الثانى . تسمع كل دقيقة من يقول « حط راسك بين الروس ونادى ياقطاع الرءوس » أو « كل الناس تعمل هكذا » أو « اعمل مثل فلان تنجح »

ومعلوم عند الجميع أن الناس تسير كالقطعان فى الموضة والعادات والتقاليد والحياة الاجتماعية ؛ وهذا النوع من السلوك مفيد جدا إذا قلدنا المبرزين والصالحين وهو يمثل الشطر الأكبر من سلوك الإنسان فى الحياة

والثالث السلوك الواعى أو العقلى

تبرز أمامنا ، فى البيت والعمل والمجتمع ، معضلات ومشاكل جديدة لم نتعودها ولا نعلمها . فالبت فيها على البديهة يؤدى اعتياديا إلى الفشل . فهى تستدعى إذن البحث والتفكير قبل الفصل

فإذا نزلت بك كارثة ، أو هبطت عليك ملمة ، فى صحتك أو أعمالك أو علاقاتك الاجتماعية ، فماذا يجب أن تفعل ؟

ابحث أولا معضلتك بحثا وافيا وأمينا . ومتى اكتشفت السبب فأزله مهما كلفك الأمر

وإذا لم يكن بالإمكان إزالة السبب ، ولم يكن من بد لوقوع المصيبة ، وافق نفسك مع الحالة الجديدة مهما كانت بدون وجل أو هم أو حسد . فالانتصار لك يا أخى إذا رضيت بالواقع فعشت فى الحقيقة دون أن تفقد صحتك ولذة عيشك تحرقا على ما فات ، لأن لديك دائما متسعا من الزمن ومجالا للعمل وحافزا من الأمل

ولكن إذا أظلمت الدنيا فى عينيك ، فاستحال عليك الفصل ، واستوى لديك العقل والجهل ، فخشيت الهبوط والاضمحلال فلا تنس عند ذلك ثلاثة تفزع إليهم فى الملمات :

أولهم صديقك الصدوق — وما أثمنه — ولربما تجده بين رفاقك وذويك ، أو بين كتبك ، أو فى عالم مجرب ، فاصغ إليه بانتباه فلربما يكون فى قوله السبيل السوى

وثانيهم طبيبك ، ليس كمستشار صحى فقط بل كرجل تثق به إلى أبعد حدود الثقة ، تسر إليه المكتوم ، وتفشى له الكروب وتلقى على عاتقه همومك

وثالثهم عند اشتداد الملمات ، وتلبد الظلمات وسيادة اليأس هو طب النفس ، فإما أن تصغى إلى صوت الفلسفة يقول لك إن أشد همومك لا بل كلها من عبادة ذاتك . فأنت ذرة من ذرات هذا الكون تتمشى عليك نظاماته من مسيئة أو سار كما تتمشى على سائر أجزائه . فانس بأنك من شعب الله الخاص وانظر إلى معضلاتك بعين البحث العلمى والتفسير الفلسفى وهكذا تخرج من عذاب أنانيتك ، أو فاتبع الدين فتجد فرجك بالإيمان . فكم من المرات فرج الإيمان عن المحزون والمغبون وشفى المقعد والأعمى وفتح قلب اليائس بالأمل فأنار ظلمات النفس بقبس قصر عن أدائه العلم

وخلاصة القول أن العلل التى تقصر العمر تأتى إما من أسباب خارجية كالمكروبات والغذاء والفواعل الطبيعية ، أو من أسباب داخلية كالسرطان والشيخوخة وأمراض السلوك

وعلاجها مركب من ثلاثة عناصر — التربية والمعرفة والأمل — ومن ثلاثة نظائر لتلك العناصر — المحبة والحكمة والإيمان

وسعيد من حظى بالتربية الصحيحة والعواطف السامية

ومن حاز المعرفة العالية والحكمة المبدعة

ومن نصب فى وجدانه هدفا ساميا يؤمن به

فضلو حيدر

من رجال الفكر فى تركيا :

أحمد آغا أوغلو

للأستاذ عطا الله ترزى باشى

« يتابع الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب على صفحات الرسالة نشر ترجمة الكتاب الموسوم « فى بلاد الأحرار » للكاتب التركى أحمد أغا أوغلو . وبهذه المناسبة رأينا أن نقدم للقراء كلمة عن حياة هذا المفكر وعن قيمته الثقافية معتمدين فى ذلك على أهم المراجع التركية . ويمكن لمن يجيد هذه اللغة مراجعة تلك المصادر وقد أثبتناها فى نهاية هذا المقال »

ع . ت

توطئة :

يعد آغا أغولو فى طليعة المفكرين الذين خدموا فى حقلى الصحافة والتعليم فى تركيا . وهو من النوابغ المعروفين . لمع نجمه فى الأوساط الغربية حين قام يعرف العالم الشرقى على صفحات الصحف الأوربية للأوربيين ، ويوضح الفكرة الإسلامية المقدسة ، مبيناً لهم قيمة المرأة فى المجتمع الإسلامى والحقوق التى وهبتها لها الشريعة، رادا عليهم سفاسفهم واعتقاداتهم الخاطئة فى الإسلام

وكان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية إجادة تامة ، فنشر بهما أبحاثا قيمة فى الصحف الغربية دفاعاً عن الشرق والشرقيين والدين ، كان لها الأثر البعيد فى نفوس الغربيين . ولا بدع فى ذلك فإنه كان عليما بمسائل الشرق ومل‍ما بدقائق الشرع . وهو قانونى ضليع امتهن التدريس فى كليات الحقوق زمناً غير قليل ، وألف كتبا فى القانون الدستورى نال بها الإعجاب والتقدير

ولم تنحصر خدمات آغا أوغلو فى هذه الساحة بل تعدتها إلى ساحات أخرى . فقد خدم الإسلام بدعوته إلى ترك المشاحنات المذهبية الدائرة بين السنة والشيعة ، وسعى إلى إزالة العداوة والبغضاء بين المسلمين ، الناشئة عن الطائفية فى ذلك الحين . فدعا بالمسلمين إلى الاتحاد والوئام بدل التفرقة والانفصام . وقد جاءت معالجته لهذه المسائل — بسبب إتقانه اللغتين العربية والفارسية — مصيبة مفيدة . ولا غضاضة فى ذلك فإنه عالم بالأوضاع الاجتماعية القائمة بين الأمم الإسلامية، ومطلع على العادات والتقاليد السائدة بين الطوائف والنحل

ولا ينكر أن آغا أوغلو كاتب اجتماعى قدير يسحر الإنسان بأسلوبه القصصى الرائع ، ومعروف بدقة اختياره المواضيع ، وصوغه إياها فى قالب أنى بديع . فيستمتع القارئ بلذتها ولا يكاد يبدأ بقراءتها حتى يأتى إلى نهايتها دون أن يشعر بألم أو يحس بملل

حياته :

ولد آغا أوغلو سنة ١٨٦٩ م فى مدينة (شوشه) الواقعة فى سهل (قره باغ) من بلاد آذربيجان . وكان والده (ميرزا حسن) عالماً فاضلا (خواجه) . أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فى مدارس بلدته ؛ وأتم بعد ذلك تحصيله الإعدادى (الثانوى) فى مدينة (تفليس) ومن ثم ذهب إلى (بطر سبرغ) وذلك بغية إكمال دراسته العالية . وقد نجح فى امتحان القبول إلى المعهد الهندسى (Institut Politechnique) ولكنه أصيب برمد فى عينيه فعاد إلى بلدته مضطراً

وفى سنة ١٨٨٨ قصد إلى باريس والتحق بكلية الحقوق هناك فنال شهادتها (الليسانس) مع درجة (Collég de France) وخلال وجوده فى باريس تعرف بكثير من المفكرين واتصل رجال جمعية « الاتحاد والترقى العثمانى »[1] وبدأ ينشر مقالات عن الشرق فى الصحف الفرنسية . وقد ظهر أول مقال له فى صحيفة « Journal des Debats » ولما يتجاوز من العمر عشرين عاماً

وعاد إلى بلاده سنة ١٨٩٤ م فعين مدرساً فى مدارس (آذربيجان) . وهناك سعى مع بعض زملائه وعلى رأسهم إسماعيل غاسبرنسكى وحسين زاده وعلى مردان فى إحياء الحركة القومية وتنميتها . وتمكن من إصدار مجلتين تركيتين عالج فيهما كثيراً من المواضيع الاجتماعيه الخطيرة . وكان يبغى من وراء

(١) ويقول الأستاذ سرور اسكيت إنه انتسب فى ذلك الوقت إلى هذه الجمعية ولن يرى البعض الآخر أنه انتمى إليها بعدعودته إلى تركيا . راجع المصادر فى آخر المقال

ذلك إصلاحاً عاما شـاملا للأقوام التركية السـاكنة فى بلاد آذربيجان ، والجماعات الإسلامية القاطنة فى بقاع روسيا المختلفة . فاضطهدته الحكومة الروسية فجاء إثر الانقلاب العثمانى فى سنة ١٩٠٨ إلى تركيا . فعينته الحكومة التركية مفتشاً فى وزارة المعارف . ولـكنه تخلى عن هذا المنصب بسبب انتمائه إلى حزب الاتحاد والترقى

واتصل بعد ذلك بالمفكر التركى الـكبير (ضياء كوك آلب)(٢) وببعض الـكتاب الآخرين واشتغل معهم فى ساحة الحركة القومية، فأسسوا مجلة « تورك يوردى » لتكون لسان حالهم فى معـالجة المسائل الاجتماعية والوطنية

وفى سنة ١٩١٠ عين أستاذاً فى دار الفنون بالآستانة لتدريس مادتى « المدنية التركية » و « اللغة الروسية » وكان قد أخذ على عاتقه فى نفس الوقت رئاسة تحرير صحيفة « ترجمان حقيقت »

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى رشح نفسه للنيابة فانتخب فى سنة ١٩١٥ نائباً عن ولاية (آفيون) . ونال فى عين الوقت عضوية الهيئة المركزية لحزب الاتحاد والترقى

واختير فى سنة ١٩١٧ مشاوراً سياسـيا فى الجيش التركى المحارب فى جبهات قفقاسـيا . وعلى أثر انتهاء الحرب عاد إلى الآستانة فنفاه الإنكليز إلى جزيرة (مالطه) . ولبث فيها ثلاث سنين تمـكن خلالها من تأليف كتابه الموسوم(المدنيات الثلاث) وعندما أطلق سراحه عين مديراً عاما للمطبوعات (٣)

وبعد قيام أتاتورك بانقلابه المعروف وتأسيسه حزب الشعب الجمهورى انتسب آغا أوغلو إلى هذا الحزب ورشح نفسه للنيابة فانتخب مرتين نائبـاً عن ولاية (قارص) الواقعة بالقرب من الحدود الروسية . وكان يشغل خلال هذا الوقت كرسيا فى كلية الحقوق بأنقره ويقوم برئاسة تحرير جريدة « حاكميت مليث »(٤)

وعندما أتاح أتاتورك لجماعة من النواب فرصة تأسيس حزب معارض فى تركيا ، كان أغا أوغلو فى طليعة الزعماء الذين أسسوا حزب المستقلين المعارضين . ولقد رأى أتاتورك ، بسبب المطاحنات التى دارت فى المجلس والتى أدت إلى حدوث انشقاق بين صفوف الشعب ، رأى أن العقلية السياسية فى تركيا لم تنضج بعد ، وأن قيام حياة ديمقراطية سليمة فى البلاد أمر عسير ، فأصدر أوامره بحل هذا الحزب . وعلى أثر ذلك انصرف أغا أوغلو عن الحياة السياسية ورغب فى التدريس . فانتدبته كلية دار الفنون بالآستانة أستاذاً لتدريس مادة « تاريخ التشريع التركى » . وظل يدرس هذه المادة حتى أحيل فى سنة ١٩٣٣ إلى التقاعد

وفى هذه السنة أصدر جريدته المسماة « آقين » . وقد مضى سنواته الأخيرة من حياته فى النشر والتأليف . وتوفى فى اليوم التاسع عشر من مايو سنة ١٩٣٩

آثاره :

وندرجها بأسمائها العربية وفقا لتاريخ نشرها :

المذهب الجعفرى ومصادره ١٨٩٢ ، الإسلام وعلماء الشيعة ١٩٠٠ ، المرأة فى عالم الإسلام وفى نظر الشريعة ١٩٠١ ، المدنيات الثلاث ١٩٢٠ ، الهند وإنكلترا ١٩٢٧ ، فى بلاد الأحرار ١٩٣١ ، أتيكا (ترجمه عن كروبوتكين ١٩٣١) ، ماذا أنا ١٩٣٩ ، التشكيلات الأساسية التركية (محـاضرات) ، تاريخ التشريع التركى (محاضرات) ١٩٤١ ، لا يخلو عن القلب (٥) ، إحتلال أم انقلاب ١٩٤٢

والمؤلفات الأربعة الأخـيرة قام بنشرها ولده النجيب معالى عبد الصمد آغا أوغلو (٦) الذى يحاول نشر بقية آثاره غـير المطبوعة . ومنها : الأدب الروسى ، مذكرات ، الثقة بالدستور ، الانقلاب التركى .. وغير ذلك

المصادر :

(١) سرور اسكيت : دائرة المعارف الشهرية ج٣ ، ص ٧٨٤ طبعة سنة ١٩٤٦ . (٢) إبراهيم علاء الدين : مشـاهير الترك ص ١٧ ، ط ١٩٤٦ (٣) دائرة المعارف التركية « أينونو » ج ١ ص ٢٢٥ ، ط ١٩٤٥

كركوك — العراق **عطا الله نرزى باشى**

(٢) انظر عن هذا المفكر وعن نظرته فى القومية ، مجلة الرسـالة العدد ٨٦٤

(٣) ويسمى فى العراق مدير الدعاية العام

(٤) وهى لسان حزب الشعب الجمهورى ولا زالت تصدر حتى اليوم بعنوان « أولوس »

(٥) واسمه فى التركية « كوكلمز أولماز » بمعنى لا يكون بغير قلب . وتعبيرنا الأول أنسب للترجمة

(٦) مساعد رئيس الوزارة التركية فى الوقت الحاضر وأحد أقطاب الحزب الديمقراطى

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٣ —

وطبيعة الكتاب وما أيقظه من رغبة جامحة لفتت الأنظار إلى الأحوال الخصوصية للمؤلف، ولم تكن هذه المأساة وحدها هي التي جلبت الانتباه؛ بل إن جميع ما كتبه ووجد لهسبيلا إلى النشر والذيوع من الكراسات الدورية الأخرى أوضحت بجلاء بأن هذا الإنسان لم يكن شخصا عاديا . وقد أغاظت العواطف الحادة التي أبدتها مأساة (اللصوص) كثيراً من الأشخاص الرصينين، وقد كان لتابلياته التي لا تجارى وإكثاره في التعبير عن مكنونات نفسه أثرهما في تعكير القضية أكثر فأكثر. وأما ما يخص رؤساء شلر فلم تكن تهمهم مثل هذه الأشياء ولم يفهموا منها شيئا يذكر، وقد يكون شلر عبقريا ولكنه كان خادما خطرا لصاحب السمو دوق (فرتمبرك) . ولم يقتصر الأمر على الناس الفضوليين في القضية؛ بل إن ذلك قد تعدى حتى إلى الرعاة في جبال الألب . وقد أصبح قضاة (كرسنز) [1] بعد قراءتهم لهذا الكتاب يشعرون بماله من تأثير سيء في الناس، مما حدا بهم أن يشكو من ذلك في جريدة (هامبورغ كورسبوندنت) ، ثم أعقبوا ذلك برفع القضية أمام الدوق العظيم» . «ولما اطلع الدوق على هذه الوضعية ساءه ذلك وعبر عن عدم استحسانه عن أعمال شلر بعبارات صريحة نابية جافة . وأخيراً قدم شلر أمامه، فما كان من صاحب السمو إلا أن شرح له سخطه على أخطائه الأخلاقية والسياسية كما استهان بقيمة مؤلفه الأدبية . ولكن رأى الدوق لم يلق رضاً من شلر ، وقد انتهت المواجهة بدون جدوى بسبب إصرار الطرفين على رأيهما، وبعد ذلك أمر الدوق بأن ينصرف شلر إلى دراسته الطبية، أو على الأقل ألا ينظم شيئا من الشعر وينشره بدون الحصول على موافقته . ولم يقتصر الأمر على هذا فقط؛ بل إن كثيراً من التقريع كان في انتظاره . فكل جهوده في أداء واجبه على أحسن وجه كانت تفسر تفسيراً خاصا وكان يعاقب على أبسط هناته أقسى العقاب . لقد انكمشت روحه، لما أصابها من إنهاك وزيف في النضال المرير ضد العوائق المثيرة المتمثلة في الاضطهاد اللانهائي من أناس لم يعرفوا عنه شيئاً، ولكن سوء الطالع وضع مصيره بأيديهم القذرة . وقد طافت في ذهنه فكرة السجون والسجانين فعذبته تعذيباً مرا ، كما أنه فكر كثيراً في الوسائل التي يتذرع بها للتخلص من عذاب السجن الذي كان ينتظره في كل يوم ، فأراد نبذ الشعر الذي كان له بمثابة ينبوع السرور ومصدر الهموم في الوقت ذاته ، واعتزاله هذا — لو قدر له أن يقع — لاعتبر حكما بالإعدام على كل شيء سام ومفرح في نفسه وعلى القيم التي كان يعتز بها أشد الاعتزاز [2] »

وقد دفع الشعور الطبيعي المؤلف اليافع على الجسارة للذهاب سرا لمشاهدة تمثيل مأساته في مانهايم . ولم يستره هذا التنكر، فقد ألقى القبض عليه بعد أسبوع من ذلك بسبب إساءته هذه، ولم يمنعه العقاب الذي أنزل به من الاجتراء مرة أخرى وبالأسلوب عينه . وقد علم أن هناك خططا جديدة توضع ضده، وقد ألمح له بعضهم ببعض الوسائل الشديدة التي تنتظره إن هو أصر على غيه ولم يفق من غفوته

ولم يفد في ذلك الموقف العون الذي قدمه له (البرغ) الذي كان أمله الوحيد في التخلص من هذه المضايقات . فرأى شلر نفسه محاطاً بالمصائب المختلفة والشرور المرعبة من كل جهة، وقد أثار ذلك غضبه أشد الإثارة ولكنه اضطر إلى السكوت وارتداء قناع الصبر، وأخيراً لم يطق احتمال هذا الضغط الجنوني أكثر مما تحمله . لقد قرر أن يكون حرا مهما بلغ الثمن، وقرر كذلك أن ينبذ كل الفوائد المتأتية من جراء السكوت ، فترك البيت الذي كان يعيش فيه ، وهو بيت مربيته وخرج فريداً لا يلوى على شيء باحثاً عن عمل في سوق الحياة الكبيرة

استغل شلر وصول أحد الأمراء والدوقات إلى مدينة ستتغارد

(١) اسم مكان في ألمانيا

(٢) حياة شلر

والضجة التي أثيرت في الترحاب به والحفاوة التي أسبغت على المدينة حلة من الزينة ، وهكذا تمكن من التخلص وسط هذا الزحام من مراقبة العيون والأرصاد لانشغالهم بهذا الاستقبال ، ففر من المدينة في أكتوبر سنة ١٧٨٢ وكان عمره آنئذ ثلاثاً وعشرين سنة [٣] . وفي مثل هذه الظروف شب شلر عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال من القوة والبأس

وقد أثرت هذه العقبات والنكسات في سلوكه ولكن قوته الخاصة تمكنت من الغلبة في النهاية ... أما طفولته فقد كانت هانئة هادئة ، كما سبق أن ذكرنا ذلك في حينه، لأن والديه أسبغا عليه جوا من المحبة والحنان ، فجعلاه يشعر بالانشراح والسرور وبالسعادة الحق

لقد قدر لهذه البذرة غير المرئية أن تنبت يوماً ما وأن تصبح شجرة التقى والفضيلة الرقيقة ، ومن حسن حظه أن الهجوم العنيف الذي شن عليه لم يقع إلا بعد أن أكمل عدته لمواجهته بعد أن أجمع قوته . ويعود الفضل الأكبر في فوزه النهائي في هذا النضال الهائل إلى أساتذة مدرسة ستنادر ودوقهم الأعمى . ومع ذلك لو كان النظام الذي اتبعوه أكثر مدنية وأقل تعصباً لما خسرنا شاعرنا أيضا ، لأن بركان شعره كان كامنا في أعماق نفسه ولا يمكن أن يبقى مثل هذا البركان صامتا طويلا ، بل إن انفجاره كان محتما في كل يوم لا بل في كل ساعة . وقد أثرت هذه المعاملة الخشنة في سلوك شلر فأججت حساسيته وزادت من رقته وإرهافه ، وخصوصاً إذا عرفنا مدى اتصال ذلك كله بطبيعته ذات الفعالية الذاتية ، ولو كانت لديه ميول أقل تأججاً وأبرد محبة ، لرأينا في الوقت المناسب كيف ينتهي كل هذا إلى عزلة خانقة خائفة ووحشية،! وحتى إلى مقت شديد للانسانية . وإذا نظرنا نظرة عامة إلى شلر في مثل هذه المرحلة لظن بعض المتتبعين القصيري البصر أن شلر ضعيف لأن مثل هؤلاء المتتبعين يخلطون بين الرقة والضعف على اعتبارهما شيئا واحدا . فعنصر القوة الذي يتمتع به وهو أصل كل تقديم يجعله يتصرف على رغائب نفسه ، لقد كان له قصد وغاية فيما يعمل ، وكان يحب الجمال الروحي بكل جوارحه وبكل نفسيته ، وهو مستعد في سبيل الوصول لمثل هذا الهدف إلى تقديم التضحيات . لقد ظهر هذا الهدف كغريزة جامحة ، وتحت أشكال غامضة ، وقد ازدادت قوة على قوة كما اتسمت بالوضوح في النضال والمقاومة فيما يجب الانتصار فيه.. إن لهذه النكسة في حياة شلر أهميتها في التاريخ الأدبي : وهذ التعذيب في سبيل الضمير ، وهذا ما وقع للهراطقة والزنادقة في الدين أكثر مما وقع للهراطقة في الأدب . هذا النضال الأعمى الذي قصد إلى إخماد النور السماوي في الروح الإنسانية ، وقد انتهى هذا النضال إلى البوار والفشل كما انتهى إلى ذلك في الأدب أيضا

وما من شك أن ما فعله حكام محكمة التفتيش من أعمال مرعبة وجرائم نكراء لم يكن وحيداً في بابه وفريداً في نوعه.. لأن حكام محكمة التفتيش الأدبية قد خلفوا السابقين ، ومع ذلك فلم ينته أمرهم إلا كما انتهى أمر أسلافهم.. لأن تأثيرهم كان مؤقتا وعرضيا ولم يؤد إلى أية نتيجة تذكر

وما كنا لنطيل النظر في هذه الإجراءات إلا لأن ذلك سيقودنا إلى أزمة شلر الكبرى ولأنها تظهر لنا لأول مرة إرادته وهي تؤكد نفسها ، وتبين بصراحة القانون الذي سيسطر على مستقبل حياته، وقد قال هو نفسه في خصوص ذلك (لقد عشت فقيراً معدماً ويائساً) ومع ذلك فذهنه ظل في مكانه محافظاً على مواهبه كما أن موجوديته الحية ظلت صامدة كالطود الأشم ، ومن هنا يجب اعتباره أديباً وهو سيبقى كذلك في سجيته وسلوكه وقد قال بهذه المناسبة: « لقد انحلت جميع اتصالاتي السياسية ، وأصبح الرأى العام كله لي ، إنه دراستي ، إنه سيدي ، إنه موئلي ، وإلى الرأى العام فقط تعود حياتي ولن أقف أمام أية محكمة أخرى ، وهذه المحكمة بالذات هي التي أعتبرها وأخشاها . يطوف أمامي الآن خيال من الخيال كلما قررت أن أصفد نفسي بقيود غير حكم العالم ، ولن أستأنف حكمي إلا أمام محكمة روح الإنسان» [٤]

(٣) حياة شلر

(٤) مقدمة ثانية

وسنجد فى حياته اللاحقة وحدة نبيلة متماسكة بما فى ذلك من اختلافات خارجية ، كما أن الهيام بالأدب والعزيمة التى تهزأ بالمخاطر لازمتاه طويلا ولم تتركاه وحيداً فى نضاله الشريف . فنراه متجولا فى العالم ناظراً إليه فى مختلف الصور والأشكال والألوان ، ونراه كذلك ممتزجا بمسرات الحياة الاجتماعية فيصبح زوجاً وأبا ويجرب مصائر الناس ، ولكن الكوكب الساطع الهادى كان قائده الذى أرشده فى متاهات شبابه وظل نور هذا الكوكب ساطعاً مدى حياته . وكان شلر فى كل العلاقات والأحوال نقيا طاهراً لطيفاً حتى أنه كان قليلا ما يخطئ

لقد كان هدفه الأعلى بعد الكمال الروحى هو الهيام بالشعر ، وهذه العاطفة كانت من القوة والشدة بحيث أصبحت نقية طاهرة وعالية سامية، وكانت مصدر سلوكه الحسن وينبوع شعوره النبيل الفياض . وهذه العاطفة يجب أن تكون لدى الجميع نقية وسامية لأنها — فى أى مظهر كان — هى وحدها هدف الإنسان الحق ، وهى موبوءة لدى كل إنسان ، لأنها لا يمكن أن تطمس كلية ، ولكنها تبقى سلبية عند كثير من الناس ، أما البقية من الناس والذين تبلغ فيهم العاطفة هذه مبلغاً كبيراً من الفعالية فسيكونون شعراء قولا أو عملا ، وقلما تكون الأهداف السامية بعيدة عن المطامح المبتذلة والأهداف الأرضية التى تشوه هذه المظاهر كلية . فعند شلر إذن كانت هى الهدف الأساسى الذى تتجمع حوله جميع الأهداف الثانوية الأخرى ، ولم تكن الشهرة نفسها والتمايز العالمى ليعتيه فى قليل أو كثير ، فسلوكه اللطيف المخلص هو الذى كان يجذب إليه الأصدقاء ، وقد كانت حياته المستقيمة المسالة مدعاة احترام الجميع ، والذين عرفوه خير المعرفة أحبوه أشد الحب

علاقته بجوته

ولعل أهم ظرف أحاط بحياته الأدبية هى علاقته بجوته.. ولو استعملنا تعبيرنا السابق لقلنا : لو فرضنا أن شلر كان قسا لكان جوته مطرانا ، وهذا الأخير هو الذى رسمه للكهنوت ومنه حصل على النور القدسى . لقد كانت علاقتهما حدثاً قل نظيره فى تاريخ الأدب للأسف الشديد ، وكانت علاقتهما علاقة خالصة من كل زغل وبعيدة عن كل أنانية كما كانت الحالة بين (سوفت) و (بوب) [٥] اللذين كانا يتقاسمان السراء والضراء وتجمعهما رابطة الكبرياء . وقلما يتفق الناس بمثل هذه الأحوال ولأغراض من هذا النوع إذا وزنت فى الميزان الاقتصادى كما ساوت وزن خيوط العنكبوت [٦] . ويظهر أن بعض العقبات الدولية وقفت فى الطريق كما أن بعض التحامل من قبل الطرفين وقع وكان الواجب يقضى بالتغلب عليه . ولعدد من السنين لم يكن فى الإمكان تقابلهما إما لسبب عرضى أو جوهرى ، وكانت مقابلتهما الأولى غير مشجعة . يقول شلر فى هذه المناسبة : (إن هذا الاجتماع لم يقلل من الفكرة العظيمة التى استحوذت على والتى كنت قد كونتها مقدماً عن جوته . ولكننى أشك فيما إذا كنا سنتصل فى المستقبل مع بعضنا البعض الآخر اتصالا وثيقاً . فكثير من الأشياء التى تهمنى لم يعد لها أى ذكر لديه ، وطبيعته فى جملتها وتكوينها فى الأصل تختلف عن طبيعتى . كما أن عالمه ليس عالمى . ويظهر أن أساليب فهمنا للأشياء تختلف اختلافاً بيناً . وطبيعى أن اتحاداً من هذا النوع لا يمكن أن ينتج ألفة وثيقة ثابتة) ومع ذلك فبالرغم من بعض التحامل الخطير من قبل جوته ، إن لم نقل شيئاً من الحسد الوضيع الذى كان من الممكن سيطرته على أى شخص آخر فى مثل هذه الظروف نفسها ، نقول بالرغم من هذا كله فإن الذى لم يكن محتملا وقع ، وكانت النتيجة أن توثقت الصداقة بينهما واشتدت الألفة ولم يفرق بينهما غير الموت . وإذا نحن اعتبرنا الوضعية النسبية لكل من الطرفين وسلوكهما فى هذه القضية فعلينا أن نعترف أن كلا منهما كانت لا تعوزه الفضيلة الاجتماعية كما أن حب الإيثار كان مستحوذاً عليهما . والحال مع جوته خصوصاً بينة وواضحة، فهو كان أكبر سنا وأعظم الاثنين..فهو لم ينتظر شيئاً بالمقارنة لما يعطى . أما هذه الوحدة الأخوية فيمنعنا ضيق المجال من شرح طبيعتها وبيان تطورها ، وهى ستعطينا دليلا آخر تأييداً لما قاله (يونغ ستيلنغ) (بأن قلب هذا الإنسان الذى يعرفه القليلون هو نبيل وصادق كعبقريته التى يعرفها الجميع)

(٥) الأول أديب إنجليزى كبير معروف بكتابه (رحلات كوليفر) والثانى شاعر إنجليزى مشهور بسخريته

(٦) مثل انكليزى معروف

للكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

٤ـ في بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ آغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

الحرية والجاسوسية

— ولكن أيها الأستاذ ! أليس احترام الرجال العظام وتبجيلهم واجبا تقضى به رعاية الحقوق ، والعرفان بالجميل ؟

— بلا ريب ! ولكن هناك حدودا بارزة بين خالص الاحترام والتبجيل . . ومحض التملق والرياء !

— كيف ذلك ؟

— إن الاحترام والحب الحقيقيين يتطلبان الصدق والإخلاص، وشرطهما الأساسى أن تقول ما تفكر فيه أو تشعر به بغير زيادة أو نقصان . .

وعلى سبيل المثال أقول : ألا ترى لزاما عليك أن تصرح بما تراه من النقائص فى أقرب الناس إليك ، كابنك ، أو أخيك ، أو صديقك البار ، وتواجهه بالنصيحة والإرشاد ، بغية تقويم اعوجاجه ، وإصلاح عيوبه ! ثم ألا تعتبر مثل هذا العمل دينا عليك واجب الأداء تجاهه ؟

والرجال العظام الذين تنجبهم الأمة ، هم أعز وأغلى من الابن والأخ والصديق ، لأنهم ينابيع الهناء ، وأسس السعادة العامة المشتركة فى الوطن

إذن أفلا يكون دينا علينا واجب الأداء أيضا أن نكون تجاه هؤلاء أصدق وأشد إخلاصا ؟

ولكن المرائين والمنافقين لا يصنعون إلا نقيض هذا تماما . . فيخلعون على العظماء نعوتا زائفة ، وينسبون إليهم مواهب وكفايات ليست لهم ، ويظهرون جهلهم ونقائصهم وأخطاءهم بمظهر الفضائل العالية والمزايا النادرة ، ويكتمون عنهم الصدق والحقيقة ، ويدفعون بهم إلى الطرق الملتوية والمآزق . . ويرتكبون كل هذه الجرائم فى سبيل الحصول على منافع شخصية محضة دنيئة فقط

وفى الحق أن الرجل التملق المتزلف لا يستطيع أن يكون صديقا حقيقيا لأى إنسان . . إذ أن فضائل سامية كالصدق والاستقامة والإخلاص ليست من نصيب ذوى النفوس المنحطة السافلة . .

ففى أول إدبار الحظ يقلب هؤلاء ظهر المجن للرجال العظام ويشرعون فى التهكم ونكران الجميل ، وشن الحملات الشعواء عليهم ، ومن ثم يأخذون فى الالتفاف حول السيد الجديد الحائز القوة

— كم أنت محق فى هذا أيها الأستاذ ! لقد شهدت بعينى غير مرة مناظر مؤلمة من هذا التقلب الفاضح . . وكم من مرة ضغطت فيها على أعصابى لكى لا ينقلب تعلق بوطنى مقتا وكراهية ، وحبى لأبناء بلادى حقدا وضغينة . .

— أجل ! إن الرياء والتملق هى الطريق الخطر الذى سيؤدى بالمجتمع أيا كان إلى الانحطاط والتدهور لا محالة . .

— إذن لماذا يميل إليهما الناس ؟ ولماذا لا يرضون بهما بديلا ؟

— لأنهم ضعفاء ، ومع ذلك فالذنب كله يقع على عاتق المجتمع وحده لكونه هو المكلف بمنع انتشار الرذائل وبمكافحة الفساد والانحلال الخلقى أولا وآخرا . .

أما إذا تقاعس المجتمع عن أداء واجبه بهذا الشأن فسوف يكون هو نفسه الخاسر فى النهاية بغير شك

— لم أفهم أيها الأستاذ !

— إذن لأتبسط فى القول . . إن الرجال العظام فى المجتمع هم بمثابة الزهرة أو الثمرة من الشجرة ، فكما أن الزهر أو الثمر هما اللذان يبقيان على نوع الشجرة ويضفيان عليها صفة الخلود ، فكذلك العظماء هم الذين يبعثون فى عروق المجتمع دم الحياة ، ويمهدون أمامه سبل العيش ، ويفتحون أمامه أبواب الارتقاء والتقدم

وفى الحق أن قوة كيان المجتمع وتماسكه لا يقاسان إلا بعادات وقيم بعض العظماء الذين تنجبهم الأمة فى مختلف ميادينها الفكرية

والأدبية والعلمية والعسكرية وغيرها

وفى مثل هذه الحال يكون العمل لتنشئة هؤلاء وإعدادهم ، ثم الحرص على سلامتهم.. مسألة حياة للمجتمع ذاته ليس إلا . .

والمجتمع الرشيد هو الذى يحاول دائما أن يفيد لنفسه أعظم فائدة من عظمائه عندما تسنح له فرصة الحصول عليهم ، ولابدع أن تمر أى لحظة من حياتهم دون أن يستغلها لحسابه أحسن استغلال ، ويخلق منها مصدر خير وبركة للجميع بغير استثناء .. ذلك لأن العظماء لا يظهرون كل يوم أو فى أى زمان ، فقد يصادف أن الأمة الواحدة تحبل طوال عصور مديدة ثم لا تلد إلا واحدا من هؤلاء ، وقد يتفق أيضا أن عملية الولادة هذه تصبح قاسية ومخيفة جدا

لهذا فالمجتمع الذى يعرف قدر نفسه يحرص على أمثال هؤلاء الأبناء البررة كالحرص على بؤبؤ العين ، ويبذل كل ما فى وسعه لكى يفيد من حياتهم أعظم ما يمكن من الفوائد . .

وهذا هو السبب أيضا فى أن المداهنة والتملق يعاقب المرء عليهما فى بلاد الأحرار بعقوبة شديدة كالرجم بالأحجار ، وذلك لكونهما من أفتك وسائل الإفساد والتخريب

— فهمت أيها الأستاذ ! وقد أثار إيضاحكم هذا جوانب كثيرة من الماضى المؤلم القاتم أمام ناظرى ، فهل تتفضلون الآن بشرح المادة الرابعة من الدستور ؟

— بكل ارتياح ! تنص هذه المادة على أن الذين يشتغلون بالجاسوسية لا يستأهلون أن يكونوا من مواطنى بلاد الأحرار ، ذلك لأن الحرية والجاسوسية لا يمكنهما أن يجتمعا على صعيد واحد أو يأويا تحت سقف مشترك ؛ فلا حرية حيث تسود الجاسوسية ، ولا جاسوسية حيث تسود الحرية

ولهذا ترى دوائر الاستخبارات وأوكار الدس والمؤامرات من أقوى الوسائل الفعالة التى يستند إليها الاستبداد فى توطيد دعائم حكمه ، وتثبيت أركان جبروته وطغيانه

أما هدف الاستبداد الأوحد فى هذا الخصوص ، فهو أن توهن الروابط ، وتفكك أواصر الثقة فى نفوس أبناء الوطن الواحد ، وتنفخ فيها روح الشك والارتياب ، وليست ثمة وسيلة أقوى تمكنها من بلوغ هذا المأرب من الجاسوسية بلا مراء . .

ففى المكان الذى تنفق فيه سوق الدس والوقيعة لا نجد أحدا يثق بغيره ؛ بل يجفل ويرتعد كل واحد من الآخر . . فيتلاشى بذلك الصدق ، وتنتفى الصراحة بين المواطنين ليحل محلها الكذب والخداع والنميمة .. وهكذا يستحيل القيام بأى عمل اجتماعى تعاونى نافع ، مهما كان نوعه أو كانت قيمته ..

والجماعات البشرية التى يصل بها الحظ العاثر إلى هذه المرحلة من الانهيار تكون أشبه شئ بقطعة مهلهلة من النسيج انحلت خيوطها ، وتفككت أجزاؤها ، فتفقد كل قابلية فى نفسها لأى نوع من أنواع الكفاح ، وتصبح لا هى قادرة على منازلة الاستبداد ، ولا هى مستطيعة السير موحدة القوى فى مسالك العلوم والفنون ، أو الضرب فى آفاق التجارة والمعاملات وغيرها من مقومات الحضارة الحقيقية فى هذا العالم

وطبيعى بعد ذلك أن لا تستطيع بلاد الأحرار الرضا بما هو من شأنه إلحاق كل هذا الأسى بكيان المجتمع ، واستجلاب كل هذه الويلات والكوارث له ..

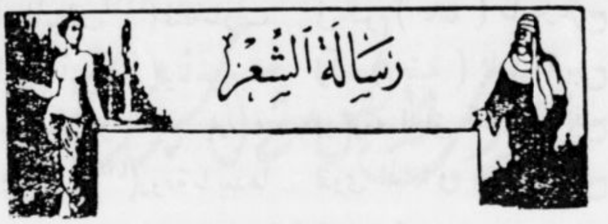
إننا نغرس فى نفوس مواطنينا شعور الكراهية والبغضاء نحو هذا الداء الوبيل منذ نعومة أظفارهم وعهود طفولتهم ، ولا ننظر نظرة ارتياح وتسامح إلى شكاوى أبنائنا بعضهم من بعض ، ونعاقبهم بقسوة متناهية على حوادث التهم والافتراءات التى تحدث بينهم ، ونشهر بالصبى الذى يتجسس على أى عمل من أعمال زميله ردعا لغيره وزجرا

وقصارى الكلام ، أننا نبذل أقصى جهودنا قولا وعملا ، لكى نبث شعور الكراهية والمقت فى القلوب الفتية نحو داء الجاسوسية المرذول . وعندما يشب هؤلاء عن الطوق ويترعرعون ، تتهيأ لهم فرصة الاطلاع على دستور البلاد وفهم مغازيه أيضا .. وحينئذ تكون الجاسوسية قد زالت بكليتها من البلاد ..

— أيها الأستاذ.. إن إيضاحاتكم هذه قد أحدثت انقلابا فى كيانى ، إننى أشعر بالحاجة إلى أن أخلو إلى نفسى وإلى أفكارى الآن ، فهل تسمحون بأن نكتفى بهذا القدر اليوم !

— حسنا ! سنحضر بعد يومين ، ثم نهضوا للمصافحة وانصرفوا

يتبع **أحمد مصطفى الخطيب**



ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة ، شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعا وعشرين منها ، وغاب عن واحدة هى غزوة مؤتة ، فأما التى شهدها فهى غزوة ودان — العشيرة — سفوان — بدر الكبرى — بنى سليم — بنى قينقاع — السويق — قرقرة — الكدر — ذى أمر — بحران — أحد — حمراء الأسد — بنى النضير — ذات الرقاع — بدر الآخرة — دومة الجندل — بنى المصطلق — الخندق — بنى قريظة — بنى لحيان — ذى قرد — الحديبية — خيبر — وادى القرى — عمرة القضاء — حنين — الطائف — تبوك — فتح مكة — وقد استغنى الناظم عن هذه الغزوات فلا مجال فيها للقول ، وفى هذا الجزء من الكتاب غزوة بدر الكبرى ، وغزوة بنى قينقاع ، وغزوة السويق ، وغزوة أحد ، وغزوة حمراء الأسد ، وغزوة بنى النضير ، وذات الرقاع ، وبدر الآخرة ، ودومة الجندل ، وبنى المصطلق ، والخندق ، وبنى قريظة ، ومع كل غزوة ما يتصل بها من العناصر البارزة فيها

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثانى عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلا ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفا ، قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار

نعيم

ما للنفوس إلى العماية تجنح ... أتظن أن السيف عنها يصفح ؟

داويت بالحسنى (1) فلج فسادها ... ولديك إن شئت الدواء الأصلح

الإذن جاء (2) فقل لقومك: أقبلوا ... بالبيض تبرق والصوافن تضبح (3)

أفيطمع الكفار أن لا يؤخذوا ؟ ... بل غرهم حلم يمد ويفسح

أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم ... أفكنت إذ تزجى الزواجر تمزح ؟

لا يستحون ، ولو تأذن ربهم ... عرفوا اليقين وأوشكوا أن يستحوا

أملى (4) لهم ، حتى إذا بلغوا المدى ... ألوى (5) بهم خطب يجل ويفدح

من ناقض عهدا ، ومن متمرد ... يمسى على دين الغواة ويصبح

لما استتام الأمر لاح بشيرها ... غر سوافر من جبينك تلمح

ظمئت سيوفك يا (محمد) فاسقها ... من خير ماتسقى السيوف وتنضح (6)

فجر ينابيع الفتوح ، فريها ... ما تستبيح من البلاد وتفتح

الظلم أوردها الغليل ، وإنه ... لأشد ما تجد السيوف وأبرح

اليوم توردها الدماء ، فترتوى ... وتردها نشوى المتون ، فتفرح

المشركون عموا ، وأنت موكل ... بالشرك يمحى ، والعماية تمسح

خذهم ببأسك ، لا ترعك جموعهم ... فلأنت إن وزنوا الكتائب أرجح

ضلوا السبيل ، وفى يمينك ساطع ... يهدى النفوس إلى التى هى أوضح

هفت العشيرة (7) إذ نهضت تريدها ... والعير دائبة تشط وتنزح

---

(1) الخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

(2) كانت الآيات التى نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال ، وكان مبدؤها فى الثانى عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وقيل ان الآية الأولى هى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبى بمكة وهم بين مضروب ومشجوج . فيقول : اصبروا فانى لم أومر بالقتال

(3) صوت الخيل دون الصهيل ، أو عدوها

(4) أملى له أمهله وطول له

(5) ألوى بالرجل وبالشئ ذهب به

(6) يمنى تسقى

(7) العشيرة موضع لبنى مدلج بينبع ، خرج إليها النبى صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة فى ١٥٠ وقيل ٢٠٠ رجلا من المهاجرين يريد عيرا لقريش سارت من مكة الى الشام للتجارة ، كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار ، وكان قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، فلم يدركها النبى . فلما عادت من الشام خرج إليها — قيل انها كانت سبباً لوقعة بدر ، وكان اللواء فى العشيرة لحمزة بن عبد المطلب ، وفى هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بنى مدلج ، وكانوا حلفاء ابن ضمرة

تمشى (مواقر[٨]) فى غواربها العلى … (أموال مكة) فهى ميل جنح

عد باللواء ، وقل (لحمزة) إنهم … رهن بمرزمة[٩] تسح وتدلح[١٠]

تهوى غداة الروع[١١] فى طوفانها … مهج الفوارس ، والمنايا تسبح

هذا الفتى الفهرى[١٢] أقبل جامحا … يغزو (المدينة) والمضلل يجمح

ولى يسوق السرح ، لو لم توله … سعة لضاق به الفضاء الأفيح[١٣]

دعه ، فإن له « بمكة » مشهدا … يرضيك والشهداء حولك تطرح[١٤]

* * *

ذهب ابن حرب[١٥] فى تجارة قومه … ولسوف يعلم من يفوز ويربح

نسر مضى متصيدا ، ووراءه … يوم تصاد به النسور وتذبح

بينا يحيد عن السهام ، أصابه … نبأ تصاب به السهام فتجرح

بعث (ابن عمرو) ما لكم من قوة … أن مالكم أمسى يلم ويكسح

واهاً (قريش) إنه الدم فاعلموا … من دون بيضكم يراق ويسفح

تردون برد الأمن ، والنار التى … أنتم لها حطب تشب وتقدح

إن كنت لم أفصح لخطب هالنى … فسلوا (بعيرى) إنه هو أفصح

وخذوا النصيحة عن قميص إنه … لأجل من يعظ النيام وينصح

إنى صدقتكم البلاغ لتعلموا … وجبال مكة شهد والأبطح

جفلت نفوس القوم ، حتى مالها … لجم ترد ، ولا مقاود تكبح

وأبى (أبو لهب[١٦]) مخافة ما رأت … فى النوم (عاتكة) فما يتزحزح

وأرى (أمية[١٧]) وتأخرحينه … لرآه (عتبة) ثاويا ما يبرح

يرميه بالهذر القبيح يلومه … ويسومه الخلق الذى هو أقبح

غشاه (سعد[١٨]) روعة ما بعدها … لذوى المخافة فى السلامة مطمح

* * *

نفروا يريدون القتال ، وغرهم … عبث اللواتى فى الهوادج تنبح[١٩]

غنت بهجو المسلمين ، وإنها … لأضل من يهجو الرجال ويمدح

الضاربات على الدفوف، فإن همو … ضربوا الطلى[٢٠] فالنادبات النوح

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

---

(٨) محملة أحمالا ثقيلة

(٩) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته ، والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها

(١٠) يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله

(١١) يعنى الحرب وأصله الفزع

(١٢) هو كرز بن جابر الفهرى كان من رؤساء قريش ، أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى من العشيرة بليال فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه ، فلما بلغ سفوان (موضع من ناحية بدر) فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب — أسلم كرز وصحب ، وأمر على سريته ، وقتل فى فتح مكة رضى الله عنه

(١٣) الأفيح الواسع

(١٤) إشارة الى اسلام كرز واستشهاده

(١٥) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى ، فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم بن عمرو الغفارى يستنفر قريشا بمكة ، واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره ، ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ، ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره : اللطيمة اللطيمة — هى العير التى تحمل الطيب والبز — أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، لا أرى أن تدركوها لن تفلحوا أبدا ، الغوث الغوث ، فنفر الناس وتخلف أبو لهب

(١٦) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عم النبى صلوات الله وسلامه عليه (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش ، رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس (جبل) فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ، ارفضت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة ، قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها ، وخرج فلقى الوليد بن عقبة ، وكان صديقا له ، فذكر له ، واستكتمه ، فذكرها الوليد لأبيه ، فحدث بها ، وفشا الحديث ، ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا ، فقال له : يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما رجع قال له أبو جهل : يا ابن عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لرؤيا عاتكة

بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان له أربعة آلاف درهم دينا عليه ، ثم عجز عن أدائها ، فجعلها أجرا له ، وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب

(١٧) أمية بن خلف أراد التخلف وكان شيخا ثقيلا ، فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه ، وقال له : استجمر فإنما أنت من النساء ، وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة الى ذلك ، ومن قول أبى جهل لأمية : انك سيد أهل الوادى فاذا تخلفت تخلفوا فتجهز وخرج

(١٨) سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية كما كان ينزل عليه بالمدينة فى طريقه الى الشام فأخبره أن النبى سيقتله — والمراد جند النبى — فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج

(١٩) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم ابن حزام (أسلم بعد ذلك) وابو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والعباس بن عبد المطلب ، وابى بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (اسلم بعد ذلك)

(٢٠) الطلى الأعناق أو اصولها ، جمع طلية او طلاة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تلقى الأدباء ذلك النبأ الذى أعلنته الرسالة فى العدد السابق ، بأنها ستتجدد ، وبأن الرواية ستعود إلى الصدور ، بالفرح والابتهاج ، فقد كان طبيعيا أن تجرى الرسالة فى موكب النهضة ، وهى التى حمل صاحبها القلم منذ ثلاثين عاما يدافع به عن الفلاح والعامل، وطالب بحقوق الفقراء والضعفاء، ولطالما كانت مقالاتها هى صرخة الحق فى وجه الباطل عندما كان الباطل قويا ، ومتسلطا

ولا شك أن الأدب العربى فى حاجة إلى « الرواية » حاجته إلى المجلة القصصية الفنية ، بعد أن انتشرت تلك الألوان المتهافتة من القصص

والذين طالعوا الأعداد التى صدرت من الرواية فى سنيها الثلاث مازالوا يذكرون ذلك الفيض الرائع من القصص العربية والمترجمة، المنقولة فى أسلوب رفيع ، وعلى نسق يكرم الذوق ، ويغير الخلق ، ويضع قواعد السمو والرجولة

ويتصل بهذا أن الأستاذ الزيات قد أخذ يفرغ لهذا العمل بعد أن ترك مجلة الأزهر ، وقد كانت عودته إلى الرسالة حبيبة إلى القراء الذين كانوا يطمعون فى أن يوحد كاتبنا الكبير جهوده فى ميدانه الأصيل ، ولاسيما بعد أن رسم لمجلة الأزهر الخطة المثلى ، وأصبح على القائمين عليها أن يمضوا على نفس المنهج

الكتاب الذين آثروا الانزواء

لفت نظرى ذلك الكتاب المترجم الذى صدر هذا الأسبوع للدكتور محمد أبو طايلة ، فقد آثر الدكتور أن يختفى وقتا طويلا عن دنيا الصحافة والأدب .. بعد أن ظل اسمه وقتا من أبرز الأسماء فى الصحافة المصرية

وقد جدد هذا الذكر فى نظرى البحث عن الأدباء الذين اختفوا فى السنوات الأخيرة وآثروا أن يعيشوا حياتهم الخاصة يقرأون ولا ينتجون ، لقد كنت أعرف أن « عقدة » نفسية قد طغت على بعض هذه النفوس فدفعت أصحابها إلى إيثار تطليق الحياة الأدبية والتوقف عن الإنتاج !

تلك هى غلبة الأدب الذى يطلقون عليه كلمة « الخفيف » والذى لا أراه صالحا لأن يكون لونا من ألوان الأدب ... فقد مرت بمصر فترة ، كانت الصحافة وهى التى تملك زمام الإنتاج تحرص على أن تقدم للقراء تلك الألوان التى تتصل بالغرائز والرغبات الرخيصة

وقد جندت لهذا اللون بعض كبار الكتاب الذين حرصوا على « القدر » الضخم من الأجر ، متجاهلين تاريخهم القديم ، وماضيهم المعروف

ولا شك أن الأدب الرفيع قد تقلص تحت ضربات هذا اللون الجديد ، وانزوى وآثر هؤلاء الأدباء الانزواء أيضا

وقد حق لنا الآن أن نطالب هذه الأسماء بأن تستأنف جهودها وعملها مرة أخرى بعد أن بدأت بشائر النهضة الجديدة التى سيكون « الأدب الرفيع » من أول قواعدها

السجل الثانى

نظرة واحدة فى السجل الثانى الجديد عن سنة ١٩٥١ تعطى فكرة واضحة عن ضعف الإنتاج الأدبى خلال العام

فعدد الكتب القوية التى يمكن أن يطلق عليها هذا الاسم قليل جدا ، بل نادر ، وإنما هى مجموعة من الكتب ؛ صدرت على طريقة الصحف التى تطبع فى سرعة وتكتب فى سرعة . . والتى ليس فيها بحث عميق ، ولا تأمل واضح ، ولا دراسة رصينة

إنما هى مجموعة من الأفكار ، كتبت ونشرت ، ولما تستوف عناصر الكمال.. فإذا نظرنا فى الإحصائيات ، وجدنا ظاهرة ضعف الإقبال على القراءة واضحة ، غاية الوضوح

فإذا كان القراء فى مدينة كالقاهرة فى خلال عام كامل لايزيد عددهم على ١٩٢ ألف فى جميع دور الكتب، الدار الرئيسية والدور الفرعية ، أى بمعدل ٥٢٤ قارئ فى اليوم ، فإن هذا يعطى صورة صحيحة لمدى (إقبال !) القراء على البحث والقراءة والدراسة ، مع ملاحظة أن هناك عددا كبيرا — من هذا الرقم — من الطلبة الذين يعاودون التردد على الدار مرتين فى اليوم الواحد ! وخاصة

أيام الامتحانات الأولى والملحقة

القراءات : ضعف فى الكم والكيف

. . وقد رأيت أن أعرف الألوان التى يقرأها شبابنا الذين يترددون على دور الكتب فوجدت فى أيدى الشباب فى سن السابعة عشرة قصص: صوره دوريان جراى، وراسبوتين، وبيرون، وكرمن ، وعربة اللذة وروايات موريس لبلان ، عن أرسين لوبين

وليس فى قصة من هذه القصص مايرفع مستوى الشباب من ناحية الفن أو الذوق أو الخيال أو الأدب ، وإنما هى قصص هائجة مائجة ، كلها شهوة وإثم وفجور وسرقات

أنا لا أعيب قراءة القصة الممتازة ، كقصص شكسبير وبرنارد شو وجوته ولامرتين . . . ، فهى تربى فى الشباب روح البيان والإنشاء والكتابة

وإذا كنا نعيب على الشباب البعد عن القراءة ، بصفة عامة والقراء النافعة بصفة خاصة . . فإننا لا ننسى أن نذكر أن وسائل طلب الكتب فى دار الكتب ماتزال معقدة ، فإذا طلبت دوريات الصحف فى الغروب قيل لك إنه ليس بالمخزن نور ، وإذا طلبت أكثر من أربع كتب رفض طلبك ، هذا فضلا عن عدم وجود مراجع كاملة واضحة

. . أما إذا كان هناك أديب من الأدباء أو مفكر من المفكرين يريد أن يبحث فنا أو مادة . . أو علما ، فإنه لا يجد ما يعينه إذا لم يكن له صديق من موظفى دار الكتب وتلك ملاحظات خفيفة نهديها إلى الأستاذ الكبير توفيق الحكيم

أدب الجيش وتاريخه

من الملاحظ أن تاريخ الجيش المصرى لم يكتب بعد على وجه موسوعى أو كامل . . وذلك نقص ، إن كنا قد قصرنا فيه فى الماضى ، فإننا يجب أن نتلافاه اليوم

الحق أن جيشنا له تاريخ مشرق ، منذ عهد طويل ، منذ الفراعنة عندطرد الهكسوس.. وعندما وقف وقفته فى كوتاهية ، ومواقفه فى فتح عكا وبطولته فى عين جالوت

وهو الجيش المصرى الذى رد الصليبيين ، فى المنصورة ودمياط ، ورجاله الأبطال هم الذين أسروا قلب الأسد ملك إنجلترا، والقديس لويس إمبراطور فرنسا

. . ونحن الآن نطالب بأن يكتب تاريخ الجيش من جديد ، على ضوء البطولة الرائعة التى سجلها منذ سبعين عاما عندما زحف عرابى على قصر عابدين ، وبعد سبعين عاما عندما زحف محمد نجيب على قصر رأس التين وخلع فاروق

إن فى تاريخ جيشنا ، مواقف كثيرة مشرفة ، جديرة بأن تكتب على طريقة الأدب والفن لا على طريقة التأريخ ، وأن بعض هذه المواقف ، جدير بأن ينقل إلى السينما . . ، فقد رأينا الكثير من الأفلام السينمائية التى صورت أجزاء من تاريخنا فى أوضاع مشوهة ، . . وحق لنا فى عهد النهضة أن نرد عن كرامتنا ، ونذود عن تاريخنا بعض ما أصيب به فى العهد الماضى من أخطاء . . وإهمال ! !

الأدب النسوى

يعرف قراء الصحف اليومية ، ماقيل من أن الدكتورة « بنت الشاطئ » سترفع دعوى على بعض المخرجين السينمائيين لأنهم أطلقوا اسمها على فلم من الأفلام السينمائية

وقد عادت الدكتورة فى الأسبوع الماضى من رحلتها إلى أوربا ، هذه الرحلة الخامسة من رحلاتها السنوية التى جعلتها فى السنوات الأخيرة جزءاً من برنامجها

وقد كانت هذه الرحلات زاداً للكاتبة الكبيرة أضافت إلى خبرتها، حين قرأت عن هذه البلاد، خبرة جديدة وتجارب واسعة زادت خبرتها سعة وتجاربها قوة وحيوية

ونحن نطمع أن تخرج رسالة ضخمة عن هذه الرحلات

وإذا كانت الدكتورة « بنت الشاطئ » بصدد إخراج كتابها « صور من حياتهن » الذى سيظهر خلال هذا الشهر فإننا نتساءل الآن عما تقرأ المرأة !

والواقع أنه ليس هناك أدب نسوى بالمعنى المعروف، وكتابات أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وسهير القلماوى ، . . كلها كتابات مسترجلة ، ليس لها طابع نسوى واضح ، ولا يمكن القول بأنها فى مجموعها . . تكون أدبا نسويا بمعنى الكلمة !

ومن الناحية الأخرى فإن قراءات المرأة فى مجموعها ضعيفة ومشتتة ، والمرأة المصرية المثقفة عندنا فى الواقع لا تقرأ . . إن لم



المسرح المصرى فى عام

للأستاذ علي متولى صلاح

شغلتنا العلة والرحلة عن أن نسجل جهود المسرح المصرى فى العام الماضى ، فقد كان عاماً خصباً موفور الإنتاج كثير النشاط يمتاز امتيازاً واضحاً ملموساً عن الأعوام القريبة السابقة ، ولعل مرد ذلك إلى التنافس القوى الذى احتدم بين الفرقتين اللتين كانتا فرقة واحدة هى « الفرقة القومية المصرية » ثم انقسمت — كما ينقسم كل شىء عندنا — إلى فرقتين هما « الفرقة المصرية » « فرقة المسرح المصرى الحديث »

أما الأولى فقوامها من رجال المسرح الأقدمين ، وأما أخراهما فقوامها شباب جديد يدرجون على المسرح لأول مرة وهم أصحاب مذهب آخر واتجاه آخر يغاير كثيراً ما يذهب إليه رجال الفرقة الأولى

والمسرح هو — كما يعلم القراء — الصورة المهذبة المشذبة للحياة ، وهو أرفع أنواع الفن والأدب ، بل هو على الأصح جماع عدد كبير من الفنون والآداب ، فالحديث عنه إنما هو حديث عن الحياة والأدب والفن جميعا ، وأرجو أن يأتى اليوم الذى أرانا فيه نقتتل ونتخاصم ونختلف حول رواية من الروايات كما يفعل الأوربيون فى نواديهم وأحاديثهم وصحفهم

ولقد دأبت الفرقة الأولى — وأعنى بها الفرقة المصرية التى كان يتولى أمرها الأستاذ يوسف وهبى — دأبت كشأنها دائما على تقديم ما خفت مؤونته من الروايات المترجمة التى رآها الناس أكثر من مرة فكان ذلك منها إفلاساً كبيراً وقصوراً معيباً ، اللهم إلا عدداً آخر من الروايات كان الأستاذ يوسف وهبى فيها هو المؤلف والمخرج والممثل جميعاً ! وليس من عجب فى ذلك ولا من غرابة فكلنا يعلم أنه

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد !

نعم . . . كان الأستاذ يوسف وهبى دكتاتورا متصرفا فى كل الأمور ، بل إن دكتاتوريته امتدت فى كثير من الأحيان إلى أعمال بعض المؤلفين الذين تتقطع نياط قلبه دون أن يبلغ شيئا مما بلغوه ، وأشير هنا على سبيل المثال إلى الجرأة التى ارتكبها هذا الرجل فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ على أحمد باكثير ، فقد عدا فيها على المؤلف عدواناً كبيراً وغير شخصية « الحاكم بأمر الله » — كما أرادها المؤلف — من النقيض إلى النقيض ، وحمله من الرأى والفكر مالم يحمله المؤلف ، وقلبه من رجل قوى قادر ذى بطش وذى إرادة وقوة ! إلى رجل ضعيف متهالك مهرج دجال ، ولا ندرى لذلك من حكمة إلا رغبة الأستاذ يوسف وهبى فى أن يظهر على المسرح دائما مهرجا دجالا تفرح العامة لرؤياه وتدمى أكفهم بالتصفيق له !

أما تأليفه فهو مجموعة أمشاج وأخلاط ومسوخ شائهة ! بل هى سوءات لا أدرى كيف يعرضها على الناس ، وأشير إلى واحدة منها مما قدمه فى العام الماضى وهى التى سماها « ٧٠ سنة » فهى فؤوس تهوى على عقول النظارة ، وهى صخور يجرها من هنا الميكرفون ومن هناك المناظر السينمائية لأنها لا تستطيع أن تنهض منفردة وأن تعيش مستقلة ! وهذا خلط ليس من الفن المسرحى فى شىء ولذلك فقد كان حسناً جدا أن أبعدوا هذا الرجل عن تلك

تكن تكره زوجها إذا كان يحب القراءة . . — وإذا قرأت فهى تقرأ الاثنين وآخر ساعة والمصور ! . .

ولا نعتقد أن مثل هذه القراءات تكفى لتربية الذوق الفنى أو الأدبى فى المرأة المثقفة !

ونحن نرجو أن يتيح العهد الجديد للمرأة إنشاء أدب نسوى . . له طابعه الخاص . . يجرى مع النهضة الحديثة ! ! ويكون طابع المرأة الجديدة

أنور الجندى

الفرقة.. والله المسئول أن يهيئ لها من أمرها رشداً فى عهدها الجديد

وأما الفرقة الثانية — وأعنى بها فرقة المسرح المصرى الحديث — فهى مجموعة من الشباب الذين نالوا حظاً غير قليل من الثقافة والمعرفة والدراية بشؤون المسرح ، ودرسوا فن التمثيل والإلقاء والإخراج فى المعهد العالى لفن التمثيل ، فكانوا دماً جديداً ، وكانوا وثبة جديدة باركناها يوم ظهورها على صفحات « الرسالة »

ولقد سلخت هذه الفرقة عامين من عمرها ، ونهضت فيهما نهضة مشكورة ، واستطاعت إلى حد كبير أن تثبت وجودها فى عالم المسرح ، وقدمت للنـاس عدداً لا بأس به بين مؤلف ومترجم من أمثال « مسمار جحا » ، « مريض رغم أنفه » ، « حورية من المريخ » وسواها مما رآه الناس وحمدوا لها حسن اختياره ، فإن اختيار الرجل دليل عقله ، وإن الشاعر القديم ليقـول :

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

ولكن الحق يقتضينا أن نأخذ عليها أنهـا قدمت توافه خسيسة ضئيلة القيمة من أمثال « دنشواى الحديثة » ، « كسبنا البريمو » مما سبق أن أفضنا فى الحديث عنه

ولقد استطاعت هذه الفرقة الناشئة أن تصرع الفرقة الأخرى القديمة التى يهيمن عليها الأستـاذ يوسف وهبى بهيله وهيلمانه ، وعندنا أن مرد الأمر فى نجاح هذه الفرقة الشابة إنما يعود إلى المجهود الجبار العنيف الذى يبذله الأستـاذ زكى طليمات فى إخراج الروايات وتدريب أعضاء الفرقة تدريباً دقيقاً على كل لفظة وكل خلجة وكل لفتة يؤدونها ، وأشهد لقد رأيته وهو يتصبب عرقاً فى تدريبهم ويبذل فى ذلك جهد المخلص الصبور ، الأمر الذى جعلنا تأخذنا الدهشة والحيرة عندما سمعنا بأمر هذا الانقسام الذى يؤسف له كثيراً بين هؤلاء الأعضاء وأستاذهم زكى طليمات

وليس المقام هنـا مقام أن نخوض فى أسباب هذا الخلاف ؛ ولكننا نجد أن تمرد التلاميـذ على أستاذهم وخروجهم عليـه وتشهيرهم به أمر تأباه الأخلاق الفاضلة ، فما بالك وهو ليس أستاذاً عادياً ولكنه أستاذ يبذل لتلاميذه كل جهده ووقته ، وينفق حياته فى إعدادهم وإنهاضهم وإظهارهم للناس فى أحسن صورة ، ويحدب عليهم حدب الآباء على أبنائهم — ونحن نعلم من ذلك الكثير — ثم ينتهى الأمر بهذه النبوة المفاجئة وكيل التهم لأستاذ كان هو لحمة هذه الفرقة وسداها

وعلم الله ماندافع عن الرجل مالقيناه وما سمعنا منـه كلمة فى هذا الصدد ، ولقد كنا أول من حمل عليه لما اختاره من روايات سيئة ، ولكننا نكون مع الحق دائماً ، والحق يقضى هنـا بأن نقول إن فرقة المسرح المصرى الحديث يعزى وجودها وكيانها ونهوضها إلى الأستاذ زكى طليمات ، وإن كل تقدم ناله أعضاء هذه الفرقة أو سينالونه فى المستقبل فإنما مرجعه إلى جهود هذا الأستاذ

علي متولي صلاح



ظاهرتان

طلعت علينا الرسالة فى العدد ١٠٠٥ بظاهرتين تستوقفان الأنظار ، فأولاهما فى ص ١١٢١ قصيدة بعنوان وحى البردة من أروع الشعر وأعذبه ؛ استوحى فيها ناظمها هدى بردة البوصيرى الخالدة. واسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين. فإن كان ذلك فلا عجب فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نبى البشرية ودينه هو دين الإنسانية.. فللأستاذ ميشيل الله ويردى — خالص الشكر والتقدير والتهنئة .

والظاهرة الثانية ماذكره الأستاذ على الطنطاوى فى ص١١٠٧ من أن البوصيرى كفر كفرا صريحا يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيمانا — وذلك فى قوله :

ياأكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

والأستاذ الطنطاوى فى هذا يتابع محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد — ورمى البوصيرى بالكفر ليس بجيد ! والإنصاف يقتضى بحث ظروف وملابسات البيت المذكور فهو يقع فى أول الفصل العاشر من البردة عند الكلام على هول الزحام، وقد اتفق البخارى ومسلم وكثير غيرهما على حديث الشفاعة الطويل المتواتر وفيه أن الناس تأتى آدم ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد (ص) فيقول أنا لها إلى قوله فيحد لى حدا . فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة (هكذا نص الحديث) فالبوصيرى يريد بكلمة سواك سائر الرسل الذين يستعفون الناس من الشفاعة يومئذ ، وذهاب الناس إليهم كما يدل الحديث ليس بشرك وهذا ما أوجزه البوصيرى فى بيته ، وعبارة يا أكرم الخلق تشعر المنصف بشدة الإيمان.. فالخلق لا يوجدهم إلا الخالق سبحانه وتعالى فهو لم يؤله النبى وإنما جعله أكرم خلق الله

والملاذ فى البيت هو الإتيان للاستشفاع الذى ذكره حديث الشفاعة . والحادث العمم هو القيامة بداهة — والاعتراض على البوصيرى هو إنكار لحديث اتفقت الأمة على تواتره ولم يطعن فيه أى محدث..ونحن الآن فى زمن مادى لايحل لنا فيه النيل من السلف الصالح، وخيرنا اليوم من يكون فيه نصف صفاء البوصيرى أو ربع يقينه

وختاما أرجو تكرمكم بنشر هذا إنصافا للبوصيرى وبردته المباركة؛ وتبرئة لطائفة كبيرة من الأمة ترمى بالشرك ظلما وعدوانا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد السلام النجار

لازار فى شعر شوقى

جاء فى الشوقية التى لم تنشر لشوقى قوله :

ود «لازار» يوم أحياه عيسى — لو تذوق المنون طعم الفناء

ولازار اسم عبرى الأصل ، هو اليعازر أو اليعازار ومعناه «الذى يساعده الله» ، وهو بالفرنسية لازار، وبالإنجليزية لازاروس، وقد حرفه العرب قليلا فقالوا عازر أوعازار، وأورده أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى يمدح بها محمد بن زريق الطرسوسى ومطلعها «هذه برزت لنا فهجت رسيسا » ، إذ قال :

أو كان صادف رأس « عازر » سيفه
فى يوم معركة لأعيا « عيسى »

وحبذا لو استعمله المرحوم أمير الشعراء بهذا الشكل لكان أقرب إلى شكل العرب وإلى أصله العبرى

٢ — فى كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ضبطت قرية « ظبا » الواقعة على ساحل مدين بشمالى الحجاز بالظاء . والصواب كما أعتقد أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء .

وفى الباب ذاته قيل « جبة » عن المنهل المعروف فى شمالى نجد بين « الجوف » و « حائل » . لقد سمعت بنفسى قبائل « شمر » و « الشرارات » القاطنة فى تلك القفار ينطقونه « الجوبة » بالواو والجيم المضمومة . ولما كانت « الجوبة » بفتح الجيم هى الحفرة ، ولما كانت الجبة بعيد عن المقصود ، إذ لا جواز لأن تكون مؤنث «الجب» (وهو أيضا الحفرة أوالبئر الواسع) ، فقد تكون « الجوبة » أقرب إلى الصواب ، والله أعلم

سامى

تحت منظار النقد

نشرت الرسالة فى عددها الصادر فى (٦ / ١٠ / ١٩٥٢) قصيدة ميمية للأستاذ (ميشيل الله وردى) بعنوان (وحى البردة) .

وقد اضطر الوزن والقافية الشاعر إلى تحريف بعض الألفاظ أو حشوها حشوا بحيث لم تناسب معانيها التى سيقت من أجلها، فالشاعر يقول :

ومن يهم بعظيم يتحد معه فى الرأى والفكر قبل الوسم والأرم

والوسم بمعنى الجمال خطأ وصحتها الوسامة.. كما أن الأرم بمعنى الخلقة خطأ وصحتها الأرم بسكون الراء . (القاموس المحيط)

ويقول الشاعر :

وشرع أحمد بالقرآن وحدكم وجد فى أمركم بالحب والسلم

و (سلم) بالتحريك خطأ أيضا وأصلها (سلم) بكسر وفتح السين وسكون اللام .

ويقول الشاعر :

فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم واربأ بحسنك أن يكمد من سأم

و (يكمد) بتشديد الدال بمعنى (يستحب) خطأ والصحيح يكمد كما فى المصباح المنير

ويقول الشاعر

آياتك الغر إعجاز تنزه عن ند وليس دعى الحب كاللدم

ويقول :

إن كان ينجح طب الناس فى جسد فأنت تفعل بالأرواح كالحسم

ويقول :

فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم والمكر فرقكم فى حومة الجسم

فما معانى : اللدم والحسم والجسم التى يقصدها الشاعر والتى تتناسب مع المعنى ؟ لا أدرى ولا تدرى قواميس اللغة . ولا شك أن القافية قد اضطرت الشاعر إلى حشو هذه الألفاظ . وفى القصيدة هذا البيت :

محمد رد من ضلوا وعلمهم حق النساء اللواتى كن كالرمم

ولا شك أن تشبيه النساء بالرمم شئ لا يقره الذوق السليم . فإن من طبيعة الرمم أن تعافها العيون وتفر منها الأنوف . وليس هذا من طبيعة الجنس اللطيف . وإذا كان الشاعر قد أراد أن يبين مدى إهمال النساء بالجاهلية وأن يصور النظرة التى كان العرب ينظرونها إليهن فقد كان يجب أن يشبههن بشئ مهمل ولكن ليس قذرا بشعا كالرمم . وكان الأحرى أن يقول :

محمد رد من ضلوا وعلمهم حق النساء اللواتى كن كالبهم

أو كالنعم . فإن العيون لا تأبى أن تقع على البهم كما تأبى أن تقع على الرمم

عبد اللطيف محمود الصعيدى

١ — تصويب

أخطاء فى مقالتى فى العدد (١٠٠٥)

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٠٧	١	٦	وأنه لا يكفى فيه
١١٠٧	١	١٣	وأنه لا يوحى أبدا
١١٠٨	١	٥	(من مشايخ الطرق)
١١٠٨	١	١٧	وهذا كله وإن صح طريقه من أخبار الآحاد لا تثبت به عقيدة . ولا يبنى عليه علم
١١٠٨	٢	١٩	هذا وقد نجمت طائفة

وأخطاء أخرى فى الحروف وعلامات الوقف لا تخفى على القارئ

٢ — تصويب

وقع فى قصيدة الأستاذ ميشيل الله وردى هذه التطبيعات فالرجا من القراء تصحيحها

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٢١	٢	الأخير	ضلوا بدلا من خلوا
١١٢٢	١	قبل الأخير	الدم بدلا من اللدم
١١٢٢	٢	١٤	تنابذهم بدلا من تنابزهم
١١٢٢	٢	قبل الأخير	ما الدين بدلا من والدين

شطر (قوم إذا استخصموا) اقتباس يوضع بين قوسين وقد كان هذا التقديم فى مطلع القصيدة فتأخر نشره سهوا

علي الطنطاوي



فلوريدور ومرغريت

أقصوصة فرنسية

— أحبك حبا ملأ جوانب نفسى وملك على مشاعرى

— لقد وهبتك قلبى عربونا لحب لا انتهاء له

— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامى تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر المنير ، وهذا الروض النضير ، ويشهد مبدعهما أننى لا أحب سواك ، ولا أقف حياتى إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام فذعر العاشقان وتواعدا إلى الغد . وتسلق الشاب جدران الحديقة العالية وتوارى مبتعدا فى الشارع وهو يناجى نفسه قائلا : من تكون ياترى هذه الفتاة التى تقف حياتها على ، وما أنا إلا ممثل على المسارح العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لى فيها ينم عن محتد رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفى اسمها عنى فقالت : ما دمت فى مدرسة الدير تلميذة أتلقن العلم فما أنا إلا أسيرة لا أملك نفسى ، فاقنع بما أعلنته لك من حبى الآن إلى أن أبرح هذا المكان فأطلعك على الحقيقة وأسلمك يدى أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذى رأى فيه لأول مرة هذه الغادة الفاتنة تطل من نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة الغرام فى قلبه . وتابع السير حتى وصل إلى غرفته الحقيرة حيث تطرح على سريره آملا زيارة طيف الحبيبة فى منامه

وعاد الفتى فى المساء التالى إلى مكان الملتقى ، وبات ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ؛ وعاود الكرة مرارا فما رأى فى جنة غرامه غير أزهارها ، وما نشق غير عبيرها . ومرت الليالى فتيقن العاشق أن سره قد افتضح ، وتأكد أن الحبيبة قد غادرت الدير وعبثا فتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على العاشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو يشغل نفسه بالتمثيل على المسارح وفى قلبه غصص من تذكارات الفتاة المجهولة

وفى ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور مؤثر فحانت منه التفاتة إلى مقاعد الطبقة العالية ، فرأى حبيبته شاخصة إليه وقد ارتسم الحزن العميق على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف الممثل مشدوها إلى أن نبهه صوت الملقن الذى حسب أنه نسى دوره ، فعاد إلى التمثيل بلهجة ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من يهوى تأثير إلقائه وإيمائه . وما انتهى من التمثيل حتى هرع إلى غرفته مغيرا أثوابه واندفع إلى مدخل المسرح لعله يرى خالبة لبه . فلم يوفق إلى لقائها ؛ وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثا مقابلة الفتاة عند نهاية عمله ، إلى أن دخل عليه يوما وهو فى لجج من الأحزان شيخ مهيب تدل أثوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغربا هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مد يده مصافحا وقال : عفوا أيها السيد ؛ إننى أتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرفى وسعادتى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

— هب أنك أمير ولك ابنة جميلة فى ريعان الصبا وهى وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريسا من أعاظم الدولة تحسده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعددته لها من سعادة فماذا تفعل ؟

— أترك لها الحرية ، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لعلها وهبت قلبها لمن امتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الاقتران بمن تهوى ، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض

— وإذا كان ما تشير به يفوت الإمكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفتاة التى أتـكلم عنها هى وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل شريف ولا ريب ، ولـكنه ممثل

— فهمت يا مولاى . إن فى تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لعارا تأباه الطبقة المميزة بالألقـاب ، ولـكن ما تعنى بهذا الـكلام ؟

— إذا كان الأمر لا يتضح لديك ، فهأنذا أصرح . إن الممثل الذى امتلك فؤاد وحيدتى هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصعق الممثل وهتف قائلا — أنا ؟

— عفوا ، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفســك ، ولـكننى ألجأ إليك فلا تخيب أملى ، فإنك على ما أرى لا تعرف ابنتى وما اجتمعت بهـا ؛ فإذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى إلزامك بتضحية فلن يصعب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الإبقاء على شرف اسمى وحياة وحيدتى وهى تعلن أنها لا تريد أن تقترن بغيرك

— وما هى هذه التضحية ؟

— إنك قادر على اقتلاع جراثيم حبك من قلبها

— وبأية طريقة أقتلع ما تسميه جراثيم حبى ؟

— أصغ إلى ... إن وحيدتى لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرتديا أثواب الأبطال تنشد أجمل الأشعار ، فـمن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليهـا فى مظهر الرجل العادى ، بل الرجل المتهتك السكير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ أنها عشقت ثوبا ، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر فتحتقرك وتشفى من دائهـا العقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يعتقـده الدوق صحيحا من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها ، لـكان هنالك واجب يسهل القيـام به ، ولـكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه : ولاحت الفتاة الشريفة الرفيعة المحتـد لخيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تـكاد تنزلق عليه هازئة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمى إليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين ضحيتها والتضحية التى يعرضها أبوها عليـه ، فإذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلا : لا تتردد ، أيها السيد الكريم ! إن ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاء والد حصر فى وحيدته كل ما فى الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فما أنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتى من العار ، فلا تدعنى أذهب بواجبى إلى القسوة على ابنتى التى لم يترك لى الدهر سواها

وأدمى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعد بالقيام بما يطلب منـه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التى ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفى اليوم التالى عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهـو الـكبير ، وها أنذا آت إليه

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصافحه ؛ ثم ظهرت الغادة ، فقال الدوق :

أقدم إليك ، يا ابنتى ، الممثل فلوريدور الذى أعجبت بتمثيله وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك دعوته إلى مائدتنـــا ولعلك تسرين بذلك

وطأطأ فلوريدور رأسه مفكرا بأية فظاظة يجب عليـه أن يبتدئ بتمثيل دوره الذى عاهد الدوق على القيام به ؛ ولـكنه مارفع بصره وشهد خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار ، وإذ مدت يدها لتصافحه وهى ترتجف من الشوق خيل إليه أنه يلصق شفتيه بشفتيها ، ويغرق نور عينيه بأنوار عينيها . والتفت إلى ما حوله فارتعش أمام مظاهر الأبهة والبذخ فى هذه القاعة تقف بينها فتاة حديقة الدير التى أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه ولا ترضى بغيره رفيقا لحياتها ، فرأى هاوية سحيقة تنفتح بين رجليه ولاحت له الحبيبة فى معتصم من جبل لا قبل له ببلوغه ، وتذكر وعده للأب الشيخ المتوسل الضعيف . فملك عواطفه وفيهـا ثورة وسعير

وجلس فلوريدور إلى المائدة بين الدوق وحبيبته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كان قد ملأ كأسه وأفرغها فى جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلما بلهجة عوام الناس منتخبا ألفاظه السمجة ، وما مرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحملق بعينيه ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأوانى تتحطم بفرقعة أخفت الزفرات التى كانت تندفع من فم شهيد المروءة بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقدعلا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق إلى الفتى قائلا : إن مروءتك تفوق إبداعك فى التمثيل ، لقد جبرت فؤادى الكسير ، دعنى أسد إليك الشكر الذى تستحق . ولكن ماذا أرى .. ما هذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟

ووجم الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ؛ بل اندفع إلى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسلا ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير راهبات الكرمل ، فرأى جمعا محتشدا فى الأسواق المجاورة ، وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا بعربة مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من العربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد المطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله وامرأته لحضور حفلة ابنتهما . .

ولم يقف فلوريدور ليسمع تتمة الحديث ؛ بل اندفع راكضا نحو مسكنه الحقير وهو يقول فى نفسه : أواه ، لقد نجحت فى تمثيلى ، وهذه الحبيبة تتزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها . ويلاه من ظلم الأقدار !

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان غلافا باسمه ، فافتض ختمه وقرأ ما يأتى :

«بالرغم من محاولتك اقتلاع حبك من قلبى لم يزل شخصك نصب عينى ، فلن أنظر إلى غيرك حتى يوارينى رمسى . ما فاتنى الجهد الذى بذلته لإرضاء والدى . فقد كنت أقرأ فى قلبك حقيقة نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك ؛ ولهذا أقسمت ألا أسلم يدى إلى سواك ، ولكنك لن تسلم هذه اليد ، فكل شئ يفصلنى عنك حتى إرادتك . فهأنذى أنخرط فى سلك الرهبنة لأبر بقسم أقسمته أمام الله فى الحديقة بين ذراعيك وأقسمته أيضا وأنت تخنق زفراتك ، وتقضى على كرامة نفسك

« اليوم أتشح السواد ، وأسدل على وجهى النقاب . وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه إلى هذه الحياة ، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتك مرغريت دى بارسلان قد ماتت عن هذا العالم لتحيا بالله ... »

الراهبة إيناس

ف . ف

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشاً)

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف «جوته» الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

العدد ١٠٠٨ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

رسالة وجوابها ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١١٨٩

الحكم الوراثى ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١١٩٠

زوجتى ... ... : « على الطنطاوى ١١٩٢

عبد الحميد الديب ... ... : « محمد رجب البيومى ... ١١٩٥

تركيا ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ١١٩٨

أبو مروان الخرائطى ... ... : « محمود غزت عرفة ... ١٢٠١

فى بلاد الأحرار ... ... : « آغا أغلو أحمد ١٢٠٣

شلر ... لتوماس كارليل ... ... : ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت ١٢٠٦

ديوان مجد الإسلام ... ... : للمرحوم الشاعر أحمد محرم ... ١٢٠٩

فرحة الشعر فى موكب التحرير (قصيدة) ... ... } للأستاذ على متولى صلاح ١٢١٠

وثبة الجيش ... ... : « عبد العزيز مطر ١٢١٠

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٢١١

(البريد الأدبى) — الله وردى — إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ١٢١٣

— عتاب — رد ونقد — جناية الحزبية على الأدب

— لقد دالت دولتهم ... ...

(القصص) — الكذبة — للقصصى الروسى بانتليمون رومانوف ... ١٢١٥

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجـــــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me annèe No 1008

Le Caire 27 — 10 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٣٧٢ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

رسالة وجوابها

كتب إلىَّ السيد محمود عبد السيد حمزة يقول :

« سلام الله عليك

قرأت لك (ثورة فيها ريح النبوة) ؛ والحق أنها ثورة مباركة أنعشت لمصر من الآمال ماأذواه العهد البغيض ؛ ولـكنك ياسيدى اختتمتها بثورتك على الأحزاب والنواب ومهازل الزعامة

ولما كان لرأيك قدره عندى فهل يا ترى أفهم من كلامك أنك تقر حكم الفرد وأنت الذى فتح باب رسالته على مصراعيه للرأى والمشورة ؟ لا تظلم الأحزاب يا سيدى ولا النواب ، فمنهم من يزكيهم الله . وإذا أخذنا عليهم بعض الأوزار فوزرهم فى عنق من وطد للفساد أركانه . إدع إلى الشورى يا سيدى ولا تيأس ؛ فقدذهب الفساد وعهده ولم يبق إلا الإصلاح فلرأيك قيمته وقدره»

وجوابى عن رسالة السيد الفاضل ، أنى لا أومن بحكم على نظام معين . إنما أومن بأى حكم يقوم بنيانه على الشورى ، وينبسط سلطانه على العدل . وليس للشورى نظام واحد لا يجوز غيره ، ولا للعدالة منهج واحد لا يؤدى سواه . يجوز أن تصدق الشورى على لسان بطانة أو وزارة أو ندوة ، كما يجوز أن تتحقق العدالة على يد إمام أو ملك أو رئيس . إن العبرة بالمعنى لا باللفظ ، وبالروح لا بالنص ، وبالفكرة لا بالصورة . كان على يستشير ، وكان معاوية يستشير ؛ ولـكن ابن أبى طالب كان يستشير أهل الذكر من صحابة الرسول ، وابن أبى سفيان كان يستشير أهل المكر من بطانة الملك . وكان عمر بن عبد العزيز يعدل ويظن لتقواه أنه يجور . وكان الحاكم بأمر الله يظلم ويظن لفجوره أنه يعدل

إيتنا بمستبد كعمر أو بمشاور كالرشيد ، نلق إليه مقاليد الحكم ثم نعيش فى ظلال حكمه بنفسه ، أو حكمه بغيره ، كما يعيش البنون فى كنف الأب ، أو المؤمنون فى ظلال الله . أما أن ننقل النظام البرلمانى الأوربى من ورق باللغة الافرنجية ، على ورق باللغة العربية ، ثم نطبقه على أمة ليس لها رأى عام ولا وعى تام ولا إرادة حرة ، فذلك عبث لا ينشأ عنه إلا ملك يقول أنا الدولة وهو كومة من القذر ، وبطانة تقول أنا القصر وهى مجموعة من الفحش ، ووزارة تقول أنا الحكومة وهى عصبة من السماسرة ، وأحزاب يقولون نحن الأمة وهم مناسر من اللصوص ، ونواب يقولون نحن الشعب وهم جماعة من المرتزقة ؛ ثم يوهمون الناس بالقوة أو بالخديعة أن جملة هذه المخازى هى الدستور !

إن الدستور ياسيدى نظام فى ذاته صالح . ولـكنه فى مصر حق يراد به باطل ، أو انتخاب مزيف يؤدى إلى حكم مريج . والناس فى الشرق يعبدون ألفاظ الحرية والوطنية والدستور من غير فهم ، وفى الغرب يعبدون ألفاظ الديمقراطية والإنسانية والعدالة من غير إيمان . وعبادة الألفاظ كعبادة الأشخاص أولها جهالة وجمود ، وآخرها ضلالة وكفر !

لا ينجح الدستور يا سيدى إلا فى بلد يكون أهله جميعا مؤمنين بالله أو متقفين بالعلم !

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

الحكم الوراثى *

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت وثبة الجيش المباركة إيذانا بنهاية حكم إقطاعى جائر . ظلت مصر السنين الطوال ترزح بسببه تحت أعباء ثقال من العنت والإرهاق والشقاء . وتتجرع كؤوسا فائضات من البؤس والأسى والعناء ، ولم تكتب وثبة الجيش المباركة نهاية ذلك الحكم الإقطاعى المنقرض إلا وهى مؤمنة بفساده ، وبضرورة هدمه من أساسه ، لتقيم على أنقاضه نظاما صحيحا يعتمد على أسس سليمة تحقق الخير للشعب والوطن على السواء

ومن الحقائق التى لا تحتاج إلى نقاش، أن الحكم الإقطاعى المنقرض لم يشد أزره فى الماضى المنصرم سوى نظام الحكم الوراثى ، الذى كان شرا كله على مصر وطنا وشعبا ، فقد كان يخيل إلى الجالس على العرش أن مصر ضيعة له ، وأن شعبها عبيد نعمته ، كما قدر له أن يظل فى جبروته مطمئنا ، وفى عدوانه آمنا ، لا يرهب الشعب ولا يخشى ثورته ، لأن الشعب الذى لم يجلسه على العرش لا يقوى على خلعه عنه ، ولأن الشعب الذى اغتصبت بلاده لتكون إقطاعية يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ، لا يقوى على انتزاع السلطة من المفروضين على حكم بلادهم فرضا

ونظام الحكم الوراثى نظام إقطاعى محض ، نكبت به بلاد الشرق ، وفى مقدمتها مصر ، فقد ظلت الأسرة العلوية تحكمها حكما وراثيا خلال قرن ونصف قرن ، فنهبت ما نهبت من خيراتها ، وسرقت ما سرقت من أراضيها ، وحولت مجرى الثراء إلى أفرادها ، حتى بلغوا القمة من الثراء بينما هوى الشعب إلى الدرك الأسفل من الفاقة ، ولم تهب لهذا الشعب المغلوب على أمره لحظة من الحرية حتى يرى النور ، ولا ذرة من الرخاء حتى يلمس السعادة ، لأن الحرية كانت وقفا على الأمراء يجعلون منها حصنا لمجونهم وترفهم وعربدتهم ، ولأن السعادة كانت حقا مقدسا لهم وحدهم ، ينعمون بها ، ويمرحون فى ظلها ، ويلتمسون بها حياة الدعة ودنيا الأرستقراطية البلهاء !

واليوم يرقب الشعب المصرى ، ويرقب العالم أجمع معه باهتمام ماجريات الأمور فى مصر ، وإلى أى نظام ستتجه فى حكمها ، ولا يعتقد الشعب المصرى ، ولا الدول المخلصة من دول العالم ، أن نظام الحكم الوراثى سينال لدى المسئولين شيئا من العطف ، وما قام الجيش الباسل بوثبته إلا ليقوض أركان الفوضى التى كانت أثرا من آثاره . لقد كان كل من سبق (فاروقا) إلى الجلوس على العرش طاغية ، وسيكون — لا قدر الله — كل من سيخلف فاروقا طاغية أيضا ، وكأن مصر لن تتفرغ إلا لمشاهدة الكفاح بين الشعب والطاغية المتربع على العرش ، وهى فى مسيس الحاجة إلى الاستقرار لتبلغ المكانة الجديرة بها ، وليصل شعبها إلى حيث يعيش كريما أبيا

ولا ريب فى أن القضاء على نظام الحكم الوراثى ، خطوة موفقة يرحب بها الإسلام ويفسح لها صدره ، لأنه نظام قائم على أسس متراقصة من الباطل ، فهو يعتبر الملك فى درجة الآلهة ، وأسرته فى منزلة الأحبار والرهبان من أبناء الآلهة ، ويعتبر الملك فوق القانون ، ويخول لأسرته أن تعيث فى الأرض فسادا دون أن يجرؤ القانون على مجرد سؤالها ، وهو نظام يفرض على الشعب الوارث للملك ولو كان مخبولا أو معتوها أو فاجرا أو عربيدا

ولهذا كله ينكر الإسلام أشد الإنكار على هذا النظام المعتل ، لأن الإسلام أقوى وأعدل من أن يرضى لإنسان — كائنا من كان — أن يكون فوق القانون ، بل إنه يعتبر مسئولية الحاكم أشق من مسئولية العامة ، لأنه راع لابد أن يسأل عن رعيته ، ولا يعفيه القانون من العقاب ولا أسرته إذا فعلوا ما يستحقون عليه العقاب ، وها هو ذا كتاب الله يخاطب محمداً (ص) :

..« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا »

وها هو ذا محمد (ص) يخاطب من حوله فى أحرج ساعات الموت :

« ألا من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد

وها هو ذا (ص) يخاطب أسامة حين جاءه يشفع فى حد من

(*) المقال مقتبس من « كتاب الإسلام والأمن الدولى » للكاتب

حدود الله : .. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها !

والإسلام يعتبر الحكم من حق المسلمين جميعا ، يولون من يرضونه لدينه وخلقه ، ولا يمكن أن يقر احتكار أسرة من الأسر له ، ولم يكن فى استطاعة محمد (ص) أن يؤثر بالخلافة من بعده واحدا من بنى هاشم عصبيته ، بل ولم يكن فى استطاعته أن يوصى بالخلافة من بعده لأى إنسان . ولقد حدث حين عرض الرسول نفسه على بنى عامر أن قال له أحدهم : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء .. »

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى لم يستطيعوا أن يؤثروا بالخلافة من بعدهم أحدا من عصبياتهم ولا أن يفرضوا على المسلمين واحدا من ذوى رحمهم ، لأن إيمانهم يحول دون أن يخالفوا صاحبهم ، أو يحدثوا حدثا فى الإسلام ليشعلو الفتنة . وأى فتنة أكبر من الحكم الوراثى البغيض ، والاستبداد بوضع هو من حق المسلمين على السواء ؟

نعم ، حدث أن أشار أبو بكر على المسلمين بعمر ، كما أشار عمر على المسلمين باختيار واحد من ستة من كبار الصحابة .. مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وهم : « عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام » وأن يشهد الانتخاب عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شئ ، حدث هذا وذاك من أبى بكر وعمر ، ولكن لم يكن إلا من قبيل النصح والإشارة ، لا من قبيل الفرض والإكراه ، ولولا أن أبا بكر لمس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان عمر خليفة ، ولولا أن عمر لمس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان واحد من الستة خليفة ، وقد كان يمكن التكلم فى حق أبى بكر وعمر ، لو أن واحدا منهما أوصى بالخلافة لواحد من أبنائه ، ولكن لم يحدث شئ من هذا

لقد زين المغيرة بن شعبة لعمر أن يستخلف ابنه من بعده فأبى وهو يقول : « لا أرب لنا فى أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من بيتى ، إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد »

ولقد أشير على كرم الله وجهه وهو يجود بنفسه أن يوصى بالخلافة فقال : « لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر بأمور دنياكم »

أما ماحدث فى عهد معاوية من استبداده بالأمر وجعله وراثيا من بعده ، فلم يكن من الإسلام فى شئ ، وليس من الحكمة الخوض فى هذه المسألة الدقيقة ، وقد يكون معاوية قد تأول فأخطأ ، وقد يكون قد استبد بالأمر دون تأول ، والمهم أن يفهم أن الإسلام يقرر النظم الصالحة ، وليس مسئولا بعد هذا عن استبداد ولاة الأمور ولا يلقى المسئولية إلا على عاتق الرعية المتخاذلة المستضعفة

ولقد كان عمر بن عبد العزيز واحدا من عصبية معاوية ، ولكنه لم يرض عن نظام الحكم الوراثى لأنه لايعتمد على مشورة المسلمين ، وحين آل إليه الأمر بالوراثة صعد المنبر ثم قال :

« أيها الناس ، إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى منى فيه ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم » فتصارع من بالمسجد وقالوا بصوت واحد : قد اخترناك ياأمير المؤمنين ، ولولا هذا الإجماع فى الرضا ماقبل أن يكون خليفة بالوراثة ، وهو يعلم أن فى الحكم الوراثى خروجا على نظم الإسلام

وبعد — فإن فى استطاعة مصر اليوم أن تتخلص من أوحال الماضى وأوزاره ، ولم يصنع هذه الأوحال والأوزار إلا الملكية ، التى أثبتت خلال قرن ونصف قرن من الزمن أنها أصل الفساد فى كل ما أصاب مصر من التأخر ، وأصاب شعبها من التقهقر ، ولقد كانت هذه الملكية عقبة فى سبيل الإسلام حتى لم يستطع من فوق أرض مصر أن يؤدى رسالته ويجهر بها ، فهى التى قدمت للشعب المصرى المسلم — على أيدى فجرة بعض رجال الدين — إسلاما زائفا هزيلا لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة ، إسلاما زائفا هزيلا يترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ويدع ولاة الأمور يستبدون ويفجرون ويبطشون ، ويقنع الشعب بالصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

زوجتي

للأستاذ علي الطنطاوي

قال لي صديق ، معروف بجمود الفكر ، وعبادة العادة ، والذعر من كل خروج عليها أو تجديد فيها . قال :

— أتكتب عن زوجك في الرسالة تقول إنها من أعقل النساء وأفضلهن ؟ هل سمعت أن أحدا كتب عن زوجه ؟ إن العرب كانوا يتحاشون التصريح بذكرها ، فيكنون عنها بالشاة أو النعجة استحياء وتعففا ، حتى لقد منع الحياء جريرا من رثاء زوجه صراحة ، وزيارة قبرها جهارا . ومالك بن الريب لما عدمن يبكي عليه من النساء قال :

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيا

فلم يقل وامرأتي .. وكذلك العهد بآبائنا ومشايخ [١] أهلنا . لم يكن يقول أحد منهم : زوجتي ؛ بل كان يقول : أهل البيت وأم الأولاد ، والجماعة ، والأسرة ، وأمثال هذه الكنايات . أفترغب عن هذا كله ، وتدع مايعرف الناس ، وتأتي ماينكرون ؟

— قلت : نعم !

فكاد يصعق من دهشته مني ، وقال :

— أتقول نعم بعد هذا كله ؟

— قلت : نعم ! مرة ثانية . أكتب عن زوجتي [٢] فأين مكان العيب في ذلك ؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة [٣] وهي زوج بالحرام ، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهي حبيبته بالحلال ؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس في الزواج . والعاشق يصف الباطل من محاسن العشيقة فيحبب المعصية إلى الناس ؟

إن الناس يقرأون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره ، فلم لا يقرأون مقالة واحدة في نعمه وخيراته ؟

ولست بعد أكتب عن زوجي وحدها ؛ ولكني كما كان هوجو يقول : « إني إذ أصف عواطفي أبا ، أصف عواطف جميع الآباء »

***

لم أسمع زوجاً يقول إنه مستريح سعيد ، وإن كان في حقيقته سعيدا مستريحا ، لأن الإنسان خلق كفورا ، لا يدرك حقائق النعم إلا بعد زوالها ؛ ولأنه ركب من الطمع ، فلا يزال كلما أوتي نعمة يطمع في أكثر منها ، فلا يقنع بها ولا يعرف لذتها . لذلك يشكو الأزواج أبدا نساءهم ، ولا يشكر أحدهم المرأة إلا إذا ماتت ، وانقطع حبله منها وأمله فيها ؛ هنالك يذكر حسناتها ، ويعرف فضائلها . أما أنا فإني أقول من الآن — تحدثا بنعم الله وإقرارا بفضله — إني سعيد في زواجي وإني مستريح

وقد أعانني على هذه السعادة أمور يقدر عليها كل راغب في الزواج ، طالب للسعادة فيه ، فلينتفع بتجاربي من لم يجرب مثلها، وليسمع وصف الطريق من سالكه من لم يسلك بعد هذا الطريق

أولها : أني لم أخطب إلى قوم لا أعرفهم ، ولم أتزوج من ناس لا صلة بيني وبينهم .. فينكشف لي بالمخالطة خلاف ما سمعت عنهم ، وأعرف من سوء دخيلتهم ما كان يستره حسن ظاهرهم ، وإنما تزوجت من أقرباء عرفتهم وعرفوني ، واطلعت على حياتهم

(١) هي مشايخ بالياء لا مشائخ كما يكتب بعض المتعالمين

(٢) الزوجة من ألفاظ الفقهاء والفصيح فيها الزوج بلا هاء

(٣) من أسرار الذوق في كلام العرب أنهم لا يستعملون في اسم الفاعل إلا المحب (من الرباعي) ولا يستعملون في اسم المفعول إلا الحبيب . مع أن المحب (بالفتح) والحاب صحيحان . ولكن ما كل صحيح فصيح . فليعلم هذا الذين يظنون الإغراب فصاحة والتقعر بيانا

نحن دولة مسلمة ، ولا يمكن أن نتهاون في هذه الحقيقة ولو بذلنا آخر قطرة من دمائنا ، ومن حق الإسلام علينا أن نجهر بالحق لا نخاف في الله لومة لائم ، ومن الحق الذي يجب علينا أن نجهر به اليوم ، هو أن الإسلام لا يقر الملكية الوراثية بحال من الأحوال ، فليتدبر هذا جيدا المسئولون وغير المسئولين

محمد عبد الله السمان

في بيتهم واطلعوا على حياتي في بيتي . إذ رب رجل يشهد له الناس بأنه أفكه الناس ، وأنه زينة المجالس ونزهة المجامع ، وهو في بيته أثقل الثقلاء . ورب سمح هو في أهله سمج ، وكريم هو في أسرته بخيل ، يغتر الناس بحلاوة مظهره فيتجرعون مرارة مخبره . .

تزوجت بنتاً أبوها ابن عم أمي لحـا ، وهو الأستاذ صلاح الدين الخطيب شيخ القضاء السوري المستشار السابق والكاتب العدل الآن . وأمهـا بنت المحدث الأكبر ، عالم الشام بالإجماع الشيخ بدر الدين الحسيني رحمه الله . فهي عريقة الأبوين ، موصولة النسب من الجهتين

والثاني : أني اخترتها من طبقة مثل طبقتنا . فأبوها كان مع أبي في محكمة النقض ، وهو قاض وأنا قاض ، وأسلوب معيشته قريب من أسلوب معيشتنا ، وهذا هو الركن الوثيق في صرح السعادة الزوجية ، ومن أجله شرط فقهاء الحنفية (وهم فلاسفة الشرع الإسلامي) الكفاءة بين الزوجين

والثالث : أني انتقيتها متعلمة تعليما عاديا ، شيئا تستطيع به أن تقرأ وتكتب ، وتمتاز من العاميات الجاهلات ، وقد استطاعت الآن بعد ثلاثة عشر عاما في صحبتي أن تكون على درجة من الفهم والإدراك ، وتذوق ما تقرأ من الكتب والمجلات ، لا تبلغهـا المتعلمات ، وأنا أعرفهن وكنت إلى ما قبل سنتين ألقي دروساً في مدارس البنات ، على طالبات هن على أبواب البكالوريا ، فـلا أجدهن أفهم منها ، وإن كن أحفظ لمسائل العلوم ، يحفظن منها مالم تسمع هي باسمه . ولست أنفر الرجال من التزوج بالمتعلمات ، ولكني أقرر — مع الأسف — أن هذا التعليم الفاسد بمناهجه وأوضاعه ، يسيء على الغالب إلى أخلاق الفتاة وطباعها ، ويأخذ منها الكثير من مزاياها وفضائلها ، ولا يعطيها إلا قشورا من العلم لا تنفعها في حياتها ، ولا تفيدها زوجاً ولا أما . والمرأة مهما بلغت لا تأمل من دهرها أكثر من أن تكون زوجة سعيدة وأما

والرابع : أني لم أبتغ الجمال وأجعله هو الشرط اللازم الكافي كما يقول علماء الرياضيات لعلمي أن الجمال ظل زائل ؛ لا يذهب جمال الجميلة ، ولكن يذهب شعورك به ، وانتباهك إليه ، لذلك نرى من الأزواج من يترك امرأته الحسناء ويلحق من لسن على حظ من الجمال ، ومن هنا صحت في شريعة إبليس قاعدة الفرزدق وهو من كبار أئمة الفسوق ، حين قال لزوجه النوار في القصة المشهورة : ما أطيك حراما وأبغضك حلالا !

والخامس : أن صلتي بأهل المرأة لم يجاوز إلى الآن ، بعد ثمن قرن من الزمان ، الصلة الرسمية : الود والاحترام المتبادل ، وزيارة الغب ، ولم أجد من أهلها ما يجد الأزواج من الأحماء من التدخل في شؤونهم ، وفرض الرأي عليهم ، ولقد كنا نرضى ونسخط كما يرضى كل زوجين ويسخطان ، فـما دخل أحد منهـم يوما في رضانا ولا سخطنا

ولقد نظرت إلى اليوم في أكثر من عشرين ألف قضية خلاف زوجي ، وصارت لي خبرة أستطيع أن أؤكد القول معها بأنه لو ترك الزوجان المختلفان ، ولم يدخل بينهما أحد من الأهل ولا من أولاد الحـ..لال ، لانتهت بالمصالحة ثلاثة أرباع قضايا الزواج

والسادس : أننا لم نجعل بداية أيامنا عسلا ، كما يصنع أكثر الأزواج ، ثم يكون باقي العمر حنظلا مرا وسما زعافا ، بل أريتهـا من أول يوم أسوأ ما عندي ، حتى إذا قبلت مضطرة به ، وصبرت محتسبة عليه ، عدت أريها من حسن خلق ، فصرنا كلما زادت حياتنا الزوجية يوما زادت سعادتنا قيراطا

والسابع : أنها لم تدخل جهازا ، وقد اشترطت هـذا لأني رأيت أن الجهاز من أوسع أبواب الخلاف بين الأزواج ، فإما أن يستعمله الرجل ويستأثر به فيذوب قلبها خوفا عليه ، أو أن يسرقه ويخفيه ، أو أن تأخذه بحجز احتياطي في دعوى صورية فتثير بذلك الرجل

والثامن : أني تركت ما للقيصر لقيصر ، فلم أدخل في شؤونها من ترتيب الدار وتربية الأولاد ؛ وتركت هي لي ما هو لي ، من الإشراف والتوجيه ، وكثيرا ما يكون سبب الخلاف لبس المرأة عمامة الزوج وأخذها مكانه ، أو لبسه هو صدار المرأة ومشاركتها

الرأى فى طريقة كنس الدار ، وأسلوب تقطيع الباذنجان ، ونمط تفصيل الثوب

والتاسع : أنى لا أكتمها أمرا ولا تكتمنى ، ولا أكذب عليها ولا تكذبنى ، أخبرها بحقيقة وضعى المالى ، وآخذها إلى كل مكان أذهب إليه أو أخبرها به ، وتخبرنى بكل مكان تذهب هى إليه ، وتعود أولادنا الصدق والصراحة ، واستنكار الكذب والاشمئزاز منه

ولست والله أطلب من الإخلاص والعقل والتدبير أكثر مما أجده عندها . فهى من النساء الشرقيات اللائى يعشن للبيت لا لأنفسهن . للرجل والأولاد ، تجوع لنأكل نحن ، وتسهر لننام ، وتتعب لنستريح ، وتفنى لنبقى . هى أول أهل الدار قياما ، وآخرهم مناما ، لا تنى تنظف وتخيط وتسعى وتدبر ، همها إراحتى وإسعادى . إن كنت أكتب ، أو كنت نائما أسكتت الأولاد ، وسكنت الدار ، وأبعدت عنى كل منغص أو مزعج . تحب من أحب ، وتعادى من أعادى . إن حرص النساء على رضا الناس كان حرصها على إرضائى . وإن كان مناهن حلية أو كسوة فإن أكبر مناها أن تكون لنا دار نملكها نستغنى بها عن بيوت الكراء .

تحب أهلى ، ولا تفتأ تنقل إلى كل خير عنهم . إن قصرت فى بر أحد منهم دفعتنى ، وإن نسيت ذكرتنى ، حتى أنى لأشتهى يوماً أن يكون بينها وبين أختى خلاف كالذى يكون فى بيوت الناس ، أتسلى به ، فلا أجد إلا الود والحب ، والإخلاص من الثنتين ، والوفاء من الجانبين . إنها النموذج الكامل للمرأة الشرقية ، التى لا تعرف فى دنياها إلا زوجها وبيتها ، والتى زهد بعض الشباب فيها ، فيذهبون إلى أوربة أو أميركا ليجيئوا بالعلم فلا يجيئون إلا بورقة فى اليد وامرأة تحت الإبط ، امرأة يحملونها يقطعون بها نصف محيط الأرض أو ثلثه أو ربعه ، ثم لايكون لها من الجمال ولا من الشرف ولا من الإخلاص مايجعلها تصلح خادمة للمرأة الشرقية ؛ ولكنه فساد الأذواق ، وفقد العقول ، واستثمار الصغار ، وتقليد الضعيف للقوى . يحسب أحدهم أنه إن تزوج امرأة من أميركا ، وأى امرأة ؟ عاملة فى شباك السينما ، أو فى مكتب الفندق ، فقد صاهر طرمان [1] ، وملك ناطحات السحاب ، وصارت له القنبلة الذرية ، ونقش اسمه على تمثال الحرية . .

* * *

إن نساءنا خير نساء الأرض ، وأوفاهن لزوج ، وأحناهن على ولد ، وأشرفهن نفسا ، وأطهرهن ذيلا ، وأكثرهن طاعة وامتثالا وقبولا لكل نصح نافع وتوجيه سديد . وإنى ماذكرت بعض الحق من مزايا زوجتى إلا لأضرب المثل من نفسى على السعادة التى يلقاها زوج المرأة العربية (وكدت أقول الشامية) المسلمة ، لعل الله يلهم أحدا من عزاب القراء العزم على الزواج فيكون الله قد هدى بى ، بعد أن هدانى !

دمشق — على الطنطاوى

(١) تعريب ترومان

مع البائسين

عبد الحميد الديب

للأستاذ محمد رجب البيومى

كتبت بالرسالة (٩٥٨) مقالا عن الشاعر البائس المرحوم محمد إمام العبد ، وقد خطر لى أن أتبعه بمقال عن زميله الشاعر البائس عبد الحميد الديب رحمه الله ، وما زلت أترقب فرصة الحديث عن الشاعر حتى سنحت اليوم

وقد لاحظت أن الرجلين متشابهان فى أكثر من وجه ، فكلاهما بائس معدم حاربه الدهر فى رزقه ، ووقف أمامه يسد السبيل عليه إلى الحظوة والسعادة والجاه

وكلا الرجلين شاعر ملهم يصوغ خواطره وأشجانه مستلهما واقع حياته ، وظروف معيشته ، فتأتى قصائده حارة ملتاعة ، تنطق بالكآبة ، وتتسم باللوعة والقنوط

وكلا الشاعرين — رغم فاقته المدقعة — كان مجالا للفكاهة والتندر ، فتارة يبتدع النكتة المرحة ، والملحة العابثة ، وتارة تدور عليه القفشات البارعة ، ويتخذ منه أداة للترفيه ، والترويح فى المجالس والمنتديات

وكلا الشاعرين قد اضطر اضطرارا إلى التجارة بالشعر ، فكان يكتب القصيدة فى أى موضوع يملى عليه ، ويبيعها إلى المتشاعرين نظير مبلغ خاص يرتزق به ، ثم تنشر فى الصحف بعد ذلك ممهورة باسم المشترى المحتال

وكلا الرجلين — أخيرا — دميم الخلقه ، عبوس الوجه ، ممزق الثوب يحمل رائيه على السخرية والعبث به ، لولا ما يرفرف فى أضالعه من روح عذبة لطيفة ، تبعث فى محضرها أنواعا مرحة من الخفة والبشر والابتهاج

نشأ إمام فى كنف عبدين رقيقين ، ونشأ عبد الحميد فى ظل أسرة متوسطة بإحدى قرى المنوفية ، كان عائلها يتاجر فى القطن فأصاب ربحاً جزيلا منه ، ثم عصف به سوء الحظ فتحول إلى المتربة والإدقاع ، وتقلب فتاه معه فى حالتيه ، فرفل فى مطارف النعمة والسعادة حينا ، ثم احترق فى لهيب الفاقة والحرمان حينا آخر .

وقد كان هذا التناقض الفاجىء فى حياته ذا أثر هام فى شخصيته ، فقد أورثه تناقضا ملحوظا فى طباعه ، فكان سريع الغضب والرضا معا ، يضحك فجأة ويسخط فجأة ، ويمدح ويشتم ، ويتفاءل ويتشاءم ، ويلحد ويستغفر ، كل هذا فى آن واحد ومجلس واحد ، مما جعل أصدقاءه يتقبلونه ويألفونه دون أن يجدوا فيه موضعا للمؤاخذة والعتاب

وقد نشأ إمام العبد فى جيل لا يشجع الأدب والأدباء ، فالأمية فاشية ، والصحافة تسير بخطى متعثرة ، والقراء هم الأدباء أنفسهم ، إلا ما ندر من الأغنياء والموظفين ، لذلك سدت أمامه سبل العيش ولم يجد فى الشعر والأدب متجرا رابحا يدر عليه الرزق والمال !! ولكن عبد الحميد نشأ فى جيل يختلف عن جيل صاحبه ، فقد كثر عشاق الأدب والصحافة ، وأصبح الأدباء يرتزقون بثمرات أفكارهم ، وأسلات أقلامهم . وهنا نجد أنفسنا نواجه سؤالا هاما تتحتم الإجابة عليه ، فهل كان عبدالحميد الديب بائسا حقا ؟ أم أنه قد احترف البؤس احترافا ، وكان فى متناوله أن يصبح سعيدا محظوظا ، كأصدقائه من الكتاب والشعراء ؟ لقد سمعنا كثيرا ممن يبكون عبد الحميد ، يتحسرون على شبابه الضائع فى أمة لا تقدر الأدب ، ولا تعترف بالمواهب ، فهم ينحون باللائمة على مجتمع يهمل النابغين ، ويحتقر المواهب والكفايات ! !

سمعنا ذلك ، وقرأناه مرات ومرات ، ولكنا قرأنا بمجلة الرسالة (٧٩٦) رأيا آخر للكاتب الفاضل الأستاذ عباس خضر ، يتهم به الشاعر باصطناع البؤس واحترافه ، ويدفع عن مصر ما ينسب إليها — ظلما — من احتقار المواهب والنبوغ ، وسننقل هنا خلاصة هذا الرأى الفريد ، ثم نعقب عليه بما نراه :

قال الأديب البارع الأستاذ عباس « إنما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس ما يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، إذ كان من العفاة السائلين ، وكثيرا ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعى

إلى التحرير بالصحف والمجلات ، فكان يبدأ العمل ، وينقطع عنه بعد قليل ، وفى بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدما ثم يذهب ولا يعود »

ويقول الكاتب الفاضل بعد كلام طويل يدور حول ذلك « هذه هى الحقيقة فى حياة عبد الحميد كما يعرفها خلطاؤه ، لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ، فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان يصنع البؤس صنعا ، كان يحصل على المال فيبذره تبذيرا فى أدنأ الوجوه ، وأقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى ، بصنيعه ، وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ، ليكون بائسا حقيقيا ، وكان لا يتحرج من أى وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أى شتم ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه ، فعلى الناعين على هـذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه أن يلتمسوا المثال فى غـير عبد الحميد الديب ، ويعفوا التاريخ من التزوير والتزييف »

هذا هو رأى الأستاذ عباس خضر ! ونحن نخرج منه بنتيجتين ، أولاهما أن المجتمع المصرى قد قدر الشاعر ، وفتح له أبواب الرزق فسدها بيديه . وثانيهما أن الديب قد اصطنع البؤس اصطناعا وكان فى مكنته أن ينعم بالمال والسعادة ، لو سلك الطريق القويم ! !

ونحن نوافق على النتيجة الأولى ، فنبرئ المجتمع المصرى من احتقار المواهب ممثلة فى الديب ، فقد مهد للشاعر سبيل الرزق ، وأعد له الوظيفة اللائقة ، ومنحه الزملاء والأدباء ما يكفيه من المال لو اعتصم بالحكمة والسداد . هذا حق لا مرية فيه ، وعلى الناعين على الوطن إهماله وجحوده أن يلتمسوا المثال فى غـير الديب كما يقول الأستاذ عباس — كأن يلتمسوه مثلا فى إمام العبد ، الذى نشأ فى جيل غير جيل عبد الحميد ، فكابد من الجوع والحرمان ما أورثه التعاسة والشقاء ! !

أما النتيجة الثانية ، فسنخالف فيها الكاتب مخالفة صريحة ، فقد كان الديب ملتاث العقل ، لا يعى ما يصنع ، بل تضيق به نفسه ، فيترك الوظيفة ، ويهيم على وجهه دون أن يستمع إلى منطق أو تفكير سليم ، وهـذا الذى لا يملك زمام نفسه . بل يهوى به الشرود والذهول إلى هوة مؤلمة ، فيمزق ثوبه وحذاءه ، ويتراكم الغبار على رأسه الأشعث ، ووجهه الشاحب ، وأسنانه الصفراء ، ثم يرسل الضحكات بلا مناسبة ، ويرفع الصوت عاليا دون مبرر ، ويبكى ويضحك فى آن واحد ، هذا الذى يفعل ذلك كله ، لا يكون ممتعاً بقواه العقلية حتى يصنع البؤس ويحترفه ، وكل ما يقال عنه أنه تائه شريد ، لا يعى مصلحته ، ولا يقدر نفعه ، فهو — إذن — جدير بالرحمة والإشفاق

لو كان الديب يصنع البؤس عامـدا ، ويتخيره عن روية وتفكير ، ما دفع به الحظ التعس إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فيقضى شهورا مؤلمة بين عالمه الطبيعى المزدحم بالممرورين والمجاذيب، ولـكنه جن جنونا حقيقيا ، فانحدر إلى هذا المهوى السحيق

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ما قضى شهورا مريرة فى السجن ، تكتنفه الظلمات ، وتتغشاه الغياهب ، ويجاور السفلة من المجرمين والأوغاد ، ويقول عنهم فى حنق وأسف :

بنو آدم من حولنا أم عقارب لها فى الحشا قبل الجسوم دبيب
لقد كنت فيهم يوسف السجن صالحا أفسر أحـلاما لهم وأصيب

لو كان الديب يصنع البؤس عامداً ، ماقطع الليالى الباردة فى زمهرير الشتاء ، هائما فى الطرقات ، تتقاذفه الشوارع والأزقة ، وينهمر المطر غزيرا فوق رأسـه ، وترتعش أضالعه ، وتصطك أسنانه كالمقرور ، ولا يدرى أين يذهب ويلتجئ ، حتى يسمع صوت المؤذن فى الفجر ، فيعلم أن المساجد قد فتحت أبوابهـا للتائهين ، فيهرع إليها محتميا بجدرانها من السيول الدافقة ، ويجد نفسه مدفوعا إلى الصلاة بدون رغبة سابقة ، فيقول :

إذا أذنوا للفجر قمت مسارعا إلى مسجد فيه أصلى وأركع
أصلى بوجدان المرائى وقلبه وبئست صلاة يحتويها التصنع

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ، ما ترك دار العلوم دون أن يتم سنواتها الدراسـية ، وقد كان قريباً من مؤهلها الذى يضمن له الهدوء والاستقرار ، دون أن يتساقط على الفتات

لو كان يصنع البؤس عامدا ، ما كابد هذه الشرور والأهوال ، ولـكنه ذو عقل ملتاث يدانيه من المخاطر ، ويباعده عن الأمن والاطمئنان ، وأمثاله كثيرون ممن تضج بمآسيهم الحياة ، ولا يجدون الراحة فى غير المقابر الحالكة ، بعد أن يطوفوا طويلا بالسجون والمستشفيات ؟! أليس هو القائل :

جوارك يا ربى لمثلى راحة تخذنى إلى النيران لا جنة الخلد

فماذا بعد الحنين إلى الموت والفزع من الحياة ؟!

ولم يكن جنون الديب دائما ، بل كان متقطعاً يواتيه الفينة بعد الفينة ، وبذلك استطاع أن ينظم الشعر الرائع ، وأن يخلد ذكره بين الأدباء ، كما خلد المجنون الأكبر قيس حديثه بين العشاق

ونحن لا نستطيع أن نحكم على شعره حكما صادقا صريحا ، لأن عبقريته الفائقة تجلت فى أهاجيه المريرة اللاذعة ، وهى لم تنشر على الناس فى كتاب ، ولا يسمح من يحفظها من أصدقائه بتدوينها فى صحيفة أو كتاب ، لبشاعة ما تحمل من التجنى ، والإسفاف . فكيف نحكم عليها وهى لا تزال فى طى الكتمان ! على أنى قرأت كثيرا مما نظمه فى بؤسه وحرمانه ، فوجدته يتمتع بسلاسة اللفظ ووضوح المعنى ، وصدق العاطفة ، وكان يصور شجونه كما ترتسم فى نفسه ، دون أن تتعمق به الفكرة أو يطير بجناحه الخيال ، وإنما يقتصر على الوصف الصادق ، لشعوره المتألم ، وإحساسه الملتاع ، كأن يقول :

أفى غرفتى يارب أم أنا فى لحدى ... ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد

فأهدأ أنفاسى تكاد تهدها ... وأيسر لمسى فى بنايتها يردى

ترانى بها كل الأثاث ، فمعطفى ... فراش لنومى ، أو وقاء من البرد

أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجله أمضى من الصارم الهندى

تحملت فيها صبر أيوب فى الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من غاندى

أو يقول :

أرى الحوادث آسادا مقذفة ... على دون الورى تعدو وتقتتل

فكم تصوح عودى بعد نضرته ... وكم خبا فى دياجى عمرى الأمل

كأن حظى رحيق الدهر يشربها ... بكرا معتقة ، فالدهر بى ثمل

إذا تطلبت عيشى مت من كمد ... وإن تطلبت حينى يبعد الأجل

جوعان ، يامحنة أربت على جلدى ... كأن ليلى بيوم البعث متصل

أو يقول :

أذله الدهر لا مال ولا سكن ... حتى تزيد على أنفاسه المحن

إذا سعى فجميع الأرض قبلته ... وإن أقام فلا أهل ولا وطن

مهاجر بين أقطار الأسى أبدا ... كأنه بيد الأرزاء مرتهن

كأنه حكمة المجنون يرسلها ... بغير وعى ، فلا تصغى لها أذن

هذه بعض النفثات الحارة التى نفس بها الشاعر عن صدره ، وهى قريبة من نفثات إمام العبد التى نشرنا بعضها بالرسالة . والشاعران كما يلاحظ القارئ متماثلان فى الغرض والمعنى والصناعة ، ولكن بيئة إمام الشعرية لم تكن تسمح بالابتكار والتنوع ، كما سمحت بهما بيئة الديب ، فقد وجد من شعراء عصره ونقاده ، عمالقة موهوبين ذهبوا بالشعر مذاهب مختلفة ، وفتحوا له آفاقا شاسعة رحيبة . وطبيعى أن يتأثر بما يقرأ ويسمع ، لذلك نجده يجنح إلى الشعر التحليلى فى قصائده التى نشرها بالمقتطف ، كما يميل إلى الشعر القصصى فينظم منه قصيدتيه : « أحزان الأسد » ، « ووفاة القمر » وفيهما طرافة وأناقة فى المعانى والأساليب . وقد وفق توفيقا بارعا فى قصيدته « غنى الجار » فجاءت مثالا جميلا للتصوير الصادق ، الموشى بحلة زاهية من الأناقة والسلاسة . وقد تغلغل الشاعر إلى أعماق جاره الثرى الشحيح فرسم كبرياءه وغروره ، وصور اشمئزازه المفتعل ، وتعاليه الوضيع ، وأضفى على أولاده من البهجة والأنس أفوافا ناضرة ، ثم انحدر به إلى أسفل دركات الإنسانية ، حين جعله يجثو ذليلا ضارعا ، أمام دريهمات حقيرة ، يستلها من جيب مفلس محتاج !! وقد بلغت خطراته الشعرية من الجودة مبلغا رائعا ، وهى جديرة بأن تكون ختاما طيبا لهذا المقال

قال المرحوم عبد الحميد الديب :

على القرب منى كنز قارون مائلا ... ولما أنل منه سوى حرقة اليأس

تكبر فالألفاظ منه إشارة ... كأن عباد الله طرا من الخرس (١)

وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه ... كنفخة ذى جاه رفيع من الفرس

له أسرة كالروض زهرا وصادحا ... فمن شامها ألفى ملائك فردوس

بنون بنات كالورود ملابسا ... يمرون كالإصباح معتدل الطقس

يمر على سكناى فى ذيل بيته ... مرور عيون الموسرين على الفلس

صحوت على قصف الرياح وصوته ... وما أحدث الطرق الشديد من الجرس

يطالبنى بالأجر فى غيظ بائع ... تصيده المحتال بالثمن البخس

وأسمعته صوت الدراهم فانحنى ... يقدم أعذار اليهود من الوكس

وأخضع فقرى كبره وثراءه ... وأى غنى للحر غير غنى النفس

أبو تيج

محمد رجب البيومي

---

(١) ألفت القراء إلى جمال التصوير فى هذا البيت

تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة يثير اسمها فى نفوس المصريين ذكرياته وشجونا

وأمة كان لها فى التاريخ صولة وجولة وكان لها مركز عظيم ومقام كبير ، ثم دار الزمن دورته فدالت دولتها وهانت وذلت إلى أن أصبحت كرة فى يد اللاعبين من أمم الغرب

وكان ساسة أوربا يتحدثون عنها طوال القرن التاسع عشر وينعتونها باسم الرجل المريض (المحتضر)

إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠ فنهض بطل من أبنائها وقائد من قوادها هو مصطفى كمال أتاتورك فأعاد إليها مجدها ورد إليها روحها وبث فى أبنائها قوة وعزة فوقفت من جديد على أقدامها

لكن تركيا الحديثة اتجهت فى سياستها اتجاها جديدا ؛ فولت وجهها شطر أمم الغرب وحاولت أن تقطع صلتها بالشرق : عمدت إلى أزيائها فغيرتها وإلى مألوف عاداتها وتقاليدها فبدلتها .. وحتى الدين لم تحرص الدولة على أحكامه ولم يعد دينها الرسمى

لقد وقع أتاتورك فى خطأ جسيم إذ اعتقد أنه ما أصاب تركيا من ذل وهوان وضعف واضمحلال إنما يرجع فى أساسه إلى الخلافة ، وفات هؤلاء أن فساد الخلفاء لا يرجع إلى فساد الدين وإنما يرجع إلى أشخاص الخلفاء ؛ وأن ضعف الخلفاء ليس مصدره الدين وإنما مصدره انحراف الخلفاء عن كنه العقيدة وعما يأمر به الدين . وهكذا وقع الكماليون فى الخطأ .. ولكن الأتراك وإن أطاعوا ظاهريا إلا أنهم احتفظوا بعقيدتهم سليمة كما وضح لنا أخيرا

وقطعت تركيا علاقاتها بالدول الشرقية إذ أرغمت بسبب هزائمها فى الحرب العالمية على أن تنسحب من الدول الشرقية : من مصر وبلاد العرب وبلاد العراق وفلسطين والشام وغيرها . وقد اعتقد الأتراك خطأ أنهم قد نزلوا عن عبء باهظ كانوا يحملونه ، والحقيقة أن هذه الأمم قد تنفست الصعداء حين زال عنها الكابوس التركى

لقد نظرت هذه الأمم إلى علاقتها الماضية بتركيا وإلى تاريخ الحكم التركى فلم تجد فيه شيئا يسر أو يرضى . لقد قام الحكم التركى على الاستغلال والظلم . والطغيان والاستبداد . لقد كان الحكم التركى يهدف أولا وأخيرا إلى جمع المال لينفق على موائد الخلفاء وفى ترفهم ولهوهم . وكان المال يجمع بطرق وحشية فيها غلظة وفيها تعذيب وفيها جلد وحبس الخ

ولم يكن الأتراك يهتمون بإصلاح حال رعاياهم ومن ثم شلت كل حركة للاصلاح وكانت جناية الأتراك على الشرق فظيعة قاسية

وانزاح الكابوس التركى ولكنه ترك وراءه أمما ضعيفة لم تستطع أن تدافع عن كيانها ، ومن ثم سقطت هذه الأمم فى يد الدول الأجنبية فوضعت العراق وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وأما مصر فكانت تحت الحماية البريطانية ! ! وهكذا كانت جناية الأتراك على الشرق

على أن هذه الأمم جاهدت الاستعمار والمستعمرين وظفر بعضها باستقلاله كاملا وما زال البعض الآخر يجاهد فى سبيل استكمال أسباب استقلاله وسيادته عن قريب سيزول بأمر الله كل أثر للاستعمار البغيض فى الشرق

وقد كان يحز فى نفوسنا نحن المصريين ما كان يترامى إلى أسماعنا من أن تركيا تعارض فى جلاء القوات البريطانية عن أرضنا باعتبار أن مصر قاعدة ضرورية لحماية ظهر تركيا . وقد كان ذلك يؤلمنا أشد الألم ، فقد كنا نتوقع أن تقف تركيا فى صفنا لا ضدنا ، وكنا نتساءل إذا كانت تركيا ترغب فى أن يحمى الإنجليز أرضها فلما لا تسمح لهم باتخاذ قاعدة فى بلادها وحينذاك يكونون أقرب إلى حمايتها وأسرع إلى نجدتها وإنقاذها ؟

وقد حدثتنا الصحف أخيرا أن تركيا تتجه الآن فى موقفها السياسى إزاء مصر اتجاها جديدا يهدف إلى تأييدها فى طلب الجلاء الناجز عن أرضها واعتبار القاعدة الإستراتيجية فى منطقة القنال قاعدة ثانوية .. وكانت تعتبر من قبل ضرورية لحماية ظهر الجيش التركى

ونحن نحمد لتركيا أن تعدل من سياستها وأن تقف بجانب أخواتها المكافحات فى سبيل الحرية فإن ذلك خير لها وأجدى

وجدير بى أن أذكر أن سياسة تركيا الخارجية إنما يمليها عليها موقعها الجغرافى ، فهى تقع فى ملتقى قارتين ، أوربا وآسيا ، وتفصل بين بحرين ، البحر الأبيض والبحر الأسود ، وتصل ما بينهما بواسطة

بحر مرمرة وبوغازى الدردنيل والبسفور وبحر إيجه .

وقد نشأ عن هذا الموقع عدة مشاكل أهمها مشكلة البوغازات وما عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

فأما مشكلة البوغازات فأساسها سيطرة تركيا على بوغازى الدردنيل والبسفور وتحكمها فى الملاحة بين البحرين الأسود والأبيض ، ذلك أن روسيا لها شواطىء على البحر الأسود وهى تسعى دائما للوصول إلى البحر الأبيض ، وسفنها مضطرة إلى أن تمر ببوغازى الدردنيل والبسفور الواقعين فى يد تركيا ، وهكذا كانت السفن الروسية ولا تزال تحت رحمة الدولة المسيطرة على البوغازات ، ومن هنا نشأ الخلاف بين تركيا وروسيا وقامت بينهما الحروب

وفى سنة ١٨٠٩ كانت إنجلترا تناصب نابليون سيد أوربا العداء وفى الوقت نفسه كان نابليون حليف روسيا إذ ذاك ، وكانت الحرب قائمة بين روسيا وتركيا ، ومن هنا قامت صداقة بين إنجلترا وتركيا إذ كانتا عدوتين لروسيا ونابليون، فوقعت تركيا وإنجلترا معاهدة سنة ١٨٠٩ عرفت بإسم معاهدة البوغازات ، وأهم مافيها أن تغلق تركيا البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية، ومن البديهى أن المقصود بالسفن الأجنبية انما السفن الروسية ، إذ ليس ثمة صالح لإنجلترا أن تدخل البوغازات

وقد انتهت حروب نابليون بهزيمته ، وقام تحالف إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ولكن معاهدة البوغازات ظلت قائمة

وفى سنة ١٨٣٠ قامت الحرب بين محمد على وتركيا ، وتدخلت روسيا للدفاع عن عدوتها التقليدية تركيا ضد محمد على ، ودبت عقارب الشك فى نفس إنجلترا فتدخلت وانتهى الخلاف بين محمد على والسلطان سنة ١٨٤١ ونصت المعاهدات الدولية على الاحتفاظ بالمبدإ السابق فى معاهدة البوغازات

وفى سنة ١٨٥٣ قامت حرب القرم بين روسيا فى جانب ، وتركيا وإنجلترا وفرنسا فى جانب آخر ، وقد انتصر الحلفاء ضد روسيا. وفى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ تقررت حيدة البحر الأسود ومنعت روسيا من إقامة حصون عليه وحرم عليها أن يكون لها به سفن حربية ، وتقرر الاحتفاظ بالمبدإ السائد فى معاهدة البوغازات وهو إغلاق البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية

ولكن روسيا مزقت نصوص المعاهدة فى سنة ١٨٧٠ منتهزة قيام الحرب بين فرنسا وألمانيا ، وفى سنة ١٨٧٧ قامت الحرب بينها وبين تركيا وتدخلت إنجلترا وأنذرت روسيا بأنها إذا هاجمت القسطنطينية عاصمة تركيا فستضطر إلى التدخل ، وأذعنت روسيا لتهديد إنجلترا ووقعت مع تركيا معاهدة سان استفانو التى عدلت فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وعقدت معاهدات احتفظ فيها بمبدإ إغلاق البوغازات فى وجه السفن الأجنبية

وقد مزقت هذه المعاهدة أملاك تركيا فى أوربا ، فقد استقلت عنها رومانيا والجبل الأسود والصرب (يوغوسلافيا) ونالت بلغاريا استقلالا ذاتيا واسع النطاق، واستولت إنجلترا على قبرص وأخذت روسيا قارز وباطوم ، وكان اليونان قد حصلت على استقلالها منذ سنة ١٨٢٩ ، وهكذا تحطمت الإمبراطورية العثمانية فى أوربا وجثمت الدول الأوربية الكبرى على صدر تركيا

أحفظ ذلك تركيا فلجأت إلى ألمانيا وقامت بينهما علاقات صداقة، وقد وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية سنة ١٩١٤ — ١٩١٨

ولما هزمت ألمانيا وحلفاؤها مزقت الدول المنتصرة أملاك تركيا خارج أوربا ، بل إن أراضى تركيا نفسها كانت موضع النهب والتنافس بين الدول العظمى والدول الصغيرة ، ولولا أن الله بعث لتركيا مصطفى كمال لضاعت إلى الأبد

وفى خلال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ وقفت تركيا على الحياد فأفادت من ذلك كثيرا : أولا استطاعت أن تقوى جيشها وأن تجعله مستعدا للدفاع عن أراضيها إذا تعرضت لخطر . ثانيا : جنب هذا الحياد تركيا ويلات الحرب وكوارثها ، وما الحرب فى هذه العصور إلا الدمار والخراب والفناء والبؤس والشقاء

وقد أعلن تشرشل منذ أيام أن العامل الوحيد فى منع قيام الحرب الثالثة . هو الخوف من ويلات الحرب . وها نحن نرى بأعيننا آتون الحرب الملتهبة فى كوريا ونلاحظ أن الدول تلقى فيه من الوقود بقدر مخافة أن تزداد النار اشتعالا فتلتهم العالم كله .

من أدب التاريخ

أبو مروان الخرائطى

للأستاذ محمود عزت عرفة

فى عام ٢٢٩ من الهجرة حبس الخليفة العباسى الواثق كتاب دولته وألزمهم مغارم جسيمة ، متهما إياهم بالخيانة واحتجان المال

وكان بين هؤلاء : أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب كاتب إيتاخ القائد ، وأخوه الحسن بن وهب ، وأحمد بن الخصيب ، وإبراهيم بن رباح ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن خالد الملقب بأبى الوزير .

وقد تولى تدبير هذا الأمر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق . وكان ابن الزيات — على رجاحة عقله ووفور علمه وأدبه — ينطوى على أبلغ ماتنطوى عليه جوانح رئيس من القسوة والظلم والاعتساف

وكان سليمان بن وهب من أشد هؤلاء المنكوبين تعرضا للأذى ، وإن كان قد خلص بنفسه من العطب تحت شروط ثقال ارتضاها وأقر بها . ويسجل الطبرى ذلك فى تاريخه فيقول : [1]

« أمر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب إيتاخ ، وأخذه بمائتى ألف درهم — وقيل دينار — فقيد وألبس مدرعة من مدارع اللاحين ، فأدى مائة ألف درهم . وسأل أن يؤخر بالباقى عشرين شهراً ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله ورده إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد » .

ويروى القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) ، بإسناد إلى سليمان بن وهب نفسه ، قوله : [2]

« كنت فى زمن محمد بن عبد الملك فى أيام الواثق لما صادرنى عن كتابة إيتاخ على أربعمائة ألف دينار ، وقد أديت منها مائتى ألف ونيفاً . فاستحضرنى يوماً وطالبنى بالباقى ، وحدنى فيه وأرهبنى ، ولم يرض منى إلا أن أجبت أن أؤدى خمسين ألف دينار قاطعة للمصادرة ، على أن يطلق ضياعى . . »

***

جلس محمد بن عبد الملك الزيات يوماً يجد فى مطالبة هؤلاء المنكوبين ويمعن فى إرهابهم واحداً بعد الآخر . فلما كانت نوبة سليمان أعاد عليه المطالبة وأغلظ له فى القول ، وسامه أن يقر كتابة بقدر من المال جسيم . وقبل أن يأخذ خطه بما قرره عليه خرج من دار الحرم خادم صغير ودس فى يد الوزير رقعة مكتوبة ، فلم يستوعب بنظره كلماتها حتى نهض فى إثر الخادم معجلا

وكان بين الحاضرين الحسن بن وهب أخو سليمان ، وهو لا يزال موضع رضا الوزير ، وإن كان ليخشى أن يتحدث إليه فى شأن أخيه فهو يشهد مايجرى عليه وقد انطوت نفسه على أسف بالغ وأسى كظيم

. . كان قصارى جهد الحسن إذ حضر مجلس المطالبة — وهو يحضره غالباً بحكم موضعه من خدمة الوزير — أن يستقبل أخاه بنظرات التشجيع ، ثم يشيعه وهو خارج يجر قيوده بنظرات ملؤها الأسف والإشفاق

ولكن الحسن فى ذلك اليوم كان على غير عادته ، يلوح كمن يسر خبراً مفرحاً تكاد تنطق به قسمات وجهه . ولعل أخاه على

(١) الطبرى : ج : ١١ — ص : ١٢

(٢) الفرج بعد الشدة . ج ١ — ص : ٩٦

للبحث صلة

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية انقسمت الدول المتحالفة إلى كتلتين: إحداهما شرقية تتزعمها روسيا، والأخرى غربية تتزعمها أمريكا وانجلترا . ولما كانت روسيا تطمع دائما فى الاستيلاء على القسطنطينية والبوغازات لتتمكن من الوصول إلى البحر الأبيض ، ولما كان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا فقد انضمت تركيا إلى المعسكر الغربى حرصا على سلامتها

ولكن خوف تركيا على سلامتها يجب ألا يدفعها إلى الوقوف فى وجه الأمانى القومية المصرية؛ فهناك القاعدة البريطانية العسكرية فى قبرص وهى قريبة منها ، وقد أخذت إنجلترا قبرص من تركيا سنة ١٨٧٨ نظير تعهدها بالدفاع عن أراضيها

أبو الفتوح عطيفة

شغله الشاغل بنفسه استشف من ذلك شيئا ، فبادله نظرات خفية فيها الحيرة وفيها التساؤل . ولم يمتد هذا الموقف بالأخوين كثيراً ؛ فقد انتهز الحسن فرصة تغيب الوزير بدار حرمه وألقى إلى سليمان برقعة لطيفة استقرت فى حجره ، فراح يلمسها بأنامله فى اضطراب ثم بسط ثناياها وقرأ هذه العبارة بخط أخيه : « جاءنى الخبر الساعة من دارك أنك قد رزقت ابنا ، خلقا سويا ، وهو جسم بغير اسم . فما تحب أن يسمى ويكنى ؟ »

واتجه سليمان بنظره إلى ناحية أخيه ثم همس : عبيد الله . . أبو القاسم !

وسرت فى سليمان منذ هذه اللحظة روح جديدة ، وتداخله بما قرأ سرور وقوة نفس . وفى حلم خاطف من أحلام اليقظة رأى ابنه طفلا رضيعا ، ثم غلاماً ، ثم فتى يافعا ، ثم رجلا قوى الأسر كامل النفس موفور الحلم ، يتبوأ المناصب الخطيرة ، ويشد من أزر أبيه بماله وبجاهه

وعاد الوزير بعد حين إلى مجلسه فأمسك قليلا ، ثم أقبل يعيد المطالبة على سليمان ، ويريده أن يوقع على مارضى الإقرار به . فما أدهشه إلا أنه يرفض مرة ، ويستمهل أخرى ، ثم هو فيما بين ذلك يجادل ويدافع ، ويدلى بالحجة وراء الحجة . .

كان سليمان بحال من انبعاث النشاط وتجدد الأمل لم يخطر للوزير أن تسكون . فانعقد لسانه من فرط البغتة ، وأقبل يرمق سليمان فى حيرة وإنسكار ، ثم قال له :

— يا أبا أيوب ، ماورد عليك بعدى ؟ أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ماخلفتك منذ ساعة !

فأجاب سليمان : ماورد على شيء !

قال الوزير : والله لئن لم تصدقنى لأوقعن بك من العـذاب مايستخرج منك الحق واضحا

فقال سليمان فى غير مبالاة : ماعندى ما أصدقك عنه

ونظر الوزير إلى الحسن بن سهل وقال : لتخبرنى بشأن أخيك

ولم يطل بالحسن التفكير ، فقد كان يعلم من عسف الوزير ومن زعارته أضعاف ما يترامى علمه إلى سائر الناس : فأخبره بالحديث على وجهه حتى سكنت نفسه ، ثم قال :

— أتدرى لأى شيء قمت أنا ؟

— قال : لا

— قال : كوتبت بأن ولدا ذكرا سويا قد ولد لى ، فدخلت فرأيته وأسميته باسم أبى ، وكنيته بأبى مروان !

وبرقت فى ذهن سليمان خاطرة ، لم يلبث معها أن نهض إلى موضع الوزير ، فأكب على يديه ورجليه ، وأقبل يهنئه بكلمات رقاق ، ويدعو له ولمولوده ، ثم قال :

« أيها الوزير ، هذا يوم مبارك ، وقد رزقت ابنا . فارحمنى وارع سالف خدمتى لك ، واجعل ابنى موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه فى المكتب ويتعلمان وينشآن فى دولتك فيكون كاتباً له »

ولم يكن محمد بن عبد الملك ممن يطبيهم مثل هذا الحديث . . كان فى قلبه لدادة وقسوة وجنوح إلى العسف والانتقام ، مما جعل شعاره الذى لا يخل به ، قولته المشهورة : «الرحمة خور فى الطبيعة»

فلم يزد على أن تشظت عروق جبينه قسوة وحرداً ، ثم قال :

— يا أبا أيوب ، أعلى تجيز هذا ؟ وإياى تستغر وتخاتل ؟ قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة . . ورجوت فى نوائب الزمان وقلت : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى حتى يطلب منه الإحسان والفضل . فإنى أستحلفك بالله وأحرج عليك ، إن بلغ ابنك هذا المبلغ ، إلا وصيته إن جاءه ابنى لشيء من هذا ، ألا يحسن إليه !

وأعظم الحاضرون جميعاً هذا الخطاب العنيف ، وخيم على مجلس الطاغية صمت ثقيل لم يقطعه إلا كلمات خافتة متعثرة من سليمان ، تنصل بها مما اتهم به واعتذر مما قاله ، ثم دعا للوزير وصمت

وعاد سليمان بعدقليل إلى ظلمات محبسه وهو يحدث نفسه أن هذا غاية البغى ، وأن ما تحدى به هذا الطاغية القدر بعباراته المزرة ، سيقع على وجه من الصحة يستخرج العبرة والعجب

على أنه عاد بعد أيام فقبل ماقرر عليه ، ورد عليه الواثق ضياعه وأقره على كتابة (إيتاخ)

* * *

ومرت سنين ، أصبح بعدها وليد سليمان — الذى اختار له أبوه وهو رهن المحبس عبيدالله اسماً ، وأبا القاسم كنية — أصبح فتى يافعا ، وشابا يتوسم فيه أهل الفراسة آيات النجابة وعلائم المجد ،

وطارت خلال ذلك لأبيه سليمان شهرة ، وتأثل له مجد عريض

ولما مات الخليفة الواثق تولى بعده أخوه المتوكل (بغير عهد منه) وكان يحمل أشد الضغينة لمحمد بن عبد الملك ، ويحفظه عليه ما كان يجبهه به من المهانة زمن أخيه ، ثم مارامه يوم وفاة الواثق من تحويل الخلافة إلى ابن المتوفى صغير . فلم يشف غليل نفس المتوكل إلا أن وثب على محمد بن عبد الملك وثبة سلبه فيها أسباب نعمته ، ثم قتله بعد تنكيل وعذاب (فى صفر سنة ٢٣٣ ﻫ)

وعهد المتوكل فى مستهل نكبته لمحمد بن عبد الملك ، إلى سليمان بن وهب بمناظرته وإحصاء متاعه . فوافى داره فى كوكبة من الجند ، وهو لاهج اللسان بشكر الله على ما أولاه من نعمة ، وبلغه فى عدوه من رغبة

ولقى فى الدار ذلكم الابن الصغير - أبامروان عبدالملك بن محمد ابن عبد الملك — يبكى ويتظلم . فاستدناه إليه وسأله عن قصته فقال :

— منعت كل مالى ، وأدخل ما أملك كله فى الإحصاء

فقال سليمان : لا بأس عليك . ثم أمر بأن يرد إليه كل ما كان له . وخر ساجداً لله على أن هيأ له أداء هذا الصنيع

وقص سليمان بعد حين على ابنه عبيد الله حديثه مع الوزير محمد بن عبد الملك ، فى يوم مولده ومولد أبى مروان ابن الوزير ، ثم قال لعبيد الله : يابنى ، بالله — إن رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج إليك — إلا أحسنت إليه ! !

ووعى أبو القاسم عبيد الله بن سليمان عن أبيه هذا الحديث

* * *

ولما تولى المعتضد الخلافة استوزر عبيدالله بن سليمان بن وهب (فى رجب ٢٧٩ ﻫ) ؛ فكان من عادته أن يتخذ للمظالم مجلساً عاما . وفى يوم من هذه الأيام المشهودة دخل عليه فيمن دخلوا رجل رث الهيئة عليه ثياب غلاظ فعرض عليه رقعة . وقرأها الوزير قراءة متثاقل عنها ، ثم متفكر متعجب مما بها . ولما أتم استيعابها قال : نعم وكرامة ، أفعل ماقال أبى لا ماقال أبوك . كرر هذا القول ثلاثاً ثم قال له : عد إلى وقت العصر لأنظر فى أمرك

والتفت إلى خاصة صحبه فقال : إذا خلوت فذكرونى بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب . فتشوقت نفوس القوم إلى هذا الحديث

وواصل الوزير عمله يأمر وينهى بقية المجلس ثم قام فاستراح ، ودعا بالطعام فتناوله معه من حضر ، فلما بلغوا من ذلك حاجتهم أو كادوا قال الوزير : ما أراكم ذكرتمونى بحديث صاحب الرقعة ! ثم أقبل يسوق إليهم ماحدثه به أبوه حتى بلغ منهم العجب غايته

ثم قال متمما حديثه : ولقد ضرب الدهر مضربه فما عرفت لأبى مروان خبرا ، حتى رأيته اليوم ، فكان ماشاهدتم

وأمر الوزير بإدخال أبى مروان عليه عند مقدمه . فلما قدم وهب له مالا وخلع عليه وحمله . ثم قلده ديوان البريد والخرائط ، فشغل هذا المنصب ثلاثين سنة أو أكثر

وكان يكتب إلى عبيد الله — عندما يكاتبه — وهو متقلد هذا الديوان : « عبد الوزير وخادمه ، عبد الملك بن محمد »

ولكن الوزير أراد أن يعفيه من هذه المخاطبة الذليلة فقال له : أنت ابن الوزير على كل حال ، ولا أحب أن تتعبد لى ، فاكتب اسمك فقط على الكتب

فقال أبو مروان : لا تسمح نفسى بهذا ، ولكنى أكتب (عبد الملك بن محمد خادم الوزير) . فقبل منه ذلك ، فكان يوقع بهذه العبارة إلى جميع الوزراء الذين كتب لهم حتى وافته منيته فى وزارة ابن الفرات الثالثة

وكان أبو مروان كالمترتب على هؤلاء الوزراء جميعاً بما عامله من ذلك عبيد الله ، فلزم هذا المنصب إلى أن مات [1]

وقد غلب عليه طوال هذه الفترة لقب أبى مروان الخرائطى ، حتى نسى الناس نسبه إلى ابن الزيات ، إلا من كان يلم بخاصة شأنه من جماعة الكتاب وغيرهم

محمود عزت عرفة

(١) عمل أبو مروان فى خدمة عدد من الوزراء أولهم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ومنهم إبنه القاسم بن عبيد الله ، والعباس بن الحسن ، وعلى بن محمد بن الفرات ، ومحمد بن عبيد الله الخاقانى ، وعلى بن عيسى ابن الجراح ، وحامد بن العباس

وكانت وفاته فى وزارة ابن الفرات الثالثة فى الفترة بين ربيع الثانى سنة ٣١١ ، وربيع الثانى سنة ٣١٢ ﻫ .

٦ - فى بـــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ آغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

اجتماع — أقوال الخطباء

يالها من بلاد عجيبة ؟ ما أصعب نيل الحرية ؟ . . ليت شعرى هل أستطيع إلفة هذه الحياة ؟ . . لقد خيل لى الأمر فى البداية سهلا ميسورا . . ولـكن هاهى ذى المصاعب تتوالى وتتفاقم فى النهاية . .

إن هنالك رواسب فى قرارات النفوس تركتها عهود التاريخ الماضية من ورائها ، هى التى تستعبد الإنسان وتقيده أكثر من غـيرها . .

وها إن الحال تتطلب الآن التخلص من نيرها وسلطانها دفعة واحـدة . . . عليك أن لا تـكذب ، أن لا تداهن ، أن تتحلى بالشجاعة ، أن تدافع عن الحق ، أن لا تعرف معنى التردد ، أن تقول الحق !

يالها من شروط صعبة ثقيلة ؟

كيف لا يخشى جانب الرجل ذو البأس والقوة ؟ أو لا يجهر له بالصدق ؟ أو لا يتحاشى التزلف إليه ؟

إن المرء لتضطرب أحشاؤه وترتعد فرائصه عند رؤيته أحد هؤلاء الطغاة العتاة ··· ورأسه يدور ، ورقبته تنحنى ولسـانه يباشر الحمد والثناء بغير إرادة منه !

ولا يمكن أن أنسى قط ما كان يحدث لصديق لى كلمـا أراد محادثة أحد الوزراء فى التليفون فقد كان يشحب لونه ، ويتلعثم لسانه ويأتى بحركات آلية مضحكة كما لو كان أمام الوزير نفسـه بالذات لا أمام آلة صماء ··· وقد شاهدته ذات مرة وهو يردد هذه العبارات فى ارتباك ظاهر وذعر شديد :

« ··· نعم يا مولاى ··· بفضل عطفكم السامى ··· هفوة الصغير عفو الـكبير ··· »

ثم ألقى بالسماعة على الأرض بعنف وترامى على أحـد المقاعد لاهثا وهو يقول :

— « آه ! ··· كاد أن يقضى على ··· لماذا كل هذا السخط والهياج ؟ .. كل ما فى الأمر أننى رفعت نهـار أمس تقريرا إلى معاليه ذكرت فيه نبذة قصيرة عن سوء سلوك نجـله فى الدائرة وفساد أخلاقه ··· يا ويلى منه ومن ثورته وغضبه ··· ولـكننى لحسن الحظ استطعت تهدئة الحالة ··· آه ··· »

ومع أننا كنا نسخر آنذاك من هذا الصديق المتخاذل الرعديد ونهزأ به إلا أننا فى الحق لم نـكن لنختلف عنه من هذه الناحية إطلاقا

والآن كيف نستطيع استئصال شأفة هذه العلل التى نفذت إلى عظامنا وجرت مجرى الدم فى عروقنا ؟

لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة من فرط تأثرى .. بل ظللت أدور فى غرفتى طول الليل ··· وإذ طلعت تباشـــير الصبح ، سقطت على الأرض كجثة هامدة من شدة الإعياء

وحين فتحت عينى كانت الشمس فى متوع النهار ، وكان رأسى مثقلا بالصداع .. فأحسست بحاجة شـديدة إلى استنشاق الهواء النقى

ألقيت بنفسى إلى الشارع .. وقصدت إلى حديقة تجاور البيت الذى أقطنه ··· كان البستانيون هنا منهمكين فى رى الحديقة .. وكان ثمة على بعد قليل ينهض تمثال شامخ

اقتربت من التمثال وقرأت على أحد جوانب قاعدته هـذه الـكتابة :

« بطل بلاد الأحرار الأول »

ملت إلى أحد البستانيين وسألته عن اسم الحديقة وعن هوية البطل

— هل أنت غريب عن هذه البلاد ؟

— نعم ! .. جئت حديثا !

— يطلق على هذا المـكان حديقة الحرية ··· وذلك التمثال يمثل أول وطنى رفع لواء الحرية ضد الاستبداد .. فبلادنا تعبده وتقدسـه

* * *

وفى هذه الأثناء كان الناس قد أخذوا يتوافدون على المكان زمرا زمرا ... ولم تمر سوى هنيهة حتى عقدت اجتماعات عديدة أيضا فى مختلف أنحاء الحديقة

اقتربت من أحد هذه الاجتماعات .. فرأيت فتى يافعا يلقى خطابا حماسيا مؤثرا ... أصغيت إليه فاذا هو ينتقد الحكومة ، ويحمل عليها حملة شعواء لأنها تقاعست عن تنفيذ برنامجها بحذافيره ، وتركت عددا من الوطنيين فى الشوارع لا يجدون لأنفسهم عملا .. ولأن الإحصاءات الأخيرة دلت على وجود اثنين فى كل مائة أميين بين سكان المملكة ، وذلك يعد عارا كبيرا وصمة لا تمحى من جبين البلاد الحرة

اقتربت من جماعة ثانية ... فشاهدت رجلا فى منتصف العمر ، ضعيف البنية ، يتبسط فى شرح النقائص التى يلاحظها على الجيل الجديد ، ويؤاخذهم بشدة على انغماسهم فى المادية ، وانصرافهم عن المثل العليا ، وإغفالهم أمر الصلات الإنسانية والوطنية الرفيعة ، ويرى أن هذه حالة ستؤدى بهم لا محالة إلى أن تكون آثارهم هزيلة عديمة الحياة ، ورؤوسهم فارغة جوفاء ، وسجاياهم منحلة سائرة نحو التلاشى والاضمحلال

وإذ كان الخطيب يبدى مخاوفه الشديدة من مغبة الأمر ، كان لا يجد دواء لمداواة الوضع سوى المبادرة إلى إحداث تغيير شامل سريع فى نظم التعليم وأهدافه وخططه التى تسير عليها الدولة فى تنشئة الشبان وإعداد الجيل المقبل

أما فى الزمرة الثالثة فكان الخطيب سيدة بارعة الجمال تتحدث عن حقوق المرأة السياسية

وفهمت من أقوال السيدة الخطيبة أن النساء فى بلاد الأحرار يملكن نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجال ، ولا يضن عليهن بسوى منصب رئاسة البلاد فقط

وقد كانت الخطيبة تشير إلى هذه الناحية فى انتقاداتها وتقول :

— « كيف يسوغ أن يضن بهذا المنصب على المرأة ، ثم لا يضن به على الابن الذى تلده ؟

إنهم يحدثوننا عن الخواص الفيزيولوجية .. وكأن الرجال جميعا فى منجاة عن النقائص الفيزيولوجية

اذهبوا إلى البيمارستانات ، إلى السجون ... ادرسوا إحصاءات الجرائم ، فلا أظن النتيجة ستكون بجانب الرجال

إن هذه المخاوف ليست سوى أعذار تافهة ، لا تخرج عن كونها بقايا أسلحة فاسدة استعملها الرجل منذ قديم الزمان لضمان استمرار سيطرته على النساء وبقاء استبداده بشؤونهن .. ولكن المرأة سوف تقضى على هذه البقية الباقية أيضا كما قضت من قبل على القيود الأصيلة نفسها وحطمتها إلى الأبد ، وذلك بفضل كفاحها المستمر ونضالها الدائم ، وجهادها الذى لا يفتر ولا ينى

أجل سوف يعلم الرجال أن هذا الملجأ الأخير الذى يأوون إليه ، يجب أن تفتح أبوابه على مصاريعها أمام النساء نزولا عندما يقضى به الشرف والكرامة ... وأن وجود أقل تفاوت فى الحقوق بين الأفراد فى بلاد الأحرار ليس إلا وصمة عار فى جبين الحرية نفسها . وسوف تمحو المرأة هذه الشائبة مهما طالت بها الأيام أو بعدت أمامها الشقة ... »

* * *

كانت هنالك جماعات أخرى أيضا .. غير أننى كنت قد أحسست بالتعب ... فجلست فوق أحد الكراسى ، وشرعت أفكر فى جميع هذه المشاهد التى مرت أمامى ولم أكن قد رأيتها أو سمعت بها من قبل

وكان من أشد ما أثار عجبى أسلوب الخطباء ولهجتهم فى أثناء الكلام .. فقد كانوا يحصرون انتقاداتهم فى دائرة الوقائع والحوادث ، ويعنون عناية كبيرة بأن لا يظهر على حديثهم أى أثر للتذبذب أو الشكوك أو التردد ، مسبغين عليه ثوبا من عفة اللسان والوقار ، متنكبين عن استعمال أية كلمة نابية فيها حرج لعاطفة الشخص الذى يتصدون لانتقاده أو مس لكرامة من يشنون الحملات عليه ...

وقد تراءى لى فى الوقت نفسه من المعانى المتجلية فى عيون المستمعين ، وإمارات الجد اللائحة على وجوههم ، أنهم يستسيغون هذا النوع من النقد ويرتاحون له ويؤثرونه على سواه ، ويجدونه أضمن للفائدة وأبقى

وقد ذكرنى — بغير إرادة منى — ما شاهدته هنا من الصور الجديدة ، ما فى بلادى من أساليب النقد وفنون النقاش يالهول الإسفاف الشنيع والتهور الجامح ! .. وياللهول السباب

والشتائم المقذعة ! .. أقوال مضطربة لا رابط بينها ، إشارات غامضة ، إيماءات مغلقة مستهجنة .. ولطالما حدث أن السامعين والقارئين سدوا آذانهم ، وأغمضوا عيونهم تقززاً واستنكارا ، ثم هبوا جميعاً يطالبون بوضع حد لمثل هـذا الجو الموبوء الخانق ، فظهرت قوة طاغية كمت أفواه المتكلمين وعصبت عيون الشاخصين معاً بشكل محكم ، حتى عاد الناس فى هـذه المرة يشعرون بالاختناق من الصمت والظلام

آه ! ما أعظم كارثة الإفراط والتفريط ! لقد اقتنعت الآن أن الحرية لا يمكن أن تنال بمجرد الرغبة فيها ، أو المطالبـة بتحقيقها ... إن على الإنسان أن يربى شخصيته ، ويخلق من نفسه سيداً قبل كل شىء ...

— أجل ! أجل ! على الإنسان أن يكون سيداً !

— إلى من تتحدث ياعزيزى ؟

استدرت قليلا . . فوجدت أحد الضيوف الإخوان جالسا إلى جانبى ، يرمقنى بنظرات التعجب والحنان وأنا أحادث طيفى الماثل أمامى . .

فقلت معتذراً :

— كنت غارقاً فى التفكير وأنا أقارن بين ما شاهدته اليوم وما وقع لى بالأمس فبدرت تلك الكلمات منى دون وعى . .

فابتسم ابتسامة رقيقة ثم قال :

— لا تحزن ! هذه مرحلة قد تخطاها كل واحد منا . .

— إذن أنتم هنا منذ وقت طويل . .

— أجل !

— أرجو أن تخبرونى : هل تقصد هذه الاجتماعات هنا كل يوم ؟

— كل يوم على وجـه التقريب . . وتلك الساحة أشبـه بمدرسـة شعبية عامة يستطيع أى مواطن أن يطلع فيهـا على كل مايعنيه أمره من شؤون بلاده :

— يالها من عادة حسنة !

* * *

حضر الأساتذه فى اليوم التالى ثانية فقلت مخاطباً أحدهم :

— تنص المادة العاشرة على أن التساند دين واجب الأداء ، فما معنى ذلك ؟

— أجل ! إن وجود التساند والمؤازرة شرط أساسى فى بلاد الأحرار ... انظر إلى الأقطار غير الحرة تجد فيها الأفراد والأسر كلا مستقلا بنفسه عن غيره ، وليس بين ظهرانيهم من الصلات والروابط إلا النزر القليل . . ذلك لأن سيف الاستبداد المصلت على رؤوس هؤلاء لا يفسح فى المجال لهم بالتآزر والتآلف وتكوين جبهة واحدة وكيان واحد . .

فالشرط الأساسى فى هذه الممالك التفرق والتخاذل ووقوف « المواطن » موقف الأجنبى من أخيه المواطن وعـدم اهتمام بعضهم ببعض ...

وكما أنه من اليسور جدا سحق أفراد مجتمع كهذا وإفناؤه ، كذلك من السهولة بمكان ... أن يلعب المرء كما يشاء بهذا المجتمع نفسه كما لو كان خرقة بالية عديمة الدم والحياة ...

أما فى بلاد الأحرار ، فالشرط الأول هو الاتحاد والإيثار والإلفة التامة بين الأفراد والاهتمام بما يحدث ويقع للمواطنين ... والـكل هنا كحلقات الشبكة تتأثر من العطب الذى يصيب أى واحدة منها ...

وشؤون المجتمع ذاته لا تعتدل ولا تستقيم إلا إذا نجا أفراده جميعاً مما حاق بهم من الأخطار وأصابهم من الألم والاضطراب

هنا يتحتم على كل فرد أن يكفل بصيانة حقوق غيره وشرفه وكرامته . . وليس فى معجم البلاد أقوال من قبيل : « إذا مت ظمآنا فـلا نزل القطر » « عش لنفسك » « هـل أنا الذى أستطيع إصلاح العالم ؟ »

— آه أيها الأستاذ ! إنى مصغ إليـكم بكل كيانى وبكل لذة وشغف . . ولـكن وا أسفاه . . إن جميـع العـادات التى ألفتها والتقاليـد التى جريت عليها لهى على طرفى نقيض مما تفضلتم على بشرحه وإيضاحه ... ليت شعرى كيف أستطيع أن أغـير مابنفسى ... إلهى ! ما أصعب أن يكون الإنسان حراً ...

— نعم يابنى ؟ ليست الحرية سهلة سائغة ... والعبودية أسهل منها ... فبينما العبد يسلم زمامه إلى غيره ليقوده كما يريد ويهوى نجد الحر مكلفا بالتفـكير فى غيره ...

إن كل مواطن هنا مكلف بحب الغير ، ومعنى حب الغير

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٤ —

لقد ساعد جوته شلر فى أموره المعاشية حتى قبل معرفته به وصداقته له ، وذلك بتقديمه وترشيحه لخدمة ولاية (وايمر) وتوظيفه فى أكاديمية بمرتب معين . وقد أدت هذه المساعدة التى جاءت لا على اعتبار عون ؛ بل على اعتبار خدمة متقابلة إلى نتائج ذات أهميه دائمة . وقد ارتفع شلر إلى أوج عظمة الفن وهومطمئن إلى عطف ورعاية ونصح صديق واحد بين مئات الأعداء . وهكذا — اعتماداً على هذا التأييد من قبل صديقه — استمر شلر فى تقدمه ونجاحه غير ملتفت يسرة أو يمنة ، وكانت أيامه مخصصة جميعها لتأدية واجبه الأقدس

وقلما نجد إنساناً يمكن أن يساعد الآخر مثل هذه المساعدة وأن يفيده مثل هذه الفائدة ، لأننا تعودنا — كما هو الحال فى الواقع — أن يكون الإحسان مبتذلا فيه الذلة والفجيعة وقلة الذوق ، لأن منشآتنا التى تقوم بمثل هذه الأعمال الخيرية هى مؤسسات تافهة ومضرة ولو أنها تتحصن بأسماء وألقاب . وأكثر من هذا إذا تفضل أحد أصدقائنا بمديد العون إلينا بإخلاص واهتمام ، فهو لن يعمل على تفهم مشا كلنا ومعرفة احتياجاتنا الحقيقية حتى يمكننا من السير قدماً فى طريقنا ، بل نراه على العكس من ذلك يصير ببساطة غريبة ، ويريدنا أن نغير اتجاهنا ونتبع سبيله الذى اختاره لنفسه ، وبذلك يجعل أمر إصلاحنا غير ممكن لأننا لا ولن نقدر على ذلك . وهكذا فالناس كل بعيد عن الآخر ، وليس لأحد أن يساعده جاره ، بل أن ينتبه من جاره كى يأمن شره ويتوقى خطره ويتقى شواظ ناره وهو أمر صعب التحقيق

لقد تحدثنا سابقاً عن حماس شلر التام للأدب واعتبرنا ذلك وحده فضيلة توجته مدى الحياة . وأوضح دليل على حميته وغيرته للوصول إلى هذا الهدف فى كل أدوار حياته ، هو مواظبته على هذا المسعى حتى أواخر حياته ، بالرغم من إصابته بمرض عضال هد حيله وزعزع أركان قوته . ولم يتجل نبل سجيته فى أية مرحلة من تاريخه ، كما تجلت فى هذه المرحلة — مرحلة المرض — فقد برزت البطولة غير المنظورة وهى فى عنفوانها عندما كان العدو الأسود يمزقه من الداخل ، ولكنه كان قادراً على إبعاده بعض الشئ . وعندنا شواهد طيبة على أن الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته لم تخل لحظة واحدة من الألم الممض . على أنه مع كل ذلك لم يتشك قط ولم يتضجر ابداً . نلاحظ ذلك فى مراسلته مع

هو أن يتحمل المرء فى سبيل غيره المتاعب والمشاق . . وبهذه الوسيلة وحدها يستطيع المواطن أن يصون نفسه وغيره معا فى وقت واحد

وحيث أنك قد سلكت طريقاً آخر حتى اليوم ، فقد فتشت دائما عن منافعك فى خارج المجتمع ، ولم تفكر إلا فى نفسك ... وقد أدى بك ذلك إلى أنك زدت ضعفاً على ضعف وانحطاطاً على انحطاط وعشت حياة كلها قلق واضطراب . .

أما وقد اعتزمت الآن أن تصبح حرا ، فإنه يتحتم عليك أن تسعى لتهذيب نفسك وتتفقه فى قوانين بلاد الأحرار وتعمل بمقتضاها ...

يجب عليك أن لا تبقى فى معزل عن الاهتمام بمصير المجتمع الذى أنت أحد أفراده ، بل عليك الالتفات إليه والحفل بحقوقه ، ورعاية مصالحه وشرفه وكرامته ، والتفكير فى شؤون فقرائه وأطفاله ، والانتساب إلى الجمعيات الخيرية التى تعنى ببذل المساعدة والمعونة لهؤلاء وبالدفاع عن حقوقهم وبتعميم التعليم بينهم وغير ذلك من الأمور التى تكفل للجميع سعادتهم وهناءهم

وعليك أن تعلم أيضا أنه ليس فى هذه فرد واحد لا يتصل بمواطنيه الآخرين بأكثر من ست روابط وطنية واجتماعية فى وقت واحد ، وهذا هو السبب فى أن مس الواحد منهم قيد شعرة يثير روابط الجميع ، فيتحرك الكل وكأنهم شخص واحد ...

— ياله من مجتمع سعيد !

«يتبع» أحمد مصطفى الخطيب

جوته ، فنراه بشوشياً مشغولا ونادراً ما كان يتكلم عن أدوائه وأوصابه، وإذا ماتكلم عنها فبلغة شخص ثالث كأنه يعتز بأيامه التي بقيت فى حوزته. على أننا نستطيع أن نقول إن أعظم أعماله الشعرية تعود إلى هذه الفترة ؛ خصوصا إذا تذكرنا كم وكم من أضراب روسو من الأدباء والشعراء السطحيين (١) الذين نحلوا وذابوا أسى ، على الرغم من المواهب التي أوتوها — لأنهم أصيبوا بأمراض عصبية انتهت بكثير منهم إما إلى الجنون وإما إلى التعاسة المهلكة ، على أن شلر — وهو فى مثل هذه الأوضاع نفسها — كتب أعظم تأملاته وأحسن رواياته من (ولنشتاين) إلى (وليم تيل)

يقال إن هذه المحن لا يمكن تحملها إلا بالاعتماد على ركيزة الدين وحده ، ونحن نقول إن شلر كان له دينه الخاص . . وكان متعبدا وناسكا . . ولذا فهو لم يحتج فى آلامه الأرضية إلى دعامة سماوية تسنده ، بل اقتصر على الدعامة المثالية فى تحمل أوصابه فى مثل هذا العالم البائس المريض

هل لنا أن نتكلم عن سعادته ؟ وا أسفاه ماذا يعنى سمو العبقرية غير معدة قوية وشهية ممتازة ! . . أو لا تعنى حتى كلمة روح معنى المعدة فى بعض اللهجات السكالفونية ؟ أليس الجلوس فى راحة والتمتع بالمشهيات والروائح العطرية والاستمتاع بالماضى والحاضر والمستقبل والإخلاد إلى الأحلام واليقظة بين الفينة والأخرى ما يدل على الطمأنينة والسرور والحياة الهانئة والبهجة الدائمة والسعادة الكلية

إن الأمر بالنسبة إلى العبقرى المريض لا يتعدى كما يقول شلر (عالمه الذهنى المثالى الداخلى الذى ينخره الداء التباطئ ويستنزف جماله ويعصف به عصفا شديدا ، فلا يبقى منه إلا اليأس والقنوط والمرارة وإلا الحرمان الذى يلازمه حتى النهاية المرعبة) ولم يكتف شلر بهذا بل نراه يستطرد فى ذلك فيقول (الويل لمن تضطرب إرادته وتخور عزيمته وتنحنى رقبته أمام نير هذا العدو الجديد ! لأن البطالة والخيال المشوش يسيطر عليه وتطلق سراح أنوف الشياطين لتضايقه وتعذبه حتى تجننه. واأسفاه ! إن عبودية الجزائر (٢) تعتبر حرية إذا قيست إلى الآلام التي يعانيها العبقرى المريض الذى انهد قلبه ورزح تحت كابوس بالآلام . فسكنه الطينى يصبح سجنا مظلما كما تصبح أعصابه منازل للقرف والعذاب، وروحه موئلا للعزلة السوداوية ، ويظل فريسة لأشباح القنوط ، ويندو متحجرا من جراء ازدياد الألم ، محكوما عليه بالموت فى قيد الحياة وبالشعور بالوجود الأليم ، لا حول له ولا قوة ولا حتى شعور بها ، ومن الفزع أن يضع الموت أو فقدان الوعى التام حدا لمثل هذه التعاسة (٣)) ومهما تكن الحالة مثيرة فعلينا أن ننظر إليها نظرة عطف لا نظرة استخفاف وتجرد . وعلى كل حال نقول إنه من العار على العبقرى أن يتشكى . أليس فى نفسه نور من السماء ليست عروش الأرض ببهائها إلا ظلاما بالقياس إليه والمقارنة به ؟ والرأس الذى يلبس مثل هذا التاج يأبى أن يرقد بقلق . إذا كان هذا النور السماوى هو الذى أعان سيمون السورى (٤) على أن يصمد فى أعلى عمود التعذيب دون أن يتزحزح إيمانه قيد أنملة ، فكم بالأحرى أن يكون الأمر كذلك إذا كان هذا النور مباشرا ووضيئا صافيا وخالصا من كل شائبة ؟ وإلا فدع حكيم العصر يتألم من الأوصاب والرزايا التافهة فى صبر وأناة ؛ أو يعترف بأن المتعصبين القدامى كانوا أصدق منه تعبدا وأصفى سريرة وأرهف إحساسا . وقد يحدث بين الحين والآخر أن يعرض فى بعض المجالس الأدبية والنوادى الثقافية حديث السعادة ، فينسى السادة المتناقشون شرابهم ليتكلموا فى السعادة وعما إذا كانت هى الغاية الرئيسية من حياة الإنسان ، وأغلبهم يؤيد رأى بوب القائل بأن السعادة هى غرض وجودنا وهدفه ، ولكن المعارضة لا تكتفى بهذا بل تريد أن تفهم لماذا تكون الطبقة الجاهلة أسعد حالا من الصفوة المختارة . ومع ذلك فنحن لا نريد أن نستبدل أما كننا بهم؛ أليس مكتوبا أن زيادة المعرفة زيادة فى الحزن ؟ أليس مكتوبا قولهم تعلموا الحكمة واستزيدوا من العرفان لأن فى

(١) هذا رأى الكاتب الكبير وليس لنا إلا أن ننقله بأمانة المترجم

(٢) هى بلاد الجزائر المعروفة وقد كانت آنئذ مسرحا لسوق النخاسة

(٣) حياة شلر ص « ٨٥ »

(٤) شهيد من شهداء المسيحية الأول

هذا بداية الخير ؟ فإذا كان تعليمكم صحيحا فلماذا نشق فى النضال بكل قوتنا إذا لم يكن ذلك فى سبيل الحصول على السعادة والنجاة من الآلام والأوصاب ؟

وهكذا تظل السعادة بين الأخذ والرد بين هؤلاء الناطقة من دون الوصول إلى نتيجة قطعية مقنعة، وهذا ما يجعلنا مضطرين إلى تركها على ما هي عليه من ارتباك وتخبط . ولكن هناك بعض النفوس الجدية التي لا تعتبر الحقيقة لهوا ولعبا بل (ماهية) الحياة. وهم لا يعتبرون الأشياء الظاهرية الجامدة إلا اعتبارا تافهـا ، بل يهمهم قبل كل شيء (النداء الداخلى) هذا النداء الذى إذا توقف فلن يفيده حتى استحسان الملايين من الناس . فإذا ما عثر هؤلاء على الحق الذى يحثون للاهتداء إليه بكل تشوق وبكل قلق سعوا إليه جاهدين بغض النظر عن الخير والشر وأصبح الهـدف الذى يسعى إليه الإنسان

إن أصل هذه القضية ناشئ — كما هـو الحال فى كثير من القضايا تحت الشمس — من الاضطراب اللغـوى ، فإذا كانت السعادة تعنى اليسر فى العيش ، فمن حق كل شيء أن يسعى لتحقيق مثل هذا اليسر ، ومن جهة أخرى ، فإذا عنينا بالسعادة والإحساسات السارة ، كما هو رأى الكثيرين من النـاس ، فعندئذ يظهر عندنا شك فى القضية من الأساس . أما إذا تبصرنا بدقة فى الحقيقة القائلة بأن فى الإنسان شيئا أرفع من حب السرور ، بأى معنى كان هذا السرور ، فإننا نجد أن المعلمين والمبشرين كانوا يعيرون هذه المسألة ما تستحقه من التفات بالغ منـذ بداية نشوء العالم ، وسيستمر ذلك إلى نهايته ، إن كانت له نهاية . وطبيعى ألا يخلو عصرنا الحاضر من الأشخاص الذين يصرون على هذه الحقيقة ويؤكدونها . وماذا يفعل القارئ بهذه الجملة الصغيرة من (رسائل شلر الجمالية) وهى تخص تلك المسألة القديمـة ومسألة تحسين الأنواع ؟ انظر إليه كيف يعالجها بهذا الأسلوب الطريف إذ يقول « إن أول المكاسب التى أحرزها البشر فى مملكة الروح هو الخوف والقلق ، وهما نتيجتان من نتائج التعقل وليس الإحساس ؛ ولكن العقل أخطأ فى هدفه كما أخطأ فى طريقة التطبيق . وثمار هذه الشجرة بالذات هى السعادة سواء كان ذلك بالنسبة لليوم العابر أو لكل الحياة ، وهذا لن يزيدهم ذرة من الاحترام مدى الأبد . فاستمرار الوجود اللانهائى والسعادة لفرض الوجود والسعادة بحد ذاتها يخصان الشهية وحدها ، وهى عبارة عن كفاح الحيوانية التائقة إلى الخلود . وهكذا بدون أن يحرز هذا الإنسان أى شيء لإكمال رجولته الذهنية نتيجة هـذا المجهود العقلى ، نراه يخسر حيوانيته السعيدة ، فيفقد الحاضر فى محاولته اليائسة لكسب المستقبل اللامحدود الذى لم يقصد لذاته بل الذى قصد هو الحاضر إليه بذاته (٥)

والظاهرة الوحيـدة التى يتميز بها عصرنا هذا هو السعى فى سبيل الخير الحسى والسرور الشخصى فى أى شكل كان ، وهى الغرض الذى يسيطر على عمل الإنسان وواجبه ، وإذا كان فى قطيع الإنسانية عبيد للشهوة والشهية من أمثال أبيقور ، فإن هذه الإنسانية لن تعدم بعض الرجال ذوى الرسائل العليا لتحقيق القيمة الروحية للانسان ، وأن هذه القيمة ليست ميزاناً تقاس فيه الحوافز المختلفة؛ بل إن الروح شيء حى ذو قوة وحرية وهى تقوم بخدمة الحق والفضيلة والخـير . ولكن الأوضاع فى الظروف الحاضرة تقاس بمقياس أقرب ما يكون إلى التعقل والرزانة . فمن جهة نرى أن الطريق الهـادى الذى يقوم بتعبيده كثير من الأخلاقيين ، ومن جهة أخرى نرى الاضطراب سائدا فى صفوف الجماهير فى هذا السجن — الذى ندعوه بسجن الحياة — وزعماء هذه الجماهير يجعلون من المنفعة إله هـذه الأيام ، والبنتاميون (٦) يمثلون المجلس الروحانى الأعلى لهذه الطائفة التى ديدنها السعى لملء بطونها وحسب ، وبالرغم من أننا لا نملك موهبة التنبؤ ، إلا أننا يمكن أن نقول إن هذه النار التى تتأجج فى صدور الكثيرين من الناس ذوى النفوس المخلصة ستنتهى بمعركة حامية الوطيس حاسمة المصير ، ومحور هذه المعركة سيكون بين العقل والمادة؛ ولكننا فى هذا الذى نقوله خرجنا عن سواء السبيل .. وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى إذا سمح لنا الوقت بذلك

السلام صلة يوسف عبد المسيح ثروت

(٥) الرسائل الجمالية لشلر ص «٢٤٥»

(٦) هم أتباع العالم الاقتصادى الانجليزى بنتام

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

ونعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

تلك المآثم ، ما تزال ثقالها تمشى الوئيد[1] بها المطايا الطلح[2]
أخذوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم جند (بآيات الكتاب) مسلح
فيهم من الأنصار كل مشيع يمضى إذا نكص اليراع الزمح[3]
كانوا على عهد مضى ، فأتمه لإلههم عهد أبر وأسمح[4]
(سعد) يهيب بهم و (سعد) قائم تحت اللواء بسيفه يتوشح[5]
ما أصدق (المقداد) حين يقولها حرى ، وبعض القول نار تلفح[6]
إنا وراءك يا (محمد) نبتغى ما الله يعطى المتقين ، ويمنح
لسنا بقوم أخيك (موسى) إذ أبوا إلا القعود ، وسبة ما تضرح[7]
هذا (على) فى اللواء و(مصعب) والنصر فى عطفيهما يترنح[8]
حملا لوائيه ، فلو صدح الهدى فى مشهد جلل ، لأقبل يصدح
هذا (رسول الله) من يك مؤمنا فإليه ، أن طريده لا يفلح

(١) المشى فى بطء

(٢) طلحت المطايا أعيت

(٣) اليراع الجبان والزمح الضعيف

(٤) خرج الأنصار فى هذه الغزوة لأول مرة لأنهم حين بايعوا النبى بالعقبة قالوا له : إنا براء من ضمانك -- أى مناصرتك ، إلا أن تكون فى دارنا ، فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود : يا رسول الله إمض لما أمرك الله ، فنحن معك ، لسنا نقول لك ماقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك إلى آخر ما قال

(٥) الأول سعد بن عبادة ، كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج وقد لدغته — رضى الله عنه — حية فتخلف ، قال النبي لئن كان لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصا ، ثم ضرب له بسهمه وآجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به

(٦) لفحته النار أحرقته

(٧) ضرح الشئ دفعه ونحاه

(٨) عقد النبى صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع على ابن أبى طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ ، وقيل الحباب بن المنذر ، ولبس النبى درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب)

الموت فى يده ، وعند لوائه ريح الجنان لمن دنا يستروح[9]
إن يملك الماء العدو[10] فقد همى سيل جرى شؤبوبه يتبطح[11]
هى دعوة (الهادى الأمين) ونفحة ممن يسوق الغيث فيما ينفح
مكر (الحباب[12]) بهم فغور ماءهم والمكر فى بعض المواطن أنجح
نبى‍ء (عمير[13]) سراة قومك إنهم زعموا المزاعم ، والحقائق أروح
نبئهم الخبر اليقين ، وصف لهم بأس الألى جمعوا لهم وتبجحوا
واذكر سميك[14] إذ يقول (محمد) إرجع (عمير) فدمعه يتسجج
أذن (النبى) له فأشرق وجهه ولقديرى وهو الأحم الأكفح[15]
بطل من الفتيان ، يحمل فى الوغى ما يحمل البطل الضليع فيرزح[16]
قل يا (حكيم[17]) فما (بعتبة) ريبة مولى العشيرة للمهم يرشح

(٩) استروح الشئ تشممه

(١٠) سبق المشركون المسلمين الى الماء ، فلقى الأولون عناء ، ودعا النبى فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش ، وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام

(١١) تبطح السيل اتسع فى البطحاء وسال عريضا

(١٢) الحباب بن المنذر ، أشار على النبى أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل ، وأمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشا شديدا ، ووهنت قواهم

(١٣) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش يرى كم عدد المسلمين، فجال بفرسه حول المعسكر وعاد يقول : يامعشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن يقبلوا الى أهليهم ، زرق العيون ، كأنهم الحصى تحت الحجف ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم

(١٤) عمير بن أبى وقاص ، أخو سعد بن أبى وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة ، فأمر النبى برده لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال

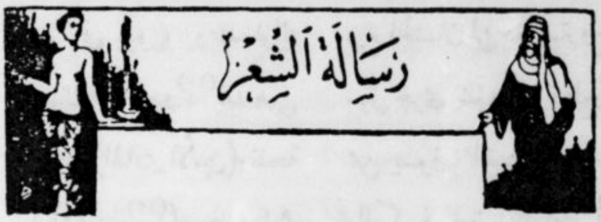
(١٥) الأحم والأكفح ، كلاهما بمعنى الأسود

(١٦) الضليع القوى الشديد الأضلاع ، والرازح الهالك هزالا

(١٧) حكيم بن خرام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : ياأبا لبيد ، انك كبير قريش وسيدها المطاع ، هل لك أن تذكر بخير الى آخر الدهر ؟ فقال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس ، وعليك أن تحمل دم الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد ، فى سرية ابن جحش ، وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم ، فانك ذو مال كثير ، وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول : يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى ، وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى ، وقولوا جبن عتبة !

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم



فرحة الشعر فى موكب التحرير

للأستاذ علي متولى صلاح

دعوا الشعر فى أفراحه يترنم   فقد عاش دهراً فى الأسى يتألم
طوته يد كانت على الناس نقمة   وكانت جحيما لا يبر ويرحم
وكانت على الأحرار فى مصر محنة   تبدد من أنفاسهم وتكمم
ففى كل ما خور سلام ونعمة   وفى كل دار للأعزة مأتم
وكل أبى راسف فى إساره   تقيده الأغلال والنار والدم
وكل مهين العرض .. ملق بعرضه   على قدم الطاغى .. يغنم ويكرم
وهانت خلال البر ، وارتفع الخنا   وراجت لركب الشر سوق وأسهم
خلائق من وادى الضلال معينها   ومن نفثة الشيطان تسقى وتلهم..

* * *

سقى الله يوماً كان فى مصر فيصلا   يحف بجنبيه رضاً وتبسم
أطل على مصر فأشرق ثغرها   وقد ظل دهراً ثغرها يتجهم
وألقى برأس البغى فى اليم .. قائلا   مهادك هذا .. والمصير جهنم
وزلزل ما أرسى الطغاة وهيأوا   ودمر ما كانوا أعدوا وقدموا
فطاحوا وطاحت شاهقات أثيمة   وراحوا .. وراحت خلفهم تتهدم

* * *

وهبت على الوادى الكريم نسائم   تسوق إليه المكرمات وتنعم
أظلت ضفاف النيل منها برحمة   أفاء لها الحيرى .. وفى ظلها ارتموا
تساووا فما فيهم مسود وسيد   وعزوا فما فيهم سراة وخدم
وذلت أنوف كان صعباً قيادها   ولانت خدود كان فيها تورم

* * *

فسيرى إذن يا مصر فى موكب العلا   ولا تتوانى ... إن دهرك يبسم
خذى بسبيل الجد وامضى لمنزل   أرائكه يا مصر شهب وأنجم
تهيأت الأسباب للمجد كله   ولم يبق دون المجد إلا التقدم
عمادك فتيان أسود ضراغم   فعالهمو نار .. وأقوالهم دم ...

على متولى صلاح

وثبة الجيش

للأستاذ عبد العزيز مطر

من ذلك البطل المغوار يتبعه
جيش من النجب الأبطال جرار ؟
من ذلك الحر ؟ قد قضت مضاجعه !
إذ قيل ليس بوادى النيل أحرار !!
من قال للظلم (قف من أنت ؟) يقمعه
فاهتز من خشية المقدام جبار !!
من فجر النور إذ عزت مطالعه ؟!
من حطم القيد إذ للقيد أنصار ؟!
هذا هو السيف ، أيدى الله تشرعه
على الطغاة ، وسيف الله بتار !
هذا نجيب ، لواء الله ، يرفعه
يعلى به الحق ، إن الحق قهار

* * *

فى مطلع الفجر هب الليث محتدما   غضبان ، يزأر فى النوام أن يثبوا
هانت كرامتكم ، ضاعت مهابتكم   فالعرض منتهك ، والمال منتهب
أرواحكم أزهقت من بغى شرذمة   لا تعرف الحكم إلا أنه سلب
جاءوا بأسلحة للجيش فاسدة   ترتد ضاربة قلب الألى ضربوا
زادت مفاسدهم ، فاضت مساوئهم   طالت علينا السنون السود والنوب

* * *

كانت مقالته فى الأفق سارية   وجنده النجب الأبطال قد وثبوا
فسددوا ضربة للظلم قاصمة   ترنح الظلم منها وهو ينتحب
فلن ترى الأرض إقطاعا ومفسدة   لن يسكب الدمع فيها مرهق تعب
لن ينهب الزرع منها متخم جشع   يرضى هواه ليردى غيره السغب
فثورة العدل والإنصاف منطقها   لا يحرم الخير من يمسسهم النصب

* * *

تقبل الغرب بالإعجاب ثورتنا ...   واستبشر الشرق بل تاهت بها العرب
ولن أصور ما بالنيل من طرب   فكل شئ به قد هزه الطرب

عبد العزيز مطر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

حقوق المؤلفين

أثار الأستاذ الدكتور طه حسين في مقاله بالأهرام في الأسبوع الماضي موضوع حقوق المؤلفين ، وبين أوجه الصراع بين المؤلف والناشر

ولاشك أن الذين عانوا طرفا من هذا الصراع ، يذكرون مدى الجهد الذي تكبدوه من معاملة الناشرين ، أو على الأصح مع بعض الناشرين

فالمؤلف محتاج إلى أن يجد من أدبه موردا ييسر له الحياة كما تيسر لرجال الصحافة والموسيقى والغناء ..

والمؤلف ، إلى ذلك هو أقل زملائه من رجال الفكر والفن مكانا ، فلم يعد الآن للأدب الرفيع وللانتاج الخصيب مكان مرموق بعد أن غلبت الألوان الصحفية والمكشوفة والخفيفة ، وارتفعت أجورها وتقديراتها ، حتى أصبح من غير المعقول أن يعيش أديب من سن قلمه

وإني لأذكر كلمة قالها لي المرحوم الدكتور زكي مبارك سنة ١٩٣٥ وكنت عولت على أن أنقطع للأدب .. قال « إن أديبا ما في مصر لا يستطيع أن يعيش من قلمه ، ولو كان طه حسين أو الزيات . وإن كل أديب مهما كان من القوة أو الشهرة محتاج إلى عمل آخر إلى جوار أدبه يعيش به ، وهو إما أن يكون الصحافة أو التدريس »

والحق أن أديبا من الأدباء لم يستطع بالأدب وحده أن يكون قويا من الناحية المادية بحيث يستطيع أن ينصرف بالأدب عن غيره ، أو يقتصر عليه

لقد استطاعت الصحافة أن تضع الأدب في الدرجة الثانية منها ، وأن تغلب عليه السياسة وطرائف الأخبار والصور ، ثم جاءت الإذاعة بألوانها المختلفة ، التي تقصد إلى الترفيه والتسلية ، قبل الثقافة والتوجيه ، فاحتلت الأدب درجة أخرى فأصبح في الدرجة الثالثة ..

وجاء اليوم الذي أصبح الأدب فيه غذاء فئة قليلة من الصفوة المختارة التي تحبه ، لأنه فن رفيع ، أولئك الذين يتسع وقتهم له..

وكذلك العلم اليوم ، وكذلك كل فنون التأليف — ماعدا التأليف المدرسي والجامعي — قراءه قلة ، ومن ثم فقد حق أن يكون هناك قانون يحفظ لهؤلاء العلماء والأدباء حقوقهم ، ويرد عنهم طغيان الناشر الذي قلما يكون عالما بتلك الكنوز التي توضع بين يديه لإخراجها للناس ، وهو لا يقدرها من هذه الناحية أبداً وإنما يقدر مدى إعجاب القراء لها ، فهو يتخير منها الأنواع التي يراها صالحة للتجارة فحسب

ومن قبل ، مات أدباء ، فلم يجد أهلوهم ولاأبناؤهم من ورائهم شيئا .. كانت أسماء هؤلاء الأدباء تملأ ما بين المشرق والمغرب ، وكانت مؤلفاتهم المتعددة في كل الأيدي ، ومع ذلك فلم يكن من وراء هذه المؤلفات مال كثير أو قليل يمكن أن يجده أبناء هذا الأديب . لقد باع المؤلف الضخم الاسم ، الفقير ، حق مؤلفاته للناشرين لقاء مبالغ تافهة قليلة كسب الناشر عشرات أضعافها بل لا أغلو إذا قلت مئات الأضعاف

وقد أشار الدكتور طه حسين إلى المؤتمر الذي عقد في جنيف في أغسطس الماضي ، ليضع حق المؤلف في صورة اتفاق دولي وإن كانت مصر لن تستطيع أن تشترك في هذا الاتفاق الدولي ، إلا إذا أصدرت قوانين حماية المؤلف في مصر أولا .. وهناك قانون تنظيم حق المؤلف في مجلس الشيوخ ، وهناك آخر في مجلس النواب ، ناما منذ أمد في المهد النابر . وفي إشراقة العهد الجديد الذي يضع الأسس الصالحة لغد أفضل ، نرجو أن يتحقق للمؤلف وضعا كريما يمكنه من أن يتفرغ للانتاج ، ويتجرد للعمل الخالد الباقي

بدء الموسم الأدبي

من الأسئلة التي ترددها دوائر الأدب : هل العام الدراسي هو عام الإنتاج الأدبي ، أم العكس هو الصحيح ؟ وهو أن موسم

الأدب يبدأ عندما تنتهى الدراسة . والحق أن الصيف لم يكن حتى الآن — فى مصر — موسما أدبيا ، فلابد أن يكون بدء الموسم الدراسى ، وإقبال الخريف ، هو علامة الفصل الذى تنشط فيه دوائر الأدب والفن .. وبعد قليل ستحفل صفحات الجرائد بباب « محاضرات اليوم »

ونحن نتوقع أن يكون الموسم هذا العام خصبا ، وأن أصوات المفكرين ستتداعى إلى الإصلاح والإنشاء والبحث ، فى حرية وقوة وطلاقة ، وقد أظلها العهد الجديد بعد أن رفع من كرامة « الإنسانية » .. هذه الكرامة التى سيظهر أثرها فى انطباعات نفوس الأدباء والمفكرين ، ثم فى إنتاجهم !

أدب الثورة

ولن يتأخر طويلا أدب الثورة .. فلا شك أن الحرية والكرامة .. التى هى طابع العهد الجديد ستعطى للمفكر مشاعر جديدة .. ستملأ نفسه بالقوة . إن كل مشروع ، وكل إنتاج ، وكل عمل صالح يدرس الآن بعناية ، وتتلقفه أيد أمينة ، ونفوس مليئة بالحيوية .. تريد أن تنشر الضياء على كل مرفق من مرافق الحياة .. فما بالك بقلب الحياة : الأدب والفكر

لقد انتقلت مصر فى لحظات من الهزل البغيض إلى الجد الصارم ! هذا طابع العهد .. وهو طابع العهد

العمل ، الوقت ، المشاريع ، الإصلاح ، الغربلة ، التنقية !

سوف تختفى من النماذج الإنسانية صورة « المتوا كل » و « اللص » و « الخطاف » و « الأثيم »

وسوف تختفى « المرأة » الجاسوسة ، أو المسيطرة على الزعماء

وسوف تختفى صورة « الخادم » الذى يملك من السلطان أكثر ما يملك الوزير !

ستكون النماذج الإنسانية الجديدة ، قوية ، حية ، عليها سيماء النقاء والطهر ، ستكون أهداف الأدب الجديد عالية ، فى سبيل الوطن والحق والمثل العليا

لقد خلفت مصر وراءها روح الجمود ، واليأس ، والحقد ، والصراع على المطامع ، وبدأت صفحة جديدة من الوحدة ، والتعالى عن الرغبات الشخصية ، وسيمتد هذا الأثر ليس إلى الأدب والفكر وحده ، ولكن .. إلى المسرح ، والصحافة ، والإذاعة ، والنحت والموسيقى ، ونحن نرى البوا كير هذه الأيام فى مسرحيات جديدة قد اختفت منها تلك الغرائز المهدهدة ، والمناورات السخيفة ، والنزوات الطائشة ، ونرى قصائد وأغانى فيها روح الثورة . .

ونأمل أن نرى على الأيام فنا أقوى .. يتجه إلى السماء !

الأدب فى سوريا

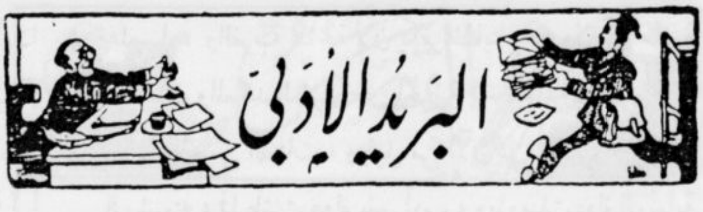
فى مجلة « الوعى » .. هذه المجلة الأدبية الإسلامية الأنيقة ، فى عددها الجديد الذى صدر هذا الأسبوع كلمة عن الأدب فى سوريا بمناسبة العهد الجديد ، رأيت أن أنقلها تسجيلا لأثر العهد الجديد هناك ، فقد كتب الأستاذ زكى المحاسنى يقول « فى سورية الحاضرة ، أدباء وشعراء وأهل نقد ، وفنون ، بعضهم جامعيون ، وبعضهم مدرسون ، وبعضهم من أهل المجمع العلمى السورى ، ويعدون من أهل الصحافة أو الوظائف ، وفيهم أشياخ وشبان ، وبعض نسوة وفتيات ، ويغلب على شيوخ هذا الأدب التوحد والتفرد والتحيز ، وليسوا كثيرا ، فهم أفراد معدودون ، لكل منهم مذهب فى الحياة الخاصة والعامة ، غير أنهم يتجهون « لأدب الشباب » إذ يؤثرون أن يكون « أدب الشباب » قويا نزاعا إلى اللغة الحرة والبيان الراق

من أولئك الشيوخ شعراء ، لم يستطع شعرهم بعد شوقى وحافظ ومطران أن يحلق فى أجواء هؤلاء الخالدين . أما أهل النثر منهم فمنطوون على أنفسهم ينفس الواحد منهم عن أدبه بين السنة والسنة بمقال ، ولم ينشطوا إلا قليلا إلى نشر المؤلفات النافعة ، ولكن أولئك الجدد المنطلقين من قيود الماضى ، وهم رعيل الكهول والشباب يأخذون فى «بناء» أدب سورى جديد يرجى نفعه ، وإن لهم لنزعات نحو أدب الشعب قد تكون صالحة لزماننا هذا أكثر من صلاح أدب الأبراج العاجية » اهـ

إن سوريا هى الأخرى قد انتقلت إلى الجد الصارم وكذلك لبنان

ولذا فنحن نتوقع للأدب العربى جميعا فجرا جديدا

أنور الجندى



« الله ويردى »

حضرة الأستاذ رئيس تحرير مجلة « الرسالة »

قرأت فى الرسالة الغراء ما كتبه الأستاذ عبد اللطيف محمود الصعيدى عن (ميشيل الله ويردى) ناظم (وحى البردة) ويقول الأستاذ عبد السلام إن (اسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين) . وعائلة الله ويردى هى عائلة أرمنية مسيحية كاثوليكية لها صلة قريبة بعائلة المرحوم يعقوب أرتين باشا ابن المرحوم أرتين بك الذى كان من وزراء محمد على الكبير

علمت ذلك من المرحومة كريمة أرتين باشا عندما أرادت أن توقف أملاكها قبل وفاتها، إذ استدعتنى ذات يوم وطلبت منى أن أتولى تحرير مشروع عقد الوقف وطلبت النص فيه على تعيين حصة لإحدى السيدات سمتها باسم (الله ويردى) فسألتها ومن هى هذه السيدة ؟ فقالت إنها سيدة مقيمة فى باريس ومن ذوى قرابة والدتها (بنت عمة أو بنت خالة) على ما أذكر . فهل هذا الشاعر ميشيل الله (ويردى) ينتسب إلى هذه العائلة ؟ الله أعلم فليسأل !

عزيز خانكى

إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

عندى سؤال تحيرنى الإجابة عنه ، وقد رأيت أن أعرضه على صفحات الرسالة لعل الأستاذ الدكتور الأهوانى أو أحد زملائه من أساتذة علم النفس يتفضلون بالإجابة عنه فى وقت سريع

وخلاصة ما أود أن أقوله : أننى مدرس أديب ، أقرأ جيدا ، وأكتب جيدا ، معبرا عن خواطرى فى دقة ووضوح ، وقد أخذت أشعر منذ عام بحدث غريب يقطع على متعة القراءة ؛ فما أكاد أطالع بضع صفحات من كتاب أو صحيفة ، حتى يأخذنى النوم ويقع الكتاب من يدى، مع ما أشعر به من وضوح المعنى المقروء والتمتع به تمتعا زائدا ، صباحا كان ذلك أو مساء . فمن يرشدنى إلى التخلص من هذا النوم المفاجئ ، مع أنى أنام يوميا مدة طويلة تناسب سنى ، وتطابق الوجهة الصحية . أرجو أن تحمل لى الرسالة ردا سريعا فى وقت قريب

(متألم)

عتاب

نشر صديقنا الشاعر الأستاذ كمال نشأت مقطوعة جميلة بعنوان « حياة جديدة » بمجلة الأديب اللبنانية عدد أكتوبر لم نستسغ منها قوله :

أمشى وفى عينى (آلام المسيح على الصليب)

فان الله يقول « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »

يا أخى :

نحن مسلمون فى بلد مسلم ! والفن ينبع من المجتمع، ورسالته حتما للمجتمع ، وليس الفن للفن كما يزعمون ...

عبد المنعم أبو سيف

رد ونقد

خطأ أحد الباحثين استعمال « تعاهدنا على تحقيق أهدافنا » وأقول إن الاستعمال صحيح وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى المصباح المنير : الغرض الهدف الذى يرمى إليه ، وتقول غرضه كذا على التشبيه أى مرماه الذى يقصده اه

وجاء فى لسان العرب : الغرض هو الهدف الذى ينصب فيرمى . . . وغرضه كذا أى حاجته وبغيته ، وفهمت غرضك أى قصدك اه

وجاء فى مستدرك شرح القاموس : ويقال : غرضه كذا أي حاجته وبغيته

قال شيخنا : قد كثر حتى تجوزوا به عن الفائدة المقصودة من الشىء وهو حقيقة عرفية بعد الشيوع لكونه مقصدا وقبل الشيوع استعارة أو مجاز مرسل اه

وجاء فى أساس البلاغة : ومن المجاز فلان هدف لهذا الأمر وغرض له اه

من هذا يتبين للقراء أنه لا فرق بين الهدف والغرض فى جميع المعانى الحقيقية والمجازية ، وأنت تقول : حققت غرضى أو مطلبى ، وتحققت أغراضنا أو مطالبنا ، وقد أجاز الكاتب الفاضل استعمال « تعاهدنا على تحقيق مطالبنا » فإذا كان هناك فرق بينهما فليبينه

وقد خطأ استعمال « يهدف إلى كذا » وأقول إنه أنه صحيح أيضا كأصله السابق لأن المعنى يتجه ويقصد ويدخل ويسرع إليه كما يتجه السهم أو القذوف إلى هدفه

وأرشدنا الأستاذ إلى الاستعمال الصحيح الوارد في اللغة ؟ ! وهو (استهدفه) ولم أجد استهدفه متعديا في جميع المراجع التي بين يدى . . .

علي حسن هلالي

(الرسالة) أقر المجمع اللغوى هذا الاستعمال

جناية الحزبية على الأدب

إن الحزبية البغيضة فى مصر شر كلها ، بل هى مزيج مركب من شرور لا حصر لها . وحسب مصر من شرورها أنها مزقت الوحدة ، وفرقت الكلمة ، وأصابت روابط الأخوة والمودة بالوهن ، وبذرت فى النفوس بذور الإحن والفرقة والبغضاء ، وفى الصدور بذور الحقد والعداوة والشحناء ، وغرست فى تربة مصر الأنانية الممتزجة بالجهل ، والمهاترة المشوبة بالتوتر

أما جناية الحزبية البغيضة على الأدب فهى أجل من أن توصف ؛ فالشباب هو التربة الصالحة للأدب والبيئة التى يجب أن تهيأ له ، ومن أين لمصر الشباب الذى يتجه فى حياته نحو الأدب ، والحزبية البغيضة المشوهة لم تدع له فرصة للاشتغال به ، ولسلوك نهجه ، وللاغتراف من منهله

وقد كان من الممكن للأدب أن يكسب أنصارا من طلبة الجامعات العلمية وهم أجدر بنصرته ، ولكن الحزبية البغيضة تسللت داخل أسوار الجامعة ولم تدع قليلا ولا كثيرا إلا ساقته فى موكبها ، وضمته إلى شيعتها ، اللهم إلا النادر الذى لا يعتد به ، والذى لا حكم له بجانب الكثرة الساحقة ، التى اتخذت من الحزبية البغيضة مهنة تمتهنها ، وحرفة تحترفها ، وأصبحت لا تقدم لمصر إلا المهاترة والمناوشة والثرثرة على ضوء التعصب للأحزاب والزعماء ، وعلى حساب مصر المنكوبة فى شبابها وهم عصبها وعدتها وأملها فى المستقبل القريب والبعيد

نعتقد أن حركة الجيش تعتبر نهاية للحزبية البغيضة القائمة على غير مبادئ أو أهداف ، والتى يجب أن تكون اليوم فى ساعات الاحتضار الأخيرة ، لتلفظ أنفاسها غير مأسوف عليها ، والفرصة سانحة لأن يكفر شبابنا — ولا سيما طلبة الجامعات والمعاهد العلمية — بالحزبية البغيضة ، ويودعها بالدع ما تستحقه من اللعنات ، ويقبل من الآن على الأدب ، وينضم إلى شيعته ، فما عاشت دولة بغير أدب ، وما وصلت دولة إلى نهاية المجد إلا بالأدب !

وها نحن أولاء فى الانتظار ..

نفيسه الشيخ

لقد دالت دولتهم

لو حاول الإنسان أن يحصى الأمثلة على جحود الإقطاعيين واستهتارهم لأعجزه الحصر.. وحسبنا أن نسوق اليوم قصة إقطاعى بلغ به الاستهتار حد الكفر — والعياذ بالله — وتلك نقمة الغنى تدفع بصاحبها أحيانا إلى حد الجنون ، أو الكفر . . وكلاهما لا يرضاه إنسان لنفسه !

فقد سمعت أن إقطاعيا كان يدعو إليه فلاحا من فلاحيه ، ويأمره أن يدعو الله أن يهبه بقرة . . ثم يسأله الإقطاعى الأحمق فى تهكم :

هل وهبك الله البقرة ! ؟ إذن أنا أهبك البقرة . . فيدعوه الفلاح فيأمر له بالبقرة !

هذا منتهى الإجرام فى حق الخالق العظيم ، الذى بسط له فى الرزق ، إلى حد أنساه حق النعمة ، يذكرنا بما قاله « موسى عليه السلام » عن فرعون وقومه :

«ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم »

ويذكرنا بوصف القرآن الكريم :

« ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين »

وبعد . . لقد دالت دولة الإقطاع ، كما دالت من قبلها دول أقامت عروشها على الظلم والطغيان ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ... وتلك قصورهم خاوية على عروشها . . ينعق على أطلالها البوم ... فاعتبروا يا أولى الأبصار

عيسى متولى



الكذبة

للقصصى الروسى بانتليمون رومانوف

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالسا إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب فى غير نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكا بيده غطاء محبرة قد كان رفعه عنها بحركة غير إرادية ، وبصره مثبت فى نقطة أمامه يحدق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقة فى صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها فى الدار ... لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سيرجيفانا » خرجت بغير أن تترك وراءها خبرا

وكانت هذه هى المرة الأولى التى لم تنتظره فيها منذ أن تعارفا حتى اليوم. لقد كان أخبرها بالتلفون أنه ربما استطاع لقياها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه استطاع أن يتحرر بغتة طوال هذا المساء ، إذ كانت زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية عشرة وهو مازال منتظرا . وأخيرا أزفت الساعة الأولى ولما تأت ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به الرغبة فى البقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيرا وقبيل الساعة الثانية دق جرس الباب ففتح لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هى إلا أن فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت يصلح به هيئة وجهه للقياها

كان الثلج قد غطى كمى معطفها وكتفيه ، وكان خداها قد توردا من لفح الرياح المحملة بالثلج ، وعيناها السوداوان مشرقتين بوميض من الغضب والهياج . كان أول ماابتدرته به من الكلام قولها :

— أهلا بك ، أنت هنا ؟

وكان فى صوتها نغمة فرح ودهش يشوبه التكلف . ثم استأنفت قائلة :

— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجىء !

وكانت تقول ذلك وهى تلقى على الغرفة نظرة فاحصة ، فأجابها :

— كلا ، لقدقلت إنى ربما جئت ولكنى لم أكن واثقا تماما من هذا . قال هذا وهو يعيد غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف قبالة صاحبته

— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت فلن تظل أكثر من ساعة

— حسبت أن لقاء ساعة عندك تفضل الخروج مساء ... إلى حيث لا أدرى

فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ، ونزعت قبعتها فنفضت الثلج الذى كان يغطيها على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذى كان قد تراكم على كمى معطفها فى أناة ظاهرة واعتناء . فهز صاحبها كتفيه وبدأ يعينها على خلع ملابس الخروج التى كانت ارتدتها محتفظا بصمته ، ذلك الصمت الذى كثيرا ما يشاهد فى مناظر الشجار والمنازعات ، ولم يخف ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها — فجأة — فقالت تكلمه فى صوت لطيف :

— أجائز أنك لا تصدقنى ؟ واقتربت من حبيبها بجو تشم فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذى كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعت يديها — ولم يكن ليخفى عليه جمالها — على كتفيه ،

غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تقسر عليه نفسها ، إنه متكلف أيضا ! ثم قالت له :

— وفى استطاعتى أن أعدد لك كل حركاتى هذا المساء : كان أحد أصدقائى ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت

عندها بطاقة دخول زائدة فاستدعياني معهما إلى الذهاب ففعلت ، وذلك كل شيء ثم

— فجيئك من الملهى إذا فى هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسها — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة محجلى فعل العائد إلى داره يجد فيه ضيفا غير منتظر ليطمئن على أنه ليس فى المكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء :

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفى ويتتبعها فى كل ما تصنع ، أما هى فكانت تخفى شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتتظاهر بهيئة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة !

... قالت : « وقد خاب ارتقابى مقدمك عند المساء تماما » ، ثم جلست على كرسى كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« ... فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألم تر هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان مازال واقفا فى مكانه ، وعلى وجهه سيماء من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تتم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التى كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع ؛ وكان الممثلون يقومون بأدوارهم وما فى نفوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هنالك فتاة ممثلة جودت فى دور لها متوسط »

وهنالك أدار صاحبها عينيه نحوها وقال لها :

— إنه ليس ثمة سبب يدعونى إلى الشك فى أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزى ، إن شئت أريتك البطاقة » ، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان فى حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلا :

— إنى لا أدرى ما هذا الذى حدث بالضبط ولكنى لحظت من زمن يسير أن علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعنى بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدرى تماما ولكن هنالك شيئا مما أقول . على أنى أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألا تضطرى الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ود قوية ، وفى أمثال هذه العواطف التى بيننا لا يستحسن الكذب أبدا . فلا تحدثينى الليلة بشئ ، ودعى ذلك إلى الغد . خابرينى بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شئ . إن كلا منا حر مطلق التصرف فى نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس . . لنفترق

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

. . كان يسير إلى داره مستعيدا فى ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تحدثه عن الملهى حديث المضيف إلى زائر طرقه ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذبا ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثا عاما مبهما بالطريقة التى يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها المعين لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملاهى عادة !

أما البطاقة .. فمن يدرى ؟ لعلها ابتاعتها .. وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقا وشاهدت الفصل الأول .. ثم .. ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه

فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليها وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيالها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخلده أن يمزق قطعة الورق البغيضة تلك.. غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ..

إنها حقا كذبة إنسان صفيق الوجه ! فيالها من زلة ! إنها كفيلة بأن تخجل الإنسان من نفسه ..

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبابيك طابقه أنوارا ! كأن زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً ، ففى استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه .. غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكرا فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة فى ارتقاب وحذر فى حين أن زوجته كانت خارجة من غرفة النوم مسرعة وهى تشد وسطها بحزام فستانها البيتى ، فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة فى استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد ظللت فى الدار طول المساء هذا ، ذهبت إلى بعض الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة ثم عدت وفى أملى أن أقضى هذا المساء معك فأجابها :

— غير أنى كنت أحسب أنك ستكونين خارج البيت الليلة ، وذلك الذى دعانى إلى الذهاب إلى الملهى ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائى فى الدار وحدى !

— ولكن لماذا أراك متأخرا للآن ؟

— أوه .. إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء فى أعمالهم .. لقد وقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا ، وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !

ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة بحركة تدل على تعبه ، ثم استطرد قائلا :

« وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع فى كل شئ من مظاهرها . وخير ما كان فى الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت فى دور لهـا متوسط ، ولو دريت أنك ستكونين فى الدار الليلة ، إذا لتركت الرواية بعد فصلها الأول !

ف . س

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرىء يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف (جوته) الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

مطبعة الرسالة

العدد ١٠٠٩ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

عدونا الأول : الرجل الأبيض ... : للأستاذ سيد قطب ١٢١٧

الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٢٢٠

الميسر والأزلام ... ... : للأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٢٢٢

تمثال البيت الأبيض ... ... : للدكتور على شرف الدين ١٢٢٦

أدب التاريخ ... ... : للأستاذ خليل رشيد ١٢٢٩

تركيا ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ١٢٣٢

شلر ... لتوماس كارليل ... ... : ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت ١٢٣٤

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم ... ١٢٣٦

الاتحاد . النظام . العمل (نشيد) : للأستاذ على متولى صلاح ١٢٣٨

ثورة ضمير ... ... (قصيدة) : للشاعر محيي الدين فارس ١٢٣٨

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٢٣٩

(البريد الأدبى) — حديث لا يستدل به — جلوب والجيش العربى وحرب فلسطين — وعود الأمس . . ووعود اليوم — تعقيب ١٢٤١

(القصص) — كل لنفسه — للكاتب الكبير اسكندر دوماس «الأب» ١٢٤٣

٣٩٠٣٥

الرواية

تعـــود

و

الرسالة

تتجـــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى ينـاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1009

Le Caire 3 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ صفر سنة ١٣٧٢ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢ » — السنة العشرون

عدونا الاول: الرجل الابيض

للأستاذ سيد قطب

فى أمريكا يتحدثون عن « الرجل الأبيض » كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إله . ويتحدثون عن « الملونين » من أمثالنا المصريين والعرب عامة كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إنسان !

فالذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوربى هم قوم إما مغفلون أو مخادعون ، يشتغلون طابورا خامسا للاستعمار الأمريكى المنتظر لبلاد الشرق الأوسط !

إن مصالح الاستعمار الأمريكى قد تختلف أحيانا مع مصالح الاستعمار الأوربى . ولكن هذا ليس معناه أن يكونوا فى صف استقلالنا وحريتنا. إنما معناه أن يحاولوا زحزحة أقدام الأوربيين ليضعوا هم أقدامهم فوق رقابنا . وفى الغالب هم يجدون حلا لخلافاتهم مع الاستعمار الأوربى على حسابنا

إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول . سواء كان فى أوربا أو كان فى أمريكا .. وهذا ما يجب أن نحسب حسابه . ونجعله حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية ، وفى تربيتنا القومية كذلك

إن أبناءنا فى المدارس يجب أن تربى مشاعرهم وتفتح أذهانهم على مظالم الرجل الأبيض وحقارة الرجل الأبيض . وجشع الرجل الأبيض . ويجب أن تكون أهداف التربية عندنا هى التخلص من نفوذ الرجل الأبيض . لا سياسيا فحسب ، ولا اقتصاديا فحسب ، ولكن اجتماعيا وشعوريا وفكريا كذلك

ولكن الذى نفعله هو عكس هذا على خط مستقيم .. عندنا فى وزارة المعارف عبيد للرجل الأبيض . عبيد يعبدون هذا الرجل كعبادة الله . بل إنهم ليلحدون فى الله ولا يلحدون فى أوربا أو أمريكا . سرا أو علانية !

وعندنا فى معاهد التربية التى تخرج المدرسين ، فتؤثر بذلك فى عقلية أجيال بعد أجيال .. عندنا فتات آدمى ينظر إلى الرجل الأبيض نظرة التقديس ، ويطبع مشاعر الطلبة الذين سيصبحون مدرسين بطابع الإعجاب والقداسة لأولئك المستعمرين القذرين ، الذين يحتقروننا ويهينون كرامتنا ، فنتلقى ذلك منهم بالشكر والثناء .

وهذه جناية قومية ، وجناية إنسانية . . جناية قومية لأن الرجل الأبيض يستغلنا ويستغل أوطاننا استغلالا شنيعا ، ومن واجبنا أن نعبئ أعصابنا ومشاعرنا ضده ، لنسترد حقوقنا المسلوبة . وجناية إنسانية لأننا بتمجيدنا للأوربى والأمريكى إنما نمجد مثالا مشوها للانسان ، ونقيم تمثالا للجشع والطمع

والسلب والنهب والاحتيال . ثم نضع تحت أقدامه أكاليل المدح والثناء !

أمامي وأنا أكتب هذه الكلمة جريدة مصرية صباحيـة يتحدث كاتبها فيها عن مأساة تونس مع فرنسا فيقول مخـاطبا لرئيس الدولة الفرنسية :

« أما إذا كان يقصد شق الطرق وإنشاء السكك الحديدية ، وتشييد الأبنية وزيادة الرخاء الاقتصادى .. فلعله يعرف أن هـذا كلـه تم لفائدة المستعمرين من الفرنسيين . أما أهل البـلاد الأصليون فيعيشون كالغرباء . لا يزالون جهالا حفاة عراة . وقد ساومت أمريكا على أرض مراكش ، فأعطت أمريكا امتياز إقامة المطارات والاستحكامات الحربية على الشاطئ فى مقابل أن تنصرها أمريكا ، وتمهد لها السبيل لتنفيذ سياستها »

ولـكن الـكاتب يقول مع هذا عن فرنسا إنها « البلاد التى علمت الدنيا مبادئ الحرية والإخاء والمساواة » !

وهذا هو الاستعمار الروحى ، الذى يقيد مشاعرنا حتى ونحن ثائرون على الاستعمار السياسى !

هذا هو الاستعمار الروحى الذى ينطق الـكاتب بهذه الخرافة حتى وهو يستعرض تاريخ فرنسا الأسود ، ومساومات أمريـكا الاستغلالية

هذا هو الاستعمار الذى بثته فى أرواحنا المدرسة المصرية التى تنفذ أهداف الاستعمار إلى اللحظة الحاضرة . بل يقوم على رأسها وزير كان من عباد إنجلترا ، ثم أضحى من عباد أمريـكا ومعه معاهد تربية تتعبد أمريكا من دون الله فى الأرض !

هذا هو الاستعمار الذى بثه فى أرواحنا كتاب خانوا أماناتهم للوطن ، وخانوا أمانتهم للانسانية ، فوقفوا أقلامهم طـويلا على تمجيد فرنسا . ومع ذلك فإن بعضنا لا يزال يهتف لهم ، ويعدهم روادا للفكر فى الشرق !

إننى أفهم أن تهتف لهم فرنسا ، أو أن تهتف لهم إنجلترا ، أو أن تهتف لهم أمريكا .. أما أن نهتف لهم نحن العرب فهذا هو الهوان البشع ، الذى لا يقدم عليه فرد وله كرامة !

إن مكان هؤلاء اليوم كان ينبغى أن يكون مكان الجواسيس والخونة والطابور الخامس ، لا مكان التمجيد والتقدير والاحترام

كل رجل غمس قلمه ليمجد فرنسا أو يمجد إنجلترا أو يمجد أمريكا . . هو رجل منخوب الروح ، مستعمر القلب ، لا يؤمن على النهضة القومية ، ولا يجوز أن يكون له مكان فى حياة هـذه البلاد بعد نهضتها

إننى لا أكاد أتصور أن هنـاك إنسانا له مشاعر الإنسان ، يرى « الرجل الأبيض » يدوس بأقدامه على أعناقنا فى كل مكان ثم يجد نفسه قادرا على تمجيد هـذا الرجل ، أو حتى مصادقته . إننى أشك فى آدمية هؤلاء الـكتاب ، وهؤلاء الوزراء ، وهؤلاء الأسـاتذة . نعم أشك فى آدميتهم لأن أول مميزات الإنسان أن يحس بكرامة الإنسان

أفهم أن تـكون هنالك ظروف اضطرارية تلجئنا إلى تبادل التمثيل السياسى والقنصلى ، وإلى المبادلات التجارية والصلات الاقتصادية مع هؤلاء المستعمرين القذرين . . أما أن نتبـادل العواطف والمشاعر ، وأما أن نتحدث عن المـآثر والمفاخر ، وأما أن نفتح قلوبنا وصدورنا . . فدون هذا ويعجز خيـالى عن تصور المهانة ، وتصور المذلة ، وتصور المسخ الشعورى الذى يصيب الفطرة البشرية ، فيهوى بها إلى ذلك الدرك السحيق من الهوان

من الذى يسمع عن وحشية الفرنسيين فى الشمال الإفريقى ثم لا يمزق كل ماهو فرنسى ، إن لم يكن بيديه وقدميه ، فعلى الأقل بمشاعره وقلمه ولسانه ؟

من الذى لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشد أزر الاستعمار الأوربى فى كل مكان . . لقاء مساومات اقتصادية أو استراتيجية أو عسكرية ؟

من الذى يملك أن يقف على الحيـاد فى معركة الحرية بين الاستعمار الغربى وبين البشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثم لا يكتفى بموقف الحياد بل يمد يده بالمصافحة والمحالفة لهذا الاستعمار القذر ، الذى تلعنه الأرض والسماء ؟

إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار . ولكنه يغلبنا قبل كل شىء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم ، يغلبنا بهذا السوس الذى تركه الاستعمار فى وزارة المعارف ، وفى الصحف ، والكتب ؛ يغلبنا بهذه الأقلام التى تغمس فى مداد الذل والهوان الروحى لتكتب عن أمجاد فرنسا ، وأمجاد بريطانيا ، وأمجاد أمريكا

ولن نستطيع التغلب على هذا الاستعمار ، إلا إذا حطمناه فى مشاعرنا ، وحطمنا معه الأجهزة التى تسحق إيماننا بأنفسنا . هذه الأجهزة الممثلة فى وزارة المعارف ومعاهد التربية ، والأقلام الخائنة الممسوخة التى سبحت يوما وما تزال تسبح بحمد فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا

وأنا لا أطمع فى الجيل الذى شاخ أن يصنع شيئا . هذا جيل قد انتهى . جيل منخوب مهما بدا كالطود الشامخ . جيل مزيف لأنه لا يؤمن بنفسه ، ولا يأنف من تقبيل الأرجل التى تركل قومه ووطنه وإنسانيته أيضا . جيل لا بأس أن تكرمه فرنسا ، وأن تكرمه إنجلترا ، وأن تكرمه أمريكا ؛ لأنه يعمل لحسابها ويؤدى لها خدمات ، لا يؤديها جيش مسلح كامل

كلا ! لست أطمع فى هذا الجيل الذى شاخ . إنما أنا أطمع فى جيل الشباب المتحرر . الذى يحترم رجولته ، ويحترم قوميته ، ويحترم إنسانيته . .

أطمع فى جيل الشباب أن يخرس كل صوت يرتفع فى مدرسة أو معهد أو كلية بتمجيد الرجل الأبيض ، الذى خان أمانة الإنسانية

أطمع فى جيل الشباب أن يحطم كل قلم ينغمس فى مداد الذل والعار ، ليمجدوا الرجل الأبيض الذى يدوس أعناقنا بحذائه

أطمع فى جيل الشباب أن يحتقر كل رجل يصادق الرجل الأبيض ، طائعا مختارا ، بدون ضرورة ملجئة تحتمها الأوضاع الدبلوماسية !

ويوم ننفض الاستعمار على هذا النحو من أرواحنا وعقولنا . .

يوم تغلى دماؤنا بالحقد المقدس على كل ما هو أوربى أو أمريكى . .

يوم نسحق تحت أقدامنا كل من يربطنا بعجلة الاستعمار . .

عندئذ فقط سننال استقلالنا كاملا ؛ لأننا نلنا الاستقلال من داخلنا : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » . . .

سيد قطب

١ – على هامش الدفاع
عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

يخيل إلى أن أكثرنا يميل إلى بحث المسائل الدولية بعقلية قانونية . وأصالة الرأى فى معالجة السياسة الدولية تقتضى عدم التقيد بالنظرة القانونية فى تحليل حاضر أو مستقبل مشكلة من المشاكل الدولية . فالقانون الدولى نظام فكرى مرن مطاط يتحمل ألف تفسير وتفسير وألف مخرج ومخرج . والقانون الدولى فلسفة سياسية جوهرها الغموض وعمادها الدبلوماسية المرنة، وأبرز دعائمها اجتهاد لبق ذخيرته عناصر متشبعة من التحليل الدقيق للعوامل السياسية والاقتصادية والفكرية الطارئة، والتيارات الهادئة أو العاصفة التى تعترى حاضر قضية من قضايا الساعة ، والأهواء والنزعات وخفايا الأمور التى تكتنف هذه التيارات وتوجهها إلى هدف معين . وكل هذه الحقائق على قسط كبير من التعقيد والتشابك يقصر جوهر القانون الدولى ودساتيره المدونة عن تنفيذه وشرحه وتطبيق حرفية ذلك القانون عليه .

ولذلك فإن من غير الصواب أن نعالج المسائل الدولية على ضوء القانون الدولى وحده ، بل علينا أن نذهب أبعد من ذلك ونؤكد مع كثير من المراقبين للسياسة الدولية بأن الحصافة تقتضى أن وضع القانون الدولى فى زاوية بعيدة من مائدة البحث ، حتى إذا انتهينا من تحليل مسألة من المسائل الدولية على ضوء السياسة العملية والتيارات المعقدة المتشابكة (الاقتصادية والعسكرية والعاطفية والتاريخية) التى تكتنفها ، جلبنا القانون الدولى (أو بالأحرى هذا التراث من النماذج والسوابق والشروع والتعليقات التى تؤلف مايسمى القانون الدولى) وطلينا الصيغة النهائية لاجتهادنا فى السياسة العملية بطلاء قانونى قشرته حساسة مطاطة تفسح المجال للكر والفكر وللتعديل والتنقيح

ومثل هذه الحصافة توفر لصناع السياسة وللمعقبين على السلوك السياسى مرونة يستطيعون معها أن يقبلوا على معالجة حدث من حوادث الساعة فى عقل حذر واجتهاد فطن لا يضره أن يرفض أو أن يساوم على منفعة عاجلة فى سبيل نصر مرتقب ، أو أن يقبل مايبدو أنه قبول نهائى ، بينما هو يضمر هدفاً همه المصلحة الجوهرية الآجلة للمسؤولية التى يتولاها صناع السياسة بالنيابة عن الأمة التى انتدبوا لتسيير شؤونها وخدمة مصالحها العامة

وقد يقرأ بعضنا فى ثنايا هذه السطور دعوة إلى الخداع وضرب من الغش ولكن الخديعة والغش أن تكتم عن الناس الحقائق . والحقائق فى السلوك السياسى تؤكد أن جوهر هذا السلوك صراع حاد قد يكون طابعه الصدق مرة والمراوغة مرة أخرى، واللباقة آنا والتهديد والوعيد آونة أخرى ، ومثل هذا الصراع يفترض الخديعة والغش فإذا اعتصم فريق بالصدق وحسن النية والمثالية المجردة وهو عالم بأن الفريق الآخر يتسلح بغير الصدق والمثالية والنية الصادقة فالفريق الأول يخدع نفسه ويضر بالأمانة القومية التى وكلته الأمة بالدفاع عنها وبصيانتها عن عبث العابثين

والدبلوماسية (وهى تعريف لهذا الاجتهاد الذى يحاول به صناع السياسة أن يصونوا الأمانة القومية التى وكلهم الشعب بها) جزء لا يتجزأ من سياسة السلم والحرب . والحد بين السلم والحرب خطر نظرى لا وجود له إلا فى مخيلة الناس . وقد قال حكماء العرب الأقدمون « الحرب خدعة » فإذا فسرنا هذه الحكمة تفسيرا صحيحا فإن لنا أن نعتبر أن « السياسة خدعة » كذلك ، والعبرة فى الحكم والأمثال أن تتجاوز المتعة العقلية وأن تطبق على جوهر السلوك الإنسانى

***

وبعد فإن موضوع البحث هو مسألة (الدفاع عن الشرق الأوسط) وهى مسألة لها وضعية فريدة فوق أنها قضية خطيرة — فريدة لأنها مكتنفة بتيارات وعوامل على غاية من التعقد والتشابك، وخطيرة لأنها تمس صميم الأمانة القومية التى يهتم بها كل مواطن عربى ويحمل لواء الدفاع عنها قادة الرأى وأولو الأمر من صناع السياسة فى بلدان العرب. وعلى ذلك فإن الحديث عن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط هو الحديث أبرز مايعترض حاضر السياسة العربية من أحداث طارئة لا تقتصر على الأوضاع الداخلية للدول

العربية فحسب ؛ بل تتصل اتصالا مباشرا بمستقبل الكيان العربى بأسره كمجموعة إقليمية وكدول منفردة ، كما تمس مستقبل هذا الثعلب اليهودى الذى يكمن فى عقر دارنا ومستقبل العلاقات التى تربط دول الجامعة العربية بالعالم الخارجى — فى الشرق والغرب

* * *

والحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط يختلف باختلاف الجهة التى يصدر عنها الحديث، فالعرب تنظر إليه نظرة خاصة ، وتركيا تنظر إليه نظرة أخرى، وللبريطانيين فيه اجتهاد منفرد، وللأمريكان رأى خاص ، وللفرنسيين كذلك تفسير معين ، وموقف إسرائيل منه يختلف عن هؤلاء جميعا

ولكن المحافل العامة إجمالا حين تتناول مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط تفكر فى أمور معينة تشترك فيها جميع الأوساط المعنية بالأمر

هذه الأمور هى : —

(١) — المركز الاستراتيجى للشرق العربى فى خطط الدفاع عن الميدان الأوروبى — كلا المعسكرين الروسى والغربى ، وهذه الاستراتيجية تشمل قناة السويس والمطارات الجوية الصالحة لخطط حلفاء الغرب وما قد يفكر فيه الروس من خطط عسكرية مماثلة

(٢) — الثروة البترولية فى هذا الشرق وأهميتها لعصب الجهاز الحربى لأى من المعسكرين المتطاحنين

(٣) — كون الشرق العربى نقطة التقفز إلى القارة الإفريقية التى لها فى مستقبل الاقتصاد الأوروبى والأمريكى مكانة بارزة

(٤) — أهمية الشواطىء الشرقية للجزيرة العربية وخليج العجم فى الخطط البحرية لأساطيل الحلفاء فى المحيط الهندى وفى الرغبة القديمة الكامنة فى روسيا للوصول إلى منافذ مائية إلى هذه البحار الآسيوية وإلى البحر الأبيض المتوسط

وقد كثر الحديث عن هذه الأمور — أو عن بعضها — لدرجة أصبحت معالجتها من قبيل الكلام المعاد ، وأصبح تحليل أوضاعها من قبيل الابتذال فى الاجتهاد الفكرى

ولكن الواقع أن معالجة الناس لهذه الأمور — وفى الشرق العربى خاصة — كانت ولا تزال مشوبة بطابع السطحية والنظرة الركنية التى لا ترى الحقائق إلا من جنب واحد ، وهذا شىء طبيعى مبعثه العوامل القومية العنيفة التى تتفاعل فى تفكير العرب هذه الأيام ؛ وقصور الصحافة العربية وألسنة الرأى العام عن الأسباب فى معالجة الشئون الدولية عامة والناحية العربية فى الشئون الدولية على وجه الخصوص — معالجة دقيقة مسهبة

وكل مايطمع كاتب هذه السطور لتسجيله هنا هو جمع أكبر قسط مستطاع من الآراء والتعليقات والتصريحات وما تنطوى عليه سياسة بعض الدول (المعنية بشئون الشرق الأوسط) من مادة فكرية خاصة بموضوع الدفاع عن الشرق الأوسط ، وتنسيق هذه المادة بحيث تعين الباحث فى هذا الموضوع على تكوين فكرة شاملة عنه تكون ذخيرة نافعة للذين يهمهم التدقيق فى مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط على ضوء المصلحة الجوهرية للحكومات والشعوب العربية ؛ وعلى ضوء البرامج التى وضعها كلا المعسكرين المتخاصمين — السوفييتى والغربى — لاكتساب الشرق الأوسط إلى الحظيرة

وإن من الطبيعى أن يتسرب إلى معالجة هذا الموضوع الآراء الشخصية التى يحملها كاتب هذه السطور ، فمهما تعمد الكاتب التجرد فى تحليله لمسألة من المسائل فلا مفر له من أن يبث فى ثنايا السطور أطرافا من تفكيره الخاص

والعذر الصحيح الذى يبرر لكاتب هذه السطور إقدامه على دراسة مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط كونه قد شغل بهذا الموضوع وتتبعه بدقة فى مراحله العديدة ، وحاول أن يلم بخفاياه وظواهره، وأن يجمع أكبر عدد ممكن من الوثائق، وأن يزن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط بميزان التحليل القارن لمسائل الدفاع عن مناطق جغرافية أخرى كالحلف الأطلنطى والجيش الأوروبى وميثاق الدفاع عن الباسفيكى والتحالف الروسى — الصينى فى الشرق الأقصى ومكانة الشرق الأوسط فى كلا المعسكرين السوفييتى والغربى

وعلى ضوء هذا التمهيد فلنشرع فى استعراض هذا الموضوع فى شىء من الإطالة

(للكلام صلة) نيويورك عمر حليق

١ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هذه الحكومة الرشيدة التي جاد بها الدهر وهو الضنين بأمثالها ، هـذه الحكومة التي ثارت ونهضت لتصرع البغى وتقضى على الفساد ، وخطت فى ذلك الخطوات الواسعة السريعة ، جدير بها أن تسرع الخطى إلى مفسدتين استشرى داؤهما وكاد يقضى على البقية من الخلق والدين ، هاتان المفسدتان هما : الخمر والميسر

«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» (البقرة ٢١٩)

«إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » (المائدة ٩٠)

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر » (المائدة ٩١)

فهذه الآيات الكريمة التى تقرن الخمر بالميسر ، وتجمع بينهما فى شرورهما وآثامهما ، وخضوعهما للشيطان وقوى الإفساد ، هذه الآيات لا ريب أنها ستجد من أولى الأمر فينا آذانا صاغية ، وإصغاء واعيا لأمر الله وأحكام دينه

وقد بادرت حكومتنا فاتجهت فى سبيل سن العقوبات الرادعة لمدخنى « الحشيشة » والاتجار بها ، وليست الخمر والميسر بأقل فى أضرارها المادية والخلقية والصحية والاجتماعية والسياسية من « الحشيشة » . فعلى موائد الشراب والقمار تضيع الأموال ، وتفسد الأخلاق ، وتعتل الأبدان ، وتنحلل الروابط الاجتماعية ، ويتسلل العدو إلينا فيما بين ذلك غانما رابحا . وقد قرأنا فى أثناء ثورة الشعب الأخيرة أن الأموال التى تتدفق من المصريين إلى خزائن الدول الأجنبية ثمنا للخمور تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات فى كل عام

حقا إن الدولة قد حظرت لعب الميسر على موظفيها ، ولكن موظفيها ليسوا كل شئ فى الدولة ، فإن الميسر يتخذ صورا شتى صغيرة فى مقاهى القرية والمدينة ، ويبتز أموال الفقراء الكادحين ، ويوقع العداوة والبغضاء إيقاعا يترجم فيما بعد بالقتل وسفك الدماء وارتكاب كثير من جرائم السرقة والسطو والاغتصاب ، فأولى بالحكومة أن تعمم تحريمه فتقطع بذلك دابر أجناس شتى من جرائم الأخلاق وجرائم النفوس

هـذه الرغبة الاجتماعية لدعاة الإصلاح فى هذا البلد هى التى أوحت إلى أن أكتب هـذا البحث الدينى التاريخى ، الأدبى اللغوى ، الذى رأيت حوله ظلاما أردت تبديده ، ورأيت أن لدى كثير من الأدباء رغبة فى تجليته وإظهار أسراره ، فإن قليلا من الباحثين هم الذين تعرضوا للكلام على الميسر ، ومن هؤلاء القلة :

١ — برهان الدين البقاعى ، المتوفى سنة ٨٨٥ كتب فى تفسيره المسمى (نظم الدرر ، فى تناسب الآى والسور) فصلا كبيرا ممتعـا ، وقد أفرده المستشرق السويدى (لندبرج) : Cont, c. de landeberg الذى كان يسمى نفسه «عمر السويدى» وطبعه فى مجموعة (طرف عربية) فى ليدن ١٣٠٣ وسماه (لعب العرب بالميسر فى الجاهلية الأولى) وتشتمل الطرفة الأولى على أربعة مؤلفات عدد صفحاتها ١٩١ وفيها هذه الرسالة ، ورسالة أخرى هى « رسالة التنبيه ، على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا . والثالثة « نشوة الارتياح » للسيد مرتضى الزبيدى . والرابعة « ديوان أبى محجن الثقفى » رواية أبى هلال العسكرى

٢ — السيد مرتضى الزبيدى ، شارح القاموس ، المتوفى سنة ١٢٠٥ ، ألف فى ذلك رسالة سماها « نشوة الارتياح ، فى بيان حقيقة الميسر والقداح » ضمنها شرح عبارات البقاعى ، مع إيضاح ما أغفله

٣ — العلامة السيد محمود شكرى الآلوسى ، كتب فصلا مسهبا فى الجزء الثالث من كتابه (بلوغ الأرب) . وقد صنف فى ذلك أيضا كتابا سماه « المسفر ، عن الميسر » وهو مخطوط لم يتسن لى أن أطلع عليه

٤ — ابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ كتب فصولا لغوية فى الميسر والأزلام ، فى المخصص (١٣ : ٢٠ — ٢٣)

٥ — وهو أهم أثر تاريخى يعتمد عليه ، لقدم عهده وجلال

مؤلفه ، وهو كتاب (الميسر والقداح) لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) الذى نشره الأستاذ المحقق السيد محب الدين الخطيب ، الذى أدين له بفضل اتجاهى إلى جهاد النشر العلمى ، حفظه الله وأبقاه

وترجع أهمية هـذا الأثر التاريخى إلى الطريقة العلمية التى نهجها ابن قتيبة ، وهو اسـتقراء الآثار العربية الأدبيـة ، لاستخلاص هذا البحث النادر ، على قلة ما وصل إلينا من تلك الآثار التى يذكر فيها الميسر ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة مخاطبا من كلفه تأليف الـكتاب :

«وقد كلفت رحمك الله شططا ، وحاولت عسيرا ، لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام ، فلم يبق عند الأعراب إلا النبذ منه اليسير ، وعند علمائنا إلا ما أدى إليه الشعر القديم ، من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر ، أو روايات تحفظ ، والشعر يضيق بالأوزان والقوافى عما يتسع له الـكلام المنثور . على أنى لم أجد فى أشعارهم شيئا فى جـلالته عندهم وعظيم نفعه ، هو أقل منه ، إنما يعرض فى شعر المـكثرين من ذكره البيتان والثلاثة ، وأكثرهم يضرب عنه صفحا . وليس ذلك مذهبهم فى وصف الإبل والخيل والحمـير ، والنعام والظباء والقطا ، والفلوات والحشرات . ولم أجد فيهم أحـداً ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده . ولو جمعت مافى شعر أحدهما من ذكره لم تجده بعشر ما فيه من وصف حمار أو بعير [(١)] »

فمن هذا يتضح مقدار الجهد الذى بذله ابن قتيبة ، وكشف به الدستور الذى كان يتبعه العرب فى الجاهلية فى لعب الميسر

على أن ابن قتيبة كتب هذا البحث بلغة معاصريه ، وقارب منهجهـم الذى لا يسوده النظام الـكامل ، ويشيع فيه الاستطراد والحشو

وإنى لمحاول هنا أن أبسط البيان فى هـذا بلغة معاصرة ، وبأسلوب أحسبه منظما ، راجعا فى ذلك إلى شتى المصادر التى تعين فى هذا البحث الشاق الوعر ، وبالله التوفيق

لفظ الميسر ومدلوله

لا ريب أن عرب الجاهلية كانوا يطلقون لفظة الميسر غالبا على المقامرة بالأقداح لاقتسـام الجزور بطريقة خاصة نذكرها فيما بعد ، وهو ما يعبر عنه أبو حيان فى تفسيره [(٢)] بأنه « قمار أهل الجاهلية »

فالميسر على هذا مصدر ميمى ، كالمرجع من رجع ، والموعد من وعد

ويطلقون الميسر أيضا على الجزور نفسه ، فهو اسم موضع من اليسر ، بفتح الياء ، واليسر : التجزئة ، ولذلك سموا الجازر ياسرا لأنه ييسر اللحم ويجزئه

قال ابن قتيبة : « هذا الأصل فى الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح المتقامرين على الجزور : ياسرون ، لأنهم أيضا جازرون ، إذ كانوا سبباً لذلك ، وكان الجزور إنما يقع بضربهم ، والجازر يفصل اللحم لهم بأمرهم . وكل من يأمر بشئ ففعل فهو الفاعل له وإن لم يتوله بيده [(٣)] » . فالإطلاق الأول إطلاق مجازى ، والإطلاق الثانى هو الإطلاق الحقيقى

وقد ذهب مقاتل إلى أن اشتقاق « الميسر » من اليسر ، لأنه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة ، من غير كد ولا تعب [(٤)]

وقال الواحدى : إنه من قولهم يسر لى هـذا الشئ ييسر يسرا وميسرا ، إذا وجب [(٥)]

وقال أبو حيان فى تفسيره : إن السهام التى يقتسم بها يقال لها أيضا « ميسر » وذلك للمجاورة [(٦)] . والوجه فيما ذكره أبو حيان أن يقال إن مجازها من أنها آلة للميسر

على أن الإســلام فيما بعد أطلق « الميسر » على جميع ضروب القمار

---

(١) اقرن بهذا النص ما ذكره ابن سيده فى المخصص (١٢ : ٢٠) من قوله : « قال أبو عبيد : سـألت الأعراب عن أسمـاء القداح ، فلم يعرفوا منها غير المنيح ، ولم يعرفوا كيف يعملون فى الميسر » !! وأضف إلى ذلك أيضا ما قاله الأصمعى فى تجزئة الجزور إلى ثمانية وعشرين جزءا وسيأتى فى الـكلام على « الجزار » ومن هـذه كلها تفهم الصعوبة والغموض الذى كان مخيما على معرفة العلماء بحقيقة الميسر

(٢) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

(٣) الميسر والقداح ٣٥

(٤) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٥) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٦) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

١ — روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيا كم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم (٧) » . فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب « النرد » ضربا شبيها بميسر العرب فى اقتسام الجزور . والكعبة فى هذا الحديث هى الفص من فصوص النرد ، يقال له « كعب » و « كعبة » أيضا

٢ — وفى الحديث أيضا أنه « كان يكره الضرب بالكعاب (٨) »

٣ — وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء : « كل شئ فيه خطر — وهو ما يأخذه الغالب فى النضال والرهان ونحوهما — فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز (٩) »

ولا يزال اللعب بالجوز ونحوه من البندق والفول السودانى وقصب السكر متعارفا بين صبياننا إلى هذا العهد ، يزاولون ذلك بطرق مختلفة

فالتابعون والفقهاء قد ألحقوا بميسر الجاهلية كل ما يمت إليه بسبب من مختلف ضروب القمار ، قاسوا هذا بذاك (١٠) ، ولم يستثنوا من ذلك شيئا إلا السبق فى الخف والحافر . قال الفخر الرازى : « أما السبق فى الخف والحافر فبالاتفاق ليس من الميسر ، وشرحه مذكور فى كتاب السبق والرمى من كتب الفقه »

وأما الشطرنج والنرد ونحوهما فكراهتهما لما فيهما من شبهة القمار . قال الفخر : « قال الشافعى : إذا خلا الشطرنج عن الرهان ، واللسان عن الطغيان ، والصلاة عن النسيان ، لم يكن حراما » . قال : « وهو خارج عن الميسر ، لأن الميسر ما يوجب دفع المال أو أخذ مال ، وهذا ليس كذلك فلا يكون قمارا ولا ميسرا »

وقال مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، فمنه النرد والشطرنج والملاهى كلها . وميسر القمار وهو ما يتخاطر الناس عليه (١١)

(٧) الفخر الرازى (٢ : ٢٢)

(٨) لسان العرب (كعب)

(٩) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)

(١٠) فى الخزانة (٢ : ٢٠٧) نقلا عن الزجاج فى تفسيره : « إجماع العلماء أن القمار كله حرام ، وإنما ذكر الميسر من دونه — يعنى أنه ذكر فى الكتاب — وجعل كله حراما قياسا على الميسر ، والميسر إنما كان قمارا فى الجزر خاصة »

(١١) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

وقال ابن قتيبة (١٢) بعد أن ذكر الميسر الذى حرمه الله فى الكتاب ، وهو ضرب القداح على أجزاء الجزور قمارا : « ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه ، لأنه يضرب عليها بفصين كما يضرب على الجزور بالقداح ، ولأنهما قمار كما أن الميسر قمار ، ولا يقال للشطرنج ميسر ولا من الميسر ، لأنها فارقت تلك الصفة وتلك الهيئة إنما هى رفق واحتيال »

ويفهم من هذا النص إما أن لعبة الشطرنج فى عصر ابن قتيبة لم تكن مجالا للمقامرة ، أو خفى على علمه أن لاعبيها كانوا يقامرون عليها ، ولكن معرفته بأن النرد كان مجالا للمقامرة يرجح أن الشطرنج لم تتخذ فى عصره موضعا للمقامرة

وكان القوم ينفرون من الشطرنج ولاعبيها نفورا شديدا . روى الراغب الأصفهانى (١٣) أن أهل المدينة كانوا إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه . وذلك لما كانوا ينظرون إليه من نقص دينه ، ولأنهم كانوا يزعمون أن الشطرنج « إحدى الضرتين » ، وذلك لما يشغل صاحبه شغلا عن أهله وبنيه

لفظ القمار ومعناه

والقمار لفظ أعم من الميسر ، إذ يطلق على جميع أنواع المراهنة . يقال : قامره مقامرة وقمارا ، إذا راهنه ؛ وقمره قمرا ، إذا غلبه فى ذلك . وفى حديث أبى هريرة (١٤) : « من قال تعال أقامرك فليتصدق بقدر ما أراد أن يجعله خطرا فى القمار » . ويقال تقمر الصياد الظباء والطير بالليل ، إذا صادها فى ضوء القمر فتقمر أبصارها فى ضوئه ، أى تعشى وتتحير فتصاد . والتقمر : الاختداع . فمرجع القمار إنما هو إلى الخداع . وكذلك يفعل لاعب القمار ، فإنه يحاول اختداع صاحبه لتكون له الغلبة عليه

لفظ الأزلام ومعناه

والأزلام جمع زلم بالتحريك وبضم ففتح . والزلم ، والسهم ، والقدح بالكسر مترادفة المعانى ، تدل كلها على قطعة من غصن

(١٢) الميسر والقداح ٣٦

(١٣) محاضرات الراغب (١ : ٣٤٦)

(١٤) اللسان (قمر)

مسواة مشذبة

وأكثر ما يستعملون « الزلم » فى « الاستقسام » ، وهو ما سنفرد له قولا خاصا . وأكثر ما يستعملون « السهم » فى سهم القوس الذى يرمى به ، وأكثر ما يستعمل القدح فى قداح الميسر التى تجال لقسمة الجزور ، وكل من هذه الألفاظ الثلاثة ينوب عن الآخر فى الاستعمال

زمان الميسر

لم يكن الميسر عند العرب لهوا يلهون به ، ولعبة يلعبونها ، إنما كان نظاما اجتماعيا دعتهم إليه ظروفهم الاجتماعية ، وساقتهم إليه طباعهم البدوية ، فالباعث الحقيقى عليه كان «الكرم» وكان التباهى بالكرم ، وهذا الأخير هو الذى أظهر الدين كراهته فيما بعد ، كرهه الدين وكره معه أيضا ما كان يصحب هذا الصنيع من نزاع وجدال وخصومة فى سبيل الظفر بأوفى نصيب ، هذا إلى ما يقارنه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر

ومن بواعثه أيضا إعانة الفقراء فيما بينهم ، إذ كان الفائز منهم بنصيب لا يتناول منه شيئا ، بل يلقيه إلى المحتاجين والمعوزين من ذويه ، ليسد أرماقهم

قال أبو حيان [١٥] : « وأيهم خرج له نصيب واسى به الفقراء ، ولا يأكل منه شيئا ، ويفتخرون بذلك » . ثم قال : « وربما قامروا لأنفسهم » أى إن ذلك أمر نادر

والحاجة والعوز — وهما التطلبان للكرم والجود — إنما يشتدان فى وقت الشتاء عند العرب ، وذلك عندما تجدب البلاد وتقشعر الأرض ، ويتعذر القوت على طالبه ، وحينما يكلب الزمان وتضن البلاد بخيراتها ، والنوق بألبانها

وليس فى طوقك أن تتصور حال البؤس وشظف العيش الذى يتعرض له الأعراب فى باديتهم فى ذلك الزمان ، ومقدار الحاجة الملحة التى كانت تنزل على الأرامل والأيتام فى تلك المجدبة والمسغبة

فالوقت الطبيعى للميسر عند العرب هو فصل الشتاء ، وهم يختارون الليل فى ذلك الفصل ، لأن الليل وقت طروق الضيف ، وحين اشتداد البرد ، فيوقدون النار ليهتدى بها الضيف ، وليستطيعوا أن يزاولوا هذا العمل فى يسر

وكان الرجل من العرب يخشى الصيف، أن يحضر الصيف ولم يكن صنع لنفسه فى شتائه مفخرة تذكر له حين تذكر المفاخر، فهو يخشى أن يعير فى الصيف بنكوصه عن المشاركة فى هذا الجهد الاجتماعى ، وإمساك يده عن مساعدة القبيلة

إذا يسروا لم يورث اليسر بينهم
فواحش ينعى ذكرها بالمصايف [١٦]

وذلك أنهم يخصبون فى الصيف فيتذاكرون ما كان من الناس فى الشتاء ، فيعير كل امرئ بسوء فعله [١٧]

وقد سجل الشعر العربى أن الميسر يكون فى الشتاء ، فقال الأعشى :

المطعمو الضيف إذا ما شتوا　　والجاعلو القوت على الياسر

وقال متمم بن نويرة :

ولا برما تهدى النساء لعرسه　　إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

البرم : الذى لا يدخل معهم فى القداح ، ويسمونه أيضا « المزال » [١٨] . وإذا كان الرجل كذلك لم يدخل اللحم بيته إلا بأن يهديه نساء الحى إلى امرأته

وقال طرفة :

وهم أيسار لقمان إذا　　أغلت الشتوة أبداء الجزر

.. الأبداء : جمع بده ، وهو النصيب من الجزور

وقال عنترة :

ربذ يداه بالقداح إذا شتا　　هتاك غايات التجار ملوم

وقال لبيد :

وبيض على النيران فى كل شتوة　　سراة العشاء يزجرون المسابلا

قال ابن قتيبة [١٩] : يريد أنهم يضربون بالقداح فيصيحون بها ويزجرونها إذا ضربوا ، كما يفعل المتقامرون بالنرد

للبحث بقية　　**عبد السلام محمد هارون**

(١٥) تفسير أبى حيان (٢ : ١٠٥) ، ومثله الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠) ، وفى الخزانة (٢ : ١٧٧) : « وكان الغالب يفرق ما أخذه على الفقراء »

(١٦) المرتش فى المفضلية ٥٠ طبع المعارف

(١٧) الميسر والقداح ١٠٧

(١٨) اللسان (عزل)

(١٩) الميسر والقداح ٥١

فى توديع الرئيس ترومان

تمثال البيت الأبيض

للدكتور على شرف الدين

فى البيت الأبيض — حيث يقيم الرئيس ترومان — أبدع ما أخرج الفن الحديث من معجزاته الروائع ، فيما يرى الناظر من التماثيل القائمة فى مداخل القصر وحدائقه ، وفى أبهائه وتحت شرفاته . طراز جديد من فن المثالة الحديثة ، يكاد يسبق هذه الآيات الخالدة التى حفظها لنا التاريخ عن أيدى الإغريق . وإذا كانوا يقولون إن الفن الإغريقى قد سبق الطبيعة ، وكأنه فى سبقه لها ، وتجاوزه لصورها ، يقيم لها مثالا يتحدث إليها فى صمت : بأنه كان يجب أن تكون على غراره — فإن تماثيل البيت الأبيض لا توحى بهذا إلى النفس فقط ، ولكن كل واحد منها ينطق مفصحاً عما يريد ، حتى ليرن صدى صوته فى الأذن ، وحتى لتكاد أسارير وجهه تأخذ بين الفينة والأخرى مسحة جديدة تعبر عن عواطفه ، وحتى ليكاد الرائى يسمع خفقات قلبه بين ضلوعه الصخرية الجامدة

وهم يقولون إن الرئيس ترومان كثير النظر إلى هذه التماثيل طويل الوقوف إلى جانبها ، وإنه — على أن السياسة تأخذ حياته من أقطارها — له لحظات يخلو فيها إلى الفن ، حيث تسبح نفسه فى عالم الخيال ساعة من نهار ، وإن انغمست بقية يومها فى متاعب الدولار

ولعل أبلغ هذه التماثيل أثراً فى نفس الرئيس ترومان ، هو تمثال الوطن ، وهو يتألف من صخرة طبيعية قد اتخذ المثال من جانبيها الممتدين فى انحناء درجاً يصعد يمنة ويسرة ، حيث يلتقيان عند سطح مستو ينهض فيه تمثال أم حنون ، تستقبل أطفالها عند الغروب ، وهم يصعدون إليها فى جانبى الدرج متدافعين متعثرين ، ولكن جباههم على تعثرهم تتجه نحو الأم دائماً ، بينما تمد الأم يديها نحو الجانبين جميعا ، لا يلهيها أحدهما عن الآخر ، فى إقبال كله العطف والرحمة والوفاء

قالوا إن الرئيس ترومان قد ألف الوقوف إلى جانب تمثال الوطن ، وإن جواره للتمثال أمر لا مفر منه فى حياته اليومية ، لأنه تمثال الوطن — مع أنه يقع خلف البيت الأبيض وفى جانبه الذى تكاد أبوابه تغلق طول العام — هو طريق وحيد يدلف منه المار إلى ربوة صناعية تحتشد فيها مواكب من الزهر النادر ، تآزر فيها جمال الطبيعة مع ألوان التطعيم الصناعى ، يختلف إليها الرئيس من حين لآخر ، ينشد عندها نشاط نفسه وإشراقها ، كلما أرهقتها مظالم الحضارة

ولكن المتصلين بالرئيس ترومان قد رأوا منه ما أثار الدهشة فى نفوسهم . فقد أخذ وقوفه إلى جانب التمثال يقصر عن ذى قبل ، ولم يعد سكونه إليه يحفه هذا الحلم الجميل يشيع فى أقطار نفسه ، ثم يستحيل فى جبهته وعارضه ضياء مشرقاً . لم يعد سكون الأحلام والطيوف، ولكنه ذهول عميق تكتسى فيه صفحة وجهه فنوناً من الألوان تضطرب دائما بين الشحوب والسواد .

ولم يمض غير يسير من الزمن حتى هجر الرئيس تمثال الوطن ، ولم يعد يختلف إلى هذه الربوة من النوار ، يصطنع فيها ما يصطنعه الفنانون وأصحاب العاطفة ، حين يقرأون كتاب الوجود فى المروج والزهر . وللرئيس مع تمثال الوطن ما نسميه مجرى العادة المكبوتة — إذا صح هذا التعبير — لا يكاد يتجه نحوه عن غير قصد ، حتى يدور على عقبه فى حركة عصبية لا تخلو من ألم ، والتفاتة مفاجئة لا تخلو من حزن ، وسرعان ما يجرى فى تضاعيف وجهه سحابة ليست هى الألم والحزن ، ولكنها شئ أمر من الألم والحزن : هى التمرد الذى لا يخلو من خوف ، وهى محاولة النسيان تصرخ فى جوانبها المغالطة ، يضطرب فيها الرئيس أشد الاضطراب وأعنفه وقد خذله النسيان كلما مر بتمثال الوطن

ويؤرخ المراقبون لحياة الرئيس اليومية هذه الحركة التى لا تخلو من حزن مرير يخالطه الألم والخوف واليأس جميعا بعام سنة ١٩٤٨ بعيد خروج العرب من فلسطين عنوة ، بأمر الرئيس ترومان وتدبيره ، ويقولون إنه غالب شعوره فى أول الأمر بفنون من رباطة الجأش المصنوعة ، وضروب من الجمود

لا تجديه فتيلا ، ومع أن الرئيس ترومان معروف بإصرار مرهق مبعثه الجمود ، ومشهور بجمود طبيعي مبعثه الإصرار سواء فى الحق أو الباطل ... فإن جموده الطبيعي قد خانه فى موقفه مع التمثال ، فلا تكاد عينه تقع عليه حتى تمضى فى أعصابه هزات عنيفة هى هذه الصواعق المهلكة من الحزن والألم والخوف جميعا ، وحتى تمضى بنفسه خواطر صارخة قائلة ، تحمل فى بروقها شريطا متصل النكبات على نفسه الإنسانية ، فيما يتمثل له فى الجوع والعرى والبرد والفقر ...

ولو أن ما تحمل الذكرى إلى نفس الرئيس ترومان كان مقصوراً على الفقر والعرى والجوع والبرد ، لهان أمرها وغالب ضميره بشىء من الجمود هو فيه طبيعى ، واستطاع أن ينسى إنسانيته فى ساعات الذكرى . لأن الفقر والعرى والجوع والبرد هى محن مادية مهما بلغ أثرها ، تصيب الجسم فتسبغ عليه النعمة والرقة ، أو تذيقه الشقاء والألم . مصابه ليس إذن ماديا ، ولكنه مصاب روحى يتجاوز هذه الكلمات اليسيرة فيما نسميه الظلم والنعرة والطغيان . مصابه أنه أوضح للخليقة ، وكتب بيده فى سجل التاريخ ، أنه رجل لا يدرك ما معنى الوطن ، ولا يستطيع أن يحس هذه الروابط المقدسة الحبيبة بين الإنسان ووطنه ، على سهولة إدراكها ، ويسر الشعور بها — حتى عند الحيوان — لأنها من أوليات الشعور

أما لك أيها الرئيس منزل بالريف ، ورثته عن (أبوك) مثلا ، متواضع أشد التواضع ، حتى ما تحب أن تستقبل فيه ضيفك ، ولكنه على تواضعه ، وعدم أهليته لاستقبال الضيف تحب أن تراه من آن لآخر ؟ فتهجر البيت الأبيض ، وما أقامت لك فيه أمريكا من مجد مغصوب زائف ، إلى حيث هذا المنزل المتواضع ، حيث تحس فى قربك منه برد الراحة ، يرد إلى نفسك الشفاء والعافية ، وقد أثقلتها مظالم الحضارة ، وحيث تشعر بجمال الصدق والبقاء على الوفاء فى موطن هجرته إلى خير منه ، فما تغير عليك إذ فارقته ، ولا تنكر إذ هجرته ، ولكنه ظل صادقا فى استقباله لك ، وفيا مخلصا يحمل إلى قلبك خير الذكريات حتى أصبح جزءا من حياتك ، أو هو الحياة نفسها فى أسمى معانيها الروحية

لقد سمعت أن الدكتور فاضل الجمالى معنى أشد العناية بعرب فلسطين الذين طردهم ترومان عنوة من ديارهم قبيل الانتخابات (النظيفة) التى أعطته مكانه فى البيت الأبيض . لقد عرض عليهم رحيب البلاد العربية بقدومهم ، وأنهم منها ومن صدور أبنائها فى المكان الرحب الكريم ، فماذا كان جوابهم ؟ لقد أجابوا : لا نريد بغير وطننا بديلا . ليس هناك جواب أصدق وأروع من جوابهم : « لانريد بغير وطننا بديلا » . وإنى أؤكد — وهم العرب الخلص — لو كانوا قد نشأوا فى سيبيريا وفى أصقاع الشمال الباردة ، ما ألهتهم عروبتهم الخالصة عن نسيان وطنهم فى سيبيريا ذات البرد القاتل ، ولكان جوابهم : نحن عرب ، ولكننا لا نريد بغير وطننا بديلا

إن الشعوبية أو العصبية الجنسية لها أواصرها القوية ، وروابطها المقدسة ، ولكن روابط الأوطان تظل أبداً أقوى وآكد ، لأن روابط الشعوبية تقوم على الدم واللغة وطراز الحياة ، وهى فى جملتها روابط روحية بحتة فى جملتها وتفصيلها ، إنها الروابط الرفافة ذات الإشراق بين الوطن وقلوب بنيه ، تضىء وتفىء ، وتلطف وتلطف ، حتى تسبق فى ضيائها ولطفها خواطر المتصوفة ، وأروع ما فيها أنها قد تكون روابط ذكريات كلها دموع وشجن ، ولكنها مع هذا حبيبة إلى النفس ، وهى سلوتها فى حياة تزدحم بالشرور والآلام ، ولكن من أين للرئيس ترومان أن يدرك هذه الروحيات ؟

قل لى أيها الرئيس : ماذا يستطيع عرب فلسطين الذين أخرجتهم عنوة من وطنهم أن يصنعوا إذا أرادوا دعوة فيصل لزيارة وطنهم كما دعوته أنت لزيارة وطنك ؟ ماذا يستطيعون أن يصنعوا وهم أحق منك بهذه الدعوة لأسباب كلها الصدق والوفاء : لأنه عربى مثلهم ، ولأنه سيد شعب ، وسليل بيت ، وأثر نبوة . فهم حين يدعونه إنما يقيمون دعوتهم على دعائم كلها المودة والصدق الخالص الصريح . وأغلب الظن أنك ما دعوته إلا بعد أن أمسكت بقلم الحاسب الذى يعتمد على الأرقام والأعداد من يدرى ؟ لعلك قد خرجت من هذه (الحسبة) بنتيجة خاطئة ، فتوهمت أنها قد تعطيك (جالونا) من بترول العراق !

من سوء حظ العرب أن يموت روزفلت ، وقد نهضوا

لاسترداد حقوقهم . لقد كان روزفلت رجلا جهيد الجسم ، ضخم الأعطاف ، بعيد المناكب ، ومثل هذا الجسم الكريم هو صورة لكرم النفس وسخائها وتأثرها ، وهو إذا جاع أو برد كان إحساسه بالجوع والبرد أسرع وأبعد من غيره من الأجسام الضنينة ، لأن الشعور بالحاجة فى الجسم الكريم السخى أكثر منه فى الجسم البخيل بأصله ، الجائع بطبعه . والرئيس ترومان له جسم ككل الأجسام ، ولكنه ضنين بخيل . وهو فى بخله وضنه ليس على استعداد لأن يحس الجوع والبرد — فضلا عن أن يحس الحزن لفقد الوطن — لأنه جسم جائع من قبل أن يناله الجوع ، بارد من قبل أن يصيبه البرد . ومهما بلغ الجوع والبرد من الشدة فلن يكون لهما أثر ملحوظ فى جسم ينقصه الشبع ، ونفس ما عرفت الوفاء ، وماذا يصيب الفقر من الفقير ؟

عقب تولى الرئيس ترومان سأله كثير من الصحفيين : « أما يفكر الرئيس فى أن تقبل الولايات المتحدة استقبال بضعة آلاف من يهود أوروبا ؟ - وكان ذلك قبل أن ينفذ نيته التى بيتها للعرب — وكان جواب الرئيس : « أنه لا يفكر الآن فى تغيير قوانين البلاد ... »

إنه لا يفكر فى تغيير قوانين بلاده الموضوعة ، فهو يحترمها ولا يأذن بالهجرة إليها على ثروتها واتساعها . ولكنه يفكر فى إخراج الناس من أوطانهم لقاء أصوات الناخبين من اليهود !

حين تولى الرئيس ترومان ذكرت بعض الصحف حديثا لكاتب يصف فيه الرئيس الجديد بهدوء الأعصاب ، ورباطة الجأش ، وقد بالغ الكاتب فى وصفه حتى قال : إنك لو ضربته بقبضة يدك فى أرنبة أنفه على حين غفلة منه ما تحرك هدب عينيه .. » وقد تكون قوة الأعصاب محمودة فى الرجال عند الحوادث التى تصيبهم ، أما الرباطة والهدوء فى كوارث ينسجون لغيرهم حوادثها ، ويعقدون فيها المؤامرات فليس ذلك مما قصد إليه الكاتب ، لأن فرقا واضحاً بين الرباطة والقسوة ، وبين الهدوء والجمود ، وبين قوة الأعصاب والبلادة ، وإذا كانت السياسة تقوم على الخدعة والمناورة ، فليست (الثعلبة) من معانيها فى أى قاموس إنسانى، يصطنعها الأقوياء للسرقة والسطو ، فإن كانت السرقة عنوة وفى النهار الضاحى من معانيها ، فهى ليست السياسة إذن ، ولكنها صناعة الوحل ، وإن سماها الظالمون « حق المهنة »

قالوا إن جماعة من خلصاء ترومان سألوا وألحفوا فى السؤال : « مابال الرئيس لم يتقدم فى الانتخاب الحاضر لرئاسة الجمهوريات المتحدة ؟ » وظل الرئيس ساكتا لا يجيب ، مع إلحافهم وكثرة سؤالهم ، وظل الجواب مجهولا ، حتى عند الخاصة من خلصاء ترومان ، حتى أبصره خدم البيت الأبيض فى لحظات خاطفة ، يهرع إلى تمثال الوطن ، يطيل النظر فيه ، وتجرى فى لسانه مناجاة خافقة مضطربة ، يتهدج فى خلالها صوت جريح مخنوق :

« يسألوننى : لماذا لم أتقدم فى الانتخاب الحاضر لرئاسة الدول المتحدة ؟

لأننى لم أعد أحب أن أكون رئيساً فى انتخاب ملوث ، أشترى فيه أصوات الناخبين بأوطان الناس »

« باريس » **على شرف الدين**

أدب التـــاريخ
أو التاريخ الشعرى

للأستاذ خليل رشيد

ليس الغرض من مقالتنا بيان فضل التاريخ وما يحدثه من أثر طيب بتربية الذوق الأدبى . إنما غرضنا الحديث عن فن أدب التاريخ أو كما يسميه صديقنا المرحوم النقدى عضو مجلس التميز الشرعى ببغداد ، بضبط التاريخ بالأحرف

وسأقدم إليك لوحة فنية من مبدعات هذا الفن الخالد بخلود التاريخ ، وقد أضفت إليها ريشة الفنان بُرد الفن ولبوسه ، وأسبغ عليها قلم المؤرخ أبدع روائعه . وسأقدم لك جهبذاً من جهابذة هذا الفن وغريداً تغنى على فن الشعر ، وصدح فى رياض الأدب منذ نصف قرن أو تزيد قليلا ، هو الحاج مجيد [1] الشهور بالعطار نور الله مرقده

والحاج مجيد سريع النكتة ، حاضر البديهة ، شاعر بما يريد أن يقول ، يغذى شعره عصارة فكره ودم قلبه . عميق الفكرة ، متين القول ، سلس الأسلوب ، فإذا حلق فى سماء الفكر خرت التواريخ أمامه صاغرة ليختار الجيد الجميل منها ، ويرجع بغنيمة الظافر المنتصر ، وقد ضمن التاريخ نكتة أدبية رائعة ، تبهرك إعجابا بعظمة الفكر وسرعة الخاطر . فى شعره جزالة القديم ورقة الحديث ، وفيه دقة المعنى وروعة التصوير . . وليس هذا النوع من الأدب سهل المأخذ ، بل هو صعب جموح ، يخضع لقواعد ونظم قدلا يخضع لها غير أدب التاريخ من الفنون الأدبية الأخرى

منها : [2] ما يحسب فى التاريخ على الطريقة المألوفة فى علم الخط لا مايكتبه المؤرخ حسب رأيه ، فالمعتل بالياء سواء كان اسما كموسى ، أو فعلا كرمى ، أو حرفا كإلى لا يحسب آخره فى التاريخ ألفا ، وإنما يحسب ياء ، فالأول كقول أحد الفضلاء فى تاريخ وفاة أحد العلماء الأعلام :

مضى الحسين الذى مجسد من نور علـــوم من عالم الذر
قدس مثوى منه حوى علماً مقدس النفس طيب الذكر
أوصافه عطرت فأنشقتنا منهن تاريخه شـذى العطر

والثانى كقول عبـد الغفار الأخرس ، يؤرخ وفاة السيد عبد الرحمن النقيب وفيه الشاهد للثالث أيضا :

يوم به قيـــل أرخ مضى إلى ربه النقيب
سنة ١٢٩١ هـ

وفى الثالث : قول عبد الباقى العمرى ، يؤرخ تعيين المشير رشيد الحوزكلى لبغداد :

بشرى لبغـداد فقد أرخوا إلى رشيـد أب قطر العراق
سنة ١٢٦٩ هـ

وقد أهمل المد فى آب .. والصحيح عدم إهمالها

ومنها : اختلافهم فى بعض مايكتب ، كالتاء التى تكون فى الوقف هاء ، كفاطمة . والهمزة الواقعة فى آخر الكلمة ، كهمزة ، جاء ، وداء ، ورجاء ، وأمثالها . . والألف من لفظ الجلالة ، والألف التى يوضع لها علامة المد

أما التاء التى تكون فى الوقف هاء ، فقد عـدها جماعة من الأدباء هاء ، والصحيح أنها متى تحركت كانت تاء . وتعد بأربعمائة ؛ وإذا وقف عليها كانت هاء وعدت بخمسة ، وكذلك الهمزة من جاء وأمثالها ، عددها واحد عند الحساب كأختها الألف كما فى قول عبد الباقى العمرى يؤرخ دار العلامة الألوسى صاحب تفسير

---

(١) حدثنا عنه الدكتور البصير . فى كتابه نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٠٨ ؛ فقال : أما العطار الحاج مجيد . فكان متوقد الذهن ، سريع الخاطر إلى درجة مدهشة ، ولا سيما فى التاريخ بالشعر ، وكان شديد التمسك بالدين ، حسن الإلمام بالعربية ، بديع الخط . كما أنه كان محترما عند الجمهور احتراماً غير قليل

وذكره صديقنا فضيلة الأستاذ صادق بحر العلوم . قاضى الشرع الشريف لمدينة العمارة . بمجموعه الرائق فقال : الحاج مجيد بن محمد بن أيبك الشهير بالعطار . بغدادى الأصل ، على المنشأ والمسكن . كان مولده ببغداد ، فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٢ هـ ، ونشأ فى الحلة وبها نال مانال من أدب وكمال . وفى سنة ١٣٣٤ هـ انتقل بأهله إلى ناحية الكوفة من قضاء النجف الأشرف . وكنت أجتمع به كثيرا . وأكتب من بنات أفكاره ما يمليها على بنفسه . فلم أر من يضاهيه فى سرعة البديهة وقوة الشعر

وقال فضيلة الأستاذ المرحوم النقدى فى كتابه ضبط التاريخ بالأحرف ص ١٢ ماهذا نصه . ، وقد برع هذا الفاضل فى التاريخ نظما ونثرا . حتى كان يؤرخ الواقعة فى لحظة واحدة من غير كد ولا تعب اهـ . .

(٢) القواعد مأخوذة عن ضبط التاريخ بالأحرف للنقدى

روح المعانى

بنورك ياشهاب الدين أرخ أضاء مقامك المحمود حسنا

سنة ١٢٥٢ هـ

أما الألف الساكنة مع واو الجماعة فإنها تحسب لأنها تكتب . . . وكذلك واو عمرو ، وأما الألف التى على الهاء من هذا فإنها تحسب أيضا لأنها تكتب منفصلة من الذال ومتصلة ، والانفصال خط الأكثر ، والاتصال خط المصحف ، وكذلك الألف التى يبدأ بها لفظ الجلالة . . أما المد فقد استقر الرأى أنه مع احتياج الكلمة إليه ، فى الاستقلال يحسب ، وإذا استقلت الكلمة بدونه وأمنت اللبس فلا يحسب ، فالأول كالمد فى آل . فإن الكلمة لا تستقل بدونه لأنها تلتبس بأل وأمثالها . . وأما المد فى آب ومنه قول الشيرزى فى وفات الخليعى :

بشره بالخير واعذر من يؤرخه فللخليعى لما آب أفنان

سنة ١١٢٧ هـ

والثانى كالمد فى لفظ الجلالة ، فإن الكلمة لا تلتبس بغيرها ، لشهرتها واختصاصها . وأما المد الواقع فى آخر الكلمة الدال على معنى مقصود . كهاء وتاء وباء وأشباههافهو يحسب عندالجميع

ومنها : إفراز مادة التاريخ بلفظة أرخ أو يؤرخ أو أرخت أو أرخوا وأمثالها ، أو ما يفيد معنى هذه الألفاظ .. ومثل ذلك كقول بعضهم فى تذهيب قبة الإمام على عليه السلام :

ياطالبا عام إبداء البناء لها أرخ تجلى لكم نور على نور

سنة ١١٥٥ هـ

وقول الشيخ حسن الشامى فى ولاية حسن باشا لمصر :

ولسان الحال يؤرخه كلت مصر بجمال حسن

سنة ١٠١٤ هـ

وقول العمرى عبد الباقى يؤرخ وفاة العلامة شهاب الدين الآلوسى صاحب روح المعانى :

حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعانى قبر محمود

سنة ١٨٢٠ هـ

وربما تزيد مادة التاريخ أو تنقص ، فيجوز الإكمال أو التنقيص بنكتة أدبية .. فالأول كقول بعضهم فى تعمير مسجد صاحب الجواهر :

تم بأقصى اليمين تاريخه شيد على أسس التقى ركنه

سنة ١٣٥١ هـ

أشاربأقصى اليمين إلى إضافة خمسين، وفيه النكتة الأدبية.. والثانى كقول بعضهم أيضا فى تزيين قبة الإمام على عليه السلام بأمر أحمد خان النواب :

فانخ والق عصاك وادع مؤرخا للخير وفق أحمد النواب

سنة ١١٩٨ هـ

إشارة إلى إلقاء واحد من المجموع وهى نكتة أدبية لطيفة

وقد تفنن الأدباء فى هذا الفن . فمنهم من نظم القصيد وجعل كل شطر من شطراتها تاريخا كما فعل النحلاوى بمدح الشيخ عبد الغنى النابلسى . . ومنهم من جعل معجم كل شطر منها تاريخا كما فعل عبد الباقى العمرى فى مولد حفيده وسماها الجوهرة . . ومنهم من جعل معجم كل بيت ومهمله تاريخا كما فعل الشيخ ناصيف اليازجى . . كما عرفنا عليه أستاذنا الجليل أحمدحسن الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى ص ٤٥٨ فقال : (و شعره على طول معالجته له ، وقوة طبعه فيه ، أشبه بشعر الحريرى وأضرابه ، وبخاصة تلك القصائد التى تكلف فيها التاريخ الشعرى ، فقد غالى فى ذلك وأسرف ، حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخا ، أو ينظم القصيدة ، فيلزم فى كل شطر من شطراتها تاريخا ، كقصيدته فى تهنئة إبراهيم باشا فى فتح مكة)

تعجبنى لباقة الأستاذ الزيات ولفتته الأدبية فى تعريف الأدباء وتحليل نتاجهم الأدبى . هو كصيدلى بارع ، يزن الدواء بمقدار . .

لنعد لمجرى الحديث عن أديبنا الحاج مجيد ، فهو أديب عرفته الأوساط الأدبية فى القرن التاسع عشر بالعبقرية والنبوغ وسعة الفكر والخيال والدين ، ويكاد رحمه الله يختص بأدب التاريخ ، وهذه الملكة الفنية عنده من السهولة بمكان . وقد حدثنى عنه صديق الأستاذ اليعقوبى ، عميد جمعية الرابطة الأدبية

فى النجف ، أحاديث من الغرابة بمكان ، بحيث يؤرخ فى بيت واحد من الشعر تواريخ عدة ، لا يستطيعها غيره من الأدباء ، وغير من أرشدنا إليه الأستاذ الزيات :

عاش شاعرنا ، وقضى با كورة شبابه والشىء الكثير من شيخوخته بين الزاغ والدباغ ، وما تتطلبه مهنة العطارة وتقتضيه ، كى يحصل على قوته ويوفر لأهله الخبز الحر الذى يستسيغه ويستطيبه من كده وكدحه . وهو من المؤمنين بحكمة المثل القائل : من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره . . وكان رحمه الله مثالا صادقا من أمثلة المسلم الصحيح ، ذا نسك ودين ، كما ينبىء بذلك قوله :

ما شاقنى قرب الحمام وإنما أشتاق قرب الواحد المنان
لأشم ريح العفو عند لقائه وأذوق طعم حلاوة الإحسان

وقوله مناجيا ربه :

أمحصلا مافى الصدور بموقف لا عذر فيه لنا عن العصيان
أتقيم فينا العدل يحكم وحده وأمرتنا بالعدل والإحسان

ومن ظريف ماروى عنه رحمه الله أن شاعرا مكثرا استحسن بيتين لشاعرنا فشطرهما . فصار البيتان والتشطير أربعة أبيات ، ثم شطر الأربعة الأبيات فصارت ثمانية ، ثم شطر هذه أيضا فصارت ستة عشر بيتاً ، ثم شطر الستةعشر بيتاً ، فصارت اثنين وثلاثين بيتا ، كتبها وقدمها إلى صاحبنا العطار

فلما رآها نظر إليه وقال ، صديقى الشيخ ! أتسكب أربع قرب من الماء على قدح صغير من عصير الليمون ؟ فعل الله بك وفعل ! . . . .

ولسنا الآن بصدد هذا كله ، وإنما نحن بصدد الحديث عن أدب التاريخ . . وإليك بعض أعاجيب هذا الشيخ فى هذا الباب : هذان بيتان أرخ فيهما زواج السيد أحمد بن السيد مرزا القزوينى ، محتوية على ثمانية وعشرين تاريخا وهى :

أكرم بخزان علم أم وارده منكم لزاخر بحر مد آمله
زفت إلى القمر الأسنى بداركم شمس لوار وزان البشر حامله

وهذان بيتان آخران ، أرخ فيهما مقام الإمام على عليه السلام فى الحلة ، على نفقة العلامة السيد محمد القزوينى ره ، وهى :

٣٩٥٣٦

يباب مقام الصهر مرتقباً نحا أخو طلب بالبر من علم برا
مقام برب البيت فى منبر الدعا أبو قاسم جر الثنا عمها أجرا

١٣١٦ هـ

والتواريخ هذه . على النمط التالى :[٢]

(١) صدر الأول (٢) عجزه (٣) صدر الثانى (٤) عجزه (٥) مهمل البيت الأول . (٦) معجمه (٧) مهمل صدر الأول مع معجم عجزه (٨) معجم صدر الأول مع مهمل عجزه (٩) مهمل البيت الثانى (١٠) معجمه (١١) مهمل صدره مع معجم عجزه (١٢) معجم صدره مع مهمل عجزه (١٣) مهمل الصدرين (١٤) معجم الصدرين (١٥) مهمل صدر الأول مع معجم صدر الثانى (١٦) معجم صدر الأول مع مهمل صدر الثانى (١٧) مهمل العجزين . . . (١٨) معجم العجزين (١٩) مهمل عجز الأول مع معجم عجز الثانى (٢٠) معجم عجز الأول مع مهمل عجز الثانى (٢١) مهمل صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٢) معجم صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٣) مهمل صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٤) معجم صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٥) مهمل عجز الأول مع مهمل صدر الثانى (٢٦) معجم عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٧) مهمل عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٨) معجم عجز الأول مع مهمل صدر الثانى

فجعل كل شطر برمته تاريخا ، والحروف المعجمة من كل شطرين تاريخا ، ومثلها الحروف المهملة ؛ فيتجمع من ذلك ستة عشر تاريخا ، وكذلك المعجمة مع المهملة ، والمهملة مع المعجمة ، فيتجمع اثناعشر تاريخا . فيكون المجموع ثمانية وعشرين تاريخا . .

ونحن نكتفى بهذا القدر من هذا البحث ، وعن هذا الشاعر ، لقلة المصادر الموجودة لدينا عنه ، وقلة من كتب عنه ، وأظن فى بحثنا هذا الكفاية بعض الشىء عن هذا البحث وعن هذا الشاعر ، وأخذ الفكرة عنه ، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

العمارة — العراق خليل رشيد

(٢) عن المجموع الرائف المخطوط . لبحر العلوم :

تركيـــا - ٢

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« حققوا للشعوب حريتها فإن قلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار » غلادستون

موطن نزال

تشغل تركيا مكانا يمتاز بأهمية موقعه الدولى.. فهى تضع قدما فى آسيا وتضع قدمها الأخرى فى أوربا وتتحكم فى الملاحة بين البحرين الأبيض والأسود

وقد كانت أرضها ميدان النزال بين الفرس واليونان فى التاريخ القديم ، وموطن الصراع بين المسلمين والروم فى العصور الوسطى، وكانت طريق الصليبيين إلى الشرق أثناء الحروب الصليبية، وهى الحروب التى شنها الغرب على الشرق وانتهت بانتصار الشرق وخذلان الغرب

وفى العصور الحديثة كانت تركيا وما تزال ميدان صراع دولى عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

المسألة الشرقية

فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى نزل الأتراك العثمانيون فى آسيا الصغرى وأسسوا دولتهم التى بدأت صغيرة ثم أخذت تنمو وتتسع حتى شملت آسيا الصغرى، ثم عبروا البحر إلى أوربا ونزلوا بشبه جزيرة البلقان واستولوا على القسطنطينية عام ١٤٥٣ واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة

واستمر الأتراك فى فتوحاتهم ففتحوا بلاد الشام والعراق وفلسطين وبلاد العرب ومصر وشمال أفريقيا ؛ وفى أوربا استمر جندهم فى فتحهم حتى قرعوا أبواب مدينة فينا عاصمة الإمبراطورية النمسوية

فى ذلك الوقت لم تكن هناك مسألة شرقية وإنما كان يوجد ما يمكن أن يسمى بالمسألة الغربية . ما هو مصير غرب أوربا أمام الزحف التركى وما الذى سيؤول إليه أمر غرب أوربا فى حاله استمرار انتصار الأتراك ؟ ؟

لكن الأتراك ردوا عن فينا ثم مالبثوا أن استقروا فى البلاد الشاسعة التى فتحوها وأصابهم الترف ونزل بهم الوهن وتجلى ضعفهم شديدا شنيعا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وظهرت المسألة الشرقية واتخذت مكانا بارزا فى التاريخ الحديث

وكانت روسيا أكبر عدو لتركيا : ذلك أن روسيا نهضت على يد بطرس الأكبر وبدأت تحتل مكانا بارزا فى التاريخ منذ أوائل القرن الثامن عشر . وكانت روسيا تريد الوصول إلى البحرين الأسود والأبيض وكان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا ، ومن أجل هذا قامت الحروب بين الدولتين ووضعت روسيا يدها على شواطئ البحر الأسود الشمالية والشرقية

لكن روسيا كانت ترنو دائما إلى الوصول إلى القسطنطينية وهذا هو محور سياستها، ويتجلى لنا واضحا جليا فى جميع حوادث التاريخ منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم

وقد ساعد روسيا على تنفيذ سياستها أن تركيا لم تعمل على إدماج رعايا البلقان فى رعاياها ؛ بل تركت لهم حريتهم الدينية وحكومتهم الذاتية ولغتهم القومية واكتفت منهم بما قدموا لها من جزية وضرائب

واستغلت روسيا الروابط الدينية والجنسية التى تربطها بسكان البلقان، وعملت دائما على خلق المتاعب فى وجه السلطان، وسارعت إلى نصرة الثائرين بقواتها وأملت على تركيا شروط الصلح لفائدتها

وكانت النمسا العدوة الثانية لتركيا، فقد اقتطع الأتراك جانبا كبيرا من أملاكها فى البلقان وفى الدانوب ، ولما ضعفت تركيا عملت النمسا على استرداد ممتلكاتها ونجحت فى ذلك إلى حد كبير فى القرن الثامن عشر

أما فرنسا — وكانت عدوة للنمسا — فقد أقامت علاقات ودية مع تركيا منذ القرن السادس عشر

ولكن إنجلترا فى القرن الثامن عشر كانت تجد فى روسيا حليفا طبيعيا ؛ فقد كانت روسيا سوقا هامة للتجارة الإنجليزية ؛ وكانت إنجلترا ترى أنها بحاجة إلى صديق وحليف ليعاونها ضد عدوتها التقليدية إذ ذاك وهى فرنسا

لكن حملة نابليون على مصر نبهت إنجلترا إلى الخطر المحدق

بها من جراء مطامع روسيا، فقد كانت روسيا تطمع فى الاستيلاء على القسطنطينية والوصول إلى البحر الأبيض وكان ذلك خطرا يهدد مصالح إنجلترا فى الشرق . ثم إن الروسيا كانت تستطيع الوصول برا إلى الهند

وهكذا وجدت إنجلترا فى مطامع روسيا خطرا عليها ومن ثم وقفت بجانب تركيا وأخذت تعمل على المحافظة عليها ولكنها لم تر بأسا من اقتطاع كثير من أملاكها فى الوقت المناسب

ويتجلى اهتمام إنجلترا بمصير تركيا فى وقوفها بجانبها هى وفرنسا أثناء حرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ وهى الحرب التى شنتها روسيا على تركيا وانتهت بانتصار إنجلترا وفرنسا وتركيا عليها وكان سببها مطامع روسيا فى تركيا

فى ١٨٤٤ زار قيصر روسيا نقولا الأول إنجلترا وتحدث مع لورد أبردين وزير خارجيتها حديثا عبر به عن سياسة روسيا إزاء تركيا : «إن تركيا رجل مريض يحتضر ويخشى أن يموت فجأة وحينئذ يحدث خلاف بين الدول حول تقسيم تركيا ولذلك فمن الأجدر أن تتخذ الدولتان إنجلترا وروسيا الأهبة لمواجهة الموقف وخير لهما أن يتفقا على تقسيم لإملاك تركيا » وقد كرر القيصر حديثه هذا مرة أخرى مع سفير بريطانيا فى روسيا ١٨٥٣ وكان ذلك من أهم الأسباب التى دعت إنجلترا إلى الدخول فى حرب القرم ضد روسيا ، فقد كان بلمرستون رئيس وزراء إنجلترا يؤمن بأن مايقال كل يوم من أن تركيا رجل مريض يحتضر كلام فارغ لا يؤبه له ؛ وأنها لو أعطيت وقتا كافيا بدون قلاقل أو متاعب لاستطاعت أن تصلح من شأنها وأن تستعيد مجدها كدولة قوية لها وزنها فى السياسة الدولية

وفى معاهدة باريس ١٨٥٦ أعطيت تركيا الفرصة اللائمة وحرم على روسيا أن تنشئ قواعد حربية على شواطئ البحر الأسود إذ أن يكون لها فيه أسطول حربى وأعلن حياد البحر الأسود

لكن تركيا لم تقم بالإصلاح المطلوب ولم تنزل شعوب البلقان عن مطالبها القومية فقد كانت تريد الاستقلال عن تركيا . وكانت الدول تخشى أنه فى حالة استقلال هذه الدول : رومانيا والصرب والجبل الأسود وبلغاريا.. أن تقع فى يد روسيا

ولكن غلادستون زعيم الأحرار فى إنجلترا صرح قائلا : « حققوا للشعوب حرياتها فإن قلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار »

وفى ١٨٧٦ ثارت شعوب البلقان ضد تركيا وتقدمت روسيا لمساعدتها وهزمت تركيا ووقف الجند الروس أمام القسطنطينية.. وهنا تقدمت إنجلترا وأمرت أسطولها بدخول مياه البسفور ومقاومة الروس إذا دخلوا القسطنطينية، وأمام تهديد إنجلترا وقفت روسيا ووقعت مع السلطان معاهدة سان ستفانو ١٨٧٨ . لكن إنجلترا لم توافق عليها ودعت الدول إلى عقد مؤتمر دولى لبحث المشكلة ؛ وقد اجتمع المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ ووقعت الدول معاهدة برلين وبها تحقق استقلال رومانيا والجبل الأسود والصرب وأعطيت بلغاريا حكومة ذاتية وأخذت روسيا قارص وباطوم واستولت إنجلترا على جزيرة قبرص وبعدها بسنوات احتلت مصر . وتحقق لإنجلترا ما تبغيه من إبعاد روسيا عن القسطنطينية

وتتجلى أهمية القسطنطينية فى نظر روسيا فى الحديث الذى دار بين القيصر إسكندر الأول ونابليون الأكبر إمبراطور فرنسا، وكان نابليون يطمع فى صداقة القيصر ليتمكن من هزيمة عدوته اللدودة إنجلترا

قال القيصر « القسطنطينية هى مفتاح بيتى ويجب أن يكون فى حوزتى »

فرد نابليون « القسطنطينية ! من المستحيل.. إن هذا معناه تكوين إمبراطورية عالمية »

وهكذا لم يستطع القيصر والإمبراطور الاتفاق بشأن القسطنطينية، وكان ذلك من أهم أسباب اختلافهما وانضمام روسيا إلى إنجلترا ضد نابليون مما كان له أكبر الأثر فى القضاء على نابليون . وهكذا نرى أن المسألة الشرقية كانت عاملا كبيرا فى سقوط نابليون وفى تحويل مجرى التاريخ

وفى ١٩٣٩ عقدت روسيا مع هتلر ميثاق عدم اعتداء مما كان له أكبر الأثر فى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وفى اعتقادى أنه لولا هذا الميثاق لما نشبت الحرب

اطمأن هتلر إلى روسيا وقام يحارب ، وأحرز جنده النصر

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٥ —

فى تصورنا لشلر كإنسان له أخلاقه الرفيعة ، لا يمكن لوصفنا — على أى حال — إلا أن ينتقص من كمال حيـاته ، لأن أقلامنا تعجز عن وصفها الوصف اللائق بها . لقد نال هذا الرجل ما يأمله بصورة عجيبة . وحياته — على الأقل — من مرحلة رجولته لم تزل حتى الآن غير مشوشة وذات أسلوب واضح . وقد أخفى انتصاره الكامل عنا عظم النضال الذى خاضه ببسـالة نادرة . يمكننا — إجمالا — الاعتراف بأن سلوكه لم يكن عظيما بمقدار قداسته وربما لا يصفه شئ مثل وصفنا إياه بالراهب ، بما يمتاز به اللقب من سمو روحى ونقاء وعزلة ، على أن هذا الوصف لا ينطبق على مظهره الخارجى فى شئ . لقد استحوذ على طبيعته حماس منقطع النظير وفى هذا تكمن قوته وفى هذا يتضح الواجب الذى عاهد نفسه على أدائه ، وقد عاش فى سبيل هذا

لم تقم الميول الاجتماعية بأى دور فعال فى حياته ، وكان زوج وأب فهو دائما حنون ومخلص ولطيف ولكن نادرا ما كانت تؤثر فيه الأشيـاء الخارجية تأثيرا يشبه فى شئ العاطفة العارمة . فهو لم يمتلك من الحرارة والحب المستعر والتحبب مثلا ما كان يمتاز به معاصره الاسكوتلندى (برنز) ، وفى الحقيقة فإن اتجاهه وأمله كانا مصوبين نحو المثل الأعلى لا لما هو واقعى أرضى . وكانت سعادته العظمى لا تعنى فى شئ بالشرف الظاهرى أو الأبهة أو اللهو أو التسلية الاجتماعية أو حتى الصداقة نفسها.. بل كان همه الأكبر منحصرا فى مملكة الشعر ومدينة العقل الفضلى حيث الحياة النبيلة الحقة . وكذا الحال مع عاداته فإنها كانت أميل إلى العزلة لأن شغله الشاغل وسروره البـالغ لم يتعديا نطاق التأمل الصامت ، يقول أحد شراحه : (إن عـدم تساهله مع الذين يقاطمونه ويعيقون أعمـاله هو الذى اضطره إلى اللجوء إلى الدراسة ليلا ، على ما فى هذا العمل المؤذى من إغراء ومن تعب . وقد شرع بهذه الممارسة فى (درسدن) ولم يتركها قطعاً بعد ذلك . وقد كانت تسليته الوحيدة هى العزلة ، فكانت سواحل نهر (الإيلب) ملجأه المحبب صباحاً ، وكان هناك يتجول فى وحدته بين الكروم والمروج والخمايل الجميلة تاركا ذهنه يسرح فى الخيـال العذب ، أو متأملا فى مواضع الفتنة من الطبيعة الساحرة أو منغمساً فى دراساته التى كانت تشغله دائماً وأبداً ، أو كان يرى جالساً فى بعض الأحيان فى الجندول الطافى على صفحة النهر الناصعة ، وكان يسره كثيراً أن يكون هناك عندما كانت العواصف تهدر والرياح تزمجر حتى يجد لنفسه المضطربة راحة فى اضطراب الطبيعة ! وكان الخطر يعير شيئاً من السحر لوضعيته ، وكان يشعر بالانسجام التام بالمنظر الثائر ، عندما كانت العاصفة تجتاح السماء ، وكانت الغابات تردد صوت هذا الاجتياح ، كما أن النهر كان يشارك السماء فى هذه الثورة الجامحة فيهتز ملتويا بتأثيرها، وترتطم أمواجه بعضها بالبعض الآخر فتحدث ضجيجا هائلا . وفى هذه الأثناء اشترى له حديقة فى ضواحى (ينا) بالقرب من دار (ويسلهوفت) التى كانت مركز إدارة مجلة (الـكيمانيه ليتراتور زايتنغ) وهى المجلة الذائعة الصيت فى ذلك الوقت ، وإذا

فى كل مكان ، وسرعان ما سجدت أوربا تحت أقدامه واحتل البلقان ، وهنا تقدمت روسيا تطلب أن تعطى ميناء على البحر الأبيض ، ولكن هتلر رفض ، فانضمت روسيا إلى إنجلترا ، وكانت الدولة الأوربية الوحيدة التى بقيت صامدة أمام هتلر وإلى أمريكا . وكان انضمام روسيا إلى إنجلترا وأمريكا أكبر أسباب هزيمة هتلر وسقوط دولته

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، وانقسم حلفاء الأمس إلى كتلتين متعاديتين : إحداهما شرقية وهى روسيا ، والأخرى غربية رتضم إنجلترا وأمريكا وفرنسا

ومن الطبيعى أن تنضم تركيا إلى الدول الغربية ، فهى تعلم أن روسيا لم ولن تتخلى عن مطامعها فى أراضيها ، ولعل فى انضمامها إلى المعسكر الغربى ما يحفظ كيانها ويبقى على سلامتها

أبو الفتوح عطيفة

نظرنا إلى المكان فى سوق (ينا) فهو يقع فى الجنوب الغربى من المدينة بين (انكليكاتر) و (وينوثور) فى الممر الضيق حيث يجرى فرع من نهر (نوترابخ) حول المدينة

بنى شلر بيتاً من طابق واحد فى قمة المرتفع الذى يشرف على منظر غاية فى الجمال فى وادى (سال) بما يحيط به من غابات الشربين . وكان هذا المكان مسكنه الحبيب إليه أثناء ساعات كتابته؛ وأكثر مؤلفاته التى دبجها يراعه فى ذلك الوقت كتبت هنا . وكذلك الحال فى الشتاء فإنه كان يعيش بعيدا عن ضجيج الناس وجلبتهم وذلك فى دار آل (كرسباغ) خارج خندق المدينة . وكان عند جلوسه بالقرب من المنضدة يحتفظ دائما بقهوته الجاهزة أو الشوكولاته ، وغالباً ما كان يقتنى قنينة من شراب الراين أو الشامبانيا لينعش نفسه المتعبة ، وكثيراً ما كان الجيران يسمعونه وهو ينشد بعض الأناشيد العذبة فى هدأة الليل . وكل من استغل فرصة مراقبته فى مثل هذه الأحوال — وكان ذلك فى غاية البساطة — بسبب المرتفعات الواقعة مقابل حديقته من الجانب الآخر من الوادى — كان يمكن أن يراه متكلما مرة بصوت عال أو ماشياً بسرعة جيئة وذهاباً فى غرفته أو رامياً نفسه على كرسيه ليكتب ثم يراه يقف ليشرب من القنينة التى بجانبه . وكان يظل بجانب منضدته شتاء إلى الساعة الرابعة أو حتى الخامسة صباحاً ، أما فى الصيف فكان يسهر إلى الثالثة فقط . ومن ثم يذهب إلى الفراش ليستيقظ فى التاسعة أو العاشرة

ويقول الشارح مستطرداً «وكانت حياته فى وايمر تشبه حياته السالفة فى رينا » وكان شغله الشاغل هو الدراسة والكتابة . وكان يتسلى فى محيط عائلته ، حيث كان يترك لنفسه حرية التمتع بمسرات الحياة ومباهجها بصراحة مع قليل من أصدقائه الخلص . وقد جمع هؤلاء الأصدقاء فى ناد وجعل من هذا النادى مكانا للمتعة والتسلية البريئتين . وكان مع ذلك يحب النزهة المنفردة فى منتزهات وايمر وكان يرى غالبا متجولا بين الخمائل والأروقة المرمرية البديعة ، وبيده دفتر ملاحظات وهو يسير ببطء أو يقف هادئا متأملا ، وأما إذا رأى أحدا فيمرق مسرعا إلى طريق آخر لئلا تنقطع سلسلة أحلامه وتأملاته ، وكان ملجأه المحبوب هو الطريق الصخرى الكثيف الظلال المؤدى إلى بيت (رومش) وكان هذا البيت محل نزهة الدوق وقد بنى بإرشاد جوته ، وكان يجلس هناك بجانب الصخور الشامخة المظللة بأشجار السرو والبقس وأمامه الأيك المعشوشبة على مقربة من جدول صغير يتدفق ماؤه فى قناة مبلطة ملساء ، حيث توجد بعض أشعار جوته منحوتة على لوح أسمر من الحجر مثبت فى الصخر [(١)]) . ولو أن هذه العزلة قللت من أهمية سلوكه الشخصى إلا أنها دلت على فضيلة كبرى من فضائله ، ألا وهى التجرد من ترهات الحياة وابتعاده من مباذلها ، فالإنسان لا يولد إلا ويجد أمامه مجالا من الرغبات العالية الطموحة ، ولا يكون الانتصار عليها كاملا خصوصا لإنسان مثل شلر . فوجد أن واجبه يقتضيه أن يساير مثل ذلك المسلك من الحياة ، أعنى بذلك مسلك العزلة ، وقد جاهد بكل مايملك من قوة وبأس على تأدية مثل هذا الواجب على أحسن صورة بعد أن اكتشفه لنفسه ، ولم يكن مصدر هذه العزلة ابتعاده عن مصالح الناس بل لاهتمامه بهم ، وتمكننا من بعض الإشارات والعلامات أن ندرك بأن واجب الشاعر بالنسبة لشلر فيما يخص الإنسانية هو أعظم قدرا وأكبر قيمة وأعلى دلالة من واجبه الشخصى تجاه نفسه ، ومع ذلك ، فقد تبين لديه بأنه كان يرمى (بمواهبه فى الماء لينتظرها فى وقت آخر) . وعندما تضمحل ضوضاء الغزاة والمشعوذين والمصلحين السياسيين تظهر الحكمة العلوية التى كانت كامنة فيه وتبقى بين الناس ليعترف بفضلها وتقدر قيمتها حق قدرها ، وعليه ولو أنه مات إلا روحه الخالدة لا تزال حية طافحة بالقوة والجلال . وقد حدثنا الكثيرون عنه فقالوا (إنه كان رقيقا شفافا بشوشا عطوفا لأقصى درجة ، ولم تستحوذ عليه رغبة أشد من رغبة إسعاد الناس أجمعين) ولم يكن فى إمكان أى شخص آخر أن يتحمل ماتحمله شلر فى سبيل أداء واجبه ، فقد كان هذا الواجب أغنيته فى المساء ، وصلاته فى الصباح .. لقد عاش ومات فى سبيله مضحياً — كما يقول جوته — بحياته فى سبيل تصوير الحياة

يوسف عبد المسيح ثروت

(١) حياة شلر

كلام صلة

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

نصح الرجال فردهم عن نصحه نشوان يملأه الغرور فيطفح [1]
رب اسقه بيد (النبي) منية بعذابك الأوفى تشاب وتجدح [2]
إيه (أباجهل) نصرت بفارس [3] يلقى المنية منه أغلب شيح [4]

(١) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه ، فغضب ، وأفسد على الناس نصحه قائلا : انه يخاف على ابنه (يعنى أبا حذيفة) فإنه كان مع النبي ، وبعث إلى عامر بن الحضرمى يقول : هـذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك ، فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ : واعمراه ! واعمراه . فثارت النفوس ، وأخفق السعى .

رآى النبي عتبة ، وهو يطوف على جمله ينصح الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن يكن فى أحد من القوم خير ، فنى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا

كانت سرية عبد الله بن جحش المذكورة آنفا فى آخر يوم من رجب ، وقيل فى أول يوم من شعبان على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ، وكان رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام ، قال سعد بن أبى وقاص : بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال : لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش ، فبعث علينا عبد الله بن جحش ، وسماه أمير المؤمنين ، فهو أول من حمل هذا اللقب ، وموضع هذه الغزوة نخلة (بين مكة والطائف) قتل المسلمون فيها وأسروا ، واستاقوا عير قريش تحمل الزبيب والجلود للتجارة ، فكانت أول غنيمة فى الإسلام ، وكان القتل أول قتل فى نصرة الإسلام ، وذلك لما فعله كرز بن جابر الفهرى ، وقال النبى عند رجوع السرية : ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام — وتحدث كفار قريش بذلك فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أشد من القتل) — وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش :—

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول (محمد) . وكفر به ، والله راء وشاهد
وأخرجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله فى البيت ساجد

كان المسلمون ثمانية رجال ، وقيل اثنى عشر فى هذه الغزوة

(٢) تجدح بمعنى تخلط

(٣) هو الأسود المخزومى بن عبد الأسد كان شرسا سيء الخلق ، قال ، أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، ثم أقبل ، فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعا ، ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق فى يمينه فقتله حمزة فى الحوض ، وهو أول ==

أرداه (حمزة) عند حوض (محمد) فانظر أتقدم أم تحيد وتكفح [5]
رام الورود ، فما انثنى حتى ارتوى من حوض مهجته المنايا القمح [6]

جد البلاء ، وهب إعصار الردى يرمى بأبطال الوغى ويطوح
نظر (النبى) فضج يدعو ربه لاهم نصرك ، إننا لك نكدح
تلك العصابة ، ما لدينك غيرها إن شد عاد [7] أو أغار مجلح [8]
لولا تقيم بناءه وتحوطه لعفا كما تعفو الطلول وتمصح [9]
لا هم أن تهلك ، فما لك عابد يغدو على الغراء ، أو يتروح [10]
جاشت حميته ، وقام خليله [11] دون العريش يذود عنه وينضح [12]
وتغولت [13] صدر القتال فأقبلا والأرض من حوليهما تترجح [14]
فى غمرة ضمن الحفاظ لقاحها فالحرب تسدح بالكماة وتردح [15]
استبق نفسك يا (أبا بكر) وقف أن ضج من دمك الزكى مصيح [16]
أعرض عن ابنك إن موتك للذى حمل الحياة إلى الشعوب لمترح [17]

== قتيل من المشركين فى بدر ، قيل إنه أول من يأخذ كتابه بشماله ، وإن أخاه عبد الله المخزومى زوج أم سلمة رضي الله عنهما ، أول من يأخذ كتابه بيمينه

(٤) الشيح المقاتل ، والجاد في الأمر

(٥) كفح بمعنى جبن

(٦) يقال إبل قمح أى رافعة الرؤوس غاضة العيون ، وهـذا إذا ارتوت من الماء

(٧) شـد عليه حمل

(٨) جلح على الشيء أقدم عليه ، وصمم ، والسبع على القوم حمل عليهم

(٩) مصحت الدار اندرست وامحى أثرها

(١٠) تروح سار فى الرواح ، أى المشى ، وفى البيت والثلاثة التى قبله اشارة الى قول النبى لما اشتد الأمر على المسلمين (اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وقيل فى الأرض)

(١١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه

(١٢) توسل سعد بن معاذ الى النبى أن يبنى له عريشا على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، وكان معه فى العريش أبو بكر متأهبا شاهرا سيفه ، فلما التحم القتال جاء سعد بن معاذ وجماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم — وينضح يدافع

(١٣) تلونت

(١٤) تهتز أو تتذبذب

(١٥) يقال سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل ، وأنبتت

(١٦) كان عبد الرحمن بن أبى بكر فى صفوف المشركين فطلب المبارزة وكان شجاعا فاتكا ، فأراد الصديق أن يبارزه ، فمنعه الرسول الكريم وقال : متعنا بنفسك يا أبا بكر ، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعى وبصرى (أسلم عبد الرحمن فى هدنة الحديبية ، وأسلم أبو قحافة عام الفتح الأعظم رضى الله عنهما

(١٧) المترح المحزن

صلى عليه الله حين يقولها   والحرب تعصف والفوارس تكلح

الله ، لا ولد أحب ولا أب   منه ، فأين المنتآى والمترح؟[18]

أفما رأيت (أبا عبيدة) ثائرا   وأبوه فى يده يتل ويسطح؟[19]

بطل تخطر ، أم تخطر مصعب[20]

صلب القرا[21] ضخم السنام مكبح ؟[22]

أرأيت إذ هزم (النبى) جموعهم   فكأنما هزم البغاث المضرح[23]

هى حفنة للمشركين من الحصى   خف الوقور لها وطاش المرجح[24]

مثل الثميلة[25] من مجاجة نافث   وكأنما هى صيب يتبذح[26]

الله أرسل فى السحاب كتيبة   تهفو كما هفت البروق اللمح[27]

تهوى مجلجلة[28] تلهب أعين   منها وتقذف بالعواصف أجنح[29]

للخيل حمحمة تراع لهولها   صيد الفوارس، والعتاق القرح[30]

(حيزوم[31]) أقدم ، إنما هى كرة   عجلى ، تجاذبك العنان فتمرح

(جبريل) يضرب، والملائك حوله   صف ترص به الصفوف وترضح[32]

تلك الحصون المانعات بمثلها   تذرى المعاقل والحصون وتدرح[33]

للقوم فى أعناقهم وبنانهم   نار تريك الداء كيف يبرح[34]

جفت جذور الجاهلية ، والقوى   هذا النبات الناضر المسترشح[35]

طفق الثرى من حولها لما ارتوى   من ذوب مهجتها يجف ويبلح[36]

ومن الدم المسفوح رجس موبق[37]   ومطهر يلد الحياة ويلقح

بنبع

---

(18) المنتآى محل البعد ، والمترح مفعل من نزح اذا بعد

(19) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه ، وكان من المشركين ، ليقتله ، فأعرض عنه وفيه أنزلت (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) الآية ويتل يصرع

(20) المصعب الفحل ، ومن الجمال مالم يركب ولم يمسه حبل

(21) شديد الظهر

(22) مكبح شامخ والبيت فى صفة أبى عبيدة

(23) البغاث ضعاف الطير ، والمضرح الصقر الطويل الذيل

(24) أخذ النبى صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى ورمى بها المشركين ، فلم يبق رجل منهم إلا امتلأت عينه فانهزموا (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقاتل هو وأبو بكر قتالا شديدا فلما انهزموا جعل معهم شاهرا سيفه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) والمرجح الحليم

(25) الثميلة البقية

(26) تبذح السحاب مطر

(27) البيت وما بعده فى نزول الملائكة لما التحم القتال وعج النبى والمسلمون بالدعاء ونزلت الملائكة (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) واستيقظ صلى الله عليه وسلم من نومه فقال وهو يبتسم : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل على ثناياه النقع ، وعن الإمام على قال : هبت ريح شديدة يوم بدر ، ما رأيت مثلها قط ، ثم جاءت أخرى كذلك ، ثم جاءت أخرى كذلك ، فكانت الأولى جبريل : نزل فى ألف من الملائكة أمام النبى ، وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف عن يمينه ، وكانت الثالثة إسرافيل ، نزل فى ألف عن ميسرته صلى الله عليه وسلم ، قال رجلان من بنى غفار : رأينا سحابة يوم بدر سمعنا فيها حمحمة الخيل وقائلا يقول : أقدم حيزوم ، فرس جبريل على رواية ، وسحابة اخرى فيها رجال وسلاح

(28) من جلجل السحاب إذا رعد

(29) جمع جناح

(30) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع

(31) فرس جبريل

(32) تكسر

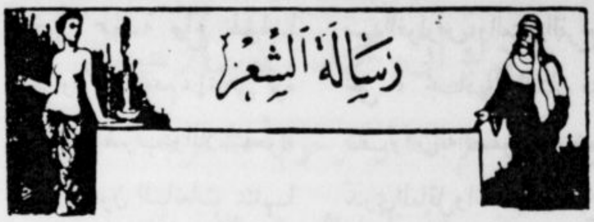
(33) تذرى وتدرح بمعنى

(34) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

(35) استرشح النبات طال

(36) ييبس

(37) مهلك



نشيد

الاتحاد — النظام — العمل

للأستاذ علي متولي صلاح

مصر هذا عهدك الزاهى فسيرى   لا تبالى أى صعب فى المسير
كل صعب صار سهلا لينا   وغدا كل شديد هينا
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى   واجمعى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكراً يا إلهى

مصر هى لاتحاد وعمل   ونظام ... تبلغى كل الأمل
وكفى يا مصر تفريقاً كفى   وعفا الله عن الماضى عفا
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى   واجمعى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

أنت يا مصر من الساعة حره   لن تضامى بعدها يا مصر مره
قد تحررت من القوم الطغاة   وتجاوزت عهود الظلمات
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى   واجمعى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

لو دعا الداعى لبذل وفداء   قسماً أبذل روحى والدماء
أى شئ هو أغلى من بلادى   هى دارى وعتادى ومهادى
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى   واجمعى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

علي متولي صلاح

ثورة ضمير

للشاعر محيي الدين فارس

فرغت كأسى . فمن عملأ بالأحلام كأسى
وسجا الكون وثارت من لهيب الشوق نفسى
وطوتنى فى شعاب الليل إطراقة بؤس
وأنا زورق أحلام ، وأشواق ، وعرس !
فى يد الأمواج ، والإعصار كم يضحى ويمسى !

إن أكن أسكرت بالألحان أسماع الوجود
وتغنيت مع الأطيار فى الصبح الوليد
وسكبت الفن لحناً فى مزامير الخلود
فأنا قلب شقى مل من أسر القيود
فى صحارى العمر والنسيان . فى دنيا العبيد !

غربت شمس ولم أبصر سوى ليل توالى
وتلاشى الحلم من أفق خيالاتى وزالا
وأنا فى عالم النسيان أستاف الزوالا
ريشة فى ثورة الأنواء لم تدرك مجالا
لفها الإعصار فى أجنحة الليل وغالا

عذبتنى فى شعاب الوهم ألحان شكاتى
كم يثير الليل أشباح هموم طاغيات !
وخبت شعلة آمالى ، وجفت صبواتى
وتهاوت ... من سمواتى طيور الأمنيات !
لم يعد قلبى خفاقا بأحلام الحياة !

حدقت فى صمتى الخالد أبصار الليالى
وجرت خلف نعوش العمر أسراب ظلال
لم أعد أبصر فى دنياى أطياف الجمال
كل شئ هامد كالموت فى كهف الليالى
كم قصور شدتها للفن من وهم خيالى

واسنى ياليل ، يانبع خيالاتى وشعرى
واسنى ياليل ، هل تدرك مايحمل صدرى
أنا كالبحر شقى عشت فى مد وجزر
أنا طير قصت الدنيا جناحيه بغدر
لست أدرى فيم أبكى . . وأغنى لست أدرى

إن أكن أذنبت فى الدنيا فغفرانك ربى
جئت أبكى بدموعى ناشدا إخفاء ذنبى !
ناسكا فى معبد الإيمان . هيمان كصب
طهرت نفسى صلاة . . نضرت صحراء قلبى
فارحم اللهم نفسا عذبت فى كل درب !

محيي الدين فارس السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مهرجان الشعر

دعت اللجنة الثقافية بجمعية الشبان المسيحيين بالقاهرة إلى مهرجان للشعر في يوم الجيش عقد بدار الجمعية مساء الجمعة ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ . وقد قدمه الأستاذ خالد الجرنوسى ، وعقب عليه الأستاذ كامل أبو العينين ، وكانت ضيفة الشرف فيه السيدة أمينة السعيد

إلى هنا ليس لنا اعتراض على أى شيء ؛ غير أن الذى لوحظ أن جميع الشعراء الذين قدموا فى المهرجان كانوا من الأسماء الجديدة . . وكان فى الاستطاعة دعوة شعراء آخرين معروفين للاشتراك فى هذا المهرجان ، ولا ندرى هل المسؤول عن ذلك جمعية الشبان نفسها ، أم الأستاذ خالد الجرنوسى . .

لا اعتراض لنا أيضا على الشعراء الجدد ، فنحن ندعو إلى إعزاز الأدب الجديد ، وفتح المجال أمام أصحابه ليأخذوا مكانهم ليتسابقوا إلى الغاية .. ولكننى أعتقد موقنا أن قصر المجال على طائفة دون طائفة ، لابد أن يكون له سبب يبرره..

لماذا لم نسمع فى هذا المهرجان محمود حسن إسماعيل أو عبد الغنى حسن أو على الجبلاطى أو قاسم مظهر أو العوضى الوكيل ، أو على متولى صلاح أو غيرهم وغيرهم

وفى الميدان النسوى . . لماذا اقتصر على الآنسة روحية القلينى ؟ إننى مع الأسف لم أقرأ للآنسة الشاعرة . . وأرجو أن أقرأ لها فى وقت قريب ؛ ولكننى أسأل لماذا لم يدع إلى ندوة الشعر أمثال : جميلة العلايلى أو أمانى فريد ، أو غيرهما من الشاعرات . .

. . وإنى لأتساءل ، لماذا اكتفى الأستاذ خالد الجرنوسى بالإشراف ، ولم يقدم شعره .. ولم يلق قصيدة من قصائده العصماء فى هذه المناسبة !

إن مهرجان الشعر فى يوم الجيش عمل أدبى مشكور ، وهو نافذة من نوافذ الشعور ، أعطت هؤلاء الشعراء الشبان فرصة التعبير عن مشاعرهم فى هذه المناسبات الفذة . .

. . ولكنها كانت تكون أعظم أثرا وأبعد قوة فى محيط الأدب لو أمكن أن تنفذ على نطاق واسع ، وفى جو أكثر استعدادا وأخصب إنتاجا . . وإنا لنرجو أن تعاود جمعية الشبان المسيحية الكرة ، وأن توسع نطاق الدعوة حتى نسمع قصائد أخرى ، وإنا لنرجو أن يشترك فيها شعراء وشاعرات من الأسماء اللامعة المعروفة !

حول تطهير الأدب

أرسل إلى الأستاذ عبد اللطيف فايد الخطاب التالى :

« فى هذه الآونة التى تتنفس فيها البلاد من شر ما جثم على صدرها فى العهود الغابرة ، تمتد يد التطهير المباركة إلى كل مرفق من مرافق الدولة لتغسله من الأدران التى علقت به حتى يغدو نظيفا ، يؤدى واجبه بدقة وأمانة

.. أرى مرفق الأدب قد وضع فى زاوية مهملة ، وقد أغفله الأدباء ولم ينظروا إليه نظرة تعيد شامخ مجده !

وأنت تعلم يا سيدى أن الدخلاء على الأدب كثيرون ، احترفوا الإمساك بالقلم ، وهم لايعرفون كيف يضعونه بين أناملهم ويوجهونه التوجيه الصحيح الذى يرسم العبارات فى استقامة ونضوج ، واتخذوا من بعض الصحف والأوراق الرخيصة ميدانا يعرضون فيه عملتهم الزائفة

وقد راجت هذه العملة فى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية.. وأقبل عليها طلاب المدارس والمعاهد والجامعات وكثيرون من أبناء الشعب ، فتغذوا بلبانها ، وأصبحت عمادا لهم فى الإنشاء والتعبير !

وإنك لتجد الحسرة والألم يغمران قلبك ونفسك وكيانك كله حينما تفتش عن روح أدبى بالمعنى القيم فى المحيط التعليمى ! لأنك سوف لا تعثر إلا على أشخاص يصفون الكلمات فى غير تناسق ، ويخلقون عبارات ميتة خالية من الحياة ، مما صير الذوق الفنى فى خطر !

ولولا البقية الباقية من السلف الصالح والشبيبة المتوثبة ممن تفتحت عيونهم وعقولهم ، لأصبحت سوق الأدب فى انهيار تام

أليس من واجب علماء القلم ، وشيوخ الأدب ، وحملة المشاعل ، أن يجعلوا من أنفسهم قوامين على التراث الذى امتدت إليه يد العبث والضياع ! »

***

هذه كلمات تفيض بالإيمان والحماسة ، وتكشف عن روح أدبية خالصة ، نحن ننشدها فى شبابنا الجديد فى العهد الجديد

وها أنت ترى يا صديق أن « الرسالة » تواصل رسالتها ، وتحتمل فى سبيلها كل عنت .. وأنت ترى الناس وقد تحولوا عن الأدب الرفيع إلا قلة من أصحاب الذوق الرفيع ، ومع ذلك فإن « الرسالة » قد أعلنت أنها ستزداد قوة فى الأيام القريبة على أداء رسالتها التى آمن بها صاحبها أصدق إيمان ، وجرد نفسه له خالصا مخلصا لا يبتغى إلا رضوان الله . .

إن الأدب الرفيع سيخلد ويعيش ويبقى . . وكل هذه التفاهات المزخرفة ، والفقاعات الملونة التى تعجب بعض ذوى الأهواء .. ستموت وتنطوى .. وتذهب أدراج الرياح . . فلا تضيق ياصاحبى إذا لم يعجبك أمر الناس . وإنا لنعتقد وقد اعتدلت الموازين فى الحياة السياسية والاجتماعية . . أن تعتدل قريبا موازين الأدب ، وقد غلبت نزعة الجد على أمور الحياة ، فلابد أن يستجيب الأدب لها

عود إلى الشعر المنثور

تفضل أخى الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم فأرسل إلى كتابه « فى الضباب » مع كلمة قال فيها « إنه وقف طويلا أمام كلمتى عن الشعر المنثور »

وقد كتب صديقى كتابه هذا سنة ١٩٤١ . . أى منذ اثنى عشر عاما

كان أيامها فى سن الحب والهوى . . تلك السن التى تتفق مع هذا اللون من الأدب ، أما اليوم فإننا نراه وقد تحول عن هذا اللون

وكل شاب من الأدباء أحب هذا اللون يوما كان السن وكانت العاطفة ، وكانت عوامل متعددة تدفعه إلى أن يقرأه ، أو يعبر عن مشاعره بأسلوبه

.. الضباب .. والظلال . . والأضواء الخافتة . . تلك هى مظاهر الحياة فى سن الشباب ، وهى مظاهر الأدب أيضا ، وفى هذا المعنى اقرأ للأستاذ إبراهيم فى كتابه :

.. وفى عينيك رأيت الأسى والمرح

.. ورأيت اليأس والأمل

.. ورأيت الحيرة والاطمئنان

هذه صورة النفس فى سن الشباب الباكر ، عندما تتراءى الصور ولا تثبت ، وتتبدى الأحلام كالخيال البعيد !

إن رأيى يا سيد إبراهيم فى الشعر المنثور ، هو أننا فى عصر نهضة .. عصر بناء .. عصر الأعمال الضخمة .. عصر الجد الجاد ؛ كل منا يستطيع أن يحمل حجرا كبيرا ليضعه فى هذا البناء الضخم

أما الشعر المنثور فإنه لون من ألوان (الطرافة) يأتى بعد الجد الصارم ، ومن ألوان (الترف) يأتى بعد الحاجة الماسة ، ومن فنون « المتعة » يأتى بعد المتعة الفردية

فأنا لا أحب أن نعود إليه ونحن على أبواب حياة جديدة . وما أقوله عن مصر أقوله عن سوريا ولبنان وبلاد النهضة جميعا

هذا فضلا عن أننى عرضت لشعر شاعرة .. أنثى ؛ إن من حقها أن تصور مشاعرها ، ولكن ليس من حقها أن تطلعنا على صفحة مثيرة .. ما أحراها أن تكون صفحة خاصة بها ، إن شاءت أن تنظر لها من حين إلى حين

إن الأدب اليوم لا يؤمن بمذهب الفن للفن .. ذلك هوس كان يقول به بعض ذوى الشذوذ من الكتاب.. وكانوا يصدرون فى هذا الرأى عن هوى صارخ . فما أحرانا وقد أخذت أوربا اليوم تعيد النظر فى مذاهبها الأدبية ، وفى قواعد الحضارة ذاتها أن ننكر ما يتنافى مع طابعنا فى الشرق .. ولاسيما فى أدب المرأة

إن أوربا اليوم لم تعد تؤمن بمبدإ الفن للفن ، ولن تجد كاتبا واحدا يوافق عليه إلا إذا كان من أنصار سارتر ! وهو من هو فى عالم الفاحشة والضلال ، وإنى لأشكر لأخى الأديب هديته ، وأتمنى أن أقرأ له كثيرا .. فى غير مجال الشعر المنثور

أنور الجندى



حديث لا يستدل به

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (الأهرام ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٢) : « فى سنن أبى داود من حديث عائشة أن أختها أسماء دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا . وأشار إلى وجهه وكفه »

قال الحافظ المنذرى : هذا حديث منقطع وخالد بن دريك لم يدرك عائشة . وقال القرطبى : فيه انقطاع . وقال الكوثرى : فى سنده سعيد بن بشر وهو ضعيف ، وفيه أيضا عنعنة بعض المدلسين . ولو صح لكان ترك عائشة العمل به علة قادحة تمنع من الأخذ به عند جمهور السلف ، لأنه صح عنها تفسير (الأدناء) فى الآية الكريمة ، بإبداء عين واحدة وستر سائر الوجه ، كما صح مثل ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلمانى — وارث علوم على بن أبى طالب وابن مسعود ، والذى كان يخضع لعلمه وفهمه مثل القاضى شريح الذى استمر على قضاء الكوفة ستين سنة من عهد عمر — رضى الله عنهم . . وبقول عبيدة هذا أخذ جمهور السلف

واحتج الأستاذ الأكبر بحديث فى تفسير بن جرير . وليس كل خبر فى تفسير الطبرى بصحيح . فمن المقرر أن المؤلفين السالفين إذا رووا خبرا وذكروا رجاله سقطت التبعة عنهم بذكر رواته . وعلى العلماء نقد رجاله والاحتجاج به إذا سلموا من الجرح، وطرحه ومنع الأخذ به إذا لم يسلموا من ذلك

محمد محمد الجبدرى

جلوب والجيش العربى وحرب فلسطين

اطلعت على كلمة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصرى المنشورة فى البريد الأدبى عدد ١٠٠٥ من الرسالة الغراء ، وبما أنى أعتبر نفسى من جنود العرب الأحرار الذين شهد معركة فلسطين واطلعوا على مؤامرات جلوب ، فإننى أرى من واجبى أن ألبى نداء الأستاذ الناصرى وأعلق على كلمته بالكلمة التالية :

دأب الجنرال جلوب على الإدلاء بتصريحات عسكرية إلى المراسلين الأجانب فقط ، وذلك لتضليل الرأى العالمى وطمس الحقيقة عن أعين الغرب . ولطالما زعم وافترى أن الجيش العربى كان قليل العدد ضعيف العدة ، مع أن الجيش كان عشرة آلاف مقاتل ، يملكون من الأسلحة والذخائر ما يزيد على ما كان بحيازة الجيش اليهودى بأسره . والجنرال جلوب كقطب كبير من أقطاب الاستعمار فى العالم العربى لا يجرؤ على ذكر العوامل التى دفعته إلى رفع علم الهجوم والسير فى طليعة الجيش العربى عندما زحف على الرطبة وبغداد وطعن الجيش العراقى من الخلف عام ١٩٤١ ، فى حين أنه قبع فى قيادته بعمان وأحجم حتى عن زيارة جبهات القتال فى معركة فلسطين إلا بعد انتهاء الحرب وتوقيع الهدنة المشؤومة ، ثم لا نسمع منه أبدا أى تعليق على الخسائر التى منى بها الجيش العربى الذى — بحسب ادعائه — تحمل العبء وحده ، مع أن الحقيقة الثابتة أن ٦٠ ٪ من خسائر الجيش العربى وقعت فى منطقة القدس التى كان لى شرف إدارة الحرب فيها بكتيبة واحدة بغير إرادة جلوب ، مما أدى إلى انتصارنا على اليهود وحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية ، فى حين أن بقية كتائب الجيش كلها لم تخسر سوى ٤٠ ٪ من الإصابات ، والسبب واضح جلى ، وهو أن قادتها كانوا من الضباط الإنجليز الذين نفذوا أوامر جلوب ولم يشتركوا بكتائبهم فى حرب جدية فى أية معركة

أما الدفعية التى يتحدث عنها جلوب فى تصريحه ، فقد كانت قوية فعالة فى الجيش العربى ، ولم يكن لدى اليهود مدفع واحد حتى وقوع الهدنة الأولى ؛ غير أن هذه الدفعية كانت تحت قيادة مساعده (لاش) الذى حال دون اشتراكها معنا فى المعركة لاحتلال الناطق اليهودية من القدس الجديدة ، مما أدى إلى استنجادى باللواء مصطفى راغب قائد الجيش العراق فى فلسطين فزارنى فى قيادتى بالقدس فى ٨ / ٨ / ١٩٤٨ ، ووعد بتزويدى بالمدفعية اللازمة مع لواء مشاة كامل لاحتلال القدس الجديدة ، ولكنه لم يتمكن — لأسباب سياسية — من تحقيق وعده . .

فاستقال وعاد إلى العراق

ويتناسى جلوب مؤامراته التى كان يدبرها وينفذها (ميجر لوكث) ضد الجيش المصرى فى منطقة بيت لحم والخليل ، وخطته الجهنمية للقضاء على القوات المصرية فى الفالوجة . إن لهـذا القطب الاستعمارى الحق فى أن ينفذ أوامر حكومته الصادرة إليه من لندن ، ولـكن الشئ العجيب حقا أن يخرج فى عمان من يدافع عن جلوب ويحتفظ به سيداً للأردن حتى يومنا هذا ، وأن نجد فى الدول العربية الحرة زعماء يرضون عن الحالة فى عمان ، وخاصة فى الجيش العربى ، بعد كل الذى وقع بسببه من كوارث فى الماضى القريب !

عبد الله التل

حاكم القدس سابقاً

وعود الأمس . . ووعود اليوم

كم من وعود وعدها الفلاح فى ماضى السنين ، ولم يتحقق منها كثير ولا قليل !

كان نوابه يعدونه بمختلف الإصلاحات ، ليظفروا بصوته ، حتى إذا أخذوا مكانهم تحت قبة البرلمان لم يروه .. ولم يراهم !

وكانت الحـكومات المتعاقبة ، والوزارات المتتابعة ، تعده بالـكثير ... فلطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على رفع مستوى المعيشة فى القرى ، والنهوض بالفلاح

ولطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على تعميم مياه الشرب النقية فى القرى ... وأن الحـكومة ستعمل على تخفيف أعباء الضرائب عن كواهل الفلاحين !

وانقضت السنون والفلاح هو الفلاح .. والقرية هى القرية ! الفلاح هو الفلاح ، يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها

والقرية هى القرية ، أهملت مرافقها ، وعاشت عيشة البؤس والحرمان

وإذا بكل تلك الوعود وعود عرقوب !!

هذا فى العهد البائد ، أما فى العهد الجديد فقد أفاق الفلاح على دعوة الحرية ، فإذا بالحال غير الحال ، وإذا بأرضه تعود إليه ، فيعود معها الخير واليمن . . وإذا بالملاك الذين كانوا يمتصون دمه يهوون من فوق عروشهم أذلة صاغرين !

لقد وجد الفلاح من ينصفه ، ويرد إليه حقه المسلوب .. فما أبعد الفرق بين وعود اليوم ووعود الأمس ، التى لم تكن إلا كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا !

عيسى متولى

تعقيب

فى « البريد الأدبى » للرسالة الغراء فى العـدد (١٠٠٥) كتب صديقنا الشاعر البغدادى الأستاذ عبد القادر رشيـد الناصرى كلمة يخطئ فيها لفظة « جرجر » فى بيت الشاعر الأديب الفيتورى فى قوله :

(نجرجر) خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

ويشير إلى أن اللفظة تومئ إلى غير المعنى الذى أراده الأستاذ الفيتورى وهو الجذب والسحب ؛ وإنما هى بمعنى الهدير يردده الفحل أو البعير .. الخ

وأقول : من المعلوم فى نشوء اللغة وتطورهـا أن المفردات نشأت على هجاء واحد — أى على حرفين — محاكاة للطبيعة أوله متحرك وثانيه ساكن ثم جاء المضاعف الثلاثى والرباعى . وأنت تقول « صر » محاكاة لصوت صرار الليل . ولما كان الحرف الأخير على الوقف — أى ساكنا — لا يستبينه السامع بعد أو قرب ؛ قلت : صر بتحريك الساكن الثانى فى الأصل . ولما أردت أن تفهم السامع أن الصرار كان يكرر صوته ويرجعه ويردده مرة بعد مرة قلت : صرصر فأسكنت الراء الأولى على الأصل وضاعفت

وعليه فلفظة « جرجر » فى أصلها صحيحة على المعنى الذى أراده الشاعر وهو الجذب والسحب أو بمعنى أصح الجر المتكرر المتثاقل الطويل المبعدة

ويقول الأستاذ الناقد فى قول الفيتورى :

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولـكن عودة (القصور)

« وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لـكلمة (القصور) ، فما معناها يا أستاذ ؟ »



كل لنفسه

للقصصى الكبير اسكندر دوماس « الأب »

كان بقرية فولى [1] منذ سنوات فلاح فقير يدعى « جيوم مونا »

وكان هناك دب يسطو على بستانه كل ليلة فيصطفى من شجر الكمثرى الذها طعما وأكثرها عصيرا رغم أن هذا الحيوان يستسيغ كل شيء ، فمن يشك إذن فى أن هذا الحيوان له من حاسة الذوق ما للانسان وإلا لما اختار هذا الصنف من الكمثرى التى أغرم بها ذلك الفلاح الذى ظن بادئ الأمر أن ذلك من فعل الأطفال الذين يسطون على بستانه مما جعله يحشو غدارته بحبات كبيرة من ملح الطعام وينتظر هؤلاء الفتية

وعند الساعة الحادية عشرة تقريبا سمع زئيرا يدوى فى الجبل فقال لنفسه « آه . إن دبا غير بعيد »

وبعد عشر دقائق دوى عواء آخر قوى وقريب حتى ظن جيوم أنه لن يستطيع الرجوع أدراجه فانبسط على الأرض وليس لديه أمل إلا أن تكون الكمثرى هى مقصد الدب لا هو !

(١) فولى : قرية بفرنسا

وظهر الدب فجأة فى ركن الحديقة وتقدم نحو شجرة الكمثرى مارا على بعد عشر خطوات من جيوم ثم قفز على الشجرة فأنت من ثقله فروعها وأخذ يلتهم الثمار بشره حتى أنه لو زار هذه الشجرة مرتين أخريين لكانت الثالثة عبثا !

ولما بشم الدب هبط من الشجرة ببطء كأنه يأسف لفارقها وعاد أدراجه مارا بصاحبنا (الصياد) الذى لم تكن غدارته المحشوة ملحا لتغنى عنه فتيلا

استغرق كل هذا حوالى الساعة ولكنها كانت طويلة جدا على الصياد كأنها عام فى حين أنها مرت على الدب كأنها لحظة

ومع هذا فقد كان الرجل شجاعا إذ أنه همس والدب يعود أدراجه « حسن ، اذهب . ولكن هذالن يمر هكذا بل سترى »

وفى اليوم التالى مر أحد الجيران فوجد جيوم منهمكا فى قطع أسنان مدراة حديدية فقال له :

— ماذا تفعل ؟

— أتسلى

فأخذ الجار قطع الحديد وقلبها فى يده وأخذ يفكر برهة ثم أردف :

— لو كنت صريحا يا جيوم لاعترفت لى بأن هذه الشظايا إنما تعدها لاختراق جلد أقوى من العنز البرى

— ربما

فاستطرد فرنسوا (وهذا اسم ذلك الجار)

— أنت تعلم أننى نعم الفتى ، فلو شئت أن يكون الدب لنا سويا ، فإن اثنين خير من واحد

— المسألة تتوقف على الظروف

قال ذلك جيوم واستمر فى قطع القطعة الثالثة

— سأترك الجلد لك وحدك ولن نقتسم سوى الجائزة [2] واللحم

— إنى أفضل الكل

— ولكنك لن تستطيع أن تمنعنى من أن أقتفى أثر الدب فى الجبل ومن أن أكمن له فى الطريق

(٢) الجائزة : فى بعض البلاد تعطى الحكومة جائزة لمن يقتل حيوانا ضاريا

وأقول : الأمر لا يحتاج إلى تفتيش فى معجم ، لأن (القضور) أصله (القهور) . وأنا أعجب كيف قرأتها على الحرف وقرأها الأستاذ الناصرى فى الرسالة نفسها على التحريف

والقهور : المغلوب على أمره ، ولا شك أن الذى يجرجر التاريخ أشلاء وأكفانا ، لاشك أنه يعود عودة القهور ، وإن كان العود هنا غير أحمد !

وبعد فإلى شاعر العراق الرقيق أبعث بالتحية الخالصة من مصر الناهضة ، وأرجو له دوام السداد والتوفيق

عدنان

— أنت حر

وانتهى جيوم من عمله وعمد إلى إعداد مقدار مضاعف من البارود

فقال فرنسوا :

— كأنك ذاهب إلى ساحة القتال

فلم يجب جيوم بل قال :

— ثلاث قطع من الحديد فيها ضمان أقوى من قطعة من الرصاص

ولكن ذلك يشوه الجلد

— إنما فيها الموت الزؤام

— ومتى تذهب للعمل ؟

— غدا تعلم

— مرة أخرى ... ألا توافق ؟

— كلا

— أنذرك بأنى سأقتفى أثره

— هذا لا يضيرنى

— لنا سويا ؟ ... قل !

— كل لنفسه ،

— إلى اللقاء يا جيوم

— أتمنى لك أسعد الظروف

فانصرف الجار وهو يرى جيوم يحشو غدارته بالبارود وقطع الحديد

وفى المساء وهو مار بالمنزل رأى جيوم جالسا على أحد المقاعد بالقرب من الباب وهو يدخن غليونه بهدوء . فذهب إليه ثانية وقال :

— لست آسفا ولا مكتئبا . لقد وجدت آثار ذلك الحيوان فلم أعد فى حاجة إليك مطلقا . ومع ذلك فقد جئت أعرض عليك أن يكون لنا سوياً

فقال جيوم بلهجة المصمم :

— كل لنفسه

لم يستطع فرنسوا أن يعلم ماذا فعل جيوم بعد ذلك فى تلك الليلة . ولكن امرأة هذا رأته فى الساعة العاشرة والنصف يحمل غدارته وقد طوى تحت إبطه كيسا رماديا ، ولكنها لم تجرؤ أن تسأله إلى أين يذهب لأنه كان من الرجال الذين لا يفضون إلى نسائهم بشىء

وأما فرنسوا من جهته فقد عثر حقيقة على الأثر الذى انتهى به إلى حديقة جيوم ، ولما لم يكن له حق فى أن يكمن على إحدى أشجار الحديقة فقد أخذ مكانه فى غابة تقع بين منتصف سفح الجبل وحديقة جيوم

ولما كانت الليلة قمراء فقد رأى فرنسوا جيوم وهو يخرج من بابه الخلفى ، ثم تقدم حتى إحدى الصخور الرمادية التى تدحرجت من الجبل ، وكانت تبعد عن شجرة الكمثرى عشرين خطوة ، ثم وقف وأدار طرفه ليرى ما إذا كان هناك من يراه ثم تناول الكيس ووقف بداخله بحيث لم يدع من جسمه خارجه إلا رأسه وذراعيه . وارتكز على الصخرة فأصبح من غير المستطاع تمييزه عنه نظراً لاتحاد لون الصخر والكيس وثبات جيوم فى موضعه

مر من الساعة ربعها فى انتظار الدب ، وأخيراً أعلن مجيئه زئير متتابع وبعد خمس دقائق رآه فرنسوا

لم يأخذ ذلك الحيوان طريقه العادى الذى سلكه بالأمس إما لدهائه وإما لأنه أحس بالصياد الآخر . وبدلا من أن يأتى عن شمال جيوم ارتسم لنفسه طريقا منحنياً وأتى عن يمينه بحيث لا يمكن أن يصل إليه سلاح فرانسوا ، ولكن على بعد خطوات من غدارة جيوم الذى ظل ساكنا حتى ليظن أنه لم ير ذلك الحيوان وهو يمر قريبا منه كأنه يتحداه . ويظهر أن الدب لم يشعر بعدوه إذ أن الريح كانت متجهة منه إليه ولذا استمر فى طريقه نحو الشجرة

ولم يكد يرتكز على رجليه الخلفيتين وقد حوط بهما الأماميتين ودفع بصدره إلى الأمام استعدادا للقفز حتى دوى فى الوادى صوت هائل وسرى فى الفضاء بارق من نار أعقبه أنين جرح مميت

انقلب الدب راجما مارا على بعد خطوات من جيوم دون أن يراه فقد أدخل ذراعيه ورأسه داخل الكيس فاستتر فى الصخر من جديد

كان هذا المنظر على مرأى من الجار الذى ركع على ركبتيه ويده اليسرى ، قابضا باليمنى على غدارته وقد اصفر لونه وهو يكتم أنفاسه وتمنى فى ذلك الوقت لو كان نائما فى سريره بعيـدا عن هذا الموقف

كانت مفاجأة سيئة لفرانسوا حين رأى الدب الجريح بعـد أن دار دورة طويلة قد أخذ سبيله عن يمينـه حتى أسلم نفسه لبارئه ، وتحقق من غدارته ليتأكد أنها محشوة . كان الدب على بعد خمسين خطوة يئن من الألم ويقف ليدور برأسه فيعض على موضع الجرح ثم يتابع السير حتى صار على بعد ثلاثين خطوة

ولـكنه وقف فجأة وتنسم الريح التى تأتى من جهـة القرية وزأر زئيرا مرعبا ثم قفز داخل البستان

— خذ حذرك يا جيوم ! احترس !

تفوه بها فرانسوا وهو يتبع الدب وقـد نسى كل شئ إلا صديقه لأنه اعتقد تماما أنه لن ينجو من الدب إذا لم يكن قـد استطاع أن يحشو غدارته من جديد؛ ولـكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمع صرخة ولـكنها كانت صرخة آدمية ، صرخة رعب ، بل صرخة النزع الأخير . ثم تلتها صرخة استجمع فيها صاحبها كل ما بقى فيه من قوة ومن رجاء فى الله :

« أدركونى ! » لم يعقب ذلك أى صوت ولا تأوه

لم ينكص فرانسوا على عقبيه ؛ بل تقدم حتى اقترب من مصدر الصوت ، فتبين له بوضوح ذلك الحيوان الهائل منكبا على جيوم يمزقه بمخالبه

كان فرانسوا على بعد أربع خطوات منهما ولـكن الدب كان ثائرا على عدوه لدرجة أنه لم يكترث لغيره . لم يجرؤ فرانسوا أن يطلق غدارته خوف أن تقتل جيوم إن كان لم يزل حيا . فالتقط حجرا وقذف به الدب

فالتفت الدب نحو عدوه الجديد . لقد كانا متقاربين جدا ، حتى أن الدب انحنى إلى الوراء استعدادا للمهاجمة ؛ ولـكن بحركة آلية ضغط فرانسوا على الزناد فخرج الطلق النارى وانقلب الدب على ظهره لأن الرصاصة قد اخترقت صدره وكسرت عموده الفقـرى

تركه فرانسوا يتخبط فى دمائه وأسرع إلى جيوم ، فلم يجده بشرا ولا جثة ؛ بل وجده عظاما ولحما ممزقا قد التهم الدب رأسه بأكمله تقريبا

رأى فرانسوا الأنوار تتحرك وراء النوافذ فعلم أن كثيرا من فلاحى القرية قد استيقظوا فأخذ ينادى ويستغيث ويحدد المكان الذى هو فيه

نخف إليـه بعض الفلاحين بأسلحتهم وما لبثت القرية أن تجمعت بتمامها فى حديقة جيوم ، وكانت امرأته من بين الحاضرين وقد كان المنظر رهيبا مرعبا إذ أخذ كل الحاضرين يبكون كالأطفال

اكتتب أهالى المنطقة بأكملها لأرملة جيوم بمبلغ سبعمائة فرنك ، وتنازل لها فرانسوا عن الجائزة وباع لحسابها جلد الدب ولحمه

وأخيرا اقتنع الجميع بوجوب التعاون والتآزر !

ع . م

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نصيب قريتي من الثورة ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١٢٤٥
توحيد الزى ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١٢٤٦
الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٢٤٨
الميسر والأزلام ... ... : للأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٢٥٢
العزوف عن القراءة ... ... : للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ... ١٢٥٥
المعلم فى عهد التحرير ... ... : للاستاذ محمد رجب البيومى ... ١٢٥٧
سليمان العبسى ... ... : « أحمد الفخرى ١٢٦٠
شلر ... لتوماس كارليل ... ... : ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت ١٢٦٣
ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم ... ١٢٦٥
(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٢٦٧
(البريد الأدبى) — قيس بن ذريح أم قيس بن الملوح ؟ — أوامر ١٢٦٩
مهملة — مهرجان الشعر — رد على نقد — هى
مسألة خلافية ... ...
(القصص) — الأرملة — عن الفرنسية ١٢٧١

٣٧ ٥ ٣٩

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجــــــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ،
وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم
لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1010 — Le Caire 10 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نصيب قريتي من الثورة

قريتي الصغيرة الفقيرة هي إحدى القرى الخمسين التابعة لمركز طلخا؛ ومركز طلخا هو أوحد المراكز جميعا في فحش النظام الإقطاعي وفجوره. كل ما يملك فلاحه من أرضه أمتار ينام فوقها وهوحي، وأشبار يرقد تحتها وهوميت. أما ملاكه فهم آل طوسون، وآل البدراوي، ومحمد علي، ووحيد يسري، وسرسق، ووزارة الأوقاف! لذلك كانت جملة الأرض التي نزعها قانون الإصلاح الزراعي من كبار ملاكه، ليوزعها على صغار زراعه، اثنين وثلاثين ألف فدان في السنة الأولى من سني التوزيع الخمس! وهذا الرقم الأوّلي الضخم يشعرك ولا شك بالحياة الأليمة التي كان يحياها أولئك البائسون التعسون في ظلال الأسرة العلوية الكريمة!

كانوا يعملون العام كله دائبين ليل نهار، لا تتخلف امرأة عن رجل، ولا يتخلف صغير عن كبير، ولا تفترق ماشية عن آلة. حتى إذا آتت الأرض الطيبة أكلها فحصدوا القمح، وضموا الرز، وجمعوا القطن، وقطعوا الذرة، ذهب أولئك كله إلى المالك المرهوب، إما عينا في مخازنه، وإما نقدا في خزائنه! أستغفر الله! لقد تدرك الرحمة أحيانا قلب الباشا أو الأمير، فيترك للفلاح أو للأجير، أرغفة من الذرة يتبلغ بها كل يوم، وجلبابا من القطن يرتديه طول السنة، وأرطالا من اللحم يتذوقها كل عيد! أما نصيبه من ثمن قطنه ورزه، فيقول له ناظر البدراوي: أخذناه لأن أباك أو جدك كان مدينا لنا في الماضي! ويقول له مفتش طوسون: حجزناه لأن إجارتك ربما تخسر في المستقبل! فإذا همَّ بأن يشكو، حجز الناظر ماشيته عن الغيط، ومحصوله عن البيت. وإذا جرؤ على أن يحتج، أمر المفتش (مأمور البوليس) أن يعتقله أياما ليسلمه إلى جنوده فيصبّحوه بالعصا، ويمسُّوه بالكرباج!

في قرية من قرى هذا المركز البائس نشأت؛ وفي غمرة هذا البؤس الذي لا حد له ولا حيلة فيه رأيت الباشا كيف يطغى وينسى الله، والمفتش كيف يبغي وينسى العدل، والفلاح كيف يذل وينسى الحرية، والأجير كيف يهون وينسى الحياة!

وفي (وحي الرسالة) في مجلداته الثلاثة وصفت مآسي هذه الأمة من الناس، وهذه القرية من القرى، وصفا كان مداده الدمع، وكانت كلماته الأنين! فإذا عرفت أمرهم على الوجه الذي عرفته، وأدركت حالهم من الوصف الذي وصفته، تبينت في جلاء ويسر نصيبهم من نهضة الجيش. لقد كانوا أذلاء فعزوا؛ وكانوا أرقاء فسادوا؛ وكانوا أجراء فملكوا. ثم كانوا أداة إنتاج لغيرهم فأصبحوا عامل استغلال لأنفسهم؛ وكانوا رعايا الباشا كالدواب فأصبحوا رعايا الدولة كالناس! وجملة أمرهم أن الله انتقم لحرمانهم من الحارم، وداول الأيام بينهم وبين الظالم، فكانت البؤسى لمن بغى، وكانت النعمى لمن صبر!

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

توحيـــــد الزى

للأستاذ محمد عبد الله السمان

حين وثب الجيش المصرى الباسل وثبته المباركة ، رجونا الله عز وجل أن يهب للشعب فقها فى عقليته ، حتى يهضم معانيها ويساير خطواتها ، فتؤتى أكلها ، وتقدم للوطن من ثمراتها الطيبات ما ينهض به ، ويعلى كلمته ، ويرفع قدره

ولقد أتاحت وثبة الجيش المباركة فرصة طيبة للإصلاح حتى يقوم على أسس ثابتة ؛ ومهدت للنهضة حتى ترتكز على أصول مستقرة ، وكان يحدوها الأمل فى أن تجد الفقهاء من المصلحين حتى يضعوا أسس الإصلاح ، والفقهاء من المشرعين حتى يضعوا أصول النهضة ؛ ولكن يظهر أن الفقهاء من المصلحين يضنون بفقههم على مصر ، والفقهاء من المشرعين يدخرون فقههم لبلد غير مصر ؛ أو أن الفقهاء من المصلحين والمشرعين لم يزل اليأس الذى أورثهم إياه العهد البائد يجثم على صدورهم ، فآثروا الدعة على النشاط ، والانزواء على النهوض ، وتركوا الميدان خاليا إلا من شراذم تتصنع الثورة فى توافه المسائل ، والجلبة فى سفساف الأمور ، والرغاء فى كل ما من شأنه أن يثير الجدل والمراء !

ولعل فى مهزلة « توحيد الزى » التى تمثل اليوم على المسرح دليلا على ما قدمت . فأى معنى لأن يرتفع سعرها وتروج سوقها فى وقت لا حاجة لنا بها ، ونحن فى مستهل عهد جديد مشرق نريده جدا لا هزلا ، وحقا لا عبثا ، ونرجوه مقوضا أركان العهد البائد وماحيا آثاره ، ومحققا لآمال الشعب وأمانى الوطن ! أى معنى لأن يرتفع سعر المهزلة وتروج سوقها اليوم ، وهى لا تعود على البلد بذرة واحدة من الخير ؟ إنها لا تدفع جوعا عن بطون أعياها الجوع ، ولا تستر أجسادا أضناها العرى ، ولا تهدئ نفوسا أثقلها الفقر ، وأنهكها الشتاء ، وأفزعها الحرمان !

البلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الإنعاش الاقتصادى حتى تهدأ النفوس ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى كثير من نواحى الإصلاح حتى تستقر الأوضاع ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الخطوات العمرانية حتى تستقيم الأمور . وشعب هذا البلد فى شدة الحاجة إلى بعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر حتى يكون جديرا ببلد يبغى الإصلاح فى شتى صوره ، ويبغى النهضة فى أكمل منازلها ، ويبغى الرفعة فى أسمى درجاتها ، وليس البلد فى حاجة إلى توحيد الزى ، ومعظم الشعب يجهد فى سبيل الحصول على رقعة تغطى سوءته ، وتستر عورته ، وتدفع عنه رزايا الشتاء !

كان الأجدر بهذه الشرذمة الداعية إلى توحيد الزى أن تتجه اتجاها يمس الإصلاح الحقيقى فى صميمه . وما أكثر نواحى الإصلاح التى يحتاجها البلد اليوم ويحن إليها ويهيم بها ، حتى لا تضيع جهودها سدى ، وتضيع أوقاتها فى غير جدوى ، وتتبخر هممها فى سماء النقاش الممل ، والجدل المتعب . كان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح القرية حتى تليق بسكنى الآدميين ، أو نحو إصلاح الفلاح حتى يليق بالآدمية التى أكرمها الله تبارك وتعالى ، أو نحو إصلاح العامل حتى يثمر الثمرة المرجوة فى العهد الجديد ، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح المجتمع فتهب له أوقاتها ، وتجود عليه بجهودها حتى ينهض فتنهض مصر بجانبه ، وحتى يسعد فيسعد الشعب فى ظلاله

لتذهب هذه الشرذمة إلى الريف لترى بأعينها من المآسى ما تشيب من أجلها النواصى ، ولتذهب إلى بلاد الصعيد لتقف بنفسها على الآلام التى تحطم الأعصاب وتهز القلوب ، لتذهب إلى القرى لترى كيف يعيش الفلاحون هناك فى حظائر تزاحمهم عليها مواشيهم ، وكيف يأكلون طعاما تزاحمهم عليه كلابهم ، وكيف يحيون بعد هذا حياة لا وزن لها إلا فى دنيا التعاسة والشقاء .. لتذهب هذه الشرذمة إلى أية جهة من هذه الجهات ، لتوقن بأن جهادها فى بدعتها هذه عبث ، وبأن أوقاتها فى سبيلها لهو ، وبأن حملتها لتحقيق هدفها ضرب من ضروب التسلية التى لا تليق بهذا الفجر الجديد

إن هذه المهزلة خلقت جوا من الجدل كنا فى غنى عنه ، فقد ولدت (القبعة) وجعلت منها مشكلة معضلة ، أثارت

مواكب التزمت والجمود الراكدة التي تعودت أن تتحرك في التوافه والسفاسف ، لتثبت وجودها وتؤكد بقاءها في مسرح الحياة . ولو أنها ثارت باسم عقليتها وأفكارها لما ألقينا لهـا بالا ولما حسبنا لثرثرتها وضوضائها حسابا ؛ لأن ثورتها مصيرها إلى التلاشي ، وثرثرتها وضوضاءها مصيرها إلى التبخر ، ولـكنها تحرص على أن تثور باسم الإسلام ، وكأن الإسلام آمن من كل جانب فهي تخشى عليه القبعة ، وعزيز في كل ناحية فهي تخاف عليه انتشارها ، ولو فقهت مواكب الجمود هذه لناقشت المهزلة قبل أن تعرض بالإسلام وتزج به ، وتصوره للشرذمة الداعية إلى توحيد الزي كمنهج إصلاحي ، بصورة مشوهة تجعل منه عقبة في سبيل كل إصلاح . فإذا كان توحيد الزي وسيلة من وسائل الإصلاح فالإسلام يؤيده ويؤازره ويباركه ويدعو له، لأن الإسلام لم يحتم على الناس زيا خاصا ، ولا يتحكم في أزيائهم ؛ بل يتركها لتطورات الزمن واختلاف البيئات ، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يلبس القميص والجبة والقباء والحلة والبردة وما إلى ذلك .

وكان يلبس العمامة وتحتها القلنسوة ، والقلنسوة بغير عمامة ، والعمامة بغير قلنسوة ، ولبس العمامة الخضراء والبيضاء والسوداء ، ولبس الصوف والقطن والـكتان ، وكان هديه في هـذا أن يلبس الإنسان ما تيسر له . .

تثور مواكب الجمود على القبعة لأنها من أزياء الـكفار . . ومن تشبه بقوم فهو منهم .. ولا بد أنها لا تفقه أن رسول الله (ص) ارتدى « مستقة » — وهي نوع من الثياب — أهداها له ملك الروم ، وأنه (ص) ارتدى «القباطى» وهي نوع من الثياب أيضا كان يصنعه أقباط مصر . فانظر كيف تؤول حديثه الشريف تأويلا فاسدا ، وتفسره تفسيرا يتفق مع جمودها وجهلها وتزمتها

والإسلام لا يعيب على المسلمين أن يتبعوا سنن من سبقهم إلى الإصلاح ، ولـكنه يعيب عليهم أن يقفوا إزاء الإصلاح موثوقي الأكتاف ، أو يقفوا في طريقه عقبة كأداء . والإسلام مرة أخرى لا يتحكم في الأزياء ولا يزج بنفسه فيها ، لأن الأزياء مرتبطة بتطورات الزمن وأمزجة الشعوب ، وهو أيسر من أن يعوق تطور الزمن ، وأسمى من أن يحجر على أمزجة الشعوب

وبعد .. فنحن مضطرون إلى أن نهمس في آذان دعاة مهزلة توحيد الزي حتى يعلموا إلى أي واد هم مسوقون . وليدركوا أن العهد الذي كان يشجع إشغال الرأي العام بسفاسف الأمور قد انقرض إلى غير رجعة ، وأن الوعي الجديد لن يسمح بعد اليوم بأن يستغل استغلالا سيئا يشينه ويشين البلد معه ، وخير لها أن تعلو بهمتها إلى ما يفيد الوطن والمجتمع ، من أن تبعثر جهودها لتتلاشى في مهب الريح ؛ ومضطرون أيضا إلى أن نهمس في آذان مواكب الجمود حتى تفيق من جمودها ، وتعلم أن الإسلام ليس سلعة رخيصة تلقى بها في كل سوق ، وليس مطية هينة تحترف فوقها الدجل والشعوذة ، وتصطنع الجدل والثرثرة ؛ لأن الإسلام أكرم على الله وعلى المسلمين من أن يكون شيئا من هذا أو ذاك

وخير للاسلام أن يرسم خطط الإصلاح ، ويضع أسس النهضة ، ويشرع نظم الاستقرار ، من أن يزج به في توافه الأمور وصغائرها !

محمد عبد الله السمان

٢ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

سياسة توازن القوى

تشهد السياسة الدولية اليوم بعثاً جديداً لمبدإ «توازن القوى» وهو مبدأ دبلوماسي قديم اتبعته الدول الكبرى فى القرن الثامن عشر وحققت به فترة هدوء نسبى فى العلاقات الدولية تختلف عن الفترة التى مر بها القرن العشرون بحروبه وثوراته ومشاكله العويصة التى تفوق حروب القرون السالفة ومشاكلها فى العدد والخطورة

ومبدأ «توازن القوى» كان ولا يزال علما على أسوإ ما فى الدبلوماسية الدولية من قساوة وانتهازية . فنى ظل هـذا المبدإ استطاعت الدول الكبرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن تتقاسم النفوذ وأن توطد لنفسها فترة هدوء نسبى ساعدها على إخضاع الشعوب المستضعفة فى آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية واستغلالها استغلالا سياسيا واقتصاديا الاستعمار علم عليه

ويبدو أن موجات التحرر والانطلاق التى جاءت نتيجة لازدياد الوعى السياسى والفكرى الذى اجتاح العالم فى أوائل القرن العشرين – هذه الموجات استطاعت أن تزعزع أركان مبدإ «توازن القوى» وأن تفصم عرى هذا التواطؤ الذى هيمن على سياسة الدول الكبرى التى كانت تتكتل فى مجموعات سياسية وعسكرية لتتقسم النفوذ فى الميدان الدولى وتظل كل كتلة رقيبة على مطامع الأخرى لئلا يضيع على أى منها جزء من هذا النفوذ سواء فى الدبلوماسية الدوليـة أم فى مجال الاستعمار والتوسع الاقتصادى

ولما وقعت الواقعة وانفكت عرى هذا التكتل وخرجت روسيا القيصرية والإمبراطورية الإسبانية من ميدان التنافس واختـل ميزان القوى الدوليـة بـين الدول الكبرى وطمحت ألمانيـا القيصرية أولا والهتلرية بعد ذلك لأن تنافس الكتلة الإنجلو فرنسية فى مجال السيادة الدبلوماسية على العالم الحر وعلى العالم المستعبد ؛ أخذت العلاقات الدولية تمر فى طور السياسة الانفرادية التى تحاول فيها كل دولة أن تحقق لنفسها أكبر قسط من النفوذ على حساب أى دولة أخرى ولو كانت هذه الدولة تشاركها الأهداف وتشاطرها مبدأ الاستعمار وتجاريها فى السلوك التجارى والأيديولوجية السياسية

وفى المرتين اللتين حاولت فيهما الكتلة – الإنجلو فرنسية أن تقضى على النفوذ الألمانى كانت عوامل الشقاق بين الإنكليز والفرنسيين تلعب دورا هاما فى توجيه السياسة العالمية . وقد برز هذا الشرق فى أعقاب الحرب العالمية على أشده فى قضية سوريا ولبنـان وفى مستقبل المستعمرات الإيطاليـة السابقة التى كانت سياسة بريطانيا إزاءها تختلف إلى حد بعيد عن سياسة الفرنسيين

ولما أن دخل الاتحاد السوفييتى دخول العملاق إلى المجتمع الدولى فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة أخذت العلاقات الدولية تمر فى طور جديد كان مشجعا على إحياء مبـدإ سياسة توازن القوى وبعثها من جديد . فالأيديولوجية السوفييتية وإن كانت لا تنص على مبدإ توازن القوى إلا أنها تحتوى على مبادئ أبعد من هذا المبدإ – مبادئ تؤكد بأن لا مجال للوطن الشيوعى الأم (وهو الاتحاد السوفييتى) إذا أراد أن يعيش سالما معززا إلا إذا تم تحويل العالم بأسره إلى النظام الشيوعى

ومهما حاولنـا أن نعلل الأسباب الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية التى دعت إلى ازدياد التوتر بين روسيـا السوفييتيه وحلفاء الغرب فى عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة فلا سبيل إلى الإنكار بأن مبـدأ التوسع الشيوعى يستند إلى هـذه النقطة الجوهرية فى تعاليم ماركس وشرح لينين وستالين عليها – هذه النقطة هى ضمان السلامة والاستقرار للاتحاد السوفييتى بتوطيد الشيوعية فى العالم بأسره على أن يتم ذلك بالتدريج . وفعلا لم يجد الاتحاد السوفييتى صعوبة فى السعى لتحويل المناطق الجغرافية المجاورة له إلى حصون شيوعية كما تشهد بذلك مجموعة الدول الشيوعية فى شرق أوربا وفى البلقان وفى الشرق الأقصى (فى الصين وكوريا الشمالية ومنغوليا والتبت) . وبذلك استطاع الاتحاد السوفييتى إيجاد

كتلة سياسية شديدة البأس والحول لا يواجهها فى المجتمع الدولى كتلة مماثلة فى القوة والنفوذ

وكانت هذه الوضعية فى حد ذاتها بعثا لمبدإ « توازن القوى » الذى أغرم به ساسة القرنين الثامن والتاسع عشر — وسواء جاء ميلاد هذه الكتلة الشيوعية الجديدة عفوا أم كان أمرا مدبرا فالذى يعنينا منه أنه استدعى ميلاد كتلة دولية قوية الدعائم شديدة الحول لها فى ميزان القوى العالمية اعتبار هام

وهنا يجب أن نستذكر بأن العائلة الدولية فى المراحل النهائية فى الحرب العالمية الأخيرة وجدت نفسها موجوعة الضمير مثخنة الجراح مثقلة بالأعباء الإنسانية والاقتصادية والسياسية والمشاكل العاطفية والفكرية التى تعترى المجتمع الإنسانى فى أعقاب الحروب الكبرى . ولذلك ساد تفكير صناع السياسة والحرب فى الدول الكبرى والصغرى على السواء اتجاه جديد يحاول أن يوطد دعائم السلم فى عالم ما بعد الحرب الثانية على أساس التكتل الجماعى — تكتلا حاولت عصبة الأمم المتحدة أن تحققه فى عالم مابعد الحرب الأولى إلا أنها فشلت، وذلك لأن أفكار الدول وقلوبها لم تكن مهيأة بعد لهذه التجربة فى العمل المشترك والثقة المتبادلة فى تنسيق العلاقات الدولية على أساس الضمان المشترك وتسيير دفة الشؤون العالمية على بوصلة القانون الدولى كما عبر عنه دستور عصبة الأمم المنحلة ولوائح أعمالها الداخلية

وقال الناس إن ويلات الحرب العالمية الأخيرة ومشاكلها كانت أعظم وأعقد من الذيول التى جاءت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وإن هذه الويلات والمشاكل تقتضى إعادة التجربة التى فشلت فى عصبة الأمم المنحلة . ومن ثم ولدت فكرة هيئة الأمم المتحدة ووضع ميثاقها ولوائحها الداخلية على أساس جديد حاول أن يتفادى العقبات التى كانت تعترض دستور عصبة الأمم المنحلة وإجراءاتها الداخلية

ولقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن القصور الذى صاحب أعمال الأمم المتحدة فى المجال السياسى وعن المساوىء التى نتجت عن نشاطها مساوىء أصاب العرب منها طرف خطير فى مأساة فلسطين، ولكن هذه المساوىء لم تقض قضاء مبرما على مكانة الأمم المتحدة فى العلاقات الدولية ، ولا تزال لهذه الهيئة أهمية قصوى فى تسيير الشؤون الدولية خيرا أم شرا . والمهم أن لا نحكم على هيئة الأمم المتحدة بصلاح البقاء أم بعدمه .. إنما المهم أن ندرك نواحى الضعف فى الدوافع التى تستند هذه الهيئة إليها

ويطيب لى فى هذه المرحلة من البحث أن أستنجد بطبيب اجتماعى كبير جمع بين الثقافتين الشيوعية والغربية واستطاع أن يعالج السياسة الدولية من زاوية فريدة فى هدوء العالم وثقته وترفعه عن الدجل والتهريج . هذا العالم هو البرفسور برميتيف سوركون [1] أحد أقطاب الحركة السوفييتية سابقا ورئيس دائرة العلوم الاجتماعية الآن فى جامعة هارفارد كبرى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية

قال البرفسور سوروكن — يجب أن لا ننظر إلى الأمم المتحدة كمحكمة عليا للقانون الدولى ، وهى نظرة يخطىء كثير من الناس فى اللجوء إليها عند معالجة أعمال الأمم المتحدة وما ينتج عنها من ذيول . فلا ميثاق الأمم المتحدة ولا الدول الأعضاء تعتبر هيئة الأمم محكمة استئناف للعلاقات الدولية وذلك إلى حد ما من اختصاص محكمة العدل العليا فى لاهاى

إنما هيئة الأمم حلقة للدبلوماسية المفتوحة وهى نمط جديد للمفاوضات الدولية التى كانت فى الماضى تجرى بعيدة عن رقابة الصحفيين وعدسات المصورين وأشرطة السينما وعيون الزوار فى قاعات الاجتماع . ومع أن هيئة الأمم لا تقيد الدول الأعضاء بقراراتها وتوصياتها إلا أن فى القصور عن تنفيذ هذه التوصيات والقرارات مسئولية أدبية تؤثر خيرا أو شرا فى انطباقات الرأى العام العالمى عن سلوك الدول الأعضاء وأهمية ذلك فى تقرير سمعتها

---

(١) يعتبر برميتيف سوروكن من أقطاب الفكر الاجتماعى المعاصر . وهو روسى المولد عالمى الثقافة . اشتغل بالتدريس فى جامعات روسيا القيصرية ثم التحق بالحزب الشيوعى وتوصل الى مكانة سياسية بارزة فى العهد السوفييتى فكان أبرز أعوان كارينسكى رئيس وزراء روسيا السوفييتية قبل رئاسة ستالين وعضوا فى البرلمان السوفييتى ثم انشق على الشيوعيين الروس لاختلافه فى تفسير الماركسية مع ستالين وحكم عليه بالإعدام ولم ينقذه سوى تلاميذه العديدين ومن بينهم عدد من كبار القوم فى العهد الشيوعى وأبعد عن روسيا القيصرية وجاء الى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٢٣ واشتغل بالتدريس وبرز اسمه كأحد دعائم علم الاجتماع المعاصر . هو يتولى الآن رئاسة دائرة العلوم الاجتماعية فى جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة . وله حوالى ٥٠ مؤلف كتبها فى مختلف اللغات التى يجيدها إجادة تامة

الدولية على أساس هذا السلوك وما يستتبع ذلك من علو أو انخفاض فى المكانة المالية للدول وأثر ذلك على نفوذها فى السياسة الدولية وثقة الناس بها فى المعدات الدولية والاتفاقيات التجارية وما إلى ذلك من أوجه النشاط الدولى . ففنلندة مثلا بلد ضعيف الحول لا قيمة له من حيث الأهمية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية . إلا أنه بلد عرف بتقيده بالالتزامات الدولية (سواء داخل المؤسسات العالمية أم خارجها) وترتب عن ذلك أن حظيت فنلندة بسمعة رفيعة فى المجتمع الدولى أكسبها مكانة فريدة فى الجو السياسى من حيث أنها استطاعت أن تحفظ رأسها عاليا فوق الماء رغم أن التيارات القوية تهب عليه من كل طرف - من جارها الاتحاد السوفييتى ومن مغريات مشروع مارشال ودول حلف الأطلنطى ووضعية السياسة الأوروبية والدولية إجمالا . وقد نتج كذلك عن السمعة التى تحظى بها فنلنده أن استطاعت ضمان التبادل التجارى القديم مع الشرق والغرب فى فترة تتوتر فيها العلاقات التجارية توترا شديدا

ولكن هيئة الأمم المتحدة قصرت حتى فى أن تحتفظ بهذه الناحية من أهميتها الدولية — هذه الناحية هى اعتبار جزء كبير من الرأى العام العالمى أن الأمم المتحدة هى « المحكمة العليا للضمير الإنسانى »

فهيئة الأمم مؤلفة من مندوبين يمثلون دولا . وهذا التمثيل يفرض على المندوب أن لا يقيس قضية من القضايا بضميره الخاص أو باجتهاده الشخصى، وإنما عليه أن يتقيد باعتبارات قومية محضة تفرضها عليه المقومات السياسية والاقتصادية والعاطفية وأسس السلوك السياسى الذى تتميز به الدول على بعضها . وهذه الاعتبارات إما أن تكون إطاراً فكريا يستمد منه المندوب الوحى على معالجة قضية من القضايا فى حظيرة الأمم المتحدة بالنفى أم بالإيجاب أم بالامتناع عن التصويت ، وإما أن تكون فى شكل تعليمات ترسلها إليه حكومته فى ساعات الفصل وتقيده بشكل قد يوافق ضميره واجتهاده وقد لا يوافق . ويجب أن لا تفسر هذه الإشارة على أنها حط من خلق المندوبين أو انتقاد لأشخاصهم . فالواقع أن من الصعب إن لم يكن من المستحيل على المندوب أن يفرض شخصيته الفردية على الطابع السياسى الذى يلاءمه ويهيمن عليه بوصفه ممثلا لحكومة سلوكها السياسى مقيد بعوامل عديدة ومعقدة، وعقدها ناجمة عن شذوذ السياسة وتطور الأوضاع وتيار الحوادث

ولما كان جوهر السلوك فى حظيرة الأمم المتحدة على ما هو عليه من التعقد والتناقض فقد كان من الطبيعى أن يتطاحن فى هذا السلوك اتجاهان :

أحدهما يتوخى التقيد بميثاق الأمم المتحدة والمبادئ والأهداف القويمة التى يخدمها ويجعل بذلك هيئة الأمم « محكمة عليا للضمير الإنسانى » . والآخر سعى الدول الأعضاء لتوجيه الأمم المتحدة توجيها يتمشى مع المصلحة الفردية لكل دولة — أو لمجموعة من الدول تتوافق وتتناسق فيها هذه المصالح . وقد ساد الاتجاه الأول فى مستهل عهد الأمم المتحدة فساد « الضمير الإنسانى » فى قضية سوريا ولبنان وفى سعى الاتحاد السوفييتى لقلب الحكم فى إيران بتحويل القطاع الشمالى فى أذربيجان الإيرانية إلى دولة منفصلة عن الدولة الإيرانية المركزية

وما لبث الاتجاه الثانى أن أثبت وجوده قويا فعالا فطوح « بالضمير الإنسانى » وتكتلت الدول ذوات المصالح المشتركة وباع بعض المندوبين والدول الذين يمثلونها ضمائرهم فاتخذوا من القرارات ما يخالف أبسط مبادئ العدالة و « الضمير الإنسانى » كما تشهد بذلك مأساة فلسطين

ولا يزال هذا الاتجاه الثانى سائدا إلى الآن — بعد أن مر فى مرحلة هامة جعلت القول الفصل للكتل الدولية لا للدول الأفراد — وهذا التكتل هو فى الواقع بعث لمبدإ « توازن القوى » الذى أشرنا إليه فى مستهل هذا البحث

فلا غرابة إذن أن يصرح المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى افتتاح الدورة الثانية لمجلس الحلف الأطلنطى . « أن الدول الغربية لم تكن راغبة فى الاندفاع فى التسلح (بعد الحرب العالمية الأخيرة) إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك لتحفظ ميزان القوى فى حاضر العالم[٢] »

(٢) من خطاب المستر إيدن فى دورة مجلس الحلف الأطلنطى الثانية المنعقدة فى روما بتاريخ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ عن محضر جلسات الدورة

توازن القوى فى هيئة الأمم

جوهر ميثاق الأمم المتحدة هو ضمان التعاون الدولى لصيانة السلم وهو بمعنى آخر الالجوء إلى مبدإ الدفاع المشترك ضد من وما يخل بأمن العالم وسلامته ، فهذا الجوهر إذن على طرف النقيض مع مبدإ « توازن القوى » وقد وجدنا كيف اندفعت الوفود فى هيئة الأمم فى اتجاه التكتل ومعالجة المشاكل والقضايا وصياغة التوصيات والقرارات على ضوء المصلحة المشتركة للدول المتكتلة

وكان من الطبيعى أن يزداد التوتر بين التكتل السياسية داخل هيئة الأمم عا كسا بذلك تسيار الحوادث والمشاكل وازدياد التوتر بين المعسكرات السياسية المتطاحنة خارج حظيرة الأمم المتحدة

ولا تسألن من هو المسئول عن ميلاد هذا التوتر — هل هو سوءنية الرأسمالية الأمريكية إزاء الدعوة الشيوعية أم هو طبيعة تعاليم الماركسية وسعيها من وراء الستار — عن طريق الجماعات الشيوعية المنظمة فى كل بلد، فقد تفاعلت فى تسيار العلاقات الدولية فى سنوات مابعد الحرب عوامل عديدة أدت إلى نمو سياسة التكتل داخل هيئة الأمم

ووجد كلا الطرفين فى مستهل عهد الأمم المتحدة أن لهذا التكتل أثمانا وشروطا لا تتوفر فى بعض الحالات الهامة . فهيئة الأمم ليست منظمة رأسمالية ولا هى مؤسسة شيوعية . ورغم أن القول الفصل فى أعمالها ونشاطها مقيد باتجاهات الدول الكبرى صاحبة القول الفصل وحق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن ؛ إلا أن للدول الصغرى أكثرية عددية كفيلة بأن تعاكس (الفيتو) وتشاكس الدول الكبرى فى نفوذها فى صياغة القرارات ووضع التوصيات وفى التصويت عليها

وحاضر السلوك السياسى اليوم فى هيئة الأمم المتحدة يشهد بأن الحالات التى استطاعت فيها الدول أن تظفر بأكثرية الأصوات على مشروع من المشروعات أو قرار من القرارات..هذه الحالات جاءت نتيجة لمساومة مستمرة مع وفود الدول الصغرى — إما فى أروقة هيئة الأمم أوعن طريق البعثات الدبلوماسية فى عواصم الدول وعروشها

ولما كان للكتلة الأنجلوسكسونية نفوذ تقليدى دبلوماسى واقتصادى ، فى كثير من عواصم العالم — نفوذ يفوق نفوذ الاتحاد السوفييتى — فقد كان من المتوقع أن ترجح كفته الكتلة الأنجلوسكسونية على الكتلة السوفييتية

وحشرت الوفود الشيوعية فى ركن ضيق من أركان هيئة الأمم فازداد صراخها واشتد وعيدها وأخذت تعد العدة لمواجهة الموقف بوسائل جديدة بعضها ينفذ داخل هيئة الأمم والبعض الآخر خارجها

ونشطت موسكو فأعادت فى عام ١٩٤٧ تأسيس قيادة الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن) بعد أن كان قد وضع على الرف مؤقتا فى سنوات الحرب العالمية الأخيرة ووضعت لهذه القيادة خططا جديدة وأطلق عليها كذلك اسم جديد هو (الكومنفورم) ووجهت موسكو نشاطها توجيها عمليا ، والعقلية الشيوعية عملية إلى أبعد حد ، فعززت روسيا سيطرتها على شرقى أوروبا ودبرت انقلابا سياسيا ناجحا فى تشيكوسلوفاكيا وأولت الميدان الصينى اعتبارا خاصا حتى تحقق للشيوعيين الصينيين السيطرة على هذه القارة الصينية الواسعة الأرجاء

وفى حين أن الكتلة السوفييتية فى هيئة الأمم كانت ولا تزال ضعيفة الحول بالمقارنة إلى الكتلة الأنجلوسكسونية أصبحت موسكو بعد انقلاب تشيكوسلوفاكيا وتوطيد النظام الشيوعى فى الصين زعيمة لكتلة تتساوى فى القوة والنفوذ العالمى مع الكتلة التى تتزعمها واشنطون

ومرة أخرى عاد ميزان القوى الدولية إلى نوع من التعادل وأخذت أكثر الدول الصغرى فى آسيا وإفريقيا تعاند شيئا فشيئا فى الانسياق مع الكتلة الأنجلوسكسونية ومجاراتها فى القرارات والتوصيات الخاصة ببعض القضايا الخطرة التى تشغل بها هيئة الأمم وأصبحت المساومة مع الدول الآسيوية فى هيئة الأمم أشد صعوبة مما كانت عليه فى السابق وساد تفكير هذه الدول اتجاه «الحياد»

(للكلام صلة)

نيويورك — عمر حليق

٢ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الجزور :

١ – إذا كان للميسر موضوع كما يقولون ، فهو «الجزور» . والجزور يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، ولكنهم أكثر ما ينحرون النوق (١)

٢ – وليست كل ناقة ولا كل بعير بصالح للميسر ، وإنما كانوا يتخيرون أسمنها وأنفسها وأعزها عليهم ، فكأنما ألهموا من وراء الغيب « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . وفي ذلك قول لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

يقول : رب جزور تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائي لنحرها بتلك المغالق المتشابهة ، وهي سهام الميسر يشبه بعضها بعضا . وأراد بها هنا سهام القرعة يقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه . فهو يدعو بتلك السهام لنحر ناقة عاقر أو أخرى مطفل . وإنما ذكر « العاقر » لأنها أسمن وأحمل للشحم ، و « المطفل » لنفاستها عليهم وعزتها (٢)

٣ – وكان إذا أرادوا أن ييسروا ابتاعوا ناقة بثمن مسمى يضمنونه لصاحبها ، ولم يدفعوا ذلك الثمن حتى يضربوا بالقداح عليها فيعلموا على من يجب الثمن (٣)

وسيأتي فيما بعد أن الثمن يدفعه من خابت سهامهم متضامنين في ذلك بحسب أنصبتهم لو فازوا

٤ – وكانوا قبل أن يضربوا بالقداح يجعلون بينهم عدلا يأخذ من كل امرئ منهم رهنا بما يلزمه من نصيب قدحه إن خاب ، مقدرا كل الاحتمالات التي يتعرض لها الغارمون ،

ويسمون هذا العمل « التأريب » ، وهو التشديد في الخطر (٤)

وأحيانا يتغالى اليامرون فيجعلون مكان أعشار الناقة أعدادا من الإبل ، كأن يجعلوا موضوع الميسر عشرا من النوق لا ناقة واحدة يقسمونها عشرة أجزاء . وكذلك إذا أرادوا أن يضربوا على أكثر من هذا العدد جعلوا مكان العشر من أعشار الجزور بعيرين ، ومكان عشرين أربعة ، ومكان ثلاثة الأعشار ستة ، فإن زادوا على ذلك فعلى هذا السبيل (٥)

٦ – وهناك ميسر آخر غريب ، ذكره طائفة من العلماء ، وهو أن يكون موضوع الميسر إنسانا . وقد أنشدوا في ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

أي ألم تعلموا أني ابن صاحب الفرس المسمى « زهدم »

قال صاحب اللسان (٦) : « كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام . وقوله : ييسرونني ، هو من الميسر ، أي يجزئونني ويقتسمونني »

وهذا تفسير ساذج ، ومن الصعب أن يتصوره عاقل إلا أن يريدوا اقتسام رقه وعبوديته فيما بينهم ، كما يكون العبد ملكا لعدة أشخاص يملك كل منهم شقصا منه . ونجد ابن سيده (٧) يفسر البيت تفسيرا أشنع من تفسير صاحب اللسان إذ يقول : « وييسرونني من الميسر ، أي يجتزرونني ويقتسمونني » وهو لا ريب تفسير خاطئ

وقد فسره ابن قتيبة (٨) تفسيرا عاقلا بقوله : « فمن روى : ييسرونني ، أراد : يقتسمونني ويجعلونني أجزاء ، أحسبه أراد فداءه ، لأنهم إذا أخذوا فداءه فقسموه فكأنهم اقتسموا نفسه . ومن رواه يأسرونني جعله من الأسر »

الجزار

ويسمونه « القدار » ، على وزن همام . ولذلك القدار خبرة

(١) اللسان (جزر : ٢٠٤)
(٢) بلوغ الأرب (٣ : ٥٤ – ٥٥)
(٣) الميسر والقداح ١٠٢

(٤) الميسر والقداح ٤٦ : ٤٧ – ١٤٧
(٥) الميسر والقداح ١٢٣ ، ١٢٧
(٦) اللسان (يسر)
(٧) المخصص (١٢ : ٢٠)
(٨) في الميسر والقداح ٣٤

خاصة بتقسيم الجزور ، فهو يقسمها عشرة أقسام :

فإحدى الوركين جزء ، والورك الأخرى جزء [٩] ، والعجز جزء ، والكاهل جزء ، والزور — وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين جزء ، والملحاء — وهو وسط الظهر بين الكاهل والعجز — جزء ، والكتفان جزء ، والذراعان جزء ، وإحدى الفخذين جزء ، والأخرى جزء

ويبقى بعد ذلك « الطفاطف » ، وهى أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع ، و « فقر الرقبة » ، فتقسم وتفرق على تلك الأجزاء بالسواء ، فإن بقى عظم أو نصفه بعد القسم فذلك الريم ، وكانوا يجعلون ذلك الريم للجازر ، فإن بخلوا به ولم يجعلوه له كان ذلك مسبة لمن لم يجعله

وأما نصيب بائع الناقة فهو الأطراف والرأس غالبا

وذهب الأصمعى فى ذلك مذهبا غريبا ، أنهم كانوا يجزئون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا ، ذهب فى ذلك إلى حظوظ القداح ، وهى ثمانية وعشرون ، للفذ حظ ، وللتوأم حظان ، وللرقيب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنافس خمسة ، وللمسبل ستة ، وللمعلى سبعة ، فجميع هذه ثمانية وعشرون

قال ابن قتيبة [١٠] : « ولو كان الأمر على ما قال الأصمعى لم يكن هنا قامر ولا مقمور ، ولا فوز ولا خيبة ، لأنه إذا خرج لكل امرئ قدح من هذه فأخذ حظ القدح أخذوا جميعا تلك الأجزاء على ما اختار كل واحد منهم لنفسه ، فما معنى إجالة القداح ؟ وأين الفوز والغرم ؟ ومن القامر والمقمور ؟ »

عدد الأيسار

والأيسار : المتقامرون ، واحدهم « يسر » بالتحريك

وكان الحد الأقصى للأيسار أن يكون سبعة ، على عدد قداح الميسر ، لا يتجاوز عددهم ذلك ، وليس لهم حد أدنى يقفون عنده . فإذا كان عددهم سبعة قالوا : قد توحدت القداح ، أى أخذ كل رجل قدحا ، وإنما يكون ذلك فى المجاعات الشديدة وغلاء اللحم ، فيحتاج الأمر فى التكافل إلى هذا العدد الكبير

وإذا نقص عدد الأيسار عن السبعة فلا بد أن ينبرى واحد منهم أو أكثر ويأخذ أكثر من قدح واحد ويتأهب للمغامرة ، ويسمون ذلك الآخذ « متمم الأيسار » . وهم يعدون ذلك التتميم مفخرة وفضيلة . قال النابغة :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما [١١]

قداح الميسر

١ — يقال للواحد من قداح الميسر قدح ، بالكسر ، وسهم وزلم ، وقلم . وأكثرها استعمالا فى ذلك هو « القدح »

٢ — والقداح : عيدان تتخذ من النبع ، وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل ، معروف بالمتانة واللين

٣ — تنحت هذه العيدان وتملس وتجعل سواء فى الطول ، وإنما تختلف فى العلامات والوسوم

٤ — وهى صغيرة القدر ، قال ابن قتيبة : « وتسميتهم لها بالحظاء دليل على أنها كصغار النبل »

٥ — ولهذه القداح رأس صغير ، قال ابن قتيبة : « ووجدت الشعر يدل على أن له رأسا أحسبه ناقصا عن مقدار جسمه ، حديد الطرف » ، واستشهد لذلك بقول الراعى :

بدا عائدا صملا ينوء بصدره إلى الفوز من كف المفيض الموربِ

والصمل : الصغير الرأس ، ولذلك قيل للظليم ، وهو الذكر من النعام : « وصمل » ، لدقة رأسه

٦ — ولونه أصفر ، لأنه من نبع وماشاكله ، ولأنه أيضا قد يقدم فيصفر كما تصفر القوس العتيقة

٧ — ويصفونه بالاعوجاج والأود ، دلالة على كرم عوده ولينه

٨ — وكثيرا ما يكون ذا سفاسق ، أى طرائق وخطوطا مستقيمة أو منحنية تكون فى لون العود ، كما تكون فى الخلنج دأعواد السروج وأشباه ذلك

٩ — وهو مدور أملس كالسهم

١٠ — ويصفونه بالحنين والرنين إذا ضرب به ، وذلك لرزانته وسلامة عوده من القوادح والسوس ، فإذا ضرب به حن

---

(٩) الوركان ما فوق الفخذين كالكتفين فوق العضدين

(١٠) الميسر والقداح ١٢٠ . وانظر أيضا تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

(١١) هذا صواب انشاد البيت بفتح همزة « أنى » ، ومن رواه بكسرها فقد أخطأ الصواب . وذلك لأن قبله كما فى ديوان النابغة ٢٧ :

بنبئك دو عرضهم عنى وعالمهم وليس جاهل شئ مثل من علما

ورن كما يطن الصفر والحديد

هـذا ما أمكن الإمام ابن قتيبة أن يستخرجه من الشعر العربى لينقل إلينا ذلك الوصف الدقيق لقداح الميسر

عدد القداح وأسماؤها

هذه القداح التى مضى وصفها فى الفصل السابق ليست كلها على نمط واحد ، بل هى نوعان :

النوع الأول : القداح ذوات الحظ ، وعددها سبعة ، وهذا العدد يقابل الحد الأقصى لعدد المتقامرين

النوع الثانى : القداح التى لا حظ لها ، وعددها ثلاثة

قداح الحظ

١ — الفذ ، وله حظ واحد

٢ — التوأم ، وله حظان اثنان

٣ — الرقيب ، وله ثلاثة حظوظ

٤ — الحلس ، وله أربعة حظوظ

٥ — النافس ، وله خمسة حظوظ

٦ — المسبل ، ويسمى أيضا المصفح ، وله ستة حظوظ

٧ — المعلى ، وله سبعة حظوظ

وهذه السهام السبعة متشابهة الأجسام ، لا يمتاز بعضها عن بعض إلا بعدد الفروض ، أى الحزوز التى تحز فيها لتبين قدرها . فللفذ حز واحد ، وللتوأم حزان اثنان ، وللرقيب ثلاثة .. وهكذا

وربما كانت هذه العلامات بالنار ، يسمونها بالوسم والوسمين والوسوم ، بدلا من تلك الحزوز [١٢]

وقد نظم أبو الحسن على بن محمد الهمدانى أسماء سهام الحظ فى قوله [١٣] :

يلى الفذ منها توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهـذه الـ سهام التى دارت عليها المجالس

وأنشد الراغب الأصفهانى [١٤] أبياتا نسبها لعروة بن الورد ، يذكر فيها أسماء القداح الفائزة ، وأراها من مصنوع الشعر ومولده ، وهى :

أنت بالمعلى عند أول سورة وبالمسبل التالى وبالحلس والتوم [١٥]
وجاءت بفذ والضريب يليهما وبالنافس المعلوب فى الرأس والقدم [١٦]
فراح بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرم المرء الكريم إذا اجترم
وأنت منيح باليدين متى تعد تعد صاغراً لا مال نال ولا غرم

وهذه الأبيات المهلهلة لم ترد فى ديوان عروة ، وليست من شعره بسبب ، وهى أشبه ما يكون بشعر ابن مالك فى ألفية النحو ، أو بشعر أبى الحسن على بن محمد الهمدانى الذى سبق الإنشاد له ، كما أن ما فيها من الخطأ الفنى ينطق ببطلان نسبتها إليه ، فإن هذه القداح لا يمكن أن تخرج جميعا فى ميسر واحد ، كما سيأتى القول عن الكلام على (مجلس الميسر)

وكان العرب فى بعض الأحايين يستعيرون قدحا ميمونا ، أى قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ ، قد جرب من قبل فوجد سريع الخروج فى الميسر ، يستعيرونه من غيرهم ويجعلونه فى قداحهم بدلا من آخر مثله ، تيمنا به وبما يجلبه من الظفر ، ويسمون ذلك القدح « المنيح [١٧] » ، وهو غير المنيح الذى سيأتى ذكره فى القداح التى لا حظ لها

وكانوا يأخذون من هذه القداح على قدر احتمالهم ، فأقلهم حالا هو آخذ « الفذ » ، لأنه إن ربح غنم حظا واحدا وإن خاب غرم حظا ، ويليه فى القدرة آخذ « التوأم » ، إن فاز فاز بحظين ، وإن خاب غرم حظين ، وأقدرهم وأعلاهم شرفا هو صاحب « المعلى » لأنه إن خاب غرم سبعة حظوظ فاحتملها

القداح التى لا حظ لها

وهناك قداح لا حظ لها ، وهى بحجم قداح الحظ ، ولكنها مجردة من السمات والعلامات ، تجعل مع قداح الحظ ليكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب فتختلط عليه فلا يجد إلى الميل

---

(١٢) الميسر والقداح ٧٠

(١٣) بلوغ الأرب (٣ : ٥٨)

(١٤) محاضرات الراغب (١ : ٢٤٤)

(١٥) أراد « التوأم » . وهو القدح الثانى من قداح الميسر

(١٦) المعلوب : الذى به العلب . وهو الحز وأثر الضرب . والجمع علوب

(١٧) الميسر والقداح

العزوف عن القراءة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

سألني « متألم » على صفحات الرسالة ، فقال إنه مدرس أديب يتذوق القراءة ، ويهوى الاطلاع ، ولكنه أصيب منذ عام بداء يقطع عليه سبيل هذه اللذة العقلية ، وهو « النوم » حين يشرع في مطالعة كتاب أو صحيفة

مع أحد سبيلا ، وليكون ذلك أنفى للتهمة وأبعد من المحاباة [١٨]

وتسمى هذه القداح «الأغفال» : جمع غفل ، بالضم ، وأصله في الدواب مالا سمة له ، ومن الأرضين مالا علم فيها

وهذه القداح ثلاثة في أصح الأقوال :

١ — الوغد

٢ — السفيح

٣ — المنيح

وقد نظم أسماءها بعضهم في قوله [١٩] :

لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيح
وأساميهن وغد وسفيح ومنيح

وقيل : وهذا قول شاذ — : إن عددها أربعة [٢٠] :

١ — المصدر

٢ — المضعف

٣ — المنيح

٤ — السفيح

للبحث صلة عبد السلام محمد هارون

---

(١٨) قال ابن قتيبة تعليقا على هذا : « وبلغني أن المتقامرين بالنرد إذا أحسوا من الرجل إمالة القص على الوجه الذي يريده بالرفق — وهو ما يسمى في عصرنا هذا في مصر بالغرس — ألقوا مع القصين فصا ثالثا أو فصين ليس عليها رقوم . أو حصيات . ليأمنوا الحيلة » فلأمر ما اتخذ العرب هذه القداح مع قداح الحظ

(١٩) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٢٠) تفسير أبي حيان (٢ : ١٥٤)

وقد فرحت بهذا السؤال ، لأني وجدت شخصا يحب القراءة ويجد في الاطلاع لذة ، وقد طال العهد — في الزمن السابق — بمن كانوا يلتمسون اللذة في المتع الرخيصة المبتذلة . ومقياس رقي الأمم أخذ أهلها بالأدب الرفيع ، والإقبال على ارتشاف العلم ، ودوام النظر في صفحات الكتب ، والاستماع إلى حلقات الدرس والمحاضرة ، مما لم يكن معهودا في العهد السابق ، أو مألوفا في سياسة الملك السابق ، بل كان العهد عهد إسفاف ، تنتشر فيه الخلاعة والتهتك ، ويقبل الناس مع ملكهم على الإثم والفجور

وآية ذلك هذه الصحافة الصفراء التي كان همها أن تطلع على القراء بالسيرة المفضوحة ، وأخبار « الطبقة الراقية » في حلبات الرقص وميادين السباق وموائد الميسر وعلى شواطئ البحار ، مع عرض صورهن في ثياب تكشف عن الفتنة وتبتعد عن الحشمة . وأصبحت عناية الصحف والمجلات نشر الصور للممثلات وهن شبه عاريات ، وتسابقت جميعا في هذا المضمار تنشد اجتذاب الشباب بالفتنة ، واستهواء الشيوخ بالخلاعة ، وتوجيه العواطف وجهة دنيئة ، والتلاعب بالغرائز الجنسية تبعثها وتثيرها من مكامنها . فأصبح القارئ العفيف كأنه راهب انقطع في الصحراء ، أو سابح ضد تيار الماء

وكان التيار جارفا يحمل المجتمع نحو الأغلال والفساد ، ويبتعد به عن الجد والوقار . فإذا أخذ أحدنا بسبيل الجد والمثالية شعر كأنه غريب عن المجتمع الذي يعيش فيه . ولعل عزوف « المتألم » عن القراءة راجع إلى شعوره بالانفصال عن الجماعة حين يقبل على القراءة والاطلاع

قد يقول قائل : ولكن صاحب السؤال يحتاط للأمر ويقرر أنه يهوى القراءة ويشتاقها ويرغب فيها ، فكيف تزعم أنه غير راغب فيها ، وأن ميله إلى النوم دليل على صدوفه عنها ؟

ونقول في الجواب عن هذا الاعتراض إن النفس الإنسانية أمرها شديد العجب ، فهي تبدى خلاف ما تبطن ، وتصدر عنها أفعال تباين ما يشعر به صاحبها . فهل نصدق الأعمال ونكذب المشاعر ، أو نصدق المشاعر ونكذب الأعمال ؟

واعلم أن اتجاه المحدثين في علم النفس هو الأخذ « بالسلوك »

والأعمال الظاهرة ، وليس لهم شأن بما يجرى داخل النفس من ظواهر شعورية . وهناك مدرسة كبيرة على رأسها الأمريكان ، ويتبعها بعض العلماء فى أوربا ، تبحث فى علم النفس بغير الشعور . ونحن إلى هذا الاتجاه أميل ، فنقدم العمل ولا نقبل الشعور ، ونصدق السلوك ونفسر به النزعات الباطنة

وعلى هذا الأساس يسهل علينا تفسير هذه الظاهرة التى يذكرها صاحبنا ، فهو يمسك بالكتاب ولا يكاد يقرأ منه بضع صفحات حتى تأخذه سنة من النوم . هذا هو الواقع الشاهد الذى لا سبيل إلى إنكاره . فما العلة فى ذلك ؟

وسوف نبين العلة الصحيحة بعد أن نستبعد ما يذكره عن مشاعره الباطنة ، من أنه يتمتع بما يقرأ تمتعا زائدا . فهذا الشعور غير صادق ، بل هو تمويه من النفس . فلا يستقيم أن تكون المتعة حقيقية ثم ينصرف عنها نائما ، بل العكس هو الصحيح

والنوم عند القراءة دليل لا يخطئ على عدم الرغبة فيها . وقد يعبر الإنسان تعبيرا آخر يفصح عن هذا الصدوف ، كأن ينسى الموضع الذى ترك فيه الكتاب ، أو ينسى اسمه وموضوعه ، أو يجد فى عينيه تعبا ، وقد يصاب أحدنا بظهور « الذبابة الطائرة » وهى نقطة سوداء تعاكس الرؤيا ، وهذا إنذار بالتعب من القراءة ، وفى بعض الأحيان يصاب الشخص بعمى تام ، فلا يبصر شيئا ، لا لعلة فى العين ، بل لشدة الإجهاد العقلى فى القراءة والرغبة اللاشعورية فى الابتعاد عنها

الحق أن القراءة ليست شيئا فى طبيعة البشر ، فقد ركب الله العين فى الإنسان ليبصر بها الأشياء الخارجية فيعرفها فى المناظر من جمال هو الذى يبعث المتعة فى جوانب النفس

والأصل فى التفاهم بين الناس السمع لا البصر ، ولذلك قيل الإنسان حيوان ناطق . فالألفاظ التى يتألف منها الكلام تنتقل من الفم إلى الأذن ، ويتم عند ذلك الإدراك ويحصل العلم . حتى إذا أخذ الإنسان يتحضر عرف التدوين والكتابة ، وسجل الألفاظ المنطوقة فى رموز مكتوبة رسمها رسما . واتسعت الكتابة مع الرق ، وكثرت الكتب ، وأصبحت مرجع الناس فى تحصيل العلوم ، مع أن الأصل أن يستمد المرء العلم سماعا ويتلقاه من أفواه العلماء . ولعلك عندئذ تعلم لماذا امتنع سقراط عن التدوين ، ولماذا كان يلقى دروسه إلقاء

الكتب — وقاك الله شرها — فيها منافع وفيها مضار . فمن منافعها أنها تلخص لك أفكار العلماء الذين أفنوا أعمارهم فى بلوغها فى حيز ضيق ، تستطيع أن تحصله فى ساعات قليلة . ومن منافعها أن العلم ينتقل إليك فى دارك فتطلع على آرائه وأنت مضطجع ، بدلا من شد الرحال إليه . ومن منافعها أنها صديق تأنس إليه وقت الشدة فيفرج همك ويسرى عنك ويبعث فى نفسك المتعة حتى إذا سئمته ألقيته جانبا

ومن مضارها أنها كالجثة الهامدة لا حياة فيها ، لأن حياة الأفكار فى حياة قائلها ، ولذلك كان الاستماع إلى حديث العالم أمتع للنفس وأرسخ فى الذهن

ومن مضارها الذهاب بقوة البصر ، لأن التحديق فى الحروف السوداء المكتوبة ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ، يجهد العين ويضعفها

وكل قارئ تمر به فترات من الضيق فيسأم الاطلاع فى وجوه الكتب ، ويصدف عنها ، ولا علاج لذلك إلا تركها مدة من الزمن ، والترويح عن النفس بقراءة « كتاب الطبيعة » . وهذا شئ قل أن يفعله القراء فى الشرق ، نعنى الخروج إلى الحدائق العامة والتأمل فى مباهج الطبيعة . وكان عادة أرسطو أن يلقى دروسه فى بستان وهو يجوس خلال مماشيه ، ولذلك سمى أتباعه بالمشائين

* * *

فلا تتألم أيها السائل لأنك تنام عند القراءة ، واسترح قليلا ، وخذ العلم من المجالس ومن أفواه العلماء ومن قراءة كتاب الطبيعة

أما النوم الذى تشكو منه ، فإن لم يكن لعلة جسمانية وضعف طارئ ، فهو رد فعل طبيعى لإرغام نفسك على ما لا تحب وتشتهى

والابتعاد عن الأشياء غير المرغوب فيها يتخذ أشكالا مختلفة ، فشخص يلقى الكتاب من يده ، وآخر يمزقه ، وثالث يبيعه . أعرف ناسا كثيرين حين ضاقوا بالقراءة باعوا مكتباتهم التى اقتنوها على مر الزمان ، فلما ذهبت فترة السأم والملال ندموا على ما فعلوا

في افتتاح العام الدراسي

المعلم في عهد التحرير

للأستاذ محمد رجب البيومي

أشرق على مصر فجر جديد يبعث الضوء والأمل ، ويطرد الظلام واليأس ، وقد أحس كل مصرى أنه بدأ يعيش لوطنه ونفسه ، بعد أن كان يعيش غريبا لغيره ، فأخذ يفكر فى مهمته ، ويبحث عن خير مصر ، ويعمل على رفعتها بين الأمم بعد أن تمهدت الصعاب ، واستوى السبيل الواضح أمام السائرين

والمعلم ذو رسالة سامية فى أمته ، فهو الذى يخط سطور المستقبل ، ويبنى صرح الحياة ، إذ يتعهد النشء بالتربية والصقل والتقويم ، ويبعث فى رجال الغد قوة عاتية تحطم الأغلال والسدود ، ويخلق فيهم يقظة واعية تتفهم الأمور وتدرك الأسباب ، وقد حرص على أن يقوم بمهمته الشاقة فى دأب وكفاح ، دون أن تعوقه المدافع والحوائل ، ليرضى ضميره المتيقظ فى أحنائه ، ويقضى حياته مثلوج الصدر ، هانئ البال

وقد وفق المعلم فى أداء رسالته إلى حد كبير ، ففى العهد الماضى حينما كان الظلام الدامس يرين على الآفاق فى كل مكان ، فالصحف مكممة الأفواه ، لا تسطر غير ما يرضى الباطل ويغضب الحق ، والألسنة المخلصة معتقلة حبيسة ، تحاول النطق فلا تستطيع ، والأحرار فى كل ناحية يلاقون من البلاء والعنت ، ما يوهى العزائم ، ويفت فى الأعضاء ، !! حينما كان ذلك كله ، كان المعلم يجد فى ميدانه متسعا فسيحا لإيضاح الحق وإزهاق الباطل ، فهو يتحدث إلى تلاميذه كما يتحدث الوالد إلى أسرته ، كاشفا ما يرتكبه الآثمون من ضروب الخيانة والرشوة والطغيان ، وقد يضطر إلى التلميح حينما يخشى المغبة المخيفة ، ولكنه لا ينى عن أداء رسالته المخلصة لوطنه وأمته ودينه ، لذلك كان التلاميذ فى كل مدرسة من مدارس القطر أول من هتفوا بسقوط فاروق وهو فى شوكته وسلطانه وجنده ، بل إنهم حاصروا قصوره ، وأسمعوه من السباب والتهكم ما أقض مضجعه ، وشرد النوم عن

وقد لا تنصرف الصورة فى إبعاد القراءة إلى الكتاب ، بل إلى الشخص ، فيشعر بالفتور ، أو التثاؤب ، أو الرغبة فى النوم ، أو ينام فعلا

ولكن الدخول فى النوم يحتاج إلى تفسير آخر يضاف إلى العزوف الباطنى اللاشعورى عند القراءة . ذلك أن كثيرا من الناس يعتادون القراءة وهم مستلقون على ظهورهم كأنهم نائمون ، ليكون الوضع بالنسبة إليهم مريحا ، وهذا الوضع بالذات يهيئ إلى النوم . ولذلك ينبغى على مثل هؤلاء إذا أرادوا التخلص من النوم أن يتخذوا لأنفسهم عادة أخرى وهى الجلوس فى هيئة جادة ، ويحسن إلى جانب ذلك ألا يخلعوا الملابس الرسمية التى يخرجون فيها ، وألا يلبسوا ملابس البيت . هذا إلى أن النظر فى حروف الكتاب مع وضع الرأس إلى الخلف فى حالة أن يكون القارئ مضطجعا يتعب العين ويجهدها ، فيكون مثل هذا الشخص مثل الوسيط الذى ينوم تنويما مغناطيسيا فلابد من تغيير الهيئة

وفى بعض الأحيان لابد من تغيير المكان ، كالخروج من حجرة إلى أخرى ، أو الخروج من الدار إلى الحديقة ، أو الخروج من حديقة الدار إلى خارج البيت

وقد يعالج الإنسان نفسه بأن ينتقل من كتاب إلى آخر ، إذ من شأن النفس أن تسأم الطعام الواحد

وقد يكون الكتاب ثقيلا مملا يبعث كاتبه السأم إلى النفس؛ ومثل هذه الكتب إذا قسر المرء نفسه على قراءتها هى التى تجلب النوم

فعليك باختيار النوع من القراءات الذى لا يدفعك إلى النوم ، ولا تقبل على الاطلاع الشاق الجاد إلا حين تكون فى يقظة تامة وصحة جيدة

أحمد فؤاد الأهوانى

عينيه ، وبذلك أتيح للمعلم أن يخلق جيلا واعيا يعرف الخائن والمخلص، ويميز الطيب من الخبيث

ولقد اجتهد النفاق الآثم فى تزييف الحقائق، وتشويه الوقائع، فامتلأت الكتب المدرسية بالثناء الكاذب على الأسرة العلوية ، وجعلت كل طاغية فاسق من أبنائها الفجرة ملاكا طاهرا ، يراقب ربه ، ويعمل جاهدا لرفعة وطنه ودينه ، وتعاونت معها الصحف والمجلات فى رفعة أناس لا يستحقون غير الضعة والهوان ، فكانت الجرائد اليومية تظهر مكدسة بصورهم الضخمة ، ومتخمة بالأكاذيب الفاضحة تختلق اختلاقا ، عن مروءتهم وفضائلهم فى كل ذكرى تمر ، أو مناسبة تحين ، أجل ! كانت الكتب المدرسية ، والصحافة الخادعة تقوم بمجهودها الفاشل فى هذا المضمار ، والمعلم من وراء ذلك كله يقف بين تلاميذه ليدحض الأكاذيب المنمقة ، ويميط اللثام عن الحقائق الفاضحة ، حتى سطع الحق فى الأذهان وضيئا لامعا ، وعرف كل مصرى تاريخ بلاده ، كما كان ، لا كما أريد له أن يكون ، وأمامك الثورة العرابية ، مثال صدق لما نقول ، فقد تواطأت الأقلام الآثمة ، على إبراز زعيمها المجاهد فى صورة المتهور الجاهل ، الذى لا يقدر العواقب ، ولا يتبصر الأمور ، واجتهدت الصحافة المتملقة فى إخفاء كل مقال يكشف وجه الحق فى هذه الثورة الشعبية المجيدة ، فإذا حانت مناسبة ملحة للحديث عنها وجدت ضروبا بشعة من التلفيق والتضليل ، ورغم ذلك كله فقد استطاع المعلم أن ينشئ أجيالا متعاقبة تهيم بعرابى الخالد ، وترى فيه رمز البطولة والتضحية والإيمان ، وجاءت حركة الجيش المباركة فأتاحت لهذه العواطف المشبوبة نحوه أن تجد متنفسا على الأوراق ، وبين أمواج الأثير ، فانطلقت الأقلام فى الصحف ، وانبعثت الأصوات فى الإذاعة ، تهتف بذكرى عرابى الخالد ، وترتفع به إلى أوج البطولة والتقديس

لقد أدى المعلم واجبه فى العهد البائد المنصرم ، وبقى عليه فى عهد التحرير واجب شاق مرير ، فهو مطالب بأن ينشئ الأجيال القادمة على حب الحرية والعزة والاستقلال ، ومكلف بأن يحمى الأذهان الغضة مما يغيم فى سمائها من الأباطيل ، إذ أن حركة الجيش المباركة تصطدم فى وثوبها بمن يروجون الإشاعات المغرضة ، ويرجفون بالمفتريات الخادعة ، فقد دأبت الرأسمالية الحاقدة على نشر السموم فى كل مكان ، وانحاز إليها فريق من ذوى الأغراض الخبيثة كالمحتكرين من التجار ، والمطرودين عن مناصبهم اللامعة لما علق بهم من الشبه ، والمآثم ، وهؤلاء وأشباههم يتأوهون فى مضاجعهم حسرة على ما انتهوا إليه من مذلة وهوان ، ويحاولون الثأر فلا يجدون غير الإشاعات والمفتريات ، وإن من المؤسف اللاذع أن يجدوا آذانا تسمع ، ونفوسا تصدق ! ولو لم يكن ذلك ، ما استطاع إقطاعى آثم فى مغاغة ، أن يقود شرذمة من الجهلة والرعاع ، ليعلن عصيانه وطغيانه على رؤوس الأشهاد ، وما اندفع عامل أبله فى كفر الدوار إلى قيادة عصابة تحطم المصانع وتحرق المنسوجات ، ولو عقل هؤلاء الجهلة من الطغام لعلموا أن حركة الجيش لم تبعث من مرقدها إلا لتمهد لهم سبيل الكرامة والسعادة والثراء ، ومن هنا كان واجب المعلم خطيرا شاقا فهو مطالب — فوق واجبه التعليمى — بإزالة الشبه والمفتريات ، ولن يقول قائل إنه يتدخل بذلك فى السياسة ، وهى محظورة على التلاميذ ، إذ أن السياسة الحزبية التى تقوم على الأشخاص وتغفل المبادئ ، هى المحظورة الممنوعة ، أما السياسة القومية التى تسعى لخير الوطن واستقلاله ، فلن يستطيع عاقل أن يحرمها على الطلاب ، ولاسيما أن كل أسرة من أسر الوطن العزيزة تبعث بأفرادها إلى المدارس والمعاهد ، فإذا عرف التلميذ من معلمه وجه الحق فيما يدور على مسرح السياسة المصرية استطاع أن يقنع أهله وذويه بما يقوم به العهد الجديد من إصلاح ، فيقطع السبيل على الشائعات المغرضة ، ويأمن الوطن ما يهدده من الزلزلة والانشقاق

إن دراسة الأحداث الجارية من سياسية واجتماعية ، تأخذ نصيبها الأوفر فى مدارس الغرب ومعاهده ، ولكنها لا تجد فى مصر من ينظر إليها نظرة جدية ، بل يكتفى فى بعض المدارس المصرية ، بكتابة موجز يومى لأهم الأنباء السياسية ، على سبورة توضع فى الفناء ، وأكثر المدارس لا تلتفت إلى ذلك ، وتراه عبثا لا يفيد التلاميذ فى شئ !! وهذا خطأ يجب أن يلتفت إليه ، فالأحداث السياسية هى التى تؤلف تاريخ الدولة ، ويترتب عليها مستقبل البلاد ، ولن تكون غير حلقات مشتبكة من سلسلة الحياة ، فالمدرس حين يوجه إليها اهتمامه إنما يبصر الأذهان بما

يمثل فى الوطن من أدوار . وقد يقول قائل إن اشتغال المعلم والطالب بالأحداث الجارية فى مجتمعه يحول دون أداء الرسالة الثقافية التى تضطلع بها المدرسة ، إذ أنها ستزاحم المواد الأخرى من رياضة وعلوم ولغات ، وقد تكون سببا فعالا فى هبوط المستوى العلمى هبوطا لا تحمد عقباه ، ونحن نقول إن دراسة الأحداث الجارية فى الدولة ، والعالم أيضا ، لا يكون بتخصيص أوقات خاصة تقتطع اقتطاعا ، من اليوم المدرسى للتلميذ، ولكن مدرسى المواد العلمية يقومون بهذا الواجب فى دروسهم المختلفة دون أن يشعر التلاميذ أنهم قد انتقلوا من موضوع لموضوع؛ فمدرس التعبير مثلا يستطيع أن يجعل مواضيعه الإنشائية تدور حول الإصلاحات الهامة التى تشغل الأذهان ، كتحديد الملكية الزراعية ، ومحاربة الغلاء وتعمير الصحراء ، وتأميم الطب ، وتشجيع الإنتاج القومى ، وإلغاء الرتب والألقاب ، وعلى المعلم أن يفسح لتلاميذه مجال النقاش بالحصة الشفوية فى جو من الحرية والإخلاص ، كما يستطيع أن يعقب على كل رأى بما يعن له من توجيه وتصحيح ، وبدراسة هذه الموضوعات الهامة يلم الطلاب بمشاكل مجتمعهم وأحداثه الهامة ، ويتقبلون ما يدور من الإصلاح بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل يصبحون من دعاته وحملة لوائه فى كل مكان

ولقد كنا فى العهد البائد ندرس التربية الوطنية دراسة مضحكة فنكتفى بالمذكرات الموجزة عن البرلمان والدستور والملك ومجالس القرى والمديريات ، تاركين للطلاب أن يستظهروا ما يدونونه من القشور الجافة دون أن يتشبعوا بالروح الديمقراطية الصحيحة التى يجب أن تغمر البلاد ، وكان من المؤسف أن يحفظ الطلاب فيما يحفظون أن الأمة مصدر السلطات ، ويرون بعد ذلك ما نعرفه من تزييف الانتخابات وتمزيق الدستور ، والعبث بالحريات ، كان ذلك فى العهد البائد ولكنه لن يكون فى عهد سطعت فيه أضواء الحرية ، وعرف كل مواطن حقوقه وواجباته ، وأصبح المعلم ملزما بدراسة التربية الوطنية دراسة تخلق النفوس ، وتعرض الواجبات ، وتقدس الحرية والعدل والمساواة ، وتجعل كل تلميذ يشعر بكرامته الإنسانية ، وينشد لوطنه الحرية والاستقلال

لقد لاحظ بعض الباحثين ما يشيع لدى شبابنا المثقف من جهل بالأحداث الجارية ، خارجية وداخلية ، حتى أصبحنا نواجه مشكلة دقيقة ، اصطلح الكتاب على تسميتها بمشكلة « أمية المتعلمين » فأنت ترى الشاب الجامعى يحمل مؤهلا عاليا ، فتظنه يلم بما يلم به المثقف عادة من حوادث العالم وشؤونه فى وقت كثرت فيه الصحف وتنوعت الإذاعات ، ولكنك تناقشه فى أمر ذائع فلا تظفر بشىء مما فطن ، فترجع باللائمة على الدراسة الجافة التى عكف عليها ، فى مدرسته وجامعته ، ونحن لا نريد أن نستمر على هذا النهج المعوج فننشىء شبابا غلف العقول والقلوب ، بل لا بد أن نعيد دراسة المناهج من جديد ، فنضم إلى كل مادة ما يخلع عليها الجدة والطرافة ويجرى فى شرايينها دماء الحياة ، نريد أن نبتعد عن التوافه الحقيرة التى لا تفيد الطالب فى شىء غير ازدحام الذاكرة بكل مشوه بال ، نريد أن نبعد عن التاريخ أرقام الميلاد والوفاة لبعض الإمعات من السلاطين والوزراء ، نريد أن ندرس الوثبات الاجتماعية والسياسية للشعوب ونغفل مآكل الملوك ، وهدايا الأفراد ، وتحف الخلفاء ، نريد أن تبتعد عن الشكلية الضيقة فى تدريس الجغرافيا التقليدية ، فلا نقف بها عند الحاصلات والمناخ والتضاريس ، بل ننتهز ما يجد من الأحداث الخارجة ، فنكشف عن أسبابها ثم نتطرق إلى الدولة التى كانت مسرحا لهذه الحوادث ، فنتحدث عن مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى ذلك من التشويق ما يبعث الرغبة ويولد الاهتمام ، ولن يقف المنهج الرسمى عقبة معترضة ، إذ لا يتعذر على الوزارة إيجاد منهج مرن يدرس الدول الهامة ذوات السيطرة والتأثير فى شتى البقاع

إن المعلم يستقبل مع تلاميذه عهدا نظيفا طاهرا ، ترفرف عليه ألوية الحرية والعدالة والمساواة ، فعليه أن يبذل جهده الجهيد فى إنارة الأذهان ، وتقويم النفوس ، والتشبع بمبادىء الأخلاق ، وبذلك يخلع عن وطنه نير العبودية والهوان ، ويحقق رسالة مصر الخالدة فى موكب الحضارة والعمران

(أبو تيج) **محمود رجب البيومي**

سليمان العبسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

خلنى أصهر الحياة شيدا وأذيب الوجود فى إيمانى
ربما مزقت أناشيدى الحمـ راء بعض القيود عن أوطانى
أنا لو أستطيع أرسلت أنفا سى شواظا من مارج ودخان

أهكذا تنصرم الأيام كاللمحة الخاطفة ؟ أحقا تسع سنين قد مضت على لقائنا الأول ؟ تالله لكأن ذلك كان بالأمس.. ولئن استطاع أن يفرق الزمان شملنا فهو أعجز من أن يهزم الذكريات .. ذكريات تلك اللحظات الحالمات .. وهل هن من حلم الحياة إلا يقظة العمر !

يا لحظة النشوان لا تعبرى ما أنت إلا عمرى السرمدى

***

فى صالة الاستراحة فى دار المعلمين العالية ببغداد كانت عيون الطلاب منجذبة إلى فتى جالس وحده ، كانوا يحدقون النظر به ثم يتهامسون فيما بينهم حتى رابنى أمره ، فسألتهم ماشأنه ؟ فقالوا — وملؤهم الإعجاب — هذا فتى نابغة من لاجئى (الإسكندرونة) رحمها الله ، وهو شاعر جبار ، فزاد اهتمامى به ، وتأملته فإذا شاب هزيل الجسم ، كليل البصر ، يضع على عينيه منظارا لا يلائم شبابه الغض . ونظرت إلى عينيه فبدتا أول وهلة زجاجتين زرقاوين خابيتين لا تعرفان الاستقرار ، فلما أنعمت النظر لمحت من ورائهما بريقا عميقا لم تستطع النظارة ولا قصر النظر إطفاءه

ذلكم هو سليمان العبسى شاعر الشباب الرقيق وشاعر الفتوة العربية بحق ، ذلكم سليمان الذى صهرته عواطفه وأذابته مآسى هذا الوطن المتلاحقة ، سليمان الذى يقول :

ألقيت فى الإعصار روحى وسقيت من قلبى جروحى
أنا لست أغنية الهوى بل صرخة الأمل الذبيح

والذى يقول :

أنا لو أننى خلقت جماداً كنت أولى قذائف البركان

وبعد فعسير على أيها القارئ العزيز أن أنقد شعر سليمان نقداً علميا منظماً لأنى لا أستطيع أن أجرد حديثى من عاطفتى وأى عاطفة هى ! لقد مزجتنا الآلام ووحدت سيرنا الآمال وعشنا بضع سنين نحيا حياة واحدة تحمل فى صميمها من حاضرنا شكوى مشتركة وتطل بنا على المستقبل من منظار واحد

ومجمل ما يجب ذكره أن أقول إنا بتنا نمقت الأقوال ونود لو بالأعمال اعتضنا عنها أو كما يقول سليمان فى مقدمة ديوانه (مازلت أوثر أن أحيا على أن أسجل) فكانت حياته شعرا وكان شعره هذه الحياة الفنية الفتية الغنية بحب الوطنيين (القلب) وطننا الأصغر (والأمة العربية) وطننا الأكبر ، وهو لا يرى الأول إلا صورة مصغرة من الثانى ، وهى ممهدة له ومغذية .. ولهذا فأنت لا تفتأ تجد فى ديوانه انتقالا رائعا من الغزل إلى الحماسة ، تفسره لك هذه العقيدة النبيلة ، اسمعه يقول فى موشحه (لمن أذوب ألحانى) :

لو كنت حرا لأسكرت الوجود على
أنغام حبى ... وأفنيت الصبا قبلا ...
أستسمح الحسن ، بل أستغفر الغزلا
ماذا ؟ أأرقص فوق النعش قد حملا
جثمان شعبى فيه ، ضاحكا ، جذلا ؟
أأستحيل كغيرى نحوه خشبا ؟
وأسخط الله ، والتاريخ ، والعربا !

***

لى من هواك .. جناح سوف أقتحم
برج النضال به ، والهول يحتدم ...
هذى (القيود) التى حولى ستنحطم
لا قدس للحب فى أرضى ولا حرم
ما نقلت فوقها (مستعمراً) قدم ..
قولى لمن تنكر (الذؤبان) ما ارتكبا ..
هل تأمن النمر المطعون أن يثبا ؟

***

وبعد أن يقول من موشحه (جنة الفن) فى أسمهان :

يؤثر الفن لو نسينا (المكانا)
واختصرنا ... بقبلتين (الزمانا)
ما وهبنا الشباب ؛ والعنفوانا
لنداوى جراحنا ، وأسانا
لن ترانى يا قلب أشكو سنانا

خضبته كف الهوى بوريدى
لن يرانى اللهيب غير وقود ...

اسمعه بعد ذلك يقول :

حرقة أنت فى فؤاد الغناء
أن تنائى عن الكؤوس الظماء
قبل أن تشهدى مع الصحراء
يوم عرس الحرية الزهراء
قبل أن تصدحى بلحن (الجلاء)

وتهزى به رفات الحدود
يوم تمشى على حطام القيود

***

وليس أصدق فى تمثيل فكرته هذه وشدة تعلقه بها واعتزازه ن وصيته فى نشيده لشبله (معن) ، وهل أشد إخلاصا من صيحة الكبد بضعة منها ؟

وعدا . . . إذا عبق الجما ل ورفت النيد الحسان !
وتموجت شعل الشبا ب وصاح فيها العنفوان
ولويت أعطاف الحنيـ ن فطار من يدك العنان
فاشرب على نخب (الحيا ة) فإن ظامئها جبان
وأحب ملء الروح منـ طلقا . . وللحذر الهوان

***

وإذا تفجرت الحقود . . وزمجر البلد المهان
ورأيت أرضك ها هنا (ناب) وثمة (أفعوان)
وتكلم الأحرار فالآفا ق نار أو دخان
فاخضب طريقك باللهيـ ب وأنت فى يده سنان

***

ذلكم سليمان : قلب ناضر ملؤه الحب والجمال ، وشباب ثائر تتقاذفه الآلام والآمال ، فهو بين يأس (أو شبه يأس) لولا جلال التاريخ ووقدة العزيمة لذهب بالأمل ، وأمل لولا عزة الماضى وعمق جذوره لخبت جذوته واستحال رمادا ، وروح قرارته خضم مائج لا يستقر ، وكيف يستقر وفتوة الشباب تذكيه ونكبات الضاد تمر به إعصاراً أهوج !

وهو من بعد إن سار سددت خطاه حماسة الشباب وحرارة الحياة ، وهو إن تكلم نطق الحب ، حب تلك الحياة الفتية المتدفقة المتألقة فى كلامه ، فما الحياة وما الحب إلا للوطنين القلب والضاد ، وحسبه فى هذين الغرضين — وقد أسراه — أن يتنقل بين أفنان لا حدود لرياضها ، وأن يضرب فى لج لا ساحل لعبابه : الحب والبطولة — يا أخى القارئ — وقد أهدى إليهما ديوانه لأنه استوحاه منهما — الحب والبطولة حسب الشباب شبابا فهما الحياة بأجمل وأوسع وأقوى معانيها ؛ وهل الفن إلا تعبير حساس عن الحياة ؟

(لمحة هزت نشيدى فانطلق — رعشة حيناً وحيناً زلزله)

والحياة الخالدة هى أمنية كل حى فان وفقدانها سر شقاء الخيام . . ولكن سليمان خلد نفسه فى خالدين . . وهل أروع من أن يخلد الإنسان ذاته فى وطنه الصغير (القلب) وفى وطنه الأكبر (أمته) ؟ وهل أحر لوعة من أن يشكو الإنسان مصيبته فى أحدهما إلى الآخر ؟

عروس الشعر . . . . ما انفسح الخيال
على دنيا . . . هى السحر الحلال
ولا نديت على الظمأ الرمال
ولا غنى فم . . . لولا الجمال
قصيد الكون أنت . . . وما إخال

ربابا فى عين الآلهات
يصاغ بهـا لرقته مثال

عروس الشعر معذرة القصيد
إذا ما جن فى وترى نشيدى
تمرد أن ينام ... على (القيود)

فراح يهز أجفان « العبيد »
ليفتحها على ذل السجود ...
فإذ شـعبى موات فى موات
وإذ وطنى : همـود فى همـود

وهو فى هذين المضمارين قد أرضى جميع نقاد الفن وإن لم يتعمد ذلك لأنه لم ينصت إلا إلى أوتار قلبه ، أرضى فى حبه أرباب الفن للفن كما أرضى معارضيهم فى سمو توجيهه (وحرية) أوتاره

أنا ما نظمت الشعر بل ذوبت رنات القيـود
وعصفت. إذهتف الهوى. ناراً على شـفة الجليد

***

فأما الحب ، وأما دفقات الشباب ؛ وأما خفقات الفؤاد ، فما أعرف شابا أديبا مثل سليمان أحسن نجواهن فسحر ، وغنى بألحانهن فأطرب وأسكر ، وهل الحياة إلا الحب ؟

هى الدنيا ، وهل فيها — إذا لم نهو — ما يسبى
إذا رضى الغرام عليـك فأمن جانب الرب

***

وهل عمر الشبـاب إلا : —

عمر الورد قصير ... فلندع
كل ما فى الروض يغرق فى المراح
ليس فى ثغر الأقاحى متسع
لسوى القبلة من ثغر الأقاح

وإن هذا الغناء وإن شابهت أنغامه أنغام الخيام إلا أنها أشد اتصالا بينبوع الحياة ، وليس وراء مرحها وإغراقها فى اللذة جرات يأس ، بل هى نقية صافية لأنها من معين الخلود :

علمتنى طرق السما ء فجن شعرى بالسماء
وهتفت بى — والأرض تجذب ناظرى : — إلى العلاء
فهوت على قدمى ، خلف السحب ، أشباح الفناء
وإذا الخلود ... على فمى كأس تفجر بالغناء ...

***

لا تحذرى ... لم يحطمنا سوى الحذر
لا تحسبى غير لقيانا من العمر ...
ألقى بروحك فى أرجوحة القدر
وعانقينى على إطلالة القمر ...

***

أنقل على شرفات الخلد أقـدامى
وأسكر المـلأ الأعلى بأنغامى ...

***

لا تأسفى للدجى إما تريه فنى
فى تمتمات النشاوى مصرع الزمن
دعى هواجس هذا الكون فى كفن
يحلو لهن ذوو (الآراء) والفطن
واستنشدينى فقـد باتت تعـذبنى
أنشودة لم أتمها ولا عجبـا
صدرى يضيق بألحانى وإن رحبا ..

إذن فلينهل من هذا الكوثر قبل أن يفقده ، وليمنع منه أحيانا ليشعر بألم الحرمان فما هذا الألم إلا صورة من اللذة الخالدة ..

أقفلت أنفاسى على جمرة لفاحة ... تلهب ما تلهب
ورحت أستعذب آلامها والألم الخلاق يستعذب

***

فى غد تخبو رؤانا الزاهيه لم لا نشعلها قبل الغد ؟
فى غد .. تمضى الأمانى الحاليه والأغانى بددا فى بدد

***

سنبسم للجراح على الجراح
ونسقيهن ألحـان المراح
ويحملنا الشباب بلا جنـاح
إلى أحلامنـا الخضر الفساح
إلى دنيا منضرة النواحى ...
هنـاك إذا افترشت النيرات
غفوت على أغاريدى وراحى

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٦ —

إننا نجد شلر فى تصادمه مع مواطنيه المثل الأعلى فى سمو الخلق ، وهذا السمو هو الرابطة الوحيدة التى كانت تشده بمجتمع زمانه ، وقد أظهر كل النبل مع أعدائه وأصدقائه على حد سواء . على أنه لم يدخل قط فى مجادلات وترهات عصره . وبالرغم من مشاهدته وأسفه على إسفاف الأدب فى زمنه لم يشهد حربا مكشوفة عليه ، وإنما نراه يلمح إلى ذلك عن بعد كما هى الحال فى كتابات (ملتون) ولذا نراه لا يتطرق إلا إلى أسماء عدد قليل من معاصريه ، لأنه لم يقصد الناس فى هجومه وإنما كان يقصد الأفكار المعوجة والآراء الفجة . وفى كتابه (دراسة عن برغر) — هذا الكتاب الذى أسهب الناس فى الحديث عنه وعلقوا عليه شتى التعليقات ، والذى أنزل أشد الضربات فى الشاعر المسكين (برغر) . إلا أن شلر لم يقصد منه إثارة أى عداء ضد برغر — بل على العكس حاول أن يظهر فيه احترامه لفن الشاعر وتجربة لفهمه ، لأنه لم يعن بالمنازعة مع برغر أو أى شخص آخر كما لم يقصد إلى كسب رضا الجمهور ، وقد كان حائزا عليه بدرجة عالية لأنه لم يقدر هذا الرضا . وقد قال فى هذا المعنى فى فقرة جليلة يعرفها القراء الإنجليز « إن الفنان فى الحقيقة هو ابن عصره ، ولكن وا رحمتاه له إن هو أصبح تلميذ هذا الفكر ، فخير له لو اختطفته يد إحدى الآلهة وهو لا يزال رضيعا من حضن أمه لتربيه فى عصر آخر أحسن فيشب ويبلغ مبلغ الرجال تحت سماء الإغريق القصية ، وحالما يدرك هذا المبلغ فله أن يرجع إلى بلاده غريبا فى سيمائه ليس ليسرها بوجوده ، بل ليطهرها كأحد أبناء أغاممنون المرعبين » . وعلى كل ، فشلر لم يكن عنده أثر من آثار الغرور أو حتى الكبرياء ، لأن شعوره الذاتى المتواضع كان أهم ميزة من ميزات عبقريته التى كانت ضمنية غير ظاهرة عليه ، فلم يكن للمقت أو للغضب محل فى نفسه اللهم إلا ضد الخرافات والإسفاف ، وعنده تصبح الكراهية شيئا مقدسا ، كما أن الزهو العاتى لم يكن له أثر فى نظرته ، أما تجهمه فكان يشبه تجهم أبولو الذى كان يقضى على الأفعى بنظرة واحدة من نظراته [١] . وبكلمة أخرى يمكننا أن نقول فى شلر ما نقوله فى أفراد قلائل من أى قطر كان : لقد كان خادما من خدام معبد الحق وقد قام بمثل هذا الواجب خير قيام ، وليكن هذا ذكرى لنا على الدوام فى عصرنا هذا ، وهذه الذكرى وحدها كافية للاشادة به . ولقد اتفق سلوك شلر العقلى مع سلوكه الأخلاقى اتفاقا دائما ؛ فكان بسيطا فى عظمة ، ساميا فى عدم تكبر ، تقيا فى عدم إسفاف ، غيورا فى عدم حسد . وكانت الحساسية النبيلة والمشاركة المخلصة مع الطبيعة فى جميع تقلباتها تنعشه وتبعث فيه ميت الرجاء ؛ إلا أن ذلك لم يكن مدعما بقابلية إبداعية . ولكن الطبيعة بما فيها من معنى وجمال كانت محدودة بصور قليلة لدى بصيرته ، وكان اهتمامه يتركز فى نوع خاص من الصور ، هى أقرب إلى العاطفة القاسية الشجية ، وهذا ما كان يمكنه أن يمثله خير تمثيل كشاعر وكمفكر . ويمكننا أن نقول : إن موسيقاه كانت موسيقى سماوية حقة ، ولكن فى نغمات رتيبة غير متنوعة وفى إيقاع بسيط ، ولكن الانسجام فى الترتيل مفقود فيها . ولا نكران بأن شلر فى أيامه الأخيرة ، على الأقل ، أدرك أسلوبا شعريا باهرا صافيا فى المجالى الخالدة من الفن ، ولكن هذه الموهبة ظلت جزئية ، لأنها كانت نتاجا لبعض قابلياته المكدودة أكثر من كونها نتاجا ذاتيا لطبيعته الكلية ، فعلى قمة المحرقة يوجد لهيب أبيض ولكن المواد ليست كلها ملتهبة إذا لم نقل غير مشتعلة . لا بل يظهر لنا أن الشعر إجمالا لم يكن موهبته الرئيسة ، كأن عبقريته كانت منهمكة فى التأملات الفلسفية والبيانية أكثر من الشعر . وإلى النهاية كانت هنالك خشونة فيه مما جعل عدم انصهاره فى بودقة الشعر أمرا لا مفر منه . وهكذا لم تكن عبقريته قيثارة (بولية) تعزف عليها الرياح كما تشاء لتصنع لحنا حرا ، بل آلة موسيقية علمية إذا ما عزفت عزفا فنيا أنتجت نغمات بديعة ولو بصورة محدودة . ومن المحتمل أن جزءا يسيرا من مواهبه انكشف لنا ، لأننا يجب أن نعلم بأنه لم

---

(١) حياة شلر

يحظ بما حظى به إلا بعد جهد جهيد وتعب شديد ، وأنه استدعى إلى العالم الآخر وهو لما يبلغ منتصف العمر . وعلى كل حال ، فنحن على قدر ما نجد فيه من المواهب مجبرون على الاعتراف بأن أهم هذه المواهب كان هذا الإدراك العميق الدقيق الذى نجده فى كل مؤلفاته . لقد كان لديه خيال ذهنى واسع الأفق وقابلية فلسفية إدراكية عميقة ، ومع ذلك فإن البساطة وعدم الشمول ظاهران فى كل هذا

وكان شلر ينظر إلى الأعالى بدلا من أن يحدق فيما حوله . وكان يهتم اهتماما خاصا بالأمور الفلسفية البعيدة والتأملات الفنية وقيمة الإنسان ومصيره . ولم يعن بمصالح الإنسان وأعماله الآنية . ومع ذلك فهذه الأخيرة — كما تظهر لنا — ذات قيمة لا محدودة ، لأن أبسط مظهر من مظاهر الطبيعة ، وخصوصا الطبيعة الحية ، ما هو إلا نموذج ومطلع [٢] من مطالع الروح غير المرئية التى تعمل فى الطبيعة . وليس من شىء تافه فى الكون ، بل إن أصغر شىء يمكن أن يعتبر نافذة للنظر من خلالها إلى اللامحدود . ولم ينظر شلر كمفكر وكشاعر أكثر من نظرة عابرة إلى مثل هذه الأشياء ، سواء كان ذلك فى مناقشته أو فى عرضه للطبيعة وتصوره لها . فالشىء العادى ظل عاديا بالنسبة إليه ، وإذا نظر إليه نظرة مثالية فذلك بصورة ميكانيكية ليس للوحى فيها أى مكان ، وليس عن طريق التطلع الفلسفى الشعرى ، هذا الطريق الذى يفتح مجاهل الجمال فى كل صفة من صفاته ، بل عن طريق استنتاج هذه الصفات بانتقاء ما هو وضاء بارز منها وترك الباقى تذروه الرياح

وفى هذا يختلف شلر اختلافا بينا عن الشعراء العظام وخصوصا عن معاصره العظيم جوته ، وهذه العظمة الفكرية — على ما هى عليه من قيمة وأهمية — عظمة بسيطة تسحر البصر لأول وهلة ولكنها لا تلبث أن تفقد الكثير من جلالها . فليس النظر إلى المجردات العلوية صعبا بمقدار الصعوبة التى نواجهها فى النظر بعطف إلى مشاكلنا الآنية ، والحكيم هو من يرشدنا ويساعدنا فى أمور حياتنا اليومية ، وقد يجوز أن يكون حكيما كذلك من يرشدنا للنظر إلى الحقائق القديمة نظرة أكاديمية شكلية ، ولكننا نريد أن نرى الحكمة فى أشكالها المكشوفة البينة ، لأننا قد نجد فى الأمثال كثيرا من الحكمة الواقعية أكثر مما نجد فى النظم الفلسفية والمدارس الأدبية . فكتاباته المبكرة وكل كتاباته تقريبا تمتاز بهذا الترف الأرستقراطى وهذا الزهو المجرد . فهو إما أن يكون تجريديا أو نظاميا فى تأملاته أو نراه متعلقا ببعض الأفكار المعترف بها ، غير عابئ بالنظر إلى ما يحيط به أو بالنظر إلى نهر الحياة المتعدد الألوان ، وإذا نظر إلى ذلك فمن خلال كوة ضيقة . ففلسفته فى التاريخ تستند على اعتبار كمال الإنسان نتيجة من نتائج التنظيمات الاجتماعية والمؤسسات الدينية ، يستبين ذلك فى شعره ، فهو يدور فى نطاق الأمور القديمة المعروفة من أمثال جنون الحب ، والعظمة العاطفية ، والحماسة فى الدفاع عن الحرية وماشابه . نجد ذلك فى كتابه (دون كارلوس) ، هذا الكتاب الذى يمكن اعتباره مرحلة انتقال ونقطة تحول بين فترتين من حياته : المبكرة والمتأخرة ، وفى هذا الكتاب نجد البطلة المحبوبة (بوزا) تظهر محلقة فى الأجواء ، مضيئة صافية نقية وباردة وجافة كالمنارة البحرية . وقد عرف شلر نفسه بأن العظمة لا تكمن هنا . وبجهد لا كلل فيه ولا ملل تمكن شلر من التخفيف من غلواء تحليقه وتوسيع رقعة منطقته الأرضية بالهبوط إليها ، وقد حدث ذلك بنجاح منقطع النظير ، كما تشهد بذلك أشعاره وأكبر دليل على ذلك قصيدته (نشيد الأجراس) ، وهى قصيدة عظيمة بلغت مبلغ الإعجاز فى بلاغتها وفى عرضها . أما مأساته (وليم تيل) . وهى آخر مؤلفاته — فهى فى أسلوبها وروحها من أحسن ما كتب فى الدراما . أما قصوره الوحيد — كما قلنا سابقا — فهو عدم تنازله واختلاطه بالمجتمع ، ومما له علاقة وثقى بهذا القصور سببا ونتيجة ، هو فقدانه لروح المزح والملاطفة ، هذه الروح التى تعبر عن الشاعر العامة ، فينظمها الشعراء شعرا عذبا مستساغا ، فالشاعر المازح يرى الحياة العامة وحتى الوضيعة منها بمنظار المرح والحب ، لأن كل شىء موجود له سحره الخاص

للكلام صلة — يوسف عبد المسيح ثروت

(٢) مطلع اصطلاح صوفى وهو يعنى الانكشاف الروحى لإنسان مختار من قبل واجب الوجود

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

أودى (بعتبة[1]) و (الوليد[2]) و (شيبة[3])
و (أمية[4]) القدر الذى لا يبرح[5]
وهوى (أبو جهل[6]) و (نوفل[7]) وارعوى
بعد اللجــاج (الفاحش المتوقح)[8]

لما رآى (الغازى المظفر) رأسه
أهوى يكبر ساجدا ويسبح[9]
فى جلده من رجز ربك آية
عجب تفسر للبيب وتشرح[10]
تلك السطور السود ضم كتابها
أبهى وأجمل ما يرى المتصفح
إن لم يغيب فى جهنم بعدهــا
فلمن ســواه فى جهنم يصرح؟
أدركت حقك يا (بلال) فبوركت
يدك التى تركت (أمية) يشبح[11]
واف المطار ووال يا (ابن رواحة)
زجل الحمام، إذا يطير ويسجح[12]
هذا (ابن حارثة) يطوف مبشرا
بالنصر يخزى الـكافرين ويفضح
لــا تردد فى البلاد صداكما
أمست قلوب المسلمين تروح
فــكأن كلا معرس، وكأنمــا
منه ومنك مهنئ ومرفح[13]
قل يا (أبا سفيان[14]) غير ملوح
فالنصر يخطب، والسيوف تصرح
بيض على بلق، تساقط حولها
سود مــذممة تساف وترمح[15]
ذهبوا، وأخلفهم رجاء زلزلوا
فيه، فزال كما يزول الضحضح[16]
أكذاك تختلف الزروع، فناضر
ضافى الظلال، وذابل يتصوح؟
القوم غاظهم الصحيح، فزيفوا
ومن الأمور مزيف ومصحح
خطأ الزمان فشا، فلذ بصوابه
وانظر كتاب الخلق كيف ينقح؟
جاء (الإمام العبقرى) يقيمها
ســننا مبينة لمن يستوضح

---

(١) عتبة بن ربيعة، برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار، فقال: إنما أزيد أكفائى من قريش، ونادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا، فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي الله عنهم، فقتل على الوليد، وقتل حمزة عتبة، وتبادل عبيدة وشيبة ضربتين أثرتافيهما، فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة، ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل، وكانت الضربة فى ركبته، فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها، وقال له صلى الله عليه وسلم (أشهد أنك شهيد) قال عبيدة: وددت والله لو أن أبا طالب كان حيا ليعلم أينا أحق منه بقوله:

ونسلمــه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال: —

فإن يقطعوا رجلى فانى مسلم ... أرجى به عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه ... لباســا من الإســلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة، فهو من شهداء بدر

(٢) هو الوليد بن عتبة

(٣) شيبة بن ربيعة

(٤) أمية بن خلف قتله بلال، والى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات: —

أرنى يديك أفيهما (لأمية) ... ورد من الموت الذعاف مثمل
للسيف سيف الله أهول موقعا ... من صخرة تلقى، وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظبي ... تحت العجاجة، والرماح الذبل

(٥) لا يدفع

(٦) ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء من الأنصار، وأجهز عليه ابن مسعود ثم جاء برأســه إلى النبي فحمد الله، وجاء أنه سجد خمس سجدات شــكرا، وفي رواية صلى ركعتين وقال: الحمد لله الذى أعز الإســلام وأهله، الله أكبر، الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده

(٧) نوفل بن خويلد. قال على: أنا قتلته، فكبر النبي وقال: الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه، فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع: يا معشر قريش، اليوم يوم الرفعة والعلا، فقال النبي: اللهم اكفنى نوفل ابن خويلد، وإنما قال على أنا قتلته، جوابا لقول النبي: من له علم = بنوفل بن خويلد؟

(٨) المراد أبو جهل لعنه الله، وهو المسمى فرعون هــذه الأمة على لسان الرسول الــكريم

(٩) لما جئ برأســه الى النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله، وفى رواية أنه سجد خمس سجدات شــكراً، وجاء أنه صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله، الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده

(١٠) وجدت فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار السياط، شبيهة بسمة النار، وهذا من ضرب الملائكة

(١١) هو أمية بن خلف، وقد سبقت الإشارة إلى قصته، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح ونحوه

(١٢) لما فتح الله على المسلمين أرسل النبى صلى الله عليه وســلم عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية، وهو موضع قريب من المدينة، وزيد ابن حارثة بشيراً الأهل السافلة، سجعت الحمامة بمعنى سجعت

(١٣) أعرس الرجل بأهله بنى عليها، ورفحه قال له: بالرفاء والبنين

(١٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام، لما قدم على أهل مكة بعد وقعة بدر، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال: هلم إلى، عندى الخــبر، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا، على خيل بلق، فغضب أبو لهب

(١٥) تضرب بالسيوف وتطعن بالرماح

(١٦) الضحضح السراب

صدى الوقعة فى مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيرا ، وحزن المشركون حزنا شديدا ، فأقيمت المآتم ، وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره فى الملحمة الحائية ، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رآى وقال : لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك والله الملائكة ، فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة لبابة عمودا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب سيده ؟ فولى ذليلا ، ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات :

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع ... ولقلما تجدى الظنون وتنفع
النصر حق ، والنبىُّ صادق ... والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع (أبا لهب) فإن تك ذا عمى ... فجبال مكة ، والأباطح خشع
(مولى رسول الله) يضرب ماجنى ... ذنبا ، ولم يك كاذبا بتشيع
هى يا (أبا لهب) كتائب ربه ... نزلت ، تذل الكافرين وتقمع
أخذت (لبابة[١٧]) للضعيف بحقه ... ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع
وشفته منك بضربة ما أقلعت ... حتى رمتك بعلة ما تقلع[١٨]
قالت بغيت عليه ، واستضعفته ... أن غاب (سيده) وعز المفزع
ما (بالعمود) ولا برأسك ريبة ... إن النوى بمثل ذلك يردع
حييت (أم الفضل) تلك فضيلة ... فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله ... شاف ، ولا فيه لآس مطمع
تمضى البشائر جولا ، وتجول فى ... دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا ... يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود ، وإنما ... أكلته سبع[١٩] بعد ذلك جوع

(١٧) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وكانت من السابقات إلى الإسلام

(١٨) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها ، وتخاف عدواها أشد الخوف فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات

(١٩) الليالى السبع التى مات بعدها

هم غادروه ثلاثة فى داره ... لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع[٢٠]
تتجنب الأيدى غوائل دائه ... فيدع بالخشب الطوال ويدفع
رجموه ، لوكره السفاهة فارعوى ... ما ساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم ... للجمع بالبيض البواتر يصدع
جز النساء شعورهن ، وغودرت ... للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروه العويل على أسى ... و(البيت) يشهد و(الحطيم) يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم ... فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر ، لا مرد لحكمه ... هو ربنا ، وإليه منا المرجع

(٢٠) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعض الأعواد فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه

يتبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

. . . والمسرح أيضا

ماتزال « البندقية » تتصدر الحركة الأدبية والفكرية والفنية في هذه الأيام فهي بعد أن فضت مؤتمر الفنانين الذي عقد في شهر سبتمبر الماضي ، جمعت مؤتمر المعهد الدولي للمسرح خلال الشهر المنصرم ، واشتركت فيه ١٦ دولة أوربية وآسيوية وأمريكية . وعني المؤتمر بعلاج المشكلات والعقبات التي تقف دون تقدم الفن المسرحي ، على أساس مطالبة الدولة بمساعدة مالية دون أن تفرض رقابتها سواء من الناحية السياسية والفكرية والفنية ، كما نظر المؤتمر في ضرورة مقاومة الاستقلال الذي يقوم بين الوسطاء بين المسرح والجمهور ، وصون حقوق المخرجين والفنيين الذين يقومون بإعداد المسرح وترتيبه

وبينما كان هذا المؤتمر منعقدا في البندقية ، انعقد في باريس اجتماع اليونسكو لدراسة « حق الإنسان في المساهمة في الحياة الثقافية » بعد أن عهد إلى مجموعة من المربين بدراسة هذه المشكلة وإيجاد حل إيجابي لها

حق الأديب في الحياة الكريمة

في هذا الوقت الذي توقع فيه اتفاقية حقوق المؤلفين في البندقية ، تدور في الصحف العربية معركة ، مشتركة ، لا أدري كيف تلاقت الأفكار حولها دون سابق ارتباط

في صحيفة « العمل » التي تصدر في لبنان مقال بعنوان « الموهوبون » يقول فيه كاتبه الأستاذ راجي الراعي :

« منذ خلق الأدب والفن والأديب والفنان مظلوم محروم ، ونحن نعلم أن الآلام هي القيثارة التي تحمل أوتار الأديب ، والدواة التي يغمس فيها قلمه ، والعرائس التي تأتيه بالروائع ، وأن بين الرعشات والتنهدات والعبرات والجراحات تهبط الآيات الخالدات ، فلا نريد أن نخرجه من دنياه ، ولكننا نريد له جوا فسيحا مريحا يتسع لجناحه ، وبيتا يملكه وفيه القليل الذي لابد منه ليلد الكثير الذي يتمخض به خياله ، وحديقة ينتشق فيها الورود ليأتيك بورود . ونريد له مايبتاع به الضمادة والرداء ، وما تتطلبه المعدة القاهرة التي لا تعرف الهدنة والعياء ، وما يقيه قيظ الصيف وزمهرير الشتاء . . شر الظلم هذا الذي يعانيه صاحب الوحي والقلم ، ولقد حان لنا أن نرفع الموهوب إلى المكانة التي تليق به وأن نريحه من الأتبار التي تدميه ... »

الرصافي أحد الضحايا

وفي نفس الوقت تنشر جريدة « النبأ » في العراق مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري يقول :

« أرأيت كيف يعيش الرصافي ؟ ! »

أشك بأنه مات من سوء التغذية ! وأنه كان لا يجد بعض الأحايين ثمن الدواء الذي يقرره له أصدقاؤه الأطباء !

أهكذا يجب أن يعيش العباقرة لمجرد أنهم شعراء بينما غيرهم من الجهلة واللصوص يسكنون القصور الفارهة والبيوت الشامخة

قد تقول ... لم لم يجار السلطات الحاكمة ليعيش برفاه ، وهنا بيت القصيد وعلة العلل . الرصافي كرجل وكشاعر في زمن وصل فيه الظلم الاجتماعي إلى التدهور ، وليس من العدالة أن لا يدخل في حلبة السياسة ليذب عن المظلومين وينافح عن المنكوبين من أبناء الشعب ، ولو أنه ترك السياسة في سبيل العيش الرغيد والمنصب الرفيع كان مجرما بحق رسالته التي كافح من أجلها راضيا صابرا رغم بؤسه وجوعه وعذابه

وإذا اشتغل الشاعر بالسياسة وكان ضد الحكومة والسلطة الحاكمة ، والرجال الذين بيدهم الأمر والحل والربط ، فيجب أن يموت جوعا لأنه لا يمشي في ركابهم »

الالم العبقرى لبس ألم الجوع

وفي عدد آخر من جريدة « النبأ » يقول الكاتب « إن الأديب والشاعر لايمكنه أن يبدع ويخلق وينتج ماهو خالد وجدير بالبقاء ما لم يتنعم على الأقل بمباهج الدنيا لأنني أختلف مع الذين

يقولون إن الجوع يخلق ، ولا أدرى كيف يمكن الإنسان الجائع أن يفكر تفكيرا صحيحا ، إذا كانت معدته خاوية ! وأظن أن شوقى عندما قال :

تفردت بالألم العبقرى وأنبغ ما فى الحياة الألم

لم يك يقصد بالألم العبقرى ألم الجوع

ومعنى هذا أن القضية واحدة ، ومتصلة ، ولكنها قضية الشرق كله ، وأعتقد أن الذى أثار هذا الحديث فى مختلف صحف البلاد العربية هو ما ذكره الدكتور طه حسين فى كلمة فى مؤتمر البندقية عن حق الأديب فى الحياة

ألوانه . . .

من أخبار هذا الأسبوع الأدبية الإفراج عن كتاب « المعذبون فى الأرض » وقد سعدت بلقاء الأستاذ العميد مساء الخميس ، وحضر الاجتماع كاتبين من كتاب الشباب

وقد تحدث الدكتور مع أحدهما عن رأيه فى أسلوب الشباب الأدبى ، معلقا على كتاب من الكتب ... فقال إنه يكره جدا للشباب هذا الاتجاه نحو العامية فيما يكتبون ، وإن فى اللغة الفصيحة ما يمكن الكاتب من أن يبلغ نفوس القراء إذا كان يريد الحديث إلى أدنى طبقاتهم وأقلها ثقافة

وذكر فى هذا المجال عبارة الفيلسوف اليونانى القديم « قبل كل شئ يجب أن تتكلم اليونانية »

وجاء ذكر الأستاذ محمد السباعى فقال العميد إنه ممن استفدت منهم حقيقة ، وممن لهم الفضل الأول فى إعطائى صورة عن الأدب الإنجليزى ، وإن أول شئ قرأته عن سبنسر كان عن طريق ترجمة السباعى .. وأضاف الدكتور أن من خير ما أعجبه من إنتاج السباعى كتاب « الصور »

ومما يذكر فى هذا المجال أن مكتبة المعارف قد أخرجت للعميد كتابا جديدا ضخما اختار له اسم « ألوان » ... وهو خلاصة حية لفنون الأدب العالمى المعاصر « وألوانه »

بين الرافعى وشوقى

أشار الأستاذ « كمال النجمى » فى كلمة له فى « الجمهور المصرى » عن خصومات شوقى بين الرافعى والعقاد وجلة رأيه فى هذا أن الرافعى غير رأيه فى شوقى ، وأن العقاد ظل مصرا على رأيه فيه إلى النهاية .. وهذا الرأى بعد أن تبين للأستاذ النجمى ، أن ما كتبه الأستاذ شفيق منصور عن الكتاب « الذى لم يصدر » عن شوقى ، كان مجرد مداعبة للكاتب بمناسبة ذكرى أمير الشعراء

ومما يذكر فى هذا المجال أن الرافعى قال فى كلمته التى نشرها المقتطف بعد وفاة شوقى إن السر فى عبقرية شوقى أنه لم يكن « مصريا » .. وقد أزعجت هذه العبارة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى ففتح بابا أسبوعيا فى جريدة البلاغ عنوانه « مصر الشاعرة » ظل يختار فيه كل أسبوع لمحات من قصائد الشعراء المصريين طوال العصور الماضية تعزيزا لهجومه على رأى المرحوم الأستاذ الرافعى

ومن الذين غيروا رأيهم فى « شوقى » الدكتور هيكل .. فبعد أن كتب مقدمة الشوقيات كتب فصولا فى السياسة فى مهاجمة شوقى

حول الأدب النسوى

أرسلت إلى الكاتبة (ل . س) قصائد من الشعر المنثور ترغب فى نشرها فى الرسالة . . . وقد هاجت الرأى الذى أعلنته فى إحدى المقالات السالفة عن « الأدب النسوى »

تقول : أدهشنى ياسيدى أنك تتجنى على المرأة بغير شفقة ناسيا أو متناسيا تلك القطعة النثرية الرائعة التى كتبتها « ابنة الشاطئ » والتى مطلعها

«شاقنى أن أرفع إليك نجواى...وقدفصلتنى عنك قطعة من الزمان..»

. . والحق أننى لا أعرف أن للسيدة الدكتورة بنت الشاطئ شعراً منثوراً .. أما أننى أتجنى على المرأة . . فلا وألف مرة لا

أنا على ثقة بأن « الأدب النسوى » لم يكتب بعد ، وأن كل ما يكتب الآن ما هو إلا لمحات عامة ، لم تأخذ بعد الصورة النهائية الواضحة . . الجديرة بأن يطلق عليها هذا الاسم

صحيح أننى أقرأ هذه الأيام لأسماء جديدة :

. . . الزهرة ، الزهراء ، نعمات أحمد فؤاد ، نفيسة الشيخ ،



قيس بن ذريح أم قيس بن الملوح ؟

منذ أيام كنت أقرأ فى كتاب « أبحاث ومقالات » للأستاذ أحمد الشايب الذى صدر سنة ١٩٤٦ ، فوجدت فى مقاله السادس عن الغزل فى تاريخ الأدب العربى صفحة ٢٨٣ قصيدة :

تكاد بلاد الله يا أم مالك — بما رحبت يوما على تضيق

« للمجنون » كما نسبها الأستاذ الفاضل فى كتابه ، ووجدت أن هذه القصيدة مازالت عالقة بذهنى ورأيت أننى كنت قد نقلتها عن « الأغانى » لأبى الفرج . فرجعت إليها وتحققت أنها لقيس ابن ذريح لا لقيس العامرى والتى من أبياتها مايثبت صحة نسبها إليه :

سلى هل قلانى من عشير صحبته ... وهل ذم رحلى فى الزمان رفيق
تكاد بلاد الله يا أم معمر ... بما رحبت يوما على تضيق
تكذبنى بالود لبنى وليتها ... تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أننى ... لكم والهدايا المشعرات صديق
أزود سوام الطرف عنك وهل لها ... إلى أحد إلا إليك طريق
تتوق إليك النفس ثم أردها ... حياء ومثلى بالحياء حقيق
فإنى وإن حاولت صرمى وهجرتى ... عليك من احداث الردى لشفيق

ولكنى لا زلت أرى هذه البراعم مازال فى طريق النضوج ، ولا يمكن الحكم عليها

قائمة سوداء

. . أما قصيدة الشعر المنثور « قائمة سوداء » التى تفضلت السيدة بإرسالها إلى فإن فى روحها معانى لامعة حية ، تدل على نفسية مجربة خبيرة ، قاست من الحياة وعانت ... فما المانع أن تصاغ هذه التجربة النفسية فى قصة . إنها إذن تكون غاية فى القوة والروعة ، ولن تتردد الرسالة فى نشرها

وإنى لأرجو أن تتفضل الكاتبة (ل . م) بأن ترسل إلى عنوانها لأرد على المسائل التى سألتنى عنها ردا خاصا لها ، فهو مما لا ينشر على صفحات مجلة الرسالة . ولها تحياتى وإعجابى

أنور الجندى

إلى آخر القصيدة. ولست أقصد من وراء هذا أننى أشك فى قيمة مقالات الأستاذ وإنما أود التحقق من صحة نسب هذه القصيدة بالذات مع خالص اعتذارى للأستاذ أحمد الشايب..

فالرجا التفضل بالشرح والتوضيح

ل . م

أوامر مهملة

إن الشعب الذى لا يستجيب لنزعات الإصلاح بل يتمرد عليها ، ولا يتمشى مع خطوات النهضة بل يسخر منها ، هو شعب لا يستحق الحياة ، ولا يصلح للعيش الكريم الذى يليق بالشعوب الكريمة

والأوامر التى تصدرها الدولة عادة تكون فى صالح الشعب ، فكان أحرى بالشعب أن يستجيب لها ويرحب بها وينفذها بدقة ، وأجدر به أن يجعل من نفسه حارسا لها من العبث والاستخفاف بها ، وقد كان العهد البائد رزءا ثقيلا على عبء الشعب المصرى ، جعله لا يلقى لأوامر الحكومة بالا حتى ولو كانت فى خدمته أو صالحه ، أما وقد انقرض العهد البائد إلى غير رجعة ، فالواجب على الشعب أن يفتح أعينه من جديد ليدرك فى أى عهد يعيش ، وليدرك أن العهد الجديد يتطلب شعبا جديدا يتعاون مع نزعات الإصلاح ويتمشى مع خطواته

وأعتقد أنه من أهم الخطوات الإصلاحية إيجاد شعب قوى يتمتع بصحة جيدة ، وعافية وافية، ولن يتيسر وجود هذا الشعب إلا إذا كان للأوامر الصحية لديه ترحيب وتقدير ، لا سخرية واستخفاف

وإليك مثلا واحداً لأمر واحد من الأوامر الصحية المهملة فى هذا البلد ، وهو أمر نلمسه جميعا صباحا ومساء وفى معظم أوقات اليوم ، فأنت حين تركب « تراما » أو سيارة عامة لا بد أن تقع عيناك على لافتة بارزة وواضحة للجميع كتب عليها « البصق والتدخين ممنوعان بأمر وزارة الصحة » كل منا قرأها مرارا وتكرارا ، ولكن هل هناك اهتمام لهذا الأمر ؟ كلا وألف كلا .. إن الركاب ولاسيما الطبقة المثقفة — ويا للأسف — يصرون على تدخين لفائف التبغ داخل المركبات العامة ويكاد

الدخان المتصاعد منها يطمس أحرف اللافتة ، ويصرون على البصق وهم يرمقون اللافتة بنظرات تنم عن السخرية والاستخفاف !

هذا مثل واحد للأوامر المهملة ، وأعتقد أنه لا يكفى أن تدون الأوامر فى لافتات إذا لم يكن وراءها قوانين قاسية تؤدب المخالفين ، وإلا فلن يكون مصيرها إلا الإهمال والاستخفاف !

نفيسة الشيخ

مهرجان الشعر

تحدث الأستاذ أنور الجندى فى العدد « ١٠٠٩ » من الرسالة الزاهرة عن مهرجان الشعر الذى دعت إليه جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة ، احتفالا بيوم الجيش .. وقد استوقفتنى أشياء عديدة فى حديثه ، إحداها أنه كان يود أن يسمع قصيدة عصماء من الأستاذ خالد الجرنوسى .. وهذا القول يدل على أن الأستاذ الجندى لم يشهد المهرجان ؛ لأن الأستاذ الجرنوسى ألقى فعلا إحدى قصائده ؛ اللهم إلا إذا كان الأستاذ الجندى لا يرى فيها أنها قصيدة عصماء ! ؟

ويعجب الأستاذ الفاضل من أن الذين تحدثوا كانوا من الشعراء الجدد ، ثم يتحدث عنهم بكثير من العطف ، أعتقد أنا ، ويعتقدون معى أنهم فى غنى عنه

وأرى أنه من الطبيعى أن يتحدث الشعراء الشبان ، لأنهم يمثلون — أصدق تمثيل — تطور العقلية الأدبية فى مصر ، ولأنهم أحسوا أكثر من غيرهم آلام وطنهم المكبل ، فاهتزت عواطفهم ووجداناتهم الجائشة ، معبرة عن انفعالاتها ، وأيضا لأن أقلامهم الفتية لم تلوث بمداد الذلة والابتهال إلى الطغاة

وأخيرا أحب أن أقول للأستاذ أنور الجندى ، إنه من اللاحظ على كتابته بصفة عامة .. أنه يصدر أحكاما سريعة ، دون أن يتعمق فهم المؤثرات المختلفة التى توجه التيارات الأدبية ، وتحدد ألوانها .. لاحظت ذلك فى حديثه عن الشعر المنثور ، وعما يسميه مذهب الفن للفن ، وفى حديثه عن الشعراء الجدد ، وغير الجدد ، وفى طريقة تناوله وفهمه للأدب المعاصر ..

محمد فوزى العنتيل

رد على نقد

طالعت فى عدد الرسالة الغراء رقم (١٠٠٥) القصيدة العصماء (وهى البردة) للشاعر المبدع الأستاذ ميشيل الله ويردى ، مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية ، وقد تناقلتها صحف كثيرة وقرظتها أجمل تقريظ ، ثم قرأت فى العدد (١٠٠٧) من الرسالة نقدا للسيد عبد اللطيف محمود الصعيدى يتعلق بكلمات فى القصيدة يظهر أن معانيها خفيت عليه فظنها حشواً ، مع أنه لا يعقل أن يلجأ إلى الحشو شاعر فحل كصاحب هذه القصيدة . ولعل للسيد الصعيدى بعض العذر لأن القصيدة نشرت بدون شكل كما أنه جاء فيها بعض أخطاء مطبعية ، فإيضاحا للحقيقة ونفعا لمن يمكن أن تخفى عليه معانيها الجميلة رأيت أن أرد على نقد السيد الصعيدى مستنداً إلى قواعد اللغة وأحدث المعاجم كالبستان والمحيط وأقرب الموارد

أولا — ليس الوسم بمعنى الوسامة ، بل هو مصدر وسم الشئ أى طبعه بطابعه ، أما الأرم فهو العلم ، ومن معانيها العلامة والأثر ، وأرم الشئ أرما ، شده وضم بعضه إلى بعض ، كضرب ضربا ، أوبفتح الراء كطلب طلبا ، ومنه الأرومة التى تضم الجذوع ، وتستعار فى الحسب ، والمعنى فى الحالين أن الاتحاد الفكرى أهم من الشكلى

ثانيا — السلم بفتح اللام بمعنى السلام ، محيط ص ٩٨٨ ، وقد وردت هذه الكلمة فى قصائد كثيرة ولا مجال لإيراد الشواهد

ثالثا — ليست (يكمد) بتشديد الدال بمعنى يستحب ، بل بمعنى كمد الشئ أى تغير لونه ، على وزن افعل مثل اربد واصفر الخ . والمعاجم لا تذكر الأفعال المزيدة إذا لم تغير الزيادة معناها ، ولا سبيل لنقد كلمة تجيزها القاعدة والذوق السليم

رابعا — اللدم خطأ مطبعى ، وصحتها (السدم) بتشديدالسين المفتوحة وكسر الدال ، وهو الشديد العشق وقول الشاعر (ليس دعى الحب كالسدم) من الناحية المعنوية كمعنى قول التنبى (ليس التكحل فى العينين كالكحل) من الناحية المادية

خامسا — الحسم بضمتين الأطباء (البستان ص ٥١٣) وهى جمع حسوم أى الذى يقطع فى الأمر ويتممه على أحسن وجه ،



أرملة

عن الفرنسية

كان ذلك فى أوان الصيد فى قصر بانفيل ، والخريف مطير حزين ، والأوراق المنتثرة ذابلة محمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ، بل تعطن فى السكك بمدارج العجلات تحت شآبيب الديم الهطالة

وكانت الغابة وهى جرداء إلا قليلا تشبه الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان الدوح العالى يصفقه وابل الطر شملتك رائحة مخمة وهبوه ماء من العشب المخضل والأرض المبتلة

والصيادون حناة الظهور يدبون تحت هذا الفيض المتون ، والكلاب محزونة ذيولها مرسلة ، وشعرها ملتصق بآطالها ، والغانيات الصائدات فى أثواب الصوف المفصلة لاصقة مشربة بالبلل ، وهم كل مساء يؤوبون من الصيد أنضاء جسم وعقل أجمعين

وفى البهو الكبير بعد العشاء يجتمعون إلى لعبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة . وللريح فى الخارج هبات مدوية تدفع فى مصاريع الشبابيك المغلقة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق الأبراج فإذاهى من دوران كالخذروف المدوم

فأرادوا أن يسمروا بالحكايات كما تروى فى الكتب ، ولكن الله لم يفتح على واحد منهم بابتداع حكاية مسلية . ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم بالبنادق وتقتيلهم للأرانب ، وجعلت الغانيات يكددن أذهانهن ويتقصين فى ثناياها فلا يجدن خيالا كخيال شهر زاد يسعفهن بحكاية من أمثال حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث . وكانت إحدى الغانيات تعبث خالية البال بيد عمتها العجوز ، وهى عانس لم تتزوج ، فلحظت خاتما صغيرا من شعرات شقراء طالما وقع ناظرها عليه من غير أن تفكر لحظة فيه

فسألتها وهى تديره فى إصبعها بلطف : « ألا قلت لنا يا عمتى ما هذا الخاتم ؟ لكأنه شعر غلام يافع ... » فاحمار وجه العانس ثم اصفار ، وأجابت بصوت متهدج : « إن الأمر محزن جدا ، محزن جدا ، حتى لست أحب الكلام عنه . وكل ما فى حياتى من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت فى غرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلوعنى الذكرى حتى ليغلبنى البكاء كلما خطرت فى نفسى »

فتلهفوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت فى آخر الأمر :

« كثيرا ما سمعتمونى أتحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقرضت اليوم جميعا ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الأخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان فى الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريبا ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشرا عجيبا من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعا — أبا

ويطرد وزن فعل بضمتين فى جمع فعول

سادسا — الجسم بضمتين الأمور العظام ، (البستان ص ٣٦١) وهى جمع جسيم ، كقضيب وقضب بضمتين

سابعا — الرمم بضم الراء المشددة ، الجوارى الكيسات ، وهى جمع رامة ، وقد ظنها الناقد بكسر الراء فكتب ما كتب دون أن يعود إلى المعاجم ، والمعنى أن النساء على ما فيهن من كياسة وظرف ، كن يعشن كالجوارى والإماء قبل عهد الرسول (ص) فلما اشترع حقوقهن كان أول من نادى بهذه المأثرة الاجتماعية ، ونصيحتى إلى السيد الصعيدى أن يعيد قراءة هذه الدرة النفيسة بعد استبدال عدسة منظاره بعدسة ناصعة ، فالإنصاف واجب فى مثل هذه الحال ، والسلام

دمشق — حمدي بابل

عن جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبحات وإلى التفانى وفرط التحمس، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين فى بعض النفوس . وشتان فى الطبيعة والمزاج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد فى أوساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عشق كعشق بنى سانتيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سيماهم . فكلهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جعدة وعيناه واسعتان ينفذ شعاعهما فى نفسك فيبلبلك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سببا

وكان جد الغلام — الذى رأيتم فى إصبعى تذكاره الوحيد — له مغامرات عدة ومبارزات وسبى واستباحة للحريم . وقد هام بعدها وهو فى نحو الخامسة والستين بابنة مؤاجر ضياعه . وإنى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السمت والشارة ، تتكلم متئدة وفى صوتها لين وترطيب ، ونظرتها حلوة غاية فى الحلاوة كأنها نظرة العذراء فى صور الرسامين . فأخذها السيد الكهل عنده ، وسرعان ماأصبح متيما بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه المقيمتان فى القصر بجدان الأمر طبيعيا لطول ماقر الحب فى تقاليد الأسرة . فالموضوع مادام محوره العشق فليس فيه ماتنكرانه وتتعجبان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء لباناته ، أو عاشقين فسد مابينهما ، أووقائع الانتقام من الخيانة أونقض العهد قالتا معاً فى لهجة شجية : « لله الله ! أو (لها الله) لشد ماقد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ ! » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهما لترقان لمآسى الحب ، ولا تنتهمان قط على أصحابها ولو أجرموا

إلا أنه فى ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب فى عنفوان الشباب ، هو المسيو دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسيو سانتيز هادئا كأن لم يحدث شئ . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقا بمرقد الكلاب وهى حوله

وقد مات ابنه مثل هذه الميتة فى فندق بباريس فى أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولدا فى الثانية عشرة وأرملة هى أخت أمى . وجاءت السيدة ومعها الصغير للمقام عندنا بأرضنا فى بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعا

ولا يسعكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سانتيز مدهشا باكر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع صفات أسلافه من رقة عاطفة وسبحات نفس جائشة قد اجتمعت فيه وزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالما ، يتمشى وحيدا ساعات كاملة فى ممشى رحيب بين أشجار الدردار الممتدة من القصر إلى الغابة . وكنت أرقب من نافذتى هذا الصبى الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويداه خلف ظهره مطرقا إلى الأرض ، وأحيانا يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان فى سنه

وكثيرا ما كان يدعونى للخروج بعد العشاء فى الليالى المقمرة قائلا : « هلمى يا ابنة الخالة نحلم . . » فنمضى سويا إلى الروض . وكان يتوقف فجأة فى الفجوات بين تفاريج الشجر ، حيث تطفو تلك الهبوة البيضاء مثل نديف القطن يبطن بها القمر فجوات الغاب . ويقول لى وهو يشد على يدى : « انظرى إلى هذا ، انظرى إلى هذا ! ولكنك لا تفهميننى ؛ إنى لأحس ذلك . لو أنك تفهميننى لكنا سعداء . لابد من الحب لمن شاء المعرفة » . وكنت أضحك وأقبله ، أقبل هذا الصبى الذى يحبنى مستهلكا فى حبى . وكان أيضا بعد العشاء كثيرا ما يجلس على ركبتى أمى قائلا لها : « إيه يا خالة ، قصى علينا شيئا من قصص الحب » فتحكى له أمى على سبيل الدعابة أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لآبائه من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف بعد الألوف من صحيحه ومفتراه . إن هؤلاء القوم قد أضاعتهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم تملكهم العزة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به

وكان الصغير يهتز لهذه الحكايات : لطيفها وفظيعها ، وكان فى بعض الأحيان يدق بيديه مرددا : « وأنا أيضا ، وإنى لأعلم بالحب منهم جميعا » . ثم جعل يتحبب إلى متغزلا فى استحياء وحنان عميق كانا مثارا للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان فى كل صباح يقطف لى جنى الزهر ، وفى كل مساء قبل صعودى إلى مقصورتى يلثم يدى هامسا : « أنا أهواك ! »

لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . وما زلت على هذا نادمة باكية لا يرقأ لى دمع . وإنى لنى التكفير عن هذا طيلة حياتى ، وقد بقيت بعده عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة المترملة ، أجل أنا له ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصبيانى بل كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب ذات الدلال ، وكأنى إلى جنب رجل ألاعبه وأخاتله . لقد فتنت هذا الغلام ودلهته بحبى . وكان الأمر عندى لعباً ومعابثة ، وعند أمى وأمه تسلية وترويحا . لقد كانت سنه اثنتى عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان يأخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذرى ! فكنت أقبله ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق إليه وأقرئها أمى وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ، كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان منتقدا أن صلتنا الغرامية كانت سرا مكتوماً ، وكيف لا وهو يعتد نفسه رجلا والأمر فى عرفه الجد كل الجد . وقد غاب عنا أنه من بنى سانتيز

ودامت الحال على هذا المنوال عاماً أو قرابة عام . وفى ذات مساء ونحن فى الروضة خر جاثياً عند قدمى ولثم حاشية ثوبى فى اندفاع المهتاج مردداً : « أنا أهواك ، أهواك ، أنا ميت فى هواك . وإذا خنتنى فى يوم من الأيام ، أسامعة أنت — إذا هجرتنى إلى سواى فإنى صانع مثلما صنع أبى ... » وأردف فى صوت عميق يقشعر له البدن : « أنت عليمة بما صنع ! »

ولما وجمت ولم أحر جوابا نهض وشب على أطراف قدميه ليبلغ إلى أذنى — وكنت أفرع منه طولا — ودعانى باسمى ، إسمى الأول ، « جنفييف ! » بنغمة حلوة جميلة رقيقة شملتنى منها قشعريرة سرت من فرعى إلى أخمص قدمى

فغمغمت : « لنرجع ، لنرجع إلى الدار » . فلم ينبس بكلمة وسار فى إثرى ، فلما هممنا بصعود درج السلم استوقفنى قائلا : « أتعرفين ؟ إذا هجرتنى فإنى قاتل نفسى »

فعلمت هذه المرة أننى تماديت حيث لا يجب التمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات يوم يعتب على أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث المزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » . وحسبتنى بهذا قد أبرأت ذمتى

وفى الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية! فلما عاد فى الصيف التالى كنت مخطوبة . فأدرك الأمر فى الحال ، والتزم مدى ثمانية أيام هيئة المفكر الغارق فى التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد

وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نومى فوقعت عيناى على رقعة صغيرة مدسوسة من تحت الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد هجرتنى ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت على نفسى بالموت. وإنى لأحب ألا يعثر بى أحد غيرك ، فتعالى إلى الروض فى نفس الموضع الذى قلت لك فيه أنى أهواك وتطامى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسرعت بارتداء ثيابى وهرولت على عجل أجرى وأجرى وأكاد أتساقط إعياء إلى المكان المعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية ملقاة على الأرض فى الوحل . فقد كانت الليلة مطيرة . ورفعت طرفى فأبصرت شيئاً معلقاً يترجح بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدرى بعد ذلك ماصنعت . لقد صرخت أول الأمر ولا ريب ، ولعلنى سقطت بعدها مغشيا علىّ ، ثم عدوت هائمة على وجهى إلى القصر . وثبت إلى الرشد فى فراشى وأمى إلى جانبى نخيل إلىّ أنى رأيت مارأيت كله فى هذيان حلم فظيع . فغمغمت: « وهو ، هو ، جونتران ؟ » فلم يجبنى أحد . إنها الحقيقة

ولم أجرؤ على طلب رؤيتـه . وطلبت إليهم خصلة طويلة من شعره الأشقر . وهذى ... هذى ... هى ... »

ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القانط المقطوع الرجاء وأخرجت منديلهـا ونخطت مرات ومسحت عينيهـا الدامعتين واستأنفت تقول : « ونقضت الخطوبة دون إبداء سبب ... وبقيت ... العمر كله أرملة ... أرملة ... هذا الصبى ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها وبكت طويلا بدموع الذكرى

ولما انصرف المدعوون إلى حجراتهم للرقاد، مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى أن رقة الوجدان إلى هذا الحد بلاء وشر بلاء !

ع . ص

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

﴿الطبعة الثامنة﴾

﴿الثمن ٢٥ قرشاً﴾

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف «جوته» الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

يا لجراحات الوطن الإسلامى ... : للأستاذ سيد قطب ١٢٧٣
على طه وبيرون ... ... : « أنور المداوى ١٢٧٥
الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٢٨١
الميسر والأزلام ... ... : للأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٢٨٥
محنة الأدب فى مصر ... ... : « منصور جاب الله ١٢٨٨
صالح على شرنوبى ... ... : « محمد صبرى على سليم ... ١٢٩٠
سليمان العبسى ... ... : « أحمد الفخرى ١٢٩١
شعب يتحرر ... ... (قصيدة) : « محمد عبد الغنى حسن ... ١٢٩٤
(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٢٩٥
(البريد الأدبى) — ضيف كريم — إلى الأستاذ رئيس التحرير — ١٢٩٧
ضبة ... جبة — حول البوصيرى ... ...
(القصص) — مجنون — للكاتب الفرنسى جى دى موباسان ١٢٩٩

٣٩٠٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجـــــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1011

Le Caire 17 — 11 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

يا لجراحات الوطن الاسلامى !

للأستاذ سيد قطب

تمثل فرنسا على مسرح الشمال الإفريقى فى هذه الأيام أبشع مآسى « الرجل الأبيض » حتى إذا تحركت الكتلة العربية الآسيوية لتحول بين فرنسا وبعض شناعاتها فى هذه الرقعة من الأرض ، وقف موسيو روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الألمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوربا ، كما ستنسحب من حلف الأطلنطى إذا أيدت الولايات المتحدة التونسيين والمراكشيين فى الأمم المتحدة

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا . فهى تعلم أن أمريكا غير جادة فى نصرة قضية تونس ومراكش ، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين حين تتظاهر بتأييدهم فى قضاياهم ضد الاستعمار الأوربى . ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة ، فإن فرنسا وإنجلترا تعيشان عالة على أمريكا . ولو أمسكت عنهما المدد لأفلستا . فهى تملك إذن أن تصنع شيئا لو أرادت ، ولكنها لا تريد

واللعبة الأمريكية فى موقفها هذا مكشوفة .. إنها تدع فرنسا تهدد وتخضع لهذا التهديد الوهمى ، الذى ما كانت فرنسا لتقدم عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النية . . كذلك تستخدم دول أمريكا اللاتينية للغرض نفسه فتوحى إليها أن تعارض أى نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال . ليكون ذلك تكأة لأمريكا فى التراجع !

وقد صرح رئيس الوفد الإندونيسى بأن أعضاء الكتلة العربية الآسيوية التى تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم ، قد تخلوا عن الفكرة الأولى التى تقتضى بأن يتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال وذلك خشية عدم تأييد دول أمريكا اللاتينية للقرار ، إذا قدم متضمنا هذه الفقرة ...

ووراء هذا كله أمريكا . فقد صرح مستر فيليب جيسوب رئيس الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم بأن الولايات المتحدة تحاول إقناع الكتلة العربية الآسيوية بعدم التطرف فى عداء فرنسا وأنه « سعيد » لأن أعضاء هذه الكتلة قد بدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد فى عدائهم لفرنسا ! وقال كذلك : إن الولايات المتحدة تريد أن يكون مشروع القرار الذى سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلا بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات !

هذه هى المأساة التى تمثل فى هذه الأيام على مسرح هيئة الأمم بمعرفة أمريكا والاستعمار الأوربى . ومع ذلك فنحن ببلاهة منقطعة النظير نقف لننتظر العون الأمريكى الذى يخلصنا من

الاستعمار الأوربى !

إننا ننسى أن العالم الأوربى والعالم الأمريكى يقفان صفا واحدا بإزاء العالم الإسلامى . والروح الصليبية القديمة هى هى ما تزال . إننا ننسى هذا لأن فينا منغفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللوننا ، وينشرون دعاية مغرضة عن رغبة أمريكا فى إنصاف الشعوب المستعبدة ، ومساعدة الشعوب المتأخرة . . ومع أننا ذقنا الويل من أمريكا فى فلسطين ، فإن أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل . و« جمعية الفلاح » تظهر فى الميدان ، وتقوم بواجبها !

إن جراحات العالم الإسلامى تنبض بالدم فى كل مكان وأمريكا واقفة تتفرج . بل تساعد المستعمر الأوربى القذر . ومع هذا توجد صحف ويوجد ناس . ناس مصريون ومسلمون ، يتسمون أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . . يتحدثون عن تمثال الحرية فى ميناء نيويورك ، وعن فرنسا أم الحرية !

وأحيانا يسألك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين : وماذا علك أن نصنع ونحن ضعفاء ؟

ماذا نصنع ؟ إذا لم نستطع أن نحطم الكف التى تمتد إلينا بالسوء ، فلا يجوز أن نقبلها . ونحن نقبل الكف التى تصفعنا !

إذا لم نستطع أن نصنع شيئا ، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة ، ولنورثها أبناءنا ، فقد يكونون فى ظروف تمكنهم من رد الجميل للرجل الأبيض !

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه ، بينما نحن نحدث أولادنا فى المدارس عن حضارته ومبادئه العالية ومثله السامية !

إننا نغرس فى نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والاحترام للسيد الذى يدوس كرامتنا ويستعبدنا !

فلنحاول أن نغرس بذور الكراهية والحقد والانتقام فى نفوس الملايين من أبنائنا . ولنعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن الرجل الأبيض هو عدو البشرية وأن عليهم أن يحطموه فى أول فرصة تعرض . ولكن واثقين أن الاستعمار الغربى سيرتجف حين يرانا نبذر هذه البذور

إن هذا الاستعمار هو الذى حاول أن يغرس فى نفوسنا حبه واحترامه . فلما خشى اليوم أن نستيقظ اخترع حكاية « اليونسكو » ودعا هذا « اليونسكو » إلى حذف كل ما يثير الأحقاد القومية فى دراسة التاريخ . وذلك باسم الإنسانية والإخاء البشرى !

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن ننتبه إليها . إننا إذا اتبعنا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومى ناهض . ولن يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار . وهذا ماتقصد إليه هيئة اليونسكو !

إن أوربا وأمريكا دول مستعمرة . فماذا عليها من حذف كل ما يثير الأحقاد القومية فى دراسة التاريخ ؟ إنها تكسب بهذا ولا تخسر شيئا . أما نحن فإن الاستعمار يخنقنا . فإذا لم ننبه شعور الحقد عليه فقد خسرنا السلاح الأول وخسرنا المعركة كلها . .

ومع هذا فإن عندنا مصريين مسلمين يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . يعملون فى مصر باسم «اليونسكو» وينشرون الأضاليل ، ويخدعون أمتهم ، ويحاولون تنويمها باسم الإخاء الإنسانى !

إن جراحات الوطن الإسلامى دامية فى كل مكان ، فلا أقل من أن نحتفظ بالكراهية والحقد لمن يدميها . أما مبادئ اليونسكو الجميلة فنحن على استعداد لاعتناقها يوم يتقلص ظل الاستعمار الأسود عن أوطاننا الدامية الجريحة

لقد عرفنا نحن مبادئ الإخاء الإنسانى قبل اليونسكو بأربعة عشر قرنا . عرفناها وطبقناها ، على أنفسنا وعلى سوانا . ولم نجعلها خدعة ولا فخا ، كما يجعلها الرجل الأبيض . فهذه المبادئ ليست جديدة علينا . ولكن ديننا الذى جاء بها مبكرا جدا ، علمنا كذلك أن نقاتل من يعتدى علينا ، وألا نأمن له ولا نستنيم ، وأن لا نسالم أحدا يعتدى على شبر واحد من الوطن الإسلامى ، أو يناهض العقيدة الإسلامية ويؤذى معتنقيها

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »

والرجل الأبيض — سواء كان ذلك فى أوربا أو أمريكا أو روسيا — يقاتلنا فى الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر على إخراجنا . ومع هذا يوجد ناس مسلمون يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى ... يوالونهم ، ويروجون دعاياتهم ، ويمكنون لهم فى رقابنا . ثم يحاولون أخيرا أن يخدروا أحقادنا

القدسة . حتى هذه الأحقاد التى يجب أن نورثها أبناءنا على الأقل مع العار الذى سنورثهم إياه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامى تدمى فى كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئا

إن فرنسا تمزق جسم الوطن الإسلامى فى تونس والجزائر ومراكش ، وإنجلترا تقوم بدورها فى مواضع أخرى ، وأمريكا من خلفهما تبدو تارة وتتوارى .. هذا ما يجب أن نذكره صباح مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكرة وعشيا

سيد قطب

بمناسبة الذكرى الثالثة

على طه وبيرون

للأستاذ أنور المعداوى

هكذا [1] كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين . لقد كانت تلك الحياة فى رأيه أو رأى شعوره هذرا وتفاهات ، لأنها قد خلت مما يبهج القلب ويؤنس الروح وغدت وهى دموع وزفرات ؛ وجوهر شخصيته كما قلنا لك أنه لم يخلق للقيود وإنما خلق للحرية ، ولم يخلق للدموع وإنما خلق للبسمات .. وما كان أشبهه بالشاعر الإنجليزى « بيرون » فى هذه الناحية النفسية أو فى هذا المجال ؛ لقد كانت الفكرة السائدة عند بعض كتاب التراجم عن هذا الشاعر هى هذه الفكرة المنحرفة حين يقولون : « لقد كانت طبيعة بيرون الحقة أنه إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وأنه إذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وأنه قد ظل على هذا الحال طوال حياته فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأجدرها بالخلود ! »

ولقد صححنا تلك الفكرة المنحرفة فى الصفحة الثالثة والأربعين من كتابنا « نماذج فنية » ، حيث ورد فى معرض السؤال هذا الجواب : « هذه الفكرة تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . إن الألم فى حياة الشاعر الإنجليزى لم يكن ألما بالمعنى المفهوم عند الشاعر الألمانى ، ولكنه كان لونا من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه حلوة عميقة صادقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحوا والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة ساخطة ، ثائرة ، تشكو هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء !

من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . يقول بيرون : لقد هببت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهورا يتردد اسمى على كل لسان . قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى الناشرين فدفعوا به إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به العباب إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة .. الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيرا ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلد هارولد » ! إن الطبائع الفنية معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج

---

(١) فصل من الفصول الجديدة فى كتاب أعده المؤلف للطبع ، عن حياة الشاعر وشعره .. أما بداية الحديث هنا فمتعلقة بنهاية الفصل السابق حيث ورد هذان البيتان من قصيدة فى « بحيرة كومو » :

شاعر النيل طف بها غنها كل مبتكر
الثلاثون قد مضت فى التفاهات والهذر !

فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه أو يسطع إذا ما انتقل من حال إلى حال ! »

فى هذه الناحية النفسية تتفق طبيعة شاعرنا المصرى وطبيعة الشاعر الإنجليزى على التحقيق .. كلاهما سخط على الألم كل السخط ، وعشق اللذة كل العشق ، ووزن أيام الحياة بما فيها من متعة الحس والنفس حيث تقوم الحياة فى رأيه بكل عيد من أعياد الشعور .. تتفق الطبيعتان هنا ويلتقى المزاجان ، ولكن خط السير نحو الغاية المنشودة يختلف عند على طه عنه عند بيرون ، تبعا لاختلاف البيئة والنشأة وأثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية ! لقد كانت المرأة مثلا تشغل حيزا كبيرا من حياة الشاعرين وفنهما على حد سواء . ولقد طاف كلاهما بالجسد الأنثوى ذلك الطواف الذى يطالعك من شعره فى صورته القوية العارمة ، حتى ليخيل إليك أن مفاتن هذا الجسد كانت هى الكوى الشعورية التى نفذ منها إلى تذوق الحياة .. كان شعورهما نحو المرأة هو هذا الشعور ، ولكن شتان فى الإعجاب بها بين نظرة ونظرة وفى الوصول إلى حقيقتها بين طريق وطريق !

لقد انحدر بيرون من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، حتى لقد خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة وانحراف النشأة .. كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، ثم لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الفتى الجميل المدلل الذى لا تمد عينيه أبدا إلى الأمام ؛ الفتى الذى لا يتحرج عند جموح الشباب وسطوة الغريزة من أن يحطم فى سبيل شهواته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! كان إذا ما تردى فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد عشاق هذا الفن ومريدوه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة إلى رجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الشريرة الجامحة فى شخص « أوجستا » أخته من أبيه ! ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » وهى القصة الشعرية التى تصور طبيعة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو حقيقة الهوى الآثم بين «أوجستا» و «بيرون» كما نقلتها إلينا أصدق الأخبار والروايات .. صحيح أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك ؛ يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

ولم يكن على طه فى علاقته بالمرأة أو فى نظرته إلى الجسد الأنثوى من هذا الطراز . لقد كان طرازا آخر بلا مراء ، أو صورة أخرى ستعرف على التحقيق ألوانها النفسية فيما يلى هذا الفصل من دراسة تحليلية [٢] .. إن هذا المثال المستخلص من حياة الشاعر الإنجليزى ، قد قصد به الإشارة إلى اختلاف خط السير عند الشاعرين تبعا لاختلاف البيئة والنشأة كما قلت ، أو تبعا لاختلاف أثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية . وتبقى بعد ذلك نقطة الالتقاء بين على طه وبيرون فى زاوية واحدة تحددها المشابهة بين طبيعتين ؛ تلك المشابهة التى تضع بين أيدينا المفتاح الحقيقى لجوهر الشخصيتين فى لقاء الحياة ، وهو أن كليهما لم يخلق للألم وإنما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وإنما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيد وإنما خلق للتحليق شأن كل طائر طليق !

ولقد عاش على طه فترة من حياته فى ذلك الجو الرومانسى الذى تلوذ فيه النفس بالوحدة وتأوى إلى العزلة وتستشعر قسوة الاغتراب ، وتلك الفترة التى عاشها شاعرنا كانت فى حساب الزمن نصف ما قدر له من أيام الحياة .. ولقد مرت على بيرون من ذلك الجو الرومانسى لحظات ؛ لحظات وإن كانت عابرة إلا أنها عكست على بعض فنه خصائص ذلك الجو كما تبرزها فى الأعم الأغلب أشعار الرومانسيين . لقد عرف على طه فى حياته تلك الرومانسية الوجودية التى استحالت فى شعره الأول إلى رومانسية فنية وكذلك عرفها بيرون ، ولكنهما على اتفاقهما فى هذه

(٢) هذه الدراسة التحليلية المطولة خص بها المؤلف مجلة « الآداب » اللبنانية التى ستصدر فى الغد القريب عن « دار العلم للملايين »

الظاهرة يختلفان فى التعرض لها والتأثر بها بعض الاختــلاف ، سواء أكان ذلك فى مجال الشعور أم فى معرض التعبير .. وهنا كما كان هناك ، يلتقى الشاعران فى النهاية ولـكنهما يفترقان فى خط السير نحو هذه النهاية حيث يمضى كل منهما فى طريق !

ارجع فى باب « الدراســة الفنية » لشعر على طه إلى قصيدة « الله والشاعر » ، لترى أننا قد سجلنا حول تلك القصيدة هذه الـكلمات : « هذه الواقعية النفسية الوجودية التى تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هى التى تطالعنا من قصيدة « الله والشاعر » .. وهى واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الـكبرى المتبادلة تبادلا كونيا بين الله والإنسان ، وهى حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة فى قرار الذهن البشرى منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنسانى يفكر فى واقع هذا السير الطويل فى طريق الحياة ، ويناقش علة وجــوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، هناك حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا فى عالمى الثواب والعقاب .. ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، مادامت هناك صيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لا يملك أمام القوة العليا شيئا من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ، وإنما هو يدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويسير فيسير ، وأنه تبعا لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لا ينبغى أن يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التى تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر ، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيرا من أمر نفســه ومن أمر دنياه ، فهو قابض على الزمام لا يفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لا ينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لا يحيد عنها إلا بمحض هواه ؛ فهو مخير تركت له الحرية فإذا أساء فهما فعليه أن يتقبل ما أعد له من جزاء ، وأنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحــاب الصيحتين الخالدتين فإن مكانه هناك مع الفريق الأول .. هو معهم فى اتفاق النظرة واتجــاه الفكرة ولـكنه يفترق عنهم فى احتفاظه بإيمانه الذى لا تودى به كل تلك العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الـكبرى من زاويتين : الأولى ليــدافع عن الـكيان الإنسانى أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدما فى دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذى يعرض المقدمات عرضا شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفـكر . والثانية ليعبر عن حيرته البالغة وحــيرة القافلة الإنسانية وهى تتخبط فى صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل فى رحاب الواحة الإلهية ، فرارا من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة ، وبين الأنين والحنين ، وبين العذاب المهذب والخضوع العميق .. وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أى وجهة تمضى به قدماه : خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ، ولـكنه فى غمرة تلك التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لا يشك أبدا فى رحمة الله » !

هذه الأفكار والمشاعر التى طاف حولها عقل شاعرنا وقلبه هى فى حقيقتها أثر من آثار ذلك الجو الرومانسى الذى عاش فيه ؛ وهى نتيجة مباشرة لظروف الوحــدة النفسية والعزلة الروحية والانفراد الذاتى كما نعهدها فى حياة الرومانسيين ، هناك حيث يدفع الإنسان دفعا إلى إطالة التأمل فيما حوله من حقائق الـكون وغاية الوجود ومصير الركب الإنسانى بعد انتهاء الحياة ؛ ومثل هذا التأمل لا بد أن يفضى بصــاحبه آخر الأمر إلى التعرض لموقفه وموقف الإنسانية جمعاء إزاء الخالق العظيم . هكذا فعل على طه فى قصيدة « الله والشاعر » وهكذا فعل بيرون فى مسرحية « قابيل » .. إن شخصية قابيل فى تلك المسرحيــة الشعرية ما هى إلا إحدى شخصيات بيرون التى كان يصور معالمها بصدق وأصالة ، ليعبر بها عن حالة خاصة من حالات نفسه وهى معرضة لهزات الوجود ! اتفاق والتقاء ، ولـكن خط السير هنا مختلف كما قلت بعض الاختلاف عن خط السير هناك ، لأن هذه الشخصية « البيرونية » فى مسرحية « قابيل » ثائرة على الخالق ســاخطة على القدر متمردة على السماء ، تريد أن تبرئ الإنسان من كل شر وفساد عرفتهما الأرض ، محاولة أن ترد

كليهما إلى تلك القوة العليا التى تسيطر على الـكون وتوجهه إلى مصير معلوم . تحاول هذا ثم تدفعها الثورة العاصفة والعصيان الجامح إلى حـد التخيل بأنها « إبليس جديد » ، جاء لينتقم للانسانية المظلومة من خالقها الذى لاتلقى منه غير الظلم والعذاب .. وهى بعد ذلك تنتظر على يديه ألوانا من الحساب والعقاب !

ثورة عند بيرون ينقصها التهذيب ويعوزها التبصر وتتشح بثوب التجديف ، وحيرة عند على طه لا تبلغ هـذا المدى من الهور والتنكر والاندفاع ، لأنها حـيرة لا تنتهى بصاحبها إلى التمرد ورفع راية العصيان ، وإنما تنتهى به إلى راحـة نفسية مصدرها الخضوع والإذعان !

ولقد قلنا فى سياق الحديث عن قصيدة « الله والشاعر » إن تلك القصيدة تمثل الواقعية النفسية خـير تمثيل ، فـكيف يتفق هذا مع القول بأنها من نتاج ذلك الجو الرومانتيى الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشبـاب ؟ كيف تجتمع « واقعيـة » و « رومانسية » فى أثر واحد من آثار الفن دون أن يكون هناك شئ من التعارض والتناقض والشذوذ ، مصدره أن موازين النقد فى أدب الغرب قد وضعت حدودا فنية « فاصلة » بين هـذين اللونين من ألوان الأدب ؟ سؤال مقصود لأن الجواب عنه كذلك مقصود ، ومن وراء السؤال والجواب نهدف إلى الـكشف عن حقيقة المشكلة كما ينطق بها الواقع الملموس !

هل قرأت « آلام فرتر » لجيته ، و « رفائيل » للامرتين ، و « رينيه » لشاتوبريان ، و « أدولف » لـكونستان ؟ هـذه القصص الأربع يضعها النقاد فى « خانة » القصة الرومانسية وهم يقسمون ألوان الأدب ومذاهبه تبعا لما يتسم به هذا الأدب من خصائص ومميزات ، يردونها عادة إلى شتى العوامل النفسية التى طبع بها العصر وتركت آثارها فى كتابه ، بعد اتفاقهم على أن الأدب نتـاج مجتمعه وثمرة بيئته ومرآة جيله التى تنعكس على صفحتها معالم ذلك الجيل . وتبعا لهذا التقسيم الفنى الذى انتهى إليه النقد عرف النـاس أن هناك أدبا رومانسيا وآخر واقعيا فى عرف التسمية المذهبية ، وإن لم يستطع النقد فى « واقع الأمر » أن يفصل فصلا تاما بين خصـائص كل لون من ألوان الأدب وهو فى خانته الفنية . . لم يستطع النقد أن يوفق إلى تلك التفرقة الـكاملة لأنه نسى أن بيئة الأدب فى عصر من العصور لا يمكن أن تكون « خالصة » لطابع نفسى بعينه ، يلقى ظله الخاص على وجه ذلك الأدب دون أن يفسح مكانا لظل سـواه ! لو فطنت موازين النقد إلى تلك الحقيقة لما وجدت بدا من التعديل فى وضع الحدود الأخيرة للمصطلحات الفنية وتقدير خط السير لاتجاهات الأدب تقديرا نهائيا لا رجعة فيه ! إنك قد تقرأ قصة تمثل اتجاها رومانسيا فى عرف النقاد وهى لا تخلو فى بعض مواقفها من اتجاه واقعى هنا أو هناك ، ثم لا تجد فى هذا شيئا من الغرابة إذا ما وضعت نصب عينيك هذه الحقيقة المادية ، وهى أن عصرا من العصور ينتج فنـا من فنون الأدب ، لا يمكن أن يتسم بسمة شعورية واحدة تترك آثارها التعبيرية الواحدة التى تندرج فى جملتها تحت عنوان ! هل نريد بذلك أن نلغى تلك المصطلحات الفنية التى اتفق عليها نقاد الأدب محددين بها اتجاهاته ومراميه ؟ كلا .. وإنما نريد أن نصحح وضعا هو على التحقيق يحتاج إلى تصحيح ، عندما نقرر مطمئنين أن تلك التحديدات المذهبية يعوزها شئ من التعديل ، عماده أننا إذا قلنا عن طابع عصر من العصور إنه رومانسى فيجب أن يفهم أننا نعنى الطابع الغالب لا الطابع العام ، ونقصد المظهر البارز لا المظهر الشامل ، ونشير إلى السمات الرئيسية لا السمات الـكلية ؛ وفى ضوء هذا التحديد يجب أن ينظر إلى ما كتبناه عن « طابع العصر » الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشباب !

ونعود مرة أخرى إلى تلك القصص الرومانسية الأربع فى ضوء هـذا التحديد ؛ نعود إليها لنقرر أنها توضع أيضا فى خانة الواقعية دون أن يكون هناك شئ من التناقض والشذوذ . . هى « رومانسية » إذا نسبت إلى الجو النفسى القاتم الذى كتبت فيه ، أو إلى الخصائص الفنية التى اصطلح عليها النقاد . وهى «واقعية» إذا نسبت إلى واقع الحيـاة التى كان يحياها أصحابها فى ذلك الحين ؛ الحياة الذاتية التى تسجل حقيقتهم الإنسانية والتى قد

تنطبق على غيرهم من الناس . أليس هذا هو واقعهم النفسى فى فترة من فترات العمر سجلتها فى تلك القصص سطور وكلمات ؟ هو كذلك بلا جدال ، وإنه لواقع عصر فى صورته الغالبة لا فى صورته العامة تبعا لما سبق من تحديد .. وفى هذا كله ما يفسر لك انتفاء التناقض فى الجمع بين كلمتين : هما الواقعية النفسية والرومانسية الوجودية !

وفى معرض المقارنة بين شاعرنا المصرى والشاعر الإنجليزى نقدم هذا السؤال : هل تأثر على طه فى شعره بذلك الاتجاه الرومانسى الذى نلمحه عند بعض الشعراء الغربيين ومن بينهم بيرون ؟ سؤال مقصود أيضا لأن الجواب المنتظر عنه مقصود ؛ حين نفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة والصفحة التى تليها من الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين فنجد هذه الكلمات : « ومن الكتاب من يقول إن شاعرنا تأثر بأبى العلاء ثم يضيق بهذا التأثر . ولست أدرى أتأثر شاعرنا بأبى العلاء حقا أم تأثر ببيرون أم تأثر بهما جميعا وبقوم آخرين غيرهما أم لم يتأثر بأحد، وإنما لقى من لقى من الشعراء مصادفة وعلى غير قصد ولا عمد . وأحس أنا فى قصيدة أخرى أسماها « غرفة الشاعر » روحا « لموسييه » ، ولكننى لا أدرى أهو روح الذى قرأ فتأثر أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا فلقى موسييه فى هذا كله أو فى بعضه . ولست أتردد فى الرضا عن هذه القصيدة والحب لها والإعجاب بها . ولست أكره أن تشاركنى فى هذا الرضا وأن تشاطرنى هذا الحب والإعجاب ، فاقرأ معى هذه القصيدة وقف معى عند بعض أبياتها وقفات قصارا . . . هذه الصور المتتابعة المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حد ما عن المألوف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد فى غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب ، وتفنى فيها بقايا الجذوة فى الموقد ، وكل هذا يألفه الغربيون ، وهو يذكر بموسييه تذكيرا قويا . وبعض الناس يعيب شاعرنا « بتغريب » الشعر ، أما أنا فأحمد له هذا النوع وأراه تشريفا للشعر العربى ورياضة للذوق الشرقى وللغة العربية على أن يسيغا مالم يتعودا أن يسيغاه من قبل . وإذا كان لى أن آخذ الشاعر بشئ فهو ماقدمته من أن الأمر يختلط فى شعره على القارئ فلا يدرى ألقى زملاءه الغربيين والشرقيين مصادفة أم عن تعمد وسعى » !

إن السؤال مقصود هنا لأن اسم الشاعر الإنجليزى بيرون قد ورد فى سياق الحديث الذى دار به الدكتور حول قصيدة « الله والشاعر » ، أما آثار بيرون الفنية التى لا « يدرى » الدكتورهل لقيه فيها شاعرنا المصرى مصادفة أم عن تعمدوسعى! أما تلك الآثار فلم يشر إليها بكلمة واحدة تفصح عن حقيقتها حين يطلب إلى الدارسين مثل هذا الإفصاح . . ولا ندرى نحن هل كان يقصد مسرحية « قابيل » التى ذكرناها عند المقارنة بين الشاعرين أم كان يطلق القول إطلاقا بغير تحديد ! إن غاية مايقال هنا أننا قد تعرضنا لقصيدة على طه ومسرحية بيرون ، وانتهينا إلى أنهما متفقتان فى الهدف ولكنهما تفترقان فى خط السير حتى ليذهب كل من الشاعرين فى طريق . وما أبعد الشقة بينهما فى حساب النقد الذى يلمس الفارق بين فكرتين قد اختلفت حولها القيم الشعورية والتعبيرية !

لقد أدار الدكتور المفتاح مرة أخرى فى ثقب الباب ولم يفتح ؛ أما ذلك المفتاح فلم يكن غير تلك العبارة التى ساقها وهو يفترض وجود شئ من التجاوب الفنى بين على طه وموسيه . . ترى أهو روح الذى قرأ فتأثر ، أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا ، فلقى موسيه فى هذا كله أو فى بعضه ؟ إن الدكتور هنا أيضا لا « يدرى » ولا يستطيع أن يقطع برأى لأنه لا يملك الدليل . . والدليل الذى يعوز الدارسين كما قلنا ونحن نتحدث عن هذه القصيدة فى باب الدراسة المذهبية مرجعه إلى عدم الإحاطة بظروف الحياة التى تنتج الفن ، وتضع بين أيديهم أداة الربط بين شخصية الكاتب وما كتب أو بين شخصية الشاعر وما نظم وتحول بينهم وبين السؤال الذى يبقى بلا جواب ! لو رجع الدكتور إلى حياة شاعرنا فيما قبل الثلاثين كما استعرضناها فى الفصلين السابقين ، لأدرك أن الشعور بالحزن فى « غرفة الشاعر » أو الشعور بالحيرة

فى « الله والشاعر » كان طبيعيا لا أثر فيه للتقليد والمحاكاة ، وأن ذلك الروح الذى أحسه فى هاتين القصيدتين كان روح الشاعر الذى تحير فى صدق فالتقى فى حيرته عن غير قصد مع بيرون ، وتألم فى صدق فالتقى فى ألمه عن غير عمد مع موسيه

.. إن التشابه بين إنتاج الرومانسيين أمر لا غرابة فيه ولا موضع للدهشة وافتراض الفروض ، لأن الأجواء النفسية التى حلقوا فيها بالشاعر وجالوا بالخواطر كانت متشابهة أو كان التوافق بينها جد قريب ؛ ومن هنا لا يجوز لنا أن نسأل عن تلك العلاقات التأثرية بين أصحاب الآثار الرومانسية ، إلا إذا استطعنا أن نثبت وجود شئ من تلك العلاقات بين جيته فى « آلام فرتر » ولا مرتين فى « رفائيل » ، وكونستان فى « أدولف » ، وشاتوبريان فى « رينيه » !

ولقد قلنا إن مشكلة التفكير الإنسانى فى المصير وما يتعلق بها من بحث حول « شرعية » الثواب والعقاب مشكلة قديمة ، ومما لا شك فيه أنها قد سبقت بقدمها أفكار هؤلاء الذين تعرض لهم الدكتور فى حديثه وخص منهم بالذكر شاعرين هما بيرون وأبو العلاء .. وإذن فلا مبرر للتساؤل عما إذا كان على طه قد تأثر بهذين الشاعرين فى قصيدة « الله والشاعر » لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى سؤال !

إن المشكلة قديمة وجديدة فى وقت واحد لأنها مشكلة الأمس واليوم والغد القريب والبعيد ، مادامت هناك فترات قلق تمر بحياة الإنسانية المفكرة الشاعرة وتدفعها إلى إطالة التفكير فيما وراء هذه الحياة .. هل نحن مسيرون ؟ هل نحن مخيرون ؟ هل نحن أصحاب إرادة فيما نقدم عليه من عمل أم أننا مجرد أدوات بين يدى قوة خفية توجهها كيف تشاء ؟ أسئلة تعرضت لها الأجيال الماضية وتتعرض لها الأجيال الحاضرة وسوف تتعرض لها الأجيال المقبلة مابقى هناك فكر يبحث فى المصير وما يرتبط به من جزاء ! وإذن فلا عجب إذا ما التقت أفكار الشعراء الثلاثة حول هذا المعنى الكبير فى بعض ما خلفوا من آثار أدبية ؛ آثار تتفق فى جوهر المشكلة ولكنها تفترق فى صب التجربة الشعورية فى القالب الفنى تبعا لاختلاف المعدن النفسى وما يقترن به من تفاوت فى معدن التعبير ... إنه اتفاق فى جوهر المشكلة كما قلنا وعامل الإثارة واحد لا اختلاف عليه ، ونعنى به القلق الذى يهز النفوس والعقول ويدفعها دفعا إلى محاولة النوض فى أعماق المجهول . قلق عند بيرون وقلق عند على طه وقلق عند أبى العلاء ، ولكن مصدر هذه الظاهرة النفسية يختلف عند الشاعر الأول عنه عند الشاعرين الأخيرين ، حين تفسره عند بيرون بأنه فراغ الحياة من العطف وحده وحين تفسره عند صاحبيه بأنه فراغ الحياة من العطف والعاطفة .. لقد عاش بيرون فى مجتمع حرم فيه عطف الناس فثار حينا على الله والناس ، وعاش أبو العلاء كل حياته وهو محروم من نعمة الشعور بالعطف الإنسانى وبالعاطفة الأنثوية ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى على طه ولكن فى فترة محدودة من فترات الحياة ، ومثل هذا الحرمان كفيل بأن يهز سكينة النفوس والعقول !

أنور المعداوى

٣- على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

العوامل الاقتصادية فى سياسة توازن القوى

ألمت بالوضع الدولى إبان بعث سياسة توازن القوى عوامل اقتصادية هامة وللاقتصاد فى توجيه السياسة العالمية شأن كبير فنى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ أخذ الاقتصاد الأمريكى خاصة والاقتصاد الأوروبى (خارج الاتحاد السوفييتى) يمر فى نكسات وضائقات اقتصادية لعينة . فنى أمريكا كان الاقتصاد القومى فى سنوات الحرب قد توسع بصورة هائلة . فازداد عدد المصانع وتضاعف إنتاجها إلى أرقام فلكية وأصبحت مقدرة السوق الأمريكى على استهلاك المنتجات الأمريكية محدودة مقيدة والسوق الأمريكى هو المستهلك الرئيسى للانتاج الأمريكى

وكانت الوضعية الاقتصادية فى شعوب أوروبا الغربية مزعزعة بسبب الخراب الواسع الذى ألم بذلك الجزء من العالم من جراء الحرب العالمية الأخيرة

وفى آسيا وأمريكا اللاتينية أخذ الوعى الاقتصادى يزداد نموا ويدفع الحكومات والشعوب لأن تلجأ إلى سياسة الاستكفاء الذاتى لتتفادى عودة الاستعمار بألوانه العديدة الاقتصادية والسياسية ، ولذلك أصبحت مقدرة الشعوب الآسيوية واللاتينيه على استهلاك المنتجات الأجنبية محدودة مقيدة ، وذلك لأن الميزان التجارى فى دول آسيا وأمريكا اللاتينية يعتمد على تصدير المواد الخام إلى الدول الصناعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية ليحصل مقابلها على عملة أجنبية تعينه على استيراد السلع والمنتجات الصناعية وأصناف التبادل التجارى الأخرى . فإذا أصيب النشاط الصناعى فى أوروبا وأمريكا الشمالية بنكسة فإن حاجته من المواد الخام ستتضاءل ، ومن ثم يتضاءل مورد الدول المصدرة للمواد الخام (ومعظمها فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية) ، والاقتصاد الدولى الحر حلقة متشابكة الأطراف إذا وهن بعض أجزائها تعرض الكل إلى الوهن

ولم تكن النكسة الاقتصادية العالمية مقصورة على أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية — وبالتالى على آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — بل إنها شملت الاتحاد السوفييتى نفسه ومنطقة النفوذ السوفييتى كذلك . ومثال ذلك سعى روسيا للسيطرة على الاتحاد اليوغسلافى وسعى يوغسلافيا للتحرر من هذه السيطرة وما أدى هذا الصراع إلى قطيعة سياسية تامة بين البلدين

إلا أن أخطار الضائقات الاقتصادية العالمية تختلف باختلاف المناطق والشعوب والنظم الاقتصادية والاجتماعية التى يعيش عليها الشعوب والحكومات

فنى ظل الحكم المطلق — خصوصا إذا كانت التعاليم الاشتراكية وفلسفة الاقتصاد المنظم ديدنه يسهل على الدولة أن تضبط التيارات الاقتصادية العاصفة وإن كان ذلك على حساب الحرية الفردية للكثرة الساحقة من الشعب

وفى البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى تكون أضرار الضائقات الاقتصادية مقصورة إلى حد بعيد على برامج الإنشاء والتعمير ، فاقتصاديات هذه البلدان اقتصاديات غير معقدة ، ومستوى المعيشة بها زهيد على مستوى ضئيل ، ومهما ألمت أضرار النكسات الاقتصادية العالمية بهذه البلدان فإنها لن تؤثر إلا تأثيرا محدودا فى مستوى المعيشة ، ولما كان هذا المستوى ضئيلا ممعنا فى الضآلة فإن هذا التأثير لن يزيده ضآلة ، فليس فى ذلك المستوى بعد مجال للتضاؤل ، وإذا استثنينا حالات المجاعات والقحط فى بلدان كالهند والصين مثلا فإن معظم المجتمعات الزراعية (كالمجتمعات الآسيوية مثلا) تستطيع فى فترات الضائقة الاقتصادية العالمية أن تحتفظ برؤوسها عائمة فوق الماء

أما وضعية المجتمعات فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية

خلال النكسات والضائقات الاقتصادية الشاملة فإنها تكون معرضة لأخطار جسيمة

فنى إبان النكسة الاقتصادية الخطيرة التى ألمت بالولايات المتحدة الشمالية وبأوروبا الغربية فى أعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان على الدول والشعوب هناك أن تختار واحدا من احتمالات معينة لصيانة نفسها من الفوضى الاقتصادية والإفلاس التام

وأحد هذه الاحتمالات أن تسرع الدولة فتسن التشريعات وتطبق رقابة شديدة على الإنتاج الصناعى والنشاط الاقتصادى بأسره ، وأن تحدد الإنتاج وتعين الأسعار وتقيد التصدير والاستيراد بشكل يحول الدولة الديمقراطية إلى نظام اشتراكى لأولى الحكم فيه سلطة واسعة قد تتسع فتصبح نوعا من الحكم المطلق . وهذا ماحاولت حكومة العمال فى بريطانيا تطبيقه فلم تفلح طويلا بسبب طبيعة السلوك السياسى للشعب البريطانى وتأصل الوعى الديمقراطى فيه ، وبسبب تعقد المشاكل الاقتصادية فى بريطانيا بشكل لا يسمح بتطبيق برامج الاقتصاد المنظم والاحتفاظ بالحرية الديمقراطية فى آن واحد

وثانى هذه الاحتمالات تخفيض مستوى المعيشة بين السكان بتخفيض الدخل القومى للعامل ولصاحب العمل والرجوع بألوان الحضارة المادية القهقرى ووضع حد للتقدم الآلى وتوجيه الشعب نحو التقشف والتخلى عن أسباب الترف والمتعة التى أصبحت جزءا أساسيا من طبيعة المعاش الذى يعيش عليه الناس فى العالم الغربى إجمالا وفى الولايات المتحدة على وجه العموم . وقد استطاعت بريطانيا أن تطبق جزءا من هذا الاحتمال فيما يتعلق بمسألة الدخل القومى ومسألة التقشف إلا أن حكومة العمال البريطانية فشلت فى ذلك لأن السياسة الاقتصادية التى اتبعتها فى بريطانيا كانت تواجه عقبات جسيمة بعضها راسخ فى صميم الوضع الاقتصادى البريطانى والبعض الآخر ناتج عن المنافسة الشديدة التى لقيتها بريطانيا فى أسواقها التجارية التقليدية سواء جاءت هذه المنافسة من أمريكا أم من سياسة الاستقلال الاقتصادى والاستكفاء الذاتى التى أخذت تتبعها البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التى كانت فيما مضى منطقة نفوذ اقتصادى لبريطانيا

أضف إلى ذلك كله أن أى دعوة إلى تخفيض مستوى المعيشة سيتطور إلى سلاح فى يد الحركة الشيوعية التى تتخذ تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية دلالة على فشل النظم الديمقراطية « الأوروبية والأمريكية »

وثالث هذه الاحتمالات تجديد الحروب الاستعمارية وقيام الدول الصناعية الكبرى بغزو البلدان المتخلفة والسيطرة على الأسواق التجارية الرابحة فى الشرق والغرب ، وهذا الاحتمال بعيد المنال نظراً ليقظة الشعوب وتيقظ القوميات وحيوية التحرر من الاستعمار فى كل مكان

ورابع هذه الاحتمالات أن تتكتل الدول الصناعية الكبرى تكتلا اقتصاديا تاما شاملا وتوزع فيما بينها الأسواق العالمية توزيعا يستند إلى اتفاقات ثابتة بين الدول المتكتلة ، وقد نجح الاتحاد السوفييتى إلى حد بعيد فى سياسة التكتل الاقتصادى فى منطقة نفوذه فى أوروبا الشرقية والبلقان والبلطيق وبعد ذلك فى الصين وآسيا الوسطى — منغوليا وسينكيانغ

أما دول أوروبا الغربية فقد وجدت نفسها لا تستطيع أن تجهر بهذه الرغبة لأسباب عديدة منها تفوق أمريكا الصناعى الهائل على بريطانيا وفرنسا وخسارة هولندة لجزر الهند الغربية (إندونيسيا) ، فمصانع أوروبا الغربية القديمة المنهوكة لعب أطفال بالقياس إلى المؤسسات الصناعية الأمريكية ، وجودة الإنتاج الأمريكى وتنوعه ورونقة إعلاناته شئ لم تعرف الصناعات الأوروبية فى بلادها له مثيلا . ومقارنة السيارات الأمريكية بالسيارات البريطانية والفرنسية مثل على ما نحاول به شرحه هنا

ولذلك فلم يكن لدى الصناعة الأوروبية ما تستند إليه لتساوم أمريكا على اقتسام الأسواق العالمية — هذا فضلا عن أن الأمريكى تاجر لا يرحم ، والمنافسة هى عماد النشاط الاقتصادى فى أمريكا وعموذج راسخ فى السلوك الأمريكى رسوخ عادات الأكل والشرب والنوم

ويبدو أن الاحتمال الأخير (وهو توزيع الأسواق العالمية) قد صادف هوى فى نفوس الأمريكان ولكنهم احتاطوا له بشكل

دقيق بحيث يوفر لهم حصة الأسد فى أية مساومة يقومون بها مع دول أوروبا الغربية

وفعلا شهدت السنوات الأخيرة توسعا اقتصاديا أمريكيا جم النشاط ولـكنه فى أغلب الحالات على حساب دول أوروبا الغربية وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا ، وقدساعدأمريكا على هذا التوسع الاقتصادى كونها مسيطرة على مقدرات ألمانيا واليابان وهما عنصران هامان فى ميدان التنافس التجارى الدولى

وفى الشرق الأقصى حلت أمريكامحل اليابان وهولنده فى سوق إندونيسيا والفلبين ومحل بريطانيا إلى حد ما فى أسواق الملايو وأصبحت المشترية الرئيسية للمطاط والقصدير هناك

وفى الشرق الأوسط قصة التوسع الأمريكى فى البترول معروفة للجميع ، وكان من المقدر لبريطانيا أن تحقق هذاالتوسع لنفسها لولاقوة المنافسة الأمريكية والظروف الأخرى التى صاحبت الوضع الاقتصادى فى عالم ما بعد الحرب فى بريطانيا

وفى أمريكا اللاتينية تلاشى تدريجا نفوذ بريطانيا التجارى هناك بعد أن تلاشى قبله نفوذ ألمانيا وأصبحت هذه القارة منطقة نفوذ تجارى وسياسى للولايات المتحدة الأمريكية

وفى شمالى إفريقيا العربية توطد للأمريكان نفوذ اقتصادى طويل عريض بلغ من الأهمية بحيث اضطرت فرنسا أن تخاصم أمريكا عليه أمام محكمة العدل العليا (١)

وفى أواسط إفريقياتسرب رأس المال الأمريكى إلى مستعمرات بلجيكا الغنية بالمعادن الثمينة ومنها معدن الأورانيوم الصالح لإنتاج الطاقة الذرية

واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل هذا النشاط الاقتصادى الواسع أن تدفع مؤقتا عن نفسها أخطار النكسة الاقتصادية الأخيرة التى ألمت بالاقتصاد الأمريكى فى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ١٩٤٩

وكان لا بد لهذا التوسع الاقتصادى الهائل من أن يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية مسؤوليات سياسية ودبلوماسية من النوع الدقيق والخطير

ومع أن فكرة التكتل الاقتصادى بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين دول أوروبا الغربيـة لم تتبلور فى شكل قانونى (سرى أو علنى) إلا أن انسياق الأموال الأمريكية الخاصة والنشاط الاقتصادى الأمريكى إلى مناطق النفوذ البريطانى والفرنسى والهولندى والبلجيكى قد فرض على أمريكا مسؤولية فعلية فى صيانة النظم السياسية التى تعيش عليها هذه الدول الأوروبية . أضف إلى ذلك صيانة أوروبا الغربية من أخطار الانقلابات الشيوعية سيضمن لأمريكا حلفاء أوفياء يكونون سندا للمبادئ والأيديولوجية السياسية التى يعيش عليها المجتمع الأمريكى ؛ ففى تعزيز النظم الديمقراطية لدول أوروبا الغربية تعمير لأسواق تجارية حسنة تستهلك من الإنتاج الأمريكى أضعاف ما تستهلكه البلدان المتخلفة التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى كبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — فهذه البلدان المتخلفة هى على العموم مصدرة للمواد الخام وليست مستهلكة إلا كجزء محدود من المنتجات الأمريكية الجاهزة

ومن هذه الصورة الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية الشاملة تكونت فكرة المساعدات الأمريكية المالية للدول الأوروبية التى عرفت بمشروع مارشال (٢)

والخير أن تفكر مليا فى مشروع مارشال لأن صلته بتطور فكرة الدفاع المشترك وحلف الأطلنطى ومسألة الدفاع عن الشرق الأوسط صلة وثيقة

مشروع مارشال

يقول البرفسور جون وليامز أحد كبار الاقتصاديين (فى البلدان التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا

(١) — رفعت فرنسا فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ قضية أمام محكمة العدل العليا الدولية اتهمت فيها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية بفرض حماية اقتصادية على مراكش

(٢) — الجنرال جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة الذى كان أول من أعلن ميلاد هذه الفكرة رسميا من خطاب له فى حفلة توزيع الإجازات الدراسية فى جامعة هارفرد الأمريكية الشهيرة . ثم صبغ إعلانه فى الكنغرس الأمريكى فى (قانون التعاون الاقتصادى الأوروبى) إبريل سنة ١٩٤٨

الأمريكان ورئيس الجمعية الاقتصادية الأمريكية ومستشار البنك الأمريكى المركزى ومندوب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى عدة مؤتمرات دولية : إن الهدف الرئيسى لمشروع مارشال هو تنفيذ برنامج على لاستثمار رؤوس الأموال . وهدف هذا المشروع ليس فقط بناء ما دمرته الحرب فى أوروبا وإنما زيادة الإنتاج والنشاط الاقتصادى فى أوروبا الغربية والشمالية بحيث تتمكن دولها من أن تحفظ الميزان التجارى مستقيما . وهذا يعنى مساعدة دول أوروبا الموالية للولايات المتحدة الأمريكية على زيادة الدخل الحقيق للفرد وللدول الأوروبية ، وهذه الزيادة تشجع الفرد والحكومات هناك على مضاعفة استهلاكه للمنتجات والسلع وتوفر للشعب والدول فرصة لادخار رأس المال اللازم للاستثمار فى الاقتصاد المحلى (فى الدول الأوروبية) وفى الاقتصاد الأجنبى وأميركا اللاتينية) (٣)

وهذه الأهداف تتمشى مع الصورة التى رسمناها عن الوضعية الاقتصادية فى أمريكا وأوروبا وبقية أجزاء العالم (خارج الاتحاد السوفييتى) وهى صورة تشير إلى اختيار فكرة التكتل الاقتصادى بين الدول الصناعية الكبرى تحفظ للأمريكان حصة الأسد وتساعد الدول الأوروبية على ملاقاة نكساتها الاقتصادية مستعينة بزميلة كبرى هى الولايات المتحدة الأمريكية

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت أكثر الناس حماسة لمشروع مارشال ، بل الواقع أن فرنسا كانت أول من نال مساعدات مالية سخية من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك فى عهد ليون بلوم اليهودى رئيس وزراء فرنسا فى السنوات الأوائل التى أعقبت الحرب العالمية الثانية

ومن الطبيعى أن تتحمس فرنسا لهذا المشروع ، ففرنسا هى الدولة الوحيدة من دول أوروبا الغربية التى رفضت اتباع أى احتمال من الاحتمالات العديدة التى واجهتها دول أوروبا الغربية فى عالم ما بعد الحرب ، فهى لم تقتد ببريطانيا فتنفذ لونا من برنامج الاقتصاد الاشتراكى المعتدل ، ولم تتبع سياسة التقشف والمراقبة الدقيقة التى فرضتها بريطانيا بالاستمرار فى استغلال الأسواق المتوفرة لها فى المستعمرات الفرنسية — ولفرنسا اليوم ممتلكات خارجية تفوق ما لأى دولة استعمارية أخرى

ولتعلق بأذهاننا هذه الحقيقة — وهى حماس فرنسا الشديد لمشروع مارشال وما استتبع هذا الحماس من نشاط فرنسى لتنفيذ الحلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى للنقد ، ومشروع مارشال ، ومشروع بليفان للجيش الأوربى كما سنأتى على استعراضه فيما بعد

وهنا يجدر بالباحث أن يفسر حماس أمريكا لمشروع مارشال ولفكرة المساعدات المالية للدول الخارجية إجمالا . وهذا التفسير لا يكون إلا بالتعرف على الفلسفة الاقتصادية النظرية والعملية التى يعيش عليها الشعب الأمريكى . وهى فلسفة «جورج مينارد كينز» الاقتصادية منذ عام ١٩٣٠ حتى الآن

(البحث صلة) نيويورك عمر حليق

(٣) — راجع بحثى مسهين للبرفسور وبلياميز فى مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عددى ابريل سنة ١٩٥٠ ويوليو سنة ١٩٥٢ عن مشروع مارشال

٣ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الخريطة:

وتسمى أيضاً « الربابة » بكسر الراء ، وهى وعاء من الجلد مثل كنانة سهام الرمى ، توضع فيها القداح . وهى واسعة ليمكن استدارة القداح فيها واستعراضها ، ولها فم ضيق بقدر أن يخرج منها قدحان أو ثلاثة[1] ، أو بعبارة أصح يمكن أن يضيق ويوسع بخيط يشد فيه ، بحيث لا يسمح فى حالة التضييق لخروج أكثر من ثلاثة أقداح

الحرضة

بضم الحاء ، ويسمى أيضا « المجيل » و « المفيض » و « الضارب » ، وهو الرجل المكلف بتقليب السهام فى الخريطة ثم دفعها من فم الخريطة . وكانوا يلفون يده بقطعة من جراب ، لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محاباة . ويشدون عينيه بعصابة ليحولوا بينه وبين رؤية القداح[2]

والحرضة هو الذى يستل السهم بعد أن يبرز وينشز ، ويسلمه للرقيب دون أن يراه

ولا يكون الحرضة إلا ساقطا برما ، يدعونه بذلك لرذالته وسقوطه

قال أبو الهيثم[3] : الحرضة : الرجل الذى لا يشترى اللحم ولا يأكله بثمن إلا أن يجده عند غيره

الرقيب

ويسمى أيضا « رابئ الضرباء[4] » . ويختار فى العادة من الأمناء الموثوق بهم من الرجال ، وواضح أن مهمته هى مراقبة « الحرضة » وإدارة رحى الميسر . ويكون مجلس الرقيب خلف الحرضة ، ليتمكن من مراقبته . وهو الذى تسلم إليه السهام بعد خروجها ليعلم من صاحبها وليعلن اسمه حينما يفوز ، كما أنه يرد السهام الأغفال إن خرجت مرة ويعيدها إلى الربابة ، ويأمر الحرضة بجلجلة الأقداح وإفاضتها حتى يخرج سهم آخر من قداح الحظ

وإفاضة الأقداح : أن يدفعها دفعة واحدة إلى الأمام ليخرج منها قدح أو أكثر

مجلس الميسر

هو نادى القوم يجتمعون فيه فى ليل الشتاء ، وقد أوقدوا نارا وأحضروا جزورهم ونحرها الجازر وقسمها عشرة أجزاء ، بعد أن ترك لصاحب الجزور « الثنيان » وهو ما استثنى لنفسه من الرأس والأطراف فى غالب الأمر ، وبعد أن حفظ لنفسه « الريم » ، كما سبق القول عند الكلام على الجزار

١ — ويحضر الحرضة ومعه الخريطة والقداح ، وحينئذ يتبارى رءوس القوم وأشرافهم فى أخذ القداح ، فأعلاهم قدرا هو من يأخذ « المعلى » ذا الحظوظ السبعة ، وأقلهم شأنا هو صاحب « الفذ » الذى له حظ واحد

وذلك أن نظام الميسر مبنى على قاعدة الغنم بالغرم ، أى أن من يتعرض لأخذ أكبر السهام حظا يكون لديه استعداد أن يغرم أكبر الغرم حينما يخيب حظه ، إذ أن الغرم يتناسب تناسبا مطردا مع الغنم . وأما صاحب الفذ فهو إن فاز بحظ واحد ، وإن خاب تحمل مغرم حظ واحد

٢ — وبعد أن يختار القوم سهامهم ويسجلها عليهم الرقيب[5] توضع هذه السهام ذوات الحظ فى الخريطة ومعها السهام الأغفال الثلاثة التى لا حظ لها

٣ — ويؤتى بالحرضة ، وهو المكلف بإجالة القداح فى الخريطة ، ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يده ، ويسمى ذلك الثوب « المجول » . وإنما يجعل ذلك الثوب على يده ليغشى

(١) الميسر والقداح ١٣٢
(٢) الميسر والقداح ١٣٠
(٣) اللسان (حرض)
(٤) الضرباء : جمع ضريب ، وهو ضارب القداح الموكل بها . والرابئ والربيئة هو الرقيب

(٥) وأحيانا يختار الياسر اسما لقدحه غير الاسم المتداول ، تدليلا له . كأن يسميه « المربوع » أو « المدار » . مع احتفاظه باسمه الأصلى . الميسر والقداح ٥٦ — ٥٧

بصره فلا يعرف قدح زيد دون عمرو . هذا بعد أن تلف يده بقطعة من جراب ، مبالغة فى الحيطة . وأحيانا يعصبون عينيه ويلفون يده . وتمصب الخريطة على يدى الحرضة

٤ — ويجلس خلفه الرقيب وقد استدار الأيسار حوله ، ومن خلفهم جمهور النظارة يشهدون ما يكون من ذلك ، وفى هـذا الجمهور طائفة الفقراء ، الذين يحملون بؤسهم فى جهد وإعنات ، تدور أعينهم فوق كومات اللحم ، وتشرئب أعناقهم وأسماعهم نحو الحرضة والرقيب

٥ — وبعد أن يكتمل المجلس يصـدر الرقيب أمره إلى الحرضة أن يجيل القداح وأن يجلجلها فى الخريطة ، فيفعل ذلك مرارا ، فإذا فعل أمره أن يفيض القداح ، أى أن يدفعها إلى فم الخريطة

٦ — وحينئذ يبرز أحد القداح فيستله الحرضة ، وهو إن كان غير معصوب العين لم ينظر إليه فى هذه الحالة ، ثم يناوله الرقيب ، وتحدث عندئذ ضجة من الرقيب يعلن فيها اسم الفائز ، يصيح بأعلى صوته : هـذا قدح فلان ، أو فاز قدح فلان . ذكر ذلك الخليل فى تفسير قول أبى ذؤيب :

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

— فإذا فاز أحدهم أخذ نصيبه واعتزل القوم فأفاض الباقون على بقية الجزور ، فإن شاء ذلك الفائز أن يعود بقدحه سـألهم ذلك ، فإن أحبوا إجابته أجابوه وردوا قدحه معهم واستؤنفت الإفاضة . ويعد هذا العمل مكرمة لصاحبه الفائز الذى يأبى أن يظفر ذلك الظفر السهل ، ويأبى إلا أن يعرض نفسه للغرم الذى جانبه فى أول الأمر

ويسمون هذا العمل « التثنية » ، وهو الذى عبر عنه النابغة الذبيانى بمثنى الأيادى فى قوله :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما(١)

٨ — وإذا ظهر سهم من السهام الأغفال أمر الرقيب الحرضة بإعادته فى الخريطة ، ومعاودة الجلجلة والإفاضة حتى يظهر سهم ذو حظ

ولا يكف الحرضة والرقيب عن هـذا العمل حتى يكون مجموع أنصباء السهام الخارجة عشرة أنصباء على الأقل

الغنم والغرم

ليس نظام الغنم والغرم فى الميسر نظاما ساذجا ، بل هو نظام محـكم يدل على ما كان يتمتع به أسلافنا العرب من ذهن وقاد ، وفكر ناضج

وإليك بعض النماذج من أقضية الميسر ، وأحكام العرب فى مغانمها ومغارمها ، وسأعيد هنا ذكر قائمة المغانم والمغارم ليسهل لك عرض تطبيق الأحكام عليها :

ا — صاحب الفـذ ، ونصيبه فى الغنم والغرم (١)
ب — « التوأم ، « « « (٢)
ج — « الرقيب ، « « « (٣)
د — « الحلس ، « « « (٤)
هـ — « النافس ، « « « (٥)
و — « المسبل ، « « « (٦)
ز — « المعلى ، « « « (٧)

(القضية الأولى)

خرج قدح (ا) ثم قدح (ب) ثم قدح (ج) ثم قدح (د) ومجموع أنصباء هذه القداح عشرة ، وبذلك يكون الميسر قد تم فكل واحد من أصحابها يأخذ نصيبه ، فيأخذ (ا) عشرا ، و(ب) عشرين ، و (ج) ثلاثة أعشار ، (د) أربعة أعشار ، ويعتزل كل منهم الميسر غانما ، ويبقى الثلاثة النارمون الذين يضمنون ثمن الجزور ، وهم (هـ) ، و (و) ، و (ز) . ولنفترض أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فتفرض عليهم بالتناسب العددى ، أى بنسبة ٥ : ٦ : ٧ فيغرم (هـ) ٢٠ دينارا ، و (و) ٢٤ دينارا ، و(ز) ٢٨ دينارا

(القضية الثانية)

خرج (ب) و (ج) و (هـ) فائزين ومجموع حظوظهم ٢ ، ٣ ، ٥ أى عشرة حظوظ ، وبذلك تم الميسر ، فيأخذ كل منهم نصيبه ويعتزل ، ويبقى الغرم على (ا) ، (د) ، (و) ، (ز) ونسبة مغارمهم ١ : ٤ : ٦ : ٧

ولنفترض أيضا أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فيغرم (ا) ٤ ، (د) ١٦ دينارا ، (و) ٢٤ دينارا ، (ز) ٢٨ دينارا

---

(١) الميسر والقداح ١٥٢

(القضية الثالثة)

خرج فى أول الإفاضة قدح صاحب (المعلى) ، ونصيبه ٧ فاستولى عليه واعتزل ، ثم خرج قدح صاحب (المسبل) وحظه ٦ مع أنه لم يبق من أجزاء الجزور بعد المعلى إلا ٣ تتمة العشرة ، فيأخذ صاحب المسبل الثلاثة الأجزاء الباقية بعد نصيب صاحب المعلى ، ويغرم له القوم الذين لم تخرج سهامهم ثمن ثلاثة أعشار الجزور ، استكمالا لحظه ، وتكون غرامتهم فى ذلك متناسبة مع نسبة أنصبائهم فى الغنم لو غنموا

ويغرم القوم الخائبون أيضا ثمن الجزور ، متناسبة غرامتهم مع نسبة أنصبائهم أيضا

وهذا الحكم السهل فى أمثال هذه القضية الأخيرة ، هو الذى ذكره ابن قتيبة . وإنما يلجأون إليه ويرتضونه إذا لم يمكنهم نحر جزور ثانية

فإذا أمكنهم نحر جزور ثانية فإنهم ينتظرون بسائر القداح لا يخرجون منها شيئا بعد أن ظفر صاحب المعلى ، لأنه إن خرج المسبل لم يجد له حظا كاملا ، لأن حظه ستة أجزاء ، مع أن الباقى من الأجزاء ثلاثة

وحينئذ يقفون الإخراج ويعدون جميع الأيسار خائبين ، إلا صاحب المعلى ، ويلزمونهم الغرم فى الجزور الأولى بحسب أنصبائهم من جهة ، ثم يخلقون لهم جميعا فرصة فى جزور أخرى ، فينحرونها ويجزئونها أعشارا ، ثم يضربون عليها بالقداح ، فإن خرج (المسبل) أخذ صاحبه ستة أجزاء : ثلاثة منها هى الباقية من الجزور الأولى ، وثلاثة من الجزور الثانية . فإن استوى ثمن الجزورين كان صاحب المسبل كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا لأنه غرم ستا وغنم ستا ، فتعادل ماله وما عليه

وبقى من الجزور الثانية بعد المسبل سبعة أجزاء ، تضرب عليها سائر القداح ، فإن خرج (النافس) أخذ صاحبه خمسة أجزاء من السبعة الباقية ، فبقى جزءان

وفى هذه الحالة بقى قدح حظه أكبر من الجزءين ، وهو (الحلس) ، وله أربعة أجزاء ، فيعدون صاحبه خائبا فى الجزور الثانية يلزمه الغرم فيها بمقدار حظه متضامنا مع سائر الخائبين ، فيتيحون له الفرصة فى نحر جزور ثالثة ، فإن خرج غنم أربعة أجزاء : اثنان من الثانية ، واثنان من الثالثة . فإن استوى ثمن الجزورين كان كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا

وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء ، يضرب عليها بالقداح من بقى حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور ، وحتى لايحتاجوا إلى نحر جزور أخرى ، استكمالا لنصيب متوقع لأحدهم

***

هذا هو الدستور الذى سنه العرب لنظام الميسر ، وهو كما ترى وليد طباعهم وعاداتهم ، ووليد حاجتهم البدوية

ولا ريب أن « الميسر » كان نافعا للعرب ، كان نافعا لذوى الحاجة منهم ، لأن العرب فى أكثر ما يقامرون إنما يبغون بذلك نفع الفقراء ، والتوسيع على المحتاجين المعوزين ، وقل أن يطعم الايسار من لحم الميسر ، وإنما كانوا يفرقونه فى البائسين . زد إلى ذلك ما كان يحدثه الميسر من رواج فى سوق الإبل وبيعها وشرائها

ذكر الواقدى أن الواحد منهم ربما قمر فى المجلس الواحد مائة بعير ، فيحصل له مال من غير كد وتعب ، ثم يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب منه المدح والثناء (٧)

ولا ريب أيضا أن الميسر كان ضارا للعرب ، فهو أكل مال بالباطل ، وهو كان يدعو المقامرين كثيرا إلى السرقة واغتصاب الأموال والنفوس ، للحصول على فوز رخيص فى ذلك المضمار ، وهو كان مجلبة عظيمة للعداوات والحزازات بينهم ، التى تثيرها المنافسة وحب الذات . وكانت مجالس الميسر مجالا فسيحا للمنازعات والمهاترات ، وميدانا خصبا للهجاء والشتم والإقذاع . هذا إلى ما يكون من إنفاق زمانهم فى سخاء ظاهر ، فيما يشغلهم عن غيره من جلائل الأمور ، والسعى لاكتساب الرزق من شريف الأبواب

ومفاسد الميسر فى عصرنا الحاضر واضحة وضوحا بينا ، مهلكة إهلاكا للنفوس والضمائر ، قاضية على هناءة الأسرة وترابط الجماعة

وصدق الله العظيم إذ يقول : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » ، وإذ يقول : « وإثمهما

(٧) الفخر الرازى (٢ : ٢٢١)

٣٩٥٤٠

الجوع لهم مشربا وأداما

وقلنا مرة لشيخنا الأستاذ عبد العزيز البشرى — رحمه الله — وهو فى أوج شهرته ومجده : إن أمهات الصحف تتراكض خلفك تستكتبك المقال بكذا وكيت ، وعملك الحكومي يحول بينك وبين كثير من وجوه الرأى التى قد لا تأمن حين إبدائها جوانب الزلل ، فإذا أنت تنحيت عن المنصب الحكومى ، أمنت ما كنت تخاف ، وأقبلت عليك جميع الصحف مشتاقة تجرر أذيالها

وأطال الشيخ البشرى الصمت ثم أقبل على يقول فى مرارة : يابنى إن الصحافة إنما تقبل على لأننى فى غنى عنها ، فإذا ما احتجت إليها فسوف تزور عنى ازورارا وتنفر منى نفارا . إن الصحافة — مثلها مثل الدنيا — تقبل على من لا يريدها ، وتطوى كشحا عن مريدها !

ووالله لقد صدق صديقنا البشرى فيما قال ! وإن كاتب هذه السطور لم يتعظ بنصح الخريت المجرب فوقع فى المحظور ودفع الثمن باهظا غاليا

وتحرير الخبر أننى حين كنت (موظفا) حكوميا استكتبتنى صحيفتان كانت لهما مكانة وكان لهما قراء ، وكان الأجر الذى أتقاضاه منهما مجتمعتين يفوق أجرى من (الوظيفة) فطوع لى ذلك أن أهجر العمل الحكومى — بإغراء من إحدى الصحيفتين — فهل يعرف القارئ ماذا حدث بعد ذلك ؟

أدركت الجريدة الأولى أنه لم يعد لى عمل حكومى ، وأن ظهرى أصبح غير مسنود ، فحملتنى على ترك العمل بها ، ولم آس على ذلك كثيرا فقد كان الأجر الذى آخذه من الصحيفة الأخرى كافيا ، بيد أنه لم يمض على هجرى الصحيفة الأولى إلا بضعة أشهر حتى بدا للجريدة الأخرى أن تستغنى عن « خدمتى » وكذلك أصبحت فارغا من العمل فى فترة لا تبلغ العام منذ أن استقلت من الوظيفة الحكومية. وأدركت عندئذ مبلغ نصيحة الشيخ عبد العزيز البشرى من الصدق ، وأن الصحافة بالنسبة للأديب إنما هى كالدنيا بالنسبة لرجل الدنيا

وأتلفت اليوم حوالى فأرى جهابذة الأدب أقلامهم معطلة وكان ينبغى أن يغترفوا الذهب من الإناء الذى يضيق دونهم

محنة الأدب فى مصر

للأستاذ منصور جاب الله

إن محنة الأدب فى مصر إنما تتجلى فى هذه الضائقة التى يكابدها الأدباء ، والأدباء المصريون بوجه خاص ، فلقد أتى على مصر حين من الدهر كانت فيه ملتحدا لأدباء العروبة وملاذا للناطقين بالضاد فى سائر الأقطار

ولقد أينعت شجرة الأدب فى مصر ، وتشابكت أغصانها وتهدلت أفنانها ورفت ظلالها حتى كادت تسع الناس جميعا ، ثم إذا بهذه الشجرة الفينانة تذوى أغصانها وتتزايل ظلالها فإذا نحن من الأدب فى صحراء جرداء !

ومنذ بضعة عشر عاما سألنا شيخا من شيوخ الأدب هو المرجوم السيد مصطفى صادق الرافعى عن سبب تمسكه « بوظيفته » الصغيرة فى محكمة طنطا ، وقلنا له : هلا احترفت الأدب وحده ؟ إذن لجنيت من ورائه الذهب النضار ! وضحك الأديب العظيم وهو يقول : هيهات ذهب ما هنالك ... لو اقتصر عملى على الأدب وحده إذن لمت جوعا ، ولما كان لى هذا الاسم المدوى الذى يطالعك فى الصحف صباح مساء !

ولقد حسبنا الأستاذ الرافعى يومها جانحا إلى المغالاة ، أو مائلا إلى ناحية المزاح حتى قام على ما يقول من صميم الواقع شهيد وبصرنا بأدباء من الفحول قصروا جهدهم على الأدب فكان

أكبر من نفعهما »

وقد أتى الإسلام فى ذلك بعلاج ناجع ، علاج يجتث البؤس من أصله ، ويقتلعه من أرومته ، هو نظام « الزكاة » تؤخذ من الغنى فى رضاً من دينه ، وتعطى للفقير فى كرامةٍ من نفسه

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » . « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

للكلام بقية — عبد السلام محمد هارون

ويتسع لصعاليك الصحافة على حد تعبير المرحوم الأستاذ مصطفى الرافعى ، أو هلافيت الصحافة بتعبير الأستاذ العقاد !

ولو كان للأدباء حظ ، أو لو كان للأدب ذاته كيان مادى لاعتمد على هذا الكيان أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم فإن الأدب الصحيح كان خليقا أن يحمل على متنه هـذا الثالوث العظيم ، فلا يحتاج الأول لأن يكون عضوا فى الشيوخ ولا يحتاج الثانى لأن يكون وزيرا ولا يحتاج الأخير لأن يكون مديرا لدار الكتب ،

إن الأدب لم يستطع أن يحمل هؤلاء الأدباء الأفـذاذ فى سفينته الجارية ، بله أدباء الدرجة الثانية ، وأدباء الطبقة الثالثـة ومن دونهم

والصحافة الآن هى الوسيلة لنشر الأدب ، ذلك لأن الجريدة اليومية أو المجلة الأسبوعية تكون عادة فى متناول العامة لرخص ثمنها ، وليس كذلك الكتاب الذى لا يتداوله فى العادة إلا خاصة المتـأدبين ، ولكن الصحافة جنت على الأدب ، أو جنت على « فنيته » كما قال الرافعى ، فلم يعد الأديب هو الذى يوجه القارئ كما كان الأمر من قبل ، وإنما صار القارئ أو صاحب الصحيفة هو الذى يوجه الكاتب الأديب ، فقد أمست الصحف مثل حوانيت البدالين والبزازين ، يقبل عليها « الزبائن » بمقدار ما فيها من تزويقات ومظاهر خلابة لا غناء فيها ولا طائل من ورائها ، ذلك لأن قارئ اليوم لا يحب الدسم ولا الطعام المركز ، وإنما هو يقنع بالشطائر الخفيفة وإن كان ضررها على الصحة بليغا ، ونقصد بالصحة صحة العقل والذهن ، ذلك لأن جيل هذه الأيام إنما يعنى بصحة الأجسام ويطرح صحة العقول !

وكذلك انحطت الصحافة بالأدب ، والأديب الناجح هـو الذى يجارى الجمهور ويتملق غرائزه ، فإذا عدمت الجريدة هـذا النـوع من الأدباء فإنهـا لا تعدم (المخبر) الذى يجئ كل يوم بأبشع أحداث الجنايات ، وأطرف أخبار الطلاق

وإنى لأذكر أن أديبا نابها انتسب إلى إحـدى الصحف ، وسمعت أحد الملقنين يقول : إنه لا يصلح لهذا العمل ، فتساءلت لماذا ؟ فقيل لى : لأنه أديب — كذا والله ! — فهتفت : ياقوم أفيكون المقتضى ما نعا ؟ ولقد كان الأمر كذلك فى الواقع ، فلم تمض إلا بضعة أشهر حتى استغنت الصحيفة عن الأديب المشهور واستعاضت عنه بشاب أمى لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه إخصائى فى أنباء الفضائح والتشهير والتشنيع !

ومنذ أشهر اتصل بى أن أديبا لامع الاسم موفور الكرامة سوف يعين رئيسا لتحرير إحدى الجرائد ، فاستبعدت الخبر قياسا على ما علمته من التضاد بين الأدب والصحافة . وصح حدسى ، فإن أديبنا سـئل فى ذلك فأجاب ونعم ما أجاب « إن الصحيفة التى أكون رئيسا لتحريرها لم تخلق بعد » ذلك لأن الصحافة لا تبغى أن يديرها الأدباء ، وإنما تريد أن يكون الأدباء تبعا لها . وصدق حدسى مرة أخرى حين اختارت هذه الجريدة لرياسة تحريرها صعلوكا من صعاليك الصحافة !

***

أما بعد ، فإن الأدب فى مصر يعانى اليوم محنة بالغة الشدة . ولست فى هذا متشائما ، ولا أحب أن يشيع التشؤم ، وإنما أريد أن أبصر رعاة العهد الجديد المجيد بحال الأدب الذى هو عماد كل أمة ، فالأدب هو ضرام الثورة وشعارها ، ولو بقيت سوق الأدب على كسادها ، وانصرف الأدباء عن غشيانها ، فقل على الأمـة العفاء ثم العفاء !

منصور جاب الله

ذكرى الشاعر

صـــالح على شرنوبي

للأستاذ محمد صبرى على سليم

كان لزاما على أن أكتب هذه الكلمات بعد أن صرنا على بعد عام من مصرع شاعرنا الشاب صالح على شرنوبى .. ففى مثل هذه الأيام من عام مضى ، صعدت روح صالح إلى بارئها إثر حادث أليم

... كان صالح رحمه الله شاعرا مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، قوى الإحساس ، ولقد عرفته طالبا بالقسم الثانوى بمعهد طنطا — وإن لم أره — وكنت حينئذ طالبا بالقسم الابتدائى فى نفس المعهد . عرفته من قصائده الحماسية التى كان يطالعنا بها فى مجلة « الفكر الجديد » وكان يصدرها فى ذلك الوقت الأستاذ حلمى المنياوى . وذات يوم بحثت عن المجلة فلم أجدها ، ولما تساءلت عن احتجابها علمت أن الرقابة صادرتها لأنها نشرت قصيدة ثائرة لصالح . وبعد ذلك بأيام توقفت المجلة عن الصدور ، لأن ولاة الأمور وقتذاك زعموا أنها تحض على المبادئ الهدامة . . وظللت بعد ذلك أقرأ لصالح فى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان إعجابى به يزداد كلما قرأت له . . ذلك لأنه لم يكن شاعرا كبقية الشعراء ، بل كان له مذهب خاص فى الشعر . استمع إليه فى قصيدة « أختى » حينما يصور لك حياة أخته البلهاء التى جنت عليها الأقدار فحرمتها نعمة الإدراك :

وتقول أمى حين تلقاك   يا ليت قلبى ما تمناك
أوليت مهدك كان مثواك

لك فى بنات الحى أتراب   عرسانهن لهن أحباب
فأقول والمقدور غلاب
قد خانك أنت الحظ يا أختى

فهل رأيت شاعرا بلغ فى دقة التصوير والتعبير مابلغه صالح ؟ لقد كان ذات ليلة فى نقابة السينمائيين ، ونظر حواليه فرأى امرأة فى خريف العمر تجلس وحدها مطرقة مفكرة . ولما سأل عنها قيل إنها كانت فى ربيع عمرها تلعب بقلوب الرجال ، أما اليوم فليس فيها ما يسر العيون . وراقبها صالح مدة ، ثم كتب قصيدته « أطلال راقصة » التى يقول فى مطلعها :

أطرق أطرق فقد ضمك الليـ   ـل وألقى عليك ثوب ظلامه

إلى أن يقول :

لم يعد فيك ما يسر العيونا   فاعذرى العابثات والعابثينا
وإذا أيقظت شجونك حورا   وأوحت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها وصباها   واحقريها بكثرة العاشقينا
أوعظيها فرب شيطانة منكن قالت   فأبكت الواعظينا

وفى قصيدته « أشواق الربيع » تراه يخاطب تلك المجهولة ويسألها أن تعود إليه ، فهو غريب القلب والدار فيهتف :

تعالى يا ابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراما تاه فى دنيا الصبابات
تعالى طهرى بالحب آثامى وأوزارى
تعالى فأنا وحدى غريب القلب والدار
طريدا مثل أحلامى شريدا مثل أفكارى

ويلح عليها أن تسرع بالعودة إليه ، فقد يخنقها الترب ولم يتمتعا بالحياة ، فيكرر هتافه :

تعالى نخلق الحب فقد يخلقنا الحب
فقد يخنقنا الترب ولم نعشق ولم نصب

وتراه ينظر إلى الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويلغ بعضهم فى دم بعض ، فيشمئز ويتألم ويثور ، وتتمثل ثورته فى قوله من قصيدة « السراب الخالد » :

وحوالى من بنى الطين أشباه قطيع مشرد فى يفاع
دمهم ماؤهم وراعيهم الذئب وأعراضهم سفوح المراعى

ويحزنه من بنى الطين أنهم لا يحسون الجمال ولا يتذوقون الحسن فيقول :

كلما رن مزهر أو شدا شاد أعاروه ميت الأسماع
ألهذا القطيع أنفق أيامى وتفنينى الليالى الحزينه

سليمان العبسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

هـذا البلبل الصداح فى جنائن الهوى يشدو تارة ويشكو طورا ، ولـكنه فى كلتا الحالين لا يستطيع إلا أن (يغنى)

ألتلك الأيام أسحق عمرى وأغنى ألحانى المفتونه

وهو يذكر بالخير جميع الناس ، حتى أولئك الذين التفوا حوله يوم أن ابتسمت له الحياة ، فأخلص لهم ، ثم تنكروا له وانفضوا من حوله عندما تنكرت له ، فهو متسامح أبدا لا يعرف قلبه البغضاء ، يتجلى ذلك فى قوله :

أيهـا الراحلون عنى رويدا فمن الهجر ما يكون حراما
كنت يوما وكنتمو ثم شئتم ما أرانى قبل الختام الختاما
لم يعـد لى من حبكم غير أحـلام صداها يشتت الأحـلاما
ذكريات أبـكى لهـا وأغنى وهى لى بعدكم هوى وندامى
سوف أحيا لـكم فإن مت يوما فاحفظونى فقد حفظت الزماما

فبوركت يا صالح إنك فنان ملهم ..

لقد عشت مخلصا لفنك كل الإخلاص ، وفيا له كل الوفاء .. فى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الـكريمة التى ما حملت فى حياتها حقدا لإنسان..ويا دولة القريض العزاء

أخى .. عزيز على أن أكتب فى يوم ذكراك ، وقد كنت أود أن أكتب فى يوم زفافك ولـكن .. ولـكن هكذا شاءت الأقدار .. على أن مما يعزينى أن شعرك سيظل خالدا على مر الأيام ، ينير الطريق للمدلجين الحائرين

أخى .. طبت فى مثواك ، وسقى الله ثراك ، وسلام عليك فى الخالدين

محمد صبرى على سليم

ألحان الحياة ، وما الحياة إن لم تكن نشوة حب ، وخفقة قلب ، أو لوعة تبعثها اللهفة إلى تلك النشوة ، والحنين إلى ذلك الخفقان ؟

أنا أهوى الألحان نبض حياة
ودموعاً ... طروبة العبرات ..
وجراحـاً . . . تلف بالبسمات
لا نواحا ميتا . . . على أموات
لا عيوناً تسيـل فوق الرفات
أنا أهـوى على رنينك عودى
أن أحس اختلاجة الجلمود

***

ولو شئت أن أطوف بك فى رياض هذا الهوى — رغم صغر حجم الديوان — لطال بنا المطاف ولتحيرت والله أين أقف بك ، ولـكن حسبنا هـذه الباقة ففيها من الشذى والحسن ما يدلك على نضارة رفيقاتها وجمالهن . ولقد رأيت معى كيف نسقها صاحبها وكيف رسم فيها من (الخضرى) ألف صورة لأنبل العواطف وأرقها وأعنفها وأوسعها حتى لـكأن الـكون كله محب وحبيب ...

وهذه سمة الشاعر العبقرى الذى يتصل فى وجدانه بأرحب ما فى العـالم ويحلق بخياله إلى أعلى ما فى السموات ، ينهل من معين جمالها ويرشف من خمر سنائها ويبادلها حبا بحب ، فيسكب عليها من فؤاده ما ينطق الجامد منها حتى لـكأن هـذا الوجود كله قلب ينبض وكبد تهفو وعاطفة تتأجج ، وهو يجيد تصوير الطبيعة ولـكن لا بالألفاظ الجوفاء والصور الجامدة وإنما هى فى ريشته إنسان يحس ويحب ، ويسعد ويتألم .. وستخلد الطبيعة وستخلد معها صورها الرائعة هذه ..

أنشد معى هذه الأبيات :

الصخرة النرقى بأحلامها نحس مثلى وحدة قاتله
هذى خطانا لم يزل وقعها وشوشة فى سمعها مائله
تسألنى الصخرة ياطفلتى عنك وترتد معى ذاهله

***

ألم نـكن نرسو على شطها طفلين مثل النغم الشارد

في قبلة حالمة إن أضع   وإن تضيعى فعلى ساعدى
تبارك الحب فكم أرعشت   يمناه ..قلب الحجر الجامد..

* * *

واسمه يرثى العندليب ويشكو مع الروض فقدانه . .

الوردة الحمراء... ياطائرى   تشكو إلى الأنسام أشواقها
عاشت على ترجيعك الساحر   قد فتحت للنور أحداقها
تلك شظايا قلبك الشاعر   تخضب بالحمرة أوراقها
على دم المبدع والثائر   تركز أوراد الربى ساقها

* * *

سلها أتحلو رقصة أو يطيب   بعدك لحن للهوى والنسيب ؟
ستهمس الوردة : أين الحبيب   ويهتف الغصن وما من مجيب..
ماضر لو غنيت حتى المغيب   ياشاعر الأطيار ياعندليب ؟

* * *

كنت إذا ما الفجر لف الظلام   بالشفق الوردى . . فوق الربى
رقرقت فى سمع الزهور النيام   من اللحون .. المعجب المطربا
فاستيقظ الوجد ، وأج الغرام   فى كل قلب نابض بالصبا
أين الأغاريد وأين الهيام   إنى أرى روض الهوى مجدبا

* * *

أعد إلى هذا الوجود الكئيب   بنغمة ، برد الشباب القشيب
ماحطمت لغز الوجود الرهيب   إلا يد الفنان ، ياعندليب
ماضر لو غنيت حتى المغيب ؟

هذا هو حب سليمان ، وهذا هو غزله . نفس مرهفة الشعور ، وعواطف كريمة يصوغها بأرق أسلوب وأمتنه ، وذلك من الصعوبة بمكان ! إذ لا تكاد تتيسر هذه السلاسة وهذه العذوبة فى هذه القوة إلا للقليل من كبار الشعراء ...

وأما المعانى والصور الفنية والتجارب النفسية فما إخالك إلا معى فى الإعجاب بهذا الخيال الخلاق الذى صورها فأحسن تصورها . ولكأنه والله حين يستعمل الكلمة يخلق لها معنى جديدا أخاذا ، يزيده روعة هذا الجرس الموسيقى الساحر ، وهو بحق من أكثر الأدباء سيطرة على اللغة وقدرة على التلاعب بالألفاظ ، حتى لكأن اللغة — كما يعبرون — قد أسلمته قيادها فلحنها أنغاماً طروبة أفتن ما تكون فى (موشحاته) المرقصة التى انفرد بها وحقق للأندلسيين ما كانوا يرنون إليه . . . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد فى ما عرضنا الكفاية . ولنختتم حديثنا عن هذا (الغرض) بهاتين الصورتين القريبتين البعيدتين لندرك كيف تمر الحقائق الجانحة بخيال الشاعر فيخرجها حية ناضرة مفعمة بالحرارة ، مترعة بالظرافة الخفيفة الفطرية التى لم تستطع تلكم العواطف الصاخبة رغم تأججها ، أن تخفى حلاوتها ومرحها : —

أين حقل مائج الزهر طروب   نتخطاه وقد مال الغروب ؟
ونسيم الريف مغناج لعوب   يلمس الغيمات لمساً فتذوب !
طفرت بين الشجيرات القلوب
وانبرت تملى على الزهر كتابا   من سرور . . وهو يفتر جوابا

* * *

حسناء .. إن تبعدى عنى فما غربا   صوت طروب ، وثغر باسم ، وصبا
وخفة من فؤادى .. خلتها لعبا   حتى إذا أفهمتنى أختها السببا
أيقنت أن الذى غالبته غلبا !؟

* * *

وأما المضمار الواسع الثانى ، والذى استأثر بأكثر اهتمام شاعرنا الفتى فهو مضمار البطولة ، مضمار الوطنية المشبوبة

صبى صغير ، يرتع ويلعب على ساحل الأبيض المتوسط ، تدغدغه الأمواج ، وتداعبه النسمات ، ثم لا يلبث فجأة أن يجد الغاصب المتعسف ينهب وطنه ، ويستأثر بملاعب صباه ، ويشرد أهله ويسلبهم أملاكهم . . ويتشرد هذا الصبى مع المتشردين .. ويترك وطنه مع اللاجئين .. وفى فؤاده نار .. وفى عينيه دمعة أبت عليها حرارة الزفير أن تسيل .. هذا الصبى الملتاع يشب وتشب معه مآسى وطنه فهو أينما تلفت فعلى لواء مسلوب أو وطن موطوء ، وهو أين ألقى بطرفه — فعلى نصل تغذيه (صلة) رقطاء

ليت شعرى بعد هذا كيف تخبو هذه الشعلة فى فؤاده وكيف يلطف هذا السعير فى عروقه ؟ لقد صهرته النكبات وأذابته النوائب ، وصاغته الأعاصير نشيدا عاصفا ولحنا ملتهبا ، يهتف بالضاد ليله ونهاره ، ولا يعرف مللا . . ولا يكاد يشغله عن مآسيه فيه مؤاس حتى ولو كان حبيبه ومالك قلبه

هذا هواى . ولن أفنى به شغفا مهما استبد وهمهارفى دمى عصفا
قد كان حسبى . . لولا أن لى هدفا عاهدت يوما عليه النبل والشرفا
حسناء . . قد سارت الدنيا وقد وقفا .
شعبى تمزقه (أطماعهم) شعبا . . فهل تلومين ذا روح إذا غضبا ؟

***

فما هو إلا زفرة موتور يريد الانتقام والإيثار ، وهو لو حبسها لأصلته سعيرا : —

ما أردت القريض ، إن هى إلا عاصفات جنت على قيثارى
ثورة . . لو حبست عودى عنها حطمت أضلعى مع الأوتار . .

***

وأين لليأس فى هذا القلب الثائر مكان ؟ وهو كلما اشتدت به الزعازع تحسبه أن يلقى نظرة على الماضى وأن ينصت إلى دمه النقى لينفجر بركانا يكتسح اليأس ويضيء أملا . .

لفتة ياخيال . . نستلهم الماضى ونسكر على صدى التذكار
لفتة نشهد (الجزيرة) نشوى من سلاف الرسالة المعطار

***

أنفضى الموت . . أنت أخصب من أن
تقفرى من مواكب الأحرار . . .
وافتحى للصباح جفنك يا صحراء . .
هـذى زماجر « الثـوار » . . .
سيعود الوجود يوما إلى الرشد على صوت لجك الهـدار . . .

***

وسيظل يهزج حتى تتحرك الصحراء وينتفض الرمل : —

وأهزج ياصحراء حتى تحركى وحتى تهز الليل أنشودتى البكر
كنى ألما أن تحمل القيد أمة ولا يشتكى سوط العذاب بها حر
قوافل تمضى من مهازيل أمتى يسيرها ناب ، ويحدو بها ظفر . .
يمر بنا التاريخ غضبان ساخرا ! ويمضى بنوه خاطفين ، وننجر
قوافل من بيض العبيد كأنما على روحهم قفل ، وفى سمعهم وقر
إذا أنت ناشدت المروءة فيهمو تملكهم من طيفك الرعب والذعر

***

سأهزج يا صحراء ، ولتمض صيحتى
إلى كل رمس بات يرقبه الحشر . . .

أيغمض كف الموت جفنى وليس فى
بلادى شبر لم نحرره أو متر ؟

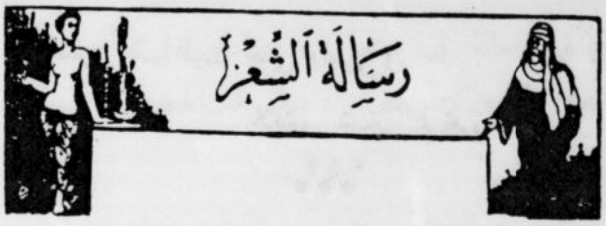
***

وأى لوعة مشبوبة فى هذا البيت الأخير ؟ ولكنها ما إن تشتكى حتى يهدهدها الأمل ويطمئنها الشباب :

شباب يغذيهم هوى ، وعقيدة ويجمعهم هم ، ويخفرهم ثار
لنا المجد ، إن نرقد عيون حماته فمن دم أحفاد الحماة له مهر
إذا لم نعش للرائعات من العلى فلا خط فى سفر الحياة لنا سطر
أرى وطن الأحرار قد طال ليله . .
غدا يشرق الصبحان : ألبعث والفجر

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى



شعب يتحرر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مرت على تحريرك الأيام   وغدا تمر بذكرك الأعوام

يا أيها الوطن العزيز تحررت   بالجيش فيك مواكب وزحام

كانوا على ظلم الطريق جماعة   قد هدها الإعياء والإظلام

يتخبطون على ظلام دامس   لم تتضح فى ليله أعلام

مشت المظالم فيه وهى كثيفة   وسرى الفساد إليه وهو قتام

واندك من صرح الفضائل حائط   وانهد من أركانهن دعام

وجرت أمور بالبلاد عظيمة   ومشت خطوب بالبلاد جسام

ضاقت بأحرار النفوس صدورهم   وتحطمت بعدادها الأقلام

فالهجس حتى فى الضمير محرم   والهمس حتى بالشفاه حرام ..

وبدا الصباح على البطاح مضوئا   فانجاب منه عن البلاد ظلام

هى آية لله وهى رعاية   قدسية قد حفها الإكرام

هى ثورة بيضاء لم يهرق دم   فيها ولم تسكب بها آثام

تركت بناء البغى وهو مصدع   دكت قواعده فليس يقام

دهمته وهو يظن أن مناله   فوق الظنون فماله استسلام

أرخت له الأيام فى طغيانه   يا ويل من أرخت له الأيام

ظن الحوادث عنه نائمة ولم   يعلم بأن الله ليس ينام

وبنى على الإفساد حائط ملكه   هل للبناء على الفساد دوام ؟ ؟

يا مطلع التحرير وجهك ضاحك   والصبح مؤتلق به بسام

بك أنقذ الله البلاد فلم يعد   فى حكمها ظلم ولا إجرام

تمشى العدالة فيك وهى حقيقة   ويسود فيك الحق وهو قوام

ومضى بموكبك الفساد وعهده   وتحطمت بقيامك الأصنام

وعنت وجوه الظالمين لواحد   تعنو الجباه له وتحنى الهام

الله جل جلاله متجبر   والحاكمون بأمرهم أقزام ...

ولى زمان الطامعين ولم يعد   يا مصر للأقطاع فيك زمام

لا عاد عهد لم تكن تجرى به   بالعدل أرزاق ولا أقسام

قد أتخمت فيه بطون جماعة   مصوا دماء الكادحين وناموا

رقدوا على شهواتهم وتنبهوا   فكأن ذلك كله أحلام

أعمتهم الشهوات عن أقدارهم   فهم الأناس وغيرهم أنعام

يا أيها النوام فى غفلاتهم   الجيش قام فأوقظ النوام

واعشوشب الأمل الجديب وأخصبت   أرض بها قعد الطغاة وقاموا

وتفتحت آمال شعب مثلما   يتفتح النوار والأكمام

وتصححت أوضاع جيل ناهض   جارت على آبائه الأحكام

وبدت على الوطن المريض نضارة   من بعد ما فعلت به الأسقام

تمشى الكرامة فيه وهى عزيزة   ورد فيه لأهله الإكرام

يا عهد تحرير البلاد وطهرها   منا إليك تحية وسلام !

لك فى الضمير مكانة مرموقة   لك فى النفوس رعاية وذمام

عهد تميزه الفعال فلم يعد   فيه لتزويق الكلام مقام

يزدان بالتنفيذ فى أفعاله   ويشده التصميم والإقدام

قل الكلام به، وخير حكومة   ماقل فيها بالوعود كلام

مشت الخطى فيه سراعا مثلما   تمضى إلى غاياتهن سهام

بوركت من جيش تبارك خطوه   وتحركت برجاله أعلام

قاموا على أعقاب ليل هادئ   والحاكمون الظالمون نيام ...

غضبوا فضج الكون من غضب لهم   واهتزت الأفلاك والأجرام

وتهدمت للظالمين منازل   وتقوضت للمفسدين خيام

وجلا الصباح الكون أعظم جلوة   وعلا النشيد كأنه أنغام !

والجيش سباق إلى أهدافه   متحرر برجاله مقدام

فيه الشباب الملهمون كأنهم   يحدوهم فى الثورة الإلهام

خطواتهم يصغى الزمان لوقعها   ويسجل التاريخ والأهرام !

يا جيش مصر ويا محرر نيلها   لك فى النفوس الحب والإعظام

أنقذت مصر من الفساد فلم يعد   فيها لدولات الفساد قيام ...

محمد عبد الغنى حسن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب الرمزي

يزور مصر الآن السيد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء الجزائر . وقد اجتمعنا به في ندوة الشورى مع طائفة من الشخصيات العربية والمصرية منها السيد الفضيل الورتلاني والكولونيل عبد الله التل والسيد الوزاني الزعيم المراكشي والأستاذ الشافعي اللبان والسيد محمد على الطاهر صاحب الشورى ودار الحديث حول ما تقوم به جمعية علماء الجزائر من نشاط في سبيل نشر العلم والثقافة بالوسائل الشعبية في الجزائر ، وقال السيد الإبراهيمي إن هناك ٤٠٠ مدرس هم مجندون لتثقيف الشعب ، وإنهم أشبه بالعباد المتجردين في سبيل أداء هذا الواجب المقدس

ومما يذكر أن جمعية العلماء التي أنشأها السيد عبد الحميد ابن باديس وخلفه على قيادتها السيد الإبراهيمي بعد وفاته ، هي إحدى الدعامات الضخمة القوية التي أفزعت الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا وأقضت مضجعه

فقد عملت هذه « الحركة » منذ فجر نشأتها على مقاومة البدع التي انتشرت في المغرب وأعان عليها الاستعمار ، ودعت إلى العودة إلى الإسلام في منابعه الأولى ؛ ووقفت للطرق الصوفية بالمرصاد على أساس أنها مصدر الشر والستار الذي يخفي خلفه الاستعمار ويتخذ منه سبيله إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر تفسيرا خاطئا

ولقد تطرق الحديث إلى « الوسائل » التي يستطيع بها رجال جمعية العلماء إعلان آرائهم دون أن يقف الاستعمار في وجههم ، فقال لنا السيد البشير الإبراهيمي إن الأدب الرمزي هو الوسيلة الوحيدة لهذا ، وإنه قد ابتدع لونا من فنون الأدب هو «سجع الكهان » . . . استطاع عن طريقه أن يفصح عن كثير من آرائه الجريئة الحرة في الكثير من المسائل والأشخاص . وكانت جريدة البصائر التي تصدر في الجزائر ميدانا لهذا اللون الجميل من الأدب

وقد روى لنا أكثر من أرجوزة من هذا السجع ، صور فيها رأيه من كثير من القضايا العربية والإسلامية ما كان من المستطاع الإشارة إليها عن طريق الكتابة العادية

وليس من شك أن اللغة العربية كانت خلال حياتها الطويلة ظهيرا لأصحاب الآراء الحرة في إذاعة آرائهم وتسجيلها عن طريق الأدب الرمزي في الأوقات التي كان يحال فيها بين الأحرار وبين إعلان آرائهم عن طريق الكتابة الصريحة . .

وليس قصائد اللزوميات التي أنشأها المعرى ، وليست رسالة الغفران والفصول والغايات جميعها إلا من هذا الأدب ، وقد كان صاحبها لا يستطيع أن يقول للناس كل شيء في صراحة فكان يضمن شعره هذه المعاني ويدعها ليفهمها من يفهمها على الوجه الذي يريد

وليس كتاب البخلاء وغيره من آثار الجاحظ إلا « أدبا رمزيا » قصد به الجاحظ إلى تصوير بعض الشخصيات التي كانت تعيش في عصره ، ولم يكن يستطيع أن يجهر بهجائها وإعلان الخصومة لها فوجد في هذا الأدب الرمزي منفذا إلى الحديث عنها

وقد اتخذ هذا الأسلوب من الأدب الرمزي كثيرون من الكتاب في عصرنا الحديث في مقدمتهم الدكتور طه حسين . وهو يقول في مقدمة كتابه « المعذبون في الأرض » الذي صدر أخيراً

« هذا الأدب الجديد الذي أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض والتلميح . ومن الإشارة والرمز ، حتى استقل هذا الأدب بنفسه وتنافس القراء عليه تنافسا شديداً ، وجعلوا يقرأون ويؤولون ، ويناقش بعضهم بعضا في التأويل والتحليل واستخراج المعاني الواضحة من الإشارات الغامضة . وانظر إلى ما نشر صاحب هذا الكتاب من جنة الشوك وجنة الحيوان ، ومرآة

الضمير الحديث ، وأحلام شهر زاد فلن ترى إلا رمزاً لمظاهر كنا نبغضها ولا نستطيع أن نتحدث عنها فى صراحة أثناء تلك الأيام السود : فكنا نؤثر الغموض على الوضوح ، والرمز والألغاز على التصريح ، والإشارة والتلميح على تسمية الأشياء بأسمائها ، وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم فتخلى بين الكتاب وما يكتبون ، وتخلى بين القراء وما يذاع فيهم من ذلك الأدب الجديد »

اللهجات العربية

ومما دار من حديث فى ندوة « الشورى » ما أثاره الأستاذ الشافعى اللبان من أنه كان خلال فترة الصيف فى جينيف لا يفهم كثيرا اللهجات العربية المغربية ، ومما قاله فى هذا أنه استمع إلى بعض أهالى المغرب وهم يتحدثون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يفهم منهم كثيراً مع أنهم يتكلمون باللغة العربية وكان يسأل فى هذا السيدين الوزانى والفضيل

وقد أجاب الأستاذ الفضيل على هذا بأن فى اللغة العربية كلها حوالى ١٥٠ كلمة هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا وهى ليست كلمات عربية بالطبع ، وإنما هى كلمات عامية أو لهجات

وبينا يعتبر المغربيون أنفسهم يتكلمون اللغة العربية الخالصة ، لا يجد المصريون والذين هم فى مثل ثقافة الأستاذ الشافعى اللبان قدرة على فهم الكثير من أحاديث أهل المغرب ، ومثل هذه المشكلة تقع بالنسبة للمغربى والشامى أو بين المصرى والعراق

ومما قاله السيد الفضيل الورتلانى : أنه أحصى أثناء إقامته فى بيروت حوالى ٦٠ كلمة (لبنانية — سورية) هى الحائل بين فهم المغاربة للهجات الشوام . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ؛ فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراقى مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر

محمد فريد « المؤرخ »

فى الأسبوع الماضى ، كان موعد ذكرى محمد فريد « قديس الوطنية المصرية » كما أطلق عليه ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير ، وفريد خليق حقا بهذا اللقب فقد ضحى فى سبيل بلاده بكل شئ وكان علما خالدا على التضحية فى تاريخ مصر والشرق جميعا

.. ولكن « محمد فريد » يدخل فى هذه الصفحة أيضا من باب الأدب ، فقد كان كاتبا من أعلام الكتابة والبيان ، ومؤرخا غاية فى القوة والتثبت والوضوح وهى أبرز علامات الكاتب الناضج والمؤرخ المنصف

حدثنى أول أمس الأستاذ محمد على الطاهر المجاهد العربى وصاحب الشورى ، وقد رأيت معه كتابا ضخما يعنى بتجليده ، وتغليفه ويبذل فى ذلك جهدا كبيرا ؛ فلما سألته عنه قال هذا كتاب قرأته فى خلال ثلاثين عاما ، مرتين.. وأنا أقرأه اليوم للمرة الثالثة

قرأته سنة ١٩٢٢ فى طبعته الأولى وسنة ١٩٣٥ فى طبعته الثانية وأنا اليوم أقرأ طبعته الثالثة ، إنه كتاب الدولة العثمانية الذى ألفه قديس الوطنية المصرية محمد فريد وهو من أوفى الكتب التاريخية فى هذا الباب

وذهب الأستاذ الطاهر يصور الكتاب ومؤلفه فى صورة رائعة حية ، تدل على مدى تقديره لهما

وإذا ذهبنا اليوم نسأل عن محمد فريد فى محيط الحياة المصرية لم نجد له أثرا ! فها هى ذكراه تمر ، لم يكتب فيها إلا فصل واحد فى جريدة اللواء الجديد

وإذا أخذنا ننظر إلى مجموعة التماثيل المنثورة فى أنحاء القاهرة لم نجد بينها مع الأسف تمثالا لهذا الزعيم الوطنى ، بينما نجد تماثيل لآخرين كانوا ولا شك أقل منه وطنية وبطولة وتضحية

وإنا لنرجو فى هذا العهد الجديد أن يتاح لهؤلاء الأبطال أن يستردوا ما فقدوه خلال عهود الظلم القديمة ... من مكانة هم جديرون بها وخليقون أن يوضعوا فيها بعد أن اعتدلت الموازين

أنور الجندى



ضيف كريم

يزور القاهرة اليوم الكاتب العالم الخطيب شيخ علماء الجزائر ورئيس تحرير البصائر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي وهو فى طريقه إلى أقطار الشرق الإسلامى ليلتقى رجاله ويدرس أحواله. وقد تفضل الأستاذ فزار إدارة الرسالة فأنسنا بلقائه ونعمنا بحديثه.

والرجل أحد الآحاد الباقين الذى يكتبون لغتهم بأسلوب رصين، ويبرزون فكرتهم فى صورة أنيقة. وهو عميد جمعية العلماء الجزائريين وطريقتهم إلى الإصلاح والجهاد بما أوتى من صدق إيمان وقوة بيان ووفرة علم. ولولا هذه الجمعية لفتنت الجزائر عن دينها ولغتها ووطنها، فهى فى جانب والاستعمار فى جانب، والجانبان يتنازعان الأمة الجزائرية كل إلى جهته. وليس بين المتنازعين تكافؤ فى المادة والوسيلة. فإذا قبضنا أيدينا عن مؤازرة هذه الجمعية ساعدنا المستعمرين على أن ينصّروا المسلمين ويبربروا العرب. ولعل الأستاذ الفاضل يكتب كلمة عن هذه الجمعية فى الرسالة؛ فإن أكثر الناس عنها شيئا

إلى الأستاذ رئيس التحرير

قرأت فى نشوة «نصيب قريتى من الثورة» وكنت من قبل قد قرأت فى وحى الرسالة نصيبكم من الإصلاح، ففى «وصف مآسى قريتكم من القرى، وأمتكم من الناس» وصفا مداده الدمع وكلماته الأنين» وإن فيما حفزتم به المستنيم على اليقظة، والمتواكل على العمل، والجازع على الصبر، والقلق على الاطمئنان، إن فى كل ذلك وفى غير ذلك من آثار قلمكم — لخيوطا من سدى الثورة ولحمتها

ولئن لم تر العين اليوم من الثورة غير جملتها فإن نسيجها كان بأيد مختلفة قدرلها أن تأتلف، وفى المأمول أن لا تعود فتختلف، ومن ثم كانت ثورة الجيش ثورة الأمة وكان لكل ذى نفس حساسة فيها نصيب

ولئن كنا فى البداية من ثورة، نصيبكم فيها المساهمة فى إعزاز الذليل وسيادة الرقيق وتمليك الأجير، فأحر بكم أن تدأبوا — وقد حثثتم على الدأب — ولا تحرموا الرسالة فى بعض أسابيعها من بسمات فى مكان سوابق الدمع. وضحكات فى موضع سوالف الأنين

لقد كان لانقطاعكم أحيانا عن الكتابة عذره العاذر فليس بالمغرى وصف المفاسد والمخازى، وليس بالمشجع إيقاظ النيام. ولقد وعدتم مع بداية النهضة بتجديد الرسالة فى الشكل والموضوع والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر فى الثقافة والحضارة، كما وعدتم بعودة الرواية أقوى مما كانت عليه — جمال أسلوب — وحسن اختيار — فهل ينطوى تحت هذا الوعد استمراركم على موالاتها بما ينتظره القارئ منكم. وما يرجوه لكم من صحة وعافية

وبعد فلنغير كم يقال

علام أقول السيف يثقل عاتقى إذا أنا لم أنزل إذا الحرب شبت

أما أنتم فقد شبت الحرب وأنتم فى ميدانها صائلين جائلين معقودا لكم لواء من ألويتها

وما انتهت بعد المعارك ومعاذ الله أن نرى ولو فى خلال أسبوع من بين أسابيع من ينجو برأس طمرة ولجام — ولو أن رأسه رميت بأشقر مزبد»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسكندرية **أحمد عوضه**

(الرسالة) أشكر للسيد الفاضل جميل رأيه وحسن توجيهه، وأدعو الله على أن يعيننى على تنفيذ ما أراد، وتحقيق ما أمل

ضبة — جبة

علق كاتب حذر — فى العدد ١٠٠٧ الصادر فى ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ من مجلة (الرسالة) النيرة على علمين من أعلام الأمكنة فى بلاد العرب وردا فى مقالى عن كتاب (معجم ما استعجم). يطلق أحدهما على بلدة واقعة فى شمال الحجاز على بحر (القلزم) باسم (البحر الأحمر) والثانى منهل من أعرف مناهل نجد بين بلدتى حائل والجوف (دومة الجندل) فى الرمل المعروف قديما برمل (عالج). فقال ذلك الكاتب الذى لم يشأ ذكر اسمه الصحيح

١ — (ضبطت قرية « ظبا » بالظاء والصواب — كما أعتقد — أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء)

وأقول الصواب أن تكتب بصيغة ثالثة مخالفة للصيغتين المذكورتين — هى « ضبة » بضاد فباء فهاء . قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٤ الطبعة المصرية : ضبة بلفظ واحدة الضباب إما الحيوان وإما الضباب — اسم أرض وقيل قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلى الشام وبحذائها قرية يقال لها (بدا) وهى قرية يعقوب النبى عليه السلام بها نهر جار بينهما سبعون ميلا ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف عليه السلام بمصر — انتهى كلام الحموى . وضبة القرية هى المقصودة وكل الأوصاف التى ذكرها الحموى تنطبق عليها فهى — ١ — قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلى الشام — ٢ — و (بدا) بفتح الباء والدال المخففة (وقد ضبطت فى تاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣ ج ١ بتشديد الدال خطأ) لا تزال معروفة باسمها هذا بقرب ضبة وبقربها أيضا (شغب) قرية المحدث المعروف محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى — أول من دون الحديث النبوى — وفيهما يقول كثير الشاعر :

وأنت التى حببت (شغبا) إلى (بدا)
إلى وأوطانى بلاد سواها
حللت بهذا حلة بعد حلة
بهذا فطاب الواديان كلاهما

وفى الواديين مياه كثيرة وزروع . وقد كنت أثناء إقامتى فى (ضبة) أسمع أهلها ينطقونها بالظاء لا بالضاد ويقولون إن اسمها القديم وادى الظباء فكتبت فى مجلة (المنهل) أصوب كتابة الاسم بالظاء بدل الضاد وكتبتها فى كلمتى عن معجم البكرى بها — ولكننى بعد أن اطلعت على كلام الحموى ظهر لى خطآن اثنان — بل ثلاثة — أحدها ماذهبت إليه من كتابتها بالظاء وثانيها : كتابتها بالألف بدل الهاء ، وثالثها : ضبط ياقوت لها بالتشديد كما يفهم من كلامه — والصواب فى رأيى التخفيف مع ضم الضاد (ضبة) وكذا ينطقها أهل نجد إلا أنهم يسكنون الحرف الأول كعادتهم فى كثير من أوائل حروف الأسماء

٢ — وحاول الكاتب أن يخطئ استعمال كلمة (جبة) اسم المنهل المذكور — لعلتين أبداها — ١ — سماعه من قبيلة الشرارات كلمة (الجوبة) — ٢ — حكمه بعدم جواز أن تكون مؤنث (الجب) . وفات حضرة المصحح المخطئ أن قبيلة الشرارات لا تسكن تلك الناحية وأنها تقصد بكلمة الجوبة — هى وغيرها من قبائل العرب — الأرض المنخفضة الواسعة أيا كانت ، وفاته أيضا — الرجوع إلى معاجم اللغة والأمكنة — ولو رجع إليها لوجد اسم (جبة) يطلق على هذا المنهل وعلى عدة مواضع فى العراق وفى الشام وغيرها (انظر هذه المادة فى القاموس المحيط وهو من أسهل القواميس تناولا وأكثرها تداولا — مثلا) وأما الحكم بعدم جواز تأنيث (الجب) فأمر خارج عن موضوعنا — وهو — فى حد ذاته — لم يصادف المحل ولم يستوف الشروط فصار باطلا — كما يقول السادة الفقهاء . وبعد فللرسالة الزاهرة يد بيضاء لما تنشره من كتابات لا تخلو من فائدة ولحضرات القراء تحية طيبة

حمد الجاسر

حول البوصيرى

مجلة (الرسالة) هى مجلة العرب جماء — يجد فيها كل باحث ومحقق وعالم وأديب ميدانا واسعا لنشر ما يمتع ويفيد القراء . وإذن فليأذن لنا الأستاذ الكبير الزيات بأن نعلق على ما جاء فى العدد ١٠٠٧ منها حول البوصيرى بهذه الكلمة المجملة التى لا نريد بها إلا بيان الحق المجرد من كل غرض

قال القاضى الفاضل السيد على الطنطاوى كلمة الحق حينما قال إن شرك المشركين الأولين أقل من شرك بعض المسلمين المتأخرين — لأن أولئك يدعون الله فى الشدة — وهؤلاء يدعون غيره فيها؛ والدعاء من أنواع العبادة التى خلق الله الخلق ليصرفوها خاصة له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . ولكن الحق لا يرضى كل أحد فالأستاذ عبد السلام النجارى أن قول البوصيرى

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

جائز ولا يتناقض مع شئ من أمور الدين بدليل حديث الشفاعة — وللأستاذ المحترم أن يعتقد ما شاء ولكن ليس له أن



مجنون ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

أبي مس من جنون ؟ أم أن مابي فيض من غيرة فحسب ؟ لست أدرى من أمر مابي شيئاً ، ولكنني أكابد مر العذاب ،

يرمى طائفة من المسلمين بما هم منه براء ! فهو يقول (إن الطنطاوى تابع فى تكفيره البوصيرى محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد) فالإمام المجدد ابن عبد الوهاب — رحمه الله — وحنابلة أهل نجد بل كل المسلمين — لا يكفرون إلا من اتصف بالكفر — ولم يثبت عن واحد منهم تكفير البوصيرى . وغاية ما يقولون به ويعتقدونه هو :

(١) أن البوصيرى دعا الرسول والرسول ميت ، ودعاء الأموات شرك (ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)

(٢) لاينكر أحد من المسلمين شفاعة الرسول (ص) تلك الشفاعة التى أوضحها الله سبحانه فى القرآن الكريم وبينها الرسول (ص) (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) . وقال (ص) مجيبا لسائل سأله من أحق الناس بشفاعتك ؟ فقال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ... فالإذن والرضا من الله وإخلاص العبادة له لا بد منها فى الشفاعة

(٣) تكفير المعين لا يجوز إلا من ارتكب شيئا من المكفرات وأصر على ارتكابها بعد إيضاح الحق له ومات على ذلك، وكل مسلم يبرأ إلى الله من أن يصف البوصيرى بهذا الوصف — إذ لا يمكن الجزم بخاتمته . وليكن حسن ختام كلمتنا هذه تحية — من ربى نجد مضمخة بأريج شيحه وعراره للأستاذين الجليلين الطنطاوى والنجار — وشكرا عطرا للقائمين على هذه المجلة الغراء

عبد الرحمن بن رويشد

ومض الألم . لقد اجترمت يداى إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إن هذا لحق. ولكن ألا تكفى هذه الغيرة الرابية المبهورة، وذاك الحب الثائر الخائن الملعون، وهذا الألم الباهظ المقوت — ألا يكفى كل هذا لأن نأى إثماً من الأمر وسخفا دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إنى لآسى وآلم ... وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حبا سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبها حقا ؟ أعلقتها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسى ، وحالت بينى وبين نفسى ... أسرت وصرعت ، فكنت فى يدها — وما أزال — دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقد الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه ... وكنت ألهث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر ... ولكنها هى ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحتقرها وألعنها . فقد كانت كدرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت محط الفساد ومهبط السوء . إنها الحيوان فاسد مثير تخلى عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق .. إنها البهيم الآدمى ، بل هى أحط من هذا وأقذو . إنها ردغة مستوحلة . هى آية من آيات الجمال البض النريض سكنت دار الخزى والعار

كان اتصالنا فى أول الأمر غريباً جميلا . وكان يقتلنى — بين ذراعيها المفتوحتين أبداً — جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تفغران فمى كأنما ألهب حلقى العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بى مس من جنون ، فإنى لأقسم أن كان لعينها هاته الألوان الثلاثة . فهما فى أحايين الحب زرقاوان ثاقبتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاها تهلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفجرتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان، وجفناها الغضيضان الناعسان تشرعهما فى وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطرمة وارية ، كانت تزيدنى جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا ما رأيت نظرتها هذه لدى العناق ، وأرجف حنقاً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذى تلحف الضرورة فى جنانه

وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهى تتخطر فى حجرتى ؛ وكان قلبى يثب لحفيف ثوبها إذ تأخذ فى خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية مخجلة ، وكنت أحس من ريح غلالتها الملاصقة انحلالا رخيا يسرى فى أعضائى وأطرافى جميعاً ...

وشعرت بأنها ملتنى فجأة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى . . . وكنت أنتظر — وصدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً — أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيمن على فأنا له عبد ذليل ، ولكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتاها الشاحبتان كليلتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تتقد حواسى ويضطرم كيانى . فكأنما نار تلهبنى فتستنزف كل عزمى وقواى، ولكنها حين ذلك اليوم طالعتنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقا رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شئ ؛ انتهى كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وأخرى ؟

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلا تركتنى إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أفلن أجلس حيناً وادعة ؟ ! »

حين ذلك غرت ، ولكن كما يغير الكلاب ... أثارت ما أثارت من ارتياب وكتمان وحيلة . علمت حقا أنها ما عزفت عنى إلا لتفسح مجالا لآخر تذكى عواطفه وتلهب حواسه . . .

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولكنى لم أكن مجنونا . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها إذ ظلتا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذينى وتسئمنى » ، وكان ذلك حقا

غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن عزوفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدتها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتها ، ومن عقلها الذى أستشعر دائما عاره ؛ غيوراً من كل ما أتوهم وأحدس وأرى . وقد تلقانى صبح ليلة من ليالينا المضطرمة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة تحركت من رغباتها . . . حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى

التحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخلة وتفضح أسرار فؤادها المرذول

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمتم كما تفعل بعد العناق عادة ، ونظراتها توقدت واضطرمت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحميا ، واضطرب كيانها أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منه زوائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة

وتغابيت ، ولكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شىء

وتريثت أسبوعاً ، فشهراً ، ففصلا . والآن رأيت جهومتها قد زالت وتدفقت فيها حميا مبهمة ، ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعمدتها قبل

وفى لحظه وامضة أدركت ! فما بى مس من جنون ! وإنى لأقسم أن ليس بى مس من جنون !

كيف أقص ذاك عليك ؟ كيف فهمت ؟ كيف أبين لك الشئ المبهم المقوت ؟ !

إليك ما نبهنى إلى كل شئ : فى تلك الليلة التى حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة جواد فسقطت عنه . وقد جلست ليلتئذ أمامى فى مقعد وثير متوردة الوجنتين ، مخمشة العينين ، مرضوضة الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط . لقد أدركت كل شئ حين رأيتها . إنها تحب ! ولم أستطع أن أخادع نفسى !

حينذاك فقدت شعورى وكرهت أن أنظر إليها . فتحولت إلى النافذة وهناك بصرت بخادم يقود جواداً من عنانه يشبو ويثب . . . أما هى فقد نظرت الجواد الفتى الشابى ، وأتبعته بصرها حتى غاب فاستلقت وغفت . . .

وطفقت أبحث طول الليل فى ذلك . وخيل إلى أننى أوغل

فى غموض ما كنت أتوقعــه من قبــل . ومن زعم أنه يجم عود النساء الأعوج ، وسبر رغباتهن المتضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

* * *

كانت تخرج صباح كل يوم على صهـوة الجواد إلى الغـاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة فى كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنهـا نوبة من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت غيورا من الجواد النهـد الكريم ، واجـدا على النسيم العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق فى شوط سريع أهوج ؛ وغدوت حاقدا على أوراق الشجر إذ تقبل أذنيها عرضا ، حاسدا لأشعـة الشمس إذ تلثم جبينها من بين الغصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلمس فخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها ويغويها ، ويطلق أسارير محيـاها ويغريها ، وكان هذا كل ما يكدها ويضنيها ، فتلقانى متعبة لاغبة إلى حد الإغماء ...

وأزمعت الانتقام لنفسى . وكنت أتلاطف معها فى الخطاب متلطفا مدللا ، وكنت أمد إليها يدى لتعتمد عليها حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها الهوجاء المضنية . وكان الجواد يرمقنى ثم يفحص الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدلله وتربت على كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن تمسح على رأسه وأصداغ فمه المزبد . .وكان ريحها العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف أريجه وسط الليل . وكان هذا العطر يختلط فى أنفى بريح الجواد الأصهب

وطفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد كانت تسير كل صباح فى أحراج من السدر توغل فى الغاب ... ففى يوم غدوت مع الفجر ، وفى يدى حبل متين الفتل ، وفى صدارى مسدسان محشوان ، كأنى ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التى تحب ، وربطت الحبل فى جذعى شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبتها فى الأحراج

وكثيرا ما خبرت الأرض بسمعى . والآن سمعت وقعا رتيبا من بعيـد . وبصرت بشئ من بين الأغصان يسبح فى الهـواء سبحا. آه ! ... لم أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هى فقد كانت نشوى من فرط السعادة محمرة الوجنتين . وتبدلت نظرات عينيها فهى الآن طروب لعوب ، وتطلقت أعصابها من الهم واستراحت إلى تلك القسوة المنعزلة

ولما أن كبا الحصان بمقدمه تهشمت عظامه ، وطرح بفتاتى بعيداً فلقفتها بين ذراعى القويتين حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على الأرض فى هينة ورفق دنوت منه « هو » وقد كان يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشنى ، فأطلقت عليه الرصاص فى الأذن فخر صريعا يتشحط فى دمائه الثرة وقتلته . . . كما يقتل الغريم !

ولـكنى أنا نفسى سقطت على الأرض ووجهى قد أدمته جلدتا سوط كان فى يدها . ولما أن تأهبت لأن تلهبنى بالثالثة أفرغت فى جوفها الرصاصة الأخرى . .

تخبرنى بربك أ كان مابى مسا من جنون ؟ !

س . م

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا .

وهى تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

الرسالة والرواية

فهرس العدد

دولة الألقاب ... ... : للأستاذ محمد عبد الله السمان ... ١٣٠١

الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٣٠٣

الميسر والأزلام ... ... : للأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٣٠٧

تاريخنا العربي ... ... : « كامل السوافيري ... ١٣١٠

هل كان النبي يعلم الغيب ... ... : « أحمد محمد جمال ١٣١٢

نداء الفلاح ... ... : « أحمد عبد اللطيف بدر ١٣١٤

شلر — لتوماس كارليل ... ... : للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت ١٤١٥

سليمان العبسى ... ... : « أحمد الفخرى ١٣١٨

قصر شمبرون ! ... (قصيدة) : للشاعر الكبير عزيز أباظة ... ١٣٢٠

(الأدب والفن في أسبوع) — للأستاذ أنور الجندي ١٢٩٥

(الكتب) — آن لهذا الشعب أن يفهم — تأليف الأستاذ عبد المغني ١٣٢٣
. عيد — للأستاذ أحمد عوض — مستقبل الإسلام — تأليف
الأستاذ محمد عبدالقادر العماوى . للأستاذ عبدالسميع المصرى

(البريد الأدبي) — الدراسات العليا لكلية اللغة العربية — بدعة ١٣٢٥
اليوم الكامل — إلى الأستاذ على الطنطاوى —
هى مسألة خلاقية ... ...

(القصص) — السفينة السوداء — عن الإنجليزية ١٣٢٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرواية

تعـــود

و

الرسالة

تتجـــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ،
وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم
لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1012

Le Caire 24 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الاسلام فى موكب الاصلاح

دولة الألقـــاب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت الألقاب الملغاة دولة داخل مصر ، لها سلطانها وصولجانها ، ولها جلالها ونفوذها ، ولها كلمتها المسموعة ، وإرادتها التى لاترد ، ولـكنها كانت دولة هزيلة لم يقم العقلاء لها وزنا ، ولم يلق الحكماء لها بالا

وكان الملك العربيد — الذى ألغى لقبه من الوجود قبل أن تلغى دولة الألقاب — يجعل منها دمية يلهو بها ، ويشغل بها الطبقة المترفة من هواة الألقاب الجوفاء ، وغواة المظاهر الكاذبة ، وأشياع الفوضى والعربدة ، ليتخذ الجميع منها ستارا يحجب مخازيهم ، وحصانة تدفع عنهم سيف العدالة وسلطان القانون ، ومطية للاستغلال المقوت على حساب الشعب المكدود . وكان لهذه الدولة الهزيلة سماسرة يعرضونها فى الأسواق ، ويساومون عليها طلاب الغرور وعشاقه من أثرياء الحرب المفتونين ، وأرباب العصبيات الفاجرة ، وغيرهم ممن يجيدون استغلال الألقاب ، وتكييف سلطانها ونفوذها

لقد لبثت دولة الألقاب فى مصر عمرا طويلا ، دعمت خلاله صرح الفروق بين شعب واحد ، تقله أرض واحدة ، وتظله سماء واحدة . وثبتت دعائم الطبقات فى وطن واحد ، لا ينتسب إليه زائف ، ولا ينتمى إليه دخيل ؛ وبذرت بذور الفوضى بين أرجاء الـكنانة حتى أثمرت الأحقاد فى الأفئدة ، والعداوة فى النفوس ، والبغضاء فى الصدور ، وبثت جراثيم الهمجية حتى أنتجت الجرائم فى شتى صورها ، والشرور فى مختلف ألوانها

ولقد جاء إلغاء دولة الألقاب فى مصر خطوة إصلاحية لها قدرها . وأعتقد أنها ليست بأقل قدرا من خطوة تحديد الملكية ، فإذا كان تحديد الملكية خطوة مادية فى سبيل توازن الطبقات ، فإن إلغاء الألقاب خطوة أدبية فى سبيل المساواة الأدبية ، التى لا غنى عنها لشعب يبغى حياة أدبية كريمة ، وأعتقد أن تفاوت الطبقات المادى لم يكن إلا ثمرة من ثمرات دولة الألقاب ، ففى ظلها استغل أشياعها موارد البلد وخيراته ، وسخروا الدولة بأسرها لحسابهم ، حتى تكدس الثراء لديهم تكدسا أتخمت منه خزاناتهم فعمدوا إلى الأرض يبتاعونها بأبخس الأثمان وأبهظ الأسعار ، حتى أوشكت جميعها أن تكون ملكا لعصاباتهم ، فيتحكمون فى أرزاق الشعب وأقواته ، لولا أن الله سلم

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول : إن هذه الخطوة المباركة ، خطوة إصلاحية محضة يرحب بها الإسلام لأنها أصل من أصوله ، وهل يوجد من ينكر على الإسلام أنه لم يقم بناءه إلا على دعامة المساواة المطلقة ؛ وأنت حين تتدبر أول آية نزلت من كتاب الله تجدها لم تهمل قاعدة المساواة ، ففيها وضح أن الناس جميعا

متساوون ، إذ أنهم خلقوا جميعا من مادة واحدة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . . » ونزلت بعد هذه الآية آيات لا حصر لها ، مؤكدة هذه القاعدة ، وذلك حين تشير إلى أن الناس جميعا مخلوقون من نفس واحدة ، أو من ذكر وأنثى وما إلى ذلك : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة.. » « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى »

والإسلام الذى أقام بناءه على قاعدة المساواة ، لا يمكن أن يقر هذه الألقاب ، أو يعترف بها كمقياس لتقدير ذويها ، ودليل على استحقاقهم للتقدير ، لأن للاسلام مقياسا واحدا لإخلاص المخلص ، وإنتاج المنتج ، ومثابرة المثابر ، واجتهاد المجتهد ، وهو: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. »

ولا يمكن أن يقر الإسلام هذه الألقاب ، وهى التى تميز بعضا من الناس على البعض الآخر ، وتملأ أنوف أصحابها تكبرا وغرورا وصلفا ، بل إن الإسلام ، وقاعدته المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، لم يشأ أن يلقب إنسانا — كائنا من كان — بأى لقب يميزه على غيره ، وقد يقول قائل : لقد كانت هناك ألقابا مثل : أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، والأمير ، ونحن نقول له : إن هذه ليست ألقابا بالمعنى الذى نراه ، إذ أنها ألقاب عائدة على مناصب أصحابها لا على أشخاصهم ، كما نسمى رئيس الوزارة ، والوزير ، والمدير ، والمأمور ومن إليهم ، وهذه ليست بالألقاب التى نرمى إليها

إن الله تعالى اختار رسله من خير البشر ، ليقوموا بمهمات شاقة مضنية وهى الرسالات ، ومع هذا فلم يمنحوا لقبا واحدا يميزهم على سائر البشر ، اللهم إلا الأسماء التى تشير إلى مناصبهم كرسل أو أنبياء ، ولقد أفاض القرآن الكريم بذكر أسماء الرسل مجردة من الألقاب ، لتأكيد قاعدة الإسلام التى قام عليها وهى المساواة : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. — محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . — ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . . — قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك . . — وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين — وما تلك بيمينك ياموسى ؟— ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض .. — يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى .. — يا يحيى خذ الكتاب بقوة ... — إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ... »

والرسول (ص) عنى كل العناية بهذه القاعدة — قاعدة المساواة — فطالما صاح فى آذان صناديد قريش ، منبت العصبية الجامحة والمنجهية الكاذبة ، والغرور المقوت : « كلكم لآدم وآدم من تراب — الناس سواسية كأسنان المشط »

بل لقد كان رسول الله (ص) يكافح الغرور فى النفوس ، فكره أن يسمى الإنسان اسما يهب له الغرور والكبرياء ، حتى لا يهوى من غير أن يشعر ، قال أبو هريرة فى حديث رواه البخارى : إن زينب [1] كان اسمها برة [2] فقيل تزكى نفسها ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينب » وقد روى البخارى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخنع [3] الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك »

وبعد — فلقد جاء إلغاء الألقاب خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الاجتماعى الذى له خطره وله قدره ، فحطمت الفوارق ، ومحت دولة الطبقات ، وأذكت فى نفوس الشعب نخوة الاعتزاز بقدره ، وبقى أن تتم الخطوة بالإتيان على فلول دولة الألقاب ، من الإمارة والنبالة والسمو ، فهى أولى بالإلغاء من الباشوية والبكوية وما إليهما ، وأجدر بأن تمحى محوا لا أثر بعده ، فقد كانت أسس الفساد ، وأصل الشقاء ، فى بلد أحسن إليها فقابلت إحسانه بالإساءة ، وفضله بالنكران !

محمد عبد الله السمان

---

(١) زينب بنت جحش أم المؤمنين
(٢) برة بفتح الباء من البر بكسرها وهو الوفاء
(٣) أخنع : أذل

٤ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

جوهر السلوك الاقتصادي في أمريكا

عندما ألمت بالعالم أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد، وعانى العالم من شرها ماعانى، كانت نفسية الشعب الأمريكي ودوافعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير مهيئة لقبول هذه الصدمة العنيفة. وكتب الأدب والاجتماع وإحصاءات الاقتصاد وصحف التاريخ مليئة بأوصاف الهزة العنيفة التي أصابت المجتمع الأمريكي من جراء هذه الأزمة العالمية الخانقة

وهيأت الأقدار للولايات المتحدة الأمريكية — رجلان: رجل يفكر وآخر ينفذ، وانطوى تحت لوائهما المتطوعون من الاقتصاديين ورجال الأعمال والكتاب والمثقفون والجهلة —. والمجتمع الأمريكي بأسره. ورغم أن أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد زعزعت كيان الاقتصاد الأمريكي زعزعة عنيفة؛ إلا أنها لم تقوضه، ويولى كثير من المراقبين لتلك الفترة والمعقبين عليها الفضل للمستر فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وللبرفسور جون مينارد كينز الاقتصادي البريطاني الذي استوحى روزفلت من نظرياته الاقتصادية برنامج «العهد الجديد» الذي طبقه روزفلت على الاقتصاد الأمريكي القومي في سنوات ١٩٢٩ — ١٩٤٠ والذي هو اليوم دستور السياسة الاقتصاديه للشعب وللحكومة الأمريكية

والمجال هنا لايسمح بالانزلاق إلى بحث النظريات الاقتصادية، ولكن وصفا قصيرا لعقلية «كينز» تلقى ضوءا نافعا على فلسفته الاقتصادية وعلى جوهر السلوك الاقتصادي للحكومة وللاقتصاد القومي في الولايات المتحدة الأمريكية

قال مترجم حديث [1] لهذا الاقتصادي الشهير «إن كينز لا يرى الأمور في حالها الراهنة، وكان همه أن يثبت الفكرة التي يحملها لتخدم هذه الحالة الراهنة ولا يجد ضيراً في أن ينفي ما أثبته في حالة سابقة أو أن ينشط غداً لينفي ما أثبته اليوم. وكان يستجمع الجهد والنشاط والمنطق والدهاء والحصافة ليثبت فكرته عن الحالة الراهنة، وأن يعتبر الماضي والمستقبل نوافه لا قيمة لها، ومن ثم فإن أفكاره عن الحقائق والأوضاع كانت وليدة الساعة وعلى ذلك فإنها — أي الأفكار — في تطور مستمر لا يتقيد بالأمس ولا يعبأ بالمستقبل البعيد

ويخيل إلى هذا الوصف لشخصية البرفسور كينز البريطاني وصف واقعي مطابق للعقلية الأمريكية في نشاطها الاقتصادي والسياسي كذلك. فلا غرابة أن تتصل أسباب التلمذة العقلية والتعاون العملي بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت وبين هذا العالم «الاقتصادي البريطاني»

شغل كينز في أعقاب الحرب العالمية الأولى بمعالجة المشاكل الاقتصادية الناتجة عن هزيمة ألمانيا القيصرية، وطال تفكيره وتدريسه لفنون الاقتصادي النظري والتطبيق، وخرج بنتيجة مستحدثة فحواها أن شر المساوئ الاقتصادية هو في خطأ النظام النقي المعمول به في العالم المتمدن؛ أو على الأقل في الدول التجارية والصناعية الكبرى صاحبة القول الفصل في تسيار الاقتصاد العالمي

كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة وبريطانيا موطن كينز تعاني أزمة بطالة وضائقة اقتصادية لعينة. ووجد كينز أن تقيد النقد المتبادل، أي الجنيه الإسترليني في بريطانيا وأنواع العملة الأخرى في بقية أقطار العالم — تقييد النقد بأسعار الذهب شيء يخنق التجارة الدولية ويزيد من ضائقة العالم الاقتصادي

ولم يقل كينز بالقضاء على معدن الذهب كأساس للنقد الرصين، بل إنه دعا إلى تحرير النقد من استعباد معدن الذهب وجعل الذهب ملكا دستوريا للعملة الصعبة — كملك بريطانيا سلطته صورية أكثر منها فعلية

وقال «كينز» إن الذهب معدن واحد من المعادن الثمينة وصنف واحد من أصناف الإنتاج الثمين؛ فهنالك مواد أثمن منه في

(١) — حياة جون مينارد كينز. نيويورك سنة ١٩٥١

خدمة الناس والتجارة الدولية ، وإن من الجنون أن نربط أسعار كل شئ بسعر معدن الذهب — وهو معدن إنتاجه محدود والحصول عليه صعب شاق ، وإن من غير الإنصاف أن نقيد النشاط الاقتصادى لشعب ماله إمكانيات واسعة فى كثير من المواد الصالحة والإنتاج النافع لمجرد أن هذا الشعب لا يملك حصة وافية من معدن الذهب ، فهذا التقيد مسؤول عن انتشار البطالة وانقطاع رزق الناس وتفشى الفوضى الاقتصادية بين الشعوب التى لا يتوفر لها معدن الذهب ؛ بينما يتوفر لها إنتاج اقتصادى قيمته الفعلية تعادل قيمة الذهب إن لم تفقه

وبمثل هذا المنطق نشر « كينز » هجومه على معدن الذهب كأساس للنقد الثابت الرصين ، متهما إياه بأنه «من مخلفات العهود الإقطاعية المتوحشة » ودهش الناس لآراء هذا العالم الشهير ! وكانوا بين شاك فى اتزانه العقلى وبين منتظر لميلاد فلسفة عملية جديدة للسياسة النقدية

ثم سرعان ما نشر كينز فى سنة ١٩٣٠ تفاصيل مشروعه لاستبدال معدن الذهب بشئ آخر يصون النقد ويثبته على أساس محترم مضمون ، وشرح هذه الفكرة الجديدة فى « بحث عن المال [٢] » فى أهم الكتب فى علم الاقتصاد الحديث

وفى نهاية استعراض دقيق ممتع عن النقد والشؤون المالية — والحديث عن المال ممتع فى جميع المناسبات — اقترح « كينز» إنشاء سلطة نقدية دولية تتحكم فى تقدير أسعار الذهب بحيث لا يصبح هذا المعدن الأصفر متحكما فى رقاب النقد المحلى لكل دولة ولكل شعب ، واقترح صاحبنا أن تقوم هذه السلطة الدولية التى تضم جميع الدول الراغبة فى الانضمام بتنسيق أسعار العملة لكل دولة ، وتحديد أسعار المواد الأولية وما إلى ذلك من أوجه الشؤون المالية التى يهتم بها أهل الاختصاص

وأشار كينز كذلك أن يكون من أبرز « أهداف سلطة النقد الدولية » بعد تنسيق أسعار النقد فى كل دولة تشجيع استثمار الأموال الحكومية والخاصة فى داخل البلد وفى البلدان الخارجية ضمن ترتيبات وإجراءات معينة تحددها سلطة النقد الدولية هذه بالتشاور مع الدول والهيئات المعنية بالأمر

(٢) ج . م . كينز « المعاهدات النقدية » سنة ١٩٣٠

وأخذت بريطانيا بمشورة كينز فتخلت فى سنة ١٩٣١ عن اعتبار القيمة التقليدية لمعدن الذهب أساسا للجنيه الاسترليني

ثم أغرم رئيس الجمهورية الأمريكية فرانكلين روزفلت فى ذلك الحين بآراء كينز واقتبس منها جزءا كبيرا وطبعه على سياسة أمريكا المالية فى داخل الولايات وفى خارجها

وفى كلتا الحالتين — فى بريطانيا وفى أمريكا — كانت مشورة كينز وآراؤه عاملا قويا فى الإفراج عن ضائقات البلدين فى الشؤون المالية والاقتصاديه إجمالا

وجدير بنا أن نستذكر بأن عقلية « كينز » كما وصفها كاتب سيرته وسجلناها فى مستهل هذا الفصل — هذه العقلية كان همها معالجة حالة راهنة غير مقيدة بأحداث الأمس ولا مترقبة خفايا الغد

وهنا سر إغرام الأمريكان بنظريات « كينز » وعودتهم إليها بين آونة وأخرى كلما استعصى عليهم إشكال عاجل بينما تعمد البريطانيون — أهل كينز ومواطنوه — تجاهل جزء كبير من مشورته ونظرياته . فالعقلية البريطانية تحتسب الأمور ولا ترى فى الحالة الراهنة كل شئ ! بينما يميل الأمريكان إلى معالجة مشاكل الساعة بالمسكنات وحبات الإسبرين والأقراص الكيماوية المنومـة

وتطورت فكرة « كينز » عن النقد فأصبحت برنامجا تطبيقيا عمليا . فقد شغل هذا العالم فى سنوات الحرب باستثناء المشاكل الاقتصادية والنقدية العويصة التى تأتى عادة فى أعقاب الحروب ، وخرج من تحليله لمستقبل الاقتصاد العالمى ببرنامج « لاتحاد دولى للقضية النقدية » على أساس عالمى . ونشر هذا البرنامج فى عام ١٩٤٣ عندما كانت رحى الحرب لا زالت دائرة . وهدف هذا البرنامج تنسيق المعاملات النقدية على أساس عزم الدول جميعها على ضمانة هذا التنسيق ضمانة رسمية ، وأن تقوم هذه الدول فى نفس الوقت على توسيع تبادلها ونشاطها الاقتصادى والتجارى على أفسح مجال ممكن . فهذه الضمانة النقدية وهذا التوسيع الاقتصادى سيجعل نقد الدولة مستندا إلى نشاطها التجارى والاقتصادى لا إلى سعر الذهب فحسب

واقترح « كينز » فى برنامجه عن « الاتحاد الدولى للتصفية

النقدية » أن يقوم الاتحاد بجمع أكبر عدد ممكن من الضمانات النقدية للدول الأعضاء، وأن يوضع هذا المبلغ المجموع تحت تصرف الدول الأعضاء تقترض منه إذا شاءت بقدر ما يراه الاتحاد ضروريا لها وبنسبة متمشية مع حصة الدولة فى ميزانيـة الاتحاد ، على أن يقوم الاتحاد باتباع سياسة سمحة تعين الدول فى الحصول على النقـد العزيز حتى لو كان الميزان التجارى لهذه الدولة تعترضه بعض النكبات

واقترح على الاتحاد كذلك أن يشجع الاستدانة والإقراض بين الدول الأعضاء على أساس المسؤولية الحكومية التبادلة . أما تحديد أسعـار النقد لأى دولة فأمر لا لزوم له فى برنامج هـذا الاتحاد ، ويترك أمر هذا التحديد للتطورات ولمدى النشاط الاقتصادى فى تلك الدولة على أن يكون ذلك خاضعا لرقابة دولية نزيهة

ووافقت بريطانيا فورا على هذا البرنامج . ولـكن الولايات المتحدة الأمريكيـة تقاعست أول الأمر عن قبوله بحـذافيره ، وادعى الامريكان أن هذا البرنامج يفرض على أمريكا دفع أكبر حصة من ميزانية الاتحاد ، فالحصص فى الاتحاد تتناسب مع سعة النشاط الاقتصادى فى الدول المشتركة فيـه . ولما كانت أمريكا أعظم بلدان العالم نشاطا فى المجال الاقتصادى فإن حصتها فى الدفع لميزانية الاتحاد ستكون أكبر حصة . ورأى الأمريكان فضلا عن ذلك أن اشتراك جميع الدول فى هـذا الاتحاد ودفعهم نقدا محليا (دعائمه غير ثابتة فى كثير من الدول) ثم تخويلهم سحب القروض من الاتحاد بالعملة التى يشاؤونها (ومعظمهم راغب فى اقتراض الدولارات الأمريكية) — هذا التخويل يشجع الدول الهزيلة الـكسولة فى النشاط الاقتصادى على الاقتراض فى غـير وعى وحساب ، ويـكون ذلك الاقتراض على حساب الدول الصناعية الفنية الـكبرى وفى طليعتها أمريكا

ولم يرفض الأمريكان فـكرة « الاتحاد الدولى للتصفية النقدية » وإنما اقترحوا تعديلات جوهرية عليها . وفى مؤتمر « بريتون وودز » الذى عقد فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقـاب الحرب العالمية الأخيرة مباشرة أقنع الأمريكان المستر « كينز » (الذى كان من أبرز المشرفين على هذا المؤتمر) بتعديلاتهم — أقنعهم كينز ببعض نظرياته التى كانت موضوع جدل ، ونجح الأمريكان فى ذلك المؤتمر بتقييد عملية الاستدانة والإقراض للدول الأعضاء التى تنضم إلى الاتحاد النقدى الدولى . وغضب « كينز » لهذه القيود الشديدة التى وضعها الأمريكان على برنامجهم العالمى ولـكنه رضى بها وكان من نتـائج هـذا الرضى أن استطاعت (بريطانيا التى كان المستر كينز يمثلها فى مؤتمر بريتون وودز) فى الحصول على أول قرض وهبات سخية من الدولارات الأمريكية [٣]

وذهب الأمريكان إلى أبعـد من ذلك ، فلما تبلورت فـكرة الاتحـاد الدولى للتصفية النقـدية فى مؤتمر « بريتون وودز » « وتأسس صندوق النقد الدولى التابع لهيئة الأمم المتحدة » بعد المؤتمر بقليل أصرت الحـكومة الأمريكية أن يكون لها إدارة هذا الصندوق مع أنه أصبح وكالة فنية خاصة تابعة لهيئة الأمم . وعارض « كينز » فى ذلك وقال بنا أن للأمريكان تحفظات شديدة فى هذا البرنامج فإن إدارتهم لصندوق النقد الدولى (الذى وكل بتنفيذ البرنامج) ستؤثر تأثيرا شديدا فى مستقبل الفائدة المطلوبة من هذا الصندوق الدولى . ولـكن الحـكومة الأمريكية أصرت على أنها إذا كانت ستدفع أكبر حصة فى هذا الصندوق فإن من حقها أن تفرض النغم الذى يطيب لها عزفه [٤] .

وانزعج كينز من هذا ووجد فى إصرار الأمريكان على إدارة هذا الصندوق الهام رغبة الحـكومة الأمريكية فى أن تفرض رقابة شديدة على الأوضاع النقدية فى جميع الدول الأعضاء

وسلم « كينز » للأمريكان واكتفى بتحـذير المسؤولين عن وخيم العواقب ، ثم عكف على التأمل فى وضعية العالم الاقتصادية فى عالم ما بعد الحرب ونشر ذلك فى سفر اقتصادى نفيس هى آراؤه العلمية [٥]

وخرج كينز من تأمله العميق وخبرته العملية والتطبيقية الواسعة بنتائج اقتصادية عظيمة الخطورة فى التعرف عليها اليوم لبعض دقائق السلوك الاقتصادى (والسياسى) للأمريـكان حكومة وشعبا

---

(٣) باعتراف المستر هربرت فيس المستشار الاقتصادى لوزارة الخارجية الأمريكيـة فى مقالة له عن هذا الموضوع فى مجـلة « الشـؤون الخارجيـة الأمريكية » عدد يوليو ١٩٥٢

(٤) نفس المرجع السابق

(٥) « النظرة العامة للعمل والفائدة والمال »

وكان هم « كينز » أن يضع العلاج للمساوئ التى تكتنف الاقتصاد الحر الذى تعيش عليه الدول الاقتصادية الكبرى فى أمريكا الشمالية وبريطانيا ، وأن يثبت بأن تنبؤات كارل ماركس الشيوعى عن إفلاس النظم الرأسمالية هى تنبؤات خاطئة لو تيسر لهذا الاقتصاد الحر أن يتبع أساليب مستحدثة فى نشاطه الاقتصادى وسياسته المالية والتجارية

وقد وجد كينز أن عهد الاستعمار المباشر قد انتهى وأن السياسة الاقتصادية الصائبة تقتضى جعل حرية التبادل النقدى أساسا للرخاء الاقتصادى بدل أن تكون السيطرة الاستعمارية على الأسواق التجارية هى عماد الرخاء فى البلدان الصناعية الكبرى كأمريكا وبريطانيا ، فحرية التبادل النقدى كفيلة بأن تضمن استقرارا للأوضاع الاقتصادية وإصلاحا للمساوئ السياسية والاجتماعية التى ترافقها

وكان الفكر الاقتصادى والتقليدى المعمول به فى بريطانيا وأمريكا يؤكد بأن النظام الرأسمالى كفيل بأن يصون نفسه إذا استطاع أن يحقق العمالة الكاملة . فإذا توفر العمل لجميع الأيدى العاملة تولدت حلقة اقتصادية سليمة . فالعمل المستمر يحقق دخلا مستمرا للناس ويزيد الإنتاج ويتوفر الدخل يزداد استهلاك المنتجات ، أما استقرار أجور الأيدى العامله وأسعار المنتجات المستهلكة فسيتوقف على طبيعة المنافسة الحرة فى الاقتصاد الحر وعلى مدى إدراك الناس لفضائل الادخار والاستثمار والإقبال على رفع مستوى معيشتهم وترك النقد المتداول جاريا فى مجرى سليم

وتعمق كينز فى هذه النظرية الاقتصادية القويمة على ضوء الأضرار الواسعة التى جلبتها الحرب على اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى وعلى مصانعها وموارد إنتاجها ، وعلى ضوء التقلبات السياسية والاجتماعية التى ألمت بجزء واسع من آسيا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا (إلى حدما) وهو جزء كان فيما مضى أجزاء من إمبراطوريات استعمارية واسعة . وخرج كينز بعد هذا التعمق بنتيجة مخالفة لهذه النظرية الاقتصادية القديمة فوجد :

(١) أن العمالة الكاملة ليست أساس كل شئ ، فى استطاعة الدول أن تعيش على اقتصاد سليم إذا توفر فيها الاتزان — عمالة معتدلة لا هى بالكاملة ولا هى بطالة متفشية

(٢) يجب على الدول الصناعية الكبرى التى تعيش على الاقتصاد الحر أن تدرك من أن النكسات الاقتصادية الخطيرة التى تصيبها بين آن وآخر — ليست عوارض تأتى وتزول — بل إن من الممكن لهذه النكسات أن تتطور فتولد إفلاسا تاما لهذه الدول

ويهمنا هنا أن نتعرف على موقف الأمريكان من نظرية « كينز » الجديدة ؛ فقد استمر « كينز » يدخل تعديلات وإصلاحات على نظريته مما لا مجال لذكره هنا ، وكان لا يجبن عن أن يناقض نفسه فى رأى كان قد قرره سابقا ثم وجد أنه يخالف لحقائق اكتشفها الآن . فهذه المرونة وجدت قبولا حسنا لدى العقلية الأمريكية التى وجدنا ها طاقة لا تتقيد بحدث مضى ولا تترقب خفايا الغد البعيد

فقد وجد الأمريكان أن كينز يعطى أهمية فائقة للاستهلاك الفعال فى النشاط الاقتصادى . فقال إن علة القلق الاقتصادى الذى يعترى النظم الرأسمالية هو فى الاستعمال الخاطئ للدخل . والدخل على أنواع : دخل ينفق ودخل يدخر ودخل يستثمر فى المشاريع المربحة . وأمر كينز ضرورة الاهتمام الرئيسى بالنوعين الأخيرين من أنواع الدخل وهما الدخل المدخر والدخل المستثمر فى المشاريع المربحة . وقال إن ثروة الشعوب لا تقدر بقيمة ما تملكه من مال مدخر بل بكمية الاستهلاك الفعال المستمر الناتج عن سياسة الاستثمار النافع الواسع النطاق

وحذر كينز الدول الرأسمالية الكبرى بأنها يجب أن تتبع النصائح التالية إذا شاءت لنفسها البقاء عزيزة سالمة

(١) يجب أن تسرع فى تنفيذ الأساليب المستحدثة على ضوء التطورات الاقتصادية والسياسية الجديدة وإلا فإن على النظام الرأسمالى السلام

(٢) إذا ظل الدخل قاصرا عن استهلاك المنتجات التى تنتجها الصناعة والزراعة وسائر ألوان النشاط الاقتصادى فإن عجلة الحياة الاقتصادية ستتوقف؛ فالدول الصناعية الكبرى بما لها من تفوق واستعداد فنى حديث ستظل تنتج إنتاجا هائلا قد لا يقوى استهلاكه الشعبى فى تلك الدول بسبب التفاوت بين مبلغ الدخل الفردى وبين كمية الإنتاج الهائلة وبسبب اكتفاء الناس بحاجات

٤ — الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هل بقى الميسر فى الإسلام

كان لأهل الجاهلية كثير من العادات والنظم الشنيعة التى جاء الإسلام من بعد ونص على تحريمها ، ونهى عن مزاولتها ومن ذلك وأد البنات وما كان فيه من شناعة قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . ومنها نكاح المقت ، وهو نكاح زوجة الأب . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومن ذلك شن الحروب فيما بينهم للسلب والنهب ، ومنها الميسر ، والاستقسام بالأزلام ، وشرب الخمر ، وكثير غيرها من عادات الجاهلية

وقد قضى الإسلام على معظم هذه المفاسد قضاء مبرما ، فلم نسمع بأن شيئا منها حدث فى الإسلام إلا ما كان من شرب الخمر ، فإن غلبتها لضعاف النفوس من المسلمين كانت غلبة متصلة الحلقات ، لم يسلم عصر ولم يسلم بلد ممن كان يشرب الخمر ويحد فيها ، ويلقى حزاء الشارب

ولكنا لم نسمع ولم نقرأ أن قوما من المسلمين اجتمعوا لمزاولة الميسر الجاهلى على نحو ما كان يصنع العرب قديما ، فلم تكد تظهر شمس الإسلام على ذلك الباطل حتى أزهقته وقضت عليه قضاء ، ومحت معالمه ، حتى تعذر على بعض الرواة القريبى العهد بالجاهلية أن يعرف حقيقته أو يظهر على كنهه ، وحتى وجدنا إماما كبيرا من أئمة العربية — وهو الأصمعى — يخطئ فى ذلك خطأ ظاهرا ، كما أسلفنا القول فى المقال الأول

وحرم الإسلام القمار — وهو ضروب شبيهة بالميسر الجاهلى كما قدمنا — ولكن القمار ظل إلى عصرنا هذا يقترفه الآثمون فى صور شتى ، ولعل أفشى صوره وأظهرها اليوم هو (لعب

معينة تجعل لاستهلاك الفرد حدا لا مزيد عليه . ولكى تتفادى الدول الصناعية الكبرى وقوف عجلة الحياه الاقتصادية فإن عليها أن تشجع سياسة الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة للفرد وللمؤسسات المالية والصناعية — فهذا الاستثمار سيزيد من الدخل الفردى والدخل القومى ويشجع بالتالى على زيادة الاستهلاك ويوفر لعجلة الحياة الاقتصادية (الصناعية والزراعية) أن تتابع سيرها فى أمن وسلامة

وللاستثمار أوجه عديدة : منها استثمار محلى نافع وخصوصا فى الدول التى لها إمكانيات واسعة فى الموارد الطبيعية والصناعية كأمريكا مثلا ، واستثمار فى المشاريع المربحة فى البلدان الخارجية (وجدير بالذكر أن الاقتصاد المنظم فى الدول الشيوعية والاشتراكية إلى حدما ؛ يفرض على عجلة الاقتصاد خطوط السير ويحاول أن يقيد الإنتاج الصناعى والزراعى بحيث يتعادل الإنتاج مع مقدرة الناس على الاستهلاك والشراء . وهذا التقييد يكون عادة على حساب حرية النشاط الاقتصادى ويأتى عن طريق مركزية حكومية صارمة تضع للنشاط الاقتصادى برامج لخمس أو لعشر سنوات أو لأكثر من ذلك أو أقل)

ولما كان النظام الاقتصادى الحر فى الولايات المتحدة الأمريكية ينفر من المركزية الحكومية فى التقييد والتوجيه الصارم ؛ لذلك ولما كان شبح أزمة ١٩٢٩ الاقتصاديه يتراءى للأمريكان من بعيد فى عالم مابعد الحرب المالية الأخيرة ، وجدت نظرية الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة أو الأموال الفائضة — التى جاء بها كينز — مكانا عزيزا فى تفكير الأمريكان حكومة وشعبا

وعلى ضوء هذه الحقائق يجدر بنا أن ننظر إلى « مشروع مارشال » وما استتبعه من خطوات أمريكية أخرى « كمشروع النقطة الرابعة » « ومشروع الضمان المتبادل » وبقية النواحى فى سياسة أمريكا الخارجية فى مجالها الاقتصادى والدبلوماسى والعسكرى — بما فيها الدفاع عن الشرق الأوسط

وقبل أن نستعرض ذلك دعنا نتعرف على أهمية العنصر الأيديولوجى على البادئ والعقائد والأسس العاطفية التى تكمن وراء فكرة الدفاع المشترك التى يبشر بها الأمريكان

نيويورك — للكلام بقية

عمر حليق

الورق) الذى صار إنما دوليا يلتقى عليه المصرى والأوربى والآسيوى والأمريكى فى يسر ، وصارت قوانينه عرفاً عاما بين المتقامرين على شتى أجناسهم وبلدانهم

الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام فهو طلب القسم ، أى ما يقسم للانسان ويقدر . والأزلام : جمع زلم ، بضم ففتح ، أو بالتحريك ، وهو القدح ، بكسر القاف ، أو السهم من سهام الاستقسام

والأزلام ذكرت فى كتاب الله مرتين :

أولاهما قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق [1] »

والأخرى قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [2] »

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأزلام ، هل هى أزلام الميسر وقداحه ، أم هى أزلام أخرى معينة ؟ والراجح المعتمد أن المراد بالأزلام فى الكتاب العزيز ضرب آخر من القداح يستعمل فى أغراض أخرى غير الميسر ، سنبسط القول فيما يلى . ويرجح ذلك :

١ — أنها ذكرت فى الآية الأولى بعد « النصب » فهناك علاقة بين هذه الأزلام وبين الأنصاب

٢ — وفى الآية الثانية ذكر الميسر ، ثم ذكرت الأنصاب ثم الأزلام ، ولو كانت الأزلام والاستقسام بها شيئا هو الميسر لما ذكرت فى الآية مرة ثانية ، أو لذكرت بعد الأزلام مباشرة على طريق الترادف أو نحوه

٣ — قال الأزهرى [3] : « وقد قال المؤرج وجماعة من أهل اللغة إن الأزلام قداح الميسر » . قال : « وهو وهم »

(١) الآية ٣ من سورة المائدة

(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة

(٣) اللسان (قسم)

٤ — وقال الفخر الرازى [4] : « قال المؤرج وكثير من أهل اللغة : الاستقسام هنا هو الميسر المنهى عنه ، والأزلام قداح الميسر . والقول الأول اختيار الجمهور » . يعنى بذلك طلب معرفة الخير والشر بوساطة ضرب القداح

٥ — ومما يؤيد أن المراد بالأزلام فى القرآن غير أزلام الميسر ما روى أبو الدرداء [5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » . فالاستقسام فى هذا الحديث مقرون بالتكهن والتطير . وهذا يدل على أنها أزلام الاستخبار والاحتكام لا أزلام الميسر

٦ — وجاء فى اللسان [6] رواية عن الأزهرى : « ومعنى قوله عز وجل : وأن تستقسموا بالأزلام ، أى تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم . ومما يبين ذلك : أن الأزلام التى كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر ما روى عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى ، وهو ابن أخى سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول :

جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون لنا فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما . قال : فبينا أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم فقام على رءوسنا فقال : يا سراقة ، إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل [7] لا أراها إلا محمدا وأصحابه . قال : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بغاة [8] . قال : ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت جاريتى أن تخرج لى فرسى وتحبسها من وراء أكمة ، ثم أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخفضت عالية الرمح وخططت برمحى فى الأرض حتى أتيت فرسى فركبتها ورفعتها

(٤) تفسيره (٣ : ٣٥٧)

(٥) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

(٦) مادة (قسم) .

(٧) أسودة : جمع سواد الشخص

(٨) يريد بذلك أن يصرفه عما هو بسبيله

تقرب بى [٩] حتى رأيت أسودتهما ، فلما دنوت منهم حيث أسمعهم الصوت عثرت بى فرسى ، فخررت عنها وأوهيت بيدى إلى كنانتى فأخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضيرهم أملا ؟ فخرج الذى أكره : أن لا أضيرهم . فعصيت الأزلام وركبت فرسى فرفعتها تقرب بى حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى وخررت عنها . قال : ففعلت ذلك ثلاث مرات إلى أن ساخت يدا فرسى فى الأرض »

قال الأزهرى : « فهذا الحديث يبين لك أن الأزلام قداح الأمر والنهى ، لا قداح الميسر »

الأزلام فى الشعر العربى

١ — وقد نطق الشعر الجاهلى بأزلام الاستقسام ، إذ يقول طرفة [١٠] :

ففعلنا ذلكم زمنا ثم دانى بيننا حكمه

أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواهما زلمه

عند أنصاب لها زفر فى صعيد جمة أدمه

دانى ، أى قارب . ويعنى بالحكم الغلاق بن شهاب السعدى ، أنفذه النعمان الأكبر ليصلح بين بكر وتغلب فأصلح بينهم محتكما فى ذلك إلى الأزلام . والزفر من العطايا : الكثيرة [١١] . يعنى بها ما يهدى إلى الأنصاب من قرابين . وعنى بالأدم جلود ما ينحر عندها من الإبل ونحوها

٢ — ونطق الشعر الإسلامى بذلك الاستقسام . قال الحطيئة [١٢] يمدح أبا موسى الأشعرى :

لم يزجر الطير أن مرت بسنحا ولا يفيض على قسم بأزلام

يريد أنه لا يتطير من السانح والبارح ، ولكنه يمضى متوكلا على الله عز وجل ، ولا يستقسم بالأزلام كما كانت تفعل الجاهلية

وقال آخر [١٣] :

هم المجيرون والمغبوط جارهم فى الجاهلية إذ يستأمر الزلم

٣ — ونلمح فى الشعر العباسى أيضا وميضا من الإشارة إلى الأزلام أو قداح الاستقسام فيما رواه أبو الفرج [١٤] من القصة التالية ، عن محمد وهيب الشاعر قال :

لما ولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على وأبا سعد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى يلقى بها الملوك فخرجت إلى الجبل ، فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى :

أجارتنا إن التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بإبساس

حريان ألا يقذيا بمذلة كريما وألا يحوجاه إلى الناس

أجارتنا إن (القداح) كواذب

وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

فأمر حاجبه بإضافتى . فأقمت بحضرته كلما وصلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرف الصيف ، فقال له : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فأنشدنى الثلاثة الأبيات ، فقد فهمت الشعر كله . فلما أنشدته :

أجارتنا إن (القداح) كواذب

وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

قال صدقت فلم يزل يستعيدنى هذا البيت وأنا أعيده عليه ، ثم قال عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا ، فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

---

(٩) التقريب : ضرب من العدو والجرى

(١٠) ديوان طرفة ١٨ طبع قازان

(١١) القاموس (زفر)

(١٢) اللسان (زلم) والبيت ساقط من ديوان الحطيئة ولكن شرحه مثبت فيه . وقال السكرى شارحه : «ويروى : «ولا يفاض لقسم بأزلام» والأول أجود »

(١٣) الميسر والقداح ٤٠

(١٤) الأغانى ١٧ : ١٤٢

تاريخنا العربى

دعوة إلى دراسته وإعادة كتابته من جديد

بمناسبة المؤتمر الثقافى للادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية المنعقد فى عمان

للأستاذ كامل السوافيرى

نشرت مجلة الرسالة الزاهرة فى العدد ٩٩٥ البيان الذى أذاعته الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عن سعيها لخلق جيل عربى يعتز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد ، وتحقق الإدارة من أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التى تحقق هذه الأهداف، ودعوتها إلى تأليف لجنة من الخبراء فى التاريخ لوضع قواعد عامة ، يسترشد بها فى تأليف كتب التاريخ المدرسية فى البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة فى هذه المادة فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى

واتجاه الإدارة الثقافية هذا الاتجاه القومى أمر محمود الأثر جليل الخطر ، إن يكن لنا اعتراض عليه فهو تأخره حتى اليوم .

وإننا إذ نتمنى للادارة الثقافية ، وللجنة الخبراء فى التاريخ المنبثقة عن الإدارة التوفيق فى مهمتها ، نرجو ألا يقتصر الأمر على بحث توحيد المناهج التاريخية فى الأقطار العربية ؛ بل يتجاوز ذلك إلى النظرة الفاحصة والدراسة الشاملة الدقيقة للكتب التاريخية المنبثة فى المكتبة العربية

ولست أعدو الواقع إذا قلت إن تاريخ العرب لم يجد منهم العناية اللائقة به ، والدراسة المنظمة لأحداثه ووقائعه ، وتنقيته من الرواسب التى علقت به منذ عصر تدوين العلوم . والتبعة فى هذا واقعة على كواهل أعلام الفكر وأقطاب البيان فى الأمة العربية

ولسنا نريد أن نرجع إلى الوراء لنغوص فى أعماق الماضى البعيد ونوضح الخلط الذى وقع فيه المؤرخون حين تحدثوا عن العرب فى الجاهلية وما وقعوا فيه عند الحديث عن هذه الفترة من أخطاء ؛ ولكنا نقصر كلمتنا على التاريخ العربى بعد أن بزغ الإسلام على الجزيرة العربية وأرسل نوره الوهاج إلى آفاق المعمورة فبدد ظلامها ، وأضاء جوانبها . مستعرضين المراحل التى مر بها تدوين ذلك العلم وما وجه إلى طرق تدوينه وجمع أخباره من نقد وما أبدى عليه من ملاحظات . لقد مر تدوين التاريخ بعد الإسلام أو على وجه التحديد فى أوائل العصر العباسى الأول بمرحلتين : الأولى تدوين الأحداث حسب الترتيب الزمنى الذى لها ، وربطها بالسنين وروايتها بطريقة السلسلة ؛ وممن سار على هذه الطريقة المؤرخ المشهور ابن جرير الطبرى . حاكاه فيها خلفه العظيم ابن الأثير بعد أن أسقط سلاسل الرواة . ومن قبلهما ابن إسحق والواقدى.. الأول فى السيرة والثانى فى الفتوح . والمرحلة الثانية هى التدوين على غرار الأسر أو الدول والأشخاص كتاريخ الخليفة عمر بن الخطاب أو الدولة الأموية أو الطولونية حيث يترجم المؤرخ للخليفة أو الحاكم ويستعرض ما حدث فى عهده من الأحداث ، وقد يتطرف إلى ذكر بند عن حالة البلاد المجاورة فى ذلك العهد . ومن الذين ساروا على هذه الطريقة كل المؤرخين الذين كتبوا عن الأمم والأشخاص والبلدان كابن طيفور صاحب تاريخ بغداد ويوسف ابن الداية والكندى والعتبى وغيرهم .

وفى هاتين المرحلتين لوحظ على تدوين التاريخ أن الأخبار كانت تروى فى المرحلة الأولى على علاتها دون بحث أو تمحيص . وفى الثانية يسقط منها ما لا يرضى الأسرة الحاكمة أو الدولة أو الخليفة . ولوحظ أيضا أن التدوين فى المرحلتين لم يعد النواحى السياسية والحوادث التاريخية المرتبطة بحروب الخليفة مع غيره أو المتعلقة بشخصه ؛ حتى ليكاد القارئ يظن أن تاريخ الأمة العربية كان جملته حياة ولاة وخلفاء ، ووحدة منازعات ومخاصمات، لا تاريخ أمة ولا حضارة شعب . ويبدو ذلك جليا فى استعراض المؤرخين للأحداث السياسية الجارية فى أزمانهم وإبرازهم ما يتصل منها بالقادة والخلفاء ، وإهمالهم النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للشعب . ومما لا ريب فيه أن التاريخ ليس هو الجانب السياسى

المحض للأمة ، ولكنه الوحدة القائمة على تفاعل الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وقد ظل هذا التشويش يسود تدوين التاريخ إلى أن ظهر الفيلسوف الاجتماعى المؤرخ العلامة ابن خلدون فى القرن الثامن وألف مقدمته فألقى أضواء متألقة على تدوين التاريخ ، ولم يفته أن يطلع على المراجع التاريخية التى ألفت فى العهود السابقة لعهده وما نقله المؤرخون من الأخبار التى لا سند لها من الحقيقة فهاجمهم وأنكر عليهم تخبطهم ورسم لهم الطريقة المثلى وأبرز المطاعن المأخوذة على بعضهم إذ قال : وإن كان فى كتب المسعودى والواقدى من المطعن والمغمز وهو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة والثقات (١)

وكان أهم ما أخذه ابن خلدون على المؤرخين القدامى اعتمادهم فى الأخبار على مجرد النقل دون تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران ومبادئ الاجتماع .

إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الإنسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط (٢) ومع أننا لا نوافق ابن خلدون فى كل ما جاء فى مقدمته وخصوصاً فى تحامله على العرب نرى أن طريقته فى تدوين التاريخ كما جاءت فى المقدمة هى الطريقة العلمية . ويغلب على ظننا أنه كتبها بعد أن انتهى من تأليف كتابه لأنه لم يجر على المنهج الذى رسمه لنفسه فيها .

ولا نريد أن نضرب الأمثال على تخبط المؤرخين القدامى فى الحوادث فقد سرد ابن خلدون عدداً منها وناقشها مناقشة علمية ، ولكنا نورد حادثين على سبيل التمثيل لا الحصر يؤيدان ما ذهبنا إليه ؛ هما : فتك المنصور بأبى مسلم الخرسانى وتنكيل الرشيد بالبرامكة وفيهما يتضح التخبط فى تعدد الأسباب واختلاف الآراء .

وهناك ناحية أخرى لها أهميتها البالغة وهى الشعوبية المدمرة التى أطلت برأسها فى العصر الأموى ثم استعمل خطرها فى العصر العباسى فلم تترك خليفة من الخلفاء العرب أو قائداً من عظام قوادهم إلا حاولت أن تغض من قدره وتحط من شأنه باختلاق الأكاذيب وابتداع الأقاويل التى لا ظل لها من الحقيقة . لذلك أرى أن تمتد رسالة اللجنة المؤلفة لتوحيد مناهج التاريخ إلى النظرة الفاحصة فى تاريخ الأمة العربية والعمل على إعادة كتابته من جديد . ولا بأس من أن تمهل اللجنة حتى تفرغ من مهمة توحيد مناهج التاريخ المدرسية

وعلى الإدارة الثقافية وأعلام الفكر فى دنيا العروبة أن يوجهوا عنايتهم إلى التراث العربى المجيد المبعثر فى شتى المراجع ومختلف المصادر تختلط فيه الحقائق بالأساطير ، ويختلف ، فيه مؤرخو العرب مع مؤرخى الأفرنج ، ويوجه إليه المستشرقون غمزات النقد والتجريح ، فينقوه من الشوائب ويصفوه من الرواسب ويخرجوه إخراجا جديداً فى إطار جميل تبرز فيه جوانب العظمة وأمجاد الماضى ومناهل العلم وألوان الحضارة مع توجيه النظر إلى المآثر الغر والأيام الخالدة فى تاريخ العرب والإسلام التى تهز المشاعر وتحرك العواطف ، ليقف العربى والمسلم على مجد أمته حين اتسعت رقعتها وترامت أطرافها فضمت معظم أجزاء آسيا وإفريقيا وجزر بحر الروم ثم وثبت على أوربا فأنشأت حضارة فى الأندلس استضاءت بنورها دول أوربا وظلت تدرس فى جامعات الغرب حتى عصور متأخرة . ويبقى بعد ذلك أن نقرر أننا لا نريد أن يفهم القراء من دعوتنا هذه مفاخرة العرب لغيرهم من الأمم بالماضى أو الاعتزاز بعظام نخرة وقبور دارسة ؛ بل نهدف إلى أن يطلع الشباب العربى والإسلامى على الماضى ليربط العرب والمسلمون بين ماضيهم وحاضرهم فيستلهموا من الماضى العزة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤ طبع بيروت

(٢) ص ٨ نفس المصدر

هل كان النبي يعلم الغيب ؟

للأستاذ أحمد محمد جمال

هل كان النبي محمد عليه السلام يعلم « الغيب » كليا ، ومطلقا ، ودائما ؟

أما أنا : فأقول : لا . وإنما كان يعلم « الغيب » بإيحاء الله له — متى شاء — فى أزمنة ، وأمكنة ، وقضايا محدودة غير مطلقة . وليس الحجاب مكشوفا له دائما ، بحيث يرى « غيب » ملكوت السموات والأرض ، ويعلم كل ما حدث أمس ، وكل مايحدث بعده . . وإن لم يرهما

ولكن الأستاذ ناصر سعد — من العراق — كتب فى مجلة الرسالة الغراء (العدد — ٩٩٨) مقالا يجزم فيه بقوله : « إن النبي — ولاشك — كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ، ويعرف حقائق أسرار الكون . . . ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم ، بعد أن أقر علم النفس الحديث قراءة الأفكار وإحضار الأرواح ومحادثتها » الخ .

وذهب الكاتب الفاضل يضرب الأمثال على مازعم فذكر :

(١) إخبار النبي عليه السلام لعمار بن ياسر « إنما تقتلك الفئة الباغية »

(٢) تحديثه بأشقى رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه

(٣) تحديثه عمير بن وهب بما جاء من أجله إلى المدينة ، وهو ما تآمر عليه هو وصفوان بن أمية ، فى الحجر باليمامة ، من اغتياله عليه السلام

(٤) إخباره لعمه العباس يوم أسر فى واقعة بدر ، بما خبأه عند أم الفضل بمكة من مال

(٥) ماحدث به سلمان الفارسى أثناء حفر الخندق ، عندما لمعت برقات ثلاث تحت معوله — عليه السلام — الذى كان يضرب به صخرة اعترضت الخندق ، فقال عن الأولى إنها بشارة فتح اليمن ، والثانية فتح الشام والمغرب ، والثالثة فتح المشرق . . وقد صحت هذه البشريات ، فتمت هذه الفتوح

(٦) حديثه عن العاصفة التى هبت فى طريقه إلى غزوة بنى المصطلق ، بأنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا رفاعة بن زيد اليهودى قد هلك فى ذلك اليوم . .

(٧) قصة حاطب بن أبى بلتعة ، وعلم النبي بالمرأة التى حملها حاطب رسالة إلى مشركى قريش ينبئهم فيها بتقدم النبي إليهم

(٨) إخباره لوفد أهل جرش — باليمن — بما أصاب قومهم من تقتيل صرد بن عبد الله لهم

إلى غير ذلك من حوادث — ذكرها الكاتب أم لم يذكرها — مما اتخذها أدلة على علم النبي « بالغيب » ، وهى — إن كثرت أوقلت — لاتغنى فى تقوية مازعم ، ولا تكفى لتصحيح ما ادعاه

وأول ما نريد نقضه من قواعد زعمه ما زين له من الاحتجاج بما أقره علم النفس الحديث من « قراءة الأفكار » و « إحضار الأرواح ومحادثتها »

فليس ما كان يوحى إلى النبي عليه السلام من « غيوب » محدودة معدودة من قبيل قراءة الأفكار ، وإحضار الأرواح . وإلا فاالفرق بينه وبين الناس العاديين الذين يحترفون هذين العلمين أو الوهمين — على الصحيح — ؟

إن الحجة يجب أن تكون من جنس المحتج عليه . وعلم النبي ببعض « الغيوب » كان وحياً إلهيا ، لا أكثر ولا أقل —

والبطولة ويعلموا أنهم ليسوا أقل شأناً من أعظم الأمم المعاصرة ، ومثل هذا الشعور إذا نفذ إلى مسارب النفس ملأها ثقة وطمأنينة ، وحفزها للوثوب والنهوض ، ولدى الأمة العربية اليوم من الوسائل ما يمكنها من أن تنهض بحاضرها على ضوء ماضيها المجيد

كامل السوافيري

وهذان العلمان أو الوهمان ليسا كذلك بلا مراء . ثم إن علم النبي ببعض « الغيوب » لا يصححه لدينا أو يصوبه ويؤكده لنا شئ من هذه التجارب والمعارف الحديثة ؛ وإنما نؤمن به ، كما نؤمن بالقرآن الذي يذكر لنا أن محمداً عليه السلام أوتى معجزات عديدة، كما أوتى النبيون من قبله معجزات أيضاً . ولا زيد

وعلمه — عليه السلام — ببعض الغيوب ، من بعض هذه المعجزات

وهذا « القرآن » الذي نؤمن به ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونؤمن بما ذكره عن معجزات الأنبياء جميعا — يذكر فى آيات صريحة فصيحة مكررة مؤكدة : أن النبي عليه السلام كان لا يعلم الغيب كليا ، ومطلقا ، ودائما

— « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » من سورة النمل

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . . » من سورة الأعراف

— « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم . . » من سورة الأحقاف

— « قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ، ولاأعلم الغيب..» من سورة الأنعام

أجل لو كان النبي عليه السلام يعلم الغيب كله ، لاستكثر من الخير ، ولما مسه سوء أعدائه ومكائدهم ، ولاتخذ من كل أذى حمى ، وحسب لكل هزيمة فى المعارك التى هزم فيها المسلمون حساباً ، ولما أسف على كفر من كفر ، وما حزن على مسارعة من يسارع إلى الكفر ، أوعلى قول من يقولون له لست مرسلا.. أو من يطلبون منه مطالب الإعجاز والإعنات ، لأن من يعلم ما سيحدث له لا يبالى به إذا حدث ، لأن نفسه قد استقرت على تلقيه واستقباله . .

ولكن النبي — كما يذكر القرآن فى عدة مواضع — كان يأسف وكان يحاول أن يبخع نفسه، وكان يضيق صدره، بما يفاجأ به من أحداث

وبعد فما كان همى أن أقرر ما قررت من عدم علم النبي بالغيب مطلقا ، فى ردى على من زعم هذا العلم . فذلك واضح فى القرآن والسنة ، ولكن همى أن أفرق بين علم النبي ببعض الغيوب ، وبين قراءة الأفكار وإحضار الأرواح وغيرها من تجارب العصر الحديث ، التى لم تصل بعد إلى درجة اليقين ، أو التى لا تعد علما بالغيب — بالمعنى الصحيح — وإنما تعتبر من قبيل التفهم والتفرس واشتداد قوتهما عند بعض الأذكياء من الناس

وهمى كذلك ألا يتخذ بعض المحترفين ما زعمه الكاتب حجة لهم فيما يحترفون من قراءة أفكار ، وإحضار أرواح . .

وشتان بين معجزات الأنبياء ، وترهات الأدعياء

مكة المكرمة **أحمد محمد جمال**

خاطرة

نداء الفلاح ...

للاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

يا صباح النور !

أشرقت على طلعتك ، وكنت غريقا فى ظلام الحيرة ! تائها فى متاهات الظلم ! يا صباح النور !

فى مشرقك إشراق الأمل بقلبى ؛ فقد عشت طويلا أرى أشباحا تجمع الغيم على عينى ، وتحول بين وضاءتك وبينى !

يا صباح الخير !

كنت مخفقا فى حياتى ، ولـكنك خفقت بأضوائك نخفق فؤادى لسنا سنائك ! فيك — يا صباح الخير — نور الحياة ، وشرف المبدإ !

كانت الحبات تساقط على جبينى ؛ فتلمع فى وهج الشمس ؛ ثم تروى أرضى الطيبة وتخرج اللؤلؤ الذى أرقبه من بعد ، لأعد حبات الحصى !

***

يا صباح النور !

طال ليلى ، وزاد ويلى ، واستحب استعبادى حتى ذهب رشادى !

أخرس اللسان بعد أن أسكتته الحاجة ، وذل الجنان بعد أن أخضعته الشراهة ، وانحنى الرأس على الفـأس لـكن بقيت الـكرامة !

يا صباح النور !

زعم السادة خلود السيادة ؛ فورمت أنوفهم ، وانتفخت أوداجهم ، وطغت أهواؤهم ، حتى جئت بالأمر الجلل الذى جدع الأنوف ، وقدمت الوعيد الذى قطع الوريد ، وأرهبت الشيطان فتناثرت الأهواء !

يا صباح النور !

كنت أجمع الخير من حقلى لأطعم إخوتى الذين يرقبون نتاجى ، لـكن تأبى خليقة الجشع إلا أن تضن أو تمن ، والأرض الطيبة ضاحكة ساخرة !

يا صباح النور !

كنت أتطلع إلى مطلع الشمس ! وأرى أشعتها تبا كرنى بالتحية ؛ فأخفض الجناح ، لأن الخالق قد أودع فيها سر النماء

وكنت أتسمع إلى زقاء الديك الذى يردد تسابيحه فى مشرق اليوم الجديد فأسبح القادر الذى أودع هذا المخلوق تلك القـدرة الفائقة !

***

يا صباح النور !

لقد تطلعت فى مولدك إلى بهاء الحياة بعد أن رسمت فى الأفق أشعة الحرية ، والعدل ، والمساواة !

وصحوت على زأرة الأسد التى أرهبت الذئاب ، فذهبت على ظهور الملق والخداع والرياء ، لتظهر العطف على الحملان !

يا صباح النور !

لم تعد سحب تغطى هذه الأشعة الوضيئة ؛ فأنر القـلوب لتزول عتمتها وتذهب أحقادها ، وتتألف وحدتها !

***

يا صباح النور !

عشت قانعا فلن أخرج عن قناعتى ، بل أعطى لذى الحق حقه ، غير أنى لا أخفض رأسى لغير فأسى !

يا صباح النور !

أنت أمل مترقب ، بعد يأس مخضع ، فأشرق على الوادى ليرى فيك سر السعادة ، وجمال الحياة !

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٧ —

اعتبر المزاح فى الشعر أول دليـل من دلائل عـذوبته ولطفه وخفته. والذى يعوزه هذا، ولو كان يمتلك جميع المواهب الأخرى، يمتلك نصف ذهن لأن نظره لا يفارق الأشياء العلوية ليرى الأشياء الدنيوية المحيطة له. وينفرد شلر من بين جميع الشعراء العباقرة بمثل هذا القصور. لأنك لن تجد فى كل كتاباته دليلا واحداً على هذه الروح ولا حتى محاولة فى هذا الاتجاه. لأن طبيعته نفسها خالية من ذلك. وكانت مشاعره جـدية لدرجة لا تسمح لنفسها باتخاذ أى أسـلوب فيه أى نوع من المرح أو المزاح. وهـكذا لا يمكن الـكشف عن أى نوع من الهزل أو الـكاريكاتور أو السخرية. هذه الأشياء التى هى جوهر المزاح — فى أى شئ كتبه شلر. فمؤلفاته مفعمة بالجد المـكدود ولذا يعتبر أرصن كاتب. ولـكننا مع ذلك نجد فى بعض بحوثه النقدية وخصوصاً كتابه (الرسائل الجمالية) ما يدعى (بالنازع الرياضى) وهو يعتبر أعلى هدف فى ثقافة الإنسان. وهذا يدل دلالة بينة على أنه عرف معنى الهزل وأهميته بالنسبة إلى فكره، ولو أن ذلك كان غريباً عنه وبعيداً منه ... ومع ذلك فهو لم يدرك هذه الذروة التى رآها بكل هذا الوضوح والجلاء. فالروح الرياضية ظلت معه مجرد نظرية إلى الأخير. وباستثناء كتابه (ولنشتاين لارغر) — الذى يظهر فيه الهزل باهتاً ضحلا — فإن محاولاته فى هـذا الخصوص — على قلتها — كانت ثقيلة جامدة. وميزاته فى كل شئ كتبه لا تعدو الشدة الصارمة والنبرة الحماسـية الجدية، والفخامة البعيدة عن الرشاقة، بينما نرى الخفة والروح الرياضية معدومة فيه تماماً. لقد كانت عنده فطنة ولـكن هذه الفطنة لم تكن أهم مواهبه. وربما يرجع ذلك إلى إخلاصه واستقامته فى استخدام فطنته، وانصبابه على تبين العلائق العميقة بين الأشياء بدلا من ملاحظة تصادماتها الوقتية. زد على ذلك أنه كان يقصد (الإثبات) لا (النفى) — أى أنه كان يعتبر ما هو موجود أنه أحسن ما هو موجود — وفى النفى وحده يظهر عامل الفطنة الهازلة. لقد وضعنا هذه الملاحظات للاشارة إلى حدود عظمة شلر والفرع الذى اختص به. وهذا لا يعنى نكران حقيقة هذه العظمة. أما شعوره بالحقيقة تأملا وعملا وإدراكه البهيج العميق للطبيعة والانسجام الحى الذى بواسطته يتمكن من تصوير ما هو جليل وعظيم فى الطبيعة، فأمور يعرفها كل من قرأ كتبه، وعليـه فليس من حاجة لتذكيرهم بها. وهو يعد فى طليعة الشعراء الذين كتبوا فى البطولات التراجيدية الشجية، إذا لم يكن أعظمهم إطلاقاً. وهناك أمام دارسى شلر الثابرين جهاد شـاق قبل التعرف على آرائه، لأن الـكنوز الخفية من الفكر والشعور لم تزل مغطاة بغطاء النسيان. وهناك نغمة فى بعض كتبه الأخيرة فيها لحن العوالم العليا مجسداً فى الفن. وعليه فليست النواقص الطبيعية والعرضية التى عرضناها فى عبقريته، بمانعة من اعتباره من أعاظم الشعراء، وهـذا ليس غريباً فى شئ لأن كثيراً من الشعراء العظام كانت لديهم هذه الهنات. ولنضرب لذلك مثلا، ملتون، فهو يقاسمه فى كثير من معايبه، لأنه كان يركن إلى الجزالة فى اللفظ والفخامـة فى الأداء، ويتطلع إلى الأعلى وإلى كل شئ جدى، أما ما يخص شؤون الحيـاة الأرضية فتراه قاصراً فى فهمها وإدراكهـا. وهو كذلك ليس لديه من المزاح إلا القليل. وأسـلوبه خشن فى الهجاء مع توكيد على السخرية والتهكم وابتعاد من المرح والروح الرياضية اللعوب. أما من الناحية الإيجابية فهناك تشابه أكبر بين هاتين الشخصيتين، ولو أن شلر عاش فى ظروف أخرى، ولم يمتلك تلك القوة الروحية العنيفة ولا تلك القابلية الضخمة، ولـكنه كان يشبه ملتون فى شدته وتركيزه على ما هو سـام فى الطبيعة والفن. وقد عشق — كل على طريقته الخاصة — ذلك السناء السماوى — وعبده عبادة قلبية صادقة. ولـكن طبيعة شلر يعوزها الانسجام الفنى الذى امتاز به ملتون. وقد عرف ملتون بعقمه وعذوبة موسيقاه المترابطة. ومع ذلك، فعند شـلر شئ من القوة النقية المتفجرة

والنغمات العذبة التي تشبه في جلالها وعمقها وفخامتها نغمات ملتون الخالدة

امتاز شلر في العالم كمؤلف دراماتيكي ، وغالبا ما نشعر بأن القدر وليس الميل الطبيعي هو الذي قاده في هذا الاتجاه ، لأن موهبته كانت غنائية (lyrical) أو بطولية (Epical) أكثر مما كانت دراماتيكية . لقد عاش منطويا على نفسه ، وهذا ما جعل عمله في تصوير العالم الخارجي أمراً صعباً . لا بل إن كثيراً من شعره — كما أشرنا من قبل — هو خطابي أكثر مما هو شعري . ومع ذلك ، فالنار النقية الوهاجة ظلت مستعرة في أعماق روحه ، هـذه النار التي لا تجد متنفساً إلا في الشعر . أما بقية سجيته فكانت أميل إلى الصرامة العادية ، مما جعل تطور قابليته الشعرية أمراً في غاية الصعوبة والإجهاد . فهذا العنصر المسيطر النقي لم يكن يتطور التطور المطلوب ، لأنه كان كالنهر البطيء الجريان في وسط صخور نائئة كبيرة . لقد تكلمنا كثيراً عن حمية شلر غير المجزأة في التثقيف الذاتي وفي التقـدم الذي انجزه بالرغم من الصعوبات التي تخطاها . يتجلى لنا ذلك بكل وضوح إذا نحن قارنا بين مؤلفاته المبكرة والمتأخرة . وبهذه الواسطة سنقدم لقرائنا الذين لم يتعرفوا على شلر فكرة واضحة عن شخصيته الشعرية ، لأن الوصف وحده غـير مجد في ذلك . دعنا نأخذ (اللصوص) لأنها أول إنتاجه ، هذا الإنتاج الذي يدعوه شلر (بالعملاق الذي ولد في التزاوج غـير الطبيعي بين العبقرية والعبودية) ؛ ولا شك أن النار المتأججة في هـذه القطعة حتى في الفقرات المنفصلة . وللمنظر الآتي معجبون حتى في ترجمتنا الإنجليزية العادية المائعة وهي المنظر الثاني في الفصل الثالث

« اللصوص »

منظر ريف على الدانوب

اللصوص مجتمعون في المرتفع تحت الأشجار الوارفة ؛ الخيل ترعى في سفح التل

مور : لا أقدر على السير أكثر (يرمي بنفسه على الأرض) . إن أطرافي تؤلمني وكأنها سحقت سـحقاً . إن لساني لا فح من العطش (يتسلل شفارز خلسة) . أرجو أن تجلبوا لي قليلا من الماء من الساقية ؛ ولـكنكم متعبون حتى الموت .

شفارز : وكذلك الخمر موجودة في الأدنان

مور : أنظر ما أجمل موسم القطاف ! إن الأشجار تتكسر تحت أثقالها التي تنوء بها . والأمل في الكروم كبير

كرم : إن السنة سنة خير

مور : أتظن ذلك ؟ وإذن فمتاعب الإنسان في هـذا العالم ستجازى . ومع ذلك فقد تدهمنا عاصفة برد فتدمر كل شيء

شفارز : هذا محتمل تماماً . قد يدمر كل ذلك قبل الحصاد بساعتين

مور : وهكذا أقول أنا . سيتدمر كل شيء . لماذا ينجح الإنسان . فيما يتعلمه من النملة ، بينما هو يفشل فيما يجعله شبيهاً بالآلهة ؟ أهذا الهدف الحق من مصيره ؟

شفارز : أنا لا أعلم ذلك

مور : لقد قلت حسناً ، وأجدت عملا ، إذ أنك لم تحاول أن تعرف ذلك ! — أخي — لقد نظرت إلى النـاس وإلى مخاوفهم التافهة ومشاريعهم العظيمة وخططهم الآلهية ومشاغلهم الوضيعة ومسابقاتهم المدهشة لإدراك السعادة ؛ فمنهم من يعتمد على عدو حصانه ، ومنهم من يعتمد على دابته ، ومنهم من يعتمد على قدميه ، وفلك الحظ دائر بسرعة جنونية ، ومثل هـذا الفلك يقرر مصير كثير منهم . وكل يسعى لا هثاً للحصول على الجائزة ، ولـكن البطاقات كلهـا فاشلة . إنها ، يا أخي ، مأساة تستنزل الدمع الدامي ولو أنها تستثير الضحك

شفارز : أن غروب الشمس رائع جدا

مور : (متوارياً عن الأنظار) وهكذا يموت البطل ليعبد

كرم : يظهر إن هذا أثارك

مور : عندما كنت صبيا ، كانت فكرتي الحبيبة أن أعيش كذلك وأموت كذلك (بألم دفين) لقد كانت فكرة صبي وحسب

كرم : آمل أن يكون ذلك حقا !

مور (ينزل قبعته على وجهه) يوم كنا ولا تسل كيف كنا ، دعوني . وحيدا ، أيها الرفاق

شفارز : مور ! مور ! ماذا ؟ باالشيطان ! كيف تغير لونه !

كرم : ها ! ماذا يؤلمه ؟ أهو مريض ؟

مور : مرت أيام لم أكن أستطيع أن أنام فيها إذا أنا نسيت صلاة المساء ...

كرم : هل أنت مجنون ؟ هل تترك مثل هذه التخيلات والوساوس لتهذبك من جديد ! ؟

مور : (يضع رأسه على صدر كرم) أخى ! أخى !

كرم : تعال ! لا تكن طفلا ، أستعطفك بالله ...

مور : آه لو كنت طفلا ! آه لو كنت وحيداً !

كرم : بوه ! بوه !

شفارز : مرحى . تطلع إلى المنظر البديع والمساء الجميل

مور : نعم أيها الأصدقاء ، إن هذا العالم بديع حقا

شفارز : نعم ، هذا حق

مور : إن هذه الأرض رائعة

كرم : حقا ، حقا ، وهو كذلك

مور : (مستلقياً على ظهره) ولكنى بشع الخلقة فى هذا العالم الجميل وغريب الشكل فى هذه الأرض الرائعة

كرم : دعنا من ذلك

مور : سذاجتى ! سذاجتى ! أنظر ، إلى الأشياء كيف تضحى تحت أشعة الربيع الهادئة : لم يجب على أن أتنشق عذاب الجحيم من مسارب مسرات الحياة ؟ والناس كلهم مسرورين تربطهم رابطة السلام ؛ والعالم عائلة واحدة ترعاها عين الأب الحدب فى الأعالى ، ولكنه ليس أبى ! وأنا وحدى طريد شريد ، وبعيد عن مجتمع الأخيار ، ليس لى ولد يلغ باسمى ، وليس لى أمل فى نظرة واهنة . ممن أحب ، ولا رجاء فى عناق صديق حميم . أنا محاط بالقتلة ، والأفاعى تفح حولى ، أنا مندفع إلى خليج الفناء على تيار الإثم المتدفق

شفارز : (إلى الآخرين) ما هذا ؟ لم أره هكذا قبلا أبدا

مور : (بحزن مثير) آه ، لو كان فى إمكانى الرجوع إلى بطن أمى ! — آه ، لو ولدت متسولا ! كلا ! أيتها السماء أنا لا أجرؤ أن أصلى كى أكون واحدا من العمال حتى أعمل طول نهارى . أعمل حتى يتفطر صدغى دما ، لأشترى لنفسى راحة نوم ظهيرة واحدة . وعزاء دمعة واحدة

كرم : (إلى الآخرين) صبرا لحظة واحدة ، لأن النوبة عابرة

مور : لقد فات الزمان الذى كنت أتمكن من البكاء فيه . آه على أيام السلام ، يا قلعة والدى ، أيتها الوديان الخضراء ! واها على مناظر طفولتى ! ألا تعودين إلى مرة أخرى بتأوهاتك المسكرة العاطرة لتهدئ روع قلبى المستعر . اندبى معى أيتها الطبيعة . إن هذه الأيام لن تعود مطلقا لتطفئ النار المشتعلة فى صدرى . إنها ذهبت ! ذهبت ! ولن ترجع

« أو خذ مثلا مناجاة مور فى موضوع الانتحار ، فى غابة فى منتصف الليل بين اللصوص الراقدين »

(يترك القيثارة جانبا ، ويسير صعودا ونزولا فى تفكير عميق)

(للكلام صلة) **يوسف عبد المسيح ثروت**

سليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

تتمة

ليس بإمكان النفس المطمئنة أن تستريح والزمن يمضى سريعا ، والجديدان كل يوم فى شان ، فما بالك بالشاب العربى الجريح ، الذى ينتظر بحماس نافد الصبر يوماً يمسح بعزته ذلة كلومه فلا تزيده الأيام إلا كلوما . . . والذى يترقب ، فارغ الصبر نشيد الحرية والنجاة فلا يسمع إلا نشيد الوهن والخيبة والهزيمة . . . ويل لهذا التعس المفؤود . . . إذا هو أغمض عينيه هزمت عنهما الرقاد ذكريات المآسى ، وإن هو منحهما فلا يلمح فيهما إلا ما يحز قلبه وينكأ جراحه

أين ألقيت ناظرى نملى نصل مميت يحتل صدر بلادى

* * *

وطن الضاد . . ياشهيد الأفاعى كل يوم جريمة واعتداء . .

ويل لهذا الشاعر المسكين . . ما الذى بمقدوره أن يفعله لهذا الوطن المسكين ...

ما الذى يستطيع إنقاذه منـ ـك قصيد ودمعة خرساء ؟

إنه لا يملك إلا نفسه وإلا هذه الأمانى . . فلتهب رفافة ندية تروى هذا القفر تارة ، ولتعصف ملتهبة منتقمة تارة أخرى . .

أ إذا ذبت كالندى لأروى كل شبر من قفرنا الظمآن ؟
أ إذا ما أفنيت فى ميعة العمر انتفاضاً على الأذى ، والهوان ؟
أ إذا ما أحرقت روحى لأهدى بسناها مسالك الأظعان ؟
هل يعود الربيع والطير ياروض هنيء ، وتغدو الحياة ملء الجنان؟

* * *

ليتنى كنت فى يمين الليالى خنجراً . . ما لشفرتيه ارتواء !
ليتنى فى صميم كل فؤاد أضمر الغدر . . طعنة نجلاء !

* * *

ولكنها لا تزال أمنيات ... على أنها لو عاشت فى خيال

شاعر غير عربى لحققها له زعماؤه ، فلنسأل زعماء العرب ، وهذا نصف قرن يصولون فيه ويجولون . . لنسألهم هل استطاعوا أن يحققوها ؟ أم فرطوا فيها وساعدوا على فقدانها ؟ وويل لأكثرهم من سخرية التاريخ ! وويل لهم من حساب هذه الأمة إذا انفجر بركانها . . آه يافلسطين

أوليت أمرك خادعين يمزقونك كيف شاؤوا . .
هم داؤك الفتاك لا البؤس الملح .. ولا الشقاء . .
بدمارك افترشوا النعيم وماج حولهم الثراء . .
بدم الجياع . . ودمعهم شيدت قصورهم الوضاء..
مهلا . . سينهتك الستار إذا تكلمت الدماء . .

* * *

ماذا ؟ أترتقبين خيراً من « جنانك » أو فلاحا !
يكفيك إغضاء على البلوى . . ويكفينا جراحا . .
عرفوا القيادة «منصباً» يعلى ..وتضليلا صراحا . .
وتجارة يتقاسمون بها دم الشعب المباحا . .
فى صدرهم . . يا أمتى — إن تشهرى يوماً سلاحا

* * *

قالوا : فلسطين فقلنا : دونها وخز القتاد . .
شرف العروبة لن يكون على الأذى سلس القياد
أسمعت أبواق « العبيد » تصم آذان الجهاد ؟
وتهز بالخطب الشداد دعائم السبع الشداد ؟
وتصيح ناذرة دماها للمعارك والجلاد
أين الجهاد ؟ وأين أبواق البطولة . . يابلادى. .
لفظت فلسطين الحياة « ومجرموك » على الحياد
أو لم يزالوا «يلتقون» على الخيانة والفساد ؟ . .
أعلمت أين ممزقوك ومسلموك لكل عادى ؟

* * *

أجل ... هؤلاء الزعماء هم الذين مزقوا البلاد ، وأضاعوا فلسطين .. كما أضاعوا من قبلها لواء « الإسكندرونة » وإذا لم يزاحوا فستصبح البلاد العربية و «فى كل زاوية فلسطين مدنسة التراب » وإذا لم يحاسبوا

فـ : خل اللواء فإنهم لن يخجلوا أن يجعلوا كل البلاد لواء

يا لهذا المسكين ... ويا لرفاقه الشبان المساكين ... ويا لهذه البلاد المسكينة ... أفلا تكفيها مخالب الغاشم المستعمر ليتعاون الزعماء على تمزيقها ؟ مهلا أمتى مهلا .. فالنهاية لن تطول

ضمدى أمتى جراحك وامضى لك يوما ... مع (الجناة) لقاء
سيوافيك من خلال المنايا والأعاصير ... فجرك الوضاء ..

***

ويا وطنى :

قل « لصهيون » : دون أحلامك السو داء عض الشجا ، ولسع القتاد
لم تهن – مثلما ظننت – على الصياد يوما فريسة « الصياد »
لا يغرنك الهدوء على الغا ب وتطمعك هجعة الآساد
يعلم الناهلون من دمنا المهـ دور أن الثارات بالمرصاد

***

ويا شباب العرب :

قولوا « لسيدة البحا ر» الموج و«ظلها» من حاكمينا
قولوا لها : ليس الخضم كما أرادته ... سكونا
إنى لألمح خلف صمت الموج إعصاراً دفينا
وزعازعاً ... قد تحطم الـ ربان يوماً والسفينا
إنى لألمح فى العبا ب تمرداً ... لا بل جنونا

***

ويا وطنى لا تخدعنك الفرحة البتراء .. ولا يغرنك الاستقلال إذا لم يكن شاملا ولم تتم فيه الوحدة : —

أبلغ الشام وهى مانجة الأفـ راح نشوى من فجرها المتهادى
وأغانى « الجلاء » تلعب بالعو دكما تشتهى ، وبالعواد
لم يحن بعد موعد العرس (فيحاء) ولا جر عاطر الأبراد ...
لا تقيمى الأعياد فالفرحة (البتراء) شوك فى جبهة الأعياد ...
أتغضين عن فجيعتك الطر ف أيبقى (الأسير) من غير فادى ؟
أفتنسيننا ؟ ولم ننس يوماً أننا نذر فكرة ، واعتقاد ؟
أتنامين عن (ضحيتك) البكر أهذا عهد السكرى والرقاد ؟
وطنى كل بقعة يتجلى فوق غبرائها محيا (الضاد)

***

هذا هو العربى الصميم ، وهذه هى الوطنية الصادقة التى إذا غشى عليها اليأس قبست من التاريخ الحى فى أعماقها ما يجلو الدجى ويزيح الظلام

أرأيت أحر من هذا الفؤاد ؟ أسمعت أروع من هذا الزئير ؟ هذا هو سليمان . . شعلة متأججة بالوطنية ، وشباب يتدفق حماسة ، وروح مرهف تدميه هذه المآسى والنكبات وفكر وقاد يرى ويدرك ، وخيال خلاق يتصور ويصور ، ولسان ماض أتته اللغة منقادة طيعة فصاغ بها تلك الآلام أناشيد دامية تهز الموتى ، وأنطق بها تلك الفواجع زفرات مشبوبة تلسع الجماد . . ثم مضى يستوحى التاريخ العربى المجيد أسياده ويوقظ من نام كتابه ، حتى ماج ديوانه بالعباقرة والأبطال ، وزخر بالبناة الخالدين والقادة المراد . . . بعثهم فى أروع صورة ، وأنطقهم بأبلغ لسان :

لا تلمنى إذا بكيت على الما ضى ؛ على عزتى ، على عنفوانى
أنا أحيي التاريخ فى كل ومضى من خيالى ، وخفقة من جنانى

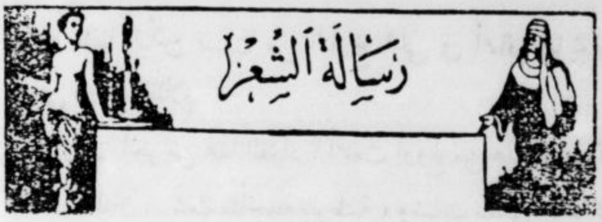
ثم عاد يصور أقزام هذا العصر تصويراً دقيقاً شفافا أظهر ما أسن فى قرارتهم ، وبين ما احتقن فى أعماقهم من خور وطمع ، وجشع وجبن ، ثم عرج على الشعب المخدر يوقظه ويصور له هول مآسيه وجمال ماضيه تصويراً يستفز الجماد ويلهب الجليد

أتلمست نفساً أحر من هذا النفس ؟ وزفرة أطول من هذه الزفرة ؟ إنها الأمة حاضرها وماضيها . . لقد انصهرت فى عواطفه فصاغها آلاما وآمالا . . وسيظل يسقى من هذا المعين الذى فى فؤاده ، والذى لا ينضب . . وهل تنضب الأمة العربية إيحاء ؟

أما إنى — علم الله — لم أسمع مثل هذه الملحمة ، ولم تهزنى مثل تلكم الأناشيد .. وبقدر ما أنا معجب بها وبصاحبها أتألم له ولها . . وأتمنى لو تحققت آمالها لتتحقق آماله ليخف الألم ، وليسكرنا سليمان بأناشيد الشباب المرحة الخالدة : —

شعل الحب والصبا والرغاب ..
لست حرا . . لتعصفى بشبابى ...
إهدئى الآن . . واقذفى بركانى
فى الأعاصير ، فى لهاة العباب
أنا لو حقق الزمان طلابى ...
عشت وقفاً على العيون السود وأذبت الحياة فى عنقود ...

أحمد الفخرى



قصر شمبرون ..!

للشاعر الكبير عزيز أباظة

فى صيف العام الماضى زار الشاعر الكبير عزيز أباظة قصر شمبرون بمدينة فينا عاصمة النمسا ، ذلكم القصر الذى كتب فيه تاريخ النمسا ، والذى شهد أروع أمجادها وأجل أحداثها ، وقد طاف الشاعر بغرف ملوكها ومقاصيرهم ، هؤلاء الملوك الذين حكموا أكثر من خمسمائة سنة ، ثم زالت دولتهم ، وانطوت أيامهم على صحوة الشعوب ..

اضطربت هـذه الخواطر فى نفس الشاعر الكبير ، وأثار مشاعره الطغيان الذى كان مضروبا على وطنه

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة فى العام الماضى ، وهو يتوقع لمصر نفس المصير الذى كتب على النمسا ، ثم ظلت القصيدة حبيسة عهد كريه طوته حركة الجيش الباسل ، حتى أذن الله لها أن تجد سبيلها إلى الناس

***

قال حادى القطار ، هذى فينّا ... فنشطنا من أسرنا وهبطنا

واحتوتنا سيارة تنهب الأرض ... فقلت اخطرى الهوينى الهوينى

إنما تسبحين فى سموة التاريخ ... رفت هنا جمـالا وفنا

خصها الله بالرواء فما تبصر ... إلا حسنا يناغم حسنا

روعة إن شهدتها وهى يقظى ... وفتون إن جئتها وهى وسنى

***

ما لهـا جبهة المعارف حسرى ... أدلال الصدود قبل الوصال ؟!

ومن الغيد ، من ترى وهى غضبى ... آية من سماحة وجمـال

أين ثغر يفتر عن ألق الخلد ... وهدب يخفى جنون الليـالى ؟!

أين عزف كأنه من لحون الله ... طهر الأهزاج والأرمال ؟!

ما لفينانها ذوى ؟ ما لشمس ... آذنت عند صحوة بزوال ؟!

أين حور كأنهن اللآلى ... إن أطاقت صيد القلوب اللآلى ؟!

أين ليل ينهل صبحا فما يماز ... إلا بهجعة الأطفال ؟!

أكلت فتنة الليـالى الليـالى ... فامحت كالرؤى الـعذاب الخوالى

***

ووقفنا فى «شمبرون» فهاج النفس ... ذكرى الأقيال من « شمبرونا »

غرف خر فوق أعاطهـا الدهر ... وإن فض سترها المكنونا

ومقاصير شب فيها ، وشاب المجد ... ضخم الأسناد حتى بلينا

نسق من قياصر ، لم يروع ... بدخيـل ، ولم يقل هجينا

عترة الكابرين من (هبسبرج) ... أين هم فى الكواكب الآفلينا ؟!

قال لى رائدى الذى يحفظ القول ... وزهى به على الزائرينـا

هـذه حجرة الذى اعتبد الدهر ... وثل العروش « نابليونا »

واصطفاها ابنه ، فأينع فانهار ... فأودى فيها ذليلا سجينا

ومضى فى الذى يدير من القول ... ولم يلفنى سميعاً أذينـا

***

ملت عنه إلى مناجاة نفسى ... أى دنيا هـذى ، وأى مقادر

هتكت حرمة الملوك ، ودكت ... برحاها الطحون تاج القيـاصر

وطوتهم صرعى ، كاينطوى الليل ... وطاحت بعادل وبجائر

أفهجع الزمان هذا ؟ يشيد الصرح كالطود فوق أنقاض آخر ؟!

أم هفا الناس للجديد من الحكم ، فخاضوا له فجاج المخاطر ؟!

ظلم الناس ، ليس كل جديد ... يشهى الجنى ، ولا كل داثر

إن حكم الملوك ، إن كان عدلا ... وعزوفاً عن الهوى والكبائر

والتماساً لطاعة الله فى الناس ، ببث الشورى ، ودعم المنابر

واحتفاء بهم ، وعطفا عليهم ... فى جدا صابر ، ورحمة قادر

واقتضاء من المياسير للمحروم ... حتى يأتيهم غير صاغر

وانتصافا من الجبابر للضعفى ... فلا يصطلون نار الجبـابر

فهو ضرب من حكم أربعة الأشياخ تسنى به الدنا وتفاخر

***

قال لى رائدى ، أتسمع ؟ قلت السمع ملآن ، والجهود قواصر

عزيز أباظة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

استهل نادى الاتحاد الثقافى موسم محاضراته هذا العام ، بمحاضرة لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين عن مهمة الأديب فى مصر

وقد غصت حجرات النادى وشرفاته وأبهائه بجمهرة كبيره من الزوار والوافدين وكبار الشخصيات

وكان فى مقدمة هؤلاء السيدة كريمة السعيد وبعض فضليات المربيات والأساتذة محمد صلاح الدين وحسين هيكل وأحمد زكى وكامل كيلانى وسعيد العريان وأنور أحمد

وكان الدكتور محمد عوض محمد يشرف على النظام العام بروحه اللطيفة ومداعباته البارعة

وتحدث الدكتور ساعة كاملة ... فعرض موضوعه فى لباقة وبراعة .. واستطاع أن يخرج لنا صورة حية لهذا الموضوع الدقيق تناولت جوانبه الفياضة بالعرض الدقيق

تحدث عن الأديب العربى القديم : أيام الجاحظ والمعرى ... وتحدث عن الأديب الحديث فى الشرق والأديب الحديث فى الغرب .. وعرض لمؤتمر البندقية

وصور مسئولية الأديب الإجماعية فى هذا الزمن ، وكيف أنه لا يستطيع أن يجمع بينه وبين عمل آخر . ذلك لأن الأدب الآن يتطلب جهدا جبارا ، ويتطلب من الأديب ألا يشرك به ، وأن يتجرد له ، يقرأ ويدرس ويستقصى..ويلم بكل جديد من الآراء؛ وهو إذا قصر فى هذا ، عجز أن يجرى فى ركب الحضارة

وقال إن الدولة ملزمة بأن توفر للأديب أسباب الحياة حتى يستطيع أن ينتج

ثم عرض لحرية الأديب فقال إن الأديب لا يستطيع أن ينتج إلا إذا أحس بأنه حر فى أن يكتب ما يوحى به ضميره وتهجس به نفسه . وأنه مسئول كعضو من أعضاء المجتمع عما يذيع بين الناس وعليه تبعة ما يكتب

ومن تبعاته أن يوجه وأن يهدى إلى الخير والحق والجمال وعليه ألا ينزل إلى الناس ولا يرضى أهواءهم ، وإنما عليه أن يرفعهم إليه وأن ينقلهم من الحياة العامة التى يحيونها إلى حياة فكرية ممتازة

وصور عميد الأدب أثر الصحافة والسينما والإذاعة بالنسبة للأدب والكتاب المطبوع وقال إن الأدب قد تحرر من سلطان الملوك والأمراء . وأنه لن يقبل بحال أن يعود إلى هذه العبودية

وعرض لقضية « أدباء الشباب » فكان غاية فى الإنصاف . وطالب بضرورة تهيئة الوسائل الكفيلة بإعانتهم على الإنتاج والتبرز

وقد أولى هو هذا الموضوع مقالا من مقالاته فى الأهرام ، كما بدا فى هذا الأسبوع ينقد إنتاج الأدباء الشباب ، وقد تناول قصة « إنى راحلة » ليوسف السباعى . وهى ظاهرة جديرة بالتسجيل لعميد الأدب

ولم يكن الدكتور طه حسين فى محاضرته جافا ، ولا متكلفا ، بل كان شعبيا منطلقا ، وكان لا يترك مناسبة دون أن يدخل عنصر الفكاهة اللطيفة الممتازة ، فى حديثه ، ومرتين أثار عاصفة من الضحك . عندما عرض للأدباء الذين يعملون فى المصالح الحكومية ومعاملة رؤسائهم لهم ، فى تعنت وصلف . وعندما أشار إلى أن كل أديب من شأنه أن يذهب إلى السينما لأن أهله يفرضون عليه هذا الذهاب . ولذا لا يستطيع أن يتخلف ليقرأ كتابا من الكتب مثلا ! وأثار الدكتور عاصفة من التصفيق الحاد عندما عرض لتحرر الأدب من سلطان الملوك والأمراء ، وعندما صور الحياة الأدبية التى يمكن أن تستقبلها مصر فى ظل العهد الجديد

نقابة الأدباء

وكان الدكتور طه حسين قد اجتمع بأعضاء نادى القصة فى الأسبوع الماضى ، هذا النادى الذى يخرج الكتاب الذهبى الشهرى ... وقد تحدث الدكتور فى هذا الاجتماع عن مشروعه

الذى يوشك أن يتقدم به إلى الجهات الرسمية لإنشاء نقابة للأدباء ترعى إنتاجهم وحياتهم ومستقبلهم وتهيئ لهم حياة كريمة على أن تكون موارد هذه النقابة بعض حصص على المؤلفات القديمة والمؤلفات الحديثة

ولا شك أننا فى حاجة إلى أن نقرأ تفصيلات وافية عن هذا المشروع فهو يهم جميع الأدباء الآن ، وبخاصة الذين يعملون فى الوظائف الحكومية ، والذين قد يخيرون بين العمل الأدبى ، أو العمل الصحفى ، وبين وظائفهم الحكومية

فعسى أن يتفضل الدكتور العميد بنشر تفاصيل هذا المشروع

النشاط الثقافى

افتتحت فى هذا الاسبوع ندوة الجامعة الأمريكية بمحاضرة للرئيس السابق على ماهر عن « فلسفة الثورة المصرية الجديدة » كما افتتح النشاط الثقافى لنادى ضباط الجيش بمحاضرة للدكتور مصطفى الحفناوى المحامى عن قناة السويس

كما استجابت جمعية الشبان المسيحيين لملاحظة الرسالة فعقدت مهرجانا شعريا عن أهداف الثورة ودعت إليه بعض الشعراء الذين وردت أسماؤهم فى باب « الأدب والفن »

وقد علمت أن شباب القراء الذين دعوا إلى الندوة الأولى قد ظنوا على أثر كلمتى التى طالبت فيها بدعوة القدامى من الشعراء أن هذا انتقاص لحقهم ، وما أردت هذا ، ولكنى رجوت التنويع وربط الأواصر ، وضم الكفايات المختلفة ، وأحببت أن تنمحى تلك النزعات التمدية التى كان يحرص أصحابها على دعوة فريق من الشعراء ، متجاهلين العناصر الأخرى

وإذا اتجهنا نحو المسرح أو السينما لاحظنا سمة « فن الثورة » أيضا . فهناك فيلم مصطفى كامل ومسرحيات نزاهة الحكم ، ونهاية الأندلس وغيرها. وهكذا أخذت روح الثورة الجديدة تبرز فى الإنتاج الثقافى بصفة عامة

هل عندنا شعراء أو شاعرات :

لفت نظرى فى مجلة « القلم الجديد » التى يصدرها فى عمان الأديب الكاتب السيد عيسى الناعورى مقالا للدكتور زكى أبو شادى عن « أبو القاسم الشابى » تحدث فيه الشاعر المهاجر عن الشاعر الذى ودع الحياة وهو فى ريق الشباب

واهتززت فعلا عندما وقع نظرى على مفتتح قصيدته «صلوات فى هيكل الحب »

. . هذا المطلع الذى ما قرأته مرة إلا أحسست بأن الشابى كان يعيش فى غير دنيانا .. وأنه لا يصدر عن نفس يمكن أن تكتب لها الحياة الطويلة . .

« عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد »
« كالسماء الضحوك ، كالليلة القمراء ، كالورد ، كابتسام الوليد »

وعجبت كيف لا نجد مثل هـذا الشعر اليوم عنـد شعرائنا الشباب ، هذا الصدق ، هذه الحيوية الفياضة ، التى تدل على أن الشابى عاش تجربة شعورية كاملة ، كان مزيجا من الصدق والوفاء . . وكانت غاية فى السمو والنقاء

وبينما أقلب صفحات المجلة ، وقع بصرى على شعر آخر ، كتبته الشاعرة العراقية نازك الملائكة

. . ولفت هذا الشعر نظرى أيضا . . لقد قرأت شعراً لأكثر من شاعرة عندنا هنا فى مصر . . . ولكنى لم أحس وقدة الحياة فيه كما أحسستها فى شعر نازك الملائكة أو فدوى طوقان . .

فلماذا تنقص شاعراتنا هذه « الأنوثة » والحيوية..

أعتقد أن السبب واحد ، وأن النقص مصدره واحـد فى شباب القراء والشابات

إن شعراءنا وشاعراتنا — إن صح أن عندنا شاعرات — يتكلفون ويتكلفن ، إنهم لا يعيشون الحياة الصادقة ، التى تمنح الوحى الصادق أو تمد بالإلهام !

وهذه لمحة من شعر نازك الملائكة

استرحنا . . كشف اللغز ومات المبهم
وتلاشت حرقة الأحلام فى لون العيون
استرحنا . . هدأ الشوق وواراه السكون
استرحنا نحن وارتاح الزمان الفهم
وغـدا يهزم المـاضى بعيداً
وترى أعيننا شيئا جـديداً

ولا زلت أحس بأننا لم ننشأ الأدب النسوى بعد . . ولا

الشعر النسوى بالطبع !

وإذا كنا نحن اليوم فى مطلع نهضة جديدة ، فإننا نحب من الشعراء أن يكونوا روح هـذه النهضة . . نريد ذلك الشعر الذى نحس أن الحب فيه يصعد إلى السماء . . ويرف مع الملائكة !

نريد تلك الروح النقيـة الصافيـة الخالصة التى لا تشوبهـا الفاحشة والمجون !

فمتى نرى هذا الشعر ! عندها يحق لهؤلاء وأولئك أن يقولوا إنهم شعراء !

أنور الجندى

الكتب

آن لهذا الشعب أن يفهم

تأليف الأستاذ عبد المغنى سعيد

للأستاذ أحمد عوض

هذا الـكتاب من بواكير التأليف بعد النهضة الـكبرى ، فهو يهدف إلى مراميها وتتمثل فيه طبيعتها . هو مثلها شعور طال كبته ثم تدفق لجأة عند أول فرصة لتدفقه كما ينفجر البركان عند ما تقترب متفجراته الحبيسة من طبقة أرضية ضعيفة

ولقـد تسبق التفجر إرهاصات منبهة به كما سبـقت النهضة أزمات حادة ، وكما تلجلج هذا الـكتاب تحاول الخروج قبـل أن تخرجه المطبعة على الصورة التى أخرجته بها الآن . فى سنة ١٩٤٢ حاول مؤلفه السيد عبد المغنى سعيد أن ينفس عن شعوره الجياش وأن يخرج جانبا من الـكتاب باسم « تيارات الانحلال وتيارات الحرب فى مصر » ، وحاول إذ ذاك أن يوضح خفايا فترة الانحلال ، ويحلل اتجاهات الإصلاح ، ويرسم المحاولات الارتجالية التى كادت تتمثل إذ ذاك فى الأحزاب ، وأن ينبه إلى ماشابها من خطأ ، وما يصيب البلاد من ضرر لو لم يفسح للثورة الفكرية المحبوسة فى الصدر مجال للظهور

لقد بدت هذه المحاولة ، ولـكن لم يكن الوقت قد آن لنشوب الثورة فى مصر . ولا لصدور التعبير عما يمثل هذا المؤلف ، فلم يفلت مشروع كتابه من مقص الرقيب

واضطر إلى انتزاع أجزاء منه وتقسيم فكرته ، بعد تهذيبها على فصول نشرت فى الصحف ، ولـكن ذلك لم يكفه ، فأعد من كتابه نسخا معدودة على الآلة الـكاتبة ، بعد أن أعاد كتابة ما نشر وزاد فيه من التوسع فى الصراحة

لـكن هذه الفورة لم تكن لترضيه ، ولم يكن فى الإمكان نشر الذى يرضى ، فهرب النسخة الـكاملة من معتقله فى المنيا

وهكذا كانت الثورة نفسها تحاول الظهور ثم يحول دون ظهورهـا ما حال دون ظهور الـكتاب وأمثاله من رقابة ، إذ تشبهها بشئ فبقشرة الأرض الغليظة فوق ثورة محبوسة فى صدر بركان

وحدثت الثورة وظهر الـكتاب (آن لهذا الشعب أن يفهم) ؛ هذه فى شهر يوليو سنة ٥٢ ، وهذا فى شهر سبتمبر سنة ٥٢ ، ولـكن تأليفه كما تقدم يسبق صدوره بكثير

وليس الـكتاب تاريخا للثورة ولا شرحا لمبادئها ؛ ولـكنه صورة منها . هو انفعالات قوية فى اتزان . ثائرة ثورة العقـل المقتنع لا الشعور الصاخب

لم ينسج على منوال الـكتب التاريخية ولا الأدبية . ولـكن المنطق الذى يسوده منطق الثورة ، منطق هذه الثورة بالذات ، لا أية ثورة أخرى ؛ ففيه حكمتها ورصانتها ، فيه صفوة التجاريب التى أنضجت مصر فى ألوف السنين

ترتسم فيه خطى النهضة فى محاولتها الفرار من محبس الـكبت ، بادئة بالمظهر العسكرى فى عهد محمد على ، ثم بالمظهر الأدبى من خطابة وكتابة ، ثم بالمظهر القانونى من جدل ونقاش ومفاوضة إلى أن تتبلور فتجمع كل الخصائص والمزايا ، وتتحرر من كل وجوه النقص ، فتقذف بالحواجز التى رقت وسُفت ثم تدفعت فتهاوت

فى أسلوب السيد عبد المغنى كما فى أسلوب النهضة ، أثر من تلك الأساليب ؛ غير أنه كالنهضة سيد لما يستخدمه من وسائل التعبير

ليست عسكريته وسيلة عامة لغاية خاصة . وليست لهجة استنهاضه دعاية للنوم فى أجفان طفل يراد إيقاظه . وليست قانونيته مغالطة يقصد بها إخضاع الحق لمنطق تشريعى

ولـكن عسكريته صراحة ، ودعوته الوطنية فكرية تذاوبت فيها العاطفة ، فهى إقناع بجر الإرادة لا وخز يهيج الشعور . وليست قانونيته جدلا ولـكنها حكم

(آن لهذا الشعب أن يفهم) والذى آن له أن يفهمه هو ما احتواه الـكتاب من صورة للثورة يحدد أهدافها ، لا مشيرا إليها عن بعد ولـكن متجها نحوها

فلمن شاء أن ينتقل إلى أهداف الثورة أن يقرأ هذا الـكتاب ليخلص من أثر الماضى عليه من جدل لا يراد به الإقناع ، واهتياج لا يراد به الاستقرار ، واضطراب لا يقصد به إلى الهدوء هو ثورة ولـكنها منطقية ، وهو منطق ولـكنه ثائر

أحمد عوضه

مستقبل الإســلام

تأليف الأستاذ محمد عبد القادر العماوى

للأستاذ عبد السميع المصرى

هذا هو الـكتاب الثانى الذى يتحدث فيه الأستاذ محمد عبد القادر العماوى عن إمكانيات الدين الحنيف. أما كتابه الأول الذى أصدره فى العام الماضى فكان عنوانه (هذا هو الإسلام) ولقد تحدث الأستاذ العماوى فى (مستقبل الإسلام) طويلا عن أسباب الجمود الذى أصاب الدين خلال عصور التاريخ، والعوامل التى أدت إلى ذلك؛ كما تحدث عن تطور الأديان وقارن بين العقيدة فى مختلف الأديان مقارنة مبنية على أسس من العلم والتاريخ، وبين كيف أن الإســلام نظام عالمى مرن متطور وفق حاجات الزمان والمكان، وما كان له أن يصل إلى هذه النتيجة قبل أن يعرج على نشأة الفرق الإسلامية والعوامل التى أثرت فى تاريخها وأسباب ما رميت به من تعصب أعمى أودى بالـكثير من جمال تعاليم بعضها والأسباب الخفية لنشوء معظم الفرق الإسلامية

ثم يخلص من كل هذا البحث التاريخى العلمى إلى النتائج الطبيعية له وأثره فى الإسلام ووجوده كقوة عالمية ثالثة وإمكانيات هـذه القوة ومستقبلها بين الـكتلتين الشرقية والغربية اللتين تتنازعان اليوم ، لـكنه فى هـذا المكان من الـكتاب وقد جعله خاتمته يختصر القول اختصارا ويجمله إجمالا ويكتفى بالتلميح دون التصريح وهو لب الـكتاب وأس موضوعه.. وكأنى به يخشى الإفصاح عما فى نفسه أو يتهيب الرقيب والحسيب ويخشى مغبة آرائه الحرة ، ويقينى لو أن الأستاذ العماوى تأخر فى إصدار كتابه أياماً لـكان له شأن غير الشأن ولأجرى القلم بما يشاء، وأفاض فيما يريد ، ولعله فاعل ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى

ومن أمثلة هذا الاختصار المخل ما جاء فى الصفحة ٢٠٩ من قوله (لـكن الإسـلام لم يكتف بذلك وإنما يريد أن يقضى فى صراحة وقوة على ميكروب النظام الطبقى الذى ينشأ عادة من سوء التوزيع الاقتصادى للدولة فيوجب ضرورة التوازن فى دخل الأفراد وبذلك يقضى على كل العوامل التى ينشأ فى ظلها الربا والاحتكار)

هذا كلام جميل يحتاج إلى كثير من التفصيل ويحتاج إلى أن يبين لنا الأستاذ العماوى الوسـائل العملية التى لا تتعارض مع روح التشريع الإسلامى وتحقق هـذه الأهداف الجليلة ؛ ويكون بذلك قد أدى خدمة لله وللوطن . وفى مكان آخر (ص ٢١٣) يعرض الأستاذ المؤلف لنظام الإسلام فى صورة أشد غموضا وإبهاما فيقول ... (إننا لا نحب أن نخدع أنفسنا فنتمسك بالقشور عن اللباب فإذا كنا حقيقة نحرص على بلوغ ما رسمه الإسلام للعالم من غايات فالسبيل إلى ذلك الانتقاض عن هذه النظم التى تسيطر على حياة العالم وما يتحمله من أساس العدالة ومن نظام فى الحكم والسياسة والاجتماع لا يبتعد كثيرا عما شرعه الإسـلام للعالم)

وكان بودى لو أن المؤلف أوضح لنا النظام الذى يراه موفقا بين ما شرعه الإسـلام والنظم الغربية القائمة ؛ أو ما يحقق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولا يتعارض مع روح الإسلام ولا روح العصر ! أما ترك الأمر للحـدس والتخمين فلا يتفق والطريق العلمى الذى أخذ المؤلف به نفسه

والـكتاب بعد ذلك مجهود قيم وخطوة جريئة موفقة من الأستاذ العماوى نرجو أن تتبعها خطوات إن شاء الله

عبد السميع المصرى



الدراسات العليا لكلية اللغة العربية

ليس هناك شك فى أن الدراسات العليا لا غنى عنها للحياة الدراسية فى مختلف الكليات ، ذلك أنها تخلق طبقة من المفكرين والباحثين والعلماء نحن فى حاجة ملحة إليهم ، وبخاصة فى هذا العهد الجديد الذى يعتبر التجديد من أهم خصائصه ومقوماته

وموضوع الدراسات العليا شائك أو هكذا أخذ ودرس على أنه من الصعوبة بحيث لا ينبغى له أن يمر بسهولة ولا يرى النور إلا بعد تمحيص وبحث من نوع جديد

لقد مرت هذه الدراسات بأدوار مختلفة ، واصطدمت بآراء متضاربة ، وأخيرا قدر لها أن تخرج إلى عالم الحياة ، كان ذلك فى العام الماضى ، وأسرع « الخريجون » فقدموا أوراقهم إلى قسم الدراسات العليا بالكلية ، واطمأنوا إلى أنه ستتاح لهم دراسات عليا تقوم على أسس جديدة صالحة تتمشى مع روح العصر ، وتحذو حذو مثيلاتها فى الجامعات

ولكن لأمر ما ، أو لأمور كثيرة ، لا أدرى ! أجل افتتاح هذه الدراسات ، ووضع مشروعها على الرف كما يقولون إلى أجل غير مسمى ؛ وهكذا يصل التهاون بصوالح الطلاب ومقتضيات التعليم الجامعى إلى هذا الحد المقيت

ونحن هنا لا نريد أن نتناول موضوع الدراسات العليا الذى قدر له أن يقبر فى مهده — لا نريد أن نتناوله بالنقد والتشريح ، فالكلام فيه لا داعى إليه ، وربما نضطر إليه فى وقت قريب

والذى نريده من أولى الأمر أن يكون هدفهم صالح الأزهر دون أن يسمحوا للرغبات الشخصية بأن تثبت وجودها فى هذا الميدان الذى يتطلب صفاء القلوب وإخلاص النيات ، نريد دراسات عليا تكون صورة مماثلة لما يتبع فى الجامعات المصرية ، ويلتحق بها كل طالب تتوفر لديه الشروط المرسومة من حيث التقدير العام فى السنة الرابعة

ولا يفوتنى هنا أن أقرر حقيقة واضحة ، فالدراسات العليا تعتبر حقا لطلبة الكليات ، ومن الواجب على كل إنسان ألا يتغاضى عن حقه ، لذا كتبت كلمتى هذه أطالب بتحقيق رغبة هى الحق الصراح ، فلن يحمد لإنسان أن يعقد لسانه فلا ينطق بما يراه حقا ؛ ومما يبشر بالخير أن العهد الجديد يحتم علينا أن نعرف حقوقنا وواجباتنا ، وبذلك نكون جنودا مخلصين للحركة المباركة

ويضطرنى الاستطراد إلى أن أذهب بعيدا فأدعو أولى الأمر إلى أن يعملوا على إلحاق أبناء كلية اللغة العربية بالدراسات العليا فى كليات الآداب المصرية ، ولنعتبر هذه الخطوة بعثات داخلية يستعاض بها مؤقتا عن البعثات الخارجية

وحرصا على مستقبل أبناء كلية اللغة أرى لزاما على أن أشير إلى وجوب تذليل الصعوبات التى تحول دون انتساب طلبة الكلية إلى معهد اللغات الشرقية ، ماداموا يدرسون هذه اللغات فى كليتهم وإلا فلا فائدة ترجى منها

وبعد فهذا إيجاز وتركيز لبعض الرغبات التى نأمل أن تتحقق فى أسرع وقت فى ظل العهد الجديد إن شاء الله ، ولنا عودة .

أزهرى عجوز

بدعة اليوم الكامل

لا زال وزير المعارف مصرا على اليوم الدراسى الكامل ، برغم ثورة الرأى العام على هذا الاتجاه المعتل ، وفى مقدمته المسؤولون عن سير الدراسة من المعلمين والمعلمات

ولو كان لهذا الاتجاه حسنة واحدة لاحترمنا إصرار الوزير الذى أصبح غير قابل للتغيير ، ومستحيلا عليه التخاذل والتقهقر ، وقد يرى الوزير نفسه لهذا النظام حسنات كثيرة ، ولكنه لا يجد من يقره عليها ، اللهم إلا شرذمة من بطانته وحاشيته ، لأنه لا رأى لها مع أى وزير ، فمهمتها قاصرة على التصديق والتأمين ليس إلا

يقـول وزير المعارف : إنه يهدف من وراء هـذا النظام إلى إلصاق التلميذ بالمدرسة حتى ينجذب إليها ، ويصقل بين جدرانها وينشأ التنشئة الصالحة فوق تربتها ، ويهدف أيضا من وراء هذا النظام إلى إيجاد فسحة كبيرة ليستجم خلالها الطالب ، ويتخلص من الإرهاق الذى كان يعانيه من جراء تكديس الدروس دفعة واحدة دون راحة أو استجمام

أما إلصاق التلميذ بالمدرسة ، ودفعه إلى الاجتذاب إليها وصقله بين جدرانها ، وتنشئته التنشئة الصالحة فوق تربتها ، فهو من الخيال الرائع المحكم ، إذ ليست المدارس فى مصر مهيئة ولا مستعدة لتحقيق هذا الخيال الرائع المحكم ، فهل فى مدارس مصر حدائق غناء يستجم الطلاب بين أشجارها ؟ وهل فى مدارس مصر من المسليات الكافية لجذب التلاميذ إليها ؟ يستطيع الوزير الهمام أن يجيب عن هذين السؤالين بسهولة ، ولاسيما وأنه قد زار مدارس الأقاليم التى هى أقرب إلى الأكواخ والقبور

أما الفسحة الكبيرة التى أطالت حياة اليوم الدراسى ، فإن الطلبة يقتطعون منها خمس دقائق فحسب ، يتناولون خلالها « السندوتش » من الباعة المتجولين ، أما الباقى منها ، فإن البعض منهم يجرى خلالها فى الفناء ، والبعض الآخر يفترش الأرض ليرمق بعينيه الجدران والأبواب !

لنعمد إلى خلق المدرسة المصرية خلقا آخر ، ولنقلب أوضاعها من جديد ، ولنهيئها حتى تصبح مستعدة لاستقبال الطالب يوما كاملا ، وليكن بعد ذلك الإكرام والتقدير لهذا الاتجاه — أما أن نحتم على الطالب أن يظل من مطلع الشمس إلى مغربها بين جدران أربعة ، فلن يكون إلا من قبيل العناد ، والعناد — كما يقول الرسول عليه السلام — كاد أن يكون كفرا

نفيسة الشيخ

إلى الأستاذ على الطنطاوى

ياسيدى لى بنات طالبات أجهدت نفسى فى سد ما بينهن وبين الفساد فلم أتركهن للمجتمع المنحل ، واللهى الرخيص ، والكتاب الداعر

ولكن فساد المجتمع مالبث أن نفذ إلى « برضا » من جهاز الراد ومن رفيقة المدرسة ، ومن مثيرات الطريق

. . وبدأت أنكر من بناتى ومن أوضاعهن ماينكر الرجل الغيور من بنات العصر وأوضاعهن وإن لم يصل الأمر إلى هذا الحد الكريه

وحاولت أن أقوم ما اعوج وأصلح مافسد بالمنطق الواضح والحجة البينة فكان رأيهن مع رأيى ولكن بقيت عواطفهن منفصلة عن هذا الرأى متصلة بالفساد المستشرى إلى أن شاء الله لى الرحمة ولهن الستر فاتصل ما بينهن وبين رسالة « الزيات » جزاه الله عنا كل خير . وفى الرسالة لقينك يا أستاذ فقرأن لك معجبات أول الأمر ثم متأثرات

لقد استطعت ياأستاذ بأدبك البارع ، وروحك القوى ماعجزت عنه أنا ، استطعت أن تنفذ إلى ماوراء الفكر ، إلى أعماق الشعور فتكونهن تكوينا وجدانيا جديدا وإذا هن فى طريق جديد نهايته — إن شاء الله — التقاء الفكر والشعور على الفضيلة والخير

وقد قلت كتابتك فى الرسالة أخيرا وتركت ذلك النوع من القصص الذى كان يقطع مابيننا وبين هذه الدنيا ليضمنا فى دنيا ثانية لا سبيل إلى وصفها

فهل لك ياأستاذ أن تتابع الكتابة وفى هذا الصنف من القصص خاصة.. إنك لودريت كم تبنى به من نفوس وكم تجنح به من همم وكم تنقذ به أرواحا من الإسفاف لقبلت أن تحمل فى سبيله أقسى المشقات

القاهرة

أب غيور

هى مسألة خلافية

قال الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (فى الأهرام ٢٧ — ٠١ — ١٩٥٢) بعد أن أورد حديثين ضعيفين فى إباحة الوجه واليدين : ومعنى هذا أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تظهر لغير محارمها إلا بمثل ما تكون عليه فى صلاتها ، هذا هو الدين

وقال الإمام القرطبى فى تفسيره (ج ١٢ ص ٢٣٧) : أجمع



السفينة السوداء

عن الانجليزية

كانت تحب الأطفال حبا ملك عليها قلبها فلم تر صغيراً إلا وجدت من نفسها دافعا قويا إلى حمله بين يديها ومداعبته ، وكانت تعلو ثغرها عند ذلك ابتسامة مؤلمة

وكانت « لينا » على الرغم من سعادتها الزوجية لما بينها وبين قرينها من الحب المتبادل تشعر بأنها تعسة لأنها لم ترزق قط مولوداً يملأ منزلها مرحاً وسروراً . وكانت تتمنى لو أنها فقيرة معدمة تتوسد التراب وتأكل خبز الصدقات على أن يكون بجانبها طفل ينظر إليها نظرة أحن من نظرات الملائكة

وكانت تفكر فى ذلك تفكيرا يستغرق الساعات الطوال ولحظها فى هذه الأثناء معقود بنقطة لا تتغير من أرجاء الغرفة .

المسلمون على أن المرأة كلها عورة إلاوجهها ويديها فإنهم اختلفوا فيها وقال فى تفسيره سورة النور : ثم استثنى مايظهر من الزينة ، واختلف الناس فى قدر ذلك ، قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدى وأن تجتهد فى الإخفاء لكل ماهو زينة ، ووقع الاستثناء ، فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك

محمود مصطفى علية

عطارد

يصدر أول ديسمبر العدد الأول من مجلة « عطارد » التى يصدرها لفيف من الشباب المثقف ويشترك فيها الأستاذ أنور الجندى . وستكون شاملة لفصول حارة جريئة من السياسة والأدب والاجتماع

ولقد يحسبها من رآها على هذه الحال تمثالا لولا أن لونها الدائم التبدل يدل على أنها مستغرقة فى التفكير . لكنها كانت حريصة على ألا يطلع زوجها على اشتغالها بالها وعلى وجهة تفكيرها ، فهى أمامه تضحك وتلعب وتقترح النزه والتلهى وتزعم أنها سعيدة .

وكانت تدعى أنها لا تميل إلى النسل ولا تبالى أن تقضى بقية العمر كما هى الآن

ولقد كان صواحبها يقلن لها فى السنوات الأولى من الزواج إنها سترزق الأبناء فى الوقت المناسب . وكانت تعلل نفسها بذلك . ولكن لما انقضى العام بعد العام وكاد يجف عودها ولم يثمر دب فى نفسها دبيب اليأس وظلت فى وحدتها تعانى ألمها الخفى . وكانت فى بعض الأحيان تأنس بالوحدة لتستمتع بلذة هذا الألم . ولكنها فى أحيان أخرى تهرب إلى الضجيج والزحام من آلام الوحدة وكان ملجؤها الأول فى الحالات الأخيرة فى الحفلات الراقصة ففيها لا يسمع القلب مناجاة نفسه

وكان زوجها يسر من مرافقتها إلى تلك الحفلات لأنه يحب أن يراها سعيدة . وكانت تقدر له هذا الشعور نحوها وتتمنى لو تستطيع أن تخلى له قلبها من كل حب لولا أن حب النسل كان مالئا فراغ هذا القلب

والأطفال إذلم يوجدوا فهم معان . ولابد لتعلق القلب أن يكون بشئ ملموس . ولا بد لكل إنسان من تعليق قلبه بإنسان أو بشئ آخر . ولكن « لينا » كانت ترى حولها من الرجال بلداء وما يحيط بها من الأشياء لا يطاق . فبعد أن جالت جولة فى ميدان الطراد انتهى بها المطاف إلى حب نفسها ، وأخذت تعامل نفسها كأنها تعامل طفلا مدللا فهى تهدى إلى نفسها الهدايا من الجواهر إلى الأزاهير

وكانت تجلس الساعات الطوال أمام المرآة تبادل وجهها النظرات ، وتقبل صفحة المرآة حيث يرتسم ثغرها . وبودها لو تستطيع تقبيل خدها فى المرآة . وكانت تناجى نفسها بأعذب الكلمات وتفزع عندما تسمع بعض الأصوات ، ثم تفكر فى أيام الدراسة وفى الأشهر الأولى من عهد الزواج فتحس بحاجة قوية للبكاء

وكانت نتيجة هذا التطور فى عهود حبها أنها رأت جسامة

لفروق بين طفولتها اللاهية وبين شبابها الحزين ، فبدأت نفسها المشوقة تخاف من نفسها العاشقة

وبدأت كذلك تشعر أنها بعد ازدواج نفسها صارت أكثر وحدة وأشد وحشة ، ولجأت من حب نفسها إلى حب زوجها فوجدت فيه ذلك المهذب الذى لا ينسى واجبه والذى يفهمها حق الفهم ويعطف عليها أبلغ العطف

ولكنه بعد مدة لم يعد يستطيع التفرغ لها فقد كان محامياً واشتغل أخيراً بالسياسة وسعى لترشيح نفسه للعضوية فى مجلس النواب . وكان لذلك كثيراً ما يتخلف عن منزله أسبوعاً أو أسبوعين . وكان الزوجان فى ذلك الوقت يقيمان فى مغنى صيفى مجاور للبحر ؛ وقد أنست الزوجة بالسكنى فى هذا المكان طلباً للوحدة فيه وفراراً مما تشعر به فى المدينة من الإغراء ، وكان الهواء الخالص فى ذلك الصيف يهدئ من أعصابها ، ولكن مشغول البال بخاطر واحد لا يمكن أن يستريح سواء أقام فى جوار البحر أو فى ذروة الجبل

وكان لا يزورها فى هذا المغنى إنسان ولا تزور إنساناً ، ولولا زوجها الذى يأتى بين فترات انقطاعه لكانت من هذا المسكن فى وحدة كاملة

واعتادت أن تقضى أوقاتها فى هذه الوحدة جالسة فى حديقة المنزل وفى يدها كتاب تمر بنظرها فوق سطوره ولا تقرأ شيئاً منه أو ماشية فى الأدغال المجاورة تقطع الوقت الذى لا تشعر بمروره أو جالسة شاردة الذهن فى خواطرها وأمانيها . وكانت ترى بين حين وحين سفينة سوداء فيها صياد شاب تتمنى أن يكون الابن الذى ترزقه مخلوقاً على مثاله . وكانت تطرب إلى الصوت الذى يحدثه بمجدافه فى الماء ، لكنها إلى جانب هذا الطرب كانت تشعر بشئ من الخوف وتسرع بالعودة إلى منزلها كأنما رؤية هذا الصياد الفرد تضيع عليها سرور الوحدة

وكانت كثيرا ما تفكر فى معيشته فتقول : إن صياداً وزوجته لا يكاد رزقهما المحدود يكفيهما ؛ ولكن إذا كان بينهما ابن صغير فقطعة من الخبز عندها ألذ من مأدبة ، والكوخ الضيق أرحب بهما من ملكوت السماء ... ثم تذكر حظها وتتنهد . وكانت فى كل ليل يتلو رؤية الصياد تصاب بالأرق وتشتد عليها وطأة الهم حتى تكاد تلقى بكل أثاث المنزل من النافذة فى البحر لتكون حياتها بسيطة لحياة الصيادين . وكانت تشعر فى هذا الحين كأن إنساناً ينتظرها أو أنها على موعد؛ فهى لذلك تترقب وهى لا تعرف مدى ترقبها ، ولا من هو الطيف الذى تنعكس أحلامها عليه

وكان شعورها جليا صريحا فهى تدرك كنهه وإن كانت تجهل سببه . وكانت تدرك أن ذلك الإنسان الذى يصوره لها الشعور مرتبط بها من عهد بعيد وأنها قضت كل هذا العمر فى انتظاره

وكانت فى ساعات وحدتها تخاطبه بأعذب الجمل وأرقها ، وتخال أنها تسمع من فمه السحر الحلال . وأى ضرر فى التمادى فى حبه ؟ أليس شخصا خفيا تحبها سرا فما يشعر بحبه إنسان ؟

وسواء قضت ليلها ناعسة الطرف ، أو مؤرقة ، فقد كانت تقوم فى الصباح مبكرة ، فتسقى أزاهير الحديقة ، وتتعهد أحاديث النبت منها كأنه مولود جديد . وتهش إلى الفراش الطائر . ثم تجلس فى الظلال بين الألوان الزاهية ، والروائح العطرة ...

وفى يوم من هذه الأيام ، سمعت طلقة عيار نارى . ثم وقع تحت قدمها عصفور مصاب بهذه الطلقة . ففزعت ووقفت فى مكانها ، وقد امتقع لونها ... وبعد لحظة جرى نحوها كلب من كلاب الصيد فاختطف العصفور وظهر على الأثر ذلك الصياد صاحب السفينة السوداء . فلما رآها رفع قبعته محيياً ، وهم بأن ينطق بكلمات الاعتذار ... ولكن ألفاظه اختنقت! ... فنظرت إليه نظرة طويلة دون أن تتحرك . ومشى نحوها الشاب وقال :

« إننى آسف يا سيدتى ! لأنى ما كنت أحسب هذا المغنى معموراً وقد كنت أصطاد فى الأدغال المجاورة فأصابت طلقتى طائرا هنا ، ولولا اعتقادى أن المكان خال لما دخلته . ولو كنت أستطيع عتاب نفسى على إزعاجك لعاقبتها ... »

فلم تجبه « لينا » ! ولكنها أشارت إلى باب الحديقة ... فأحنى الرجل رأسه ومشى نحو الباب ! فلما وصل إليه التفت مرة وأحنى رأسه

وكانت فى هذه الأثناء ، قد عادت إلى الجلوس ، وتظاهرت بأنها تقرأ ، ولكن نظرها لم يرتفع عن الصياد ، وقد أعجبها صوته الرخيم الذى لم تسمع مثله قبل الآن ، والذى دلت عذوبته

على انسجامه مع حسن منظره

وكانت توازن بين هذا المنظر وبين الرجل الذى تتوهمه وتشعر بأنها مرتبطة به من سالف السنين فلا تجد فى الموازنة إلا انطباقا ؛ فخرجت من الباب الذى خرج منه باحثة عنه وقضت فى البحث طول النهار فلم تجده وكانت تسائل نفسها : هل يعود ؟ وتجيب عن هذا السؤال بأنه لا يمكن أن يعود بعد طردها إياه عندما طلب إليهـا العفو . وكانت تخجل كلما فكرت فى لقـائه مرة أخرى لشعورها بأنها ستلقاه ، وستعتذر إليه لأنه ليس غريبا عنها ولأن لقاءه كان هو الموعد المنتظر

وفيما هى تفكر على هذا النحو إذ سمعت صوت مجدافيه فى الماء وهو يمر بسفينته أمام المغنى فأطلت من النافذة ورأته يقف لحظة لينظر إلى الحديقة ، وأحست بأن آلسنة تصيح فى قلبها بصوت مفرح : « هذا هو ! هذا هو ! »

ووقع نظره عليها فحدق فيها ، وكأنه هو الآخر كان يحلم بها مثل حلمها به . وكان يشعر بضعة مكانته وسمو مكانها فلم يجرؤ على مطالبتها بأن تحبه ولـكنه تشجع فطلب إليها أن تصفح عنه

وجزت بينهما جمل قصيرة يسمع الناس مثلها كل يوم ولـكن «لينا» تبينت فى لهجة هذه الـكلمات حبا خالصاً وهوى مشبوباً ، ونسيت فى هذه اللحظة كل الماضى بل نسيت الحاضر أيضاً

وسكت كلاهما ، ولـكن نظراتهما كانت أبلغ فى الخطاب من كل بيان . وقرأت فى عينيه تضرعه فى الاعتذار فقالت : « لقد عفوت عنك »

ثم ذهبت بعد ذلك منهوكة القوى فألقت نفسها على السرير

وبعد تلك الليلة كانت السفينة السوداء تأتى كل يوم إلى المنزل فتنزل لينا لاستقبال الصياد فى الحديقة وتترك يدها البيضاء بين كفيه وثغره يقبلها كيف يشاء . ولم تعده بشئ آخر ولـكنها سمحت له بأن يؤمل أنه قد يجوز فى المستقبل أن . . .

وفى أحد الأيام وصل الزوج بعد غيبة طويلة . وكان مهتاجاً مشغول القلب والذهن لأن الوزراء سيزورونه فى المساء فى مغناه وسيكون للوليمة التى سيقيمها لهم شأن عظيم يدنو به من مجلس النواب

وجرى الاستعداد للحفلة على ساق وقدم . وأضيئت المصابيح على شاطئ البحر وعلى جوانب الحديقة . وجاء الوزراء واشتركت لينا فى الجزء الأول من الحفلة . . . فلما دب دبيب الخمر فى بدنها وأبدان الزوار غادرت المغنى إلى الشاطئ وركبت فى السفينة السوداء مع الصياد للتنزه ساعة أو بعض ساعة تاركة زوجها والزوار . . .

ولما عادت إلى المنزل كانت أضواء الحفلة قد خمدت وأوشك الصباح أن يبزغ . وكان الزوج نائما يحلم بأنه صار عضوا فى البرلمان فنامت لينا وهى تحلم بالسفينة السوداء وبمولود جميل ستضعه بعد تسعة أشهر

ع . د

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا
وهي تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

في ظلال مولد الرسول ... ... : للأستاذ سيد قطب ١٣٢٩

أيها الإنسان — إعرف نفسك : « على الطنطاوى ١٣٣١

الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٣٣٢

الميسر والأزلام ... ... : للأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٣٣٥

تركيا ... ... : للأستاذ أبو الفتوح عطيفة ... ١٣٣٨

حياة المازنى ... ... : « محمد محمود حمدان ... ١٣٤٠

كرامة الأخيار ... ... : « محمد منصور خضر ... ١٣٤٣

شلر — لتوماس كارليل ... ... : للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت ١٤١٥

رباعيات ... ... (قصيدة) : للدكتور عبد الوهاب عزام ... ١٣٤٩

بين عهدين ... ... (قصيدة) : للأستاذ محمد عثمان الصمدى ... ١٣٤٩

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٣٥١

(البريد الأدبي) — إقتراح بإنشاء مجمع فكرى — الأزهر والثورة ١٣٥٣
— حضرة ... ...

(القصص) — الزوجة الحسناء — للكاتب النمسوى هيرمان بار ... ١٣٥٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 1013

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فى ظلال مولد الرسول

تفسير آيـــة

للأستاذ سيد قطب

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد »

« تلك الرسل » .. لا هؤلاء الرسل .. إنهم جماعة خاصة ، ذات طبيعة خاصة . ثم يجئ التفضيل والتفاضل فى دائرة هـذه الجماعة ، أو هذه الطبيعة

فما الرسالة ؟ ما طبيعتها ؟ كيف تتم ؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا وبماذا ؟

أسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! إن حسى ليفعم بمشاعر ومعانى لا أجد لها كفاء من العبارات . ولـكن لابد من تقريب المشاعر والمعانى بالعبارات !

إن لهذا الوجود سننا أصيلة ، يشير إليها هذا القرآن فيقول : « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » هذه السنن هى القوانين الـكونية التى أودعها الله الوجود ، ليسير على وفقها ، ويتحرك بموجبها ، ويعمل بتقتضاها

والإنسان يكشف عن أطراف من هذه القوانين ، كلما ارتقى فى سلم المعرفة ، يكشف عنها — أو يكشف له عنها — بمقدار يناسب علمه المحدود ، المستمد من الملاحظة والتجربة ، وهما وسيلتان جزئيتان فى طبيعتهما ؛ ولـكنهما تقودان أحيانا إلى أطراف من القوانين الـكلية ، فى آماد متطاولة من الزمان . ثم يظل هـذا الـكشف جزئيا لأن سر التناسق بين تلك القوانين كلها ، الناموس الأزلى الخالد الذى بين القوانين جميعا ، ذلك السر يظل خافيا لا تهتدى إليه الملاحظة الجزئية ، ولا التجربة الجزئية مهما طالت الآماد

هنا يجئ دور الرسالة . دور الطبيعة الخاصة التى آتاها الله الاستعداد اللدنى لتتجاوب فى أعماقها — بطريقة ما نزال نجهل ماهيتها وإن كنا ندرك آثارها — مع ذلك الناموس الخالد الذى يسير الـكون كله على هداه .. هذه الطبيعة الخاصة هى التى تتلقى الوحى ، فتطيق تلقيه ، لأنها مهيأة لاستقباله . إنها تتلقى الإشارة الإلهية التى يتلقاها هذا الوجود ، لأنها متصلة اتصالا مباشرا بناموس الوجود .. كيف تتلقى هذه الإشارة ، وبأى جهاز تستقبلها ؟ نحن فى حاجة — لكى نجيب — أن تكون لنا نحن هذه الطبيعة التى يهبها الله من يشاء من عباده . و « الله أعلم حيث يجعل رسالته »

***

كل الرسل أدركوا حقيقة « التوحيد » . وكلهم بعثوا بها . ذلك أن إيقاع الناموس الواحد فى حسهم كله هداهم إلى مصدره الواحد الذى لا يتعدد — وإلا لتعدد الناموس وتعدد إيقاعه فى حسهم ، وهم المتصلون اتصالا مباشرا بالناموس الـكونى فى أعماقهم — وكان هذا الإدراك فى فجر البشرية ، قبل أن تنمو

المرنة الخارجية ، وقبل أن تتكشف بعض القوانين الـكونية .. وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد ، لأن هـذا المنطق الفطرى ، الناشئ من إيقاع الناموس الواحد ، فى الفترة الواصلة ، المتصلة بناموس الـكون الواحد

ويوما بعد يوم تكشفت أطراف من قانون الوحدة الأزلى الخالد فى نظام الوجود . . وحدة التكوين ، ووحدة الحركة ، وأخيرا — فى هذه الأيام — وحدة « الذبذبات » لـكل أنواع الذرات التى يتألف منهـا الـكون المعروف .. لقد تكشف أن الذرة — وهى طاقة — هى أساس تكوين جميع القوى والأجسام ، ثم تكشف أن عدد « الذبذبات » الـكهربائية واحد فى جميع الذرات .. إنه طرف من قانون الوحدة يتكشف بمقدار ما تطيق الملاحظة والتجربة أن تبلغ . . أما الطبائع الخاصة الموهوبة فقد أدركت القانون كله فى لمحة ، لأنها تتلقى إيقاعه وتطيق وحدها تلقيـه

إنهم لم يجمعوا الأمثلة والشواهد على تلك الوحدة عن طريق التجارب العلمية ؛ ولـكنهم وهبوا جهاز استقبال كامل مباشر ، فاستقبلوا إيقاع الناموس الواحد استقبالا داخليا مباشرا ، فأدركوا إدراكا مباشرا أن الإيقاع الواحد لابد منبعث عن ناموس واحد ، عن مصدر واحد . . واليوم تنبئ وحدة عدد الذبذبات الصادرة من جميع الذرات التى تلقتها أجهزة العـلم الحديثة وسجلتها ... تنبئ عن أن ذلك الجهاز اللدنى فى تلك الطبائع الخاصة الموهوبة ، كان أسبق ، وكان أدق ، وكان أشمل وأكمل ؛ لأنه أدرك ماوراء وحدة الإيقاع ، من وحدة المصدر ، ووحدة القدرة ، ووحدة المشيئة

ترى قد بلغت شيئا فى تصوير تلك المشاعر والمعانى ، التى تفعم حسى تجاه الرسالة ؟ أرجو . وإلا فليـكتف القراء مثلى بتلك المشاعر والمعانى !

***

و « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .. والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرســول . كأن يكون رسول أمة ، أو جيل ، أو أجيال ، أو جميع الأجيال . كما يتعلق بالميزات التى يوهبها لشخصه أو لأمته . أو بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الـكونية والإنسانية

وقد ذكر النص هنا مثالين فى موسى وعيسى ؛ وأشار إشارة عامة إلى سواهما : «منهم من كلم الله — ورفع بعضهم درجات — وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس »

ولم يذكر محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى صدر الأمثلة ، لأن الخطاب موجه إليه ، وهذا إخبار له عن غـيره من الرسل فقد سبق هذه الآية قوله تعالى :

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »

وحين ننظر إلى مقامات الرسل — صلوات الله وسـلامه عليهم — من ناحية الاستعداد لإدراك الوحدة الـكبرى ، ومن ناحية شمول الرسالة لـكل جوانبها ، ومن ناحية محيطها وامتدادها نجد محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى القمة العليا . فالإســلام هو أكمل تصوير لتلك الوحدة : وحدة الخالق الذى ليس كمثله أحد ، ووحدة الإرادة التى يصدر عنها الوجود كله بكلمة : « كن » . ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ، ووحدة الناموس الذى يحكم هـذا الوجود ، ووحدة الحيـاة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق ، ووحـدة البشرية من آدم إلى آخر أبنائه فى الأرض ، ووحدة الدين الصادر من الإله الواحد إلى البشرية الواحدة ، ووحدة الرسل المبلغين لهذه الدعوة ، ووحدة المؤمنين الذين لبوا دعوة الدعاة ، ووحدة النفس البشرية جسما وعقلا وروحا ، غريزة وميلا وشوقا ، ووحدة العمل والعبادة ما دام كلاهما متجها إلى الله ، ووحدة الدنيـا والآخرة دارى العمل والجزاء

ومحمد — صلى الله عليه وسـلم — هو الذى أطاقت روحه التجاوب المطلق مع الوحدة الـكبرى ، كما أطاق عقله تصور هذه الوحدة وتمثلها

كذلك هو الرسول الذى أرسـل إلى البشر كافة ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والذى اعتمدت رسالته على الإدراك الإنسانى الواعى دون ضغط حتى من معجزة مادية قاهرة ، ليعلن بذلك عهد الرشد الإنسانى

ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وهـذا ما يعنينى أن أبرزه هنا ، تفسيرا لانقطاع الوحى بعده . فلقد ارتسمت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الـكبرى ، وأعلن

البقية على صفحة ١٣٥٧

من أحاديث الإذاعة

أيها الإنسان.. اعرف نفسك

للأستاذ على الطنطاوى

إنكم تسمعون كل يوم أحاديث فى الجد وفى الهزل ، وفى الخير وفى الشر . أحاديث تدعو إلى الوطنية ، وأحاديث تسمو بالخلق ، وأحاديث فيها متعة وفيها تسلية ؛ ولكن حديثى الليلة أهم من هذه الأحاديث كلها ، لا لأنى أنا كاتبه ، أعوذ بالله من رذيلة الغرور ، بل لأنه أمس الموضوعات بكم ، وأقربها إليكم ، ولأنه دعوة لكم لتعرفوا أنفسكم

لا تضحكوا يا سادة ولا تظنوا أنى أهزل ، ولا تقولوا : ومن منا لا يعرف نفسه ؟ فإنه كان مكتوبا على باب معبد أثينة كلمة سقراط : « أيها الإنسان اعرف نفسك » ومن يوم سقراط إلى هذه الأيام ، لم يوجد فى الناس (إلا الأقل الأقل منهم) من عرف نفسه !

ومتى تعرف نفسك يا أخى ، وأنت من حين تصبح إلى حين تنام مشغول عنها بحديث أو عمل أو لهو أو كتاب ؟

ومتى تعرف نفسك وأنت لا تحاول أن تخلو بها ساعة كل يوم تفكر فيها لا يشغلك عنها تجارة ولا علم ولا متاع ؟

ومتى . . وأنت أبدا تفكر فى الناس كلهم إلا نفسك . . وتحدثهم جميعا إلا إياها ؟

***

تقول « أنا » فهل خطر على بالك مرة واحدة أن تسأل : « ما أنا » ؟ هل جسمى هو (أنا) ؟ هل أنا هـذه الجوارح والأعضاء ؟

إن الجسم قد ينتقص بعاهة أو مرض ، فتبتر ساق ، أو تقطع يد ، ولكن (أنا) لا يصيبنى بذلك نقصان !

فما (أنا) ؟

ولقد كنت يوما طفلا ثم صرت شابا ، وكنت شابا فصرت كهلا ، فهل خطر على بالك أن تسأل : هل هذا الشاب هو ذلك الطفل ؟ وكيف ؟ وما جسمى بجسمه ، ولا عقلى بعقله ، ولا يدى هذه يده الصغيرة . فأين ذهبت تلك اليد . ومن أين جاءت هـذه ؟

وإذا كانا شخصين مختلفين فأيهما أنا ؟ هل أنا ذلك الطفل الذى مات ولم يبق فى من جسده ولا فكره بقية ؟ أم أنا الكهل الذى يلقى هذا الحديث ؟ أم أنا الشيخ الذى سيأتى على أثره بجسمه الوانى وذهنه الكليل ؟ ما أنا ؟

وتقول : « حدثت نفسى ، ونفسى حدثتنى » فهل فكرت مرة ، ما أنت ؟ وما نفسك ؟ وما الحد بينهما . وكيف تحدثك أو تحدثها ؟

وتسمع الصباح جرس الساعة يدعوك إلى القيام — فقد حان الموعد ، فتحس من داخلك داعيا يدعوك إلى النهوض ، فإذا ذهبت تنهض ناداك منك مناد أن تريث قليلا واستمتع بدفء الفراش ، ولذة المنام — ويتجاذبك الداعيان : داعى القيام وداعى المنام . فهل فكرت ما هذا ؟ وما ذاك ؟ وما أنت بينهما ؟ وما الذى يزين لك المعصية ومن يصور لك لذتها ، ويحركك إليها ؟ وما الذى ينفرك منها ، ويبعدك عنها ؟ يقولون : إنه النفس وإنه العقل . فهل فكرت يوما ما النفس الأمارة بالسوء ، وما العقل الرادع عنه ؟ وما أنت ؟

وتثور بك الشهوة ، حتى ترى الدنيا كلها مخدع الحبيب ، والحياة كلها متعة الجسد ، وتتمنى أمانى لو أعطيها شيطان لارتجف من فظاعتها الشيطان ، ثم تهدأ شهوتك فلا ترى أقبح من هذه الأمانى ، ولا أسخف من ذلك الوصال !

ويعصف بنفسك الغضب حتى ترى اللذة فى الأذى ، والمتعة بالانتقام . وتغدو كأن سبعا حل فيك ، فصارت إنسانيتك وحشية .. ثم يسكت عنك الغضب ، فتجد الألم فيما كنت تراه لذة ، والندم على ما كنت تتمناه

وتقرأ كتابا فى السيرة ، أوتتلو قصة ، أو تنشد قصيدة ، فتحس كأن قدسكن قلبك ملك فطرت بغيرجناح إلى عالم كله خير وجمال ، ثم تدع الكتاب ، فلا تجد فى نفسك ولا فى الوجود أثارة من ذلك العالم

فهل تساءلت مرة ما أنا من هؤلاء ؟ هل أنا ذلك الإنسان الشهوان الذى يستبيح فى لذته كل محرم ويأتى كل قبيح ؟ أم ذلك الإنسان البطاش الذى يشرب دم أخيه الإنسان ، ويتندى بعذابه ويسعد بشقائه ؟ أم ذلك الإنسان السامى الذى يحلق فى سماء الطهر بلا جناح ؟ أسبع أنا أم شيطان أم ملك ؟

***

أتحسب أنك واحد وأنك معروف . وأنت جماعة فى واحد وأنت عالم مجهول . كشفت مجاهل البلاد ، وعرفت أطباق الجو ، ولا تزال أنت مخفيا ، لم يظهر على أسرارك أحد . فهل حاولت مرة أن تدخل إلى نفسك فتكشف مجاهلها ؟

نفسك عالم عجيب ، يتبدل كل لحظة ويتغير ، ولايستقر على حال : تحب المرء فتراه ملكا ، ثم تكرهه فتبصره شيطانا ، وما ملكا كان قط ولا شيطانا ، وما تبدل ، ولكن تبدلت حالة نفسك . وتكون فى مسرة فترى الدنيا ضاحكة ، حتى أنك لو كنت مصوراً لملأت صورتها على لوحتك بزاهى الألوان ، ثم تراها وأنت فى كدر ، باكية قد غرقت فى سواد الحداد . وما ضحكت الدنيا قط ولا بكت ، ولكن كنت أنت الضاحك الباكى

فما هذا التحول فيك ؟ وأى أحكامك على الدنيا أصدق ؛ وأى نظريك أصح ؟ وإذا أصابك إمساك فنالك منه صداع ، ساءت عندك الحياة ، وامحى جمال الرياض ، وطمس بهاء الشمس ، واسود بياض القمر ، وملأت الدنيا فلسفة شؤم إن كنت فليسوفا ، وحشوت الأسماع شعر بؤس إن كنت شاعرا . فإذا زال ما بك بقدح من زيت الخروع ، ذهب التشاؤم فى الفلسفة ، والبؤس فى الشعر . فما فلسفتك يأيها الإنسان وماشعرك إن كان مصدرها قدح من زيت الخروع ؟

وتكون وانيا ، واهى الجسم ، لا تستطيع حراكا ، فإذا حاق بك خطر ، أوهبط عليك فرح . وثبت كأن قدنشطت من عقال ، وعدوت عدو الغزال ، فأين كانت هذه القوة كامنة فيك ؟ هل خطر على بالك أن تبحث عن هذه القوة فتحسن استغلالها ؟ هل تساءلت مرة عندما تغضب أو تفرح فتعمل الأفاعيل — كيف استطعت أن تفعلها ؟

إن النفس يا أخى كالنهر الجارى ؛ لا تثبت قطرة منه فى مكانها ، ولا تبقى لحظة على حالها ، تذهب ويجئ غيرها ، تدفعها التى هى وراءها ، وتدفع هى التى أمامها . فى كل لحظة يموت فيك واحد ويولد واحد ، وأنت الكل ؛ أنت الذى مات وأنت الذى ولد ، فابتغ لنفسك الكمال أبدا ، واصعد بها إلى الأعالى ، واستولدها دائما مولودا أصلح وأحسن ، ولا تقل لشئ لاأستطيعه فإنك لا تزال كالغصن الطرى ، لأن النفس لا تيبس أبدا ، ولا تجمد على حال ، ولو تباعدت النقلة ، وتباينت الأحوال .. إنك تتعود السهر حتى ما تتصور إمكان تعجيل المنام ، فما هى إلا أن تبكر المنام ليالى حتى تتعوده فتعجب كيف كنت تستطيع السهر ! وتدمن الخمرة حتى ما تظن أنك تصبر عنها ، فما هى إلا أن تدعها حتى تألف تركها ، وتعجب كيف كنت تشربها . وتحب المرأة حتى ما ترى لك حياة إلا بها ، فما هى إلا أن تسلوها حتى تعجب كيف كنت تحبها . فلا تقل لحالة أنت فيها ، لا أستطيع تركها ، فإنك فى سفر دائم ، وكل حالة لك محطة على الطريق ، لا تنزل فيها حتى ترحل عنها

***

فيا أخى . اعرف نفسك ، واخل بها ، وغص على أسرارها . وتساءل أبدا : ما النفس ؟ وما العقل ؟ وما الحياة ؟ وما العمر ؟ وإلى أين المسير ؟

ولا تنس أن من عرف نفسه عرف ربه ، وعرف الحياة ، وعرف اللذة الحق التى لا تعدلها لذة . وأن أكبر عتاب عاقب به الله من نسوا الله أنه أنساهم أنفسهم !

على الطنطاوى

٥ - على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

١ — الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

ضرورة التعرف على جوهر السلوك السوفييتى

المنطق الرئيسى الذى تلجأ إليه الحكومتان الأمريكية والبريطانية ومعها بقية الحلف الأطلنطى لإقناع الدول والشعوب العربية بالتعاون معهما فى نظام للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط يستند إلى خطر تعتقد دول الحلف الأطلنطى أنه كامن فى مطامع روسيا السوفييتية للتوسع فى الشرق الأوسط ورابض فى صميم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (والسياسية كذلك) التى تعيش عليها شعوب الشرق العربى وبعض الشعوب الإسلامية المجاورة

وفى اعتقاد كاتب هذه السطور أن من أهم الأمور التى يجب أن يشغل بها صناع السياسة والمصلحون الاقتصاديون والاجتماعيون فى الشرق العربى هو محاولة التعرف على دقائق السلوك السياسى والفكرى للشيوعية العالمية ممثلة فى مركزية الاتحاد السوفييتى وفى الحركات الشيوعية المحلية فى مختلف البقاع — حركات تدين لموسكو بالولاء وتستوحى منها الإرشاد والتوجيه

فإن أبرز ما فى هذه الاتجاهات السياسية والفكرية فى حاضر الشرق إجمالا والعالم العربى على وجه الخصوص هى البلبلة السياسية والفكرية التى تعترى القادة والمواطنين حين يحاولوا مخلصين صادقين فى تحديد موقفهم السياسى ومبادئهم الاقتصادية والاجتماعية إزاء التنافس الحاد الذى يشهده الشرق العربى (بل العالم بأسره) بين المعسكرين المتطاحنين الشيوعى وحلف الأطلنطى

ولقد وجد الشرق العربى نفسه ملما بكثير من دقائق السلوك البريطانى والأمريكى والفرنسى وهؤلاء هم دعامة المعسكر الغربى وذلك بفضل هذه التجارب التاسية المرة التى تكشفت عن ألوان الثقافة الغربية التى تجد سبيلها إلى الثقافة العربية وعن الحاكم بالمحكوم والتاجر بالمشترى والقوى بالضعيف سواء فى استعمار بريطانيا السابق لأجزاء هامة من عالم العرب أم صهيونية أمريكا ومصالحها الاقتصادية والدبلوماسية أم فى استرقاق الفرنسيين لعرب المغرب الأحرار

ولكن يندر أن تمس فى تجارب العرب السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية احتكاكا مباشرا مع الروس توفر للمواطنين العرب وزعمائهم السياسيين فرصا نافعة تعرفوا فيها على دقائق السلوك الروسى على ماعرفوه من سلوك الأمريكان والأوربيين فى تجاربهم الطويلة معهم

وإن من غير الصواب أن نحلل الفكر والسلوك لروسيا السوفييتية على ضوء موجات الدعاية أو بما نلمسه من سلوك العناصر الشيوعية المحلية التى تدين بالولاء لموسكو ، فللفكر السوفييتى خصائص فريدة زرعت ونمت وشبت فى طبيعة المجتمع الروسى ، وإن ما يصدر إلى الخارج من هذه الخصائص السوفييتية عن طريق الحركات الشيوعية خارج الاتحاد السوفييتى لا يتعدى نماذج مصطنعة اختيرت لتلائم وضعا إقليميا معينا ، وهذه النماذج تختلف باختلاف الأوضاع الإقليمية وباختلاف الشعوب التى يجرى فيها النشاط الشيوعى . فالبضاعة التى تروجها الشيوعية المحلية فى الشرق العربى مثلا تختلف عن النماذج التى يروجها الشيوعيون فى إيطاليا أو فرنسا مثلا . وكل هذه النماذج ليس صورة صادقة لحقيقة الأهداف التى تطمح موسكو لتنفيذها فى المراحل النهائية

والمهم أن ندرك أن الوضع الجغرافى والمركزى الدولى للعالم العربى يفرض علينا يقظة حساسة لمراقبة دقائق السلوك السياسى والفكرى لكلا المعسكرين المتطاحنين السوفييتى والغربى . ولما كانت علاقتنا السياسية والثقافية مع المعسكر الغربى متواصلة مستمرة توفر لنا وسيلة طيبة للتعرف على تفكير هذا المعسكر ونواياه وأهدافه وسلوكه ، وحيث أن صلتنا الفكرية والسياسية بالاتحاد السوفييتى بعيدة متقطعة ؛ فإن المصلحة الجوهرية لكياننا

القومى تفرض علينا سبر غور هذا اللغز السوفييتى خصوصا وأن فى العالم العربى أوساطا واعية ذات مكانة ونفوذ تؤمن بأن كثيرا من مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتبطة « بالورقة النـامضة » التى يحملها الاتحاد السوفييتى إزاء الشرق الأوسط فى هـذه المقامرة السياسية والعسكرية التى يلعبهـا المجتمع الدولى فى هذه الأيام

وبعد فإن كاتب هذه السطور لن يحاول فى هذا البحث أن يقارن بين أهداف الطرفين (الروس وحلفاء الغرب) وسلوكهما ، ولن يطمح فى أن يربط قضايا العالم العربى بهذا أو ذلك . وإنما هى محاولة للتعرف على بعض الحقائق الجوهرية للفكر والسلوك الروسى فى إطاره العام ، فلعل فى هذه المحاولة نفعا للمواطن العربى الذى يقف بين حجرى الرحى ومقدراته العامة والخاصة فى يديه يحاول أن يجد الخلاص من هذا المأزق المحرج الذى فرضه عليه صراع فكرى وسياسى واقتصادى بين كتلتين سياسيتين تتنافسان اليوم على السيادة الدولية

***

ليس المهم فى هذا النوع من البحث أن يحلل الكاتب المبادئ الفكرية (الأيديولوجيه) التى تستند إليها الدعوة الشيوعية السوفييتية بقدر ما يهمه أن يتعرف على الأساليب التى تتميز بها السيـاسة السوفييتية عند قيامها بتنفيذ هذه المبادئ فى روسيا نفسها وفى العالم الخارجى

فالاقتناع بالعقائد والنظم الفكرية (شيوعية كانت أم غير شيوعية) أصبح اليوم أمرا ثانويا إزاء سياسة توازن القوى التى تشوب سلوك المعسكرين الكبيرين الروسى والغربى . فقد أصبح كلا الطرفين أميل إلى توطيد نفوذه فى المناطق الحساسة (كمنطقة الشرق العربى) فى أساليب تبتعد فى كثير من الحالات عن جوهر المبادئ والمعتقدات الفكرية التى تستند إليها نظم الحكم فى كل من الاتحاد السوفييتى ودول حلف الأطلنطى. فالعالم اليوم فى حالة حرب « باردة » وحالات الحرب تستلزم خدعة فى السلوك ومناورة فى أساليب الكر والفر الدبلوماسى . وعلى ذلك فإن حاضر الوضع الدولى يتطلب اهتماما بدقائق هذا السلوك أكثر من اهتمامه بالمعالجات المنطقية لجوهر النظم الفكرية والسياسية التى تبشر بها الدول الكبرى التى لها القول الفصل فى مصير السلم والحرب

ولقد أشرنا فى فترة سابقة إلى أن الشعوب العربية قد اختبرت عن كثب كيف أن سياسة الدول الديمقراطية الغربية فى العالم العربى لاتتمشى فى كثير من الحالات مع المبادئ الديمقراطية التى يستند إليها الفكر الغربى وأنظمة الحكم القائمة فى أوربا وأمريكا. فمأساة فلسطين علم على ذلك وتراث الاستعمار الغربى فى دنيا العرب مثل حى من أمثلة هذا التناقض بين العقائد والسلوك

أفليس من الصواب إذن أن نسعى لمعرفة ألوان التناقض بين العقيدة الشيوعية السوفييتية وبين سلوكها السياسى مع العالم الخارجى ، ونحن فى منطقة حساسة يتوقف كيانها السياسى وبقاؤها على خارطة الأرض على ما يتمخض عنه صراع الدول الكبرى المتنافسة . ألم يصرح الجنرال أيزنهاور كبير القادة العسكريين فى دول الحلف الأطلنطى بأن الشرق الأوسط هو أهم ميدان عسكرى فى خارطة العالم العسكرية [1]

وبعد فإن التعرف على دقائق السلوك يتطلب معرفة بخصائص العقلية السوفييتية . ويجب أن نميز بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية ؛ فالأولى إطار فكرى يعيش على تراث ماركس ولينين — وستالين وهو تراث راسخ فى ثقافة رجال الحكم وصناع السياسة الذين يسيطرون على مقدرات روسيا اليوم . والثانية عقلية «شعبية» تراثها الثقافة الروسية التقليدية والمقومات التاريخية والأدبية والعاطفية وطبيعة المناخ والإقليم وسائر ألوان النشاط الإنسانى التى تتميز بها الشعوب من بعضها . ولاشك أن هناك تشابكا بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية بحكم أن رجال الحكم المسؤولين عن روسيا اليوم هم من صلب الشعب الروسى . وهذا التشابك بين العقليتين يتقطع فى كثير من الحالات والأحداث الخطيرة الهامة . ففى عقول البلاشفة السوفييتيين طبقات كثيفة من فلسفة ماركس ولينين وستالين والمدارس الفكرية المنبثقة عنها ترقد فوق تراثهم ومقوماتهم الخلقية الروسية التى ورثوها بحكم كونهم من إنتاج الشعب الروسى ، ولكن

(١) — فى خطاب له أمام مجلس الحلف الأطلنطى فى دورته المنعقدة فى روما فى شتاء سنة ١٩٥١

٥ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

لماذا استقسم العرب بالأزلام ؟

كان العرب فى الجاهلية على حيرة من أمرهم : أديان شتى ، وقبائل شتى ؛ لا نظام لهم يجتمعون عليه ، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها ، ويقفون عند الحدود التى ترسمها ، والقوانين التى تضعها فتكون موضع التنفيذ . والصحراء التى يضطربون فيها فتنتالهم حينا وتبسط عليهم جناح الأمن حينا ، وكذلك حال الفزع التى كانت تساجهم من أشباح الحرب والنارات التى تصبحهم وتمسيهم ، وتفاجئهم فى ساعة من ليل أو ساعة من نهار . وكذلك حالتهم المعيشية التى تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع القاتل أحيانا لاضطراب الحياة الاقتصادية . وكثرة حوادث القتل والاغتيال التى يتعذر عليهم إصدار حكم فيها . كل أولئك جعلهم فى حيرة من أمرهم ، وألقى عليهم ظلا ممتدا قاتما من التردد والحيرة ، والشك والاضطراب . فكان لابد لهم مما يذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة ، فلجأوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئا من الروح والطمأنينة وإن صارت عليهم حربا فيما بعد ذلك . لجأوا إلى التفاؤل والطيرة فحكموا الطير والحيوان فى أمورهم ، أيقدمون أم يحجمون . وتفاءلوا بالأصوات والكلمات يلتمسون فيها المعنى الذى يبسطهم فيمضون فيما هم بسبيله ، والمعنى الذى يقبضهم فيرتدون إلى حيث الأمن والسلامة

قال الجاحظ[1] : ويدل على أنهم يشتقون من اسم الشئ الذى يعاينون ويسمعون قول سوار بن المضرب :

تغنى الطائران ببين ليلى على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير دانى

فاشتق كما ترى الاغتراب من (الغرب) والبينونة من (البان)

وقال جران العود :

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها عقاب وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهى منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد فى العقاب إلا العقوبة ، ووجد فى الغراب معنى الغربة واستخبروا الجماد ، فكانوا يضربون بالحصى ليحكم بينهم فى أمرهم ، يطيعون حكمه وهو الجماد الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئا

كان يفعل ذلك دهماء العرب ذوو النفوس اللينة الضعيفة ويذكرون أن النابغة الذبيانى كان من أولئك . زعم الأصمعى[2] أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زبان من تلك الغزوة غانما سالما قال :

تخبر طيره فيها زياد لتخبره وما فيها خبير[3]

(١) الحيوان (٤ : ٤٤٠)
(٢) الحيوان (٤ : ٤٤٧)
(٣) زياد : اسم النابغة الذبيانى . ومما يجدر ذكره أن العرب يعدون (الجراد) من الطير

هذه الطبقات الكثيفة جامدة متحجرة تنفرد فى التأثير بسلوك رجال الحكم السوفييتى بصورة قد تتناقض فى بعض الحالات مع طبيعة العقلية والمقومات الخلقية للشعب الروسى . وليس هذا التناقض بشئ جديد فى سلوك الأفراد والجماعات ؛ فالبريطانى فى بلده إنسان يختلف فى عقليته وسلوكه عن مواطنه الذى يتولى حكما فى مستعمرة أو ينفذ سياسة معينة درب نفسه على تنفيذها مسلحا بثقافة استعمارية خاصة ، فرجال السلك الخارجى البريطانى مثلا حين ينتدبون للخدمة فى المستعمرات والمحميات والانتدابات يمرون فى تدريب خاص فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة لندن مثلا ، وما أكثر ما خلته هذا التدريب من سلوك شاذ بعيد عن أوصاف العقلية البريطانية التقليدية

وبمثل هذا القياس يجب أن نوازن بين رجال الحكم السوفييتى فى موسكو وبين المواطنين الروس من غير رجال الحكم والإدارة . فنصف رجال الحكم بأن لهم عقلية سوفييتية (والسوفييت كلمة اشتقت بعد توطد الحكم الشيوعى فى روسيا)

ولنعرج الآن بعد هذه المقدمة على صلب البحث ونحاول أن نتعرف على بعض خصائص السلوك السوفييتى وعقلية الذين يوجهونه

نيويورك — للكلام بقية — عمر حليق

أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طـير إلا على متطير وهو الثبور

والبيت الثانى من هذه الأبيات يدلنا على مقدار إيمان بعض العرب بالطيرة ، وخضوعهم التام لسلطانها كما أن البيت الرابع يدلنا على نظرة العقلاء منهم إلى الطيرة ، وأنها من صميم الاتفاق لا غير . وكان زبان من دهاة العرب وساداتهم

وممن كان لا يرى الطيرة شيئا المرقش من بنى سدوس ، إذ يقول :

إنى غدوت وكنت لا أغـدو على واق وحاتم
فإذا الأشـائم كالأيا من والأيامن كالأشـائم
فـكذاك لا خـير ولا شر على أحـد بدائم

فالعرب فى جاهليتهم كانوا يضطرون إلى ذلك ليجتلبوا قوة العزيمة فيما ضعفت عزيمتهم فيه ، وليقطعوا الشك قطعا بذلك الحـكم الحاسم الذى يخضعون له خضوعا كاملا

١ — فكان العربى إذا أراد السفر والنقلة من موضعـه استقسم بالأزلام ، ففى السفر مخاطر كثيرة ، مخـاطر الطريق أن يضل به أو تتعرض له فى جنباته السباع ، أو تطيح به العاصفة الهوجاء ، ومخاطر الرحلة التى يمتطيها فقد تهلك راحلته فتستبد به مشقة السفر . وتحدثه نفسه بعد ذلك ، أيئوب سـالما غانما ، أم يغتاله الهلاك وتطويه الخيبة ، فلا بد له أن يقوى عزمه باستشارة الأزلام فهى التى تأمره ، وهى التى تنهاه

٢ — وكان العربى إذا ابتغى تجارة وليست التجارة أمراً هينا عند العرب ، فلا بد للتجارة فى أغلب الأمر من رحلة إلى شرق البلاد أو غربها ، أو شمالها أو جنوبها ، وفى ذلك التعرض للسلب والنهب والعداوات القبلية . فهو قبل أن يضع رجـله فى غرز ناقته يستفتى الأزلام لتبشره بالفوز وتؤيد رأيه فى القيام بهذه الرحلة ، أو لترده عما عسى أن يكون قد كمن له فى ثنيات الطريق من مخاوف وأخطار

٣ — وكان العرب يلقون بالا كبيرا إلى الأنسـاب ، يتحرجون أن يدخل الأجنبى فى أنسابهم ، مبالغة منهم فى حصانة القبيلة وتماسكها ، فإذا شكوا فى نسب مولود أو رجل فليست لهم وسيلة تذهب عنهم ذلك الشك إلا أن يحتكموا إلى الأزلام لتخبرهم بصحة نسبه أو بطلان ذلك

٤ — وكانوا إذا خرجوا فى حرب عرجـوا قبل ذلك على أمين الأزلام ليكشف لهم بأزلامه عما يخبئ الغيب لهم من فوز وغنيمة ، أو خيبة وإخفاق فيمضون أو يرتدون

٥ — وإذا حصل بينهم (مداراة) أى خلاف وخصومة ، فإن الحـكم فيها هو الأزلام (٤)

٦ — وإذا أرادوا استنباط المياه وأرادوا أن يحفروا بئرا ضربوا بالقداح يستأمرونها فى ذلك (٥)

٧ — وكذلك الأمر إذا عزم أحدهم على زواج ، أو على ختان ولده ، أو على بناء قبته ، وسائر شؤون الحياة التى يطرأ عليه فيها الشك والاضطراب (٦)

أزلام الاستقسام

وأزلام الاستقسام هذه شبيهة بقداح الميسر ، فهى عيدان تسوى مثل ما تسوى عيدان قداح الميسر . وإنما سميت هذه القداح بالأزلام لأنها زلت ، أى سويت . ويقـال : رجل مزلم وامرأة مزلمة ، إذا كان خفيفا قليل العلائق . ويقال : قدح مزلم ، وزلم إذا ظرف وأجيـد قده وصنعه . وما أحسن ما زلم سهمه ، أى سواه . ويقال لقوائم البقر أزلام ، شبهت بالقداح للطافتها (٧)

وقد أسلفنا القول أن قداح الميسر تحز فيها حزوز ، أو توسم بوسوم تميز بعضها عن بعض . ولـكن أزلام الاستقسام كانت تعلم بعلامات أخر تتفق مع الغرض الذى أعدت له ، وذلك بكتابة خاصة تسجل عليها ، كما سيأتى

ويختلف الرواة فى عدد هـذه الأزلام فيبلغون بها الثمانية عدا . كتب على واحد منها : (أمرنى ربى) ، وعلى واحد منها : (نهانى ربى) وعلى واحد : (منكم) ، وعلى واحد : (من غيركم) وعلى واحد : (ملصق) وعلى واحد : (العقل) أى الدية . ويضمون إلى هذه الستة قدحا غفلا لم يكتب عليه شئ ، فإن خرج الغفل مرة أعيد الضرب إلى أن يخرج غيره من القداح

(٤) المحبر لابن حبيب ، بتحقيق الدكتوره ايلزه ص ٣٣٢
(٥) تفسير أبى حيان (٣: ٤٢٥) والسيرة لابن هشام ٩٧ طبع جوتنجن
(٦) المحبر ، وتفسير أبى حيان ، وتفسير الفخر (٣ : ٣٥٧) ، والميسر والقداح ٣٩ — ٤٠
(٧) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

وذكر ابن حبيب فى المحبر [٨] أنه قد كتب على أحدها (افعل) وعلى الثانى (لا تفعل) وعلى الثالث (نعم) وعلى الرابع (لا) وعلى الخامس (خير) وعلى السادس (شر) وعلى السابع (بطئ) وعلى الثامن (سريع) . وذكر أيضا أنه كتب على بعضها (صريح) وعلى الآخر (ملصق) . كما ذكر أن قداح (المداراة) التى سبق الكلام عليها كانت بيضاء ليس فيها شئ . وذكر أيضا أنه كان للحضر والسفر سهمان فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : « اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان » . فيرضى بما خرج له

وذكر ابن الكلبى [٩] عند الكلام على « هبل » : « وكان فى جوف الكعبة ، قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أولها (صريح) والآخر (ملصق) فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج (صريح) ألحقوه ، وإن خرج (ملصق) دفعوه . وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، وثلاثة لم تفسر لى على ما كانت . فإذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه »

قال : « وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله » وسنذكر هذا الأمر بتفصيل عند الكلام على العامل الدينى

وذكر أيضا فى الكلام على ذى الخلصة [١٠] : « وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهى ، والمتربص »

وقال ابن هشام [١١] : « وكانت عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) — أى الدية — إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القداح فإن خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل »

وقال الجاحظ [١٢] : (واستعملوا فى القداح الآمر ، والناهى ، والمتربص . وهن غير قداح الأيسار)

وفى صبح الأعشى [١٣] : (افعل ، لا تفعل ، نعم ، لا ، خذ ، سر ، سريع) . وقال : (وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق [١٤] سمى كل منهما سهما وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له)

واختلاف الروايات فى ذلك يدلنا على أن العرب ما كانوا يلتزمون فى صناعة الأزلام نهجا معينا يقسرون عليه أنفسهم ، وإنما كان لكل كاهن من كهانهم ، ولكل حكم من حكامهم طريقة خاصة فيما يكتب على أزلامه من الإشارات ، كما يدل على أن لكل قضية من قضايا الاستفتاء أزلاما خاصة بها تناسبها وتنهض لها

للكلام صلة

عبد السلام محمد هارون

(٨) المحبر ص ٣٣٢

(٩) فى الأصنام ص ٢٨ وعنه نقل ياقوت فى (هبل)

(١٠) الأصنام ٤٧ ونقل عنه ياقوت فى (الخلصة)

(١١) السيرة ٩٧ جوتنجن

(١٢) الحيوان (٣ : ٤٤)

(١٣) صبح الأعشى (١ : ٤٠٢)

(١٤) هذا ما سماه ابن حبيب (المداراة) ، كما سبق

٣ – تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مؤتمر برلين ١٨٧٨

لا أستطيع أن أتحدث عن تركيا دون أن أشير إلى أهمية مؤتمر برلين وأثره فى تاريخ تركيا وفى السياسة الدولية العالمية فإن هذا المؤتمر يعتبر مفترق الطرق فى السياسة الأوربيــة الحديثة بل وفى السياسة العالمية

وقبل أن أتحدث عن هــذا المؤتمر يحسن بى أن أصف الظروف الدولية التى أدت إلى انعقاده

فى ١٨٧٥ قامت الثورة ضد الحــكم التركى ومظالمه فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسرعان ما اشتعلت نيران الثورة فى جميع أنحــاء البلقان فى بلغاريا وفى الصرب وفى الجبل الأســود وفى رومانيا ، وقام القتال بين الأتراك وبين شعوب البلقان

وإذا عطست شعوب البلقان اضطربت أوربا فإن شبه الجزيرة هذه تعتبر مخزن البارود فى أوربا ، ولذا سرعان ماتدخلت الدول : تقدم الـكونت أندراس وزير النمسا باقتراحات لإنهــاء الثورة قبلها السلطان ورفضها الثوار ، وعقدت الدول مؤتمر القسطنطينية ١٨٧٧ لحل المشكلة، ولـكن الـسلطان فاجأ الدول فأعلن الدستور وبمقتضــاه أصبح أمر الحــكم متروكا للشعوب ، وأعلن أن الدول بمقتضى معاهدة باريس ١٨٥٦ لا يحق لها أن تتدخل فى شؤون تركيا الداخلية ، وانفض المؤتمر ولـكن الثورة زادت اشتعالا

وأخيرا جاءت الروسيا لمساعدة شعوب البلقان ولتحقيق مآربها ، فأعلنت الحرب على تركيا ١٨٧٧ وتقدمت جيوشها حتى وقفت على أبواب القسطنطينية فى يناير ١٨٧٨ ، وحينئــذ طلب السلطان الصلح وأمرت إنجلترا أسطولها فى الوقت نفسه بالتقدم إلى مياه القسطنطينيــة وبضرب الروس إذا حــدثتهم أنفسهم بدخول القسطنطينية

وأمام الهزيمة اضطر الـسلطان أن يقبل ما عرضته عليه روسيا وأن يوقع معاهدة سان ستفانو فى مارس ١٨٧٨ وبمقتضى هذه المعاهــدة تقرر أن تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالا تاما وأن تمنح البوسنة والهرسك استقلالا إداريا وأن تأخذ الروسيا باطوم وقارص وإرزن وأن تنشأ بلغاريا العظمى التى كانت حدودها تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجة ومنه إلى البحر الأبيض . وكان مفروضا أن بلغاريا العظمى هذه ستقع تحت حماية روسيا وبذلك يتحقق الحلم الروسى وهو الوصول إلى البحر الأبيض

لـكن الدول وخاصة إنجلترا ثارت ضــد هذه المعاهدة التى تضع البلقان تحت حماية روسيا وطلبت عرض المعاهدة على مؤتمر يعرض فى برلين

وقد اجتمع هذا المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ تحت رئاسة بسمارك منشئ ألمانيا الحديثة ورئيس وزرائها إذ ذاك وكبير دهاة الساسة وقطب السياسة الدولية حتى إن الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تسمى بعصر بسمارك . وقد عبر بسمارك عن السياسة التى انتهجها بقوله (لقد كنت سمسارا شريفا) . صحيح أن ألمانيا لم تأخذ لنفسها شيئا ولـكنها أعطت ومنعت وأرضت وأغضبت فأثارت الشحناء والبغضاء وأقامت الصداقات ممــا جعل هذا المؤتمر بحق مفترق الطرق فى السياسة الدولية

أخذت النمسا البوسنة والهرسك فرضيت وتوطدت صداقتها مع ألمانيا لأن المداد النمساوى كان أغلى من الدم الروسى ، وغضبت الروسيا وكان ذلك تمهيدا لانسحابها من تحالفها مع النمسا وألمانيا وقيام التحالف بينها وبين فرنسا ثم إنجلترا فيما بعد

وأما إنجلترا فقد حققت ما كانت ترنو إليــه إذ قضى المؤتمر على بلغاريا العظمى فأعيدت مقدونيا إلى تركيــا وبذلك حرمت بلغاريا من شواطئ على بحر إيجة والبحر الأبيض ، وجعلت بلغاريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالا داخليا وجعل الروملى الشرقى إمارة يحكمها وال مسيحى فوافق السلطان على تعيينه . وأخذت إنجلترا جزيرة قبرص ورضيت وعاد رئيس وزرائها دزرائيلى إلى بلاده يقول (لقد حققت الـسلام وجئت بصلح مشرف)

وجدير بى أن أذكر أنه فى ذلك التاريخ لم يكن هناك مايدعو إنجلترا إلى أن تعادى ألمانيا ، ولـكن ظهور مطامع ألمانيا

الاستعمارية فيما بعد هو الذى أدى إلى قيام العداء بينهما ، وهو الذى محا العداوة التقليدية بين فرنسا وإنجلترا وأدى إلى قيام الصداقة بينهما ، تلك الصداقة التى تجلت فى وقوف جيوشهما جنبا إلى جنب فى الحربين العالميتين الأولى والثانية

وأما فرنسا فقد كانت جريحة كسيرة إثر هزيمتها فى حرب السبعين وانتصار ألمانيا عليها واحتلالها لبلادها، ولذلك لم يكن لها نصيب يذكر فقد كان المؤتمر تحت رئاسة بسمارك عدوها الأكبر

وقد كان بسمارك يعمل دائما على عزلة فرنسا ويحاول جاهدا ألا تجد لنفسها أصدقاء ؛ وكان يؤمن بأن فرنسا لن تجرؤ على الوقوف فى وجه ألمانيا طالما كانت وحيدة لا حليف لها

على أن سخط روسيا على ألمانيا بسبب موقفها منها فى المؤتمر كان الدافع الأول إلى أن تمد روسيا يدها إلى فرنسا ١٨٩٣ وقد انضمت إليهما إنجلترا ١٩٠٧

وأما إيطاليا فقد غضبت لأن فرنسا استولت على تونس ١٨٨٢ وكانت إيطاليا تطمع فيها وبذلك انضمت إيطاليا إلى ألمانيا والنمسا ، وهكذا انقسمت أوربا إلى معسكرين : إنجلترا وفرنسا والروسيا فى جانب، وألمانيا والنمسا وإيطاليا فى جانب آخر

والصرب غضبت لأن النمسا انتزعت منها ولايتى البوسنة والهرسك وهى تعتبرهما جزءا منها وبذلك انضمت إلى جانب فرنسا والروسيا وإنجلترا ، ولقد كان اغتيال طالبين صربيين لولى عهد النمسا فى ٢٨ يونية ١٩٠٤ سبب قيام الحرب العالمية الأولى

وتركيا غضبت على أصدقائها لأن هؤلاء الأصدقاء كانوا فى الواقع أعداء ، وكانت مصالحهم سبب صداقتهم ، وكان أهم هؤلاء الأصدقاء إنجلترا وفرنسا . أما إنجلترا فقد أخذت قبرص ١٨٧٨ واحتلت مصر ١٨٨٢، وأما فرنسا فقد استولت على تونس١٨٨٢

وكان مسلك إنجلترا وفرنسا هذا سببا فى إغضاب تركيا مما دفعها إلى أن تتجه شطر ألمانيا ، وكانت ألمانيا قد بدأت تغير من سياستها وتعمل على اتخاذ مناطق نفوذ لها فرحبت بصداقة تركيا وعملت على مد يد المعونة إليها وشرعت فى ربط تركيا بألمانيا وإنشاء سكة حديد برلين — بغداد مما أثار مخاوف إنجلترا

وقد وقفت تركيا بجانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، أما إيطاليا فبرغم أنها كانت حليفة لألمانيا وقفت على الحياد فى أول الحرب، حتى إذا تجلى لها أن كفة الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) راجحة نكثت بعهدها ونقضت سابق تحالفها وانضمت إلى الحلفاء ١٩١٥

وقد بذل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٨ جهودا جبارة فى الدفاع عن بلادهم وأنزلوا بالإنجليز خسائر فادحة فى موقعة غاليبولى ١٩١٦ وردوهم عن بلادهم ، وكذلك قضوا على عدة حملات بعثت بها إنجلترا إلى العراق ، ولكن تلك الجهود لم تؤثر فى نتيجة الحرب فسرعان ما سقطت العراق وفشلت حملة فلسطين ومصر وتقدم الجنرال اللنبى فاحتل فلسطين ١٩١٧ وتقدمت قواته فاحتلت سوريا ١٩١٨ وساءت حالة تركيا فاضطرت إلى قبول الهدنة فى ٣١ أكتوبر ١٩١٨ ، واحتلت إنجلترا القسطنطينية وقلاع الدردنيل والمواقع الحربية الهامة ، ونزل الفرنسيون والسنغاليون باستنبول واحتل الإيطاليون (بيرا) وخطوط السكك الحديدية . وهكذا أصبحت تركيا تحت سيطرة الحلفاء

وفى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ أرغم مندوبو حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر وبها فقدت تركيا العراق ومصر وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وتراقيا فى أوربا

وهكذا كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى أوربا ، وكانت معاهدة سيفر معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى آسيا وإفريقيا

بل أكثر من هذا لقد أصبحت تركيا ذاتها موضع إذلال محتليها وكانت الشعوب الصغيرة التى طالما خضعت لحكمها تطمع فى تقسيمها والاستيلاء على أراضيها . أما كيف تخلصت تركيا من متاعبها وكيف انتصرت على قاهريها فذلك ما سنفصله فى فى حديث قادم إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

من سير الخالدين

حياة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من إتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ١ —

عهد الطفولة

لم يعش المازنى طفولته ، أو هو جازها مسرعاً ، بأسرع مما يجوزها الأطفال فى مثل سنه . وكأنما كانت طفولته ، فى قصرها واقتضابها ، أشبه بالحلم الجميل بددته صحوة مفاجئة وروعه نذير غير منتظر . فقد بكرت عليه الحياة بأحزانها وآلامها ، وحملته فى ذلك العمر الغض تبعاتها التى تؤخرها عن غيره عادة إلى ما بعد مرحلة الشبيبة والنضج

قضى أبوه وهو بعد طفل فى التاسعة . فأرادت أمه أن يكون عليه معتمدها بعد أبيه — وكان أكبر ابنيها وإن لم يكن أكبر إخوته — وصارت تعامله كأنه رب الأسرة وسيد البيت ، وأخذت توطنه على احترام النفس واحتمال العبء ومواجهة الحياة . وقد وسعها ذلك فقد كانت رزاناً حصيفة عاقلة ، « صارمة الجد ، حادة قاطعة كالسيف ، غالبة كالقدر » أو كما أوجز هو وصفها حين قال عنها إنها كانت « رجلا » . ووسع الفتى الناشئ يومذاك أن يفهم عن أمه .. ويوم سمعها تقول له فى شئ من الصرامة المقتصبة يخالطها فرط الحنو :

« إسمع يا إبراهيم ! إنك لم تجاوز العاشرة ، ولكنى أحب لك أن تعد نفسك من الآن ، رجلنا . . فتسلك سلوك الرجال لا الأطفال »

فى ذلك اليوم ، أو فى تلك اللحظة منه ، قطع الطفولة كلها وثبا

***

(*) من كتاب عن « المازنى الأديب الساخر » تحت الطبع

كان مولد المازنى بالقاهرة (١٨٩٠) فى أحد الأحياء الوطنية التى ظلت ، إلى عهد قريب ، محتفظة بطابعها القديم . وفى القاهرة درج المازنى ثم شب ثم جاوز الشباب إلى الرجولة فالكهولة . ولعل هذا سر تعصبه لها وإيثاره إياها . ولقد عدها بلده وإن لم تكن بلدة آبائه وأجداده الذين كانوا يستوطنون بلدة « كوم مازن» من أعمال تلا بمديرية المنوفية

ويذكر المازنى أن ولادته كانت فى دار لزوج عمته ، وإن كانت مشاعاً لمن شاء أن يتخذها سكنا من ذوى قرابته . وقد خصصت بعض « المناظر » — وهى الغرف الواسعة — التى تقع على جانبى الفناء من تلك الدار ، مكتباً يستقبل فيه أبوه موكليه من أصحاب الدعاوى والأقضية ، وكان أزهرى الثقافة فاشتغل زمنا بتدريس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية ، ثم هجر التدريس واحترف المحاماة إلى آخر أيامه . وكان على الحالين مبسوط الرزق موفور الدخل ، ولكنه كان كذلك متخرق اليد بالنفقة والعطاء ، مسرافاً فى تحقيق رغائبه وتلبية أهوائه ، ولعله لهذا السبب كان مزواجا يكثر من البناء بالتركيات على الخصوص. وكانت طبيعة عمله فى المحاماة تقتضيه أن يلم بالقسطنطينية بين حين وحين ، فكان كلما سافر إليها عاد منها بزوجة جديدة ، لا يلبث أن يعود بها أدراجه إلى بلدها فيسرحها بإحسان ويبنى بسواها . على أنه كان ، فيما عدا ذلك ، حليما طويل البال قليل الكلام ساكن الطائر . ولعله استفاد مزية الأناة والحلم من كثرة ماراض نفسه على احتمال ما كان يتعرض له ، من الجفوة والمعتبة ، من أبيه الشيخ أو من زوجته الشابة المصرية أم أولاده ، كلما استجد عليها إحدى تركياته الحسان

وكان ، كما هو المعهود فى أصحاب هذا الطبع ، قليل الاستقرار فهو لا ينفك ينتقل بأهله من دار إلى دار . وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع المازنى الطفل أن يحتفظ فى ذاكرته بالصورة الغالبة على تلك الدور . وأبقى ما بقى منها منظر الفناء الرحيب الذى كان صفة مشتركة بينها ، والذى كان على هيئة الصحن تقعى فى وسطه أحيانا شجرة جميز عتيقة عظيمة كثيفة الغصون ، وربما قامت

فى موضعها نافورة ماء تروى الحديقة المتراسية الأطراف من حولها

وقد قضى المازنى سنى الطفولة الباكرة فى بيت من بيوت المماليك — وكانت تعرف ببيوت « الغز » — فى درب الجماميز، ويصفه المازنى فيقول « كان البيت عجيب الطراز ، له بوابة ضخمة تصلح أن تكون لقلعة ، ومع ذلك لا تغلق فى ليل أو نهار ، ثم مدخل طويل ضيق على جانبيه الغرف وهى أبداً موصدة الأبواب والمرء لا يستطيع فى النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة ، وكنا نضع مصباحاً ولكنه لم يكن يضيء شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ويزيده وقعا فى النفوس »

وكان الصبيان من لداته وأترابه يقضون أيامهم فى اللعب البرئ ، فيجتمعون فى فناء إحدى الدور ، أو يخرجون إلى الطريق — أو (الحارة) كما يسمونها — يصرفون نهارهم كله فيما يتعلقون به من فنون اللهو . وكان المازنى الطفل أشوقهم إلى اللعب وأرغبهم فيه وأجزلهم حظا منه ، وقد تميز من بينهم بحب للدعابة وميل إلى الفكاهة . وكانت فيه دفعة وجرأة تغريانه بالتقحم والمغامرة وطلب الشجار أو (جر الشكل) كما يقول ، وإن كان مع ذلك ضعيفا نحيفا ، ولقد اعتاض من ضعفه سعة الحيلة والدهاء ، فصارت له بفضله منزلة بين لداته الصبيان

على أنه لم يكد يهنأ بهذه الرغبة الطبيعية فيه أو يأخذ بحظه منها ؛ فقد كان يدفع دونها ويحلأ عنها ، فلا يهم باللعب مرة إلا زجره أهله ونهوه عنه كأنما كان يقترف منكراً ويقارب معصية ، حتى لخيل إليه — وهو يدير عينه فى تلك الأيام — أن وظيفة الآباء والأمهات (كانت صرف الأبناء عن النظر والتفكير ، وإلزامهم الجمود ونهيهم عن كل حركة جسيمة أو عقلية)

ولا غرابة بعد ذلك أن تضيق نفس الطفل بالبيت وبالحياة فيه ، وأن يراه أشبه بالجحيم . فهو لا يكاد يقبل إلى الدنيا ، غريبا عنها مأخوذا بجدتها مشوقاً إلى معرفتها ؛ يحفزه إلى ذلك نفسه المتفتحة وطبعه المتوثب ؛ حتى يطالبه الكبار بأن يكون له ، هو الطفل الغرير ، « عقل الكبار واتزانهم وفهمهم »

وربما بدا عصيا على التصديق أن تكون هذه نظرة الطفل إلى البيت فى ذلك العهد . ولكن الأمر لا يتعاصى على التحقيق ، إذا عرفنا أن المازنى نشأ فى بيت من بيوت الورع والتقوى ، فأبوه وجده من علماء الأزهر ، وقد طرقت مسامع الطفل الناشئ آنذاك عبارات الثناء على جده من أفواه تلاميذه وعرف منهم منزلة مرعية للشيخ . وكذلك كان هذا البيت ببنيانه فضلا عن سكانه ؛ فكان يقوم فى فنائه مصلى أو مسجد صغير « عامر أبداً بالمصلين ليلا ونهارا » ، ويختلف إليه المريدون والأتباع يعقدون حلقات الذكر التى كانت تمس قلب الطفل الصغير وتملك عليه نفسه ، فينضم إليهم ، ويأتى بمثل ما يأتونه من صوت وحركة فكانت نشأته أقرب إلى النشأة الدينية التى يغلب عليها المحافظة والتوقر ومجافاة ما عساه يكون مظنة شك أو مدعاة ريبة ، مع التشدد فى التقاليد المرعية والعرف السائد ، والذهاب فى ذلك كله إلى حد المغالاة والإسراف . ومن طرائف ما لقيه الطفل فى هذه النشأة ، أنه درج يسمع عن شخصين فى البيت ولا يراهما أبدا ؛ « وإن كان ذكرهما على لسانى أبى وأمى ؛ وهما « الست » و « الأفندى » ، فأبى يقول للخادمة مثلا ، قولى كذا أو كذا « للست » ، ويتحدث فى أوقات شتى ولا سيما حين يكون معه رجال من أقربائنا عن هذه « الست » . وأمى لا تفتأ تقول ، « الأفندى » قال أو « الأفندى » أتى أو « الأفندى » خرج . فأعجب أين هما ؟ ولماذا لا أراهما ؟ وأصعد إلى السطح باحثا عنهما فلا أجدهما ، وأدخل كل غرفة فلا أهتدى إلى أثرهما ، وأنزل إلى فناء الدار فلا ألتقى بهما . أين ينامان يا ترى ؟ ماذا يأكلان ؟ ألا يظهران أبدا ؟ » ... وظل يجهل شخصيهما حتى قدر لهذا اللغز أن يحل على يد جده الذى قال له « لقد أخطأوا معك يا بنى ، وكان حقهم أن يدلوك »

ونحسبنا فى غنى عن القول بأن هذين الشخصين لم يكونا أحداً غير أمه وأبيه ، يذكر كل منهما الآخر ، ويتحدث عنهما الآخرون ، فعلا يعدى فى الإشارة إليهما عن تينك الصفتين ، وكانت النتيجة هى ذلك الازدواج الساذج فى وهم الطفل الصغير

***

وعلى هذه الحال ، دفعوا بالطفل ، وهو لم يعد الخامسة ، إلى كتاب من كتاتيب القاهرة لذلك العهد ، على مقربة من الدار . .
ويقول المازنى « ويصبح الصباح فأحمل إلى الكتاب حملا ، وهناك توضع قدماى فى « الفلقة » ويهوى عليها « سيدنا » — فقيه الكتاب — بالجريدة أو « المقرعة » أو يكل ذلك إلى مساعده « العريف » ، وبهذا يبدأ النهار . . »

على أن عهده بالكتاب لم يطل . فقد أصرت أمه على المدرسة والختته — عن طريق إحدى معارفها — بمدرسة للبنات . ولم يلبث أن هرب منها — أو من قسوة ناظرها — إلى مدرسة أخرى كانت تقع وقتذاك فى شارع تحت الربع — أو فى درب سعادة — وعلم أبوه بذلك فنقله إلى مدرسة « القرشوللى » فى شارع محمد على ، على مقربة من القلعة . وبقى بها هذه المرة حتى أدى الامتحان فى آخر العام ، ومع ذلك فقد أبى الناظر أن ينقله إلى فرقة أعلى لصغر سنه ، ولعله بقى بهذه المدرسة عاماً آخر ، استقر بعده فى المدرسة القربية

ويقول المازنى « كنت أعود عصر كل يوم إلى البيت ، فأرمى كتبى وكراساتى وأخرج إلى الشارع لألعب مع أقرانى ، فأزجر عن اللعب ، فأصعد وأطل على اللاعبين من الشرفة ، وبى حسرة ولهفة . وأسمعهم يصفوننى بالعقل والهدوء ، فألعن العقل وأذم الهدوء »

وقد كان فى حياة أبيه لا يعدم الوسيلة إلى اللعب والاحتيال له بما يدخل فى وسعه ؛ فقد كانت على أبيه جرأة لا يجدها على سواه . فلما مات أبوه وهو يشرف على التاسعة أرادت أمه أن تصرفه عن اللعب وأن تنأى به عنه ، وألقت إليه فيما يشبه الإيحاء أن يعد نفسه — قبل الأوان — رب الأسرة ورجلها وواحدها ، وأعدت من ناحيتها للأمر عدته ، فكان إذا انتهى العام الدراسى وحل الصيف ، بعثت بابنها إلى كتاب فى الأزهر ليحفظ القرآن فلا يجد الطفل للعبه من الوقت إلا الحين اليسير

ولقد كان المازنى خليقاً أن يستوفى حظ طفولته من رغد العيش وخلو البال وعدم الاشتغال بأمر نفسه فضلا عن أمور غيره ، لولا أن الأقدار كانت تهيئ له أمرا ، فكتبت عليه أن يحمل فى تلك السن المتقدمة أعباء الرجال المسئولين ، بما أوحى إليه اليتم من ضرورة الاعتماد على النفس والكدح فى سبيل ما ينتظره منه أهله فى المستقبل . نعم ، لم يكن الطفل ملتزماً مطالب العيش لمن خلفهم أبوه بعده ، وإنما كان عليه أن يعرف أن عهد الطفولة ، أو عهد اللعب ، قد مضى ، وأن يقسر نفسه على غير ما تهيأ له طاقتها فى سنه . وعندما فرغت البقية الباقية من مال أبيه ، وقد كفل ذلك سرف أخيه الأكبر ؛ كان عليه أن يوطن نفسه على الفقر وأن يستعد له . . ولقد عرف المازنى الفقر فى ذلك العهد من حياته ، وخبره عن كثب ، وامتحن به ، حتى وصفه بأنه أستاذه ، ولكنه كان يلتقى على دروسه كما تهوى العصا على أم الرأس ! »

محمد محمود حمدان

كرامة الأخيار

للأستاذ محمد منصور خضر

لله در هؤلاء العلماء الأخيار الذين أكرموا العلم فأكرمهم الله وجعل لهم منزلة تتصاغر دونها منزلة الملوك ، وفروا إلى الله فحفظوا حدوده ولم يرضوا بالظلم لأن الراضى بالظلم كالظالم فى الإثم — وهذا أمر قل من يتنبه إليه فى هذا الزمان — فلا بد من إظهار الغضب والسخط على الظالم حتى يشهد له بذلك الخلق فيكون ذلك حجة له يوم القيامة وهو مالم نسمع به من العلماء فى عصرنا . وهاك أيها القارئ بعض أخبار العلماء الذين نصحوا لله ورسوله (فحفظهم وأعلى ذكرهم) :

كان الإمام مالك رضى الله عنه يقول : لما أرسل إلى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاووس على أمور ثم قال له : ناولنى الدواة فأبى ؛ فقال لمامنعك ؟ قال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب. قال : فضممت ثيابى مخافة أن يصيبنى دمه ثم قال له : اذهب إلى حال سبيلك . فلم أزل أعرف ذلك لابن طاووس !

هذا وقد طلب أبو جعفر المنصور أيضا صحبة ابن أبى ذئب فقال له بشرط أن تقبل نصحى. فقال له أبو جعفر نعم فصحبه. فقال له أبو جعفر يوما : ماتقول فى ؟ فقال له : لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية.. فتغير وجه أبى جعفر فولى عن ابن أبى ذئب ولم يطق صحبته

ومن ذلك أن هشام بن عبد الملك كان بمكة وطلب الاجتماع بطاووس اليمانى فلم يجبه طاووس إلى ذلك. فعمل عليه الحيلة حتى اجتمع به. فلما دخل عليه طاووس لم يسلم عليه بسلام الخلفاء، وإنما قال: السلام عليك ياهشام ! كيف حالك ؟ وخلع نعليه بحاشية البساط وجلس بجانبه. فغضب هشام لذلك حتى هم بقتله. فقال له الوزير أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله عز وجل . فقال هشام ما الذى حملك على ماصنعت؟ فقال وماذا صنعت؟ فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تجلس بين يدى ولم تقبل يدى ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين كما يقول غيرك، وسميتنى باسمى ولم تكننى. فقال طاووس : أما مافعلت من خلع نعلى بجانب بساطك فإنى أفعل ذلك كل يوم خمس مرات بين يدى الله فى بيته فلا يعاقبنى ولا يغضب على . وأما عدم تقبيلى يدك فإنى سمعت على بن أبى طالب ينهى عن تقبيل يد الملوك إلا من عدل، وأنت لم يصح عندى عدلك. وأما عدم قولى لك يا أمير المؤمنين حين سلمت عليك فليس كل المسلمين راضين بإمرتك عليهم فخشيت أن أقع فى الكذب . وأما أنى لم أكنك فإن الله سبحانه وتعالى قد كنى أبا لهب لكونه عدوه ، ونادى أصفياءه بأسمائهم المجردة لكونهم أحباءه ، فقال يا داود يا يحيى ياعيسى. وأما جلوسى بجانبك فإنما فعلته اختبارا لعقلك فإنى سمعت على بن أبى طالب يقول يختبر عقل الأمير بجلوس آحاد الناس بجانبه فإن غضب فهو متكبر من أهل النار . فأخذت هشاما الرعدة وخرج طاووس من عنده بغير استئذان فلم يعد إليه :

ويقال إن عبد الملك بن مروان خطب يوما بالكوفة فقام إليه رجل من آل سمعان فقال مهلا ياأمير المؤمنين؛ أقض لصاحبى هذا بحقه ثم اخطب. فقال وما ذاك ؟ فقال إن الناس قالوا والله مايخلص ظلامتك من عبد الملك إلا فلان فجئت به إليك لأنظر عدلك الذى كنت تعدنا به قبل أن تتولى هذه المظالم. فطال بينه وبينه الكلام فقال له الرجل : ياأمير المؤمنين إنكم تأمرون ولاتأتمرون، وتنهون ولاتنتهون، وتعظون ولاتتعظون ، أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه ! وإن قلت خذوا الحكمة حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام قلدنا كم أزمة أمورنا وحكمنا كم فى دمائنا وأموالنا ! أو ماتعلمون أن منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات وأحكم بوجوه العظات؟ فإن كانت الأمانة قد عجزت عن إقامة العدل فيها فخلوا سبيلها وأطلقوا عقالها يبتدرها أهلها الذين قاتلتموهم فى البلاد وشتتم شملهم بكل واد . أما والله لئن بقيت فى يدكم إلى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لتضمحل حقوق الله تعالى وحقوق العباد ! فقال له وكيف ذلك ؟ فقال لأن من كلمكم فى حقه زجر ومن سكت عن حقه قهر! فلاقوله مسموع، ولاظلمه مرفوع ولامن جار عليه مردوع، وبينك وبين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال حيث ملكك هناك خامل وعزك زائل وناصرك خاذل

والحاكم عليك عادل. فأكب عبد الملك على وجهه يبكي ثم قال له: فاحاجتك؟ فقال عاملك بالسماوة ظلمني وليله لهو ونهاره لغو ونظره زهو، فكتب إليه بإعطائه ظلامته ثم عزله!

وحكى الكلبي عن رجل من بني أمية قال: حضرت معاوية ابن أبي سفيان في خلافته وقد أذن للناس إذنا عاما فدخلت عليه امرأة وقد رفعت لثامها عن وجه كالقمر الذي شرب من ماء البرد ومعها جاريتان لها نخطبت للقوم خطبة بهت لها كل من هناك ثم قالت: وكان من قدر الله تعالى أنك قربت زيادا واتخذته أخا وجعلت له في آل سفيان نسبا ثم وليته على رقاب العباد فسفك الدماء بغير حلها ولا حقها، وينتهك المحارم بغير مراقبة فيها، ويرتكب من المعاصي أعظمها! لايرجو لله وقارا ولايظن أن له ميعاداً وغدا يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدي ربك، فماذا تقول لربك يا معاوية غدا وقدمضى من عمرك أكثره وبقى أيسره وشره؟ فقال لها من أنت؟ فقالت امرأة من بني ذكوان وثب زياد الدعى أنه من بني سفيان على وراثتي من أبي وأمي فقبضها ظلما وحال بيني وبين ضيعتي ومسكة رمقي؛ فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزيادا إلى الله تعالى وأن تظل ظلامتي عنده وعندك، فالمنصف لي منكما الحكم العدل.. فبهت معاوية منها وصار يتعجب من فصاحتها ثم قال: مازياد لعنه الله مع من بنشر مساوينا، ثم قال لكاتبه اكتب إلى زياد أن يرد لها ضيعتها ويؤدي إليها حقها

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان: ياأبا حازم مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنيا كم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالي عند الله؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال: «إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم» قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال قريب من المحسنين، ثم قال سليمان: ياأبا حازم أي عباد الله أكرم؟ قال أهل البر والتقوى، قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال: فأي الكلام أسمع؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها. قال فأي الناس أخسر؟ قال رجل حط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره

فهكذا كان دخول أهل العلم على الملوك وهم بحق علماء الآخرة. فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص، ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، ويأخذون الهدايا المنوعة ويباهون الناس بها لأنها هدية ملكية ولم يراقبوا الله فيهم فلم يعظوهم أو يخوفوهم من عذاب الله ونقمته. ثم يكون بعد ذلك زوال الملك والعذاب الشديد يوم القيامة

شطانوف — **محمد منصور خضر**

شالو

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتمة

مور : من فوضني بهذا ؟ — إن الظلام مخيم على كل مكان ، متاهات شائكة ، لا منفذ ، ولا نجم هاد ، يا ليتني تخلصت من هذا النفس ، وكل شيء منته كمهزلة مؤسفة ، ولكن ما مصدر هذا العطش الشديد للسعادة ! ما مصدر فكرة الكمال الذى لا يمكن التوصل إليه ! وهذا الاستمرار فى وضع الخطط الفاشلة ، إذا كان الضغط الطفيف على هذا الشيء التافه (ممسكا المسدس) يجعل من الحكيم والأحمق ، والجبان والشجاع ، وعزيز النفس وذليلها سواسية كأسنان المشط ، وإذا كان الانسجام الإلهى موجودا فى الطبيعة غير العاقلة ، فلم هذا النشاز فى الطبيعة العاقلة (١) ؟ — كلا ! كلا إن هناك شيئا خلف كل هذا ، لأننى لم أعرف العادة مطلقا إلى الآن . أتعتقدون بأننى سأرتجف يا أرواح الذين أهلكتهم ! ؟ لا لن أرتجف (يرتجف بعنف) — فأنينكم الخافت الميت ووجوهكم المختنقة السوداء ، وجروحكم الفاغرة المرعبة ما هى إلا حلقات فى سلسلة القدر ، ومصيرها فى النهاية يتوقف على ألاعيبى الصبيانية وعلى نزوات مربياتى ومعلمى ، وعلى مزاج والدى (مرتجا من الرعب) لماذا جعلنى بريلوس عجلا نحاسيا لأ شوى الإنسانية المسكينة فى معدتى الملتهبة ؟ (محدقاً فى المسدس) الآن يمكن ربط الزمان والخلود فى لحظة واحدة ! — أيها المفتاح الرعب الذى يغلق خلفى سجن الحياة ، ويفتح قدامى مسكن الليل الخالد — آه ، قل لى ! قل لى — إلى أين — إلى أين ستقودنى ؟ أ إلى الأرض الغريبة التى لم يعد منها إنسان . أنظر ، إن الرجولة تنهار أمام هذه الصورة ويستسلم الإنسان لهذا المنظر المروع ، والوهم الذى هو مسخ الشعور النزق يلعب بنا بصورة غريبة . كلا ! كلا ليس من شأن الرجل أن يتأرجح ويخور فى ساعة الحرج . كن من تشاء ، إننى أحتفظ بذاتى معى . أما جنتى وأما نارى . وإذا أردت أن ترسلنى وحيداً فريداً شريدا طريداً إلى ركن مشتعل من أركان الكون . هذا الركن الذى أقصيته عن ناظريك ، هذا المكان الموحش المظلم والصحراء المخيفة التى لا حراك فيها ليصبح ذلك كل ما آمله وإلى الأبد . إنى سأعمر هذا القفر الصامت بهواجس ، وسأتخذ من الخلود مجالا للكشف عن سورة البلاء اللانهائى

أو أنك ستقودنى من ولادة لأخرى ، ومناظر أخرى للألم الفجع قدماً إلى الفناء . أليس فى مكنتى قطع أسباب الحياة كما أقطعها هنا والآن ؟ هل لى أن أموت فى سبيل حياة تعسة ؟ هل سأمنح الشقاء نصراً على ؟ — كلا — إننى سأحتمل هذه الحياة (يرمى بالمسدس بعيداً) ولتثلم التعاسة نفسها على صخرة كبريائى . إننى سأسير محتملا إياها (٢)

***

وفى مؤلفه (عذراء أورليانس) (٣) نجد تالبوت ، ذلك المحارب القديم ، الأشهب ، الملحد ، الذى لا يقهر ؛ وهو يمر مفكرا بأرض العدم ، مستهزئا حتى بالقدر الواقف له بالمرصاد ، وهذا المنظر هو المنظر السادس من الفصل الثالث و (فى زحام المعركة)

(يتغير المنظر فيصبح فسحة منبسطة محاطة بالأشجار . وفى أثناء عزف الموسيقى يرى الجنود وهم يهربون من ساحة القتال) تالبوت ، متكئا على فاستولف ، يرافقه بعض الجنود . يقبل ليونيل بعدئذ بسرعة

تالبوت : ضعنى هنا ، تحت هذه الشجرة ، واعمدوا إلى المعركة : أسرعوا أنا لا أريد مساعدة كى أموت

(يدخل ليونيل) فاستولف يا اليوم الشؤم ! أنظر ، ليونيل ، ماذا ينتظرك ، إن قائدنا الجريح يموت

ليونيل : لا سمح الله : آه يا تالبوت الجليل ، إن هذا ليس وقت الموت ، لا تستسلم للموت ، واجبر الطبيعة المترددة بقوة روحها حتى لا تفارقك الحياة

---

(١) يقصد بالطبيعة العاقلة الجنس البشرى

(٢) الفصل الرابع المنظر السادس

(٣) هى جان دارك القديسة المشهورة

تالبوت : عبثاً : إن يوم القضاء قد حم ، هذا القضاء الذى يسوى جبروت فرنسا بالرغام . وعبثاً ما ضحيت بأعز شئ لدى للصمود فى هذا التصادم الضارى وفى هذه المعركة اليائسة . لقد أصابت فى الصاعقة مقتلا فتحطمت . وها أنى مضطجع لا قومة لى بعد الآن . لقد خسرنا (ريمز) ، فأسرعوا لإنقاذ باريس

ليونيل : إن باريس بيد الدوفان ، وقد وصلتنا الآن الأنباء السيئة بأنها استسلمت

تالبوت : (يمزق ضماداته) وإذن تدفقى يا سواقى الحياة ، إن هذه الشمس أصبحت ممقوتة لدى

ليونيـل : فاستولف ! انقلوه إلى المؤخرة : إن هـذا الموقع يمكن أن يصمد لحظات أخرى ، إن الجبناء الجبناء يتراجعون ، لقد أقبلت الساحرة التى لا تقاوم ، يحيط بها الدمار والخراب

تالبوت : أيها الجندى ، إنك تنتصر وأنا أستسلم ؛ إن الآلهة أنفسهم ضعاف أمام البلادة والخرق ، وأنت يا آلهة العقل ، يا ابنة الإله الأكبر ، يا مؤسسة نظام الكون ، وقائدة النجوم ، من أنت إذا كنت مربوطة بذيل الحصان الأخرق ، حصان الخرافة ، إنك ستندفعين بعيونك المفتحة وصراخك المدوى إلى الهـوة السحيقة مع ذلك الحيوان السكير ؟ ملعون من يربط مصيره بمصير العظماء والأشراف والمبجلين ، إن هذا العالم ملك سلطان أحمق

ليونيل : آه ، إن الموت قريب ! ففكر فى إلهك وصل ، ولو أن القدر هو الذى نصر الشجعان على أمثالنا المغاوير لما اهتممنا قيد أنملة ، ولـكن إن تسحقنا مثل هذه الأضحوكة الوضيعة [٤] فأمر لا يستحق منا كل هذا التعب وكل هذه المخاطر

ليونيل : (يمسك بذراعـه) وداعا ، تالبوت ! سأبـكيك بمل‌ء دموعى إذا بقيت حيا بعد انتهاء المعركة . ولـكن القـدر يدعونى الآن إلى ساحة المعركة ... وداعا ! إلى الملتقى وراء الشاطئ غير المنظور ، وداعا مبتورا لصداقة طويلة وليـكن الله معك (يخرج)

تالبوت : إن كل شئ سينتهى آجلا ، وسأسلم إلى الأرض وإلى الشمس الأبدية هذه الذرات الفانية التى امتزجت ، إن خيرا أو شرا ، لتـكوننى . أما تالبوت الجبار الذى ملأ صيته العالم فلن يبقى منه إلا كومة من التراب السافى . وهكذا يقبل الإنسان إلى نهايته ، وكل نضالنا فى الحياة هو معرفتنا أنها عدم فى عدم ، وما علينا إلا أن نسخر من هذه الصورة الجوفاء التى كثيرا مانقشناها وعبدناها [٥]

— الفصل الرابع —

(يدخل شارل ، برغندى ، دونوا ، دو شاتيل ، والجنود)

برغندى : لقد نسف الخندق

دونوا : مرحى ! إن المعركة فى صالحنا

شارل : (ملتفتاً إلى تالبوت) من هذا الذى يودع النهار بمثل هذا الوداع الحزين المكبوت ، فمظهره يدل على أنه إنسان اعتيادى ، إذهبوا فساعدوه ، إن كانت المساعدة جدية

(جنود من حاشية الدوفن يتقدمون إلى الأمام)

فاستولف : إلى الوراء ، إبتعدوا لا تتقربوا من الراحل البطل ، الذى كنتم تخشون التقرب منه فى الحياة

برغندى : ماذا أرى ؟ تالبوت الجليل متخبطا فى دمه

(يذهب برغندى إليه ، تالبوت ينظر إليه فى تمعن وتفرس ويموت)

فاستولف : ابتعد يابرغندى . لا تقلق آخر لحظة من حياة البطل بمنظر خائن

***

وقلما نجد فى هذا الـكتاب تلك (الـكلمات النارية القوية) كما يدعوها الألمان كالتى نجدها غالبا فى (اللصوص) لأن الهياج البركانى قد خف ، فبدلا من الحمم والدخان والشظايا المتطايرة نجد أشعة الشمس والعالم الزاهى . وهناك أمثلة مثيرة على هذا التبدل اللطيف فى مناظر كثيرة من مؤلفه (وولنشتاين) وكل كتبه الدراماتيـكية التى أعقبت ذلك ، وخصوصا فى (وليم تيل) التى هى آخرها . وهذ التغير يمـكن العثور عليه فى الـكيان الشعرى فى كل هذه المؤلفات ، هذه المؤلفات التى تعتبر قصائد كاملة ، وكان أملنا أن نوفيها حقها فى الشرح ، ولـكن ضيق المجال منعنا من ذلك

وأملنا كبير فى القراء التمكنين والشراح المعنيين بأن يلتفتوا

---

(٤) يقصد بذلك جان دارك

(٥) تنقل هذا الـكلام بأمانة شأننا فى ذلك شأن كل ماتنقله ، ولسان حالنا يقول (ناقل الـكفر ليس بكافر)

إلى هــذا . وأهم المؤلفات الشعرية التى نظمها شـلر هى (ليدر وركاوش) و (رترتو غنبرغ) و (نضال التنيرة) و (النواص) و (كرا كى — بيكى) وكلها تمتاز بالروح الإغريقية الصميمة كأنها نفحة عطرية من نفحات قيثارة أخيلوس العبقة ، أو كأنها أغان ملائكية [٦]

— فلسفة وعقيدة السكونية —

أما موهبة شلر الفلسفية وما توصل إليه فى هذا المجال الحيوى فأمر يحتاج إلى كثير من الجدل وكثير من التفكير ، وهذا مالن نطرقه الآن بإسهاب. وقدسبق أن أشرنا إلى أنه كان يمتاز بقابليتين: فلسفية وشعرية . وكان تفكيره معروفاً بهاتين الصفتين ، وكان عقله قويا ، نفاذا ، نظاميا ومدرسيا أكثر منه بدهيا ، وكان هذا الميل واضحا فى جميع البحوث التى عالجها وفى أسلوب معالجته لها . وقــد أثرت فلسفة التسامى Transcendentalism التى ظهرت فى عصره فيه تأثيرا كبيرا : وقد درس باعتناء زائد منهج (عمانوئيل كانت) الفلسفى ، ويظهر أنه لم يعترف به وحسب ، بل إنه اعتنق تعاليمه الرئيسية ، ولـكنه مع ذلك صاغها بأسلوبه الخاص لدرجة أنهـا أصبحت فلسفته الخاصة وخرجت عن كونهـا فلسفة (كانت) . وكثير ممن لا يعرفونه معرفة حقيقية يعتقدون بأن هذه التأملات لم تنفعه فى شئ . ولـكن شلر كان راضيا كل الرضى بفلسفته التى اعتنقها بعد أن صرف فى ذلك جهدا شاقا . وفى هذه الفلسفة — التى انسجمت مع شعره — تمكين لقوته الفطرية والخلقية . يقول شلر بخصوص ذلك مايلى : (أنا لا أنتظر من أعداء هذه الفلسفة الجديدة شيئا من التسامح ، كالذى أظهروه تجاه الفلسفات الأخرى ، التى لم يعرفوا عنها شيئا كما أنهم لم يعرفوا هذه ! لأن فلسفة كانت — فى قضاياها الإنسانية — لا تحتمل أى تسامح ، وهى تحمل صفة جـدية لا تفسح مجالا لأية تسوية . وهذا — فى نظرى — يشرفها لأنهـا لا تحتمل العبث بالحق . إن هذه الفلسفة لا تناقش بمجرد هز الرأس . فى حقل البحث الصريح الواضح الذى يمكن التوصل إليه تبغى هذه الفلسفة منهجها — فهى لا تتظلل بأى ظل — ولا تبحث عن أية تحفظات تتستر بهـا ، وهى تحب أن تعامل كما تعـامل هى جيرانها ، وهذا يجعلنا نغتفر لها عـدم اعتدادها بغير البراهين . ولن أخشى من التفكير فى أن قانون التغيير — الذى يأتى على كل شئ — إلهى سيسرى على هذه الفلسفة أيضا ، وسينال منها منالا شديداً ، إلا أنه سيحافظ على جوهرها ، لأن النوع البشرى منذ بزوغ شمس العقل اعترف بمثل هذه المبادئ الأولية وعمل بها [٧]

إن انجازات شلر الفلسفية تخص قضايا الفن والأدب بصورة رئيسية ، وهى لا تخلو من نظرات مهمة فى مجالى التأمل : لا بل إن الفن نفسه — كما تصوره — يستند على أساس متين من مصالح الإنسان وهو بنفسه (أى الفن) يتضمن تسوية انسجامية بين هــذه المصالح . لقد أخــذنا على أنفسنا من مدة أن نقدم إلى قرائنا خلاصة (الرسائل الجمالية) ، هذه النتف المتماسكة العميقة من الجدول الذى قلما نجد مثيلا لها ، وبهذه الواسطة نتمكن من دراسة الصفة البارزة لشلر كفيلسوف ، وفى الوقت نفسه فالفقرتان القصيرتان الآتيتان ستقدمان دليلا على وجهة نظره فى جميع القضايا الفلسفية بدون الاحتياج إلى أى تفسير أو إيضاح . ليتكلم شلر فى هاتين الفقرتين عن (وليم مايستر) و (اعترافات القديس الجميل) التى تحتل الكتاب السادس من ذلك المؤلف فيقول : (إن الانتقــال من الأديان البدائيــة إلى الديانة المسيحية بتجربة الخطيئة مفهوم بصورة جيدة — إننى فى الواقع — أجد فى النظام المسيحى أصول الفكرة السامية ، ولـكن الصور المشوهة المختلفة لهذا النظام فى الحياة الواقعية ، تجعل هذه الفكرة مؤذية ووضيعة ، لأنها تمثل تمثيلا سيئا الفكرة الأصيلة التى تبناها واضع المسيحية الأولى . وإذا أنت درست الصفة البارزة فى المسيحية تجد أن مايميزها عن الأديان التوحيدية الأخرى هو قضاؤها على (القانون) والتوكيد الكانتى [٨] ، وبدلا من ذلك تسمى المسيحية لتحقيق الميول الحرة ، وهكذا تراها فى شكلها الفنى تمثل الجمال الخلقى أو تمجيد ماهو مقدس ، ولهذا المعنى يمكننا أن نعتبرها الدين الجمالى الوحيــد (البعيد عن التشريعات السياسيــة والأنظمه الدنيوية)

(٦) المراسلات . ج (١)

(٧) التوكيد على الواجب والتقيد به

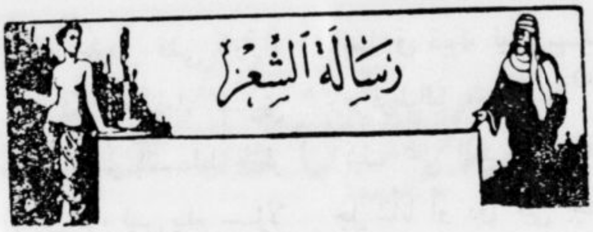
(٨) المراسلات ج (٢)

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير نجاح هذا الدين فى الطبائع النسوية (والدليل الواضح على ذلك هو أن أول مبشر بهذا الدين كانت امرأة : هى مريم المجدلية ، التى نسج المسيحيون حولها هالة من القداسة ووضعوها فى منزلة الأصفياء والأولياء المختارين من قبل السيد المسيح) . ويقول شلر مستطردا (ولكن بصورة جدية ، وهل يمكنك أن تجد إنسانا متثقفا بدون أن يلتجئ فى ساعاته الحرجة إلى الفلسفة ؟ أما أنا فإننى مقتنع تماما ، بأنه إن وجد إنسان من هذا النوع فهو مجبر على مسايرة الاتجاه الجمالى ، لأن المزاج الجمالى لا يحتاج إلى الاقتناع الذى هو وليد التأمل والتفكير، ولا يحتاج إلى العقل المجرد إلا متى اصطدمت الإحساسات الطبيعية بالقانون الأخلاقى . والطبيعة الشاعرية السليمة لا تحتاج إلى مثل هذا القانون الصلب ، أو حتى حقوق الإنسان أو الميتافيزيقية السياسية كما تدعوها أنت (يقصد جوته) ، ويمكنك أن تضيف إلى ذلك أيضا ، بأن هذه الطبيعة لا تحتاج إلى الآلهة ولا إلى الخلود ، وما هذه النقاط الثلاث (وهى الآلهة والخلود والقانون الأخلاقى) التى تدور حولها كل المناقشات والتأملات الفلسفية بأكثر من تسلية لمثل هذه الطبيعة الشاعرية وهى لهذا السبب ليست أموراً ضرورية مطلقا)

وهذه الفقرة الأخيرة غريبة فى مدلولها ، لأنها إن كانت صحيحة فهى تعتبر طبيعة شلر بالذات (طبيعة شاعرية غير سليمة) لأننا نجد هذه النقط الثلاث بارزة فى مؤلفاته وبحوثه — وقبل أن ننهى موضوعنا هذا علينا ألا ننسى ملاحظة لها علاقة وثيقة بموضوعنا ، وهذه الملاحظة تتلخص فى السؤال الملح الذى يوجهه كل من درس الآداب الألمانية وهو: أيهما أشعر جوته أو شلر؟ ولنا إذا سمح لنا أن نقول : إن هذا السؤال تافه وغير ذى موضوع لسببين : فأولا أن شلر وجوته يختلفان فى مواهبهما اختلافا كليا سواء كان ذلك فى مساعيهما أو فى المجالات الثقافية العامة . ثانيا : إذا كان السؤال يعنى — على العموم — المفاضلة بينهما فى عظم الشأن وأهمية كل منهما بالنسبة للأدب الألمانى أو الآداب العالمية ، فجواب هذا السؤال واضح كل الوضوح وهو لا يحتاج إلى تفسير مسهب ، ولو وضعنا هذا السؤال أمام شلر الحيى الخجول لانتفض متعجبا من ذلك

ولم يعرف أحد خيرا منه بأن جوته ولد شاعراً ، بينما هو أصبح كذلك بتأثير المحيط (والفرق شاسع بين الطبع والتطبع) . فكما كان الأول بدهيا بروحه وانطباعاته وإيقاعه الجميل ، كان الثانى مدرسيا ، وعامل التكلف بين نغماته . زد على ذلك بأن جوته عاش حتى أكمل رسالته الشعرية بعد أن صقلت موهبته وتهذبت ألفاظه حتى بلغت مبلغ الكمال فى الإيقاع الموسيقى وفى الأداء الشاعرى ، بينما نرى الثانى تخطفه يد المنون وهو لم يزل غض الإهاب شابا فى روعة الرجولة وازدهارها : ولهذا السبب أثر بالغ فى تقصيره عن اللحاق بجوته وعذره واضح جلى

يوسف عبد المسيح ثروت



رباعيات

للدكتور عبد الوهاب عزام

لا يبالى الأخيار فى هذه الأر   ض بباغ ومفتر وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقا   بين هذى الآفات نحو الخلود

* * *

علماء الزمان فى درجات   لا من العلم بل من الأموال
إنما هــذه الوظائف أثمان   بهـا قومت قدور الرجال

* * *

قد تهاوى إلى الحضيض رجال   وخزوا يوم حوسبوا بالظواهر
ليت شعرى فما يكون رجال ؟   ما يكونون «يوم تبلى السرائر»

* * *

ينفضح الناس حين يكشف سر   عن عيوب وخلفه أستار
كيف لو تكشف القلوب عن الخبء وتبلى الغيوب والأسرار

* * *

فى جهاد الحياة خسر وربح   وصروف ما بين سعد ونحس
لكن الشهم من يقول بحق   «صنت نفسى عما يدنس نفسى»
قلت: ماذا الهيام فى شهوات ؟   قيل : هذى حياتنا فى الصميم
قلت : زيدوا حياة عقل وروح   إن صدقتم ، إلى حياة الجسوم

* * *

كلمات بقين لى من صديق   من دموع تألفت وشجون
لهف نفسى يبقى الحنين على الطرس وتفنى القلوب ذات الحنين

* * *

زهرات قطفن منذ سنينا   ناضرات عواطر قد بقينا
لم تزدها الأيام إلا ازدهـارا   وغصون قطفن منها بكينا

* * *

ذلك الخط ناضر كالزهور   لم يغير شـذاه مر الدهور
يملأ الأذن والفؤاد حديثا   أين أين الصـديق رب السطور

* * *

قال نسر محلق لأخـيه :   أى سر فى خلقة الإنسان
ملأ البر والبحار فسـادا   ثم وافى مدمرا فى العنان

عبد الوهاب عزام

من الشعر الوطنى

بين عهدين

للأستاذ محمد عثمان الصمدى

صار هزل الأمور فى مصر جدا   رب هيء لها سدادا ورشـدا
لم تزل تعرك النوائب حتى   جعل الله للنوائب حـــدا
قيض الله للظلوم رجالا   صدقوا مصر أن فى مصر جندا
يا لها لحظة تذبذبت الأقدار   فيها بالقوم نحسا وسـعدا
لم تكن غير جولة إثر أخرى   جد فيها النضال أخذا وردا
ثم أجلت عن خلعه خلع نير   لم يجد حاملوه من ذاك بدا
لا تظنوا به الظنون وقولوا   : ظالم مهـدوا له فاسـتبدا
كم أراد الخنا إليهم فألفى   كل شىء كما أراد معـدا
وكم استلهموا فنون هواه   حسبة عنده ودينا يؤدى
طالما قربوا القرابين زلفى   منه واستنفدوا التسابيح حمدا
ما يبالون حين يدنون منـه   نضب النيل أم جرى النيل شهدا
ليت قوما مصوا الدماء عناهم   أن يصح الجريح عرقاً وجلدا
شد ما استنزفوا الدماء وأبقوا   بعدها فى الفؤاد جرحا ممدا[1]
أهـدروا قوة البلاد فأرضوا   سـيدين المحتل والمستبدا
ليس يعنيهمو من الشعب إلا   أن يسوسوه سـادة وعبدى
جعلوه صفين يرقب كل   بأخيه ريب الزمان الأشـدا
بئس ما أذكوا العداوة فيه   بين منفيه والخصـام الألدا
ويمينا لم يؤثروا الحكم إلا   ليفيدوا جاها ومالا ومجـدا
واسألوا الشعب كم أباحوا حماه   واستخفوا به عقوقا وجحـدا

---

(١) الجرح الممد الذى ينضح بالمدة

سلبوه قوام كل حــياة ... كيف يحيا وما عن الخبز معدى

ولعمرى ما أعوز الخبز شــعبا ... وهو يرجو التحرير إلا وأكدى (٢)

أى ولاة الأمور فيما بلونا ... كم وأدتم من النوابغ وأدا

ما غناء النبوغ إن ظل يسعى ... ناشــدا قوته دؤوبا مجدا

وإذا استأثر المعاش بجهدى ... كله فالخمول لا شك أجدى

أى شعب يا قوم حقق مسعى ... فى المعالى ولم يكن مستعدا

إن أقوى الشعوب فى الأرض شعب ... عاش عيش الـكريم فرداً ففردا

لم يفرق أبنــاءه حاكموه ... وفق ما يشتهون مولى وعبدا

وليقل لى المرتاب ماذا استردوا ... من حقوق أحرى بأن تستردا

أم تراهم أجلوا عن النيل رهطا ... كم جهدنا أن يطردوا منه طردا

ودع الغاصبين يا صاح وانظر ... كيف عاثوا فى الحكم حلا وعقدا

يتثنون الدعام حتى إذا ما ... لم ترقهم أنحوا عليهن هــدا

آية الرأى عندهم أن يدوروا ... حيث دار الدخيل جورا وقصدا

ما لقطب داروا عليه زمانا ... لم يدع برهة ولم يخل عهــدا

نزلوا عند أمره واســتمدوا ... منه عونا هيهات أن يستمدا

وهو فيما يدور يمنى ويسرى ... لم يرغ غير وكده ذاك وكدا (٣)

قد تواصوا بالبغى حتى حسبنا ... أن نص الدستور ينميه بندا

فتراهم يجرون جرى المذاكى ... فى المخازى حشدا يسابق حشدا

ليت من يستدر ضرعا حراما ... كلأ الشاة مشفقا أن تندا

أخمدوا جذوة النفوس فبعدا ... لألاء القوام بالأمر بعــدا

واستذلوا السواد بالبؤس حتى ... بايعوهم أن ينفد العمر كدا

* * *

أيهــذا اللواء إياك نعنى ... قد وجدنا فيك اللواء المفدى

إنما أنت يا نجيب شعــاع ... تجتويه العيون إن كن رمــدا

أى زعيم البلاد نحن انضوينا ... تحت ظل اللواء لله جنــدا

أنت أنت الزعيم ما دمت تسعى ... هكذا فى البلاد لم تأل جهــدا

قد نبذت الإقطاع فانبذ بنيه ... لا تدع والدا ولا تبق ولدا (٤)

(٢) أكدى أى خاب وأخفق

(٣) لم يرغ لم يحاول

(٤) الولد جمع ولد

يا له ماردا قضى وتراه ... نابضا فى ذبوله ليس يهــدا

فى شرايينه ذماء سيبقى ... رغم فرط البلى مغيظا مغدا (٥)

وسم العصر بالتسلط فانظر ... كيف تخلى المد مما أعــدا

وأرى المرء ليس يبلغ سؤلا ... جل شأنا أو دق حتى يجدا

وبحسب الراقين أن قد أعدوا ... رقبة تصرع الطواغيت لدا

* * *

ساسة النيل إن بالنيل شوقا ... لزوال الفساد عنه ووجــدا

فسد الأمر كله فى حمانا ... ليت شعرى هل يعقب الجزر مدا

وثب الجيش حيث توعد مصر ... حقها فى المعاش خفضا ورغدا

فقوانين ماتنى إثر أخرى ... تعد الخفض أو تنى فيه وعدا

ولعل القانون ليس بمجد ... وحده فى البلاد مالم تعدا (٦)

فأعدوا الحمى لما سوف يلقى ... بعد حين يمرد على الوعى مردا (٧)

إن أعصى الأشياء مافى السجايا ... من عناد أدى بها حيث أدى

* * *

صار هزل الأمور فى مصر جدا ... رب هيئ لها سدادا ورشــدا

واجنب الشعب أن يضل هداه ... واجمل الجيش واقفا منه ردا

محمد عثمان الصمدي

(٥) الذماء بقية الحياة . والمغد المنتفخ غضبا وكبرا

(٦) تعد من الإعداد

(٧) يمرد يتدرب ويتمرن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الموسم الثقافي

ومرة أخرى يفتتح « طه حسين » الموسم الثقافي لنادي الخريجين المصري بمحاضرة عن « الثقافة الوطنية ، والثقافة العالمية »

ولنا قبل أن نلخص المحاضرة عتاب على نادي الخريجين الذي يرأسه الدكتور العميد ، لأنه لم يوفر للعدد الضخم الذي حضر ليسمع « طه حسين » الأماكن .. وإذا كان النادي لا يتسع ، فقد كان في الإمكان أن يختار أي قاعة من القاعات الواسعة : نقابة الصحفيين ، أو يورت ، أو الشبان المسلمين . .

لقد ذهبنا قبل موعد المحاضرة بنصف ساعة فلم نجد مكانا واضطررنا أن نقف في تلك الطرقة العتيقة محشورين على وجه غاية في القسوة ، فترة تزيد على ساعة ونصف ساعة ..

وبعد . فهل أستطيع أن أرسم خطوطا عامة لهذه المحاضرة الممتعة ؟ أرجو . .

تحدث الدكتور عن الثقافة ، وقال إنها ليست شيئا يمكن تحديده ، وإنها وسيلة من وسائل التقارب بين الناس والأجناس، وإنها الأداة الوحيدة لمنع الحرب ونشر السلم. .

رسم العميد صورة للمثقف في العصر القديم ، قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وكيف كان الشاعر يسعى من باديته إلى الحاضرة ، يحمل قصيدة يمتدح بها الخليفة أو الأمير ، فإذا وصل إلى الحاضرة أعجبته ورضى عنها فاستقر بها طويلا .. وأفاد من اتصاله بالناس في خلال رحلته الطويلة وفي خلال مقامه في الحاضرة ، فإذا عاد بعد ذلك إلى البادية ، عاد ومعه ثقافة واسعة جديدة ..

وقال الدكتور طه حسين إنه ليس هناك ثقافة وطنية وثقافة عالمية ، وإن التفريق بينهما خطأ واضح ، إذ أن الثقافة عالمية قطعا ، وإنه لا سبيل لأمة الآن أن تعيش منفصلة عن غيرها ، ولا أن يعيش شعب على ثقافته الوطنية وحدها . . وإنه لو عاش المصريون على الثقافة العربية وحدها ، لعاشوا بعيدا جدا عن الحياة الحاضرة

وليست مصر وحدها هي التي تستطيع أن تتخلف عن الثقافة العالمية ، بل إن الأدب الفرنسي والأدباء الفرنسيين ، لا يستطيعون أن يقولوا إنهم عاشوا دون أن يقرأوا الأدب الإنجليزي أو الألماني أو الروسي أو اليوناني . . وكذلك الشأن في الآداب الأخرى

وعاد الدكتور بعد ذلك فقال : غير أن الأدب في كل وطن يصور البيئة وروحها ، ذلك أن الثقافة بالرغم من عالميتها فإنها تتأقلم وتتبلور في صور النفوس التي تكتبها .

ورسم الدكتور صورة المثقف ، فقال إنه ليس ذلك الذي يحفظ النصوص ويلقيها في كل مناسبة أو غير مناسبة ، إنما هو القادر على أن يهضم كل ما يقرأ من فنون الأدب والثقافة ، ويحولها في كيانه إلى قوة توجه وتصنع فنونا جديدة

وقال إن المثقف في عصرنا الحديث لا يستطيع أن يعد نفسه مثقفا ، إلا إذا ألم إلماما وافيا بكل الآثار التي تنتجها القرائح في عصره . . وأن يواصل دائما هذه القراءة ، ويدأب على الدرس الدائم !

وفي نهاية المحاضرة تحدث « طه حسين » عن التعليم ، وهاجم الرأي القائل بالتحفظ في إذاعته وتيسيره للناس جميعا ، وحمل على نظرية التعليم للتوظف ، هـذه النظرية التي قامت في العهد البائد ويجب أن يقضى عليها العهد الجديد ، واستقبل المستمعون جملته هذه بالإعجاب والتصفيق . .

ومع الأسف فإن الصحف اليومية لم تذكر شيئا عن هذه العاصفة الضخمة التي أثارها عميد الأدب !

الأدب النسوي والشعر المنثور

في رسالة مطولة وردت إلينا من الكاتبة الثائرة «ليلى مسلم»

تقول : « إن حملتك على الأدب النسوى يا سيدى قاسية ، إنك تنكر أن هناك أدبا نسويا ، وقد رددت هذا أكثر من مرة وقلت إنه ليس هناك شاعرات ..

ووقفت من الشعر المنثور الذى كتبته «هند سلامة» موقف المعارضة .. لست أدرى إن كان ذلك منصبا على اللون الأدبى نفسه أم على المعانى التى تضمنها الشعر.. إننى أرسل إليك طى هذا بعض القصائد والقصص وأنا متحدية وواثقة من أنك ستغير رأيك فى الأدب النسوى والشعر المنثور

إن هناك كاتبات يا سيدى يكتبن لأنفسهن ، ويعشن فى برجهن العاجى ليقرأن .. ويكتبن .. إنهن — وأنا منهن — يعرفن أن الصحف لا تعرف غير الوجوه ، ولا تعرف غير اللواتى يتصلن بهذا الكاتب أو ذاك

أما أولئك اللائى ينتجن فى صمت ، فهن لا يردن أن يعرفهن أحد .. غير أنه عز على أن تقول إنه ليس هناك أدب نسوى ، ولذلك أرسلت لك هذه الصورة من كتاباتى »

والحق أننى أعجبت بهذه الرسالة لأن كاتبتها مركزة الأسلوب، ولأن القطع التى أرسلتها إلى توحى بالثقة بأننا سنطالع فجر الأدب النسوى الجديد . . سنطالعه على يد أمثال ليلى مسلم . . وغيرها من الشابات المجددات ، اللواتى لم تتألق أسماؤهن بعد . . وأسارع فأعرض قطعة من شعر « ليلى مسلم » المنثور :

بينى وبينك . . خفى مجهول

سمه عبادة ، أو سمه حنينا

سمه ما شئت مما تعرفه وحدك ، ويخفى على من دونك

إنه موجود ، باق لا يزول

يسرى فجأة فى بدنى فيرتجف له . .

ثم يدب على أرضى .. فأقف فى ثبات

.. أقف أمامك ، وقفة موسى عند الطور الأمين

ويجرى بينك وبينى عتاب .. حار

وتنتصر أنت ، وأتوارى أنا خجلا ..

ويحزنك أمرى . .

فتبعث إلى ..

تبعث إلى من ذلك الينبوع الذى لا يجف ، ينبوعك !

وترطب جفاف روحى بآياتك الحسان

ولـكنى من فرط خجلى لا أستجيب . .

فتنتظرنى قليلا .. ولا تهجرنى . .

وتفتش عنى فى كل مكان . .

فلا تترفع عن ارتياده ، مهما كان ، لتهمس فى أذنى : عودى يا ضالة !

عندك المؤمنون الأبرار .. راكعين ، ساجدين

.. ولـكنك لا تلبث أن تجيب دعوة الداعى .. إذ دعاك

.. فأنا أدعوك ..

* * *

وحق على أن أنشر هذا الشعر المنثور .. فهو غاية فى السمو والنقاء ..

إنه يرسم صورة لنفس « صوفية » تحلق وتصعد فى السماء . فارق بعيد بين هـذا اللون « الروحى » ، وبين ذلك اللون « النفسى » الذى عارضناه ، وإن كنا نحتفظ برأينا فى الشعر المنثور بصفة عامة

« هند سلامة » تصور الحياة وتغوص فى معالمها . . وتجرى فى تيارها . « وليلى مسلم » تسمو وتتحرر ، وتتجه إلى الله ، وترسم النفس الإنسانية وهى تتعالى وتندفع إلى الخلود

وبعد فكلمة أهمس بها فى أذن كاتبتنا الثائرة .. نحن ننزه أقلامنا عن الغرض من وراء النقد ، ونجدنا على استعداد لأن نغير رأينا فى الأدب النسوى ، إذا برزت فنون من الأدب جديدة يمكن أن تملأ هذا الفراغ

إننا ياسيدتى ننحنى للأدب الرفيع .. ونحيى الروح الجديد .. و « الرسالة » ياسيدتى لا تعرف الوجوه ، ولـكنها تعرف الفن الخالص .. فقدمى إليها إنتاجك ، وسترين أنها تحفل به ما دام متسقا مع مستواها وروحها

أنور الجندى



اقتراح بانشاء «مجمع فكرى» بمناسبة إنشاء وزارة الارشاد

لعل أمة من الأمم سواء فى التاريخ القديم أو الحديث لم تكن أحوج من مصر فى يومها الحاضر إلى التوجيه والإرشاد القوميين — وليس ازدياد حاجتها لذلك نتيجة عيب أو نقص . ولكن لكثرة ما توارثته من عناصر الحضارة واختلافها الشديد مع كثرتها فى الوسائل والغايات؛ ولأنها وهى وسط بين أمم مختلفة المذاهب متباينة المشارب قد تشعبت فيها وجوه الرأى فى حديثها مع تهيئها بحكم اختلاف الوراثات لهذا التشعب واستعدادها لمرونتها إلى الأخذ من كل شئ بطرف

فى مصر لا نزال أثر من وجوه النظر التركية إلى جانب آثار عميقة من التقاليد العربية وأخرى من العادات الفرعونية . وهى فى اليوم الحاضر ملتقى ثقافات غربية متنوعة العناصر ، وأخرى شرقية مختلفة الأصول . وبعض هذا وذاك قد تلقته من الآباء والأمهات والمصلحين ، والبعض مدسوس عليها من المستعمرين والغاصبين والحكام الطاغين

وفى مصر دوامة من آراء وأحاسيس ومشاعر، ولقد بذلت فى العصور الأخيرة محاولات تلقائية لا نقول من الزعماء ولكن دفع إليها الزعماء من إحساس باطن فى الأمة إلى وجوب توحيد الهدف وتوحيد الوسائل إليه . ولقد استجاب إلى هذا الإحساس من أصاخوا إلى صوته فى الضمائر أو سمعوه من أعالى المنابر أو من آثار الأقلام والمحابر . ولكن الاستجابة لم تكن شاملة ولا كاملة لانتشار الأمية ولأن الزعماء كانوا أحرص على الظهور بشخصياتهم منهم على بث المبادئ فى البيئة

صيحة النهضة الحاضرة بالاتحاد والنظام والعمل إنما بدأت بما يجب البدء به نتيجة إحساس عميق بالافتقار إليه . وما احتاجت مصر إلى هذه الصرخة المدوية إلا لتعدد آثار الثقافات . واختلاف ألوان الحضارات، وإن شئنا الإنصاف فلتعدد ألوان المطامع واختلاف آثار المظالم أيضا

أدبنا العربى تراث عظيم الضخامة ولكن لم يرتو منه الكل بسبب انتشار الأمية فلقد تأثر به الكل كما تتأثر الأرض بالمياه الجوفية . وفيه من المتناقضات لطول عهده ولأنه وإن كان أدب لغة واحدة فهو جماع آداب لأمم مختلفة فى عصور متباينة تحت ظروف لا تكاد تتشابه . ولم ينقد هذا الأدب الطويل العريض نقدا مميزا

وأدب الأمم الأخرى المعاصرة نشأ فى عهد أقرب وفى بيئات أكثر اندماجا وظروف أكثر تشابها فلم تحتج كحاجتنا إلى التوجيه والإرشاد

وابتعدت الأمم الأخرى فى عصورها القريبة عن محنة الاستعمار وتعدد المستعمرين واختلاف آثارهم — كل ذلك كون لكل دولة شخصية أكثر تماسكا وأكبر استقلالا . وتلك مزية فيهم والمزية كما يقولون لاتقتضى الأفضلية ؛ ففينا مقابل هذا مزايا من عمق الإيمان . ومن الصبر والاطمئنان . ومن المرونة والاستعداد للتطور . ولكننا بما لنا وعلينا فى حاجة أكبر إلى إلغاء أهداف وإلغاء وسائل . والتخلى عن آراء وهجر عادات ومحاربة تقاليد. والاندماج بعد ذلك فى موكب واحد نحو هدف واحد

ذلك كان إحساس الأمة الذى عبرت عنه بصيحتها فى فجر نهضتها إذ تهتف قلوبها على ألسنة قادتها بالاتحاد والنظام والعمل

ولقد كان إنشاء وزارة جديدة للدعوة والإرشاد وسيلة لتحقيق هذا الاتحاد ، لكنه ليس بمأمون مع ذلك أن تتشعب وتتفرع وتنداح وتنساح فكرة تبدو اليوم موحدة وتجرى عليها سنة الخلق من توالد وتكاثر

وليست الوزارات بالعمل الذى ينشأ من أجل ليلة وضحاها ، وإنما هى للغد البعيد وما يليه . وضمانا للتوحيد فى كل ماتقدم مما اختلف على طول العصور يجمل أن توضح البرامج الواسعة النطاق — ما كان منها صالحا للتنفيذ اليوم وما كان منها منظما للآمال والغايات البعيدة

وسبيل ذلك التأليف بين رجال الفكر الدارسين ورجال الفن الحساسين . ونحسب هذا لا يكفل إلا بإنشاء الأكاديمية المصرية التى طال انتظارها (مجمع فكرى)

ومجمع اللغة العربية والمجمع العلمى لم يكونا إلا خطوتين فى سبيل هذه الغاية . ووزارة الإرشاد خطوة ثالثة . وإنما ينظم هذه الخطوات مجمع من رجال الفكر يكون كل رجاله من المؤلفين والدارسين فهؤلاء أكفل لحياة الوزارة الجديدة من مديرين ووكلاء وموظفين . إن يكونوا اليوم بحكم جدة النهضة من لامس

أغراضها فإنهم فى الغد لن يكونوا إلا موظفين كسائر الموظفين

نحن ندعو إلى مجمع من مجامع الخالدين ليكون على رأس المصالح التى ضمّتها الوزارة الجديدة

الإسكندرية **أحمد عوضه**

الأزهر . . والثورة

لقد أحدثت الثورة المباركة انقلابا خطيرا فى كل مرافق الدولة ، وخطت خطوات موفقة فى سبيل الإصلاح . وقطعت شوطا بعيدا فى سبيل التطهير وقطع دابر المفسدين ، وكان لهذا الانقلاب الخطير أثر فى نفوس الشعب كافة ، وما دامت الثورة قد أحدثت هذا الانقلاب العظيم فالنا نرى الأزهر لا يزال متمسكا بجموده ، متشبثا بالماضى العقيم ؟ إن الأزهر يحتاج إلى انقلاب عام شامل فى كل ناحية من نواحيه وفى كل شأن من شؤونه

أجل : فإن الكتب الأزهرية التى ألفت فى عهود غابرة وبأسلوب عقيم — لا يتفق مع عقول الطلاب — لا زالت هى التى تدرس إلى اليوم ، وإنها لمحشوة بالأساليب المعقدة والمسائل التافهة ، ومع ذلك فهى بعيدة كل البعد عن حياتنا العامة . . فالطالب الأزهرى يقضى زهرة شبابه بين هذه الكتب البالية ثم يخرج بعد أن نبت الشيب فى رأسه ليرى الحياة حوله لا تتفق وهذا الجمود الذى يتصف به الأزهر ، إن الحياة تسير والنظم تتغير والأساليب البالية تزول، وذلك حسب سنة التطور ولكن التطور لم يدخل الأزهر بعد ، لذلك يحتم الأزهر على الطالب الذى يريد الالتحاق به أن يكون حافظا للقرآن كله ، وقد كان هذا الشرط يجوز ويكون مقبولا منذ ربع قرن مضى .. أما الآن وقد انتشرت المدارس الابتدائية فى كل قرية فلم يعد هذا الشرط مقبولا أبدا ، وغير ذلك يجب أن تدرس إحدى اللغات الأجنبية فى معاهد الأزهر ، ويجب أن يوحد زى الطلبة فورا ، فقد أصبحت مسألة الزى هذه مهزلة المهازل ! فهناك من يرتدى الزى الأزهرى ومن يرتدى الزى الأفرنجى ومن يكتفى بالجلباب أو (البيجاما) . كل هذه أمور من شأنها أن تحتل المكان الأول من اهتمام المسئولين فى الأزهر، وذلك حتى يتجاوب الأزهر مع روح العهد الجديد، وهى أمور كلها تجيش فى نفس كل طالب أزهرى وتعتمل فى صدره وتخالج وجدانه من آن لآخر أردت أن أضعها نصب أعين ولاة الأمور فى الأزهر على سبيل الذكرى . فالذكرى تنفع المؤمنين

محمود حمدى زقزوق

حضرة

قرأت كلمة لأحد الباحثين قال فيها إن (حضرة) بمعناها الحالى كلة تركية دخيلة وهذا ليس صحيحا وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى شرح القاموس ما نصه : حضرة الرجل قربه وفناؤه ، وفى حديث عمرو بن سلمة الجرمى (كنا بحضرة ماء) أى عنده ، وكلمته بحضرة فلان أى بمشهد منه ، قال شيخنا وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور كما صرحوا به ثم تجوزوا به تجوزاً مشهورا إلى مكان الحضور نفسه ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس كقول الكتاب أهل الترسل والإنشاء . الحضرة العالية تأمر بكذا ، والمقام ونحوه — وهو اصطلاح أهل الترسل كما أشار إليه الشهاب فى مواضع من شرح الشفاء ا ه

وجاء فى (صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٩٨) فى مبحث الألقاب :

الثامن : الحضرة والمراد بها اللقب ... وهى من الألقاب القديمة التى كانت تستعمل فى مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية وتستعمل الآن فى المكاتبات الصادرة من الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك ويقال فيها الحضرة الشريفة العالية والحضرة الكريمة العالية والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه الحال الخ . . وكثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضى شهاب الدين ابن فضل الله وليس كذلك . . الخ . وجاء فى « محيط المحيط » والمولدون (المحدثون والمتأخرون) يستعملون الجناب لأكابر الناس بمعنى الحضرة فيقولون : نهى إلى جنابك مثلا أى نلقى كلامنا بين يديك وذلك فى الأصل؛ ثم توسعوا حتى جعلوا الجناب لغواً يراد به مجرد التعظيم، فيقولون هذا غلام جنابك أى غلامك اه.

من هذا يتبين أن (حضرة) عربية صحيحة ولكنها تطورت ، والاستعمالات المجازية صحيحة بل فصيحة

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى



الزوجة الحسناء

للكاتب النمسوى هيرمان بار

... ولاقيت صديقى بول دوران بعد غياب طويل فاندفعت إليه فى شوق قائلا : « كيف حالك ياعزيزى ؟ لقد احتجبت عنا طويلا ، أفتزوجت حقا ؟ لم يكن ليضطرب فى خيال واحد من رفاقك أنك تتزوج فتنزل عن بعض مافيك من عبث ومرح ولكن المرأة ... المرأة يابول ! »

وابتسم بول فى رقة وأخذ بذراعى يجرنى إليه ؛ أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته المجون والعبث ؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان أن يثق به !

وتناول سيكارة فى هدوء ووقار ، وحدجته بطرف عينى فآلمنى أن أرى فيه الرزانة والسكون ! لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت طبعا بطبع يابول بعد أن تزوجت ... تزوجت من فتاة جميلة » فترك ذراعى فى غضب وهو يقول : « دع عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بينى وبينك ! » وأزعجنى حديثه فاندفعت أسأل : « ماذا ، ماذا ياصديق ؟ »

قال : « حقا ، إنها حسناء فاتنة ... ولعمرى إن البلاء فى الزوجة الحسناء ، فأنا أدفع الثمن غاليا ! نعم إننى أحبها ولكن أتعلم مايثقل زوج المرأة الحسناء ؟ إذا غاب عنك هذا فلا تتحدث عن شئ بعده . إن الزواج من حسناء يتطلب صبراً كصبر أيوب ثم يصفر صفيرا مزعجا وفى وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إلى أننى سموت إلى الغاية متى يريد فقلت : « أفرأيت يابول ، أن خطاياك تنحدر إليك من صبب ! هذا هوالجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر إلى فى دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أى غيرة ؟ فيم تفكر ؟ وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ، فقلت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال : « لا . لا . إن الزوجة الحسناء هى خير ما يتمنى المرء ما لم يستعبده جمالها » قلت : « لقد قصر عقلى عن أن أستشف ماتريد » قال : « سأضرب لك الأمثال لأكشف لك عن بعض ماعمى عليك »

وبدا لى أنه ينفس عن كربته حين ينشر على عينى أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه ، فتعلق بصرى به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها وهو يقول :

إن النشوة التى سيطرت على — يوم زواجنا — كادت تستلبنى عقلى . لقد انطلقت إلى ميونيخ برفقة زوجتى ، وخيالى يصور لى أننا نستطيع أن نجول فى أنحاء المدينة فى لذة وسعادة ؛ نزور معا بعض أصدقائى ثم نطير إلى مروج بافاريا ننعم بالحلوة ، ونقتطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة فى ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ التلق يضطرب فى ناظريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لا شئ ! إننى أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكننى أرى فى الناس غلظة وجفاء ! » وحدثتنى نفسى : « يالله ! لاريب أن فى سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هى فى حديثها : « حقا ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب فى الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنسانا واحدا يرفع بصره فيحدق فى الآخر . هذه هى الغلظة التى رأيتها فيهم »

أفرأيت يا صديقى ؟ لقد زلت زوجتى ، فهى تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهى لا تجد بغيتها فى ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفى الصباح التالى انطلقت أجلس فى ندى مكسمليان أنتظر زوجتى لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها فى الفندق ترتدى ملابسها وتتزين . ولبثت طويلا أنتظرها . ودقت الساعة عشرا وأنا جالس إلى نضد أردد بصرى بين المارة وأحدق فى دار الأوبرا وهى قبالتى ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والنادل متكئون إلى الجدار فى كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شرذمة من الطلبة يتحسون الجعة ويلعبون ؛ وهدأ المكان إلا من بعض كلمات تنفرج عنها شفاه الطلبة بين الحين والحين ؛ وبذر الانتظار فى نفسى غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفا جميلا ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهوينى فى خيلاء وصعر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى فى أناة وتؤدة ، وحين صارت بإزاء الطلبة

تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة فى شغل

وسألتها عن بعض ماتحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعر سؤالى التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك فى الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث فى النفس الضيق والملل .. خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضدا إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسيا هزت الآخر فانتثر ماعليه من صحف فتناولتها والطلبة فى لهوهم ما ينظرون . واستقر بنا المقام فسألتها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعنى إلى المعرض ؛ غير أنها قالت فى تؤدة وهى تضع نظارتها على عينيها : « خبرنى ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملا سوى شرب الجعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسى السوء وأكفكف بين سطورها نزوة تضطرب فى قلبى ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها فى سهولة ، فاندفعت تتحدث إلى : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبذلون آخر فلس فى جيوبهم فى سبيل أبنائهم وهم يبددون المال فى المقاهى ! أين العلم وعصا المعلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصرى فى سطور الصحيفة فى إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! ياعجبا ! إنهم كحمالى المحطة ! »

وتأجج الغضب فى رأسى وأنا أهدئ من ثورتى خشية أن ينثلم شرفى فى هذا الندى ، ثم قلت فى هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث فى نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بدا من أن ننطلق إلى شليرسى بعد ساعتين ، فهو مكان هادئ جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسى » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقى ... وبلغنا شليرسى عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقى لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعا إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تتراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتى — أجاتا — فانطرحت فى فراشها فى سبات عميق ، أما أنا فقد انطلقت على دراجتى أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هى فى الحديقة ، وفى يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفيين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتنى روعة المكان فأحببت أن أقضى بعض وقتى هناك ؛ واندفعت إليها وهى جالسة فى ثوبها الأبيض الحريرى الجميل ، يتأرج العطر منها عبقا طيبا ؛ غير أنه لم يلتفت إليه أحد ، ووقفت بإزائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتى ؟ » فحدجتنى بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هى شليرسى ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذنى » قلت : « إنه هادئ ... والبحيرة ... »

فقاطعتنى « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادى الجميل ... » فقاطعتنى ثانية : « والوادى الجميل غير صحى » قلت : « والجبال ... » فقاطعتنى مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلى فى ازدراء وهى تقول : « والطعام ردئ الطهى والجعة البافارية تملأ الجسم شحما ، وأنا لا أريد أن أبدو عبلة كالفلاحات . إننى أبتغى حياة هادئة . لقد كان من الخير لى أن أسجن فى دير ولا أتزوج من رجل لا يحبنى » قلت : « لا بأس ، سنرحل إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا » ، واضطرب قلبى ، وانتفض فؤادى ، واستولى على الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر فى مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجاتا ما تهدأ ولا تطمئن . لا ريب فهى تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار فى كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلا . تلك حقيقة مروعة ، فخير للانسان ألا يتزوج من حسناء !

وفى الصباح التالى بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادى ، إلى الغابة أمتع نظرى وأشيعها جميعاً بنظرات الوداع ، فنظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع فى خيالى . أما هى ... هى أجاتا فما تزال فى مخدعها تنعم بالنوم الهادئ . إننى أتعشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولمع فى خاطرى رأى ، انفجرت له شفتاى عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو فى لهفة إلى صديقى دريتشر ،

وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهليــة فى بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضا شــاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأى النافذ والقريحة الوقادة ... وهو صديق فيه الإخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إننى أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلنى فيه . إنك تعرف كل إنسان فى هذه الناحية ، أفتستطيع أن تمدنى بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال فى دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إننى أريده يجلس ويحدق ... يحدق فى زوجتى ساعة من نهار . إن زوجتى قد اعتادت هذا النوع من الغزل فهى تفزع من كل مكان تفتقد فيه بغيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات فى اليوم ثمناً لجلوســه فى الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة فى زوجتى ، وأدفع له ثمن شرابه » قال : « لا ضير ، لا ضــير ... ! » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أنى لا أستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائى ، ولــكن ... آه ، نعم ، إن فى الفرقة عاملا شابا فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هــذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفى المساء نبتدئ العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقى . ولــكن أفتطمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لا تعنى بنظرات من يتعشقهــا بقدر ما تعنى بنظراتها هى ؛ وسترى ... »

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت أجاثا وحدها فى الحديقة ... وجاء العــامل فى ثوب أنيق ... جاء ينفذ أمر سيده فى براعة وإتقان ... ورجعت أحدثهــا : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقنى أن نسافر على قطار الساعة العــاشرة صباحاً » قالت فى لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعنى ؟ أفلا تستطيع أن تستقر فى مكان ؟ إننى أميل إلى هذا المــكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلا : « ولــكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجــال فيها » قلت : « والجبــال من حولها » قالت « لاضير ، فأنشد الهواء العليل فى أعاليها . سنبقى هنا حيناً من الدهر فما يرضينى أن نضطرب فى أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غاليا . ولا ريب أن أجاثا لن ترضى بهذا المــكان بديلا ...

ك . ح

تفسير آية

بقية المنشور على صفحة ١٣٣٠

الناموس الخالد الذى لا يتبدل ولا يتحول . ومن ثم لم تعد إلا التفصيلات والتطبيقات ، التى يستقل بهــا العقل البشرى ، ولا تحتاج إلى رسالة إلهية أخرى

* * *

وبعد فلقد اقتتل أتباع « تلك الرســل » ولم يغن توحد طبيعتهم ، وتوحد طبيعة الرسالة التى تجمعهم ، عن اختلاف أتباعهم من بعدهم : حتى ليقتتلون من خلاف !

« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولــكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولــكن الله يفعل ما يريد »

ولــكن هذا الاختلاف لم يقع مخالفا للمشيئة الإلهية ؛ بل وقع وفق سنته المقررة ، ومشيئته المقدرة

إن اختلاف الطبائع والمشاعر والأفكار سنة من سنن الخالق لتنويع الخلق — مع وحدة الأصل والنشأ — وما كان الله ليجعل عباده جميعا نسخا مكررة ، كأنما طبعت على ورق « الــكربون » !

لا بد إذن لتكون للحياة قيمتها ، وليكون الاختلاف والتقابل وسيلة للتكامل والتنوع ، أن يكون هنالك اختلاف فى الطباع والمشاعر والأفكار . ومتى وجد الاختلاف على هــذا النحو فإنه يستتبع نتائجه ؛ وإحدى نتائجه الاقتتال ، الذى وقع بين أتباع الرسل .. فهو إذن وفق المشيئة ، بمعنى أنه جار على السنة

« ولو شــاء الله ما اقتتلوا » لو شــاء أن يجعل التماثل هو الناموس لا التنوع ، لما وقع الاختلاف ، ولما وقع الاقتتال

« ولــكن الله يفعل ما يريد » .. ولقد أراد أن تجرى السنة بما جرت ؛ فوقع فى الــكون ما يقتضيه جريان السنة فى طريقها المرســوم ، وفق المشيئة الــكبرى ، لتحقيق حكمة خاصة تجرى بها هذه المشيئة

سيد قطب

الرواية

تعـــــــود

و

الرسالة

تتجـــــــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى ينــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

القرآن والدستور ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١٣٥٧
الدفاع عن الشرق الأوسط ... : للدكتور عمر حليق ١٣٥٨
حياة المازنى ... ... : للأستاذ محمد محمود حمدان ... ١٣٦٢
الميسر والأزلام ... ... : « عبد السلام محمد هارون ١٣٦٤
المسلمون ... ... : « محمد عبد الله السمان ... ١٣٦٨
تركيا ... ... : « أبو الفتوح عطيفة ... ١٣٧٠
نكسة فى دار العلوم ... ... : « الطاهر أحمد مكى ... ١٣٧٢
الرؤيا الصادقة ... ... (قصيدة) : « محمد بهجة الأثرى ... ١٣٧٥
(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٣٧٧
(المسرح والسينما) — مسرحية غروب الأندلس — للأستاذ عبد الستار أحمد فراج ١٣٧٩
(البريد الأدبى) — إلى هالة — شونبرون لا شمبرون — لمن هذا الشعر — عودة الرواية — رد ونقد — أين كنا .. وكيف أصبحنا ١٣٨١
(القصص) — كرد على — للقصصى الروسى بوشكين ١٣٨٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 1014

Le Caire 8 — 12 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

القرآن والدستور

نشرت إحدى الصحف ذات يوم أن بعضا من علماء الأزهر قد اجتمعوا ليستنبطوا مما شرع الله فى الإسلام قوانين تحكم بها الدولة . فصادف هـذا الخبر هوى فى نفوس قوم ، ونفـورا فى نفوس آخرين ؛ وهتف أتباع هؤلاء فى بعض الحفلات قائلين : القرآن دستورنا ! وردعليهم أتباع أولئك هاتفين : الدستور قرآننا ! واستطار النبأ فى أجواء الأرض ففزع أصحاب الأموال فى أوربا ، واستراب رجال الأعمال فى أمريكا ، وقال مرضى الهوى أو الجهل منهـم : نـكسة الداء ، ووثبة إلى الوراء ! فلم يسع السياسيين إلا أن ينتفوا من هذا الخبر ، ولا الأزهريين إلا أن يبرأوا من هذه التهمة !

أمر عجيب ! ألى هـذا الحد بلغ جهل الجهال بحكم القرآن فيصورروه هولة يفزّعون بها الناس حتى أهله ؟ إن كانوا من الذين يؤمنون بأنه من وحى الله فالله سبحانه لم ينسخه ولم يُنسه ، ولم يأت بخير منه أو مثله . وإن كانوا من الذين يزعمون أنه من وضع الإنسان فماذا يخشون منه وقد جربوه ؟ لقد حكم الدنيا القديمة وهى همجية وفوضى ، يتولاها الهوى ، ويقودها الضلال ، ويسوسها الجهل ؛ فردها من الشرود المهلك ، وأقامها على الطريق المؤدى ؛ وأذاقها رغد العيش المطمئن ، وكفل لها من الحرية والعدالة والمساواة والكرامة ما كفل بعضه الدستور . وما الدستور ؟ أليس هو فى حقيقته وجوهره معنى من معانى القرآن ينبثق عنه كما ينبثق الشعاع عن الشمس ؟

أعطوا الدستور ذوى الرأى من الراسخين فى علوم الدين أمثال عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت يجدوا قرآنا كأول ما أنزل الله . وأعطوا القرآن أولى الرأى من المتضلعين من علوم القانون أمثال عبـد الرزاق السنهورى وعبد الحميد بدوى تجدوه دستورا كآخر ما وضع الناس

أما القرآن الذى تخشونه فليس قرآن الله ، إنما هو قرآن مسيخ فسره جهال العلماء على قدر مافى عقولهم من قصور وزيغ ، ومافى نقولهم من خطأ وحشو ؛ فضيقوا سعته ، وحددوا شموله ، وعوقوا تقدمه ، وزيفوا صحيحه ، وشابوا صريحه ، ووقفوا به عند عصر معين ، فلا يقبلون إلا قوله ، ولا يجيزون إلا فعله ، ولا يعلمون أن عموم الرسالة المحمدية يقتضى أن تساير الزمن وتجارى الطبيعة ، حتى لا ينقطع ما بينها وبين ركب الحياة

وأما الدستور الذى تنكرونه ، فهو الدستور المهين العاجز الذى يرضى أن تقوم باسمه دكتاتورية حزب ، وأن يقضى على حكمه طغيان ملك ؛ ثم لا يأنف أن يفسره عابث على هواه ، وأن يطبقه فاجر على مشيئته . فإذا لم يكن للدستور سند من روح الله يجعل الخروج عليه مروقا من الدين وفسوقا عن الإيمان ، وإذا لم يكن للدستور حام من إرادة الشعب يعصمه من جور الحاكم وبغى السلطان ، كان ضرره أكبر من نفعه ، وعدمه خيرا من وجوده

آمنوا بالقرآن تجدوا الدستور الحق ، وآمنوا بالدستور الحق تؤمنوا القرآن !

احمد حسن الزيات

على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

٢ـ الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

هل لروسيا مطامع استعمارية

لعل أولى مايجب أن نتساءل عنه ونحن فى صدد الحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط ما إذا كان للاتحاد السوفييتى مطامع «استعمارية» توسعية فى العالم الخارجى ؛ أم أن الخوف من عدوان المعسكر الغربى هو الذى يدفع روسيا إلى احتلال بعض المناطق فى شرق أوربا احتلالا مباشرا وقيام الحركة الشيوعية فى الدول المجاورة كما حدث فى الصين وتشيكسلوفاكيا واليونان ؟

هذا سؤال اختلف فى تحديد الجواب الصائب عنه دراسات المعنيين بالشؤون الروسية والملقين السياسيين وأخصاء علم النفس الاجتماعى وتقارير البعثات الدبلوماسية الأجنبية المقيمة فى موسكو — وكل هذه مواد استند إليها كاتب هذه السطور فى هذا البحث

فالمستر جورج كنان سفير أمريكا فى موسكو حاليا وأحد كبار الخبراء الأمريكان فى الشؤون الروسية يعتقد بأن ما لجأت إليه موسكو فى عالم ما بعد الحرب من توسع شمل شرق أوربا وسرب إلى الصين فاكتسحها وبنى له وكرا فى فرنسا وإيطاليا وغيرها — هذا التوسع ما هو إلا مغامرة سياسية استنبطتها العقلية السوفييتية ورجال الحكم السوفييت فى موسكو لخوفهم من أن يتركوا حدود الاتحاد السوفييتى معرضة لنفوذ الدول الرأسمالية التى يعتقد السوفييت بأنهـا لا بد من أن تشن على الاتحاد السوفييتى حربا تقوض النظام الشيوعى القائم فى روسيا . ومن رأى هذا الخبير الأمريكى كذلك أن الشعب الروسى (على نقيض رجال الحكم السوفييت) لا يرغب فى توسع إقليمى [١]

ومن ثم اقترح المستر كنان على حكومته لكى تضع حداً لهذا التوسع السوفييتى بأن تنشئ قواعد عسكرية قوية على حدود البلاد السوفييتية وتعزز دعائم الاستقرار الموالية لأمريكا فى الدول المجاورة للاتحاد السوفييتى كتركيا واليونان ، ومحاربة الأوكار الشيوعية القوية فى فرنسا وإيطاليـا وغيرها من الدول المعرضة لانتشار الشيوعية . ثم كان مشروع مارشال لمعونة الدول الحليفة لأمريكا ، ومن ثم تمت بسرعة فائقة إقامة القواعـد العسكرية الأمريكية فى شرق الجزيرة العربية وفى مطار الملاحة فى ليبيا والقواعـد الهامة الأخرى فى شمالى إفريقيـا العربية ؛ وبذلك يثبت الأمريكان لرجال الحكم السوفييتى بأنهم لن يهنوا أمام أى حركة توسعية سوفييتية جديدة وإنما يقاومونها بالسلاح (كما حدث فى كوريا) لعل رجال الحكم فى موسكو يعدلون عن مغامرتهم السياسية

ولما كان المستر كنان ومن يشاركه فى الرأى من خبراء الشؤون الروسية فى أمريكا وبريطانيا مؤمنين بأن الشعب الروسى لا يرغب فى توسع إقليمى فقد اقترح السفير على حكومته بأن تخصص الأموال اللازمة لبث الدعاية فى روسيا نفسها وفى المناطق الشيوعية الأخرى ضد رجال الحكم السوفييت فى مغامرتهم التوسعية هذه . وأخذت الحكومة الأمريكية بهذا الاقتراح وخصصت فى الميزانية العسكرية الأمريكية لعـام ١٩٥١ مبلغ ١٠٠ مليون دولار لهذه الغاية . وقد احتجت روسيا على هذا وعرضت الموضوع على الجمعية العامة لهيئة الأمم فى دورة سنة ١٩٥١

والفريق الآخر من خبراء الشؤون الروسية فى المعسكر الغربى يعتقدون بأن التوسع السوفييتى فى أوربا الشرقية وفى الصين وفى سائر بقاع العالم ليس وليد العقلية السوفييتية فحسب؛ بل إنه وليد العقلية الروسية الشعبية الكامنة تحت الطبقة الماركسية الكثيفة التى تشبع بها صناع السياسة فى موسكو . وهذه العقلية الروسية هى الآن كما كانت فى أزمنة التـاريخ الروسى السابقة فى عهود القيـاصرة والحكام التتر والمغوليين راغبة فى التوسع الإقليمى

---

(١) — كتاب الدبلوماسية الأمريكية . تأليف جورج كنان طبعة سنة ١٩٥١

خارج حدودها ، لا لأنها تخاف العناصر المعادية لها فى العالم الخارجى فحسب ؛ بل لأن التوسع الإقليمى غريزة فى العقل الروسى. فهذا التوسع إذن من الخصائص الثقافية للخلق الروسى وليس وليد النظام الشيوعى السوفييتى القائم الآن فى روسيا

ومن الطريف أن نستعرض التحليلات التى يستشهد بها أصحاب الرأى من خبراء الشؤون الروسية

الشخصية الروسية

ويقول هؤلاء [٢] بأن الشخصية الروسية منطوية على نفسها عاطفية تتضارب فيها الأزمات الروحية وفيها نزعة إلى الجدل الغامض والرغبة فى الراحة والطمأنينة التامة. ومرجع ذلك إلى النكبات التى حلت بالشعب الروسى تحت سيطرة القياصرة (وقبلهم تجولند وجنكيزخان) وجبروتهم وعبوديتهم واسترقاقهم لأفراد الشعب الروسى . فهذه النكبات قد أوجدت فى الشخصية الروسية رغبة ملحة فى الاستقرار والطمأنينة ، وأولدفيها حبا عميقا للوطن الروسى، وأذكى فى الروس قومية عنيفة لا تتوانى عن الموت فى سبيل الدفاع عن الوطن وصيانة حدوده من أطماع الخصوم . وهذه الرغبة فى توطيد الاستقرار والطمأنينة والدفاع عن الوطن الروسى تتطور فى حالات معينة بتأثير الأحداث السياسية فتميل إلى التوسع على حدود الوطن الروسى كوسيلة لضمانته وحراسته. ومن الصعب على العقلية التى من هذا القبيل أن تحدد المدى الجغرافى الذى ينتهى عنده توسعها الإقليمى خارج الوطن الروسى . وأصحاب هذا الرأى من خبراء الثقافة والتاريخ وعلم النفس الاجتماعى يعتقدون بأن الفلاح الروسى واسع الخيال — وخياله مستمد من هذه السهول الشاسعة الواسعة التى تهيمن على جزء كبير من الوطن الروسى — من حدود فنلده إلى مياه بحر الصين — سهول لا نهاية لها يتصور العقل الروسى أن فى نهايتها أسرارا رهيبة ، فمن السهول الآسيوية — خففت جحافل التتر والمغول ، ومن السهول الأوربية شن نابليون وهتلر غزواتهما . وكم شط الخيال بالشخصية الروسية فدفعها إلى الرغبة الملحة فى سبر غور هذه المجاهل البعيدة واكتشاف أسرارها ؛ ولكن طبيعة المعاش وقساوة القادر وصعوبة المواصلات لم تحقق فى معظم الحالات للشخصية الروسية هذا الحلم . فإذا عادت إلى الحياة الواقعية ثارت على هذه الأسرار ثورة الناقم ؛ فإذا ناداها منادى الحرب ضد هذه الأسرار الغامضة — ضد هؤلاء الأعداء الذين يكمنون وراء الأفق البعيد ويضمرون للوطن الروسى شرا — لبت الشخصية الروسية النداء فى حماس مندفع تشهد له بطولة الجندى الروسى فى ميادين القتال

والأدب الروسى ملئ بوصف هذه السهول والأسرار الغامضة الرهيبة التى تكمن فى أفقها البعيد ، فى إنتاج « ترجنييف » الأدبى مادة غزيرة عن هذا وأوصاف متعددة له

كتب « ترجنييف » إلى مدام فيادون فى عام ١٨٥٠ يقول :

« دعى روسيا بسهولها المترامية الأطراف الهادئة الساكنة الصامتة صموت أبى الهول تنتظره فإنها ستبتلعنى فيما بعد . وإنى لأرى نظراتها القاسية العميقة تحدق بى فى حدة كما لو كانت عيونها من الصخر الأصم »

والواقع أن هذه العيون القاسية التى تخيلها « ترجنييف » تحدث فيه فى عمق وقساوة ليست إلا هذا الأفق البعيد الذى يهيمن على السهول الروسية الشاسعة التى لا نهاية لها — نهاية غامضة محاطة بالأسرار لم تقو الشخصية الروسية ممثلة فى الفلاح ورجل الشارع أن تقهرها ، ولذلك تولدت فى هذه الشخصية خصائص اندفاعية قاسية تستميت فى الصراع (العسكرى والسياسى) لتفرج عن الشخصية الروسية هذه الأزمة النفسية التى تنتابها بين حين وآخر من الحوادث والملمات . ومن هنا يفسر علماء النفس الاجتماعى تقبل العقلية الروسية للمبدإ الفوضوى (النهلستى) فهذه الكلمة من اشتقاق المفكر الروسى المعروف نيقولاى شرنيشيفسكى الذى وصف للشعب الروسى فى كتابه « ما الذى يجب عمله « فردوسا » « فوضويا » تنعدم فيه المسؤولية ويسود الرخاء والحرية التامة ، فلا يشتغل فيه امرؤ إلا بمحض مشيئته ، وينعم فيه الفلاح براحة تامة يستطيع معها أن يسترخى مرتاحا وبجانبه قدح النبيذ ويداعبه النسيم الهادئ الرقيق فلا يعبأ بالأحداث الطارئة والقيود الثقيلة التى يتقيد بها المجتمع التقليدى للأفراد والجماعات . [٣] وهذا الوصف كما ترى تعبير يلائم كثيرا

(٢) — ومنهم « روبرت باين » تفكير العقلية الروسية

(٣) — من كتاب ماذا يجب عمله لنيقولا شرنيشيفسكى

مقومات الشخصية الروسية ورغبتها فى الراحة والاستقرار والطمأنينة وتجنب النكبات التى حاقت بها من غزوات التتر والمغول إلى طغيان القياصرة ومذابح نابليون وهتلر

وحين تعتقد الشخصية الروسية بأن هذا الفردوس لا يتحقق إلا إذا أمن شر ما رواء هذا الستار البعيد الذى يحد أفق السهول الشاسعة ، تنفعل فيتولد فيها عند الحاجة جماح عنيف ورغبة ملحة فى اختراق هذا الستار ، ومن ثم فليس من حرج على الشخصية الروسية أن تتقبل فكرة التوسع سواء تحت قيادة القياصرة أم بزعامة ستالين

ولقد سبق الثورة الشيوعية التى استولت على الحكم فى روسيا عام ١٩١٧ ميلاد الحركة الهلستية التى برزت قوية ذات بأس فى عام ١٨٧٠ والتى يعتقد بعض مؤرخى الحركة السوفييتية بأن البلشفيك قد تأثروا بها . فقد اعترف لينين فيلسوف الشيوعية السوفييتيه بدينه الفكرى لبعض تعاليم (ناشايف) زعيم الحركة الهلستية التى من مبادئها التحلل من القيم الأخلاقية واعتناق مبدأ « الغاية تبرر الواسطة »

وعلى ذلك فإن طابع الصراع المسلح والحروب الروسية (الداخلية والتوسعية) ملئ بالعنف والتدمير الساحق . والتاريخ الروسى يسجل مذابح أهلكت فيها الأنفس بالآلاف ودمرت بها قطاعات بأكملها . فلا غرابة أن يقول الشاعر الروسى ألكسندر بلوك فى عنفوان الصراع السوفييتى الدامى للسيطرة على الحكم فى روسيا « إن ما نواجهه اليوم من مذابح ليس إلا صورة جديدة لمنظر قديم »

وحين نمى إلى « إيقاف المخيف » إبان هجومه على (لنغوغرود) بأن هذه المدينة تتفاوض سرا مع أعدائه ، لم ينتظر ليتحقق من صدق هذا التفاوض ؛ بل أسرع فضرب ضربته القاسية فأهلك ٦٠ ألف نسمة قتلا وحرقا وتنكيلا ، ولما تبين له خطأ حسابه لم يعتذر ولم يساوم ضحيته ، وتقبلت العقلية الروسية هذه الفظاعة على أنها أمر لا مفر منه وجزء من السلوك الروسى الذى لا يرحم فى الملمات

وبمثل هذه السلبية تقبلت العقلية الروسية فظائع الخان التترى الذى زحف من شبه جزيرة القرم متعقبا « إيقاف المخيف » إلى موسكو فلم تسلم هذه المدينة القاسية إلا بعد أن أهلك الخان التترى نصف مليون من أهلها

وسلبية العقلية الروسية إزاء القساوة والعنف لا تقتصر على الصراع الداخلى والحروب الأهلية . فالتاريخ يسجل على نابليون قساوة رهيبة فى حملته الروسية ، وعلى جحافل هتلر فظاعة أهلكت النسل فى أكرانيا وروسيا البيضاء ، ومع ذلك فلم تجد العقلية الروسية وسلبيتها إزاء الأحداث الدامية غرابة فى أن تعود إلى مصادقة الألمان كما تدل على ذلك سياسة روسيا السوفييتية اليوم الداعية إلى الوحدة الألمانية . وسبب ذلك أن فى طبيعة الروس كثيرا من المرونة والانتهازية تتلون حسب الحاجة فتتلاءم مع الظروف والمناسبات

وثمة أمر آخر يتصل بسلوك العقلية الروسية إزاء العالم الخارجى ؛ فإذا كنت متفقا مع أصحاب الرأى القائل بأن العقلية الروسية مدفوعة فى رغبتها بالتوسع واختراق الستار القائم فى أطراف الأفق البعيد — مدفوعة بالخوف مما يكمن وراء هذا الستار من أعداء شداد — إذا كنت على وفاق مع أصحاب هذا الرأى فإنك لن تنتظر من العقلية الروسية (والسوفييتية أيضا) — وهى ماهى عليه من مقومات خلقية — أن تكتفى بالتحصن على حدودها الطبيعية وتقبل الالتزامات الدولية والمعاهدات القانونية مع العالم الخارجى على أنه ضمان لهذا التحصن

ويقول لك أصحاب هذا الرأى بأن من الصعب على العقلية الروسية أن تتحصن فى حدودها الجغرافية وتترك العالم الخارجى وشأنه . فالرغبة فى التوسع ليست مدفوعة بنزعة استعمارية كامنة فى العقل الروسى بقدر ما هى تلبية لشعور عميق بالخوف مما وراء الأفق . فذكريات الحروب النابوليونية والهتلرية فى روسيا الأوربية ، وفظاعة الحروب المغولية اليابانية فى روسيا الآسيوية لا تزال حية فى التفكير الروسى شعبيا كان أم سوفييتيا

ومما لاريب فيه أن استعداد روسيا السوفييتية اليوم عسكريا قد بلغ من القوة والمهارة بحيث يضمن الحدود الروسية الجغرافية إذا قيست الحروب بمقاييس الدفاع لا بمقاييس الهجوم . وامتلاك روسيا للقنابل الذرية وتفوقها فى السلاح الجوى والغواصات على

خصومها فى المعسكر الغربى لم يمنع عن العقلية الروسية (والسوفييتية) الخوف من هذا الخصم المخيف الذى يجثم وراء الأفق البعيد بقنابله الذرية يضرب بها موسكو والمدن الروسية فيعيد إلى الذاكرة تاريخ الغزوات النابوليونية والهتلرية والمنولية. ومن الطريف أن الوفد الروسى فى هيئة الأمم المتحدة يرفض باستمرار أن يبحث مشاريع خفض التسلح ومراقبة القنبلة الذرية قبل أن يأخذ وعدا قاطعا بتحطيم القنابل الذرية الموجودة حاليا لدى الدول الكبرى قبل الشروع فى التفاوض على مشاريع خفض التسلح ومراقبة الإنتاج الذرى؛ فهذا الإصرار مدفوع بهذه الخاصة — خاصة الخوف مما يكمن فى الأفق البعيد — التى هى جزء من مقومات الخلق الروسى القومى

وثقة الروس فى المعاهدات الدولية ثقة ضعيفة. فالواقع أن جوهر الخلاف بين المعسكرين المتطاحنين السوفييتى وحلف الأطلنطى هو أزمة فى الثقة، فلا الروس واثقون من أن خصومهم سيتقيدون بالمعاهدات الدولية فيحترمون حدود الوطن السوفييتى ومنطقة نفوذه، ولا الأمريكان واثقون من أن الحكومة السوفييتية تحترم المواثيق العالمية وتكف عن التوسع الإقليمى والسياسى والفكرى فى آسيا وأوربا

ولعل الأمريكان صادقون حين يعرضون فى هيئة الأمم المتحدة على الروس مشاريعهم لخفض التسلح ومراقبة القنابل الذرية وحل الخصومات السياسية بين الدول عن طريق المفاوضة السلمية واحترام الحدود الجغرافية والمواثيق الدولية وما يوفره القانون الدولى من معاول لصيانة السلم وإبعاد شر الحروب بواسطه الأمم المتحدة أو عن طريق المعاهدات الثنائية والمتعددة الأطراف، وذلك لأن الأمريكان قد عاشوا فى عزلة عن العالم الخارجى طوال تاريخهم القصير فلم يسبق أن اعتدى عليهم عدو قاس كنابليون وهتلر وتيمورلنك. فحروب الأمريكان كانت حروبا خارجية فى ميادين تفصلها عن أمريكا قارات ومحيطات

ولكن من الصعب على العقلية الروسية والأوربية إجمالا أن تمد يدها إلى الخصوم بمثل هذا الصفاء، وأن تأخذ المعاهدات الدولية لصيانة السلم فى طيبة قلب وثقة تامة. فقد مر بالشعوب الأوربية (روسية وغير روسية) أحداث خرقت فيها العهود وأصيبت هذه الشعوب من جراء ذلك بالأحداث والويلات والكوارث

فلا غرابة إذن أن نلمس اتجاها ملحوظا بين دول أوربا الغربية فى مخالفة الأمريكان فى سياستهم نحو الاتحاد السوفييتى. فحين قدمت موسكو فى الآنة الأخيرة عروضا جديدة لحلفاء الغرب لتسوية المشكلة الألمانية وتفادى إحياء البأس العسكرى الألمانى. وجدت هذه العروض الروسية صدى حسنا فى أوربا الغربية بينما أصر الأمريكان على رفض هذه العروض الروسية. فذكريات الحربين العالميتين الأخيرتين والحروب الأوربية السابقة لا تزال تؤثر فى عقلية الرجل الأوربى فتجعله أميل إلى مساومة الروس منه إلى الدخول معهم فى حرب طاحنة. أما الأمريكى فلا يزال فى باطنه «انعزاليا» يعتقد بأنه مستطيع أن يربح أى حرب جديدة يشترك فيها دون أن يجعل الوطن الأمريكى ميدانا. ومن ثم نستطيع أن نفسر حماس الأمريكان لإنشاء القواعد العسكرية فى أوربا وآسيا وإفريقيا وبذل المال والجهد لتقوية الجيوش الأوربية الحليفة وتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط وإعادة البأس العسكرى لليابان على احتساب أن اليابان خصم تقليدى للاتحاد السوفييتى

نيويورك — للكلام بقية — **عمر حليق**

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٢ —

بداية الشوط

انتقل المازنى إلى مرحلة جديدة ، أو منتظمة ، فى الدراسة عندما دخل المدرسة « القربية » على مقربة من داره . وكانت على عهده كما يصفها :

« مثلما ضمت سـبيل من صنوف الخلق وفدا

أو كيوم الحشر ، أو وقفة عرفات على الأقل » . وكان ناظرها جاراً وصديقاً لأبيه . فأفادته هذه الصداقة اهتمام الناظر به ورعايته لشأنه ، كما أنزلته بين أترابه التلاميذ منزلة مرموقة ، فجعلوه رسولا بينهم وبين الناظر يتصلون به إلى إجابة مطالبهم وتحقيق رغائبهم .

وكان الطفل أعلم بموطن الضعف فى نفس ناظره ، فما كان يأتيه من ناحية صداقته لأبيه وكفى ، بل يتحرى فى مخاطبته أن ينعته دائماً بلقب « البكوية » ، وكان حديث عهد به ، فلا يقصده مرة ويكرر على سمعه هذا اللقب مرات ، حتى يرتد مطيب الخاطر مقضى الرغبة مستجاب الرجاء .

ويذكر المازنى أنه كانت فى هذا الناظر سذاجة عجيبة ، وأنه كان جاهلا وإن تظاهر بالعلم بكل شىء . ومن نوادره التى يرويها أنه دخل يوماً إحدى الفرق وكان الدرس درس ترجمة . . «وكان المعلم غائباً ، ولم يكن هو يعرف ذلك وإن كان فيما يزعم إداريا حاذقاً . ولكنه سمع ضجتنا العالية فسأل فقيل له إن هذه الفرقة ليس فيها معلم ، فلم ينتدب غيره بل جاء هو إلينا بنفسه ـ وبطوله وعرضه ـ وسألنا « مالكم يا أولاد ؟ » قلنا « ياسعادة البك المعلم غائب » . قال « الدرس إيه ؟ » قلنا « ترجمة ياسعادة البك » . فانشرح صدره واغتبط وأيقن أنه سيظل يسمع منا ما يسره فقال « طيب ، وإيه يعنى ؟ » . فقلنا ياسعادة البك لم نفهم الدرس السابق ياسعادة البك » . فسأل عن هذا الدرس السابق الذى استعصى علينا فقلنا له إنه كان يحاول أن يعلمنا النفى فى اللغتين العربية والإنجليزية ولكننا لم نفهم عنه . فأعرب لنا بعبارات صريحة عن دهشته وتعجبه لوزارة المعارف التى تعين مدرسين لا يحسنون تفهيم التلاميذ ، وأكد لنا أنه يعطف علينا لأننا نؤدى للوزارة أجور التعليم كاملة ولا نتعلم مع ذلك شيئاً . ثم قال إن المسألة بسيطة وإن النفى سهل جدا وإن أدواته فى اللغة العربية معروفة وهى « لا ولم ولن الخ » والأمثلة سهلة ومعروفة ، وشرع يسوق الأمثلة فلما بلغ « لم » قال « مثلا . . لم كتب . لم ضرب . لم ذهب » فانفجرنا ضاحكين ولنا العذر . فلما سكنت العاصفة بعض السكون قال يوبخنا ويزجرنا ويعظنا « تضحكون ؟ إسكون .. إسكون » فلم يبق منا طفل على مقعده من شدة الضحك . ولم يسكتنا الخوف منه ، وإنما أسكتنا الألم الذى صرنا نحسه فى بطوننا من الضحك الطويل » .

ومن معلميه فى هذه المدرسة شيخ كانوا يسمونه فيما بينهم « الأسد » وكان قاسياً غليظ الكبد سريع الغضب ، ومن لوازمه « خيزرانة » قصيرة يدسها فى طيات ثيابه . . « وقد أطعمنيها مراراً كثيرة ، وذاقتها كفاى وذراعاى وساقاى وظهرى وعرفت طعومها كلها بالخبرة الطويلة والتجربة المعتادة » .

وإلى هذه المدرسة ، أو إلى معلم الخط فيها ، يعزو المازنى رداءة خطه ، وحكاية ذلك ما نرويه هنا عنه .

« كان الشيخ الذى يعلمنا الخط وحشاً ، أعنى أنه لم يكن وحشاً حقيقيا ، وإنما كان وحشاً آدميا غليظ القلب منحوس الضريبة ، وكان بناء المدرسة عتيقا متداعيا ، والأبواب ذات مصراع واحد ، وكانت إذا فتحت تسند بالحجارة . فكان هذا الشيخ لا يعاقب التلاميذ إلا بشىء واحد . يضع الواحد راحته على المكتب ، ويجىء الشيخ بحجر الباب ويدق به عقل الأصابع . وكان هذا عقابه الوحيد على رداءة الخط ، وعلى كل خطأ أو ذنب يرتكب . فكيف يرجى ممن تدق أصابعهم بالحجارة أن يحسنوا الخط ويجيدوا الكتابة ؟ فهذا سبب أن خطى ردىء » .

وأتم الطفل دراسته الابتدائية . وجاء أخوه الأكبر إلى أمه يشير عليها بأن تكتفى من تعليمه بهذا القدر . على أنها أبت ذلك وأصرت على إبائها حين ألح عليها ، حتى أنذرها ذلك الأخ أنه مانع عنهما بعد ذلك معونته وقابض يده . ولعل هذه الحادثة قد زادت المازنى الطفل شعوراً بوطأة الفقر وحنقاً عليه ، ودفعته إلى بذل الجهد فى سبيل تحقيق رغبة أمه فى أن يتم تعليمه إلى نهايته . وكانت الأيام قد أنضجته وتقدمت به فساعده ذلك على أن يصمد لتجارب الحياة وأن يستوعب جيداً دروسها القاسية

ودخل المازنى المدرسة الخديوية وهو على أعتاب الشباب . ولعل هذه الفترة ــ فترة الدراسة الثانوية ــ كانت بداية التكوين الحقيقى للرجل الذى صاره من بعد . ولعلها كذلك كانت بداية ميله إلى القراءة والأدب ، فما كانت الدراسة الابتدائية لتسمح بإظهار مثل هذا الميل ، فضلا عن أن سنه لم تكن تهيؤه قبل ذلك للقراءة الواسعة أو الصبر عليها

ولا يشير المازنى كثيراً إلى فترة دراسته الثانوية فيما كتب عن ذكريات طفولته وصباه ، فلعلها قد تقضت فى الجد الصرف من ناحية مشقة التحصيل ، وفى محنة قاسية من شظف الرزق والمعيشة . على أنه يحدثنا أنه فى أخريات هذه الفترة ــ وكان قد بلغ السادسة عشرة ــ اعترضت الحمى طريقه وألحت وطأتها عليه ، وقضى طيلة صيف ذلك العام وهو يعانى وقدتها . ويقول « فى إحدى الليالى ثقلت على وطأة المرض جدا ، حتى جزعت أمى على ما أخبرتنى بعد ذلك ، وكادت توقن أنى هامة اليوم أو الغد ، لولا أن الأم لا تفقد أملها . وكنا فى بيت كل غرفة فيه تصلح أن تكون ساحة أو ملعباً ، وكانت نوافذ الحجرة التى أرقد فيها تطل على فناء البيت وفيه شجرة جميز عظيمة ، تصل أغصانها الذاهبة فى الهواء إلى النوافذ ، وكنا نضع قلل الماء على أحد هذه الشبابيك لتبرد ، فحدث أن مدت أمى يدها إلى قلة تريد أن تشرب ، ففلتت القلة من بين أصابعها وهوت إلى أرض الفناء ففزعت أمى واضطربت جدا ، وكبر فى ظنها أن هذا نذير بموتى ، وخطر لها أن تنحدر إلى الفناء فى فحمة الليل لترى أسلمت القلة أم تحطمت . . ومن العجائب أن القلة لم يصبها سوء ، ولعل ذلك لأنها وقعت على أرض رخوة طرية كثيرة البلل تحت ظل الشجرة . وقد حدثتنى أمى بعد ذلك وهى تروى لى هذه القصة أنها بكت وأنها عجزت عن القيام ، فظلت قاعدة على الأرض غير عابئة بالبلل ، والرطوبة والوحل ، وفى يدها القلة ، والدموع تنهمر من عينيها ؛ دموع الأمل والاستبشار . وقضت ساعة فيما تحس ، ثم نهضت فصعدت ، ودنت منى وأنا نائم ، ولمست وجهى بكفها ، مترفقة محاذرة ، مخافة أن توقظنى ، فإذا أنا أتصبب عرقاً ، وإذا بثيابى كلها ــ كما قالت ــ عصرة . وأصبحت وقد ذهبت عنى وقدة الحمى وأخذت أتماثل »

ويتحدث المازنى عن الفرق بين الدراستين الابتدائية والثانوية فيقول : « إن التعليم الثانوى كان انتقالا بأدق المعانى ، فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزيا ــ الناظر والمدرسون والتعليم ــ ماعدا اللغة العربية ، ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ، ولكنا كنا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان ــ لا أدرى لماذا ؟ ــ وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من أعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلا طيباً وقوراً مهيبا ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك ، بل نراه أمراً طبيعيا جدا . وأعتقد أن منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من أهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فإنى أرانى إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين ألتقى بواحد منهم وإن كنت لم أستفد منهم شيئاً يستحق الذكر » .

وللمازنى مع الشيخ حمزة فتح الله حادثة طريفة لا تخلو من دلالة . وكان يؤدى الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية ، والشيخ رئيس لجان اللغة العربية . وندع المازنى يروى بقلمه قصته مع الشيخ :

« لما جاء دورى اتفق أنه كان موجوداً ، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سألنى ماذا أحفظ؟ وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرأت خطبة قصيرة للنبى صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى وألهمنى الله أن أقول إنى أحفظ خطبة للنبى ، ففرح الشيخ جدا وخلع حذاءه وصاح « قل ياشاطر ، قل ياشاطر فتح الله عليك » وسترنى الله فلم أخطىء ، واكتفى الشيخ بهذا وأعفانى من النحو والصرف والإعراب » .

وقد التقى المازنى بالشيخ مرة أخرى . وكان اللقاء فى هذه المرة

٦ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

العامل الديني :

كان « هبل » أعظم صنم لقريش فى مكة ، وكان مكانه فى جوف الكعبة ، وفيه يقول ابن الكلبي [١] : « وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر ، على صورة الإنسان ، مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب » . وهو الذى قال له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد :

أعل هبل !

— أى أعل دينك — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الله أعلى وأجل ! !

عند هذا الصنم الجليل القدر لديهم كانت توضع « الأزلام » ، ويقوم الكهان أو السدنة بإجالتها وإفاضتها لمن يريد الاستقسام ، إعظاما للأمر الذى يبغونه ، فهم يختارون موضع القضاء فى أقدس مكان لهم ، وإعظاما للحكم الذى يرتضونه ، فإن الذى حكم به هو سادن الكعبة ، أو أحد كهانهم

فكانوا يذهبون إلى « هبل » ، ومعهم (مائة درهم) و (جزور) ، ويعطونها لصاحب القداح الذى يضرب بها [٢] ، ثم يقربون صاحبهم الذى يريدون الحكم فى نسبه إن أرادوا ، ثم يقولون : « يا إلهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ! » ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ! فيجيل القداح ويفيضها ، فإن خرج (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج (ملصق) كان على منزلته ، لا نسب له ولا حلف

وإن استشاروه فى أمر يقتضى (نعم) أو (لا) فخرج (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروا الأمر عاماً كاملا ثم أتوا مرة

(١) الأصنام ص ٢٨

(٢) قال أبو حيان فى تفسيره : « فالمائة للضارب بالقداح ، والجزور ينحر ويؤكل »

عاصفاً ، تجلى فيه غضب الشيخ الحليم وتحفز الطالب الطلعة . ولا بأس أن نوردهنا حديث ذلك اللقاء وإن كنا نسبق بذلك ترتيب الحوادث قليلا ؛ فقد كان المازنى يومذاك فى آخر عهده بمدرسة المعلمين ، وكان يؤدى الامتحان النهائى للتخرج ، وكانت لجنة الامتحان الشفوى فى اللغة العربية برياسة الشيخ حمزة ومن أعضائها الشيخ عبد العزيز شاويش والأستاذ عاطف بركات . .

« فقال أحد إخوانى بعد خروجه من الامتحان أن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب أن يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحواً ولا صرفاً فى المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب . فأيقنا بالفشل وجاء دورى فدخلت وأنا واثق من الرسوب وجلست أمامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرأت . ولا أزال أذكر فاتحة الكلام وهى « إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها » إلى آخره ، فقال ضع الكتاب فوضعته . فسألنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدى وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليها الفعل « اعتدى » مثل «اعتديا» للماضى المثنى و « اعتديا » للأمر ، فسألنى لماذا كان الماضى بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هناك سوى أن العرب نطقوا بها هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال ولكن لهذا سببا . قلت إن اللغة سبقت النحو والصرف ، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإن هذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه ، وحدثت نفسى أنه خير لى وأكرم أن أسقط بخناقة من أن تكون علة سقوطى الجهل . وأصررت على رأيى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا أن المرحوم الشيخ شاويش تدارك الأمر ، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة وقال « العصر وجب يامولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « إى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى » .

للكلام بقية

محمد محمود حمدان

أخرى يستقسمون بالأزلام [٣]

بهذا العامل الدينى ، وبهذا الشعور الروحى الوثنى استقسم عبد المطلب بن هاشم مرتين :

١ — فى حفر بئر زمزم [٤] ، حينما أمر فى منامه عدة مرات بحفرها ، وقام ليقضى ما كتب عليه فى منامه ، فحفر فى البئر — ولم يكن له من الولد حينئذ إلا الحارث بن عبد المطلب — فلما تمادى به الحفر وجد فيما حفر غزالين من ذهب خالص ، ووجد أسيافا قلعية وأدراعا ، فقالت له قريش : يا عبد المطلب ، لنا معك فى هذا شرك وحق !! قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أنصفت ! فجعل قدحين (أصفرين) للكعبة ، وقدحين (أسودين) لعبد المطلب ، وقدحين (أبيضين) لقريش [٥] ، ثم أعطوا تلك القداح لصاحب القداح التى يضرب بها عند « هبل » ، فضربها على الغزالين فخرج (الأصفران) فكانا من نصيب الكعبة ، ثم ضربها أخرى على الأسياف والدروع فخرج (الأسودان) فكانا من نصيب عبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش لم يظفرا بشىء . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فأرضى بذلك نفسه وشعوره الدينى العميق ، وحسم الخلاف بينه وبين قومه بما حكم به « هبل » ، وهو الذى لا يرد له قضاء !!

٢ — والمرة الثانية حينما نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر بئر زمزم واستخفافهم به لقلة ولده [٦] : لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة !! فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على « هبل » فى جوف الكعبة ، وكان منصوبا على بئر يجمع فيها ما يهدى إلى الكعبة . فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند « هبل » يدعو الله جاهدا ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على (عبد الله) وهو أعز ولده عليه ، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة [٧] ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، وكذلك قام بنوه ، فقالوا : والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ! لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟!

وكان أن لجئوا إلى عرافة فى « خيبر » يسألونها فى ذلك ، فقالت : كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . قالت ، فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم !

فرجعوا إلى مكة ، وضربوا بالقداح بين عبد الله وبين عشر من الإبل ، فخرج القدح على (عبد الله) ! فزادوا عشرا وضربوا ، ثم زادوا عشرا وعشرا حتى بلغت مائة ، فضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ! فضربوا ثلاث مرات توثيقا للأمر ، كل ذلك يخرج القدح على الإبل المائة . فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع

فهاتان الحادثتان تدلان على مقدار خضوع سادة العرب وأشرافها لحكم الأزلام ، ومبلغ اضطرارهم وتقديسهم لأحكامها

تقديس الأزلام

وبلغ من تقديسهم للأزلام أنهم جعلوا فى البيت الحرام صورة لإبراهيم عليه السلام ، وفى يده الأزلام التى يستقسم بها [٨]

---

(٣) السيرة ٩٧ — ٩٨ جوتنجن

(٤) السيرة ٩١ — ٩٧

(٥) هذا دليل آخر على أن أزلام الاستقسام لم تكن ذات نمط واحد ، أو نظام واحد

(٦) سبق القول أنه لم يكن له من ولده عند حفر زمزم إلا ولد واحد ، هو الحارث

(٧) إساف ونائلة : صنمانا كان بمكة ، جعل أحدهما بلصق البيت والآخر بزمزم ، وكان ينحر عندهما ، وكانت الجاهلية تتمسح بهما . ياقوت

(٨) انظر السيرة ٨٢١

وفى حديث فتح مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت فرأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام[٩]

قال ابن هشام[١٠] : « وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست »

وفى مسند أحمد[١١] برقم ٣٠٩٣ عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فى أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله ! أما والله لقد علموا ما اقتسما بها قط »

الأزلام فى التاريخ الدينى القديم

نص القرآن الكريم على حادثين اثنين كان للأزلام فيهما نصيب ، ولكنها لم تكن على ما كانت عليه عند العرب من التقديس الوثنى ، بل كانت بمثابة القرعة التى سيأتى الكلام عليها :

الحادث الأول أشار إليه الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » آل عمران ٤٤

والحادث الثانى أشار إليه قصة يونس : « فساهم فكان من المدحضين » . الصافات ١٤١

١ — أما الأول فهو ما كان من أمر زكرياء عليه السلام . روى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون — وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة — فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ! فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وكانت بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل وملوكهم ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها ، عندى خالتها . قالوا : لا حتى نقترع عليها . فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر الأردن فألقوا فيه (أقلامهم) ، فارتفع قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها

واختلف المفسرون فى هذه الأقلام فقال بعضهم : هى أقلام الكتابة كانوا يكتبون بها التوراة ، فاختاروها للقرعة تبركا بها وقال بعضهم : الأقلام هنا الأزلام ، وهى القداح

وقال أبو مسلم : كانت الأمم يكتبون أسماءهم على سهام عند المنازعة ، فمن خرج له السهم سلم له الأمر . وهو شبيه بأمر القداح التى يتقاسم بها الجزور[١٢]

وقال ابن قتيبة[١٣] : وكانوا تشاحوا فى كفالتها ، فضربوا بالقداح ، وهى الأقلام ، فخرج قدح زكريا فكفلها

٢ — وأما الثانى فما كان من أمر السفينة التى ركب فيها يونس عليه السلام فرارا من قومه ، حين ذهب مغاضبا ، فلما أبعدت السفينة فى البحر ويونس فيها ركدت ، فقال أهلها : إن فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع . فأخذوا لكل منهم سهما على أن من طفا سهمه فهو ، ومن غرق سهمه فليس إياه . فطفا سهم يونس ، ففعلوا ذلك ثلاثا تقع القرعة عليه ، فأجمعوا على أن يطرحوه ، فألقى بنفسه فالتقمه الحوت[١٤]

وقصة يونس هذه — وتسمية كتب العهد القديم يونان — مذكورة بتفصيل فى سفر « يونان » ، جاء فى الإصحاح الأول :

« فقام يونان ليهرب إلى « ترشيش » من وجه الرب ، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش ، فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب . فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر . فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه وطرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم . وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا. فجاء إليه رئيس النوتية وقال له : مالك نائما . قم اصرخ إلى إلهك

(٩) اللسان (قسم)

(١٠) السيرة ٨٢١ — ٨٢٢

(١١) الجزء الخامس بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر . وانظر أيضا رقم ٣٤٥٥ من المسند

(١٢) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٤٢ ، ٤٥٨ — ٤٥٩) وكذا تفسير الزمخشرى (١ : ١٤٣)

(١٣) الميسر والقداح ٣٨

(١٤) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٥٩)

عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك . وقال بعضهم لبعض : هلم نلقى قرعا لنعرف بسبب من هـذه البلية . فألقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان . فقالوا له : أخبرنا بسبب من هـذه المصيبة علينا . ما هو عملك ومن أين أتيت ؟ ما هى أرضك ومن أى شعب أنت ؟ فقال لهم : أنا عبرانى وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البر والبحر . فخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له : ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا . لأن البحر كان يزداد اضطرابا . فقال لهم : خـذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأننى عالم أنه بسببى هـذا النواء العظيم عليكم » .. « ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه ، فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا : وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان ، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال »

وبعد أن يسرد سفر (يونان) صلوات (يونان) فى جوف الحوت يقول : « وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر »

فهاتان القصتان على ما فيهما من حمل المفسرين الأقلام فيهما والمساهمة على معنى أزلام الجاهلية ، لا ريب أن ما فيهما من صنيع هو بعيد كل البعد عن صنيع أهل الجاهلية فيما كانوا يحملون لتلك الأزلام من قداسة ومن شرائط دينية وتقاليد خاصة ، وإنما هاتان ضرب من (القرعة) لا يزيدان عن تلك شـيئا ولا ينقصان شيئا

والنص الذى سقته من سـفر يونان مؤيدا أنها قرعة بعيدة عن الاستقسام الوثنى

التمرد على الأزلام

وقد بدت ظاهرة من ظواهر التمرد على تلك الأحكام الدينية فيما رواها ابن الـكلبى [١٥] من أن امرأ القيس بن حجر أقبل يريد الغارة على بنى أسد ، فمر بذى الخلصة — وكان صنما بتبالة [١٦] — وكانت العرب جميعا تعظمه ، وكانت له ثلاثة أقداح : الآمر ، والناهى ، والمتربص . فاستقسم عنده ثلاث مرات فخرج (الناهى) فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وقال : « عضضت بـ... أبيك ! لو كان أبوك قتل ما عوقتنى ! »

ثم قال فى ذلك :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم غزا بنى أسد فظفر بهم

قال ابن الـكلبى : « فلم يستقسم عنـده بشئ حتى جاء الله بالإسلام ، فكان امرؤ القيس أول من أخفره »

(للبحث بقية)

عبد السلام محمد هارون

(١٥) فى كتاب الأصنام ص ٤٧ وعنه ياقوت فى معجم البلدان (الخلصة)

(١٦) تبالة : واد مجاور لوادى بيشة ، من أرض تهامة فى طريق اليمن وفى صحيح الأخبار للعلامة محمد بن بليهد (١ : ٦٨) : وتبالة باقية بهـذا الاسم إلى يومنا هـذا على شاطئ بيشة الشمالى » . وقال ابن حبيب فى المحبر ٣١٧ عند الـكلام على ذى الخلصـة : « وهو اليوم بيت قصار فيما أخبرت » . وقال المبرد فيما نقله عنه ياقوت : « موضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات »

المسلمــــــون

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن من ألزم اللوازم للمسلمين — كأمة فى مجموعهم — صحيفة تنطق بلسانهم، وتعبر عن مشاعرهم وعواطفهم، وتدعو إلى مبادئهم وتوضح أهدافهم، وترسم الطريق إلى الخلاص من آلامهم، وتحمل بصدق وعزيمة رسالتهم إلى الدنيا مشرقها ومغربها ..

أجل ! إن المسلمين — كأمة فى مجموعهم — فى أمس الحاجة إلى هذه الصحيفة التى تبعث الشعوب الإسلامية المبعثرة الممزقة من مرقدها، فتربط بينها برباط وثيق من الأخوة الصادقة، والتى تثير خواطرها، وتستفز هممها، حتى تزيح عن أعناقها أرباق العبودية والمسكنة، وعن كواهلها أعباء المذلة والهوان، والتى تعرض الإسلام من جديد، ديناخالصا، وإسلاما مصفى، لادخن فيه ولا دخل

وقد أدرك حاجة المسلمين إلى صحيفة تنطق بلسانهم، الحكيم الثائر « جمال الدين الأفغانى » وصنوه « الإمام محمد عبده » فأخرجا إلى الوجود « مجلة العروة الوثقى ». وكانت تنشر فى باريس حيث كان المجاهدان قد اتخذاها وطنا ثانيا لهما، أو اتخذها الاستعمار منفى لهما ؛ ولم يقدر لهذه المجلة الثائرة الملتهبة أن تعمر طويلا، بعد أن لاقت ما لاقت من عنت الاستعمار واضطهاده.

ثم قام بعدها بهذه المهمة الدقيقة الثقيلة تلميذها « السيد محمد رشيد رضا ». فأخرج إلى الوجود مرة ثانية مجلة « المنار » سار بها على نهج سلفيه الصالحين، فكانت بحق شعلة متقدة، وجذوة ملتهبة، واستطاعت أن تلفت إليها أنظار المسلمين فى كل بقعة إسلامية. كانت سياسية متطرفة تحمل على الاستعمار الأجنبى فى أية أرض إسلامية، وتناهض حكومات الشعوب المسلمة الإقطاعية، منددة بها، ومنذرة إياها بأوخم العواقب، ولقد توقف ظهورها بعد أن لحق صاحبها ومنشئها بالرفيق الأعلى

وإن كان جهادها ظل متواصلا بما تركته من أثر فعال فى نفوس الأغيار من المسلمين، وبما تركته مجلداتها الضخمة من آثار علمية ستبقى خالدة ما خلدت السموات والأرض إن شاء الله تعالى

ثم مرت فترة طويلة حرم المسلمون خلالها لسانهم الناطق، حتى أخرج لهم الشهيد الأعزل « حسن البنا » مجلة «الشهاب» فكانت شهابا يضئ ويحرق، يضئ السبيل نحو الحياة الصحيحة التى تليق بالشعوب المسلمة، ويحرق الطواغيت التى تعترض هذه السبيل، وما أن ظهرت هذه المجلة حتى تلقتها الأيدى المسلمة فى كل مكان، وحرص على أذخارها الشبيبة المثقفة والطليعة الناضجة، ولقد اتجه منشئها — رحمه الله — حين أراد إصدارها إلى أن يتولى تحرير موضوعاتها المبرزون المسلمون من كل قطر إسلامى، لتكون صدى لدعوته الجامعة التى لاتعترف بالمركزية بين الشعوب الإسلامية، ولم يعمر « الشهاب » أيضا طويلا، فتوارى عن الأعين، حين اختبرت دعوة الإخوان بمحنة قاسية، خرجوا منها وهم أرسخ عقيدة وأثبت إيمانا

ثم بدأ الفراغ يتخذ أفقا أوسع من جديد، وحرم المسلمون للمرة الرابعة صحيفتهم، ولم يطل حرمانهم فى هذه المرة، إذ برز فى الميدان الأستاذ « سعيد رمضان » ليملأ الفراغ بمجلته « المسلمون » ولتنهج منهج الشهاب وتنسج على منواله، وتكون امتدادا لمنهجه، والأستاذ سعيد رمضان شاب فى نضرة الشباب، مثقف بالثقافتين المدنية والدينية، فقد تخرج فى كلية الحقوق، كما تخرج فى جامعة حسن البنا الدينية وأكرم بها من جامعة، ويعتبر خليفة حسن البنا الأول فى الخطابة والإلمام بدقائق المسائل والمعانى الإسلامية الحية

طاف الأستاذ سعيد رمضان بجميع البلاد الإسلامية بلدا بلدا، ومعظم الممالك الغربية، وأعانه على هـذا تغيبه عن مصر خلال محنة الإخوان، فقـد أصدرت الحـكومة وقتذاك الأمر باعتقاله، وهو يطوف بالبلاد العربية داعيا إلى الله تعالى، واستطاع أن يصل إلى الباكستان خشية أن تستجيب الحـكومات العربية إلى رجاء الحـكومة المصرية فتسلمه إليها، وفى الباكستان نال

مكانة مرموقة فى ميدان السياسة الإسلامية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن انجلت المحنة وتلاشت السحب

ومما لا ريب فيه أن الأستاذ سعيد رمضان أفاد خبرة واسعة من جولته التى استغرقت بضع سنين ، فقد اتصل بالشعوب الإسلامية كلها ، وتعرف على آلامها وآمالها ، ودرس وناقش قضاياها ، وألم إلماما دقيقا بشؤونها وأحوالها ، ووقف على الكثير من أسرارها وخفايا أمورها ، كما اتصل بزعماء المسلمين ، وسبر أغوارهم ، وخبر جهادهم ومطامعهم ، فإذا أضفت إلى خبرته هذه تمكنه من دعوة الإخوان المسلمين ، وإسهامه بنصيب مأنوس وجهد مشكور فى مجلة الشهاب ، أيقنت بأنه جدير كل الجدارة بأن يخرج للمسلمين مجلته « المسلمون »

لقد مضى على « المسلمون » عام ، وها هى ذى قد بدأت منذ أيام عامها الثانى ، وأمسكنا القلم طيلة العام الماضى والأول من حياتها حتى تكمله ، فنستطيع أن نحكم لها أو عليها ، غاضين الطرف عن الأخوة التى تربطنا بصاحبها ومؤسسها ، لأن النقد البرىء الخالص يجب أن ينسى حياله كل عاطفة ، ونهمل كل محسوبية

اتضح لنا أن « للمسلمون » هدفين : الأول تقديم زاد إسلامى مصفى ، من موارد موثوق بها ، وثقافة إسلامية عذبة مطمأن إليها ، وتاريخ صادق معتمد لا زيف ولا شائبة فيه . والهدف الآخر احتضان قضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها ، وتحليل آلامها وأوجاعها . أما الهدف الأول فقد وفقت فيه توفيقا كاملا تغبط عليه ، وأما الهدف الآخر فلم تزل تسير نحو تحقيقه بخطى وئيدة ، وكان المنتظر أن توفق «المسلمون» التوفيق الكامل فى الهدف الآخر . وفى حقائب الأستاذ سيد رمضان من المواد والمعلومات التى جمعها من جولته ، ما تضيق عن استيعابها الأسفار الضخام ، وقد سبق أن ناقشته هذا النقص فأبدى من الأعذار ما أعتقد اليوم زوال أسبابها ، وفى العدد الأول من السنة الثانية لمسنا عناية ملموسة بالأوطان الإسلامية وقضايا شعوبها ، نرجو أن تزداد فى المستقبل إن شاء الله تعالى

وفى المجلة موضوعات يمكن الاستغناء عنها مؤقتا ، لأن حالة المسلمين لا تستدعى هذه البحوث الجدلية التى لا صلة لها بحاجتهم ، وهم أحوج ما يكونون إلى المعانى الجديدة الحية ، التى تضيء أذهانهم ، وتثقف أفكارهم ، وتنمى ملكات التفكير فيهم ، وتصون عقائدهم مما شابها من الدخل ، وكتابها من المبرزين المعدودين فى الشرق الإسلامى والحمد لله

وبعد فيمكننا أن نقول — غير محابين — إن مجلة «المسلمون» قد ملأت الفراغ الذى تركته العروة الوثقى والمنار والشهاب ، وإن الداعية الكبير الأستاذ سعيد رمضان جدير بأن يكون ربانها ، ليقطع بها المراحل ، فتصل إلى الشعوب المسلمة على اختلافها ، لأنها غذاءها الطيب الشهى ، ولسانها المعبر عن مشاعرها وعواطفها

محمد عبد الله السمان

٤ – تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

طاغية

وعدت القراء فى نهاية المقال السابق أن أحدثهم عن الحركة المجيدة التى أنقذت تركيا من الحرج الذى كانت فيه ١٩٢٠ ومن الأزمات والنكبات التى حلت بها فى ذلك التاريخ، ولكنى أرى لزاما على أن أشير إلى العوامل الداخلية التى كانت سبب تلك الكوارث بعد أن تحدثت عن أسبابها الخارجية، وبذلك نضع أمام القراء صورة انحلال تركيا الداخلية والخارجية ثم بعد ذلك نتحدث عن الحركة الكمالية أو حركة الإنقاذ

كانت أوربا تتحدث جميعا منذ القرن الثامن عشر عن قرب انحلال تركيا، وأكثر من هذا قامت بعض الدول بمفاوضات بقصد تقسيم تركة تركيا. والواقع أن ضعف تركيا كان يرجع إلى عوامل متعددة منها ماهو داخلى ومنها ماهو خارجى

ولعل من أهم العوامل الداخلية كثرة الشعوب والأجناس التى كانت تركيا تحكمها، فقد كانت تحكم إمبراطورية واسعة يسكنها البلغاريون واليونانيون والصربيون والجبليون والرومانيون والسوريون والعراقيون والمصريون والعرب والمغاربة وغيرهم، وكانت هذه الشعوب تختلف فى الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد، وتختلف أيضا عن الدولة الحاكمة فى تلك النواحى الأمر وذلك ماجعل الإمبراطورية العثمانية معرضة للانحلال بمجرد ضعفها

وكان أهم أسباب ضعف تركيا فساد الحكم التركى فى تركيا ذاتها وفى أملاكها، فقد كان الخليفة أو السلطان رأس الدولة موطن الفساد والانحلال وسبب السوء والضعف

صحيح أن بعض المحاولات للاصلاح قد قامت فعلا ولكنها فشلت.. أولا لأن الدول كانت حريصة على أن تظل تركيا ضعيفة منحلة تستطيع الدول أن تقتطع لنفسها من أملاكها ماتشاء حين تحين الظروف أو تواتى المناسبات. وثانيا لأن العقلية الرجعية كانت تسيطر على الخلفاء الأتراك وحشيتهم ووزرائهم مما جعل هذه الحركات الإصلاحية عديمة القيمة

وتناهت الأمور إلى السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ الذى تولى العرش على أكتاف الأحرار من أبناء حزب تركيا الفتاة الذى كان يتزعمه مدحت (باشا) وقد كانت الحياة النيابية أسمى أمانى مدحت الذى كان يرى أن الحياة الدستورية الصحيحة هى السبيل الوحيد لإنقاذ تركيا

وقد كانت تركيا إذ ذاك فى موقف لاتحسد عليه، فالشعوب البلقانية ثائرة والدول تتدخل لإنهاء الموقف فوجد السلطان عبد الحميد أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هى إصدار الدستور فهو كفيل بإسكات الأحرار من الأتراك والثوار من رعاياهم؛ بل أكثر من هذا إنه سيقضى على محاولات الدول للتدخل فى شؤون تركيا

أصدر عبد الحميد الدستور ١٨٧٧ ولكنه كان غير مؤمن به ولذلك لم يلبث طويلا أن قضى عليه فحل البرلمان ونفى مدحت « ذلك المجرم الذى احتل الناس وساقهم فى طريق النواية » وشتت أنصاره وأتباعه وأصبحت تركيا سجنا للأحرار من الرجال

وأقام عبد الحميد من نفسه طاغية جبارا يتحكم فى الرقاب وينشر الظلم والذل والاستعباد وملأ الحكومة برجال لا أخلاق لهم ولا مبدأ ولا عهد ولا دين، غايتهم الوحيدة الإثراء وجمع المال بأى طريق « هذا هو العهد الذى كان فيه المال والثروة غرض الحياة الأعلى، وما كان ذلك الغرض يستدعى سوى أن يتبرأ الإنسان من قومه ويتجرد من شخصيته ويضحى ابنه رأمه وأخته وأصحابه وذمته وكل العواطف الوطنية والمبادئ البشرية »

وحتى لا تتسرب بذور الحرية إلى تركيا منع عبد الحميد الأتراك من السفر إلى الخارج وشدد الرقابة على الصحف والكتب ومنع الصحف التى تصدر فى أوربا من دخول تركيا؛ وانتشرت الجواسيس وراقبوا الناس وانتهكوا حرمة المنازل وعاش الأتراك تحت نير هذا العسف ثلاثين عاما

ومنع الأئمة والخطباء فى المساجد من ذكر الأحاديث أو الآيات التى تحط من قدر الطغاة والتى تذكر الظالمين بسوء العاقبة، وكان حديث الجمعة الثابت « إن الله جميل يحب الجمال » أما الأحاديث التى تشير إلى العدل أو تذكر الوالى بمسؤوليته نحو رعيته فكانت ممنوعة منعا باتا

وكشأن الملوك الطغاة المفسدين كان قصر عبد الحميد يعج

بالنساء والجوارى . ويذكر المؤرخون الأجانب أن عبد الحميد حين ولى العرش وعد بأن يقضى على تقاليد الخلفاء الذميمة ومنها الإكثار من النساء فى قصورهم كما وعد بأنه سيقتصر على زوجة واحدة ولكن لم يمض عام واحد حتى كان عدد الحريم بالقصر السلطانى قد بلغ تسعمائة !

ومدحت (باشا) زعيم الأحرار نفى إلى الطائف حيث قضى بقية حياته على الفجل والماء ! إلى أن مات شهيدا فى سبيل الحرية

وكان الطاغية ضعيفا أمام الأجانب وللوقوف فى وجههم عمد إلى إذكاء روح الجامعة الإسلامية وكان يهدد الأجانب بمحاولة إثارة المسلمين ضدهم وكان التهديد سلاحه الأول والتسليم سلاحه الأخير

ثورة يوليو ١٩٠٨

حين عطل عبد الحميد الدستور ١٨٧٨ ونكل بالأحرار هاجر كثيرون منهم إلى الخارج . وفى ١٨٩١ اجتمعوا فى جنيف وأسسوا جمعية الاتحاد والترقى وظل هؤلاء الأحرار يعملون على قلب حكومة الطاغية التى أنزلت بالبلاد المصائب وذاقت على يد الأجانب الذل والهوان

وفى ديسمبر ١٩٠٧ قرر هؤلاء الأحرار بدء العمل وتقرر أن تكون مقدونيا مركز الحركة

وعمد أعضاء الجمعية إلى نشر دعوتهم فى صفوف الجيش فانضم أغلب رجاله إليهم وحدد يوم ٣ يولية ١٩٠٨ لإعلان الثورة على يد أركان الحركة أمثال نيازى (بك) وأنور (بك) وصلاح (بك) أولئك الفدائيون الذين حملوا أرواحهم فى أيديهم وخرجوا إلى البلاد لهدم كيان الظلم ومحو آثاره

ووصلت أنباء الحركة إلى السلطان فانزعج وأمر أحد رجاله شريف (باشا) بسحق الثورة ولكن الثوار قضوا على تلك المحاولة . واستنجد السلطان بقوات من الأناضول ولكنها سحقت أيضا وبدأت البلاد تسقط تباعا فى يد الثائرين . وأنذر الثوار السلطان بوجوب إعلان الدستور فورا وأسقط فى يد الثعلب الماكر عبد الحميد واضطر إلى إعلان الدستور وتأليف حكومة دستورية ، ولام مستشاريه على أخطاء الماضى ومظالمه ثم ألغى الجاسوسية وأعلن ترحيبه باستقبال زعماء الثوار فعاد أنور ونيازى على رأس قواتهما إلى سالونيك واستقبلتهم هناك جموع حاشدة متحمسة من اليونانيين والأتراك واطمأن الجميع إلى أن عهد الإرهاب قد زال !

وتدفقت جموع من المنفيين السياسيين الأتراك فى تركيا وانضم أكثرهم إلى الضباط الشبان واشتركوا فى جمعية الاتحاد والترقى ثم هرعوا إلى القسطنطينية ينشدون الظفر بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم !

لكن الدول لم تدع الفرصة : فالنمسا أعلنت ضم البوسنة والهرسك إليها نهائيا ، وبلغاريا أعلنت استقلالها ، وقامت الثورات فى ألبانيا وفى بلاد العرب

ونشط أعوان السلطان والرجعيون فرشوا بالمال جنود القسطنطينية فقتلوا ضباطهم وأعلنوا ولاءهم لدين الإسلام ! وللسلطان ظل الله فى أرضه وخليفة الرسول !

لكن الاتحاديين تقدموا من سالونيك وقضوا على تلك الحركة الرجعية وعزلوا عبد الحميد وسجنوه فى سالونيك وتولى السلطان محمد الخامس

لكن نهضة تركيا لم تكن ترضى الدول ولذلك عمدت إلى تحقيق أطماعها فيها ، فإيطاليا استولت على طرابلس ١٩١١ ، وفى البلقان قامت الدول البلقانية ضد تركيا واستطاعت جيوشها أن تنزل بجيوش تركيا الهزائم واضطرت إلى طلب الصلح

لكن شعوب البلقان المتحالفة ضد تركيا وهى بلغاريا والصرب والجبل الأسود واليونان لم تلبث أن انقسمت على نفسها وقامت الحرب بينها ؛ فانتهز الأتراك الفرصة واسترجعوا بعض أراضيهم فى شرق ووسط تراقيا بقيادة أنور (بك) تخلص هذا النصر شرف العثمانيين

ولم يمض عام حتى اشتعلت نار الحرب العظمى ووقفت تركيا بجانب ألمانيا . وكانت نتيجة الحرب وبالا على تركيا ففقدت أملاكها واحتل الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون عاصمتها ، وأشرفوا على مرافقها ونزل اليونانيون بأرض الأناضول يطمعون أن تكون تلك البقعة الخصيبة حول أزمير ملكا لهم

وسط تلك الأزمة الخانقة جاء مصطفى كمال لإنقاذ تركيا

أبو الفتوح عطيفة

نـكسة فى دار العلوم !

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

كان المستشرقون أول من عنى بالبحث فى اللغـة العربيـة وأخواتها من اللغات السامية فى مطلع العصر الحديث ، دراسـة منتجة مثمرة ، تعتمد على العقل والفـكر والاستنباط ، وتتخذ مادة درسها من الـكتب والآثار والمقارنة ، ومن ثم بدأ علماؤهم يجوبون الأقطار العربية وما اتصل بهـا قديما من أمم ، وذهب كثيرون منهم شهداء العلم ، اغتالهم الجهال ، أو أضناهم العمل ، أو أفناهم المرض ، أو فتـكت بهم الأوبئة !

وقد انتهت هذه البحوث إلى أن اللغات السامية نشأت من أصل واحد (١) ، ثم تنوعت بفعل البيئة أو تطورت بعامل الزمن فنشأ ما بينها من تفاوت لايمس أصولها ، ولا يقطع ما بينها من رحم ، وأن على الباحث فى واحدة منها ، أن يستهدى أخواتها الأخريات

فلمـا تقدمت الحياة العقلية فى مصر ، رأى الذين يهمهم أمر الثقافة العربية ، أن مجال التقدم والابتكار فيها ، والـكشف عن كنوزها ، وتبيان غامضها ، مازال ضيقا ، وأن الشرق فى تفهمه لآثاره عالة على الغرب ، يتابع خطواته ، ويتلمس طرائفه ، ويتلقى ما انتهى إليه من نتائج قضايا مسلمة !

وكان واضحا أن نقطة الضعف فى التفـكير العربى المعاصر ، أن الذين يتصدون للبحث فى شتى أنواع المعارف القديمة ، يجهلون اللغة العربية ولا يلمون بدقائقها ، مما ينتج عنه سوء فهم لتلك الثقافات ، أو خطأ فى الإلمام بقضاياها ، وكان مخجلا أن يدرس التاريخ الإسلامى أو يؤلف فيه من لايعرف أصول اللغة وتاريخها ومادته جلها نصوص لغوية وأدبية ، أو يتصدى للفلسفة الإسلامية شارحا أو مؤرخا ، وهو يجهل التطور الذى أصاب اللغة ، فجعل للفظ معناه حين يكون فى القاموس مغايرا لمعناه إذا ورد فى أساليب الفلاسفة ، فـكان الخلط والاضطراب والتعثر ، ملحوظا لـكل من يطالع النتاج المعاصر فى الفلسفة أو التاريخ أو الشريعة ، وغيرها من التراث العربى القديم ، إذا استثنينا القليل !

ولم يكن هذا الخلط وقفا على الثقافة التى تبعد عن اللغة قليلا أو كثيرا ، بل امتد أثره حتى إلى اللغة نفسها ، ذلك أن تقدم الإنسانية وسع من إمكانيات الدارسين والمؤلفين ، وانتشار الطباعة والتخصص جعل مهمتهم سهلة لينة ، وتقدم منهاج البحث العلمى والاستعانة بالمقارنة جعل من الممكن ملء الفجوات التى تبدو بين معالم الثقافة القديمة ، والاهتداء إلى الأصول المجهولة ، والتى كانت تعترض القدماء ، فيعللونها بالفرض ، أو يصلونها بالخيال ، أو ينحرفون بها إلى الخرافة !

ومسايرة لهذا المنطق ، بدا أن دارس العربية لـكى يستفيد منها ويتبين حقائقها ، وينير قضاياها ، عليه أن يـكون عارفا ما استطاع بأخواتها من الفصائل السامية ، كالعبرية والسريانية واليمنية القديمة والحبشية ، وما جاورها من لغات أخرى ، كالفارسية والأوربية والتركية ، فى حدود القدرة والتخصص .

روعى هذا النهج عندما أنشئت كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة ، ودعا إليه الدكتور طه حسين دار العلوم العليا فى حرارة وقوة عام ١٩٣٥ ، عارضا عليها أن تضم إلى الجامعة ، على أن تحتفظ باسمها التاريخى المجيد ، لتـكون معهدا للغة العربية واللغات الشرقية ، ولم يقف بدعوته عنـد هذا الحد ، بل اقترح أن تبدأ العناية بهذه اللغات من التعليم الثانوى ، لمن يريدون أن يتخصصوا فيها ، لـكى تـكون دراستهم منتجة مثمرة .

ولم يتح لدعوة الدكتور طه حسين أن تجد سميعا إذ ذاك ، فطواها على مضض وإن لم ييأس منها ، ومضى يهيئ لها الأذهان حتى اختمرت ، وأذن لها أن تؤتى أكلها عام ١٩٤٦ ، حين ضمنت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، لتنتفع بالنهج الجامعى وحريته ، ولتأخذ فى ركب الحضارة وجهة جديدة ، توائم التطور الثقافى الذى انتهى إليه العالم ومصر عقب الحرب العالمية الأخيرة .

أجل ، كانت دار العلوم المدرسة قد أدت رسالتها فى تنقية الفصحى من أوشاب العاميـة ، وتحرير الألسنة من اللـكنـة الأعجمية ، وفى إعداد المدرس الصالح لأدائها ، والـكتاب الطيب الملائم للقراءة ، وفى تطوير اللغة لتصبح مرآة ناصـعة ، تنعكس

(١) توصل إلى هذا الرأى العلامة ابن حزم الأندلسى ، فقال فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » : « إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرية والعربية التى هى لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مسالك أهلها » ثم تابع كلامه فى تعليل رائع ، مما يعد معه بحق واضع علم « فقه اللغة » الحديث ، ثم تلاه بعد ذلك ، علماء اليهود الذين ورثوا الحضارة العربية فى الأندلس ، ولـكن الظلام الذى عم إسبانيا عقب إجلاء العرب عنها أوقف تقدم هذه البحوث ، حتى بعثت فى منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرقين .

عليها مظاهر الرقى المتعددة ، وتتسع ألفاظها للتعبير عن أسمى المشاعر والأفكار . ... وبقى الشق الآخر من الرسالة ، وهو البحث والتقصى والعكوف على القديم لدرسه ونقده وتمييزه ، وتتبع مساربه ومجاريه ، بعد أن هيئت الوسائل وأكملت الأداة !

ومن ثم شفع ضمها إلى الجامعة إفساح المجال فيها للدراسات السامية والشرقية على الخيار بين واحدة منهما ، وأحس الطلاب أن شيئا جديدا من الثقافة بدأ يأخذ طريقه إلى أذهانهم ، ليساعدهم فى تفهم كثير من المشكلات ، كانت تبدو أمامهم معقدة غير واضحة ، وكانت هذه العلوم أداة ليصبح عندنا نحو مقارن يرفع الستر عن قصة النحو العربى ، متى نشأت ، وكيف ، وعلى يد من ؟ ... ولأى المؤثرات تعرضت . وقل الأمر نفسه عن البلاغة وفقه اللغة ، وعن الأدب أيضا .

ولكن البلاغة والنحو والصرف وفقه اللغة والأدب ، ليست هى كل التراث الإسلامى ، فهناك الفلسفة ، وهناك التاريخ ، وهناك الشريعة ، وما يتصل بهذه العلوم أو يتفرع عنها ، وهى علوم محور التبريز فيها أن يكون الدارس لها عارفا باللغة العربية أولا . ولسد هذا الفراغ وتهيئة المجال أمام الراغبين فى هذا النوع من الثقافة الإسلامية ، رؤى أن تتولاه دار العلوم تبعا ، لتحرير بحثه ومادته من سلطان المستشرقين بعد أن ظل وقفا عليهم ، مع الانتفاع بنهجهم ومذهبهم فى التقعيد والاستنتاج ، على أن يتخصص الطلاب فى واحدة منها ؛ لتكون إفادتهم كاملة ، فكانت شعب التاريخ والفلسفة والشريعة ، بجوار الثقافة العربية الأخرى . ولتثبيت هذا المعنى فى أذهان الطلاب وتقويته ، وليأخذ صبغته القانونية ، رؤى أن تكون براءتهم إذا تخرجوا « الليسانس فى اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية » .

* * *

ومضى الركب فى طريقه ...

ثم أذيع أن عميد كلية دار العلوم الأستاذ إبراهيم اللبان ، دعا مجلس جامعة القاهرة ، إلى تدعيم « معهد اللغات الشرقية » التابع لكلية الآداب ، بجعله مستقلا على أن يكون للدراسات الشرقية كلها ، أدبا ولغة ، تاريخا وحضارة ، واستبشر الطلاب والدارسون من وراء دعوته خيرا حين تلقفوها من أفواه الصحف ولكن ... سرعان ما أعجلتهم الحقيقة ، فأخبتت فيهم الأمل ، وأغاضت البشرى ، ذلك أن العميد سبب دعوته ، بأن مفتشى اللغة العربية فى وزارة المعارف ، يشكون ضعف خريجى دار العلوم الكلية فى النحو والصرف ، وعزا ذلك إلى مزاحمة اللغات السامية والشرقية فدعا إلى إلغائهما ، بل وارتأى ألا حاجة إلى دراسة التاريخ والفلسفة أيضا ففكر فى استبعادهما !

لن أرفع عن زملائى وأندادى تهمة الضعف ، فنحن ، مازلنا طلابا رغم التخرج . ولن نزعم لأنفسنا العلم أبدا ، فنحن فى أول الطريق ومن سار على الدرب وصل . ولن نقول للعميد إن التدريس لتلاميذ الابتدائى والثانوى لايحتاج إلى مزيد علم ، ولا يصلح مقياسا لقوة أو ضعف ، وإن المسائل موضع الخلاف لاتعدو « همزة الوصل والقطع » والإعجام ، واختلاف النظرة إلى الكلمة الواحدة ، حين تكون العامية خفيفة سهلة ، ومثيلتها العربية ثقيلة موحشة ... لن نقول له إن المدارس اليوم تموج بأناس حظهم من الثقافة متواضع ، وجهدهم فى التحصيل ضعيف ، ونظرتهم إلى التعليم مادية ، وإيمانهم بالرسالة معدوم ، وإن خريجى دار العلوم وسط هذه الأخلاط ، قلة لايسمع لها صوت ، ومواهب لاتترك لها مجال !

لن نقول له شيئا من ذلك كله ، لأن رسالة دار العلوم الجامعية يأتى فيها التدريس تبعا لا أصالة كما يقول الأصوليون ، وإنما رسالتها أن تنير للطالب الطريق ... طريق الكشف عن مجاهل الحضارة والثقافة ، ثم تقول له سر على بركة الله ، ليكتشف ويتأمل ويقنن ، مشكورا أخطأ أم أصاب ، ونحن جد سعداء ، لأن دار العلوم الجامعية أمسكتنا أكثر من مشعل . وأنارت أمام عقولنا أكثر من طريق !

لقد جارينا العميد فيما ارتآه من أننا ضعفاء فى النحو ، لاتقريراً للواقع بل إسهاما فى حل المشكلة ، فليسمح لنا أن نخالفه أشد المخالفة ، فى أن مبعث ذلك هو اللغات السامية أو الشرقية أو التاريخ أو الشريعة ، أو تزاحم مختلف المواد ، ذلك أن واحدا من هذه العلوم ، ليس جديدا فى تقريره ، وإن تطور فى مناهجه ، وأن محاضرات اللغة فى نحوها وأدبها وفقهها لم تنزل عن المستوى الذى أنشئت عليه منذ أن كانت دار العلوم ، بل إن منها ما استحدث كالأدب المقارن ، أو خص بعناية فى الوقت والدرس والمنهج كفقه اللغة ، وإن الذين يطاولنا بهم فى النحو من أساتذتنا فى الدار وخارجها ، كان نصيبهم من الدراسات السامية مضاعفا ، فدرسوا العبرية والسريانية ، على حين يدرس طلاب

اليوم الأولى وحدها ، ولم يمنعهم ذلك ، إن لم يدفعهم ، إلى أن يبرزوا فى الميدان ، وأن يسدوا إلى الفصحى خدمات جلى !

لقد توسعت دار العلوم فى دراسة هذه المواد ، ولكن هذا التوسع لم يكن على حساب اللغة أو قواعدها ، وإنما كان على حساب علوم دست على الدوار لدوافع استعمارية ، كان على حساب الطبيعة والكيمياء والهيئة والصحة والرسم والحساب والجبر والهندسة والجغرافيا ، والأشغال اليدوية (! !) وهى علوم كان مؤسفا ومخجلا أن تدرس فى معهد عال يعد المتخصصين فى اللغة العربية ، وأن يشغل بها الطلاب ، على حين أن مكانها فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ! . ويستطيع العميد أن يراجع برامج دار العلوم منذ عام ١٨٧٢ حتى اليوم ، فلن يجد حيفا من اللغة أو علما عدا عليها

حتى ولو جاريناه فى دعوته ونظرته لدار العلوم ، وتفهمه لرسالتها على أنها تزويد المدارس بعدد صالح من المعلمين « فإن معلم اللغة العربية محتاج أشد الحاجة إلى أن يكون قادرا على أن يفهم الصلة بين مادة اللغة العربية وأصولها السامية الأولى ، فيجب أن يدرس اللغات السامية درسا حسنا ، وأن يتقن بعض اللغات الأجنبية الحديثة ، وبعض اللغات الشرقية الإسلامية الحية ، فى شئ من التنويع والتخيير بين هذه المواد »[٢] ، « فدراسة اللغات السامية دراسة قران ، أصبحت الآن ضرورية لكل من يريد أن يلم بتاريخ اللغة العربية إلماما يشمل نشأتها وعوامل انتشارها ، واللغات التى أثرت فيها وتأثرت بها ، ولكل من يريد أن يدرس فقه اللغة عامة ، وفقه اللغة العربية بوجه خاص ، دراسة علمية دقيقة . إن طالب دار العلوم فى حاجة إلى التزود بمعلومات كافية عن بعض اللغات السامية التى لها علاقة وثيقة باللغة العربية ، أسوة بما هو متبع فى أوربا ، حيث تدرس اللغتان الإغريقية واللاتينية لاتصال اللغات الأوربية الحديثة بهما »[٣]

* * *

لقد استقبلت دار العلوم حياتها الجامعية من سبع سنوات مزهوة بماضيها ، مؤملة فى غدها ، مقدرة لرسالتها ، وكان اندماجها فى الحياة الجامعية موضع فخار وإجلال ، وتطورها السريع موضع تقدير وإكبار ، رعت الأفذاذ من أبنائها فاستردتهم معيدين ، وأرسلت بهم وراء البحار دارسين وباحثين ، وهيأت لهم من حياتهم العلمية رشدا ...

ثم ، ماذا أقول ! ... إن الحسرات لترعى قلبى ، وإن الحزن ليغشى جوانحى ، ويكاد الألم يقتلع من عقلى ذكريات علمية عزيزة عليه ، لأن الكلية التى شهدتها زاهرة ناضرة ، واختزنت لها فى حنايا نفسى أروع الذكريات وأنبلها ، نكصت على عقبيها ، فتراجعت القهقرى ، لتنطوى على نفسها بعيدا عن الحياة والناس ، وأخشى أن يفوتها الركب ...

لم يعد للنابهين من أبنائها فيها نصيب ، فتوقفت عن تعيين المعيدين ، وكل جريمتهم أنهم صغار السن شباب ، وتوقفت عن إرسال البعثات ، لأن سياسة « ليس فى الإمكان أحسن مما كان » عادت تطل برأسها من جديد !

ثم أسلمت مكتبتها ، مكتبة أعرق كلية تدرس العربية فى الشرق — وللجامعة مكتبة — وبها كثير من النفائس والذخائر ، إلى أمين كل مؤهلاته أنه يحمل الشهادة الابتدائية ، وفى بقية الكليات الأخرى ، تنال المكتبة أعظم رعاية وأبلغ اهتمام ، ويشترط فى أمينها من المؤهلات مايشترط فى هيئة التدريس

* * *

وبعد ... إنى أناشد الذين فى دار العلوم — وأنا أعرف من هم علما وفضلا — ضمائرهم وعقولهم ، أناشد فيهم تاريخ دار العلوم وحاضرها وغدها ... إذا لم تستطيعوا السير إلى الأمام فلا ترتدوا

لا تنقصوا مواد الدراسة ، بل زيدوها إذا أحببتم ، أنشئوا معهد الدراسات الشرقية ، لكن لا تمسوا هذه الدراسة فى دار العلوم ، خرجوا شبابا يدرسون ويفهمون ، أصحاب ثقافة منوعة تسمو بهم عن المحلية ، وتحلق بهم فى أجواء عالية فسيحة ، أيان توجهوهم يأتوا بخير كثير ...

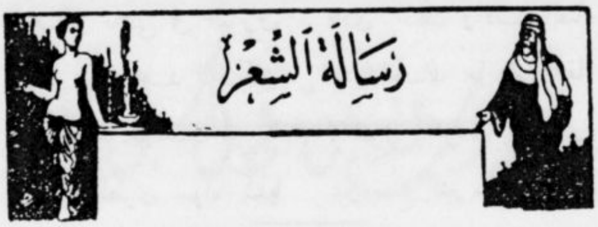
إنى أناشدكم بكل مقدساتها ، ألا تعودوا بها « مصنعا » للمدرسين من جديد !

الطاهر احمد مكى

---

(٢) دكتور طه حسين . مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨٨ طبعة سنة ١٩٣٨

(٣) من تقرير للأستاذ حامد عبد القادر أستاذ اللغات السامية والشرقية وفقه اللغة سابقا بدار العلوم ، ومدير اللغة العربية بوزارة المعارف الآن ، والدكتور إبراهيم أنيس أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم الآن وقد كتباه فى ٤ / ٦ / ١٩٤٦



الرؤيا الصادقة

بمناسبة الذكرى النبوية

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

من لحر بات يشكو الوصبا   زافراً أنفاسه كاللهب ؟
هاجت «الذكرى» شجاه فصبا   وانثنى يندب حظ العرب
رب ليل بت موصول الأنين   يتنزى شجنى مضطرما
با كيا مجد الشموس الأولين   وزماناً بالمعالى معلما
أمة عزت بدنيا وبدين   كيف ذات واستحالت أمما ؟!
سامها ما سام أقوام « سبا »   فى الليالى زمن ذو ريب
مثلما تعصف ريح بدبى   عصف الظلم بها فى الحقب

صحت لما ضقت ذرعا بالشجا   أرقب الليل برقراق الدموع :
أيها الليل ! أما فيك رجا ؟   أو ما للصبح من بعد طلوع ؟
ثم أغفيت على هم رجا   بفؤادى وأنا معى جزوع
فعرانى مثل أحلام الصبا   طائف فى النوم قد طوف بى
هز أشواق إليه طربا   ليته فى الصحو يحيى طربى

وتنورت مع الفجر سنا   طبق الشرق وجاز المغربا
أطلعته البيد منها موهنا   مشرقا بين « حراء »و «قبا»
ساطعاً يغمر آفاق الدنا   باهر الحسن يروع الغيهبا
فاض يهدى فى طريق موكبا   يتلألا فى الفلا كالشهب
سالت البيد به مصطخبا   جائشاً فوق وهاد وربى

تارة يعلو أهاضيب الصخور   لا يبالى ما يلاقى من صعاب
ويخوض الرمل حيناً كالبحور   مثلما تمخر فلك فى عباب
كلما جد وأضنته الوعور   يمتلى عزماً شديداً واصطخاب
وإذا رامت رجال مطلبا   ذللت كل عصى منصب
وإذا استحلى هواها مأربا   وجدت لذتها فى النصب

لجب راع فؤاد الملكوت   وثنى الشمس إليه والقمر
لم تشاهد مثله فى العظموت   هذه الدنيا ، ولم تسمع خبر
كربت من ذعرها منه تموت   قبل أن يأخذه منها النظر
راعها حتى إذا ما اقتربا   فرعى أحوالها فى حدب
وجدت أنبل قوم رغبا   ينشد الخير كريم الرغب

سار يطوى الأرض خفاق اللواء   كلما مر بقوم عظما
وهو فى كل صباح ومساء   يفتح المدن ويهدى الأمما
كاد لما ضاقت الأرض الفضاء   يبتغى بالفتح آفاق السما
وإذا حل بواد أخصبا   منبتاً أزكى نبات طيب
أمرعت منه البرايا أدبا   وحياة حرة المضطرب

وتبينت فتى صلت الجبين   لامع الغرة يجلى من بعيد
حف بالبيض بأيدى الدارعين   فوق جرد تحتها الأرض تميد
قلت : من ذا ؟ قيل لى : ليث العرين
قلت : من تعنون ؟ قالوا : ابن الوليد
قلت:والأبطال راعت بالظبا ؟   قيل لى : صحب النبى العربى
قلت : ما يبغون ؟ قالوا : أربا   جل عن قصد الهوى والغلب

صاح كالضيغم : ياخيل اهذبى   ورمى الشرق بلحظ أشوس
قال : هيا ، أبلغينى أربى   أربى تطهير « بيت المقدس »
فاستطارت فى الفضاء الأرحب   تنهب الأرض لعز أقعس
واستطارت فى فؤادى لهبا   لهفة للمشهد المستغرب
ثم شيعت بطرفى الموكبا   وبنفسى منه كل العجب

قلت للنفس ، وفى النفس جراح   كلما ذكرتها نضت دما
وخيول الله تعدو فى البطاح   ، بين عينى ، تعض اللجما
فوقها كالقدر العاتى المتاح   كل جبار علا مستلئما :
أنظرى يا نفس هذا العجبا   أترين القوم أصحاب النبى ؟
كيف لابست زماناً غربا ؟   كيف عادت سالفات الحقب ؟

وعلا التأذين فى الفجر الرهيب   موقظاً تهداره كل نؤوم
فتيقظت وفى قلبى وجيب   كحبيس الطير فى كف ظلوم
مطبقاً عينى على الحلم العجيب   بالتذاذ أتمنى لو يدوم
خلتنى يقظان حتى أكذبا   حاضر أبصرته عن كثب
صحت لما بان لى منقلبا :   إن هذا أسوأ المنقلب !

حاضر أقبح به من حاضر   وثبت فيه على الأسد القرود
قد تجلى عن خؤون غادر   دغل النيات جياش الحقود

أخضعَ العربَ لحكم جائر   قد قضى أن يستنيموا لليهود
لعب اليوم بهم ما لعبا   ولكم جد يرى فى اللعب
شقهم لا دولا بل عصبا   ثم أشقاهم بحرب المصب !

فيم هاجت بينكم « حرب البسوس »
يا معيدى نكبة « الأندلس » ؟

أعلى الميراث أحقاد النفوس ؟   أم على تسليمه المختلس ؟
أم بقايا من رمال وضروس   هيجت من شهوات الأنفس ؟
إخجلوا يا قوم صرتم عجبا   فى الدنا ، بل لعنة فى الكتب
ما أضعتم وطناً ، بل حسبا   أين من يحمى لرد الحسب ؟

أمة قد أنسيت أوطارها   فأدارت فى المناحات الكؤوس
وأثارت للهوى أوتارها   والأعادى فى مغانيها تجوس !
فمتى ترحض عنها عارها ؟   ومتى تعبس فى يوم عبوس ؟
إنما يلعب حر غلبا   لا حريب مبتلى بالنوب
أو عزيز سيم خسفا فأبى   لا الذى أضحى وطىءَ المركب

لا تلمها ، إنما خذلانها   جره التضليل من قوادها
جار عن نهج الهدى ركبانها   إذ جروا فوق خطا روادها
كل من تبصره يختانها   لا يبين الصدق فى إرشادها
فى سبيل المال .. من قد كتبا   جاذب الساسة حبل الكذب
وانثنى الشاعر عما وجبا   ومضى ينعت بنت العنب

يا شباب العرب فى شتى البلاد   لست أختص شآماً أو عراق
إن لى فيكم وإن عم الفساد   أملا أن تحطموا عنها الوثاق
إن جرح العرب محتاج ضماد   ضمدوه بدم منكم يراق
وأعيدوا الوطن المغتصبا   بالواضى من يد المغتصب
تبعات الملك شتى أربا   سوف تلقى للشباب النجب

أذكروا — بالله — مجد الفاتحين   واصنعوه مثلما قد صنعا
لا تغروا ، مالكم غير « الأمين »   أسوة فيما نهى أو شرعا
كل جد فى جديد الحاضرين   لم يغب عن شرعه فيما وعى
اقرأوا دستوره المنتخبا   تجدوه زاخراً بالنخب
هو روح وحياة وهبا   صادق الإيمان أسمى الرتب

نسخت آيته فى العالمين   آية الشمس بآفاق السماء
وتحدى ما بنى فى الغابرين   عادى الملك وآذن الفناء
وتعالى فوق مجد المالكين   مجده الخالد ما دام البقاء
لو وراء الخلد ملك أو نبا   لاحتوى محموده من كثب
كذب المطرى سواه كذبا   غير مدح التبر مدح الترب

أيها المبعوث بالأمر العظيم   جل بارى النور ! ماذا أطلعا ؟
جئت والدنيا يغشيها السديم   فأنرت الشرق والغرب معا
طلعت شمسك .. لكن فى الحلوم   وتسامت عن كسوف مطلعا
كم أزاحت عن عقول سحبا   جللتها من ظلام الريب
وجلتها فى الأعالى شهبا   هاتكات للدجى والحجب

أنت من علم أمثال « عمر »   يتحدى بالفتوح الدولتين
أنت من أطلع أبطال السير   مثلما تبدى السماء النيرين
أنت من أحيا الأعاريب الغرر   وبهم أحييت أهل المشرقين
ثم مالوا عنك ميلا ، فنبا   عزمهم ، واستهدفوا للنوب
وأقلوا فى الحياة الكربا   وهوان العيش فى المرعى الوبى

يا رسول الله خير المرسلين   يا منيل العرب غايات الفخار
قم تأمل حالهم فى العالمين   كيف بعد العز ذلوا فى الإسار
هدموا ماشدت من دنيا ودين   فقضى الله عليهم بالبوار
أركضوا الأهواء فيهم خببا   ورموا وحدتهم بالشجن
كل من تلقاه ينحو مذهبا   ويحهم ! لم يتركوا من مذهب

صدعت بيضتهم أشق الأمم   وهمو لاهون .. كل بهواه
جدعت منهم خياشيم الشمم   وبغى بعض على بعض وتاه
هل سبيل النجح إيقاظ النقم   عمه الجاهل شر من عماه !
ليتهم قد أججوها الهيدبى   للعدا لا لابن أم وأب
ويحهم ! قد بلغ السيل الزبى   غير ذى رفق ، وهم فى حرب

يا نياماً ضيعوا ما ورثوا   ضيعوا عهد العلى والشرف !
أفما آن لكم أن تبعثوا   سيرة الهادى ومجد السلف
إن « أهل الكهف » قبل انبعثوا   من رقاد طال تحت السدف
وأعادوا فى الحياة الدأبا   ومنال المجد رهن الدأب
فاستفيقوا وأثيروا العربا   طال يا قوم رقاد العرب !

بغداد

محمد بهجة الأثرى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

صدرت « الرواية » .. بعد أن احتجبت عن قرائها طويلا ، صدرت قوية كالعهد بها من قبل ، فتحتل مكانها فى ميدان القصة الرفيعة والأدب الممتاز

عادت الرواية بعد أن اكتسح ميدان الأدب ، ذلك اللون الفاتر الضعيف الركيك ، الذى يهدهد الغرائز ، ويحرك الألوان القاتمة فى النفوس ، عادت لترد للأدب الرفيع مكانتــه ، وللفن الخالص كرامته

أسبوع النبى

كان ميلاد النبى .. هذا العام قويا حيا .. غاية القوة والحياة فقد جاء فى الوقت الذى تستقبل فيه مصر حياة كريمة نقية تتمثل فيها صورة البطولة والقوة والحرية

وقد أقيمت فى كل مكان أحفال الذكرى ، وكان للأدب فيها مكانه المرموق .. كان الشعر والنثر هـذا الأسبوع ملونا منوعا ، يصور حياة الرسول الكريم ، وجهاده وكفاحه ، تمثل ذلك فى القصائد المختلفة التى نشرتها الصحف وأذاعتها الإذاعة ، وألقيت فى الهيئات والجمعيات التى احتفلت بالذكرى .. وفى المقالات ، وفى القصص ، وفى المسرحيات

كانت الأقلام التى تعمل فى ميدان الأدب والفن كلها تعمل لذكرى الرسول ... وتصور تلك الشخصية الضخمة التى أضاءت الكون وأفاضت عليه نور الإسلام وهدته إلى التوحيد الخالص

وإن كان لنا أن نقول شيئا فى هذا المجال فهو أننا لا زلنا نطمع أن يتخلص شعراؤنا من القيود التقليدية التى خيمت على الشعر زمنا طويلا خلال العهد الماضى . وأن هذه النفسيات الشاعرة تستطيع أن تتجدد على أفق واسع

ندوة الشبان المسلمين

وكانت ندوة الشبان المسلمين من أضخم هذه المهرجانات فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : الغزالى ، ومخيمر ، وشعلان ، والعوضى ، والمنشاوى ، والنهامى ، والماحى ، وحمام ، والعماديين ، وجبر ، وقاسم

وألقيت قصائد كان أغلبها فى مولد الرسول

ولا شك أن اشتراك هـذا العدد الضخم من الشعراء الناضجين الذين عرفوا بالماضى الحافل فى ميدانهم كان من أقوى الأعمـال الأدبية التى كللت بالنجاح وكانت تأييدا لدعوة الرسالة التى طالبت بذلك من قبل

وقـد علق على الندوة وعقب على قصائد الشعراء الدكتور إبراهيم سـلامة أستاذ النقد بكليـة دار العلوم . استمر الدكتور سـلامة يتحدث حوالى الساعتين ونصف الساعـة ، وكانت له طرائف حلوة فى التعليق على الشعراء منها قوله :

شعراء المناسبات كحمالى القطارات لا يعملون إلا عندما يصل القطار

مصطفى حمام هذا الشاعر الذى لم أفهمه ، الشاعر الذى يتألم ويرسل زفراته وأناته من شفاه تبتسم . إنه كالرجل الأجرب الذى يجد اللذة فى أن يحك جلده

ولم يدع شاعرا من هؤلاء الشعراء دون أن يبـدي رأيه فى شعره بصراحة تامة . ومن القصائد الرائعة التى لقيت الاستحسان قصائد مخيمر والمنشاوى والنهامى

فلسفة التكريم

فى حفـل التـكريم الذى أقيم للأستـاذ الفضيل الورتلانى المجاهد الجزائرى هذا الأسبوع ، فى فندق سميراميس ، تحـدث المحتفى به بعد انتهاء كلمات التـكريم التى وجهت إليه فقال :

« إن حفلات التكريم فى ذاتها ليست إلا مظهرا من مظاهر التعبير عن البطولة فى ذاتها وتصوير معالمها . وإن الأمر فى هذا أشبـه بالمعركة التى يقوم بها الجيش حين يقوم بأعمـال التمرين والتجارب . فى هذه الحالة يتخير المهاجمون هدفا محددا ، ولو كان ورقة ، تصبح فى نظرهم ولها صفة الهدف الحقيقى ثم يأخذون فى

مهاجتها . وكذلك فعلتم أنتم حين جعلتمونى هذا الهدف الوهمى لتصوروا ملامح البطولة كما تحبون أن تتمثل فى الأفراد ؟

الأدب لا يطلب النجدة

كنا قد نشرنا بعض ما فاضت به الصحف فى العرق ولبنان من حق الأديب

وقد قرأنا فى جريدة النبأ رأيا جزئيا فى هذا المعنى فى كلمة عنوانها « الأدب لا يطلب النجدة » جاء فيها « أن الأدب أجل من أن يطلب النجدة ؛ فهو يفرض نفسه فرضا ويخلق له متتبعين إذا قدم لهم وجبات ممتعة فلا يطعمون العدس فى كل وجبة

.. ليس للأديب أن يجأر بالشكوى وهو قابع فى صومعته فارضا نفسه غير مسؤول إلا إذا أنجد ، فأين البضاعة المعروضة ليصح الطلب ؟

إن الأدباء عندنا هم من الشعور بضعف واقعهم بحيث يستترون ثم يروحون يمنون على الجمهور ذوقه وتقصيره

لم ينكب الأدب إلا الأدب نفسه ، فمع قلة البضاعة أضحى البعض قراصنة يستولون عنوة على مال الناس بوسائل شتى ضاربين خير الأمثلة للنشالين

حوشوا من هذا الحقل هذه الطفيليات فإن الأدب يحتضر . لقد أفزعنا أن نطالع بعض آثار أدبائنا فإذا هم ومحطة الإذاعة سواء بسواء »

والقضية التى يعرضها الكاتب هى قضية الأدب فى كل مكان . على الأديب أن ينطلق فى الحياة فلا يقبع فى برجه العاجى ليكتب للناس من خياله . إن الأدب الواقعى هو الذى ينبع من آلام الناس وآمالهم ورغباتهم وأهدافهم . إن بعض الأدباء الذين أحسوا بأن أسماءهم قد لمعت ، نسوا ماضيهم ، وتبلد نشاطهم ، وفترت حيويتهم ومن ثم جاءت آثارهم الجديدة غاية فى الضعف

ذكرى شكيب أرسلان ومحمود سامى البارودى

تقع فى هذا الأسبوع ذكرى رجلين من كبار الرجال فى الشرق ... هما شكيب أرسلان وسامى البارودى . لقد ترك كل منهما من ورائه ذكرا مرفوعا وأثرا قويا فى عالمى الأدب والسياسة

أما شكيب أرسلان فقد عاش حياته مهاجرا . كان مظهرا من مظاهر الشرق الحية فى الغرب ، وكان منارا لكل شرقى فى قلب أوربا . وما من مجاهد أو زعيم أو زائر قصد إلى هنالك إلا وأحس بمدى الأثر الضخم الذى يفيضه على الشرقيين هناك

وكانت الصحف لا تنى تنشر له الفصول الضافية فى الأدب والاجتماع والسياسة ، وهو الذى علق على كتاب حاضر العالم الإسلامى فأضاف إلى ذلك السفر الصغير فصولا عن حياة المسلمين فى مصر والمغرب والعراق وسوريا والهند وإندونيسيا .. غاية فى القوة والوضوح ؛ تعد بحق مرجعا من أوفى المراجع لمن يريد أن يكتب عن قضايا البلاد العربية والإسلامية

ولم يقف جهد شكيب أرسلان عند التاريخ والسياسة ؛ بل كتب عن العرب فى الأندلس كتابا مستفيض الصفحات فى تصوير الحضارة الإسلامية فى ذلك الفردوس المفقود

وكتب شكيب أرسلان كتابين فى الأدب والتراجم غاية فى القوة هما كتاباه عن شوقى وعن رشيد رضا

ويتميز إنتاج شكيب أرسلان بالإسهاب والوضوح والجزالة والتدفق وبيانه غاية فى القوة ، لأنه يصدر عن قلب يخفق بحب الشرق والإسلام والعروبة ، قلب المجاهد الذى عاش مهاجرا ، تتمثل له فى كل لحظة تلك المعالم الحية ، التى يعيش فيها أهله وإخوانه وبنى وطنه ، وتلك الآلام التى يقاسونها فى ذلك الكفاح المرير مع المستعمر والغاصب والمستبد

* * *

أما محمود سامى البارودى ، فهو ذلك الشاعر الذى نقل الشعر العربى من مدرسة إلى مدرسة . ونقل الوطنية المصرية من وضع إلى وضع . فهو على رأس الفريق الذى حرر الشعر العربى من قيوده التقليدية وفتح له باب التجديد الذى جرى فيه من بعد

وكان من بين الفريق الذى وقف فى وجه الظلم والطغيان ، ظلم الحاكم المستبد وطغيان الاستعمار الغاشم ، فكان أحد أولئك المجاهدين الذين حملوا لواء الثورة العرابية

وقضى محمود سبعة عشر عاما من عمره فى جزيرة سيلان منفيا ومبعدا عن وطنه الذى أحبه ، قضاها أيضا فى جهاد ، فهو لم يلبث أن دعا أهل سيلان إلى الإسلام وعمل حثيثا على نشر دعوته فيهم

ثم عاد إلى مصر فلم يلبث أن فقد بصره وأمضى الأيام الباقية من عمره منقبض النفس مطويا حزينا

وهو أول من أنشأ فن « رثاء الزوجة » فى الأدب العربى الحديث ، فلم يكن هذا اللون معروفا أو مقبولا من قبل حتى جاء محمود سامى البارودى فكتب قصيدته فى رثاء زوجته ، ثم جاء بعد ذلك عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى فمضيا فى هذا الطريق

ويلتقى شكيب أرسلان وسامى البارودى فى ذلك المعنى الذى تحمله النفس المهاجرة لأمد طويل ، فقد قضى كل منهما صدر حياته فى المنفى ، فلما عادا لم يلبثا طويلا

وإذا كان تاريخ أبطال الثورة العرابية لم يكتب حتى الآن لأن الظلم والغبن كان يحيط بتاريخ الأحرار من الرجال ، فقد حق اليوم أن يكتب عن هؤلاء الرجال الذين كتبوا فى مصر الحديثة صفحة الحرية ، فما بالك وقد كتب محمود سامى البارودى صفحتين فى الأدب والسياسة جديرتين بالخلود

أنور الجندي



مسرحية

غروب الأندلس

تأليف الشاعر الكبير عزيز أباظة

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

لا يستطيع أديب أن يعبر عن آلام الشعب التى تهز كيانه ، وأن يصور آماله التى تهفو إليها نفوس أفراده إلا إذا كان يحس إحساسهم ويشعر شعورهم فيضطرب بين ضلوعه ما يختلج فى حنايا صدورهم ، ويعتمل فى أطواء قلبه ما يجول فى خبايا أفئدتهم ، على أن يسعفه إلهام لا ينضب معينه ، وفن مبدع تتحلب أفاويقه ، ولسان مطواع يأخذ الألباب بسحر بيانه . فإذا رزق غزارة العقل وحنكة الدهر وتجارب الأيام جلى ما يريد أداءه إبداعا تستعذبه الفطر السليمة كما تستعذب الهيم سلسبيل الماء ، وتطرب له الجماعة كما يطرب السامرون لرنين الوتر فى هدأة الليل وخفقة السحر ، وتصغى إليه كل أذن واعية كما يصغى الشوق إلى نغمات المطرب ورنة الغريد . وإن الكلمة البليغة لا تمل تردادها الأفواه ، والبيت الرقيق لا تسأم من تكراره الأسماع

لقد سقت هذه المقدمة بمناسبة ما قدمه الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة للمسرح فى تلك الأيام.. ألا وهو مسرحيته الشعرية « غروب الأندلس »

وإذا كان الأستاذ قد أتحف المسرح بمسرحيات قيس ولبنى ، والناصر ، والعباسة ، وشجرة الدر ، فإن مسرحية غروب الأندلس التى تعرض الآن فى دار الأوبرا تعد أقوى ما ألف وأبدع ما نظم من حيث عمقها وبحثها وراء الأسباب التى تنهار من أجلها الشعوب ، ومن حيث حكمها وما فيها من توجيهات يجب أن يأخذ بها من يريد للأمم حياة كريمة وصونا من الأفول والزوال

ولعمرى إن مأساة العرب فى الأندلس لتذهب النفس عليها حسرات ، وتنسكب الدموع أسى وحزنا على ذلك المصير الذى أرداها فيه ما كان عليه زعماؤها وأمراؤها من تطاحن وتنازع وتفرق كلمة وانغماس فى الملاذ والشهوات ، والاستعانة بالأجنبى الطامع لقهر الأهل وذوى القربى

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة وهو يستوحى التاريخ يتمثل حال مصر فى عهودها البائدة ، عالما بأسرارها مطلعا على خباياها لما له من خبرة ومنزلة ، فتغلى مراجل غضبه ويثور الغيظ فى قلبه فيسكبه شعرا تلمس فيه حرارة التأثر مما رأى وبلاغة التأثير فيمن يسمع ويروى

ويذكر المؤلف فى مقدمة المسرحية أنه نظمها قبل أن يبعث الله لمصر ٢٣ يوليو روحا طاهرا وثابا فى جيشها الكريم فيتدار كها من السقوط فى هوة لا يدرك لها قرار . وما من شك أنه قد أضاف إليها شيئا قل أو كثر بعد هذا العبث الذى نشر مصر على أيدى

أبنائها الأخيار

كم شقيت مصر فى عهودها البائدة وتعثرت فى خطاها إلى المجد فلم يقلها من عثرتها أولئك المهيمنون عليها ، ولم ينهضوها من كبوتها مخافة أن تحرمهم مما انغمسوا فيه من ترف السفهاء وشره الجبناء ؛ وأراد الله أن يعجل نهايتهم فجعل فى آذانهم وقرا فانكبوا يخضمون ويلغون لاتنغص عليهم لذاذاتهم هذه الأنات المكتومة والزفرات المحمومة . وزادهم الله ضلالا فجعل على أبصارهم غشاوة أعمتهم عن رؤية النذر والنظرات الصاعقة المتوعدة ، وأملى لهم فساق لهم عبيدا يعينونهم على اقتراف آثامهم واجتراح كبائرهم فكانت الأقلام الحرة تقصفها القوة الغاشمة ، والعزمات الأبية تكبلها القوانين الظالمة ، والأفواه الناطقة تقفلها الأيدى الملطخة بدماء الأبرياء. وياويل الأمة المغلوبة على أمرها المنهوكة القوى بسبب مايمتصه رؤساؤها من دماء أبنائها وهم يتطاحنون على السلطة ويتنافسون على بلوغ المناصب بكل الوسائل ، فيكيد بعضهم لبعض، ولا يرضى هذا أن يجيء الخير على يدى ذلك ، ويضيع أحدهم خيرا محققا فى سبيل ماسيكون فى بطنه يوم القيامة نارا تتلظى وفى الدنيا سبة وخزيا ، لكنه حريص على المنصب ولو كان يكنفه الصغار وتحيط به الذلة والمسكنة. ومن حول الأمة أعداء طامعون فى تمزيقها حريصون على استعبادها عاملون على توسيع شقة الخلاف بين أفرادها الذين تفرقوا شيعا وراء المتزعمين الضالين .

إن مسرحية غروب الأندلس ويصدقها التاريخ تعرض لكل هذا فى حبكة فنية وتسلسل متماسك وبيان أخاذ، ولن تقلب صفحة من المسرحية وأنت تقرأ ، ولن تمر لحظات وهى تمثل إلا رأيت وسمعت حكمة بليغة تقع على مافى نفسك موقع البلسم الناجع على الجراح الأليمة فلا تملك إلا أن تمنحها التقدير والإعجاب

ولا تسكت المسرحية عن التعرض للمعاهدات التى يعقدها القوى مع الضعيف ، وآثارها الوخيمة، وذلك التخريج والتأويل الذى يفسره صاحب القوة كما يشاء

الأمر للأقوى يؤوله كما   شاءت له الأطماع والأهداف

ولا يغفل عن الطرق الملتوية التى يسلكونها اكتسابا للوقت وهم يمدون حبال الآمال وخيوط الأمانى الواهية فيسوق على لسان الحبر وزير فردينان وهو يخاطب إيزابلا

لا تقطعى الأمر حتى   تصح منا العزيمه
والخير أن تستمر   المفاوضات العقيمه
تظل تلهى فتوهى   عرى الأمور الجسيمه

ولم يفت الشاعر أن يصور لنا هذه النفسية الوضيعة بطريقة مرحة وهى تداهن وترائى وتغير آراءها وتتلون ، زاعمة أن ذلك هو السياسة الرشيدة والله يعلم أنها الخسة والصغار. فالمسرحية تمثل لك ذلك فى شخصية أبى القاسم وزير العرب فى الأندلس أيام غروبها

حتى الزواج بالفرنج ومساوئ الضرائر قد وجد له نصيبا فى المسرحية وكان له فى الغروب تأثير

وبين هذا العبوس والظلام ، وفى وسط هذه المحن والآلام ، لا ينسى الشاعر فى مسرحيته ذلك الحب ورقته ، ورأى النساء فى الدلال الذى قد يمد الحبيب وقد يجره مطواعا وبين الاستجابة التى قد تدنيه أو تنئيه

إن هذه المسرحية مسوقة لتكون عظة للشرق وعبرة ، ولا خير فيمن لايتعظ بماضيه، فإن الشرق فى الواقع لم يصب بالكوارث ولم تتحيفه الخطوب تحيف المقراض ، ولم يصبح نهبا مقسوما ولقمة سائغة لا تشجى عند ابتلاعها حلقوما ولا تغص حلقا إلا لتفرق كلمته . وياليت أعداءه حسبوا أهله جميعا فهابوهم، بل عرفوا أنهم شتى وأن بأسهم بينهم شديد

وإذا كنت قد ذكرت لك طرفا مما فى المسرحية فإن مافاتنى ذكره كثير. ولم أرد أن أسوق لك نماذج عديدة من حكمها الغوالى ماذلك إلا لكى ترى وتسمع بنفسك ، وعلى كل شيخ وشاب أن يعمل على رؤية المسرحية فهى للشيوخ زاجر وواعظ يدعوهم إلى أن يتركوا خلافاتهم أويدفنوا أنفسهم حتى لايضروا أوطانهم . وهى للشبان حافز ودافع يدعوهم إلى أن يجعلوا أنفسهم للوطن جنة وعدة تقيه السوء وتحميه من كيد الكائدين ، ولا ينساقوا وراء الدجالين والمتزعمين المضللين . فإلى الأستاذ الكبير والشاعر المبدع عزيز أباظة أبعث تحية الإعجاب بهذه المسرحية ، راجيا أن يقدم للمسرح مثلها أخوات

عبد الستار أحمد فراج



إلى هالة

للدكتور عبد الوهاب عزام ابنة تدعى هالة وهى صغرى بنـاته . وقد رافقت هالة أباها إلى جـدة حين كان وزير مصر المفوض لدى الدولة السعودية العربية ، ثم رافقته فى سفره إلى كراتشى حين عين سفيرا لمصر فى باكستان . وكانت تقدم القهوة إلى أبيها فى ليالى رمضان ، وتحرص على أن تصنعها بنفسها وتقدمها وتأبى أن يشاركها أحد . ثم تجلس إلى أبيها بعد العشاء ، فيحدثها حديث شيخ الأرانب ، وهو حديث طويل بدأ فى جدة ، واستمر فى كراتشى ولم ينته . وكان يملى عليها الحديث فى كراتشى فتـكتبه ثم تصور بعض مناظر الحديث تصويرا دقيقا ؛ فصورت الأرانب وهى قائمة للصلاة ، وصورا أخرى .

وسافر الدكتور عبد الوهاب عزام إلى كراتشى فى هذه المرة وحده ، وبقيت هالة فى مصر ، فأرسل إليها شوقه وحنانه الأبوى بهذه الأبيات :

أهالة إن شط المزار فإننى ... إليك ، على نأى الديار ، قريب
حديثك عندى ، والخيال يطيف بى ، ... له فى خيـــالى جيئة وذهوب
ولـكننى والحق أشتاق قهوة ... يضوع شذاها فى يديك ، تطيب
تزفينها بعد الطعام محرماً ... لغيرك فيهـا شركة ونصيب
وأشتاق من شيخ الأرانب مجلساً ... أحدث فيه والخيال خصيب
وخطك ما أمليــــه تسطير حاذق ... وضحكك منه ، والحديث عجيب (1)
وتصوير ما سطرت تصوير حاذق ... يزيد بيانى روعة ويجيب
لأذكر صفا للأرانب قائمـاً ... يصلى منيبا ، من رآه ينيب
يكاد من الإتقان يسجد خاشعا ... ويسمع منه فى الخشوع وجيب
وجمعـــا دعاه للصلاة مؤذن ... وأحسن فيه قارئ وخطيب
فليتك عندى كى أتم حديثها ... وذلك تحديث إلى حبيب

كراتشى : **عبد الوهاب عزام**

(1) ويجوز أن يكون هذا الشطر : وضحكك منه ، والـكريم طروب

شونبرون لا شمبرون

قرأت قصيدة الشاعر الـكبير عزيز أباظة وليسمح لى حضرته أن أوجه نظره إلى غلطتين :

الأولى — غلطة فى اسم قصر « شمبرون » إذ صحة الاسم « شونبرون » وهو القصر الذى اعتقل فيه ابن نابليون بعدما هزمت جيوش الحلفـاء وعدد جنودهـا ٠٠٠ و ٣٠٠ الجيش الفرنسى الذى كان تحت إمرة نابليون نفسه وعدد جنوده ٠٠٠ و ٥٠ فى واقعة واترلو المشهورة فى ١٨ يونية سنة ١٨١٥ وفى أثرها تنازل نابليون عن العرش فى ٢٣ يونية سنة ١٨١٥ ثم سلم نفسه إلى إنجلترا ، والحـكومة الإنجليزية نفته إلى جزيرة سانت هيلانة وبقى فى المنفى إلى أن توفى فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ وعمـره ٥١ سنـة

أما ابنه — وكان عمره أربع سنوات وبضعة شهور — فقد أطلق عليـه أبوه عقب ولادته لقب ملك روما ؛ إلا أن مارى لويز لما تزوجت بعد نفى زوجها إلى جزيرة سانت هيلانة سمته أمير بارم ؛ ثم سلمته إلى أبيها فرانسوا الثانى إمبراطور النمسا فسماه دوق دى رايشستاج ؛ ولـكن فرنسا آثرت أن يبقى له لقبه الأصلى الذى تلقاه عن أبيه وهو ملك روما . وكان الحلفاء أرادوا تنصيبه ملـكا على بلاد اليونان أو على بلاد بولونيا ، إلا أن البرنس مترينك كبير وزراء إمبراطورية النمسا اعتقله فى قصر شونبرون وبقى معتقلا إلى أن توفاه الله فى ٢٢ يولية سنة ١٨٣٢

وقد زرت هذا القصر قبل قيام الحرب العالمية الأولى ورأيت من آثاره التاريخية سرير ابن نابليون وهو السرير الذى قدمته بلدية باريس هدية إلى الإمبراطور نابليون عقب ولادة ابنه فى ٢٠ مارس سنة ١٨١١

الثانيـة — غلطة لغوية فى قوله (واحتوتنا سيارة تنهب الأرض) وكلمة « تنهب الأرض » غير صحيحة والصحيح تنتهب الأرض

عزيز خانكى

١ — لمن هذا الشعر

أخبرنى صديقى القصاص الموصلى الأديب جلال الخياط —

وهو يعرف ولعى بجمع شعر شوقى وتتبع آثاره — أنه قرأ فى كتاب لا يذكر اسمه الآن هذين البيتين منسوبين إلى شوقى مع القصة التالية :

فى عهد الخديو عباس حصلت جفوة بين الأمير وشاعره ؛ وبعد توسط الوزراء قابل شوقى الخديو فى مقره الرسمى وكان بينهما عتاب فارتجل شوقى البيتين التاليين :

أليس من العز الممنع أن ترى أمير القوافى فى ركابك جاثيا
فوالله لولا العرش الذى أنت ربه لما زعزعتنى قوة من مكانيا [1]

واستدل الأديب الموصلى بقوله « أمير القوافى » أنها لأبى على ، أما أنا فلم أقرأها فى مكان ؛ فهل هى لأمير الشعراء أم لغيره ؟ هذا ما أحب أن يتفضل علىّ به القراء الكرام

٢ — عودة الرواية

قرأت الإعلان الذى نشر مؤخراً بمجلة «الرسالة» عن عودة مجلة «الرواية» إلى الظهور لقراء العربية فغمرتنى نشوة من الفرح. وكيف لا يفرح مثلى وقد كانت خير موسوعة للقصص العربية الموضوعة والعالمية المترجمة . ومن عرف أن أستاذنا الجليل الزيات صاحب البيان الساحر والقلم الشاعر سيقدمها إلى قرائه المعجبين يدرك كيف ستكون، وليس لى إلا أن أمد يدى مصافحا ومهنئا ذاته العظيمة وقراءه الأعزاء بهذه البشرى السارة فإلى الأمام ياصاحب (دفاع عن البلاغة)

بغداد **عبد القادر رشيد الناصرى**

(١) أورد لى صديقى صدر البيت على هذه الصورة وهو غير مستقيم وقد حاولت اصلاحه بهذه الصورة (فوالله لولا العرش إذ أنت ربه)

رد ونقد

خطأ بعضهم استعمال (نعاه ينعيه) واستشهد بقول الشاعر :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك (ينعانا) الغراب الأسود

وأقول إنه ورد فى بعض المؤلفات القديمة فقد جاء فى (حياة الحيوان) فى الكلام على (البوم) ما نصه : ورأيت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره ، فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتنى به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو :

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى أكون أول من (ينعيك) مرغوم

ثم إن الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله لاتذهب بى إليه . فقال الخادم لابد من ذلك ثم ذهب به . فلما مثل بين يدى المأمون أعلمه الخادم بما كتب، فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا ، فقال ياأمير المؤمنين إنه لن يخفى عليك ماحواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأوانى والأمتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى، وإنى يا أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه، أو ماعلم أمير المؤمنين ماقال الشاعر؟ قال وما قال الشاعر ؟ قال :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب وإحسان تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون أعطه يا غلام ألف دينار ثم قال له هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله

وجاء فى (نور الأبصار) فى الكلام على (مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين) ما نصه : لما قتل الحسين رضى الله عنه جاء غراب فتمرغ فى دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين ابن على رضى الله عنهما وهى الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت تقول :

نعق الغراب فقلت من (تنعيه) ويحك يا غراب
قال الإمام فقلت من قال الموفق للصواب

الخ ... فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضى الله عنه انتهى

أما الشاهد فلا أعرفه وأخشى أن يكون محرفا عن بيت النابغة وهو :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود



كرد على

للقصصى الروسى بوشكين

« كرد على » بلغارى بمولده . وهذا اللقب فى اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف ماهو أصل الاسم الذى يتسمى به بطل هذه القصة فقد أطلق عليه لقب « كرد على » وعرف به وأصبح شخصية مخوفة مرعبة فى أنحاء « مولدافيا » لكثرة مايرتكبه من العدوان

ولما أعلن إسكندر أبسلانتى الثورة وأخذ فى حشد المتطوعة جمع له كرد على أصحابه القدامى من قطاع الطرق ومن على شاكلتهم وكان هؤلاء لايدركون حقيقة السبب فى نشوب الثورة ؛ فقد كان مثيرها يبغى من ورائها تحرير اليونان . ولكنهم كانوا يرون فى الحصول على الثروة من أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب أية ثورة

وكان إسكندر أبسلانتى شجاعاً، ولكن لم يتوافر لديه من الصفات ما يكفى لتنفيذ المهمة التى اضطلع بهـا ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

وبعد الموقعة التى أفنى فيها زهرة الشباب اليونانى أشار عليه يوردا كى ألبيوتى بالتخلف . وتولى هو مكانه . وهرب أبسلانتى إلى حدود النمسا ثم أرسل لعناته إلى الشعب الذى كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة جبناء سفلة

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجبن هلكوا تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث وهم يدافعون دفاع المستميت جيشا يربو عدده على عشرة أمثال عددهم

وكان كرد على فى فرقة جورج كانتا كوزين الذى يصح أن يقال عنه ماقيل عن أبسلانتى

وفى الليلة التى حدثت فيها موقعة أسكولانا استأذن كانتا كوزين السلطات الرسمية ، وتخلف عن فرقته منضما إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ، ولكن كرد على وسفيانوس وكانتاجونى وغيرهم لم يكونوا بحاجة إلى قائد

والبيت قبل علاجه من عيب (الإقواء) هكذا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

انظر قصة البيت فى الأغانى وغيره

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

أين كنا . . وكيف أصبحنا ؟ ! . .

كنا سادرين فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها ، وقد تحالفت علينا العلل الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية . فأصبحنا نعيش فى النور ، تظللنا الحرية بلوائها الجديد ، وظلها الوارف المديد ! ...

كنا نعيش فى مجتمع أنهكته العلل ، ودب فيه الفساد ، وتغلغل فى كل مرافقه وأركانه ، وتحكمت فى مصيره طائفة صرفتها مصالحها الشخصية عن مصالح الوطن ، فأصبحنا نعيش فى مجتمع صححت أوضاعه ، وعولجت أدواؤه !

كنا أمة تفرقت كلمتها ، وتعددت أحزابها ، كل حزب بما لديهم فرحون . . يكيد بعضنا لبعض . . فضعفت قوتنا ، وتبعثرت جهودنا ، وضربت الفوضى علينا أطنابها ، وقعد الكثيرون عن العمل الجدى المثمر ... فأصبحنا أمة صهرتها الأحداث ، فجعلت منها كتلة واحدة ، يحدوها هدف واحد ، وتسعى إلى غاية واحدة ، شعارها « الاتحاد والنظام والعمل » !

كنا نعيش بلا أمل .. فأصبحنا نعيش والأمل يملأ قلوبنا ، والإيمان يعمر صدورنا ..

فأين كنا بالأمس ؟! وكيف أصبحنا اليوم ؟!

إنها رحمة الله الواسعة أدركتنا ، فانتشلتنا من وهدتنا ... ونعمته الكبرى أظلتنا ... فلنتحدث بنعمته ... ولنسأله المزيد من رحمته !

عيسى متولى

ولم توصف موقعة أسكولانا على مايظهر بالوصف الذي تستحقه فتخيل سبعمائة رجل من الألبان واليونان والبلغار وحثالات كل الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون الحرب ... تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف فارس من فرسان الجيش التركي العظيم عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها مدفعان قل في الفرقة من يعرف كيف يستعملان . وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولكنهم في تشبث وعناد أرادوا أن نكون نحن البادئين

وكان قائدنا بحمد الله لم يسمع قط صوت رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص في الهواء نفر سمعه ، ونفد صبره ، وتقدم جيشنا متوعداً الجيش التركي بشبانه ثم ارتبك فلم يعرف ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجري فجرى على شاطئ النهر وجرى وراءه جيشه . وفي أثره كتلة الجيش التركي

وكان هذا القائد الذي هدد جيش الترك بإصبعه يدعى خوتشفسكي ولا أعرف ماذا صار إليه أمره

وفي اليوم التالي هاجم الأتراك الثوار وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح في يد كل جندي . ولم يكن الأتراك قد استعملوا الرماح من قبل . وكانت رماحهم روسية سلبوها من جنودنا في موقعة سابقة . جرح كرد على في تلك الموقعة ، وقتل سفيانوس . وكان كانتا جوني عظيم الجسم فأصابته حربة في بطنه فاستل سيفه بإحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح العدو

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت مولدافيا من الثوار إلا سبعمائة ألباني تشردوا في أنحاء بسارابيا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على القوت فإنهم كانوا شاكرين حماية روسيا وكانوا يرون جلوساً في المقاهي الصغيرة في بسارابيا التركية الروسية وعلى أفواههم أقداح القهوة . وقد أخذت الرثاثة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم الحمراء . ولكن طرابيشهم الحمر المطوبلة ذات الزر الطويل كانت لا تزال مائلة إلى أحد الجانبين . وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ، ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال أن يتصور إنسان أن هؤلاء المساكين بقية من ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه كان بينهم

على أن الباشا التركي علم بهذه الحقيقة وطلب إلى السلطات الروسية عملاً بالمعاهدات أن تسلمهم إليه فاعتقلتهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر ماضيه وقال :

« ولكنني منذ عبرت نهر بروث على أثر الموقعة لم أمد يدي على أي إنسان ، وقد يكون الأتراك وأهل مولدافيا محقين في عداوتهم إياي لأني كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكنني ضيف على الروس فلماذا يسلمونني إلى أعدائي ؟ »

وبعد هذا القول لزم الصمت وانتظر في هدوء ماتقضي به الأقدار في شأنه . ولم يطل أمد انتظاره فإن السلطات لاتنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف التي يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لانصرافهم إلى الجانب الروائي من حياتهم . ومن أجل ذلك سيق كرد على مكبلاً بالحديد إلى السجن فكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علائم الخشونة ، وفي نظراته زهو وسكينة

ودخل غرفته في السجن موظف تركي أحمر الوجه أشيب الشعر يرتدي ثوباً عسكرياً قدسقطت منه ثلاثة أزرار . وفي وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم في ذلك الوجه مقام الأنف . وكان في يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصغي إليه باهتمام

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح في خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جاسي ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتمتم في صوت يتهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيماً ؛ وعرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صدع السجين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به في الطريق

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكري : « ما الذي قاله لك كرد على ؟ » فأجاب وهو يبتسم : « لقد طلب إلى أن أعنى بزوجته وبابنه اللذين يعيشان غير بعيد في مدينة كيليا وهي من

قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيهما الجماهير بسببه والجماهير حمقى

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى فحوكم أمام الباشا فحكم بإعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه فى السجن إلى أن يحين الموعد

وتولى حراسته فى السجن سبعة أتراك هم فى صميم أنفسهم لا يختلفون شيئاً عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونه ويصغون فى دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفى يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الإخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فسأتركُكم ولكنى أريد أن أترك لكم أثراً تذكروننى به »

أرهف الأتراك آذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الإخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق فى منسر ميخالاكى . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آنية مملوءة بالمال . ثم منعتنا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهى لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا وعيهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآنية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادهم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة . وأخيراً وقف أمام صخرة عظيمة وقال : هنا تحت هذه

وقف الأتراك يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقى ثلاثة منهم فى الحراسة . وجلس كرد على فوق الصخرة ينظر ويترقب ؛ ثم قال بعد مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أى نوع من الناس أنتم ؟ حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إننى كنت أفرغ من عملكم هذا فى دقيقتين . حلوا وثاقى وأعطونى خنجراً

ففكر الأتراك ثم قالوا ؛ أى ضرر فى إجابته إلى مايطلب ؟ نحن سبعة . فلنحل وثاقه ولنعطه خنجراً

وما أغرب الشعور الذى شعر به عند ذلك ! لقد تناول الخنجر وأخذ يحفر . وفى أثناء عمله أغمد الخنجر فى صدر أحدهم وتركه فى صدره واختطف من منطقة المصاب مسدسين

وما يزال كرد على إلى اليوم يقطع الطريق بالقرب من جاسى وقد كتب منذ أيام إلى حاكم المدينة يطلب إليه أن يترك فى مكان عينه خمسة آلاف ليفى ، متوعداً بأنه إن لم يرسلها فهو ميت لامحالة

وقد أرسل إليه هذا المبلغ

وهذا هو كرد على

ع . ن

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

فرنسا أم الحرية ... ... : للأستاذ سيد قطب ١٣٨٥

الإسلام دين الفطرة والحرية ... : « محمود عبد العزيز محرم ... ١٣٨٧

حيـاة المازنى ... ... : « محمد محمود حمدان ١٣٩١

الميسر والأزلام ... ... : « عبد السلام محمد هارون ١٣٩٣

دموع البطل ... ... : « عمر عودة الخطيب ١٣٩٦

الـكتاب ولوازمهم ... ... : « محمد فرحات عمر ١٣٩٧

كاظم جواد ... ... : « خالص عزمى ١٤٠٠

كتـابان ... ... : « على العمارى ١٤٠٣

محمـد ... ... (قصيدة) ... : « عبد القادر رشيد الناصرى ١٤٠٥

(**الأدب والفن فى أسبوع**) — للأستاذ أنور الجنـدى ١٤٠٦

(**البريد الأدبى**) — أين الأدب المصرى القديم — حول الأدب والفن ١٤٠٨
فى أسبوع — البا كستان أو با كستان — من
تاريخ الفقه الإسلامى ... ...

(**القصص**)— الدم — للـكاتب الفرنسى إميل زولا ١٤١٠

وزارة الأشغال العمومية

مصلحة الميكانيكا والكهرباء

مطلوب تقديم عطاء لغاية ظهر يوم ١٩ / ١ / ١٩٥٣ عن توريد وتركيب مجموعة للمياة لمعمل الهيدروليكا بكلية الهندسة بجامعة إبراهيم باشا ويمكن الحصول على دفتر الشروط مقابل دفع مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة بخلاف ٦٠ مليما أجرة بريد ويقدم تأمين ابتدائي واقع ٢ ٪ مع العطاء وإلا فلا يلتفت إليه ٣٢١٩

20 me année No 1015

Le Caire 15 — 12 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فرنسا أم الحرية !

للأستاذ سيد قطب

هذه هي فرنسا .. أم الحرية .. كما يقول العبيد الكثيرون المنتشرون في مصر والشرق العربي !

هذه هي فرنسا بلا تزويق ولا تنميق . فرنسا كما هي بدون هالات مزورة ولا دعايات براقة . فرنسا كما تصفها أعمالها ، لا كما تصفها الأقلام الخائنة ، والألسنة الخادعة ، أقلام العبيد ، وألسنة العبيد ، المنتشرين في مصر والشرق العربي !

هذه هي فرنسا .. عصابة من قطاع الطرق .. عصابة متبربرة متوحشة ، تترصد للزعماء السياسيين فتقتلهم غيلة وغدراً ، وتمثل بجثثهم في نذالة وخسة .. ثم تقف لتتبجح على ملأ من الدنيا كلها ، لأن هذه الجرائم مسألة داخلية لا يجوز أن يسألها أحد عنها !

هذه هي فرنسا تقف كاللبؤة ، فمها يقطر من دم الزعيم البطل « فرحات حشاد » ، والدنيا كلها ترقبها وهي تلغ في الدم ولكنها لا تخجل ، لأن فرنسا « الحرة ! » قد ضيعت دم الحياء ، وهي تلغ في دم الشهداء !

هذه هي فرنسا التي تهجد بذكراها ، وسبح بحمدها وصلى ، رجال ممن يقال عنهم أو عن بعضهم إنهم من قادة الفكر

ومنذ قرن وربع قرن ؛ وفرنسا تمثل مسرحيتها الوحشية هذه على مسرح الشمال الإفريقي ، منذ احتلالها للجزائر في عام ١٨٣٠ . وفي خلال تمثيل هذه المسرحية البشعة كان العبيد ينشدون نشيدهم الدائم باسم فرنسا . فرنسا حامية الحرية

وفرنسا تكرم هؤلاء العبيد الذين يخدعون شعوبهم ، ويخونون أوطانهم ، ويخدرون جماهيرهم ، ويمسحون عن فم فرنسا القذر آثار الدماء . . ومن العجيب أننا نحن أيضاً كنا نكرمهم كما كرمتهم فرنسا ؛ ونرفع أقدارهم كما رفعتها فرنسا ، ونهيئ لهم المناصب والمراكز ، التي تمكنهم من خدمة أمهم فرنسا !

ونبحث اليوم عن هؤلاء العبيد . من قادة الفكر ، نبحث عنهم ليقولوا كلمة واحدة عن الجريمة الوحشية الجديدة ، فلا نجد لهم أثراً . لا يثور ضمير واحد منهم فيقول كلمة . ولا يرتعش قلب واحد منهم أمام الجثة المشوهة المعالم . جثة البطل الذي جبنت فرنسا عن مواجهته ، فقتلته غيلة وغدراً !

* * *

إن جريمة فرنسا الجديدة هي جريمة الضمير الغربي كله ففرنسا لا ترتكب جرائمها إلا وهي مسنودة الظهر بالمعسكر الغربي . لا ترتكبها إلا وهي تستند إلى إنجلترا وإلى أمريكا

إن الضمير الغربي كله ، بكل ما فيه من وحشية عميقة الجذور ، ليتمثل بوضوح في تلك الجريمة . إنها جريمة الديمقراطية ، جريمة « العالم الحر » . جريمة الحضارة التي يدعونا العبيد الكثيرون المنتشرون في مصر والشرق الغربي ، من قادة الفكر

أن نترك عقائدنا وتقاليدنا وتاريخنا وأمجادنا ، لنلهث وراءها ، كيما نرتقى ونتحضر ، ونلحق بركب العالم المتحضر ! العالم الذى يقتل الزعماء الوطنيين غيلة وغدرا ، ويمثل بجثثهم فى نذالة وخسة !

إن هذا الضمير الذى أوحى لفرنسا بأن تقتل الزعيم التونسى وتمثل بجثته ، لهوذات الضمير الذى أوحى إلى إنجلترا أن تلقى بالجرحى من الفدائيين فى القنال ، إلى الكلاب المتوحشة لتنهشهم وهم بعد أحياء ، لا يملكون دفعها عن أجسادهم لأنهم جرحى

وهو ذاته الضمير الذى شاهدته بعينى فى أمريكا . والبيض يتجمعون على شاب زنجى بمفرده ، ليضربوه ويركلوه ويدهسوه بكعوب نعالهم حتى يخلطوا عظمه بلحمه ، فى الطريق العام ، والبوليس لا يحضر أبدا إلا بعد إتمام الجريمة وتفرق الجماهير المتوحشة الهائجة كوحوش الغابة

إنه هو هو ضمير العالم المتحضر . العالم الذى تسبح بحمده أقلام خائنة ، وألسنة خادعة . ومن بين هذه الأقلام أقلام قادة الفكر ، ونحن ببلاهة منقطعة النظير نصفق للخونة ونهتف للخادعين ، ونرفعهم مكانا عليا .. ونهيئ لهم المناصب والمراكز التى يتمكنون بها من تنفيذ جريمة الخداع والخيانة !

***

ولدينا فى مصر والشرق من عبيد فرنسا من يقولون لنا : لا تكتبوا هكذا ، لئلا نخسر صداقة فرنسا . ونحن ـ كمصريين ـ لا بد أن نلاحظ مصالحنا القومية ، وألا نندفع مع حماسة العاطفة !

إلى هؤلاء العبيد أوجه سؤالى : متى كانت فرنسا صديقتنا ؟ متى وقفت فى صفنا مرة واحدة فى التاريخ كله ؟ وفى أى مظهر من المظاهر تمثلت لنا صداقة فرنسا ؟

فرنسا هى التى قادت الحملات الصليبية على الشرق العربى منذ تسعة قرون ، وكانت جيوشها الصليبية أشد جيوش الصليبيين ضراوة وإجراما وفتكا

وفرنسا هى التى خانت مصر فى قناة السويس ، فاستغفلت « محمد سعيد » والى مصر نطبق من « الماكرونة » بواسطة ديلسبس المحتال الذى تحتفظ مصر بتمثاله على مدخل قناة السويس إلى هذه اللحظة . وسرقت ملكية القناة من مصر ، وقد أنشأتها فى أرضها بمالها وعمالها ونصيبها من الربح ، وحقها فى الإشراف . وهى تعمل اليوم جاهدة لإتمام سرقة القناة فى نهاية مدة الامتياز بوسائل شتى

وفرنسا هى التى خانت عرابى ، ومهدت للاحتلال الإنجليزى ؛ ومعركة التل الكبير ما كانت لتتم لولا خيانة ديلسبس لعرابى . وما كانت الجيوش الإنجليزية بقادرة على هزيمة مصر فى معارك تقع من الغرب فى الدلتا . ولكن الخيانة الفرنسية قد آتت ثمارها وما زلنا نعلك هذه الثمرة المرة حتى يومنا هذا

وفرنسا هى التى قاومت كل المقاومة إلغاء الامتيازات فى مؤتمر مونتريه وعرقلت جهود مصر فى إزالة آثارها النهائية . وكانت تعض على هذه الامتيازات بعنف ، فلا تدعها تفلت إلا بعد معارك حامية فى المؤتمر لا نزال نذكرها

وفرنسا هى التى وقفت تسند إنجلترا بعنف فى مجلس الأمن ضدنا . وكان لسان مندوبها فى المجلس هو أقسى الألسنة علينا . وقد تجاوز حد الجدل السياسى إلى الوقاحة والسباب والتهكم . وهذه محاضر مجلس الأمن بخصوص قضية مصر القومية الكبرى تشهد بمدى « صداقة » فرنسا !

وفرنسا هى التى تحارب ثقافتنا وكتبنا وصحافتنا فى الشمال الإفريقى كله . ولقد عجز الدكتور طه حسين وهو فى وزارة المعارف — وهو أصدق أصدقاء فرنسا — أن يفتتح معهدا لمصر فى الجزائر . أو حتى فى طنجة التى تحكم دوليا بسبب تعصب الصديقة الكبرى فرنسا !

وفرنسا هى التى تحارب جلاء الجيوش الإنجليزية الآن عن مصر ، وتكافح كل حركات التحرير — لا فى الشرق العربى وحده ، بل كذلك فى جميع أطراف الدنيا — ومع هذا كله فإن فرنسا هى حامية الحرية الكبرى !

هذه هى صفحة « صداقة فرنسا » فأى سطر فيها هو الذى نخشى أن نشوهه أو أن نطمسه . ومتى وأين وكيف كانت هذه الصداقة التى نخشى عليها ؟ !

***

وبعد فإن الكلمات لم تعد تجدى .. إنه لا بد من إجراء

الاسلام دين الفطرة والحرية

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

رحم الله الأستاذ عبد العزيز جاويش فقد أمضى عمره مكافحا دون وطنه ودون دينه . وخرج من الدنيا كما خرج المجاهدون أمثاله من غير نسب ولا جاه ولا مال . وحسبه من مجد الدنيا وزخرفها أن يذكره الناس من بعده بكل خير وجمال ومعروف ، وأن يبعثوا إليه فى متواه الأخير بتحيات عاطرة خارجة عن حدود المادة وحدود الضرورة ، إنما هى تحية روح إلى روح ، جزاء ماقدم للدين والوطن من نفسه وماله ونشاطه

لم تكن حياة هذا البطل المجاهد سهلة ولا ميسرة ، وهو لم يرد أن يقنع فى حياته هذه بما ييسر لكثير من الناس ، فيرضى به ، ويقبل عليه ، ولا يرى بأسا فى الركون إليه ولو إلى حين ، فيكفى نفسه مشقة الجهد والبذل والدءوب . بل أرادها حياة واسعة فى مجال واسع ، حتى يستشعر لذتها وبهجتها ، كلما ضرب هنا وهناك فى فجاج الأرض وأقطار المعمورة ، وكلما جرد قلمه منافحا عن وطنه الذى ذل تحت أقدام المستعمرين . وكلما سود الصحائف فى تبيان أهداف دينه وأغراض الدعوة الإسلامية المباركة

وما كان الإنجليز ليرضوا عن هذا الوطنى الحر والتدين عميق الإيمان ، فطاردوه من مكان إلى مكان . وكانوا وراء كل محاولة لإيذائه أو إعناته أو إخراجه من وطنه مصر . ولذلك لم يكد يستقر به المقام فى هذه البلاد . فكان دائما يضطر إلى الاضطراب فى بقاع أخرى من العالم ، يجاهد فيها فى سبيل وطنه ودينه ما أتيحت له الأسباب والوسائل ، فإذا ماسنحت فرصة لرجوعه إلى الديار مرة أخرى ، رجع غير محس ضجرا ولا خوفا ولا ضعفا ، واستأنف جهاده الذى لاينقطع إن فى مصر وإن فى غيرها ، وعاد إلى التحرير والكتابة فى الصحف التى كانت ترحب بما يكتب وتفسح له فى صفحاتها مكانا محمودا

وقد رأس عبد العزيز جاويش تحرير (اللواء) بعد مصطفى كامل ، وأخرج مجلة (الهداية) لإفهام المسلمين أسرار القرآن وهو فى مصر ، ولما أبعد إلى تركيا أعاد إصدار هذه المجلة ، وأصدر مجلة (الهلال العثمانى) ومجلة (الحق يعلو)

وقد حوكم أكثر من مرة بسبب مقالاته الوطنية اللاذعة فى اللواء ، كمقاله (دنشواى أخرى فى السودان) ، وكمقاله (ذكرى دنشواى) ، وكمقدمته لكتاب (وطنيتى) الذى وضعه على الغاياتى

واشتغل بعض الوقت بالتعليم . وتولى منصب المفتش الأول للغة العربية . وكان أستاذا للعربية بجامعة أكسفورد . وعين مراقبا عاما للتعليم الأولى وأدخل عليه إصلاحات كثيرة ، ووضع أساس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأعاد إصلاح كلية

يتخذه كل بلد عربى – بل كل بلد إسلامى – لكفاح فرنسا . وكفاح العالم الاستعمارى الذى يسندها

وأول إجراء فى نظرى يجب أن يتخذ هو إقصاء المسبحين بحمد هذا العالم من حياتنا الفكرية والشعورية . إن لم يمكن إقصاؤهم من حياتنا السياسية والاقتصادية . لأن قوى الاستعمار تسندهم ، وتمكن لهم فى وظائف الدولة وفى الأسواق ودوائر الأعمال

إنه لا بد أن نتحرر فكريا وشعوريا من عبادة «العالم الحر» . العالم المتحضر ، العالم الذى يغتال الزعماء ويمثل بجثثهم فى نذالة . والذى يلقى بالجرحى إلى الكلاب المتوحشة لتنهشها . والذى يتجمع كالوحوش الهائجة على شاب ملون فلا يتركه حتى والدماء الغزيرة تتفجر من فمه وأنفه ورأسه

وحين تتحرر مشاعرنا من عبادة هذا العالم المتعفن . وحين تتجمع أحقادنا المقدسة ضد هذا العالم ، حين نمسى ونصبح وهذه الأحقاد المقدسة تغلى فى عروقنا .. حينئذ سنعرف كيف نتخلص من العبودية . إن عبودية الضمير هى التى تخضعنا . فلنتحرر منها أولا ، ولنخرس كل صوت ، ولنكسر كل قلم يحدثنا حديث العبيد . العبيد الكثيرين المنتشرين فى مصر والعالم العربى

سيد قطب

صلاح الدين بالقدس الشريف وعهد إليه بإدارتها

وأسهم فى جميع التبرعات وإرسال الأسلحة وتهريب القواد الأتراك إلى طرابلس لمقاومة الغزو الإيطالى . وحين أعدت قوة من الجيش التركى فى سنة ١٩١٥ لتخليص مصر من الاحتلال الإنجليزى اشترك فيها

وإذا ضاقت به مصر خرج إلى تركية أو ألمانية أو سويسرة وأصدر مجلة (العالم الإسلامى) الوطنية فى تركية . وأصدر مجلة فى سويسرة ومجلة فى ألمانيا .

من هذا ترى أن الرجل كان شعلة من النشاط الدافق . وكان نشاطه منوعا فحينا يكتب فى الصحف . وحينا يصدر المجلات بلغات مختلفة . وحينا يجمع التبرعات ويسهم فى تحرير الوطن الإسلامى من الغزو الأجنبى . وحينا يصلح برامج التعليم ويشرف على بعض فروعه ونواحيه . وحينا يكتب محررا وطنه صابا لعناته على المستعمرين وأعوانهم . وحينا يكتب مدافعا عن الإسلام شارحا دعوته مبددا للشبهات التى يثيرها أعداؤه . وهو حينا فى مصر . وحينا آخر فى تركية أو ألمانية أو سويسرة أو إنجلترة وكان يوجه كل هذا النشاط إلى الخير ، لايألو فى ذلك جهدا ، ولا يرى بابا إلا طرقه ، غير طامع فى منصب أو مال أو جاه

وفى الحق أن الأستاذ عبد العزيز جاويش كان من الأبطال المجاهدين ، الذين أخلصوا لله وللوطن من غير أن يعلنوا عن أنفسهم وجهادهم ، ومن غير أن يطلبوا على مافعلوا أجرا ولا جزاء ، حتى تخطاهم إلى الظفر والفوز كل مهرج دعى أفاق

وكتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) الذى ألفه الأستاذ عبد العزيز جاويش يتفق وطبيعة مؤلفه المكافحة . فالمؤلف لم يرض بالذل ولا بالاستعمار ولا بالخنوع ، ولم يرض بالقيود التى تعوق الإنسان عن أداء رسالته التى تؤهله لها فطرته ، فهب مناديا بالتحرر من الاستعمار والجهل والطواغيت . والكتاب كذلك لم يرض بالظلم الواقع على الإسلام ، ولا بالدعاوى الفارغة التى يتهم بها زورا ، ولا بالتقليد الذى حد من قدرة المسلمين وجعلهم آلات من غير وعى ولا إدراك ، فكان هو الآخر صوتا ناطقا بما للإسلام من حق مجحود ، وبما له من ميزات سامية تحمل الناس فى رفق على العدل والإنصاف والحرية والكرامة

ولكى نفهم قيمة هذا الكتاب ، وهو كتاب قيم لامراء ، يجب أن نعرف أن الفترة التى كتب فيها هى الفترة التى كان الاستعمار يطرق بمطرقته الآثمة كل معاقل الحرية والأمان والنور فى مصر . كان يحاول أن يشككنا فى قدرتنا ، وفى اقتصادياتنا ، وفى علمنا ، وفى ديننا ، وفى معنوياتنا التى نستند إليها فى الظروف العصيبة والمحن الملمة . وكان هذا ، ليخلو له وجه البلد ، فيصنع مايشاء ، ويوجهه إلى حيث يريد . وكان يتابعه فى ذلك كثير من أبناء الوطن من المسلمين وغيرهم . وكان هو يعتمد على هؤلاء الشايعين له فى تحقيق أغراضه وإذلال البلاد وإهانتها ، ممثلا ذلك فى زعمائها الأحرار ، ودينها ، وأخلاقها ، ومواردها كلها . وفى ذلك الحين شن المستعمرون والمبشرون والمقلدون من المسلمين على الإسلام حربا واسعة . واتهموه بكثير من الاتهامات الباطلة ، فألقوا فى قلوب المسلمين وعقولهم أن الإسلام لم يعد يصلح أساسا لحياة أمة حرية بالتقدير والاحترام . ولم يكن المسلمون الأكفاء ليرضيهم هذا التجديف فوقفوا له واعترضوا طريقه . وقفوا فى وجه الاستعمار ، وفى وجه المبشرين ، وفى وجه المقلدين من أبناء الإسلام ، وفى وجه الجهل بشؤون الدين وشؤون الحياة عامة

قيل إن الإسلام انتشر بالسيف ولم ينتشر بالحجة والاقتناع ، وقيل إن الإسلام أباح للمسلم أن يعمد إلى الطلاق ليتخلص من زوجته دون قيد ولا شرط . وقيل إن الإسلام رضى عن الرق وأباحه . وقيل إن نبى الإسلام لم يكن إنسانا سويا حين تزوج كثيراً من النساء ، وحين زوج امرأة زيد بعد طلاقها . وهذه كلها موضوعات دار حولها البحث ، وعرضها كتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) عرضا مفيدا ، وأبان عن وجهة الإسلام فى هذا كله ، وأظهر الناس على حقائق الأمور فيما يتعلق بعدل الإسلام وإنصافه وحكمته ومراعاته صالح الأفراد والجماعات فى كل قوانينه وأصوله ، فلم يكن دينا إباحيا ولا ظالما ولا قاهرا بالسيف ولا غابنا الإنسان حقه وحريته .

وإذا كان للصليبيين والاستعماريين عذر فيما يدعون ، فإنه لاعذر للمسلمين الذين طمس الجهل والغرور على عيونهم وبصائرهم ،

والذين يجرون وراء الأوربيين متابعين لهم فيما يرون من رأى ويصطنعون من مذهب . وقد جدف علماء المسلمين كثيرا فى تفسير القرآن ، وفى تأويل الحديث ، وفى الفهم عن موارد الإسلام النقية ، حتى كانوا — من حيث يعلمون أو لا يعلمون — عونا لأعداء الدين ، بل كانوا أشد إيذاء له وتكديراً لصفوه ، فاتخذت أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام لا حجة له « إن النقائص التى مثلت بالإسلام فى أعين غير أهله ، إنما نشأت من اعتبار أعمال الخلف الصالح ، ميزانا لتقدير قوانين الشرع ونواميسه ، فمن قائل بسدباب الاجتهاد ، ومن إمام أو خليفة قضت عليه أغراضه البهيمية أن ينتهك حرمات الله ، ثم يحارب الله فينسب إليه ماليس من دينه فى شىء ، ومن عالم اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فأفتى بما يطابق أهواء ملك أو أمير تذرعا إلى الزلفى منه ، ومن أحمق أرعن لم يرض من اليسر مارضى الله لعباده فشط بالناس واعتسف بهم ، حتى ضاقت نفوسهم ، وأيقنوا بالعجز عن احتمال تكاليف الدين فانقطعوا عنه ظانين بالدين الظنون »

والدعوة الإسلامية دعوة تهذيبية اجتماعية إصلاحية . ولكن كثيرا من المسلمين لم يرموا إلى هذه الغاية فى تفسيرهم القرآن الكريم ، ففسروه على وجوه مختلفة ، لا على هذا الوجه الذى يؤدى إلى غايته الرفيعة . منهم من فسره تفسيرا علميا فلسفيا مستوحيا الحقائق العلمية والنظريات الفلسفية . ومنهم من حشاه بالإسرائيليات التى لا تغنى كثيرا ولا قليلا . ومنهم من عنى بالنكات البلاغية والفوائد النحوية . ومنهم من جعل للقرآن ظاهرا وباطنا ، فالظاهر للعوام ، والباطن للخواص ، مع أنه قرآن عربى صريح واضح . ومنهم من أول بعض الآيات تأويلا سيئا يصرفها عن غرضها الذى سيقت له إلى أغراض أخرى ليست من الإسلام فى شىء

هذه الجهود المختلفة فى تفسير القرآن ، لم تكن على بصيرة من هدف الدعوة الإسلامية ، ولم تكن تستقى من منابع الإسلام الصافية ، ولذلك ضلت الطريق السوى فى خدمة الإسلام والمسلمين ولو أنفق المسلمون جهودهم فى الاستنارة البصيرة ، وفى الاجتهاد القويم ، وشرح أهداف الإسلام كما يرسمها القرآن والحديث ، لما كانت هذه الدعاوى المزورة التى يقصد بها الإزراء على الإسلام وعلى نبيه وعلى مبادئه وغاياته

إن الإسلام يجل الحرية . ذلك لأن أنسامها تنفس عن الصدور والعقول والأفئدة ، وترق بالإنسانية مصعدة فى مدارج الكمال ، وتضفى على أعمال الإنسان وأقواله وأفكاره وشاح الشخصية الأصيلة . وقد بسط الأستاذ عبد العزيز جاويش موقف الإسلام من الحرية بسطا رائعا لا يخلو من تعمق وفهم لأسرار الشريعة الغراء . وهو يستدعيك إلى التسليم بما يقول حتى فيما يرى من رأى مخالف لرأى جمهور العلماء . وهذا الخلاف نفسه يجعلك تؤمن بأن الرجل نقى السريرة لا يرمى إلا إلى عزة الإسلام والمسلمين

لم يقصر الإسلام فى ذات الحرية ، بل دعا إليها ، وجعلها أساسا لبناء المجتمعات وصيانة الأفراد ، وأنحى على المقلدين باللوم العنيف ، وراح يجأر بالدعوة إلى التفكر والتدبر ، دون مشايعة لرأى موروث أو فكرة بذاتها ، وقرر أن الذين لا يستخدمون أبصارهم ومسامعهم وقلوبهم فيما خلقت له هم كالأنعام بل أضل « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وأكثر من هذا أن الإسلام لم ير الإكراه فى العقيدة ، بل ترك الحرية لكل إنسان يختار من العقائد والمبادئ ما يشاء « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

وإذا كان لا إكراه فى الدين ، ولا إكراه على اتباع عقيدة معينة ، فلم أباح المسلمون قتل المرتد ؟ ولم شنوا هذه الحروب فى صدر الإسلام على الذين شقوا عصا الطاعة وكفروا بالدين أو ببعض مبادئه ؟ وهنا نجد الأستاذ عبد العزيز جاويش يجيب فى صراحة تامة أن المرتد نوعان : نوع ارتد عن الإسلام أو بعض مبادئه من غير أن يعلن حربا أو يساند عدوا أو يدل على عورة فى الجبهة الإسلامية ، وهذا لا يجوز قتله ، لأن آيات القرآن الكريم لم تشرع حكما يجوز أن نؤاخذهم على أساسه ، بل إن الإسلام يرى عدم الإكراه فى العقيدة ولا على اتباع فكرة بعينها ولو كان هو هذه العقيدة أو تلك الفكرة . ونوع ارتد عن الدين ، وصار حربا

عليه ، وأعان الكفار على المسلمين، ودل على مواطن الضعف فيهم وهذا يقتل ويحارب ، لأن الشرائع المنزلة والوضعية قبل الإسلام وبعده أباحت قتل المحارب واتخذته عدوا . أما الذى حدث على عهد الخليفة أبى بكر ، من قتل المرتدين ولو لم يحاربوا ، فرجع ذلك إلى أن الإسلام كان فى أول عهده ضعيفا يخشى الانتقاض عليه والإيقاع به ، ولذلك قتل كل خارج عليه بعد أن اعتنقه ، حتى يأمن على نفسه فى أول أمره

وقد حمل الإسلام الزنادقة على حكم المرتدين. فالزنادقة قتلوا فى أول الأمر زمن على بن أبى طالب ، لأن الإسلام كان يخشى الدسائس ، وكان يعمل على أن يؤمن حياته وحياة أتباعه فى هذه الفترة الأولى من حياته . أما بعد أن آمن ، وقوى ، واشتد ، ولم يعد يخشى المكائد ولا الانتقاض ، فلا يجوز أن يقتل الزنديق ، كما لا يجوز أن يقتل المرتد ، وإن كانا ينصحان ويستتابان أبدا ، عملا بمبدإ الحرية الذى أقره الإسلام وحماه ودعاه إليه

والإسلام لا يخشى العلوم المختلفة ولا المعارف الكونيـة . وهو الذى وسع فلسفة اليونان وحكمة الهنود ومعارف الفرس . ودفع المسلم إلى استقبال العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، عن المسلمين وعن غيرهم ، لأن العلم الصحيح لا وطن له ، ولأن العلم الصحيح من الحقائق الكونية التى لا تبدل ، ولأن الحرية أصل كريم فى الحياة الإسلامية « لذلك كان شأن القرآن إزاء العلوم ، وقد كان من موسوعاتها العلوم العقليات من الرياضية والطبيعيات وما وراء الطبيعة ، فهو الذى قام بالدعوة إليها ، والترغيب فى البحث عن دقائقها وأسرارها ، وهو الذى ببركته وجد بين المؤمنين آلاف من أمثال : الكندى ، ومحمد بن موسى الخوارزمى ، ويحيى ابن أبى منصور ، والعباس بن سعيد الجوهرى وأحمد بن كثير الفرغانى ، وجعفر بن محمد البلخى ، ونصير الدين الطوسى ، وثابت ابن قرة ، وعمر الخيام ، وابن سينا ، وابن رشد ، وأبى الحسن ابن الهيثم ، وأشباه هؤلاء من فطاحل العلوم الرياضية والطبيعية والأثقال والموسيقى وغيرها »

لم يكن الإسلام إلا دينا حرا ، يرعى العقل ويحترمه ، ولا يميل إلى إلزام أحد شيئا . فهو واسع العلوم المختلفة والفلسفات المتباينة ، وهو لا يقتل المرتد المسالم ولا الزنديق الذى يهادنه . وهو ندد بالمقلدين ودعا إلى التفكر والتدبر وإلى العلم الصحيح والنظر السليم. وأنت تعلم أن الكفار فى أول العهد بالدعوة المحمدية قد طلبوا من النبى — على سبيل التحدى والتعجيز والمشاقة — معجزات كونية ، كأن يأتى بالله والملائكة قبيلا ، وكأن يرقى فى السماء ولن يؤمنوا لرقيه حتى ينزل عليه كتاب يشهد بصدقه ورسالته ، وكأن يكون له بيت من زخرف وجنات من نخيل وعنب قد فجرت الأنهار خلالها تفجيرا . وأنت تعلم أن النبى لم يجبهم إلى هـذا ، لأنهم يعجزونه ، ولأنهم لن يؤمنوا مهما أتوا من المعجزات ، ولأن الإسلام لا يريد أن يكبتهم ويحملهم على اعتناقه والإيمان به ، إذ هو دين الحرية والاختيار الخالص . ولكن كيف يكون ظهور المعجزة إلزاما وحملا للمشركين على الإسلام ؟

الحقيقة التى جرت عليها السنة الإلهية فى الأمم السابقة ، أن الأمة من الأمم إذا طلبت معجزة وحققت لها هذه المعجزة ، ولم تؤمن بها وتنزل على مقتضاها ، عجل الله لها الخسف والعذاب والإبادة . ومعنى هذا أن الأمة كانت بمنطوق المعجزة ومفهومها تحمل الناس على الإيمان برسالة الرسول الذى ظهرت على يديه ، وإلا فالعقاب والإهلاك . أما الإسلام ، فلأنه دين الحرية الذى لا إلزام فيه ولا حمل ، ولأن المعجزة الكونية كان يتبعها الإيمان أو العذاب — فلم يستجب إلى ماطلبه المشركون من هذه المعجزات الكونية ، حتى لا يكون ثمة حمل على الإيمان به ولا إلزام للمشركين أن يتبعوه

هل لنا أن نعرف وجوه الجمال فى هذا الدين التى كثر ماأغضينا عنها ! وهل لنا أن نعرف المجاهدين الأبرار الذين أنفقوا أعمارهم وحيويتهم فى سبيل الدين والوطن ! وهل آن أن ترجع الحقوق المهضومة إلى أصحابها فيتسنموا الذروة اللائقة بهم ! إن الدين قد أساء إليه أبناؤه المرتزقون ، وإن الوطن قد غلب على أمره بفعل المهرجين أدعياء الوطنية ، وها نحن أولاء الآن فى عهد بوادر الكرامة والعدل والحرية ، وما أظن هـذا العهد يحرم المخلصين جزاءهم ، ويجحدهم فضلهم ، بل يرفعهم إلى مكانهم فى الخالدين — الأحياء منهم والأموات سواء

محمود عبد العزيز محرم

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٣ —

بداية الشوط

انتهى المازنى من مرحلة الدراسة الثانوية . وبقى عليه أن يختار لنفسه الاتجاه الذى يؤثره فى المرحلة النهائية . وقد اختار مدرسة الطب ، لأنها كانت المجال الذى آثره غير واحد من ذوى قرابته ، ولأن « مصروفاتها المدرسية » كانت مما يدخل فى طوقه ، « . . ولكن ناظرها الدكتور كيتنج رمى لى بأوراق فى الشارع ، لأنى يوم الكشف الطبى دخلت قاعة التشريح فرأيت جثة منتفخة تفوح منها رائحة نتن خبيث ، فدار رأسى وأغمى على »

وطرق باب مدرسة الحقوق وهى أقرب إلى ملكاته ، وكانت نفقاتها كذلك مما يقدر عليه . على أنه لم يكد يتقدم إليها حتى ضوعفت « مصروفاتها » فارتد عنها حائراً لايعرف إلى أين يصير

وكان القدر ينسج بعض خيوط هذه الحياة المضطربة ، حياة المازنى ، حين أعلن فى ذلك العام افتتاح مدرسة المعلمين العليا . وعرف المازنى أن التعليم فيها بالمجان ، وأن مدة الدراسة سنتان ، بل إنهـا ، فوق ذلك ، تمنح تلاميذها مكافآت شهرية يسيرة ولكن لابأس بها فى ذلك الحين . واجتذبت المازنى كل هذه المزايا إلى المدرسة ، فألقى فيها بنفسه ، على كره ، بعد أن ردته الطب والحقوق

وفى مدرسة المعلمين لم تكن مواد الدراسة كثيرة ولا البرامج طويلة ، ولا تخصص فيها

ويقول الأستاذ العقاد « كان الطالب فى تلك المدرسة يستعد لتدريس الرياضة والجغرافية أو التاريخ فى الوقت الواحد . . فأوحت سليقة الأدب إلى هذا الطالب الجديد على المدرسة أن يهدى أساتذتها إلى التفرقة بين ملكات العلوم وملكات الآداب ، فقد أضرب عن تعليم الرياضة ، بل أضرب — كما قال لى — عن فهمها ومذ كرهها . وذهب مع زملائه مرة فى زيارة من زيارات التدريب التى تمتحن فيها خبرة المعلم الناشىء بصناعته ، فكان زملاؤه يختارون درساً فى الحساب أو درساً فى الجبر أو درساً فى تقويم البلدان ، وأبى هو إلا أن يختار لدرسه أبياتاً من الشعر العربى ، يشرحها على طريقته ، ويتكلم عن ناظمها ، ويبين فى سياق شرحها مزايا الشعر العربى بالقياس إلى أشعار الأمم الأخرى »

واستطاع طلبة الدفعة الأولى بالمدرسة — وكانوا سبعة وعشرين طالباً ليس إلا ، أصغرهم سنا صاحبنا المازنى — أن يقفوا أوقات فراغهم ، فى المدرسة ، على المطالعة الخاصة . وكانت لهم فى الأسبوع ثمانى ساعات لايتلقون فيها أى درس . ووجدوا الحث والتوجيه والتشجيع من الناظر والأساتذة . ويقول المازنى عن ناظر المدرسة الإنجليزى لذلك العهد ، الدكتور دلينى ، أنه كان عالماً واسع الاطلاع ، « فكان إذا رآنى أستعير كتاباً من مكتبة المدرسة يعدنى بأنه يعيرنى كتابا من عنده فى موضوعه . وينجز وعده ، ثم يتركنى أياماً ، حتى إذا لقينى مصادفة فى فترة من فترات الاستراحة بين الدروس ، أقبل على وراح يحدثنى عن الكتابين ، دون أن يسألنى عنهما ، أو عما قرأت منهما ، ثم يمضى عنى . فكان هذا يضطرنى إلى العكوف على الكتب وكانت هذه إحدى وسائله لتشجيعنا على القراءة والاطلاع »

ومن المحامد التى تذكر لمدرسة المعلمين ، ولناظرها الدكتور دلينى على التخصيص ، أنه كان أول من ثنى عنان الاهتمام فى نفوس تلاميذه نحو طائفة من أدباء الإنجليز ونقادهم من أمثال ماكولى وكارليل وهازلت ولى هنت . فشاعت كتبهم بين ناشئة ذلك الجيل وساعدت على تنوير الأذهان وتحويلها إلى معنى الأدب الصحيح

ولا ريب أن مالمسه المازنى من هذه الروح قد شحذ فيه موهبته الأدبية ، فأقبل على الدرس والقراءة والتحصيل ، وحفزه الجو

الذى كان يضطرب فيه وتمتلئ بهواته كلتا رئتيه ، إلى المثابرة والتوفر على ثمار القرائح فى شتى الآداب . وكان من زملائه فى المدرسة من له مثل ميله إلى الأدب والكتابة فاتصل بهم ، وعرف منهم فى ذلك الحين الطالبين محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى ، وكان كلاهما واسع الاطلاع على الأدبين العربى والإنجليزى . وقد أخرج شكرى الجزء الأول من ديوانه وهو بعد طالب بالسنة الأولى وكان له فى الوسط الأدبى ضجة كما كان السباعى يكتب فى « الجريدة » . وكان هذا بمثابة الدافع والحافز للمازنى ، فعالج الكتابة والشعر ، وبدأ ينشر فى الصحف منذ عام ١٩٠٧ . وتوثقت الصلة بينه وبين شكرى ، أو كما يقول « فصار أستاذى وهو زميلى ، وكان ينقصنى التوجيه فتولاه شكرى »

ووسع المازنى ، وهو طالب بعد ، أن يقتنى حاجته من الكتب .. « وكان موظفو مكتبة « ديمر » يعرفوننى ويأتمنوننى لكثرة ما أشترى منهم ، وهو فى كل شهر فوق الكفاية لشهور . ومع ذلك غافلتهم وسرقت طبعة جيب لروايات شكسبير ! وإن كانت عندى مجموعة كاملة منها بشروحها وتفاسيرها ! »

وكان كما يقول كثير الغياب عن المدرسة ؛ « لأنى كنت أسهر إلى الصباح أقرأ وأحاول أن أفهم ، ثم أنام فأتخلف . فدعانى ناظر المدرسة ، المرحوم إسماعيل حسنين باشا — عليه ألف رحمة — وقال لى يابنى إنك « حمار » فى العلوم الرياضية ، وأنا أخشى عليك الرسوب ، ولا ألومك على التخلف مادام هذا عذرك ، فخذ إجازة خمسة عشر يوماً ، واقرأ ما شئت ، ثم واظب بعد ذلك على الحضور »

وظل هذا نهمه بالقراءة المتقصية العميقة وعكوفه على الكتب ومنها الجاف العويص مثل « أصل الأنواع » لدارون . ولم يصرفه تخرجه واشتغاله بالتدريس عما كان فيه

ويروى المازنى أنه اتفق يوماً أن كان فى مقهى فيما يعرف الآن بميدان الإسماعيلية ، « .. وكان معى كتاب الشاعر على مائدة الإفطار لويندل هولمز ، وكنت أقرأ فيه . فمر أستاذى فى الأدب الإنجليزى ، فنهضت لتحيته ، فقال لى بعد كلام ، لقد أصبحت موظفاً وأكبر ظنى أنك انصرفت عن القراءة والاطلاع ، فأريته الكتاب فربت على كتفى وقال ، هذا ما أرجو ، أن تظل تقرأ وتقرأ ولا تشبع ، وأن تحرص دائماً على أن تضيف عقولا إلى عقلك »

ولعل الإنصاف يقتضينا أن نزيد هنا كلمة حق . فقبل أربعين سنة ، لم يكن يتيسر لطلاب الأدب فى مصر سبيل القراءة الأدبية كما تتيسر لطلاب اليوم . فقد كانت أمهات الكتب العربية — فى الأغلب — لا تزال مخطوطة فى دور الكتب العامة أو المكتبات الخاصة ، وكان ما طبع منها فى مصر أو الشام ، على ضآلته ، حافلا بالنقص والتشويه والتصحيف . وقد بلا المازنى معاناة هذه الكتب فى عهد الطلب ، وراض نفسه على الجد والتشدد ومصابرة الجهد فى سبيل الوصول إلى غايته وإشباع رغبته

ونسوق هنا قصته مع كتاب « الأغانى » وكان من أول ما اقتنى من الكتب ، وكانت نسخته التى وقعت له من طبعة ناقصة مشحونة بالخطأ والتصحيف فى كثير من مواضعها . فعمد إلى أجزائه يفكها « ملازم » وجعل يحملها معه ملزمة ملزمة إلى دار الكتب ويراجع النصوص نصا نصا ، وبيتاً بيتاً ، ويدون التصحيح أو التكملات على ورق أبيض أعده لذلك ، وصار يلصق الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، وهكذا إلى آخر الكتاب بأجزائه التى تربو على العشرين

ومثل ذلك قصته مع ديوان « الشريف الرضى » — والشريف أول من اتجه إليهم المازنى وآثرهم بميله من شعراء العربية — فقد وقعت له نسخة من مطبوعة الهند ، ويقول المازنى إنه لم يسلم فيها بيت واحد من التحريف والتشويه حتى أعياه فهم الديوان وكاد اليأس أن يصرفه عنه . على أنه أقبل عليه يعالج تصحيحه ، وقضى فى ذلك قرابة عامين ، يوفق حيناً ويخفق أحيانا . حتى عثر فى النهاية على نسخة من طبعة بيروت — وهى أسلم وأصح فى مواضع — فاستراح إليها

أما قصته مع ديوان « ابن الرومى » فهى أعجب . ذلك أن الديوان بقى مخطوطا منسيا يكاد لا يذكره أحد ، حتى التفت إليه أساتذة المذهب الجديد . فشرع المازنى فى نقله عن إحدى نسختيه — وصادف أنها كانت أردأهما خطا وأكثرهما غموضا — ثم عكف عليه سنوات طويلات المدد ، يعالجه بالضبط والتصحيح

٧ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الأزلام المدنية

لم يكن نظام الاستقسام بالأزلام نظاما موحدا يظله ظل الوثنية ، بل كان إلى جانب هـذا النظام الدينى نظام آخر مدنى يلمحه الباحث من ثنايا أخبار العرب

١ — جاء فى اللسان[١] تعليقا على قول سراقة : « فأخرجت الأزلام [٢] » ، قال : « وهى القداح التى كانت فى الجاهلية ، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له فإذا أراد سفرا أو رواحا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما ، فإن خرج الأمر مضى

(١) لسان العرب مادة (زلم)

(٢) أنظر ما سبق فى المقال الرابع (١٠١٢ ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩)

ورد المحرف والمصحف وما أكثره . وأغرى بحفظه حتى كاد أن يأتى عليه

تلك كانت ، فى حياة المازنى ، بداية الشوط وفاتحة الكتاب . . وهى بـداية لم تـكن تبعث كثيرا على الأمل أو تغرى بالثقة والاطمئنان ، فقد كانت فى جلتها تجربة قاسيـة من تلك التجارب التى تمتحن بها معادن الرجال ؛ اتسمت ، كما رأينا ، بالعسر والجهد والـكفاح ، وزادها وطأة على وطأتها ما كان يحتدم بنفس المازنى الشاب من إرادة الحياة وقوة الإحساس بها ، وما كان يرد عليها من عواطف ومشاعر لم تـكن لتجد سبيلهـا إلى الاستعلان بله الانطلاق. ولقد كان صبر المازنى على هذه التجربة القاسية وصموده لها إحـدى عجائب بنيته المستدقة التى كانت تزيدها مشقة العمل وبهاظة العبء — فى كافة مراحل العمر — فرط جلد ومصابرة واحتمال ... وكأنما كانت الآلام والأعبـاء نصيب المازنى المقدور فى الحياة ، وكأنما كان مهيأ لها بطبيعته وتـكوينه منذ صباه

(يتبع) **محمود محمد حمدان**

لشأنه ، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله »

٢ — وجاء فيه أيضا : « وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما فى قرابه ، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »

٣ — وقال أبو حيان [٣] : « وأزلام العرب ثلاثة أنواع : أحدها الثلاثة التى يتخذها كل إنسان لنفسه ، فى أحدها (افعل) وفى الآخر (لا تفعل) ، والثالث غفل ، فيجعلها فى خريطة ، فإذا أراد فعل شئ أدخل يده فى الخريطة منسابة وائتمر بما خرج له من الآ ر أو الناهى . وإن خرج الغفل أعاد الضرب

ثم ذكر النوع الثانى ، وهى القداح السبعة التى كانت عند « هبل » ، والنوع الثالث وهى قداح الميسر

علة تحريم الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام بها على الوجه الدينى المتقدم فلم يختلف العلماء فى تحريمه وأنه فسق ، لأنهم كانوا يلجأون إلى الأنصاب وبيوت الأصنـام ، وكانوا يظنون أنها هى التى تخرج لهم فى القدح ما يمتثلونه [٤]

قال الزمخشرى[٥] : « فإن قلت : لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا ؟ قلت : لأنه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب ، وقال : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ، واعتقاد أن إليه طريقا إلى استنباطه . وقوله أمرنى ربى ونهانى ربى افتراء على الله ، وما يدريه أنه أمره أو نهاه . والـكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وإن كان أراد بالرب الصنم — فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم — فأمره ظاهر »

وأما الاستقسام بهـا على الوجه الآخر الذى لا تدخل فيه الأصنام ولا تستشار الـكهان فأمر اختلف فيه العلماء كما اختلفوا فى طلب معرفة الغيب بأى وسيلة من الوسائل [٦]

قال الآلوسى [٧] : « واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة

(٣) فى تفسيره (٣ : ٤٢٤)

(٤) الميسر والقداح ٤١

(٥) الـكشاف (١ : ٢٤٤)

(٦) أنظر تفصيل ذلك فى الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

(٧) بلوغ الأرب (٣ : ١٦٨)

التفاؤل ، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفأل »

القرعة

بضم القاف ، واشتقاقها من القرع بمعنى الضرب . قال ابن فارس[٨] : « والإقراع والمقارعة هي المساهمة ، وسميت بذلك لأنها شيء كأنه يضرب »

والقرعة قديمة عند العرب ، ولها طرق شتى[٩] :

١ — فمن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ الخواتيم فيضعها في كمه ، فمن أخرج أولا فهو القارع

٢ — وقال أبو داود : قلت لأبي عبد الله[١٠] في القرعة : يكتبون رقاعا ؟ قال : إن شاءوا رقاعا ، وإن شاءوا خواتيمهم

٣ — وعن الأثرم[١١] ، قلت لأبي عبدالله : كيف القرعة ؟ فقال : سعيد بن جبير يقول بالخواتيم أقرع بين اثنين في ثوب ، فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا . قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحدا . قلت لأبي عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعا وتجعل في طين . قال : وهذا أيضا . وقيل لأبي عبد الله : إن الناس يقولون : القرعة هكذا ، يضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها . فأنكرها وقال : ليست هكذا .

٤ وجاء في صحيح البخاري (في حديث الإفك) ، عن عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه » . قالت عائشة : « فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب »

٣ — وعقد البخاري في صحيحه بابا سماه (باب الاستهام في الأذان) ، قال فيه : « ويذكر أن قوما اختلفوا في الأذان ، فأقرع بينهم سعد »

قال ابن حجر[١٢] : « قال الخطابي وغيره : قيل له الاستهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشيء ، فمن خرج سهمه غلب »

وكان من خبر هذا الأذان الذي حدثت فيه القرعة ، ما رواه البيهقي[١٣] عن ابن شبرمة قال: «تشاجر الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد فأقرع بينهم » . وكان المسلمون في الصدر الأول يعدون الأذان أمرا خطيرا يسمون إليه ، ويحفظون في ذلك ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم[١٤] : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا ، والمراد بالنداء في هذا الحديث هو الأذان

وروى الطبري في تاريخه[١٥] حادث هذا الأذان رواية عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق قال : « اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتى الصلاة ، وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ، فخرج سهم رجل فأذن» . وسعد هذا هو سعد بن أبي وقاص

٤ — وقال ابن سيرين[١٦] حين بلغه أن عمر بن عبد العزيز أقرع بين الفطم[١٧] : « ما كنت أرى هذا إلا من الاستقسام بالأزلام . »

فأنت ترى أن القرعة تمت بسبب إلى الاستقسام بالأزلام ، ولكنها لا تمت إليه بسبب الحرمة ، إلا أن يترتب عليها ضياع حق مشروع ، أو تطاول إلى معرفة الغيب وادعائه . أما إذا جعلت وسيلة لفض نزاع ، أو تخل عن مسئولية المحاباة والإيثار ، أو لاستملان البراءة عن الميول الشخصية ، فلا ريب أنها في تلك الحال تكون أمرا مستحسنا

القرعة في الكتب الدينية القديمة

قد مر من طرق القرعة ما كان من أمر زكرياء ويونس عليهما السلام ، وكان في الآيتين الكريمتين اللتين وردتا بشأنهما حجة من حجج الأئمة الأربعة في تجويز القرعة بناء على القاعدة التي

---

(٨) في مقاييس اللغة (٥ : ٧٢)

(٩) أنظر الطرق الحكمية لابن القيم ص ٢٦٥ وما بعدها

(١٠) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، روى عنه من أصحاب الحديث البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، تهذيب التهذيب

(١١) أبو بكر الأثرم البصري ، واسمه حكيم ، أحد تلامذ أحمد ترجم له في تهذيب التهذيب

(١٢) في فتح الباري (٢ : ٩٧)

(١٣) السنن الكبرى (١ : ٤٢٩)

(١٤) رواه البخاري في باب الأذان

(١٥) ليلة القادسية في حوادث سنة ١٤

(١٦) الميسر والقداح ٤٠ — ٤١

(١٧) جمع فطيم ، وهو من يفطم عن الرضاع

تقول : « شرع من قبلنا شرع لنا »

وكانت القرعة عند الإسرائيليين بمثابة استدعاء للأمر الإلهي في القضايا التي تعرض لهم . جاء في سفر الأمثال (١٦ : ٣٣) : « القرعة تلقى في الحضن ومن الرب حكمها » . وهذه الكلمة تسجل أيضا صورة من صور مزاولة القرعة التي تلقى بها القرعة في أحضان المتقارعين

فكان الإسرائيليون يلجأون إلى استفتاء القرعة في كثير من القضايا

١ — منها تبيين المذنب والمخطئ إذا اختلفوا فيه : « فقال شاول : ألقوا بيني وبين يوناثان ابني . فأخذ يوناثان » . صموئيل الأول (١٤ : ٤٢)

٢ — وتقسيم البلاد المقدسة بين الأسباط : « إنما بالقرعة تقسم الأرض. حسب أسماء أسباط آبائهم . يملكون حسب القرعة . يقسم نصيبهم بين كثير وقليل » . العدد (٢٦ : ٥٥ ، ٥٦) . وانظر أيضا سفر يشوع الإصحاحات ١٣ — ١٨

٣ — وفي مزاولة الواجبات الدينية جاء في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا عن الكلام على زكريا : « فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر »

٤ — واختيار الحيوان للذبيحة المقدسة : « ويلقى هارون على التيسين قرعتين : قرعة للرب وقرعة لعزازيل . ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة » لاويين (١٦ : ٨ — ٩)

وقد استعملها أيضا (أعداء) الإسرائيليين ، جاء في سفر (أستير) أن هامان الوزير أراد أن يهلك اليهود ، فكان يصطنع القرعة لكي يعرف الوقت المناسب للفتك بهم في جميع أقطار الأرض : « في الشهر الأول أي شهر نيسان في السنة الثانية عشرة للملك أحشو يروش كانوا يلقون (فورا) أي قرعة أمام هامان من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر إلى الثاني عشر ، أي شهر أذار » وقد استمرت هذه القرعة سنة كاملة . ولكن هامان أخفق في سعيه لدى الملك ، وذلك بالجهود المضادة التي بذلها أستير ومردخاي اليهوديان ، اللذين تمكنا من إحفاظ الملك على وزيره حتى صلبه في اليوم الثالث عشر من شهر أذار ، فاتخذ اليهود يومي ١٤ ، ١٥ من هذا الشهر عيدا سموه « عيد الفوريم » جمع (فورا) وهي القرعة التي كان يصطنعها هامان لتعيين موعد الإبادة

واستعملها المسيحيون ايضا :

١ — فيها انتخب متياس : « ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولا » أعمال (١ : ٢٦)

٢ — واقتسمت ثياب المسيح عليه السلام « اقتسموا ثيابه مقترعين عليها » إنجيل متى (٢٧ : ٣٥) ومرقس (١٥ : ٢٤) ولوقا (٢٣ : ٢٤) والمزامير (٢٢ : ١٨)

للبحث بقية

عبد السلام محمد هارون

دموع البطل !

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« شاهدت صورة للرئيس اللواء محمد نجيب يبكى متأثراً حين جاءته أم تحمل طفلها الصغير فوق ذراعيها ومن حولها أبناؤها الثلاثة تشكو له ما تعانى من حزن ومايقاسى أطفالها من بؤس فأوحت إلى بهذا المقال »

لا تموت الدموع إلا فى عيون الجلادين القساة ، والظالين العتاة الذين يرتكبون جرائمهم الكافرة من غير أن يخفق لهم قلب أو يثور وجدان ، أو يستيقظ ضمير ... فهم كالوحوش الضارية تعدو على الفريسة وتمزقها بأنيابها الحادة غير عابئة بالأنات والآهات ... وهكذا كان الطاغية وأعوانه من السفاحين والإقطاعيين يرون الشعب التعس يكدح فى سبيل اللقمة ، ثم لاينال أدنى الغذاء ، ولا يظفر بأقل الكساء ، ولا يجد ثمن الدواء ؛ وهم فى لهوهم ومجونهم غارقون ، وفى أودية اللذة والضلال هائمون ، يرون بأعينهم الأطفال الذين شردهم بغيهم ، والصغار الذين يتمهم ظلمهم ، والنساء اللواتى ترملن على أيديهم . يرون كل هذا فلا ينبض فيهم عرق بحنان ، ولا تجود لهم كف بإحسان ، ولا تبض عيونهم الجاحدة المتكبرة بقطرة من دمع ، وما يرونه من مشاهد البؤس فى الكبار والصغار والشيوخ والنساء يبكى الصخر الأصم ... ولكنها القلوب التى تتضاءل أمامها الأحجار ، ويتعلم الصخر منها دروس القسوة والجمود ، (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ...)

هذه صورة الأمس المظلم المقيت ، الذى ذهب بخزى الطغاة وعارهم ، أما اليوم فقد أذن الله الرحمن الرحيم لهذا الشعب الصابر أن يقطف ثمرة الصبر التى أينعت ، وأن يستظل بفئ الحرية التى بسقت وأزهرت ، والتى رواها بدمه ، وغذاها بتعبه ، وصانها بروحه ، فخرج من صفوف الشعب القائد النجيب ؛ فكان لمصر المنقذ المخلص ، والحاكم العادل ، والحارس الأمين ، والبطل الحبيب ، فالتف حوله الشعب المظلوم يشكو إليه مالقى من عنت وأذى ، كما يجتمع الأبناء حول أبيهم يبثونه ما بنفوسهم من جراح وآلام ... فلم يترفع الرئيس عنهم ، ولم يشمخ بأنفه كبراً عليهم ، ولم يعتصم بحصن أو يتوارى فى قصر ، بل مشى بينهم فرحاً بهم وفرحين به ، يسمع إلى مايقولون ، ويحقق مايأملون ، ويلبى مايطلبون ، باسم الثغر ، ثابت العزم ، راسخ المبدأ ... يأتيه المظلوم الصادق فيرفع عنه ظلامته ، ويلوذ به الشيخ العاجز فيخفف من مصابه ... وتجيئه هذه الأم المحزونة ومن حولها أبناؤها ، وعلى وجوههم علائم البؤس ، وفى صدورهم لذعة اليتيم ، لأن من كان يطعمهم من جوع ، ويكسوهم من عرى قدمات ... وتركهم صغاراً حيارى يعانون قسوة الأيام ، ولوعة الحرمان ... فيذكر الرئيس البطل أن السماء قد أعدته ليكون أباً لهؤلاء اليتامى ولكل يتيم فى مصر فقير ... فلا يملك قلبه من البكاء ، ولا يقوى على حبس الدموع فى عينيه !

وكيف لا يبكى ؟ وهو الأب الرحيم لهذا الشعب الذى أجاعه ظالموه وأذله حاكموه ، وسرقه حراسه الأشداء ، وروعه طغاته الأقوياء ... بل إنه ليبكى ويسكب الدموع ... دموع الحزن العميق والفرح الغامر ... لأن الله قد اختاره ليمسح مابالقلوب من أحزان ، ويطهر ما بالنفوس من أدران ، ويداوى ما تركه الماضى من علل وأسقام ... وقد أعانه الله فحطم (هبل) البغى والضلال ، وسحق أعوانه وعابديه ، فهو يذرف دموع الفرح لما حقق لأمته وبلاده من حياة حرة كريمة ... فإذا رجع من المعركة الظافرة إلى الشعب رأى ماخلفه فيه المقهورون من مآثم ، وما تركوه من مظالم ، وشاهد فصولا من البؤس حية لايقوى على خلقها الخيال ... فتثور فيه العاطفة الصادقة ، ويشيع فى أوصاله التأثر العميق ، ويخفق قلبه الكبير بالعطف والحنان ... فيبكى ويذرف الدمع السخين !

رعاك الله أيها البطل

إن هذه الدموع التى تنبع من قلبك الطاهر ، وثيقة الرحمة والإخلاص ، وبرهان البطولة والإيمان ، وهى — لعمرى — قصيدة لا يحسنها إلا من وهبه الله قلب ملاك وروح شاعر ، ولها فى القلوب فعل السحر ... ويدرك معناها من خبر هذا الضرب من الشعر !

عمر عودة الخطيب

الـكتاب ولوازمهم

للأستاذ محمد فرحات عمر

دعانى إلى كتابة هذا المقال أمران طالما أثارا من دهشتى وعجبى : أولهما ما راعنى من التزام أكثر كتابنا بعض عبارات لا يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بديلا

وثانيهما مدى دلالة هذه اللوازم على شخصيات ملتزميها ، بحيث يمكن أن تكون عنوانا لها ومرشدا عليها ، ونبراسا مضيئا يكشف لنا عن أغوارها ، وعما يختلج فى لواعجها من مشاعر وميول

وأول مايصادفنا من هؤلاء الـكتاب هو الدكتورطه حسين ؛ فمن لوازمه قوله دائما « مهما يكن من شئ » و« ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ، هذا إلى جانب استعماله للمفعول المطلق استعمالا ظاهرا يثير الانتباه ويدعو إلى الالتفات ! وهذه اللوازم إن كانت جديرة بالاهتمام فهى من حيث أنهـا عنوان أمين لـكيانه النفسى ومسبار صادق لسبر أغوار هذه الميول وتعقب أسباب هـذه الأهواء التى ضربت بجذورها فى أعماق هذه النفس الـكبيرة . فبديا نعلم أن الدكتور طه قد فقـد بصره إبان طفولته ، فلا غرو أن تولد عن هذا فيما أسماه آدلر Addler بمركب النقص الذى كان حافزا له على اصطناع أسلوب تعويض من شأنه أن يحقق تكامله الشخصى كفرد سوى

ويجمل بنا كى ينجلى الأمر أمام القارئ أن نأخذ فى بسط معنى « المركب » وفى التعريف بمعنى « النقص » بغاية الإيجاز ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . أما المركب فنعنى به مجموعة العواطف التى تندس فى العقل الـكامن فتوحى إلينا باتجاهات خاصة وتملى علينا سلوكا معينا قد يستعصى علينا تعليله ونحار فى فهم أسـبابه فقال فرويد Freud بمركب أوديب وقال آدلر addler بمركب النقص معتمدا فى هذا على نظريته الغائية فى حب السيطرة . . والذى يعنينـا هو مركب النقص الذى يتولد عادة فى أيام الطفولة حين يشعر الطفل بضعفه إزاء المحيط الخارجى ، وقد يطول به الأمـد إلى أيام الشباب ولـكنه لا يجنح إلى الظهور ولا يحمى وطيسه عنـد الفرد إلا فى حالة نقص طبيعى ظاهر والمصاب به يشعر بقصوره ، ومن ثم يدأب على أن يخلق من نقصه كمالا وذلك فى نطاق الظروف المواتيـة والأحوال المواتية وعلى قـدر الذكاء الموروث . وهـذا السلوك التعويضى قد تترتب عليه نتائج بعيدة المدى ندعونا إلى العجب والإعجاب معا . ومن سمات المصاب به أن يكون كثير التهكم على الناس ، عابثا بهم ، ساخرا منهم . ومن شـواهدى على ذلك ما نراه من برنارد شو وأبى العلاء مثلا . على أن المصاب به قد لا يجحد العبقرية كائنة ما كانت فى أى شخص ، ولا يفكر بالعظمة حتى يخر لها ساجدا ، وكأنه حين يصل القمة فى إيمانه بالغير يكون قد وصل الذروة فى إيمـانه بنفسه . فلقد كان شو على تهكمه اللاذع بالناس ، وسخريته المقذعة منهم ، شديد الاحترام للنبوغ ، فلقد أبدى تواضعا غـير معهود فيه حين قابل غاندى وقال له أقدم لك نفسى أنا المهاتما الصغير . كذلك أبدى احتراما فائقا حين جمعته الظروف بأينشتين . وعلى هذا الحال كان أبو العلاء المعرى على عبثه بالناس معجبا بالمتنبى إلى حد التقديس !

ومن الأمارات التى تهدينا أيضـا إلى التعرف على شخصية الرجل الذى تنطوى نفسه على هذا المركب تكلفه السلوك وتصنعه له تصنعا ظاهرا يدعو إلى العطف والإشفاق

والمحلل لشخصية عميد أدبنا العربى يعرف عن كثب مقدار تغلغل هـذا المركب فى نفسيته ، وإلى أى حد كان حافزا له على المثابرة والـكفاح حتى تألق نجمه وأصبحت له هـذه المكانة المرموقة . فالسخرية من الغـير هى مسلاته . . . وعبـادة العبقرية أو على الأصح عبادة نفسه بطريق غير مباشر ، أطيب الأمور إلى نفسه ، فما أظن إعجابه بأبى العلاء وإشادته بذكره وتعصبه له ، إلا إعجابا بنفسه وإشادة بذكره . وأنا أذكر على سبيل المثال هذه المناقشة التى قامت بينه وبين أحد نواب الوفد فى قاعة البرلمان والتى ختمها الدكتور طه بقوله « إن طه حسين

هو اللغة العربية »

ومن ثم فلا غرو أن كان لسان حاله يردد « مهما يكن من شيء » و « ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ثم لا يلبث بعد ذلك إلا ريثما يستعمل المفعول المطلق استعمالا ظاهرا كأنه يرمي إلى توكيد ما ردده من قبل . فكل هذه اللوازم تدل على أنه قد طرح عن نفسه كل يأس ، وخلع عليها كل فضل فوطدها على العمل وعقد عزمه على الشد من أزرها مهما كانت الظروف والملابسات

والآن ننتقل إلى كاتب آخر هو الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.. ولكاتبنا لوازم عديدة يعنينا منها هنا كلمة لا مراء وكلمة «مليحة» يعني أن فلانة جميلة! فبهاتين اللازمتين يمكننا أن نهتدي إلى «مفتاح» شخصية الكاتب الكبير فبديا الأستاذ العقاد رجل عاطفي إلى أبعد ما يتصور المرء ، فإذا صادق تحمس في صداقته إلى حد أن يرفع صديقه إلى مصاف العظماء ، وإذا سخط على أحد أو غضب منه أنزله أحط مرتبة وأسفل درك . فكلنا يذكر أيام خروجه على الوفد وأي حملة حملها عليه وأي تجريح وتقريع صبهما على رأس الوفد ورئيسه . هذا مثل حي من عداوته ، أما صداقته فأنا أذكر على سبيل المثال رواية طريفة : كنت يوما بمجلسه وتجاذبنا أطراف الحديث في السياسة حتى انتهى بنا المطاف إلى الكلام عن شخصية المرحوم محمود فهمي النقراشي فما كان من الأستاذ إلا أن بادرنا بقوله « إن النقراشي في رأيي لا يقل إطلاقا عن المهاتما غاندي إن لم يزد » لقد قال الأستاذ قولا عظيما لا أظن أحدا يوافقه عليه ؛ ولكن هذا هو إذا صادق فطوبى لصديقه ، كما أنه لو عادى فويل لعدوه . ومن كانت هذه حاله فهو إنما ينظر إلى قيم الأشياء بوجهة نظر ذاتية subjective لا بوجهة نظر موضوعية objective فهو يقومها بمقتضى هواه وبحسب ما يشتهي . ومن كان دأبه هذه النظرة فهو رجل شديد الإيمان بنفسه عظيم الاعتداد بشخصه ! وعلى ذلك فلا عجب أن لازمت الأستاذ العقاد كلمة مثل « لا مراء » سداها الحسم ولحمتها القطع! بل العجب كل العجب ألا تلازمه مثل هذه

« اللازمة »

وليس مما يشين الرجل أو يقلل من قدره أن يقال عنه إنه معتد بنفسه ، فإن هذا لعمري شيمة كل رجل عظيم لم يعرف قدره ولم يلق تكريما من أهل عصره ، بل على العكس قد يلقى حسدا وجحودا وبهتانا عظيما . فالأستاذ العقاد على الرغم من أنه أكثر كتابنا ثقافة وأوسعهم اطلاعا وأقواهم حجة وأرصنهم عقلا وأنظمهم فكرا ما زال أنصاره قلة وأعداؤه كثرة دون ما سبب سوى الهوى المغرض المستبد بنفوس الكثيرين من الناس

ثانيا : يبدو الأستاذ العقاد في كثير من الأحايين متمسكا بالتقاليد الموروثة متعصبا لها ، أو بالأحرى فيه حنين دائم إلى الماضي، فما زالت بعض تعاليم التربية التي تلقاها في فجر حياته تتحكم في كثير من تصرفاته وفي تحديد طرائق تفكيره ، فهو مثلا لا يوافق على مساواة المرأة بالرجل على النحو الذي ينادي به كثير من أنصارها الآن، وله أدلة على ما ذهب إليه عديدة، بعضها فسيولوجي وبعضها سيكلوجي وبعضها الآخر سوسيولوجي.. وسواء قويت هذه الأدلة أم وهنت ، فإن هذا لا يعنينا في شيء ؛ إنما الذي يعنينا هو اتجاه الرأي في ذاته . وزد على هذا أن للأستاذ زيا تقليديا خاصا لا يكاد يتأثر بموجات «المودة» وتياراتها فهو لا يبغي عنه حولا ولا يريد به بديلا . ثم فضلا عن هذا كله فإن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية في شخصه تغلغلا لم تزلزله كثرة قراءاته لأفكار الغربيين والتي لولاها لما أخرج لنا كتابه عن الفلسفة القرآنية وسلسلة العبقريات والديمقراطيات في الإسلام ... أقول إن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية فيه إلى هذا الحد لينهض دليلا كافيا على أنه ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى . وإذا كان ذلك كذلك وكان الأستاذ العقاد ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى ، فلا عجب أن تظل على لسانه بعض الكلمات التي تتميز بها اللهجة الصعيدية ، ولا غرو أن يمتد هذا إلى لغة الكتابة . ومن ثم فإن كلمة فلانة « مليحة » التي رددها مرارا على الأخص في قصة سارة هي لازمة لها مغزاها ، ولا يمكن أن تمر على القارئ دون أن تثير انتباهه وتدعوه إلى الالتفات

بعد هذا يصادفنا المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فلقد كانت له — رحمه الله — لازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، ألا وهى كلمة بسيط ومشتقاتها ، فيقول « هذا أمر بسيط » و « أمور بسيطة » « والرد عليه غاية فى البساطة » وعلى الرغم من أن هذه الكلمة لا تؤدى المعنى المراد لغويا وإنما هى ترجمة غير دقيقة لكلمة simple فقد لاقت هوى فى نفس كاتبنا، وربما كان هذا لأن الأستاذ المازنى كان رجلا بسيطا فى نفسه بعيدا عن التعقيد الذى انطوت عليه نفوس أهل زماننا ، وربما كان هذا أيضا لأن الأستاذ المازنى كان ينظر إلى الحياة ببساطة منقطعة النظير . أذكر له مقالا كتبه فى أخبار اليوم جاء فيه ما معناه : إن الصحافة ليست هى باب رزقه الوحيد فإنه فى مقدوره أن ينقطع عنها غير نادم ويعتزلها غير آسف فإنه يملك سيارة يستطيع فى يوم وليلة أن تصير « تكسى » كما أنه يستطيع أن يفتتح حانوتا للمرطبات وهو ضمين بأنه سيكسب من الكوكا كولا وحدها قدر ما يقتضيه من صاحبة الجلالة الصحافة .

إن فكرة هذا المقال تدلنا على أنه كان ينظر إلى الدنيا على أنها يسر فى أحرج مواقفها ، وأشد أزماتها . وكذلك كان رحمه الله بسيطا فى حياته الفكرية ، فأبغض شئ عنده هو قراءة الفلسفة كما صرح بهذا فى كتابه قبض الريح ، وقال ما معناه إنه لا يفهمها ولا يهضمها ولا يرى طائلا ما تحتها . ثم لقد كان أسلوبه نموذجا للسهل الممتنع ، كنت أقرأ له فيهيأ لى لأول وهلة أنى بصدد كلام دارج ، ولكنى لا ألبث إلا أن أرجع عن ظنى وأقول فى نفسى ويحك يا فلان لقد ظلمت الرجل . . . والواقع ما ظلمت إلا نفسى ...

إن المازنى كان بسيطا ، فى جميع وجوه حياته ، ولقد كانت هذه اللازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، رحمه الله لقد كان عظيما فى بساطته

يقابلنا بعد هذا كاتب له طابعه الفكرى الخاص هو الأستاذ سلامة موسى وثقافة كاتبنا تكاد تكون غربية بحتة، وهو يرى أن مهمته الكتابية تنصب على صبغ الفكر الشرقى بالروح الغربية ، وهو كثير التنبيه إلى هذا ! ولذا كانت عبارته المأثورة التى يلتزمها وهى « مما هو ذو مغزى » خير ما نعبر عن التنبيه إلى نياته وما استقرت عليه أفكاره . إن الأستاذ صاحب رسالة يرنو إلى تحقيقها ، إنه يرى وجوب هجر التراث العربى والأخذ بتلابيب الثقافة الأوربية وحدها . هذا هو مغزى كل كتاباته على اختلافها ؛ وهو يريد من القراء الالتفات إلى هذا المغزى..
فلا مناص إذن من التنبيه بعبارته التقليدية كلما اقتضت الحاجة ذلك

هذه لوازم بعض كتابنا الكبار ، ولقد شاهدنا مما سبق كيف أن هذه اللوازم لم يكن وجودها اتفاقا وصدفة ، بل هى ترجع إلى أساس مكين فى نفوس أصحابها ... حقا إن الأسلوب هو الشخصية ... أو قل إن اللوازم من الشخصية

محمد فرحات عمر

من الشعراء والأدباء الشباب فى العراق

كاظم جـــواد

للأستاذ خالص عزمي

فى مطلع عام ١٩٢٨ ولد شاعرنا من أب عربى ينحـدر من قبيلة عربية تسمى « آل عارض » تقطن المنطقة الجنوبية من العراق فى أطراف مدينة السماوة، وقد أبلت البلاء الحسن فى الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ : ولد شاعرنا فى تلك المنطقة التى تكثر فيها المياه وتحيط بها المزروعات من كل مكان ، وجعلت فيها قدرة الله ألوانا من السحر البديع والجمال الأخاذ . فشب وهو يحب الجمال وترعرع وهو ينظر إلى الطبيعة الفاتنة نظرة البشر والبهجة فانطبقت هذه الصورة فى مخيلته حتى تأثر بها كل التأثر فى قصائده ومقتطفاته

وفى جو تسوده التقاليد القبلية والعادات العربية العريقة نما وعت معه العزة ، والكرامة والصراحة ، وطيبة القلب ، والخلق القويم ، لم يعرف المداجاة ، ولم يمارس النفـاق ، فشب وهو كامل الرجولة يتمتع بالمزايا النادرة التى يجب أن يتمتع بها كل رجل

وفى نفس ذلك الجنوب الهادئ الوديع ، القوى الجبار راح شاعرنا يتلقى علومه الأولية فدخل المدارس الابتدائيه ثم المتوسطة والثانوية ، ثم نزح بعدها إلى مدينة العلم والمعرفة « بغداد » حيث راح يكمل دراسته العالية ، فدخل كلية الحقوق العراقية وفى خلال أوقات فراغه كان يقبل على مختلف العلوم والفنون ينهل منها ماشاء الله له أن ينهل ، ولم يكتف بكل ما قرأ ودرس وتعلم ، بل دخل مدرسة دينية مسائية الدروس قرأ فيها أصول الفقه وفلسفة الدين وألفية « ابن مالك » و « البديع » و « البيان » و « أصول النحو » و « العروض » .... الخ من الكتب الدقيقة . وبقى على حاله تلك حتى تخرج فى كلية الحقوق هـذا العـام وحصل على « الليسانس »

وكان خلال فترة دراسته يتابع نشر قصائده فى مختلف الصحف العراقية والعربية وكانت مجلة « الثقافة » الغراء الميدان الواسع لشاعرية كاظم، فقد نشر فيها أغلب قصائده وأروع مقتطفاته التى كتبت له مجد الشباب الواعى

كنت أجلس إليه ذات مرة وهو شـارد الفكر فوجدت الفرصة سانحة لكى أوجه له بعض الأسئلة التى كنت أود معرفتها منه فقلت : — ماهى أول قصيدة لكم . قال : (لقاء) . قلت ألا تود أن تسمعنى منها شيئا : فأنشد يقول وأنا أسجل بعض أبياتها

أطلت كوكبـا وضاء يسمو فوق آفاق
دنت كالعابد الهيمان من محراب أشواق
أطلت بسمة سـكرى على مرآة إطراق
كئيب ظامئ للحب تذكو نار أعماق
منى نفسى ، سجين الأمس هل حطمت أطواق
بلاماض ، أريد العمر يحلو بعد إخفاق
حيـاتى بعدما ثرت رياح الغدر أدراق
ربيع سال من عينيك واستلقى بأحداقى

***

وقفت أمامها خجلا وطرفى حائر شحب
وأنفـــاسى مولولة على شفتى تصطخب
فؤادى كاد من لهف إلى أحضانها يثب
جريحا والهوى جرح بعيد النور منشعب
سفحت الآه فانتفضت تسائل هل لها سبب
أخاف ، أخاف من أمل إذا مابحت يحتجب .

قلت عمن تأثرت من الشعراء : قال تأثرت كثيرا (بالمتنبى) من الشعراء الاقـدمين و (بأبى ريشة) من الشعراء المحدثين . قلت ومن الأدباء . قال (بأبى حيان التوحيدى) من القـدامى ، وبجبران . وطه حسين . والزيات . ونعيمة . وزكى نجيب محمود . من المحدثين

قلت : هـل لك ديوان مطبوع . قال إلى الآن لم أطبعه وإن كان قد جهز للطبع حاليا وأسميته « من أغانى الحرية » وهو مجموع القصائد والمقتطفات الشعرية التى قلتها فى مناسبات كثيرة وأغلبها منشور فى الصحف العربية . وتلك القصائد تدور فى موضوعين : منها فى الجمال والوجـدان والحب . ومنها فى القوميـة العربيـة والوطنيات ، وقد تأثرت جـدا بالحركة المصرية الأخيرة فقدمت

للعالم العربى تسع قصائد فى وصف شعورى نحو إخواننا المصريين وهم يكافحون كفاح الأبطال لنيل الحرية وإليك بعض ماقلت فى قصيدتى « إعزفى يارباح »

مات ضوء النهار واحلولك الأفق الدمى بحشرجات ذكاء
شرق الليل بالجراح وغصت ربوات « للقنال » بالشهداء
ومجارى الدماء أذكى محانيها عناق الأشلاء للأشلاء
فإذا (النيل) والضحايا حواليه صلاة مسحورة الأصداء

إلى أن يقول :

إعزفى ياًرباح ماأحقر العمر إذا آل غمغمات رثاء
إعزفى فالظلام ولى ولكن أين فجر البطولة السمحاء
أين قيثارة الحياة يموج الوعى فيها مزمجر الأصداء
أين من ومأة الصباح أراجيز كفاح صخابة الأجواء
فوراء الدى ، وإن زحف الفجر بقايا غمامة دكناء
هالها ، هالها ، شموخ أمانينا على كل ذروة شماء
فعدت بنيها الأثيم فيامصر اخرسيها (بوحدة وجلاء)

وإليك فى قصيدتى (المصرى الجديد) :

طلعت على دجى الطاغى صبوحا يبارك فجرك الوطن الجريحا
دعاك لمجده فنهضت تعلو كفرخ النسر تحتقر السفوحا
وفى شفتيك تصطخب الأغانى يجن إلى الكفاح هوى جموحا
نداء ماوعاه النيل حتى كساه الموج من لهب مسوحا

إلى أن يقول :

إذا (السودان) كان لمصرروحا فقد كانت له مذ كان روحا

قرأت ما أنشدنى « الجواد » مرة وأخرى ثم قرأت ماسجل فى ديوانه فى باب الوطنيات فوجدتنى أمام شاعر يتدفق وطنية مهزه الأعمال الخوالد فى ميدان الكفاح فينشد وينشد حتى يكل منه النفس ، هذا الشاعر الشاب سبق عصره كثيرا ، فقدم للعالم العربى قصائد فى الوطنية والوجدان مالم يقدمه شاعرفى هذه الأيام ! لنقرأ للقارئ الكريم هذا المقطع الرائع من ملحمته الكبرى التى تقع فى ألف بيت من الشعر وهو يصف فيها مصرع البطل العربى الشهيد « عبد القادر الحسينى » فى معركة القسطل فى الحرب الفلسطينية الأخيرة إذ يقول منها فى وصف سقوط (الحسينى) مضرجا بدمائه على الرمال الدكناء ، فيمثله أروع تمثيل ويقدم للقارئ بذلك صورة مجلوة المعانى زاخرة بالعواطف تدل على تمكن الشاعر من دقة التعبير ، قال فى المقطع الرابع :

من ترى ذلك المطل ؟ أفجر ، أم شهاب على أديم صاح
يتعلى الأجيال ملحمة جراء كالنور فى الضحى ... الوضاح
حملته عرائس الوحى للنجم شهيدا على أعف جناح
بعده ، بعده ، ترنحت الأرض وضجت حناجر ، فى الساح
تزفر الرعد فالجوانب أصداء تخطت ... على أنين الجراح
كوثوب الأمواج ، والبحرداوصفعت جبهة الخطوب الطلاح
تنحر البغى فالرنين الدمى . كالأعاصير هائج فى النواحى
ياشهيداً على الرمال تسجى ... أدمعت بعده جفون الكفاح
ياشهيداً كأنه الشفق المخنوب ينساب فى أصيل الجراح
ياشهيداً نأى وخلف للثوار جرحا فى مأتم الأرواح
مأتم الذكريات والفارس المعلم فى السوح كالضياء الصراح
كانفلاق الشروق . كاللهب الثائر . كالجمر . كالدم النضاح
صبغ الأفق بالسناء وبالوهج ودمى هيا كل الأشباح
فإذا الليل فى جوانله السود عروس تؤج كالمصباح
تنثر الضوء يابسا فعليها ... جمدت دمعة العلى المستباح

هذا هو المقطع الرائع من القصيدة الدامية التى خرجت من القلب وكتبها العقل وسجلتها للخلود العاطفة، نعم هذا مقطع من تلك القصيدة التى أحدثت ضجة كبرى فى ميدان الأدب العراق عندما نشرها الأستاذ (كاظم) فى جريدة اليقظة البغدادية وقد عدها بعضهم بأنها الوسام الخالد الذى علقه الشاعر على صور البطل (الحسينى)

فى هذه القصيدة بالذات لمس (القارئ الكريم) انبعاثات روحية علوية وانطلاقات شعورية وصوراً رفيعة النفس عميقة الفكرة صورت فى روح متألمة حزينة

ثم هنا نقدم للشاعر صورة أخرى هزت عاطفته حيناً كثيراً فجعلت منه شاعر الحب والجمال — كما يسمونه فى بغداد — نقدم هذه الصورة وهى ملونة بلون الإحساس الرهيف والإخلاص العميق . هذه الصورة هى بعض الأبيات فى قصيدته العاطفية ندرجها للقارئ : —

عبرت على دربى خطاها وتناولت قلبى يداها

في الليل في بيداء، وهمى في صحاري العمر ناها
في هوة اليأس البهيم وعى من الدنيا أذاها
طلعت فشب به الشباب وأج في دمه لظاها
عزراء سلت من مآقي النور فانلقت مناها
يكسو محياها العفاف أشعة ورؤى وجاها
وكنجمة الليل الوليد هفا على أفقي ضياها
منحته كالطفل اليتيم حنانها وحبته فاها
قد أرضعته هوى الحياة فراح لايهوى سواها
باطالما أهوى تلاوين البكور شذى سناها
وروى إلى الأطيار أغنية مجنحة لقاها
وأذاب في الأوتار أحلام العرائس في صباها
هو بسمة الحب البرئ يضئ في شفتي رؤاها
حتى إذا بالأمس أجنحة الهوى بلغت ذراها
رزئته بالذهب الحقير وماله إلا جواها
فهوى على السفح الجديب منى تضرجها دماها
فكأنه لم يملك الدنيا إذا وهبت رضاها
واضيعة الأمل الشرود إذا رنا فسفحت آها
خفتت شموع الذكريات وجف في عيني ضحاها

* * *

ستظل ترقبني مع الناي المكسر مقلتاها
وهناك في وادي الدموع لعل آلامي تراها
هيهات لن أنسى هواها السمح لن أنسى هواها

والقصيدة طويلة النفس فيها من التعابير الوجدانية أسماها، فيها من العاطفة الزاخرة بالإخلاص والحب والتفاني أروعها.

والأستاذ الجواد: بعد كل هذا: فنان يلمس الحياة بما ألهمه الله القدير من فكر ثاقب وعقلية طموحة عالة، تدفع صاحبها إلى أرفع مكانة

ولعل الكثيرين من الشعراء يعرفون أن (الجواد) شاب خلق من نفسه إنساناً يعرف معاني الحياة، ويقيس الناس بمقاييس العقل الواعي، ولعلهم يعرفون في شاعرنا أنه قومي من الطراز الأول يتفانى في سبيل عروبته إلى أقصى مدى وهذا ماجعله محبوباً من جماعته محترماً منهم يقدرونه كل التقدير.

وأخيراً نود أن نقدم (للقارئ) بعض نماذج من شعره الوجداني، والوطني، والإخواني الذي امتاز كثيراً:

من ملحمة العربي التائه وتقع في ألف بيت من الشعر: —

جشرجات الكئيب .. يا آهة الفن، وياحسرة شجت بدمائه
رب جرح تناهشته كروب تنقذ الشعب قطرة من دمائه
أيها الشاعر اللهيف إلى النور بزوغاً، فالصبح من سجرائه
شعبك الأخرس الشقي ذليل سادر في ضلاله وعمائه
كافر يلعن الحياة ويبقى مستكيناً لذله واصطلائه
عابس يحصد السنين شقاء ويماري الأساة عن أدوائه
يتمشى الفناء في جسمه الناحل، والموت صار من أسمائه
بانشيداً في حومة المجد يرقى مشمخرا على ذرى عليائه
بانشيداً بدونه شرف الشعب مهان يذوق سم شقائه
بانشيداً كأنه نغم الخلد تهاوى إلى رؤى عذرائه
فكرة أنت كالطلاسم ظلت فهي سر الإله في أنبيائه

وفي قصيدة له عنوانها «الهارب» نقدم هذه الأبيات التي فيها انطلاقات روحية فلسفية تدل على الفترة التي انغمر فيها شاعرنا في كتب الدين والفلسفة ينهل منها كثيراً يقول في تلك القصيدة:

عذراء، إني ذاهب فاهدئي هل نحن إلا من صدى حكمته
الله لا أنت، ولا من عتا ولا أنا ننال من قدرته
كل على الأرض إلى غاية وننتهي، تسمو على خلقته
الليل لن يفتح أبوابه لو لم يطل الفجر من كوته
سبحانه، سبحان ذاك الذي فجر نبع الحب من جنته
نشرب منه الأمل المشتهى ونأكل الزقوم من سدرته
لا كان عهد الحب إن لم تكن عين النوى ترعاك في غيبته

هذا هو «كاظم جواد» شاعر الحب والجمال، الشاب الذي أحرق من أعصابه بخوراً في سبيل عقيدته وأهدافه في الحياة.

بغداد: الأعظمية خالص عزمي

في موكب النهضة

كتابان

للأستاذ علي العماري

يخطئ الذين يظنون أن الحياة المصرية تحتاج إلى التجديد من ناحيتها السياسية والاجتماعية فحسب، ويرون أن الجمود والتأخر والبطء كانت تلازم هاتين الناحيتين، ولا غير؛ فالحق الذى لا سبيل إلى المراء فيه أن الحياة المصرية أصابها الركود والجمود فى كل نواحيها، وإن كانت نسبة هذا الجمود وهذا الركود فى ناحية أقوى وأظهر منها فى أخرى، ولذلك فإن النهضة والبعث والتجديد يجب أن تمس كل نواحى الحياة مسا رفيقا أو عنيفا على حسب ما تحتمله طاقة الأمة

وإلا فهل فى مصر وفى العالم العربى من الفاقهين المخلصين لدينهم ولغتهم من يجهل مدى الجمود الذى يسيطر على الدراسات العربية والشرعية؟

فكما أننا كنا فى حاجة ماسة إلى من يجدد لنا حياتنا السياسية، وحياتنا الاجتماعية، كذلك نحن فى أمس الحاجة إلى من يجدد لنا حياتنا العلمية، وبخاصة فى الناحيتين اللغوية والشرعية

والذين لا يتعبدون بدراسة الكتب القديمة، ولا يعتقدون أن الله جمل علم اللغة وعلم الشريعة وقفا على الأقدمين، ويؤمنون أشد الإيمان بأن أتفه كلمة فى العربية هذه التى يتناقلها الخلف عن السلف: « ما ترك الأول للآخر شيئا » هؤلاء يعتقدون أن حاجتنا إلى تجديد هذه الدراسات، وصوغها صياغة جديدة لا تقل — فى ميزان النهضة — عن حاجتنا إلى تجديد سياسة الأمة وحالتها الاجتماعية

وقد يطول الحديث ويتشعب لو أخذت أبين ما فى هذه الدراسات من جمود، ولو بالإشارة العابرة، فلذلك سأقصر حديثى عن الدراسات العربية، بل عن كتابين اثنين من هذه الكتب العربية التى نتعبد بدراستها فى مصر وفى غير مصر من الأقطار العربية. وكم كنت أود أن لم ييسر الله لصاحبى هذين الكتابين فى تأليفهما، فإن الخطر الذى دخل على العربية منهما لا يقل عن الخطر الذى أصاب الحياة المصرية من تحكم رجال الأقطاع والطبقة الحاكمة

أما أول هذين الكتابين فألفية ابن مالك. أقول هذا وأنا على يقين من أن آلافا من الناس سيفتحون أفواههم، وستجحظ عيونهم تعجبا، ودهشة، ولكن الذى يؤثر الحق لا يبالى

وضع ابن مالك ألفيته فى النحو فى القرن السابع الهجرى، ومنذ ذلك التاريخ وعلماء النحو يتخذون هذه الألفية كعبة يطوفون حولها، يضعون لها الشروح، ويضعون على الشروح الحواشى، ثم يتفضلون بالتقارير يستدركون بها على ما فى هذه الحواشى، وبعضهم يؤلف فى إعراب الألفية، وأكثر هذه الكتب وضع فى عصر الضعف الأدبى، ففيها ماشئت من تعقيد والتواء، ومن تعليلات تافهة لا تستند إلى منطق معقول. وقد أضر عكوف العلماء بهذه الصورة على هذا الكتاب، فوقف الاجتهاد فى النحو، وأصبحت غاية المتعلمين أن يفهموا تلك العبارات الملتوية، وأن يحسنوا الجدل فى تخريجها وتصحيحها!. وربما كان هذا معقولا ومقبولا فى تلك العصور التى ركدت فيها ريح العلم، وعمها الانحطاط فى كل نواحيها، ولكنه غير معقول ولا مقبول فى هذا العصر الذى يمتاز بالسرعة، ويتطلب المحافظة على الوقت ويضيق به أن يضيع فى فهم عبارات لا جدوى من فهمها — إن فهمت — وكم تكون الكارثة أطم لو ظللنا على هذه الحال مع هذه النهضة المباركة، فنحن نقف والقافلة تسير، وويل للمتخلف

لا تزال الآثار التى يوحى بها تقديس هذه الكتب مسيطرة على أفكارنا وعلى آرائنا وعلى تقديراتنا وعلى مناهجنا، فنحن نجيز الطالب ونمنحه شهادة دراسية يكافح بها فى الحياة لأنه حفظ شرح ابن عقيل، أو شرح الأشمونى على الألفية. ونحن نشيد بعلم العالم لأنه لا تغيب عنه كبيرة ولا صغيرة من هذا الكتاب أوذاك، ونحن نسأل عن فلان فيقال لنا إنه عالم جليل، ونسأل عن علمه الجليل فيقال لنا إنه أقدر الناس على فهم الكتب الأزهرية، وتخريج عباراتها، وتعجب أشد العجب حين تذهب إلى هذا العالم الجليل فلا يختلف فى نظرك عن الكتاب الأصم فى شيء، فأنت تستطيع

أن تستغنى بالكتاب عن ملاقاته والاستماع إليه ، تسأله فيدلك على موضع الجواب من الكتاب ، فإذا تخلل الجواب بيت من الشعر ، أو حكمة مأثورة لم يزد فى تعريفك بهما على موضع الشاهد منهما ، أما المعنى الأدبى للبيت أو للحكمة ، فيشرحه لك شرحا عاميا كما لو سألت جاهلا لم يطلع على شئ من كتب النحو

وهذه الأمثلة السخيفة التى تطالعك فى كل صفحة ، وتؤذى سمعك وإحساسك فى كل حين ، هى هى منذ أن وضع النحو واضعوه ! أما الشواهد فهى فى الأغلب الأعم من الشعر الركيك المتهافت ، وقد ورط القدماء فى هذا ما كانوا يعتقدونه خطأ من قولهم « البحث فى المثال ليس من دأب المحققين »

ولو كنا — حقا — نريد أن نساير النهضة ، لطرحنا هذه المؤلفات جانبا ، وكتبنا النحو العربى من جديد، وكتبناه بأسلوب واضح أدبى، ولتركنا الأمثلة جملة وتفصيلا ، واعتمدنا على الشواهد الفصيحة من القرآن والحديث ، والشعر والنثر ، وليس من المنطق السليم أن نعهد بهذا التجديد إلى أولئك الذين تحجرت عقولهم على القديم ، وأصبحوا لا يؤمنون إلا به ، لأنهم لا يحسنون غيره ، وهذه الحكمة البسيطة الساذجة هى التى تهدينا فى هذا السبيل (إنك لن تجنى من الشوك العنب) . بل يجب أن نعهد بهذا العمل إلى العلماء الأدباء الذين تعمقوا فى دراسة النحو العربى ولهم مع ذلك ذوق أدبى جميل ، فهؤلاء هم ضالتنا .

أما ثانى الكتابين ، فهو « تلخيص » المفتاح للخطيب القزوينى ، وما قلته عن ألفية ابن مالك هو نفسه الذى يقال عن التلخيص ، مع فارق واحد ، هو أن الأمر مع هذا التلخيص أدهى وأمر ، ذلك أنه فى علوم البلاغة ، وهذه العلوم أمس بالبيان العربى من علم النحو ، فربما لا يروعنا أن نجد العلماء والمتعلمين فى النحو لا يتذوقون الأساليب البيانية العالية ، ولا يحسنون أن يأتوا بشئ منها قل أو كثر ، ولكنه يؤسفنا أشد الأسف أن نجد الدارسين للبلاغة أبعد الناس عن تذوق البليغ من القول

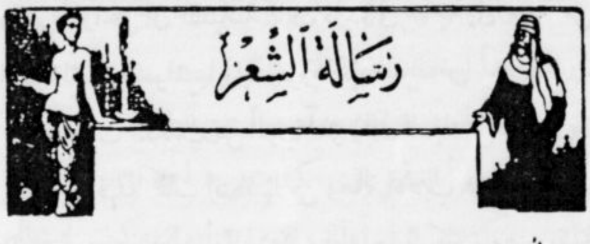
والتلخيص كالألفية منذ وضع وهو قطب رحا البلاغة ، يدور حوله ، وتستهدى بضوئه مع مافى شروحه الكثيرة من خلط وخبط ، وضعف وتفكك، فهى مملوءة بالمباحث الكلامية ، والمباحث المنطقية ، والمباحث الفلسفية ، ونصيب الذوق الأدبى منها أقل من القليل .

ومع ذلك فهى التى يعتمد عليها دارسو البلاغة العربية جل الاعتماد ، وما ظهر من الكتب الحديثة ليس إلا صورة من تلك الكتب ، وإن زادت عليها شيئا من الشواهد والتمارين ، لكن الطريقة القديمة والأمثلة القديمة والشواهد القديمة هى هى ، ومن عجيب الأمر أن بعض الشراح القدماء يعيبون بعض هذا النهج ، ولكنهم يسلكونه ، وأشد من ذلك عجبا أن يسلكه المحدثون . هذا سعد الدين التفتازانى ، وهو صاحب القدح المعلى فى الكتابة عن التخليص ، وأبيه (المفتاح) يقول عائبا طريقة السكاكى فى حشد كثير من التقسيمات فى باب التشبيه ، يقول :

« واعلم أن أمثال هذه التقسيمات التى لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوتة ، قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج ، من السكاكى باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلله در الإمام عبد القاهر ، وإحاطته بأسرار كلام العرب ، وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد فى هذا المقام على الكثير من أمثلة أنواع التشبيهات ، وتحقيق اللطائف المودعة فيها » . وما يقال عن التقسيمات فى التشبيه يقال عن كثير من التفريعات فى علوم البلاغة الثلاثة

إننى دافعت هنا فى مجلة الرسالة الغراء ، منذ سنوات عن البلاغة العربية ، وهأنذا الآن أدعو إلى نبذ هذه الكتب منها ، وليس — فى الحق — أى تناقض بين الموقفين ، فقد كنت هناك أدافع عن البلاغة كعلم عربى ألف فيه عبد القاهر والزمخشرى ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والآمدى ، والجرجانى عبد العزيز ، وأبو هلال العسكرى ، وأنا هنا أضرب المعول فى هذه الكتب التى نهجت منهج السكاكى والخطيب فجعلت البلاغة جدلا لفظيا عقيما

وقد يتساءل متسائل ، أو تعجبك هذه الكتب التى وضعها المحدثون ، والتى تعنى بالشواهد الفصيحة ؟ والجواب : لا . فإنها كتب جوفاء لا غناء فيها . والذى أريده أن تدرس البلاغة العربية القديمة فى كتبها ذات الأسلوب العالى والتفكير المستقيم ثم تكتب بلغة أدبية عالية ، ويزاد فيها أو ينتقص منها ، ولكن لا تخلو كتابتها من هذه اللمحات القوية التى دونها العلماء السابقون



نفحة نبوية

محمـــد ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أي سحر هفا فرنم عودي   وشدا مرقمي وغنى قصيدي ؟
وأحال الدجى ينابيع نور   ضاحكات عن ثغر غيداء رود
ومحى غمرة الأسى والرزايا   وأثار الأفراح بعد هجود
أي سحر ندى الحياة وألوى   بالأماني مؤطرات القدود
فالربيع الضحوك يقفز في السهل ، ويحبو على سفوح النجود
والنسيم المفهاف يعثر بالور   د ويهفو كقلب صب عميد
فرحة عمت الوجود ، وعيد   راقص النور فاتن التغريد

***

يا ربى الخلد ألهميني شعراً   فاتن الجرس رائع الترديد
وامنحيني كما منحت هتوفاً   ترسل الشدو للضياء البديد
أنا في ليلة الهدى فاستجيبي   واسكبي العطر في ثنايا نشيدي
أنا في مولد المتوج بالنور   وفي غمرة الفخار المتيد
منقذ العرب من ضلالات دين   لم يكن غير شقوة وقيود
عرب ألقت الجهالة سدا   بين أفكارهم وبين الكبود
فأطاعوا هوى النفوس وضلوا   بين أربابهم ضلال « الوليد »
كل يوم لهم إله جديد   نحتوه من الصفا الجلمود
كم تمنوا الرشاد منه ولكن   هو لو يعلمون غير رشيد
أو يرجى من الحجارة خير   يا لنكرانهم ويا للجحود!
كيف شكوا بمبدع الكون والكون لسان يفوه بالتوحيد

***

أرسل الله للعوالم نورا   أنقذ العرب من دياجي الجحود
أرشد الجاهلين بعد ضلال   وأنار العقول بعد خمود
واستفز الشعور منهم فهبوا   من خرافات جهلهم والرقود
حطموا قيدهم وثاروا أباة   يسمعون الدنى زئير الأسود
ملأوا البيد بالفوارس حتى   سئمت منهمو رمال البيد
والصحارى مهاد كل كمي   عشق الموت في ظلال البنود

***

بوركت « يثرب » وبورك بيت   هل فيه هلال عصر جديد
نحن لولا « محمد » وهداه   لبقينا ننوء تحت القيود
هاشمي به النبوة تمت   بعد « عيسى » وأشرقت بالسعود
ضحك الكون مذ أطل عليه   وله همت الدنى بالسجود
والسموات أسفرت والروابي   بسمت كالعروس في يوم عيد
« سدرة المنتهى نعيم وأفياء   وأغرودة على أملود »
قل لمن ينكر النبوة مهلا   إن رأي الضليل غير سديد
أو يحتاج عاقل لشهود   وكلام الإله خير شهود

***

يا نبي الهدى أتيتك أشكو   من حماقات عالم منكود
أشعلوا الحرب عنوة وأثاروا   كل شعب منعم وسعيد
قتلوا الأبرياء في كل صقع   وأراقوا الدما بكل صعيد
شردوا اللائذات من غضب القتل وراعوا أطفالها في المهود
قوة المال قومت كل وغد   فطغى في الدنى بفضل النقود

***

هذه الحرب قد أقامت فروقاً   جددت بين سيد ومسود
ضجت الأرض والسموات منها   فمتى ينجلي دخان الوقود
ومتى يغمر الهدوء البرايا   ويرف السلام فوق الوجود

بغداد   عبد القادر رشيد الناصري

كما أريد أن يضطلع الأزهر بهذه المهمة فإن رجاله أقدر الناس على تجديد القديم تجديدا نافعاً مفيدا ؛ وأن يختفي من الدراسات المدرسية هذه الكتب التي عمت الشكوى فيها ، والتي لا فائدة منها في الحقيقة إلا ضياع أوقات الطلاب سدى ، وإلا إفساد أذواقهم ، وحين تتغير الحال في الأزهر ، سيترسم خطاه كل المعاهد العلمية في العالم العربي التي تقلده الآن فيما يقدم لأبنائه من طعام لا يسمن ولا يغني من جوع

علي العماري

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

طه حسين بين الأدب والسياسة

فى خطاب من الأديب عبد اللطيف فايد يقول « كتب الأستاذ محمود عبد المنعم مراد فى جريدة المصرى فى ٢٨ نوفبر سنة ١٩٥٢ بعنوان « فى الأدب والحياة » تعرض فيه لمؤلفات الدكتور حسين فوزى ، وقد دفعه مديح المؤلفات وصاحبها إلى اتهام الدكتور طه حسين بما هو منه برىء. إذ قال فى معرض الحديث مخاطبا الدكتور حسين فوزى « أصدقاؤك الذين احترفوا الأدب وزاولوا السياسة ، وجعلوا الأدب وسيلة لتلهية الفارغين ليزيدوا كتبهم انتشاراً ، كما اضطروا إلى مداراة الحاكمين والمحكومين ليصلوا إلى كراسى الحكم . ومن هؤلاء صديقك الذى أهديت إليه كتابك الجديد الدكتور طه حسين »

وإن القارئ ليقف أمام هذا الاتهام وقد استولى عليه العجب من كل جانب ، لأنه إن جاز هذا على بعض الأدباء ، فلن يجوز على أستاذنا العميد ، وأدب العميد ليس فى حاجة إلى التعريف فنقول للكاتب الفاضل إن الدكتور طه حسين لم يجعل الأدب وسيلة لتلهية الفارغين كى يضمن لكتبه الذيوع والانتشار

وأينما قرأت له وجدت الإيمان بالفكرة ، والأدب الرفيع الذى يستعصى العثور على مثله .

ثم أعود فأسأل الأستاذ مراد ألم يقرأ الأيام ومستقبل الثقافة وحديث الأربعاء وعلى هامش السيرة والوعد الحق وغيرها مما تفخر به المكتبة العربية من مؤلفات العميد ، وهل كانت هذه الكتب وسيلة لتلهية الفارغين ! !

وأود أن أقول للكاتب إن الدكتور طه حسين لم يصل إلى كرسى الوزارة عن طريق التملق ومداراة الحاكمين والمحكومين.. لأننا لم نعثر على أديب شق طريقه بكفاحه وجهاده وإنتاجه حتى وصل مرتبة سامية كالدكتور طه . ثم ماعيب الأديب إذا اشتغل بالسياسة وحافظ على مبادئ أدبه ولم يجعل منها طريقا للاثراء والغنى . والحق أن السياسة كانت دائما فى حاجة إلى جبهة من الأدباء ليهذبوا حواشيها وليسخروها لإسعاد الناس

فليبحث الكاتب عن أديب آخر زاول السياسة حتى صار

وبعد فهذه كلمات اقتطفتها من رسالة الأديب عن طه حسين وليس لى بعد ذلك أن أقول شيئا ، فطه حسين كاتب وهب نفسه للأدب خالصا مجرداً ، وقد عاش لفنه مجاهداً ، باذلا من أعصابه ودمه وروحه

وكان فى كل وقت المناضل المكافح ، الذى يحارب الظلم والطغيان . ويكفى أن يكون طه حسين قد اختير من بين ١٥٠ عظيما فى العالم ، كأعظم شخصية فى الشرق ، ويكفى أن نقدم هذا للأستاذ مراد . .

والحق أننى لست أدرى ماهو وجه الشبه بين طه حسين وحسين فوزى مما يدعو إلى أن يقحم الأستاذ مراد الدكتور العميد عند الحديث عن مؤلفات حسين فوزى ؟

والعجيب أن أقرأ هذا فى الوقت الذى أستمع فيه إلى حوار مع طلبة إحدى الجامعات فى راديو الشرق الأدنى وقد أخذ المذيع يسأل الطلبة عن الكتب التى يقرأونها فأجاب ٨ من عشرة منهم بأنهم يقرأون كتب طه حسين ...

هل يكتب تاريخ مصر من جديد . .

كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان فى الأهرام يصف المحاولات المنظمة التى قام بها الطغاة والمستبدون ، لتحريف تاريخ مصر فقال « لقد بدأت هذه المحاولات المنظمة ، لطمس معالم تاريخ مصر الحديث فى وقت مبكر ، عصر محمد على ذاته ، فطورد الجبرتى مؤرخ العصر ، وطورد مؤلفه وشوه وبترت منه صحف مما يتعلق بأعمال محمد على وتصرفاته . ومن خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر وحياة الأمة المصرية لم يصدر مؤلف شامل رصين تعرض فيه الحوادث والصور على حقيقتها ، ويعرض فيه حكم الطغاة وأهواؤهم وأخطاؤهم بأسلوب نزيه حق ، وتعرض فيه حياة الشعب المصرى وآلامه وكفاحه وجلده فى نفس الصور الأليمة المؤثرة التى كان يحياها ، ذلك لأن الطغاة كانوا دائما بالمرصاد لمن يحاول أن يجلو الحقائق النزهة ، وأن يجعل من تاريخ الأمة شيئا يذكر إلى جانب سيرهم »

وأنا أستميح المؤرخ الكبير الأستاذ عنان القول بأن مؤرخا واحداً استطاع أن يكتب تاريخ مصر في حرية وجرأة وقوة بعد « الجبرتي » ذلك هو عبد الرحمن الرافعي

إن من يقرأ الفصل الذي كتبه عن « أحمد فؤاد » في الجزء الثاني من كتاب « في أعقاب الثورة » يعرف كيف استطاع الرافعي أن يقول رأيه في صراحة كمؤرخ في هذا الملك، في وقت كان الطغيان فيه قد بلغ حده ومداه، وقد احتمل الرافعي في سبيل ذلك عنتا كثيرا ولم يعبأ بذلك فقد كان مؤمنا بما يقول

وبعد فنحن نرجو أن يكتب الأستاذ عنان تاريخ مصر من جديد بعد أن أمضى هذا الوقت الطويل دون أن يكتب شيئا عن مصر الحديثة

حياة المازني

... وهذه صور جديدة من الوفاء لكتاب مصر العباقرة الذين ذهبوا، أذكر اليوم كيف حملت « الرسالة » عبء الوفاء للرافعي، عندما كتب سعيد العريان حياة الرافعي. وظل يتلقى السهام من كل مكان

.. كنت أعلم أن الأستاذ محمد محمود حمدان قد كتب قصة المازني بعد وفاته، وكان قد أعد هذه الفصول لتكون كتابا، ولكن ظروفا حالت دون نشرها، حتى أتيح لها أن تطالع قراء الرسالة. في نفس المكان الذي طالعتهم فصول حياة الرافعي

وقد كان المازني أحد كتاب الرسالة وأحد دعائم الأدب العربي المعاصر

القصصي العالمي

كتبت إلى الآنسة «ليلى مسلم» تقول « في صحف فرنسا الأدبية هذا الأسبوع أن لجنة مكونة من أندريه موروا وفرنسوا مورياك قد اختارت ١٢ قصة من بين ١٢٣ قصة لنشرها في مجموعة خاصة هي :

أدولف، الأحمر والأسود، الخيبة المزدوجة، الأب جوريو، مدام بوفاري، دومنيك، البلياد، الطفل، جرمنيال، التلميذ، سارق الأدب، في الطريق

وهي لكونستان، واستندال، ومريمي، وبلزاك وزولا، وبورجيه وغيرهم

وطلبت الآنسة « ليلى » أن تترجم مجلة الرواية هذه القصص لتقدمها إلى قراء العربية في نفس الوقت الذي تقدم فيه إلى قراء الفرنسية »

ونحن بدورنا نرفع هذه الرغبة إلى صاحب الرواية

والفن

شهدت القاهرة فيلم « مصطفى كامل » ... هذا البطل الوطني الأول .. وبقي أن نشهد أفلاما عن محمد فريد وعمر مكرم ومحمد كريم وحسن البنا ... إن مثل هذه القصص هي زاد روحي غاية في القوة للمصريين في هذا العصر الجديد، الذي يعيش فيه الناس على الحقائق الوطنية وعلى المعاني الروحية الخالصة

لقد عاشت مصر طويلا، تشهد قصصا كلها التهريج والإثم والهوان، ويجب أن ينتهي هذا، مع العهد المظلم الذي انتهى . .

إن المصريين الآن يستقبلون عهداً جديدا، .. جديدا في كل شيء، وعليهم أن يستقبلوا معه أدبا جديدا وفنا جديدا . . أدب القوة وفن القوة، الأدب والفن المطبوع على الحرية والحيوية والسمو والنشيد الوطني، يجري الحديث هذه الأيام حول تغييره . . وهو اتجاه محمود، إننا نريد أن نحس أننا في عهد جديد ، في كل شيء ، ولا نريد أن نسمع هذا الصوت الذي اتصل يوما بالطاغية ... المطرود !

ميدان جديد

دعت السفارة الباكستانية إلى مسابقة شعرية في موضوعات أربعة

أولا : الإسلام وحدة عالية

ثانيا : رسالة الباكستان

ثالثا : محمد بن القاسم

رابعا : محمد إقبال

ولا شك أنه ميدان جديد يفتح المجال أمام شعرائنا للحديث عن الإسلام والحضارة والتاريخ ، ونحن في أشد الحاجة من الناحية الثقافية لأن يقتحم شعراؤنا هذه الميادين الخالدة من الإنتاج بعد أن تعثرت خطواتنا طويلا في أدب المناسبات والشعر التقليدي

أنور الجندي



أين الأدب المصري القديم

إن المطلع على الآداب القديمة على اختلاف مصادرها يجد كل أمة من الأمم غنية بتراثها الأدبي من شعر ونثر تستطيع به أن تتعرف إلى ملامح المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها — سواء كانت هذه الأمم ذات نصيب من الحضارة كالرومان والإغريق، أو كانت تغلب عليها البداوة كالأمة العربية

فإذا ماذهبت لتبحث عن نصيب القدماء المصريين من ذلك لم تستطع أن تعثر على ما يشفي غلتك

فلن تجد ناشئا من ناشئة الأدب يعرف شاعرا مصريا قديما كما يعرف «هوميروس» وإلياذته في الأدب الإغريقي أو «فرجيل» في الأدب الروماني

فإلى أي شيء نرد هذا ؟ أرده إلى أنه ليس لقدماء المصريين أدب. وهذا غير معقول؛ لأنه لا يمكن أن تحيا أمة بلا أدب يترجم عن مشاعرها ويصور نوازعها . أم أن ذلك الأدب بلغ من التفاهة والعجز حدا لا يستطيع معه أن يتخطى سدود الزمن

هذا ما نرجو أن يكشف عنه المختصون مشكورين

محمد ابراهيم الجيوشي

حول الأدب والفن في أسبوع

تولى الأستاذ أنور الجندي تحرير باب « الأدب والفن في أسبوع » فانتظرنا التجديد والتطور الكبير لهذا الباب

ولكن يظهر أن الأستاذ أنور لا يعطي هذا الباب من العناية ما يستحقه

فقد كتب هذا الأسبوع تحت عنوان «ندوة الشباب المسلمين» في معرض الحديث عن المهرجانات التي أقيمت احتفالا بمولد الرسول يقول :

« فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : الغزالي ، ومخيمر ، وشعلان ، والعوضي ، والمنشاوي ، والتهامي ، والماحي، وحمام ، والمعادين ، وجبر ، وقاسم

وأريد أن أسأل الأستاذ أنور بعد ذلك هل كان حاضرا تلك الندوة ؟ يقينا لا! بدليل أنه لا مخيمر ولا شعلان ولا أحد المعادين تكلم إطلاقا في تلك الندوة

ومن الغريب أن الأستاذ غالى بعد ذلك قائلا « ومن القصائد التي لقيت الاستحسان قصائد مخيمر والمنشاوي والتهامي» مع أن مخيمر لم يتكلم مطلقا كما قلت

أرجو من الأستاذ أنور أن يعطي هذه النواحي بعض الاهتمام كي يخرج لنا شيئا يصح أن يقرأ فيفيد لا أن يعلق ويستنتج مقتصرا بذلك على الأسماء الواردة في بطاقة الدعوة

محمود بخيت الربيعي الجهني

الباكستان أو باكستان

من غرائب هذا العهد الأخير أن قد أخذ يتزلزل فيه ما كان ثابتا متوطداً منذ القدم من قواعد النحو والبلاغة . فعادت بعض مسائل النحو مما كانت تجمع عليه العرب وتتخذ فيه مذهباً واحدا في العصور الماضية كأنف من الشمع في أيدي الكتاب، يلوونه ويعبثون به كيف يشاؤون . هذا يميله إلى اليمين ، وذلك يعطفه نحو اليسار ، ثم يأتي الواحد فيتيامن به تارة ويتياسر به أخرى . من تلكم المسائل مسئلة إدخال الألف واللام على الأعلام الأعجمية . فقد أصبحنا نرى أخيرا أن الكتاب والأدباء من الناطقين بالضاد يكادون لا يتفقون على مذهب فيها بعينه عند تعرضهم لذكر بعض الأعلام الأعجمية التي قد ظهرت حديثا بظهور مسمياتها إلى حيز الوجود ، ومن تلك الأعلام اسم دولتنا الناشئة : باكستان

إنا لم نزل — ولا نزال — نقرأ كلمة (باكستان) ونتتبعها فيما يكتبه الكتاب والأدباء في مختلف المجلات والجرائد العربية ، فلم نر من أمرها إلا عجبا !

في جريدة أسبوعية سيارة في القطر الجزائري ، يستعمل نائب مدير الجريدة كلمة (باكستان) فيعرفها بالألف واللام ، فيقول : (ولا يزال فن يتنقل في ربوع الباكستان) . وأما مدير الجريدة الفضال وصاحب امتيازها المسئول فلا يكتب اسم وطننا — أينما كتب — إلا مجرداً منهما وممنوعا من الصرف ، فيقول : (وانفصلت باكستان) ، (وسكان البنغال وهي باكستان الشرقية) ، و (لأن باكستان هي الأول في البرنامج ...)

وفى الرسالة الغراء يتفضل الأستاذ أبو الفتوح عطيفة فيتناول القطر الباكستانى ببحثه الممتع فى سلسلة بحوثه عن جميع الأقطار ولكنه لا يرضى أن يجعل لكلمة (باكستان) شكلا واحداً معيناً فى جميع المواضع من مقالاته تفادياً — على ما نظن — من سآمة القراء منه ، فتارة يسبغ عليها جبة فضفاضة من الألف واللام، وأخرى يجردها حتى تتنفس فى الهواء الطلق وتستجم من تعب الجبة

هذه بعض الشواهد على ماقلنا آنفا . فنسأل إخواننا الكتاب والأدباء الأفاضل : لماذا هذا التشتت والاختلاف فى مسألة كانت أحرى أن تكون موضع اتفاق للجميع !

أما مانعلم فى هذه المسألة فهو أنه من الثابت المحقق — أولا — أن باكستان من الأعلام الأعجمية التى تمنع من الصرف أو التنوين وذلك على قاعدة النحو القائلة بأن العلم يمنع من التنوين أو الصرف

(١) إذا كان أعجميا غير ثلاثى ساكن الوسط

(٢) إذا كان مركباً مزجيا غير مختوم بكلمة ويه

وباكستان ولا شك علم أعجمى غير ثلاثى ساكن الوسط ، كما أنها مركب تركيب المزج من (باك) و (استان) ومعنى الأول الطاهر ، ومعنى الثانى الأرض أو البقعة ، ومعنى المركب البقعة الطاهرة . و المعلوم من عادة العرب أنها لا تعرف بالألف واللام — فى أغلب الأحوال — الأعلام الأعجمية التى تمتنع من الصرف ، مثل لندن ونيويورك وأمريكا وآسيا وليفربول وبتروغراد ودبشليم وبيدبا ... بل ترسلها مجردة منهما . وأما ماكان ينصرف من تلك الأعلام الأعجمية لكونه ثلاثيا ساكن الوسط، فالعرب تارة تحليه بالألف واللام كالصين والهند، وأخرى ترسله عاطلا كنوح وشيث ، والأمر كله يقف على سماع القوم

هذا من جهة قواعد النحو . والذى قد استخرجناه من كتابات اللغويين المحققين والكتاب المتحفظين — حفظهم الله — فى هذا العصر ، أمثال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مصر ، والأستاذ محمد البشير الإبراهيمى فى الجزائر ، والأستاذ مسعود الندوى فى باكستان ، فهو أن كلمة (باكستان) قد أغناها الله عن التنوين وعن الألف واللام . ولا بد أن يكون عليه أساتذة العراق والشام ممن لم نطلع على استعمال (باكستان) فى كتاباتهم

ذلك ما عندنا فى هذا الباب ، ويا حبذا لو يتفضل أحد أساطين النحو والبلاغة فى بلاد العروبة فيأتى بحكم قاطع فى هذه المسئلة ، حتى لا تبقى باكستان موضع خلاف ونقاش بين الكتاب والأدباء من الناطقين بالضاد ، وهى دولة ناشئة ميمونة ينبغى أن تأتى مؤلفة بين الجميع !

بهاول بور — باكستان

محمد كاظم سباق

١ — من تاريخ الفقه الإسلامى

يقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف (فى ١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : ولهذا عنى بتدوين الفقه فدون محمد بن الحسن كتب ظاهر الرواية ، ودون سحنون المدونة فى فقه مالك ، وأملى الشافعى فقهه فى كتاب الأم ، وجمع ابن قدامة فقه أحمد فى كتابه المغنى

أقول : إن ابن قدامة صاحب المغنى توفى سنة ٦٢٠ فالصواب أن الذى جمع فقه الإمام أحمد هو أبو بكر الخلال المتوفى سنة ٣١١ ففى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٢ ص ٣٦١) : أنفق عمره فى جمع مذهب أحمد وتصنيفه ، وله كتاب الجامع — لعلوم الإمام أحمد — وهو كبير جليل المقدار . وفى طبقات الحنابلة لابن الفراء : رحل إلى أقاصى البلاد فى جمع مسائل أحمد .. وسبق إلى مالم يسبق إليه سابق ولم يلحقه بعده لاحق . وقال الخطيب : جمع علوم أحمد ... ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع لذلك منه . وقال الكوثرى . بلغ ما سجله من مسائل أحمد أربعين مجلداً

٢ — من تاريخ الفقه

يقول الدكتور أحمد أمين (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) ومما امتاز به (الشافعى) اهتداؤه إلى علم الأصول ووضعه له ثم استنباط الأحكام على وفقه مما لم يصل إليه إمام آخر . ولذلك كان مذهبه أكثر المذاهب انطباقا على المنطق بعكس الأئمة الآخرين فإنهم كانوا يعتمدون على فهمهم لآيات الأحكام وأحاديثها وكان الاستنباط كالملكات فى نفوسهم

وقال ابن العماد فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج



السدم

للكاتب الفرنسي إميل زولا

ها أنت ذى لا زلت بين أشعة الشمس وأرج الأزهار . ألم تسأمى هذا الربيع المستمر يانينون ؟ دعينى إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة الكثيرة الهول ، فإن النفس متى ملت طول النشوة قد تسكن إلى صوت الأهوال

— ١ —

فى اليوم الذى انتصر فيه الجند أخذ أربعة منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التف من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث الموتى

وكانت ألسنة اللهب التى يشوون طعامهم عليه تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم ظلالا ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار، وحتى أن الناظر كان يلمح فى قلب الظلام جثث القتلى وهى نائمة جاحظة العيون

أما رفاقنا فكانوا فرحين يضحكون فى جوف الليل غير شاعرين بتلك العيون المحملقة فيهم . ولعل لهم عذراً من هول ماراًوا فى يومهم الدابر ، ومن الهول الذى ينتظرهم فى الغد . فأخذوا يحتفلون بتلك الساعات القليلة التى جاد بها عليهم حسن الحظ غافلين عن ظلام الليل وظلام الموت وأجنحتها التى تحلق فوق هذا الميدان فتهز سكوت الفضاء

ولما انتهوا من طعامهم تاقت نفس أحدهم إلى الغناء واسمه « جنوص » ولكن نبرات صوته كانت تمزق غشاء الهواء القاتم الحزين ، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفتيه امتزجت بالصدى فكانت كتنهد عميق . وعند ذلك شق حجاب الظلام صرخة مزعجة دوت فى الفضاء فاضطرب حتى أنه كلف رفيقه « إلبرج » ليذهب ويرى فلعل إحدى الجثث عادت إليها الحياة . وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذه معه ورفاقه يشيعونه بعيونهم لحظة على قدر ما يسمح به امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحنى من بعيد يسائل الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم اختفى

وبينما هم سكوت صاح جنوص بزميله الثانى « كليريان » أن يذهب فى أثره خوفاً عليه من الذئاب

وهكذا اختفى هذا أيضا فى الظلام

أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار ارتديا معطفيهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار وقد أشرفت على الانطفاء . وما كادا يغمضان أجفانهما حتى سمعا تلك الصرخة من جديد وكأنها تمر من فوق رأسيهما حتى أن فيلم انتصب فزعا واتجه إلى تلك الجهة التى اختفى عندها رفيقاه

وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبح الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة السوداء التى كانت تدوى بحشرجة الموتى . وعندئذ ألقى فى النار بعض الحشائش اليابسة لعل اشتعالها يبدد شيئا من ذلك الرعب الذى تملكه

ولقد أخذت ألسنة اللهب ترتفع أخيرا حمراء كالدم فأضاءت

ا ص ٣٠١) : قال ابن الفرات فى تاريخه : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة . وقال : الكوثرى (فى سيرة أبى يوسف القاضى ص ٣٣) : قال طلحة الشاهد : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، كما حدث بذلك الخطيب البغدادى . فأوليته فى وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة لاتنافى أولية الشافعى فى وضع الكتب فى أصول الشافعى ، بل صنيع الشافعى فى مناقشة من تقدمه فى مسائل الأصول فى كتبه من أجلى الأدلة على أن أوليته هى بالنظر إلى مذهبه فقط . ويقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : (أصول الفقه دون فيه أبو يوسف ولم يصل إلينا مادونه ، ودون فيه الإمام الشافعى رسالته وهى أول مدون فى أصول الفقه بين أيدينا) . ولا يتسع المجال هنا لبسط قواعد الاستنباط وأصوله عند الإمام النعمان وغيره من الأئمة

محمد شعبى

الأرض على مسافة مستديرة واسعة كان يخيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من فوقها ، وكأن أصابع خفية كانت تحرك جثث القتلى

على أن القمر أخذ بعد ذلك يظهر قرصه عند الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال التي كان الليل يخفيها في جوفه وكانت الصحراء جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منطرحة تحت أكفان من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه فقد فكر في الصعود فوق رابية هناك وهو يسائل نفسه : لم لا تنتصب من مكانها أشباح أولئك الموتى وقد أخذت تحملق فيه . وهكذا أخذ جمودها أيضا يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه . وبينما هو في مكانه جامد شعر بحرارة تدب في قدمه اليسرى فانحنى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا رقيقا من الدم يعلو وينحدر بين الحصى ، ولجريانه خرير ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى تحت أشعة القمر ليعود ثانية إلى الظلام ، فكان كالثعبان الملطخ يبقع سود تتتابع كالحلقات بخفة وبلا انتهاء . وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمردت أجفانه فلم يستطع إطباقها من هول ما رأى . أما السلسال فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى نهير ثم إلى سيل يسمع له وهو يجرى صوت أصم وقد أخذ يقذف على جانبيه زبدا أحمر ، وأخيرا استحال إلى نهر واسع يكتسح أمامه هذه الجثث

ولكن كيف خرج كل هذا الدم الغزير من جروح أولئك الموتى حتى غمرهم ؟ وعلى كل حال فقد اضطر جنوص إلى التراجع أما تلك اللجة الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد ، كأنما تلك المسافة المترامية الأطراف قد استحالت إلى بحيرة واسعة ، حتى خطر له أن يفر لولا أنه وجد نفسه فجأة عند كوم من الصخور وأمواج الدم ترتطم بفخذيه ، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه تلمنه كلما أبصرت به في طريقها ، وكأن كل جرح من جراحها فم يزدريه ويسخر من رعبه . أما البحر الزاخر فكان يعلو ويعلو حتى بلغ صدره ، وعندئذ استجمع ما في نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر الحزين الباهت ينظر كيف يبتلع هذا البحر أشعته كلما انعكست فيه ، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من فوهة هوة سحيقة

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد إلى البرج فأيقظ جنوص وكان قد ضل السبيل في الأحراج فغلبه النوم أيضاً عند شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال : رأيت كأن العالم لا يزال في طفولته والسماء تبتسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو ، حتى أن شجرة البلوط العالية عندنا لا تعد بجانبها شيئاً . والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها العريضة التي لا يحصيها عد ؛ والحياة تجرى صافية في شرايين الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الأشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور

وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يجثو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتمجده هي أيضاً بأريج الأزهار وتغريد الأطيار

كنت أراها زاهية خصبة تفيض بخيراتها من غير ما نصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسو جوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهيئ كل أسباب الحياة لخليقته

كان الإنسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوى من أنهارها ، وينام إذا دجا الليل تحت أشجارها حامداً الله ؛ وقد عافت عيناه مرأى الدم ، فظل طاهراً ، ورفعته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوئام سائداً بين الناس ، والسلام خافقة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتحرك أجنحتها فزعا من خوف ، ولا كان البغى يدفع أحدا إلى الالتجاء للغابات والأحراج ، كل له حصة من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعتها المحبة

ولقد خيل إلى وأنا أمشى بين الناس أنني أصبحت أطهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدري يستنشق طويلا نسيم تلك السماء البليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويداً رويداً في الفضاء

وبينما كانت هذه الأحلام تهزني انتقل خاطري إلى غابة نوقع بصري

على رجلين يقطعان طريقاً ضيقاً تعانقت من فوقه غصون الأشجار، وكان أصغرهما متقدماً على رفيقه ووجهه يفيض بالاطمئنان، ونظراته تداعب كل سنبلة تقع عليها عينه، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفتيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ

أما زميله فكان صامتا يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملؤها الحقد، وهو يتعثر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتفي أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعا من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفاها تحت ثوبه، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الإنسان صديقاً حميما طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد آذنت الشمس بالمغيب، والفتى مسرع وهو يبصر من بعيد خطا لطيفاً أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية المساء ترسلها الشمس للطبيعة. أما صاحبه فظنه يتهرب منه، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك المسكين فهشمته

ولقد صادفت أول نقطة من دمه بعض الحشائش فنفضتها عنها إلى الأرض مرتاعة فامتصتها هذه وهي لا تقل ارتياعاً منها؛ وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقتها حيث طفح الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زبد خالطه دم

وما كاد القتيل يصرخ من ألم الضربة حتى تشتت الخلائق هولا، وأخذت تهيم على وجوهها في الأرض، وأقوياؤها في مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم. وعندئذ أيقنت أن السكون قد بدأ فيه نذير الاضطراب والانحلال

وهكذا استعرضت عيناى مناظر هذا الاعتداء المطرد، فكان الباشق يهوى على القبرة، وهذه على الذبابة، والذبابة على جروح القتلى؛ فلم يترك الفزع أحداً من الدودة إلى الأسد كأنما قد استحالت الخليقة إلى عقرب أخذت تعض ذنبها بفمها فغابت في ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك انتابت الطبيعة هزة طويلة كسرت خط ذلك الأفق الصافى، وشوهت جمال الشفق بما اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف الأمواج وهزيم الرياح من خلال الأشجار وقد التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة أوراقها

— ٣ —

وما كاد البرج ينتهى من حديثه حتى ظهر كليريان وهو يقول: لست أدرى إذا كان ما سأقصه عليكم حلماً أو حقيقة، لأن ما رأيت في نومى يكاد يكون حقيقة، ولأن الحقيقة من بعده تكاد تكون حلما

رأيت كأننى في طريق يشق المسكونة على جانبيه المدن والأمم تقطعه مثلى، وهو مكسو ببلاط أسود انعقد فوقه دم كانت قدماى تنزلقان من فوق

أما الناس فقد كان الآباء منهم يقتلون بناتهن ليكون من دمائهن قربان لله، فكانت تلك الرؤوس الفتية الجميلة تحز تحت مداهم وقد هرب لونها على أثر هذه القبلة التي كانت شفة الموت تضعها عند أعناقهن

وفى مكان آخر كان العذارى يصن عفافهن بالانتحار جاعلات من القبور الكفن لبكورتهن.

وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى العشيقات تفيض أرواحهن تحت قبلات المحبين، هذه تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطئ وعيناها تنظران إلى روحها وهى تصعد حاملة معها مهجتها، وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدى

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سئموا الحياة وملوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم النعيم في عالم آخر

أينما كنت أذهب كان أثر أقدام الملوك مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القاني... فمنهم من كان يمشى على دم أخيه، ومنهم من كان يسير على دم شعبه، فتترك أقدامهم من خلفها أحرفاً ناطقة: هنا مر ملك!

أما القساوسة فكانوا يخفون السيوف في مطاوى أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تعلن الحروب باسم الإنسانية وباسم الله.

كان العالم كله ثملا بخمرة البطش، يضرب كل منهم أخاه

سيف ذى حدين ، والأرض عطشى تكرع من الدم ولا ترتوى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تباشير الصباح ، ولـكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد لم يكن غير أمر للمتفرقين من الجند بالاجتماع تحت علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتعدوا وهم يرسلون إلى موقدهم نظرة وداع أخيرة . غير أنهم لمحوا رفيقهم الباقى مقبلا وقدماه معفرتان بالتراب فاستوقفهم يقص عليهم مارآه:

قال : إننى أجهل من أين أتيت لأنى كنت أعدو عدوا وكأن الأشجار لجزعها تعدو مثلى حتى غلب على سلطان النـوم فنمت حيث رأيت نفسى فوق تل منفرد وقد كادت قدماى تحترقان من حرارة الشمس

وبينما أنا أثب من صخرة إلى أخرى لمحت رجلا صاعدا نحوى وعلى رأسـه تاج من الشوك وعلى كتفيه معطف ثقيل والعرق يتصبب من وجهه فى حمرة الدم ، وكانت حرارة الشمس قد أثرت فى قدمى فأخذت فى الصعود حيث أنتظره تحت كل شجرة فوق التل ، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل صليبا ففرحت إذ ده ملـكا

ولـكن جنودا كانت تجد فى أثره وهم يهددونه بحرابهم ، حتى إذا ما أدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة ودموعه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة صفراء تنم عن مبلغ ما حل به من الحزن

هالنى هذا المشهد ولـكننى رأيت الرجل عظيما فى موته فتأكد لى أنه غير ملك . ولذلك أشفقت عليه وأنا أصيح بهم : اطعنوه فى قلبه حتى لايطول عذابه . وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت تنوح ونبرات صوتها تصل إلى سمعى فتصورها لى عذراء لم تملك نفسها من البكاء وكأنها تقول :

« مالى أرى الدم قد صبغ اللهيب والفضاء والأشجار ؟ وما لساق تنبوصان من تحتى فى الرمل القانى ، وما لجناحى حين لمسا هذه الأغصان صبغتهما الحمرة ؟

لقد صادفت فى طريقى رجلا صالحاً فتبعته حتى إذا اغتسلت فى المنبع خرجت وثوبى طاهر نقى ولذلك كنت أقول لريشى : قر عيناً فإنك فوق كتفى هذا الرجل لن تحمل هماً ولن تدنسك آثام . أما اليوم فقد أصبح نشيدى :

نوحى ياحمامة وابـكى ثوبك الذى لطخه دم من اتخذت حماك بين ثدييه . إنه جاء ليصون لك بياض ثوبك ولـكنه تحت حكم أولئك القساة بلل ريشك بندى جروحه

هاأنذى أنوح على ثوبى الملطخ فأين أجد أخاك أيها المسيح ليفتح لى طرف ثوبه فأحتمى فيه ؟ ومن ذا الذى يغسل بعد الآن ريشى الذى صبغه دمك ؟ »

وكأن المصلوب كان يستمع لنواح تلك الحمامة وريح الموت تحرك جفنيه ، وسكراته تلوى شفتيه ؛ غير أن نظراته اتجهت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف العتاب . ثم صرخ صرخة مالت عنده رأسه إلى صدره فذعرت الحمامة وفرت ، وقد اغبر وجه السماء واهتزت الأرض ، ثم أخـذت تبتعـد حتى اختفت فى ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت الطبيعة باسمة من خلال ضباب الصباح ، وقد اختفت زوابع الليل فعاد للسماء صفاؤها ، وعادت للأشجار نضرتها ؛ ولـكن الطريق كانت لاتزال تـكسو جانبيها الأشواك ، ولا تزال ساكنة فى فجواتها الزواحف التى كانت تقف فى طريق سيرى بالأمس . نعم إن دم المسيح جرى فى شرايين الأرض القديمة من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى

على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من بعيد فصـاح جنوص فى رفاقه قائلا :

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة ؟ لقد أزعجتكم تلك الأشباح فى نومكم كما أزعجتنى مثلـكم ساعات طويلة . إن لى الآن ثلاثين سنة لم أقضهـا فى غير قتل بنى جنسى حتى سئمت نفسى . وإننى أعرف أن هنالك أراضى واسـعة فى حاجة إلى سواعد ومحاريث ، فهلا ترون أن نتذوق بعد ذلك طعم الخـبز الذى يخرج من كدنا ؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعا : نعم

ثم أخـذوا يهيئون حفرة يدفنون فيها سـلاحهم وبعد أن اغتسلوا فى النهر اختفوا بين ثنايا الطريق

م . خ

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

سيفا العروبة يلتقيان ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات ... ١٤١٣

إحياء المقومات الدينية ... ... : « عبد العزيز محمد التركى ... ١٤١٤

حياة المازنى ... ... : « محمد محمود حمدان ١٤١٨

بنديتو كروتشه ... ... : « جمال مرسى بدر ١٤٢٢

الميسر والأزلام ... ... : « عبد السلام محمد هارون ١٤٢٥

العدالة الاجتماعية فى الإسلام : « محمد رجب البيومى ١٤٢٧

الأدب الأردى ... ... : « مسعود الندوى ١٤٣٠

ضموا الكتائب ... (قصيدة) : « إبراهيم محمد نجا ١٤٣٢

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ أنور الجندى ١٤٣٣

(البريد الأدبى) — الأدب المصرى القديم — مع دولة الألقاب — ١٤٣٦
لسنا وحدنا — خادم وخادمة — بدلة وبذلة —
تصحيح اسم شاعر ... ...

(القصص) — شجرة عيد الميلاد — لفيدور ديستوفسكى ١٤٣٨

20 me année No 1016

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 22 — 12 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

سيفا العروبة يلتقيان

فى الأسبوع الماضى ، وفى حاضرة النيل ، التقى سيفا العروبة نجيب وأديب ، فالتقى طريق بطريق ، واجتمع شقيق بشقيق ، واتصلت نهضة بنهضة !

ولعمرى ما افترقت القاهرة عن دمشق منذ جمعتها العروبة ، ولا بَعُد النيل عن بَردى منذ قربهما الإسلام ، ولا انقطع المصرى عن السورى منذ وصلهما الجوار . فالشعبان بحكم الطبيعة والواقع شعب واحد ، مزجتهما المجاورة والمصاهرة ، وخلطتهما المتاجرة والمهاجرة ، حتى اتحدت النية والوجهة والغاية والأمل ، فزالت الحدود ، وارتفعت الحواجز ، واتصلت الأسباب ، ووشجت القرابة ؛ فلم يتدابر إلا حاكم وحاكم ، ولم يتناكر إلا دخيل ودخيل . ثم أجرتهما الأقدار فى عنان واحد ، فكابدا من فسوق الرؤساء وفجور الزعماء ما أقنطهما من صلاح الأمر واستقامة الحال ؛ فرضيا بالدون واستسلما للهون ، وكاد العدو المشترك الذى يترصد الغفلة ويتسقط العثرة ، يظن أن ملك العرب إلى انهيار ، وأن ملك اليهود إلى استقرار ، لولا أن الله الذى وعد المؤمنين العاملين أن يستخلفهم فى الأرض ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، قد ادخر لكل متاهة هاديا ، ولكل مَفسدة مصلحا ، فجعل ولاية الأمر فى هذا الوقت الذى انهار فيه البناء ، واستشرت الأدواء ، وتحللت العقد ، لأصحاب السيف ، وهم قوم مختارون صناعتهم الدفاع ، ووسيلتهم القوة ، وطبيعتهم النظام ، وخلقهم الطاعة ، ومبدأهم التضحية . عاهدوا الوطن وضمنوا له من أنفسهم الوفاء ، أن يستعدوا ليأمن ، ويجاهدوا ليستقل ، ويموتوا ليحيا . فإذا انصرفت الشعوب اليوم عن رجال السياسة إلى رجال القيادة ، فإنما ينصرفون عن الكلام إلى العمل ، وعن الضعف إلى القوة ، وعن الانحلال إلى التماسك ، وعن الغش إلى النصيحة ، وعن الفوضى إلى النظام ، وعن المطامع الخسيسة إلى المطالب الرفيعة ، وعن قوم يعبدون الفسولة ليكونوا بها آلهة ، إلى قوم يمجدون البطولة ليكونوا لها ضحايا . وإن فى السياسة الجدية العملية التى ينفذها العسكريون هنا وهناك من غير وعود تعطى ، ولا عهود تؤخذ ، لسخرية أليمة من تلك الخطب الطوال الثقال التى كان يلقيها رئيس الحكومة باسم رئيس الدولة فى افتتاح البرلمان ، فيجعجع بها جعجعة الرحا التى تطحن القرون : تسمع ما يصدعك ، ثم لا ترى ما يفيدك !

وإن فى اجتماع القائدين العظيمين فى قيادة الجيش التى لا تقبل الرياء ، وتفاوضهما بلغة الجيش التى لا تعرف السجع ، لقضاء على ذبذبة السياسة العربية التى عالجت بها الأمور حتى الأمس ، وعلى ثرثرة الجامعة العربية التى تعيش عليها حتى اليوم !

احمد حسن الزيات

إحياء المقومات الدينية

للأستاذ عبد العزيز محمد التركى

لقد اشتهر الشرق منذ القدم بأنه منبت كل دين ، ومنبع كل عقيدة . منه انبعثت التعاليم الدينية ، وانتشرت فى مختلف أرجاء العالم ، ومنه انبثقت العقائد الروحية ، واستقرت فى قلوب شتى الشعوب . وإن تاريخ الحضارات يشهد بأن الذى بعث الطاقة الحيوية فى نفوس الشرقيين للخلق والابتكار فى جميع ميادين الحياة من علم وفن ومدنية ، هى البواعث الدينية التى تضع قوانين حياتهم الاجتماعية ، وتنظم وسائلهم الاقتصادية ، وتسن نظمهم الدنيوية . ولم تخالف مصر الفرعونية الشرق فى روحيته ، ولم يتخلف قدماء المصريين عن الإيمان العميق بالدين ، ولم تهمل الحضارة الفرعونية فى اتخاذ الحوافز الدينية محركا فعالا لنهضتها الخالقة

لقد قال هيرودوت عن المصريين إنهم شعب تقى ورع ، يخاف الله . ولم يبعد هيرودوت عن الحقيقة حينما تلتمس فى قدماء المصريين تلك النزعات الدينية السامية ، إذ أن تاريخهم الطويل وتراثهم الحضارى الضخم يعطينا من الأدلة ما يغنينا عن شهادته . لقد لعبت عقيدة البعث الدور الأول فى بناء حضارة الفراعنة ، إذ أن إيمان المصريين بحياة أخرى بعد الموت ، حصر همهم فى الاستعداد لهذه الحياة . وتحت تأثير هذه العقيدة الدينية نشأت العلوم والفنون ، وتحت رعاية رجال الدين تقدمت حتى بلغت حدا من الكمال لا يدانيه إلا ما تمتاز به الحضارة المعاصرة من رقى وتقدم .

آمن قدماء المصريين بعودة الإنسان إلى الحياة مرة أخرى ، ولكن عقيدتهم تشترط لإمكان تمتع الإنسان بهذه الحياة الثانية : أن يبقى الجسد سليما لا يعتريه التلف ، لأن الروح لا ترجع إلى جسد فاسد ؛ وإن نال البلى من الجسد فإن الروح مصيرها الهلاك والفناء . فحرص قدماء المصريين على المحافظة على جثث الموتى حرصا على الخلود . ولقد كان هذا الحرص من أقوى البواعث الدينية التى ساعدت على وضع أسس حضارة تبز ذكراها جميع الحضارات القديمة ، فلا نعجب إذا نشأت الحضارة الفرعونية مع بناء المقابر ، وتطورت مع تطورها . وكانت أولى المحاولات التى استمان بها قدماء المصريين على المحافظة على الموتى ، هى دفن الميت فى حفرة بسيطة تردم بالتراب والرمال ، ولكن هذه الطريقة لم تصن الجسد . فلما قويت عقيدة البعث فى النفوس وازداد تأثيرها فى العقول ، أظهروا احتراما أعظم للموتى ، فوضعوا فروع الأشجار على هيئة صندوق خشبى داخل القبر ، كما دفنوا مع الميت بعض أنواع الطعام التى كانوا يظنون أن الروح تطعم منها ، ولكن سريعا ما كان يتآكل الخشب ، ويعترى الجثث الانحلال ، مما دفع قدماء المصريين إلى ابتكار صنع الطوب اللبن ، وشيدوا منه القبور والمصاطب . فلولا رغبة قدماء المصريين فى صيانة جثث الموتى ما عرفوا صناعة الطوب اللبن ، أو لتأخرت صناعته بعض الأجيال ، ولاشاع بناء مختلف المبانى من منازل وغيرها من هذا الطوب . ولكن الطوب اللبن ليس من المتانة بحيث يقوى للصمود حتى يوم البعث ، فاستبدل به الأحجار الجيرية التى استخدمت فى بناء المصاطب . وأحدث بناء المصاطب من الأحجار الجيرية ثورة خطيرة فى فن البناء ، ساعدت على ظهور بعض العلوم الرياضية من حساب وهندسة ، وضح أثرها فى إقامة الأهرام التى يحتاج تشييدها إلى مهارة معمارية تستعين بالفن الهندسى ، وتستند إلى عمليات حسابية دقيقة . وهكذا كان الحافز الدينى لحفظ الموتى من التلف من أهم البواعث التى عملت على تقدم فن المعمار ، ووجهت اهتمام المصريين إلى وضع أسس علمى الحساب والهندسة

ولم تقف عناية الفراعنة بالموتى عند حد بناء مقابر متينة تحميها ، وإنما امتدت هذه العناية كذلك إلى الجثث نفسها ، واجتهدوا فى سبيل الوصول إلى عقاقير تحفظها من الفساد ، فاكتشفوا التحنيط معجزة العلم الفرعونى . ولقد أتاحت عمليات التحنيط من نزع المخ وفتح الجنب وإخراج الأحشاء وغسل البطن بعقاقير خاصة ثم خياطة الفتح ، فرض دراسة جسد الإنسان ، ومعرفة كثير من أجزائه ووظائفها ، والإقدام على إجراء كثير من العمليات الجراحية المتنوعة ، كما هيأت الظروف لفحص خواص بعض النباتات العلاجية لإعداد العقاقير وتركيب الأدوية التى تدفع عن الإنسان المرض . وعلى هذا النحو حثت عقيدة خلود الروح على اكتشاف فن التحنيط الذى مهد إلى

تقدم الطب وفن الجراحة فى عهد الفراعنة تقدما فاق تقدم جميع الشعوب التى عاشت فى العصور القديمة

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات لم يطمئن قدماء المصريين كل الاطمئنان إلى متانة القابر ، أو يثقوا كل الثقة فى مهارتهم فى التحنيط ، واعتقدوا أن جثث الموتى ما زالت عرضة للتلف ، فاستعانوا بآلهتهم ، وطلبوا منها العون والساعدة لتحفظ أجسادهم من البلى الذى يهدد أرواحهم بالفناء ، فكانت تتلى بعض الأدعية التى تدفع عن الميت الأشرار . ولما أخذت هذه الأدعية فى الازدياد والتكاثر بمرور الزمن خاف الكهنة عليها من النسيان ، فدعت الحاجة إلى تدوينها ؛ فاخترعت الكتابة الهيرغليفية وهى كتابة رمزية تستخدم الصور فى التعبير ، وسرعان ما استعان بها المصريون فى حماية الموتى ، فدونت على جدران القابر والأهرام أدعية وطلاسم ظن أنها تحفظ الموتى ، وتحول المآكل والمشارب المرسومة إلى حقائق ، كما وضع فى توابيت الموتى لفائف من ورق البردى تحوى تعاويذ تحفظ الروح من الأخطار ، وتقيها أشرار القبر

فالرغبة الأكيدة فى بقاء الجسد سليما دعت إلى اختراع الكتابة التى سرعان ما عم استخدامها فى الوثائق العامة والتجارية ، ثم نشأت كتابات أخرى أكثر منها اختزالا ، خرجت من مصر ، وانتشرت فى بقاع العالم المتمدن فى ذلك الوقت . ولما احتاجت الكتابة إلى ورق اخترعت صناعة الورق وتقدمت على أيدى المصريين حتى أصبحت سلعة مربحة وهامة ، تباع فى الأسواق الخارجية . أما الكتابة على جدران القابر فتتطلب مهارة فى الرسم والنقش والتصوير ، لأن الكتابة الهيرغليفية المقدسة ، تعتمد على صور شتى الحيوانات والنباتات ومختلف الأشياء ، فكان الحافز الدينى دافعا ملهما عمل على تقدم فن الرسم والنقش والتصوير ، وبرع المصريون فيه براعة يسرت رسم الخطوط وعودت المخيلة على تصور الكائنات الحية ، ودربت القدرات على التعبير الصادق لحياة هذه الكائنات وحركاتها ، ومرنتها على الاستعانة بالألوان الزيتية التى تظهر الصور على أنها حقائق حية ، حتى خيل لقدماء المصريين أن يستغنوا عن وضع المآكل والمشارب والحاجات التى ظن أنها تلزم الميت ، واكتفوا برسم صور حية لهذه الحاجات ، اعتقادا بأن قراءة الروح للعبارات السحرية المدونة على الجدران ، تحول هذه الصور إلى حقائق ، فأنتج المصريون الشىء الكثير من روائع الفن

وزيادة فى الحرص وإمعانا فى الاحتياط عمد قدماء المصريين إلى وضع تماثيل كثيرة للموتى فى القابر ، حتى إذا ما لحق الجثة أى عطب ، حلت الروح فى التمثال فيبعث الإنسان من جديد إلى الحياة الثانية . ولكن التمثال عرضة للكسر ، ولذلك وضعت تماثيل عديدة لنفس الميت ، حتى إذا ما انكسر تمثال حلت الروح فى آخر . وإلى هذا الاعتقاد يرجع الفضل فى وجود ذلك العدد الضخم من التماثيل المصرية القديمة التى بلغ بعضها حد الإتقان الفنى ، مما جعلها تعتبر أجمل أمثلة النحت فى العالم ، لأنها تتوخى بساطة وإنسانية عبر عنها فى يسر ورشاقة . وفن النحت يحتاج إلى أحجار ومعادن ، فجد الفراعنة فى سبيل استخراج هذه الأحجار والمعادن من المحاجر والمناجم التى نظم استقلالها ، وأصبحت تشغل كثيرا من الأيدى العاملة ، وتدر على خزانة الدولة مالا وفيرا

لقد كانت عقيدة البعث الباعث الأول على وضع أسس كثير من العلوم والفنون والآداب . ولقد كانت الديانة الفرعونية تقدم الحوافز والأفكار التى هيأت وضع أصول العلوم الرياضية ، ومهدت السبيل لتقدم الطب وفن الجراحة ، وساعدت على رقى فن البناء وفن الرسم والنقش والتصوير ، وفن النحت ، وأدت إلى اختراع الكتابة وظهور الآداب الدينية ، ودفعت إلى اكتشاف صناعة الورق وتنظيم استقلال المحاجر والمناجم . فكان لهذا الباعث الدينى الفضل الأول فى قيام الحضارة الفرعونية ، بل كان السبب الوحيد فى اطراد نموها وتطورها ، وظلت هذه الحضارة محافظة على كيانها آخذة فى الرقى والتقدم ، ما دامت تستوحى عقيدة البعث ، وتستلهم الإيمان بخلود الروح ، ولكنها اضمحلت حين بدأت تخبو العقائد الدينية فى النفوس ، وأصبح لا سلطان لها على القلوب

***

ويؤمن المصريون بدين جمع شمل العرب ، ووحد قبائلهم ، وكون منهم دولة ، حفزها للخروج من شبه الجزيرة العربية فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فاستطاع العرب على قلة عددهم وعددهم من

أن يدكوا أمما عريقة في المدنية ، وأن يهزموا شعوبا ظلت قرونا تسيطر على العالم ، وذلك لأن الدوافع الدينية ملكت قلوبهم ، وغرس الإسلام في نفوسهم روح الاستشهاد ، فبذلوها رخيصة حبا في نصرة دين خاتم الأنبياء ، وبغية الفوز بالجنة يوم نبعث أجمعين

وظلت أفئدة المسلمين تطوف بالقرآن الكريم سابحة في ملكوت آياته البينات ، تحرص عليها حرصها على أعز ما تملك . فلم يتوانوا في تدوين القرآن ، ولم يفرطوا في العناية بلغته ، فكانت اللغة العربية اللغة الرسمية في جميع أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وسارعوا بوضع قواعد النحو العربي بضبط قراءة القرآن وفهم معانيه. ولما انشغل علماء اللغة بإظهار ما في القرآن من إعجاز بلاغي ألفت الكتب في البلاغة العربية ، ولما شغفت العقول بالتعمق فيما أورده القرآن من تعاليم وأفكار وأسرار انكبت على تفسيره ، ولما صادف المفسرون قصصا وأخباراً وردت في القرآن رغبوا في تحديد زمن وقوعها ومعرفة ظروفها وأسبابها ، مما دعا إلى ظهور كتب تتناول هذه القصص والأخبار، فمهدت لقيام علم التاريخ ، وأخذت موضوعات التاريخ تتسع عندما اهتم المسلمون بتتبع السيرة النبوية وسلوك الخلفاء الراشدين . فكان الحرص على القرآن الكريم من أولى البواعث الدينية التي حضت على خلق جو ثقافي أوجد كثيرا من العلوم مثل النحو والبلاغة والتفسير والتاريخ

ولم يكن الإسلام مجرد عقيدة دينية تلزم من يعتنقها أداء ما تفرضه عليه من عبادات ، بل كان محور الحياة الاجتماعية ، فاستمدت منه التشريعات التي تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وسن المسلمون القوانين التي أسست علم الفقه وأصوله ، وبذلك بعث قرآن الإسلام نهضة فكرية دربت الأذهان على استغلال العلم واستنباط القوانين ، حتى إذا ما أخذت الحركات الناهضة للاسلام تشتد في هجومها ، وتتذرع بالمنطق ، وتطعن تعاليمه بالفلسفة ، وتناقش معجزاته مناقشة عقلية ، قام بالرد على هذه الحملات طائفة من العلماء ساهموا بما أتوا به من حجج لدحض ما ألصق بالإسلام من افتراء بوضع أصول علم الكلام الذي ما وجد إلا ليدافع عن معتقدات الإسلام ، وتسلح في دفاعه بسلاح أعدائه ؛ أي الفلسفة والمنطق ، فانتشرت الدراسات الفلسفية بين المسلمين ونبغ فيهم فلاسفة حملوا شعلة العلم والثقافة إلى أن استلمها منهم الغربيون ..

ولم يقف أثر الإسلام في الحياة الثقافية عند النواحي الأدبية والاجتماعية ، بل تعداه إلى العلوم الرياضية خصوصا الحساب . ذلك العلم الذي يحتاج إليه خبراء التوريث في مهام عملهم ، لأن كل من يشتغل بعلم الفرائض الذي يحدد نسبة ميراث كل فرد حسب الشريعة الإسلامية يجب أن يجيد مختلف عمليات الحساب ، ولذلك وجب على الجميع تعلمه فتوفر المسلمون على دراسته ، فعرفوا الأرقام العربية البسيطة السهلة المتداولة بيننا الآن ، وأخذها الغرب عنهم ، وترك أرقامه الرومانية المعقدة الصعبة ، ففتحت الأرقام العربية آفاقا جديدة لعلم الحساب . ولقد أدى تعلق المسلمين ببحث العمليات الحسابية إلى الاهتداء إلى « الصفر » الذي كان له أهمية كبرى في مستقبل العلوم الرياضية . وكذلك قاد اهتمام المسلمين بالحساب إلى اكتشاف علم الجبر وبذلك مهدوا السبل لتقدم العلوم الرياضية فيما بعد حين بدأت نهضة الغرب الحديثة

إن الإسلام كان على الدوام يعاون العلوم التي تخدمه ، ولم يوجه المسلمون أية عناية جدية لعلم من العلوم إلا إذا كان يدعم أحكام الإسلام . وكذلك لم يعاون الإسلام فنا من الفنون إلا إذا هدف إلى نشر تعاليمه . وما اهتم المسلمون ببعض الفنون إلا لأنها تحقق فرائض دينهم ، وتهيئ السبل لأداء عباداته . وإن لم يكن للعرب قبل الإسلام فن يذكر ، إلا أنه لم يكد يحس المسلمون بحاجتهم إلى أماكن لإقامة فريضة الصلاة حتى بدأ يبزغ الفن الإسلامي في الوجود ، وأخذ يترعرع في رحاب المساجد بيوت الله ، فبعد أن كانت المساجد الأولى مجرد أبنية بسيطة أعدت للصلاة والوعظ ؛ سرعان ما تطور الفن المعماري الإسلامي ، وأصبح من بين المسلمين فنانون مهرة ، أقاموا كثيرا من المساجد والأبنية الدينية كالمدارس والتكايا ذات المصلى ! معبرين فيها عن أفكار هندسية تنم عن بصيرة فنية حاذقة . لقد شيدت معظم المساجد على نظام تقليدي أوحاه الإسلام ، فأصبح كل مسجد يشتمل على منبر ومحراب وصحن وإيوان وقباب ومئذنة ، وكلها تقريبا من إبداع القريحة الإسلامية الفنية

ولما توخى المسلمون في بناء المساجد أن تكون فخمة رائعة مهيبة ، لتدل على ما في الإسلام من عظمة وقوة ، زينت جدران

المساجد بنقوش وزخارف ، فبرع المسلمون فى الحفر على الأحجار وفى رسم الزخارف خصوصا الزخارف الهندسية ، وفى نقش الآيات القرآنية بخطوط جميلة خلابة تظهر فن الخط العربى

وهكذا أخذت ترتقى شتى العلوم والفنون التى كان لها علاقة وثيقة بالإسلام والقرآن ، عندما كانت العقيدة الدينية قوية فى النفوس ، بينما خبا نور الإيمان ، فضعف الوازع الدينى وهزل الحماس للاسلام ، وتدهورت جميع العلوم والفنون التى بعثها واحتضنها حتى بلغت مرتبة ممتازة من الكمال ، مما أدى فى النهاية إلى انحطاط الحياة الثقافية ، واضطراب أحوال المسلمين ، لأن سر قوة المسلمين تكمن دائما فى العمل على قوه الإسلام

* * *

نحن المصريين أحفاد الفراعنة الذين أنبتت عقيدة البعث مشاعرهم الدينية ، وأمدت عقولهم بطاقات خارقة لم تتوان فى ابتكار مجد حضارى يجد العلماء لذة فائقة فى التنقيب عنه . ونحن المصريين نؤمن بدين الإسلام باعث حضارة العرب وخالقها ، وحملت الشعوب الإسلامية مصر لواء الإسلام وارتضت زعامتها الدينية والثقافية . فنحن المصريين إذاً ورثة الفراعنة وحماة الإسلام ، انصهرت فى نفوسنا ديانات روحية تثير الوجدان ، وتنشط العقل؛ فلقد حفزت عقيدة الخلود على تأسيس حضارة برعت فى العلوم والفنون ، وحض الإسلام على تكوين إمبراطورية فسيحة الأرجاء تدين بتعاليمه ، ودعا إلى قيام حضارة جدت فى خلق كثير من العلوم والفنون . فالمشاعر الدينية والعواطف الروحية تلعب على الدوام دورا هاما فى تطور حياتنا الثقافية . ولقد سبق أن أخبرنا التاريخ بأنه ما من فترة ضعف فيها الوازع الدينى فى نفوس قدماء المصريين ، وخبا نور الإسلام فى قلوب المسلمين ، إلا اضمحل الفكر ؛ وتأخرت الحضارة ، وتفككت أوصال البلاد ، وتدهورت أحوالها ، وتعرضت للغزو الأجنبى

ألا يوحى كل ذلك بأننا لا نملك أن نقيم حضارة تخرجنا مما نحن فيه من تخلف فكرى ما لم نفزع إلى دوافعنا الدينيه نستنهض بها هممنا ، ونحث عقولنا على الخلق والابتكار ، وما لم نسع من أجل إحياء مقوماتنا الروحية إحياء يحرك أذهاننا الخاملة ، ويلهم نفوسنا ، ويساعدنا على إظهار ما نملك من نبوغ قد يسوقنا إلى اكتساب مهارات ترفع من شأننا فى خضم الحضارة الحديثة ، لأن حيوية الجو الدينى الذى يجب أن تعيش فيه عقولنا يدعها تحس بأنها تعيش فى بيئة ترتاح إليها ، وتشعر بأنها تسكن فى بيت تألفه ويألفها ، فتنساب وتنطلق ، لا يعوقها عائق ، وتأخذ فى الإبداع دون تعثر . ولكن إذا مات الجو الدينى الذى يجب أن تتربى فيه عقولنا ، وخرب البيت الذى تعودت أن تنشأ نفوسنا بين جنباته مات الباعث الذى يوحى إلى عقولنا بما تخلق ، وخربت نفوسنا فتفقد انطلاقها وانسيابها ، وتظل حبيسة الجمود والركود ، فتشل المواهب وتعطل القدرات . وإذا ما طال أمد الركود ، فقد يؤدى فى النهاية إلى ضرب من الجدب العقلى ، يشعرنا على الدوام بنقص يغرس فينا ميلا للأخذ من الغير . وبدل أن نعتمد على استعداداتنا ومهارتنا نركن إلى طلب عون ممن صقلت استعداداته ، وبرعت مهارته ، وبدلا من أن نستوحى مقوماتنا النفسية نتكالب على ثقافة من نظن أنهم بلغوا الكمال فى كل ما تناولوه من علوم وفنون ، وفى هذا انتحار فكرى ما بعده انتحار ، لأن الفكر المستضعف قد يتولاه الخمول ، ويقعده الكسل عن أى إنتاج . وقد يعجزه الشعور بالنقص فى آخر الأمر عن النهوض ، ويربطه بعجلة ذلك الفكر الغريب عنه بتهافته النهم على مايتساقط من موائده الشهية من فتات لا تغنى ولا تشبع ، لأنه ارتضى العبودية الفكرية ، ولم يحاول أن يبحث عن الطرق والوسائل التى تحرر روحه من أغلالها ، وتحطم القيود التى تحول دون انبثاق مواهبه وشحذ استعداداته

عبد العزيز محمد التركى

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب)
« المازنى »

— ٤ —

فى التدريس

نال المازنى إجازة التدريس من مدرسة المعلمين العليا (١٩٠٩) وهو إذ ذاك شاب فى التاسعة عشرة لم يطرّ شاربه ، فكان يستعجل مظاهر الرجولة فى نفسه . . « فأحلق وجهى ثلاث مرات فى اليوم لعل ذلك يعجل بإنبات الشعر ، فقد اشتهيت أن يكون لى شارب مفتول وخدان كأنما سقيا عصير البرسيم ! »

وكان من أوائل المتخرجين فعينته الوزارة مدرساً للترجمة بالمدرسة السعيدية ، ومنها نقل إلى المدرسة الخديوية . وكلفته الوزارة فى ذلك الحين تدريس مبادئ اللغة العربية للأساتذة الإنجليز بمدارسها فترجم لهم فصولا من كتاب « كليلة ودمنة » غير معتمد فى ذلك على الترجمة الإنجليزية كما يقول الأستاذ العقاد .

ولم يلبث أن وقعت بينه وبين وكيل المعارف جفوة نقل على أثرها إلى مدرسة دارالعلوم . وكان هذا النقل فى ظاهره «ترقية » وإن لم يكن كذلك فى حقيقته ، لأن مهمته فيها كانت تدريس مبادئ الإنجليزية لطلبة دار العلوم . ولم يسترح المازنى إلى هذا التكليف فكان من الأسباب التى حملته على ترك وزارة المعارف بعد ذلك بقليل .

ولا شك أن تلك الجفوة تدلنا على ما كان يعتصم به المازنى من الإباء والضن بالكرامة فى وسط شاع فيه التزلف والرياء . وقد كان المستشار الإنجليزى « دنلوب » فى ذلك الحين رب الوزارة والحاكم بأمره فيها ، فلم يكن كبير أو صغير إلا ويرهب صولته ويتقى غضبه . ولكن المازنى لم ير فيه مايرهب أو يخيف حين دعى يوماً لمقابلته ليسأله المستشار رأيه فى بعض المدرسين الإنجليز . وتفصيل ذلك مارويه عنه :

« اتفق يوماً – فى آخر عهدى بالتعليم فى وزارة المعارف – أن قصدت إلى مدرسة دار العلوم ، وكنت معلماً بها ، فالفيت ناظرها – وهو مصرى – على بابها ، فاستقبلنى بالاحتجاج على تأخرى ، فاستغربت وبينت له أنه لايزال على موعد دروسى نصف ساعة . فصاح « من قال إننا نريد منك اليوم دروساً ؟ إن جناب المستشار يطلبك ! وقد بعث إليك رسولا فكيف لم تعلم ؟ » فطمأنته وطيبت خاطره وقلت « إنى سأذهب إلى الوزارة بعد الفراغ من دروسى » . فكأنما ألقيت على النار حطباً ، فقد جعل يصيح على الباب وأمام المارة – « ياخبر أسود ! وجناب المستشار ينتظرك حتى تفرغ ! هل تريد أن تخرب بيوتنا ؟ رح إليه حالا ! الآن ! » . فركبنى عفريت الشباب المتمرد ، وكنت أكره هذا الناظر ولا أحترمه فأبيت أن أذهب إلا إذا أعطانى أمراً كتابيا بإعفائى من التدريس فى ذلك اليوم . وقصدت إلى الوزارة فإذا على رأس السلم طائفة من كبار الوظفين المصريين فجعلوا يشيرون إلى كالمجانين ويأمروننى أن أجرى . وكيف بالله كان يستطيع أن يجرى من كسرت ساقه ولم يبرح بيته إلا منذ أسبوع ؟ . . وقابلت المستشار ومعه كبار الإنجليز وسألنى عما أراد فجاوبته ، وانصرفت وأنا أستغرب وأتساءل عن ذلك الغول الذى يرعب كل هؤلاء الرجال أين هو ؟ ولاحظت وأنا منصرف أن رؤوساً أو وجوهاً تطل من الأبواب المواربة ، ولا شك أنه أذهلهم أن يروا مدرساً صغيراً يدعى لمقابلة المستشار »

ولم يكن هذا الشعور من المازنى تكلفاً للعظمة أو تظاهراً بالاستخفاف ، ولكنها طبيعته التى تملك عليه أمره فى كل كبيرة وصغيرة . وكاد يستقيل من الوزارة حين بدا له أنها تنظر إلى المعلم نظرتها إلى طوائف « الموظفين » وأنها لاتقدر رسالته تقديرها الصحيح . ويروى أنه مرض يوماً « . . فطلبت إجازة ، وأبطأ الطبيب وشفيت قبل أن يحضر ، فطالبتنى الوزارة بتقديم شهادة طبية تثبت أنى كنت مريضاً ، فكتبت إليها أنه لم يعالجنى طبيب فعادت تطالبنى بالشهادة الطبية ، فكتبت أنبهها إلى أنها ، فى الواقع ، تكلفنى أن أحمل طبيباً على التزوير . وكثرت المكاتبات العقيمة فسئمت ؛ فكتبت إليها أنى معلم ، وقد كان المسيح عليه السلام يدعى المعلم ، وكان أرسطو يسمى المعلم الأول ، وأنى مؤتمن

على عقول مائتى تلميذ وزيادة ، فيجب على الأقل أن أعد صادقا وإلا فإننى أوثر أن أستقيل من وزارة تنظر إلى المعلم هذه النظرة»

وقد كان المازنى كما ذكرنا مدرس ترجمة . فحدث عند نقله إلى المدرسة الخديوية أن اختارت الوزارة لتدريسه مادة الحساب . وبين المازنى والحساب ، والرياضيات عامة ، عداء قديم ونفور طبيعى لايخفيه ، أو كما يقول هو « لا أكتم القارئ أنى أخيب خلق الله فى الحساب » . . فلابد إذن من تفادى هذه الورطة ! ولكن كيف السبيل ؟

يقول المازنى وهو يروى هذه القصة فى كتابه الساخر « رحلة الحجاز » :

« . . اعترضت واحتججت ، فما أجدى عنى اعتراضى شيئاً ، فقصدت إلى ناظر المدرسة ـ وكان إنجليزيا ـ وقلت له : إن وزارة معارفنا تعتقد أن كل امرئ يصلح لكل شئ ؛ ولكنى أعرف من نفسى أنى لاأصلح لتعليم الرياضة عامة والحساب خاصة ، وأصارحك أنى لاأصدق أن واحداً فى واحد يساوى واحداً ، هذا ، كما يقول شاعر عربى ، كلام له خبئ معناه لبست لنا عقول . وقد تكون أولا تكون لنا عقول ؛ هذه مسألة خلافية ندعها الآن ، ولكن المحقق عندى أن العلوم الرياضية وفى جملتها هذا الحساب لاتدخل فى دائرة عقلى ، فهل لك فى عونى على ما أريده ؟ فضحك وقال : وما تبغى ؟

قلت : تعفينى من التدريس للفرق العليا ؛ وتقنع بأن تكل إلى تلاميذ الفرقة الأولى ، أعنى الحاصلين على الشهادة الابتدائية فى هذا العام ليتسنى لى أن أحفظ الدرس أولا فأولا ، ثم ألقيه عليهم ، فنتعلم معاً ، وفى خلال ذلك تبذل وساطتك لتردنى مدرس ترجمة كما كنت .

فسرته صراحتى ووعدنى خيراً . وشرعت فى العمل ، وكنت أحفظ الدرس جيداً وأراجع زملائى ثم أدخل على التلاميذ وألقنهم ماحفظت ، وقد وفقنى الله فى الهندسة والجبر ، أما الحساب فأعوذ بالله منه ! ! كنت أخطئ فى كل مسألة أطرحها على التلاميذ ، ولم أكن أكتمهم أنى أجهل منهم وأن الذنب للوزارة وليس لى ، وأن الوزارة هى المسئولة عن خلطى وتخبطى ، وأنصف التلاميذ فأقول إنهم قبلوا عذرى واغتفروا لى ضعفى وجفونى بعطفهم ولم يبخلوا على بإيضاح مايشكل على وبهدايتى إلى الصواب حين أضل ، وكنا أحياناً — إذا استعصى عليهم إفهامى طريقة الحل — نقضى بضع دقائق فى ندب سوء حظى وحظهم ، وربما قال الواحد منهم وقد فاضت نفسه بالعطف على والمرثية لى : كيف ترتكب الوزارة مثل هذا الخطأ الشنيع فتعهد إلى تدريس العلم إلى جاهل به ؟

ولم ينقذنى إلا مفتش إنجليزى جاء على عادته ليشرف على سير الدراسة ، فعلمت أنه مع الناظر فى غرفته ، وكانت مجاورة للغرفة التى أنا فيها ، فأوصيت الخادم أو الفراش كما يسمونه — بأن يدعوه إلى ، حين يخرج ، وفتحت الباب على مصراعيه فلما دخل على رحبت به واحتفيت بمقدمه وسرت به إلى مقعدى ومكتبى ؛ وهناك سلمته كراسة التحضير وكراسة الأسماء ، وإصبع الطباشير وممسحة السبورة ، وقلت له : التلاميذ أمامك ، ومعك كراساتى وأدواتى ، فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وخرجت ، فجرى ورائى وأدركنى أمام غرفة الناظر وقال : إن هذا جنون . فعد إلى فرقتك . فقلت : جنون ؟ وهل كنت تنتظر أن أظل عاقلا ؟ لقد صارحتكم مائة مرة بأنى حمار ؛ فماذا تريدون ؟ إن لى ذمة ، وذمتى لاتقبل أن أضيع على التلاميذ المساكين سنة من أعمارهم . قال : ولكنى أكدت لك أننا لانجد مدرساً للرياضة فيحل محلك . فانتظر حتى نجد واحداً ثم نعيدك إلى الترجمة . فقلت : كلا ! تتولى أنت التدريس حتى تجدوا المدرس ، وأنا مستعد أن أقوم عنك بمهمة التفتيش . فضحك ، وضحك الناظر وكان قد خرج على صوتنا ، ولا أطيل : أقنعانى بالعودة إلى فرقتى على ألا يطول عذابى إلا أياماً معدودات ، وقد كان » .

***

واتفق فى عام ١٩١٥ أن أصدر المازنى كتاباً فى نقد « شعر حافظ » وكان يتمثل فى رأيه المذهب القديم . وهو مجموع مقالات كتبها قبل ذلك بعامين ونشر بعضها فى مجلة « عكاظ » ثم جمع متفرقها وطبعها . وظهر الكتاب وكان له دويه . فلم يكن أحد فى ذلك الحين ليجرؤ على نقد حافظ وهو آمن . وكان أحمد حشمت « باشا » وزيراً للمعارف وصديقاً لحافظ ، فساءه النقد ، واضطهد المازنى — وهو مدرس — وأوصى به الرؤساء شرا . وغضب

المازنى لكرامته فاستقال .

ويحدثنا المازنى أنه راجع نفسه وندم يومه على الاستقالة ، وساورته المخاوف وأدركه الجزع من أن تضيق الدنيا به ، وكانت الحرب على أشدها والغلاء ضارب أطنابه . وأرق ليلته ، فوجد أمه بجانبه لتقول له « لاعليك يابنى . لقد تعلمت كل ما يمكن أن تتعلمه هنا . فما خير ذلك إذا عجزت عن الانتفاع به فى الحياة ؟ ولماذا لاتستطيع أن تعمل إلا فى الحكومة ؟ لقد كنت أنا مستعدة أن أعمل بيدى فى سبيل تربيتك ، فكن أنت مستعدا أن تعمل حتى بيديك إذا احتاج الأمر ؛ وثق أنك لن تخيب فإنى داعية لك راضية عنك . قم فنم وتوكل على الله ! »

ثم كان أن دعاه الشيخ عبد العزيز جاويش للعمل بمدرسته « الإعدادية الثانوية » واختار له مادة التاريخ . ومن زملائه فى هذا المدرسة الأساتذة العقاد والزيات وأحمد زكى .

وقد كان المازنى مدرسا ناجحاً ، وكان مابينه وبين تلاميذه عامراً قائماً على التوقير والتقدير ، إذ كانوا شبانا وكان هو كذلك لايكبرهم إلاقليلا . والتقارب فى السن أدعى إلى التجاوب وحسن الأخذ والتلقى . وكان نمطاً جديداً في الأساتذة لا عهد للتلاميذ بمثله . ولم يكن اعتماده فى تحضير الدروس وإعدادها على الكتب المقررة أو الموضوعة ، بل كان يعتمد على موهبته الشخصية ومحصوله الخاص . وكان الأثر الذى خلفه فى نفوس تلاميذه قويا موحياً ، فدلتهم طريقته الفريدة فى ذلك الحين على حقيقة مدرسهم وأى أستاذ عظيم هو . وفى الحادثة التالية التى يرويها الأستاذ عبد الرحمن صدقى — وهو من تلامذة المازنى فى المدرسة الخديوية لذلك العهد مايقوم دليلا على ما كان للأستاذ الشاب من مكانة فى نفوس تلاميذه لم يكونوا يعرفونها لأساتذة الطراز القديم

يقول الأستاذ صدقى : « فى ذات يوم دخل علينا — على غير علم منا — فى درس ترجمة أستاذ غير أستاذنا . ومما زاد فى غرابة أمره أنه كان على نقيضه ، فهو شاب من أهل جيلنا لا يكبرنا إلا قليلا . وهو قصير القامة نحيل غير جسيم . ثم إنه لا تركب أنفه نظارة غليظة العوينات كصاحبنا . وهو لايتهادى فى مشيته إلى المنصة ، بل قد مشى إليها مشية غير متكلفة ، تخطى متزنة لا سريعة ولا متئدة . وها هو ذا يستقبلنا بوجه مخروط ترين على وسامته صفرة نعرفها فى أنفسنا قبيل الامتحان من معاناة الدرس وطول السهر . وها هو ذا يطالع جمعنا من غير تخصيص ولا تحديق ، بناظرين نفاذين وقادين ، فيهما عمق وحزن من غير وحشة وانقباض

وقامت فى الصفوف المتأخرة كمألوف العادة هينمة ولغط ، وهب تلاميذ الصف الأول للتحية واقفين ، ونهض الذين من بعدهم بعض النهوض متثاقلين ، وظل الأخيرون قعودا متجاهلين ولكن الأستاذ لم يفارقه سكونه المترفع الحزين ، وكان فوق منصته العالية كأنما يستوى فى نظرته العابرة ونفسه الكبيرة الشاملة ، أهل الطاعة وأهل المعصية ، ثم أجمل التحية فى غير استكراه ولا زلفى

ودق الأستاذ الشاب فى لطف على المنضدة . وبادرنا دون أن يرفع صوته : أخرجوا كتاب أدبيات اللغة العربية . فاستولت علينا دهشة وتملكنا العجب ، فللترجمة كان الدرس لا للأدب ! وقبل أن ينقضى عجبنا ونفيق من غاشية ذهولنا ، أومأ الأستاذ إلى أحدنا ، وطلب إليه فى غير احتفال أن يفتح الكتاب على أية صفحة وأن يجهر بتلاوتها علينا . ثم توجه إلينا بالدعوة إلى مراجعتها والشروع على الفور فى ترجمتها . ولا تسل عما دخل على نفوسنا من هذا الارتجال . إنها — على طول الفترة — أول مرة يجرى فيها درس الترجمة على خلاف الخطة . وليت الأمر وقف عند هذا القدر . بل بلغت الجرأة بأستاذ الترجمة المحدث أنه لم يأخذ لدرسها أدنى أهبة ، ثم كان من ذهابه إلى غاية المدى أنه لم يكن له شأن حتى فى اختيار القطعة

فى هذه اللحظة ، لو أن متسمعا تسمع لقلوبنا الصغيرة لألفاها جميعا تنبض بلحن واحد : يا للعظمة ! يا للعظمة !

واسترقنا النظر إلى الأستاذ الشاب القصير النحيل ، فإذا هو غيره قبل تلك اللحظة . إنه ملء عيوننا روعة ، وملء صدورنا هيبة !

ولم يحدث خلال السنوات العشر التى أنفقها المازنى فى التدريس ، أن احتاج إلى أن يعاقب تلميذا أو يوبخه أو يقول له كلمة نابية . وكان لقرب عهده بالتلمذة وسابق تجربته وخبرته بشقاوة التلاميذ ، أعرف بما يقابل به الرغبة الطبيعية فى هذه

الشقاوة ، ومما يدل على تلك المقدرة عنده هذه الحادثة التى يرويها

« اتفق يوما أن دخلت الفصل فإذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفا والجو حارا جدا ، فضاعف الحر شعورى بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وأدركت أنها هى المادة التى كنا ونحن تلاميذ نضعها فى الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسى إنهم ثلاثون أوأربعون وأناواحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثى نفسى فإنها تثنى نفوسهم معى أيضا . فحالهم ليس خيرا من حالى ، والإحساس التعب الذى أعانيه ليس قاصرا على ولا أنا منفرد به ، وإنهم لأغبياء إذ أشركوا أنفسهم معى وقد أرادوا أن يفردونى بهذه المحنة . والفوز فى هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصبر والاحتمال . فتجاهلت الأمر وصرت أغلق النوافذ واحدة بعد الأخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان . فصبرت وتشددت ودعوت الله فى سرى أن يقوينى على الاحتمال ، ومضيت فى الدرس بنشاط وهمة لأشغل نفسى عما أعانى من كرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت أرى فى وجوههم أمارات الجهد الذى يكابدونه من التجلد مثلى فأسر وأغتبط وأزداد نشاطا فى الدرس وإغضاء عمن يرفعون أصابعهم ليستأذنوا فى الكلام ، فقد كنت أعرف أنهم إنما يريدون أن يستأذنوا فى فتح النوافذ عسى أن تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذه الحال نصف ساعة كادت أرواحنا فيها تزهق ورأيت أن الطاقة الإنسانية لا يسعها أكثر من ذلك ، وأن التلاميذ خليقون أن يتمردوا إذا أصررت على عنادى المكتوم واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسألت صاحبها عما يريد ، فقال إنه يريد أن يفتح النافذة لأن الحر شديد . قلت افتحها . وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعا واستأنفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال ما لا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائى ثلاثة أو أربعة من التلاميذ ولحقوا بى . وقال لى واحد منهم إنهم يأسفون لما حصل وأن الأمر كان مقصودا به غيرى ، وأنهم يطلبون الصفح ، فسررت ولكنى تجاهلت وسألتهم عما يعنون . قالوا : الرائحة الكريهة التى كانت فى الفصل . قلت : رائحة .. أى رائحة ؟ إننى مزكوم ولهذا لم أشم شيئا فلا محل لاعتذاركم . ومضيت عنهم »

ويروى الأستاذ العقاد عن تلاميذ المدرسة الإعدادية أنهم كانوا يسمون المازنى فيما بينهم باسم (تيمورلنك) ، ويقول الأستاذ الكبير إن سر البراعة فى هذه التسمية ، هى أنه كان يدرس التاريخ ، وأنه كسميه صغير الجسم مصاب بإحدى قدميه ، وأنه مسيطر على التلاميذ قلما يحتاج إلى معاقبة أحد منهم لخروجه على نظام الحصة ، لأنه كان مهيبا بينهم قديرا على أخذهم بمهابتهم إياه قبل خوفهم من عقابه ، فجمعوا كل ذلك فى اسم تيمورلنك أحسن جمع مستطاع

وفى عام ١٩١٨ تولى المازنى أمر مدرسة ثانوية ، فاستغنى فى إدارتها عن كثير من الأوامر والنواهى ، وعن دق (الجرس) فى مواعيده ، ورفض أن يستعمل فى مدرسته (الدفاتر) الوزارية العديدة التى تستعملها المدارس ، كذلك ألغى العقوبات بكافة أنواعها ، فقد كان رأيه أن المدرس الذى يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لمهنة التدريس ، وكانت المدرسة تحت إشراف وزارة المعارف ، فحدث خلاف بينه وبينها بسبب هذه (الإداريات) ؛ هو يراها تافهة لا غناء فيها ولا نفع وراءها ، وتراها الوزارة من اللازم اللازب لحفظ النظام

ولعل هذا الخلاف لم ينته بغير ترك المازنى للمدرسة أو إغلاقها فى أخريات ذلك العام ، وانتقاله إلى ميدان غير ميدان التعليم

لماذا هجر المازنى التدريس ؟

لعل ذلك كان زهدا فيه ورغبة عنه بعد عشر من السنين الولاء هى خلاصة العمر وصفوة الشباب . على أن المحقق أنه رآه أبعد عن طبيعته وأدعى إلى تعطيل مواهبه ، وأنه لا يلتقى بالأدب فى ملتقى واحد ، وكان يرى — كما يقول — أن الوقت الذى ينفقه فى التعليم كان الأدب أولى به ، أو هو مقتطع من حق الأدب ، وأن التعليم لا يصله بالحياة الصلة اللازمة لفهمها . وكان يرى كذلك أن أدبه فى تلك الفترة نظرى بحت أو هو الأدب الذى يعتمد على الكتب ولا يستمد من الحياة إلا قليلا ، فخرج فى الأغلب دراسات قوامها القراءة دون التجربة

وسبب آخر من أسباب ترك التعليم . فقد أخذت نذر الثورة المصرية (١٩١٩) تتجمع فى الأفق ، وتأججت فى المصريين

بنديتو كروتشه

١٨٦٦ — ١٩٥٢

للأستاذ جمال مرسى بدر

فى العشرين من نوفبر سنة ١٩٥٢ وفى مدينة نابولى الرابضة على خليجها مضرب المثل فى جمال الطبيعة ، انتقل من الفانية إلى الباقية رجل من بقية الفلاسفة العظام ورواد الفكر الإنسانى وحملة مشعل الحقيقة — ذاك هو بنديتو كروتشه أكبر فيلسوف أنجبته إيطاليا منذ زمن بعيد ، وأحد القلائل المشهود لهم فى عصرنا ببعد الأثر فى توجيه الفكر الحديث

ولد بنديتو كروتشه فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٦ فى بسكا سيرولى بمقاطعة أكويلا ، ثم نزحت عائلته إلى نابولى حيث بدأ « بنديتو » تعلمه فى إحدى مدارس الكاثوليك شأنه شأن أغلب فتيان وطنه

وفى سنة ١٨٨٣ نكب بنديتو كروتشه وهو فى صدر شبابه بأبويه جميعا فى زلزال من تلك الزلازل التى لا تجهلها مدينة نابولى فغادرها إلى روما حيث عاش فى كنف عم له . ودخل الجامعة ليدرس الحقوق ثم تحول عنها إلى الآداب ولكنه على أية حال لم يكمل دراسته الجامعية إذ لم يلبث أن عاد إلى نابولى بعد سنوات ثلاث من إقامته فى روما

وفى نابولى عكف كروتشه سنين طويلة على دراسته الخاصة فى التاريخ والأدب والسياسة والاقتصاد والاجتماع وتفاعلت ثمار هذه الدراسات فى ذلك العقل الممتاز حتى أخرج صاحبه أول أثر فلسفى له فى سنة ١٩٨٣ وهو مجموعة مقالات فى «طبيعة التاريخ» وفى « مذاهب النقد الفنى »

ولقد كان للدراسات الاقتصادية فى تفكير كروتشه شأن كبير وانعكست عقليته الاقتصادية على كثير مما كتب وإن كان موضوعه غير متصل بالاقتصاد ، ولقد بدأ اهتمام كروتشه بالدراسات الاقتصادية فى شبابه الباكر إذ عكف على ما كان يشغل العالم آنئذ (ولا يزال شغله) من مذاهب اقتصادية متضاربة وأخرج فيما بين سنتى ١٨٩٦ — ١٩٠٠ دراسات فى نواح من المذهب الماركسى

أما اهتمامه بالنقد الفنى الذى كتب فيه واحداً من أوائل آثاره فقد تجلى فى نشره منذ سنة ١٩٠٣ مجلته « النقد » la critica التى تولت عرض أبدع أعمال الأدباء الإيطاليين ونقدها نقداً فنيا مذهبيا حقبة طويلة من الزمن بحيث أصبحت مجموعاتها مرجعاً لاغنى عنه لكل من يدرس الأدب الإيطالى الحديث

ولم تتخلف عن أعمال كروتشه وكتاباته نتيجتها الطبيعية فذاع صيته فى الأوساط الأدبية والعلمية . ولم يلبث هذا الشاب الذى غادر جامعة روما قبل أن يتم دراسته أن أصبح قبلة أنظار جامعات إيطاليا التى تسابقت إلى عرض كراسى الأستاذية عليه! غير أنه رفضها جميعا مفضلا الاستغراق فى دراساته الحرة وبحثه المستقل الذى ينشر على الناس نتائجه فى كتبه وفى رسائله فتقع من أذهانهم ونفوسهم موقع الإكبار حيناً وموقع الإنكار حيناً آخر لغرابة ما كان يدلى به من آراء

روح الوطنية وجمت كلمتهم على القيام بها وتأريث شعلتها فى وجه الاحتلال . وهى روح خبرها المازنى عن كثب فى هيئة مدرسته من مدرسين وتلاميذ ، وممن كان يلقاهم فى الطريق — بين البيت والمدرسة — من أبناء الشعب وخاصة فى الأحياء الوطنية . فأعدته هذه الروح وتجاوب نداؤها الخفى بين جنبيه ، وعرف أن قد آن له النزول إلى المعمعة وخوض النهار ، وأن الفرصة قد سنحت لتحقيق نيته القديمة على ترك التعليم ، فأغلق المدرسة واتجه صوب الصحافة ليخدم الثورة بقلمه

ولعله إلى جانب ذلك ، قد دار بنفسه خاطر التأسى بالذين سبقوه من زملائه إلى التفرغ لرسالة الأدب مضحين فى سبيلها وظائفهم الحكومية ، وكانت على ذلك العهد غاية مطمح الشبان ؛ وكان المذهب الجديد والتمهيد له مما يحتاجون معه إلى توحيد الخطة وتجنيد الجهود . فلم يكد يحين الوقت للبدء فى إعلانه والدعوة إليه ، حتى شمر المازنى عن ساعديه ، وحمل — كما يقول — فأسه ومعوله ومجرفته ولحق بأصحابه

يتبع

محمد محمود حمدان

ولئن تسابقت الجامعات الإيطالية لتظفر بكروتشه أستاذاً بها فإن الجامعات الأجنبية قد تسابقت إلى تكريمه بإسباغ ألقاب الشرف العلمية عليه ، وأول ماناله من ذلك لقب دكتور فخرى فى الفلسفة من جامعة فريبورج الألمانية

على أن كروتشه لم يعدم نصيبه من المناصب العامة فى بلده إذ عين فى سنة ١٩١٠ عضوا بمجلس الشيوخ ثم عين وزيراً للمعارف فى وزارة جيوليتى فيما بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٢١ . فلما جاء العهد الفاشستى ابتعد كروتشه عن الحياة العامة لعدم توافق آرائه واتجاهات ذلك العهد وماكان يقوم عليه من فلسفة سياسية

ولقد أثمر تفرغ فيلسوفنا للبحث والدرس والتأليف ثماراً طيبة ؛ إذ بلغت مجموعة آثاره المطبوعة سنة ١٩٢٦ عشرين مجلداً عدا ما كتبه بعد ذلك التاريخ وهو شئ كثير؛ إذ أنه لم ينقطع عن الدراسة والكتابة إلى أن أدركته الوفاة

وكان لكثير من آراء كروتشه الجريئة وأفكاره المبتكرة صدى بعيد وآثار بعضها حملة من الانتقاد والهجوم صمد لها كروتشه ودخل مع معارضيه فى محاولات طويلة تولاها بجنان قوى ويراع سوى

وقد اعتبر كروتشه عند الكثيرين من أتباع هيجل ووصفت فلسفته بأنها «هيجلية» ؛ غير أن أغلب الباحثين اليوم — ومنهم الأستاذ جون ألكسندر سميث أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد — يخطئون هذا الرأى ويعتبرون كروتشه صاحب فلسفة خاصة تأثر فيها بكتابات اثنين من مواطنيه هما دى سانكيتس، وفيكو من كتاب القرن الثامن عشر

وإنه لما يجاوز نطاق مقال واحد الإلمام بجميع نواحى كروتشه والإحاطة بفلسفته التى قسمها إلى أقسام أربعة : فلسفة الجمال ، والمنطق ، وفلسفة السلوك (الاقتصاد والأخلاق) ، وفلسفة التاريخ [1] وهو يراها فى مجموعها وحدة لاتنفصم ، وتشمل كافة مظاهر الوجود الإنسانى

ولكن لا أقل من أن نلم فى هذه العجالة بشئ من آراء كروتشه فى فلسفة الجمال . ولعل اقتصارنا على جانب واحد من جوانب هذه الفلسفة الخصبة (فلسفة كروتشه) أكثر فائدة من مرورنا على عجل بكل جوانبها فى حدود مايقتضيه المقام من إيجاز

بسط كروتشه مذهبه فى فلسفة الجمال فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٠٢ (وطبع بعد ذلك طبعات عديدة وترجم إلى أكثر من لغة أوربية) ثم فى كتابات متفرقة أهمها المجموعة التى نشرت بعنوان « مقالات جديدة فى فلسفة الجمال » (بارى سنة ١٩٢٦)

ليس كروتشه من أنصار فكرة المثل الأفلاطونية ، وهو لا يرى الفن كما كان يراه أفلاطون محاولة لتقليد مثال الجمال الذى تحسه النفوس من بعيد مجردا عن موضوعاته وتسعى عن طريق الفن بمختلف صوره إلى الوصول إلى شئ من ذلك المثال ، فكروتشه يرى أن الجمال — أو الفن — هو وموضوعاته شئ واحد ، فهو من المنادين بالوحدة بين الجمال وبين موضوعه أو بين الفن وبين العمل الفنى

يقول كروتشه إن الأفكار القبلية à piori كفكرة الجمال أو الفن ليست موجودة فى ذاتها وإنما هى موجودة فى الموضوعات المتعددة التى تتجلى فيها ، والجمال أو الفن ليس مثالا بعيدا عن الإدراك تعجب به النفوس فى ذاته ! وإنما هو نفسه الأشياء الجميلة أو الأعمال الفنية التى يخطئها الحصر والتى وجدت وتوجد وستوجد فى هذا العالم المتغير

ومن هذه الوحدة بين الجمال وموضوعاته وبين الفن والأعمال الفنية يخرج كروتشه بتجديد مهمة فلسفة الجمال لا على أنها (كما كان مسلما) تعريف الفن تعريفا يسمح بمعرفة قوانين الجمال الأزلية التى تحكم كل مظاهره ، وإنما على أنها محاولة دائمة لتنظيم وتبويب مظاهر الجمال الفنى التى تتعدد وتتسع على مر الزمن ، فهى بهذا الوصف علم متجدد نام دائما أبدا

والعمل الفنى عند كروتشه ليس هو الشكل المادى الذى يتجلى فيه ذلك العمل للناس ويبقى فيه على الدهر كالألفاظ فى

---

[1] ضمن كروتشه فلسفته مجلدات أربعة نشرها تحت عنوان مجموعى « فلسفة الروح » le filosfia della spirits وقد ظهرت بالترتيب التالى

فلسفة الجمال Estetica : سنة ١٩٠٢

المنطق logica سنة ١٩٠٥

فلسفة السلوك la filosfia della pratica سنة ١٩٠٨

نظرية التاريخ Teoria della storiografia سنة ١٩١٦

الشعر وكالخطوط والألوان فى التصوير ، وإنما العمل الفنى عنده هو الحالة النفسية أو الانفعال النفسى لدى الفنان المبدع ولدى غيره ممن يتذوق ما أبدعه الفنان . وعلى هذا يقول كروتشه إن الأشياء الجميلة والأعمال الفنية غير موجودة فى ذاتها وإنما هى موجودة فى نفوس المبدعين والمتذوقين

وإذ يتنبه كروتشه إلى ما فى القول بأن الأشياء الجميلة والأعمال الفنية غير موجودة فى ذاتها من تناقض ظاهرى ؛ يلجأ إلى علم الاقتصاد ليضرب مثلا يقرب المسألة من الأذهان فيقول : إن الاقتصاد لايعرف للشئ فى ذاته قيمة ، وإنما القيمة هى وليدة العرض والطلب وليست وليدة صفات طبيعية فى ذات الأشياء . وإذن فالاقتصادى الذى يبحث عن القيمة على هدى الصفات الذاتية للشئ يرتكب نفس الخطأ الذى يقع فيه من يبحث عن الجمال فى المظاهر المادية التى تبدو فيها الأشياء الجميلة أو الأعمال الفنية

ومن هذه التفرقة بين الأشكال المادية التى تتجلى فيها الأعمال الفنية وبين العمل الفنى فى ذاته يخرج كروتشه بمبدإ وحدة الفن ؛ فهو يرى أن التمييز بين الفنون المختلفة إنما هو تمييز غير جوهرى مرجعه إلى الشكل المادى الذى تبدو فيه آثار مختلف الفنون كالأصوات فى الموسيقى والألفاظ فى الشعر والألوان فى التصوير ، أما فى الجوهر فالفنون المختلفة التى جرى العرف على التمييز بينها تربطها وحدة قوية ، لأن العمل الفنى لايتوجه إلى الحواس التى ترى أو تسمع ، وإنما يتوجه إلى النفس البشرية فى عمومها ، وتأثيره فى تلك النفس واحد وإن اختلفت الاشكال المادية التى تبدو فيها آثار الفنون . ومن ثم فإن كروتشه لايقر من يرون لكل فن من الفنون الجميلة قواعد استاتيقية خاصة به ، ويرى أن فلسفة الجمال ينبغى أن تشمل بذات القواعد الفنون كلها لأنها فى حقيقتها فن واحد

هذا وإن عملية الإبداع الفنى قد نالت من اهتمام كروتشه جانباً كبيراً ؛ ولا غرو فهى من أهم المشاكل التى يتناولها الباحثون فى الفن والجمال ، وفى صدد الكلام عن الإبداع الفنى يشير كروتشه إلى التفرقة المعتادة بين الإلهام والتعبير ، ويرى فيها ذات المشكلة التى تتجلى فى نواح أخرى من الفلسفة كما فى مسألة الباطن والظاهر ومسألة العقل والمادة ومسألة الروح والجسم ومسألة الإرادة والفعل

ومشكلة الإلهام والتعبير — منظوراً إليها على هذا الوضع — هى عند كروتشه مشكلة لاتقبل الحل ؛ لأن التفرقة المبدئية بين باطن وظاهر أو عقل ومادة أو إلهام وتعبير من شأنها أن تحول دون النفاذ من نطاق إحدى الفكرتين إلى نطاق الأخرى ، ذلك أن مانسميه « الروح » — مثلا — لايمكن أن نتصوره إلا حالا فى جسم ، ومانسميه الإرادة لانعرفه إلا متمثلا فى أفعال — وهكذا ؛ فإن الثنائية لاتؤدى عند فيلسوفنا إلا إلى أحد أمرين : فإما القول بعدم الإدراك ، وإما نفى المعرفة أو اللاأدرية

وإذا كانت المشكلة على هذا الوضع غير قابلة للحل فلا يشك كروتشه فى أن وضعها ذلك الوضع خطأ ينبغى تصحيحه ؛ وتصحيحه هو فى القول بوحدة الإلهام والتعبير . فالإلهام لايمكن أن نتعرفه إلا إذا ظهر فى صورة تعبيرية ، فهو والتعبير إذن شئ واحد ، ولا إلهام إذن من غير تعبير . وهنا يسخر كروتشه ممن يدعى أن لديه أفكاراً لايستطيع أن يعبر عنها ، أو أن فى ذهنه لوحة لايستطيع أن يرسمها ، وينكر على هذا وذاك وجود مايزعمانه من إلهام يبنى كروتشه مبدأ وحدة الإلهام والتعبير على نفى الثنائية . وليست المسافة بين نفى الثنائية وبين القول بوحدة الوجود بالمسافة الكبيرة عند كروتشه ، فهو يرى أن فلسفة الجمال تساهم بمبدإ وحدة الإلهام والتعبير فى بناء المبدإ الأكبر مبدإ وحدة الوجود . وعنده أن إبداع قصيدة من الشعر ينطوى على اللغز الأعظم الذى ينطوى عليه إبداع هذا الكون الكبير

وبعد، فهذه لمحات من آراء بنديتو كروتشه فى فلسفة الجمال ، لانزعم لها أنها أحاطت بهذا الجانب من فلسفته كما ينبغى أن تكون الإحاطة ، ولكن إذا تيسر لهذه اللمحات أن تلفت القارئ العربى إلى هذا المفكر العظيم الذى لم ينل فى بلادنا قسطه العادل من ذيوع الصيت فذلك حسبها وكفى

الإسكندرية

جمال مرسى بدر

٨ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

(تتمة)

ضروب من القرعة المعاصرة

١ – وكانت القرعة إلى عهد قريب تطلق على اختيار الرجال للجندية ، وكانت إدارة التجنيد لجيشنا المصرى تسمى (إدارة القرعة) ، ولا تزال هذه التسمية غالبة لم تمح التسمية القديمة ، وبسؤالى لبعض كبار رجال الجيش أجاب بأن ذلك لا يعدو أن يكون مجازا فى التسمية ، وأنه لم تكن ثمة قرعة بالمعنى الحقيقى ، وإنما هى اختيار بحت وترشيح للصلاحية كان فيما مضى مبنيا على قواعد ساذجة ، ثم أضحى اليوم مقيدا بشروط دقيقة لابد من توافرها فى أفراد الجيش النظامى

٢ – ومن وسائل القرعة أن تقطع أوراق متساوية القدر والنوع واللون ، ثم يعطى كل واحد من المتقارعين واحدة منها فيكتب فيها اسمه ، ثم تطوى كلها على غرار واحد ، فإما أن تجعل مربعة ، وإما أن تلف لفا أسطوانيا ، بحيث لا يبدو من إحداها ما يدل على صاحبها ، ثم تلقى فى وعاء ، وقد يكون ذلك الوعاء قلنسوة أحد المتقارعين ، ثم تجلجل كما تجلجل القداح ، ثم تخرج إحداها ؛ فمن خرجت باسمه فهو الفائز

٣ – ومن وسائل القرعة فى بدء الألعاب الرياضية أن يختار كل واحد من الفريقين أحد وجهى الدرهم : الصورة أو الكتابة ، ثم يلقى الحكم هذا الدرهم فأى الوجهين ظهر حكم لصاحبه أن يكون هو البادئ باللعب

هذه هى أشهر ضروب القرعة المعاصرة فى مصر اليوم ، ولا ريب أن هناك ضروبا أخرى منها يزاولها أقوام آخرون فى شتى بلاد الله ، كل يجرى على مذهبه وطريقته فى ذلك

الاستخارة

ومما يلحق بالاستقسام لطلب الغيب ، أو للتفاؤل واستشارة قوى الغيب للاقدام والإحجام ما أطلق عليه المتأخرون لفظ « الاستخارة »

ولفظ « الاستخارة عربى أصيل . قال ابن الأثير فى النهاية : « والاستخارة : طلب الخيرة فى الشئ ، وهو استفعال منه ، يقال : استخر الله يخر لك » . وفى الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى كل شئ » . وفيه أيضا دعاء الاستخارة ، وهو « اللهم خر لى » ، أى اختر لى خير الأمرين ، واجعل لى الخيرة فيه

ولا ريب أن معنى هذه الاستخارة أن يستلهم المستخير الله ليهديه إلى خير النجدين ، ويأخذ بيده إلى أقوم الطريقين . وليس فى هذه الاستخارة لجوء إلى غير الله ، وليس فيها توسل بغيره لمعرفة الخير . ولم يؤثر عن السلف الصالح استخارة بغير معنى دعاء الله عز وجل أن يوفق للخير

ولكن هذه التسمية أطلقت فيما بعد على ضروب من الاستشارة أشهرها :

١ – استخارة المصحف ، بأن يفتح المستخير المصحف ليرى فيه ما يدله على الإقدام أو الإحجام ، أو ليستبشر به أو ينتشى بقراءة أول ما يظهر له منه عند الفتح

ويسجل التاريخ خبرا معزوا إلى الوليد بن عبد الملك – وكان فيما يذكر المؤرخون صاحب فسق وفجور – فيزعمون[١] أنه أخذ المصحف يوما وفتحه ، فأول ما طلع له « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » . فقال : أتوعدنى ؟! ثم علقه ولا زال يضربه بالنشاب حتى خرقه ومزقه ، وهو ينشد :

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقنى الوليد

ومع شك بعض المؤرخين فى هذه الرواية فإنها لا تدل بيقين أنه فتح المصحف ليستخير به أو يستقسم ، فليس فى نصها ما يقطع بذلك أو يرجحه

ومما يجدر ذكره أن « الاستفتاح » فى الآية الكريمة لا يمت بسبب إلى « فتح المصحف » بل المراد بالاستفتاح فى الآية هو طلب النصرة . وفى الحديث : « أنه كان يستفتح بصعاليك

(١) النجوم الزاهرة (١ : ٢٩٨ – ٢٩٩) فى حوادث سنة ١٢٦

المهاجرين » ، أى يستنصر بهم . أو المراد به طلب القضاء ، كما فى قوله تعالى : « فافتح بينى وبينهم فتحا » ، أى احكم حكما

٢ — ومن ضروب الاستخارة استعمال « المسبحة » ، بأن يجرى المستخير يده على حبات المسبحة ثم يقف بأصابع إحدى يديه عند واحدة منها ، ثم يحرك أصابع اليد الأخرى من حيث وقف إلى رأس المسبحة ويقرأ على حباتها بالتوالى (الله . محمد . على . أبو بكر . أبو جهل) فحيث انتهى العد إلى رأس المسبحة كان ما تشير به الاستخارة ، فخير الحظوظ أن ينتهى العد إلى الكلمة الأولى ثم التى تليها إلى (أبى بكر) ، ولكنها إذا وقفت عند أبى جهل كان فى ذلك الشر المستطير والأخذ الوبيل

***

هذا هو الميسر وأشباهه ، وتلك هى الأزلام وأشباهها ، بسطت القول فيهما وأردت بذلك فيما أردت أن أذكر تأصيل « الميسر » وأنه داء صاحب البشرية منذ عهد طويل ، وأن أقول إن الوقت قد حان للقضاء عليه فى هذه العهود الجديدة التى تحاول أن تهزم الشر والفساد ، وأن تنصر الأخلاق الفاضلة والمثل العليا

وأما بعد فإن القول ليس بحاجة إلى أن يعاد ، وأن يقال إن الميسر هو السر الغالب فيما كنا نرى من تهافت بعض أصحاب السلطان فيما مضى على اغتصاب الأموال واحتجان الحقوق ، والتسلل إلى اقتناص الأبيض والأصفر من ثنايا الرشوة ومكامن الاستغلال الدنئ . فلنقض عليه ولنعلم أننا نبنى بذلك صرحا عاليا سامقا من صروح الاستقامة ، ونهدم بذلك جبارا ماردا من جبارة الفساد والطغيان

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »

منهج البحث

المقال الأول [٢] :

مقدمة — لفظ الميسر ومدلوله — لفظ القمار ومعناه — لفظ الأزلام ومعناه — زمان الميسر

المقال الثانى :

الجزور — الجزار — عدد الأيسار — قداح الميسر — عدد القداح وأسماؤها — قداح الحظ — القداح التى لا حظ لها

المقال الثالث :

الخريطة — الحرضة — الرقيب — مجلس الميسر — الغنم والغرم — قضايا الميسر — ما فى الميسر من الضرر والنفع

المقال الرابع :

هل بقى الميسر فى الإسلام — الاستقسام بالأزلام — الأزلام فى الشعر العربى

المقال الخامس :

لماذا استقسم العرب بالأزلام — أزلام الاستقسام

المقال السادس :

العامل الدينى — تقديس الأزلام — الأزلام فى التاريخ الدينى القديم — التمرد على الأزلام

المقال السابع

الأزلام الدينية — علة تحريم الاستقسام بالأزلام — القرعة — القرعة فى الكتب الدينية القديمة

المقال الثامن :

ضروب من القرعة المعاصرة — الاستخارة

مراجع البحث

الأصنام ، لابن الكلبي ، طبع دار الكتب — الأغانى ، لأبى الفرج ، طبع الساسى — إنجيل لوقا ومتى ومرقس — بلوغ العرب للآلوسى ، الطبعة الثانية — تاريخ الطبرى ، طبع الحسينية — تفسير أبى حيان — تفسير الفخر الرازى — الحيوان للجاحظ ، بتحقيقنا — خزانة الأدب ، للبغدادى ، طبع بولاق — ديوان الحطيئة ، طبع التقدم — ديوان طرفة . طبع قازان — ديوان النابغة . من مجموع خمسة دواوين — سفر يشوع — سفر يونان — السنن الكبرى للبيهقى . حيدر أباد ١٣٤٤ — السيرة . لابن هشام . طبع جوتنجن — صبح الأعشى . للقلقشندى . دار الكتب — صحيح الأخبار . لمحمد بن بليهد . الطبعة الأولى — صحيح البخارى — الطرق الحكمية . لابن القيم . طبع المؤيد ١٣١٧ — فتح البارى . لابن حجر . طبع بولاق — الكشاف للزمخشرى . طبع البهية — لسان العرب . لابن منظور — محاضرات الراغب الأصفهانى . طبع الشرفية — المحبر . لابن حبيب . تحقيق الدكتورة إيلزه — المخصص . لابن سيده . طبع بولاق — مسند أحمد . بتحقيق أحمد شاكر — معجم البلدان . طبع الخانجى — المفضليات . طبع دار المعارف — مقاييس اللغة . بتحقيقنا — الميسر والقداح . لابن قتيبة . طبع السلفية — النجوم الزاهرة . لابن تغرى بردى . دار الكتب — النهاية لابن الأثير . طبع العثمانية

عبد السلام محمد هارون

(٢) نشر بهذه المجلة فى العدد ١٠٠٩

رد على مقال

العدالة الاجتماعية فى الإسلام

للاستاذ محمد رجب البيومى

كنت أقرأ فى مجلة الثقافة الغراء فصولا مختلفة فى قواعد النقد الأدبى ومذاهبه للأستاذ عزالدين إسماعيل ، فألمح أضواء التوفيق فيما أطالع ، وأتصور أن الكاتب سيخطو بالنقد الأدبى خطوة موفقة حين ينتقل من القواعد المذهبية إلى التطبيق ، ولكنى شعرت بمرارة لاذعة حين قرأت ما كتبه بالعدد الأخير من مجلة الثقافة خاصا بنقد كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، فقد ، قضى على كل أمل كنت أرجوه منه

وكتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام كتاب مرموق فى المكتبة العربية وقد ظهر منذ سنوات ، كما تعددت طبعاته المرة بعد المرة ، فمن يحاول أن ينقده اليوم فلا بد أن يقدم للقارئ مآخذ هامة ظهرت لديه بعد القراءة الطويلة ، والتمحيص الدقيق ، وكنت أنتظر ذلك من الناقد الفاضل ولكن الريح قد أتت بما لايشتهى الملاح

بدأ الأستاذ نقده الثائر بقوله « ويجدر بى قبل أن أطيف بالقارئ فى أرجاء هذا الكتاب أن أنبه إلى خدعة كبارة ، وهالة باطلة نسجها الإمحال فى وقت من الأوقات عن شخصية المؤلف ، فأخذ مكانه بين الرعيل الثانى من المفكرين فى مصر الحديثة ، وإن أظهر ما تتسم به مؤلفات الأستاذ سيد قطب هو الضحالة والصحافية ، وصياغة أفكار الآخرين من جديد »

فالناقد الفاضل يعلن صراحة أن كتاب العدالة قدشق طريقه إلى الرواج لظهوره فى وقت ممحل جديب ، توقف فيه التيار الأدبى عن سيره المتواصل ، وهذا قول باطل ، إذ أن السنوات الأخيرة قد قذفت إلى المطبعة عشرات الكتب الإسلامية والأدبية لعشرات من أفاضل المؤلفين ، ولم ينفرد كتاب العدالة بالظهور ، ليقال إنه لقى مالا يستأهله من الرواج والذيوع ، كما يحدد الناقد الفاضل مكانة الأستاذ قطب فيضعه فى الرعيل الثانى من المفكرين فى مصر الحديثة ، وقد كان الأستاذ قطب من الرعيل الثانى فعلا قبل أن يبدأ سيله الزاخر فى السنوات الأخيرة بكتاب العدالة وما تبعه من المؤلفات ، أما الآن فلا ينكر عليه منصف مكانه المنفوس فى الرعيل الأول من الكتاب . وليس هذا بكثير على كاتب مجاهد دفع عن زملائه معرة الجبن والخمول ، فمهد للثورة الأخيرة بقلمه ، واندفع سنوات متلاحقة يحارب الفساد فى الصحف الحرة النزيهة كالدعوة واللواء والرسالة والاشتراكية وروز اليوسف ، حتى ليجوز أن نشبه موقفه من النهضة الأخيرة بموقف فولتير من الثورة الفرنسية . ولكن الأستاذ عزالدين يقسم الأدباء إلى درجات متفاوتة ثم يعز من يشاء ويذل من يشاء دون عدالة وإنصاف

وهذه السرعة الحميدة الخصيبة فى الإنتاج كانت سيئة شنيعة لدى الناقد الغيور ، فجعلته يحكم على إنتاج قطب بالضحالة والصحافية ، ثم يزيد فيزعم أنه يسرق أفكار الآخرين . وإذا أعوزه الدليل على ذلك ، تعدى كتاب العدالة الذى أرهق نفسه فى نقده ، واندفع يقول :

وإن شئت فارجع إلى كتابه « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » وهنا تستطيع أن تدرك تماما أن الكاتب أعاد أفكار أبركرمبى وتشارلتن ، ولانسون التى سبق أن ترجمت إلى العربية فإذا بحثت عن جديد يختص به المؤلف أعياك البحث دون جدوى

والكتابان اللذان خدعنا بهما المؤلف ، وخيل إلينا أن فيهما من الأصالة ماينفى عنه تلك الصفة ، وهما التصوير الفنى للقرآن ، ومشاهد القيامة فى القرآن ، هذان الكتابان ، بكل أسف ليس فيهما من أصالة الفكرة شئ ؛ فقد تلقف الأستاذ سيد قطب أصل الفكرة من الأستاذ العقاد وراح يضخمها حتى ظفر من هذه الضخامة بقدر يملأ كتابا » ! !

ونحن ننقل هذا الكلام لنسجل على الناقد غفلته ، فكتاب النقد الأدبى لايعيبه إطلاقا — على فرض التسليم بما ذكره الناقد — أن يفيض بآراء أبركرمبى وتشارلتن ولانسون ، إذ أن الناقد المعاصر لابد أن يحيط بالثقافة الغربية فى موضوعه ، وإذا ظهر فى النقد الأدبى كتاب يخلو من الإشارة إليها فى صفحاته

فقد سقطت قيمته الأدبية دون نزاع ، والناقد الجرئ يتعمد أن يغفل فى كلامه حقيقة هامة ، فالأستاذ قطب لم ينقل آراء هؤلاء النقاد إلا ليطبق عليها الآثار العربية من شعر ونثر ، وقد فاض كتابه الجليل بالموازنة والتحليل ، وهنا تتجلى ميزة قطب الأصيلة فهو باحث تطبيقى يزن الأثر الفنى بميزانه الدقيق ، وليس كمن يحشد لنا القواعد الذهبية فى النقد الغربى من كل مكان ، فإذا أراد تطبيقها على الأدب العربى اضطرب مقياسه، واختلج ميزانه ، وغمره التلجلج والبهر والارتباك ! !

وقد ادعى الأستاذ عز الدين أن كتابى التصوير الفنى فى القرآن ، ومشاهد القيامة مأخوذان من الأستاذ العقاد ، ولماذا ؟ وأين الدليل ؟ لأن العقاد قد كتب مقالة تشير إلى فكرتيهما الأصيلة ! فتلقف قطب الفكرة ! وملأ بها كتابين كبيرين !

وهذا يذكرنى بما يقوله بعض الناس فى معرض الفكاهة والتندر ، من أن أوربا لم تخترع الطائرة ، وليس لها أى فضل فى اكتشافها على الإطلاق ، إذ أن الجوهرى وعباس بن فرناس قدها بالطيران فى يوم من الأيام ، ثم أخذ الغرب الفكرة وادعاها لنفسه دون أن يقوم بمجهود ! ! وهكذا أخذ قطب مقالة الأستاذ العقاد فأفرغ فكرتها الموجزة فى كتابين كبيرين، فيا للسطو الشنيع والجريمة النكراء ! !

ثم ماذا ؟ لقد لجأ الكاتب بعد هذه المقدمة إلى نقد كتاب العدالة ، فأدهشنى أن يعمد إلى التشويه دون أن يحترم عقول القراء ؛ فهو حين يدلل على ضحالة قطب يزعم أنه استشهد بقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ليبين أن الإسلام لا يعادى العلم كغيره من الأديان . وهذا غير صحيح ؛ إذ أن قطبا يعرض بعض الخصائص الحية فى الدين الإسلامى ، فيذكر أنه لا يعادى العلم ، ولا يكره العلماء ، وأنه لا يعتمد على الخوارق والمعجزات ، ولا يقوم على الغيبيات فى صميمه بل يقوم على المشاهدة والتأمل والنظر فى الكون . ثم يذكر النصوص الدالة على ذلك من القرآن ، ويعقب عليها بقوله : وذلك طبيعى فى دين يربط التقوى بالعلم ، ويجعل العلم سبيلا إلى معرفة الله وخشيته « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فليت شعرى كيف يكون الاستشهاد بالآية بعد ذلك دليلا على أن الإسلام لا يعادى العلماء ؟ وأين تكون الضحالة إذن ؟ أهى عند الكاتب المظلوم ، أم لدى الناقد الممتاز ؟

والمثال الثانى الذى استشهد به الناقد فى مضمار الضحالة أعجب وأغرب من سابقه ! فهو يزعم أن المؤلف يعالج المسائل الكبرى فى تاريخ الإسلام ببساطة عجيبة ، « حتى ليردها إلى محض الصدفة ، ولا يكلف نفسه التغلغل فى العوامل الاجتماعية والتيارات النفسية التى تعمل بقوة فى مد الإسلام وجزره » ، يقول الناقد ذلك ، وتنتظر منه أن يدلك على مأخذ هام عرض له فلا تجد غير مايضحك ويدهش ؟ فقد استنفد الأستاذ قطب عشرات الصفحات فى إيضاح حقيقة الإسلام فى عصر الرسول وخلفائه الراشدين ؛ وأسهب فى دراسة دعائمه الراسخة فى الحرية والعدالة والمساواة، ثم عرض إلى الحكم الأموى فأوضح مادار على مسرحه من مآس دامية لا ترجع إلى طبيعة الإسلام بل هيأت لها المصادفة التعسة ! أجل لقد فعل الأستاذ قطب ذلك وتدرج مع قارئه فى التاريخ تدرجا منطقيا ، ولكن كلمة المصادفة هذه لا تعجب الناقد، فيغفل جميع ماتقدمها من تمهيد ، وما أعقبها من استنتاج ليخرج بدعوى عريضة جوفاء لن تجد من يطمئن إليها فى كثير أو قليل !

والمؤلم المدهش أن الأستاذ عز الدين لا يفهم هدف الكتاب المنقود ورسالته فهو يحتم على مؤلفه أن يسهب فى شرح البيعة لعلى، وأن يفيد من التحليل الرائع الذى كتبه العقاد فى عبقرية الإمام ، وإننى لأجدنى مضطرا أن أنبه الناقد إلى أن كتاب العدالة ليس كتاب تاريخ تراجع فيه مسائل البيعة والخلافة ؛ فتذكر فيه مزايا على كرم الله وجهه ومثالب معاوية الخلقية ، ولكنه يحتاج إلى التاريخ بالقدر الذى يسعف بالحجة وينهض بالدليل ، فكيف يفرض الناقد على المؤلف أن يندفع إلى استطراد متكلف لا يعنيه

ويخيل إلى أن الناقد الألمعى لا يعرف شيئا عن الروح الإسلامية التى تغمر العالم الإسلامى الآن ، فقد نسى المسلمون قومياتهم الضيقة وجعلوا الإسلام وطنهم الأول ، وقامت جمعيات الإخوان المسلمين فى شتى عواصم الممالك الاسلامية بمجهودها الناجح فى هذا المضمار . والناقد الطلعة يجهل ذلك قطعا ، فيتساءل عن الشخصية المصرية فى

القرنين الأول والثانى من الهجرة وعن الشخصية المصرية الحديثة ، وعن الشخصية الهندية أيضا (كذا) ! كأن باكستان لم تشرق شمسها على الآفاق ، ثم يتذرع بالمنطق التاريخى الموهوم فيسأل عن سر الحملة التى توهمنا بأننا تنكبنا الإسلام فى حياتنا ورحنا نقتبس من هؤلاء وهؤلاء ! أى والله ، إنها توهمنا فقط أننا تنكبنا الإسلام ؟ ! وإذا كان الناقد لا يعتقد مع الواهمين بأننا تنكبنا الاسلام عدة قرون ، فلماذا يتحدث الآن عنه ؟

وقد أخذ الأستاذ عز الدين يتحدث عن الصحافية التى تتمثل فى جميع مؤلفات قطب ، وعن مصادره الثانوية التى لا تصل إلى المراجع الأولى بحال ، وأنت تسأل عن المصادر الثانوية هذه ، فتجدها تتمثل فى الكتب الحديثة مهما بلغت فى الدقة والتمحيص! كأن كل مؤلف حديث لا يجوز أن يرجع إليه ألبتة !! وهذا رأى نسمعه لأول مرة ، ونكتفى بتسجيله دون التعقيب عليه . فإذا سألت الناقد عن مظاهر الصحافية كما يفهمها وجدتها تتمثل فيما سماه بالأساليب الخطابية ، والعبارات الطنانة !! مما لا يصلح فى كتاب يستهدف إلى البحث العلمى السليم . وأحب أن ألفت الناقد إلى أن كتاب العدالة — فوق منزلته العلمية — ذو رسالة عملية ، فقد ألفه كاتبه ليحدث انقلابا شعوريا عاصفا . وليطر بالنفوس الذليلة إلى آفاق العزة والكرامة فى أوج الاسلام ، وكتاب كهذا يجب أن يخاطب الوجدان والشعور ، ويتغلغل إلى الخواطر والمسارب ، وكان فى طوق مؤلفه أن ينحو به المنحى العلمى الهادئ ، ولكنه مصلح ثائر يحطم السدود ، ويقتحم الحواجز . وكتب الثورة جميعها سماوية وبشرية ، غربية وشرقية تخاطب العقل والشعور معا ، ولا يعيبها أن تتلمس لها النقائص تلمسا ، فيقال إن المؤلف يثبت الفكرة قبل أن يبحثها ، إذ أن تقديم الفكرة لا يحول دون مناقشتها ، ودفع ما يقف أمامها من الشبه المضادة ، وإلا فستكون قليلة الجدوى فاقدة التأثير

وقد عمد الناقد المغرض إلى المغالطة والتضليل فيما لا سبيل إلى دحضه فهو يقول « ولعل من صور اضطراب البحث فى يد الكاتب أن تجده يقف بك أمام المشكلة فى جوهرها ثم إذا به يحيلك على ماسيأتى حتى إذا مضيت قليلا فقد نسيت المشكلة ونسيت ما كان مفروضا أن يأتى لأنك تدخل فى شئ آخر جديد

يقف المؤلف فى ص ١٩ ليضع هذه المشكلة الجوهرية ؟ هل مازال فى الإسلام عناصر صالحة للتطبيق فى العصر الحديث ؟ ثم يقول « هذا سؤال فى الصميم » ولذلك لن يكون من المستطاع الإجابة الوافية عنه فى هذا الموضوع فسنجيب عنه تفصيلا وتطبيقا فيما بعد « حتى إذا بلغت ص « ٢١٦ » وجدت إجابة باهتة »

والحق الذى لا يمترى فيه إنسان أن صحيفة ٢١٦ ليست وحدها هى الإجابة المطلوبة ، بل إن الكتاب بجميع صفحاته إجابة مقنعة تدور حول هذا السؤال ؛ بل من أجله قد كتب المؤلف كتابه من ألفه إلى يائه . ولن أعمد إلى تلخيص مواضيع الكتاب فيطول بى الحديث فى غير طائل ، ولكنى أحيل الناقد إلى الفهرس فقط ! وأعلن أسفى لناقد فاضل يعمد إلى هدم كتاب واضح دون أن يفهم مراميه ! ولم يستطع الأستاذ عز الدين أن يخفى عن القراء ما تفيض به نفسه من التحامل المغرض والثورة على صاحب الكتاب ، فهو يقرر فقدان الأصالة لدى المؤلف فى كتابه لشئ واحد ؛ هذا الشئ هو أن المؤلف قد نقل عشر صفحات عن أربعة مؤلفات وقد أثبتها متفرقة فى مواضع شتى من كتابه ، وأسند كل نص إلى قائله ومكانه ؟ فيكون استشهاده بهذه النصوص المنقولة المسندة ، دليلا قويا على فقدان الأصالة ! مع أن صفحات الكتاب تستشرف إلى الثلثمائة ، وكان فى طوق كاتبه أن يرجع إلى المصادر القديمة دون أن يشير إلى من نقل عنهم من المحدثين ، ودون أن يؤاخذ فى شئ ، ولكنه تجمل بالإنصاف والتقدير فكان جزاؤه أن يتهم بفقدان الأصالة ، وقلة الابتكار

لقد أسرف الأستاذ عز الدين إسماعيل فى تجنيه دون مبرر يدعوه إلى ذلك ، وقد دفعنى الإخلاص للحق وحده أن أعقب على حديثه راجيا أن يتعود الإنصاف فى آرائه المقبلة

محمد رجب البيومى

الأدب الأردى
والثقافة الباكستانية

للأستاذ مسعود الندوى

اطلعت على كلمة للدكتور عمر حليق عن الاتجاهات الحديثة فى الثقافة الأردية ، الصادرة فى العدد ١٠٠٠ من الرسالة الزاهرة ، فاستوقفتنى منها أمور أحببت أن ألفت إليها نظر الكاتب وأصحح بذلك ما وقع فى كلته من الأخطاء . والذى يظهر من المقال أن حضرة الدكتور لا يعرف اللغة الأردية ، ولم يطلع على روائع الأدب الأردى مباشرة ؛ وله بعض العذر فى ذلك . أما الذين تكرموا بتزويده بالمعلومات الخاطئة ، فليس لهم عذر ؛ اللهم إلا أن يكونوا من طلاب الأدب ، وإنما اضطروا إلى القيام بهذا الواجب بصفتهم الرسمية . ومهما يكن الأمر ، فإن الواجب يحدونى أن أشفع تلك المقالة بكلمة موجزة من عندى ، عسى أن يتقبلها الدكتور الفاضل بقبول حسن

إن أول ما استوقفنى من كلمة الدكتور ، هو الفرق بين الأدب الأردى قبل الاستقلال وبعده ، والدعوى بابتعاده عن تقليد الغرب ، والعدول عن اتباع تيارات الثقافة الغربية بعد الحصول على باكستان . ولكن من دواعى الأسف أن الأمر ليس كذلك ؛ بل الحق أن الأدب الأردى الحديث أخذ فى الانحطاط بعد الاستقلال ، وشرع الكتاب الجدد فى تقليد الأدب الغربى واتباع معالمه من غير أن يبتكروا شيئاً . وأكبر شاهد على ذلك ذيوع المجلات الخليعة الداعرة فى السنين الخمس الفارطة وكثرة انتشارها وقلة المجلات الراقية المحتشمة . والمجلات الأدبية أيضاً يستولى على معظمها الشيوعيون الذين يسمون أنفسهم « تقدميين » (Progressive) ، والذين جل همهم أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا . وقد رفع أمر بعض أئمة الكفر والضلال منهم — أمثال سعادت حسين منسوط والكاتبة عصمت بغتائى — إلى المحكمة وعوقبوا بغرامات زهيدة ما زادتهم إلا شراً وتمادياً فى الغى . وهناك قسم ثالث — وهم لا يكادون يتجاوزون عدد الأنامل — يريدون أن يخدموا الأدب للأدب وحده ، ولا ينحازون إلى دعاة الفحشاء والخلاعة . وعلى رأسهم الأستاذ بشير أحمد صاحب مجلة (همايون) الشهرية ، الذى كان وزيراً مفوضاً لباكستان فى تركية منذ عهد قريب

ولا يحسبن القارئ أن دعاة الإسلام والمستمسكين بالفضيلة والأخلاق ساكتون أمام هذه الدعوات الخليعة التى تروجها المجلات الداعرة وتساعد عليها محطات الإذاعة بأغانيها المستهترة المبتذلة ؛ لا يحسبن أحد كذلك ، فإن المستمسكين بالفضيلة المعتزين بالآداب الإسلامية واقفون لهم بالمرصاد ، مقاومون لهم بالحجة ، مقارعون النبع بالنبع . فقد ظهرت فى السنين الخمس الماضية طبقة من الأدباء الإسلاميين والشعراء الداعين إلى رصانة الأخلاق والمحافظة على الآداب الإسلامية والشرقية ، ينشرون أفكارهم ونتاج قرائحهم فى مجلات وصحف لهم خاصة ، ولها انتشار فى البلاد لا بأس به ، ربما يفوق مجلات الشيوعيين من انتشار ورواج . والذين على رأس هذه الحركة ، هم الشاعر المبدع ماهر القادرى ، الذى يعد أكبر شاعر فى باكستان بلا نزاع ؛ والأديب نعيم الصديقى الذى ملك مشاعر الشباب بمحاضراته ومقالاته وقصائده الرنانة السائرة وغيرها . والشاعر ماهر ، على ذلك ، يعد حجة فى اللغة الأردية ، وهو يحرر مجلة (فاران) الشهرية التى تصدر فى العاصمة . أما الأديب نعيم الصديقى ، فهو أيضاً يشرف على تحرير مجلة شهرية راقية (جراغ راه — سراج الطريق) ، تصدر فى العاصمة نفسها . — هذا وجملة القول أن النزاع شديد عندنا اليوم بين الأدب الشيوعى والأدب الإسلامى ، ولكل منهما مجلات وصحف وندوات وحفلات وأشياع

هذه واحدة . والثانية أن الدكتور ذكر اللغة البنجابية المحلية وما لها من تأثير فى « تطعيم » الأدب الأردى . والحال أن « البنجابية » لهجة محلية ، لم يكن لها من صبغة أدبية تذكر . وأهل (بنجاب) هم الذين يحملون اليوم لواء الأدب الأردى ويدافعون عن حوزته : حينما تنكرت للغة الأردية الأرض

-- النهد — التى نبتت فيها وازدهرت وأنت من كل زوج بهيج ، ولا يكاد يقبل عليها ويتلقاها بالقبول سكان (بنغال) الذين يعتزون بلغتهم البنغاليه المحلية المنحصرة فى حدود مقاطعة بنغال ؛ بل يريدون أن تكون لغة رسمية كالأردية . وغير خاف على اللبيب الفطن ما فى هذا الاقتراح من بذر الشقاق والتفرق

نعم ، فى سكان مقاطعة الحدود الشمالية الغربيةعصبية شديدة للغتهم المحلية (بشتو) ؛ ولكنها لغة محلية فى طورها البدائى . ولولا تعصب أفغانستان لها واتخاذها منها لغة قومية بدل الفارسية لما كان لها شأن يذكر . ونحن واثقون من أن أولى الرأى والفكر من إخواننا سكان الحدود ، لايزالون باذلين الجهد المستطاع فى تعميم اللغة الأردية ونشرها فى مدنهم وقراهم ، حتى تعم اللغة الأردية سائر مدنهم وقراهم ويرفرف عليها لواؤها

وقد ذكر الدكتور حليق الكاتب (السيد محمد إكرام) بجانب « أساتذة النقد وجهابذة الحل والعقد » كالأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى والدكتور عبد الحق — الذى يلقب بـ « بابا أردو» — والحال أن محمد إكرام لم يكن من شأنه أن يبدأ ويعاد فى ذكره فى مثل هذا المقام . وجل مزيته التى يتمتع بها أنه يتبوأ منصباً عالياً فى الحكومة المركزية ، وله مصنفات يمكن أن تعد فى الطبقة الثانية من المصنفات الأردية . أقول يمكن أن تعد ، فإنى قد قرأتها وأعرف قيمتها عن خبرة وعلم . ومعظم النقاد لايقيمون لمؤلفاته وزناً . أما إنشاؤه بالأردية فما لاشك فيه أنه ركيك بارد ، لايجعله حتى فى عداد الطبقة الثالثة من كتاب الأردية . ثم خلط الكاتب « الاتجاهات فى الأدب البنغالى » بالاتجاهات فى الأدب الأردى . فالأدب البنغالى ، متشبع فى جملته بالروح الوثنى ، كما كان للهنادك الوثنيين من سلطة أدبية ونفوذ ثقافى منذقرن كامل . نعم ! قد كان للشاعر الثائر القاضى نذر الإسلام — الذى سماه الدكتور نصر الإسلام — يد عظيمة فى تحرير الأدب البنغالى من أسار الصبغة الوثنية وتطعيمه بالأدب الفارسى والأردى ، وكذلك للأستاذ الكبير محمد إكرم خان ، يد بالغة وجهود مشكورة فى إطلاق سراح الأدب البنغالى من رق الأدب الوثنى المندكى . وله تلاميذ وأتباع ينتهجون نهجه ويسلكون طريقه فى الأدب البنغالى .

أما الشاعر عبد الحسين الذى ورد ذكره فى مقال الدكتور الفاضل ، فلم نسمع به أصلا ، اللهم إلا أن يكون من شعراء اللغة البنغالية الذين لم تلمع أسماؤهم فى هذه الناحية من القطر

هذه كلمة موجزة أردت أن أشفع بها مقالة الدكتورعمر حليق قياما بالواجب وتعاونا على تبيين الحق والصواب . وللدكتورالفاضل تقديرى وتحياتى

مسعود الندوي

رسالة الشعر

ضموا الكتائب وارفعوا الأعلاما

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ضموا الـكتائب ، وارفعوا الأعلاما   وامضوا إلى مجد الحياة كراما
اليوم فاض النور من قلب الدجى   فجرا تـلألأ زاهيا بسـاما
كان البشير بأن مصر تحررت   من قيدها ، وتوثبت إقداما
لما دعا الداعى « نجيب » بلاده   لبى الدعاء ، وأيقـظ النواما
ومضى يقود الجيش فى طلب العلا   قدما ، فـكان مظفرا مقداما
هـدم الضلال قوائما ودعائـما   بئس الضلال قوائما ودعامـا
وأتى إلى الظلم الركين ، فهزه   هزا ، فصار على يديه حطاما
الله أكبر ! قد شهدت حقيقة   غراء كنت أظنها أوهاما :
رأس الطغاة المفسدين وعونهم   كانت نهاية أمره استسلاما !
الملك لله الذى يهب العـلا   لمن استحق العز والإكراما
ومن ابتغى ذل الشعوب وظلمها   فقد استحق الذل حيث أقاما

***

يا مصر : هذا يوم سعدك ، فاسعدى   فى ظـله ، واستقبلى الأياما
يا مصر : هذا يوم مجدك ، فاصعدى   فى المجد ، واتخذى ذراه مقاما
يا مصر : هذا يوم نصرك ، فافرحى   بالنصر يقبل نعمـة وسـلاما
واستقبلى العهد الجديد بهمة   لا تعرف التعويق والإحجاما
فلقد مضى العهد البغيض بظلمه   وظلامه ، وإلى الجحيم ترامى
وغدا تـكون حياتنا أنشودة   أنغامها ... أنعم بها أنغاما !
وغدا يكون الخير ملء سهولنا   ويفيـض حتى يغمر الآكاما
وغدا سيشبع من يبيت على الطوى   وسيكتسى من يلبس الإعداما
ويصح من كان الشقاء لجسمه   سقما ، وكان لنفسه أسقاما
ويمز بالعهد الجديد معاشر   هانوا ، فكانوا فى الورى أيتاما
وينام مقرور الجفون معذب   ظل السهاد حليفه أعواما
وغدا ينال الشعب كل حقوقه   فيعيش متسع الرجاء هماما
فى ظل دستور البلاد وعونها   فى الرأى ، إن جرت الأمور جساما

***

إيه نجيب ! وأنت ملء قلوبنا   حبا ، وملء نفوسنا إعظاما
هـذى تحية شاعر متحرر   لم يمتدح فى شعره الأصناما
أكرمت شعرى أن يكون مطية   للظالمين ، وإن غدوا حـكاما
وجعلت نفسى فوق أهواء الألى   ملأوا البلاد مظالما وظلاما
حكموا بغير الشرع فى البلد الذى   جعل المشرع دينه الإسلاما !
هل كان هذا الحـكم إلا موئلا   للمجرمين ؟ ألم يكن إجراما ؟
كم شاعر شهد الحقائق جهرة   ثم التوى عن وجهها وتعامى !
حسبى إذا مارست شعرا صادقا   أن أبتغى من مثلك الإلهاما
أنا إن مدحتك لا أزيدك رفعة   إنى بمدحك فى الورى أتسامى
وإذا وصفتك جل وصفك عن مدى   قلمى ، فوصفك يعجز الأقلاما
يكفيك صنعك رفعة ونباهة   كالشمس يكفى ضوءها إعلاما
متواضع . تجد التواضع حليـة   جم الحياء ، ترى الحياء وساما
متحصـن بالله تحسـن آيه   فيها ، وتتقن دينه أحكاما
أخلاقك النور المصفى رقة   لـكن عزائمك اللهيب ضراما
وإذا نطقت ففى لسانك عفة   لا تعرف الإيذاء والإيلاما
وإذا أتيت الأمر كنت وراءه   عزما ، وكنت أمامه إقداما
وأراك فى ليل الحوادث كوكبا   وأراك فى غمراتها ضرغاما
ولقد تـكون الغصن أخضر يانعا   ولقد تـكون الصارم الصمصاما

***

يا قائد الجيش المظفر كن له   فى كل أمر قدوة وإماما
هو عز مصر ومجدها وملاذها   فى الروع ، إن رام العدو مراما
فأعد له أيامه ، وانهض به   حتى تخر له الحصون ركاما
واسلم لمصر ، وإنها أم العلا   والمجد ... مذ كان الزمان غلاما

إبراهيم محمد نجا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مؤتمر للأدب

يزور القاهرة هذا الأسبوع الكاتب السورى الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب

كما حضر من بين أعضاء الوفد المرافق للزعيم السورى الكبير العقيد « أديب الشيشكلى » الكاتب المعروف الأستاذ « قدرى قلعجى »

وقد كان من الأمانى الغالية ألا تحول المشاغل المختلفة لضيفى مصر دون التقائهما بأدباء مصر . فإن فى مثل هذا اللقاء كسبا كبيرا للأدب العربى

وإنى لأتساءل لماذا لا يكون للأدباء « لجنة أدبية » شعبية على غرار اللجنة السياسية فى الجامعة العربية

ولماذا لا يعقد مؤتمر أدبى عام من أدباء الشرق ، مرة كل عام فى القاهرة أو بغداد أو دمشق يستمر أسبوعا أو أسبوعين ويضم أدباء العرب فى هذه البلاد ، ليتفاهموا على كثير من المسائل والمشاكل التى تهم الأدباء ، بخاصة فى هذا الوقت الذى تعقدت فيه الحياة الأدبية واحتاجت إلى دراسة وبحث

فالأدب يقاسى فى هذه الأيام الكثير من المتاعب والعقبات فى سبيل أداء رسالته ، بعد أن شغل الناس عنه بالصحافة وما تقدمه الصحافة من زاد قليل قد يكون فى بعض الأحيان رخيصا وقد يكون تافها

ولا شك أن مشكلة التقاء الصحافة بالأدب فى هذا العصر من أعقد المشاكل التى يجب أن يواجهها الأدباء

وفى مصر مجلة الرسالة والثقافة والكتاب ، وفى سوريا مجلة الحديث وفى لبنان مجلة الأديب وفى الأردن مجلة القلم الجديد ، وكل هذه مجلات تقوم على الأدب الخالص وترفع مستواها عن الأساليب الصحفية والألوان السريعة أو الرخيصة ، وهى ولا شك تقاسى من جراء ذلك الكثير من المتاعب ، ولا تستطيع أن تنهض وحدها بالعبء على الوجه الذى يرضى الأدب ويرضى القائمين عليها

ولا شك أن الدولة مسئولة عن الأدب كمسئوليتها عن التعليم والثقافة أو لجزء من التعليم والثقافة ، ولذلك فإن لهذه المجلات الأدبية وهؤلاء الأدباء الحق فى حياة كريمة ، ولن يتاح لهم ذلك إلا إذا قامت الدولة برعاية الأدب ، وإنشاء رابطة جديدة بين الكاتب والناشر من ناحية ، وبين الأديب وفنه من ناحية أخرى .. تكون بعيدة عن كل عوامل الاستغلال

فالأديب يجب أن يخلص للأدب ويتجرد له ، ولذلك فهو يجب أن يطمئن على معيشته وحياته أولا . فإذا توافر له هذا استطاع أن ينتج وأن يصل إلى حد بعيد فى الإجادة وبذلك يكسب الأدب كثيرا

والأديب مضطر إذا هو التجأ إلى الصحافة أو إلى التدريس أو إلى الوظيفة ليعيش منها ، ثم يخلص بعض وقته للأدب ...

نحن لا نطالب برعاية الدولة على الأساليب المعروفة بأن تشرف الدولة على الأدب أو تفرض سلطانها عليه أو تجعله مصلحة من مصالحها أو مرفقا من مرافقها .. وإنما نحب أن تبذل له المال حتى ينمو وحتى يقوى

إن البلاد العربية الآن تواجه نهضة قوية فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة .. وبقى أن تواجه مثل هذه النهضة فى ميدان الفكر والأدب والفن الرفيع

.. إن الذين يعملون فى ميدان السينما أو المسرح أو غيرهما من ألوان التسلية يعيشون فى مستوى مادى رفيع ، على عكس الذين يعملون فى ميدان الأدب والفكر

ويكفى أن تبقى هذه الكلمة القاسية « إن الأدب ليس موردا للرزق فى مصر ولا يمكن الاعتماد عليه وحده » لتصور

الحكمة البائدة « أدركته حرفة الأدب » ...

وبينما الصحافة تقفز قفزات واسعة ، ويصل أصحابها والقائمون عليها والمشتغلون بها إلى كل مكان مرموق .. يظل الأدباء فى المؤخرة . ويعيشون على فتات موائد الصحافة أو موائد المسرح والسينما

أسوق هذا بمناسبة زيارة الأديبين السوريين إلى مصر ، وأطالب الأدباء بعقد دورة سنوية لمؤتمر أدبى وفكرى عام لبحث هذه المسائل ودراستها أشبه بمؤتمر البندقية

مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ومن الأمثلة القاسية على ضعف الروح الأدبية « مجلة » مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد حصلت على العدد الأخير من هذه المجلة ، وهو الصادر فى ١٩٥١ فوجدته يحوى الموضوعات والخطب والكلمات التى ألقيت فى المجمع عن سنة ١٩٤٦ ومعنى هذا أن دراسات وموضوعات متعددة عن أكثر من خمس سنوات لا تزال بعيدة عن النور ، ولن يستفيد منها أحد إلا بعد سنوات وسنوات إذا ظلت الحال على هذا المنوال . وقد علمت أن السبب الذى يعوق هذه المجلة عن الصدور هو عجز مطبعة بولاق عن طبعها وطبع أعمال المجمع على الجملة لانشغالها بطبع الكتب المدرسية والأوراق الرسمية ومحاضر البرلمان . فعسى أن تعمل وزارة المعارف على أن يكون للمجمع اللغوى مطبعة خاصة تطبع معاجمه ومحاضره ومجلته

الموسوعة العربية

من أنباء هذا الأسبوع أن اللجنة الثقافية للجامعة العربية المكونة من الأساتذة شفيق غربال وأحمد أمين وبديع شريف وخير الدين الزركلى قد اجتمعت وقررت وضع موسوعة عربية تتضمن اسماء العلماء العرب فى الآداب والعلوم والاجتماع والرياضة

ونحن فى الواقع فى أشد الحاجة إلى « الموسوعات » فى هذا العهد الذى يسرت فيه الدول الغربية وسائل التثقيف والمراجعة ، فأعدت أنواعا مختلفة من الموسوعات ، بحيث لا يحتاج الباحث أو الكاتب أو القارئ إلى طويل وقت ليتمكن من الكشف عن لفظ أو بلد أو معرفة علم من الأعلام

وقصة الموسوعة العربية فى مصر قديمة جدا ، وقد كان أول من أعدها فى العصر الجديد الأستاذ فريد وجدى وقد مضى على ذلك ربع قرن ... أصبحت « دائرة معارف القرن العشرين » بعدها غير صالحة لعصرنا الذى تتغير المعلومات والآراء والأبحاث العلمية والأدبية فيه وتتحول من عام إلى عام !

.. أما دائرة المعارف الإسلامية فقد حال ضعف الموارد المادية دون إتمامها مع الأسف الشديد

وتمكن الأستاذ « أحمد عطية الله » بجهده الفردى أن يخرج دائرة المعارف الحديثة لتكون فى متناول القارئ السريع ، أو الباحث المتعجل . وقد علمت أنه يعد موسوعة أخرى من نفس النوع تمكن لمن يريد الإلمام بموضوع ما أن يحصل على رغبته على نطاق واسع

وإذا كان من الواجب أن تشجع الدولة هذه الجهود الفردية وتوليها عنايتها ، فإن الجيل الجديد يطلب مراجع أوفى وأكثر عناية وتنوعا

وقد حدثنى الأستاذ عطية الله أنه يعد موسوعة تاريخية عن عظماء مصر من « مينا » إلى اليوم ، وأنه قد اشتغل بإعدادها منذ أكثر من عشرين عاما ولم يتمها بعد

وإلى جوار هذا نحن فى حاجة إلى موسوعات أخرى عن أعلام العالم.. وفى حاجة إلى موسوعات عن البلاد والمدن والمواقع الحربية والانقلابات والثورات والأحداث

وإننا وإن كنا نشك فى أن الجهود الرسمية تستطيع أن تحقق ما نرجو ، فاننا نرجو أن يتاح لجهود اللجنة الثقافية بالجامعة العربية النجاح المأمول

بين الأدب والسينما

كان الدكتور محمد حسين هيكل من بين الكتاب المجددين فى خلال النهضة الأدبية الأولى التى أنشأتها مجلة السياسة ١٩٢٣ بالاشتراك مع طه حسين والمازنى وغيرهما

ولا ينكر المؤرخ أنه وضع أول قصة مطولة فى الأدب العربى الحديث وهى قصة «زينب» التى عدها المستشرقون محاولة طيبة وبداية موفقة لهذا الفن الجديد فى مصر

ثم تعددت الألوان القصصية واتسع نطاقها وكتب المازنى « إبراهيم الكاتب » و « إبراهيم الثانى » وترجم الزيات « رفائيل » « وآلام فرتر »

ثم ظهر اللون الإسلامى فى « على هامش السيرة » لطه حسين والحوار فى « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم

وبين الفترة التى كتبت فيها زينب ١٩١٧ و ١٩٥٢ مراحل تطورت فيها القصة من لون إلى لون . ونشأت القصة المسرحية والسينمائية وغيرها

وتطور الدكتور هيكل نفسه فانتقل من النقد الأدبى إلى «التأريخ» فكتب حياة محمد والصديق والفاروق وفى منزل الوحى وغيرها .. ثم انتقل مرة أخرى إلى الحياة السياسية الخالصة

وظل الأمر كذلك حتى فوجئ الناس بقصة « زينب » تعرض على الستار الفضى هذه الأيام

وظن الكثيرون وكنت منهم ، أن الدكتور هيكل قد تناول قصته عندما طلبت للسينما فأعدها إعدادا جديدا ، ووام بينها وبين تطور الأدب والفن والقصة والزمن ، وجعلها قريبة إلى متناول الناس ، وكان هذا ولا شك معقولا ، فإن الدكتور هيكل يجب أن يضن بمكانته الأدبية على أن تكون موضع النقد الشديد حين يقدم قصة ، كتبت سنة ١٩١٧ للسينما سنة ١٩٥٢ . وهى خالية من الحبكة ومن العقدة ومن كل فنون القصة الحديثة

ونحن نعلم أن قصة زينب كتبت للقراءة ، لا للتمثيل ولا للسينما ، ولذلك فقد كان إقحامها على هذا الوجه ، ودون أن يحاول الدكتور أن يجعلها فى مستوى الفن الذى يعيش فيه الناس الآن .. كان موضع الهمس فى الدوائر الأدبية المختلفة

ولم يكن يضير الدكتور هيكل شيئا أن يكون الأديب والناقد والمؤرخ .. وألا يكون الكاتب السينمائى على الإطلاق !

محرر خبر

تلقيت نصح الأديب محمود بخيت بكل تقدير وأرجو أن أكون عند حسن ظنه فأدخل الكثير من التجديد على باب الأدب والفن ابتداء من أول يناير فى نهضة الرسالة الجديدة بإذن الله

أما بالنسبة لما ذكره الأديب ، فإننى قد تناولت أسبوع (الرسول) بصفة عامة سواء ما كان منه فى ندوة الشبان المسلمين أو الصحف أو الإذاعة ، ولم أقصر اشتراك مخيمر وشعلان والعمادين على الندوة وحدها ، فقد اشتركا فى الذكرى سواء بنشر قصائدهم فى الصحف أو إلقائها فى الإذاعة

وكذلك فيما يتعلق بالقصائد التى لقيت الاستحسان فقد كنت أقصد أن قصائد مخيمر والمنشاوى والتهامى فى مجموع ما أذيع وألقى فى المناسبة على وجه العموم

أنور الجندى



الأدب المصرى القديم

اطلعت فى البريد الأدبى بعدد الرسالة الأخير على مسألة ضياع الأدب المصرى القديم التى أثارها الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم الجبوشى متسائلا عن ذلك الضياع مع بقاء آداب أمم قديمة أخرى — كالإغريق والرومان — خالدة على الدهر

ولئن لم أكن من « المختصين » الذين عناهم حضرة الكاتب بسؤاله فإن هذا السؤال قد أثار فى ذهنى فكرة اعتنقتها عن اقتناع من زمن بعيد نتيجة التدبر فى أمر الدعوة الفرعونية التى نادى بها البعض .. ولعل فى هذه الفكرة تفسيراً لتلك الظاهرة الجديرة بالالتفات

ذلك أن شعب مصر فى حاضره وفى ماضيه غير المغرق فى البعد قد أصبح مبتوت الصلة بالقدماء المصريين ، إذ لم ينتقل إليه من حضارتهم شئ لا فى دين ولا فى لغة ولا فى ثقافة بحيث يصح تشبيهه — مع الفارق — بساكن جديد حل بيتاً هجره ساكنه القديم !

فشعب مصر العربى — سواء منه ماقدمها فى الهجرات العربية المتعددة، وماصهرته البوتقة العربية فأصبح عربيا — لاتربطه بالقدماء المصريين رابطة حضارية ذات بال .

وهذا بخلاف الحال عند الإغريق والرومان ، إذ أن الحضارة الغربية الحديثة ليست إلا امتداداً لحضارة الإغريق والرومان التى هى الأصل الأهم للحضارة الحديثة .

لهذا لم يكن عجيبا أن يحيا هوميروس وأن يحيا فرجيل عبر الأزمنة .. لأن الشعوب التى ظل الأدب اليونانى والأدب الرومانى حيين بينها هى وارثة حضارة اليونان والرومان.. فهذان الأدبان هما ثمرتان لحضارة تلقتها تلك الشعوب وعاشت فيها وبها — مع التطور والتقدم اللذين لابد منهما لأنهما سنة الكون .

ولهذا السبب عينه لم يكن من العجيب أن يضيع الأدب المصرى القديم لأن الأدب صورة منعكسة عن الحضارة، ومادامت حضارة الفراعنة لم تجد لها امتداداً عند الشعوب اللاحقة لها فلا عجب أن يضيع أدبهم ولا يبقى منه على الزمن شئ إلا فى المتاحف ودور الآثار

هذا ماعن لى إبداؤه فى هذا الموضوع وعسى أن يكون فيه بعض التفسير لما تساءل عنه حضرة الكاتب الفاضل

جمال مرسى بدر

مع دولة الألقاب

لقد ضحك الناس كثيراً حين علموا أن أحد الباشوات السابقين قد نهر رجال الجيش الذين ذهبوا لاعتقاله فى منزله بشارع الهرم قائلا لهم : إننى باشا ولا يمكن القبض على ، وأنا لاأعترف بقانون إلغاء الألقاب ولا بكلامكم الفارغ ... ضحك الناس يومها كثيراً . ولو علموا أن مجلس القاهرة البلدى (الموقر) سيظل مصرا على عدم اعترافه بقانون إلغاء الألقاب لتأنوا فى ضحكهم على الباشا السابق العنيد ، والتمسوا له عذرا ، ورحموا عناده بعض الرحمة

لابد أن مجلس القاهرة البلدى قد سمع بأن هناك حركة مباركة قام بها الجيش المصرى الباسل ، فطوحت بالطاغية فاروق ، وقوضت عرشه الدكتاتورى ؛ وأدالت دولته الباغية ؛ وأنها قد محت آثاره البائدة وفى مقدمتها الألقاب البغيضة التى كان فاروق يستغلها أسوأ استغلال فى سبيل أهوائه ورغباته ومطامعه — لابد أن المجلس البلدى الموقر قد سمع بهذا كله. إذن فلماذا يصر على أن يظل معترفا بدولة الألقاب ، فى اللافتات التى كتبت عليها أسماء الشوارع والميادين ، فنحن لازلنا نقرأ : ميدان سليمان باشا ، وميدان مصطفى كامل باشا ، وميدان سعد زغلول باشا ، كما لازلنا نقرأ : شارع نوبار باشا ، وشارع مريت باشا ، وشارع محمد بك فريد ، نقرأ هذا وذاك فنضحك مل ء أفواهنا من هذا المجلس الذى يضع رأسه فى الرمل مصرا على أن تظل دولة الألقاب فى دنيا الأموات بعد أن تلاشت فى دنيا الأحياء . . !

وإذا تركنا مجلس القاهرة البلدى حتى يخرج من رأسه الرمل، لا يمكن أن نهمل بعض ذوى الألقاب الذى عز عليه أن تتلاشى دولته ، فراح يحتفظ بلافتة منزله القديمة ذات اللقب المنحل ، ويحتفظ ببطاقاته القديمة أيضا ، مستعملا إياها بحكمة وحذر حتى

يمتد أجلها ويطال فى حياتها ، وكأنما حياته رهن بهذا اللقب الذى يعز عليه مفارقته . إن هذا البعض من ذوى الألقاب أشبه بمن رأى حلما لذيذاً ثم استيقظ فجأة ، فعز عليه أن يحرم هذه اللذة ، فراح يتصنع النوم من جديد لعله يعود إلى حلمه ، فهو جدير بأن نطلب له الرحمة . .

نقيب الشيخ

لسنا وحدنا . . .

يعيب علينا الغربيون استعمالنا كلمة « معليهش » وأحب أن أقول إننا لسنا الأمة الوحيدة التى تستعمل هذه الكلمة ... فالفرنسيون مثلا يكثرون من عبارة مشابهة لها ، هى :

ca ne fait rien

كما أن الإنجليز يستعينون بعبارة أخرى لايخرج معناها عن معنى كلمة « معليهش » هى : never mind

ومن عجب أن الغربيين يسموننا بأننا قوم « معليشبون » . . ونسوا — أو تناسوا — أن أحاديثهم لاتخلو من عبارات لايخرج معناها عن معنى « معليهش » التى اختصرت من عبارة « ماعليه شئ » ! . .

وكل مانسجله على أنفسنا أننا نسرف فى هذه الكلمة إسرافا يبلغ أحيانا حد الاستهتار.. ولست حين أدفع عن استعمالها أقرها . . إنما أردت أن أرد عن قومى نقيصة هم منها براء ! ...

عيسى متولى

١ — خادم وخادمة

الخادمة : كلمة صحيحة لغة واستعمالا من قديم الزمان ، وقد انتشر فى هذه الأيام استعمال (خادم) بمعنى (الخادمة) وهذا الاستعمال وإن كان صحيحا إلا أن فيه تضليلا وتشويشا بدون مبرر وإيهاما بأن (الخادمة) خطأ أو لغة ضعيفة وليس كذلك لأنها الصفة الطبيعية الخاصة بالإناث ، واللغة موضوعة للتفاهم وليس من الحكمة أن نلجأ إلى استعمال الوصف المشترك (خادم) اعتمادا على فهم المراد من المقام وسياق الكلام ، فيجب تخصيص (الخادم) بالخدام و (الخادمة) بالخدامة ، والسلام على من اتبع الهدى

٢ — بدلة وبذلة

جاء فى شرح القاموس : وقول العامة البدلة بالفتح وإهمال الدال للثياب الجدد خطأ من وجوه ثلاثة ، والصواب بكسر الباء وإعجام الذال (بذلة) وأنه اسم للثياب الخلق (البالية أو المستعملة) فتأمل ذلك ا ه

وأنا لا أوافقه فإن (البدلة) بفتح الباء وتسكين الدال المهملة لغة عربية صحيحة فإنها فى الأصل مصدر على وزن (فعلة) ثم استعملت اسما للمبدول ونظيرها البعثة بمعنى المبعوث أو المبعوثة وإليك الأدلة :

جاء فى (معيار اللغة) بدلت الثوب بغيره كنصر أخذته مكانه الخ . . وجاء فى (المصباح المنير) وبدلت الثوب بغيره من باب قتل الخ . فنحن نفظر إلى (البدلة) من ناحية التبديل والتغيير سواء كانت جديدة أو مستعملة لامن ناحية الابتذال والامتهان .

وأما (البذلة) بالذال المعجمة فإنها موضوعة للثياب البالية التى تبتذل وتمتهن فى الخدمة والعمل ويجب أن تظل هكذا للتفرقة بينهما .. وأنا أوافقه على أن وضعها للثياب الجدد خطأ ولكن لاأوافقه على أنها بكسر الباء فقط فقد جاء فى (معيار اللغة) البذلة كمصمة وفتح الباء لغة ، وجاء فى (المصباح المنير) البذلة مثال سدرة (بكسر السين) ما يمتهن من الثياب فى الخدمة والفتح (فتح الباء) لغة قال ابن القوطية بذلت الثوب بذلة لم أصنه اه وجمعهما بدل وبذل مثل (عنب) ونظيرهما بدرة وبدر وسدرة وسدر

على حسن هلالى

(الرسالة) أقر مجمع فؤاد الأول كلمة (بدلة) من التبديل بمعنى حلة

تصحيح اسم شاعر

طالعت فى العدد ١٠١٠ من الرسالة الغراء تلك الكلمة الرائعة للأستاذ أحمد الفخرى عن ديوان « مع الفجر » لشاعر الحب والبطولة سليمان أحمد العيسى وليس « سليمان العبسى » كما جاء فى كلمة الأستاذ الفخرى

حلب محمد منلا غزيل



شجرة عيد الميلاد

للقصصي الروسي فيدور دستويفسكي

منذ أيام شاهدت عرساً ... ولكن لا ، فلن أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد ... لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها حبا شديداً ولكن حادثة شجرة عيد الميلاد أجمل ... ولا أعرف لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً ... ولكن هذا هو الذي حدث :

منذ خمسة أعوام كاملة دعانى إلى حفلة راقصة أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له قراباته ، وله ممارفه، وله أيضا دسائسه . وقد ظهر لى أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكى يجتمع الآباء والأمهات ويتحدثون فيما يهمهم بتلك النزاهة المعتادة

وكنت دخيلا فى هذه الحفلة لأنه لم يكن لى بأحد شأن خاص . لذلك كان فى استطاعتى أن أقضى هذه الحفلة بينهم وأنا بمعزل عن كل واحد منهم . وكان بين الجلوس واحد يشابهنى فى ذلك ، فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهى ، ولم يكن مظهره دالا على أنه ابن أسرة كبيرة أو أنه نبيل المولد . وهو طويل القامة نحيل جدا ، تبدو عليه علائم المبالغة فى الجد والوقار. وهو شديد الأناقة فى ملبسه ، ويظهر أنه لم يكن يميل إلى هذه الاجتماعات العائلية

ولما كدأدنو منه فى الركن الذى هو جالس به حتى ذابلت ابتسامة كانت مرتسمة على وجهه . وعلا وجهه العبوس . ولم يكن يعرف أحداً ممن بالحفلة غير صاحب المنزل ، وقد أبدى كل علامة على السأم والملالة وإن كان قد بقى إلى نهاية الحفلة وبه من الشجاعة ما بأى إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على ماتكره . وقد علمت فيما بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه كان يحمل خطاب توصية إلى مضيفنا ، فدعاه هذا من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفافة تبغ ولم يبدأ معه حديثا . ولعلهم كانوا ذوى فراسة فعرفوا الطائر فى مسبحه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى الليل فى فتل شاربيه . وكان شارباه جميلين ، ولكنهما كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما أولا ثم خلق هذا الرجل تابعاً لكى يفتلهما

وكان من المدعوين رجل آخر استرعى انتباهى ، ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فإن مجرد النظر إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه جوليان ماستا كوفتش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع الحفاوة والتكريم، وأن مركز صاحب المنزل منه كمركز صاحب الشاربين الطويلين من صاحب المنزل . فقد كاد لاينقطع سيل الفكاهات والطرائف التى يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجه . وهما كثيرا الالتفات إليه ، يدنوان منه ويحومان حوله ويستجمعان الضيوف لتقديمهم إليه. ولكنهما لايقودانه ليقدماه إلى أى إنسان . وقد رأيت الدموع تترقرق فى عينى صاحب المنزل وفى عينى زوجه لما قال جوليان ماستا كوفتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة . وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا الضيف فانصرفت إلى الأطفال أتسلى بملاحظاتهم ، وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة ، فهم شهادة بعناية أمهاتهم بهم. ثم تركت الغرفة بعد ذلك إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد ، فجلست فى طرفها المجاور للمكان الزجاجى المعد لحفظ الأزهار فى غير فصولها

وكنت لا أزال من مكانى هذا أراقب الأطفال، والحق أن رؤيتهم تسحر

لجنة التحكيم فى مسابقة إذاعة باكستان

نظمت الإذاعة العربية برادبو باكستان مسابقة شعرية بين مستمعيها فى البلاد العربية يمنح الفائزون فيها مكافأة مالية . وقد تألفت لجنة التحكيم من ثلاثة من كبار رجال الأدب والشعراء المصريين هم الأساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن صدقى والدكتور إبراهيم ناجى

لقد كانوا يأبون محاكاة من أهم أكبر منهم على الرغم من الجهود التى كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم ، ولم تمض ساعة حتى نجح هؤلاء الأطفال فى تجريد شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفى كسر أكثر من نصف اللعب المعلقة فيها قبل أن يقتسموها بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود العينين مجعد الشعر ، وقد أصر فى عناد على تصويب بندقيته نحوى . وقد استرعى نظرى كثيراً ؛ ولكن أخته استرعت نظرى أكثر مما استرعاه . وهى فى عامها الحادى عشر ، ولا يقل جمالها عن جمال كيوبيد ، وتبدو عليها علائم الهـــدوء والتفكير . وعلى عينيها الواسعتين وسم الأحلام ، وقد أغضبها الأطفال لأمر ما فتركتهم وانسحبت إلى الغرفة التى كنت جالساً فيها فجلست فى ركن منها وفى يدها الدمية تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن أباها من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها صداقا قدره ٣٠٠ ألف روبل

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعتهم يتحدثون بهذا وقع نظرى على جوليان ماستا كوفتش فوجدته واقفاً ينصت إليهم ويداه مشتبكتان خلف ظهره ، ورأسه مائل إلى الجانبين ، وكنت طول هذا الوقت أعجب من الذكاء الذى أبداه صاحب المنزل فى توزيع الهبات على الأطفال ، فالطفلة التى أعدلها أبوها مهرا كبيرا تهدى أحسن لعبة ، وسائر اللعب تقسم وفق مراكز الآباء فى الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعى لتقدم إليه هدية يبلغ من العمر عشرة أعوام ، وهو هزيل أحمر الشعر ضعيف البنية . وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور ولا رسوم . وهو ابن المربية ، وهى أرملة مسكينة . وشكل الطفل دال على الحزن ، وعليه كساء رث ، فتناول كتابه وانساب فى بطء بين الأطفال حاملى اللعب

وقد كان يود أن يبذل أى شئ ليلعب معهم ولكن كيف وليست له لعبة ؟

إننى من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليروا كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن لعب الأطفال كانت سحرا وفتنة فى نظر الطفل الأحمر الشعر . وشرع الأطفال يلعبون فأصر على أن يلاعبهم وعلى أن يناضل لو منعوه ؛ فابتسم وسار نحو واحد منهم فأقامه من مكانه وجلس بدله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا فى دائرة ولم يتركوا له مكانا

ولكن ذلك الطفل حمل عليه فلطمه لطمة قوية ، فلم يلبث أحمر الشعر أن رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنهته عن اللعب معهم فانسحب نحو الغرفة التى كنت جالسا بهـا مع الفتاة التى تقدم ذكرها . وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا فى إلباس الدمية ثوبها

ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد النعاس يدركنى وأنا جالس أنصت حينا إلى حديث الطفل أحمر الشعر ويشرد ذهنى حينا .

وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوفتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التى أنا فيها عندما اشتد ضجيج الأطفال . ولم يغب عنى وأنا جالس أراقبه من الركن الذى أنا فيه أنه كان فى الفترة الأخيرة من الوقت يتحادث مع والدة الطفلة الجالسة معى فى الغرفة

وظل واقفا بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه — ثلاثمائة — أحد عشر — إثنا عشر عاما — خمسة أعوام — سعر أربعة فى المائة — خمسة أضعاف ، ستون وأربعمائة

ويظهر أن هذا الخبيث يعجبه الحساب على سعر أربعة فى المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخطانى نظره فلم يرنى ؛ ويظهر أن الحساب هو الذى أغفله عنى ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطرابا

وأخيرا تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف يمثل حالة المخطئ الذى يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وانحنى يقبلها وهو يبتسم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أنها صرخت عند تقبيله إياها صرخة فزع

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها : « ما الذى تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب » فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ » وأشار إلى ابن المربية ثم قال له : « يجب أن

تذهب إلى الغرفة الأخرى »

وظل الطفل صامتاً وهو ينظر محملقاً فى وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوفتش بنظره فى الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا معك ياعزيزتى ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدى » وقد قطبت حاجبيها وهى تجيب . قال : « دمية ؟ من أى شئ تصنع الدمى ؟ ! »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدى »

قال : «تصنع من الخرق» ثم نظر إلى الطفل وقال : «اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التى فيها الأطفال »

وكانت نظرته إلى الطفل فى هذه المرة نظرة قاسية ؛ فقطب الطفلان وتشبث كل منهما بالآخر وأبيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفض من صوته : «وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟» فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة — طيبة جدا طول الأسبوع» قال ذلك ثم عراه اضطراب شديد ونظر حوله فقال بصوت خافت يكاد لايسمع وبلهجة شديدة الدلالة على فقدان الصبر : «إذاجئت إلى منزلكم لزيارة أبيك فهل تحييننى ياعزيزتى ؟ »

وحاول أن يقبلها على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك بيدها كمن يريد أن يحميها وبكى بأعلى صوته كالمستجير فأثارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ؛ فاذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكى . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فانزعج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه انزعاجاًفترك يد الطفلة وتسلل إلى غرفة المائدة . وكى لايسترعى جوليان نظر أحد ممن بغرفة الجلوس تسلل هو أيضا إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الاحمرار فى مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه فى المرآة تكفى لإزعاجه . وكان سبب الاضطراب كله أن حسابه أضله فأوهمه أن الطفل عقبة فى سبيل الثروة التى تنتظره . نعم إنه الآن لايزال فى العاشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك .

وتتبعتهما بنظرى فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات ثعبان ، وأصبح صوته متسما . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعه ، وكان جوليان يصيح به :

اخرج من هنا ! ما الذى تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ إذهب من هنا يادميم إلى أمثالك ! »

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانكمش ودخل تحت المنضدة فخار مطارده ثم أخرج منديله وفتله فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكمنه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخم الخدين تبدو عليه علائم التغذية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها حبات البندق وقد أحالته كراهيته (أو لعلها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض

ضحكت من أعماق قلبى فالتفت جوليان ولعله ذكر فى هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفى الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المنضدة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان فجمع منديله الذى كان مفتولا كالسوط وجعله تحت أنفه

ونظر صاحب المنزل إلى ثلاثتنا نظرة المرتاب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شؤون الدنيا قد انتهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكبير الأهمية أكثر ما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذى حدثتك عنه وأنا أعتمد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الذهن : « أهذا هو ؟ »

قال صاحب المنزل : « هو ابن المربية ، وهى فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان فى وسعك ... »

فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تعذرنى يافيليب الكسيفنش فلا توجد محال خالية ، وفى قوائم المرشحين نحو عشرة أحق منه ... إننى آسف »

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »

قال جوليان « إنه شقى شرير . اخرج من هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟ اخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة على نفسه وأنا أيضا عاجز عن السيطرة على نفسى ، فضحكت فى وجهه ساخرا منه ، فالتفت إلى الضيف وسأله بصوت يكفى لبلوغ مسمعى عمن عسى أن أكون . وتهامس الرجلان وخرجا من الغرفة غير مباليين بى

واهتز جسمى من شدة الضحك وخرجت أيضا إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم محاطا بالآباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع سيدة قدمت إليه فى تلك اللحظة . وكانت تلك السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء للطفلة وثناء عليها ، فهو يتنقل من مدح جمالها إلى مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والأم تصغى إليه ولا تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض، والأب يبدى علامة لشكره ابتسامة عذبة .

وكان السرور شاملا فاشترك فيه كل إنسان حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على المتحدثين . وسمعت أم الطفلة وهى تتخير المنتقى من اللفظ فى مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمعته يقبل الدعوة فى تحمس لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء الغرفة مقبلين نظرهم بين والدة الفتاة وبين جوليان

وسألت جارى بصوت عال سمعه الجميع : « هل هو متزوج ؟ »

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لى جارى : « كلا » ولكن سؤالى وإن أجاب عنه سلباً قد أثار اهتمام الجميع

* * *

ومنذ عهد غير بعيد مررت بكنيسة فرأيت عند بابها جمعا كبيرا قد احتشد ليحضر حفلة عرس — وكان اليوم مكفهرا وقد بدأ المطر يتساقط . واخترقت الصفوف فدخلت فرأيت العريس بدينا مترهلا تبدو عليه علائم التغذية الدسمة . ورأيت رجلا قصيرا يروح ويغدو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر وهو لا يكف عن إصدار الاوامر

وأخيرا سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت فى وسط الزحام ، ورأيت جمالا عجيبا قد اكتسى بعلائم الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت أن عينيها حمراوان من أثر البكاء . وتحت مظهرى الجمال والحزن طهارة الطفولة التى كانت كأنها تضرع وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاما . ونظرت إلى العريس محققا مدققا فعرفت أنه جوليان ماستا كوفتش الذى لم أكن قد رأيته فى الأعوام الخمسة الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورحماك يا رب ولطفك !

رأيتها فوليت فرارا من باب الكنيسة على عجل وسمعت الناس يتحدثون عن غنى العروس وعن بائنتها البالغة ٥٠٠ ألف روبل قلت فى نفسى : « لقد صدق حساب هذا اللعين » . وأسرعت فى مشيتى فرارا

ع . ١

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

ذكرى الأبطال ... ... : للأستاذ أنور المعداوى ١٤١٤

هذه المخازى ... . : « محمد عبد الله السمان ... ... ١٤٤٣.

الإسلام ونظام الحكم عندنا : « منصور جاب الله ١٤٤٥

حياة المازنى ... ... : « محمد محمود حمدان ١٤٤٦

التربية الروحية فى مدارسنا : « محمد على جمعة الشايب ... ١٤٤٩

نداء المال ... ... : « حامد بدر ١٤٥١

الجغرافية والسيادة العالميه ... : « مصطفى بعيو الطرابلسى ١٤٥٢

أين المفر ... ... (قصيده) : « هارون هاشم رشيد ... ١٤٥٧

سطور من دم ... (قصيدة) : « زهير مرزا ١٤٥٧

(الأدب والفن فى أسبوع) — للأستاذ نور الجندى ١٤٥٨

(البريد الأدبى) — باكستان لا غير — الهلست ليست الفوضى — ١٤٦١
طه حسين بين الأدب والسياسة — الوجبة قديما
وحديثا ... ...

(القصص) — هدية رأس السنة — لجى دى موباسان — بقلم الأستاذ ١٤٦٣
سعد رضوان ... ...

فهرس الموضوعات للسنة العشرين من الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 1017

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 29 — 12 —1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

ذكرى الأبطال

للأستاذ أنور المعداوى

« فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج ولى ثلاثة إطفال ولى أمى وأخواتى .. ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا أحرارا فى بلدهم ؛ فالحرية لا تمنح ولـكنها تؤخذ بأعز التضحيات وإلى اللقاء، إن مت أو عدت ! »

هذه كلمات تلقتها مصر يوما عن بطلها الشهيد ، وكنت واحدا من الذين عاشوا فى ظلالها السخية ، وشعروا شعورا عميقا بأنها لم تـكن خاتمة رسالة وإنما كانت بداية تاريخ .. أقسم لقد بدأت مصر تاريخها الحقيقى فى تلك اللحظة التى سجل فيها أحمد عصمت كلمـاته الخالدة ، وخر بعدها صريعا ليكتبهـا مرة أخرى بدمه !

إن طـلاب الحرية لا يغمسون ريشتهم إلا فى دماء القلب ، لأنهم لا يكتبون عادة إلا بالمداد الأحمر .. ولقد آثر أحمد عصمت أن يكتب بهذا المداد ! آثر أن يكتب به لأنه لم يكن يسطر رسالة لأخيه وإنما كان يسطر رسالة لأمته .. وهكذا نـكتب وثائق التحرير ونسطر رسائل الـكفاح !

كلمات قليلة ولـكنها كثيرة ، كثيرة جدا فى حساب الشعور .. وكلمات بسيطة ولـكنها عميقة ؛ عميقة جدا فى حساب الفن ! إن البلغاء من أمثال أحمد عصمت لا يميلون أبدا إلى الثرثرة .. سطر واحد أو سطران أو ثلاثة ، تؤلف فى مجموعها كتابا ضخما يهدى إلى جيل من بعده أجيال ؛ أجيال ستقف حتما عند كل صفحة من صفحاته لتستنشق عطر الـكرامة وتستروح أنسام الإباء !

لم يكن أحمد عصمت بحكم عمله أديبا ولا فنانا ، ولـكنه كان ضابطا « طيارا » بشركة مصر للطيران .. ومع ذلك فقد أحال الحياة إلى فن ، وأحال الموت إلى فن ، وقدم لعشاق الفنون أروع الأمثال ! لقد كان « محلقا » فى حياته ، وكان «محلقا» فى مماته ، وكان « محلقا » فى كلماته .. والفن فى كل صورة من صوره ما هو إلا « تحليق » فى شتى الآفاق والأجواء.

لقد خرج البطل من بيته ذات صباح ؛ خرج ونصب عينيه هدف ، وملء قلبه أمل ، وفى قرارة نفسه عزم وإصرار .. لم ينس إن هناك أما هو بالنسبة إليها الملاذ الوحيد بعد الله ، وأن هناك زوجة ألقت بآمال العمر كلها بين يديه ، وأن هناك أطفالا لا يعرفون عن الحياة إلا أنها هنا بين أحضانه ، هناك هؤلاء حقا ولـكنهم يعيشون غير أحرار .. إنه يريد أن يقدم للأم ما هو أبقى من الابن ، وإلى الزوجة ما هو أغلى من الزوج ، وإلى الأبناء ما هو أخلد من الآباء . إنه يريد أن يقدم إليهم الحرية ، وهذا هو المعنى الـكبير الذى دارت حوله السطور الأخيرة فى رسالته ؛ تلك الرسالة التى سجلت نقطة البدء فى تاريخ أمة !

إن التاريخ سيروى يوما هذه القصة ؛ سيقول للناس إن أحمد

عصمت كان عائداً بسيارته بعد أن أدى رسالته ؛ بعد أن ذهب إلى المجاهدين على ضفاف القنال ليدفع إلى أيديهم بسلاح وذخيرة ، وعند نقطة التفتيش فى قرية « أبو حماد » اعترض طريقه عدد من الجنود الإنجليز ليفتشوه ! وتلفت البطل ليرى من حوله جمعاً من المصريين قد رفعوا الأيدى فوق الرءوس ، فى موقف يوحى بالضيم ويشعر بالهوان .. وثارت عزة البطل واحتج إباؤه ، وقدم إلى الضابط الإنجليزى وجنوده ما يكشف لهم عن حقيقة شخصيته ، شخصية الضابط المصرى الذى يستنكر التهجم على كرامة المصريين ! وانطلقت من فم الإنجليزى السفيه بضع عبارات وقحة ، خلاصتها أن المصريين أناس لا كرامة لهم .. وفى ومضة البرق كان مسدس أحمد عصمت يلقى على صدر الضابط الإنجليزى أبلغ الدروس ، ويسكت منه اللسان القذر ، ويخمد الصوت الأثيم ! وانهال الرصاص الغادر من كل صوب على البطل المصرى الباسل ، ولكنه قبل أن يودع الحياة ؛ كان قد أكد لخصومه أن كرامة مصر فوق الحياة !!

أحمد عصمت ومن قبله هؤلاء الأبطال : عادل غانم ، وعباس الأعسر ، وأحمد المنيسى ، وعمر شاهين ؛ طلاب الجامعة الذين عاشوا أطياف مجد وأرواح فداء .. لقد كان مقامهم فى الدنيا أشبه بمقام الورد : عمرهم من عمره ، ونضارتهم من نضارته ، وإن كان عطر ذكراهم أبقى على الزمن من عطر شذاه ! لقد ضحوا راضين بأيام الشباب ؛ بما فيها من أمل ، بما فيها من مثل ، بما فيها من أهل وأحباب .. أعذروهم فقد كانوا عشاق حرية : فى هواها كم عرفوا معنى الوجد ، وكم ذاقوا طعم السهد ، وكم جادوا بالدمع فلما أعرضت .. جادوا بالحياة !!

لقد كانوا فى الجامعة طلاباً ولكنهم كانوا على ضفاف القنال أساتذة .. أساتذة كفاح لم يفتحوا الكتب قبل أن يلقوا دروسهم على الناس ، وإنما فتحوا القلوب وحدها ليحيلوا الخفقات فيها إلى محاضرات ! وما كان أروع فهمهم للكرامة ، وما كان أعمق إدراكهم للحرية .. لقد قالوا لمصر كلهم وهم يسيرون إلى الأمام محددين لها معالم الطريق : إنه مرهق ما لم يستمن عليه بالصبر ، إنه طويل ما لم تختصر إليه رحلة العمر ، إنه مظلم ما لم تضىء جوانبه شعلة الإيمان ! قالوها ومضوا فى طريقهم إلى لقاء الله .. وقبل أن يلحق بهم أحمد عصمت كان قد أضاف إلى الدروس دروساً ، وإلى الكلمات كلمات : « فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج ولى ثلاثة أطفال ولى أمى وأخواتى ، ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا هم أحراراً فى بلدهم ، فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات » .. إن أحمد عصمت يوجه الخطاب هنا إلى كل من له أم يشفق عليها من الثكل ، وكل من له ابن يخشى عليه من اليتم ، وكل من له شريكة حياة يجزع من أن يتركها وحيدة فى الحياة ؛ وهذا هو دستور الكرام وإن شئت فقل إنها شريعة الأحرار !!

هناك ، على ضفاف القنال ، فى تلك البقعة المجاهدة ، سالت على رمال الصحراء دماء الأبطال .. ماتوا ، ولكنهم أثبتوا للدنيا أننا أحياء ! توقفوا ، ولكنهم أقنعوا العالم بأننا نسير ! سكتوا ، ولكنهم أسمعوا الزمن صوت الأباة !

إن التاريخ يجب أن ينحنى لهم فى خشوع ؛ يجب أن يفرد لهم من صفحاته أبرز مكان ؛ يجب أن يقدمهم إلى عصوره المقبلة على أنهم كانوا صورة ضمها أجمل إطار !!

أنور المعداوي

الإسلام فى موكب الإصلاح :

هذه المخازى ...!

للأستاذ محمد عبد الله السمان

قال محدثى : « إنكم يامعشر الكتاب الإسلاميين تتصايحون فى واد ، وتنفخون فى رماد ، وتجهدون أنفسكم ، وترهقون أقلامكم فى غير فائدة ، فأنتم تريدون الإصلاح بأداة ينقصها الإصلاح ، وترغبون فى السبق براحلة عرجاء ... تصرون على أن يتزعم الإسلام كل نهضة ، ويتقدم كل وثبة ، والإسلام لم يزل خليطا من الشوائب التى تسئ إليه ، ومزيجا من الفضائح التى تحط من قدره .. !

« ماهذه الطرق الصوفية البلهاء التى لازالت تغزو مصر : كفورها وقراها ومدنها ، حتى العاصمتين لاتتنازل عنهما : وتأبى أن ترحمهما . إنها دولة داخل الدولة ، عدتها الجهل المطبق ، وسلاحها الغباء الفاضح ، ووسيلتها الدجل والشعوذة ، ورعاياها السذج المغفلون ، وولاة أمورها المرتزقة المتلاعبون . أليس من العار أن تقوم هذه الدولة المزعومة باسم الإسلام لتنشر بين المسلمين الجهل ، وتحوطه بسياج من الدجل ، وتذود عنه بقوة من الحمق ؟ أليس من العار أن تسيطر هذه الدولة المزعومة فى مصر على الألوف المؤلفة من المسلمين الجهلة ، لتهب لهم إسلاما ممسوخا ، ودينا زائفا ، ولتجعل منهم آلات لاتفهم الإسلام إلا ركعات وسجدات يؤدونها ، وشهرا يصومونه ، وأورادا يداومون على تلاوتها ، ولايفهمون الدين إلا انقيادا أعمى للسادة المربين ، والأخيار العارفين ، ممن نصبتهم هذه الدولة المزعومة هداة مربين وهم أضل من الضلال ، وأجهل من الجهل ، وأضفت عليهم ألوانا من الألقاب ليكونوا فى نظر قطعان الماشية ذاتا مصونة يجب أن تقدس ، وملتمس بركة يجب أن يتقدم إليه ! ؟

أليس من العار أن تضم هذه الدولة المزعومة بين جناحيها جيشا جرارا من البطالة باسم الإسلام ، لايحترف إلا اصطناع اللحية ، وإتقان العامة ، وتحريك السبحة ، ولا يمتهن إلا التسول فى الموالد ، والتسكع حول الأضرحة ، والمزاحمة على حثالة النذور ، وفتات الصدقات . ولا يرجو من الحياة إلا مسجدا يضمه سحابة النهار ، وإفريزا يؤويه جنح الليل ، وجلبابا مرقعا يتوارى فيه ، ويستعين به على مفاجآت الجو وتقلباته ؟

.. أليس من العار أن تظل هذه الدولة المزعومة تشغل حيزا كبيرا من الفراغ ، وتسيطر على قدر وافر من الرأى العام لتشله وتعطله ، وتحوله عن مهام الأمور التى تتعلق بكرامة وطنه وبلاده ، وتزرع فى نفوسه عقيدة التخاذل والاستسلام والتواكل ، فتفهمه أن استعمار الوطن الإسلامى قضاء محتوم من الله ، والاعتراض عليه كفر ، والتبرم به إلحاد ، والنفور منه زندقة ؛ وتفهمه بأن جور الحكومات إرادة مقدسة من الله ، ومناهضته لؤم ، ومكافحته تمرد ، ومناوشته تنطع وحمق ؟

.. ثم ماهذه الأضرحة التى أضحت كعبة يحج إليها الجهلة من أطراف القطر ، يطوفون حولها ، ويتمسحون بنحاسها وقماشها ، ويتوسلون بها فى شفاء مرضاهم ، وقضاء حوائجهم ، ودفع الضرر عنهم ، وسوق الرزق إليهم ، وتنزح إليها من كل فج جحافل النساء من البله ، لتتزوج العانس ، وتزف البكر ، وتلد العقيم ، وتحل عقدة البائس ، وتفرج كربة المنكوبة ، وترد لوعة الملهوفة ؟

لقد أصبحت هذه الأضرحة مسرحا للجهل بأجلى معانيه ، ومصنعا للخرافات التى لامثيل لها إلا فى عالم الأساطير ، ومعهدا لتكييف أساليب الدجل حتى تخدع العقول ، وتكييف أساليب الشعوذة حتى تضلل العقائد ؛ فهذا الضريح ساكنه من الأربعة المتصرفين فى مصاير الناس ، المسيطرين على ركب الحياة ؛ وذاك الضريح ساكنته هى صاحبة الشورى ، إليها ترجع الأمور كلها ، ومنها تصدر الأوامر جميعها ؛ وضريح العارف بالله هذا متخصص فى شفاء الأمراض المستعصية ، والأدواء المزمنة ، وترابه دواء للأعين الرمد ، وعلاج للأجساد البرص ؛ وضريح ولى الله ذاك ، متخصص فى جلب الأرزاق ودفع الأضرار ، وتحصين الأطفال من الأوجاع والأسقام ، والأرق والسهاد .. !

ثم ماهذه الموالد الصاخبة التى يتبع بعضها بعضا ، ويعلن

عنها فى الجرائد ويدعى لها فى الأسواق ، وتتفضل وزارة الشؤون بالتصريح لها ، وتتكرم وزارة الداخلية بالمحافظة على الأمن والنظام خلال أيامها ، ويحرص قسم الوعظ والإرشاد على استغلالها ، ليعظ أقواما حصنوا بالجهل ، ويرشد جهالا حقنوا بمصل الخرافات ، ويصحح عقائد حمقى ، اللجوء إلى الأضرحة أقدس عندهم من التوجه إلى الله ، والتسكع حولها أخف لديهم من السعى فى الأرض ؟

ماهذه الموالد الصاخبة التى يظل الواحد منها بضعة عشر يوما من مشرق الشمس إلى مطلع الفجر ، لاتسمع غير دق الطبول ، ونهيق المزامير ، وصياح الدراويش ، وغوغاء المهرجين ، ولا ترى غير أكداس مكدسة من الأفاكين المحتالين ، وحلقات للحواة المشعوذين ، وعصابات من أرباب الجرائم المختبئين داخل جلاليب من الرقاع المزركشة ، والمتوارين وراء العمائم الضخام ، واللحى المتدلية ، والسبح المشقشقة ، والأعين المكتحلة ، والحواجب المزججة ، والعبارات المسجوعة التى ينخدع بها سمع الجاهل ، وتنجذب إليها أذن الأبله ، والألفاظ الغامضة التى تثير تطفل الفارغين ، وتبلبل أفكار الأغبياء الساذجين ، ولا تسمع غير صخب يقلق الأسماع ، ويعكر الهدوء ، وصيحات الذاكرين الذين يحترفون ذكر الله بهز الأبدان ، ورقصات الأكتاف ، وانتفاضات الرؤوس ، لايشغلهم عنه الصلوات المكتوبة ، ولا الأقوات المطلوبة ، ولا تكاليف الحياة التى لايهرب منها سوى الضائع المهمل ، والكسول المتواكل . . ؟

لم هذه المخازى كلها اليوم ؟ فإذا كانت من قبل ضرورة يقتضى بقاءها رغبة الاستعمار حتى يضمن غفلة الشعب ، ورغبة الملك الطريد حتى يظل فى أمن من يقظته ، ورغبة الحكومات الجائرة حتى ترغمه على الذلة ، وتفرض عليه الضعة والمسكنة ، فأى معنى لبقاء هذه المخازى إلى اليوم لتكون وصمات عار فى جبين الإسلام ، وصفحات خزى فى تاريخ الشعب المسلم ، ونحن فى عهد جديد يتعقب الاستعمار حتى يرحل إلى غير رجعة ، ويضيق عليه حتى يتقلص ظله فيؤثر الانتحار على الحياة والجلاء على الاحتلال ، وفى ظلال وثبة مباركة تتطلب فى الشعب يقظة تسندها ، وتؤيدها من الرأى العام صحوة تؤازرها وتباركها ، ومن أين للشعب هذه اليقظة ، وللرأى العام هذه الصحوة ، وأحد جوانب الشعب معطل لاخير فيه ، وأحد أركان الرأى العام خائر لافائدة منه ؟ من أين لهما هذه الكلمة وتلك ، وهذه المخازى مازالت صامدة صمود الجبال أمام عواصف العهد الجديد ، وموجات الوثبة المباركة ؟ ومن أين للاسلام أن يقود النهضات ، وأن يسيطر على مواكب الإصلاح ، إذا كانت هذه المخازى لازالت دولتها تقوم داخل الدولة باسم الإسلام ، على رغم من استغاثته منها ، والتبرؤ من فضائحها ، وعلى رغم من صيحات المصلين من علماء الدين المقولين ، والمثقفين من الأغيار المسلمين ... !

فهلا كان الأجدر بكم أن تخلصوا الإسلام مما علق به من شوائب وتنظفوه مما ألصق به من أضاليل ، حتى إذا تقدمتم للاصلاح كانت أداتكم نظيفة سليمة ، وإذا رغبتم فى السبق كانت راحلتكم قوية صحيحة ؟ — أما إذا أصررتم على أن تتقدموا للاصلاح بأداة ينقصها الإصلاح ، وللسبق براحلة عرجاء ، فثقوا بأنكم ستظلون إلى الأبد تتصايحون فى واد ، وتنفخون فى رماد ... !! »

لقد ظللت خلال الحديث منكس الرأس غاض الطرف ، وعبارات محدثى تصل إلى قلبى شعاعات من الغيرة الممتزجة بالحسرة والألم ، ولم أشأ أن أقاطعه أو أجادله ، فلئن كنت أملك اللسان الذى أقاطع به حديثه ، فلم أكن أملك الحجة التى أجادل بها نقده ، وأعارض بها رأيه ، ولذلك آثرت الصمت والهدوء والإصغاء ، واكتفيت فى النهاية بأن رفعت طرفى إلى محدثى ... أن نعم !

محمد عبد الله السمان

الاسلام ونظام الحكم عندنا

للأستاذ منصور جاب الله

إن صح الحديث النبوى « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا » ولم يكن من وضع غلاة الشيعة ، فإن معناه أن الإسلام فى أصوله الأولى لا يعترف بالنظام الملكى الوراثى

ولم تكن الخلافة الراشدة فى أزهى عصورها نظاما جمهوريا ، ذلك لأن النظام الجمهورى من بدء نشأته محدود بميقات معلوم ، وما كانت الخلافة الإسلامية كذلك ، وإنما كانت نظاما قائما على البيعة الشاملة فى سائر الأمصار . وقيل إن الخليفة لم يكن يملك النزول عن البيعة ، حتى أن عثمان بن عفان أبى أن يدع أمر المسلمين يوم أحدق الثوار بداره ومنعوه الماء ، لأنه عد بيعة الأمة تكليفا من الله تعالى

فالخلافة إذن لم تكن ملكا وراثيا ولا كانت نظاما جمهوريا ، وإنما نذكرها اليوم لأننا نحب أن نستنير بهديها ونجرى على سننها ، ولا يقذفن فى الأذهان أننا نرمى إلى إعادة الخلافة بمعناها الشامل الواسع ، فما إلى ذلك من سبيل

وإنما نريد أن نتحدث فى صحيفة الأدب الرفيع ، وفى وجازة خاطفة عن نظام الحكم الصالح ، فنحن الآن فى غضون ثورة مباركة ونهضة تستهدف خير الشعب ومصلحة المجموع . والجمهور من المصريين على اطراح نظام الحكم الملكى بعد ما تبين فساده وسوء استغلال العاملين فيه لموارد الشعب واستنزاف دمائه لقضاء النزوات والبوائق واللبانات

هذا إذا غضضنا الطرف عن كراهية الشعب للأسرة المالكة القائمة ، إذ أصلها غير مصرى ، ومؤسسها الأول جاهل أمى ، والكثرة الكثيرة من أعضائها وأفرادها لا يشرفون الوطن الذى ينتسبون إليه ، بل إن مباذلهم ومتارفهم لهى معاول الهدم التى كادت تأتى على بنيان الكرامة الوطنية والعزة القومية فتجعله حصيدا كأن لم يغن بالأمس

فالشعب المصرى الذى فقد الثقة بالنظام الملكى على الإطلاق والذى فقد الاحترام للأسرة الحاكمة فى مصر ، لا يمكن أن يفرض عليه نظام ملكى وراثى إلا إذا سلك سبيل الإرغام . ونحن فى عصر ثورة بل فى زمن نهضة وليس للارغام علينا من سبيل

والكرام الكاتبون الذين يقترحون النظام الجمهورى على إطلاقه ، إنما يتجاهلون عوامل كثيرة ما كان يصح إغفالها بالنسبة لمحيطنا الاجتماعى والسياسى ؛ فمصر التى يعزها أبناؤها ويتمنون نجاحها وفلاحها ، حرام عليهم أن يعرضوها لمحنة انتخابات رياسة الجمهورية كل أربع سنين أو سبع على هذا النحو المتبع أو المبتدع فى البلدان ذات النظام الجمهورى العريق . ذلك لأننا ما برحنا نشفق من آثار الانتخابات النيابية التى كانت تنعقد بين الحين والحين ، والتى كانت تفعل الأفاعيل فى تمزيق الأواصر وقطع الروابط وتعطيل الأعمال وبذل الأموال

صحيح أن قوانين الانتخاب التى سوف يتمخض عنها عهد الثورة لا بد أن تجنبنا كثيرا من الخطأ الذى وقع فيما مضى ، فلا يكون ثمة غش ولا رشوة ولا تزييف ، بيد أن العوامل النفسية لا يتسنى القضاء عليها بسن التشريع أو فرض القانون ، فالنفس البشرية . لا تتغير ، والمنافسات هى المنافسات ، والمعارك هى المعارك . وكم من أسر كبيرة قطعت العداوة أرحامها وأضاعت الخصومة ثرواتها ، وهيهات أن يقضى القانون على ما ركب فى الطبائع الإنسانية من ألوان الانفعالات !

إذن ماذا يكون نظام الحكم عندنا بعد هذا الانقلاب المبارك ؟

إن الذى يتبادر إلى الأذهان أن النظام الجمهورى المألوف فى أوربا هو أقرب النظم إلى الوضع الذى اصطلحوا على تسميته بالنظام الديمقراطى الصحيح ، ولكن النظام الجمهورى بالنسبة لبلد مثل مصر يعد طفرة قد لا تكون محمودة العقبى ، ذلك لأن بلادنا حكمت منذ عهد محمد على حكماً دكتاتوريا طاغيا امتاز فى بعض الأحيان بمظهر دستورى خلاب ، وربما يكون من الأوفق أن نتخذ وضعاً بين الملكية والجمهورية ، ولنطلق على هذا الوضع نظام « رياسة الدولة » على أن يكون اختيار رئيس الدولة بالانتخاب المباشر ، أو بالبيعة على حد التعبير الإسلامى القديم ، وتكون رياسة الدولة مدة الحياة أو إلى أن يسئ « الرئيس » استخدام سلطته ، وعندئذ يعزله البرلمان أو يقيله الشعب، وفى كل

وجعلوا وقعت من سطح ولا زلت بى قدم ، ولا شئ غير هذا مما يكسر العظام . ولكنما كانت زوجتى مريضة فأجريت لها عملية جراحية . وفى صباح اليوم التالى وقفت إلى سريرها وفى يمناى الدواء ممزوجا بالماء فى كوب من الزجاج ، وحاولت أن أرفعها بيسراى ، وكان السرير عاليا وأنا قصير القامة فشبيت فسمعت شيئا يطق فظننت الكوب قدانكسر ، وتلفت أنظر فإذا هو فى كفى سليم ، فحاولت أن أدور على قدمى لأرى فإذا بساق اليمنى تخذلنى ولا تحملنى فعلمت أن الصوت منها ، ثم تبينت بعد ذلك أن حق الحرقفة هو الذى انكسر، وعولجت ثلاثة شهور، ولكن العلاج كان فيه بعض الخطأ فانحرفت عظمة الساق عن استقامتها فقصرت عن أختها فكان هذا العرج »

عند ذلك تغيرت الدنيا فى عينيه ، وأدركته الشيخوخة فى عنفوان شبابه ، وغمرته — كما يقول — مرارة كان يخيل إليه أنه يحسها على لسانه، وتملكته السوداء والتشاؤم، والبسمزم Pessim sm وأصيب من جراء ذلك بالنيراستينيا . ولقد كانت هذه الحادثة أقسى ما يمكن أن يمتحن به معدن شاب مستوفز نزعات الإحساس ، متعدد آفاق النفس؛ يستقبل الحياة بذخيرة من أحلام المجد والسعادة فتستقبله بطعنة نجلاء من طعنات المحنة والبلاء .

فلا جرم ينطوى المازنى على نفسه يعاقر الألم ويستمرئ الحرمان ، صادفا عن الدنيا والناس ومناعم الحياة . ولقد ظل سنوات يجاهد العقدة النفسية التى طرأت عليه من هذا العرج ويعالجها بالتهوين والتخفيف ، ولكن الحادثة كانت لا تفتأ تعاوده بذكراها الأليمة أو ذكراها المتجددة وهى بضعة منه لا تفارقه ، فلا يفيد معها التهوين والتخفيف

ثم كان مدى تلك التجربة ، أو تلك المحنة ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، حين عن له أن يترك التعليم ويلقى بنفسه إلى معترك الصحافة .

أغلق المدرسة التى كان يديرها ، قبل أن تتصل أسبابه بالعمل الدائم فى الصحف ، وجاءت حوادث الثورة الوطنية وما قام فى أعقابها من الاضطراب وعدم الاستقرار فتركته فترة بغير عمل . وكانت النيراستينيا كأحد ما تكون . وأحس أنه خليق أن يفقد أعصابه وتلح عليه وطأة المرض إذلم يركن إلى الراحة والاستجمام

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

« قد شبيت عن الطوق جدا . ولكنى ما زلت أمت إلى طفولتى بسبب قوى ، وما انفكت أخراى معقودة بأولاها » « المازنى »

— ٥ —

السكر بين الطفل

كانت سنوات الشباب فى حياة المازنى فترة تجربة نفسية امتحن بها . ولقد طالت به هذه التجربة وخلفت نتائجها فى كيانه وسريرته ، وكان لها أثرها البعيد فيما عدل إليه من أسلوب الحياة ونهج التفكير

بدأت هذه التجربة النفسية مع مطلع الحرب الكبرى ، حين أصيب المازنى بعرج فى إحدى ساقيه ؛ « وما كنت سكران

حال لا يكون له سلطان الحكم المباشر ، وإنما يتولى ولا يحكم ليكون مظهرا من مظاهر هيبة الدولة ومجادتها ، شأنه فى ذلك شأن الملك فى إنجلترا أو رئيس الجمهورية فى فرنسا

ومعنى هذا أننا لا نريد نظام رياسة الدولة على النحو المتبع فى إسبانيا أو فى روسيا أو فى يوغسلافيا ، فنحن لا نبغيها دكتاتورية فاشية أو دكتاتورية شيوعية ، بل نريد نظاماً مستقرا ثابتاً يجنبنا الهزات الانتخابيه المترادفة ويحفظ كيان الدولة وهيبتها

وبعد فهذا رأى شخصى بحت أطالع به قراء « الرسالة » وعلى الكاتب وحده تقع تبعته . وإنا لنجد له مشابه فى صدر الدولة الإسلامية ، كما نجد له نظائر فى بعض الدول الأوربية الحديثة . وإنا لنعلم أن المسئولين ما برحوا يبحثون نظام الحكم المصرى فى المستقبل القريب والبعيد ، ولا ريب فى أنهم سوف يجعلون الآراء المتضاربة جميعا فى موضع الاهتمام والنظر

والله ولى التوفيق

منصور جاب الله

ومجانبة التفكير ، فسافر إلى الإسكندرية ، وفى مأموله أن يوفق بعد ذلك إلى عمل هناك

ويقول المازنى « لم أكد أستقر فى الإسكندرية حتى شعرت بحمى عصبية ، ثم اتفق أن وجدت مع صديق لى رواية روسيـة مترجمة إلى الإنجليزية فسألته عنها فأثنى عليها ، ولم أكن قد سمعت قبل ذلك باسم المؤلف فاشتهيت أن أقرأها واستعرتها منه . وكانت وصية الأطباء لى ألا أكـد خاطرى أو أتعب رأسى بالقراءة أو الـكتابة

« قرأت هذه الرواية فلم أكد أفرغ منهـا حتى رأيتنى قـد انقلبت مخلوقا آخر : أعدتنى روح بطلها بقوتها وبجرأتها على الحياة ، وبالبساطة فى مواجهة ما يقع له فيها ، وباستقامة النظرة وسـداد الاتجاه ، فشفيت واستغنيت عن الأطباء والعقاقير ، وما لبثت أن كررت إلى ميدان العمل وبى من النشاط والثقة ما يـكفى فيلقا بأسره »

تلك هى قصة سانين « sanine » لمؤلفهـا الروسى ميخائيل أرتزيباشيف [1] . وقد نقلها المازنى إلى العربية ونشرها باسم « ابن الطبيعة » (١٩٢٢) أداء لمالها من دين عليه

ومن قراءات المـازنى فى الأدب الروسى فى ذلك الحين إلى جانب سانين ، قصة إيفان تورجنيف المشهورة « الآباء والأبناء fatheis and children وهى من أندر القصص فى بابها وأصدقها تصويرا للطبيعة الروسية فى بعض جوانبها ، وقد أصبح اسم بطلها بازاروف « Bazarov » علما على المذهب الفكرى والسياسى الذى ابتدعه تورجنيف ودعاه باسم النهلزم « nihilism » بمعنى الفوضوية أو العدمية

ويذكر الأستاذ العقاد ما كان لقصة سانين من الإيحاء والتأثير فى نفس المازنى فيقول « لست أنسى هزة وجدانه بأفاعيل سانين مع إنكاره لتلك الحيوانية الاجوج التى مثله بها مؤلف القصة .. وأنه كان يردد بعض « لوازم » لسانين فى كلامه بعد قراءتها . ويقول العقاد « إن القصة الروسية من أقوى المؤثرات فى نزعته التى جنح إليها بقوته كلها فيما نسميه بفلسفة الحياة »

والحق أن المازنى كان أقرب ما يكون إلى خصـائص أبطال القصة الروسية ، من طراز سانين وبازاروف ، الذين يواجهون الحياة بالاستخفاف وقلة المبالاة ، ويعيشون بالقدرية ويعولون على مفاجآت الغيب وحساب المجهول ، ويجمعون بين نقائض الطبائع الإنسانية ، فلا يزالون أبدا مترددين بين الروحانية والجسدية ، وبين الزهادة والطموح ، وبين الـكلبية [2] المتهانفة والغرارة الساذجة . وقد عصمت المازنى بيئته المحافظة ونشأته الدينية من أن يتأثر بالناحيـة الدنيا فى تلك الخصائص الروسية ، ووسعه أن يأخذ عنها أشبه تلك الخصائص به وأقربها إلى طبعه ومنحاه ، وهى نزعة الاستخفاف وقلة المبالاة . فـكانت هذه النزعة بعد سلاحه فى مواجهة ما تأزمت به نفسه من أحداث تلك التجربة ، وبقيت إلى آخر أيامه سلاحه فى مواجهة الحياة ، وبه غلبها ولم تغلبه

وكأن ما امتحنته به تلك التجربة — من الإصابة بالعرج ، ثم هجر التعليم والتعطل الذى أعقبه — كان من توفيقات المقادير التى تنم الحـكمة فيها على الإنسان قبل أن تتبدى صفحتها من مستقرها فى عالم المجهول

كان المازنى قد أوفى على الثلاثين ، وشب عن الطوق جدا فيما يحس ، وارتفع ، كما يقول ، « عن كل حداثة ارتفاعا أجلسنى على ربوة الحياة حيث تنازع السحب الضياء » ، ووقف يستقبل الـكهولة التى طرق بابها قبل أن تطرق بابه ، والتى تزود لهـا بزادين من عمل النشأة وعمل التجربة ؛ فليس أقرب إلى الـكهولة وألصق بها ممن يحرم فى سنه وميعته قراه من الطفولة والشباب ، ومن يدركه بلاء التجارب وهو غر لا يفيد منها غير الجهد والعناء

وقد عرف القارئ كيف ودع المازنى طفولته قسرا وقطعها وثبا ، وكيف أكره نفسه على كبح عواطفها الساذجة وكبت نزعاتها البريئة فى غير رفق أو رحمـة . ولا شك أنه ظل منطوياً على هذا الشعور بالحرمان من أسعد فترات الحياة وأنضر عهودها حتى جر عليه هذا الانطواء أن أضاع شبابه فى بيداء السلبية ومهمه التشاؤم ومقارفة العزلة والتوحد وتلقى الحيـاة باحتفال

(١) ميخائيل ميخائيلوفتش أرتزيباشف mikhail mikhailofitch artsibashef ولد عام ١٨٧٨ ، وبدأ اتجاهه الفنى بالرسوم الهزلية (الـكاريكاتير) ثم تحول إلى كتابة القصة الواقعية الـكبيرة . واتهم بالثورة وسجن عام ١٩١٢ تعدو سانين أعظم أعماله القصصية وقد أخرجها وهو دون الثلاثين (١٩٠٧)

(٢) cynicism

الوسوس المرور

ثم كانت تلك التجربة النفسية وما طبعته عليه من مواجهة الحياة بالاستخفاف وقلة المبالاة ، وكانت معها المعجزة الكبرى فى حياة المازنى الذى كان يشرف على الكهولة يومذاك

أشرف على الكهولة ليجد نفسه من جديد أمام طفولته التى زايلته ، تعاوده بأخص خصائصها فى طابعها القديم ، وإن تكن قد عادت ناضجة واعية أشد تمرساً بالحياة وأكثر فهما وتجربة

وليس بالعسير تفسير هذا الارتداد أو هـذه الرجعة إلى الطفولة ، ولا يحوجنا الأمر فيما نرى إلى استشارة علم النفس التحليلى أو تطبيق مناهجه ومقاييسه فيما كتب علماؤه المحدثون ، فهى ظاهرة طبيعية وليست حدثاً خارقا أو شذوذاً غير مألوف

... طفل أكرهته الحياة على أن يكبت فى نفسه كل إحساس بالطفولة — على فرط إحساسه بها — وأن يطرح عنه كل ما يمت إليها من دوافع ونزعات ، فاستقرت طفولته فى أعماقه مكبوتة أو مكرهة على الكبت ، تترقب المناسبة التى تطفر فيها من قرارها وتلبس إهابها السليب

وقد سنحت هذه المناسبة المرتقبة فى حياة المازنى بتصحيح النظرة إلى الحياة والنقلة من المبالاة والاحتفال إلى الاستخفاف وقلة الاكتراث ، فعاودت طفولته ظهورها وعادت سيرتها ، ولابست بنية الكهل المجرب فيه روح الطفل الغرير

***

صورتان جد مختلفتين : أولاهما صورة شاب يعارض الحياة معارضة الإدلال ، ويثور عليها لأنه يباليها ويحفلها غاية المبالاة والاحتفال ، ويتراءى فى إهاب أقرب إلى الشيخوخة المنطوية لولا ما يتسم به من ثورة السخط والزراية على الحياة والأحياء

والثانية صورة كهل يصدر فى مطالبه ورغائبه وفى جده وهزله عن منازع هى منازع الطفولة فى صميمها ، بل تزيدها السن فرط غرارة واندفاع وحماس .. كهل يركب الحياة بالسخرية والاستخفاف ، ويسالها غير مضطر أو مغلوب ! أو هو يتلع عن معارضتها لأنه قد ملأ يديه منها ، وكأنه يقول لها بلسان الحال إننى لا أحفلك ولا أباليك منذ الآن ، فسيان أن نلتقى على حرب أو سلام ، وعلى ود أو خصام ، فعلى هذا وذاك نحن ملتقيان !

وقد قابل المازنى بين هاتين الصورتين لذينك العهدين من حياته ، ولم يخف عن نفسه ، ولا عن الناس ، موقع هواه وموضع ميله منهما . ونحن نؤثر أن ننقل هنا معالم الصورتين كما خرجتا عنه ، مع تفسيره الذى ارتاح إليه فى تعليل رأيه ؛ فهو يقول :

« الكهولة والشباب عهدان مختلفان فى كل شئ ، ولك أن تقول إنهما يجعلان من الإنسان الواحد إنسانين متميزين ، لا يشبه أحدهما صاحبه ، لا فى المخبر ولا فى المظهر . فأنا فى كهولتى إنسان جديد من كل وجه ، لا يشبه ذلك الإنسان القديم الذى كان أيام الشباب ، فقد ذهب ذلك الإنسان إلى غير رجعة ، وذهب معه كل ما كان له من خصائص وصفات وسمات ومعارف ونزعات وآمال وآلام ومخاوف ومطامع وشهوات إلى آخر ذلك ، وحل محله هذا الكهل الذى يدلف إلى الشيخوخة

« ولك أن تقول أيضا إن الشباب والكهولة معنيان فى النفس . فإن منا من يخطئ معنى الشباب فى عهده المألوف ثم يجده فى غير أوانه . وهذا ما وقع لى ، فما عرفت طعم الشباب ، ولا ركبت به ما يركب الناس به ، لأنى امتحنت فى صدر حياتى وغضونة سنى بما تركنى أحس كأن الدهر كله عمرى . ودارت الأيام وكبرت ، وازددت بالدنيا وبالناس معرفة وبنفسى أيضا ، فإذا كل شئ يتغير ، التشاؤم انقلب تفاؤلا واستبشارا ، والضغن أصبح عطفاً ورقة قلب وحبا للحياة والناس ، وكنت أظننى لن يطول عمرى وأحمد الله على هذا وأسأله فى سرى أن يعجل بالراحة الكبرى وإن كنا لن ندرى بأنا فزنا بها ، فإذا بى واثق أنى سأكون من المعمرين جدا ، وإذا بى قد صرت أحرص الناس على حياتى ، بل إذا بى أشعر شعوراً قويا أنى رددت شابا ، وإن كان رأسى قد شاب ولم يبق فيه سواد ، وأذهلنى هـذا الشعور المستغرق عن سنى التى لا تكف عن الارتفاع »

وإذا كان لنا أن نعقب على هذه المقابلة الصادقة بشئ ، فهو أن ذينك العهدين ، فى حياة المازنى وأدبه ، قريب من قريب ، وأن عهد الشباب والثورة ومعارضة الحياة كعهد الكهولة الطفلة المجربة ؛ قوة إحساس وفيض عاطفة وشعور

فلم يكن المازنى الشاب ليعارض الحياة أو يتنكر لها إلا وهو

... متعلق الرجاء بها قوى الرغبة فيها . وما كان سخطه وثورته إلا دالة يدل بها الشباب على الحياة فلا تتجاوز التبسط فى المغاضبة أو العتاب إلى الحنق والتنديد والمجافاة

بلى . وذلك الشاب الذى كان قلبه ينبض أبدا بأشواق العاطفة وسورة الإحساس ، والذى لم تهدأ فيه حيوية الشباب قط ، لقد كان أقرب إلى الحياة وأعرف بها وأوفر نصيبا منها من كثيرين لا يدينون بسخطه ولا يحسون مثل قلقه وثورته

منذ ذلك العهد — عهد إيحاء سانين — لم يحى المازنى فى غير عالم الطفولة الخالدة . ولقد تقلبت به الحياة وتقلبت عليه التجارب فما كانت لتمر به إلا كما تمرق الأعاصير من بين قلل الأطواد الشامخة ثم تنكفئ عنه ، كما تنكفئ الموجة العتية عن الصخر الركين

فى عالم الطفولة الخالدة عاش المازنى أعوامه الثلاثين التى تقضت بين بدء عهده بالكهولة ووفاته ، فكانت خلاصة العمر وصفوته ولبابه ، وكأنما كان إيذان ذلك العهد بمثابة ميلاد جديد لأديبنا العظيم ، وإن سبق مجيئه إلى الدنيا قبل ذلك بأعوام طوال

محمد محمود حمدان

التربية الروحية فى مدارسنا

للأستاذ محمد علي جمعة الشايب

إنها لمأساة حقا أن نجد كثيراً من الضمائر والذمم فى حاجة ماسة إلى تطهير لا فرق فى ذلك بين هيئة أو جماعة ، أو عظيم أو حقير . هذا إلى كثير من النفوس والضمائر التى أبصرت أشعة التطهير فاختفت داخل قواقعها واتخذت منها كنا وستراً . ولعل يد العدالة ستمتد إليها فتخرجها صاغرة ذليلة من داخل تلك القواقع ؛ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون... إنها لمشكلة تدعو للأسف حقا وتدعو للعلاج السريع ، حتى يعافى مجتمعنا من هذا الوباء الخلقى الخبيث . وإن إعدام بذور الشوك خير من تقليم أغصانه بعد أن ينبت . ومن الواجب قبل أن نصف الدواء أن نضع أيدينا على أسباب الداء ، أو على الأقل على أهم أسبابه

إننا لو نظرنا إلى موظفى الدولة ورجالها لوجدناهم ثمرة من ثمرات المدرسة ، فإذا أحسسنا أن هذه الثمرة مرة المذاق ، فلا بد أن التربة التى نبتت فيها هذه الثمرة تربة غير صالحة ، وهذا هو الواقع فعلا فى مدارسنا ، فأنت لو نظرت إلى المدرسة فى ذلك العهد الذى نتنسم فيه شيئاً من الحرية لم تجد فى أساليب تربيتها ما يعين على تنشئة جيل صالح ، فما بالك بها منذ عشرات السنين أى فى العهد الذى ربت فيه أولئك الذين قادوا السفينة بنا إلى الهاوية ، وقد كان عهداً حبس عنه الاستعمار كل نسمة من نسمات الحرية والصلاح فى أية ناحية من نواحى الحياة ... وليس لنا بالمدرسة القديمة شأن ، فقد مضت وأفسدت ما أفسدت ، وهذه يد التطهير تحاول أن تصلح ما أفسدته المدرسة من قديم الأزمان . ولكن لنا الشأن كله بالمدرسة الحديثة — مدرسة اليوم — ويجب أن نمد إليها يدنا اليوم بالإصلاح قبل أن تمتد يد التطهير فى المستقبل إلى ما تأتى به من ثمرات ...

إن التربية فى مدارسنا اليوم لا يعنيها غير الهدف العلمى ، فهى تحرص على أن تضع فى يمين التلميذ ورقة بمثابة الجواز الذى يسمح له بأن يأكل عيشه فى شىء من السهولة واليسر ويضمن حياة راضية أحيانا ، أما التهذيب الروحى وتقويم الاعوجاج والالتواء وتعديل الغرائز والنزعات الفطرية وإعلاؤها بحيث تجعل صاحبها يستقيم مع المجتمع ولا يكون نشازاً فيه ، ويصبح عضواً فعالا فى أمته ، فهذا ما لا يدخل فى حساب التربية المدرسية عندنا... إن التربية عندنا مادية بحتة لا أثر فيها للروح ، مع أن المجتمع المدرسى الصاخب فرصة نادرة أمام المربين الروحيين لو أرادوا ، فالتربية الروحية تعتمد فى الغالب على مجتمع لكى تتمكن من نشر مبادئها ويمكن الوصول إلى أهدافها بسهولة . . . وقد يعتقد البعض أن دراسة الدين فى مدارسنا تربية روحية ، ولكن يؤسفنى أن أقول إن هذا وهم واهم ؛ فمدرسو الدين والتلاميذ يعرفون ما ننطوى عليه الحقيقة من ألم مرير ، وقد يكفى أن تعلم أن غالبية المدرسين يجرون أرجلهم جرا حينما يذهبون إلى حصة الدين ، وأن التلاميذ يودون لو أن المدرس انطلق بهم إلى ما يهمهم ويغنيهم من أحاديث الحياة العامة ووفر عليهم مؤونة الشرح والتدريس ، بل لقد شكا

كثير من المدرسين من أن التلاميذ يجمعون له كثيراً من الأسئلة فى شتى النواحى المختلفة ليتحفوه بها فى حصة الدين ، وشكا آخرون من أن التلاميذ يتسللون لواذاً « ويزوغون » فى حصة الدين . أما الفريق الذى لم يشك فيعلم الله مبلغ ما يقاسيه من ألم وعناد فى سبيل الاحتفاظ بالنظام وضبط الفصل والترهيب مرة والترغيب أخرى حتى ينتهى ذلك الدرس . . . وليس مرد ذلك لشىء فى الدين نفسه — معاذ الله — ولا لشىء فى التلميذ ذاته كما يتوهم بعض المدرسين ، وما أظن أن المدرس يعتقد أنه هو مرد ذلك لأنه لا يحس هذه الظاهرة إلا فى درس الدين فحسب ، وإنما السبب راجع إلى الطريقة التى يدرس بها الدين وإلى المنزلة التى وضع فيها فى المنهج الدراسى ، فالدين دراسة نظرية بحتة لمجموعة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ودراسة لبعض الشخصيات الإسلامية الفذة ، وفى الغالب لا تجد ارتباطاً بين هذه المواضيع وحاجات التلميذ النفسية أو المشاكل التى تهمه ، وهذا هو السر فى انصراف التلميذ عن الدرس إلى الأسئلة التى يضيق بها إخواننا المدرسون ، ولو ربطت مواضيع الدين بمشاكلنا القائمة بيننا الآن والمذاهب الاجتماعية التى هى موضع اهتمام الرأى العام لكان درس الدين حيا قويا ، ولوجد استجابة حارة من التلاميذ ، ولكان ذلك تثبيتاً للتلاميذ وعصمة لهم من الزيغ

ولو تناولت دراسة الدين أمراضنا الخلقية وآفاتنا الاجتماعية المتفشية ، ولو أتينا بالشخصيات الظاهرة عندنا وربطنا بينها وبين الشخصيات الإسلامية العظيمة ودرسنا هذه الشخصيات دراسة مقارنة ، أقول لو فعلنا ذلك لكان ذلك أهدى طريقاً وأقوم سبيلا

على أن وضع الدين فى المنهج المدرسى ذلك الوضع غير اللائق كفيل بأن يصرف عنه الاهتمام والعناية ، فجعل الدين مادة ليس فيها امتحان يجعلها عبئاً على أكتاف التلاميذ يعوقهم عن النهوض بواجباتهم المدرسية التى ينتظرهم فيها نجاح أو رسوب . ولقد كان من الممكن الاستغناء عن الامتحان فى الدين لو قومت طريقته وعدلت بحيث نضمن منها فائدة محققة للتلميذ ، أما والحالة هذه فلا بد من الامتحان وإن كان لا يكفى لإفادة التلميذ الفائدة المرجوة من دروس الدين ، ولكنها فائدة على أى حال ، ولعل الوزارة قد تنبهت إلى ذلك فى هذا العام

بق أننى لست أومن بالدراسة النظرية ، وإنما الذى أومن به الإيمان كله أن تكون الدراسة عملية ولا تأتى الناحية النظرية إلا كالشاهد أو الدليل ، وما دامت المدرسة تخرج للمجتمع ، فلماذا لا تكون المدرسة صورة من المجتمع ؟ لماذا لا تكون المدرسة نموذجا من المجتمع فى جميع نواحيه خيره وشره ؟ نستطيع أن نهيئ فى المدرسة الجو الذى تنزلق فيه الضمائر والذمم وتستشرى فيه الغرائز ، ونخلق من ذلك فرصة للتهذيب والتقويم وتعديل هذه الغرائز حتى تخرج المدرسة ذمماً نظيفة وضمائر بيضاء ناصعة وغرائز مصقولة مهذبة ، فمثلا التغذية فى المدارس نستطيع أن نجعلها بمثابة « وزارة التموين » فى المجتمع الخارجى فنمكن التلاميذ من تصريف أمور التغذية فى مدارسهم ، ثم ننظر ماذا يفعلون ، وإننى لواثق من أننا سنجد فرصة ذهبية للتربية الروحية العملية الحقة ، وسنجد فرصة ذهبية كذلك للكشف عن كثير من الذمم المعتلة والضمائر المريضة ، وسنتمكن من علاجها علاجا حاسما حتى تخرج على المجتمع نقية كالثلج . .

كذلك نستطيع أن نكون من التلاميذ مجلسا للقضاء والفصل فى النزاع الذى ينشب بين تلاميذ المدرسة ، ويكون له حق فرض العقوبات اللازمة ، والغرامات المالية المناسبة وبالإشراف الدقيق نستطيع أن نلاحظ كثيرا من النزعات الفطرية الملتوية بين أعضاء هذا المجلس وسنتمكن من تقويمها . . كذلك يمكن أن نكون من تلاميذ المدرسة هيئة بوليسية للاشراف على المدرسة وتقصى أخلاق زملائهم والإرشاد عن عيوبهم لإصلاحها وتهذيبها ؛ إلى غير ذلك من الجمعيات والهيئات التى تتيح فرصا للتربية الروحية وتخلق مناسبات حية لدروس الدين . على أن بالمدرسة الآن جمعيات قائمة مثل جمعيات البر والإحسان والجمعيات الرياضية وجمعيات الدعوة والإرشاد ينبغى استغلالها لهذا الغرض

وبعد فمتى كانت التربية الروحية نظرية بحتة ؟ ألم يغلب الله جانب العمل فى العبادات وهى التربية الروحية فجعل الصلاة إلى جانب أنها ذكر ودعاء ؛ قياما وركوعا وسجودا ؟!

وكذلك الجانب العملى أوضح ما يكون فى الحج والزكاة والصوم ، ولعلنا نلمس الجانب العملى فى تربية الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار والمهاجرين حين آخى بينهم فكان الأنصارى يقسم ماله وداره بل وأزواجه بينه وبين أخيه المهاجر ! هذا هو المنهج السليم الذى يجب أن تنتهجه التربية الروحية ... أما أن تكون كلاماً يتلى فهذا ما أشك فى تسميته تربية

محمد على جمعة الشايب

خاطرة

نداء المال ...

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

ما للحياة قد مالت بآمالى ؟! وأين مالى ؟

لقد كنت معتزا به حتى سميت « صاحب عزة » !

وكنت سعيداً فى جمعه ؛ فغدوت « صاحب سعادة » !

ترى : أنادتنى شقوة المحرومين لأبلو شقاءهم ؟

أم دعتنى بلوة المكروبين لأذوق بلاءهم ؟

حسبى يا زمان !

طالما طال عنقى ، وتطاول حمقى ؛ حتى نزل العنق بين كتفى وكاد يمحى من كيانى ، واسترخى الحمق فى بلاهة ردتنى إلى الحقيقة ، فعرفت ميزانى واتزانى !

كنت أزن المقادير على قدرك ، وأصطنع الجاه فى ظلك، وأدعى الأصل العريق بأصالتك !

كانت الغفلة تركب رأسى ؛ فأتغابى عن الحق ، وأصور الحياة متعات لاهية تملأ لهوات الأطماع !

ما حسبت أن السيادة فطرة الله فتغالبت وتعاليت ، حتى أرخصنى غلوى ، وهبط بى علوى ، وتبصرت حياتى فوجدتنى صفراً بلا آحاد ، بعد أن كنت واحداً يباهى بأصفار على يمينه !

***

يا مالى ! . . .

أناديك وقد طويت كشحك عنى ، كأنك ترد إلى «ضريبة» غرورى . وما جدواى من ندائك بعد أن كبا بى جدى ، وأخلفت الأيام عهدى ؟

يا مالى ! . . .

ليست فيك آمالى ؛ فقد علمت أن الآمال فى خزانة القلب ممثلة فى الرضا ، والقناعة ، والأمن ، والسلامة !

يا مالى ! . . .

كان الشيطان يغررنى ، ويغرر بى ، حتى تركنى فى مزجر الحسرة ؛ فرميت مرمى المهانة !

***

يا مالى ! . . .

ماذا دهانى حتى أعانى ما أعانى ؟

كنت أضع فى مجتمعى حدوداً حتى حددت حيانى ، وكنت أتخذ « بطانة » تبارك ركابى ، فتركت وحدى أقاسى عذابى ! أين ظلال الشخوص التى كانت تظل بشمى وغرورى ؟ وأين مغريات الطغيان لترى بأسائى ومصيرى ؟

***

يا مالى ! . . .

كانت أخيلتى مجنحة ، تحلق بى إلى عالم وهمى ؛ فحسبت الحياة كلها عرضاً يباع بك ، وكنت فى سبيلك أعرض عرضى ، لأحصل على مباغى نفسى الطموح ، وصرت معلقاً بخيوط أوهامى حتى سخرت منى الحياة !

كنت أناجيك « يا مالى » مناجاة التخليد ، فلم يقع فى تقديرى أن قدرى فى يد القدر ، حتى أعجزتنى المعجزة التى أخرست لسانى وألجمت جنانى !

***

يا مالى ! . . .

أمسترد على مجدى ؟ أم أن طول التحسر لا يجدى ؟

كنت أحسب الزمن يداعبنى بملهاة ضاحكة ، لكن تبين لى أن الأضحوكة قد تكون حكمة !

ما ظننت يوماً — يا مالى — أن المحروم المنكد العيش ، سيعتز بحياته ، ويكون صاحب « عزة » أصيلة عن عزتى الدخيلة !

ما حسبت أن مشقوق القدمين الكادح ، سيشق طريقه فى الحياة على عمل جليل ، ونظام متسق ، ووحدة متآلفة !

***

يا مالى ! . . .

لقد غيبتنى الأعجوبة فى غيبوبة العجب ، وإنى لمسائل نفسى كيف استحالت أوضاع حياتى فى طرفة العين إلى ما أرى من

الجغرافية والسيادة العالمية

للاستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى

لا يستطيع الإنسان فهم الحوادث التاريخية وتفسيرها على أصولها الحقيقية إلا إذا عرفنا العوامل الجغرافية التى لعبت دورها فى هذه الحوادث، فالتاريخ والجغرافية علمان لا ينفصلان وإن كان لكل منهما شخصيته الواضحة ، وما أشبه الحوادث التاريخية برواية تمثيلية قد بدأت منذ الخليقة وتعددت فصولها على مر الأيام. وكلما أقبلت الأعوام زاد عدد الممثلين وأشخاص البطولة فيها كل على قدر أهميته . وما أشبه هذا المسرح الذى تمثل عليه هذه الرواية بحوادثها ومغامراتها بالعالم الذى نعيش فيه . وإذا كنا لا نستطيع متابعة حوادث الرواية التمثيلية إلا إذا ألممنا بمسرحها ؛ فكذلك لا نستطيع فهم الحوادث التاريخية وتفسيرها على حقيقتها إلا إذا درسنا مسرحها وفهمنا هذه العوامل الجغرافية التى تحكمت فى هذه الحوادث وسيرتها فى هذا الاتجاه . لهذا كانت للعوامل الجغرافية الأهمية الأولى لدارسى الحوادث التاريخية ولكل من يحاول فهم التاريخ على حقيقته .

نظرة سريعة إلى الكرة الأرضية بنصفيها الشمالى والجنوبى نرى اليابس يسود النصف الشمالى إذ تشغله معظم القارات فى الوقت الذى تسود فيه المحيطات النصف الجنوبى؛ ولهذا كان النصف الشمالى أكثر سكاناً وبالتالى أكثر نشاطاً وإنتاجاً ، ولهذا كان أيضاً مهداً للحضارات الأولى التى خرجت للعالم ومنه خرجت طلائع المغامرين الذين اكتشفوا النصف الجنوبى ومهدوا لفتحه واستعماره ، وهكذا ساد النصف الشمالى النصف الجنوبى ، وهكذا تحكم اليابس فى الماء بفضل كثرة السكان وما يرتبط بهذه الميزة من نتائج لها تأثيرها الخاص .

ونحن أيضاً إذا نظرنا إلى خريطة العالم بنصفيها الغربى والشرقى وجدنا النصف الشرقى معظمه يابس تسوده أكبر مساحة من القارات فى الوقت الذى تسود فيه المياه معظم النصف الغربى . وهنا أيضاً نجد النصف الشرقى قد مثل فى النصف الغربى ما سبق أن رأيناه فى النصف الشمالى والنصف الجنوبى للكرة الأرضية ؛ فالأسباب واحدة والنتائج متشابهة .

وإذا نظرنا إلى العالم من زاوية أخرى وجدنا المناخ يبلغ أقصى برودته فى الأنحاء الشمالية والجهات الجنوبية ؛ أو بعبارة أخرى حول القطبين . لذا كانت هذه المناطق لا تساعد على قيام الحياة وبالتالى العمل على تقدمها ، فسكانها قليلو العدد فى كفاح مستمر لأن الطبيعة قاسية عليهم وتأبى أن تجود بما يوفر لهم الحياة . هم لا يفكرون إلا فى الحصول على القوت الضرورى الذى يمنع عنهم ألم الجوع والملبس الضرورى الذى يقيهم البرد ! والمسكن اللازم لحياتهم ، فاتخذوا من شحوم بعض الحيوانات غذاءهم ومن فرائها ملبساً . ليس لديهم الوقت الكافى للتفكير والانتقال بالإنسانية إلى حالة أكثر رقياً وتقدماً ، وهذا ما نلاحظه فى جماعات الأسكيمو فى شمالى أمريكا وجماعات اللابس فى شمالى أوربا . وإذا نظرنا إلى العالم من هذه الزاوية وجدنا المناخ عند خط الاستواء حارا لا يطاق ولا سيما فى السهول الداخلية من القارات . وبقدر ما كانت الطبيعة قاسية فى أقصى الشمال كانت سخية فى هذه المنظمة الاستوائية ، فالغابات الكثيفة بأشجارها وحاصلاتها المتعددة متوفرة . وبقدر ما بثت الطبيعة من نشاط فى سكان الشمال ؛ بثت الخمول والكسل فى سكان خط الاستواء لسخاء الطبيعة ، فهم ليسوا فى حاجة للجد والنشاط للحصول على طعامهم

شجن محترق ، وألم لاذع ، وحسرة موجعة ؟ !

يامالى ! كنت مسحورا بك ، فى إخذة الحب ، حتى أخذت على غرة فلم يبق فى قلبى سوى نداء الأسى !

***

يا مالى ! .. لست مالى .. !

إليك الحرمان فأمتعه ، ودونك الشقاء فأسعده ! لم يبق لى غير خفض الجناح ، بعد أن جنحت زمانا فى آفاق بعيدة عن الإنسانية الفاضلة !

لقد كنت لى حلما ؛ فاذهب إلى من يرون فيك الحقيقة .. حقيقة المساواة فى شريعة المعدلة !

بور سعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**

وملبسهم ومسكنهم ، إذ وفرت لهم الطبيعة كل ذلك بالقدر الذى لا يتصوره الإنسان وبالقدر الذى يدفعهم إلى الإفساد وعدم شغل الذهن بالتفكير فى المستقبل وحاجاته . لذا عاشوا فى كسل وخمود عام كما عاش سكان الشمال فى جهد ونشاط مستمر دون أى راحة أو استجمام . ولهذا لا تنتظر أن يكون لسكان الجهات القطبية والاستوائية أى نوع من السيادة التاريخية ؛ فكل منهما مشغول بحالته الخاصة وكل منهما له ما يلهيه عن الانتباه لما يدور حوله من نزاع بين الأمم من أجل السيادة العالمية .

إذن فالوطن الأول للسيادة العالمية هو الجهات المعروفة بمناخها المعتدل الواقعة فى النصف الشمالى الشرقى من الكرة الأرضية . ففى هذه الجهات نشأت الشعوب القديمة ذات الحضارة والسيادة ومنها انتقلت إلى بقية العالم ؛ إذ لها من اعتدال مناخها مايدفعها إلى العمل للحصول على لوازم الحياة دون إجهاد أو إرهاق فوجدت لديها من الفراغ الضرورى ما دفعها إلى التفكير وشغل الذهن بما سار بالانسانية إلى الأمام ، ولها من موقعها الجغرافى ما ساعد على اتصال سكانها فى وقت لم تصل فيه المواصلات إلى ما هى عليه الآن ، وبذلك تم السير بالحضارة الانسانية من حسن إلى أحسن . فى هذه الجهات نشأت الحضارة المصرية والبابلية والأشورية والفينيقية والفارسية والهندية والصينية والإغريقية والرومانية والعربية .

وحتى هذه الحضارات التى سبق ذكرها لم تكن كلها من نوع واحد ، بل اختلفت فيما بينها من حيث الأصول والمميزات والنتائج ، ولا يصعب علينا فهم هذا الاختلاف إذا عرفنا العوامل الجغرافية التى لعبت دورها فى كل منها . فهذه مصر لولا النيل لكانت صحراء ولما كان لأهلها ذكر فى التاريخ . ولولا موقعها الجغرافى الفريد بإشرافها على العالم القديم وتحكمها فى طرق مواصلاته بسواحلها الشرقية والشمالية ما استفادت من غيرها ولا أفادت . وبقدر اتصالها بالعالم الخارجى كانت الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وجنادل النيل فى الجنوب والبحر فى الشمال خير واق لأهلها من الغزو والفتح فى الوقت الذى انصرفوا فيه إلى تكوين حضارتهم فنمت فى أمن ؛ حتى إذا ما شبت تعدت هذه الحدود إلى جيرانها وكونت أول إمبراطورية عرفها التاريخ أيام تحتمس ورمسيس .

وهناك فى أقصى الشرق من القارة الآسيوية نشأت الحضارة الصينية القديمة بعد أن اتخذت حوض يانج تسى مهداً لها ، وكان لها فى الهضاب الغربية خير حماية من خطر غزو القبائل إذا قلت الأمطار فى وسط آسيا ؛ وكان لها أيضاً فى مياه المحيط الهادى باتساعه ما يحميها من خطر الغزو البحرى . ولم تكن اليابان قد ظهرت كقوة بحرية تهدد الصين فى حياتها إلا فى العصر الحديث ، لذا عاش الصينيون فى أمن من الغزو الأجنبى ووجدوا فى خصوبة أرضهم وكثرة إنتاجها ما دفعهم إلى التأمل والتفكير والإنتاج فكانوا خير منتجين ، وكانت فلسفتهم وحكمهم صورة ناطقة بحياتهم الهادئة الوديعة ، حتى إذا شعروا بالخطر يتهددهم من الشمال الغربى وجدوا فى أحجار الهضاب المجاورة لهم خير معين لبناء سد لوقايتهم فأخرجوا لنا سورهم العظيم الذى اعتبر من عجائب التاريخ .

وفيما بين مصر والصين قامت حضارات أخرى .. فهناك فى الهند حيث سهول نهر الكنج ونهر السد بخصوبتها وحيث جبال الهيمالايا المعروفة بارتفاعها وصعوبة مسالكها وجد الأهالى فيها خير مساعد على حمايتهم من الغزو وبرودة الرياح الشمالية ؛ كما وجدوا فى مياه المحيط الهندى التى تحيط بشبه جزيرتهم مثل هذه الحماية ؛ فعاشوا فى أمن وسلام مع شىء من الجد والنشاط ، فأخرجوا لنا فلسفة خاصة كانت حلقة هامة فى طريق الأديان السماوية . ولكن كان لا بد أن تستهدف الهند للغزو والفتح كما استهدف غيرها ، وكان لا بد لهذا الصندوق المقفل أن يفتح ويعرض ما فيه على العالم فيختار الأحسن ! ويشاء القدر أن تعجز هذه الجبال التى حمت الهند من الشمال أمام حيل الانسان وتفكيره فتدخل جنود الإسكندر من ممراتها الشمالية الغربية كما دخلتها جنود الإسلام فيما بعد . وقدر للمسلمين أن يضعوا أساس إمبراطورية عظيمة كانت لهم فيها السيادة على الهند ، ولكن هذه السيادة التى دخلت من ممرات الشمال الغربى ضعفت أمام الاستعمار الأوربى الذى أخذ يطرق أبواب الهند الساحلية فتمت الغلبة أخيراً بعد نزاع بين القوى البرية والقوى البحرية ودخل الاستعمار الإنجليزى الهند بعد أن مهدت لذلك شركة الهند التجارية .

سيادة مصر والصين والهند وبابل وآشور كلها من نوع يمكن أن نطلق عليه « السيادة النهرية » لأن وجود الأنهار فى هذه البلاد كان العامل الأكبر فى نهضة أهلها وإن كان لكل منها طابع خاص حسب ما امتازت به من عوامل جغرافية أخرى . ولكننا هذه المرة أمام شعب آخر هو شعب الفينيقيين الذى شق لنفسه السيادة عن طريق البحر . فالبحر الأبيض المتوسط بموقعه يتوسط العالم القديم ، وهو بحر داخلى يكاد يكون مغلقاً لذا كانت مياهه هادئة معظم فصول السنة لا نرى فيه ما نراه فى المحيطات وبعض البحار الأخرى من اضطراب وأمواج عالية . هو صالح للملاحة طول السنة لا تتجمد مياهه كبقية بعض البحار الأخرى . يمتاز بكثرة بحاره الداخلية المتفرعة منه وبكثرة أشباه الجزر والجزر حتى يندر أن يختفى اليابس عن نظر المسافرين فتتولد فى نفوس عابريه روح المغامرة والمخاطرة لشعورهم بالأمن فيه ، ولذا كان خير مدرسة لتخريج خير الشعوب البحرية وكان فى مقدمة هذه الشعوب الشعب الفينيقى . وكان للفينيقيين من بيئتهم الجغرافية ما جعلهم أساتذة للبحرية ، فبلادهم ذات سهل ساحله ضيق تشرف عليه جبال عالية تفصلهم عما وراءهم من بلاد داخلية ، ولذلك أعطوها ظهورهم واتجهوا بأنظارهم إلى البحر حيث الأفق الذى لا يحد وحيث تجد غريزة حب الاستطلاع مجالا لها فاندفعوا إلى البحر ، وكان لهم من مميزاته التى سبق ذكرها ماجعلهم يتفوقون بعد أن أتقنوا فن الملاحة فطافوا بسواحل البحر الأبيض المتوسط وأنشأوا المحطات التجارية فيه وتاجروا بين أقطاره المختلفة . غير أنهم كانوا فى كل ذلك يتخذون من المياه الساحلية طريقا لهم ولم يعملوا على توفير الوقت باختصار المسافات شأن كل شئ فى بدايته ، حتى إذا تخرج على أيديهم اليونان فاقوا أساتذتهم فى هذا المضمار وانتقلت إليهم السيادة البحرية لأنهم وجدوا فيها حياتهم فأتقنوها ! ذلك أن بلاد اليونان شبه جزيرة جبلية تقل فيها السهول وتكثر بها الجبال والخلجان البحرية والجزر بشكل واضح ، فاتخذوا من هذه الجزر والبيئة البحرية معاهد لتخريج ملاحين مهرة بعد أن تلقوا مبادئ هذا الفن على أساتذتهم الفينيقيين ، وساعدهم هذا الفن على التغلب على ما فى بلادهم من فقر فاتخذوا من صيد السمك مهنة لكسب عيشهم كما اتخذ فريق منهم السفن وسيلة لنقلهم

إلى البلاد الأخرى التى هاجروا إليها لضمان حياتهم فنشروا معهم فنهم وطابعهم الخاص فى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ؛ كما لجأ بعضهم إلى احتراف الجندية فكانوا جنوداً مرتزقة يحاربون فى صف من يضمن لهم الحياة . أما غالبيتهم فقد اتخذت القرصنة حرفة فسادوا البحر وتحكموا فى مسالكه . وهكذا عاش اليونان فى البحر وعن طريقه تملكوا زمام قوته . وكان لابد لهذه القوة البحرية أن تصطدم بالقوة البرية التى كانت هى الغالبة حتى ذلك الوقت، وكانت معركة سلاميس البحرية هى فصل الختام فى النزاع الذى قام بين الفرس واليونان، وكان لابد للفرس من الهزيمة لأنهم أساءوا اختيار ميدان الحرب وأعطوا الفرصة لليونان لإظهار سيادتهم البحرية

ظلت القوة البحرية صاحبة السيادة وظل اليونانيون أصحابها إلى أن ظهر فى هذا الميدان من نافسهم وانتزعها منهم. والحق أن الفينيقيين كما كانوا أساتذة للاغريق كان الإغريق أساتذة لغيرهم ، فهم الذين وضعوا نواة نهضة روما التى سرعان ما ظهرت للوجود كقوة لها مكانتها الخاصة لما يحيط بها من ظروف جغرافية ساعدتها على توحيد إيطاليا بزعامتها ، فتطلعت للخارج وكبر على نفسها أن تكون سجينة فى البحر الأبيض وهى التى تتوسطه وتتحكم فى حوضه ولها من سواحلها الطويلة ما يجعلها عرضة للخطر ، وكان لابد لها من أن تتغلب على ماعداها من دول أخرى منافسة حتى تضمن حياتها ، وسرعان ما تم لها الأمر وهزمت قرطاجة واستعمرتها ، كما تغلبت فيما بعد على دولة البطالسة وملكت مصر . وهكذا أصبحت روما سيدة البحر الأبيض وحق لأهلها أن يقولوا « Mare Nostre » إلا أن روما فى هذه المرة استطاعت الجمع بين القوتين البرية والبحرية وكان لها فى سرعة انتقال جيوشها ما جعلها تتغلب على أى خطر تستهدف له ؛ ولم تأت هذه السرعة إلا عن طريق مد الطرق والاهتمام بها ومازالت بقايا هذه الطرق المعروفه بالاسترادا موجودة فى كثير من البلاد التى قدر لها أن تكون ضمن الإمبراطورية الرومانية كما هى الحال فى الأجزاء الجنوبية الشرقية من إنجلترا . ولم ينبغ الإيطاليون فى فن مد الطرق صدفة بل كان لهم فى طبيعة بلادهم الجغرافية ما جعلهم سادة هذا الفن ، ومازالت الشركات الإيطالية تحتل المكانة الأولى

فى رصف الطرق فى بلاد العالم حتى يومنا هذا . وبالنظر إلى شبه الجزيرة الإيطالية نجد روما تتوسط ساحلها الغربى وفى وسطها سلسلة من الجبال العالية تمتد من الشمال إلى الجنوب وتحف بها من على الجانبين سهول طويلة ؛ وقد وجد أهل روما فى هذه السهول وفى أحجار هذه الجبال ما ساعدهم على مد الطرق لربط أجزاء شبه الجزيرة ببعضها ، وهكذا جعلت الظروف الجغرافية إيطاليا المدرسة الأولى لفن مد الطرق ورصفها

ولنترك الإمبراطورية الرومانية وقد أخذت عوامل الضعف تتنازعها وهى فى مجموعها عوامل جغرافية يطول علينا شرحها . ولنتجه إلى الركن الجنوبى الشرقى من البحر الأبيض المتوسط حيث نرى موطناً لسيادة من نوع آخر هى السيادة الروحية ! فى هذه البقعة ظهرت الديانات السماوية جميعها من موسوية ومسيحية ومحمدية ، ولم تكن هذه البقعة صدفة موطناً لهذه الديانات ولم يمنحها الله سبحانه وتعالى هذه الميزة عبثاً ، بل كان ذلك لتوسط موقعها الجغرافى الذى ساعد رسل هذه العقائد وأتباعها على نشر رسالتهم خصوصا ولم تكن سهولة المواصلات فى ذلك الوقت قد وصلت إلى ماهى عليه الآن، فالإنسان إذا أراد إضاءة حجرة وتوزيع نور مصباحه على أركانها بالتساوى ما عليه إلا أن يختار مكاناً وسطاً لوضع مصباحه فيها ! وهكذا فعل الله فى أرضه فكانت شبه الجزيرة العربية بأطرافها موطنا لهذه العقائد السماوية

زحف الإسلام من المدينة تسنده قوته البرية فاستطاع العرب التغلب على أعدائهم لأنهم أحسنوا اختيار ميدان القتال فكانت الغلبة لهم ! حتى إذا وصلوا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط وجدوا عدوهم قد فاقهم بسيادته البحرية فكان لا بد لهم من الاستعانة بالقوة البحرية لقهر أعدائهم . وقد ساعدتهم البيئة الجغرافية الجديدة على تحقيق هذه الأمنية فاتخذوا من موانى الشام وغيرها قواعد لأسطولهم الجديد حتى إذا كانت واقعة « ذات السوارى » البحرية فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين كانت الغلبة لهم وكانت هذه الواقعة خاتمة السيادة البحرية للروم كما كانت موقعة « سلاميس » السابقة الذكر بداية السيادة البحرية لأسلافهم اليونان . وسرعان ما تفوق العرب فى الميدان البحرى واندفعوا فى هذا الطريق حتى تسمى البحر الأبيض المتوسط باسمهم؛ ولم يقتصر نشاطهم على هذا البحر بل اتجهوا بسفنهم إلى البحار الدفيئة الجنوبية فكانت لهم فيها السيادة كذلك! وماوصول الإسلام وانتشاره فى جزر الهند الشرقية إلا بقية من نشاط تجارهم الذين سادوا تلك البحار

هكذا لعب البحر الأبيض المتوسط دوره فى نهضة الشعوب وهكذا كان مدرسة لتخريج المغامرين الذين اندفعوا يستطلعون ماوراء أفقه ، فكان كشف طريق رأس الرجاء الصالح وكان كشف الأمريكتين وكان تحول آخر فى تاريخ الإنسانية بهذه الكشوف وكانت السيادة المحيطية بعد أن كانت السيادة للبحار . ذلك أن البحر الأبيض المتوسط أصبح لا يتمتع بما كان يتمتع به من مركز ممتاز بتوسطه بين العالم إذ انتقلت هذه الميزة إلى المحيط الأطلسى فأصبح له الدور الأول فى تاريخ الإنسانية ، وسرعان ماتبع ذلك انتقال السيادة من دول البحر الأبيض المتوسط إلى دول غربى أوربا التى كان لها بفضل موقعها ما دفعها إلى العالم الجديد واستغلاله ، وتشاء الجغرافية أن يصحب هذا التحول فى السيادة تحول آخر فى دعائمها ! إذ كانت سيادة دول البحر الأبيض سيادة تعتمد على الإنتاج الزراعى قبل كل شئ ! وإن وجدت بعض الصناعات فهى لا تتعدى استخراج الزيت وعصر العنب . أما الصناعة بالمعنى الذى نفهمه اليوم فكان ظهورها بظهور دول غربى أوربا وانتقال السيادة إليها . ذلك أن وفرة الفحم والحديد إلى جانب ما تتمتع به من موقع جغرافى بعد كشف العالم الجديد جعلها الميدان الأول للانتاج الصناعى فكان لها الصدارة بين دول العالم ، وكان لابد لهذه الدول أن تحصل على المواد الخام الزراعية اللازمة لصناعاتها وأن تجد الأسواق لتصريف ماتنتجه ، فتسابقت إلى الاستعمار مما أدى إلى التنافس بينها وقيام الحروب ، وماتاريخ دول غربى أوربا فى العصر الحديث إلا سلسلة من هذه الحوادث المتتالية . وكان لابد أن تكون الغلبة للدولة التى تعتنى بقوتها البحرية وتزيد من سرعة سفنها ، فظهرت عابرات المحيطات لقطع المسافات الطويلة بعد أن كانت البحرية لا تعرف إلا السفن الصغيرة والمراكب الشراعية ، وكانت بريطانيا فى مقدمة هذه الدول وكان لها فى موقعها الجغرافى ماجعلها تختط لنفسها سياسة معينة ! فهى متطرفة الموقع بالنسبة للقارة الأوربية لذلك لم تشترك فى المشاكل

٣٩٠٥٢

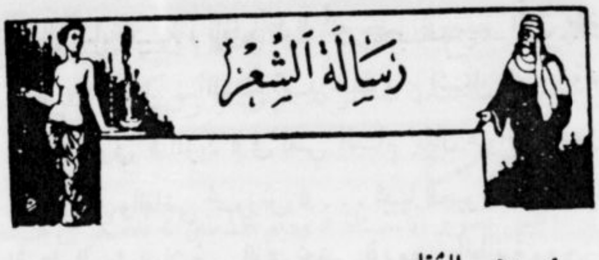
الخارجية إلا بالقدر الذى مس مصالحها ، ولما كانت هذه المصالح قد أخذت تتزايد بمرور الزمن وتتشابك كثر تدخلها فى السياسة العالمية

ولقد كان الموقع الجغرافى للجزر البريطانية المحور الأساسى لسياسة الإمبراطورية البريطانية الذى يمكن تلخيصه فى ضرورة المحافظة على التفوق البحرى وعدم السماح لأية قوة أخرى بالتفوق عليها فى هذه الناحية ! وهى كذلك بموقعها الجغرافى مدينة بانتشار النظام الديمقراطى بين سكانها ، فهى بعزلتها البحرية ليست فى حاجة إلى قوات عسكرية دائمة لحمايتها ، لذلك كانت السلطات الحاكمة تخشى القيام بأى تصرف استبدادى حتى لا تقوم الثورات فى وجهها فتعجز عن قمعها وتعرض حكمها للزوال . ولهذا كانت السلطات الحاكمة تتمشى مع رغبات الشعب وقد وصلت بهذه الطريقة إلى ما وصلت إليه من حياة ديمقراطية ، ولهذا أيضا احتفظت بريطانيا بسياسة التطوع فى سلك الجندية ولم تحاول اتباع النظام الإجبارى للجندية إلا فى الحرب العالمية الأولى حين أجبرتها الضرورة على ذلك وبعد أن ألحت عليها فرنسا ، حتى إذا انتهت الحرب عادت إلى نظامها القديم ولكنها عادت مرة أخرى إلى فرض الجندية الإجبارية فى الحرب العالمية الأخيرة حتى تجابه ما كانت تتطلبه الاستعدادات الحربية

وكان لابد أيضا وقد أصبح المحيط الأطلسى ميدانا للنشاط العالمى أن تسعى الدول وتتنافس فيما بينها لكسب الوقت حتى تروج صناعاتها وتتقدم تجارتها ، فأدخلت التحسينات على وسائل المواصلات البحرية وأوجدت أنواعا أخرى وكان على رأس ما اهتدت إليه فن الطيران واختراع الطائرات ، فبدأت القيادة الجوية تلعب دورها فى التاريخ بعد أن بلغت السيادة البحرية أوج عظمتها فى دول غربى أوربا ، وكان العالم الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية خير ميدان لهذه السيادة الجوية التى أثبتت وجودها فى الحرب العالمية الثانية كعامل فعال فى إحراز النصر . وبفضل ما أنتجته الولايات المتحدة الأمريكية من سلاح جوى واختراع للقنبلة الذرية استطاع الحلفاء إحراز النصر وأن يتنفسوا الصعداء بعد أن كاد الإجهاد يلحق بجنودهم لطول الكفاح وصمود العدو العنيد المستميت

هكذا كانت العوامل الجغرافية من توزيع لليابس والماء والحرارة والبرودة ووجود للأنهار والبحار والمحيطات والغلاف الجوى المعز الأول للسيادة العالمية والحوادث التاريخية وفى دراسة أثر هذه العوامل فى الإنسان دراسة للتاريخ البشرى على حقيقته ، ولهذا يحسن بنا أن نقسم العصور التاريخية ، على أساس العوامل الجغرافية التى كان لبعضها الأثر الواضح دون سواه فنقول مثلا : عصر اليابس وعصر الأنهار وعصر البحار وعصر المحيطات وعصر الهواء .. كما يقول المؤرخون : عصر ما قبل التاريخ والعصور التاريخية والعصور القديمة والعصور الوسطى والعصر الحديث والزمن المعاصر

مصطفى بعبو الطرابلسى



من وحى الشتاء

أين المفر ؟!

مهداة إلى اللاجئين

للأستاذ هارون هاشم رشيد

هتف الموت وهو ناب وظفر … لا مفر ، .. من قبضتى لا مفر
وعوت تصرخ الرياح وهبت … عصفات جوحة لا تقر
والرعود الرعناء ملء فم الكو … ن دوى على الفضاء وزأر
فإذا الرحمة استحالت بلاء … وإذا الكون واجم ؛. مكفهر
وإذا الماء جامح يغمر الأر … ض ويطغى جموحه المستمر
رب أم حنت على طفلها البكـ … ـر وضمته وهى خوف وذعر
ألصقته بصدرها خشية الموت … وهل يدفع المنية صدر ؟!
وعجوز هوى الجدار عليها … فإذا بيتها المهدم قبر .. !
ويتيم ... قضى أبوه شهيدا … فهو من بعده دموع وفقر !
هدمت فوقه العواصف بيتا … هو فى واقع الحقيقة جحر
وفتاة مكلومة القلب تبكى … فقد خدر وما حواه الخدر
وصغار مشردين بلا أهل … تراموا على الطريق ومروا
وكثيرين قد أفاقوا حيارى … ما لهم ملجأ ولا مستقر
هتفوا بالسماء أن تحبس الغيث وهيهات أن يغيض بحر
ليت شعرى أين الذين رموهم … فى جحيم من العذاب وفروا ؟!
أين من صوروا بيوتا من الطين … وقالوا : هنا يطيب المقر !؟
هم مقيمون فى الديار نشاوى … ونداماهمو حسان وخمر
ومئات من الجنيهات قالوا : … هى أجر لما أتوه وشكر
وهم المجرمون قد جلبوا الشر … وقالوا : بأن ذلك خير
نسل « جونبول » هؤلاء فنهم … غمر الظلم شرقنا والنكر
إنهم يضربون فى ظلمة الليل … وقد مزق الدياجير فجر
الشعوب استفاقت اليوم يهدى … خطوها للعلا والحق ثأر
فأسود فى أرض مصر تنادى … أيها (مصر) درة الشرق مصر
سوف تلقى بالظالمين إلى البحـر … ويسمو بها إلى المجد نصر
أيها المسلمون قد جمح الباغى … ففى سمعه عن الحق وقر
أنقذوا ، أنقذوا البقية منا … فهنا الموت جاثم مستقر

غزة

هارون هاشم رشيد

سطور من دم

للأستاذ زهير مرزا

أى جرح يضوع عطرا وندا … فالثرى مشرق الأديم مندى
والوجود المفجوع هلل تكبيرا … ونادى الأمجاد وفدا فوفدا
والأهازيج عمت الأفق إلا … شهقات .. لم تقو أخذا وردا
شرقت بالدم الذكى تلوى … أفعوانا على الثرى يتبدى
خضب الأرض يكتب اليوم فيها … أسطرا لن تبيد طمسا وفقدا
كل مالم يخط بالدم تمحو … ه الليالى مهما تطاول عهدا

***

سائلوا السفح عن فتى يعربى … كان ملء الزمان قلبا وقدا
يمم الأمس ساحة المجد شبلا … وطوى بلقعا وحزنا ونجدا
فى حناياه حفنة من شعور … لم تطق أن ترى المسود عبدا
فاستعدت من « الشهادة » إيما … نا .. ومن حقها المهدد أيدا
فزعت للجهاد سكرى كما يفـزع لله مؤمن ثاب رشدا
ورأت فيه مدفنا هو أجدى … من حياة جبينها يتندى
والذى أشرب الشهامة طفلا … ليس يرضى بأن يعفر خدا ..

***

أزفت ساعة النضال .. وماج الجحفل البحر بالبطولات يحدى
وتوالى على النفوس صراع … أكبر الدهر ما رأى وتبدى
مثلما عزت النفوس تراها … تدفع الموت بالمنا كب صدا
وتداريه ، حيلة ، وهى منه … قاب قوسين .. والخديعة أجدى
وارتمى الشبل فى النهار وقد جر … د سيفا يضىء وجها وزندا
وانثنى .. بين ناظريه بقايا … بقع من دماء عز تصدى
وتراءى مبعثر الجهد جبارا يكاد القرضاب يضرب فردا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

التقيت فى ندوة « الشورى » بالسيد عبد القادر المغربى وكيل المجمع العلمى فى دمشق وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فقد جاء مصر لحضور دورة المجمع اللغوى ، الذى انعقد يوم الاثنين الماضى ، وقد لقيت « المغربى » فتيا كأنما هو فى الشباب وليس فى سن التاسعة والثمانين ...

كانت ضحكاته وطريقته فى الحديث ، ونظراته ، تنم عن نفس

فإذا أن يمنة من تردى ما لها يسرة فشتت حشدا
ضاع منه صوابه حين دوت زأرة الليث خر إذ ما تردى
وتلوى يجمع اليوم أحشا ء ليمضى أشد ما كان حقدا
غير أن اليد التى خلدته لم تخنه ، لكن تداعت ،فأودى
حسبوه ما زال ينضح عزما من بقايا لما تزل تتحدى
أكبروا أن يخر فاقتحموا المو ت يفدونه وما كان يفدى
غير أن الأذى يجر أذاة والبطولات للبطولات أهدى

***

كفنوه بثوبه ودماه ثم عادوا بحفنة منه تندى
وطووا جرحه على النصر والمجـ ـد .. وأعظم به على الدهر مجدا
ورأوا فى مصيره (نقطة البد ء) فصاغوا من(الشهادة) مبدا
والذى شيع العقيدة والإيمـان شيعه ، فالحفيرة أجدى
وانظر الناس تلق فى كل جيل ملحدا صاغ من دياجيه لحدا
قل لمن بات فى الحياة وحيدا إن هذى الحياة تنبض رفدا
نقل الطرف فى مفاتنها الغر وئد حقدها ولا تبق نأدا
واشتر المجد بالدماء فإن أغـلى فزده فقد أنالك خلدا
كل ما لم يخط بالدم تمحو ه الليالى مهما تطاول عهدا

دمشق زهير ميرزا

ماتزال شابة فتية ، فإذا ذكرنا أنه حضر إلى مصر لأول مرة عام ١٩٠٥ ليعمل مع الشيخ محمد عبده ، ثم اشتغل بالصحافة ، وبدأ عمله فى « المؤيد » فى نفس العام بمقال عنوانه « مصر ومراكش والقاضى شمهورش » ... عجبنا للحيوية التى أفاضها الله على الرجل العلامة .. الذى يحضر إلى مصر بالطائرة ...

وكالعهد بالذين يزورون ندوة « الشورى » ، وكلهم مشردون ومجاهدون ورجال كافحوا الظلم ، لقينا السيد عبد القادر المغربى ، الذى هاجم الاستبداد فى فجر النهضة ، ووقف مع شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش يهاجم الملك حسين فى جريدة الشرق .. فى اتجاهه نحو انفصال الترك عن العرب

وقد حدثنى السيد المغربى بأنه اضطر بعد هجرته إلى مصر هربا من الظلم والاستبداد ، ثم بعد عودته على أثر إعلان الدستور العثمانى وخلع عبد الحميد ، إلى أن يتحول من الإصلاح الدينى إلى الإصلاح اللغوى

وفى هذا الصدد سمعت السيد البشير الإبراهيمى الزعيم الجزائرى يتحدث إليه فيقول إنه كان يلتهم كل ما يكتبه فى اللغة ، وأنه ترك فى الدراسات اللغوية أثراً ضخما ، ووصل إلى قمة التقدير حينما قال له : إن السطر من هذه الكتابات يساوى مجلداً ...

والسيد عبد القادر المغربى هو حفيد البطل المجاهد «درغوس» الذى استشهد فى الحرب العثمانية فى موقعة « مالطة » ودفن فى ليبيا ، ويطلق على ضريحه هناك (طرغود رئيس) وقد هاجرت أسرته إلى الشام منذ ٢٥٠ سنة

وقد كتب السيد عبد القادر المغربى فى مجلة البينات الجزء الأول سنة ١٩٠٧ فصلا مطولا عن برنامج الإصلاح الإسلامى ، ما يزال حتى اليوم مرجعاً للدعاة والعاملين فى هذا الحقل

وقد شهد السيد المغربى خلال حياته الطويلة المباركة ، التى نسأل الله أن يمد فيها ، حلقات النهضة العربية والإسلامية منذ فجرها على يد جمال الدين الأفغانى حتى الآن ، فهو لذلك من أقدر من يؤرخها ويصور زواياها المختلفة ، وقد طلبت إليه ذلك غير أننى لقيته معرضاً عن هذا الاتجاه .

وقد اكتفى بتلك الرسالة القصيرة التى كتبها عن « جمال الدين الأفغانى » .. ونحن باسم المقدرين لأدبه وفكره نعاود الرجاء فى

أن يكتب تاريخ هذه النهضة بقلمه الرصين ، ولا يضن على التاريخ بتسجيل مشاهدات معاصر قد تفيد كثيراً فى كتابة التاريخ . .

اتجاه السريع

أعجبنى تصوير الأستاذ « وديع فلسطين » للمفكر فى هذه الأيام حيث يقول فى جريدة الإنذار : « الأديب فى مصر محكوم عليه بالفاقة المبرحة حتى يهجر الأدب ، والصحفى الشريف فى مصر حتم عليه أن يشرب المر حتى يهجر الصحافة

والفكر فى مصر يبقى دائماً هدفا للريبة والشك حتى يتخلى عن تفكيره . والكاتب فى مصر يبيع أثاث داره قبل أن يطبع كتابا من كتبه ، والشاعر فى مصر بائس حتى يترك الشعر ، والثقافة فى مصر محنة لأن الناس عنها معرضون ، فتجارة الكتب إلى بوار ، والأدب السمين ليس له طلاب، والناس لا تقرأ إلا قصص الجان ، ومغامرات الفرسان ، وفضائح الملك السابق ، وتخريف المخرفين والهازلين »

وتلك كلمات صادقة ، لأنها صادرة من قلب مأزوم . إن الأستاذ وديع صحفى وأديب ومثقف ، وقد عمل طويلا . . وكان كبير الأمل فى أنه يستطيع أن يخدم بلاده عن هذا الطريق ، غير أنه أحس بأن عليه أن يتخذ طريقاً آخر . ويبدو أنه مع الأسف الموجع قد ودع الصحافة والأدب بعد أن شعر بأنهما لا يكرمان المجاهد العامل إلى العمل فى الميدان الاقتصادى ...

تحول فى الاتجاه العام

الأستاذ إبراهيم المصرى كاتب موفق ، وهو أستاذنا منذ كان يكتب فى الصحيفة الأدبية فى البلاغ عام ١٩٣٠ ، وأذكر أنه أرسل إلى ذات مرة وكنت فى الريف يطلب إلى أن أرسل باسمه كل ما أريد نشره فى البلاغ

وفى مقاله الأسبوعى فى أخبار اليوم هذا الأسبوع عبارات قوية ، تصور مدى التحول الذى وصلنا إليه أخيراً بعد أن اجتزنا فترة الانتقال الطويلة المريرة

وخلاصة ما يقول الأستاذ إبراهيم المصرى :

أولا : أن التعصب الثقافى قد استفحل فى نفوسنا إلى حد أن أصبح تحقيق التفاهم بين عناصرنا المثقفة أمراً عسيراً شاقا

ثانياً : تضاربت الميول والأهواء بين من تلقوا العلم فى إنجلترا أو فرنسا أو أمريكا

ثالثاً : علينا أن نجمل ثقافتنا عالية ، فنقدس الفكر نفسه ، لا الفكر الممثل فى ثقافة معينة ، وأن نقدس الفكر الحر لا الفكر المقيد بوجهات نظر خاصة

رابعاً : الأخذ بثقافة معينة ضرب من العبودية الفكرية سرعان ما تنتهى إلى عبودية سياسية واقتصادية

خامساً : علينا أن نهل من شتى ثقافات العالم ، وعلينا أن ندرك أن ثقافة الهند والصين لا تقل عن ثقافة الفرنسيين والإنجليز

وهذا الذى يصوره الأستاذ إبراهيم المصرى هو لاشك « نقطة التحول » فى ثقافتنا الحديثة فى الشرق ، فقد انتهى الزمن الذى كنا نؤمن فيه بالثقافة الغربية ، أو الحضارة الغربية على أنها شىء مقدس . ولقد دب الشك فى قلوب القوامين على هذه الحضارة أنفسهم ، فلم يعد بد من أن نتحرر ونتحرز ، ونستخلص ونوازن ، وألا نتعصب لها ، وأن نأخذ منها ما يزيد كياننا الشرقى قوة ويدفعنا إلى الأمام ، ونحن متحررين ، لا مقيدون

الأدب السورى فى طريق النهضة

تحدث الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة الحديث الحلبية فى الإذاعة المصرية عن الحركة الفكرية فى سوريا فقال : إن ما نشر حتى الآن من الإنتاج السورى قليل بالنسبة لما فى خزانات الكتب . وأضاف بأن المجمع العربى ، والمعهد الفرنسى للدراسات قد قاما بطبع عشرات الكتب الأدبية والتاريخية وبعض دواوين الشعر والمؤلفات المترجمة فى شتى الميادين من الأدب والتاريخ ، وأشار إلى أنه إذا كان الجانب الأدبى أغلب على الأدب فرجع ذلك إلى « أننا لا نزال فى بدء حركتنا الفكرية ولأنه ألصق بالنفس من سائر فروع العلم »

وعندما تناول أثر النزعات الأدبية الغربية فى الاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى السورى قال « لا ننكر أن سوريا بعد أن ظلت فى غيبوبة تحت حكم العثمانيين قد استيقظت على ماضيها وهو ماض ملىء بالأمجاد ، وهى حريصة على ذلك التراث الضخم ، وراغبة أن تظل وثيقة الاتصال به وأن تستلهمه فى كثير من منازعها »

ثم أضاف قوله « وإن ذلك لم يمنعها من أن تلتفت إلى الغرب

وأن تأخذ عنه وأن تسير مسرعة الخطى فى ركابه »

وقال الأستاذ الكيالى « إن سوريا مأخوذة بحضارة القرن العشرين ، الحضارة التى ابتدعتها أوربا وصقلتها أمريكا ، وهى تعيش فى ظل ما ابتدعته ، تقرأ أدب الغرب وعلمه وفلسفته ، وتقبس منه ، وتتهذب بشتى مذاهبه ، ولكن الحضارة الغربية التى كانت تنزل منزلة القداسة من نفس السورى قد تزلزل إيمانه بها أو كاد ، وأخذ يكفر بقيمتها الروحية بعد ما شاهده من هدر الكثير من المبادئ والمثل العليا

وأضاف قوله « أن الأدباء السوريين يجارون مفكرى الغرب فى مناهجهم ، ويقبسون من علمهم ، وفنهم ، ولكنهم يحذرون كل الحذر من أن ينصهروا فى البوتقه الغربية ، وهم إذ يعالجون القضايا ، يعالجونها بروح إيجابية حذرة مشدودة إلى الماضى الذى أبدع الحضارة العربية

« وهم مع تطلعهم إلى المستقبل لا يقطعون صلتهم بالماضى ، بل لهم من الماضى هذا الحافز القوى ، ممثلا فى صور أولئك المغامرين الذين فتحوا الدنيا القديمة »

وأشار الأستاذ الكيالى إلى ظاهرة واضحة فى الحركة الفكرية فى سوريا وهى أنه لم تبدأ بعد المرحلة التى يستطيع فيها الأدب السورى أن يعطى كما يأخذ ، وأن إنتاج سوريا الأدبى لم يصدر بعد إلى الخارج ولم يترجم إلى لغة أجنبية ؛ ذلك لأنه — فى رأى الأستاذ الكيالى — لا يزال ضعيفا

وختم حديثه بقوله ... « إن الأدب السورى اليوم ينفض عن نفسه غبار السنين ويسير سيرا وئيدا ، ولا عليه أن يتعجل الزمن ، ولكن المهم أن يتسم بطابع الخلود ... ولن يطول الزمن قبل أن يعطى أعظم الثمرات »

هذه خطوط سريعة لمحاضرة الأستاذ الكيالى ، ونحن نرى أن الأستاذ كان متواضعا غاية التواضع ، فالأدب السورى بعيد الجذور فى تربة الأدب العربى الحديث ، هذا الأدب الذى بدأ فى المهجر على يد جبران والريحانى ونعيمه وغيرهم ... ثم مد جناحيه على سوريا ولبنان فى صور أولئك الكتاب النابهين الذين نقرأ لهم أمثال كرم ملحم كرم وألبير أديب وسامى الكيالى ومارون عبود ـ وغيرهم وغيرهم

أمين الرافعى

يصادف موعد صدور الرسالة اليوم (٢٩ ديسمبر) ذكرى « أمين الرافعى » فحق على الرسالة أن تحيي هذا الكاتب العظيم الذى توفى فى هذا اليوم سنة ١٩٢٧ وترك من ورائه ذكراً يعبق بالعطر القدس ، ويرسم صورة للبطولة المثالية فى ميدان الأدب والفكر والصحافة والسياسة

ولسنا الآن بصدد الحديث عن شمائل هذا الرجل العظيم ، الذى عاش مؤمنا بفكرته ، مجاهداً لها ، فى وقت كانت سحب الظلام تغمر كل مكان .. ولكننا نرجو فى هذه المناسبة أن يتفضل شقيقه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فيتيح لنا الفرصة للقيام بواجب الذكرى نحو الكاتب الكبير ، فهو وحده صاحب المفتاح الأول فى تخليد ذكرى شقيقه

رسالة الكاتبة مليحة

وصلتنى فى اللحظات الأخيرة ، رسالة مطولة من الكاتبة العراقية النابغة « مليحة » ... تتحدث فيها عن الأدب النسوى وتعارض رأى الكاتبة المصرية « ليلى مسلم » ... وأرجو أن أفصل القول فى الموضوعات التى عرضت لها كاتبة الرافدين فى العدد القادم ...

أنور الجندى



باكستان لاغير

قرأت فى عدد الرسالة (١٠١٥) كلمة قيمة للأديب الباكستانى محمد كاظم سباق . يذكر فيها أن الأدباء والكاتبين ليسوا على رأى واحد فى جواز تحلية كلمة « باكستان » بالألف واللام فيقال (الباكستان) أو امتناع هذه التحلية فيقال باكستان لا غير ، وذكر أن قواعد النحو العربى تمنع صرف هـذا الاسم للعلمية والعجمة ، وبناء على هذا لا يجوز عربية أن يعرف بأل . ثم طلب فى ختام كلمته إلى أحد أساطين النحو فى بلاد العروبة أن يفصل فى هذه المسألة بحكم قاطع يرفع هذا الخلاف ، حتى تكون باكستان محل وفاق لفظا ، كما هى فى حقيقتها محل اتفاق وائتلاف . هذا ويسرنى أن أجيب الأديب الباكستانى عما طلب . فقد راجعت كتب النحو المعول عليها قديما وحديثا مثل شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى ، وشرح السيرافى على كتاب سيبويه وغيرها من كتب القواعد ، فلم أجد أحدا من علماء العربية أجاز إدخال (أل) على مثل هـذا العلم من الكلمات التى نطق بها العرب على لفظها الأعجمى . والمراد بالأعجمى ما خالف لغة العرب لا خصوص اللفظ الفارسى . سواء فى هذا أعلام النواحى وأعلام البلاد أو غيرها . من ذلك أزربيجان وخراسان وسجستان وجرجان وأصبهان وتركستان . فهذه الكلمات وأمثالها يمتنع تعريفها بالألف واللام لأنها معارف بالعلمية ولا يجتمع فى الكلمة معرفان . إذا تقرر هذا علمنا أن باكستان بدون أل هو الصواب ليس غير

عبد الحميد عنتر

النهلست ليست الفوضى

جاء فى مقال الدكتور عمر حليق المنشور فى العدد ١٠١٤ من « الرسالة » الغراء ما يلى :

« .... ومن هنا يفسر علماء النفس الاجتماعى تقبل العقلية الروسية للمبدإ الفوضوى (النهلستى) ... »

أما أى الكلمتين أصح ، الفوضى أم الفوضوى ، فنترك البت فى ذلك للعلامة اللغوى الأستاذ أحمد حسن الزيات [1] . ولكنى وددت أن ألفت نظر الدكتور إلى أن الفوضوى غير النهلستى .

وما دمنا نبحث بحثاً علميا فينبغى ألا نخلط بين كلمتين ، تكون كل منهما مذهبا سياسيا لوحده ، كان له أنصاره ومشايعوه ، وأعداؤه ومناهضوه

فكلمة فوضوى مأخوذة من المذهب المسمى فى اللغة الفرنسية Anarchie وقد عرفه قاموس لاروس بما ترجمته :

« نظام سياسى واجتماعى ينمو فيه الفرد بحرية ، متحرراً من كل وصاية أو ولاية Tutelle حكومية ؛ أو هى حالة شعب لا رئيس له ، وحيث السلطة الحكومية مغلولة أو معطلة أو هو اضطراب وفوضى . »

وجاء فى هذا القاموس تعريفا لكلمة النهليستية Nihilisme ما ترجمته :

« إن الكلمة مأخوذة من Nihil اللاتينية التى تعنى التلاشى Rien والعدم وإلغاء كل شئ . وإنكار كل اعتقاد ... »

وكذلك ورد فى قصة الكاتب الروسى تورجنيف (الآباء والبنون) Peres et enfants ، التى نقلها إلى العربية والأستاذ ذا النون أيوب ، شبه هذا التعريف ، أنقله كما ورد فى النسخة الفرنسية ممزوجاً بالحوار :

Nihiliste, fit nicolas
Ce mot autant que j'en puis ju ger, vient du laiinnihil, qui veut dire rieu

وعرف كلمة Anarchisme أنها رأى أو نظرية الفوضويين Auarchistes فما رأى البحاثة الدكتور عمر حليق ؟

أكرم فاضل

(الرسالة) الاسم المقصور الرباعى الساكن الثانى كفوضى ينسب إليه بحذف الألف أو بقلبها واوا

طه حسين بين الأدب والسياسة :

قرأنا تحت عنوان « طه حسين بين الأدب والسياسة »

بالعدد الرقيم ١٠١٥ من الرسالة ما كتبه الأديب عبد اللطيف فايد معقبا على ما كتبه كاتب من الكتاب فى صحيفة المصرى مفتريا على الحقائق عن علم وعمد ، ثم تعليقكم كذلك وقد دافعتم عن الحق وأنصفتم مستحق الإنصاف .

وأرجو أن تسمحوا لى بأن أعلق على ما كتبه هذا الكاتب.

فأقول :إن هذا الكلام لم يكتب عن ايمان ولا اقتناع ؛ ولا هو كتب كذلك عن جهل ، بل كتبه عن علم وعمد بأنه يخالف الواقع وحقيقة الحال مخالفة صارخة ، بل إن هذا الكلام قد كتب عن هوى آثم . فالذى يتصدى للكتابة فى الصحف عن العلوم والفنون وعن الأدب والأدباء لا يمكن أن يجهل حقيقة طه حسين ولا أن يكون مقتنعا بمثل هذا الذى تضمنه المقال. وليس ذلك فى مصر فحسب بل فى الشرق كله . ولا تحسبنا مبالنين إذ نقول أنه ما من أديب أو ناقد اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها يجهل حقيقة طه حسين ويمكن أن ينساق الى ما انساق اليه الكاتب فيصف الأستاذ العميد بمثل ما وصفه الكاتب

ورأبى أن المقال كان جديرا بأن يهدر جملة ولا يعلق عليه ولايشار إلى كاتبه برغم أنكم صححتم الأوضاع واعترفتم لصاحب الفضل بفضله وسجلتم صفحة فخار مجيدة لعميد الأدب ، فاعتقادنا الكاتب بمقاله أراد شيئا غير ماتضمنته عباراته من كلمات ومعان ، أراد به أن يثير معركة أدبية يكون هو بطلها ! ولا عليه أن يكون ذلك على حساب رجل ظاهر الفضل كريم عف القلم عف اللسان . وثمة نفوس تستهويها الناية ولا تعبأ بالوسيلة

ألم يبلغ علم الكاتب أن طه حسين كان الكاتب المضطهد فى عصر الملكية وأنه كان يسافر إلى الخارج فيحال بينه وبين العودة إلى الوطن وتشترط فى سبيل عودته الشروط

ألم يبلغه أن طه حسين كان يكتب فى كبرى صحف مصر فتتدخل السراى - أو يتدخل أذنابها - ليحال بينه وبين هذه الكتابة ، وأن اللجان المختصة كان يقع اختيارها على كتبه لتقرأ أو تدرس فى المدارس أو تكون محل تقدير فيتدخل كذلك ليحال دون هذا الاختيار أو يحال دون تنفيذ القرار ؟

كان على الكاتب أن يتق الله فى الناس . فطه حسين مثل يحتذى فى الإصرار على الحق والثبات على المبدإ والاعتزاز بالكرامة

ولعل من اليسير أن يعلم الناس - فما بالنا بالأدباء والنقاد والكتاب - أن انضمام الدكتور طه حسين إلى الوزارة الوفدية كان لها نصرا بل كان لها فخرا . وقد سعت إليه كل السعى وهو قد قبلها تحت تأثير فكرة واحدة هى تنفيذ السياسة التى يعتنقها فى التعليم ؛ وبرغم حرصه على تحقق فكرته ومنهاجه فإنه لم يسع إلى الوزارة أبدا . وقد كان بين أفراد قلائل لم يفسدهم الحكم ولا غير من طبعهم المنصب . وأخيرا لقد كان واحد اثنين أثنى على عملها يوم أقيلت الوزارة الأستاذ الكبير الزيات .. والزيات كما يعلم الناس يزن ألفاظه بميزان غاية فى الدقة وغاية فى الحساسية وشهادته شهادة حق وعدل

وبعد فهذا هو طه حسين كما هو وكما يعلمه الناس .. فليبحث كاتب المقال عن شىء آخر يلفت به نظر الناس إليه

بالاسكندرية **محمود وصيف**

الوجبة قديما وحديثا

الوجبة عند العرب : الأكلة ونحوها كل يوم وليلة. يقولون : أكل وجبة إذا أكل مرة واحدة فى كل أربع وعشرين ساعة ولا يقولون أكل وجبتين أو ثلاث وجبات فى اليوم . وأما الآن فتستعمل الوجبة فى كل أكلة فى أى وقت من أوقات الفطور أو الغداء أو العشاء فيقولون تناول وجبتين أو ثلاث وجبات فى اليوم وتناول وجبة الفطور أو الغداء أو العشاء : وهذا الاستعمال صحيح وإن خالف الوضع العربى لأن العبرة بعلة التسمية ؛ ألا ترى أن العرب سموا الأكلة الواحدة فى كل أربع وعشرين ساعة وجبة لأنها قد وجبت أى حقت وثبتت ولزمت وحلت وجاء ميعادها وهم حددوه بيوم وليلة . ونحن سمينا الأكلة الواحدة كل



هدية رأس السنة

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم الأديب سعد رضوان

تناول جاك دى رايندال عشاءه ثم صرف خادمتـه وجلس يحرر بعض الرسائل فقد كانت عادته دائما فى نهاية السنة المنصرفة أن يجلس وحيدا يكتب رسائل وهو يحلم متخيلا كل ما حدث له فى السنة الماضية ، فإذا ما تذكر صديقا خط له بضعة أسطر مهنئـا إياه بالعام الجـديد ، ولهذا جلس الآن إلى مكتبه ثم فتـح درجا وأخرج منه صورة لامرأة حدق فيها قليلا ثم قبلها ووضعها بجوار الورقة وشرع يكتب :

« عزيزتى إيرين :

لا شـك أنك تسلمت كتاب التهنئة الذى أرسلتـه إليك ولـكنى قد حبست نفسى فى هذا المساء لأخبرك ... »

وتوقفت الريشة عن الكتابة وقام جاك ليسير جيئة وذهابا لقد حلت به فى العشرة أشهر الماضية مصيبة — ليست كمصائب الآخرين من المخاطرين أو الممثلين أو المتشردين — ولـكنها امرأة أحبها واستولى عليها

وجاك ليس صغيرا برغم أنه يبدو شابا ، كما أنه ينظر إلى الحياة نظرة جدية مطلقة ، لهذا أخذ يزن غرامه ، كما كان يزن كل عام صداقاته القديمة والجديدة والأعمال التى مرت به وكذا الرجال الذين دخلوا حياته

لقد خبت جذوة غرامه الأولى ، ودقق مع نفسه كما يدقق التاجر عندما يضع حساباته فأخذ يسألها : ما هى ميوله نحوها .

وحاول أن يخمن ما ستكون عليه فى المستقبل فوجد فى نفسه أثرا عظيما وعميقا هو مزيج من الرغبة والشكر ومن آلاف من العواطف الأخرى التى تأتى عند انتهاء الربيع

وأفاق على دق جرس الباب فتردد فى أن يفتح ، ثم قرر أن المرء فى عيد رأس السنة يجب عليه أن يدخل الطارق أيا كانت شخصيته ، لهذا أخذ شمعة واخترق الصالة ثم شد الترباس وأدار المفتاح ... فرأى حبيبته واقفة أمامه مستندة بيديها على الحائط وهى صفراء كالميتة فسألها :

« ماذا حدث ؟ »

فأجابت : هل أنت وحدك ؟

فقال : نعم !!

فقالت : ولا ؟

فقال : ولا خدم نعم !!

فقالت : ألست خارجا ؟

فقال : لا !

فدخلت الشقة كالمعتادة على الدخول فيها ثم اتجهت إلى قاعة الاستقبال حيث ألقت بنفسها على إحـدى الأرائك ، وغطت وجهها بيديها وانفجرت فى البكاء ، فركع بجانبها وحاول أن يرفع يديها من على وجهها ليرى عينيها وهو يقول ، « إيرين ، إيرين ، ما الذى حدث ؟ أتوسل إليك أن تخبرينى عما جرى ؟ »

فأجابت وهى تتشنج ، « لا أستطيع أن أظل هكذا » ولم يفهم فسأل ، « كيف ؟ »

ست ساعات مثلا وجبة لما سبق فالعلة واحدة وهى الوجوب أى حلول الميعاد ، والخلاف محصور فى التحديد والتعيين وهذا لا يؤثر فى صحة الاستعمال . ألا ترى أن (الحاجب) قديما هو بواب الملك أو الخليفة وكان موظفا كبيرا له شأنه ، وهو الآن عبارة عن بواب لموظف كبير ، وهو معدود من الخدم والسعاة ! وعلة التسمية متوفرة وهى الحجابة والحراسة وإن تفاوتت اصطلاحا ولا معارضة فى الاصطلاح الحديث خصوصا إذا كان لا ينافى الاصطلاح القديم .

علي حسن هلالي

بالمجمع اللغوى

— نعم ، لا أستطيع أن أعيش هكذا .. فى المنزل . إنك لا تعلم .. إننى لم أخبرك .. إن هذا فظيع .. لا أستطيع أن أستمر .. لقد قاسيت كثيرا .. لقد ضربنى الآن ...

— من ؟ زوجك ؟

— نعم زوجى

— آه ...

ودهش كثيرا فلم يكن يظن أن زوجها وحش ، فهو رجل مجتمع ، من أحسن العائلات ، وهو رجل أندية ومن المترددين على سباق الخيل وعلى المسرح ، وهو معروف وله قدره فى كل مكان لأخلاقه الحسنة وبديهته الحاضرة وذكائه ولتقبله النقد بصدر رحب . هذا إلى جانب عنايته بزوجته واهتمامه برغباتها وبصحتها وملابسها وبكل ما يتعلق بها ، وهو يمنحها الحرية التى تطلبها ويرحب برايندال باعتباره صديقا لزوجته ككل الأزواج المؤدبين..

إن رايندال لم يكن يظن أن العواصف تدخل هذا المنزل لذا دهش كثيرا لهذا الحدث غير المتوقع وسأل « كيف حدث هذا ؟ أخبرينى ... »

وقصت إيرين عليه قصة طويلة .. قصة حياتها من يوم أن تزوجت . وقصة الخلاف الذى بدأ بسيطا ثم اتسعت هوته مع الأيام فكثر شجارها إلى أن انفصلا وإن لم يظهرا شيئا لأحد ، ثم تحول زوجها إلى وحش مجنون وهو الآن ينار عليها منه ، واليوم قد ضربها لأجل ذلك بعد شجار عنيف ...

وختمت قصتها مؤكدة ، « إننى لن أعود ، ويمكنك أن تفعل بى ما تريد »

وكان جاك قد جلس أمامها وقد تلاصقت ركبتاهما فأمسك يديها بيديه وقال : « يا عزيزتى ، يا صديقتى العزيزة ، إنك تقدمين على غلطة كبيرة .. إذا أردت أن تتركى زوجك فاجعليه هو المخطئ حتى يكون مركزك كامرأة لا غبار عليه فى المستقبل »

فحدقت إيرين فيه بعيون قلقة وهى تسأله : « وبماذا تنصحنى أن أفعل ؟ »

— اذهبى إلى منزلك حتى تحصلى على الانفصال أو الطلاق من زوجك

أليس فى نصيحتك هذه شئ من الجبن ؟

— كلا ، فهذا هو الطريق الطبيعى لأن لك اسما ومركزا وأصدقاء وأقارب يجب أن تحافظى عليهم

فقامت وقالت بحدة : « حسنا ، لقد انتهى كل شئ . انتهى .. انتهى »

ثم وضعت يديها على كتفى عشيقها ونظرت فى عينيه وهى تسأله : « هل تحبنى ؟ »

فأجاب : طبعا

فقالت له : أهذا صحيح

فقال : طبعا

فقالت : إذن أبقينى عندك

فصرخ : « كيف أبقيك ! فى بيتى ! هنا ! لابد أنك جننت ! ستضيعين إلى الأبد .. لقد جننت .. »

فقالت ببطء وبخشونة كمن يزن كلماته : « اسمع يا جاك ، لقد منعنى من رؤيتك مرة ثانية ، كما لم أعد أستطع أن أستمر فى لعبة المقابلات السرية ، فإما أن تبقينى وإما أن تفقدنى »

فقال : فى هذه الحالة يا حبيبتى إيرين تطلقى وسأتزوجك

فقالت : نعم ستتزوجنى بعد سنتين على الأقل ، إن حبك لصبور

فقال لها : اسمعى ، فكرى مرة أخرى . إنك إذا عشت هنا فسيأخذك غدا لأنك زوجته والقانون معه

فقالت : إننى لم أسألك أن تبقينى هنا ياجاك ، إننى أريدك أن تأخذنى بعيدا فى أى مكان ، لقد ظننت أنك أحببتنى حبا كافيا لتفعل ذلك ، ولكنى أخطأت ... الوداع

واستدارت وأسرعت إلى الباب فأمسكها وهى على وشك الخروج وقال :

— اسمعى يا إيرين ...

فجاهدت ألا تسمع شيئا آخر ، وتمتمت وعينها مليئة بالدموع وقالت : « اتركنى .. اتركنى . ولكنه أجلسها بالقوة ، ثم ركع إلى جوارها وحاول بالنصح تارة وبالنقاش أخرى أن ينبهها إلى خطئها وإلى خطورة خطتها مستعملا كل طريقة ممكنة ليحملها على أن تترك هذا « الجنون » متوسلا إليها أن تستمع لنصحه ولكنها بقيت بكماء باردة

فلما انتهى قالت ، « هل أنت على استعداد لتركى اذهب

الآن ؟ .. لا تمسكنى فأنا لا أستطيع أن أقوم . »

فقال : اسمعى يا إيرين

فقالت : أتسمح فتتركنى

فقال : إيرين هل صممت على هذا ؟

فقالت : اتركنى أذهب

فقال : حسنا إبقى ... أنت تعلمين أنك هنا فى منزلك ، وغدا سنذهب بعيدا

فأصرت على أن يتركها تقوم وقالت فى نغمة خافتة ، « كلا لقد تأخرت ، فأنا لا أريد تضحية . »

فقال : إبقى ، لقدفعلت كل ما هو واجب على أن أفعل ، وقلت كل ما وجب على قوله ، فليس على أية مسئولية حيالك بعد ذلك وضميرى الآن مستريح ، وما عليك إلا أن تخبرينى برغباتك فأطيع

فجلست ثانية ونظرت إليه وسألته بهدوء ، « حسنا ، اشرح لى نفسك ... »

فقال : ماذا ؟ ماذا تريدين أن أشرح لك ؟

فقالت : كل شئ ، كل مافكرت فيه حتى غيرت رأيك هكذا وعلى أن أقرر بعد ذلك

فقال : إننى لم أفكر بتاتا ... إنما كان من واجبى أن أعرفك أن ما انتويت جنون .. فلما لم تحيدى عن رأيك رأيت أن أشاركك جنونك

فقالت : إنه ليس من الطبيعى أن يغير الإنسان رأيه هكذا سريعا

فقال : اسمعى ياعزيزتى ، ياصديقتى العزيزة ، إنها ليست مسألة تضحية ..فى اليوم الذى عرفت فيه أننى أحبك قلت لنفسى — كما لا شك أن كل محب يجب أن يقول هذا لنفسه فى نفس الظروف — إن الرجل الذى يحب امرأة ويحاول أن يجعلها له عليه واجبات لا لنفسه فقط بل للمرأة التى يحبها ، وأنا أعنى بلاشك المرأة التى هى مثلك وليست المرأة السهلة ... إن للزوج فائدة اجتماعية وقانونية كبيرة ولكنه فى نظرى ليس له إلا فائدة روحية .. روحية بسيطة حينما ينظر المرء إلى الإحساس الذى أخذت هذه العلاقة مكانها على مقتضاه ... لهذا فإن المرأة المربوطة بهذا الحبل لا تحب زوجها ولا يمكنها أن تحبه ستقابل شخصا تحبه وتهبه نفسها ، فإذا احتل رجل أعزب مكانة العشيق فهذه العلاقة تتطلب تبعات كثيرة أعظم من دولة نعم أمام القس ، فإذا كان الاثنان شريفين فسوف يكون رباطهما أقوى وأمتن من ذلك الذى يعقد فى الكنيسة ... إن المرأة تضحى كل شئ ، وهى تعرف هذا ، فهى تعطى قلبها وجسمها وروحها وشرفها وحياتها لأنها تعرض نفسها للخطر من قتل زوجها لها ومن نبذ المجتمع إياها وما إلى ذلك مما يجعلها جديرة بالاحترام فى عين حبيبها الذى يجب عليه أن يعد العدة لمواجهة كل شئ يحدث ... وليس لدى شئ آخر أضيفه غير ماقلت ، لقد تكلمت أول الأمر كعاقل من واجبه تنبيهك ولكننى الآن رجل فقط .. رجل يحبك وينتظر أمرك.. »

وبحركة مغرية أغلقت له فمه بشفتيها ثم همست :

— ياحبيبى ، لم يكن هذا صحيحا ، فإن شيئا من ذلك لم يحدث وزوجى لم يشك فى شئ ولكننى أردت أن أعرف ماذا تفعل .. لقد أردت أن آخذ هدية رأس السنة ... هدية أخرى غير العقد الذى أرسلته إلى.. وهى حبك ، ولقد أعطيتنى إياه ، فشكرا ... وشكرا ... أوه ياربى ! ما أسعدنى !

سعد رضوان

فهرس الموضوعات للسنة العشرين من الرسالة

الموضــوع	صفحة
(ا)	
ابن عمى (قصيدة)	١٠٦٥
أبناء الشهداء	١١٠٢
أثر الرسالة فى الأدب الحديث	٩٧٢
أثر المدرسة المصرية فى الثقافة ٥٦٢، ٦٤٥	
أجل ذو العقل يشق	٢٤٢
أحبائى الموتى	١٠٩٤
إحتفال المجمع بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية	٣٩٥
أحمد أغا أغلو	١١٧٢
إحياء المقومات الدينية	١٤١٤
أخى (قصيدة)	٢٨٢
أخى الأستاذ محمود شاكر	٤٥٩
وأخيرا ظهر القائد المنتظر !	٨٥٣
أدب الانحلال	٩٣٧
أدب الانقلاب	١٠٩٦
أدب الجيش وتاريخه	١١٨٢
أدب التاريخ	١٢٢٩
الأدب النسوى	١٢٨٢
الأدب فى البصير	١٠٩٥
الأدب فى سوريا	١١١٢
الأرملة	١٢٧١
الأزهر الآن يعيش برئة واحدة	١٨
الاستعمار البريطانى فى ملايو ٦٣١ ، ٨٠١	
الاسلام دين الفطرة والحرية	١٣٨٧
الإسلام فى أوربا الشرقية ١٠٤، ١٣٩	
الاسلام ونظام الحكم عندنا	١٤٤٥
الأسوة الحسنة	٣٧٣
الأعداد الثلاثة	١١٥٣
الألم العبقرى ليس ألم المجموع	١٢٦٧
أبو العتاهية ٥٣١ ، ٦٣٩ ، ٦٦٧ ، ٧٠٢	
أبو مروان الخرائطى	١٢٠١
اذكروا الشهداء	٩٧٤
أرستقراطية الثقافة	١١٢٥
إسلام أمريكانى	٧١٣

الموضــوع	صفحة
أعتذر إليك	٣٠٤
اعتذار وشكر	٢٢٣
أقلام الثورة	١٠٩٢
أكاذيب كلوب باشا	١١٣١
إلى السلاح ياعرب	١٣
إلى الشعب المصرى	١٣١
إلى صاحب الفضيلة وزير الأوقاف	١١٥٧
إلى القاضى الفاضل	٥١٤
إلى النائمين فى العالم الاسلامى	٧٦٩
امرأتان عظيمتان من دولة المغول ٢١٠، ٢٥٠	
إن إلهكم لواحد	٦٠١
أنا مع سيد قطب	٣٧٢
أنا الملك الفتى	٩٩٥
انتظار (قصيدة)	٣١٢
انتقام الأميرال (قصة)	٢٣٥
إندونسيا ٦٠٨، ٦٤٣، ٧٧٣	
أوامر مهملة	
آيات من الفن الاسلامى	٢٨
أين السلف الصالح	١١١٩
أين المفر	١٤٥٧
(ب)	
الباب المفتوح	٤٨٧
البا كستان ٣٥٧، ٣٨٦، ٤٤٦، ٥٢٤، ٥٥٩	
بحث فى الموسيق الشرقية ٤٦٦، ٤٩٨	
بداية النهر	١٢٥
البحيرة (قصيدة)	٤٥١
براعم شعراء الشباب	٦٣٧
بطلة كربلاء	٣٩٨
بلادنا فلسطين	١٠٩٧
البعث (قصة)	٣٧٤
البلبل الذبيح	٤٤٨
بلغنا العدد الألف	٩٦٥
بنات العرب فى إسرائيل	١٨٣
بنديتو كروتشه	١٤٢٢
بنى مصر !	٢٠٠
بين سبت وسبت	١٥٣

الموضــوع	صفحة
بين الفصحى ولهجاتها	١٢٧
بين الاسلام وحركة التسلح الخلقى	٩٠٥
بين محمد وأصحابه	١٧١
(ت)	
تاريخ الحركة العلمية الحديثة فى حضرموت	٦١٤
تاريخ النهضة الفكرية فى السودان	١٠٥٧
تاريخنا العربى	١٣١٠
تبعات السينما	٧٧١
تجلد يا فاروق باشا	١٠٧٧
تحت منظار النقد	١١٨٦
تحية وإعجاب	١١٥٩
تحية جديدة (قصيدة)	٩٨٢
التربية والتعليم	١١٥٧
التربية الروحية فى مدارسنا	١٤٤٩
الترجمة والشعر المنثور	١٠٩٦
تركيا ١١٩٨ ، ١٢٣٢ ، ١٣٧٠	
ترنيمة الشهيد (قصيدة)	١٧٣
تصحيح رواية حديث نبوى	١٤٨
التصوف على البلاج	٧٩٨
تصويب	١١٨٦
تصويب أخطاء	١٧٧
تطور البديعيات فى مدح الرسول	١١١
التعليم فى مصر ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٣٥٣	
تقديم الشاعرين الفائزين فى مسابقة المجمع	٤٥٣
تحية للرسالة من العراق وأخرى من الحجاز	٢٠٤
تمثال البيت الأبيض	١٢٢٦
تهاجى الشعراء	٥٧٠
توحيد الزى	١٢٤٦
(ث)	
ثروة لم تخطر على بال	٥٧٢
ثورة الشرق	١٦٢
ثورة ضمير (قصيدة)	١٢٣٨
ثورة فيها روع النبوة	١١٣٣

الموضوع	صفحة
الثورة المصرية ١٩١٩	١٠٨
(ج)	
جارتي (قصيدة)	١٤٥
جلاء وجلاء	١٣٣
جحا القاضي	٧٧٧
الجغرافيا والسيادة العالمية	١٤٥٢
جمال الدين الأفغاني ٩٨، ١٣٧، ١٦٠	
جناية الحزبية على الأدب	١٢١٤
الجنية العاشقة	١٥١
جونه ٥٨٧، ٦٩١، ٧٢١	
جيش وشعب (قصيدة)	٩٢٧
(ح)	
حاجة الاسلام إلى زعيم	٣٥
الحاجة إلى الجذور ٨٥٤، ٨٨٤	
الحب فوق الجبل (قصة)	٦٠٠
حديث رمضان	٦٢٩
الحذاء المشؤوم (قصة)	١٠٧٥
حركات الإصلاح	٩٦٨
حركة التسلح الخلقي	١٠٦٠
حريق القاهرة (قصيدة)	٤٢٣
الحسن البصرى	٢٢٠
حسن البنا الرجل القرآني ٤٦٢، ٤٩١، ٥١٨، ٥٤٩، ٥٨١، ٦٠٦	
حضارة غربية	٢٩٨
حفنة رماد (قصيدة)	٩٥٧
حق الأديب في الحياة الكريمة	١٢٦٧
حق النساء (قصيدة)	٨٧٢
حقوق المؤلفين	١٢١١
الحكم الوراثي	١١٩٠
حول بيت للمتنبي	١٠١٧
حول تطهير الأدب	١٢٣٩
حول خطوط	٥٩٩
حول علم النبي بالغيب	١٠١٧
حول مذكرات واعظ أسير	٦٧٦
حول مقال إلغاء الدين الرسمي	١١١٣
حياة المازني ١٣٦٢، ١٣٩١، ١٤١٨، ١٤٤٦	
حين ينظم الشاعر (قصيدة)	٣٦٩

الموضوع	صفحة
(خ)	
الخادم (قصة)	٧٩٥
خروج المتني من مصر ٨٥٧، ١٠٣٠	
خطوط	٤٥٩
خمسة أعوام في عذاب (قصة)	٦٨٤
الخوف	١٥٩
(د)	
الداء والدواء ١١٣٧، ١١٦٩	
درس مطالعة	٨٦٣
دعوة محمد ٥١، ١٦٤، ٢٥٢، ٢٧٧، ٤١٣	
الدفاع عن الشرق الأوسط ١٢٢٠، ١٢٤٨، ١٢٨١، ١٣٠٣، ١٣٥٨	
دفاع عن العباسة	٢٧٥
الدم (قصة)	١٤١٠
دموع البطل	١٣٩٦
دولة الألقاب	١٣٠١
دولة بلا دين	١١٦٤
ديوان مجد الإسلام ٥٠٦، ٥٦٤، ٨١٧، ٨٤٦، ٨٧١، ٩٢٥، ١١٧٩، ١٢٠٩، ١٢٣٦، ١٢٦٥	
دين العزة	٢٠
(ذ)	
ذكرى الأبطال	١٤١٤
ذكرى حبيب (قصيدة)	١٧٤
ذكرى مولد الرسول	٣
ذو العقل يشقى	٢٤٢
ذيول الحادث (قصة)	٩٩١
(ر)	
ربيع الشاعر (قصيدة)	٦١٧
رجال الثورة المصرية	٦٠
رحلة (قصيدة)	٦٤٨
رحلة أبي الطيب المتني من مصر	١٠٣٠
رد على نقد	١٢٧٠
الرسالة الأخيرة (قصة)	٩٣٤
الرسالة والدعوة	١
رسالة وجوابها	١١٨٩
الرسالة في حياة الأدب	٩٧٧

الموضوع	صفحة
الرسالة في عامها العشرين	٢٣
رسالة وصورة	٢٠٩
الرسالة موئل الرأى الحر	٩٦٧
الرشيد ... شخصيته	٧١٥
الرصافي أحد الضحايا	١٢٦٧
رمضان	٥٧٣
(ز)	
زبيدة	٥٢٧
زكى مبارك ١٩٠، ٤٩٦، ٤٥٢	
زوجتي	١١٩٢
س	
سأم	٥٤٥
ساعة بين أعداد الرسالة	١٠٠٧
السرطان والعلم	٣٨٩
سطور من دم (قصيدة)	١٤٥٧
السفينة السوداء (قصة)	١٣٢٧
السكيرة (قصة)	٧٣٩
سلسلة رسائل الامام الغزالى	٦٢٤
السيد محمد كريم	١٠٩٠
سيفا العروبة يلتقيان	١٤١٣
ش	
الشاصي	٣٢
الشاعر (قصيدة) ٣٩٣، ٧٨٩	
شاعر السودان	٨٤١
الشاعرات	١٠٩٥
شاعر من يوغندا	٩٤١
شجرة عيد الميلاد	١٤٣٨
شخصية ٥٠٣، ٥٢٤	
شخصية الشافعى	٦٨٩
الشرق الثائر	٥٥١
الشعب المتعلم	٥٦
شعب يتحرر (قصيدة)	١٢٩٤
شعراء الشباب	٥٢٩
شعلة المجد (قصيدة)	٦٧٨
الشعوب الاسلامية تزحف	٣٧٧
الشقى المدلل (قصة)	٨٢٣
شعر توماس كارليل ١١٤٤، ١١٧٤، ١٢٠٦، ١٢٣٤، ١٢٦٣	
شوقيات لم تنشر في الديوان ٧٨٧، ٩٢١	

الموضوع	صفحة
شهيدان فى كفن	١٠٠١
الشيطان (قصة)	٥١٥
الشيطان العجوز	٤٠٣
شيلر الشاعر الألمانى	١٠٠٩
ص	
صاح على شرنوبى	١٢٩٠
صححوا أكاذيب التاريخ	٩٩٣
الصخرة (قصيدة)	١٩٩
صديق جديد	١١٠٣
صديقى	٣٦٤
الصقر (قصة)	١٧٩
صوت الهجرة	١١٠٩
صور إسلامية رائعة	١٩٥
الصوم سمو بالانسانية	٦٣٤
ض	
ضريبة الذل	٦٥٧
ضموا الكتائب (قصيدة)	١٤٣٢
الضمير البريطانى	٥٧
ضيف كريم	١٢٩٧
ط	
الطلاق وتعدد الزوجات	١١٣٤
طبيعة الحج فى الاسلام	١٨٠
الطريق إلى الكتلة الثالثة	٢٩٣
طريق واحد	١٨١
طيف الهجرة	١١٢٣
(ظ)	
ظلم . الجبن . الأنانية أعداؤنا الثلاثة	١٠٨٨
ظفر — جمعه	١٤٨
(ع)	
العالم الاسلامى حقيقة واقعة	١٠
عالم الذباب ١٠٠، ١٤٢، ١٦٧	
عبد الحميد الديب	١١٩٥
عبد الله الحسينى	١٠٨١
العيد	٨٨١
عتاب	١٢٦٣
العدالة الاجتماعية فى الاسلام	١٤٢٧
عدد (١٠٠٠) من الرسالة	٩١١
عدو (قصة)	١٠٤٧
عدونا الأول الرجل الأبيض	١٢١٧
عدى بن زيد العبادى ٢٤٧، ٣٠٨، ٣٦٢، ٤١٩، ٤٨١	
عرش هوى (قصيدة)	٩٥٦
عروس الجنة	٨٣٦
عزل بضم فسكون	١٤٨
العش الخالى	١١٦٠
عصر سلاطين المماليك	١١٤٥
عقيدة المسلم	٤٥٥
العلم والمال	١٠٧٩
علم النبي بالغيب	٩١٨
علماء !	٧٩١
عمر الخيام	٢٩٦
على ضفاف الليالى (قصيدة)	٣٦٨
على طه وبيرون	١٢٧٥
على مشرفه باشا	٣٥٥
عمر بن عبد العزيز	١٠٨
عهد جديد	٣٦٩
عود إلى الشعر المنثور	١٢٤٠
عودة الروح (قصة)	٨٧٩
عودة العميد	١١٥٢
عيش العبيد	٢٧
(غ)	
غبار حول الكتلة الإسلامية	٤٣٣
(ف)	
فتش عن الرجل	٥١٤
فجر ... ونور (قصيدة)	١٠٤٢
فدائيون وأنانيون	٩٧
فرحة الشعر فى موكب التحرير	١٢١٠
فرنسا أم الحرية	١٣٨٥
فساد الإذاعة	٢٨٤
فضل المدنية العربية على المدنية الغربية ٦٠٣ ، ٦٣٥ ، ٦٦٢	
فقاقيع	٢٣٧
الفكر واللغة	٢٦٦
فى الشعر السياسى	٥٤٢
فى انتظار الصباح (قصيدة)	٤٨٤
فى بلاد الأحرار ١٠٣٩ ، ١١٤٨ ، ١١٧٧ ، ١٢٠٣	
فى تأبين الدكتور زكى مبارك	٤٤٩
فى تاريخ الأدب التركى ٣٥٠ ، ٣٧٩	
فى سبيل الله	٤٦
فى موكب الشهداء (قصيدة)	١٤٤
(ق)	
القاضى (قصة)	٧١١
قافلة (قصيدة)	٨١٩
قد مضى عهد ألف ليلة وليلة	٩٣٩
القرآن والدستور	١٣٥٧
قرية الأدباء	٤٠٩
قضيع الصيف فى باريس	٦٥٩
القلب المحطم	١٣٣٢
قوميات الموسيقى بالجامعة	١١١٠
(ك)	
كاظم جواد	١٤٠٠
الكتاب ولوازمهم	١٣٩٧
كتابان	١٤٠٣
كتاب الاعتصام لمن	١٤٨
الكتلة الإسلامية	٤٠٥
الكتلة الإسلامية والعالم الإسلامى	٣٨
الكذبة	١٢١٥
كرد على (قصة)	١٣٨٣
كل لنفسه	١٢٤٣
كلمات ٤٠٦ ، ٤٣٥ ، ٤٦٤	
كلمة تقال	٢٨٣
كلمة صغيرة	٨٨٣
الكوميديا الالهية	٣٩٦
كيف وجدت العالم العربى	٥٧٥
(ل)	
لست طروبا (قصيدة)	٨١٩
اللص الثرثار (قصة)	٨٥١
لغة الشاشة	٤٨٦
لغة المجتمع	١٧٥
لغة المستقبل ٤٠٩ ، ٤٣٩ ، ٥٠١	
ليس هذا تجديد	٣٧٣
(م)	
مأساة غريبة	٤٨٥
مبتور الساقين	٦٥٥
المجتمع التقدمى	٤٣٥
مجنون (قصة)	١٢٩٩
محمد (قصيدة)	١٤٠٥
محمد إقبال	٤٧٧
محمد رسول الله	١١٠٧

الموضوع	صفحة
محنة الأدب فى مصر	١٢٨٨
مذكرات واعظ أسير	٦٢١
المرأة المسلمة	٢٣٩
المسرح المصرى فى عام	١١٨٣
المسرح أيضا	١٢٦٧
مسرحية كدب فى كدب	٤٥٤
المسلمون بين الشرق والغرب ٢٧١ ، ٣٠٢	
مصادر التاريخ الحضرمى	٦٧٤
مصطفى صادق الرافعى	٥٥٦
مصطفى عبد الرازق	١٨٨
مصطفى كمال أتاتورك ٦٧١ ، ٧٠٠ ، ٧٢٧	
المصطلحات الطبية	٤٢
مصير الانسانية فى أيدى الشيوخ	٣٦٦
المعلم فى عهد التحرير	١٢٥٧
مفخرة الجيل	١١٥٤
ملك وشعب	١١٢٠
من آثار السيدة زبيدة	٨٦٢
من أخلاقنا	٥٤٧
من أين لك هذا	٤٢٩
من بعيد (قصيدة)	٩٢٨
من دموع اللاجئين	٣٧
من معارك الأدب السياسى	٨٢٨
من ليبيا إلى مصر (قصيدة)	١١٧
من مشاهد الهجرة مافيه روعة وعبرة	٥
من وحى الكأس (قصيدة)	٢٨١

الموضوع	صفحة
من وحى النار والدخان (قصيدة)	١١٦
من يسمم	٦٧٣
منطق السيف	٢٦
مهرجان الشعر ١٢٣٩، ١٢٧٠	
مهنة الصداقة	٣١٠
مواكب القلوب	٦٩٨
مواكب الناس	١١٢٦
ميثاقان لاميثاق واحد	٩١٣
الميسر والأزلام ١٢٢٢ ، ١٢٥٢ ، ١٢٨٥، ١٣٩٣، ١٤٢٥	
(ن)	
نابليون وجنوده وقواده	١١٤٠
نحن الشعب نريد	١١٠٥
نحو بعث جديد	١٠٢٢
نحو مجتمع سليم	١١٥٩
نداء الفلاح	١٣١٤
نداء المال	١٤٥١
نداء بعيد (قصيدة)	٣٩٤
نساء عرفن فى زمن النبى ٦٩٥، ٧٢٩	
نصيب السودان فى ثقافتنا المدرسية	٢١٨
نصيب قريتى من الثورة	١٢٤٥
النطق بالضاد	٣١٦
نقطة البدء	٨٢٥
نكسة فى دار العلوم	١٣٧٢
النيل فى ضوء القمر	١١٢٧
نهاية ملك (قصيدة)	٩٥٦

الموضوع	صفحة
(هـ)	
الهازلون فى وقت الجد	٢٤١
هجرة الرسول	١٦
هدية رأس السنة (قصة)	١٤٦٣
هذا هو الطريق	٤٨٩
هذه المخازى	١٤٤٣
هل قطعتم يد السارق	٨٣٢
هل كان الزهاوى فيلسوفا : ١٠٠٥، ١١٠١	
هل المسيحية فى ازدهار	٨٨٩
هلن كلر	٧٧٥
هوى الملك الباغى (قصيدة)	٩٨٣
هى مسألة خلافية	١٢٧٠
هيكل عظمى	٦٢٦
(و)	
واحسرتا على عزيز !	٥١٧
وثبة الجيش	١٢١٠
الوثبة المباركة	٩٠٩
الوجودية فى نظر التحليل النفسى	٤٢٢
وحى البردة (قصيدة)	١١٢١
وداع الريف (قصيدة)	٢٠٠
الوضنية (قصة)	٩٠٧
وعود الأمس ووعود اليوم	١٢٤٢
وفاء زوجة (قصة)	١٠١٩
(ى)	
ياجراحات الوطن الاسلامى	١٢٧٣
يقظة الوعى الاسلامى	٩٥١
الينابيع الجديدة (قصيدة)	١٤٥
يوم ٢٦ يوليو	٩٨٠

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٤

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا — تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفرعين الآتيين على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل :

(ا) أحسن بحث مستوفى مبتكر يسير على المنهج العلمى الحديث فى أحد الموضوعين الآتيين :

عبد الله النديم ، أو محمود سامى البارودى من حيث حياة كل منهما وآثاره الأدبية وأثره فى عصره وفى الأدب العربى

(ب) مناهج النقد الأدبى فى كتاب العمدة لابن رشيق والموازنة بينها وبين مناهج النقد فى العصر الحديث .

ثانيا — تخصص لأدباء العربيـة عامة جائزة قدرها مائة جنيه لمن قام بتحقيق كتاب فى اللغة أو الأدب على نهج علمى .

ويشترط فى جميع هذه الموضوعات ألا يكون قد سبق نشرها أو تكون قد نشرت بين سنتى ١٩٤٨ — ١٩٥٣ .

وعلى المتسابقين أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول يناير سنة ١٩٥٤

للمتسابقين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقـة المتقدم إليه ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة أخرى أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية

وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بشارع قصر العينى ١١٠ القاهرة .

مطبعة الرسالة